ذخائر العرب
٣٠

تاريخ الطبرى

تاريخ الرسل والملوك

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى
٢٢٤ - ٣١٠ هـ

تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الثانية

دار المعارف بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

تظهر الطبعة الثانية للجزء الأول من هذا الكتاب ، ويتلوه بقية الأجزاء ؛ متميزة بكثير من الاستدراك والتصحيح ، موشّاة بمزيد من الشرح والتعليق ، بعد أن فرغ العمل من تحقيق جميعه وعمل فهارسه ، وبعد أن أوشك أن يشغل مكانه فى المكتبة العربية كاملاً إن شاء الله .

ويقع تاريخ الطبرىّ من هذه الطبعة وسابقتها فى عشرة أجزاء بينة المعالم ، واضحة الحدود ، وألحقت الفهارس العامة بالجزء العاشر والأخير منها ؛ أما ذيول الكتاب فستكون بعد الجزء العاشر ؛ كلّ منها مستقلّ بأرقام صحفه وفهارسه .

وقد سبق لى أن فصّلت فى مقدمة الطبعة الأولى فى هذا الجزء، وفى البيانات التى صدّرت بها الأجزاء التالية له ، الجهود العلمية التى بذلت فى تحقيقه ، ووصفت النسخ التى حصلت عليها ورجعت إليها من مكتبات القاهرة وإستانبول ؛ مما لم يقع لمصححى الطبعة الأوربية ، التى اتخذتها أصلا للتحقيق، عدا ما رجعت إليه من كتب التاريخ والسِّيَر والتراجم والمعاجم ودواوين الشعر ؛ ومن كل هذا ، أكملتُ النقص ، وأصلحت الخطأ ، وأوضحت الغامض والمبهم ، ورددت كلاًّ من المحرّف والمصحّف إلى أصله ، وزدتُ فى الشرح والتعليق ؛ مما يدخل فى المحض اللباب ، ويبتعد عن الحشو والتطويل والفضول ، كما زدت أنواعاً من الفهارس ، وأوضحت المصادر والمراجع ؛ مما أرجو أن تكون به هذه الطبعة أدنى إلى الكمال ، وأيسر للنفع والإفادة إن شاء الله .

هذا، ويدلّ ما يلقاه هذا الكتاب من القبول والرّضا عند العلماء والمحققين ، وما يقابل به من البشاشة والاطمئنان لدى الباحثين والدارسين ، على مكانته فى الآداب العربية ، ومنزلة مؤلفه الثبت الجليل بين مؤرخى الإسلام ؛ لما اشتمل

عليه من الحقائق التاريخية الصادقة ، والمعارف المنخولة المصفّاة ، والنصوص الأدبية الجميلة ، وما امتاز به من الأسلوب الجزل ، والبيان المشرق الرائع ، مع العرض المتّسق والأداء المحكم .

فجزى الله مؤلفه أطيب الجزاء ؛ كِفاءً لما حفظ من تاريخ الإسلام وحمل من أمانة العلم ، وما أخلص به العمل لوجهه الكريم .

ونحمده جل شأنه على تواتر نعمه ، وسابغ فضله وكرمه ، ونسأله دائماً هداية وتوفيقاً .

محمد أبو الفضل إبراهيم

١ من جمادى الثانية سنة ١٣٨٧ هـ
٥ من سبتمبر سنة ١٩٦٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

١ — محمد بن جرير الطبرى

لم يكد يطلُع القرن الثالث للهجرة حتى كانت العلوم الإسلامية قد اقتربت من النّضْج وشارفت الكمال؛ فقد وضِعت الأسس الثابتة لمذاهب الفقه، وألّفت الكتب الصّحاح فى الحديث، وجمعت اللغة من أفْواه الأعراب، وصُنّفت كتب السيرة والمغازى والفتوح، وتحدّدت معالم الخلاف بين نحاة الكوفة والبصرة، واستوعبت العربيةُ طائفةً من علوم الفرس والهند واليونان، واتّسعت آفاق المعرفة عند العلماء؛ فكان المشتغلُ باللغة والنحو عالماً بالحديث ووجوه التأويل، والمحدّث عارفاً بالتاريخ وصنوف الفِرَق والمذاهب ومراتب الرجال، والشاعر يأخذ بنصيب من اللغة والنحو والتّصريف، والفقيه يحفظ الشعر والمثل، ويروى الحديث والخبر، ويشارك فى صنوف الآداب.

ولم تعُد حلَقات الدّروس، ومجالس العلماء، ومدارسة العلوم وصناعة التأليف موقوفةً على الكوفة والبصرة وبغداد؛ بل امتدّت شرقاً إلى فارس وخُراسان والرّىّ وما وراء النّهر؛ وسارت غرباً إلى الشّام ومصر وبلاد المغرب والأندلس، وأصبحت الحواضر والقرى فى هاتيك البلاد مأهولةً بالفقهاء والقرّاء والرواة والمحدّثين والنظّار، وشيوخ الأدب وأئمة اللغة والنحو، تشدّ إليهمْ الرحال، ويقصَدون من كلّ مكان.

* * *

وفى هذه الحِقْبة من الزمن، بزغَ نجْم المحدّث الفقيه الجامع لأشتات العلوم، أبى جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبرىّ. فَقِهَ العلم صبيًّا وهو دون الإدراك، ورحل فى سبيله يافعاً لم يبلغ مبلغ الرجال، ولقِىَ المئين من الرواة والعلماء، وطالع صنوف الكتب، ولم يلبثْ أنْ أصبح إماماً وصاحبَ مذهب،

أملى اسمه على التاريخ ، وسار ذكره مع الزمان ؛ واقترن علمه بالثقة والاعتبار.

كان مولده بآمل طَبَرِسْتَان؛ وقد وقع الشكّ فى تاريخ ولادته، قال بعضهم: ولد آخر سنة أربع وعشرين ومائتين ، وقال بعضهم : أوّل سنة خمس وعشرين. وسأله أبو بكر بن كامل تلميذه ومؤرخ حياته : كيف وقع الشك فى ذلك ؟ فقال : لأنّ أهل بلدنا يؤرّخون بالأحداث دون السنين ؛ فأرّخ مولدى بحدث كان ، واختلف المخبرون ، فقال بعضهم سنة أربع ، وقال آخرون: سنة خمس وعشرين ومائتين(١) .

وتحدّث أبو جعفر عن أمره فى حداثة سنّه فقال: « حفظت القرآن ولى سبع سنين ، وصلّيت بالناس وأنا ابن ثمانى سنين ، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع» قال : « ورأى لى أبى فى النوم أنى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت معى مخلاةٌ مملوءة حجارةً ، وأنا أرمى بين يديه ، فقال له المعبّر: إنه إن كبِر نَصَح فى دينه، وذبّ عن شريعته . فحَرَص أبى على معونتى فى طلب العلم، وأنا حينئذ صبى صغير »(٢) .

وصحّت الرؤيا وصدق التعبير ، وملأ ابن جرير الدنيا فقهاً وعلماً ، وناضل عن السنّة وحارب الابتداع . وكان أبوه ورعاً تقيًّا متصوّناً؛ إلى يسار يعيش فيه، وضَيْعة واسعة يملكها بطبَرِستان؛ وما إن أحسّ من أبى جعفر يقظةً فى فؤاده، ورجاحة فى عقله ، ونزوعاً إلى العلم ، ورغبة فى لقاء العلماء ؛ حتى دفعهُ إلى الرّحلة فى سبيل العلم حيث كان ؛ فرحل عن مسقط رأسه آمُل ؛ ولم تبلغ سنُّه الثانية عشرة ؛ وكفاه مئونة العيْش ومعاناة الرزق ؛ فكان يرسل إليه نفقته حيث حلّ ؛ فصانه بذلك عن عطايا الخلفاء واستمناح الملوك والوزراء ؛ وزهّده فى مناصب الدولة ، وأعانه على الانقطاع إلى المدارسة والرواية والتصنيف ؛ بل إنه كان يُجبى إليه نصيبه مما خلّفه أبوه بعد وفاته؛ وظلّ ذلك الرزق موصولا بحياته إلى أن مات .

وكان أوّل ما رحلَ إلى الرىّ وما جاورها من البلاد ، فأخذ عن شيوخها

---

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٤٨ .

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٤٩ .

وأكثر ، ودرَس فقه العراق على أبي مُقاتل ، وكتب عن أحمد بن حمّاد الدولابيّ كتاب « المبتدأ » ، وأخذ مغازيَ ابن إسحاق عن سلَمَة بن الفضل ؛ وعليه بنيَ تاريخه فيما بعد . ثم اختصّ بابن حُميد الرازيّ . قال أبو جعفر : «كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازيّ فيخرج إلينا فى الليل مرّاتٍ ، ويسألنا عمّا كتبناه ويقرؤه علينا ، قال : وكنا نمضى إلى أحمد بن حمّاد الدولابيّ ، وكان فى قرية من قرى الريّ ، بينها وبين الريّ قطعة ؛ ثم نعدُو كالمجانين ؛ حتى نصير إلى محمد بن حميد ، فنلحق مجلسه »[1] .

وترامتْ إلى الناس أنباء أحمد بن حَنْبَل ، وتُسومعَ ذكره فى أندية العلم ومجالس العلماء ، فعزم أبو جعفر على الرحلة إليه فى بغداد ؛ ليأخذ عنه ويروى ؛ ولم يكد يصل إليها ؛ حتى علم بوفاته قبل دخوله بقليل ؛ فعدل عن الإقامة فيها ؛ وأخذ طريقه إلى البصرة ؛ فسمع عمّن بقيَ من شيوخها ، كمحمد بن موسى الحرشيّ ، وعِماد بن موسى القزاز ، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعانيّ ، وبشر بن معاذ ، ومحمد بن بَشّار المعروف ببُندار .

ثم رحل إلى الكوفة ، فكتب فيها عن هنّاد بن السريّ وإسماعيل بن موسى الحديث ، وأخذ عن سليمان بن خلاّد الطلحيّ القراءات ، ولقيَ فيها أبا كُريب محمد ابن العلاء الهمذانيّ ؛ وكان عالمَ عصرِه ، ونسيجَ وحدِه ؛ إلاّ أنه كان فى خلُقه جفاءٌ وخشونةٌ ؛ قال أبو جعفر : « حضرتُ باب داره مع أصحاب الحديث ، فاطّلع من باب خَوْخة له ، وأصحاب الحديث يلتمِسُون الحديث ويضجّون ، فقال : أيّكم يحفظ ما كُتِب عنى؟ فالتفت بعضُهم إلى بعض ؛ ثم نظروا إلىّ وقالوا : أنتَ تحفظ ما كتبت عنه ؟ فقلت : نعم . فقالوا : هذا ، فسله ، فقلت : حدثتَنا يوم كذا بكذا ، وفى يوم كذا بكذا » . قال أبو بكر بن كامل : وأخذ أبو كُرِيب فى مسألته إلى أن عَظُم فى نفسه ، فقال له : ادخل إلىّ ، فدخل إليه ، وعرف قدرَه على حداثته ، ومكّنه من حديثه ، وكان الناس يسمعون منه ؛ فيقال : إنه سمع من أبى كُرَيب أكثر من مائة ألف حديث[2] .

---

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٥١ ، ٥٢ .

ثم عاد أبو جعفر إلى مدينة السلام ؛ وفى هذه المرّة أخذ فى مدارسة علوم القرآن ؛ وانقطع إلى أحمد بن يوسف التغلبيّ المقرئ زماناً ؛ ثم جنح إلى دراسة فقه الشافعيّ ؛ وكان هناك الحسن بن محمد الصباح وأبو سعيد الإصطخريّ من أئمة الشافعيّة ، ولم يلبث أن اتّخذه مذهباً ، وأفتى به سنوات .

وكان يقيم بمصر على عصره بقيّة من أصحاب الشافعيّ وحاملى مذهبه : إسماعيل بن إبراهيم المزنى ، والربيع بن سليمان ، ومحمد بن عبد الله بن الحكم وأخوه عبد الرحمن ؛ فدعتْه نفسه إلى اللقاء بهم والرحلة إليهم ؛ وفى طريقه إلى مصر عرّج على أجناد الشام وسواحلها وثغورها ؛ وأطال أيامه فى بيروت على الخصُوص ؛ حيث لقىَ العباس بن الوليد البيروتىّ المقرئ ؛ قضى منها سبع ليالٍ بالمسجد الجامع ؛ حتّى ختم القرآن برواية الشاميين تلاوة عليه ؛ وتابع مسيره إلى الفُسطاط حتى بلغها فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

وكان أوّل َمنْ لقيهُ بها أبو الحسن السرّاج المصرىّ ؛ وكان أديباً متصرّفاً فى فنون الآداب ، وكلّ من دخل الفسطاط من أهل العلم يتلقّاه ويتعرّض له ؛ فحينما لقى أبا جعفر ، ساءله عن فنون من الفقه والحديث واللغة والنحو والشعر ، فوجَده عالماً فى كلّ ما سأل ، آخذاً من كلّ علم بنصيب وافر ، فسأله عن شعر الطرمّاح ، فإذا هو يحفظه ، فسئل أن يمليَه ويشرح غريبه ؛ فأملاه عند بيت المال بالجامع .

وجاءه أيضاً رجل آخر يسأله فى العروض . قال أبو جعفر : « ولم أكن نشِطت له من قبل ؛ فقلت له : علىّ قول ألاّ أتكلّم اليوم فى شىء من العروض ، فإذا كان فى غد فصرْ إلىّ ، وطلبت من صديق لى كتاب العروض للخليل بن أحمد ، فنظرت إليه فى ليلتى ؛ فأمسيتُ غير عروضىّ ، وأصبحت عروضيا » (١) .

وروى الخطيب البغدادىّ قصة طريفة وقعت لابن جرير فى مصر ، قال : جمعت الرّحلة بين محمد بن جرير ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمةَ ، ومحمد بن نصر المروزىّ ، ومحمد بن هارون الرُّويانىّ بمصر ، فأرمَلوا ولم يبق عندهم ما

---

(١) معجم البلدان ١٨ : ٥٦ .

يقوتهم ؛ وأضرّبهم الجوع ، فاجتمعوا ليلة فى منزل كانوا يأوون إليه ، فاتفق رأيهُم على أن يستهِموا ويضربوا القرعة، فمن خرَجت عليه سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة ، فقال لأصحابه : أمهِلونى حتى أتوضّأ وأصلّيَ صلاة الخيرة . قال : فاندفع فى الصّلاة فإذا همْ بالشموع ، وخصىّ من قبَل والى مصر يدقّ الباب ، ففتحوا الباب ، فنزل عن دابّته ، فقال : أيّكم محمد بن نصر؟ فقيل ؛ هو هذا ، فأخرج صرّة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه ، ثم قال : أيّكم محمد بن جرير ؟ فقالوا : هو ذا ، فأخرج صرّة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه، ثم قال: أيّكم محمد بن هارون ؟ فقالوا: هو ذا، فأخرج صُرّةً فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه ؛ ثم قال: أيّكم محمد بن إسحاق بن خزيمة ؟ فقالوا : هو ذا يصلّى، فلما فرغ دفع إليه الصرّة وفيها خمسون ديناراً ، ثم قال : إن الأمير كان قائلاً بالأمس ، فرأى فى المنام خيالاً ، قال : إن المحامد طوَوْا كشحَهم جياعاً ، فأنفذ إليكم هذه الصِّرار ؛ وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إلىّ أحدكم [1] .

وطالت أيامُه بمصر سنوات ، ذهب فى أثنائها إلى الشام، ثم عاد فأخذ من فقه الشافعى عن الربيع والمزنى وأبناء عبد الحكم ، ومن فقه مالك عن تلاميذ ابن وهب ؛ وفى مصر أيضاً لقى يونس بن عبد الأعلى الصدفىّ ؛ شيخ الإقراء بها ؛ فأخذ عنه قراءة حمزة وورْش .

ثم عاوده الحنين إلى بغداد ، وأحسّ رغبة فى أن يلقِيَ العصا ويجنح إلى الاستقرار ؛ فعاد إليها بعد رحلة طويلة ؛ روى فيها وكتب وشاهد ؛ وقرأ الكثير، وصحب أعلام عصره وأخذ عنهم .

وعزم على أن ينقطع للدرس والتأليف ، وأن يمتنع عن كلّ ما يصرفه عنهما . نقل ابن عساكر أنه « لما تقلّد الخاقانىّ الوزارة وجّه إلى أبى جعفر بمال كثير ، فامتنع من قبُوله ، وعرَض عليه القضاء فأبى ، وعرض عليه المظالمَ فامتنع ، فعاتبه أصحابُه وقالوا له : لك فى هذا ثواب ، وتحيِي سنّة قد درَست ، وطمعوا فى قبوله المظالم ؛ وباكروه ليركب معهم لقبول ذلك ، فانتهرهم وقال : قد كنت

---

(١) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٤ ، ١٦٥ .

أظنُّ لو رغبتُ ذلك لنهيتمونى عنه . ولامهم »[1] .

ونقل أيضاً « أن بعض أصدقائه قال له : أتنشَطُ لتأديب بعض ولد الوزير أبى الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ؟ قال له : نعم ؛ فمضى الرجل وأحكَم له أمرَه ، وعاد إليه فأوصله إلى الوزير بعد أن أعارَه ما يلبسه ؛ فلمّا رآه عبيدُ الله قرّبه ورفع مجلِسَه ، وأجرى عليه عشرة دنانير فى الشهر ، واشترط عليه أنّ ذلك لا يعوّقه عن أوقات طلب العلم ومدارسته وأداء الصلاة فى مواعيدها ، والطعام فى وقته ؛ ثم طلب إسلافَه رزق شهر ليصلح به حاله ، ففعل به ذلك ، وأدخله حجرة التأديب ، وخرج إليه الصبىّ ؛ فلما جلس بين يديه كتب ، فأخذ الخادم اللوح ودخل به مستبشراً ، فلم تبق جارية إلا أهدت إليه صينيّة فيها دراهم ودنانير ، فردّ الجميع وقال : قَدْ شُورطت على شىء ، وما هذا لى بحقّ ، وما آخذ غيرَ ما شُورطت عليه . فعرّف الجوارى الوزيرَ بذلك ، فدخل إليه وقال : يا أبا جعفر ، سررتَ أمهات الأولاد فى ولدهنّ فبررنك ، فغممتَهنّ بردّك ذلك . فقال له : لا أريد غيرَ ما وافقتنى عليه »[1] .

ثم ابتنى لنفسه داراً برحبة يعقوب فى بغداد ؛ ووزّع فيها نفسه بين العبادة والقراءة والإملاء والتصنيف ؛ وعاش بها ، رضىّ النفس ، مرموق المحلّ ، مهيباً من الخلفاء والولاة ، رفيع المنزلة والمكانة ، إلى أن مات يوم السبت ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة ، ودفن يوم الأحد بالغداة ، فى داره . قال الخطيب : « واجتمع على جنازته من لا يحصى عددهم إلا الله ، وصُلِّىَ على قبره عدّة شهور ليلا ونهاراً ، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب »[2] .

* * *

وقد جال ابن جرير فى نواحى كل فنّ ؛ وضرب فيها جميعها بسهم ، حتى أصبح إمام عصره غير مدافَع ؛ قال عبد العزيز الطبرى فى شأنه : « كان كالقارئ الذى لا يعرف إلاّ القرآن ، وكالمحدّث الذى لا يعرف إلاّ الحديث ، وكالفقيه الذى لا يعرفُ إلاّ الفقه ، وكالنحوىّ الذى لا يعرف إلا النحو ،

---

(١) تاريخ ابن عساكر ١٨ : ٣٥٦ .

(٢) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٦ .

وكالحاسب الذى لا يعرف إلاّ الحساب ؛ وكان عالماً بالعبادات ، جامعاً للعلوم، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلا على غيرها »[1].

ولكن كان أكثر ما اشتهر به من هذه العلوم الفقه والتفسير والحديث والقراءات .

أما الفقه فقد درس المذاهب جميعها ، وفقه الشافعىّ على الخصوص؛ واتّخذه مذهباً له وأفتى به فى بغداد عشر سنين ، ثم أحصى المسائل ، واستجلى الغوامض ، وأمعن فى التثقيف والتدقيق ؛ ولم يلبث أن أدّى به البحث والاجتهاد إلى اختيار مذهب انفرد به؛ وأودعه فى كتبه الفقهية: المطوّلة والمختصرة . وضع كتاباً أسماه « لطيف القول » أداره على ثلاثة وثمانين باباً ؛ جعله خلاصة مذهبه فى أحكام شرائع الإسلام ؛ مما اختاره وجوّده واحتجّ به . وفى كتابه البسيط تحدث عن علماء الأمصار ومراتبهم ؛ وشرح أبواب الفقه بالإسهاب والتفصيل ؛ وفى كتاب « اختلاف الفقهاء » عرض لأقوال العلماء ؛ وهم : مالك ، وأبو حنيفة ، والشافعىّ ، وسفيان الثورى ، والأوزاعىّ ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وإبراهيم بن خالد الكلبىّ؛ وناقش أقوالهم؛ ووازن بين حججهم وبراهينهم ، واختار الأصوب عنده

وقد تفقه بمذهبه كثير من العلماء ، وأفرد ابن النديم باباً فى أصحابه ؛ منهم علىّ بن عبد العزيز الدولابى ، وأبو الحسن أحمد بن يحيى بن علىّ بن يحيى المنجم — وله كتاب المدخل إلى مذهب الطبرى ، ونُصرته . كتاب الإجماع فى الفقه على مذهب أبى جعفر ، وأبو بكر بن كامل — وله كتبٌ على مذهب الطبرىّ ، منها كتاب جامع الفقه ، وكتاب الشروط ، وكتاب الوقوف ، ومنهم أبو الفرج المعافى بن زكريا النهروانىّ — وعرف بالجريرى نسبةً إليه — قال ابن النديم : « وهو الذى نَشَر مذهبه، وحفظ كتبه ، وشرح كتابه الخفيف » .

وأما التفسير فإنه قد أفضى بعلمه فيه إلى كتابه الكبير « جامع القرآن فى تفسير القرآن » . قال أبو جعفر : حدثتْنى به نفسى وأنا صبى . وقال :

---

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٦١ . (٢) معجم الأدباء ١٨ : ٦٢ — ٦٥

« استخرتُ الله تعالى فى عمل كتاب التفسير ، وسألتُه العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله فأعاننى » . جعله ثلاثين جزءاً بعدد أجزاء القرآن ، وقدّم له برسالة فى بيان الإعجاز وطرُق القراءات ، وتفسير أسماء السور ؛ ثم تلاها بتأويل القرآن حرفاً حرفاً ، فذكر أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من تابعى التابعين ، وكلام أهل الإعراب من الكوفيين والبصريّين ، وجملاً من القراءات واختلاف القرّاء فيما فيه من المصادر واللغات والجمع والتثنية ، والكلام على ناسخه ومنسوخه وأحكام القرآن والخلاف فيه ، والردّ على مَنْ كان من أهل النظر فيما تكلّم به أهلُ البدع والردّ عليهم ؛ على مذاهب أهل الإثبات ومبتغِى السنن ، وذكر فيه من كتب التفسير المصنّفة الموثوقة ، عن ابن عباس وسعيد بن جُبير ومجاهد وقتادة والحسن وعكرمة والضحاك بن مزاحم ؛ ولم يتعرّض لتفسيرِ غيرِ موثوقٍ به ، فلم يُدْخِل شيئاً من كتاب محمد بن السائب الكلبىّ ، ولا مقاتل بن سليمان ، ولا محمد بن عمر الواقدى ؛ لأنهم عنده أظنّاء ، ولكن إذا رجع إلى التاريخ والسِّيَر وأخبار العرب حكى عنهم فيما يفتقر إليه ولا يؤخذ إلا منهم[1] .

واشتهر هذا التفسير وطار ذكره فى الآفاق ؛ حتى روى عن أبى حامد الإسفراييني الفقيه أنه قال : « لو سافر رجلٌ إلى الصِّين حتى يحصُلَ على كتاب تفسير محمد بن جرير ؛ لم يكن ذلك كثيراً[2] » .

وأما الحديث فقد عدّه الذهبيّ من رجال الطبقة السادسة ، وذكر النووىّ فى « كتاب تهذيب الأسماء واللغات » أنه فى طبقة التِّرمذىّ والنسائىّ . ومن أشهر ما صنَّف فيه كتاب « تهذيب الآثار » ، قال ابن عساكر : وهو من عجائب كتبه ، ابتدأه بما رواه أبو بكر الصديق مما صحّ عنده بسنده ؛ وتكلم على كلّ حديث منه ، وابتدأ بعلله وطرقه وما فيه من الفقه والسنن واختلاف العلماء وحججهم ، وما فيه من المعانى والغريب ، وما يطعن فيه الملحدون ، والردّ عليهم وبيان فساد ما يطعنون به ، فخرّج من مسند العشرة وأهل البيت ومسند ابن عباس قطعة كبيرة . . . وكان

---

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٦٢ — ٦٥ .

(٢) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٣ .

قصده فيه أن يأتى بكل ما يصح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتكلم على جميعه على حسب ما ابتدأ به ؛ فلا يكون لطاعن فى شىء من علم رسول الله مطعن . وأن يأتى بجميع ما يحتاج إليه أهل العلم ؛ كما عمل فى كتاب التفسير ، فيكون قد أتى على علم الشريعة : القرآن والسنن. ولكنه لم يتمه، ولم يمكن أحداً بعده أن يفسر حديثاً واحداً ، ويتكلم فيه على ما فسره »[1] .

ولغلبة الحديث عليه وضع كتابه فى التاريخ على طريقة المحدثين ؛ كما سيأتى تفصيله عند الكلام عليه .

أما القراءة فقد تلقى حروف القرآن على شيوخ الإقراء ببغداد والكوفة والشام ومصر ، وأخذ بقراءة حمزة ؛ تلقاها عن يونس بن عبد الأعلى بمصر ؛ كما أخذ عليه قراءة ورش ؛ ثم لم يلبث أن اتخذ لنفسه قراءة لم يخرج بها عن المشهور ؛ كما فعل فى الفقه والتفسير ؛ ووضع كتابه المسمى بالفصل بين القراءات ؛ ذكر فيه اختلاف القراء فى حروف القرآن ، وفصل أسماء القراء فى حروف القرآن ، وفصل أسماء القراء بمكة والمدينة والبصرة والشام ؛ وفصل بين كل قراءة وقراءة ، فيذكر وجهها وتأويلها والدلالة على كل قارئ لها ؛ ثم اختار من هذا قراءة له ؛ وبين أسباب اختياره والبرهان على صحته ؛ مستظهراً على ذلك بقدرته على التفسير والإعراب وكلام العرب ؛ الذى لم يشتمل على حفظ مثله سواه ؛ وهى القراءة التى عدت مذهباً له ، بعد أن درس جميع القراءات على شيوخها .

وإلى جانب علمه بالقراءة ، كان حسن التلاوة حسن الترتيل ، سمعه أبو بكر ابن مجاهد وهو فى طريقه إلى المسجد لصلاة التراويح ، يقرأ سورة الرحمن ؛ فقال : « ما ظننت أن الله تعالى خلق بشراً يحسن يقرأ هذه القراءة » .

* * *

وكان أيضاً شاعراً ؛ ذكره القفطى فى كتاب « المحمدين من الشعراء » ؛ وقال : « كان له رحمه الله شعر فوق شعر العلماء » ، وأورد له :

إذا أعسرتُ لم يعلمْ رَفيقِى ... وأستغنِى فيستغنِى صَدِيقِى

(١) تاريخ ابن عساكر ١٨ : ٣٥١

حيائى حافظٌ لِى ماءَ وَجْهِى — ورفقى فى مرافقتى رَفيقِى
ولو أنّى سَمَحْتُ بماءِ وجهى — لكنتُ إلى الغنى سَهل الطريق

وقوله :

خُلُقان لا أرْضى طَرِيقَهُمَا — بَطَرُ الغِنى ومذلّة الْفَقْرِ
فإذَا غنيتَ فلا تَكُنْ بطراً — وإذا افتقرت فته عَلَى الدَّهْرِ

وقد اختار فى تاريخه من عيون الشعر ومنخول الخطب والرسائل والوصايا ، ما يشير إلى طول باعه فى هذا الشأن . قال أبو عمر الزاهد : سمعت ثعلباً يقول : « قرأ علىّ أبو جعفر شعر الشعراء قبل أن يكثُرُ الناس » . وقال فى حقه : « إنه من حذّاق الكوفيين » . قال أبو عمر : وكان أبو العباس قليل الشهادة للناس .

وكان حسن الرأى جميل الطريقة ، لا يُخلِى ليله من تلاوة القرآن ، ويذهب فى جلّ مذهبه إلى ما عليه الجماعة من السلف ، جارياً على طريق أهل السنة ؛ لم يقصد فيما ألف حاجةً من سلطان ، أو تزلفاً إلى عظيم . دعاه الخليفة المكتفى لتأليف كتاب فى الوقف يجتمع عليه أقوال العلماء ، ويسلم من الخلاف ، فلما ألّفه وأملاه أعجب الخليفة ، وأمر له بجائزة سنية فردّها ، فروجع فى ذلك وقيل له : من وصل إلى مقام الخليفة لم يحسن أن ينصرف إلا بجائزة أو قضاء حاجة ؛ فقال : أمّا قضاء الحاجة فأنا أسأل أمير المؤمنين أن يحمل أصحاب الشُّرَط أن يمنعوا السُّؤّال من دخول المقصورة يوم الجمعة حتى تنقضى الخطبة .

وقد بلغ الغاية فى شرف النفس ، وكمال العفة ؛ ونظافة الملبس والأعضاء ، وحلاوة المعاشرة ؛ وحسن التفقد لإخوانه ، وجمال الرعاية لهم ؛ رقيق حواشى الكلام مع دعابة وظرف ، ورقة ولطف ؛ وله فى كلّ ذلك قصص وأخبار ؛ أفردها أبو بكر بن كامل فى كتابه ؛ وكذلك فعل عبد العزيز بن محمد الطبرى ؛ وعن هذين الكتابين نقل ياقوت معظم ما أورد فى كتابه عن محمد بن جرير .

وذكر القفطى فى كتابه « إنباه الرواة » أنه وضع فى سيرة الطبرى كتاباً أسماه « التحرير فى أخبار محمد بن جرير » ، وصفه بأنه « كتاب ممتع » ؛ وضاع فيما ضاع من كتبه .

٢ ــ مؤلفاته

١ ــ آداب المناسك : قال ابن عساكر : هو لما يحتاج إليه الحاج من يوم خروجه، وما يحتاج إليه من الإتمام لابتداء سفره، وما يدعو إليه ربّه عند ركوبه ونزوله ومعاينته المنازل والمشاهد إلى انقضاء حجه [١] .

٢ ــ آداب النفوس : قال ابن عساكر : «عمله على ما ينوب الإنسان من العرائض فى جميع أجزاء جسده ؛ فبدأ بما ينوب القلب واللسان والبصر والسمع ، على أن يأتى بجميع الأعضاء ؛ وما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وعن الصحابة والتابعين ، ويذكر كلام المتصوّفة وما حكى من أفعالهم ، وإيضاح الصواب فى ذلك . قال ياقوت : «عمل منه أربعة أجزاء ولم يخرجها إلى الناس فى الإملاء : [٢]

٣ ــ اختلاف علماء الأمصار ، فى أحكام شرائع الإسلام : قصد به ذكر أقوال الفقهاء وهم : مالك والأوزاعى والثورى والشافعى وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وإبراهيم بن خالد ، وسأله أحمد بن عيسى عن سبب تأليفه ، فقال: ليتذكر به أقوالَ مَنْ يناظره . ولم يستقص فى هذا الكتاب اختياره ؛ لأنه قد فعل ذلك فى كتاب « اللطيف »[٣] .

٤ ــ أحاديث غدير خمّ ، قال ياقوت : كان قد قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب خبر غدير خُمّ ، وقال : إن على بن أبى طالب كان باليمن فى الوقت الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بغدير خم . . . وبلغ أبا جعفر ذلك ، فابتدأ بالكلام فى فضائل علىّ بن أبى طالب ؛ وذكر طرق حديث خُمّ . وقال ابن كثير : رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خُمّ فى مجلدين .

٥ ــ بسيط القول فى أحكام شرائع الإسلام: قدّم له بكتاب سمّاه مراتب

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٨ : ٣٥٢ . (٢) معجم الأدباء ١٧ : ١٨ .

(٣) نشره كيرن ، وطبع بمطبعتى الترقى والموسوعات بسنة ١٩٠٢ ، عن نسخة خطية بدار الكتب برقم ٦٤٥ فقه ، ونشر شاخت قطعة منه وطبع فى ليدن سنة ١٩٣٣ .

العلماء ؛ ممن تفقّه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مذهب اختاره ثم مَن أخذ عنهم ؛ ومَن أخذ عنهم ؛ من فقهاء الأمصار ؛ بدأ بالمدينة ثم مكة ثم العراقين : الكوفة والبصرة ثم الشام وخراسان ؛ ثم أبواب الفقه ؛ وخرّج منه كتاب الطهارة ، وكتاب الصلاة ، وكتاب الزكاة ، وكتاب الشروط ، وكتاب القضاة والمحاضر والسجلات ، وكتاب الوصايا ، وكتاب أدب القاضي ، وكتاب البيان عن أصول الأحكام .

٦ — البصير فى معالم الدّين : قال ياقوت : « ومن كتب أبى جعفر رسالته المسمّاة بالبصير فى معالم الدين ؛ التى كتب بها إلى أهل طبرِستان فيما وقع بينهم فيه من الخلاف فى الاسم والمسمّى ، وفى مذاهب أهل البدع ؛ وهو نحو ثلاثين ورقة . واسمه فى طبقات الشافعية والوافى بالوفيات : « التبصير » .

٧ — تاريخ الرسل والملوك : وسيأتى الكلام عليه .

٨ — تهذيب الآثار : وتفصيل الثابت من الأخبار . ابتدأه بما رواه أبو بكر مما صحّ عنده بسنده، وتكلّم عن علّة كلّ حديث منه وطرقه وما فيه من الفقه والمعنى والغريب . نقل ياقوت عن أبى بكر بن كامل، قال : لم أر بعد أبى جعفر أجمعَ للعلم وكتب العلماء منه ؛ لأنى أروض نفسى فى عمل مسند عبد الله بن مسعود فى حديث منه نظير ما عمله أبو جعفر فما أحسن عمله ، وما يستوى لى [1]

٩ — جامع البيان عن تأويل آى القرآن : وهو أجلّ التفاسير على الإطلاق وأعظمها . أملاه فى بغداد من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين [2]. قال ابن النديم : « وقد اختصره جماعة ؛ منهم أبو بكر بن الإخشيد وغيره [3]. وترجم إلى الفارسية بأمر منصور بن يحيى السامانى [4] . وترجم أيضاً إلى التركية [5]

وقد قام الأستاذ محمود شاكر بتحقيقه ونشره فى طبعة علمية محررة بدارالمعارف بالقاهرة ، وأصدر منه خمسة عشر جزءاً ، وهو يوالى إخراج بقية الأجزاء .

---

(١) منه نسخ خطية فى كبريلى وعاطف أفندى و بايزيد والفاتح بإستانبول .

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٤٢ .

(٣) الفهرست ٢٣٥ .

(٤) بروكلمان ١ : ٢١٣ (الملحق) .

(٥) بروكلمان ١ : ٢٤٩ (الملحق) .

١٠ — الجامع فى القراءات : رآه ابن الجزرى وأخذ منه . وذكر صاحب كشف الظنون أن فيه نيّفاً وعشرين قراءة . وقال أبو على الحسن بن على الأهوازى المقرى فى كتاب الإقناع فيه إحدى عشرة قراءة : « وله فى القراءات كتاب جليل كبير ، رأيته فى ثمانى عشرة مجلدة ؛ إلا أنه كان بخطوط كبار ؛ ذكر فيه جميع القراءات ؛ من المشهور والشواذ وعلل ذلك وشرحه ، واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور »(١) .

١١ — حديث الطير : قال ابن كثير : رأيت له كتاباً جمع فيه حديث الطير(٢) .

١٢ — الخفيف فى الفقه : قال ياقوت : « ومن جياد كتبه كتابه المعروف بكتاب الخفيف فى أحكام شرائع الإسلام ؛ وهو مختصر من « اللطيف » ؛ وقد كان أبو أحمد العباس بن الحسن العزيزى أراد النظر فى شىء من الأحكام ، فراسله فى اختصار كتاب له ؛ فعمِل هذا الكتاب ليقرب متناوله ؛ وهو نحو من أربعمائة ورقة ؛ وهو كتاب قريب على الناظر ؛ فيه كثير من المسائل ، ليصلح لتذكرة العالم والمبتدئ والمتعلم » . وقال ابن عساكر بعد أن ذكر أمره مع الوزير : فوجّه إليه بألف دينار فردّها عليه ، ولم يقبلها ؛ فقيل له : تصدق بها ؛ فلم يقبل وقال : أنتم أولى بأموالكم وأعرف بمن تتصدقون عليه(٣) .

١٣ — ذيل المذيّل : قال ياقوت : ومنها كتابه المسمّى "ذيل المذيل" المشتمل على تاريخ من قتل أو مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته أو بعده ؛ على ترتيب الأقرب فالأقرب منه ، أو من قريش من القبائل ، ثم ذكر من مات من التابعين والسلف بعدهم ، ثم الخالفين ؛ إلى أن بلغ شيوخه الذين سمع منهم ، وجملا من أخبارهم ومذاهبهم ، وتكلّم فى الذبّ عن ذوى الفضل منهم ؛ ممن رُمى بمذهب وهو برىء منه ؛ نحو الحسن البصرىّ وقتادة وعكرمة وغيرهم ، وذكر صنف من نسب إلى ضعف من الناقلين ، وفى آخره أبواب حسان من باب من حدث عنه من الإخوة أو الرجل وولده ، ومن

---

(١) من كتاب الجامع نسخة خطية بالمكتبة الأزهرية .

(٢) تاريخ ابن كثير ١١ : ١٤٦ . (٣) تاريخ ابن عساكر ٨ : ٣٤٨ .

شهر بكنيته دون اسمه ، أو باسمه دون كنيته ؛ وهو من محاسن الكتب وأفاضلها ، يرغب فيه طلاب الحديث وأهل التواريخ ؛ وكان خرّج إملاءه بعد سنة ثلاثمائة ؛ وهو فى نحو من ألف ورقة »[1]

وذكره ابن خير فى فهرسته قال : حدثنى به أبو الحسن على بن عبد الله بن مذهب الجذامىّ الحافظ قال : أنبأنا أبو عمر أحمد بن محمد الأموىّ قال : أنبأنا أبو بكر أحمد بن الفضل الدينورىّ ، عن أبى جعفر الطبرى مؤلفه رحمه الله ، عشرون جزءاً »[2]. ومنه أخذ كتاب « المنتخب من ذيل المذيل » ، لم يعلم من قام به ، وهو الذى طبع مع التاريخ .

١٤ — الرد على الحرقوصية : ذكره النجاشى فى كتاب الرجال[3] .

١٥ — الرد على ذى الأسفار : يرد فيه على داود بن على الأصبهانى ؛ ذكره ياقوت .

١٦ — الرد على ابن عبد الحكم على مالك : قال ياقوت : « ولم يقع إلى أصحابه » .

١٧ — صريح السنة : وهو رسالة ذكر فيها مذهبه وما يدين به وما يعتقده والجزء الأخير منه فى الاعتقاد[4]. واسمه فى ابن عساكر « شرح السنة » . بين فيه مذهبه وما يدين الله عليه ؛ على ما مضى عليه الصحابة والتابعون ومتفقهة الأمصار .

١٨ — طرق الحديث : قال الذهبىّ : « رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير ، فاندهشت له ولكثرة الطرق »[5] .

---

(١) معجم الأدباء : ١٨ : ٧١ .

(٢) فهرست ابن خير ٢٢٧ .

(٣) وفسر بروكلمان الحرقوصية بالحنابلة ، معللا ذلك بأن أحمد بن حنبل كان من أولاد زهير ابن حرقوص ، ولم يصح عندنا ذلك ، والذى فى تاج العروس ن حرقوص بن زهير السعدى ، كان صحابياً ، ثم كان مع على بصفين ، فصار خارجيا عليه وقتل ، وربما كان فى ذلك تفسير سليم للكتاب .

(٤) طبع هذا القسم فى بمباى سنة ١٣١١ و ١٣٢١هـ ، ومنه نسخة خطية فى روان كشك الملحقة بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول ، ثم طبع أخيراً فى مصر .

(٥) تذكرة الحفاظ ٢ : ٢٥٣

١٩ ــ عبارة الرؤيا: جمع فيه أحاديث، ومات ولم يتمه ، ذكره ياقوت .

٢٠ ــ كتاب العدد والتنزيل ، ذكره ابن عساكر والذهبيّ فى تذكرة الحفاظ ، والسبكيّ فى الطبقات.

٢١ ــ كتاب الفضائل ؛ قال ابن عساكر : « ولما بلغه أن أبا بكر بن أبى داود السجستانى تكلم فى حديث غدير خمّ ، عمل كتاب الفضائل ، فبدأ بفضائل أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ ، واحتج لتصحيحه وأتى من فضائل أمير المؤمنين بما انتهى إليه. وقال ياقوت : « ثم سأله العباسيون فى فضائل العباس، فابتدأ بخطبة حسنة ، وأملَى بعضه . وقطع جميع الإملاء قبل موته . ونقل أيضاً عن أبى بكر بن كامل سبب تأليفه ، قال : وقد كان رجع إلى طبرستان فوجد الرفض قد ظهر وسبّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انتشر ؛ فأملى فضائل أبى بكر وعمر ؛ حتى خاف أن يجرى عليه ما يكرهه ، فخرج منها من أجل ذلك .

٢٢ ــ لطيف القول فى أحكام شرائع الإسلام ، قال ياقوت : « هو مجموع مذهبه الذى يعوّل عليه جميع أصحابه ، وهو من أنفس كتبه وكتب الفقهاء ، وأفضل أمهات المذاهب وأسدّها تصنيفاً ، وكان أبو بكر بن راميك يقول : ما عمل كتاب فى مذهب أجود منه . وكتبه تزيد على كتاب الاختلاف ثلاثة كتب : كتاب اللباس ، كتاب أمهات الأولاد ، كتاب الشرب . وأراد بتسمية اللطيف دقة معانيه وكثرة ما فيه من النظر والتعليلات ، لا صغره وخفة محمل وزنه . وطلب إليه أبو أحمد العباس بن الحسن العزيزى أن يختصر له كتاباً فى الأحكام ، فاختصر له هذا الكتاب وسمّاه « الخفيف » .

٢٣ ــ مختصر الفرائض ، ذكره ياقوت والصفدى .

٢٤ ــ كتاب المسترشد ، ذكره ابن النديم .

٢٥ ــ المسند المجرد : قال ياقوت : « وقد كتب أصحاب الحديث الأكثر منه ، وذكر فيه من حديثه عن الشيوخ ما قرأه على الناس »[١] .

---

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٦٥ .

٢٦ ــ كتاب الوقف : ألفه للخليفة المكتفى ؛ ذكر فيه ما اجتمعت عليه أقوال العلماء وسلم من الخلاف فى هذا الموضوع .

* * *

ونقل ياقوت عن عبد العزيز بن محمد أنه وقع له كتاب فى الرّمى بالنشاب منسوب إلى أبى جعفر . قال : وما علمت أحداً قرأه عليه ولا ضابطاً ضبط عنه ، ويظهر أنه لعبد الرحمن بن أحمد الطبرىّ ، واسمه : الواضح فى علم الرمى . ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية ، عن نسخة مخطوطة سنة ٨٥٣ هـ[١] .

وذكر بروكلمان[٢] أنه يوجد كتاب له باسم « تاريخ صنعاء » ، والصواب أن هذا الكتاب من تأليف أبى العباس أحمد بن عبد الله الرازى الصنعانىّ المتوفى سنة ٤٦٠ ، وأصله من الطبريين الذين وفدوا إلى اليمن وأقاموا بها . ومن هذا الكتاب نسخة بدار الكتب .

ونسب إليه أيضاً كتاب « بشارة المصطفى » ، والصواب أنه لأبى جعفر محمد بن على بن مسلم الطبرى الآملى (كان موجودا سنة ٥٥٣) ؛ وهو كتاب فى منزلة التشيّع ودرجات الشيعة وكرامات الأولياء ؛ يقع فى ١٧ جزءاً ، كما صرح بذلك صاحب كتاب « أمل الآمل »[٣] .

ونقل ياقوت عن أبى القاسم بن حبيش الوراق قال : « كان قد التمس منى أبو جعفر أن أجمع له كتب الناس فى القياس، فجمعت له نيفاً وثلاثين كتاباً ، فأقامت عنده مديدة ، ثم كان من قطعه الحديث قبل موته بشهور ما كان ، فردّها علىّ وفيها علامات له بحمرة قد علم عليها[٤] .

وذكر الطبرى فى تاريخه[٥] أنه سيؤلف كتاباً فى « دلائل النبوة » ؛ ولم يذكره أحد ممن ترجم له .

---

(١) وانظر بروكلمان ١ : ٩٠٦ (الملحق) .
(٢) بروكلمان ١ : ٥٧٠ (الملحق) .
(٣) الذريعة إلى مصنفات الشيعة ٣ : ١١٧ .
(٤) معجم الأدباء ١٨ : ٨١ .
(٥) تاريخ الطبرى ١ : ١٤٤٦ (طبع أوربا) .

وكتابه «المسمى تاريخ الرسل والملوك» [١]، أو «تاريخ الأمم والملوك [٢]» يعدّ أوفى عمل تاريخي بين مصنّفات العرب ، أقامه على منهج مرسوم، وساقه فى طريق استقرائىّ شامل ؛ بلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة والإتقان . أكمل ما قام به المؤرخون قبله ، كاليعقوبى والبلاذرى والواقدى وابن سعد ؛ ومهّد السبيل لمن جاء بعده كالمسعودى وابن مسكويه وابن الأثير وابن خلدون .

وقد كان التاريخ عند العرب فى الجاهلية أخباراً متفرّقة تتناقلها الشفاه ، وروايات متناثرة تدور حول الأشعار والأمثال والأيام ، وأساطيرُ تكسوها المبالغة ويحوطها التهويل ؛ عدا نقوشاً كتبت بالخط المسند على حوائط المعابد والأديرة وأعمدة الحصون والقصور فى الحيرة واليمن . ثم كانت بعثة محمد عليه السلام ، ومضى عهده وعهد الخلفاء الراشدين من بعده ، وإذا المسلمون يخفون لتدوين أخباره عليه السلام ، ويروون أنباء مولده ومبعثه وهجرته ومغازيه ؛ فكان من تدوين تلك السيرة اللبنة الأولى فى تاريخ الإسلام؛ على أنها لم تعدُ فى ذلك الحين أن تكون نوعاً من رواية الحديث . وكان أول من وضع فى ذلك كتاباً عروة بن الزبير بن العوّام ، ثم تلاه أبان بن عثمان بن عفان؛ إلى أن بلغ فنّ السيرة أوجه فى كتاب ابن إسحاق .

ثم خرج المسلمون للغزو والجهاد ، فهزّوا عروش كسرى وقيصر ، وقوضوا دعائم الملك فى بلاد الفرس والشام ومصر والروم ، ودخلوا البلاد فاتحين . ثم نبض عرق العصبية والقَبَلِيّة، وشاعت أخبار الأمم القديمة، وتاريخ الديانات عند الأمم الأخرى ؛ كلّ هذا وذاك دعا إلى إضافة مادة تاريخية جديدة ؛ فالعلماء حاولوا أن يفهموا إشارات الكتاب الكريم إلى تلك الأمم ، والخلفاء رغبوا فى معرفة أخبار الملوك من الأمم قبلهم ؛ كان يفعل ذلك معاوية وعبد الملك بن مروان وأبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور ؛ ومسّت الحاجة إلى معرفة ما فتح

---

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٦٨ .

(٢) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٣ ، وكشف الظنون ٢٩٧ .

من البلاد صلحاً ، وما فتح منها عنوة ؛ ليقيموا الجزية والخراج على أساس ما رسمه الإسلام فى ذلك من تشريع ؛ وأخذت الرواية التاريخية تتخذ لوناً جديداً ، أطلق عليها اسم الأخبار ، ودعى من يرويها بالأخبارىّ ، كما أطلقوا على من يروى الحديث اسم المحدّث ؛ وظهرت فى ذلك مؤلفات ، فصنف محمد بن السائب الكلبى كتاباً فى الأنساب ، وعوانة بن الحكم فى أخبار بنى أمية وأبو مخنف فى أخبار الردّة والجمل وصفين ، وسيف فى أخبار الفتوح ، وابن هشام فى ملوك حمير . . . وما إن انقضى القرن الثانى حتّى أخذت المادة التاريخية تزيد تبعاً لتطور الحياة العربية ، واستقرت دواوين الإنشاء والجند والبرُد ، وتنوّعت العهود والوثائق والمراسلات ، ومست الحاجة إلى معرفة المواليد والوفيات ، ومدد ولايات الخلفاء والولاة والقضاة والقواد وأمراء المواسم فى الحج ؛ ثم ظهرت الكتب المترجمة عن الفرس واليونان والسريان ، وكثرت الرحلة بين البلاد ؛ وتعددت المشاهد ، واطلع العرب على ما لم يكونوا رأوه من عجائب البلاد ، وحضارات الأمم ؛ عدا ما كان من اتساع الفتوح ، وكثرة الأحداث ؛ فوجد العلماء للتاريخ منابع رافدة ، ومناهل متنوعة ، ومصادر كثيرة ؛ وأحسّوا أن لعلم التاريخ أثراً فى بناء الأمم ، وفهم الثقافات ، وإرساء العلوم على قواعد ثابتة ؛ ولم ير الأفاضل منهم بأساً فى أن يضعوا أسفاراً فى التاريخ ؛ فعل ذلك الواقدىّ فى كتب الفتوح ، والبلاذرىّ فى كتابيه البلدان وأنساب الأشراف ، وابن قتيبة فى المعارف ، وابن حبيب فى المحبَّر ، والدينورى فى الأخبار الطوال ، إلى أن انتهى الأمر إلى الإمام محمد بن جرير الطبرى ، فوضع فيه كتابه العتيد[1] .

* * *

ولا يُعلم على وجه التحديد التاريخ الذى بدأ فيه أبو جعفر إملاء هذا الكتاب ؛ ويظهر أنه ألفه بعد كتاب التفسير ، روى الخطيب أن أبا جعفر الطبرى قال لأصحابه : أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ قال : ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا : إن هذا مما يفنى الأعمار قبل تمامه ، فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقة ، ثم قال : أتنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا :

(١) انظر ترجمة علم التاريخ لهرنشو ، والفصل الذى ألحقه به مترجمه عبد الحميد العبادى عن التاريخ عند العرب .

كم قدره ؟ فذكر نحواً مما ذكره فى التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك ، فقال : إنا لله ! ماتت الهمم. فاختصره فى نحو مما اختصر التفسير » [1] .

وجاء فى تاريخه : « وقيل أقوال فى ذلك قد حكينا منها جملا فى كتابنا المسمّى « جامع البيان عن تأويل آى القرآن » ، فكرهنا إطالة الكتاب ، بذكر ذلك فى هذا الموضوع » [2] .

وذكر ياقوت عن أبى بكر بن بالويه قال : قال لى أبو بكر محمد بن إسحاق — يعنى ابن خزيمة — : بلغنى أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير ؟ قلت : نعم ؛ كتبنا التفسير عنه إملاء ، قال : كله ! قلت : نعم ، قال فى أىّ سنة ؟ قلت : سنة ثلاث وثمانين إلى ستة وتسعين [3] .

وإذن يكون قد أملى التاريخ بعد سنة تسعين ومائتين .

أما الانتهاء من هذا التاريخ ، فقد ذكر ياقوت أنه فرغ من تصنيفه وعرضه على المستملين له : « فى يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلثمائة ، وقطعه على آخر سنة اثنتين وثلاثمائة » [4] .

* * *

بدأ أبو جعفر تاريخه بذكر الدلالة على حدوث الزمان ، وأن أول ما خلق بعد ذلك القلم وما بعد ذلك شيئاً فشيئاً ، على ما وردت بذلك الآثار ؛ ثم ذكر آدم ، وما كان بعده من أخبار الأنبياء والرسل ؛ على ترتيب ذكرهم فى التوراة ؛ متعرضاً للحوادث التى وقعت فى زمانهم ؛ مفسّراً ما ورد فى القرآن الكريم بشأنهم ، معرّجاً على أخبار الملوك الذين عاصروهم ، وملوك الفرس على الخصوص ؛ مع ذكر الأمم التى جاءت بعد الأنبياء حتى مبعث الرسول عليه السلام .

أما القسم الإسلامى فقد رتّبه على الحوادث من عام الهجرة ، حتى سنة ثلاثمائة واثنتين ؛ وذكر فى كلّ سنة ما وقع فيها من الأحداث المذكورة ؛ والأيام المشهورة ؛ وإذا كانت أخبار الحوادث طويلة جزّأها على حسب السنين ،

---

(١) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٣ .

(٢) تاريخ الطبرى ١ : ٨٩ (طبعة المعارف) .

(٣) معجم الأدباء ١٨ : ٤٢

(٤) معجم الأدباء ١٨ : ٤٤ .

أو يشير إليها بالإجمال ؛ ثم يذكرها فى الموضع الملائم .

وترجع قيمة هذا الكتاب إلى أنه قد استطاع أن يجمع بين دفتيه جميع الموادّ المودعة فى كتب الحديث والتفسير واللغة والأدب والسير والمغازى وتاريخ الأحداث والرجال ؛ ونصوص الشعر والخطب والعهود ؛ ونسق بينها تنسيقاً مناسباً ، وعرَضها عرضاً رائعاً رائقاً ؛ ناسباً كلّ رواية إلى صاحبها ، وكلّ رأى إلى قائله ؛ كما أنه أودع هذا الكتاب فصولا صالحة ونُتفاً متنوعة من متون الكتب التى أتت عليها عوادى الأيام ، وأورد من أقوال العلماء ما لا نجده إلا فى هذا الكتاب .

ومصادر الطبرىّ فى هذا التاريخ هى كل ما سبقه من المواد التى عرفها العرب من قبله ، وأخذ من كل متخصص فى فنه ، أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة وغيرهما ممن نقل عن ابن عباس ، ونقل السيرة عن أبان بن عثمان وعروة بن الزبير وشرحبيل ابن سعد وموسى بن عقبة وابن إسحاق ، وروى أخبار الردّة والفتوح عن سيف بن عمر الاسدىّ ، وحوادث يومَى الجمل وصفّين عن أبى مخنف والمدائنى ، وتاريخ الأمويين عن عوانة بن الحكم ، وأخبار العباسيين من كتب أحمد بن أبى خيثمة ؛ كما أخذ أخبار العرب قبل الإسلام من عبيد بن شَرْية الجرهمّى ومحمد بن كعب القرظى ووهب بن منبّه ، وأخبار الفرس من الترجمات العربية من كتب الفرس ، ولاسيما كتب المقفع وابن الكلبي : وغير هذا مما تراه فى مباحث مواد تاريخ الطبرى المستفيضة التى نشرها الدكتور جواد على تباعاً فى مجلّة المجمع العلمى العراقى ببغداد[1] .

* * *

والطريقة التى سار عليها الطبرى فى كتابه هى طريقة المحدّثين ؛ بأن يذكر الحوادث مرويّة بمقدار ما عنده من الطرق ، ويذكر السّند حتى يتصل بصاحبه ، لا يبدى فى ذلك رأياً فى معظم الأحيان ؛ وهذه الطريقة هى التى سلكها فى معظم

---

(١) نشر الدكتور جواد على فى مجلة المجمع العلمى بالعراق ، مقالات ضافية بعنوان « مواد تاريخ الطبرى » ، بلغ فيها الغاية فى عمق البحث ودقة التحليل وحسن الأداء ، مع الإلمام الكامل بالموضوع من كل نواحيه ، وقد أفدت منه فى هذا المقام .

الكتاب ، وفيما عدا ذلك ينقل من الكتب ؛ فيصرح باسم الكتاب أحياناً ، أو ينقل عن المؤلفين من غير تعيين الكتاب الذى نقل عنه أحياناً .

وقد كان اعتماده هذا المنهج مثاراً للنقد عند بعض الباحثين ، قالوا : إن سياقة الأخبار دون تمحيصها أمر لا يليق بالمؤرخ الناقد البصير ؛ وإذا كانت طريقة رواية الخبر بذكر السند — ورجاله معروفون عند علماء الجرح والتعديل— تضمن صحة الأخبار وتمحيصها فى الأخبار التى وقعت فى الإسلام ؛ فإن هذه الطريقة تقصُر عن ضمان صحة ذلك فيما قبل الإسلام ؛ وخاصة وقد وقع فى هذا التاريخ كثير من الأخبار الواهية ، والقصص الزائفة ، كالإسرائيليات وبعض أخبار الفرس ؛ كما أورد أيضاً كثيراً من الأحاديث الموضوعة كالأحاديث الواردة فى بدء الخلق وسير الأنبياء ؛ مما لا يرتضيه المحدّثون .

وربما كان عذر الطبرى فى ذلك هو عذر رواة الحديث ؛ فيذكرون الحديث بطرقه ورجاله ؛ تاركين الحكم للقارئ ؛ أمانة للعلم وإبراء للذمة ؛ قال فى مقدمة كتابه : « وليعلم الناظر فى كتابنا أن اعتمادى فى كلّ ما أحضرتُ ذكره فيه ؛ مما شرطت أنى راسمه فيه ؛ إنما هو على ما رويت من الأخبار التى أنا ذاكرها فيه ، والآثار التى أنا مسندها إلى رواتها ؛ دون ما أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس ؛ إلا اليسير القليل منه ؛ إذ كان العلم بأخبار الماضين ، وما هو كائن من أبناء الحادثين ؛ غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانَهم إلا بأخبار المخبرين ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط بفكر النفوس ، فما يكن فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ؛ مما يستنكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه ؛ من أجل أنه لم يعرف له وجهاً من الصحّة ولا معنى فى الحقيقة ؛ فليعلم أنه لم يؤتَ فى ذلك من قبَلنا ؛ وإنما أتى فى بعض ناقليه إلينا ؛ وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدّى إلينا »[1] .

وفى هذا النص الصريح ؛ ما يشير إلى مذهبه فيما ورد فى كتابه من تلك الأخبار .

---

(١) تاريخ الطبرى ١ : ٧ ، ٨ (طبعة المعارف) .

وأيّاما كان ؛ فإن كتاب تاريخ الرسل والملوك ؛ سيظلّ بما اشتمل عليه من الروايات الأصيلة ، والنصوص النادرة ؛ فى أسلوبه الرائع الرصين ، أشملَ كتاب للتاريخ عند العرب .

* * *

وقد وقع لهذا الكتاب كثير من التكملات والمختصرات والترجمات . ولعلّ أول من ذيّل عليه هو الطبرى نفسه ؛ وإن كان لم يصل إلينا شيء من ذلك ؛ قال السخاوى : « وله على تاريخه المذكور ذيل ، بل ذيل على الذيل أيضاً » ،[1] كما أن عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغانى عمل صلة له على ما رواه ياقوت . وقال ابن النديم : وقد ألحق به جماعة من حيث قَطَع إلى زماننا هذا لا يعوّل على إلحاقهم ؛ لأنه ليس ممن يختصّ بالدولة ولا بالعلم[2] » ؛ وفى المكتبة الأهلية بباريس نسخة مخطوطة من الجزء الأول من كتاب محمد بن عبد الملك الهمذانى ؛ المتوفى سنة ٥٢١ ، الذى جعله تكملة له ، يبدأه من الأيام المقتدرية إلى بدء خلافة المستظهر . أما بقية الكتاب ؛ فتنتهى بأخبار عضد الدولة أبى شجاع فى أول سنة ستين وثلاثمائة .

وقد اختصره كثيرون ؛ ذكر ابن النديم منهم محمد بن سليمان الهاشمى وأبا الحسن الشمشاطىّ من أهل الموصل وإجل يعرف بالسليل بن أحمد[3] .

وممن اختصره أيضاً مع إيراد زيادات عريب بن سعد القرطبي ؛ ونقل ابن عذارى منه ما يختص بتاريخ إفريقية والأندلس ، وأودعه كتابه « المغرب » ؛ وأما أخبار العراق فطبعت ملحقة بالتاريخ باسم « صلة تاريخ الطبرى » ، من سنة ٢٩١ إلى سنة ٣٢٠ .

---

(١) كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، للسخاوى ١٤٤ .

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٤٤ .

(٣) الفهرست ٢٣٥ .

أما الترجمة ؛ فكان أوّل من قام بها أبو على محمد بن عبد الله العلقمى ، المتوفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى إلى الفارسية ، بأمر الأمير أبى صالح منصور بن أحمد بن إسماعيل بن سامان السامانى ؛ وكان مشغوفاً به مكثراً لمطالعته ؛ ترجمه ترجمة راعى فيها الاقتصار على إيراد الأخبار دون الأسانيد ؛ وتصرّف فيه بعض التصرف[1] . ثم نقلت هذه الترجمة من الفارسية إلى التركية فى عهد أمير الأمراء أحمد باشا ، ثم ترجم مرة ثانية ما بين ٩٢٨ — ٩٣٨ هـ ، وطبعت الترجمة التركية سنة ١٢٦٠ فى الآستانة .

كما ترجم أيضاً من الفارسية إلى الفرنسية وطبعت سنة ١٨٧٤ ، فى أربع مجلدات قام بها زوتنبرج Zotenberg ؛ ونقلت أيضاً إلى بعض اللغات اللاتينية ، وطبعت فى غريفز والد سنة ١٨٦٣[2] .

وذكر سيديو Sédillot فى كتابه « تاريخ العرب » أن جرجس النصرانى المتوفى سنة ١٢٧٣م ، والمعروف بالمكين بن العميد لخصه وذيله ؛ وترجم قسم من كتاب[3] المكين إلى اللغة اللاتينية ، من قبل إربينيوس Erpininus وإلى الفرنسية من قبل ڤاتييه Vattier[4] .

* * *

ومنذ أن صدر هذا الكتاب عن مؤلفه ، تتابع الوراقون فى نسخه ، وتنافس الأمراء والملوك فى اقتنائه ؛ وعمرت به خزائن الكتب ودور العلم ؛ ذكر المقريزى أنه كان بخزانة كتب العزيز الفاطمىّ ما ينيف على عشرين نسخة منه ؛ إحداها بخط المؤلف[5] ؛ ومع مرور الزمن وعوادى الأيام ؛ ذهبت هذه النسخ شرقاً

---

(١) كشف الظنون ٢٩٨ .

(٢) جواد على ١٧٧ : ١٧٨ (مجلة المجمع العلمى ببغداد الجزء الأول) ، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢ : ١٩٩ ، وكشف الظنون ٢٩٨ .

(٣) من هذا الكتاب نسخة خطية بدار الكتب المصرية .

(٤) تاريخ العرب لسيديو ٤٧٦ .

(٥) خطط المقريزى ١ : ٤١٨ .

وغرباً ، وتعرض معظمها للضياع ؛ وحينما شرع فى طبعه جماعة المستشرقين سنة ١٨٧٩م ؛ لم يتيسر لهم الحصول على نسخة كاملة ؛ وكل الذى عثروا عليه — بعد بذل أقصى الجهد وإخلاص النية — أجزاء متفرقة ألّفوا منها نسخة ، بها نقص يسير أكملوه من تاريخ ابن الأثير وكتاب المغازى والفتوح لابن حبيش[1] ؛ وتم طبعه طبعة علمية ؛ على أكمل ما يكون التحقيق ؛ وأدق ماتكون المقابلة ؛ وذلك بين سنتى ١٨٧٩ و ١٨٩٨ م ؛ فى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : حياة ما قبل الإسلام ، ثم حياة محمد عليه السلام والخلفاء الراشدين من بعده إلى سنة ٤٠ هـ .

القسم الثانى من سنة ٤١ إلى سنة ١٣٠ هـ .

القسم الثالث من سنة ١٣١ إلى سنة ٣٠٢هـ ؛ وهو نهاية الكتاب ، وألحقوا به الكتاب المسمى بالمنتخب من ذيل المذيل فى أسماء الصحابة والتابعين ، وقسما من مختصر الطبرى لعريب بن سعد القرطبي ، أسموْه « صلة تاريخ الطبرى » ، مع مقدمة لاتينية ؛ تشتمل على ترجمة المؤلف ووصف نسخ الكتاب ؛ وشرح الكلمات اللغوية والاصطلاحية فيه ، ثم التصويبات والاستدراكات . ثم مجلداً كبيراً بالعربية يشتمل على الفهارس العامة . ثم أعيد طبعه مرة أخرى فى ليدن من سنة ١٧٧٩ إلى سنة ١٩٠١ وقد أشرف على تحقيقه وتصحيحه العلامة دى خويه De Goeje وعاونه من المستشرقين : بارت Barth ، ونولدكه Nœldeke ، ولوت Loth ، وديونج De Jong ، وبريم Primm ، تورد بيك Thorbecke ، وفرانكل Fraenkel وجويدى Guidi ، ومولر Mueller

أما المخطوطات التى رجعوا إليها فتنتمى إلى المكتبات الآتية :

١ — المكتبة الأهلية بباريس ؛ رقم : ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨ ، وقد رمز إليها بالحرف P .

٢ — مكتبة كپريلى بالآستانة رقم ١٠٤٠ إلى ١٠٤٢ ، وقد رمز إليها بالحرف C .

(١) هذا النقص يقع فى المطبوعة الأوربية ما بين ٢٣٨٣ ، ٢٤١٤ ، من الجزء الأول .

٣ ــ مكتبة جامعة الزيتونة بتونس ، وقد رمز إليها بالحرف Tn .

٤ ــ مكتبة الجمعية الآسيوية فى كلكتا بالبنغال رقم : ٤٤٣ ، وقد رمز إليها برمز Ca .

٥ ــ مكتبة برلين رقم : ٩٤١٤ ، ٩٤٣٤ ، ٩٤١٦ ، ٩٤١٧ ، ٩٤١٨ ، ٩٤١٩ ، ٩٤٢٠ ، ٩٤٢١ ، ٩٤٢٢ ، وقد رمز إليها بالحرف B .

٦ ــ مكتبة المتحف البريطانى ، رقم : ٢٧١ ، ١٢٠٥ ، ١٦١٨ ؛ وقد أشير إليها برمز BM .

٧ ــ مكتبة توبنجن ؛ وقد رمز إليها بالحرف T .

٨ ــ مكتبة بودليان بأكسفورد رقم : ٧٨١ ، ٧٢٢ (أورى) ٦٥٠ (أورى) ٧١١ ، ٧٢٢ ، ٦٧٦ ، وقد أشير إليها بالحرف O .

٩ ــ مكتبة الجزائر ، رقم : ١٥٧٢ ، ١٥٩٤ وقد أشير إليها بالحرف A .

١٠ ــ مكتبة المكتب الهندى ، وقد رمز إليها بحرف M .

١١ ــ مكتبة جامعة استراسبورج ، وقد رمز إليها بالحرف S .

١٢ ــ مكتبة ليدن رقم ٤٩٧ ، وقد رمز إليها بالحرف L .

وأما كتاب المنتخب من ذيل المذيل فقد رجعوا فيه إلى نسخة مكتبة المتحف البريطانى برقم ٦١٨ ، والجزء المعروف بالصلة ، رجعوا فيه إلى نسخته المحفوظة بمكتبة غوطة رقم ١٥٥٤ .

وقد بذل هؤلاء العلماء الأفاضل جهداً عظيما ؛ فى صبر وأناة ، مع دأب ومثابرة ؛ ووشوا حواشية بمقابلات للنسخ دقيقة ، وتعليقات مستفيضة مفيدة ؛ وستظل هذه النشرة من أمثل المطبوعات العربية وأدقها .

وعن هذه النسخة الأوربية قامت المطبعة الحسينية بطبعه فى سنة ١٣٣٩ هـ ، ومطبعة الاستقامة بالقاهرة ؛ بعد حذف التعليقات والفهارس . وإن يكن فى هاتين الطبعتين شيء من الخير فهو أنهما قد سدّتا حاجة جمهور العلماء والباحثين من هذا الكتاب ؛ بعد أن عزّت الطبعة الأوربية ، وتعذر على الناس اقتناؤها .

* * *

وحينما شرعت فى إعادة تحقيق هذا الكتاب كان من أكبر همّى الحصول ؛ على نسخ أو أجزاء منه ؛ مما لم يرجع إليه مصححو نسخة أوربا ؛ ومما عساه أن يكون قد ظهر بعد تلك الحقبة البعيدة ؛ وقد تيسر لى الحصول على ما يأتى :

١ — خمسة أجزاء متفرّقة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم **٢٩٢٩** :

(ا) جزء من أول الكتاب وينتهى بأثناء الكلام على ملوك الفرس .

(ب) جزء يبدأ من الكلام عن حوادث سنة ٦٥ إلى سنة ٨٠ .

(ج) جزء يبدأ من أثناء الكلام فى أخبار سنة ١١٨ إلى سنة ١٣٢ .

(د) جزء يبدأ من أثناء سنة ١٦٢ وينتهى إلى آخر سنة ١٧٧ .

(ه) جزء من سنة ٢٠٤ إلى خلافة المستضىء .

٢ — مجلد مصور بمعهد المخطوطات العربية عن مكتبة پتنه خدابخش بالهند ، محفوظ برقم **٢٢٢٠** .

٣ — مجلد آخر محفوظ بدار الكتب المصرية برقم **١٦٠٢** تاريخ ، يشتمل على قسم يبتدئ من سنة **٢٠٥** ه إلى قبيل سنة ٢٤٦ .

٤ — مجلد آخر بدار الكتب المصرية محفوظ برقم **١٣٧٣** تاريخ تيمور ؛ يبدأ بحوادث تقع فى سنة **١٣٣** . وينتهى بحوادث سنة **١٤٥** .

* * *

وقد اتخذت النسخة المطبوعة فى أوربا أصلا فى التحقيق ؛ باعتبارها النسخة الكاملة ؛ التى نشرت نشراً علميًّا ؛ على أساس المخطوطات المتنوعة التى وقعت للمصححين ، وأثبت فى حواشيها فروق النسخ التى رجع إليها المصححون ، وخاصة الفروق التى لها دلالة خاصة . وزدت عليها فروق النسخ التى حصلت عليها ، مع ما عنّ لى من التعليق والشرح والتوضيح ؛ كما أنى أثبت على الهامش أرقام صفحاتها ، ورمزت إليها بالحرف (ظ) .

وقد رمزت لمخطوطات باريس بالحرف (ر) ، ولمخطوطات كپريلى بالآستانة بالحرف (س) ، ولمخطوطة تونس بالحرف (ن) ، ولمخطوطة كلكتا بالحرف (ك) ، ولمخطوطات برلين بالحرف (ب) ، ولمخطوطات المتحف البريطانى بالحرف (ح) ، ولمخطوطة توبنجن بالحرف (ت) ، ولمخطوطة ليدن بالحرف (ل) ، ولمخطوطات أوكسفورد بالحرف (ف) ، ولمخطوطى الجزائر بالحرف (ج) ، ولمخطوطة المكتب الهندى بالحرف (م) ، ولمخطوطة استراسبورج بالحرف (و) .

وأما المخطوطات التى حصلت عليها مما لم يرجع إليه مصححو نسخة أوربا ، فقد أشرت لمخطوطات أحمد الثالث بالحرف (ا) ، وإلى مخطوطة مكتبة پتنه بالحرف (ه) ، ولمخطوطة دار الكتب بالحرف (د) ، ولمخطوطة المكتبة التيمورية بالحرف (ى) .

* * *

وقد وافقت المخطوطة الأولى من نسخة أحمد الثالث من هذا الجزء من أوله إلى ص ٥١١ السطر العاشر ؛ وهى جزء ناقص من آخره ، يقع فى ٢٣٨ ، كتب على غلافه : « الجزء الأول من كتاب التاريخ تأليف أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، رواية القائد أبى محمد عبد الله بن أحمد الفرغانى رضى الله عنه » . وعليه وقفية من المقر الأشرف الجمالى محمود الأستادار لهذا المجلد وما بعده من المجلدات ، وعددها خمسة عشر مجلداً ؛ على مدرسته التى أنشأها بخط الموازنيين . بالشارع الأعظم ، وعليها تملك بتاريخ جمادى الأولى سنة إحدى وستمائة ؛ ثم فى موضع آخر تملك نصه : « أول رمضان سنة ٧٢٦ » ، ومسطرتها ١٩ سطراً ؛ فى كل سطر ١٢ كلمة .

وأما باقى النسخ فسيأتى وصفها عند موضعها فى الأجزاء المقبلة »* .

وأرجو حينما يتم طبع بقية الأجزاء؛ بعونه تعالى وتوفيقه، أن ألحق به كتاب المنتخب من ذيل المذيل، والمختصر لعريب ؛ وتكملة الهمدانىّ ؛ ثم الفهارس العامة .

* * *

وأذكر بالفضل والشكر الأساتذة : الدكتور عبد الحليم النجار والأب قنواتى والدكتور هنس إرنست Hans Ernst لما لقيت منهم من عون فى الانتفاع بمقدمة الطبعة الأوربية ، وما جاء فى تعليقاتها باللاتينية ؛ فلهم منى أطيب الثناء والتقدير .

والله سبحانه الموفق والمعين ؛ ومنه الرضا والتوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ ﻫ

٨ نوفمبر سنة ١٩٦٠ م

---

* مصادر البحث :

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى ٣ : ٨٩-٩٠

تاريخ ابن الأثير ٦ : ١٧١ - ١٧٢

تاريخ ابن كثير ١١ : ١٤٥

تاريخ بغداد ٢ : ١٦٢ - ١٦٨

الأنساب للسمعانى ٣٦٧ ا

تاريخ التشريع الإسلامى لمحمد الخضرى

تاريخ ابن عساكر ١٨ : ٣٣٩ - ٣٧٠ (مخطوطة دار الكتب) .

تذكرة الحفاظ للذهبى ٢ : ٢٥١ - ٢٥٥

تهذيب الأسماء واللغات للنووى ١ : ٧٨ - ٧٩

ابن خلكان ١ : ٤٥٦

الرجال للنجاشى ٢٢٥

روضات الجنات ٦٧٢ - ٦٧٥

شذرات الذهب ٢ : ٢٦٠

طبقات الشافعية للسبكى ٢ : ١٣٥ - ١٤٠

طبقات القراء لابن الجزرى ٢ : ٢٦٠-٢٦١

طبقات المفسرين للداودى الورقة ٢٣٠ - ٢٣٤

طبقات المفسرين للسيوطى ٣٠ - ٣١

علم التاريخ لهرنشو ترجمة العبادى ٥١ - ٦٩

عيون التواريخ لابن شاكر (وفيات سنة ٣١٠)

الفهرست لابن النديم ٢٣٤ - ٢٣٥

كشف الظنون ٢٩٨ ، ٢٣٧ ، ٥١٤ ، ١٤٤٩

اللباب لابن الأثير ٢ : ٨١

لسان الميزان ٥ : ١٠٠ - ١٠٣

المحمدون من الشعراء ٦٦ - ٦٧

مرآة الجنان لليافعى ٢ : ٢٦١

معجم الأدباء ١٨ : ٤٠ - ٩٤

المنتظم لابن الجوزى ٦ : ١٧٠ - ١٧٢

مواد تاريخ الطبرى للدكتور جواد على (مجلة المجمع العلمى العربى ببغداد) .

الوافى بالوفيات ٢ : ٢٦٤ - ٢٨٦

الجزء الأول من كتاب التاريخ

صفحة العنوان من نسخة أحمد الثالث

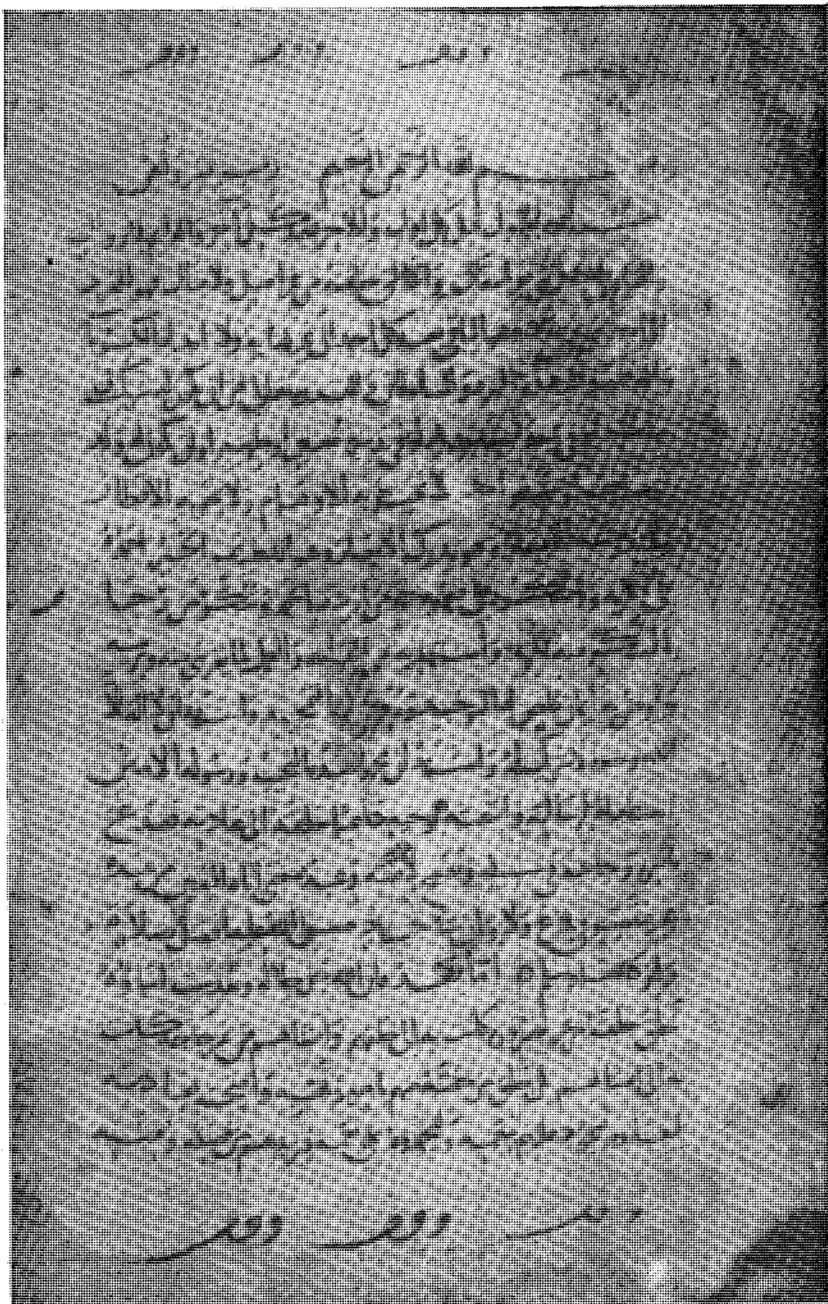

الصفحة الأولى من نسخة أحمد الثالث

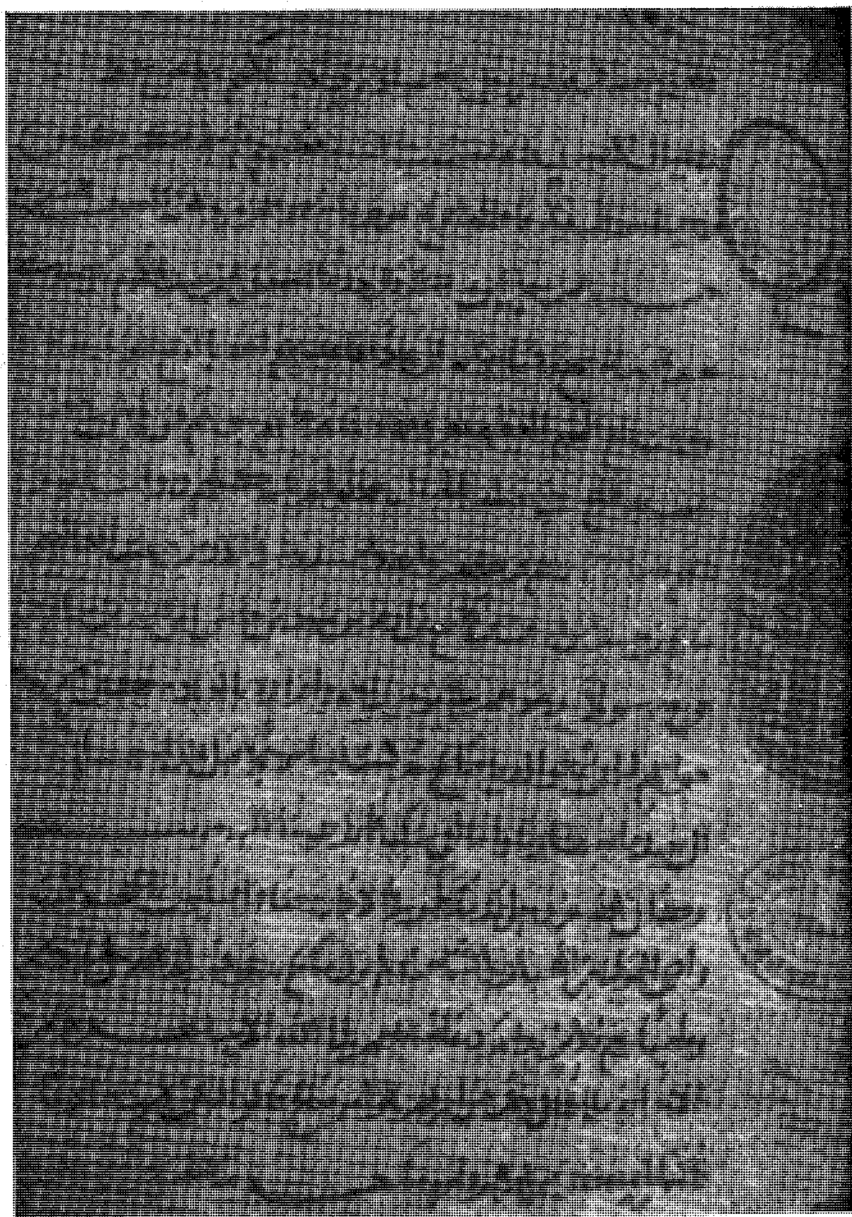

نموذج من نسخة كلكتا

نموذج آخر من نسخة كلكتا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأوّلِ قبل كلّ أوّل ، والآخرِ بعد كلّ آخر ، [والدائم بلا زوال] [1] ، والقائم [2] على كلّ شىء بغير انتقال ، والخالقِ خلقَه من غير أصلٍ [3] ولا مثال ؛ فهو [4] الفردُ الواحد من غير عدد ؛ وهو الباقى بعد كلّ أحد ، إلى غير نهاية ولا أمَد . له الكبرياءُ والعظمة ، والبهاء والعزة ، والسلطانُ والقدرة ، تعالى عن أن يكونَ له شريك فى سلطانه أو فى [5] وحدانيته نديد ، أو فى تدبيره مُعين أو ظهير ، أو أن يكونَ له ولد ، أو صاحبة أو كُفُء أحد ، لا تحيط به الأوهام ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تدركه الأبصار ، [وهو يدرك الأبصار] [1] ، وهو اللطيف الخبير .

أحمَده على آلائه ، وأشكره على نعمائه ، حمدَ مَنْ أفرده بالحمد ، وشكرَ مَنْ رجا بالشكر منه المزيد ، وأستهديه من القول والعمل لما يقرّبنى منه ويرضيه ، وأومنُ به إيمانَ مخلص له التوحيد ، ومفرد له التمجيد .

١/٢

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده النجيب ، ورسوله الأمين ، اصطفاه لرسالته ، وابتعثه بوَحيه ، داعياً خَلْقه إلى عبادته ؛ فصدَع بأمره ، وجاهدَ فى سبيله ، ونصَح لأمته ، وعبدَه حتى أتاه اليقين من عنده ، غيرَ مقصّر فى بلاغ ، ولا وانٍ فى جهاد ؛ صلى الله عليه أفضلَ صلاة وأزكاها ، وسلّم .

---

(١) ما بين العلامتين تكملة من ا .

(٢) ط : « القادر » ، وما أثبته عن ا .

(٣) ط : « شكل » ، وما أثبته عن ا .

(٤) ط : « وهو » ، وما أثبته عن ا .

(٥) ط : « وفى » ، وما أثبته عن ا .

أما بعد، فإنّ الله جلّ جلاله، وتقدست أسماؤه، خلقَ خلْقه من غير ضرورة كانت به إلى خلْقهم، وأنشأهم من غير حاجة كانت به إلى إنشائهم ؛ بل خلق من خصّه منهم بأمره ونهيه، وامتحنه بعبادته، ليعبدوه [فيجود عليهم بنعمه] [(١)]، وليحمَدوه على نعمه فيزيدَهم من فضله ومِنَنِه، و[(٢)]يُسبغَ عليهم فضله وطوْله[٢)]، كما قال عزّ وجلّ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [(٣)].

فلم يزده خلقُه إيّاهم — إذ خلقهم — فى سلطانه على مالم يزل قبل خلقه إيّاهم مثقالَ ذرّة، ولا هو إن أفناهم وأعدمهم ينقصه إفناؤه إياهم ميزان شعرة [(٤)]، لأنه لا تغيّره الأحوال، ولا يدخلُه الملال، ولا ينقصُ سلطانه الأيام والليال [(٥)] ؛ لأنه خالقُ الدّهور والأزمان، فعمّ جميعَهم فى العاجل فضلُه وجودُه، وشمَلهم كرمه وطوله، فجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، وخصّهم بعقول يصلون بها إلى التمييز [(٦)] بين الحق والباطل، ويعرفون بها المنافعَ والمضارّ، وجعل لهم الأرض بساطاً ليسلكوا منها سبُلا فجاجاً، والسماء سقفاً محفوظاً، [وبناء مسموكا] [(١)]، وأنزل [(٧)] لهم منها الغيث بالإدرار، والأرزاقَ بالمقدار، وأجرى لهم [فيها] [(١)] قمر الليل وشمس النهار يتعاقبان بمصالحهم دائبيْن، فجعل لهم الليل لباساً [(٨)]، والنهارَ معاشاً، وخالف — منّاً منه عليهم وتطوّلا — بين قمر الليل وشمس النهار، فمحا آيةَ الليل وجعل آية النهار مبصرةً، كما قال جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً

١ / ٣

---

(١) تكملة من ا .

(٢-٢) ا : « ويسبغ عليهم من كرامته وطوله » .

(٣) سورة الذاريات ٥٦ — ٥٨ .

(٤) ط : « مثقال ذرة » ، وما أثبته عن ا .

(٥) فى جميع الأصول : « الليالى » .

(٦) ط: « يعقلون بها التميز » ، من تصرف مصححه ؛ وما أثبته من ا .

(٧) ط : « كما قال » ، من تصرف مصححه ؛ والصواب ما أثبته من ا .

(٨) ا : « سكناً » .

مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾[1].

وليصلوا بذلك إلى العلم بأوقات فروضهم التى فرضها عليهم فى ساعات الليل والنهار والشهور والسنين ؛ من الصلوات والزكوات والحج والصيام وغير ذلك من فروضهم ، وحين حلّ ديونهم وحقوقهم ؛ كما قال عز وجل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾[2] ، وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾[3].

إنعاماً منه بكلّ ذلك على خلْقه ، وتفضُّلا منه به عليهم وتطولا ، فشكرَه على نعمه التى أنعمها عليهم مِن خلقه خلقٌ عظيم ، فزاد كثيراً منهم من آلائه وأياديه ، على ما ابتدأهم به من فضله وطوْله ، كما وعدهم جلّ جلاله بقوله : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[4] ، وجمع لهم إلى[5] الزيادة التى زادهم فى عاجل دنياهم ، الفوزَ[6] بالنعيم المقيم ، والخلودَ فى جنات النعيم ، فى آجل آخرتهم . وأخّر لكثير منهم الزيادة التى وعدهم فمدّهم إلى حين مصيرهم [إليه][7] . ووقت قدومهم عليه ، توفيراً منه كرامتَه عليهم يوم تُبلى السرائر[8] . وكفر نعمتَه خلق منهم عظيم ، فجحدوا آلاءَه وعبدوا سواه ، فسلب[9] كثيراً منهم ما ابتدأهم[9] به من الفضل والإحسان ، وأحلّ

١ / ٤

---

(١) سورة الإسراء ١٢

(٢) سورة البقرة ١٨٩

(٣) سورة يونس ٥ ، ٦

(٤) سورة إبراهيم ٧

(٥) ط : « بين » .

(٦) ط : « والفوز » .

(٧) تكملة من ا .

(٨) ا : « يوم يرجعون إليه » .

(٩-٩) ط : « فسلبهم ما ابتدأهم » ، وما أثبته عن ا

بهم النقمة (١) المهلكة فى العاجل ، وذَخر لهم العقوبة المخزية فى الآجل ، ومتّع كثيراً منهم بنعمه أيام حياتهم استدراجاً منه لهم ، وتوفيراً منه عليهم أوزارَهم ؛ ليستحقوا من عقوبته فى الآجل ما قد أعدّ لهم .

١/٥ نعوذ بالله من عمل يقرّب من سخطه (٢) ، ونسأله التوفيقَ لما يُدنى من رضاه ومحبته .

* * *

قال أبو جعفر : وأنا ذاكر فى كتابى هذا من ملوك كلّ زمان ، من [لدن] (٣) ابتدأ ربُّنا جلّ جلاله خلقَ خلقه إلى حال فنائهم (٤) ، مَن انتهى إلينا خبره ممن ابتدأه الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمَه ؛ من رسول له مرسَل ، أو ملِك مسلَّط ، أو خليفة مستخلَف ، فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمه فى العاجل نعماً ، وإلى ما تفضل به عليه فضلا ، ومن أخّر ذلك له منهم ، وجعله له عنده ذخراً . ومن كفر منهم نعمه فسلبه ما ابتدأه به من نعمه ، وعجّل له نقمه . ومَنْ كفر منهم نعمه فمتعه بما أنعم به عليه إلى حين وفاته وهلاكه ؛ مقروناً ذكرُ كلّ مَنْ أنا ذاكره منهم فى كتابى هذا بذكر زمانه (٥) ، وجُمَل ما كان من حوادث الأمور فى عصره وأيامه ؛ إذ كان الاستقصاء فى ذلك يقصر عنه العمر ، وتطولُ به الكتب ، مع ذكرى مع ذلك مبلغ مدة أُكْله (٦) ، وحين أجله ، بعد تقديمى أمام ذلك ما تقديمه بنا أولى ، والابتداء به قبله أحْجَى ؛ من البيان عن الزمان : ما هو ؟ وكم قَدْر جميعه ، وابتداء أوله ، وانتهاء آخره ؟ وهل كان قبل خلق الله تعالى إياه شىء غيره ؟ وهل هو فانٍ ؟ وهل بعد فنائه شىء غير وجه المسبّح الخلاق ، تعالى ذكره ؟ وما الذى كان قبل خلق الله إياه ؟ وما هو كائن بعد فنائه وانقضائه ؟ وكيف

(١) ا : « النقم » .

(٢) ا : « إلى سخطه » .

(٣) تكملة من ا .

(٤) كذا فى ا ، وفى ط : « قيامهم » ، وفى ن : « انتهائهم » .

(٥) ط : « نعمائه » ، والأجود ما أثبته عن ا .

(٦) يراد بالأكل هنا مدة العمر التى يعيشها المرء فى الحياة يأكل فيها ، وانظر التفسير وحواشيه ١ : ٢١٧ .

كان ابتداء خلق الله تعالى إياه ؟ وكيف يكون فناؤه؟ والدلالة على أن لا قديم إلا الله الواحد القهار ، الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى . ١/٦
بوجيزٍ من الدلالة غيرِ طويل؛ إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصدَ الاحتجاج لذلك ، بل لما ذكرنا من تأريخ الملوك الماضين وجمل من أخبارهم ، وأزمان الرسل والأنبياء ومقادير أعمارهم ، وأيام الخلفاء السالفين وبعض سيرهم ، ومبالغ ولاياتهم ، والكائن الذى كان من الأحداث فى أعصارهم . ثم أنا متبعٌ [١] آخر ذلك كلّه — إن شاء الله وأيّد منه بعون وقوة — ذكرَ صحابة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأسمائهم وكُناهم ومبالغ أنسابهم ومبالغ أعمارهم،ووقت وفاة كلّ إنسان منهم ، والموضع الذى كانت به وفاته . ثم متبعهم ذكرَ من كان بعدهم من التابعين لهم بإحسان ، على نحوما شرطنا من ذكرهم . ثم ملحِق بهم ذكرَ من كان بعدهم من الخلَف لهم كذلك،وزائد فى أمورهم للإبانة[٢] عمّن حمِدت منهم روايته،وتقَبُّلت[٣] أخباره ، ومن رفضت منهم روايته ونبذت أخباره، ومن وُهِّن منهم نقله،وضُعِّف خبره . و [ما][٤] السببُ الذى من أجله نُبذ من نُبذ منهم خبره ، والعلة التى من أجلها وُهّن منْ وُهّن منهم نقله.

وإلى الله عز وجل أنا راغب[٥] فى العون على ما أقصده وأنويه ، والتوفيق لما أنتمسه وأبغيه ؛ فإنه ولىّ الحول والقوة ، وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم تسليماً .

* * *

ولْيعلم الناظر فى كتابنا[٦] هذا أنّ اعتمادى فى كلّ ما أحضرت ذكرَه فيه مما شرطت أنى راسمه فيه؛ إنما هوعلى ما رويتُ من الأخبار التى أنا ذاكرها فيه ، والآثار التى أنا مسندها إلى رواتها فيه ، دون ما أدرِك بحجج العقول ، واستنبِط

(١) ا : « نتبع » .
(٢) ا : « الإبانة » .
(٣) ط : « ونقلت » .
(٤) تكملة من ا .
(٥) ا : « أرغب » .
(٦) ا : « كتابى » .

بفكر النفوس ، إلا اليسير القليل منه ، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين ،
١/٧ وما هو كائن من أنباء الحادثين ، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرِك
زمانهم ؛ إلا بإخبار المخبرين ، ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط
بفكَر النفوس . فما يكن فى كتابى[١] هذا من خبرٍ ذكرناه عن بعض الماضين مما
يستنكِره قارئه ، أو يستشنعه[٢] سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً فى الصحة ،
ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يُؤتَ فى ذلك من قِبَلنا ، وإنما أُتِى من قِبَل
بعض ناقليه إلينا ؛ وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدِّىَ إلينا .

---

(١) ا : « كتابنا » .
(٢) ا : « يستبشعه » .

القول فى الزمان ما هو

قال أبو جعفر : فالزمانُ هو ساعات الليل والنهار ، وقد يقال ذلك للطويل من المدة والقصير منها ، والعرب تقول : أتيتك زمانَ الحجاج أمير ، وزمنَ الحجاج أمير — تعنى به: إذ الحجاج أمير . وتقول: أتيتك زمان الصِّرام [وزمن الصِّرام] [١] — تعنى به وقت الصرام . ويقولون أيضاً : أتيتك أزمان الحجاج أمير ، فيجمعون الزمان، يريدون بذلك أن يجعلوا كلَّ وقت من أوقات إمارته زماناً [٢] من الأزمنة ، كما قال الراجز :

جَاءَ الشِّتاءُ وقَميصِي أخلاقْ شَراذِمٌ يَضْحَكُ مِنْهُ التَّوَّاقْ [٣]

فجعل القميص أخلاقاً ، يريد بذلك وصفَ كل قطعة منه بالإخلاق ؛ كما يقولون : أرض سباسب ، ونحو ذلك .

ومن قولهم للزمان : « زمن » قولُ أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وكُنْتُ امْرأً زَمَناً بالعِرَاقِ عَفِيفَ المُناخِ طويل التَّغَنّ [٤]

يريد بقوله: « زمناً »«زماناً»، فالزمان اسم لما ذكرت من ساعات الليل والنهار على ما قد بينت ووصفت .

٨/١

(١) تكملة من ا ، وابن الأثير ١ : ١١ . وصرام النخلة: أوان اجتناء ثمرها .

(٢) ا : « زمناً » .

(٣) البيتان فى اللسان (توق — شرذم) من غير عزو . وخلق القميص : بلى، ويقال : قميص أخلاق ، يصفون به الواحد إذا كان بين الخلوقة . وشراذم : قطع . والتواق : ابنه .

(٤) ديوانه ٢٢؛ وهو فى أمالى المرتضى ١ : ٣١ ، واللسان (غنى) . والتغنى هنا : الاستغناء ؛ وفى ط: « الثفن » ، تحريف ، صوابه فى ا .

القول فى كم قدر جميع الزمان
من ابتدائه إلى انتهائه وأوله إلى آخره

اختلف السلف قبلنا من أهل العلم فى ذلك ، فقال بعضهم : قدْر جميع ذلك سبعة آلاف سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا يحيى بن يعقوب ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة ، سبعة آلاف سنة ، فقد مضى ستة آلاف سنة ومائتا سنة[1] ، وليأتينّ عليها مئون [من[2]] سنين ، ليس عليها[3] موحد .

* * *

وقال آخرون : قدر جميع ذلك ستة آلاف سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو هشام ، قال : حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، قال : قال كعب : الدنيا ستة آلاف سنة .

حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستّمائة سنة ، وإنى[4] لأعرف كلّ زمان منها ، ما كان فيه من الملوك والأنبياء . قلت[5] لوهب بن منبّه : كم الدنيا ؟ قال : ستة آلاف سنة .

* * *

---

(١) ط : « ومئو سنة » ، ن : « ومائتين » ، وما أثبته عن ا .
(٢) تكملة من ا .
(٣) ط : « لها » ، وما أثبته عن ا ، ر .
(٤) ط : « إنى » ، بحذف الواو ، وما أثبته عن ا .
(٥) ط : « قلنا » ، وما أثبته عن ا .

قال أبو جعفر: والصواب من القول فى ذلك ما دل على صحته الخبرُ الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك ما حدّثنا به محمد بن بشار وعلى بن سهل، قالا : حدثنا مؤمَّل، قال : حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أجلُكم فى أجل مَنْ كان قبلكم ، من صلاة العصر إلى مغرب الشمس » . ٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال: حدثنى محمد بن إسحاق، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : سمعت النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول: « ألاَ إنما أجلُكم فى أجل مَنْ خلا من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس» .

حدثنا الحسن بن عرَفة ، قال : حدثنى عمار بن محمد ، ابن أخت سفيان الثورىّ، أبو اليقظان، عن ليث بن أبى سُلَيم ، عن مغيرة بن حكيم ، عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما بقىَ لأمتى من الدنيا إلا كمقدار الشمس إذا صُلِّيت العصر » .

حدثنى محمد بن عوف ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا شريك ، قال : سمعتُ سلمة بن كُهَيل، عن مجاهد، عن ابن عمر ، قال : كنا جلوساً عند النبى صلى الله عليه وسلم والشمس مرتفعة على قُعيقِعان[1] بعد العصر، فقال : « ما أعمارُكم فى أعمار منْ مضى إلا كما بقىَ من هذا النهار فيما مضى منه » .

حدثنا ابن بشار ومحمد بن المثنّى — قال ابن بشار : حدّثنى خلف ابن موسى ، وقال ابن المثنَّى : حدثنا خلف بن موسى — قال : حدّثنى أبى ، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه يوماً — وقد كادت الشمس أن تغيب ، ولم يبق منها إلا شِقّ يسير — فقال[2] : «والذى

---

(١) قعيقعان ، بالضم ثم الفتح ، على التصغير : أحد جبال مكة . (ياقوت) .
(٢) ط : « قال » ، وما أثبته من ا .

١٠/١ نفس محمد بيده ما بقىَ من دنياكم فيما مضى منها إلا كما بقىَ من يومكم هذا فيما مضى منه ، وما ترونْ من الشمس إلا اليسير » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن عُيَيْنة ، عن على بن زيد ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم عند غروب الشمس : « إنما مثلُ ما بقىَ من الدنيا فيما مضى منها كبقية يومكم هذا فيما مضى منه » .

حدثنا هناد بن السّرىّ وأبو هشام الرفاعىّ ، قالا : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى حصين ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت [أنا] [1] والساعة كهاتين » — وأشار بالسبابة والوسطى .

حدثنا أبو كُرَيب ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن أبى بكر ، عن أبى حصين ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى بنحوه .

حدثنا هَنّاد ، قال : حدثنا أبو الأحوص وأبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى خالد الوالبىّ ، عن جابر بن سمُرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » .

حدثنا أبو كُرَيب [2] ، قال : حدثنا عثّام بن علىّ ، عن الأعمش ، عن أبى خالد الوالبىّ ، عن جابر بن سَمُرة ، قال : كأنى أنظر إلى إصبعىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم — وأشار بالمسبّحة والتى تليها — وهو يقول : « بعثت أنا والساعة كهذه من هذه » .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنى يحيى بن واضح ، قال : حدثنا فِطْر [3] ، عن أبى خالد الوالبىّ ، عن جابر بن سَمُرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت من الساعة كهاتين » — وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى .

---

(١) تكملة من ا .

(٢) ط : « أبو كبير » تصحيف ، صوابه فى ا .

(٣) ط : « قطن » ، تصحيف ، صوابه فى ا ، وهو فطر بن خليفة القرشى ، ذكره ابن حجر فيمن روى عن أبى خالد الوالبى ، وانظر تهذيب التهذيب ١٢ : ٨٣ .

١١/١ حدثنا ابن المثنَّى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدّث ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » . قال شعبة : سمعت قتادة يقول فى قصصه : كفضل إحداهما على الأخرى ، قال : لا أدرى أذكره عن أنس أو قاله قتادة .

حدثنا خلاّد بن أسلم ، قال : حدثنا النضر بن شُمَيل ، قال : حدثنا شعبة ، عن قَتادة ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله ، وزاد فى حديثه : وأشار بالوسطى والسبابة .

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبدُ الحكم ، قال : حدثنا أيوب بن سويد ، عن الأوزاعىّ ، قال : حدثنا إسمعيل بن عبيد الله ، قال : قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : ماذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر به الساعة ؟ قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنتم [و] (١) الساعة كهاتين » ، وأشار بإصبعيه .

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى ، قال : حدثنا الأوزاعىّ ، قال : حدثنى إسمعيل بن عبيدالله ، قال : قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : ماذا سمعت [من] (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر به الساعة ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنتم والساعة كتَيْن » .

حدثنى ابن عبد الرحيم البرْقىّ ، قال : حدثنا عمرو بن أبى سلمة ،

---

(١) تكلة من ا .

عن الأوزاعىّ، قال: حدّثنى إسمعيل بن عبيد الله ، قال : قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك ، فذكر مثله .

١٢/١ حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدّثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه ، قال : حدّثنى معبد، حدّث أنس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، وقال بإصبعيه : هكذا .

حدثنا ابن المثنّى قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا شُعبة، عن أبى التيّاح، عن أنَس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » : السبابة والوسطى . قال أبو موسى[1] : وأشار وهب بالسبابة والوسطى .

حدثنى عبد الله بن أبى زياد ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبى التيّاح وقتادة ، عن أنس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، وقرَن بين إصبعيه .

حدثنى محمد بن عبد الله بن بَزِيع ، قال: حدّثنا الفضيل بن سليمان، حدثنا أبو حازم، قال: حدثنا سهل بن سعد، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بإصبعيه هكذا ، الوسطى والتى تلى الإبهام: « بُعثت أنا والساعة كهاتين » .

حدثنا محمد بن يزيد الأدَمِىّ ، قال : حدثنا أبو ضمرة، عن أبى حازم، عن سهل بن سعد الساعدىّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بُعثتُ والساعة كهاتين » — وضم بين إصبعيه الوسطى ؛ والتى تلى الإبهام — وقال: «ما مثلى ومثل الساعة إلا كفرسَىْ رِهان » ، ثم قال : « ما مثلى ومثل الساعة إلا كمثل رجل بعثه قوم طليعة، فلما خشِىَ أن يُسبق ألاحَ بثوبه : أُتيتم، أُتيتم، أنا ذاك أنا ذاك » .

١٣/١ حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا خالد ، عن محمد بن جعفر ، عن أبى حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعثت أنا والساعة كهاتين » ، وجمع بين إصبعيه .

---

(١) أبو موسى : كنية ابن المثنى .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا خالد ، قال : حدثنا سليمان بن بلال ، قال : حدثنى أبو حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة هكذا » ، وقرن بين إصبعيه : الوسطى والتى تلى الإبهام .

حدثنى ابن عبدَ الرحيم البرقىّ ، قال : حدثنا ابن أبى مريم ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنى أبو حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، وجمع بين إصبعيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو نعيم ، عن بشير بن المهاجر ، قال : حدثنى عبد الله بن بُرَيدة [1] ، عن أبيه ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بعثت أنا والساعة جميعاً ، إن كادت لتَسبِقنى » .

حدثنى محمد بن عمر بن هياج ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن ، قال : حدثنى عبيدة بن الأسود ، عن مجالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن المستورد بن شداد الفهرىّ ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بعثت فى نَفَس الساعة [2] ، سبقتُها كما سبقتْ هذه هذه » ، لإصبعيه السبابة والوسطى ، ووصف لنا أبو عبد الله ، وجَمعهما .

حدثنى أحمد بن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا أبو نصر ، قال : حدثنا المسعودىّ ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبىّ ، عن أبى جَبِيرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثتُ مع الساعة كهاتين » ، — وأشار بإصبعيه الوسطى والسبابة — « كفضْل هذه على هذه » .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا إسماعيل ، عن شُبيل بن عوف ، عن أبى جَبيرة ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا :

---

(١) كذا ضبطه ابن الأثير ١ : ١٢ : « بضم الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخرها هاء » .

(٢) بعثت فى نفس الساعة ، أى بعثت وقد حان قيامها وقرب . النهاية لابن الأثير ٤ : ١٦٤ .

١٤/١ سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « جئت أنا والساعة هكذا » — قال الطبريّ : وأرانا تميم ، وضم السبابة والوسطى وقال لنا : أشار يزيد بإصبعيه السبابة والوسطى وضمهما — وقال : « سبقتُها كما سبقتْ هذه هذه فى نَفَس من الساعة » ، أو « [فى][1] نَفَس الساعة » .

فمعلوم إذْ كان اليوم أولُه طلوع الفجر وآخرُه غروب الشمس ، وكان صحيحاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، ما رويناه عنه قبل ، أنه قال بعد ما صلى العصر : «ما بقىَ من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقىَ من يومكم هذا فيما مضى منه». وأنه قال لأصحابه : «بُعثتُ أنا والساعة كهاتين» — وجمع بين السبابة والوسطى — « سبقتُها بقدر هذه من هذه » ، يعنى الوسطى من السبابة . وكان قدر ما بين أوسط أوقات صلاة العصر — وذلك إذا صار ظلُّ كلِّ شىء مثليه — على التحرِّى إنما يكون قدر نصف سبع اليوم ، يزيد قليلا أو ينقص قليلا ، وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة ، إنما يكون نحواً من ذلك وقريباً منه .

وكان صحيحاً مع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حـــدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنى عمى عبد الله بن وهب ، قال : حدثنى معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نُفير ، عن أبيه جبير بن نُفير ، أنه سمع أبا ثعلبة الخشنىّ صاحب النبى صلى الله عليه وسلم يقول : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « لن يُعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » ، وكان معنى قول النبىّ ذلك أن « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » الذى مقداره ألف سنة = كان بيناً أن أَوْلَى القولين — اللذين ذكرتُ فى مبلغ قدر مدة جميع ١٥/١ الزمان ، اللذين أحدهما عن ابن عباس ، والآخر منهما عن كعب — بالصواب ، وأشبههما بما دلت عليه الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قولُ ابن عباس ، الذى روينا عنه أنه قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة .

---

(١) تكملة من ا ، ر .

وإذ كان ذلك كذلك، وكان الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحاً أنه أخبر عن الباقى من ذلك فى حياته أنه نصف يوم، وذلك خمسمائة عام؛ إذْ كان ذلك نصف يوم من الأيام التى[١] قدر اليوم الواحد منها ألف عام= كان معلوماً أن الماضىَ من الدنيا إلى وقت قول النبى صلى الله عليه وسلم ما رويناه عن أبى ثعلبة الخشنى عنه، كان قدرَ ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة، أو نحواً من ذلك وقريباً منه. والله أعلم.

* * *

فهذا الذى قلنا — فى قدر مدة أزمان الدنيا، من مبدأ أوّلها إلى منتهى آخرها — منْ أثبت ما قيل فى ذلك عندنا من القول، للشواهد الدالة التى بيناها على صحة ذلك.

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ يدلُّ على صحة قول من قال: إن الدنيا كلها ستة آلاف سنة، لو كان صحيحاً سنده لم نعدُ القولَ به إلى غيره؛ وذلك ما حدّثنى به محمد بن سنان القزاز، قال: حدّثنا عبد الصمد ابن عبد الوارث، حدثنا زبّان، عن عاصم، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الحُقْب ثمانون عاماً، اليوم منها سدس الدنيا».

فبيّن فى هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة، وذلك أن اليومَ الذى هو من أيام الآخرة إذا كان مقداره ألفَ سنة من سنِى الدنيا، وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا، كان معلوماً بذلك أن جميعها ستة أيام من أيام الآخرة، وذلك ستة آلاف سنة. ١/٢٦

* * *

وقد زعم[٢] اليهود أن جميعَ ما ثبت عندهم — على ما فى التوراة مما هو[٣] فيها من لدن خلق الله آدم إلى وقت الهجرة، وذلك فى التوراة التى هى فى أيديهم اليوم — أربعةُ آلاف سنة وستمائة سنة واثنتان وأربعون سنة، وقد ذكروا تفصيل ذلك بولادة رجل رجل، ونبى نبى، وموته من عهد آدم إلى هجرة نبينا محمد صلى الله عليه

(١) ط «الذى»، وصوابه من ا.

(٢) ط: «تزعم»، وما أثبته من ا.

(٣) كذا فى ا، ب، ك، وفى ط: «مما بين».

وسلم . وسأذكر تفصيلهم ذلك إن شاء الله، وتفصيل غيرهم ممن فصّله من علماء أهل الكتب وغيرهم من أهل العلم بالسير وأخبار الناس إذا انتهيت إليه إن شاء الله .

وأما اليونانية من النصارى فإنها تزعم أن الذى ادّعته اليهود من ذلك باطل، وأن الصحيحَ من القول فى قدْر مدّة أيام الدنيا — من لدُنْ خلق الله آدم إلى وقت هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سياق ما عندهم فى التوراة التى هى فى أيديهم — خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنتان وتسعون سنة وأشهر . وذكروا تفصيل ما ادّعوه من ذلك بولادة نبيّ نبيّ، وملك ملك، ووفاته من عهد آدم إلى وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعموا أن اليهودَ إنما نقصُوا ما نقصُوا من عدد سنى ما بين تاريخهم وتاريخ النصارى دفعاً منهم لنبوّة عيسى بن مريم عليه السلام إذ كانت صفته ووقت مبعثه مثبَتة فى التوراة . وقالوا : لم يأت الوقت الذى وُقّت ١٧/١ لنا فى التوراة أن الذى صفته صفة عيسى يكون فيه ، وهم ينتظرون — بزعمهم — خروجَه ووقته .

وأحسب[1] أن الذى ينتظرونه ويدّعون أن صفته فى التوراة مثبتة ، هو الدّجال الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه لأمته، وذكر لهم أن عامة أتباعه اليهود ؛ فإن كان ذلك هو عبد الله بن صياد ، فهو من نسل اليهود .

وأما المجوس فإنهم يزعمون أن قدْر مدة الزمان من لدن ملك جيُومَرت إلى وقت هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وثلاثون سنة، وهم لا يذكرون مع ذلك نسباً يعرف فوق جيُومرْت ، ويزعمون أنه آدم أبو البشر، صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أنبياء الله ورسله .

ثم أهلُ الأخبار بعدُ فى أمره مختلفون ؛ فمن قائل منهم فيه مثل قول المجوس، ومن قائل منهم إنه تَسمّى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة، وأنه إنما هو جامر بن يافث[2] ابن نوح، كان بنوح عليه السلام برًّا ولخدمته ملازماً، وعليه حَدِباً شفيقاً، فدعا اللهَ له ولذريته [نوح][3] — لذلك من بره به وخدمته له — بطول العمر، والتمكين فى

(١) ط : «فأحسب» .
(٢) كذا ضبط فى القاموس ، كصاحب ، ووقع فى سفر التكوين مضبوطاً بالفتح .
(٣) من ا .

البلاد ؛ والنصر على من ناوأه وإياهم ، واتصال الملك له ولذريته ، ودوامه[١] له ولهم ؛ فاستجيب له فيه ، فأعطى جيُومَرت ذلك وولده ، فهو أبو الفرس ، ولم يزل الملك فيه وفى ولده إلى أن زال عنهم بدخول المسلمين مدائن كسرى ، وغلبَة أهل الإسلام إياهم على ملكهم .

ومن قائل غير ذلك ؛ وسنذكر إن شاء الله ما انتهى إلينا من القول فيه إذا انتهينا إلى ذكرنا تأريخ الملوك ومبالغ أعمارهم، وأنسابهم وأسباب ملكهم .

---

(١) ا : « دوامها » .

القول فى الدلالة
على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار

١٨/١

قد قلنا قبلُ إن الزمان إنما هو اسم لساعات الليل والنهار ، وساعاتُ الليل والنهار إنما هى مقادير من جَرْى الشمس والقمر فى الفَلَك، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[1].

فإذا كان الزمان ما ذكرنا من ساعات الليل والنهار ، وكانت ساعات الليل والنهار إنما هى قَطْع الشمس والقمر درجات الفَلَك ، كان بيقين معلوماً أن الزمان محدَث والليل والنهار محدثان ، وأن مُحدِث ذلك الله الذى تفرّد بإحداث جميع خلقه ، كما قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[2].

ومن جَهِل حدوث ذلك من خلق الله فإنه لن يجهلَ اختلافَ أحوال الليل والنهار ؛ بأن أحدَهما يَرِد على الخلق — وهو الليل — بسواد وظلمة ، وأنّ الآخر منهما يرد عليهم بنور وضياء ، ونَسْخٍ لسواد الليل وظلمته ، وهو النهار .

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان من المحال اجتماعهما مع اختلاف أحوالهما فى وقت واحد فى جزء واحد — كان معلوماً يقيناً أنه لا بد [من][3] أن يكونَ أحدُهما كان قبل الآخر منهما ؛ وأيّهما كان منهما قبل صاحبه فإن الآخر منهما كان

(١) سورة يس ٣٧ — ٤٠
(٢) سورة الأنبياء ٣٣
(٣) من ا .

لا شك بعده ، وذلك إبانةٌ ودليل على حدوثهما ، وأنهما خلقان لخالقهما[1] . ١٩/١

ومن الدلالة أيضاً على حدوث الأيام والليالى أنه لا يومَ إلا وهو بعدَ يوم كان قبله ، وقبل يوم كائن بعده ، فمعلوم أنّ ما لم يكن ثم كان ، أنه محدَث مخلوق ، وأنّ له خالقاً ومحدِثا .

وأخرى ،[2] أن الأيام والليالى معدودة ، وما عدّ من الأشياء فغير خارج من أحد العددين : شفع أو وتر ؛ فإن يكن شفعاً فإن أولها اثنان ، وذلك تصحيح القول بأن لها ابتداء وأولاً ، وإن كان وتراً فإنّ أولها واحد ، وذلك دليل على أن لها ابتداء وأوّلاً ، وما كان له ابتداء فإنه لا بد له من مبتدئ ، هو خالقه .

---

(١) ا : « بتخالفهما » .

(٢) ط : « والأخرى » ، وما أثبته عن ا .

القول فى هل كان الله عزّ وجلّ خلق قبل خلقه الزمان والليل والنهار شيئاً غير ذلك من الخلق

قد قلنا قبل: إنّ الزمان إنما هو ساعات الليل والنهار، وإنّ الساعات إنما هى قَطْع[1] الشمس والقمر درجات الفلك.

فإذا[2] كان ذلك كذلك، وكان صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] ما حدّثنا هنّاد بن السريّ، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبى سعد البقّال، عن عكرمة، عن ابن عباس - قال هناد: وقرأت سائر الحديث[4] [على أبى بكر] -[5] أن اليهود أتت النبيّ صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال: خلَقَ الله الأرضَ يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهنّ من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب؛ فهذه أربعة، [ثم][5] قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾[6]، لمن سأل. قال: وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة، إلى ثلاث ساعات بقيت منه، فخلق فى أول ساعة من هذه الثلاث الساعات الآجالَ مَنْ يحيا ومن يموت، وفى الثانية ألقى الآفة على كل شىء مما ينتفع به الناس، وفى الثالثة آدم وأسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له

١/٢٠

(١) ا: «مطلع» تحريف.
(٢) جواب «إذا»: «فإن كان كذلك» ص ٢٦
(٣) الخبر فى التفسير ٢٤: ٦١ (بولاق).
(٤) ط: «فى سائر الحديث»، وما أثبته عن ا.
(٥) زيادة من التفسير.
(٦) سورة فصلت ٩، ١٠

وأخرجه منها فى آخر ساعة . ثم قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على العرش ، قالوا : قد أصبتَ لو أتممت : قالوا : ثم استراح ، فغضب النبيّ صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً ، فنزل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾(١) .

حدثنى القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن على الصُّدَائىّ ، قالا : حدثنا حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج : أخبرنى إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبى هريرة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال : « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة ، آخر خلْق خلَق ، فى آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل » .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بَزِيع(٢) ، قال : حدثنا الفُضَيل(٣) بن سليمان ، حدثنى محمد بن زيد ، قال : حدثنى أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف ، قال : أخبرنى ابن سلام وأبو هريرة ، فذكرا عن النبى صلى الله عليه وسلم الساعة التى فى يوم الجمعة ، وذكرا أنه قالها ؛ قال(٤) عبد الله بن سلاَم : أنا أعلم أىّ ساعة هى ؛ بدأ الله فى خلق السموات والأرض يوم الأحد ، وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة ، فهى فى آخر ساعة من يوم الجمعة .

٢١/١

حدّثنى المثنّى ، قال : حدَّثنا الحجَّاج ، حدَّثنا حمَّاد ، عن عطاء بن السائب ، عن عِكْرمة : أن اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : ما يوم الأحد ؟ فقال رسول

---

(١) سورة ق ٣٨ ، ٣٩

(٢) كذا ضبطه صاحبُ التقريب ؛ بفتح الموحدة وكسر الزاى .

(٣) ط : « الفضل » تحريف ؛ وانظر تهذيب التهذيب ٨ : ٢٩١ ، ٩ : ٢٤٨

(٤) ط : « فقال » .

الله صلى الله عليه وسلم : خلق الله فيه الأرض و بَسطها (١) ، قالوا : فالاثنين ؟ قال : خلق الله فيه آدم ، قالوا : فالثلاثاء؟ قال : خلق فيه الجبال والماء وكذا وكذا وما شاء الله ، قالوا : فيوم الأربعاء؟ قال : الأقوات ، قالوا : فيوم الخميس؟ قال : خلق السموات ، قالوا : فيوم الجمعة ؟ قال : خلق الله فى ساعتين الليل والنهار ، ثم قالوا : السبت — وذكروا الراحة — قال : سبحان الله! فأنزل الله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ .

فقد بيّن هذان الخبران اللذان رويناهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس والقمر خُلِقا بعد خلق الله أشياء كثيرة من خلْقه ؛ وذلك أن حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد بأن الله خلق الشمس والقمر يوم الجمعة = فإن (٢) كان ذلك كذلك ، فقد كانت الأرض والسماء وما فيهما — سوى الملائكة وآدم — مخلوقةً قبل خلق الله الشمسَ والقمر ، وكان ذلك كله ولا ليلَ ولا نهار ؛ إذْ كان الليل والنهار إنما هو اسم لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر دَرَج الفلك .

١/ ٢٢ وإذا كان صحيحاً أنّ الأرض والسماء وما فيهما ، سوى ما ذكرنا ، قد كانت ولا شمس ولا قمر — كان معلوماً أن ذلك كلّه كان ولا ليل ولا نهار . وكذلك حديث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه أخبر عنه أنه قال : « خلق الله النورَ يوم الأربعاء » ، يعنى بالنور الشمسَ إن شاء الله .

* * *

فإن قال لنا قائل : قد زعمتَ أن اليومَ إنما هو اسمٌ لميقات ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ثم زعمتَ الآن أن الله خلق الشمس والقمر بعد أيام من أول ابتدائه خلقَ الأشياء التى خلقها ، فأثبتّ مواقيتَ ، وسميتَها بالأيام ، ولا شمس ولا قمر ، وهذا إن لم تأت ببرهان على صحته ، فهو كلام ينقض بعضه بعضاً !

---

(١) ط : « كبسها » ، س « وكسبها » ؛ وما أثبته من ا .
(٢) « فإن كان » ، جواب : « إذا » فيما سبق ص ٢٤ .

قيل: إن الله سمّى ما ذكرته[١] أياماً، فسميتُه بالاسم الذى سماه به، وكان وجهُ تسمية ذلك أياماً، ولاشمس ولاقمر؛ نظير قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[٢] ولا بكرةَ ولا عشىّ هنالك؛ إذ كان لا ليلَ فى الآخرة ولا شمس ولا قمر؛ كما قال جلّ وعزّ: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[٣].

فسمّى تعالى ذكره يومَ القيامة يوماً عقيماً، إذْ كان يوماً لا ليلَ بعدمجيئه؛ وإنما أريد بتسمية ما سمّى أياماً قبل خلق الشمس والقمر قدرُ مدة ألف عام من أعوام الدنيا، التى العام منها اثنا عشر شهراً من شهور أهل الدنيا، التى تُعدّ ساعاتها وأيامها بقطع الشمس والقمر درَج الفلك، كما سمّى بُكرةً وعشياً لما يرزَقه أهلُ الجنة فى قدْر المدة التى كانوا يعرفون ذلك من الزمان فى الدنيا بالشمس ومجراها فى الفلك، ولا شمسَ عندهم ولا ليل.

١/٢٣

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال السلف من أهل العلم.

* ذكر بعض من حضرنا ذكره ممن قال ذلك:

حدثنى القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنى الحجاج، عن ابن جُريج، عن مجاهد أنه قال:[٤] يقضى الله عز وجل أمرَ كل شىء ألفَ سنة إلى الملائكة؛ ثم كذلك حتى يمضىَ ألف سنة، ثم يقضى أمر كلّ شىء ألفاً، ثم كذلك أبداً، قال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٥] قال: اليوم أن يقول لما يقضى إلى الملائكة ألف سنة: «كن فيكون»، ولكنْ سمّاه يوماً، سمّاه كما شاء. كلّ ذلك

---

(١) ا: «ذكرت»

(٢) سورة مريم ٦٢

(٣) سورة الحج ٥٥

(٤) الخبر فى التفسير ٢١: ٥٩ (بولاق).

(٥) سورة السجدة ٥

عن مجاهد، قال: وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[(١)]
قال: هو هو سواء.

* * *

وبنحو الذى ورد[(٢)] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخبر، بأن الله جل جلاله خلق الشمس والقمر بعد خلقه السموات والأرض وأشياء غير ذلك، ورد الخبرُ عن جماعة من السلف أنهم قالوه.

* ذكر الخبر عمّن قال ذلك منهم:

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ، حدثنا ابنُ يمان، حدثنا سفيان، عن ابن جُريج، عن سليمان بن موسى، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[(٣)].
قال: قال الله عز وجل للسموات: أطلعى شمسى وقمرى، وأطلعى نجومى[(٤)].
وقال للأرض: شقّقى أنهارك، وأخرجى ثمارك، فقالتا: أتينا طائعين.

١/٢٤ حدثنا بشر بن معاذ، قال حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قَتادة: ﴿وَأَوْحَى فِى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[(٥)]، خلق فيها شمسَها وقمرها ونجومها وصلاحها[(٦)].

* * *

فقد بيَّنتْ هذه الأخبار التى ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمّن ذكرناها عنه أن الله عزّ وجلّ خلق السموات والأرض قبل خلقه الزمان والأيام والليالى، وقبل الشمس والقمر. والله أعلم.

---

(١) سورة الحج ٤٧.
(٢) ا: «روى».
(٣) سورة فصلت ١١.
(٤) كذا فى ا، والتفسير، وفى ط: «وقمرى ونجومى».
(٥) سورة فصلت ١٢. (٦) الخبر فى التفسير ٢٤: ٦٤ (بولاق).

القول فى الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار وأن لا شىء يبقى غير الله تعالى ذكره

والدلالة على صحة ذلك قول الله تعالى ذكره : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2].

فإن[3] كان كلُّ شىء هالك غير وجهه - كما قال جلّ وعزّ - وكان الليل والنهار ظلمة أو نوراً خلقهما لمصالح خلْقه ، فلا شك أنهما فانيان هالكان ، كما أخبر ؛ وكما قال : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[4] يعنى بذلك أنها عُمِّيت فذهب ضوءها ، وذلك عند قيام الساعة ، وهذا ما لا يُحتاج إلى الإكثار فيه ؛ إذ كان مما يدين بالإقرار[5] به جميعُ أهل التوحيد من أهل الإسلام وأهل التوراة والإنجيل والمجوس ، وإنما ينكرُه قومٌ من غير أهل التوحيد ، لم نقصِد بهذا الكتاب قصدَ الإبانة عن خطإ قولهم . فكلّ الذين[6] ذكرنا عنهم أنهم مقرون بفناء جميع العالم حتى لا يبقى غيرُ القديم الواحد ، مقرّون بأن الله عزّ وجلّ محييهم بعد فنائهم ، وباعثهم بعد هلاكهم ، خلا قومٍ من عبَدة الأوثان ، فإنهم يُقرون بالفناء ، وينكرون البعث . ٢٥/١

(١) سورة الرحمن : ٢٦-٢٧ .
(٢) سورة القصص : ٨٨ .
(٣) ا : « فإذ » .
(٤) سورة التكوير : ١ .
(٥) ر : « إذ كان مما يقر به » .
(٦) ط : « وكل الذى » ، وما أثبته عن ا .

القول فى الدلالة على أنّ الله عزّ وجلّ القديم الأول قبل شىء وأنه هو المحدث كل شىء بقدرته تعالى ذكره

فمن الدلالة على ذلك أنه لاشىء فى العالم مشاهَد إلا جسم أو قائم بجسم، وأنه لا جسمَ إلا مفترق أو مجتمع، وأنه لا مفترق منه إلاوهو موهوم فيه الائتلاف إلى غيره من أشكاله، ولا مجتمِعَ منه إلا وهو موهوم فيه الافتراق، وأنه متى عُدِم أحدهما عدم الآخر معه، وأنه إذا اجتمع الجزءان منه بعد الافتراق، فمعلوم أنّ اجتماعهما حادث فيهما بعد أن لم يكن، وأنّ الافتراقَ إذا حدث فيهما بعد الاجتماع، فمعلوم أن الافتراق فيهما حادث بعد أن لم يكن.

وإذا كانَ الأمر فيما فى العالم من شىء كذلك، وكان حكم ما لم يُشاهد وما هو من جنس[1] ما شاهدنا فى معنى جسم أو قائم بجسم، وكان ما لم يخلُ من الحدث لا شك أنه محدَث بتأليف مؤلّف له إن كان مجتمعا، وتفريق مفرّق له إن كان مفترقا. وكان معلوماً بذلك أن جامع ذلك إن كان مجتمعاً، ومفرّقه إن كان مفترقاً مَنْ لايشبهه، ومن لايجوز عليه الاجتماع والافتراق، وهو الواحد القادر الجامع بين المختلفات، الذى لايشبهه شىء، وهو على كل شىء قدير — فبيِّنٌ بما وصفنا أن بارئَ الأشياء ومحدثها كان قبل كل شىء، وأن الليل والنهار والزمان والساعات محدثات، وأن محدثها الذى يُدبرها ويُصَرّفها قبلها، إذْ كان من المحال أن يكون شىء يُحدث شيئاً إلاومحدِثه قبله، وأن فى قوله تعالى ذكره: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[2]، لأبلغُ الحجج،

٢٦/١

(١) ا، ك: «مما هو جنس ما شاهدنا».

(٢) سورة الغاشية ١٧ — ٢٠

وأدلُّ الدلائل – لمن فكَّر بعقل، واعتبر[١] بفهم– على قِدَم بارئها، وحدوث كل ما جانسها ، وأنَّ لها خالقاً لا يشبهها .

وذلك أن كلَّ ما ذكر ربنا تبارك وتعالى فى هذه الآية من الجبال والأرض والإبل فإنَّ ابنَ آدم يعالجه ويدبّره بتحويل وتصريف وحفر ونحت وهدم ، غيرَ ممتنع عليه شيء من ذلك . ثم إنَّ ابن آدم مع ذلك غير قادر على إيجاد[٢] شيء من ذلك من غير أصل ؛ فمعلوم أن العاجز عن إيجاد[٢] ذلك لم يحدِث نفسَه، وأن الذى هو غير ممتنع ممن أراد تصريفه وتقليبه لم يوجدْه مَن هو مثله، ولا هو أوجدَ نفسه ، وأن الذى أنشأه وأوجد عينه هو الذى لا يُعجزه شىء أراده ، ولا يمتنع عليه إحداث شىء شاء إحداثه ، وهو الله الواحد القهار .

* * *

فإن قال قائل: فما تنكر أن تكون الأشياء التى ذكرت من فِعل قديمين ؟

قيل : أنكرنا ذلك لوجودنا اتصال التدبير وتمام الخلق ، فقلنا : لو كان المدبِّر اثنين ،لم يخلُوَا من اتفاق أو اختلاف ؛ فإن كانا متفقين فمعناهما واحد، وإنما جعل الواحدَ اثنين مَنْ قال بالاثنين . وإن كانا مختلفين كان محالا وجودُ الخلق على التمام والتدبير على الاتصال؛ لأن المختلفين، فعلُ كلّ واحد منهما خلافُ فعل صاحبه ؛ بأنَّ أحدَهما إذا أحيا أمات الآخر ، وإذا أوجد أحدُهما أفنى الآخر ، فكان محالا وجودُ شىء من الخلق على ما وُجد عليه من التمام والاتصال . ٢٧/١

وفى قول الله عزوجل ذكره: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٣]، وقوله عزّوجل : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤]

(١) ا : « أعين » .
(٢) ا، ر : « اتخاذ » .
(٣) سورة الأنبياء ٢٢
(٤) سورة « المؤمنين » ٩١ ، ٩٢

أبلغُ حجة، وأوجز بيان، وأدلّ دليل على بُطول(١) ما قاله المبطلون من أهل الشرك بالله، وذلك أن السموات والأرض لو كان فيهما إله غير الله، لم يخلُ أمرهما مما وصفت من اتفاق واختلاف. وفى القول باتفاقهما فساد القول بالتثنية، وإقرار بالتوحيد، وإحالةٌ فى الكلام بأن قائلَه سمَّى الواحد اثنين. وفى القول باختلافهما، القول بفساد السموات والأرض، كما قال ربنا جلّ وعزّ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ لأنّ أحدَهما كان إذا أحدث شيئاً وخلقه كان من شأن الآخر إعدامه وإبطاله؛ وذلك أنّ كلّ مختلفين فأفعالُهما مختلفة، كالنار التى تسخِّن، والثلج الذى يبرِّد ما أسخنتْه النار.

١/٢٨ وأخرى، أن ذلك لو كان كما قاله المشركون بالله لم يخلُ كلّ واحد من الاثنين اللذيْن أثبتوهما قديمين من أن يكونا قويين أو عاجزين؛ فإن كانا عاجزين فالعاجزُ مقهور وغير كائن إلهاً. وإن كانا قويين فإنّ كلّ واحد منهما بعجزه عن صاحبه عاجز، والعاجز لا يكون إلهاً. وإن كان كلّ واحد منهما قويّاً على صاحبه؛ فهو بقوة صاحبه عليه عاجز، تعالى ذكرُه عما يشرك المشركون!

فتبيَّن إذاً أن القديمَ بارئَ الأشياء وصانعها هو الواحد الذى كان قبل كلّ شىء، وهو الكائن بعد كلّ شىء، والأول قبل كلّ شىء، والآخر بعد كلّ شىء، وأنه كان ولا وقتَ ولا زمان، ولا ليلَ ولا نهار، ولا ظلمة ولا نور(٢) إلا نور وجهه الكريم. ولا سماء ولا أرض، ولا شمس ولا قمرَ ولا نجوم، وأن كلّ شىء سواه محدَث مدبَّر مصنوع، انفرد بخلق جميعه بغير شريك ولا مُعين ولا ظهير، سبحانه من قادر قاهر!

وقد حدثنى على بن سهل الرملىّ، قال: حدّثنا زيد بن أبى الزرقاء، عن جعفر، عن يزيد بن الأصمّ، عن أبى هريرة، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) ا: «بطلان»؛ وهما مصدران صحيحان.

(٢) ا: «ولا ضياء».

« إنكم تُسألون بعدى عن كلّ شىء ، حتى يقول القائل : هذا الله خلق كلّ شىء فمن ذا خلقه ! » .

حدثنى علىّ ، حدثنا زيد ، عن جعفر ، قال : قال يزيد بن الأصمّ : حدّثنى نَجَبَة بن صَبِيغ ، قال : كنت عند أبى هريرة فسألوه عن هذا فكبّر وقال : ماحدّثنى خليلى بشىء إلا قد رأيته — أو[1] أنا أنتظره . قال جعفر : فبلغنى أنه قال : إذا سألكم الناس عن هذا فقولوا : الله خالق كلّ شىء ، والله كان قبل كلّ شىء ، والله كائن بعد كلّ شىء .

* * *

١/٢٩ فإذا كان معلوماً أن خالقَ الأشياء وبارئها كان ولا شىء غيره ، وأنه أحدَث الأشياء فدبّرها ، وأنه قد خلق صنوفاً من خلقه قبل خلق الأزمنة والأوقات ، وقبل خلق الشمس والقمر اللذيْن يُجريهما فى أفلاكهما ، وبهما عُرِفت الأوقات والساعات ، وأرّخت التأريخات ، وفصِل بين الليل والنهار ، فلنَقل : فيمَ ذلك الخلق الذى خُلِق قبل ذلك ؟ وما كان أوله ؟

(١) ط : « وأنا » ، وما أثبته عن ا .

القول فى ابتداء الخلق ما كان أوله

صحّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثنى به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنى معاوية بن صالح – وحدثنى عبيد بن آدم بن أبى إياس العسقلانىّ ، قال : حدثنا أبى ، قال : حدثنا الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح – عن أيوب بن زياد ، قال : حدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، قال : أخبرنى أبى ، قال : قال أبى عبادة بن الصامت : يا بنىّ سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتبْ ، فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن » .

حدثنى أحمد بن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا علىّ بن الحسن بن شقيق ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا رباح بن زيد ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه كان يحدّث أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن أوّل شىء خلق الله القلم ، وأمره أن يكتب كلّ شىء » .

١/٣٠ حدثنى موسى بن سهل الرملىّ ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا رَباح بن زيد[1] ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبى بـَزّة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حدثنى محمد بن معاوية الأنماطىّ ، حدثنا عباد بن العوام ، حدثنا عبد الواحد بن سليم ، قال : سمعت عطاء ، قال : سألت الوليد بن عبادة بن الصامت : كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت ؟ قال : دعانى فقال :

---

(١) ط : « رباح بن يزيد » ؛ وما أثبته عن ا ؛ ذكره ابن حجر فيمن روى عن عمر ابن حبيب . وانظر تهذيب التهذيب ٣ : ٢٣٣ ، و ٧ : ٤٣١ .

أىْ بنىّ ، اتق الله واعلم أنك لن تتّقى (١) الله ، ولن تبلغَ العلمَ حتى تؤمن بالله وحده ، والقدَرِ خيرِه وشرّه ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ما خلق الله عزّ وجلّ خلق القلم ، فقال له : اكتب ، قال : يا رب وما أكتب ؟ قال : اكتب القدَر ، قال : فجرى القلم فى تلك الساعة بما كان وبما هو كائن إلى الأبد» .

* * *

وقد اختلف [أهل] (٢) السلف قبلنا فى ذلك ، فنذكرُ أقوالهم ، ثم نتبع البيان عن ذلك إن شاء الله تعالى .

فقال بعضهم فى ذلك بنحو الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى واصل بن عبد الأعلى الأسدىّ ، قال : حدثنا محمد بن فُضيل ، عن الأعمش ، عن أبى ظَبْيان ، عن ابن عباس ، قال : أولُ ما خلق الله من شىء القلم فقال له : اكتب ، فقال (٣) : وما أكتب يا رب ؟ قال : اكتب القدَر ، قال : فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة ، ثم رُفع بخار الماء ففتق منه السموات .

حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبى ظَبيان ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا محمد بن المثنّى ، قال : حدّثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبى ظَبيان ، عن ابن عباس ، قال : أوّلُ ما خلق الله من شىء القلمُ ، فجرى بما هو كائن . ٣١/١

حدثنا تميم بن المنتصر ، أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبى ظَبيان — أو مجاهد — ، عن ابن عباس بنحوه .

---

(١) ط : « لن تلقى الله » ، وصوابه من ا ، ر ، ن ، س .

(٢) تكملة من ا .

(٣) ا : « قال » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، قال : حدثنا معمر ، حدثنا الأعمش أن ابن عباس قال : إن أولَ شيء خُلِق القلم .

حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء[1] ، عن أبي الضّحا مسلم بن صُبَيْح ، عن ابن عباس ، قال : إن أوّلَ شيء خلق ربي عزّ وجلّ القلم ، فقال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة .

* * *

وقال آخرون : بل أولُ شيء خلق الله عزّ وجلّ من خلقه النورُ والظلمة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال ابن اسحاق : كان أول ما خلق الله عز وجل النور والظلمة ، ثم ميّز بينهما ، فجعل الظلمة ليلا أسود مظلماً ، وجعل النور نهاراً مضيئاً مبصراً .

* * *

قال أبو جعفر : وأوْلى القولين في ذلك عندي بالصواب قولُ ابن عباس ، للخبر الذي ذكرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [قبل][2] ، أنه قال : أول شيء خلق اللهُ القلم .

فإن قال لنا قائل : فإنك قلتَ : أوْلى القولين — اللذيْن أحدهما أنّ أولَ شيء خلق الله من خلقه القلم ، والآخر أنه النور والظلمة — قولُ من قال : إن أول شيء خلق الله من خلقه القلم ، فما وجهُ الرواية عن ابن عباس التي حدثكموها ابن بشار ١/٣٢ قال : حدّثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن أبي هاشم[3] ، عن مجاهد ، قال : قلت لابن عباس : إن ناساً يكذّبون بالقدَر ، فقال : «إنهم يكذّبون بكتاب الله ، لآخذَنّ بشعر أحدهم فلأنفضنّ به ؛ إن الله تعالى ذِكْرُه كان على عرْشه قبل أن يخلقَ شيئاً ، فكان أوّل ما خلق الله القلم ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ،

---

(١) هو جرير بن عبد الحميد الضبي ، أخذ عن عطاء ، وعطاء هو ابن السائب الكوفي ، وانظر تهذيب التهذيب ٢ : ٧٥ . (٢) تكملة من ا .

(٣) في ر ، ك : «أبي هشام» ؛ وهو خطأ . وأبو هاشم هو إسماعيل بن كثير الحجازي المكي ؛ روى عن مجاهد وروى عنه سفيان الثوري . تهذيب التهذيب ١ : ٣٢٦ .

وإنما يجرى الناس على أمر قد فُرِغ منه ؟ .

وعن ابن إسحاق ، التى حدّثكموها ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾[1] ، فكان كما وصفَ نفسَه عزّ وجلّ ، إذ ليس إلا الماء عليه العرش ، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام ، فكان أولُ ما خلق الله النورَ والظلمة ؟

قيل : أما قولُ ابن عباس : إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئاً ، فكان أول ما خلق الله القلم — إن كان صحيحاً عنه أنه قاله — فهو خبرٌ منه أنّ الله خلق القلم بعد خلقه عرشه ، وقد روَى عن أبى هاشم هذا الخبر شعبةُ ، ولم يقلْ فيه ما قال سفيان ؛ من أن الله عزّ وجلّ كان على عرشه ، فكان أول ما خلق القلم ، بل روى ذلك كالذى رواه سائر مَنْ ذكرنا من الرواة عن ابن عباس أنه قال : أول ما خلق الله عزّ وجلّ القلم .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حدثنى عبد الصمد ، قال : حدثنا شعبة ، قال : حدثنا أبو هاشم ، سمع مجاهداً قال : سمعت عبد الله — لا يدرى ابن عمر أو ابن عباس — قال : إن أوّلَ ما خلق الله القلم فقال له : اجرِ ، فجرى القلم بما هو كائن ؛ وإنما يعمل الناس اليوم فيما قد فُرِغ منه . ٣٣/١

وكذلك قولَ ابن إسحاق الذى ذكرناه عنه معناه أنّ الله خلق النورَ والظلمة بعد خلقه عرشه ، والماء الذى عليه عرشه . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رويناه عنه أوْلى قول فى ذلك بالصواب ، لأنه كان أعلَمَ قائل فى ذلك قولا بحقيقته وصحته ، وقد روينا عنه عليه السلام أنه قال : « أولُ شىء خلقه الله عزّ وجلّ القلم » من غير استثناء منه شيئاً من الأشياء أنه تقدّم خلق الله إياه خلق القلم ، بل عمّ بقوله صلى الله عليه وسلم : « إن أول شىء خلقه الله القلم » ، كلّ

---

(١) سورة هود ٧ .

شيء[١] ، وأن[٢] القلم مخلوق قبله من غير استثنائه من ذلك عرشاً ولا ماء ولا شيئاً غيرَ ذلك .

فالرواية التي رويناها عن أبي ظَبْيان وأبي الضّحا ، عن ابن عباس ، أوْلى بالصحة عن ابن عباس من خبر مجاهد عنه الذي رواه عنه أبو هاشم ؛ إذ كان أبو هاشم قد اختلف في رواية ذلك عنه شعبة وسفيان ، على ما قد ذكرت من اختلافهما فيها .

وأما ابن إسحاق فإنه لم يسند قولهُ الذي قاله في ذلك إلى أحد ، وذلك من الأمور التي لا يدرَكُ علمها إلا بخبر من الله عز وجل ، أو خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرت الرواية فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ط : « قبل كل شيء » ، وما أثبته عن ا .
(٢) ط : « أن » ، بغير واو .

القول فى الذى ثنى خلق القلم

ثم إنّ الله جل جلالُه خلق بعد القلم - وبعد أن أمره فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة - سحاباً رقيقاً، وهو الغمام الذى ذكره جل وعز ذكره فى محكَم كتابه فقال : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [1]، وذلك قبل أن يخلق عرْشه ، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ٣٤/١

حدثنا ابن وكيع ومحمد بن هارون القطان ، قالا : حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن يعلَى بن عطاء، عن وكيع بن حُدُس، عن عمه أبى رَزين، قال : قلت : يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : « كان فى عَماء [2] ، ما تحته هواء ، وما فوقه [3] هواء ، ثم خلق عرشه على الما [4]

حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا حماد ، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حُدُس، عن عمه أبى رَزِين العُقَيلىّ ، قال :

---

(١) سورة البقرة: ٢١٠ .

(٢) ك ، وابن الأثير ١ : ١٢ : « فى غمام » . والعماء ، بالفتح والمد : السحاب . قال أبو عبيد : لا يدرى كيف كان ذلك العماء . وفى رواية : « كان فى عما » بالقصر ، ومعناه : ليس معه شىء ؛ وقيل : هو كل أمر لا تدركه عقول بنى آدم ، ولا يبلغ كنهه الوصف والفطن ؛ولا بد من تقدير مضاف محذوف فى قوله : « أين كان ربنا » كما حذف فى قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله) ، فيكون التقدير : أين كان عرش ربنا ؟ ويدل عليه قوله تعالى : (وكان عرشه على الماء) . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ١٣٠ .

(٣) ا ، ر : « ولا فوقه » . وفى ك : « تحته هواء ، وماء فوقه هواء » .

(٤) عقب عليه ابن الأثير بقوله : « فيه نظر ؛ لأنه قد تقدم أن أول ما خلق الله تعالى القلم وقال له : اكتب ، فجرى فى تلك الساعة ، ثم ذكر فى أول هذا الفصل أن الله خلق بعد القلم وبعد أن جرى بما هو كائن سحاباً رقيقاً . ومن المعلوم أن الكتابة لا بد فيها من آلة يكتب بها - وهو القلم - ومن شىء يكتب فيه - وهو الذى يعبر عنه ها هنا باللوح المحفوظ - وكان ينبغى أن يذكر اللوح المحفوظ ثانياً للقلم، والله أعلم . ويحتمل أن يكون ترك ذكره لأنه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة » .

قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا عزّ وجلّ قبل أن يخلُق [١] السموات والأرض ؟ قال : « فى [٢] عَماء ، فوقه هواء ، وتحته هواء [٢] ، ثم خلق عرشه على الماء » .

حدثنا خلاد بن أسلم ، حدثنا النضر بن شُميل ، قال : حدثنا المسعوديّ ، أخبرنا جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن حصين — وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : أتى قوم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا عليه ، فجعل يبشّرهم ويقولون : أعطِنا ، حتى ساء ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرجوا من عنده . وجاء قوم آخرون ، فدخلوا عليه فقالوا : جئنا نسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونتفقّه فى الدين ، ونسأله عن بدء هذا الأمر ، قال : فاقبَلوا البشرى إذْ لم يقبلها أولئك الذين خرجوا ، قالوا : قَبِلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان الله لا شىء غيره [٣] ، وكان عرشه على الماء ، وكُتِب فى الذكر قبل كلّ شىء ، ثم خلق سبعَ سموات » . ثم أتانى آت فقال : تلك ناقتُك قد ذهبتْ ، فخرجتُ ينقطع دونها السراب ، ولَوَددتُ أنى تركتها [٤] .

١/٣٥

حدثنى أبو كُريب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن جامع ابن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن عمران بن الحصين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقبلوا البشرى يا بنى تميم » ، فقالوا : قد بشّرتنا فأعطنا ، فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن » ، فقالوا : قد قبِلنا ، فأخبرْنا عن هذا الأمر كيف كان ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان الله عز وجل على العرش ، وكان قبل كلّ شىء ، وكتب فى اللوح كل شىء يكون » . قال : فأتانى آت فقال : يا عمران ، هذه ناقتك قد حلّت عقالها ، فقمت ، فإذا السراب ينقطع بينى وبينها ، فلا أدرى ما كان بعد ذلك

* * *

(١) ا : « خلق » .
(٢-٢) ك : « فى غمام فوقه هواء وماء » .
(٣) التفسير : « ولا شىء غيره »
(٤) الخبر فى التفسير ١٢ : ٤ (بولاق)

ثم اختُلف فى الذى خلَق تعالى ذكره بعد العماء، فقال بعضهم : خلق بعد ذلك عرشه .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن سنان ، حدثنا أبو سلمة ، قال : حدثنا حيان[1] ابن عُبيد الله ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال ، قال ابن عباس : إن الله عزّ وجل خلق العرش أوّلَ ما خلق ، فاستوى عليه .

* * *

وقال آخرون : خلق الله عزّ وجلّ الماء قبل العرش ، ثم خلق عرشه فوضعه على الماء .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمْدانىّ ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن السُّدّىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرّة الهمْدانىّ عن عبد الله بن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — قالوا : إن الله عزّ وجلّ كان عرشهُ على الماء ، ولم يخلق شيئاً غيرَ ما خلق قبل الماء . ١/٣٦

حدّثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقِل ، قال : سمعت وهب بن منبّه يقول : إن العرش كان قبل أن يخلق السموات والأرض على الماء ، فلما أراد أن يخلق السموات والأرض قبض من صَفاة الماء قبضة ، ثم فتح القبضة فارتفعت دخاناً ، ثم قضاهنّ سبع سموات فى يومين ، ودَحا الأرض فى يومين ، وفرغ من الخلق اليوم السابع .

وقد قيل : إن الذى خلق ربُّنا عزّ وجلّ بعد القلم الكرسىُّ ، ثم خلق بعد الكرسىّ العرش ، ثم بعد ذلك خلق الهواء والظلمات ، ثم خلق الماء ، فوضع عرشه عليه .

* * *

(١) فى ط : « حدثنا حيان عن عبيد الله » ، وما أثبته عن ا ، وانظر لسان الميزان ٢ : ٣٧٠ .

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قولُ من قال : إن الله تبارك وتعالى خلق الماء قبل العرش ؛ لصحة الخبر الذى ذكرتُ قبلُ عن أبى رَزين العُقَيلىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حين سئل : أين كان ربنا عزّ وجلّ قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : «كان فى عماء، ما تحته هواءٌ، وما فوقه هواء ، ثم خلق عرشه على الماء »، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله خلق عرشه على الماء . ومحال إذ كان خَلَقه على الماء أن يكون خلقه عليه ؛ والذى خلقه عليه غيرُ موجود ، إما قبله أو معه ؛ فإذا كان ذلك كذلك ، فالعرش لا يخلو من أحد أمرين ؛ إما أن يكون خُلِق بعد خلق الله الماء، وإما أن يكون خُلِق هو والماء معا . فأما[1] أن يكونَ خلقه قبل خلق الماء ؛ فذلك غيرُ جائز صحته على ما رُوى عن أبى رَزين ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم . ٣٧/١

* * *

وقد قيل : إن الماء كان على متن الريح حين خلق عرشه عليه ، فإن[2] كان ذلك كذلك ، فقد كان الماء والريح خُلِقا قبل العرش .

* ذكر من قال : كان الماء على متن الريح :

حدثنى ابن وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل ابن عباس عن قوله عزّ وجل : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾[3] : على أىّ شىء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدّثنا محمد بن ثوْر ، عن معمّر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل ابنُ عباس عن قوله عز وجل : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ : على أىّ شىء كان الماء ؟ قال : على متن الريح[4].

---

(١) ط : «وأما» ، وما أثبته عن ا .
(٢) ا : «فإذ» .
(٣) سورة هود ٧ .
(٤) الخبر فى التفسير ١٢ : ٤ (بولاق) .

حدثنا القاسم بن الحسن ، حدثنا الحسين بن داود ، حدثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

* * *

قال : والسموات والأرض وكلّ ما فيهن من شيء يحيط بها البحار ، ويحيط بذلك كله الهيكل ، ويحيط بالهيكل – فيما قيل – الكرسيّ .

* ذكر من قال ذلك :

١/٣٨ حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد أنه سمع وهباً يقول – وذكَر من عظمته – فقال : إن السموات والأرض والبحار لفي الهيكل ، وإن الهيكل لفي الكرسيّ ، وإن قدميه عزّ وجلّ لَعَلى الكرسيّ ، وهو يحمل الكرسي ، و[قد] [1] عاد الكرسيّ كالنعل في قدميه .

وسئل وهب : ما الهيكل ؟ قال : شيء من أطراف السموات محدِق بالأرضين والبحار كأطناب الفسطاط .

وسئل وهب عن الأرضين : كيف هي ؟ قال : هي سبع أرضين ممهّدة جزائر ، بين كل أرضَين بحرٌ ، والبحر محيط بذلك كله ، والهيكل من وراء البحر .

* * *

وقد قيل : إنه كان بين خلقه القلم وخلقه سائر خلقه ألف عام .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنا مبشر الحلبيّ ، عن أرْطاة بن المنذر ، قال : سمعتُ ضَمرة يقول : إن اللهَ خلق القلم ، فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ، ثم إنّ ذلك الكتاب سبّح الله ومجّده ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من الخلق ، فلما أراد جلّ جلالُه خَلْق السموات والأرض خلق – فيما ذُكر – أياماً ستة ، فسمى كلّ يوم منهنّ باسمٍ غير الذى سمّي به الآخر .

* * *

(١) تكملة من ا .

وقيل : إن اسم أحد تلك الأيام الستة أبجد، واسم الآخر منهن هوّز، واسم الثالث منهن حطّى ، واسم الرابع [منهن][١] كلمن ، واسم الخامس [منهن] [١] سعفص ، واسم السادس منهن قرشت .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى الحضرمىّ، قال: حدثنا مصرّف بن عمرو اليامىّ[٢]، حدثنا حفص ابن غياث ، عن العلاء بن المسيّب ، عن رجل من كندة ، قال: سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول: خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام، ليس منها[٣] يوم إلاّ له اسم : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت . ١/٣٩

وقد حدّث به عن حفص غير مصرّف وقال[٤]: عنه، عن العلاء بن المسيّب ، قال: حدّثنى شيخ من كندة قال: لقيت الضّحاك بن مزاحم، فحدّثنى قال : سمعت زيد بن أرقم قال : إنّ الله تعالى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ؛ لكل يوم منها اسم : أبجد ، هوّز، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت.

* * *

وقال آخرون : بل خلق الله واحداً فسماه الأحد ، وخلق ثانياً فسماه الاثنين ، وخلق ثالثاً فسماه الثلاثاء ، ورابعاً فسماه الأربعاء ، وخامساً فسماه الخميس .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاّب ، عن عطاء بن أبى رَباح ، عن ابن عباس، قال: إن الله خلقَ يوماً واحداً فسماه الأحد ، ثم خلقَ ثانياً فسماه الاثنين ، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء ، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء ، ثم خلق خامساً فسماه الخميس .

* * *

(١) تكملة من ا
(٢) ط : « الإيامى » ، صوابه من ا .
(٣) ا : « فيها » .
(٤) ا : « فقال » .

وهذان القولان غير مختلفين ، إذْ كان جائزاً [١] أن تكون أسماء ذلك بلسان العرب على ما قاله عطاء ، وبلسان آخرين ، على ما قاله الضحاك بن مزاحم .

* * *

وقد قيل إن الأيام سبعة لا ستة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثني عبد الصمد بن معقِل ، قال : سمعت وهب بن مُنبّه : يقول : الأيام سبعة . ١/٤٠

* * *

وكلا القولين ـ اللذَيْن روينا أحدَهما عن الضحاك وعطاء ، من أن الله خلق الأيام الستة ، والآخر منهما عن وهب بن منبّه من أن الأيام سبعة ـ صحيح مؤتلف غير مختلف ، وذلك أن معنى قول عطاء والضحاك فى ذلك كان أنّ الأيام التى خلق الله فيهنّ الخلق من حين ابتدائه [٢] فى خلق السماء والأرض وما فيهنّ إلى أن فرغ من جميعه ستة أيام ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [٣] ، وأن معنى قول وهب بن منبّه فى ذلك كان أنّ عدد الأيام التى هى أيام الجمعة سبعة أيام لا ستة .

* * *

واختلف السلف فى اليوم الذى ابتدأ الله عزّ وجل فيه فى خلق السموات والأرض ، فقال بعضهم : ابتدأ فى ذلك يوم الأحد .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا إسحاق بن شاهين ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن الشيبانىّ ، عن عون بن عبد الله بن عُتْبة ، عن أخيه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : قال عبد الله بن سلاَم : إن الله تبارك وتعالى ابتدأ الخلق ، فخلق الأرضَ يوم الأحد ويوم الاثنين .

---

(١) ط : « إذ كان ذلك جائزاً » .

(٢) ا : « ابتدأ » .

(٣) سورة هود ٧ .

حدثني المثنّى بن إبراهيم ، حدثني عبد الله بن صالح ، حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبدالله بن سلاّم أنه قال : إن الله عزّ وجلّ بدأ الخلق يوم الأحد ، فخلق الأرَضين في الأحد والاثنين .

١/٤١ حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن كعب ، قال : بدأ الله خلق [١] السموات والأرض يوم الأحد والاثنين .

حدثني محمد بن أبي منصور الآمُليّ ، حدثنا على بن الهيثم ، عن المسيّب بن شريك ، عن أبي روْق ، عن الضحاك في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ قال : من أيام الآخرة ، كلّ يوم مقداره ألف سنة ، ابتدأ الخلق يوم الأحد .

حدثني المثنّى ، حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو عَوانة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، قال : بدأ الخلق يوم الأحد .

* * *

وقال آخرون : اليوم الذى ابتدأ الله فيه فى ذلك يوم السبت .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثني محمد ابن أبي أبي إسحاق ، قال : يقول أهلُ التوراة : ابتدأ الله الخلق يوم الأحد : وقال أهلُ الإنجيل : ابتدأ الله الخلقَ يوم الإثنين . ونقول نحن المسلمون [٢] فيما انتهى إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابتدأ الله الخلق يوم السبت .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال كلّ فريق من هذين الفريقين اللذين قال أحدهما : ابتدأ الله الخلق فى يوم الأحد ، وقال الآخر منهما : ابتدأ فى يوم السبت ، وقد مضَى ذكرُنا الخبرين ، غيرَ أنا نعيد من ذلك فى هذا

---

(١) ط : « بخلق » ، وما أثبته عن ا .

(٢) كذا فى الأصول ، والوجه النصب على الاختصاص .

الموضع بعضَ ما فيه من الدلالة على صحة قول كل فريق منهما .

* * *

فأما الخبر عنه بتحقيق ما قال القائلون : كان ابتداء الخلق يوم الأحد ، فما حدثنا به هنّاد بن السّريّ ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد البقال ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس - قال هناد : وقرأتُ سائرَ الحديث - أن اليهودَ أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال : « خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين » .

١/٤٢

وأما الخبرُ عنه بتحقيق ما قاله القائلون من أن ابتداء الخلق كان يوم السبت ، فما حدثني القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن علي الصّدَائيّ ، قالا : حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه بيدي ، فقال : « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال يوم الأحد » .

* * *

وأوْلى القولين في ذلك عندي بالصواب قولُ من قال : اليوم الذي ابتدأ الله تعالى ذكره فيه خلقَ السموات والأرض يومُ الأحد ؛ لإجماع السلف من أهل العلم على ذلك .

فأما ما قال ابن إسحاق في ذلك ، فإنه إنما استدل - بزعمه - على أن ذلك كذلك ؛ لأنّ الله عزّ ذكره فرَغ من خلق جميع خلقه يوم الجمعة ، وذلك اليوم السابع ، وفيه استوى على العرش ، وجعل ذلك اليوم عيداً للمسلمين ؛ ودليلُه على ما زعم أنه استدل به على صحة قوله فيما حكينا عنه من ذلك هو الدليل على خطئه فيه ، وذلك أن الله تعالى أخبر عباده في غير موضع من [محكَم][1] تنزيله ، أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، فقال : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

---

(١) تكملة من ا .

١/٣٤ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[1]. وقال تعالى ذكره: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٭ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ٭ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ٭ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[2].

* * *

ولا خلاف بين[3] جميع أهل العلم أن اليومين اللذين ذكرهما الله تبارك وتعالى فى قوله: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ داخلان فى الأيام الستة اللاتى ذكرهنّ قبل ذلك، فمعلوم إذْ كان الله عزّ وجلّ إنما خلق السموات والأرضينَ وما فيهنّ فى ستة أيام، وكانت الأخبار مع ذلك متظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن آخر ما خلق الله من خلقه آدم، وأن خلقه إياه كان فى يوم الجمعة — أن يوم الجمعة الذى فرغ فيه من خلق خلقه داخل فى الأيام الستة التى أخبر الله تعالى ذكره أنه خلق خلقه فيهنّ؛ لأن ذلك لو لم يكن داخلا فى الأيام الستة، كان إنما خلق خلقه فى سبعة أيام، لا فى ستة، وذلك خلاف ما جاء به التنزيل؛ فتبين[4] إذاً — إذْ كان الأمرُ كالذى وصفنا فى ذلك — أن أوّل الأيام التى ابتدأ الله فيها خلق السموات والأرض وما فيهنّ من خلقه يوم الأحد؛ إذ كان الآخر يوم الجمعة، وذلك ستة أيام، كما قال ربنا جل جلاله. ١/٤٤

فأما الأخبارُ الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه بأنّ الفراغ من الخلق كان يوم الجمعة، فسنذكرها فى مواضعها إن شاء الله تعالى.

(١) سورة السجدة ٤
(٢) سورة فصلت ٩ — ١٢.
(٣) ط: «عند».
(٤) ا، س، ن: «فبين».

القول فيما خلق الله فى كل يوم من الأيام الستة التى ذكر الله فى كتابه أنه خلق فيهن السموات والأرض وما بينهما

اختلف السلفُ من أهل العلم فى ذلك :

فقال بعضهم ما حدثنى به المثنّى بن إبراهيم ، قال : حدّثنا عبد الله بن صالح ، حدّثنى أبو معشر ، عن سعيد بن أبى سعيد ، عن عبد الله بن سلاَم ، أنه قال : إن الله بدأ الخلق[1] يوم الأحد ، فخلق الأرَضين فى الأحد والاثنين ، وخلق الأقواتَ والرواسىَ فى الثلاثاء والأربعاء ، وخلقَ السموات فى الخميس والجمعة ، وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة ، فخلق فيها آدم على عَجَل ، فتلك الساعة التى تقوم فيها الساعة .

حدثنى موسى بن هارون ، حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط ، عن السدّى ، فى خبرٍ ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : جعل — يعنون ربنا تبارك وتعالى — سبع أرضين فى يومين : الأحد والاثنين ، وجعل فيها رواسى أنْ تميدَ بكم ؛ وخلق الجبال فيها وأقواتَ أهلها ، وشجرَها وما ينبغى لها فى يومين : فى الثلاثاء والأربعاء ، ثم استوى إلى السماء وهى دخان فجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين : الخميس والجمعة .

١/٤٥ حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب [ابن غلاب][2] ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس ، قال : خلق الله الأرض فى يومين . الأحد والاثنين .

ففى قول هؤلاء خُلِقت الأرض قبل السماء ؛ لأنها خلقت عندهم فى الأحد[3] والاثنين .

---

(١) ط : « بالخلق » ، وما أثبته عن ا .

(٢) تكملة من ا .

(٣) ا : « يوم الأحد » .

* * *

وقال آخرون : خلق الله عزّ وجلّ الأرض قبل السماء بأقواتها من غير أن يَدْحوَها ، ثم استوى إلى السماء فسواهنّ سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى علىّ بن داود، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس: قوله عزّ وجلّ حيث ذكر خلْق الأرض قبل السماء ، ثم ذكر السماء قبل الأرض ، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوَها قبل السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهنّ سبع سموات ، ثم دحا الأرضَ بعد ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۞ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾[1] ، يعني أنه خلق السموات والأرض، فلمّا فرغ من السماء قبل أن يخلق أقوات الأرض بثّ أقوات الأرض فيها بعد خلق السماء، وأرسى الجبالَ - يعنى بذلك دحوَها -[2] ولم تكن تصلح أقواتُ الأرض ونباتُها إلا بالليل والنهار، فذلك قوله عزَّ وجلّ : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ ؛ ألم تسمع أنه قال : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾؟

٦/١: قال أبو جعفر : والصوابُ من القول فى ذلك عندنا ما قاله الذين قالوا : إنّ الله خلق الأرض يومَ الأحد ، وخلق السماء يومَ الخميس ، وخلق النجومَ والشمس والقمر يومَ الجمعة لصحّةِ الخبر الذى ذكرنا قبلُ عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . وغيرُ مستحيل ما روينا فى ذلك عن ابن عباس من القول، وهو أن يكون الله تعالى ذكره خلقَ الأرض ولم يدحُها ، ثم خلَق السموات فسواهنّ ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فأخرج منها ماءها

---

(١) سورة النازعات ٣٠ - ٣٢

(٢) ط : « دحاها » ، وما أثبته عن ا والتفسير ٣٠ : ٢٩ (بولاق) .

ومرعاها ، والجبالَ أرساها ، بل ذلك عندى هو الصواب من القول فى ذلك ؛ وذلك أنّ معنى الدَّحْوِ غيرُ معنى الخلق ، وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾[1].

فإن قال قائل : فإنّك قد علمتَ أن جماعةً من أهل التأويل قد وجهت قول الله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ إلى معنى «مع ذلك دحاها» ، فما برهانُك على صحةِ ما قلت ، من أنّ «ذلك» بمعنى «بَعْد» التى هى خلاف «قبل» ؟

قيل : المعروف من معنى «بعد» فى كلام العرب هو الذى قلنا من أنها بخلاف معنى «قبل» لا بمعنى « مع » ؛ وإنما تُوَجَّه معانى الكلام إلى الأغلب عليه من معانيه المعروفة فى أهله ، لا إلى غير ذلك .

* * *

وقد قيل : إن الله خلق البيتَ العتيق على الماء على أربعة أركان ، قبل أن يخلق الدنيا بألفَىْ عام ، ثم دُحِيت الأرض من تحته .

٤٧/١

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القُمِّىّ ، عن جعفر ، عن عِكرِمة ، عن ابن عباس قال : وُضِع البيت على الماء على أربعة أركان ، قبل أن يخلق الدنيا بألفَىْ عام[2] ، ثم دُحيت الأرضُ من تحت البيت .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا مِهران ، عن سُفيان ، عن الأعمش ، عن بُكير بن الأخنس ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمر[3] ، قال : خلق الله البيتَ قبل الأرض بألفى سنة ، ومنه دحِيت الأرض .

وإذا كان الأمرُ كذلك كان خلقُ الأرض قبل خلق السموات ، ودَحْوُ

---

(١) سورة النازعات ٢٧ — ٣٢ .

(٢) س : « بألف عام » .

(٣) ا : «عمرو» .

الأرض وهو بسطُها بأقواتها ومراعيها ونباتها ، بعد خلْق السموات ، كما ذكرنا عن ابن عباس .

وقد حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثني مِهران ، عن أبي سِنان ، عن أبي بكر ، قال :[1] جاء اليهود إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد، أخبرْنا : ما خلَق الله من الخلْق في هذه الأيام الستة ؟ فقال : خلَق الأرض يومَ الأحد والاثنين ، وخلَق الجبال يومَ الثلاثاء ، وخلق المدائن والأقوات والأنهار وعمرانَها وخرابها يومَ الأربعاء ، وخلق السموات والملائكة يوم الخميس ، إلى ثلاث ساعاتٍ بقَين من يوم الجمعة[2] ، وخلق في أول الثلاث ساعات الآجال ، وفي الثانية الآفة ، وفي الثالثة آدم . قالوا : صدقت إن أتممت ، فعرَف النبيّ صلى الله عليه وسلم ما يريدون ، فغضب ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ . فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾[3] . ١/٤٨

فإن قال قائل : فإن[4] كان الأمر كما وصفتَ من أن الله تعالى خلق الأرض قبل السماء ، فما معنى قول ابن عباس الذى حدّثكُموه واصل ابن عبد الأعلى الأسديّ، قال : حدثنا محمد بن فُضَيل ، عن الأعمش ، عن أبي ظَبْيان ، عن ابن عباس قال: أولُ[5] ما خلق الله تعالى من شيء القلم ، فقال له : اكتب ، فقال : وما أكتب يارب ؟ قال : اكتب القَدَر ، قال : فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة ، ثم رفع بخارَ الماء ففتَق منه السموات ، ثم خلق النون[6] ، فدُحِيت الأرض على ظهره ، فاضطرب النون ، فمادت الأرض فأثبِتت بالجبال ، فإنها لَتفخر[7] على الأرض .

---

(١) الخبر في التفسير ٢٦ : ١١١ (بولاق) .

(٢) كذا في ط ، وفي ا ، ن ، والتفسير : « يعني من يوم الجمعة » . وفي س : « يعني يوم الجمعة » .

(٣) سورة ق ٣٨ ، ٣٩ .

(٤) ا : « فإذ » .

(٥) الخبر في التفسير ٢٩ : ١٠ (بولاق) .

(٦) النون هنا : الحوت .

(٧) س : « لتفتخر » .

حدثني واصل ، قال : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي ظَبْيَان ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظَبْيَان ،عن ابن عباس، قال : أولُ[1] ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن ، ثم رفع بخارَ الماء ، فخلِقت منه السموات ، ثم خلق النون، فبُسِطت الأرض على ظهر النون، فتحرّك النون ، فمادَت الأرض فأثبتت بالجبال ، فإن الجبال لَتفخر على الأرض . قال : وقرأ : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[2] .

١/٤٩

حدثني تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي ظَبيان ــ أو مجاهد[3] ــ عن ابن عباس بنحوه، إلا أنه قال : ففتقت منه السموات .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا يحيى ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثني سليمان ، عن أبي ظَبْيان ، عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله تعالى القلم فقال: اكتب ، فقال[4] : ما أكتب ؟ قال: اكتب القدَر ، قال : فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة . ثم خلق النُّون ، ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء، وبسطِت الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون ، فمادت الأرض فأثبِتتْ بالجبال ، قال : فإنها لَتفخر على الأرض[5] .

حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضّحى مسلم بن صُبَيْح ، عن ابن عباس قال : أولُ شيء خلق

---

(١) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩ (بولاق) .
(٢) سورة القلم ١ .
(٣) كذا في ا ، والتفسير ٢٩ : ٩ (بولاق) ، وفي ط : « أبي ظبيان عن مجاهد » والأعمش يروى عن أبي ظبيان وعن مجاهد ؛ وهما أيضاً يرويان عن ابن عباس . وانظر تهذيب التهذيب ٤ : ٢٢٢ .
(٤) ا والتفسير : « قال » .
(٥) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩ (بولاق) .

الله تعالى القلم ، فقال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ، ثم كبَس الأرض عليه .

قيل : ذلك صحيح على ما رُوى عنه وعن غيره من معنى ذلك مشروحاً مفسَّراً غيرَ مخالف شيئاً مما رويناه عنه فى ذلك .

* * *

فإن قال : وما الذى رُوى عنه وعن غيره من شرح ذلك الدالّ على صحةِ كلٍّ ما رويتَ لنا فى هذا المعنى عنه ؟

قيل له : حدثنى موسى بن هارون الهمْدانىّ وغيره ، قالوا : حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدّى ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرَّة الهمْدانىّ عن عبد الله بن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ ﴾[1] قال : إن الله تعالى كان عرشُه على الماء ولم يخلق شيئاً غيرَ ما خلق قبل الماء ، فلما أراد أن يخلُق الخلْق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء ، فسما عليه ، فسمّاه سماءً ، ثم أيبس[2] الماء ، فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرَضين فى يومين ، فى الأحد والاثنين ، فخلق الأرض على حوت — والحوت هو النون الذى ذكر الله عز وجلّ فى القرآن : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ ﴾ — والحوت فى الماء ، والماء على ظهر صَفاة ، والصَّفاة على ظهر ملَك ، والملك على صخرة ، والصخرة على الريح[3] — وهى الصخرة التى ذكر لقمان — ليست فى السماء ولا فى الأرض ، فتحرّك الحوت فاضطرب ، فتزلزلت الأرضُ ، فأرسى عليها الجبال فقرّت ، فالجبال

١/٥٠

---

(١) سورة البقرة ٢٩

(٢) كذا فى ا ، والتفسير ١ : ٤٣٥ (المعارف) وفى ط : «يبس» .

(٣) كذا فى ا ، وفى ط والتفسير : «فى الريح» .

تفخر على الأرض؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَى فِى الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾[1].

قال أبو جعفر : فقد أنبأ قولُ هؤلاء الذين ذكرتُ : إنّ الله تعالى أخرج من الماء دخاناً حين أراد أن يخلُق السموات والأرض ، فسما عليه — يَعنون بقولهم : « فسما عليه » علا على الماء، وكلّ شىء كان فوق شىء عالياً عليه فهو له سَماءٌ — ثم أيبسَ بعد ذلك الماء ، فجعله أرضاً واحدة = أن الله خلق السماء غير مسوّاة قبل الأرض ، ثم خلَق الأرض .

وإن كانْ الأمر كما قال هؤلاء ، فغيرُ محال أن يكون الله تعالى أثارَ من الماء دخاناً فعلاّه على الماء ، فكان له سماء ، ثم أيبس الماء فصار الدخان الذى سما عليه أرضاً ، ولم يدحُها ، ولم يقدِّر فيها أقواتها ، ولم يُخرِج منها ماءها ومرعاها ، حتى استوى إلى السماء؛ التى هى الدخان الثائر من الماء العالى عليه ، فسوّاهنّ سبع سموات ، ثم دحا الأرض التى كانت ماءً فيبَّسه ففتقه ، فَجعلها سبع أرضين ، وقدّر فيها أقواتها ، وَ ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ ، كما قال عزّ وجلّ . فيكون كلّ الذى روى عن ابن عباس فى ذلك — على ما رويناه — صحيحاً معناه . ٥١/١

وأما يومُ الاثنين فقد ذكرنا اختلافَ العلماء فيما خلَق فيه ، وما رُوى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلُ .

وأما ما خلق فى يوم الثلاثاء والأربعاء ، فقد ذكرنا أيضاً بعضَ ما رُوى فيه ، ونذكر فى هذا الموضع بعضَ ما لم نذكر منه قبل .

فالذى صحّ عندنا أنه خلَق فيهما ما حدثنى به موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط ، عن السُّدىّ ، فى خبر ذكره

---

(١) سورة النحل ١٥ .

عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانيّ ، عن عبد الله بن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : وخلق الجبال فيها — يعني في الأرض — وأقواتَ أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين : في الثلاثاء والأربعاء ؛ وذلك حين يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ﴾ [1] ؛ يقول : مَنْ سأل . فهكذا الأمر ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، وكان ذلك الدخان من تنفّس الماء حين تنفس ، فجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة [2] .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلاَم ، قال : إن الله تعالى خلق الأقواتَ والرواسيَ في الثلاثاء والأربعاء .

١/٥٢ حدثني تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاّب ، عن عطاء بن أبي رَباح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تعالى خلقَ الجبال يوم الثلاثاء . فذلك قول الناس : هو يوم ثَقيل .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما رويناه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : «إن الله تعالى خلق يوم الثلاثاء الجبال وما فيهنّ من المنافع ، وخلَق يوم الأربعاء الشجرَ ، والماء ، والمدائن ، والعمران ، والخراب . حدثنا بذلك هنّاد ، قال : حدثنا أبو بكر بن عيّاش ، عن أبي سعد البقّال ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم [3] .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله خلق الجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ،

---

(١) سورة فصلت ٩ ، ١٠ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٤ : ٦٣ (بولاق) .

(٣) ط : بعدها كلمة «مثله» ، صواب حذفها من ا .

حدثنى به القاسم بن بشر بن معروف ، والحسين بن على الصُّدائىّ ، قالا : حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرنى إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أمّ سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم .

والخبرُ الأولُ أصحُّ مخرجاً ، وأوْلَى بالحق ، لأنه قول أكثر السلف.

وأما يوم الخميس فإنه خلق فيه السموات ، ففتقتْ بعد أن كانت رَتْقاً ، كما حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدىّ ، فى خبر ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح عن ابن عباس — وعن مرّة الهمْدانىّ عن عبد الله بن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ ثمَّ اسْتَوَى إلى السَّماءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾[1]، وكان ذلك الدخان من تنفُّس الماء حين تنفس وجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين ، فى الخميس والجمعة .

٥٣/١

وإنما سُمّى يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾[1] قال : خلق فى كل سماء خلْقها من الملائكة ، والخلْق الذى فيها من البحار وجبال البرَد وما لم يُعْلَم ، ثم زيَّن السماء الدنيا بالكواكب ، فجعلها زينة وحفظاً ، تحفظ من الشياطين ، فلما فرغ من خلْق ما أحبّ استوى على العرش . فذلك حين يقول : ﴿خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[2]، ويقول : ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[3].

حدثنى المثنى ، حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنى أبو معشر ، عن سعيد بن أبى سعيد ، عن عبد الله بن سلاَم ، قال : إن الله تعالى خلق السموات فى الخميس والجمعة ، وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة ،

(١) سورة فصلت ١١ ، ١٢
(٢) سورة هود ٧
(٣) سورة الأنبياء ٣٠

فخلق فيها آدم على عَجل ، فتلك الساعةُ التى تقوم فيها الساعة .

حدثنى تميم [بن المنتصر](١) ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاَّب ، عن عطاء بن أبى رَبَاح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تعالى خلق مواضع الأنهار والشَّجر يوم الأربعاء ، وخلق الطير والوحوش(٢) والهوامّ والسباع يوم الخميس ، وخلق الإنسان يوم الجمعة ، ففرغ من خلْق كل شىء يوم الجمعة .

وهذا الذى قاله مَنْ ذكرنا قوله ؛ من أن الله عزّ وجلّ خلق السموات والملائكة وآدم فى يوم الخميس والجمعة ، هو(٣) الصحيح عندنا ، للخبر الذى حدثنا به هنّاد [بن السرىّ](١) قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى سعد البقال ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم -قال : هناد ، وقرأتُ سائر الحديث- قال : وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجومَ والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، فخلق فى أوّل ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجالَ ؛ مَنْ يحيا ومن يموت ، وفى الثانية ألقى الآفة على كلّ شىء مما ينتفع به الناس ، وفى الثالثة آدم وأسكنه الجنة ، وأمر إبليس بالسجود ، وأخرجه منها فى آخر ساعة . ١/٥٤

حدثنى القاسم بن بشر [بن معروف](١) ، والحسين بن علىّ الصُّدائىّ ، قالا : حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرنى إسماعيل بن أمية ، عن أيوب ابن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال : « وبثّ فيها -يعنى فى الأرض- الدوابّ يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر خلْق فى آخر ساعة ، من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » .

فإذا كان الله تعالى ذكره خلَق الخلْق من لدن ابتداء خلق السموات والأرض إلى حين فراغه من خلْق جميعهم فى ستة أيام ، وكان كلُّ يوم من

---

(١) ط : « الوحش » وما أثبته من ا .
(٢) تكلة من ا .
(٣) ط : « وهو » ، وما أثبته من ا

الأيام الستة التى خلقهم فيها مقدارُه ألف سنة من أيام الدنيا ، وكان بين ابتدائه فى خلق ذلك وخلق القلم الذى أمره بكتابة [كلّ] (١) ما هو كائن إلى قيام الساعة ألف عام ،وذلك يوم من أيام الآخرة التى قَدْرُ اليوم الواحد منها ألف عام من أيام الدنيا– كان معلوماً أن قَدْرَ مدة ما بين أول ابتداء ربنا عز وجلّ فى خلق ما خلق من خلقه إلى الفراغ من آخرهم سبعة آلاف عام (٢). يزيد إن شاء الله شيئاً أو ينقص شيئاً ، على ما قد روينا من الآثار والأخبار التى ذكرناها ، وتركنا ذكرَ كثير منها كراهة إطالة الكتاب بذكرها .

١/٥٥

وإذا كان ذلك كذلك ، وكان صحيحاً أن مدّة ما بين فراغ ربّنا تعالى ذكره – من خلق جميع خلقه إلى وقت فناء جميعهم بما قد دللنا قبلُ ،واستشهدنا من الشواهد ، وبما سنشرح فيما بعد – سبعة آلاف سنة ،تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً (٣) – كان معلوماً بذلك أن مدةَ ما بين أول خلقٍ خلقه الله تعالى إلى قيام الساعة وفناء جميع العالم ، أربعة عشر ألف عام من أعوام الدنيا ؛ وذلك أربعة عشر يوماً من أيام الآخرة ،سبعةُ أيام من ذلك – وهى سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا – مدة ما بين أول ابتداء الله جلّ وتقدس فى خلق أول خلقه إلى فراغه من خلق آخرهم – وهو آدم أبو البشر صلوات الله عليه، وسبعة أيام أخر ، وهى سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا ، من ذلك مدّة ما بين فراغه جلّ ثناؤه من خلق آخر خلقه – وهو آدم – إلى فناء آخرهم وقيام الساعة، وَعوْد الأمر إلى ما كان عليه قبل أن يكون شىء غير القديم البارئ الذى له الخلق والأمر الذى كان قبل كلّ شىء ، فلا شىء كان قبله ، والكائن بعد كلّ شىء فلا شىء يبقى غير وجهه الكريم .

* * *

فإن قال قائل : وما دليلُك على أن الأيامَ الستة التى خلق الله فيهنّ خلْقه كان قدْر كلّ يوم منهنّ قدر ألف عام من أعوام الدنيا دون أن يكون ذلك

---

(١) تكملة من ا .
(٢) ا : « سنة » .
(٣) ا : « يسيرا » .

كأيام أهل الدنيا التى يتعارفونها بينهم ، وإنما قال الله عزّ وجلّ فى كتابه : ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وما بينهمَا فى ستة أيام﴾[١] ، فلمْ يعلمنا أن ذلك كما ذكرت ، بل أخبرنا أنه خلق ذلك فى ستة أيام ، والأيام المعروفة عند المخاطَبين بهذه المخاطبة هى أيامهم التى أوّلُ[٢] اليوم منها طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ومن قولك : إن خطاب الله عباده بما خاطبهم به فى تنزيله إنما هو موجّه إلى الأشهر والأغلب عليه من معانيه ، وقد وجهتَ خبرَ الله فى كتـــابه عن خلقه السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام إلى غير المعروف من معانى الأيام ، وأمرُ الله عزّ وجلّ إذا أراد شيئاً أن يكوّنه أنفذُ وأمضى من أن يوصف بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام؛ مقدارهنّ ستة آلاف عام من أعوام الدنيا ، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ؛ وذلك كما قال ربنا تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾[٤] ؟

قيل له : قد قلنا فيما تقدم من كتابنا هذا إنا إنما نعتمد فى معظم ما نرسمه فى كتابنا هذا على الآثار والأخبار عن نبينا صلى الله عليه وسلم وعن السلف الصالحين قبلنا دون الاستخراج بالعقول والفِكَر ، إذ أكثره خبرٌ عما مضى من الأمور ، وعما هو كائن من الأحداث ، وذلك غير مدرَك علمه بالاستنباط الاستخراج بالعقول .

فإن قال : فهل من حجة على صحة ذلك من جهة الخبر ؟

قيل : ذلك ما لا نعلم قائلا من أئمة الدين قال خلافه .

فإن قال : فهل من رواية عن أحد منهم بذلك ؟

قيل : عِلْم ذلك عند أهل العلم من السلف كان أشهر من أن يحتاج فيه إلى رواية منسوبة إلى شخص منهم بعينه ، وقد رُوى ذلك عن جماعة منهم مسميْن بأعيانهم .

١/٥٦ — ١/٥٧

---

(١) سورة الفرقان ٥٩

(٢) س : « أول يوم » .

(٣) سورة القمر ٥٠

فإن قال : فاذكرهم لنا .

قيل : حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا حكّام : عن عنبسة[1] ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام ، فكلّ يوم من هذه الأيام كألف سنة مما تعدون أنتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾[2] . قال : الستة الأيام التى خلق الله فيها السموات والأرض .

حدثنا عبدة ، حدثنى الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عُبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مما تَعُدُّونَ ﴾ : يعنى هذا اليوم من الأيام الستة التى خلق الله فيهنّ السموات والأرض وما بينهما .

حدثنى المثنى ، حدثنا علىّ ، عن المسيّب بن شريك ، عن أبى رَوْق ، عن الضّحاك : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوات والأَرْضَ فى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[3] . قال : من أيام الآخرة ، كلّ يوم كان مقداره ألف سنة ، ابتدأ فى الخلق يوم الأحد ، واجتمع الخلق يوم الجمعة .

حدثنا ابن حُميد قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبى صالح : عن كعب ، قال : بدأ الله خلق السموات والأرض يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وفرغ منها يوم الجمعة ، قال : فجعل مكانَ كلّ يوم ألف سنة .

---

(١) فى ط : « عيينة » تصحيف ؛ وهو عنبسة بن سعيد ؛ ذكره ابن حجر فى تهذيب التهذيب ٣ : ٤٢٢ فيمن روى عنهم حكام بن سلم ؛ وذكره الطبرى أيضاً فى ا : ٤٥٩ ، ٥٣٨ : « حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة . . » .

(٢) سورة السجدة ٥

(٣) سورة هود ٧

١/٥٨ حدثنى المثنى ، قال : حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بِشْر ، عن مجاهد ، قال : يوم من الستة الأيام ، كألف سنة مما تَعُدّون .

فهذا هذا . وبعد ؛ فلا وجهَ لقول قائل : وكيف يوصف الله تعالى ذكره بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام قدْر مدّتها من أيام الدنيا ستة آلاف سنة ؛ وإنما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، لأنه لا شىء يتوهّمه متوهم فى قول قائل ذلك إلا وهو موجود فى قول قائل : خلق ذلك كله فى ستة أيام مدّتها مدة ستة أيام من أيام الدنيا ، لأن أمرَه جلّ جلاله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون[1] .

---

(١) علق ابن الأثير (١ : ٤١) على القول فيما خلق الله فى كل يوم من الأيام الستة بقوله : «أما ما ورد فى هذه الأخبار من أن الله تعالى خلق الأرض فى يوم كذا والسماء فى يوم كذا إنما هو مجاز ؛ وإلا فلم يكن ذلك الوقت أيام وليالٍ ؛ لأن الأيام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها والليالى عبارة عما بين غروبها وطلوعها ؛ ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس ؛ وإنما المراد به أنه خلق كل شىء بمقدار يوم ؛ كقوله تعالى : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) : وليس فى الجنة بكرة وعشى» .

القول فى الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه
وفى بدء خلق الشمس والقمر وصفتهما إذ كانت الأزمنة بهما تعرف

قد قلنا فى خلق[1] الله عزّ ذكره ما خلق من الأشياء قبل خلقه الأوقات والأزمنة، وبيّنا أن الأوقات والأزمنة إنما هى ساعات الليل والنهار، وأن ذلك إنما هو قَطْع الشمس والقمر درَجات الفلك ؛ فلنقل الآن : بأىّ ذلك كان الابتداء؛ بالليل أم بالنهار[2]؟ إذ كان الاختلاف فى ذلك موجوداً بين ذوى النظر فيه؛ بأن بعضَهم يقول فيه: خلق الله الليل قبل النهار ، ويستشهد على حقيقة قوله ذلك بأن الشمس إذا غابت وذهب ضوءها الذى هو نهار هجم الليلُ بظلامه ، فكان معلوماً بذلك أن الضياء هو المتورّد على الليل ، وأن الليل إن لم يُبطله النهار المتورد عليه هو الثابت ، فكان بذلك من أمرهما دلالة على أن الليل هو الأول خلْقاً ، وأن الشمس هو الآخر منهما خلقاً ، وهذا قولٌ يُروَى عن ابن عباس .

١/٥٩

حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، عن سُفيان ، عن أبيه ، عن عِكْرمة، عن ابن عباس قال : سئل: هل[3] الليل كان قبل النهار ؟ قال : أرأيتم حين كانت السموات والأرض رَتْقاً ، هلْ كان بينهما إلا ظلمة ! ذلك لتعلموا أن الليلَ كان قبل النهار .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا الثورىّ، عن أبيه، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس، قال: إنّ الليل قبل النهار، ثم قال: ﴿كانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.

حدثنا محمد بن بشّار ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى ، قال : سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبى حبيب ، عن مَرْثَد

(١) ا : «قول» .
(٢) ا : «أم النهار» .
(٣) ا : «عن الليل» .

ابن عبد الله اليَزَنىّ، قال: لم يكن عُقْبة بن عامر إذا رأى الهلال — هلال رمضان — يقوم تلك الليلة حتى يصومَ يومها، ثم يقوم بعد ذلك. فذكرتُ ذلك لابن حُجَيرة فقال: الليل قبل النهار أم النهار قبل الليل؟

* * *

وقال آخرون: كان النهارُ قبل الليل، واستشهدوا لصحة قولهم هذا بأن الله عزّ ذكره كان ولا ليلَ ولا نهار ولا شىء غيره، وأن نورَه كان يضىء به كلّ شىء خلقه بعد ما خلقه حتى خلق الليل.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنى على بن سهل، حدثنا الحسن بن بلال، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن الزبير أبى[1] عبد السّلام، عن أيوب بن عبد الله الفهرىّ أنّ ابن مسعود قال: إن ربكم ليس عنده ليلٌ ولا نهار، نور السموات من نور وجهه، وإن مقدار كلّ يوم من أيامكم هذه عنده اثنتا عشرة ساعة.

* * *

قال أبو جعفر: وأوْلى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال: كان الليل قبل النهار، لأن النهار هو ما ذكرتُ من ضوء الشمس؛ وإنما خلق الله الشمس وأجراها فى الفلك بعد ما دحا الأرض فبسطها، كما قال عزّوجلّ: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾[2]، فإذا كانت الشمس خُلقت بعد ما سُمكت السماء، وأغطش ليلها، فمعلوم أنها كانت — قبل أن تخلق الشمس، وقبل أن يُخرج الله من السماء ضحاها — مظلمة لا مضيئة.

١/٦٠

وبعد، فإن فى مشاهدتِنا من أمر الليل والنهار ما نشاهده[3] دليلاً بيّناً

(١) ط: «الزبير بن عبد السلام»؛ وصوابه من ا؛ ذكره ابن حجر فيمن روى عن أيوب بن عبد الله. وانظر تهذيب التهذيب ١: ٤٠٧.

(٢) سورة النازعات ٢٧ – ٢٩.

(٣) ا: «نشاهد».

على أنّ النهار هو الهاجم على الليل لأنّ الشمس متى غابت فذهب ضوءها ليلاً [أو نهاراً](١) أظلم الجو، فكان معلوماً بذلك أن النهار هو الهاجم على الليل بضوئه ونوره. والله أعلم.

فأما القول فى بدء خلقهما فإن الخبرَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بوقت خلق الله الشمس والقمر مختلف.

فأما ابن عباس فرُوى عنه أنه قال: خلق الله يوم الجمعة الشمسَ والقمرَ والنجوم والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه، حدثنا بذلك هنّاد بن السريّ، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبى سعد البقال، عن عِكْرمة، عن ابن عباس، عن النبى صلى الله عليه وسلم.

وروى أبو هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خلَق الله النور يوم الأربعاء»، حدثنى بذلك القاسم بن بشر والحسين بن علىّ، قالا: حدثنا حجاج بن محمد، عن ابن جُرَيْج، عن إسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع، عن أبى هريرةَ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم.

٦١/١ وأىّ ذلك كان؛ فقدْ خلق الله قبل خلقه إياهما خلْقاً كثيراً غيرهما، ثم خلقهما عزّ وجلّ لما هو أعلم به من مصلحة خلْقه، فجعلهما دائبَى الجرى، ثم فَصَل بينهما، فجعل إحداهما آية الليل، والأخرى آية النهار، فمحا آية الليل، وجعل آية النهار مبصرة. وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبب اختلاف حالَىْ آية(٢) الليل وآية النهار أخبارٌ أنا ذاكر منها بعضَ ما حضرنى ذكره. وعن جماعة من السلف أيضاً نحو ذلك.

فممّا(٣) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك، ما حدثنى محمد بن أبى منصور الآمُلىّ، حدثنا خلف بن واصل، قال: حدثنا عمر بن

---

(١) تكملة من ا.

(٢) ر: «حالَى الشمس والقمر وآية الليل».

(٣) ا: «فا».

صُبْح(١) أبو نعيم البلخىّ، عن مقاتل بن حيّان، عن عبد الرحمن بن أبْزَى، عن أبى ذَرّ الغِفارىّ، قال: كنتُ آخذُ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحنُ نتماشَى جميعاً نحو المغرب، وقد طَفَلَت(٢) الشمس، فما زلنا ننظر إليها حتّى غابت؛ قال: قلتُ: يا رسول الله، أين تغرُب؟ قال: تغرب فى السماء، ثم تُرْفع من سماء إلى سماء حتّى ترفع إلى السماء السابعة العليا؛ حتّى تكونَ تحت العرش، فتخرّ ساجدة، فتسجد معها الملائكة الموكّلون بها، ثم تقول: يا ربّ، مِنْ أين تأمرنى أن أطلع، أمن مغربى أم من مطلعى؟ قال: فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ حيث تحبَس تحت العرش، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾(٣) قال: يعنى بـ «ذلك»(٤) صُنْعَ الربّ العزيز فى ملكه العليم بخلقه. قال: فيأتيها جَبرئيل بحُلّة ضوء من نور العرش، على مقادير ساعات النهار، فى طوله فى الصيف، أو قصره فى الشتاء، أو ما بين ذلك فى الخريف والربيع. قال: فتلبس تلك الحلة كما يلبسَ أحدكم ثيابه، ثم تَنطلق(٥) بها فى جو السماء حتّى تطلع من مطلعها(٦)، قال النبى صلى الله عليه وسلم: فكأنها قد حُبست مقدار ثلاث ليال ثم لا تُكسى ضوءاً، وتؤمر أن تطلع من مغربها، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.(٧) قال: والقمر كذلك فى مطلعه ومجراه فى أفق السماء ومغربه وارتفاعه إلى السماء السابعة العليا، ومحبسه تحت العرش وسجوده واستئذانه، ولكن جَبْرائيل عليه السلام يأتيه بالحُلّة من نور الكرسىّ. قال: فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾(٨). قال أبو ذرّ: ثم عدلتُ مع رسول الله صلى

٦٢/١

(١) كذا فى ا «عمر بن صبح»، ترجم له ابن حجر فى تهذيب التهذيب ٧ : ٤٦٣؛ وذكر أنه أخذ عن مقاتل. وفى ط: «صبيح». وانظر خلاصة تذهيب الكمال ٢٤٠.

(٢) طفلت الشمس: مالت للغروب.

(٣) سورة يس ٣٨

(٤) كذا فى ا، ر، ك، وفى ط: «ذلك».

(٥) ط: «ينطلق»، وما أثبته عن ا، ر، ن.

(٦) ط: «مطالعها»، وما أثبته من ا.

(٧) سورة التكوير ١

(٨) سورة يونس ٥

الله عليه وسلم فصلينا المغرب . فهذا الخبر عن رسول الله [يُنْبِيءُ][1] أن سبب اختلاف حالة الشمس والقمر إنما هو أنّ ضوء الشمس من كسوة كسيتْها من ضوء العرش ، وأن نورَ القمر من كسوة كُسِيَهَا من نور الكرسيّ .

فأما الخبر الآخر الذى يدلّ على غير هذا المعنى ؛ فما حدثنى محمد ابن أبي منصور ، قال : حدثنا خلف بن واصل ، قال : حدثنا أبو نعيم ، عن مقاتل بن حيان ، عن عِكْرِمة قال : بينا ابن عباس ذاتَ يوم جالس إذْ جاءه رجل ، فقال : يابن عباس ، سمعتُ العجب من كعب الحَبْرْ[2] يذكر فى الشمس والقمر . قال : وكان متكئاً فاحتفز[3] ثم قال : وما ذاك ؟ قال : زعم أنه يُجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عَقِيران ، فيُقذَفان فى جهنم . قال عكرمة : فطارت من ابن عباس شِقّة ووقعت أخرى غضبا ، ثم قال : كذَب كعب ! كذب كعب ! كذب كعب ! ثلاث مرات ، بل هذه يهودية يريد إدخالها فى الإسلام ، الله أجلّ وأكرم من أن يعذّب على طاعته ، ألم تسمع لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾[4] ، إنما يعنى دءوبهما فى الطاعة ، فكيف يعذب عبدين يُثنى عليهما ؛ أنهما دائبان فى طاعته ! قاتل الله هذا الحَبْر وقبّح حَبْريته ! ما أجرأه على الله وأعظم فِريته على هذين العبدين المطيعين لله ! قال : ثم استرجع مراراً ، وأخذ عُوَيداً من الأرض ، فجعل ينكته فى الأرض ، فظل كذلك ما شاء الله ، ثم إنه رفع رأسه ، ورمى بالعويد فقال : ألا أحدثكم بما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول فى الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما ؟ فقلنا : بلى رحمك الله ! فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك ، فقال : إن الله تبارك وتعالى لما أبرم خلْقه إحكاماً فلم يبق من خلقه غيرُ آدم خلَق شمسين من نور عرشه ، فأما ما كان فى سابق علمه[5] أنه يدعها شمساً ، فإنه خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها ،

٦٣/١

(١) ا : « عن أن » .
(٢) ر ، ن : « الأحبار » .
(٣) احتفز : استوى جالساً على وركيه .
(٤) سورة إبراهيم ٣٣ .
(٥) ر ، س : « من سابق علمه » .

وأما ما كان فى سابق علمه [١] أنه يطمسها ويحوّلها قمراً ، فإنه دون الشمس فى العِظَم ؛ ولكن إنما يُرَى صغرهما من شدة ارتفاع السماء وبعدها من الأرض .

قال : فلو ترك الله الشمسين كما كان خلقهما فى بدء الأمر لم يكن يُعرَف الليل من النهار ، ولا النهار من الليل ، وكان لا يدرِى الأجير إلى متى يعمل ، ومتى يأخذ أجره . ولا يدرى الصائم إلى متى يصوم ، ولا تدرى المرأة كيف تعتدّ ، ولا يدرى المسلمون متى وقت الحج ، ولا يدرى الدَّيّان متى تحلّ ديونهم ، ولا يدرى الناس متى ينصرفون لمعايشهم ، ومتى يسكنون لراحة أجسادهم . وكان الربّ عزّ وجلّ أنظر لعباده وأرحم بهم ، فأرسل جبرئيل عليه السلام فأمرّ جناحه على وجه القمر — وهو يومئذ شمس — ثلاث مرات ، فطمس عنه الضوءَ ، وبقى فيه النور ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [٢] . قال : فالسَّوَادالذى ترونه فى القمر شبه الخطوط فيه فهو أثرُ المحو . ثم خلق الله للشمس عجلة من ضوء نور العرش لها ثلثمائة وستون عروة ، ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين ملكاً من الملائكة من أهل السماء الدنيا ، قد تعلّق كلّ ملك منهم بعروة من تلك العُرَا ، ووكّل بالقمر وعجلته ثلثمائة وستينَ ملكاً من الملائكة من أهل السماء ، قد تعلق بكلّ عروة من تلك العُرَا مَلَكٌ منهم .

ثم قال : وخلق الله لهما مشارق ومغارب فى قُطْرَىِ الأرض وكنفىِ السماء ثمانين ومائة عين فى المغرب ، طينة سوداء ، فذلك قوله عز وجلّ : ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ [٣] إنما يعنى [٤] حمأةً سوداء من طين ، وثمانين ومائة عين فى

---

(١) ر : « من سابق علمه » .

(٢) سورة الإسراء ١٢

(٣) سورة الكهف ٨٦

(٤) كذا فى ا ، س وفى ط : « هى حمئه » .

المشرق مثل ذلك طينة سوداء تفور غلَيْاً كغلى القِدْر إذا ما اشتد غليُها. قال: فكل يوم [وكل](١) ليلة لها مطلعٌ جديد ومغرب جديد، ما بين أولها مطلعاً، وآخرها مغرباً أطول ما يكون النهار فى الصيف إلى آخرها مطلعاً، وأولها مغرباً أقصر ما يكون النهار فى الشتاء، فذلك قوله تعالى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾(٢) يعنى آخرها هاهنا وآخرها ثَمَّ، وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب، ثم جمعهما فقال: ﴿ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾(٣)، فذكر عِدَّة تلك العيون كلها.

٦٥/١

قال: وخلق الله بحراً، فجرى دون السماء(٤) مقدار ثلاث فراسخ، وهو موج مكفوف قائم فى الهواء بأمر الله عزّ وجلّ لا يقطر منه قطرة، والبحار كلها ساكنة، وذلك البحر جارٍ فى سرعة السَّهم ثم انطلاقه فى الهواء مستوياً، كأنه حَبْلٌ ممدود ما بين المشرق والمغرب، فتجرى الشمس والقمر والخُنَّس فى لُجّة غَمْر ذلك البحر؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(٥)، والفلك دوران العجلة فى لُجّة غمر ذلك البحر. والذى نفس محمد بيده، لو بدت الشمس من ذلك البحر لأحرقت كلّ شىء فى الأرض، حتّى الصخور والحجارة، ولو بدا القمر من ذلك لافتتن أهلُ الأرض حتى يعبدوه من دون الله، إلا من شاء الله أن يعصم من أوليائه.

قال ابن عباس: فقال على بن أبي طالب رضى الله عنه: بأبى أنت وأمى يا رسول الله! ذكرتَ مجرى الخُنَّس مع الشمس والقمر، وقد أقسم الله بالخُنَّس فى القرآن إلى ما كان من ذكرك، فما الخُنَّس؟ قال: يا علىّ، هنّ خمسةُ كواكب: البِرْجيس(٦)، وزُحَل، وعُطارد، وبَهْرام، والزُّهرة،

---

(١) تكملة من ا.

(٢) سورة الرحمن ١٧

(٣) سورة المعارج ٤٠

(٤) كذا فى ط، وفى اللآلىء المصنوعة ١: ٧: «بينه وبين السماء»، وفى ا: «فجرى بين السماء».

(٥) سورة الأنبياء ٣٣

(٦) كذا ضبطه صاحب القاموس بكسر الباء؛ وقال: هو نجم أو هو المشترى.

١/٦٦ فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات ، مثل الشمس والقمر ، العاديات[١] معهما ، فأما سائر الكواكب فمعلَّقات من السماء كتعليق[٢] القناديل من المساجد ، وهي تحومُ مع السماء دوراناً بالتسبيح والتقديس والصلاة لله ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : فإن أحببتم أنْ تستبينوا[٣] ذلك ، فانظروا إلى دوران الفلك مرة هاهنا ومرة هاهنا ، فذلك دوران السماء ، ودوران الكواكب معها كلِّها سوى هذه الخمسة ، ودورانها اليوم كما ترون ، وتلك صلاتها ، ودورانُها إلى يوم القيامة فى سرعة دوران الرّحا من أهوال يوم القيامة وزلازله ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا * فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾[٤].

قال : فإذا طلعت الشمس فإنها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملَكاً ناشرى أجنحتهم ، يَجُرّونها فى الفلك بالتسبيح والتقديس والصلاة لله على قدر ساعات الليل وساعات النهار ليلا كان أو نهاراً ، فإذا أحبّ الله أن يبتلىَ الشمس والقمر فيُرِى العباد آية من الآيات فيستعتبهم رجوعاً عن معصيته وإقبالا على طاعته ، خرّت الشمس من العجلة فتقع فى غمر ذلك البحر وهو الفلك ، فإذا أحبّ الله أن يُعظِّم الآية ويشدّد تخويفَ العباد وقعت الشمس كلّها فلا يبقى منها على العجلة شىء ، فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم ، وهو المنتهى من كسوفها . فإذا أراد أن يجعل آيةً دون ١/٦٧ آية وقع منها النصف أو الثلث أو الثلثان فى الماء ، ويبقى سائرُ ذلك على العجلة ، فهو كسوف دون كسوف ، وبلاء للشمس أو للقمر ، وتخويفٌ للعباد ، واستعتاب من الربّ عزّ وجلّ ، فأىّ ذلك كان صارت الملائكة الموكلون بعجلتها فرقتين : فرقة منها يُقبلون على الشمس فيجرّونها نحو العجلة ، والفرقة الأخرى

---

(١) ا ، ر ، ن : « الغاديات » وفى اللآلىء المصنوعة : « الغاربات » .

(٢) ر ، س : « كتعلق » .

(٣) ن : « أن تستثبتوا » .

(٤) سورة الطور ٩ — ١١

يُقبلون على العجلة فيجرّونها نحو الشمس ، وهم فى ذلك[١] يقرّونها[٢] فى الفلك بالتسبيح والتقديس والصلاة لله على قدر ساعات النهار أو ساعات الليل ، ليلاً كان أو نهاراً ، فى الصيف كان ذلك أو فى الشتاء ، أو ما بين ذلك فى الخريف والربيع ، لكيلا يزيد فى طولهما شىء ، ولكن قد ألهمهم الله علم ذلك ، وجعل لهم تلك القوة ، والذى ترون من خروج الشمس أو القمر بعد الكسوف قليلاً قليلاً ، من غمر ذلك البحر الذى يعلوهما ، فإذا أخرجوها كلّها اجتمعت الملائكة كلهم ، فاحتملوها حتّى يضعوها على العجلة ، فيحمدون الله على ما قوّاهم لذلك ، ويتعلقون بعُرَا العجلة ، ويَجُرّونها فى الفلك بالتسبيح والتقديس والصلاة لله حتّى يبلغوا بها المغرب ، فإذا بلغوا بها المغرب أدخلوها تلك العين ، فتسقط من أفق السماء فى العين .

ثم قال النبىّ صلى الله عليه وسلم، وعجب من خلق الله : ولَلْعجب من القدرة فيما لم نَرَ[٣] أعجب من ذلك ؛ وذلك قول جبرئيل عليه السلام لسارة : ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[٤] وذلك أن الله عزّ وجلّ خلق مدينتين : إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ، أهل المدينة التى بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنيهم ، ١/٦٨ وأهل التى بالمغرب من بقايا ثمود من نسل الذين آمنوا بصالح ، اسم التى بالمشرق بالسريانيّة «مرقيسيا » وبالعربية «جابَلق[٥] » واسم التى بالمغرب بالسريانية « برجيسيا »[٦] وبالعربية « جابَرس » ولكل مدينة منهما عشرة آلاف باب ، ما بين

---

(١) ن : « مع ذلك » .

(٢) كذا فى ا ، س ، ك ، وفى ط : « يجرونها » .

(٣) ط : « لم يخلق » ، وما أثبته من اللآلئ المصنوعة .

(٤) سورة هود ٧٣

(٥) ضبطها ياقوت بالباء المفتوحة المفتحة وسكون اللام ، ونقل عن ابن عباس أنها مدينة بأقصى المغرب وأهلها من ولد عاد .

(٦) كذا ضبطت بالقلم فى معجم البلدان . ونقل أيضاً عن ابن عباس أن أهلها من ولد ثمود .

كل بابين فرسخ ، ينوب كلّ يوم على كل باب من أبواب هاتين المدينتين عشرة آلاف (١) رجل من الحراسة ، عليهم السلاح ، لا تَنُوبهم (٢) الحراسة بعد ذلك إلى يوم ينفخ فى الصور ، فوالذى نفس محمد بيده ، لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع الناس من جميع أهل الدنيا هدّة وقعة الشمس حين تطلع وحين تغرب ، ومن ورائهم ثلاث أمم : منسك (٣) ، وتافيل ، وتاريس (٤) ، ومن دونهم يأجوج ومأجوج .

وإن جبْرئيل عليه السلام انطَلق بى إليهم ليلة أسرِىَ بى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فدعوتُ يأجوجَ ومأجوج إلى عبادة الله عزّ وجلّ فأبوْا أن يجيبونى ، ثم انطلق بى إلى أهل المدينتين ، فدعوتهم إلى دين الله عزّ وجلّ وإلى عبادته فأجابوا وأنابوا ، فهم فى الدين [إخواننا] (٥) ، مَنْ أحسن منهم فهو مع محسنكم ، ومن أساء منهم فأولئك مع المسيئين منكم . ثم انطلق بى إلى الأمم الثلاث ، فدعوتهم إلى دين الله وإلى عبادته فأنكروا ما دعوتهم إليه ، فكفروا بالله عزّ وجلّ وكذبوا رسله ، فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر مَنْ عصى الله فى النار ؛ فإذا ما غربت الشمس رُفِع بها من سماء إلى سماء فى سرعة طيران الملائكة ؛ حتى يُبلَغ بها إلى السماء السابعة العليا ، حتى تكون تحت العرش فتخرّ ساجدة ، وتسجد معها الملائكة الموكلون بها ، فيُحْدَرُ بها من سماء إلى سماء ؛ فإذا وصلت إلى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجْر (٦) ، فإذا انحدرت من بعض تلك العيون ، فذاك حين يضىء الصبح ، فإذا وصلت إلى هذا الوجه من السماء فذاك حين يضىء النهار .

١/٦٩

قال : وجعل الله عند المشرق حجاباً من الظلمة على البحر السابع ، مقدار

---

(١) كذا فى ا وابن الأثير واللآلىء المصنوعة . وفى ط : « عشرة آلاف ألف » .

(٢) كذا فى ا . وفى ط : « ولما تلحقهم نوبة الحراسة » . وفى ابن الأثير : «لا تعود الحراسة إليهم » .

(٣) ر ، س : « ثافيل » .

(٤) س : « باريس » ، ا « ناريس » ، وابن الأثير « ثاريس » .

(٥) تكلة من ا واللآلىء المصنوعة .

(٦) ط : « الصبح » ، وما أثبته من ا .

عدة الليالى منذ يوم خلق الله الدنيا إلى يوم تُصرَم، فإذا كان عند الغروب أقبل مَلك قد وُكل بالليل فيقبض قبضةً من ظُلمة ذلك الحجاب، ثم يستقبلُ المغرِب؛ فلا يزال يُرسل من الظلمة من خلل أصابعه قليلاً قليلاً وهو يراعى الشَّفق، فإذا غاب الشفق أرسلَ الظلمة كلَّها ثم ينشر جناحيه، فيبلغان قُطرىِ الأرض وكنَفِى السماء، ويجاوزان ما شاء الله عزّ وجلّ خارجاً فى الهواء، فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح والتقديس والصلاة لله حتى يبلغ المغرب، فإذا بلغ المغرب انفجر الصبح من المشرق، فضمّ جناحيه، ثم يضم الظلمة بعضها إلى بعض بكفيه، ثم يقبض عليها بكف واحدة نحو قبضته إذا تناولها من الحجاب بالمشرق، فيضعها عند المغرب على البحر السابع من هناك ظلمة الليل. فإذا ما نقل ذلك الحجابُ من المشرق إلى المغرب نفخ فى الصور، وانقضت الدنيا، فضوء النهار من قِبَل المشرق، وظلمة الليل من قِبَل ذلك الحجاب، فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطالعهما إلى مغاربهما إلى ارتفاعهما، إلى السماء السابعة العليا، إلى محبسهما[1] تحت العرش، حتى يأتِىَ الوقت الذى ضرب الله لتوبة العباد، فتكثُر المعاصى فى الأرض ويذهب المعروفُ، فلا يأمر به أحد، ويفشو المنكرُ فلا يُنهى عنه أحد. ٧٠/١

فإذا كان ذلك حبِست الشمس مقدار ليلة تحت العرش، فكلّما سجدت واستأذنت: من أين تطلع؟ لم يُحَرْ[2] إليها جواب؛ حتى يوافيَها القمر ويسجد معها، ويستأذن: من أين يطلع؟ فلا يُحَار إليه جواب، حتى يحبسهما مقدار ثلاث ليال للشمس، وليلتين للقمر، فلا يَعرِف طول تلك الليلة إلا المتهجدون فى الأرض؛ وهم حينئذ عِصابة قليلة فى كل بلدة من بلاد المسلمين؛ فى هوان من الناس وذلة من أنفسهم، فينام أحدُهم تلك الليلة قَدْرَ ما كان ينام قبلها من الليالى، ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاّه فيصلى ورْده، كما كان يصلى

---

(١) ط: «إلى مجلسهما»، وما أثبته من ا.

(٢) لم يحر إليها جواب؛ أى لم يرجع إليها جواب؛ ويقال: ما أحار جواباً؛ أى ما رجع.

قبل ذلك ، ثم يخرج فلا يرى الصبح ، فينكر ذلكَ ويظنّ فيه الظنون من الشرّ ثم يقول : فلعلّى خففتُ قراءتى ، أو قصرّت صلاتى ، أوقمت قبل حينى !

قال : ثم يعود أيضاً فيصلّى وِرْده كمثل ورْده ، الليلة الثانية ، ثم يخرج فلا يرى الصبح ، فيزيده ذلك إنكاراً ، ويخالطه الخوف ، ويظنّ فى ذلك الظنون من الشرّ ، ثم يقول : فلعلى خففت قراءتى ، أو قصّرت صلاتى ، أو قمت من أوّل الليل! ثم يعود أيضاً الثالثة وهو وجِل مُشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة ، فيصلى أيضاً مثل ورْده ، الليلة الثالثة ، ثم يخرج فإذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت وصارت إلى مكانها من أول الليل . فيشفق عند ذلك [1] شفقة الخائف العارف بما كان يتوقع من هول تلك الليلة فيستلحمه [2] الخوف ، ويستخفّه البكاء ، ثم ينادى بعضُهم بعضاً ، وقبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون ، فيجتمع المتهجِّدون من أهل كلّ بلدة إلى مسجد من مساجدها ، ويجأرون إلى الله عزّ وجلّ بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ، والغافلون فى غفلتهم ، حتى إذا ما تمّ لهما مقدارُ ثلاث ليال للشمس وللقمر ليلتين ، أتاهما جبرئيل فيقول : إن الرب عزّ وجلّ يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منها ، وأنّه لا ضوء لكما عندنا ولا نورَ . قال : فيبكيان عند ذلك بكاء يسمعه أهل سبع سموات من دونهما وأهل سرادقات العرش وحملة العرش من فوقهما ، فيبكون لبكائهما مع ما يخالطهم من خوف الموت ، وخوف يوم القيامة .

قال : فبينا الناس ينتظرون طلوعهما من المشرق إذا هما قد طلعا خلْف أقفيتهم من المغرب أسودين مكوّرين كالغِرارتين [3] ، ولا ضوءَ للشمس ولا نورَ للقمر ، مثلهما فى كسوفهما قبل ذلك ؛ فيتصايح أهلُ الدنيا وتذْهَل الأمهات عن أولادها ، والأحبّة عن ثمرة قلوبها ، فتشتغل كل نفس بما أتاها . قال : فأما الصالحون والأبرار فإنه ينفعهم بكاؤهم يومئذ ، ويكتب ذلك لهم عبادة . وأما الفاسقون والفجار فإنه لا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ، ويكتب ذلك عليهم خسارة . قال : فيرتفعان مثل البعيرين القرينين ، ينازع كلٌّ واحد منهما

٧١/١

---

(١) ا : « عندها » .
(٢) استلحمه الخوف : نشب فيه .
(٣) ط : « كالغرابين » ، وما أثبته من ا .

صاحبَه استِباقاً ، حتى إذا بلغا سُرّة السماء — وهو منصفها — أتاهما جبرئيل فأخذ بقرونهما ثم ردّهما إلى المغرب ، فلا يُغربهما فى مغاربهما من تلك العيون ، ولكن يغربهما فى باب التوبة .

٧٢/١

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنا وأهلى فداؤك يا رسول الله ! فما باب التوبة ؟ قال : يا عمر ، خلق الله عزّ وجلّ باباً للتوبة خلف المغرب ، مصراعين من ذهب ، مكللا بالدّر والجوهر ، ما بين المصراع إلى المصراع[١] الآخر مسيرة أربعين عاماً للراكب المسرع ؛ فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ، ولم يتبْ عبد من عباد الله توبة نصوحاً من لدن آدم إلى صبيحة تلك الليلة إلا ولجت تلك التوبة فى ذلك الباب ، ثم ترفع إلى الله عزّ وجلّ .

قال معاذ بن جبل : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! وما التوبة النصوح ؟ قال : أن يندم المذنب على الذنب الذى أصابه فيعتذر إلى الله ثم لا يعود إليه ، كما لا يعودُ اللبن إلى الضَّرع . قال : فيردّ جبرئيل بالمصراعين فيلأم[٢] بينهما ويصيّرهما كأنه لم يكن فيما بينهما صَدْعٌ قط ، فإذا أغلِق[٣] باب التوبة لم يقبل بعد ذلك توبة ، ولم ينفع بعد ذلك حسنة يعملها فى الإسلام إلا مَنْ كان قبل ذلك محسناً ، فإنه يجرى لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجرى قبل ذلك ، قال فذلك قوله عزّوجلّ : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾[٤] .

فقال أُبَىّ بن كعب : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك ! وكيف بالناس والدنيا ! فقال : يا أُبىّ ، إن الشمس والقمر

---

(١) ا : « والمصراع »

(٢) ك : « فيلائم » .

(٣) ط : « غلق » وهى لغة رديئة فى « أغلق » .

(٤) سورة الأنعام ١٥٨

بعد ذلك يُكسيان النور والضوء، ويطلعان على الناس ويغرُبان كما كانا[١] قبل ذلك، وأما الناس فإنهم نظروا إلى ما نظروا إليه من فظاعة الآية، فيُلحّون على الدنيا حتى يُجروا فيها الأنهار، ويغرسوا فيها الشجر، ويبنوا فيها البنيان. وأما الدنيا فإنه لو أنتج رجل مهراً لم يركبه من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى يوم ينفخ فى الصور.

٧٣/١

فقال حذيفة بن اليمان: أنا وأهلى فداؤك يا رسول الله! فكيف هم عند النفخ فى الصور! فقال: يا حذيفة، والذى نفس محمد بيده، لتقومنّ الساعة ولينفخنّ فى الصور والرجل قد لَطَ[٢] حوضه فلا يسقى منه، ولتقومنّ الساعة والثوب بين الرجلين فلا يطويانه، ولا يتبايعانه. ولتقومنّ الساعة والرجلُ قد رفع لقمته إلى فيه فلا يَطْعَمها، ولتقومن الساعةُ والرجل قد انصرف بلبن لِقحته[٣] من تحتها فلا يشربه، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[٤].

فإذا نُفِخ فى الصور، وقامت الساعة، وميز الله بين أهل الجنة وأهل النار ولما يدخلوهما بعد، إذْ يدعو الله عزّ وجلّ بالشمس والقمر، فيجاء بهما أسودين مكوّرين قد وقعا فى زلزال وبلبال، تُرعَد فرائصهما من هول ذلك اليوم ومخافة الرحمن، حتى إذا كانا حيال العرش خرّا لله ساجدين؛ فيقولان: إلهنا قد علمت طاعتنا ودُءوبنا فى عبادتك، وسرعتَنا للمضىّ[٥] فى أمرك أيام الدنيا، فلا تُعذبنا بعبادة المشركين إيانا، فإنا لم ندعُ إلى عبادتنا، ولم نذهَلْ عن عبادتك! قال: فيقول الرب تبارك وتعالى: صدقتما، وإنى قضيت على نفسى أن أبدئ وأعيد، وإنى معيدكما فيما بدأتكما منه، فارجعا إلى ما خلقتما منه،

---

(١) كذا فى ا، وفى ط: «كان».

(٢) ا: «لاط»، ولاط الحوض بالطين ولطه: طينه.

(٣) اللقحة، بالكسر: الناقة الحلوب.

(٤) سورة العنكبوت ٥٣

(٥) ا: «المضى»، ن: «بالمضى».

قالا : إلهنا ، ومِم خلقتنا؟ قال : خلقتكما من نور عرشي ، فارجعا إليه . قال : فيلتمع من كلّ واحد منهما برقة تكاد تَخْطَف الأبصار نوراً ، فتختلط بنور العرش . فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾[1] . ٧٤/١

قال عكرمة : فقمت مع النفر الذين حدّثوا به ، حتى أتينا كعباً فأخبرناه بما كان من وجْد ابن عباس من حديثه ، وبما[2] حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقام كعب معنا حتى أتينا ابن عباس ، فقال : قد بلغني ما كان من وجدك من حديثي ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، وإنى إنما حدّثت عن كتاب دارسٍ قد تداولته الأيدى ، ولا أدرى ما كان فيه من تبديل اليهود ، وإنك حدّثت عن كتاب جديد حديث العهد بالرّحمن عزّ وجلّ وعن سيد الأنبياء وخير النبيين ، فأنا أحبّ أن تحدّثنى الحديث فأحفظه عنك ، فإذا حدثت به كان مكان حديثي الأول .

قال عكرمة : فأعاد عليه ابن عباس الحديث ، وأنا أستقريه فى قلبى بابًا بابا ، فما زاد شيئاً ولا نقص ، ولا قدّم شيئاً ولا أخّر ، فزادنى ذلك فى ابن عباس رغبة ، وللحديث حفظاً[3] .

* * *

ومما روى عن السلف فى ذلك ما حدثناه ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رُفَيْع ، عن أبى الطفيل ، قال : قال ابن الكوّاء لعلىّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، ما هذه اللطخة التى فى القمر؟ فقال : ويحك ! أما تقرأ القرآن : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾[4] ! فهذه محوُه .

---

(١) سورة البروج ١٣ .

(٢) ط : « وما» .

(٣) أورد ابن الأثير فى الكامل : (١ : ١٤-١٥) هذا الخبر مختصراً ؛ ولم يذكر تفصيل ما فيه من أشياء ؛ ثم قال : «أعرضت عنها لمنافاتها العقول ، ولو صح إسنادها لذكرناها وقلنا به ؛ ولكن الحديث غير صحيح ؛ ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر فى الكتب بمثل هذا الإسناد الضعيف » ، ونقله أيضاً السيوطى فى اللآلىء المصنوعة ١ : ٤٥-٦٠ من طريقين آخرين ؛ وقال عنه : « موضوع ، فى إسناده مجاهيل وضعفاء » .

(٤) سورة الإسراء ١٢ .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا طلْق ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن عليّ بن ربيعة ، قال : سأل ابنُ الكواء عليًّا عليه السلام فقال : ما هذا السوادُ فى القمر؟ فقال عليّ : ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [1]، هو المحو [2] .

٧٥/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عبيد بن عمير ، قال : كنت عند عليّ عليه السلام ، فسأله ابن الكوّاء عن السواد الذى فى القمر فقال : ذاك آية الليل محيتْ [3] .

حدثنا ابن أبى الشوارب ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : حدثنا عمران بن حُدير ، عن رفيع [4] ، أبى كثيرة ، قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : سلوا عما شئتم ، فقام ابن الكوّاء فقال : ما السواد الذى فى القمر ؟ فقال : قاتلك الله ! هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك ! ثم قال : ذاك محو الليل .

حدثنا زكريّاء بن يحيى بن أبان المصريّ ، قال : حدثنا ابن عفير ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن حُيَيّ بن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رجلا قال لعليّ رضى الله عنه : ما السوادُ الذى فى القمر ؟ قال : إن الله يقول : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [1] .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا

---

(١) سورة الإسراء ١٢ .

(٢) الخبر فى التفسير ١٥ : ٣٨ (بولاق) .

(٣) الخبر فى التفسير ١٥ : ٣٨ (بولاق) .

(٤) ط : « ابن أبى كثيرة » ، وفى التفسير : « رفيع بن أبى كثير » ؛ والصواب ما أثبته ؛ ذكره أبو حاتم الرازى فى الجرح والتعديل ١/٢/١٠ ، والدولابى فى الكنى ٩٠ .

اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ ، قال : هو السواد بالليل .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : كان القمرُ يضيء كما تُضيء الشمس ، والقمرُ آية الليل ، والشمس آية النهار ، ﴿ فمحوْنا آيةَ اللَّيْلِ ﴾ ، السواد الذى فى القمر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن أبى زائدة ، قال : ذكر ابن جُرَيْج عن مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ والنَّهارَ آيَتَيْنِ ﴾ ، قال : الشمس آية النهار ، والقمر آية الليل ، ﴿ فمحوْنَا آيةَ اللَّيْلِ ﴾ ، قال : السواد الذى فى القمر ، كذلك خلقه الله . ٧٦/١

حدثنا القاسم ، قال : حدثنى الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ وجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهار آيَتَيْنِ ﴾ ، قال : ليلاً ونهاراً كذلك خلقهما الله عزّ وجلّ .

قال ابن جريج : وأخبرنا عبد الله بن كثير ، قال : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ ، قال : ظلمة الليل وسَدَفُ النهار .

حدثنا بِشْر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدثنا سعيد عن قَتادة ، قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ ، كنا نحدّث أن محْوَ آية الليل سوادُ القمر الذى فيه ، ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ ، منيرة ، وخلق الشمس أنورَ من القمر وأعظم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى[1] . وحدثنى الحارث[2] ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ ﴾ ، قال : ليلاً ونهاراً ، كذلك جعلهما الله عزّ وجلّ .

---

(١) هو عيسى بن ميمون الجرشى ، روى عنه أبو عاصم النبيل . تهذيب التهذيب ٨ : ٢٣٥ .

(٢) هو الحارث بن محمد بن أسامة . تاريخ بغداد ٨ : ٢١٨ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره خلق شمس النهار وقمر الليل آيتين ، فجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرةً يبصر بها ، ومحا آية الليل التى هى القمر[١] بالسواد الذى فيه .

وجائز أن يكون الله تعالى ذكرُه خلقهما شمسين من نور عرشه، ثم محا نور القمر بالليل على نحو ما قاله مَنْ ذكرنا قوله، فكان ذلك سبب اختلاف حالتيهما .

١/٧٧ وجائز أن يكون إضاءة الشمس للكسوة التى تُكساها من ضوء العرش ، ونور القمر من الكسوة التى يكساها من نور الكرسى .

ولو صحَّ سندُ أحد الخبرين اللذين ذكرتهما[٢] لقلنا به ؛ ولكنّ فى أسانيدهما[٣] نظرا؛ فلم نستجز قطع القول بتصحيح ما فيهما من الخبر عن سبب اختلاف حال الشمس والقمر ؛ غير أنا بيقين نعلم[٤] أن الله عزّ وجلّ خالف بين صفتيهما فى الإضاءة لما كان أعلم به من صلاح خلقه باختلاف أمريْهما ، فخالف بينهما ، فجعل أحدهما مضيئاً مُبصراً به، والآخر ممحوّ الضوء .

وإنما ذكرنا قدر ما ذكرنا من أمر الشمس والقمر فى كتابنا هذا ، وإن كنا قد أعرضنا عن ذكر كثير من أمرهما وأخبارهما، مع إعراضنا عن ذكر بدء خلق الله السموات والأرض وصفة ذلك ، وسائر ما تركنا ذكره من جميع خلق الله فى هذا الكتاب ؛ لأنّ قصْدنا فى كتابنا هذا ذكرُ ما قدمنا الخبر عنه أنّا ذاكروه فيه من ذكر الأزمنة وتأريخ الملوك والأنبياء والرسل، على ما قد شرطنا فى أول هذا الكتاب ، وكانت التأريخات والأزمنة إنما توقّت بالليالى والأيام التى إنما هى مقادير ساعات جريِ الشمس والقمر فى أفلاكهما على ما قد ذكرنا فى الأخبار التى رويناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ما كان قبل

---

(١) ا : « قمر » .

(٢) انظر صفحتى ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) ا : « ولكن فى أسانيدهما نظر » .

(٤) كذا فى ط ، وفى س : « نعلم بيقين » ، وفى ن : « نتيقن ونعلم » ، وفى ا ، ك « نتيقن بعلم » .

خلق الله عزّ ذكره إياهما من خلقه فى غير أوقات ولا ساعات ولا ليل ولا نهار .

* * *

وإذ كنّا قد بينا مقدار مدة ما بين أول ابتداء الله عزّ وجلّ فى إنشاء ما أراد إنشاءه من خلْقه إلى حين فراغه من إنشاء جميعهم من سِنى الدنيا ومدة أزمانها بالشواهد التى استشهدنا بها[١] من الآثار والأخبار ، وأتينا على القول فى مدة ما بعد أن فرغ من خلق جميعه إلى فناء الجميع بالأدلة التى دللنا بها على صحة ذلك من الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وغيرهم من علماء الأمة ، وكان الغرض فى كتابنا هذا ذكر ما قد بينا أنا ذاكروه من تأريخ الملوك الجبابرة العاصية ربّها عزّ وجلّ والمطيعة ربها منهم ، وأزمان الرسل والأنبياء ، وكنا قد أتينا على ذكر ما به تصحّ التأريخات ، وتعرف به الأوقات والساعات ، وذلك الشمس والقمر اللذان بأحدهما تُدرَك معرفة ساعات الليل وأوقاته ، وبالآخر تُدرك علم ساعات النهار وأوقاته . فلنقل الآن فى أول من أعطاه الله ملكاً ، وأنعم عليه فكفر نعمتَه ، وجحد ربوبيته ، وعتا على ربه واستكبر ، فسلبه الله نعمته ، وأخزاه وأذله . ثم نُتْبعه ذكر من استنّ فى ذلك سنّته ، واقتفى فيه أثره ، فأحلّ الله به نقمته ، وجعله من شيعته ، وألحقه به فى الخزى والذلّ . ونذكر منْ كان بإزائه أو بعده من الملوك المطيعة ربها المحمودة آثارها ، أو مِن الرسل والأنبياء إن شاء الله عزّ وجلّ . ١/٧٨

* * *

فأولهم وإمامهم فى ذلك ورئيسهم وقائدهم فيه إبليس لعنه الله .

وكان الله عز وجل قد أحسن[٢] خلقه وشرفه وكرّمه وملّكه على سماء[٣] الدنيا والأرض فيما ذُكر ، وجعله مع ذلك من خُزّان الجنة ، فاستكبر على ربه

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « استشهدناها » .

(٢) ط : « حسن » .

(٣) كذا فى ا ، وفى ط : « السماء الدنيا » .

وادعى الربوبية ، ودعا مَن كان تحت يده فيما ذكر إلى عبادته ، فمسخه الله تعالى شيطاناً رجيما ، وشوّه خَلْقه ، وسلبه ما كان خوّله ، ولعنه وطرده عن سمواته فى العاجل ، ثم جعل مسكنه ومسكن أتباعه وشيعته فى الآخرة نارَ جهنم ، نعوذ بالله من غضبه ، ومن عمل يقرّب من غضبه ، ومن الحَوْر بعد الكَوْر [١].

١/٧٩

ونبدأ بذكر جمل من الأخبار الواردة عن السلف بما كان الله عزّ وجلّ أعطاه من الكرامة قبل استكباره عليه ، وادّعائه ما لم يكن له ادّعاؤه ، ثم نُتبع ذلك ما كان من الأحداث فى أيام سلطانه وملكه إلى حين زوال ذلك عنه ، والسبب الذى به زال عنه ما كان فيه من نعمة الله عليه ، وجميل آلائه [٢] ، وغير ذلك من أموره [٣] ، إن شاء الله مختصراً .

---

(١) أصله فى الحديث : « نعوذ بالله من الحور بعد الكور » ، قال ابن الأثير أى من النقصان بعد الزيادة ، وقيل : من فساد أمورنا بعد صلاحها ، وقيل من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا منهم ، وأصله من نقض العمامة بعد لفها » . النهاية ١ : ٢٦٩ .

(٢) ا : « بلائه » .

(٣) ط : « أمره » ، وما أثبته عن ا .

ذكر الأخبار الواردة بأن إبليس كان له ملك السماء الدنيا والأرض وما بين ذلك

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جُريج ، عن صالح مولى التوءمة وشريك بن أبي نَمِر — أحدهما أو كلاهما — عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلةً من الجنّ وكان إبليس منها ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض .

حدثنا موسى بن هارون الهمدانيّ ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرّة الهمدانيّ عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : جُعل إبليس على سماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سموا الجن لأنهم خُزّان الجنة ، وكان إبليس مع مُلْكه خازناً .

١/٨٠

حدثني عبدان المَرْوَزيّ ، حدثني الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال : أخبرنا عبيد الله بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول في قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَسَجَدُوا إلا إبْلِيس كانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾[1] ، قال : كان ابن عباس يقول : إن إبليس كان من أشرف[2] الملائكة وأكرمهم

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢) كذا في ن وفي ط : « أشراف » .

قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا المبارك بن مجاهد أبو الأزهر ، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، عن صالح مولى التوءمة ، عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلا يقال لهم الجن ، فكان إبليس منهم ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى ، فمسخه الله شيطاناً رجيما .

ذكر الخبر عن غمط عدو الله نعمة ربه واستكباره عليه وادعائه الربوبية

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ ﴾[1] قال : قال ، ابن جريج : من يقلْ من الملائكة إنى إله من دونه ، فلم يقله إلا إبليس ، دعا إلى عبادة نفسه ، فنزلت هذه الآية فى إبليس .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ ﴾ ، وإنما كانت[2] هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال ما قال ، لعنه الله وجعله رجيما ، فقال : ﴿ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ ﴾[1] . ١/٨١

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾[1] ، قال : هى خاصة لإبليس .

---

(١) سورة الأنبياء ٢٩ .

(٢) ا : « وكان » .

القول فى الأحداث التى كانت فى أيام ملك إبليس وسلطانه والسبب الذى به هلك وادعى الربوبية

فمن الأحداث التى كانت فى ملك عدو الله — إذ كان لله مطيعاً — ما ذكر لنا عن ابن عباس فى الخبر الذى حدثناه أبو كُرَيب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمَارة، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس، قال : كان إبليس من حىّ من أحياء الملائكة يقال لهم : الجن[1] خلقوا من نار السَّمُوم من بين الملائكة، قال: وكان اسمه الحارث ، قال : وكان خازناً من خزّان الجنة ، قال : وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحىّ ، قال : وخُلقت الجنّ الذين ذكروا فى القرآن من مَارِجٍ من نار ، وهو لسانُ النار الذى يكون فى طرفها إذا ألهِبَتْ، قال: وخلق الإنسان من طين ، فأوّل مَنْ سكن الأرض الجنّ فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء، وقتل بعضُهم بعضاً ، قال : فبعث الله إليهم إبليس فى جند من الملائكة وهم[2] هذا الحى الذين يقال لهم الجن ، فقتّلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، فلما فعل إبليس ذلك اغترّ فى نفسه، وقال: قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد ، قال : فاطّلع الله على ذلك من قلبه ، ولم تطّلع عليه الملائكة الذين كانوا معه . ١/٨٢

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء ، وخلق الجنّ يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة ، قال : فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم فى الأرض فتقتلهم ، فكانت الدماءُ وكان الفساد فى الأرض .

---

(١) كذا فى ا ، ط وابن الأثير ، بالجيم المعجمة ؛ والخبر فى التفسير ١ : ٤٥٥ (المعارف) وانظر حواشيه .

(٢) ط : « فهم » .

ذكر السبب الذى به هلك عدو الله وسولت له نفسه من أجله الاستكبار على ربه عزّ وجلّ

اختلف السلف من الصحابة والتابعين فى ذلك ، وقد ذكرنا أحد الأقوال التى رُويت فى ذلك عن ابن عباس، وذلك ما ذكر الضحاك عنه ، أنه لما قتّل الجن الذين عصَوُا الله ، وأفسدوا فى الأرض وشرّدهم ، أعجبته نفسه ورأى فى نفسه أن له بذلك من الفضيلة ما ليس لغيره .

* * *

والقول الثانى من الأقوال المرويّة فى ذلك عن ابن عباس، أنه كان مَلك سماء الدنيا وسائسها، وسائس ما بينها وبين الأرض، وخازن الجنة، مع اجتهاده فى العبادة ، فأعجب بنفسه ، ورأى أن له بذلك الفضل ، فاستكبر على ربه عزّ وجلّ .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمدانىّ ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : لما فرغ الله عزّ وجلّ من خلْق ما أحبّ استوى على العرش ، فجعل إبليسَ على مُلك سماء الدنيا وكان من قبيلة[1] من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سُمّوا الجن لأنهم خزّان الجنة ، وكان إبليس مع مُلكه خازناً ، فوقع فى صدره كبْر ، وقال : ما أعطانى الله هذا إلا لمزيّة ؛ هكذا حدثنى موسى بن هارون .

١/٨٣

(١) كذا فى ط وتاريخ ابن كثير ١ : ٥٥ ، وفى ا : «وكان قبيله» .

وحدثني به أحمد بن أبي خَيْثَمة ، عن عمرو بن حماد ، قال [١] : لمزيّة لي على الملائكة . فلما وقع ذلك الكِبْر في نفسه اطّلع الله عزّ وجلّ على ذلك منه ، فقال الله للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [٢] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحاق ، عن خَلّاد بن عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، قال : كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عَزَازِيل ، وكان من سكان الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً ، وأكثرهم علماً ، فذلك الذي دعاه إلى الكِبْر ، وكان من حي يسمَّون جنًّا .

وحدثنا به ابن حُميد مرة أخرى ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن خلاد بن عطاء ، عن طاوس — أو مجاهد أبي الحجاج — عن ابن عباس وغيره بنحوه ، إلا أنه قال : كانَ مَلَكاً من الملائكة اسمه عَزَازِيل ، وكان من سكان الأرض وعُمّارها ، وكان سكان الأرض فيهم يسمَّوْن الجنّ من بين الملائكة .

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حدثنا شيبان ، قال : حدثنا سَلّام ابن مسكين ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا .

* * *

والقول الثالث من الأقوال المروية عنه أنه كان يقول : السبب في ذلك أنه كان من بقايا خلق خلقهم الله عزّ وجلّ ، فأمرهم بأمر فأبوْا طاعته [٣] . ١/٨٤

• ذكر الرواية عنه بذلك :

---

(١) ا : « فقال » .

(٢) سورة البقرة ٣٠

(٣) ن : « فأبطئوا عنه » .

حدثنى محمد بن سنان القزاز، قال: حدثنا أبو عاصم، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: إن الله خلق خلقاً فقال: اسجدوا لآدم، فقالوا: لا نفعل، قال: فبعث الله عليهم ناراً تحرقهم، ثم خلق خلقاً آخر فقال: إنى خالق بشراً من طين فاسجدوا لآدم، فأبوا، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقتهم، قال: ثم خلق هؤلاء فقال: ألا تسجدوا لآدم[1]! قالوا: نعم، قال: وكان إبليس من أولئك الذين أبوْا أن يسجدوا لآدم.

* * *

وقال آخرون: بل السبب فى ذلك أنه كان من بقايا الجن الذين كانوا فى الأرض، فسفكوا فيها الدماء، وأفسدوا فيها، وعصوْا ربهم؛ فقاتلتهم الملائكة.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا أبو سعيد اليحمدى إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنى سوار بن الجعد اليحمدى، عن شهر بن حوشب، قوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ[2]﴾، قال: كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة، فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء.

حدثنى على بن الحسن، قال: حدثنى أبو نصر أحمد بن محمد الخلال، قال: حدثنى سنيد بن داود، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى، عن موسى بن نمير وعثمان بن سعيد بن كامل، عن سعد ابن مسعود، قال: كانت الملائكة تقاتل الجن فسبى إبليس، وكان صغيراً، وكان مع الملائكة يتعبد معهم، فلما أمروا أن يسجدوا لآدم سجدوا وأبى إبليس، فلذلك قال الله عز وجل: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[2]. ١/٨٥

* * *

(١) ا: «اسجدوا لآدم».
(٢) سورة الكهف ٥٠

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وإذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾[1] ؛ وجائز أن يكون فسوقُه عن أمر ربّه كان من أجل أنه كان من الجنّ ، وجائز[2] أن يكون من أجل إعجابه بنفسه لشدة اجتهاده كان فى عبادة ربه ، وكثرة علمه ، وما كان أوتى من مُلك السماء الدنيا والأرض وخزْن الجنان[2] . وجائزأن يكون كان لغير ذلك من الأمور ، ولا يُدرَك[3] علم ذلك إلاّ بخبرٍ تقوم به الحجة ، ولا خبرَ فى ذلك عندنا كذلك ، والاختلاف فى أمره على ما حكينا ورويناه .

وقد قيل : إن سببَ هلاكه كان من أجل أنّ الأرضَ كان فيها قبل آدم الجنّ ؛ فبعث الله إبليسَ قاضياً يقضى بينهم ، فلم يزل يقضى بينهم بالحق ألف سنة حتى سمى حَكَماً ، وسمّاه الله به ، وأوحى إليه اسمه ، فعند ذلك دخله الكبر ، فتعظّم وتكبّر ، وألقى بين الذين كان الله بعثه إليهم حَكَمًا البأسَ والعداوة والبغضاء ، فاقتتلوا عند ذلك فى الأرض ألْفَىْ سنة فيما زعموا ؛ حتى إن خيولهم تخوض فى دمائهم ، قالوا : وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أفعيينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[4] ؛ وقول الملائكة : ﴿ أتجعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾[5] ! فبعث الله تعالى عند ذلك ناراً فأحرقتهم. قالوا : فلما رأى إبليس ما نزل بقومه من العذاب عرَج إلى السماء ، فأقام عند الملائكة يعبد الله فى السماء مجتهداً لم يعبده شىء من خلقه مثل عبادته ، فلم يزل مجتهداً فى العبادة حتى خلق الله آدم ، فكان من أمره ومعصيته ربّه ما كان .

١/٨٦

---

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢ – ٢) ساقط من ا .

(٣) ر : « لا يدرى » .

(٤) سورة ق ١٥

(٥) سورة البقرة ٣٠

القول فى خلق آدم عليه السلام

وكان مما حدث فى أيام سلطانه وملكه خلق الله تعالى ذكره أبانا آدم أبا البشر ؛ وذلك لما أراد جل جلاله أن يطلع ملائكته على ما قد علم من انطواء إبليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة ، وأراد إظهار أمره لهم حين دنا أمره للبوار ، وملكه وسلطانه للزوال ، فقال عز ذكره لما أراد ذلك للملائكة : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فى الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، فأجابوه بأن قالوا [له] (1) : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾ (2) ! فروى عن ابن عباس أن الملائكة قالت ذلك كذلك للذين (3) قد كانوا عهدوا من أمر الجن الذين كانوا سكان الأرض قبل ذلك ، فقالوا لربهم جل ثناؤه لما قال لهم : ﴿ إنى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفة ﴾ (2) أتجعلُ فيها من يكون فيها مثل الجن الذين كانوا فيها ، فكانوا يسفكون فيها الدماء ويُفسدون فيها ويعصونك ، ونحن نُسَبِّحُ بِحَمْدِك ونُقَدِّس لك ، فقال الربّ تعالى ذكره لهم : ﴿ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (2) ، يقول : أعلم ما لا تعلمون من انطواء إبليس على التكبر ، وعزْمِه على خلافه أمرى ، وتسويل نفسه له الباطل (4) واغتراره ، وأنا مبدٍ ذلك لكم منه لترَوْا ذلك منه عياناً .

1/87

وقيل أقوال كثيرة فى ذلك ، قد حكينا منها جُمَلا فى كتابنا المسمى : « جامع البيان عن تأويل آى القرآن (5) » ، فكرهنا إطالة الكتاب بذكر ذلك فى هذا الموضع .

فلما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم عليه السلام أمر بتربته أن تؤخذ من الأرض ، كما حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا

---

(1) تكملة من ا

(2) سورة البقرة 30

(3) كذا فى ا ، وفى ط : « الذى » .

(4) ك : « بالباطل » .

(5) كذا فى ط ، وفى ا ، ر ، ك : « الفرقان » .

بشر بن عمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحّاك ، عن ابن عباس ؛ قال : ثم أمر - يعني الربّ تبارك وتعالى - بتربة آدم فرفعت ، فخلق الله آدم من طين لازب - واللازب اللّزِج الطيّب - من حَمَإٍ مَسْنونٍ ؛ مُنتن ، قال : وإنما كان حَمَأً مسنوناً بعد التراب ، قال : فخلق منه آدم بيده .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّيّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهَمْدانيّ ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت الملائكة : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني من شأن إبليس ، فبعث الله جبرئيل عليه السلام إلى الأرض ليأتيَه بطين منها ، فقالت الأرض : إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني شيئاً وتَشينني ، فرجع ولم يأخذ ، وقال : يا ربّ إنها عاذت بك فأعذتُها ، فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها . فرجع ، فقال كما قال جبرئيل ، فبعث ملك الموت فعاذت منه ، فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع ، ولم أنفذ أمره ، فأخذ من وجه الأرض ، وخلط فلم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ، فصعد به فبَلّ التراب حتى عاد طيناً لازباً - واللازب هو الذي يلتزق بعضه ببعض - ثم تُرك حتى تغير وأنتن ، وذلك حين يقول : ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[1] ، قال : مُنْتِن .

١/٨٨

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القُمّيّ ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : بعث ربّ العزة عزّ وجلّ إبليس ، فأخذ من أديم الأرض ، من عذبها وملحها[2] ، فخلق منه آدم ،

(١) سورة الحجر ٢٦

(٢) ا : « ومالحها » .

ومن ثَمَّ سُمّيَ آدم ، لأنه خلق من أديم الأرض، ومن ثَمَّ قال إبليس : ﴿ أأسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾[1] ، أى هذه الطينة أنا جئتُ بها .

حدثنا ابن المثنّى، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شُعْبة ، عن أبي حَصِين ، عن سعيد بن جُبَيْر ، قال : إنما سُمّي آدم لأنه خُلق من أديم الأرض .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازيّ ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا مِسْعَر ، عن أبي حَصِين ، عن سعيد بن جُبَيْر ، قال: خُلِق آدم من أديم الأرض فَسُمّي آدمَ .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ رضي الله عنه ، قال : إن آدم خُلِق من أديم الأرض، فيه الطيِّب والصالح والرديء، فكلّ ذلك أنت راءٍ في ولده الصالحَ والرديء .

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عُلَيّة ، عن عَوْف— وحدثنا محمد بن بَشّار وعمر بن شَبّة ، قالا : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا عوف . وحدثنا ابن بَشّار ، قال : حدثنا ابن أبي عديّ ومحمد بن جعفر وعبد الوهاب الثقفيّ ، قالوا: حدثنا عوف . وحدثني محمد بن عُمارة الأسديّ، قال : حدثنا إسماعيل بن أبان، قال : حدثنا عَنْبسة، عن عوف الأعرابيّ — عن قَسَامة بن زُهَير ، عن أبي موسى الأشعريّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلقَ آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ؛ جاء منهم الأحمر ، والأسود ، والأبيض ، وبين ذلك . والسهل ، والحَزْن، والخبيث ، والطيب ، ثم بُلّتْ طينته حتى صارت طينا لازباً، ثم تُرِكت حتى صارت حمأ مسنوناً، ثم تركتْ حتى صارت صلصالا

٨٩/١

---

(١) سورة الإسراء ٦١ ، والخبر في التفسير ١٥ : ٨٠ (بولاق) .

كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ ﴾[١] .

وحدثنا ابن بَشّار ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدىّ ، قالا : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البَطِين ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : خُلِق آدم من ثلاثة : من صلصال ، ومن حمإ ، ومن طين لازب . فأما اللازب فالجيِّد ، وأما الحمأ فالحمئة ، وأما الصلصال فالتراب المدقَّق ، ويعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ من صَلْصَالٍ ﴾ ؛ من طين يابس له صلصلة ، والصلصلة : الصوت .

* * *

وذكر أن الله تعالى ذكره لما خَمَّرَ طينة آدم تركها أربعين ليلة ، وقيل أربعين عاماً جسداً ملقى .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : أمر الله تبارك وتعالى بتربة آدم فرفعت ، فخلق آدمَ من طين لازب من حمإ مسنون . قال : وإنما كان حمأً مسنوناً بعد التراب ؛ قال : فخلق منه آدم بيده ، قال : فمكث أربعين ليلة جسداً ملقًى ، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله ، فيصلصل فيصوّت ، قال : فهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾[٢] ؛ يقول : كالشىء المنفرج الذى ليس بمصمت ، قال : ثمَّ يدخل فى فيه ويخرج من دُبُره ، ويدخل فى دُبُره ويخرج من فيه ، ثم يقول : لست شيئاً للصلصلة ، ولشىء ما خُلقتَ ، ولئن سُلِّطتُ عليك لأهلكنَّك ، ولئن سُلِّطتَ علىَّ لأعصينك[٣] .

١/٩٠

---

(١) سورة الحجر ٢٦

(٢) سورة الرحمن ١٤

(٣) الخبر فى التفسير ٢٧ : ٧٣ (بولاق) .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّىّ – فى خبر ذكره – عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مُرّة الهَمْدانىّ عن ابن مسعود – وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله للملائكة : ﴿ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[١] ؛ فخلقه الله عزّ وجلّ بيديه لكيلا يتكبر إبليس عنه[٢] ليقول حين يتكبر : [٣] تتكبّر عمّا عملتُ بيدى ولم أتكبّر أنا عنه ! فخلقه بشراً ، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ، فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه ، وكان أشدّهم فزعا إبليس ، فكان يمرّ به فيضربه فيصوّت الجسد كما يصوّت الفخّار تكون له صلصلة ، فذلك حين يقول : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ ، ويقول : لأمر ما خُلقت . ودخل من فيه وخرج من دُبُره ، فقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا ؛ فإن ربكم صَمَدٌ[٤] وهذا أجوف ، لئن سلطت عليه لأُهلكنّه[٥] .

١/٩١

وحدثنا عن الحسن بن بلال ، قال : حدثنا حمّاد بن سلمة ، عن سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان النَّهْدِىّ ، عن سلْمان الفارسىّ ، قال : خمّر الله تعالى طينة آدم عليه السلام أربعين يوماً ، ثم جمعه بيديْه ، فخرج طيّبُه بيمينه ، وخبيثه بشماله ، ثم مسح يديه إحداهما على الأخرى ، فخلط بعضَه ببعض ، فمن ثمّ يخرج الطيّب من الخبيث ، والخبيث من الطيّب .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقال – والله أعلم : خلق الله آدم ، ثم وضعه ينظر إليه أربعين يوماً[٦] قبل أن ينفخ فيه الروح ، حتى عاد صلصالا كالفخّار ، ولم تمسّه نار[٧] ، قال : فلما

---

(١) سورة ص ٧١ ، ٧٢

(٢) ر ، ن : « عليه » .

(٣) ط : « تكبر » .

(٤) الصمد ، بفتحتين : المصمت الذى لا جوف له .

(٥) ر : « لأهلكته » .

(٦) ا : « عاما » .

(٧) ن : « النار » .

مضى له من المدّة ما مضى وهو طين صلصال كالفخّار ؛ وأراد عزّ وجلّ أن ينفخ فيه الروح ؛ تقدّم إلى الملائكة فقال لهم : إذا نفختُ فيه من روحى فقَعُوا له ساجدين .

* * *

فلما نفخ فيه الروح أتته الروح من قبَل رأسه ، فيما ذكر عن السَّلَف قبْلنا أنهم قالوه .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّى – فى خبر ذكره – عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مرّة الهمْدانىّ ، عن ابن مسعود – وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : فلما بلغ الحين الذى أراد(١) الله عزّ وجلّ أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة : إذا نفختُ فيه من روحى فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح ، فى رأسه عطَس ، فقالت الملائكة : قل الحمد لله ، فقال : الحمد لله ، فقال الله عزّ وجلّ له : رحمك ربّك . فلما دخل الروح فى عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعام ، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجْلان إلى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول : ﴿ خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾(٢) ، ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾(٣) ، ﴿ أَبَى وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(٤) ، فقال الله له : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾(٥) لِمَا خلقتُ بيدىّ ، قال : أنا خير منه ، لم أكن لأسجدَ لبشر خلقته من طين ، قال الله له : ﴿ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ ﴾ – يعنى ما ينبغى لك – ﴿ أَنْ تَتَكَبَّرَ

٩٢/١

---

(١) ا : « يريد » .
(٢) سورة الأنبياء ٣٧
(٣) سورة الحجر ٣١
(٤) سورة البقرة ٣٤
(٥) سورة الأعراف ١٢

فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[١] ، والصَّغار الذلّ .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضَّحاك ، عن ابن عباس ، قال : فلما نفخ الله عزّ وجلّ فيه — يعني في آدم — مِنْ روحه أتت النفخة من قِبَل رأسه ، فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صار لحماً ودماً ، فلما انتهت النفخة إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من حسنه ، فذهب لينهض فلم يقدر ، فهو قول الله عزّ وجلّ ﴿ خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[٢] ، قال : ضجراً لا صبر له على سراء ولا ضراء ، قال : فلما تمت النفخة في جسده عطَس فقال : الحمد لله ربّ العالمين ، بإلهام الله ، فقال : يرحمك الله يا آدم ، ثم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات : اسجدوا لآدم ؛ فسجدوا كلّهُم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر ، لما كان حدّث به نفسه من كبره واغتراره ، فقال : لا أسجد ، وأنا خير منه وأكبر سنّاً ، وأقوى خلْقاً ، ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾[٣] ، يقول : إن النار أقوى من الطين ، قال : فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله تعالى ، أيئَسه[٤] من الخير كله ، وجعله شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته . ٩٣/١

حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فيقال — والله أعلم — : إنه لما انتهى الروحُ إلى رأسه عطس فقال : الحمد لله ، قال : فقال له ربه : يرحمك ربّك ، ووقعت الملائكة حين استوى سجوداً له ، حفظاً لعهد الله الذي عهد إليهم ، وطاعة لأمره الذي أمرهم به ، وقام عدوّ الله إبليس من بينهم ، فلم يسجد متكبراً[٥] متعظماً بغياً وحسداً ، فقال : ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ

(١) سورة الأعراف ١٣
(٢) سورة الأنبياء ٣٧
(٣) سورة ص ٧٦
(٤) ن : « وآيسه » ، ا : « آيسه » .
(٥) ا : « مكابرا » .

جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(١)، قال: فلما فرغ الله تعالى من إبليس ومعاتبته وأبى إلا المعصية أوقع الله تعالى عليه اللعنة، وأخرجه من الجنة.

حدثني محمد بن خلف، قال: حدثنا آدم بن أبي إياس، قال: حدثنا أبو خالد سليمان بن حيّان، قال: حدثني محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي، عليه السلام. قال أبو خالد: [وحدثني الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه]. قال أبو خالد: وحدثني داود بن أبي هند عن الشعبيّ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو خالد: وحدثني ابن أبي ذباب الدوْسيّ، قال: حدثني سعيد المقبُرِيّ، ويزيد بن هرمز عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه أنه قال: «خلق الله عزّ وجلّ آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملأ من الملائكة فسجدوا له، فجلس فعطَس فقال: الحمد لله، فقال له ربّه: يرحمك ربّك، إيت أولئك الملأ من الملائكة فقل لهم: السلام عليكم. فأتاهم فقال: السلام عليكم، فقالوا له: وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه عزّ وجلّ فقال له: هذه تحيتك وتحية ذرّيتك بينهم. فلما أظهر إبليس من نفسه ما كان له مخفيًا فيها من الكبر والمعصية لربه، وكانت الملائكة قد قالت لربها عزّ وجلّ حين قال لهم: إني جاعل في الأرض خليفة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. فقال لهم ربهم: إني أعلم ما لا تعلمون، تبيّن لهم ما كان عنهم مستتراً، وعلموا أن فيهم مَنْ منه المعصية لله عزّ وجلّ والخلاف لأمره.

١/٩٤

* *

ثم علّم الله عزّ وجلّ آدم الأسماء كلّها. واختلف السلف من أهل العلم قبلنا في الأسماء التي علّمها آدم: أخاصًّا من الأسماء عُلّم، أم عامًّا؟ فقال بعضهم: علّم اسم كل شيء.

(١) سورة ص ٧٥ — ٨٥

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر ابن عُمارة ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : علم الله تعالى آدم الأسماء كلّها ، وهى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس : إنسان ، ودابة، وأرض ، وسهل، وبحر ، وجبل ، وحمار؛ وأشباه ذلك من الأمم وغيرها . ١/٩٥

حدثنى أحمد بن إسحاق الأهوازىّ ، قال : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا شريك ، عن عاصم بن كليب ، عن الحسن بن سعد ، عن ابن عباس ، فى قوله : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ،[1] قال : علمه اسم كلّ شىء ، حتى الفَسْوَة والفُسَيَّة .

حدثنى على بن الحسن ،حدثنا مسلم الجرمىّ[2] ، قال : حدثنا محمد بن مصعب ، عن قيس بن الربيع ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن معبد ، عن ابن عباس فى قول الله عز وجل :﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ قال : علّمه اسم كلّ شىء حتى الهنةَ والهُنَيّة ، والفَسْوَة والضرطة .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ابن ميمون ، عن ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد ؛ فى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ قال : ما خلق الله تعالى كله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ قال : علّمه اسم كل شىء .

---

(١) سورة البقرة ٣١

(٢) ط : « وحدثنا مسلم » ؛ والصواب ما أثبته عن ا ، والتفسير ١ : ٤٨٤

حدثنا سفيان ، قال : حدثنا أبى ، عن شريك، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبَيْر ، قال : علّمه اسمَ كلِّ شىء ؛ حتى البعير ، والبقرة ، والشاة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمَر ، عن قَتادة فى قوله عزّ وجلّ : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ، قال : علّمه اسمَ كل شىء: هذا جبل، وهذا بحر ، وهذا كذا، وهذا كذا ، لكل شىء، ثم عرضهم [1] على الملائكة ، فقال : ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [2] .

٩٦/١

حدثنا بشر بن مُعاذ ، حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، عن سعيد ، عن قَتادة ، قوله عزّ وجلّ : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ حتى بلغ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [3] ، قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فأنبأ كلَّ صِنْف من الخلق باسمه ، وألجأه إلى جنسه .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين [بن داود] [4] ؛ قال : حدثنا حجاج ، عن جرير بن حازم ومبارك ، عن الحسن وأبى بكر ، عن الحسن وقتادة ، قالا : علّمه اسم كل شىء ؛ هذه الخيل، وهذه البغال ، والإبل ، والجن ، والوحش ، وجعل يسمّى كلّ شىء باسمه .

* * *

وقال آخرون : بل إنما عُلِّم اسما خاصًّا من الأسماء [5] ، قالوا : والذى عُلِّمه أسماء الملائكة .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) كذا فى ط ، وفى ا ، ر ، س : « ثم عرض تلك الأسماء » .
(٢) سورة البقرة ٣١ .
(٣) سورة البقرة ٣٢
(٤) تكملة من ا
(٥) ن : « الأشياء » .

حدثنى عبدة المرْوَزىّ ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع[1]، قوله تعالى :﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، قال : أسماء الملائكة .

* * *

وقال آخرون مثلَ قولِ هؤلاء فى أن الذى علّم آدم [من][2] الأسماء [اسما][1] خاصًّا من الأشياء ؛ غير أنهم قالوا: الذى علّم من ذلك أسماء ذريته .

٩٧/١

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى يونس ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ،قال : أسماء ذريته ، فلما علّم الله آدم الأسماء كلّها عرض الله عزّ وجلّ أهلَ الأسماء على الملائكة ، فقال لهم : ﴿ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [3] ،وإنما قال ذلك عزّ وجلّ للملائكة — فيما ذكر — لقولهم إذ قال لهم : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [4] فعرض — بعد أن خلق آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح ، وعلمه أسماء كلّ شىء — مما[5] خلق من الخلق — عليهم ، فقال لهم : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أنّى إن جعلت منكم خليفتى فى الأرض أطعتمونى وسبّحتمونى وقدستمونى ولم تعصونى ، وإن جعلته من غيركم أفسد فيها وسفك ، فإنكم إن لم تعلموا ما أسماؤهم وأنتم مشاهدوهم ومعاينوهم ، فأنتم بألاّ تعلموا ما يكون من أمركم — إن جعلتُ خليفتى فى الأرض منكم ، أو من غيركم إن جعلته من غيركم ، فهم عنْ أبصاركم غُيَّبٌ لا ترونهم ولا تعاينونهم ، ولم تخبروا بما هو كائن منكم ومنهم — أحرَى .

* * *

(١) هو أبو جعفر الرازى ، والربيع هو ابن أنس ، وانظر تهذيب التهذيب ٣ : ٢٣٨ ، و١٢ : ٥٦ .

(٢) تكملة من ا .

(٣) سورة البقرة ٣١ .

(٤) سورة البقرة ٣٠ .

(٥) ط « ماخلق » وما أثبته من ا ، ر .

وهذا قول رُوى عن جماعة من السلف .

١/٩٨ * ذكر بعض من رُوى ذلك عنه :

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنى عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسْباط ، عن السُّدِّى — فى خبر ذكره — عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانىّ ، عن عبد الله بن مسعود — وعن ناسٍ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أن بنى آدم يُفْسدون فى الأرض ويسفكون الدماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، إن كنتم تعلمون لِمَ أجْعَلُ فى الأرض خليفة .

* * *

وقد قيل : إن الله جلّ جلاله قال ذلك للملائكة لأنه جلّ جلاله لما ابتدأ فى خلق آدم قالوا فيما بينهم : لِيخلقْ ربُّنا ما شاء أن يخلُق ، فلنْ يخلُقَ خلقاً إلا كنّا أعلم منه ، وأكرمَ عليه منه ، فلما خلق آدمَ عليه السلام وعلّمَه أسماءَ كلّ شيء عرَض الأشياء التى علّم آدمَ أسماءها عليهم ، فقال لهم : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فى قيلِكم : إنّ الله لم يخلق خلقاً إلا كنتم أعلمَ منه ، وأكرم عليه منه .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن مُعاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، فاستشار الملائكة فى خلْق آدم عليه السلام فقالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ، وقد علمت الملائكة من عِلْم الله أنه لا شيء أكرهُ إلى الله عزّ وجلّ من سفك الدماء والفساد فى الأرض ،

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ ، ٩٩/١
فكان[١] فى علم الله عزّ وجلّ أنه سيكون من تلك الخليقة[٢] أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة .

قال : وذُكِر لنا أن ابن عباس كان يقول : إن الله تعالى لما أخذ فى خلق آدم قالت الملائكة : ما الله تعالى بخالق خلقاً أكرم عليه منا ، ولا أعلم منا ، فابتُلوا بخلْق آدم عليه السلام — وكلّ خلْق مبتلًى ، كما ابتُليت السموات والأرض بالطاعة - فقال الله تعالى : ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[٣] .

حدثنا القاسم، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنى حجاج ، عن جرير بن حازم ، ومبارك عن الحسن وأبى بكر عن الحسن وقتادة قالا : قال الله عزّ وجلّ للملائكة : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ قال لهم : إنى فاعل، فعرَضوا برأيهم، فعلّمهم علماً وطوى منهم علماً علِمه لا يعلمونه، فقالوا بالعلم الذى علّمهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ — وقد كانت الملائكة علمت من علم الله تعالى أنه لا ذنب عند الله تعالى أعظم من سفك الدماء — ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ ، فلما أخذ تعالى فى خلق آدم عليه السلام همست الملائكة فيما بينهم ، فقالوا : ليخلقْ ربُّنا عزّ وجلّ ماشاء أن يخلق ، فلن يخلُقَ خلقاً إلا كنا أعلمَ منه ، وأكرمَ عليه منه ، فلما خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم أن يسجدوا له لما قالوا ، ففضّله عليهم ، فعلموا أنهم ليسوا بخير منه ، فقالوا : إن لم نكن خيراً منه ، فنحن أعلمُ منه ، لأنا كنّا قبله ، وخلِقت الأمم قبله ، ١٠٠/١

---

(١) ط : « وكان » وما أثبته من ا .

(٢) كذا فى ا : وفى ط « من ذلك الخليقة » .

(٣) سورة فصلت ١١

فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا ، فعلّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء؛ إن كنتم صادقين أنّى لم[1] أخلق خلقاً إلا كنتم أعلمَ منه ، فأخبرونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالا[2] : ففزع القوم إلى التوبة، وإليها يفزع كل مؤمن، فقالوا : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[3] . لقولهم : ليخلقْ ربنا ماشاء، فلن يخلُقَ خلقاً أكرمَ عليه منّا، ولا أعلمنا، قال: علّمه اسمَ كل شىء: هذه الخيل ، وهذه البغال، والإبل، والجن ، والوحش ، وجعلَ يسمّى كلَّ شىء باسمه ، وعرضت عليه أمة أمة، قال : ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ، قال : أمّا ما أبدوْا فقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ؛ وأمّا ما كتموا فقولهم[4] بعضهم لبعض : نحن خير منه وأعلم .

حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه[5] ، عن الربيع بن أنس: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ؛ قال : وذلك حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : فلما عرفوا أنه جاعل فى الأرض خليفة قالوا بينهم : لن يخلق الله تعالى خلقاً إلا كنا نحن أعلمَ منه وأكرمَ عليه، فأراد الله تعالى أن يخبرهم أنه قد فضّل عليهم آدم، وعلّمه الأسماء كلها؛ وقال

١٠١/١

(١) ا : « لا أخلق » .
(٢) ط : « قال » وما أثبته عن ا .
(٣) سورة البقرة ٣٢ ، ٣٣
(٤) ا ، ن : « فقول بعضهم » . (٥) هو أبو جعفر الرازى (عيسى بن أبى عيسى).

للملائكة : ﴿ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إلى ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ، فكان الذى أبدوا حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ، وكان الذى كتموا بينهم [قولهم][1] : لن يخلق ربّنا خلقاً إلا كنّا نحن أعلم منه وأكرم ، فعرفوا أن الله عزّ وجلّ فضّل عليهم آدم فى العلم والكرم .

فلما ظهر للملائكة من استكبار إبليس ما ظهرَ ، ومن خلافه أمر ربه ما كان مستتراً عنهم من ذلك ، عاتبه[2] ربه على ما أظهر من معصيته إياه بتركه السجود لآدم ، فأصرّ على معصيته ، وأقام على غيه[3] وطغيانه — لعنه الله — فأخرجه من الجنة ، وطرده منها ، وسلبه ما كان أتاه من ملك السماء الدنيا والأرض ، وعزله عن خزْن الجنة فقال له جلّ جلاله : ﴿ فَاخْرُجْ مِنْهَا ﴾ ، يعنى من الجنة ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾[4] ، وهو بعد فى السماء لم يهبط إلى الأرض .

وأسكن[5] الله عزّ وجلّ حينئذ آدم جنّته ؛ كما حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ — فى خبر ذكره — عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرّة الهمْدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأخرج إبليس من الجنة حين لُعن وأسكن آدم الجنة ، فكان يمشى فيها وحشيّاً[6] ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ ؛ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها : ما أنت[7] ؟ قالت : امرأة ، قال : ولمَ خلقت ؟ قالت : ١٠٢/١

(١) تكملة من ا
(٢) ط : « وعاتبه » ؛ وما أثبته عن ا
(٣) س : « عيبه » .
(٤) سورة الحجر ٣٤ ، ٣٥
(٥) ط : « فأسكن » ، وما أثبته عن ا
(٦) كذا فى ا ، س ، وفى ط والتفسير : « وحشا » .
(٧) ر والتفسير : « من أنت ؟ » .

لتسكن[١] إلىّ ، قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ علمه : ما اسمها يا آدم ؟ قال : حوّاء ، قالوا : لم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيء حيّ ، فقال الله تعالى : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [٢].

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة [٣] ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فرغ الله تعالى من معاتبة إبليس أقبل على آدم عليه السلام وقد علّمه الأسماء كلها ، فقال : ﴿ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ إلى ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [٤] ، قال : ثم ألقى السِّنَة على آدم – فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم – عن عبد الله بن العباس وغيره ، ثم أخذ ضِلَعاً من أضلاعه من شقه الأيسر ، ولأم مكانها لحماً ، وآدم عليه السلام نائم لم يهبّ من نومته ، حتى خلق الله تعالى من ضِلَعه تلك زوجه حواء ، فسوّاها امرأة ليسكن إليها ، فلما كشف عنه السِّنة وهبّ من نومته رآها إلى جنبه ، فقال – فيما يزعمون والله أعلم : لحمى ودمى وزوجتى ، فسكن إليها ، فلما زوّجه الله عزّ وجلّ وجعل له سكناً من نفسه ، قال له قِبَلاً [٥] : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

١٠٣/١ حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى [٦] ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد [٧] في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا

---

(١) ا ، ر : « تسكن » .

(٢) سورة البقرة ٣٥ ، والخبر في التفسير ١ : ٥١٣ .

(٣) هو سلمة بن الفضل .

(٤) سورة البقرة ٣٣ ؛ وفي الأصول : إلى (إنك أنت العليم الحكيم) ؛ وهو من الآية التي قبلها .

(٥) قبلا ، أي عيانا ، وانظر تفسير ابن كثير ١ : ٧٨ .

(٦) هو عيسى بن ميمون .

(٧) هو مجاهد بن جبر .

زَوْجَهَا ﴾[1] . قال : حواء من قُصَيْرَى[2] آدم ، وهو نائم فاستيقظ فقال : « أثا » بالنَّبَطية ، امرأة .

حدثنا المثنَّى[3] ، قال : حدثنا أبو حذيفة[4] ، قال : حدثنا شِبْل[5] ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدثنا سعيد[6] ، عن قتادة : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، يعني حوّاء ، خلقت من آدم من ضِلَع من أضلاعه .

---

(١) سورة النساء ١ .
(٢) القصيرى : أسفل الأضلاع .
(٣) المثنى بن إبراهيم الآملي .
(٤) أبو حذيفة (موسى بن مسعود الهندي) .
(٥) شبل بن عباد المكي .
(٦) سعيد بن أبي عروبة .

وابتلائه إياه بما امتحنه به من طاعته، وذكر ركوب آدم معصية ربه بعد الذى كان أعطاه من كرامته وشريف المنزلة عنده، ومكّنه فى جنته من رغد العيش وهنيئه ، وما أزال ذلك عنهُ، فصار من نعيم الجنة ولذيذ رغد العيش إلى نكد عيش أهل الأرض وعلاج الحراثة والعمل بالمَساحى والزراعة فيها .

فلما أسكن الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام وزوجه أطلق لهما أن يأكلا كلّ ما شاء أكله من كل ما فيها من ثمارها، غير ثمر شجرة واحدة ابتلاءً منه لهما بذلك ، وليمضى قضاء الله فيهما وفى ذريتهما ، كما قال عزّ وجلّ :

١/١٠٤ ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما أكل ما نهاهما ربُّهما عن أكله من ثمر تلك الشجرة ، وحسّن لهما معصية الله فى ذلك ، حتى أكلا منها ؛ فبدت لهما من سوْآتهما ما كان مُوارًى[2] عنهما منها .

فكان[3] وصول عدوّ الله إبليس إلى تزيين ذلك لهما ما ذكر فى الخبر الذى حدثنى موسى بن هارون الهمدانىّ ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّى — فى خبر ذكره — عن أبى مالك وعن أبى صالح، عن ابن عباس — وعن مرّة الهمْدانى ، عن ابن مسعود — وعن أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، قال: لما قال الله عز وجل لآدم: ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ،أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة

(١) سورة البقرة ٣٥
(٢) س : « متواريا » .
(٣) ا : « وكان » .

فمنعه الخزَنة ، فأتى الحية ؛ وهى دابة لها أربع قوائم ، كأنها البعير ؛ وهى كأحسن الدوابّ فكلمها أن تدخله فى فمها حتى تدخل به إلى آدم ، فأدخلته فى فمها ، فمرّت الحية على الخزَنة [فدخلت][1] وهم لا يعلمون ، لِمَا أراد الله عزّ وجلّ من الأمر ، فكلّمه من فمها ولم يُبال كلامه ، فخرج إليه فقال : ﴿ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾[2] ، يقول : هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنتَ مَلِكاً مثل الله تبارك وتعالى أو تكونا[3] من الخالدين فلا تموتان أبداً . وحلف لهما بالله إنى لكما لمن الناصحين ، وإنما أراد بذلك أن يبدىَ[4] لهما ما توارى عنهما من سوءاتهما بهَتْك[5] لباسهما ، وكان قد علم أن لهما سَوْءَةً لما كان يقرأ من كتب الملائكة ، ولم يكن آدم يعلم ذلك ، وكان لباسهما الظُّفر ، فأبى آدم أن يأكل منها ، فتقدمت حواء فأكلت ، ثم قالت : يا آدم كُلْ ؛ فإنى قد أكلتُ ، فلم يضرّنى ، فلما أكل بدت لهما سوءاتهما ، وطفقا يَخْصفان عليهما من ورق الجنة[6] . ١/١٠٥

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن ليث ابن أبى سُليم ، عن طاوس اليمانىّ ، عن ابن عباس ، قال : إن عدوّ الله إبليس عرَض نفسه على دوابّ الأرض : أيها[7] تحمله حتى تدخل به الجنة حتى يكلّم آدم وزوجه ، فكلّ الدواب أبى ذلك عليه ، حتى كلّمَ الحية ، فقال لها : أمنعُك من بنى آدم ، فأنت فى ذمتى إن أنت أدخلتِنى الجنة ، فجعلته بين نابَين من أنيابها ثم دخلت به ، فكلمهما من فمها[8] وكانت كاسية تمشى على أربع قوائم ، فأعراها الله تعالى وجعلها تمشى على بطنها ، قال : يقول ابن عباس : اقتلوها حيث وجدتموها ، وأخْفِروا ذمة عدوّ الله فيها[9] .

---

(١) تكملة من ا

(٢) سورة طه ١٢٠

(٣) ا ، س ، ن : « أو تكون » .

(٤) ا ، ن والتفسير : « بذلك ليبدى » ، س : « ذلك ليبدى » .

(٥) س : « لهتك » .

(٦) الخبر فى التفسير ١ : ٥٢٧ .

(٧) س ، ن : « أنها تحمله » .

(٨) ا والتفسير : « من فيها » .

(٩) الخبر فى التفسير ١ : ٥٣٠ .

حدثنا الحسن بن يحيي ، قال : أخبرنا عبد الرزاق [١] ، قال : أخبرنا عمر بن عبد الرحمن بن مُهْرِب[٢] ، قال : سمعت وهب بن منبّه يقول : لما أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة ، ونهاه عن الشجرة ، وكانت شجرة غصونُها متشعب بعضها فى بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم ،[٣] وهى الثمرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته، فلما أراد إبليس أن يستزلّهما دخل فى جوف الحية ، وكان للحية أربع قوائم ، كأنها بُختيّة من أحسن دابة خلقها الله تعالى ، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس ، فأخذ من الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته ، فجاء بها إلى حواء ، فقال : انظرى إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها ! فأخذت حوّاء فأكلت منها ، ثم ذهبت بها إلى آدم ، فقالت : انظر إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها ! فأكل منها آدم ، فبدت لهما سوآتهما ، فدخل آدم فى جوف الشجرة، فناداه ربُّه : يا آدم، أين أنت؟ قال: أنا هذا يا ربّ ، قال : ألا تخرج ؟ قال: أستحى منك يا ربّ ، قال : ملعونة الأرض التى خلقت منها لعنة حتى يتحول ثمارها شوكاً ! قال : ولم يكن فى الجنة ولا فى الأرض شجرة كانت أفضل من الطلح والسِّدر. ثم قال : يا حوّاء ، أنت التى غرَرْتِ عبدى ، فإنك لا تَحملين حَمْلاً إلا حملتِه كرهاً، فإذا أردت أن تضعِى ما فى بطنك أشرفتِ على الموت مراراً . وقال للحيه : أنت التى دخل الملعون فى بطنك حتى غرّ عبدى ، ملعونة أنت لعنة حتى تتحول قوائمُك فى بطنك، ولا يكنْ لك رزق إلا التراب ، أنتِ عدوّة بنى آدم وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحداً منهم أخذتِ بعقبِه، وحيث لقيَك شدَخ رأسك[٤] .

١٠٦/١

(١) هو عبد الرزاق بن همام .

(٢) فى ط : « معمر بن عبد الرحمن بن مهران » ؛ وصوابه ما أثبته من ا ؛ وهو يوافق ما فى التفسير .

(٣) كذا فى ا والتفسير ؛ وفى ط : « يخلدهم » .

(٤) الخبر فى التفسير ١ : ٥٢٥ ، وانظر حواشيه .

قيل لوهب[١] : وما كانت الملائكة تأكل ؟ قال : يفعل الله ما يشاء .

١٠٧/١ حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : نهى الله تعالى آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة فى الجنة ، ويأكلا منها رغداً حيث شاءا ، فجاء الشيطان فدخل فى جوف الحيّة ، فكلّم حواء ، ووسوس إلى آدم فقال : ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾[٢] قال : فقطعت حوّاء الشجرة فدميت الشجرة ، وسقط عنهما رياشهما الذى كان عليهما ، ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[٢] لِمَ أكلتها وقد نُهيتكَ عنها ؟ قال : يا ربّ أطعمتْنى حواء ، قال لحواء : لم أطعمتِه ؟ قالت : أمرتْنى الحية ، قال للحية : لم أمرتِها ؟ قالت : أمرَنى إبليس ، قال : ملعونٌ مدحورٌ ! أما أنت يا حواء ، فكما أدميتِ الشجرة تَدْمَيْنَ فى كلّ هلال ، وأما أنتِ يا حية ، فأقطعُ قوائمك فتمشين جرياً على وجهك ، وسيشدَخ رأسكَ مَنْ لقيَك بالحجر ، اهبطوا بعضكم لبعض عدو[٣] .

حدثت عن عمّار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : حدثنى محدّث أن الشيطان دخل الجنة فى صورةِ دابة ذات قوائم ، فكان يُرَى أنه البعير ، قال : فَلُعِن ، فسقطت قوائمه فصار حيّة[٤] .

حدثت عن عمار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن

(١) التفسير : « قال عمر قيل لوهب . . . »
(٢) سورة الأعراف ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢
(٣) الخبر فى التفسير ١ : ٥٣٠ .
(٤) الخبر فى التفسير ١ : ٥٢٨

١٠٨/١ أبيه ، عن الربيع قال : وحدثنى أبو العالية ؛ قال : إنّ من الإبل ما كان أولها من الجنّ. قال: فأبيحت له الجنة كلّها — يعنى آدم — إلا الشجرة ، وقيل لهما : ﴿ لَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[1] ، قال : فأتى الشيطان حواء فبدأ بها ، فقال : نُهيتما عن شىء ؟ قالت : نعم ، عن هذه الشجرة ، فقال : ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾[2]. قال : فبدتْ[3] حواء فأكلتْ منها ، ثم أمرت آدم فأكل منها . قال : وكانت شجرة ، مَنْ أكل منها أحدث ، قال: ولا ينبغى أن يكون فى الجنة حَدَث[4] ، قال : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾[5] ، قال : فأخرج آدم من الجنة[6] .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سَلَمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم أن آدم عليه السلام حين دخل الجنة ورأى ما فيها من الكرامة ، وما أعطاه الله منها ؛ قال: لو أنا خُلّدنا[7] ! فاغتمز فيها منه الشيطان لما سمعها منه ، فأتاه من قِبَل الخُلْد[8] .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال: حُدّثتُ[9] أن أول ما ابتدأهما به من كيده إياهما أنه ناح عليهما نياحة أحزنتْهما[10] حين سمعاها ، فقالا له: ما يُبْكيك ؟ قال: أبكى عليكما ،

---

(١) سورة البقرة ٣٥

(٢) سورة الأعراف ٢٠

(٣) كذا فى الأصول ، وفى التفسير : « فبدأت » .

(٤) ن : « شىء من الحدث » .

(٥) سورة البقرة ٣٦

(٦) الخبر فى التفسير ١ : ٥٢٨

(٧) كذا فى ط ؛ وفى ا ، س ، ن : « لو أن خلدا » ، وفى التفسير : « لو أن خلدا كان » .

(٨) الخبر فى التفسير ١ : ٥٢٨

(٩) الخبر فى التفسير ١ : ٥٢٩

(١٠) ا ، س « حزنتهما » .

تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة . فوقع ذلك فى أنفسهما ، ثم أتاهما فوسوس إليهما ، فقال : يا آدم هل أدلُّك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ وقال : ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ، أى تكونان ملكين أو تخلدان ، أى إن لم تكونا ملكين فى نعمة الجنة فلا تموتان[١] يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ . ١٠٩/١

حدثنى يونس[٢] ، قال أخبرنا ابن وهب[٣] ، قال : قال ابن زيد[٤] فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ ﴾ : وسوس الشيطان إلى حواء فى الشجرة حتى أتى بها إليها ، ثم حسّنها فى عين آدم ، قال : فدعاها آدم لحاجته ، قالت : لا : إلا أن تأتىَ ها هنا ، فلما أتى قالت : لا ، إلاّ أن تأكل من هذه الشجرة ، قال : فأكلا منها ، فبدت لهما سوءاتهما . قال : وذهب آدم هارباً فى الجنة ، فناداه ربُّه : يا آدم ، أمنّى تفرّ ؟ قال : لا ياربّ ، ولكن حياءً منك ، قال : يا آدم ، أنّى أُتيتَ ؟ قال : من قِبَل حواء يارب ؛ فقال الله عزّوجلّ : فإنّ لها علىّ أن أدميها فى كلّ شهر مرة ، كما أدمتْ[٥] هذه الشجرة ، وأن أجعلها سفيهة ، وقد كنت خلقتُها حليمة ، وأن أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهًا ، وَقَدْ كنت جعلتها تحمل يَسَراً وتضع يَسَراً . قال ابن زيد : ولولا البليّةُ التى أصابت حواء لكان نساءُ أهل الدنيا لا يَحِضْنَ ، وَلَكُنَّ حليمات ، ولكُنّ يحملن يسراً ، ويضعن يسراً[٦] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة[٧] ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : سمعته يحلف بالله ما يستثنى : ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ، ولكن حواءَ سقتْه

---

(١) فى التفسير : « أى تكونا ملكين أو تخلدا إن لم تكونا ملكين » .
(٢) يونس بن عبد الأعلى .
(٣) هو عبد الله
(٤) هو عبد الرحمن زيد بن أسلم .
(٥) فى التفسير : « كما أدميت » .
(٦) الخبر فى التفسير ١ : ٥٢٩ .
(٧) هو سلمة بن الفضل الأبرش .

١١٠/١ الخمر حتى إذا سكر قادته إليها ، فأكل منها[1]. فلما واقع آدم[2] وحواء الخطيئة، أخرجهما الله تعالى من الجنة وسلبهما ما كانا فيه من النعمة والكرامة، وأهبطهما وعدوهما إبليس والحيّة إلى الأرض ، فقال لهم ربهم: اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ .

* * *

وكالذى قلنا فى ذلك قال السلف من أهل العلم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنا عبد الرحمن ابن مهدىّ ، عن إسرائيل[3] عن إسماعيل السّدىّ ، قال: حدثنى مَنْ سمع ابن عباس يقول: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[4]، قال: آدم وحواء وإبليس والحية .[5]

حدثنا سفيان بن وكيع ، وموسى بن هارون ، قالا : حدثنا عمرو ابن حماد ، عن أسباط ، عن السدىّ – فى خبر ذكره – عن أبى مالك وعن أبى صالح، عن ابن عباس – وعن مرّة الهَمْدانىّ، عن ابن مسعود – وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾، فلعن الحيّة فقطع قوائمها، وتركها تمشى على بطنها، وجعل رزقها من التراب، وأهبط إلى الأرض آدم وحواء وإبليس والحية .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد، فى قول الله عزّ وجلّ: ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية [6].

---

(١) الخبر إلى هنا فى التفسير ١ : ٥٣٠
(٢) ر : « فلما وقع من آدم » . (٣) إسرائيل بن يونس .
(٤) سورة البقرة ٣٦ .
(٥) الخبر فى التفسير ١ : ٥٣٦ .
(٦) الخبر فى التفسير ١ : ٥٣٥ .

القول فى قدر مكث آدم فى الجنة ووقت خلق الله عزّ وجلّ إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض

قَدْ تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله عزّ وجلّ خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة، وأنه أخرجه فيه من الجنة، وأهبطه إلى الأرض فيه، وأنه فيه تاب عليه، وفيه قبضه. ١١١/١

* * *

ذكر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك:

حدثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحَكَم، قال: حدثنا علىّ بن مَعْبَد، قال: حدّثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الله بن محمد بن عَقيل، عن عمرو بن شُرَحْبيل عن سعيد بن سعد بن عُبادة، عن سعد بن عُبادَة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إن فى الجمعة خمس خلال: فيه خلْق آدم، وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه تَوفّى الله آدم، وفيه ساعةٌ لا يَسأل العبدُ فيها ربّه شيئاً إلا أعطاه الله إياه؛ ما لم يسأل إثماً أو قطيعة، وفيه: تقوم الساعة، وما مِن ملَك مقرَّب. ولا سماءٍ ولا جبل ولا أرض ولا ريح؛ إلا مشفِق من يوم الجمعة».

حدثنى محمد بن بشار ومحمد بن مَعمَر، قالا: حدثنا أبو عامر، حدثنا زُهَير بن محمد، عن عبد الله بن محمد بن عَقِيل، عن عبد الرحمن بن يزيد الأنصارىّ؛ عن أبى لُبابة بن عبد المنذر، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «سيد الأيام يومُ الجمعة، وأعظمُها وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم النحر؛ وفيه خمس خلال: خلق الله تعالى فيه آدم، وأهبطه فيه إلى الأرض، وفيه توفّى الله تعالى آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله العبد شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يكن حراماً. وفيه تقوم الساعة؛ ما من ملك مقرَّب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا رياح ولا بحر إلا وهو مشفِق من يوم الجمعة، أن تقوم فيه الساعة». ١١٢/١ والللفظ لحديث ابن بشار.

حدثنا محمد بن معمر ، قال : حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا زُهير ابن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عمرو بن شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعد بن عبادة ، أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : يا رسول الله ، أخبرْنا عن يوم الجمعة ، ماذا[1] فيه من الخير؟ فقال : « فيه خُلِق آدم ، وفيه أهبط آدم ، وفيه تُوفّى آدم ، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا أعطاه[2] الله إياه؛ ما لم يسأل مأثماً أو قطيعة ، وفيه تقوم الساعة ؛ ما من ملك مقرّب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا ريح إلا هنّ يُشفِقن من يوم الجمعة » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحَكَم ، قال : حدثنا أبو زُرْعَةَ ،قال : أخبرني يونس ،عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن الأعرج ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير يوم طلعت الشمس عليه يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة وأخرج منْها » .

١١٣/١ حدثني بحر بن نصر ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن أبي الزّناد ، عن أبيه، عن موسى بن أبي عثمان ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « سيدُ الأيام يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة » .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا شعيب بن الّليْث ، قال : حدثنا الّليْث بن سعد ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هُرْمز ، أنه قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«لم تطلع الشمس على يوم مثل يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أخرِج من الجنة ، وفيه أعيد فيها » .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور ومغيرة ، عن زياد بن كليب أبي معشر ، عن إبراهيم ، عن الْقَرْثَع الضَّبيّ — وكان القرثع

(١) ا : «ما روى فيه» .
(٢) ا : «آتاه الله» .

من القراء الأولين — قال : قال سلمان : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا سلمان، أتدرى ما يوم الجمعة ؟» قلت : الله ورسوله أعلم، يقولها ثلاثاً: « يا سلمان، أتدرى ما يوم الجمعة ؟ فيه جَمَّع أبوك » ، أو « أبوكم » .

حدثنى محمد بن عُمَارة الأسدىّ ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى قال : أخبرنا شيبان ، عن يحيى ، عن أبى سلَمة ، أنه سمع أبا هريرة يحدّث أنه سمع كعباً يقول : خيرُ يومٍ طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خُلِق آدم عليه السلام، وفيه دخل الجنة، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة .

١١٤/١

حدثنى الحسين بن يزيد الأَدَمىّ[1] ، قال : حدثنا روْح بن عُبادة ، قال : حدّثنا زكرياء بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن عُبَيْد بن عمير ، قال : إنّ أولَ يوم طلعت فيه شمسه يوم الجمعة ، وهو أفضل الأيام: فيه خلق الله تعالى ذكره آدم؛ خلقه على مثل صورته ، فلما فرغ عطس آدم فألقى الله تعالى عليه الحمد، فقال الله : يرحمك ربّك .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا إسحاق بن منصور ، عن أبى كُدَيْنَة ، عن مغـيرة ، عن زياد ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن القَرْثع ، عن سلمان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرى ما يوم الجمعة ؟ هو يوم جَمَّعَ فيه أبوك » ، أو « أبوكم آدم » عليه السلام .

حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا عثمان بن سعيد ، عن أبى الأحوص ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة[2] ، قال : قال سلمان . قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا سلمان ، أتدرى ما يومُ الجمعة ؟ » مرتين أو ثلاثا ، قال : « هوَ اليوم الذى جمّع فيه أبوكم آدم » ، أو « جمّع فيه أبوكم » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : حدثنا حسن بن عطية ، قال : حدثنا قيس ، عن الأعمش ، عن إبراهيم . عن القَرْثع ، عن سلمان ، قال : قال

---

(١) س : « زيد » ، ب : « الحسن بن يزيد الأزدى » ؛ ولم يقع لى وجه الصواب فيما لدى من كتب التراجم . (٢) علقمة بن قيس .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرى ما الجمعة[1] » ؟ أو قال : كذا ، « فيها جَمَّعَ أبوكم آدم » .

١١٥/١ حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبى يقول : أخبرنا أبو حمزة[2] ، عن منصور[3] ، عن إبراهيم[4] ، عن القَرْثع[5] ، عن سلمان ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرى ما يوم الجمعة ؟ » قلت : لا ، قال : « فيه جمع أبوك » .

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « ما يوم الجمعة » .
(٢) محمد بن ميمون ابو حمزة السكرى .
(٣) منصور بن المعتمر .
(٤) إبراهيم النخعى .
(٥) القرثع الضبى .

ذكر الوقت الذى فيه خلق آدم عليه السلام من يوم الجمعة والوقت الذى أهبط إلى الأرض

اختلف فى ذلك، فروى عن عبد الله بن سَلاَم وغيره فى ذلك ما حدّثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خير يوم طلعت فيه[1] الشمس يومُ الجمعة ،فيه خُلق آدم، وفيه أسكن الجنة، وفيه أهبط ، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة — [يقلّلها] —[2] لايوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً إلاّ آتاه الله إياه»، فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أىّ ساعة هى ، هى آخر ساعات النهار من يوم الجمعة ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾[3] .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا المحاربىّ وعبدة بن سليمان وأسد بن عمرو ؛ عن محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو سلمة ، عن أبى هريرة، عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه ، وذكر فيه كلام عبد الله بن سَلاَم بنحوه .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد فى قوله عزّ وجلّ : ﴿ خُلِقَ الإنسانُ من عجل﴾ ، قال : قول آدم حينَ خُلِق بعد كلّ شىء آخر النهار من يوم [الجمعة][4] ؛ خلق الخلق، فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله، قال: يا ربّ استعجل بخلقى قبل غروب الشمس .

١١٦/١

(١) ن : «عليه» .
(٢) تكلة من ا ، والتفسير ، وفى ابن كثير : «وقبض أصابعه يقللها».
(٣) سورة الأنبياء ٣٧ ، والخبر فى التفسير ١٧ ، ٢١ (بولاق) . وتفسير ابن كثير ٣ : ١٧٩ .
(٤) تكلة من ا ، س .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن[1] ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجّاج ، عن ابن جُرَيج ، قال: قال مجاهد : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، قال : آدم حين خُلق بعد كلّ شيء ، ثم ذكره نحوه ؛ غير أنه قال في حديثه : استعجلْ بخلقي ، قد غربت الشمس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، قال: على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذينْك اليومين — يريد يوم الجمعة — وخلقه على عَجَلَة[2] وجعله عجولا .

* * *

وقد زعم بعضهم أن الله عزّ وجلّ أسكن آدم وزوجته الفردوس لساعتين مَضَتَا من نهار يوم الجمعة ، وقيل لثلاث ساعات مضيْنَ منه ، وأهبطه إلى الأرض لسبع ساعات مضين من ذلك اليوم، فكان مقدار مُكْثهما في الجنة خمس ساعات منه . وقيل: كان ذلك ثلاث ساعات . وقال بعضهم : أخرج آدم عليه السلام من الجنة الساعة التاسعة أو العاشرة

١١٧/١ * ذكر من قال ذلك :

قال أبو جعفر : قرأتُ على عبدان بن محمد المروَزِيّ ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أنس عن أبي العالية ، قال : أخرِج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة ، فقال لي : نعم ؛ لخمسة أيام مضين من نَيْسان .

فإن كان قائل هذا القول أراد الله أن تبارك وتعالى أسكن آدم وزوجته الفردوْس لساعتين مضتا من نهار يوم الجُمعة من أيام أهل الدنيا التي هي على

---

(١) هو الحارث بن محمد روى عن الحسن بن موسى الأشيب . تاريخ بغداد ٢ : ٢١٨ .
(٢) ا : « عجل » .

ما [هى](١) به اليوم؛ فلم يبعد قوله من الصواب فى ذلك؛ لأن الأخبار إذا كانت واردة عن السّلَف من أهل العلم، بأن آدم خُلِق فى آخر ساعة من اليوم السادس من الأيام التى مقدار اليوم الواحد منها(٢) ألف سنة من سنيننا . فمعلوم أن الساعة الواحدة من ساعات ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاماً من أعوامنا ، وقد ذكرنا أن آدمَ بعد أن خَمّر ربنا عزّ وجلّ طينته بقِىَ قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين عاماً؛ وذلك لا شك أنه عَنَى به من أعوامنا وسنيننا، ثم [من](١) بعد أن نفخ فيه الروح إلى أن تناهى أمره، وأُسكن الفِرْدَوْس، وأهبِط إلى الأرض— غير مستنكَر أن يكون كان مقداره من سنيننا قدر خمس وثلاثين سنة . فإن كان أراد أنه أُسكن الفِردوس لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الأيام التى مقدار اليوم الواحد منها(٢) ألف سنة من سنيننا ، فقد قال غير الحق ، وذلك أن جميعَ مَنْ حُفِظ له قول فى ذلك من أهل العلم؛ فإنه كان يقول إنّ آدم نفخ فيه الروح فى آخر النهار من يوم الجمعة قبل غروب الشمس من ذلك اليوم . ثم الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متظاهرة بأن الله تبارك وتعالى أسكنه الجنة فيه، وفيه أهبطه إلى الأرض . فإن(٣) كان ذلك صحيحاً ، فمعلوم أن آخر ساعة من نهار يوم من أيام الآخرة ومن الأيام التى اليوم الواحد منها مقداره ألف سنة من سنيننا، إنما هى ساعة بعد مُضىّ إحدى عشرة ساعة ، وذلك ساعة من اثنتَىْ عشرة ساعة ، وهى ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر من سنيننا؛ فآدم صلوات الله عليه إذ كان الأمر كذلك؛ إنما خُلِق لمضىّ إحدى عشرة ساعة من نهار يوم الجمعة من الأيام التى اليوم الواحد منها(٢) ألف سنة من سنيننا، فمكث جسداً ملقىّ لم يُنفخ فيه الروح أربعين عاماً من أعوامنا . ثم نفخ فيه الروح . فكان مكثُه فى السماء بعد ذلك ومُقامه فى الجنة؛ إلى أن أصاب الخطيئة وأهبط إلى الأرض ثلاثاً وأربعين سنة من سنيننا وأربعة أشهر ، وذلك ساعة من ساعات يوم من الأيام الستة التى خلق الله تعالى فيها الخلق .

١١٨/١

---

(١) تكلة من ا

(٢) فى الأصول : « منه » .

(٣) ا : « فإذ » .

١١٩/١ وقد حدثنى الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، قال: أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : خرج آدم من الجنة بين الصلاتَيْن : صلاة الظهر وصلاة العصر ، فأنزِل إلى الأرض وكان مكثه فى الجنة نصف يوم يوم من أيام الآخرة ، وهو خمسمائة سنة ، من يومٍ كان مقداره اثنتى عشرة ساعة ، واليوم ألف سنة مما يعدّ أهل الدنيا ، وهذا أيضاً قولٌ خلاف ما وردت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن السلف من علمائنا .

القول فى الموضع الذى أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها

ثم إن الله عزّ وجلّ أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذى خلقه فيه — وذلك يوم الجمعة — من السماء مع زوجته ، وأنزل آدم — فيما قال علماء سلف أمة نبينا صلى الله عليه وسلم — بالهند .

• ذكر من حضرَنا ذكرُه ممن قال ذلك منهم :

٢٢٠ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمَر ، عن قتادة، قال : أهبط الله عزّ وجلّ آدم إلى الأرض ، وكان مهبِطه بأرض الهند . ١٢٠/١

حدثنا عمرو بن على، قال : حدثنا عِمران بن عُيَيْنَةَ ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال: إن أول ما أهبط الله تعالى آدمَ أهبطه بدَهْنا أرض الهند .

حدّثت عن عمّار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، قال : أهبِط آدم إلى الهند .

حدثنى ابن سنان ، قال : حدثنا الحجاج ، قال: حدثنا حماد بن سلمة ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مِهران ، عن ابن عباس ، قال : قال على بن أبى طالب عليه السلام : أطيبُ أرضٍ فى الأرض ريحاً أرض الهند ، أهبِط بها آدم ، فعلق شجرها من ريح الجنة .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، عن أبيه ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : أُهبِط آدم بالهند، وحواء بجُدّة، فجاء فى طلبها حتّى اجتمعا[1] ، فازدلفت إليه حواء، فلذلك

---

(١) ا ، ن : « جمعا » ، س : « جمعها » .

سمّيت المزدلفة ، وتعارفا بعرفات ، فلذلك سميت عرفات ، واجتمعا بجَمْع فلذلك سميت جمْعا . قال : وأهبط آدم على جبل بالهند يقال له بَوْذ .

حدثنا أبو همام[1] ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنا زياد بن خيثمة ، عن أبى يحيى بائع القتّ ، قال : قال لى مجاهد : لقد حدثنا عبد الله بن عباس أنّ آدمَ نزل حين نزل بالهند .

١٢١/١ حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق، قال : وأما أهلُ التوراة فإنهم قالوا : أهبِط آدم بالهند على جبل يقال له واسم[2] ، عند واد يقال له بهيل[3] بين الدّهْنَج والمندل : بلدين بأرض الهند . قالوا : وأهبطت حواء بجُدّة من أرض مكة .

* * *

وقال آخرون : بل أهبِط آدم بسَرَنْديب ، على جبل يدعى بَوْذ، وحواء بجُدة من أرض مكة ، وإبليس بمَيْسَان[4] ، والحية بأصبَهان. وقد قيل : أهبِطت الحية بالبرّيّة ، وإبليس بساحل بحر الأُبُلّة[5] .

وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يجىء مجىء الحجة ، ولا يُعلم خبرٌ فى ذلك ورد كذلك؛ غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند ؛ فإن ذلك مما لا يدفع صحتَه علماء[6] الإسلام وأهل التوراة والإنجيل ، والحجة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء

* * *

وذُكِر أن الجبل الذى أهبط عليه آدم عليه السلام ذرْوته من أقرب ذُرَا جبال الأرض إلى السماء ، وأن آدم حين أهبِط عليه كانت رجلاه عليه ورأسه فى السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم ؛ فكان آدم يأنس بذلك ، وكانت

(١) هو أبو همام الوليد بن شجاع ، وشجاع هو ابن الوليد بن قيس .

(٢) واسم ، ذكره ياقوت ، وقال : « جبل بين الدهنج والمندل من أرض الهند » .

(٣) ر : « نهيل » .

(٤) ميسان ، بالفتح ثم السكون : اسم لكورة واسعة بين البصرة وواسط . معجم البلدان ٨ : ٢٢٤ .

(٥) الأبلة ، بضم أوله وتشديد اللام وفتحها : بلد على شاطىء دجلة بالبصرة . معجم البلدان ١ : ٨٩ .

الملائكة تهابه ، فنُقِص من طول آدم لذلك .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا هشام بن حسان ، عن سَوّار خَتَن عطاء ، عن عطاء بن أبي رَباح ، قال : لما أهبط الله عزّ وجلّ آدم من الجنة كان رجْلاه في الأرض ، ورأسُه في السماء ، يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم ، يأنس إليهم ، فهابته الملائكة حتى شَكَتْ إلى الله تعالى في دعائها وفي صلاتها ، فخفضه إلى الأرض ، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك إلى الله عزّ وجلّ في دعائه وفي صلاته ، فوُجِّه إلى مكة فصار[1] موضع قدمه قرية ، وخُطْوته[2] مفازة ، حتى انتهى إلى مكة ، وأنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة ، فكانت على موضع البيت الآن ، فلم يزلْ يطوف به حتى أنزل الله تعالى الطوفان ، فرفِعت تلك الياقوتة حتى بعث الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام فبناه ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وإذْ بوَّأنا لإبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾[3] .

١٢٢/١

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمَر[4] ، عن قتادة ، قال : وضع الله تعالى البيت مع آدم ، فكان رأسُه في السماء ورجلاه في الأرض ، فكانت الملائكة تهابه ، فنُقِص إلى ستين ذراعاً ، فحزن آدم إذ فقد أصواتَ الملائكة وتسبيحَهم ، فشكا ذلك إلى الله ، فقال الله : يا آدم ، إنّي أهبطت لك[5] بيتاً تطوف به كما يُطاف حول عرشي ، وتصلّي عنده كما يصلَّى عند عرشي . فانطلق إليه آدم عليه السلام ، فخرج ومُدّ له في خطوه ، فكان بين كلّ خطوة مفازة ، فلم تزل تلك المفاوز[6] بعد ذلك ، فأتى آدم عليه السلام البيت ، فطاف به ومَنْ بعده [من][7] الأنبياء .

---

(١) ا : « فكان » .
(٢) ا : « وخطوه » .
(٣) سورة الحج ٢٦
(٤) معمر بن راشد البحراني .
(٥) ن : « اليك » .
(٦) س : « المفازة » .
(٧) تكملة من ا ، ن .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما حُطّ من طول آدم عليه السلام إلى ستين ذراعاً أنشأ يقول : ربِّ، كنتُ جارَك فى دارك؛ ليس لى ربّ غيرك، ولا رقيب دونك ، آكل فيها رغداً ، وأسكن حيث أحببت ، فأهبطتَنى إلى هذا الجبل المقدس ، فكنت أسمع أصوات الملائكة، وأراهم كيف يحُفّون بعرشك، وأجِد ريحَ الجنة وطيبها، ثم أهبطتَنى إلى الأرض، وحططتنى إلى ستين ذراعاً ، فقد انقطع عنى الصوتُ والنظر ، وذهب عنى ريح الجنة . فأجابه الله عزّ وجلّ : لمعصيتك[١] يا آدم فعلتُ ذلك بك . فلما رأى الله تعالى عُرْيَ آدم وحواء أمره أن يذبح كبشاً من الضأن من الثمانية الأزواج التى أنزل من الجنة ، فأخذ كبشاً فذبحه، ثم أخذ صوفه فغزلتْه حواء ، ونسجه هو وحواء، فنسج آدم جُبّة لنفسه، وجعل لحواء دِرْعاً وخِماراً، فلبسا ذلك، وأوحى[٢] الله تعالى إلى آدم أن لى حرماً بحِيَال عرشى ، فانطلق فابن لى فيه بيتاً، ثم حُفَّ به كما رأيت ملائكى يحُفّون بعرشى ، فهنالك أستجيبُ لك ولولدك؛ مَنْ كان منهم فى طاعتى ، فقال آدم : أىْ ربّ ، فكيف لى بذلك، لست أقوى عليه ولا اهتدِى له ! فقيَّض الله له ملَكاً؛ فانطلق به نحو مكة، فكان آدم إذا مرّ بروضة[٣] ومكان يُعجبه قال للملَك: انزلْ بنا ها هنا، فيقول له الملَك: مكانك، حتى قدم مكة ، فكان كلُّ مكان نزل به صار عمراناً، وكلّ مكان تعدّاه صار مفاوزَ وقفارا، فبنى البيت من خمسة أجْبُل: من طور سيناء وطور زيتون ولبنان والجودىّ ، وبنى قواعده من حِراء ، فلما فرغ من بنائه خرج به الملكُ إلى عرفات؛ فأراه المناسك كلَّها التى تفعلها الناس اليوم، ثم قدم به مكة؛ فطاف بالبيت أسبوعاً ،[٤] ثم رجع إلى أرض الهند، فمات على بَوْذ[٥] .

١٢٣/١ — ١٢٤/١

(١) س ، وابن الأثير ١ : ٢٣ (فيما نقل عن الطبرى) : « بمعصيتك » .
(٢) ط : « فأوحى » وما أثبته من ا .
(٣) ا : « مرروضة » .
(٤) ر : « أسبوعاً سبعا » .
(٥) كذا ورد فى الأصول ؛ وفى معجم البلدان : « نوذ ، بالفتح ثم السكون وذال معجمة : جبل بسر نديب عنده مهبط آدم عليه السلام ، وهو أخصب جبل فى الأرض ؛ ويقال : أمرع فى =

حدثنا أبو همام ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيى بائع القَتّ ، قال: قال لى مجاهد : لقد حدّثني عبد الله ابن عباس أن آدم عليه السلام نزل حين نزل بالهند ، ولقد حجّ منها أربعين حجّة على رجليه ، فقلت له : يا أبا الحجاج ، ألاّ كان يركب ؟ قال: فأىّ شيء كان يحمله ! فوالله إن خطوه مسيرة ثلاثة أيام ، وإن كان رأسه ليبلغ السماءَ ، فاشتكت الملائكة نَفَسَه ، فهمزه الرحمن همزةً ؛ فتطأطأ مقدار أربعين سنة .

حدثني صالح بن حرب أبو مَعمر مولى بني هاشم ، قال : حدثنا ثُمامة بن عبيدة السلميّ ، قال : أخبرنا أبو الزبير ، قال : قال نافع : سمعت ابن عمر ، يقول: إن الله تعالى أوحى إلى آدم عليه السلام وهو ببلاد الهند[1] : أن حُجَّ هذا البيت . فحجّ آدم من بلاد الهند ، فكان كلّما وضع قدمه صار قرية ، وما بين خطوَتيْه مفازة ، حتى انتهى إلى البيت فطاف به ، وقضى المناسك كلّها ، ثم أرادَ الرجوعَ إلى بلاد الهند فمضى ، حتى إذا كان بمأزمَىْ عرفات ؛ تلقّتْه الملائكة ؛ فقالوا: بَرَّ حَجُّك يا آدم ! فدخله من ذلك عجب ، فلما رأت الملائكة ذلك منه قالوا: يا آدم ، إنا قد حَجَجْنَا هذا البيت قبل أن تُخْلَق بألفي سنة ، قال : فتقاصرت إلى آدم نفسه .

وذكر أن آدم عليه السلام أهبط إلى الأرض ، وعلى رأسه إكليل من شجر الجنَّة ، فلما صار إلى الأرض ، ويبس الإكليل ؛ تحاتَّ ورقه فنبت[2] منه أنواع الطيب . ١/١٢٥

وقال بعضهم : بل كان ذلك ما أخبر الله عنهما ، أنهما جعلا يخصِفان عليهما من ورق الجنة ، فلما يبس ذلك الورق الذى خصَفاه عليهما تحاتَّ فنبت من ذلك الورق أنواعُ الطيب . والله أعلم .

* * *

= الأرض ؛ ويقال : أمرع من نوذ » . وقال ابن الأثير ١ : ٢٤ « نود ؛ بضم النون وسكون الواو وآخره دال مهملة » ؛ وفى س : « قال الطبرى : الذى حدثنا به فى أمر الجبل أن اسمه نوذ ؛ بالنون ، قال : ولكن اسم الموضع بالباء ؛ وهو بوذ » .

(١) أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس الأسدى ، ونافع مولى ابن عمر . (٢) ا : « فنبتت ».

وقال آخرون : [بل][1] لما علم آدم أنّ الله عزّ وجلّ مُهبِطُه إلى الأرض، جعل لا يمرّ بشجرة من شجر الجنة إلا أخذ غصناً من أغصانها ، فهبط إلى الأرض وتلك الأغصان معه ، فلما يبس ورقها تحاتّ، فكان ذلك أصل الطيب .

ذكر من قال ذلك :

٢٣٢ ــ حدثنا أبو همام ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيي بائع القتّ قال : قال [لي][1] مجاهد: لقد حدّثني عبد الله ابن عباس ، أن آدم حينَ خرج من الجنة كان لا يمرّ بشيء إلا عبث به ، فقيل للملائكة : دعُوه فليتزودْ منها ما شاء ، فنزل حين نزل بالهند ، وإن هذا الطيب الذي يُجاء به من الهند مما خرج به آدم من الجنة .

* * *

* ذكر من قال : كان على رأس آدم عليه السلام حين أهبط من الجنة إكليل من شجر الجنة :

حُدّثت عن عمار بن الحسن، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه[2]، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : خرج آدم من الجنة ، فخرج منها ومعه عصا من شجر الجنة ، وعلى رأسه تاج أو إكليل من شجر الجنة، قال : فأهبِط إلى الهند ، ومنه كلّ طيب بالهند .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : هبط آدم عليه ــ يعني على الجبل الذي هبط عليه ــ ومعه ورق من ورق الجنة ، فبثّه في ذلك الجبل ، فمنه كان أصلُ الطيب كلّه ، وكلّ فاكهة لا توجد إلا بأرض الهند .

١٢٦/١

---

(١) من ا .
(٢) أبو جعفر الرازي التميمي .

* * *

وقال آخرون : بل زوّده الله من ثمار الجنة ، فثمارنا هذه من تلك الثمار .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عديّ وعبد الوهاب [١] ومحمد بن جعفر ، عن عوف [٢] ، عن قَسامة بن زُهير ، عن الأشعرى [٣] ، قال : إن الله تبارك وتعالى لما أخرج آدم من الجنة زوّده من ثمار الجنة ، وعلّمه صنعة كلّ شيء ، فثماركم هذه من ثمار الجنة ؛ غيرَ أنّ هذه تتغيَّر وتلك لا تتغيّر .

* * *

وقال آخرون : إنما علق بأشجار الهند طيب ريح آدم عليه السلام .

* ذكر من قال إنما صار الطيب بالهند لأن آدم حين أهبط إليها عَلِق بأشجارها طيب ريحه :

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : نزل آدم عليه السلام معه ريحُ الجنة ، فعلِق بشجرها وأوديتها وامتلأ ما هنالك طيباً ، فمن ثَمَّ يُؤتى بالطيب من ريح الجنة .

وقالوا : أنزل معه من طيب الجنة .

وقال : أنزل معه الحجر الأسود ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج ، وعصا موسى ، وكانت من آس الجنة ؛ طولها عشرة أذرع على طول موسى ، ومُرّ ولُبان [٤] ، ثم أنزل عليه بعد ذلك العلاةَ والمِطرقة والكلبتان [٥] ، فنظر آدم

---

(١) عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت (٢) هو عوف الأعرابي (٣) هو أبو موسى الأشعرى .

(٤) المر : صمغ شجرة تكون ببلاد العرب ؛ شبيهة بالشوكة المصرية ، تشرط فتخرج منها هذه الصمغة . واللبان : هو العلك الذى يمضغ ؛ وشجرته تسمى الكندر ، طولها قدر ذراعين ، تعقر بالفأس فيظهر فى مواضع العقر اللبان فيجتنى . المعتمد فى الأدوية ٣٠٠ ، ٣٤٠ .

(٥) العلاة : السندان ؛ حجراً كان أو حديداً . والمطرقة : من أدوات الحداد أو الصائغ يطرق بها . والكلبتان : ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى .

١٢٧/١ حين أهبط على الجبل إلى قضيب من حديد نابت على الجبل ، فقال : هذا من هذا ، فجعل يكسِر أشجاراً قد عتَقت ويبست بالمطرقة ، ثم أوقد على ذلك الغصن حتى ذاب ، فكان أوّلَ شيء ضرب به مُدْية ، فكان يعمل بها ، ثم ضرب التنّور ، وهو الذى ورثه نوح ، وهو الذى فار بالعذاب بالهند . وكان آدم حين هبط يمسح رأسه السماء ، فمن ثَمّ صَلِعَ ، وأورث ولده الصَّلَع ونفرت من طوله دوابّ البرّ ، فصارتْ وحشاً من يومئذ ، وكان آدم عليه السلام وهو على ذلك الجبل قائم يسمع أصوات الملائكة ، ويجد ريح الجنة ، فحُطّ من طوله ذلك إلى ستين ذراعاً ، فكان ذلك طوله إلى أن مات . ولم يُجمع حسنُ آدم عليه السلام لأحد من ولده إلا ليوسف عليه السلام .

وقيل : إن من الثمار التى زوّد الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام حين أُهْبِط إلى الأرض ثلاثين نوعاً ؛ عشرة منها فى القشور وعشرة لها نوًى ، وعشرة لا قشورَ لها ولا نوًى . فأما التى فى القشور منها فالجوز ، واللوز ، والفستق ، والبندق ، والخَشخاش ، والبلّوط ، والشاهبلوط ، والرانج ، والرمان ، والموزُ . وأما التى لها نوًى منها فالخوخ ، والمشمش ، والإجّاص ، والرُّطَب ، والغبيراء ، والنبق ، والزُّعرور ، والعنّاب ، والمُقْل ، والشاهلوج . وأما التى لا قشور لها ولا نوًى فالتُّفّاح ، والسفرجل ، والكمّثرى ، والعنب ، والتوت ، والتين ، والأترجّ ، والخرنوب ، والخيار ، والبِطّيخ .

وقيل : كان مما أخرج آدم معه من الجنة صرّة من حنطة ؛ وقيل : إن الحنطة إنما جاءه بها جبرئيل عليه السلام بعد أن جاع آدم ، واستطعم ربّه ، فبعث الله
١٢٨/١ إليه مع جبَرْئيل عليه السلام بسبع حبات من حنطة ، فوضعها فى يد آدم عليه السلام ، فقال آدم لجبرئيل : ما هذا ؟ فقال له جبرئيل : هذا الذى أخرجك من الجنة ، وكان وزن الحبة منها مائة ألف درهم وثمانمائة درهم ، فقال آدم : ما أصنع بهذا ؟ قال : انثره فى الأرض ففعل ، فأنبته الله عزّ وجلّ من ساعته ، فجرت سنّةً فى ولده البذر فى الأرض ، ثم أمره فحصَده ، ثم أمره فجمعه وفركه بيده ، ثم أمره أن يذريّه ، ثم أتاه بحجرين فوضعَ أحدهما على الآخر

فطحنه ، ثم أمره أن يعجنه ، ثم أمره أن يخبزه مَلَّةً (١) ، وجمع له جبرئيل عليه السلام الحجر والحديد فقدحه ، فخرجت منه النار ، فهو أول مَنْ خبز المَلَّة .

* * *

وهذا [القول] (٢) الذى حكيناه عن قائل هذا القول ، خلاف ما جاءت به الروايات عن سلف أمة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن المثنّى بن إبراهيم حدثنى أن إسحاق (٣) حدثه ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا سفيان بن عيينة وابن المبارك ، عن الحسن بن عُمارة ، عن المنهال بن عمرو ، وعن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الشجرةُ التى نهى الله عنها آدمَ وزوجته السنبلة ، فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما ، وكان الذى وارى عنهما من سوءاتهما أظفارهما ، وَطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، ورق التين يُلصقان (٤) بعضها إلى بعض ، فانطلق آدم مولياً فى الجنة ، فأخذت برأسه شجرةٌ من الجنة (٥) فناداه : يا آدم ، أمنى تفرّ ؟ قال : لا ، ولكنى استحيتك يا ربّ ، قال : أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرّمتُ عليك ! قال : بلى يا ربّ ، ولكن وعزّتك ما حسبتُ أن أحداً يحلف بك كاذباً ، قال — وهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٦) — قال : فبعزتى لأهبطنّك إلى الأرض ، فلا تنال العيش إلا كدًّا . قال : فأهبط من الجنة ، وكانا يأكلان فيها رَغدا ، فأهبِط إلى غير رغد من طعام وشراب ، فعلِّم صنعة الحديد ، وأمِر بالحرْث فحرث وزرع ثم سقى ، حتى إذا بلغ حَصَدَه ، ثم داسه ، ثم ذرّاه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، ثم أكله ، فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ (٧) .

١٢٩/١

---

(١) يريد بخبز الملة ما يصنع فى الرماد أو الجمر من الخبز .

(٢) تكملة من ا .

(٣) هو إسحاق بن يوسف الأزرق .

(٤) ا : « يلزقان » .

(٥) س : « فى الجنة » .

(٦) سورة الأعراف ٢١ . (٧) الخبر فى التفسير ١٢ : ٣٥٤ — ٣٥٣ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد[١] ، قال : أهبط إلى آدم ثور أحمر ، فكان يحدث عليه ، ويمسح العرق عن جبينه ، فهو الذى قال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ ؛ فكان ذلك شقاؤه .

فهذا الذى قاله هؤلاء هو أوْلى بالصواب ، وأشبَه بما دلّ عليه كتاب ربنا عزّ وجلّ ، وذلك أن الله عزّ ذكره لما تقدم إلى آدم وزوجته حواء بالنهى عن طاعة عدوّهما ، قال لآدم : ﴿ يَا آدَمُ إِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾[٢]، فكان معلوماً أنّ الشقاءَ الذى أعلمه أنه يكون إن أطاع عدوّه إبليس ، هو مشقة الوصول إلى ما يُزيل الجوعَ والعُرْىَ عنه ؛ وذلك هى الأسباب التى بها يَصل أولاده إلى الغذاء ، من حراثة وبذر وعلاج وسَقى ، وغير ذلك من الأسباب الشاقة المؤلمة . ولو كان جبْرئيل أتاه بالغذاء الذى يصل إليه ببَذره دون سائر المؤن غيره ، لم يكن هناك من الشقاء الذى توعّده به ربه على طاعة الشيطان ومعصية الرحمن كبير خطب[٣] ، ولكن الأمر[٤] كان — والله أعلم — على ما روينا عن ابن عباس وغيره .

١٣٠/١

* * *

وقد قيل : إن آدم عليه السلام نزل معه السِّندان ، والكلبتان ، والميقعة[٥] ، والمِطْرقة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين[٦] ، عن عِلْباء بن أحمر ؛ عن عِكْرمة ؛ عن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم عليه السلام : السِّندان ، والكلبتان ، والميقعة ، والمِطْرقة .

(١) هو يعقوب القمى ، روى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير ، وانظر ص ٤٩ ، ٩٠ .
(٢) سورة طه ١١٧ – ١١٩ . (٣) س : « حظ » .
(٤) كذا فى ا ، وفى ط : « لأمر » . (٥) الميقعة : خشبة القصار يدق عليها .
(٦) هو الحسين بن واقد .

ثم إن الله عزّ ذكره فيما ذكر أنزل آدم من الجبل الذى أهبطه عليه إلى سفحه ، وملّكه الأرض كلها ، وجميع ما عليها من الجنّ والبهائم والدوابّ والوحش والطير وغير ذلك ، وأن آدم عليه السلام لما نزل من رأس ذلك الجبل ، وفقد كلام أهل السماء ، وغابت عنه أصوات الملائكة ، ونظر إلى سعة الأرض وبسطتها ، ولم ير فيها أحداً غيرَه ، استوحش فقال : يا ربّ ، أما لأرضك هذه عامرٌ يسبّحك غيرى !

فأجيب بما حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : أخبرنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد ابن معقِل ، أنه سمع وهباً يقول : إن آدمَ لما أهْبِط إلى الأرض فرأى سعتها ولم ير فيها أحداً غيرَه قال : يا ربّ ، أما لأرضك هذه عامر يسبّح بحمدك ويقدس لك غيرى! قال الله : إنى سأجعل فيها من ولدك مَنْ يسبّح بحمدى ويقدّسنى ، وسأجعل فيها بيوتاً تُرفع لذكرى ، ويسبّح فيها خلقى ، ويُذكر فيها اسمى ، وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أخصّه بكرامتى ، وأوثره باسمى ، وأسمّيه بيتى ، أُنْطقه بعظمتى ، وعليه وضعتُ جلالى . ثم أنا مع ذلك فى كلّ شىء ومع كلّ شىء ، أجعل ذلك البيت حرما آمناً يحرُم بحرمته مَنْ حوله ومن تحته ومن فوقه ، فمن حرّمه بحرمتى استوجب بذلك كرامتى ، ومن أخاف أهله فيه فقد أخْفَر[1] ذمتى ، وأباح حرمتى[2] . أجعله أوّل بيت وُضع للناس ببطن مكة مباركاً ، يأتونه شُعْثاً غبْرًا على كلّ ضامر ، من كل فجٍّ عميق ، يرجّون بالتلبية رجيجاً ، ويثُجّون بالبكاء ثجيجاً ، ويعجّون بالتكبير عجيجاً ، فمن اعتمده ولا يريد[3] غيره فقد وَفد إلىّ وزارنى وضافنى[4] ، وَحقٌّ على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه ، وأن يُسْعف كلاًّ بحاجته . تعمره يا آدم ما كنت حيًّا ، ثم تعمره الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة ، وقرناً بعد قرن .

ثم أمر آدم عليه السلام — فيما ذكر — أن يأتىَ البيت الحرام الذى أهبط

١٣١/١

---

(١) أخفر الذمة ، أى نقضها .

(٢) فى ك بعدها : « واستوجب بذلك عقوبتى » .

(٣) ا : « لا يريد » .

(٤) ضافنى ، أى نزل بى ضيفاً ، وفى ك : « فقد وفى لى وزاد فى ضيافتى » .

له إلى الأرض ، فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول عرش الله، وكان ذلك ياقوتة واحدة أو درّة واحدة؛ كما حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر[١]، عن أبان ، أن البيت أهبط ياقوتةً واحدة أو درة واحدة ، حتى إذا أغرق الله قوم نوح رفعه وبقى أساسه ، فبوّأه الله عزّ وجلّ لإبراهيم فبناه ، وقد ذكرتُ الأخبار الواردة بذلك فيما مضى قبل . ١٣٢/١

* * *

فذكر أن آدم عليه السلام بكى واشتد بكاؤه على خطيئته ، وندم عليها ، وسأل الله عزّ وجلّ قبول توبته ، وغفران خطيئته ، فقال فى مسألته إياه : ما سأل من ذلك ، كما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : حدثنا ابن عطية[٢]، عن قيس ، عن ابن أبى ليلى[٣]، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[٤] قال : أىْ ربّ، ألم تخلقنى بيدك ؟ قال : بلى، قال : أى ربّ، ألم تنفخ فىّ من روحك ؟ قال : بلى، قال : أىْ ربِّ، ألم تسكنّى جنتك ؟ قال : بلى، قال : أىْ ربّ، ألم تسبق رحمتك غضبَك ؟ قال : بلى، قال : أرأيت إن تبتُ وأصلحت أراجعى أنت إلى الجنة؟ قال : بلى، قال : فهو قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾.

حدثنى بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد، عن قتادة ، قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ ذكر لنا أنه قال : يا ربّ: أرأيت إن أنا تبتُ وأصلحت ! قال : إذًا أرجعك[٥] إلى الجنة ، قال : وقال الحسن : إنهما قالا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٦].

حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازىّ ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا سفيان وقيس[٧]، عن خُصَيف ، عن مجاهد ، فى قوله عزّ وجلّ :

---

(١) معمر بن راشد . (٢) هو الحسن بن عطية .

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، روى عن المنهال بن عمرو .

(٤) سورة البقرة ٣٧ . (٥) ا : «أراجعك» . (٦) سورة الأعراف ٢٣ .

(٧) سفيان الثورى وقيس بن سليم .

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِماتٍ ﴾ قال: قوله: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا هشام بن محمد، قال: أخبرنا أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: أنزل آدم معه حين أهبط من الجنة الحجر الأسود[1]، وكان أشدّ بياضاً من الثلج، وبكى آدم وحواء على ما فاتهما — يعني من نعيم الجنة — مائتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ثم أكلا وشربا، وهما يومئذ على بَوْذ؛ الجبل الذى أهبط عليه آدم ولم يقرب حواء مائة سنة.

١٢٣/١

حدثنا أبو همام، قال: حدثني أبي، قال: حدثني زياد بن خيثَمة، عن أبي يحيى بائع القتّ؛ قال: قال لى مجاهد، ونحن جلوس فى المسجد: هل ترى هذا؟ قلتُ: يا أبا الحجاج، الحجَر؟ قال: كذلك تقول؟ قلت: أوَ ليس حجَراً! قال: فوالله لحدثني عبدُ الله بن عباس أنها ياقوتة بيضاء، خرج بها آدم من الجنة، كان يمسح بها دموعه، [و][2] أن آدم لم ترقأ دموعه[3] منذ خرج من الجنة حتى رجع إليها ألفَيْ سنة، وما قدر منه إبليس على شيء، فقلت له: يا أبا الحجاج، فمن أيّ شيء اسودّ؟ قال: كان الحُيَّض يلمسْنه فى الجاهلية. فخرج آدم عليه السلام من الهند يؤمّ البيت الذى أمره الله عزّ وجلّ بالمصير إليه، حتى أتاه، فطاف به، ونَسَك المناسك، فذكر أنه التقى هو وحوّاء بعرفات، فتعارفا بها، ثم ازدلف إليها بالمزدلفة، ثم رجع إلى الهند مع حواء، فاتخذا مغارة يأويان إليها فى ليلهما ونهارهما، وأرسل الله إليهما ملكاً يُعلّمهما ما يلبسانه ويستتران به، فزعموا أن ذلك كان من جلود الضأن والأنعام والسباع. وقال بعضهم: إنما كان ذلك لباسَ أولادهما، فأما آدم وحواء فإن لباسَهما كان ما كانا خَصَفا على أنفسهما من وَرق الجنة. ثم إن الله عزّ ذكره مسح ظهر آدم عليه السلام بِنَعْمان من عرفة؛ وأخرج

---

(١) ا: «أنزل آدم من الجنة الحجر الأسود».

(٢) من ا

(٣) رقأ الدمع: جف، وفى ا: «لم ترقأ عينه».

١٣٤/١ ذرّيته ، فنثرهم بين يديه كالذرّ ، فأخذ مواثيقهم ، وأشهدَهم على أنفسهم : ألستُ بربكم ؟ قالوا : بلى ، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ (١) .

وقد حدثنى أحمد بن محمد الطوسىّ ، قال : حدثنا الحسين بن محمد ، قال : حدثنا جرير بن حازم ، عن كُلثوم بن جبر ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنَعْمان — يعنى عرفة — فأخرج من صلبه كلّ ذرية ذَرَأها ، فنثرهم بين يديه كالذَّرّ ، ثم كلمهم قُبُلاً (٢) ، وقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (١) .

حدثنى عمران بن موسى القزاز ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : حدثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ ، قال : مسح ربنا ظهر آدم ، فخرجت كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعْمان هذه — وأشار بيده — فأخذ مواثيقهم ، وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى (٣) .

حدثنا ابن وكيع ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : حدثنا ابن عُليّة ، عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى ١٣٥/١ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ ، قال : مسح ظهر آدم فخرج كلُّ نسمة هو خالقُها إلى يوم القيامة بنعمان ، هذا الذى وراء عرفة ، وأخذ ميثاقهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ؛ واللفظ لحديث يعقوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ،

---

(١) سورة الأعراف ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) قبلا ، أى عيانا ومشاهدة ، وانظر اللسان ١٤ : ٥٤

(٣) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٢٣

عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس، قال : أهبط آدم حين أهبط فمسح الله ظهره ، فأخرَج منه كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، ثم قال : ألست بربكم؟قالوا: بلى، ثم تلى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾؛ فجفّ القلمُ من يومئذ بما هو كائن إلى يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس [في][1] ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ،قال: لما خلق الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام أخذ ذريته من ظهره مثل الذرّ ، فقبض قبضتين ، فقال لأصحاب اليمين : ادخلوا الجنة بسلام،وقال للآخرين : ادخلوا النارولا أبالى.

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرىّ ، قال : حدثنا روح بن عبادة وسعد بن عبد الحميد بن جعفر ، عن مالك بن أنس،عن زيد بن أبي أُنَيْسَة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجُهَنىّ ؛ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل عن هذه الآية : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ، فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن الله خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمينه واستخرج منه ذرية، فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح على ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون »، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل ؟ قال : « إن الله تبارك وتعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ، [حتى يموت على عملٍ من عمل أهل الجنة][2] فيدخله الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعملِ أهل النار حتّى يموتَ على عملٍ من عمل أهل النار فيدخله النار»[3] . ١٣٦/١

* * *

وقيل : إنه أخذ ذرية آدم عليه السلام من ظهره بدَحْنا .

---

(١) تكملة من ا

(٢) تكملة من التفسير .

(٣) الخبر فى التفسير ٣ : ٢٢٣

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكّام [1] ، قال : حدثنا عمرو بن قيس ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾. قال : لما خلق الله عزّ وجلّ آدم مسح ظهره بدَحْنا [2] فأخرج من ظهره كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فيروْن يومئذ ، جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة [3].

* * *

وقال بعضهم : أخرج الله ذرية آدم من صلبه فى السماء قبل أن يُهبطه إلى الأرض ، وبعد أن أخرجه من الجنة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدّىّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ ، قال : أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ، ثم إنه مسح من آدم صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منه ذرية كهيئة الذرّ بيضاء مثل اللؤلؤ ، فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتى ، ومسح صفحة ظهره اليسرى ، فأخرج منه كهيئة الذرّ سوداً ، فقال : ادخلوا النار ولا أبالى . فذلك حين يقول : « أصحاب اليمين » و « أصحاب الشمال » . ثم أخذ الميثاق فقال : ألست بربكم ؟ قالوا بلى ، فأعطاه طائفة طائعين ، وطائفة على وجه التقيّة [4] .

١/١٣٧

(١) حكام بن مسلم .

(٢) بمعجم البلدان : دحنا : بفتح أوله وسكون ثانيه ونون ، وألفه يروى فيها المد والقصر : أرض خلق الله منها آدم .

(٣) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٢٨

(٤) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٤٢

ذكر الأحداث التى كانتْ فى عهد آدم عليه السلام بعد أن أهبط إلى الأرض

فكان أولُ ذلك قتلَ قابيل بن آدم أخاه هابيل ، وأهلُ العلم يختلفون فى اسم قابيل ، فيقول بعضهم : هو قَيَنْ بن آدم ، ويقول بعضهم : هو قايين ابن آدم . ويقول بعضهم : [هو] [1] قاين . ويقول بعضهم : هو قابيل .
واختلفوا أيضًا فى السبب الذى من أجله قتله :

فقال بعضهم فى ذلك ما حدثنى به موسى بن هارون الهمْدانىّ ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ — فى خبر ذكره — عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس — وعن مرّة الهمْدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كان[2] لا يولد لآدم مولودٌ إلا ولد معه جارية ، فكان يزوّج غلامَ هذا البطن جاريةَ هذا البطن [الآخر] [3] ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر ، حتى وُلد له ابنان ، يقال لهما قابيل وهابيل ، وكان قابيل صاحب زرْع ، وكان هابيل صاحب ضَرْع ، وكان قابيل أكبرَهما ، وكانت له أخت أحسن من أخت هابيل ، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل ، فأبى عليه وقال : هى أختى وُلدت معى ، وهى أحسن من أختك ، وأنا أحقّ أن أتزوّجها ، فأمره أبوه أن يزوّجها هابيل ، فأبى . وإنهما قرّبا قربانًا إلى الله أيّهما أحق بالجارية ، وكان

١٣٨/١

---

(١) تكملة من ا .
(٢) التفسير : « فكان » .
(٣) تكملة من التفسير .

آدم يومئذ قد غاب عنهما وأتى مكة ينظر إليها ، قال الله لآدم : يا آدم، هل تعلم أن لى بيتاً فى الأرض ؟ قال : اللهم لا ، قال : فإن لى بيتاً بمكة فأته، فقال آدم للسماء : احفظى ولدىّ بالأمانة ، فأبت ، وقال للأرض فأبت ، وقال للجبال : فأبت ، فقال لقابيل ، فقال[1] : نعم ، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرُّك . فلما انطلق آدم قرّبا قرباناً ، وكان قابيل يفخر عليه فيقول : أنا أحقّ بها منك هى أختى ، وأنا أكبر منك ، وأنا وصىُّ والدى ، فلما قرّبا، قرّب هابيل جـَذَعة سمينة، وقرّب قابيل حُزمة سنبل، فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها فأكلها ، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل ، وتركت قربان قابيل ، فغضب وقال : لأقتلنّك حتى لا تنكح أختى ، فقال هابيل : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾[2] ، فطلبه ليقتله ، فراغ الغلام منه فى رءوس الجبال ، فأتاه يوماً من الأيام وهو يرعى غنمه فى جبل وهو نائم ، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه ، فمات وتركه بالعراء ، لا يعلم كيف يُدْفن ، فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا ، فقتل أحدُهما صاحبَه ، فحفر له ثم حثا عليه ، فلما رآه قال : ﴿ يَاوَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ﴾[2] ، فهو قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾[2] . فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه ، فذلك حين يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ — إلى آخر الآية — ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[3] يعنى قابيل حين حمل أمانة آدم ، ثم لم يحفظ له أهله[4] .

١٣٩/١

* * *

(١) ط : « قال » ، وما أثبته عن ا والتفسير .

(٢) سورة المائدة ٢٧ — ٣١

(٣) سورة الأحزاب ٧٢

(٤) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢٠٦

وقال آخرون : كان السبب فى ذلك أنّ آدم كان يولد له من حواء فى كلّ بطن ذكر وأنثى ، فإذا بلغ الذكر منهما زوّج منه [ولده] [١] الأنثى التى وُلدت مع أخيه الذى ولد فى البطن الآخر ؛ قبله أو بعده .

فرغب قابيل بتوءمته عن هابيل .

كما حدثنى القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عبد الله بن عثمان بن خُثيم ، قال : أقبلت مع سعيد بن جُبَير أرمى الجمرة ، وهو متقنِّع متوكِّئ على يدى ؛ حتى إذا وازينا [٢] بمنزل سمرة الصواف ، وقف يحدّثنى عن ابن عباس ، قال : نُهِيَ أن تنكح المرأة أخاها توءمها ، وينكحها غيرُه من إخوتها ، وكان يولد فى كلّ بطن رجل وامرأة ، فوُلِدت امرأة وسيمة ووُلِدت امرأة قبيحة ، فقال أخو الدميمة : أنكحنى أختك وأنكحك أختى ، قال : لا ، أنا أحق بأختى ، فقربا قرباناً فتُقُبِّل من صاحب الكبش ، ولم يُتَقبَّلْ من صاحب الزرع ، فقتله ، فلم يزل ذلك الكبش محبوساً عند الله عزّ وجلّ حتى أخرجه فى فداء إسحاق ، فذبحه على هذا الصفا ، فى ثَبير ، عند منزل سَمْرة الصواف ، وهو على يمينك حين ترْمى الجِمار . [٣]

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأوّل ، أن آدم عليه السلام كان يغشى حواء فى الجنة قبل أن تصيب الخطيئة ، فحملت له بقيْن بن آدم وتوءمته ، فلم تجد عليهما وحَماً ولا وصَباً ، ولم تجد عليهما طلْقاً حين ولدتهما ، ولم تر معهما دماً لطهر الجنة ، فلما أكلا من الشجرة وأصابا المعصية ، وهبطا إلى الأرض واطمأنا بها تغشَّاها ، فحملت بهابيل وتوءمته ، فوجدت عليهما الوحمَ والوصب ، ووجدت حين ولدتهما الطلْق [٤] ورأت معهما الدم ، وكانت حواء —

١٤٠/١

(١) تكملة من ا
(٢) ا ، ر ، س ، ن : « وارينا » .
(٣) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢٢٣ .
(٤) الطلق : وجع الولادة

فيما يذكرون — لا تحمل إلا توءماً ذكراً وأنثى ، فولدت حواء لآدم أربعين ولداً لصلبه[١] من ذكر وأنثى فى عشرين بطناً ، وكان الرجل منهم أىّ أخواته شاء تزوج[٢] إلا توءمته التى تولد معه[٣] ، فإنها لا تحلّ له ، وذلك أنه لم يكن نساء يومئذ إلا أخواتهم وأمهم حواء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول[٤] أن آدم أمر ابنه قيناً[٥] أن ينكح توءمته هابيل ، وأمر هابيل أن يُنكح أخته توءمته قينا ، فسلّم لذلك هابيل ورضىَ ، وأبى ذلك قين وكره تكرُّماً عن أخت هابيل ، ورغب بأخته عن هابيل ، وقال ، نحن ولادة الجنة ، وهما من ولادة الأرض ، وأنا أحق بأختى — ويقول بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول : بل كانت أخت قَيْن من أحسن الناس ، فضنّ بها عن أخيه ، وأرادها لنفسه — والله أعلم أىّ ذلك كان — فقال له أبوه : يا بنىّ إنها لا تحلّ لك ، فأبى قَيْن أن يقبل ذلك من قول أبيه ، فقال له أبوه : يا بنىّ ، فقرِّب قرباناً ، ويقرّب أخوك هابيل قرباناً ، فأيُّكما قبل الله قربانه فهو أحقّ بها ، وكان قَين على بَذْر الأرض ، وكان هابيل على رعاية الماشية ، فقرّب قَين قمحاً ، وقرب هابيل أبكاراً من أبكار غَنَمه — وبعضهم يقول : قرّب بقرة — فأرسل الله جلّ وعزّ ناراً بيضاء ، فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قَين[٦] . وبذلك كان يُقبل القربان إذا قبله الله عزّ وجلّ ؛ فلما قبل الله قربان هابيل — وكان فى ذلك القضاء له بأخت قَيْن — غضب قَيْن ، وغلب عليه الكِبرْ واستحوذ عليه الشيطان ، فاتبع أخاه هابيل ، وهو فى ماشيته فقتله ، فهما اللذان قصّ الله خبرهما فى القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ يعنى أهل الكتاب ﴿نَبَأَ ٱبْنَىْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً

١٤١/١

(١) ر : « من صلبه » .
(٢) فى ط : « يتزوج » ، وأثبت ما فى ا وابن الأثير ١ : ٢٥
(٣) فى ط : « ولدت » ، وأثبت ما فى ا وابن الأثير .
(٤) فى جميع الأصول : « عن الكتاب الأول » ، وما أثبته من التفسير .
(٥) فى التفسير « قابيل » ، وكذلك حيث ورد فى باقى الخبر .
(٦) الخبر إلى هنا فى التفسير ١٠ : ٢٠٥ .

فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا ﴾[١] إلى آخر القصة، قال : فلما قتله سُقِط فى يديه ، ولم يدر كيف يُواريه، وذلك أنه كان — فيما يزعمون — أولَ قتيل من بنى آدم: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِىَ سَوْءَةَ أَخِى. ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِى الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[١]

قال: ويزعم أهل التوراة أن قينًا[٢] حين قتل أخاه هابيل، قال الله له: أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدرى، ما كنت عليه رقيبًا؛ فقال الله له: إن صوتَ دم أخيك لَيناديني من الأرض! الآن أنت ملعون من الأرض التى فتحتْ فاها، فتلقّتْ دم أخيك من يدك، فإذا أنت عملت فى الأرض، فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكونَ فزعًا تائهًا فى الأرض، فقال قين: عَظُمَتْ خطيئتى من أن تغفرها، قد أخرجتنى اليوم عن وجه الأرض [وأتوارى][٣] من قدامك، وأكون فزعًا تائهًا فى الأرض، وكلّ من لقيَنى؛ قتلنى. فقال الله عزّ وجلّ: ليس ذلك كذلك؛ فلا يكون كلّ من قتل قتيلاً يجزى بواحد سبعة، ولكن من قتل قينًا يجزى سبعة، وجعل الله فى قين آية لئلا يقتله كلّ مَنْ وجده، وخرج قين من قدام الله عزّ وجلّ من شرقىّ عدن الجنة[٤]. ١٤٢/١

* * *

وقال آخرون فى ذلك: إنما كان قتل القاتل منهما أخاه أن الله عزّ وجلّ أمرهما بتقريب قربان، فتقبّل قربان أحدهما، ولم يتقبل من الآخر، فبغاه الذى لم يتقبّل قربانه فقتله.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا

---

(١) سورة المائدة ٢٧ — ٣٢

(٢) فى التفسير: «قابيل».

(٣) تكملة من ا والتفسير.

(٤) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢٢٨

عوف ، عن أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن ابنيْ آدم اللذيْن قربا قرباناً فتقبِّل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر كان أحدُهما صاحب حرث ، والآخرُ صاحب غنم ، وأنهما أُمِرا أن يقرّبا قرباناً ، وأن صاحب الغنم قَرَّب أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها ، طيِّبة بها نفسه ، وأن صاحب الحرث قرّب ، شرَّ حرثه : الكوزر[١] والزُّوان ، غير طيبة بها نفسه ، وأن الله عزّ وجلّ تقبل قربان صاحب الغنم ، ولم يتقبل قربان صاحب الحرث ، وكان من قصتهما ما قصّ الله فى كتابه وقال : ايمُ الله ، إن كان المقتول لأشدّ الرجلين ، ولكن منعه التحرُّج أن ينبسط[٢] إلى أخيه[٣] .

١٤٣/١

وقال آخرون بمـا حدثني به محمد بن سعد ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان من شأنهما أنه لم يكن مِسكين يُتَصدّق عليه ، وإنما كان القربان يقرّبه الرجل ، فبينا ابنا آدم قاعدان إذ قالا : لو قربنا قرباناً ! وكان الرجلُ إذا قرّب قرباناً فرضيَه الله عزّ وجلّ أرسل إليه ناراً فأكلته ، وإن لم يكن رضيه الله خبت النار ، فقرّبا قرباناً ، وكان أحدهما راعياً والآخر حراثاً ، وإنّ صاحب الغنم قرّب خيرَ غَنَمِه وأسمنها ، وقرّب الآخر بعض زرعه ، فجاءت النار فنزلت [بينهما][٤] فأكلت الشاة وتركت الزرع ، وإن ابن آدم قال لأخيه : أتمشى فى الناس ، وقد علموا أنك قرَّبت قرباناً فتقبّل منك ورُدّ عليَّ قربانى ! فلا والله لا ينظر الناس إلىّ وإليك وأنت خير منى ، فقال : لأقتلنّك ، فقال له أخوه : ما ذنبي ! إنما يتقبّل الله من المتقين[٥] .

* * *

وقال آخرون : لم تكن قصة هذين الرجلين فى عهد آدم ، ولا كان القربان

---

(١) ط : « الكوذر » ، وفى التفسير : « الكوزن » ، وأثبت ما فى ا ، ر ، ك .
(٢) فى ط والتفسير : « يبسط » ، وأثبت ما فى ا
(٣) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢٠٢
(٤) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢٠٣
(٥) تكملة من ا والتفسير .

فى عصره ، وقالوا : إنما كان هذان رجلين من بنى إسرائيل ، وقالوا : إن أوّل ميِّت مات فى الأرض آدم عليه السلام ، لم يمت قبله أحد .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : كان الرجلان اللذان فى القرآن قال الله عزّ وجلّ فيهما : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ من بنى إسرائيل ، ولم يكونا ابنىْ آدم لصلبه ، وإنما كان القربان فى بنى إسرائيل ، وكان آدم أول من مات[1] .

١/١٤٤

* * *

وقال بعضهم : إنّ آدم غشِيَ حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة ، فولدت له قابيل وتوءمته قليما فى بطن واحد ، ثم هابيل وتوءمته فى بطن واحد ، فلما شبُّوا أراد آدم عليه السلام أن يزوّج أخت قابيل التى ولدت معه فى بطن واحد من هابيل ، فامتنع من ذلك قابيل ، وقرّبا بهذا السبب قرباناً فتقبِّل قربان هابيل ، ولم يتقبّل قربان قابيل ، فحسده قابيل ، فقتله عند عقبة حِرى[2] ثم نزل قابيل من الجبل ، آخذاً بيد أخته قليما ، فهرب بها إلى عدن من أرض اليمن .

حدثنى بذلك الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما قتل قابيل أخاه هابيل أخذ بيد أخته ثم هبط بها من جبل بَوْذ إلى الحضيض ، فقال آدم لقابيل : اذهب فلا تزال مرعوباً لا تأمن منْ تراه ، فكان لا يمرّ به أحد من ولده إلا رماه ، فأقبل ابنٌ لقابيل أعمى ، ومعه ابن له ، فقال للأعمى ابنه : هذا أبوك قابيل ، فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله ، فقال ابن الأعمى : قتلت

(١) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢٠٨ .

(٢) كذا فى ا ، ك ، وفى ط : « حراء » .

يا أبتاه أباك، فرفع الأعمى يده، فلطم ابنه فمات ابنه، فقال الأعمى: ويل لى ! قتلتُ أبى برميَّتى ، وقتلت ابنى بلطمتى !

وذكر فى التوراة أن هابيل قُتل وله عشرون سنة ، وأن قابيل كان له يوم قتله خمس وعشرون سنة .

* * *

والصحيح من القول عندنا أنّ الذى ذكر اللهُ فى كتابه أنه قتل أخاه من ابنىْ آدم هو ابن آدم لصلبه ، لنقْل الحجّة أن ذلك كذلك ، وأن

١/١٤٥ هنّاد بن السرىّ حدثنا ، قال: حدثنا أبو معاوية ووكيع جميعاً عن الأعمش . — وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير . وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش — عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبدالله[1] ، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من نفس تُقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأوّل كِفْلٌ منها » ، وذلك لأنه أولُ مَنْ سَنَّ القتل .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدىّ — وحدثنا ابن وكيع قال : حدثنا أبى — جميعًا عن سفيان[2] ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه[3] .

فقد بيّن هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحةَ قول مَنْ قال: إن اللذيْن قصّ الله فى كتابه قصتهما من ابنى آدم كانا ابنيْه لصلبه ؛ لأنه لاشكّ أنهما لو كانا من بنى إسرائيل — كما رُوِى عن الحسن — لم يكن الذى وُصف منهما بأنه قتل أخاه أوّل منْ سنّ القتل ، إذ كان القتل فى بنى آدم قد كان قبل إسرائيل وولده .

* * *

فإن قال قائل: فما برهانك على أنهما ولدا آدم لصلبه ، وأن لم يكونا من بنى إسرائيل ؟

---

(١) مسروق بن الأجدع ، روى عن عبد الله بن مسعود . (٢) سفيان الثورى .
(٣) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢١٤ .

قيل : لا خلافَ بين سلف علماء أمتنا فى ذلك، إذا فسدَ قولُ من قال : كانا من بنى إسرائيل .

* * *

وذكر أن قابيل لما قتل أخاه هابيل بكاه آدم عليه السلام فقال — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن غياث بن إبراهيم ، عن أبى إسحاق الهمْدانىّ، قال : قال[1] علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه : لما قتل ابن آدم أخاه بكاه آدم ، فقال :

١٤٦/١

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا ... فَوَجْهُ الأرضِ مُغْبرٌّ قبيحُ[2]

تَغَيَّرَ كُلُّ ذِى طَعْمٍ وَلَوْنٍ ... وَقَلَّ بَشَاشَةُ الوجه المليحِ

قال : فأجيب آدم عليه السلام :

أبا هابيلَ قَدْ قُتِلا جَمِيعاً ... وصار الحىُّ كالميْت الذبيحِ[3]

وجاء بِشِرَّةٍ قَدْ كَانَ مِنْهَا ... على خَوْفٍ فجاء بها يَصِيحُ[4]

* * *

وذكر أن حواء ولدت لآدم عليه السلام عشرين ومائة بطن ، أولهم قابيل وتوءمته قليما ، وآخرهم عبد المغيث وتوءمته أمة المغيث .

وأما ابن إسحاق فذُكِر عنه ما قد ذكرتُ قبل؛ وهو أنّ جميعَ ما ولدته حواء لآدم لصلبه أربعون من ذكر وأنثى فى عشرين بطناً ، وقال : قد بلغنا أسماء بعضهم ولم يبلغنا بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فكان منْ بلغنا اسمه خمسة عشر رجلا وأربع نسوة ؛ منهم قين وتوءمته ، وهابيل وليوذا[5] وأشوث بنت آدم وتوءمها ، وشيث[6] وتوءمته ، وحزورة وتوءمها ؛ على

(١) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢٠٩

(٢) التفسير : « فلون » .

(٣) ا ، س ، ك : « بالميت » .

(٤) فى الأبيات إقواء .

(٥) ن : « كيوذا » .

(٦) ا : « شث » .

ثلاثين ومائة سنة من عمره . ثم أباد[١] بن آدم وتوءمته ، ثم بالغ[٢] بن آدم وتوءمته ، ثم أثاثى[٣] بن آدم وتوءمته ، ثم توبة[٤] بن آدم وتوءمته ، ثم بنان[٥] ابن آدم وتوءمته ، ثم شبوبة[٦] بن آدم وتوءمته ، ثم حيان بن آدم وتوءمته ، ثم ضرابيس[٧] بن آدم وتوءمته ، ثم هدز[٨] بن آدم وتوءمته ، ثم يحود[٩] بن آدم وتوءمته ، ثم سندل بن آدم وتوءمته ، ثم بارق بن آدم وتوءمته ، كلُّ رجل منهم تولد معه امرأة فى بطنه الذى يُحْمَل به فيه . ١٤٧/١

* * *

وقد زعم أكثر علماء الفرس أن جيُو مَرْت هو آدم ، وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء .

وقال فيه غيرهم أقوالا كثيرة ، يطول بذكر أقوالهم الكتاب ، وتركنا ذكر ذلك إذ كان قصدُنا فى كتابنا هذا ذِكْر الملوك وأيامهم ، وما قد شرطنا فى كتابنا هذا أنّا ذاكروه فيه ، ولم يكن ذكرُ اختلاف المختلِفين فى نسب ملك من جنس ما أنشأنا له صنعةَ الكتاب ، فإن ذكرْنا من ذلك شيئاً فلتعريف من ذكرنا ؛ ليعرفه منْ لم يكن به عارفاً ؛ فأما ذكر الاختلاف فى نسبة فإنه غير المقصود به فى كتابنا هذا .

* * *

وقد خالف علماءَ الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم أنه آدم ، ووافق علماءُ الفرس على اسمه وخالفه فى عينه وصفته ، فزعم أن

---

(١) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « إياد » .
(٢) ك : « بالع » .
(٣) ا : « أثاث » ، ر : « إياثى » .
(٤) ر : « ثوبة » .
(٥) ا ، ن : « بيان » ، ر : « لبنان » .
(٦) ر : « ثوبه » ، ك : « شوبة » ، ن : « سبوبة » .
(٧) س : « صرابيس » .
(٨) ا : « هزر » ، س : « هوز » ، ك : « هرز » ، ن : « هدن » .
(٩) ا : « نجود » ، س : « يحور » ، ن : « بحود » .

جَيومَرْت[١] الذى زعمت الفرس أنه آدم عليه السلام إنما هو جامر[٢] بن يافث ابن نوح ، وأنه كان معمراً سيِّدا ، نزل جبل دُنْبَاوَنْد[٣] من جبال طبَرِستان من أرض المشرق ، وتملَّك بها وبفارس ، ثم عظُم أمره وأمر ولده ، حتى ملكوا بابل ، وملكوا فى بعض الأوقات الأقاليم كلَّها ، وأن جَيومَرْت منع من البلاد ما صار إليه ، وابتنى المدن والحصون وعمَّرها ، وأعدَّ السلاح ، واتخذ الخيل ، وأنه تجبَّر فى آخر عمره ، وتسمى بآدم ؛ وقال : مَنْ سمانى بغير هذا الاسم ضربتُ عنقه ، وأنه تزوج ثلاثين امرأة ، فكثر منهنّ نسلُه ، وأن مارى[٤] ابنه وماريانه[٥] أخته ، ممن كان ولد له فى آخر عمره ، فأعجب بهما وقدَّمهما ، فصار الملوك بذلك السبب من نسلهما ، وأن ملكَه اتسع وعظُم .

١٤٨/١

وإنما ذكرت من أمر جيُومَرْت فى هذا الموضع ما ذكرت ، لأنه لا تدافُعَ بين علماء الأمم أن جيومرت هو أبو الفرس من العجم ؛ وإنما اختلفوا فيه : هل هو آدم أبو البشر على ما قاله الذين ذكرنا قولهم أم هو غيره ؟ ثم مع ذلك فلأنّ ملكه وملك أولاده لم يزلْ منتظماً على سياق ، متسقاً بأرض المشرق وجبالها إلى أن قتل يَزْدَجِرْد بن شهريار من ولد ولده بمَرْو — أبعده الله — أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فتأريخ ما مضى من سنى العالم على أعمار ملوكهم أسهلُ بياناً ، وأوضح مناراً منه على أعمار ملوك غيرهم من الأمم ؛ إذ لا تُعلم أمة من الأمم الذين ينتسبون إلى[٦] آدم عليه السلام دامت لها المملكة ، واتصل لهم[٧] الملك ، وكانت لهم ملوك تجمعهم ، ورءوس تحامى عنهم من ناوأهم ، وتغالب بهم من عَازَّهم ، وتدفع ظالمهم عن مظلومهم ، وتحملهم من الأمور على ما فيه حظهم

(١) جيومرت ، كذا كتب فى الأصول ، بالجيم والتاء المثناة ، وكذا فى الشاهنامة ١ : ١٣ ، ومعناه عند الفرس اسم الإنسان الأول .

(٢) ر ، وابن الأثير ١ : ٢٨ : « حام بن يافث » .

(٣) دنباوند ، ضبطه ياقوت بضم أوله وسكون ثانيه وبعدها باء موحدة ، وبعد الألف واو ثم نون ساكنة وآخره دال ، قال : « ويقال دباوند : جبل من نواحى الرى » . وفى س : « دبياوند » .

(٤) ك : « أمارى » .

(٥) ر : « مارياثة » ، س : « ماريا » ، ك : « ماربانة » .

(٦) ا : « ينسبون » .

(٧) ا : « بها » .

على اتصال ودوام ونظام، يأخذ ذلك آخرهم عن أولهم، وغابرهم عن سالفهم — سواهم ، فالتأريخ على أعمار ملوكهم أصحُّ مخرجاً ، وأحسن وضوحاً .

* * *

وأنا ذاكر ما انتهى إلينا من القول فى عمر آدم عليه السلام وأعمار مَنْ كان بعده من ولده الذين خلفوه فى النبوة والملك، على قول من خالف قول الفرس الذين زعموا أنه جيُومَرْت، وعلى قول من قال: إنه هو جيومرت أبو الفرس، وذاكر ما اختلفوا فيه من أمرهم إلى الحال التى اجتمعوا عليها ، فاتفقوا على مَنْ ملك منهم فى زمان بعينه أنه كان هو الملك فى ذلك الزمان إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم سائق ذلك كذلك إلى زماننا هذا .

١٤٩/١

* * *

ونرجع الآن إلى الزيادة فى الإبانة عن خطإ قول من قال : إن أول ميت كان فى أول الأرض آدم ، وإنكاره الذين قصّ الله نبأهما فى قوله : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً ﴾ [1] ، أن يكونا من صُلْب آدم من أجل ذلك .

فحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا عمر بن إبراهيم، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرَة بن جندَب، عن النبي عليه السلام قال : «كانت حواء لا يعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينّه عبد الحارث ، فعاش لها ولد فسمَّتْه عبد الحارث، وإنما كان ذلك عن وحى الشيطان[2] » .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت حواء تلد لآدم فتُعبِّدهم الله[3] عزّ وجلّ وتسميهم : عبد الله ، وعبيد الله، ونحو ذلك،

---

(١) سورة المائدة ٢٧ .

(٢) الخبر فى التفسير ١٣ : ١٩٠

(٣) ا والتفسير : « لله » .

فيصيبهم الموت ، فأتاها إبليس وآدمَ عليه السلام ؛ فقال : إنكما لو تسمّيانه بغير الذى تسميانه به لعاش ، فولدت له ذكراً ، فسمّياه عبد الحارث ؛ ففيه أنزل الله عزّ ذكره ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ؛ إلى قوله : ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾[1] إلى آخر الآية[2] .

١٥٠/١ حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن فضيل ، عن سالم بن أبى حفصة ، عن سعيد بن جُبير : ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ إلى قوله : ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] .

قال : ولما حملت حواء فى أول ولد ولدتْه حين أثقلت أتاها إبليسُ قبل أن تلد فقال : يا حواء ، ما هذا فى بطنك ؟ فقالت : ما أدرى مَنْ ؟ فقال : أين يخرج ؟ من أنفك ؟ أو من عينك ؟ أو من أذنك ؟ قالت : لا أدرى ، قال : أرأيتِ إن خرج سليما أمطيعتى أنتِ فيما آمركِ به ؟ قالت : نعم ، قال : سمّيه عبد الحارث — وقد كان يسمّى إبليس لعنه الله الحارث — فقالت : نعم ، ثم قالت بعد ذلك لآدم : أتانى آت فى النوم فقال لى : كذا وكذا ، فقال : إن ذاك الشيطان فاحذريه ، فإنه عدوّنا الذى أخرجنا من الجنة ، ثم أتاها إبليس لعنه الله فأعاد عليها ، فقالت : نعم ، فلما وضعته أخرجه الله سليما فسمتْه عبد الحارث ، فهو قوله : ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ إلى قوله : ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3] .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا جرير وابن فضيل[4] ، عن عبد الملك[5] ، عن سعيد بن جبير ، قال : قيل له : أشْرَكَ آدم ؟ قال : أعوذ بالله أن أزعم أن آدم عليه السلام أشْرك ! ولكن حواء لما أثقلت أتاها إبليسُ

---

(١) سورة الأعراف ١٨٩ ، ١٩٠

(٢) الخبر فى التفسير ١٣ : ٣٠٩

(٣) الخبر فى التفسير ١٣ : ٣١٣

(٤) محمد بن فضيل بن غزوان .

(٥) عبد الملك بن أبى سلمان .

فقال لها : منْ أين يخرج هذا ؟ من أنفك ، أو من عينك ، أو من فيك ؟ فقنّطها؛ ثم قال: أرأيت إن خرج سويا — قال ابن وكيع : زاد ابن فضيل : «لم يضرّك ولم يقتلك» — أتطعينى؟ قالت : نعم ، قال: فسمّيه عبد الحارث ، ففعلت — زاد جرير : فإنما كان شركه فى الاسم(١) .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :

١٥١/١ حدثنا أسباط ، عن السدىّ : فولدت — يعنى حواء — غلاماً ، فأتاها إبليس فقال : سمّوه عبدى ، وإلا قتلته، قال له آدم : قد أطعتُك وأخرجتَنى من الجنة . فأبى أن يطيعه؛ فسماه «عبد الرحمن» ، فسلّط عليه إبليس لعنه الله فقتله ، فحملت بآخر فلما ولدته ، قال : سميه عبدى وإلا قتلته ، قال له آدم عليه السلام: قد أطعتك فأخرجتنى من الجنة . فأبى فسماه صالحاً ، فقتله ، فلما كان الثالث قال لهما : فإذ غلبتمونى فسمّوه عبد الحارث، وكان اسم إبليس الحارث ، — وإنما سمى إبليس حين أبْلَس (تحيّر)(٢) — فذلك حين يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ — يعنى فى الأسماء(٣).

* * *

فهؤلاء الذين ذكرت الرواية عنهم بما ذكرت؛ من أنه مات لآدم وحواء أولاد قبلهما ، ومَنْ لم نذكر أقوالهم ممن عددُهم أكثر من عدد مَنْ ذكرت قوله والرواية عنه، قالوا خلاف قول الحسن الذى روى عنه أنه قال : أول من مات آدم عليه السلام .

وكان آدم مع ما كان الله عزّ وجلّ قد أعطاه من ملك الأرض والسلطان فيها قد نبّأه ، وجعله رسولا إلى ولده ، وأنزل عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها آدم عليه السلام بخطه ، علّمه إياها جبرئيل عليه السلام .

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمّى ،

١٥٢/١ قال : حدثنى الماضى بن محمد ، عن أبى سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن

---

(١) الخبر فى التفسير ١٣ : ٣١٣

(٢) ط : «تحيرا» تصحيف .

(٣) الخبر فى التفسير ١٣ : ٣١٣

أبى إدريس الخولانىّ ، عن أبى ذرّ الغفارىّ ، قال : دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده، فجلست إليه فقال لى : «يا أبا ذرّ ، إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان ، فقم فاركعهما»، فلما ركعتهما جلست إليه فقلت : يا رسول الله، إنك أمرتنى بالصلاة فما الصلاة ؟ قال: «خيرُ موضوع ، استكثر أو استقلّ» ، ثم ذكر قصة طويلة قال فيها: قلت : يا رسول الله ، كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً»، قال: قلت: يا رسول الله ، كم المرسل من ذلك؟ قال: « ثلثمائة وثلاثة عشر جمًّا غفيراً » ، يعنى كثيراً طيباً، قال : قلت يا رسول الله ، منْ كان أولهم ؟ قال : « آدم »، قال: قلت يا رسول الله، وآدم نبىّ مرسل؟ قال : « نعم خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه، ثم سواه قُبُلاً » .(١)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد ابن إسحاق ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبى أمامة ، عن أبى ذرّ قال: قلت، يانبى الله ، أنبيًّا كان آدم ؟ قال: « نعم، كان نبيًّا ، كلّمه الله قُبُلا » .

وقيل: إنه كان مما أنزل الله تعالى على آدم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم فى إحدى وعشرين ورقة .

---

(١) قبلا ، أى عيانا .

ذكر ولادة حواء شيثاً

ولما مضى لآدم صلى الله عليه وسلم من عمره مائة وثلاثون سنة ، وذلك بعد قتل قابيل هابيل بخمس سنين ، ولدت له حواء ابنه شيثاً ، فذكر أهل التوراة أن شيثاً ولد فرداً بغير توءم، وتفسير « شيث » عندهم «هبة الله»، ومعناه أنه خلف من هابيل .

حدثني الحارث بن محمد، قال: حدثني ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: ولدت حواء لآدم شيثا وأخته عزورا[1] ، فسمّي هبة الله ، اشتُقّ له من هابيل، قال لها جبرئيل حين ولدته : هذا هبة الله بدل هابيل ، وهو بالعربية شِثّ ، وبالسريانية شاث ، وبالعبرانية شيث ، وإليه أوصى آدم ، وكان آدم يوم ولد له شيث ابن ثلاثين ومائة سنة .

١٥٣/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما حضرت آدم الوفاة — فيما يذكرون والله أعلم — دعا ابنه شيثا فعهد إليه عهده ، وعلّمه ساعات الليل والنهار ، وأعلمه عبادة الخلق فى كلّ ساعة منهنّ ، فأخبره أنّ لكل ساعة صنفاً من الخلق فيها عبادته . وقال له : يا بنيّ إن الطوفان سيكون فى الأرض يلبث فيها سبع سنين . وكتب وصيته ، فكان شيث — فيما ذكر — وصيّ أبيه آدم عليه السلام، وصارت الرياسة من بعد وفاة آدم لشيث ، فأنزل[2] الله عليه فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين صحيفة .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمّي ، قال : حدثنا الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولانيّ، عن أبي ذرّ الغفاريّ، قال: قلت: يا رسول الله ، كم

---

(١) كذا فى ا ، ن وفى ط : « حزورا » .

(٢) ا : « وأنزل » .

كتاب أنزله الله عزّ وجلّ ؟ قال : « مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة » .

* * *

وإلى شيث أنسابُ بنى آدم كلّهم اليوم ؛ وذلك أن نسل سائر ولد آدم غير نسل شيث ، انقرضوا وبادوا فلم يبق منهم أحد ، فأنسابُ الناس كلهم اليوم إلى شيث عليه السلام .

١/١٠٤

* * *

وأما الفرس الذين قالوا إن جَيُومَرْت هو آدم ؛ فإنهم قالوا : ولد لجيومَرْت ابنه ميشى ، وتزوج ميشى [1] أخته ميشانه فولدت له سيامك بن ميشى ، وسيامى ابنة ميشى ، فولد لسيامك بن ميشى بن جيومرت أفرواك ، وديس ، وبراسب ، وأجوب [2] ، وأوراش [3] بنو سيامك ، وأفرى ، ودذى [4] ، وبرى [5] وأوراشى بنات سيامك ، أمهم جميعاً سيامى بنت ميشى ، وهى أخت أبيهم .

وذكروا أن الأرض كلّها سبعة أقاليم ، فأرض بابل وما يوصل إليه مما يأتيه الناس برًّا أو بحراً فهو إقليم واحد ، وسكانه نسل ولد أفرواك بن سيامك وأعقابهم ، وأما الأقاليم الستة الباقية التى لا يوصل إليها اليوم برا أو بحراً فنسلُ سائر ولد سيامك ، من بنيه وبناته .

فولد لأفرواك بن سيامك من أفرى بنت سيامك هوشَنْك بيشداذ الملك ، وهو الذى خلَف جدّه جَيُومَرْت فى الملك ، وأول منْ جمع له ملك الأقاليم السبعة ، وسنذكر أخباره إن شاء الله إذا انتهينا إليه . وكان بعضهم يزعم أن أوشَهنج هذا ، هو ابن آدم لصلبه من حواء .

وأما هشام الكلبىّ فإنه فيما حدّثتُ عنه قال : بلغنا والله أعلم — أول ملك مَلك الأرض أوشهنق بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . قال :

---

(١) كذا فى ا ، والشاهنامة ؛ وفى ط : « مشا ... ميشان » ، وانظر الشاهنامة وحواشيها ١ : ١٤ ، ١٥

(٢) كذا فى ا ، و فى ط : « أجرب » .

(٣) ر ، ك : « أوراس » ، س : « أوراس » .

(٤) ا : « دخرى » .

(٥) ا : « بزى » .

والفرس تدّعيه وتزعم أنه كان بعد وفاة آدم بمائتى سنة، قال : وإنما كان هذا الملك فيما بلغنا بعد نوح بمائتى سنة، فصيّره أهل فارس بعد آدم بمائتى سنة ، ولم يعرفوا ما كان قبل نوح .

١/١٥٥

وهذا الذى قاله هشام قول لا وجه له ، لأن هوشهنك الملك فى أهل المعرفة بأنساب الفرس أشهر من الحجاج بن يوسف فى أهل الإسلام ، وكلّ قوم فهم بآبائهم وأنسابهم ومآثرهم أعلم من غيرهم ؛ وإنما يُرجع فى كل أمر التبس إلى أهله .

وقد زعم بعض نسابة الفرس أن أوشَهنج بيشداذ الملك هذا هو مهلائيل ، وأن أباه فرواك هو قينان أبو مَهْلائيل، وأن سيامك هو أنوش أبو قينان ، وأن ميشى هو شيث أبو أنوش ، وأن جُيُومَرت هو آدم صلى الله عليه وسلم .

فإن كان الأمر كما قال ، فلا شك أن أوشَهنج كان فى زمان آدم رجلا ، وذلك أن مَهْلائيل فيما ذكر فى الكتاب الأول كانت ولادة أمه دينة[1] ابنة براكيل ابن محويل بن خَنوخ بن قَيْن بن آدم إياه بعد ما مضى من عمر آدم صلى الله عليه وسلم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة ، فقد كان له حين وفاة آدم ستمائة سنة وخمس سنين ، على حساب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمر آدم أنه كان عمره ألف سنة .

وقد زعمت علماء الفرس أن مُلْك أوشهنج هذا كان أربعين سنة . فإن كان الأمر فى هذا الملك كالذى قاله النسابة الذى ذكرت عنه ما ذكرت فلم يُبْعِد من قال : إن مُلْكه كان بعد وفاة آدم صلى الله عليه وسلم بمائتى سنة .

---

(١) ا : « ذنبه »

ذكر وفاة آدم عليه السلام

اختُلِف فى مدة عمره ، وابن كَمْ كان يوم قبضه الله عز وجل إليه .

١/١٥٦ فأما الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها واردة بما حدثنى محمد بن خلف العسقلانىّ ، قال : حدثنا آدم بن أبى إياس ، قال : حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان ، قال : حدثنى محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم — قال أبو خالد : وحدثنى الأعمش ، عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال أبو خالد: وحدثنى داود بن أبى هند، عن الشعبى ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال أبو خالد : وحدثنى ابن أبى ذباب الدَّوْسىُّ ، قال: حدثنا سعيد المقبُرىّ ويزيد بن هرمز ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم — أنه قال: « خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فجلس فعطَس فقال : الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك ربك ، إيت أولئك الملأ من الملائكة فقل لهم : السلام عليكم ، فأتاهم فقال [لهم][1] : السلام عليكم . قالوا له: وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربِّه فقال له : هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم ، ثم قبض له يديه ، فقال له : خذ واختر ، قال : اخترت يمين ربى وكلتا يديه يمين ، ففتحها له ، فإذا فيها صورة آدم وذريته كلّهم ، فإذا كلّ رجل مكتوب عنده أجلُه ، وإذا آدم قد كتب له عمر ألف سنة ، وإذا قوم عليهم النور ، فقال : يا ربّ ، مَنْ هؤلاء الذين عليهم النور ، فقال : هؤلاء الانبياء والرسل الذين أرسِل إلى عبادى ، وإذا فيهم رجل هو أضوءهم نوراً ، ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة ، فقال :[يا ربّ ، ما بالُ هذا ، من أضوئهم نوراً ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة ؟ فقال][1] : ذاك ما كتب له ، فقال : يا ربّ ، انقص له من عمرى ستين سنة » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فلما أسكنه الله الجنة ثم أهبط إلى الأرض كان يَعُدّ ١/١٥٧

(١) تكملة من ا

أيامه ، فلما أتاه ملك الموت ليقبِضه قال له آدم: عجّلتَ عليّ يا ملك الموت! فقال : ما فعلت ، فقال : قد بقيَ من عمرى ستون سنة ، فقال له ملك الموت : ما بقيَ من عمرك شيء ، قد سألتَ ربّك أن يكتبه لابنك داود ، فقال : ما فعلتُ » . فقال: رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « فنسى آدم ، فنسيتْ ذريته، وجَحد آدم فجحَدت ذريته ، فيومئذ وَضَع الله الكتاب ، وأمر بالشهود » .

حدثنى ابن سنان ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد، عن يوسف بن مِهران، عن ابن عباس، قال : لما نزلتْ آية الدَّيْن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنّ أولَ منْ جحد آدم عليه السلام ثلاث مرات ، وإن الله تبارك وتعالى لما خلقه مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارّ إلى يوم القيامة ، فجعل يعرضهم على آدم ، فرأى فيهم رجلا يزهَر ، فقال: أى ربّ ، أى نبيّ هذا ؟ قال: هذا ابنك داود، قال : أى ربّ ، كم عمره ؟ قال: ستون سنة، قال : أىْ ربّ ، زده فى عمره، قال : لا ، إلا أن تزيده أنت من عمرك ، وكان عمر آدم ألف سنة ، فوهب له من عمره أربعين عاماً ، فكتب الله عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة ، فلما احتُضِر آدم أتته الملائكة لتقبض روحه ، قال : إنه قد بقيَ من عمرى أربعون سنة ، قالوا : إنك قد وهبتَها لابنك داود، قال : ما فعلت ولا وهبت له شيئاً ، فأنزل الله عليه الكتاب ، وأقام عليه الملائكة شهوداً ، فأكمل لآدم ألف سنة، وأكمل لداود مائة سنة » .

حدثنى محمد بن سعد، قال : حدثنى أبى ، قال: حدثنى عمّى[1]، قال: حدثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس ، قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾[2] ، قال ابن عباس : إن الله عزّ وجلّ لما خلق آدم مسح ظهرَه، وأخرج ذريته

١٥٨/١

(١) ط : حدثنى محمد بن سعد ، قال حدثنا هشام ، قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى ، وما أثبته عن ا والتفسير .

(٢) سورة الأعراف ١٧٢

كلّهم كهيئة الذرّ ، فأنطقهم فتكلموا ، وأشهدهم على أنفسهم ، وجعل مع بعضهم النور . وأنه قال لآدم : هؤلاء ذريتك أُخِذ عليهم الميثاق : أنى أنا ربهم لئلا يُشركوا بى شيئاً ، وعلىّ رزقهم . قال آدم : فمن هذا الذى معه النور ؟ قال : هو داود ، قال : يا ربّ ، كم كتبت له من الأجل ؟ قال : ستين سنة ، قال : كم كتبت لى ؟ قال : ألف سنة ، وقد كتبت لكل إنسان منهم : كم يعمَّر ، وكم يلبث ، قال : يا رب زدْه ، قال : هذا الكتاب موضوع فأعطه إن شئت من عمرك ، قال : نعم ، وقد جفّ القلم عن سائر بنى آدم[1] ، فكتب له من أجل آدم أربعين سنة ، فصار أجلُه مائة سنة ، فلما عمِّر تسعمائة سنة وستين سنة جاءه ملك الموت ، فلما أن رآه آدم قال : مالكَ ؟ قال له : قد استوفيتَ أجلك ، قال له آدم : إنما عمِّرت تسعمائة سنة وستين سنة ، وبقى [لى][2] أربعون سنة ، فلما قال ذلك للملَك ، قال الملك : قد أخبرنى بها ربى ، قال : فارجع إلى ربك فسلْه ، فرجع الملك إلى ربه فقال[3] : مالك ؟ قال : يا ربّ رجعتُ إليك لما كنت أعلم من تكرمتك إياه ، قال الله عزّ وجلّ : ارجع فأخبره ، أنه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة[4] .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِىٓ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، قال : أخرجهم من ظهر آدم ، وجعل لآدم عمرَ ألف سنة ، قال : فعرضوا على آدم ، فرأى رجلاً من ذريته له نور ، فأعجبه فسأله عنه فقال : هو داود ، وقد جعل عمره ستين سنة ، فجعل له من عمره أربعين سنة ، فلما احتُضِر آدم عليه السلام جعل يخاصمهم فى الأربعين السنة ، فقيل له : إنك قد أعطيتَها داود ، قال : فجعل يخاصمهم[5] .

١٥٩/١

(١) فى التفسير : « عن أجل سائر بنى آدم » .
(٢) تكملة من ا
(٣) فى الأصول : « قال » . وما أثبته من التفسير .
(٤) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٣٧
(٥) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٤٠

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ قال : أخرج ذريته من ظهره فى صورة كهيئة الذّر ، فعرضهم على آدم بأسمائهم وأسماء آبائهم وآجالهم ، قال : فعرض عليه روح داود فى نور ساطع ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : هذا من ذريتك ، نبىٌّ خلقته ، قال : كم عمره ؟ قال : ستون سنة ، قال : زيدوه من عمرى أربعين سنة ، قال : والأقلام[١] رطبة تجرى ، وأثبتت لداود عليه السلام الأربعون ، وكان عمر آدم ألف سنة ، فلما استكملها إلا الأربعين سنة[٢] بعث إليه مَلَك الموت قال : يا آدم أُمِرتُ أن أقبضك ، قال : ألم يبق من عمرى أربعون سنة ؟ قال : فرجع ملك الموت إلى ربه عزّ وجلّ فقال : إن آدم يدّعى من عمره أربعين سنة ، قال : أخبِرْ آدم أنه جعلها لابنه داود . والأقلام رطبة ، وأثبتت لداود [الأربعون][٣] .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو داود ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، بنحوه .

وذكر أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوماً ، وأوصى إلى ابنه شيث عليه السلام وكتب وصيتَه ، ثم دفع كتاب وصيته إلى شيث ، وأمره أن يخفيَه من قابيل وولده ، لأن قابيل قد كان قتل هابيل حسداً منه حين خصّه آدم بالعلم ، فاستخفى شيث وولده بما عندهم من العلم ، ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به[٤] .

١/١٦٠

ويزعم أهل التوراة أن عمر آدم عليه السلام كله كان تسعمائة سنة وثلاثين سنة .

حدثنـــا الحارث قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام ابن محمد ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان عمر آدم تسعمائة سنة وستاً وثلاثين سنة ؛ والله أعلم .

---

(١) ط : « فالأقلام » ، وما أثبته عن ا والتفسير .

(٢) ا : « السنة » .

(٣) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٤١ ، والتكملة من ا .

(٤) ا : « ينفعون » .

والأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلماء من سلفنا ما قد ذكرت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلم الخلق بذلك .

* * *

وقد ذكرت الأخبار الواردة عنه أنه قال : كان عمره ألف سنة ، وأنه بعد ما جعل لابنه داود من ذلك ما جعل له ، أكمل الله له عِدّة ما كان أعطاه من العمر قبل أن يهب لداود ما وهب له من ذلك ، ولعلّ ما كان جعل من ذلك ادم عليه السلام لداود عليه السلام لم يُحسَب فى عمر آدم فى التوراة ، فقيل : كان عمره تسعمائة وثلاثين سنة .

فإن قال قائل : فإنّ الأمر وإن كان كذلك ؛ فإن آدم إنما كان جعل لابنه داود من عمره أربعين سنة ، فكان ينبغى أن يكون فى التوراة تسعمائة سنة وستون ؛ ليوافق ذلك ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قيل : قد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك أن الذى كان جعل آدم لابنه داود من عمره ستون سنة ، وذلك فى رواية لأبى هريرة[1] عنه ، وقد ذكرناها قبل. فإن يكن ذلك كذلك ، فالذى زعموا أنه فى التوراة من الخبر ١٦١/١ عن مدة حياة آدم عليه السلام موافق لما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : لما كتب آدم الوصية مات صلوات الله عليه ، واجتمعت عليه الملائكة من أجل أنه كان صفىّ الرحمن، فقبرته الملائكة ، وشيث وإخوته فى مشارق الفردوس ، عند قرية هى أول قرية كانت فى الأرض ، وكسفت عليه الشمس والقمر سبعة أيام ولياليهنّ ، فلما اجتمعت عليه الملائكة وجمع الوصية، جعلها فى معراج ، ومعها القرن الذى أخرج أبونا آدم من الفردوس ؛ لكيلا يغفل عن ذكر الله عزّ وجلّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه ، قال : سمعته يقول : بلغنى أن آدم عليه السلام حين

(١) ط : « أبى هريرة » ، وما أثبته من ا .

مات بعث الله إليه بكفنه وحَنوطه من الجنة ، ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتى غيّبوه .

حدثنا على بن حرب ، قال : حدثنا روح بن أسلم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البنانىّ ، عن الحسن ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لما توفى آدم غسلته الملائكة بالماء وِتراً ، وألحدوا[1] له ، وقالت : هذه سنّة آدم فى ولده » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن ذكوان ، عن الحسن بن أبى الحسن ، عن أُبىّ بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أباكم آدم كان طُوالا كالنخلة السَّحوق ، ستين ذراعاً ، كثير الشعر ، موارَى العورة ، وأنه لما أصاب الخطيئة بدت له سوءته فخرج هارباً فى الجنة فتلقاه شجرة ، فأخذت بناصيته ، وناداه ربّه : أفراراً منى يا آدم ! قال : لا والله يا ربّ ولكن حياءً منك مما [قد][2] جنيت ، فأهبطه الله إلى الأرض ، فلما حضرته الوفاة بعث الله إليه بحَنوطه[3] وكفنه من الجنة ، فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم إليه ، فقال : خلّى عنى وعن رسل ربى ، فإنى ما لقيت ما لقيتُ إلا منك ، ولا أصابنى ما أصابنى إلا فيك . فلما قبض غسلوه بالسِّدْر والماء وِترا ، وكفنوه فى وِتر من الثياب ، ثم لَحَدوا له فدفنوه ، ثم قالوا : هذه سنة ولد آدم من بعده .

١/١٦٢

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : حدثنا المعتمر بن سليمان ، قال : قال أبى : — وزعم قتادة عن صاحب له حدّث عن أُبَىّ بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان آدم رجلا طُوالا كأنه نخلة سَحوق » .

حدثنا الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام [بن محمد][2] قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس قال :

---

(١) ألحدوا له ولحدوا : عملوا له لحداً ؛ وهو القبر.

(٢) تكملة من ا

(٣) الحنوط ، بالفتح : كل طيب يخلط للميت .

لما مات آدم عليه السلام قال شيث لجبرئيل صلى الله عليهما : صلِّ على آدم ، قال : تقدم أنت فصلّ على أبيك ، وكبّر عليه ثلاثين تكبيرة ، فأما خمس فهى الصلاة ، وأما خمس وعشرون فتفضيلا لآدم صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد اختُلف فى موضع قبر آدم عليه السلام ، فقال ابن إسحاق ما قد مضى ذكره ، وأما غيره فإنه قال : دفن بمكة فى غار أبى قُبَيس ، وهو غار يقال له غار الكنز (١) .

وروى عن ابن عباس فى ذلك ، ما حدثنى به الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام قال : أخبرنا أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس قال : لما خرج نوح من السفينة دَفَن آدم عليه السلام ببيت المقدس . ١٦٣/١

* * *

وكانت وفاته يوم الجمعة ، وقد مضى ذكرنا الرواية بذلك ، فكرهنا إعادته .

وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام بن محمد ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : مات آدم عليه السلام على بَوْذ — قال أبو جعفر يعنى الجبل الذى أُهبط عليه — وذكر أن حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت رحمهما الله ، فدفنت مع زوجها فى الغار الذى ذكرت ، وأنهما لم يزالا مدفونين فى ذلك المكان ، حتى كان الطوفان ، فاستخرجهما نوح ، وجعلهما فى تابوت ، ثم حملهما معه فى السفينة ، فلما غاضت الأرضُ الماء ردّهما إلى مكانهما الذى كانا فيه قبل الطوفان ، وكانت حواء قد غَزَلت — فيما ذكر —

(١) ذكره ياقوت وقال : « غار الكنز : موضع فى جبل أبى قبيس ، دفن فيه آدم كتبه فيما زعموا » . معجم البلدان ٦ : ٢٦١

ونسجت وعجنت وخبزت ، وعملت أعمال النساء كلها .

* * *

ونرجع الآن إلى قصة قابيل وخبره وأخبار ولده وأخبار شيث وخبر ولده — إذ كنا قد أتينا[١] من ذكر آدم وعدوه إبليس وذكر أخبارهما ، وما صنع الله بإبليس إذ تجبر وتعظّم وطغى على ربه عزّ وجلّ فأشِر وبطر نعمتَه التي أنعمها الله عليه، وتمادى فى جهله وغيّه، وسأل ربه النظرة، فأنظره[٢] إلى يوم الوقت المعلوم، وما صنع [الله][٣] بآدم صلوات الله عليه إذ خطِئ[٤] ونسىَ عهد الله من تعجيل عقوبته له على خطيئته ، ثم تغمده إياه بفضله ورحمته ، إذ تاب إليه من زلّته فتاب عليه وهداه، وأنقذه من الضلالة والردى — حتى نأتىَ على ذكر مَن سلك سبيلَ كلّ واحد منهما ؛ من تباع آدم عليه السلام على منهاجه[٥] وشيعة إبليس والمقتدين به فى ضلالته ، إن شاء الله ، وما كان من صنع الله تبارك وتعالى بكل فريق منهم .

١/١٦٤

فأما شيث عليه السلام فقد ذكرنا بعضَ أمره ، وأنه كان وصىّ أبيه آدم عليه السلام فى مُخلَّفيه[٦] بعد مضيِّه لسبيله ، وما أنزل الله عليه من الصحف .

وقيل : إنه لم يزل مقيما بمكة يحجّ ويعتمر إلى أن مات ، وإنه كان جمع ما أنزل الله عزّ وجلّ عليه من الصحف إلى صحف أبيه آدم عليه السلام، وعملَ بما فيها ، وأنه بنى الكعبة بالحجارة والطين .

وأما السلف من علمائنا فإنهم قالوا : لم تزل القبّة التى جعل الله لآدم فى مكان البيت إلى أيام الطوفان ، وإنما رفعها الله عزّ وجلّ حين أرسل الطوفان . وقيل : إن شيثاً لما مرض أوصى ابنه أنوش ومات ، فدفن مع أبويه فى غار أبى قبيس ، وكان مولده لمضى مائتى سنة وخمس وثلاثين سنة ، من عمر آدم

---

(١) ن : « على ذكر آدم » .

(٢) ا ، ك : « فأنظر » بالبناء للمجهول .

(٣) تكملة من ا

(٤) ا : « أخطأ » ، وهما سواء .

(٥) ا : « مناهجه » .

(٦) كذا فى ا ، س ، ن ، ط : « مخلفيه » .

عليه السلام . وكانت وفاته وقد أتت له تسعمائة سنة واثنتا عشرة سنة . وولد لشيث أنُوش[١] ، بعد أن مضى من عمره ستمائة سنة وخمس سنين ؛ فيما يزعم أهل التوراة .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال فيما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل، عنه : نكح شيث بن آدم أخته حزورة ابنة آدم، فولدت له يانش بن شيث ، ونَعمة ابنة شيث ، وشيث يومئذ ابن مائة سنة وخمس سنين ، فعاش بعد ما وُلد له يانش ثمانمائة سنة وسبع سنين .

١/١٦٥ وقام أنُوش بعد مضيّ أبيه شيث لسبيله بسياسة[٢] الملك ، وتدبير مَن تحت يديه من رعيته مقام أبيه شيث ، ولم يزل — فيما ذُكِر — على منهاج أبيه ؛ لا يوقَف منه على تغيير ولا تبديل . وكان جميعُ عمر أنوش — فيما ذكر أهل التوراة — تسعمائة سنة وخمس سنين .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنى هشام ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولَد شيث أنُوش ونفراً كثيراً ، وإليه أوصى شيث، ثمّ وُلد لأنوش بن شيث بن آدم ابنُه قَيْنَان[٣] من أخته نَعمة ابنة شيث بعد مضيّ تسعين سنة من عمر أنوش ، ومن عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وعشرين سنة .

وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سَلمة، عن ابن إسحاق : نكح يانش بن شيث أختَه نعمة ابنة شيث، فولدت له قَيْنان، ويانش يومئذ ابن تسعين سنة ، فعاش يانش بعد ما ولد له قَيْنَان ثمانمائة سنة وخمس عشرة سنة ، وولد له بنون وبنات ، فكان كلُّ ما عاش يانش تسعمائة سنة وخمس سنين . ثم نكح قَيْنان بن يانش — وهو ابن

---

(١) أنوش كصبور ، كذا ضبطه صاحب تاج العروس فى ٤ : ٢٨٠ ، قال : « ويقال : يانش كصاحب وآدم ، ويقال إنوش ، بكسر الهمزة بمعنى إنسان » .

(٢) ر ، س : « لسياسة » .

(٣) قينان ، كذا ضبطه صاحب اللسان ؛ بفتح القاف ومد النون الأولى ، وفى سفر التكوين ٥ : ١٢ ضبط بكسر القاف . ويقال أيضاً « قينين » بإسقاط الألف ؛ كما نقله صاحب التاج .

سبعين سنة — دينة[١] ابنة براكيل بن محويل بن خَنُوح[٢] بن قين[٣] بن آدم ، فولدت له مَهلائيل[٤] بن قَيْنان ، فعاش قينان بعد ما ولد له مهلائيل ثمانمائة سنة وأربعين سنة ، فكان كلّ ما عاش قَيْنان تسعمائة سنة وعشر سنين .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هِشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولَد أنوش قَيْنَان ، ونفراً كثيراً ، وإليه الوصية ، فولد قينان مَهلائيل ونفراً معه ، وإليه الوصية ، فولد مهلائيل يَرْد[٥] —وهو اليارد — ونفراً معه ، وإليه الوصية ، فولد يَرْد أخْنُوخ وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم ونفراً معه ، فولد أخْنُوخ مَتُوشَلَخ[٦] ونفراً معه وإليه الوصية ، [فولد مَتُوشَلَخ لَمَك[٧] ونفرا معه وإليه الوصية].[٨]

١/١٦٦

وأما التوراة فما ذكره أهلُ الكتاب أنه فيها أنّ مولِد مهلائيل بعد أن مضت من عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة ، ومن عمر قَيْنان سبعون سنة .

ونكح مهلائيل بن قَيْنان — وهو ابن خمس وستين سنة ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — خالتَه سمعن ابنة براكيل ابن محويل بن خَنُوخ بن قَيْن بن آدم ، فولدت له يَرْد بن مهلائيل ، فعاش مهلائيل بعد ما ولد له يَرْد ثمانمائة سنة وثلاثين سنة ، فوُلد له بنون وبنات ، فكان كلُّ ما عاش مهلائيل ثمانمائة سنة وخمساً وتسعين سنة ، ثم مات .

وأما في التوراة فإنه ذكر أن فيها أن يَرْد وُلِد لمهلائيل بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة ، وأنه كان على منهاج أبيه قَيْنان ، غير أنّ الأحداث بدتْ في زمانه .

---

(١) في ا « ذنبة » ، وفي ن : « دنبة » بالدال .

(٢) كذا في الأصول ، وفي القاموس : خنوخ بالفتح وأخنوخ بالهمز .

(٣) في القاموس : « قاين ابن لآدم عليه السلام » ، وقال في التاج : « إنه انقرض » . وفي سفر التكوين ٤ : ١ « قايين » .

(٤) في سفر التكوين ٥ : ١٥ « مهللئيل » .

(٥) كذا ورد في الأصول ، وحكى أبو الفدا في ١ : ٩ إعجام الذال أيضاً .

(٦) كذا في الأصول ، وضبطه ابن الأثير في ١ : ٣٦ بفتح الميم وبالتاء المعجمة باثنتين من فوق وبالشين المعجمة وبحاء مهملة ، قال : وقيل خاء معجمة .

(٧) في أبي الفدا : « لامخ ، ويقال : لامك ولمك أيضاً » . (٨) تكملة من ا

ذكر الأحداث التي كانت فى أيام بنى آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد

ذُكِر أن قابيل لما قتل هابيل ، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن ، أتاه إبليس ، فقال له : إن هابيل إنما قبِل قُربانُه وأكلته النار ، لأنه كان يخدُم النار ويعبدها ، فانصبْ أنت أيضًا ناراً تكون لَكَ ولعقبك . فبنَى بيتَ نار ، فهو أوّلُ مَنْ نَصَب النار وعبدها . 1/167

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إن قينًا نكح أختَه أشوث بنت آدم ، فولدت له رجلا وامرأة : خَنُوخ بن قين ، وعذب[1] بنت قين ، فنكح خَنوخ بن قين أختَه عذَب بنت قين ، فولدت له ثلاثة نفر وامرأة : عيرد بن خَنُوخ ومحويل بن خَنُوخ وأنوشيل[2] بن خنوخ ، ومويليث بنت خنوخ ، فنكح أنُوشيل بن خنوخ مويليث ابنة خنوخ ، فولدت لأنوشيل رجلاً اسمه لامك ، فنكح لامك امرأتين : اسم إحداهما عَدَّى واسم الأخرى صَلّى[3] ، فولدت له عَدّى تولين بن لامك ، فكان أول من سكن القباب ، واقتنى المال ، وتوبيش[4] ، وكان أول من ضرب بالونَج[5] والصَّنْج ، وولدت رجلا اسمه توبلقين ، فكان أول مَنْ عمل النحاس والحديد ، وكان أولادهم جبابرة وفراعنة ، وكانوا قد أعطُوا بسطة فى الخلق ؛ كان الرجل فيما يزعمون يكون ثلاثين ذراعًا . قال : ثم انقرض ولد قَين ، ولم يتركوا عقبًا إلا قليلاً ، وذرية آدم كلهم جهِلتْ[6] أنسابهم وانقطع نسلهم ، إلاما كان من شيث بن آدم ، فمنه كان النسل ، وأنسابُ الناس اليوم كلهم إليه دون أبيه آدم ، فهو أبو البشر ، إلا ما كان من أبيه وإخوته ممن لم يترك عقبًا . 1/168

---

(1) كذا فى ا ، س ، ن ، وابن الأثير ١ : ٣٢ ، وفى ط : « عدن » .

(2) كذا فى ا ، ك ، وابن الأثير ، وفى ط : « أبوشيل » .

(3) سفر التكوين : « عادة » و « صلة » ، بتشديد اللام .

(4) فى ابن الأثير : « تويلين » .

(5) الونج : المعزف ؛ وهو المزهر أو العود .

(6) فى الأصول : « فجهلت » ، وما أثبته عن ابن الأثير .

قال : ويقول أهل التوراة : بل نكح قَين أشوث ، فولدت له خَنوخ ، فولد لخنوخ عِيرد[١] ، فولد عيرد محويل ، فولد محويل أنوشيل ، فولد أنوشيل ، لامك ، فنكح لامك عدّى وصلّى ، فولدتا له مَنْ سميتُ . والله أعلم .

فلم يذكر ابن إسحاق من أمر قابيل وعقبه إلا ما حكيتُ .

وأما غيره من أهل العلم بالتوراة فإنه ذكر أن الذى اتخذ الملاهىَ من ولد قايين رجل يقال له توبال[٢] ، اتخذ فى زمان مهلائيل بن قَيْنان آلات اللهو من المزامير والطبول والعيدان والطنابير والمعازف ، فانهمك ولد قايين فى اللهو ، وتناهى خبرُهم إلى مَنْ بالجبل من نسل شيث ، فهمّ منهم مائة رجل بالنزول إليهم ، وبمخالفة ما أوصاهم به آباؤهم ، وبلغ ذلك يارد ، فوعظهم ونهاهم ؛ فأبوْا إلا تماديًا ، ونزلوا إلى ولد قايين ، فأعجبوا بما رأوْا منهم ، فلما أرادوا الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقتْ من آبائهم ، فلما أبطئوا بمواضعهم ، ظنّ من كان فى نفسه زيغ ممن كان بالجبل أنهم أقاموا اعتباطًا ، فتسالّلوا[٣] ينزلون عن الجبل ، ورأوا اللهو فأعجبهم ، ووافقوا نساء من ولد قايين متسرّعات إليهم ، وصرْن معهم ، وانهمكوا فى الطغيان ، وفشت الفاحشة وشرب الخمر .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول غير بعيد من الحق ؛ وذلك أنه قول قد رُوى عن جماعة من سلف علماء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم نحو منه ، وإن لم يكونوا بيّنوا زمانَ مَنْ حدث ذلك فى ملكه ، سوى ذكرهم أن ذلك كان فيما بين آدم ونوح صلى الله عليهما وسلم . ١٦٩/١

* ذكر من رُوى ذلك عنه :

حدثنا أحمد بن زُهَير ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا داود – يعنى ابن أبى الفرات – قال : حدثنا علباء بن أحمر ، عن عكرمة ،

---

(١) فى سفر التكوين : « عيراد » .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط من غير نقط ، وفى ابن الأثير : « ثوبال » .

(٣) كذا فى ا ، وفى ابن الأثير : « فتسللوا » ، وفى ط : « فتسايلوا » .

عن ابن عباس ، أنه تلا هذه الآية : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.[١] قال : كانت فيما بين نُوح وإدريس ، وكانت ألف سنة ، وإن بَطْنَيْن من ولد آدم ، كان أحدُهما يسكن السهل ، والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صِباحًا وفى النساء دَمامة[٢] ، وكان نساء السهل صِباحًا وفى الرجال دمامة ، وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل فى صورة غلام فآجر نفسه منه ، وكان يخدُمه ، واتخذ إبليس لعنه الله شيئًا مثل الذى يزمُر فيه الرِّعاء ، فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثلَه ، فبلغ ذلك مَنْ حولهم ، فانتابوهم[٣] يسمعون إليه ، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه فى السنة ، فتتبرّج النساء للرجال ، قال : وينزل الرجال لهنّ . وإن رجلاً من أهل الجبَل هجم عليهم وهم فى عيدهم ذلك ، فرأى النساء وصَباحتهنّ ، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك ، فتحولوا إليهن ، فنزلوا عليهنّ[٤] ، فظهرت الفاحشة فيهنّ ، فهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .[٥]

١/١٧٠ حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن أبى غَنِيّة ، عن أبيه ، عن الحكَم : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ ، قال : كان بين آدم ونوح ثمانمائة سنة ، وكان[٦] نساؤهم أقبحَ ما يكون من النساء ، ورجالهُم حسان ، فكانت المرأة تريد الرجل على نفسها ، فأنزلت هذه الآية : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .[٧]

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : لم يمُتْ آدم حتى بلغ ولدُه وولدُ ولدِه أربعين ألفًا ببَوْذ .

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣

(٢) كذا فى ا والتفسير ، وفى باقى الأصول : « ذمامة » .

(٣) ك : « فأتوهم » .

(٤) كذا فى ط ، وفى ا ، ك والتفسير : « معهن » .

(٥) الخبر فى التفسير ٢٢ : ٤ (بولاق)

(٦) ا ، والتفسير : « فكان » .

(٧) الخبر فى التفسير ٢٢ : ٤ (بولاق) .

ورأى آدم فيهم الزنا وشربَ الخمر والفساد ، فأوصى ألاّ يناكِح بنُو شيث بني قابيل ، فجعل بنو شيث آدم فى مغارة ، وجعلوا عليه حافظًا[١] ، لا يقربه أحد من بنى قابيل[٢] ، وكان الذين يأتونه ويستغفر لهم من بنى شيث[٣] ، فقال مائة من بنى شيث صِباح : لو نظرنا إلى ما فعل بنو عمّنا ! يعنون بنى قابيل. فهبطت المائة إلى نساء صباح من بنى قابيل ، فاحتبس النساء الرجال ، ثم مكثوا ما شاء الله . ثم قال مائة آخرون : لو نظرنا ما فعل إخوتنا ! فهبطوا من الجبل إليهم ، فاحتبسهم النساء. ثم هبط بنو شيث كلّهم ، فجاءت المعصية ، وتناكحوا واختلطوا[٤] ، وكثر بنو قابيل حتّى ملئوا[٥] الأرض ، وهم الذين غرقوا أيام نوح .

* * *

وأما نسابو الفرس فقد ذكرت ما قالوا فى مهلائيل بن قيْنان ، وأنه هو أوشهنْج الذى ملك الأقاليم السبعة ، وبيّنت قول مَنْ خالفهم فى ذلك من نسابى العرب .

فإن كان الأمر فيه كالذى قاله نسابو الفرس ، فإنى حُدِّثت عن هشام ابن محمد بن السائب ، أنه هو أول مَنْ قطع الشجر ، وبنى البناء ، وأول من استخرج المعادن وفطّن الناس لها ، وأمر أهلَ زمانه باتخاذ المساجد ، وبنى مدينتين كانتا أوّلَ ما بُنى على ظهر الأرض من المدائن ، وهما مدينة بابل التى بسواد الكوفة ، ومدينة السوس . وكان[٦] ملكه أربعين سنة . ١٧١/١

وأما غيره فإنه قال : هو أوّلُ مَن استنبط الحديد فى ملكه ، فاتخذ منه الأدوات للصناعات ، وقدر المياه فى مواضع المناقع ، وحضّ الناس على الحراثة والزراعة والحصاد واعتمال الأعمال ، وأمر بقتل السباع الضارية ، واتخاذ الملابس

(١) ك : « حائطا » .
(٢) ط : « من بنى آدم » ، وما ذكرته من ا ، وكذلك فيما يأتى .
(٣) ا : « بنو شيث » .
(٤) ط : « فاختلطوا » .
(٥) ط : « ملكوا » .
(٦) ط : « فكان » .

من جلودها والمفارش ، وبذبح البقر والغنم والوحش والأكل من لحومها ، وأن مُلْكَه كان أربعين سنة ، وأنه بنى مدينة الرَّىّ. قالوا: وهى أوّل مدينة بنيت بعد مدينة جيومَرْت التى كان يسكنها بدُنْبَاوَند من طبرستان .

وقالت الفرس : إن أوشْهَنْج هذا وُلِد ملكًا ، وكان فاضلاً محموداً فى سيرته وسياسة رعيّته ، وذكروا أنه أوّل من وَضع الأحكام والحدود ، وكان ملقّبًا بذلك ، يُدعَى فيشداذ ومعناه بالفارسية أوّلُ مَنْ حكم بالعدل ، وذلك أن « فاش » معناه أوّل ، وأن « داذ » عدل وقضاء ، وذكروا أنه نزل الهند ، وتنقّل فى البلاد ، فلما استقام أمرُه واستوثق له الملك عقد على رأسه تاجًا ، وخطب خطبة ، فقال فى خطبته : إنه ورِث الملك عن جده جيُومَرت ، وإنه عذاب ونقمة على مَرَدة الإنس والشياطين . وذكروا أنه قهر إبليس وجنوده ، ومنعهم الاختلاط بالناس ، وكتب عليهم كتابًا فى طِرْس أبيض أخذ عليهم فيه المواثيق ألاّ يعرضوا لأحد من الإنس ، وتوعّدهم على ذلك ، وقتل مردَتهم وجماعة من الغيلان ، فهربوا من خوفه إلى المفاوز والجبال والأودية ، وأنه ملك الأقاليم كلها ، وأنه كان بين موت جيومَرت إلى مولد أوشهنْج وملْكه مائتا سنة وثلاث وعشرون سنة .

١٧٢/١

وذكروا أن إبليس وجنوده فرحوا بموت أوشهنج ، وذلك أنهم دخلوا بموته مساكنَ بنى آدم ، ونزلوا إليهم من الجبال والأودية .

* * *

ونرجع الآن إلى ذكر يرد — وبعضهم يقول هو يارد — فولد يرد لمهلائيل من خالته سمعن ابنة براكيل بن محويل بن خَنُوخ بن قين ، بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة وستون سنة ، فكان وصىّ أبيه وخليفتَه فيما كان والد مهلائيل أوصى إلى مهلائيل ، واستخلفه عليه بعد وفاته ، وكانت ولادة أمه إياه بعد ما مضى من عمر أبيه مهلائيل — فيما ذكروا — خمس وستون سنة ، فقام من بعد مَهْلَك أبيه من وصية أجداده وآبائه بما كانوا يقومون به أيام حياتهم .

ثم نكح يَرْد — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن

إسحاق، وهو ابن مائة سنة واثنتين وستين سنة — بركنا ابنة الدرمسيل [١] بن محويل بن خَنُوخ بن قين بن آدم. فولدت له أَخْنُوخ بن يرد — وأخنوخ إدريس النبيّ ، وكان أوّل بني آدم أعطِيَ النبوّة — فيما زعم ابن إسحاق — وخطّ بالقلم، فعاش يَرد بعد ما وُلد له أخنوخ ثمانمائة سنة، وولد له بنون وبنات، فكان كلّ ما عاش يرد تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة ثم مات .

وقال غيره من أهل التوراة: ولد ليرد أخْنُوخ —وهو إدريس— فنبأه الله عزّ وجلّ ، وقد مضى من عمر آدم ستّمائة سنة واثنتان وعشرون سنة ، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة . وهو أول من خطّ بعد آدم وجاهد في سبيل الله، وقَطّع الثياب وخاطها، وأوّل من سبَى من ولد قابيل ، فاسترقّ منهم ، وكان وصيّ والده يرْد فيما كان آباؤه أوصوْا به إليه ، وفيما أوصى به بعضهم بعضًا ، وذلك كلّه من فعله في حياة آدم .

قال : وتوفِّيَ آدم عليه السلام بعد أن مضى من عمر أخْنُوخ ثلثمائة سنة وثمانيَ سنين، تَتِمّةُ تسعمائة وثلاثين سنة التي ذكرنا أنها عمر آدم . قال : ودعا أخْنوخ قومَه ووعظَهم، وأمرهم بطاعة الله عزّ وجلّ ومعصية الشيطان ، وألا يُلابسوا ولَد قابيل ، فلم يقبلوا منه ، وكانت العصابة بعد العصابة من ولد شيث تنزل إلى ولد قايين .

قال : وفي التوراة: إن الله تبارك وتعالى رفع إدريس بعد ثلثمائة سنة وخمس وستين سنة مضت من عمره ، وبعد خمسمائة سنة وسبع وعشرين سنة مضت من عمرِ أبيه ، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمسًا وثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنتين وستين سنة ، وكان عمرُ يارد تسعمائة واثنتين وستين سنة ، وولد أخْنُوخ وقد مضت من عمر يارد مائة واثنتان وستون سنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس، قال : في زمان يَرْد عُملت الأصنام ، ورَجع مَنْ رجع عن الإسلام . ١٧٤/١

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثني عمي ، قال :

---

(١) س : « الدرميل » .

حدثنى الماضى بن محمد ، عن أبى سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبى إدريس الخولانىّ، عن أبى ذرّ الغفارىّ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذرّ، أربعة — يعنى من الرسل — سريانيّون : آدم ، وشيث ، ونوح ، وأخْنُوخ ، وهو أوّل من خطّ بالقلم ، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة » .

وقد زعم بعضهم أن الله بعث[١] إدريس إلى جميع أهل الأرض فى زمانه ، وجمَع له عِلْم الماضين ، وأن الله عزّ وجلّ زاده مع ذلك ثلاثين صحيفة ، قال : فذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[٢]

وقال : يعنى بالصحف الأولى [الصحفَ][٣] التى أنزلت على ابن آدم هبة الله وإدريس عليهما السلام .

وقال بعضُهم : ملك بيِوَراسب فى عهد إدريس ، وقد كان وقع إليه كلام من كلام آدم صلوات الله عليه ، فاتّخذه فى ذلك الزمان سحراً ، وكان بيوراسب يعمل به ، وكان إذا أراد شيئًا من جميع مملكته أو أعجبته دابّة أو امرأة نفخ بقصَبة[٤] كانت له من ذهب، وكان يجيءُ إليه كلّ شىء يريده ، فمن ثَمَّ تَنفخ اليهود [فى الشبّورات][٥] .

وأما الفرس فإنهم قالوا : ملك بعد موت أوشهنج طهمورث بن ويوَنجهان ابن خُبانداذ بن خَيا يذار[٦] بن أوشهنج .

وقد اختلف فى نسب طهمورث إلى أوشهنج ، فنسبه بعضهم النسبة التى ذكرت . وقال بعض نسَّابة الفرس : هو طَهمُورث بن أيونكهان بن أنكهد ابن أسكهد بن أوشهنج . ١٧٥/١

(١) ا : « ابتعث » .
(٢) سورة الأعلى ١٨ — ١٩
(٣) من ا
(٤) ك : « بعصية » .
(٥) تكملة من غرر أخبار ملوك الفرس ص ٢٤ فيما نقله عن الطبرى .
(٦) كذا أورد الاسم مضبوطاً معجماً فى ا ، وفى ط مهمل من الضبط .

وقال هشام بن محمّد الكلبيّ ــ فيما حُدثتُ عنه : ذكر أهلُ العلم أن أولَ ملوك بابل طهمورث ، قال : وبلغنا ــ والله أعلم ــ أن الله أعطاه من القوّة ما خضع له إبليس وشياطينه ، وأنه كان مُطيعاً لله ، وكان ملكه أربعين سنة .

وأما الفرس فإنها تزعم أن طهمورث ملك الأقاليم كلّها ، وعقد على رأسه تاجاً ، وقال يوم ملك : نحن دافعون بعون الله عن خليقته المرَدة الفَسَدة .[1] وكان محموداً في ملكه ، حَدِباً على رعيته ، وأنه ابتنى سابور من فارس ونزلها ، وتنقّل في البلدان ، وأنه وثب بإبليس حتى ركبه ، فطاف عليه في أداني الأرض وأقاصيها ، وأفزعه ومردةَ أصحابه حتى تطايروا وتفرّقوا ، وأنه أول من اتخذ الصوف والشعر للباس[2] والفُرُش ، وأول من اتخذ زينةَ الملوك من الخيل والبغال والحمير ، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وحراستها من السباع والجوارح للصيد ، وكتَبَ بالفارسية ، وأن بيوَراسب ظهر في أول سنة من ملكه ، ودعا إلى ملّة الصابئين .

١/١٧٦

ثم رجعنا إلى ذكر أخنوخ ، وهو إدريس عليه السلام .

ثم نكح ــ فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : أخنوخ بن يَرْد هدّانة[3] ــ ويقال : أدّانة[4] ــ ابنة باويل[5] ابن محويل بن خَنُوخ بن قَين بن آدم ، وهو ابن خمس وستين سنة ، فولدت له متُوشلَخ بن أخنوخ ، فعاش بعد ما ولد له متُوشلَخ ثلثمائة سنة ، وولد له بنون وبنات ؛ فكان كل ما عاش أخنوخ ثلثمائة سنة وخمساً وستين سنة ثم مات .

وأما غيره من أهل التوراة فإنه قال فيما ذكر عن[6] التوراة : وُلد لأخنُوخ بعد ستمائة سنة وسبع وثمانين سنة خلَتْ من عمر آدم متُوشلَخ ، فاستخلفه

١/١٧٧

---

(١) ا : « والفسدة » .

(٢) ك ، ن : « للناس » .

(٣) كذا ضبطت في ا بتشديد الدال .

(٤) ك : « إدابة » .

(٥) ر : « ياويل » ، ك : « تاويل » ، ن : « واويل » .

(٦) ط : « ذكر أهل التوراة » وما أثبته من ا .

أخْنُوخ على أمر الله ، وأوصاه وأهل بيته قبل أن يُرفع ، وأعلمهم أن الله عزَّ وجل ّسيعذ ِّب ولد قايين ومَنْ خالطهم ومال إليهم ، ونهاهم عن مخالطتهم ، وذُكِر أنه كان أول من ركب الخيل ، لأنه اقتفى رسمَ أبيه فى الجهاد ، وسلك فى أيامه فى العمل بطاعة الله طريق آبائه . وكان عمر أخْنُوخ إلى أن رفع ثلثمائة سنة وخمساً وستين سنة . وولد له مَتُوشَلَخ بعد ما مضى من عمره خمس وستون سنة .

ثم نكح — فيما حدثنى ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق — متُوشلخ بن أخنوخ عربا ابنة عزرائيل[1] بن أنوشيل بن خَنوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة . فولدت له لمك بن متُوشلخ ، فعاش بعد ما ولد له لمك سبعمائة سنة ، فولد له بنون وبنات ، وكان كلّ ما عاش متُوشلخ تسعمائة سنة وتسع عشرة سنة . ثم مات ونكح لمك بن متُوشلخ بن أخنوخ بتنوس ابنة براكيل بن محويل[2] بن خنوخ بن قَين بن آدم عليه السلام ؛ وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة . فولدت له نوحاً النبى صلى الله عليه وسلم ، فعاش لمك بعد ما ولد له نوح خمسمائة سنة وخمساً وتسعين سنة ، [وولد له بنون وبنات][3] ، فكان كلُّ ما عاش سبعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم مات . ونكح نوح ابن لمك عمذرة[4] ابنة براكيل بن محويل بن خنُوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن خمسمائة سنة ، فولدت له بنيه : سام ، وحام ، ويافث ؛ بنى نوح .

١٧٨/١

وقال أهل التوراة : ولِد لمتُوشلَخ بعد ثمانمائة سنة وأربع وسبعين سنة من عمر آدم لمك ، فأقام على ما كان عليه آباؤه : من طاعة الله وحفظ عهوده . قالوا : فلما حضرت متُوشلَخ الوفاة استخلف لمك على أمره ، وأوصاه بمثل ما كان آباؤه يوصون به . قالوا : وكان لمك يَعظ قومَه ، وينهاهم عن النزول إلى ولد قايين فلا يتّعظون ، حتى نزل جميع مَنْ كان فى الجبل إلى ولد قايين .

---

(١) ا وابن الأثير : « عزازيل » .

(٢) محويل ، ضبطه ابن الأثير ١ : ٣١ : « بحاء مهملة وياء معجمة باثنين من تحت » .

(٣) تكملة من ا .

(٤) ا : « عمزورة » ، ر : « عزررة » ، ك : « عمريزة » ، ابن الأثير ١ : ٣٦ « عزرة » .

وقيل : إنه كان لمتوشلخ ابن آخر غير لمك ، يقال له صابئ — وقيل : إن الصابئين به سُمّوا صابئين — وكان عمر متوشلخ تسعمائة وستين سنة ، وكان مولد لمك بعد أن مضى من عمر متوشلخ مائة وسبع وثمانون سنة . ثم ولد لمك نوحًا بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ، وذلك لألف سنة وست وخمسين سنة مضت من يوم أهبط الله عزّ وجلّ آدم إلى مولد نوح عليه السلام ، فلما أدرك نوح قال له لمك : قد علمت أنه لم يبق فى هذا الموضع غيرُنا ، فلا تستوحش ولا تتبع الأمة الخاطئة ؛ فكان نوح يدعو إلى ربّه ، ويعظ قومَه فيستخفّون به ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أنه قد أمهلهم ؛[1] فأنظرهم ليراجعوا ويتوبوا مدة ، فانقضت المدة قبل أن يتوبوا ويُنيبوا .

* * *

وقال آخرون غير من ذكرت قوله : كان نوح فى عهد بيوراسب ، وكان قومه يعبدون الأصنام ، فدعاهم إلى الله جلّ وعزّ تسعمائةوستة وخمسين سنة ؛ كلّما مضى قرنٌ تبعهم قرن ، على ملّةٍ واحدة من الكفر ، حتى أنزل الله عليهم العذاب فأفناهم .

١/١٧٩ حدثنا الحارث ، قال: حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنى هشام، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : وَلَد متوشلخ لمك ونفرًا معه ، وإليه الوصية ، فولَد لمك نوحًا ، وكان للمك يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة ، ولم يكن أحد فى ذلك الزمان ينهَى عن منكر ، فبعث الله إليهم نوحًا ؛ وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم دعاهم فى نبوّته مائة وعشرين سنة ، ثم أمره بصنعة السفينة فصنعَها وركبها وهو ابن ستمائة سنة ، وغرق من غرق ، ثم مكث بعد السفينة ثلاثمائة سنة وخمسين سنة .

* * *

وأما علماء الفرس فإنهم قالوا : ملك بعد طهمورث جم الشيذ — والشيذ معناه عندهم الشعاع ، لقّبوه بذلك فيما زعموا لجماله — وهو جم بن ويونجهان ، وهو أخو طهمورث . وقيل إنه ملك الأقاليم السبعة كلّها ، وسُخِّر له ما فيها من

(١) ط : « أمهلتهم » ، وما أثبته من ا .

الجنّ والإنس ، وعُقِد على رأسه التاج . وقال حين قعد فى ملكه : إن الله تبارك وتعالى قد أكمل بهاءنا وأحسن تأييدنا ، وسنُوسع رعيتنا خيراً . وإنه ابتدع صنعة السيوف والسلاح ، ودلّ على صنعة الإبريْسم والقزّ وغيره مما يُغْزَل ، وأمر بنسج الثياب وصَبْغها ، ونحت السروج والأكُف وتذليل الدوابّ بها .

وذكر بعضُهم أنه توارَى بعد ما مضى من ملكه ستمائة سنة وست عشرة سنة وستّة أشهر ، فخلت البلادُ منه سنة ، وأنه أمر لمُضِىّ سنة من ملكه إلى سنة خمس منه بصنعة السيوف والدروع والبِيض وسائر صنوف الأسلحة وآلة الصنّاع من الحديد . ومن سنة خمسين من مُلْكه إلى سنة مائة بغزل الإبريْسم والقزّ والقطن والكتّان وكلّ ما يُستطاع غزلُه وحياكة ذلك وصَبْغته ألوانًا وتقطيعه أنواعًا ولبسه . ومن سنة مائة إلى سنة خمسين ومائة صنّف الناسَ أربع طبقات : طبقة مقاتلة ، وطبقة فقهاء ، وطبقة كتّابًا وصناعًا وحرّاثين ، واتخذ طبقة منهم خدَمًا ، وأمرَ كلّ طبقة من تلك الطبقات بلزوم العمل الذى ألزمها إياه . ومن سنة مائة وخمسين إلى سنة خمسين ومائتين حاربَ الشياطين والجنّ وأثخنهم وأذلّهم وسُخّروا له وانقادوا لأمره . ومن سنة خمسين ومائتين إلى سنة ست عشرة وثلثمائة وكّلَ الشياطين بقطع الحجارة والصخور من الجبال ، وعملِ الرخام والجصّ والكلْس ، والبناء بذلك ، وبالطين البنيان والحمامات ، وصنعة النُّورة ، والنّقْل من البحار والجبال والمعادن والفلوات كلّ ما ينتفع به الناس ، والذهب والفضة وسائر ما يذاب من الجواهر ، وأنواع الطيب والأدوية فنفذوا فى كلّ ذلك لأمره . ثم أمر فصُنِعت له عَجَلة من زجاج ، فصفّد فيها الشياطين وركبها ، وأقبل عليها فى الهواء من بلده ، من دُنْباوند إلى بابل فى يوم واحد ، وذلك يوم هرمز أز فروردين ماه[1] ، فاتخذ الناس للأعجوبة التى رأوا من إجرائه ما أجرى على تلك الحال نوروز ؛ وأمرهم باتخاذ ذلك اليوم وخمسة أيام بعده عيداً ، والتنعم والتلذذ فيها ، وكتب إلى الناس اليوم السادس ، وهو خُرْداذروز يخبرهم أنه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله ، فكان من جزائه

١/١٨٠

(١) هرمز اسم اليوم الأول من السنة الشمسية ، وكلمة «أز» بمعنى «من» ، وفروردين ماه : اسم الشهر الأول منها .

إياه عليها أن جنّبهم الحرّ والبردَ والأسقام والهرَم والحسد ، فمكث الناس ثلثمائة سنة بعد الثلثمائة والست عشرة سنة التي خلت من مُلْكه، لا يصيبهم شيء مما ذكر أن اللهَ جلّ وعزّ جنّبهم إياه . ١٨١/١

ثم إن جمًّا بَطَر بعد ذلك نعمة الله عنده ، وجمع الإنس والجن، فأخبرهم أنه وليّهم ومالكهم والدافع بقوته عنهم الأسقام والهرم والموت، وجَحَد إحسان الله عزّ وجلّ إليه ، وتمادى في غيّه فلم يُحِرْ[1] أحد ممن حضره له جوابًا، وفقد مكانه بهاءه وعزّه، وتخلّت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة أمره ، فأحسّ بذلك بيوَراسب الذي يسمى الضحاك فابتدر إلى جَم لينتهسه[2] فهرب منه، ثم ظفر به بيوراسب بعد ذلك، فامتلخ أمعاءه واستْرطها[3]، ونشره بمنشار .

وقال بعض علماء الفرس : إن جمًّا لم يزل محمودَ السيرة إلى أن بقِيَ من ملكه مائة سنة فخلّط حينئذ ، وادّعى الربوبية، فلما فعل ذلك اضطرب عليه أمره ، ووثب عليه أخوه اسفتور[4] وطلبه ليقتله، فتوارى عنه، وكان في تواريه ملِكًا ينتقل من موضع إلى موضع ، ثم خرج عليه بيوراسب فغلَبه على ملكه، ونشره بالمنشار .

وزعم بعضُهم أن مُلْك جم كان سبعمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرين يومًا[5] .

* * *

وقد ذكرت عن وهب بن منبّه، عن ملك من ملوك الماضين قصة شبيهة بقصّة جَم شاذ الملك، ولولا أنّ تاريخه خلاف تاريخ جَم لقلت إنها قصة جَم .

---

(١) ن : « فلم يجد » .

(٢) كذا في ا وابن الأثير ، وفي ط : « لينهسه »

(٣) استرطها ، من السرط ؛ وهو « البلع » .

(٤) ا وابن الأثير ١ : ٣٧ : « اسفنور » .

(٥) قال ابن الأثير بعد أن نقل هذا الخبر : « قلت : وهذا الفصل من حديث جم قد أتينا به تاما بعد أن كنا عازمين على تركه ؛ لما فيه من الأشياء التي تمجها الأسماع ، وتأباها العقول والطباع : فإنها من خرافات الفرس مع أشياء أخر قد تقدمت قبلها ؛ وإنما ذكرناها ليعلم جهل الفرس ؛ فإنهم كثيراً ما يشنعون على العرب بجهلهم ، وما بلغوا هذا ؛ ولأنا لو تركنا هذا الفصل لخلا من شيء نذكره من أخبارهم » .

وذلك ما حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبّه ، أنه قال : إن رجلا ملك وهو فتىً شاب[1] ، فقال : إني لأجدُ للمُلْك لذة وطعمًا ، فلا أدرى : أكذلك كلّ الناس أم أنا وجدتُه من بينهم ؟ فقيل له : بل المُلْك كذلك ، فقال : ما الذى يقيمه لى ؟ فقيل له : يقيمه لك أن تطيعَ الله فلا تعصيه . فدعا ناسًا من خيار مَنْ كان فى ملكه فقال لهم : كونوا بحضرتى فى مجلسى ؛ فما رأيتم أنه طاعة لله عزّ وجلّ فأمُرونى أن أعمل به ، وما رأيتم أنه معصيةٌ لله فازجرونى عنه أنزجر ؛ ففعل ذلك هو وهم ، واستقام له ملكه بذلك أربعمائة سنة مطيعًا لله عزّ وجلّ . ثم إن إبليس انتبه لذلك فقال : تركت رجلا يعبد الله ملكًا أربعمائة سنة ! فجاء فدخل عليه فتمثّل له برجل ، ففزع منه الملِك ، فقال : من أنت ؟ قال إبليس : لا تُرَعْ ؛ ولكن أخْبرنى مَنْ أنت ؟ قال الملك : أنا رجل من بنى آدم ، فقال له إبليس : لو كنت من بنى آدم لقد متَّ كما يموت بنو آدم ؛ ألم ترَ كَمْ قد مات من الناس وذهب من القرون ! لو كنتَ منهم لقد متّ كما ماتوا ؛ ولكنَّك إله ، فادعُ الناس إلى عبادتك . فدخل ذلك فى قلبه ، ثم صعد المنبر ، فخطب الناس فقال : أيها الناس ، إنى قد كنت أخفيت عنكم أمراً بَانَ لى إظهاره ؛ لَكمْ تعلمون أنى ملكتكم منذ أربعمائة سنة ، ولو كنتُ من بنى آدم لقد متُّ كما ماتوا ؛ ولكنى إلهٌ فاعبدونى . فأرعش مكانه ، وأوحى الله إلى بعض مَنْ كان معه فقال : أخبره أنى قد استقمت له ما استقام لى ، فإذا تحول عن طاعتى إلى معصيتى فلم يستقم لى ، فبعزّتى حلفتُ لأسلِّطنّ عليه بخت ناصر ؛ فليضربنّ عنقه ، وليأخذنّ ما فى خزائنه . وكان فى ذلك الزمان لا يسخط الله على أحد إلا سلّط عليه بخت ناصر ؛ فلم يتحول الملك عن قوله ، حتى سلّط الله عليه بخت ناصر ، فضرب عنقه ، وأوقر من خزائنه سبعين سفينة ذهبًا .

قال أبو جعفر : ولكن بين بخت ناصر وجم دهر طويل ؛ إلا أن يكون الضّحاك كان يُدعى فى ذلك الزمان بخت ناصر .

---

(١) ر : « وهو ذو شباب » ، ن : « وهو شاب » .

وأما هشام بن الكلبيّ فإنى حُدِّثت عنه أنه قال: ملك بعد طهمورث جم، وكان أصبحَ أهلِ زمانه وجهًا، وأعظمهم جسمًا، قال: فذكروا أنه غبَرَ[1] ستمائة سنة وتسع عشرة سنة مطيعًا لله مستعليًا أمره مستوثقة له البلاد. ثم إنه طغى وبغى، فسلّط الله عليه الضَّحاك، فسار إليه فى مائتى ألف، فهرب جم منه مائة سنة؛ ثم إن الضحاك ظفِر به فنشره بمنشار. قال: فكان جميع ملك جم، منذ ملك إلى أن قتل سبعمائة وتسع عشرة سنة.

* * *

وقد روى عن جماعة من السلف أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون؛ كلُّهم على ملة الحقّ، وأن الكفر بالله إنما حدث فى القرن الذين بعث إليهم نوح عليه السلام، وقالوا: إن أول نبيّ أرسله الله إلى قوم بالإنذار والدعاء إلى توحيده نوح عليه السلام.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا همام، عن قَتادة، عن عِكْرمة، عن ابن عباس، قال: كان بين نوح وآدم عليهما السلام عشرة قرون، كلُّهم على شريعة من الحق؛ فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين، قال: وكذلك هى فى قراءة عبد الله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾[2]

١/١٨٤

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا مَعْمَر، عن قتادة: قوله عزّ وجلّ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، قال: كانوا على الهُدى جميعًا فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، فكان أول نبيّ بعث نوح عليه السلام[3].

---

(١) ط: «عمر»، وما أثبته من ا.

(٢) سورة البقرة ٢١٣، والخبر فى التفسير ٤: ٢٧٥

(٣) الخبر فى التفسير ٤: ٢٧٥

ذكر الأحداث التى كانت فى عهد نوح عليه السلام

قد ذكرنا اختلاف المختلفين فى ديانة القوم الذين أرسِل إليهم نوح عليه السلام ، وأن منهم مَن يقول : كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله ، من ركوب الفواحش وشرب الخمور والاشتغال بالملاهى عن طاعة الله عزّ وجلّ ، وأنّ منهم من يقول : كانوا أهلَ طاعة بيورّاسب ، وكان بيوراسب أولَ من أظهر القول بقول الصابئين ؛ وتبِعه على ذلك الذين أرسِل إليهم نوح عليه السلام ، وسأذكر إن شاء الله خبر بيوراسب فيما بعد .

فأما كتاب الله فإنه ينبِىءُ عنهم أنهم كانوا أهلَ أوثان ، وذلك أن الله عزّ وجلّ يقول مخبراً عن نوح : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ، وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾(١) . فبعث الله إليهم نوحًا مخوِّفهم بأسه ، ومحذِّرهم سطوته ، وداعيًا لهم إلى التوبة والمراجعة إلى الحقّ ، والعمل بما أمر الله به رسلَه وأنزله فى صحف آدم وشيث وأخْنُوخ . ونوح يوم ابتعثه الله نبيًّا إليهم — فيما ذكر — ابن خمسين سنة . ١٨٥/١

وقيل أيضًا ما حدثنا به نصر بن على الجهضمىّ ، قال : حدثنا نوح بن قيس ، قال : حدثنا عَوْن بن أبى شدّاد ، قال : إن الله تبارك وتعالى أرسل نوحًا إلى قومه وهو ابنُ خمسين وثلثمائة سنة ، فلبِث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلثمائة سنة .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : بعث الله نوحًا إليهم وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم دعاهم فى نبوّته مائة وعشرين سنة ،

---

(١) سورة نوح ٢١ — ٢٤

وركب السفينة وهو ابن ستمائة سنة ، ثم مكث بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة .

قال أبو جعفر : فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا كما قال الله عزّ وجلّ يدعوهم إلى الله سرًّا وجهراً ، يمضى قرنٌ بعد قرن ، فلا يستجيبون له ، حتى مضى قرون ثلاثة على ذلك من حاله وحالهم ، فلما أراد الله عزّ وجلّ إهلاكهم دعا عليهم نوح عليه السلام فقال: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى واتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً﴾ ، فأمره الله تعالى ذكره أن يغرس شجرة فغرسها ، فعظمت وذهبت كلّ مذهب ، ثم أمره بقطعها من بعد ما غرسها بأربعين سنة ، فيتخذ منها سفينة ، كما قال الله له: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [1] ، فقطعها وجعل يعملها .

وحدثنا صالح بن مسمار المروزىّ والمثنى بن إبراهيم ، قالا : حدثنا ابن أبى مريم ، قال : حدثنا موسى بن يعقوب ، قال : حدثنى فائد مولى عبيد الله ابن على بن أبى رافع ، أنّ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة ، أخبره أنّ عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو رحم الله أحداً من قوم نوح لرحم أم الصبىّ » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان نوح مكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ، يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ ، حتى كان آخر زمانه غَرَس شجرة فعظمت وذهبت كلّ مذهب ثم قطعها ، ثم جعل يعمل سفينة فيمرّون فيسألونه فيقول : أعملها سفينة ، فيسخرون منه ، ويقولون : تعمل سفينة فى البرّ فكيف تجرى ! فيقول : سوف تعلمون . فلما فرغ منها وفار التنور وكثُر الماء فى السكك خشيَتْ أمّ الصبىّ عليه — وكانت تحبّه حبًّا شديداً — فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه ، فلما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثى الجبل ، فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل ، فلما بلغ الماء رقبتها رفعتْه بيدها ، حتى ذهب به الماء ، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أمّ الصبىّ » .

١/١٨٦

حدثنى ابن أبى منصور ، قال: حدثنا علىّ بن الهيثم ، عن المسيّب بن

---

(١) سورة هود ٣٧

شَريك ، عن أبى رَوْق ، عن الضَّحاك ، قال : قال سلْمان الفارسىّ : عمل نوح السفينة أربعمائة سنة ، وأنبت الساج أربعين سنة ، حتى كان طوله ثلثمائة ذراع ، والذراع إلى المنكب .

١/١٨٧ فعمل نوح بوحْىِ الله إليه ، وتعليمه إياه ، عملَها فكانت إن شاء الله كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد، عن قتادة ، قال : ذُكِر لنا أن طول السفينة ثلثمائة ذراع ، وعرضها خمسون ذراعًا ، وطولها فى السماء ثلاثون ذراعًا ، وبابها فى عرضها .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا مبارك، عن الحسن ، قال : كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومائتىْ ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن مفضّل بن فضالة ، عن علىّ بن زيد بن جُدْعان، عن يوسف بن مِهْران ، عن ابن عباس ، قال : قال الحواريون لعيسى بن مريم : لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فحدّثنا عنها ! فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب ، فأخذ كفًّا من ذلك التراب بكفّه ، فقال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا قبر حام بن نوح ، قال : فضرب الكثيب بعصاه وقال : قم بإذن الله ، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه ، وقد شاب ، فقال له عيسى عليه السلام : هكذا هلكت ؟ قال : لا ، ولكنى متّ وأنا شابٌّ ؛ ولكنى ظننتُ أنها الساعة ، فمن ثَمَّ شبتُ . قال : حدّثنا عن سفينة نوح ، قال : كان طولها ألف ذراع ومائتَىْ ذراع وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات : فطبقة فيها الدوابّ والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أرواث الدوابّ أوحى الله إلى نوح أن اغمزْ ذنَب الفيل ، فغمز فوقع منه خنزير وخنزيرة ، فأقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر بخرز السفينة

١/١٨٨ يقرضه ، أوحى الله إلى نوح أن اضربْ بين عينى الأسد ، فخرج من منخره سنّور وسنّورة ، فأقبلا على الفأر . فقال له عيسى : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ؟ قال : بعث الغراب يأتيه بالخبر ، فوجد جيفة فوقع عليها ، فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لا يألف البيوت . قال : ثم بعث الحمامة ، فجاءت

بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها ، فعلم أن البلاد قد غرقت . قال : فطوّقها الخضرة التى فى عنقها ، دعا لها أن تكون فى أنس وأمان ، فمن ثمّ تألف البيوت . قال : فقالت الحواريون : يا رسولَ الله ، ألا ننطلق به إلى أهلنا ، فيجلس معنا ويحدثنا ؟ قال : كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال : فقال له : عُدْ بإذن الله ، فعاد ترابًا .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : نَجَرَ[1] نوح السفينة بجبل بَوْذ ، من ثمّ تبدّى الطوفان . قال : وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع بذراع جدّ أبى نوح ، وعرضها خمسين ذراعًا ، وطولها فى السماء ثلاثين ذراعًا ، وخرج منها من الماء ستة أذرع ، وكانت مطبّقة ، وجعل لها ثلاثة أبواب ، بعضها أسفل من بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عمّن لا يتّهم ، عن عُبَيْد بن عُمَير الليثىّ ، أنّه كان يحدّث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به — يعنى قوم نوح بنوح — فيخنُقونه حتى يُغشى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون .

قال ابن إسحاق : حتى إذا تمادوْا فى المعصية ، وعظمت فى الأرض منهم الخطيئة ، وتطاول عليه وعليهم الشأن ، واشتدّ عليه منهم البلاء ، وانتظر النجل بعد النجل ، فلا يأتى قرن إلا كان أخبثَ من الذى قبله ؛ حتى إن كان الآخر منهم لَيقول : قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا ؛ هكذا مجنونًا ! لا يقبلون منه شيئًا ، حتى شكا ذلك من أمرهم نوح إلى الله عزّ وجلّ ، فقال كما قصّ الله عزّ وجلّ علينا فى كتابه : ﴿ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِى إِلَّا فِرَارًا ﴾ إلى آخر القصة ، حتى قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ ،[2] إلى آخر القصّة . فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله عزّ وجلّ

١/١٨٩

---

(١) يقال . نجر الخشب ؛ أى نحته وسواه .

(٢) سورة نوح ٥ ، ٦ ، ٢٦ — ٢٧

واستنصره عليهم أوحى الله إليه أن ﴿اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[١] . فأقبل نوح على عمل الفلك ، ولها عن قومه ، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ، ، ويهيّئ عُدة الفلْك من القار وغيره مما لا يُصلحه إلاّ هوَ ، وجعل قومه يمرُّون به ، وهو فى ذلك من عمله ، فيسخرون منه ، ويستهزئون به فيقول: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[٢] . قال : ويقولون — فيما بلغني — : يا نوح قد صرت نجّاراً بعد النبوّة ! قال : وأعقم الله أرحام النساء فلا يولَد لهم .

قال : ويزعم أهل التوراة أن الله عزّ وجلّ أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج ، وأن يصنعه أزور[٣] ، وأن يَطليَه بالقار من داخله وخارجه ، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعًا وعرضه خمسين ذراعًا ، وطوله فى السماء ثلاثين ذراعًا ، ١/١٩٠ وأن يجعله ثلاثة أطباق: سُفْلا ووسطًا وعلواً ، وأن يجعل فيه كُوًّا . ففعل نوح كما أمره الله عزّ وجلّ ، حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله إليه: ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٤] . وقد جعل التنّور آية فيما بينه وبينه ، فقال : إذا جاء أمرنا وفار التنّور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واركب . فلما فار التنور حمَل نوح فى الفلك مَن أمره الله تعالى به — وكانوا قليلا كما قال — وحمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر ، ذكرًا وأنثى . فحمل فيه بنيه الثلاثة : سام وحام ويافث ونساءهم ، وستة أناس ممن كان آمن به فكانوا عشرة نفر : نوحٌ وبنوه وأزواجهم ، ثم أدخل ما أمره الله به من الدوابّ ، وتخلف عنه ابنه يام ، وكان كافراً .

---

(١) سورة هود ٣٧

(٢) سورة هود ٣٨ — ٣٩

(٣) أزور ، أى مائلا .

(٤) سورة هود ٤٠

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن دينار ، عن على بن زيد، عن يوسف بن مِهْران، عن ابن عباس، قال : سمعته يقول : كان أوّل ما حمل نوح فى الفلك من الدوابّ الذرّة ، وآخرَ ما حمل الحمار . فلما أدخل الحمار ودخل صدره تعلق إبليس لعنه الله بذَنَبه فلم تستقلّ رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك ! ادخلْ ، فينهض فلا يستطيع ، حتى قال نوح ، ويحك ! ادخلْ وإن كان الشيطان معك، قال كلمة زلّت عن لسانه ، فلما قالها نوح خلّى الشيطان سبيلَه، فدخل ودخل الشيطان معه ، فقال له نوح : ما أدخلك علَىّ ياعدو الله ! قال : ألم تقل: « ادخل وإن كان الشيطان معك ! » ، قال : اخرج عنى يا عدوّ الله ، فقال: مالك بدٌّ من أن تحملنى ، فكان – فيما يزعمون – فى ظهر الفُلْك، فلما اطمأنّ نوح فى الفُلْك وأدخل فيه كلّ من آمن به ، وكان ذلك فى الشهر من السنة التى دخل فيها نوح بعد ستمائة سنة من عمره لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر ، فلما دخل وحمل معه من حمل، تحرك ينابيع الغَوْط الأكبر ،وفتحت أبواب السماء، كما قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[1]. فدخل نوح ومن معه الفلك وغطّاه عليه وعلى من معه بطبقة ، فكان بين أن أرسل الله الماء وبين أن احتمل الماء الفلك أربعون يومًا وأربعون ليلة . ثم احتمل الماء كما يزعم أهل التوراة، وكثر واشتدّ وارتفع ؛ يقول الله عزّ وجلّ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾[1].

والدُّسُر : المسامير ، مسامير الحديد . فجعلت الفلك تجرى به وبمن معه فى موج كالجبال ، ونادى نوح ابنَه الذى هلك فيمن هلك ، وكان فى معزل حين رأى نوح من صدق موعود ربّه ما رأى ، فقال : ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ ، وكان شقيًّا قد أضمر كفراً، ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ ، وكان عهد الجبال وهى حرز

١٩١/١ ١٩٢/١

---

(١) سورة القمر ١١ ، ١٤

من الأمطار إذا كانت، فظنّ أن ذلك كما كان يكون، قال [نوح][1] : ﴿ لا عاصِمَ اليوم من أمر الله إلاّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بينهما الموجُ فكَانَ من المغرقين ﴾[2] . وكثر الماء وطغى ، وارتفع فوق الجبال — كما يزعم أهل التوراة — خمسة عشر ذراعاً ، فباد ما على وجه الأرض من الخلق ، [من][1] كلّ شيء فيه الروح أو شجر، فلم يبق شيء من الخلائق إلا نوحٌ ومن معه فى الفلك ، وإلاّ عوج بن عنق[3] — فيما يزعم أهل الكتاب — فكان بين أن أرسل الله الطوفان وبين أن غاض الماء ستة أشهر وعشر ليال .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح، عن ابن عباس، قال : أرسل الله المطر أربعين يوماً وأربعين ليلة ، فأقبلت الوحوش حين أصابها المطر والدوابّ والطير كلّها إلى نوح ، وسُخّرت له ، فحمل منها كما أمره الله عزّ وجل : ﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ ، وحمل معه جسد آدم ، فجعله حاجزاً بين النساء والرجال ، فركبوا فيها لعشر ليال مضينْ من رجب ، وخرجوا منها يوم عاشوراء من المحرّم ، فلذلك صام مَنْ صام يوم عاشوراء . وأخرج الماء نصفين ، فذلك قول الله عزّوجلّ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ ، يقول: منصبّ ، ﴿ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً﴾، يقول: شققنا الأرض ، ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ فصار الماء نصفين : نصف من السماء ونصف من الأرض ، وارتفع الماء على أطول جبل فى الأرض خمسة عشر ذراعاً ، فسارت بهم السفينة ، فطافت بهم الأرض كلّها فى ستة أشهر لا تستقرّ على شيء ، حتى أتت الحرَم فلم تدخله ، ودارت بالحرم أسبوعاً ، ورُفع البيت الذى بناه آدم عليه السلام ؛ رفع من الغرق ، — وهو البيت المعمور والحجر الأسود — على أبى قبَيس ، فلما دارت بالحرم ذهبت فى الأرض تسير بهم ، حتى انتهت إلى الجوديّ — وهو جبل بالحضيض من

١٩٣/١

(١) تكملة من ا
(٢) سورة هود ٤٣
(٣) كذا فى ا ، وفى ط : « أعنق » .

أرض الموصل — فاستقرّت بعد ستة أشهر لتمام السبع ، فقيل بعد السبعة الأشهر : ﴿بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١] ، فلما استقرّت على الجودىّ ﴿قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ ؛ يقول : أنشفى ماءك الذى خرج منك ، ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ ؛ يقول : احبسى ماءك ، ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾[١] نشّفته الأرض ، فصار ما نزل من السماء هذه البحور التى ترون فى الأرض ، فآخر ما بقى من الطوفان فى الأرض ماءٌ بحِسْمَى[٢] بقى فى الأرض أربعين سنة[٣] بعد الطوفان ثم ذهب .

وكان التنُّور الذى جعل الله تعالى ذكره آية ما بينه وبين نوح فوران الماء منه تنوراً كان لحوّاء من حجارة ، وصار إلى نوح .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هُشَيم ، عن أبى محمد ، عن الحسن ، قال : كان تنّوراً من حجارة ، كان لحواء حتى صار إلى نوح ، قال : فقيل له : إذا رأيت الماء يفور من التنور ، فاركب أنت وأصحابك .

* * *

١٩٤/١ وقد اختلف فى المكان الذى كان به التنور الذى جعل الله فوران مائه آية ، ما بينه وبين نوح ، فقال بعضهم : كان بالهند .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبد الحميد الحِمّانىّ ، عن النضر أبى عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : فى : ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾[٤] قال : فار بالهند .

* * *

وقال آخرون : كان ذلك بناحية الكوفة .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) سورة هود ٤٤

(٢) حسمى : أرض ببادية الشام ؛ ذكرها ياقوت فى معجم البلدان وقال : آخر ماء نضب من ماء الطوفان حسمى ، فبقيت منه هذه البقية إلى اليوم فلذلك هى أخبث ماء » .

(٣) ا : « يعنى بعد الطوفان » .

(٤) سورة هود ٤٠

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا الحسن[١] ؛ قال : حدثنا خَلَف بن خليفة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : نبعَ الماء فى التنور ، فعلمتْ به امرأتُه فأخبرته ، قال : وكان ذلك فى ناحية الكوفة .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثنا على بن ثابت ، عن السرىّ بن إسماعيل ، عن الشعبىّ ، أنه كان يحلف بالله : ما فار التنّور إلا من ناحية الكوفة .

* * *

واختلِف فى عدد مَنْ ركب الفُلْك من بنى آدم ، فقال بعضهم : كانوا ثمانين نفسًا .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : حدثنا زيد بن الحُبَاب ، قال : حدثنى حسين بن واقد الخراسانىّ ، قال : حدثنا أبو نَهيك ، قال : سمعت ابنَ عباس يقول : كان فى سفينة نوح ثمانون رجلا ، أحدهم جُرْهم . ١/١٩٥

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابنُ عباس : حمل نوحٌ معه فى السفينة ثمانين إنسانًا .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : قال سفيان : كان بعضهم يقول : كانوا ثمانين — يعنى القليل الذين قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٢] .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : حَمَل نوح فى السفينة بنيه : سام ، وحام ، ويافِث . وكنائنه ؛ نساء بنيه هؤلاء ، وثلاثة وسبعين من بنى شيث ؛ ممن آمن به ، فكانوا ثمانين فى السفينة .

* * *

(١) كذا فى ط ؛ وفى ا : « حدثنا الحارث ، حدثنا القاسم » ؛ وهو يوافق ما فى التفسير : ١٢ : ٢٥ (بولاق) ، وانظر تاريخ بغداد ٨ : ٢١٨ .

(٢) سورة هود ٤٠

وقال بعضهم : بل كانوا ثمانية أنفس .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه لم يتم(١) فى السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنيه ، ونساؤهم ، فجميعهم ثمانية .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن عرفة ، قالا : حدثنا يحيى بن عبد الملك ابن أبى غَنِيَّة ، عن أبيه ، عن الحكم : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، قال : نوح ، وثلاثة بنيه ، وأربع كنائنه .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : حُدِّثتُ أن نوحًا حمل معه بنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبنيه ، وامرأة نوح ، فهم ثمانية بأزواجهم ، وأسماءُ بنيه : يافث ، وحام ، وسام . فأصاب حامٌ امرأتَه فى السفينة ، فدعا نوح أن تُغيِّر(٢) نطفته ، فجاء بالسّودان .

١٩٦/١

* * *

وقال آخرون : بل كانوا سبعة أنفس .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى الحارث ، قال : حدثنى عبد العزيز ، قال : حدثنا سُفيان ، عن الأعمش : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، قال : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كنائن ، وثلاثة بنين له .

* * *

وقال آخرون : كانوا عشرة سوى نسائهم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) س : « لم يبق » ، ك : « لم ينم » .
(٢) ا : « يغير » ، ك : « تغبر » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حمل بنيه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ونساءهم ، وستة أناسيّ ممن كان آمن به[١] ، فكانوا عشرة نفر بنوح وبنيه وأزواجهم. وأرسل[٢] الله تبارك وتعالى الطوفان لمضى ستمائة سنة من عمر نوح — فيما ذكره أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم — ولتتمة ألفى سنة ومائتى سنة وست وخمسين سنة من لَدُن أهبط آدم إلى الأرض .

وقيل : إن الله عزّ وجلّ أرسل الطوفان لثلاث عشرة خلت من آب ، وإن نوحاً أقام فى الفُلك إلى أن غاض الماء ، واستوت الفُلك على جبل الجودىّ[٣] بقَرْدى[٤] ، فى اليوم السابع عشر من الشهر السادس . فلما خرج نوح منها اتخذ بناحية قَرْدى من أرض الجزيرة موضعًا ، وابتنى هناك قرية سماها ثمانين[٥] ؛ لأنه كان بنَى فيها بيتًا لكل إنسان ممن آمن معه وهم ثمانون ، فهى إلى اليوم تسمى سُوق ثمانين .

١٩٧/١

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنى هشام بن محمد ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : هبط نوح عليه السلام إلى قرية[٦] ، فبنى كلُّ رجل منهم بيتًا ، فسميت سوق ثمانين ، فغرق بنو قابيل كلهم ، وما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام .

قال أبو جعفر : فصار هو وأهله فيه ، فأوحى الله إليه أنه لا يعيدُ الطوفانَ إلى الأرض أبداً .

وقد حدثنى عباد بن يعقوب الأسدىّ ، قال : حدثنا المحاربىّ ، عن عثمان

---

(١) ا : « معه » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « فأرسل » .

(٣) الجودى ؛ بالتشديد : جبل مطل على جزيرة ابن عمر ، فى الجانب الشرقى من دجلة ، من أعمال الموصل .

(٤) قردى ، بالفتح ثم السكون ، ثم دال مهملة . ياقوت .

(٥) قال ياقوت : « ثمانين ، بليدة عند جبل الجودى ، قرب جزيرة ابن عمر التغلبى فوق الموصل . كان أول من نزله نوح عليه السلام لما خرج من السفينة ومعه ثمانون إنساناً ؛ فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع ، وأقاموا به ، فسمى الموضع بهم ، ثم أصابهم وباء ، فمات الثمانون غير نوح عليه السلام وولده ؛ فهو أبو البشر كلهم » . معجم البلدان ٣ : ٢٣ (٦) ا : « فى قرية » .

ابن مطر ، عن عبد العزيز بن عبد الغفور ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فى أول يوم من رجب ركِب نوح السفينة، فصام هو وجميع مَنْ معه ، وجرت بهم السفينة ستة أشهر ، فانتهى ذلك إلى المحرّم ، فأرست[1] السفينة على الجودىّ يوم عاشوراء ، فصام نوح ، وأمر جميع من معه من الوحش والدواب فصاموا شكراً لله عزّ وجلّ » .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كانت السفينة أعلاها الطير ، ووسطها الناس ، وأسفلُها السباع . وكان طولُها فى السماء ثلاثين ذراعًا ، ودَفَعَتْ[2] من عين وردة[3] يوم الجمعة لعشر ليال مضيْن من رجب ، وأرستْ على الجودىّ يوم عاشوراء ، ومرّت بالبيت ، فطافت به سبعًا ، وقد رفعه الله من الغرق ، ثم جاءت اليمَن ، ثم رجعت .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن قَتادة ، قال : هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم ، فقال لمن معه : مَنْ كان منكم صائمًا فليتمّ صومه ، ومن كان منكم مُفْطِراً فليَصُم . ١/١٩٨

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أنها — يعنى الفُلْك — استقلّتْ بهم فى عشر خَلَوْن من رجب ، فكانت فى الماء خمسين ومائة يوم ، واستقرّت على الجودىّ شهراً ، وأهبط بهم فى عشر خَلَوْن من المحرّم يوم عاشوراء .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : ما كان زمان نوح شبرٌ من الأرض إلا إنسان يدعيه .

---

(١) رست السفينة وأرست : وقفت .

(٢) كذا فى ا ، ر ، وفى ط : « رفعت » . ، ودفعت من عين وردة ، أى ابتدأ سيرها من هذا المكان .

(٣) عين وردة ، ذكرها ياقوت باسم « عين الوردة » ، وقال : « رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة » .

ثم عاش نوح بعد الطوفان فيما حدثنى نصر بن على الجَهْضَمىّ ، قال : أخبرنا نوح بن قيس ، قال : حدثنا عَوْن بن أبى شداد ، قال : عاش — يعنى نوحًا — بعد ذلك — يعنى بعد الألف سنة إلا خمسين عامًا التى لبثها فى قومه — ثلثمائة وخمسين سنة .

وأما ابن إسحاق ، فإن ابن حُمَيد حدثنا ، قال : حدثنا سلَمة ، عنه ، قال : وعُمِّر نوح — فيما يزعم أهل التوراة — بعد أن أهبِط من الفلك ثلثمائة سنة وثمانيًا وأربعين سنة ، قال : فكان جميعُ عمر نوح ألف سنة إلا خمسين عامًا ، ثم قبضه الله عزّ وجلّ إليه .

وقيل : إن سامًا ولد لنوح قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة . وقال بعضُ أهل التوراة : لم يكن التناسل ، ولا ولد لنوح ولدٌ إلا بعد الطوفان ، وبعد خروج نوح من الفُلْك .

قالوا : إنما الذين كانوا معه فى الفلك قوم كانوا آمنوا به واتبعوه ، غير أنهم بادوا وهلكوا ، فلم يبق لهم عَقِب ، وإنما الذين هم اليوم فى الدنيا من بنى آدم ولد نوح وذريته دون سائر ولد آدم ؛ كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [1] .

١/١٩٩

وقيل : إنه كان لنوح قبل الطوفان ابنان هلكا جميعًا ؛ كان أحدهما يقال له كنعان ، قالوا : وهو الذى غرق فى الطوفان ، والآخر منهما يقال له عابر [2] ، مات قبل الطوفان .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد لنوح سام ، وفى ولده بياض وأدْمَة [3] ، وحام وفى ولده سواد وبياض قليل ، ويافث وفيهم الشُّقرة والحمرة ، وكنعان وهو الذى غرِق ، والعرب تسميه يام ؛ وذلك قول العرب : إنما هامَ عمّنا يام ؛ وأمّ هؤلاء واحدة .

---

(١) سورة الصافات ٧٧ (٢) ن : « غابر » .

(٣) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « أدم » .

فأما المجوس فإنهم لا يعرفون الطوفان ، ويقولون : لم يزل المُلْك فينا من عهد جيُومَرْت ، وقالوا : جيُومَرْت هو آدم يتوارثه آخرٌ عن أول إلى عهد فيروز بن يَزْدجِرْد بن شَهْريار ، قالوا : ولو كان لذلك صحة كان نسب القوم قد انقطع ، ومُلْك القوم قد اضمحلّ ، وكان بعضهم يُقرّ بالطوفان ويزعم أنه كان فى إقليم بابل وما قرب منه ، وأن مساكن ولد جيومَرْت كانت[1] بالمشرق ، فلم يصل ذلك إليهم .

قال أبو جعفر : وقد أخبر الله تعالى ذكره من الخبر عن الطوفان بخلاف ما قالوا ، فقال وقوله الحق : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾[2] ؛ فأخبر عزّ ذكره أنّ ذريةَ نوح هم الباقون دون غيرهم .

وقد ذكرتُ اختلافَ الناس فى جيومَرْت ومَن يخالف الفرس فى عينه ، ومن هو ، ومَنْ نسبه إلى نوح عليه السلام .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن عَثْمة ، قال : حدّثنا سعيد بن بشير ، عن قَتادة ، عن الحسن ، عن سَمُرة بن جُنْدُب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ . قال : « سام وحام ويافث » . ١/٢٠٠

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ ، قال : فالناس كلُّهم من ذرية نوح .

حدثنى على بن داود ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنا ذريته هُمُ الباقين ﴾ . يقول : لم يبق إلا ذرّية نوح .

ورُوِى عن على بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ . وعن محمد بن

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « كان » .

(٢) سورة الصافات : ٧٥ - ٧٧ .

صالح ، عن الشعبىّ قالا : لما هبط آدم من الجنة ، وانتشر ولدُه أرّخ بنُوه من هبوط آدم ؛ فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحًا فأرّخوا ببعث[1] نوح ، حتى كان الغرق ، فهلَك مَنْ هلك ممن كان على وجه الأرض . فلما هبط نوح وذريته وكلّ من كان فى السفينة إلى الأرض قسّم الأرض بين ولده أثلاثًا : فجعل لسام وسطا من الأرض ، ففيها بيتُ المقدس ، والنيل ، والفُرات ، ودجْلة ، وسَيْحان ، وجيحان ، وفَيْشون ؛ وذلك ما بين فيشون إلى شرقىّ النيل ، وما بين منخر ريح الجنوب[2] إلى منخر الشمال . وجعل لحام قسمه غربىّ النيل ، فما وراءه إلى منخر ريح الدَّبُور . وجعل قسم يافث فى فيشون[3] فما وراءه إلى مَنْخَر ريح الصبا ؛ فكان التاريخ من الطوفان إلى نار إبراهيم ، ومن نار إبراهيم إلى مبعث يوسف ، ومن مبعث يوسف إلى مبعث موسى ، ومن مبعث موسى إلى ملك سليمان ، ومن ملك سليمان إلى مبعث عيسى بن مرْيم ، ومن مبعث عيسى بن مريم إلى أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ٢٠١/١

وهذا الذى ذكر عن الشعبىّ من التاريخ ينبغى أن يكون على تاريخ اليهود ، فأما أهل الإسلام فإنهم لم يؤرخوا إلا من الهجرة ، ولم يكونوا يؤرخون بشىء من قبل ذلك ، غير أن قريشًا كانوا — فيما ذكر — يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل ، وكان سائرُ العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة ، كتاريخهم بيوم جَبَلَة ، وبالكُلاب الأول ، والكُلاب الثانى .

وكانت النَّصارى تؤرخ بعهد الإسكندر ذى القرنين ؛ وأحسبهم على ذلك من التاريخ إلى اليوم .

وأما الفرس فإنهم كانوا يؤرِّخون بملوكهم ، وهم اليوم فيما أعلم يؤرخون بعهد يزدجِرْد بن شهريار ، لأنه كان آخر مَنْ كان من ملوكهم له ملك بابل والمشرق[4] .

(١) كذا فى ا ، وهو الصواب ، وفى باقى الأصول : « أرخوا مبعث نوح » ؛ وصوبها مصحح ط : « بمبعث » .

(٢) منخر ريح الجنوب ، أى موضع هبوبها .

(٣) ا ، ر ، ن : « قيسون » .

(٤) س : « لأنه كان آخر من ملك من ملوكهم » .

ذكر بيو راسب ، وهو الازدهاق

والعرب تسميه الضحاك ، فتجعل الحرف الذى بين السين والزاى فى الفارسية ضاداً ، والهاء حاءً ، والقاف كافًا ، وإياه عَنَى حبيب بن أوس بقوله :

مَا نَالَ مَا قَدْ نَالَ فِرْعَوْنٌ وَلاَ هَامَانُ فى الدُّنْيَا وَلاَ قَارُونُ[١]

بَلْ كَانَ كالضَّحَّاكِ فى سَطَوَاتِهِ بالعالمين ، وأنت أفْرِيدُونُ

وهو الذى افتخر بادعائه أنه منهم الحسن بن هانئ فى قوله :

١/٢٠٢ وَكَانَ مِنَّا الضَّحَّاكُ يَعْبُدُهُ الْ خَابِلُ والجِنّ فى مَسَارِبِهَا[٢]

قال : واليمن تدّعيه .

حدثت عن هشام بن محمد بن السائب — فيما ذكر من أمر الضحاك هذا — قال : والعجم تدّعى الضّحّاك وتزعم أن جما كان زوّجَ أخته من بعض أشراف أهل بيته ، وملّكه على اليمن ، فولدت له الضحاك .

قال : واليمن تدّعيه ، وتزعم أنه من أنفسها ، وأنه الضحاك بن علوان بن عبيد بن عويج ، وأنه ملّكَ على مصر أخاه سنان بن علوان بن عبيد[٣] بن عويج ، وهو أولُ الفراعنة ، وأنه كان ملك مصر حين قدمها إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

وأما الفرس فإنها تنسُب الازدهاق هذا غير النسبة التى ذكر[٤] هشام عن أهل اليمن ، وتذكر أنه بيورَاسب بن أروندَاسب بن زينكاو[٥] بن ويرَوْشك[٦]

---

(١) ديوانه ٣ : ٣٢١ ؛ من قصيدة يمدح فيها الأفشين .

(٢) ديوانه ١٥٥ ، وروايته : « والوحش فى مساربها » . والخابل : ضرب من الجن .

(٣) س : « عبيدة » .

(٤) ن : « ذكرها » .

(٥) ا : « زينكار » .

(٦) ا : « ريشنك » .

ابن تاز[١] بن فرواك[٢] بن سيامك[٣] بن مشا بن جيُومَرت . ١/٢٠٣

ومنهم من ينسُبه هذه النسبة ؛ غير أنه يخالف النطق بأسماء آبائه فيقول : هو الضحاك بن أندرماسب بن زنجدار[٤] بن وندريسج[٥] بن تاج[٦] بن فرياك[٧] بن ساهمك[٨] بن تاذى[٩] بن جيومَرت .

والمجوس تزعم أن تاج هذا هو أبو العرب ، ويزعمون[١٠] أن أم الضحاك كانت ودك بنت ويونجهان[١١] ، وأنه قتل أباه تقرُّبًا بقتله إلى الشياطين ، وأنه كان كثيرَ المقام ببابل ، وكان له ابنان يقال لأحدهما : سرهوار[١٢] ، وللآخر نفوار[١٣] .

* * *

وقد ذكر عن الشعبيّ أنه كان يقول : هو « قرشت » مسخه الله « ازدهاق » .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة بن الفضل ، عن يحيى بن العلاء ، عن القاسم بن سلْمان ، عن الشعبيّ ، قال : أبجد ، وهوّز ، وحطّى ، وكَلمن ، وسعفص ، وقرشت ؛ كانوا ملوكًا جبابرة ، فتفكر[١٤] قرشت يومًا ، فقال : تبارك الله أحسن الخالقين ! فمسخه الله فجعله « اجدهاق »[١٥] ، وله سبعة ١/٢٠٤

---

(١) ا ، ن : « تار » .
(٢) ر ، ك : « فردال » ، س : « فروال » ، ن : « عيردال » .
(٣) ر : « سيامل » ، ك : « مسامك » .
(٤) كذا فى ا ، ن ، وفى س : « زنحدار » ، وفى ر : « ريحدان » وفى ط بدون نقط .
(٥) كذا فى ا ، وفى ط بدون نقط .
(٦) س : « باح » ، ر ، ك : « راح » .
(٧) فى ن : « فريال » وفى رس : « فرمال » .
(٨) س : « شاهمك » .
(٩) ر ، س : « مادى » .
(١٠) كذا فى ا ، وفى ط : « فيزعمون » .
(١١) ا : « ونوبنجهان » .
(١٢) كذا فى ا ، وفى ن : « سريقوار » ، وفى ط بدون نقط .
(١٣) كذا فى ا ، وفى ط بدون نقط .
(١٤) ر ، ك : « ففكر » .
(١٥) ر ، س ، ك ، ن : « ازدهان » .

أرؤس ، فهو الذى بدُنباوَند ، وجميع أهل الأخبار من العرب والعجم تزعم أنه ملَك الأقاليم كلَّها ، وأنه كان ساحراً فاجراً .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : ملَك الضحاك بعد جم — فيما يزعمون ، والله أعلمَ — ألفَ سنة ، ونزل السّواد فى قرية يقال لها نَرْس[١] فى ناحية طريق الكوفة[٢] ، وملَك الأرضَ كلها ، وسار بالجَوْر والعسف[٣] ، وبسط يده فى القتل ، وكان أولَ مَن سنّ الصَّلب والقطع ، وأوّلَ من وضع العُشور ، وضرب الدراهم ، وأول مَنْ تغنّى وغُنِّىَ له ، قال : ويقال إنه خرج فى منكبه سِلْعتان[٤] فكانتا تضربان عليه ، فيشتدّ عليه الوجع حتى يطليَهُما بدماغ إنسان ، فكان يقتل لذلك فى كلّ يوم رجلين ويَطْلى سِلْعتيه بدماغيهما ، فإذا فعل ذلك سكَن ما يجد ، فخرج عليه رجل من أهل بابل فاعتقد لواء ، واجتمع إليه بشر كثير ، فلما بلغ الضَّحاكَ خبرُه راعه ، فبعث إليه : ما أمرك ؟ وما تريد ؟ قال : ألست تزعم أنك ملك الدنيا ، وأن الدنيا لك ! قال : بلى ، قال : فليكن كَلَبُك[٥] على الدنيا ، ولا يكونَنّ علينا خاصة ؛ فإنك إنما تقتلنا دون الناس. فأجابه الضحاك إلى ذلك ، وأمر بالرجلين اللذيْن كان يقتلهما فى كلّ يوم أن يُقسَّما على الناس جميعًا ، ولا يخصّ بهما مكان دون مكان. ١/٢٠٥

قال : فبلغنا أنّ أهل أصبهان من ولد ذلك الرجل الذى رفع اللواء ، وأنّ ذلك اللواء لم يزل محفوظًا عند ملوك فارس فى خزائنهم[٦] ، وكان فيما بلغنا جلدَ أسد ، فألبسه ملوكُ فارس الذهبَ[٧] والديباجَ تيَمُّنًا به .

قال : وبلغنا أنّ الضحاك هو نُمرود ، وأن إبراهيم خليل الرحمن صلى

---

(١) نرس ، بفتح أوله وسكون ثانيه ؛ ذكرها ياقوت وقال : « وقيل نرس ، قرية كان ينزلها الضحاك بيوراسب ببابل » .

(٢) ك : « فى ناحية الطريق إلى الكوفة » .

(٣) ر ، ك : « والعنف » .

(٤) السلعة ، بالكسر : زيادة تحدث فى الجسد مثل الغدة ؛ تمور بين الجلد واللحم إذا حركتها .

(٥) ا ، س : « كلك » .

(٦) ر ، ك : « خزائنهم » .

(٧) ك : « من الذهب » .

الله عليه وُلد فى زمانه ، وأنه صاحبه الذى أراد إحراقه .

قال : وبلغنا أن أفريدون ــ هو[(١)] من نسل جم الملك الذى كان [من][(٢)] قبل الضحاك ، ويزعمون أنه التاسع من ولده ، وكان مولده بدُنْباوَنْد ، خرج حتى ورد منزلَ الضحاك وهو عنه غائب بالهند ، فحوى[(٣)] على منزله وما فيه ، فبلغ الضحاكَ ذلك ، فأقبل وقد سلبه الله قوّته ، وذهبت دولتُه ، فوثب[(٤)] به أفريدُون فأوثقه وصيّره بجبال دُنباوَنْد ؛ فالعجمُ تزعم أنه إلى اليوم مُوثَق فى الحديد يُعذَّب هناك .

وذكر غيرُ هشام أنّ الضحاك لم يكن غائباً عن مسكنه ، ولكن أفريدون ابن أثفيان جاء إلى مسكن له فى حِصْن يُدعَى زرنج ماه مهروز مهر ، فنكح امرأتين له : تسمى إحداهما : أروناز[(٥)] والأخرى سنوار . فوهِل بِيوراسب لما عاين ذلك ، وخرّ مُدلَّهاً لا يعقل ، فضرب أفريدون هامتَه بجُرْز[(٦)] له ملتوى الرأس ، فزاده ذلك وَهَلاً وعزوبَ عقل ، ثم توجّه به أفريدُونُ إلى جبل دُنبَاوند ، وشدّه هنالك وَثاقاً ، وأمر الناس باتخاذ مهرماه مهرروز ــ وهو المِهرجان اليوم الذى أوثق فيه بيوَراسب ــ عيداً ، وعلا أفريدُون سرير الملك . ١/٢٠٦

وذُكر عن الضحاك أنه قال يومَ ملك وعُقد عليه التاج : نحن ملوك الدنيا ، المالكون لما فيها .

والفرس تزعم أن المُلْك لم يكن إلا للبطن الذى منه أوشهنْجوجم وطَهْمُورث ، وأن الضحاك كان غاصباً[(٧)] وأنه غصَب[(٨)] أهلَ الأرض بسحره وخبثه ، وهوّل عليهم بالحيّتين اللتين كانتا على مَنكبيْه ، وأنه بنى بأرض بابل مدينة

---

(١) كذا فى ا ، س ، ن ؛ وفى ط : « وهو » .
(٢) تكملة من ا .
(٣) كذا فى جميع الأصول ، وفى ن : « فاحتوى » .
(٤) ن : « فأقبل عليه » .
(٥) ا : « أرونار » ، س : « أردنان » ، ر ، ك : « أرونا » .
(٦) الجرز : عمود من حديد .
(٧) كذا فى ا ، ر ، س ، وفى ط : « عاصيا » .
(٨) س : « غلب » .

سماها حوب[١] ، وجعل النبَط أصحابَه وبطانته ، فلقىَ الناسُ منه كلَّ جهد ، وذَبَح الصبيان .

ويقول كثير من أهل الكتب : إن الذى كان على منكبيه كان لحمتين طويلتين ناتئتين على منكبيه ، كلٌّ واحدة منهما كرأس الثعبان ، وأنه كان بخبثه[٢] ومكره يسترهما بالثياب . ويذكر على طريق التهويل أنهما حيّتان يقتضيانه الطعام ، وكانتا تتحركان تحت ثوبه إذا جاع كما يتحرّك العضو من الإنسان عند التهابه بالجوع والغضب . ومن الناس من يقول : كان ذلك حيّتين ، وقد ذكرتُ ما رُوى عن الشعبىّ فى ذلك ، والله أعلم بحقيقته وصحته .

* * *

٢٠٧/١ وذكر بعضُ أهل العلم بأنساب الفرْس وأمورهم أنّ الناس لم يزالوا من بيوَراسب هذا فى جَهْد شديد ، حتى إذا أراد الله إهلاكه وثب به رجلٌ من العامة من أهل أصبهان يقال له كابى[٣] ، بسبب ابنين كانا له أخذهما رسل بيوَراسب بسبب الحيتين اللتين كانتا على منكبيه . وقيل : إنه لما بلغ الجزع من كابى هذا على ولده أخذ عصًا كانت بيده ، فعلَّق بأطرافها جرابًا كان معه ، ثم نصب ذلك العَلَم ، ودعا الناس إلى مجاهدة بيوَراسب ومحاربته ، فأسرع إلى إجابته خلق كثير ؛ لما كانوا فيه معه من البلاء وفنون الجَوْر ، فلما غلب كابى تفاءل الناس بذلك العلَم ، فعظَّموا أمره ، وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم علَمهم الأكبر الذى يتبركون به ، وسموه دِرَفْش كابيان[٤] ، فكانوا لا يسيّرونه[٥] إلا فى الأمور العظام ، ولا يُرفع إلا لأولاد الملوك إذا وجِّهوا فى الأمور العظام .

وكان من خبر كابى أنه شخصَ عن أصبهان بمن تبعه والتفَّ إليه فى طريقه ، فلما قرب من الضحاك وأشرف عليه ، قُذف فى قلب الضحاك

---

(١) س : « حوف » ، ك : « تسمى ها حوب » .

(٢) ر : « لحيلته » .

(٣) ر : « كانى »

(٤) ا : « درفتين كابيان» ، ر : « درقين كاينان » ، ك : « دريس كاتبان » ، ن : « دفس كابيان » .

(٥) س : « لا يسيرون به » .

منه الرُّعب، فهرب عن منازله ، وخلَّى مكانه ، وانفتح للأعاجم فيه[1] ما أرادوا ، فاجتمعوا إلى كابى وتناظروا ، فأعلمهم كابى أنه لا يتعرض للملْك ؛ لأنه ليس من أهله ، وأمرهم أن يملِّكوا بعض ولد جم ، لأنه ابن الملك الأكبر أو شهنْق بن فرواك الذى رسم الملك، وسبق إلى القيام به، وكان أفريدُون بن أثفيان مستخفياً فى بعض النواحى من الضحاك ، فوافى كابى ومَنْ كان معه ، فاستبشرَ القومُ بموافاته ، وذلك أنه كان مُرشَّحاً للملك برواية كانت لهم فى ذلك ، فملَّكوه، وصار كابى والوجوه لأفريدُون أعواناً على أمره ، فلما ملك وأحكم ما احتاج إليه من أمر الملك، واحتوى على منازل الضحاك، اتَّبعه فأسره بدُنباوند فى جبالها . ١/٢٠٨

وبعض المجوس تزعُم أنه جعله أسيراً حبيساً فى تلك الجبال، موكَّلا به قوم من الجنّ .

ومنهم من يقول : إنه قتله ، وزعموا أنه لم يُسمَع من أمور الضحاك شيء يستحسَن غير شيء واحد ؛ وهو أن بَليَّته[2] لما اشتدت ودام جوْرُه وطالت أيامه ، عظُم على الناس ما لقُوا منه، فتراسل الوجوه فى أمره ، فأجمعوا على المصير إلى بابه ، فوافى بابَه الوجوهُ والعظماء من الكُور والنواحى ، فتناظروا فى الدخول عليه والتظلّم إليه[3] ، والتأتّى لاستعطافه، فاتفقوا على أن يقدِّموا للخطاب عنهم كابى الأصبهانىّ، فلما صاروا إلى بابه أعلم بمكانهم، فأذِن لهم، فدخلوا وكابى متقدّم لهم[4] ، فمَثل بين يديه، وأمسك عن السلام، ثم قال : أيها الملك ، أىّ السلام أسلِّم عليك ؟ أسلام مَنْ يملك هذه الأقاليم كلَّها ، أم سلام مَنْ يملك هذا الإقليم الواحد ؟ يعنى بابل، فقال له الضحاك : بل سلام مَنْ يملك هذه الأقاليم كلَّها ، لأنى ملك الأرض . فقال له الأصبهانىّ : فإذا كنت تملك الأقاليم كلَّها ، وكانت يدك تناها أجمع ، فما بالُنا قد خُصصْنا بمؤنتك ١/٢٠٩

---

(١) كذا فى ا ، س ، ن ، وفى ط : « منه » .

(٢) ر : « نكبته » .

(٣) كذا فى ا ، ر، ك : « منه » .

(٤) ن : « مقدمهم » .

وتحامُلك وإساءتك من بين أهل الأقاليم ! وكيف لم تقسم أمر كذا وكذا بيننا وبين الأقاليم ؟ وعدّد عليه أشياء كان يُمكنه تخفيفَها عنهم ، وجرّد له الصدق والقول فى ذلك ، فقدح فى قلب الضحّاك قولُه ، وعمِل فيه حتى انخزل وأقرّ بالإساءة ، وتألّف القوْم ووعدهم ما يُحبُّون ، وأمرهم بالانصراف لينزلوا ويتّدعوا ، ثم يعودوا ليقضىَ حوائجهم ، ثم ينصرفوا إلى بلادهم .

وزعموا أن أمه ودك كانت شرًّا منه وأرْدَى ، وأنها كانت فى وقت مُعاتبة القوم إياه بالقُرْب منه تتعرف ما يقولونه ، فتغتاظ وتُنكره ، فلما خرج القوم دخلت مُستشيطةً مُنكرة عَلى الضحاك احتماله القوم ، وقالت له : قد بلغنى كلّ ما كان وجُرْأةُ هؤلاء القوم عليك حتى قرّعوك[1] بكذا ، وأسمعوك كذا ، [2]أفلا دمَّرْتَ عليهم ودمدمتهم ، أو قطعت أيديهم[2] !

فلما أكثرتْ على الضحاك قال لها مع عتوّه : يا هذه ، إنك لم تفكّرى فى شىء إلا وقد سبقتُ إليه ؛ إلا أن القوم بَدَهونى بالحق ، وقرّعونى[3] به ، فلما هممت بالسطوة بهم والوثوب عليهم تخيّل[4] الحق فمثل بينى وبينهم بمنزلة الجبل ، فما أمكننى فيهم شىء . ثم سكّتها وأخرجها ، ثم جلس لأهل النواحى بعد أيام ، فوفّى لهم بما وعدهم ، وردّهم وقد لان لهم ، وقضى أكثرَ حوائجهم ، ولا يُعرَف للضحاك - فيما ذُكر - فعلة استحسنت [منه][5] غير هذه .

١/٢١٠

وقد ذُكر أن عُمر الأجدهاق[6] هذا كان ألف سنة ، وأن ملكه منها كان ستمائة سنة ، وأنه كان فى باقى عمره شبيهًا بالملك لقدرته ونفوذ أمره . وقال

---

(١) فى ط : « فزعوك » ؛ وما أثبته من ا ؛ وابن الأثير ١ : ٤٤

(٢-٢) ا : « أفلا دمر عليهم ودمدم بهم ، أولا قطعت أيديهم ! » . ودمدمهم ودمدم عليهم ؛ أى أهلكهم .

(٣) ط : « فزعونى » .

(٤) ن : « تجبل » ؛ أى صار مثل الجبل .

(٥) من ن .

(٦) ر ، ك : « الازدهاق » .

بعضهم : إنه ملك ألف سنة ، وكان عمره ألف سنة ومائة سنة ، إلى أن خرج عليه أفريدون فقهره وقتله .

وقال بعض علماء الفرس: لا نعلم أحداً كان أطوَل عمراً — ممن لم يُذكر عمره فى التوراة — من الضحاك هذا ، ومن جامر بن يافث بن نوح أبى الفرس ؛ فإنه ذُكر أن عمره كان ألف سنة .

وإنما ذكرنا خبر بيوَراسب فى هذا الموضع ؛ لأنّ بعضهم زعم أن نوحًا عليه السلام كان فى زمانه ، وأنه إنما كان أرسل إليه وإلى من كان فى مملكته ، ممن دان بطاعته واتبعه على ما كان عليه من العتوّ والتمرّد على الله ، فذكرنا إحسانَ الله وأياديَه عند نوح عليه السلام بطاعته ربّه وصبْره على ما لقِيَ منه[1] من الأذى والمكروه فى عاجل الدنيا ، بأن نجّاه ومن آمن معه واتبعه من قومه ، وجعل ذرِّيته هم الباقين فى الدنيا ، وأبقى له ذكرَه بالثناء الجميل ، مع ماذخر له عنده فى الآجل من النعيم المقيم والعيش الهنىء ، وإهلاكه الآخرين بمعصيتهم إياه وتمرّدهمْ عليه ، وخلافهم أمرَه ، فسلبهم ما كانوا فيه من النعيم ، وجعلهم عبْرة وعظة للغابرين ؛ مع ما ذَخَر لهم عنده فى الآجل من العذاب الأليم . ٢١١/١

* * *

ونرجع الآن إلى ذكر نوح عليه السلام والخبر عنه وعن ذريته ، إذ كانوا هم الباقين اليوم كما أخبر الله عنهم ؛ وكان الآخرون الذين بُعث نوح إليهم خلا ولده ونسله قد بادوا وذُريّتهم ، فلم يبق منهم ولا من أعقابهم أحدٌ .

قد ذكرنا قبلُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وجَعَلْنا ذُرِّيَتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ : إنهم سام ، وحام ، ويافث .

حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنا عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبّه ؛ يقول : إن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم ، وإنّ حام أبو السودان ، وإنّ يافث أبو الترك وأبو يأجوج ومأجوج ، وهو بنو عمّ الترك .

---

(١) ط : « فيه » ، وما أثبته عن ا .

وقيل : كانت زوجة يافث أربسيسة[١] بنت مرازيل بن الدرمسيل بن محويل بن خَنُوخ بن قَيْن بن آدم عليه السلام، فولَدَت له سبعة نفر وامرأة .

فممّن ولدت له من الذكور جومر بن يافث وهو– فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق – أبو يأجوج ومأجوج ، ومارح[٢] بن يافث ووائل بن يافث ، وحوّان بن يافث ، وتوبيل بن يافث ، وهوشل[٣] بن يافث ، وترس بن يافث ، وشبكة بنت يافث . قال : فمن بنى يافث كانت يأجوج ومأجوج والصقالبة والترك فيما يزعمون . وكانت امرأة حام بن نوح نحلب[٤] بنت مارب بن الدرمسيل بن محويل بن خَنُوخ بن قَين بن آدم . فولدت له ثلاثة نفر : كوش بن حام بن نوح، وقوط بن حام بن نوح، وكنعان بن حام . فنكح كوش بن حام بن نوح قرنبيل ابنة بتاويل بن ترس بن يافث ، فولدت له الحبشة والسند والهند فيما يزعمون . ونكح قوط بن حام بن نوح بخت ابنة بتاويل ابن ترس بن يافث بن نوح ، فولدت له القِبْط – قبط مصر – فيما يزعمون . ونكح كنعان بن حام بن نوح أرتيل[٥] ابنة بتاويل بن ترس بن يافث بن نوح ، فولدت له الأساود : نُوبة ، وفَزّان ، والزَّنْج ، والزَّغاوة ؛ وأجناس السودان كلّها .

* * *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فى الحديث قال : ويزعمُ أهل التوراة أنّ ذلك لم يكن إلا عن دعوة دعاها نوح على ابنه حام ، وذلك أن نوحًا نام فانكشف عن عورته ، فرآها حام فلم يغطّها، ورآها سام ويافث فألقيا عليها ثوبًا فواريا عورتَه ، فلما هبّ من نومته علم ما صنع حام وسام ويافث ، فقال : ملعون كنعان بن حام ؛ عبيداً يكونون لإخوته ، وقال : يبارك الله ربّى فى سام، ويكون حام عبْد أخويه، ويقرض الله يافث[٦] ، ويحُلّ فى مساكن حام، ويكون كنعان عبداً لهم[٦] . قال : وكانت امرأة سام

(١) ا ، س : « أدبسيسة » .

(٢) ا ، ن : « مارج » .

(٣) ا : « هوشنك » ، س : « هوشذ » . (٤) كذا فى ا ، وفى ط مهمل .

(٥) كذا فى ا ، ك ؛ وفى ط : « أرسل » .

(٦–٦) كذا فى ا ، وفى ط : « ويحل فى مساكن سام ، ويكون حام عبداً لهم » .

ابن نوح صليب ابنة بتاويل بن محويل بن خَنُوخ بن قَيْن بن آدم، فولدت ٢١٣/١
له نفراً : أرفخشد بن سام، وأشوذ بن سام، ولاوذ بن سام، وعويلم بن سام ،
وكان لسام إرم بن سام ، قال : ولا أدرى إرم لأمّ أرفخشد وإخوته أم لا ؟

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام بن
محمد ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : لمّا
ضاقت بولد نوح سوق ثمانين تحوّلوا إلى بابل فبنوْها ، وهى بين الفرات
والصَّراة ، وكانت اثنى عشر فرسخًا فى اثنى عشر فرسخًا ، وكان بابها موضع
دُوران[1] اليوم، فوق جسر الكوفة يَسْرَةً إذا عبرت ، فكثروا بها حتى بلغوا
مائة ألف ، وهم على الإسلام .

ورجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فنكح لاوذ بن سام بن نوح
شبكة ابنة يافث بن نوح ، فولدت له فارس وجُرجان وأجناس فارس ، ووُلد
للاوذ مع الفرس طَسْم وعمليق ، ولا أدرى أهو لأمّ الفرس أم لا ؟ فعمليق
أبو العماليق . كلهم أمم تفرقت فى البلاد ، وكان أهل المشرق وأهل عُمان
وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم ، ومنهم كانت الجبابرة بالشام
الذين يقال لهم الكنعانيون ، ومنهم كانت الفراعنة بمصر ، وكان أهل البحرَيْن
وأهل عمان منهم أمة يُسمَّوْن جاسم، وكان[2] ساكنى المدينة منهم ، بنو هفّ
وسعد بن هزّان ، وبنو مطر ، وبنو الأزرق . وأهل نجد منهم بديل وراحل[3]
وغِفَار ، وأهل تيماء منهم . وكان ملك الحجاز منهم بتيماء اسمُه الأرقم[4] ، ٢١٤/١
وكانوا ساكنى[5] نجد مع ذلك . وكان ساكنى الطائف بنو عبد بن ضخم ،
حىٌّ من عَبْس الأوّل .

قال : وكان بنو أُمَيْم بن لاوذ بن سام بن نوح أهل وَبار بأرض الرمل،

(١) دوران ، بضم أوله : موضع خلف جسر الكوفة . ياقوت .

(٢) ط : « وكانوا » ، والصواب ما أثبته من ا .

(٣) ا ، ن : « راجل » . (٤) ن : « الأذفر » .

(٥) ا : « من ساكنى نجد » .

رمل عالج، وكانوا قد كثروا بها وربلوا[1]؛ فأصابتهم من الله عزّ وجلّ نقمة من معصية أصابوها، فهلكوا وبقيت منهم بقية، وهم الذين يقال لهم النسناس.

قال: وكان طسم بن لاوذ ساكنَ اليمامة وما حولها، قد كثروا بها وربلوا إلى البحرين؛ فكانت طسم والعماليق وأميم وجاسم قومًا عربًا، لسانهم الذى جُبلوا عليه لسانٌ عربىّ. وكانت فارس من أهل المشرق ببلاد فارس، يتكلمون بهذا اللسان الفارسىّ.

قال: وولد إرَم بن سام بن نوح عوْص بن إرم، وغاثر[2] بن إرم، وحويل بن إرَم. فولد عوص بن إرم غاثر بن عوْص، وعاد بن عوص، وعبيل ابن عوص. وولد غاثر بن إرم ثمود بن غاثر، وجديس بن غاثر. وكانوا قومًا عربًا يتكلمون بهذا اللسان المضرىّ، فكانت العرب تقول لهذه الأمم: العرب العاربة، لأنه لسانهم الذى جُبلوا عليه، ويقولون لبنى إسماعيل بن إبراهيم: العرب المتعرّبة، لأنهم إنما تكلّموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم. فعاد وثمود والعماليق وأميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب؛ فكانت عاد بهذه الرمل إلى حضرموتَ واليمن كله، وكانت ثمود بالحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادى القُرَى وما حوله، ولحقتْ جديس بطسم، فكانوا معهم باليمامة وما حولها إلى البحريْن، واسم اليمامة إذ ذاك جوّ، وسكنت جاسم عُمانَ فكانوا بها.

١/٢١٥

وقال غير ابن إسحاق: إن نوحًا دعا لسام بأن يكون الأنبياء والرسل من ولده، ودعا ليافث بأن يكون الملوك من ولده، وبدأ بالدعاء ليافث وقدّمه فى ذلك على سام، ودعا على حام بأن يتغيّر لونه، ويكون ولده عبيداً لولد سام ويافث.

قال: وذكر فى الكتب أنه رقّ على حام بعد ذلك، فدعا له بأن يُرزَق الرأفة من إخوته، ودعا من ولد ولده لكوش بن حام ولجامر بن يافث بن نوح،

---

(١) ربلوا: كثر عددهم.

(٢) س: «عابر»، ك: «غابر».

وذلك أن عدّة من ولد الولد لحقوا نوحًا فخدموه، كما خدمه ولده لصلبه، فدعا لعدّة منهم . ٢١٦/١

قال : فولد لسام عابر وعُلَيم وأشوذ وأرفخشد ولاوَذ وإرم[1]، وكان مقامه بمكة .

قال : فمن ولد أرفخشد الأنبياء والرسل وخيار الناس ، والعرب كلها ، والفراعنة بمصر . ومن ولد يافث بن نوح ملوك الأعاجم كلّها من الترك والخزَر وغيرهم ، والفرس الذين آخرُ مَنْ مَلَكَ منهم يَزْدَجِرْد بن شهريار ابن أبرويز ، ونسبُه ينتهى إلى جيومرت بن يافث بن نوح .

قال : ويقال إن قومًا من ولد لاوذ بن سام بن نوح وغيره من إخوته نَزَعوا إلى جامر هذا ، فأدخلهم جامر فى نعمته ومُلكه ، وأن منهم ماذى بن يافث ، وهو الذى تُنسب السيوف الماذيّة إليه . قال : وهو الذى يقال إن كيرش الماذوىّ قاتل بلشصر[2] بن أولمرودخ بن بختنصر من ولده .

قال : ومن ولد حام بن نوح ، النوبة ، والحبشة ، وفزّان ، والهند ، والسند ، وأهلُ السواحل فى المشرق والمغرب .

قال : ومنهم نمرود ، وهو نمرود بن كوش بن حام .

قال : وولد لأرفخْشد بن سام ابنه قينان ، ولا ذِكْرَ له فى التوراة ، وهو الذى قيل إنه لم يستحقّ أن يذكر فى الكتب المنزلة ، لأنه كان ساحراً ، وسمى نفسه إلهًا ، فسيقت المواليد فى التوراة على أرفخشد بن سام ثم على شالَخ بن قينان بن أرفخشد من غير أن يذكر قينان فى النسب ، لما ذكر من ذلك .

قال : وقيل فى شالَخ : إنه شالخ بن أرفخشد من ولد لقينان . وولد لشالَخ عابر . وولد لعابر ابنان : أحدهما فالغ ، ومعناه بالعربية قاسم — وإنما سمى بذلك لأن الأرض قسمت والألسن تبلبلت فى أيامه — وسمى الآخر قحطان . ٢١٧/١

فولد لقحطان يعرب ويقطان ابنا قحطان بن عابر بن شالخ ، فنزلا أرضَ اليمن ، وكان قحطان أوّل مَنْ ملك اليمن ، وأول من سُلِّم عليه بـ«أبَيْتَ اللَّعْنَ» ، كما كان يقال للملوك . وولد لفالغ بن عابر أرغوا — وولد لأرغوا ساروغ ، وولد لساروغ ناحورا ، وولد لناحورا تارَخ — واسمه بالعربية آزر — وولد لتارَخ

(١) فى سفر التكوين ١٠ : ٢١ : « بنو سام عيلام وأشور وأرفكشار ولوذ وآرام » .

(٢) ن : « تلشصر » ، ل : « بلشهر » .

إبراهيم صلوات الله عليه . وولد لأرفخشد أيضًا نُمرود بن أرفخشد، وكان منزله بناحية الحِجْر . وولد للاوَذ بن سام طسم وجديس ، وكان منزلهما اليمامة . وولد للاوَذ أيضًا عمليق بن لاوذ ، وكان منزله الحرم وأكناف مكة ، ولحق بعض ولده بالشام ؛ فمنهم كانت العماليق ، ومن العماليق الفراعنة بمصر . وولد للاوَذ أيضًا أمَيم بن لاوذ بن سام ، وكان كثير الولَد ، فنزع بعضُهم إلى جامر بن يافث بالمشرق . وولد لإرم بن سام عَوْص بن إرم ، وكان منزله الأحقاف . وولد لعوص عاد بن عوص .

وأما حام بن نوح ، فولد له كوش ومصرايم[1] وقوط وكنعان، فمن ولد كوش نُمرود المتجبر الذى كان ببابل، وهو نمرود بن كوش بن حام ، وصارت بقيةُ ولَد حام بالسواحل من المشرق والمغرب والنوبة والحبشة وفَزّان .

قال : ويقال : إن مصرايم ولَدَ القبْط والبربر ، وإن قوطًا صار إلى أرض السند والهند فنزلها ، وإنّ أهلَها من ولده .

١/٢١٨ وأما يافث بن نوح فولد له جامر وموعج[2] ومودادى[3] وبوان[4] وثوبال وماشج وتيرش . ومن ولد جامر ملوك فارس. ومن ولد تيرش التّرك والخزر . ومن ولد ماشج الأشبان . ومن ولد موعج يأجوج ومأجوج ، وهم فى شرقىّ أرض التّرك والخزر . ومن ولد بوان الصّقالبة وبرجان والأشبان ، كانوا فى القديم بأرض الروم قبل أن يقَع بها مَنْ وقع من ولد العيص وغيرهم ؛ وقصد كلٌّ فريق من هؤلاء الثلاثة : سام وحام ويافث أرضا ، فسكنوها ودفعوا غيرَهم عنها .

* * *

حدثنى الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد بن السائب ، عن أبيه ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس : قال : أوحى الله إلى موسى عليه السلام: إنك يا موسى وقومك وأهل الجزيرة وأهل العال من ولد سام بن نوح . وقال ابن عباس: والعرب والفرس والنَّبَط والهند والسِّند من ولَد سام بن نوح .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن

(١) ن : « مصرام » .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « موعع » .
(٣) ا : « موراى » . ن : « مورالى » .
(٤) ط : « يوان » .

محمد ، عن أبيه : قال: الهند والسند بنو توقير [١] بن يقطن بن عابر بن شالخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح . ومُكران بن البند ، وجرهم ، اسمه هذرم [٢] بن عابر بن سبأ بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح . ٢١٩/١ وحضرموت بن يقطن بن عابر بن شالخ . ويقطن هو قحطان بن عابر بن شالَخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح ، فى قول من نسبَه إلى غير إسماعيل . والفرس بنو فارس بن تيرش [٣] بن ناسور بن نوح . والنَّبَط بنو نبيط بن ماش ابن إرم بن سام بن نوح . وأهل الجزيرة والعال من ولد ماش بن إرم بن سام ابن نوح . وعمليق — وهو عَريب — وطسم وأمَيم بنو لوذ بن سام بن نوح . وعِمْليق هو أبو العمالقة ، ومنهم البربر وهم بنو ثُميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لوذ بن سام بن نوح ، ما خلا صِنهاجة وكُتامة ، فإنهما بنو فريقيش بن قيس بن صيفيّ بن سبأ .

ويقال : إن عمليق أول مَنْ تكلّم بالعربية حين ظَعنوا من بابل؛ فكان يقال لهم وُلجرهم : العربُ العاربة . وثمود وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام ابن نوح ، وعاد وعَبِيل ابنا عَوْص بن إرم بن سام بن نوح ، والروم بنو لنطى [٤] ابن يونان بن يافث بن نوح . ونمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، وهو صاحب بابل ؛ وهو صاحب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه .

قال : وكان يقال لعاد فى دهرهم عادُ إرَم ، فلما هلكت عاد قيل لثمود ٢٢٠/١ إرم ، فلما هلكت ثمود قيل لسائر بنى إرم: إرمان ؛ فهم النَّبَط ، فكلٌّ هؤلاء كان على الإسلام وهم ببابل ، حتى ملَكَهم نُمرود بن كوش بن كنعان بن حام ابن نوح ، فدعاهم إلى عبادة الأوثان ففعلوا ، فأمسوْا وكلامهُم السريانية ، ثم أصبحوا وقد بلبَل الله ألسنَتهم ، فجعل لا يعرف بعضُهم كلامَ بعض ، فصار لبنى سام ثمانية عشر لسانًا ، ولبنى حام ثمانية عشر لسانًا ، ولبنى يافث

---

(١) كذا فى ا وهو يوافق ما فى ابن الأثير ١ : ٤٥ ، وفى ر : « بنوقين » ، وفى ن : « توفين » .

(٢) ا : « هذوم » .

(٣) كذا فى ا ، وفى ر : « نبرس » ، وابن الأثير « تيرش » ، وفى ط مهمل .

(٤) ا : « ليطى » .

ستة وثلاثون لسانًا ، ففهَّم الله العربيةَ عادًا وعَبِيل وثمود وجَديس وعِمْليق وطَسْم وأمَيْم وبنى يقطن بن عابر بن شالَخ بن أرفخشد بن سام بن نوح .

وكان الذى عقد لهم الألوية ببابل بوناظر[١] بن نوح ، وكان نوح فيما حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام ، قال : أخبرنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس : تزوج امرأة من بنى قابيل ، فولدت له غلامًا ، فسمّاه بوناظر ، فولده بمدينة بالمشرق يقال لها معلون[٢] شمسا ، فنزل بنو سام المِجْدَل[٣] سرّة[٤] الأرض ، وهو ما بين ساتِيدَمَا[٥] إلى البحر ، وما بين اليمن إلى الشام ، وجعل الله النبوةَ والكتاب والجمال والأدْمة والبياض فيهم . ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدّبور ، ويقال لتلك الناحية الداروم[٦] ، وجعل الله فيهم أدْمة وبياضًا قليلاً ، وأعمَر بلادهم وسماءهم ، ورفع عنهم الطاعون ، وجعل فى أرضهم الأثل والأراك والعُشَر والغار والنخل ، وجرت الشمس والقمر فى سمائهم . ونزل بنو يافث الصّفون مجرى الشمال والصبا ؛ وفيهم الحمرة والشقرة ، وأخلى الله أرضَهم فاشتدّ بردها ، وأخلى سماءهم ، فليس يجرى فوقَهم شىء من النجوم السبعة الجارية ، لأنهم صاروا تحت بنات نعش والجدْى والفرقدين ، فابتُلوا بالطاعون . ثم لحقت عاد بالشِّحْر ، فعليه هلكوا بواد يقال له مغيث ، فلحقتْهم بعدُ مهْرَةُ بالشِّحْر . ولحقت عبيل بموضع يثرب . ولحقت العماليق بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء ، ثم انحدر بعضُهم إلى يثرب ، فأخرجوا منها عَبيل ، فنزلوا موضع الجُحفة ، فأقبل السيل فاجتحفهم فذهب بهم فسميت الجُحفة . ولحقت ثمود بالحِجْر وما يليه فهلكوا ثَمّ ، ولحقت طسم وجَديس باليمامة فهلكوا ، ولحقت أميم بأرض أبَار فهلكوا بها ، وهى بين اليمامة والشِّحْر ، ولا يصلُ إليها اليوم أحد ، غلبت عليها الجن . وإنما سميت أبار بأبار بن أُمَيم .

١/٢٢١

(١) ا : « يوناطن » ، ن : « نوياطن » .
(٢) ا : « معلتور » .
(٣) المجدل ، ضبطها ياقوت بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال .
(٤) ر ، ك : « من الأرض » .
(٥) ساتيدما ، ضبطها ياقوت : « بعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة وياء مثناة من تحت ؛ ودال مهملة مفتوحة ثم ميم وألف مقصورة » .
(٦) ا : « الزاروم » .

ولحقت بنو يقطن بن عابر باليمن ، فسمّيت اليمن حيث تيامنوا إليها ، ولحق قوم من بنى كنعان بالشأم فسميت الشأم حيث تشاءموا إليها ، وكانت الشأم يقال لها أرض بنى كَنْعان ، ثم جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم بها ، ونفوْهم عنها ، فكانت الشأم لبنى إسرائيل . ثم وثبت الروم على بنى إسرائيل فقتلوهم ، وأجلوْهم إلى العراق إلا قليلا منهم ، ثم جاءت العرب فغلبوا على الشأم ، وكان فالغ — وهو فالغ بن عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح — هو الذى قسّم الأرض بين بنى نوح كما سمينا . ٢٢٢/١

* * *

وأما الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علماء سلفنا فى أنساب الأمم التى هى فى الأرض اليوم ، فعلى ما حدثنى أحمد بن بشير بن أبى عبد الله الوراق ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سَمُرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش » .

حدثنى القاسم بن بشر بن معروف ، قال : حدثنا روح ، قال : حدثنا سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمُرة بن جندَب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ولد نوح ثلاثة : سام وحام ويافث ، فسام أبو العرب ، وحام أبو الزّنج ، ويافث أبو الروم » .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا عبّاد بن العوّام ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سَمُرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش » .

حدثنى عبد الله بن أبى زياد ، قال : حدثنى روح ، قال : حدثنا سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمُرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ولد نوح سام وحام ويافث » . قال عبد الله : قال رَوْح : أحفظ « يافث » ، وسمعت مرة « يافت » .

وقد روى هذا الحديث عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سَمُرة وعمران بن حصين ، عن النبى صلى الله عليه وسلم. ٢٢٣/١

حدثني عمران بن بكّار الكَلاعيّ قال : حدثنا أبو اليمان ، قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن يحيي بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيّب يقول : ولد نوح ثلاثة ، وولد كلّ واحد ثلاثة : سام ، وحام ، ويافث . فولَد سام العربَ وفارس والروم ؛ وفى كلّ هؤلاء خير . وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ؛ وليس فى واحد من هؤلاء خير ، وولَد حام القِبْط والسودان والبربر .

وروِى عن ضَمْرة بن ربيعة ، عن ابن عطاء ، عن أبيه ، قال : ولَد حام كلّ أسود جَعْد الشعر ، وولَد يافث كلّ عظيم الوجه صغير العينين ، وولد سام كلّ حسن الوجه حَسَن الشعر . قال : ودعا نوح على حام ألّا يعدوَ شَعَرُ ولده آذانَهم ، وحيثما لقى ولده ولدَ سام استعبدوهم .

وزعم أهلُ التوراة أنّ سام ولد لنوح بعد أن مضى من عمره خمسمائة سنة ، ثم ولد لسام أرفخشد بعد أن مضى من عمر سام مائة سنة وسنتان ، فكان[1] جميع عمْر سام — فيما زعموا — ستمائة سنة. ثم ولد لأرفخشد قينان ، وكان عمر أرفخشد أربعمائة سنة وثمانيا وثلاثين سنة . وولد قينان لأرفخشد بعد أن مضى من عمره خمس وثلاثون سنة ، ثم ولد لقينان شالَخ بعد أن مَضَى من عمره تسع وثلاثون سنة ، ولم يذكر مدة عمر قَيْنان فى الكتب فيما ذكر لـمّا ذكرنا من أمره قبل . ثم ولد لشالَخ عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة ، وكان عمر شالخ كله أربعمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة .

١/٢٢٤

ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان ، وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة ، فلما كثُر الناس بعد ذلك مع قرب عهدهم بالطوفان همّوا ببناء مدينة تجمعهم فلا يتفرّقون ، أو صرْح عالٍ يحرزهم من الطوفان إن كان مرة أخرى فلا يغرقون ، فأراد الله عزّ وجلّ أن يُوهِن أمرَهم ، ويُخلِف ظنّهم ويعلّمهم أن الحول والقوة له ، فبدّد شملهم[2] ، وشتّت جمعهم ، وفرّق ألسنتهم . وكان عمر عابر أربعمائة سنة وأربعًا وسبعين سنة .

---

(١) ا : « وكان » .

(٢) ط : « وبددهم » ؛ وما أثبته عن ا .

ثم ولد لفالغ أرغوا ، وكان عمر فالغ مائتين وتسعا وثلاثين سنة ، وولد أرغوا لفالغ وقد مضى من عمره ثلاثون سنة ، ثم ولد لأرغوا ساروغ ، وكان عمر أرغوا مائتين وتسعًا وثلاثين سنة، وولد له ساروغ بعد ما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة . ثم ولد لساروغ ناحور[1] ، وكان عمر ساروغ مائتين وثلاثين سنة . وولد له ناحور ، وقد مضى من عمره ثلاثون سنة .

ثم ولد لناحور تارخ أبو إبراهيم ، صلوات الله عليه ، وكان هذا الاسم اسمه الذى سّماه أبوه، فلما صار مع نُمرود قَيِّما على خِزانة آلهته سماه آزر. وقد قيل : إن آزر ليس باسم أبيه ؛ وإنما هو اسم صنم ؛ فهذا قولٌ يروى عن مجاهد . وقد قيل إنه عيبٌ عابه به بمعنى « معوجّ » ، بعد ما مضى من عمر ناحور سبع وعشرون سنة ، وكان عمر ناحور كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة . ١/٢٢٥

وولد لتارَخ إبراهيم ، وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة وتسع وسبعون سنة ،وكان بعضُ أهل الكتاب يقول : كان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة ، وذلك بعد خلْق آدم بثلاثة آلاف وثلثمائة سنة وسبع وثلاثين سنة .

وولد لقحطان بن عابر يَعْرُب ، فولد يعرُب يَشْجُبَ بن يعرُب ، فولد يشجب سبأ بن يشجب ، فولد سبأ حِمْيَرَ بن سبأ وكَهْلانَ بن سبأ وعمرو ابن سبأ، والأشعر بن سبأ وأنمَار بن سبأ ومرّ بن سبأ وعاملة بن سبأ . فولد عمرو ابن سبأ عديّ بن عمرو ، فولد عديّ لخم بن عديّ وجُذَام بن عَدِيّ .

* * *

وقد زعم بعضُ نسَّابى الفرس أن نوحًا هو أفريدون الذى قهر الازدهاق ، وسلَبه ملكَه . وزعم بعضُهم أن أفريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم عليه السلام الذى قضى له ببئر السبع[2] ، الذى ذكر الله فى كتابه . وقال بعضُهم : هو سليمان بن داود .

وإنما ذكرته فى هذا الموضع لما ذكرت فيه من قول من قال : إنه نوح ،

---

(١) ا : « تاحور » ر : « ياحور » ، س : « ياجور » .

(٢) بئر السبع ، نقل القرطبى فى تفسيره ١٢ : ٤٧ عن السهيلى أنه موضع بالشام .

وإن قصته شبيهة بقصة نوح فى أولاد له ثلاثة، وعدله وحسن سيرته ، وهلاك الضحاك على يده . وأنه قيل إن هلاك الضحاك كان على يد نوح وأن[(١)] نوحاً إنما كان أرسل — فى قول من ذكرت عنه أنه قال : كان هلاك الضحاك على يدى نوح —[(١)] حين أرسل إلى قومه ، وهم كانوا قومَ الضحاك .

١/٢٢٦

فأما الفرس فإنهم ينسُبونه النسبة التى أنا ذاكرها ؛ وذلك أنهم يزعمون أن أفريدون من ولد جم شاذ الملك الذى قتله الازدهاق ، على ما قد بيّنّا من أمره قبلُ ، وأن بينه وبين جم عَشَرة آباء .

وقد حُدِّثت عن هشام بن محمد بن السائب ، قال : بلغنا أن أفريدون — وهو من نسل جم الملك الذى كان من قبل الضحاك ، قال : ويزعمون أنّه التاسع من ولَده ، وكان مولده بدُنْباوند — خرج حتى ورد منزلَ الضحاك ، فأخذه وأوثقه ، وملك مائتى سنة ، وردّ المظالم ، وأمرَ الناس بعبادة الله والإنصاف والإحسان ، ونظر إلى ما كان الضحاك غَصَب الناس من الأرَضين وغيرها ، فردّ ذلك كلّه على أهله ، إلا ما لم يجد له أهلا ، فإنه وقَفه على المساكين والعامة . قال : ويقال إنه أوّل مَنْ سمى الصوافى ، وأولُ من نظر فى الطبّ والنجوم ، وإنه كان له ثلاثة بنين : اسم الأكبر سَلْم[(٢)] ، والثانى طوج ، والثالث إيرج ، وأن أفريدُون تخوّف ألا يتفق بنوه ، وأن يبغِيَ بعضُهم على بعض ، فقسّم ملكه بينهم ثلاثاً ، وجعل ذلك فى سهامٍ كتب أسماءهم عليها ، وأمرَ كلَّ واحد منهم فأخذ سهماً ، فصارت الروم وناحية المغرب لسلْم ، وصارت الترك والصين لطوج ، وصارت للثالث — وهو إيرج — العراق والهند ، فدفع التاج والسرير إليه ، ومات أفريدُون ، فوثب بإيرَج أخواه فقتلاه ، وملكا الأرض بينهما ثلثمائة سنة .

١/٢٢٧

قال : والفرس تزعُم أنّ لأفريدُون عشرَة آباء ، كلهم يسمى أثفيان باسم واحد . قالوا : وإنما فعلوا ذلك خوفاً من الضحّاك على أولادهم ، لرواية كانت عندهم ، بأنّ بعضهم يغلب الضحاك على ملكه ، ويُدرك منه ثأر جم ،

(١ — ١) كذا وردت العبارة فى ا .

(٢) فى الأصول : « سرم » ، وانظر ما يأتى .

وكانوا يعرَفون ويميـّزون بألقاب لقـّبوها ، فكان يقال للواحد منهم : أثفيان صاحب البقر الحمر ، وأثفيان صاحب البقر البُلْق ، وأثفيان صاحب البقر الكدْر[١] . وهو أفريدون بن أثفيان بـُوكاو — وتفسيره صاحب البقر الكثير — بن أثفيان نيككاو — وتفسيره صاحب البقر الجياد ، بن أثفيان سيركاو[٢] — وتفسيره صاحب البقر السمان العظام — بن أثفيان بوركاو — وتفسيره صاحب البقر التى بلون حمير الوحش — بن أثفيــان أخشين كاو — وتفسيره صاحب البقر الصفر — بن أثفيان سياه كاو — وتفسيره صاحب البقر السود — بن أثفيان اسبيذكاو — وتفسيره صاحب البقر البيض — بن أثفيان كيركاو — وتفسيره صاحب البقر الرمادية — بن أثفيان رمين — وتفسيره كلّ ضرب من الألوان والقطعان — بن أثفيان بنفروسن ؛ بن جم الشاذ . ١/٢٢٨

وقيل : إن أفريدُون أوّل من سُمّى بالكيـّيـّة فقيل له : كَىْ أفريدون ، وتفسير الكييـّة أنها بمعنى التنزيه ، كما يقال : روْحانى ، يعنون به أن أمرَه أمر مخلص منزّه يتصل بالروحانية . وقيل إن معنى « كَىْ » أى طالب الدخل[٣] ، ويزعم بعضهم أن « كَىْ » من البهاء ، وأن البهاء تغشّى أفريدُون حين قتل الضحاك ؛

وتذكر العجم من الفُرْس أنه كان رجلا جسيماً وسيماً بهيـّاً مجرباً ، وأن أكثر قتاله كان بالجرْز ، وأن جُرْزه كان رأسه كرأس الثور ، وأن ملك ابنه إيرَج العراق ونواحيها كان فى حياته ، وأن أيام إيرَج داخلة فى ملك أفريدون ، وأنه ملك الأقاليم كلّها ، وتنقل فى البلدان ، وأنه لما جلس على سريره يوم الملك قال : نحن القاهرون بعون الله وتأييده للضحّاك ، القامعون للشيطان وأحزابه ، ثم وعظ الناسَ ، فأمرهم بالتناصف وتعاطى الحقّ وبذل الخير بينهم ، وحثّهم على الشكر والتمسك به ، ورتّب سبعة من القوهياريين[٤] — وتفسير ذلك محولو الجبال سبع مراتب — وصيـّرَ إلى كلّ واحد منهم ناحية من دُنبَاوند وغيرها على شبيه بالتمليك . قالوا : فلما ظفر بالضّحاك قال له الضحاك : لا تقتلْنى بجدّك ١/٢٢٩

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « الكذا » .

(٢) ا ، ب ، ك ، ن : « شوكاو » . س « سوكاو » .

(٣) ك : « الجعل » .

(٤) ا : « القوهبارين » . س : « القوهارين » .

جم ، فقال له أفريدُون منكراً لقوله : لقد سمتْ بك همتك ، وعظُمت فى نفسك حين قدّرتها لهذا ، وطمعت لها فيه ! وأعلمه أن جدّه كان أعظم قدراً من أن يكون مثله كفئًا له فى القـَود ، وأعلمه أنه يقتله بثور كان فى دار جـَدّه.

وقيل إن أفريدُون أول من ذلـّل الفيـَلة وامتطاها، ونَتـَج البغال ، واتخذ الإوزّ والحمام ، وعالج الدّرياق[1] ، وقاتل الأعداء فقتلهم ونفاهم ، وأنه قسّم الأرضَ بين أولاده الثلاثة : طوج وسَلْم وإيرَج ، فملّك طُوجًا ناحية الترك والخزَر والصين ، فكانوا يسمونها صين بُغَا ، وجمع إليها النواحىَ التى اتصلت بها ، وملّك سَلْماً ابنه الثانى الروم والصقالبة والبُرْجان وما فى حدود ذلك ، وجعل وسط الأرض وعامرها – وهو إقليم بابل ، وكانوا يسمونها خنارث[2] بعد أن جمع إلى ذلك ما اتـّصل به من السند والهند والحجاز وغيرها – لأيرج وهو الأصغر من بنيه الثلاثة ، وكان أحبـّهم إليه . وبهذا السبب سُمـّى إقليم بابل إيرانشهر ، وبه أيضًا نشبت العداوة بين ولد أفريدون وأولادهم بعد، وصار ملوك خنارث والترك والروم إلى المحاربة ومطالبة بعضهم بعضًا بالدماء والترات . ١/٢٣٠

وقيل : إن طوجًا وسَلْمًا لمـّا علما أن أباهما قد خصّ إيرَج وقدّمه عليهما أظهرا له البغضاء ، ولم يزل التحاسد ينمِى بينهم إلى أن وثب طُوج وسَلْم على أخيهما إيرَج ، فقتلاه متعاونين[3] عليه ، وأن طوجا رماه بوَهَق[4] فخنقه ، فمن أجل ذلك استعملت الترك الوَهـَق ، وكان لإيرَج ابنان؛ يقال لهما وندان[5] وأسطوبة[6] ، وابنة يقال لها خوزك[7] ، ويقال خوشك، فقتل سَلْم وطوج الابنين مع أبيهما ، وبقيت الابنة .

وقيل : إن اليوم الذى غلب فيه أفريدون الضحاك كان روزمهر من مهرماه، فاتخذ الناس ذلك اليوم عيداً لارتفاع بليـّة الضحاك عن الناس، وسماه المـِهرجان؛

---

(١) ك : « وعالج بالدرياق » .
(٢) ا ، س : « خيارث » ، ك : « حنارث » ، ن : « خنباث » .
(٣) ن : « متقاويين » .
(٤) الوهق : الحبل يرمى فى أنشوطة فتؤخذ به الدابة والإنسان .
(٥) ك : « ويدان » ب : « وبدان » » .
(٦) كذا فى ا ؛ وفى ر : « أستويه » ، وفى ن: « أستوية » وفى ك : « وسطونة » وفى ط مهمل.
(٧) ا : « خورك » .

فقيل : إن أفريدُون كان جباراً عادلاً فى ملكه، وكان طولُه تسعة أرماح ، كلُّ رمح ثلاثة أبواع ، وعرض حُجْرته ثلاثة أرماح ، وعرض صدره أربعة أرماح ، وأنه كان يتبَع مَنْ كان بقِيَ بالسودان من آل نمرود والنَّبَط ، وقصدهم حتى أتى على وجوههم ، ومحا أعلامَهم وآثارهم ؛ وكان ملكه خمسمائة سنة .

١/٢٣١

ذكر الأحداث التى كانت بين نوح وإبراهيم خليل الرحمن عليهما السلام

قد ذكرنا قبلُ ما كان من أمر نوح عليه السلام وأمر ولَده واقتسامهم الأرضَ بعده ، ومساكنَ كلّ فريق منهم ، وأىّ ناحية سكن من البلاد . وكان ممن طغا وعتا على الله عزّ وجلّ بعد نوح ، فأرسل الله إليهم رسولاً فكذبوه وتمادوا فى غيّهم ، فأهلكهم الله هذان الحيان من إرم بن سام بن نوح : أحدهما عاد ابن عَوْص بن إرم ابن سام بن نوح ، وهى عاد الأولى ، والثانى ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح ، وهم كانوا العربَ العاربة .

* * *

فأما عاد فإنّ الله عزّ وجلّ أرسل إليهم هودَ بن عبد الله بن رباح بن الخلود ابن عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح . ومن أهل الأنساب مَنْ يزعم أن هوداً هو عابر بن شالخ بن أرفَخْشَد بن سام بن نوح ، وكانوا أهلَ أوثان ثلاثة يعبدونها ، يقال لإحداها : صدّاء ، وللآخر صمود ، وللثالث الهباء[1] . فدعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون غيره ، وترْك ظلم الناس ، فكذّبوه وقالوا : مَن أشدُّ منا قوّة ! فلم يؤمن بهود منهم إلاّ قليل ، فوعظهم هود إذ تمادوْا فى طغيانهم ، فقال لهم : ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ . فكان جوابهم له أن قالوا :

١/٢٣٢

(١) ا : « الهناء » .

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾[١]. وقالوا له: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ[٢]﴾، فحبس الله عنهم — فيما ذكر — القَطْرَ سنين ثلاثا؛ حتى جهدوا، فأوفدوا وفداً ليستسقوا لهم.

فكان من قصّتهم ما حدّثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر بن عَيّاش، قال: حدثنا عاصم، عن أبي وائل، عن الحارث بن حَسّان البكريّ، قال: قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمررت بامرأة بالرَّبَذة، فقالت: هل أنتَ حاملي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلتُ: نعم، فحملتُها حتّى قدمت المدينة، فدخلتُ المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، وإذا بلالٌ متقلّد السيف، وإذا[٣] رايات سُودٌ، قال: قلت: ما هذا؟ قالوا: عمرو بن العاص قدم من غَزْوته، فلمّا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منبره أتيتُه فاستأذنته، فأذن لي، فقلتُ: يا رسول الله، إنّ بالباب امرأةً من بني تميم، قد سألتْني أن أحملها إليك، قال: يا بلال، ائْذَنْ لها، قال: فدخلتْ، فلما جلستْ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل كان بينكم وبين تميم شيء؟ قلت: نعم، وكانت الدبَرَة[٤] عليهم، فإن رأيت أن تجعل الدّهناء بيننا وبينهم فعلت، قال: تقول المرأة فأين تضطر مُضرَك يا رسول الله؟ قال: قلت: مثَلِي مثل معزًى حملت حتْفًا، قال: قلت: أوحملتُك تكونين عليّ خصما! أعوذ بالله أن أكون كوفد[٥] عاد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما وفد عاد؟ قال: قلت: على الخبير سقطت؛ إنّ عاداً قحطت، فبعثتْ من يَسْتَسْقِي لها، فمرّوا على بكْر بن معاوية بمكة يَسقيهم الخمر، وتُغنّيهم الجرادتان شهراً، ثم بعثوا رجلاً من عنده، حتى أتى جبال مَهْرة، فدعا، فجاءت سحابات، قال: وكلّما جاءت قال:

٢٣٣/١

---

(١) سورة الشعراء ١٢٨ — ١٣٦

(٢) سورة هود ٥٣، ٥٤

(٣) ط والتفسير «فإذا»، وما أثبته من ا.

(٤) الدبرة عليهم، أي الهزيمة، وفي ا: «الدائرة».

(٥) ا والتفسير: «وافد».

اذهبى إلى كذا، حتى جاءت سحابة، فنُودى[منها] [١] : خُذها رماداً رِمْدَداً [٢] ، لا تَدعْ من عاد أحدا . قال : فسمعه وكتمهم حتى جاءهم العذاب .

قال أبو كريب : قال أبو بكر بعد ذاك فى حديث عاد، قال : فأقبل الذى أتاهم ، فأتى جبال مَهْرة فصعد فقال : اللهمّ إنى لم أجئك لأسير فأفاديه ، ولا لمريض أشفيه ، فأسق عاداً ما كنت مُسْقيه ! قال : فرُفعت له سحابات . قال : فنُودى منها : اختر ، فجعل يقول : اذهبى إلى بنى فلان [اذهبى إلى بنى فلان] [١] . قال : فمرّت آخرها سحابة سوداء ؛ فقال : اذهبى إلى عاد . قال : فنودىَ منها : خُذها رماداً رِمْدَداً ، لا تدعْ من عاد أحداً. قال : وكتمهم والقوم عند بكر بن معاوية يشربون. قال : وكره بكر بن معاوية أن يقول لهم من أجل أنهم عنده ، وأنهم فى طعامه . قال : فأخذ فى الغناء وذكّرهم [٣] .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا زيد بن حُبَاب ، قال : حدثنا سلاّم أبو المنذر النَّحْوىّ ، قال : حدثنا عاصم ، عن أبى وائل ، عن الحارث بن يزيد البكرىّ ، قال : خرجت لأشكوَ العلاء بن الحضْرَمىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمررت بالرَّبَذة ، فإذا عجوز منقطَع بها من بنى تميم ، فقالت : يا عبد الله ، إن لى إلى رسول الله حاجةً ، فهل أنت مُبْلغى إليه ؟ قال : فحملتُها ، فقدمتُ المدينة — قال أبو جعفر : أظنه أنا قال : « فإذا رايات سود » — قال : قلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث بعمرو بن العاص وجْهًا . قال : فجلست حتى فرغ ، قال : فدخل منزله — أو قال رَحْلَه — فاستأذنتُ عليه ، فأذن لى . قال : فدخلت فقعدت ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان بينكم وبين تميم شىء ؟ قال : قلت : نعم ، وكانت الدَّبَرة عليهم ، وقد مررت بالرَّبَذة ، فإذا عجوز منهم منقطَع بها ، فسألَتْنى أن أحمِلَها إليك ، وها هى بالباب ، فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت ، فقلت : يا رسولَ الله ، اجعل بيننا وبين تميم الدَّهناءَ حاجزاً ، فحمِيت العجوزُ واستوفزت ، وقالت : فأين تضطرّ مضرَك يا رسول الله ؟ قال :

٢٣٤/١

---

(١) تكملة من ا والتفسير .

(٢) الرمدد : المتناهى فى الاحتراق . (٣) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥١٣ — ٥١٥ .

قُلت : أنا كما قالوا : «معزًى حملتْ حتْفَا»(١) ، حملتُ هذه ولا أشعر أنها كائنة لى خصماً ، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد ! قال : وما وافد عاد ؟ قلت : على الخبير سقطت ، قال : وهو يستطعمنى(٢) الحديث قلت : إن عاداً قَحِطُوا فبعثوا «قَيْلاً» وافداً ، فنزل على بَكْر ، فسقاه الخمر شهراً ، وتغنّيه جاريتان يقال لهما الجرادتان ، فخرج إلى جبال مَهْرة ، فنادى : إنى لم أجئ لمريض فأداويه ، ولا لأسير فأفاديه ، اللهم أسق عاداً ما كنت تُسقيه ! فمرّت به سحابات سود ، فنودى منها : خذها رماداً رِمْدَدا ، لا تبقِ من عاد أحداً . قال : فكانت المرأة تقول : لا تكن كوافد عاد ، فما بلغنى أنه أرسل عليهم من الريح يا رسول الله إلاّ قدْرَ ما يجرى فى خاتمى . قال أبو وائل : وكذلك بلغنى(٣) .

وأما ابن إسحق فإنه قال كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : ١/٢٣٥ أن عاداً لما أصابهم من القحط ما أصابهم قالوا : جهِّزوا منكم وفداً إلى مكة فيستسقوا لكم ، فبعثوا قَيْل بن عتر ولُقَيم بن هزّال بن هزيل بن عُتَيْل ابن صدّ بن عاد الأكبر ، ومَرْثَد بن سعد بن عُفير — وكان مسلماً يكتم إسلامه — وجُلْهُمَةَ بن الخيبرىّ ، خال معاوية بن بكر أخا أمه ، ثم بعثوا لقمان بن عاد بن فلان بن فلان بن صدّ بن عاد الأكبر ، فانطلق كلُّ رجل من هؤلاء القوم معه رهط من قومه ، حتى بلغ عدةُ وفدهم سبعين رجلا ، فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم ، فأنزلهم وأكرمهم ، وكانوا أخوالَه وصهره . وكانت هزيلة ابنة بكر أختَ معاوية بن بكر لأبيه وأمه كلهدة ابنة الخيبرى عند لُقَيْم [بن هزّال بن عُتَيْل بن صد ابن عاد الأكبر(٤)] ، فولدت له عبيد بن لُقَيم بن هزّال وعمرو بن لُقَيم بن هزّال وعامر بن لُقَيم بن هزّال وعُمَير بن لقيم بن هزال ، فكانوا فى أخوالهم بمكة عند آل معاوية بن بكر ، وهم عاد الأخيرة التى بقيَت من عاد الأولى . فلما نزل

---

(١) ط : «حيفا» ، وما أثبته من ا والتفسير ، ومعزى مصروف ؛ لأن الألف للإلحاق وليست للتأنيث ؛ ذكره سيبويه .

(٢) استطعمه الحديث : أغراه أن يحدثه . (٣) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥١٦ — ٥١٨ .

(٤) تكملة من ا .

١/٢٣٦ وفد عادٌ على معاوية بن بكر أقاموا عنده شهراً يشربون الخمر ، وتغنّيهم الجرادتان ــ قينتان لمعاوية بن بكر ــ وكان مسيرُهم شهراً ، ومقامهم شهراً ، فلما رأى معاوية بن بكر طولَ مقامهم ، وقدْ بعثهم قومُهم يتغوّثون بهم[1] من البلاء الذى أصابهم ،شقّ ذلك عليه فقال : هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى ، وهم ضيفى نازلون علىّ ، والله ما أدرى : كيف أصنع بهم ! أستحى أن آمرَهم بالخروج إلى ما بُعثوا إليه ، فيظُنّوا أنه ضيقٌ منى بمقامهم عندى ، وقد هلك مَنْ وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً ، أو كما قال .

فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين ، فقالتا : قل شعراً نغنّيهم به لا يدرون مَنْ قاله ، لعلّ ذلك أن يحرّكهم ! فقال معاوية بن بكر حين أشارتا عليه بذلك :

ألا يا قيلُ ، وَيْحَك قم فهَيْنِمْ ... لعلّ الله يَسْقِينا غَمَامَا[2]
فيسقِى أرضَ عادٍ ، إنّ عادًا ... قد أمسوا لا يُبِينُون الكَلاما
من العطشِ الشّديد،فليس نرجو[3] ... به الشيخَ الكبيرَ ولا الغلاما
وقَدْ كانتْ نساؤُهُم بخيرٍ ... فقد أمستْ نِساؤُهُمُ عَيَامَى[4]
وإنّ الوحشَ تأتيهمْ جهارًا ... ولا تخشَى لعادِىّ سِهاما
١/٢٣٧ وأنتم ها هنا فيما اشْتَهَيْتُمْ ... نهارَكُمُ وليلَكُمُ التَّماما
فقبِّح وفدكُمْ من وَفْدِ قومٍ ... ولا لُقُّوا التحيَّةَ والسلاما !

فلما قال معاوية ذلك الشعر ، غنّتهم به الجرادتان . فلما سمع القوم ما غنّتا به ،قال بعضهم لبعض: يا قوم إنما بعثكم قومُكم يتغوّثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم ، وقد أبطأتمْ عليهم ، فادخلُوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم، فقال مَرْثَد بن سعد بن عُفَير : إنكم والله لا تُسْقَوْن بدعائكم ؛ ولكنْ إن أطعتم

---

(١) ر : « لهم » وفى التفسير : « يتعوذون » .
(٢) ا ، ر ، ك والتفسير : « يصبحنا غماماً » ، والهينمة : الكلام الخفى .
(٣) ط : « يرجى » ، وما أثبته عن ا ، ر ، والتفسير .
(٤) اللسان : المرأة التى مات عنها زوجها ولا مال لها يقال لها : عمى وأيمى ، والجمع عيام .

نبيِّكم ، وأنبتُم إليه سُقِيتم . فأظهر إسلامه عند ذلك ، فقال لهم جُلهُمة بن الخيبرىّ ، خال معاوية بن بكْر حين سمع قوله ، وعرف أنه قد تبع دين هود وآمن به :

أَبَا سَعْدٍ فإنَّكَ مِنْ قَبِيلٍ ذَوِى كرمٍ وأُمُّك مِنْ ثَمُودِ
فإنّا لَنْ نُطِيعَكَ مَا بقِينَا وَلَسْنَا فاعلينَ لِمَا تُرِيدُ
أتأمرنا لنترك آل رِفْدٍ[1] وَزَمْلٍ وآل صُدٍّ والعبُود[2]
ونترك دينَ آباء كرام ذوى رأىٍ ونَتْبَعُ دِينَ هُودِ

ورفد وزمل وصدّ قبائل من عاد ، والعبود منهم . ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر : احبسا عنّا مَرْثد بن سعد فلا يقدمنّ معنا مكة ؛ فإنه قد اتبع دينَ هود ، وترك ديننا . ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد ، فلما ولّوا إلى مكة خرج مَرْثد بن سعد من منزل معاوية ، حتى أدركهم بها قبل أن يدعُوا الله بشىء مما خرجوا له . فلما انتهى إليهمْ قام يدعو الله ، وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون. فقال : اللهمّ أعطِنى سُؤلى وحدى ، ولا تُدخلْنى فى شىء مما يدعوك به وفد عاد . وكان قَيْل بن عتر رأس وفد عاد . وقال وفد عاد : « اللهمّ أعطِ قيْلا ما سألك ، واجعلْ سُؤْلنا مع سؤله » . وقد كان تخلّف عن وفد عاد لقمان ابن عاد ، وكان سيدَ عاد ، حتى إذا فرغوا من دعوتهم قال : اللهمّ إنى جئتك وحدى فى حاجتى فأعطنى سؤلى . وقال قيل بن عتر حين دعا : يا إلهنا ، إن كان هود صادقًا فاسقِنا فإنا قد هلكنا . فأنشأ الله سحائب ثلاثا : بيضاء وحمراء ، وسوداء ، ثم ناداه مُناد من السحاب : يا قيْل ، اخترْ لنفسك وقومك من هذا السحاب . فقال : قد اخترتُ السحابة السوداء ، فإنها أكثرُ السحاب ماءً ، فناداه مناد : اخترت رماداً رِمْدَداً ، لا تُبقى من عاد أحداً ، لا والداً تترك ولاولداً ، إلاّ جعلته هَمِداً ، إلاّ بنى اللُّوذِيّة المُهْدَى[3] — وبنو اللُّوذِيّة

١/٢٣٨

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط والتفسير : « دين رفد » .

(٢) همدا ؛ إى هالكا .

(٣) كذا ضبط فى ا بضم الميم وفتح الدال .

بنو لُقَيْم بن هَزّال بن هُزَيل بن هَزيلة ابنة بكر ؛ كانوا سُكّانا بمكة مع أخوالهم ، لم يكونوا مع عاد بأرضهم ، فهم عاد الآخرة ، ومَن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد —

وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التى اختار قَيْل بن عتر بما فيها من النقمة إلى عاد،حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيثُ . ولما رأوْها استبشروا بها،وقالوا: ﴿هَـٰذا عارِضٌ مُمْطِرُنا﴾، يقول الله عزّوجلّ: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[1]، أى كلّ شىء أمرت به. فكان أول من أبصرما فيها أنها ريح — فيما يذكرون — امرأة من عاد يقال لها مَهْدَد، لما تبيّنت ما فيها صاحت ثم صَعِقت ، فلما أفاقت قالوا: ماذا رأيت يا مَهْدَد ؟ قالت: رأيت ريحًا فيها كشُهُب النار ، أمامها رجال يقودونها. فسخّرهاالله عليهم﴿سَبْعَ ليال وثمانيةَ أيام حُسُومًا﴾، كما قال الله: والحُسُومُ: الدائمة ؛ فلم تَدَعْ من عادٍ أحداً إلا هلك .

فاعتزل هود — فيما ذُكر — ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ، ما يُصيبه ومن معه منها إلا ما تَلين عليه الجلود، وتلتذّ الأنفس؛ وإنها لتَمُرّ من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض ، وتدمغُهم بالحجارة . وخرج وَفْد عاد من مكّة حتى مرّوا بمعاوية بن بكر وأبيه ، فنزلوا عليه، فبيناهم عنده،إذ أقبل رجل على ناقة له فى ليلة مقمرة مُسْىَ[2] ثالثة من مصاب عاد،فأخبرهم الخبرَ،فقالوا : فأين فارقت هودا وأصحابه ؟ قال : فارقتهم بساحل البحر ؛ فكأنهم شكّوا فيما حدّثهم ، فقالت هزيلة ابنة بكر: صدقَ وربِّ مكّة[3] . ومثوّب بن يعفر بن أخى معاوية بن بكر معهم . وقد كان قيل — فيما يزعمون والله أعلم— لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد،وقَيْل بن عتر حين دعوا بمكة : قد أعطِيتم مُنَاكم فاختاروا لأنفسكم ، إلا أنه لا سبيلَ إلى الخلد ، فإنه لا بدّ من الموت ، فقال مَرْثَد بن سعد: يا ربّ ، أعطنى برًّا وصدقًا ، فأعطِىَ ذلك ، وقال

(١) سورة الأحقاف ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) كذا فى ا ، س ، وفى ط : « مساء » .

(٣) الخبر إلى هنا فى التفسير ١٢ : ٥٠٩ — ٥١٣ .

لقمان بن عاد : أعطى عُمْراً ، فقيل له : اختر لنفسك، إلاّ إنه لاسبيل إلى الخُلْد : بقاء أيْعار[١] ضأن عُفر ، فى جبل وعر ، لا يُلْقى به إلا القطر ، أم سبعة أنسر إذا مضى نَسْر حلوتَ إلى نسر ؟ فاختار لقمان لنفسه النسور ، فَعُمِّر — فيما يزعمون — عُمْرَ سبعة أنسر ؛ يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته ، فيأخذ الذكَر منها لقوّته ؛ حتى إذا مات أخذ غيرَه ، فلم يزلْ يفعل ذلك ، حتى أتى على السابع . وكان كلُّ نَسر فيما زعموا يعيش ثمانين سنة ، فلمّا لم يبق غيرُ السابع قال ابن أخ للقمان : أى عمّ ، ما بقى من عمرك إلا عمر هذا النسر ؛ فقال له لقمان : أى ابن أخى : هذا لُبَدٌ — ولُبَد بلسانهم الدهر — فلمّا أدرك نَسر لقمان، وانقضى عمره، طارت النسور غداةً من رأس الجبل، ولم ينهض فيها لُبَد ، وكانت نسور لقمان تلك لا تغيب عنه ؛ إنما هى بعينه[٢]. فلما لم ير لقمان لُبدًا نهض مع النسور ؛ نهض إلى الجبل لينظر ما فعل لُبَد ، فوجد لقمان فى نفسه وَهْنًا لم يكن يجده قبل ذلك ، فلمّا انتهى إلى الجبل رأى نسره لُبداً واقعًا من بين النسور، فناداه : انهضْ لُبَد ، فذهب لُبَد لينهض فلم يستطع ، عريت قوادمه وقد سقطت ؛ فماتا جميعًا . ٢٤١/١

وقيلَ لقيل بن عتر حين سمع ما قيل له فى السحاب : اخترْ لنفسك كما اختار صاحباك، فقال : أختارُ أن يصيبَنى ما أصاب قومى، فقيل: إنه الهلاك ، قال : لا أبالى؛ لا حاجة لى فى البقاء بعدهم. فأصابه ما أصاب عادًا من العذاب فهلك ، فقال مَرْثَد بن سعد بن عُفَير حين سمع من قول الراكب الذى أخبر عن عاد بما أخبر من الهلاك :

عَصَتْ عادٌ رسولَهُمُ فَأَمْسَوْا ... عِطاشاً ما تبُلُّهُمُ السماءُ
وسُيِّرَ وَفْدُهُمْ شهرًا ليُسقَوْا ... فَأَرْدَفَهُمْ مع العَطَشِ العَماءُ
بكفْرِهِمُ بِرَبِّهِمُ جِهارًا ... عَلَى آثارِ عَادِهِمُ العفاءُ
أَلا نزَعَ الإلهُ حُلومَ عادٍ ... فإنَّ قلوبهمْ قفْرٌ هَواءُ

---

(١) الأيعار : جمع يعر ؛ وهى الشياه .

(٢) كذا فى ا ، س، ن ، وفى ط : « تتعينه » .

مِنَ الخبرِ المُبيَّنِ أنْ يَعُوهُ ... وما تُغنى النصيحةُ والشّفَاءُ(١)

فنفسى وَابْنتَاىَ وَأُمُّ وُلْدِى ... لِنَفْسِ نَبِيِّنَا هودٍ فداءُ

أتانا والقلوبُ مُصمَّداتٌ ... على ظُلْمٍ ، وقد ذَهَبَ الضِّيَاءُ

لَنَا صَنَمٌ يقال له صَمُودٌ ... يُقابله صُداءٌ والهباءُ

فأبصَرَهُ الذينَ له أنابوا ... وأَدْرَكَ مَنْ يُكذِّبه الشَّقاءُ

فَإِنِّى سَوْفَ أَلحَقُ آلَ هودٍ ... وإِخْوَتَه إذَا جنَّ المَساءُ

وقيل : إن رئيسهم وكبيرهم فى ذلك الزمان الخَلَجان .

١/٢٤٢ حدثنى العباس بن الوليد ، قال : حدثنا أبى ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما خرجت الريحُ على عاد من الوادى ، قال سبعة رَهْط منهم ، أحدهم الخَلَجان : تعالوْا حتى نقومَ على شَفير الوادى فنردها ، فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ، ثم ترمى به فتندقّ عنقه ، فتتركهم كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾(٢) حتى لم يبق منهم إلاّ الخَلَجان ، فمال إلى الجبل ، فأخذ بجانب منه ، فهزّه فاهتزّ فى يده ، ثم أنشأ يقول :

لَمْ يَبْقَ إلَّا الخَلَجانُ نفسُهُ ... يا لَكَ مِنْ يَوْمٍ دَهَانِى أمْسُهُ

بِثَابِتِ الْوَطْءِ شديدٍ وَطْسُهُ ... لوْ لم يَجِئْنِى جئتُهُ أَجُسُّهُ

فقال له هود : ويحك يا خَلَجان! أسلِمْ تَسْلَم ، فقال له : ومالى عند ربك إن أسلمت ؟ قال : الجنة ، قال : فما هؤلاء الذين أراهم فى هذا السحاب كأنهم البُخْت ، قال هود : تلك ملائكة ربى ، قال : فإن أسلمت أيُعيذنى ربك منهم ؟ قال : ويلك ! هل رأيت ملكًا يعيذ من جنده ! قال : لو فعل ما رضيت ، قال : ثم جاءت الريح فألحقته بأصحابه ؛ أو كلامًا هذا معناه .

قال أبو جعفر : فأهلك الله الخَلَجان ، وأفنى عاداً خلا مَنْ بقىَ

---

(١) ا ، ك : « من الخير » .

(٢) سورة الحاقة ٧

منهم ، ثم بادوا بعد ، ونجّى الله هوداً ومَن آمن به . وقيل : كان عمر هودٍ مائة سنة وخمسين سنة .

٢٤٣/١ حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[1] ؛ إنّ عاداً أتاهم هود ، فوعظهم وذكرهم بما قصّ الله فى القرآن ، فكذّبوه وكفروا ، وسألوه أن يأتيهم العذاب فقال لهم : ﴿ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴾[2] ؛ وإن عاداً أصابهم حين كفروا قَحْط من المطر ، حتى جهدوا لذلك جهداً شديداً ؛ وذلك أن هوداً دعا عليهم ، فبعث الله عليهم الريحَ العقيم ، وهى الريح التى لا تُلقح الشجر ، فلما نظروا إليها قالوا : هذا عارض ممطرنا ، فلما دنتْ منهم نظروا إلى الإبل والرجال ، تَطيرُ بهم الريح بين السماء والأرض ، فلما رأوْها تبادروا إلى البيوت ، حتّى دخلوا البيوت دخلت عليهم فأهلكتهم فيها ، ثم أخرجتهمْ من البيوت ، فأصابتهم ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ ، والنحس هو الشؤم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾[3] استمرّ عليهم بالعذاب . ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾[4] ، حسمت كلّ شىء مرّت به ، حتى أخرجتْهم من البيوت ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ ﴾ عن البيوت ، ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾[5] ، انقعر من أصوله . ﴿ خَاوِيَةٍ ﴾[6] خوت فسقطت ، فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيرًا سوداً ، فنقلتهم إلى البحر ،

---

(١) سورة هود ٥٠

(٢) سورة الأحقاف ٢٣

(٣) سورة القمر ١٩

(٤) سورة الحاقة ٧

(٥) سورة القمر ٢٠

(٦) من قوله تعالى فى سورة الحاقة ٧ : ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ .

١/٢٤٤ فألقتهم فيه ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إلا مَسَاكِنُهُمْ ﴾[١] .
ولم تخرج الريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ ، فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم ،
فلم يعلموا كم كان مكيالها ؟ فذلك قوله : ﴿ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ .[٢]
والصرصر : ذاتُ الصوت الشديد .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ،
قال : حدثني عبد الصمد ، أنه سمع وهباً يقول : إن عاداً لما عذّبهم الله بالريح
التي عُذّبوا بها ، كانت تقلع الشجرة العظيمة بعُروقها وتهدم عليهم بيوتهم ، فمن
لم يكن فى بيتٍ هبّتْ به الرّيح حتى تقطعه بالجبال ، فهلكوا بذلك كلهم .

* * *

وأما ثمود فإنهم عتوْا على ربّهم ، وكفروا به ، وأفسدوا فى الأرض ؛ فبعث
الله إليهم صالح بن عبيد بن أسف بن ماسخ[٣] بن عبيد بن خادر بن ثمود
ابن جاثر بن إرم بن سام بن نوح ، رسولاً يدعوهم إلى توحيد الله وإفراده
بالعبادة .

وقيل : صالح ، هو صالح بن أسِف بن كماشج بن إرم بن ثمود بن جاثر
ابن إرم بن سام بن نوح .

فكان من جوابهم له أن قالوا له : ﴿ يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ
١/٢٤٥ هٰذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
مُرِيبٍ ﴾[٤] . وكان الله عزّ وجلّ قد مدّ لهم فى الأعمار ، وكانوا يسكنون الحِجْر

---

(١) سورة الأحقاف ٢٥
(٢) سورة الحاقة ٦ (٣) ا : « ماشج » .
(٤) سورة هود ٦٢ .

إلى وادى القرى ، بين الحجاز والشام ، ولم يزل صالح يدعوهم إلى الله على تمرّدهم وطغيانهم ، فلا يزيدهم دعاؤه إياهم إلى الله إلا مباعدة من الإجابة ، فلما طال ذلك من أمرهم وأمر صالح قالوا له : إنْ كنت صادقًا فأتنا بآية .

فكان من أمرهم وأمره ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رُفَيْع ، عن أبى الطفيل ، قال : قالت ثمود لصالح : ائتنا بآية إن كنت من الصادقين . قال : فقال لهم صالح : اخرجوا إلى هَضْبة من الأرض ؛ فإذا هى تتمخّض كما تتمخّض الحامل ، ثم تفرّجت فخرجت من وسطها الناقة ، فقال صالح عليه السلام : ﴿ هٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .[1] ﴿ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾[2] فلما ملّوها عقروها ، فقال لهم : ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ .[3] قال عبد العزيز : وحدثنى رجل آخر أن صالحًا قال لهم : إن آية العذاب أن تصبحوا غداً حُمْراً ، واليوم الثانى صُفْراً ، واليوم الثالث سُوداً ، فصبّحهم العذاب ، فلما رأوا ذلك تحنّطوا واستعدّوا[4] .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن خارجة ، قال : قلنا له : حدّثنا حديث ثمود ، قال : أحدّثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود . كانت[5] ثمود قوم صالح عمّرهم الله عزّ وجلّ فى الدنيا ، فأطال أعمارهم حتى جعل أحدهم يبنى المسكن من المَدَر فيتهدّم[6] والرجل منهم حىّ ، فلما رأوْا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتًا فرِهين ، فنحتوها وجابوها وجوّفوها ،

١/٢٤٦

(١) سورة الأعراف ٧٣ (٢) سورة الشعراء ١٥٥
(٣) سورة هود ٦٥ (٤) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥٢٥ - ٥٢٦ .
(٥) ر ، س : « وكانت » .
(٦) ر : « فيهدم » ، س : « فينهدم » .

وكانوا فى سَعة من معايشهم(١) ، فقالوا : يا صالح ، ادع لنا ربَّك يخرج(٢) لنا آية نعلم أنك رسول الله . فدعا صالح ربَّه ، فأخرج لهم الناقة فكان شربُها يومًا وشربهم يومًا معلومًا(٣) ، فإذا كان يوم شِرْبها خلَّوا عنها وعن الماء ، وحلبوها لبنًا ، ملئوا كلَّ إناء ووعاء وسقاء ، فإذا كان يوم شِرْبهم صرَفوها عن الماء ولم تشرب منه شيئًا ، فملئوا كلَّ إناء ووعاء وسقاء ، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى صالح أنَّ قومَك سيعقرون ناقتك ، فقال لهم ؛ فقالوا : ما كنا لنفعل ، قال : إلاَّ تعقروها أنتم أوشك أن يولَد فيكم مولود يعقرها ، قالوا : ما علامةُ ذلك المولود ؟ فوالله لا نجده إلا قتلناه ، قال : فإنه غلام أشقرُ أزرق أصهب أحمر ، قال : فكان فى المدينة شيخان عزيزان منيعان ، لأحدهما ابن يرغب له عن المناكح ، وللآخر ابنة لا يجد لها كفئًا ، فجمع بينهما مجلس ، فقال أحدهما لصاحبه : ما يمنعك(٤) أن تزوِّج ابنَك ؟ قال : لا أجد له كفئاً ، قال : فإن ابنتى كفءٌ له ، وأنا أزوِّجك ، فزوَّجه فولد منهما(٥) ذلك المولود . ١/٢٤٧

وكان فى المدينة ثمانية رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، فلما قال لهم صالح : إنما يعقرها مولودٌ فيكم ؛ اختاروا ثمانىَ نسوة قوابل من القرية ، وجعلوا معهنَّ شُرَطًا كانوا يطوفون فى القرية ؛ فإذا وجدوا المرأة تمخَّض نظروا ما ولدُها ؟ فإن كان غلامًا قتلنه(٦) ، وإن كانت جارية أعرَضْن(٧) عنها ، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ(٨) النسوة ، وقلن : هذا الذى يريد(٩) رسول الله صالح ، فأراد الشُّرَطُ أن يأخذوها ، فحال جدّاه بينه وبينهم . وقالوا : إن أراد صالح هذا قتلناه ، وكان شرَّ مولود ، وكان يشبّ فى اليوم شباب غيره فى الجمعة ، ويشبّ

---

(١) س : « العيش » .
(٢) ن : « يظهر » .
(٣) ن : « فكان شربهم يوماً معلوماً وشربها كذلك » .
(٤) ب : « ما منعك » .
(٥) ا ، ن ، وابن الأثير « بينهما » .
(٦) ا ، س، ن : « قلبنه فنظرن ما هو » .
(٧) ن : « انصرفن » .
(٨) ط : « صرخن » ، والأجود ما أثبته عن ا .
(٩) ن : « أخبر عنه » .

فى الجمعة شباب غيره فى الشهر ، ويشِبّ فى الشهر شبابَ غيره فى السنة ، فاجتمع الثمانية الذين يفسدون فى الأرض ولا يُصلحون ، وفيهم الشيخان ، فقالوا : استعمل علينا هذا الغلام لمنزلته وشرف جدّيْه ، فصاروا تسعة ، وكان صالح عليه السلام لا ينام معهم فى القرية ، بل كان فى مسجد يقال له مسجد صالح ، فيه يبيت بالليل ؛ فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكّرهم ، فإذا أمسى خرج إلى مسجده[1] فبات فيه .

قال حجاج : قال ابن جريج : لما قال لهم صالح عليه السلام : إنه سيولد غلام يكون هلاكُهم على يديه ، قالوا : فكيف تأمرنا ؟ قال : آمركم بقتلهم ، فقتلوهم إلا واحداً ، قال : فلما بلغ ذلك المولود قالوا : لو كنّا لم نقتل أولادنا ١/٢٤٨ لكان لكلّ واحد منا مثلُ هذا ، هذا عمل صالح ! فأتمروا بينهم بقتله ، وقالوا : نخرج مسافرين والناس يروننا علانية ، ثم نرجع من ليلة كذا وكذا فنرصده عند مصلّاه فنقتله ، فلا يحسب الناس إلا أنا مسافرون كما نحن . فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه ، فأنزل الله عزّ وجلّ عليهم الصخرة فرضختهم فاصبحوا رُضْخًا ، فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم ؛ فإذا هم رُضْخ ، فرجعوا يصيحون فى القرية : أى عباد الله ، أما رضِيَ صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم ! فاجتمع أهل القرية على عَقْر الناقة أجمعون ، فأحجموا عنها إلا ذلك ابن العاشر .

قال أبو جعفر : ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأرادوا أن يمكروا بصالح ، فمشوْا حتى أتوا على سَرَب على طريق صالح ، فاختبأ فيه ثمانية وقالوا : إذا خرج علينا قتلناه وأتينا أهله فبيّتناهم ، فأمر الله عزّ وجلّ الأرضَ فاستوت عليهم ، قال : فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة ، وهى على حوضها قائمة ، فقال الشقىّ لأحدهم : ائتها فاعقرها ، فأتاها ، فتعاظمه ذلك ، فأضرب عن ذلك ، فبعث آخر فأعظم ذلك ، فجعل لا يبعث أحداً إلا تعاظمه أمرها ؛ حتى مشى إليها وتطاول ١/٢٤٩

(١) س : « منزله » .
(٢) ا : « فأرسل » .

فضرب عرقوبيْها(١) ، فوقعت تركض . فأتى رجلٌ منهم صالحًا فقال : أدرك الناقة فقد عُقِرت . فأقبل ؛ فخرجوا يتلقوْنه ويعتذرون إليه : يا نبي الله ، إنما عقرها فلان ؛ إنه لا ذنب لنا ، قال : انظروا هل تُدركون فصيلَها ! فإن أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب ! فخرجوا يطلبونه . فلما رأى الفصيلُ أمه تضطرب أتى جبلا — يقال له : القارة — قصيراً فصعده وذهبوا ليأخذوه ، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى الجبل ، فطال فى السماء حتى ما تناله الطير ، قال : ودخل صالح القرية ، فلما رآه الفصيل بكَى حتى سالت دموعُه ، ثم استقبل صالحًا ، فرغا رغوة ، ثم رغا أخرى ، ثم رغا أخرى . فقال صالح : لكلّ رغوة أجل يوم ؛ تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غيرُ مكذوب ؛ إلا أن آية العذاب أنّ اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرّة ، واليوم الثانى محمرّة ، واليوم الثالث مسودّة ، فلما أصبحوا إذا وجوهُهم كأنما طُلِيت بالخَلوق ، صغيرُهم وكبيرهم ، ذكَرهُم وأنثاهم ، فلما أمسَوْا صاحُوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومٌ من الأجَل وحضركم العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثانى إذا وجوههم محمرّة ؛ كأنما خضبت بالدماء ، فصاحوا وضجُّوا وبكوا وعرفوا أنه العذاب . فلما أمسوْا صاحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومان من الأجَل ، وحضركم(٢) العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثالث فإذا وجوههم مسودّة كأنما طُليت بالقار ، فصاحوا جميعًا : ألا قد حضركم العذاب ، فتكفّنوا وتحنّطوا ، وكان حَنوطهم الصَّبِر والمقْر(٣) ، وكانت أكفانهم الأنطاع ، ثم ألقوْا أنفسَهم إلى الأرض ، فجعلوا يقلِّبون أبصارهم إلى السماء مرة ، وإلى الأرض مرَّة ، لا يدرون من حيث(٤) يأتيهم العذاب ؛ من فوقهم من السماء ، أو من تحت أرجلهم من الأرض خشعًا وفرقًا ؛ فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحةٌ من السماء فيها صوت كلّ صاعقة وصوت كلّ شيء له صوتٌ فى الأرض ، فتقطّعت قلوبُهم فى صدورهم فأصبحوا فى ديارهم جاثمين .

١/٢٠٠

---

(١) أ ، س : « عرقوبها » .

(٢) س : « وحضرهم » .

(٣) الصبر : عصارة شجر مر ، والمقر شبيه به .

(٤) ن : « من أين » .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : حُدّثت أنه لما أخذتهم الصيحة أهلك الله مَنْ بين المشارق والمغارب منهم ، إلا رجلاً واحداً كان فى حَرَم الله ، منعه حرمُ الله من عذاب الله[1] قيل : ومَنْ هو يا رسول الله : ؟ قال : أبو رِغال ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود لأصحابه : «لا يدخلنّ أحدٌ منكم القرية ، ولا تشربوا من مائهم » ، وأراهم مُرتقَى الفصيل ، حين ارتقى فى القارة[2]

قال ابن جريج : وأخبرنى موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمران ، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود قال : «لا تدخلُنّ[3] على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ؛ أن يصيبكم ما أصابهم» .

قال ابن جريج : قال جابر بن عبد الله : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحِجْر ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أما بعد ، فلا تسألوا رسولَكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية ، فبعث الله لهم الناقة ، فكانت تَرِد من هذا الفجّ وتصدُر من هذا الفجّ ، فتشرب ماءهم يوم وِرْدها » . ١/٢٥١

حدثنى إسماعيل بن المتوكل الأشجعىّ ، قال : حدثنا محمد بن كثير ، قال : حدثنا عبد الله بن واقد ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم ، قال : حدثنا أبو الطفيل [قال][4] : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة تبوك ، نزل الحِجْر فقال : « أيها الناس لا تسألوا نبيّكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيّهم أن يبعث لهم آية ، فبعث الله تعالى ذكرُه لهم الناقة آية ، فكانت تلِجُ عليهم يوم وِرْدها من هذا الفجّ فتشرب ماءهم ، ويوم وردهم كانوا يتزودون منه ، ثم يحلبونها مثل ما كانوا يتزوّدون من مائهم قبل ذلك لبناً ، ثم تخرج من ذلك الفجّ . فعتَوْا عن أمر ربهم وعقروها ، فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام ،

---

(١) ن : « منعه من العذاب » .
(٢) ن : « حين ألتى فى المغارة » ، والقارة ، الجبل الصغير .
(٣) ا : « لا تدخلوا » .
(٤) تكملة من ا .

وكان وعداً من الله غير مكذوب ، فأهلك الله مَنْ كان منهم فى مشارق الأرض ومغاربها إلاّ رجلاً[١] واحداً كان فى حرم الله ، فمنعه حرم الله من عذاب الله ، قالوا : ومَنْ ذلك الرجل يا رسول الله ؟ قال : أبو رِغال .

* * *

فأما أهلُ التوراة فإنهم يزعمون أن لا ذكر لعاد ولا[٢] ثمود ولا لهود وصالح فى التوراة ، وأمرهم عند العرب فى الشهرة فى الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم وقومه .

قال : ولولا كراهة إطالة الكتاب بما ليس من جنسه، لذكرت من شعر شعراء الجاهلية الذى قيل فى عاد وثمود وأمورهم بعضَ ما قيل . ما يعلَم به مَنْ ظنّ خلاف ما قلنا فى شهرة أمرهم فى العرب صحة ذلك . ١/٢٥٢

ومن أهل العلم من يزعم أن صالحًا عليه السلام توفى بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وأنه أقام فى قومه عشرين سنة .

* * *

قال أبو جعفر : نرجع الآن إلى :

---

(١) ا : « ليس رجلا » .
(٢) لم يذكر « لا » فى ا .

ذكر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام
وذكر من كان فى عصره من ملوك العجم

إذ كنا قد ذكرنا من بينه وبين نوح من الآباء وتأريخ السنين التى مضت قبل ذلك. وهو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا[1] بن فالغ بن عابر بن شالَخ بن قينْنان بن أرفخْشَد بن سام بن نوح.

واختلفوا فى الموضع الذى كان منه، والموضع الذى وُلد فيه، فقال بعضهم: كان مولده بالسُّوس من أرض الأهواز، وقال بعضهم: كان مولده ببابل من أرض السَّوَاد. وقال بعضهم: كان بالسواد بناحية كُوثَى. وقال بعضهم: كان مولده بالوَرْكاء بناحية الزوابى وحدود كَسْكر، ثم نقله أبوه إلى الموضع الذى كان به نُمرْود من ناحية كُوثَى. وقال بعضهم: كان مولده بحرّان، ولكن أباه تارخ نقَله إلى أرض بابل. وقال عامة السلف من أهل العلم: كان مولد إبراهيم عليه السلام فى عهد نمرود بن كوش. ويقول عامة أهل الأخبار: كان نمرود عاملاً للازدهاق الذى زعم[2] بعض من زعم أن نوحًا عليه السلام كان مبعوثًا إليه على أرض بابل وما حولها. وأما جماعة من سلف العلماء فإنهم يقولون: كان ملكًا برأسه، واسمه الذى هو اسمه فيما قيل: زرهى بن طهماسلفان[3].

١/٢٥٣

وقد حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق — فيما ذكر لنا والله أعلم — أن آزر كان رجلاً من أهل كُوثَى، من قرية بالسواد سواد الكوفة، وكان إذ ذاك ملكُ المشرق لنمرود الخاطئ، وكان يقال له الهاصر، وكان مُلْكه — فيما يزعمون — قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها، وكان ببابل، قال: وكان ملكه وملك قومه بالمشرق قبل ملك فارس.

قال: ويقال لم يجتمع ملك الأرض ولم يجتمع الناس على ملك واحد إلا

---

(١) س: «أرعوا»، ن: «أرغو».
(٢) ر: «يزعم».
(٣) س: «طهماسفاذ».

على ثلاثة ملوك : نُمرود بن أرغوا ، وذى القرنين ، وسليمان بن داود .

* * *

وقال بعضهم : نمرود هو الضحّاك نفسه .

حدّثت عن هشام بن محمد، قال : بلغنا والله أعلم أنّ الضحاك هو نُمرود، وأن إبراهيم خليل الرحمن ولد فى زمانه ، وأنه صاحبه الذى أراد إحراقه .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ فى خبر ذكره عن أبى صالح وعن أبى مالك ، عن ابن ١/٢٠٤ عباس — وعن مرّة الهمْدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : إن أول ملك مَلَكَ فى الأرض شرقها وغربها نُمرود بن كنعان ابن كوش بن سام بن نوح ، وكانت الملوك الذين ملكوا الأرض كلها أربعة : نمرود ، وسليمان بن داود ، وذو القرنين ، وبخت نصرّ : مؤمنان وكافران .

وقال ابن إسحاق فيما حدثنى ابن حميد، قال : حدثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق : فلما أراد الله عزّ وجلّ أن يبعث إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن حجة على قومه ورسولاً إلى عباده ، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام من نبىّ قبله إلا هود وصالح ، فلما تقارب زمان إبراهيم الذى أراد الله تعالى ذكره ما أراد، أتى أصحابُ النجوم نمرود، فقالوا له : تعلَّم أنا نجد فى علمنا أن غلاماً يُولد فى قريتك هذه يقال له إبراهيم ، يفارق دينَكم ، ويكسر أوثانكم، فى شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا . فلما دخلت السنة التى وصف أصحاب النجوم لنمرود ، بعث نمرود إلى كل امرأة حُبلى بقريته ، فحبسها عنده ، إلا ما كان من أم إبراهيم امرأة آزر فإنه لم يعلم بحبلها ، وذلك أنها كانت جارية — حَدَثة فيما يذكر — لم يعرف الحبل فى بطنها ، فجعل لا تلد امرأة غلاماً فى ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبِح ، فلما وجدت أمّ إبراهيم الطَّلْق خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريباً منها ، فولدت فيها إبراهيم عليه السلام ، وأصلحت من شأنه ما يُصنع بالمولود ، ثم سَدّت عليه المغارة ، ١/٢٠٥ ثم رجعت إلى بيتها ، ثم كانت تطالعه فى المغارة لتنظر ما فعل، فتجده حيًّا

يمصّ إبهامه[1]. يزعمون — والله أعلم — أن الله جعل رزقَ إبراهيم عليه السلام فيها ما يجيئه من مصّه، وكان آزر فيما يزعمون قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل، فقالت: ولدت غلامًا فمات. فصدّقها فسكت عنها، وكان اليوم — فيما يذكرون — على إبراهيم فى الشباب كالشهر، والشهر كالسنة؛ ولم يمكث إبراهيم عليه السلام فى المغارة إلا خمسة عشر شهراً، حتى قال لأمه: أخرجينى أنظر، فأخرجته عشاء، فنظر وتفكر فى خلق السموات والأرض، وقال: إن الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لَرَبّى، مالى إله غيره. ثم نظر فى السماء ورأى كوكبًا، فقال: ﴿هَـٰذا رَبِّى﴾، ثم اتبعه ينظر إليه ببصره حتى غاب ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾، ثم اطلع للقمر[2] فرآه بازغًا فقال: ﴿هَـٰذا رَبِّى﴾ ثم اتبعه ببصره حتى غاب ﴿فلمّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾. فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس رأى عظم الشمس ورأى شيئًا هو أعظم نوراً من كلّ شىء رآه قبل ذلك، فقال: ﴿هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَا أَكبر، فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3].

ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته، وعرف ربه وبَرِئ من دين قومه إلا أنه لم يبادهم[4] بذلك، فأخبره أنه ابنه، فأخبرته أمّ إبراهيم عليه السلام أنه ابنه، فأخبرته بما كانت صنعت فى شأنه، فسرّ بذلك آزر وفرح فرحًا شديداً، وكان آزر يصنع أصنام قومه التى يعبدون، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها، فيذهب بها إبراهيم عليه السلام فيما يذكرون فيقول: مَنْ يشترى ما يضرّه ولا ينفعه! فلا يشتريها منه أحد، فإذا بارتْ عليه ذهب بها إلى نهر فصوّب فيه رءوسها، وقال: اشربى — استهزاء بقومه، وبما هم[5] عليه من الضلالة — حتى فشا عيبُه إياها، واستهزاؤه بها فى قومه وأهل قريته؛

١/٢٥٦

(١) ر: «أصابعه».

(٢) ط: «أطلع القمر»، وما أثبته عن ا.

(٣) سورة الأنعام ٧٦ — ٧٩

(٤) يقال: بادى فلان بالعداوة؛ أى جاهر بها.

(٥) كذا فى ا، ن، وفى ط: «وما هم».

من غير أن يكون ذلك بلغ نمرودَ الملك[١] . ثم إنه لما بدا لإبراهيم أن يبادئَ قومه بخلاف ما همْ عليه وبأمر الله والدعاء إليه ﴿ نَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾[١] ، وقوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾[٢] أى طَعين[٣] ، أو لسقم[٤] كانوا يهـربون منه إذا سمعوا به ، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم الذى يريد . فلما خرجوا عنه خالفَ إلى أصنامهم التى كانوا يعبدون من دون الله، فقرّب لها طعامًا؛ ثم قال : ألا تأكلون ! ما لكم لا تنطقون ! تعييراً فى شأنها واستهزاء بها .

١/٢٥٧ وقال فى ذلك غير ابن إسحاق ، ما حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حـمّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى خبر ذكره عن أبى صالح ، وعن أبى مالك ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانىّ عن ابن مسعود — وعن أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : كان من شأن إبراهيم عليه السلام أنه طلع كوكب على نمرود ، فذهب بضوء الشمس والقمر ، ففزِع من ذلك فزعًا شديداً، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة، فسألهم عنه، فقالوا : يخرُج من ملكك رجل يكون على وجهه هلاكك وهلاك مُلكك — وكان مسكنه ببابل الكوفة — فخرج من قريته إلى قرية أخرى، فأخرج الرجال وترك النساء ، وأمر ألاّ يُولد مولود ذكر إلا ذبحه ، فذبح أولادهم . ثم إنه بدت له حاجة فى المدينة لم يأمن عليها إلا آزر أبا إبراهيم ، فدعاه فأرسله . فقال له : انظر لا تواقعْ أهلك ، فقال له آزر: أنا أضَنّ بدينى من ذلك ، فلما دخل القرية نظر إلى أهله فلم يملك نفسَه أن وقع عليها ؛ فقرّبها إلى قرية بين الكوفة والبصرة، يقال لها أور ، فجعلها فى سَرَب، فكان يتعاهدها بالطعام

---

(١) إلى هنا الخبر فى التفسير ١١ : ٤٨١ — ٤٨٣

(٢) سورة الصافات ٨٨ — ٩٠

(٣) طعين ، أى أصابه الطاعون . اللسان — طعن .

(٤) ط : « بالسقم » ؛ وما أثبته عن ا ، س ؛ وهو يوافق ما فى التفسير ٢٣ : ٤٤ (بولاق) .

والشراب وما يصلحها . وإن الملك لما طال عليه الأمر قال : قول سحرة كذابين ، ارجعوا إلى بلدكم ، فرجعوا . وولد إبراهيم فكان فى كلّ يوم يمرّ كأنه جمعة ، والجمعة كالشهر ، والشهر كالسنة من سرعة شبابه ، ونسىَ الملك ذلك ، وكبر إبراهيم ولا يرى أنّ أحداً من الخلق غيره وغير أبيه وأمه ، فقال أبو إبراهيم لأصحابه : إن لى ابنًا قد خبأته ، أفتخافون عليه الملك إن أنا جئت به ؟ قالوا : لا ، فأت به . فانطلق فأخرجه ، فلما خرج الغلام من السَّرَب نظر إلى الدوابّ والبهائم والخلق ، فجعل يسأل أباه : ما هذا ؟ فيخبره عن البعير أنه بعير ، وعن البقرة أنها بقرة ، وعن الفرس أنه فرس ، وعن الشاة أنها شاة ، فقال : ما لهؤلاء الخلق بد من أن يكون لهم ربّ ، وكان خروجه حينَ خرج من السَّرب بعد غروب الشمس ، فرفع رأسَه إلى السماء فإذا هو بالكوكب وهو المشترى ، فقال : ﴿هذا رَبِّى﴾ ، فلم يلبث أن غاب ، فقَالَ ﴿لاَ أحِبُّ الآفِلِينَ﴾ ، أى لا أحبُّ ربًّا يغيب . قال ابن عباس : وخرَج فى آخر الشهر ، فلذلك لم ير القمر قبل الكواكب ، فلما كان آخر الليل رأى القمر بازغًا قد طلع ، فقال : ﴿هذا ربِّى ، فلمَّا أفَلَ﴾ يقول : غاب ، ﴿قال لئنْ لم يهدنى ربى لأكونَنَّ من القوم الضالين﴾ ، فلما أصبح ورأى الشمس بازغة ، قال : ﴿هَذَا رَبِّى هَذَا أكْبَرُ﴾ ، فلما غابت قال الله له : أسلِم ، قال : قد أسلمت لرب العالمين . ثمّ أتى قومه فدعاهم فقال : ﴿يَا قَوْمِ إنى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُون * إنِّى وَجَّهْتُ وجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السموات والأرضَ حَنيفاً﴾[1] . يقول مخلصًا : فجعل يدعو قومَه وينذرهم .

وكان أبوه يصنع الأصنام فيعطيها ولَدَه فيبيعونها ، وكان يعطيه فينادى : مَنْ يشترِى ما يضرّه ولا ينفعه ؟ فيرجع إخوته وقد باعوا أصنامهم ، ويرجع إبراهيم بأصنامه كما هى ، ثم دعا أباه فقال : ﴿يا أبتِ لِمَ تَعبُدُ ما لاَ يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئاً﴾[2] قال : ﴿أراغِبٌ أنْتَ عَنْ آلِهَتِى يَا إبْرَاهِيم لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾[3] . قال : أبداً . ثم قال له أبوه :

١/٢٥٨

١/٢٥٩

---

(١) سورة الأنعام ٧٦ – ٧٩

(٢) سورة مريم ٤٢

(٣) سورة مريم ٤٦

يا إبراهيم، إن لنا عيداً لو قد خرجت معنا لأعجبك ديننا، فلما كان يوم العيد، فخرجوا إليه خرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: ﴿ إنى سَقِيم ﴾، يقول: أشتكى رجلىّ، فتوطئوا رجليه، وهو صريع، فلما مضوْا نادى فى آخرهم وقد بقِىَ[١] ضَعْفى الناس: ﴿تَاللهِ لَأَ كِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾[٢] فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، فإذا هو فى بهْو عظيم، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه، بعضها إلى جنب بعض، كلّ صنم يليه أصغرُ منه، حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد صنعوا[٣] طعاماً، فوضعوه بين يدى الآلهة، قالوا: إذا كان حينُ نرجع رجعنا، وقد باركت الآلهة فى طعامنا فأكلنا. فلما نظر إليهم إبراهيم عليه السلام، وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال: ألا تأكلون؟ فلما لم تجبه قال: ما لكم لا تنطقون! فراغ عليهم ضرباً باليمين، فأخذ حديدةً فبقَر كلّ صنم فى حافتيْه، ثم علّق الفأس فى عنق الصنم الأكبر، ثم خرج فلما جاء القوم إلى طعامهم، ونظروا إلى آلهتهم، قالوا: ﴿ مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا إنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إبْرَاهِيمُ[٤] ﴾.

١/٢٦٠ قال أبو جعفر: رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق.

ثم أقبل عليهم كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ضَرْباً بِالْيَمِينِ﴾[٥]. ثم جعل يكسرهنّ بفأس فى يده، حتى إذا بقِىَ أعظمُ صنم منها ربط الفأس بيده، ثم تركهنّ، فلما رجع قومه رأوْا ما صنع بأصنامهم، فراعهم ذلك، فأعظموه وقالوا: مَنْ فعل بآلهتنا إنه لمن الظالمين. ثم ذكروا فقالوا: ﴿ قَدْ سَمِعْنَا فَتًى

(١) ط: «بقوا»، والصواب ما أثبته عن ا، والتفسير.
(٢) سورة الأنبياء ٥٧
(٣) ا، والتفسير: «جعلوا».
(٤) سورة الأنبياء ٥٩، ٦٠، والخبر فى التفسير ١٧: ٢٩ (بولاق).
(٥) سورة الصافات ٩٣

يَذْكُرُهُمْ يقالُ لَهُ إبراهيمُ ﴾[1] — يعنون[2] فتًى يسبها ويعيبها ويستهزئ بها ، لم نسمع أحداً يقولُ ذلك غيرُه ، وهو الذى نظنّ صنع هذا بها . وبلغ ذلك نمرود وأشراف قومه، فقالوا : ﴿ فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ[1] ﴾ ، أى ما يصنع به .

فكان جماعة من أهل التأويل ، منهم قَتادة والسُّدىّ يقولون فى ذلك : لعلّهم يشهدون عليه أنه هو الذى فعل ذلك ، وقالوا : كرهوا أن يأخذوه بغير بيّنة

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق :

قال : فلما أتى به فاجتمع له قومه عند ملكهم نمرود، قالوا : ﴿ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾[1] ، غضب من أن يَعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها ، فكسرهنّ ، فارعوَوْا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسْرهنّ إلى أنفسهم فيما بينهم ، فقالوا: لقد ظلمناه وما نراه إلا كما قال . ثم قالوا وعرفوا أنها لا تضرّ ولا تنفع ولا تبطش : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾[3] ، أى لا يتكلمون فيخبرونا : مَنْ صنع هذا بها ، وما تبطش بالأيدى فنصدقك ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾[3] ، أى نكسوا على رءوسهم فى الحجة عليهم لإبراهيم حين جادلهم، فقال عند ذلك إبراهيم حين ظهرت الحجة عليهم بقولهم : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤلاء يَنْطِقُونَ * قال أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شيئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[3] .

٢٦١/١

قال : وحاجَّهُ قومه عند ذلك فى الله جلّ ثناؤه يستوصفونه إياه ويخبرونه

---

(١) سورة الأنبياء ٦٠ ، ٦٣

(٢) ا : « يعنون : سمعنا فتى » .

(٣) سورة الأنبياء ٦٥ — ٦٧

أن آلهتهم خير مما يعبد، فقال: ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ ، إلى قوله: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١] ، يضرب لهم الأمثال، ويصرِّف لهم العبَر، ليعلموا أن الله هو أحقّ أن يُخاف ويُعبد مما يعبدون من دونه.

قال أبو جعفر : ثم إن نمرود — فيما يذكرون — قال لإبراهيم: أرأيت إلهك هذا الذى تعبد وتدعو إلى عبادته ، وتذكره من قدرته التى تعظّمه بها على غيره ما هو؟ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ، فقال نمرود: فأنا ﴿أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ ، فقال له إبراهيم: كيف تحيي وتميت؟ قال: آخذ الرجُلين قد استوجبا القتل فى حكمى ، فأقتل أحدهما فأكون قد أمتّه ، وأعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته ، فقال له إبراهيم عند ذلك: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [٢] ، فعرف [٣] أنه كما يقول، فبُهت عند ذلك نمرود ولم يرجع إليه شيئًا، وعرف أنه لا يطيق ذلك . يقول الله عزّوجلّ: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ [٢] ، يعنى وقعت عليه الحجة . ١/٢٦٢

قال: ثم إن نمرود وقومه أجمعوا فى إبراهيم فقالوا : ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [٤] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن ليث بن أبى سُلَيم ، عن مجاهد ، قال : تلوتُ هذه الآية على عبد الله بن عمر ، فقال : أتدرى يا مجاهد، مَن الذى أشار بتحريق إبراهيم عليه السلام بالنار؟ قال : قلت: لا ، قال : رجل من أعراب فارس ، قال : قلت : يا أبا عبد الرحمن، وهل للفرس أعراب ؟ قال: نعم، الكرْدُ هم أعراب فارس ، فرجل منهم هو الذى أشار بتحريق إبراهيم بالنار .

حدثنى يعقوب ، قال : حدثنا ابن عُلَيّة ، عن ليث، عن مجاهد فى

(١) سورة الأنعام ٨٠ ، ٨١
(٢) سورة البقرة ٢٥٨
(٣) كذا فى ا ، وفى ط « أعرف » .
(٤) سورة الأنبياء ٦٨

قوله: ﴿حَرِّقُوه وانصُرُوا آلهتَكم﴾ قال : قالها رجل من أعراب فارس - يعنى الأكراد .

وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى وَهب بن سليمان، عن شعيب الجُبَّائىّ ، قال : إن اسمَ الذى قال حرِّقوه « هينون » ، فخسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة

ثم رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : فأمر نمرود ، بجمْع الحطب[1] ، فجمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب ، حتى أن كانت المرأة من قرية إبراهيم - فيما يُذكر - لتنذر فى بعض ما تطلب مما تحبّ أن تدرك : لئن أصابته لتحطبنّ فى نار إبراهيم التى يحرَق بها احتسابًا فى دينها ، حتى إذا أرادوا أن يُلقُوه فيها قدّموه وأشعلوا فى كل ناحية من الحطب الذى جمعوا له ، حتى إذا اشتعلت النار ، واجتمعوا[2] لقذفه فيها، صاحت السماء والأرض وما فيها من الخلق إلا الثَّقَلين - فيما يذكرون - إلى الله عزّ وجلّ صيحةً واحدة: أىْ ربنا ! إبراهيم ليس فى أرضك أحدٌ يعبدك غيره، يحرَق بالنار فيك ! فأْذَنْ لنا فى نُصرته ، فيذكرون - والله أعلم - أن الله عزّ وجلّ حين قالوا ذلك قال: إن استغاث بشىء منكم أو دعاه فلينصرْه ، فقد أذنت له فى ذلك ، فإنْ لم يدعُ غيرى فأنا وليُّه ، فخلُّوا بينى وبينه، فأنا أمنعه ، فلما ألقوْه فيها قال: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[3] ، فكانت كما قال الله عزّ وجلّ .

١/٢٦٣

وحدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ قال ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ[4]﴾ ،

(١) ط : « فجمع له الحطب » ، وما أثبته عن ا .
(٢) ط : « وأجمعوا » .
(٣) سورة الأنبياء ٦٩
(٤) سورة الصافات ٩٧

قال : فحبسوه فى بيت ، وجمعوا له حطبًا حتى أنْ كانت المرأة لتمرض فتقول : لئن عافانى الله لأجمعنّ حطبًا لإبراهيم ، فلما جمعوا له وأكثروا من الحطب حتى أن كان الطير ليمرّ بها فيحترق من شدة وهَجَها وحرّها ، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان ، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء ، فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة : ربنا ! إبراهيم يحرَق فيك . فقال : أنا أعلم به ، فإن دعاكم فأغيثوه . وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء : اللهمّ أنت الواحد فى السماء وأنا الواحد فى الأرض ، ليس فى الأرض أحد يعبُدك غيرى ، حسبى الله ونعم الوكيل ! فقذفوه فى النار ، فناداها فقال : ﴿ يا نارُ كُونى بَرْدًا وَسَلَاماً على إبراهيم ﴾ . وكان جبْرئيل هو الذى ناداها . وقال ابن عباس : لو لم يتبع بردها سلامًا لمات إبراهيم من بردها ، فلم تبق يومئذ نار فى الأرض إلا طَفِئَتْ ، ظنت أنها تُعنى ، فلما طفئت النار نظروا إلى إبراهيم فإذا هو ورجل آخر معه ، وإذا رأس إبراهيم فى حجْره يمسح عن وجهه العرق ، وذكر أن ذلك الرجل ملك الظلّ ، وأنزل الله نارًا وانتفع بها بنو آدم ، فأخرجوا إبراهيم ، فأدخلوه على الملك ، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه[1]

١/٢٦٤

ثم رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : وبعَث الله عزّ وجلّ ملك الظلّ فى صورة إبراهيم ، فقعد فيها إلى جنبه يؤنسه ، فمكث نُمرود أيامًا لا يشكّ إلا أن النار قد أكلت إبراهيم وفرغت منه ، ثم ركب فمرّ بها وهى تحرق ما جمعوا لها من الحطب ، فنظر إليها ، فرأى إبراهيم جالسًا فيها إلى جنبه رجلٌ مثله ، فرجع من مركبه ذلك ، فقال لقومه : لقد رأيتُ إبراهيم حيًّا فى النار ، ولقد شُبِّه علىّ ، ابنُوا لى صَرْحًا يشرِف بى على النار حتى أستثبت ، فبنوْا له صَرْحًا ، فأشرف عليه فاطّلع منه إلى النار ، فرأى إبراهيمَ جالسًا فيها ، ورأى الملك قاعدًا إلى جنبه فى مثل صورته ، فناداه نمرودُ : يا إبراهيم ، كبيرٌ إلهك الذى بلغتْ قدرتُه وعزته أنْ حال بين ما أرى وبينك ، حتى لم تضرّك يا إبراهيم ، هل تستطيع أن تخرج منها ؟

١/٢٦٥

(١) الخبر فى التفسير ١٧ : ٣٣ (بولاق) .

قال : نعم ، قال : هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرّك ؟ قال : لا ، قال : فقم واخرج منها ، فقام إبراهيم يمشى فيها حتى خرج منها ، فلما خرج إليه قال : يا إبراهيم ، مَن الرجلُ الذى رأيتُ معك فى مثل صورتك قاعداً إلى جنبك ؟ قال : ذلك مَلَك الظل ، أرسله إلىّ ربى ليكون معى فيها ليؤنسنى ، وجعلها علىّ برداً وسلاماً . فقال نمرود — فيما حدثت — : يا إبراهيم ، إنى مقرّب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من عزّته وقدرته ، ولما صنع بك حين أبيت إلا عبادته وتوحيده ؛ إنى ذابح له أربعة آلاف بقرة . فقال له إبراهيم : إذاً لا يقبَل الله منك ما كنتَ على شىء من دينك هذا حتى تفارقه إلى دينى ! فقال : يا إبراهيم ، لا أستطيع تركَ ملكى ، ولكنّى سوف أذبحها له ، فذبحها نمرود ، ثم كفّ عن إبراهيم ، ومنعه الله عزّ وجلّ منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الحارث ، عن أبى زُرْعة ، عن أبى هريرة ، قال : إن أحسنَ شىء قاله أبو إبراهيم[1] لما رفع عنه الطبق وهو فى النار وحده يرشحُ جبينه ، فقال عند ذلك : نعم الربُّ ربُّك يا إبراهيم .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا مُعْتَمر بن سليمان التيمىّ ، عن بعض أصحابه قال : جاء جَبْرَئيل إلى إبراهيم عليه السلام وهو يُوثَق ويقمَّط ليلقى فى النار ، قال : يا إبراهيم ، ألك حاجة ؟ قال : أمّا إليك فلا . ١/٢٦٦

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : حدثنى المعتمر ، قال : سمعت أبى قال : حدثنا قتادة ، عن أبى سليمان ، قال : ما أحرَقَت النار من إبراهيم إلا وثاقه .

قال أبوجعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : واستجاب لإبراهيم عليه السلام رجالٌ من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف من نمرود

(١) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : «قاله لإبراهيم» .

وملئهم ، فآمن له لوط — وكان ابن أخيه — وهو لوط بن هاران بن تارخ ، وهاران هو أخو إبراهيم ، وكان لهما أخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ ، فهاران أبو لوط ، وناحور أبو بتويل ، وبتويل أبو لابان ، وربقا ابنة بتويل امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ، وليا وراحيل زوجتا يعقوب ابنتا لابان . وآمنت به سارّة وهى ابنة عمه ، وهى سارة بنت هاران الأكبر عمّ إبراهيم ، وكانت لها أخت يقال لها ملكا امرأة ناحور .

* * *

وقد قيل : إن سارّة كانت ابنة ملك حرّان .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : انطلق إبراهيم ولوط قِبَل الشأم ، فلقى إبراهيم سارة ، وهى ابنة ملك حَرَّان ، وقد طعنت على قومها فى دينهم ، فتزَوجها على ألاّ يغيّرها ، ودعا إبراهيم أباه آزر إلى دينه، فقال له : يا أبت لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئًا ! فأبى أبوه الإجابة إلى ما دعاه إليه . ثم إن إبراهيم ومَنْ كان معه من أصحابه الذين اتبعوا أمره أجمعوا لفراق قومهم ، فقالوا : ﴿ إنا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ ، أيها المعبودون من دون الله ﴿ وَبَدَا بَيْننَا وبينَكُمُ العَدَاوَةُ والبغضاءُ أبدًا ﴾ أيها العابدون ﴿ حتَّى تُؤْمِنُوا باللهِ وَحْدَه ﴾[1] . ثم خرج إبراهيم مهاجراً إلى ربّه وخرج معه لوطٌ مهاجراً، وتزوج سارة ابنة عمه، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه، والأمان على عبادة ربه[2] حتى نزل حرّان، فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر ، وبها فرعون من الفراعنة الأولى . وكانت سارة من أحسن الناس فيما يقال ، وكانت[3] لا تعصى إبراهيم

١/٢٦٧

---

(١) سورة الممتحنة ٤

(٢) ا « على عبادته » .

(٣) ط : « فكانت » ؛ وما أثبته عن ا .

شيئا ، وبذلك أكرمها الله عزّ وجلّ ، فلما وصفت لفرعون ووصِف له حسنها وجمالها أرسل إلى إبراهيم ، فقال : ما هذه المرأة التى معك ؟ قال : هى أختى ، وتخوّف إبراهيم إن قال هى امرأتى أن يقتلَه عنها . فقال لإبراهيم : زيّنها ، ثم أرسلْها إلىّ حتى أنظر إليها ، فرجع إبراهيم إلى سارة وأمرها فتهيأت ، ثم أرسلها إليه ، فأقبلت حتى دخلت عليه ، فلما قعدت إليه تناولها بيده ، فيبست إلى صدره ، فلما رأى ذلك فرعون أعظمَ أمرها ، وقال : ادعِى الله أن يطلق عنى ، فوالله لا أريبك ولأحسِنَنّ إليك ، فقالت : اللهمّ إن كان صادقًا فأطلق يده ، فأطلق الله يده ، فردّها إلى إبراهيم ، ووهب لها هاجر ، جارية كانت له قبطية . ١/٢٦٨

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، قال : حدثنى هشام ، عن محمد ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : «لم يكذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث : ثنتين فى ذات الله ، قوله: ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا ﴾ . وبينا هو يسير فى أرض جبّار من الجبابرة ، إذ نزل منزلاً ، فأتى الجبّارَ رجلٌ فقال : إن فى أرضك — أو قال : ها هنا — رجلاً معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسلَ إليه ، فجاء فقال : ما هذه المرأة منك ؟ قال : هى أختى ، قال : اذهب فأرسلْ بها إلىّ ، فانطلق إلى سارة ، فقال : إن هذا الجبار قد سألنى عنك فأخبرته أنك أختى فلا تكذّبينى عنده ، فإنك اختى فى كتاب الله ، فإنه[1] ليس فى الأرض مسلم غيرى وغيرُك ، قال : فانطلق بها وقام إبراهيم عليه السلام يصلّى قال : فلما دخلت عليه فرآها أهوى إليها [وذهب][2] يتناولها ، فأخِذَ أخذاً شديداً ، فقال : ادعِى الله ولا أضرّك ، فدعت له فأرسل فأهوى إليها [فذهب][2] يتناولها ، فأخِذَ أخذ شديداً ، فقال : ادعِى الله ولا أضرّك ، فدعت له فأرسِل ، ثم

---

(١) ا : «وإنه» .

(٢) تكملة من ا .

فعل ذلك الثالثة ، فأخذ ، فذكر مثل المرتين فأرسل . [قال] :[1]فدعا أدنى حُجّابه فقال : إنكَ لم تأتِني بإنسان ، ولكنك أتيتني بشيطان ، أخرجها وأعْطِها هاجر ، فاخرجت وأعطيت هاجر ، فأقبلتْ بها ، فلما أحسّ إبراهيم بمجيئها انفتل من صلاته ، فقال : مهيم ! فقالت : كفى الله كيد الفاجر الكافر ! وأخدم هاجر[2].

١/٢٦٩

قال محمد بن سيرين : فكان أبو هريرة إذا حدث هذا الحديث يقول : فتلك أمكم يا بنى ماء السماء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لم يقل إبراهيم شيئاً قطّ « لم يكن » إلا ثلاثا : قوله ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ لم يكن به سقم ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ ، وقوله لفرعون حين سأله عن سارة فقال : مَنْ هذه المرأة معك ؟ قال : أختى ، قال : فما قال إبراهيم عليه السلام شيئاً قطّ « لم يكن » إلا ذلك » .

حدثنى سعيد بن يحيى الأمويّ ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، قال : حدثنا أبو الزناد ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يكذب إبراهيم فى شىء قطّ إلا فى ثلاث . . . » ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، قال : حدثنى هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يكذب إبراهيم غير ثلاث : ثنتين فى ذات الله ، قوله : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ ، وقوله فى سارة : هى أختى » .

---

(١) تكلة من ا .

(٢) ط : « وأخدم هاجر » ، وما أثبته من ا .

١/٢٧٠ حدثنى ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن المسيّب بن رافع ، عن أبى هريرة قال : ما كذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث كذبات : قوله : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا ﴾ ، وإنما قاله موعظة ، وقوله حين سأله الملك فقال : أختى — لسارة — وكانت امرأته .

حدثنى يعقوب ، قال : حدثنى ابن عُليّة ، عن أيوب ، عن محمد ، قال : إن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات : ثنتان فى الله ، وواحدة فى ذات نفسه ، وأما الثنتان فقوله : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا ﴾ وقصته فى سارة . وذكر قصتها وقصة الملك

قال أبو جعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : وكانت هاجر جارية ذات هيئة ، فوهبتها سارة لإبراهيم ، وقالت : إنى أراها امرأة وضيئة فخذها ، لعلّ الله يرزقك منها ولدًا ، وكانت سارّة قد مُنِعت الولد فلا تلد لإبراهيم حتى أسنّت ، وكان إبراهيم قد دعا الله أن يَهبَ له من الصالحين ، وأخرت الدعوة حتى كبِر إبراهيم وعقمت سارة ، ثم إن إبراهيم وقع على هاجر ، فولدت له إسماعيل عليهما السلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا فتحتم[1] مصر فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإنّ لهم ذمة ورَحِما » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، قال : سألت الزهرىّ : ما الرحم التى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ؟ قال : ١/٢٧١ كانت هاجر أم إسماعيل منهم . فيزعمون — والله أعلم — أن سارة حزنت عند ذلك على ما فاتها من الولد حزنًا شديداً ، وقد كان إبراهيم خرج من مصر إلى الشأم ، وهاب ذلك الملك الذى كان بها ، وأشفق من شرّه حتى قدمها ، فنزل السَّبْع من أرض فلسطين ، وهى برّية الشأم ، ونزل لوط بالمؤتفكة ، وهى من

(١) ا : « افتتحتم » .

السَّبعْ على مسيرة يوم وليلة . وأقرب من ذلك ، فبعثه الله عز وجل نبيًّا ، وأقام إبراهيم فيما ذكر لى بالسَّبع ، فاحتفر به بئراً واتخذ به مسجداً ، فكان ماء تلك البئر معينًا طاهراً ، فكانت غنمه تردُها . ثم إن أهلها آذوه فيها ببعض الأذى ، فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرَّملة وإيليا ، ببلد يقال له قَطّ - أو قِطّ[1] - فلما خرج من بين أظهرهم نضب الماء فذهب . واتبعه أهلُ السبع ، حتى أدركوه وندموا على ما صنعوا ، وقالوا : أخرجْنا من بين أظهرنا رجلاً صالحًا ، فسألوه أن يرجع إليهم ، فقال : ما أنا براجع إلى بلد أخرِجت منه ، قالوا له : فإن الماء الذى كنت تشرب منه ونشرب معك منه قد نضِب فذهب ، فأعطاهم سبع أعنز من غنمه ، فقال : اذهبوا بها معكم ، فإنكم لو قد أوردتموها البئر ، قد ظهر الماء ، حتى يكون معينًا طاهراً كما كان ، فاشربوا منها ، فلا تغترفن منها امرأةٌ حائض ، فخرجوا بالأعنز ، فلما وقفت على البئر ظهر إليها الماء ، فكانوا يشربون منها وهى على ذلك ، حتى أتت امرأة طامث ، فاغترفتْ منها ، فنكص ماؤها إلى الذى هو عليه اليوم ، ثم ثبت. ١/٢٧٢

قال : وكان إبراهيم يُضيف من نزل به ، وكان الله عزّ وجلّ قد أوسع عليه ، وبسط له فى الرزق والمال والخدم ، فلما أراد الله عزّ وجلّ هلاك قوم لوط ، بعث إليه رسلَه يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم ، وكانوا قد عملوا من الفاحشة ما لم يسبقهم به أحدٌ من العالمين ، مع تكذيبهم نبيهم ، وردّهم عليه ما جاءهم به من النصيحة من ربّهم ، وأمرت الرسل أن ينزلوا على إبراهيم ، وأنْ يبشّروه وسارة بإسحاق ، ومنْ وراء إسحاق يعقوب ، فلما نزلوا على إبراهيم وكان الضيفُ قد حُبِس عنه خمس عشرة ليلة حتى شقّ ذلك عليه - فيما يذكرون - لا يضيفه أحد ، ولا يأتيه ، فلما رآهم سرّ بهم رأى ضيفًا لم يضفه مثلهم حسنًا وجمالاً ، فقال : لا يخدم هؤلاء القوم أحدٌ إلا أنا بيدى ، فخرج إلى أهله ، فجاء كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ بعجْلٍ سَمِينٍ ﴾[2] قد حَنَذه - والحناذ :[3] الإنضاج يقول الله جل ثناؤه : ﴿ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾[4] فقرّبه إليهم ، فأمسكوا أيديهم

---

(١) ذكرها ياقوت ، وقال : « بلد بفلسطين ، بين الرملة وبيت المقدس » .
(٢) سورة الذاريات ٢٦ .
(٣) ط : « التحناذ » ؛ وما ذكرته من ا ، والتفسير : ١٢ : ٤٣ . (٤) سورة هود ٦٩

عنه ، ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إليه نَكِرَهُمْ وأَوْجَسَ منهم خِيفَةً ﴾ حين لم يأكلوا من طعامه ، ﴿ قالُوا لا تَخَفْ إنا أُرسلنا إلى قوم لوط * وَامْرَأَتُهُ ﴾ سارة ﴿ قائِمَةٌ فضحِكَتْ ﴾ لما عرفت من أمر الله عزّ وجلّ ، ولما تعلم من قوم لوط ، فبشّروها ﴿ بإسْحاق ومِنْ وَرَاءِ إسحاقَ يعقوب ﴾[1] بابن ، وبابن ابن ، فقالت — وَصَكّتْ[2] وَجْهَهَا ، يقال : ضربت على جبينها : ﴿ يَا وَيْلَتى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ إنّهُ حَمِيدٌ مجِيدٌ ﴾ [3] . وكانت سارةَ يومئذ — فيما ذكر لى بعض أهل العلم — ابنةَ تسعين سنة ، وإبراهم ابن عشرين ومائة سنة ، فلما ذهب عن إبراهم الروع وجاءته البشرى بإسحاق ويعقوب ولد من صلب إسحاق وأمِنَ ما كان يخاف ، قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إسماعيلَ و إسحاقَ إنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعاء ﴾[4] .

١/٢٧٣

* * *

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبائىّ ، قال : أُلقِىَ إبراهيمُ فى النار وهو ابن ست عشرة سنة ، وذبح إسحاق وهو ابن سبع سنين ، وولدته سارة وهى ابنة تسعين سنة ، وكان مذبحه من بيت إيليا على ميلين ، فلما علمتْ سارة بما أراد بإسحاق مرضت يومين ، وماتت اليوم الثالث ، وقيل : ماتت سارة وهى ابنة مائة وسبع وعشرين سنة .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

---

(١) سورة هود ٦٩ ، ٧١

(٢) من قوله تعالى فى سورة الذاريات ٢٩ : ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِى صَرَّةٍ فَصَكّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيم ﴾ .

(٣) سورة هود ٧٢ ، ٧٣

(٤) سورة إبراهيم ٣٩ ؛ وهذا آخر حديث ابن إسحاق الذى بدأ به فى ص ٢٣٤ .

أسباط ، عن السدىّ ، قال : بعث الله الملائكة لتهلك قومَ لوط ، فأقبلت تمشى فى صورة رجال شباب ، حتى نزلوا على إبراهيم ، فتضيفوه ، فلما رآهم إبراهيمُ أجلّهمْ ، فراغ إلى أهله ، فجاء بعجل سمين فذبحه ، ثم شواه فى الرَّضْف[1] وهو الحنيذ حين شواه ، وأتاهم فقعد معهم ، وقامت سارة تخدمهم ، فذلك حين يقول جلّ ثناؤه : ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وَهُوَ جَالِسٌ﴾[2] فى قراءة ابن مسعود ، فلما قرّبه إليهم قال : ألا تأكلون ! قالوا : يا إبراهيم ، إنا لا نأكل طعاماً إلا بثمن ، قال : فإن لهذا ثمناً ، قالوا : وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله على أوّله وتحمدونه على آخره ، فنظر جبرئيل إلى ميكائيل ، فقال : حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا ، ﴿فَلَمَّا رأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ يقول : لا يأكلون ، ﴿نَكِرَهُمْ وأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾[3] ؛ فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم وقامت هى تخدمهم ضحكت وقالت : عجباً لأضيافنا ! هؤلاء إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا !

١/٢٧٤

(١) الرضف : الحجارة التى حميت بالشمس أو النار .
(٢) سورة هود ٧١
(٣) سورة هود : ٧٠ .

ذكر أمر بناء البيت *

قال : ثم إن الله عزّ وجلّ أمر إبراهيم بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق – فيما ذكر – ببناء بيت له يعبد فيه، ويذكر . فلم يدر إبراهيم فى أىّ موضع يبنى ؛ إذ لم يكن بيّن له ذلك ، فضاق بذلك ذرعًا ، فقال بعضُ أهل العلم : بعث الله إليه السكينة لتدلّه على موضع البيت ، فمضت به السكينة ، ومع إبراهيم هاجر زوجته وابنه إسماعيل ، وهو طفل صغير .

وقال بعضهم : بل بعث الله إليه جَبرَئِيل عليه السلام ، حتى دلّه على موضعه ، وبيّن له ما ينبغى أن يعمل .

* * *

* ذكر من قال : الذى بعثه الله إليه لذلك السكينة : ١/٢٧٥

حدثنا هنّاد بن السرىّ ، قال : حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة : أن رجلاً قام إلى على بن أبى طالب ، فقال : ألا تخبرنى عن البيت ، أهو أول بيت وضع فى الأرض ؟ فقال : لا ، ولكنه أول بيت وضع فى البركة مقام إبراهيم ، ومَنْ دخله كان آمنًا ، وإن شئت أنبأتك كيف بُنِىَ . إن الله عزّ وجلّ أوحى إلى إبراهيم أن ابن لى بيتًا فى الأرض ، فضاق إبراهيم بذلك ذرعًا ، فأرسل عزّ وجلّ السكينة ، وهى ريح خَجُوج[1] ولها رأسان ، فاتبع أحدُهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة فتطوّتْ على موضع البيت كتطوّى الحية ، وأمر إبراهيم أن يبنىَ حيث تستقرّ السكينة ، فبنى إبراهيم وبقىَ حجرَ ، فذهب الغلام يبنى شيئًا ، فقال إبراهيم : أبْغِنى[2] حجراً كما آمرك ؛ فانطلق الغلام يلتمس له حجراً ، فأتاه به ، فوجده قد ركّب الحجر الأسود فى مكانه ، فقال : يا أبت ، مَن أتاك بهذا الحَجَر ؟ فقال : أتانى به مَنْ لم يتّكل على بنائك ، أتانى به جبرئيل من السماء . فأتماه[3] .

---

* لم يرد فى ا ، ر ، س .

(١) الخجوج : الريح الشديدة المر .

(٢) كذا فى ا ؛ يقال : أبغاه الشىء ؛ إذا أعانه على طلبه .

(٣) الخبر فى التفسير ٣ : ٧٠ .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : حدثنا مؤمّل، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرّب ، عن علىّ عليه السلام قال : لما أمِرَ إبراهيمُ ببناء البيت خرج معه إسماعيل وهاجر ، فلما قدم مكة رأى[1] على رأسه فى موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس ، فكلّمه؛ وقال: يا إبراهيم ، ابن على ظلّى — أو على قَدْرِى — ولا تزد ولا تنقص، فلما بنى خرج وخلف إسماعيل وهاجر ، فقالت هاجر : يا إبراهيم ، إلى[2] مَنْ تَكِلُنَا ؟ قال : إلى الله ، قالت : انطلق فإنه لا يُضيعنا ، قال : فعطش إسماعيل عطشاً شديداً، فصعدت هاجر الصفا ، فنظرتْ فلم تر شيئًا، ثم أتت المرْوَة فنظرتْ فلم تر شيئًا ، ثم رجعتْ إلى الصَّفَا ، فنظرتْ فلم تر شيئًا ، حتى فعلتْ ذلك سبع مرات، فقالت : يا إسماعيل ، مُتْ حيث لا أراك . فأتته وهو يفحص[3] برجله من العطش ، فناداها جبرائيل ، فقال : مَنْ أنت ؟ قالت : أنا هاجر ، أم ولد إبراهيم ، قال : إلى مَنْ وَكلَكما ؟ قالت : وكلنا إلى الله ، قال : وكَلَكما إلى كافٍ، قال: ففحص الغلام الأرضَ بإصبعه، فنبعت زمزم ، فجعلت تحبس الماءَ ، فقال : دعيه ، فإنها رَواء[4] .

١/٢٧٦

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ، قال : لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل: أن طهِّرا بيتى للطائفين، انطلق إبراهيم حتى أتى مكة ، فقام هو وإسماعيل ، وأخذ المعاوِل لا يدريان أين البيت، فبعث الله عز وجل ريحًا يقال لها ريح الخَجُوج ، لها جناحان ورأس فى صورة حية ، فكنَست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول ، واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس ، فذلك حين يقول عزّوجل: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾[5].

١/٢٧٧

(١) ر : « أتى » .
(٢) ر : « على » .
(٣) يفحص برجله ، أى يبحث ويزيل التراب عن حفرة .
(٤) الرواء : الماء العذب ، والخبر فى التفسير ٣ : ٦٨ .
(٥) سورة الحج ٢٦ .

وحدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة، قال : حدثني محمد بن إسحاق، عن الحسن بن عُمارة ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة ، عن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام أنه كان يقول : لما أمر الله إبراهيمَ بعمارة البيت والأذان بالحج في الناس خرَج من الشأم ومعه ابنه إسماعيل ، وأم إسماعيل هاجَر، وبعث الله معه السكينة ،وهي ريح[1] لها لسان تكلّم به، يغدو معها إبراهيم إذا غدت، ويروح معها إذا راحت ، حتى انتهت به إلى مكة ، فلما أتت موضع البيت استدارت به ، ثم قالت لإبراهم : ابن عليّ ، ابن عليّ ، ابن عليّ ، فوضع إبراهيم الأساس ورفع البيت هو وإسماعيل ، حتى انتهيا[2] إلى موضع الركن ، قال إبراهيم لإسماعيل : يا بنيّ ، ابغ لي حجَراً أجعله علماً للناس ، فجاءه بحجَر ، فلم يرضَه وقال : ابغني غير هذا ، فذهب إسماعيل ليلتمس[3] له حَجَراً، فجاءه وقد[4] أتِيَ بالركن، فوضعه في موضعه ، فقال: يا أبت ، مَنْ جاءك بهذا الحجر ؟ قال : مَنْ لم يكلْني إليك يا بُنيّ .

* * *

وقال آخرون : إنّ الذي خرج مع إبراهيم من الشام لدلالته على موضع البيت جبرَئيل عليه السلام، وقالوا : كان إخراجه هاجر وإسماعيل إلى مكة لما كان من غيرةِ سارَة بسبب ولادة هاجر منه إسماعيل .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي بالإسناد الذي قد ذكرناه أن سارَة قالت لإبراهيم: تسرّ هاجر[5] ، فقد أذنت لك فوطئها ، فحملت بإسماعيل ، ثم إنه وقع على سارة فحملت بإسحاق ، فلما ولدته[6] وكبر اقتتل هو وإسماعيل ، فغضبت سارة

١/٢٧٨

(١) كذا في ا ، وفي ط : « ريح » ، وفي ب : « وريحاً » .
(٢) ر ، س ، ن : « انتهى » .
(٣) ب ، ر : « يلتمس » .
(٤) ط : « فقد » ، وما أثبته عن ا .
(٥) ط : « بهاجر » ، وما أثبته عن ا ، ر ، ن .
(٦) ا ، س : « ولد له » .

على أمّ إسماعيل ، وغارت عليها ، فأخرجتها ، ثم إنها دعتها فأدخلتها . ثم غضبت أيضًا فأخرجتها ثم أدخلتها ، وحلفت لتقطعنّ منها بَضْعة ؛ فقالت : أقطع أنفها ، أقطع أذنها ، فيشينها ذلك ، ثم قالت : لا بل أخفِضها[1] ، فقطعت ذلك منها ، فاتخذت هاجر عند ذلك ذيلا تعفى به عن الدم ، فلذلك خفضت النساء ، واتخذت ذيولاً ، ثم قالت : لا تساكِنّى فى بلد . وأوحى الله إلى إبراهيم أن يأتىَ مكة ، وليس يومئذ بمكة بيت ، فذهب بها إلى مكة وابنها فوضعهما ، وقالت له هاجَر : إلى من تركتنا[2] هاهنا ؟ ثم ذكر خبرها ، وخبر ابنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد وغيره من أهل العلم أن الله عزّ وجلّ لما بوّأ لإبراهيم مكانَ البيت ومعالمَ الحرَم ، فخرج وخرج معه جَبرَئيل ، يقال : كان لا يمرّ بقرية إلا قال : بهذه أمرت يا جَبرَئيل ؟ فيقول : جَبرَئيل : امضه ، حتى قدم به مكة ، وهى إذ ذاك عِضاه سَلَم وسَمُر ، وبها أناس يقال لهم العماليق ، خارج مكة وما حولها ، والبيت يومئذ رَبْوة حمراء مَدِرة ، فقال إبراهيم لجَبرَئيل : أها هنا أمرت أن أضعهما ؟ قال : نعم ، فعمد بهما إلى موضع الحِجْر ، فأنزلهما فيه ، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشًا فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ إلى — ﴿ لَعَلَّهُمْ يشكرون ﴾[3] . ثم انصرف إلى أهله بالشأم وتركهما عند البيت ، قال : فظمئ إسماعيل ظمأ شديداً ، فالتمست له أمه ماء فلم تجده ، فاستسمعت[4] : هل تسمع صوتًا ؟ لتلتمس له شرابًا ، فسمعت كالصوت عند الصفا ، فأقبلت حتى قامت عليه فلم تر شيئًا ، ثم سمعت صوتًا نحو المرْوة ،

١/ ٢٧٩

(١) الخفض للجارية ، مثل الختان للصبى .

(٢) ر : « تتركنا » .

(٣) سورة إبراهيم ٣٧ .

(٤) فى كذا ا ، ن ، وفى ط : « فاستمعت » .

فأقبلت حتّى قامت عليه فلم تر شيئًا ، ويقال : بل قامت على[1] الصفا تدعو الله وتستغيثه لإسماعيل ، ثم عمِدت إلى المرْوة ففعلت ذلك . ثم إنها سمعت أصواتَ سباع الوادى نحو إسماعيل حيث تركتْه ، فأقبلت إليه تشتدّ ، فوجدته يفحص الماء بيده من عين قد انفجرت من تحت يده ، فشرب منها ، وجاءتها أمّ إسماعيل فجعلتها[2] حسْيًا ، ثم استقت منها فى قربتها تذخَرُه لإسماعيل ، فلولا الذى فعلت ما زالت زمزم معينًا طاهراً ماؤها أبداً . قال مجاهد : ولم نزل نسمع أن زمزم هزْمةُ[3] جبرَئيل بعقِبه لإسماعيل حين ظمئ .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم والحسن بن محمد ، قالا : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب ، قال : نُبِّئتُ عن سعيد بن جبير أنه حدث عن ابن عباس أن أوّلَ منْ سعى بين الصفا والمروة لأمٌّ إسماعيل ، وأنّ أوّل مَنْ أحدث من نساء العرب جرّ الذيول لأمٌّ إسماعيل . قال : لما فرّت من سارة أرْخَتْ ذيلَها[4] لتعفّى أثرها ، فجاء بها إبراهيم ومعها إسماعيل حتى انتهى بهما إلى موضع البيت ، فوضعهما ثم رجع ، فاتبعته فقالت : إلى أىّ شىء تكِلنا؟ إلى طعام تكِلنا ؟ إلى شراب تكلنا ؟ لايرد عليها شيئًا ، فقالت : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذاً لا يضيعنا، قال : فرجعت ومضى حتّى إذا استوى على ثنيَّة كَدَاء، أقبل على الوادى فقال: ﴿ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بوادٍ غَيْرِ ذى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ...﴾ الآية . قال : ومع الإنسانة[5] شنّةٌ فيها ماء ، فنفذ الماء ، فعطشت فانقطع لبنُها ، فعطِش الصبىّ فنظرت : أىّ الجبال أدنى إلى الأرض ، فصعدت الصفا فتسمّعت : هل تسمع صوتًا ، أو ترى أنيسًا ؟[6] فلم تسمع شيئًا فانحدرت ، فلما

١/٢٨٠

(١) ا : «عند» .

(٢) ن : «فوجدتها» ، والحسى : حفيرة قريبة القعر ؛ ولا يكون إلا فى أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل ؛ فإذا مطرت نشفه الرمل ؛ فإذا انتهى إلى الحجارة أمسكته ، وجمعه أحساء .

(٣) هزمة جبريل ؛ أى ضرب برجله فانخفض المكان فنبع الماء . النهاية لابن الأثير ٤ : ٢٤٨

(٤) ا : «أرخت من ذيلها» .

(٥) ر : «هاجر» .

(٦) س : «إنساً» .

أتت على الوادى سعت – وما تريد السَّعْى – كالإنسان المجهود الذى يَسْعى وما يريد السعى ، فنظرت أىّ الجبال أدنى إلى الأرض ، فصعِدت المرْوَة ، فتسمّعت : هل تسمع صوتًا أو ترى أنيسًا[١] ؟ فسمعت صوتًا ، فقالت كالإنسان الذى يكذِّب سمعه : صه ! حتّى استيقنت ، فقالت : قد أسمعتنى صوتك فأغثنى ، فقد هلكت وهَلك مَنْ معى ، فجاء الملك بها حتى انتهى بها إلى موضع زمزم ، فضرب بقدمه ففارت عينًا ، فعجلت[٢] الإنسانة تُفرغ فى شنَّتها[٣] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أمّ إسماعيل ، لولا أنها عَجِلت لكانت زمزم عينًا معينًا » .

٢٨١/١

وقال لها الملَك : لا تخافى الظمأ على أهل هذا البلد ؛ فإنها عين يشرب[٤] ضيفان الله منها ، وقال : إن أبا هذا الغلام سيجئ فيبنيان لله بيتًا هذا موضعه .

قال : ومرّت رُفقة من جُرْهم تريد الشأم ، فرأوا الطيرَ على الجبل ، فقالوا : إن هذا الطير لعائف[٥] على ماء ، فهل علمتم بهذا الوادى من ماء ؟ فقالوا : لا ، فأشرفوا فإذا هم بالإنسانة ، فأتَوْها فطلبوا إليها أن ينزلوا معها ، فأذنت لهم ، قال : وأتى عليها ما يأتى على هؤلاء الناس من الموت ، فماتت وتزوج إسماعيل امرأة منهم ، فجاء إبراهيم فسأل عن منزل إسماعيل حتى دُلّ عليه فلم يجده ، ووجد امرأة له[٦] فَظّة غليظة ، فقال لها : إذا جاء زوجك فقولى له : جاء[٧] ها هنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وأنه يقول لك : إنى لا أرضَى لك عتبَة بابك فحوّلها ، وانطلق[٨] . فلما جاء إسماعيل أخبرته فقال : ذلك أبى ، وأنت عتبَة بابى . فطلقها ، وتزوج امرأة أخرى منهم[٩] ، وجاء إبراهيم حتى

٢٨٢/١

(١) س : « إنسيا » .

(٢) ا : « فجعلت » .

(٣) ر : « شنها » ، والشن والشنة : القربة .

(٤) ط : « لشرب » ، وما أثبته من ؟

(٥) قال أبو عبيدة : « العائف هنا : الذى يتردد على الماء ويحوم ولا يمضى » . وانظر اللسان ٦٣ : ١٦٩ .

(٦) ن : « امرأته » .

(٧) ر : « كان »

(٨) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « فانطلق » .

(٩) ن : « منهن » .

انتهى إلى منزل[١] إسماعيل فلم يجده ووجد امرأة له سهلة طليقة[٢] فقال لها : أين انطلق زوجك ؟ فقالت : انطلق إلى الصيد ، قال : فما طعامكم ؟ قالت : اللحم والماء ، قال : اللهمّ بارك لهم فى لحمهم ومائهم ، ثلاثاً . وقال لها : إذا جاء زوجك فأخبريه ، قولى[٣] له جاء هاهنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه يقول لك : قد رضيتُ لك عتبة بابك ، فأثبتْها ، فلما جاء إسماعيل أخبرته ، قال : ثم جاء الثالثة ، فرفعا القواعد من البيت[٤] .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا يحيى بن عباد ، قال : حدثنا حماد بن سَلَمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : جاء إبراهيم نبى الله بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة فى موضع زمزم ، فلما مضى نادته هاجر : يا إبراهيم ، إنما[٥] أسألك ثلاث مرات : مَنْ أمرك أن تضعنى بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا أنيس ولا ماء ولا زاد ؟ قال : ربى أمرنى ، قالت : فإنه لن يضيعنا ، قال : فلما قفا إبراهيم قال : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ﴾ يعنى من الحزن ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾[٦] . فلما ظمئ إسماعيل جعل يدحص[٧] الأرض بعقبه فذهبت هاجر حتى علت الصفا ، والوادى يومئذ لاخٍ — يعنى عمبق — فصعدت الصفا ، فأشرفت لتنظر : هل ترى شيئاً ؟ فلم تر شيئاً ، فانحدرت فبلغت الوادى ، فسعت فيه حتى خرجت منه ، فأتت المروة فصعدت فاستشرفت : هل ترى شيئاً ؟ فلم تر شيئاً ، ففعلت ذلك سبع مرات ، ثم جاءت من المرْوة إلى إسماعيل ، وهو يدحص الأرض بعقبه ، وقد نبعت العين

٢٨٣/١

(١) ن : « موضع » .
(٢) ا ، « طليقة » ، والطلقة والطليقة : المستبشرة .
(٣) ط : « فقولى » وما أثبته عن ا والتفسير .
(٤) الخبر فى التفسير ٣ : ١٥٢ (بولاق) .
(٥) ط : « أنا » وما أثبته من ا والتفسير .
(٦) سورة إبراهيم ٣٨ .
(٧) دحص الأرض : أثار غبارها ؛ وفى ا والتفسير : « دحض » ، وهما بمعنى .

وهى زمزم ، فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء ، وكلما[1] اجتمع ماء أخذته بقدحها ، فأفرغته فى سقائها ، قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يرحمها الله ! لو تركتْها لكانت عيناً سائحة تجرى إلى يوم القيامة » .

قال : وكانت جُرْهم يومئذ بواد قريب من مكة ، قال : ولزمت الطير الوادى حين رأت الماء ، فلما رأت جُرْهم الطير لزمت الوادى ، قالوا . ما لزمتْه إلا وفيه ماء ، فجاءوا إلى هاجر ، فقالوا : لو شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك ، قالت : نعم ! فكانوا معها حتى شبّ إسماعيل وماتت هاجر ، فتزوج إسماعيل امرأة من جُرْهم ، قال : فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتى هاجر ، فأذنت له ، وشرطت عليه ألاّ ينزل ، وقدم إبراهيم — وقد ماتت هاجر — إلى بيت إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ليس ها هنا ، ذهب يتصيّد ، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصيّد ثم يرجع ، فقال إبراهيم : هل عندك[2] ضيافة ؟ هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : ليس عندى وما عندى أحد ، قال إبراهيم : إذا جاء زوجُك فأقرئيه السلام ، وقولى له : فليغيِّر عتبة بابه ، وذهب إبراهيم وجاء إسماعيل ، فوجد ريحَ أبيه فقال لامرأته : هل جاءك أحد[3] ؟ قالت : جاءنى شيخ صفته كذا — وكذا كالمستخفَّة بشأنه — قال : فما قال لك ؟ قالت : قال لى : أقرئى زوجك السلام ، وقولى له : فليغيِّر عتبة بابه ، فطلَّقها وتزوّج أخرى ، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبَث ، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل ، فأذنَت له واشترطت عليه ألا ينزل ، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب[4] إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب يتصيَّد وهو يجىء الآن إن شاء الله ، فانزل يرحمك الله ! قال لها : هل عندك ضيافة ؟ قالت : نعم ، قال : هل عندك خبز أو بُرّ أو شعير أو تمر ؟ قال : فجاءت باللبن واللحم ، فدعا لهما[5] بالبركة ، فلو جاءت يومئذ بخبز

١/٢٨٤

(١) ط والتفسير : « فكلما » وما أثبته من ا .
(٢) س : « عندكم » .
(٣) ن : « شيخ » .
(٤) س : « مكان » .
(٥) ر ، س : « لها » .

أو بُرّ أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برًّا وشعيراً وتمراً ، فقالت [١] : انزل حتى أغسل رأسك ، فلم ينزل ، فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الأيمن ، فوضع قدمه عليه فبقى أثر قدمه عليه ، فغسلت شقّ رأسه الأيمن ، ثم حولت المقام إلى شقّه الأيسر ، فغسلت شقّه الأيسر ، فقال لها : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام ، وقولى له : قد استقامت عتبةُ بابك . فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه ، فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ قالت : نعم ، شيخ أحسنُ الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً ، فقال لى : كذا وكذا ، وقلت له : كذا وكذا ، وغسلت رأسه ، وهذا موضع قدميه على المقام ، قال : وما قال لك ؟ قالت : قال لى : إذا جاء زوجُك فأقرئيه السلام ، وقولى له : قد استقامت عتبة بابك ، قال ذلك إبراهيم ، فلبث ما شاء الله أن يلبث وأمره [٢] الله عز وجل ببناء البيت ، فبناه هو وإسماعيل ، فلما بنياه قيل : ﴿ أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ [٣] ، فجعل لا يمرُّ بقوم إلا قال : يأيها الناس ، إنّه قد بُنِى لكم بيت فحجوه ، فجعل لا يسمعه أحد ، لا صخرة ولا شجرة ولا شىء إلا قال : لبّيك اللهم لبّيك . قال : وكان بين قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ ، وبين قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ [٤] كذا وكذا عاماً ؛ لم يحفظ عطاء [٥] .

٢٨٥/١

حدثنى محمد بن سنان ، قال : حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو على الحنفى ، قال : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، قال : سمعت كثير بن كثير يحدّث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : جاء — يعنى إبراهيم — فوجد إسماعيل يُصلِح نَبْلا له من وراء زمزم ، فقال إبراهيم : يا إسماعيل ، إن ربّك قد أمرنى أن أبنىَ له بيتاً ، فقال له إسماعيل : فأطع ربّك فيما أمرك ، فقال إبراهيم :

٢٨٦/١

---

(١) ر : « على » .
(٢) ط : « فأمره » ؛ وما أثبته من ا والتفسير .
(٣) سورة الحج ٢٧
(٤) سورة إبراهيم ٣٧ ، ٣٩ .
(٥) الخبر فى التفسير ١٣ : ١٥٢ — ١٥٣ (بولاق) .

قد أمرك أن تُعينَنى عليه قال : إذاً أفعل ، قال : فقام معه، فجعل إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) ، فلما ارتفع البنيان وضُعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر ، وهو مقام إبراهيم، فجعل يناوله ويقولان: ﴿ تَقَبَّلْ مِنَّا إنكَ أَنْتَ السَّمِيع العليم ﴾ (٢).

فلما فرغ إبراهيم من بناء البيت الذى أمره الله عزَّ وجلَّ ببنائه، أمره الله أن يؤذِّن فى الناس بالحج ، فقال له: ﴿ وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٢). فقال إبراهيم- فيماذكر لنا- ما حدثنا به ابن حُمَيد قال: حدثنا جرير، عن قابوس بن أبى ظَبْيان، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، قيل له: أذِّن فى الناس بالحجّ ، قال : يارب ، وما يبلغ صوتى ؟ قال : أذِّن وعلىَّ البلاغ ، فنادى إبراهيم: يأيها الناس كتب عليكم الحجُّ إلى البيت العتيق ، قال : فسمعه ما بين السماء والأرض : أفلا ترى الناس يَجيئون من أقصى الأرض يُلبُّون !

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : حدثنا محمد بن فضيل بن غزْوان الضّبى ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس، قال : لما بنى إبراهيم البيتَ أوحى الله عزَّ وجلَّ إليه : أن أذِّنْ فى الناس بالحج ، قال : فقال إبراهيم: ألاَ إن ربّكم قد اتخذ بيتًا، وأمركم أن تحجُّوه، فاستجاب له ما سمعه من شىء ؛ من حجر أو شجر أو أكمة أو تراب أو شىء : لَبَّيْك اللهم لبَّيك(٣) !

١/٢٨٧

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين ابن واقد ، عن أبى الزبير ، عن مجاهد ، عن ابن عباس، قوله: ﴿ وأَذِّنْ فِى النَّاسِ بالْحَجِّ ﴾ ،قال: قام إبراهيم عليه السلام خليل الله على الحجَر فنادى:

(١) سورة البقرة ١٢٧ والخبر فى التفسير ٣ : ٦٨.
(٢) سورة الحج ٢٧ .
(٣) الخبر فى التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

يأيها الناس ، كتب عليكم الحجّ ، فأسمَع مَنْ فى أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجابه مَنْ آمن ممن سبق فى علم الله أن يحجَّ إلى يوم القيامة : لبّيك اللهم لبّيك [١] !

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سُفيان ، عن سلمة ، عن مجاهد ، قال : قيل لإبراهيم : أذن فى الناس بالحج ، فقال : يا ربّ ، كيف أقول ؟ قال : قل : لبّيْكَ اللهم لبيك ، قال : فكانت أولَ التلبية [٢] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمر ابن عبد الله بن عروة ؛ أنّ عبد الله بن الزبير قال لعبيد بن عمير الليثىّ : كيف بلغك أن إبراهيم دعا إلى الحجّ ؟ قال : بلغَنى أنه لما رفع هو وإسماعيل قواعد البيت ، وانتهى إلى ما أراد الله من ذلك ، وحضر الحجّ استقبل اليمن ، فدعا إلى الله وإلى حجّ بيته فأجيب : أن لبيك اللهم لبيك ! ثم استقبل المشرق فدعا إلى الله وإلى حجّ بيته فأجيب : أن لبّيك اللهمّ ! ثم إلى المغرب فدعا إلى الله وإلى حجّ بيته ، فأجيب : أن لبيك اللهم لبيك ! ثم إلى الشأم فدعا إلى الله عزّ وجلّ وإلى حج بيته فأجيب أن لبّيك اللهمّ لبيك ؛ ثم خرج بإسماعيل وهو معه يوم التروية ، فنزل به منىً ومن معه من المسلمين ، فصلّى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بهم حتى أصبح ، فصلّى بهم صلاة الفجر ، ثم غدا بهم إلى عرفة ، فقالَ بهم هنالك ، حتى إذا مالت الشمس جَمَع بين الصلاتين : الظهر والعصر ، ثم راح بهم إلى الموقف من عَرفة ، فوقف بهم على الأراك [٣] ، وهو الموقف من عرفة الذى يقف عليه الإمام يُريه ويعلّمه ، فلما غَرَبت الشمس دفع به وبمن معه حتى أتى المزدلفة ، فجمع فيها بين الصلاتين : المغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بها [٤] وبمن معه ، حتى إذا طلع الفجر صلّى بهم صلاة الغداة ، ثم وقف به على قُزَح من المزدلفة فيمن معه ، وهو الموقف

٢٨٨/١

---

(١) الخبر فى التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

(٢) الخبر فى التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

(٣) الأراك : من مواقف عرفة ، بعضه من جهة الشام و بعضه من اليمن .

(٤) كذا فى ا ، فى ط : « به » .

الذى يقف به الإمام حتى إذا أسفر دفع به وبمن معه يُريه ويعلّمه كيف يصنع ، حتى رمى الجمرةَ الكبرى ، وأراه المنحَر من منى ، ثم نحر وحلق ، ثم أفاض به من منًى ليُريَه كيف يطوف ، ثم عاد به إلى منًى ليُريَه كيف يرمى الجمار ، حتى فرغ له من الحج وأذن به فى الناس .

* * *

قال أبو جعفر : وقد رُوِىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض أصحابه أن جبرئيل هو الذى كان يُرِى إبراهيم المناسك إذا حجّ . ٢٨٩/١

* ذكر الرواية بذلك عن رسول الله :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى – وحدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسى ، قال : حدثنا عبيدالله بن موسى – قال : أخبرنا ابن أبى ليلى ، عن ابن أبى مليكة ، عن عبدالله بن عمرو ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أتى جبرئيل إبراهيم يوم التروية فراحَ به إلى مِنًى ، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر بمنى ، ثم غدا به إلى عرفات ، فأنزله الأراك – أو حيث ينزل الناس – فصلّى به الصلاتين جميعًا : الظهر والعصر ، ثم وقف به حتى إذا كان كأعجل ما يصلّى أحدٌ من الناس المغرب ، أفاض حتى أتى به جمعًا ، فصلّى به الصلاتين جميعًا : المغرب والعشاء ، ثم أقام حتى إذا كان كأعجل ما يصلّى أحد من الناس الفجر صلّى به ، ثم وقفَ حتى إذا كان كأبطأ ما يصلّى أحد من المسلمين الفجر أفاض به إلى مِنًى ، فرمى الجمرة ، ثم ذبح وحلق ، ثم أفاض إلى البيت ، ثم أوحى الله عزّ وجلّ إلى محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1] .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عمران بن محمد بن أبى ليلى ، قال : حدثنى أبى ، عن عبد الله بن أبى مليكة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه .

* * *

---

(١) سورة النحل ١٢٣ .

ثم إن الله تعالى ذكره ابتلى خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه .

واختلف السّلف من علماء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم فى الذى أمر إبراهيم بذبحه من ابنيه ، فقال بعضهم : هو إسحاق بن إبراهيم ، وقال بعضهم : هو إسماعيل بن إبراهيم، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ، لو كان فيهما صحيح لم نَعْدُه إلى غيره ، غيرَ أنّ الدليلَ من القرآن على صحة الرواية التى رويت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «هو إسحاق» أوضح وأبين منه على صحة الأخرى . ١/٢٩٠

والرواية التى رويت عنه أنه قال : «هو إسحاق» حدثنا بها أبو كريب ، قال : حدثنا زيد بن الحباب ، عن الحسن بن دينار ، عن على بن زيد بن جُدْعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث ذكر فيه : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[1] قال : «هو إسحاق»[2] .

* * *

وقد روى هذ الخبر عن غيره من وجه أصلح من هذ الوجه ، غير أنه موقوف على العباس غير مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد لمطلب: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : «هو إسحاق»[3] .

وأما الرواية التى رُويت عنه أنه هو إسماعيل ، فما حدثنا محمد بن عمار الرازى ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبى كريمة، قال : حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابىّ ، عن عبد الله بن محمد العُتبىّ من ولد عُتْبة بن أبى سفيان، عن أبيه ، قال : حدثنى عبد الله بن سعيد، عن الصُّنابحى، قال : كنا عند معاوية

---

(١) سورة الصافات ١٠٧ .

(٢) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥١ (بولاق) . (٣) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥١ (بولاق) .

ابن أبي سفيان ، فذكروا الذبيح : إسماعيل أو إسحاق ؟ فقال : على الخبير سقطتم ، كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه رجل فقال : يا رسول الله ، عُدْ علىّ مما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : وما الذبيحان يا رسول الله ؟ فقال : (إنّ عبد المطلب لما أمِر بحفر زمزم نَذر لله : لئن سهَّل الله له أمرَها ليذبحنّ أحد ولده) ، قال : فخرج السهم على عبد الله ، فمنعه أخوالُه وقالوا : افْدِ ابنَك بمائة من الإبل ، ففداه بمائة من الإبل وإسماعيل الثانى [1] .

* * *

ونذكر الآن من قال من السلف إنه إسحاق ، ومن قال إنه إسماعيل .

* ذكر من قال هو إسحاق :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : هو إسحاق .

حدثنا الحسين بن يزيد الطَّحَّان ، قال : حدثنا ابن إدريس ، عن داود ابن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الذى أمر بذبحه إبراهيم هو إسحاق .

١/٢٩١

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الذبيح هو إسحاق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدى ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : هو إسحاق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال : افتخر رجل عند ابن مسعود ، فقال : أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام ، فقال عبد الله : ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ، ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله .

---

(١) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥٤ (بولاق) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا إبراهيم بن المختار ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن الزهريّ ، عن العلاء بن جارية الثقفيّ ، عن أبي هريرة، عن كعب ، في قوله : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال : من ابنه إسحاق .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال: حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ، حليف بني زهرة ، عن أبي هريرة ، عن كعب الأحبار ، أن الذى أمِر بذبحه إبراهيم من ابنيه إسحاق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفيّ ، أخبره أن كعبًا قال لأبي هريرة : ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبيّ ؟ قال أبو هريرة : بلَى ، قال كعب : لما أرِيَ[(١)] إبراهيمُ ذبحَ إسحاق ، قال الشيطان : والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن أحداً منهم أبداً ، فتمثّل الشيطان لهم رجلاً يعرفونه ، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة إبراهيم ، فقال لها : أين أصبح إبراهيم غاديًا بإسحاق ؟ قالت : غدا لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله ما لذلك غدا به ، قالت سارة : فلِمَ غدا به ؟ قال : غدا به ليذبحه ، قالت سارة : ليس من ذلك شيء ، لم يكن ليذبح ابنه ، قال الشيطان : بلى والله ، قالت سارة : فلم يذبحه ؟ قال : زعم أن ربّه أمره بذلك ، قالت سارَة : فهذا حسنٌ[(٢)] بأن يطيعَ ربه إن كان أمره بذلك . فخرج الشيطان من عند سارّة حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على أثر أبيه ، فقال له : أين أصبح أبوك غاديًا بك ؟ قال : غدا بي لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله ، ما غَدا بك لبعض حاجته ، ولكنه[(٣)] غدا بك ليذبحك .

١/٢٩٣

(١) ب ، ن : « لما أرى » .
(٢) كذا في ا ، ن ، وفي ط : « فهذا أحسن » .
(٣) ن : « وإنما » .

قال إسحاق : ما كان أبي ليذبحني ، قال : بلى ، قال : لم ؟ قال : زعم أن ربَّه أمره بذلك ، قال إسحاق : فوالله لئن أمره بذلك ليُطيعنّه ، فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم ، فقال : أين أصبحت غاديًا بابنك ؟ قال : غدوت به لبعض حاجتي ، قال : أما والله ما غدوتَ به إلا لتذبحه ، قال : لم أذبحه ؟ قال : زعمت أن ربّك أمرك بذلك ، قال : فوالله لئن كان أمرني ربي لأفعلنّ ، قال : فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلّم إسحاق أعفاه الله ، وفداه بذبح عظيم . قال إبراهيم لإسحاق : قم أي بُنَيَّ ، فإن الله قد أعفاك ، فأوحى الله إلى إسحاق : إني أعطيك دعوة أستجيب لك فيها ، قال إسحاق : اللهمّ فإني أدعوك أن تستجيب لي : أيما عبدٍ لقيَك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئًا فأدخله الجنة[1] .

١/٢٩٤

حدثني عمرو بن علي ، قال ، حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه ، قال : قال موسى : يا ربّ ، يقولون يا إلٰه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فيم قالوا ذلك؟ قال : إن إبراهيم لم يعدل بي شيئًا قطّ إلا اختارني عليه ، وإن إسحاق جادَ لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلّما زدته بلاء زادني حسنَ ظن .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مؤمّل ، قال : حدثنا سفيان ، عن زيد ابن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه قال : قال موسى : أي ربّ بمَ أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما أعطيتهم ؟ فذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن ابن سابط ، قال : هو إسحاق .

١/٢٩٥

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان عن سفيان ، عن أبي سنان الشيبانيّ ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : الذبيح هو إسحاق .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا سفيان بن عقبة ، عن حمزة الزيات ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، قال : قال يوسفُ للملك في وجهه ترغب

(١) الخبر في التفسير ٢٣/٥٥ (بولاق) .

أن تأكل معى ، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهم خليل الله !

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : قال يوسف للملك ، فذكر نحوه .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى خبر ذكَره عن أبى مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمدانىّ ، عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أن إبراهيم عليه السلام أرِىَ فى المنام فقيل له: أوْف نذرك[1] الذى نذرت : إن رزقك الله غلامًا من سارَة أن تذبحه .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا هشيم ، قال : حدثنا زكرياء وشعبة ، عن أبي إسحاق، عن مسروق فى قوله: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : هو إسحاق .

* * *

* ذكر من قال هو إسماعيل :

حدثنا أبو كريب وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، قال: حدثنا يحيي بن يمان ، عن إسرائيل، عن ثُوَير[2] ، عن مجاهد، عن ابن عمر ، قال : الذبيح إسماعيل . ١/٢٩٦

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا يحيي ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثنا بيان ، عن الشعبى ، عن ابن عباس: ﴿وَفَدَيْنَاه بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾، قال : إسماعيل .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا يحيي بن واضح ، قال : حدثنا أبو حمزة محمد بن ميمون السكرىّ عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس

---

(١) ا : « بنذرك » .

(٢) وهو ثوير من أبى فاختة أبو الجهم الكوفى ؛ ذكر ابن حجر فى التهذيب ٢ : ٣٦ أن إسرائيل ممن روى عنه . وفى ب : « ثور » وهو خطأ .

قال : إن الذى أمر بذبحه إبراهيم إسماعيل .

حدثنى يعقوب ، قال: حدثنا هشيم ، عن على بن زيد، عن عمار مولى بنى هاشم ، وعن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: هو إسماعيل ، يعنى : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ .

حدثنى يعقوب ، قال: حدثنا ابن علية ، قال: حدثنا داود، عن الشعبى ، قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .

وحدثنى به يعقوب مرة أخرى ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، قال : سئل داود بن أبى هند: أىّ ابنىْ إبراهيم أُمِر بذبحه ؟ فزعم أن الشعبىّ قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدّثنا شعبة ، عن بَيان ، عن الشعبىّ ، عن ابن عباس، أنه قال فى الذى، فداه الله بذبح عظيم ، قال : هو إسماعيل .

٢٩٧/١

حدثنا يعقوب ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، قال: حدثنا ليث، عن مجاهد عن ابن عباس، قوله: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾، قال : هو إسماعيل .

وحدثنى يونس بن عبد الأعلى، قال: ، حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمر بن قيس، عن عطاء بن أبى رباح ، عن عبد الله بن عباس، أنه قال: المفدىّ إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود .

وحدثنى محمد بن سنان القزاز ، قال : حدّثنا أبو عاصم ، عن مبارك ، عن على بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس: الذى فداه الله عز وجل قال : هو إسماعيل .

حدثنى محمد بن سنان ، قال : حدثنا حجاج ، عن حماد ، عن أبى عاصم الغنوىّ ، عن أبى الطفيل ، عن ابن عباس مثله .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : حدثني خالد بن عبدالله، عن داود ، عن عامر ، قال : الذي أراد إبراهيم ذبحه إسماعيل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثني عبد الأعلى ، قال : حدثنا داود ، عن عامر أنه قال في هذه الآية ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾، قال : هو إسماعيل، قال : وكان قَرْنا الكبش مَنُوطين بالكعبة .

١/٢٩٨

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل عن جابر ، عن الشعبي ، قال : الذبيحُ إسماعيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبي ، قال : رأيتُ قرني الكبش في الكعبة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك بن فَضالة ، عن علي بن زيد بن جُدعان ، عن يوسف بن مِهران ، قال : هو إسماعيل.

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، قال : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد، قال : هو إسماعيل .

حدثني يعقوب ، قال: حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ،عن الحسن: ﴿ وَفَدَيناه بذِبْح عظيم﴾ ،قال : هو إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق، قال : سمعت محمد بن كعب القرظيّ وهو يقول : إن الذي أمر اللهعزّ وجلّ إبراهيمَ بذبحه من ابنيه إسماعيل ، وإنّا لنجدُ ذلك في كتاب الله عزّ وجلّ في قصة الخبر عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه ، أنه إسماعيل، وذلك أن الله عزّ وجلّ يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال :﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[١] ويقول :﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ

(١) سورة الصافات ١١٢

يَعْقُوبَ﴾(١) ؛ يقول : بابن وابن ابن ، فلم يكن يأمره بذبح إسحاق ، وله فيه
من الله من الموعود ما وَعده ، وما الذى أُمِر بذبحه إلا إسماعيل(٢) . ١/٢٩٩

حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا سَلمَة، قال : حدثنا محمد بن إسحاق، عن بُرَيدة بن سفيان بن فروة الأسلمىّ، عن محمد بن كعب القرظىّ، أنه حدّثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز، وهو خليفة إذ كان معه بالشأم، فقال له عمر : إن هذا لشىء ما كنتُ أنظر فيه، وإنى لأراه كما قلت، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديًّا فأسلم، فحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علماء اليهود. فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك. قال محمد بن كعب القرظى : وأنا عند عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر : أىّ ابنىْ إبراهيمَ أمِر بذبحه ؟ فقال : إسماعيل ؛ والله يا أمير المؤمنين، إن يَهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله فيه، والفضل الذى ذكره الله منه لصبره على ما أمِر به، فهم يجحدون ذلك، ويزعمون أنه إسحاق، لأنّ إسحاق أبوهم(٣) .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد، عن الحسن بن أبى الحسن البصرىّ، أنه كان لا يشكّ فى ذلك أن الذى أمر بذبحه من ابنىْ إبراهيم إسماعيل .

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: سمعت محمد بن كعب القرظىّ يقول ذلك كثيراً . ١/٣٠٠

* * *

وأما الدلالة من القرآن التى قلنا إنها على أن ذلك إسحاق أصحّ، فقوله تعالى مخبراً عن دعاء خليله إبراهيم حين فارق قومَه مهاجراً إلى ربّه إلى الشام مع زوجته

---

(١) سورة هود ٧١
(٢) الخبر فى التفسير ١٣ : ٥٤ (بولاق)
(٣) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥٢ (بولاق)

سارة، فقال: [١] ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [٢]، وذلك قبل أن يعرف هاجر، وقبل أن تصير له أمّ إسماعيل، ثم أتبع ذلك ربنا عزّ وجلّ الخبر عن إجابته دعاءه، وتبشيره [٣] إياه بغلام حليم، ثم عن رؤيا إبراهيم أنه يذبح ذلك الغلام حين بلغ معه السعْيَ، ولا يُعلَم فى كتاب ذكرٌ [٤] لتبشير إبراهيم بولد ذكَر إلا بإسحاق، وذلك قوله: ﴿وامرأتُه قائمةٌ فضحِكتْ فبشَّرْناها بإسحاقَ ومِنْ وراءِ إسحاقَ يعقوبُ﴾ [٥] وقوله: ﴿فأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بغلامٍ عليمٍ * فأقبلتْ امرأتُه فى صَرَّةٍ فصكّت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾ [٦] ثم ذلك كذلك فى كلّ موضع ذُكر فيه تبشير إبراهيم بغلام، فإنما ذكر تبشير الله إياه به من زوجته سارَة، فالواجبُ أن يكون ذلك فى قوله: ﴿فَبَشَّرْناهُ بغلامٍ حليمٍ﴾ [٨] نظير [٩] ما فى سائر سور القرآن من تبشيره إياه به من زوجته سارة.

* * *

وأما اعتلال من اعتلّ بأن الله لم يكن يأمر إبراهيم بذبح إسحاق، وقد أتته البشارة من الله قبْل ولادته بولادته وولادة يعقوب منه من بعده، فإنها علّة غير موجبة صحةَ ما قال، وذلك أن الله إنما أمر إبراهيم بذبح إسحاق بعد إدراك إسحاق السعْيَ. وجائز [١٠] أن يكون يعقوب وُلد له قبل أن يؤمر أبوه بذبحه، ٣٠١/١ وكذلك لا وجه لاعتلال من اعتلّ فى ذلك بقرْن الكبش أنه رآه معلقًا فى الكعبة، وذلك أنه غيرُ مستحيل أن يكون حُمِل من الشأم إلى الكعبة فعلّق هنالك.

---

(١) ا: «قال».
(٢) سورة الصافات ٩٩، ١٠٠.
(٣) ن: «بتبشيره».
(٤) ط: «فى كتاب الله عز وجل تبشير لإبراهيم».
(٥) سورة هود ٧١.
(٦) سورة الذاريات ٢٨، ٢٩.
(٧) ر: «ذكر».
(٨) سورة الصافات ١٠١.
(٩) ر: «نظيرها».
(١٠) ر: «وجاز».

ذكر الخبر عن صفة فعل إبراهيم
وابنه الذى أمر بذبحه فيما كان أمر به من ذلك
والسبب الذى من أجله أمر إبراهيم بذبحه

والسبب فى أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم بذبح ابنه الذى أمره بذبحه فيما ذُكر أنه إذ فارق قومَه هاربًا بدينه مهاجراً إلى ربه متوجِّهًا إلى الشأم من أرض العراق دعا[1] الله أن يهب له ولداً ذكراً صالحًا من سارَة فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [يعنى بذلك ولداً صالحًا من الصالحين[2]] كما أخبر الله تعالى عنه فقال: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾. فلما نزل به أضيافُه من الملائكة الذين كانوا أرسلوا إلى المؤتفكة قوم لوط بشَّروه بغلام حليم عن أمر الله تعالى إياهم بتبشيره، فقال إبراهيم إذ بشر به: هو إذاً لله ذبيحٌ. فلما ولد الغلام وبلغ السعىَ قيل له: أوْفِ بنذرك الذى نذرتَ لله.

* ذكر من قال ذلك:

١/٣٠٢ حدثنى موسى بن هارون، قال: حدثنى عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدىّ فى خبر ذكره عن أبى مالك. وعن أبى صالح، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانى، عن عبدالله — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال جبرئيل عليه السلام لسارة: أبشرى بولد اسمه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فضربتْ جبينها عجبًا، فذلك قوله: ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾[3]. وقالت: ﴿ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ

(١) ر: «إلى الله».
(٢) تكملة من ا.
(٣) سورة الذاريات ٢٩

الْبَيْتِ إِنَّه حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾(١) . قالت سارة لجبْرائيل : ما آية ذلك ؟ فأخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فاهتزّ أخضَر ، فقال إبراهم : هو إذاً لله ذبيح ، فلما كبر إسحاق أتِيَ(٢) إبراهيم فى النوم فقيل له : أوْفِ بنذرك الذى نذرتَ ؛ إن رزقك الله غلاماً من سارة أن تذبحه . فقال لإسحاق : انطلق فقرِّبْ قرباناً إلى الله . وأخذ سكيناً وحبلاً ، ثم انطلق معه حتّى إذا ذهب بِه بين الجبال قال له الغلام : يا أبت ، أين قربانك ؟ قال : يا بنىّ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، قال له إسحاق : اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف عن(٣) ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمى شىء فتراه سارة فتحزن ، وأسرعْ مرّ السكين على حلقى ليكون أهونَ للموت علىّ ، وإذا أتيتَ سارة فاقرأ عليها السلام . فأقبل عليه إبراهيم عليه السلام يقبّله وقد ربطه وهو يبكى ، وإسحاق يبكى ، حتى استنقع الدموع تحت خدّ إسحاق ، ثم إنه جرّ السكين على حلقه فلم يُحِك(٤) السكين ، وضرب الله عزّ وجلّ صفيحة من نحاس على حلْق إسحاق ، فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه ، وحزّ فى قفاه قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّه لِلْجَبِينِ ﴾(٥) . يقول : سلما لله الأمر ، فنودى : يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا بالحق . التفت ، فإذا بكبش ، فأخذه وخلّى عن ابنه ، فأكبّ على ابنه يقبّله وهو يقول : يا بنىّ اليوم وُهبتَ لى ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ . فرجع إلى سارةَ فأخبرها الخبر ، فجزعت سارة وقالت : يا إبراهيم ، أردت أن تذبح ابنى ولا تعلمنى(٦) !

١ / ٣٠٣

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان إبراهيم فيما يقال إذا زارها — يعنى هاجر — حُمِل على البراق يغدُو من

---

(١) سورة هود ٧٢ ، ٧٣

(٢) ط : « أرى » ، وما أثبته عن ا ، ن .

(٣) ا : « عنى » .

(٤) لم يحك : لم يقطع .

(٥) سورة الصافات ١٠٣

(٦) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٤٩ (بولاق) .

الشأم ، فيقبل بمكة ، ويروح من مكة ، فيبيت عند أهله بالشأم ، حتى إذا بلغ معه السعْىَ ، وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أرى فى المنام أن يذبحه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن إبراهيم حين أمر بذبح ابنه قال له : يا بنىّ خذ الحبل والمُدْية ، ثم انطلق بنا إلى هذا الشِّعب ليحطب[١] أهلك منه ، قبل أن يذكر له شيئًا مما أمر به . ١/٣٠٤ فلما وجه إلى الشِّعب اعترضه عدوّ الله إبليس ليصدّه عن أمر الله فى صورة رجل ، فقال : أين تريد أيها الشيخ ؟ قال : أريد هذا الشعب لحاجة لى فيه ، فقال : والله إنى لأرى الشيطان قد جاءك فى منامك ، فأمرك بذبح بنيّك هذا ، فأنت تريد ذبحه ، فعرفه إبراهيم ، فقال : إليك عنّى ، أى عدوّ الله ، فوالله لأمضينّ لأمر ربى فيه ، فلما يئس عدو الله إبليس من إبراهيم اعترض إسماعيل وهو وراءَ إبراهيم يحمل الحبل والشَّفرة ، فقال له : يا غلام هل تدرى أين يذهب بك أبوك ؟ قال : يحطب[٢] أهلنا من هذا الشّعب ، قال : والله ما يريد إلا أنْ يذبحك ، قال : لِمَ ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قال : فليفعل ما أمره به ربه ، فسمعًا وطاعةً . فلما امتنع منه الغلام ذهب إلى هاجر أم إسماعيل وهى فى منزلها ، فقال لها : يا أمّ إسماعيل ، هل تدرين أين ذهب إبراهيم بإسماعيل ؟ قالت : ذهب به يحطبنا[٣] من هذا الشِّعب ، قال : ما ذهب به إلا ليذبحه ، قالت : كَلاّ هو أرحمُ به وأشد حبًّا له من ذلك ، قال : إنّه يزعم أن الله أمره بذلك ، قالت : إن[٤] كان ربه أمره بذلك فتسليماً لأمر الله . فرجع عدوّ الله بغيظه لم يصب من آل إبراهيم شيئًا مما أراد ، وقد امتنع[٥] منه إبراهيم وآل إبراهيم بعون الله ، وأجمعوا[٦] لأمر الله بالسمع والطاعة ،

(١) ن : « لنحتطب لأهلك » .
(٢) ر ، ن : « يحطب لأهلنا » .
(٣) ن : « ليحتطب لنا » .
(٤) ا : « فإن » .
(٥) ط : « قد امتنع » ، وما أثبته عن ا .
(٦) ر : « واجتمعوا » .

فلما خلا إبراهيم بابنه فى الشِّعب وهو فيما يزعمون شعب ثَبير - قال له : يابنىّ ، إنى أرى فى المنام أنى أذبحك قال : يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين .

قال ابن حميد : قال سلمة : قال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم : إن إسماعيل قال له عند ذلك : يا أبتِ إن أردت ذبحى فاشدد رباطى لا يُصِبْك[1] منّى شىءٌ فينقص أجرى ، فإن الموت شديد ، وإنى لا آمن أن أضطربَ عنده إذا وجدت مسّه ، واشحذْ شفرتك حتى تُجهز علىّ فتريحنى ، وإذا أنت أضجعتَنى لتذبحنى فكبَّنى لوجهى على جبينى ولا تُضجعْنى لشقّ ، فإنى أخشى إن أنت نظرت فى وجهى أن تدركك رقةٌ تحولُ بينك وبين أمر الله فىّ ، وإن رأيت أن ترُدَّ قميصى على أمّى فإنه عسى أن يكون هذا أسلَى لها عنّى ، فافعل . قال : يقول له إبراهيم : نعْمَ العونُ أنت يا بنىّ على أمر الله . قال : فربَطه كما أمره إسماعيل فأوثقه ، ثم شحذ شفرَته ثم تلّه للجبين واتقى النظر فى وجهه ، ثم أدخل الشَّفرة لحلقه فقلبها الله لقفاها فى يده ، ثم اجتذبها إليه ليفرغ منه ، فنودى . أن يا إبراهيم قد صدَّقت الرؤيا ، هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ ، وإنما تتَلّ الذبائح على خدودها ، فكان مما صدق عندنا هذا الحديث عن إسماعيل فى إشارته على أبيه بما أشار إذ قال : كبنى على وجهى قوله : ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[2] . ٣٠٦/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن قَتادة بن دِعامة ، عن جعفر بن إياس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفاً ، فأرسل إبراهيم ابنه فاتَّبع الكبش ، فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرماه بسبع حصيات ،

---

(١) ن : « حتى لا يصبك » .
(٢) سورة الصافات ١٠٣ - ١٠٧ .

فأفلته عنده ، فجاء الجمرة الوسطى ، فأخرجه عندها ، فرماه بسبع حصيات ، ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى ، فرماه بسبع حصيات ، فأخرجه عندها ، ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه ، فوالذى نَفسُ ابن عباس بيده ، لقد كان أول الإسلام ، وإن رأسَ الكبش لمعلَّق بقرنيه فى ميزاب الكعبة ، وقد وَخُش – يعنى قد يبس .

حدثنى محمد بن سنان القزاز ، قال : حدثنى حجاج ، عن حماد ، عن أبى عاصم الغنوى ، عن أبى الطُّفَيل ، قال : قال ابن عباس : إن إبراهيم لما أمِر بالمناسك عرَض له الشيطان عند المسْعى[1] فسابقه ، فسبقه إبراهيم ، ثم ذهب به جَبرئيل عليه السلام إلى جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم تلّه للجبين ، وعلى إسماعيل قميص أبيض ، فقال له : يا أبت إنه ليس لى ثوب تكفّنّى[2] فيه غير هذا فاخلعه عنى ، فأكفِنّى فيه ، فالتفت إبراهيم عليه السلام فإذا هو بكبش أعْيَن أبيض أقرن فذَبحه ، فقال ابن عباس : لقد رأيتنا نتبع هذا الضرب من الكباش[3] .

٣٠٧/١

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنى أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى وحدثنى الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال ، حدثنا ورقاء ، جميعًا عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، قوله : ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ ، قال : وضع وجهه للأرض قال : لا تذبحنى وأنت تنظر إلى وجهى عسى أن ترحمنى ؛ فلا تجهز علىّ ؛ اربط يدىّ إلى رقبتى ، ثم ضع وجهى للأرض .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبى الطفيل ، عن علىّ عليه السلام : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ، قال : كبش أبيض أقرن أعيَن مربوط بِسَمُر[4] فى ثبير .

---

(١) ر : « السّعْى » . (٢) ر : « تكفنى » .
(٣) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥١ (بولاق) .
(٤) سمر ، كرجل : من شجر العضاه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن جُريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ، قال : كبش . قال عبيد بن عُمَير : ذبح بالمقام ، . وقال مجاهد : ذبح بمنًى في المنحر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان ، عن ابن خُثَيم ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام هو الكبش الذي قرَّبه ابن آدم فتُقبِّل منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ، قال : كان الكبش الذي ذبحه إبراهيم رعى في الجنة أربعين سنة ، وكان كبشًا أملحَ ، صوفه مثل العهن الأحمر .

١ / ٣٠٨ حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن رجل ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ، قال : كان وعِلا .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو ابن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول : ما فُدِيَ إسماعيلُ إلا بتيس كان من الأرْوَى ، أهبِط عليه من ثَبير ، وما يقول الله : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ لذبيحته فقط ، ولكنه الذبح على دينه ، فتلك السنَّة إلى يوم القيامة ، فاعلموا أن الذبيحةَ تدفع ميتة السوء ، فضحُّوا عباد الله .

وقَدْ قال أمَيّة بن أبي الصَّلْت في السبب الذي من أجله أمِر إبراهيم بذبح ابنه شعْرًا ، ويحقق بقِيله ماقال في ذلك الرواية التي رويناها عن السديّ ، وأن ذلك كان من إبراهيم عن نذرٍ كان منه ، فأمره الله بالوفاء به ، فقال :

وَلِإبْرَاهِيمَ المُوَفِّي بالنَّـذْ ... رِ احْتِسَابًا وَحَامِلِ الْأَجْزَالِ[1]

---

(١) الأبيات في خزانة الأدب ٢ : ٥٤٢ مع اختلاف في الرواية .

بِكْرِهِ لم يكن لِيَصْبِرَ عنه ... أوْ يَرَاهُ فِي مَعْشَرٍ أَقْيَالِ

أَيْ بُنَيَّ إِنِّي نَذَرْتُكَ لِلّـه ... شَحِيطاً فَاصْبِرْ فِدًى لك خالِي (١)

وَاشْدُدِ الصَّفْدَ لا أَحِيدُ عَنِ السِّـ ... ـكِّينِ حَيْدَ الأَسِيرِ ذِي الأَغْلَالِ

وَلَهُ مُدْيَةٌ تَخَايَلُ فِي اللَّحْـ ... ـمِ جُذَامٌ حَنِيَّةٌ كَالْهِلَالِ

بَيْنَمَا يَخْلَعُ السَّرَابِيلَ عَنْهُ ... فَكَّهُ رَبُّهُ بِكَبْشٍ جُلَالِ

١/٣٠٩

فَخُذَنْ ذا فَأَرْسِلِ ابْنَكَ إِنِّي ... لِلَّذِي قد فَعَلْتُمَا غَيْرُ قَالِ

وَالِدٌ يَتَّقِي وَآخَرُ مَوْلُو ... دٌ فَطَارَا مِنْهُ بِسِمْعٍ فَعَالِ (٢)

رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الأَمْـ ... ـرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين — يعنى ابن واقد — عن زيد، عن عكرمة : قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ : قال : أسلما جميعاً لأمر الله ؛ رضى الغلام بالذبح ورضى الأب بأن يذبحه . قال : يا أبت اقذفنى للوجه كيلا تنظر إلىّ فترحمنى ، وأنظر أنا إلى الشفرة فأجزع ، ولكن أدخل الشفرة من تحتى ، وامض لأمر الله ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، فلما فعل ذلك ناديناه ﴿ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

* * *

[ذكر ابتلاء الله إبراهيم بكلمات]

وكان ممن امتحن الله به إبراهيم عليه السلام وابتلاه به — بعد ابتلائه إياه بما كان من أمره وأمر نُمرود بن كوش ، ومحاولته إحراقه بالنار وابتلائه بما كان من أمره إياه بذبح ابنه ، بعد أن بلغ معه السعى ورجا نفعه ومعونته على ما يقرّبه من ربه عزّ وجلّ ورفعه القواعد من البيت ، ونسكه المناسك — ابتلاؤه جلّ جلالُه بالكلمات التى أخبر الله عنه أنه ابتلاه بهنّ فقال : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى

(١) كذا فى ا ، ر ، وفى ط : « حالى » .

(٢) السمع : الذكر الجميل . وفى الخزانة : « بسمع معال » .

إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[1]

* * *

وقد اختلف السَّلف من علماء الأمة فى هذه الكلمات التى ابتلاه الله بهن فأتمهنّ ، فقال بعضهم : ذلك ثلاثون سهمًا ، وهى شرائع الإسلام . ٣١٠/١

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المثنّى ، قال : حدثنا عبد الأعلى ، قال : حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ،قال : قال ابن عباس : لم يُبْتَلَ أحد بهذ الدين فأقامه إلا إبراهيم عليه السلام ، ابتلاه الله تعالى بكلمات فأتمهنّ ،قال : فكتب الله تعالى له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى ﴾[2] : عَشْرٌ منها فى الأحزاب ، وعشر منها فى بَرَاءَةَ ، وعَشْر منها فى المؤمنين ، وسأل سائل ، وقال : إنّ هذا الإسلام ثلاثون سهمًا .

حدثنا إسحاق بن شاهين الواسطىّ ، قال : حدثنا خالد الطحان ، عن داود ، عن عكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما ابتُلِىَ أحد بهذا الدين فقام به كلّه غير إبراهيم عليه السلام ؛ ابتُلى بالإسلام فأتمّه ، فكتب الله له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى ﴾ ، فذكر عشراً فى براءة ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ... ﴾[3] وعشراً فى الأحزاب : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... ﴾[4] وعشراً فى سورة «المؤمنين» إلى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[5] ، وعشراً فى سأل سائل : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[6] .

---

(١) سورة البقرة ١٢٤
(٢) سورة النجم ٣٧
(٣) سورة التوبة ١١٢
(٤) سورة الأحزاب ٣٥
(٥) سورة المؤمنين ٩
(٦) سورة المعارج ٣٤

٣١١/١ وحدثني عبد الله بن أحمد المروزيّ، قال : حدثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدثنا خارجة بن مصعب ، عن داود بن أبي هند ، عن عِكرمة، عن ابن عباس، قال : الإسلام ثلاثون سهمًا ، وما ابتُلى أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم ، قال الله تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ، فكتب الله له براءة من النار .

* * *

وقال آخرون : ذلك عشر خصال من سنن الإسلام ، خمس منهنّ في الرأس ، وخمس في الجسد .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمَر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إبراهيمَ رَبُّهُ بكلمات ﴾ ، قال : ابتلاه الله عزّ وجلّ بالطهارة: خمس في الرأس ، وخمس في الجسد ؛ في الرأس قصُّ الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسِّواك ، وفرْق الرأس . وفي الجسد تقليم الأظفار ، وحلْق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وغسْل أثر الغائط والبول بالماء .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الحكم بن أبان ، عن القاسم بن أبي بَزّة ، عن ابن عباس بمثله ، غير أنه لم يذكر أثر البول .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سليمان بن حرب ، قال : حدثنا أبو هلال ، قال : حدثنا قتادة في قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إبراهيمَ رَبُّهُ بكلمات ﴾، قال : ابتلاه بالختان ، وحَلْق العانة ، وغسل القُبُل والدُّبر، والسواك ، وقصّ الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط . قال أبو هلال : ونسيت خَصْلة .

٣١/١ حدثني عبدان المروزيّ ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبدالله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن مطر، عن أبي الجَلْد[1] ، قال : ابتُلى

(١) ط « أبو خالد » تصحيف ، والصواب ما أثبته من ا والتفسير ٣ : ٩ .

إبراهيم عليه السلام بعشرة أشياء هن فى الإنسان[1] سنّة : المضمضة ، والاستنشاق ، وقصّ الشارب ، والسواك ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار ، وغسل البراجم ، والختان ، وحلق العانة ، وغسل الدّبر والفرج .

* * *

وقال آخرون نحو قول هؤلاء ، غير أنهم قالوا : ستٌّ من العشر فى جسد الإنسان ، وأربع منهن فى المشاعر .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا محمد بن حرب ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن ابن هبيرة ، عن حنش ، عن ابن عباس فى قوله عزّ وجلّ : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ، قال : ست فى الإنسان وأربع فى المشاعر ، فالتى فى الإنسان : حلْق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار ، وقصّ الشارب ، والغُسل يوم الجمعة . وأربع فى المشاعر : الطواف ، والسعى بين الصفاء والمروة ، ورمى الجمار ، والإفاضة .

* * *

وقال آخرون : [بل][2] ذلك قوله : ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ، ومناسك الحج .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كُريْب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت إسماعيل ابن أبى خالد ، عن أبى صالح : قوله : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبراهيمَ ربُّهُ بكلمات فأتمَّهُنَّ﴾ ، منهنّ إنى جاعلك للناس إمامًا وآيات النسك[3] ٢١٣/١

حدثنى أبو السائب ، قال : حدثنا ابن إدريس قال : سمعت إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، مولى أم هانئ فى قوله : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ، قال : منهن ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ، ومنهن آيات النسك

---

(١) ط : « الإسلام » وما أثبته من ا والتفسير .
(٢) من ا ، ن والتفسير ٣ : ١٠ .
(٣) ر : « ومناسك الحج » .

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبراهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾[١] .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : أخبرنا أبو عاصم ، قال : حدثني عيسى ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وإذِ ابْتَلَى إبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فأَتَمَّهُنَّ ﴾[٢] قال : قال الله لإبراهيم : إني مبتليك بأمر فما هو ؟ قال : تجعلني للناس إماماً ، قال : نعم ، ﴿ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ، قال : تجعل البيت مثابة للناس ، قال : نعم ، قال : وتجعل هذا البلد أمْناً ، قال : نعم ، [قال][٣] : وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمَّةً مسلمة لك ، قال : نعم ، [قال][٣] : وترينامناسكنا وتتوب علينا ، قال : نعم ، [قال][٣] : وترزق أهله من الثمرات من آمن [منهم][٣] ؟ قال : نعم[٤] .

حدثني القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جُريج ، عن مجاهد بنحوه . قال ابن جريج : فاجتمع على هذا القول مجاهد وعكْرمة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَإذ ابتلى إبراهِيمَ رَبُّه بِكَلِمَاتٍ فأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : ابتلي بالآيات التي بعدها : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قال وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا ينالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[٢] .

حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبْل ، عن ابن أبي نَجيح ، قال : أخبرني به عكرمة ، قال : فعرضته على مجاهد فلم ينكره . ٣١٤/١

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّديّ : الكلمات التي ابتلى بهنّ إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

---

(١) سورة البقرة ١٢٧ .
(٢) سورة البقرة ١٢٤ .
(٣) من التفسير .
(٤) الخبر في التفسير ٣ : ١١

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾[1].

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله : ﴿ وَإِذِ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات ﴾[2] قال : الكلمات : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾[2] ، وقوله : ﴿ وإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وأمنا ﴾ ، وقوله : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مُصَلًّى ﴾[2] وقوله : ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾[2] الآية ، وقوله : ﴿ وإذْ يرفعُ إبْرَاهيمُ القواعدَ من البيت .. ﴾[2] الآية . قال فذلك كلُّه من الكلمات التي ابتلى بهنّ إبراهيم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : منهن ﴿ إني جاعِلُكَ للنَّاسِ إماماً ﴾[2] ، ومنهنّ : ﴿ وإذ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ ، ومنهنّ الآيات في شأن المنسك والمقام الذي جعل لإبراهيم ، والرزق الذي رزق ساكن البيت ، ومحمد صلى الله عليه وسلم بعث في ذريتهما .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك مناسك الحجّ خاصّة .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٥/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سَلْم بن قتيبة ، قال : حدثنا عمر بن نبهان ، عن قتادة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِذِ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ ﴾ قال : مناسك الحج .

---

(١) سورة البقرة ١٢٧ – ١٢٩

(٢) سورة البقرة ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان ابن عباس يقول فى قوله : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ ﴾ قال : هى المناسك .

حُدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه قال : بلغنا عن ابن عباس أنه قال : إنَّ الكلمات التى ابتلى بهنّ إبراهيمُ هى المناسك .

حدثنى أحمد بن إسحاق الأهوازىّ ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرىّ ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن التميمىّ ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وإذِ ابتلَى إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ فأتمهنَّ ﴾ ، قال : مناسك الحجّ .

حدثنى ابن المثنى ، قال : حدثنى الحِمَّانىّ ، قال : حدثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن التميمىّ ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس : ابتلاه بالمناسك . ٢١٦/١

* * *

وقال آخرون : بل ابتلاه بأمور ، منهنَّ الخِتان .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سلْم بن قتيبة ، عن يونس بن أبى إسحاق ، عن الشعْبىّ : ﴿ وإذِ ابتلَى إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ ﴾ ، قال : منهن الختان .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا يونس ابن أبى إسحاق ، قال : سمعتُ الشعبىّ يقول . . . فذكر مثله .

حدثنى أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا يونس بن أبى إسحاق ، قال : سمعتُ الشعبى — وسأله أبو إسحاق عن قوله

عزّ وجلّ : ﴿ وإِذِ ابْتَلَى إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ - قال : منهنّ الختان يا أبا إسحاق .

* * *

وقال آخرون : ذلك الخلالُ الستّ : الكوكب ، والقمر ، والشمس ، والنار ، والهجرة ، والختان ، التي ابتلى بهنّ أجمع فصبرَ عليهنّ .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رَجَاء ، قال : قلتُ للحسن : ﴿ وإِذِ ابْتَلَى إِبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : ابتلاه بالكوكب فرضي عنه ، وابتلاه بالقمر فرضي عنه ، وابتلاه بالشمس فرضي عنه ، وابتلاه بالنار فرضي عنه ، وابتلاه بالهجرة ، وابتلاه بالختان .

حدّثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدثنا سَعيد ، عن قَتادة ، قال : كان الحسنُ يقول : إن الله ابتلاه بأمرٍ فصبر عليه ؛ ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر ، فأحسن في ذلك ، وعرَف أن ربَّه دائم لا يزول ، فوجَّه وجهه للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما كان من المشركين ؛ وابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتّى لحق بالشام مهاجراً إلى الله تعالى ؛ ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصَبر على ذلك ، وابتلاه بذبح ابنه وبالختان[1] ، فصَبر على ذلك . ٣١٧/١

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرّزّاق ، قال : أخبرنا مَعْمَر ، عمّن سمع الحسن يقول في قوله : ﴿ وإِذِ ابْتَلَى إِبراهِيمَ رَبُّهُ بكلِمَاتٍ ﴾ ، قال : ابتلاه [بذبح ولده ، وبالنار و][2] بالكوكب ، وبالشمس ، وبالقمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سَلْم بن قُتَيْبَة ، قال : حدثنا أبو هلال عن الحسن : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبراهِيمَ ربُّه بكلمات ﴾ ، قال : ابتلاه بالكوكب ، وبالشمس وبالقمر ، فوجده صابراً .

---

(١) ط : « والختان » ، وما أثبته من ا ، والتفسير ٣ : ١٤
(٢) تكملة من التفسير ٣ : ١٤

حدثنا أحمد بن إسحاق بن المختار ، قال : حدثنى غسّان بن الربيع ، قال : حدثنا عبد الرحمن — وهو ابن ثَوْبَان — عن عبد الله بن الفضل ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هُرَيْرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اختتن إبراهيم بعد ثمانين سنة بالقَدُوم » .

* * *

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الكلمات التى ابتلى بهن إبراهيم خبران :

أحدهما : ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا الحسن بن عطية ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإبراهيمَ الَّذِى وَفَّى ﴾ قال : « أتدرون ما وفّى ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « وفّى عملَ يومه أربعَ ركعات فى النهار » . ٣١٨/١

والآخر منهما ما حدّثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا رِشْدين بن سعد ، قال : حدثنا زبان بن فائد ، عن سَهْل بن مُعاذ بن أنس ، عن أبيه ، قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبرُكم لم سمى الله إبراهيم خليله ﴿الَّذِى وَفَّى﴾ ؟ لأنه كان يقول كُلَّما أصبح وكلّما أمسى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . . . ﴾(١) حتى ختم الآية » (٢) .

فلما عرف الله تعالى من إبراهيم الصبرَ على كلّ ما ابتلاه به ، والقيام بكلّ ما ألزمه من فرائضه ، وإيثاره طاعتَه على كلّ شىء سواها ، اتخذه خليلا ، وجعلَه لمن بعده من خلقه إمامًا ، واصطفاه إلى خلقه رسولا ، وجعل فى ذرّيته النبوةَ والكتاب والرسالة ، وخَصّهم بالكتب المنزلة ، والحِكَم البالغة ، وجعل منهم الأعلام والقادة والرؤساء والسادة ، كلّما مضى منهم نجيبٌ خلفه سيد رفيع ، وأبقى لهم ذكراً فى الآخرين ، فالأمم كلها تتولاه وتُثنى عليه ، وتقول بفضله إكرامًا من الله له بذلك فى الدنيا ، وما ادّخر له فى الآخرة من الكرامة

---

(١) سورة الروم ١٧ (٢) الخبران فى التفسير ٣ : ١٥ ، ١٦ .

أجلُّ وأعظمُ من أن يحيط به وصف واصف .

* * *

[أمر نمرود بن كوش بن كنعان]

ونرجع الآن إلى الخبر عن عدوّ الله وعدو إبراهيم الذى كذّب بما جاء به من عند الله ، وردّ عليه النصيحة التى نصحها له جهلا منه ، واغتراراً بحلم الله تعالى عنه ، نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، وما آل إليه أمره فى عاجل دنياه حين تمرّد على ربه ، مع إملاء الله إياه ، وتركه تعجيل العذابَ له على كفره به ، ومحاولته إحراق خليله بالنار حين دعاه إلى توحيد الله والبراءة من الآلهة والأوثان ، وأنّ نمرودَ لما تطاول عُتُوُّه وتمرّده على ربّه مع إملاء[1] الله تعالى له – فيما ذكر – أربعمائة عام ، لا تزيده حججُ الله التى يحتجّ بها عليه ، وعبرُه التى يُريها إياه إلا تمادياً فى غيّه ، عذبه الله – فيما ذكر – فى عاجل دنياه قدر إملائه إياه من المدة بأضعف خلْقه ، وذلك بعوضة سلطها عليه [توغلت فى خياشيمه فمكث أربعمائة سنة يعذب بها فى حياته الدنيا][2]. ٣١٩/١

* * *

* ذكر الأخبار الواردة عنه بما ذكرت من جهله وما أحلّ الله به من نقمته :

حدثنى الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم ، أنّ أولَ جبار كان فى الأرض نُمرود ، وكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام ، فخرج إبراهيم يمتارُ مع من يمتارُ ، فإذا مرّ به ناس قال : مَنْ ربُّكم ؟ قالوا : أنت ، حتى مرّ به إبراهيم ، قال : من ربك ؟ قال : ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ٣٢٠/١

(١) ا : « إملاء الله إياه » . (٢) تكملة من ا ، ن .

﴿فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المشرق فأتِ بها من المغرب فبُهِتَ الذى كفر﴾.[١]
قال : فردَّه بغير طعام، قال: فرجع إبراهيمُ إلى أهله فمرَّ على كثيبٍ أعفر[٢]، فقال : هلاَّ آخذُ من هذا فآتىَ به أهلى فتطيبَ أنفسهم حين أدخل عليهم! فأخذ منه، فأتىَ أهلَه. قال: فوضع متاعه ثم نام، فقامت امرأتُه إلى متاعه ففتحته فإذا هى بأجود طعام رآه أحدٌ، فصنعت له منه، فقرّبته إليه — وكان عهد أهله ليس عندهم طعام — فقال: منْ أين هذا ؟ قالت : من الطعام الذى جئتَ به، فعلِم أن الله قد رزقه، فحمِد الله.

ثم بعث الله إلى الجبار ملَكًا : أن آمنْ بى وأتركك على ملكك، قال : فهل ربّ غيرى ؟ فجاءه الثانية فقال له ذلك. فأبى عليه، ثم أتاه الثالثة فأبى عليه، فقال له الملَك : اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام، فجمع الجبّار جموعَه، فأمر الله الملك، ففتح عليهم بابًا من البَعوض، فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها[٣]، فبعثها الله عليهم، فأكلت لحومَهم وشربت دماءهم، فلم يبق إلا العظام، والملك كما هو لم يُصبْهُ من ذلك شىء، فبعث الله عليه بعوضةً فدخلتْ فى منخره، فمكث أربعمائة سنة يُضرب رأسه بالمطارق، وأرحم الناس به مَنْ جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه. وكان جبّارًا أربعمائة عام، فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه وأماته الله، وهو الذى بنى صرْحًا إلى السماء، فأتى الله بنيانه من القواعد، وهو الذى قال الله : ﴿فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ﴾[٤]

٣٢١/١ حدثنا موسى بن هارون، قال : حدثنا عمرو بن حماد، قال : حدثنا أسباط، عن السدّى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح، عن ابن عباس — وعن مرّة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله

---

(١) سورة البقرة ٢٥٨ .
(٢) الكثيب الأعفر : الرمل الأحمر .
(٣) ن : «كثرته» .
(٤) سورة النحل ٢٦ ، والخبر فى التفسير ٥ : ٤٣٣ – ٤٣٤ .

عليه وسلم ، قال : أمر الذى حاجّ إبراهيم فى ربه بإبراهيم ، فأخرِج — يعنى من مدينته — قال : فأخرِج فلقى لوطًا على باب المدينة — وهو ابن أخيه — فدعاه فآمن به ، وقال : ﴿ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّى ﴾(١) ، وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم ، فأخذ أربعة أفرُخ من فراخ النسور ؛ فربَّاهن باللحم والخمر ، حتى إذا كبرن وغلظن واستعلجن ، قرنهنّ بتابوت ، وقعد فى ذلك التابوت ، ثم رفع رجلاً من لحم لهنّ ، فطرن به ؛ حتى إذا ذهبن فى السماء أشرف ينظر إلى الأرض ، فرأى الجبال تدبُّ كدبيب النمل ، ثم رفع لهنّ اللحم ، ثم نظر فرأى الأرض محيطًا بها بحر كأنها فَلْكة فى ماء ، ثم رفع طويلا فوقع فى ظلمة ؛ فلم ير ما فوقه ولم ير ما تحته ، ففزع فألقى اللحم فاتبعتْه منقضّات ، فلما نظرت الجبال إليهنّ وقد أقبلن منقضَّاتٍ وسمعن حفيفهنّ فزعت الجبال ، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن ، وذلك قوله عزَّ وجلّ : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾(٢) ، وهى فى قراءة ابن مسعود : ﴿ وإن كَادَ مَكْرُهُمْ ﴾ فكان طيرانهنّ(٣) به من بيت المقدس ، ووقوعهنّ فى جبل الدخان ، فلما رأى أنه لا يطيق شيئًا أخذ فى بناء الصرح ، فبنى حتى إذا أسنده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر — بزعمه — إلى إله إبراهيم ، فأحدث لم يكن يُحدِث ، وأخذ الله بنيانه من القواعد : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(٤) ، يقول : من مأمنهم ، وأخذهم من أساس الصرح ، فتنقضّ [بهم](٥) . ثم سقَطَ فتبلبلت ألسن الناس من يومئذ من الفزع ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانًا ، فلذلك سميت بابل ، وإنما كان لسان الناس قبل ذلك السُّريانية(٦) .

١/٣٢٢

---

(١) سورة العنكبوت ٢٦

(٢) سورة إبراهيم ٤٦

(٣) ا والتفسير : « طيرورتهنّ » ؛ وهما بمعنى .

(٤) سورة النحل ٢٦

(٥) تكملة من ا والتفسير .

(٦) الخبر فى التفسير ١٤ : ٦٦ ، ٦٧ (بولاق) .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبو داود الحفَرِىّ ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد –أو جعفر– عن سعيد بن جُبير : ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ ، قال : نمرود صاحب النسور ، أمر بتابوت فجُعل وجَعَل معه رجلا . ثم أمر بالنسور فاحتملته ، فلمَّا صعد قال لصاحبه : أىّ شىء ترى ؟ قال : أرَى الماء والجزيرة – يعنى الدنيا – ثم صعد وقال لصاحبه : أىّ شىء ترى ؟ قال : ما نزداد من السماء إلا بعداً ، قال : اهبط ، وقال غيره : نُودى : أيها الطاغية ، أين تريدُ ؟ فسمعت الجبال حفيفَ النسور ، وكانت ترى أنه أمر من السماء فكادت تزول ، فهو قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[1] .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن أبى عدىّ ، عن شُعْبة ، عن أبى إسحاق ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن دانيل ، أن عليًّا عليه السلام قال فى هذه الآية : ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ ، قال : أخذ ذلك الذى حاجّ إبراهيم فى ربه نَسْرَيْن صغيرين ، فربّاهما حتى استغلظا واستعلجا فشبّا ، قال : فأوثق رجْلَ كلّ واحد منهما بوتر إلى تابوت ، وجوّعهما وقعد هو ورجُل آخر فى التابوت ، قال : ورفع فى التابوت عصًا على رأسه اللحم ، فطارا ، وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترى ؟ قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال : أرى الدنيا كأنها ذباب ، فقال : صوّبْ ، فصوّبها ، فهبطا . قال : فهو قوله عزّ وجلّ : ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ . قال أبو إسحاق : ولذلك هى فى قراءة عبد الله : ﴿وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ﴾[2] .

١/٣٢٣

فهذا ما ذكر من خبر نمرود بن كوش بن كنعان .

* * *

وقد قال جماعة : إن نمرود بن كوش بن كنعان هذا ملَك مشرق الأرض ومغربها ، وهذا قول يدفعُه أهل العلم بسيَر الملوك وأخبار الماضين ، وذلك أنهم

---

(١) الخبر فى التفسير ١٣ : ١٦١ (بولاق) .

(٢) الخبر فى التفسير ١٣ : ١٦٠ (بولاق) .

لا يدفعون ولا ينكرون أن مولد إبراهيمَ كان فى عهد الضحاك بن أندرماسب الذى قد ذكرنا بعضَ أخباره فيما مضى ، وأن ملك شرق الأرض وغربها يومئذ كان الضحاك . وقد قال بعض مَنْ أشكل عليه أمر نمرود ممن عرف زمان الضحاك وأسبابه فلم يدر كيف الأمر فى ذلك مع سماعه ما انتهى إليه من الأخبار عمن رُوِى عنه أنه قال : ملك الأرض كافران ومؤمنان ، فأمّا الكافران فنمرود وبختنصّر ، وأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين . وقولَ القائلين من أهل الأخبار إن الضحاك كان هو ملك شرق الأرض وغربها فى عهد إبراهيم نمرود : هو[1] الضحاك . وليس الأمر فى ذلك عند أهل العلم بأخبار[2] الأوائل ، والمعرفة بالأمور السوالف ، كالذى ظَنّ ، لأن نسب نمرودَ فى النَّبَط معروف ، ونسب الضحاك فى عَجَم الفرس مشهور ، ولكنّ ذوى العلم بأخبار الماضين وأهل المعرفة بأمور السالفين من الأمم ذكروا أن الضّحاك كان ضمّ إلى نمرود السَّواد وما اتصل به يمنة ويَسرة ، وجعله وولده عُمّاله على ذلك ، وكان هو يتنقَّل[3] فى البلاد ، وكان وطنه الذى هو وطنُه ووطن أجداده[4] دُنْباوند ، من جبال طَبَرستان ، وهنالك رمى به أفريدُون حين ظفر به وقهره موثقًا بالحديد . وكذلك بختنصّر كان أصبهبذ ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربى دجلة من قبل لهُراسب ، وذلك أنّ لهُراسب كان مشتغلا بقتال الترك ، مقيماً بإزائهم ببلْخ ، وهو بَناها - فيما قيل - لمَّا تطاول مكثُه هنالك لحرب الترك ، فظنّ مَنْ لم يكن عالمًا بأمور القوم بتطاول مدة ولايتهم أمرَ الناحية لمن ولوا له أنهم كانوا هم الملوك . ولم يدَّع أحدٌ من أهل العلم بأمور الأوائل وأخبار الملوك الماضية وأيام الناس فيما نعلمه أن أحداً من النَّبط كان ملكًا برأسه على شِبْرٍ من الأرض ، فكيف يملكُ شرق الأرض وغربها ! ولكنّ العلماء من أهل الكتاب وأهل المعرفة بأخبار الماضين ومن قد عانى النظر فى كتب التأريخات ، يزعمون أنّ ولاية نمرود إقليمَ بابل من قِبَل الازدهارق بيوراسب دامت أربعمائة سنة ، ثم لرجل من نسله من بعد هلاك نمرود ، يقال

١/٣٢٤ ، ١/٣٢٥

---

(١) ر : « وهو » . (٢) ط : « بالأخبار » ، وما أثبته عن ا ، ر ، ن .
(٣) كذا فى ا ، وفى ط : « ينتقل » . (٤) ن : « أولاده » .

له نَبطَ بن قعود مائة سنة ، ثم لداوص[١] بن نبط من بعد نبط ثمانين سنة ، ثم من بعد داوص بن نبط لبالش بن داوص مائة وعشرين سنة، ثم لنمرود بن بالش من بعد بالش سنة وأشهراً . فذلك سبعمائة سنة وسنة وأشهر ، وذلك كله فى أيام الضحاك ، فلما ملك أفريدُون وقهر الازدهاق قتل نمرود بن بالش وشرّد النَّبَطَ وطردهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، لما كان منهم من معاونتهم بيورَاسب على أموره ، وعَمَل نمرود وولده له .

وقد زعم بعض أهل العلم أن بيوراسب قد كان قبل هلاكه تنكّر لهم . وتغيّر عما كان لهم عليه .

* * *

[ذكر لوط بن هاران وقومه]

ونعود الآن إلى ذكر الخبر عن بقية الأحداث التى كانت فى أيام إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

وكان من الكائن أيام حياته من ذلك ما كان من أمر لوط بن هاران ابن تارخ ، ابن أخى إبراهيم عليهما السلام وأمر قومه من سَدُوم . وكان من أمره فيما ذكر أنه شخص من أرض بابل مع عمّه إبراهيم خليل الرحمن ، مؤمنًا به ، متبعًا له على دينه ، مهاجراً إلى الشام ، ومعهما سارَة بنت ناحور .

وبعضهم يقول : هى سارة بنت هيبال[٢] بن ناحور . وشخص معهم — فيما قيل — تارخ أبو إبراهيم مخالفًا لإبراهيم فى دينه ، مقيماً على كفره حتى صاروا إلى حرّان ، فمات تارخ وهو [آزر][٣] أبو إبراهيم بحرّان على كفره وشَخَص إبراهيم ولوط وسارة إلى الشام، ثم مضوْا إلى مصر ، فوجدوا بها فرعونًا من فراعنتها ، ذُكر أنه كان سنان بن علوان بن عبيد بن عويج[٤] بن عملاق بن لاوذ[٥] ابن سام بن نوح . وقد قيل إن فرعون مصر يومئذ كان أخًا للضحاك ، كان

١/٢٢٦

(١) ن : « ولداوص » ر « ولداوس » .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « هنال » .
(٣) تكلة من ا .
(٤) ر : « عوج » .
(٥) ب : « لاوى » .

الضّحاك وجّهه إليها عاملا عليها من قِبَله — وقد ذكرتُ بعض قصته مع إبراهيم فيما مضى قبلُ — ثم رجعوا عَوْداً على بدئهم إلى الشأم. وذكر أن إبراهيم نزل فلسطين، وأنزل ابنَ أخيه لوطًا الأردنَّ، وأن الله تعالى أرسل لوطًا إلى أهل سَدوم، وكانوا أهلَ كفرٍ بالله وركوب فاحشة، كما أخبر الله عن قوم لوط: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾[١].

* * *

وكان قطعهم السبيل — فيما ذكر — إتيانهم[٢] الفاحشة إلى مَنْ ورد بلدهم.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾، قال: السبيل طريقُ المسافر إذا مرّ بهم، وهو ابن السبيل قطعوا به وعملوا به ذلك العمل الخبيث.

* * *

وأما إتيانهم ما كانوا يأتونه من المنكر في ناديهم، فإن أهلَ العلم اختلفوا فيه، فقال بعضهم: كانوا يحذفون مَنْ مرّ بهم. ١/٣٢٧

وقال بعضهم: كانوا يتضارطون في مجالسهم.

وقال بعضهم: كان بعضهم ينكح بعضًا فيها.

* ذكر من قال كانوا يحذفون من مرّ بهم:

حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا عمر ابن أبي زائدة، قال: سمعتُ عكرمة يقول في قوله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾، قال: كانوا يؤذون أهلَ الطريق، يحذفون مَنْ مرّ بهم[٣].

---

(١) سورة العنكبوت ٢٨، ٢٩.

(٢) ب: «اتباعهم».

(٣) الخبر في التفسير ٢٠: ٩٣ (بولاق)

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن عمر بن أبي زائدة[1] ، قال : سمعت عكرمة ، قال : الحذف .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مرة الهمدانىّ عن ابن مسعود – وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾ ، قال : كانوا كلّ من مرّ بهم حذفوه ، وهو المنكر .

* ذكر من قال : كانوا يتضارطون فى مجالسهم :

حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطّفاوىّ[2] ، قال : حدثنا محمد بن ربيعة ، قال : حدثنا رَوْح بن غُطَيف الثقفىّ ، عن عمرو بن مُصعَب ، عن عُرْوة ابن الزبير ، عن عائشة فى قوله تعالى : ﴿ وتأتونَ فى ناديكُمُ المنكَرَ ﴾ ، قالت : الضراط .

٣٢٨/١ * ذكر من قال كان يأتى بعضهم بعضًا فى مجالسهم :

حدثنا ابن وكيع وابنُ حميد ، قالا : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾ ، قال : كان بعضُهم يأتى بعضا فى مجالسهم .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدثنا ثابت بن محمد الليثى ، قال : حدثنا فضيْل بن عياض ، عن منصور بن المعتمر ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾ ، قال : كان يجامع بعضهم بعضًا فى المجالس .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكّام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .

---

(١) ط : « عمران بن زيد » ، والصواب ما أثبته من ا .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « الظفارى » ، وانظر تهذيب التهذيب ٦ : ١٤٠ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كانوا يجامعون الرجال فى مجالسهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى . وحدثنى الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ، جميعًا عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد: ﴿ وَتَأْتون فِى نَادِيكُم الْمُنكر ﴾، قال : المجالس، والمنكر إتيانهم الرجال .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال: حدثنا سعيد، عن قَتادة، قوله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُم المنكر﴾ ، قال : كانوا يأتون الفاحشة فى ناديهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد فى قوله: ﴿ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ الْمُنْكَر﴾ قال : ناديهم المجالس، والمنكر عملهُم الخبيث الذى كانوا يعملونه، كانوا يعترضون الراكب فيأخذونه فيركبونه، وقرأ: ﴿ أَتَأْتُونَ الفاحِشَةَ وأَنْتُم تُبْصِرُون﴾[1] وقرأ: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ﴾[2]. ٣٢٩/١

وقد حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن ابن أبى نَجيح ، عن عمرو بن دينار : قوله: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِين﴾، ما نزا ذَكرٌ على ذكر حتى كان قوم لوط .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال : عَنَى بالمنكَر الذى كانوا يأتونه فى ناديهم فى هذا الموضع حذفُهم مَنْ مرّ بهم وسخريتهم منه ، للخبر الوارد بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذى حدثناه أبو كريب وابن وكيع ، قالا : حدّثنا أبو أسامة ، عن حاتم بن أبى صغيرة، عن سماك بن حَرْب ، عن أبى صالح مولى أمّ هانئ، عن أم هانئ

(١) سورة النمل ٥٤ . (٢) سورة الأعراف ٨٠ .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى:﴿وتأتُونَ فى نَادِيكُمُ المنكر﴾، قال : كانوا يحذِفون أهلَ الطريق ويسخرون منهم ، وهو المنكر الذى كانوا يأتونه(١)

حدثنا أحمد بن عبدة الضَّبىّ ، قال : حدثنا سليمان بن حَيان ، قال : أخبرنا أبو يونس القُشَيرىّ ، عن سماك بن حرب ، عن أبى صالح ، عن أمّ هانئ ، قالت : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ ،قال : كانوا يحذِفون أهلَ الطريق ويسخرون منهم »

١/٣٣٠

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا أسد بن موسى ، قال : حدثنا سعيد بن زيد ، قال : حدثنا حاتم بن أبى صغيرة ، قال : حدثنا سماك بن حرب ، عن باذام أبى صالح ، مولى أم هانئ ، عن أم هانئ ، قالت : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُم الْمُنكَرَ﴾، فقال : كانوا يجلسون بالطريق فيحذفون أبناءَ السبيل ويسخرون منهم ، فكان لوط عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله ، وينهاهم بأمر الله إياه عن الأمور التى كرهها الله تعالى لهم من قطع السبيل وركوب الفواحش وإتيان الذكور فى الأدبار ، ويتوعّدهم — على إصرارهم على ما كانوا عليه مقيمين من ذلك وتركهم التوبة منه — العذاب الأليم فلا يزجرهم عن ذلك وعيدُه ولا يزيدهم وعظُه إلا تماديًا وعتوًّا واستعجالاً لعذاب الله، إنكاراً منهم وعيده، ويقولون له : ﴿ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(٢) ،حتى سأل لوط ربّه عزّ وجلّ النصرة عليهم لما تطاول عليه أمره وأمرهم وتماديهم فى غيهم ، فبعث الله عزّ وجلّ لما أراد خزيهم وهلاكهم ونصرة رسوله لوط عليهم جَبْرَئِيل عليه السلام ومَلَكَيْن آخرين معه .

وقد قيل : إن الملَكين الآخرين كان أحدهما ميكائيل والآخر إسرافيل

---

(١) الخبر فى التفسير ٢٠ : ٩٢ (بولاق) ، وفيه : « يأتون » .
(٢) سورة العنكبوت ٢٩ .

فأقبلوا – فيما ذكر – مُشاةً فى صورة رجال شباب .

* ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مرة الهمْدانىّ عن ابن مسعود – وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : بعث الله الملائكة لتُهلك قومَ لوط ، فأقبلت[1] تمشى فى صورة رجال شباب ؛ حتى نزلوا على إبراهيم فتضيّفوه ، فكان من أمرهم وأمر إبراهيم ما قد مضى ذكرنا إياه فى خبر إبراهيم وسارّة . فلما ذهب عن إبراهيم الروع جاءتْهُ البشرى ، وأطلعته الرسل على ما جاءوا له ، وأنّ الله أرسلَهم لهلاك قوم لوط ناظرهم إبراهيم وحاجّهم فى ذلك كما أخبر الله عنه [فقال][3] : ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾[4].

وكان جداله إياهم فى ذلك – فيما بلغنا – ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القمىّ ، قال : حدثنا جعفر ، عن سعيد ﴿يُجَادِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ قال : لما جاءه جبرئيل ومن معه ، قالوا لإبراهيم : ﴿إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾[5] . قال لهم إبراهيم : أتهلكون قريةً فيها أربعمائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها ثلثمائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها مائتا مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها مائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها أربعون مؤمناً ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها أربعة عشر مؤمناً ؟ قالوا : لا ، وكان إبراهيم يعدّهم أربعة عشر بامرأة لوط ، فسكت عنهم ، واطمأنّت نفسُه .

---

(١) فى جميع الأصول : « أقبلت » .
(٢) ط : « فأطلعته » ، وما أثبته من ا .
(٣) من ا .
(٤) سورة هود ٧٤
(٥) سورة العنكبوت ٣١

حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا الحِمّانىّ ، عن الأعمش ، عن المنهال، عن سَعيد بن جُبير ، عن ابن عباس، قال : قال الملَك لإبراهيم: إن كان فيها خمسة يصَلّون رُفع عنهم العذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثَور، عن معمر ، عن قتادة: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ قال : بلغنا أنه قال لهم يومئذ : أرأيتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين ؟ قالوا : إن[1] كان فيهم خمسون لن نعذّبهم[2]، قال: وأربعون ؟ قالوا : وأربعون، قال: وثلاثون ؟ قالوا : وثلاثون ، حتى بلغ عشرة، قالوا : وإن كانوا عشرة؟ قال : ما من قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير ، فلما علم إبراهيمُ حالَ قوم لوط بخبر الرسل قال للرسل : ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾[3] إشفاقًا منه عليه، فقالت الرسل: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[3].

* * *

ثم مضت رسلُ الله نحو أهل سَدوم، قرية قوم لوط ، فلما انتهوا إليها ذُكر أنهم لَقُوا لوطا فى أرض له يعمل فيها ، وقيل إنهم لَقُوا عند نهرها ابنةَ لوط تستقى الماء .

* ذكر من قال لقوا لوطا :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قَتادة ، عن حُذيفة أنه لما جاءت الرسل لوطًا أتوه وهو فى أرض له يعمل فيها ، وقد قيل لهم — والله أعلم: لا تُهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط ، قال : فأتوه فقالوا : إنا مُضيِّفوك[4] الليلة . فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت فقال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ والله ما أعلم على ظهر ١/٢٢٣

(١) فى ط : « وإن » ، وما أثبته عن ا .

(٢) ب ، ن : « يعذبهم » .

(٣) سورة العنكبوت ٣٢

(٤) كذا فى ا ، ب ، وفى ر : « نتضيفك » ، وفى ط : « متضيفوك » .

الأرض[١] أناساً[٢] أخبثَ منهم . قال : فمضى معهم ثم قال الثانية مثل ما قال ، فانطلق بهم ، فلما بصرت بهم عجوز السوء امرأته انطلقت فأنذرتهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو ابن قيس الملائىّ ، عن سعيد بن بشير ، عن قَتادة ، قال : أتت الملائكةُ لوطاً وهو فى مزرعة له ، وقال الله تعالى للملائكة : إن شهد لوط عليهم أربعَ شهادات ، فقد أذنت لكم فى هَلَكتهم[٣] ، فقالوا : يا لوط ، إنا نريد أن نضيّفك الليلة ، قال : وما بلغكم[٤] أمرهم ؟ قالوا : وما أمرهم ؟ فقال : أشهد بالله أنها لشرُّ قرية فى الأرض عملا ، يقول ذلك أربع مرّات ، فشهد عليهم لوط أربع شهادات ، فدخلوا معه منزله .

* ذكر من قال إنما لقيت الرسل أول ما لقيت حين دنت من سَدُوم ابنة لوط دون لوط[٥] :

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السّدى فى خبر ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ، فأتوْها نصف النهار ، فلما بلغوا نَهر سَدوم لقُوا ابنةَ لوط تستقى من الماء لأهلها — وكانت له ابنتان : اسم الكبرى ريثا واسم الصغرى[٦] رعزيا[٧] — فقالوا

١/٣٣٤

(١) ر : « وجه الأرض » ، ب : « ظهر هذه الأرض » .
(٢) ن : « أحداً » .
(٣) كذا فى ا ، ر ، وفى ط : « مهلكتهم » ، ن : « هلاكهم » .
(٤) ابن الأثير : « أو ما بلغكم » .
(٥) ن : « قبل » .
(٦) ب ، ر : « والصغرى » .
(٧) كذا فى ا ، ب ، وفى ن : « رعرثا » ، وفى ر : « دعريا » ، وفى ط من غير نقط .

لها : يا جارية ، هل من منزل ؟ قالت : نعم ، فمكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ؛ فرقت[1] عليهم من قومها ، فأتت أباها ، فقالت : يا أبتاه ، أرادك فتيان على باب المدينة ، ما رأيت وجوه[2] قوم هي أحسن منهم ، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم ـ وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلا ـ فقالوا له : خل عنا فلنضيف الرجال ، فجاء بهم فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط ، فخرجت امرأته فأخبرت قومها فقالت : إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم ومثل وجوههم حسنًا قط ، فجاءه قومه يهرعون إليه .

قال أبو جعفر : فلما أتوه قال لهم لوط : يا قوم اتقوا الله ﴿ ولا تخزونِ فى ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾[3] ، هؤلاء بناتى هن أطهر لكم مما تريدون . فقالوا له : أو لم ننهك أن تضيف الرجال ! لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق ، وإنك لتعلم ما نريد ! فلما لم يقبلوا منه شيئًا مما عرضه عليهم قال : ﴿ لَوْ أَنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[4] . يقول عليه السلام : لو أن لى أنصاراً ينصروننى عليكم أو عشيرة تمنعنى منكم ، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه من أضيافى !

١/٣٣٥

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا اسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهبًا يقول : قال لوط لهم : ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيد ﴾ ، فوجد عليه الرسل وقالوا : إن ركنك لشديد. فلما يئس[5] لوط من إجابتهم إياه إلى شىء مما دعاهم إليه وضاق بهم ذرعًا ، قالت الرسل له حينئذ : ﴿ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ

---

(١) ابن الأثير ١ : ٧٩ : « خافت » .

(٢) ابن الأثير : « ما رأيت أصبح وجوها منهم » .

(٣) سورة هود ٧٨

(٤) سورة هود ٨٠

(٥) ر : « أيس » .

إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾(١) ، فذكر أن لوطًا لما علم أن أضيافه رسل الله ، وأنها أرسلت بهلاك قومه قال لهم : أهلكوهم الساعة .

* ذكر من روى ذلك عنه أنه قاله من أهل العلم :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر، عن سعيد، قال : مضت الرسل من عند إبراهيم إلى لوط ، فلما أتوا لوطًا وكان من أمرهم ما ذكر الله قال جبرئيل للوط : يا لوط ، إنا مهلكو أهل هذه القرية ، إنّ أهلها كانوا ظالمين. فقال لهم لوط : أهلكوهم الساعة، فقال جبرئيل عليه السلام: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾(١) فأنزلت على لوط : ﴿أليس الصُّبح بقريب ﴾(١) .

قال : وأمره أن يُسرىَ بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحدٌ إلا امرأته ، قال : فسار فلما كانت الساعة(٢) التى أهلكوا فيها أدخل جبرئيل جناحه فى أرضهم فقلعها ورفعها حتى سمع أهلُ السماء صياحَ الديكة ، ونُباح الكلاب ، فجعل عاليَها سافلَها ، وأمطر عليهم حجارة من سجّيل ، قال : وسمعت امرأة لوط الهدّة فقالت : وا قوماه ! فأدركها حجر فقتلها .

١/٣٣٦

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شِمْر بن عطية ، قال : كان لوط أخذ على امرأته ألاّ تذيع شيئًا من سرِّ أضيافه ، قال : فلما دخل عليه جبْرئيل ومن معه ورأتهم فى صورة لم تر مثلها قطّ انطلقتْ تسعَى إلى قومها ، فأتت الناديَ فقالت بيدها هكذا ، فأقبلوا يُهرَعون مشيًا بين الهرولة والجمز ،فلما انتهوا إلى لوط قال لهم لوط ما قال الله تعالى فى كتابه . قال جبرئيل : يا لوط إنا رُسُل ربك لن يصلوا إليك ، قال: فقال بيده، فطمس أعينهم ، قال: فجعلوا يطلبونهم ، يلتمسون(٣) الحيطان وهم لا يبصرون (٤) .

---

(١) سورة هود ٨١ .

(٢) ب : « الليلة » . ن : « كان فى الساعة » .

(٣) كذا فى ا ، ب ؛ وفى ط : « يطلبون يلتمسون » .

(٤) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥٤ (بولاق) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حُذَيفة ، قال : لما بصرتبهم – يعنى بالرسل – عجوز السوء ، امرأته ، انطلقت فأنذرتهم فقالت : قد تضيّف لوطاً قومٌ ما رأيت قومًا أحسنَ منهم وجوهًا – قال : ولا أعلمُه إلا قالت : وأشدّ بياضًا وأطيب ريحاً منهم – قال : فأتوه ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾[1] ، كما قال الله عز وجل ، فأصفق[2] لوط الباب. قال : فجعلوا يعالجونه ، قال : فاستأذن جبرئيل ربه عزّ وجلّ فى عقوبتهم ، فأذن له ، فصفقهم بجناحه ، فتركهم عميانًا يترددون فى أخبث ليلة أتتْ عليهم قطّ ، فأخبروه إنا رسل ربك ، فأسْرِ بأهْلِكَ بقطْعٍ من الليل ، قال : ولقد ذكر لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته ، ثم سمعت الصوت فالتفتت ، فأرسل الله تعالى عليها حجراً فأهلكها[3] .

١/٣٣٧

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا الحكَم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو ابن قيس المُلائىّ ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : انطلقت امرأتهُ – يعنى امرأة لوط – حين رأتهم – يعنى حين رأت الرسل – إلى قومها فقالت : إنه قد ضافه الليلةَ قوم ما رأيت مثلهم قطّ أحسن وجوهًا ، ولا أطيب ريحًا. فجاءوا يهرعون إليه فبادرهم لوط إلى أن يزحمهم على الباب فقال : ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِين﴾[4] ، فقالوا : ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[5] ، فدخلُوا على الملائكة فتناولتهم الملائكة ؛ فطمست أعينهم فقالوا : يا لُوط جئتنَا بقوم سَحَرة ؛ سحرونا كما أنت حتى نصبح. قال : فاحتمل جَبْرَئيل قريات لوط الأربع ، فى كلّ قرية مائة ألف ، فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض حتى سمع أهلُ السماء الدنيا أصواتَ ديكتهم ثم قلبهم ، فجعل الله عاليَها سافلَها[6] .

١/٣٣٨

---

(١) سورة هود ٧٨ .

(٢) أصفق الباب : أغلقه .

(٣) ر : « فقتلها » ، والخبر فى التفسير ١٢ : ٥٤ – ٥٥ (بولاق) .

(٤) سورة الحجر ٧١ .

(٥) سورة الحجر ٧٠ .

(٦) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثَور . وحدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرَّزّاق ، جميعًا عن مَعْمَر ، عن قتادة، قال : قال حُذيفة: لما دخلوا عليه ذهبت عجوزُه ، عجوزُ السوء ، فأتت قومها فقالت : قد تضيّفَ لوطًا [الليلة] [١] قوم ما رأيت قومًا قطّ أحسن وجوهًا منهم ، قال : فجاءوا يهرعون إليه ،فقام مَلَكٌ فلزّ الباب– يقول : فسدّه – فاستأذن جبرئيل فى عقوبتهم ، فأذن له ، فضربهم [٢] جبرئيل بجناحه ، فتركهم عميانًا ، فباتوا بشرّ ليلة ، ثم قالوا : إنا رسُل ربّك لن يصلوا إليك ، فأسر بأهلك بقطْع من الليل ، ولا يلتفتْ منكم أحدٌ إلا امرأتَك ، قال : فبلغنا أنها سمعت صوتًا ، فالتفتت فأصابها حجر وهى شاذّة من القوم معلوم مكانـَها [٣] .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السّدىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مُرَّة الهمْدانىّ عن ابن مسعود – وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه: لما قال لوط : ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بكُمْ قوةً أَو آوى إلى رُكْنٍ شَدِيد ﴾، بسط حينئذ جبرئيل جناحَه ففقأ أعينهم ، وخرجوا يدوس بعضهم فى آثار بعض عميانًا ، يقولون : النجاء النجاء ! فإنّ فى بيت لوط أسحر قوم فى الأرض ؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ [٤]

٣٣٩/١

وقالوا للوط : ﴿إِنَّا رُسُل رَبِّكَ لن يصلوا إليكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِن اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ ، يقول : سرْ بهم فامضوا حيث تؤمرون ، فأخرجهم الله تعالى إلى الشأم. وقال لوط : أهلكوهم الساعة ، فقالوا : إنا لم نؤمر إلا بالصبح ، أليس الصبح بقريب! فلما أن كان السَّحَر خرج لوط وأهله معه إلا امرأته ، وذلك قوله تعالى : ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ [٥] .

---

(١) من ا والتفسير . (٢) ط : « فصفقهم فضربهم » ، وما أثبته من ا ، والتفسير .
(٣) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق)
(٤) سورة القمر ٣٧ . (٥) سورة القمر ٣٤ .

حدثنا المثنّى، قال : أخبرنا إسحاق، قال : حدثنا إسماعيل بن عبدالكريم، قال : حدثنى عبد الصمد أنه سمع وهب بن مُنَبِّه يقول : كان أهل سَدوم الذين فيهم لوط قومَ سوْء قد استغنْوا عن النساء بالرجال ، فلما رأى الله ذلك منهم بعث الملائكة ليعذّبوهم ، فأتوا إبراهيم ، فكان من أمره وأمرهم ما ذكره الله تعالى فى كتابه ، فلما بشروا سارة بالولد قاموا ، وقام معهم إبراهيم يمشى ، فقال : أخبرونى لِمَ بعثتم ؟ وما خَطْبكم ؟ قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم سَدُوم لندمّرها فإنهم قوم سوء ، قد استغنوْا بالرجال عن النساء . قال إبراهيم : أرأيتم إن كان فيهم خمسون رجلاً صالحًا ؟ قالوا : إذاً لا نعذبهم ، فلم يزل [ينقص] [١] حتى قال أهل البيت ، قالوا : فإن كان فيهم بيت صالح ، قال : فلوط وأهل بيته ، قالوا : إن امرأته هواها معهم ، فلما يئس إبراهيم انصرف ومضوْا إلى أهل سَدوم فدخلوا على لوط ، فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنُهم وجمالُهم ، فأرسلت إلى أهل القرية أنه قد نزل بنا قومٌ لم نر قومًا قطّ أحسنَ منهم ولا أجمل ؛ فتسامعوا بذلك ، فغشُوا دارَ لوط من كل ناحية ، وتسوّروا عليهم الجدران [٢] ، فلقيَهم لوط فقال : يا قوم لا تفضحون فى ضيفى وأنا أزوجكم بناتى فهن أطهرُ لكم . فقالوا : لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهنّ ، فقال : لو أنّ لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد . فوجَد عليه الرسل فقالوا : إن ركنك لشديد ، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ، فمسح أحدهم أعينهم بجناحه ، فطمس أبصارهم ، فقالوا : سحرنا ، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه ، فكان من أمرهم ما قد قَصَّ الله تعالى فى القرآن ، فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحَيه حتى بلغ أسفلَ الأرضين ، فقلبها فنزلت حجارة من السماء ، فتتبعت من لم يكن منهم فى القرية حيث كانوا فأهلكهم الله ، ونجّى لوطًا وأهله إلا امرأته . [٣]

١ / ٣٤٠

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : حدثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : أخذ جبرئيل قوم لوط من سَرْحهم ودورهم ، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم كفأها .

---

(١) من ا والتفسير .

(٢) ط ، ا : « الجدارات » ، وما أثبته من ا التفسير .

(٣) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق) .

وحدثنا أبو كريب مرة أخرى ، عن مجاهد، فقال : أدخل جبرئيل جناحَيه[١] تحت الأرض السفلى من قوم لوط ، ثم أخذهم بالجناح الأيمن ، وأخذهم من سرحهم ومواشيهم ثم رفعها .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شِبْلٌ ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد، قال : كان يقول: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾[٢] ،قال : لما أصبحوا غدا جبرئيل على قريتهم ففتقها من أركانها ثم أدخل جناحيه[١] ، ثم حملها على خوافي جناحيه[٣] .

٣٤١/١

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، قال : وحدّثني هذا ابن أبي نجيح ،عن إبراهيم بن أبي بكر ،قال : ولم يسمعه ابن أبي نجيح من مجاهد قال: فحملها على خوافي جناحيه[٤] بما فيها، ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهلُ السماء نباح كلابهم، ثم قَلَبَها، فكان أول ما سقط منها شرافها، فذلك قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً من سجِّيلٍ﴾[٥]

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثَوْر ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروة القرية الوسطى ثم ألوى بها إلى السماء ، حتى سمع أهلُ السماء ضواغيَ[٦] كلابهم، ثم دمَّر بعضَها على بعض ، فجعل عالِيَها سافلها، ثم أتبعتهم[٧] الحجارة .قال قتادة : وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف .

٣٤٢/١

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن

---

(١) ط : « جناحه » ، وما أثبته من ا .
(٢) سورة هود ٨٢ .
(٣) ا : « ثم حملها فى جناحيه » .
(٤) ط : « جناحه » ، وما أثبته من ا
(٥) سورة الحجر ٧٤ .
(٦) ضواغى الكلاب : نباحها .
(٧) ا : « تبعهم » .

قتادة ، قال : وذكر لنا أن جبرئيل أخذ بعروتها الوسطى ، ثم ألوى بها إلى جوّ السماء حتى سمعت الملائكة ضواغىَ كلابهم ثم دمّر بعضها على بعض ، ثم أتبع شُذّان(١) القوم صخراً ، قال : وهى ثلاث قرى يقال لها سَدوم ، وهى بين المدينة والشأم ، قال : وذكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف ، قال : وذكر لنا أن إبراهيم كان يُشرف ثم يقول : سَدُوم يوماً هالك .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ بالإسناد الذى قد ذكرناه : لما أصبحوا — يعنى قوم لوط — نزل جبرئيل عليه السلام واقتلع الأرض من سبع أرضين ، فحملها حتى بلغ بها السماء الدنيا ، حتى سمع أهلُ السماء نباحَ كلابهم وأصواتَ ديوكهم ، ثم قلبها فقتلهم ، فذلك حين يقول : ﴿وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾(٢) ؛ المنقلبة حين أهوى بها جبرئيل عليه السلام الأرض فاقتلعها بجناحيه ، فمن لم يمت حين أسقط(٣) الأرض أمطر الله تعالى عليه وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم شاذّاً فى الأرض ، وهو قول الله تعالى : ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ، ثم تتبّعهم فى القرى ، فكان الرجل يتحدث فيأتيه الحجر فيقتله ، فذلك قوله تعالى : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، قال : حدثنى محمد بن كعب القرظىّ ، قال : حُدّثت أن الله تعالى بعث جبرئيل إلى المؤتفكة (قرية قوم لوط التى كان لوط فيهم) ، فاحتملها بجناحيه ثم أصعد(٥) بها حتى إن أهل السماء(٦) الدنيا ليسمعون(٧) نابحة كلابها وأصوات دجاجها ، ثم كفأها على وجهها ثم أتبعها الله عز وجل بالحجارة ، يقول الله تعالى :

١/٣٤٣

(١) شذان القوم : المتفرقون منهم . (٢) سورة النجم ٥٣ .
(٣) فى الأصول « سقط » وما أثبته من التفسير .
(٤) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥٩ بولاق
(٥) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « صعد » .
(٦) ساقطة من ا وفى ن : « أهل سماء الدنيا » .
(٧) ط : « يسمعون » وما أثبته من ا والتفسير .

﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ ، فأهلكها الله تعالى وما حولها من المؤتفكات ، وكُنَّ خمس قريات : صبعة[١] ، وصعرة[٢] ، وعمرة[٣] ، ودوما[٤] ؛ وسَدوم هى القرية العظمى ، ونجّى الله تعالى لوطًا ومَنْ معه من أهله ، إلا امرأته كانت فيمن هلك[٥] .

---

(١) ن : « صيعة » (٢) ن : صعوة » .
(٣) ب : « غمرة » . (٤) ب : « ورما » .
(٥) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥٦ (بولاق) .

ذكر وفاة سارة بنت هاران، وهاجر أم إسماعيل وذكر أزواج إبراهيم عليه السلام وولده

قد ذكرنا فيما مضى قبلُ ما قيل فى مقدار عمر سارة أمّ إسحاق؛ فأما موضع وفاتها فإنه لا يدفع أهلُ العلم من العرب والعجم أنها كانت بالشأم.

وقيل: إنها ماتت بقرية الجبابرة من أرض كَنْعان فى حَبْرون، فدفنت فى مزرعة اشتراها إبراهيم. وقيل إن هاجر عاشت بعد سارة مدة.

فأما الخبر فبغير ذلك ورد. حدثنى موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدىّ، بالإسناد الذى قد ذكرناه قبل.

١/٣٤٤ ثم إن إبراهيم اشتاق إلى إسماعيل، فقال لسارة: ائذنى لى أنطلق إلى ابنى فأنظر إليه، فأخذت عليه عهداً ألاّ ينزل حتى يأتيَها، فركب البُراق، ثم أقبل وقد ماتت أمّ إسماعيل، وتزوج إسماعيلُ امرأة من جُرْهُم.

وإن إبراهيم عليه السلام كثر ماله ومواشيه. وكان سبب ذلك فيما حدثنا به موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدىّ بالإسناد الذى قد ذكرناه قبل، أن إبراهيم عليه السلام احتاج — وقد كان له صديق يعطيه[1] ويأتيه — فقالت له سارة: لو أتيت خُلَّتك[2] فأصبت لنا منه طعامًا! فركب حماراً له، ثم أتاه، فلما أتاه تغيّب منه، واستحيا إبراهيم أن يرجع إلى أهله خائبًا، فمرّ على بطحاء، فملأ منها خُرْجه، ثم أرسل الحمار إلى أهله، فأقبل الحمار وعليه حنْطة جيدة، ونام إبراهيم عليه السلام فاستيقظ، وجاء إلى أهله، فوجد سارة قد جعلت له طعامًا، فقالت: ألا تأكل؟ فقال: وهل من شىء؟ فقالت: نعم من الحنطة التى جئت بها من عند خليلك، فقال: صدقت

---

(١) ر: «يقرضه». (٢) ط: «خليلك»؛ وهما سواء.

من عند خليلى جئت بها ، فزرعها فنبتت له ، وزكا زرْعه وهلكت زروع الناس ؛ فكان أصلُ ماله منها ، فكان الناس يأتونه فيسألونه فيقول : مَنْ قال : لا إله إلا الله فليدخل فليأخذ ؛ فمنهم من قال فأخذ ، ومنهم من أبى فرجع ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾[1]. فلما كثر مالُ إبراهيم ومواشيه احتاج إلى السعة فى المسكن والمرعى ، وكان مسكنه ما بين قرية[2] مدين – فيما قيل – والحجاز إلى أرض الشأم ، وكان ابن أخيه لوط نازلا معه ، فقاسم[3] ماله لوطًا ، فأعطى لوطًا شطره فيما قيل ، وخيّره مسكنًا يسكنه ومنزلا ينزله غير المنزل الذى هو به نازل ، فاختار لوط ناحية الأردنّ فصار إليها ، وأقام إبراهيم عليه السلام بمكانه ، فصار ذلك فيما قيل سببًا لآثاره بمكة وإسكانه إياها إسماعيل ، وكان ربما دخل أمصار الشأم .

١/٣٤٥

ولما ماتت سارة بنت هاران زوجة إبراهيم تزوج إبراهيم بعدها – فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق – قطورا بنت يقطن ؛ امرأة من الكنعانيين ، فولدت له ستة نفر: يقسان[4] بن إبراهيم ، وزمران بن إبراهيم ؛ ومديان بن إبراهيم ، ويسبق بن إبراهيم ، وسوح بن إبراهيم ، وبسر بن إبراهيم ، فكان جميع بنى إبراهيم ثمانية بإسماعيل وإسحاق ، وكان إسماعيل بكْره أكبر ولده . قال : فنكح يقسان بن إبراهيم رعوة بنت زمر بن يقطن بن لوذان بن جرهم بن يقطن بن عابر ، فولدت له البربر ولِفّها. وولد زمران بن إبراهيم المزامير الذين لا يعقلون[5] . وولد لمديان أهل مدين قوم شعيب بن ميكائيل النبى ، فهو وقومه من ولده بعثه الله عزّ وجلّ إليهم نبيًّا .

١/٣٤٦

حدثنى الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا

---

(١) سورة النساء ٥٥

(٢) كذا فى ا ، ر وفى ط : « برية » .

(٣) ب : « فاقتسم » . ن : « وقاسم » .

(٤) ا : بقشان » ، ن وابن الأثير : « نفسان » .

(٥) كذا فى ا ، ر ، وفى ط : « يعلمون » .

هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، قال: كان أبو إبراهيم من أهل حران، فأصابته سَنة من السنين، فأتى هُرمز جرد بالأهواز، ومعه امرأته أم إبراهيم، واسمها توتا[١] بنت كرينا[٢] بن كوثى، من بنى أرفخشد بن سام بن نوح.

وحدثنى الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر الأسلمىّ عن غير واحد من أهل العلم قال: اسمها أنموتا من ولد أفراهم بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح. وكان بعضهم يقول: اسمها انمتلى بنت يكفور[٣].

حدثنى الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا هشام بن محمد، عن أبيه، قال: نهر كُوثَى كَرَاه كرينا جدّ إبراهيم من قبل أمه، وكان أبوه على أصنام الملك نمرود، فولد إبراهيم بهُرمزجرد، ثم انتقل إلى كُوثَى من أرض بابل، فلما بلغ إبراهيم وخالف قومه، دعاهم إلى عبادة الله، وبلغ[٤] ذلك الملك نمرود فحبسه فى السجن سبع سنين، ثم بنى له الحير[٥] بجصّ، وأوقد له الحطب الجزل، وألقى إبراهيم فيه، فقال: حسبى الله ونعم الوكيل! فخرج منها سليماً لم يكلَم. ٣٤٧/١

حدثنى الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا هشام بن محمد، عن أبيه، عن أبى صالح، عن ابن عباس، قال: لما هرب إبراهيم من كُوثَى، وخرج من النار ولسانه يومئذ سريانىّ، فلما عبرَ الفرات من حرّان غيّر الله لسانه فقيل: عبرانىّ، أى حيث عبر الفرات، وبعث نمرود فى أثره، وقال: لا تَدَعوا أحداً يتكلّم بالسريانية إلا جئتمونى به، فلقُوا إبراهيم عليه السلام فتكلم بالعبرانية، فتركوه ولم يعرفوا لغته.

حدثنى الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا هشام، عن أبيه قال: فهاجر إبراهيم من بابل إلى الشأم فجاءته سارة، فوهبت له نفسَها

---

(١) كذا فى ن (٢) كذا فى ر.
(٣) ا: «نكفور» (٤) ط: «بلغ».
(٥) ر: «الحفر».

فتزوجها ، وخرجت معه وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة ، فأتى حرّان، فأقام بها زمانًا ، ثم أتى الأردنّ فأقام بها زمانا ، ثم خرج إلى مصر فأقام بها زمانًا ، ثم رجع إلى الشأم فنزل السبع (أرضٌ بين إيليا وفلَسْطين) واحتفر بئراً ، وبنى مسجداً . ثم إن بعض أهل البلد آذاه فتحوّل من عندهم ، فنزل منزلا بين الرملة وإيليا ، فاحتفر به بئراً أقام[1] به ، وكان قد وُسّع عليه فى المال والخدم ، وهو أوّل من أضاف الضيف ، وأوّل من ثرّد الثريد ، وأوّل من رأى الشيب.

قال : وولد لإبراهيم عليه السلام إسماعيل وهو أكبر ولده — وأمه هاجر وهى قبْطية ، وإسحاق ، وكان ضرير[2] البصر ، وأمه سارة ابنة بتويل بن ناخور بن ساروع بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح— ومدن ، ومدين ، ويقسان ، وزمران ، وأسبق ، وسوح ؛ وأمهم قنطورا بنت مقطور[3] من العرب العاربة . ١/٣٤٨

فأما يقسان فلحق بنوه بمكة ، وأقام مدن ومدين بأرض مدين ، فسميت به ، ومضى سائرهم فى البلاد وقالوا لإبراهيم : يا أبانا أنزلت إسماعيل وإسحاق معك ، وأمرتنا أن ننزل أرض الغربة والوحشة ! فقال : بذلك أمِرت ، قال : فعلّمهم اسمًا من أسماء الله تبارك وتعالى ، فكانوا يستسقون به ويستنصرون ، فمنهم من نزل خراسان ، فجاءتهم الخزر فقالوا : ينبغى للذى علمكم هذا أن يكون خير أهل الأرض ، أو ملك الأرض ، قال : فسموا ملوكهم خاقان .

قال أبو جعفر : ويقال فى يسبق : يسباق ، وفى سوح : ساح .

وقال بعضهم : تزوج إبراهيم بعد سارة امرأتين من العرب ، إحداهما قَنْطورا بنت يقطان ، فولدت له ستة بنين ، وهم الذين ذكرنا ، والأخرى منهما حجور بنت أرهير ، فولدت له خمسة بنين : كيسان ، وشورخ ، وأميم ، ولوطان ، ونافس .

---

(١) ط : « فأقام » ، وما أثبته من ا .
(٢) ط : « وهو ضرير » ، وما أثبته من ا .
(٣) ط : « مفطور » ، وما أثبته من ا .

ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام

فلما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم صلى الله عليه وسلم، أرسل إليه[1] ملك الموت فى صورة شيخ هرم . ١/٣٤٩

فحدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ بالإسناد الذى ذكرته قبل : كان إبراهيم كثير الطعام يطعم الناس ، ويضيفهم، فبينا هو يطعم الناس إذا هو بشيخ [كبير][2] يمشى فى الحَرّة[3] ، فبعث إليه بحمار، فركبه حتى إذا أتاه أطعمه ، فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه ، فيدخلها عينَه وأذنَه ثم يدخلها فاه ، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره . وكان إبراهيم قد سأل ربه عزّ وجلّ ألاّ يقبض روحه حتى يكون هو الذى يسأله الموت ، فقال للشيخ حين رأى مِنْ حاله ما رأى : ما بالك يا شيخ تصنع هذا ؟ قال : يا إبراهيم ، الكِبَر ، قال : ابن كم أنت ؟ فزاد على عمر إبراهيم سنتين ، فقال إبراهيم : إنما بينى وبينك سنتان ، فإذا بلغت ذلك صرت مثلك ! قال : نعم ، قال إبراهيم : اللهم اقبضنى إليك قبل ذلك ، فقام الشيخ فقبض روحَه ، وكان ملك الموت .

ولما مات إبراهيم عليه السلام ــ وكان موته وهو ابن مائتى سنة ، وقيل ابن مائة وخمس وسبعين سنة ــ دفن عند قبر سارة فى مزرعة حبْرُون .

وكان مما[4] أنزل الله تعالى على إبراهيم عليه السلام من الصحف فيما قيل عشر صحائف ، كذلك حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : أخبرنى عمى عبد الله بن وهب ، قال : حدثنى الماضى بن محمد ، عن أبى سليمان، عن القاسم بن محمد، عن أبى إدريس الخولانىّ، عن أبى ذرّ الغفارىّ، قال : قلت : يا رسول الله ، كم كتاب أنزله الله ؟ قال : مائة كتاب وأربع ١/٣٥٠

(١) ر : « أرسل الله تعالى » (٢) من ا .
(٣) ا : « الحره » .
(٤) ن : « فيما » وفى ا : « كذلك حدثنى » .

كتب : أنزل الله عزّ وجلّ على آدم عليه السلام عشر صحائف ، وعلى شيث خمسين صحيفة ، وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة ، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف ، وأنزل جلّ وعزّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . قلت : يا رسول الله، فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : كانت أمثالا كلها .

أيها الملك المسلّط المبتلَى المغرور ، إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ، ولكن بعثتك لتردّ عنى دعوةَ المظلوم ؛ فإنى لا أردُّها[1] وإن كانت من كافر .

وكانت فيها أمثال : وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أن يكون له ساعات ؛ ساعة يناجى فيها ربّه، وساعة يفكر فيها فى صنع الله عزّ وجلّ ، وساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدم وأخر ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال فى المطعم[2] والمشرب . وعلى العاقل ألاّ يكون ظاعنًا إلاّ فى ثلاث : تزوّد لمعاده ، ومرمّة لمعاشه ، ولذة فى غير محرّم . وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلا على شانه ، حافظًا للسانه . ومَنْ حسب كلامه من عمله قل كلامه إلاّ فيما يعنيه .

١/٣٥١

* * *

وكان لإبراهيم — فيما ذكر — أخوَان يقال لأحدهما هاران — وهو أبو لوط ، وقيل إن هاران هو الذى بنى مدينة حرّان ، وإليه نسبت[3] — والآخر منهما ناحورا وهو أبو بتويل وبتويل[4] هو أبو لابان[5] ورفقا ابنة بتويل ، ورفقا امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ابنة بتويل ، وليّا وراحيل امرأتا يعقوب ابنتا لابان .

---

(١) فى ط : « لأردها » تصويب من مصححه ؛ والصواب ما فى الأصول .

(٢) ر : « من الحلال من المطعم » .

(٣) ط : « تنسب » ، وما أثبته من ا .

(٤) ا : « بويل » ، ر : « نبويل »

(٥) ا ، ن : « لا يان » .

ذكر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام

قد مضى[1] ذكرُنا سبب مصير إبراهيم بابنه إسماعيل، وأمه هاجر إلى مكة وإسكانه إياهما بها . ولما كبر إسماعيل تزوج امرأة من جُرْهم ، فكان من أمرها ما قد تقدم ذكره ، ثم طلقها بأمر أبيه إبراهيم بذلك ، ثم تزوج أخرى يقال لها السيدة بنت مُضاض بن عمرو الجُرْهميّ، وهى التى قال لها إبراهيم إذ قدم مكة، وهى زوجة إسماعيل: قولى لزوجك إذا جاء: قد رضيتُ لك عتبة بابك .

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ولد لإسماعيل ابن إبراهيم اثنا عشر رجلا ، وأمهم السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهميّ : نابت بن إسماعيل، وقيدر بن إسماعيل، وأدبيل بن إسماعيل، ومبشا بن إسماعيل، ومسمع بن إسماعيل، ودما بن إسماعيل، وماس بن إسماعيل ، وأدد بن إسماعيل ، ووطور بن إسماعيل، ونفيس بن إسماعيل، وطما بن إسماعيل، وقيدمان بن إسماعيل. ٣٥٢/١

قال : وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون ثلاثين ومائة سنة ، ومن نابت وقيدر نشر الله العرب ، ونبّأ الله عزّ وجلّ إسماعيل، فبعثه إلى العماليق — فيما قيل — وقبائل اليمن .

وقد يُنطق أسماء أولاد إسماعيل بغير الألفاظ التى ذكرت عن ابن إسحاق ، فيقول بعضهم فى قيدر : قيدار ، وفى أدبيل : أدبال ، وفى مبشا : مبشام، وفى دما : ذوما ومسا ، وحداد ، وتيم ، ويطور ، ونافس ، وقادمن[2] .

وقيل : إن إسماعيل لما حضرْته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق وزوّج ابنته من العيص بن إسحاق ، وعاش إسماعيل فيما ذكر مائة وسبعا وثلاثين سنة ، ودفن فى الحِجْر عند قبر أمه هاجر .

---

(١) ا ، ن : « ذكرنا قبل » .

(٢) وأسماؤهم فى سفر التكوين ٢٥ : ١٣ : ينابوت ، وقيدار ، وأدبئيل ، ومبسام ، ومشماع ، ودومة ، ومسا ، وحدار ، وتيما ، ويطور ، ونافيس ، وقدمة .

حدثنى عبدة بن عبد الله الصفار ، قال : حدثنا خالد بن عبد الرحمن المخزومىّ ، عن مبارك بن حسّان صاحب الأنماط ، عن عمر بن عبد العزيز، قال : شكا إسماعيل إلى ربه تبارك وتعالى حرّ مكة فأوحى الله تعالى إليه : إنى فاتح لك بابًا من الجنة يجرى عليك روْحها إلى يوم القيامة، وفى ذلك المكان تدفن.

* * *

ونرجع الآن إلى :

إذ كان التأريخ غيرَ متصل على سياق معروف لأمة بعد الفرس غيرهم ؛ وذلك أن الفرس كان مُلْكهم متصلاً دائمًا من عهد جيومَّرت الذى قد وصفت شأنه وخبره ، إلى أن زال عنهم بخير أمة أخرجت للناس، أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وكانت النبوة والملك متصليْن بالشأم ونواحيها لولد إسرائيل بن إسحاق إلى أن زال ذلك عنهم بالفرس والروم بعد يحيي بن زكرياء وبعد عيسى بن مريم عليهما السلام. وسنذكر إذا نحن انتهينا إلى الخبر عن يحيي وعيسى عليهما السلام سبب زوال ذلك عنهم إن شاء الله .

فأما سائر الأمم غير الفرس ، فإنه غير ممكن الوصول إلى علم التأريخ بهم ؛ إذ لم يكن لهم ملك متَّصل فى قديم الأيام وحديثه إلا مالا يمكن معه سياق التأريخ عليه وعلى أعمار ملوكهم، إلا ما ذكرنا من ولد يعقوب إلى الوقت الذى ذكرت[١] ، فإن ذلك وإن كانت مدته انقطعت بزواله عنهم ؛ فإن قدر مدة زواله عنهم إلى غايتنا هذه معلوم مبلغه . وقد كان لليمن ملوك لهم ملْك ، غير أنه كان غَير متصل ، وإنما كان يكون منهم الواحد بعد الواحد ، وبين الأول والآخر فترات طويلة ، لا يقِف على مبلغها العلماء ، لقلة عنايتهم كانت بها ، ومبلغ عمر الأول منهم والآخر ، إذا لم يكن من الأمر الدائم، فإن دام منه شيء فإنما يدوم لمن دام له منهم بأنه عاملٌ لغيره فى الموضع الذى هو به لا يملكه[٢] بنفسه ، وذلك كدوامه لآل نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك ابن عمرو بن نمارة بن لخم ؛ فإنهم كانوا على فرْج ثغر العرب للفرس من الحيرة إلى حدّ اليمن طولا وإلى حدود[٣] الشأم وما اتصل بذلك[٤] عرضًا، فلم يزل ذلك دائمًا لهم من عهد أردشير بابكان إلى أن قتل كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان النعمانَ بن المنذر ، فنقل عنهم ما كان إليهم من العمل على ثغر العرب إلى إياس بن قَبيصة الطائىّ .

١/٣٥٤

(١) ا : « وصفت » .
(٢) ط : « لا يملك » وما أثبته من ا .
(٣) ط : « حد » ، وما أثبته من ا .
(٤) ط : « به » ، ما أثبته من ا .

فحدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: نكح إسحاق بن إبراهيم رفقا بنت بتويل بن إلياس، فولدت له عيص بن إسحاق، ويعقوب ابن إسحاق، يزعمون أنهما كانا توْءمَيْن وأن عيصا كان أكبرهما. ثم نكح عيص بن إسحاق ابنةَ عمه بسمة ابنة إسماعيل بن إبراهيم، فولدت له الروم بن عيص، فكلُّ بنى الأصفر من ولده. قال: وبعض الناس يزعم أن الأشبان من ولده، ولا أدرى أمن ابنة إسماعيل أم لا.

ونكح يعقوب بن إسحاق — وهو إسرائيل — ابنة خاله ليّا ابنة لبان بن بتويل بن إلياس، فولدت له روبيل بن يعقوب، وكان أكبرَ ولده، وشمعون ابن يعقوب، ولاوى بن يعقوب، ويهوذا بن يعقوب، وزبالون[1] بن يعقوب، ويسحر بن يعقوب، ودينة ابنة يعقوب. وقد قيل فى يسحر إن اسمه «يشحر». ثم توفيت ليا بنت لبان فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت لبان بن بتويل بن إلياس، فولدت له يوسف بن يعقوب، وبنيامين بن يعقوب — وهو بالعربية شداد — وولد له من سُرِّيّتيْن؛ اسم إحداهما زلفة، واسم الأخرى بلهة، أربعة نفر: دان بن يعقوب، ونفثالى[2] بن يعقوب، وجاد[3] بن يعقوب، وأشر[4] بن يعقوب، فكان بنو يعقوب اثنى عشر رجلا. ١/٣٥٥

وقد قال بعض أهل التوراة إن رفقا زوجة إسحاق هى ابنة ناهر بن آزر عمّ إسحاق، وإنها ولدت له ابنيه عيصا ويعقوب فى بطن واحد، وإن إسحاق أمر ابنه يعقوب ألاّ ينكح امرأةً من الكنعانيين، وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله لبان بن ناهر، وأن يعقوب لما أراد النكاح مضى إلى خاله لبان ابن ناهر خاطباً، فأدركه الليل فى بعض الطريق، فبات متوسِّداً حجراً، فرأى فيما يرى النائم أن سلماً منصوباً إلى باب من أبواب السماء عند رأسه، والملائكة تنزل وتعرج فيه، وأن يعقوب صار إلى خاله فخطب إليه ابنته راحيل، وكانت له ابنتان: ليا وهى الكبرى، وراحيل وهى الصغرى، فقال له: هل من مال أزوجك عليه؟ فقال يعقوب: لا، إلا أنى أخدُمك أجيراً حتى تستوفىَ صداق ١/٣٥٦

---

(١) ا، ب، ن: «ربالون».
(٢) ن: «يفتالى».
(٣) ر: «وحادر».
(٤) ن: «وأسر».

ابنتك ، قال : فإنّ صداقها أن تخدمنى سبع حجج. قال يعقوب : فزوجنى راحيل وهى شرطى ، ولها أخدُمك ، فقال له خاله : ذلك بينى وبينك ، فرعَى له يعقوب سبع سنين ، فلما وفّى له[1] شرطه دفع إليه ابنته الكبرى ليا ، وأدخلها عليه ليلا ، فلما أصبح وجد غير ما شرط ، فجاءه يعقوب وهو فى نادى قومه فقال له : غررتَنى وخدعتنى واستحللت[2] عملى سبع سنين ، ودلّست علىّ غير امرأتى ، فقال له خاله : يا بن أختى ، أردت أن تُدخِل على خالك العار والسُّبَّة ، وهو خالُك ووالدك ، ومتى رأيتَ الناسَ يزوّجون الصغرى قبل الكبرى ! فهلمّ فاخدُمنى سبع حجج أخرى ، فأزوّجك أختَها — وكان الناس يومئذ يجمعون بين الأختين إلى أن بعث موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة — فرعى له سبعًا ، فدفع إليه راحيل ، فولدت له ليا أربعة أسباط : روبيل ، ويهوذا ، وشمعان ، ولاوى . وولدت له راحيل يوسف وأخاه بنيامين وأخوات لهما ، وكان لابان دفع إلى ابنتيه حين جهزهما إلى يعقوب أمَتَيْن فوهبتا الأمتين ليعقوب ، فولدت كلٌّ واحدة منهما له ثلاثة رهط من الأسباط ، وفارق يعقوب خاله ، وعاد حتى نازل أخاه عيصا .

١/٣٥٧ وقال بعضهم : ولد ليعقوب دان ونفتالى من زلفة جارية راحيل ؛ وذلك أنها وهبتها له وسألته أن يطلب منها الولد حين تأخر الولد عنها ، وأن ليا وهبت جاريتها بلهة ليعقوب منافسة لراحيل فى جاريتها ، وسألته أن يطلب منها الولد ، فولدت له جاد ، وأشير ، ثم ولد له من راحيل بعد اليأس يوسف وبنيامين ، فانصرف يعقوب بولده هؤلاء وامرأتيه المذكورتين إلى منزل أبيه من فلسطين على خوف شديد من أخيه العيص ، فلم يرَ منه إلا خيراً ، وكان العيص فيما ذكر لحق بعمه إسماعيل ، فتزوج إليه ابنته بسمة وحملها إلى الشام ، فولدت له عدة أولاد فكثروا حتى غلبوا الكنعانيين بالشأم ، وصاروا إلى البحر وناحية الإسكندرية ثم إلى الروم. وكان العيص فيما ذكر يسمّى آدم لأدْمته . قال : ولذلك سمى ولده

---

(١) ا : « فلما وفاه » ، وفى ر : « فلما تم » .

(٢) ر : « واشترطت على » .

ولد الأصفر ، وكانت[1] ولادة رفقا بنت بتويل لإسحاق بن إبراهيم ابنيه العيص ويعقوب — بعد أن خلا من عمر إسحاق ستون سنة — توءمين فى بطن واحد ، والعيص المتقدم منهما خروجا من بطن أمه ، فكان إسحاق فيما ذكر يختص العيص ، وكانت[1] رفقا أمهما تميل إلى يعقوب ، فزعموا أن يعقوب ختل العيص فى قربان قرّباه بأمر أبيهما إسحاق بعد ما كبرت سنُّ إسحاق ، وضعف بصره ؛ فصار أكثر دعاء إسحاق ليعقوب ، وتوجهت البركة نحوه بدعاء أبيه إسحاق له ، فغاظ ذلك العيص وتوعّده بالقتل ، فخرج يعقوب هارباً منه إلى خاله لابان ببابل ، فوصله لابان وزوّجه ابنتيه ليا وراحيل ، وانصرف بهما وبجاريتيهما وأولاده الأسباط الاثنى عشر وأختهم دينا إلى الشأم إلى منزل آبائه ، وتألف أخاه العيص حتى نزل[2] له البلاد وتنقل فى الشأم ، حتى صار إلى السواحل . ثم عبر[3] إلى الروم فأوطنها[4] ، وصار الملوك من ولده وهم اليونانية — فيما زعم هذا القائل .

١ / ٣٥٨

حدثنا الحسين بن عمرو بن محمد العنقزىّ[5] ، قال : حدثنا أبى ، قال : أخبرنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : تزوج إسحاق امرأة فحملت بغلامين فى بطن ، فلما أرادت أن تضعهما اقتتل الغلامان فى بطنها ، فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص ، فقال عيص : والله لئن خرجتَ قبلى لأعترضنّ فى بطن أمى ولأقتلنّها ، فتأخّر يعقوب ، وخرج عيص قبله ، وأخذ يعقوب بعقب عيص ، فخرج فسمى عيصًا لأنه عصى ، فخرج قبل يعقوب ، وسمى يعقوب لأنه خرج آخذاً بعقِب عيص ، وكان يعقوب أكبرهما فى البطن ، ولكنّ عيصًا خرج قبله ، وكبر الغلامان ، فكان عيص أحبَّهما إلى أبيه ، وكان يعقوب أحبهما إلى أمه ، وكان عيص صاحب صيد ، فلما كبر إسحاق

---

(١) ط : « فكانت » وما أثبته من ا .

(٢) كذا فى ا ، ر وفى ط : « حتى ترك » .

(٣) ن : « حتى عبر » .

(٤) يقال : أوطن بمكان كذا ؛ إذا اتخذه وطناً .

(٥) فى الأصول : « العبقرى » ، تصحيف ؛ منسوب إلى بيع العنقر ، ذكره ابن الأثير فى اللباب ، ٢ : ١٥٦

وعمى َ، قال لعيص : يا بنىّ أطعمنى لحم صيد واقترب منى أدع لك بدعاء دعا لى به أبى ، وكان عيص رجلاً أشعر ، وكان يعقوب رجلاً أجرد ، فخرج عيص يطلب الصيد ، وسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب : يا بنىّ ، اذهب إلى الغنم فاذبح منها شاة ثم اشوه ، والبس جلده وقدّمه إلى أبيك ، وقل له : أنا ابنك عيص . ففعل ذلك يعقوب ، فلما جاء قال : يا أبتاه كُلْ ، قال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا ابنك عيص ، قال : فمسّه ، فقال : المس مس عيص ، والريحُ ريح يعقوب ، قالت أمه : هو ابنك عيص فادع له ، قال : قدّم طعامك ، فقدّمه فأكل منه ، ثم قال : ادن منى ، فدنا منه ، فدعا له أن يجعل فى ذريته الأنبياء والملوك ، وقام يعقوب ، وجاء عيص فقال : قد جئتك بالصيد الذى أمرتنى به[1] ، فقال : يا بنى قد سبقك أخوك يعقوب ، فغضب عيص وقال : والله لأقتلنّه ، قال : يا بنى قد بقيت لك دعوة ، فهلمّ أدع[2] لك بها ، فدعا له فقال : تكونَ ذريتُك عدداً كثيراً كالتراب ولا يملكهم أحدٌ غيرهم ، وقالت أم يعقوب ليعقوب : الحق بخالك فكن عنده خشية أن يقتلك عيص ، فانطلق إلى خاله ، فكان يسرى بالليل ويكمن بالنهار ، ولذلك سمى إسرائيل ، وهو سرىّ الله ، فأتى خاله وقال عيص : أما إذْ غلبتنى على الدعوى فلا تغلبنى على القبر ، أن أدفَن عند آبائى : إبراهيم وإسحاق ، فقال : لئن فعلتَ لتُدفننّ معه .

١/٢٥٩

ثم إن يعقوب عليه السلام هوى ابنة خاله — وكانت له ابنتان — فخطب إلى أبيهما الصغرى منهما ، فأنكحها إياه على أن يرعى غنمه إلى أجل مسمّى ، فلما انقضى الأجل زفّ إليه أختها ليا ، قال يعقوب : إنما أردت راحيل ، فقال له خاله : إنا لا ينكح فينا الصغير قبل الكبير ، ولكن ارعَ لنا أيضًا وانكحها[3] ، ففعل . فلما انقضى الأجل زوّجه راحيل أيضًا ، فجمع يعقوب بينهما ، فذلك قول الله : ﴿ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[4] .

١/٢٦٠

يقول : جمع يعقوب بين ليا وراحيل ، فحملت ليا فولدت يهوذا ،

---

(١) ر : « أردت » .
(٢) : « أدعو » وكلاهما جائز .
(٣) ر : وانكحهما جميعاً » .
(٤) سورة النساء ٢٣ .

وروبيل ، وشمعون . وولدت راحيل يوسف ، وبنيامين ، وماتت راحيل فى نفاسها ببنيامين ، يقول : من وجع النفاس [الذى ماتت فيه][١] .

وقطع خال يعقوب ليعقوب قطيعًا من الغنم ، فأراد الرجوع إلى بيت المقدس ، فلما ارتحلوا لم يكن له نفقة ، فقالت امرأة يعقوب ليوسف : خذ من أصنام أبى لعلنا نستنفق منه فأخذ ، وكان الغلامان فى حجْر يعقوب ، فأحبهما وعطف عليهما ليُتْمهما من أمهما ، وكان أحبَّ الخلق إليه يوسف عليه السلام ، فلما قدموا أرض الشأم ، قال يعقوب لراع من الرعاة : إن أتاكم أحدٌ يسألكم : مَنْ أنتم ؟ فقولوا : نحن ليعقوب عبد عيص ، فلقيهم عيص فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن ليعقوب عبد عيص ، فكفّ عيص عن يعقوب ، ونزل[٢] يعقوب بالشام ، فكان همّه يوسف وأخوه ، فحسده إخوته لما رأوا من حب أبيه له ، ورأى يوسف فى المنام كأنّ أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رآهم ساجدين له ، فحدث أباه بها فقال: ﴿ يا بُنيّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إخوتِك فيكِيدُوا لكَ كيدًا إنّ الشيطانَ لِلإنسانِ عَدُوٌّ مُبين ﴾[٣] .

---

(١) تكملة من ا .

(٢) ا : « وترك »

(٣) سورة يوسف ٥

ذكر أيوب عليه السلام

١/٣٦١ ومن ولده – فيما قيل – أيوب نبي الله؛ وهو فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمّن لا يُتّهم، عن وهب بن منبّه، أن أيوب كان رجلاً من الروم، وهو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم.

وأما غير ابن إسحاق فإنه يقول: هو أيوب بن موص بن رغويل بن العيص ابن إسحاق بن إبراهيم.

وكان بعضهم يقول: هو أيوب بن موص بن رعويل[1]. ويقول: كان أبوه ممن آمن بإبراهيم عليه السلام يوم أحرقه[2] نمرود، وكانت زوجته التى أمر بضربها بالضِّغْث ابنةً ليعقوب بن إسحاق، يقال: لها ليا؛ كان يعقوب زوّجها منه.

وحدثنى الحسين بن عمرو بن محمد، قال: حدثنا أبى، قال: أخبرنا غياث بن إبراهيم، قال: ذكر – والله أعلم – أن عدوّ الله إبليس لقِيَ امرأة أيوب – وذكر أنها كانت ليا بنت يعقوب – فقال: يا ليا ابنة الصدّيق وأخت الصدّيق. وكانت أم أيوب ابنة للوط بن هاران.

وقيل: إن زوجته التى أُمِر بضربها بالضِّغْث هى رحمة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب، وكانت لها البَثَنِيَّة[3] من الشام كلها بما فيها، وكان – فيما ذكر – عن وهب بن منبه فى الخبر الذى حدثنيه محمد بن سهل بن عسكر البخارىّ، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم أبو هشام، قال: حدثنى عبد الصمد ابن معقل، قال: سمعت وهب بن منبّه يقول: إن إبليس لعنه الله سمع تجاوب الملائكة[4] بالصلاة على أيوب، وذلك حين ذكره الله تعالى وأثنى عليه، فأدركه

١/٣٦٢

---

(١) كذا فى ا، وفى ط: «رغويل». (٢) ط: «إحراقه»؛ وما أثبته عن ا.

(٣) البثنية؛ ويقال البثنة؛ ذكرها ياقوت وقال «اسم ناحية من نواحى دمشق، وقال: وقيل: هى قرية بين دمشق وأذرعات، عن الأزهرى. وكان أيوب النبى عليه السلام منها».

(٤) ر: «ملائكة السموات».

البغيُ والحسد ، فسأل الله أن يسلـِّطه عليه ليفتنه عن دينه[١] ، فسلَّطه الله على ماله دون جسده وعقله ، وجمع إبليس عفاريت الشياطين وعظماءهم ، وكان لأيوب البثَنيـَّة من الشام كلـّها بما فيها بين شرقها وغربها ، وكان بها ألف شاة برعاتها[٢] ، وخمسمائة فدّان يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال ، ويحمل آلة كل فدّان أتان، لكل أتان ولد؛ بين اثنين[٣] وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك . فلما جمعهم إبليس، قال : ماذا عندكم من القوة والمعرفة ؟ فإني قد سُلـِّطت على مال أيوب ؛ فهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال . فقال كلٌّ مَنْ عنده قوة على إهلاك شيء ما عنده[٤] . فأرسلهم فأهلكوا ماله كلـّه ، وأيوب في كلّ ذلك يحمد الله ولا يثنيه شيء أصيب به من ماله عن الجدّ في عبادة الله تعالى والشكر له على ما أعطاه ، والصبر على ما ابتلاه به . فلما رأى ذلك من أمره إبليس لعنه الله سأل الله تعالى أن يسلـّطه على ولده ، فسلـّطه عليهم ، ولم يجعل له سلطانًا على جسده وقلبه وعقله ، فأهلك ولده كلـّهم ، ثم جاء إليه متمثلا بمعلـّمهم الذي كان يعلمهم الحكمة جريحًا مشدوخا يُرقـِّقه حتى رقّ أيوب فبكى ، فقبض قبضة من تراب فوضعها على رأسه ، فَسُرّ بذلك إبليس، واغتنمه من أيوب عليه السلام . ٣٦٣/١

ثم إنّ أيوب تاب واستغفر ، فصعدت قرناؤه من الملائكة بتوبته فبدروا إبليس إلى الله عزّ وجلّ . فلما لم يثن أيوب عليه السلام ما حلّ به من المصيبة في ماله وولده عن عبادة ربه ، والجدّ في طاعته ، والصبر على ما ناله ، سأل الله عزّ وجلّ إبليسُ أن يسلـِّطه على جسده، فسلطه على جسده خلا لسانه وقلبه وعقله ؛ فإنه لم يجعل له على ذلك منه سلطانا ، فجاءه[٥] وهو ساجد ، فنفخ في منخره نفخة اشتعل[٦] منها جسده ، فصارَ من جملة أمره إلى أن أنتن

---

(١) ن : « في دينه » .
(٢) ن : « يرعاها » .
(٣) كذا في ط ، وفي ا : « بين اثنين » .
(٤) ر : « ما عندهم » .
(٥) ط : « فجاء » ، وما أثبته من .
(٦) ن : « أشعل » .

جسده ، فأخرجه أهلُ القرية من القرية إلى كُناسة خارج القرية لا يقرَبه أحد إلا زوجته . وقد ذكرت اختلاف الناس فى اسمها ونسبها قبل .

ثم رجع الحديث إلى حديث وهب بن منبّه :

وكانت زوجته تختلف إليه بما يصلحه وتلزمه ، وكان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه ، فلما رأوا ما نزل به من البلاء رفضوه واتّهموه من غير أن يتركوا دينه ؛ يقال لأحدهم بلدد ، وللآخر اليفز[1] وللثالث صافر[2] . فانطلقوا إليه وهو فى بلائه فبكّتوه ، فلما سمع أيوب عليه السلام كلامَهم أقبل على ربّه يستغيثه ويتضرّع إليه ، فرحمه ربُّه ورفع عنه البلاء ، وردّ عليه أهله ومَاله ومثلهم معهم ، وقال له : ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[3] ؛ فاغتسل به فعاد كهيئته قبل البلاء فى الحسن والجمال .

١/٣٦٤

فحدثنى يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : حدثنا فُضيل بن عياض ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : لقد مكث أيوب عليه السلام مطروحًا على كُناسة لبنى إسرائيل سبعَ سنين وأشهرا ، ما يسأل الله عزّ وجلّ أن يكشف ما به ، قال : فما على وجه الأرض أكرم على الله من أيوب ، فيزعمون أن بعض الناس قال : لو كان لربّ هذا فيه حاجة ما صنع به هذا ! فعند ذلك دعا .

حدثنى يعقوب بن إبراهم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : بقىَ أيوب عليه السلام على كُناسة لبنى إسرائيل سبع سنين وأشهرا اختلف فيها[4] الرواة .

فهذه جملة من خبر أيوب صلى الله عليه وسلم ، وإنما قدمنا ذكر خبره وقصته قبل خبر يوسف وقصته لما ذكر من أمره ، وأنه كان نبيًّا فى عهد يعقوب أبى يوسف عليهم السلام .

وذُكر أن عُمْر أيوب كان ثلاثًا وتسعين سنة ، وأنه أوصى عند موته إلى

(١) ا : « اليفر » ، ن : « النفر » . (٢) ا : « صافن » .
(٣) سورة ص ٤٢ . (٤) فى الأصول : « فيه » .

ابنه حومل[١] ، وأن الله عزّ وجلّ بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبيًّا ، وسماه ذا الكِفْل وأمره بالدعاء إلى توحيده ، وأنه كان مقيماً بالشأم عُمْرَه حتى مات ، وكان عمرُه خمساً وسبعين سنة ، وأن بشرًا أوصى إلى ابنه عبدان ، وأن الله عزّ وجلّ بعث بعده شُعَيْبَ بن صيفون[٢] بن عيفا[٣] بن نابت[٤] بن مدين ابن إبراهيم إلى أهل مدين . ١/٣٦٥

وقد اختُلف فى نسب شُعَيْب فنسبه أهل التوراة النسب الذى[٥] ذكرت.

وكان ابن إسحاق يقول : هو شعيب بن ميكائيل من ولد مدين ، حدثنى بذلك ابن حُميد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

وقال بعضهم : لم يكن شعيب من ولد إبراهيم ، وإنما هو من ولد بعض مَنْ كان آمن بإبراهيم واتبعه على دينه ، وهاجر معه إلى الشأم ، ولكنه ابن بنت لوط ؛ فجدة شعيب ابنة لوط .

* * *

ذكر خبر شعيب صلى الله عليه

وقيل إن اسم شعيب يزون[٦] ، وقد ذكرت نسبه واختلاف أهل الأنساب فى نسبه ، وكان — فيما ذكر — ضرير البصر .

حدثنى عبد الأعلى بن واصل الأسدىّ ، قال : حدثنا أسيد بن زيد الجصاص ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جُبَيْر فى قوله : ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾[٧] قال : كان أعمى .

---

(١) ن : « حرمل » .
(٢) ا « صيغون » .
(٣) ط : « عنقا » ، وما أثبته عن ا وابن الأثير .
(٤) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « ثابت » .
(٥) ن : « النسبة التى » .
(٦) كذا فى ا ، وفى ر : « بيروز » ، وفى ط : « يترون » .
(٧) سورة هود ٩١ .

حدثنا أحمد بن الوليد الرَّمْلى ّ، قال : حدثنا إبراهيم بن زياد وإسحاق ابن المنذر وعبد الملك بن يزيد ، قالوا: حدثنا شريك، عن سالم، عن سعيد، مثـــله .

١/٣٦٦

حدثنى أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا عمرو بن عون ومحمد بن الصباح ، قالا : سمعنا شريكا يقول فى قوله: ﴿و إنَّا لَنرَاكَ فينَا ضَعِيفًا﴾ ، قال : أعمى .

حدثنى أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا سعدويه ، قال : حدثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا الحِمّانىّ ، قال : حدثنا عبّاد ، عن شريك، عن سالم، عن سعيد: ﴿و إنَّا لَنرَاكَ فينَا ضَعِيفاً﴾ ، قال : كان ضرير البصر .

حدثنى العباس بن أبى طالب ، قال: حدثنا إبراهيم بن مهدى المِصِّيصى ّ، قال : حدثنا خلف بن خليفة ، عن سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : ﴿و إنَّا لَنرَاكَ فينَا ضعِيفاً﴾ ، قال : كان ضعيف البصر[١]

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو نعَيْم ، قال : حدثنا سفيان ، قوله تعالى: ﴿ وإنَّا لَنرَاكَ فينا ضَعيفاً ﴾ ،قال : كان ضعيف البصر . قال سفيان : وكان يقال له خطيب الأنبياء، وإن الله تبارك وتعالى بعثه نبيًّا إلى أهل مدين ، وهم أصحاب الأيكة — والأيكة الشجر الملتفّ — وكانوا أهلَ كفر بالله وبخس للناس فى المكاييل والموازين وإفساد لأموالهم ، وكان الله عزّ وجلّ وسَّع عليهم فى الرزق ، وبسط لهم فى العيش استدراجًا منه لهم ، مع كفرهم به ، فقال لهم شعيب عليه السلام : ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾[٢] .

١/٣٦٧ فكان من قول شعيب لقومه وجواب قومه له ما ذكره الله عزّ وجلّ فى كتابه .

(١) ا ، ن : «كان أعمى » .

(٢) سورة هود ٨٤

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر لى يعقوب بن أبى سلمة — إذا ذكره قال : «ذاك خطيب الأنبياء»، لحسْن مراجعته قومَه فيما يرادّهم به .

فلما طال تماديهم فى غيِّهم وضلالهم ، ولم يردّهم تذكير شُعيب إياهم ، وتحذيرهم عذاب الله [لهم] [١] وأراد الله تبارك وتعالى هلاكهم [٢] ، سلط عليهم — فيما حدثنى الحارث — قال : حدثنا الحسن بن موسى الأشيب ، قال : حدثنى سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد ، قال : حدثنا حاتم بن أبى صَغيرة ، قال : حدثنى يزيد الباهلىّ ، قال : سألتُ عبد الله بن عباس عن هذه الآية : ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [٣] ، فقال عبد الله بن عباس : بعث الله وَبَدَةً [٤] وحرًّا شديداً ، فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت ، فدخل [عليهم] [١] أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هرّابًا [٥] إلى البرّية فبعث الله عزّ وجلّ سحابة ، فأظلتهم من الشمس ، فوجدوا لها برداً ولذة ، فنادى بعضُهم بعضًا ، حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل [٦] الله عليهم ناراً ، قال عبد الله ابن عباس : فذاك عذابُ يوم الظلة ؛ ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

١/٣٦٨ حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : حدثنى جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول : بُعث شعيب إلى أمتين : إلى قومه أهل مدين ، وإلى أصحاب الأيكة ، وكانت الأيْكة من شجر ملتفّ ، فلما أراد الله عزّ وجلّ أن يعذّبهم بعث عليهم حرًّا شديداً ، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة ، فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بَرْدها ، فلما كانوا تحتها أمطرت [٧]

---

(١) من ا . (٢) ا : « إهلاكهم » .
(٣) سورة الشعراء ١٨٩
(٤) ابنُ الأثير : « وقدة » ؛ وهما بمعنى .
(٥) ر : « هربا » .
(٦) ن : « أرسلها » .
(٧) كذا فى ا وابن الأثير، وهو أجود ؛ قال فى اللسان : «أمطرهم الله ، فى العذاب خاصة» ، وفى ط : « مطرت » .

عليهم ناراً، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظلةِ ﴾.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنى أبو سفيان، عن معمَر بن راشد، قال: حدثنى رجل من أصحابنا عن بعض العلماء، قال: كانوا – يعنى قوم شعيب – عطّلوا حدًّا، فوسع الله عليهم فى الرزق، ثم عطّلوا حدًّا فوسع الله عليهم فى الرزق، فجعلوا كلما عطّلوا حدًّا وسع الله عليهم فى الرزق، حتى إذا أراد الله هلاكهم سلّط عليهم حرًّا لا يستطيعون أن يتقارُّوا، ولا ينفعهم ظل ولا ماء، حتى ذهب ذاهب منهم فاستظلّ تحت ظلة فوجدَ روْحا، فنادى أصحابَه: هلمُّوا إلى الروْح، فذهبوا إليه سراعًا؛ حتى إذا اجتمعوا ألهبها الله عليهم ناراً، فذلك عذاب يوم الظلة. ٣٦٩/١

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبى إسحاق، عن زيد بن معاوية فى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾، قال: أصابهم حرٌّ فاقلهم فى بيوتهم، فنشأت سحابة كهيئة الظُّلَّة فابتدروها، فلما ناموا تحتها أخذتهم الرّجفة.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى. وحدثنى الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعًا عن ابن أبى نَجيح، عن مجاهد فى قوله: ﴿عَذَابُ يوم الظُّلَّةِ ﴾، قال: ظلال العذاب.

حدثنى القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد فى قوله: ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾، قال: أظلّ العذابُ قوم شُعيب. قال ابن جريج: لما أنزل الله تعالى عليهم أول العذاب أخذهم منه حرٌّ شديد، فرفع الله لهم غمامة، فخرج إليها طائفة منهم ليستظلوا بها، فأصابهم منها برد ورَوْح وريح طيبة، فصبّ الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذابًا، فذلك قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ فَأَخَذَهُمْ عذابُ يومِ الظُّلَّة إنه كَانَ عَذَابَ يومٍ عَظِيم ﴾ ، قال : بعث الله عزّ وجلّ إليهم ظلة من سحاب ، وبعث الله إلى الشمس فأحرقت ما على وجه الأرض ، فخرجوا كلهم إلى تلك الظلة ؛ حتى إذا اجتمعوا كلُّهم كشف الله عنهم الظلة ، وأحمَى عليهم الشمس ، فاحترقوا كما يحترق الجراد في المِقْلَى .

١/٣٧٠

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا أبو تُمَيْلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عامر ، عن ابن عباس ، قال : مَنْ حدّثك من العلماء ، ما عذاب يوم الظلة ، فكذّبه .

حدثني محمود بن خداش ، حدثنا حماد بن خالد الخياط ، قال ، حدثنا داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم في قوله عزّ وجلّ : ﴿ أَصَلاَتكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء ﴾ [1] ، قال : كان مما ينهاهم عنه حذف الدراهم — أو قال : قطع الدراهم ، الشكّ من حماد .

حدثنا سهل بن موسى الرازيّ ، قال : حدثنا ابن أبي فُدَيْك ، عن أبي مودود قال : سمعت محمد بن كعب القرظيّ يقول : بلغني أن قومَ شعيب عُذِّبوا في قطع الدراهم ، ثم وجدت ذلك في القرآن : ﴿ أَصَلاَتكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يعبدُ آباؤنا أوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء ﴾ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا زيد بن حُبَاب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظيّ ؛ قال : عذب قوم شعيب في قطعهم الدراهم ، فقالوا : ﴿ يا شعيبُ أصلاتُك تأمُرك أنْ نَتْرُكَ ما يعبد آباؤنا أو أن نفعلَ في أموالنا ما نشاء ﴾ .

١/٣٧١

* * *

ونرجع الآن إلى :

---

(١) سورة هود ٨٧ .

ذكر يعقوب وأولاده

ذكروا والله أعلم أن إسحاق بن إبراهيم عاش بعد ما ولد له العيص ويعقوب مائة سنة ، ثم توفى وله مائة وستون سنة فقبرَه ابناه : العيص ويعقوب عند قبر أبيه إبراهيم فى مزرعة حَبْرون [1] ، وكان عمر يعقوب بن إسحاق كله مائة وسبعًا وأربعين سنة ، وكان ابنهُ يوسف قد قُسِم له ولأمّه من الحسن ما لم يقسم لكثير من أحد من الناس .

وقد حدثنى عبدالله بن محمد وأحمد بن ثابت الرازيان ، قالا : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت [البنانىّ] [2] عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : «أعطى يوسف وأمّه شَطْر الحسن» .

وأن أمه راحيل لما ولدتْه دفعه زوجها يعقوب إلى أخته تحضنه ، فكان من شأنه وشأن عمّته التى كانت تحضنه ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، قال : كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما [3] بلغنى أن عمته ابنة إسحاق ، وكانت ١/٣٧٢ أكبر ولد إسحاق ، وكانت إليها صارت مِنْطقة إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكِبَر ، فكان من اختانها مَن وليها كان له سَلَمًا [4] لا ينازَع فيه ، يصنع فيه ما شاء ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد كان حضنتْه [5] عمته ، فكان معها وإليها ، فلم يحبّ أحد شيئًا من الأشياء حبَّها إياه ، حتى إذا ترعرع

---

(١) فى الأصول : « جيرون » ؛ وفى ياقوت : « حبرون ، بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو ونون : اسم القرية التى فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس » .

(٢) من ا .

(٣) كذا فى ا ، ح ، وفى ط : « مابلغنى » .

(٤) السلم هنا : الأسير .

(٥) كذا فى ا ن والتفسير ، وفى ط : « حضنه » .

وبلغ سنوات ، ووقعت نفس يعقوب عليه، أتاها فقال : يا أخيَّة[١] سلِّمِى إلىّ يوسف ، فوالله ما أقدر على أن يغيب عنى ساعة ، قالت : والله[٢] ما أنا بتاركته ؛ قال : فوالله ما أنا بتاركه . قالت : فدعه عندى أياماً أنظر إليه وأسكن عنه ، لعلّ ذلك يسلّينى عنه — أو كما قالت — فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه، ثم قالت : لقد فقدت منطقة إسحاق، فانظروا مَنْ أخذها ومن أصابها ، فالتُمست ثم قالت : كَشِّفوا أهل البيت ، فكشَّفوهم فوجدوها مع يوسف ، فقالت : والله إنه لى لَسَلَمٌ أصنع فيه ما شئت. قال : وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك ، إن كان فعل ذلك فهو سَلَمٌ لك ، ما أستطيع غير ذلك فأمسكته ، فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت . قال : فهو الذى يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾[٣]. ٣٧٣/١

قال أبو جعفر : فلما رأت إخوة يوسف شدةَ حبّ والدهم يعقوب إياه فى صباه وطفولته وقلّة صبره عنه حسدوه على مكانه[٤] منه ، وقال بعضهم لبعض : ﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ ، يعنون بالعصبة الجماعة ، وكانوا عشرة : ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[٥].

ثم كان من أمره وأمر يعقوب ما قد قصّ الله تبارك وتعالى فى كتابه من مسألتهم إياه إرساله إلى الصحراء معهم ، ليسعى وينشط ويلعب ، وضمانِهم[٦] له حفظَه ، وإعلام يعقوب إياهم حزنَه بمغيبه عنه ، وخوفه عليه من الذئب ، وخداعهم والدهم بالكذب من القول والزور عن يوسف ، ثم إرساله معهم

---

(١) ح : « يا أختاه » .

(٢) ط : « فوالله » ، وما أثبته من ا .

(٣) سورة يوسف ٧٧ ، والخبر فى التفسير ١٣ : ٢١ (بولاق) .

(٤) ح : « لمكانه » . وفى ر : « حسدوا مكانه » .

(٥) سورة يوسف ٨ .

(٦) ح : « فى ضمانهم » .

وخروجهم به وعزمهم حين برزوا به إلى الصحراء على إلقائه فى غيابة الجب ، فكان من أمره حينئذ — فيما ذُكر — ما حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد العنقزىّ ، عن أسباط ، عن السدىّ قال : أرسله — يعنى يعقوبُ يوسفَ — معهم ، فأخرجوه وبه عليهم كرامة ، فلما برزوا إلى البرّيّة أظهروا له العداوة ، وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه ، فجعل لا يرى منهم رحيماً ، فضربوه حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويقول : يا أبتاه يا يعقوب! لو تعلم[1] ما يصنع بابنك بنو الإماء ! فلما كادوا يقتلونه[2] ، قال يهوذا : أليس قد أعطيتمونى موثقًا ألا تقتلوه ! فانطلقوا به إلى الجبّ ليطرحوه ، فجعلوا يُدْلونه فى البئر فيتعلق بشفيرها[3] ، فربطوا يديه ، ونزعوا قميصه ، فقال : يا إخوتاه ، ردُّوا علىّ قميصى أتوارَى به فى الجبّ ! فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبًا تؤنسك ، قال : إنى لم أر شيئًا ، فدلّوه فى البئر حتى إذا بلغ نصفَها ألقوه إرادةَ أن يموت ، فكان فى البئر ماء ، فسقط فيه ، ثم أوى إلى صخرة فيها ، فقام عليها ، فلما ألقَوْه فى الجبّ جعل يبكى ، فنادوْه ، فظنّ أنّها رحمة أدركتهم ، فأجابهم ، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة[4] فيقتلوه ، فقام يهوذا ، فمنعهم وقال : قد أعطيتمونى موثِقًا ألاّ تقتلوه ، وكان يهوذا يأتيه بالطعام .

٣٧٤/١

ثم خبره تبارك وتعالى عن وحيه إلى يوسف عليه والسلام وهو فى الجب لينُبَئِّنَّ إخوته الذين فعلوا به ما فعلوا بفعلهم ذلك وهم لا يَشْعُرونَ بالوحى الذى أوحى إلى يوسف . كذلك روى ذلك عن قتادة . حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعانىّ ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وأوحينا إليه لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هٰذَا ﴾ ، قال : أوحى إلى يوسف وهو فى الجبّ أن ينبِّئهم بما صنعوا به ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾[5] بذلك الوحى .

---

(١) ط : « لم تعلم » وما أثبته من ا .
(٢) ر ، ن : « أن يقتلوه » .
(٣) شفير البئر : أعلاها ، وفى ب ، ن : « بشفير البئر » .
(٤) ا : « بالحجارة » .
(٥) سورة يوسف ١٥ .

حدثنى المثنّى ، قال : حدثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة بنحوه ، إلا أنه قال : أن سينبّئهم . ٣٧٥/١

وقيل معنى ذلك : وهم لا يشعرون أنه يوسف ، وذلك قول يروى عن ابن عباس ؛ حدثنى بذلك الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا صدقة بن عبادة الأسدىّ ، عن أبيه ، قال : سمعت ابن عباس يقول ذاك[1] ، وهو قول ابن جريج .

ثم خبره تعالى عن إخوة يوسف ومجيئهم إلى أبيه عشاءً يبكون ، يذكرون له أن يوسف أكله الذئب ، وقول والدهم : ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[2] .

ثم خبّره جلّ جلاله عن مجىء السيارة ، وإرسالهم واردهم ، وإخراج الوارد يوسف وإعلامه أصحابه به بقوله : ﴿يَا بُشْرَاىَ هَذَا غُلَامٌ﴾[3] يبشرهم[4] .

حدثنا بشْر بن مُعَاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ﴿يَا بُشْرَاىَ هَذَا غُلَامٌ﴾ ، تباشروا به حين أخرجوه — وهى بئر بأرض بيت المقدس معلوم مكانها .

* * *

وقد قيل : إنما نادى الذى أخرج يوسف من البئر صاحبًا له يسمى بُشْرى ، فناداه باسمه الذى هو اسمه . كذلك ذكر عن السُّدِّىّ . حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا خلف بن هشام ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، عن قيس بن الربيع ، عن السدىّ فى قوله : ﴿يا بُشْرَاى﴾ ، قال : كان اسم صاحبه بشرى . ٣٧٦/١

---

(١) ا : « ذلك » .

(٢) سورة يوسف ١٨ .

(٣) سورة يوسف ١٩ .

(٤) ح : « فبشرهم » .

حدثنى المثنّى ،قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السّدّىّ فى قوله: ﴿يَا بُشْرَاىٰ هَذَا غُلَامٌ﴾ ،قال: اسم الغلام بشرى ، كما تقول: يا زيد .

* * *

ثم خبره عزّ وجلّ عن السيارة وواردهم الذى استخرج يوسف من الجبّ إذ اشتروه من إخوته ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[١] ،على زُهْد فيه وإسرارهم إياه بضاعة ، خيفة ممن معهم من التجار مسألتهم الشركة فيه ، إن هم علموا أنهم اشتروه .

كذلك قال فى ذلك أهل التأويل :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى [عن][٢] ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد :﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾[١] ، قال: صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم : إنا استبضعناه[٣] خيفة أن يستشركوهم فيه إن علموا بثمنه ، وتبعهم إخوته يقولون للمُدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأبَق ، حتى وقفوه بمصر فقال : مَنْ يبتاعنى ويبشَر! فاشتراه الملك ، والملك مُسلم[٤] .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا شبابة ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد بنحوه ؛ غير أنه قال : خيفة أن يستشركوهم إن علموا به ،واتبعهم إخوته ، يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأبق حتى وقفوه بمصر .

٣٧٧/١

حدثنا ابن وكيع ، قال ، حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدىّ: ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ﴾ ، قال : لما اشتراه الرجلان فرِقوا من الرفقة أن يقولوا: اشتريناه فيسألُونَهم الشركة فيه فقالوا: إن سألونا : ما هذا ؟ قلنا: بضاعة، استبضعناه[٣] أهل الماء، فذلك قوله :﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ﴾ .

---

(١) سورة يوسف ٢٠ (٢) تكملة من ا والتفسير .
(٣) كذا فى ا ، ح والتفسير ،وفى ط : « استبضعناها » .
(٤) الخبر فى التفسير ١٢ : ١٠٠ (بولاق) .

فكان بيعهم إياه ممن باعوه منه بثمن بخس ، وذلك الناقص القليل من الثمن الحرام .

وقيل إنهم باعوه بعشرين درهمًا ، ثم اقتسموها — وهم عشرة — درهمين درهمين، وأخذوا العشرين معدودة بغير وزن؛ لأن الدراهم حينئذ —فيما قيل— إذا كانت أقلّ من أوقية وزنها أربعون درهمًا لم تكن توزن ، لأن أقلّ أوزانهم يومئذ كانت أوقية .

وقد قيل: إنهم باعوه بأربعين درهمًا . وقيل: باعوه باثنين وعشرين درهمًا .

وذكر أن بائعه الذى باعه بمصر كان مالك بن دعر بن يوبب[٢] ابن عفقان بن مديان بن إبراهيم الخليل عليه السلام . حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن السائب ، عن أبى صالح، عن ابن عباس .

وأما الذى اشتراه بها وقال : ﴿لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾[٣]؛ فإن اسمه —فيما ذكر عن ابن عباس— قُطْفير[٤] . حدثنى محمد بن سعد، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان اسم الذى اشتراه قطفير.

٣٧٨/١

وقيل إن اسمه أطفير ، بن رُوحيب[٥] ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، والملك يومئذ الرّيان بن الوليد ، رجل من العماليق ، كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق .

فأما غيره فإنه قال : كان يومئذ الملك بمصر وفرعونها الريّان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح .

---

(١) : « ذعر » .

(٢) ا ، ن : بويب ، ر : « تويب » . (٣) سورة يوسف ٢١ .

(٤) كذا فى ط وهو يوافق ما فى ابن الأثير : ١ : ٨٠ ، وفى ا : « قطفين» ، وفى ن : «قطمين» ، واسمه فى سفر التكوين ٣٩ : ١ : « فوطيفار » .

(٥) ا : « رحيب »، ر : « روحيت » .

وقد قال بعضهم : إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتّبع يوسف على دينه ، ثم مات ويوسف بعدُ حيٌّ ، ثم ملك بعده قابوس بن مُصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان كافراً، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يقبل .

وذكر بعضُ أهل التوراة أن فى التوراة : أنّ الذى كان من أمر يوسف وإخوته والمصير به إلى مصر ، وهو ابن سبع عشرة سنة يومئذ ، وأنه أقام فى منزل العزيز الذى اشتراه ثلاث عشرة سنة ، وأنه لما تمّتْ له ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر ؛ الوليد بن الرّيان ، وأنه مات يوم مات وهو ابن مائة سنة وعشر[1] سنين وأوصى إلى أخيه يهوذا ، وأنه كان بين فراقه يعقوب واجتماعه معه بمصر اثنتان وعشرون سنة ، وأن مقام يعقوب معه بمصر بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة ، وأن يعقوب صلى الله عليه وسلم أوصى إلى يوسف عليه السلام .

١/٣٧٩

وكان دخول يعقوب مصر فى سبعين إنسانًا من أهله ، فلما اشترى أطفير يوسف ، وأتى به منزله ، قال لأهله واسمها — فيما حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — راعيل : ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ فيكفينا إذا هو بلغ وفهم الأمورَ بعضَ ما نحن بسبيله من أمورنا : ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾، وذلك أنه كان—فيما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق — رجلاً لا يأتى النساء، وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة فى مُلك ودنيا ، فلما خلا من عمْر يوسف عليه السلام ثلاث وثلاثون سنة أعطاه الله عزّ وجلّ الحكم والعلم .

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد: ﴿آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾[2] : قال : العقل والعلم قبل النبوة .

* * *

(١) ح : «وعشرين سنة» .

(٢) سورة يوسف ٢٢ .

﴿ وَرَاوَدَتْهُ ﴾ حين بلغ من السنّ أشدّه (١) ﴿ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ — وهى راعيل امرأة العزيز أطفير — ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾ (٢) عليه وعليها للّذى أرادت منه ، وجعلت — فيما ذكر — تذكر ليوسف محاسنه تشوقه بذلك إلى نفسها .

* ذكر من قال ذلك .

١/٣٨٠ حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ (٣) ، قال : قالت له يا يوسف : ما أحسن شعرَك! قال : هو أول ما ينتثر من جسدى ، قالت : يا يوسف ما أحسن عينيك ! قال : هى أولُ ما يسيل إلى الأرض من جَسدى ، قالت : يا يوسف ما أحسنَ وجهك ! قال : هو للتراب يأكله ، فلم تزل حتى أطمعته فهمّت به وهمّ بها ، فدخلا البيتَ وغلّقت الأبواب ، وذهب ليحلّ سراويله فإذا هو بصورة يعقوب قائمًا فى البيت قد عضّ على إصبعه يقول : يا يوسف لا تواقعها ، فإنما مثَلُك ما لم تواقعها مثلُ الطير فى جوّ السماء لا يطاق ، ومثلك إن واقعتَها مثَله إذا مات وقع فى الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، ومثَلك ما لم تواقعها مثلُ الثور الصَّعْب الذى لا يعمل عليه ، ومثَلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل فى أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه . فربط سراويله ، وذهب ليخرج يشتدّ ، فأدركته فأخذت بمؤخر قميصه من خلْفه فخرقته حتى أخرجته منه ، وسقط وطرحه يوسف ، واشتدّ نحو الباب .

وقد حدثنا أبو كريب وابن وكيع وسهل بن موسى ، قالوا : حدثنا ابن عيينة عن عثمان بن أبى سليمان ، عن ابن أبى مليْكة ، عن ابن عباس : سئل عن همّ يوسف ما بلغ ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الحائز (٤) . ١/٣٨١

---

(١) ا ، ن ، : « بلغ السن الأشد » . (٢) سورة يوسف ٢٣

(٣) سورة يوسف ٢٥ ، والخبر فى التفسير ١٢ : ١٠٨ (بولاق) .

(٤) ا : « الخاتن » . وكذلك فى التفسير ١٢ : ١٠٩ (بولاق) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، قال : أخبرنا عبد الله بن أبي مُلَيكة ، قال : قلت لابن عباس : ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : استلقتْ له وجلس بين رجليها ينزع ثيابَه، فصرف الله تعالى عنه ما كان همّ به من السوء بما رأى من البرهان الذى أراه الله، فذلك[1] — فيما قال بعضُهم— صورة يعقوب عاضًّا على إصبعه .

وقال بعضهم : بل نودى من جانب البيت : أتزنى فتكون كالطير وقع ريشه، فذهب يطير ولا ريش له !

وقال بعضهم: رأى فى الحائط مكتوبًا : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[2] فقام حين رأى بُرْهان ربه هاربًا يريد باب البيت ، فراراً مما أرادته ، واتبعته راعيل فأدركتْه قبل خروجه من الباب ، فجذبته بقميصه من قِبَل ظهره، فقدّت قميصَه وألفى يوسف وراعيل سيّدها — وهو زوجها أطفير— جالسًا عند الباب ، مع ابن عمّ لراعيل .

كذلك حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ ، : ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ .[3] قال :كان جالسًا عند الباب وابن عمها معه، فلما رأته قالت: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[4]؛ إنه راودنى عن نفسى ، فدفعته عن نفسى فأبيت فشققت قميصه . قال يوسف : بل هى رَاوَدَتْنِى عَنْ نَفْسِى ، فأبيت وفررت منها ، فأدركتنى فشقّتْ قميصى . فقال ابن عمها : تبيان هذا فى القميص ،فإن كان القميص ﴿ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[5]، وإن كان القميص ﴿قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[5]، فأتى بالقميص ، فوجده قدّ من دُبر، قال : ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ

٣٨٢/١

(١) ا : « أراه الله به، وذلك » .
(٢) سورة الإسراء ٣٢ .
(٣) سورة يوسف ٢٥ .
(٤) سورة يوسف ٢٦ .
(٥) سورة يوسف ٢٧ .

عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا وَاسْتَغْفِرِى لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾[١] .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبى إسحاق ، عن نوْف الشامىّ ، قال : ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى قالت: ﴿ ما جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عذابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢] ، قال : فغضب وقال : ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِى ﴾ .

* * *

وقد اختلف فى الشاهد الذى شهد من أهلها ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ، فقال بعضهم : ما ذكرت عن السدىّ .

وقال بعضهم : كان صبيًّا فى المهد ، وقد روى فى ذلك عن رسول الله ما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : حدثنا حماد ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « تكلم أربعة وهم صغار » ، فذكر فيهم شاهد يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : تكلّم أربعة وهم صغار : ابنُ ماشطة ابنة فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى بن مريم . ١/٣٨٣

* * *

وقد قيل إن الشاهد كان هو القميص وقدّه من دبره .

* ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد فى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾

(١) سورة يوسف ٢٨ ، ٢٩ .

قال : قميصه مشقوق من دُبره فتلك الشهادة ، فلما رأى زوجُ المرأة قميص يوسف قُدَّ من دبر قال لراعيل زوجته :﴿إنه من كَيْدِكُنَّ إنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، ثم قال ليوسف : أعرض عن ذكر ما كان منها من مراودتها إياك عن نفسها فلا تذكره لأحد، ثم قال لزوجته:﴿استغفِرِى لِذَنْبِكِ إنَّكِ كُنْتِ من الخاطئين﴾.

وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز بمصر ومراودتها إياه على نفسها فلم ينكتم، وقلن:﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾،[1] قد وصل حبّ يوسف إلى شغاف قلبها فدخل تحته حتى غلب على قلبها . وشغاف القلب : غلافه وحجابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ قال : والشغاف جلدة على القلب[2] يقال لها لسان القلب ؛ يقول : دخل الحبّ الجلد حتى أصاب القلب ، فلما سمعت امرأة العزيز بمكرهنّ وتحدثهن بينهنّ بشأنها وشأن يوسف ، وبلغها ذلك أرسلت إليهنّ وأعتدت لهن متكأ يتكئن عليه إذا حضرنها من وسائد . وحضرنها فقدّمت إليهنّ طعامًا وشرابًا وأترجًّا، وأعطتْ كُلّ واحدة منهن سكينًا تقطع به الأترجّ .

٣٨٤/١

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدثنا محمد بن الصلت ، قال : حدثنا أبو كُدَيْنَة، عن حُصَين ، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً ﴾ ، قال : أعطتهن أترجًّا، وأعطت كلّ واحدة منهن سكينًا .

فلما فعلت امرأةُ العزيز ذلك بهنّ ، وقد أجلست يوسف فى بيت ومجلس غير المجلس الذى هنّ فيه جلوس ، قالت ليوسف : ﴿ اُخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾،

---

(١) يوسف ٣٠ .
(٢) ن : « فى القلب » .

فخرج يوسف عليهنّ ، فلما رأينه أجللنه وأكبرنه وأعظمنه ، وقطّعن أيديهن بالسكاكين التى فى أيديهنّ ، وهن يحسبن أنهنّ يقطعن بها الأترجّ ، وقلن : معاذ الله ما هذا إنس، ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾(١) . فلما حلّ بهنّ ما حلّ من قطع أيديهن من أجل نظرة نظرنها إلى يوسف وذهاب عقولهنّ ، وعرفتهنّ خطأ قيلهنّ : ﴿ امرأةُ العزيزِ تُرَاوِدُ فتَاهَا عَن نَفْسِهِ ﴾ ، وإنكارهنّ ما أنكرن من أمرها أقرّت عند ذلك لهنّ بما كان من مراودتها إياه على نفسها ، فقالت : ﴿ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَن نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ ، بعد ما حلّ سراويله .

حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو بن محمد، عن أسباط ، عن السدىّ: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَن نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ ، تقول : بعد ما حلّ السراويل استعصم ، لا أدرى ما بدا له ! ثم قالت لهنّ : ﴿ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ ﴾ من إتيانها ﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ ، فاختار السجن على الزنا ومعصية ربه ، فقال: ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾(٢) . ١/٣٨٥

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مما يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ من الزنا ، واستغاث بربه عزّ وجلّ فقال: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾(٣) . فأخبر الله عزّ وجلّ أنه استجاب له دعاءه، فصرف عنه كيدهنّ ونجاه من ركوب الفاحشة ، ثم بدا للعزيز من بعد ما رأى من الآيات ما رأى من قدّ القميص من الدبر ، وخمش فى الوجه ، وقطع النسوة أيديهنّ وعلمه

(١) سورة يوسف ٣١ .
(٢) سورة يوسف ٣٢ .
(٣) سورة يوسف ٣٣

ببراءة يوسف مما قُرِف[1] به فى ترك يوسف مطلقًا .

* * *

وقد قيل : إن السبب الذى من أجله بدا له فى ذلك ، ما حدثنا به ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو بن محمد، عن أسباط عن السدىّ: ﴿ ثم بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾[2]، قال : قالت المرأة لزوجها :

١/٣٨٦ إنّ هذا العبد العبرانىّ قد فضَحنى فى الناس يعتذر إليهم ويخبرهم أنى راودته عن نفسه ، ولست أطيق أن أعتذر بعذرى ، فإما أن تأذن لى فأخرج فاعتذر ، وإما أن تحبسه كما حبستنى ، فذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رأوا الآيات لَيسجُنُنّه حَتَّى حين ﴾، فذكر أنهم حبسوه سبع سنين .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا المحاربىّ ، عن داود ، عن عكرمة : ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾، قال : سبع سنين ؛ فلما حبس يوسف فى السجن صاحبه العزيز ، أدخِل معه السجن الذى حبس فيه فتيان من فتيان الملك صاحب مصر الأكبر ؛ وهو الوليد بن الريّان؛ أحدهما كان صاحبَ طعامه ، والآخر كان صاحب شرابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : حبسه الملكُ ، وغضب على خبّازه ؛ بلغه أنه يريد أن يَسُمَّه فحبسه ، وحبس صاحب شرّابه ؛ ظن أنه مالأه على ذلك ، فحبسهما جميعًا ، فذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾.[3]

فلما دخل يوسف قال فيما حدثنى به ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما دخل يوسف السجن ، قال : إنى أعبِّر الأحلام ، فقال أحدُ الفتيين لصاحبه : هَلُمَّ فلنجرّب هذا العبد العبرانىّ ،

١/٣٨٧ فتراءيا له ، فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئًا ، فقال الخباز : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ

---

(١) ح : « قذف به » . (٢) سورة يوسف ٣٥ . (٣) سورة يوسف ٣٦ .

فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴾ ، وقال الآخر : ﴿ إِنِّى أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً ﴾ ، ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١] .

فقيل : كان إحسانه ما حدثنا به إسحاق بن أبى إسرائيل ، قال : حدثنا خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك قال : سأل رجل الضحاك عن قوله : ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ : ما كان إحسانه ؟ قال : كان إذا مرض إنسان فى السجن قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق عليه المكان وَسَّع له ، فقال لهما يوسف : ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ﴾ فى يومكما[٢] هذا ﴿ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ[١] ﴾ فى اليقظة . فكره[٣] صلى الله عليه أن يعبِّر لهما ما سألاه عنه ، وأخذ فى غير الذى سألا عنه لما فى عبارة ما سألا عنه من المكروه على أحدهما فقال : ﴿ يَا صَاحِبَىِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾[٤] .

وكان اسم أحد الفتيين اللذين أدخلا السجن مجلب — وهو الذى ذكر أنه رأى فوق رأسه خبزاً — واسم الآخر نبو[٥] ، وهو الذى ذكر أنه رأى كأنه يعصر خمراً ، فلم يَدَعاه والعدول عن الجواب عما سألاه عنه حتى أخبرهما بتأويل ما سألاه عنه فقال : ﴿ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْراً ﴾ — وهو الذى ذكر أنه رأى كأنه يعصر خمراً ، ﴿ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ[٦] ﴾ . ١/٣٨٨
فلما عبرّ لهما ماسألاه تعبيره ، قالا : ما رأينا شيئاً .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن فضيل ، عن عمارة — يعنى ابن القعقاع — عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، فى الفتيين اللذين أتيا يوسف

(١) سورة يوسف ٣٦ ، ٣٧ .
(٢) ا : « نومكما » .
(٣) ط : « وكره » وما أثبته من ا .
(٤) سورة يوسف ٣٩ .
(٥) كذا فى ا ، وفى ط مهمل .
(٦) سورة يوسف ٤١ .

فى الرؤيا إنما كانا تحالما ليختبراه[١] ، فلما أوّل رؤياهما قالا : إنما كنا نلعب ، فقال[٢] : ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[٣] ثم قال لنبو– وهو الذى ظن يوسف أنه ناج منهما: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعنى عند الملك ، وأخبره[٤] أنى محبوس ظلمًا ، ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾[٥] ، غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان .

فحدثنى الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبعىّ ، عن بسطام بن مسلم ، عن مالك بن دينار ، قال : قال يوسف للساقى : ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ، قال : قيل : يا يوسف ، اتخذتَ من دونى وكيلا ! لأطيلنّ حبسَك . قال : فبكى يوسف وقال : يا ربّ أنسى قلبى كثرة البلوى فقلت كلمة ، فويل لإخوتى !

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لو لم يقل يوسف – يعنى الكلمة التى قال – ما لبث فى السجن طول ما لبث حيث يبتغى الفرج من عند غير الله عزّ وجلّ » .

فلبث فى السجن ، فيما حدثنى الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عمران أبو الهذيل الصنعانىّ ، قال : سمعت وهبا يقول : أصاب أيوب البلاء سبعَ سنين ، وتُرك يوسف فى السجن سبع سنين ، وعذّب بختنصَّر فحوّل فى السباع سبع سنين . ١/٣٨٩

* * *

ثم إن ملك مصر رأى رؤيا هالته .

---

(١) ا : « ليجرباه » .
(٢) ط : « قال » ، وما أثبته من ا
(٣) سورة يوسف ٤١ .
(٤) ط : « فأخبره » ، وما أثبته من ا .
(٥) سورة يوسف ٤٢ .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ، قال : إن الله عزّ وجلّ أرىَ الملك فى منامه رؤيا هالتْه ، فرأى : ﴿ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾[1] ، فجمع السحرة ، والكهنة والحازة[2] والقافة ، فقصّها عليهم ، فقالوا : ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وما نحنُ بتأويل الأحلام بعالمين * وَقَالَ الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ من الفتيين وهو نبو ، ﴿ وادّكر﴾ حاجة يوسف ﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ ، يعنى بعد نسيان : ﴿ أنا أنبِّئكم بتأويله فأرسِلُونِ ﴾[3] ، يقول : فأطلقون . فأرسلوه فأتى يوسف فقال : ﴿ أيها الصِّديقُ أفْتِنَا فِى سَبْع بقراتٍ سِمَانٍ يأ كُلُهُنَّ سَبْعٌ عجاف وسبعِ سنبلاتٍ خضر وأُخَرَ يَابِسات﴾ ؛[3] فإن الملكَ رأى ذلك فى نومه .

فحدثنا ابن وكيع ، قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال ابن عباس : لم يكن السجنُ فى المدينة ، فانطلق الساقى إلى يوسف ، فقال : ﴿ أَفْتِنَا فى سَبْعِ بَقَرَاتٍ سمان . . . ﴾ الآيات .

فحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، ﴿ أَفْتِنَا فى سَبْعِ بَقَرَاتٍ سمانٍ ﴾ فالسمان المخاصيب ، والبقرات العجاف هُنّ السنون المحول الجدوب . قوله : ﴿ وسبعِ سُنبلاب خُضْر وأُخَرَ يابسات ﴾ أما الخضر فهنّ السنون المخاصيب ، وأما اليابسات فهن الجدوب المحول .

٢٩٠/١

فلما أخبر يوسف نبو بتأويل ذلك ، أتى نبو الملك ، فأخبره بما قال له يوسف ، فعلم الملك أنّ الذى قال يوسف من ذلك حقّ ، قال : ائتونى به .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما أتى الملك رسوله فأخبره ، قال : ائتونى به ، فلما أتاه الرسول ودعاه إلى

---

(١) سورة يوسف ٤٣ .

(٢) زاد ا : « والحازى : المتخرص » .

(٣) سورة يوسف ٤٤ ـ ٤٦

الملك أبى يوسف الخروج معه، وقال : ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾(١) .

قال السدىّ: قال ابن عباس: لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه ما زالت فى نفس العزيز منه حاجة، يقول : هذا الذى راود امرأتى . فلما رجع الرسول إلى الملك من عند يوسف جمع الملك أولئك النسوة ، فقال لهنّ : ماخطبكنّ إذ راودتنّ يوسف عن نفسه ! قلن — فيما حدثنا ابن وكيع ، قال : حدّثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ قال : لما قال الملك لهنّ : ﴿مَاخَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَاعَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾؛ ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه ، ودخل معها البيت ، فقالت امرأة العزيز حينئذ : ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾(٢) . فقال يوسف : ذلك هذا الفعل الذى فعلت من ترديدى رسول الملك بالرسالات التى أرسلت فى شأن النسوة ، ليعلم أطفير سيدى ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ فى زوجته راعيل ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾(٣) .

١/٣٩١ فلما قال ذلك يوسف قال له جبرئيل : ما حدّثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما جمع الملك النسوة ، فسألهنّ : هل راودتُنّ يوسفَ عن نفسه ؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قال يوسف : ﴿ذلك ليعلمَ أنِّى لم أخُنْه بالغيب وأنَّ الله لا يَهْدِى كَيدَ الخائنين﴾ . قال : فقال له جبرئيل :

---

(١) سورة يوسف ٥٠ .

(٢) سورة يوسف ٥١ .

(٣) سورة يوسف ٥٢ .

ولايوم هممتَ بها؟ فقال: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[1].

فلما تبين للملك عذرُ يوسف وأمانته قال: ﴿ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا﴾ أُتِي به ﴿ كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾[1]. فقال يوسف للملك: ﴿ اجْعَلْنِي على خزائن الأرض ﴾ .

فحدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد فى قوله : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ ﴾ قال: كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام، فسلّم سلطانه كلّه إليه ، وجعل القضاء إليه أمره ، وقضاؤه نافذ .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا إبراهيم بن المختار، عن شيبة الضبىّ فى قوله : ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ ، قال: على حفظ الطعام . ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[1] يقول : إنى حفيظ لما استودعتنى ، عليم بسنى المجاعة ، فولاه الملك ذلك .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق، قال : لما قال يوسف للملك: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عليم ﴾ قال الملك : قد فعلت ، فولاه — فيما يذكرون — عملَ إطفير ، وعزل إطفير عما كان عليه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الأَرْضِ يتبوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ المحسنين﴾[1]

٣٩٢/١

قال : فذُكر لى — والله أعلم — أن إطفير هلك فى تلك الليالى ، وأن الملك الرّيان بن الوليد زوّج يوسفَ امرأة إطفير راعيل ، وأنهـا حين دخلت عليه قال : أليس هذا خيراً مما كنت تريدين ! قال : فيزعمون أنها قالت : أيها الصدّيق لا تلمنى ، فإنى كنت امرأةً — كما ترى — حسناء[2] جميلة ناعمة ، فى ملك ودنيا ، وكان صاحبي لا يأتى النساء، وكنتَ كما جعلك الله فى حسنك وهيئتك ، فغلبَتْنى نفسى على ما رأيت . فيزعمون أنه وجدها عذراء ، وأصابها فولدت له رجلين : أفرايم بن يوسف ومنشا بن يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى :

---

(١) سورة يوسف ٥٣ – ٥٦ . (٢) ح : « حسنا وجمالا » .

﴿ وكذلك مكّنا ليوسفَ فى الأرض يتبوّأ منها حيثُ يشاء ﴾[1] قال : استعمله الملك على مصر ، وكان صاحبَ أمرها ، وكان يلى البيع والتجارة وأمرها كله ، فذلك قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾.

فلما ولىَ يوسف للملك خزائن أرضه واستقرّ[2] به القرار فى عمله ، ومضت السنون السبع المخصبة التى كان يوسف أمرَ بترك ما فى سنبل ما حصدوا من الزرع فيها فيه ، ودخلت السنون المجدبة وقَحط الناس ، أجدبت بلاد فلسطين فيما أجدب من البلاد ، ولحق مكروه ذلك آل يعقوب فى موضعهم الذى كانوا فيه ، فوجه يعقوب بنيه . ٣٩٣/١

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : أصاب الناس الجوع حتى أصاب بلاد يعقوب التى هو بها ، فبعث بنيه إلى مصر ، وأمسك أخا يوسف بنيامين ، فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ، فلما نظر إليهم قال : أخبرونى : ما أمرُكم ؟ فإنى أنكر شأنكم ! قالوا : نحن قوم من أرض الشأم ، قال : فما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا نمتار طعامًا ، قال : كذبتم ، أنتم عيون ! كم أنتم ؟ قالوا : عشرة ، قال : أنتم عشرة آلاف ، كلُّ رجل منكم [أمير][3] ألف . فأخبرونى خبركم ، قالوا : إنا إخوة ، بنو رجل صدِّيق ، وإنا كنا اثنى عشر ، وكان أبونا يحب أخًا لنا ، وإنه ذهب معنا إلى البرّية فهلك فيها ، وكان أحبَّنا إلى أبينا . قال : فإلى مَنْ سكن أبوكم بعده ؟ قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه . قال : فكيف تخبروننى أن أباكم صدِّيق وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ! ائتونى بأخيكم هذا حتى أنظرَ إليه : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِى بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِى وَلَا تَقْرَبُونِ * قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾[4] .

---

(١) سورة يوسف ٥٦ .

(٢) ط : « واستقر » ، وما أثبته من ا .

(٣) تكلة من ا والتفسير .

(٤) سورة يوسف ٦٠ ، ٦١ ، والخبر فى التفسير ١٣ : ٦ (بولاق) .

١/٣٩٤ قال : فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا ، فوضعوا شمعون .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان يوسف حين رأى ما أصاب الناسَ من الجهد قد آسى بينهم ، فكان لا يحمّل للرجل إلا بعيراً واحداً ، ولا يحمّل الواحد بعيريْن تقسيطًا بين الناس ، وتوسيعًا عليهم ، فقدم عليه إخوتُه فيمن قدِم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر ، فعرفهم وهم له منكرون لما أراد الله تعالى أن يبلغ بـيوسف[١] فيما أراد . ثم أمر يوسف بأن يوقِر لكلّ رجل من إخوته بعيرَه ، فقال لهم : ائتونى بأخيكم من أبيكم ، لأحمّل لكم بعيراً آخر ، فتزدادوا به حمل بعير : ﴿ألا ترَوْنَ أنّى أُوفِ الْكَيْلَ﴾ فلا أبخسه أحداً ، ﴿وأنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[٢] . وأنا خيرُ من أنزل ضيفًا على نفسه من الناس بهذه البلدة ، فأنا أضيفكم ﴿فإِنْ لَمْ تَأْتُونِى﴾[١] بأخيكم من أبيكم فلا طعامَ لكم عندى أكيله ، ولا تقربوا بلادى. وقال لفتيانه الذين يكيلون الطعام لهم : ﴿اجْعَلوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ — وهى ثمن الطعام الذى اشتروه به — ﴿فى رحَالهمْ﴾ .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾[٣] ، أى وَرِقهم ، فجعلوا ذلك فى رحالهم وهم لا يعلمون .

١/٣٩٥ فلما رجع بنو يعقوب إلى أبيهم ، قالوا : ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ : فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا : يا أبانا ، إن ملكَ مصر أكرمنا كرامةً ؛ لو كان رجلا من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته ، وإنه ارتهن شمعون وقال : ائتونى بأخيكم هذا الذى عطف عليه أبوكم بعد

---

(١) ا : « ليوسف » ، ن : « من يوسف » .
(٢) سورة يوسف ٥٩ ، ٦٠ .
(٣) سورة يوسف ٦٢ .

أخيكم الذى هلك؛ فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربوا بلادى[١] أبداً. قال يعقوب: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٢]. قال: فقال لهم يعقوب: إذا أتيتم مليك مصر فأقرءوه منى السلام وقولوا له: إن أبانا يصلّى عليك، ويدعو لك بما أوليتَنا.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: خرجوا حتى إذا قدموا على أبيهم، وكان منزلهم — فيما ذكر لى[٣] بعضُ أهل العلم — بالعربات من أرض فلسطين بغَوْر الشأم. وبعضهم يقول: بالأولاج[٤] من ناحية الشِّعب أسفل من حِسْمَى فلسطين، وكان صاحب بادية، له إبل وشاء. فلما رجع إخوة يوسف إلى والدهم يعقوب قالوا له: يا أبانا مُنع منا الكيل فوق حمل أباعرنا، ولم يكل لكلٍّ واحد منا إلا كيل بعير، فأرسل معنا أخانا بنيامين يكتَلْ لنفسه، وإنا له لحافظون، فقال لهم يعقوب: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عليه إلا كما أَمِنْتُكُمْ على أخيه مِنْ قبلُ فالله خيرٌ حافظاً وهو أرْحَمُ الرَّاحِمِين﴾. ٣٩٦/١

ولما فتح ولد يعقوب الذين كانوا خرجوا إلى مصر للميرة متاعَهم الذى قدموا به من مصر، وجدوا ثمن طعامهم الذى اشتروه به رُدَّ إليهم، فقالوا لوالدهم: ﴿يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾[٥] آخرَ على أحمال إبلنا.

وقد حدثنى الحارث، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج، عن

---

(١) ط: «ولا تقربونى». وفى ح: «فإن لم تأتونى بأخيكم هذا فلا تقربوا بلادى»؛ وما أثبته من ا.

(٢) سورة يوسف ٦٤.

(٣) ط: «ذكرنى»؛ وما أثبته عن ا.

(٤) الأولاج: موضع ذكره ياقوت؛ ولم يعين موضعه.

(٥) سورة يوسف ٦٥.

ابن جريج، ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ ، قال : كان لكل رجل منهم حمل بعير ، فقالوا : أرسل معنا أخانا نزدد حمل بعير . قال ابن جريج : قال مجاهد : كيل بعير حمل حمار . قال : وهى لغة ؛ قال الحارث: قال القاسم : يعنى مجاهد أن الحمار يقال له فى بعض اللغات « بعير » .

فقال يعقوب :﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ يقول : إلا أن تهلكوا جميعًا ، فيكون حينئذ ذلك لكم عذراً عندى ، فلما وثقوا له بالأيمان قال يعقوب : ﴿اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[(١)] .

ثم أوصاهم بعد ما أذن لأخيهم من أبيهم بالرحيل معهم ، ألاّ تدخلوا من باب واحد من أبواب المدينة خوفًا عليهم من العين ، وكانوا ذوى صورة حسنة ، وجمال وهيئة ، وأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرّقة ، كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾[(١)] ، قال: كانوا قد أوتوا صورة وجمالاً ، فخشى عليهم أنفس الناس ، فقال الله تبارك وتعالى:﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ ، [وكانت الحاجة التى فى نفس يعقوب فقضاها][(٢)] ما تخوّف على أولاده أعينَ الناس لهيئتهم وجمالهم .

١/٣٧٩

ولما دخل إخوة يوسف على يوسف ضمّ إليه أخاه لأبيه وأمه، فحدثنا ابن وكيع ، قال :حدثنا عمرو ،عن أسباط ،عن السدىّ: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾،[(١)] قال : عرف أخاه ، وأنزلهم منزلاً ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ، فلما كان الليل جاءهم بمثُل فقال : ليَنَم كلّ أخوين

---

(١) سورة يوسف ٦٦ – ٦٩ .
(٢) تكملة من ا .

منكم على مِثال(١) ، فلما بقى الغلام وحده قال يوسف : هذا ينام معى على فراشى ، فبات معه ، فجعل يوسفَ يَشَمُّ ريحه ، ويضمّه إليه حتى أصبح ؛ وجعل روبيل يقول : ما رأينا مثل هذا إن نجونا منه .

وأما ابن إسحاق فإنه قال ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما دخلوا – يعنى ولد يعقوب – على يوسف قالوا : هذا أخونا الذى أمرتَنا أن نأتيَك به ، قد جئناك به . فذكر لى أنه قال لهم : قد أحسنتم وأصبتم ، وستجدون جزاء ذلك عندى ، أو كما قال .

ثم قال : إنى أراكم رجالا ، وقد أردت أن أكرمكم ، فدعا صاحب ضيافته فقال : أنزل كلّ رجلين على حدة ، ثم أكرمْهما وأحسِنْ ضيافتَهما. ١/٣٩٨

ثم قال : إنى أرى هذا الرجل الذى جئتم به ليس معه ثان ، فسأضمه إلىّ فيكون منزله معى ، فأنزلهم رجلين رجلين فى منازل شتى ، وأنزل أخاه معه فآواه إليه ، فلما خلا به قال : إنى أنا أخوك أنا يوسف فلا تبتئس بشىء فعلوه بنا فيما مضى ؛ فإن الله قد أحسن إلينا فلا تعلمهم مما أعلمتك ؛ يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّى أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بما كانوا يعملون ﴾(٢) ، يقول له : ﴿ فلا تبتئس ﴾ ، فلا تحزن .

فلما حمّل يوسف إبل إخوته ما حمّلها من الميرة وقضى حاجتهم ووفّاهم كيلهم ، جعل الإناءَ الذى كان يكيل به الطعام – وهو الصُّواع – فى رحل أخيه بنيامين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا عفان ، قال : حدثنا عبدالواحد ، عن يونس ، عن الحسن أنه كان يقول : الصُّوَاع والسقاية سواء ، هما الإناء الذى يشرب فيه ، وجعل ذلك فى رَحْل أخيه ، والأخ لا يشعر فيما ذكر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فى رَحْلِ أخيه ﴾ ، والأخ لا يشعر ، فلما ارتحلوا أذّن مؤذن قبل أن ترتحل العير : ﴿ إِنَّكُمْ لَسَارِقُون ﴾(٢) .

---

(١) المثال : الفراش ينام عليه . (٢) سورة يوسف ٦٩ ، ٧٠ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق ، قال : حمّل لهم بعيراً بعيراً ، وحمل لأخيه بنيامين بعيراً باسمه كما حمل لهم ، ثم أمر بسقاية الملك — وهو الصُّوَاع — وزعموا أنها كانت من فضة ، فجُعلت فى رحل أخيه بنيامين ، ثم أمهلهم حتى إذا انطلقوا فأمعنوا من القرية ، أمر بهم فأدرِكوا واحتُبِسوا، ثم نادى مناد : أيتها العير إنكم لسارقون، [قفوا][1] . وانتهى إليهم رسوله فقال لهم — فيما يذكرون — : ألم نكرم ضيافتكم، ونوفّكم كيلكم ، ونحسن منزلكم ، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم ، وأدخلناكم علينا فى بيوتنا ، وصار لنا عليكم حرمة ! أو كما قال لهم . قالوا : بلى، وما ذاك ؟ قال: سقاية الملك فقدناها، ولا يُتَّهموا عليها غيركم. قالوا: ﴿تَاللهِ لقدْ علِمْتُمْ ما جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِين﴾[2]. وكان مجاهد يقول . كانت العير حميراً . ٣٩٩/١

حدثنى بذلك الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا سفيان ، قال : أخبرنى رجل، عن مجاهد : وكان فيما نادى به منادى يوسف : مَنْ جاء بصُوَاع الملك فله حِمْلُ بعير من الطعام ، وأنا بإيفائه ذلك زعيم — يعنى «كفيل»[3] — وإنما قال القوم : ﴿ لَقَدْ علِمْتُمْ ما جِئْنَا لِنُفْسِدَ فى الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ ، لأنهم ردوا ثمن الطعام الذى كان كيل لهم المرة الأولى فى رحالهم. فردوه إلى يوسف ، فقالوا : لو كنا سارقين[4] لم نردد ذلك إليكم — وقيل إنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم ، فلذلك قالوا ذلك — فقيل لهم : فما جزاء من كان سرق ذلك ؟ فقالوا : جزاؤه فى حُكمنا بأن يسلَّم لفعله ذلك إلى مَنْ سرقه حتى يسترقّه . ٤٠٠/١

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال: ﴿ قالوا فما جزَاؤه إن كنتمْ كاذِبين * قالوا جزاؤه مَنْ وُجدَ فِى رَحْلِهِ

(١) تكملة من ا ، ن ، والتفسير .
(٢) سورة يوسف ٧٣ ، والخبر فى التفسير ١٢ : ١٢ (بولاق) .
(٣) ن : « كفيلا » .
(٤) ح : « سراقاً » .

فهوَ جزاؤه ﴾[1] تأخذونه ؛ فهو لكم . فبدأ يوسف بأوعية القوم قبل وعاء أخيه بنيامين ، ففتّشها ثم استخرجها من وعاء أخيه لأنه أخّر تفتيشه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه كان لا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأثّمًا مما قرفَهم به ، حتى بقيَ أخوه — وكان أصغر القوم — قال : ما أرى هذا أخذ شيئًا . قالوا : بلى فاستبرئه ، ألاَ وقد علموا حيث وضعوا سقايتهم . ﴿ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعاء أخيه كذلك كِدْنا ليوسفَ ما كانَ ليأخذَ أخاه في دِينِ المَلِكِ ﴾[2] ، يعني في حكم الملك ، ملك مصر ، وقضائه لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يُسْتَرَقّ السارق بما سرق ، ولكنّه أخذه بكيد الله له حتى أسلمه رفقاؤه وإخوته بحكمهم عليه وطيب أنفسهم بالتسليم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا شبابة ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد : قوله : ﴿ مَا كَانَ لِيأْخُذَ أخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ ﴾ إلا بعلّة كادها الله له ، فاعتلّ بها يوسف ، فقال إخوة يوسف حينئذ : ﴿ إنْ يَسْرِقْ فقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾[3] — يعنون بذلك يوسف . ١/٤٠١

* * *

وقد قيل إن يوسف كان سرق صنمًا لجده أبي أمّه ، فكسره ، فعيّروه بذلك .

* ذكرُ من قال ذلك :

حدثني أحمد بن عمرو البصريّ ، قال : حدثنا الفيض بن الفضل ، قال : حدثنا مِسْعَر ، عن أبي حَصين[4] ، عن سعيد بن جبير : ﴿ إنْ يَسْرِقْ فقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ ، قال : سرق يوسف صنما لجده أبي أمه فكسره وألقاه في الطريق ، فكان إخوته يعيبونه بذلك .

---

(١) سورة يوسف ٧٤ ، ٧٥ . (٢) سورة يوسف ٧٦ . (٣) سورة يوسف ٧٧ .

(٤) أبو حصين ، بفتح المهملة ، وهو عثمان بن عاصم بن حصين الأسدى . تهذيب التهذيب .

وقد حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي قال : كان بنو يعقوب على طعام، إذ نظر يوسف إلى عَرْق[1] فخبأه فعيّروه بذلك ﴿ إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ ،فأسرّ فى نفسه يوسف حين سمع ذلك منهم، فقال : ﴿أنتمْ شَرٌّ مَكَانًا واللهُ أعلمُ بما تَصِفون ﴾[2] به أخا بنيامين من الكذب ، ولم يُبْدِ ذلك لهم قولا .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما استخرِجت السرِقة من رحْل الغلام انقطعت ظهورُهم ، وقالوا : يا بَنى راحيل، ما يزال لنا منكم بلاء ! متى أخذتَ هذا الصواع ؟ فقال بنيامين : بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ، ذهبتم بأخى فأهلكتموه فى البرّية[3] ، وَضَع هذا الصُّواع فى رَحْلى الذى وضع الدراهم فى رحالكم . فقالوا : لا تذكر الدراهم فتؤخذ بها . فلما دخلوا على يوسف دعا بالصُّواع ، فنقر فيه ثم أدناه من أذنه ، ثم قال : إن صُواعى هذا ليخبرنى أنكم كنتم اثنى عشر رجلا ، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه . فلما سمعها بنيامين قام فسجد ليوسف ثم قال : أيها الملك ، سل صُواعك هذا عن أخى أين هو؟ فنقره، ثم قال : هو حىّ ، وسوف تراه . قال : فاصنع بى ما شئت ، فإنه إن علم بى فسوف يستنقِذنى . قال : فدخل يوسف فبكى ثم توضأ ، ثم خرج فقال بنيامين : أيها الملك ، إنى أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحقّ من الذى سرقه فجعله فى رحلى . فنقره، فقال : إن صواعى هذا غضبان ، وهو يقول : كيف تسألنى : مَنْ صاحبى ؟ فقد رأيتَ مع من كنت ! قالوا : وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يُطاقوا ، فغضب روبيل وقال : أيها الملك ، والله لتتركنا أو لأصيحنّ صيحة لا تبقى بمصر حامل إلا ألقتْ ما فى بطنها ، وقامت كلُّ شعرة فى جسد روبيل ، فخرجت من ثيابه . فقال يوسف لابنه : قم إلى جنب روبيل فمسّه — وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فمسّه الآخر ذهب غضبه — فقال روبيل : مَنْ

١/٤٠٢

---

(١) العرق والعراق : العظم أكل لحمه .

(٢) سورة يوسف ٧٧ .

(٣) ن : « بالبرية » .

هذا ؟ إن فى هذا البلد لَبَزْرا من بزْر يعقوب ، فقال يوسف : من يعقوب ؟ فغضب روبيل وقال : أيها الملك ، لا تذكر يعقوب فإنه إسرائيل الله بن ذبيح الله بن خليل الله . قال يوسف : أنت إذن كنت صادقًا .

١/٤٠٣ قال : ولما احتبس يوسف أخاه بنيامين ، فصار بحكم إخوته أولى به منهم ، ورأوا أنه لا سبيلَ لهم إلى تخليصه[1] صاروا إلى مسألته تخليتَه ببذل منهم يعطونه إياه ، فقالوا : ﴿يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فى أفعالك . فقال لهم يوسف : ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾[2] أن نأخذ بريئًا بسقيم !

فلما يئس إخوة يوسف من إجابة يوسف إياهم إلى ما سألوا من إطلاق أخيه بنيامين وأخذ بعضهم مكانه ، خلَصوا نجيًّا لا يفترق منهم أحد ، ولا يختلط بهم[3] غيرهم . فقال كبيرهم : — وهو روبيل ، وقد قيل إنه شمعون — : ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله أن نأتيَه بأخينا بنيامين إلاّ أن يحاط بنا أجمعين ! ومن قبل هذه المرة ما فرطتم فى يوسف ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ التى أنا بها ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ فى الخروج منها وترك أخى بنيامين بها ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[4] — وقد قيل معنى ذلك : أو يحكم الله لى بحرب مَنْ منعنى من الانصراف بأخى — ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ ، فأسلمناه بجريرته ، ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ ؛ لأن صُواع الملك لم يوجد إلا فى رحله ، ﴿وما كنا للغيب حافظين﴾[4] ، يعنون بذلك أنا إنما ضمنَّا لك أن نحفظه مما لنا إلى حفظه ١/٤٠٤

---

(١) ن : « تخليته » .
(٢) سورة يوسف ٧٨ ، ٧٩ .
(٣) ن : « معهم » .
(٤) سورة يوسف ٨٠ ، ٨١ .

سبيل، ولم نكن نعلم أنه يسرق فيُسترَقّ بسرقته ، واسأل أهل القرية التي كنا فيها فسرق ابنك فيها ، والقافلة التي كنا فيها مقبلة من مصر معنا عن خبر ابنك ، فإنك تخبر بحقيقة ذلك .

فلما رجعوا إلى أبيهم فأخبروه خبر بنيامين ، وتخلُّف روبيل قال لهم[١] : بل سوَّلتْ لكم أنفسكم أمراً أردتموه ، فصبرٌ جميل لاجزع فيه على ما نالني من فقد ولدي ، عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا بيوسف وأخيه وروبيل .

ثم أعرض عنهم يعقوب وقال : ﴿ يا أَسَفا عَلَى يُوسُفَ ﴾ يقول الله عزّ وجلّ :﴿ وابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيم ﴾[٢]، مملوء من الحزن والغيظ . فقال له بنوه الذين انصرفوا إليه من مصر حين سمعوا قوله ذلك : تالله لا تزال تذكر يوسف فلا تفتر[٣] من حبّه وذكره حتى تكون دنفَ الجسم ، مخبولَ العقل من حبّه وذكره ، هرِما باليًا أو تموت !

فأجابهم يعقوب فقال : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله لا إليكم ، وأعلم من الله ما لا تعلمون من صدق رؤيا يوسف؛ أنّ تأويلها كائن ، وأني وأنتم سنسجد له .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حَكّام ، عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن ، قال : قيل : ما بلغ وَجْد يعقوب على ابنه ؟ قال : وجْد سبعين ثَكْلى ، قال : فما كان له من الأجر ؟ قال : أجر مائة شهيد ، قال : وما ساء ظنّه بالله ساعة قطّ من ليل ولا نهار .

١/٤٠٥

وحدثنا ابنَ حميد مرّة أخرى ، قال : حدثنا حَكّام ، عن أبي معاذ ، عن يونس ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن المبارك بن مجاهد ، عن رجل من الأزد ، عن طلحة بن مُصرِّف اليامىّ ، قال : أنبئت أن يعقوبَ ابن إسحاق دخل عليه جار له فقال : يا يعقوب ، مالي أراك قد انهشمت

---

(١) ا « قال لهم أبوهم » . (٢) سورة يوسف ٨٤ .
(٣) كذا في ا ، وفي ط : « لا تفتأ » .

وفنيت ولم تبلغ من السنّ ما بلغ أبوك ؟ قال : هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من همّ يوسف وذكره . فأوحى الله عزّ وجلّ إليه : يا يعقوب[١] أتشكوني إلى خلقي ! قال : يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها[٢] لي . قال : فإني قد غفرت لك ، فكان بعد ذلك إذا سئل قال : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملي ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن هشام عن الحسن ، قال : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى أن رجع ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ، ولم يزل يبكي حتى ذهب بصره . قال الحسن : والله ما على الأرض خليقة أكرم على الله من يعقوب .

ثم أمر يعقوب بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع إليها وتحسّس الخبر عن يوسف وأخيه ، فقال لهم : اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا من روح الله ، يفرج به عنا وعنكم الغمّ الذي نحن فيه . فرجعوا إلى مصر فدخلوا على يوسف فقالوا له حين دخلوا عليه : ﴿ أَيُّها العزيزُ مَسَّنَا وأهلَنا الضُّرُّ وجِئْنَا ببضاعةٍ مُزْجَاةٍ فأوفِ لَنَا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ علينا إنَّ اللهَ يجزي المتصدِّقين ﴾[٣] . وكانت بضاعتهم المزجاة التي جاءوا بها معهم -فيما ذكر- دراهم رديّة زُيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة[٤] . وكان بعضهم يقول : كانت حلَق الغرارة والحبل ونحو ذلك . وقال بعضهم : كانت سمنًا وصوفًا . وقال بعضهم : كانت صنوبراً وحبة الخضراء . وقال بعضهم : كانت قليلة دون ما كانوا يشترون به قبل ، فسألوا يوسف أن يتجاوز لهم ويُوفِيَهم بذلك من كيل الطعام مثل الذي كان يعطيهم في المرتين قبل ذلك ، ولا ينقصهم . فقالوا له : ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ وتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إنَّ اللهَ يَجْزِي المتصدِّقينَ ﴾ .

١/٤٠٦

(١) ن : « فأوحى الله إلى يعقوب » .
(٢) ح : « فاغفر لي » .
(٣) سورة يوسف ٨٨ .
(٤) الوضيعة هنا : الحط من الثمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ : ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ ، قال : بفضل ما بين الجياد والرديّة . وقد قيل : إن معنى ذلك : وتصدق علينا برد أخينا إلينا ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر أنهم لما كلّموه بهذا الكلام ، غلبتْه نفسه فارفضّ دمعُه باكيًا ، ثم باح لهم بالذى كان يكتم منهم ، فقال : ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾[1] . ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه ، ولكن التفريق بينه وبين أخيه إذ صنعوا بيوسف[2] ما صنعوا . فلما قال لهم يوسف ذلك قالوا له : ها أنت يوسف ! قال : ﴿ أَنَا يُوسُفُ وهذا أخى قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ بأن جمع بيننا بعد تفريقكم بيننا ، ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1] .

١/٤٠٧

حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما قال لهم يوسف : ﴿ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِى ﴾ اعتذروا وقالوا : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾[3] . قال لهم يوسف : ﴿ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[3] . فلما عرّفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال يوسف : ما فعل أبى بعدى ؟ قالوا : لما فاته بنيامين عمىَ من الحزن فقال : ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِى هَذا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ﴾ عير بنى يعقوب ، قال يعقوب :

---

(١) سورة يوسف ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) ن : « فيه » .

(٣) سورة يوسف ٩١ ، ٩٢ .

﴿ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾[1] .

فحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنى ابن شريح ، عن أبى أيوب الهوزنىّ ، حدّثه ، قال : استأذنت الريح بأن تأتىَ يعقوب بريح يوسف حين بعث بالقميص إلى أبيه قبل أن يأتيه البشير ، ففعلت ، فقال يعقوب : ﴿ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾[1] .

٤٠٨/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن ابن سنان ، عن ابن أبى الهذيل ، عن ابن عباس فى ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ العيرُ قال أبوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ قال : هاجت ريحٌ فجاءت بريح يوسف من مسيرة ثمان ليال ، فقال : ﴿ إِنى لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : ذُكِر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخًا ، يوسف بأرض مصر ويعقوب بأرض كنعان ، وقد أتى لذلك زمان طويل .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج . قوله : ﴿ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ قال : بلغنا أنه كان بينهم يومئذ ثمانون فرسخًا ، وقال : ﴿ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ وقد كان فارقه قبل ذلك سبعًا وسبعين سنة . ويعنى بقوله : ﴿ لولاَ أن تفنِّدون ﴾ لولا أن تسفّهونى فتنسبونى إلى الهرم وذهاب العقل . فقال له مَنْ حضره من ولده حينئذ : تالله إنك من ذكر يوسف وحبّه ﴿ لَفِى ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ ﴾[2] – يعنون فى خطئك القديم . ﴿ فلما أن جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾[2] – يعنى البريد الذى أبرده يوسف إلى يعقوب – يبشر بحياة يوسف وخبره ، وذكر أن البشير كان يهوذا بن يعقوب .

٤٠٩/١

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السُّدىّ ، قال :

---

(١) سورة يوسف ٩٣ ، ٩٤ .
(٢) سورة يوسف ٩٥ ، ٩٦

قال يوسف: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا فألقوه على وَجْه أبي يأت بصيراً وأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أجمعين ﴾ (١) . قال يهوذا : أنا ذهبت بالقميص ملطخًا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب ، وأنا أذهب اليوم بالقميص فأخبره بأنه حيّ ،فأقرّ عينه كما أحزنته ؛ فهو كان البشير .

فلما أن جاء البشيرُ يعقوبَ بقميص يوسف ألقاه على وجهه ، فعاد بصيراً بعد العمى ، فقال لأولاده : ﴿ ألم أَقُلْ لَكُم إنِّي أعلمُ من اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) . وذلك أنه كان قد علم — من صدق تأويل رؤيا يوسف التي رآها أنّ الأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر ساجدون — ما لم يكونوا يعلمون . فقالوا ليعقوب : ﴿ يا أَبانا اسْتَغفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إنَّا كُنَّا خَاطِئِين ﴾ (٢) . فقال لهم يعقوب : ﴿ سوفَ أَسْتَغفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ (٢) . قيل : إنه أخّر الدعاء لهم إلى السَّحَر . وقيل إنه أخّر ذلك إلى ليلة الجمعة .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذيّ ، قال : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقيّ ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا ابن جريج ، عن عطاء وعكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال يعقوب : ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ ، يقول : حتى تأتيَ ليلة الجمعة » .

١/٤١٠ فلما دخل يعقوب وولده وأهاليهم على يوسف آوى إليه أبويه ، وكان دخولهم عليه قبل دخولهم مصر — فيما قيل — لأن يوسف تلقاهم . حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السديّ ، قال : حملوا إليه أهليهم وعيالهم ، فلما بلغوا مصر كلّم يوسف الملك الذي فوقه فخرج هو والملك يتلقونهم ، فلما بلغوا مصر قال : ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إنْ شَاءَ اللهُ آمِنِين ﴾ (٢) . فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه .

---

(١) سورة يوسف ٩٣

(٢) سورة يوسف ٩٦ — ٩٩

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان، عن فرقد السبَخىّ، قال: لما ألقِىَ القميص على وجهه ارتدّ بصيراً ، وقال: ائتونى بأهلكم أجمعين ، فحمِل يعقوب وإخوة يوسف، فلما دنا يعقوب أخبرَ يوسف أنه قد دنا منه ، فخرج يتلقاه . قال: وركب معه أهلُ مصر — وكانوا يعظِّمونه — فلما دنا أحدهما من صاحبه — وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على رجل من وَلَده ، يقال له يهوذا — قال : فنظر يعقوب إلى الخيل والناس ، فقال[1] : يا يهوذا ، هذا فرعون مصر ، فقال : لا ، هذا ابنك يوسف ، قال : فلما دنا كلٌّ واحد منهما من صاحبه ذهب[2] يوسف يبدؤه بالسلام ، فمنع ذلك، وكان يعقوب أحقّ بذلك منه وأفضل. فقال : السلام عليك يا مذهب الأحزان ، فلما أن دخلوا مصر رفع أبويه على السرير وأجلسهما عليه .

* * *

وقد اختلف فى اللذين رفعهما يوسف على العرش ، وأجلسهما عليه، فقال بعضهم : كان أحدهما أبوه يعقوب ، والآخر أمه راحيل . وقال آخرونَ : بلْ كان الآخر خالته ليا وكانت أمه راحيل قد كانت ماتت قبل ذلك . وخرّ له يعقوب وأمه وولد يعقوب سجَّداً .

١/٤١١

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً ﴾[3] قال : كانت تحية الناس أن يسجد بعضهم لبعض ، وقال يوسف لأبيه: ﴿ يا أبت هذا تأويل رُؤْيَاىَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾،[3] يعنى بذلك: هذا السجود منكم ، يدل على تأويل رؤياى التى رأيتها من قبل، صنع إخوتى بى ما صنعوا ، وتلك الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ . يقول : قد حقق الرؤيا بمجىء تأويلها .

* * *

وقيل كان بين أن أرِىَ يوسف رؤياه هذه ومجىء تأويلها أربعون سنة .

* ذكر بعض من قال ذلك :

---

(١) ط : « قال » وما أثبته من ا . (٢) ا : « فذهب » .
(٣) سورة يوسف ١٠٠ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا معتَمر ، عن أبيه ، قال : حدثنا أبو عثمان ، عن سلمان الفارسيّ ، قال : كان بين رؤيا يوسف إلى أن رأى تأويلها أربعون سنة .

وقال بعضهم : كان بين ذلك ثمانون سنة .

* ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا عمرو بن على ، قال : حدثنا عبد الوهاب الثقفىّ ، قال : حدثنا هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ثمانون سنة ، لم يفارق الحزنُ قلبَه ودموعُه تجرى على خدّيه ، وما على الأرض يومئذ أحبُّ إلى الله عزّ وجلّ من يعقوب . ١/٤١٢

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا داود بن مِهْران ، قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : أُلْقِيَ يوسف فى الجبّ وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا مبارك بن فَضَالة ، عن الحسن ، قال : أُلْقِيَ يوسف فى الجبّ ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ما جمع الله شمله ، ورأى تأويل رؤياه ثلاثا وعشرين سنة ، فمات وهو ابن عشرين ومائة سنة .

وقال بعض أهل الكتاب : دخل يوسف مصر وله سبع عشرة سنة ، فأقام فى منزل العزيز ثلاث عشرة سنة ، فلما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون ملك مصر ، واسمه الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وأنّ هذا الملك آمن ، ثم مات ، ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس[1] بن قاران بن عمرو ابن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح . وكان كافراً ، فدعاه يوسف إلى الإيمان بالله فلم يستجب إليه ، وأن يوسف أوصَى إلى أخيه يهوذا ، ومات وقد أتت له مائة وعشرون سنة ، وأنّ فِراق يعقوب إياه كان اثنتين وعشرين سنة ، وأن ١/٤١٣

(١) ا ، ن : « البيلواس »

مقام يعقوب معه بمصر كان بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة ، وأن يعقوب لما حضرته الوفاةَ أوصى إلى يوسف — وكان دخول يعقوب مصر فى سبعين إنسانًا من أهله . وتقدم إلى يوسف عند وفاته أن يحمِّل جسده حتّى يدفنه بجنب أبيه إسحاق ، ففعل يوسف ذلك به ومضى به حتّى دفنه بالشأم ، ثم انصرف إلى مصر ، وأوصى يوسف أن يحمَّل جسده حتّى يدفَن إلى جنب آبائه ، فحمل موسى تابوت جسده عند خروجه من مصر معه .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكر لى — والله أعلم — أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمانىَ عشرة سنة .

قال : وأهلُ الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأنّ يعقوب بقىَ مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ، ثم قبضه الله إليه . قال : وقبر يوسف — كما ذكر لى فى — صندوق من مرمر فى ناحية من النيل فى جوف الماء .

وقال بعضهم : عاش يوسف بعد موت أبيه ثلاثا وعشرين سنة ، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة. قال : وفى التوراة أنه عاش مائة سنة وعشر سنين .

١ / ٤١٤ وولد ليوسف أفرايم بن يوسف ومنشا بن يوسف ، فولد لإفرايم نون ، فولد لنون بن إفرايم يوشع بن نون وهو فتى موسى ، وولد لمنشا موسى بن منشا .

وقيل : إن موسى بن منشا نبّىء[1] قبل موسى بن عمران .

ويزعم أهل التوراة أنه الذى طلب الخضر .

---

(١) ط : « نبي » ، وما أثبته من ا .

قصة الخضر وخبره وخبر موسى وفتاه يوشع عليهم السلام

قال أبو جعفر : كان الخضِر ممن كان فى أيام أفريدون الملك بن أثفيان فى قول عامّة أهل الكتاب الأوّل ، وقبل[1] موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم . وقيل إنه كان على مقدمة ذى القَرْنين الأكبر ، الذى كان أيام إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى قضى له ببئر السبع — وهى بئر كان إبراهيم احتفرها لماشيته فى صحراء الأردنّ — وإنّ قومًا من أهل الأردنّ ادّعوا الأرض التى كان احتفر بها إبراهيم بئره ، فحاكمهم إبراهيم إلى ذى القرنين الذى ذكر أن الخَضِر كان على مقدمته أيامَ سَيْره فى البلاد ، وإنه بلغ مع ذى القرنين نهرَ الحياة ، فشرب من مائه وهو لا يعلم ، ولا يعلم به ذو القرنين ومن معه ، فخلّد ، فهو حىّ عندهم إلى الآن .

١/٤١٥ وزعم بعضهم أنه من ولد مَن كان آمن بإبراهيم خليل الرحمن ، واتبعه على دينه ، وهاجر معه من أرض بابل حين هاجر إبراهيم منها . وقال : اسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ، قال : وكان أبوه ملكًا عظيماً .

وقال آخرون : ذو القرنين الذى كان على عهد إبراهيم صلى الله عليه وسلم هو أفريدون بن أثفيان ، قال : وعلى مقدمته كان الخضر .

وقال عبد الله بن شَوْذب فيه ، ما حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصرىّ قال : حدثنا محمد بن المتوكل ، قال : حدثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن عبد الله بن شَوْذب ، قال : الخضر من ولد فارس ، وإلياس من بنى إسرائيل ، يلتقيان فى كلّ عام بالموسم .

وقال ابن إسحاق فيه ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، قال : بلغنى أنه استخلف الله عزّ وجلّ فى بنى إسرائيل

---

(١) كذا فى ا وابن الأثير ، وهو الصواب ، وفى ط : « وقيل » .

رجلا منهم ، يقال له ناشية بن أموص ، فبعث الله عزّ وجلّ لهم الخضر نبيًّا .
قال : واسم الخضر – فيما كان وهب بن منبّه يزعم عن بنى إسرائيل – أورميا بن
خلقيا ، وكان من سِبْط هارون بن عمران . وبين هذا الملك الذى ذكره ابن ١/٤١٦
إسحاق وبين أفريدون أكثر من ألف عام .

وقول الذى قال : إن الخضر كان فى أيام أفريدون وذى القرنين الأكبر
وقبل[١] موسى بن عمران أشبه بالحق إلا أن يكون الأمر كما قاله مَنْ قال إنه
كان على مقدمة ذى القرنين صاحب إبراهيم ، فشرب ماء الحياة ، فلم يبعث
فى أيام إبراهيم صلى الله عليه وسلم نبيًّا ، وبعث أيام ناشية بن أموص ؛ وذلك
أنّ ناشية بن أموص الذى ذكر ابن إسحاق أنه كان ملكًا على بنى إسرائيل ،
كان فى عهد بشتاسب بن لهراسب ، وبين بشتاسب وبين أفريدون من الدهور[٢]
والأزمان ما لا يجهله ذو علم بأيام الناس وأخبارهم ، وسأذكر مبلغَ ذلك إذا
انتهينا إلى خبر بشتاسب إن شاء الله تعالى .

وإنما قلنا : قول من قال : كان الخضر قبل موسى بن عمران صلى الله عليه
وسلم أشبهُ بالحق من القول الذى قاله ابن إسحاق وحكاه عن وهب بن منبّه ،
للخبر الذى رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُبىّ بن كعب ، أنّ صاحب
موسى بن عمران – وهو العالم الذى أمره الله تبارك تعالى بطلبه إذ ظن أنه لا أحدَ
فى الأرض أعلم منه – هو الخضر ، ورسول الله صلى الله عليه كان أعلمَ خلق
الله بالكائن من الأمور الماضية ، والكائن منها الذى لم يكن بعد . ١/٤١٧

والذى روى أُبىّ بن كعب فى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم ما حدثنا أبو كريب ،
قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن
دينار ، عن سعيد ، قال[٣] : قلت لابن عباس : إن نوفاً يزعم أن الخضر ليس

---

(١) ط : « قبل » من غير واو ، وما أثبتة من ا .
(٢) ح : « الدهر » .
(٣) رواه البخارى فى كتاب التفسير بسنده عن سعيد بن جبير ؛ مع اختلاف فى ألفاظ
الحديث .

بصاحب موسى ، فقال : كذبَ عدو الله ، حدثنا أبيّ بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن موسى قام فى بنى إسرائيل خطيباً فقيل : أىّ الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه حين لم يردّ العلم إليه ، فقال : بل عبدٌ لى[١] عند مجمع البحرين ، فقال : يا ربّ ، كيف به ؟ قال[٢] : تأخذ حوتاً فتجعله فى مكْتل فحيث تفقده فهو هناك . قال : فأخذ حوتاً فجعله فى مكتل، ثم قال لفتاه : إذا فقدتَ هذا الحوت فأخبرنى . فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا صخرة ، فرقَد موسى فاضطرب الحوت فى المكتل ، فخرج فوقع فى البحر ، فأمسك الله عنه جرْية الماء فصار مثل الطاق ، فصار للحوت سرَباً ، وكان لهما عجباً . ثم انطلقا، فلما كان حين الغداء قال موسى لفتاه : ﴿ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هٰذَا نَصَباً ﴾[٣] قال: ولم يجد موسى النصَب[٤] حتى جاوز حيث أمرَه الله[٥] ، قال : فقال: ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِى نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ عَجَباً ﴾[٣] قال : فقال : ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً ﴾[٣]. قال : يقصّان آثارهما[٦] . قال : فأتيا الصخرة، فإذا رجل نائم مسجًّى بثوبه، فسلّم عليه موسى فقال: وأنَّى بأرضنا السلام! قال : أنا موسى ، قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : يا موسى ، إنى على علْم من علم الله، علّمنيه الله لاتعلمه ، وأنت على علم من علم الله علّمكه الله لا أعلمه، قال: فإنى أتبعك على أن تعلمنى ممَّا عُلمْتَ رُشْداً . ﴿ قال فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْأَلْنِى عَنْ شَىْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴾[٧] . فانطلقا يمشيان على الساحل ، فإذا بملاح فى سفينة ، فعرف الخضر ، فحمله

١٨/١

(١) البخارى : « فأوحى الله إليه إن لى عبداً » .

(٢) ط : « فقال » ؛ وما أثبته عن ا والبخارى .

(٣) سورة الكهف ٦٢ — ٦٤ .

(٤) ح : « التعب » .

(٥) لفظ البخارى : « المكان الذى أمر الله به » .

(٦) ن : « أثرهما » ، ولفظ البخارى : « رجعاً يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة » .

(٧) سورة الكهف ٧٠ .

بغير نَوْل ، فجاء عصفور فوقع على حرفها فنقر — أو فنقد[١] — فى الماء ، فقال الخضر لموسى : ما ينقص علمى وعلمك من علم الله إلا مقدار مانقر — أو نقد — هذا العصفور من البحر .

قال أبو جعفر : أنا أشكُّ ، وهو فى كتابى هذا « نقر » . قال : فبينما هم فى السفينة لم يُفجأ موسى إلا وهو يتـد وتداً أو ينزع تختًا منها ، فقال له موسى : حمَلنا بغير نَوْل وتخرقها لتُغْرِقَ أهلَها[٢] ! ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾[٣] — قال : فكانت الأولى من موسى نسيانًا — قال : ثم خرجا فانطلقا يمشيان ، فأبصرا غلامًا يلعب مع الغلمان ، فأخذ برأسه فقتله ، فقال له موسى : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾[٤] .

١/٤١٩

فانطلقا حتى إذا أتيا أهلَ قرية استطعما أهلها ، فلم يجدا أحداً يطعمهم ولا يسقيهم ، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضَّ فأقامه بيده — قال : مسحه بيده — فقال له موسى: لم يُضيفونا ولم ينزلونا ، ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾[٥] . ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾[٥] قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لوددت أنه كان صبَرَ حتى يقصَّ علينا قصصهم[٦] » .

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى قال : حدثنا الأوزاعى ،

---

(١) ط : « نقد ، وما أثبته عن ا ، ونقر ونقد بمعنى واحد .

(٢) لفظ البخارى : « فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها » .

(٣) سورة الكهف ٧١ — ٧٣ .

(٤) سورة الكهف ٧٤ — ٧٦ ، و « زاكية » قراءة الجمهور ، وقراءة الكوفيين وابن عامر : « زكية » ، بتشديد الياء ، وهى التى فى المصحف . وقال البخارى : «كان ابن عباس قرأها : زكية وزاكية» .

(٥) سورة الكهف ٧٧ ، ٧٨

(٦) لفظ البخارى : وددت أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما » .

قال : حدثنى الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه[1] تمارَى هو والُحرّ بن قيس بن حصن الفزارىّ فى صاحب موسى ، فقال ابن عباس : هو الخضر ، فمرّ بهما أُبىّ بن كعب ، فدعاه ابن عباس فقال : إنى تماريت أنا وصاحبى هذا فى صاحب موسى عليه السلام الذى سأل السبيلَ إلى لقائه، فهل سمعتَ رسول الله يذكر شأنه ؟ قال : نعم إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «بينا موسى عليه السلام فى ملإ من بنى إسرائيل ، إذ جاءه رجل فقال : تعلم مكان أحد أعلم منك ؟ قال موسى : لا ، فأوحى الله إلى موسى : بَلَى عبدنا الخَضِر ، فسأل موسى السبيلَ إلى لقائه ، فجعل الله الحوت آية ، وقال له : إذا افتقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ، فكان موسى يتبع أثر الحوت ، [فى البحر ، فقال فتى موسى لموسى : ﴿أرأيتَ إذْ أوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فإنى نسيتُ الحوتَ ﴾][2] ، قال موسى : ﴿ ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِ فارتدَّا على آثارِهما قصَصاً ﴾ ، فوجدا الخضر[3] ، فكان من شأنهما ما قصّ الله فى كتابه » .

١ / ٤٢٠

حدثنى محمد بن مرزوق قال ، حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا عبد الله بن عمر النميرىّ ، عن يونس بن يزيد ، قال : سمعت الزهرىّ يحدث قال : أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه تمارى هو والُحرّ بن قيس بن حصن الفزارىّ فى صاحب موسى ، فذكر نحو حديث العباس عن أبيه .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ؛ قوله : ﴿ وَإذْ قالَ مُوسَى لِفَتَاهُ

---

(١) نقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٩٦

(٢) تكملة من ا وتفسير ابن كثير .

(٣) ا : « فوجدا عبدنا الخضر » .

﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ...﴾[1] الآية ، قال : لما[2] ظهر موسى وقومه على مصر نزل قومه مصر ، فلما استقرّت بهم الدار ، أنزل الله عزّ وجلّ عليه : أن ذكِّرهم بأيام الله . فخطب قومه ، فذكّر ما آتاهم الله من الخير والنعمة ، وذكّرهم إذ أنجاهم الله من آل فرعون ، وذكّرهم هلاك عدوهم ، وما استخلفهم [الله][3] فى الأرض، فقال : وكلم الله موسى نبيكم تكليماً ، واصطفانى لنفسه ، وأنزل علىّ محبة منه ، وآتاكم الله من كلّ ما سألتموه ،

١/٤٢١ فنبيكم أفضلُ أهل الأرض وأنتم تقرءون التوراة . فلم يترك نعمةً أنعمها الله عليهم إلا ذكرها وعرّفها إياهم ، فقال له رجل من بنى إسرائيل : هو كذلك يا نبىّ الله ، وقد عرفْنا الذى تقول، فهل على الأرض أحدٌ أعلم منك يا نبىّ الله ؟ قال : لا ، فبعث الله عزّ وجلّ جبرئيل عليه السلام إلى موسى عليه السلام فقال : إن الله تعالى يقول: وما يدريك أين أضع علمى ؟بلى إن على شطّ البحر رجلا أعلم منك — قال ابن عباس : هو الخضر — فسأل موسى ربه أن يريَه إياه ، فأوحى الله إليه أن ائت البحر ، فإنك تجد على شطّ البحر حوتاً فخذه فادفعه إلى فتاك ثم الزم شطّ البحر ، فإذا نسيت الحوت وهلك منك ، فثَمّ تجد العبد الصالح الذى تطلب .

فلما طال سفر موسى نبى الله صلى الله عليه ونصب فيه ، سأل فتاه عن الحوت، فقال له فتاه وهو غلامه: ﴿أرأيت إذْ أوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فَإِنِّى نسيتُ الحوتَ وَمَا أنْسَانِيه إلَّا الشيطانُ أنْ أذكُرَهُ﴾ لك . قال الفتى : لقد

١/٤٢٢ رأيت الحوت حين اتخذ سبيله فى البحر سربا. فأعجب ذلك موسى فرجع حتى أتى الصخرة فوجد الحوت ، فجعل الحوت يضرب فى البحر ويتبعه موسى ، وجعل موسى يقدّم عصاه يفرج بها عنه الماء ، يتبع الحوت ، وجعل الحوت لا يمس شيئًا من الماء[4] إلا يبس حتى يكون صخرة، فجعل نبى الله صلى الله عليه يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر ، فلقى الخضر بها، فسلَّم

---

(١) سورة الكهف ٦٠ .

(٢) نقله ابن كثير فى التفسير ٣ : ٩٥ .

(٣) من تفسير ابن كثير.

(٤) ط : « البحر » ، وما أثبته من ا .

عليه ، فقال الخضر : وعليك السلام ، وأنى يكون هذا السلام بهذه الأرض ! ومن أنت ؟ قال : أنا موسى ، فقال له : الخضر صاحبُ[(١)] بنى إسرائيل ؟ قال : نعم ، فرحّب به وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت على أن تعلِّمنى مما علمت رشداً ، قال : ﴿ إنكَ لن تستطيعَ مَعِىَ صَبْراً ﴾[(٢)]، يقول : لا تطيق ذلك ، قال موسى : ﴿ سَتَجِدُنِى إنْ شَاء اللهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِى لَكَ أَمْراً ﴾[(٣)] . قال : فانطلق به ، وقال له : لا تسألنى عن شىء أصنعُه حتى أبين لك شأنه ، فذلك قوله : ﴿ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴾[(٣)]. فركبا فى السَّفينة يريدان أن يتعديا إلى البرّ ، فقام الخضر، فخرق السفينة فقال له موسى : ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمْراً ﴾[(٣)] ... ثم ذكر بقية القصّة

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القُمّىّ ، عن هارون بن عنترة عن أبيه ، عن ابن عباس قال : سأل موسى عليه السلام ربه عزّ وجلّ فقال : أى ربّ ، أىُّ عبادك أحبُّ إليك ؟ قال : الذى يذكرنى ولا ينسانى ، قال : فأىّ عبادك أقضى ؟ قال : الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى ، قال أىّ ربِّ ، أىُّ عبادك أعلم ؟ قال : الذى يبتغى علْم الناس إلى علمه ، عسى أن يُصيب كلمة تهديه إلى هدى ، أو تردّه عن ردًى ، قال : ربّ فهل فى الأرض أحد — قال أبو جعفر أظنه قال : أعلم منى ؟ قال : نعم ، قال : ربّ ، فمن هو ؟ قال : الخضر ، قال : وأين أطلبه ؟ قال : على الساحل[(٤)]، عند الصخرة التى ينفلت عندها الحوت ، قال : فخرج موسى يطلبه حتى كان ما ذكره الله عزّ وجلّ وانتهى موسى إليه عند الصخرة ، فسلّم كلٌّ واحد منهما على صاحبه ، فقال له موسى : إنى أريد أن تستصحبنى[(٥)] ، قال : لن تطيق

١ / ٤٢٣

(١) ا ، ن : « أصاحب بنى إسرائيل ؟ » .

(٢) سورة الكهف ٦٧

(٣) سورة الكهف ٦٩ — ٧١

(٤) ح : « بالساحل »

(٥) ن : « أصحبك » .

صحبتى ، قال : بلى ، قال : فإن صحبتنى ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً ﴾، إلى قوله : ﴿ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾[(١)].

قال : فكان قول موسى فى الجدار لنفسه ولطلب شىء من الدنيا ، وكان قوله فى السفينة وفى الغلام لله عزّ وجلّ . ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً ﴾[(١)] ، فأخبره بما قال الله : ﴿ أما السفينة فكانتْ لِمَسَاكِين ... ﴾ الآية ، ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ ... ﴾[(١)] الآية ، ﴿ وَأَمَّا الْجِدَار . . . ﴾[(١)] الآية . قال : فسار به فى البحر حتّى انتهى به إلى مجمع البحرين[(٢)] ، وليس فى الأرض مكان أكثر[(٣)] ماءً منه ، قال : وبعث ربك الخُطّاف ، فجعل يستقى منه بمنقاره ، فقال لموسى : كم ترى هذا الخُطّاف رزأ من هذا الماء ؟ قال : ما أقلّ ما رزأ ! قال : يا موسى فإنّ علمى وعلمك فى علم الله كقدر ما استقى هذا الخُطّاف من هذا الماء . وكان موسى عليه السلام قد حدّث نفسه أنه ليس أحدٌ أعلمَ منه ، أو تكلم به ؛ فمن ثَمّ أمِر أن يأتى الخضر .

١/٤٢٤

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن سعيد بن جبير ، قال : جلست عند ابن عباس وعنده نفرٌ من أهل الكتاب ، فقال بعضهم : يا أبا العباس إن نَوْفا ابن امرأة كعب ، ذكر[(٤)] عن كعب أن موسى النبى عليه

---

(١) سورة الكهف ٧٠ — ٨٠

(٢) ا : « البحور »

(٣) ح « أكبر »

(٤) ا : « يزعم »

السلام الذى طلب العالم إنما هو موسى بن منشا . قال سعيد : فقال ابن عباس : أنوْفٌ يقول هذا ؟ قال سعيد : فقلت له : نعم ، أنا سمعت نوْفا يقول ذلك ، قال : أنت سمعته يا سعيد ؟ قال : قلت : نعم ، قال : كذب نوْف . ثم قال ابن عباس : حدثنى أبىّ بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى نبىّ إسرائيل سأل ربه تبارك وتعالى فقال : أىّ رب ، إن كان فى عبادك أحدٌ هو أعلم منى فادللنى عليه ، فقال له : نعم فى عبادى مَنْ هو أعلم منك، ثم نعتَ له مكانه ، وأذن له فى لقائه ، فخرج موسى عليه السلام ومعه فتاه ، ومعه حوت مليح قد قيل له : إذا حَيِيَ هذا الحوت فى مكان فصاحبك هنالك، وقد أدركتَ حاجتك . ٤٢٥/١

فخرج موسى ومعه فتاه ، ومعه ذلك الحوت يحملانه ، فسار حتى جهده السير، وانتهى إلى الصخرة وإلى[1] ذلك الماء وذلك الماء، ماء الحياة، مَنْ شرب منه خلِّد ، ولا يقاربه شيء ميت إلا أدركته الحياة[2] وحيي . فلما نزلا منزلا ومسّ الحوتُ الماءَ حيي ، فاتخذ سبيله فى البحر سربًا ، فانطلق فلما جاوزا بمنقلة[3] قال موسى لفتاه : ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً ﴾ .قال الفتى وذكر: ﴿ أرأيتَ إذ أوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فإِنِّى نَسِيتُ الْحوتَ وَمَا أنْسَانِيه إلَّا الشَّيْطَانُ أنْ أذكُرَهُ واتَّخذَ سبِيلَه فِى الْبَحْرِ عَجَباً ﴾ . قال ابن عباس: وظهر موسى على الصخرة حتى انتهيا إليه ، فإذا رجل متلفِّف[4] فى كساء له ، فسلم عليه موسى ، فرد عليه السلام ، ثم قال له : ومَنْ أنت ؟ قال : أنا موسى ابن عمران ، قال : صاحب بنى إسرائيل ؟ قال : نعم أنا ذلك، قال: وما جاء بك إلى هذه الأرض ؛ أنْ لك فى قومك لَشُغْلا ! قال له موسى : جئتك لتعلّمنى مما عُلِّمتَ رشداً ، قال : إنك لن تستطيع معى صبراً ، وكان رجلا يعمل على الغيب قد علم ذلك ، فقال موسى : بلى، قال: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ

(١) ن : « إلى » .

(٢) ا ، ح : « ميت إلا حيى » .

(٣) المنقلة هنا : المرحلة .

(٤) كذا فى ا ، ح، وفى ط : « ملتف » .

٤٢٦/١ خُبْراً ﴾، أي إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل ولم تُحِطْ من علم الغيب بما أعلم .
﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لكَ أمراً ﴾ وإن رأيتُ ما يخالفني .
قال : ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فلا تسألني عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴾،
أي فلا تسألني عن شيء وإن أنكرتَه حتى أحدث لك منه ذكراً ، أي خبراً .
فانطلقا يمشيان على ساحل البحر يتعرّضان الناس ، يلتمسان مَنْ يحملهما
حتى مرّت بهما سفينة جديدة وثيقة ، لم يمرّ بهما شيء من السفن أحسنُ ولا
أجمل ولا أوثق منها ، فسألا أهلَها أن يحملوهما ، فحملوهما ، فلما اطمأنّا
فيها ، ولجّجت بهما مع أهلها ، أخرج منقاراً له ومطرْقة ، ثم عمد إلى ناحية
منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها ، ثم أخذ لوحًا فطبّقه عليها ، ثم جلس
عليها يرقعها ، قال له موسى : فأيّ أمر أفظعُ من هذا ![1] ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ
أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴾ ! حملونا وآوونا إلى سفينتهم ، وليس في البحر سفينة
مثلها ، فلم خرقتها ! قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٭ قال
لا تؤاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ ، أي بما تركت من عهدك ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي
عُسْرًا ﴾. ثم خرجا من السفينة ، فانطلقا حتى أتيا أهلَ قرية ، فإذا غلمان
يلعبون ، فيهم غلامٌ ليس في الغلمان غلام أظرفُ ولا أترفُ ولا أوضأ منه ،
فأخذ بيده ، وأخذ حجراً فضرب به رأسه حتى دمغه فقتله . قال : فرأى موسى
٤٢٧/١ أمراً فظيعًا لا صبرَ عليه ، صبيّ صغير قتله[2] بغير جناية ولا ذنب
له ! فقال : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بغيرِ نَفْسٍ ﴾ ، أي صغيرة بغير نفس ،
﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْرًا ٭ قال ألم أقلْ لك إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ٭
قال إن سألتُك عن شيء بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً ﴾ ، أي
قد أعذرت في شأني . ﴿ فانطَلَقَا حَتَّى إذا أتيا أهلَ قرية اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فأبَوْا أن
يُضيّفوهما فوَجَدا فيها جداراً يريدُ أن ينقضّ فأقامه ﴾ ، فهدمه ثم قعد يبنيه ،

---

(١) ا : « ورأى أمراً فظع به »
(٢) ط : « أخذ صبيا صغيراً بغير جناية » وما أثبته من ا .

فضجر موسى مما رآه يصنع من التكلف لما ليس عليه صبر ، فقال : ﴿ لو شئتَ لاتَّخَذتَ عليه أجرًا ﴾ أى قد استطعمناهم فلم يُطعمونا ، واستضفناهم فلم يُضيفونا ، ثم قعدتَ تعمل فى غير صنيعة(١) ، ولو شئت لأعطيت عليه أجراً [فى عمله](٢) ﴿ قالَ هذا فِراقُ بيني وبَيْنِكَ سأُنبِّئُكَ بتأْويلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً ۞ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أنْ أعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كلَّ سَفِينَةٍ – وفى قراءة أُبَىّ بن كعب : كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ – غَصْبًا ﴾ ، وإنما عيبتها لأردّه عنها ، فسلمتْ منه حين رأى العيبَ الذى صنعتُ بها . ﴿ وَأَمَّا الْغلامُ فَكانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْراً ۞ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً ۞ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ – إلى – ﴿ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ . ١/٤٢٨
فكان ابن عباس يقول : ما كان الكنز إلا علماً(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عُمارة ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : قيل لابن عباس : لم نسمع لفتى موسى بذكر من حديث وقد كان معه ! فقال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى ، قال : شرب الفتى من ماء الخلد فخلّد ، فأخذه العالم فطابق به سفينة ، ثم أرسله فى البحر ، فإنها لتموج به إلى يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، قوله : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ ، ذُكر لنا أن نبىّ الله موسى لما قطع البحر وأنجاه الله من آل فرعون ، جمع بنى إسرائيل فخطبهم فقال :

---

(١) كذا فى ا والتفسير ، وفى ط : « ضيعة » . (٢) من ا والتفسير .
(٣) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٨٠ – ١٨٣ (بولاق) .

أنتم خيرُ أهل الأرض وأعلمُهم قد أهلك الله عدوكم ، وأقطعكم البحر وأنزل عليكم التوراة ، قال : فقيل له : إن ها هنا رجلا هو أعلم منك[١] قال : فانطلق هو وفتاه يوشع بن نون يطلبانه ، فتزودا مملوحة فى مكتل لهما ، وقيل لهما : إذا نسيتما ما معكما لقيتما رجلا عالمًا يقال له الخضر ، فلما أتيا ذلك المكان ، رد الله إلى الحوت روحَه فسرَّب له من الجُد[٢] حتى أفضى إلى البحر ، ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقًا إلا صار ماء جامداً ، قال : ومضى موسى وفتاه ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غَداءنا لَقَدْ لَقِينا من سفرنا هذا نَصَباً﴾ — إلى قوله — : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَدُنَّا عِلْماً ﴾ ، فلقيا رجلا عالمًا يقال له الخِضر ، فذُكر لنا أن نبيّ الله قال : إنما سمى الخِضر خضرا لأنه قعد على فروة بيضاء فاهتزّت به خضراء .

١/٤٢٩

* * *

فهذه الأخبار التى ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن السلف من أهل العلم تنبئ عن أن الخِضرَ كان قبل موسى وفى أيامه ، ويدلّ على خطإ قول من قال : إنه أورميا بن خلقيا ، لأن أورميا كان فى أيام بختنصّر ، وبين عهدى موسى وبختنصّر من المدة ما لايشكل قدرها على أهل العلم بأيام الناس وأخبارهم ؛ وإنما قدمنا ذكره وذكر خبره لأنه كان فى عهد أفريدون فيما قيل ؛ وإن كان قد أدرك على هذه الأخبار التى ذكرت من أمره وأمر موسى وفتاه أيام منُوشهر وملكه ، وذلك أن موسى [إنما][٣] نُبّئ فى عهد منوشهر ، وكان ملك منوشهر بعد ما ملك جده أفريدون ، فكلّ ما ذكرنا من أخبار مَن ذكرنا أخباره من عهد إبراهيم إلى الخبر عن الخضر عليهما السلام ، فإن ذلك كله — فيما ذكر — كان فى ملك بِيُوَراسب وأفريدون ، وقد ذكرنا فيما مضى قبل أخبارَ أعمارهما ومبلغهما ومدة كل واحد منهما[٤] .

* * *

ونرجع الآن إلى الخبر عن :

---

(١) ط : « منكم » ؛ وما أثبته من ا .
(٢) الجد ، بضم الجيم : شاطئ البحر ، وفى ح : « الحد » .
(٣) من ا (٤) ا : « مبلغ أعمارهما ومدة ملك كل واحد منهما » .

منوشهر وأسبابه والحوادث الكائنة فى زمانه

ثم ملك بعد أفريدُون بن أثفيان بركاو[١] مِنُوشِهْر، وهو من ولد إيرَج بن أفريدُون .

وقد زعم بعضهم أن فارس سميت فارس بمنوشهر هذا ، وهو منوشهر كيازيه[٢]ـ فيما يقول نسابة الفرس ـ بن منشخورنر[٣] بن منشخوا ربغ[٤] ابن ويرك بن سروشنك[٥] بن أبوك بن بتك[٦] بن فرزشك[٧] بن زشك[٨] ابن فركوزك[٩] بن كوزك[١٠] بن إيرَج بن أفريدون بن أثفيان بركاو .

وقد ينطق بهذه الأسماء بخلاف هذه الألفاظ .

وقد يزعم بعض المجوس أن أفريدون وطئ ابنةً لابنه إيرَج ، يقال لها كوشك ، فولدت له جارية يقال لها فركوشك[١١] ، ثم وطئ فركوشك هذه فولدت له جارية يقال لها زوشك[١٢] ، ثم وطئ زوشك هذه ، فولدت له جارية يقال لها فرزوشك[١٣] ، ثم وطئ فرزوشك هذه فولدت له جارية يقال لها بيتك[١٤] ،

---

(١) ح وابن الأثير : « بن كاو »
(٢) كذا فى ن ، وفى ا ، ح : « كان به » ، وفى ط من غير نقط .
(٣) ا : « متشجور » ن : « مشجورين » .
(٤) ا : « منشجوارمع »
(٥) ن : « شروشنك » .
(٦) ن : « تبك » .
(٧) ا : « فرشك » ، ح : « ورشك » .
(٨) ا : « رشنك » ، ن : « رشك » .
(٩) ا ، فركوذك « ن : « فركوذل » .
(١٠) ن : « كوذل »
(١١) ا : « خركوشك » .
(١٢) ا : « روشنك » .
(١٣) ا : « فرونشك » .
(١٤) ا : « تبتك » .

١/٤٣٢ ثم وطئ بيتك هذه فولدت له جارية يقال لها إيرك(١) ، ثم وطئ إيرك فولدت له إيزك ، ثم وطئ إيزك فولدت له ويرك ، ثم وطئ ويرك فولدت له منشخر فاغ (٢). ويقول بعضهم : منشخوا رْبغ (٣) وجارية يقال لها : منشجرك(٤) ، وأن منشخر فاغ وطئ منشجرك فولدت له منشخرنر ، وجارية يقال لها منشراروك ، وأن منشخرنر وطئ منشراروك فولدت له منو شهر .

فيقول بعضهم كان مولده بدُنْباوند .

ويقول بعض : كان مولده بالرّىّ ، وإن منشخرنر ومنشراروك لما ولد لهما منوشهر أسرًا أمرَه خوفًا من طوج وسَلْم عليه ، وإن مِنوشهر لما كبر صار إلى جده أفريدون ، فلما دخل عليه توسَّم فيه الخير ، وجعل له ما كان

١/٤٣٣ جعل لجده إيرَج من المملكة ، وتوّجه بتاجه .

وقد زعم بعض أهل الأخبار أن منوشهر هذا هو منوشهر بن منشخرنر ابن أفريقيس بن إسحاق بن إبراهيم ؛ وأنه انتقل إليه الملك بعد أفريدون وبعد أن مضى ألف سنة وتسعمائة سنة واثنتان وعشرون سنة ، من عهد جيومرت ، واستشهد لحقيقة ذلك بأبيات لجرير بن عطية ، وهو قوله(٥) .

وأبْناء إسْحَاقَ اللُّيوثُ إذا ارْتَدَوْا ... حَمَائِلَ موتٍ لَابِسِينَ السَّنَوَّرا(٦)

إذا انتَسبُوا عَدُّوا الصَّبَهْبَذَ منهُمُ ... وكِسْرَى وَعَدُّوا الهُرْمُزَانَ وَقَيْصَرَا(٧)

وكان كتَـــابٌ فِيهِمُ وَنُبُوَّةٌ ... وكانوا بِإصْطَخْرَ المُلُوكَ وَتُسْتَرَا(٨)

---

(١) كذا فى ن ، وفى ط ، ا مهمل .

(٢) ا : « منشجرفاغ » .

(٣) ا : «منشجوار بع» .

(٤) كذا فى ا ، وفى ط مهمل .

(٥) من قصيدة يمدح بها هلال بن أحوز المازنى ويفخر بأبناء إسماعيل وإسحاق ، ويهجو الفرزدق وبنى طهية ، فى ديوانه ٢٤٢ . والنقائض ٩٩٥

(٦) السنور : الد روع .

(٧) الصبهبذ : قائد العسكر ، بالفارسية .

(٨) قال فى شرح النقائض : « إى كان الملوك ينزلون إصطخر وتستر » .

فَيَجْمَعُنَا وَالْغُرَّ أَبْنَاءَ فارس ... أَبٌ لَا نُبَالِي بَعْدَهُ مَنْ تَأَخَّرَا
أَبُونَا خَلِيلُ اللهِ ، وَاللهُ رَبُّنَا ... رَضِينَا بِمَا أَعْطَى الْإِلٰهُ وَقَدَّرَا

وأما الفرس فإنها تنكر هذا النسب ، ولا تعرف لها مُلْكًا إلا فى أولاد أفريدون ، ولا تقرُّ بالملك لغيرهم ، وترى أن داخلا إن كان دخل عليهم فى ذلك من غيرهم فى قديم الأيام [قبل الإسلام][1] ، فإنه دخل فيه بغير حق[2] .

وحدّثت عن هشام بن محمد ، قال : مَلك طوج وسلْم الأرضَ بينهما بعد قتلهما أخاهما إيرَج ثلثمائة سنة ، ثم ملك منوشهر بن إيرَج بن أفريدون ماثة وعشرين سنة ، ثم إنه وثب به ابن لابن طوج التركى [على رأس ثمانين سنة][1] ١/٤٣٤ فنفاه عن بلاد العراق ثنتى عشرة سنة ، ثم أديل منه منوشهر ، فنفاه عن بلاده ، وعاد إلى ملكه ، وملك بعد ذلك ثمانيا وعشرين سنة .

قال : وكان منوشهر يُوصف بالعدل والإحسان ، وهو أول من خَندق الخنادق ، وجمع آلة الحرب ، وأول مَنْ وضع الدهقنة فجعل لكل قرية دهقانا ، وجعل أهلها له خولاً وعبيداً ، وألبسهم لباس المذلّة ، وأمرهم بطاعته. قال : ويقال إن موسى النبي صلى الله عليه وسلم ظهر فى سنة ستين من ملكه .

وذكر غير[3] هشام أن منوشهر لما ملك تُوِّج بتاج الملك وقال يوم ملك: نحن مقوّون مقاتلينا ، ومُعِدّوهم للانتقام لأسلافنا ، ودفع العدو عن بلادنا . وأنه سار نحو بلاد الترك طالبًا بدم جده إيرَج بن أفريدون ، فقتل طوج بن أفريدون وأخاه سَلْما ، وأدرك ثأره وانصرف ، وأن فراسياب بن فشنج ابن رستم بن ترك — الذى تنسب إليه الأتراك ، بن شهراسب . ويقال : ابن ١/٤٣٥

---

(١) من ا (٢) قال ابن الأثير : « قلت : والحق ما قاله الفرس فإن أسماء ملوكهم قبل الإسكندر معروفة ، وبعد أيامه ملوك الطوائف ؛ وإذا كان منوجهر أيام موسى ، وكان ما بين موسى وإسحاق خمسة آباء معروفون ولم يزالوا بمصر ؛ فنى أى زمان كثروا وانتشروا وملكوا بلاد الفرس ! ومن أين لجرير هذا العلم حتى يكون قوله حجة ؛ لا سيما وقد جعل الجميع أبناء إسحاق ! » . الكامل ١ : ٩٣ .

(٣) ط : « عن » ، وما أثبته عن ا وابن الأثير .

إرشسب بن طوج بن أفريدون الملك . وقد يقال لفشنك[١] فشنج بن زاشمين — حارب منُوشهر ، بعد أن مضى لقتله طوجا وسَلْما ستون سنة ، وحاصره بطبرِستان .

ثم إن منُوشِهْر وفَراسياب اصطلحا على أن يجعلا حدّ ما بين مملكتيهما منتهى رمْية سهم رجل من أصحاب منوشهر يدعى أرِشْبَاطير — وربما خفف اسمه بعضهم فيقول : إيرش — فحيث ما وقع سهمه من موضع رميته تلك مما يلى بلاد الترك فهو الحدّ بينهما لا يجاوز ذلك واحد منهما إلى الناحية الأخرى . وإن أرشّباطير نزع بسهم فى قوسه ، ثم أرسله — وكان قد أعطى قوة وشدة — فبلغت رميته من طبرِستان إلى نهر بلْخ ووقع السهم هنالك[٢] ، فصار نهر بَلْخْ حدّ ما بين الترك وولد طوج وولد إيرَج وعمل الفرس ، فانقطع بذلك من رمية أرشّباطير حروب ما بين فراسياب ومنوشهر . ١/٤٣٦

وذكروا أن منُوشهْر اشتَقّ من الصّراة ودِجلة ونهر بلْخ أنهارًا عظامًا . وقيل إنه هو الذى كَرا الفُرات الأكبر ، وأمر الناس بحراثة الأرض وعمارتها ، وزاد فى مهنة المقاتِلة الرمى ، وجعل الرياسة فى ذلك لأرشّباطير لرميتِه التى رماها .

وقالوا : إن مِنُوشهْر لما مضى من ملكه خمس وثلاثون سنة تناولت الترك من أطراف رعيته ، فوبّخ قومه وقال لهم : أيها الناس ، إنكم لم تلدوا الناس كلّهم ، وإنما الناس ناسٌ ما عقلوا من أنفسهم ودفعوا العدوّ عنهم ، وقد نالت الترك من أطرافكم ، وليس ذلك إلا من ترككم جهادَ عدوكم ، وقلة المبالاة ، وإن الله تبارك وتعالى أعطانا هذا الملك ليبلوَنا أنشكرُ فيزيدنا ، أم نكفر فيعاقبنا ! ونحن أهل بيت عزّ[٣] ومَعدن الملك لله ؛ فإذا كان غداً فاحضروا ، قالوا : نعم واعتذروا ، فقال : انصرفوا ، فلما كان من الغد أرسلَ إلى أهل المملكة وأشراف

---

(١) ا : « لفشنك بن برز بن تشمين » .

(٢) قال ابن الأثير : « وهذا من أعجب ما يتداوله الفرس فى أكاذيبهم أن رمية سهم تبلغ هذا كله » .

(٣) ا : « غير » ، بضمتين .

الأساورة ، فدعاهم وأدخل الرؤساء من الناس ، ودعا موْبذ موبذان ، فأقعد على كرسىّ مقابل سريره ، ثم قام على سريره ، وقام أشراف أهل بيت المملكة وأشراف الأساورة على أرجلهم ، فقال : اجلسوا فإنى إنما قمت لأسمعكم كلامى . فجلسوا فقال : أيها الناس ، إنما الخلق للخالق ، والشكر للمنعم ، والتسليم للقادر ، ولا بدّ مما هو كائن ، وإنه لا أضعف من مخلوق طالبًا كان أو مطلوبًا ، ولا أقوى من خالق ، ولا أقدر ممن طلبته فى يده ، ولا أعجز ممن هو فى يد طالبه ، وإن التفكّر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، وقد ورد الأول ولا بد للآخر من اللحاق[1] بالأول ، وقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله ! وإن الله عزّ وجلّ أعطانا هذا الملك فله الحمد ، ونسأله إلهام الرشد والصدق واليقين ، وإن للملك على أهل مملكته حقًّا ، ولأهل مملكته عليه حقًّا ، فحقّ الملك على أهل المملكة أن يُطيعوه ويناصحوه ويقاتلوا عدوّه ، وحقهم على الملك أن يعطيَهم أرزاقهم فى أوقاتها ، إذ لا معتمَد لهم على غيرها ، وإنها تجارتهم . وحق الرعية على الملك أن ينظر لهم ، ويرفُق بهم ، ولا يحملهم على ما لا يطيقون ، وإن أصابتهم مصيبة تنقص من ثمارهم من آفة من السماء أو الأرض أن يُسقط عنهم خراج ما نقص ، وإن اجتاحتهم مصيبة أن يُعوّضهم ما يقوّيهم على عماراتهم ، ثم يأخذ منهم بعد ذلك على قدر ما لا يجحف بهم[3] فى سنة أوسنتين ، وأمْر الجند للملك بمنزله جناحِى الطائر ، فهم أجنحة الملك متى قُصّ من الجناح ريشة كان ذلك نقصانًا منه ؛ فكذلك الملك إنما هو بجناحه وريشه . ألا وإن الملك ينبغى أن يكون فيه ثلاث خصال : أولها أن يكون صدوقًا لا يكذب ، وأن يكون سخيًّا لا يبخل ، وأن يملك نفسه عند الغضب ؛ فإنه مسلّط ويده مبسوطة ، والخراج يأتيه ، فينبغى ألا يستأثر عن جنده ورعيته بما هم أهل له ، وأن يكثر العفو ؛ فإنه لا ملكَ أبقى من ملك فيه العفو ، ولا أهلَكَ مَنْ ملك فيه العقوبة . ألا

١/٤٣٧ ‏— ١/٤٣٨

---

(١) ا : « اللحوق » .

(٢) ن : « بقاء » .

(٣) ط : « به » وما أثبته عن ا ، وابن الأثير .

وإنّ المرء إن يخطئ فى العفو فيعفو ،خير من أن يخطئ فى العقوبة . فينبغى للملك أن يتثبّت فى الأمر الذى فيه قتل النفس وبوارها . وإذا رفع إليه من عامل من عماله ما يستوجب به العقوبة فلا ينبغى له أن يحابيَه ، وليجمع بينه وبين المتظلّم ؛فإن صّح عليه للمظلوم حقّ خرج إليه منه ، وإن عجز عنه أدى عنه الملكُ وردّه إلى موضعه ، وأخذه بإصلاح ما أفسد ؛ فهذا لكم علينا . ألا ومَنْ سفك دما بغير حق ، أو قطع يداً بغير حقّ ، فإنى لا أعفو عن ذلك إلا أن يعفوَ[1] عنه صاحبُه فخذوا هذا عنى . وإن الترك قدطمعت فيكم فاكفونا ، فإنما تكفون أنفسكم ، وقد أمرت لكم بالسلاح والعدة وأنا شريككم فى الرأى ، وإنما لى من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم. ألا وإن الملك ملك إذا أطيع ، فإذا خولف فذلك مملوك ليس بملك . ومهما بلغنا من الخِلاف فإنا لانقبله من المُبلِغ له حتى نتيقّنه ، فإذا صحت معرفة ذلك وإلاّ أنزلناه منزلةَ المخالف . ألاَ وإن أكمل الأداة عند المصيبات الأخْذ بالصبر والراحة إلى اليقين ؛ فمن قُتِل فى مجاهدة العدوّ رجوتُ له الفوز برضوان الله . وأفضل الأمور التسليم لأمر الله والراحة إلى اليقين والرضا بقضائه ، وأيْن المَهْرب مما هو كائن ! وإنما يتقلّب فى كفّ الطالب ، وإنما هذه الدنيا سَفَر لأهلها لا يحلّون عَقْد الرحال إلا فى غيرها ؛ وإنما بُلغتهم فيها بالعوارىّ ، فما أحسن الشكر للمنعم والتسليم لمن القضاءُ له ! ومن أحقُّ بالتسليم لمن فوقه ممن لا يجد مهرباً إلا إليه ،ولا معوّلاً إلا عليه ! فثقوا بالغلَبة إذا كانت نياتكم أن النصر من الله ، وكونوا على ثقة من دَرَك الطلِبة إذا صحت نياتكم .واعلموا أن هذا الملك لا يقوم إلا بالاستقامة وحسن الطاعة وقمع العدوّ وسدّ الثغور والعدل للرعية وإنصاف المظلوم ، فشفاؤكم عندكم ، والدواءُ الذى لا داءَ فيه الاستقامة ، والأمر بالخير والنهى عن الشرّ ، ولا قوّةَ إلا بالله . انظروا للرعية فإنها مطعمكم ومشربكم ، ومتى عدلتم فيها رغبوا فى العمارة ،فزاد ذلك فى خراجكم ، وتبين فى زيادة أرزاقكم ، وإذا حِفتم على الرعية زهدوا فى العمارة ، وعطّلوا أكثر الأرض فنقص ذلك

١/٤٣٩ — ١/٤٤٠

(١) ط : « حتى يعفو » ، وما أثبته من ا .

من خراجكم ، وتبيَّن فى نقص أرزاقكم ، فتعاهدوا الرعية بالإنصاف ؛ وما كان من الأنهار والبثوق مما نَفقة ذلك من السلطان فأسرعوا فيه قبل أن يكثر ، وما كان من ذلك على الرعيَّة فعجزوا عنه فأقرضوهم من بيت مال الخراج ، فإذا حان(١) أوقات خراجهم ، فخذوا من خراج غَلاّتهم على قدر ما لا يجحف ذلك بهم ، رُبْع فى كلّ سنة أو ثلث أو نصف ، لكيلا يشقّ(٢) ذلك عليهم . هذا قولى وأمرى يا موبذ موبذان ، الزم هذا القول ، وخذ(٣) فى هذا الذى سمعت فى يومك ؛ أسمعتم أيها الناس ! فقالوا : نعم ، قد قلت فأحسنت ، ونحن فاعلون إن شاء الله : ثم أمر بالطعام فوضع فأكلوا وشربوا ، ثم خرجوا وهم له شاكرون . وكان مُلكه مائة وعشرين سنة .

* * *

وقد زعم هشام بن الكلبي فيما حدّثت عنه أن الرائش بن قيس بن صيفىّ ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان كان من ملوك اليمن بعد يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ وإخوته ، وأن الرائش كان ملكه باليمن أيام [ملك](٤) منو شهر ، وأنه إنما سمى الرائش — واسمه الحارث بن أبى شدد(٥) — لغنيمة غنمها من قوم غزاهم فأدخلها اليمن ، فسُمى لذلك الرائش ، وأنه غزا الهند فقتل بها وسبى وغنم الأموال ، ورجع إلى اليمن ثم سار منها ، فخرج على جبلَىْ طيئ ثم على الأنبار ، ثم على الموصل ، وأنه وجّه منها خيله وعليها رجل من أصحابه ، يقال له : شمر بن العطاف ، فدخل على الترك أرض أذْرَبيجان وهى فى أيديهم يومئذ ، فقتل المقاتلة وسبى الذرّية ، وزبَر ما كان من مسيره فى حَجَرَيْن ، فهما معروفان ببلاد أذربيجان . قال : وفى ذلك يقول امرؤ القيس(٦) :

١/٤٤١

أَلَمْ يُخبرْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غُولٌ(٧) خَتُورُ العَهْدِ يَلْتَقِمُ الرِّجَالَا

(١) ا : « جاءت ».
(٢) ط : « يتبين » وما أثبته من ا .
(٣) ا : « وجد ».
(٤) من ا .
(٥) كذا فى ا ، ح ، وفى ط : « سدد » .
(٦) ديوانه ٣٠٩
(٧) ا ، والديوان : « ألم يحزنك » .

أَزَالَ عَنِ الْمَصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ   وَقَدْ مَلَكَ السُّهُولَةَ وَالْجِبَالَا
وَأَنْشَبَ فِي الْمَخَالِبِ ذَا مَنَارٍ[١]   وَلِلزُّرَّادِ قَدْ نَصَبَ الْحِبَـــالَا

قال : وذو منار الذى ذكره الشاعر هو ذو منار بن رائش، الملك بعد أبيه ، واسمه أبرهة بن الرائش ، قال : وإنما سمّى ذا منار لأنه غزا بلاد المغرب فوغل فيها برًّا وبحراً ، وخاف على جيشه الضلال عند قفوله ، فبنى المنار ليهتدوا بها . قال : ويزعم أهلُ اليمن أنه كانْ وجّه ابنه العبد بن أبرهة فى غزوته[٢] هذه إلى ناحية من أقاصى بلاد المغرب ، فغنم وأصاب مالاً وقدم عليه بنسناس[٣] لهم خلق وحشيّة منكرة ، فذعر الناس منهم ، فسموه ذا الأذعار . ١/٤٤٢

قال : فأبرهة أحدُ ملوكهم الذين توغلوا فى الأرض ؛

* * *

وإنما ذكرتُ منْ ذكرت من ملوك اليمن فى هذا الموضع لما ذكرت من قول من زعم أن الرائش كان ملكًا باليمن أيام منوشهر ، وأن ملوك اليمن كانوا عمالا لملوك فارس[٤] بها ، ومن قبلهم كانت ولايتهم[٥] بها .

(١) الديوان : « ذاخليل » .
(٢) ح وابن الأثير : « غزواته » .
(٣) فى القاموس : « النسناس : جنس من الخلق يثب أحدهم على رجل واحدة » ، وفى ا وابن الأثير : « بسبى » .
(٤) ح : « الفرس » .
(٥) « ولاياتهم » .

ذكر نسب موسى بن عمران وأخباره وما كان فى عهده وعهد منوشهر بن منشخورنر الملك من الأحداث

قد ذكرنا أولاد يعقوب إسرائيل الله وعددهم وموالدهم[1] . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثم إن لاوى بن يعقوب نكح نابتة ابنة مارى بن يشخر ، فولدت له عَرشون بن لاوى ومرزى[2] بن لاوى [ومردى بن لاوى][3] وقاهث ابن لاوى . فنكح قاهث بن لاوى فاهى[4] ابنة مسين[5] بن بتويل بن إلياس . فولدت له يصهر بن قاهث ، فتزوج يصهر شميث ابنة بتاديت بن بركيا[6] ابن يقسان[7] بن إبراهيم . فولدت له عمران بن يصهر ، وقارون بن يصهر ، فنكح عمران يحيب ابنة شمويل بن بركيا بن يقسان بن إبراهيم . فولدت له هارون بن عمران وموسى بن عمران .

١/٤٤٣

وقال غير ابن إسحاق : كان عمرُ يعقوب بن إسحاق مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وولد لاوى له ، وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ، وولد للاوى قاهث بعد أن مضى من عمر لاوى ست وأربعون سنة ، ثم ولد لقاهث يصهر ، ثم ولد ليصهر عمرم — وهو عمران — وكان عمر يصهر مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وولد له عمران بعد أن مضى من عمره ستون سنة ، ثم ولد لعمران موسى ، وكانت أمه يوخابد[8] — وقيل : كان اسمها باختة[9] — وامرأته صفورا ابنة يترون[10] ، وهو

(١) ح : « ومواليدهم » .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « مررى » .
(٣) من ا .
(٤) ا : « قاهى » ، ن : « ما هى » .
(٥) كذا فى ح ، وفى ا : « متنين » ، وفى ن : « متدير » .
(٦) ا ، ن : « بركنا » .
(٧) ا : « يغشان » .
(٨) ا : « يوخايذ » ، ن : « بوخايد » .
(٩) كذا فى ا .
(١٠) ا : « تبزون » .

شعيب النبيّ صلىاللهعليه وسلم . وولد موسى جرشون[١] وإيليعازر[٢] ، وخرج
١/٤٤٤ إلى مدين خائفاً وله إحدى وأربعون سنة ، وكان يدعو إلى دين إبراهيم ،
وتراءى[٣] الله بطور سيناء ، وله ثمانون سنة .

وكان فرعون مصر فى أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثانى ، وكانت امرأته آسية ابنة مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد ، فرعون يوسف الأول . فلما نودى موسى أُعلم أن قابوس بن مصعب قد مات ، وقام أخوه الوليد بن مصعب مكانه ، وكان أعتى[٤] من قابوس وأكفر[٥] وأفجر[٦] ، وأُمِر بأن يأتيَه هو وأخوه هارون بالرسالة .

قال : ويقال إن الوليد تزوج آسية ابنة مزاحم بعد أخيه وكان عمر عمران مائة سنة وسبعاً وثلاثين سنة ، وولد موسى وقد مضى من عمر عمران سبعون سنة[٧] ، ثم صار موسى إلى فرعون رسولا مع هارون ، وكان من مولد موسى إلى أن خرج ببنى[٨] إسرائيل عن مصر ثمانون سنة ، ثم صار إلى التيه بعد أن عبَر البحر ، فكان مقامهم هنالك إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة ، فكان ما بين مولد موسى إلى وفاته فى التيه مائة وعشرين سنة .

وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قبض الله يوسف ، وهلَك الملك الذى كان معه الريان بن الوليد ، وتوارثت الفراعنة من العماليق ملْك مصر ، فنشر الله بها بنى إسرائيل ، وقبر يوسف حين قبض — كما ذكر لى — فى صندوق من مرمر فى
١/٤٤٥ ناحية من النيل فى جوف الماء ، فلم يزل بنو إسرائيل تحت أيدى الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم

(١) ا ، ن : « جوشون » ، ح : « حوشون » .
(٢) ا : « إيلعان » ، ن : « إبليغان » .
(٣) ح : « ورأى النار » .
(٤) ا : « أغنى » . (٥) ا ، ن : « أكبر » ، ح : « أكرم » .
(٦) كذا فى ا ، وفى ط : « وأفخر » .
(٧) ح : « مائة وسبع سنين » . (٨) ا : « بنو » .

من الإسلام ، متمسّكين به حتى كان فرعون موسى الذى بعثه الله إليه ، ولم يكن منهم فرعون أعتى منه على الله ولا أعظم قولا ولا أطول عمراً فى ملكه منه . وكان اسمه — فيما ذكروا لى — الوليد بن مصعب ، ولم يكن من الفراعنة فرعون أشدّ غلظة ، ولا أقسى قلبًا ، ولا أسوأ ملكة لبنى إسرائيل منه ، يعذّبهم فيجعلهم خدَمًا وخوَلا ، وصنّفهم فى أعماله ، فصنف يبنون ، وصنف يحرثون ، وصنف يزرعون له ، فهم فى أعماله ، ومَنْ لم يكن منهم فى صنعة له من عمله فعليه الجزية ، فسامهم كما قال الله : ﴿ سُوءَ العذابِ ﴾ ، وفيهم مع ذلك بقايا من أمر دينهم لا يريدون فراقَه ، وقد استنكح منهم امرأة يقال لها آسية ابنة مزاحم ، من خيار النساء المعدودات ، فعمِّر فيهم وهم تحت يديه عمراً طويلا يسومهم سوء العذاب ، فلما أراد الله أن يفرج عنهم وبلغ موسى الأشُدّ أعطى الرسالة .

قال : وذكر لى أنه لما تقارب زمان موسى أتى منجّمو فرعون وحُزاته إليه ، فقالوا : تعلّم أنا نجد فى علمنا أن مولوداً من بنى إسرائيل قد أظلّك زمانه الذى يُولد فيه ، يسلبك ملكك ، ويغلبك على سلطانك ، ويخرجك من أرضك ، ويبدّل دينك . فلما قالوا له ذلك أمر بقتل كلّ مولود يولد من بنى إسرائيل من الغِلمان وأمر بالنساء يُستحْيَين ، فجمع القوابل من نساء أهل مملكته فقال لهن : لا يسقطنّ على أيديكنّ غلام من بنى إسرائيل إلا قتلتموه ، فكنّ يفعلن ذلك ، وكان يذبح مَنْ فوق ذلك من الغلمان ، ويأمر بالحبالى فيعذّبن حتى يطرحن ما فى بطونهنّ . ١/٤٤٦

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، قال : لقد ذُكر لى أنه كان يأمر بالقصب فيُشَق حتى يجعل أمثال الشفار ، ثم يصفّ بعضه إلى بعض ، ثم يأتى بالحبالى من بنى إسرائيل فيوقفهنّ [1] عليه فيحزّ أقدامهنّ ، حتى إن المرأة منهن لتمصع [2] بولدها فيقع بين رجليها ، فتظلّ تطؤه تتّقِى به حزّ القصب عن رجليها ، لما بلغ من جهدها ، حتى أسرف فى ذلك ، وكاد يفنيهم ، فقيل له : أفنيتَ

(١) ا : « فيوقفن » .
(٢) تمصع بولدها ، أى تلقيه .

الناس، وقطعتَ النَّسْل، وإنهم خَولك وعُمَّالك . فأمر أن يقتَل الغلمان عاماً ويستحيوْا عاماً ، فولد هارون فى السنة التى يُستَحيا فيها الغلمان ، وولد موسى فى السنة التى فيها يُقتلون ، فكان هارون أكبرَ منه بسنة .

* * *

وأما السدىّ فإنه قال ما حدثنا موسى بن هارونُ ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم [أنه][1] كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا فى منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر ، فأحرقت القِبْط وتركت بنى إسرائيل ، وأخربت بيوت مصر ، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة ، فسألهم عن رؤياه فقالوا له : يخرج من هذا البلد الذى جاء بنو إسرائيل منه — يعنون بيت المقدس — رجل يكون على وجهه[2] هلاكُ مصر . فأمر ببنى إسرائيل ألاّ يولد لهم غلام إلا ذبحوه ، ولا يولد لهم جارية إلا تركت . وقال للقبط : انظروا مملوكيكم[3] الذين يعملون خارجاً فأدخلوهم واجعلوا بنى إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة . فجعل بنى إسرائيل فى أعمال غلمانهم وأدخلوا غلمانهم ، فذلك حين يقول الله: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِى الْأَرْضِ ﴾ يقول : تجبَّر فى الأرض، ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً ﴾ — يعنى بنى إسرائيل حين جعلهم فى الأعمال القذرة — ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾،[4] فجعل لا يولد لبنى إسرائيل مولود إلا ذبح ، فلا يكبر الصغير ، وقذف الله فى مشيخة بنى إسرائيل الموتَ ، فأسرع فيهم ، فدخل رءوس القبط على فرعون فكلَّموه، فقالوا : إن هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت ، فيوشِك أن يقع العمل على غلماننا نذبح أبناءهم فلا يبلغ الصغار ، ويفنى الكبار ، فلو أنك تبقى من أولادهم ! فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة ؛ فلما كان فى السنة التى لا يذبحون فيها ولد هارون فترك ، فلما كان فى السنة التى يذبحون فيها حملت أم موسى بموسى[5] فلما أرادت وضعه

(١) من ا (٢) ن : « يديه » . (٣) كذا فى ا ح ، وفى ط : « مماليككم » .
(٤) سورة القصص ٤ (٥) ا : « حملت بموسى أمه » .

حزنت من شأنه ، فأوحى الله إليها : ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ وهو النيل ، ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[١] . فلما وضعته أرضعته ، ثم دعت له نجاراً فجعل له تابوتاً ، وجعل مفتاح التابوت من داخل ، وجعلته فيه وألقته فى اليم ، ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ تعنى قصّى أثره ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[٢] ، أنها أخته . فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ، ويخفضه أخرى ، حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون ، فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغتسلن ، فوجدن التابوت فأدخلنه إلى آسية ، وظنن[٣] أنّ فيه مالا ، فلما نظرت إليه آسية وقعت عليه رحمتُها وأحبته . فلما أخبرَت به فرعون أراد أن يذبحه ، فلم تزل آسية تكلّمه حتى تركه لها ، قال : إنى أخاف أن يكون هذا من بنى إسرائيل ، وأن يكون هذا الذى على يديه[٤] هلاكنا ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[٥] . فأرادوا له المرضِعات ، فلم يأخذْ من أحد من النساء ، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون فى الرضاع ، فأبى أن يأخذ ، فذلك قول الله : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ ﴾ أخته ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾[٦] ، فأخذوها ، وقالوا : إنكِ قد عرفتِ هذا الغلام فدلينا على أهله . فقالت[٧] : ما أعرفه ، ولكنى إنما قلت : هم للملك ناصحون .

١/٤٤٩

ولما جاءت أمه أخذ منها ثديها فكادت أن تقول : هو ابنى ! فعصمها

---

(١) سورة القصص ٧

(٢) سورة القصص ١١

(٣) ط : « وظنوا » ؛ وما أثبته عن ا .

(٤) ا : « يده » .

(٥) سورة القصص ٨

(٦) سورة القصص ١٢

(٧) ا : « قالت » .

الله ، فذلك قول الله : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] ، وإنما سُمِّى موسى لأنهم وجدوه فى ماء وشجر ، والماء بالقبطية « مو » والشجر « شا » . فذلك قول الله عزّوجلّ : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾[٢] . فاتخذه فرعون ولداً فدعىَ ابن فرعون . فلما تحرك الغلام أرته أمه آسية صبيًّا ، فبينما هى ترقّصه وتلعب به إذ ناولته فرعون ، وقالت : خذه قرة عين لى ولك ، قال فرعون : هو قرة عين لك ولا لى[٣] . قال عبد الله بن عباس : لو أنه قال : وهو لى قرة عين إذاً لآمن به ؛ ولكنه أبى ، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها ، فقال فرعون : علىّ بالذباحين ، هذا هو! قالت آسية : ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾[٤] ، إنما هو صبى لا يعقل ؛ وإنما صَنع هذا من صباه ، وقد علمت أنه ليس فى أهل مصر امرأة أحلى منى ؛ أنا أضع له حليًّا من الياقوت ، وأضع له جمراً[٥] ، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه ، وإن أخذ الجمر فإنما هو صبىّ ، فأخرجت له ياقوتها فوضعت له طستا من جمر ، فجاء ١/٤٥٠ جبرئيل فطرح فى يده جمرة فطرحها موسى فى فيه فأحرق لسانه ، فهو الذى يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾[٦] . فزالت عن موسى من أجل ذلك . وكبر[٧] موسى فكان يركب مراكب فرعون ، ويلبس[مثل][٨] مايلبس ، وكان إنما يدعى موسى بن فرعون . ثم إن فرعون ركب مركبًا وليس عنده موسى ، فلما جاء موسى قيل له : إن فرعون قد ركب ، فركب فى أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها مَنْف ، فدخلها نصف النهار ،

---

(١) سورة القصص ١٠

(٢) سورة القصص ١٣

(٣) فى الأصول : « ولى لا » .

(٤) سورة القصص ٩

(٥) ن : « جمر نار » .

(٦) سورة طه ٢٧ ، ٢٨

(٧) ط : « فكبر » ، وما أثبته من ا .

(٨) من ا

وقد تغلّقت أسواقها ، وليس فى طرقها أحد ، وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ يقول : هذا من بنى إسرائيل ، ﴿ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ يقول : من القبط ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ خائفاً أن يؤخذ ، ﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ يقول : يستغيثه ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾(١). ثم أقبل [موسى](٢) لينصره ، فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذى يقاتل الإسرائيلى ، قال الإسرائيلى — وفرق من موسى أن يبطش به من أجل أنه أغلظ الكلام — يا موسى ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾.(١) ١/٤٥١

فتركه وذهب القبطىّ ، فأفشى عليه أن موسى هو الذى قتل الرجل ، فطلبه فرعون وقال : خذوه فإنه صاحبنا ، وقال للذين يطلبونه : اطلبوه فى بُنيَّات(٣) الطريق ، فإن موسى غلام لا يهتدى إلى الطريق ، وأخذ موسى فى بُنيَّات الطريق وجاءه الرجل وأخبره ﴿ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(١) . فلما أخذ موسى فى بُنيَّات الطريق جاءه ملك على فرس بيده عنزةٌ ، فلما رآه موسى سجد له من الفرق ، فقال : لا تسجد لى ، ولكن اتبعنى ، فاتبعه فهداه نحو مدين ، وقال موسى وهو متوجه نحو مدين : ﴿ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾(١) ، فانطلق به الملك حتى انتهى به إلى مدين .

---

(١) سورة القصص ١٥ — ٢٢ (٢) من ا

(٣) بنيات الطريق : هى الطرق الصغار التى تتفرع من الجادة .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال : حدثنا أصبغ بن زيد الجُهَنِيّ ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثني سعيد ابن جبير ، قال : [سألت عبد الله بن عباس عن قول الله لموسى : ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾(١) ، فسألته عن الفتون ما هي ؟ فقال لي : استأنف النهار يا بن جبير ، فإن لها حديثًا طويلا ، قال : فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني](٢) . قال : فقال ابن عباس : تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيمَ من أن يجعلَ في ذريته أنبياء وملوكًا ، فقال بعضهم : إن بني إسرائيل لينتظرون ذلك ما يشكّون(٣) ، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما هلكَ قالوا : ليس هكذا كان الله(٤) وعد إبراهيم ، قال فرعون : فكيف ترون ؟ قال : فائتمروا بينهم ، وأجمعوا أمرَهم على أن يبعث رجالا معهم الشِّفار ، يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم ، وأن الصغار(٥) يُذبحون قالوا : توشكون أن تفنُوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم ، فاقتلوا عاماً كلَّ مولود ذكر ، فيقلّ أبناؤهم ، ودعوا عاماً لا تقتلوا منهم أحداً ، فيشبّ الصغار مكان مَنْ يموت من الكبار ؛ فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم ، ولن يقلّوا بمن تقتلون . فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى فوقع في قلبها الهمّ والحزن — وذلك من الفتُون يا بن جبير — مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به ، فأوحى الله إليها : ﴿ أَلاَّ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . وأمرَها إذا ولدته أن تجعلَه في تابوت ، ثم تلقيه في اليمّ . فلما ولدتْه فعلت ما أمرت به ، حتى إذا توارَى عنها ابنها أتاها إبليس ، فقالت في نفسها : ما صنعت بابني ؟ لو ذبح عندي فواريته وكفّنته كان أحبَّ إليّ من أن ألقيه بيدي إلى حيتان

١/٤٥٢ — ١/٤٥٣

---

(١) سورة طه ٤٠

(٢) تكملة من التفسير وتاريخ ابن كثير .

(٣) ن ، والتفسير : « وما يشكون » .

(٤) ن : « كان وعد الله » .

(٥) ن وابن كثير : « والصغار » .

البحر ودوابِّه . فانطلق به الماء حتى أوفى[1] بهعند فُرْضة[2] مُسْتقَى جوارى آل فرعون ، فرأينْه فأخذنه ، فهممن أن يفتحنَ التابوت ، فقال بعضهنَّ لبعض : إن فى هذا مالاً ؛ وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه ، فحملنه كهيئته لم[3] يحرّكن منه شيئًا حتى دفعنه إليها ، فلما فتحته رأت فيه[4] الغلام ، فألقى عليه منها محبّة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس ، ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ﴾ من ذكر كلّ شىء ، إلا من ذكر موسى . فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا[5] إلى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبحوه — وذلك من الفُتُون يا بن جبير — فقالت : للذباحين : انصرفوا ، فإن هذا الواحد لا يزيد فى بنى إسرائيل ، فآتى فرعون فأستوهبَه إياه ، فإن وهبه لى كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبحه لم ألمكم . فلما أتت به فرعون قالت : ﴿ قُرَّةُ عَيْنٍ لِى وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ ﴾ ، قال فرعون : يكون لكِ ، فأما أنا فلا حاجة لى فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى يُحْلَف به ، لو أقرّ فرعون أن يكونَ له قرةَ عين كما أقرت به لهداه الله به ، كما هدى به امرأته ، ولكن الله حرمه ذلك » .

١/٤٥٤ فأرسلت إلى مَنْ حولها من كلّ أنثى لها لبن لتختار له ظئراً ، فجعل[6] كلّما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها[7] ، حتى أشفقت امرأةُ فرعون أن يمتنع من اللبن فيموتَ ، فحزنها ذلك ، فأمرت به فأخرج إلى السوق .

---

(١) كذا فى ا ، والتفسير وتاريخ ابن كثير ، وفى ك : « وافى » ، وفى ط : « وأرفأ » .

(٢) الفرضة من النهر : ثلمة يستقى منها .

(٣) ح ، « ولم » ، وابن كثير : « لم يخرجن » .

(٤) ح ، ك : « وجه » .

(٥) ن ، وابن كثير : « جاءوا » .

(٦) ح : « فكان » .

(٧) ح : « ثدييها » ، وابن كثير : « على ثديها » .

مجمع الناس ترجو أن تُصيب له ظئراً يأخذ منها ، فلم يقبل من أحد ، وأصبحت أمُّ موسى فقالت لأخته : قصّيه واطلبيه هل تسمعين له ذكراً ! أحيّ ابنى أم قد أكلتْه دوابّ البحر وحيتانه ؟ ونسيت الذى كان الله وعدها ، فبصُرت به أخته عن جنُب وهم لا يشعرون ، فقالت من الفرح حين أعياهم الظئورات : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ . فأخذوها فقالوا : وما يدريكِ ما نصحهم له! هل تعرفينه ؟ حتى شكّوا فى ذلك — وذلك من الفتون يا بن جبير — فقالت : نصحهُم له ، وشفقتُهم عليه ، ورغبتُهم[1] فى ظئورة الملك ، ورجاءُ منفعته . فتركوها ، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر ، فجاءت فلما وضعته فى حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه ، فانطلق البشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أنْ قد وجدنا لابنك ظئراً ، فأرسلت إليها فأتيت بها وبه ، فلما رأت ما يصنع بها قالت : امكثى عندى تُرضعين ابنى هذا فإنى لم أحبّ حبّه شيئاً قطّ . قال : فقالت : لا أستطيع أن أدع بيتى وولدى فيضيع ، فإن طابتْ نفسُك أن تعطينيه[2] فأذهب به إلى بيتى ، فيكون معى لا آلوه خيراً فعلت ، وإلا فإنى غيرُ تاركة بيتى وولدى . وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها ، فتعاسرت على امرأة فرعون ، وأيقنت أن الله عزّ وجلّ منجز وعده ، فرجعت بابنها إلى بيتها مِنْ يومها ، فأنبته الله نباتاً حسناً ، وحفظه لما قضى فيه ، فلم تزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون فى ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسُّخَر التى كانت فيهم ، فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى : أريد أن تريني موسى[3] ، فوعدتها يوماً تريها إياه فيه ، فقالت لحواضنها وظئورها[4] وقهارمتها : لا يبقينّ أحد منكم إلا استقبل ابنى بهدية وكرامة ، ليرى ذلك ، وأنا باعثة أمينة[5] تحصى ما يصنع كلُّ إنسان منكم . فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله

١/٤٥٥

(١) كذا فى ح ، ك ، وتاريخ ابن كثير ، وفى ط : « رغبتهم » .
(٢) كذا فى ا وابن كثير والتفسير ، وفى ط : « تعطيني » .
(٣) ك : « ولدى » .
(٤) ك : « وظئورتها » .
(٥) ابن كثير : « وأنا باعثة أميناً يحصى » .

من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون ، فلما دخل عليها بجّلته[١] وأكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ، وقالت : انطلقن به إلى فرعون فليبجّله وليكرمه[٢]. فلما دخلن به على فرعون وضعنَه فى حجره ، فتناول موسى لحية فرعون حتى مدّها ، فقال : عدو من أعداء الله ! ألا ترى ما وَعد الله إبراهيمَ أنه سيصرعك ويعلوك ! فأرسل إلى الذبّاحين ليذبحوه — وذلك من الفتون يا بن جبير — بعد كلّ بلاء أبتلى به وأريد به. فجاءت امرأة ١/٤٥٦ فرعون تسعى إلى فرعون فقالت : ما بدا لك فى هذا الصبى الذى وهبتَه لى ؟ قال : ألا ترينه يزعم أنه سيصرَعنى ويعلُونى! فقالت : اجعل بينى وبينك أمراً يعرف[٣] فيه الحق ؛ ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقرّبهن إليه ، فإنْ بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل ، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين فاعلم أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرّب ذلك إليه فتناول الجمرتين فنزعوهما منه مخافة أن تحرقا يده ، فقالت المرأة : ألا ترى ! فصرفه الله عنه بعد ما كان قد همّ به ، وكان الله بالغًا فيه أمره ، فلما بلغ أشدّه وكان[٤] من الرجال لم يكن أحدٌ[٥] من آل فرعون يخلص إلى أحد من بنى إسرائيل بظلم ولا سخرة ، حتى امتنعوا كلّ امتناع ، فبينما هو يمشى ذات يوم فى ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان ؛ أحدهما من بنى إسرائيل والآخر من آل فرعون ، فاستغاثه الإسرائيلىّ على الفرعونىّ ، فغضب موسى واشتدّ غضبُه لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى إسرائيل وحفظَه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قبل الرضاعة غير أم موسى ؛ إلا أن يكون الله عزّ وجلّ أطلع موسى من ذلك ١/٤٥٧ على ما لم يطلع عليه غيره ، فوكز موسى الفرعونىّ فقتله ، وليس يراهما إلا الله عزّوجلّ والإسرائيلىّ ، فقال موسى حين قتل الرجل : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

---

(١) التفسير وابن كثير : « نحلته » .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط . « فليكرمه » ، وفى التفسير وابن كثير : « فلينحله » .

(٣) ن : « تعرف » .

(٤) كذا فى ا ، والتفسير وتاريخ ابن كثير ، وفى ط : « فكان » .

(٥) ط : « لم يمكن أحداً » ، وما أثبته عن ا والتفسير وتاريخ ابن كثير .

إنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مبينٌ ﴾[١] ، ثم قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إنَّه هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم ﴾[١] . فأصبح فى المدينة خائفًا يترقّب الأخبار ، فأتى فرعون فقيل له : إن بنى إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذْ لنا بحقنا ، ولا ترخِّص لهم فى ذلك ، فقال : ابغونى قاتَله ، ومن يشهد عليه ؛ لأنه لا يستقيمُ أن نقضىَ بغير بيِّنة ولا ثبَت[٢] . فطلبوا له ذلك ، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة ، إذ مرّ موسى من الغد ، فرأى ذلك الإسرائيلىّ يقاتل فرعونيًّا ، فاستغاثه الإسرائيلىّ على الفرْعونىّ ، فصادف موسى وقد ندِم على ما كان منه بالأمس ، وكره الذى رأى ، فغضب موسى فمدّ يده وهو يريد أن يبطِش بالفرعونىّ ، فقال للإسرائيلىّ لما فعل بالأمس واليوم : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾[٣] .

فنظر الإسرائيلىّ إلى موسى بعد ما قال [ماقال][٤] ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذى قتل فيه الفرعونىّ ، فخاف أن يكون بعد ما قال له : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِين ﴾ ، أن يكون إياه أراد — ولم يكن أراده ، وإنما أراد الفرْعونى — فخاف الإسرائيلى فحاجز الفرعونىّ ، وقال : يا موسى ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ ﴾ ! وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله ، فتتاركا ، فانطلق الفرعونىّ إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلىّ من الخبر ، حين يقول : ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ ﴾ ! فأرسل فرعون الذّباحين ، وسلك موسى الطريق الأعظم وطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم ، وكان رجلٌ من شيعة موسى من أقصى المدينة ، فاختصر طريقًا قريبًا حتى سبقهم إلى موسى ، فأخبره الخبر ؛[٥] وذلك من الفتون يا بن جبير[٦] .

١/٤٥٨

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث السدىّ . قال : ﴿ فَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ

---

(١) سورة القصص ١٥ ، ١٦ (٢) الثبت هنا : الحجة .
(٣) سورة القصص ١٨ ، ١٩ (٤) تكملة من ا والتفسير وابن كثير .
(٥) ن : « بالخبر » . (٦) الخبر فى التفسير ١٦ : ١٢٥ ، ونقله ابن كثير فى التاريخ ١ : ٣٠٠ — ٣٠٢ ، بسنده عن أبى عبد الرحمن النسائى .

عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾[1] يقول : كثرةً من الناس يسقون .

وقد حدثنا أبوعمار المروزىّ ، قال : حدثنا الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : خرج موسى من مصر إلى مدين ، وبينهما[2] مسيرة ثمان ليال — قال : وكان يقال نحو من الكوفة إلى البصرة — ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ، فخرج حافيًا ، فما وصل إليها حتى وقع خف قدمه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثّام ، قال : حدثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه.

رجع الحديث إلى حديث السدىّ . ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ يقول : تحبسان غنمهما ، فسألهما : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[1] ، فرحمهما موسى فأتى البئر فاقتلع صخرة على البئر ، كان النفرُ من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها ، فسقى لهما موسى دلواً فأروتا[3] غنمهما ، فرجعتا سريعًا ، وكانتا إنما تسقيان من فضول الحياض ، ثم تولّى موسى إلى ظل شجرة من السَّمُر[4] فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[1] ، قال : قال ابن عباس : لقد قال موسى ، ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خُضْرة أمعائه من شدة الجوع ما يسأل الله إلا أكلة . ١/٤٥٩

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكّام بن سلْم ، عن عنبسة ، عن أبى حَصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله عز وجلّ : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ ، قال : ورد الماء وإنه ليتراءى خضرة البقل فى بطنه من

---

(١) سورة القصص ٢٢ — ٢٤

(٢) ن : « وبينه وبينها » .

(٣) ط : « فأرويتا » ، وما أثبته عن ا ، س .

(٤) س ، ن : « شجرة سمرة » .

الهُزال فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ قال: شَبْعة.

رجع الحديث إلى حديث السدىّ. فلما رجعت الجاريتان إلى أبيهما سريعًا، سألهما فأخبرتاه خبر موسى، فأرسل إحداهما فأتته ﴿ تَمْشِى عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ [وهى تستحيي منه] [١]، ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

١/٤٦٠ فقام معها، وقال لها: امضى، فمشتْ [٢] بين يديه، فضربتْها الرياح فنظر إلى عجيزتها، فقال لها موسى: امشى خلفْى ودليني على الطريق إن أخطأت، فلما أتى الشيخ ﴿ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾. وهى الجارية التى دعته. قال الشيخ: هذه القوة قد رأيت حين اقتلع الصخرة، أرأيتِ أمانته ما يدريك ما هى؟ قالت: إنى مشيت قدامه فلم يحبّ أن يخونني فى نفسي، وأمرني أن أمشيَ خلفه، قال له الشيخ: ﴿ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِى ﴾ — إلى — ﴿ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾، إما ثمانيا وإما عشرا، ﴿ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [٣].

قال ابن عباس: الجارية التى دعته هى التى تزوج بها. فأمر إحدى ابنتيه أن تأتيه بعصا فأتته بعصا، وكانت تلك العصا [عصا] [٤] استودعها [٥] إياه ملَك فى صورة رجل، فدفعها إليه. فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتته بها، فلما رآها الشيخ قال لها: لا، إيتيه بغيرها، فألقتها، فأخذت تُريد أن تأخذ غيرَها فلا يقع فى يدها إلا هى، وجعل يرددها، فكل ذلك [٦] لا يخرج فى يدها غيرها [٧]، فلما رأى ذلك عمد إليها فأخرجها معه، فرعى بها. ثم إن الشيخ قدم وقال:

١/٤٦١ كانت وديعة. فخرج يتلقى موسى فلما لقيه قال: أعطنى العصا، فقال [٨] موسى:

---

(١) تكملة من ا. (٢) ن: «فضت».
(٣) سورة القصص ٢٥ — ٢٨ (٤) من ا
(٥) س: «أودعها». (٦) ا: «وكل».
(٧) ن: «إلا هى».
(٨) كذا فى ا، وفى ط: «قنال».

هى عصاى ، فأبى أن يعطيَه ، فاختصما بينهما ثم تراضيا أن يجعلا بينهما أولَ رجُل يلقاهما ، فأتاهما ملك يمشى فقضى بينهما فقال : ضعاها فى الأرض فمن حمَلها فهى له ، فعالجها الشيخ فلم يطقها ، وأخذها موسى بيده فرفعها ، فتركها له الشيخ ، فرعى له عشر سنين .

قال عبد الله بن عباس : كان موسى أحقَّ بالوفاء .

حدثنى أحمد بن محمد الطوسىّ ، قال : حدّثنا الحُمَيْدىّ عبد الله ابن الزبير[1] ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثنى إبراهيم بن يحيى بن أبى يعقوب ، عن الحكم بن أبان ، عن عكْرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «سألت جبرئيل : أىّ الأجلين قَضَى موسى ؟ قال : أتمهما وأكملهما » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال لى يهودىّ بالكوفة — وأنا أتجهّز للحج — : إنى أراك رجلا يتبع العلم ، أخبرنى أىَّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم وأنا الآن قادم على حَبْر العرب — يعنى ابن عباس — فسأسأله عن ذلك ، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودىّ ، فقال ابن عباس : قضَى أكثرَهما وأطيبَهما ؛ إنّ النبىّ إذا وَعد لم يُخلف . قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودىَّ فأخبرته ، فقال : صدق ، وما أنزل الله على موسى هذا . والله العالم . ١ / ٤٦٢

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : سألنى رجل من أهل النصرانية : أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم — وأنا يومئذ لا أعلم — فلقيت ابن عباس ، فذكرت له الذى سألنى عنه النصرانىّ ، فقال : أما كنت تعلم أن ثمانيًا واجبة عليه ، لم يكن نبى لينقص منها شيئًا ، وتعلم أن الله كان قاضيًا عن موسى عدتَه التى وعده ، فإنه قضى عَشْر سنين .

---

(١) هو عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدى ؛ وفى الأصول : « الحميدى بن عبد الله ... » ، والصواب ما أثبته من تهذيب التهذيب ٥ : ٢١٥ .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان الذماريّ ، عن شعيب الجَبَائيّ قال : اسم الجاريتين ليا وصفورة ، وامرأة موسى صفورة ابنة يترون ، كاهن مدين ، والكاهن حَبْر .

حدثني أبو السائب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو ابن مرّة ، عن أبي عُبيدة ، قال : كان الذي استأجر موسى يترون ، ابن أخي شعيب النبيّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي جمْرة ، عن ابن عباس ، قال : الذي استأجر موسى اسمه يثرى صاحب مدين .

١/٤٦٣ حدثني إسماعيل بن الهيثم أبو العالية ، قال : حدثنا أبو قتيبة ، عن حماد ابن سلمة ، عن أبي جمْرة ، عن ابن عباس ، قال : اسم أبي امرأة موسى يثرى .

رجع الحديث إلى حديث السدى . ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ فضلّ الطريق . قال عبد الله بن عباس : كان في الشتاء ، ورفعت له نار ، فلما ظنّ أنها نار — وكانت من نور الله — ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ ، فإن لم أجدْ خبراً أتيتكم منها بشهاب قبَس ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ — قال : من البرد — ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾[١] . ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[٢] . فلما سمع موسى النداء فزع وقال : الحمد لله رب العالمين . فنودي : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[٣] . ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴾ ، يقول

---

(١) سورة القصص ٢٩
(٢) سورة النمل ٨
(٣) سورة القصص ٣٠

أضرب بها الورق ، فيقع للغنم من الشجر ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾، يقول: حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء، فقال له: ﴿ أَلْقِهَا يَامُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾[1] . ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ، يقول : لم ينتظر . فنودىَ: ﴿ يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾[2]. ﴿أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴾[3]، ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾[3] العصا واليد آيتان، ١/٤٦٤ فذلك[4] حين يدعو موسى ربه، فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي ﴾، يقول: كيما يصدقني ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾[3] قال : ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ –يعنى بالقتيل– ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً ﴾— والسلطان الحجة—﴿فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾[3]، ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[5] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ﴾، خرج – فيما ذكر لى ابن إسحاق ، عن وهب بن منبّه اليمانىّ– فيما ذكر له – عنه، ومعه غنم له، ومعه زند له وعصاه فى يده يهشّ بها على غنمه نهاره، فإذا أمسى اقتدح بزنده ناراً، فبات عليها هو وأهله وغنمه، فإذا أصبح غدا بأهله وبغنمه يتوكأ على عصاه، وكانت – كما وُصف لى عن وهب بن منبّه – ذات شعبتين فى رأسها ، ومحجن فى طرفها .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عمن لا يتّهم من أصحابه ، أن كعب الأحبار قدم مكة وبها عبد الله بن عمرو بن العاص ،

---

(١) سورة طه ١٧ – ٢٠ (٢) سورة النمل ١٠ (٣) سورة القصص ٣١–٣٥ .
(٤) ن : « لك » . (٥) سورة الشعراء ١٦

فقال كعب: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم فإنه[١] عالم، سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس فى الأرض، وسلوه ما أوّلُ ما وضع فى الأرض؟ وما أوّل شجرة غرست فى الأرض؟ فسئل عبد الله عنها فقال: أما الشيء الذى وضعه الله للناس فى الأرض من الجنة فهو هذا الركن الأسود، وأما أوّل ما وضع فى الأرض فبَرهوت[٢] باليمن يردُه هام الكفار، وأمّا أوّلُ شجرة غرسها الله فى الأرض فالعوسجة التى اقتطع منها موسى عصاه. فلما بلغ ذلك كعباً قال: صدق الرجل، عالم والله!

١/٤٦٥

قال: فلما كانت الليلة التى أراد الله بموسى كرامته، وابتدأه فيها بنبوّته وكلامه، أخطأ فيها الطريقَ حتى لا يدرى أين يتوجه، فأخرج زنده ليقدح ناراً لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح، ويعلم وجه سبيله، فأصلد عليه زنده فلا يورى له نارا، فقدح حتى [إذا[٣]] أعياه لاحت النار فرآها، ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾[٤]، بقبس تصطلون، وهدى: عن علم الطريق الذى أضللنا بنعت من خبير. فخرج نحوها، فإذا هى فى شجرة من العُلَّيْق. وبعض أهل الكتاب يقول: فى عوْسجة، فلما دنا استأخرت عنه، فلما رأى استئخارها رجع عنها، وأوجس فى نفسه منها خيفة، فلما أراد الرجعة دنَتْ منه، ثم كُلّم من الشجرة، فلما سمع الصوت استأنس، وقال الله: يا موسى ﴿اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[٥]. فألقاهما ثم قال: ﴿مَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾، أى منافع أخرى، ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾[٦] قد صار شُعْبتاها فمها وصار محجنها عُرْفًا لها، فى ظهر تهتزّ، لها أنياب، فهى كما شاء الله أن تكون. فرأى

١/٤٦٦

(١) س: «فهو».
(٢) س: «فبرهود»
(٣) من ا
(٤) سورة طه: ١٠
(٥) سورة طه: ١٢
(٦) سورة طه ١٧ – ٢٠

أمراً فظيعاً فولى مدبراً ولم يعقِّب ، فناداه ربه: أن يا موسى أقبل ولا تخف، ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾[١]،أى سيرتها عصا كما كانت . قال : فلما أقبل قال :﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾[١]، أدخلْ يدك فى فمها ، وعلى موسى جبّة من صوف ، فلفّ يده بكمّه وهو لها هائب ، فنودى أن ألق كمك عن يدك ، فألقاه عنها ، ثم أدخل يده بين لحيَيْها ، فلما أدخلها قبض عليها فإذا هى عصاه فى يده ، ويده بين شعبتيهاحيث كان يضعها، ومحجنها بموضعه الذى كان لا ينكر منها شيئًا . ثم قيل : ﴿أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾[٢] أى من غير برَص – وكان موسى عليه السلام رجلا آدم أقنى جعْداً طُوالا – فأدخل يده فى جيبه ثم أخرجها بيضاء مثل الثلج ، ثم ردّها فى جيبه ، فخرجت كما كانت على لونه ، ثم قال :﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾، أى يبين لهم عنى ما أكلّمهم به ، فإنه يفهم عنى ما لا يفهمون .﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾[٣] . ١/٤٦٧

رجع الحديث إلى حديث السُّدِّى . فأقبل موسى إلى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلا ، فتضيّف على أمه وهو لا يعرفهم، فأتاهم فى ليلة كانوا يأكلون فيها الطَّفَيْشَل[٤]، فنزل فى جانب الدار ، فجاء هارون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيف ،فدعاه فأكل معه ،فلما أن قعدا تحدّثا ، فسأله هارون : مَنْ أنت ؟ قال : أنا موسى ، فقام كلّ واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه ، فلما أن تعارفا قال له موسى : يا هارون

---

(١) سورة طه ٢١ .

(٢) سورة النمل ١٢ .

(٣) سورة القصص ٣٢ – ٣٥ .

(٤) الطفيشل : نوع من المرق ، قاله صاحب القاموس .

انطلق معى إلى فرعون ، إن الله قد أرسلنا إليه ، فقال هارون : سمعٌ وطاعة ، فقامت أمهما فصاحت وقالت : أنشدكما الله ألاّ تذهبا إلى فرعون فيقتلكما فأبيا . فانطلقا إليه ليلا ، فأتيا الباب فضرباه ففزع فرعون، وفزع البواب ، وقال فرعون: مَنْ هذا الذى يضرب بابى فى هذه الساعة ؟ فأشرف عليهما البواب ، فكلمهما ، فقال له موسى : ﴿إِنِّى رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] ففزع البواب فأتى فرعون فأخبره فقال : إن هاهنا إنسانًا مجنونًا يزعم أنه رسول ربّ العالمين ، قال : أدخله ، فدخل فقال : إنى رسول رب العالمين ؛ أن أرسل معى بنى إسرائيل ، فعرفه فرعون فقال : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ . ١/٤٦٨ معناعلى ديننا هذا الذى تعيب! ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْماً﴾ — والحكم النبوة — ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِى إِسْرَائِيلَ﴾ وربيتنى قبل وليداً! ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2] . ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[3] . يقول: أعطى كل دابة زوجها[4] ثم هدى للنكاح ، ثم قال له : ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[5] ، وذلك بعد ما قال له من الكلام ما ذكر الله تعالى . قال موسى : ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾[6] — والثعبان الذكر من الحيات — فاتحة

(١) سورة الزخرف ٤٦

(٢) سورة الشعراء ١٨ — ٢٣

(٣) سورة طه ٤٩ ، ٥٠

(٤) ا : « خلقها : زوجاً »

(٥) سورة الأعراف ١٠٦

(٦) سورة الشعراء ٣٠ — ٣٢

فاها ، واضعةً لَحْيها الأسفل فى الأرض والأعلى على سور القصر ، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه ، فلما رآها ذعر منها ووثب ، فأحدث — ولم يكن يُحدث قبل ذلك — وصاح : يا موسى خذها وأنا أومن بك وأرسلُ معك بنى إسرائيل . فأخذها موسى فعادت عصا ، ثم نزع يده وأخرجها[1] من جيبه ، فإذا هى بيضاء للناظرين . فخرج موسى من عنده على ذلك ، وأبى فرعون أن يؤمن به ، أو[2] يرسل معه بنى إسرائيل ، وقال لقومه : ﴿ يَأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِى فأَوْقِدْ لِى يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فاجْعَلْ لِى صَرْحاً لَعَلِّى أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾.[3] فلما بنى له الصرح ارتقى فوقه ؛ فأمر بنُشّابة فرمى بها نحو السماء فردت إليه ، وهى ملطّخة دماً ، فقال : قد قتلت إله موسى . ١/٤٦٩

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ فأَوْقِدْ لِى يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ ﴾ ، قال : كان أول مَنْ طبخ الآجرّ يبنى به الصرح .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرج موسى لما بعثه الله عزّ وجلّ حتى قدم مصر على فرعون هو وأخوه هارون ، حتى وقفا على باب فرْعون يلتمسان الإذنَ عليه ، وهما يقولان : إنا رسولا ربّ العالمين ، فآذِنوا بنا هذا الرجل . فمكثا — فيما بلغنا — سنتين يغدوَان على بابه ، ويرُوحان لا يعلم بهما ، ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما ، حتى دخل عليه بَطّال له يلعّبه ويضحكه ، فقال له : أيها الملك ، إنّ على الباب رجلا يقول قولا عجيباً ، يزعم أنّ له إلهاً غيرُك ، قال : أدْخِلوه ، فدخل ومعه هارون أخوه ، وبيده عصاه ، فلما وقف على فرعون قال له : إنى رسول رب العالمين ، فعرفه فرعون فقال : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَأَنْتَ

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « أخرجها » من غير واو .

(٢) كذا فى ا ، س ، وفى ط : « وأن » .

(٣) سورة القصص ٣٨ .

مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُها إذاً وأنا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ أى خطأ لا أريد ذلك . ثم أقبل عليه موسى ينكر عليه ما ذكر من يده عنده ، فقال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أنْ عَبَّدْتَ بَنِي إسْرَائيلَ ﴾! أى اتخذتهم عبيداً تنتزع [١] أبناءهم من أيديهم ، فتسترق مَنْ شئت ، وتقتل مَنْ شئت . إنى إنما صيّرنى إلى بيتك وإليك ذلك. ﴿قَالَ فِرْعَونُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٢] ، أى يستوصفه إلهه الذى أرسله إليه، أى ما إلهك هذا ! ﴿قَالَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ مِنْ مَلَئِه ﴿ألاَ تَسْتَمِعُونَ ﴾ أى إنكاراً لما قال : ليس له إله غيرى. ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ الذى خلق آباءكم الأولين وخلفكم من آبائكم. قال فرعون: ﴿ إنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾، أى ما هذا بكلام صحيح إذ يزعم أن لكم إلهًا غيرى، ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أى خالقُ المشرق والمغرب وما بينهما من الخلق إن كنتم تعقلون. ﴿ قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إلهاً غَيْرِى﴾ لتعبد غيرى وتترك عبادتى ﴿لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴾[٢]، أى بما تعرف بها صدقى وكذبك وحقى وباطلك! ﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾[٢]، فملأت ما بين سِمَاطَىْ فرعون ، فاتحة فاها ، قد صار محجنُها عرفًا على ظهرها. فارفضّ عنها الناس ، وحال فرعون عن سريره يُنشده بربه. ثم أدخل يده فى جيبه فأخرجها بيضاء مثل الثلج ، ثم ردها كهيئتها ، وأدخل موسى يده فى جيبه فصارت عصا فى يده ، يده بين شعبتيها، ومحجنها فى أسفلها كما كانت ، وأخذ فرعون بطنه ، وكان فيما يزعمون يمكث الخمس والست ١٥ يلتمس المذهب ــ يريد الخلاء ــ كما يلتمسه الناس، وكان ذلك مما زيّن له أن

١/٤٧٠ ، ١/٤٧١

---

(١) ا ، ن : « تنتزع » .

(٢) سورة الشعراء ١٧ — ٣٢ .

يقول ما يقول[١] : إنه ليس من الناس بشبه[٢] .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدِّثت عن وهب بن منبّه اليمانىّ ، قال : فمشى بضعا وعشرين ليلة ، حتى كادت نفسه أن تخرج ، ثم استسمك[٣] فقال للملئه : ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ أى ماساحر أسحر منه ، ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[٤] أقتله ؟ فقال مؤمن من آل فرعون — العبد الصالح وكان اسمه فيمايزعمون حبرك : ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بعصاه ويده ! ثم خوّفهم عقاب الله وحذرهم ما أصاب الأمم قبلهم ، وقال : ﴿يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِى الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلا ما أَرَى وما أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٥] . وقال الملأ من قومه — وقد[٦] وهنهم من سلطان الله ما وهنهم : ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِى الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[٧] ، أى كاثِرْه بالسحرة لعلك أن تجد فى السحرة من جاء بمثل ما جاء به . وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراهم من سلطان الله ما أراهم ، وبعث فرعون مكانه فى مملكته ، فلم يترك فى سلطانه ساحراً إلا أتى به ؛ فذكر لى — والله أعلم — أنه جمع له خمسةَ عشرَ ألف ساحر ، فلما اجتمعوا إليه أمرهم أمره ، فقال لهم : قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قطّ ، وإنكم إن غلبتموه أكرمتكم وفضّلتكم وقرّبتكم على أهل مملكتى ، قالوا : إن لنا ذلك [عليك][٨] إن

١/٤٧٢

(١) كذا فى ا س ، وفى ط : « ما قال » .
(٢) ا : « بشبيه » .
(٣) ا ، س : « استبل » .
(٤) سورة الشعراء ٣٤ ، ٣٥ .
(٥) سورة غافر ٢٨ ، ٢٩
(٦) ط : « قد » من غير واو ، وما أثبته من ا .
(٧) سورة الشعراء ٣٦ ، ٣٧
(٨) من ا

غلبناه! قال: نعم، قالوا: فعِدْ لنا موعداً نجتمع نحن وهو، فكان[١] رءوس السحرة الذين جمع فرعون لموسى: ساتور[٢]، وعادور[٣]، وحطحط[٤]، ومصفى[٥]؛ أربعة، وهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوْا من سلطان الله، فآمنت السحرةُ جميعًا وقالوا لفرعون حين توعدهم القتلَ والصلب: ﴿ لَنْ نُؤْثِرَكَ على مَا جَاءنَا مِن البيِّنَات والَّذِي فَطَرَنَا فاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾.[٦] فبعث فرعون إلى موسى: أن اجعل ﴿ بَيْنَنَا وبَيْنَكَ موعداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ ولا أنتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يومُ الزينة ﴾، يوم عيد كان فرعون يخرج إليه[٧]، ﴿ وأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾[٨]، حتى يحضروا أمرى وأمرك، فجمع فرعون الناس لذلك الجمع، ثم أمر السحرة فقال: ﴿ ائْتُوا صَفًّا وقَدْ أَفْلَحَ اليَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴾[٩]، أى قد أفلح من استعلى اليوم على صاحبه. فصفَّ خمسة عشر ألف ساحر، مع كلّ ساحر حباله وعصيه، وخرج موسى ومعه أخوه يتكىء على عصاه، حتى أتى الجمع وفرعون فى مجلسه ومعه[١٠] أشراف أهل مملكته، وقد استكفَّ له الناس، فقال موسى للسحرة حين جاءهم: ﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾[١١]، فترادّ السحرة بينهم، وقال بعضهم لبعض: [ما هذا بقول ساحر، ثم قالوا وأشار بعضهم إلى بعض][١٢] بتناجٍ: ﴿ إنْ هذانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى ﴾[١٣]. ثم قالوا: ﴿ يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ

١/٤٧٣

(١) كذا فى ا، وفى ط: «فكانوا».
(٢) كذا فى ا، وفى س: «شانور»، ن: «سالور»، وفى ط من غير نقط.
(٣) ا: «عاذور»، س: «غاذور»
(٤) س: «حطحطه». (٥) ن: «مضمى».
(٦) سورة طه: ٧٢. (٧) س: «له».
(٨) سورة طه: ٥٨، ٥٩.
(٩) سورة طه: ٦٤
(١٠) ط: «معه»، وما أثبته من ا
(١١) سورة: طه ٦١ (١٢) تكملة من ا
(١٣) سورة طه: ٦٣

وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾[1]. فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصرَ موسى وبصرَ فرعون ، ثم أبصار الناس بعد ، ثم ألقى كلٌّ رجل منهم ما فى يده من العصىّ والحبال ، فإذا هى حيّات كأمثال الجبال ، قد ملأت الوادىَ يركب بعضها بعضًا . ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِ خيفةً مُوسى ﴾[1]، وقال : والله إن كانت لعصيًّا فى أيديهم ، ولقد عادت حيّات ، وما تعدو عصاىَ هذه — أو كما حدّث نفسه — فأوحى الله إليه : ﴿ وألقِ مَا فِى يمينِك تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كيدُ ساحرٍ ولَا يُفلِحُ السَّاحرُ حَيْثُ أتى ﴾[2]. وفُرِج عن موسى فألقى عصاه من يده ، فاستعرضت ما ألقوْا من حبالهم وعصيهم — وهى حيّات فى عين فرعون وأعين الناس تسعى — فجعلت تلقفها[3]، تبتلعها حية حية ، حتى ما يُرى فى الوادى[4] قليل ولا كثير مما ألقوْا ، ثم أخذها موسى فإذا هى عصاه فى يده كما كانت ، ووقع السَّحرَة سجداً ﴿ قالوا آمنّا بربِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ، لو كان هذا سحراً ما غلبنا. قال لهم فرعون — وأسف ورأى الغلبة البيّنة : ﴿ آمَنْتُمْ لَهُ قَبلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ ، [أى لعظيم السَّحّار الذى علمكم][5] ﴿ فلأُقطِّعنّ أيديَكُمْ وأَرْجُلَكُمْ مِنْ خلاف ﴾ — إلى قوله — ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ ، [أى لن نؤثرك على الله وعلى ما جاءنا من الحجج مع نبيه فاقض ما أنت قاض][5] ، أى فاصنع ما بدا لك ، ﴿ إِنَّمَا تَقْضِى هَذِهِ

١ / ٤٧٤

---

(١) سورة طه ٦٥ — ٦٧

(٢) سورة طه ٦٩

(٣) كذا فى ا ، وفى ط « تتلقفها » .

(٤) ا ، ن : « بالوادى » .

(٥) تكملة من ا .

الحياةَ الدنيا ﴾التي ليس لك سلطان إلا فيها ، ثم لا سلطان لك بعدها ،﴿ إنَّا آمنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عليهِ من السِّحْر واللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾،[١] أى خير منك ثوابًا ، وأبقى عقابًا . فرجع عدوُّ الله مُغلوبًا ملعونًا[٢] ثم أبى إلا الإقامة على الكفر، والتمادى فى الشر ، فتابع الله عليه بالآيات ، وأخذه بالسنين ، فأرسل عليه الطوفان .

رجع الحديث إلى حديث السدىّ . وأما السدّىّ فإنه قال فى خبره : ذُكِر أن الآيات التى ابتلَى الله بها قوم فرعون كانت قبل اجتماع موسى والسحرة ، وقال : لما رجع إليه السهم ملطخًا بالدم قال : قد قتلنا[٣] إله موسى . ثم إن الله أرسل عليهم الطوفان — وهو المطر — فغرق كلُّ شىء لهم ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشفْ عنا ، ونحن نؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل . فكشفه الله عنهم ، ونبتت زروعهم ، فقالوا : ما يسرُّنا أنا لم نُمْطَر. فبعث الله عليهم الجراد فأكل حروثهم ، فسألوا موسى أن يدعوَ ربَّه فيكشفه ويؤمنوا به ، فدعا فكشفه ، وقد بقى من زروعهم بقية ، فقالوا : لن نؤمن وقد بقى لنا من زروعنا بقية ، فبعث الله عليهم الدّبا — وهو القُمّل — ، فلحس الأرض كلَّها ، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضّه ، وكان أحدُهم يأكل الطعام فيمتلىء دبًا حتى إنّ أحدهم ليبنى الأسطوانة بالجصّ والآجرّ ، فيُزْلِقها[٤] حتى لا يرتقى فوقها شىء [من الذباب ، ثم][٥] يرفع فوقها الطعام ، فإذا صَعِد إليه ليأكله وجده ملآن دبًا ، فلم يصبهم بلاء كان أشدّ عليهم من الدبا ؛ وهو الرِّجز الذى ذكره الله فى القرآن[٦] أنه وقع عليهم . فسألوا موسى أن يدعوَ ربه فيكشفَه عنهم ويؤمنوا به ، فلما كُشِف[٧] عنهم أبوْا أن يؤمنوا ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكان الإسرائيلىّ

١/ ٤٧٥

(١) سورة طه : ٧٠ – ٧٣ (٢) ا ، س : « مغلولا »
(٣) ا : « قتلت » .
(٤) ط : « فيزلقه » ، ما أثبته من ا . (٥) تكملة من ا
(٦) وهو قوله تعالى فى سورة الأعراف ١٣٤ : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾ .
(٧) ط : « كشفه » ؛ والأجود ما أثبته من ا .

يأتي هو والقبطي فيستقيان[١] من ماء واحد، فيخرج ماء هذا القبطي دمًا، ويخرج للإسرائيليّ ماء. فلما اشتدّ ذلك عليهم سألوا موسى أن يكشفه ويؤمنوا به فكَشَفَ ذلك عنهم، فأبوْا أن يؤمنوا، فذلك حين يقول الله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ العذابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾[٢] ما أعطوْا من العهود، وهو حين يقول: ﴿ولقد أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ — وهو الجوع — ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[٣]. ١/٤٧٦

ثم إن الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى وهارون[٤] أن: ﴿قُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لعلَّه يَتَذَكَّرُ أو يَخْشَى﴾[٥]، فأتياه فقال له موسى: هل لك يا فرعون في أن أعطيَك شبابك ولا تهرم[٦]، وملكك لا ينزع منك، ويردّ[٧] إليك لذّة المناكح والمشارب والركوب، فإذا متّ دخلت الجنة؟ تؤمن بي[٨]! فوقعت في نفسه هذه الكلمات، وهي اللينة[٩]، فقال: كما أنت حتى يأتي هامان. فلما جاء هامان قال له: [أشعرت][١٠] أن ذلك الرجل أتاني؟ قال: من هو؟ — وكان قبل ذلك إنما يسمّيه الساحر، فلما كان ذلك اليوم لم يسمّه الساحر — قال فرعون: موسى، قال: وما قال لك؟ قال: قال لي: كذا وكذا، قال هامان: وما رددت عليه؟ قال: قلت: حتى يأتيَ هامان فأستشيره، فعجّزه هامان وقال: قد كان ظنّي بك خيرًا من هذا، تصير عبدًا يَعبد بعد أن كنتَ ربًا يُعبد! فذلك حين خرج عليهم فقال لقومه وجمعهم فقال: ﴿أنا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[١١]. وكان بين كلمته ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[١٢] وبين قوله:

---

(١) كذا في ا، وفي ط: «يستقيان». (٢) سورة الزخرف ٥٠
(٣) سورة الأعراف ١٣٠. (٤) كذا في ا، وفي ط: «إليهما»
(٥) سورة طه ٤٤. (٦) ط: «ولا يهرم»، ا: «شيئًا لا تهرم»، وفي ابن الأثير ١: ١٠٢: «فلا تهرم». (٧) ابن الأثير: «وأرد».
(٨) ا، ن، وابن الأثير: «وتؤمن بي». (٩) ا: «اللينات».
(١٠) تكملة من ا. (١١) سورة النازعات ٢٤ (١٢) سورة القصص: ٣٨.

﴿أنا ربكم الأعلى﴾ أربعون سنة . وقال لقومه : ﴿إنَّ هذا لساحرٌ عليمٌ * يريدُ أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون * قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين * يأتوك بكل سحّار عليم﴾[1] . قال فرعون : ﴿أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى * فلنأتينَّك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدًا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانًا سوًى﴾ — يقول : عدلا ، قال موسى : ﴿موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحًى﴾ — وذلك يوم عيد لهم — ﴿فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى﴾[2] . وأرسل فرعون في المدائن حاشرين ؛ فحشروا عليه السحرة ، وحشروا الناس ينظرون ، يقول : ﴿هل أنتم مجتمعون * لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾ — إلى قوله : ﴿أئنَّ لنا لأجرًا إن كنا نحن الغالبين﴾ — يقول : عطية تعطينا — ﴿قال نعم وإنكم إذًا لمن المقربين﴾[3] . فقال لهم موسى : ﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذبًا فيسحتكم بعذاب﴾ ، يقول : يهلككم بعذاب . ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى﴾ من دون موسى وهارون ، وقالوا في نجواهم : ﴿إنْ هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾[4] ، يقول : يذهبا بأشراف قومكم .

١/٤٧٧

فالتقى موسى وأمير السحرة ، فقال له موسى : أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ما جئت به حق ؟ قال : نعم ، قال الساحر : لآتين غدًا بسحر لا يغلبه سحر ، فوالله لئن غلبتني لأومنن بك ، ولأشهدن أنك على حق — وفرعون ينظر إليهما — وهو قول فرعون : ﴿إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة﴾ ،

---

(١) سورة الشعراء ٣٤ — ٣٧

(٢) سورة طه ٥٧ — ٦٠

(٣) سورة الشعراء ٣٩ — ٤٢

(٤) سورة طه ٦١ — ٦٣ .

إذ التقيا لتتظاهرا ﴿ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾(١). فقالوا: ﴿ يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾(٢) ، قال لهم موسى : ألقوا فألقَوا حبالهم وعصيَّهم — وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ، ليس منهم رجل إلا ومعه حبل وعصا — ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾(٢) يقول : فرّقوهم. ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾(٣)، فأوحى الله إليه : ألاّ تخف، ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾(٤). فألقى موسى عصاه فأكلت كلَّ حية لهم ، فلما رأَوْا ذلك سجدوا ، وقالوا: ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾(٥). قال فرعون : ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾(٦) فقتّلهم وقطّعهم — كما قال عبد الله بن عباس — حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ علينا صَبْرًا وتوفَّنا مُسْلِمِين ﴾(٧). قال(٨) : كانوا في أول النهار سَحرة ، وفي آخر النهار شهداء .

١/٤٧٨

* * *

ثم أقبل على بني إسرائيل فقال له قومه : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾(٩)، وآلهتُه — فيما زعم ابن عباس — كانت البقر ، كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها ، فلذلك أخرج لهم عجلا بقرة .

ثم إن الله تعالى ذكره أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل فقال : ﴿ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ ليلًا ﴿ إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴾(١٠). فأمر موسى بني إسرائيل أن يخرجوا ، وأمرهم

---

(١) سورة الأعراف ١٢٣.
(٢) سورة الأعراف ١١٥ ، ١١٦ .
(٣) سورة طه ٦٧ .
(٤) سورة طه ٦٩ .
(٥) سورة الشعراء ٤٧ ، ٤٨
(٦) سورة طه ٧١ .
(٧) سورة الأعراف ١٢٦ .
(٨) ط : « قالوا » ، وصوابه من ١ .
(٩) سورة الأعراف ١٢٧ .
(١٠) سورة الشعراء ٥٢ .

أن يستعيروا الحلىّ من القبْط ، وأمر ألاّ ينادى إنسان صاحبَه، وأن يُسرجوا فى بيوتهم حتى الصبح ،وأنّ من خرج إذا قال : موسى ،قال : «عمرو» . وأمر مَنْ خرج يلطخ بابه بكفّ من دم حتى يعلم أنه قد خرج . وإن الله أخرج كلّ ولد زنا فى القبْط من بنى إسرائيل إلى بنى إسرائيل ، وأخرج كلّ ولد زنا فى بنى إسرائيل من القبْط إلى القبط ، حتى أتوْا آباءهم .

١/٤٧٩

ثم خرج موسى ببنى إسرائيل ليلاً والقبْط لا يعلمون ، وقد دعوا قبْل ذلك على القبط ،فقال موسى : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[1] ، فقال الله تعالى :﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ فزعم السدىّ أن موسى هو الذى دعا وأمّن هارون ، فذلك حين يقول الله : ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾[1] .

وقوله: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾[1] فذكر أن طمْس الأموال أنه جعل دراهمهم ودنانيرهم حجارة ، ثم قال لهما استقيما ، فخرجا فى قومهما ، وألقِىَ على القبْط الموتَ ، فمات كل بِكْر رجل ، فأصبحوا يدفنونهم ، فشُغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس ؛ فذلك حين يقول الله : ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾[2] .

وكان موسى على ساقة[3] بنى إسرائيل ، وكان هارون أمامَهم يقدمهم ، فقال المؤمن لموسى : يا نبىّ الله ، أين أمِرت ؟ قال : البحر ، فأراد أن يقتحم فمنعه وسى . وخرج موسى فى ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل ، لا يُعدُّون ابنَ العشرين لصغره ولا ابنَ الستين لِكبَره ، وإنما عدّوا ما بين ذلك سوى الذريّة ، وتبعهم فرعون ، وعلى مقدمته هامان ، فى ألف ألف وسبعمائة ألف حصان ، ليس[4] فيها ماذيانة، وذلك حين يقول الله : ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾— يعنى بنى إسرائيل —﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾[5]، يقول : قد حذرنا فأجمعنا أمرنا ،

١/٤٨٠

---

(١) سورة يونس ٨٨ ، ٨٩ .
(٢) سورة الشعراء ٦٠ .
(٣) ساقة الجيش : مؤخرهم .
(٤) ن : «وليس» .
(٥) سورة الشعراء ٥٣ — ٥٦

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ ﴾، فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد ردفهم، قالوا : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[1]. قالوا : يا موسى ، أوذينا من قبل أن تأتينا ، كانوا يذبّحون أبناءنا، ويستحيون نساءنا ، ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا ! إنا لمدركون ، البحرُ من بين أيدينا وفرعون من خلفنا ، قال موسى : ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[1]، يقول : سيكفيني ، ﴿ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[2]. فتقدم هارون فضرب البحر فأبى البحر أن ينفتح، وقال: مَنْ هذا الجبّار الذى يضربنى ! حتّى أتاه موسى فكناه أبا خالد ، وضربه، ﴿ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾[3] ، يقول : كالجبل العظيم ، فدخلت بنو إسرائيل ، وكان فى البحر اثنا عشر طريقًا ، فى كل طريق سِبْط ، وكأنّ الطرق إذ انفلقت بجدران . فقال كلّ سبط : قد قتل أصحابنا ، فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها لهم قناطر كهيئة الطيقان ، فنظر آخرُهم إلى أولهم ، حتى خرجوا جميعًا ؛ ثم دنا فرعون وأصحابه ، فلما نظر فرعون إلى البحر منفلقًا قال: ألا ترون البحر فرق منى ، وقد تفتّح لى حتى أدرك أعدائى فأقتلهم ! فذلك قول الله : ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴾[4] ، يقول : قرّبنا ثَمَّ الآخرين ؛ هم آل فرعون . ١/٤٨١

فلما قام فرعون على أفواه الطرق أبت خيلُه أن تقتحم ، فنزل جبرئيل على ماذيانة ، فشمّت[5] الحُصُن ريحَ الماذيانة فاقتحمت فى أثرها حتى إذا همّ أوّلُهم أن يخرج ودخل آخرُهم ، أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم ،

---

(١) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ .

(٢) سورة الأعراف ١٢٩ .

(٣) سورة الشعراء ٦٣ .

(٤) سورة الشعراء : ٦٤ .

(٥) كذا فى ح وابن الأثير ، وفى ا ، ط : « فشامت » .

وتفرد جبرئيل بفرعون بمَقْلَة من مَقل(١) البحر ، فجعل يَدسُّها فى فيه ، فقال حين أدركه الغرق : ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، فبعث الله إليه ميكائيل يعيّره ، قال : ﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾(٢) . فقال جبرئيل : يا محمد ، ما أبغضت أحداً من الخلق ما أبغضتُ رجلين : أما أحدهما فمن الجنّ وهو إبليس حين أبى أن يسجد لآدم ، وأما الآخر فهو فرعون حين قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ ، ولو رأيتَنى يا محمد ، وأنا آخذ مَقْل البحر فأدخله فى فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها ! وقالت بنو إسرائيل : لم يغرق فرعون ، الآن يدركنا فيقتلنا ، فدعا الله ١/٤٨٢ موسى : فأخرج فرعون فى ستمائة ألف وعشرين ألفاً ، عليهم الحديد فأخذته بنو إسرائيل يمثّلون به ، وذلك قول الله لفرعون : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾(٢) ؛ يقول : لبنى إسرائيل آية . فلما أرادوا أن يسيروا ضُرِب عليهم تيهٌ ، فلم يدروا أين يذهبون ، فدعا موسى مشيخة بنى إسرائيل فسألهم : ما بالُنا ؟ فقالوا له : إن يوسف لما مات بمصر أخذ على إخوته عهداً ألاّ تخرجوا من مصر حتى تخرجونى معكم ، فذلك هذا الأمر ، فسألهم : أين موضع قبره ؟ فلم يعلموا ، فقام موسى ينادى : أنشد الله كلّ مَنْ كان يعلم أين موضع قبر يوسف إلا أخبرنى به ، ومن لم يعلم فصَمَّتْ أذناه عن قولى ! وكان يمرّ بين الرجلين ينادى فلا يسمعان صوته ، حتى سمعته عجوز لهم فقالت : أرأيتكَ إن دللتُك على قبره أتعطينى كلّ ما سألتك ؟ فأبى عليها وقال : حتى أسأل ربى ، فأمره الله عزّ وجلّ أن يعطيَها ، فأتاها فأعطاها ، فقالت : إنى أريد ألا تنزلَ غُرْفة من الجنة إلا نزلتَها معك ، قال : نعم ، قالت : إنى عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشيَ فاحملْنى ، فحملها ، فلما دنا من النيل ، قالت : إنه فى جوف الماء ، فادعُ الله أن يُحسِر عنه الماء ، فدعا الله ١/٤٨٣ فحسر الماءَ عن القبر ، فقالت : احفرْه ، ففعل فحمل عظامه ، ففتح

---

(١) فى اللسان ؛ مقل البحر ، موضع المغاص منه .

(٢) سورة يونس: ٩٠ ، ٩٢ .

لهم الطريق، فساروا، ﴿ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ ﴾ — يقول: مهلك ماهم فيه — ﴿ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١].

فأما ابنُ إسحاق، فإنه قال — فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عنه — فتابع الله عليه بالآيات — يعنى على فرعون — وأخذه بالسنين إذ أبى أن يؤمن بعد[٢] ما كان من أمره وأمر السحرة ما كان، فأرسل عليه الطوفان، ثم الجراد، ثم القمَّل، ثم الضفادع، ثم الدم آيات مفصَّلات، أى آية بعد آية، يتبع بعضُها بعضًا، فأرسل الطوفانَ وهو الماء، ففاض على وجه الأرض ثم ركد، لا يقدرون على أن يحرثوا، ولا يعملوا شيئًا، حتى جهدوا جوعًا. فلما بلغهم ذلك قالوا: يا موسى ادع لنا ربك، ﴿ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [٣]. فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشىء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر — فيما بلغنى حتى إنه كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم، فقالوا مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشَفه عنهم فلم يفوا له بشىء مما قالوا، فأرسل الله عليهم القمَّل. فذكر لى أن موسى أمِر أن يمشِىَ إلى كثيب فيضربه[٤] بعصاه فمشى إلى كثيب أهيَل عظيم فضربه بها فانثال عليهم قمَّلا حتى غلبَ على البيوت والأطعمة، ومنعهم النوم والقرار، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربَّه فكشف عنهم فلم يفوا له بشىء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، فملأت البيوت والأطعمة والآنية فلا يكشِفُ أحد منهم[٥] ثوبًا ولا طعامًا ولا إناء إلا وجدَ فيه الضفادع قد غلبتْ عليه، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفُوا له بشىء مما قالوا، فأرسل الله

١/٤٨٤

(١) سورة الأعراف ١٣٨، ١٣٩

(٢) ح: «من بعد».

(٣) سورة الأعراف ١٣٤.

(٤) ن: «حتى يضربه».

(٥) ح، ن: «أحدهم».

عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دمًا ، لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون من إناء إلا عادت دمًا عبيطًا .

حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظىّ أنه حدّث أن المرأة من آل فرعون كانت تأتى المرأةَ من بنى إسرائيل حين جهدهم العطش ، فتقول : اسقينى من مائك ، فتغرف لها من جرّتها أو تصُبّ لها من قربتها ، فيعود فى الإناء دمًا ، حتى إن كانت لتقول لها : اجعليه فى فيك ثم مجّيه فى فىّ ، فتأخذ فى فيها ماء، فإذا مجّته فى فيها صار دمًا ، فمكثوا فى ذلك سبعة أيام ، فقالوا : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[1] . فلما كشف عنهم الرجزُ نكثوا ولم يفُوا بشىء مما قالوا، فأمر الله موسى أن يسير ، وأخبره أنه منجّيه ومَنْ معه ، ومهلكُ فرعون وجنوده ، وقد دعا موسى عليهم بالطَّمْسة ؛ فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ — إلى — ﴿ وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] . فمسخ الله أموالهم حجارة : النخل والرقيق والأطعمة ، فكانت إحدى الآيات التى أراهنّ[3] الله فرعون .

٤٨٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بُرَيْدة ابن سفيان بن فروة الأسلمىّ ، عن محمد بن كعب القرظىّ ، قال : سألنى عمر بن عبد العزيز عن التسع الآيات التى أراهنّ الله فرعون ، فقلت : الطوفان ، والجراد ، والقمّل ، والضفادع ، والدم ، وعصاه ، ويده ، والطمسة ، والبحر . فقال عمر : فَأَنَّى عرفت أن الطمسة إحداهنّ ؟ قلت : دعا عليهم موسى وأمّن هارون ، فمسخ الله أموالهم حجارة ، فقال : كيف يكون الفقه إلا هكذا ! ثم

---

(١) سورة الأعراف ١٣٤.
(٢) سورة يونس ٨٨، ٨٩ .
(٣) ط : « أراها »، وما أثبته من ا .

دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز بن مروان بمصر ؛ إذ كان عليها من بقايا أموال آل فرعون، فأخرج البيضة مقشورةً نصفين ؛ وإنها لحجر، والجوزة مقشورة وإنها لحجر ، والحمصّة، والعدسة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد ، عن رجل من أهل الشأم كان بمصر ، قال : قد رأيت النخلة مصروعة ، وانها لحجَر ، وقد رأيت إنسانًا ما شككت أنه إنسان وإنه لحجَر، من رقيقهم ، فيقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ إلى قوله ﴿ مَثْبُوراً ﴾[1] يقول: شقيًّا . ١/٤٨٦

حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق، عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، أن الله حين أمر موسى بالمسير ببنى إسرائيل أمره أن يحتمل يوسفَ معه حتى يضعه بالأرض المقدسة ، فسأل موسى عمّن يعرف موضعَ قبره ، فما وجد إلا عجوزاً من بنى إسرائيل ، فقالت : يا نبيّ الله ، أنا أعرف مكانه . إن أنت أخرجتَنى معك[2] ، ولم تخلّفنى بأرض مصر دللتك عليه . قال : أفعل، وقد كان موسى وعَد بنى إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع الفجر ، فدعا ربّه أن يؤخّر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف، ففعل، فخرجت به العجوز حتى أرته إياه فى ناحية من النيل فى الماء ، فاستخرجه موسى صندوقًا من مرمر ، فاحتمله معه . قال عروة : فمن ذلك تحمِل اليهود موتاها من كلّ أرض إلى الأرض المقدسة .

حدثنا ابن حميد ، قال :حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق ، قال : كان -فيما ذُكِر لى - أن موسى قال لبنى إسرائيل فيما أمره الله به : استعيروا منهم الأمتعة والحُلِيّ والثياب فإنى منفّلكم أموالَهم مع هلاكهم؛ فلما أذّن فرعون فى الناس كان مما يحرّض به على بنى إسرائيل أن قال حين ساروا : لم يرضَوا أن خرجوا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالكم معهم .

---

(١) سورة الإسراء ١٠١ ، ١٠٢

(٢) ا ، ن : « خرجت بى » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد ابن كعب القرظىّ ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : لقد ذُكِرَ لى أنه خرج فرعون فى طلب موسى على سبعين ألفًا من دُهْم الخيل سوى ما فى جنده من شيات[١] الخيل ، وخرج موسى حتى إذا قابله البحر ولم يكن عنه منصَرف طلع فرعون فى جنده من خلفهم ، ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[٢] أى للنجاة ، وقد وعدنى ذلك ولا خُلْفَ لموعوده[٣] . ١/٤٨٧

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق قال : فأوحى الله تبارك وتعالى — فيما ذكر لى — إلى البحر : إذا ضربَك موسى بعصاه فانفلقْ له ، فبات البحر يضربُ بعضه بعضًا فرَقًا من الله وانتظاراً لأمره ، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى : أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه بها وفيها سلطان الله الذى أعطاه ، ﴿ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾[٤] ، أى كالجبل على نَشَز من الأرض . يقول الله لموسى عليه السلام : ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾[٥] . فلما استقَر له البحر على طريق قائمة يبَس سلك فيه موسى ببنى إسرائيل ، واتبعه فرعون بجنوده .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظىّ ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد اللَّيْثىّ ، قال : حُدّثت أنه لما دخلتْ بنو إسرائيل فلم يبق منهم أحدٌ أقبل فرعون وهو على حصان له من الخيل ، حتى وقف على شفير البحر وهو قائم على حاله ، فهاب الحصان أن يتقدم[٦] ، فعرض له جبرئيل على فرس أنثى وديق[٧] ، فقرّبها منه ١/٤٨٨

---

(١) كذا فى ا ، وفى التفسير : « شية » ، وفى ط : « شهب » من تصرف مصححه .

(٢) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢

(٣) الخبر فى التفسير ١٩ : ٤٩ (بولاق) .

(٤) سورة الشعراء ٦٣

(٥) سورة طه ٧٧

(٦) ا ، ح : « أن ينفذ » .

(٧) الفرس الوديق : التى تريد الفحل .

فشمّها الفحل ، ولما شمّها قدمها ، فتقدم معه الحصان عليه فرعون ، فلما رأى جند فرعون أنّ فرعون قد دخل دخلوا معه ، وجبرئيل أمامه ، فهم يتبعون فرعون ، وميكائيل على فرس خلف القوم يشحذهم يقول : الحقوا بصاحبكم ، حتى إذا فصل جبرئيل من البحر ليس أمامه أحدٌ ، ووقف ميكائيل على الناحية[١] الأخرى ليس خلفه أحد ، طبّق عليهم البحر ، ونادى فرعون حين رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى ، وعرف ذلّه وخذلته نفسه ، نادى : أن لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا أبو داود البصرىّ ، عن حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : جاء جبرئيل إلى النبي عليه السلام فقال : يا محمد ، لقد رأيتنى وأنا أدسّ من حمإ البحر فى فم[٢] فرعون مخافة أن تدركه الرحمة ! يقول الله : ﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ ، أى سواءٌ لم يذهب منك شىء ، ﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾[٣] أى عبرة وبينة . فكان يقال : لو لم يخرجه الله ببدنه حتى عرفوه لشكّ فيه بعضُ الناس .

١/٤٨٩ ولما جاوز ببنى إسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[٤] . ووعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومَه ونجاه وقومَه ثلاثين ليلة .

رجع الحديث إلى حديث السدىّ . ثم إن جبرئيل أتى موسى يذهب به إلى

---

(١) ا : « ناحيته الأخرى » ، ح ، س : « ناحية أخرى » .

(٢) ا : « فى فرعون » .

(٣) سورة يونس ٩١، ٩٢ .

(٤) سورة الأعراف : ١٣٨ — ١٤٠ .

الله عزّ وجلّ ، فأقبل على فرس فرآه السامرىّ فأنكره ، ويقال : إنه فرس الحياة ، فقال حين رآه : إنّ لهذا لشأنًا ، فأخذ من تربة الحافر حافر الفرس ، فانطلق موسى واستخلف هارون على بنى إسرائيل ، وواعدهم ثلاثين ليلة ، وأتمها الله بعشر ، فقال لهم هارون : يا بنى إسرائيل ، إنّ الغنيمة لا تحلّ لكم ، وإن حُلِىّ القِبْط إنما هو غنيمة ، فاجمعوها جميعًا فاحفروا لها حفرة فادفنوها فيها ، فإن جاء موسى فأحلّها أخذتموها ، وإلاّ كان شيئًا لم تأكلوه ، فجمعوا ذلك الحلىّ فى تلك الحفرة ، وجاء السامرىّ بتلك القبضة فقذفها ، فأخرج الله من الحلىّ عجلا جسداً له خُوار ، وعدّت بنو إسرائيل موعدَ موسى ، فعدّوا الليلة يومًا واليوم يومًا ، فلما كان العشر[1] خرج لهم العجلُ فلما رأوه قال لهم السامرىّ : ﴿ هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾[2]. يقول : ترك موسى إلهه هاهنا ، وذهب يطلبه فعكفوا عليه يعبدونه ، وكان يخور ويمشى ، فقال لهم هارون : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ﴾ يقول : إنما ابتليتم به ، يقول : بالعجل ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾[3] ، فأقام هارون ومن معه من بنى إسرائيل لا يقاتلونهم ، وانطلق موسى إلى إلهه يكلمه ، فلما كلّمه قال له : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾[4]. فلما أخبره خبرهم قال موسى : يا رب هذا السامرىّ أمرهم أن يتّخذوا العجل ، أرأيتَ الروحَ من نفخها فيه ؟ قال الربّ : أنا . قال : ربّ أنتَ إذاً أضللتهم .

١/٤٩٠

ثم إن موسى لما كلمه ربّه أحبّ أن ينظر إليه ، ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ

---

(١) كذا فى ا ، ن : وفى ط : « العشرين » .
(٢) سورة طه ٨٨ .
(٣) سورة طه ٩٠ .
(٤) سورة طه ٨٣ — ٨٥ .

﴿فَسَوْفَ تَرَانِى﴾(١) ، فحفّ حولَ الجبل الملائكة ، وحُفّ حول الملائكة بنار، وحُفّ حول النار بملائكة ، وحول الملائكة بنار ، ثم تجلّى ربه للجبل .

فحدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، قال : حدثنى السدىّ ، عن عكْرمة ، عن ابن عباس ، أنه قال : تجلّى منه مثل طرَف الخِنصر ، فجعل الجبلَ دكًّا وخرّ موسى صعقًا ، فلم يزل صَعِقا ما شاء الله ، ثم انه أفاق فقال: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢)، يعنى أول المؤمنين من بنى إسرائيل ، فقال : ﴿يَا مُوسَى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِى وَبِكَلاَمِى فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من الحلال والحرام ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾، يعنى بجدّ واجتهاد ﴿وأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾(٢) أى بأحسن ما يجدون فيها. فكان موسى بعد ذلك لايستطيع أحد أن ينظر فى وجهه(٣) ، وكان يُلْبِس وجهه بحريرة ، فأخذ الألواحَ ثم رجعَ إلى قومه ﴿غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ يقول: حزينًا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ — إلى — ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ يقولون: بطاقتنا ، ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ يقول: من حُلىّ القبط ﴿فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِىُّ﴾(٤)، ذلك حين قال لهم هارون : احفِروا لهذا الحلْى حُفرة ، واطْرحوه فيها ، فطرحوه فقذف السامرىّ تربته ، فألقى موسى الألواح وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه، ﴿قَالَ يَا بْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلاَ بِرَأْسِى إِنِّى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾(٥). فترك موسى هارون ، ومال إلى السامرىّ، فقال:

١/٤٩١

(١) سورة الأعراف ١٤٣ . (٢) سورة الأعراف ١٤٣ — ١٤٥.
(٣) ا : « إلى وجهه » .
(٤) سورة طه ٨٦ ، ٨٧ .
(٥) سورة طه ٩٤

﴿فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ﴾[١]، قال السامرىّ: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ إلى: ﴿فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾[١]. ثم أخذه فذبحه، ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه فى البحر، فلم يبق بحر يجرى إلا وقع فيه شىءٌ منه، ثم قال لهم موسى: اشربوا منه فشربوا، فمن كان يحبه خرج على شاربه الذهب، فذلك حين يقول: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[٢]. فلما سُقِط فى أيدى بنى إسرائيل حين جاء موسى ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٣]. فأبى الله أن يقبل توبة بنى إسرائيل إلا بالحال التى كرهوا أن يقاتلوهُمْ حين عبدوا العجل، فقال لهم موسى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[٤]، فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف، فكان من قُتِل من الفريقين شهيداً، حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا، حتى قتل بينهم سبعون ألفاً، حتى دعا موسى وهارون: ربَّنا هلكتْ بنو إسرائيل! ربَّنا البقية البقية! فأمرهم أن يضعوا السلاح، وتاب عليهم، فكان من قُتِل كان شهيداً، ومن بقِى كان مُكفَّراً عنه، فذلك قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٤].

١/٤٩٢

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنى محمد بن إسحاق، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان السامرىّ رجلاً من أهل باجَرْما[٥]، وكان من قوم يعبدون البقر، فكان حبُّ عبادة

(١) سورة طه ٩٥ – ٩٧
(٢) سورة البقرة ٩٣.
(٣) سورة الأعراف ١٤٩
(٤) سورة البقرة ٥٤
(٥) باجرما، بفتح الجيم وسكون الراء وميم وألف مقصورة: قرية، قرب الرقة من أعمال الجزيرة. ياقوت.

البقر فى نفسه ، وكان قد أظهر الإسلام فى بنى إسرائيل ، فلما فصل هارون فى بنى إسرائيل ،وفصل موسى معهم[١] إلى ربه تبارك وتعالى قال لهم هارون : إنكم قد تحملتُم[٢] أوزاراً من زينة القوم آل فرعون ، وأمتعة وحليًّا ، فتَطهّروا منها فإنها نجس ، وأوقد لهم ناراً ، وقال : اقذفوا ما كان معكم من ذلك فيها ، قالوا : نعم ، فجعلوا يأتون بما كان فيهم من تلك الحلىّ وتلك الأمتعة فيقذفون به فيها ، حتى إذا انكسرت الحلىّ فيها ، رأى[٣] السامرى أثر فرس جبْرَئيل ، فأخذ ترابًا من أثر حافره ، ثم أقبل إلى الحفرة فقال لهارون : يا نبىّ الله ، ألقى ما فى يدى ؟ قال : نعم ، ولا يظن هارون إلاّ أنه كبعض ما جاء به غيره من تلك الأمتعة والحلىّ ، فقذفه فيها ، وقال : كن عجلا جسداً له خوار ، فكان للبلاء والفتنة ، فقال : هذا إلهُكم وإله موسى ، فعكفوا عليه وأحبوه حبًّا لم يحبوا مثله شيئًا قطّ ، فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَنَسِىَ ﴾[٤] ، أى ترك ما كان عليه من الإسلام ، ـ يعنى السامرىّ ـ ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾[٤] .

١/٤٩٣

قال : وكان اسمُ السامرىّ موسى بن ظفر[٥] ، وقع فى أرض مصر ، فدخل فى بنى إسرائيل ، فلما رأى هارون ما وقعوا فيه قال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾[٦] . فأقام هارون فيمن معه من المسلمين ممن لم يفتتن ، وأقام مَنْ يعبد العجل على عبادة العجل ، وتخوّف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى : ﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾[٧] ، وكان له هائبًا مطيعًا ، ومضى موسى ببنى إسرائيل إلى الطور ، وكان الله عزّ وجلّ وعدَ بنى إسرائيل حين أنجاهم وأهلك عدوّهم جانب الطور الأيمن ، وكان موسى حين سار ببنى إسرائيل

---

(١) كذا فى ا ، ح ، ن ؛ وفى ط : « عنهم » .
(٢) س : « حملتم » .
(٣) فى الأصول : « ورأى » .
(٤) سورة طه ٨٨ ، ٨٩ .
(٥) ح : « الظفر » .
(٦) سورة طه ٩٠ ، ٩١ .
(٧) طه : ٩٤

١/٤٩٤ من البحر قد احتاجوا إلى الماء، فاستسقى موسى لقومه ، فأمر أن يضرب بعصاه الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، لكل سبط عين يشربون منها قد عرفوها ، فلما كلّم الله موسى طمع فى رؤيته ، فسأل ربه أن ينظر إليه ، فقال له : إنكَ ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ إلى قوله : ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١) .

ثم قال الله لموسى : ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ إلى قوله : ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾(١) . وقال له : ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ إلى قوله : ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً﴾(٢) ، ومعه عهد الله فى ألواحه .

ولما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم فيه من عبادة العجل ألقى الألواح من يده ، وكانت — فيما يذكرون — من زبرجد أخضر ، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ويقول : ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ إلى قوله : ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾(٣) . فقال : ﴿يَا بْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٤) ، فارعوى موسى وقال : ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(٤) .

وأقبل على قومه فقال : ﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً﴾ إلى قوله : ﴿عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ﴾(٥) . وأقبل على السامرى فقال : ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ إلى قوله : ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾(٦) . ثم

---

(١) سورة الأعراف ١٤٣—١٤٥

(٢) سورة طه ٨٣ — ٨٦ .

(٣) سورة طه ٩٢ — ٩٤

(٤) سورة الأعراف ١٥٠ ، ١٥١

(٥) سورة طه ٨٦ — ٨٨

(٦) سورة طه ٩٥ — ٩٨

أخذ الألواح، يقول الله : ﴿ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ . وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[١] . ١/٤٩٥

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صدقة ابن يسار ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس، قال : كان الله تعالى قد كتب لموسى فيها موعظة وتفصيلا لكلّ شيء وهدى ورحمة ، فلما ألقاها رَفع الله ستةَ أسباعها وأبقى سبعًا، يقول الله عزّوجلّ : ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ ، ثم أمر موسى بالعجل فأحرِق، حتى رجع رماداً، ثم أمر به فقذف فى البحر .

قال ابن إسحاق : فسمعت بعض أهل العلم يقول : إنما كان أحرقه[٢] ثمّ سَحَلَه ثم ذرّاه فى البحر . والله أعلم .

* * *

ثم اختار موسى منهم سبعين رجلا : الخيِّر فالخيِّر ، وقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسلُوه التوبة علَى من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا وتطهّروا وطهّروا ثيابكم ، فخرج بهم إلى طورسيناء لميقات وقّته له ربه ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم، فقال له السبعون — فيما ذكر لى — حين صنعوا ما أمرهم به ، وخرجوا معه للقاء ربه: اطلب لنا نسمع كلام ربنا ، فقال : أفعل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشّى الجبل كلّه ، ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا ، وكان موسى إذا كلّمه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر إليه ، فضُرِب دونه بالحجاب ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا فى الغمام وقعوا سجوداً ، فسمعوه وهو يكلّم موسى يأمره وينهاه : افعل ولا تفعل ، فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام[٣] ، فأقبل إليهم فقالوا لموسى : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾[٤] ، ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾[٥] ، وهى الصاعقة ، فالفلتت أرواحهم فماتوا جميعا ، ١/٤٩٦

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٤

(٢) كذا فى ا ، ح ، وفى ط : « إحراقه سحله » .

(٣) ن : « الحجاب » .

(٤) سورة البقرة ٥٥ .

(٥) سورة الأعراف ٧٨

وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ، ويرغب إليه ويقول : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ﴾[1] قد سفهوا ، أفتهلك[2] مَنْ ورائى من بنى إسرائيل بمافعل السفهاء منا ! إنّ هذا هلاك لهم . اخترت منهم سبعين رجلاً الخيّر فالخيّر ، أرجع إليهم وليس معى رجل واحد ، فما الذى يصدقوننى به ! فلم يزل موسى يناشد ربّه ، ويسأله ويطلب إليه حتى ردّ إليهم أرواحهم ، وطلب إليه التوبة لبنى إسرائيل من عبادة العجل ، فقال : لا ، إلاّ أن يقتلوا أنفسهم . وقال : فبلغنى أنّهم قالوا لموسى : نصبر لأمر الله ، فأمر موسى مَنْ لم يكن عبد العجل أن يقتل مَنْ عبده ، فجلسوا بالأفنية ، وأصلتَ عليهم القوم السيوف ، فجعلوا يقتلونهم ، وبكى موسى وبهش[3] إليه الصبيان والنساء يطلبون العفو عنهم ، فتاب عليهم وعفا عنهم ، وأمر موسى أن يرفع عنهم السيف .

وأما السدىّ فإنه ذكر فى خبره الذى ذكرت إسناده قبلُ أن مصيرَ موسى إلى ربه بالسبعين الذين اختارهم من قومه بعد ما تاب الله على عبدة العجل من قومه ، وذلك أنه ذكر بعد القصة التى قد ذكرتها عنه بعد قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[4]. قال : ثم إن الله أمرَ موسى أن يأتيه فى ناس من بنى إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعداً ، فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، فلما أتوا ذلك المكان قالوا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾[4] ، فإنك قد كلّمته فأرناه ، فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقام موسى يبكى ويدعو الله ويقول : رب ماذا أقول لبنى إسرائيل إذا أتيتُهم وقد أهلكتَ خيارَهم ! ربِّ لو شئتَ أهلكتَهم من قبل وإياى ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ! فأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى : إن هؤلاء السبعين ممّن اتّخذ العجل ، فذلك حين يقول موسى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾[5] ، يقول :

١/٤٩٧

---

(١) سورة الأعراف ١٥٥

(٢) ط : « فيهلك » ؛ وما أثبته عن ا .

(٣) بهش الصبيان إليه : أقبلوا .

(٤) سورة البقرة ٥٤ ، ٥٥

(٥) سورة الأعراف ١٥٥ ، ١٥٦

تبنا إليك، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾[1]، والصاعقة نار . ثم إن الله أحياهم، فقاموا وعاشوا[2] رجلا رجلا ، ينظر بعضُهم إلى بعض : كيف يحيَوْن ؟ فقالوا : يا موسى ، أنتَ تدعو الله فلا تسأله شيئًا إلا أعطاك، فادعُه يجعلنا أنبياء ، فدعا الله فجعلهم أنبياء، فذلك قوله : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[1]، ولكنّه قدّم حرفًا وأخّر حرفًا . ١/ ٤٩٨

ثم أمرهم بالسير إلى أرِيحا[3]، وهي أرض بيت المقدس ، فساروا حتى إذا كانوا قريبًا منها [4] بعث موسى اثني عشر نقيبًا من جميع أسباط بني إسرائيل، فساروا يريدون أن يأتوه بخبر الجبّارين، فلقيَهم رجل من الجبارين يقال له عاج ، فأخذ الاثني عشر فجعلهم في حُجْزته وعلى رأسه حملة حطب ، فانطلق بهم إلى امرأته فقال: انظرى إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون[5] أنهم يريدون أن يقاتلونا ، فطرحهم بين يديها ، فقال : ألا أطحنُهم برجلي ! فقالت امرأته: لا ، بل خلّ عنهم حتى يخبروا قومَهم بما رأوْا ، ففعل ذلك ، فلما خرج القومُ قال بعضهم لبعض : يا قوم ، إنكم إن أخبرتُم بني إسرائيل بخبر القوم ارتدّوا عن نبي الله ، ولكن اكتموهم وأخبِروا نبيَّ الله ، فيكونان هما يريان رأيهما ، فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ليكتموه ، ثم رجعوا فانطلق عشرة فنكثوا العهد ، فجعل الرجل منهم يخبر أخاه وأباه بما رأوا من أمر عاج، وكتم رجلان منهم ، فأتوا موسى وهارون فأخبروهما الخبر ، فذلك حين يقول الله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾[6].

فقال لهم موسى : ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾[7]، يملك الرجل منكم نفسه وأهله ومَاله . ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ، يقول : التي أمركم الله بها ١/ ٤٩٩

---

(١) سورة البقرة ٥٥ ، ٥٦

(٢) كذا في ا ، وفي أصول ط : « فعاش »

(٣) أريحا، بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة .

(٤) كذا في ا ، ح ، وفي ط : « منهم » .

(٥) ح ، س : « زعموا » .

(٦) سورة المائدة ١٢

(٧) سورة المائدة ٢٠

﴿ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا ﴾ مما سمعوا من العشرة : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ﴾ ، وهما اللذان كتما ، وهما يوشع بن نون فتى موسى وكالوب بن يوفنَّة — وقيل : كلاب بن يوفنة ختن موسى — فقالا[1] : يا قوم ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾ . ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ . فغضب موسى ، فدعا عليهم ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ وكانت عجلة من موسى عجلها ، فقال الله : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾[2] . فلما ضُرب عليهم التيه ، ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا معه يطيعونه ، فقالوا له : ما صنعت بنا يا موسى ؟ فلما ندم أوحى الله عزّ وجلّ إليه : ألاّ تأسَ ، أى لا تحزن على القوم الذين سميتهم فاسقين . فلم يحزن ، فقالوا : يا موسى ، فكيف لنا بماء ها هنا ؟ أين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المنّ والسلوى ، فكان يَسقط على الشجر الترنجبين[4] والسَّلْوى — وهو طير يشبه السُّمانَى — فكان يأتى أحدهم فينظر إلى الطير ، فإن كان سميناً ذبحه وإلا أرسله ، فإذا سمن أتاه ، فقالوا : هذا الطعام فأين الشراب ؟ فأمر موسى فضرب[5] بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، يشرب كل سِبْط من عين . فقالوا : هذا الطعام والشراب ، فأين الظلّ ؟ فظلل الله عليهم الغمام ، فقالوا : هذا الظلّ ، فأين

١/٥٠٠

---

(١) ط : « فقال » ! وما أثبته من ا .

(٢) سورة المائدة ٢١ ، ٢٦

(٣) سورة المائدة ٢٢ — ٢٦

(٤) الترنجبين : طل يقع من السماء ؛ وهو ندى شبيه بالعسل جامد متحبب ، تأويله عسل الندى ، وأكثر ما يقع بخراسان على شجر الحاج . المعتمد فى الأدوية المفردة ٣٥

(٥) س : « أن يضرب » .

اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم[١] كما تطول الصبيان ، ولا يتخرق لهم ثوب ، فذلك قوله : ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وأنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ والسَّلْوَى﴾[٢].
وقوله : ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾[٣] ، فأجمعوا ذلك ، فقالوا : ﴿يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾ — وهى الحنطة — ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾.
قال : ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً﴾ من الأمصار ، ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾[٣]. فلما خرجوا من التيه رفع المنّ والسلوى ، وأكلوا البقول ، والتقى موسى وعاج فنزا موسى فى السماء عشرة أذرع ، وكانت عصاه عشرة أذرع ، وكان طوله عشرة أذرع ، فأصاب[٤] كعب عاج فقتله .

٥٠١/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مُؤمَّل ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن نوف ، قال : كان طول[٥] عوج ثمانمائة ذراع ، وكان طول موسى عشرة أذرع ، وعصاه عشرة أذرع ، ثم وثب فى السماء عشرة أذرع ، فضرب عوجاً فأصاب كعبه فسقط ميتًا ، فكان جِسْراً للناس يمرّون عليه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن عطية ، قال : أخبرنا قيس ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت عصا موسى عشرة أذرع ، ووثبتُه عشرة أذرع ، وطوله عشرة أذرع ، فأصاب كعبَ عوج فقتله ، فكان جسراً لأهل النيل . وقيل إن عوج عاش ثلاثة آلاف سنة .

---

(١) ن : « عليهم » .
(٢) سورة الأعراف ١٦٠ .
(٣) سورة البقرة ٦٠ ، ٦١ .
(٤) كذا فى ا ، وفى ط : « وأصاب » .
(٥) فى ط : « سرير » ؛ والصواب ما أثبته عن ا .

ذكر وفاة موسى وهارون ابنى عمران عليهما السلام

حدثنا موسى بن هارون الهمْدانىّ ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
١/٥٠٢ حدثنا أسباط ، عن السُّدىّ فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانىّ عن عبد الله بن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم : ثم إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى ، أنى مُتَوفٍّ هارون ، فأت به جبل كذا وكذا . فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل ، فإذا هما بشجرة لم يُرَ مثلها ، وإذا هما ببيت مبنىّ ، وإذا هما فيه بسرير عليه فرش ، وإذا فيه ريحٌ طيبة ، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه ، فقال : يا موسى إنى لأحبّ أن أنام على هذا السرير ، قال له موسى : فنمْ عليه ، قال : إنى أخاف أن يأتىَ ربُّ هذا البيت فيغضب علىّ ، قال له موسى : لا ترهب أنا أكفيك ربَّ هذا البيت فنم ، قال : يا موسى بل نم معى ، فإن جاء رب البيت غضب علىّ وعليك جميعاً ، فلما ناما أخذ هارون الموت ، فلما وجد حسه قال : يا موسى خدعتَنى ، فلما قُبِض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورُفع السرير إلى السماء ، فلما رجع موسى إلى بنى إسرائيل ، وليس معه هارون قالوا : فإن موسى قتلَ هارون وحسده لحبّ بنى إسرائيل له ، وكان هارون أكفّ عنهم وألينَ لهم من موسى ، وكان فى موسى بعضُ الغلظِ[1] عليهم ، فلما بلغه ذلك قال لهم : ويحكم ! كان أخى ، أفترونْنى[2]
١/٥٠٣ أقتله ! فلما أكثروا عليه قام فصلّى ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدّقوه . ثم إن موسى بينما هو يمشى ويوشع فتاه إذا أقبلت ريح سوداء ، فلما نظر إليها يوشع ظنّ أنها الساعة والتزم موسى ، وقال : تقوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبىّ الله ، فاستلّ موسى من تحت القميص وترك القميص فى يد يوشع ، فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل ، وقالوا : قتلت نبى الله ! قال : لا والله ما قتلتُه ، ولكنه استُلَّ منى ، فلم يصدّقوه وأرادوا قتله . قال : فإذا لم تصدقونى فأخّرونى ثلاثة أيام ، فدعا الله فأُتِى كلّ

(١) ا ، ن : « الغلظة » . (٢) ط : « أفترونى » .

رجل ممن كان يحرسه فى المنام ، فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى ، وأنّا قد رفعناه إلينا ، فتركوه ولم يبق أحد ممن أبى أن يدخل قرية الجبّارين مع موسى إلا مات ، ولم يشهد الفتح .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان صفىُّ الله قد كره الموت وأعظمه ، فلمّا كرهه أراد الله تعالى أن يحبّب إليه الموت ويكرّه إليه الحياة ، فحوّلت[1] النبوّة إلى يوشع بن نون ، فكان يغدُو عليه ويروح ، فيقول له موسى : يا نبىّ الله ، ما أحدث الله إليك ؟ فيقول له يوشع بن نون : يا نبىّ الله ، ألمْ أصحبْك كذا وكذا سنة ، فهل كنتُ أسألُك عن شىء مما أحدث الله إليك حتّى تكون أنت الذى تبتدئُ به وتذكره ؟ فلا يذكر له شيئًا ، فلما رأى موسى ذلك كرِه الحياة وأحبّ الموت . ١/٥٠٤

قال ابن حميد : قال سلمة : قال ابن إسحاق : وكان صفىّ الله — فيما ذكر لى وهب بن منبّه — إنما يستظلّ فى عريش[2] ويأكل ويشرب فى نقير من حَجَر ؛ إذا أراد أن يشرب بعد أن أكل كرع كما تكرع الدابة فى ذلك النقير ، تواضعًا لله حين أكرمه الله بما أكرمه به من كلامه .

قال وهب : فذكر لى أنه كان من أمر وفاته أن صفىّ الله خرج يومًا من عريشه ذلك لبعض حاجته[3] لا يعلم به أحدٌ من خلق الله ، فمرّ برهط من الملائكة يحفِرون قبراً[4] فعرفهم وأقبل إليهم ، حتّى وقف عليهم ، فإذا هم يحفرون قبراً لم ير شيئًا قطّ أحسنَ منه ، ولم ير مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة ، فقال لهم : يا ملائكَة الله لمن تحفرون هذا القبر ؟ قالوا : نحفره لعبد كريم على ربه ، قال : إنّ هذا العبد من الله لَبمنزل ! ما رأيت كاليوم مضجعًا[5] ولا مدخلا ! وذلك حين حضر من أمر الله ما حضر من قبضه ، فقالت له الملائكة : يا صفىّ الله ، أتحبّ أن يكون لك ؟ قال : وددت[6] . قالوا : فانزل فاضطجع فيه ، وتوجه إلى ربك ، ثم تنفس أسهلَ تنفس تنفستَه قطّ .

---

(١) ا ، ح : « فتحوّلت » . (٢) ح : « ظل عريش » .
(٣) كذا فى جميع الأصول ؛ وفى ط : « حاجاته » تصرف من مصححه .
(٤) ح : « حفرا » . (٥) ن : « مضطجعاً » . (٦) ح : « وددته » .

فنزل فاضطجع فيه ، وتوجَّه إلى ربه ، ثم تنفس فقبض الله تعالى روحه ، ثم
١/٥٠٥ سَوَّت عليه الملائكة ، وكان صفيّ الله زاهداً فى الدنيا راغباً فما عند الله .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا مصعب بن المقدام ، عن حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبى عمار ، مولى بنى هاشم ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ملَك الموت كان يأتى الناس عِياناً حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه ، قال : فرَجع فقال : يا ربّ ، إن عبدَك موسى فقأ عينى ، ولولا كرامتَه عليك لشققت عليه ، فقال : ائت عبدى موسى ، فقل له : فليضعْ كفه على متْن ثور ، فله بكلّ شعرة وارت يدُه سنة ؛ وخيِّره بين ذلك وبين أن يموت الآن ، قال : فأتاه فخيَّره ، فقال له موسى : فما بعد ذلك ؟ قال : الموت ، قال : فالآن إذاً ، قال : فشمَّه شمة قبض روحه . قال : فجاء بعد ذلك إلى الناس خُفية(١) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن أبى سنان الشيبانىّ ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : مات موسى وهارون جميعاً فى التيه ، مات هارون قبل موسى ، وكانا خرجا جميعاً فى التيه إلى بعض الكهوف ، فمات هارون ، فدفنه موسى ، وانصرف موسى إلى بنى إسرائيل ، فقالوا : ما فعل هارون ؟ قال : مات ، قالوا : كذبتَ ولكنك قتلته لحبِّنا إياه ، وكان محبَّباً فى بنى إسرائيل ، فتضرّع موسى إلى ربِّه ، وشكا ما لقِىَ من بنى إسرائيل ، فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى موضع قبره ، فإنى باعثه حتى يخبرهم أنه مات موتاً ولم تقتله . قال : فانطلق بهم إلى قبر هارون ، فنادى : يا هارون ، فخرج من قبره ينفض رأسه ، فقال : أنا قتلتك ؟ قال : لا والله ، ولكنى
١/٥٠٦ متّ ، قال : فعُدْ إلى مضجعك ، وانصرفوا .

فكان جميع مدة عمر موسى عليه السلام كلها مائة وعشرين سنة ، عشرون من ذلك فى ملك أفريدون ؛ ومائة منها فى ملك مِنُو شهر ، وكان ابتداء أمره من لدن بعثه الله نبياً إلى أن قبضه إليه فى ملك مِنُوشِهْر .

---

(١) ط : « خفياً » ، وما أثبته عن ا .

ذكر يوشع بن نون عليه السلام *

ثم ابتعث الله عزّ وجلّ بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون بن إفرايم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم نبيًّا ، وأمره بالمسير إلى أريحا لحرب مَنْ فيها من الجبارين . فاختلف السلفُ من أهل العلم فى ذلك ، وعلى يد مَنْ كان ذلك[1] ؟ ومتى سار يوشع إليها ؟ فى حياة موسى بن عمران كان مسيره إليها أم بعد وفاته ؟

* * *

فقال بعضهم : لم يسِرْ يوشع إلى أريحا ، ولا أمِر بالمسير إليها إلّا بعد موت موسى ، وبعد هلاك جميع من كان أبى المسيرَ إليها مع موسى بن عمران ، حين أمرهم الله تعالى بقتال مَنْ فيها من الجبارين ، وقالوا : مات موسى وهارون جميعًا فى التيه قبل خروجهما منه .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى عبد الكريم بن الهيثم ، قال : حدثنا إبراهيم بن بشار ، قال : حدثنا سفيان ، قال : قال أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال الله تعالى : لما دعا موسى — يعنى بدعائه قوله : ﴿رَبِّ إِنِّى لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى الْأَرْضِ﴾[2] . قال : فدخلوا التيه ، فكلّ[3] من دخل التيه ممن جاوز العشرين سنة مات فى التيه ، قال : فمات موسى فى التيه ، ومات هارون قبله . قال : فلبثوا فى تيههم أربعين سنة ، وناهضَ يوشعُ بمن بقى معه مدينة الجبّارين فافتتح يوشع المدينة[4] .

١/٥٠٧

(*) هذا العنوان لم يذكر إلا فى ا .

(١) ن : « على يد من فتح ذلك » . ح : « على يد من كان فتح ذلك » .

(٢) سورة المائدة ٢٥ ، ٢٦

(٣) س : « فكان » .

(٤) الخبر فى التفسير ١٠ : ١٩٣

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : حدثنا سعيد عن قتادة. قال: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ... ﴾ الآية، حرّمت عليهم القرى، فكانوا لا يهبطون قرية، ولا يقدرون على ذلك أربعين سنة .

وذكر لنا أنّ موسى مات فى الأربعين سنة ، ولم يدخل بيتَ المقدس منهم إلا أبناؤهم ، والرجلان اللذان قالا ما قالا .

حدثنى موسى بن هارون الهمْدانىّ ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ فى الخبر الذى ذكرت إسناده فيما مضى : لم يبق أحدٌ ممن أبىَ أن يدخلَ مدينة الجبَّارين مع موسى الا مات ، ولم يشهد الفتح . ثم إن الله عزّ وجلّ لما انقضت الأربعون سنة بعث يوشع بن نون نبيًّا فأخبرهم أنه نبىّ وأنّ الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه[1] وصدّقوه ، فهزم الجبارين، واقتحموا عليهم ، فقتلوهم[2] ، فكانت العصابة من بنى إسرائيل يجتمعون على عنُق الرجل يضربونها لا يقطعونها[3] .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سليمان بن حرْب ، عن هلال ، عن قتادة فى قول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ، قال : أبداً .

حدثنى المثنّى قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، عن هارون النحوىّ ، عن الزبير بن الخرّيت، عن عكرمة فى قوله: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى الْأَرْضِ ﴾، قال : التحريم التَّيْه .

* * *

١/٥٠٨ وقال آخرون : إنما فتح أرِيحا موسى ؛ ولكن يوشع كان على مقدمة موسى حين سار إليهم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) ح : « فتابعوه » .
(٢) ح ، س : « يقتلونهم » ، والتفسير : « يقتلونهم » .
(٣) الخبر فى التفسير ١٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما نشأت النواشى من ذراريّهم - يعنى مِنْ ذرارىّ الذينَ أبوْا قتال الجبارين مع موسى - وهلك آباؤهم ، وانقضت الأربعون سنة التى تُيِّهوا فيها ؛ سار بهم موسى ومعه يوشع بن نون، وكلاب بن يوفنّة ، وكان فيما يزعمون على مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون ، فكان لهم صهراً ، فلما انتهوْا إلى أرض كنعان ، وبها بلعم بن باعور العروف[١] ، وكان رجلا قد آتاه الله علماً ، وكان فيما أوتى من العلم اسم الله الأعظم - فيما يذكرون - الذى إذا دعِىَ الله به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سالم أبى النَّضْر ، أنه حدّث أنّ موسى لما نزل أرض بنى كَنْعان من أرض الشأم ، وكان بلعم ببالعة - قرية من قرى البَلْقاء - فلما نزل موسى ببنى إسرائيل ذلك المنزل ، أتى قومُ بلعم إلى بلعم ، فقالوا له : يا بلعم ، هذا موسى بن عمران فى بنى إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ، ويقتلنا ويُحلّها بنى إسرائيل، ويسكنها ، وإنّا قومك وليس لنا منزل ، وأنت رجل مُجابُ الدعوة، فاخرج فادعُ الله عليهم، فقال : ويلكم! نبى الله معه الملائكة والمؤمنون ! كيف أذهب أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم ! قالوا : ما لنا من منزل ، فلم يزالوا به يرقّقونه[٢] ، ويتضرعون إليه حتّى فتنوه ، فافتتن فركب حمارة[٣] له متوجهاً إلى الجبل الذى يطلعه على عسكر بنى إسرائيل ، وهو جبل حُسْبان ، فما سار عليها غير قليل ، حتّى ربضت[٤] به ، فنزل عنها فضربها حتّى أذلقها فقامت فركبها ، فلم تسِرْ به كثيراً حتّى رَبضت به ، ففعل بها مثل ذلك ، فقامت فركبها، فلم تسرْ به كثيراً حتى ربضت به، فضرّبها حتّى إذا أذلقها أذن الله لها فكلمتْه حُجّةً عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم ! أين تذهب! ألا ترى الملائكة أمامى تردّنى عن وجهى هذا ! أتذهب إلى نبىّ الله والمؤمنين تدعو

١/٥٠٩

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « المعروف » ، وفى ن : « العزوف » .

(٢) ط : « يرفقونه » ، وما أثبته من ا ، ح .

(٣) ا ، ح : « حمارا » .

(٤) الربوض للدابة ، كالركوب للإبل .

عليهم ! فلم ينزع عنها يضربها ، فخلّى الله سبيلَها حين فعل بها ذلك ، فانطلقت حتى إذا أشرفت به على جبل حُسْبان[١] ، على عسكر موسى وبنى إسرائيل، جعل يدعو عليهم ، فلا يدعو عليهم بشيء إلاّ صرف الله لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بنى إسرائيل، فقال له قومه : أتدري يا بلعم ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم ، وتدعو علينا ، قال : فهذا ما لا أملك، هذا شيء قد غلَب الله عليه ، واندلع لسانُه فوقع على صدره، فقال لهم : قد ذهبت الآن منى الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأمكر لكم وأحتال ، جمّلوا النساء وأعطوهنّ السّلع ، ثم أرسلوهنّ إلى العسكر يبعنها فيه ، ومروهنّ فلا تمنع امرأة نفسَها من رجل أرادها؛ فإنه إن زنى رجل واحد منهم كُفيتموهم ، ففعلوا ، فلما دخل النساء العسكر مرّت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى[٢] ابنة صور — رأس أمته وبنى أبيه من كان منهم فى مديَن ، هو كان كبيرهم — برجل من عظماء بنى إسرائيل، وهو زمرى بن شلوم ، رأس سِبْط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالُها ، ثم أقبل حتى وقف بها على موسى ، فقال : إنى أظنك ستقول : هذه حرام عليك ! قال : أجلْ هى حرام عليك لا تقربَنْها ، قال : فوالله لا نُطيعك فى هذا ، ثم دخل بها قبّته فوقع عليها ، فأرسل الله الطاعون فى بنى إسرائيل . وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمْر موسى ، وكان رجلا قد أعطِيَ بسطة فى الخلق ، وقوة فى البطش ، وكان غائبًا حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع ، فجاء والطاعون يحوس فى بنى إسرائيل ، فأخبِر الخبر ، فأخذ حربته — وكانت من حديد كلّها — ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما[٣] إلى السماء ، والحربة قد أخذها بذراعه ، واعتمد بمرفقه على خاصرته ، وأسند الحربة إلى لحيته — وكان بِكْر العيزار — فجعل يقول : اللهمّ هكذا نفعل بمَنْ يعصيك ! ورُفع الطاعون فحُسِب مَنْ يهلك من بنى إسرائيل فى الطاعون — فيما بين أن أصاب زمرى المرأة إلى أن قتله

١/٥١٠ ١/٥١١

(١) ، ن : « على الجبل جبل حسبان » .
(٢) كذا فى ا ، س ، ن ، وفى ط : « كسبى » ، ح : « كسي » .
(٣) كذا فى ا ، ح ، ن ، وفى ط : « رافعاً » .

فنحاص — فوجدوا قدهلك منهم سبعون ألفاً ، والمقلّل لهم يقول : عشرون ألفاً ، فى ساعة من النهار ، فمن هنالك تُعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص بن العيزار بن هارون من كلّ ذبيحة ذبحوها القِبة والذراع واللّحْى ، لاعتماده بالحربة على خاصرته ، وأخذه إياها بذراعه ، وإسناده إياها إلى لحيته ، والبِكْر من كل أموالهم وأنفسهم ، لأنه كان بكر العيزار ، ففى بلعم بن باعور ، أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ — يعنى بلعم بن باعور ، ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ إلى قوله : ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] يعنى بنى إسرائيل ؛ أنى قد جئتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك لعلهم يتفكرون فيعرفون أنه لم يأت[2] بهذا الخبر عمّا مضى فيهم إلا نبى يأتيه خبر من السماء .

ثم إن موسى قدّم يوشع بن نون إلى أريحا فى بنى إسرائيل فدخلها بهم ، وقتل بها الجبابرة الذين كانوا فيها ، وأصاب من أصاب منهم ، وبقيتْ منهم بقية فى اليوم الذى أصابهم فيه ، وجنح عليهم الليل ، وخَشِىَ إن لبسهم[3] الليل أن يُعجزوه ، فاستوقف الشمس ، ودعا الله أن يحبسها ، ففعل عزّ وجلّ حتى استأصلهم ؛ ثم دخلها موسى ببنى إسرائيل ، فأقام فيها ما شاء الله أن يقيم ، ثمّ قبضه الله إليه ، لا يعلم بقبره أحد من الخلائق . ٥١٢/١

فأما السّدىّ فى الخبر الذى ذكرت عنه إسناده فيما مضى ؛ فإنه ذكر فى خبره ذلك أن الذى قاتل[4] الجبارين يوشع بن نون بعد موت موسى وهارون ، وقصّ من أمره وأمرهم ما أنا ذاكره ، وهو أنه ذكر فيه أن الله بعث يوشع نبيا بعد أن انقضت الأربعون سنة ، فدعا بنى إسرائيل فأخبرهم أنه نبىّ ، وأنّ الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه[5] وصدّقوه ، وانطلق رجل من بنى إسرائيل يقال له : بلعم — وكان عالماً ، يعلم الاسم الأعظم[6] المكتوم — فكفر

(١) سورة الأعراف ١٧٥ ، ١٧٦
(٢) ن : « يأتهم » .
(٣) ن : « لبسه » .
(٤) ن : « قتل » .
(٥) ن : « فتابعوه » .
(٦) ن « : اسم الله الأعظم » .

وأتى الجبارين ، فقال : لا ترهبوا بنى إسرائيل ؛ فإنى إذا خرجتم تقاتلونهم أدعُو عليهم دعوة فيهلِكون ؛ فكان عندهم فيما شاء من الدنيا ، غيرَ أنه كان لا يستطيع أن يأتىَ النساء من عظمهنّ ، فكان ينكح أتاناً له ، وهو الذى يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ أى فبصر ﴿ فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ ، فكان بلعم يلهث كما يلهث الكلب ، فخرج يوشع يقاتل الجبارين فى الناس ، وخرج بلعم مع الجبارين على أتانه ، وهو يريد أن يلعن بنى إسرائيل ، فكلّما أراد أن يدعُوَ على بنى إسرائيل جاء على الجبارين ، فقال الجبارون : إنك إنما تدعو علينا ، فيقول[١] : إنما أردت بنى إسرائيل ، فلما بلغ بابَ المدينة أخذَ ملَك بذنَب الأتان فأمسكها ، وجعلَ يحرّكها فلا تتحرك ، فلما أكثر ضربْها تكلّمت ، فقالت : أنت تنكحنى بالليل وتركبنى بالنهار ! ويلى منك! ولو أنّى أطقت الخروجَ لخرجت بك ؛ ولكن هذا الملك يحبِسنى ، فقاتلهم يوشع يوم الجمعة قتالا شديداً حتى أمسوْا[٢] وغربت الشمس ، ودخل السبت . فدعا الله فقال للشمس : إنك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله ، اللهمّ اردد علىّ الشمس ، فردت عليه الشمس ، فزيد له فى النهار يومئذ ساعة ، فهزم الجبارين واقتحموا عليهم يقتلونهم ، فكانت العصابة من بنى إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل[٣] يضربونها لا يقطعونها . وجمعوا غنائمهم ، وأمرهم يوشع أن يقرّبوا الغنيمة فقرّبوها ، فلم تزل النار[٤] تأكلها ، فقال يوشع : يا بنى إسرائيل إن لله عزّ وجلّ عندكم طِلْبة ، هلمّوا فبايعونى ، فبايعوه فلصقت[٥] يد رجل منهم بيده ، فقال : هلمّ ما عندك ! فأتاه برأس ثور من ذهب مكلّل بالياقوت والجوهر ، كان قد غلّه ، فجعله فى القربان ، وجعل الرجل معه ، فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان .

١/٥١٣

---

(١) عن ا ، ح ، س : « فتقول » .
(٢) ح : « حتى إذا أمسوا » .
(٣) ا ، ن : « رجل » .
(٤) ط : « تنزل » ، والصواب ما أثبته من ا .
(٥) ن : « فالتصقت » .

* * *

١/٥١٤ وأما أهلُ التوراة ؛ فإنهم يقولون : هلك هارون وموسى فى التِّيه ، وإن الله أوحى إلى يوشع بعد موسى ، وأمره أن يعبر الأردنّ إلى الأرض التى أعطاها بنى إسرائيل ، ووعدها إياهم ، وأن يوشع جَدَّ فى ذلك ووجّه إلى أريحا من تعرّف[1] خبرها ، ثم سار ومعه تابوت الميثاق ، حتّى عبَر الأردنّ ، وصار له ولأصحابه فيه طريق ، فأحاط بمدينة أرِيحا ستة أشهر ، فلما كان السابع نفخوا فى القرون ، وضجّ الشعب ضجة واحدة ، فسقط سور المدينة فأباحوها وأحرقوها ، وما كان فيها ما خلا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد ، فإنهم أدخلوه بيت المال . ثم إن رجلاً من بنى إسرائيل غلّ شيئًا ، فغضب الله عليهم وانهزموا ، فجزِع يوشع جزعًا شديداً ، فأوحى الله إلى يوشع أن يُقْرِع بين الأسباط ، ففعل حتّى انتهت القُرْعة إلى الرجل الذى غلّ ، فاستخرج غُلوله من بيته ، فرجَمه يوشع وأحرق كلّ ما كان له بالنار ، وسمّوا الموضع باسم صاحب الغلول ، وهو عاجر[2] فالموضع إلى هذا اليوم غَوْر عاجر[2] . ثم نهض بهم يوشع إلى ملك عاىِ وشعبه ، فأرشدهم الله إلى حربه ، وأمر يوشع أن يكمن لهم كمينًا ففعل ، وغلب على عاىِ وصلَب ملكها على خشبة ، وأحرق المدينة وقتل مِنْ أهلها اثنىْ عشر ألفًا من الرجال والنساء ، واحتال أهلُ عماق وجيعون[3] ليوشع حتّى جعل لهم أمانًا ، فلما ظهر على خديعتهم دعا الله عليهم أن يكونوا

١/٥١٥ حطّابين وسقائين ، فكانوا كذلك ، وأن يكون بازق[4] ملك أورشليم يتصدق ، ثم أرسل ملوك الأرمانيين ، وكانوا خمسة بعضهم إلى بعض ، وجمعوا كلمتهم[5] على جيعون ، فاستنجد أهل جيعون يوشع ، فأنجدهم وهزموا أولئك الملوك حتّى حدّروهم إلى هَبْطة حَوْران ، ورماهم الله بأحجار البرَد ، فكان مَنْ قتله البرد أكثر ممن قتله بنو إسرائيل بالسيف ، وسأل يوشع الشمسَ أن تقف والقمر أن يقوم حتّى ينتقم من أعدائه قبل دخول السبت ، ففعلا ذلك وهرب الخمسة ملوك فاختفوْا فى غار ، فأمر يوشع فسُدّ[6] بابُ الغار حتى فرغ من الانتقام

---

(١) ا ، ن : « يعرف » .

(٢) كذا فى ا ، ح ، وفى ، ط من غير نقط .

(٣) كذا فى ا ، وفى ط ، « عماق جبعون » .

(٤) ح ، س : « بازق » ، ن : « يازق » .

(٥) كذا فى ا ، وفى ط : « كلهم » .

(٦) ط : « بسد » ، وما أثبته عن ا .

من أعدائه ، ثم أمر بهم فأخرجوا، فقتلهم وصلبهم ثم أنزلهم من الخشب ، وطرحهم فى الغار الذى كانوا فيه ، وتتبع سائر الملوك بالشام ؛ فاستباح منهم أحداً وثلاثين ملكًا ، وفرق الأرض التى غلب عليها. ثم مات يوشع ، فلما مات دُفن فى جبل أفراييم ، وقام بعده سِبْطُ يَهوذا وسبط شمعون بحرب الكنعانيين ، فاستباحوا حريمهم ، وقتلوا منهم عشرة آلاف ببازق، وأخذوا ملك بازق فقطعوا إبهامَىْ يديه ورجليه ، فقال عند ذلك ملك بازق: قد كان يلقط[1] الخبز من تحت مائدتى سبعون ملكًا مُقطّعى الأباهيم، فقد جزانى الله بصنيعى[2]، وأدخلوا ملك بازق أورشليم، فمات بها . وحارب بنو يهوذا سائر الكنعانيين واستولوا على أرضهم ، وكان عُمْر يوشع مائة سنة وستًّا وعشرين سنة . وتدبيره أمر بنى إسرائيل منذ توفى موسى إلى أن تُوفى يوشع بن نون سبعًا وعشرين سنة . ١/٥١٦

* * *

وقد قيل إن أوّل مَنْ ملك من ملوك اليمن ، ملِك كان لهم فى عهد موسى بن عمران من حمير ، يقال له : شمير بن الأملول ، وهو الذى بنى مدينة ظَفار باليمن ، وأخرج مَنْ كان بها من العماليق ، وإن شمير بن الأملول الحميرىّ هذا كان من عُمّال ملك الفرس يومئذ على اليمن ونواحيها .

وزعم هشام بن محمد الكلبى أن بقيةً بقيت من الكنعانيين بعد ما قَتَلَ يوشع مَنْ قتل منهم ، وأن إفريقيس بن قيس بن صيفىّ بن سبأ بن كعب ابن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجُب بن يعرُب بن قحطان مرّ بهم متوجهًا إلى إفريقيَة ، فاحتملهم من سواحل الشام ، حتى أتى بهم إفريقيَة ، فافتتحها وقتل ملكها جرجيرا ، وأسكنَها البقية التى كانت بقيت من الكنعانيين الذين كان احتملهم معه من سواحل الشام . قال : فهم البرابرة ، قال : وإنما سُمّوا بربراً ، لأن إفريقيس قال لهم: ما أكثر بربرتكم! فسموا لذلك بربراً، وذكر أن إفريقس قال فى ذلك من أمرهم شعراً ، وهو قوله :

بَرْبَرَتْ كنعانُ لمّا سُقْتُهَا مِنْ أراضى الهُلْكِ للعيشِ العَجَب

قال : وأقام من حمير فى البربر صنْهاجة وكُتامة، فهم فيهم إلى اليوم .

(١) ن : « يلتقط » . (٢) ن : « بصنيعتى » .

ذكر أمر قارون بن يصهر بن قاهث

وكان قارون ابنَ عم موسى عليه السلام . حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾[1] ، قال : ابن عمه ، أخي أبيه . فإنّ[2] : قارون ابن يصفر[3] — هكذا قال القاسم ، [وإنما هو يصهر][3] — بن قاهث ، وموسى بن عرمر بن قاهث ، وعرمر بالعربية عمران ؛ هكذا قال القاسم ، وإنما هو عمرم . ١/٥١٧

وأما ابن إسحاق فإنه قال ما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلَمة ، عنه : تزوج يصهر بن قاهث شميت[4] ابنة تباويت[5] بن بركيا[6] ابن يقسان بن إبراهيم . فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر ، فقارون — على ما قال ابن إسحاق — عمّ موسى أخو أبيه لأبيه وأمه .

وأما أهلُ العلم من سلف أمتنا ومن أهل الكتابين فعلى ما قال ابن جريج[7] .

* ذكر من حضرنا ذكره ممن قال ذلك من علمائنا الماضين :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا إسماعيل ابن أبي خالد، عن إبراهيم في قوله: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾، قال: كان ابن عمّ موسى .

حدثنا ابن بشار ، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا عن سفيان، عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، قال : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، كان قارون ابنَ عمّ موسى .

---

(١) سورة القصص ٧٦ (٢) في الأصول: « قال » ، والأوجه ما أثبته من التفسير .
(٣) كذا في التفسير ، وفي الأصول : « يصد » . (٤) ح والتفسير ، «سميت» .
(٥) التفسير « بتاديث » . (٦) التفسير : « بركنا » .
(٧) الخبر في التفسير ٢٠ : ٦٧ (بولاق) .

١/ ٥١٨ حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن سماك، عن إبراهيم : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عمه فبغى عليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان، عن سماك بن حرب، عن إبراهيم ، قال : كان قارون ابنَ عم موسى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن ابن أبى خالد ، عن إبراهيم، قال: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ ، قال : كان ابنَ عمه .

حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ من قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، كنا نحدث أنه كان ابن عمه أخى أبيه ، وكان يسمى المنوّر من حسن صورته[1] فى التوراة ، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامرىّ ، فأهلكه البغى .

حدثنى بشر بن هلال الصواف ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبعىّ ، عن مالكِ بن دينار ، قال : بلَغنى أنّ موسى بن عمران كان ابنَ عمّ قارون ، وكان الله قد آتاه مالا كثيراً ، كما وصفه الله عزّ وجلّ ، فقال: ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِى الْقُوَّةِ ﴾،يعنى بقوله : ﴿ تنوء ﴾ تثقل .

وذكر أن مفاتيح خزائنه كانت كالذى حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن خيثمة فى قوله: ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِى الْقُوَّةِ ﴾

١/ ٥١٩ قال : نجد مكتوبـًا فى الإنجيل: مفاتيحُ قارون وَقْر ستين بغلا غرًّا محجّلة، ما يزيد مفتاح منها على إصبع ؛ لكل مفتاح منها كنز .

حدثنى أبو كريب، قال : حدثنا هُشَيْم[2]، قال: أخبرنا إسماعيل بن

---

(١) ا ، ن « صوته » . (٢) فى ط : « هشام » ؛ والصواب من ا والتفسير ، وهو هشيم بن بشير بن القاسم ؛ ذكره ابن حجر فيمن أخذ عن إسماعيل بن سالم . وانظر تهذيب التهذيب ١١ : ٥٩ .

سالم، عن أبي صالح: ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾، قال : كانت مفاتيح خزائنه تحمَّل على أربعين بغلا(١) .

حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا جابر بن نوح، قال : أخبرنا الأعمش عن خيثمة ، قال : كانت مفاتيح قارون تحمَل على ستين بغلا ، كلّ مفتاح منها لباب كنزٍ معلوم، مثل الإصبع، من جلود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، قال : كانت مفاتيح قارون من جلود ، كلّ مفتاح مثل الإصبع ، كلّ مفتاح على خزانة على حِدة ، فإذا ركب حُمِلت المفاتيح على ستين بغلا أغرّ محجّل.

فبغَى عدوّ الله لما أراد الله به من الشقاء والبلاء على قومه بكثرة(٢) ماله .

وقيل إن بغيه عليهم كان بأن زاد عليهم فى الثياب شبراً . كذلك (٣) حدثنى على بن سعيد الكندىّ وأبو السائب وابن وكيع ، قالوا : حدثنا حفص ابن غياث ، عن ليث، عن شهر بن حَوْشب .

فوعظه قومه على ما كان من بغيه ونهوْه عنه ،وأمُروه بإنفاق ما أعطاه الله فى سبيله والعمل فيه بطاعته ،كما أخبرالله عزّ وجلّ عنهم أنهم قالوا له فقال : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(٤) .وعنى بقوله: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ : لا تَنْس فى دنياك أن تأخذ نصيبك (٥) فيها لآخرتك ، فكان جوابُه إياهم جهلا منه ، واغتراراً بحلم الله عنه ، ما ذكر الله تعالى فى كتابه أن قال لهم: إنما أوتيتُ ما أوتيتُ من هذه الدنيا على علم عندى فقيل : معنى ذلك : على خير عندى ، كذلك رُوِى ذلك عن قتادة .

٥٢٠/١

وقال غيره : عنى بذلك: لولا رضاء الله عنى ومعرفته بفضلى ما أعطانى

(١) الخبر فى التفسير ٢٠ : ٦٨ (بولاق) . (٢) س : « لكثرة » .
(٣) ا : «كالذى» . (٤) سورة القصص ٧٦، ٧٧ . (٥) ح : «بنصيبك».

هذا ، قال الله عزّ وجلّ مكذباً قيله : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾[1] للأموال. ولو كان الله إنما يُعطى الأموال والدنيا مَنْ يعطيه إياها لرضاه عنه ، وفضله عنده ، لم يهلك مَنْ أهلك من أرباب الأموال الكثيرة قبله ، مع كثرة ما كان أعطاهم منها ، فلم يردعه عن جهله ، وبغيه على قومه بكثرة ماله عظةُ من وعظه ، وتذكير مَنْ ذكره بالله ونصيحته إياه ؛ ولكنه تمادى فى غيه وخسارته ، حتى خرج على قومه فى زينته راكباً بِرْذَوْنا أبيضَ مسرجاً بسرج الأرجُوان ، قد لبس ثياباً معصفرة ، قد حمل معه من الجوارى بمثل هيئته وزينته على مثل بِرْذَوْنه ثلثمائة جارية وأربعة آلاف من أصحابه .

٥٢١/١ وقال بعضهم : كان الذين حملهم على مثل هيئته وزينته من أصحابه سبعين ألفاً .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ ﴾، قال : على براذين بيض ، عليها سروج الأرجوان ، عليهم[2] المعصفرة[3] . فتمنى أهل الخسار من الذين خرج عليهم فى زينته مثلَ الذى أوتيه ، فقالوا: ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[4] ، فأنكر ذلك من قوله عليهم أهلُ العلم بالله فقالوا لهم : ويلكم أيها المتمنّون مثلَ ما أوتى قارون ! اتقوا الله ، واعملوا بما أمركم الله به ، وانتهوا عما نهاكم عنه ، فإن ثوابَ الله وجزاءه أهل طاعته خيرٌ لمن آمن به وبرسله ، وعمل بما أمره به من صالح الأعمال ، يقول الله : ﴿ وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾[4] ، يقول : لا يلقى مثل هذه الكلمة إلا الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا ، وآثروا جزيلَ ثواب الله على صالح الأعمال على لذات الدنيا وشهواتها ، فعملوا له بما يوجب لهم ذلك .

* * *

---

(١) سورة القصص ٧٨ (٢) ن : «وعليهم» .
(٣) فى التفسير ٢٠ : ٧٣ (بولاق): «المعصفرات» . (٤) سورة القصص ٧٩ ، ٨٠ .

فلما عتا الخبيث وتمادى فى غيـّه، وبطر نعمة ربه ابتلاه الله عزّ وجلّ من الفريضة فى ماله والحق الذى ألزمه فيه ما ساق إليه شحـّه به أليم عقابه، وصار به عبرة للغابرين [١] وعظة للباقين.

فحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال : لما نزلت الزكاة أتى قارونُ موسى فصالحه عن كلّ ألف دينار ديناراً ، وعلى كلّ ألف درهم درهمًا ، وعلى كلّ ألف شىء شيئًا ، أو قال : وكلّ ألف شاه شاةً — قال أبو جعفر الطبرىّ: أنا أشدّ — قال : ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيراً فجمع بنى إسرائيل، فقال: يا بنى إسرائيل ، إن موسى قد أمركم بكل شىء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم. فقالوا له: أنت كبيرُنا وسيدنا ، فمرْنا بما شئت ، فقال : آمركم أن تجيئوا بفلانة البغىّ فتجعلوا لها جُعلا فتقذفه بنفسها . فدعوْها فجعلوا لها جُعلا على أن تقذفه بنفسها، ثم أتى موسى فقال[٢] : إنّ قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم [٣] ، فخرج إليهم وهم فى براح من الأرض ، فقال : يا بنى إسرائيل ، مَنْ سرق قطعْنا يده ، ومن افترى جلـّدناه ثمانين ، ومن زنا وليس له امرأة جلدناه مائة ، ومن زنا وله امرأة جلدناه حتى يموت — أو قال : رجمناه [٤] حتى يموت — قال أبو جعفر أنا أشك — فقال له قارون : وإن كنت أنت ؟ قال : وإن كنت أنا . قال : وإن بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة ، فقال: ادعُوها ، فإن قالت فهو كما قالت ، فلما أن جاءت قال لها موسى : يا فلانة، قالت : لبيك ! قال : أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ؟ قالت: لا، وكذبوا [٥] ، ولكن جعلوا إلىّ جُعلا على أن أقذفك بنفسى ، فوثب فسجد وهو بينهم ، فأوحى إليه : مُر الأرض بما شئت، قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أقدامهم ، ثم قال : يا أرض خُذيهم فأخذتهم إلى ركبهم ، ثم قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أعناقهم ،

١ / ٥٢٢

١ / ٥٢٣

---

(١) س : « للعابرين » . ن : « للمعتبرين » .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط والتفسير : « فقال لموسى » .

(٣) ا ، ح ، ن ، والتفسير : « ولتنهاهم » . (٤) وكذا فى ا ، وفى ط « أو رجمناه » .

(٥) كذا فى ا والتفسير ؛ وفى ط : « لا ، كذبوا » .

قال : فجعلوا يقولون : يا موسى ، ويتضرّعون إليه ، قال : يا أرض خذيهم ، فأطبقت عليهم ، فأوحى الله إليه : [يا موسى][1] يقول لك عبادى : ياموسى يا موسى ، فلا ترحمهم ، أما لو إياى دعَوْا لوجدونى قريبًا مجيبًا ، قال : فذلك قوله: ﴿ فخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ ﴾ ، وكانت زينته أنه خرج على دوابّ شُقْر عليها[2] سروج أرجوان ، عليها ثياب مصبّغة بالبَهرمان ، : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِىَ قَارُونُ ﴾ إلى قوله: ﴿ لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُونَ ﴾ . يا محمد ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةَ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين ﴾[3] .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن رجل ، عن ابن عباس بنحوه ، وزادنى فيه : قال : فأصاب بنى إسرائيل بعد ذلك شدة وجوع شديد ، فأتَوْا موسى فقالوا : ادع لنا ربك ، قال : فدعا لهم فأوحى الله إليه : يا موسى ، أتكلمنى فى قوم قد أظلم ما بينى وبينهم من خطاياهم ، وقد دعوك فلم تجبهم[4] أما لو إياى دعوا لأجبتهم[5] .

١/٥٢٤ حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا علىّ بن هاشم ابن البريد ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس فى قوله: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عمه ، وكان موسى يقضى فى ناحية بنى إسرائيل وقارون فى ناحية ، قال : فدعا بغيّة كانت فى بنى إسرائيل ، فجعل لها جُعلا على أن ترمىَ موسى بنفسها ، فتركه ، حتى إذا كان يوم يجتمع فيه بنو إسرائيل إلى موسى أتاه قارون فقال : يا موسى ، ما حدُّ مَنْ سرق ؟ قال: أن تقطع يده، قال : فإن كنتَ أنت ؟ قال نعم، قال: فما حدّ من زَنا ؟ قال : أن يُرجم، قال : وإن كنت أنت ؟ قال: نعم،

---

(١) تكملة من ا والتفسير . (٢) ن : « عليهن » .
(٣) سورة القصص : ٧٩-٨٢ ، والخبر فى التفسير ٢٠ : ٧٤ (بولاق) .
(٤) ح : « وقد دعوا غيرى ولم يجبهم » . (٥) الخبر فى التفسير ٢٠ : ٧٥ (بولاق) .

قال: فإنك قد فعلت ، قال: ويلك ! بمن ؟ قال: بفلانة، فدعاها موسى فقال : أنشدُك بالذى أنزل التوراة، أصدَق قارون ؟ قالت : اللهمّ إذْ نشدتنى ، فإنى أشهد أنك برىء ، وأنّك رسولُ الله ، وأن عدّو الله قارون جعلَ لى جُعْلا على أن أرميَك بنفسى ، قال : فوثب موسى فخرّ ساجداً ، فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك فقد أمرت الأرضَ أن تطيعك ، فقال موسى : خذيهم ، فأخذتهم حتى بلغوا الحَقْو ، قال : يا موسى ، قال: خذيهم فأخذتْهُم حتى بلغوا الصدور ، قال : يا موسى ، قال : خذيهم ، قال : فذهبوا ، قال : فأوحى الله إليه : يا موسى ، استغاث بك فلم تُغثه، أمالو استغاثَ بى ، لأجبتُه ولأغثته[1] .

حدثنا بشر بن هلال الصّواف ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبعىّ ، قال : حدثنا على بن زيد بن جُدْعان ، قال : خرج عبد الله بن الحارث من الدار، ودخل المقصورة فلما خرج منها جلس وتساندعليها[2] وجلسنا إليه ، فذكر سليمان بن داود و ﴿قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[3] . قال: ثم سكت عن حديث سليمان، فقال: ﴿إنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ ، وكان قد أوتِىَ من الكنوز ما ذكره الله فى كتابه: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِى الْقُوَّةِ﴾[4] . فقال: إنما أوتيتُه على علم عندى. قال: وعاد موسى وكان مؤذياً له ، فكانَ موسى يصفح عنه ، ويعفو للقرابة حتى بنى داراً ، وجعل بابَ داره منْ ذهب ، وضرب على جدر داره صفائح الذهب ، وكان الملأ من بنى إسرائيل يغدون عليه ويروحون ، فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه ، فلم تدعه شقوته والبلاء حتى أرسل إلى امرأة من بنى إسرائيل مشهورة بالخنا مشهورة بالسب ، فجاءت قال لها : هل لك أن أموّلك وأعطيَك وأخلطَك

١ / ٥٢٥

(١) الخبر فى التفسير ٢٠ : ٧٥ (بولاق) .

(٢) ا : « واستند إليها » .

(٣) سورة النمل ٣٨ — ٤٠ .

(٤) سورة القصص ٧٦ .

بنسائى، على أن تأتينى والملأ من بنى إسرائيل عندى فتقولى : يا قارون ألا تنهى عنّى موسى ! قالت : بلى ، فلما جلس قارون ، وجاءه الملأ من بنى إسرائيل أرسل إليها فجاءت ، فقامت بين يديه ، فقلب الله قلبها ، وأحدَث لها تَوْبة ، فقالت فى نفسها : لا أجد اليومَ توبةً أفضلَ من ألاّ أوذى رسول الله وأعذب عدو الله، فقالت : إن قارون قال لى: هل لكِ أن[1] أمولك وأعطيَك وأخلِطك بنسائى على أن تأتينى والملأ من بنى إسرائيل عندى ، فتقولى : يا قارون ألا تنهى عنى موسى ! فلم أجد توبةً أفضلَ من ألاّ أوذى رسولَ الله ، وأعذب عدوّ الله . فلما تكلمت بهذا الكلام سُقط فى يدى قارون ، ونكس رأسه ، وسكت عن الملإ ، وعرف أنه قد وقع فى هلَكة ، فشاع كلامُها فى الناس ، حتى بلغ موسى ، فلما بلغ موسى اشتدّ غضبُه فتوضأ من الماء وصلى وبكى ، وقال : يا ربّ عدوك لى مؤذٍ ، أراد فضيحتى وشيْنى ، يا ربّ سلطنى عليه. فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت تطعك ، فجاء موسى إلى قارون ، فلما دخل عليه عرف الشر فى وجه موسى له، فقال له: يا موسى ارحمنى ، قال : يا أرض خذيهم ، قال : فاضطربت داره ، وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين ، وجعل يقول : يا موسى ارحمنى ، قال : يا أرض خذيهم ، فاضطربت دارُه[2] وساخت ، وخُسِف بقارون وأصحابه إلى ركبهم وهو يتضرع إلى موسى : يا موسى ، ارحمنى ! قال : يا أرض خذيهم ، فاضطربت داره ، وساخت وخسف بقارون وأصحابه[3] إلى سررهم ، وهو يتضرع إلى موسى : يا موسى ، ارحمنى ! قال : يا أرضُ خُذِيهم ، فخسف به وبداره وأصحابه ، قال : وقيل لموسى : يا موسى ، ما أفظك ، أما وعزّتى لو إياى نادى لأجبتُه [4]!

٥٢٦/١

حدثنا بشر بن هلال ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان ، عن أبى عمران الجوْنىّ ، قال : بلغنى أنه قيل لموسى : لا أعبِّدُ الأرض لأحد بعدك أبداً .

٥٢٧/١

حدثنا بشر ، قال: حدثنا يزيد، قال : حدثنا سعيد عن قتادة، ﴿ فَخَسَفْنَا

---

(١) ح : والتفسير « هل لك فى » . (٢) ن : « أرضه » .

(٣) ح : « وساخت بقارون وخسف به وأصحابه » .

(٤) الخبر فى التفسير ٢٠ : ٧٥ ، ٧٦ (بولاق) .

بِهِ وبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ ، ذكر لنا أنه يخسف به كلّ يوم قامة ، وأنه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة .

* * *

قال أبو جعفر : فلما نزلت نقمة الله بقارون حمد الله على ما أنعم به عليهم المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأمر الله ، ونصحوا له من المعرفة بحقّه والعمل بطاعته ، وندم الذين كانوا يتمنّوْن ما هو فيه من كثرة المال ، والسعة فى العيش على أمنيتهم ، وعرفوا خطأ أنفسهم فى أمنيتها ، فقالوا ما أخبر الله عزّ وجلّ عنهم فى كتابه : ﴿ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾(١) ، فصرَف عنا ما ابتلى به قارون وأصحابه مما كنا نتمناه بالأمس لخسف بنا كما خسف به وبهم . فنجّى الله تعالى من كلّ هول وبلاء نبيّه موسى والمؤمنين به المتمسكين بعهده من بنى إسرائيل ، وفتاه يوشع بن نون المتبعين له بطاعتهم ربهم ، وأهلك أعداءه وأعداءهم : فرعون وهامان وقارون والكنعانيين بكفرهم وتمردهم عليه وعتوهم ، بالغرق بعضاً ، وبالخسف بعضًا ، وبالسيف بعضًا ، وجعلهم عبراً لمن اعتبر بهم ، وعظة لمن اتعظ بهم ، مع كثرة أموالهم وكثرة عدد جنودهم ، وشدة بطشهم ، وعظم(٢) خلقهم وأجسامهم ، ١/٥٢٨ فلم تغن [عنهم](٣) أموالهم ولا أجسامهم ولا قواهم ولا جنودهم وأنصارهم عنهم من الله شيئًا ؛ إذْ كانوا يجحدون بآيات الله ، ويسعوْنَ فى الأرض فساداً ، ويتّخذون عباد الله لأنفسهم خوَلاً ، وحاق بهم ما كانوا منه آمنين ؛ نعوذ بالله من عمل يقرّب من سخطه ، ونرغب إليه فى التوفيق لما يدنى من محبته ، ويزلف إلى رحمته !

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمى ، قال : حدثنى الماضى بن محمد ، عن أبى سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبى إدريس الخولانىّ ، عن أبى ذرّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول أنبياء بنى إسرائيل موسى وآخرهم عيسى » .

---

(١) سورة القصص : ٨٢ . (٢) ح : « عظيم » . (٣) من ا .

قال : قلت : يا رسولَ الله ، ما كان فى صحف موسى ؟ قال : كانت عِبراً كلّها ، عجبت لمن أيْقَن بالنار ثم يضحك ، عجبت لمن أيقن بالموت ثم يفرح ، عجبت لمن أيقنَ بالحساب غداً ثم لم يعمل !

وكان تدبير يوشع أمر بنى إسرائيل من لدن مات موسى ، إلى أن توفى يوشع ، كله فى زمان منوشهر عشرين سنة ، وفى زمان فَراسْياب سبع سنين .

* * *

ونرجع الآن إلى :

إذ كان التاريخ إنما تدرك صحته على سياق مدة[1] أعمار ملوكهم .

ولما هلك مِنُوشِهْر الملك بن منشخورنر[2] ، قَهَر فراسياب[3] بن فشنج ابن رستم بن ترك على خنيارث[4] ومملكة أهل فارس ، وصار — فيما قيل — إلى أرض بابل ، فكان يُكثِر المقام ببابل وبِمِهْرِجان قَذَق ، فأكثر الفساد فى مملكة أهل فارس .

وقيل : إنه قال حين غلب على مملكتهم : نحن مسرعون فى إهلاك البرّية ، وإنه عظُم جوره وظلمه ، وخرّب ما كان عامراً من بلاد خنيارث ، ودفن الأنهار والقنىّ ، وقَحِط الناس فى سنة خمس من ملكه ، إلى أن خرج عن مملكة أهل فارس ، ورُدّ إلى بلاد الترك ، فغارت المياه فى تلك السنين ، وحالت الأشجار المثمرة .

ولم يزل الناس منه فى أعظم البلية ، إلى أن ظهر زوّ بن طهْما سب وقد يلفظ باسم « زوّ » بغير ذلك فيقول بعضهم : زاب بن طهما سفان ، ويقول بعضهم : زاغ ، ويقول[5] بعضهم : راسب بن طهْماسَب بن كانجو بن زاب[6] بن أرفس[7] بن هراسف بن ونديج[8] بن أريج[8] بن نوذ وجوش[8] ١/٥٣٠ ابن منسوا[8] — بن نوذر بن مُنوشهر .

وأم زوّ مادول ابنة وامن بن واذرجا بن قود[9] بن سَلْم بن أفريدون .

وقيل : إن منوشِهْر كان وجَد فى أيام ملكه على طهماسب بسبب جناية جناها ، وهو مقيم فى حدود الترك لحرب فراسْيَاب ، فأراد مِنوشِهْر قتله بسبب ذلك ، فكلَّمه فى الصفح عنه عظماءُ أهل مملكته . وكان من عدل

---

(١) س : « مدد » . (٢) ا : « منشجور » .
(٣) كذا فى ا ، وفى ط : « فراسيات » . (٤) ا ، ن : « خيينارث » .
(٥) ط : « ويقال » ، وما أثبته من ا .
(٦) ا : « زابن » ، س : « راد » ، ح ، ن : « زاق » .
(٧) ا : « أوفس » . (٨) كذا فى ا . (٩) ا : « نوذه » ن : « فوذ » .

مُنوشهر — فيما ذكر — أنه قد كان يسوّى بين الشريف والوضيع ، والقريب والبعيد فى العقوبة ، إذا استوجبها بعضُ رعيته على ذنب أتاه — فأبى إجابتهم إلى ما سألوه من ذلك ، وقال لهم : هذا فى الدين وَهَنٌ ، ولكنكم إذْ أبيتم علىّ ، فإنه لا يسكنُ فى شىء من مملكتى ، ولا يُقيم به ، فنفاه عن مملكته فشخص إلى بلاد الترك ، فوقع إلى ناحية وامن ، فاحتال لابنته وهى محبوسة فى قصرمن أجل أن المنجّمين كانوا ذكروا لوامِن أبيها أنها تلِد ولداً يقتُله ، حتى أخرجها من القصر الذى كانت محبوسة فيه ، بعد أن حملت منه بزوّ . ١/٥٣١

ثم إن مِنُوشِهْر أذِن لطهْمَاسب بعد أن انقضت أيامُ عقوبته فى العود إلى خينارث مملكة فارس ، فأخرج مادول ابنة وامن بالحيلة منها ومنه فى إخراجها من قصرها من بلاد الترك إلى مملكة أهل فارس ، فولدت له زوّا بعد العوْد إلى بلادِ إيرانكرد[1] ،

ثم إن زوّا — فيما ذكر — قتل جدّه ، وأمّن فى بعض مغازيه الترك ، وطرد فراسْياب عن مملكة أهل فارس ، حتى ردّه إلى الترك بعد حروب جرت بينه وبينه وقتال ، فكانت غَلَبة فَرَاسْيَاب أهل فارس على إقليم بابل اثنتى عشرة سنة ، من لدن توفى مِنوشِهْر إلى أن طرده عنه ، وأخرجه زوّ بن طهماسب إلى تركستان .

وذكر أن طَرْدَ زَوّ فراسياب عمّا كان عليه من مملكة أهل فارس فى روزأبان من شهر آبانماه ، فاتخذ العجم هذا اليوم عيداً لما رفع عنهم فيه من شر فراسياب وعَسْفه وجعلوه الثالث من أعيادهم النوروز والمِهرجان .

وكان زوّ محموداً فى مُلكه ، محسناً إلى رعيته ، فأمر بإصلاح ما كان فراسياب أفسد من بلاد خنيارث ، ومملكة بابل وبناء ما كان هُدم من حصون ذلك ، ونثَل[2] ما كان طم[3] وغوّر من الأنهار والقنى ، وكرى ما كان اندفن من المياه حتى أعاد كلّ ذلك — فيما ذكر — إلى أحسن ما كان [عليه][4] ، ووضعَ ١/٥٣٢

(١) كذا فى ط ، وفى ا : « إيكرانكرد » . (٢) أى أخرج ما فيها من تراب .
(٣) طم : دفن ؛ وفى ا : « طمر » ؛ وهى بمعناها . (٤) من ا .

عن الناس الخراج سبع سنين ، ودفعه[١] عنهم ، فعمرت بلاد فارس فى ملكه ، وكثُرت المياه فيها ، ودرّت معايش أهلها ، واستخرج بالسواد نهراً وسماه الزّاب ، وأمر فبنيت على حافتيه مدينة وهى التى تسمى المدينة العتيقة ، وكوّرها كورة ، وسماها الزوابى ، وجعل لها ثلاثة طَساسيج : منها طَسُّوج[٢] الزاب الأعلى ، ومنها طَسّوج الزاب الأوسط ، ومنها طَسّوج الزاب الأسفل ؛ وأمر بحمل بُزور[٣] الرياحين من الجبال إليها وأصول الأشجار ، وبذْر ما يبذَر من ذلك ، وغرس ما يغرس منه ، وكان أولَ من اتُّخِذ له ألوان الطبيخ وأمر بها وبأصناف الأطعمة ، وأعطى جنودَه مما غنِم من الخيل والرّكاب ، مما أوْجَفَ عليه من أموال الترك وغيرهم . وقال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن متقدمون فى عمارة ما أخْرَ به الساحر فراسياب .

وكان له كرشاسب بن أثرط[٤] بن سهم بن نريمان بن طورك بن شيراسب[٥] بن أروشسب بن طوج بن أفريدون الملك .

وقد نسبه بعض نسابى الفرس غير هذا النسب فيقول : هو كرشاسف بن أشناس[٦] بن طهموس بن أشلك بن ترس[٧] بن رحر[٨] بن دودسرو[٩] بن مِنوشِهْر الملك — مؤازراً له على ملكه . ٥٣٣/١

ويقول بعضهم : كان زّو وكرشاسب مشتركيْن فى الملك ، والمعروف من أمرهما أن الملْك كان لزوّ بن طهماسب وأن كرشاسب كان له مؤازراً و[له][١٠] معيناً .

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « ورفعه » .
(٢) الطسوج هنا : الناحية ، فارسى معرب .
(٣) البزر : كل حب يبذر للنبات ؛ وجمعه بزور .
(٤) ا : « أثوط » ، ح ، ن : «أنوط» .
(٥) ا ، س : « سراسب » .
(٦) كذا فى ا ، ح ، وفى س : « أستاس » .
(٧) كذا فى ا ، ن ، وفى ح : « نوس » ، وفى ط مهمل .
(٨) كذا فى ط ، وفى ح ، س : زحر » ، وفى ن : « رجر » ،
(٩) فى ا ، ح ، ن ، وفى س : « روذسرو » وفى ط : « دورسرو » .
(١٠) تكملة من ا .

وكان كرشاسب عظيم الشأن فى أهل فارس ، غيرَ أنه لم يملك ، فكان جميعُ ملْك زوّ إلى أن انقضى ومات — فيما قيل — ثلاث سنين .

* * *

ثم مَلَك بعد زوّ كيقباذ ، وهو كيقباذ بن زاغ بن نوحياه[1] بن منشو[2] بن نوذر بن مِنُوشِهْر . وكان متزوجًا بفرتلك[3] ابنة تدرسا[4] التركى ، وكان تدرسًا من رءوس الأتراك وعظمائهم ، فولدت له كى إفنه ، وكى كاوس ، وكى أرش[5] ، وكيبه أرش ، وكيفاشين وكيبية ؛ وهؤلاء هم الملوك الجبابرة وآباء الملوك الجبابرة .

١/٥٣٤

وقيل إن كيقباذ قال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن مدوّخون بلاد الترك ومجتهدون فى إصلاح بلادنا ، حدبون عليها ، وأنه قدّر مياه الأنهار والعيون لشرب الأرضين ، وسمى البلادَ بأسمائها ، وحدّها بحدودها ، وكوّر الكُور ، وبيّن حيز كل كُورة منها وحريمها ، وأمر الناس باتخاذ الأرض ، وأخذ العُشْر من غَلاتها لأرزاق الجند ، وكان — فيما ذكر — كيقباذ يُشْبَّه فى حرصه على العمارة ، ومنعه البلاد من العدو ، وتكبّره فى نفسه بفرعون .

١/٥٣٥

وقيل إن الملوك الكيية وأولادهم من نسله ، وجرت بينه وبين الترك وغيرهم حروب كثيرة ، وكان مقيماً فى حدّ ما بين مملكة الفرس والترك بالقرب من نهر بَلْخ ، لمنع الترك من تطرق شىء من حدود فارس ، وكان ملكه مائة سنة ، والله أعلم .

* * *

ونرجع الآن إلى :

---

(١) كذا فى ا ، ن . (٢) كذا فى ا ، وفى س : « مشر »
(٣) كذا فى ا ، وفى ح ، س : « بقرتلك » ، وفى ن : « بفربلك » ، وفى ط مهملة .
(٤) كذا فى ا ، ن . وفى س : « تدرشيل » ، وفى ط مهملة .
(٥) س ، ن : « كى لهرس » .

ذكر أمر بنى إسرائيل والقوّام الذين كانوا بأمرهم بعد يوشع ابن نون والأحداث التى كانت فى عهد زَوّ وكَيقُباذ

ولا خلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين وأمور الأمم السالفين من أمتنا وغيرهم أن القيّم بأمور بنى إسرائيل بعد يوشع كان كالب بن يُوفنّا ، ثم حِزْقيل بن بُوذى[1] من بعده ، وهو الذى يقال له ابن العجوز .

فحدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إنما سمى حِزقيل[2] بن بوزِى ابن العجوز ؛ أنها سألت الله الولد، وقد كبرت وعقِمت ، فوهبه الله لها ، فبذلك قيل له : ابن العجوز ؛ وهو الذى دعا للقوم الذين ذكر الله فى الكتاب عليه السلام كما بلغنا : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾[3] .

حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبدالكريم قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل ؛ أنه سمع وهب بن منبه يقول : أصاب ناسًا من بنى إسرائيل بلاءٌ وشدة من الزمان ، فشكوْا ما أصابهم فقالوا : ياليتنا قد متْنا فاسترحنا مما نحن فيه ! فأوحى الله إلى حِزْقيل : إنّ قومك صاحوا من البلاء ، وزعموا أنهم ودُّوا لو ماتوا فاستراحوا ، وأىّ راحة لهم فى الموت ! أيظنون أنى لا أقدر على أن أبعثهم بعد الموت ! فانطلقْ إلى جبّانة كذا كذا فإن فيها أربعة آلاف — قال وهب : وهم الذين قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ — ١/٥٣٦ فقمْ فيهم فنادهم ، وكانت عظامهم قد تفرّقت ؛ فرّقتها الطير والسباع ، فناداها حِزْقيل ، فقال : يأيّتُها العظامُ النخِرة ، إن الله عزّ وجلّ

(١) ا ، والتفسير : « بوزى » ، وكذلك حيث ورد فيما يلى .

(٢) حزقيل ، بكسر الحاء ؛ ضبطه صاحب القاموس .

(٣) سورة البقرة ٢٤٣ .

يأمرُك أن تجتمعى . فاجتمع عظام كل إنسان منهم معًا ، ثم نادى ثانية[١] حزقيل فقال : أيتها العظام ، إن الله يأمرك أن تكتسى اللحم ، فاكتست اللحم ، وبعد اللحم جلدا ، فكانت أجساداً ، ثم نادى حزقيل الثالثة فقال : أيتها الأرواح ، إن الله يأمرك أن تعودى فى أجسادك . فقاموا بإذن الله ، وكبّروا تكبيرة واحدة[٢] .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدَانىّ ، عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب ١/٥٣٧ النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ كانت قرية يقال لها داوَرْدان[٣] قبل واسط ، فوقع بها الطاعون ، فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها ، فهلك أكثرُ مَن بقى فى القرية وسلم الآخرون ، فلم يمت منهم كثير ، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين ، فقال الذين بقوا : أصحابنا هؤلاء كانوا أحزَم منا ، لو صنعنا كما صنعوا بقينا ! ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجنّ معهم . فوقع فى قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفًا ، حتى نزلوا ذلك المكان ، وهو واد أفْيَح ، فناداهم مَلَك من أسفل الوادى ، وآخر من أعلاه : أن موتوا ، فماتوا حتى هلكوا ، وبليت أجسادهم ، فمرّ بهم نبىٌّ يقال له هِزْقيل[٤] ، فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ، يَلْوِى شِدقه وأصابعه ، فأوحى الله إليه : يا هزقيل ، أتريد أن أريك كيف أحييهم ؟ قال : نعم ، وإنما كان تفكُّره أنه تعجّب من قدرة الله عليهم ، فقال : نعم ، فقيل له : ناد ، فنادى يأيّتها العظام ، إن الله يأمرك أن تجتمعى ، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض ؛ حتى كانت أجساداً من عظام ، ثم أوحى الله أن ناد : يأيتها العظام ؛ إن الله يأمرك أن تكتسى لحمًا فاكتست لحمًا ودمًا وثيابَها التى ماتت فيها ؛ وهى عليها ، ثم قيل له : ناد ،

---

(١) فى ا : « الثانية » .

(٢) الخبر فى التفسير ٥ : ٤٦٨

(٣) ضبطها ياقوت بفتح الواو وسكون الراء ؛ وذكر أمر حزقيل بها .

(٤) التفسير : « حزقيل » .

فنادى : يأيتها الأجساد ، إن الله يأمرُك أن تقومى ، فقاموا[1]

حدثنى موسى ، قال : حدثنا عمر و ، قال : حدثنا أسباط ، قال : فزعم منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحْيُوا : سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت ؛ فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى ، سحنةُ الموت على وجوههم ، لا يلبسون ثوبًا إلا عاد دسما مثل الكفن ، حتى ماتوا لآجالهم التى كتبت لهم . ١/٥٣٨

حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا حكّام ، عن عنبسة ، عن أشعث[2] ، عن سالم النَّصْرىّ ، قال : بينما عمر بن الخطاب يصلى ويهوديان خلفه ، وكان عمر إذا أراد أن يركع خوّى[3] ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو؟ قال : فلما انفتل عمر قال : أرأيت قولَ أحدكما لصاحبه : أهو هو ؟ فقالا : إنا نجد فى كتابنا قرنًا من حديد يعطَى ما أعطى حزقيل الذى أحيا الموتى بإذن الله ، فقال عمر : ما نجد فى كتابنا[4] حزقيل ، ولا أحيا الموتى بإذن الله إلا عيسى ابن مريم، فقالا: أما تجد فى كتابُ الله﴿ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[5] ، فقال عمر : بلى ، قالا وأما إحياء الموتى فسنحدّثك أن بنى إسرائيل وقع فيهم الوباء ، فخرج منهم قوم حتى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله ، فبنوْا عليهم حائطًا ، حتى إذا بليت عظامهُم بعث الله حزْقيل فقام عليهم ، فقال: ما شاء الله! فبعثهم الله له، فانزل الله فى ذلك :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ . . . ﴾ ، الآية[6] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، ١/٥٣٩

---

(١) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٧٠

(٢) ا ، ن والتفسير : « أشعث بن أسلم البصرىّ » وانظر حواشى التفسير .

(٣) خوّى الرجل فى سجوده : تجافى وفرج ما بين عضديه وجنبيه .

(٤) ا ، والتفسير : «كتاب الله » .

(٥) سورة النساء: ١٦٤ .

(٦) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٦٨ — ٢٧٠ .

عن وهب بن منبه : أن كالب بن يوفنا لما قبضه الله بعد يوشع ، خلف فيهم – يعنى فى بنى إسرائيل – حزِقيل بن بوذى ، وهو ابن العجوز ، وهو الذى دعا للقوم الذين ذكر الله فى الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم كما بلغنا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ... ﴾ الآية[1] .

قال ابن حميد : قال سلمة قال ابن إسحاق : فبلغنى أنه كان من حديثهم أنهم خرجوا فراراً من بعض الأوباء من الطاعون ، أو من سُقْم كان يصيب الناس حذرا من الموت[2] وهم ألوف ، حتى إذا نزلوا بصعيد من البلاد قال الله لهم : موتوا ، فماتوا جميعًا ، فعمِد أهلُ تلك البلاد فحظروا[3] عليهم حظيرة دون السباع ، ثم تركوهم فيها ، وذلك أنهم كثروا عن أن يغيَّبوا ، فمرت بهم الأزمان والدهور ، حتى صاروا عظامًا نخرة ، فمرّ بهم حزقيل بن بوذى ، فوقف عليهم ، فتعجب لأمرهم ، ودخلته رحمة لهم ، فقيل له : أتحب أن يحييهم الله ؟ فقال : نعم ، فقيل له : فقل : أيتها العظام الرميم ، التى قد رمَّت وَبليت ، لِيرجعْ كل عظم إلى صاحبه . فناداهم بذلك ، فنظر إلى العظام تتواثب يأخذ بعضُها بعضًا ، ثم قيل له : قل أيها اللحم والعَصَب والجلد ، اكس العظام بإذن ربك[4] ، قال فنظر إليها والعصب يأخذ العظام ، ثم اللحم والجلد والأشعار ، حتى استووا خَلْقًا ليست فيهم الأرواح ، ثم دعا لهم بالحياة ، فتغشّاه من السماء شيء كَرَبه ، حتى غُشِيَ عليه منه ، ثم أفاق والقوم جلوس يقولون : سبحان الله فقد أحياهم الله[5] !

١/٥٤٠

فلم يذكر لنا مدةُ مكْث حزْقيل فى بنى إسرائيل .

* * *

(١) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٤٣

(٢) ن : « حذر الموت » .

(٣) س : « فحفروا ... حفيرة » ، ن : « فحوطوا » .

(٤) ا : « بأمر الله » .

(٥) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

[إلياس واليسع عليهما السلام]

ولما قبض الله حِزْقيل كثرت الأحداث – فيما ذكر – فى بنى إسرائيل ، وتركوا عهد الله الذى عهد إليهم فى التوراة ، وعبدوا الأوثان ، فبعث الله إليهم فيما قيل : إلياس بن ياسين بن فنحاص[1] بن العيزار بن هارون بن عمران .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق : ثم إن الله عزّ وجلّ قبض حِزقيل ، وعظمت فى بنى إسرائيل الأحداث ، ونَسُوا ما كان من عهدِ الله إليهم ، حتّى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله ، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فِنْحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبيًّا ؛ وإنما كانت الأنبياء من بنى إسرائيل بعد موسى يُبعَثون إليهم بتجديد ما نسُوا من التوراة . فكان إلياسُ مع ملِك من ملوك بنى إسرائيل يقال له أحاب ، وكان اسم امرأته أزبل[2] ، وكان يسمع منه ويصدّقه ، وكان إلياس يقيم له أمرَه ، وكان سائر بنى إسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه من دون الله ، يقال له : بَعْلِ . قال ابن إسحاق : وقد سمعت بعض أهل العلم يقول : ما كان بعْل إلا امرأة يعبدونها من دون الله يقول الله لمحمد ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ – إلى قوله : ﴿ اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾[3] – فجعل إلياس يدعوهم إلى الله ، وجعلوا لا يسمعون منه شيئًا إلا ما كان من ذلك الملك ، والملوك متفرقة بالشأم ؛ كل ملك له ناحية منها يأكلها ، فقال ذلك الملِك ، الذى كان إلياس معه ، يقوم له بأمره[4] ، ويراه على هدى من بين أصحابه يومًا يا إلياس ، والله

١/٥٤١

(١) فى أبى الفدا : « فينحاس » ، وضبطه « بفاء مشربة بباء موحدة ، ثم ياء مثناة من تحتها ممالة ، ثم نون ساكنة ، ثم حاء مهملة ، ثم ألف ممالة وسين مهملة » .

(٢) ح : « أريك » ، س : « أربك » ، ن : « أزجل » . ، وفى التفسير : « إربل » .

(٣) سورة الصافات : ١٢٣ – ١٢٦ .

(٤) ا والتفسير : « يقوم له أمره » .

ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلا ، والله ما أرى فلانًا وفلانًا فعدّ[١] ملوكًا من ملوك بنى إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله إلاّ على مثل ما نحن عليه ، يأكلون ويشربون ويتنعمون[٢] ، مملَّكين ، ما ينقص دنياهم أمرهم الذى تزعم أنه باطل ، وما نرى لنا عليهم من فضل .

فيزعمون — والله أعلم — أن إلياس استرجع وقام شعرُ رأسه وجلده ، ثم رفضه وخرج عنه ففعل ذلك الملك فعل أصحابه ؛ عَبَدَ الأوثان ، وصنع ما يصنعون . فقال إلياس : اللهمّ إن بنى إسرائيل قد أبوْا إلا الكفر بك ، والعبادة لغيرك ، فغيِّر ما بهم من نعمتك . أو كما قال[٣] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : ذكر لى أنه أوحى إليه : إنّا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك ؛ حتى تكون أنت الذى تأمر فى ذلك . فقال إلياس : اللهمّ فأمسِكْ عنهم المطر . فحبس عنهم ثلاث سنين حتى هلكت الماشية والدوابّ والهوامّ والشجر ، وجَهِد الناس جهداً شديداً . ١/٥٤٢

وكان إلياس — فيما يذكرون — حين دعا بذلك على بنى إسرائيل قد استخفى شفقًا على نفسِه منهم ، وكان حيث ما كان وضع له رزق ، فكانوا إذا وجدوا ريح الخبز فى دار أو بيت قالوا : لقد دخل إلياس هذا المكان ، فطلبوه[٤] ، ولقى أهل ذلك المنزل منهم شراً . ثم إنه أوى ليلة إلى امرأة من بنى إسرائيل ، لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب ، به ضُرٌّ ، فآوته وأخفت أمرَه ، فدعا إلياس لابنها فعوفى من الضُّرّ الذى كان به ، واتبع اليسع فآمن به وصدّقه ولزمه ، فكان يذهب معه حيثما ذهب ، وكان إلياس قد أسنّ وكبِر ، وكان اليسع غلامًا شابًّا . فيزعمون — والله أعلم — أن الله أوحى إلى إلياس أنك قد أهلكت كثيراً من الخلق[٥] ممن لم يعص ِ، سوى بنى إسرائيل ممن لم أكن أريد هلاكه بخطايا

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « يعد » ، وفى التفسير : « يعدد » .
(٢) ا : « ويمتعون » ، والتفسير : « وينعمون » .
(٣) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥٩ ، ٦٠ (بولاق) .
(٤) ح : « فيطلبونه فيلقى » .
(٥) ا : « الناس » .

بني إسرائيل من البهائم والدوابّ والطير والهوامّ والشجر ، بحبس المطر عن بني إسرائيل . فيزعمون — والله أعلم — أن إلياس قال : أىْ ربّ ، دعني أكن أنا الذى أدعو لهم به ، وأكن أنا الذى آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذى أصابهم ، لعلهم أن يرجعوا وينزعوا[1] عما هم عليه من عبادة غيرك . قيل له نعم ، فجاء إلياس إلى بني إسرائيل ، فقال لهم : إنكم قد هلكتم جهداً ، وهلكت البهائم والدوابّ والطير والهوام والشجر بخطاياكم ، وأنكم على باطل وغرور — أو كما قال لهم — فإنْ كنتم تحبّون أن تعلموا ذلك وتعلموا أنّ الله عليكم ساخط فيما أنتم عليه ، وأن الذى أدعوكم إليه الحق ، فاخرجُوا بأصنامكم هذه التى تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه ؛ فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون ، وإن هى لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ، ودعوت الله ففرّج عنكم ما أنتم فيه من البلاء . قالوا : أنصفت ، فخرجوا بأوثانهم وما يتقربون به إلى الله من أحداثهم التى لا يرضى ، فدعوْها فلم تستجب لهم ، ولم تفرّج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ، حتّى عرفوا ما هم فيه[2] من الضلالة والباطل ، ثم قالوا لإلياس : يا إلياس ؛ إنا قد هلكنا ، فادع الله لنا ، فدعا لهم إلياس بالفرج مما هم فيه ، وأن يُسْقَوْا ، فخرجت سحابة مثل الترس بإذن الله على ظهر البحر ، وهم ينظرون ، ثم ترامى إليه السحاب ، ثم أدجنت ، ثم أرسل الله المطر فأغاثهم ، فحييت بلادُهم ، وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ، فلم ينزعوا ولم يرجعوا وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه . فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم دعا ربّه أن يقبضه إليه فيريحه منهم ، فقيل له — فيما يزعمون : انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا ، فما جاءك من شىء فاركبه ولا تهبه ، فخرج إلياس ، وخرج معه اليسع بن أخطوب حتى إذا كان بالبلد الذى ذكر له فى المكان الذى أمر به أقبل فرسٌ من نار ، حتى وقف بين يديه فوثب عليه ، فانطلق به فناداه اليسع : يا إلياس ، يا إلياس ، ما تأمرنى ؟ فكان آخر عهدهم به ، فكساه الله الريش وألبسه النور ، وقطع عنه لذة

١/٥٤٣ — ١/٥٤٤

---

(١) ن : « ويقلعوا » .

(٢) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « عليه » .

المطعم ، والمشرب ، وطار فى الملائكة ، فكان إنسيًّا مَلكيًّا أرضيًّا سمائيًّا[١] .

* * *

ثم قام بعد إلياس بأمر بنى إسرائيل — فيما حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : كما ذكر لى عن وهب بن منبّه قال : ثم نبّئ فيهم — يعنى فى بنى إسرائيل — بعده يعنى [بعد][٢] إلياس — اليسع ، فكان فيهم ما شاء الله أن يكون ، ثم قبضه الله إليه ، وخلفت فيهم الخُلوف ، وعظمت فيهم الخطايا ، وعندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر ، فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، فكانوا لا يلقاهم عدوٌّ فيقدّمون التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله ذلك العدو .

والسكينة فيما ذكر ابن إسحاق عن وهب بن منبه عن بعض أهل العلم من بنى إسرائيل رأسُ هرة ميتة ، فإذا صَرَخت فى التابوت بصُراخ هرّ أيقنوا بالنصر ، وجاءهم الفتح .

ثم خلف فيهم ملِك يقال له إيلاف ، وكان الله قد بارك لهم فى جبلهم من إيليا ، لا يدخله عليهم عدو ، ولا يحتاجون معه إلى غيره ، فكان أحدهم — فيما يذكرون — يجمع التراب على الصخرة ، ثم ينبذ فيه الحبّ ، فيخرج الله له ما يأكل [منه][٢] سنة[٣] هو وعياله ، ويكون لأحدهم الزيتونة فيعتصر منها ما يأكل ؛ هو وعيالُه سنة[٣] ، فلما عظمت أحداثهم ، وتركوا عهدَ الله إليهم ، نزل[٤] بهم عدوّ فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت كما كانوا يخرجونه ، ثم زحفوا به فقوتلوا حتى استُلِب[٥] من أيديهم ، فأُتى ملكهم إيلاف ، فأخبر أن التابوت قد أخذ واستلب ، فمالت عنقه فمات كمداً عليه ، فمرج أمرهم بينهم[٦] واختلف ووطئهم عدوهم حتى أصيب من أبنائهم ونسائهم ، فمكثوا على اضطراب من أمرِهم ، واختلاف من أحوالهم يتمادوْن أحيانًا فى غيهم وضلالهم ، فسلط[٧] الله عليهم مَنْ ينتقم به منهم ، ويراجعون التوبة أحيانًا فيكفيهم الله[عند

١/٥٤٥

---

(١) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٦٠ (بولاق) (٢) من ن .
(٣) ا ، والتفسير : « سنته » . (٤) ن : «نهض» . (٥) ا ، ن: «استبى» .
(٦) التفسير : « فرج أمرهم عليهم » ، وابن الأثير : « واختل » .
(٧) ا : « فيسلط » .

ذلك][1] شر مَنْ بَغَاهم سوءاً ؛ حتى بعث الله فيهم طالوت ملكًا ، وردّ عليهم تابوت الميثاق[2] .

* * *

وكانت مدة ما بين وفاة يوشع بن نون — التى كان أمْر بنى إسرائيل فى بعضها إلى القضاة منهم والساسة ، وفى بعضها إلى غيرهم ممن يقْهرهم فيتملّك عليهم من غيرهم إلى أن ثبت الملك فيهم ، ورجعت النبوة اليهم بشمويل بن بالى — أربعمائة سنة وستين سنة . فكان أولَ من سُلّط عليهم فيما قيل رجل من نسل لوط ، يقال له : كوشان ، فقهرهم وأذلهم ثمانىَ سنين ، ثم تنقّذهم[3] من يده أخ لكالب الأصغر يقال له عتنيل[4] بن قيس — فقام بأمرهم فيما قيل — أربعين سنة ، سُلّط عليهم ملك يقال له جعلون[5] فملكهم ثمانىَ عشرة سنة ، ثم تنقّذهم منه — فيما قيل — رجل من سبط بنيامين يقال له أهود بن جيرا[6] الأشلّ اليمنى ، فقام بأمرهم ثمانين سنة ، ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له يا فين[7] ، فملكهم عشرين سنة ، ثم تنقّذهم — فيما قيل — امرأة نبية من أنبيائهم يقال لها دبورا[8] فدبر أمرهم — فيما قيل — رجل من قِبلها يقال له باراق أربعين سنة ، ثم سُلط عليهم قوم[9] من نسل لوط كانت منازلهم فى تخوم الحجاز فملكوهم سبع سنين ، ثم تنقّذهم منهم رجل من ولد نفثالى بن يعقوب يقال له جدعون بن يواش[10] ، فدبر أمرهم أربعين سنة ، ثم دبر أمرهم من بعد جدعون ابنه أبيملك[11] بن جدعون ثلاث سنين ، ثم دبرهم من بعد أبيملك تولغ بن فوا بن خال أبيملك . وقيل إنه ابن عمه — ثلاثا وعشرين سنة ، ثم دبر

١/٥٤٦

(١) من ا
(٢) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٩٥ ، ٢٩٦
(٣) ا : « انتقذهم » .
(٤) ا : « عتبيل » .
(٥) ط : « عجلون » ، وما أثبته من ا
(٦) ا : « أعور بن حنا » .
(٧) ا ، ن : « ياقيس » .
(٨) ا ، س ، وفى ح : « ديوار » .
(٩) س : « أهل » ، ن : « ولد » .
(١٠) ا ، ن : « برانس » .
(١١) ا ، ن : « أينمك » .

أمرهم بعد تولغ رجل من بنى إسرائيل يقال له: يائير [١] اثنتين وعشرين سنة ، ثم ملكهم بنو عمون ، وهم قوم من أهل فلسطين ثمانىَ عشرة سنة ، ثم قام بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين ، ثم دبرهم من بعده يجشون [٢] ، وهو رجل من بنى إسرائيل سبعَ سنين ، ثم دبرهم بعده ألون عشر سنين ، ثم من بعده كيرون [٣] — ويسميه بعضهم عكرون — ثمانى سنين ، ثم قهرهم أهل فلسطين وملوكهم أربعين سنة ، ثم وليهم شمسون وهو من بنى إسرائيل عشرين سنة ، ثم بقُوا بغير رئيس ولا مدبّر لأمرهم بعد شمسون — فيما قيل — عشر سنين ، ثم دبر أمرهم بعد ذلك عالى الكاهن ، وفى أيامه غلب أهل غزّة وعسقلان على تابوت الميثاق ، فلما مضى من وقت قيامه بأمرهم أربعين سنة ، بعث سمويل نبيا فدبر شمويل [٤] أمرهم — فيما ذكر — عشر سنين. ثم سألوا شمويل حين نالهم بالذل والهوان بمعصيتهم ربهم أعداؤهم ، أن يبعث لهم ملِكًا يجاهدون معه فى سبيل الله ، فقال لهم شمويل ما قد قصّ الله فى كتابه العزيز .

٥٤٧/١

---

(١) ا : « بابين » ، ن : « يانين » .
(٢) ا ، « يخشون » .
(٣) ا : « ليزون » .
(٤) ا : « سمويل » . ، وهو فى كل مرة يرد اسمه فيها كذلك .

ذكر خبر شمويل بن بالى بن علقمة بن يرخام بن اليهو ابن تهو بن صوف ، وطالوت وجالوت

كان من خبر شمويل بن بالى أن بنى إسرائيل لما طال عليهم البلاء ، وأذلتْهم الملوك من غيرهم ، ووطئت بلادهم ، وقتلوا رجالَهم ، وسبوْا ذراريّهم، وغلبوهم[1] على التابوت الذى فيه السكينة والبقية[2] مما ترك آل موسى وآل هارون ، وبه كانوا ينصرون إذا لقوا العدو ، ورغبوا[3] إلى الله عزّ وجلّ فى أن يبعث لهم نبيًّا يقيم أمرهم .

فحدثنى موسى بن هارون الهمدانى ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط عن السدّىّ ، فى خبر ذكره عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس — وعن مرة عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : كانت بنو إسرائيل يقاتلون العمالقة ، وكان ملك العمالقة جالوت ، وأنهم ظهروا على بنى إسرائيل فضربوا عليهم الجزية ، وأخذوا توراتَهم ، فكانت بنو إسرائيل يسألون الله أن يبعث لهم نبيًّا يقاتلون معه ، وكان سِبْط النبوّة قد هلكوا ، فلم يبق منهم إلا امرأة حُبْلى فأخذوها فحبسوها فى بيت ، رهبة أن تلد جارية فتبدِله بغلام ، لما ترى من رغبة بنى إسرائيل فى ولدها ، فجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقَها غلامًا ، فولدت غلامًا فسمته سمعون[4] ، تقول : الله سمع دعائى . فكبر الغلام ، فأسلمته يتعلّم التوراة فى بيت المقدس ، وكفَله شيخ من علمائهم ، وتبنّاه ، فلما بلغ الغلام أن يبعثه الله نبيًّا ، أتاه جبريل والغلام نائم إلى جنب الشيخ ، وكان لا يأمن[5] عليه أحداً غَيره فدعاه بلحن الشيخ : يا شمويل ، فقام الغلام فزعًا إلى الشيخ ، فقال : يا أبتاه ،

(١) س ، ن : « وغلبوا » .
(٢) كذا فى ا ، ح ، س ، وفى ط : « بقية » .
(٣) كذا فى ا ، ح ، وفى ط : « رغبوا » .
(٤) كذا فى ا ، ح ، س، وفى ط : « شمعون » .
(٥) كذا فى ا ، وفى ط : « لا يتمن »

دعوتنى ! فكره الشيخ أن يقول : لا فيفزع الغلام ، فقال : يا بنىّ، ارجع فنم ، فرجع الغلام فنام . ثم دعاه الثانية فلباه[١] الغلام أيضًا، فقال : دعوتنى ! فقال ارجع فنم ، فإن دعوتك الثالثة فلا تجبنى ، فلما كانت الثالثة ظهر له جبرئيل عليه السلام فقال : اذهب إلى قومك فبلّغهم رسالة ربك ، فإن الله قد بعثك فيهم نبيًّا . فلما أتاهم كذبوه وقالوا : استعجلت بالنبوّة ولم يألك[٢] وقالوا : إن كنت صادقًا فابعث لنا ملكًا يقاتل فى سبيل الله ، آية من نبوتك، قال لهم سمعون : عسى إن كُتِب عليكم القتال ألاّ تقاتلوا[٣] .

قالوا وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا بأداء الجزية، فدعا الله فأتى بعصًا ، تكون مقداراً على طول الرجل الذى يُبعث فيهم ملكًا ، فقال : إن صاحبكم يكون طوله طولَ هذه العصا ، فقاسوا أنفسَهم بها، فلم يكونوا مثلَها، وكان طالوت رجلاً سقّاء يستقى على حمار له ، فضلّ حمارُه ، فانطلق يطلبه فى الطريق ، فلما رأوه دعوه فقاسوه بها فكان مثلها ، وقال لهم نبيهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[٤] قال القوم: ما كنتَ قطّ أكذبَ منك الساعة ، ونحن من سِبْط المملكة ، وليس هو من سِبْط المملكة ،ولم يؤتَ أيضًا سعةً من المال فنتبعه لذلك ، فقال النبى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[٤] ،فقالوا : فإن كنت صادقًا فأتنا بآية أنّ هذا ملك ، قال:﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾[٥] . ١/٥٥٠

والسكينة طِسْت من ذهب يُغسل فيها قلوب الأنبياء، أعطاها الله موسى ، وفيها وضع الألواح ، وكانت الألواح ــ فيما بلغنا ــ من درّ وياقوت وزبرجد، وأما البقية فإنها عصا موسى ورُضاضة الألواح ، فأصبح التابوت وما فيه فى دار

---

(١) ط : « فأتاه » ، وما أثبته من ا .

(٢) كذا فى ا والتفسير ، وفى ط : « ولم نبالك » .

(٣) إلى هنا ينتهى الخبر فى التفسير ٥ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٤) سورة البقرة : ٢٤٧ ، والخبر فى التفسير ٥ : ٣١٩ . (٥) سورة البقرة : ٢٤٨ .

طالوت ، فآمنوا بنبوّة سمعون ، وسلّموا الملك لطالوت .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض ، وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : نزلت الملائكة بالتابوت نهاراً ينظرون إليه عياناً ، حتى وضعوه بين أظهرهم ، قال : فأقرّوا غيرَ راضين ، وخرجوا ساخطين .

رجع الحديث إلى حديث السدّى . فخرجوا معه وهم ثمانون ألفاً ، وكان جالوت من أعظم الناس وأشدّهم بأساً ، يخرج[1] يسير بين يدى الجند ، ولا يجتمع إليه أصحابه حتى يهزم هو مَنْ لقى ، فلما خرجوا قال لهم طالوت : ﴿ إنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى ﴾[2] وهو نهر فلسطين ، فشربوا منه هيبةً من جالوت ، فعَبر معه منهم أربعة آلاف ورجَع ستة وسبعون ألفاً ، فمن شرب منه عطِش ، ومن لم يشرب منه إلا غرفة روى ، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ، فنظروا إلى جالوت رجعوا أيضاً وقالوا: ﴿ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُوا اللهِ ﴾، الذين يستيقنون ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[2]. فرجع عنه أيضاً ثلاثة آلاف وستمائة وبضعة وثمانون ، وخلص فى ثلثمائة وتسعة[3] عشر عدة أهل بدر .

١/٥٥١

حدثنى المثنّى، قال ، حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : كان لعيلى الذى ربى شمويل ابنان شابان ، أحدثا فى القُرْبان

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « فخرج » .

(٢) سورة البقرة : ٢٤٩ .

(٣) فى ا ، : « بضعة » .

شيئًا لم يكن فيه كان مِسْوَط القُربان الذى كانوا يسوطونه به كلاّبَيْن ، فما أخرجا كان للكاهن الذى يَسُوطه ، فجعله ابناه كلاليب ، وكانا إذا جاءت النساء يصلّين فى القدس يتشبثان بهنّ . فبينما أشمويل نائم قبل البيت الذى كان ينام فيه عيلى إذ سمع صوتًا يقول : أشمويل ! فوثب إلى عيلى فقال : لبيك ، فقال : مالك دعوتنى ؟ قال : لا ! ارجع ، فنم . فنام ، ثم سمع صوتًا آخر يقول : أشمويل ! فوثب إلى عيلى أيضًا ، فقال : لبيك ؛ مالك دعوتنى ؟ فقال : لم أفعل ، ارجع فنم ، فإن سمعت شيئًا فقل : «لبيك» مكانك ، « مرنى فافعل » ، فرجع فنام فسمع صوتاً أيضًا يقول : أشمويل ، فقال : لبيك ، أنا هذا فمرنى أفعل ، قال : انطلق إلى عيلى ، فقل له : منعه حُبّ الولد من أن يزجُر ابنيه أن يُحدثا فى قدسى وقُربانى ، وأن يَعصيانى ، فلأنزعنّ منه الكهانة ومن ولده ، ولأهلكنّه وإياهما ، فلما أصبح سأله عيلى فأخبره ، ففزِع لذلك فزعًا شديداً ، فسار إليهم عدوٌّ ممن حوله فأمر ابنيه أن يخرجا بالناس ويقاتلا ذلك العدو ، فخرجا وأخرجا معهم التابوت الذى فيه الألواح وعصا موسى لينتصروا به[١] . فلما تهيئوا للقتال هم وعدوهم جعل عيلى يتوقع الخبر : ماذا صنعوا ؟ فجاءه رجل يخبره[٢] وهو قاعد على كرسيه : أنّ ابنَيْك قد قتلا ، وأن الناس قد انهزموا ، قال : فما فعل التابوت ؟ قال : ذهب به العدو قال فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات ، وذهب الذين سَبَوُا التابوت حتى وضعوه فى بيت آلهتهم ، ولهم صنم يعبدونه ، فوضعوه تحت الصنم والصنم من فوقه ، فأصبح من الغد الصنم تحته ، وهو فوق الصنم ، ثم أخذوه فوضعوه فوقه ، وسمَّروا قدميه فى التابوت ، فأصبح من الغد قد قطعت يد الصنم ورجلاه ، وأصبح ملقىً تحت التابوت ، فقال بعضهم لبعض : أليس[٣] قد علمتم أن إله بنى إسرائيل لا يقوم له شىء ! فأخرجوه من بيت آلهتكم . فأخرجوا التابوت فوضعوه فى ناحية من قريتهم ، فأخذ أهل تلك الناحيةَ التى وضعوا فيها التابوتَ وَجعٌ فى أعناقهم ، فقالوا : ما هذا ؟ فقالت لهم جارية كانت عندهم من سَبى بنى إسرائيل : لا تزالون

١/٥٥٢

---

(١) س : « بها » ، التفسير : « لينصروا به » .
(٢) ن : « فخبره » .
(٣) ن : « ألستم » .

تروْن ما تكرهون ! ما كان هذا التابوت فيكم ، فأخرجوه من قريتكم . قالوا : ١/٥٥٣
كذبت ، قالت : إن آية ذلك أن تأتوا ببقرتيْن ، لهما أولاد لم يوضع عليهما نِيرٌ قطّ ، ثم تضعوا وراءهما العجل ، ثم تضعوا التابوت على العجل وتسيّروهما وتحبسوا أولادهما ، فإنهما تنطلقان به مذعنتين ، حتى إذا خرجتا من أرضكم ووقعتا فى أدنى أرض بنى إسرائيل كسرتا نِيرَهما ، وأقبلتا إلى أولادهما ، ففعلوا ذلك ، فلما خرجتا من أرضهم ، ووقعتا[1] فى أدنى أرض بنى إسرائيل ، كسرتا نِيرهما وأقبلتا إلى أولادهما ، ووضعتاه فى خربة فيها حصاد من بنى إسرائيل ، ففزع إليه بنو إسرائيل ، وأقبلوا إليه فجعل لا يدنو منه[2] أحد إلا مات ، فقال لهم نبيهم أشمويل اعترضوا[3] ، فمن آنس من نفسه قوة فليدنُ منه ، فعرضوا عليه الناس ، فلم يقدِرْ أحد على أن يدنوَ منه ؛ إلا رجلان من بنى إسرائيل ، أذن لهما بأنْ يحملاه إلى بيت أمهما ، وهى أرملة ، فكان فى بيت أمهما ، حتى ملَك طالوت ، فصلُح أمر بنى إسرائيل مع أشمويل[4] . فقالت بنو إسرائيل : لأشمويل : ابعث لنا ملكًا يقاتل فى سبيل الله ، قال : قد كفاكم الله القتال ، قالوا إنا نتخوّفُ مَنْ حولنا ، فيكون لنا ملك نفزع إليه ، فأوحى الله إلى أشمويل : أن ابعثْ لهم طالوت ملكًا وادهُنه بدهن القدس ، فضلت حمر لأبى طالوت ، فأرسله وغلاما له يطلبانها فجاءا إلى أشمويل يسألانه عنها ، فقال إنّ الله قد بعثكَ ملكًا على بنى إسرائيل ، ١/٥٥٤
قال : أنا ! قال : نعم ، قال أو ما علمت أنّ سِبْطى أدنى أسباط بنى إسرائيل ! قال : بلى ، قال . أفما علمت أنّ قبيلتى أدنى قبائل سِبْطى ! قال : بلى ، قال : أما علمت أن بيتى أدنى بيوت قبيلتى ؟ قال : بلى ، قال : فبأية آية ؟ قال : بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حُمرَه ، وإذا كنت فى مكان كذا وكذا نزل عليك الوحى . فدهنَه بدُهْن القدس ، وقال لبنى إسرائيل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ

---

(١) ن : « ووضعتاه » .
(٢) ن : « إليه » .
(٣) كذا فى ا ، ن والتفسير ، وفى ط : « أعرضوا » .
(٤) إلى هنا ، الخبر فى التفسير ٥ : ٣١٨ - ٣٢٠ .

بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾(١).

رجع الحديث إلى حديث السدىّ. ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾(٢) فعبَر يومئذ أبو داود فيمنْ عَبر فى ثلاثة عشر ابنًا له ، وكان داود أصغَر بنيه وإنه أتاه ذات يوم فقال : يا أبتاه ، ما أرمى بقذّافتى شيئًا إلا صرعته ، قال : أبشِرْ يا بنى ، إن الله قد جعل رزقك فى قَذّافتك ، ثم أتاه مرة أخرى فقال : يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسداً رابضًا فركبت عليه وأخذت بأذنيه فلم يهجنى ، فقال : أبشر يا بنى ، فإن هذا خيرٌ يعطيكه الله ، ثم أتاه يومًا آخر ، فقال : يا أبتاه إنى لأمشى بين الجبال فأسبِّح فلا يبقى جبل إلا سبّح معى ، فقال : أبشِرْ يا بنى ، فإنّ هذا خيرٌ أعطاكه الله — وكان داود راعيًا ، وكان أبوه خلّفه يأتى إلى أبيه وإلى إخوته بالطعام — فأتى النبى عليه السلام بقرن فيه دُهن وتَنوّر من حديد ، فبعث به إلى طالوت ، قال : إنّ صاحبكم الذى يقتل جالوت يوضع هذا القرن على رأسه ، فيغلى حتى يدّهن منه ولا يسيل على وجهه ، ويكون على رأسه كهيئة الإكليل ، ويدخل فى هذا التنور فيملأه . فدعا طالوت بنى إسرائيل ، فجرَّبهم به فلم يوافقه منهم أحد ، فلما فرَغوا قال طالوت لأبى داود : هَلْ بقى لك ولد لم يشهدنا ؟ قال : نعم ، بقى ابنى داود ، وهو يأتينا بطعام ، فلما أتاه داود مرَّ فى الطريق بثلاثة أحجار فكلّمنه وقلن له : خذنا يا داود تقتل بنا جالوت ، قال : فأخذهنّ وجعلهن فى مخلاته ، وكان طالوت قد قال : مَنْ قتل جالوت زوّجته ابنتى ، وأجريت خاتمه فى ملكى ، فلما جاء داود وضعوا القرن على رأسه ، فغلَى حتى ادّهن منه ولبس التنور فملأه ، وكان رجلا مسقاما مصفارًّا ، ولم يلبسه أحد إلا تقلقل فيه ، فلما لبِسه داود تضايق التنّور عليه حتى تنقّض ، ثم مشى إلى جالوت ، وكان جالوت من أجْسَم الناس وأشدّهم ،

١/٥٥٥

---

(١) سورة البقرة : ٢٤٧ ، والخبر فى التفسير ٥ : ٣٠٨ ، ٣٠٩

(٢) سورة البقرة : ٢٥٠ .

فلمّا نظر إلى داود قُذفَ فى قلبه الرعب منه ، فقال له : يا فتى ، ارجع فإنى أرحمك أن أقتلَك ، فقال داود : لا بل أنا أقتلك . فأخرج الحجارة فوضعها فى القَذّافة ، كلّما رفع منها حجرا سمّاه ، فقال : هذا باسم أبى إبراهيم ، والثانى باسم أبى إسحاق ، والثالث باسم أبى إسرائيل ، ثم أدار القذّافة فعادت الأحجار حجراً واحداً ، ثم أرسلَه فصكّ به بين عينى جالوت فنَقَبتْ رأسه ، ثم قتلته ؛ فلم تزل تقتل كلّ إنسان تصيبه تنفذ فيه ، حتى لم يكن بحيالها أحد ، فهزموهم عند ذلك ، وقتل داود جالوت ، ورجع طالوت فأنكح داود ابنته ، وأجرى خاتَمه فى ملكه ، فمال الناس إلى داود وأحبّوه . ١/٥٥٦

فلما رأى ذلك طالوت وجَد فى نفسه وحسده ، وأراد قتلَه ، فعلم داود أنه يريده بذلك[1] ، فسجّى[2] له زِقّ خمر فى مضجعه ، فدخل طالوت إلى منام داود وقد هرب داود ، فضرب الزقّ ضربة فخرقه ، فسالت[3] الخمر منه ، فوقعت قطرة من خمرٍ[4] فى فيه ، فقال : يرحم الله داود ، ما كان أكثر شربَه للخمر ! ثم إن داود أتاه من القابلة فى بيته وهو نائم ، فوضع سهمين عند رأسه ، وعند رجليه وعن يمينه وعن شماله سهمين سهمين ، ثم نزل . فلما استيقظ طالوت بصُر بالسهام فعرفها فقال : يرحم الله داود ، هو خيرٌ منّى ، ظفرت به فقتلته[5] وظَفِر بى فكفّ عنى ! ثم إنه ركب يومًا فوجدهُ يمشى فى البرّية ، وطالوت على فرس ، فقال طالوت : اليوم أقتلُ داود — وكان داود إذا فزع لم يدرَك — فركَض على أثره طالوت ، ففزع داود ، فاشتدّ فدخل غاراً ، فأوحى الله إلى العنكبوت فضربت عليه بيتًا ، فلما انتهى طالوتُ إلى الغار نظر إلى بناء العنكبوت ، فقال : لو كان دخل ها هنا لخرَق بيت العنكبوت ، فخيّل إليه فتركه .

وطعن العلماءُ على طالوت فى شأن داود ، فجعل طالوت لا ينهاه أحدٌ عن داود إلا قتله ، وأغراه الله بالعلماء يقتلهم ، فلم يكن يقدر فى بنى إسرائيل على عالم يُطيق قتله إلا قتله ، حتى أُتِىَ بامرأة تعلم اسم الله الأعظم ، فأمر الخبّاز[6] أن يقتلها ، ١/٥٥٧

---

(١) س : « يريد ذلك » . (٢) سجى الشىء : غطاه .
(٣) فى ا ، ح : « فسال » والخمر تذكر وتؤنث .
(٤) ط : « الخمر » ، وما أثبته عن ا ، ح ، س .
(٥) كذا فى الأصول ، وفى ابن الأثير : « فأردت قتله » . (٦) كذا فى ا ، وفى ط : « الجبار » .

فرحمها الخباز، وقال : لعلنا نحتاج إلى عالم. فتركها ، فوقع فى قلب طالوت التوبة وندم ، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس ، وكان كلّ ليلة يخرج إلى القبور فيبكى ، وينادى : أنشد الله عبداً علم أن لى توبةً إلاّ أخبرنى بها ! فلما أكثر[١] عليهم [ليالِىَ][٢] ناداه مناد من القبور : أن يا طالوت ، أما ترضى أن قتلتَنا أحياء حتى تؤذينا أمواتًا ! فازداد بكاء وحزنًا ، فرحمه الخباز فكلمه فقال : مالك ؟ فقال : هل تعلم لى فى الأرض عالمًا أسأله : هل لى من توبة ؟ فقال له الخباز : هل تدرى ما مثلُك ؟ إنما مثلُك مثلُ ملِك نزل قريةً عشاء فصاح الديك ، فتطيّر منه ، فقال : لا تتركوا فى القرية ديكًا إلا ذبحتموه ، فلما أراد أن ينام قال : إذا صاح الديك فأيقظونا حتى نُدْلِج[٣] ، فقالوا له : وهل تركتَ ديكًا يُسمع صوته ! ولكن هل تركتَ عالمًا فى الأرض ! فازداد حزنًا وبكاء ، فلما رأى الخباز منه الجدّ ، قال : أرأيتُك إن دللتك على عالم لعلك أن تقتله ! قال : لا ، فتوثق عليه الخباز ، فأخبره أن المرأة العالمة عنده ، قال : انطلِق بى إليها أسألها هل لى من توبة ؟ وكان إنما يعلم ذلك الاسم أهل بيت ؛ إذا فنيَت رجالهم علمت النساء ، فقال : إنها إن رأتك غُشِى عليها ، وفزعتْ منك ، فلما بلغ الباب خلّفه خلفه ، ثم دخل عليها الخباز ، فقال لها : ألستُ أعظم الناس منّة عليك ؟ أنجيتكِ من القتل ، وآويتك عندى. قالت : بلى ، قال : فإنّ لى إليك حاجة ، هذا طالوت يسألك : هل له من توبة ؟ فغشى عليها من الفرَق ، فقال لها : إنه لا يريد قتلك ، ولكن يسألك : هل له من توبة ؟ قالت : لا ، والله ما أعلم لطالوت توبةً ، ولكنْ هل تعلمون مكان قبر نبىّ ؟ قالوا : نعم ، هذا قبر يوشع بن نون ، فانطلقتْ وهما معها إليه ، فدعتْ ، فخرج يوشع بن نون ينفضُ رأسَه من التراب ، فلما نظر إليهم ثلاثتِهم قال : ما لكم ؟ أقامت القيامة ؟ قالت : لا ، ولكن طالوت يسألك : هل له من توبة ؟ قال يوشع : ما أعلم لطالوت من توبة إلا أن يتخلّى من ملكه ، ويخرج هو وولده فيقاتلون[٤] بين يديه فى سبيل الله ، حتى إذا قُتِلوا شدّ هو فقُتل ؛ فعسى أن يكون

١/٥٥٨

(١) ح ، س : « كثر » . (٢) تكملة من ا ، ح ، س .
(٣) الإدلاج هنا : السير آخر الليل .
(٤) ن : « يقاتلون » .

ذلك له توبة ، ثم سقط ميتًا فى القبر .

ورجع طالوت أحزنَ ما كان ؛ رهبة[١] ألاّ يتابعه ولده ، فبكى حتّى سقطت أشفار عينيه ، ونحَلَ جسمُه ، فدخل عليه بنوه وهم ثلاثة عشر رجلا فكلّموه وسألوه عن حاله ، فأخبرهم خبره ، وما قيل له فى توبته ، فسألهم أن يغزوا معه ، فجهّزهم فخرجوا معه ، فشدُّوا بين يديه حتّى قتلوا ، ثم شدّ بعدهم هو فقتل ، وملك داود بعد ذلك ، وجعله الله نبيًّا ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وآتاهُ اللهُ المُلْكَ والحِكْمَةَ ﴾ ؛ قيل : هى النبوّة ؛ آتاه نبوّة شمعون وملك طالوت . ١/٥٥٩

* * *

واسم طالوت بالسريانية شاول بن قيس بن أبيال[٢] بن ضرار بن بحرت[٣] بن أفيح بن أيش[٤] بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم[٥] .

وقال ابن إسحاق : كان النبىّ الذى بعث لطالوت من قبره حتّى أخبره بتوبته اليسع بن أخطوب ؛ حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

* * *

وزعم أهل التوراة أنّ مدة ملك طالوت من أولها إلى أن قتل فى الحرب مع ولده كانت أربعين سنة .

---

(١) ا ، س : « قط رهبة » .
(٢) ن : « أنيال » .
(٣) ا والتفسير : « يحرب » .
(٤) التفسير : « آيس » .
(٥) التفسير ٥ : ٣٠٨

ذكر خبر داود بن إيشى بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمى ناذب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

وكان داود عليه السلام(1) ــ فيما حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبّه ــ قصيراً أزرق قليلَ الشعر ، طاهر القلب نقيَّه .

١/٥٦٠ حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنى ابن زيد فى قول الله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾(2) قال : أوحى الله إلى نبيِّهم أنّ فى وَلَد فلان رجلا يقتل الله به جالوت ، ومن علامته هذا القرن يضعه على رأسه فيفيض ماء ، فأتاه فقال : إن الله عزّ وجلّ أوحى إلىّ أنّ فى وَلَدك رجلاً يقتلُ الله به جالوت . فقال : نعم يانبى الله ، قال : فأخرجَ له اثنىْ عشر رجلا أمثالَ السَّوارى(3) ، وفيهم رجل بارع [عليهم](4) ، فجعل يعرِضهم على القَرْن فلا يرى شيئاً ، فيقول لذلك الجسيم : ارجع ، فيردّده عليه ، فأوحى الله إليه : إنا لا نأخذ الرجال على صُورهم ، ولكنا نأخذهم على صلاح قلوبهم ، قال : ياربّ ، قد زعم أنه ليس له ولد غيره ، فقال : كذب ، فقال : إن ربى قد كذّبك ، وقال : إن لك ولداً غيرهم . قال : قد صدق يا نبىّ الله ، إن لى ولداً قصيراً استحييت أن يراه الناس فجعلته فى الغنم ، قال : فأين هو ؟ قال : فى شِعْب كذا وكذا ، من جبل كذا وكذا ، فخرج إليه فوجد الوادىَ قد سال بينه وبين البقعة التى كان يريح(5) إليها . قال : ووجده يحمل شاتين شاتين ، يُجيزُ بهما السَّيْل ولا يخوض بهما السيل . فلما رآه قال : هذا هو ، لا شكّ فيه ، هذا

---

(1) ا : « وكان داود رجلا » . (2) سورة البقرة ٢٤٣ – ٢٤٦ .

(3) السوارى : الأعمدة ، جمع سارية . (4) تكملة من ا والتفسير ، والبارع : الذى يفوق أصحابه فى العلم وغيره . (5) أراح الغنم : ردها إلى مراحها .

يرحم البهائم ، فهو بالناس أرحم ! قال : فوضع القرن على رأسه ففاض[١] .

حدثني المثنَّى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقِل ، عن وهب بن منبِّه قال : لما سلَّمت بنو إسرائيل المُلكَ لطالوت ، أوحى الله إلى نبيِّ بني إسرائيل : أن قل لطالوت : فلْيغزُ أهلَ مدينَ ، فلا[٢] يترك فيها حيًّا إلا قتله ، فإني سأظهرُه عليهم ، فخرج بالناس حتى أتى مدينَ ، فقتل مَنْ كان فيها ، إلا ملِكَهم فإنه أسَره ، وساق مواشيَهم ، فأوحى الله إلى أشمويل : ألاَ تعجبُ من طالوت إذ أمرتُه بأمري فاختلَّ[٣] فيه ، فجاء بملكهم أسيراً ، وساق مواشيَهم ! فالقه فقل له : لأنزعنَّ الملك من بيته ، ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة ، فإني إنما أكرِمُ مَنْ أطاعني ، وأهينُ مَنْ هان عليه أمري . فلقيَه فقال له : ما صنعت ! لمَ جئتَ بملكهم أسيراً ، ولم سقت مواشيهم ؟ قال : إنما سقت المواشيَ لأقرِّبها[٤] ، قال له أشمويل : إن الله قد نزع من بيتك المُلك ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة ، فأوحى الله إلى أشمويل : انطلق إلى إيشى فيعرِض عليك بنيه ، فادهُن الذى آمرك بدُهْن القدس ، يكُنْ ملكًا على بني إسرائيل . فانطلق حتى أتى إيشى ، فقال : اعرِضْ عليَّ بنيك ، فدعا إيشى أكبرَ ولده ، فأقبل رجل جسيم حسَنُ المنظر ، فلما نظر إليه أشمويل أعجبه ، فقال : الحمد لله ، إن الله بصير بالعباد ! فأوحى الله إليه : إنَّ عينيك تُبصران ما ظهر ، وإني أطَّلع على ما في القلوب ، ليس بهذا ! فقال : ليس بهذا ، اعرِض عليَّ غيرَه . فعرض عليه ستة ، في كلِّ ذلك يقول : ليس بهذا ، اعرِض عليَّ غيرَه ، فقال : هل لك من ولدٍ غيرهم ؟ فقال : بلى[٥] ، لي غلام أمغر[٦] وهو راع في الغنم . قال : أرسِل إليه ، فلما أن جاء داود ، جاء غلام أمغَر ؛ فدهنه بدُهن القدس ، وقال لأبيه : اكتم هذا ،

(١) الخبر في التفسير ٥ : ٣٦٦ — ٣٦٧ على وجه أطول .
(٢) ح ، س : « ولا يترك » . (٣) اختل ، من الختل وهو الفساد ، وفي ا : « فاختار » .
(٤) لأقربها ، أي لأجعلها قرباناً .
(٥) ح : « بقي لي » .
(٦) الأمغر : الأحمر الشعر والجلد .

فإنّ طالوت لو يطّلع عليه قتله . فسار جالوت فى قومه إلى بنى إسرائيل فعسكر ، وسار طالوت ببنى إسرائيل وعسكر ، وتهيئُوا للقتال ، فأرسل جالوت إلى طالوت : لِمَ يُقتَل قومى وقومُك ؟ ابرُز لى، أو أبرِز لى مَنْ شئت، فإن قتلتُك كان الملك لى ، وإن قتلتَنى كان الملك لك . فأرسل طالوت فى عسكره صائحًا : مَنْ يبرز لجالوت ! ثم ذكر قصة طالوت وجالوت وقتل داود إياه ، وما كان من طالوت إلى داود[1] .

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذا الخبر بيان أنّ داود قد كان الله حوّل الملك له قبل قتله جالوت ، وقبل أن يكون من طالوت إليه ما كان من محاولته قتله ، وأما سائر مَنْ روينا عنه قولا فى ذلك ، فإنهم قالوا : إنما مَلَك داود بعد ما قتِل طالوت وولده .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — فيما ذكر لى بعض أهل العلم — عن وهب بن منبّه قال : لما قتَل داودُ جالوت ، وانهزم جندُه قال الناس : قتَل داود جالوت وخلع طالوتَ ، وأقبل الناس على داود مكانه حتى لم يسمع لطالوت بذكْر .

قال : ولما اجتمعت بنو إسرائيل على داود أنزل الله عليه الزّبور ، وعلّمه صنعة الحديد ، وألانَهُ له ، وأمر الجبال والطير أن يسبّحن معه إذا سبّح ، ولم يعطِ الله — فيما يذكرون — أحداً من خلقه مثل صوته، كان إذا قرأ الزبور — فيما يذكرون — ترنو له الوحوش[2] حتى يؤخذ بأعناقها، وإنها لَمُصيخة تسمع لصوته ، وما صنعت الشياطينُ المزاميرَ والبرابَط والصنوج[3] إلا على أصناف صوته ، وكان شديدَ الاجتهاد ، دائب العبادة ، كثير البكاء ، وكان كما وصفه الله عزّ وجلّ لنبيه محمد عليه السلام فقال : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنا دَاوُدَ

٥٦٣/١

(١) الخبر وبقيته فى التفسير ٥ : ٣٥٩ — ٣٦٣ .

(٢) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « الوحش » .

(٣) المزامير : جمع مزمار ؛ وهو ما يزمر به . والبرابط : جمع بربط ؛ وهو العود . والصنوج : جمع صنج ؛ وهو آلة بأوتار يضرب بها .

ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾[1]، يعنى بذلك ذا القوة .

وقد حدثنا بشر بن معاذ ، قال ، حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾، قال : أعطِىَ قوةً فى العبادة، وفقهاً فى الإسلام . وقد ذُكِر[2] لنا أن داود عليه السلام كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر[3]. وكان يحرسه — فيما ذكر — فى كلِّ يوم وليلة أربعةُ آلاف .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضّل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾[4]، قال: كان يحرسُه كلَّ يوم وليلة أربعة آلاف .

وذُكر أنه تمنّى يومًا من الأيام على ربِّه منزلةَ آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وسأله أن يمتحنه بنحو الذى كان امتحنهم ، ويعطيَه من الفضل نحوَ الذى كان أعطاهم .

فحدثنى محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، قال : قال السُّدّى : كان داودُ قد قسّم الدهر ثلاثة أيام : يومًا يقضِى فيه بين الناس ، ويومًا يخلُو فيه لعبادة ربه ، ويومًا يخلُو فيه لنسائه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وكان فيما يقرَأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضلَ إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فلما وجَد ذلك فيما يقرأ[5] من الكتب، قال : يا ربّ أرى الخير كلّه قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى ، فأعطنى مثلَ ما أعطيتَهم ، وافعل بى مثلَ ما فعلت بهم . قال : فأوحى الله إليه أنّ آباءك ابتُلوا ببلايا لم تبتَل بها، ابتلِىَ إبراهيمُ بذبح ابنه ، وابتلىَ إسحاق بذهاب بَصره ، وابتُلىَ يعقوب بحزنه على ابنه يوسف ، وإنك لم تبتلَ من ذلك بشىء. قال: يا ربّ ابتلِنى بمثل ما ابتليتَهم به، وأعطنى مثل ما أعطيتَهم. قال :

١/٥٦٤

---

(١) سورة ص ١٧ ، ١٨ (٢) كذا فى ا والتفسير ، وفى ط : « فذكر » .
(٣) إلى هنا الخبر فى التفسير ٢٣ : ٨٦ (بولاق) . (٤) سورة ص ٢٠
(٥) ا : « قرأ » .

فأوحى إليه إنك مبتلًى فاحترس[١]. قال: فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث إذ جاءه الشيطان قد تمثّل فى صورة حمامة من ذهب، حتى وقع عند[٢] رجليه وهو قائم يصلّى، قال: فمدّ يده ليأخذه فتنحّى فتبعه، فتباعد حتى وقع فى كُوّة، فذهب ليأخذه، فطار من الكُوّة، فنظر: أين يقع فيبعث[٣] فى أثره، قال: فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها، فرأى امرأة من أجمل النساء[٤] خلقًا، فحانت منها التفاتة فأبصرته، فألقت شعرها فاستترت به، قال: فزاده ذلك فيها رغبة، قال: فسأل عنها فأخبر أن لها زوجًا، وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا، قال: فبعث إلى صاحب المسلحة يأمره أن يبعث أهريا إلى عدوّ كذا وكذا. قال: فبعثه ففتح له، قال: وكتب إليه بذلك، فكتب إليه أيضًا: أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، أشدّ منهم بأسًا. قال: فبعثه ففتح له أيضًا، قال: فكتب إلى داود[٥] بذلك، قال: فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا. قال: فبعثه، قال: فقتل المرّة الثالثة، قال: وتزوّج داود امرأته، فلما دخلتْ عليه لم تلبث عنده إلا يسيراً حتى بعث الله مَلَكَيْن فى صورة إنسيّيْن فطلبا أن يدخلا عليه، فوجداه فى يوم عبادته، فمنعهما الحرسُ أن يدخلا عليه، فتسوّرا عليه المِحْراب، قال: فما شعُر وهو يصلّى إذا هو بهما بين يديْه جالسَيْن، قال: ففزِع منهما، فقالا: لا تَخفْ، إنما نحنُ ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ يقول: لا تحِفْ، ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ إلى عدل القضاء. قال: قُصَّا علىّ قصّتكما، قال: فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[٦]. فهو يريد أن يأخُذ نعجتى، فيكمِّل بها نعاجَه مائة، قال: فقال للآخر:

١/٥٦٥

(١) ن: «فاصبر».
(٢) ا: «بين رجليه».
(٣) ا «وقع فتبعه»، وفى ن: «فيتبع أثره».
(٤) ن والتفسير: «الناس».
(٥) ن والتفسير: «إليه».
(٦) سورة ص ٢٢، ٢٣

ما تقول؟ فقال: إن لى تسعًا وتسعين نعجة، ولأخى هذا نعجة واحدة، فأنا أريد أن آخذها منه، فأكمّل بها نعاجى مائة، قال: وهو كاره! قال: وهو كاره، قال: إذاً لا نَدعك وذاك، قال: ما أنت على ذلك بقادر! قال: فإن ذهبت تَرُوم ذلك أو تريد ذلك، ضربنا منك هذا وهذا — وفسّر أسباط طَرف الأنف والجبهة — فقال: يا داود، أنت أحقّ أن يُضرب منك هذا وهذا، حيث لك تسع وتسعون امرأة، ولم يكن لأهريا(١) إلا امرأة واحدة. فلم تزل به تعرّضه للقتل حتى قُتِل، وتزوّجت امرأتَه. قال: فنظر فلم يرَ شيئًا، قال: فعرَف ما قد وقع فيه، وما ابتُلِيَ به، قال: فخرّ ساجداً فبكى، قال: فمكث يبكى ساجداً أربعين يومًا لا يرفع رأسه إلا لحاجة لا بدّ منها، ثم يقَع ساجداً يبكى، ثم يدعو حتى نبت العُشب من دموع عينَيْه، قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إليه بعد أربعين يومًا: يا داود، ارفعْ رأسَك فقد غفرتُ لك، فقال: يا ربّ، كيف أعلم أنّك قد غفرتَ لى وأنت حَكَمٌ عدل لا تحِيفُ فى القضاء؛ إذا جاء أهريا يومَ القيامة آخذاً رأسه بيمينه أو بشماله تَشخَبُ أوداجه(٢) دماً فى قِبَل عرشك: يقول: يارب، سلْ هذا فيمَ قتلنى! قال: فأوحى الله إليه: إذا كان ذلك دعوتُ أهريا فأستوهبك منه، فيهبك لى فأثيبه بذلك الجنة. قال: ربّ الآن علمت أنّك قد غفرتَ لى، قال: فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياءً من ربه حتى قبض(٣).

١/٥٦٦

حدثنى على بن سهل، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر، قال: حدّثنى عطاء الخراسانىّ، قال: نقَش داود خطيئته فى كفّه لكيلا ينساها؛ فكان إذا رآها خَفقتْ يدُه واضطربت.

* * *

١/٥٦٧

وقد قيل: إن سببَ المحنْة بما امتُحن به، أنّ نفسَه حدثتْه أنه يُطيق قطْع يوم من الأيام بغير مُقارفة سوء، فكان اليوم الذى عَرَض له فيه ما عرض، اليوم الذى ظنّ أنه يقطعه بغير اقتراف سوء.

---

(١) ن: «لأوريا». (٢) تشخب أوداجه: تسيل دماً.

(٣) الخبر فى التفسير ٢٣: ٩٢، ٩٤ (بولاق).

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن مطر ، عن الحسن ، أن داود جزّأ الدهر أربعة أجزاء : يوماً لنسائه ، ويوماً لعبادته ، ويوماً لقضاء بنى إسرائيل ، ويوماً لبنى إسرائيل ؛ يذاكرهم ويذاكرونه ، ويُبكيهم ويُبكونه . فلما كان يوم بنى إسرائيل ، ذكروا فقالوا : هل يأتى على الإنسان يومٌ لا يصبب فيه ذنباً ! فأضمر داود فى نفسه أنه سيُطيق ذلك ، فلما كان يوم عبادته غلّق[1] أبوابه ، وأمر ألاّ يُدخَل عليه أحد ، وأكبّ على التوراة ، فبينما هو يقرؤها إذا حمامة من ذهب ، فيها من كلّ لون حسن ، قد وقعتْ بين يديه ، فأهوى إليها ليأخذَها ، قال : فطارت فوقعت غيرَ بعيد ، من غير أن تُوئِسَه من نفسها ، قال : فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل ، فأعجبه خَلْقُها وحسنها ، فلما رأت ظلّه فى الأرض جلّلت نفسَها بشعرها ، فزاده ذلك أيضاً إعجاباً بها ، وكان قد بعثَ زوجَها على بعض جيوشه ، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا (مكان إذا سار إليه لم يرجع) قال : ففعل فأصيب ، فخطبها فتزوّجها — قال : وقال قتادة بلغنا أنها أمّ سليمان — قال : فبينما هو فى المحراب إذ تسوّر الملَكان عليه ، وكان الخصمان إذا أتوه يأتونه من باب المحراب ، ففزع منهم حين تسوّروا المحراب ، فقالوا : ﴿ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ أى ولا تملْ ﴿ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ أى أعدله وخيره ، ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ — وكان لداود تسع وتسعون امرأة — ﴿ وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ قال : وإنما كان للرجل امرأةٌ واحدة ﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ ، أى ظلمنى وقهرنى . ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾ — إلى ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ ﴾ ، فعلِم أنما أضمِر له ، أى عُنى بذلك ، ﴿ فَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[2] .

١/٥٦٨

---

(١) ا والتفسير : « أغلق » .

(٢) سورة ص ٢٢ — ٢٤ ، والخبر فى التفسير ٢٣ : ٩٤ ، ٩٥ (بولاق) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثًا يذكر عن مجاهد ، قال : لما أصاب داودَ الخطيئة، خرّ لله ساجداً أربعين يومًا ، حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطّى رأسَه ، ثم نادى: يا ربّ قَرِحَ الجبين، وجَمَدت العين ! وداود لم يُرْجَع إليه فى خطيئته شيء . فنودى: أجائع فتطعَم ؟ أم مريض فتُشفَى ؟ أم مظلوم فيُنتصَر لك ! قال : فنحب نَحْبَةً هاج كلّ شيء كان نبت ، فعند ذلك غُفِر له . وكانت خطيئته مكتوبة بكفِّه يقرؤها ، وكان يُؤتى بالإناء ليشرب فلا يشرب إلا ثُلُثَه أو نصفَه ، وكان يذكر خطيئته فينتحب النَّحْبة تكاد مفاصله يزول بعضها عن[1] بعض ، ثم ما يتمّ شربه حتى يملأ الإناء من دموعه . وكان يقال: إن دمعةَ داود تعدِل دمعة الخلائق ، ودمعةَ آدم تعدل دمعة داود ودمعة الخلائق . قال : وهو يجيء يوم القيامة خطيئته مكتوبة بكفّه فيقول : ربّ ذنبي ذنبي قدِّمْني ! قال : فيقدَّم فلا يأمن ، فيقول : رب أخرني ، قال : فيؤخَّر فلا يأمن[2] .

١/٥٦٩

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن لَهيعة ، عن أبي صخر، عن يزيد الرّقاشيّ ، عن أنس بن مالك يقول[3] : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن داودَ النبيّ عليه السلام حين نظر إلى المرأة[4] فأهمّ ، قَطَع[5] على بنى إسرائيل بعثًا ، فأوصى صاحب البعث ، فقال : إذا حضر العدو فقرّبْ فلانًا بين يدى التابوت ، وكان التابوتُ فى ذلك الزمان يَستنصر به مَنْ قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتَل أو ينهزم عنه الجيش ، فقُتِل زوج المرأة ، ونزل الملَكان على داود يقُصّان عليه قصّته ، ففطِن داود فسجد ، فمكث أربعين[6] ليلة ساجداً ، حتى نبت الزّرْع من دموعه على رأسه ، وأكلت الأرضُ من جبينه ، وهو يقول فى سجوده —

---

(١) ح ، س : « من بعض » .

(٢) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٩٦ (بولاق)

(٣) ا : « قال » ، وفى التفسير : « سمعه يقول » .

(٤) ط : « مرأة » ؛ وما أثبته عن ا والتفسير .

(٥) أى أفرد قوماً منهم ، وبعثهم فى الغزو ؛ ومنه الحديث : « كان إذا أراد أن يقطع بعثاً ... » وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٢٦٤ .

(٦) ن : « أربعين يوماً وليلة » .

فلم أحص(١) من الرقاشىّ إلا هؤلاء الكلمات : رَبِّ زلّ داود زلّةً أبعد مما بين المشرق والمغرب ! ربِّ إن لم ترحم ضُعفَ داود ، وتغفر ذنبه جعلتَ ذنبه حديثًا فى الخُلوف من بعده . فجاءه جبرئيلُ من بعد أربعين ليلة فقال : يا داود ، إنّ الله قد غفر لك الهمّ الذى هممتَ به ، فقال داود : قد علمتُ أنّ الله قادر على أن يغفر لىَ الهمّ الذى هممتُ به ، وقد عرفتُ أن الله عدْلٌ

١/٥٧٠ لا يميل ، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة ، فقال : يا ربّ دمى الذى عند داود ! فقال جبرئيل : ما سألتُ ربّك عن ذلك ، ولئن شئتَ لأفعلنّ ، قال : نعم ، قال : فعرج جبرئيل وسجد داود ، فمكث ما شاء الله ثم نزل ، فقال : قد سألتُ الله يا داود عن الذى أرسلتنى فيه فقال : قل له : يا داود ، إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول : هب لى دَمك الذى عند داود ، فيقول : هو لك يا ربّ ، فيقول : فإن لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عِوَضًا(٢) .

* * *

ويزعم(٣) أهلُ الكتاب أن داود لم يزل قائمًا بالملك بعد طالوت إلى أن كان من أمره وأمر امرأة أوريا ما كان ، فلما واقع ما واقع من الخطيئة اشتغل بالتوبة منها — فيما زعموا — واستخفّ به بنو إسرائيل ، ووثب عليه ابن له يقال له إيشى ، فدعا إلى نفسه فاجتمع إليه أهلُ الزَّيغ من بنى إسرائيل ، قالوا : فلما تاب الله على داود ثابتْ إليه ثائبة من الناس ، فحارب ابنَه حتى هزمه ، ووجّه فى طلبه قائداً من قواده ، وتقدّم إليه أن يتوقى حَتْفَهُ ، ويتلطّف لأسره ، فطلبه القائد وهو منهزم ، فاضطره إلى شجرة فركض فيها — وكان ذا جُمّة — فتعلّق

١/٥٧١ بعض أغصان الشجرة بشعره فحبسه ، ولحقه القائد فقتله مخالفًا لأمر داود ، فحزن داود عليه حزنًا شديداً ، وتنكّر للقائد ، وأصاب بنى إسرائيل فى زمانه طاعون جارف ، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس يدعون الله ويسألونه كشفَ ذلك البلاء عنهم ، فاستجيب لهم ، فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً ، وكان ذلك — فيما قيل — لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه . وتوفى قبل أن يستتم بناءه ، فأوصى

(١) ا ، ن : « أحفظ » .
(٢) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٩٦ (بولاق) .
(٣) ا : « وزعم » .

إلى سليمان باستمامه ، وقتْل القائد الذى قتل أخاه ، فلما دفَنه سليمانُ نفذ لأمره فى القائد وقتله ، واستمّ بناء المسجد .

* * *

وقيل فى بناء داود ذلك المسجد ما حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنى إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : إن داودَ أراد أن يعلَم عدد بنى إسرائيل كم هم ؟ فبعث لذلك عُرَفاء ونقباء ، وأمرهم أن يرفعوا إليه ما بلَغ عددُهم ، فعتب الله عليه ذلك ، وقال : قد علمت أنى وعدتُ إبراهيم أن أبارك فيه وفى ذريته حتى أجعلَهم كعدد نجوم السماء ، وأجعلَهم لا يحصَى عددُهم ، فأردتَ أن تعلَم عدد ما قلت : إنه لا يحصَى عددُهم ، فاختاروا بين أن أبتليكم بالجوع ثلاث سنين ، أو أسلّط عليكم العدوّ ثلاثة أشهر ، أو الموت ثلاثة أيام ! فاستشار داودُ فى ذلك بنى إسرائيل فقالوا : ما لنا بالجوع ثلاث سنين صبْر ، ولا بالعدوّ ثلاثة أشهر ، فليس لهم بقيّة ، فإن كان لا بدّ فالموت بيده لا بيد غيره . فذكر وهب بن منبّه أنه مات منهم فى ساعة من نهار ألوف كبيرة ، لا يدرَى ما عددهم ، فلما رأى ذلك داود ، شقّ عليه ما بلَغه من كثرة الموت ، فتبتّل إلى الله ودعاه فقال : يا ربّ ، أنا آكلُ الُحمّاض[1] وبنو إسرائيل يَضْرَسون ! أنا طلبتُ ذلك فأمرتُ به بنى إسرائيل ، فما كان من شىء فبى[2] واعفُ عن بنى إسرائيل . فاستجاب الله له ورفع عنهم الموت ، فرأى داود الملائكة سالّين سيوفَهم يغمدونها ، يرتقون فى سلّم من ذهب من الصخرة إلى السماء ، فقال داود : هذا مكان ينبغى أن يُبنَى فيه مسجد ، فأراد داود أن يأخذ فى بنائه ، فأوحى الله إليه أنّ هذا بيت مقدّس ، وأنك قد صبغتَ يديك فى الدماء ، فلست ببانيه ، ولكن ابنٌ لك أملّكه بعدك أسميه[3] سليمان ، أسلّمه من الدماء .

١ / ٥٧٢

فلما ملك سليمان بناءه وشرّفه ، وكان عمر داود — فيما وردت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — مائة سنة .

وأما بعض أهل الكتب ، فإنه زعم أن عمرَه كان سبعًا وسبعين سنة ، وأن مُدّة ملكه كانت أربعين سنة .

---

(١) الحماض : ما فى جوف الأترجة . (٢) ن : « ففى » . (٣) ا : « اسمه » .

ذكر
خبر سليمان بن داود عليهما السلام

ثم ملك سليمان بن داود بعد أبيه داود أمرَ بنى إسرائيل ، وسخّر الله له الجنّ والإنس والطير والريح ، وآتاه مع ذلك النبوة ، وسأل ربّه أن يُؤتيه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فاستجاب [اللهُ][1] له فأعطاه ذلك .

كان فيما حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبّه : إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الإنس والجن ، حتّى يجلسَ على سريره[2] ، وكان — فيما يزعمون — أبيض جسيماً وضيئاً ، كثيرَ الشعر يلبس من الثياب البياض ، وكان أبوه فى أيام ملكه بعد أن بلغ سليمان مبلَغ الرجال يشاوره — فيما ذكر — فى أموره . وكان من شأنه وشأن أبيه داود الحكْم فى الغنم التى نفشت فى حرث القوم ، الذين قصّ الله فى كتابه خبرهم وخبرهما فقال : ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾[3] .

١/٥٧٣

فحدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصمّ ، قالا : حدثنا المحاربىّ ، عن أشعث ، عن أبى إسحاق ، عن مرّة ، عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ﴾ ، قال : كَرْم قد أنبتت عناقيده فأفسدته ، قال : فقضى داودُ بالغنم لصاحب الكرْم ، فقال سليمان : غير هذا يا نبىّ الله ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تدفع الكَرْم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعودَ كما كان ، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرْم فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرْم كما كان ، دفعت الكرْم إلى

---

(١) تكلة من ا . (٢) ن : « جلس مجلسه » . (٣) سورة الأنبياء ٧٨ ، ٧٩

صاحبه ، ودفعت الغنم إلى صاحبها . فذلك قوله : ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾. ١/٥٧٤
وكان رجلاً غَزّاء لا يكاد يقعُد عن الغزو ، وكان لا يسمع بملِك فى ناحية من الأرض إلا أتاه حتى يُذِلّه . وكان فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق -فيما يزعمون- إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب، ثم نصب له على الخشب ، ثم حمل عليه الناس والدوابّ وآلة الحرب كلها ، حتى إذا حمل معه ما يريد، أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب ، فاحتملْته حتى إذا استقلّت به أمر الرُّخاء فمرّ به شهراً فى روْحته ، وشهراً فى غدوته إلى حيث أراد. يقول الله عزّوجلّ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[2]، أى حيث أراد ، وقال الله : ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾.[3]

قال : وذكر لى أنّ منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه : كتاب كتبه بعض أصحاب[4] سليمان، إما من الجن، وإما من الإنس: « نحن نزلناه وما بنيناه، ومبنيًّا وجدناه، غدوْنا من إصطخر فقلْناه[5] ، ونحن رائحون منه إن شاء الله، فبائتون[6] بالشام[7] » .

١/٥٧٥ قال: وكان -فيما بلغنى- لتمرّ بعسكره الريح ، والرُّخاء[8] تهوى به إلى ما أراد، وإنها لَتمرّ بالمزرعة فما تحرّكها .

وقد حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنى الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب القرظىّ ، قال : بلغنا أن سليمان كان عسكره مائة فرسخ ، خمسة وعشرون منها للإنس ، وخمسة وعشرون للجنّ ، وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير ، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب ، فيها ثلثمائة صريحة ، وسبعمائة سرّية ، فأمر الريح العاصف

---

(١) الخبر فى التفسير ١٧ : ٣٨ (بولاق) (٢) سورة ص ٣٦
(٣) سورة سبأ ١٢ (٤) ا والتفسير : « صحابة » .
(٥) ا : « فقتلناه » . (٦) ا ، ن : « فآتون » .
(٧) الخبر فى التفسير ٢٢ : ٤٨ (بولاق) . (٨) الرخاء : الريح اللينة .

فرفعته[١] وأمر الرخاء فسيّرته ، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض : أنى قد زدتُ فى ملكك ، أنّه لا يتكلم أحدٌ من الخلائق إلا جاءت به الريح وأخبرتك .

حدثنى أبو السائب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان ابن داود يوضَع له ستمائة كرسىّ ، ثم يجىء أشرافُ الإنس فيجلسون مما يليه ، ثم يجىء أشراف الجنّ فيجلسون مما يلى الإنس ، قال : ثم يدْعو الطير فتظلّهم ، ثم يدعُو الريح فتحملهم ، قال : فتسير فى الغداة الواحدة مسيرة شهر . ٥٧٦/١

---

(١) كذا فى ا ؛ وفى ط : « فترفعه » .

ذكر
ما انتهى إلينا من مغازى سليمان عليه السلام

فمن ذلك غزوته التى راسل فيها بلقيس - وهى فيما يقول أهل الأنساب - يلمقة[1] ابنة اليشرح - ويقول بعضهم : ابنة أيلى شرح ، ويقول بعضهم : ابنة ذى شرح - بن ذى جَدَن بن أيلى شرح بن الحارث بن قيس بن صَيفىّ بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . ثم صارت إليه سِلْمًا بغير حرب ولا قتال . وكان سبب مراسلته إياها - فيما ذكر - أنه فَقَدَ الهدهد يومًا فى مسيرٍ كان يسيره ، واحتاج إلى الماء فلم يَعلم مَنْ حضره بُعْدَه ، وقيل له علْم ذلك عند الهدهد ، فسأل عن الهدهد فلم يجده . وقال بعضهم : بل إنما سأل سليمانُ عن الهدهد لإخلاله بالنَّوبة .

فكان من حديثه وحديث مسيره ذلك وحديث بلقيس ، ما حدثنى العباس ابن الوليد الآملىّ ، قال : حدثنا على بن عاصم ، قال : حدثنا عطاء بن السائب ، قال : حدثنى مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان بن داود إذا سافر أو أراد سفراً قَعَد على سريره ، ووضعت الكراسى يمينًا وشمالاً ، فيأذن للإنس ، ثم يأذن للجنّ عليه بعد الإنس ، فيكونون خلْف الإنس ، ثم يأذن للشياطين بعد الجنّ فيكونون خلْف الجنّ ، ثم يرسل إلى الطير فتظلّهم من فوقهم ، ثم يرسل إلى الريح فتحملهم وهو على سريره ، والناس على الكراسىّ فتسير بهم ، غدوُّها شهر ورواحُها شهر ، رخاء حيث أصاب ، ليس بالعاصف ولا الليِّن ، وسطا بين ذلك . فبينما سليمان يسير - وكان سليمان اختار من كلّ طير طيراً ، فجعله رأس تلك الطير ، فإذا أراد أن يسائل شيئًا من تلك الطير عن شىء سأل رأسها - فبينما سليمان يسير إذ نزل مفازةً فسأل عن بُعْد الماء ها هنا ، فقال الإنس : لا ندرى ، فسأل الجنّ فقالوا : لا ندرى ، فسأل الشياطينَ ، فقالوا : لا ندرى ، فغضب سليمان فقال : لا أبرحُ حتى أعلَم كم بُعْد مسافة الماء ها هنا ! قال : فقالت له الشياطين : يا رسولَ الله لا تغضب ، فإن يك شيئاً يُعلم فالهدهد يعلمه ، فقال[2] سليمان : علىّ بالهدهد ، فلم يوجدْ ، فغضب

١/٥٧٧

(١) ح : « بلعمه » ، ا ، س : « بلقمة » . (٢) ط : « قال »

سليمان فقال : ﴿ مَالِىَ لا أرَى الْهُدْهُدَ أمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيدًا أوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾[(١)]، يقول : بعذر مبيِّن [لِمَ]غاب عن مسيرى هذا ؟ وكان عقابُه للطَّير أن ينتِف ريشه ويشمِّسه فلا يستطيع أن يطير ، ويكون من هوامّ الأرض إن أراد ذلك ، أو يذبحه ، فكان ذلك عذابُه .

قال : ومرَّ الهدهد على قصر بلقيس، فرأى بستانًا لها خلْف قصرها، فمال إلى الخضرة فوقع عليها ، فإذا هو بهدهد لها فى البستان ، فقال هدهد سليمان : أينَ أنت عن سليمان ؟ وما تصنع ها هنا ؟ قال له هدهد بلقيس : ومَنْ سليمان ؟ فقال: بعث الله رجلا يقال له سليمان رسولا ، وسخّر له الريح والجنّ والإنس والطير . قال : فقال له هدهد بلقيس : أىّ شىء تقول ! قال : أقول لك ما تسمع ، قال : إن هذا لعَجب ، وأعجبُ من ذاك أنّ كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة ،﴿ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ ، جعلوا الشكر لله أن يسجدوا للشمس من دون الله . قال: وذكر الهدهد سليمان فنهض عنه ، فلما انتهى إلى العسكر تلقَّتْه الطير وقالوا : توعّدك رسول الله ، فأخبروه بما قال . قال : وكان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمّسه فلا يطير أبداً، فيصير من هوامّ الأرض، أو يذبحه فلا يكون له نسل أبداً. قال: فقال الهدهد : أوَ ما استثنى رسول الله ؟ قالوا : بل قال : أو ليأتينّى بعذر مبين ، قال : فلما أتى سليمانَ ، قال : ما غيَّبك عن مسيرى ؟ قال : ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ حتى بلغ ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[(١)]. قال : فاعتلّ له بشىء ، وأخبره عن بلقيس وقومها ما أخبره الهدهد ، فقال له سليمان: قد اعتللت ،﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَبْ بِكِتَابِى هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾[(٢)]، قال : فوافقها وهى فى قصرها، فألقى إليها

(١) سورة النمل ٢٠ ، ٢١

(٢) سورة النمل ٢٣ – ٢٨

١/٥٧٨

١/٥٧٩

الكتاب فسقط فى حجرها أنه كتاب كريم، وأشفقتْ منه، فأخذته وألقت عليه ثيابها ، وأمرت بسريرها فأخرج ، فخرجت فقعدت عليه ، ونادت فى قومها ؛ فقالت لهم : ﴿ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[1] ولم أكن لأقطع أمراً حتى تشهدون ، ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ — إلى — ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ﴾[2]،فإن قبلها فهذا ملك من ملوك الدنيا وأنا أعزّ منه وأقوى، وإن لم يقبلْها فهذا شىء من الله .

فلما جاء سليمانَ الهدية قال لهم سليمان: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ﴾ — إلى قوله : ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[3]، يقول : وهم غير محمودين. قال: بعثتْ إليه بخرزة غير مثقوبة، فقالت : اثقب هذه ، قال : فسأل سليمان الإنس فلم يكن عندهم علم ذاك، ثم سأل الجنّ فلم يكن عندهم علم ذاك، قال: فسأل الشياطين ، فقالوا: ترسل إلى الأرَضة، فجاءت الأرَضة فأخذت شعرة فى فيها فدخلت فيها فنقبتها بعد حين، فلما رجع إليها رسولها[4] خرجت فزِعة فى أول النهار من قومها وتبعها قومها . قال ابن عباس: وكان معها ألفَ قيْل . ١ / ٥٨٠

قال ابن عباس : أهل اليمن يسمّون القائد قَيْلا ، مع كل قَيْل عشرة آلاف . قال العباس : قال علىّ : عشرة آلاف ألف .

قال العباس : قال علىّ : فأخبرنا حصين بن عبد الرحمن ، قال : حدثنى عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : فأقبلت بلقيس إلى سليمان ومعها ثلثمائة قَيْل واثنا عشر قَيْلا ، مع كل قيْل عشرة آلاف .

قال عطاء، عن مجاهد، عن ابن عباس :وكان سليمان رجلاً مَهيبًا لا يُبتدَأ بشىء حتى يكون هو الذى يُسألَ عنه ، فخرج يومئذ فجلس على سريره ،

---

(١) سورة النمل ٢٩ — ٣١ (٢) سورة النمل ٣٣ — ٣٥ .

(٣) سورة النمل ٣٦ ، ٣٧ (٤) ط : « رسلها » ، وما أثبته عن ا .

فرأى رهجًا قريبًا منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : بلقيس يارسول الله ، قال : وقد نزلت منّا بهذا المكان ! قال مجاهد : فوصف لنا ذلك ابن عباس فحزرته ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ ، قال : فأقبل على جنوده فقال : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ الذى أنت فيه إلى الحين الذى تقوم إلى غدائك . قال : قال سليمان : مَنْ يأتينى به قبل ذلك ؟ ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾، فنظر إليه سليمان ، فلما قطع كلامه ردّ سليمان بصره على العرش ، فرأى سريرها قد خرج ونبع من تحت كرسيه ، ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ ﴾ إذ أتانى به قبل أن يرتدّ إلىّ طرفى ﴿ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ إذ جعل مَنْ تحت يدى أقدرَ على المجىء به منّى . قال : فوضعوا لها عرشها ، قال : فلما جاءت قعدتْ إلى سليمان ، قيل لها : ﴿ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ﴾ ؟ فنظرت إليه فقالت : ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾[1] ! ثم قالت : لقد تركتُه فى حصونى ، وتركت الجنود محيطة به ، فكيف جىء بهذا يا سليمان ! إنى أريد أن أسألك عن شىء فأخبرنيه ، قال : سَلى ، قالت : أخبرْنى عن ماء رَوَاء ، لا من سماء ولا من أرض – قال : وكان إذا جاء سليمان شىء لا يعلمه بدأ فسأل الإنس عنه ، فإن كان عند الإنس فيه علم وإلاّ سأل الجنّ ، فإن لم يكن عند الجنّ علم به سأل الشياطين – قال : فقالت له الشياطين : ما أهونَ هذا يا رسول الله ! مُرِ الخيل فلتجْرِ ثم تملأ الآنية من عَرَقها ، فقال لها سليمان : عَرَقُ الخيل ، قالت : صَدقت . قالت : أخبرْنى عن لون الربّ . قال : قال ابن عباس : فوثب سليمان عن سريره فخرّ ساجداً . قال العباس : قال علىّ : فأخبرنى عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : صعِق فغُشِىَ عليه ، فخرّ عن سريره .

ثم رجع ، إلى حديثه قال : فقامت عنه ، وتفرّقت عنه جنوده ، وجاءه

(١) سورة النمل ٣٨ – ٤٢ .

الرسول فقال : يا سليمان ، يقول لك ربك : ما شأنُك ؟ قال : سألتَنى عن أمر يكابرنى — أو يكابدنى — أن أعيدَه ، قال : فإنَّ الله يأمرك أن تعودَ إلى سريرك فتقعد عليه ، وترسل إليها وإلى مَنْ حضرها من جنودها ، وترسِل إلى جميع جنودك الذين حضروا فيدخلوا عليك فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه . قال : ففعل ، فلما دخلوا عليه جميعًا ، قال لها : عمَّ سألتِنى ؟ قالت : سألتك عن ماء روَاء ، لا من سماء ولا من أرض ، قال : قلت لكِ : عرَق الخيل ، قالت : صدقت ، قال : وعن أىّ شىء سألتِنى ؟ قالت : ما سألتك عن شىء غير هذا . قال : قال لها سليمان ، فلأىّ شىء خررتُ عن سريرى ؟ قالت : قد كان ذاك لشىء لا أدرى ما هو — قال العباس : قال علىّ : نسيتُه — قال : فسأل جنودَها فقالوا مثل ما قالت ، قال : فسأل جنودَه من الإنس والجنّ والطير وكلّ شىء كان حضره من جنوده ، فقالوا : ما سألْتك يا رسول الله إلا عن ماء روَاء ، قال — وقد كان قال له الرسول : يقول الله لك : عُدْ إلى مكانك فإنى قد كفيتُكهم — قال : وقال سليمان : للشياطين : ابنُوا لى صرْحًا تدخل علىّ فيه بلقيس ، قال : فرجع الشياطين بعضُهم إلى بعض ، فقالوا : سليمان رسول الله قد سخّر الله له ما سخّر ، وبلقيس ملكة سبأ ينكِحها فتلد له[1] غلامًا ، فلا ننفكّ من العبوديّة أبداً . ٥٨٣/١

قال : وكانت امرأة شعْراء[2] الساقين ، فقالت الشياطين : ابنوا له بنيانًا ليرى ذلك منها ، فلا يتزوجها ، فبنوْا له صرحًا من قوارير أخضر ، وجعلوا له طوابيق من قوارير كأنه الماء ، وجعلوا فى باطن الطوابيق كلّ شىء يكون من الدوابّ فى البحر من السمك وغيره ، ثم أطبقوه ، ثم قالوا لسليمان : ادخل الصّرح ، قال : فألقِى لسليمان كرسىّ فى أقصى الصّرح ، فلما دخله ورأى ما رأى أتى الكرسىّ ، فقعد عليه ، ثم قال : أدخلوا علىّ بلقيس ، فقيل لها : ادخلى الصّرح ، فلما ذهبت تدخله رأت صورةَ السمك وما يكون فى الماء من الدوابّ ، فحسبته لُجّة (حسبته ماء) وكشفت عن ساقيْها لتدخل ، وكان شعرُ ساقيها ملتويًا على ساقيها ، فلما رآها سليمان ، ناداها — وصرف بصرَه عنها : إنه صَرْح ممرّد من

(١) ح ، س : « فتلد منه » . (٢) ح : « كثيرة شعر الساقين » .

قوارير ، فألقت ثوبَها فقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] قال : فدعا سليمان الإنس فقال : ما أقبح هذا ! ما يُذْهِبُ هذا ؟ قالوا : يا رسول الله الموسى . قال : المواسى تقطع ساقَى المرأة. قال : ثم دعا الجنّ فسألهم فقالوا : لا نَدْرِى ، ثم دعا الشياطين فقال : ما يُذهِبُ هذا ؟ قالوا مثل ذلك : الموسى ، فقال : المواسى تَقطع ساقَى المرأة . قال : فتلكّئوا عليه ، ثم جعلوا له النُّورَة — قال ابن عباس : فإنه لأولُ يوم رُئِيت فيه النُّورة — فاستنكحها سليمان . ١/٥٨٤

حدثنا ابن حميد : قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب ابن منبّه ، قال : لما رجعتِ الرسل إلى بلقيس بما قال سليمان ، قالت : قد والله عرفتُ ما هذا بملك ، وما لنا به من طاقة ، وما نصنعُ بمكاثرته شيئاً ، وبعثت إليه أنّى قادمة عليك بملوك قومى حتّى أنظرَ ما أمرك ، وما تدعو إليه من دينك . ثم أمرت بسرير مُلْكها الذى كانت تجلس عليه — وكانَ من ذهب مفصّص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ — فجُعل فى سبعة أبيات بعضها فى بعض ، ثم أقفلت[2] على الأبواب . وكانت[3] إنما تَخدُمها النساء ، معها ستمائة امرأة تخدُمها . ثم قالت لمن خلّفت على سلطانها : احتفظ بما قبَلك ، وسرير ملكى فلا يخلص إليه أحد ولا يرينّه حتى آتيك . ثم شخصت إلى سليمان فى اثنى عشر ألف قَيْل معها من ملوك اليمن ، تحت يد كل قَيْل منهم ألوف كثيرة ، فجعل سليمان يبعث الجنّ فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كلّ يوم وليلة ، حتى إذا دنت جَمَع من عنده من الجنّ والإنس ممن تحت يديه ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[4] . ١/٥٨٥ قال : وأسلمتْ فحسُن إسلامها. قال : فزُعم أنّ سليمان قال لها حين أسلمت وفرغ من أمرها : اختارى رجلاً من قومك أزوّجكه ، قالت : ومثلى يا نبىّ الله ينكح الرجال ، وقد كان لى فى قومى من الملك والسلطان ما كان لى ! قال : نعم ، إنّه

(١) سورة النمل ٤٤ .
(٢) ن : « أغلقت » .
(٣) ط : « فكانت » ، وما أثبته عن ا .
(٤) سورة النمل ٣٨ .

لا يكون فى الإسلام إلا ذلك ، ولا ينبغى لك أن تُحرِّمى ما أحلَّ الله لك ، فقالت : زوِّجنى إن كان لا بد ذا تُبَّع[1] مَلِك هَمْدان، فزوجه إياها، ثم ردَّها إلى اليمن، وسلَّط زوجها ذاتُبَّع على اليمن ، ودعا زوبعة أمير جنّ اليمن فقال : اعمل لذى تبَّع ما استعملك لقومه . قال : فصنع لذى تبَّع الصنائع باليمن ، ثم لم يزل بها ملكًا يُعمل له فيها ما أراد؛ حتى مات سليمان ابن داود عليه السلام .

فلما حال الحول وتبينت الجنّ موتَ سليمان أقبل رجل منهم ، فسلك تهامة حتى اذا كان فى جوف اليمن صرخ بأعلى صوته : يا معشرَ الجنّ ، إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم .قال: فعمدت الشياطين إلى حجريْن عظيمين ، فكتبوا فيهما كتابًا بالمسند : نحن بنينا سَلْحين[2] ، سبعة وسبعين خريفاًدائبين ، وبنينا صِرْوَاح ومراح وبَيْنُون برحاضة أيْدين[3] ، وهندة وهنيدة ، وسبعة أمجِلة بقاعة ، وتلثوم برَيْدة ، ولولا صارخ بتهامة، لتركنا بالبون إمارة

٥٨٦/١

قال : وسَلْحين [وصِرْواح] ومَراح وبَيْنُون وهندة وهنيدة وتلثوم حصون كانت باليمن ، عملتها الشياطين لذى تُبَّع ، ثم رفعوا أيديهم ، ثم انطلقوا ، وانقضى ملك ذى تُبَّع وملك بلقيس مع ملك سليمان بن داود عليهما السلام.

---

(١) ط : « بتع » ، وما أثبته عن ا ومعجم البلدان .

(٢) قال ياقوت : سلحين : حصن عظيم بأرض اليمن كان للتابعة ملوك اليمن . . . قال : «وزعموا أن الشياطين بنت لذى تبع ملك همدان حين زوج سليمان ببلقيس قصوراً وأبنية وكتبت فى حجر ، وجعلته فى بعض القصور التى بنتها » .

(٣) اللسان ٦ : ٢١٥ : « بغسالة أيديهم » .

ذكر غزوته أبا زوجته جرادة وخبر الشيطان الذى أخذ خاتمه

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض العلماء ، قال : قال وهب بن منبّه : سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر ، يقال لها صيدون ، بها ملك عظيم السلطان لم يكن للناس إليه سبيل ، لمكانه فى البحر ، وكان الله قد آتى سليمان فى ملكه سلطاناً لا يمتنع منه شىء فى برّ ولا بحر ، إنما يركب إليه إذا ركب على الريح ، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء ، حتى نزل بها بجنوده من الجنّ والإنس ، فقتل ملكَها واستفاء[1] ما فيها ، وأصاب فيما أصاب ابنةً لذلك الملك لم يُر مثلُها حسناً وجمالاً ، فاصطفاها لنفسه ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة ثقة ، وأحبّها حبّاً لم يحبّه شيئاً من نسائه ، ووقعت نفسُه عليها ، فكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنُها ، ولا يرقأ دمعها ، فقال لها ، لما رأى ما بها وهو يشقّ عليه [من ذلك][2] ما يرى : ويحكِ ، ما هذا الحزن الذى لا يذهب ، والدمعُ الذى لا يرقأ ! قالت : إن أبى أذكُره وأذكر ملكَه وما كان فيه وما أصابه ، فيحزننى ذلك ، قال : فقد أبدلَكِ الله [به][2] ملكاً هو أعظم من ملكه ، وسلطاناً هو أعظم من سلطانه ، وهداك للإسلام وهو خير من ذلك كلِّه ، قالت : إنّ ذلك لكذلك[3] ، ولكنّى إذا ذكرتُه أصابنى ما [قد][2] ترى من الحزن ، فلو أنّك أمرت الشياطين ، فصوّروا صورة أبى فى دارى التى أنا فيها ، أراها بكرة وعشيّاً لرجوتُ أن يُذهب ذلك حزنى ، وأن يسلّىَ عنى بعض ما أجد فى نفسى ، فأمر سليمان الشياطين ، فقالَ : مثّلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى ما تنكر[4] منه شيئاً ، فمثّلوه لها حتى نظرت إلى أبيها فى نفسه[5] ،

١/٥٨٧ ١/٥٨٨

---

(١) كذا فى ط ، وفى ا ، س : « استبى » .
(٢) من ا .
(٣) ط : « كذلك » ، وما أثبته من ا .
(٤) ط : « لا تنكر » وما أثبته من ا .
(٥) ن : « فى هيئته » .

إلا أنه لا روح فيه ، فعمِدت إليه حين صنعوه لها فأزّرته وقمّصته وعمّمته وردّته بمثل ثيابه التى كان يلبس ، مثل ما كان يكون فيه من هيئة ، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدُو عليه فى ولائدها حتى تسجد له ويسجدْنَ له ، كما كانت تصنع به فى ملكه ، وتروح كلَّ عشية بمثل ذلك ، لا يعلم سليمانُ بشىء من ذلك أربعين صَباحًا ، وبلغ ذلك آصف بن برخيا — وكان صديقًا ، وكان لا يُرَدّ عن أبواب سليمان أىَّ ساعة أراد دخولَ شىء من بيوته دخل ، حاضراً كان سليمان أو غائبًا — فأتاه فقال : يا نبىّ الله ، كبِرت سِنِّى ، ودقّ عظمى ، ونفِد عمرى ، وقد حان منى ذهاب[1] ! وقد أحببت أن أقوم مقامًا قبل الموت أذكر فيه مَنْ مضى من أنبياء الله ، وأثنى عليهم بعلمى فيهم ، وأعلم الناسَ بعضَ ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم ، فقال : افعل ، فجمع له سليمان الناس ، فقام فيهم خطيبًا ، فذكر مَنْ مضى من أنبياء الله ، فأثنى على كلّ نبىّ بما فيه ، وذكر ما فضّله الله به ، حتى انتهى إلى سليمان وذكَره ، فقال : ما كان أحلمَك فى صغرك ، وأورعَك فى صغرك ، وأفضلك فى صغرك ، وأحكم أمرك فى صغرك ، وأبعدك من كلّ ما يُكْرَه فى صغرك ! ثم انصرف فوجَد سليمان فى نفسه حتى ملأه غضبًا ، فلما دخل سليمان دارَه أرسل إليه ، فقال : يا آصف ، ذكرت مَنْ مضى من أنبياء الله فأثنيت عليهم خيراً فى كلّ زمانهم ، وعلى كلّ حال من أمرهم ، فلما ذكرتَنى جعلت تُثنى علىّ بخيرٍ فى صغرى ، وسكتّ عما سِوى ذلك من أمرى فى كِبَرى ، فما الذى[2] أحدثتُ فى آخر أمرى ؟ قال : إن غيرَ الله ليُعبَد فى دارك منذ أربعين صباحًا فى هوى امرأة ، فقال : فى دارى ! فقال : فى دارك ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! لقد عرفتُ أنك ما قلتَ إلاّ عن شىء بلغك . ثم رجع سليمان إلى داره فكسَّر ذلك الصنم ، وعاقب تلك المرأة وولائدها ، ثم أمر بثياب الطهرة فأُتِىَ بها ، وهى ثياب لا يغزلها إلا الأبكار ، ولا ينسجها إلا

١/٥٨٩

(١) كذا فى ا ، س ، ن ، وفى ط : « الذهاب » .

(٢) ح : « فماذا ترى أحدثت » ، ا : « فماذا الذى أحدثت » .

الأبكار ، ولا يغسلها إلا الأبكار ، ولا تمسّها امرأة قد رأت الدم ، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحدَه ، فأمر برماد ففرش له ، ثم أقبل تائبًا إلى الله حتى جلس على ذلك الرماد ، فتمعّك فيه بثيابه تذللاً لله جلّ وعزّ وتضرّعا إليه ، يبكي ويدعو ويستغفر مما كان فى داره ، ويقول فيما يقول — فيما ذكر لى والله أعلم : ربِّ ماذا ببلائك عند آل داود أن يعبدوا غيرك ، وأن يُقِرّوا فى دورهم وأهاليهم عبادةَ غيرك ! فلم يزلْ كذلك يومه حتى أمسى ، يبكى إلى الله ويتضرّع إليه ويستغفره ، ثم رجع إلى داره — وكانت أمّ ولد له يقال لها : الأمينة ، كان إذا دخل مذهبَه ، أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمَه عندها حتى يتطهّر[1] ، وكان لا يمسّ خاتَمه إلا وهو طاهر ، وكان ملكُه فى خاتمه ، فوضعه يومًا من تلك الأيام عندها كما كان يضعه . ثم دخل مذهبه ، وأتاها الشيطانُ صاحب البحر — وكان اسمه صخراً — فى صورة سليمان لاتنكر منه شيئًا ، فقال : خاتَمى يا أمينة ! فناولته إياه ، فجعله فى يده ، ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان ، وعكَفت عليه الطير والجنّ والإنس ، وخرج سليمان فأتى الأمينة ، وقد غُيِّرت حالته وهيئته عند كلّ من رآه ، فقال : يا أمينة ، خاتَمى ! فقالت : ومن أنت ؟ قال : أنا سليمان بن داود ، فقالت : كذبتَ ، لست بسليمان بن داود ، وقد جاء سليمان فأخذ خاتَمه ، وهو ذاك جالس على سريره فى ملكه . فعرف سليمانُ أن خطيئته قد أدركته ، فخرج فجعل يقِف على الدار من دور بنى إسرائيل ، فيقول : أنا سليمان بن داود ، فيحثُون عليه الترابَ ويسبُّونه ، ويقولون : انظروا إلى هذا المجنون ، أىّ شىء يقول ! يزعم أنه سليمان بن داود . فلما رأى سليمان ذلك عمِد إلى البحر ، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق[2] ، فيُعطونه كلّ يوم سمكتين ، فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوى الأخرى ، فأكلَها ، فمكث بذلك أربعين صباحًا ، عِدّة ما عُبِد ذلك الوثن فى داره ،

١/٥٩٠

(١) س : « يطهر » .
(٢) ا : « فى السوق » .

فأنكر آصف [بن برخيا][(١)] وعظماء بنى إسرائيل حُكْم عدوّ الله الشيطان فى تلك الأربعين صباحًا ، فقال آصف : يا معشر بنى إسرائيل ، هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيت ! قالوا : نعم ، قال : أمهلونى حتى أدخل على نسائه فاسألهنّ : هل أنكرنَ منه فى خاصة أمره ما أنكرنا فى عامة أمر الناس وعلانيته ؟ فدخل على نسائه فقال : ويحكنّ ! هل أنكرتنّ من أمر ابن داود ما أنكرنا ؟ فقلن : أشدُّه ما يدع امرأة منّا فى دمها ، ولا يغتسل من جنابة ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! إن هذا لَهو البلاء المبين ، ثم خرج إلى بنى إسرائيل ، فقال ما فى الخاصّة أعظم مما فى العامّة ، فلما مضى أربعون صباحًا طار الشيطان عن مجلسه ، ثم مرّ بالبحر ، فقذف الخاتم فيه ، فبلعته[(٢)] سمكة ، وبصر بعض الصيادين فأخذها وقد عمل له سليمان صدرَ يومه ذلك ، حتى إذا كان العشىّ أعطاه سمكتيه ، فأعطى السمكة التى أخذت الخاتم ، ثم خرج سليمان بسمكتيه فيبيع التى ليس فى بطنها الخاتم بالأرغفة ، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقَرها ليشويَها فاستقبله خاتمه[(٣)] فى جوفها ، فأخذه فجعله فى يده ووقع ساجداً لله ، وعكَفَ عليه الطير والجنّ[(٤)] ، وأقبل عليه الناس وعرف أن الذى دخل عليه لما كان أحدث فى داره ، فرجع إلى ملكه ، وأظهر التوبةَ من ذنبه ، وأمر الشياطين فقال : ائتونى به ، فطلبتْه له الشياطين حتى أخذوه ، فأتى به ، فجاب[(٥)] له صخرة ، فأدخله فيها ، ثم سدّ عليه بأخرى ، ثم أوثقها بالحديد والرصاص ، ثم أمر به فقذف فى البحر .

١/٥٩١

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ﴾[(٦)] ، قال : الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يومًا[(٧)] ، قال :

١/٥٩٢

---

(١) تكملة من ا ح .
(٢) ا : « فتلقته » .
(٣) ا : « الخاتم » .
(٤) ا : « إليه » .
(٥) جاب صخرة ، أى خرقها .
(٦) سورة ص ٣٤ .
(٧) ن : « صباحاً » .

كان لسليمان مائة امرأة ، وكانت امرأة منهنّ يقال لها جرادة ، وهى آثر نسائه عنده ، وآمنهنّ عنده ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ، ولا يأتمن عليه أحداً من الناس غيرَها ، فجاءته يوماً من الأيام فقالت [له](١) : إن أخى بينه وبين فلان خصومة ، وأنا أحبّ أن تقضى له إذا جاءك ، فقال : نعم ، ولم يفعل ، فابتُلى فأعطاها خاتمه ، ودخل المخرج فخرج الشيطان فى صورته ، فقال : هاتى الخاتم ، فأعطته ، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعد فسألها أن تعطيَه خاتمه ، فقالت : ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا ، وخرج من مكانه تائهاً ، قال : ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً . قال : فأنكر الناس أحكامه ، فاجتمع قراء بنى إسرائيل وعلماؤهم ، وجاءوا حتى دخلوا على نسائه فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان ، فقد ذهب عقله ، وأنكرنا أحكامه ! قال : فبكى النساء عند ذلك ، قال : فأقبلوا يمشون حتى أتوْه ، فأحدقوا به ثم نشروا فقرءوا التوراة ، قال : فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ، ثم طار حتى ذهب إلى البحر ، فوقع الخاتم منه فى البحر ، فابتلعه حوت من حيتان البحر ، قال : وأقبل سليمان فى حاله التى كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادى البحر وهو جائع ، وقد ١/٥٩٣ اشتدّ جوعه ، فاستطعمه من صيدهم ، وقال : إنى أنا سليمان ، فقام إليه بعضُهم فضربه بعصًا فشجّه ، قال : فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر ، فلام الصيادون صاحبَهم الذى ضربه وقالوا : بئس ما صنعت حيث ضربته ! قال : إنه زعم أنه سليمان ، قال : فأعطوْه سمكتين مما قد ضُرب عندهم ، فلم يشغله ما كان به من الضرب ، حتى قام على شطّ البحر ، فشقّ بطونهما(٢) ، وجعل(٣) يغسلهما ، فوجد خاتمه فى بطن إحداهما ، فأخذه فلبسه ، فردّ الله عليه بهاءه ومُلْكَه ، وجاءت الطير حتى حامتْ عليه ، فعرف القومُ أنه سليمان ، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا ، فقال : ما أحمدكم على

---

(١) من ا .
(٢) ح ، س : « بطونها » . ابن الأثير : « بطنيهما » .
(٣) ط : « فجعل » ، وما أثبته من ا .

عُذْرِكم ، ولا ألومكم على ما كان منكم ، كان هذا الأمر لا بدّ منه .

قال: فجاء حتى أتى مُلْكَه، فأرسل إلى الشيطان فجيء به، وسُخِّرتْ له الريح والشياطين يومئذ ، ولم تكن سُخِّرت له قبل ذلك ، وهو قوله : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾[1] .

١/٥٩٤ وبعث إلى الشيطان فأتى به ، فأمر به فجعل فى صندوق من حديد ، ثم أطبق عليه ، وأقفل عليه بقُفْل ، وختم عليه بخاتَمه ، ثم أمر به فألقِيَ فى البحر ، فهو فيه حتى تقوم الساعة، وكان اسمه حبقيق .

* * *

قال أبو جعفر : ثم لبث سليمان بن داود فى ملكه بعد أن ردّه الله إليه، تعمل له الجنّ ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، وغير ذلك من أعماله ، ويعذّب من الشياطين من شاء ، ويطلق من أحبّ منهم إطلاقه ، حتى إذا دنا أجله، وأراد الله قبضه إليه، كان من أمره — فيما بلغني — ماحدثني به أحمد بن منصور ، قال حدثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة، قال : حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان سليمان نبيّ الله إذا صلّى رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيقول لها : ما اسمك ؟ فتقول : كذا وكذا ، فيقول : لأيّ شيء أنت ؟ فإن كانت لغرس غُرِست، إن كانت لدواء كتبت ، فبينما هو يصلّي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها: ما اسمُكِ؟ قالت : الخرُّوب ، قال : لأيّ شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت ، فقال سليمان: اللهم عمِّ على الجنّ موتى حتى يعلم الإنس أن الجنّ لا يعلمون الغيب ، فنحتها عصًا ، فتوكأ عليها حولا ميتًا ، والجنّ تعمل ، فأكلتها الأرضة فسقط ، فتبينت الإنس أن الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين .

١/٥٩٥ قال : وكان ابن عباس يقرؤها « حولاً فى العذاب المهين » قال: فشكرت الجنّ الأرَضة ، فكانت تأتيها بالماء[2] .

---

(١) سورة ص ٣٥

(٢) الخبر فى التفسير ٢٢ : ٥١ (بولاق)

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدّىّ فى حديث ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانِىّ، عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان سليمان يتجرّد فى بيت المقدس السنة والسنتين ، والشهرَ والشهرين ، وأقلّ من ذلك وأكثر ، يدخل طعامه وشرابه ، فأدخله فى المرّة التى مات فيها ، فكان بدء ذلك أنه لم يكن يومٌ يصبح فيه إلا نبتت فى بيت المقدس شجرة ، فيأتيها ، فيسألها : ما اسمك ؟ فتقول الشجرة : اسمى كذا وكذا ، فيقول لها : لأىّ شىء نبتّ ؟ فتقول : نبتّ لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع ، فإن كانت نبتتْ لغرس غرسها، وإن كانت نبتت دواء قالت : نبتّ دواء لكذا وكذا ، فيجعلها لذلك ، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها : ما اسمك ؟ قالت : أنا الخروبة، قال : ولأى شىء نبتّ ؟ قالت : نبتّ لخراب هذا المسجد . قال سليمان: ما كان الله ليخربه وأنا حىّ، أنت التى على وجهك هلاكى وخرابُ بيت المقدس ، فنزعها وغرسها فى حائط له ، ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئًا على عصاه فمات ، ولا تعلم به الشياطين ، وهم فى ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم ، وكانت الشياطين تجتمع حولَ المحراب ، وكان المحراب له كُوًى بين يديه وخلفه ، فكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول : ألست جليداً إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب ؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر ، فدخل شيطان من أولئك ، فمرّ — ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان فى المحراب إلا احترق — ولم يسمع صوت سليمان ، ثم رجع فلم يسمع ، [ثم رجع فلم يسمع][1] ثم رجع فوقف فى البيت فلم يحترق ، ونظر إلى سليمان قد سقط ميتًا، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ، ففتحوا عنه فأخرجوه ، ووجدوا مِنْسأته — وهى العصا بلسان الحبشة — قد أكلتها الأرَضة، ولم يعلموا منذكم مات ، فوضعوا الأرَضةَ على العصا ، فأكلت منها يومًا وليلة، ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ[2] سنة ، وهى فى قراءة ابن مسعود: « فمكثوا يدينون له من بعد موته حولا كاملا»، فأيقن الناس عند ذلك أن الجنّ كانوا يكذبونهم ، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا موت

١/٥٩٦

(١) تكملة من ا

(٢) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥١ ، ٥٢ (بولاق) .

سليمان ، ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له ، وذاك قول الله عزّ وجلّ : ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ﴾ – إلى قوله – ﴿فِى الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ ١/٥٩٧ يقول : بيّن أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم . ثم إن الشياطين قالوا للأرضة : لو كنتِ تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ، ولو كنتِ تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ، ولكنا سننقل [إليك][1] الماء والطين . قال : فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت . قال : ألم تر إلى الطين الذى يكون فى جوف الخشب فهو ما يأتيها به الشياطين شكراً لها !

وكان جميع عمر سليمان بن داود فيما ذكر نيفاً وخمسين سنة ، وفى سنة أربع من ملكه ابتدأ ببناء بيت المقدس فيما ذكر .

---

(١) تكملة من ا وابن الأثير .

ذكر من ملك
إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباذ

قال أبو جعفر : ونرجع الآن إلى الخبر عمَّن ملك إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباذ .

* * *

وملك بعد كيقباذ بن زاغ بن يوجياه[1] كيقاوس بن كيبيه بن كيقباذ الملك. فذُكِر أنه قال يوم مَلَك : إن الله تعالى إنما خوّلنا الأرض وما فيها لنسعَى فيها بطاعته ، وأنه قتل جماعة من عظماء البلاد التى حولَه ، وحمى بلادَه ورعيّتَه ممن حواليهم من الأعداء أن يتناولوا منها شيئًا ، وأنه كان يسكن بَلْخ ، وأنه وُلِد له ابن لم يُرَ مثله فى عصره فى جماله وكماله وتمام خَلْقه ، فسمّاه سياوخش ، وضمَّه إلى رستم الشديد بن دستان بن بريمان[2] بن جودنك[3] ابن كرشاسب بن أثرط[4] بن سهم بن نريمان .

١/٥٩٨

وكان إصبَهْبذ[5] سِجِسْتَان وما يليه من قِبَله يربّيه ويكفُلُه ، وأوصاه به فأخذه منه رستَم ، فمضَى به معه إلى موضع عمله سِجِسْتَان ، فربَّاه رستَم ولم يزل فى حِجْره يجمع له وهو طفلٌ الحواضِن والمرضعات ، ويتخيّرهنّ له ،

(١) كذا فى ا .
(٢) كذا فى ا وفى ح س : « برامان » ، وفى ن : « مرامان » .
(٣) كذا فى ا ، وفى ح : « حورنك » ، ن : « حوزترك » .
(٤) ا : « أثوط » .
(٥) ذكرها فى الجواليقى بلفظ الصبهبذ ؛ وقال : فارسى معرب ؛ وهو فى الديلم كالأمير فى العرب ، وأورد قول جرير :

إذا افْتَخَرُوا عدُّوا الصَّبَهْبَذَ فِيهِمُ ... وكسرى وآل الهرمزان وقَيْصَرَا

وفى اللسان ٥ : ٨ : « إصبهبذ » ، وضبط الألف بالقلم بالكسر . وقال إدى شير : « إن إصبهبذ » بالفارسية معناه قائد العسكر ؛ وهو أيضاً اسم وعلم لملوك طبرستان . وانظر المعرب وحواشيه ٢١٨ .

حتى إذا ترعرع جمع له المعلّمين ، فتخيّر له منهم من اختاره لتعليمه[١] ، حتى إذا قَدَر على الركوب علّمه الفروسيّة حتى إذا تكاملتْ[٢] فيه فنون الآداب ، وفاق فى الفروسيّة قدم به على والده رجلا كاملاً ، فامتحنه والده كيقاوس، فوجده نافذاً فى كلّ ما أراد بارعًا ، فسُرّ به ، وكان كيقاوس تزوّج — فيما ذكر — ابنة فراسياب ملك الترك ، وقيل : بل إنها بنتُ ملك اليمن ، وكان يقال لها سوذابة ، وكانت ساحرةً ، فهويت سياوخش ، ودعته إلى نفسها ، وأنه امتنع عليها ، وذكرتْ لها ولسياوخش قصة يطول بذكرها الكتاب ، غير أن آخر أمرهما صار فى ذلك — فيما ذكر لى — أن سوذابة لم تزل لما رأت من امتناع سياوخش عليها فيما أرادت منه من الفاحشة بأبيه كيقاوس حتى أفسدته عليه ، وتغيّر لابنه سياوخش ، فسأل سياوخش رستم أن يسأل أباه كيقاوس توجيهَه لحرب فرَاسْياب لسبب منعِه بعضَ ما كان ضمِن له عند إنكاحه ابنتَه إياه ، وصلْح جرى بينه وبينه ، مريداً بذلك سياوَخش البُعْد عن والده كيقاوس ، والتنحّيَ عما تكيد به عنده زوجته سوذابة ، ففعل ذلك رستم ، واستأذن له أباه فيما سأله ، وضمّ إليه جنداً كثيفًا ، فشخص إلى بلاد الترك للقاء[٣] فراسياب ، فلما صار إليه سياوَخش ، جرى بينهما صلح ، وكتب بذلك سياوَخْش إلى أبيه يعلمه ما جرى بينه وبين فراسياب من الصلْح ، فكتب إليه والده يأمره بمناهضة فراسياب ومناجزته الحرب ، إن هو لم يُذْعِن له بالوفاء بما كان فارقه عليه ، فرأى سياوَخش أنّ فى فعله ما كتب به إليه أبوه من محاربة فراسْياب بعد الذى جرى بينه وبينه من الصلْح والهدنه من غير نقض فراسْياب شيئًا من أسباب ذلك عليه عاراً ومنقصةً ومأثمًا ، فامتنع من إنفاذ أمر أبيه فى ذلك ، ورأى فى نفسه أنه يؤتَى فى كلّ ذلك من زوجة أبيه التى دعتْه[٤] إلى نفسها فامتنع عليها ، ومال إلى الهرب

١/٥٩٩

(١) ط : « ليعلمه » ، وما أثبته عن ا .
(٢) ط : « تكامل » ، وما أثبته عن ا .
(٣) ن : « ليلقى » .
(٤) ن : « تدعوه » .

من أبيه ، فراسل فراسياب فى أخذ الأمان لنفسه منه ، واللحاق به ، وترك[١] والده ، فأجابه فراسياب إلى ذلك — وكان السفير بينهما[٢] فى ذلك — فيما قيل — رجلاً من الترك من عظمائهم يقال له : فيران بن ويسغان[٣] — فلما فعل ذلك سياوَخْش انصرف عنه مَنْ كان معه من جند أبيه كيقاوس .

١/٦٠٠

فلما صار سياوخش إلى فراسياب بوّأه وأكرمه وزوّجه ابنة له يقال لها : وسفافريد ، وهى أمّ كيخسرونه[٤] ، ثم لم يزل له مُكْرِمًا حتى ظهر له أدب سياوَخش وعقله وكماله وفُروسيته ونجْدته ما أشفق على ملكه منه ، فأفسده ذلك عنده ، وزاده فساداً عليه سَعْىُ ابنَيْن له وأخ يقال له : كندر بن فشنجان عليه بإفساد أمر سياوخش عنده ، حسداً منهم له ، وحذراً على ملكهم منه ، حتى مكّنهم من قتله ، فذكر فى سبب وصولهم إلى قتله أمرٌ يطول بشرحه الخطْب ، إلاّ أنهم قتلوه ومثّلوا به وامرأته ابنة فراسياب حاملٌ منه بابنه كيخسرونه ، فطلبوا الحيلة لإسقاطها ما فى بطنها فلم يسقط ، وأن فيران الذى سعى فى عقد الصلح بين فراسياب وسياوخش لما صحّ عنده ما فعل فراسياب من قتله سياوخش ، أنكر ذلك من فعله ، وخوّفه عاقبة الغدر ، وحذّره الطلب بالثأر من والده كيقاوس ومن رُسْتَم ، وسأله دفع ابنته وسفافريد إليه لتكون عنده إلى أن تَضع ما فى بطنها ثم يقتله .

١/٦٠١

ففعل ذلك فراسياب ، فلما وضعت رقّ فيران لها وللمولود ، فترك قتلَه وستر أمرَه ، حتى بلغ المولودُ ، فوجّه — فيما ذكر — كيقاوس إلى بلاد الترك بىّ بن جوذرز ، وأمره بالبحث عن المولود الذى ولدته زوجة ابنه سياوخش ، والتأتّى لإخراجه إليه ، إذا وقف على خبرِه مع أمه ، وأن بيًّا شَخَص لذلك ؛ فلم يزل يفحصُ عن أمر ذلك المولود ، متنكّراً حينًا من الزمان فلا يُعرَفُ له خبرُ ، ولا يدلّه عليه أحد .

ثم وقف بعْد ذلك على خبره ، فاحتال فيه وفى أمه حتى أخرجهما من أرض الترك إلى كيقاوس ، وقد كان كيقاوس — فيما ذكر — حين اتصل به

---

(١) س : « وفراق » . (٢) س : « فيما بينهما » .
(٣) ا ، ن : « ويسعان » . (٤) ا « كيخسرويه » .

قتلُ ابنه أشخَص جماعةً من رؤساء قواده ؛ منهم رستَم بن دستان الشديد ، وطوس بن نوذران[1] ، وكانا ذوَىْ بأس ونجدة ، فأثخنا الترك قتْلاً وأسراً ، وحاربا فراسياب حرباً شديدة[2] وأن رستم قتل بيده شهروشهرة ابنى فراسياب وأن طوساً قتل بيده كندر أخا فراسياب.

١/٦٠٢

وذكر أن الشياطين كانت مسخّرة لكيقاوس ، فزعم بعضُ أهل العلم بأخبار المتقدمين أنّ الشياطين الذين كانوا سُخّروا له إنما كانوا يُطيعونه عن أمرِ سليمان بن داود إيّاهم بطاعته ، وأنّ كيقاوس أمر الشياطين فبنوْا له مدينةً سماها كنكدر[3] ، ويقال : قيقذون ؛ وكان طولها — فيما زعموا — ثمانمائة فرسخ ، وأمرهم فضربوا عليها سوراً من صُفْر ، وسوراً من شَبَه ، وسوراً من نحاس ، وسوراً من فخار ؛ وسوراً من فضة ، وسوراً من ذهب . وكانت الشياطين تنقلها ما بين السماء والأرض وما فيها من الدوابّ والخزائن والأموال والناس . وذكروا أنّ كيقاوس كان لا يُحدِث وهو يأكل ويشرب .

ثم إن الله تعالى بعث إلى المدينة التى بناها كذلك مَنْ يُخرّبها ، فأمر كيقاوس شياطينه بمنع مَنْ قصد لتخريبها ، فلم يقدروا على ذلك ، فلما رأى كيقاوس الشياطين لا تطيق الدفع عنها ، عطف عليها ، فقتل رؤساءها . وكان كيقاوس — فيما ذكر — مظفّراً لا يناوئه أحدٌ من الملوك إلا ظفِر عليه وقهره ، ولم يزل ذلك أمرُه حتى حدثته نفسُه — لما كان أتى من العز والملك ، وأنه لا يتناول شيئاً إلا وصل إليه — بالصُّعود إلى السماء .

١/٦٠٣

فحدِّثت عن هشام بن محمد أنه شَخَص من خراسان حتى نزل بابل ، وقال : ما بقِيَ شىءٌ من الأرض إلا وقد ملكتُه ، ولا بدّ من أن أعرف أمرَ السماء والكواكب وما فوقها ، وأنّ الله أعطاه قوةً ارتفع بها ومَنْ معه فى الهواء حتى انتهوْا إلى السحاب ، ثم إنّ الله سلَبهم تلك القوة فسقطوا فهلكوا ، وأفلت بنفسه وأحدَث يومئذ ، وفسد عليه ملكه ، وتمزّقت الأرض ، وكثرت الملوك فى النواحى ، فصار يغزُوهم ويغزونه ، فيظفَر مرّة ويُنْكَبُ أخرى .

---

(١) ح : « قورران » ، س : « قوزران »ن : « بوذران » .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « شديداً » .   (٣) كذا فى ا

قال : فغزا بلاد اليمن – والملك بها يومئذ ذو الأذعار بن أبرهة ذى المنار ابن الرائش – فلما ورد بلادَ اليمن خرج عليه ذو الأذعار بن أبرهة وكان قد أصابه الفالج ؛ فلم يكن يغزو قبل ذلك بنفسه . قال : فلما أظله كيقاوس ووطئ بلاده فى جُموعه خرج بنفسه فى جموع حِمْيَر وولد قحطان ، فظفر بكيقاوس ، فأسَرَه ، واستباح عسكره ، وحبسه فى بئر ، وأطبق عليه[1] طبقًا . قال : وخرج من سِجِسْتَان رجل يقال له رستم ، كان[2] جباراً قويًّا فيمن أطاعه من الناس . قال : فزعمت الفرس أنه دخل[3] بلاد اليمن ، واستخرج قبوس[4] من محبسه وهو كيقاوس . قال : وزعم أهلُ اليمن أنه لما بلغ ذا الأذعار إقبالُ رستم خرج إليه فى جنوده وعدده ، وخندق كلٌّ واحد منهما على عسكره ، وأنهما أشفقا على جنديْهما من البوار ، وتخوّفا إن تزاحفا ألاّ تكون لهما بقية ، فاصطلحا على دفع كيقاوس إلى رستم ، ووضع الحرب ، فانصرف رستم بكيقوس إلى بابل ، وكتب كيقاوس لرستم عتقًا من عبودة الملك ، وأقطعه سِجِسْتان وزَابُلِسْتَان ، وأعطاه قلنسوة منسوجة بالذهب وتوّجه ، وأمره أن يجلس على سرير من فضة ، قوائمُه من ذهب ، فلم تزل تلك البلاد بيد رستم حتى هلك كيقاوس وبعده دهراً طويلا .

قال : وكان ملكه مائة وخمسين سنة .

وزعم علماءُ الفرس أن أوّلَ من سوّد لباسه على وجه الحداد شادوس بن جودرز على سياوّخش ، وأنه فعل ذلك يوم وَرَد على كيقاوس نَعْيُ ابنه سياوخش وقتْل فراسياب إيّاه ، وغدره به ، وأنه دخل على كيقاوس ، وقد لبِس السواد ، فأعلمه أنه فعل ذلك لأنّ يوْمه يوم إظلام وسواد .

وقد حقق ما ذكر ابن الكلبىّ من أسْر صاحب اليمن قابوس الحسن بن هانئ فى شعره فقال[5] :

١/٦٠٤

---

(١) ا : « عليها » .

(٢) ح : « وكان » .

(٣) ط : « وغل » ، وما أثبته من ا

(٤) س ، ن : « كيقاوس »

(٥) فى قصيدته التى هجا فيها قبائل نزار بأسرها وافتخر بقحطان وقبائلها ؛ وهى التى أطال الرشيد حبسه بسببها وأولها :

وَقَاظَ قابوسُ فى سَلَاسِلِنَا سِنِينَ سَبْعاً وَفَتْ لِحَاسِبِها

* * *

ثم ملك من بعد كيقاوس ابنُ ابنه كيخسرو بن سياوخش بن كيقاوس ابن كيبيه بن كيقباذ .

وكان كيقاوس حين صار به وبأمه وسفافريد ابنة فراسياب — وربما قيل وسففره — بِىُّ بن جوذرز إليه من بلاد الترك، ملّكه، فلما قام بالملك بعدَ جدّه كيقاوس ، وعقد التاجَ على رأسه خطب رعيته خطبة بليغة ، أعلمهم فيها أنه على الطّلب بدم أبيه سياوخشِ قِبلَ فراسياب التركىّ ، ثم كتب إلى جوذرز الأصبهبذ — كان — بأصبهان ونواحى خراسان(١) — يأمره بالمصير إليه ، فلما صار إليه أعلمه ما عزم عليه من الطلب بثأره من قتْل والده ، وأمرَه بعرض جُنْده ، وانتخاب ثلاثين ألف جل منهم ، وضمّهم إلى طُوس بن نوذران(٢) ، ليتوجّه بهم إلى بلاد الترك، ففعل ذلك جوذرز ، وضمّهم إلى طُوس ، وكان فيمن أشخص معه برزافره بن كيقاوس ، عمّ كيخسرو وبِىّ بن جوذرز ،

١/٦٠٥

لَيْسَتْ بدارٍ عَفَتْ وَغَيَّرَها ضَرْبَانِ مِنْ قَطْرِها وحَاصِبِهَا
ولا لأىّ الطُّلُولِ أندبُهـــا للريح والرقشِ من قَرابِنِهَا

وفيها يفتخر باليمن ويذكر الضحاك :

فنحن أربابُ ناعطٍ وَلَنَا صَنْعَاءُ والمِسْكُ فى محاربها
وكانَ مِنّا الضَّحّاك يعبُدُه الـ ـسخابلُ والطّيْرُ فِى مَسَارِبِهَا

وفيها يهجو نزاراً :

واهْجُ نِزَاراً وَافْرِ جِلْدَتَهَا واكْشِفِ السِّتْرَ عَنْ مَثَالِبِهَا

وقد رد على قصيدته هذه جماعة من النزارية ؛ منهم رجل من بنى ربيعة من نزار فقال فى قصيدة أولها :

دَعْ مَدْحَ دَارٍ خبَا وَانْتَهَى عَهْدُ مَعَدٍّ بزعم عَاتِبِهَا

فقال :

فامدحْ مَعَدًّا وافخر بمنصبها الـ ـعالِى عَلَى النَّاسِ فِى مَنَاصِبِهَا
وهَتْكِ السِّتْرَ عن ذَوِى يَمَنٍ أولاد قَحْطَـــانَ غير هائِبِهَا

وانظر الديوان ١٥٥ والتنبيه والإشراف ٧٦ — ٧٧ .

(١) كذا فى ط ، وفى ا : « الأصبهبذ بأصبهان ونواحى خراسان » . (٢) ا : « بوذران » .

وجماعة كثيرة من إخوته ، وتقدم كيخسرو إلى طوس ؛ أن يكون قصده لفراسياب وطراخنته[1] ، وألاّ يمرّ بناحية من بلاد الترك ، وكان فيها أخ له يقال له فروذ بن سياوخش ، من امرأة يقال لها برزا فريد ، كان سياوخش تزوّجها فى بعض مدائن الترك أيام سار إلى فراسياب ، ثم شخص عنها وهى حُبْلى ، فولدت فروذ فأقام بموضعه ، إلى أن شبّ فغلط طوس فى أمر فروذ — فيما قيل — وذلك أنه لـمّا صار بحِذاء المدينة التى كان فيها فروذ هاج بينه وبينه حربٌ ببعض الأسباب ، فهلك فروذ فيها ، فلما اتصل خبرُه بكيخسرو كتب إلى برزافره عمّه كتاباً غليظاً ، يعلمه فيه ما وردَ عليه من خبر طُوس ابن نوذران ومحاربته فروذ أخاه ، وأمرَه بتوجيه طوس إليه مقيّداً مَغلولاً ، وتقدّم إليه فى القيام بأمر العسكر والنفوذ به لوجهه ، فلما وصل الكتابُ إلى برزافره ، جمع رؤساء الأجناد والمقاتلة ، فقرأه عليهم ، وأمر بغَلّ طوس وتقييده ، ووجّهه مع ثقات من رسله إلى كيخسرو ، وتولّى أمرَ العسكر ، وعَبَرَ النهر المعروف بكاسبروذ ، وانتهى الخبر إلى فراسياب ، فوجّه إلى برزافره جماعةً من إخوته وطراخنته لمحاربته ، فالتقوْا بموضع من بلاد الترك يقال له واشن ، وفيهم فيران بن ويسغان وإخوته طراسيف بن جوذرز صهر فراسياب ، وهماسف ابن فشنجان ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، وظهر من برزافره فى ذلك اليوم فشلٌ لما رأى من شدّة الأمر وكثرة القتلى ، حتى انحاز بالعلَم إلى رءوس الجبال واضطرب على ولد جوذرز أمرُهم ، فقتل منهم فى تلك الملحمة فى وقعة واحدة سبعون رجلاً ، وقُتِل من الفريقين بَشَرٌ كثير ، وانصرف برزافره ومن كان معه إلى كيخسرو ، وبهم من الغمّ والمصيبة ما تمنوْا معه الموت ، فكان خوفهم من سطوة كيخسرو أشدّ ، فلما دخلوا على كيخسرو أقبل على برزافره بلائمة شديدة ، وقال : أتيتم فى وجهكم لتركِكم وصيّتى ومخالفة وصية الملوك ، تورد مورد السوء ، وتُورِث الندامة ، وبلغ ما أصيبوا به من كيخسرو حتى رئيت الكآبة فى وجهه ، ولم يلتذّ طعاماً ولا نوماً . فلما مضت لموافاتهم أيام أرسل إلى جوذرز فلما دخل عليه أظهر التوجّع له ، فشكا إليه جوذرز برزافره ، وأعلمه أنه كان

٦٠٦/١
٦٠٧/١

---

(١) قال فى القاموس : « وطرخان ، بالفتح ولا تضم ولا تكسر وإن فعله المحدثون : اسم الرئيس الشريف ، خراسانية ، بالجمع طراخنة » .

السبب للهزيمة بالعلم وخذلانه ولده ، فقال له كيخسرو : إن حقك بخدمتك لآبائنا لازم لنا ، وهذه جنودنا وخزائننا مبذولة لك فى مطالبة ترتك ، وأمره بالتهيؤ والاستعداد والتوجه إلى فراسْياب ، والعمل فى قتله وتخريب بلاده ، فلما سمع جوذرز مقالة كيخسرو نهض مبادراً فقبَّل يده ، وقال : أيها الملك المظفَّر ، نحن رعيتك وعبيدك ، فإن كانت آفة أو نازلة ، فلتكنْ بالعبيد دون ملوكها ، وأولادى المقتولون فداؤك ، ونحن من[1] وراء الانتقام من فرَاسْياب والاشتفاء من مملكة الترك ، فلا يغمنّ الملك ما كان ، ولا يَدَعنّ لَهوه ؛ فإن الحرب دُوَل ، وأعلمه أنه علَى النفوذ لأمره . وخرج من عنده مسروراً . ١/٦٠٨

فلما كان[2] من الغد أمر كيخسرو أنْ يدخُلَ عليه رؤساء أجناده والوجوه من أهل مملكته ، فلما دخلوا عليه أعلَمَهم ما عزم عليه من محاربة الأتراك ، وكتب إلى عمّاله فى الآفاق يُعلمهم ذلك ، ويأمر بموافاتهم فى صحراء تُعرف بشاه أسطون ، من كُورة بلْخ ، فى وقت وقّته لهم . فتوافتْ رؤساء الأجناد فى ذلك الموضع ، وشخص إليه كيخسرو بإصبهبذته وأصحابهم ، وفيهم برزافره عمّه وأهل بيته ، وجوذرز وبقية ولده . فلما تكاملت الملحمة ، واجتمعت المرازبة[3] ، تولّى كيخسرو بنفسه عَرْض الجند حتى عرف مبلغهم ، وفَهِم أحوالَهم ، ثم دعا بجوذرز بن جشوادغان ، وميلاذ بن جرجين وأغص بن بهذان — وأغص ابن وصيفة كانت لسياوخش ، يقال لها : شوماهان — فأعلمهم أنه قد أراد إدخالَ العساكر على الترك من أربعة أوجه ، حتى يحيطُوا بهم برّاً وبحراً ، وأنه قد قوّد على تلك العساكر ، وجَعَل أعظمها إلى جوذرز ، وصيّر مدخله من ناحية خراسان ، وجعل فيمن ضمّ إليه برزافره عمّه وبىّ بن جوذرز وجماعة من الأصبهبذين كثيرة ، ودفع إليه يومئذ العلَم الأكبر الذى كانوا يسمّونه درفش كابيان ، وزعموا أن ذلك العلَم لم يكن دفعه أحد من الملوك إلى أحد من القوّاد قبل ذلك ، وإنما كانوا يسيّرونه مع أولاد الملوك إذا وجّهوهم فى ١/٦٠٩

(١) ح : « ونحن نردم ».
(٢) إلى هنا ينتهى الموجود من المجلد الأول من نسخة أحمد الثالث .
(٣) المرزبان : الرئيس من الفرس ، بضم الزاى ، والجمع المرازبة .

الأمور العظام . وأمر ميلاذ بالدخول مما يلى الصين ، وضمّ إليه جماعة كثيرة دون مَنْ ضمّ إلى جوذرز ، وأمر أغص بالدخول من ناحية الخزر فى مثل مَنْ ضمّ إلى ميلاذ ، وضمّ إلى شومهان إخوتها وبنى عمّها وتمام ثلاثين ألف رجل من الجند ، وأمرها بالدخول من طريق بين طريق جوذرز وميلاذ .

ويقال : إن كيخسرو إنما غزا شومهان لخاصّتها بسياوخش ، وكانتْ نَذَرت أن تطالب بدمه . فمضى جميعُ هؤلاء لوجههم ، ودخل جوذرز بلادَ الترك من ناحية خُراسان ، وبدأ بفيران بن ويسغان ، فالتحمت بينهما حَرْبٌ شديدة مذكورة ، وهى الحرب التى قتل فيها بيزن بن بىّ خُمان بن ويسغان مبارزة ، وقتل جوذرز فيرانَ أيضًا ، ثم قصد جوذرز فراسياب ، وألحّت عليه العساكر الثلاثة ، كلّ عسكر من الوجه الذى دخل منه ، واتّبع القوم بعد ذلك كيخسرو بنفسه ، وجعل قَصْده للوجه الذى كان فيه جوذرز ، وصيّر مدخله منه ، فوافى عسكر جوذرز ، وقد أثخن فى الترك ، وقتل فيران رئيس إصبهبذِى فراسياب ، والمرشّح للملك من بعده ، وجماعة كثيرة من إخوته ؛ مثل خُمان ، وأوستهن ، وجلباد، وسيامق ، وبهرام ، وفرشخاذ ، وفرخلاد . ومن ولده ، مثل روين بن فيران ، وكان مقدّمًا عند فراسياب ، وجماعة من إخوة فراسياب ، مثل : رتدراى[1] ، وأندرمان ، وأسفخرم ، وأخست . وأَسَربروا بن فشنجان قاتل سياوَخْش ، ووجد جوذرز قد أحْصى القتلى والأسرى ، وما غنِم من الكُرَاع والأموال ، فوجد مبلغ ما فى يده من الأسرى ثلاثين ألفًا ، ومن القتلى خمسمائة ألف ونَيِّفًا وستين ألف رجل ، ومن الكُراع والورق والأموال ما لا يحصى كثْرة ، وأمر كلّ واحد من الوجوه الذين كانوا معه أن يجعل أسيره أو قتيلَه من الأتراك عند علمه لينظر كيخسرو إلى ذلك عند موافاته .

١ / ٦١٠

١ / ٦١١

١ / ٦١٢

فلما وافى كيخسرو العسكر وموضع الملحمة اصطفّت له الرجال ، وتلقاه جوذرز وسائر الإصبهبذين ، فلما دخل العسكر جعل يمرّ بعلم علم ، فكان أول قتيل رآه جثة فيران عند علم جوذرز ، فلما نظر إليها[2] وقف ثم قال :

---

(١) كذا فى ن ، وفى س : « زيد راى » .

(٢) ح ، س : « إليه » .

أيها الجبل الصعب الذرّا المنيع الأركان ! ألم أنهك عن هذه المحاربة ، وعن نَصْب نفسك لنا دونَ فراسياب فى هذه المطالبة ! ألم أبذُلْ لك نفسى ، وأعرِض عليك ملكى فلم تحسِن الاختيار ! ألست الصدوقَ اللسان ، الحافظَ للإخوان ، الكاتم للأسرار ! ألم أعلمْك مَكْرَ فراسياب وقلّة وفائه فلم تفعل ما أمرتُك بل مضيت فى نومك حتى احتوشتك(١) الليوث من مقاتلتنا وأبناء مملكتنا ! ما أغنى عنك فراسياب ، وقد فارقت الدنيا وأفنيت آل ويسغان ! فويلٌ لحلمك(٢) وفهمِك ! وويل لسخائك وصدقك ! إنّا بك اليوم لَمُوجَعون!

ولم يزل كيخسرو يرثى فيران حتى صار إلى عِلْم بىّ بن جوذرز ، فلما وقف عليه وجد بروا بن فشنجان حيًّا أسيراً فى يدىْ بىّ ، فسأل عنه فأخبر أنه بروا قاتل سياوخش الماثل به عند قتله إياه . فقرّب منه كيخسرو ، ثم طأطأ رأسَه بالسجود شكراً لربه ، ثم قال : الحمد لله الذى أمكننى منك يابروا ! أنتَ الذى قتلتَ سياوخش ، ومثّلتَ به ! وأنت الذى سلبتَه زينته(٣) وتكلّفت من بين الأتراك إبارَته ، فغرست لنا بفعلك هذه الشجرةَ من العداوة ، وهيّجت بيننا هذه المحاربة ، وأشعلت فى كلا الفريقين نارا موقدة ! أنت الذى جرَى على يديك تبديلُ صورته ، وتوهين قوته ! أما تهيّبت أيها التركىّ جمَاله ! ألا أبقيت عليه للنور الساطع على وجهه ! أين نجدتُك وقوّتك اليوم ! وأين أخوك الساحر عن نصرتك ! لست أقتلُك لقتلك إياه ؛ بل لكلفتك وتولّيك ما كان صلاحًا لك ألاّ تتولاه ، وسأقتل مَنْ قتله ببغيه وجرمه .

٦١٣/١

ثم أمر أن تقطع أعضاؤه حيًا ثم يذبح ففعل ذلك به بىّ ، ولم يزل كيخسرو يمر بعلَم علَم ، وأصبَهبذ أصبَهبذ ؛ فإذا صار إلى الواحد منهم قال له نحو ما ذكرنا ، ثم صار إلى مضاربه ، فلما استقرّ فيها دعا ببرزافره عمّه ، فلما دخل عليه أجلَسه عن يمينه ، وأظهر له السرورَ بقتله جلباذ بن ويسغان مبارزة ، ثم أجزل جائزته وملّكه على كِرْمان ومُكْرَان ونواحيها ، ثم دعا بجوذرز ، فلما

(١) احتوشوه : أحاطوا به .

(٢) ن : « لعلمك » .

(٣) ح : « رتبته » .

دخل عليه قال له : أيها الأصبهبذ الرشيد ، والكهل الشفيق ؛ إنه مهما كان من هذا الفتح العظيم فمن ربِّنا عزّ وجلّ ، وعن غير حيلة منا ولا قوة ، ثم برعايتك حقنا ، وبَذْلِكَ نفسك وأولادك لنا ، وذلك مذْخور لك عندنا ، وقدحبوْناك بالمرتبة التي يقال لها «بزُرْ جفر مذار» ؛ وهي الوزارة ، وجعلنا لك أصبهان وجُرْجان وجبالهما ، فأحسِنْ رعاية أهلها .

١/٦١٤ فشكر جوذرز ذلك ، وخرَج من عنده بَهِجًا مسروراً ، ثم أمر بالوجوه من أصبهبذته الذين كانوا مع جوذرز ممن حسن بلاؤه ، وتولى قتل طراخنة الأتراك ، ولد فشنجان وويسغان ؛ مثل جرجين بن ميلاذان ، وبيّ ، وشادوس ولحام ، وجدمير بن جوذرز ، وبيزن بن بيّ ، وبرازه بن بيفغان ، وفروذه بن فامدان

١/٦١٥ وزنده بن شابريغان ، وبسطام بن كزدهمان ، وفرته بن تفارغان . فدخلوا عليه رجلاً رجلاً ؛ فمنهم من ملّكه على البلدان الشريفة ، ومنهم مَنْ خصَّه بأعمال من أعمال حضرته ، ثم لم يلبث أن وردت عليه الكتب من ميلاذ وأغص وشومهان بإثخانهم في بلاد الترك ، وأنهم قد هزموا فراسياب عسكراً بعد عسكر ، فكتب إليهم أن يجدُّوا في محاربة القوم ، وأن يوافُوه بموضع سمّاه لهم من بلاد الترك . فزعموا أن العساكر الأربعة لما أحاطت بفراسياب ، وأتاه مِنْ قتل مَنْ قتل ، وأسْر مَنْ أسر ، وخراب ما خرّب ما أتاه ، ضاقت عليه المذاهب ، ولم يبق معه من ولده إلا شيده — وكان ساحراً — فوجّهه نحو كيخسرو بالعدّة والعتاد ، فلما وافى كيخسرو أعلم أنّ أباه إنما وجّهه للاحتيال عليه ، فجمع أصبهبذته وتقدّم إليهم في الاحتراس من غيلته .

وقيل : إن كيخسرو أشفق يومئذ من شيده وهابَه ، وظنّ ألاّ طاقة له به ، وأنّ القتال اتصل بينهما أربعة أيام ، وإن رجلاً من خاصة كيخسرو يقال له جرد بن جرهمان عبّى يومئذ أصحابَ كيخسرو ، فأحسن تعبيتهم ، فكثرت القتلى بينهم واستماتت رجال خنيارث وجدّت ، وأيقن شيده ألاّ طاقة له بهم

١/٦١٦ فانهزم ، واتبعه كيخسرو بمن معه ، ولحقه جرد فضربه على هامته بالعمود ضربةً خرّ منها ميتًا ، ووقف كيخسرو على جيفته ، فعاين منها سماجة شنعة ، وغنم كيخسرو ما كانَ من عسكرهم ، وبلغ الخبر فراسياب ، فأقبل بجميع

طراخنته، فلما التقى وكيخسر، و نَشَبَت بينهما حرب شديدة لا يقال إنّ مثلها كان على وجه الأرض قبلها ، فاختلط رجال خنيارث برجال الترك ، وامتدّ الأمر بينهم حتى لم تقع العين يومئذ إلا على الدماء، والأسر من جوذرز ولده وجرجين وجرد وبسطام ، ونظر فراسياب وهم يحمُون كيخسرو كأنهم أسود ضاربة، فانهزم مولّيًا على وجهه هاربًا، فأحصيَت القتْلى فيما ذكر يومئذ ؛ فبلغت عدّتهم مائة ألف، وجدّ كيخسرو وأصحابه فى طلب فراسياب، وقد تجرّد للهرب . فلم يزل يهرب من بلد إلى بلد حتى أتى أذربيجان ، فاستتر فى غدير هناك يعرف ببئر خاسف ، ثم ظُفِر به ، فلما أتى كيخسرو استوثق منه بالحديد ، ثم أقام للاستراحة بموضِعه ثلاثة أيام ، ثم دعاه ، فسأله عن عذره فى أمر سياوخش ، فلم يكن له عذر ولا حُجَّة ، فأمر بقتله ، فقام إليه نِيّ بن جوذرز ، فذبَحه كما ذبح سياوخش ، ثم أتى كيخسرو بدمه ، فغَمس فيه يده، وقال هذا بِتِرَة سياوَخش ، وظُلْمكم إياه واعتدائكم عليه. ثم انصرف من أذربيجان ظافراً غانمًا بهجًا . ٦١٧/١

وذُكِر أن عدة من أولاد كيبيه جَدّ كيخسرو الأكبر وأولادهم كانوا مع كيخسرو فى حرب الترك ، وأن ممن كان معه كى أرش بن كيبيه ، وكان مُملّكا على خوزستان وما يليها من بابل وكى به أرش، وكان مملكاً على كرمان ونواحيها ، وكى أوجى بن كيمنوش بن كيفاشين بن كيبيه ، وكان مملّكاً على فارس، وكى أوجى هذا هو أبوكى لهراسف الملك ؛ ويقال إن أخًا لفراسياب كان يقال له : كى شراسف ، صار إلى بلاد الترك بعد قتل كيخسرو أخاه ، فاستولّى على ملكها ، وكان له ابن يقال له خرزاسف ، فملك البلاد بعد أبيه ، وكان جباراً عاتيًا ، وهو ابن أخى فراسياب ملك الترك الذى كان حارب منوشهر، وجوذرز هو ابن جشواغان بن يسحره[1] بن قرحين[1] بن حبر بن رسود بن أورب بن تاج[1] بن رشيك[1] بن أرس بن وندح[2] بن رعر بن نودراحاه بن مسواغ بن نوذر بن منوشهر . ٦١٨/١

فلما فرغ كيخسرو من المطالبة بِوتْره، واستقرّ فى مملكته زهد فى الملك ، وتنسّك ، وأعلَم الوجوه من أهله وأهل مملكته أنه على التخلّى من الأمر ، فاشتدّ

---

(١) كذا فى ن (٢) كذا فى ح .

لذلك جزعُهم ، وعظمت له وحشتهم ، واستغاثوا إليه ، وطلبوا وتضرّعوا ، وراودوه على المقام بتدبير ملكهم ، فلم يجدوا عنده فى ذلك شيئًا ، فلما يئسوا قالوا بأجمعهم : فإذا قمتَ على ما أنت عليه فسمّ للملك رجلاً نقلّده إياه ، وكان لهراسف حاضراً ، فأشار بيده إليه ، وأعلمهم أنه خاصّته ووصيُّه ، فأقبل الناس إلى لهراسف ، وذلك بعد قَبُوله الوصية . وفُقِد كيخسرو ، فبعض يقول : إنه غاب للنسك فلا يدرَى أين مات ، ولا كيف كانت ميتته ، وبعضٌ يقول غَير ذلك .

١/٦١٩ وتقلد لهراسف الملك بعده على الرسم الذى رسم له ، وولد كيخسرو : جاماس ، وأسبهر[1] ، ورمى ، ورمين .

وكان ملك كيخسرو ستين سنة .

(١) ح : « واسهر » .

أمر إسرائيل
بعد سليمان بن داود عليهما السلام

رجع الحديث إلى الخبر عن أمر بنى إسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام .

ثم ملك بعد سليمان بن داود على جميع بنى إسرائيل ابنه رُحُبْعُم[1] بن سليمان ، وكان ملكه ـ فيما قيل ـ سبع عشرة سنة . ثم افترقت ممالكُ بنى إسرائيل فيما ذكر بعد رُحُبْعُم ، فكان أبيّا[2] بن رُحُبْعُم ملك سبط يهوذا وبنيامين ، دون سائر الأسباط ؛ وذلك أنّ سائر الأسباط ملّكوا عليهم يوربعم[3] بن نابط ، عبد سليمان ، لسبب القربان الذى كانت زوجة سليمان قرّبته فى داره ، وكانت قرّبت فيها جرادةً لصنم ، فتوعّده الله بإزالة بعض المُلْك عن ولده ، فكان ملك رُحُبْعُم إلى أن تُوُفّىَ ـ فيما ذكر ـ ثلاث سنين .

ثم ملك أسا[4] بن أبيّا أمر السِّبْطين اللذيْن كان أبوه يملك أمرهما ـ وهما سبط يهوذا وسبط بنيامين ـ إلى أن توفّى ، إحدى وأربعين سنة .

* * *

ذكر خبر أسا بن أبيّا وزرح الهندىّ

حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ؛ قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهب بن منبّه يقول : إن ملكاً من ملوك بنى إسرائيل يقال له أسا بن أبيّا ، كان رجلاً صالحاً ، وكان أعرَج ، ١/٦٢٠ وكان ملك من ملوك الهند يقال له زرح ، وكان ملكاً جباراً فاسقاً يدعو الناس

---

(١) ضبطه ابن خلدون فى (١ : ١٤٨) : «براء مهملة وحاء مهملة مضمومتين ، وباء موحدة ساكنة وعين مهملة مضمومة وميم » .

(٢) فى ابن خلدون : « أفيا ، وضبطه بهمزة مفتوحة وفاء متوسطة بين الفاء والذال من لغتهم ، وياء مثناة من تحت مشددة بألف » .

(٣) فى ابن خلدون : يربعم ، مضبوطاً بالقلم ؛ بفتح وضم الراء وسكون الباء .

(٤) ضبطه ابن خلدون « بضم الهمزة وفتح السين المهملة وألف بعدها » .

إلى عبادته ، وكان أبيًّا عابدَ أصنام ؛ له صنمان يعبدهما من دون الله ، ويدعو الناسَ إلى عبادتهما ؛ حتى أضلّ عامة بنى إسرائيل ، وكان يعبُد الأصنام حتى توفّى . ثم ملك ابنه أسَا من بعدِه ، فلما ملكهم[1] بعث فيهم مناديًا ينادى : ألاَ إنَّ الكفر قد مات وأهلُه ، وعاش الإيمان وأهلُه ، وانتكست الأصنام وعبادتُها ، وظهرت طاعة الله وأعمالُها ، فليس كافر من بنى إسرائيل يُطلِع رأسه بعد اليوم بكُفْر فى ولايتى ودهرى ، إلا أنّى[2] قاتله . فإن الطوفان لم يُغرِق الدنيا وأهلها ، ولم يخسف بالقرى ، ولم تمطر الحجارة والنار من السماء إلا بترك طاعة الله ، وإظهار معصيته ؛ فمن أجل ذلك ينبغى لنا ألاّ نقرّ لله معصيةً يُعمَل بها ، ولا نترك طاعة لله إلا أظهرناها جهدَنا ، حتى نطهّر الأرض من نَجَسها ، ونُنقّيها من دنسها ، ونجاهد مَنْ خالفَنا فى ذلك بالحرب والنفى من بلادنا .

فلما سمع ذلك قومُه ضجُّوا وكرهوا ، فأتوْا أمَّ أسَا الملك فشكوْا إليها فعل ابنها بهم وبآلهتهم ، ودعاءه إياهم إلى مفارقة دينهم ، والدخول فى عبادة ربِّهم ، فتحمّلتْ لهم أمه أن تكلّمَه وتصرفَه إلى عبادة أصنام والده ؛ فبينا الملك قاعد وعنده أشراف قومه ورءوسهم[3] وذوو طاعتهم ؛ إذ أقبلتْ أمّ الملك فقام لها الملك من مجلِسه ، وأمرَها أن تجلس فيه ، معرفةً بحقها ، وتوقيراً لها . فأبت عليه وقالت : لستَ ابنى إن لم تجبنى إلى ما أدعوك إليه ، وتضع طاعتك فى يدى حتى تفعل ما آمرك به ، وتجيبنى إلى أمر ؛ إن أطعتَنى فيه رَشَدت وأخذت بحظّك ، وإن عصيتَنى فحظَّك بخَست ، ونفسَك ظلمت . إنه بلغنى يا بنىّ أنك بدأت قومك بالعظيم ؛ دعوتَهم[4] إلى مخالفة دينهم ، والكفرِ بآلهتهم ، والتحوّل عمّا كان عليه آباؤهم ، وأحدثت فيهم سنّة ، وأظهرت فيهم بدعة ؛ أردت بذلك — فيما زعمتَ — تعظيمًا لوقارك ، ومعرفةً بمكانك ، وتشديداً لسلطانك ؛ وفى التقصير يا بنىّ دخلت ، وبالشَّيْن أخذت . ودعوت جميعَ الناس إلى حربك ، وانتدبت لقتالهم وحدك ؛ أردت بذلك أن تُعيد الأحرار لك عبيداً ، والضعيف

١ / ٦٢١

(١) ن : « فلما ملكهم من بعده » . (٢) : ح « أنا » .
(٣) ن : « ورؤسائهم » . (٤) س : « ودعوتهم » .

لك شديداً ؛ سفّهت بذلك رأىَ العلماء ، وخالفتَ الحكماء ، واتّبعت رأى السفهاء . ولعمرى ما حملك على ذلك يا بنىّ إلا كثرةُ طيشك ، وحداثةُ سنّك ، وقلّةُ علمك ؛ فإن أنت رددتَ علىّ كلامى ، ولم تعرفْ حقّى ، فلستَ من نسل والدك ، ولا ينبغى الملْك لمثلك . يا بنىّ بأىّ شىء تُدِلُّ على قومك ؟ لعلك أوتيت من الحروف مثل ما أتى[1] موسى إلى فرعون ؛ أن غرّقه وأنجى قومه من الظّلمة . أو لعلك أوتيت من القوة ما أوتى داود ؛ أن قتلَ الأسد لقومه ، ولحق الذئب فشقّ شِدْقه ، وقتل جالوت الجبّار وحده . أو لعلك أوتيتَ من الملك والحكمة أفضلَ ممّا أوتى سليمان بن داود رأس الحكماء ؛ إذ صارت حكمتُه مثلاً للباقين بعده ! يا بنىّ إنه ما يأتِك من حسنة فأنا أحظَى الناس بها ، وإن تكن الأخرى فأنا أشقاهم بشقوتك .

١/٦٢٢

فلما سمعها الملك اشتدّ غضبُه ، وضاق صدره ، فقال لها : يا أمّه ! إنه لا ينبغى أن آكلَ على مائدة واحدة مع حبيبى وعدوى ، كذلك لا ينبغى أن أعبدَ غيرَ ربّى . هلمّى إلى أمر إن أطَعْتنى فيه رَشدت ، وإن تركتِه غويت ؛ أن تعبدى الله وتكفرِى بكلّ آلهة دونه ، فإنه ليس أحد يردُّ هذا علىّ إلا هو لله عدوّ ، وأنا ناصره لأنى عبدُه .

قالت له : ما كنت لأفارقَ أصنامى ، ولا دينَ آبائى وقومى . ولا أتركُ[2] ذلك لقولك ، ولا أعبد الربّ الذى تدعونى إليه .

فقال لها الملك : حينئذ[3] يا أمّه ، إنّ قولَك هذا قد قطع فيما[4] بينى وبينك رحِمى .

وأمر بها الملك عند ذلك فأخرَجوها وغرّبوها[5] ، ثم أوصى إلى صاحب شُرْطته وبابه أن يقتلَها إن هى ألمّت بمكانه[6] .

فلما سمع ذلك منه الأسباط الذين كانوا حوله وقعت فى قلوبهم المهابة ،

---

(١) كذا فى ن ، وفى ط : « أوتى » . (٢) ح : « وأتركَ » .
(٣) س : « عند ذلك » . (٤) ن : « فرق بينى » .
(٥) ر ، ن : « وعذبوها » . غربوها ، أى أبعدوها
(٦) ح : « بمكانها » .

١ / ٦٢٣ فأذعنوا له بالطاعة ، وانقطعت فيما بينهم وبينه كلّ حيلة ، وقالوا : قد فعل هذا بأمّه ، فأين نقع نحن منه إذا خالفنا فى أمره ، ولم نجبه إلى دينه ! فاحتالوا له كلّ حيلة ، فحفظه الله وأباد مكرَهم . فلما لم يكن لهم عن[1] ذلك صبر ، ولا على فراق دينهم قوام ؛ ائتمروا بأن يهربُوا من بلاده ، ويسكنوا بلاداً غيرها ؛ فخرجوا متوجّهين إلى زَرْح ملك الهند يطلبون أن يستحملوه على أسَا ومن اتبعه ؛ فلما دخلوا على زرْح سجدوا له ، فقال لهم : مَنْ أنتم ؟ قالوا : نحن عبيدك ، قال : وأىّ عبيدى[2] أنتم ؟ قالوا : نحن من أرضك أرضِ الشام ، وإنّا كنا نعتزّ بملكك ، حتى ظهر فينا ملك صبىّ حديث السنّ سفيه ، فغيّر ديننا ، وسفّه رأينا ، وكفّر آباءنا ، وهان عليه سخطُنا ، فأتيناك لنُعلمك ذلك ، فتكون أنت أولى بملكنا ؛ ونحن رءوسهم ، وهى أرض كثير مالها ، ضعيف أهلها ، طيّبة معيشتها ، كثيرة أنصارها[3] ، وفيهم الكنوز ومِلْك ثلاثين ملكًا ، وهم الذين كان يوشع بن نون خليفة موسى سار بهم فى البحر هو وقومه ؛ فنحن وأرضنا لك ، وبلادنا بلادك ، وليس أحدٌ فيها يناصبك ، هم دافعون أيديهَم إليك بغير قتال ، بأموالهم[4] وأنفسهم مسالمة .

قال : لهم زرح : لَعَمْرِى ، ما كنت لأجيبَكم إلى ما دعوتمونى إليه ، ولا أستجيب إلى مقاتلة قوم لعلّهم أطوعُ لى منكم ، حتى أبعثَ إليهم من قومى أمناء ، فإن وقع الأمرُ على ما تكلّمتم به قدّامى نفعكم ذلك عندى ، ١ / ٦٢٤ وجعلتُكم عليها ملوكًا ، وإن كان كلامكم كذبًا فإنى منزِل بكم العقوبة التى تنبغى لمن كذَبنى .

قال القوم : تكلّمتَ بالعدل ، وحكمتَ بالقسط ، ونحن به راضون . فأمر عند ذلك بالأرزاق فأجريَت عليهم ، واختار من قومه أمناء ليبعثهم جواسيس ، فأوصاهم بوصيته[5] ، وخوّفهم وحذّرهم بطشه إن هم كذَبوه ،

---

(١) ن : « على » . (٢) ن : « عبيد » .

(٣) كذا فى ط ، وفى ح « أنصارها » . وفى س « ثمارها » .

(٤) زاد ح : « ومواشيهم » . (٥) ن : « بوصية » .

ووعدهم المعروف إن هم صدَقوه . وقال زرح : إنّى مرسلكم لأمانتكم، وشحّكم على دينكم ، وحسن رأيكم فى قومكم ، لتطالعوا لى أرضًا من أرضى ، وتبحثوا لى عن شأنها ، وتُعلمونى عِلْم أهلها ومِلكها وجنودها وعددها وعدد مياهها ، وفِجاجها وطرقها ، ومداخلها ومخارجها ، وسهولتها وصعوبتها ؛ حتى كأنى شاهد ذلك وعالمه ، وحاضر ذلك وخابره . وخذوا معكم من الخزائن من الياقوت والمرجان والكسوة ما يفرغون إليه إذا رأوْه ، ويشترون منكم إذا نظروا إليه .

فأمكنهم من خزائنه حتى أخذوا منها ، فجهّزهم لبرّهم وبحرهم ، ووصف لهم القوم الذين أتوهم[1] الطرقَ ، ودلّوهم على مقاصدها ، فساروا كالتجار ؛ حتى نزلوا ساحلَ البحر ، ثم ركبوا منه حتى أرسوْا على ساحل إيليِاء ، ثم ساروا حتى دخلوها ، فخلّفوا[2] أثقالهم فيها ، وأظهروا أمتعتهم وبضاعتهم ، ودعوا الناس إلى أن يشتروا منهم ؛ فلم يفرُغوا لبضاعتهم ، وكسدت تجارتُهم ، فجعلوا يُعطون بالشىء القليل الشىءَ الكثير ؛ لكيلا يخرجوهم من قريتهم ، حتى يعلموا أخبارَهم ، ويحقّوا شأنهم ويستخرجوا ما أمرهم به ملكهم من أخبارهم . ١/٦٢٥

وكان أسا الملك قد تقدّم إلى نساء بنى إسرائيل ألاّ يُقْدَر على امرأة لا زوج لها بهيئة امرأة لها زوج إلاّ قتلها أو نفاها من بلاده إلى جزائر البحار ؛ فإنّ إبليس لم يدخل على أهل الدّين فى دينهم بمكيدة هى أشدّ من النساء ؛ فكانت المرأة التى لا زوج لها لا تخرج إلاّ منتقبة فى رِثّة الثياب لئلاّ تعرف ؛ فلما بذل هؤلاء الأمناء بضاعتهم ما ثمنُه مائة درهم بدرهم ، جعل نساء بنى إسرائيل يشترين خُفْية بالليل سرًّا ، لا يعلم بهنّ أحد من أهل دينهنّ[3] ؛ حتى أنفقوا بضاعَتهم واشتروْا بها حاجتَهم ، واستوعبوا خبَر مدينتهم وحصونهم ، وعددَ مياههم ، وكانوا قد كتموا رءوس بضاعتهم ومحاسنها من اللؤلؤ والمرجان والياقوت هديّة للملك ، وجعل الأمناء يسألون منْ رأوا من أهل القرية عن خبر الملك

---

(١) ن : « أتوا » .

(٢) كذا فى ح ، وفى ط : « فخلوا » .

(٣) ح : « مدينتهم » .

وشأنه إذ لم يشتر منهم شيئًا ، وقالوا : ما شأن الملك لا يشترى منا شيئًا ! إن كان غنيًّا فإنّ عندنا[1] من طرائف[2] البضاعات فنعطيه ما شاء مما لم يدخل مثله فى خزائنه ، وإن كان محتاجًا فما يمنعه أن يشهَدنا فنعطيه ما شاء بغير ثمن !

١/٦٢٦ قال لهم مَنْ حضرهم من أهل القرية : إنّ له من الغنى[3] والخزائن وفنون المتاع ما لم يُقْدَر على مثله ؛ إنه استفرغ الخزائن التى كان موسى سار بها من مصر، والحلىّ الذى كان بنو إسرائيل أخذوا ، وما جمع يوشع بن نون خليفةُ موسى ، وما جمع سليمانُ رأس الحكماء والملوك ، من الغنى الكثير والآنية التى لا يقدَر على مثلها .

قال الأمناء : فما قتاله ؟ وبأىّ شىء عظمته ؟ وما جنوده ؟ أرأيتم لو أنّ[4] ملكًا انحرف[5] عليه ففتق ملكه ما كان إذاً قتالُه إياه ؟ وما عدّتُه وعدد جنوده ؟ أم بأىّ الخيل والفرسان غلبته ؟ أم[6] من أجل كثرة جمعه وخزائنه وقعت فى قلوب الرجال هيبته !

فأجابهم القوم وقالوا : إن أسا الملك قليلةٌ عدّته ، ضعيفة قوته ، غيرَ أنّ له صديقًا لو دعاه واستعان به على أن يزيل الجبال أزالها ؛ فإذا كان معه صديقه فليس شىء من الخلْق يطيقه .

قال لهم الأمناء : ومَنْ صديق أسا ؟ وكم عدد جنوده ؟ وكيف مواجهته وقتالُه ؟ وكمْ عدد عساكره ومراكبه ؟ وأين قَراره ومسكنه ؟

فأجابهم القوم : أمّا مسكنُه ففوق السموات العلا ، مستوٍ على عرشه ، لا يحصى عدد جنوده ، وكلّ شىء من الخلق له عبد ، لو أمر البحر لطمّ على البرّ ، ولو أمر الأنهار لغارت فى عنصرها ، لا يُرى ولا يعرف قراره ، وهو صديق أسا وناصره[7] .

---

(١) ن : « فعندنا » .
(٢) ط : « ظرائف » .
(٣) كذا فى ن ، ر ، وفى ط : « الغناء » .
(٤) ح : « كان » .
(٥) ن : « انخرق » .
(٦) كذا فى س ، وفى ط : « أومن » . (٧) ح : « وحافظه » .

فجعل الأمناء يكتبون كلّ شيء أخبِروا به من أمر أسَا وقضية أمره ، فدخل بعض هؤلاء الأمناء عليه فقالوا : يأيها الملك ، إن معنا هدية نريد أن نهديها لك من طرائف بلادنا ، أو تشترى منا فنُرخصه عليك[1] . ١/٦٢٧

قال لهم : ائتونى بذلك حتى أنظر إليه ، فلما أتوْه به قال لهم : هل يبقى هذا لأهله ويبقون[2] له ؟ قالوا : بل يفنى هذا ويفنىَ[3] أهله . قال لهم أسَا[4] : لا حاجةَ لى فيه[5] ، إنما طَلِبتى ما تبقى بهجتُه لأهله، لا تزول ولايزولون عنه .

فخرجوا من عنده ، وردّ عليهم هديّتهم ، فساروا من بيت المقدس متوجهين إلى زرح الهندىّ ملكهم .فلما أتوه نشروا له كتاب خبرهم وأنبئوه[6] بما انتهى إليهم من أمر ملكهم ،وأخبروه بصديق أسا .فلما سمع زرح كلامَهم استحلفهم بعزّته ، وبالشمس والقمر اللذين يعبدونهما ولهما يصلُّون ألاّ يكتموه من خبر ما رأوا فى بنى إسرائيل شيئًا . فصدّقوه .

فلما فرغوا من خبرهم وخبر أُسَا ملكهم وصديقه، قال لهم زرح : إن بنى إسرائيل لما علِموا أنكم جواسيس ، وأنكم قد اطلعتم على عوراتهم ذكروا لكم صديق أسَا وهم كاذبون؛ أرادوا بذلك ترهيبَكم . إن صديق أسا لا يطيق أن يأتىَ بأكثر من جندى ، ولا بأكمل من عدّتى ، ولا بأقسى قلوبًا ولا أجرأ على القتال من قومِى ؛ إن لقيَنى بألف لقيته بأكثر من ذلك .

ثم عمد زرح عند ذلك فكتب إلى كلّ من فى طاعته أن يجهّزوا[7] من كل مخلاف[8] جنداً بعدّتهم حتى استمد يأجوج ومأجوج والترك وفارس مع ١/٦٢٨

(١) ن ، س : « فنرخص » .
(٢) ح : « أو يبقون »
(٣) ط « ويفنون » .
(٤) ن : « قال أسا » .
(٥) س ، ن : « به » .
(٦) ن ، س : « وأتوه » . (٧) ح ، س : « أن جهزوا » .
(٨) المخلاف ، قال ياقوت فى مقدمة كتابه عند ذكره الألفاظ التى يتكرر ذكرها فى هذا الكتاب : « فالمخلاف أكثر ما يقع فى كلام أهل اليمن ؛ وقد يقع فى كلام غيرهم على جهة التبع لهم والانتقال لهم ؛ وهو واحد مخاليف اليمن ؛ وهى كورها . . . وقال خالد بن جنبة : «فى كل بلد مخلاف » .

مَنْ سواهم من الأمم ممن جرت عليه لزرح طاعة ، كتب :

من زرح الجبار الهندىّ ملك الأرضين ، إلى مَنْ بلغته كتبى : أما بعد فإن لى أرضًا قد دنا حصادُها وأينع ثمرُها ، وأردت أن تبعثوا إلىّ بعمّال أغنّمهم ما حصدوا منها ، وهم قوم قَصَوْا عنى ، وغلَبوا على أطراف من أرضى وقهروا مَنْ تحت أيديهم من رقيقى ، وقد منحتهم مَنْ نهض إليهم معى ، فإن قصّرتْ بكم قوّة فعندى قوّتكم ، فإنه لا تتعطل خزائنى .

فاجتمعوا إليه من كلّ ناحية ، وأمدّوه بالخيل والفرسان والرّجالة[1] والعدّة ؛ فلما اجتمعوا عنده أمكنهم من السلاح والجهاز من خزائنه ، ثم أمر بإحصاء عددهم وتعبيتهم ، فبلغ عددُهم ألف ألف ومائة ألف سوى أهل بلادهم . وأمر بمائة مركب ، فقرن[2] له البغال ، كلّ أربعة أبغُل جميعًا عليها سرير وقبّة ، وفى كلّ قبّة منها جارية ، ومع كلّ مركب عشرة من الخدم ، وخمسة أفيال من فيَلته ، فبلغ فى كلّ عسكر من عساكره مائة ألف ، وجعل خاصّته الذين يركبون معه مائة[3] من رءوسهم ، وجعل فى كلّ عسكر عُرَفاء[4] ، وخطبهم وحرّضهم على القتال ، فلما نظر إليهم وسار فيهم تعزّز وتعظّم شأنُه فى قلوب مَنْ حضره ، ثم قال زرح : أين صديق أسَا ؟ هل يستطيع أن يعصمَه منّى ؟ أو مَنْ يطيق غلبتى ؟ فلو أن أسا وصديقَه ينظران إلىّ وإلى جندى ما اجترآ على قتالى ؛ لأن عندى بكلّ واحد من جنده ألفاً من جنودى ، لَيدخُلنّ أسَا أرضى أسيراً ، ولأقدمنّ بقومه سُبِيًّا فى جنودى . ٦٢٩/١

فجعل زرح ينتقص[5] أسَا ويقول فيه مالا ينبغى ، فبلغ أسَا صنيعُ زرح وجمعُه عليه ، فدعا ربّه فقال : اللهمّ أنت الذى بقوّتك خلقت[6] السموات والأرض ومَنْ فيهنّ حتّى صار بجميعُ ذلك فى قبضتك ، أنتَ ذو الأناة

---

(١) كذا فى ن ، وفى ط : « الرجال » .

(٢) ح : « ففرق » .

(٣) ن : « مائة ألف » .

(٤) العريف : رئيس القوم ؛ سمى لأنه عرف بذلك ؛ وهو دون الرئيس .

(٥) ن : « يتنقص » .

(٦) ن : « جعلت » .

الرفيقة(١) والغضب الشديد ، أسألك ألاّ تذكرنا بخطايانا(٢) فيما بيننا وبينك، ولا تعمدنا ولا تجزينا على معصيتك ؛ ولكن تذكرنا برحمتك التى جعلتها للخلائق ، فانظر إلى ضعفنا وقوة عدونا ، وانظر إلى قلّتنا وكثرة عدونا ، وانظر إلى ما نحن فيه من الضيق والغمّ ، وانظر إلى ما فيه عدوّنا من الفرح والراحة ، فغرّق زرحا وجنوده فى اليمّ بالقدرة التى غرّقتَ بها فرعون وجنوده ، وأنجيت موسى وقومه . وأسألك أن تُحِلّ على زرح وقومه عذابك بغتة !

فأُرِيَ أسا فى المنام — والله أعلم — أنى قد سمعت كلامك ، ووصل إلىّ جُؤارُك ، وأنى على عرشى ، وأنى إن غرّقت زرحا الهندى وقومه ، لم يعلم بنو إسرائيل ولا مَنْ كان بحضرتهم كيف صنعت بهم ، ولكن سأظهر فى زرح وقومه لك ولمن اتبعك قدرة من قدرتى ، حتى أكفيك مؤنتهم ، وأهبَ لك غنيمتهم ، وأضعَ فى أيديكم عساكرَهم ؛ حتى يعلم أعداؤك أن صديقَ أسا لا يطاق وليُّه ، ولا يهزَم جنده(٣) ، ولا يخيب مُطيعُه ، فأنا أتمهل له حتى يفرغ من حاجته ، ثم أسوقه إليك عبداً ، وعساكره لك ولقومك خَوَلاً .

فسار زرح ومن معه حتى حلّوا على ساحل ترشيش ، فلم يكن إلا محلّة يوم حتى دفنوا أنهارها ، ومَحوْا مروجَها ؛ حتى كان الطير ينقصف عليهم ، والوحش لا تستطيع الهرب منهم ، فساروا حتى كانوا على مرحلتين من إيلياء ، ففرّق زرح عساكره منها إلى إيلياء ، وامتلأت منهم تلك الأرضُ : جبالها وسهولها ، وامتلأت قلوبُ أهل الشام منهم رُعباً ، وعاينوا هلكتهم .

فسمع بهم أسا الملك ؛ فبعث إليهم طليعة من قومه ، وأمرهم أن يخبروه بعددهم وهيئتهم . فسار القوم الذين بعثهم أسا حتى نظروا إليهم من رأس تلّ ، ثم رجعوا إلى أسا فأخبروه أنه لم تر عيونُ بنى آدم ، ولا سمعت آذانهم مثلَهم ومثلَ أفيالهم وخيولهم وفرسانهم ؛ وما ظننّا أنّ فى الناس مثلَهم كثرة وغدة ، فُلّت من إحصائهم عقولُنا ، وفُلّت من قتالهم حيلتنا ، وانقطع فيما بيننا وبينهم رجاؤنا .

---

(١) ن : « الرفيعة » . (٢) ح : « تذكر خطايانا » .

(٣) ح : « ووليه لا يهزم جنده » .

فسمع بذلك أهلُ القرية فشقُّوا ثيابهم ، وذرُّوا التراب على رءوسهم ، وعَجّوا بالعويل فى أزقّتهم وأسواقهم ، وجعل بعضُهم يودّع بعضًا . ثم ساروا حتى أتوا الملكَ فقالوا : نحن خارجون بأجمعنا إلى هؤلاء القوم فدافعون إليهم أيديَنا ، لعلهم أن يرحمونا فيقرّونا فى بلادنا . قال لهم أسا الملك : معاذ الله أن نُلقيَ بأيدينا[1] فى أيدى الكفرة ، وأن نُخلّيَ بيت الله وكتابه للفجرة ! قالوا : فاحتَلْ لنا حيلة ، واطلب إلى صديقك وربك الذى كنت تعدُنا[2] بنصره[3] ، وتدعونا إلى الإيمان به ، فإن هو كشَف عنّا هذا البلاء ؛ وإلّا وضعنا أيديَنا فى أيدى عدونا لعلنا نتخلّص بذلك من القتل . ٦٣١/١

قال لهم أسا : إنّ ربى لا يطاق إلا بالتضرُّع والتبتل والاستكانة . قالوا : فابرز له لعلّه أن يجيبك فيرحم ضعفنا ، فإن الصديق لا يسلِم صديقه على مثل هذا . فدخل أسا المصلّى ، ووضع تاجه من رأسه ، وخلّى ثيابه ، ولبس المُسوح وافترش الرماد ، ثم مدّ يده يدعو ربه بقلب حزين ، وتضرّع كثير ، ودموع سِجال ، وهو يقول : اللهمّ ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم ، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ؛ أنت المستخفى من خلْقك حيث شئت ، لا يدرَك قرارك ، ولا يطاق كنْهُ عظمتك ، أنت اليقظان الذى لا تنام ، والجديد الذى لا تبليك الليالى والأيام ؛ أسألك بالمسألة التى سألك بها إبراهيم خليلك فأطفأتَ بها عنه النار ، وألحقته بها بالأبرار ، وبالدعاء الذى دعاك به نجيُّك موسى فأنجيت بنى إسرائيل من الظلَمة ، وأعتقتَهم به من العبودية ، وسيّرتَهم فى البرّ[4] والبحر ، وغرّقت فرعون ومن اتبعه . وبالتضرُّع الذى تضرَّع لك[5] عبدُك داود فرفعتَه ، ووهبتَ له من بعد الضعف القوة ، ونصرتَه على جالوت الجبّار ، وهزمتَه . وبالمسألة التى سألك بها سليمان نبيّك فمنحتَه الحكمة ، ووهبت له الرفعة ، وملّكته على كلّ دابّة . أنت محيي الموتى ، ومُفنى الدنيا ، وتبقَى ٦٣٢/١

---

(١) س : « أيدينا » .
(٢) ح : « وعدتنا » .
(٣) س : « نصره » .
(٤) كذا فى ح ، وفى ط : « فى البحر إلى البر » .
(٥) ح : « إليك » .

وحدك خالداً لا تفنى ، وجديداً لا تبلى . أسألك يا إلهى أن ترحمنى بإجابة دعوتى ؛ فإنى أعرجُ مسكين من أضعف عبادك ، وأقلّهم حيلة ، وقد حلّ بنا كرب عظيم ؛ وحَزْبٌ[1] شديد ، لا يطيق كشفه غيرُك ، ولا حول ولا قوة لنا إلاّ بك ، فارحم ضعفنا بما شئت ؛ فإنك ترحم من تشاء بما تشاء .

وجعل علماء بنى إسرائيل يدعون الله خارجًا وهم يقولون : اللهمّ أجب اليوم عبدك ؛ فإنه قد اعتصم بك وحدك ، ولا تخلّ بينه وبين عدوّك ، واذكر حبّه إياك ، وفراقه أمّه وجميع الخلائق إلا من أطاعك .

فألقى الله على أسا النوم وهو فى مصلاّه ساجداً ، ثم أتاه من الله آت — والله أعلم — فقال : يا أسا ، إن الحبيب لا يُسلِم حبيبه ، وإن الله عزّ وجلّ يقول : إنى قد ألقيت عليك محبّتى ، ووجب لك نصرى ، فأنا الذى أكفيك عدوّك ، فإنه لا يهون مَنْ توكّل علىّ ، ولا يضعف مَنْ تقوّى بى . كنت تذكرنى فى الرخاء ، وأسلمك عند الشدائد ، وكنتَ تدعونى آمنًا ، وأنا أسلمك خائفًا ؛ إن الله القوىّ يقول : أنا أقسم أنْ لو كايدتْك[2] السموات والأرض بمَنْ فيهنّ لجعلت لك مِنْ جميع ذلك مخرجًا ، فأنا الذى أبعث طرفًا[3] من زبانيتى يقتلون أعدائى ، فإنى معك ، ولن يخلُص إليك ولا إلى من معك أحد .

٦٣٣/١

فخرج أسا من مصلاّه وهو يحمَد الله ، مسفراً وجهُه ، فأخبرهم بما قيل له ، فأمّا المؤمنون فصدّقوه ، وأمّا المنافقون فكذّبوه ، وقال بعضهم لبعض : إنّ أسا دخل أعرج وخرج أعرج ، ولو كان صادقًا أن الله قد أجابه إذاً لأصلح[4] رجْلَه ، ولكن يغرّنا ويمنّينا ، حتى تقع الحرب فينا فيهلكنا !

* * *

فبينا الملك يخبرهم عن صنع الله[5] بهم[6] إذ قدم رسل من زرح فدخلوا إيلياء ومعهم كتب من زرح إلى أسا ، فيها شتمٌ له ولقومه ، وتكذيب بالله ،

---

(١) الحزب ، بالفتح : اشتداد الأمر . وفى ح : « وحزن » .

(٢) كذا فى ن ، وفى ط ن : « كابدتك » . (٣) ح : « طوقاً » .

(٤) ن : « أصلح » .

(٥) س : « عن صنيع » .

(٦) ن : « لهم » .

وكتَب فيها : أن ادعُ صديقك الذى أضللت به قومَك فليبارزنى بجنوده ، وليظهرْ لى مع ما أنّى أعلم أنه لن يطيقنى[١] هو ولا غيره ؛ لأنى أنا زرح الهندىّ الملك .

فلما قرأ أسا الكتب التى قدم بها عليه هَمَلت عيناه بالبكاء، ثم دخل مصلاّه ، ونشر تلك الكتب بين يدى[٢] الله ، ثم قال : اللهمّ ليس لى شىء من الأشياء أحبّ إلىّ مِنْ لقائك ؛ غير أنى أتخوّف أن يُطفأ هذا النور الذى أظهرتَهُ فى أيامى هذه ، وقد حضرتْ هذه الصحائف وعلمتُ ما فيها ، ولو كنت المراد بها كان ذلك يسيراً ؛ غيرَ أن عبدك زرحاً يكايدك ويتناولك ؛ فَخَر[٣] بغير فخر ، وتكلّم بغير صدق ، وأنت حاضر ذلك وشاهده .

١/٦٣٤

فأوحى الله إلى أسَا — والله أعلم — أنه لا تبديلَ لكلماتى ، ولا خُلْفَ لوعدى ، ولا تحويل لأمرى ، فاخرج من مصلاّك ، ثم مُرْ خيلك أن تجتمع ، ثم اخرج بهم وبمن اتّبعك حتى تقفوا على نَشَز من الأرض .

فخرج أسا فأخبرهم بما قيل له، فخرج اثنا عشر رجلاً من رؤسائهم ، مع كلّ رجل منهم رهط من قومه ؛ فلما أن خرجوا، ودّعوا أهاليَهم بألاّ يرجعوا[٤] إلى الدنيا . فوقفوا لزرح على رابية من الأرض ، فأبصروا منها زرحا وقومَه ، فلما أبصرهم زرح نفض رأسه ليسخر منهم ، وقال : إنما نَهضت من بلادى ، وأنفقت أموالى لمثل هؤلاء ! ودعا عند ذلك بالنفر الذين كانوا نَعتوا عنده أسا وقومه ، فقال : كذبتمونى وزعمتم أن قومكم كثير عددهم ! فأمر بهم وبالأمناء[٥] الذين كان بعثهم[٦] ليخبروه خبرهم ، فقُتلوا جميعًا ، وأسا فى ذلك كثير تضرّعه[٧] ، معتصم بربه، فقال زرح : ما أدرى ما أفعل

---

(١) س : « لم يطقنى » .

(٢) كذا فى ح ، وفى ط : « قدام الله » .

(٣) كذا فى الأصول ؛ وفى ط : « وفخر » ؛ من تصرف مصححه .

(٤) كذا فى ن ؛ وفى ط : « ألا يرجعون » .

(٥) كذا فى ن ، وفى ط : « والأمناء » .

(٦) كذا فى س ، وفى ط : « بعث » .

(٧) كذا فى ح ، وفى ط : « التضرع » .

بهؤلاء القوم ؟ وما[١] أدرى ما قدْرُ قِلَّتهم فى كثرتنا ؟ إنى لأستقلّهم عن المحاربة ؛ وأرى ألاّ أقاتلَهم[٢] .

فأرسل زرح إلى أسا فقال له : أين صديقُك الذى كنت تعدُنا به ، وتزعم أنه يخلّصك مما يحلّ بكم من سَطَواتى ! أفتضعون أيديَكم فى يدِى فأمضِى فيكم حكمِى ، أو تلتمسون قتالى !

١/٦٣٥ فأجابه أسا فقال : يا شقىّ ، إنك لست تعلم ما تقول ، ولستَ تدرى ! أتريد أن تغالب ربّك بضعفك ، أم تريد أن تكاثره بقلّتك ؟ هو أعزّ شىء وأعظمه ، وأغلبُ شىء وأقهره ، وعبادُه أذلُّ وأضعف عنده من أن ينظروا إليه معايَنة . هو[٣] معى فى موقفى هذا ، ولن يغلَب أحدٌ كان الله معه . فاجتهد يا شقىّ بجهدك حتى تعلم ماذا يحلُّ بك .

فلما اصطف قوم زرح وأخذوا مراتبهم ، أمر زرح الرماة من قومه أن يرموهم بنُشّابهم . فبعث الله ملائكة من كلّ سماء — والله أعلم — عوناً[٤] لأسا وقومِه ، ومادة له ، فوقفهم أسا فى مواقفهم ، فلما رموْا نشّابهم ، حال المشركون بين ضوء الشمس وبين الأرض ؛ كأنها سحابة طلَعت فنحّتها الملائكة عن أسا وقومه ، ثم رمت بها الملائكة قومَ زرح، فأصابت كلّ رجل منهم نُشّابته التى رمى بها ، فقتِل رماتُهم بها كلها وأسا وقومه فى كلّ ذلك يحمَدون الله كثيراً ، ويعجُّون إليه بالتسبيح ، وتراءت الملائكة لهم — والله أعلم — فلما رآهم الشقىّ زرح وقع الرعب فى قلبه ، وسُقِط فى يده ، وقال : إن أسا لعظيم كيده ، ماضٍ سحره ، وكذلك بنو إسرائيل، حيث كانوا لا يغلِب سحرَهم ساحر ، ولا يُطيق مكرَهم عالم ؛ وإنما تعلّموه من مصر ، وبه ساروا فى البحر ، ثم نادى الهندىّ فى قومه : أن سُلُّوا سيوفكم ، ثم احملوا عليهم حملة واحدة . فدُقّوهم .

فسلُّوا سيوفَهم ثم حملوا على الملائكة فقتلتهم الملائكة ، فلم يبق منهم غير زرح ونسائه ورقيقه .

---

(١) س : « ولا » . (٢) س : « أنى لا أقاتلهم » ، ح : « ولا أرى أن أقاتلهم » .
(٣) كذا فى ح ، س ، وفى ط : « وهو » . (٤) ن : « أعواناً » .

١/٦٣٦ فلما رأى ذلك زرح ولّى مدبراً فارًّا هو ومن معه ، وهو يقول : إن أسا ظهر علانية ، وأهلكني صديقُه سرًّا ، وإني كنتُ أنظر إلى أسا ومَنْ معه واقفين لا يقاتلون والحرب واقعة فى قومى .

فلما رأى أسا أن زرحًا قد ولّى مدبراً قال : اللهمّ إن زرحًا قد ولّى مدبراً ، وإنك إنْ لم تَحُلْ بيني وبينه استنفر علينا قومه ثانية . فأوحى الله إلى أسا : إنك لم تقتل مَنْ قتل منهم ولكنى قتلتُهم ، فقِفْ مكانك ، فإنى لو خلّيت بينك وبينهم أهلكوكم جميعًا ؛ إنما يتقلّب زرح فى قبضتى ، ولن ينصرَه أحد منى ، وأنا لزرح بالمكان الذى لا يستطيع صدوداً عنه ولا تحويلا ؛ وإنى قد وهبت لك ولقومك عساكرَه وما فيها من فضة ومتاع ودابة ، فهذا أجرك إذ اعتصمت بى ، ولا ألتمس منك أجراً على نُصرتك !

فسار زرح حتى أتى البحر يريد بذلك الهَرب ، ومعه مائة ألف ، فهيّئوا سفنهم ثم ركبوا فيها ، فلما ساروا فى البحر بعث الله الرياح من أطراف الأرضين والبحار إلى ذلك البحر واضطربت من كلّ ناحية أمواجُه ، وضربت السفن بعضُها بعضًا حتى تكسّرت ؛ فغرق زرح ومن كان معه ، واضطربت بهم الأمواج حتى فزع لذلك أهلُ القرى حولهم ، ورجفت الأرض ، فبعث أسا مَنْ يعلمه علم ذلك ، فأوحى الله إليه — والله أعلم — أن اهبط أنت وقومك أهل قراكم ، فخذوا ما غنّمكم الله بقوة ، وكونوا فيه من الشاكرين ؛ فإنى قد سوغت كلّ من أخذ من هذه العساكر شيئًا ما أخذه . فهبطوا يحمدون الله ١/٦٣٧ ويقدّسونه ، فنقلوا تلك العساكر إلى قراهم ثلاثة أشهر . والله أعلم .

* * *

ثم ملك بعده يهوشافاط[1] بن أسا إلى أن هلك خمسًا وعشرين سنة .

---

(١) يهوشاط : « بياء مفتوحة مثناة تحتانية وهاء مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة بعدها ألف . ثم طاء بين الذال والظاء المعجمتين » ، كذا ضبطه ابن خلدون فى ١ : ١٤٩ . وفى ابن الأثير ١ : ١٤٣ : « سافاط » .

ثم ملكت عتليا وتسمى غزليا [١] ابنة عمرم أم أخزيا [٢] ، وكانت قتلت أولاد ملوك بنى إسرائيل ، فلم يبق منهم إلا يواش[٣] بن أخزيا ، فإنه سُتِر عنها ، ثم قتلها يواش وأصحابه ، وكان ملكُها سبع سنين .

ثم ملك يواش بن أخزيا إلى أن قتله أصحابه ، وهو الذى قتل جدّته ، فكان ملكُه أربعين سنة .

ثم ملك أموصيا[٤] بن يواش إلى أن قتله أصحابه تسعًا وعشرين سنة ،

ثم ملك عوزيا[٥] بن أموصيا — وقد يقال لعوزيا : غوزيا — إلى أن توفى ، اثنتين وخمسين سنة .

ثم ملك يوتام[٦] بن عوزيا إلى أن توفى ، ست عشرة سنة .

ثم ملك أحازبن يوتام إلى أن توفى ، ست عشرة سنة .

ثم ملك حزقيا بن أحاز[٧] إلى أن توفى . وقيل إنه صاحب شعيا الذى أعلمه شعيا انقضاء عمره ، فتضرع إلى ربه فزاده وأمهله ، وأمر شعيا بإعلامه ذلك .

وأما محمد بن إسحاق فإنه قال : صاحب شعيا الذى هذه القصة قصته اسمه صديقة .

---

(١) ح : « غزلتا » . ن : « غزليا » ، وفى ابن الأثير : « عزليا » .

(٢) وفى ابن خلدون : « أحزيا هو ، بهمزة مفتوحة وحاء مهملة مضمومة وزاى معجمة ساكنة ؛ ثم ياء مثناة تحتية ؛ بفتحة تجلب ألفاً ، ثم هاء مضمومة تجلب واواً » .

(٣) ابن خلدون : « يؤاش » .

(٤) فى ابن خلدون : « أمصيا ، بفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المشمة بالزاى ، بعدها ياء مثناة تحتانية بفتحة تجلب ألفاً ، ثم هاء مضمومة تجلب واواً » .

(٥) فى ابن خلدون : عز يا هو ، « بعين مهملة مضمومة وزاى معجمة مكسورة مشددة وياء مثناة تحتانية تجلب ألفاً وهاء تجلب واواً » .

(٦) فى ابن خلدون : « يؤاب » .

(٧) أحاز ، « بهمزة مفتوحة ممالة وحاء مهملة تجلب ألفاً وزاى معجمة » كذا ضبطه ابن خلدون .

١/٦٣٨

ذكر صاحب
قصة شعيا من ملوك بنى إسرائيل ، وسنحاريب

حدثنا ابن حُميد، قال : حدثنا سلَمة بن الفضل، قال : حدثنى ابن إسحاق ، قال : كان فيما أنزل الله على موسى فى خبره عن بنى إسرائيل واحداثهم وما هم[1] فاعلون بعده ، قال : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ — إلى — ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾[2] ، فكانت بنو إسرائيل وفيهم الأحداث والذنوب ، وكان الله فى ذلك متجاوزاً عنهم ، متعطّفًا عليهم ، محسنًا إليهم ، وكان مما أنزل الله بهم فى ذنوبهم ما كان قدّم إليهم فى الخبر عنهم على لسان موسى . فكان أول ما أنزَل بهم من تلك الوقائع ؛ أن ملكًا منهم كان يدعى صديقة[3] ، وكان الله إذا ملّك الملك عليهم ، بعث نبيًّا يسدّده ويرشده، فيكون فيما بينه وبين الله، يحدّث إليه فى أمرهم . لا يُنزل عليهم الكتب ، إنما يؤمرون باتّباع التوراة والأحكام التى فيها ، وينهوْنهم عن المعصية ، ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة .

فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعيا بن أمصيا ، وذلك قبل مبعث عيسى وزكرياء ويحيى وشعيا الذى بشّر بعيسى ومحمد ، فملك ذلك الملك بنى إسرائيل وبيت المقدس زمانًا ، فلما انقضى ملكُه ، وعظُمت فيهم الأحداث ، وشعيا معه ، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل معه ستمائة ألف راية ، فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض ، فى ساقه قُرْحة ، فجاءه النبىّ شعيا ، فقال له : يا ملكَ بنى إسرائيل ، إنّ سنحاريب ملك بابل، قد نزل بك هو وجنوده فى ستمائة ألف راية ، وقد هابَهم الناس وفرقوا منهم . فكبُر ذلك على الملك ، فقال : يا نبىّ الله ، هل أتاك وحىٌ من الله فيما حدَث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده ؟ فقال له النبىّ عليه السلام:

١/٦٣٩

---

(١) التفسير : « ما هم » .　　(٢) سورة الإسراء ٤ — ٨
(٣) ابن الأثير : « صدقيا » .

لم يأتني وحي حدث إليّ في شأنك .

فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعيا النبيّ : أن ائت ملك بني إسرائيل فأمره أن يوصيَ بوصيّته ، ويستخلف على ملكه مَنْ يشاء من أهل بيته . فأتى النبيّ شعيا ملك بني إسرائيل صديقة ، فقال له : إن ربّك قد أوحى إليّ أن آمرك توصي وصيّتك ، وتستخلف مَنْ شئت على[1] الملك من أهل بيتك ؛ فإنك ميت .

فلما قال ذلك شعيا لصديقة : أقبل[2] على القِبْلة ، فصلّى وسبّح ، ودعا وبكى ، وقال وهو يبكي ويتضرّع إلى الله بقلب مخلص ، وتوكّل وصبر ، وظنّ صادق : اللهم ربّ الأرباب ، وإلهَ الآلهة ، القُدّوس[3] المتقدّس ، يا رحمن يا رحيم ، المترحّم ، الرءوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم . اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل ، وذلك كلّه كان منك ، فأنت أعلم به من نفسي وسرّي وعلانيتي لك . وإن الرحمن استجاب له وكان عبداً صالحاً . ١/٦٤٠

فأوحى الله إلى شعيا ، فأمره[4] أن يخبر صديقة الملك أن ربّه قد استجاب له وقبِل منه ورحمه ، وقد رأى بكاءه ، وقد أخّر أجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه مِنْ عدوّه سنحاريب ملك بابل وجنوده . فلما قال له ذلك ، ذهب عنه الوجع ، وانقطع عنه الشرّ والحزن ، وخرّ ساجداً ؛ وقال : يا إلهي وإله آبائي ؛ لك سجدت وسبّحت ، وكرّمت وعظمت . أنت الذي تُعطي الملك مَنْ تشاء ، وتنزعه ممن تشاء ، وتعزّ مَنْ تشاء ، وتذلّ مَنْ تشاء ، عالم الغيب والشهادة ؛ أنت الأوّلُ والآخر ، والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوةَ المضطرين ، أنت الذي أجبتَ دعوتي ، ورحِمت تضرُّعي .

فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا : أن قل للملك صديقة ، فيأمر عبداً من عبيده ، فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ويصبح وقد برئ . ففعل ذلك فشفي . وقال الملك لشعيا النبيّ : سلْ ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا . فقال الله لشعيا النبيّ : قل له إني قد كفيتُك عدوّك ، وأنجيتُك منهم ، وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتّابه .

---

(١) التفسير : « على ملكك » .

(٢) ن : « استقبل القبلة » .

(٣) التفسير : « قدوس المتقدسين » .

(٤) ساقطة من التفسير .

فلما أصبحوا جاءه صارخ فصرخ على باب المدينة : يا ملكَ بنى إسرائيل، إنّ الله قد كفاك عدوَّك فاخرج ، فإنّ سنحاريب ومَنْ معه قد هلكوا . فلما خرج الملك التمس سنحاريب فلم يوجد فى الموتى ، فبعث الملك فى طلبه ، فأدركه الطلب فى مغارة وخمسة من كتّابه أحدهم بختنصّر ، فجعلوهم فى الجوامع ، ثم أتوْا بهم مليكَ بنى إسرائيل ، فلما رآهم خرّ ساجداً من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر ، ثم قال لسنحاريب : كيف ترى فعل ربّنا بكم ؟ ألم يقتلكم بحوله وقوّته ونحن وأنتم غافلون ! فقال سنحاريب له : قد أتانى خبرُ ربّكم[1] ونصره إياكم ، ورحمتُه التى رحمكم بها قبل أن أخرُج من بلادى ، فلم أطع مرشداً ولم يُلقِنى فى الشقوة إلا قلّة عقلى ؛ ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم ، ولكنّ الشقوة غلبت علىّ وعلى مَنْ معى . فقال ملك بنى إسرائيل : الحمد لله ربّ العزّة الذى كفاناكم بما شاء ، إن ربّنا لم يبقك ومَنْ معك لكرامة لك عليه ؛ ولكنه إنما أبقاك ومَنْ معك إلى ما هو شرّ[2] لك ولمن معك ، لتزدادوا[3] شقوة فى الدنيا ، وعذاباً فى الآخرة ، ولتُخبروا مَنْ وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا ، ولتنذِروا مَنْ بعدكم ، ولولا ذلك ما أبقاكم . ولَدمُك ودمُ مَنْ معك أهونُ على الله من دم قُراد لو قتلته[4] !

* * *

ثم إن ملك بنى إسرائيل أمر أميرَ حرسه فقذف فى رقابهم الجوامع ، وطاف بهم سبعين يوماً حولَ بيت المقدس ، وكان يرزقهم كلّ يوم خبزتَيْن من شعير، لكلّ رجل منهم ، فقال سنحاريب لملك بنى إسرائيل : القتلُ خير مما تفعل بنا ، فافعل ما أمِرت . فأمر بهم الملك إلى سجن القتل ، فأوحى الله إلى شعيا النبىّ : أن قل لملك بنى إسرائيل يرسل سنحاريب ومَنْ معه لينذروا مَنْ وراءهم ، وليكرِمْهم وليحملْهم حتى يبلغوا بلادهم . فبلغ النبىّ شعيا الملك ذلك ، ففعل ، فخرج سنحاريب ومَنْ معه حتى قدِموا بابل ؛ فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده . فقال له كُهّانه وسحرته : يا ملك

(١) ح : « خبره » . (٢) ح : والتفسير « لما هو شر » .
(٣) ت : « ولتزدادوا » . (٤) ح : « قتله » .

بابل، قد كنا نقصُّ عليك خبر ربّهم وخبر نبيّهم ووحى الله إلى نبيّهم، فلم تطعنا ؛ وهى أمّة لا يستطيعها أحد من(١) ربهم، فكان أمر سنحاريب مما خوّفوا به ، ثم كفاهم الله إياه تذكرة وعبرة ، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات(٢) .

* * *

وقد زعم بعضُ أهلِ الكتاب أن هذا الملك من بنى إسرائيل الذى سار إليه سنحاريب كان أعرجَ ، وكان عَرَجُه من عِرْق النَّسا، وأن سنحاريب إنما طمع فى مملكته لزمانته وضعفه ، وأنه قد كان سار إليه قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل ؛ يقال له ليفر(٣) ، وكان بختنصّر ابنَ عمّه كاتبه ، وأن الله أرسل عليه ريحًا أهلكت جيشه ، وأفلتَ هو وكاتبه ، وأن هذا البابلىّ قتله ابن له ، وأن بختنصَّر غضب لصاحبه ، فقتل ابنَه الذى قتل أباه ، وأنّ سنحاريب سار بعد ذلك إليه ، وكان مسكنه بنِينَوى مع ملك أذرَبيجان يومئذ ؛ وكان يُدعى سلمان الأعسر ، وأن سنحاريب وسلمان اختلفا ، فتحاربا حتى تفانَى جنداهما ، وصار ما كان معهما غنيمة لبنى إسرائيل .

وقال بعضهم : بل الذى غزا حزقيا صاحبَ شعيا سنحاريبُ ملك الموصل ؛ وزعم أنه لما أحاط ببيت المقدس بجنوده بعث الله ملَكًا ، فقتلَ من أصحابه فى ليلة واحدة مائة ألف وخمسة وثمانين ألف رجل . وكان ملكه إلى أن تُوُفّىَ تسعًا وعشرين سنة . ٦٤٣/١

* * *

ثم ملك بعده — فيما قيل — أمرَهم مِنَشَّا(٤) بن حزقيا إلى أن توفى، خمسا وخمسين سنة .

ثم ملك بعده أمون(٥) بن مِنَشَّا إلى أن قتله أصحابُه، اثنتى عشرة سنة .

---

(١) التفسير : مع ربهم .

(٢) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٨ ، ١٩ (بولاق) .

(٣) ن : « اليفر » .

(٤) ضبطه ابن خلدون : « بميم مكسورة ونون مفتوحة وشين معجمة مشددة وألف » .

(٥) ضبطه ابن خلدون : « بهمزة قريبة من العين والميم مضمومة تجلب واواً ثم نون » .

ثم ملك بعده يوشيا بن أمون إلى أن قتله فرعون الأجدع المقعد ملك مصر، إحدى وثلاثين سنة .

ثم ياهواحاز بن يُوشِيا(١) ، وكان فرعون الأجدع قد غزاه وأسره وأشخصه إلى مصر ،وملّك فرعون الأجدع يُوياقيم(٢) بن ياهواحاز على ما كان عليه أبوه ، ووظّف عليه خراجاً يؤديه إليه، فكان يوياقيم يجبِي ذلك—فيما زعموا — من بنى إسَرائيل ، ويحمله — فيما زعموا— اثنتى عشرة سنة .

ثم ملك أمرَهم من بعده يوياحين(٣) بن يوياقيم ، فغزاه بختنصّر ، فأسره وأشخصه إلى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه . وملّك مكانهَ متَّنيا (٤) عمه وسماه صديقيا(٥) فخالفه، فغزاه فظفر به، فأوثقه وحمله إلى بابل بعد أن ذبح ولده بين يديه ، وسَمَل عينيه وخرَّب المدينة والهيكل ، وسبَى بنى إسرائيل ، وحَمَلهم إلى بابل، فمكثوا بها إلى أن ردّهم إلى بيت المقدس كيرش بن جاماسب ابن أسب، من أجل القرابة التى كانت بينه وبينهم؛ وذلك أن أمّه أشتر ابنة جاويل — وقيل: حاويل — الإسرائيلىّ، فكان جميع ما ملك صديقيا مع الثلاثة الأشهر التى ملك فيها يوياحين—فيما قيل — إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر .

٦٤٤/١

ثم صار ملْك بيت المقدس والشام لأشتاسب بن لهراسب، وعامله على ذلك كلّه بختنصّر .

* * *

وذكر محمد بن إسحاق ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : أن صديقة ملك بنى إسرائيل الذى قد ذكرنا خبرَه، لمّا قبضه اللهَ مرِج

---

(١) ضبطه ابن خلدون : « بياء مثناة تحتية مضمومة تجلب واواً بعدها شين مكسورة ثم ياء مثناة تحتية بفتحة تجلب ألفاً » .

(٢) ت : «يوذاقيم» ، وفى س : «يوثاقيم» . وفى ابن خلدون : ألياقيم ، وضبطه « بهمزة مفتوحة ولام ساكنة وياء مثناة تحتانية يجلب فتحها ألفاً وقاف مكسورة تجلب ياء ثم ميم » .

(٣) ت ، س ، ن : « يوثاحين » .

(٤) ضبطه ابن خلدون : « بميم مفتوحة وتاء مثناة فوقانية مفتوحة مشددة ، ونون ساكنة ، وياء مثناة تحتانية تجلب ألفاً » .

(٥) ابن خلدون : « صدقيا » .

أمرُ بنى إسرائيل ، وتنافسوا الملك ، حتى قتل بعضُهم بعضًا عليه ، ونبيُّهم شعيا معهم ، لا يرجعون إليه ولا يقبلون منه . فلما فعلوا ذلك قال الله — فيما بلغنا — لشعيا : قم فى قومك أوح على لسانك ؛ فلما قام أنطق الله لسانه بالوحى ، فوعظهم وذكّرهم وخوّفهم الغِيَر ، بعد أن عدّد عليهم نعم الله عليهم ، وتعرُّضَهم للغِيَر .

قال : فلما فرغ شعيا إليهم من مقالته عدَوْا عليه — فيما بلغنى — ليقتلوه ، فهرب منهم ، فلقيته شجرة ، فانفلقت له ، فدخل فيها وأدركه الشيطان ، فأخذ بهُدْبة من ثوبه فأراهم إياها ، فوضعوا المنشار فى وسطها ، فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها . ١/٦٤٥

* * *

وقد حدّثنى بقصة شعيا وقومه من بنى إسرائيل وقتلهم إياه ، محمد بن سهل البخارىّ ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدّثنى عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبّه .

ذكر خبر لهراسب وابنه بشتاسب وغزو بختنصر بنى إسرائيل وتخريبه بيت المقدس

ثم ملك بعد كيخسرو من الفرس لهراسب بن كيوجى بن كيمنوش بن كيفاشين ، باختيار كيخسرو إياه ، فلما عقد التاج على رأسه قال : نحن مؤثِرون البِرّ على غيره . واتخذ سريراً من ذهب مكلّلاً بأنواع الجواهر للجلوس عليه ، وأمر فبنِيت له بأرض خراسان مدينةَ بلْخ[1] ، وسماها الحسناء ، ودوّن الدواوين ، وقوّى ملكه بانتخابه لنفسه الجنود ، وعمر الأرض واجتبى الخراج لأرزاق الجنود ، ووجه بختنصَّر ، وكان اسمه بالفارسية — فيما قيل — بخترشه .

فحُدثت عن هشام بن محمد قال : مَلَك لهراسب — وهو ابن أخى قبوس — فبنى مدينةَ بلْخ ، فاشتدت شوْكة الترك فى زمانه ، وكان منزله ببلْخ يقاتل الترك . قال : وكان بختنصّر فى زمانه ، وكان أصبَهبذ ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربىّ دجلة ، فشخص حتى أتى دمشق ، فصالحه أهلها ووجّه قائداً له ، فأتى بيتَ المقدس فصالح[2] ملك بنى إسرائيل ، وهو رجل من ولد داود ، وأخذ منه رهائن وانصرف . فلما بلغ طبريّة وثبت بنو إسرائيل على ملكهم فقتلوه ، وقالوا : راهنت أهل بابل وخذلتنا ! واستعدوا للقتال ، فكتب قائد بختنصّر إليه بما كان ، فكتب إليه يأمره أن يقيم بموضعه حتى يوافيَه ، وأن يضرب أعناق الرهائن الذين معه ، فسار بختنصّر حتى أتى بيت المقدس ، فأخذ المدينة عَنْوة ، فقتل المقاتِلة ، وسبى الذريّة .

١/٦٤٦

قال : وبلغنا أنه وجد فى سجن بنى إسرائيل إرميا النبىّ ، وكان الله تعالى بعثه نبيًّا — فيما بلغنا — إلى بنى إسرائيل . يحذّرهم ما حلّ بهم من بختنصّر ،

---

(١) بلخ ، قال ياقوت : « من أجل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة ؛ قيل أول من بناها لهراسف الملك لما خرب صاحبه بختنصر بيت المقدس ، وقيل بل الإسكندر بناها » .

(٢) س : « فصالحه » .

ويُعْلِمهم أن الله مسلّط عليهم مَنْ يقتل مقاتِلتهم، ويَسْبى ذراريّهم، إن لم يتوبوا وينزعوا عن سيّئ أعمالهم. فقال له بختنصّر: ما خطبُك؟ فأخبره أن الله بعثه إلى قومه ليحذّرَهم الذى حلّ بهم، فكذبوه وحبسوه. فقال بختنصّر: بئس القوم قومٌ عصوْا رسولَ ربّهم! وخلّى سبيله، وأحسنَ إليه. فاجتمع إليه مَنْ بقى من ضعفاء بنى إسرائيل، فقالوا: إنا قد أسأنا وظلمنا، ونحن نتوب إلى الله ممّا صنعنا، فادع الله أن يقبل توبتنا. فدعا ربّه فأوحى إليه أنهم غيرُ فاعلين، فإن كانوا صادقين فليقيموا معك بهذه البلدة، فأخبرَهم بما أمرهم الله به، فقالوا: كيف نقيم ببلدة قد خُرّبت وغضب الله على أهلها! فأبوا أن يقيموا، فكتب بختنصّر إلى ملك مصر: إنّ عبيداً لى هربوا منى إليك، فسرِّحهم[1] إلىّ، وإلا غزوتُك وأوطأت بلادَك الخيل. فكتب إليه ملك مصر: ما هم بعبيدك؛ ولكنهم الأحرار أبناء الأحرار؛ فغزاه بختنصّر فقتله، وسبى أهل مصر، ثم سار[2] فى أرض المغرب، حتى بلغ أقصى تلك الناحية، ثم انطلق بسبىٍ كثير من أهل فِلَسطين والأردنّ، فيهم دانيال وغيره من الأنبياء. ١/٦٤٧

قال: وفى ذلك الزمان تفرّقت بنو إسرائيل، ونزل بعضهم أرض الحجاز بيثرب ووادى القرى، وغيرها.

* * *

قال: ثم أوحى الله إلى إرميا ـ فيما بلغنا: إنّى عامر بيت المقدس فاخرج إليها، فانزلْها. فخرج إليها حتى قدمها وهى خراب، فقال فى نفسه: سبحان الله! أمرنى الله أن أنزل هذه البلدة، وأخبرنى أنه عامرُها، فمتى يعمر[3] هذه، ومتى يحييها الله بعد موتها! ثم وضع رأسه فنام ومعه حماره وسلّة فيها طعام، فمكث فى نومه سبعين سنة، حتى هلك بختنصّر والملك الذى فوقه،

---

(١) ح: «فوجههم».

(٢) ط: «صار»، وما أثبته من ن.

(٣) ح: «يعمرها»، ت: «يعمر هذا».

وهو لهراسب الملك الأعظم وكان ملْك لهراسب مائة وعشرين سنة . وملّك بعده بشتاسب ابنه ، فبلغه عن بلاد الشأم أنها خراب ، وأن السباع قد كثرت فى أرض فلسطين ، فلم يبق بها من الإنس أحد، فنادى فى أرض بابل فى بنى إسرائيل : إنّ من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع . وملّك عليهم رجلاً من آل داود ، وأمره أن يعمر بيت المقدس ويبنىَ مسجدها ، فرجعوا فعمروها ، ١/٦٤٨ وفتح الله لإرميا عينيه ، فنظر إلى المدينة كيف تعمر وتبنى ، ومكث فى نومه ذلك ، حتى تمّت له مائة سنة ، ثم بعثه الله وهو لا يظنّ أنه نام أكثر من ساعة، وقد عهد المدينة خرابًا يباباً ، فلما نظر إليها قال : أعلمُ أنّ الله على كلّ شىء قدير .

قال : وأقام بنو إسرائيل ببيت المقدس وردّ إليهم أمرُهم ، وكثروا بها حتى غلبت عليهم الروم فى زمان ملوك الطوائف ، فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة .

* * *

قال هشام : وفى زمان بشتاسب ظهر زَرَادُشت ، الذى تزعم المجوس أنه نبيُّهم ، وكان زَرَادُشت –فيما زعم قوم من علماء أهل الكتاب– من أهل فلسطين ، خادمًا لبعض تلامذة إرميا النبىّ خاصًّا به[١] ، أثيراً عنده ، فخانه فكذَب عليه، فدعا الله عليه ، فبرص فلحق ببلاد أذربيجان ، فشرع بها دين المجوسية ، ثم خرج منها متوجهًا نحو بشتاسب ، وهو ببلْخ ، فلما قدم عليه وشرح له دينه أعجبه فقسر الناس على الدخول فيه ، وقتل فى ذلك مِنْ رعيّته مقتلة عظيمة ، ودانوا به ، فكان ملك بشتاسب مائة سنة واثنتى عشرة سنة[٢] .

وأما غيره من أهل الأخبار والعلم بأمور الأوائل فإنه ذكر أن كى لهراسب

---

(١) ابن خلدون فيما نقل عن الطبرى ١ : ٢٣٩ : « خالصة عنده » .

(٢) قال ابن خلدون : « وعند علماء الفرس أن زرادشت من نسل منوشهر الملك ، وأن نبياً من بنى إسرائيل بعث إلى كشتاسف ؛ وهو ببلخ ، فكان زرادشت وجاماسب العالم – وهو من نسل منوشهر أيضاً – يكتبان بالفارسية ما يقول ذلك النبى بالعبرانية ؛ وكان جاماسب يعرف اللسان العربى ويترجمه لزرادشت . وإن ذلك كان لثلاثين سنة من دولة كيهراسف. وقال علماء الفرس إن زرادشت جاء بكتاب ادعاه وحيا ،كتب فى اثنى عشر ألف مجلد نقشاً بالذهب ؛ وأن كشتاسف وضع ذلك فى هيكل بإصطخر ؛ ووكل به الهرابذة ؛ ومنع من تعليمه العامة» . ونقل عن المسعودى أن ذلك الكتاب يسمى نسياه » .

كان محموداً فى أهل مملكته ، شديد القمع للملوك المحيطة بإيران شَهْر[١] ، شديد التفقد لأصحابه ، بعيد الهمة كثير الفكر فى تشييد البنيان ، وشقّ الأنهار ، وعمارة البلاد، فكانت ملوك الروم والمغرب والهند وغيرهم يحملون إليه فى كلّ سنة وظيفة معروفة وإتاوة معلومة ، ويكاتبونه بالتعظيم ويقرّون له أنه مَلِك الملوك هيبة له وحذراً .

١ / ٦٤٩

قال : ويقال : إن بختنصّر حمل إليه من أورِيشَلِم[٢] خزائن وأموالاً ، فلما أحسّ بالضعف من قوته ملّك ابنه بشتاسب ، واعتزل الملك وفوّضه إليه ، وكان ملك لهراسب – فيما ذكر – مائة سنة وعشرين سنة .

وزعم أن بختنصّر هذا الذى غزا بنى إسرائيل اسمه «بخترشه» ، وأنه رجل من العجم ، من ولد جوذرز ، وأنه عاش دهراً طويلا جاوزتْ مدته ثلثمائة سنة ، وأنه كان فى خدمة لهراسب الملك ، أبى بشتاسب ، وأن لهراسب وجّهه إلى الشام وبيت المقدس ليجلِىَ عنها اليهود. فسار إليها ثم انصرف ، وأنه لم يزل من بعد لهراسب فى خدمة ابنه بشتاسب ، ثم فى خدمة بهمن من بعده ، وأنّ بهمن كان مقيماً بمدينة بَلْخ – وهى التى كانت تسمى الحسناء – وأنه أمر بخترشه بالتوجّه إلى بيت المقدس لِيُجْلِىَ اليهود عنها ، وأنّ السبب فى ذلك وثوبُ صاحب بيت المقدس على رسُلٍ كان بهمن وجّههم إليه ، وقتله بعضهم . فلما ورد الخبر على بهمن دعا بخترشه فملّكه على بابل ، وأمره بالمسير إليها ، والنفوذ منها إلى الشام وبيت المقدس ، والقصد إلى اليهود حتى يقتُل مقاتلتهم ، ويَسْبِىَ ذراريّهم ، وبسط يده فيمن يختار من الأشراف والقواد ، فاختار من أهل بيت المملكة[٣] داريوش[٤] بن مهرى ، من ولد ماذى بن يافث بن نوح ، وكان ابن أخت بخترشه . واختار كيرش كيكوان من ولد غيلم بن سام ،

---

(١) إيران شهر ، بالكسر وراء وألف ونون ساكنتين وفتح الشين المعجمة وهاء ساكنة وألف : هى بلاد العراق وفارس والجبال وخراسان ، يحملها كلها هذا الاسم . (معجم البلدان) .

(٢) أوريشلم ، بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء ساكنة وشين معجمة مفتوحة ولام مكسورة – ويروى بالفتح – وميم : هذا هو اسم للبيت المقدس بالعبرانية ؛ إلا أنهم يسكنون اللام . (معجم البلدان)

(٣) س : « الملك » .

(٤) ت ، س : « دارنوش » .

١/٦٥٠ وكان خازناً على بيت مال بهمن ، وأخشويرش[١] بن كيرش بن جاماسب الملقّب بالعالم ، وبهرام بن كيرش بن بشتاسب . فضمّ بهمن إليه من أهله وخاصته هؤلاء الأربعة ، وضمّ إليه من وجوه الأساورة ورؤسائهم ثلثمائة رجل ، ومن الجند خمسين ألف رجل ، وأذن له فى أن يفرض[٢] ما احتاج إليه ، وفى إثباتهم . ثم أقبل بهم حتى صار إلى بابل ، فأقام بها للتجهّز[٣] والاستعداد سنة ، والتفّت إليه جماعة عظيمة ، وكان فيمن سار إليه رجل من ولد سنحاريب ، الملك الذى كان غزا حزقيا بن أحاز الملك ، الذى كان بالشام وببيت المقدس من ولد سليمان بن داود صاحب شعيا ، يقال له بختنصر بن نبوزرادان بن سنحاريب ، صاحب الموصل وناحيتها ، بن داريوش بن عبيرى[٤] بن تيرى[٥] بن روبا[٦] ابن راببا[٧] بن سلامون بن داود بن طامى بن هامل بن هرمان بن فودى[٨] بن ١/٦٥١ همول[٩] بن درمى بن قمائل[١٠] بن صاما بن رغما[١١] بن نمروذ بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام .

وكان مسيره إليه بسبب ما كان آتى حزقيا[١٢] وبنو إسرائيل إلى جدّه سنحاريب عند غزوه إياهم ، وتوسّل إليه بذلك ، فقدّمه فى جماعة كثيرة ، ثم اتّبعه ، فلما توافت العساكر ببيت المقدس ، نُصِر بخترشه على بنى إسرائيل لما أراد الله بهم من العقوبة ، فسباهم ، وهدّم البيت وانصرف إلى بابل ، ومعه يوياحن[١٣] بن يوياقيم ملك بنى إسرائيل فى ذلك الوقت ، من ولد سليمان بعد أن ملّك متّنيا عمّ يوحينا ، وسماه صدقيا .

---

(١) ت : « أخشونش » : س : « أحنوش » ، ن : « أخشوفوش » .
(٢) ن : « يعرض » .
(٣) ح : « للتجهيز » ، ن : « للتهجم » .
(٤) كذا فى س : ، ت « عنبرى » ، وفى ط مهمل .
(٥) كذا فى ح ، وفى ت : « ثيرى » ، وفى ط مهمل .
(٦) كذا فى س ، وفى ت : « رويا » وفى ح : « ورقا » . (٧) كذا فى ت .
(٨) كذا فى س ، وفى ت « قودى » . (٩) ح : « هفول » .
(١٠) ح : « تمائل » . (١١) س : « زعما » .
(١٢) ح : « حيزقيا » ، ت « حزقيل » ، ن : « حريفا » .
(١٣) ت : « يوحينا » ، ن : « يوحنا » .

فلما صار بختنصر ببابل خالفه صدقيا ، فغزاه بختنصّر ثانية فظفر به ، وأخرب[1] المدينة والهيكل، وأوثق صدقيا، وحمله إلى بابل بعد أن ذبح ولده ، وسَمل عينيه . فمكث بنو إسرائيل ببابل إلى أن رجعوا إلى بيت المقدس ، فكان غلبة بختنصّر — المسمى بخترشه — على بيت المقدس إلى أن مات — فى قول هذا الذى حكينا قوله — أربعين سنة .

* * *

ثم قام من بعده ابن يقال له أولمرودخ ، فملكَ الناحية ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم هلك وملك مكانه ابن يقال له بلتشصر بن أولمرودخ سنة ، فلما ملك ١/٦٥٢ بلتشصر خلط فى أمره ، فعزله بهمن وملَّك مكانه على بابل وما يتصل بها من الشأم وغيرها داريوش الماذوىّ، المنسوب إلى ماذى بن يافث بن نوح عليه السلام حين صار إلى المشرق ، فقتل بلتشصر ، وملَك بابلَ وناحية الشأم ثلاث سنين . ثم عزله بهمن وولّى مكانه كيرش الغيلمىّ ، من ولد غيلم بن سام ابن نوح ، الذى كان نزع إلى جامر مع ماذى عند ما مضى جامر إلى المشرق ؛ فلما صار الأمر إلى كيرش كتب بهمن أن يرفق[2] ببنى إسرائيل ، ويُطلق لهم النزولَ حيث أحبُّوا، والرجوع إلى أرضهم ، وأن يولّىَ عليهم مَنْ يختارونه، فاختاروا دانيال النبىّ عليه السلام ، فولىَ أمرَهم ، وكان مُلْك كيرش على بابل وما يتصل بها[3] ثلاث سنين ، فصارت هذه السنون — من وقت غلبة بختنصّر إلى انقضاء أمره وأمرِ ولده ومُلْك كيرش الغيلمىّ — معدودة من خراب بيت المقدس ، منسوبة إلى بختنصّر، ومبلغها سبعون سنة .

ثم ملك بابل وناحيتها من قِبَل بهمن رجل من قَرابته ، يقال له أخشوارش ابن كيرش بن جاماسب ، الملقَّب بالعالم ، من الأربعة الوجوه الذين اختارهم بخترشه عند توجهه إلى الشأم من قِبَل بهمن ؛ وذلك أن أخشوارش انصرف إلى بهمن من عند بختنصّر محموداً ، فولاّه ذلك الوقت بابل وناحيتها ؛ وكان السبب فى ولايته — فيما زعم — أنّ رجلاً كان يتولى لبهمن ناحية السّند والهند ١/٦٥٣

(١) أخرب المدينة : تركها خراباً .
(٢) ح : « أن ترفق » .
(٣) ح : « وما يليها » .

يقال له كَرارِدشير (١) بن دشكال خالفه، ومعه من الأتباع ستمائة ألف ، فولّى بهمن أخشويرش (٢) الناحيـَة ، وأمره بالمسير إلى كراردشير ، ففعل ذلك وحاربه ، فقتله وقتل أكثر أصحابه ، فتابع له بهمن الزيادة فى العمل ، وجَـمَع له طوائف من البلاد ، فلزم السُّوس (٣) ، وجمع الأشراف ، وأطعم الناس اللحم ، وسقاهم الخمر ، وملك بابل إلى ناحية الهند والحبشة وما يلى البحر ، وعقد لمائة وعشرين قائداً فى يوم واحد الألـْويـَة ، وصيـَّر تحت يد كل قائد ألف رجل من أبطال الجند الذين يَعْدل الواحد منهم فى الحرب بمائة رجل ، وأوطنَ (٤) بابل ، وأكثر المقام بالسُّوس ، وتزوج من سَبْى بنى إسرائيل امرأة يقال لها أشتر ابنة أبى جاويل ، كان ربّاها ابن عمّ لها يقال له مردخى ، وكان أخاها من الرضاعة ؛ لأن أمّ مردخى أرضعت أشتر ، وكان السبب فى تزوُّجه إياها قتله امرأة كانت له جليلة جميلة خطيرة ، يقال لها وشتا (٥) ، فأمرها بالبروز ليراها الناس ، ليعرفوا جلالـَتها وجمالها ، فامتنعت من ذلك فقتلها ، فلما قتلها جَزِع لقتلها جزعـًا شديداً ، فأشير عليه باعتراض نساء العالم ، ففعل ذلك ، وحبّبت إليه أشتر صنعـًا لبنى إسرائيل ؛ فتزعمُ النصارى أنها ولدت له عند مسيره إلى بابل ابنـًا فسماه كيرش ، وأن مُـلْك أخشويرش كان أربع عشرة سنة ، وقد علـَّمه مردخى التوراة ، ودخل فى دين بنى إسرائيل ، وفهم عن (٦) دانيال النبى عليه السلام ومن كان معه حينئذ ، مثل حننيا وميشايل وعازريا ؛ فسألوه بأن يأذن لهم فى الخروج إلى بيت المقدس فأبى وقال : لو كان معى منكم ألف نبىّ ما فارقنى منكم واحد ما دمت حيـًّا . وولـّى دانيال القضاء ، وجعل إليه جميعَ أمْره ، وأمـَره أن يُخرِج كلّ شىء فى الخزائن مما كان بختنصر أخذه من بيت المقدس ويردّه ، وتقدم فى بناء بيت المقدس ، فبُنى وعمّر فى أيام

١/٦٥٤

(١) س : « كرازدشير » .
(٢) س : « إخوارش » .
(٣) ضبطه ياقوت : « بضم أوله وسكون ثانيه ، وسين مهملة أخرى ، بلفظ السوس الذى يقع فى الصوف » . وقال : « بلدة بخوزستان ، فيها قبر دانيال النبى عليه السلام » .
(٤) أوطن بابل : اتخذها محلا وسكناً .
(٥) ت ، س : « وسنا » .
(٦) ح : « أمر » ، ت : « من » .

كيرش بن أخشويرش . وكان ملك كيرش، مما دخل فى ملك بهمن وخمانى اثنتين وعشرين سنة .

ومات بهمن لثلاث عشرة سنة مضت من ملك كيرش، وكان موت كيرش لأربع سنين مضيْن من ملك خُمانى ، فكان جميع ملك كيرش بن أخشويرش اثنتين وعشرين سنة .

* * *

فهذا ما ذكر أهل السير والأخبار فى أمر بختنصّر وما كان من أمره وأمر بنى إسرائيل .

وأمّا السلف من أهل العلم فإنهم قالوا فى أمرهم أقوالا مختلفة ؛ فمن ذلك ما حدثنى القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج عن ابن جُريج ، قال : حدّثنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جُبَير، أنه سمعه يقول : كان رجل من بنى إسرائيل يقرأ، حتى إذا بلغ : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾[1] بكى ، وفاضت عيناه ، ثم أطبق المصحف ، فقال : ذلك ما شاء الله من الزمان ! ثم قال : أىْ ربّ ، أرِنى هذا الرجلَ الذى جعلتَ هلاك بنى إسرائيل على يديه . فأرِىَ فى المنام مسكينا ببابل يقال له بختنصّر ، فانطلق بمال وأعبُد له — وكان رجلاً موسراً — فقيل له : أين تريد ؟ فقال : أريد التجارة ؛ حتى نزل داراً ببابل فاستكراها ، ليس فيها أحد غيرُه ، فجعل يدعو المساكين[2] ويلطُف بهم حتى لا يأتيَه أحد إلا أعطاه ، فقال : هل بقىَ مسكين غيركم[2] ؟ فقالوا : نعم مسكين بفَجّ آل فلان مريض ، يقال له بختنصّر ، فقال لغلْمته : انطلقوا بنا ، فانطلق[3] حتى أتاه فقال : ما اسمك ؟ قال : بختنصّر ، فقال لغلمته : احتملوه . فنقله إليه فمرّضه حتى برئ ، وكساه وأعطاه نفقة ، ثم أذّن الإسرائيلىّ بالرحيل ، فبكى بختنصّر ، فقال الإسرائيلىّ : ما يبكيك ؟ قال : أبكى أنك فعلت بى ما فعلت ، ولا أجد شيئاً أجزيك !

١/٦٥٥

---

(١) سورة الإسراء ٥ .
(٢ — ٢) التفسير : « ويلطف بهم حتى لم يبق أحد ؛ فقال هل بقى . . . »
(٣) ح : « فانطلقوا » .

قال : بلى شيئاً يسيراً ، إن ملكتَ أطعتَنى (١) . فجعل الآخر يتبعه ويقول : تستهزئ بى ! ولا يمنعه أن يعطيَه ما سأله إلاّ أنه يرى أنه يستهزئ به . فبكى الإسرائيلىّ وقال : لقد علمتُ ما يمنعك أن تعطيَنى ما سألتُك ؛ إلا أن الله عزّ وجلّ يُريد أن يُنفذ ما قضى وكتب فى كتابه .

١/٦٥٦ وضرب الدهر من ضربه(٢) ، فقال صيحون(٣) ، وهو ملك فارس ببابل : لو أنّا بعثنا طليعة إلى الشأم ! قالوا : وما ضرّك لو فعلت ! قال : فمن ترَوْن ؟ قالوا : فلان ، فبعث رجلاً ، وأعطاه مائة ألف ، وخرج بختنصّر فى مطبخه لا يخرج إلا ليأكل فى مطبخه ، فلما قدم الشام رأى صاحبُ الطليعة أكثرَ أرض الله فرساً ورجلاً جلداً ، فكسره(٤) ذلك فى ذرعه ، فلم يسأل ؛ فجعل بختنصّر يجلس مجالس أهل الشام فيقول : ما يمنعكم أن تغزوا بابل ؟ فلو غزوتموها ، فما دون بيت مالِها شىء . قالوا : لا نحسِن القتال ولا نقاتل حتى تنفد مجالس أهل الشام ، ثم رجعوا . فأخبرَ متقدّم الطليعة ملكهم بما رأى ، وجعل بختنصّر يقول لفوارس الملك : لو دعانى الملك لأخبرته غير ما أخبرَه فلان . فرفع ذلك إليه ، فدعاه فأخبره الخبر ، وقال : إن فلاناً لمّا رأى أكثرَ أرض الله كُراعا ورجلا جلداً ، كسر ذلك فى ذَرْعه(٥) ، ولم يسألهم عن شىء ، وإنى لم أدع مجلساً بالشام إلا جالست أهله ، فقلت لهم كذا وكذا ، فقالوا لى كذا وكذا ــ للذى ذكر سعيد بن جبير أنه قال لهم ــ فقال(٦) متقدم الطليعة لبختنصّر : فضحتنى ! لك مائة ألف وتنزع عما قلت . قال : لو أعطيتَنى بيت مال بابل ما نزعتُ . وضرب الدهر من ضربه ، فقال الملك : لو بعثنا جريدةَ خيل إلى الشأم ، فإن وجدوا مساغاً ساغوا ، وإلا امتشّوا(٧) ما قدروا عليه . قالوا : ما ضرّك ١/٦٥٧

(١) م : التفسير : « أعطيتنى »
(٢) ح : « ما ضرب » .
(٣) ح ، والتفسير : « صحور » .
(٤) التفسير : « كبر ذلك فى روعه » .
(٥) التفسير : « كبر ذلك فى روعه » .
(٦) التفسير : « قال لهم » .
(٧) امتشوا : انتزعوا .

لو فعلت ! قال : فمنْ ترون ؟ قالوا : فلان ، قال : بل الرجل الذى أخبرنى بما أخبرنى ، فدعا بختنصّر ، فأرسله وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم ، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار ، فسبوْا ما شاء الله ولم يخرّبوا ولم يقتلوا ، ورُمى فى جنازة صيحون ، قالوا : استخلفوا رجلاً ، قالوا : عَلَى رِسْلِكم حتى يأتى أصحابُكم ، فإنهم فرسانُكم ؛ أن ينغصوا عليكم شيئًا ! فأمهلوا حتى جاء بختنصّر بالسَّبْى وما معه ، فقسمه فى الناس فقالوا : ما رأينا أحداً أحقّ بالملك من هذا ! فملّكوه(١) .

* * *

وقال آخرون منهم : إنما كان خروج بختنصّر إلى بنى إسرائيل لحربهم حين قتلت بنو إسرائيل يحيى بن زكرياء .

* ذكر بعض من قال ذلك منهم :

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط، عن السُّدىّ ، فى الحديث الذى ذكرنا إسناده قبل: أن بختنصّر بعثه صيحائين لحرب بنى إسرائيل حين قتل ملكُهم يحيى بن زكرياء عليه السلام ، وبلغ صيحائين قتله .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق ، قال — فيما بلغنى : استخلف الله عزّ وجلّ على بنى إسرائيل بعد شعيا رجلا منهم يقال له ياشية بن أموص ، فبعث الله لهم الخضر نبيًّا ، واسم الخضر — فيما كان وهب بن منبّه يزعم عن بنى إسرائيل — إرميا بن حلقيا ، وكان من سِبْط هارون . ١/٦٥٨

* * *

وأما وهب بن منبّه فإنه قال فيه ماحدثنى محمد بن سهل بن عسكر البخارىّ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول :

---

(١) الخبر فى التفسير ١٥ : ٢٢ — ٢٣ (بولاق)

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليمانى أنه كان يقول : قال الله عز وجل لإرميا حين بعثه نبيا إلى بنى إسرائيل : « يا إرميا، مِن قبل أن أخلقك اخترتُك، ومن قبل أن أصورك فى بطن أمك قدستُك، ومِن قبْل أن أخرِجك من بطن أمك طهرتك، ومن قبل أن تبلغ السعْى نبيتك(١) ، ومن قبل أن تبلغ الأشد اختبرتك(٢) ، ولأمر عظيم اجتبيتك (٣) ». فبعث الله عز وجل إرميا إلى ذلك الملك من بنى إسرائيل يسدده ويرشده ، ويأتيه بالخبر من قِبَل الله فيما بينه وبين الله عز وجل .

قال : ثم عظُمت الأحداث فى بنى إسرائيل ، وركبوا المعاصِى ، واستحلُّوا المحارم ، ونسُوا ما كان الله صنع بهم ، وما نجّاهم من عدوهم سنحاريب وجنوده، فأوحى الله عز وجل إلى إرميا : أن ائت قومَك من بنى إسرائيل ، فاقصُص عليهم ما آمرك به ، وذكّرهم نِعَمِى عليهم ، وعرّفهم إحداثهم . فقال إرميا : إنى ضعيف إن لم تقوّنى ، عاجز إن لم تبلّغنى ، مُخْطِئ إن لم تسدّدنى ، مخذول إن لم تنصرنى ، ذليل إن لم تعزّنى . قال الله عز وجل : ألم تعلم أن الأمور كلّها تصدُر عن مشيئتى ، وأن القلوبَ كلّها والألسن بيدى، أقلّبها كيف شئت فتطيعنى ! وأنى أنا الله الذى لا شىء مثلى ، قامت السموات والأرض وما فيهن بكلمتى ، وأنا كلّمت البحار ففهمتْ قولى ، وأمرتُها فعَقلتْ (٤) أمرى ، وحدّدْتُ عليها بالبطحاء فلا تَعدّى حدّى ، تأتى بأمواج كالجبال ؛ حتى إذا بلغت حدّى ألبَستْها مذلّةُ طاعتى خوفًا واعترافًا لأمرى ، إنى معك ولن يصل إليك شىء معى ؛ وإنى بعثتُك إلى خلق عظيم من خَلْقى لتبلّغهم رسالاتى ، ونستحِق(٥) بذلك مثل أجر مَن اتّبعك منهم ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، وإن تقصّر به عنها تستحقّ بذلك مثل وِزْرِ من تركت فى عماه ؛ لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا . انطلق إلى قومك فقل: إن الله ذَكَر

١/٦٥٩

(١) التفسير : « نبأتك » .
(٢) التفسير : « اخترتك » .
(٣) التفسير : « اختبأتك » .
(٤) كذا فى ن والتفسير ؛ وفى ط : « ففعلت » .
(٥) التفسير : « ولتستحق » .

بكم صلاح آبائكم ، فحملَه ذلك على أن يستتيبكم(١) يا معشر الأبناء .
وسلْهم كيف وجد آباءهم مغبّة طاعتى ، وكيف وجدوا هم مغبّة معصيتى !
وهل علموا أن أحداً قبلهم أطاعنى فشقِىَ بطاعتى ، أو عصانى فسعد بمعصيتى !
وأن الدوابّ مما تذكر أوطانها الصالحة تنتابها ، وأن هؤلاء القوم رتعوا فى مروج الهلكة. أما أحبارُهم ورهبانهم فاتّخذوا عبادى خوَلاً(٢) يتعبّدونهم دونى ، ويحكمون فيهم بغير كتابى(٢) ، حتى أجهلوهم أمرى ، وأنسوْهم ذكرى ، وغرّوهم منى .
وأما أمراؤهم وقادتهم فبطروا نعمتى ، وأمِنوا مكرى ، ونبَذوا كتابى ، ونسُوا عهدى ، وغيّروا سُنّتى ، وادّان(٣) لهم عبادى بالطاعة التى لا تنبغى إلا لى ؛ فهم يطيعونهم فى معصيتى ، ويتابعونهم على البِدع التى يبتدعون فى دينى ، جُرأةً علىّ وغِرّة ، وفِرْية علىّ وعلى رُسُلى ، فسبحان جلالى وعلوّ مكانى وعظمة شأنى!
وهل ينبغى لبشر أن يُطاع فى معصيتى ! وهل ينبغى أن أخلق عباداً أجعلهم أرباباً من دونى ! وأما قرّاؤهم وفقهاؤهم فيتعبّدون فى المساجد ، ويتزيّنون(٤) بعمارتها لغيرى لطلب الدنيا بالدين ، ويتفقهون فيها لغير العلم ، ويتعلّمون فيها لغير العمل . وأما أولاد الأنبياء فمكثورون مقهورون مغترّون ، يخوضون مع الخائضين ، فيتمنّون علىّ مثل نصرة آبائهم ، والكرامة التى أكرمتهم بها ، ويزعمون أن لا أحدَ أوْلى بذلك منهم منى بغير صدق ولا تفكر ولا تدبّر(٥)
ولا يذكرون كيف نصر آباءهم لى ، وكيف كان جدّهم فى أمرى ، حين غيّر المغيّرون ، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم ، فصبروا وصدقوا حتى عزّ أمرى ، وظهر دينى ، فتأنّيت بهؤلاء القوم لعلّهم يستجيبون ، فأطولتُ لهم ، وصفحت عنهم لعلهم يرجعون ، وأكثرت ومددت لهم فى العمر لعلهم يتفكرون(٦) ، فأعذرت . وفى كلّ ذلك أمطر عليهم السماء ، وأنبت لهم الأرض ، وألبسهم

١/٦٦٠

(١) ت : « يستثيبكم » . ح : « يبتليكم » .
(٢-٢) التفسير : « ليعبدوهم دونى ، وتحكموا فيهم بغير كتابى » .
(٣) التفسير : « فادان » .
(٤) كذا فى ت ، ن ، والتفسير ، وفى ط : « يتدينون » .
(٥) كذا فى التفسير ، وفى ط : « تعبر » .
(٦) التفسير : « يتذكرون » .

العافية ، وأظهرهم على العدوّ ؛ فلا يزدادون إلا طغياناً وبعداً منى . فحتى متى هذا ! أبى يتمرّسون ! أم إياى يخادعون ! فإنى أحلف بعزّتى لأقيِّضنّ لهم فتنة يتحيَّر فيها الحليم، ويضِلّ فيها رأىُ ذى الرأى وحكمة الحكيم. ثم لأسلِّطنّ عليهم جباراً قاسياً عاتياً ، ألبسه الهيبة ، وأنزع مِن صدره الرأفة والرحمة والليان ، يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ، له عساكر مثل قِطَع السحاب ، ومراكب أمثال العجاج ؛ كأن خفيق راياته طيَرانُ النسور ، وكأن حمْلة فرسانه كرير[1] العِقبان .

١/٦٦١

ثم أوحى الله عزّ وجلّ إلى إرميا أنّى مهلك بنى إسرائيل بيافث — ويافث أهلُ بابل ، فهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام — فلما سمع إرميا وحْى ربّه صاح وبكى وشقّ ثيابه ، ونبذَ الرماد على رأسه، فقال : ملعون يوم ولدت فيه ، ويوم لقِّنت[2] فيه التوراة ، ومن شرّ أيامى يوم ولدت فيه ، فما أبقِيتُ آخر الأنبياء إلا لما هو شرّ علىّ ، لو أراد بى خيراً ما جعلنى آخر الأنبياء من بنى إسرائيل ؛ فمن أجلى تصيبهُم الشقوة والهلاك !

فلما سمع الله عزّ وجلّ تضرّع الخضر وبكاءه ، وكيف يقول ، ناداه : يا إرميا ، أشقّ عليك ما أوحيت لك ! قال : نعم يا ربّ ؛ أهلِكنى قبل أن أرى فى بنى إسرائيل ما لا أسرّ به ، فقال الله تعالى : وعزّتى[3] وجلالى لا أهلِك بيت المقدس وبنى إسرائيل حتى يكونَ الأمر من قِبَلك فى ذلك . ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربّه ، وطابت نفسه وقال : لا ، والذى بعث موسى وأنبياءه بالحقّ ، لا آمر ربىّ بهلاك بنى إسرائيل أبداً .

١/٦٦٢

ثم أتى ملِكَ بنى إسرائيل فأخبره بما أوْحى الله إليه فاستبشر وفرح ؛ وقال : إن يعذّبنا ربنا فبذنوب كثيرة قدّمناها لأنفسنا ، وإن عفا عنّا فبقدرته .

ثم إنهم لبثوا بعد هذا الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتمادياً فى الشرّ ، وذلك حين اقترب هلاكُهم ، فقلّ الوحىُ حين لم يكونوا يتذكّرون الآخرة ، وأمسك عنهم حين[4] ألهتهم الدنيا وشأنها ، فقال لهم ملكُهم :

---

(١) الكرير : صوت فى الصدر كصوت المختنق . (٢) ن والتفسير : « لقيت » .
(٣) التفسير : « وعزتى العزيزة » . (٤) ن : « حيث » .

يا بنى إسرائيل ، انتهوا عمّا أنتم عليه قبل أن يمسّكم بأسُ الله ، وقبل أن يبعث الله عليكم قومًا لا رحمةَ لهم بكم ، فإنّ ربّكم قريب التوبة مبسوط اليدين بالخير، رحيم بمن تاب إليه . فأبوْا عليه أن ينزعوا عن شىء مما هم عليه . وإنّ الله ألقى فى قلب بختنصّر بن نبوزراذان بن سنحاريب بن دارياس بن نمروذ بن فالغ ابن عابر — ونمروذ صاحب إبراهيم عليه السلام ، الذى حاجه فى ربه — أن يسير إلى بيت المقدس ، ثم يفعل فيه ما كان جدّه سنحاريب أراد أن يفعل . فخرج فى ستمائة ألف راية يريد أهلَ بيت المقدس ، فلما فَصَل سائراً أتى مللِكَ بنى إسرائيل الخبر أن بختنصّر قد أقبل هو وجنوده يريدكم ، فأرسل الملك إلى إرميا ، فجاءه فقال : يا إرميا ، أين ما زعمْتَ لنا أنّ ربك أوحى إليك ألاّ يهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الأمر فى ذلك ! فقال إرميا للملك : إن ربّى لا يخلف الميعاد ، وأنا به واثق .

فلما اقترب الأجل ودنا انقطاع ملكهم ، وعزم الله تعالى على هلاكهم ، بعث الله عزّ وجلّ مَلَكًا من عنده ، فقال له : اذهب إلى إرميا واستفته . وأمره بالذى يستفتيه فيه. فأقبل الملك إلى إرميا ، وقد[1] تمثّل له رجلا من بنى إسرائيل ، فقال له إرميا : مَنْ أنت ؟ قال : أنا رجل من بنى إسرائيل أستفتيك فى بعض أمرى ، فأذن له ، فقال له الملَك : يا نبيّ الله ، أتيتك أستفتيك فى أهل رحمِى ؛ وصلتُ أرحامهم بما أمرنى الله به ، لم آت إليهم إلا حُسْنًا ، ولم آلهُم كرامة ، فلا تزيدهم كرامتى إياهم إلا إسخاطًا لى ، فأفتنِى فيهم يا نبيّ الله ! فقال له : أحسن فيما بينك وبين الله ، وصِلْ ما أمرك الله أن تصلَ ، وأبشر بخير . قال : فانصرف عنه الملك ، فمكث أيامًا ثم أقبل إليه فى صورة ذلك الرجل الذى كان جاءه ، فقعد بين يديه ، فقال له إرميا : مَنْ أنت ؟ قال . أنا الرجل الذى أتيتك أستفتيك فى شأن أهلى ، فقال له نبيّ الله : أوما طهُرت[2] لك أخلاقُهم بعد ، ولم تر منهم الذى تحبّ ! قال : يا نبيّ الله ، والذى بعثك بالحقّ ما أعلم كرامةً يأتيها أحد من الناس إلى أهل رحمه

١/٦٦٣

(١) كذا فى ح ، وفى ط : « قد » بدون الواو ، وفى التفسير : « وكان قد تمثل » .
(٢) طهارة الأخلاق : بعدها عن الدنس والإثم .

إلا وقد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك . فقال النبىّ : ارجع إلى أهلك فأحسن إليهم ، واسأل الله الذى يُصلح عبادَه الصالحين أن يصلح ذات بينِكم ، وأن يجمعَكم على مرضاته ، ويجنّبكم سَخَطه[١] . فقام الملِك من عنده فلبث أياماً وقد نزل بختنصّر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر[٢] من الجراد ، ففزع منهم بنو إسرائيل فزعاً شديداً ، وشقّ ذلك على ملِك بنى إسرائيل فدعا إرميا فقال : يا نبىّ الله ، أين ما وعدك الله ؟ فقال : إنى بربّى واثق . ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربّه الذى وعده ، فقعد بين يديه ، فقال له إرميا : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الذى كنت أتيتك فى شأن أهلى مرتين ، فقال له النبىّ : أو لم يَأنِ لهم أن يُفيقوا من الذى هم فيه ! فقال الملِك : يا نبىّ الله ، كُلُّ شىء كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه ، وأعلم أنّ مآلهم[٣] فى ذلك سُخْطى ، فلمّا أتيتُهم اليوم رأيتُهم فى عملٍ لا يرضاه الله ولا يحبّه ، قال له النبّى : على أىّ عمل رأيتهم ؟ قال : يا نبّى الله ، رأيتُهم على عملٍ عظيم من سَخَط الله ، فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم ، لم يشتدّ غضبى عليهم ، وصبرت لهم ورجوتهم ، ولكنى غضبت اليوم لله ولك ، فأتيتك لأخبرك خبرَهم ، وإنى أسألُك بالله الذى هو بعثك بالحقّ إلا ما دعوتَ عليهم أن يُهلِكَهم الله . قال إرميا : يا ملِك السموات والأرض ، إن كانوا على حقٍّ وصواب فأبقهم ، وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلِكْهم .

فلمّا خرجت الكلمة من فِى إرميا أرسل[٤] الله عزّ وجلّ صاعقةً من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان ، وخُسِف بسبعة أبواب من أبوابها . فلما رأى ذلك إرميا صاح وشقّ ثيابه ، ونبذ التراب على رأسه ، وقال : يا ملِك السماء ويا أرحم الراحمين ، أين ميعادُك الذى وعدتنى ! فنُودى : يا إرميا ؛ إنه لم يصبْهم الذى أصابهم إلا بفُتياك التى أفتيت بها رسولَنا . فاستيقن النبىّ أنها

١/٦٦٤ ، ١/٦٦٥

---

(١) ح : « وينجيكم من سخطه » .

(٢) ح : « فى أكثر » . التفسير : « كأمثال الجراد » .

(٣) ت : « ما بهم » ، ن : « مالهم » ، التفسير : « مأربهم » .

(٤) التفسير : « فما خرجت الكلمة من فى إرميا حتى أرسل . . .

فُتياه التى أفتى بها ثلاث مرات ، وأنه رسولُ ربّه .

وطار (١) إرميا حتى خالطَ الوحوش ، ودخل بختنصّر وجنودُه بيت المقدس ، فوطئ الشأم ، وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم ، وخرّب بيت المقدس ؛ ثم أمر جنودَه أن يملأ كلُّ رجل منهم تُرسه ترابًا ثم يقذفه فى بيت المقدس ، فقذفوا فيه التراب حتى ملئوه . ثم انصرف راجعًا إلى أرض بابل ، واحتمل معه سَبايا بنى إسرائيل ، وأمرهم أن يجمعوا مَنْ كان فى بيت المقدس كلّهم ، فاجتمع عنده كلُّ صغير وكبير من بنى إسرائيل ، فاختار منهم مائة ألف صبىّ ، فلما خرجت غنائم جنده ، وأراد أن يقسمها (٢) فيهم ، قالت له الملوك الذين كانوا معه : أيها الملك ، لك غنائمنا كلُّها واقسِم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى إسرائيل . ففعل فأصاب كلَّ رجل منهم أربعة غلمة — وكان من أولئك الغلمان : دانيال ، وحنانيا ، وعزاريا ، وميشايل — وسبعة آلاف من أهل بيت داود ، وأحد عشر ألفًا من سِبْط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين ، وثمانية آلاف من سبط أشر بن يعقوب ، وأربعة عشر ألفًا من سبط زبالون ابن يعقوب ، ونفثالى بن يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابنى يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب ومن بقىَ من بنى إسرائيل . وجعلهم بختنصّر ثلاث فرق ؛ فثلثا أقرّ بالشام ، وثلثاً سَبى ، وثلثا قتل . وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدَمها بابل ، وذهب بالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل ؛ وكانت هذه الوقعة الأولى التى أنزلها الله ببنى إسرائيل بإحداثهم وظلمهم .

١/٦٦٦

فلما ولى بختنصّر عنهم راجعًا إلى بابل بمن معه من سبايا بنى إسرائيل أقبل إرميا على حمار له معه عصير من عنب فى رَكْوة (٣) وسلّة تين ، حتى غشى إيلياء فلما وقف عليها ورأى ما بها من الخراب دخَله شكّ ، فقال : أنّى يحيى هذه الله بعد موتها ! فأماته الله مائة عام ، وحماره وعصيره وسلّة تينه عنده حيث أماته

(١) التفسير : « ثم إن إرميا » . . .
(٢) كذا فى التفسير وفى ط : « يقسمهم » .
(٣) ت والتفسير : « زكرة » ، وهى زق صغير من أدم يجعل فيه الشراب .

الله وأمات حماره معه ، وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد . ثم بعثه الله فقال له:
﴿ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ — يقول لم يتغير — ﴿ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً ﴾.(١)
فنظر إلى حماره يتصل بعضٌ إلى بعض — وقد كان مات معه — بالعروق والعصب ، ثم كيف كسى ذلك منه اللحم حتى استوى ، ثم جرى فيه الروح ، فقام ينهق . ثم نظر إلى عصيره وتينه ، فإذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير . فلما عاين من قدرة الله ما عاين، قال : ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١) ﴾. ثم عمّر الله إرميا بعد ذلك ، فهو الذى يُرى بفلوات الأرض والبلدان(٢) .

١/٦٦٧

* * *

ثم إن بختنصر أقام فى سلطانه ما شاء الله أن يقيم ، ثم رأى رؤيا ، فبينما هو قد أعجبه ما رأى إذ رأى شيئًا أصابه فأنساه الذى كان رأى ، فدعا دانيال ، وحنانيا وعزاريا ، وميشايل من ذرارىّ الأنبياء ، فقال : أخبرونى عن رؤيا رأيتُها ، ثم أصابنى شىء فأنسانيها ، وقد كانت أعجبتنى(٣) ما هى ؟ قالوا له : أخبرنا بها نخبرك بتأويلها ، قال : ما أذكرها ، وإن لم تخبرونى بتأويلها لأنزعنّ أكتافكم . فخرجوا من عنده ، فدعَوُا الله واستغاثوا وتضرّعوا إليه ، وسألوه أن يعلِمهم إياها ، فأعلمهم الذى سألهم عنه ، فجاءوه فقالوا له : رأيتَ تمثالا ؟ قال : صدقتم ، قالوا : قدماه وساقاه من فخّار ، وركبتاه وفخذاه من نحاس ، وبطنه من فضّة ، وصدره من ذهب ، ورأسه وعنقه من حديد . قال : صدقتم . قالوا: فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك ، فأرسل الله عليه صخرة من السماء فدقّته ، فهى التى أنستكها . قال : صدقتم ، فما تأويلها ؟ قالوا : تأويلها أنك أريتَ مُلْك الملوك ، فكان بعضُهم ألينَ مُلْكًا من بعض ، وبعضهم كان أحسن مُلْكاً من بعض ، وبعضهم كان أشدّ مُلْكا من بعض ،

(١) سورة البقرة ٢٥٩ .
(٢) الخبر فى التفسير ١٥ : ٢٩ — ٣١ (بولاق) ، وانظره أيضاً فى ٥ : ٤٤٧ — ٤٥٤ (المعارف) .
(٣) ح : « كان أعجبنى » .

فكان أول المُلْكِ الفخّار وهو أضعفه وألينه . ثم كان فوقه النحاس وهو أفضل منه وأشدّ ، ثم كانَ فوق النحاس الفضّة وهى أفضل من ذلك وأحسن ، ثم كان فوق الفضة الذهب ، فهو أحسن من الفضة وأفضل ، ثم كان الحديد مُلْكك ؛ فهو كان أشدّ الملوك وأعزّ مما كان قبله ، وكانت الصخرة التى رأيت أرسل الله عليه من السماء فدقّته ، نبيًّا يبعثه الله من السماء فيدقّ ذلك أجمع ، ويصير الأمر إليه . ١/٦٦٨

ثم إن أهل بابل قالوا لبختنصّر : أرأيتَ هؤلاء الغلمان من بنى إسرائيل الذين كنا سألناك أن تعطيناهم ففعلت ! فإنّا والله لقد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا ، لقد رأينا نساءنا علِقْنَ بهم ، وصرفنَ وجوههنّ إليهم ، فأخرجْهم من بين أظهرنا أو اقتلْهم ، قال : شأنَكم بهم ، فمن أحبّ منكم أن يقتل من كان فى يده فليفعل ، فأخرجوهم . فلمّا قربوهم للقتل تضرّعوا إلى الله فقالوا : يا ربّنا ، أصابنا البلاء بذنوب غيرنا ، فتحنّن الله عليهم برحمته ، فوعدهم أن يحييهم بعد قتلهم ، فقتلوا إلا من استبقى بختنصّر منهم ، وكان ممن استبقى منهم : دانيال ، وحنانيا ، وعزاريا ، وميشايل .

* * *

ثم إن الله تبارك وتعالى حين أراد هلاك بختنصّر ، انبعث فقال لمن كان فى يديه من بنى إسرائيل : أرأيتم هذا البيت الذى أخربت ، وهؤلاء الناس الذين قتلت ، من هم ؟ وما هذا البيت ؟ قالوا : هذا بيت الله ومسجد من مساجده ، وهؤلاء أهلُه كانوا من ذرارىّ الأنبياء ، فظلموا وتعدّوا وعصوْا فسلّطتَ عليهم بذنوبهم ، وكان ربُّهم ربّ السموات والأرض ، وربّ الخلق كلّهم يكرمهم ويمنعهم[1] ويعزّهم ، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم الله وسلّط عليهم غيرهم . ١/٦٦٩

قال : فأخبرونى ما الذى يطلع بى إلى السماء العليا ، لعلّى أطّلع إليها فأقتلَ منْ فيها وأتخذها مُلْكًا ، فإنّى قد فرغت من الأرض ومَنْ فيها ، قالوا له : ما تقدر على ذلك وما يقدر على ذلك أحد من الخلائق ، قال : لتفعلُنّ أو لأقتلنّكم عن آخركم ، فبكوا إلى الله وتضرّعوا إليه ، فبعث الله بقدرته ــ ليريَه

(١) ن : « ويمتعهم » .

ضعفه وهوانه عليه ــ بعوضةً فدخلت فى منخره ثم ساخت فى دماغه حتى عضّت بأمّ دماغه ؛ فما كان يَقَرّ ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أمّ دماغه ؛ فلما عرف الموت قال لخاصّته من أهله : إذا مت فشقّوا رأسى ، فانظروا ما هذا الذى قتلنى ؟ فلما مات شقّوا رأسه ، فوجدوا البعوضة عاضّة بأمّ دماغه ليُرِىَ الله العباد قدرته وسلطانه ؛ ونجىّ الله مَنْ كان بقى فى يديه من بنى إسرائيل وترحّم عليهم وردهم إلى الشأم وإلى إيلياء المسجد المقدّس ، فبنوا فيه ورَبَلُوا[1] وكثروا ؛ حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه .

فيزعمون ــ والله أعلم ــ أنّ الله أحيا أولئك الموتى الذين قتِلوا فلحقوا بهم .

* * *

ثم إنهم لما دخلوا الشأم دخلوها وليس معهم عهد من الله ؛ كانت التوراة قد استُبِيتْ منهم فحرقت وهلكت ، وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشأم يبكى عليها ليله ونهاره ، قد خرج من الناس فتوحّد[2] منهم ؛ وإنما هو ببطون الأودية وبالفلوات يبكى ؛ فبينما هو كذلك فى حزنه على التوراة وبكائه عليها ، إذ أقبل إليه رجل وهو جالس ، فقال : يا عُزَيْر ما يبكيك ؟ قال : أبكى على كتاب الله وعهده ، كان بين أظهرِنا فبلغتْ بنا خطايانا ، وغضب ربنا علينا أن سلّط علينا عدوّنا ، فقتل[3] رجالنا ، وأخرب بلادنا ، وأحرق كتاب الله الذى بين أظهرنا ، الذى لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره ــ أو كما قال ــ فعلامَ أبكى إذا لم أبك على هذا ! قال : أفتحبّ أن يُرَدَّ ذلك عليك ؟ قال : وهل إلى ذلك من سبيل ؟ قال : نعم ارجع فصُمْ وتطهّر وطهّر ثيابك ، ثم موعدك هذا المكان غداً . فرجع عُزَيْر فصام وتطهّر وطهّر ثيابه ، ثم عمِد إلى المكان الذى وُعِده ، فجلس فيه ، فأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء ــ وكان ملَكاً بعثه الله إليه ــ فسقاه من ذلك الإناء ، فمثلت التوراة فى صدره ، فرجع إلى بنى إسرائيل ، فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وسننها وفرائضها

١ / ٦٧٠

(١) ربلوا : كثر عددهم .

(٢) ح : « وانقطع » .

(٣) ت : « حتى قتل » . ن : « قتل » .

وحدودها ، فأحبّوه حبًّا لم يحبوه شيئًا قطّ ، وقامت التوراة[1] بين أظهرهم ، وصلَح بها أمرهم ، وأقام بين أظهرهم عُزَير مؤديًا لحقّ الله ، ثم قبضه الله على ذلك ، ثم حدثت فيهم الأحداث حتى قالوا لعزير : هو ابن الله ، وعاد الله عليهم فبَعث فيهم نبيًّا كما كان يصنع بهم ، يسدّد أمرهم ، ويعلّمهم ويأمرهم بإقامة التوراة وما فيها .

* * *

١/٦٧١ وقال جماعة أخر عن وهب بن منبّه فى أمر بختنصّر وبنى إسرائيل وغزوه إياهم أقوالاً غير ذلك ، تركنا ذكرها كراهة إطالة الكتاب بذكرها .

(١) ح : « وقام أمر التوراة » .

ذكر خبر غزو بختنصر للعرب

حُدِّثت عن هشام بن محمد، قال : كان بدء نزول العرب أرضَ العراق وثبوتهم فيها، واتخاذهم الحيرة والأنبار منزلا — فيما ذكر لنا والله أعلم — أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى برخيا بن أحنيا[1] بن زربابل بن شلتيل من ولد يهوذا — قال هشام : قال الشرقيّ : وشلتيل أوّل من اتخذ الطفشيل — أن ائت بختنصّر وأمره أن يغزوَ العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب، ويطأ بلادهم بالجنود، فيقتُل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم، وأعلِمْه كفرَهم بى، واتخاذهم الآلهة دونى، وتكذيبهم أنبيائى ورسلى.

قال : فأقبل برخيا من نَجْران حتى قدم على بختنصّر ببابل — وهو « نبوخذ نصر » فعرّبته العرب — وأخبرَه بما أوحى الله إليه وقصّ عليه ما أمره به؛ وذلك فى زمان مَعَدّ بن عدنان. قال : فوثب بختنصّر على مَنْ كان فى بلاده من تجار العرب، وكانوا يقدُمون عليهم بالتجارات والبِياعات، ويمتارون من عندهم الحبّ والتمر والثياب وغيرها.

فجمع مَنْ ظفر به منهم، فبنى لهم حَيْراً[2] على النَّجَف وحصّنه، ثم ضمّهم فيه ووكّل بهم حرسًا وحفَظة، ثم نادى فى الناس بالغزو، فتأهّبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب، فخرجت إليه طوائف منهم مسالمينَ مستأمنين، فاستشار بختنصّر فيهم برخيا، فقال : إن خروجَهم إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عمّا كانوا عليه، فاقبلْ منهم، فأحسنْ إليهم. ١/٦٧٢

قال : فأنزلهم بختنصّر السواد[3] على شاطئ الفرات، فابتنوْا موضع عسكرهم بعد، فسمّوْه الأنبار[4]. قال : وخلّى عن أهل الحَيْر[5]، فاتّخذوها منزلاً حياة

---

(١) كذا فى ت، وفى س : « أخيا »، وفى ابن الأثير ١ : ١٥٣ : « أخنيا ».

(٢) الحير : شبه الحظيرة. (٣) السواد هنا : رستاق العراق.

(٤) مدينة على الفرات؛ ذكرها ياقوت وقال : « وقيل إنما سمى الأنبار لأن بختنصر لما حارب العرب الذين لا خلاق لهم حبس الأسراء فيه ».

(٥) فى الأصول : « الحيرة »، وصوابه من معجم البلدان ٣ : ٣٧٨.

بختنصّر ، فلما مات انضموا إلى أهل الأنبار ، وبقىَ ذلك الحَيْر خرابـاً[1] .

وأما غير هشام من أهل العلم بأخبار الماضين فإنه ذكر أن معدّ بن عدنان لما ولِد، ابتدأت بنو إسرائيل بأنبيائهم فقتلوهم ، فكان آخر من قتلوا يحيى بن زكرياء، وعدا أهلُ الرَّسّ[2] على نبيهم فقتلوه ، وعدا أهل حضور[3] على نبيّهم فقتلوه ، فلما اجترءوا على أنبياء الله أذن الله فى فناء ذلك القرن الذين معّد بن عدنان من أنبيائهم ، فبعث الله بختنصّر على بنى إسرائيل ، فلما فرغ من إخراب المسجد الأقصى والمدائن وانتسف بنى إسرائيل نسفاً ، فأوردهم أرض بابل أرِىَ فيما يرى النائم — أو أمِر بعض الأنبياء أن يأمره — أن يدخل بلاد العرب فلا يستحيى فيها إنسيّاً[4] ولا بهيمة ، وأن ينتسف ذلك نسفاً ، حتى لا يُبقى لهم أثراً . فنظم بختنصّر ما بين إيلة والأبُلّة خيلا ورجلا ، ثم دخلوا على العرب فاستعرضوا كلّ ذى روح أتوْا عليه وقدروا عليه . وأن الله تعالى أوحى إلى إرميا وبرخيا أنّ الله قد أنذر قومكما ، فلم ينتهوا ، فعادوا بعد المُلْك عبيدا ، وبعد نعيم العيش عالة يسألون الناس ، وقد تقدّمت إلى أهل عربة بمثل ذلك فأبوْا إلا الحاجة ، وقد سلّطت بختنصر عليهم لأنتقم منهم ، فعليكما بمعدّ بن عدنان ، الذى من ولده محمد الذى أخرجه فى آخر الزمان ، أختِمُ به النبوّة ، وأرفع به من الضّعة .

١ / ٦٧٣

فخرجا تُطوَى لهما الأرض حتى سبقا بختنصّر ، فلقيا عدنان قد تلقّاهما ، فطوياه إلى معدّ ، ولمعدّ يومئذ اثنتا عشرة سنة ، فحمله برخيا على البُراق ، وردِف خلفه ، فانتهيا إلى حرّان من ساعتهما ، وطُويت الأرض لإرميا فأصبح بحرّان ، فالتقى عدنان وبختنصّر بذات عِرْق ، فهزم بختنصّر عدنان ، وسار فى بلاد العرب ، حتى قدم إلى حَضُور واتّبع عدنان ، فانتهى بختنصّر إليها ،

---

(١) الخبر فى معجم البلدان ٣ : ٣٧٧ — ٣٨٠، عن هشام، وفيه : « فابتنوا فى موضعه وسموها الحيرة لأنه كان حيراً مبنياً ؛ وما زالوا كذلك مدة حياة بختنصر » .

(٢) الرس : بئر ، ويروى أن قوماً كذبوا نبيهم ورسوه فى هذه البئر (ياقوت) .

(٣) حضور ، بالفتح ثم الضم : بلدة باليمن ، من أعمال زبيد . . . ونقل ياقوت عن السهيلى : « لما قصد بختنصر بلاد العرب ودوخها وخرب المعمور استأصل الله أهل حضوراء » وقال : « هكذا رواها بالألف الممدودة » .

(٤) ت « إنسانا » .

وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار من عربة إلى حَضُور ، فخندق الفريقان، وضرب بختنصّر كمينًا ــ وذلك أول كمين كان فيما زعم ــ ثم نادى مناد من جوّ السماء : يالثارات الأنبياء ! فأخذتهم السيوفُ مِنْ خلفهم ومن بين أيديهم ، فندموا على ذنوبهم ، فنادوْا بالويل ، ونُهِي عدنان عن بختنصّر ونُهِي بختنصّر عن عدنان ، وافترق مَن لم يشهد حَضُور ، ومن أفلت قبل الهزيمة فرقتين : فرقة أخذت إلى ريسوب وعليهم عَكّ ، وفرقة قصدت لوبار ١/٦٧٤ وفرقة حَضْر العرب ، قال : وإياهم عنى الله بقوله : ﴿ وكَم قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ ، كافرة الأهل ؛ فإن العذاب لما نزل بالقرى وأحاط بهم فى آخر وقعة ذهبوا ليهربُوا فلم يطيقوا الهرب ، ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا ﴾ انتقامنا منهم ﴿ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُون ﴾ يهربون ، قد أخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم . ﴿ لَا تَرْكُضُوا ﴾ لا تهربوا ﴿ وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُم فِيه ﴾ إلى العيشة على النعم المكفورة ﴿ وَمَسَاكِنِكُمْ ﴾ مصيركم ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُون ﴾ . فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب ، فقالوا : ﴿ يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِين ﴾ ،[1] موتى وقتلى بالسيف

فرجع بختنصّر إلى بابل بما جمع من سبايا عَرَبَة[2] فألقاهم بالأنبار ، فقيل أنبار العرب ، وبذلك سميت الأنبار ، وخالطهم بعد ذلك النَّبَط

فلما رجع بختنصّر مات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابًا حياة بختنصّر ، فلما مات بختنصّر خرج معد بن عدنان معه الأنبياء ، أنبياء بنى إسرائيل صلوات الله عليهم حتى أتى مكة فأقام أعلامها ، فحجّ وحجّ الأنبياء معه ، ثم خرج معدّ حتى أتى ريسوب فاستخرج أهلها ، وسأل عمّن بقى من ولد الحارث بن مُضاضٍ ١/٦٧٥ الجرهمىّ ، وهو الذى قاتل دوس العتق ، فأفنى أكثرهم جرهم على يديه ، فقيل له : بقى جوشم بن جلهمة ، فتزوج معدّ ابنتَه معانة ، فولدت له نزار بن معدّ .

---

(١) سورة الأنبياء ١١ — ١٥ .

(٢) عربة ؛ بالتحريك ؛ هى فى الأصل اسم لبلاد العرب ؛ انظر معجم البلدان .

رجع الخبر إلى قصة بشتاسب وذكر ملكه والحوادث التى كانت فى أيام ملكه التى جرت على يديه ويد غيره من عماله فى البلاد خلا ما جرى من ذلك على يد بختنصر

ذكر العلماء بأخبار الأمم السالفة من العجم والعرب ، أنّ بشتاسب بن كى لهراسب لما عقد له التاج ، قال يوم ملك : نحن صارفون فكرنا وعملنا وعلمنا إلى كلّ ما يُنال به البرّ . وقيل : إنه ابتنى بفارس مدينة فَسَا ، وببلاد الهند وغيرها بيوتًا للنيران ، ووكّل بها الهرابذة[1] ، وإنه رتّب سبعة نفر من عظماء أهل مملكته مراتب ، وملّك كلّ واحد منهم ناحية جعلها له ، وإن زرادشت ابن أسفيمان ظهر بعد ثلاثين سنة من مُلْكه فادّعى النبوّة ، وأراده على قبول دينه ، فامتنع من ذلك ثم صدّقه ، وقبِل ما دعاه إليه وأتاه به من كتاب ادّعاه وحيًا ، فكُتِب فى جلد اثنى عشرة ألف بقرة حَفْرًا فى الجلود ، ونقشا بالذهب ، وصيّر بشتاسب ذلك فى موضع من إصطخر ، يقال له دزنبشت ، ووكّل به الهرابذة ، ومنع تعليمه العامة . وكان بشتاسب فى أيامه تلك مهادنًا لخرزاسف بن كى سواسف ، أخى فراسياب ملك الترك على ضَرْبٍ من الصلح ، وكان من شرط ذلك الصلح أن يكون لبشتاسب بباب خرزاسف دابةٌ موقوفة بمنزلة الدوابّ التى تنوب[2] على أبواب الملوك ، فأشار زرادشت على بشتاسب بمفاسدة ملك الترك ، فقبل ذلك منه ، وبعث إلى الدابّة والموكّل بها ، فصرفهما إليه ، وأظهر الخبر لخرزاسف ، فغضب من ذلك — وكان ساحرًا عاتيًا — فأجمع على محاربة بشتاسب ، وكتب إليه كتابًا غليظًا عنيفًا ، أعلمه فيه أنه أحدث حدثًا عظيمًا ، وأنكر قبولَه ما قبل من زرادشت ، وأمره بتوجيهه إليه ، وأقسم إن امتنع أن يغزوَه حتى يسفك دمه ، ودماء أهل بيته .

١/٦٧٦

(١) الهرابذة : هم خدم النار ؛ أو حكام المجوس الذين يصلون بهم ؛ واحده الهربد (المعرب ٣٥١) .
(٢) ت ، س : « تكون » .

فلما ورد الرسول بالكتاب على بشتاسب ، جمع إليه أهلَ بيته وعظماء أهل مملكته ، وفيهم جاماسف عالمهم وحاسبهم ، وزرين بن لهراسب . فكتب بشتاسب إلى ملك الترك كتاباً غليظاً جواب كتابه ، آذنه فيه بالحرب ، وأعلمه أنه غير مُمْسك عنه إن أمسك. فسار بعضهما إلى بعض ،مع كلٍّ واحد منهما من المقاتلة ما لا يُحْصَى كثرة ،ومع بشتاسب يومئذ زرين أخوه ونسطور ابن زرين وإسفنديار وبشوتن ابنا بشتاسب ،وآل لهراسب جميعاً ،ومع خرزاسف وجوهرمز وأندرمان أخواه وأهل بيته ، وبيدرفش الساحر ، فقُتِل فى تلك الحروب زرين ،واشتدّ ذلك على بشتاسب ، فأحسَن الغَناء عنه ابنه إسفنديار ، وقتَل بيدرفش مُبارزَة ،فصارت الدَّبْرة على الترك ،فقتِلوا قتلاً ذريعاً ، ومضى خرزاسف هارباً ، ورجع بُشتاسب إلى بَلْخ ، فلما مضت لتلك الحروب سنون سعى على إسفنديار رجل يقال له قرزم[1] ،فأفسد قلب بشتاسب عليه، فندَبه لحرب بعد حرب ، ثم أمر بتقييده وصيّره فى الحصن الذى فيه حبسُ النساء ، وشخص بشتاسب إلى ناحية كِرْمان وسِجِسْتان ، وصار منها إلى جبل يقال له طميذر[2] لدراسة دينه والنُّسْك هناك ، وخلّف لهراسب أباه مدينة بلْخ شيخاً قد أبطله الكِبَرُ ، وترك خزائنه وأمواله ونساءه مع خطوس امرأتِه، فحملت الجواسيس الخبرَ إلى خزاسف ، فلما عرف جمع جنوداً لا يُحصونْ كثرة، وشخَص من بلاده نحو بلْخ ،وقد أمّل أن يجد فرصة من بشتاسب ومملكته . فلما انتهى إلى تخوم[3] ملك فارس قدّم أمامه جوهرمز أخاه — وكان مرشّحاً للملك بعده فى جماعة من المقاتلة كثيرة — وأمره أن يَغِذّ السير حتى يتوسّط المملكة ويُوقع بأهلها ، ويُغير على القرى والمدن ، ففعل ذلك جوهرمز ، وسفك الدماء واستباح من الحُرَم ما لا يحصى ، واتّبعه خرزاسف فأحرق الدواوين ، وقتل لهراسف والهرابذة ، وهدم بيوتَ النيران ، واستولى على الأموال والكنوز ، وسبى ابنتين لبشتاسب ، يقال لإحداهما : خمانى ، وللأخرى باذافره ،وأخذ — فيما أخذ — العلَم الأكبر الذى كانوا يسمّونه

١/٦٧٧ ، ١/٦٧٨

(١) ت : « فرزم » ، ح : « قدوم » ، س « فرارم » .

(٢) كذا فى ت ، س .

(٣) التخوم : جمع تخم ؛ بفتح التاء وضمها : الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود .

درفش كابيان ، وشخص متبعًا لبشتاسب ، وهرب منه بشتاسب حتى تحصّن في تلك الناحية مما يلي فارس في الجبل الذى يعرف بطميذر ، ونزل ببشتاسب ما ضاق به ذرعًا؛ فيقال إنه لما اشتدّ به الأمر وجّه إلى إسفنديار جاماسب حتى استخرجه من محبسه ، ثم صار به إليه ، فلما أدخل عليه اعتذر إليه ، ووعده عَقْد التاج على رأسه ، وأن يفعل به مثل الذى فعل لهراسب به ، وقلّده القيام بأمر عسكره ، ومحاربة خرزاسف .

١/ ٦٧٩ فلما سمع إسفنديار كلامه كَفَّر[1] له خاشعًا ، ثم نهض من عنده ، فتولى عرْض الجند وتمييزهم ، وتقدم فيما احتاج إلى التقدم فيه ، وبات ليلته مشغولاً بتعبئته ، فلما أصبح أمر بنفخ القرون ، وجمع الجنود ، ثم سار بهم نحو عسكر الترك ، فلما رأت الترك عسكَره خرجوا في وجوههم يتسابقون ، وفي القوم جوهرمز وأندرمان ، فالتحمت الحرب بينهم ، وانقضّ إسفنديار وفي يده الرمح كالبرق الخاطف ، حتى خالط القوم ، وأكبّ عليهم بالطعن ، فلم يكن إلا هُنيهة حتى ثلم في العسكر ثُلمة عظيمة ، وفشا في الترك أنّ إسفنديار قد أطلِق من الحبس ، فانهزموا لا يلْوُون على شيء ، وانصرف إسفنديار ، وقد ارتجع العلَم الأعظم ، وحمله معه منشوراً ، فلما دخل على بشتاسب استبشر بظفره ، وأمره باتباع القوم ، وكان مما أوصاه به أن يقتل خرزاسف إن قدر عليه بلهراسف ، ويقتل جوهرمز وأندرمان بمن قتل من ولده ، ويهدِمَ حصون الترك ويُحرقَ مدنها ، ويقتل أهلَها بمن قتلوا من حملة الدين ، ويستنقِذ السبايا . ووجّه معه ما احتاج إليه من القوّاد والعظماء .

فذكروا أنّ إسفنديار دخل بلاد الترك من طريق لم يَرُمه أحد قبله ، وأنه قام — من حراسةِ جنده ، وقتْل ما قتل من السباع ، ورمْى العنقاء المذكورة — ١/ ٦٨٠ بما لم يقم به أحد قبله ، ودخل مدينة الترك التى يسمونها د زْرُوئين — وتفسيرها بالعربية الصُّفْرية — عنوة حتى قتل الملك وإخوته ومقاتلته ، واستباح أموالَه وسبى نساءه ، واستنقذ أختيْه ، وكتب بالفتح إلى أبيه ، وكان أعظم الغَناء

[1] كفر له : خضع ؛ وهو من فعل العلوج للدهاقين ؛ يضع العلج يده على صدره ويطاطىء رأسه ويتطأمن تعظيما .

فى تلك المحاربة بعد إسفنديار لفشوتن أخيه وأدرنوش ومهرين ابن ابنته . ويقال إنهم لم يصلوا إلى المدينة حتّى قطعوا أنهاراً عظيمة مثل كاسروذ ، ومهرروذ ، ونهرا آخر لهم عظيمًا ، وإن إسفنديار دخل أيضًا مدينة كانت لفراسياب ، يقال لها وهشكند[1] ، ودوّخ البلاد وصار إلى آخر حدودها ، وإلى التُّبَّت وباب صول ، ثم قطع البلاد وصيّر كلّ ناحية منها إلى رجل من وجوه الترك بعد أن آمنهم ، ووظّف على كلّ واحد منهم خراجًا يحمله إلى بشتاسب فى كلّ سنة ، ثم انصرف إلى بلخ .

ثمّ إن بشتاسب حسد ابنه إسفنديار لما ظهر منه ، فوجّهه إلى رستَم بسِجستْان ، فحدِّثت عن هشام بن محمد الكلبىّ أنه قال : قد كان بشتاسب جعل المُلك من بعده لابنه إسفنديار ، وأغزاه الترك ، فظفر بهم ، وانصرف إلى أبيه ، فقال له : هذا رستم متوسطًا بلادنا ، وليس يعطينا الطاعة لادعائه ما جعل له قابوس من العتق من رقّ الملك ، فسرْ إليه فأتنى به ، فسار إسفنديار إلى رستم فقاتله ، فقتله رستم . ومات بشتاسب ، وكان ملكه مائة سنة واثنتى عشرة سنة .

١/٦٨١

* * *

وذكر بعضُهم أن رجلاً من بنى إسرائيل ؛ يقال له سمى كان نبيًّا ، وأنه بُعِث إلى بشتاسب فصار إليه إلى بلْخ ، ودخل مدينتها ، فاجتمع هو وزرادشت صاحب المجوس ، وجاماسب العالم بن فخد[2] ، وكان سمى يتكلّم بالعبرانية ويعرف زرادشت ذلك بتلقين ، ويكتب بالفارسية ما يقول سمى بالعبرانية ، ويدخل جاماسب معهما فى ذلك ، وبهذا السبب سمى جاماسب العالم .

وزعم بعض العجم أن جاماسب هو ابن فخد بن هو بن حكاو بن نذكاو بن فرس بن رج بن خوراسرو بن منوشهر الملك ، وأن زرادشت بن يوسيسف[3] ابن فردواسف بن اريحد بن منجدسف[4] بن جخشنش بن فيافيل بن الحدى ابن هردان بن سفمان بن ويدس بن أدرا بن رج بن خوراسرو بن منوشهر .

١/٦٨٢

وقيل إن بشتاسب وأباه لهراسب كانا على دين الصابئين ، حتّى أتاه سمى

(١) كذا فى س ، وفى ت : « وحسكتك » .
(٢) كذا فى ح . (٣) كذا فى ت . (٤) كذا فى ت .

وزرادشت بما أتياه به ، وأنهما أتياه بذلك لثلاثين سنة مضت من ملكه .

وقال هذا القائل : كان ملك بشتاسب مائة وخمسين سنة ، فكان ممن رتب بشتاسب من النفرالسبعة المراتب الشريفة ، وسماهم عظماء بهكا بهند[١] ومسكنه دِهِسْتان[٢] من أرض جرجان ، وقارن الفلهوىّ ومسكنه ماه‌نهاوند[٣] ، وسورين الفَلْهوى ومسكنه سِجستان ، وإسفنديار الفلهوى ومسكنه الرّى .

* * *

وقال آخرون : كان ملك بشتاسب مائة وعشرين سنة .

---

(١) كذا فى ت ، وفى ط من غير نقط .

(٢) دهستان ، بكسر أوله وثانيه ؛ ذكرها ياقوت ، وقال : « إنها بلد مشهور فى طرف مازندان ، قرب خوارزم وجرجان » .

(٣) قال ياقوت : « الماه بالهاء خالصة : قصبة البلد ؛ ومنه قيل : ماه البصرة وماه الكوفة وماه فارس ؛ ويقال لنهاوند وهمذان وقم : ماه البصرة » . وانظر نهاوند فى معجم البلدان — ماه البصرة .

ذكر الخبر عن ملوك اليمن

فى أيام قابوس وبعده إلى عهد بهمن بن إسفنديار

قال أبو جعفر : قد مضى ذكرنا الخبر عمّن زعم أن قابوس كان فى عهد سليمان بن داود عليهما السلام ، ومضى ذكرُنا مَنْ كان فى عهد سليمان من ملوك اليمن والخبر عن بلقيس بنت إيليشرح .

فحدِّثت عن هشام بن محمد الكلبىّ أن المُلْك باليمن صار بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو بن يعفر الذى كان يقال له ياسر أنعم . قال : وإنما سمّوْه[1] ياسر أنعم لإنعامه عليهم بما[2] قوّى من ملكهم ، وجَمَع من أمرهم .　١/٦٨٤

قال : فزعم أهلُ اليمن أنه سار غازيًا نحو المغرب حتى بلغ واديًا يقال له وادى الرمل ، ولم يبلغه أحد قبله ، فلما انتهى إليه لم يجد وراءه مجازاً لكثرة الرمل ، فبينما هو مقيم عليه إذ انكشف الرمل ، فأمر رجلا من أهل بيته — يقال له عمرو — أن يعبُر هو وأصحابه ؛ فعبَروا فلم يرجعوا . فلما رأى ذلك أمر بصنم نحاس فصنع ، ثم نصب على صخرة على شفير الوادى ، وكُتِب فى صدره بالمسنَد : «هذا الصنم لياسر أنعم الحِمْيرىّ ، وليس وراءه مذهب ، فلا يتكلّفنّ ذلك أحدٌ فيعطب » .

قال : ثم ملك من بعده تُبَّع ، وهو تُبان أسعد ، وهو أبو كرب بن ملكى كرب تُبَّع بن زيد بن عمرو بن تُبَّع ؛ وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبّع ذى المنار ابن الرائش بن قيس بن صيفىّ بن سبأ . قال : وكان يقال له الرائد.

قال : فكان تُبَّع هذا فى أيام بشتاسب وأردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، وأنه شخص متوجّهًا من اليمن فى الطريق الذى سلكه الرائش ، حتى خرج على جبلى طيْ ، ثم سار يريد الأنبار ، فلما انتهى إلى الحيرة — وذلك ليلا — تحير ، فأقام مكانه وسُمِّى ذلك الموضع الحيرة ، ثم سار وخلّف به قومًا من الأزْد ولخم وجُذام وعاملة وقُضاعة ، فبنوْا وأقاموا به ، ثم انتقل إليهم بعد　١/٦٨٥

---

(١) ح : « سمى » .
(٢) ت ، ن : « لما » .

ذلك ناس من طيئ وكلب والسَّكون وبلْحارث بن كعب وإياد . ثم توجّه إلى الأنبار ثم إلى الموصل ، ثم إلى أذرَبيجان ، فلقِيَ الترك بها فهزمهم ، فقتل المقاتلة ، وسبي الذريَّة، ثم انكفأ راجعًا إلى اليمن . فأقام بها دهراً ، وهابته الملوك وعظّمته وأهدت إليه . فقدِم عليه رسول ملك الهند بالهدايا والتّحف، من الحرير والمسك والعود وسائر طُرَف بلاد الهند، فرأى ما لم يرَ مثله ، فقال : ويحك ! أكلّ ما أرى فى بلادكم ! فقال : أبيت اللعن ! أقلّ ما ترى فى بلادنا، وأكثره فى بلاد الصين ، ووصف له بلاد الصين وسعتَها وخصْبها وكثرة طُرَفها ، فآلى بيمين ليَغزُونّها . فسار بحمْيَر مساحِلا[1] ،حتى أتى الركائك وأصحاب القلانس السود ، ووجّه رجلا من أصحابه ، يقال له ثابت نحو الصين ؛ فى جمع عظيم فأصيب ، فسار تُبَّع حتى دخل الصين ، فقتل مقاتلها ، واكتسح ما وجد فيها . قال : ويزعمون أن مسيره كان إليها ومقامه بها[2] ورجعته منها فى سبع سنين ، وأنه خلّف بالتُّبَّت[3] اثنى عشر ألف فارس من حمْير ، فهم أهلُ التبّت ، وهم اليوم يزعمون أنهم عرَب ، وخلقهم وألوانهم خلق العرب وألوانها .

٦٨٦/١

حدثنى عبد الله بن أحمد المروزىّ ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : قرأت على عبد الله ، عن إسحاق بن يحيى ، عن موسى بن طلحة : أن تُبّعًا خرج فى العرب يسير ، حتى تحيَّروا بظاهر الكوفة، وكان منزلا من منازله ، فبقِيَ فيها من ضعفة الناس ، فسمِّيت الحيرة لتحيّرهم ، وخرج تُبّع سائراً، فرجع إليهم وقد بنوْا وأقاموا ، وأقبل تُبّع إلى اليمن وأقاموا هم ، ففيهم من قبائل العرب كلّها من بنى لِحيان ، وهذيل وتميم ، وجُعفىّ وطيئ ، وكلب .

---

(١) مساحلا ، أى سائراً تجاه الساحل . وفى الأصول : « مساجلا » .

(٢) ن : « فيها » .

(٣) التبت ، بالضم : قال ياقوت : « بلد بأرض الترك فى الإقليم الرابع المتاخم لبلاد الهند » .

ذكر خبر أردشير بهمن وابنته خماني

ثم ملك بعد بشتاسب ابن ابنه أردشير بهمن ؛ فذكر أنه قال يوم ملَك وعقد التاج على رأسه : نحن محافظون على الوَفاء ، ودائنون رعيّتنا بالخير ؛ فكان يدعى أردشير الطويل الباع ؛ وإنما لقّب بذلك — فيما قيل — لتناوله كلّ ما مدّ إليه يَده من الممالك التى حوله ، حتى ملك الأقاليم كلّها . وقيل إنه ابتنى بالسواد مدينة ، وسماها آباد أردشير هى القرية المعروفة بهُميْنا من الزاب الأعلى ، وابتنى بكور دجلة مدينة وسماها بهمن أردشير[1] ، وهى الأبُلّة ، وسار إلى سِجِستان طالبًا بثأر أبيه ، فقتل رستم وأباه دِستان وأخاه إزواره[2] وابنه فرمرز[3] ، واجتبى الناس لأرزاق الجند ونفقات الهرابذة وبيوت النيران وغير ذلك أموالاً عظيمة ؛ وهو أبو دارا الأكبر ، وأبو ساسان أبى ملوك الفرس الأخر أردشير بن بابك وولده ، وأمّ دارا خمانى بنت بهمن .

١/٦٨٧

فحدثت عن هشام بن محمد قال : ملك بعد بشتاسب أردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ؛ وكان — فيما ذكروا — متواضعًا مرضيًّا فيهم ، وكانت كتبه تخرج من أردشير : « عبد الله وخادم الله ، السائس[4] لأمركم » . قال : ويقال إنه غزا الروميّة الداخلة فى ألف ألف مقاتل .

وقال غير هشام : هلك بهمن ودارا فى بطن أمّه ، فملّكوا خمانى شكراً لأبيها بهمن ، ولم تزل ملوك الأرض تحمل إلى بهمن الإتاوة والصلح ، وكان من أعظم ملوك الفرس — فيما قالوا — شأنًا ، وأفضلهم تدبيراً ، وله كتب ورسائل تفوق كتب أردشير وعهده ، وكانت أم بهمن أستوريا[5] ، وهى

١/٦٨٨

---

(١) ذكرها ياقوت ؛ وقال : « كورة واسعة بين واسط والبصرة » ، ونقل عن الأصبهانى : « بهمنشير » تعريب « بهمن أردشير » . وكانت مدينة مبنية على عبر دجلة العوراء فى شرقيها تجاه الأبلة .

(٢) ح : « إروان » . (٣) ت : « فرمرد » ، ح : « قرمداد » ، س : « قرمزد » .

(٤) ح : « والسائس » . (٥) س : « أستواريا » .

أستار بنت يائير[١] بن شمعى بن قيس بن ميشا[٢] بن طالوت الملك بن قيس ابن أبل بن صارور[٣] بن بحرث بن أفيح بن إيشى بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام . وكانت أمّ ولده راحب بنت فنحس من ولد رُحُبْعُم بن سليمان بن داود عليه السلام . وكان بهمن ملّك أخاها زربابل بن شلتايل[٤] على بنى إسرائيل، وصيّر له رياسة الجالوت، وردّه إلى الشام بمسألة راحب أختِه إياه ذلك، فتوفّى بهمن يوم توفّى وله من الولد : ابناه دارا الأكبر وساسان ، وبناته: خمانى التى ملكت بعده، وفرنك[٥] وبهمن دخت[٦] ، وتفسير« بهمن» بالعربية « الحسن النية »، وكان ملكه مائة واثنتى عشرة سنة .

فأما ابن الكلبى هشام فإنه قال : كان ملكه ثمانين سنة .

* * *

ثم ملكت خمانى بنت بهمن، وكانوا ملّكوها حبًّا لأبيها بهمن، وشكراً لإحسانه ولكمال عقلها وبهائها وفروسيّتها ونجدْتها — فيما ذكره بعض أهل الأخبار — فكانت تلقَّب بشهرازاد[٧] . وقال بعضهم : إنما ملكت خمانى بعد أبيها بهمن أنها حين حملت منه دارا الأكبر سألته أن يعقِد التاج له فى بطنها ويؤثره بالملك ، ففعل ذلك بهمن بدارا ، وعقد عليه التاج حَمْلاً فى بطنها ، وساسان ابن بهمن فى ذلك الوقت رجل يتصنّع للملك لا يشكّ فيه. فلما رأى ساسان ما فعل أبوه من ذلك لحِق بإصطخر ، فتَزهّد وخرج من الحلية الأولى وتعبّد فلحق برءوس الجبال يتعبَّد فيها، واتّخذ غُنَيْمة، فكان يتولّى ماشيتَه بنفسه ، واستشنعت[٨] العامّة ذلك من فعله ، وفظِعَتْ به ، وقالوا : صار ساسان راعيًا ، فكان ذلك سبب نسبة الناس إياه إلى الرّعى ، وأم ساسان ابنة شالتيال ابن يوحنّا بن أوشيا بن أمون بن منشى بن حازقيا بن أحاذ بن يوثام بن عوزيا ابن يورام بن يوشافط بن أبيا بن رُحُبْعُم بن سليمان بن داود .

١/٦٨٩

وقيل: إن بهمن هلَك وابنُه دارا فى بطن خمانى، وأنها ولدته بعد أشهر من

---

(١) ح ، ت : « ياس » . (٢) كذا فى ت . (٣) ت ، س : « صاروده ».
(٤) ت : « سلبايل » (٥) كذا فى س ، وفى ت : « قربك » .
(٦) ح : « بهمن رحت » ، س : « بهمن زحت » .
(٧) س : « شهرزاد » . (٨) ح : « استصبعت» .

مُلكها وأنِفت من إظهار ذلك، فجعلته فى تابوت، وصيَّرت معه جوهراً نفيسًا،
١/٦٩٠ وأجرته فى نَهر الكُرّ من إصطخر. وقال بعضهم: بل نَهر بلْخ، وإن التابوت
صار إلى رجل طحّان من أهل إصطخر، كان له ولد صغير فهلك، فلما وجده الرجل
أتى به امرأتَه، فسرت به لجماله ونفاسة ما وجد معه، فحضنوه، ثم أظهر
أمره حين شبّ، وأقرّت خمانى بإساءتها إليه وتعريضها إياه للتلف؛ فلما تكامل
امتحن فوُجِد على غاية ما يكون عليه أبناء الملوك، فحوّلت التاج عن رأسها
إليه، وتقلّد أمر المملكة، وتنقلّت[1] خمانى وصارت إلى فارس[2] وبنَتْ
مدينة إصطخر، وأغزت الروم جيشًا بعد جيش، وكانت قد أوتيت ظفراً،
فقمَعت الأعداء، وشغلتهم عن تطرّف شىء من بلادها، ونال رعيتُها فى ملكها
رفاهة وخفضًا. وكانت خمانى حين أغزت أرضَ الروم سُبِى لها منها بشرٌ
كثير، وحُمِلوا إلى بلادها، فأمرت مَنْ فيهم من بنّائى الروم، فبنوا لها فى
كلّ موضع من حَيِّز مدينة إصطخر بنيانًا على بناء الروم منيفًا معجِبًا، أحد
ذلك البنيان فى مدينة إصطخر، والثانى على المدّرجة التى تسلك فيها إلى
دارابجرد، على فرسخ من هذه المدينة، والثالث على أربعة فراسخ منها فى المدرجة
التى تسلك فيها إلى خراسان. وإنها أجهدت نفسها فى طلب مرضاة الله عزّ وجلّ؛
فأوتيت الظفر والنصر، وخففت عن رعيتها فى الخراج.

وكان مُلْكها ثلاثين سنة.

* * *

ثم نرجع الآن إلى:

---

(١) ح: «وانتقلت».
(٢) ت، س: «أرض فارس».

ذكر خبر بني إسرائيل

ومقابلة تأريخ مدة أيامهم إلى حين تصرمها بتأريخ مدة من كان فى أيامهم من ملوك الفرس

قد ذكرنا فيما مضى قبلُ سببَ انصرافِ من انصرف إلى بيت المقدس من سبايا بنى إسرائيل الذين كان بختنصّر سباهم وحمّلهم معه إلى أرض بابل ، وأنّ ذلك كان فى أيام كيرش بن أخشويرش وملْكه ببابل من قِبَل بهمن بن إسفنديار فى حياته وأربع سنين بعد وفاته فى ملك ابنته خمانى ، وأن خمانى عاشت بعد[1] هلاك كيرش بن أخشويرش ستًّا وعشرين سنة فى ملكها، تمام ثلاثين سنة . وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خرّبه بختنصّر إلى أن عمِر — فيما ذكره أهل الكتب القديمة والعلماء بالإخبار — سبعين سنة ، كلّ ذلك فى أيام بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب بن لهراسب بعضه ، وبعضه فى أيام خمانى ،على ما قد بين فى هذا الكتاب .

وقد زعم بعضُهم أن كيرش هو بشتاسب، وأنكر ذلك من قيله بعضُهم، وقال : كى أرش إنما هو عمّ لجد بشتاسب، وقال: هو كى إرش أخو كيقاوس ابن كيبيه بن كيقباذ الأكبر، وبشتاسب الملك هو ابن كيلهراسب بن كيوجى ابن كيمنوش بن كيقاوس بن كيبيه بن كيقباذ الأكبر . قال : ولم يملك كى أرش قطّ ،وإنما كان مملّكًا على خوزستان وما يتصل بها من أرض بابل من قِبَل كيقاوس،ومن قِبل كيخسرو بن سياوخش بن كيقاوس، ومن قِبَل لهراسف من بعده . وكان طويلَ العمُر ، عظيم الشأن ، ولما عُمر بيت المقدس ورجع إليه أهله من بنى إسرائيل كان فيهم عزَير — وقد وصفت ما كان من أمره وأمر بنى إسرائيل — وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس؛ إمّا رجل منهم وإما رجل من بنى إسرائيل، إلى أن صار الملك بناحيتهم لليونانية والروم بسبب غلَبة الإسكندر على تلك الناحية حين قتَل دارا بن دارا . وكانت جملة مدة ذلك — فيما قيل — ثمانياً وثمانين سنة . ١/٦٩٢

* * *

ونذكر الآن :

---

(١) ح : « ثم إن خمانى ملكت » .

خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر ابن دارا الأكبر وكيف كان هلاكه مع خبر ذى القرنين

وملك دارا بن بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، وكان ينبه بجهرازاد – يعنى به كريم الطبع – فذكروا أنه نزل بابل ، وكان ضابطاً لملكه ، قاهراً لمن حوله من الملوك ، يؤدون إليه الخراج ، وأنه ابتنى بفارس مدينة سماها دارا بجرد ، وحذف[1] دوابّ البُرُد ورتبها ، وكان معجباً بابنه دارا ، وأنه من حبه إياه سماه باسم نفسه ، وصيّر له الملك من بعده ، وأنه كان له وزير يسمى رستين[2] محموداً فى عقله ، وأنه شجر بينه وبين غلام تربّى مع دارا الأصغر ، يقال له برى[3] شرّ وعداوة ، فسعى رستين عليه عند الملك ، فقيل : إن الملك سقى برى شربة مات منها ، واضطغن دارا على رستين الوزير وجماعة من القوّاد ، كانوا عاونوه على برى ما كان منهم ، وكان مُلْك دارا اثنتى عشرة سنة . ١/٦٩٣

ثم ملك من بعده ابنه دارا بن دارا بن بهمن ؛ وكانت أمه ماهيا هند بنت هزارمرد بن بهرادمه ، فلما عقد التاج على رأسه قال : لن ندفع أحداً فى مَهْوى الهلكة ، ومن تردّى فيها لم نكففه عنها . وقيل إنه بَنَى بأرض الجزيرة مدينة دارا ، واستكتب أخا برى واستوزره لأنسه[4] كان به وبأخيه ، فأفسد قلبه على أصحابه ، وحمله على قتل بعضهم ، فاستوحشت لذلك منه الخاصة والعامة ، ونفروا عنه ، وكان شاباً غرّاً حمياً حقوداً جبّاراً .

وحُدّثت عن هشام بن محمد قال : ملك من بعد دارا بن أردشير دارا ابن دارا أربع عشرة سنة ، فأساء السيرةَ فى رعيته ، وقتل رؤساءهم ، وغزاه الإسكندر على تَفِئَّة[5] ذلك ، وقد ملّه أهل مملكته وسئموه ، وأحبّوا الراحة منه ، فلحق كثير من وجوههم وأعلامهم بالإسكندر ، فأطلعوه على عورة دارا ، وقوّوه عليه ، ١/٦٩٤

(١) الحذف هنا : قطع ذنب الدابة . (٢) كذا فى ن .
(٣) كذا فى ن (٤) ح ، ن : « لأنسة كانت به » .
(٥) على تئفة ذلك ، أى على حين ذلك .

فالتقيا ببلاد الجزيرة ، فاقتتلا سنة . ثم إن رجالا من أصحاب دارا وثبُوا به فقتلوه ، وتقرّبوا برأسه إلى الإسكندر ، فأمرَ بقتلهم ، وقال : هذا جزاء من اجترأ على مَلِكه . وتزوّج ابنتَه روشنك بنت دارا ، وغزا الهند ومشارق الأرض ، ثم انصرف وهو يريد الإسكندرية ، فهلك بناحية السَّواد ، فحمِل إلى الإسكندرية فى تابوت من ذهب ، وكان ملكه أربع عشرة سنة ، واجتمع ملك الروم ، وكان قبل الإسكندر متفرقًا ، وتفرّق ملك فارس وكان قبل الإسكندر مجتمعًا .

قال : وذكر غير هشام أنّ دارا بن دارا لما مَلَك أمَر فبنيت له بأرض الجزيرة مدينة واسعة وسماها دارنوا ، وهى التى تسمّى اليوم دارا ، وأنه عمرها وشحنها من كلّ ما يحتاج إليه فيها ، وأن فيلفوس أبا الإسكندر اليونانىّ من أهل بلدة من بلاد اليونانيين تدعى مقدونيّة ، كان ملكًا عليها وعلى بلاد أخرى احتازها إليها ، كان صالحَ دارا على خراج يحمله إليه فى كلّ سنة ، وأن فيلفوس هلك ، فملك بعده ابنه الإسكندر ، فلم يحمل إلى دارا ما كان يحمله إليه أبوه من الخراج ، فأسخط ذلك عليه دارا ، وكتب إليه يؤنّبه بسوء[1] صنيعه فى تركه حَمْل ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج[2] وغيره ، وأنه إنما دعاه إلى حبس ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج الصِّبا والجهل ، وبعث إليه بصوْلجان وكرة وقَفيز من سمسم ، وأعلمه فيما كتب إليه أنه صبىّ ، وأنه إنما ينبغى[3] له أن يلعب بالصوْلجان والكرة اللذيْن بعث بهما إليه ، ولا يتقلّد الملك ، ولا يتلبَّس به ، وأنه إن لم يقتصر على ما أمره به من ذلك ، وتعاطى المُلْك واستعصى عليه ، بعث إليه مَنْ يأتيه به فى وَثاق ، وأن عدّة جنوده كعدة حَبّ السمسم الذى بعث به إليه .

١ / ٦٩٥

فكتب إليه الإسكندر فى جواب كتابه ذلك ، أن قد فهم[4] ما كتب ، وأن قد نظر إلى ما ذكر فى كتابه إليه من إرساله الصوْلجان والكرة ، وتيمّن به لإلقاء

---

(١) ن ، س : « لسوء » .

(٢) ح : « وأن دارا كتب إليه يخوفه ويتوعده ويعرفه فى جملة ما كتب إليه أنه إنما دعاه إلى تأخير ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج الصبا . . . »

(٣) س : « وينبغى له أن . . . » . (٤) س : « فهمت ما كتبت » .

الملقِي الكرة إلى الصولجان ، واحترازه[١] إياها ؛ وشبّه الأرضَ بالكرة ، وأنه محتاز مُلْكَ دارا إلى ملكه ، وبلادَه إلى حيّزه من الأرض ، وأنّ نظرَه إلى السمسم الذى بعث به إليه كنظره إلى الصولْجان والكرة لدَسَمه وبعده من المرارة والحرافة . وبعث إلى دارا مع كتابه بِصُرّةٍ من خردل ، وأعلمه فى ذلك الجواب أنّ ما بعث به إليه قليل ؛ غير أنّ ذلك مثل الذى بعث به فى الحرافة والمرارة والقوة ، وأن جنودَه فى كلّ[٢] ما وصف به منه . ١/٦٩٦

فلما وصل إلى دارا جواب كتاب الإسكندر ، جمعَ إليه جنده ، وتأهّب لمحاربة الإسكندر ، وتأهّب الإسكندر وسار نحو بلاد دارا .

وبلغ ذلك دارا ، فزحف إليه فالتقى الفئتان ، واقتتلا أشدّ القتال ، وصارت الدّبْرة[٣] على جند دارا ، فلما رأى ذلك رجلان من حرس دارا ، يقال إنهما كانا من أهل هَمَذان ، طعنا دارا من خلْفه فأردياه من مركبه ، وأرادا بطعنهما إياه الحُظْوة عند الإسكندر ، والوسيلة إليه ، ونادى الإسكندر أن يُؤْسَر دارا أسراً ولا يقتل ، فأخبِر بشأن دارا ، فسار الإسكندر حتى وقف عنده ، فرآه يجود بنفسه ، فنزل الإسكندر عن دابّته حتى جلس عند رأسه ، وأخبره أنه لم يهمّ قطّ بقتله ، وأن الذى أصابه لم يكن عن رأيه ، وقال له : سَلْنى ما بدا لك فأسعفك فيه ، فقال له دارا : لى إليك حاجتان : إحداهما أن تنتقم لى من الرجلين اللذين فتَكا بى — وسماهما وبلادهما — والأخرى أن تتزوّج ابنتى روشنك . فأجابه إلى الحاجتين ، وأمر بصلْب الرجلين اللذَين انتهكا من دارا ما انتهكا ، وتزوّج روشنك وتوسّط بلاد دارا ، وكان ملكه له .

* * *

وزعم بعض أهل العلم بأخبار الأولين أنّ الإسكندر هذا الذى حارب دارا الأصغر ؛ هو أخو دارا الأصغر الذى حاربه ، وأن أباه دارا الأكبر كان تزوّج أمّ الإسكندر ، وأنها ابنة ملك الروم[٤] واسمها هلاى[٥] ، وأنها حُمِلت ١/٦٩٧

---

(١) ط : « واجتراره » وما أثبته من ن ، وابن الأثير . (٢) ن : « فيما » .
(٣) الدبرة : الهزيمة .
(٤) ت ، ح ، « الزنج » .
(٥) ح : « هلايا » .

إلى زوجها دارا الأكبر، فلما وَجَد نتن ريحها وعَرَقها وَسَهكها[١]، أمر أن يحتال لذلك منها ، فاجتمع رأىُ أهل المعرفة فى مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسية « سندر »، فطبخت لها فغسلت بها وبمائها ، فأذهب ذلك كثيراً من ذلك النتن ، ولم يُذهب كلّه ،وانتهت نفسه عنها لبقيّة ما بها، وعافها وردّها إلى أهلها ،وقد علِقت منه فولدت غلامًا فى أهلها ، فسمّته باسمها واسم الشجرة التى غُسلت بها، حتى أذهبت عنها نتنها : « هلاى سندروس»، فهذا أصل الإسكندروس .

* * *

قال : وهلك دارا الأكبر ، وصار الملك إلى ابنه دارا الأصغر ، وكانت ملوك الروم تؤدّى الخراجَ إلى دارا الأكبر فى كلّ سنة ، فهلك أبو هلاى ملك الروم جدّ الإسكندر لأمّه ، فلما صار المُلك لابن ابنته بعث دارا الأصغر إليه للعادة : إنّك أبطأت علينا بالخراج الذى كنت تؤدّيه ويؤدّيه مَن كان قبلَك، فابعث إلينا بخراج بلادك وإلا نابذناك المحاربة . فرجع إليه جوابُه: أنّى قد ذبحت الدجاجة ، وأكلت لحمَها ، ولم يبق لها بقيّة ، وقد بقيَت الأطراف ، فإن أحببت وادعناك ، وإن أحببت ناجزناك . فعند ذلك نافره دارا وناجزه القتال ، وجعل الإسكندر لحاجبىْ دارا حكمَها على الفتك به ، فاحتكما شيئًا ، ولم يشترطا أنفسهما ، فلما التقوْا للحرب ، طعن حاجبا دارا دارا فى الوقعة ، فلحقه الإسكندر صريعًا ، فنزل إليه وهو بآخِر رَمَق، فمسح التراب عن وجهه ووضع رأسه فى حِجْره، ثم قال له : إنما قتلك حاجباك ، ولقد كنتُ أرغب بك يا شريفَ الأشراف وحرّ[٢] الأحرار وملكَ الملوك ؛ عن هذا المصرع ؛ فأوصِنى بما أحببت . فأوصاه دارا أن يتزوّج ابنته روشنك، ويتّخذها لنفسه ويستبقىَ أحرارَ فارس ، ولا يولّىَ عليهم غَيرهم . فقبل وصيّته وعمل بأمره ، وجاء اللذان قتلا دارا إلى الإسكندر فدفع إليهما حكمهما ، ووفّى لهما ثم قال لهما : قد وَفّيت لكما كما اشترطتما ولم تكونا اشترطتما أنفسكما ، فأنا قاتلكما ، فإنه ليس ينبغى لقتلة الملوك أن يُستبقَوْا إلا بذمّة لا تخفَر. فقتلهما .

١/٦٩٨

(١) السهك : رائحة العرق .

(٢) ح : « ياحر » .

وذكر بعضهم أن ملكَ الروم فى أيام دارا الأكبر كان يؤدّى إلى دارا الإتاوة فهلك، وملك الروم الإسكندر، وكان رجلاً ذا حزم وقوّة ومكر ؛ فيقال إنه غزا بعضَ ملوك المغرب فظفر به ، وآنس لذلك من نفسه القوة[١] فنشز على دارا الأصغر ، وامتنع من حَمْل ما كان أبوه يحمله من الخراج ، فحمِىَ دارا لذلك ، وكتب إليه كُتُبًا عنيفة[٢] ، ففسد ما بينهما وسار كلٌّ واحد منهما إلى صاحبه وقد احتشدا والتقيا فى الحدّ . واختلفت بينهما الكتبُ والرسائل ، ووجِل الإسكندر من محاربة دارا ؛ ودعاه إلى الموادعة ، فاستشار دارا أصحابَه فى أمره ، فزيّنوا له الحرب لفساد قلوبهم عليه . وقد اختلفوا فى الحدّ وموضع التقائهما ؛ فذكر بعضُهم أن التقاءهما كان بناحية خُراسان مما يلى الخزَر ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى خلَص إليهما السلاح ، وكان تحت الإسكندر يومئذ فرسٌ له عجيب يقال له بوكفراسب[٣] ، ويقال إن رجلاً من أهل فارس حمل ذلك اليوم حتى تخرّق الصفوف ، وضرب الإسكندر ضربة بالسيف خيف عليه منها ، وإنه تعجّب من فعله وقال: هذا من فرسان فارس الذين كانت تُوصف شدّتهم ، وتحركت على دارا ضغائن أصحابه ، وكان فى حرسه رجلان من أهل همَذان، فراسلا الإسكندر والتمسا الحيلة لدارا حتى طعناه ، فكانت منيّته من طعْنهما[٤] إياه ، ثم هربا .

١/٦٩٩

فقيل إنه لما وقعت الصيحة، وانتهى الخبر إلى الإسكندر ركب فى أصحابه، فلما انتهى إلى دارا وجَده يجود بنفسه ، فكلّمه ووضع رأسه فى حجره ، وبكى عليه ، وقال له : أتيت من مأمنك، وغدَرباك ثقاتُك ، وصرت بين أعدائك وحيداً ، فسلْنى حوائجَك فإنى على المحافظة على القرابة بيننا — يعنى القرابة بين سلم وهيرج ابنى أفريذون — فيما زعم هذا القائل — وأظهر الجزع لما أصابه ، وحمد ربه حين لم يبتله بأمره ، فسأله دارا أن يتزوّج ابنته روشنك ، ويرعَى لها حقّها ، ويعظّم قدرَها ، وأن يطلب بثأره ، فأجابه الإسكندر إلى ذلك .

---

(١) ح : « بالقوة » . (٢) ح : « كتابا عنيفاً » .
(٣) س : « أبو كفراس » .
(٤) ح : « طعنتيهما » .

ثم أتاه الرجلان اللذان وثبا على دارا يطلبان الجزاء، فأمر بضرب رقابهما وصلبهما ، وأن ينادَى عليهما : هذا جزاءُ من اجترأ علىَ مَلِكه، وغشّ أهل بلده . ١/٧٠٠

ويقال : إن الإسكندر حمل كتبًا وعلومًا كانت لأهل فارس من علوم ونجوم وحِكْمة، بعد أن نقل ذلك إلى السريانية ثم إلى الروميّة .

وزعم بعضُهم أن دارا قُتِل وله من الولد الذكور : أشك بن دارا وبنو دارا[١] وأردشير . وله من البنات روشنك ، وكان مُلْك دارا أربع عشرة سنة .

وذكر بعضُهم أن الإتاوة التى كان أبو الإسكندر يؤدّيها إلى ملوك الفرس كانت بَيْضًا من ذهب ، فلما ملك الإسكندر بعث إليه دارا يطلب ذلك الخراج ، فبعث إليه : إنّى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض ذلك البيض ، وأكلتُ لحمها فَأذَنْ بالحرب . ثم ملك الإسكندر بعد دارا بن دارا . وقد ذكرت قول من يقول : هو أخو دارا بن دارا من أبيه دارا الأكبر .

* * *

وأما الروم وكثير من أهل الأنساب فإنهم يقولون : هو الإسكندر بن فيلفوس، وبعضهم يقول : هو ابن بيلبوس بن مطريوس ، ويقال : ابن مصريم ابن هرمس بن هردس بن ميطون[٢] بن رومى بن ليطى[٢] بن يونان بن يافث بن ثوبة بن سرحون بن رومية بن زنط[٣] بن توفيل[٣] بن رومى[٣] بن الأصفر بن اليفز ابن العيص بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام . فجمع بعد مهلك دارا مُلْكَ دارا إلى ملكه ، فملكَ العراق والروم والشأم ومصر ، وعرض جندَه بعد هلاك دارا فوجدهم -فيما قيل- ألف ألف وأربعمائة رجل ؛ منهم من جنده ثمانمائة ألف ، ومن جند دارا ستمائة ألف . ١/٧٠١

وذُكر أنه قال يوم جلس على سريره : قد أدالنا الله من دارا ، ورزقَنا خلاف ما كان يتوعّدنا به ، وأنه هَدم ما كان فى بلاد الفرس من المدن والحصون وبيوت النيران ، وقتَل الهرابذة ، وأحرق كتبَهم ودواوين دارا ، واستعمل على مملكة دارا رجالا من أصحابه ، وسار قُدمًا إلى أرض الهند ، فقتل مِلكَها وفتح مدينتها ، ثم سار منها إلى الصين ، فصنع بها كصنيعه بأرض الهند ، ودانت

(١) كذا فى ج .
(٢) كذا فى ت وابن الأثير : ١ : ١٦٠ . (٣) كذا فى ابن الأثير .

له عامة الأرضين ، وملك التُّبَّت والصين ، ودخل الظلمات مما يلي القطب الشمالىّ والشمس جنوبيّة فى أربعمائة رجل يطلب عين الخُلْد ، فسار فيها ثمانية عشر يومًا ، ثم خرج ورجع إلى العراق ، وملك ملوك الطوائف ، ومات فى طريقه بشَهْرَزُور .

وكان عمره ستًّا وثلاثين سنة فى قول بعضهم ، وحُمِل إلى أمه بالإسكندرية .

* * *

١/٧٠٢ وأما الفرس فإنها تزعم أن مُلْك الإسكندر كان أربع عشرة سنة ، والنصارى تزعم أن ذلك كان ثلاث عشرة سنة وأشهراً ، ويزعمون أن قتْل دارا كان فى أول السنة الثالثة من مُلْكه .

وقيل إنه أمر ببناء مدن فبنيت اثنتا عشرة مدينة ، وسماها كلها إسكندرية ، منها مدينة بأصبهان يقال جىّ ، بنيت على مثال الحيَّة ، وثلاث مدائن بخراسان ، منهنّ مدينة هَرَاة ومدينة مَرْو ومدينة سمرْقَنْد ، وبأرض بابل مدينة اروشنك بنت دارا ، وبأرض اليونانية فى بلاد هيلاقوس مدينة للفرس ، ومدنًا أخَر غيرها .

* * *

ولما مات الإسكندر عرض الملك من بعده على ابنه الإسكندروس ، فأبى واختار النُّسْك والعبادة ، فملَّكت اليونانية عليهم — فيما قيل — بطلميوس بن لوغوس ، وكان ملكه ثمانيًا وثلاثين سنة ، فكانت المملكة أيام اليونانيّة بعد الإسكندر وحياةَ الإسكندر إلى أن تحوّل الملك إلى الروم المُصَاص لليونانية ، ولبنى إسرائيل ببيت المقدس ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك إلى أن خرَّبت بلادَهم الفرس والروم ، وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكرياء عليه السلام .

١/٧٠٣ ثم كان الملك ببلاد الشأم ومصر ونواحى المغرب بعد بطلميوس بن لوغوس لبطلميوس دينايوس[1] أربعين سنة .

ثم من بعده لبطليموس أورغاطس أربعا وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس فيلافطر إحدى وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس أفيفانس اثنتين وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس أورغاطس تسعًا وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس ساطر[2] سبع عشرة سنة .

---

(١) كذا فى ح ، وفى ت : « ميانوس » . (٢) ت « بباطر » .

ثم من بعده لبطلميوس الأحسندر[١] إحدى عشرة سنة .

ثم من بعده لبطلميوس الذى اختفى عن ملكه ثمانى سنين .

ثم من بعده لبطلميوس دونسيوس ست عشرة سنة .

ثم من بعده لبطلميوس قالوبطرى[٢] سبع عشرة سنة .

فكلّ هؤلاء كانوا يونانيين ؛ فكلّ ملك منهم بعد الإسكندر كان يدعى بطلميوس ، كما كانت ملوك الفرس يدعون أكاسرة ، وهم الذين يقال لهم المفقانيون[٣] .

ثم ملك الشأم بعد قالوبطرى — فيما ذكر الروم — المُصاص ، فكان أول من ملك منهم جايوس يوليوس خمس سنين

ثم ملك الشام بعده أغوسطوس ستًّا وخمسين سنة . فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وبين مولده وقيام الإسكندر ثلثمائة سنة وثلاث سنين . ١/٧٠٤

---

(١) ح : « الأحسدر » ، س : « الأحنشدر » ، ابن الأثير : « الأخشدر » .

(٢) ابن الأثير : « كيلوبطره » .

(٣) كذا فى ت ، س ، وفى ن : « القفانيون » .

ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الإسكندر
وهم ملوك الطوائف

ونرجع الآن إلى ذكر خبر الفرس بعد مهلك الإسكندر لسياق التأريخ على ملكهم .

فاختلف أهلُ العلم بأخبار الماضين فى الملك الذى كان بسواد العراق بعد الإسكندر ، وفى عدد ملوك الطوائف الذين كانوا ملكوا إقليم بابل بعده إلى أن قام بالملك أردشير بابكان .

فأما هشام بن محمد فإنه قال – فيما حُدِّثت عنه : ملك بعد الإسكندر بلاقس[1] سلقيس ، ثم أنطيحس . قال : وهو الذى بنى مدينة أنطاكيّة . قال : وكان فى أيدى هؤلاء الملوك سواد الكوفة ، قال : وكانوا يتطرّقون الجبال وناحية الأهواز وفارس ؛ حتّى خرج رجل يقال له أشك ، وهو ابن دارا الأكبر ، وكان مولده ومنشؤه بالرّى ، فجمع جمعًا كثيراً وسار يريد أنطيحس ، فزحف إليه أنطيحس ، فالتقيا ببلاد الموصل فقتل أنطيحس ، وغلَب أشك على السواد ، فصار فى يده من الموصل إلى الرّىّ وأصبهان ، وعظّمه سائرُ ملوك الطوائف لنسبه ، وشرّفه فيهم ما كان من فعله ، وعرفوا له فضله ، وبدءوا به فى كتبهم ، وكتب إليهم فبدأ بنفسه ، وسمّوه ملكا ، وأهدوا إليه من غير أن يعزل أحداً منهم أو يستعمله . ١/٧٠٥

ثم ملك بعده جوذرز بن أشكان . قال : وهو الذى غزا بنى إسرائيل المرّة الثانية ، وكان سبب تسليط الله إياه عليهم – فيما ذكر أهل العلم – قتلُهم يحيى بن زكرياء ، فأكثر القتل فيهم ، فلم تعدْ لهم جماعة كجماعتهم الأولى ، ورَفع الله عنهم النبوّة وأنزل بهم الذلّ . قال : وقد كانت الروم غَزَت بلاد فارس ، يقودها ملكُها الأعظم يلتمس أنِ يُدرك بثأرها فى فارس لقتل أشك ملك بابل أنطيحسَ ، وملك بابل يومئذ بلاش أبو[2] أردوان ، الذى قتله أردشير

(١) كذا فى س ، وفى ت وابن الأثير : «بلاقس» . (٢) ح ، ن : «ابن» .

ابن بابك ، فكتب بلاش إلى ملوك الطوائف يُعلِمهم ما اجتمعت عليه الروم من غَزْو بلادهم ، وأنه قد بلغه من حشدهم وجمعهم ما لا كفاء له عنده ، وأنه إن ضعف عنهم ظفروا بهم جميعًا . فوجّه كلُّ ملك من ملوك الطوائف إلى بلاش من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته ، حتّى اجتمع عنده أربعمائة ألف رجل ، فولّى عليهم صاحب الحضْر — وكان ملكًا من ملوك الطوائف يلى ما بين انقطاع السواد إلى الجزيرة — فسار بهم حتّى لَقِى ملكَ الروم فقتله واستباح عسكره ، وذلك هيّج الروم على بناء القسطنطينية ونقل الملك من روميّة إليها . فكان الذى ولى إنشاءها الملكُ قسطنطين ، وهو أول ملوك الروم تنصّر ، وهو أجْلى مَن بقى من بنى إسرائيل عن فلسطين والأردن لقتلهم — بزعمه — عيسى بن مريم ، فأخذ الخشبة التى وجدهم يزعمون أنهم صلبوا المسيح عليها ، فعظّمها الروم ، فأدخلوها خزائنهم ، فهى عندهم إلى اليوم . ١/٧٠٦

قال : ولم يزل ملك فارس متفرّقًا حتى ملك أردشير . فذكر هشام ما ذكرت عنه ، ولم يبيّن مدة ملك القوم .

* * *

وقال غيره من أهل العلم بأخبار فارس : ملَك بعد الإسكندر مُلْك دارا أناس من غير ملوك الفرس ، غير أنهم كانوا يخضعون[١] لكلّ من يملك بلاد الجبل وينحونه الطاعة .

قال : وهم الملوك الأشغانون[٢] الذين يُدعَون ملوك الطوائف . قال : فكان ملكهم مائتى سنة وستًّا وستين سنة .

فملك من هذه السنين أشك بن أشجان عشر سنين .

ثم ملك بعده سابور بن أشغان ستين سنة ؛ وفى سنة إحدى وأربعين من ملكه ظهر عيسى بن مريم بأرض فلسطين . وإن ططوس بن أسفسيانوس ملك روميّة غزا بيتَ المقدس بعد ارتفاع عيسى بن مريم بنحو من أربعين سنة ، فقتل مَنْ فى مدينة بيت المقدس ، وسبى ذراريّهم ، وأمرهم فنُسفت مدينة بيت المقدس ، حتى لم يترك بها حجراً على حجر . ١/٧٠٧

(١) ح : « يجتمعون » . (٢) ن : « الأشماذون » ، ت : « الأسعانون » .

ثم ملك جوذرز بن أشغانان الأكبر ، عشر سنين .
ثم ملك بيزن الأشغانىّ ، إحدى وعشرين سنة .
ثم ملك جوذرز الأشغانىّ ، تسع عشرة سنة .
ثم ملك نرسى الأشغانىّ ، أربعين سنة .
ثم ملك هرمز الأشغانىّ، سبع عشرة سنة .
ثم ملك أردوان الأشغانىّ ، اثنتى عشرة سنة .
ثم ملك كسرى الأشغانىّ ، أربعين سنة .
ثم ملك بلاش الأشغانىّ، أربعًا وعشرين سنة .
ثم ملك أردوان الأصغر الأشغانىّ، ثلاث عشرة سنة .
ثم ملك أردشير بن بابك .

* * *

وقال بعضهم : ملَك بلاد الفرس بعد الإسكندر ملوك الطوائف الذين فرّق الإسكندر المملكة بينهم، وتفرّد بكلّ ناحية مَنْ ملَك عليها من حين ملّكه ، ما خلا السواد ، فإنها كانت أربعًا وخمسين سنة بعد هلاك الإسكندر فى يد الروم. وكان فى ملوك الطوائف رجلٌ من نسل الملوك مملّكا على الجبال وأصبهان، ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد، فكانوا ملوكًا عليها وعلى الماهات[1] والجبال وأصبهان ، كالرئيس على سائر ملوك الطوائف ، لأن السنة جرت بتقديمه وتقديم ولده ؛ ولذلك قُصِد لذكرهم فى كتب سيَر الملوك ، فاقتُصر على تسميتهم دون غيرهم . ١/٧٠٨

قال : ويقال إن عيسى بن مريم عليه السلام وُلد بأوريشَلِم بعد إحدى وخمسين سنة من ملوك الطوائف ؛ فكانت سنُو ملكهم من لدن الإسكندر إلى وثوب أردشير بن بابك وقتْله أردوان واستواء الأمر له ، مائتين وستًّا وستين سنة .

* * *

قال : فمن الملوك الذين ملكوا الجبال ثم تهيّأت لأولادهم بعد ذلك الغَلَبة

(١) ت : « المهات » . س « المهان » .

على السواد أشك بن حره بن رسبيان(١) بن أرتشاخ بن هرمز بن ساهم بن رزان(٢) بن إسفنديار بن بشتاسب . قال : والفرس تزعم أنه أشك بن دارا . وقال بعضهم : أشك بن أشكان الكبير ، وكان من ولد كيبيه بن كيقباذ ، وكان ملكه عشر سنين . ١/٧٠٩

ثم ملك من بعده أشك بن أشك بن أشكان ، إحدى وعشرين سنة .

ثم ملك سابور بن أشك بن أشكان ، إحدى وعشرين سنة .

ثم ملك سابور بن أشك بن أشكان ، ثلاثين سنة .

ثم ملك جوذرز الأكبر بن سابور بن أشكان ، عشر سنين .

ثم ملك بيزن بن جوذرز ، إحدى وعشرين سنة .

ثم جوذرز الأصغر بن بيزن ، تسع عشرة سنة .

ثم نرسه بن جوذرز الأصغر ، أربعين سنة .

ثم هرمز بن بلاش بن أشكان ، سبع عشرة سنة .

ثم أردوان الأكبر وهو أردوان بن أشكان ، اثنتي عشرة سنة .

ثم كسرى بن أشكان ، أربعين سنة .

ثم بهافريد الأشكانيّ ، تسع سنين .

ثم بلاش الأشكانيّ ، أربعًا وعشرين سنة .

ثم أردوان الأصغر وهو أردوان بن بلاش بن فيروز بن هرمز بن بلاش بن سابور بن أشك بن أشكان الأكبر ، وكان جدّه كيبيه بن كيقباذ . ويقال : إنه كان أعظم الأشكانية مُلْكًا ، وأظهرهم عزًّا ، وأسناهم ذكراً ، وأشدّهم قهراً لملوك الطوائف ، وأنه كان قد غلّب على كورة إصطخر لاتّصالها بأصبهان ، ثم تخطّى إلى جُور وغيرها من فارس ، حتّى غلب عليها ، ودانت له ملوكها لهيبة ملوك الطوائف كانت له ، وكان ملكه ثلاث عشرة سنة . ١/٧١٠

ثم ملك أردشير .

* * *

وقال بعضهم : ملك العراق وما بين الشأم ومصر بعد الإسكندر تسعون ملكًا على تسعين طائفة كلّهم يعظّم مَنْ يملك المدائن ، وهم الأشكانيون . قال :

---

(١) كذا في س . (٢) كذا في ن ، وفي ت : « زران » وفي س : « زرام » .

فملك من الأشكانيين أفقور شاه بن بلاش بن سابور بن أشكان بن أرش الجبار بن سياوش بن كيقاوس الملك ، اثنتين وستين سنة .

ثم سابور بن أفقور — وعلى عهده كان المسيح ويحيي عليهما السلام — ثلاثا وخمسين سنة .

ثم جوذرز بن سابور بن أفقور الذى غزا بنى إسرائيل طالبًا بثأر يحيي ابن زكرياء، ملك تسعًا وخمسين سنة .

ثم ابن أخيه أبزان بن بلاش بن سابور ، سبعًا وأربعين سنة .

ثم جوذرز بن أبزان بن بلاش، إحدى وثلاثين سنة .

ثم أخوه نرسى بن أبزان : أربعًا وثلاثين سنة .

ثم عمّه الهرمزان بن بلاش ، ثمانياً وأربعين سنة .

ثم ابنه الفيروزان بن الهرمزان بن بلاش ، تسعًا وثلاثين سنة .

ثم ابنه كسرى بن الفيروزان ، سبعًا وأربعين سنة .

١/٥٨٤ ثم ابنه أردوان بن بلاش، وهو آخرهم ، قتله أردشير بن بابك، خمسًا وخمسين سنة .

قال : وكان ملك الإسكندر وملك سائر ملوك الطوائف فى النواحى خمسمائة وثلاثًا وعشرين سنة .

فكان من[1] ذلك – فيما زعمته الفرس – لمضىّ خمس وستين سنة من غلَبة الإسكندر على أرض بابل ، ولإحدى وخمسين سنة من ملك الأشكانيّين – ولادةُ مريم بنت عمران عيسى بن مريم عليه السلام .

فأما النصارى فإنها تزعم أنّ ولادتها إياه كانت لمضىّ ثلثمائة سنة وثلاث سنين من وقت غَلَبة الإسكندر على أرض بابل . وزعموا أن مولد يحيى بن زكرياء كان قبل مولد عيسى عليه السلام بستة أشهر . وذكروا أن مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة ، وأن عيسى عاش إلى أن رُفع اثنتين وثلاثين سنة وأياما ، وأنّ مريم بقيت بعد رفعه ست سنين ، وكان جميع عمرها نيّفًا وخمسين سنة .

قال : وزعموا أن يحيى اجتمع[2] هو وعيسى بنهر الأردنّ وله ثلاثون سنة ، وأن يحيى قتِل قبل أن يرفع عيسى . وكان زكرياء بن برخيا[3] أبو يحيى بن زكرياء وعمران بن ماثان أبو مريم متزوّجيْن بأختين ؛ إحداهما عند زكرياء وهى أمّ يحيى ، والأخرى منهما عند عمران بن ماثان ، وهى أمّ مريم ، فمات عمران بن ماثان وأمّ مريم حامل بمريم ، فلما ولدت مريم كَفَلَها زكرياء بعد موت أمّها ، لأنّ خالتها أخت أمّها كانت عنده . واسم أمّ مريم حنة بنت فاقود ابن قبيل ، واسم أختها أم يحيى الأشباع[4] ابنة فاقود . وكفلها زكرياء ، وكانت مسمّاة بيوسف بن يعقوب بن ماثان بن اليعازار بن اليوذ بن أحين بن صادوق بن عازور بن الياقيم بن أبيوذ بن زربابل بن شلتيل بن يوحنيا بن يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن يهوشافاظ بن أسا بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود ، ابن عمّ مريم .

وأما ابن حميد ، فإنه حدثنا عن سلَمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال :

٧١٢/١

(١) ح : « ف » . (٢) ن : « صبغ » .
(٣) ن : « برخنا » . (٤) ن : « الأشياع » .

مريم — فيما بلغني عن نسبها — ابنة عمران بن ياشهم بن أمون بن منشا بن حزقيا ابن أحزيق بن يوثام بن عزريا بن أمصيا بن ياوش بن أحزيهو بن يارم بن يهشافاط بن أسا بن أبيا بن رُحُبْعُم بن سليمان. فولِد لزكرياء يحيي ابن خالة عيسى بن مريم ، فنبّئ صغيراً ، فساح ، ثم دخل الشأم يدعو الناس ، ثم اجتمع يحيى وعيسى ، ثم افترقا بعد أن عمّد يحيى عيسى .

١/٧١٣

وقيل : إن عيسى بعث يحيى بن زكرياء فى اثنىْ عشر من الحواريين يعلّمون الناس : قال : وكان فيما نهوْهم عنه نكاحُ بنات الأخ ، فحدثنى أبو السائب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : بَعث عيسى بن مريم يحيى بن زكرياء ، فى اثنى عشر من الحواريين يعلّمون الناس ، قال : فكان فيما نهوْهم عنه نكاحُ ابنة الأخ . قال: وكان لملكهم ابنة أخٍ تُعجبه ، يريد أن يتزوّجها ، وكانت لها كلّ يوم حاجة يقضيها ، فلما بلغ ذلك أمّها قالت لها: إذا دخلتِ على الملك ، فسألك حاجتك فقولي: حاجتى أن تذبح لى يحيى بن زكرياء . فلما دخلت عليه سألها حاجتَها ، قالت : حاجتى أن تذبَح لى يحيى بن زكرياء ، فقال : سلِينى غير هذا ، قالت : ما أسألُك إلاّ هذا ، قال : فلما أبتْ عليه دعا يحيى ، ودعا بطست فذبحه ، فندَرت قطرة من دمه على الأرض ، فلم تزَلْ تغلِى حتى بعث الله بختنصّر عليهم ، فجاءته عجوز من بنى إسرائيل ، فدلّته على ذلك الدم ، قال : فألقى الله فى قلبه أن يقتُلَ على ذلك الدم منهم حتى يسكن ، فقتَل سبعين ألفًا منهم من سنّ واحدة ، فسكَن .

١/٧١٤

حدثنا موسى بن هارون الهمْدانىّ ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى خبرٍ ذكره عن أبى مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرّة الهمْدَانىّ ، عن ابن مسعود — وعن ناسٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أنّ رجلا من بنى إسرائيل ، رأى فى النوم أنّ خرابَ بيت المقدس وهلاكَ بنى إسرائيل على يدىْ غلام يتيم ، ابن أرملة من أهل بابل ، يُدْعَى بختنصّر ، وكانوا يصدّقون فتصدّق رؤياهم ، فأقبل يسأل عنه ، حتى نزل على أمّه وهو يحتطب ، فلما جاء وعلى رأسه حزْمة

حطب ألقاها ، ثم قعد فى جانب البيت ، فكلمه ، ثم أعطاه ثلاثة دراهم ، فقال : اشترِ بهذه طعامًا وشرابًا ، فاشترى بدرهم لحمًا ، وبدرهم خبزاً ، وبدرهم خمراً ، فأكلوا وشربوا ؛ حتى إذا كان اليوم الثانى فعل به ذلك ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك ، ثم قال : إنى أحبّ أن تكتب لى أمانا إنْ أنتَ مُلِّكْتَ يومًا من الدهر ؛ قال : تسخر بى ! قال : إنى لا أسخرُ بك ؛ ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندى يداً ! فكلّمتْه أمه ، فقالت : وما عليك إن كان ، وإلا لم ينقصْك شيئًا ! فكتب له أمانًا ، فقال : أرأيتَ إن جئت والناسُ حولك ، قد حالوا بينى وبينك ! فاجعل لى آيةً تعرفنى بها ، قال : ترفع صحيفتَك على قَصَبة فأعرِفُك بها . فكساه وأعطاه .

ثم إن ملِك بنى إسرائيل كان يكرِم يحيى بن زكرياء ، ويُدنِيه مجلسه ، ويستشيره فى أمره ، ولا يقطع أمراً دونه ، وإنه هوِىَ أن يتزوّج ابنةَ امرأة له ، فسأل يحيى عن ذلك ، فنهاه عن نكاحها ، وقال : لست أرضاها لك ، فبلغ ذلك أمَّها فحقدتْ على يحيى حين نهاه أن يتزوّج ابنتها ، فعمِدت إلى الجارية حين جلس الملك على شرابه ، فألبستْها ثيابًا رِقاقًا حمراً ، وطيّبتْها ، وألبستها من الحُلِىّ ، وألبستها فوق ذلك كساء أسود ، فأرسلتْها إلى الملك ، وأمرتْها أن تسقيَه ، وأن تعرض له ، فإن أرادها على نفسها أبتْ عليه ، حتى يعطيَها ما سألته ، فإذا أعطاها ذلك سألتْه أن تؤتى برأس يحيى بن زكرياء فى طَسْت ، ففعلت فجعلت تَسقيه وتعرض له ، فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها ، فقالت : لا أفعل حتى تعطيَنى ما أسألك ، قال : ما تسألينى ؟ قالت : أسألك أن تبعثَ إلى يحيى بن زكرياء ، فأوتَى برأسه فى هذا الطَّسْت ، فقال : ويحك ! سلِينى غيرَ هذا ! قالت : ما أريد أن أسألك إلا هذا . قال : فلما أبتْ عليه ، بعث إليه فأُتِىَ برأسه ، والرأسُ يتكلّم ، حتى وضع بين يديه ، وهو يقول : لا تحِلُّ لك ، فلما أصبحَ إذا دمُه يغلى ، فأمر بتراب فأُلقِىَ عليه ، فرقِىَ الدمُ فوق التراب يغلى ، فأُلقِىَ عليه التراب أيضًا ، فارتفع الدمُ فوقه ، فلم يزلْ يُلْقَى عليه الترابَ حتى بلغ سورَ المدينة ،

١/٧١٥

١/٧١٦ وهو فى ذلك يغلِي ، وبلغ صيحائين[١] فنادى فى الناس ، وأراد أن يبعث إليهم جيشًا ، ويؤمِّر عليهم رجلا ، فأتاه بختنصَّر ، فكلَّمه ، وقال : إنَّ الذى كنتَ أرسلتَ تلك المرّة ضعيف ، فإنى قد دخلتُ المدينة ، وسمعت كلامَ أهلِها ، فابعثنى ، فبعثه فسار بختنصَّر ؛ حتى إذا بلغوا ذلك المكانَ تحصّنوا منه فى مدائنهم ، فلم يُطِقْهم ، فلما اشتدّ عليه المقام ، وجاع أصحابُه أراد الرجوعَ ، فخرجت إليه[٢] عجوز من عجائز بنى إسرائيل ، فقالت : أين أمير الجند ؟ فأُتى به إليها ، فقالت : إنه بلغنى أنك تريد أن ترجعَ بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة . قال : نعم ، قد طال مقامى ، وجاع أصحابى ، فلستُ أستطيع المقام فوق الذى كان منّى ، فقالت : أرأيتَك إن فتحتُ لك المدينة ، أتعطِينى ما أسألك ؛ فتقتل مَنْ أمرتك بقتله ، وتكفّ إذا أمرتُك أن تكفّ ؟ قال لها : نعم ، قالت : إذا أصبحتَ فاقسم جندك أربعة أرباع ، ثم أقِمْ علَى كلّ زاوية ربعًا ، ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء ، فنادوا : إنّا نستفتحك يا ألله بدم يحيى بن زكرياء ؛ فإنها سوف تتساقط . ففعلوا ، فتساقطت المدينة ، ودخلُوا من جوانبها ، فقالت له : كفّ يدك ، اقتل على هذا الدم حتى يسكن ، فانطلقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير ، فقتل عليه حتى سكن ، فقتل سبعين ألف رجل وامرأة ، فلما سكن الدم ، قالت له : كفّ يدك ، فإنّ الله عزّ وجلّ إذا قُتِلَ نبىّ لم يرضَ حتى يقتل من قتله ومَنْ

١/٧١٧ رضىَ قتلَه . فأتاه صاحبُ الصحيفة بصحيفته ، فكفّ عنه وعن أهل بيته ، وخرّب بيت المقدس ، وأمر به أن تطرح فيه الجيف ، وقال : مَنْ طرح فيه جيفة فله جزْيتُه تلك السنة ، وأعانه على[٣] خرابه الروم من أجل أنّ بنى إسرائيل قتلوا يحيى بن زكرياء ، فلما خرّبه بختنصّر ذهب معه بوجوه بنى إسرائيل وسَرَاتهم ، وذهب بدانيال وعليا وعزريا[٤] وميشائيل ؛ هؤلاء كلُّهم من أولاد الأنبياء ، وذهب معه برأس الجالوت ، فلما قدِم أرضَ بابل

---

(١) ت : « صنحابين » ، ن : « صنحابى » .

(٢) ح : « إليهم » .

(٣) ح : « عليه » .

(٤) ت : « وعزوبا » ، ن : « وعزوزيا » .

وجد صيحائين قد مات ، فملَك مكانه ، وكان أكرَم الناس عليه دانيال وأصحابه ، فحسدهم المجوس ، فوشَوا بهم إليه ، فقالوا : إنّ دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ، ولا يأكلون من ذبيحتك ، فدعاهم فسألهم فقالوا : أجلْ إنّ لنا ربًّا نعبده ، ولسنا نأكل من ذبيحتكم ، وأمر بخَدّ فخُدّ ، فألقُوا فيه وهم ستة ، وألقِيَ معهم سَبُعٌ ضارٍ ليأكلهم ، فقالوا : انطلقوا فلْنأكل ولنشرب ، فذهبوا ، فأكلوا وشربوا ، ثم راحوا فوجدوهم جلوسًا ، والسبُع مفترش ذراعَيْه بينهم لم يخدِش منهم أحداً، ولم ينكأه شيئًا ، فوجَدوا معهم رجلاً ، فعدّوهم فوجدوهم سبعة، فقال : ما بال هذا السابع؟ إنما كانوا ستة ! فخرج إليه السابع — وكان ملَكًا من الملائكة — فلَطمه لطمة فصار فى الوحش ، فكان فيهم سبع سنين[1] .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول—الذى رُوِىَ عمن ذكرت فى هذه الأخبار التى رويت وعمّن لم يذكر فى هذا الكتاب ، من أنّ بختنصّر ، هو الذى غزا بنى إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكرياء — عند أهل السير والأخبار والعلم بأمور الماضين فى الجاهلية ، وعند غيرهم من أهل الملل غلَط ؛ وذلك أنهم بأجمعهم مجمعون عَلى أن بختنصّر إنما غزا بنى إسرائيل عند قتلهم نبيَّهم شعيا فى عهد إرميا بن حلقيا ، وبين عهد إرميا وتخريب بختنصّر بيتَ المقدس إلى مولد يحيى بن زكرياء أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة فى قول اليهود والنصارى . ويذكرون أن ذلك عندهم فى كتبهم وأسفارهم مُبَيَّن ، وذلك أنهم يَعُدّون من لدن تخريب بختنصّر بيت المقدس إلى حين عمرانها فى عهد كيرش بن أخشويرش أصبهبذ بابل من قِبَل أردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، ثم من قِبَل ابنته خمانى سبعين سنة ، ثم من بعد عمرانها إلى ظهور الإسكندر عليها وحيازَة مملكتها إلى مملكته ثمانيا وثمانين سنة ، ثم من بعد مملكة الإسكندر لها إلى مولد يحيى بن زكرياء ثلثمائة سنة وثلاث سنين ، فذلك على قولهم أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة .

٧١٨/١

---

(١) الخبر إلى هنا فى التفسير ١٥ : ٢٥ ، ٢٦ (بولاق) .

وأما المجوس فإنها توافق النصارى واليهود فى مدّة خراب بيت المقدس ، وأمر بختنصّر ، وما كان من أمره وأمر بنى إسرائيل إلى غَلَبة الإسكندر على بيت المقدس والشام وهلاك[1] دارا ، وتخالفهم فى مدة ما بين ملك الإسكندر ومولد يحيى ، فتزعُم أنّ مدة ذلك إحدى وخمسون سنة . فبين المجوس والنصارى من الاختلاف فى مدّة ما بين ملك الإسكندر ومولد يحيى وعيسى ما ذكرت .

١/٧١٩

والنصارى تزعم أنّ يحيى ولد قبل عيسى بستة أشهر ، وأنّ الذى قتله ملك لبنى إسرائيل يقال له هيردوس ، بسبب امرأة يقال لها هيروذيا ، كانت امرأةَ أخ له ، يقال له فيلفوس ، عَشِقَها فوافقته[2] على الفُجور ، وكان لها ابنة يقال لها دمَى[3] فأراد هيردوس أن يطأ امرأة أخيه المسماة هيروذيا ، فنهاه يحيى وأعلمه أنه لا تحلّ له ، فكان هيردوس معجبًا بالابنة ، فألهتْه يومًا ، ثم سألته حاجة فأجابها إليها ، وأمر صاحبًا له بالنفوذ لما تأمره به ، فأمرتْه أن يأتِيَها برأس يحيى ، ففعل ، فلما عرف هيردوس الخبر أُسْقِط فى يده ، وجزع جزعًا شديداً .

* * *

وأما ما قال فى ذلك أهلُ العلم بالأخبار وأمور أهل الجاهلية فقد حكيتُ منه ما قاله هشام بن محمد الكلبىّ .

وأما ما قال ابن إسحاق فيه ، فهو ما حدثنا به ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : عمرت بنو إسرائيل بعد ذلك — يعنى بعد مرجعهم من أرض بابل إلى بيت المقدس — يُحدِثون الأحداثَ ، ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ، ففريقًا يكذّبون وفريقًا يقتلون ؛ حتى كان آخر مَنْ بعث فيهم من أنبيائهم زكرياء ويحيى بن زكرياء وعيسى بن مريم ، وكانوا من بيت آل داود عليه السلام . وهو يحيى بن زكرياء بن أدى ابن مسلم بن صدوق بن نحشان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخية بن شفاطية بن فاحور بن شلوم بن يهفاشاط بن أسا بن أبيا بن رُحُبْعُم

١/٧٢٠

(١) ح : « وإهلاك » . (٢) ح : « فرافقته » .
(٣) ت : « رمَى » ، س : « دمنه » ، ن : « دمَى » .

ابن سليمان بن داود .

قال : فلما رفع الله عيسى عليه السلام من بين أظهرهم ، وقتلوا يحيى بن زكرياء عليه السلام — وبعض الناس يقول : وقتلوا زكرياء — ابتعث الله عليهم ملكًا من ملوك بابل يقال له خردوس ، فسار إليهم بأهل بابل ؛ حتى دخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رءوس جنوده يدعى نبوزراذان ، صاحب القتل ، فقال له : إنى كنت حلفت بإلهى : لئن أنا ظهرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى ؛ إلى ألا أجد أحداً أقتله ، فأمره أن يقتلهم ، حتى يبلغ ذلك منهم . وإن نبوزراذان دخل بيت المقدس ، فقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم ، فوجد فيها دمًا يغلى ، وسألهم ، فقال : يا بنى إسرائيل ؛ ما شأن هذا الدم يغلى ؟ أخبرونى خبره ولا تكتمونى شيئًا من أمره ، فقالوا : هذا دم قربان كان لنا كنا قربناه فلم يقبل منا ، فلذلك هو يغلى كما تراه ، ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان ، فيقبل منا إلا هذا القربان . قال : ما صدقتمونى الخبر ، قالوا له : لو كان كأول زماننا لقبل منا ؛ ولكنه قد انقطع منا الملك والنبوة والوحى ؛ فلذلك لم يقبل منا . فذبح منهم نبوزراذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحًا من رءوسهم فلم يهدأ ، فأمر فأتى بسبعمائة غلام من غلمانهم ، فذبحوا على الدم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من بنيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد ، فلما رأى نبوزراذان الدم لا يهدأ قال لهم : يا بنى إسرائيل ، ويلكم ! أصدقونى واصبروا على أمر ربكم ؛ فقد طالما ملكتم فى الأرض تفعلون فيها ما شئتم ، قبل ألا أترك منكم نافخ نار ؛ أنثى ولا ذكراً إلا قتلته ! فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا : إن هذا دم نبى منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله ، فلو أطعناه فيها لكان أرشد لنا ، وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه فقتلناه ، فهذا دمه . فقال لهم نبوزراذان : ما كان اسمه ؟ قالوا : يحيى بن زكرياء ، قال : الآن صدقتمونى ، لمثل هذا ينتقم ربكم منكم . فلما رأى نبوزراذان أنهم قد صدقوه خر ساجداً ، وقال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة ، وأخرجوا من كان ها هنا من جيش خردوس

٧٢١/١
٧٢٢/١

وخلا فى بنى إسرائيل . ثم قال : يا يحيي بن زكريَّاء ، قد علم ربّى وربّك ما قد أصاب قومَك من أجلك ، وما قتِل منهم من أجلك ، فاهدأ بإذن الله قبل ألاّ أبقىَ من قومك أحداً، فهدأ دم يحيي بإذن الله،ورفع نبوزراذان عنهم القتل ، وقال : آمنتُ بما آمنت به بنو إسرائيل ، وصدّقتُ به وأيقنتُ أنه لا ربّ غيره ، ولو كان معه آخر لم يصلح ، لو كان معه شريك لم تستمسك[1] السموات والأرض ، ولو كان له ولد لم يصلح ، فتباركَ وتقدَّس وتسبّحَ وتكبّر وتعظّم ! ملك الملوك الذى يملك السموات السبع بعلم وحُكْم[2] وجبروت وعزّة ، الذى بسط الأرض وألقَى فيها رواسىَ لا تزول ؛ فكذلك ينبغى لربّى أنْ يكون ويكون مُلْكه . فأوحى إلى رأسٍ من رءوس بقية الأنبياء أنّ نبوزراذان حبور صدوق — والحبور بالعبرانية حديث الإيمان — وأنّ نبوزراذان قال لبنى إسرائيل: إنّ عدو الله خردوس أمرَنى أن أقتلَ منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره . وإنى فاعل ، لستُ أستطيع أن أعصيَه . قالوا له : افعل ما أمِرت به ، فأمرهم فحفروا خندقاً ، وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل فذبحها ، حتى سال الدم فى العسكر ، وأمر بالقتلى الذين كانوا قُتِلوا قبل ذلك فطُرِحوا على ما قتل من مواشيهم ؛ حتى كانوا فوقهم ؛ فلم يظنّ خردوس إلا أنّ ما كان فى الخندق من بنى إسرائيل .

١/٧٢٣

فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى نبوزراذان : ارفعْ عنهم ، فقد بلغنى دماؤهم ، وقد انتقمت منهم بما فعلوا . ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل ، وقد أفنى بنى إسرائيل أو كاد ؛ وهى الوقعة الأخيرة التى أنزل الله ببنى إسرائيل ؛ يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾[3] . و « عسى »[4] من الله حقّ ، فكانت الوقعة الأولى بختنصّر وجنوده ، ثم ردّ

(١) ط : « يستمسك » ، وما أثبته من ت .

(٢) ن : « وحكمة » .

(٣) سورة الإسراء ٤ — ٨ .

(٤) من قوله تعالى فى آية ٨ : « عسى ربكم أن يرحمكم » .

الله لهم الكرّة عليهم ، ثم كانت الوقعة الأخيرة خردوس وجنوده ، وهى كانت أعظمَ الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبىُ ذراريهم ونسائهم ؛ يقول الله عزّ وجلّ : ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾[١] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام .

قال : وكانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن عمّها يليان خدمة الكنيسة ، فكانت مريم إذا نفد ماؤها – فيما ذكر – وماء يوسف أخذ كلّ واحد منهما قلّته ، فانطلق إلى المغارة التى فيها الماء الذى يستعذبانه ، فيملأُ قُلّته ، ثم ٧٢٤/١ يرجعان إلى الكنيسة . فلما كان اليوم الذى لقيَها فيه جبرئيل – وكان أطولَ يوم فى السنة وأشدّه حرًّا – نفد ماؤها ، فقالت : يا يوسف ، ألا تذهب بنا نستقى ! قال : إنّ عندى لفضْلاً من ماء أكتفى به يومى هذا إلى غد ، قالت : لكنّى والله ما عندى ماء ، فأخذت قُلّتَها ، ثم انطلقت وحدها ، حتى دخلت المغارة ، فتجد عندها جبرئيل ، قد مثّله الله لها بشرا سويًّا : فقال لها : يا مريم ، إن الله قد بعثنى إليْكِ لأهب لك غلاماً زكيا ، قالت : ﴿إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾[٢] ، وهى تحسبه رجلاً من بنى آدم فقال : إنما أنا رسولُ ربّك ، قالت : ﴿أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾[٣] ، أى أن الله قد قضى أنّ ذلك كائن . فلما قال ذلك استسلمتْ لقضاء الله ، فنفخ فى جيبها ، ثم انصرف عنها ، وملأت قلّتها .

قال : فحدثنى محمد بن سهل بن عسكر البخارىّ ، قال حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدّثنى عبد الصمد بن معقل ، ابن أخى وهب ،

---

(١) سورة الإسراء ٧ .

(٢) سورة مريم ١٨ .

(٣) سورة مريم ٢٠ ، ٢١ .

قال : سمعت وهبًا قال : لما أرسل الله عزّ وجلّ جبرئيل إلى مريم، تمثّل لها بشرا سويًّا . فقالت : ﴿ إنّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾، ثم نفخ فى جيب درعها حتّى وصلت النفخة إلى الرّحِم ، واشتملت على عيسى .

١/٧٢٥

قال: وكان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجّار ، وكانا منطلقَيْن إلى المسجد الذى عند جبل صهيون ؛ وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف يخدمان فى ذلك المسجد فى ذلك الزمان ، وكان لخدمته فضل عظيم ، فرغبا فى ذلك ، فكانا يَلِيَان معالجته بأنفسهما وتجميرَه وكناسته وطهوره ، وكلّ عمل يعمل فيه ، فكان لا يُعلم من أهل زمانهما أحدٌ أشدّ اجتهاداً وعبادة منهما، وكان أول مَنْ أنكر حَمْل مريم صاحبُها يوسف ، فلما رأى الذى بها استعظمه ، وعظم عليه ، وفظِع به ، ولم يدرِ على ماذا يضع[1] أمرها ! فإذا أراد يوسف أن يتّهمها ذكر صلاحَها وبراءتها ، وأنها لم تغِبْ عنه ساعة قطُّ ، وإذا أراد أن يبرّئها رأى الذى ظهر بها . فلمّا اشتدّ عليه ذلك كلّمها، فكان أولُ كلامه إياها أن قال لها : إنه قد وقع فى نفسى من أمرك أمر قد حرَصت على أن أميتَه ، وأكتمه فى نفسى ، فغلبَنى ذلك ، فرأيتُ أنّ الكلام فيه أشفى لصدرى ، قالت : فقل قولاً جميلاً ، قال : ما كنت لأقول إلا ذلك ، فحدّثينى : هل ينبت زرع بغير بَذْر ؟ قالت : نعم ، قال : فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها ؟ قالت : نعم ، قال: فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم ، ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلَقه من غير بذر ، والبذر إنّما كان من الزرع الذى أنبته الله من غير بذر ! أو لم تعلم أنّ الله أنبت الشجر من غير غيث ، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلَق كلّ واحد منهما وحده ! أو تقول لم يقدر الله على أن ينبت الشجر ، حتّى استعان عليه بالماء ، ولولا ذلك لم يقدِرْ على إنباته ! قال لها يوسف : لا أقول ذلك ، ولكنّى أعلم أنّ الله بقدرته على ما يشاء يقول لذلك : كن فيكون . قالت له مريم: أوَ لم تعلم أنّ الله عزّ وجلّ

١/٧٢٦

(١) ت ، ن : « بصنع » .

خلَق آدم وامرأته من غير ذكَرٍ ولا أنثى ؟ قال : بلى ، فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه أنّ الذى بها شىء من الله عزّ وجلّ ، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه ؛ وذلك لمَا رأى من كتمانها لذلك . ثم تولّى يوسف خدمة المسجد ، وكَفاها كلّ عمل كانت تعمل فيه ؛ وذلك لما رأى من رِقّة(1) جسمها واصفرار لونها ، وكلَفَ وجهها ، ونتوء بطنها ، وضعف قوّتها ، ودأب نظرها ؛ ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك ؛ فلما دنا نِفاسها أوحى الله إليها أن اخرجى من أرض قومك ؛ فإنهم إن ظفروا بك عيّرُوك وقتلوا(2) ولدك . فأفضت عند ذلك إلى أختها — وأختُها حينئذ حُبْلى ، وقد بُشّرت بيحيى — فلما التقيا وجدت أمّ يحيى ما فى بطنها خرّ لوجهه ساجداً معترفاً بعيسى ؛ فاحتملها يوسفُ إلى أرض مصر على حمار له ، ليس بينها حين ركبت الحمار وبين الإكاف(3) شىء ، فانطلق يوسف بها ؛ حتى إذا كان مُتاخماً لأرض مصر فى مُنقطَع ١/٧٢٧ بلاد قومها أدرك مريم النفاس ، وألجأها إلى آرىّ حمار — يعنى مِزْود الحمار — فى أصل نخلة ؛ وذلك فى زمان الشتاء ، فاشتدّ على مريم المخاض ؛ فلما وجدت منه شدّة التجأت إلى النخلة ، فاحتضنتْها واحتوشتْها الملائكة ، قاموا صفوفاً محدِقين بها(4).

فلما وضعت وهى محزونة ، قيل لها : ﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ إلى ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾(5) ، فكان الرُّطبُ يتساقط عليها ، وذلك فى الشتاء .

فأصبحت الأصنام التى كانت تُعبَد من دون الله حين ولدت بكلّ أرض مقلوبة منكوسة على رءوسها ، ففزِعت الشياطين وراءها ، فلم يدرُوا ما سبب ذلك ، فساروا عند ذلك مسرعين ، حتى جاءوا إبليس ، وهو على عرش له ، فى لُجّة خضراء ، يتمثّل بالعرش يوم كان على الماء ويحتجب ، يتمثّل بحجب النور التى من دون الرحمن ، فأتوْه وقد خلا ست ساعات من النهار ، فلما

---

(1) ت : « دقة » . (2) ن : « وقتلوك وولدك» .

(3) الإكاف ، ككتاب وغراب : بردعة الحمار .

(4) الخبر فى التفسير ١٥ : ٤٩ ، ٥٠ (بولاق) .

(5) سورة مريم ٢٤ — ٢٦ .

رأى إبليسُ جماعتَهم ، فزِع من ذلك ، ولم يرهم جميعًا منذ فرّقهم قبل تلك الساعة ؛ إنما كان يراهم أشتاتًا ، فسألهم فأخبروه أنه قد حدث فى الأرض حدث أصبحَتْ الأصنام منكوسة على رءوسها ، ولم يكن شىء أعونُ على هلاك بنى آدم منها ؛ كنا ندخلُ فى أجوافها فنكلّمهم ، وندبّر أمرهم فيظنون أنها التى تكلّمهم ، فلما أصابها هذا الحدث صغّرَها فى أعين بنى آدم ، وأذلّها وأدناها ، ذلك وقد خشِينا ألاّ يعبدوها بعد هذا أبداً . واعلم أنّا لم نأتك حتى أحصينا الأرضَ ، وقلبنا البحار وكلّ شىء قوينا عليه؛ فلم نزدد بما أردنا إلا جهلاً . قال لهم إبليس : إنّ هذا لأمر عظيم، لقد علمت بأنى كُتِمتُه ، وكونوا على مكانكم هذا . فطار إبليس عند ذلك ، فلبث عنهم ثلاث ساعات ، فمرّ فيهنّ بالمكان الذى وُلد فيه عيسى ؛ فلما رأى الملائكة محدِقين بذلك المكان ، علِم أن ذلك الحَدَث فيه ، فأراد إبليس أن يأتيَه من فوقه ؛ فإذا فوقه رءوس الملائكة ومناكبهم عند السماء . ثم أراد أن يأتيَه من تحت الأرض ؛ فإذا أقدام الملائكة راسية أسفل مما أراد إبليس . ثم أراد أن يدخل من بينهم فنحَّوْه عن ذلك .

١/٧٢٨

ثم رجع إبليس إلى أصحابه فقال لهم : ما جئتكم حتى أحصيت الأرض كلّها مشرقها ومغربها ، وبرّها وبحرها ، والخافقين ، والجوّ الأعلى ؛ وكلّ هذا بلغتُ فى ثلاث ساعات ؛ وأخبرهم بمولد المسيح ، وقال لهم : لقد كتِمتُ شأنه ، وما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد إلا بعلمى ، ولا وضعتْه قطّ ، إلاّ وأنا حاضرها ؛ وإنى لأرجو أن أضِلّ به أكثر مما يهتدِى به ، وما كان نبىّ قبلَه أشدّ علىّ وعليكم منه .

وخرج فى تلك الليلة قوم يَؤمُّونه من أجل نجم طلع أنكروه، وكان قبل ذلك يتحدّثون أنّ مطلع ذلك النجم من علامات مولود فى كتاب دانيال . فخرجوا يريدونه ، ومعهم الذهب والمرّ واللّبان ، فمرّوا بملك من ملوك الشأم ، فسألهم : أين يريدون ؟ فأخبروه بذلك ، قال : فما بالُ الذهب والمرّ واللبان أهديتموه له من بين الأشياء كلّها ؟ قالوا : تلك أمثاله : لأنّ الذهب هو سيّد المتاع كلّه، وكذلك هذا النبىّ هو سيّدُ أهل زمانه، ولأنّ المرّ يُجبَرُ به

١/٧٢٩

الجرح والكسر ، وكذلك هذا النبيّ يشفى به الله كلّ سقيم ومريض ؛ ولأن اللبان ينال دخانه السماء ولا ينالها دخان غيره ، كذلك هذا النبيّ يرفعه الله إلى السماء لا يرفع فى زمانه أحد غيره.

فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدّث نفسه بقتله، فقال : اذهبوا، فإذا علمتم مكانه فأعلمونى ذلك، فإنى أرغب فى مثل ما رغبتم فيه من أمره . فانطلقوا حتى دفعوا ما كان معهم من تلك الهدية إلى مريم ، وأرادوا أن يرجعوا إلى هذا الملك ليعلموه مكانَ عيسى ، فلقيَهم ملاك فقال لهم : لا ترجعوا إليه ، ولا تُعلموه بمكانه ، فإنه إنما أراد بذلك ليقتله؛ فانصرفوا فى طريق آخر ، واحتملته مريم على ذلك الحمار ومعها يوسف ، حتى وردا أرض مصر، فهى الربوة التى قال الله : ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (١) ﴾ .

فمكثت مريم اثنتى عشرة سنة تكتمه من الناس ، لا يطّلع عليه أحد ؛ وكانت مريم لا تأمن عليه ولا على معيشته أحداً، كانت تلتقط السنبل من حيث ما سمعت بالحصاد ، والمهد فى منكبها والوعاء الذى تجعل فيه السنبل فى منكبها الآخر ، حتى تمّ لعيسى عليه السلام اثنتا عشرة سنة ؛ فكان أوّل آية رآها الناس منه أنّ أمّه كانت نازلةً فى دار دِهقان من أهل مصر ، فكان ذلك الدّهقان قد سُرِقت له خزانة، وكان لا يسكن فى داره إلا المساكين ، فلم يتّهمهم ، فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدّهقان، فلما أنْ رأى عيسى حُزْنَ أمّه بمصيبة صاحب ضيافتها، قال لها : يا أمّه، أتحبّين أن أدلّه على ماله ؟ قالت : نعم يا بُنىّ ، قال : قولى له يجمع لى مساكين داره ، فقالت مريم للدهقان ذلك ، فجمع له مساكين داره ، فلما اجتمعوا عمِد إلى رجليْن منهم : أحدهما أعمى والآخر مُقعَد ، فحمل المقعد على عاتق الأعمى ، ثم قال له : قم به ، قال الأعمى : أنا أضعف من ذلك ، قال عيسى عليه السلام : فكيف قويت على ذلك البارحة ؟ فلما سمعوه يقول ذلك ، بعثوا الأعمى ، حتى قام به، فلما استقلّ قائمًا حاملاً هَوِىَ المقعد إلى كوّة الخزانة . قال عيسى : هكذا احتالا لمالِك البارحة، لأنه استعان الأعمى بقوّته ، والمقعد بعينيه ، فقال

٧٣٠/١

---

(١) سورة المؤمنين ٥٠ .

المقعد والأعمى : صدق ، فردّا على الدهقان ماله ذلك ، فوضعه الدّهقان فى خزانته ، وقال : يا مريم خذى نصفه ، قالت : إنى لم أخلَق لذلك ، قال الدّهقان : فأعطيه ابنَك ، قالت : هو أعظم منى شأنًا ، ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس ابنٌ له فصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر كُلَّهم ، فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشأم لم يحذرهم الدهقان ، حتى نزلوا به ، وليس عنده يومئذ شراب ، فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتًا من بيوت الدّهقان ، فيه صفّان من جرار ، فأمرّ عيسى يده على أفواهها ، وهو يمشى ، فكلّما أمرّ يده على جرّة امتلأت شرابًا ، حتى أتى عيسى على آخرها ، وهو يومئذ ابن اثنتى عشرة سنة ، فلما فعل ذلك عيسى فزع الناس لشأنه وما أعطاه الله من ذلك ؛ فأوحى الله عزّ وجلّ إلى أمّه مريم ، أن اطلعى به إلى الشأم ، ففعلت الذى أمرت به ، فلم تزل بالشأم حتى كان ابن ثلاثين سنة ، فجاءه الوحىُ على ثلاثين سنة ، وكانت نبوّته ثلاث سنين . ثم رفعه الله إليه ، فلما رآه إبليس يوم لقيه على العقبة لم يُطِق منه شيئًا ، فتمثّل له برجل ذى سنّ وهيئة ، وخرج معه شيطانان ماردان متمثّلين كما تمثّل إبليس ، حتى خالطوا جماعة الناس .

٧٣١/١

* * *

وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى فى الجماعة الواحدة خمسون ألفًا ، فمن أطاق منهم أن يَبلُغه بلغه ، ومن لم يطِق ذلك منهم أتاه عيسى عليه السلام يمشى إليه ؛ وإنما كان يُداويهم بالدعاء إلى الله عزّ وجلّ ، فجاءه إبليس فى هيئة يَبْهَرُ الناس حسنُها وجمالها ، فلما رآه الناس فرغوا له ، ومالوا نحوه ، فجعل يخبرهم بالأعاجيب ؛ فكان فى قوله : إنّ شأن هذا الرجل لعَجَب[1] ؛ تكلم فى المهد ، وأحيا الموتى ، وأنبأ عن الغيب ، وشفى المريض ؛ فهذا الله . قال أحد صاحبيه : جهلتَ أيها الشيخ ، وبئس ما قلت ! لا ينبغى لله أن يتجلّى للعباد ، ولا يسكن الأرحام ، ولا تسعه أجواف النساء ؛ ولكنه ابن الله . وقال الثالث : بئس ما قلتما ، كلا كما قد أخطأ وجهل ؛ ليس ينبغى لله أن يتخذ ولداً ؛ ولكنه إله معه ؛ ثم غابوا حين فرّغوا

٧٣٢/١

(١) ت : « لعجيب » .

من قولهم ، فكان ذلك آخر العهد منهم .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السدىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرّة الهمدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلّم ، قال : خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها فاتّخذت من دونهم حجابًا من الجدران ، وهو قوله : ﴿ فَانْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ فى شرق المحراب ، فلما طهُرت إذا هى برجل معها ، وهو قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ فهو جبرئيل ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ . فلما رأته فزعت منه وقالت: ﴿ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ — تقول زانية — ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾[1]. فخرجت ، عليها جلبابُها ، فأخذ بكمّيها ، فنفخ فى جيب درعها — وكان مشقوقًا من قُدّامها — فدخلت النفخة فى صدرها ، فحملت ، فأتتها أختها امرأة زكرياء ليلةً تزورها ، فلما فتحت لها الباب التزمتْها ، فقالت امرأة زكرياء : يا مريمُ أشعرت أنى حبلى . قالت مريم : أشعرت أنى أيضًا حبلى . قالت امرأة زكرياء : فإنى وجدتُ ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك ، فذلك قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللّٰهِ ﴾[2] . فولدت امرأةُ زكرياء يحيى ، ولما بلغ أن تضع مريم ، خرجتْ إلى جانب المحراب الشرقىّ منه ، فأتت أقصاه : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ يقول : ألجأها المخاض إلى جذع النخلة ، ﴿ قَالَتْ ﴾ : وهى تطلق من الحبل استحياء من الناس: ﴿ يَا لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴾ .

٧٣٣/١

(١) سورة مريم ١٦ — ٢١ .
(٢) سورة آل عمران ٣٩ .

تقول : نسيًا : نُسىَ ذكرى ، ومنسيًا ، تقول : نُسِى أثرى ، فلا يرى لى أثر ولا عين . ﴿ فَنَادَاهَا ﴾ ،جبرئيل: ﴿ مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ ،والسرىّ هو النهر . ﴿ وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ ، وكان جذعًا منها مقطوعًا فهزّته ، فإذا هو نخلة ، وأجرى لها فى المحراب نهراً فتساقطت النخلة رطباً جنيًّا ، فقال لها : كُلى واشربى وقرّى عيناً ، ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِى إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ ، فكان من صام فى ذلك الزمان لم يتكلّم حتى يمسى ، فقيل لها : لا تزيدى على هذا ، فلما ولدتْه ذهب الشيطان فأخبر بنى إسرائيل أنّ مريم قد ولدت ، فأقبلوا يشتدون ، فدعوها ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ ـيقول عظيمـًا ـ ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ ، فما بالك أنت يا أخت هارون! وكانت من بنى هارون أخى موسى ؛ وهو كما تقول : يا أخا بنى فلان ؛ إنما تَعنى قرابتَه . فقالت لهم ما أمرها الله، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام، أشارت إليه ــ إلى عيسى ــ فغضبوا وقالوا : لَسُخريتُها بنا حين تأمرنا أن نكلّم هذا الصبى أشدُّ علينا من زناها! ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِى الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ فتكلّم عيسى فقال : ﴿ إِنِّى عَبْدُ اللهِ آتَانِىَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ ﴾[1] فقالت بنو إسرائيل : ما أحبلها أحد غير زكرياء ، هو كان يدخل إليها ، فطلبوه ففرّ منهم فتشبّه له الشيطان فى صورة راع ، فقال : يا زكرياء ، قد أدركوك ، فادعُ الله حتى تنفتح لك هذه الشجرة فتدخل فيها ، فدعا الله فانفتحت له الشجرة ، فدخل فيها وبقى من ردائه هُدْبٌ ، فمرت بنو إسرائيل بالشيطان ، فقالوا : يا راعى ، هل رأيتَ رجلاً من ها هنا قال : نعم سحر هذه الشجرة ،

١/٧٣٤

(١) سورة مريم ٢٣ – ٣١ .

فانفتحت له ، فدخل فيها ، وهذا هُدب ردائه ، فعمدوا فقطعوا الشجرة ، وهو فيها بالمناشير ، وليس تجد يهوديًا إلا تلك الهدبة فى ردائه ؛ فلما ولد عيسى لم يبق فى الأرض صنم يعبَد من دون الله إلا أصبح ساقطًا لوجهه . ٧٣٥/١

حدثنى المثنّى ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقِل ، أنه سمع وهبًا يقول : إن عيسى بن مريم عليه السلام لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت ، وشَقّ عليه ، فدعا الحواريين ، فصنع لهم طعامًا ، فقال : احضرونى الليلة ، فإن لى إليكم حاجة ، فلما اجتمعوا إليه من الليل ، عشّاهم وقام يخدمُهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسِل أيديهم ويوضئهم بيده[1] ، ويمسحُ أيديَهم بثيابه ، فتعاظموا ذلك وتكارهوه ، فقال : ألا من ردّ علىّ شيئًا الليلة مما أصنع فليس منّى ولا أنا منه ! فأقرّوه حتى إذا فرغ من ذلك قال : أمّا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام ، وغسلت أيديكم بيدىّ ، فليكن لكم بى أسوة ؛ فإنكم ترون أنى خيركم ، ولا يتعظمْ بعضكم على بعض ، وليبذُلْ بعضكم نفسَه لبعض ؛ كما بذلت نفسى لكم . وأما حاجتى التى أستعينكم عليها ، فتدعون الله لى ، وتجتهدون فى الدعاء أن يؤخر أجَلِى ، فلمّا نصبوا أنفسهم للدعاء ، وأرادوا أن يجتهدوا ، أخذهم النوم ؛ حتى لم يستطيعوا دعاء ، فجعل يُوقظهم ، ويقول : سبحان الله ! ما تصبرون لى ليلة واحدة تعينونى فيها ! قالوا : والله ما ندرى ما لنا ! لقد كنا نسمُر فنكثِر السَّمَر ، وما نطيق الليلة سَمَرا ، وما نريد دعاءً إلا حيلَ بيننا وبينه ! فقال : يُذْهَب بالراعى وتتفرق الغنم . وجعل يأتى بكلام نحو هذا ، ينعَى به نفسه ، ثم قال : ٧٣٦/١ الحقُّ ليكفرنّ بى أحدكم ، قبل أن يصيحَ الديكُ ثلاث مرات ؛ وليبيعنّى أحدكم بدراهم يسيرة ، وليأكلنّ ثمنى . فخرجوا فتفرّقوا ؛ وكانت اليهود تطلبه ، فأخذوا شمعون ، أحد الحواريين ، فقالوا : هذا من أصحابه ، فجحد وقال : ما أنا بصاحبه ، فتركوه ، ثم أخذه آخرَ فجحد كذلك ، ثم سمع صوت ديك ،

(١) ت ، ح : « ويوصيهم » .

فبكَى ، فلما أصبح أتى أحدُ الحواريين إلى اليهود ، فقال : ما تجعلون لى إن دللتُكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهمًا ، فأخذها ودلَّهم عليه — وكان شُبِّه عليهم قبل ذلك — فأخذوه ، فاستوثقوا منه ، وربطوه بالحبل ، فجعلوا يقودونه ، ويقولون : أنت كنتَ تحيي الموتى ، وتنتهر الشيطان ، وتبرئُ المجنون ، أفلا تفتح نفسك من هذا الحبل ! ويبصقون عليه ، ويُلقُون عليه الشوكَ ، حتى أتوْا به الخشبة التى أرادوا أن يصلبوه عليها ، فرفعه الله إليه ، وصلَبوا ماشُبِّه لهم ، فمكث سبعًا . ثم إن أمه والمرأة — التى كان عيسى يداويها فأبرأها الله من الجنون — جاءتا تبكيان عند المصلوب ، فجاءهما عيسى عليه السلام ، فقال : على مَنْ تبكيان ؟ فقالتا : عليك ، فقال : إنى قد رفعنى الله إليه ، ولم يُصبنى إلاّ خير ، وإنّ هذا شىء شُبِّه لهم ، فأمُرا الحواريين أن يلقوْنى إلى مكان كذا وكذا ، فلقوه إلى ذلك المكان أحدَ عشر ، وفقد الذى كان باعه ، ودلّ عليه اليهود ، فسأل عنه أصحابه ، فقالوا : إنه ندم على ما صنع ، فاختنق وقتل نفسه ، فقال : لو تاب تاب الله عليه ! ثم سألهم عن غلام يتبعهم يقال له يحيى ، فقال : هو معكم ، فانطلِقوا فإنه سيصبح كلّ إنسان منكم يحدّث بلغة قوم[1] فلينذرهم وليدعُهم .

١ / ٧٣٧

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يتّهم ، عن وَهْب بن منبِّه اليمانىّ ، قال : توفّى الله عيسى بن مريم ثلاثَ ساعات من النهار ، حتى رفعه الله إليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : والنصارى يزعمون أنه توفّاه الله سبع ساعات من النهار ، ثم أحياه الله . فقال له : اهبط ، فأنزل على مريم المجدلانية فى جبلها ، فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها ، ولم يحزن عليك أحد حزنها ، ثم لتجمعْ[2] لك الحواريين ، فبثّهم فى الأرض دعاةً إلى الله ، فإنك لم تكن فعلت ذلك . فأهبطه الله عليها ، فاشتعل الجبل حين

(١) ح : « قومه » .
(٢) ن : « ثم ليجتمع لك الحواريون » .

هبط نوراً ، فجمعتْ له الحواريّين ، فبثّهم وأمرهم ، أن يبلّغوا الناس عنه ما أمره الله به ، ثم رفعه الله إليه ، فكساه الريش ، وألبسه النور ، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، فطار فى الملائكة وهو معهم حول العرش ، فكان إنسيًّا ملكيا سمائيًّا أرضيًّا ، وتفرق الحواريون حيث أمرهم ؛ فتلك الليلة التى أهبط فيها الليلة التى تدخن فيها النصارى .

وكان ممن وجّه من الحواريين والأتباع الذين كانوا فى الأرض بعدهم ، فطرس الحوارىّ ومعه بولس — وكان من الأتباع ، ولم يكن من الحواريين — إلى روميّة ، وأندرابيس ومثى [١] إلى الأرض التى يأكل أهلها الناس — وهى فيما نرى للأساود — وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق ، وفيلبس إلى القيْرَوان وقرْطاجنّه ؛ وهى إفريقيّة ، ويُحنّس إلى دفسوس [٢] ؛ قرية الفتية أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أورِيَشلِم ، وهى إيليا بيت المقدس ، وابن تلما إلى العرابية ، وهى أرض الحجاز ، وسيمن إلى أرض البربر دون أفريقيّة ، ويهوذا — ولم يكن من الحواريين — إلى أريوبس [٣] ، جُعِل مكان يوذس زكريا يوطا ، حين أحدث ما أحدث .

١ / ٧٣٨

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمر ابن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن ابن سُليم الأنصارىّ ، ثم الزُّرَقىّ ، قال : كان على امرأة منّا نَذْرٌ ؛ لَتظهرنّ على رأس الجمّاء — جبل بالعقيق من ناحية المدينة — قال : فظهرتُ معها ، حتى إذا استوينا على رأس الجبل ، إذا قبرٌ عظيم ، عليه حجران عظيمان ؛ حجر عند رأسه ، وحجر عند رجليه ؛ فيهما كتاب بالمسنَد ، لا أدرى ما هو ! فاحتملتُ الحجَريْن معى ؛ حتى إذا كنت ببعض الجبل منهبطًا ثقُلا علىّ ، فألقيت أحدَهما وهبطت

---

(١) ت : « ومى » ، ن : « ومثى » .

(٢) كذا فى ط ؛ وفى ياقوت : « أفسوس ، بضم الهمزة وسكون الفاء والسينان مهملتان والواو ساكنة : بلد بثغور طرسوس ؛ يقال إنه بلد أصحاب الكهف » .

(٣) ت : « أرميقس » ، ن : « أربويس » .

١/٧٣٩ بالآخر ، فعرضتُه على أهل السريانية : هل يعرفون كتابَهُ[١] ؟ فلم يعرفوه ، وعرضتُه على مَنْ يكتب بالزّبور من أهل اليمن ، ومن يكتب بالمسنَد فلم يعرفوه . قال : فلما لم أجد أحداً ممّن يعرفه ألقيتُه تحت تابوت لنا ، فمكث سنين ، ثم دخل علينا ناس من أهل ماه من الفرس يبتغون[٢] الخَرَز ، فقلت لهم : هل لكم من كتاب ؟ فقالوا : نعم ، فأخرجتُ إليهم الحجَر ، فإذا هم يقرءونه ، فإذا هو[٣] بكتابهم : هذا قبر رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل هذه البلاد ؛ فإذا هم كانوا أهلها فى ذلك الزمان، مات عندهم فدفنوه على رأس الجبل .

حدّثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم عدوْا على بقية الحواريّين يشمّسونهم ويعذبونهم ، وطافوا بهم ، فسمع بذلك ملك الروم — وكانوا تحت يديه ، وكان صاحبَ وثن — فقيل له : إن رجلا كان فى هؤلاء الناس الذين تحت يديك من بنى إسرائيل عدوْا عليه فقتلوه ، وكان يخبرهم أنه رسول الله ، قد أراهم العجائب ، وأحيا لهم الموتى ، وأبرأ لهم الأسقام ، وخلَق لهم من الطين كهيئة الطير ، ونفخ فيه فكان طائراً[٤] بإذن الله ، وأخبرهم بالغيوب . قال : ويْحكم ! فما منعكم أن تذكروا هذا لى من أمره وأمرهم! فوالله لو علمت ما خلّيتُ بينهم وبينه . ثم بعث إلى الحواريين ، فانتزعهم من أيديهم ، وسألهم عن دين عيسى وأمْرِه ، فأخبروه خبره ، فتابعهم على دينهم ، واستنزل سرجس[٥] فغيّبه، وأخذ خشبته التى صُلِب عليها، فأكرمها وصانها لما مسّها منه ، وعدا على بنى إسرائيل ، فقتل منهم قتلى كثيرة ؛ فمن هنالك كان أصلُ النصرانية فى الروم . ١/٧٤٠

* * *

وذكر بعض أهلِ الأخبار أنّ مولد عيسى عليه السلام كان لمضىّ اثنتين وأربعين سنة من مُلْك أغوسطوس ، وأنّ أغوسطوس عاش بعد ذلك بقيّة ملكه ،

(١) ن : « كتابته » . (٢) ت : « يبيعون » .
(٣) ح : « فيه » . (٤) ح : « طيرا » .
(٥) ح : « سرجين » .

وكان جميع ملكه ستا وخمسين سنة — قال بعضهم : وأياما .

قال : ووثبت اليهود بالمسيح ، والرياسة ببيت المقدس فى ذلك الوقت لقيصر ، والملك على بيت المقدس من قِبَل قيصر هيردوس الكبير الذى دخلت عليه رُسُل ملك فارس الذين وجّههم الملك إلى المسيح ، فصار إلى هيردوس غالطا ، وأخبروه أن ملك فارس بعث بهم ليقرّبوا إلى المسيح ألطافًا معهم من ذهب ، ومرّ ولِبان ، وأنهم نظروا إلى نجمه قد طلع ، فعرفوا ذلك بالحساب ، وقرّبوا الألطاف إليه ببيت لحم من فلسطين . فلما عرف هيردوس خبرَهم كاد المسيح ، فطلبه ليقتله ، فأمر الله الملَك أن يقول ليوسف الذى كان مع مريم فى الكنيسة ما أراد هيردوس من قتله ، وأمره أن يهرب بالغلام وأمّه إلى مصر ، فلما مات هيردوس قال الملك ليوسف وهو بمصر : إن هيردوس قد مات ، وملَك مكانه أركلاوس ابنُه ، وذهب مَنْ كان يطلب نفْس الغلام ، فانصرف به إلى ناصرة من فلسطين ليتمّ قول شعيا النبيّ : من مصر دعوتُك . ومات أركلاوس ، وملك مكانه هيردوس الصغير ، الذى صُلِب شبهُ المسيح فى ولايته ، وكانت الرياسة فى ذلك الوقت لملوك اليونانية والروم ، وكان هيردوس وولده من قِبَلهم ؛ إلاّ أنهم كانوا يلقّبون باسم الملك ، وكان الملوك الكبار يلقّبون بقيصر ، وكان ملك بيت المقدس فى وقت الصلب لهيردوس الصغير من قبل طيباريوس بن أغوسطوس دون القضاء ، وكان القضاء لرجل رومىّ يقال له : فيلاطوس من قِبَل قيصر ، وكانت رياسة الجالوت ليونن بن بهوثن . ١/٧٤١

قال : وذكروا أن الذى شُبّه بعيسى وصُلِب مكانه رجل إسرائيلىّ ، يقال له : أيشوع بن فنديرا . وكان ملكُ طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة وأياما منها إلى وقت ارتفاع المسيح ثمانىَ عشرة سنة وأيام ؛ ومنها بعد ذلك خمس سنين .

ذكر من ملك من الروم أرض الشام بعد رفع المسيح عليه السلام

إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم في قول النصارى

قال أبو جعفر : زعموا أن مُلْك الشام من فلسطين وغيرها صار بعد طيباريوس إلى جايوس بن طيباريوس ، وأن ملكه كان أربع سنين .

ثم ملك بعده ابن له آخر ، يقال له : قلوديوس أربع عشرة سنة .

ثم ملك بعده نيرون ، الذى قتل فطرس وبولس ، وصلّبه منكّسا ، أربع عشرة سنة .

ثم ملك بعده بوطلايوس ، أربعة أشهر .

ثم ملك بعده أسفسيانوس أبو ططوس الذى وجّهه إلى بيت المقدس عشر سنين . ولمضيّ ثلاث سنين من ملكه وتمام أربعين سنة من وقت رفع عيسى عليه السلام وَجّه أسفسيانوس ابنَه ططوس إلى بيت المقدس ، حتى هدَمه وقتل مَنْ قتل من بنى إسرائيل غضباً للمسيح

١/٧٤٢

ثم ملك بعده ططوس بن أسفسيانوس ، سنتين .

ثم من بعده دو مطيانوس ، ست عشرة سنة .

ثم من بعده نارواس[1] ، ست سنين .

ثم من بعده طرايانوس[2] ، تسع عشرة سنة .

ثم من بعده هدريانوس ، إحدى وعشرين سنة .

ثم ملك من بعده ططورس[3] بن بطيانوس ؛ اثنتين وعشرين سنة .

ثم من بعده مرقوس وأولاده ، تسع عشرة سنة .

ثم من بعده قوذوموس[4] ، ثلاث عشرة سنة .

---

(١) ت : « باذاوس » ، س : « ثادواس » . (٢) ن : « طرطانوس » .

(٣) س : « طرطوس » . (٤) ح : « قودموس » ، س : « قوروموس » .

ثم من بعده فرطناجوس، ستة أشهر .
ثم من بعده سبروس[1] ، أربع عشرة سنة .
ثم من بعده أنطنياوس[2] ، سبع سنين .
ثم بعده مرقيانوس ، ستّ سنين .
ثم بعده أنطنيانوس، أربع سنين .
ثم الحسندروس ، ثلاث عشرة سنة .
ثم غسميانوس[3] ، ثلاث سنين .
ثم جورديانوس ، ست سنين .
ثم بعده فليفوس ، سبع سنين . ٧٤٣/١
ثم داقيوس ، ست سنين .
ثم قالوس ، ست سنين .
ثم بعده والريبانوس وقاليونس[4] ، خمس عشرة سنة .
ثم قلوديوس ، سنة .
ثمّ من بعده قريطاليوس ، شهرين .
ثم أورليانوس ، خمس سنين .
ثم طيقطوس ، ستة أشهر .
ثم فولوريوس ، خمسة وعشرين يوماً .
ثم فرابوس ، ست سنين .
ثم قوروس وابناه، سنتين .
ثم دوقلطيانوس ، ست سنين .
ثم محسميانوس ، عشرين سنة .
ثم قسطنطينوس ، ثلاثين سنة .
ثم قسطنطين ، ثلاثين سنة .
ثم قسطنطين عشرين سنة .

---

(١) ت : « شيروس » ، ن : « سريوس » . (٢) ت ، ن : « أنطيناوس » .
(٣) ح : « عسمانوش » ، س : « عسانوس » ، ن : « عسمانوس » .
(٤) ت : « فاليوس » .

ثم اليانوس المنافق ، سنتين .
ثم يويانوس ، سنة .
ثم والمطيانوس وغرطيانوس ، عشر سنين .
ثم خرطانوس ووالنطيانوس الصغير ، سنة .
ثم تياداسيس الأكبر ، سبع عشرة سنة .
ثم أرقديوس وأنوريوس ، عشرين سنة .
ثم تياداسيس الأصغر ووالنطيانوس ست عشرة سنة .
ثم مرقيانوس ، سبع سنين .
ثم لاون ، ست عشرة سنة .
ثم زانون ، ثمانى عشرة سنة . ثم أنسطاس ، سبعا وعشرين سنة .
ثم يوسطنيانوس ، سبع سنين . ٧٤٤/١
ثم يوسطنيانوس الشيخ ، عشرين سنة .
ثم يوسطينس[1] اثنتى عشرة سنة .
ثم طيباريوس ، ست سنين .
ثم مريقيس وتاذاسيس ابنه ، عشرين سنة .
ثم فوقا الذى قُتل ، سبع سنين وستة أشهر .
ثم هِرَقْل الذى كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثلاثين سنة .

فمن لدن عُمِر بيت المقدس بعد تخريبه[2] بختنصّرُ إلى الهجرة — على قولهم — ألف سنة ونيفٌ ، ومن مُلك الإسكندر إليها تسعمائة سنة ونيّف وعشرون سنة ، من ذلك من وقت ظهوره إلى مولد عيسى ثلثمائة سنة وثلاث سنين . ومن مولده إلى ارتفاعه اثنتان وثلاثون سنة ، ومن وقت ارتفاعه إلى الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة وأشهر .

* * *

وزعم بعض أصحاب الأخبار أن قتل بنى إسرائيل يحيى بن زكرياء كان فى عهد أردشير بن بابك لثمانىَ سنين خلتْ من ملكه ، وأن بختنصّر إنما صار إلى الشأم لقتال اليهود من قِبَل سابور الجنود ابن أردشير بن بابك

(١) ت ، ح ، ن : « بوسطسين » ، س : « بوسطيس » .
(٢) ابن الأثير : « بعد أن أخربه بختنصر » .

نزول قبائل
العرب الحيرة والأنبار أيام ملوك الطوائف

وكان من الأحداث أيامَ ملوك الطوائف إلى قيام أردشير بن بابك بالمُلْك — فيما ذكر هشام بن محمد — دنوّ مَنْ دنا من قبائل العرب من ريفِ العراق ونزول مَنْ نزل منهم الحيرة والأنبار وما حوالى ذلك .

فحُدّثت عن هشام بن محمد، قال : لما مات بختنصّر انضمّ الذين كان أسكنَهم الحيرة من العرب حين أمر بقتالهم إلى أهل الأنبار وبقِيَ الحيرُ خرابا ، فغبَرُوا بذلك زمانًا طويلا ، لاتطلع عليهم طالعة من بلاد العرب ، ولا يقدَم عليهم قادم، وبالأنبار أهلها ومن انضمّ إليهم من أهل الحيرة من قبائل العرب من بنى إسماعيل وبنى معدّ بن عدنان ؛ فلما كثر أولاد معدّ ابن عدنان ومَنْ كان معهم من قبائل العرب ، وملئوا بلادهم من تِهامة وما يليهم ، فرّقتهم حروب وقعت بينهم ، وأحداث حدثت فيهم ، فخرجوا يطلبون المتّسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشأم ، وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين ، وبها جماعة من الأزْد كانوا نزلوها فى دهر عمران بن عمرو ، من بقايا بنى عامر ، وهو ماء السماء بن حارثة[2] ، وهو الغِطْريف بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد[3] .

1/745

وكان الذين أقبلوا من تِهامة من العرب مالك وعمرو ابنا فَهْم بن تيم الله ابن أسد بن وبَرة بن تَغْلِب بن حُلْوان بن عمران بن الحافِ بن قضاعة ، ومالك بن زهير بن عمرو بن فَهْم بن تيم الله بن أسد بن وبَرة، فى جماعة من

---

(١) ح ، وابن الأثير : « وبقيت الحيرة » . . . (٢) ت « حارثة » .

(٣) فى معجم البلدان ٣ : ٢٧٨ : « ومازن هو جماع غسان ، وغسان ماء شرب منه بنو مازن فسموا غسان ، ولم تشرب منه خزاعه ولا أسلم ولا بارق ولا أزدعمان ؛ فلا يقال لواحد من هذه القبائل غسان ، وإن كان من أولاد مازن » .

قومهم ، والحَيْقار[١] بن الحيق[٢] بن عُمَير بن قَنص بن معدّ بن عدنان ، فى قَنَص كلّها . ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطَّمَثان بن عوذ مناة بن يَقْدُم ابن أفصَى بن دُعْمِيّ بن إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان ، وزُهْر[٣] بن الحارث بن الشلل[٤] بن زهر بن إياد وصُبح ، بن صبيح[٥] بن الحارث بن أفْصى بن دُعْمِيّ بن إياد .

٧٤٦/١

فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا على التَّنُوخ — وهو المقام — وتعاقدوا على التوازر والتناصر ، فصاروا يداً على الناس ، وضَمَّهم اسم تَنُوخ ، فكانوا بذلك الاسم ، كأنهم عُمارة من العمائر .

قال : وتَنَخ عليهم بطون من نُمارة بن لخم . قال : ودعا مالك بن زهير جَذِيمَة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دَوْس الأزدىّ إلى التَّنوخ معه ، وزوّجه أخته لميس ابنة زهير ، فتنخ جَذِيمة بن مالك وجماعة ممّن كان بها من قومهم من الأزد ، فصار مالك وعمرو ابنا فهم والأزد حُلَفاء دون سائر تَنُوخ ، وكلمة تَنُوخ كلّها واحدة .

٧٤٧/١

وكان اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم أزمان ملوكِ الطوائف الذين ملكهم الإسكندر ، وفرّق البلدان بينهم عند قتله دارا بن دارا ملك فارس ، إلى أن ظهر أردشير بن بابك ملك فارس على ملوك الطوائف ، وقهرهم ودان له الناس ، وضبط له الملك .

قال : وإنما سُمّوا ملوك الطوائف ؛ لأنّ كلّ ملك منهم كان ملكه قليلا من الأرض ، إنما هى قصور وأبيات ، وحولها خندق وعدوّه قريب منه ، له من الأرض مثل ذلك ونحوه ، يُغير أحدُهما على صاحبه ثم يرجع كالخطفة .

قال : فتطلّعتْ أنفسُ مَنْ كان بالبحرين من العرب إلى رِيف العراق ،

---

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٦ ومعجم البلدان : « الحيقاد » ، وابن خلدون ٢ : ٤ : « الخفتار » .

(٢) معجم البلدان : « الحيوة » .

(٣) ابن خلدون : « زهير » .

(٤) ح : « السلل » وفى ابن خلدون : « اليل » .

(٥) فى ط من غير نقط ؛ وما أثبته عن ابن خلدون .

وطمعوا فى غلبة الأعاجم على ما يلى بلاد العرب منه أو مشاركتهم فيه ، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف ، فأجمع رؤساؤهم بالمسير[١] إلى العراق ، ووطّن جماعة ممن كان معهم على ذلك ؛ فكان أول مَنْ طلع منهم الحيقار بن الحيق فى جماعة قومه وأخلاط من الناس ، فوجدوا الأرمانيين — وهم الذين بأرض بابل وما يليها إلى ناحية الموصل — يقاتلون الأردوانيين ، وهم ملوك الطوائف ؛ وهم فيما بين نِفَّر[٢] — وهى قرية من سواد العراق إلى الأبلّة وأطراف البادية — فلم تَدِنْ لهم ، فدفعوهم عن بلادهم .

قال : وكان يقال لعاد إرم ، فلما هلكت قيل لثمود إرم ، ثم سمّوا الأرمانيّين ؛ وهم بقايا إرمَ ، وهم نَبَط السواد . ويقال لدمشق : إرم . ٧٤٨/١

قال : فارتفعوا عن سواد العراق وصاروا أشلاء بعدُ فى عرب الأنبار وعرب الحيرة ، فهم أشلاء قَنَص بن معدّ ، وإليهم ينسب عمرو بن عدىّ بن نصر ابن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عَمَم بن نُمارة بن لخم .

وهذا قول مضر[٣] وحمّاد الرواية ؛ وهو باطل ، ولم يأت فى قَنَص ابن معدّ شىء أثبتُ من قولُ جُبير بن مُطْعِم : إنّ النعمان كان من ولده .

قال : وإنما سمّيت الأنبار أنبار لأنها كانت تكون فيها أنابير الطعام ، وكانت تسمّى الأهراء[٤] ، لأنّ كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها .

قال : ثم طلع مالك وعمرو ، ابنا فَهْم بن تيم الله ، ومالك بن زهير بن فَهْم بن تيم الله ، وغَطَفان بن عمرو بن الطَّمَثان ، وزهر بن الحارث وصُبح ابن صُبيح ؛ فيمن تَنَخ عليهم من عشائرهم وحلفائهم على الأنبار ، على ملك الأرْمانيين ، فطلع نُمارة بن قيس بن نُمارة ، والنجدة — وهم قبيلة من العماليق يدعوْن إلى كندة — وملكان بن كندة ، ومالك وعمرو ابنا فَهْم ومَنْ حالفهم ، وتَنَخ معهم على نِفَّر على ملك الأردوانيّين ، فأنزلهم الحيرَ الذى كان بناه

---

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٦ : « على المسير » .

(٢) كذا ضبطها ياقوت : « بكسر أوله وتشديد ثانيه وراء » .

(٣) ابن خلدون : « عند نسابة مضر » .

(٤) قال ياقوت : « فلما دخلتها العرب عربتها فقالت الأنبار » .

١/٧٤٩ بختنصّر لتجّار العرب الذين وُجِدوا(١) بحضرته حين أمر بغزو العرب فى بلادهم ، وإدخال الجيوش عليهم ، فلم تزل طالعة الأنبار وطالعة نفرٍ على ذلك ، لا يدينون للأعاجم ، ولا تدين لهم الأعاجم ؛ حتى قدمها تُبعٌ — وهو أسعد أبو كَرِب بن ملكيكرب — فى جيوشه ، فخلّف بها مَنْ لم تكن به قوة من الناس ، ومن لم يَقْوَ على المضىّ معه ، ولا الرجوع إلى بلاده ، وانضمّوا إلى هذا الحِير ، واختلطوا بهم ؛ وفى ذلك يقول كعب بن جُعَيل بن عُجْرَة بن قُمير بن ثعلبة بن عوف بن مالك بن بكر بن حُبيّب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب بن وائل :

وَغَزَا تُبَّعُ فِى حِمْيَرَ حَتَّى ... نَزَلَ ٱلْحِيرَةَ مِنْ أَهْلِ عَدَنْ

وخرج تبّع سائراً ثم رجع إليهم ، وأقاموا فأقرّهم على حالهم ، وانصرف راجعًا إلى اليمن ، وفيهم من كلّ القبائل من بنى لِحْيان ؛ وهم بقايا جُرْهم ؛ وفيهم جُعْفىّ ، وطىء ، وكلب ، وتميم ؛ وليسوا إلا بالحيرة — يعنى بقاياجرهم . قال ابن الكلبىّ : لِحيان بقايا جُرْهم .

ونزل كثير من تَنُوخ الأنبارَ والحيرةَ وما بين الحيرة إلى طفّ الفرات وغربيّه ، إلى ناحية الأنبار وما والاها فى المظالّ والأخبية ، لا يسكنون بيوت المدَر ، ولا يجامعون أهلها فيها ، واتّصلت جماعتهم فيما بين الأنبار والحيرة ، وكانوا يسمَّوْن عرب الضاحية ؛ فكان أول من ملك منهم فى زمان ملوك الطوائف

١/٧٥٠ مالك بن فَهْم ، وكان منزله مما(٢) يلى الأنبار . ثم مات مالك ، فملك من بعده أخوه عمرو بن فَهْم . ثم هلك عمرو بن فهم ، فملك من بعده جَذيمة الأبرش بن مالك بن فَهْم بن غَنم(٣) بن دَوْس الأزدىّ .

قال ابن الكلبىّ : دَوْس بن عُدْثان بن عبد الله بن نصر بن زَهْران ابن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن

---

(١) كذا فى ح ، وفى ط : « وجد »

(٢) ت ، ح : « فيما » .

(٣) فى ط « غانم » ، والصواب ما أثبته من جمهرة الأنساب ٣٥٨ .

الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

* * *

قال ابن الكلبيّ : ويقال إن جَذِيمة الأبرش من العاربة الأولى ، من بني وَبَار بن أميم بن لوذ بن سام بن نوح . قال : وكان جَذِيمة من أفضل ملوك العرب رأيا ، وأبعدهم مُغاراً ، وأشدّهم نِكاية ، وأظهرهم حزماً ، وأوّل من استجمع له الملك بأرض العراق ؛ وضمّ إليه العرب ، وغزا بالجيوش ، وكان به بَرَص ، فكنَت العرب عنه ، وهابت العرب أن تسمّيَه به وتنسبه إليه إعظامًا له ، فقيل : جَذيمة الوضَّاح ، وجَذيمة الأبرش ؛ وكانت منازله فيما بين الحيرة والأنبار وبقَّةَ وهِيت وناحيتها ، وعين التَّمْر ، وأطراف البرّ إلى الغُوَيْر (١) والقُطْقُطانة وخَفِيَّة وما والاها ، وتُجْبَى إليه الأموال ، وتَفِد إليه الوفود ، وكان غزا طسما وجَديسا في منازلهم من جَوٍّ وما حولهم ؛ وكانت طسم وجديس يتكلّمون بالعربية ، فأصاب حسانَ بن تبَع أسعد أبي كرب ، قد أغار على طسْم وجديس باليمامة ، فانكفأ جذيمة راجعاً بمن معه ، وتأتى خيول تُبَّع على سرِيّة لجذيمة فاجتاحتها ، وبلغ جذيمةَ خبرُهم ، فقال جذيمة(٢) : ١/٧٥١

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عَلَمٍ ... تَرْفَعَنْ بُرْدِي شَمَالاتُ(٣)

فِي فُتُوٍّ أَنَا كَالِئُهُمْ ... فِي بلايا غَزْوَةٍ باتوا(٤)

ثُمَّ أُبْنَا غَانِمِي نَعَمٍ ... وَأُنَاسٌ بَعْدَنَا مَاتُوا

نَحْنُ كُنَّا فِي مَمَرِّهِمُ ... إِذْ مَمَرُّ الْقَوْمِ خَوَّاتُ

لَيْتَ شِعْرِي ما أَمَاتَهُمُ ... نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَهُمْ بَاتُوا(٥)

---

(١) ط : « الغمير » وانظر معجم البلدان .

(٢) وردت أبيات من هذه القصيدة فى سيبويه ٢ : ١٥٤ ، وابن سلام ٣٢ ، ٣٣ ، والأغانى ١٤ : ٧٣ ، والمؤتلف للآمدى ٣٤ . والخزانة ٤ : ٥٦٧ ؛ مع اختلاف فى الرواية .

(٣) أوفيت : أشرفت ، والعلم : المرتفع من الأرض ، والشمالات : جمع الشمال ؛ من الرياح والنون فى « يرفعن » ، تأكيد للفعل ضرورة .

(٤) فتو : جمع فتى ، وكالئهم : حافظهم .

(٥) الإدلاج : سير الليل كله .

وَلَنَا كَانُوا وَنَحْنُ إِذَا   قَالَ مِنَّا قَائِلٌ صَاتُوا
وَلَنَا ٱلْبِيدُ ٱلْبِعَــادُ ٱلَّتِى   أَهْلُهَا السُّودَانُ أَشْتَاتُ
ثُبَةُ ٱلْأَخْيَــارِ شَاهِدَةٌ   ذَا كُمُ قَوْمِى وأهلاَتِى(١)
قَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ وَسْطَهُمُ   نَاعِماً فِى غَيْرِ أَصْوَاتِ
فَعَلَى مَا كَانَ مِنْ كَرَمٍ   فَسَتَبْكِينِى بُنَيَّــاتِى
أَنَا رَبٌّ النَّاسِ كُلِّهِمُ   غَيْرَ رَبِّى الْكَافِتِ الْفَاتِ

يعنى بالكافت الذى يكفت أرواحهم ، والفات الذى يفيتُهم(٢) أنفسهم ؛ يعنى الله عزّ وجلّ .

قال ابن الكلبىّ : ثلاثة أبيات منها حقّ ، والبقية باطل .

قال : وفى مغازيه وغاراته على الأمم الخالية من العاربة الأولى يقول الشاعر فى الجاهلية :

٧٥٢/١ أَضْحَى جَذِيمَةُ فِى يَبْرِينَ مَنْزِلِهِ   قَدْ حَازَ مَاجَمَعَتْ فِىدَهْرِهَا عَادُ

فكان جـَذيمة قد تنبَّأ وتكهـّن ،واتخذ صنمين ؛ يقال لهما : الضيزنان — قال : ومكان الضيزنين بالحيرة معروف— وكان يستسقى بهما ويستنصر بهما على العدوّ ، وكانت إياد بعين أباغ ، وأباغ رجل من العماليق ، نزل بتلك العين ، فكان يغازيهم ؛ فذُكِر لجذيمة غلام من لـَخم فى أخواله من إياد يقال له عدىّ بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عمم بن نـُمارة بن لـَخم ، له جمال وظرف ، فغزاهم جذيمة ، فبعث إياد قومـًا فسقوا سدَنة الصنميْن الخمر ، وسرقوا الصنميْن ، فأصبحا فى إياد ، فبعث إلى جـَذيمة : إنّ صنميْك أصبحا فينا ، زهداً فيك ورغبة فينا ؛ فإن أوثقت لنا ألاّ تغزونا رددناهما إليك .

قال : وعدىّ بن نصر تدفعونه إلىّ . فدفعوه إليه مع الصنميْن ، فانصرف

---

(١) ط : « ثبوة » . وفى البيت وما بعده إقواء ، وانظر حواشى ط .
(٢) ط : « يفتهم » .

عنهم ، وضمّ عديًّا إلى نفسه ، وولاّه شرابه ، فأبصرته رَقاشِ ابنة مالك أخت جَذِيمة ، فعشِقتْه وراسلته ، وقالت : يا عدىّ ، اخطبنى إلى الملك ، فإنّ لك حسبًا وموضعًا ، فقال : لا أجترئ على كلامه فى ذلك ، ولا أطمع أن يزوِّجَنيك ، قالت : إذا جلس على شرابه ، وحضرَه ندماؤه ، فاسقِه صِرْفًا ، واسق القوم مِزاجاً ، فإذا أخذتِ الخمرة فيه ، فاخطبنى إليه ، فإنه لن يردّك ، ولن يمتنع منك ؛ فإذا زوّجك فأشهِد القوم ؛ ففعل الفتى ما أمرتْه به ، فلما أخذت الخمرة مأخذَها خطبها إليه ، فأملكه إياها ، فانصرف إليها ، فأعرس بها من ليلته ، وأصبح مضرَّجاً بالخَلوق ، فقال له جذيمة – وأنكر ما رأى به : ما هذه الآثار يا عدىّ ؟ قال : آثار العُرس ، قال أىّ عُرس ! قال : عُرس رَقاش ! قال : مَنْ زوّجكها ويحك ! قال : زوجَنِيها الملك ، فضرب جَذِيمة بيده على جبهته ، وأكبّ على الأرض ندامة وتلهّفاً ، وخرج عدىّ على وجهه هاربًا ، فلم يُرَ له أثر ، ولم يُسْمع له بذكر ، وأرسل إليها جذيمة ، فقال :

١/٧٥٣

حَدِّثينى وأنْتِ لا تَكْذِبِينى ... أبِحُرٍّ زَنَيْتِ أمْ بِهَجِين!
أمْ بِعَبْدٍ فأنْتِ أهْــلٌ لِعَبْدٍ ... أمْ بدُونٍ فأنْتِ أهْلٌ لِدُونِ

فقالت : لا بل أنت زوّجتَنى امرأ عربيًّا ، معروفاً حسيباً ، ولم تستأمِرْنى فى نفسى ، ولم أكن مالكةً لأمرى ؛ فكفّ عنها ، وعرف عذرَها .

ورجع عدىّ بن نصر إلى إياد ، فكان فيهم ، فخرج ذات يوم مع فتية متصيّدين ، فرمى به فتىً منهم من لِهْب فيما بين جبلين ، فتنكّس فمات ، واشتملت رَقاشِ على حَبَل(١) ، فولدت(٢) غلاماً ، فسمّته عمرًا ورشّحته(٣) ؛ حتى إذا ترعرع عطّرته وألبسته وحلته ، وأزارته خالَه جَذِيمة ، فلما رآه أعجِبَ به ، وأُلقِيتْ عليه منه مِقة ومحبة ، فكان يختلف مع ولده ، ويكون معهم . فخرج جذيمة متبديًّا بأهله وولده فى سنة خصبة مُكْلِئة ، فضرِبتْ له أبنية فى رَوْضة ذات زهرة وغُدُر(٤) ، وخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكمْأة ،

(١) ح : « حمل » . (٢) كذا فى ابن الأثير ، وفى ط : « فتلد » .
(٣) رشحته ، أى ربته . (٤) غدر : جمع غدير .

١/٧٥٤ فكانوا إذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها فى حُجْزَته[1] فانصرفوا إلى جذيمة يتعادوْن ، وعمرو يقول :

هٰذَا جَنَاىَ وَخِيَارُهُ فِيهِ ... إذْ كلُّ جَانٍ يَدُهُ إلَى فِيهِ

فضمَّه إليه جَذِيمة والتزمه ، وسُرّ بقوله وفعله ، وأمر فجعل له حلىّ من فضة وطوق ، فكان أولَ عربىّ ألبس طوقًا ، فكان يسمَّى عمرًا ذا الطوْق، فبينا هو على أحسن حاله، إذ استطارته الجنّ فاستهوته، فضرب له جَذِيمة فى البلدان والآفاق زماناً لا يقدر عليه . قال : وأقبل رجلان أخوان من بَلْقَيْنْ — يقال لهما : مالك وعَقيل، ابنا فارج بن مالك بن كعب بن القَيْن بن جَسْر ابن شيع الله بن أسد بن وَبَرة بن تغلِب بن حُلوان بن عمران بن الحافِ بن قُضاعة — من الشام يريدان جَذيمة، قد أهديا له طُرَفا ومتاعًا، فلما كانا ببعض الطريق نزلا منزلاً ، ومعهما قيْنة لهما يقال لها : أمّ عمرو ، فقدّمت إليهما طعامًا ، فبينا هما يأكلان إذ أقبل فتىً عُريان شاحب ، قد تلبَّد شعْره ، وطالت أظفاره، وساءت حاله، فجاء حتى جلس حَجْرَة[2] منهما، فمدّ يده يريد الطعام ، فناولَته القينة كُراعا[3] ، فأكلها ثم مدّ يَده إليها ، فقالت : «تعطِى العبد كُراعا فيطمع فى الذراع » ، فذهبت مثلا ، ثم ناولت الرجلين من شراب كان معها ، وأوكَتْ زِقَّها[4] ، فقال عمرو بن عدى :

١/٧٥٥ صَدَدْتِ الكأسَ عَنَّا أمَّ عَمْرٍو ... وكَانَ الكأسُ مجْرَاهَا اليَمِينَا[5]

وَمَا شَرُّ الثَّلاثة أمَّ عَمْرٍو ... بِصَاحِبِكِ الذى لا تَصْحَبِينَا[6] !

فقال مالك وعَقيل : من أنت يا فتى ؟ فقال : إن تنكِرانى أو تنكرا نسبى ، فإنى أنا عمرو بن عدىّ، ابن تنوخيّة، اللخمىّ، وغداً ما تريانى فى نمارة غير معصىّ » .

---

(١) الحجزة : معقد الإزار ، وفى ت : « حجرته » . (٢) الحجرة : الناحية .

(٣) الكراع : مستدق الساق من البقر والغنم .

(٤) الزق : السقاء ، وأوكى الزق : ربطه وشد عليه .

(٥) البيتان ينسبان إلى عمرو بن كلثوم ؛ وهما فى معلقته ص ٢١١ — بشرح التبريزى .

(٦) فى المعلقات : « لا تصبحينا » .

فنهضا إليه فضمّاه وغسلا رأسه، وقلّما أظفاره ، وأخذا من شعره وألبساه مما كان معهما من الثياب وقالا : ما كنا لنُهدِيَ لجذيمة هديّة أنفسَ عنده ، ولا أحبّ إليه من ابن أختِه ، قد ردّه الله عليه بنا . فخرجا به ، حتى دفعا إلى باب جَذيمة بالحيرة ، فبشّراه ، فسرّ بذلك سروراً شديداً ؛ وأنكره لحال(١) ما كان فيه، فقالا : أبيت اللعن ! إنّ من كان في مثل حاله يتغيّر . فأرسل به إلى أمّه ، فمكث عندها أياماً ثم أعادته إليه، فقال : لقد رأيتُه يوم ذهب وعليه طَوق ، فما ذهب عن عيني ولا قلبي إلى الساعة ، فأعادوا عليه الطوْق ، فلما نظر إليه قال: « شبّ عمرو عن الطّوْق »، فأرسلها مثلا ، وقال لمالك وعقيل : حُكْمَكما ، قالا : حُكْمنا منادمتك ما بقِينا وبقِيت ! فهما نَدْمانا جَذيمة اللذان ضُرِبا مثلاً في أشعار العرب ، وفي ذلك يقول أبو خِراش الهذليّ : ١/٧٥٦

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ كَبِيشَةُ طَلْعَتِي ... وَإِنَّ ثَوَائِي عِنْدَهَا لَقَلِيلُ(٢)

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا ... نَدِيمَا صَفَاءٍ مَالِكٌ وَعَقِيلُ

وقال مُتمّم بن نويْرة :

وَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا(٣)

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكاً ... لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

* * *

وكان مِلك العرب بأرض الجزيرة ومشارف بلاد الشام عمرو بن ظرب ابن حسّان بن أذينة بن السّميْدَع بن هوبر العمليّ — ويقال العمليقيّ ، من

---

(١) ن : « بحال » .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١١٦ . والثواء : المقام ، وبعد البيت الأول وقبل الثاني :

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةَ لَاهِياً ... وَذَلِكَ رُزْءٌ لَوْ عَلِمْتِ جَلِيلُ

وَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ ... وَلَكِنَّ صَبْرِي يَا أُمَيْمَ جَمِيلُ

(٣) من قصيدة مفضلية ص ٢٦٧ .

عاملة العماليق ، فجمع جـَذيمة جموعـًا من العرب ، فسار إليه يريد غَزاته ، وأقبل عمرو بن ظَرِب بجموعه من الشام ، فالتقوْا ، فاقتتلوا قتالاشديداً ، فقـُتِل عمرو بن ظَرِب ، وانفضَّت جموعه ، وانصرف جـَذيمة بمن معه سالمين غانمين ، فقال فى ذلك الأعور بن عمرو بن هُناءة بن مالك بن فهم الأزدى :

١/٧٥٧ كَأَنَّ عَمْرَو بْنَ ثَرْبى لَمْ يَعِشْ مَلِكاً   وَلَمْ تَكُنْ حَوْلَهُ الرَّايَاتُ تَخْتَفِقُ(١)

لاقَى جَذِيمَةَ فِى جَأْوَاءَ مُشْعِلَةٍ   فِيهَا حَرَاشِفُ بِالنِّيرَانِ تَرْتَشِقُ(٢)

* * *

فملكت من بعد عمرو ابنته الزّباء واسمها نائلة ، وقال فى ذلك القعقاع بن الدرماء الكلبىّ :

أَتعْرِفُ مَنْزِلًا بَيْنَ الْمُنَقَّى   وَبَيْنَ مَجَرِّ نَائِلَةَ الْقَدِيمِ

وكان جنود الزّباء بقايا من العماليق والعاربة الأولى ، وتزيد وسَليح ابنى حُلْوان ابن عمران بن الحافِ بن قُضاعة ، ومَنْ كان معهم من قبائل قضاعة ، وكانت للزّباء أخت يقال لها زبيبة ، فبنت لها قصراً حصينًا على شاطئ الفرات الغربىّ ، وكانت تَشْتُو عند أختها ، وتَربع ببطن النجّار ، وتصير إلى تَدمُر . فلما أن استجمع لها أمرُها ، واستحكم لها مُلْكها ، أجمعت لغزو جـَذيمة الأبرش تطلب بثأر أبيها ، فقالت لها أختها زبيبة — وكانت ذات رأى ودهاء وإرْب : يا زبّاء ، إنّك إن غزوْتِ جـَذيمة فإنما هو يوم له ما بعده ؛ إن ظفرتِ أصبت ثأرك ، وإن قُتِلْتِ ذهب مُلْكُك ، والحرب سِجال ، وعثراتها لا تستقال(٣) ، وإنّ كَعْبَكِ لم يزل ساميًا على من ناوأكِ وساماك ، ولم ترىْ بُؤْسًا ولا غِيَرا ، ١/٧٥٨ ولا تدرين لمن تكون العاقبة ، وعلى من تكون الدائرة ! فقالت لها الزّباء : قد أدّيتِ النصيحة ، وأحسنتِ الرويّة ، وإن الرأىَ ما رأيت ، والقول ما قلت . فانصرفتْ عمّا كانت أجمعت عليه من غزو جـَذيمة ، ورفضت ذلك ، وأتت

---

(١) البيتان فى شرح المقامات للشريشى ٢ : ٥

(٢) الجأواء : الكتيبة . والحرشف : الرجالة ؛ شبهوا بجماعة الجراد .

(٣) ح : « تقال » .

أمرها من وجوه الخَتْل(١) والخَدْع والمكر. فكتبت إلى جَذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها، وأن يصلَ بلاده ببلادها. وكان فيما كتبت به: أنها لم تجد مُلْك النساء إلاّ إلى قبيح فى السماع، وضعف فى السلطان، وقلة ضبط المملكة، وإنها لم تجِدْ لملكها موضعًا، ولا لنفسها كفْئًا غيرك، فأقبِلْ إلىّ، فاجمع مُلْكِي إلى مُلْكك، وصِلْ بلادى ببلادك، وتقلّدْ أمرى مع أمرك.

فلما انتهى كتابُ الزّبّاء إلى جَذيمة، وقدم عليه رسُلُها استخفّه ما دعتْه إليه، ورغب فيما أطمعته فيه، وجمع إليه أهلَ الحِجى والنُّهى، من ثقات أصحابه، وهو بالبَقّة من شاطئ الفرات، فعرض عليهم ما دعتْه إليه الزّبّاء، وعرضته عليه، واستشارهم فى أمره، فأجمع رأيهُم على أن يسير إليها، ويستولِيَ على ملكها. وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد بن عمر(٢) بن جذيمة بن قيس بن ربى(٣) بن نُمارة بن لَخْم. وكان سعد تزوّج أمَةً لجذيمة، فولدت له قصيراً، وكان أُريبًا حازمًا، أثيراً عند جذيمة، ناصحاً، فخالفهم فيما أشاروا به عليه، وقال: «رأى فاتر، وغدر حاضر»، فذهبت مثلا. فرادّوه الكلامَ ونازعوه الرأى، فقال: «إنى لأرى أمراً ليس بالخسا ولا الزكا»(٤)، فذهبت مثلا. وقال لجذيمة: اكتب إليها، فإن كانت صادقةً فلتقبِل إليك، وإلا لم تمكّنْها من نفسك، ولم تقع فى حبالها، وقد وتَرْتَها، وقتلت أباها. فلم يوافق جَذيمة ما أشار به عليه قصير، فقال قصير:

۱/۷۵۹

إنِّى امْرُؤٌ لَا يُمِيلُ الْعَجْزُ تَرْوِيَتِي ... إذَا أَتَتْ دُونَ شَيْءٍ مِرَّةُ الْوَذَمِ

فقال جذيمة: لا ولكنك امرؤ رأيك فى الكِنّ لا فى الضّحّ، فذهبت مثلا.

فدعا جَذيمة ابنَ أخته عمرو بن عدىّ فاستشاره، فشجّعه على المسير،

---

(١) ح: «الحيل».

(٢) فى الأغانى وابن خلدون والشريشى: «عمرو».

(٣) كذا فى س وفى ابن خلدون: «إربى».

(٤) من قول العرب للزوج زكا وللفرد خسا؛ ومنه: «ما أدرى كم حدثنى أبى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخسا أم زكا». وانظر اللسان – خسا.

وقال : إنّ[١] نُمارة قومى مع الزبّاء، ولو قَدِروا لصاروا معك، فأطاعه وعصى قصيراً ، فقال قصير : «لا يطاع لقصير أمرٌ»، وفى ذلك يقول نهشل بن حَرّىّ ابن ضَمْرة بن جابر التميمىّ :

وَمَوْلًى عَصَانِي وَاسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ　　كَمَا لَمْ يُطَعْ بِالْبَقَّتَيْنِ قَصِيرُ[٢]

فَلَمَّا رأى ما غِبّ أَمْرِي وَأَمْرِهِ　　وَوَلَّتْ بِأَعْجَازِ الْأُمُورِ صُدُورُ[٣]

تَمَنَّى نَئِيشًا أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِي　　وَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورُ

وقالت العرب : «ببقّة أبرِمَ الأمر» ، فذهبت مثلا ، واستخلف جذيمة عمرو بن عدىّ على مُلْكه وسلطانه ، وجعل عمرو بن عبد الجِنّ الجَرْمىّ معه على خيوله ، وسار فى وجوه أصحابه ، فأخذ على الفرات من الجانب الغربىّ. ١/٧٦٠ فلما نزل الفُرْضَة دعا قصيراً ، فقال : ما الرأى ؟ قال : «ببقّة تركت الرأىَ» ، فذهبت مثلا ، واستقبلته رُسُلُ الزّباء بالهدايا والألطاف ، فقال : يا قصير ، كيف ترى ؟ قال : «خَطَرٌ يسيرٌ فى خَطْب كبير»[٤]، فذهبت مثلا ، وستلْقاكَ الخيول ؛ فإن سارتْ أمامك فإن المرأة صادقة ؛ وإن أخذتْ جنبيْك وأحاطت بك من خلْفك ؛ فإن القوم غادرون، فاركب العصا — وكانت فرسًا لجذيمة لا تجارَى — فإنّى راكبُها ومسايِرك عليها . فلقيتْه الخيول والكتائب، فحالت بينه وبين العصا ، فركبها قصير ، ونظر إليه جَذيمة موليًا على مَتْنها ، فقال: «ويل امّه حَزْمًا على ظهر العصا ! »، فذهبت مثلا ، فقال: يا ضُلّ ما تجرى به العصا ! وجرتْ به إلى غروب الشمس ثم نَفَقت ، وقد قطعت أرضًا بعيدة، فبنى عليها بُرْجًا يقال له برج العصا . وقالت العرب: «خيرٌ ما جاءت به العصا» ، مثل تضربه .

وسار جَذيمة ، وقد أحاطت به الخيول ، حتى دخل على الزبّاء ، فلما

(١) ح : «إنما» ، وكذا فى ابن الأثير .

(٢) الأبيات فى اللسان ٨ : ٢٤١ ، وياقوت ٢ : ٢٥٣ .

(٣) فى ط : «فلما تبين» ، وأثبت ما فى ياقوت واللسان .

(٤) فى مجمع الأمثال ١ : ٢٣٣ : «خطب يسير» .

رأته تكشّفت فإذا هي مضفورة الإسب[1] ، فقالت: يا جذيمة « أدأب عروس ترى ! » [2] ، فذهبت مثلا ، فقال: بلغ المدَى ، وجفّ الثرى ، وأمرَ غدْرٍ أرى ، فقالت : « أما وإلهي ما بنا من عدم موَاس ، ولا قلّة أواس ؛ ولكنه شيمة ما أناس »[3] . فذهبت مثلا ، وقالت : إني أنبئت أن دماء الملوك شفاءٌ من الكلب ، ثم أجلسته على نطع ، وأمرت بطَسْت من ذهب ، فأعدّته له وسقته من الخمر حتى أخذت مأخذَها منه ، وأمرت براهشَيْه فقطعا ، وقدّمت إليه الطَّسْت ، وقد قيل لها : إن قَطَرَ من دمه شيءٌ في غير الطَّسْت طُلب بدمه — وكانت الملوك لا تُقتَل بضرب الأعناق إلا في قتال ، تكرِمة للمُلك — فلما ضعفت يداه سقطتا ، فقطر من دمه في غير الطست ، فقالت : لاتضيّعوا دم الملك ، فقال جذيمة : « دعوا دما ضيّعه أهله » ، فذهبت مثلا ، فهلك جَذيمة واستبقت[4] الزباء دمه ، فجعلته في بِرسٍ[5] قطن في رَبْعة لها ، وخرج قَصير من الحيّ الذى هلكت العصا بين أظهرهم ؛ حتى قدم على عمرو ابن عدى وهو بالحيرة ، فقال له قصير: أداثرٌ أم ثائرٌ[6] ، قال : لا ، بل ثائرٌ سائرٌ ، فذهبت مثلا ، ووافق قصير الناس وقد اختلفوا ، فصارت طائفة منهم مع عمرو بن عبد الجنّ الجرميّ ، وجماعة منهم مع عمرو بن عديّ ؛ فاختلف بينهما قصير حتى اصطلحا ؛ وانقاد عمرو بن عبد الجنّ لعمرو بن عديّ ، ومال إليه الناس ، فقال عمرو بن عديّ في ذلك : ‏ ٧٦١/١

---

(١) ت ، س : « الاست » ، ح : « السوءة » ، والاسب : شعر الاست .

(٢) كذا في الطبرى وابن الأثير وتجارب الأمم ٩ ، وفي المغتالين من الأشراف ١١٤ : « أذات عروس » ، وفي المسعودى ٢ : ٩٤ : «أي متاع عروس» ؛ وبعدها في الأغانى ١٤ : ٧٤ : « بل أرى متاع أمة لكماء غير ذات خفر » .

(٣) في الأغانى : « شيمة من أناس » .

(٤) كذا في ح ، وفي ط : « واستشفت » ، وفي المسعودى : « استصفت » .

(٥) كذا في ط ، وفي المسعودى : « وجعلته في برنية » .

(٦) في الميدانى : « أثائر أنت » .

دَعَوْتُ ابْنَ عَبْدِ الْجِنِّ لِلسِّلْمِ بَعْدَمَا ... تَتَايَعَ فى غَرْبِ السَّفَاهِ وَكَلْسَمَا(١)
فَلَمَّا ارْعَوَى عَنْ صَدِّنَا بِاعْتِرَامِهِ ... مَرَيْتُ هَوَاهُ مَرْىَ آمٍ رَوَائِمَا

فقال عمرو بن عبد الجنّ مجيبًا له :

أَمَا وَدِمَاءٍ مَائِرَاتٍ تَخَالُهَا ... عَلَى قُلَّةِ العُزَّى أوِ النَّسْرِ عَنْدَمَا
وَمَا قَدَّسَ الرُّهْبَانُ فى كُلِّ هَيْكَلٍ ... أَبِيلَ الْأَبِيلِينَ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَا ١/٧٦٢

ــ قال : هكذا وجد الشعر ليس بتامّ ؛ وكان ينبغى أن يكون البيت الثالث : « لقد كان كذا وكذا » ــ

ــ فقال قصير لعمرو بن عدىّ : تهيأ واستعدّ ، ولا تُطِلّ دمَ خالك . قال : وكيف لى بها وهى أمنع من عُقاب الجو ؟ فذهبت مثلا ، وكانت الزّبّاء سألت كاهنةً لها عنْ أمرها وملكها ، فقالت : أرى هلاكَكِ بسبب غلام مهين ؛ غير أمين ، وهو عمرو بن عدىّ ؛ ولن تموتى بيده ، ولكنّ حتفك بيدك ، ومن قبَله مايكون ذلك . فحذِرت عمراً ، واتّخذت نفقًا من مَجْلسها الذى كانت تجلس فيه إلى حصن لها داخل مدينتها ، وقالت : إن فَجَأنى أمر دخلت النفق إلى حصنى . ودعت رجلا مُصوِّراً أجْوَد أهل بلادها تصويراً ، وأحسنهم عملاً لذلك ، فجهّزته وأحسنت إليه ، وقالت له : سر حتّى تقدم على عمرو بن عدى متنكراً ، فتخلوَ بحشمه ، وتنضمّ إليهم ، وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور . والثقافة له ؛ ثم أثبتْ عمرو بن عدى معرفةً ، وصوّره جالسًا وقائمًا ، وراكبًا ومتفضِّلاً ، ومتسلّحا بهيئته ولبْسته وثيابه ولونه ؛ فإذا أحكمتَ ذلك ، فأقبل إلىّ .

١/٧٦٣ فانطلق المصوِّر حتى قدم على عمرو ، وصنع الذى أمرته به الزّبّاء ، وبلغ ما أوصته به ، ثم رجع إليها بعلم ما وجّهته له من الصُّور على ما وصفت له ، وأرادت أن تعرِف عمرو بن عدىّ ، فلا تراه على حال إلا عرفتْه وحَذِرته ،

---

(١) التتايع : الإسراع فى الشر، وللجاجة ، وفى ح : « تتابع » . وكلسم : ذهب فى سرعة .

وعلمت علمه . فقال قصير لعمرو بن عدىّ : اجْدَعْ أنفى واضرب ظهرى ، ودعْنى وإياها . فقال عمرو : ما أنا بفاعل وما أنت لذلك بمستحقٍّ منى ! فقال قصير : « خلّ عنّى إذاً وخلاك ذمٌّ » ، فذهبت مثلا .

قال ابن الكلبىّ : كان أبو الزبّاء اتّخذ النفق لها ولأختها، وكان الحصن لأختها فى داخل مدينتها ، قال : فقال له عمرو ، فأنت أبصر ، فجدَع قصير أنفه ، وأثّر بظهره ، فقالت العرب : « لمكر ما جدع أنفه قصير » ، وفى ذلك يقول المتلمس :

وَمِنْ حَذَرِ الْأَوْتَارِ ما حَزَّ أنْفَهُ قَصِيرٌ وَخَاضَ المَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسُ (١)

ويروى : « ورام الموت » . وقال عدىّ بن زيد :

كَقَصِيرٍ إذْ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ أنْ جَ دّعَ أشْرَافَهُ لِشُكْرٍ قَصِيرُ

فلما أن جدع قصيرٌ أنفه وأثّر تلك الآثار بظهره ، خرج كأنه هارب ، وأظهر أن عمرًا فعل به ذلك ، وأنه يزعم أنه مكَر بخاله جذيمة ، وغرّه من الزبّاء ، فسارَ قصير حتى قدم على الزبّاء ، فقيل لها : إن قصيراً بالباب ، ١/٧٦٤ فأمرت به فأدخِل عليها ، فإذا أنفُه قد جُدِع ، وظهره قد ضرب ، فقالت : ما الذى أرى بك يا قصير ؟ فقال : زعم عمرو بن عدى أنّى غررت خاله ، وزيّنت له السيرَ إليك ، وغششته ومالأتُك عليه؛ ففعل بى ما ترينْ ! فأقبلتُ إليك ، وعرفت أنى لا أكونُ مع أحد هو أثقل عليه منك . فألطفْته وأكرمته ، وأصابت عنده بعض ما أرادت من الحزم والرأى والتجربة والمعرفة بأمور الملوك ؛

---

(١) من أبيات فى الحماسة ٢ : ٦٥٨ - بشرح المرزوقى . وبيهس : رجل من فزارة كان يحمق ؛ فقتل له سبعة إخوة ، فجعل يلبس القميص مكان السراويل ، والسراويل مكان القميص ، فإذا سئل عن ذلك قال :

البسْ لكلِّ عِيشَةٍ لَبُوسَهَا إمّا نعيمَهَا وإمّا بُوسَهَا

فتوصل بما صوره من حاله عند الناس إلى أن طلب بدماء إخوته .

فلمّا عرفت أنها قد استرسلت إليه ، ووثقت به ، قال لها : إنّ لى بالعراق أموالاً كثيرة ، وبها طرائف وثياب وعطر ؛ فابعثينى إلى العراق لأحمل مالى وأحمل إليك من بُزُوزها وطرائف ثيابها ، وصنوف ما يكون بها من الأمتعة والطّيب والتجارات ، فتصيبين فى ذلك أرباحًا عظامًا ، وبعضَ ما لا غنى بالملوك عنه ؛ فإنه لا طرائف كطرائف العراق ! فلم يزل يزيّنُ لها ذلك حتى سرّحته ، ودفعت معه عيراً ، فقالت : انطلق إلى العراق ، فبع بها ما جهزناك به ، وابتعْ لنا من طرائف ما يكون بها من الثياب وغيرها . فسار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق ؛ وأتى الحيرة متنكّراً ، فدخل على عمرو بن عدى ، فأخبره بالخبر ، وقال : جهّزنى بالبزّ والطُّرَف (٢) والأمتعة ؛ لعلّ الله يمكن من الزباء فتصيب(١) ثأرك ، تقتل عدوّك . فأعطاه حاجته ، وجهّزه بصنوف الثياب وغيرِها ، فرجع بذلك كله إلى الزبّاء ؛ فعرضه عليها ، فأعجبها ما رأتْ ، وسرّها ما أتاها به ، وازدادت به ثقة ، وإليه طمأنينة ؛ ثم جهّزته بعد ذلك بأكثر مما جهّزته فى المرة الأولى ، فسار حتى قدِم العراق ، ولقى عمرو بن عدى ، وحمل من عنده ما ظنّ أنه موافق للزبّاء ؛ ولم يترك جهْداً ، ولم يدع طُرْفةً ولا متاعًا قدر عليه إلا حَمله إليها . ثم عاد الثالثة إلى العراق فأخبر عمرًا الخبر ، وقال : اجمع لى ثقاتِ أصحابك وجندك ، وهيِّئْ لهم الغرائر والمسوح — قال ابن الكلبىّ : وقصير أول من عمل الغرائر — واحمِلْ كلّ رجليْن على بعير فى غرارتين ، واجعلْ معقد رءوس الغرائر من باطنها ، فإذا دخلوا مدينة الزّباء أقمتك على باب نفقها ، وخرجت الرجال من الغرائر ، فصاحوا بأهل المدينة(٣) فمن قاتلهم قتلوه ، وإن أقبلت الزبّاء تريد النفق جَلّلْتَها بالسيف .

١/٧٦٥

ففعل عمرو بن عديّ ، وحمل الرجال فى الغرائر على ما وصفَ له قصير ، ثم وجّه الإبل إلى الزبّاء عليها الرجال وأسلحتُهم ، فلما كانوا قريباً من مدينتها ، تقدّم قصير إليها ، فبشّرها وأعلمها كثْرةَ ما حمل إليها من الثياب والطرائف ، وسألها أن تخرج فتنظر إلى قطرات تلك الإبل ، وما عليها من الأحمال ؛ فإنى

---

(١) ح : « فتدرك » . (٢) ح : « والطرائف » .
(٣) ح : « يا أهل المدينة » .

جئت بما صاء وصمت فذهبت مثلا . وقال ابن الكلبي : وكان قصير يكمُن النهار[١] ويسير الليل وهو أوّل من كمن النهار وسار الليل . فخرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ فى الأرض من ثقل أحمالها، فقالت : يا قصير :

مَا لِلْجَمَالِ مَشْيُهَا وَئِيدَا ! أَجَنْدَلًا يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيدَا ! ٧٦٦/١
أَمْ صَرَفَانًا بَارِداً شَدِيدَا !

فدخلت الإبل المدينة ، حتى كان آخرها بعيراً مرّ على بواب المدينة وهو نَبَطىّ بيده منخَسة، فنخس بها الغرائر التى تليه ، فتصيب خاصرةَ الرجل الذى فيها ، فضرط . فقال البواب بالنَّبطية « بشتابسقا »[٢] يعنى بقوله : « بشتابسقا » : فى الجوالق شرّ وأرعب[٣] قلبًا ؛ فذهبت مثلاً ، فلما توسطت الإبل المدينة أنيختْ ، ودلّ قصير عمرا على باب النفق قبل ذلك ، وأراه إياه ، وخرجت الرجال من الغرائر ، وصاحوا : بأهل المدينة! ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو بن عدىّ على باب النفق ، وأقبلت الزبّاء مولية مبادرة تريد النفق لتدخله ، وأبصرت عمرا قائمًا ، فعرفته بالصورة التى كان صوّرها لها المصوّر فمصّت خاتمها ، وكان فيها سمّ — وقالت : « بيدى لا بيدك يا عمرو » ، فذهبت مثلا ، وتلقّاها عمرو بن عدىّ، فجلّلها بالسيف فقتلها ، وأصاب ما أصاب من أهل المدينة ، وانكفأ راجعًا إلى العراق ، فقال عدىّ بن زيد فى أمر جذيمة وقصير والزبّاء وقتل عمرو بن عدىّ إياها قصيدته :

أَبُدِّلَتِ الْمَنَـازِلُ أَمْ عُفِينَا تَقَادَمَ عَهْدُهَا أَمْ قَدْ بَلِينَا

إلى آخرها .

وقال المخبّل، وهو ربيعة بن عوف السعدىّ :

يَا عَمْرُو إِنِّى قَدْ هَوِيتُ جِمَاعَكُمْ وَلِكُلِّ مَنْ يَهْوَى الْجِمَاعَ فِرَاقُ

---

(١) ح : « بالنهار » .
(٢) ت ، ح : « بستا » .
(٣) ت ، س : « وراعب » .

بَلْ كَمْ رَأَيْتُ الدَّهْرَ زَايَلَ بَيْنَهُ ... مَنْ لَا يُزَايِلُ بَيْنَهُ الْأَخْلَاقُ

طَابَتْ بِهِ الزَّبَّاءُ وَقَدْ جَمَلَتْ لَهَا ... دُوراً وَمَشْرَبَةً لَهَا أَنْفَاقُ[(1)]

حَمَلَتْ لَهَا عَمْرًا وَلَا بِخُشُونَةٍ ... مِنْ آلِ دُومَةَ رَسْلَةً مِعْنَاقُ

حَتَّى تَفَرَّعَهَا بِأَبْيَضَ صَارِمٍ ... عَضْبٍ يَلُوحُ كَأَنَّهُ مِخْرَاقُ[(2)]

وَأَبُو حُذَيْفَةَ يَوْمَ ضَاقَ بِجَمْعِهِ ... شِعْبُ الْغَبِيطِ فحومةٌ فَأُفَاقُ

وَلَهُ معدٌّ وَالْعِبَادُ وَطَيِّئٌ ... وَمِنَ الْجُنُودِ كَتَائِبٌ وَرِفَاقُ

يَهَبُ النَّجَائِبَ وَالنَّزَائِعَ حَوْلَهُ ... جُرْداً كَأَنَّ مُتُونَهَا الْأَطْلَاقُ[(3)]

فَأَتَتْ عَلَيْهِ سَاعَةٌ مَا إِنْ لَهُ ... مِمَّا أَفَاءَ وَلَا أَفَادَ عَتَاقُ

فَكَأَنَّ ذٰلِكَ يَوْمَ حُمَّ قَضَاؤُهُ ... رَفْدٌ أُمِيلَ إِنَاؤُهُ مُهْرَاقُ

وقال بعض شعراء العرب :

نَحْنُ قَتَلْنَا فَقْحَلًا وابن راعنٍ ... وَنَحْنُ خَتَنَّا نَبْتَ زَبَّا بِمِنْجَلِ[(4)]

فَلَمَّا أَتَتْهَا الْعِيرُ قَالَتْ أَبَارِدٌ ... مِنْ التَّمْرِ هٰذَا أَمْ حَدِيدٍ وَجَنْدَلِ

١/٧٦٨ وقال عبد باجر[(5)] — واسمه بهرا من العرب العاربة؛ وهم عشرة أحياء: عاد، وثمود، والعماليق، وطسم، وجديس، وأميم[(6)]، والمود[(7)]، وجرهم، ويقطن، والسلف قال: والسلف دخل فى حمير — :

---

(١) ح : « طلبت » .

(٢) س : « تقرعها » .

(٣) النزائع : جمع نزيعة ؛ وهى الناقة تنزع إلى وطنها ، والأطلاق : جمع طلق ، وهو الحبل ؛ وفى ط : « البرائع » ، وما أثبته من س .

(٤) ط : « خنينا » ، وما أثبته من ت .

(٥) ت : « ناجر » .

(٦) قال السهيلى : « يقال : بفتح الهمزة وكسر الميم وبضم الهمزة وفتح الميم ؛ وهو أكثر ؛ ووجدت بخط بعض المشاهير : « أميم » بتشديد الميم » .

(٧) س : « والنود » .

لا رَكِبَتْ رِجْلُكِ مِنْ بَيْنِ الدُّلِى   لَقَدْ رَكِبْتِ مَرْكَبًا غَيْرَ الْوَطِى
عَلَى العَرَاقِى بِصَفًا مِنَ الطَّوِى[1]   إنْ كُنْتِ غَضْبَى فَاغْضَبِى عَلَى الرَّكِى
* وَعَاتِبِى القَيِّمَ عَمْرَو بْنَ عَدِى *

فصار الملك بعد جَذِيمة لابن أخته عمرو بن عدىّ بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن عمرو بن نُمارة بن لخم، وهو أوّلُ من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب ، وأول مَنْ مجّده أهلُ الحيرة فى كتبهم من ملوك العرب بالعراق ، وإليه ينسبون ؛ وهم ملوك آل نصر ، فلم يزل عمرو بن عدىّ ملكًا حتّى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة ، منفرداً بملْكه ، مستبداً بأمره ، يغزو المغازىَ ويصيب الغنائم، وتفد عليه الوفود دهرَه الأطول ؛ لا يدين لملوك الطوائف بالعراق ، ولا يدينون له ؛ حتّى قدم أردشير بن بابك فى أهل فارس . ٧٦٩/١

* * *

وإنما ذكرنا فى هذا الموضع ما ذكرنا من أمر جَذِيمة وابن أخته عمرو بن عدىّ لما كنا قدمنا من ذكر ملوك اليمن ؛ أنّه لم يكن لملكهم نظام ، وأنّ الرئيس منهم إنما كان ملكًا على مخلافه ومحجره ، لا يجاوز ذلك ؛ فإن نزع منهم نازع ، أو نبغ منهم نابغ[2] فتجاوز ذلك — وإن بعدت مسافة سيره من مخلافه — فإنما ذلك منه عن غير ملك له موطّد ، ولا لآبائه ؛ ولا لأبنائه ، ولكن كالذى يكون من بعض من يشرُد من المتلصّصة ، فيُغير على الناحية باستغفاله أهلها ، فإذا قصده الطلب لم يكن له ثبات ؛ فكذلك كان أمر ملوك اليمن ؛ كان الواحد منهم بعد الواحد يخرج عن مخلافه ومحجره أحيانًا فيصيب مما يمرّ به ثم يتشمّر[3] عند خوف الطلب ، راجعًا إلى موضعه ومخلافه ، من غير أن يدين له أحد من غير أهل مخلافه بالطاعة ، أو يؤدّى إليه خرْجاً ؛ حتّى كان عمرو

---

(١) ت : « الوطى » .
(٢) ح : « تابع » .
(٣) ح : « يشمر » .

ابن عدىّ الذى ذكرنا أمره، وهو ابن أخت جَذيمة الذى اقتصصنا خبره ، فإنه اتّصل له ولعقبه ولأسبابه الملك على ما كان بنواحى العراق وبادية الحجاز من العرب باستعمال ملوك فارس إياهم على ذلك ، واستكفائهم أمرَ مَنْ وليَهم من العرب؛ إلى أن قَتَل أبرويز بن هرمز النعمانَ بن المنذر ، ونقل ما كانت ملوك فارس يجعلونه إليهم إلى غيرهم ، فذكرنا ما ذكرنا من أمر جَذيمة وعمرو ابن عدىّ من أجل ذلك؛ إذ كنّا نريد أن نسوق تمام التاريخ على مُلك ملوك فارس ، ونستشهد على صحة ما رُوِى من أمرهم بما وجدنا إلى الاستشهاد به عليها سبيلاً . وكان أمرُ آل نصر بن ربيعة ومَنْ كان من ولاة ملوك الفرس وعمّالهم على ثغر العرب الذين هم ببادية العراق عند أهل الحيرة متعالمًا مثبَتًا عندهم فى كنائسهم وأسفارهم . ١/ ٧٧٠

وقد حُدّثت عن هشام بن محمد الكلبىّ أنه قال : إنى كنت أستخرج أخبارَ العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغَ أعمار مَنْ عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بِيَع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلّها .

فأما ابن حميد، فإنه حدثنا فى أمر ولد نصر بن ربيعة ومصيرهم إلى أرض العراق غيرَ الذى ذكره هشام ؛ والذى حدّثنا به من ذلك عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم : أنّ ربيعة بن نصر اللخمىّ رأى رؤيا نذكرها بعدُ — عند ذكر أمر الحبشة، وغلبتهم على اليمن وتعبير سَطيح وشِق وجوابهما عن رؤياه — ثم ذكَر فى خبره ذلك أن ربيعة بن نصر لما فرغ من مسألة سطيح وشَق وجوابهما إياه ، وقع فى نفسه أنّ الذى قالا له كائن من أمر الحبشة ؛ فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يُصلحهم ، وكتب لهم إلى مَلِك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرّزاذ ، فأسكنهم الحيرة . قال : فمن بقيّة ربيعة ابن نصر كان النعمان ملك حيرة، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر ابن عمرو بن عدىّ بن ربيعة بن نصر . ذلك الملك فى نسب أهل اليمن وعلمهم . ١/ ٧٧١

* * *

[ذكر طسم وجديس]

قال أبو جعفر : ونذكر الآن أمر طسم وجديس إذ كان أمرهم أيضًا كان فى أيام ملوك الطوائف ، وأنّ فناء جَدِيس كان على يد حسان بن تُبَّع ، إذ كنّا قدّمنا فيما مضى ذكر تبابعة حمير ، الذين كانوا على عهد ملوك فارس .

وحُدّثت عن هشام بن محمد . وحدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق وغيرهما من علماء العرب ، أن طَسْما وجديسًا كانوا من ساكِنى اليمامة ؛ وهى إذ ذاك مِنْ أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيراً ، لهم فيها صنوف الثمار ومعجبات الحدائق والقصور الشامخة ، وكان عليهم مَلِك من طَسْم ظلوم غشوم ، لا ينهاه شىء عن هواه ، يقال له عملوق ، مُضرًّا بجديس ، مستذلاًّ لهم ، .

وكان ممّا لقوا من ظُلمه واستذلاله ؛ أنه أمرَ بألاّ تُهْدَى بكْر من جَدِيس إلى زوجها حتى تدخلَ عليه فيفترعَها ، فقال رجل من جَدِيس ، يقال له الأسود بن غِفار لرؤساء قومه : قد ترونَ ما نحن فيه من العار والذلّ الذى ينبغى للكلاب أن تعافه وتمتعض منه ؛ فأطيعونى فإنى أدعوكم إلى عزّ الدهر ، ونفى الذّل . قالوا : وما ذاك ؟ قال : إنى صانع للملك ولقومه طعامًا ، فإذا جاءوا نهضنا اليهم بأسيافنا وانفردتُ به فقتلته ، وأجْهِزَ كلّ رجل منكم على جليسه ، فأجابوه[1] إلى ذلك ، وأجمع رأيهم عليه فأعدّ طعامًا ، وأمر قومه فانتضوْا سيوفهم ودفنوها فى الرمل ، وقال : إذا أتاكم القوم يرفُلون فى حُلَلهم ، فخذوا سيوفَهم ، ثم شدّوا عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم ، ثم اقتلوا الرؤساء ؛ فإنكم إذا قتلتموهم لم تكن السفلة شيئًا ؛ وحضر الملك فقُتل وقتل الرؤساء ، فشدّوا على العامة منهم ، فأفنوْهم ، فهرب رجل من طَسْم يقال له رياح[2] بن مرّة ، حتى أتى حسّان بن تُبع ، فاستغاث به ، فخرج حسان فى حِمْير ،

١/٧٧٢

(١) ح : « فأجابوا » .
(٢) ابن خلدون وياقوت : « رباح » .

فلما كان من اليمامة على ثلاث ، قال له رياح : أبيت اللعن ! إن لى أختاً متزوّجة فى جَديس ، يقال لها : اليمامة ، ليس على وجه الأرض أبصرُ منها ، إنها لَتبصِرُ الراكب من مسيرة ثلاث ، وإنى أخاف أن تنذِر القوم بك ، فمُرْ أصحابَك ، فليقطعْ كلُّ رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه ويسير وهى فى يده ، فأمرهم حسان بذلك ، ففعلوا ، ثم سار فنظرت اليمامة ، فأبصرتهم ، فقالت لجديس : لقد سارت حِميْر . فقالوا : وما الذى ترين ؟ قالت : أرى رجلا فى شجرة ، معه كَتِف يتعرّقها[1] ، أو نعل يخصفها . فكذّبوها ؛ وكان ذلك كما قالتْ ، وصبّحهم حسان فأبادهم وأخرب بلادهم وهدّم قصورهم وحصونهم .

١/٧٧٣

وكانت اليمامة تسمّى إذ ذاك جوّا والقرية ؛ وأُتى حسان باليمامة ابنة مرّة ، فأمر بها ففقئت عيناها ؛ فإذا فيها عروق سود ، فقال لها : ما هذا السواد فى عروق عينيك ؟ قالت : حُجَير أسود يقال له الإثمد ، كنت أكتحل به . وكانت فيما ذكروا أوّلَ من اكتحل بالإثمد ، فأمر حسان بأن تسمّى جو اليمامة[2] .

وقد قالت الشعراء من العرب فى حسان ومسيره هذا ، فمن ذلك قول الأعشى[3] :

كونى كَمِثْلِ الَّذِى إذْ غَابَ وَافِدُهَا ... أَهْدَتْ لَهُ مِنْ بَعِيدٍ نَظْرَةً جَزَعَا
مَا نَظَرَتْ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظْرَتِهَا ... حَقًّا كَمَا صَدَقَ الذِّئْبِىُّ إِذْ سَجَعَا[4]
إذْ قَلَّبَتْ مُقْلَةً لَيْسَتْ بِمُقْرِفَةٍ ... إذْ يَرْفَعُ الآلُ رَأْسَ الْكَلْبِ فَارْتَفَعَا[5]

---

(١) يتعرقها : يأخذ ما عليها من اللحم بأسنانه نهشاً .

(٢) انظر القصة فى شرح ديوان الأعشى ٧٤ .

(٣) ديوانه ٧٢ – ٧٤ ؛ من قصيدة مطلعها :

بَانَتْ سُعَادُ وأَمْسَى حبلها انقطَعا ... واحتلَّتِ الْغَمْرَ فالْجُدَّيْنِ فالْفَرَعا

(٤) الذئبى : أحد الكهنة .

(٥) الديوان :

* إذْ نَظَرَتْ نَظْرَةً لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ *

ورأس الكلب : جبل باليمامة .

قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِفٌ ... أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ، لَهْفَى أيَّةً صَنَعَا !

فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ... ذُو آلِ حَسَّانَ يُزْجِي المَوْتَ وَالشَّرَعَا

فَاسْتَنْزَلُوا أَهْلَ جَوٍّ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ ... وَهَدَّمُوا شَاخِصَ الْبُنْيَانِ فَاتَّضَعَا ١/٧٧٤

ومن ذلك قول النمر بن تولب العُكْلِيّ :

هَلَّا سَأَلْتَ بِعَادِيَاءَ وَبَيْتِهِ ... وَالْخَلِّ وَالخَمْرِ الَّتِي لَمْ تُمْنَعِ (١)

وَفَتَاتِهِمْ عَنْزٍ عَشِيَّةَ آنَسَتْ ... مِنْ بَعْدِ مَرْأًى فِي الْفَضَاءِ وَمَسْمَعِ

قَالَتْ أَرَى رَجُلًا يُقَلِّبُ كَفَّهُ ... أُصُلًا وَجَوٌّ آمِنٌ لَمْ يَفْزَعِ (٢)

وَرَأَتْ مُقَدِّمَةَ الْخَمِيسِ وَقَبْلَهُ ... رَقْصَ الرِّكَابِ (٣) إِلَى الصِّيَاحِ بِتُبَّعِ

فَكَأَنَّ صَالِحَ أَهْلِ جَوٍّ غُدْوَةً ... صُبِحُوا بِذَيْفَانِ السِّمَامِ الْمُنْقَعِ

كَانُوا كَأَنْعَمِ مَنْ رَأَيْتَ فَأَصْبَحُوا ... يَلْوُونَ زَادَ الرَّاكِبِ الْمُتَمَتِّعِ

قَالَتْ يَمَامَةُ احْمِلُونِي قَائِمًا (٤) ... إِنْ تَبْعَثُوهُ بَارِكًا بِي أُصْرَعِ

١/٧٧٥ وحسان بن تُبّع ، الذى أوقع بجديس ، هو ذو معاهر ، وهو تُبّع بن تُبّع تُبان أسعد أبي كرب بن ملكيكرب بن تبع بن أقرن ؛ وهو أبو تبّع بن حسان الذى يزعم أهل اليمن أنه قدِم مكة ، وكسا الكعبة ، وأن الشّعب من المطابخ إنما سمى هذا (٥) الاسم لنصبه المطابخ فى ذلك الموضع وإطعامه الناسَ ؛ وأنّ أجياداً إنما سمى أجياداً ، لأنّ خيله كانت هنالك ؛ وأنه قدم يثرب فنزل منزلا يقال له منزل الملك اليوم ، وقتّل من اليهود مقتلة عظيمة بسبب شكاية مَنْ شكاهم إليه من الأوس والخزرج بسوء الجوار، وأنه وجّه ابنه حسان إلى السّند

---

(١) ذكر ابن بدرون فى شرح الرائية ٦٨ من هذه الأبيات البيتان : الثانى والثالث .

(٢) ابن بدرون :

أَرَى رَجُلًا يُقَلِّبُ نَعْلَهُ ... تَقْلِيبَ ذِي وَصْلٍ لَهُ وَمُشَسَّعُ

(٣) ابن بدرون : « ركض الجياد » .

(٤) ح : « إنما » .

(٥) ت : « بهذا » .

وسمِرا ذا الجناح إلى خراسان ، وأمرهما أن يستبقا إلى الصين ، فمرّ سمِر بسمرْقَند فأقام عليها حتّى افتتحها ، وقتل مقاتلتها ، وسبى وحوى ما فيها ونفذ إلى الصين ، فوافى حَسّان بها ، فمن أهل اليمن مَنْ يزعم أنهما ماتا هنالك ، ومنهم مَنْ يزعم أنهما انصرفا إلى تبّع بالأموال والغنائم .

* * *

ومما كان فى أيام ملوك الطوائف ما ذكره الله عزّ وجلّ فى كتابه من أمر الفتية الذين أووا إلى الكهف فضُرِب على آذانهم .

تمّ الجزء الأول من تاريخ الطبرى ، ويليه الجزء الثانى
وأوله : ذكر الخبر عن أصحاب الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الخبر عن أصحاب الكهف

وكان أصحابُ الكهف فتيةً آمنوا بربِّهم ؛ كما وصفهم الله عزّ وجلّ به من صفتهم فى القرآن المجيد ؛ فقال لنبيِّه محمد صلّى الله عليه وسلّم : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ .[1] ١/٧٧٦

والرّقيم هو الكتاب الذى كان القوم الذين منهم كان الفتية ، كتبوه فى لوحٍ بذكر خبرهم وقصصهم ، ثم جعلوه على باب الكهف الذى أوَوْا إليه ، أو نقروه فى الجبل الذى أوَوْا إليه ، أو كتبوه[2] فى لوح وجعلوه فى صندوق خلّفوه[3] عندهم ، « إذ أوى الفتيةُ إلى الكهف» .

وكان عددُ الفتية — فيما ذكر ابنُ عباس — سبعةً ، وثامنهم كلبهم .

حدّثنا ابن بشّار ، قال : حدّثنا عبد الرحمن ، قال : حدّثنا إسرائيل ، عن سِماك ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس : ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ،[4] قال : أنا من القليل ، كانوا سبعة .

حدّثنا بشر ، قال : حدّثنا يزيد ، قال : حدّثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنّ ابن عباس كان يقول : أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله تعالى ؛ كانوا سبعةً وثامنهم كلبهم[5] .

---

(١) سورة الكهف ٩ .

(٢) فى الأصول : « وكتبوه » .

(٣) ت : « وخلفوه » .

(٤) سورة الكهف ٢٢ ، والخبر فى التفسير ١٥ : ١٥٠ (بولاق) .

(٥) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٥٠ (بولاق) .

قال : وكان اسمُ أحدهم — وهو الذى كان يَلِى شِرَا الطعام لهم ، الذى ذكره الله عنهم أنهم قالوا إذ هبُّوا من رقدتهم : ﴿ فَٱبْعَثُوا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾[1].

حدّثنى عبد الله بن محمد الزّهرىّ ، قال : حدّثنا سفيان ، عن مقاتل : ﴿ فَٱبْعَثُوا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ — اسمه يمنيخ[2] .

وأما ابنُ إسحاق فإنه قال — فيما حدّثنا به ابن حُميد — قال : حدّثنا سلَمة ، عنه : اسمه يمليخا .

وكان ابن إسحاق يقول : كان عدد الفتية ثمانية ؛ فعلى قوله كان كلبُهم تاسعَهم . وكان — فيما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — يسمّيهم فيقول : كان أحدهم — وهو أكبرهم والذى كلّم الملِك عن سائرهم — مكسملينا ، والآخر محسملينا ، والثالث يمليخا ، والرابع مرطوس[3] ، والخامس كسوطونس[4] ، والسادس بيرونس[5] ، والسابع رسمونس[6] ، والثامن بطونس[7] ، والتاسع قالوس[8] . وكانوا أحداثًا .

١/٧٧٧

وقد حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، قال : لقد حُدِّثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانهم وضح الورق . وكانوا من قوم يعبدون الأوثان من الروم ، فهداهم الله للإسلام ، وكانت شريعتهم شريعةَ عيسى فى قول جماعة من سلف علمائنا .

---

(١) سورة الكهف ١٩ ، والخبر فى التفسير ١٥ : ١٤٨ (بولاق) .
(٢) ت ، ح : « تمنيخ » ، التفسير : « يمليخ » .
(٣) التفسير : « مرطونس » .
(٤) التفسير : « كسطونس » ، ل : « كسر طويس » .
(٥) التفسير : « يبورس » .
(٦) التفسير : « يكرنوس » .
(٧) التفسير : « يطبيونس » ، ل : « بطويس » ح : « بطوس » .
(٨) التفسير : « قالوش » .

حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا الحكَم بن بشير ، قال: حدّثنا عمرو — يعنى ابن قيس الملائى — فى قوله: ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾، كانت الفتية على دين عيسى بن مريم صلّى الله عليه وسلّم على الإسلام، وكان ملكهم كافراً . وكان بعضهم يزعم أنّ أمرهم ومصيرهم إلى الكهف كان قبل المسيح ، وأنّ المسيح أخبر قومه خبرَهم ، فإنّ الله عزّ وجلّ ابتعثهم من رقدتهم بعد ما رفع المسيح ، فى الفترة بينه وبين محمد صلّى الله عليه وسلّم ؛ والله أعلم أىّ ذلك كان .

١/٧٧٨

فأمّا الذى عليه علماء أهل الإسلام فَعَلَى أنّ أمرهم كان بعد المسيح . فأمّا أنّه كان فى أيام ملوك الطوائف ؛ فإنّ ذلك مما لا يدفعه دافع من أهل العلم بأخبار الناس القديمة .

وكان لهم فى ذلك الزمان مَلِكٌ يقال له : دقينوس، يعبد الأصنام — فيما ذكر عنه — فبلغه عن الفتية خلافُهم إيّاه فى دينه ، فطلبهم فهربوا منه بدينهم، حتى صاروا إلى جبل لهم يقال له — فيما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجِيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس — نيحلوس .

وكان سببُ إيمانهم وخلافهم به قومهم — فيمَا حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدّثنا عبد الرزاق ، قال : حدّثنا معمَر ، قال : أخبرنى إسماعيل بن سدوس[1] ، — أنه سمع وهب بن منبّه يقول: جاء حواريّ عيسى بن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف ، فأراد أن يدخلَها ، فقيل له : إنّ على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجدَ له ، فكره أن يدخلَها ، فأتى حمّاماً ، وكان فيه قريبًا من تلك المدينة ، فكان يعمل فيه ، يؤاجِر[2] نفسه من صاحب الحمّام . ورأى صاحب الحمّام فى حمّامه البرَكة ، ودرّ[3] عليه الرزق ، فجعل يعرض عليه [الإسلام][4] وجعل يسترسل إليه . وعَلِقه فتيةٌ من أهل المدينة وجعل يُخبرهم

١/٧٧٩

---

(١) ل : « شروس » ، ح : « سروس » ، ت : « سدوش » .

(٢) ح ، ل: « يأجر » . (٣) فى ط : « رد » وما أثبته من التفسير وانظر التصويبات .

(٤) من التفسير .

خبرَ السماء والأرض وخبر الآخرة ، حتى آمنوا به وصدّقوه ، وكانوا على مثل حاله فى حسن الهيئة ، وكان يشرُط[1] على صاحب الحمّام أنّ الليل لى ، لا تحول بينى وبين الصلاة إذا حضرت . فكان على ذلك حتى جاء ابنُ الملك بامرأة ، فدخل بها الحمّام ، فعيّره الحوارىّ ، فقال : أنت ابنُ الملك وتدخلُ ومعك[2] هذه الكذا[3] ! فاستحيا ، فذهب . فرجع مرة أخرى ، فقال له مثل ذلك ، وسبّه وانتهره ، ولم يلتفت حتى دخل ، ودخلت معه المرأة فماتا فى الحمّام جميعًا ، فأتِى الملك فقيل له : قتل صاحبُ الحمّام ابنَك . فالتُمِسَ ، فلم يُقدرْ عليه فهرب . قال من كان يصحبه : فسمّوا الفتية ؛ فالتُمِسوا فخرجوا من المدينة ، فمرّوا بصاحبٍ لهم فى زرع له ؛ وهو على مثل أمرهم فذكروا أنهم التُمسوا ، وانطلق معهم ومعه الكلب ؛ حتى آواهم الليل إلى الكهف ، فدخلوه فقالوا : نبيت هاهنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله ، فترونْ رأيَكم . فضرِب على آذانهم ، فخرج المَلك فى أصحابه يتبعونهم ، حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف ؛ فكلّما أراد رجل أن يدخلَ أُرعِب ، فلم يطق أحد أن يدخل ، فقال قائل : أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتَهم ؟ قال : بلى ، قال : فابنِ عليهم باب الكهف ، فدعْهم فيه يموتوا عطشاً وجوعاً . ففعل[4] . فغبروا – بعد ما بنى عليهم باب الكهف – زماناً بعد زمان .

١ / ٧٨٠

ثم إنّ راعيًا أدركه المطر عند الكهف ، فقال : لو فتحت هذا الكهف فأدخلته غنمى من المطر ! فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخِل فيه ، وردّ الله إليهم أرواحَهم فى أجسادهم من الغد حين أصبحوا ، فبعثوا أحدَهم بورِق يشترى لهم طعامًا ، فكلّما أتى باب مدينتهم رأى شيئًا ينكِره ، حتى دخل على رجل ، فقال : بعنى بهذه الدراهم طعامًا ، قال : ومن أين لك هذه الدراهم ! قال : خرجت وأصحابٌ لى أمس ، فآوانا الليل حتى أصبحوا ، فأرسلونى ، فقال :

---

(١) ت والتفسير : « يشترط » .

(٢) ح ، ل : « معك » .

(٣) التفسير : « النكداء » .

(٤) إلى هنا ، الخبر فى التفسير ١٥ : ١٣٦ (بولاق) .

هذه الدراهم كانت على عهد الملك فلان فأنَّى لك بها ! فرفعه إلى الملك — وكان ملكًا صالحًا — فقال : من أينَ لك هذه الورِق ؟ قال : خرجت أنا وأصحاب لى أمس حتى أدركَنا الليل فى كهف كذا وكذا ، ثم أمرونى أن أشترىَ لهم طعامًا . قال : وأين أصحابك ؟ قال : فى الكهف ، قال : فانطلقوا معه حتى أتوْا بابَ الكهف ، فقال : دعونى أدخل إلى أصحابى قبلكم ، فلما رأوْه ودنا منهم ضُرب على أذنه وآذانهم ، فجعلوا كلّما دخل رجل أُرعِب ، فلم يقدروا على أن يدخلوا إليهم ، فبنوْا عندهم كنيسة ، واتّخذوها مسجداً يصلُّون فيه . ٧٨١/١

حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدّثنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمَر ، عن قَتادة ، عن عِكْرمة ، قال : كان أصحابُ الكهف أبناءَ ملوك الروم ، رزقهم الله الإسلام ، فتفرّدوا(١) بدينهم ، واعتزلوا قومَهم ، حتى انتهوْا إلى الكهف ، فضرب الله على سُمْخانِهم . فلبثوا دهراً طويلاً ، حتى هلكت أمّتهم ، وجاءتْ أمّةٌ مسلمة ، وكان ملِكهم مسلمًا ، واختلفوا فى الروح والجسد ، فقال قائل : تبعث الروح والجسد جميعًا ، وقال قائل : تُبْعث الروح ، وأما الجسد فتأكله الأرض ، فلا يكون شيئًا . فشقّ على ملكهم اختلافهم ، فانطلق فلبس المُسوح ، وجلس على الرّماد ، ثم دعا الله عزَّ وجلّ ، فقال : يا ربّ ، قد ترى اختلاف هؤلاء ، فابعثْ لهم ما يبيّن لهم ، فبعث الله أصحابَ الكهف ، فبعثوا أحدَهم يشترى لهم طعامًا ، فدخل السوق ، فجعل يُنكِر الوجوه ويعرف الطرق(٢) ، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهراً ، فانطلق وهو مستخف ، حتى أتى رجلا يشترى منه طعامًا ، فلما نظر الرجل إلى الورِق أنكرها — قال : حسبت أنه قال : كأنها أخفاف الرُّبَع — يعنى الإبل الصغار — قال له الفتى : أليس ملِككم فلان؟ قال : بل ملكنا فلان ، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك ، فسأله فأخبره الفتى خبرَ أصحابه ، فبعث الملك فى الناس ، فجمعهم فقال : إنّكم قد اختلفتم فى الروح والجسد ،

(١) ت والتفسير : « فتعوذوا » .
(٢) ت : « الطريق » .

١/٧٨٢ وإنّ الله عزّ وجل قد بعث لكم آية ، فهذا رجل من قوم فلان – يعنى ملكهم الذى مضى – فقال الفتى : انطلقوا بى إلى أصحابى ، فركب الملك ، وركب معه النّاس ، حتى انتهى إلى الكهف، فقال الفتى : دعونى أدخلْ إلى أصحابى ، فلما أبصرهم ضرب الله على أذنه وعلى آذانهم ، فلمّا استبطئوه دخل الملك ودخل الناس معه ، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً غير أنها لا أرواحَ فيها . فقال الملك : هذه آية بعثها الله لكم[1] .

* * *

قال قَتادة : وغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة ، فمرّوا بالكهف ، فإذا فيه عظام ، فقال رجل : هذه عظام أصحاب الكهف ، فقال ابن عباس : لقد ذهبتْ عظامهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة .

* * *

قال أبو جعفر : فكان منهم[2] :

(١) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٤٣ (بولاق) .

(٢) أى من كان فى أيام ملوك الطوائف . انظر ابن الأثير ١ : ٢٠٨ .

يونس بن متى

— فكان فيما ذُكِر — من أهل قرية من قرى الموصل يقال لها : نينوى ، وكان قومه يعبدون الأصنام ، فبعث الله إليهم يونس بالنهْيِ عن عبادتها ، والأمر بالتوبة إلى الله من كفرهم ، والأمر بالتوحيد . فكان من أمره وأمر الذين بُعِث اليهم ما قصّه الله فى كتابه ، فقال عزّ وجل : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾[1] . وقال : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] . ١/٨٨٣

* * *

وقد اختلف السّلَف من علماء أمة نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم فى ذهابه لربّه مغاضبًا وظنّه أن لن يُقدَر[3] عليه ، وفى[4] حين ذلك .

فقال بعضهم : كان ذلك منه قبل دعائه القوم الذين أرسِل إليهم ، وقبل إبلاغه إياهم رسالة ربِّه ؛ وذلك أنّ القوم الذين أرسِل إليهم لمّا حضرهم عذاب الله أمِر بالمصير إليهم ؛ ليعلِمهم ما قد أظلّهم من ذلك ، لينيبوا ممّا هم عليه مقيمون مما يسخَطه الله ، فاستنظر ربّه المصيرَ إليهم ، فلم يُنظِرْه ، فغضب لاستعجال الله إياه للنفوذ لأمره وترك إنظاره .

---

(١) سورة يونس ٩٨ .

(٢) سورة الأنبياء ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) كذا فى ت : وفى ط : « نقدر » .

(٤) ح ، ل : « فى » بدون واو .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثني الحارث، قال : حدّثنا الحسن الأشيب، قال : سمعت أبا هلال محمد بن سُلَيْم، قال: حدّثنا شهر بن حَوْشب، قال : أتاه جبريل عليه السلام — يعني يونس — وقال: انطلق إلى أهل نينَوى، فأنذِرْهم أنّ العذاب قد حضرهم. قال : ألتمسُ دابّة، قال : الأمر أعجل من ذلك، قال : ألتمسُ حذاء، قال : الأمر أعجل من ذلك، قال : فغضب، فانطلق إلى السفينة فركب، فلما ركب احتبست السفينة لاتَقدّمُ ولا تأخّرُ. قال : فساهموا. قال : فَسُهِم[1]، فجاء الحوت يبصبص بذنبه، فنودى الحوت: أيا حوت؛ إنا لم نجعل يونس لك رزقاً، إنّما جعلناك له حِرْزاً ومسجداً، فالتقمه الحوت، فانطلق به من ذلك المكان حتى مرّ به على الأيلّة[2]، ثم انطلق حتّى مرّ به على دِجلة، ثم انطلق به حتى ألقاه فى نينَوى[3].

١/٧٨٤

حدّثني الحارث، قال : حدّثنا الحسن، قال : حدّثنا أبو هلال، قال : حدّثنا شهر بن حَوْشب، عن ابن عباس، قال: إنّما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت.

* * *

وقال آخرون: كان ذلك منه بعد دعائه مَنْ أرسل إليهم إلى ما أمره الله بدعائهم إليه، وتبليغه إياهم رسالة ربّه، ولكنّه وعدهم نزول ما كان حذّرهم من بأس الله فى وقت وقّتَه لهم، ففارقهم إذ لم يتوبوا ولم يراجعوا طاعة الله والإيمان، فلما أظلّ القومَ عذابُ الله، فغشيَهم — كما وصف الله فى تنزيله — تابوا إلى الله، فرفع الله عنهم العذاب، وبلغ يونس سلامتهم وارتفاع العذاب الذى كان وعدَهموه، فغضِب من ذلك، وقال: وعدتهم وعداً، فكذِّب وعدِى! فذهب مغاضباً ربّه، وكره الرجوع إليهم وقد جرّبوا عليه الكذب.

(١) سهم، بالبناء للمجهول، أى غلب.

(٢) ط : «الأبلة»، وما أثبته من ت، والتفسير.

(٣) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٦٧ (بولاق).

* ذكر بعض من قال ذلك :

حدّثنا ابن حُمَيد، قال: حدّثنا سلمَة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن زياد، عن عبد الله بن أبي سلَمة، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عبّاس، قال: بعثه الله تعالى – يعني يونس – إلى أهل قريته، فردّوا عليه ما جاءهم به، وامتنعوا منه، فلما فعلوا ذلك أوْحَى الله إليه: إنّي مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا، فاخرُجْ من بين أظهرهم. فأعلَم قومَه الذي وعدهم الله من عذابه إياهم، فقالوا: ارمُقوه، فإن هو خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم. فلما كانت الليلة التي وُعِدوا العذاب في صبيحتها أدلج وراءه القوم، فحذِروا. فخرجوا من القرية إلى بَراز[1] من أرضهم، وفرّقوا بين كلّ دابّة وولدها، ثم عجّوا إلى الله واستقالوه فأقالهم. وتنظّر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مرّ به مارّ، فقال: ما فعل أهل القرية؟ فقال: فعلوا أنّ نبيّهم لمّا خرج من بين أظهرهم عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب، فخرجوا من قريتهم إلى بَراز من الأرض، وفرّقوا[2] بين كلّ ذات ولد وولدها، ثم عجّوا إلى الله وتابوا إليه، فقبِل منهم، وأخّر عنهم العذاب. قال: فقال يونس عند ذلك وغضب: والله لا أرجع إليهم كذّابًا أبداً، وعدتُهم العذاب في يوم، ثم رُدّ عنهم! ومضى على وجهه مغاضبًا لربّه فاستزلّه الشيطان[3].

١/٧٨٥

حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: حدّثنا إسحاق بن الحجاج، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع [بن أنس][4]، قال: حدّثنا رجل قد قرأ القرآن في صدره في إمارة عمر بن الخطاب، فحدّث عن قوم يونس حيث أنذر قومَه فكذّبوه، فأخبرهم أنه مصيبهم العذاب وفارَقهم، فلما رأوْا ذلك وغشيَهم العذاب؛ لكنّهم[5] خرجوا من مساكنهم، وصعدوا

---

(١) البراز: الفضاء الواسع الخالي من الشجر.

(٢) ت: «ثم فرقوا».

(٣) الخبر في التفسير ١٧ : ٦١ (بولاق)

(٤) من التفسير.

(٥) كذا ورد الاستدراك هنا بلفظ «لكنهم»، وورد بعد بلفظ «لكنه»، في التاريخ والتفسير؛ وهو غير واضح.

فى مكان رفيع ، وأنهم جأروا إلى ربّهم ، ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب ، وأن يرجع إليهم رسولهم ، قال : ففى ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾[1].

١/٧٨٦

فلم يكن قرية غشيها العذابُ ثم أمسك عنها إلا قوم يونس خاصّة، فلما رأى ذلك يونس ، لكنّه ذهب عاتبًا على ربه ، وانطلق مغاضبًا، وظنّ أنْ لن يقدر عليه، حتى ركب سفينة ، فأصاب أهلها عاصف من الريح[٢]. فقالوا: هذه بخطيئة أحدكم . وقال يونس — وقد عرف أنه هو صاحب الذنب : هذه بخطيئتى ، فألقونى فى البحر . وإنّهم أبوْا عليه حتى أفاضوا بسهامهم ، ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾[٢] ، فقال لهم : قد أخبرتكم أنّ هذا الأمرَ بذنبي . وإنّهم أبوْا عليه أن يلقوه فى البحر ،حتى أفاضوا بسهامهم الثانية ؛ ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾. فقال لهم : قد أخبرتكم أنّ هذا الأمر بذنبى ، وإنّهم أبوْا عليه أن يلقوه فى البحر حتى أفاضوا بسهامهم الثالثة ، ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ . فلّما رأى ذلك ألقى نفسه فى البحر ، وذلك تحت الليل ، فابتلعه الحوت ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ﴾[٣] —وعرف الخطيئة— ﴿ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[٣] . وكان قد سبق له من العمل الصالح ، فأنزل الله فيه فقال : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾؛ وذلك أنّ العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر ؛ ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾[٤] . وألقى على ساحل البحر ، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين — وهى فيما ذكر — شجرة القرع يتقطّر عليه

---

(١) سورة يونس ٩٨ . (٢) الخبر إلى هنا فى التفسير ١٥ : ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٣) سورة الصافات ١٤١ ؛ وفى التفسير : «فساهم : فقارع . ومن المسهومين : من المغلوبين ، يقال منه : أدحض الله حجة فلان فدحضت ، أى أبطلها فبطلت » .

(٣) سورة الأنبياء ٨٧ . (٤) سورة الصافات ١٤٣ — ١٤٥ .

١/٧٨٧ من اللبن ؛ حتى رجعت إليه قوّته . ثم رجع ذاتَ يوم إلى الشجرة فوجدها قد يبست ، فحزن وبكى عليها ، فعوتب فقيل له : أحزنْتَ على شجرة ، وبكيت عليها ولم تحزن على مائة ألف أو زيادة أردت هلاكَهم جميعًا !

ثم إنّ الله اجتباه من الضّلالة ، فجعله من الصالحين ، ثم أمِر أن يأتيَ قومَه ويُخبِرَهم أنّ الله قد تاب عليهم . فعمَد إليهم ، حتى لقيَ راعيًا ، فسأله عن قوم يونس وعن حالهم ، وكيف هم ؟ فأخبره أنهم بخير ، وأنهمْ على رجاء أن يرجع إليهم رسولُهم ، فقال له : فأخبِرْهم أنّى قد لقيت يونس . فقال : لا أستطيع إلا بشاهد ، فسمّى له عنزاً من غنمه ، فقال : هذه تشهد لك أنّك قد لقيت يونس ، قال : وماذا ؟ قال : وهذه البقعة التى أنت فيها تشهد لك أنّك قد لقيت يونس . قال : وماذا ؟ قال : وهذه الشجرة تشهد لك أنّك قد لقيت يونس . وإنه رجع الراعى إلى قومه فأخبرهم أنه لقيَ يونس فكذّبوه وهَمّوا به شرًّا ، فقال : لا تعجلوا علىّ حتى أصبح ، فلما أصبح غَدَا بهم إلى البقعة التى لقيَ فيها يونس فاستنطقها ، فأخبرته أنه لقى يونس ، وسأل العنز ، فأخبرتْهم أنه لقيَ يونس ، واستنطقوا الشجرة ، فأخبرتهم أنّه قد لقيَ يونس . ثم إن يونس أتاهم بعد ذلك . قال : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾[1] .

حدّثنى الحسين بن عمرو بن محمد العَنْقَزىّ[2] ، قال : حدّثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأودىّ ، قال : حدّثنا ١/٧٨٨ ابن مسعود فى بيت المال ، قال : إنّ يونس كان وعد قومه العذاب ؛ وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام ، ففرّقوا بين كلّ والدة وولدها ، ثم خرجوا فجأروا إلى الله ، واستغفروه ، فكفّ الله عنهم العذاب ، وغدا يونس ينتظر العذاب ، فلم ير شيئًا ، وكان مَنْ كذب ولم يكن[3] له بيّنة قتِل

(١) سورة الصافات ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) ط : « العبقرى » ، والصواب ما فى اللباب لابن الأثير وانظر التصويبات .

(٣) ت : « تكن » .

فانطلق مغاضبا ﴿ فَنَادَى فِى الظُّلُمَاتِ ﴾ ، قال : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة الليل ، وظلمة البحر .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن حدثه عن عبد الله بن رافع ، مولى أم سلمة زوج [١] النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أراد الله حبس يونس فى بطن الحوتِ أوحى الله إلى الحوت أنْ خُذْهُ ولا تخدش له لحمًا ، ولا تكسر عظمًا ، فأخذه ، ثم هوَى به إلى مسكنه من البحر . فلما انتهى به إلى أسفل البحر ، سمع يونس حسًّا ، فقال فى نفسه : ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو فى بطن الحوت : إنّ هذا تسبيح دوابّ البحر . قال : فسبّح وهو فى بطن الحوت ، قال : فسمعت الملائكة تسبيحَه ، فقالوا : يا ربنا ، إنا لنسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة . قال : ذلك عبدى يونس ، عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر ، قالوا : العبد الصالح الذى كان يصعد إليك منه فى كلّ يوم وليلة عمل صالح ! قال : نعم ، قال : فشفعوا له عند ذلك . فأمرَ الحوت ، فقذفه فى الساحل كما قال الله : ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ ، وكان سقمه الذى وصفه الله به ، أنه ألقاه الحوت على الساحل كالصبىّ المنفوس [٢] ، قد بُشِر [٣] اللحم والعظم [٤] . ١/٧٨٩

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد ابن زياد ، عن عبد الله بن أبى سلمة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : خرج به – يعنى الحوت – حتى لفظه فى ساحل البحر ، فطرحه مثل الصبى المنفوس ، لم ينقص من خلقه شىء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنى أبو صخر ،

(١) كذا فى ت ، وفى ط : « زوجة » . (٢) المنفوس : حديث العهد بالولادة .

(٣) ت : « نشز » ، والتفسير « نشر » . وفى ط : « تنشر » . (٤) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٦٧ (بولاق) .

قال : أخبرنى ابن قُسَيط أنه سمع أبا هريرة يقول : طُرِح بالعراء ، فأنبت الله عليه يقْطينةً ، فقلنا : يا أبا هريرة ، وما اليقطينة ؟ قال : شجرة الدُّباء ، هيَّأ الله له أرويّة[1] وحشيّة ، تأكل من حَشَاش[2] الأرض — أو هشاش الأرض — فتفشَح[3] عليه ، فترْوِيه من لبنها كلّ عشيَّة وبُكْرة ، حتى نبت[4] .

* * *

ومما كان أيضاً فى أيام ملوك الطوائف :

(١) الأروية ، بالضم والكسر : أنثى الوعول .

(٢) حشاش الأرض وهشاشها : يابس النبات .

(٣) يقال : فشحت الدابة ، إذا فرجت ما بين رجليها .

(٤) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٦٦ (بولاق) .

إرسال الله رسله الثلاثة

الذين ذكرهم فى تنزيله ، فقال : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ . . . . ﴾ ،[1] الآيات التى ذكر تعالى ذكره فى خبرهم. ٧٩٠/١

* * *

واختلف السلف فى أمرهم ، فقال بعضهم : كان هؤلاء الثلاثة — الذين ذكرهم الله فى هذه الآيات ، وقصّ فيها خبرهم — أنبياء ورسلا أرسلهم إلى بعض ملوك الرّوم ، وهو أنطيخس ، والقرية التى كان فيها هذا الملك الذى أرسل الله إليه فيها هؤلاء الرسل أنطاكيَة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن حُمَيد، قال : حدّثنا سلَمة ،قال : كان من حديث صاحب «يس» — فيما حدثنا محمدبن إسحاق — قال : ممّا بلغه عن كعب الأحبار ،وعن وهب بن منبّه اليمانىّ، أنه كان رجلاً من أهل أنطاكيَة ، وكان اسمه حبيبًا وكان يعمل الحرير ، وكان رجلا سقيمًا قد أسرع فيه الجُذام ، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصيًا ، وكان مؤمنًا ذا صدَقة ، يجمع كسبه إذا أمسى — فيما يذكرون — فيَقسمه نصفين ، فيُطْعِم نصفًا عياله، ويتصدّق بنصف ، فلم يهمّه سُقْمه ولا عمله ولا ضعفه حين طَهّر قلبه ، واستقامت فطرته ، وكان بالمدينة التى هو بها ؛ مدينة أنطاكيَةَ ، فرعون من الفراعنة يقال له أنطيخس بن أنطيخس بن أنطيخس[2] ، يعبد الأصنام، صاحبُ شِرْك

---

(١) سورة يس ١٣ وما بعدها .

(٢) التفسير : « أبطيحس » .

فبعث الله المرسَلين ، وهم ثلاثة : صادق وصدوق وشلوم[١] ، فقدّم الله إليه ١/٧٩١
وإلى أهل مدينته[٢] منهم اثنين ، فكذبوهما ، ثم عزّز الله بثالث .

* * *

وقال آخرون : بل كانوا من حواريِّى عيسى بن مريم ، ولم يكونوا رسلاً لله ، وإنما كانوا رسل عيسى بن مريم ، ولكن إرسال عيسى بن مريم إياهم ، لمّا كان عن أمر الله تعالى ذكره إياه بذلك ، أضيف إرساله إياهم إلى الله ، فقيل : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا بِشْر بن معاذ ، قال : حدّثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : حدّثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾ . قال : ذكر لنا أنّ عيسى بن مريم بعث رجلين من الحواريّين إلى أنطاكيَة ، مدينة بالروم ، فكذّبوهما ، فأعزّهما بثالث ، ﴿ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ . . . ﴾ ، الآية .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، فلما دعتْه الرسل ، ونادته بأمر الله ، وصدَعت بالذى أمرت به ، وعابت دينَهم وما هم عليه ، قال [أصحاب القرية][٣] لهم : ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٤] . قالت لهم الرسل : ﴿ طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ ، أى أعمالكم ، ﴿ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ . فلما أجمع هو وقومه على قتل الرسل بلغ ذلك حبيبًا[٥] ، وهو على باب المدينة الأقصى ، فجاء يسعى إليهم ١/٧٩٢

---

(١) التفسير : « سلوم » . (٢) ح ، ل : « المدينة » .
(٣) زيادة يقتضيها السياق . (٤) الخبر إلى هنا فى التفسير ٢٢ : ١٠١ (بولاق)
(٥) قال فى التفسير : « اسمه – فيما ذكر – حبيب بن مرى » .

يذكّرهم الله ، ويدعوهم إلى اتّباع المرسلين ، فقال : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ . أى لا يسألونكم أموالكم على ما جاءوكم به من الهدى ، وهم لكم ناصحون فاتبعوهم تهتدوا بهداهم .

حدّثنا بشر بن معاذ ، قال : حدّثنا يزيد : قال : حدّثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما انتهى — يعني حبيبًا — إلى الرسل ، قال : هل تسألون على هذا من أجر ؟ قالوا : لا ، فقال عند ذلك : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : ثم ناداهم بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام ، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه ، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه ولا ضرّه غيره ، فقال : ﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ . أى آمنت بربكم ، الذى كفرتم به ، فاسمعوا قولى . فلما قال لهم ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ، واستضعفوه لضعفه وسقمه ، ولم يكن أحد يدفع عنه .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، أنّ عبد الله بن مسعود كان يقول : وطئوه بأرجلهم ، حتى خرج قُصْبُه من دبُره (١) .

وقال الله له : ادْخلِ الجنّة ، فدخلها حيًّا يرزق فيها ، قد أذهب الله عنه سقَم الدنيا وحزنها ونَصبَها ، فلما أفضى إلى رحمة الله وجنّته وكرامته ، قال : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ . وغضب الله له لاستضعافهم إياه غضبةً لم يُبْقِ [معها] من القوم شيئًا فعجّل لهم النقمة بما استحلّوا منه وقال : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ ، يقول : ما كابدناهم بالجموع ، ٧٩٣/١

(١) القصب : المعى . والخبر فى التفسير ٢٢ : ١٠٤ (بولاق)

أى الأمر أيسر علينا من ذلك ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ . فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكيّة ، فبادوا عن وجه الأرض ، فلم يبق منهم باقية .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن عُمَارة ، عن الحكَم بن عتيبة ، عن مِقْسَم أبى القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عبّاس ، أنه كان يقول : كان اسم صاحب «يس» حبيباً ، وكان الجُذام قد أسرع فيه .

حدّثنا ابن بشّار ، قال : حدّثنا مُؤمَّل ، قال : حدّثنا سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن أبى مجلَد ، قال : كان اسم صاحب «يس» حبيب بن مرىّ .

* * *

وكان فيهم[١] :

---

(١) أى فيمن كان فى زمان ملوك الطوائف .

١/٧٩٤ وكان من أهل قرية من قرى الرّوم ؛ قد هداه الله لرشده ، وكان قومه أهل أوثان يعبدونها فكان[١] من خبره وخبرهم – فيما ذكر – ما حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق، عن المغيرة بن أبى لَبيد ، عن وهب بن منبّه اليمانىّ : أن شمسون كان فيهم رجلاً مسلماً ، وكانت أمّه قد جعلته نذيرةً[٢] ، وكان من أهل قرية من قراهم ، كانوا كفّاراً يعبدون الأصنام ، وكان منزله منها على أميال غير كثيرة ، وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم فى الله ، فيصيب منهم وفيهم حاجته ، فيقتل ويَسْبى ، ويصيب المال ، وكان إذا لقيَهم لقيهم بلَحْىِ بعير لا يلقاهم بغيره ، فإذا قاتلوه وقاتلهم ، وتعب وعطش انفجَر له من الحجر الذى مع[٣] اللَّحْى ماء عذب فيشرب منه حتّى يروَى ، وكان قد أعطِىَ قوّةً فى البطش ، وكان لا يوثقه حديد ولا غيره ، وكان على ذلك يجاهدهم فى الله ويغزوهم ، ويصيب منهم حاجتَه ، لا يقدرون منه على شىء؛ حتّى قالوا : لن تأتوه إلا من قبَل امرأته ، فدخلوا على امرأته ، فجعلوا لها جُعْلاً ، فقالت : نعم أنا أوثِقه لكم ، فأعطوْها حَبْلا وثيقاً ، وقالوا : إذا نام فأوثِقى يدَه إلى عنقه حتى نأتيَه فنأخذه . فلما نام أوثقتْ يده إلى عنقه بذلك الحبل ، فلما هبّ جذبه بيده ، فوقع من عنقه ، فقال لها : لمَ فعلتِ ؟ فقالت : أجرّب به قوّتَك ، ما رأيتُ مثلَك قطّ !

١/٧٩٥ فأرسلَت إليهم أنى قد ربطتُه بالحبل فلم أغْنِ عنه شيئاً ، فأرسلوا إليها بجامعة من حديد ، فقالوا : إذا نام فاجعليها فى عنقه ، فلما نام جعلتْها فى عنقه ، ثم أحكمتْها ، فلما هبّ جذبها ، فوقعتْ من يده ومن عنقه ، فقال لها : لم فعلتِ هذا ؟ قالت : أجرّب به قوّتَك ؛ ما رأيتُ مثلَك فى الدنيا يا شمسون !

---

(١) ل : « وإنما كان » .

(٢) النذيرة : الابن يجعله أبواه قيماً أو خادماً للكنيسة أو المعبّد .

(٣) ط : « فى » وما أثبته من ل .

أمَا فى الأرض شىء يغلبك ! قال : لا ، إلاّ شىء واحد ، قالت : وما هو ؟ قال : ما أنا بمخبيرك به ، فلم تزل به تسأله عن ذلك — وكان ذا شعر كثير — فقال لها : ويحك ! إن أمّى جعلتْنى نذيرة[1] ، فلا يغلبنى شىء أبداً ، ولا يضبطنى إلا شعرى فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بشعر رأسه ، فأوثقه ذلك ، وبعثت إلى القوم ، فجاءوا فأخذوه ، فجدعوا أنفه وأذنيْه ، وفقئوا عينيه ، ووقفوه للناس بين ظهرانى المئذنة — وكانت مئذنةً ذات أساطين ، وكان ملكهم قد أشرف عليها بالناس لينظروا إلى شمسون ، وما يصنع به — فدعا الله شمسون حين مثّلوا به ووقفوه أن يسلّطه عليهم ، فأمر أن يأخذ بعمودين[2] من عُمُد المئذنة التى عليها الملك والناس الذين معه فيجذبهما ، فجذبهما فردّ الله عليه بصرَه وما أصابوا من جسده ، ووقعت المئذنة بالملك ومَنْ عليها من الناس ؛ فهلكوا فيها هدْماً .

---

(١) ط : « نذيراً » وانظر الحاشية رقم ٢ فى الصفحة السابقة .

(٢) ل : « العمودين » . ابن الأثير : « عمودين » .

ذكر خبر جرجيس

وكان جرجيس — فيما ذكر — عبداً لله صالحًا من أهل فلسطين ، ممّن أدرك بقايا من حواريّى عيسى بن مريم ، وكان تاجراً يكسب بتجارته ما يستغنى ١/٧٩٦ به عن الناس ، ويعود بالفضل على أهل المسكنة . وإنّه تجهّز مرّة إلى ملك بالموْصل ، كما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبّه وغيره من أهل العلم : أنه كان بالموصل داذانه[١] ، وكان قد ملك الشأم[٢] كلّه ، وكان جبّاراً عاتيًا لا يُطيقه إلا الله تعالى . وكان جرجيس رجلاً صالحًا من أهل فِلَسْطين ، وكان مؤمنًا يكتم إيمانه فى عصبة معه صالحين ، يستخْفُون بإيمانهم ، وكانوا قد أدركوا بَقايا من الحواريّين فسمعوا منهم ، وأخذوا عنهم . وكان جرجيس كثيرَ المال ، عظيم التجارة ، عظيم الصَّدَقة ، فكان يأتى عليه الزمان يُتْلِف ماله فى الصَّدَقة حتى لا يبقى منه شىء ؛ حتى يصير فقيراً ، ثم يضرب الضَّرْبة فيصيب مثل ماله أضعافًا مضاعفة ؛ فكانت هذه حاله فى المال . وكان إنما يرغب فى المال ، ويعمّره ويكسبه من أجل الصّدقة ؛ لولا ذلك كان الفقرُ أحبَّ إليه من الغنى .

وكان لا يأمن وِلايةَ المشركين عليه مخافةَ أن يُؤْذوه فى دينه ، أو يَفْتِنوه عنه ؛ فخرج يؤمّ ملكَ الموصل ، ومعه مالٌ يريد أن يُهديه له ؛ لئلاّ يجعل لأحد من تلك الملوك عليه سلطانًا دونه ؛ فجاءه[٣] حين جاءه ، وقد برز فى مجلس له ، وعنده[٤] عظماء قومه وملوكهم ؛ وقد أوْقَد ناراً ، وقرّب أصنافًا من أصناف العذاب الذى كان يعذّب به مَنْ خالفه ، وقد أمر بصنم يقال له : «أفلّون» فنُصِب ؛ فالناس يُعْرَضون عليه ، فمن لم يسجدْ له أُلقِىَ فى تلك ١/٧٩٧ النار ، وعذّب بأصناف ذلك العذاب . فلما رأى جرجيس مايصنع فَظِع به

---

(١) ل : « دادايه » .
(٢) ل : « دان له » .
(٣) ل : « فجاء » ، وكذلك فى ابن الأثير .
(٤) ل : « عنده » ، بدون واو .

وأعظمه، وحدّث نفسه بجهاده ، وألقى الله فى نفسه بُغْضَه ومحاربتَه ، فعمَد إلى المال الذى أراد أن يهديَه له فقسَّمه فى أهل ملّته حتى لم يبق منه شيئًا ؛ وكره أن يجاهده بالمال ، وأحبَّ أن يَليَ ذلك بنفسه ؛ فأقبل عليه عند ما كان أشدّ غضبًا وأسفًا ، فقال له : اعلم أنّك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئًا ولا لغيرك ، وأنّ فوقك ربًّا هو الذى يملكك وغيرَك ، وهو[1] الذى خلَقك ورزقك ، وهو الذى يُحييك ويميتك ، ويضرّك وينفعك ، وأنت[2] قد عمَدت إلى خلْق من خلقه — قال له : كن فكان — أصمّ أبكم ، لا ينطق ولا يبصر ولا يسمع ، ولا يضرّ ولا ينفع ، ولا يغنى عنك من الله شيئًا ، فزيّنتَه بالذهب والفضة لتجعله فتنة للناس ، ثم عبَدْته دون الله ، وأجبرت عليه عباد الله ، ودعوته ربًّا .

فكلّم الملكَ جرجيسُ بنحو هذا ، من تعظيم الله وتمجيده، وتعريفه أمرَ الصنم ، وأنّه لا تصلح عبادته . فكان من جواب الملك إياه مسألته إياه عنه ، ومَنْ هو ؟ ومن أين هو ؟ فأجابه جرجيس أن قال : أنا عبد الله وابن عبده وابن أمتِه، أذلُّ عباده وأفقرُهم إليه، من التراب خُلِقْت، وفيه أصير . وأخبره ما الذى جاء به وحاله . وإنّه دعا ذلك الملكَ جرجيسُ إلى عبادة الله ورفْض عبادة الأوثان . وإنّ الملك دعا جرجيسَ إلى عبادة الصنم الذى يعبده ، وقال : لو كان ربُّك الذى تزعم أنه ملك الملوك كما تقول، لَرُئِيَ عليك أثره كما ترى أثرِى على من حولى من ملوك قومى .

١/٧٩٨ فأجابه جرجيس بتمجيد الله وتعظيم أمره . وقال له — فيما قال : أين تجعل طرقبلينا[3] ، وما نال[4] بولايتك ؛ فإنه عظيم قومك ، من إلياس ، وما نال إلياس بولاية الله ! فإنّ إلياس كان بدؤه آدميًّا يأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق ، فلم تَتَناه به كرامة الله حتى أنبت له الريش ، وألبسه النُّور ،

---

(١) ل : « هو » من غير واو .

(٢) ت : « وإنك » .

(٣) ت : « طر قبليننا » .

(٤) ل : « ما ذال » .

فصار إنسيًّا ملكيًّا ، سمائيًّا أرضيًّا ، يطير مع الملائكة . وحدّثنى : أين تجعل مجليطيس ، وما نال بولايتك : فإنه عظيم قومك ، من المسيح بن مريم وما نال بولاية الله ! فإنّ الله فضّله على رجال العالمين ، وجعله وأمّه آية للمعتبرين . ثم ذكر من أمرِ المسيح ما كان الله خصّه به من الكرامة . وقال أيضًا : وحدّثنى : أين تجعل أمّ هذا الروح الطيّب التى اختارها الله لكلمته ، وطهّر جوفَها لروحه ، وسوّدها على إمائه ؟ فأين تجعلها وما نالت بولاية الله ، من أزبيل وما نالت بولايتك ؟ فإنها إذْ[1] كانت من شيعتك وملّتك أسلمها الله عند عظيم ملكها إلى نفسها ، حتى اقتحمت عليها الكلاب فى بيتها ، فانتهشَتْ لحمها ولَغت دمها ، وجرّت الثعالب[2] والضباع أوصالها ! فأين تجعلُها وما نالت بولايتك من مريم ابنة عمران وما نالت بولاية الله !

١/٧٩٩

فقال له الملك : إنك لتحدّثنا عن أشياء ليس لنا بها علْم ، فأتنى بالرجلين اللذيْن ذكرت أمرهما ؛ حتى أنظرَ إليهما ، وأعتبرَ بهما ؛ فإنى أنكر أن يكون هذا فى البَشَر .

فقال له جرجيس : إنّما جاءك الإنكار من قبَل الغِرّة[3] بالله ، وأمّا الرّجلان فلن تراهما ولن يرياك ؛ إلاّ أن تعمل بعملهما ، فتنزل منازلهما .

فقال له الملك : أمّا نحن فقد أعذرْنا إليك ، وقد تبيّن لنا كذِبُك ، لأنك فخرت بأمور عجزتَ عنها ، ولم تأت بتصديقها . ثم خيّر الملك جرجيس بين العذاب وبين السجود لأفلّون ، فيثيبَه !

فقال له جرجيس : إن كان أفلّون هو الذى رفع السماء — وعدّد عليه أشياء من قدرة الله — فقد أصبْتَ ونصحت [لى][4] ، وإلاّ فاخسَأ أيّها النجس الملعون !

فلما سمعه الملك يسبّه ويسبّ آلهته غضب من قوله غضبًا شديداً ، وأمر بخشبة فنصبت له للعذاب ، وجعلت عليه أمشاطُ الحديد ، فخُدِش بها

---

(١) فى الأصول : « إذا » .

(٢) زاد فى ل : « إليه » .

(٣) الغرة ، بالكسر : الجهل .

(٤) تكملة من ل .

جسده حتى تقطّع لحمه وجلدُه وعروقه ، ينضح خلال ذلك بالخلّ والخردل .
فلما رأى ذلك لم يقتلْه ، أمر بستّة مسامير من حديد فأحميتْ حتى إذا جعلت ١/٨٠٠
ناراً ، أمرَ بها فسمّر بها رأسه حتى سال منه دماغه . فلما رأى ذلك لم يقتلْه ،
أمرَ بحوض من نحاس ، فأوقد عليه حتى إذا جعله ناراً أمر به فأدخل فى
جوفه ، وأطبق عليه ، فلم يزل فيه حتى بَرَدَ حرُّه .

فلما رأى ذلك لم يقتله ، دعا به فقال : ألم تجد ألمَ هذا العذاب الذى تعذّب به!
فقال له جرجيس : أمَا أخبرتُك أنّ لك ربّاً هو أوْلَى بك من نفسك !
قال : بلَى قد أخبرتنى ، قال : فهو الذى حَمَلَ عنّى عذابكَ ، وصبّرنى
ليحتجّ عليك . فلما قال له ذلك أيقن بالشرّ ، وخافه على نفسه ومُلْكه ،
وأجمع رأيه على أن يخلّده فى السجن ، فقال الملأ من قومه : إنّك إن تركته
طليقاً يكلّم الناس أوشك أن يميل بهم عليك ، ولكن مُرْ له بعذاب فى السجن
يشغَله عن كلام الناس . فأمر فبُطح فى السجن على وجهه ، ثم أوْتد فى يديه
ورجليه أربعةَ أوتاد من حديد ، فى كلّ ركن منها وتِد ، ثم أمر بأسطوان[١]
من رخام ، فوُضع على ظهره . حمَل ذلك الأسطوان سبعة رجال فلم يقلّوه ، ثم
أربعة عشر رجلاً فلم يقلّوه ، ثم ثمانية عشر رجلا فأقلّوه ؛ فظلّ يومَه ذلك
مُوتَداً تحت الحجر .

فلما أدركه الليل أرسلَ الله إليه ملَكا — وذلك أوّلَ ما أيّدَ بالملائكة ،
وأوّل ما جاءه الوحى — فقلع[٢] عنه الحجر ، ونزع الأوتاد من يديه ورجليه ،
وأطعمه وسقاه ، وبشّره وعزّاه ، فلما أصبح أخرجه من السجن ، وقال له :
الحقْ بعدوّك فجاهده فى الله حقّ جهاده ؛ فإنّ الله يقول لك : أبشِرْ واصبر ؛
فإنّى أبتليك بعدوّى هذا سبع سنين ، يعذّبك ويقتلك فيهنّ أربع مِرار ، فى ١/٨٠١
كلّ ذلك أردّ إليك روحك ؛ فإذا كانت القتْلة الرابعة تقبّلت روحك وأوفيتك
أجرك . فلم يشعر الآخرون إلاّ وقد وقف جرجيس على رءوسهم يدعوهم إلى الله .
فقال له الملك : أجرجيس ! قال : نعم ، قال : مَنْ أخرجك من السجن ؟

---

(١) ل : « أسطوانة » .
(٢) كذا فى ابن الأثير ؛ وفى الأصول « فقطع » .

قال : أخرجَني الذى سلطانُه فوق سلطانك . فلما قال له ذلك ملىء غيظًا ، فدعا بأصناف العذاب حتى لم يخلّف منها شيئًا ، فلما رآها جرجيس تُصنَّف له ، أوجس فى نفسه خيفة وجزعًا ، ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلَى صوته ، وهم يسمعون . فلما فرغ من عتابه نفسَه مدُّوه بين خَشبتَيْن ، ووضعوا عليه سيفًا على مفرِق رأسه ، فوَشَرُوه[1] حتى سقط بين رجليه ، وصار جِزْلتيْن[2] ، ثم عمدوا إلى جزْلتيْه ، فقطعوهما قِطَعاً . وله سبعة أسْد ضارية فى جُبّ ، وكانت صنفًا من أصناف عذابه ، ثم رموْا بجسده إليها ، فلما هوَى نحوها أمر الله الأسْد فخضعت برءوسها وأعناقها ، وقامت على براثِنها ، لا تألو أن تقيَه الأذى ؛ فظلّ يومه ذلك ميّتًا ، فكانت أول ميتة ذاقها . فلما أدركه اللّيل جمع الله له جسده الذى قطّعوه بعضه على بعض ، حتى سوّاه . ثم ردّ فيه روحه وأرسل ملَكا فأخرجه من قَعْر الجبّ ، وأطعمه وسقاه ، وبشّره وعزّاه . فلما أصبحوا قال له الملك : يا جرجيس ، قال : لبّيك ! قال : اعلمْ أن القدرة التى خَلق آدم بها من تراب هى التى أخرجتْك من قعر الجُبّ ، فالحق بعدوّك ثم جاهده فى الله حقّ جهاده ، ومت موت الصابرين .

١/٨٠٢

فلم يشعر الآخرون إلاّ وقد أقبل جرجيس ، وهم عكوف على عيد لهم قد صنعوه فرحًا — زعموا بموت جرجيس — فلما نظروا إلى جرجيس مقبلا ، قالوا : ما أشبه هذا بجرجيس ! قالوا : كأنّه هو ؟ قال الملِك : ما بجرجيس من خفاء ، إنّه لهو ! ألا تروْن إلى سكون ريحه ، وقِلّة هيبته . قال جرجيس : بلى ، أنا هو حقًّا ! بئس القوم أنتم ! قتلتم ومثّلتم ، فكان الله — وحُقّ له — خيراً وأرحم منكم . أحيانى وردّ علىّ روحى . هلمّ إلى هذا الربّ العظيم الذى أراكم ما أراكم . فلما قال لهم ذلك ، أقبل بعضُهم على بعض ، فقالوا : ساحر سَحَر أيديَكم وأعينَكم عنه . فجمعوا له مَنْ كان ببلادهم من السَّحَرة ، فلما جاء السحرة ، قال الملك لكبيرهم : اعرض علىّ من كبير سحرك ما تُسرّى به عنّى ، قال له : ادع لى بثوْر من البقر ، فلما أتِىَ به نفثَ فى إحدى أذنيه فانشقّت باثنتين ، ثم نفث فى الأخرى ؛ فإذا هو ثوران ، ثم أمر ببذْر فحرث وبذر ، ونبت

---

(١) ت : « فنشروه » ، وهما بمعنى .

(٢) يقال : قطعه جزلتين ، أى نصفين .

الزرع ، وأينع وحصد ، ثم داس وذرّى ، وطحن وعجن ، وخبزَ وأكل ذلك فى ساعة واحدة كما ترونْ ! قال له الملك : هل تقدر على أن تمسخه لى[١] دابّة ؟ قال الساحر : أى دابّة أمسخه لك ؟ قال : كلبًا ، قال : ادعُ لى بقَدح من ماء ، فلما أتِيَ بالقدح نفث فيه الساحر ، ثم قال للملِك : اعزم عليه أن يشرَبه ، فشربه جرجيس حتى أتى على آخره ؛ فلما فرغ منه قال له الساحر : ماذا تجد ؟ قال : ما أجد إلاّ خيرًا ، قد كنت عطشت فلطف الله لى بهذا الشراب ، فقوّانى به عليكم . فلما قال له ذلك أقبل الساحر على الملك فقال : اعلم أيّها الملك ، أنّك لو كنت تقاسى رجُلاً مثلك إذاً كنت غلبتَه ، ولكنّك تقاسى جبّار السموات ، وهو الملِك الذى لا يُرام ! ١/٨٠٣

وقد كانت امرأة مسكينة ، سمعت بجرجيس وما يَصنع من الأعاجيب ، فأتته وهو فى أشدّ ما هو فيه من البلاء ، فقالت له : يا جرجيس ، إنّى امرأة مسكينة ، لم يكن لى مال ولا عيش إلا ثور كنت أحرث عليه فمات ، وجئتك لترحمَنى وتدعوَ الله أن يُحيِيَ لى ثورى . فذرفت عيناه . ثم دعا[٢] الله أن يحيِيَ لها ثورها ، وأعطاها عصا ، فقال : اذهبى إلى ثورك ، فاقرَعِيه بهذه العصا وقولى له : احْيَ بإذن الله . فقالت : يا جرجيس مات ثورى منذ أيام ، وتفرّقته السباع ، وبينى وبينك أيام ، فقال : لو لم تجدِى منه إلا سنّا واحدة ثم قرعتِها بالعصا لقام بإذن الله . فانطلقت حتى أتت مصرع ثورها ، فكان أوّل شيء بدا لها من ثورها أحد رَوْقَيْه[٣] وشَعر ذَنَبه ، فجمعت أحدَهما إلى الآخر ، ثم قرعتهما بالعصا التى أعطاها ، وقالت كما أمرها ، فعاش ثورها ، وعملت عليه حتى جاءهم الخبر بذلك .

فلمّا قال الساحر للملك ما قال ، قال رجل من أصحاب الملك — وكان أعظمَهم بعد الملك : اسمعوا منّى أيّها القوم أحدّثكم ، قالوا : نعم ، فتكلّم ، قال : إنكم قد وضعتم أمرَ هذا الرجل على السّحر ، وزعمتم أنه سحرَ أيديَكم عنه وأعينَكم . فأراكم أنّكم تعذبونه ، ولم يصل إليه عذابكم ! وأراكم أنّكم ١/٨٠٤

(١) ت : « تمسخ لى هذا » .
(٢) ل : « ودعا » .
(٣) الروق : القرن من كل ذى قرن .

قد قتلتموه فلم يمتْ ، فهل رأيتم ساحراً قطّ قَدَر أن يدرأ عن نفسه الموت ، أو أحيَا ميتًا قطّ ! ثم قصّ عليهم فعل جرجيس، وفعلهم به، وفعلَه بالثور وصاحبته ، واحتجّ عليهم بذلك كلّه ، فقالوا له : إنّ كلامك لَكلام رجل قد أصغَى إليه ، قال : ما زال أمرُه لى معجبًا منذ رأيت منه ما رأيت ، قالوا له: فلعلّه استهواك ! قال: بل آمنت وأشهدُ الله أنّى برىء مما تعبدون . فقام إليه الملك وصحابتُه بالخناجر ، فقطعوا لسانه ، فلم يلبث أن مات ، وقالوا : أصابه الطاعون ، فأعجله الله قبل أن يتكلّم .

فلما سمع الناس بموته أفزعهم ، وكتموا شأنه ، فلما رآهم جرجيس يكتمونه برز للناس ، فكشف لهم أمرَه ، وقصّ عليهم كلامه ، فاتّبعه على كلامه أربعة آلاف وهو ميّت ، فقالوا: صدق ، ونِعمْ ما قال! يرحمه الله ! فعمَد إليهم الملك فأوثقهم، ثم لم يزل يلوّن لهم العذاب ويقتلهم بالمَثُلات[١] . حتى أفناهم .

فلما فرغ منهم أقبل على جرجيس ، فقال له : هلاّ دعوت ربَّك . فأحيا لك أصحابَك؛ هؤلاء الذين قُتِلوا بجريرتك ! فقال له جرجيس: ما خلّى بينك وبينهم حتى خارَ لهم[٢] . فقال رجل من عظمائهم يقال له مجليطيس : إنّك زعمت يا جرجيس أنّ إلهك هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وإنّى سائلك أمراً إن فعله إلهك آمنت بك وصدّقتك ، وكفيتُك قومى هؤلاء ؛ هذه تحتنا أربعة عشر منبراً حيث ترى ، ومائدةٌ بيننا عليها أقداح وصحاف ، وكلٌّ صنع من الخشب اليابس ، ثم هو من أشجار شتى؛ فادْعُ ربَّك ينشئْ هذه الآنية وهذه المنابر ، وهذه المائدة ، كما بدأها أوّلَ مرّة ؛ حتى تعود خضراً نعرف كلّ عود منها بلونه وورقه وزهره وثمره . ١/٨٠٥

فقال له جرجيس : قد سألتَ أمراً عزيزاً علىّ وعليك ؛ وإنّه علَى الله هيّن . فدعا ربه ، فما برحوا مكانهم حتى اخضرّت تلك المنابر ، وتلك الآنية كلّها، فساختْ عروقها ، وألبِسَت اللّحاء ، وتشعّبت، ونبت ورقها وزهرها وثمرها ؛ حتى عرفوا كلّ عود منها باسمه ولونه وزهره وثمره .

فلما نظروا إلى ذلك انتدبَ له مجليطيس ، الذى تمنّى عليه ما تمنّى،

(١) المثلات : العقوبات .
(٢) ت : « جازاهم » .

فقال : أنا أعذّب لكم هذا الساحر عذابًا يضلّ عنه كيده . فعمَد إلى نحاس فصنع منه صورة ثور جوفاء واسعة ، ثم حشاها نِفْطًا ورصاصًا وكبريتًا وزرنيخًا ، ثم أدخل جرجيس مع الحشْو فى جوفها ، ثم أوقد تَحْتَ الصورة ، فلم يزل يُوقد حتى التهبت الصورة ، وذابَ كلّ شىء فيها واختلط ، ومات جرجيس فى جوفها . فلما مات أرسل الله ريحًا عاصفًا ، فملأت السماء سحابًا أسودَ مظلمًا ، فيه رعدٌ لا يفتر ، وبرقٌ وصواعقُ متداركات ، وأرسل الله إعْصاراً فملأت بلادهم عجاجًا وقَتاما ، حتى اسودّ ما بين السماء والأرض وأظلم ، ومكثوا أياماً متحيّرين فى تلك الظلمة ، لا يفصلون بين الليل والنهار . وأرسل الله ميكائيل فاحتمَلَ الصورة التى فيها جرجيس ، حتى إذا أقلّها ضرب بها الأرض ضربًا ، فزِع من رَوعته أهل الشأم أجمعون ، وكلّهم يسمعه فى ساعة واحدة ؛ فخرّوا لوجوههم صَعِقِين من شدة الهول ، وانكسرت الصورة ، فخرج منها جرجيس حيًّا ، فلما وقف يكلّمهم انكشفت الظلمة ، وأسْفَر ما بين السماء والأرض ، ورجعتْ إليهم أنفسهم . فقال له رجل منهم يقال له طرقبلينا : لا ندرى يا جرجيس أنت تصنع هذه العجائب أم ربّك ؟ فإنْ كان هو الذى يصنعها ، فادعه يُحْيِ لنا موتانا ، فإنّ فى هذه القبور التى ترى أمواتًا من أمواتنا ، منهم مَنْ نعرف ومنهم مَنْ مات قبل زماننا ، فادعه يُحْيِهِمْ حتى يعودُوا كما كانوا ونكلّمهم ، ونعرف مَنْ عرفنا منهم ، ومَنْ لا نعرف أخبَرْنا خبره . فقال له جرجيس : لقد علمتُ ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ، ويُريكم هذه العجائب[1] إلاّ ليتمّ عليكم حججه ، فتستوجبوا بذلك غضبه . ثم أمر بالقبور فنبِشت وهى عظام ورُفات ورميم . ثم أقبل على الدعاء فما برحوا مكانهم ؛ حتى نظروا إلى سبعة عشر إنسانًا : تسعة رهط وخمس نسوة وثلاثة صبية ؛ فإذا شيخ منهم كبير ، فقال له جرجيس : أيها الشيخ ، ما اسمك ؟ فقال : اسمى يوبيل[2] ، فقال : متى متّ ؟ قال : فى زمان كذا وكذا ، فحسبوا فإذا هو قد مات منذ أربعمائة عام[3] .

١/٨٠٦

---

(١) ت : « الأعاجيب » .
(٢) ل : « يوسك » .
(٣) ل : « سنة » .

فلما نظر إلى ذلك الملك وصحابته ، قالوا : لم يبق من أصناف عذابكم شىء إلاّ قد عذّبتموه ، إلاّ الجوع والعطش، فعذّبوه بهما . فعمدوا إلى بيت عجوز كبيرة فقيرة ، كان حريزاً، وكان لها ابنٌ أعمى أبكم مقعد ، فحصروه فى بيتها فلا يصلُ إليه من عند أحدٍ طعام ولا شراب . فلما بلغه الجوع ، قال للعجوز : هل عندك طعام أو شرابٌ ؟ قالت : لا والذى يُحلَف[1] به ، ما عهدنا بالطعام[2] منذ كذا وكذا ، ، وسأخرج وألتمس لك شيئًا . قال لها جرجيس : هل تعرفين الله ؟ قالت له : نعم ، قال : فإياه تعبدين ؟ قالت : لا ، قال : فدَعاها إلى الله فصدّقته ، وانطلقت تطلب له شيئًا ، وفى بيتها دِعامة من خشبة يابسة تحمل خشب البيت ، فأقبل على الدعاء ، فما كان كشىء حتى اخضرّت تلك الدّعامة ، فأنبتت كلّ فاكهة تؤكل أو تعرف ، أو تسمّى حتى كان فيما أنبتت اللّيَاء[3] واللوبياء .

١/٨٠٧

قال أبو جعفر: اللِّيَاء نبت بالشأم له حبّ يؤكل . وظهر للدّعامة فرع من فوق البيت أظلّه وما حوله وأقبلت العجوز، وهو فيما شاء يأكل رَغَدا ؛ فلما رأت الذى حدث فى بيتها من بعدها ، قالت : آمنت بالذى أطعمك فى بيت الجوع ، فادعُ هذا الربّ العظيم ليشفىَ ابنى ، قال : أدنيه منى ، فأدنته منه ، فبصَق فى عينيه فأبصر ، فنفثَ فى أذنيه فسمع ، قالت له : أطلق لسانه ورجليه ، رحمك الله ! قال : أخّريه ؛ فإن له يومًا عظيمًا . وخرج الملك يسير فى مدينته ، فلما نظر إلى الشجرة ، قال لأصحابه : إنى أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به ، قالوا له: تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذى أردتَ أن تعذّبه بالجوع ؛ فهو فيما شاء قد شبع منها ، وشبعت[4] الفقيرة وشفى لها ابنَها. فأمر بالبيت فهدم، وبالشجرة لِتقطع ، فلما هموّا بقطعها أيبسها الله تعالى كما كانت أوّل مرة ، فتركوها ، وأمر بجرجيس فبُطح على

١/٨٠٨

---

(١) ل : « تحلف به » .

(٢) ت : « ما عندنا من طعام » .

(٣) قال فى اللسان : اللياء : حب أبيض كالحمص شديد البياض يؤكل، وفى ط : « اللباء » تحريف .

(٤) كذا فى ل ، وفى ط : « أشبعت » .

وجهه وأوتد[1] له أربعة أوتاد ، وأمر بعجَل فأوقر أسطوانًا ما حمل ، وجعل فى أسفل العجَل خناجر وشفارًا[2]، ثم دعا بأربعين ثوراً ، فنهضت بالعجَل نهضة واحدة ، وجرجيس تحتها ، فتقطّع[3] ثلاث قطع ، ثم أمر بقطعة فأحرقت بالنار ؛ حتى إذا عادت رماداً بعث بذلك الرماد رجالاً فذرّوه فى البحر ، فلم يبرحوا مكانهم حتى سمعوا صوتاً من السماء يقول : يا بحر ؛ إنّ الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيّب ، فإنّى أريد أن أعيده كما كان . ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ، ثم جمعته حتى عاد الرماد صُبْرة كهيئته قبل أن يذرّوه ، والذين ذرّوه قيام لم يبرحوا . ثم نظروا إلى الرّماد يثور كما كان ، حتى خرج منه جرجيس مغبرًّا ينفض رأسه، فرجعوا ، ورجَع جرجيس معهم ، فلما انتهوا إلى الملِك أخبروه خبر الصوت الذى أحياه ، والريح التى جمعته . فقال له الملك : هل لك يا جرجيس فيما هو خير لى ولك ! فلولا أن يقولَ الناس إنك قهرتنى وغلبتنى لاتّبعتُك وآمنت بك ؛ ولكن اسجد لأفلّون سجدة واحدة ، أو اذْبح له شاة واحدة ، ثم أنا أفعل ما يسرّك .

فلما سمع جرجيس هذا من قوله طمع أن يُهلِك الصنم حين يدخله عليه ، رجاء أن يؤمن له الملك حين يهلك صنمه ، وييئس منه ، فخدعه جرجيس ، فقال : نعم ؛ إذا شئت فأدخلْنى على صنمك أسجد له ، وأذبح له ، ففرح الملك بقوله ، فقام إليه فقبّل يديه ورجليه ورأسه ، وقال : إنى أعزم عليك ألاّ تظلّ هذا اليوم ، ولا تبيت هذه الليلة إلاّ فى بيتى وعلى فراشى ، ومع أهلى حتى تستريح ويذهب عنك وصبُ العذاب ، فيرى الناس كرامتَك علىّ . فأخلى له بيته ، وأخرج منه مَنْ كان فيه . فظلّ فيه جرجيس ؛ حتى إذا أدركه الليل ، قام يصلّى،ويقرأ الزّبور — وكان أحسنَ الناس صوتًا — فلمّا سمعتْه امرأة الملك استجابت له ، ولم يشعر إلاوهى خلْفه تبكى معه ، فدعاها

١/٨٠٩

(١) ت : « ووتد » .
(٢) فى الأصول : « وأشفاراً » ؛ والصواب ما أثبته من ابن الأثير .
(٣) ل : « فانقطع » .

جرجيس إلى الإيمان فآمنت ، وأمرها فكتمت إيمانها . فلما أصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجدَ لها ، وقيل للعجوز التى كان سجن فى بيتها[1] : هل علمتِ أنّ جرجيس قد فتن بعدك ، وأصغى إلى الدنيا ، وأطمعه الملك فى ملكه ، وقد خرج به إلى بيت أصنامه ليسجد لها ! فخرجت العجوز فى أعراضهم ، تحمل ابنَها على عاتقها ، وتوبّخ جرجيس ، والناس مشتغلون عنها .

فلما دخل جرجيس بيتَ الأصنام ، ودخل الناس معه ، نظر فإذا العجوز وابنها على عاتقها أقربُ الناس منه مقامًا ، فدعا ابن العجوز باسمه ، فنطق بإجابته ، وما تكلّم قبل ذلك قطّ ، ثم اقتحم عن عاتق أمّه يمشى على رجليه سويّتين ، وما وطئ الأرض قبل ذلك قطّ بقدميه ، فلما وقف بين يدىْ جرجيس قال : اذهب ، فادعُ لى هذه الأصنام ، وهى حينئذ على منابرَ من ذهب ، واحد وسبعون صنماً ، وهم يعبدون الشمس والقمر معها ، فقال له الغلام : كيف أقول للأصنام ؟ قال : تقول لها : إنّ جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذى خلَقك إلاّ ما جئته[2] . فلما قال لها الغلام ذلك ، أقبلت تدحرج إلى جرجيس ، فلما انتهتْ إليه ركض الأرضَ برجله ، فخسف بها وبمنابرها ، وخرج إبليس من جوف صنم منها هاربًا فرَقاً من الخسف ، فلما مرّ بجرجيس ، أخذ بناصيته ، فخضع له برأسه وعنقه ، وكلّمه جرجيس فقال له : أخبرنى أيتها الروح النجسة ، والخلق الملعون ، ما الذى يحملك على أن تهلك نفسَك ، وتهلك الناس معك ، وأنت تعلم أنك وجندك تصيرون إلى جهنم ! فقال له إبليس : لو خيّرت بين ما أشرقت عليه الشمس ، وأظلم عليه الليل ، وبين هلكة بنى آدم وضلالتهم أو واحد منهم طرْفة عين ، لاخترت طرفة العين على ذلك كلّه ؛ وإنه ليقع[3] لى من الشهوة فى ذلك واللّذة مثل جميع ما يتلذّذ به جميع الخلق . ألم تعلم يا جرجيس أنّ الله أسجد لأبيك آدمَ جميعَ الملائكة ، فسجد[4] له : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ؛ وجميع الملائكة

١ / ٨١٠

---

(١) ل : « سكن فى بيتها » .

(٢) ت : « إلاما أجبته » .

(٣) ل : « يقع » .

(٤) كذا فى ل ، وفى ط : « فسجدوا » .

المقرَّبين ، وأهلُ السموات كلّهم ، وامتنعت من السجود ، فقلت : لا أسجد لهذا الخلْق وأنا خير منه ! فلما قال هذا خلاّه جرجيس ؛ فما دخل إبليس منذ يومئذ جوف صنم ، مخافة الخسف ، ولا يدخلُه بعدها — فيما يذكرون — أبداً . ١/٨١١

وقال الملك : يا جرجيس خدعتنى وغررتنى ، وأهلكت آلهتى ، فقال له جرجيس : إنّما فعلت ذلك عَمْداً لتعتبر ولتعلم أنها لو كانت آلهة كما تقول إذاً لامتنعتْ منّى ، فكيف ثقتك ويلك بآلهة لم تمنع أنفسها منى ! وإنّما أنا مخلوق ضعيف لا أملك إلا ما ملّكنى ربّى. قال : فلما قال هذا جرجيس ، كلّمتْهم امرأة الملك ، وذلك حين كشفت لهم إيمانها ، وباينتْهم بدينها ، وعدّدت عليهم أفعال جرجيس ، والعبَرَ التى أراهم . وقالت لهم : ما تنتظرون من هذا الرجل إلاّ دعوة فتُخسف بكم الأرض فتهلكوا ، كما هلكت أصنامكم . اللهَ اللهَ أيّها القوم فى أنفسكم ! فقال لها الملك : ويحاً لك إسكندرة ! ما أسرع ما أضلّك هذا الساحر فى ليلة واحدة ! وأنا أقاسيه منذ سبع سنين ؛ فلم يُطق منّى شيئاً . قالت له : أفما رأيت الله كيف يظفره بك ، ويسلّطه عليك ، فيكون له الفلَجُ والحجّة عليك فى كلّ موطن ! فأمر بها عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التى كان علّق عليها ، فعلِّقت بها ، وجعلت[1] عليها الأمشاط التى جعلت على جرجيس . فلما ألمت من وجع العذاب قالت : ادعُ ربك يا جرجيس يخفِّفْ عنى ، فإنى قد ألمت [من] العذاب فقال : انظرى فوقك . فلما نظرت ضحكت ، فقال لها : ما الذى يضحكك ؟ قالت : أرى ملَكين فوقى ، معهما تاج من حلْى الجنّة ينتظران به روحى أن تخرج ، فإذا خرجت زيّناها بذلك التاج ، ثم صعدا بها إلى الجنة ، فلما قبضَ الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء ؛ فقال : اللّهمّ أنت الذى أكرمتنى بهذا البلاء ، لتعطيَنى به فضائل الشهداء ! اللهمّ فهذا آخرُ أيامى الذى وعدتنى فيه الراحة من بلاء الدنيا ، اللهمّ فإنى أسألك ألاّ تقبض روحى ، ولا أزولَ من مكانى هذا حتى تنزل بهذا القوم المتكبّرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبَل لهم به ، وما تشفِى به صدرى ، وتقرّ به عينى ؛ فإنهم ظلمونى وعذبونى . اللهمّ وأسألك ألاّ يدعو ١/٨١٢

(١) ل : « فحملت » .

بعدى داعٍ فى بلاء ولا كرب فيذكرنى ، ويسألك باسمى إلاّ فرّجت عنه ورحمته وأجبته ، وشفّعتنى فيه .

فلمّا فرَغ من هذا الدّعاء ، أمطر الله عليهم النار ، فلما احترقوا عمَدوا إليه فضربوه بالسيوف غيظًا من شدّة الحريق ، ليعطيَه الله تعالى بالقتلة الرابعة ما وعده . فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها ، وصارت رماداً ، حملها الله من وجه الأرض حتى أقلّها ، ثم جعل عاليَها سافلها ، فلبثت زمانًا من الدهر يخرج من تحتها دخان منتن ، لا يشمّه أحد إلا سقم سقماً شديداً ، إلاّ أنها أسقام مختلفة ، لا يشبه بعضها بعضًا ، فكان جميع من آمن بجرجيس ، وقتل معه أربعة وثلاثين ألفًا ، وامرأة الملك . رحمها الله !

* * *

٨١٣/١ ونرجع الآن إلى :

ذكر الخبر عن ملوك الفرس وسنى ملكهم

لسياق تمام التأريخ ؛ إذ كنا قد ذكرنا الجلائلَ من الأمور التى كانت فى أيام ملوك الطوائف فى الفرس ، وبنى إسرائيل ، والروم ، والعرب ، إلى عهد أُردشير .

* * *

[ذكر ملك أردشير بن بابك]

ولما مضى من لدن مَلَك الإسكندر أرضَ بابل فى قول النصارى وأهل الكتب الأول خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة ، وفى قول المجوس مائتان وست وستون سنة ؛ وثَبَ أرْدَشير بن بابك شاه ملك خير بن ساسان الأصغر بن بابك ، بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بَهْمنَ الملك بن إسْفَنْديار بن بِشتاسْب بن لُهْرَاسْب بن كَيْوَجِي بن كَيْمنُش — وقيل فى نسبه : أرْدَشير بن بابك بن ساسان بن بابك بن زرار بن بهآفريذ بن ساسان الأكبر ، بن بَهْمَن بن إسْفَنْديار بن بشتاسْب بن لُهْراسب — بفارس طالباً — بزعمه — بدم ابن عمّه دارا بن دارا بن بَهْمَن بن إسْفَنديار ، الذى حارب الإسكندر ، فقتله حاجباه ، مُرِيدا — فيما يقول[1] — ردّ المُلْك إلى أهله ، وإلى[2] ما لم يزل عليه أيام سلَفه وآبائه الذين مضوْا قبل ملوك الطوائف ، وجمعه لرئيس واحد وملك واحد . ١/٨١٤

وذُكِر أن مولده كان بقرية من قرى إصْطَخْر يقال لها طيروده ، من رُسْتَاق خير من كُورة إصْطَخر . وكان جدّه ساسان شجاعًا شديدَ البطش ، وإنّه بلغ من شجاعته وشدة بطشه ، أنه حارب وحده ثمانين رجلاً من أهل إصْطَخر ، ذوى بأس ونجدة ، فهزمهم . وكانت امرأتُه من نسل قوم من الملوك ، كانوا بفارس ، يعرفون بالبازرنجين ، يقال لها : رامبِهشت ، ذات جمال وكمال ، وكان ساسان قَيِّمًا على بيت نار إصْطَخر ، يقال له بيت

---

(١) ت : « زعم » . (٢) ت : « على » .

نار أنا هيذ،(١) وكان مغرَمًا بالصيد والفروسيّة ، فولدت رامبهشت لساسان بابك ، وطولُ شعره حين ولدته أطولُ من شبر . فلما احْتَنَك قام بأمر الناس بعد أبيه ، ثم ولد له ابنه أردشير .

وكان ملك إصطخر يومئذ رجل من البازرنجين ، يقال له — فيما حدّثت عن هشام بن محمد — جُوزِهر . وقال غيره : كان يسمّى جُزِهر ، وكان له خَصِيّ يقال له تيرَى ، قد صيّره أرْجَبذا (٢) بدارا بجرد . فلما أتى لأردشير سبعُ سنين ، سار به أبوه إلى جُزِهر ، وهو بالبيضاء ، فوقفه بين يديه، وسأله أن يضمّه إلى تيرَى ؛ ليكون ربيبًا له، وأرجبذا من بعده فى موضعه . فأجابه إلى ذلك، وكتب بما سأله من ذلك سِجِلاًّ ، وصار به إلى تيرَى، فقبله أحسن قَبول ، وتبنّاه . فلما هلك تيرى تقلّد أردشير الأمر ، وحَسُنَ قيامه به ، وأعلمه قوم من المنجّمين والعرّافين صلاحَ مولده ، وأنه يملك البلاد . فذكر أنّ أردشير تواضع واستكان لذلك ،ولم يزل يزداد فى الخير كلّ يوم،وأنّه رأى فى نومه ملكًا جلس إلى رأسه، فقال له : إنّ الله يملّكه البلاد ؛ فليأخذ لذلك أهبتَه، فلما استيقظ سُرَّ بذلك، وأحسّ من نفسه قوّةً وشدّة بطش، لم يكن يعهد مثله .

١/٨١٥

وكان أوّل ما فعل أنه سار إلى موضع من دارا بجرد، يقال له جوبانان، فقتل ملكًا كان بها يقال له فاسين(٣). ثم سار إلى موضع يقال له كونس ، فقتل ملكًا كان بها يقال له مِنُوشِهر ، ثم إلى موضع يقال له لروير(٤) ، فقتل ملكًا كان بها يقال له دارا ، وملّك هذه المواضيع قومًا من قبَله، ثم كتب إلى أبيه بما كان منه، وأمره بالوثوب بجزهر وهو بالبيضاء ، ففعل ذلك ، وقتل جُزِهر وأخذ تاجه، وكتب إلى أرْدَوان البهْلوىّ ملك الجبال وما يتّصل بها ، يتضرّع له ويسأله الإذنَ فى تتويج سابور ابنه بتاج جُزِهر . فكتب إليه أرْدوان كتابًا عنيفًا ، وأعلمه أنه وابنَه أردشير على الخلاف بما كان من

١/٨١٦

---

(١) ت : « نار أهيذ » ؛ س : « نارهيد » .
(٢) وهى أيضاً : « هرجبذا » ، وانظر ص ٤٤ ، س ١٦ .
(٣) ت : « قاسين » ، س : « قاسير » .
(٤) ت : « لزوير » ، س : « لزوبن » .

قتليهما مَنْ قتلا — فلم يحفل بابك بذلك ، وهلك فى تلك الأيام، فتتوّج سابور ابن بابك بالتاج ، وملك مكان أبيه ، وكتب إلى أردشير أن يشخص إليه . فامتنع أردشير من ذلك ، فغضب سابور من امتناعه ، وجمع جموعًا ، وسار بهم نحوه ليحاربه ، وخرج من إصْطَخر ، فألفَى بها عدّة من إخوته ، كان بعضهم أكبرَ سنًّا منه ، فاجتمعوا وأحضروا التاج وسرير الملك ، فسلّم الجميع لأرْدَشير ، فتتوّج بالتاج ، وجلَس على السرير ، وافتتح أمره بقوة وجِدّ ، ورتّب قومًا مراتب ، وصيّر رجلاً يقال له أبرسام بن رحفر[1] وزيراً ، وأطلق يده وفوّض إليه ، وصيّر رجلاً يقال له فاهر[2] موْبذان موبذ ، وأحسّ من إخوته وقوم كانوا معه بالفتك به ، فقتل جماعة منهم كثيرة . ثم أتاه أنّ أهلَ دارا بَجِرْد قد فسدوا عليه ، فعاد إليها حتى افتتحها بعد أن قتل جماعة من أهلها . ثم سار إلى كَرْمان ، وبها ملك يقال له : بلاش ، فاقتتل وهو قتالاً شديداً ، وقاتل أرْدَشير بنفسه حتى أسر بلاش ، واستولى على المدينة ؛ فملّك أردشير على كَرْمان ابنًا له يقال له أردشير أيضًا . ١ /٨١٧

وكان فى سواحل بحر فارس ملك يقال له أبتنبود ، كان يعظَّم ويُعبَد ، فسار إليه أردشير فقتله وقطّعه بسيفه نصفين ، وقتل مَنْ كان حوله ، واستخرج من مطامير كانت لهم كنوزاً مجموعة فيها ، وكتب إلى مِهْرَك ، وكان ملك إيراهسان من أرْدَشير خُرَّة ، وإلى جماعة من أمثاله فى طاعته ، فلم يفعلوا ، فسار إليهم ، فقتل مِهْرَك ، ثم سار إلى جُور ، فأسّسها ، وأخذ فى بناء الجوْسق المعروف بالطِّرْبَال ، وبيت نار هناك .

فبينا هو كذلك إذْ ورد عليه رسول الأرْدَوان بكتاب منه ، فجمع أردشير الناس لذلك ، وقرأ الكتاب بحضرتهم ؛ فإذا فيه : إنّك قد عدَوْت طورَك ، واجتلبتَ حتفَك ، أيها الكردىّ المربّى فى خيام الأكراد! مَنْ أذنَ لك فى التاج الذى لبسته ، والبلادِ التى احتويتَ عليها وغلبت ملوكها وأهلها ! ومَنْ أمرك ببناء المدينة التى أسّستها فى صحراء — يريد جور — مع أنّا إنْ خلّيناك

---

(١) ت : « زحفر » .

(٢) ت : « قاهر » ، ل : « هاهر » .

وبناءها فابتنى فى صحراء طولها عشرة فراسخ مدينةً ، وسمّاها رام أردشير .
١/٨١٨ وأعلمه أنه قد وجّه إليه ملك الأهواز ليأتيه به فى وَثاق .

فكتب إليه أردشير : إنّ الله حبانى بالتاج الذى لبستُه ، وملّكنى البلاد التى افتتحتُها ، وأعاننى على مَنْ قتلت من الجبابرة والملوك؛ وأمّا المدينة التى أبنيها وأسمّيها رام أردشير ، فأنا أرجو أن أمكن منك، فأبعث برأسك وكنوزك إلى بيت النار الذى أسسته فى أردشير خرّة .

ثم شخص أردشير نحو إصْطَخر ، وخلف أبرسام بأردشير خُرّة ، فلم يلبث أردشير إلاّ قليلاحتّى وردعليه كتاب أبرسام بموافاة ملك الأهواز ، وانصرافه منكوبًا . ثم سار[1] إلى إصْبهَان فأسر شاذ سابور ملِكها،وقتله، ثم عاد إلى فارس ، وتوجّه لمحاربة نيروفر صاحب الأهواز ، وسار إلى الرّجان وإلى بنيان[2] وطاشان من رَامَهُرْمُز ، ثم إلى سُرَّق . فلما سار إلى ما هنالك ، ركِب فى رهط من أصحابه ؛ حتى وقف على شاطئ دُجَيْل ، فظفِر بالمدينة ، وابتنى مدينة سوق الأهواز ، وانصرف إلى فارس بالغنائم ؛ ثم ارتحل من فارس راجعاً إلى الأهواز على طريق جِرِه وكازَرون ، ثم صار من الأهواز إلى مَيْسان ، فقتل ملكًا كان بها يقال له بندو[3] ، وبنى هنالك كَرْخ مَيْسان ، ثم انصرف إلى فارس ، وأرسل إلى أرْدَوَان يرتاد موضعًا يقتتلان فيه ، فأرسل إليه أردَوان : إنّى أوافيك فى صحراء تدعى هُرْمُزجان، لانسلاخ مِهْرماه . فوافاه أردشير قبل الوقت ، وتبوّأ من الصحراء موضعًا ، وخندق على نفسه وجنده ،
١/٨١٩ واحتوى على عَيْنٍ كانت هناك ، ووافاه أردَوان . فاصطفّ القوم للقتال ، وقد تقدّم سابور بن أردشير دافعًا عنه ، ونشب القتال بينهم ، فقتل سابور دارا بنداذ ، كاتب أرْدَوان بيده ، فانقضّ أردشير من موضعه إلى أرْدَوان حتى قتله ، وكثر القتل فى أصحابه ، وهرب مَنْ بَقِيَ على وجهه . ويقال : إنّ أرْدشير نزل حتى توطّأ رأس أردَوان بقدمه . وفى ذلك اليوم سمّى أردشير « شاهَنْشاه » .

---

(١) ل : « صار » .

(٢) ط : « سسار » ، وما أثبته من التصويبات .

(٣) س : « نبدوا » .

ثم سار من موضعه إلى هَمَذان فافتتحها ، وإلى الجبل وأذْرَبيجان وإرمينيَة والموصل عَنْوة ، ثم سار من الموصل إلى سُورِسْتَان ؛ وهى السّواد فاحتَازها ، وبنى على شاطئ دِجْلة قبالةَ مدينة طهسبون[1] — وهى المدينة التى فى شرقىّ المدائن — مدينة[2] غربيّة وسماها بِهْ أرْدَشير ، وكوّرها وضمّ إليها بَهُرَسير ، والرُّومَقان، ونهر دَرقيط ، وكُوثَى ونهر جَوبَر ، واستعمل عليها عمّالا ، ثم تَوجّه من السّواد إلى إصْطَخر ، وسار منها إلى سجِستان، ثم جُرجان ، ثم إلى أبْرشَهْر ، ومَرْو ، وبلْخ، وخُوَارِزم ؛ إلى تخوم بلاد خُراسان . ثم رجع إلى مَرْو ، وقتل جماعة وبعث رءوسهم إلى بيت نار أناهيذ ، ثم انصرف من مَرْو إلى فارس . ونزل جُور ، فأتته رسل ملك كُوشان ، وملك طُوران، وملك مُكْران بالطاعة . ثم توجّه أرْدشَير من جُور إلى البَحْرين ، فحاصر سنطرق[3] ملكها ، واضطره الجَهْد إلى أن رمى بنفسه من سُور الحصن ، فهلك . ثم انصرف إلى المدائن ، فأقام بها وتوّج سابور ابنه بتاجه فى حياته . ١/٨٢٠

ويقال : إنّه كانت بقرية يقال لها ألار[4]، من رُسْتَاق كُوجَران[5] من رساتيق سِيف أرْدشير خُرّة ملكةٌ تعظَّم وتعبَد ، فاجتمعت لها أموال وكنوز ومقاتلة . فحارب أردشير سدَنتها وقتلها ، وغَنِم أموالاً وكنوزاً عظامًا كانت لها : وإنه كان بنى ثمانىَ مدن ؛ منها بفا س مدينة أردشير خُرَّة ؛ وهى جُور ، ومدينة رام أرْدشير ، ومدينة رِيو أرْدشير ، وبالأهواز هُرْمُز أردشير ؛ وهى سوق الأهواز ، وبالسَّواد بِهْ أردشير ؛ وهى غربىّ المدائن ، وإسْتاباذ أرْدَشير ؛ وهى كَرْخ مَيْسان ، وبالبحرين فنياذأردشير[6] ؛ وهى مدينة الخَطّ ، وبالموصل بوذ أردشير ؛ وهى حَزّة .

* * *

---

(١) ت : « طهيسون » ، س : « طهيسون » .

(٢) فى الأصول : « ومدينة » .

(٣) ت : « سيطرق » .

(٤) ت : « الاز » ، أس ، ل: « ألان » .

(٥) ت : « جوجران » .

(٦) ط : « فسا أردشير » ، وما أثبته من التصويبات » .

وذكر أن أردشير عند ظهوره كتَب إلى ملوك الطوائف كتبًا بليغة ، احتجّ عليهم فيها ، ودعاهم إلى طاعته ، فلما كان فى آخر أمره رسم لمن بعده عهده ، ولم يزل محموداً مظفَّراً منصوراً ، لا يفَلّ له جمع ، ولا تردّ له راية ؛ وقهر الملوك حول مملكته وأذلّهم ، وأثخن فى الأرض ، وكوّر الكُوَر ، ومدّن المدن ، ورتّب المراتب ، واستكثَر من العمارة . وكان ملكه من وقت قتله أردَوان إلى أن هلك أربع عشرة سنة . وقال بعضهم : كان ملكه أربع عشرة سنة وعشرة أشهر .

١ / ٨٢١

وحُدّثت عن هشام بن محمد ، قال : قدم أردشير فى أهل فارس يريد الغلَبة على المُلْك بالعراق ، فوافق بابا ملِكًا [كان][1] على الأرمانيّين ، ووافق أردَوان ملِكًا على الأردوانيّين .

قال هشام : الأرمانيُّون أنباط السّواد ، والأردوانيُّون أنباط الشأم .

قال : وكلّ واحد منهما يقاتل صاحبَه على الملك ، فاجتمعا على قتال أردشير . فقاتلاه متساندين ، يقاتله هذا يومًا ، وهذا يومًا ؛ فإذا كان يوم بابا لم يقم له أردشير ، وإذا كان يوم أردوان لم يقم لأردشير ؛ فلمّا رأى ذلك أردشير صالح بابا على أن يكفّ عنه ويدعه وأرادون ، ويخلّيَ أردشير بين بابا وبين بلاده وما فيها ، وتفرّغَ أردشير لحرب أردَوان ، فلم يلبث أن قتله واستولى على ما كان له ، وسمِع له ، وأطاع بابا[2] ، فضبط أردشير مُلْك العِراق ودانتْ له ملوكُها ، وقهر من كان يناوئه من أهلها ؛ حتى حملهم على ما أراد ممّا خالفهم ووافقه .

* * *

ولما استولى أردشير على المُلْك بالعراق كرِه كثير من تَنُوخ أن يقيموا فى مملكته ، وأن يدينوا له ، فخرجَ مَنْ كان منهم من قبائل قُضاعة الذين كانوا أقبلوا مع مالك وعمرو ابنى فَهْم ، ومالك بن زهير وغيرهم ، فلحقوا بالشأم إلى مَنْ هنالك من قُضَاعة .

١ / ٨٢٢

وكان ناس من العرب يُحْدِثون فى قومهم الأحداث ، أو تضيق بهم

---

(١) تكملة من ت .

(٢) ت : « بابا وأطاع » .

المعيشة ، فيخرجون إلى ريف العراق ، وينزلون الحيرة على ثلاثة أثلاث : ثلث تَنوخ ، وهو مَنْ كان يسكن المظالّ وبيوتَ الشَّعَر والوبر فى غربىّ الفرات ، فيما بين الحيرة والأنبار وما فوقها . والثلث الثانى العِباد ، وهم الذين كانوا سكنوا الحيرة وابتنَوْا بها . والثلث الثالث الأحلاف ، وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة، ونزلوا فيهم، ممّن لم يكن من تَنُوخ الوبَر ؛ ولا من العِباد الذين دانوا لأردشير .

وكانت الحيرة والأنبار بنِيتا جميعًا فى زمن بختنصّر ، فخربت الحيرة لتحوّل أهلها عنها عند هلاك بختنصّر إلى الأنبار ، وعمرت الأنبار خمسمائة سنة وخمسين سنة ، إلى أن عمرت الحيرة فى زمن عمرو بن عدىّ ، باتّخاذه إياها منزلا ، فعمِرت الحيرة خمسمائة سنة وبضعاً وثلاثين سنة إلى أن وُضعت الكوفة ، ونزلها الإسلام ؛ فكان جميعُ مُلْكِ عمرو بن عدىّ مائة سنة وثمانى عشرة سنة ، من ذلك فى زمن أردَوان وملوك الطوائف خمس وتسعون سنة ، وفى زمن ملوك فارس ثلاث وعشرون سنة ؛ من ذلك فى زمن أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وفى زمن سابور بن أردشير ثمانى سنين وشهران .

ذكر الخبر
عن القائم كان بملك فارس بعد أردشير بن بابك

١/٨٢٣ ولمّا هلك أردشير بن بابك ، قام بملْك فارس من بعده ابنه سابور .
وكان أردشير بن بابك لما أفْضَى إليه الملك أسرف فى قتل الأشـكانيّة ،
الذين منهم كان ملوك الطوائف ، حتّى أفناهم بسبب ألِيّة كان ساسان بن
أردشير بن بَهْمَن بن إسْفَنْد يار الأكبر ، جدّ أردشير بن بابك ، كان آلاها ،
أنه إن ملك يومًا من الدهر لم يستبْق[1] من نسل أشَك بن خرّه أحداً ، وأوجب ذلك
على عَقِبِه ، وأوصاهم بألاّ يبقُوا منهم أحداً إن هم ملكوا ، أو ملك منهم
أحد يومًا . فكان أوّل مَنْ ملك من ولد ولده ونسله أردشير بن بابك ، فقتلهم
جميعًا ؛ نساءهم ورجالهم ، فلم يستبْق منهم أحداً لعزْمة جدّه ساسان .
فذكر أنه لم يبق منهم أحد ، غير أنّ جارية كان وجدها أردشير[2] فى
دار المملكة ، فأعجبه جمالُها وحسنها ، فسألها — وكانت ابنة الملك المقتول —
عن نسبها . فذكرت أنها كانت خادمًا لبعض نساء الملِك ، فسألها : أبِكْرٌ أنتِ
أم ثَيِّب ؟ فأخبرته أنها بِكْر ؛ فواقعها واتّخذها لنفسه ، فعلَقتْ منه ، فلما أمنته
على نفسِها لاستمكانها منه بالحبَل ، أخبرته أنها من نسل أشَك ، فنفر منها[3]
ودعا هرجبذا أبرسام — وكان شيخًا مُسنًّا — فأخبره أنها أقرّت أنها من نسل
أشَك ، وقال : نحن أوْلَى باستتمام الوفاء بنذر أبينا ساسان ، وإن كان موقعها
١/٨٢٤ من قلبي على ما قد علمتَ ، فانطلِقْ بها فاقتلْها . فمضى الشيخُ ليقتلَها ، فأخبرته
أنها حُبْلى ؛ فأتى بها القوابل ، فشهِدْنَ بحَبَلها ، فأودعها سرَبًا فى الأرض ، ثم
قطع مذاكيرَه فوضعها فى حُقّ ، ثم ختم عليه ، ورجع إلى الملك ، فقال له
الملك : ما فعلت ؟ قال : قد استودعتها بطنَ الأرض ، ودفع الحُقّ إليه ،
وسأله أن يختِم عليه بخاتمه ، ويُودِعَه بعضَ خزائنه ففعل ، فأقامت الجارية
عند الشيخ ، حتّى وضعتْ غلامًا ، فكره الشيخ أن يُسمِّيَ ابنَ الملك دونه ،

(١) ل : « لا يستبق » . س : « لا يستبق » .
(٢) ل : « كان أرد شير وجدها » .
(٣) ت : « فنفر عنها » .

وكره أن يعلمه به صبيًّا حتى يدرك ، ويستكمل الأدب . وقد كان الشيخ أخذ قياس الصبيّ ساعة وُلد ، وأقام له الطالع ، فعلم عند ذلك أن سيملك ، فسمّاه اسماً جامعًا يكون صفة واسماً ويكون فيه بالخيار إذا علم به ، فسمّاه « شاه بور » ، وترجمتها بالعربية : ابن الملك ، وهو أوّلُ مَنْ سُمّى هذا الاسم ، وهو سابور الجنود بالعربية ، بن أرْدَشير . وقال بعضهم : بل سمّاه « أشَه بور » ، ترجمتها بالعربية : ولد أشَك ، الذى كانت أمّ الغلام من نسْله .

* * *

فغبَر [١] أردشير دهراً لا يُولَد له ، فدخل عليه الشيخ الأمين ، الذى عنده الصبيّ ، فوجده محزونًا ، فقال : ما يُحزِنك أيها الملك ؟ فقال له أردشير : وكيف لا أحزن ، وقد ضربتُ بسيفى ما بين المشرق والمغرب حتى ظفرت بحاجتى ، وصفا لى المُلْك ملك آبائى ، ثم أهلِك لا يعقبنى فيه عَقِب ، ولا يكون لى فيه بقيّة ! فقال له الشيخُ : سرّك الله أيها الملك وعَمرك ! لك عندى ولد طيّب نفيس ، فادع بالُحقّ الذى استودعتُك ، وختمته بخاتمك أرِكَ برهان ذلك .

١/٨٢٥ فدعا أردشير بالحقّ ، فنظر إلى نقش خاتمه ، ثم فَضّه ، وفتح الُحقّ ، فوجد فيه مذاكير الشيخ ، وكتابًا فيه : إنّا لما اختبرنا ابنة أشَك التى علِقت من مَلِك الملوك أردشير حين أمرْنا بقتلها حين حملها ، لم نستحلّ إتْوَاء [٢] زرع الملك الطّيب ، فأودعناها بطن الأرض كما أمرَنا ملكنا ، وتبرّأنا إليه من أنفسنا لئلا يجد عاضِهٌ إلى عَضَهِها سبيلاً ، وقمنا بتقوية الحقّ المنزوع [٣] حتى لحق بأهله ، وذلك فى ساعة كذا من عام كذا . فأمره أرْدَشير عند ذلك أن يُهيئه فى مائة غلام . وقال بعضهم : فى ألف غلام من أترابه وأشباهه فى الهيئة والقامة ، ثم يُدْخِلهم عليه جميعًا لا يفرق بينهم فى زىٍّ ولا قامة ولا أدب ؛ ففعل ذلك الشيخ ؛ فلما نظر إليهم أرْدشير قبلت نفسه ابنَه من بينهم ، واستحلاه من غير أن يكون أشير له إليه أو لُحِنَ به . ثم أمر بهم جميعًا

---

(١) ط : « عبر » . (٢) إتواء : إهلاك .
(٣) ط : « المزروع » . ت : « المزوع » .

فأخرجوا إلى حجرة الإيوان ، فأعطوا صوالجة ، فلعبوا بالكرة وهو فى الإيوان على سريره ، فدخلت الكرة فى الإيوان الذى هو فيه[١] ، فكاع الغلمان[٢] جميعًا أن يدخلوا الإيوان ، وأقدم سابور من بينهم فدخل فاستدلّ أردشير بدخوله عليه ، وإقدامه وجرأته مع ما كان من قبول نفسه له أوّل مرّة حين رآه ، ورقّته عليه دون أصحابه أنه ابنه . فقال له أردشير بالفارسية : ما اسمك ؟ فقال الغلام : شاه بور ، فقال : أردشير : شاه بور ! فلما ثبت عنده أنّه ابنُه شهرَ أمرَه ، وعقد له التاج من بعده .

١/ ٨٢٦ وكان سابور قد ابتلَى منه أهلُ فارس — قبل أن يُفضِيَ إليه المُلْكُ فى حياة أبيه — عقلاً وفضلا وعلمًا ، مع شدّة بطش ، وبلاغة منطق ، ورأفة بالرعيّة ورقّة . فلما عُقِد التاج على رأسه ، اجتمع إليه العظماء ، فدعوْا له بطول البقاء ، وأطنبوا فى ذكر والده وذكر فضائله ، فأعلمهم أنهم لم يكونوا يستدعُون إحسانه بشىء يعدِل عنده ذكرهم والده ، ووعدَهم خيراً .

ثم أمر بما كان فى الخزائن من الأموال ، فوسّع بها على الناس ، وقسّمها فيمن رآه لها موضعًا ؛ من الوجوه والجنود وأهلِ الحاجة ، وكتب إلى عمّاله بالكُوَر والنّواحى أن يفعلوا مثلَ ذلك فى الأموال التى فى أيديهم ، فوصلَ من فضله وإحسانه إلى القريب والبعيد ، والشريف والوضيع ، والخاصّ والعامّ ما عمّهم ورُفِغتْ[٣] معايشهم . ثم تخيّر لهم العمّال ، وأشرف عليهم وعلى الرعيّة إشرافًا شديداً ، فبان فضلُ سيرته ، وبَعُد صوته ، وفاق جميع الملوك .

وقيل : إنه سار إلى مدينة نَصيبين ، لإحدى عشرة سنة مضت من مُلْكه ، وفيها جنود من جنود الروم ، فحاصرهم حينًا ، ثم أتاه عن ناحية من خُراسان ما احتاج إلى مشاهدته ، فشخصَ إليها حتى أحكم أمرها ، ثم رجع إلى نَصيبين . وزعموا[٤] أنّ سورَ المدينة تصدّع وانفرجت له فُرْجة دخل[٥] منها ،

---

(١) ل : « فيه الملك » .
(٢) كاع الغلمان : جبنوا . وفى الحديث : « ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب » ؛ الكاعة : جمع كائع ؛ وهو الجبان .
(٣) ط : « رفعت » تصحيف ، والرفغ : السعة فى الرزق .
(٤) ت : « فزعموا » .
(٥) ت : « فدخل » ، ل : « ودخل » .

فقتل المقاتِلة وسَبَى وأخذ أموالا عظيمة كانت لقيصر هنالك، ثم تجاوزها إلى الشأم وبلاد الروم ، فافتتح من مدائنها مدنًا كثيرة .

وقيل : إنّ فيما افتتح قالوقيّة وقلوقيَة، وإنّه حاصر مَلِكًا كان بالروم ، يقال له الريانوس بمدينة أنطاكِيَة ، فأسره وحمله وجماعة كثيرة معه، وأسكنهم جُنْدَيْ سابور . ١/٨٢٧

وذكر أنه أخذ الريانوس ببناء شاذراون تُسْتَر ، على أن يجعل عَرْضه ألف ذراع ، فبناه الرومىّ بقوم أشخصهم إليه من الروم ، وحكّم سابور فى فكاكه بعد فراغه من الشاذروان ، فقيل إنه أخذ منه أموالاً عظيمة ، وأطلقه بعد أن جَدَع أنفه . وقيل إنه قتله .

* * *

وكان بحيال تَكْرِيت بين دِجْلة والفرات مدينة يقال لها الحَضْر ، وكان بها رجل من الجرامقة يقال له الساطِرون ، وهو الذى يقول فيه أبو دواد الأيادىّ :

وَأَرَى الْمَوْتَ قَدْ تَدَلَّى مِنَ الْحَضْــ ـرِ عَلَى رَبِّ أَهْلِهِ السَّاطِرُونِ(١)

والعرب تسميه الضَّيْزَن . وقيل : إنّ الضَّيْزَن من أهل بَاجَرْمَى .

وزعم هشام بن الكلبىّ(٢) أنه من العرب من قضاعة وأنه الضَّيْزَن بن معاوية ابن العَبيد بن الأجرام بن عمرو بن النَّخَع بن سَلِيح بن حُلْوان بن عِمْران ابن الحاف بن قُضاعة، وأنّ أمه من تَزِيد بن حلْوان اسمها جَيهَلَة(٣) ، وأنه إنما كان يعرَف بأمّه . وزعم أنه كان مَلَكَ أرضَ الجزيرة ، وكان معه من بنى عَبِيد بن الأجرام وقبائل قُضاعة ما لا يُحصى ، وأنّ ملكه كان قد بلغ الشأم ، وأنه تطرّف من بعض السَّواد فى غيبة كان غابها إلى ناحية خراسان سابور بن أردشير ، فلما قدم من غيبته أخبر بما كان منه ، فقال فى ذلك من فعل الضَّيْزَن، عمرو بن إلة(٤) بن الجُدَىّ بن الدّهاء بن جُشَم بن حُلْوان ١/٨٢٨

(١) كذا فى اللسان ٦ : ٢٩ ، وغرر أخبار ملوك الفرس ٤٠٢ ، وفى معجم البلدان ٣ : ٢٩٠ نسبه إلى عدى بن زيد . (٢) الخبر فى الأغانى ٢ : ١٤٠ (طبعة دار الكتب) بسنده عن جماعة ، منهم هشام الكلبى . (٣) فى الأغانى : « جبهلة » .

(٤) فى الأغانى : « عمرو بن السليح بن حدىّ بن الدها بن غنم بن حلوان » ، وفى معجم البلدان ٣ : ٢٩٠ : « الجدى بن الدلهاث » ، وفى ت ، ل : « الحدى » .

ابن عمران بن الحاف بن قضاعة :

لَقِينَاهُمْ بِجَمْعٍ مِنْ عِلَافٍ وَبِالْخَيْلِ الصَّلَادِمَةِ الذُّكُورِ (١)

فَلَاقَتْ فَارِسٌ مِنَّا نَكَالًا وَقَتَّلْنَا هَرَابِذَ شَهْرَزُورِ (٢)

دَلَفْنَا لِلْأَعَاجِمِ مِنْ بَعِيدٍ بِجَمْعٍ كَالْجَزِيرَةِ فِي السَّعِيرِ

فلما أخبر سابور بما كان منه شخص إليه حتى أناخ على حصنه ، وتحصّن الضَّيْزَن في الحصن ، فزعمَ ابنُ الكلبيّ أنه أقام سابور على حصنه أربع سنين ، لا يقدر على هدمه ولا على الوصول إلى الضَّيْزَن .

وأمّا الأعشى ميمون بن قيس فإنّه ذكر في شعره أنه إنما أقام عليه حولين ، فقال(٣) :

أَلَمْ تَرَ لِلْحَضْرِ إِذْ أَهْلُهُ بِنُعْمَى وَهَلْ خَالِدٌ مَنْ نَعِمْ! (٤)

أَقَامَ بِهِ شَاهَبُورُ الْجُنُو دَ حَوْلَيْنِ تَضْرِبُ فِيهِ الْقُدُمْ (٥)

فَمَا زَادَهُ رَبُّهُ قُوَّةً وَمِثْلُ مُجَاوِرِهِ لَمْ يُقِمْ (٦)

فَلَمَّا رَأَى رَبُّهُ فِعْلَهُ أَتَاهُ طُرُوقًا فَلَمْ يَنْتَقِمْ

وَكَانَ دَعَا قَوْمَهُ دَعْوَةً هَلُمُّوا إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمْ ١/٨٢٩

فَمُوتُوا كِرَامًا بِأَسْيَافِكُمْ أَرَى الْمَوْتَ يَجْشَمُهُ مَنْ جَشِمْ

* * *

ثم إنّ ابنة للضَّيْزَن يقال لها النَّضيرة عَرَكَت(٧) فأُخرجت إلى رَبَض(٨)

---

(١) هو علاف بن حلوان بن الحاف بن قضاعة ؛ وإليه تنسب الخيل العلافية . والخيل الصلادمة : القوية الشديدة .

(٢) شهر زور : كورة واسعة بين إربل وهمذان ؛ قال ياقوت : وأهل هذه النواحي كلهم أكراد ؛ ولأهلها بطش وشدة . (٣) ديوانه ٣٥ ؛ من قصيدته التي أولها :

أَتَهْجُرُ غَانِيَةً أَمْ تُلِمْ أَمِ الْحَبْلُ وَاهٍ بِهَا مُنْجَذِمْ

(٤) الديوان : « ألم ترى الحضر » .

(٥) الديوان : « أقام به سابور » . والقدم : جمع قدوم .

(٦) في ط : « ومثل محاوره لم يقم » وما أثبته عن الديوان .

(٧) في الأغاني : « عركت ، أي حاضت » . (٨) الربض : ما حول المدينة من الخارج .

المدينة ، وكانت من أجمل نساء زمانها — وكذلك كان يُفعل بالنساء إذا هنّ عَرَكْنَ — وكان سابور من أجمل أهل زمانه — فيما قيل — فرأى كلّ واحد منهما صاحبه ، فعشِقَتْه وعشِقها ، فأرسلت إليه : ما تجعل لى إن دَلَلْتُكَ على ما تَهْدِم به سورَ هذه المدينة وتقتل أبى ؟ قال : حكمَك [١] وأرفعُك على نسائى ، وأخصّك بنفسى دونهنّ . قالت : عليك بحمامة وَرْقاء مُطَوَّقة ، فاكتب فى رجلها بحيْض جارية بِكْر زرقاء ، ثم أرْسِلْها ، فإنها تقع على حائط المدينة ؛ فتتداعى [٢] المدينة . وكان ذلكَ طِلَّسْم [٣] المدينة لا يهدِمُها إلاّ هذا ، ففعل وتأهّب لهم ، وقالت : أنا أسقى الحرَسَ الخمر ، فإذا صُرِعوا فاقتلهم ، وادخل المدينة . ففعل وتداعت المدينة ، ففتحها عَنْوة ، وقتِل الضَّيْزَن يومئذ ، وأبيدَتْ أفناء قُضاعة الذين كانوا مع الضَّيْزَن ، فلم يبقَ منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم ، وأصيبت قبائل من بنى حُلْوان ؛ فانقرضوا ودَرَجوا ، فقال عمرو [٤] بن إلّة — وكان مع الضَّيْزَن :

أَلَمْ يَحْزُنْكَ والأنباء تَنْمِى [٥] ... بِمَا لاقَتْ سَراةُ بَنِى عَبِيدِ !

ومَصْرَعُ ضَيْزَنٍ وبَنِى أَبِيهِ ... وأَحْلاسِ الكَتائِبِ مِنْ تَزِيدِ ! [٦]

أتاهُمْ بالفُيولِ مُجلّلاتٍ ... وبالأَبْطالِ سَابُورُ الْجُنُودِ

فَهَدَّمَ مِنْ أَواسِى الحِصْنِ صَخْراً [٧] ... كَأَنَّ ثِفالَهُ زُبَرُ الْحَدِيدِ

وأخْرَب سابور المدينة ، واحتمل النَّضيرة ابنة الضَّيْزَن ، فأعرس بها بعين التَّمْر ، فذكر أنها لم تزل ليلتَها تَضوّرُ [٨] من خشونة فرشها ، وهى من

---

(١) فى الأغانى : « أحكّمك » .

(٢) ط : « فتداعى » ، وما أثبته عن الأغانى .

(٣) الطلسم : السر المكتوم .

(٤) نسب ياقوت هذه الأبيات ٣ : ٢٩١ إلى الجدى بن الدلهاث .

(٥) تنمى ، أى تشيع .

(٦) أحلاس الكتائب : الشجعان الملازمون لها .

(٧) الأغانى : « من أواسى الحضر » . والأواسى : جمع آسية ؛ وهو ما أسس من بنيان فأحكم أصله ؛ من سارية أو غيرها .

(٨) الأغانى : « تتضور » .

٨٣٠/١ حرير محشوّة بالقزّ فالتُمس ما كان يُؤذيها ، فإذا ورقة آس ملتزقة بِعُكْنة من عُكَنِها قد أثّرت فيها . قال : وكان يُنظَر إلى مُخّها من لين بشرتها — فقال لها سابور : ويحك بأىّ شىء كان يغذوك أبوك ؟ قالت : بالزُّبْد والمخّ وشهد الأبكار من النحل وصفْو الخمر . قال : وأبيك لأنا أحدَثُ عهداً بك، وآثرُ[1] لك من أبيك الذى غذاك بما تذكرين . فأمرَ[2] رجلاً فركب فرساً جموحًا ، ثم عصب غدائرها بذنَبِه ، ثم استركضها فقطّعها قطعًا ،فذلك قول الشاعر :

أقفَرَ الْحِصْنُ مِنْ نَضيرَةَ فالمِرْ باعُ مِنْهَا فَجانبُ الثّرْثارِ[3]

وقد أكثر الشعراء ذكر ضَيْزَن هذا فى أشعارهم، وإياه عَنَى عدىّ بن زيد بقوله :

وَأَخُو الحَضْرَ إذْ بَناهُ وَإذْ دِجْ لَةُ تُجْبَى إليه والخابورُ[4]

شَادَهُ مَرْمَراً وجَلَّلهُ كِلْ ساً فلِلطَّيْرِ فى ذُرَاهُ وُكُورُ[5]

لم يَهَبْهُ رَيْبُ المَنُونِ فبادَ الْ مُلْكُ عَنْــــهُ فبابُهُ مَهْجُور

ويقال إنّ سابور بنى بميْسان شاذ سابور ، التى تسمّى بالنّبَطية «ريما»[6] .

* * *

وفى أيّام سابور ظهر مانِى الزنديق ، ويقال : إن سابور لمّا سار إلى موضع جُنْدَيْ سابور ليؤسّسها صادف عندها شيخًا يقال له بيل ، فسأله : هل يجوز أن يتّخذ فى ذلك الموضع مدينة ؟ فقال له بيل : إن أُلْهِمتُ الكتابة مع ما قد بلغت من السنّ جاز أن يبنى فى هذا الموضع مدينة . فقال له سابور : ٨٣١/١ بل ليكن الأمران اللذان أنكرت كونهما . فرسم المدينة وأسلَم بيل إلى معلم ، وفرض عليه تعليمه الكتاب والحساب فى سنة ، فخلا به المعلّم وبدأ بحلْق رأسه

(١) ط : « وأوثر » ، وما أثبته عن الأغانى . (٢) الأغانى : « ثم أمر » .

(٣) الثرثار : واد بين سنجار وتكريت ؛ كان فى القديم منازل لبكر بن وائل ؛ ويمر بمدينة الحضر ؛ ثم يصب فى دجلة أسفل تكريت .

(٤) الخابور : اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة .

(٥) الكلس : الصاروج ؛ وهى النورة وأخلاطها التى تصرج بها البرك وغيرها. فارسى معرب .

(٦) ط : « ديما » .

ولحيته لئلا يتشاغل بهما ، وجادّه التعليم . ثم أتى به سابور وقد نفذ ومَهَر ، فقلّده إحصاء النفقة على المدينة وإثبات حسابها ، وكوّر الناحيةَ وسمّاها بِهْأزنديوسابور ، وتأويل ذلك: « خير من أنطاكية »، ومدينة سابور — وهى التى تسمّى جُنْدَىسابور ، وأهل الأهواز يسمونها « بيل » بِاسم القَيِّم كان على بنائها . ولما حضر سابور الموت ملّك ابنَه هرمز وعهِد إليه عهداً أمره بالعمل به .

واختلف فى سنى ملكه ، فقال : بعضهم كان ذلك ثلاثين سنة وخمسة عشر يومًا . وقال آخرون : كان ملكه إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة عشر يومًا .

* * *

[ذكر ملك هرمز بن سابور]

ثم قام بالملك بعد سابور بن أردشير بن بابك ابنُه هرمز . وكان يلقّب بالجرىء ، وكان يُشَبَّه فى جسمه وخلْقه وصورته بأردشير ؛ غير لاحقٍ به فى رأيه وتدبيره ، إلاّ أنه كان من البطش والجرأة وعِظَم الخَلق على أمر عظيم .

وكانت أمّه — فيما قيل — من بنات مِهْرَك ، الملك الذى قتله أردشير بأردشير خُرّة . وذلك أنّ المنجّمين كانوا أخبروا أرْدشير أنّه يكون من نسله مَنْ يملك . فتتبّع أردشير نَسْله فقتلهم ، وأفلتت أمّ هرمز . وكانت ذات عَقْل وجمال وكمال وشدّة خَلْق ، فوقعت إلى البادية ، وأوت إلى بعض الرّعاء . وإنّ سابور خرج يومًا متصيّداً ، فأمعن فى طلب الصَّيْد ، واشتدّ به العطش ، فارتفعت له الأخبية التى كانت أمّ هرمز أوتْ إليها ، فقصدها فوجد الرّعاء غُيَّبا ، فطلب الماء ، فناولته المرأة ، فعاين منها جمالا فائقًا ، وقَوامًا عجيبًا ، ووجْهًا عتيقًا . ثم لم يلبث أن حضر الرّعاء ، فسألهم سابور عنها ، فنسبَها بعضهم إليه ، فسأله أن يزوّجها منه ، فساعفه ، فصار بها إلى منازله ، وأمر بها فنظّفت وكُسِيت وحلّيت ، وأرادها على نفسها ؛ فكان إذا خلا بها والتمس منها ما يلتمس الرجل من المرأة امتنعتْ وقهرته عند المجاذبة قهراً ينكره . وتعجّب من قوّتها ، فلما تطاول ذلك من أمرها أنكره ؛ ففحص عن أمرها

٨٣٢/١

فأخبرته أنّها ابنة مِهْرَك ، وأنها إنما فعلت ما فعلت إبقاء عليه من أَرْدشير ، فعاهدها على سَتْرِ أمرها ، ووطئها فولدت هُرْمز ، فستر أمره حتى أتت له سنون .

وإنّ أردشير ركب يومًا ، ثم انكفأ إلى منزل سابور لشيء أراد ذكره له ، فدخل منزله مفاجأة ، فلما استقرّ به القرار خرج هُرمز ، وقد ترعرع وبيده صولجان يلعب به وهو يصيح فى أثر الكرة ، فلمّا وقعت عين أَرْدَشير عليه أنكره ، ووقف على المشابه التى فيه منهم ؛ لأن الكِيّة التى فى آل أَرْدَشير كانت لا تخفى ، ولا يذهب أمرهم على أحد ، لعلامات[1] كانت فيهم ؛ من حُسْن الوجوه ، وعَبَالة[2] الخَلْق ، وأمور كانوا بها مخصوصين فى أجسامهم . فاستدناه أردشير ، وسأل سابور عنه ، فخرّ مكفّرًا على سبيل الإقرار بالخطأ ممّا كان منه ، وأخبر أباه حقَيقة الخبر ، فُسرّ به ، وأعلمه أنه قد تحقق الذى ذكر المنجّمون فى ولد مِهْرَك ، ومَنْ يملك منهم ، وأنهم إنما ذهبوا فيه إلى هُرْمز ؛ إذ كان من نَسْل مِهْرَك ، وأنّ ذلك قد سلّى ما كان فى نفسه وأذهبه .

١/٨٣٣

فلما هَلَكَ أردشير وأفضى الأمر إلى سابورَ ولىّ هُرمز خُراسان ، وسيّره إليها ، فاستقلّ بالعمل ، وقَمَع مَنْ كان يليه من ملوك الأمم ، وأظهر تجبّرًا شديدًا ، فوشَى به الوشاة إلى سابور ، ووهّموه أنّه إن دعاه لم يُجِبْ ، وأنّه على أن يبتزّه الملك ؛ ونمت الأخبار بذلك إلى هرمز ، فقيل : إنّه خلا بنفسه ، فقطع يَده وحَسَمها ، وألقى عليها ما يحفظها ، وأدرجها فى نفيسٍ من الثياب ، وصيّرها فى سَفَط[3] ، وبعث بها إلى سابور ، وكتب إليه بما بلغه ، وأنّه إنما فعل ما فعل ؛ إزالةً للتهمة عنه ؛ ولأنّ فى رسمهم ألاّ يملّكوا ذا عاهة . فلما وصل الكتاب بما معه إلى سابور ، تقطّع أسفًا ، وكتب إليه بما ناله من الغمّ بما فعل ، واعتذر ، وأعلمه أنه لو قَطّع بدنه عضوًا عضوًا ، لم يُؤْثِر عليه أحدًا بالملك . فملّكه .

* * *

(١) ت ، س : « بعلامات » . (٢) العبالة هنا : ضخامة الجسم ؛ وأصله فى الذراعين .

(٣) السفط : الجوالق .

وقيل : إنه لما وضع التاج على رأسه ، دخل عليه العظماء ، فدعوْا له فأحسن لهم الجواب ، وعرَفوا منه صدق الحديث ، وأحسن فيهم السيرة ، وعَدَلَ فى رعيّته ، وسلك سبيل آبائه ، وكوّر كورة رام هرمز

وكان ملكه سنة وعشرة أيام .

* * *

[ذكر ملك بهرام بن هرمز]

ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام . وهو بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ابن بابك .

١ / ٨٣٤ وكان من عُمّال سابور بن أردشير ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز بن سابور — بعد مَهلِك عمرو بن عدىّ بن نصر بن ربيعة على فَرْج[1] العرب من ربيعة ومُضَر وسائر مَنْ ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ — ابنٌ لعمرو بن عدىّ ، يقال له امرؤ القيس البَدْء[2] ، وهو أوّل من تَنَصّر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمّال ملوك الفرس ، وعاش — فيما ذكر هشام بن محمد — مملّكا فى عمله مائة سنة وأربع عشرة سنة ؛ من ذلك فى زمن سابور بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً ، وفى زمن[3] هُرْمز بن سابور سنة وعشرة أيام ، وفى زمن بهرام بن هرمز ابن سابور ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وفى زمن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ثمانىَ عشرة سنة .

وكان بهرام بن هرمز — فيما ذُكر — رجلاً ذا حلْم وتُؤَدة ، فاستبشر الناس بولايته ، وأحسن السيرة فيهم ، واتّبَع فى ملكه فى سياسة الناس آثار آبائه ؛ وكان مانى الزنديق — فيما ذكر — يدعوه إلى دينه ، فاستبرَى ما عنده ، فوجده داعية للشيطان ، فأمر بقتله وسَلْخِ جلده وحشوه تبناً وتعليقه على باب من أبواب مدينة جُنْدَيْ سابور ، يدعى باب المانى ، وقتل أصحابه ومَنْ دَخَل فى ملّته .

وكان ملْكه — فيما قيل — ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام .

* * *

(١) الفرج هنا : موضع المخافة من العدو المجاور .
(٢) ت ، س : « البدى » .
(٣) ت ، س : « زمان » .

[ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز]

ثم قام بالملك بعده ابنه بَهْرام بن بَهْرام بن هرمز بن سابور بن أردشير . وكان ذا علم – فيما قيل – بالأمور، فلمّا عقد التاج على رأسه دعا له العظماء بمثل ما كانوا يدعون لآبائه ، فردّ عليهم مردًّا حسنًا ، وأحسن فيهم السيرة ، وقال : إن ساعدنا الدهر نقبل ذلك بالشكر ، وإن يكنْ غيرَ ذلك نرضَ بالقسْم.

١ / ٨٣٥

واختُلف فى سِنِي ملكه ، فقال بعضهم : كان ملكه ثمانىَ عشرة سنة . وقال بعضهم : كان سبع عشرة سنة .

* * *

[ذكر ملك شاهنشاه بن بهرام]

ثم ملك بَهْرام الملقّب بشاهنشاه بن بَهْرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ؛ فلما عُقد التاج على رأسه اجتمع إليه العظماء ، فدعوْا له ببركة الولاية وطول العمر، فردّ عليهم أحسنَ الردّ ، وكان قبل أن يُفْضِيَ إليه الملك مملّكا على سجِسْتان .

وكان ملكه أربع سنين .

* * *

[ذكر ملك نرسى بن بهرام]

ثم قام بالملك بعده نَرْسى بن بَهْرام ، وهو أخو بهرام الثالث ، فلما عقد التاج على رأسه دخلت عليه الأشراف والعظماء ، فدعوْا له فوعدهم خيراً ، وأمرهم بمكانفته على أمره ، وسار فيهم بأعدل السيرة ، وقال يوم ملك : إنّا لن نُضيّع شكر الله على ما أنعم به علينا .

وكان ملكه تسع سنين .

* * *

[ذكر ملك هرمز بن نرسى]

ثم ملك هُرْمز بن نَرْسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير . وكان النّاس قد وَجِلوا منه ، وأحسّوا بالفظاظة والشدّة ، فأعلمهم أنه قد

عَلِمِ ما كانوا يخافونه من شدّة ولايته، وأعلمهم أنه قد أبدل ما كان فى خلقه من الغِلْظة والفظاظة رقّةً ورأفة، وساسهم بأرفق السياسة، وسار فيهم بأعدَلِ السيرة، وكان حريصاً على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل على الرعيّة. ١/٨٣٦
ثم هلك ولا ولد له، فشقّ ذلك على الناس، فسألوا بميلهم إليه عن نسائه؛ فذكر لهم أن بعضهنّ حُبلى. وقد قال بعضهم: إنّ هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمْل فى بطن أمّه، وأنّ تلك المرأة ولدت سابور ذا الأكتاف.

وكان مُلْكُ هرمز فى قول بعضهم ست سنين وخمسة أشهر، وفى قول آخرين سبع سنين وخمسة أشهر.

* * *

[ذكر ملك سابور ذى الأكتاف]

ثم ولد سابور ذو الأكتاف بن هرمز بن نَرْسِى بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير، مملَّكا بوصية أبيه هرمز له بالملك، فاستبشر الناس بولادته، وبثُّوا خبرَه فى الآفاق، وكتبوا الكتب، ووجّهوا به البُرُد إلى الآفاق والأطراف، وتقلّد الوزراءُ والكتّاب الأعمال التى كانوا يعملونها فى ملك أبيه، ولم يزالوا على ذلك، حتى فشا خبرُهم، وشاع فى أطراف مملكة الفرس أنّه كان لا ملكَ لهم، وأنّ أهلها إنما يتلوّمون(١) صبيًّا فى المهد، لاَ يدْرُون ما هو كائن من أمره، فطمِعت فى مملكتهم الترك والروم.

وكانت بلاد العرب أدْنى البلاد إلى فارس، وكانوا من أحوج الأمم إلى تناول شىء من معايشهم وبلادهم، لسوء حالهم وشظف عيشهم، فسار جمْعٌ عظيمٌ منهم فى البحر من ناحية بلاد عبد القيْس والبحرْين وكاظمة، حتى أناخوا على أبرشهر وسواحل أردشيرخُرّة وأسياف فارس، وغلبوا أهلَها على مواشيهم وحُروثهم ومعايشهم، وأكثروا الفساد فى تلك البلاد، فمكثوا على ذلك من أمرِهم حيناً؛ لا يغزوهم أحد من الفرس، لعقدهم تاجَ المُلْك على طفل من الأطفال، وقلّة هيبة الناس له؛ حتى تحرّك سابور وترعرع، فلمّا ترعرع ذُكِر أنّ أوّلَ ما عُرِف من تدبيره وحسن فهمه، أنّه استيقظ ذات ١/٨٣٧

(١) التلوم: الانتظار والتلبث.

ليلة وهو فى قصر المملكة بطيْسَبون ، من ضوضاء الناس بسَحَر ، فسأل عن ذلك ، فأخبِر أنّ ذلك ضجّةُ الناس عند ازدحامهم على جِسر دِجْلة مقبلين ومدبرين ؛ فأمر باتّخاذ جسر آخر ؛ حتى يكون أحدُهما مِعْبَراً للمقبِلين ؛ والآخر مِعْبَراً للمدبرين ، فلا يزدحم الناس فى المرور عليهما . فاستبشر الناس بما رأوْا من فطنته لما فَطن من ذلك على صِغَر سنّه . وتقدّم فيما أمِر به من ذلك، فذكِر أنّ الشمس لم تغرب من يومهم ذلك حتى عُقد جِسْر بالقرب من الجسْر الذى كان فاستراح الناس من المخاطرة بأنفسهم فى الجَواز على الجسر ، وجَعل الغلام يتزيّد فى اليوم ما يتزيّده غيره فى الحِين الطويل .

وجعل الكتاب والوزراء يَعْرِضون عليه الأمر بعد الأمر ، فكان فيما عُرِض عليه أمرُ الجنود التى فى الثُّغور ، ومَنْ كان منهم بإزاء الأعداء . وإنّ الأخبار وردت بأنّ أكثرهم قد أخلّ ، وعظّموا عليه الأمر فى ذلك ، فقال لهم سابور : لا يكبرُنّ هذا عندكم ؛ فإنّ الحيلة فيه يسيرة ، وأمر بالكِتاب إلى أولئك الجنود جميعًا ؛ بأنّه انتهى إليه طولُ مكثهم فى النواحى التى هم بها[1] ، وعِظَم غَنائهم عن أوليائهم وإخوانهم ؛ فمن أحبّ أن ينصرف إلى أهله فلْينصرف مأذونًا له فى ذلك ، ومَنْ أحبّ أن يستكمل الفضل بالصَّبْر فى موضعه عُرِف ذلك له . وتقدّم إلى من اختار الانصراف فى لزوم أهله وبلاده إلى وقت الحاجة إليه .

١/٨٣٨

فلما سمع الوزراء ذلك من قولِه استحسنوه ، وقالوا : لو كان هذا قد أطال تجربة الأمور ، وسياسة الجنود ما زاد رأيه وصحّة منطقه على ما سمعنا به .

ثم تتابعت أخباره إلى البلدان والثغور ، بما قوّم أصحابه ، وقمع أعداءه . حتى إذا تمّتْ له ستّ عشرة سنة وأطاق حمل السلاح وركوب الخيل ، واشتدّ عَظْمه ، جمع إليه رؤساء أصحابه وأجناده ، ثم قام فيهم خطيبًا ، ثم ذكر ما أنعم الله به عليه وعليهم بآبائه ، وما أقاموا من أدبهم ونفوْا من أعدائهم ، وما اختلّ من أمورهم ، فى الأيام التى مضت من أيام صباه ، وأعلمهم أنه

---

(١) ت « فيها » .

يبتدئ العمل فى الذَّبِّ عن البيْضة ، وأنه يقدّر الشخوص إلى بعض الأعداء لمحاربته ، وأنّ عدّة من يشخص معه من المقاتلة ألف رجل . فنهض إليه القوم داعين متشكّرين ، وسألوه أن يُقيم بموضعه ، ويوجّه القواد والجنود ليكْفُوه ما قدّر من الشخوص فيه ، فأبى أن يجيبهم إلى المقام ، فسألوه الازدياد على العدّة التى ذكرها فأبى . ثم انتخب ألف فارس من صناديد جنده وأبطالهم ، وتقدّم إليهم فى المضىّ لأمره ، ونهاهم عن الإبقاء على من لَقوا من العرب ، والعرْجة على إصابة مال . ثم سار بهم فأوقع بمن انتجع بلاد فارس من العرب وهم غارّون ، وقتل منهم أبرَح القتل ، وأسر أعنف الأسْر ، وهرب بقيّتهم . ثم قطع البحر فى أصحابه ، فورد الخطّ ، واستقرى بلاد البحرين ، ١/٨٣٩ يقتُل أهلها ولا يقبل فداء ، ولايعرّج على غنيمة . ثم مضى على وجهه ، فورد هجَر ، وبها ناس من أعراب تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ، فأفْشَى فيهم القتل ، وسفك فيهم من الدماء سفْكًا سالت كسيل المطر ؛ حتى كان الهارب منهم يرى أنه لن يُنْجِيَه منه غارٌ فى جبل ، ولا جزيرة فى بحر ؛ ثم عطف إلى بلاد عبد القيْس ، فأباد أهلها إلا من هرب منهم ، فلحقَ بالرمال ، ثم أتى اليمامة ، فقتل بها مثل تلك المقتلة ، ولم يمرّ بماء من مياه العرب إلا عوّره[1] ، ولاجُبّ من جبابهم إلا طمّه . ثم أتى قرب المدينة ، فقتل مَنْ وجد هنالك من العرب وأسر ، ثم عطف نحو بلاد بكْر وتغْلِب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام ، فقتل مَنْ وجد بها من العرب ، وسَبَى وطمّ مياههم . وإنّه أسكن مَنْ من بنى تغْلب من البحريْن دارِين — واسمها هيْج — والخطّ ، ومَنْ كان من عبد القيْس وطوائف من بنى تميم هجَر ، ومَنْ كان من بكر بن وائل كرْمان ، وهم الذين يُدْعَوْن بكْر أبان ، ومَنْ كان منهم من بنى حنْظلة بالرّملية من بلاد الأهواز . وإنه أمر فبُنيَتْ بأرض السواد مدينة وسماها ، بزُرْج سابور — وهى الأنبار — وبأرض الأهواز مدينتان : إحداهما إيران ١/٨٤٠ خرّه سابور ، وتأويلها « سابور وبلاده » ، وتسمّى بالسريانية الكرْخ ، والأخرى السوس ؛ وهى مدينة بناها إلى جانب الحصن الذى فى جوفه تابوت فيه جثّة دانيال النبى عليه السلام . وإنه غزا أرض الروم فسبَى منها سبْيًا كثيراً ،

---

(١) عوّره ، أى طمّه وكبسه بالتراب

فأسكن مدينة إيران خرّه سابور ، وسمّتها العرب السوس بعد تخفيفها فى التسمية . وأمر فبنيت بباجَرْمَى مدينة سماها خُنِى سابور وكوّر كُورة ، وبأرض خُراسان مدينة ، وسمّاها نيسابور وكوّر كورة .

وإن سابور كان هادن قسطنطين ملك الروم ، وهو الذى بنى مدينة قُسطَنْطينيّة ، وكان أوّل مَنْ تنصّر من ملوك الروم ، وهلك قسطنطين ، وفرّق مُلْكه بين ثلاثة بنين ، كانوا له ، فهلك بنوه الثلاثة ، فملّكت الروم عليهم رجلاً من أهل بيت قسطنطين يقال له لُلْيانوس ، وكان يدين بملّة الروم التى كانت قبل النّصرانيّة ، ويُسِرّ ذلك ويظهر النّصرانية قبل أن يملك ، حتى إذا ملك أظهر ملّة الروم ، وأعادها كهيئتها ، وأمرهم بإحيائها ، وأمر بهدم البِيَع وقتل الأساقفة وأحبار النصارى . وإنّه جمع جموعًا من الروم والخزر ، ومن كان فى مملكته من العرب ، ليقاتل بهم سابور وجنود فارس .

١/٨٤١ وانتهزت[1] العرب بذلك السبب الفُرْصة من الانتقام من سابور ، وما كان من قتْله العرب ، واجتمع فى عسكر لُلْيانوس من العرب مائة ألف وسبعون ألف مقاتل؛ فوجّههم مع رجل من بطارقة الروم ، بعثه على مقدّمته يسمّى يوسانوس . وإن لليانوس سار حتى وقع ببلاد فارس ، وانتهى إلى سابور كثرة من معه من جنود الروم والعرب والخزر ، فهاله ذلك ، ووجّه عيونًا تأتيه بخبرهم ومبلغ عددهم وحالهم فى شجاعتهم وعَيْشهم[2] فاختلفت أقاويل أولئك العيون فيما أتوْه به من الأخبار عن لليانوس وجنده ، فتنكّر سابور ، وسار فى أناس من ثِقاته ليعايِنَ عسكرَهم ، فلما اقترب من عسكر يوسانوس صاحب مقدّمة لليانوس ، وجّه رهطًا ممّن كان معه إلى عسكر يوسانوس ليتحسّسوا الأخبار ، ويأتوه بها على حقائقها ، فنذِرت الرّوم بهم ، فأخذوهم ودفعوهم إلى يوسانوس ، فلم يقِرّ أحدٌ منهم بالأمر الذى توجّهوا له إلى عسكره ، ما خلا رجلاً منهم أخبره بالقصّة على وجهها ، وبمكان سابور حيث كان ، وسأله أن يوجّه معه جندًا ، فيدفع إليهم سابور . فأرسل يوسانوس حيث سمع هذه المقالة إلى سابور رجلاً مِنْ بطانته ، يعلِمه ما لقِيَ من أمره ، وينذِره ، فارتحل

(١) ت : « فانتهزت » . (٢) ت : « وعدتهم » .

سابور من الموضع الذى كان فيه إلى عسكره . وإنّ من كان فى عسكر لليانوس من العرب سألوه أن يأذَن لهم فى محاربة سابور ، فأجابهم إلى ما سألوه ، فزحفوا إلى سابور ، فقاتلوه ففضُّوا جمعَه ، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وهرب سابور فيمنْ بقىَ من جنده ، واحتوى لليانوس على مدينة طيسبون محلّة سابور ، وظَفِر ببيوت أموال سابور وخزائنه فيها ، فكتب سابور إلى مَنْ فى الآفاق من جنوده يُعلمهم الذى لقِىَ من لليانوس ومَنْ معه من العرب ، ويأمر مَنْ كان فيهم من القوّاد أن يقدَموا عليه فيمن قِبَلهم من جنوده ، فلم يلبث أن اجتمعت إليه الجيوش من كلّ أفق ، فانصرف فحارب لليانوس واستنقذ منه مدينة طيسبون ، ونزل لُلْيانوس مدينة بهأرْدَشير وماوالاها بعسكره ، وكانت الرُّسلُ تختلف فيما بينه وبين سابور . وإنّ لليانوس كان جالسًا ذات يوم فى حُجْرته ، فأصابه سهم غَرْبٌ [(١)] فى فؤاده فقتله ، فأُسْقِط فى رُوع جنده ، وهالهم الذى نزل به ، ويئسوا من التفصى من بلاد فارس ، وصاروا شورى لا ملك عليهم ولا سائس لهم ، فطلبوا إلى يوسانوس أن يتولّى المُلْك لهم فيملّكوه عليهم ، فأبى ذلك ، وألحُّوا عليه فيه ، فأعلمهم أنه على مِلّة النّصرانيّة ، وأنه لا َيلى ناسًا له مخالفين فى المِلّة . فأخبرتْه الروم أنّهم على مِلّته ، وأنّهم إنما كانوا يكتمونها مخافة لليانوس ، فأجابهم إلى ما طلبوا ، وملّكوه عليهم ، وأظهروا النّصرانيّة .

وإنّ سابور علم بهلاك لليانوس ، فأرسل إلى قوّاد جنود الروم ، يقول : إنّ الله قد أمكننا منكم ، وأدالنا عليكم ، بظلمكم إيّانا ، وتخطّيكم إلى بلادنا ، وإنا نرجو أن تَهلِكوا بها جوعًا من غير أن نهيّئ لقتالكم سيفًا ، ونشرَع له رمحًا ؛ فسرّحوا إلينا رئيسًا إن كنتم رأّستموه عليكم . فعزم يوسانوس على إتيان سابور ، فلم يتابعه على رأيه أحدٌ من قوّاد جنده ، فاستبدّ برأيه ، وجاء إلى سابور فى ثمانين رجلاً من أشراف مَنْ كان فى عسكره وجنده ، وعليه تاجه ، فبلغ سابور مجيئه إليه ، فتلقّاه وتساجدا ، فعانقه سابور شكراً لما كان منه فى أمره ، وطعِم عنده يومئذ ونعم .

وإنّ سابور أرسل إلى قوّاد جند الروم وذوى الرياسة منهم [(٢)] يُعلمهم أنّهم

(١) سهم غرب : لا يدرى راميه . (٢) س ، ل : « فيهم » .

١/٨٤٢
١/٨٤٣

لو ملّكوا غير يوسانوس لجرى هلاكُهم فى بلاد فارس ، وأنّ تمليكهم إياه يُنْجِيهم من سطوته . وقوِيَ أمر يوسانوس بجهده ، ثم قال : إنّ الروم قد شنُّوا الغارة على بلادنا ، وقتلُوا بشراً كثيراً ، وقطعوا ما كان بأرض السَّوَاد من نخل وشجر ، وخرّبوا[1] عِمارتها ؛ فإمّا أن يدفعوا إلينا قيمة ما أفسدوا وخرّبوا ، وإما أن يعوّضونا من ذلك نَصيبين وَحيّزها ، عوضًا منه ، وكانت من بلاد فارس ، فغلبت عليها الرّوم .

فأجاب يوسانوس وأشراف جنده سابورَ إلى ما سأل من العِوَض ، ودفعوا إليه نصيبين ، فبلغ ذلك أهلَها ، فجلَوْا منها إلى مدن فى مملكة الروم ، مخافة على أنفسهم من ملك الملك المخالف ملّتهم ، فبلغ ذلك سابور ، فنقل اثنى عشر ألف أهل بيت من أهل إصْطخر وإصبهان وكُور أُخَر من بلاده وحَيّزه إلى نصيبين ، وأسكنهم إياها ، وانصرف يوسانوس ومَنْ معه من الجنود إلى الرُّوم ، وملكها زمنًا[2] يسيراً ثم هلك .

١/٨٤٤ وإنّ سابور ضَرِيَ بقتل العرب ، ونزع أكتاف رؤسائهم إلى أن هلك . وكان ذلك سبب تسميتهم إيّاه ذا الأكتاف

* * *

وذكر بعضُ أهل[3] الأخبار أنّ سابور بعد أن أثخَن فى العرب وأجلاهم عن النواحى التى كانوا صاروا إليها ممّا قرب من نواحى فارس والبحرين واليمامة ، ثم هبط إلى الشأم ، وسار إلى حدّ الروم ، أعلم أصحابه أنّه على دخول الروم حتى يبحث عن أسرارهم ، ويعرف أخبارَ مدنهم وعدد جنودهم ، فدخل إلى الروم ، فجال فيها حينًا ، وبلغه أنّ قيصر أوْلم ، وأمر بجمع الناس ليحضروا طعامه ، فانطلَق سابور بهيئة السؤّال حتى شهِد[4] ذلك الجمع ، لينظر إلى قيصر ، ويعرِف هيئته وحاله فى طعامه ، ففُطِن له فأخِذ ، وأمر به قيصر فأدرِج فى جلد ثور ، ثم سار بجنُوده إلى أرض فارس ، ومعه سابور على تلك

(١) ت : « وأخربوا » .

(٢) ل : « زماناً » .

(٣) ت : « بعضهم » .

(٤) ت : « يشهد » .

الحالة ، فأكثر من القتل وخراب المدائن والقرى وقطْع النخل والأشجار ، حتى انتهى إلى مدينة ُجنْد َىْ سابور ، وقد تحصّن أهلُها ، فنصب المجانيق ، وهدم بعضها . فبينا هم كذلك ذاتَ ليلة إذ غفل الروم الموكّلون بحراسة سابور ، وكان بقربه قوم من سَبْىِ الأهواز ، فأمرهم أن يُلقوا على القِدّ الذى كان عليه زيتًا من زِقاق كانت بقربْهم ، ففَعلوا ذلك ، ولان الجلد وانسلّ منه ، فلم يزل يدبّ حتى دنا من باب المدينة ، وأخبر حُرّاسهم باسمه . فلما دخل على أهلها ، اشتدّ سرورهم به ، وارتفعت أصواتهم بالحمد والتسبيح ، فانتبه أصحابُ قيصر بأصواتهم ، وجمع سابور مَنْ كان فى المدينة وعبّأهم ، وخرج إلى الرُّوم فى تلك الليلة سَحَراً ، فقتل الروم وأخذ قيصر أسيراً ، وغنم أمواله ونساءه ، ثم أثقل قيصر بالحديد وأخذه بعمارة ما أخرب ؛ ويقال : إنه أخذ قيصر بنقل التراب من أرض الروم إلى المدائن وجُنْد َىْ سابور ، حتى يرمّ به ماهدم منها ، وبأن[1] يغرس الزيتون مكان النخل والشجر الذى عقره ، ثم قطع عقبه ورتقه ، وبعث به إلى الروم على حمار ، وقال : هذا جزاؤك ببغيك علينا ؛ فلذلك تركت الروم اتّخاذ الأعقاب ، ورَتْق الذُّؤاب[2] . ١/ ٨٤٥

ثم أقام سابور فى مملكته حينًا . ثم غزا الروم فقتل مِنْ أهلها ، وسَبى سبيًا كثيراً ، وأسكن مَنْ سبى مدينةً بناها بناحية السُّوس ، وسمّاها إيرانشهر سابور ، ثم استصلح العرب ، وأسكن بعضَ قبائل تغلِب وعبد القيس وبكر بن وائل كَرْمان وتَوّج والأهواز ، وبنى مدينة نيسابور ومدائن أخَر بالسِّند وسجِسْتان ، ونقل طبيبًا من الهند فأسكنه الكَرْخ من السُّوس ؛ فلما مات ورث طِبّه أهلُ السُّوس ؛ ولذلك صار أهلُ تلك الناحية أطبَّ العجم . وأوصى بالمُلْك لأخيه أردشير .

وكان ملك سابور اثنتين وسبعين سنة .

* * *

وهلك فى عهد سابور عاملُه على ضاحية مُضر وربيعة ، امرؤ القيس البدء[3] بن عمرو بن عدىّ بن ربيعة بن نصر ، فاستعمل سابور على عمله

---

(١) س : « وأن » . (٢) كذا وردت العبارة فى ط ، وانظر المسعودى ١ : ٢٥٨ .

(٣) ت : « البدى » ؛ س: « البدنى » .

ابنه عمرو بن امرئ القيس – فيما ذُكِر – فبقىَ فى عمله بقيّةَ ملك سابور ،
١/٨٤٦ وجميع أيام أخيه أردشير بن هرمز بن نرسى ، وبعض أيام سابور بن سابور .
وكان جميع عمله – على ما ذكرت – من العرب ، وولايته عليهم – فيما ذكر ابن الكلبى – ثلاثين سنة .

* * *

[ذكر ملك أردشير بن هرمز]

ثم قام بالملك بعد سابور ذى الأكتاف أخوه أردشير بن هرمز بن نرسى ابن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك . فلما عُقِد التاج على رأسه جلس للعظماء ، فلما دخلوا عليه دعوْا له بالنصر ، وشكروا عنده أخاه سابور ، فأحسن جوابَهم ، وأعلمهم موقع ما كان من شكرهم لأخيه عنده ، فلما استقرّ به الملك قراره عطف على العظماء وذوى الرياسة ، فقتل منهم خلْقًا كثيراً ، فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه .

* * *

[ذكر ملك سابور بن سابور]

ثم ملك سابور بن سابور ذى الأكتاف بن هرمز بن نرسى . فاستبشرت الرعيّة بذلك وبرجوع مُلْك أبيه إليه ، فلقيَهم أحسن اللقاء ، وكتب الكتب إلى العمّال فى حُسْنِ السيرة والرّفق بالرّعيّة ، وأمر بمثل ذلك وزراءه وكتّابه وحاشيته ، وخطبهم خطبة بليغة ، ولم يزلْ عادلا على رعيّته ، متحنّنا عليهم لما كان تبيّن من مودّتهم ومحبّتهم وطاعتهم ، وخضع له عمّه أردشير المخلوع ، ومنحه الطاعة .
وإنّ العظماء وأهل البيوتات قطعوا أطناب فُسْطاط كان ضُرِب عليه فى حجرة من حُجَره ، فسقط عليه الفسطاط .
وكان ملكه خمس سنين .

* * *

[ذكر ملك بهرام بن سابور]

ثم ملك بعده أخوه بَهرام بن سابور ذى الأكتاف . وكان يلقّب كَرْمان
١/٨٤٧ شاه ؛ وذلك أنّ أباه سابور كان ولاّه فى حياته كَرْمان ، فكتب إلى قوّاده كتابًا يحثّهم فيه على الطاعة ، ويأمرهم بتَقْوى الله والنصيحة للملك ، وبنَى بكَرْمان مدينة ، وكان حَسَنَ السياسة لرعيّته ، محموداً فى أمره .

وكان ملكه إحدى عشرة سنة . وإنّ ناسًا من الفتّاك ثاروا إليه فقتله رجل منهم برمية رماها إيّاه بنشّابة[1] .

* * *

[ذكر ملك يزدجرد الأثيم]

ثم قام بالملك بعده يَزْدَجِرْد الملقّب بالأثيم ، بن بهرام الملقّب بكَرْمان شاه بن سابور ذى الأكتاف .

ومن أهل العلم بأنساب الفرس مَنْ يقول : إن يَزْدَجِرد الأثيم هذا ، هو أخو بهرام الملقّب بكَرْمان شاه وليس بابنه ، ويقول : هو يَزْدَجِرْد بن سابور ذى الأكتاف . وممن نسبه هذا النسب وقال هذا القول ، هشام بن محمد .

وكان — فيماذكر — فَظًّا غليظًا ذا عيوب كثيرة ، وكان من أشدّ عيوبه وأعظمها — فيما قيل — وَضْعُه ذكاء ذهن وحسن أدب كان له وصنوفًا من العلم قد مهرها وعلِمها ، غير موضعه ، وكثرة رؤيته فى الضارّ من الأمور ، واستعمال كلّ ما عنده من ذلك ، فى المواربة والدهاء والمكايدة والمخاتلة ، مع فطنة كانت بجهات الشرّ ، وشدّة عُجْبه بما عنده من ذلك ، واستخفافه بكلّ ما كان فى أيدى الناس من عِلْم وأدب ، واحتقاره له ، وقلة اعتداده به ، واستطالته على الناس بما عنده منه . وكان مع ذلك غلقاً سَيِّئ الخلُق ، ردىء الطِّعْمَة[2] حتى بلَغ من شدّة غَلَقه وحِدّته أنّ الصغير من الزلاّت كان عنده كبيراً ، واليسيرَ من السَّقَطات عظيمًا . ثم لم يقدِرْ أحد — وإن كان لطيفَ المنزلة منه — أن يكونَ لمن ابتُلِىَ عنده بشىء من ذلك شفيعًا ، وكان دهرَه كلّه للناس متّهِمًا ، ولم يكن يأتمن أحداً على شىء من الأشياء ، ولم يكن يكافئ على حسن البلاء . وإن هو أوْلَى الخسيس من العُرْف استجزل ذلك ، وإن جَسَر على كلامه فى أمر كلّمه فيه رجل لغيره قال له : ما قَدْرُ جُعالتك[3] فى هذا الأمر الذى كلّمتنا فيه ؟ وما أخذْت عليه ؟ فلم يكن يكلّمه فى ذلك وما أشبهَه إلاّ الوفُود القادمون عليه من قِبَل ملوك الأمم . وإنّ رعيّته إنما سَلِموا من سطوته وبليّته ، وما كان جمع من الخلال السيّئة بتمسكهم

١/٨٤٨

(١) ت ، س : « بنشاب » .
(٢) ردىء الطعمة ، أى سيء السيرة .
(٣) الجعالة : الرشوة .

بمن كان قبل مملكته بالسُّنن الصالحة وبأدبهم . وكانوا لسوء أدبه ، ومخافة سطوته ، متواصلين متعاونين ، وكان من رأيه أن يعاقب كلَّ من زلَّ عنده وأذنب إليه من شدّة العقوبة بما لايستطاع[1] أن يُبلَغ منه مثلها فى مدّة ثلثمائة . وكان لذلك لا يقرعه بسوط انتظاراً منه للمعاقبة له بما ليس وراءه أفظع منه . وكان إذا بلَغه أنّ أحداً من بطانته صافَى رجلا من أهل صناعته أو طبقته نحّاه عن خدمته .

١/٨٤٩ وكان استوزر عند ولايته نَرْسِي حكيمَ دهره . وكان نَرْسِي كاملاً فى أدبه ، فاضلاً فى جميع مذاهبه ، متقدّمًا لأهل زمانه . وكانوا يسمّونه مِهْر نَرْسِي ومِهْرنَرْسَه ، ويلقّب بالهزاربَنْده ، فأمّلت الرعيّةُ بما كان منه أن ينزِع عن أخلاقه ، وأن يُصْلح نَرْسِي منه ، فلما استوى له الملك ، اشتدّت[2] إهانتُه الأشراف والعظماء ، وحَمَل على الضعفاء ، وأكثر من سَفْك الدّماء ، وتسلّط تسلّطًا لم يُبْتَلَ الرعيّة بمثله فى أيامه . فلما رأى الوجوه والأشراف أنّه لايزداد إلا تتايعًا فى الجَوْر ، اجتمعوا فشكوْا ما ينزل بهم من ظُلْمه ، وتضرّعوا إلى ربّهم ، وابتهلوا إليه بتعجيل إنقاذهم منه . فزعموا أنه كان بجُرْجان ، فرأى ذاتَ يوم فى قَصْره فرسًا عائراً[3] — لم يُرَ مثله فى الخيل ، فى حسن صورة ، وتمام خَلْق — أقبل حتى وقف على بابه ، فتعجّب الناس منه ، لأنّه كان متجاوزَ الحال ، فأخبِر يزْدَجِرْد خبرَه ، فأمر به أن يُسرَجَ ويُلْجَم ، ويدخل عليه ، فحاول ساستُه وصاحب مراكبه إلجامه وإسراجه ، فلم يمكن أحداً منهم من ذلك ، فأنْهِيَ إليه امتناعُ الفرس عليهم ، فخرج ببدنه[4] إلى الموضع الذى كان فيه ذلك الفرس فألجمه بيده ، وألقى لِبْداً على ظهره ، ووضع فوقه سَرْجًا ، وشدّ حِزامه ولَبَّبَه فلم يتحرّك الفرس بشىء من ذلك ، حتى إذا رفع ذنبه لِيُثْفِره[5] استدبره الفرس فرمحه على فؤاده رمحة هلك منها مكانه ، ثمّ لم يعايَن ذلك الفرس . ويقال : إنّ الفرسَ ملأ فُروجَه جريًا فلم يدرَك ولم ١/٨٥٠

(١) ت : « ما استطاع » .

(٢) فى الأصول : « واشتدت » ، والأجود حذف الواو .

(٣) يقال : عار الفرس ، إذا ذهب كأنّه منفلت من صاحبه .

(٤) البدن هنا : شبه الدرع ؛ إلا أنه قصير قدر ما يكون على البدن فقط .

(٥) أثفر الدابة ، أى عمل لها ثفرا ، والثفر : السير الذى فى مؤخر السرج .

يوقف على السبب فيه ، وخاضت الرعيّة بينها ، وقالت : هذا من صنع الله لنا ورأفتِه بنا .

وكان مُلْك يَزْدَجِرْد فى قول بعضهم اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يومًا . وفى قول آخرين إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يومًا .

* * *

ولما هلك عمرو بن امرئ القيس البدء بن عمرو بن عدىّ فى عهد سابور ابن سابور ، استخلف سابورُ بن سابور على عمله أَوْسَ بن قَلاّم فى قول هشام. قال : وهو من العماليق من بنى عمرو بن عِمْليق ، فثار به جَحْجَبَى بن عَتِيك بن لَخْم فقتله ، فكان جميعُ ولاية أوس خمسَ سنين ، وهلك فى عهد بَهْرام بن سابور ذى الأكتاف . واستُخلف بعده فى عمله امرؤ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس البدء بن عمرو خمسًا وعشرين سنة ، وكان هلاكه فى عهد يَزْدَجِرْد الأثيم . ثم استخلَف يزدجِرد مكانه ابنه النعمان بن امرئ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدىّ ، وأمّه شقيقة ابنة أبى ربيعة بن ذُهْل بن شيْبان ، وهو فارس حَلِيمة ؛ وصاحب الخَوَرْنَق .

وكان(١) سبب بنائه الخَوَرْنَق — فيما ذُكِر — أن يَزْدَجِرد الأثيم بن بَهْرام كَرْمان شاه بن سابور ذى الأكتاف كان لا يبقى له ولد فولد له بهرام ، فسأل عن منزل برّىّ مرىء صحيح من الأدْواء والأسقام ، فدُلّ على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهْرام جُور إلى النّعمان هذا ، وأمره ببناء الخَوَرْنَق مسكنًا له ، وأنزله إياه ، وأمره بإخراجه إلى بوادى العرب ؛ وكان الذى بنى الخَوَرْنَق رجلا يقال له سِنِمّار ، فلما فرغ من بنائه ، تعجّبوا من حُسْنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمت أنكم تُوفونى أجْرِى وتصنعون بى ما أنا أهله بنيتُه بناءً يدور مع الشمس حيثما دارت ، فقال : وإنّك لتقدِر على أن تبنىَ ما هو أفضل منه

٨٥١/١

(١) الخبر فى الأغانى ٢ : ١٤٤ — ١٤٦ (طبعة دار الكتب) .

ثم لم تبنه ! فأمر به فطُرِح من رأس الخورنق[١] ؛ في ذلك يقول أبو الطَّمَحان القَيْنيّ :

جَزَاء سِنِمَّارٍ جَزَاهَا ، وَرَبِّهَا   وباللاتِ والعُزَّى جزاءَ المكفَّرِ[٢]

وقال سليط بن سعد :

جزَى بنوهُ أبا الغِيلَانِ عنْ كِبَرٍ   وحُسْنِ فِعْلٍ كَمَا يُجْزَى سِنِمَّارُ

وقال يزيد بن إياس النَّهشليّ :

جزَى اللهُ كَمَّالاً بِأَسْوَإِ فِعْلِهِ   جَزَاءَ سِنِمَّارٍ جَزَاءً مُوَفَّرا

وقال عبد العزَّى بن امرئ القيس الكلبيّ — وكان أهدَى أفراسًا إلى الحارث بن ماريةَ الغسَّانيّ ، ووفد إليه فأعجبته وأعْجِب بعبد العزَّى وحديثه ، وكان للملك ابن مسترضَع في بني الحميم[٣] بن عوف من بني عبْد وَدّ ، من كَلْب ، فنهشتْه حيّة ، فظنّ الملك أنهم اغتالوه ، فقال لعبد العزَّى : جئني بهؤلاء القوم ، فقال : هم قوم أحرار ، وليس لى عليهم فَضْل في نسب ولا فَعال ، فقال : لتأتينّى بهم أو لأفعلنّ ولأفعلنّ ! فقال : رجونا من حبائك أمراً حال دونه عقابك . ودعا ابنيه : شَرَاحيل وعبد الحارث ، فكتب معهما إلى قومه : ١/٨٥٢

جَزَانِي جَزاهُ اللهُ شَرَّ جَزائه   جَزَاءَ سِنِمَّارٍ وَمَا كانَ ذَا ذَنْبِ[٤]

سِوَى رَصِّه البُنْيَانَ عِشْرِينَ حِجَّةً   يُعَلِّى عليه بالقَرَاميد والسَّكْبِ[٥]

فلمَّا رَأى البُنْيَانَ تَمَّ سُمُوقُه   وَآضَ كمِثْل الطَّوْدِ ذى الباذخ الصَّعْبِ[٦]

---

(١) في الأغاني : « من أعلى الجوسق » .

(٢) في الأغاني ؛ وعنه في خزانة الأدب ١ : ١٤٢ : « جزوها » ، والمكفَّر : المحسن المجحود إحسانه .

(٣) كذا في الطبري وفي الأغاني : « ابن مسترضع في بني عبدود » .

(٤) وردت الأبيات في الحيوان ١ : ٢٣ ، وثمار القلوب ١٠٩ ، والروض الأنف ١ : ٦٧ ، والعيني ٢ : ٤٩٦ ، ومعجم البلدان (الخورنق) ، بروايات مختلفة .

(٥) القراميد ، مفرده قرمد ؛ وهو الآجر . والسكب : النحاس أو الرصاص ، وفي الحيوان : « سبعين حجة » ، وفي معجم البلدان : « ستين حجة » .

(٦) في معجم البلدان : « كمثل الطود والشامخ الصعب » .

فَأتْهمَهُ مِنْ بعْدِ حَرْسٍ وحِقْبَةٍ ... وقدْ هرَّه أهْلُ المَشَارِقِ والغَرْبِ
وَظَنَّ سِنمَّارٌ به كلَّ حَبْرَةٍ[1] ... وفازَ لدَيْه بالمَوَدَّة والقُرْبِ
فقال اُقذفوا بالعِلْجِ مِنْ فَوْقِ بُرْجِه ... فهذا لعَمْرُ اللهِ مِنْ أعْجَبِ الخَطْبِ[2]
ومَا كَانَ لِي عِنْدَ ابْنِ جَفْنَةَ فاعْلَموا ... منَ الذَّنبِ مَا آلى يَميناً على كَلْبِ
لَيَلْتَمِسَنْ بالْخَيْلِ عُقْرَ بِلادِهِمْ ... تحلَّلْ أبَيْتَ اللَّعْنَ مِنْ قَوْلِكَ المُزْبِي[3]
ودُونَ الَّذِى مَنَّى ابْنُ جَفْنَةَ نَفْسَهُ ... رِجَالٌ يرُدُّونَ الظلُومَ عَنِ الشَّغْبِ
وقدْ رَامَنَا مِنْ قَبْلِكَ المَرْءُ حَارِثٌ ... فعُودِرَ مَسْلُولًا لدَى الْأكَمِ الصُّهْبِ ٨٥٣/١

قال هشام : وكان النّعمان هذا قد غزا الشأم مراراً ، وأكثر المصائب فى أهلها ، وسَبَى وغنِم ، وكان من أشدّ الملوكِ نِكاية فى عدوِّه ، وأبعدهم مُغاراً فيهم ، وكان ملك فارس جعل معه كتيبتيْن : يقال لإحداهما : دَوْسر ، وهى لتَنوخ ، وللأخرى : الشهباء ، وهى لفارس ، وهما اللّتان يقال لهما : القبيلتان ، فكان يغزو بهما بلاد الشأم ومنْ لم يَدِنْ له من العرب .

قال : فذُكِر لنا — والله أعلم — أنه جلس يومًا فى مجلسه من الخوَرْنَق ، فأشرف منه على النَّجَف وما يليه من البساتين والنخل والجِنان والأنهار ممّا يلى المغرب ، وعلى الفُرات ممّا يلى المشرق ، وهو على متن النَّجَف ، فى يوم من أيام الربيع ، فأعجبه ما رأى من الخُضْرة والنَّوْر والأنهار ، فقال لوزيره وصاحبه : هل رأيتَ مثل هذا المنظر قطّ ! فقال : لا ، لو كان يدوم ! قال : فما الذى يَدُوم ؟ قال : ما عند الله فى الآخرة ، قال : فبم يُنال ذاك ؟ قال : بتركك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده ؛ فترك مُلْكَه من ليلته ولَبِس المُسوح ، وخرج مستخفياً هارباً لا يُعْلَم به ، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله ، فحضروا بابه ؛ فلم يُؤذن لهم عليه كما كان يفعل ، فلما أبطأ الإذنُ عليهم ، سألوا عنه فلم يجدوه ، وفى ذلك يقول عدىّ بن زيد العِبَادىّ :

---

(١) الحبرة : السرور ، وفى الحيوان ومعجم البلدان : « حبوة » .
(٢) ت : « أعظم الخطب » . (٣) المزبى : المقلق المزعج .

وتَفَكَّرْ رَبُّ الْخَوَرْنَقِ إذْ أشْ ـرَفَ يَوْماً وَلِلْهُدَى تَبْصِيرُ[1]

١/٨٥٤ سَرَّهُ حالُهُ وكثْرَةُ ما يَمْـ ـلِكُ والْبَحْرُ مُعْرِضٌ والسَّدِيرُ[2]

فارْعَوَى قَلْبُه فقالَ وَمَا غِبْـ ـطةُ حَيٍّ إلى الْمَماتِ يَصِيرُ

ثُمَّ بَعْدَ الفَلَاحِ والمُلْكِ والْإِمَّةِ وَارَتْهُمُ هُنَاكَ الْقُبُورُ[3]

ثُمَّ أضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ، فأَلْوَتْ به الصَّبَا والدَّبُورُ[4]

فكان مُلْكُ النعمان إلى أن ترك مُلْكه وساح فى الأرض تسعًا وعشرين سنة وأربعة أشهر.

قال ابن الكلبىّ: من ذلك فى زمن يَزْدَجِرْد خمس عشرة سنة، وفى زمن بَهْرام جور بن يَزْدَجِرد أربع عشرة سنة.

وأمّا العلماء من الفُرْس بأخبارهم وأمورهم فإنهم يقولون فى ذلك ما أنا ذاكره.

* * *

[ذكر ملك بَهْرام جور]

ثم ملك بعد يَزْدَجِرد الأثيم ابنه بَهْرام جُور بن يَزْدَجِرد الخَشِن ابن بَهْرام كَرْمان شاه بن سابور ذى الأكتاف. وُذكر أن مولده كان هُرْمُزْدروز فَرْوَرْدِين ماه[5]، لسبع ساعات مضيْن من النّهار. فإنّ أباه يَزْدَجِرْد دعا ساعة ولدَ بهْرام ممّن كان ببابه من المنجِّمين، فأمرهم بإقامة كتاب مولده وتبيّنه بيانًا يدلّ على الذى يئول إليه كلّ أمره، فقاسوا الشمس ونظروا فى مطالع النجوم، ثم أخبروا يَزْدَجِرد أنّ الله مورِّثٌ بَهْرامَ مُلْكَ أبيه، وأنّ رضاعه بغير أرض يسكنها الفرس، وأنّ منْ الرأى أن يربّى بغير بلاده، فأجال يَزْدَجِرْد الرأىَ فى دفعه فى الرضاع والتّربية إلى بعض مَنْ ببابه من الرّوم أو العرب أو غيرهم ممّن لم ١/٨٥٥ يكن من الفرس، فبدا له فى اختيار العرب لتربيته وحضانته، فدعا بالمنذر

---

(١) فى الأغانى ٢: ١٣٩: «وتذكر». (٢) الأغانى: «سره ماله».
(٣) الإمة: النعمة. (٤) ألوت به، أى ذهبت به.
(٥) يريد أنه ولد فى غرة شهر الربيع، وهو أول شهر فى السنة الشمسية عند الفرس.

ابن النعمان، واستحضنه بَهْرام، وشرّفه وأكرمه، وملّكه على العرب، وحبَاه بمرتبتيْن سَنيِيّتين، تدعى إحداهما: رام أبزوذ يزْدجِرْد، وتأويله « زاد سرور يزْدَجِرْد»، والأخرى تدعى بمِهِشْت، وتأويلها «أعظم الحَوَل»، وأمر له بِصلة وكُسوة بقدر استحقاقه لذلك فى منزلته، وأمره أن يسير ببهرام إلى بلاد العرب.

فسار به المنذر إلى محَلّته منها، واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات أجسام صحيحة، وأذهان ذكيّة، وآداب رضيّة؛ من بنات الأشراف؛ منهنّ امرأتان من بنات العرب، وامرأة من بنات العجم، وأمر لَهنّ بما أصلحهنّ من الكسوة والفرش والمطعم والمشرب وسائر ما احتجْن إليه، فتداولْنَ رضاعه ثلاث سنين، وفُطِم فى السنة الرابعة، حتى إذا أتت له[1] خمسُ سنين، قال للمنذر: أحضرْنى مؤدّبين ذوِى علم، مدرّبين بالتعليم؛ ليعلّمونى الكتابة والرمى والفقه. فقال له المنذر: إنّك بعدُ صغير السنّ، ولم يأنِ لك أن تأخذ فى التعليم؛ فالزم مايلزم الصِّبْيان الأحداث، حتى تبلغَ من السنّ ما يُطيق التعلّم والتأدُّب، وأحضِر[2] مَنْ يعلّمك كلّ ما سألت تعلّمَه. فقال بَهْرام للمنذر: أنا لعمرى صغير، ولكنّ عقلى عقل مُحْتَنِك، وأنت كبير السنّ وعقلك عقل ضَرَع[3]. أما تعلمُ أيّها الرجل؛ أنّ كلّ ما يُتقدّم فى طلبهُ ينال فى وقته، وما يُطلب فى وقته يُنال فى غير وقته، وما يُفرّط فى طلبه يَفوتُ فلا ينال! وإنّى من ولد الملوك، والمُلْك صائر إلىّ بإذن الله، وأوْلى ما كُلّف به الملوك وطلبوه صالح العلم؛ لأنه لهم زَيْن، ولملكهم ركن به يقوَوْن. فعجّل علىّ بمن سألتُك من المؤدّبين.

١/٨٥٦

فوجّه المنذر ساعةَ سمع مقالة بَهْرام هذه إلى باب المَلِك مَنْ أتاه برهط من فقهاء الفرس، ومعلّمى الرّمْىِ والفُروسيّة ومعلّمى الكتابة وخاصّة[4] ذوى الأدب، وجمع له حكماء من حكماء فارس والرّوم، ومحدّثين من العرب، فألزمهم بَهْرام، ووقّت لأصحاب كلّ مذهب من تلك المِهَن وقتًا يأتونه فيه؛ وقدّر

(١) ل: «عليه». (٢) ت: «وأحضرك».
(٣) الضرع، بالتحريك: الصغير السن الضعيف.
(٤) ط: «وحصة».

لهم قدراً يفيدونه ماعندهم ، فتفرّغ بَهْرام لتعلّم كلّ ماسأل أن يتعلّم ، وللاستماع (١) من أهل الحكمة وأصحاب الحديث ، ووعَى كلّ ما استمع ، وثَقِف كلّ ماعلِّم بأيسر تعليم . وأُلْفِيَ بعد أن بلغ اثنتى عشرة سنة ، وقد استفاد كلّ ماأفيد وحفظه ، وفاق معلّميه ومَنْ حضره من أهل الأدب ؛ حتى اعترفوا له بفضله عليهم .

وأثاب بهرام المنذرَ ومعلّميه ، وأمرهم بالانصراف عنه ، وأمر معلّمي الرمْى والفروسيّة بالإقامة عنده ؛ ليأخذ عنهم كلّ ما ينبغى له التدرّب به ، والإحكام له ؛ ثم دعا بَهْرام بالنّعمان بن المنذر ، وأمره أن يؤذِن العرب بإحضار خيلهم من الذكور والإناث على أنسابها ، فأذن النعمان للعرب بذلك ، وبلغ المنذر الذى كان من رأى بَهْرام فى اختيار الخيل لمركبه ، فقال لبهرام : لا تجشّمَنّ العرب إجراءَ خيلهم ؛ ولكن مُرْ مَنْ يعرض الخيل عليك ، واختر منها رضاك ، وارتبِطه لنفسك . فقال له بهرام : قد أحسنت القول ؛ ولكنى أفضل الرجال سؤدداً وشرفًا ، وليس ينبغى أن يكون مركبى إلاّ أفضل الخيل ، وإنما يعرَف فضلُ بعضها على بعض بالتجربة(٢) ؛ ولا تجربة بلا إجراء .

١/٨٥٧

فرضىَ المنذر مقالتَه ، وأمر النّعمان العرب فأحضروا خيولهم ، وركبَ بَهْرام والمنذر لحضور الحلْبة ، وسرّحت الخيل من فرسخيْن ، فبَدَرَ فرس أشقر للمنذر تلك الخيل جميعًا سابقًا ، ثم أقبل بعده بقيّتُها بَدَادِ بَدَادِ (٣) من بين فرسين تالييْن ، أو ثلاثة موزّعة ، أو سُكَيْتًا(٤) . فقرّب المنذر بيده ذلك الأشقر إلى بَهْرام ، وقال : يبارِك اللهُ لك فيه ، فأمر بَهْرام بقبضه وعظُم سروره به ، وتشكّر للمنذر .

وإنّ بَهْرام ركب ذات يوم الفرس الأشقر الذى حمله عليه المنذر إلى الصيد ، فبصُر بعانة(٥) ، فرمَى عليها وقصد نحوها ؛ فإذا هو بأسد قد شدّ على

---

(١) س ، ل : « والاستماع » .
(٢) ت : « فى التجربة » .
(٣) بداد بداد ؛ أى مرتين . وفى الأصول : « بدار بدار » .
(٤) السكيت : من يجىء آخر الحلبة .
(٥) العانة : القطيع من حمر الوحش .

عَيْر كان فيها ، فتناول ظهره بفيه ليقصمه ويفترسه ، فرماه بَهْرام رمية فى ظهره ، فنفذت النشّابة من بطنه وظهر العَيْر وسُرّته حتى أفضت إلى الأرض. فساخت فيها إلى قريب من ثلثيها ، فتحرّك طويلا ، وكان ذلك بمشهد ناس من العرب وحرس بهرام وغيرهم . فأمر بَهْرام فصور ما كان منه فى أمر الأسد والعيْر فى بعض مجالسه .

ثم إنّ بَهْرام أعلم المنذر أنه على الإلمام بأبيه ، فشخص إلى أبيه ، وكان أبوه يَزْدَجِرد لسوء خلقه لا يحفِل بولد له ، فاتخذ بَهْرام للخدمة ، فلقى بَهْرام من ذلك عناء .

١/٨٥٨ ثم إنّ يَزْدَجِرْد وفد عليه أخ لقيصر ، يقال له : ثياذوس ، فى طلب الصلح والهدنة لقيصر والروم، فسأله بَهْرام أن يكلّم يَزْدَجِرد فى الإذن له فى الانصراف إلى المنذر ، فانصرف إلى بلاد العرب ، فأقبل على التنعّم والتلذذ .

وهلك أبوه يَزْدَجِرد وبهرام غائب ،فتعاقد ناس من العظماء وأهل البيوتات ألاّ يملّكوا أحداً من ذريّة يَزْدَجِرْد لسوء سيرته ، وقالوا : إن يَزْدَجِرْد لم يخلّف ولداً يحتمل الملك غير بَهْرام، ولم يَلِ بَهْرام ولاية قطّ يُبلَى[1] بها خبره ، ويعرف بها حاله، ولم يتأدّب بأدب العجم ؛ وإنما أدبُه أدب العرب ، وخُلُقه كخلُقهم ، لنشئه بين أظهرهم . واجتمعت كلمتهم وكلمة العامّة على صرف المُلْك عن بَهْرام إلى رجل من عِترة أردشير بن بابك ، يقال له كسرى ، ولم يقيموا أن ملّكوه . فانتهى هلاكُ يَزْدَجِرْد والذى كان من تمليكهم كسرى إلى بَهْرام وهو ببادية العرب ، فدعا بالمنذر والنعمان ابنه ، وناسٍ من علْية العرب ، وقال لهم : إنّى لا أحسبكم تجحدون خصّيصَى والدى ؛ كان أتاكم معشر العرب بإحسانه وإنعامه كان عليكم ، مع فظاظته وشدّته كانت على الفرس ؛ وأخبرهم بالذى أتاه من نَعْيِ أبيه، وتمليك الفرس منْ ملّكوا عن تشاور منهم فى ذلك .

فقال المنذر : لا يهولنّك ذلك حتى ألطف الحيلة[2] فيه . وإنّ المنذر

---

(١) ت : « يبتلى » .

(٢) ط : « للحيلة » ، وما أثبته من ت » .

جهّز عشرة آلاف رجل من فرسان العرب ، ووجّههم مع ابنه إلى طيسبون[١] وبِهأَرْدشير مدينتي الملك ، وأمره أن يعسكر قريبًا منهما ، ويدمن إرسال طلائعه إليهما ، فإن تحرّك أحد لقتاله قاتله وأغار على ماوالاهما ، وأسر وسَبَى ؛ ونهاه عن سَفْك الدماء . فسار النّعمان حتى نزل قريبًا من المدينتين ، ووجّه طلائعه إليهما ، واستعظم قتال الفرس . وإنّ مَنْ بالباب من العظماء وأهل البيوتات أوفدوا جوانى صاحب رسائل يَزْدَجِرْد إلى المنذر ، وكتبوا إليه يعلمونه أمر النعمان ، فلما ورد جُوانَى على المنذر وقرأ الكتاب الذى كتب إليه ، قال له : الق َالملكَ بَهْرام ، ووجّه معه مَنْ يوصله إليه . فدخل جوانى على بَهْرام فراعه ما رأى من وسامته وبهائه ، وأغفل السجود َدهشًا ، فعرف بَهْرام أنه إنما ترك السجود لما راعه من رُوائه ، فكلّمه بَهْرام ، ووعده من نفسه أحسن الوعد ، وردّه إلى المنذر ، وأرسل إليه أن يجيب فى الذى كتب ، فقال المنذر لجوانى : قد تدبّرت الكتاب الذى أتيتَنى به ؛ وإنما وجّه النعمان إلى ناحيتكم الملك بَهْرام حيث ملّكه الله بعد أبيه ، وخوّله إيّاكم .

فلما سمع جُوانى مقالة المنذر ، وتذكّر ما عاين من رُواء بهرام وهيبته عند نفسه ، وأنّ[٢] جميع مَنْ شاور[٣] فى صرف المُلْك عن بَهْرام مخصوم محجوج ، قال[٤] للمنذر : إنى لست مجيرًا جوابًا ، ولكن سِرْ إن رأيت إلى محلّة الملوك فيجتمع[٥] إليك مَنْ بها من العظماء وأهل البيوتات ، وتشاوروا فى ذلك . وأتِ فيه ما يجمل ؛ فإنهم لن يخالفوك فى شىء ممّا تشير به .

فردّ المنذر جُوانى إلى مَنْ أرسله إليه ، واستعدّ وسار بعد فصول جوانى من عنده بيومٍ ببهرام فى ثلاثين ألف رجل من فُرسان العرب وذوى[٦] البأس والنّجدة منهم إلى مدينتى الملك ؛ حتى إذا وردهما ، أمر فجمع الناس ، وجلس بَهْرام على مِنْبَرٍ[٧] من ذهب مكلّل بجوهر ، وجلس المنذر عن يمينه ،

١/٨٦٠

(١) ت : « طيسيون » . س : « طيسون » . (٢) ل : « علم بأن » .
(٣) ت ، س : « تشاور » . (٤) ل : « فقال » .
(٥) ت : « فتجمع » . (٦) ت : « وأولى » (٧) ت « سرير » .

وتكلّم عظماء الفرس وأهل البيوتات، وفرشوا للمنذر بكلامهم فظاظة يَزْدَجِرْد أبى بهرام كانت، وسوء سيرته، وأنه أخرب بسوء رأيه الأرضَ، وأكثر القتل ظلمًا، حتى قد قَتَلَ النَّاس فى البلاد التى كان يملكها، وأمورًا غير ذلك فظيعة. وذكروا أنّهم إنما تعاقدوا وتواثقوا على صرف الملك عن ولد يَزْدَجِرد لذلك، وسألوا المنذر ألّا يجبرهم فى أمر الملك على ما يكرهونه.

فوعَى المنذر ما بثُّوا من ذلك، وقال لبَهرام: أنت أوْلَى بإجابة القوم منّى. فقال بهرام: إنّى لستُ أكذّبكم معشرَ المتكلّمين فى شىء مما نسبتم إليه يَزْدَجِرد لِمَا استقرّ عندى من ذلك، ولقد كنت زاريًا عليه لسوء هَدْيِه، ومتنكّبًا لطريقه[1] ودينه، ولم أزل أسأل الله أن يمنّ علىّ بالملك، فأصلح كلّ ما أفسد، وأرأب ما صدع؛ فإن أتتْ لملكى سنة ولم أفِ لكم بهذه الأمور التى عددت لكم تبرّأت من الملك طائعًا، وقد أشهدت بذلك علىّ الله وملائكته وموبَذان مَوْبذ. ولْيكُنْ هو فيها حَكَمًا بينى وبينكم. وأنا مع الذى بيّنت على ما أعلمكم من رضاى بتمليككم مَنْ تناول التاج والزينة؛ من بين أسدين ضاريين مُشْبِلين، فهو الملك.

* * *

فلما سمع القومُ مقالة بَهْرام هذه، وما وعد من نفسه، استبشروا بذلك، وانبسطت آمالهم، وقالوا فيما بينهم: إنّا لسنا نقدر على ردّ قول بهرام؛ مع أنّا إن تمَمنا على صرف الملك عنه نتخوّف أن يكون فى ذلك هلاكنا لكثرة من استمدّ واستجاش من العرب؛ ولكنّا نمتحنه بما عَرَض علينا مما لم يدْعه إليه إلّا ثقة بقوّته وبطشه وجرأته، فإن يكنْ على ما وصف به نفسَه، فليس لنا رأى إلّا تسليم الملك إليه، والسمع والطاعة له، وإنْ يهلِكْ ضعفًا ومَعْجزَة، فنحن من هَلَكته[2] برآء، ولشرّه وغائلته آمنون. ٨٦١/١

وتفرّقوا على هذا الرأى، فعاد بهرام بعد أن تكلّم بهذا الكلام، وجلس كمجلسه الذى كان فيه بالأمس، وحضره مَنْ كان يحادّه. فقال لهم: إمّا

---

(١) ل: «لطريقته». (٢) س: «مهلكته».

أن تجيبوني فيما تكلّمت أمس ، وإما أن تسكتوا باخِعين[1] لى بالطاعة .
فقال القوم : أمّا نحن ، فقد اخترنا لتدبير الملك كسرى ، ولم نَرَ منه إلاّ ما نحبّ ؛ ولكنّا قد رضينا مع ذلك أن يُوضع التاج والزينة كما ذكرت بين أسدين ، وتتنازعانهما أنت وكسرى ، فأيّكما تناولها من بينهما ، سلّمنا له الملك .

فرضى بهرام بمقالتهم ، فأُتِىَ بالتاج والزينة موْبذان موبَذ ، الموكّل كان بعقد التّاج على رأس كلّ ملِك يملّك ، فوضعهما فى ناحية ، وجاء بِسطام إصْبَهْبَذ ، بأسدين ضاريين مجوّعين مُشْبلين ، فوقف أحدُهما عن جانب الموضع الذى وُضع فيه التاج والزينة ، والآخر بحذائه ، وأرخى وَثاقهما ، ثم قال بهرام لكسرى : دونَك التّاج والزينة . فقال كسرى : أنت أولى بالبدء وبتناولهما منى ؛ لأنّك تطلب المُلْك بوراثة ، وأنا فيه مغتصب . فلم يكره بهرام قوله ، لثقته كانت ببطشه[2] وقُوّته ، وحمل جُرْزا[3] ، وتوجّه نحو التاج والزينة ، فقال له موْبذان مَوْبَذ : استماتتك فى هذا الأمر الذى أقدمت عليه ؛ إنما هو تطوّع منك ، لا عن رأى أحدٍ من الفرس ، ونحن برآء إلى الله من إتلافِك نفسَك .
فقال بهرام : أنتم من ذلك برآء ، ولاوِزْرَ عليكم فيه . ثم أسرع نحو الأسدين ، فلما رأى مَوْبَذان موبذ جِدّه فى لقائهما ، هتف به وقال : بُحْ بذنوبك ، وتُبْ منها ، ثم أقدِم إن كنت لا محالة مُقدِمًا ، فباح بَهْرام بما سلف من ذنوبه ، ثم مشى نحو الأسدين ، فبدر إليه أحدُهما ، فلما دنا من بَهْرام وثب وثبة ، فعلا ظهره ، وعصر جَنْبَىِ الأسد بفخِذيه عَصْراً أثخنه ، وجعل يضرب على رأسه بالجُرْز الذى كان حمل ، ثم شدّ الأسد الآخر عليه ، فقبض على أذنيْه ، وعَرَكهما بِكلتا يديه ، فلم يزل يضرب رأسه برأس الأسد الذى كان راكبه حتى دمغهما ثم قتلهما كليهما على رأسهما بالجُرْز الذى كان حمله : وكان ذلك من صنيعه[4] بمرأى من كِسْرى ومَنْ حضر ذلك المحفل .

١/٨٦٢

* * *

(١) ل : « خاضعين » .
(٢) ل : « كانت فى بطشه » .
(٣) الجرز : عمود من الحديد .
(٤) ت : « صنعه » .

فتناول بهرام بعد ذلك التاج والزّينة ، فكان كسرى أوّل من هتَف به ، وقال : عمّرك الله بهرام ! الذى مَنْ حولَه سامعون ، وله مطيعون ، ورزقه مُلْك أقاليم الأرض السبعة . ثم هتف به جميع[1] الحضّر ، وقالوا : قد أذعنّا للملك بهرام ، وخضعنا له ورضينا به مَلِكًا . وأكثروا الدّعاء له . وإنّ العظماء وأهلَ البيوتات وأصحاب الولايات والوزراء لقُوا المنذر بعد ذلك اليوم ، وسألوه[2] أن يكلّم بهرام فى التغمّد لإساءتهم فى أمره ، والصفح والتجاوز عنهم ، فكلّم المنذر بَهْرام فيما سألوه من ذلك ، واستوهبه ما كان احتمل عليهم فى نفسِه ، فأسعفه بَهْرام فيما سأل ، وبسط آمالهم .

١/٨٦٣

وإنّ بهرام ملَك وهو ابن عشرين سنة ، وأمرَ من يومه ذلك أن يُلزِم رعيّتَه راحة ودَعةً ، وجلس للناس بعد ذلك سبعة أيام متوالية ، يعِدُهم الخير من نفسه ، ويأمرهم بتقوى الله وطاعته .

* * *

ثم لم يزل بهرام حيث ملك مؤثراً للهو[3] على ما سواه ، حتى كثُرتْ ملامة رعيّته إياه على ذلك ، وطمِع مَنْ حوله من الملوك فى استباحة بلاده ، والغلَبة على ملكه ؛ وكان أوّل مَنْ سبق إلى المكاثرة[4] له عليه خاقان ملك الترك ، فإنّه غزاه فى مائتين وخمسين ألف رجل من الترك ، فبلغ الفرس إقبال خاقان فى جَمْع عظيم إلى بلادهم ، فتعاظمهم ذلك وهالهم ، ودخل عليه من عظمائهم أناس لهم رأى أصيل ، وعندهم نظر للعامّة ، فقالوا له : إنه قد أزمَكَ أيها الملك من بائقة هذا العدوّ ما قد شغلك عمّا أنت عليه من اللهو والتلذّذ ، فتأهّبْ له كيلا يلحقنا منه أمرٌ يلزمك فيه مسبّة وعار . فقال لهم بهرام : إن الله ربّنا[5] قوىّ ونحن أولياؤه . ولم يزدد إلا مثابرة على اللّهو والتلذّذ والصيد .

وإنه تجهّز فسار إلى أذْرَبيجان لينسُك[6] فى بيت نارها ، ويتوجّه منها إلى

---

(١) ت : « الجمع » .
(٢) ل : « فسألوه » .
(٣) س ، ل : « اللهو » .
(٤) ت ، س : « المكابرة » .
(٥) ت : « تعالى » .
(٦) ينسك : يتعبد .

١/٨٦٤ أرمينيَة ، ويطلب الصيد فى آجامها ، ويلهو فى مسيره فى سبعة رهط من العظماء وأهل البيوتات ، وثلثمائة رجل من رابطته ذوى بأس ونجدة ، واستخلف أخًا له يسمّى نَرْسِى على ما كان يدبّر من ملكه . فلم يشكّ الناسُ حين بلَغهم مسير بَهْرام فيمن سار واستخلافه أخاه على ما استخلف فى أنّ ذلك هَرَبٌ من عدوّه ، وإسلام لملكه ؛ وتآمروا فى إنفاذ وفد إلى خاقان ، والإقرار له بالخَراج ، مخافةً منه لاستباحة بلادهم ، واصطلامه مقاتِلتَهم إن هم لم يُذعِنوا له بذلك . فبلغ خاقان الذى أجمعَ عليه الفرس من الانقياد والخضوع له ، فأمن ناحيتَهم ، وأمر جنده بالتورّع ، فأتى بهرام عينٌ كان وجّهه ليأتيَه بخبر خاقان ، فأخبره بأمر خاقان وعزْمِه ، فسار إليه بهرام فى العدّة الذين كانوا معه فبيّته ، وقتل خاقان بيده ، وأفشى القَتلَ فى جنده ، وانهزم مَنْ سَلِم من القتل منهم ، ومنحوه أكتافهم ، وخلّفوا عسكرهم وذراريّهم وأثقالهم ، وأمعن بَهْرام فى طلبهم يقتلهم ويحوِى ما غنِم منهم ، ويَسبِى ذراريَّهم . وانصرف وجنده سالمين ، وظفر[١] بَهْرام بتاج خاقان وإكليله ، وغلب على بلاده من بلاد الترك ، واستعمل[٢] على ما غلب[٣] عليه منها مَرْزُبانا حبَاه سريراً من فضة ، وأتاه أناس من أهل البلاد المتاخِمة لما غلب عليه من بلاد الترك خاضعين باخعين له بالطاعة ، وسألوه أن يُعلِمهم حدّ ما بينه وبينهم فلا يتعدّوه ، فحدّ لهم حدًّا ، وأمر فبنِيت منارة ، وهى المنارة التى أمر بها فيرُوز الملك ابن يزْدَجِرد ، فقدّمت

١/٨٦٥ إلى بلاد الترك ، ووجّه بهرام قائداً من قوّاده إلى ما وراء النهر منهم ، وأمره بقتالهم فقاتلهم وأثخنهم ، حتى أقرُّوا لبهرام بالعبوديّة وأداء الجِزْية .

* * *

وإنّ بهرام انصرف[٤] إلى أذرَبيجان ، راجعًا إلى محلّته من السّواد ، وأمر بما كان فى إكليل خاقان من ياقوت أحمر وسائر الجوهر ، فعلّق على بيت نار آذرَبيجان ، ثم سار وورد مدينة طيسبون ، فنزل[٥] دار المملكة بها ، ثم

(١) ت : « فظفر » ، ل : « وظهر » . (٢) ت : « واستخلف » .
(٣) ت : « ما قد غلب عليه » . س ، ل : « على ما غلب عليه » .
(٤) ت : « سار » . (٥) ت : « ونزل » .

كتب إلى جُنْده وعمّاله بقتله خاقان ، وما كان من أمره وأمر جنده . ثم ولّى أخاه نَرْسِي خراسان ، وأمرَه أن يسير إليها وينزل بلْخ ، وتقدّم إليه بما أراد .

ثم إنّ بَهْرام سار فى آخر مُلْكه إلى ماه للصيد بها ، فركب ذات يوم للصيد ، فشدّ على عَيْر ، وأمعن فى طلبه ، فارتطم فى جُبّ ، فغرق ، فبلغ والدته فسارت إلى ذلك الجُبّ بأموال عظيمة ، وأقامت قريبة منه ، وأمرت بإنفاق تلك الأموال على مَنْ يخرجه منه ، فنقلوا من الجبّ طينًا كثيراً وحَمْأةً ، حتى جمعوا من ذلك آكامًا عظامًا ، ولم يقدروا على جُثّة بَهْرام .

وذُكِر أن بَهْرام لمّا انصرف إلى مملكته من غَزْوه[1] الترك ، خطب أهلَ مملكته أيامًا متوالية ، حثّهم فى خطبته على لُزوم الطاعة ، وأعلمهم أنّ نيّتَه التّوسعة عليهم ، وإيصالُ الخير إليهم ، وأنّهم إن زالوا عن الاستقامة نالهم من غلظته أكثر مما كان نالهم من أبيه ، وأنّ أباه كان افتتح أمرَهم باللين والمعدلة ، فجحدوا ذلك أو مَنْ جحده منهم ، ولم يخضعوا له خضوع الخَوَل والعبيد للملوك ، فأصاره ذلك إلى الغِلْظة وضرب الأبشار وسفك الدماء . وإنّ انصراف بهرام من غزوه ذلك كان على طريق أذْرَبيجان ، وإنه نَحَل بيت نار الشيز ما كان فى إكليل خاقان من اليواقيت والجوهر[2] وسيفا كان لخاقان مُفصّصًا بدرّ وجوهر وحِلْية كثيرة ، وأخدمه خاتون امرأة خاقان ، ورفع عن الناس الخراج لثلاث سنين شكراً على ما لقِيَ من النّصْر فى وجهه ، وقسّم فى الفقراء والمساكين مالا عظيمًا ، وفى البيوتات وذوى الأحساب عشرين ألف ألف درهم ، وكتب بخبر خاقان إلى الآفاق كتبًا ، يذكر فيها أنّ الخبر ورد عليه بورود خاقان بلادَه ، وأنّه مجّد الله وعظّمه وتوكّل عليه ، وسار نحوه فى سبعة رهط من أهل البيوتات ، وثلثمائة فارس من نُخْبة رابطته على طريق أذْرَبيجان وجبل القبْق ؛ حتى نفذ على برارىّ خُوارِزم ومفاوزها ، فأبلاه

١/٨٦٦

(١) ت : « غزو » .

(٢) ت : « والجواهر » .

الله أحسن بلاء ، وذكّر لهم ما وضع عنهم من الخراج ، وكان كتابه فى ذلك كتابًا بليغًا .

وقد كان بَهْرام حين أفضى إليه الملك أمر أن يرفع عن أهل الخراج البقايا التى بقيتْ عليهم من الخراج ، فأعلِم أنّ ذلك سبعون ألف ألف درهم ، فأمر بتركها وبترك ثلث خراج السّنة التى وَلِىَ فيها .

وقيل إنّ بهرام جُور لمّا انصرف إلى طيسبُون من مَغْزاه خاقان التركىّ ، ولّى نَرْسى أخاه خراسان ، وأنزله بَلْخ ، واستوزر مِهْر نَرْسِى بن بُرازة ، وخصّه وجعله بزُرجَفْرمَذار ، وأعلمه أنه ماضٍ إلى بلاد الهند ، ليعرف أخبارها ، والتلطّف لحيازة بعض مملكة أهلها إلى مملكته ؛ ليخفّف بذلك بعض مؤونة عن أهل مملكته ، وتقدّم إليه بما أراد التقدّم إليه فيما خلّفه عليه إلى أوان انصرافه ، وأنه شخص من مملكته حتى دخل أرض الهند متنكراً ، فمكَث بها حينًا لا يسأله أحدٌ من أهلها عن شىء من أمره غير ما يروْن من فروسيّته[1] وقتله السباع ، وجماله وكمال خلْقه ما يعجبون منه . فلم يزل كذلك حتى بلَغه أنّ فى ناحيةٍ من أرضهم فيلا قد قطع السُّبُل ، وقتل ناسًا كثيراً، فسأل بعضَهم أن يدلّه عليه ليقتله ، وانتهى أمرُه إلى الملك فدعا به ، وأرسل معه رسولاً ينصرف إليه بخبره . فلما انتهى بَهْرام والرسول إلى الأجَمَة التى فيها الفيل، رقِىَ الرسول إلى شجرة لينظر إلى صُنْع[2] بهرام . ومضى بَهْرام ليستخرج الفيل ، فصاح به ، فخرج إليه مُزبِداً وله صوت شديد ، ومنظر هائل ، فلما قرب من بَهْرام رماه رميةً وقعت بين عينيه حتى كادت تغيب ، ووقَذَه بالنُّشّاب ، حتى بلغ منه ، ووثب عليه فأخذه بِمِشْفره ، فاجتذبه جَذْبة جثا لها الفيل على ركبتيْه ، فلم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه ، فاحتزّ رأسه وحمله على ظهره حتى أخرجه إلى الطريق ، ورسول الملك ينظر إليه . فلما انصرف الرسول اقتصّ خبره على الملك ، فعجب من شدّته وجرأته ، وحباه حِباء عظيمًا ، واستفهمه أمره . فقال له بهرام : أنا رجل من عظماء الفُرس ، وكان

١/ ٨٦٧

(١) ت : « فروسته » .
(٢) ت : « إلى صنيع » ، س : « ما يصنع » .

ملك فارس سَخِط عليّ فى شىء فهربت منه إلى جوارك ، وكان لذلك الملك عدوّ قد نازعه مُلْكَه ، وسار إليه بجنود عظيمة ، فاشتدّ وَجَلُ الملك صاحب بهرام منه لما كان يعرف من قُوّته ، وأراده على الخضوع له وحَمْل الخراج إليه ، وهمّ صاحب بهرام بإجابته إلى ذلك ، فنهاه بهرام عن ذلك ، وضَمِن له كفاية أمره ، فسكن إلى قوله ، وخرج بهرام مستعدًّا له ، فلما التَقَوْا قال لأساورة الهند : احرسوا ظهرى . ثم حمل عليهم فجعل يضرب الرّجُل على رأسه فتنتهى ضربتُه إلى فمه ، ويضرب وسط الرجل فيقطعه باثنين ، ويأتى الفيل فيقدّ مِشْفره بالسيف ، ويحتمل الفارس عن سرجه — والهند قوم لا يحسنون الرمى ، وأكثرهم رَجّالة لا دوابّ لهم — وكان بهرام إذا رمى أحدَهم أنفذ السهمَ فيه ، فلما عاينوا منه ما عاينوا ، ولَّوْا منهزمين لا يلوون على شىء ، وغَنِم صاحب بهرام ما كان فى عسكر عدوّه ، وانصرف محبوراً مسروراً ، ومعه بَهْرام ، فكان فى مكافأته إيّاه أن أنْكَحه ابنتَه ، ونحَله الدَّيْبُل وَمُكْران وما يليها من أرض السِّند ، وكتب له بذلك كتابًا ، وأشهد له على نفسه شهوداً ، وأمر بتلك البلاد حتى ضُمّت إلى أرض العجم ، وحمل خراجها إلى بَهْرام ، وانصرف بهرام مسروراً .

١/٨٦٨

ثم إنه أغزى مِهْرَ نَرْسى بن بُرازة بلاد الروم فى أربعين ألف مقاتل ، وأمرَه أن يقصد عظيمَها ، ويناظرَه فى أمر الإتاوة وغيرها ؛ ممّا لم يكن يقوم بمثله إلا مثل مِهْرنَرْسى ، فتوجّه[1] فى تلك العدّة ، ودخل القُسطنطينيّة ، وقام مقامًا مشهوراً ، وهادنه عظيم الروم ، وانصرف بكلّ الذى أراد بَهْرام ، ولم يزل لِمهرِنَرْسِى مُكْرِماً ، وربما خفّف اسمه فقيل «نَرْسى» وربّما قيل «مِهْرنَرْسه» ، وهو مِهْرنَرْسِى بن بُرازة بن فرُّخزاذ بن خُورَهباذ بن سيسفاذ ابن سيسنابروه بن كَىْ أشَك بن دارا بن دارا بن بَهْمن بن إسفنديار بن بِشتاسْب .

١/٨٦٩

وكان مِهْرنَرْسِى معظّمًا عند جميع ملوك فارس بحسنِ أدبه ، وجودة آرائه ، وسكون العامّة إليه ، وكان له أولاد مع ذلك قد قاربوه فى القدر ، وعملوا للملوك من الأعمال ما كادوا يلحقون بمرتبته ؛ وإنّ منهم ثلاثة قد كانوا برّزوا :

---

(١) ل : «فوجهه» .

أحدهم زَرَوانْداذ ؛ كان مِهْر نرسى قصد به للدين والفقه ، فأدرك مِنْ ذلك امراً عظيماً ، حتى صيّره بهرام جور هِرْبذان هِرْبَذ ، مرتبة شبيهة بمرتبة مَوْبذان مَوبَذ . وكان يقال للآخر : ما جُشْنَس ، ولم يزل متولّياً ديوان الخراج أيام بَهْرام جور . وكان اسم مرتبته بالفارسية «راستراى وشانسلان» . وكان الثالث اسمه كارد صاحب الجيش الأعظم ، واسم مرتبته بالفارسية «أسطران سلار» ؛ وهذه مرتبة فوق مرتبة الإصبَهبَذ تقارب مرتبة الأرْجَبَذ ، وكان اسم مِهْر نرسى بمرتبته بالفارسية « بزُرْجفر ماندار » ؛ وتفسيره بالعربية « وزير الوزراء » أو رئيس الرؤساء . وقيل إنه كان من قرية يقال لها إبروان من رستاق دَشْتبارين من كورة أردشير خُرّة ، فابتنى فيه وفى جِرِه من كُورة سابور لاتّصال ذلك ودشتبارين أبنية رفيعة ، واتّخذ فيها بيت نار — هو باق فيما ذكر إلى اليوم . وناره توقد إلى هذه الغاية — يقال لها مِهْرنَرْسيان ، واتّخذ بالقرب من إبروان أربع قرى ، وجعل فى كلّ واحدة منها بيتَ نار ؛ فجعلَ واحداً منها لنفسه ، وسمّاه فراز مرا آوَرْ خُذايان ؛ وتفسير ذلك : «أقبلى إلىَّ سيّدتى » ، على وجه التعظيم للنار ، وجعل الآخر لزَراوَنداذ ، وسماه زراونداذان ، والآخر لكارد وسماه كارداذان ، والآخر لماجُشْنَس ، وسماه ماجُشْنَسفان ؛ واتّخذ فى هذه الناحية ثلاث باغات[1] ، جعل فى كلّ باغ منها اثنتىْ عشرة ألف نخلة ، وفى باغ اثنى عشر ألف أصل زيتون ، وفى باغ اثنتى عشرة ألف سَرْوة[2] ، ولم تزل هذه القرى والباغات وبيوت النّيران فى يد قوم من ولده معروفين إلى اليوم ؛ وإنّ ذلك — فيما ذكر — إلى اليوم باقٍ على أحسن حالاته .

١/٨٧٠ ١/٨٧١

وذكر أن بَهْرام بعد فراغه من أمرخاقان وأمر ملك الروم ، مضى إلى بلاد السودان من ناحية[3] اليمن ، فأوقع بهم ؛ فقتل منهم مقتلة عظيمة . وسَبَى منهم خَلْقاً ، ثم انصرف إلى مملكته . ثم كان من أمر هلاكه ما قد وصفت .

واختلفوا فى مدة ملكه ، فقال بعضهم : كان ملكه ثمانىَ عشرة سنة وعشرة

---

(١) الباغ : البستان ، وانظر المعجم فى اللغة الفارسية ٣٢ .

(٢) السرو : شجر حسن الهيئة قويم الساق ؛ فسره صاحب القاموس بالعرعر ، واحدته سروة .

(٣) ت : « مما يلى » .

أشهر وعشرين يومـًا . وقال آخرون كان ملكه ثلاثا وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرين يومـًا .

* * *

[ذكر ملك يزدجرد بن بهرام جور]

ثم قام بالمُلْك من بعده يَزْدَجِرْد بن بَهْرام جُور . فلمّا عُقِد التاج على رأسه دخل عليه العظماء والأشراف ، فدعوْا له وهنئوه بالمُلك ، فردّ عليهم ردًّا حسنـًا ، وذكر أباه ومناقبه ، وما كان منه إلى الرعيّة ، وطولَ جلوسه كان لها ، وأعلمهم أنّهم إن فقدوا منه مثلَ الذى كانوا يعهدونه من أبيه ، فلاينبغى لهم أن يستنكروه ؛ فإنّ خلواتِه إنما تكون فى مصلحة للمملكة وكيد للأعداء ، وأنه قد استوزر مِهْرنَرْسى بن بُرازة صاحب أبيه ، وأنّه سائر فيهم بأحسن[1] السيرة ، ومستنّ لهم أفضل السُّنن ، ولم يزل قامعـًا لعدوّه ، رءوفـًا برعيّته وجنوده ، محسنـًا إليهم .

وكان له ابنان : يقال لأحدهما هُرْمز ، وكان ملكـًا على سِجِسْتَان ، والآخر يقال له فَيْروز ؛ فغلب هُرْمز على الملك من بعد هلاك أبيه يَزْدَجِرد ، ١ / ٨٧٢ فهرب فيروز منه ولحق ببلاد الهياطِلة ، وأخبر مَلِكها بقصّته وقصّة هرمز أخيه ، وأنه أوْلى بالملك منه ، وسأله أن يمدّه بجيش يقاتل بهم هُرْمز ، ويحتوى على مُلْك أبيه ، فأبى ملك الهياطلة أن يُجيبه إلى ما سأل من ذلك ؛ حتى أخبِر أنّ هرمز ملك ظلوم جائر فقال ملك الهياطلة : إن الجَوْر لا يرضاه الله[2] ، ولا يصلح عمل أهله ، ولا يُستطاع أن يُنتصف ويحترف فى مُلْك الملك الجائر إلاّ بالجور والظلم . فأمدّ فيروز بعد أن دفع إليه الطالَقان بجيش ، فأقبل بهم[3] وقاتَل هُرْمز أخاه فقتله ، وشتّت جمعه ، وغلب على الملك .

وكان الروم الْتاثوا على يَزْدَجِرد بن بَهْرام فى الخراج الذى كانوا يحملونه إلى أبيه ، فوجّه إليهم مِهْرنَرْسِي بن بُرازة ، فى مثل العدّة التى كان بَهْرام وجّهه إليهم عليها ، فبلغ له إرادته .

---

(١) ت : « أحسن » .

(٢) ل : « ما لا يرضاه » .

(٣) ت : « فيهم » .

وكان مُلْك يَزْدَجِرد ثمانىَ عشرة سنة وأربعة أشهر فى قول بعضهم . وفى قول آخرين سبع عشرة سنة .

* * *

[ذكر ملك فيروز بن يزدجرد]

ثم ملك فيروز بن يَزْدَجرد بن بَهْرام جُور ، بعد أن قتل أخاه وثلاثة نفر من أهل بيته .

وحُدِّثت عن هشام بن محمد ، قال : استعدّ فيروز من خُراسان ، واستنجد بأهل طَخارِسْتان وما يليها ، وسار إلى أخيه هُرْمز بن يَزْدَجِرد ، وهو بالرَّى — وكانت أمّهما واحدة ، واسمها دينَك ، وكانت بالمدائن تدبّر ما يليها من الملك — فظفر فيروز بأخيه فحبسه ، وأظهر العدلَ وحسن السيرة ، وكان يتديّن ، وقَحَط الناس فى زمانه سبع سنين ، فأحسن تدبير [ذلك][1] الأمر حتى قَسم ما فى بيوت الأموال ، وكفّ عن الجباية ، وساسهم أحسن السياسة ؛ فلم يهلك فى تلك السنين أحدٌ ضياعًا إلا رجل واحد .

١/٨٧٣

وسار إلى قوم كانوا قد غلبوا على طَخارِسْتان يقال لهم الهيَاطلة ، وقد كان قوّادهم فى أول مُلْكه لمعونتهم إياه على أخيه ، وكانوا — فيما زعموا — يعملون عمل قوم لوط ، فلم يستحلّ ترك البلاد فى أيديهم ، فقاتلهم فقتلوه فى المعركة ، وأربعة بنين له ، وأربعة إخوة ، كلّهم كان يتسمّى بالملك ، وغلبوا على عامة خُراسان حتى سار إليهم رجل من أهل فارس يقال له سوخرا من أهل شيراز ، وكان فيهم عظيمًا ، فخرج فيمن تبعه شبه المحتسب المتطوّع حتى لَقِيَ[2] صاحب الهيَاطلة ، فأخرجه من بلاد خُراسان ، فافترقا على الصلح ؛ ورُدّ ما لم يَضع مما فى عسكر فيروز من الأسراء والسَّبى . وملك سبعا وعشرين سنة .

وقال غير هشام من أهل الأخبار : كان فيروز مَلِكًا محدوداً محارَفا[3] مشئومًا على رعيّته ، وكان جلّ قوله وفعله فيما هو ضرر وآفة عليه وعلى أهل مملكته . وإنّ البلاد قَحَطت فى مُلْكه سبعَ سنين متوالية ، فغارت الأنهار والقُنِيّ والعيون ، وقَحَلت[4] الأشجار والغياض ، وهاجت عامّة الزروع

---

(١) تكملة من ل، س . (٢) ت : « أتى » . (٣) المحارف : المحروم الذى إذا طلب شيئاً لا يرزق، وهو خلاف المبارك . (٤) ل : « ومحلت » .

والآجام فى السَّهل والجبل من بلاده ، ومُوّتت فيها الطَّيْر والوحوش، وجاعت الأنعام والدوابّ ؛ حتى كانت لا تقدر أن تحمل حمولة ، وقلّ ماء دِجْلة ، وعمّ أهلَ بلاده اللزَبات[1] والمجاعة والجهد والشدائد .

١/ ٨٧٤ فكتب إلى جميع رعيّته يعلمهم أنه لا خراج عليهم ولا جزية ، ولا نائبة ولا سُخرة ، وأن قد ملّكهم أنفسهم ، ويأمرهم بالسعيِ فيما يقوتُهم ويقيمهم، ثم أعاد الكتاب إليهم فى إخراج كلّ مَنْ كان له منهم مطمورة أو هُرْى[2] أو طعام أو غيره[3]؛ مما يقوت الناس، والتآسى فيه، وترك الاستئثار فيه ؛ وأن يكون حالُ أهلِ الغنى والفقر وأهل الشرف والضّعة فى التآسى واحداً . وأخبرهم[4] أنه إنْ بلغه أنّ إنسيًّا مات جوعًا عاقب أهلَ المدينة ، أو أهل القرية ، أو الموضع الذى يموت فيه ذلك الإنسىّ جوعًا ، ونكّل بهم أشدّ النّكال .

فساس فيروز رعيّته فى تلك اللزْبة والمجاعة سياسة لم يعطَب أحد منهم جوعًا ؛ ما خلا رجلاً واحداً من رُستاق كورة أردشير خُرّة ، يدعى بديه[5] فتعظّم[6] ذلك عظماءُ الفرس ، وجميع أهل أرْدشير خُرّة وفيروز ، وأنه ابتهلَ إلى ربّه فى نَشْر رحمته له ولرعيته ، وإنزال غيثه عليهم ؛ فأغاثه الله ، وعادت بلاده فى كثرة المياه على ما كانت تكون عليه ، وصلَحت الأشجار .

وإنّ فيروز أمر فبنِيت بالرّى مدينة ، وسماها رام فَيْروز ، وفيما بين جُرجان وباب صول مدينة، وسماها رُوشَن فيروز ، وبناحية أذْرَبيجان مدينة وسماها شهرام[7] فيروز .

---

(١) اللزبات : الشدائد .

(٢) المطمورة : حفيرة تحت الأرض يوسع أسفلها تخبأ فيها الحبوب ، والهرى ، بالضم : بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان .

(٣) ت : « غير ذلك » .

(٤) ت : « وأعلمهم » ، ل : « فأخبرهم » .

(٥) ت ، س : « بريه » .

(٦) ت : « فيعظم » ، ل : « فعظم » .

(٧) ت ، ل : « سهرام » .

ولما حَيِيَت بلاد فيروز ، واستوثق له المُلْك ، وأثخن فى أعدائه وقهرهم ، وفرغ من بناء هذه المدن الثلاث ، سار بجنوده نحو خُراسان مريداً حرب إخشنوار ملك الهَيَاطلة ؛ فلما بلغ إخشنوار خبرُه اشتدّ منه رعبه . فذُكِر أن رجلاً من أصحاب إخشنوار بذلَ له نفسه ، وقال له : اقطع يدىَّ ورجلىَّ ، وألقِنى على طريق فيروز ، وأحسِنْ إلى ولدى وعيالى — يريد بذلك فيما ذكر الاحتيال لفيروز — ففعل ذلك إخشنوار بذلك الرجل ، وألقاه على طريق فيروز ، فلما مرّ به أنكر حاله وسأله عن أمره ، فأخبره أن إخشنوار فعل ذلك به لأنه قال له : لا قوام لك بفيروز وجنود الفرس[1] . فرقّ له فيروز ورَحِمه ، وأمر بحمله معه ، فأعلمه على وجه النصح منه له — فيما زعم — أنه يدلُّه وأصحابَه على طريق مختصر لم يدخل إلى ملك الهياطلة منه أحد ، فاغترّ فيروز بذلك منه ، وأخذ بالقوم فى الطريق الذى ذكره[2] له الأقطع ، فلم يزل يقطع بهم مفازة بعد مفازة ، فكلَّما شكوْا عطشًا أعلمهم أنهم قد قَرُبوا من الماء ومن قطع المفازة ؛ حتى إذا بلغ بهم موضعًا علم أنهم لا يقدرون فيه على تقدّم ولا تأخُّر ، بيَّن لهم أمره ، فقال أصحاب فيروز لفيروز : قد كُنَّا حذرناك هذا أيها الملك فلم تحذَر ؛ فأمَّا الآن فلا بدّ من المضىّ قُدُمًا حتى نوافِىَ القوم على الحالات كلِّها . فمضوْا لوجوههم ، وقتل العطشُ أكثرَهم ، وصار فيروز بمن نجا معه إلى عدوّهم ، فلمَّا أشرفوا عليهم على الحال التى هم فيها دَعوْا إخشنوار إلى الصلح ، على أن يخلِّىَ سبيلهم ؛ حتى ينصرفوا إلى بلادهم ؛ على أن يجعل فيروز له عهد الله وميثاقه ألاّ يغزوَهم ولا يرومَ أرضهم ، ولا يبعثَ إليهم جنداً يقاتلونهم ، ويجعل بين مملكتها حدًّا لا يجوزه . فرضِىَ إخشنوار بذلك ، وكتب له به فيروز كتابًا مختومًا ، وأشهد له على نفسه شهوداً ، ثم خَلَّى سبيله وانصرف .

١/٨٧٥

١/٨٧٦

فلما صار إلى مملكته حَمَله الأنَف والحميَّة على معاودة إخشنوار ، فغزاه بعد أن نَهاه وزراؤه وخاصّته عن ذلك ؛ لما فيه من نقض العهد، فلم يقبل منهم

(١) س : « فارس » .
(٢) ت : « ذكر » .

وأبى إلا ركوب رأيه ، وكان فيمن نهاه عن ذلك رجل كان يخصّه ويجتبى رأيه ، يقال له مزُدبوذ[١] ، فلما رأى مزُدبوذ لجاجتَه ، كتب ما دار بينهما فى صحيفة ، وسأله الختم عليها ، ومضى فيروز لوجهه نحو بلاد إخشنوار ، وقد كان إخشنوار حفر خندقًا بينه وبين بلاد فيروز عظيمًا ، فلما انتهى إليه فيروز عقَد عليه القناطر ، ونصب عليها رايات جعلها أعلامًا له ولأصحابه فى انصرافهم ، وجاز إلى القوم ، فلما التقى بعسكرهم احتجّ عليه إخشنوار بالكتاب الذى كتبه له ، ووعظه بعهده وميثاقه ، فأبى فيروز إلا لجاجًا ومحكاً وتواقفًا ، فكلّم كلّ واحد منهما صاحبه كلامًا طويلا ، ونشبت[٢] بينهما بعد ذلك الحرب ، وأصحاب فيروز على فتور من أمرهم ؛ للعهد الذى كان بينهم وبين الهياطلة ، وأخرج إخشنوار الصحيفة التى كتبها له فيروز ، فرفعها على رُمح وقال : اللهمّ خُذْ بما فى هذا الكتاب . فانهزم فيروز وسها عن ١ / ٨٧٧ موضع الرايات ، وسقط فى الخندق ، فهلك ، وأخذ إخشنوار أثقال فيروز ونساءه وأمواله ودواوينه ، وأصاب جند فارس شىء لم يصبهم مثله قطّ .

وكان بسِجِستان رجل من أهل كُورة أرْدشير خُرّة من الأعاجم ، ذو علْم وبأس وبطش ، يقال له : سوخرا ، ومعه جماعة من الأساورة ، فلما بلغه خبر فيروز ركب من ليلته ، فأغذّ السير حتى انتهى إلى إخشنوار ، فأرسل إليه وآذنه بالحرب ، وتوعّده بالجائحة والبَوار ؛ فبعث إليه إخشنوار جيشًا عظيمًا . فلما التقوْا ركب إليهم سوخرا فوجدهم مدلّين ، فيقال : إنه رمى بعض مَنْ ورد عليه منهم رمية فوقعت بين عينى فرسه حتى كادت النشّابة تغيب فى رأسه ، فسقط الفرس ، وتمكن سوخرا من راكبه ، فاستبقاه وقال له : انصرفْ إلى صاحبك فأخبره بما رأيت ، فانصرفوا إلى إخشنوار ، وحملوا الفرس معهم ، فلما رأى أثر الرمية بُهِت وأرسل إلى سوخرا : أن سَلْ حاجتك ؛ فقال له : حاجتى أن تردّ علىّ الديوان ، وتُطلِق الأسرى . ففعل ذلك ، فلما صار الديوان فى يده ، واستنقذ الأسرى ، استخرج من الديوان بيوتَ الأموال التى كانت

---

(١) ت : « مردنوذ » .

(٢) ت : « ونشب » ، س : « وشبت » .

مع فيروز، فكتب إلى إخشنوار أنّه غير منصرف إلاّ بها . فلما تبيّن الجدّ؛ افتدى نفسه وانصرف سوخرا بعد استنقاذ الأسارى وأخذ الديوان وارتجاع الأموال ، وجميع ما كان مع فيروز من خزائنه إلى أرض فارس ، فلما صار إلى الأعاجم شرّفوه وعظّموا أمره ، وبلغوا به من المنزلة ما لم يكن بعده إلا الملك .

١ / ٨٧٨ وهو سوخرا بن ويسابور[١] بن زهان[٢] بن نَرْسِي بن ويسابور بن قارن ابن كروان بن أبيد بن أوبيد بن تيرُويه[٣] بن كردنك[٤] بن ناور بن طوس ابن نودكا بن منشو[٥] بن نَوْذَر بن مِنُوشِهْر .

وذكر بعضُ أهلِ العلم بأخبار الفُرْس من خَبَر فيروز وخبر إخشنوار نحواً مما ذكرت ؛ غير أنّه[٦] ذكر أن فيروز لما خرج متوجّهاً إلى إخشنوار ، استخلف على مدينة طيسبون[٧] ومدينة بَهُرَسير[٨] — وكانتا محلّة الملوك — سوخرا هذا ، قال : وكان يقال لمرتبته قارن ، وكان يَلِي معهما سجِستان. وأنّ فيروز لمّا بلغ منارة كان بَهْرام جور ابتناها فيما بين تُخوم بلاد خراسان وبلاد الترك ؛ لئلا يجوزها الترك إلى خراسان لميثاق كان بين الترك والفرس على ترك الفريقين التعدّي لها ؛ وكان فيروز عاهد إخشنوار ألاّ يجاوزها إلى بلاد الهياطلة ، أمر فيروز فصفّد[٩] فيها خمسون فيلا وثلثمائة رجل ، فجرّت أمامه جرًّا ، واتّبعها ؛ أراد

١ / ٨٧٩ بذلك زَعْم الوفاء لإخشنوار بما عاهده عليه ؛ فبلغ إخشنوار ما كان من فيروز في أمر تلك المنارة ، فأرسل إليه يقول : انته يا فيروز عمّا انتهى عنه أسلافك ، ولا تُقْدِم على ما لم يقدِموا عليه . فلم يحفِلْ فيروز بقوله ، ولم تكرثه رسالته ؛ وجعل يستطعم محاربة إخشنوار ، ويدعوه إليها ، وجعل إخشنوار يمتنع من محاربته

---

(١) ل : « سابور » .
(٢) س : « رهان » .
(٣) س : « يرويه » .
(٤) س : « كرديد » .
(٥) س : « منشوا » .
(٦) ل : « من ذلك إلا أنه » . س : « مما قد ذكرت غير أنه » .
(٧) س : « طيستون » ل : « طيسون » .
(٨) ت : « بهردشير » ، ل : « نهرشير » .
(٩) ط : « فصمد » .

ويستكرهها[١] ؛ لأنّ جُلّ محاربة الترك إنّما هو بالخداع والمكر والمكايدة ، وأن إخشنوار أمر فحفِر خلف عسكره خَندق عَرْضُه عشرة أذرع ، وعمقه عشرون ذراعًا ، وغُمّىَ بخشب ضعاف ، وألْقى عليه ترابًا ، ثم ارتحل فى جنده ، فمضى غير بعيد ، فبلغ فيروز رحلة إخشنوار بجنده من عسكره[٢] ، فلم يشكّ فى أنّ ذلك منهم انكشاف وهرب ، فأمر بضرب الطبول ، وركب فى جنده فى طلب إخشنوار وأصحابه ، فأغَذّوا السير ، وكان مسلكهم على ذلك الخندق . فلما بلغوه أقحِمُوا على عَمَاية[٣] ، فتردّى فيه فيروز وعامّة جنده ، وهلكوا من عند آخرهم .

وإنّ إخشنوار عطف على عسكر فيروز ، فاحتوى على كلّ شىء فيه ، وأسر موْبذان موبذ ، وصارت فيْروز دُخت ابنة فيروز فيمن صار فى يده من نساء فيروز ، وأمر إخشنوار فاستخرجت جُثّة فيروز وجثّة كلّ مَنْ سقط معه فى ذلك الخندق ، فوضعت فى النواويس ، ودعا إخشنوار فيروز دخت إلى أن يُباشرها ، فأبت عليه .

وإنّ خبر هلاك فيروز سقط إلى بلادفارس[٤] ، فارتجُّوا له وفزعوا ؛ حتّى إذا استقرّت حقيقة خبره عند سوخرا تأهّب[٥] وسار فى عظم مَنْ كان قبَله من الجند إلى بلاد الهياطلة . فلما بلغ جرجان بلغ إخشنوار خبرُ مسيره لمحاربته ، فاستعدّ وأقبل متلقّيًا له ، وأرسل إليه يستخبره عن خبره ، ويسأله عن اسمه ومرتبته ، فأرسل أنه رجل يقال له سوخرا ، ولمرتبته قارن ، وأنه إنما سار إليه لينتقم منه لفيروز ، فأرسل إليه إخشنوار يقول : إنّ سبيلك فى الأمر الذى قَدِمت له كسبيل فيروز . إذْ لم يعقبه فى كثْرة جنوده من محاربته إيّاى إلا الهلكة والبوار ، فلم ينهنِهْ سوخرا قولُ إخشنوار ، ولم يعبأْ به ، وأمر جنوده فاستعدوا وتسلّحوا ، وزحف إلى إخشنوار لشدّة إقدامه وحدّة قلبه ، فطلب موادعته وصُلْحه ،

١ / ٨٨٠

---

(١) ت : « يتكرهها » .
(٢) ت : « معسكره » .
(٣) ط : « غمائه » .
(٤) س : « الفرس » .
(٥) ت : « فاهتم » .

فلم يقبل منه سوخرا صُلْحًا دون أن يصير فى يده كلّ شىء صار عنده من عسكر فيروز. فسلّم إخشنوار إليه ما أصاب من أموال فيروز وخزائنه ومرابطه ونسائه ، وفيهنّ فيروز دخت ، ودفع إليه موبذان موبذ وكلّ أحد كان عنده من عظماء الفرس ، فانصرف سوخرا بذلك كلّه إلى بلاد الفرس .

واختلف فى مدة[1] ملك فَيْرُوز ؛ فقال بعضهم : كانت ستًّا وعشرين سنة . وقال آخرون : كانت إحدى وعشرين سنة .

---

(١) ت : « عمر » .

ذكر ما كان من الأحداث فى أيام يَزْدَجِرْد بن بهرام وفيروز بين عمّالهما على العرب وأهل اليمن

حُدِّثت عن هشام بن محمد ، قال : كان يخدُم الملوك من حِمْيَر فى زمان ملكهم أبناءُ الأشراف من حِمْير وغيرهم من القبائل ؛ فكان ممّن يخدُم حسّان بن تُبَّع عمرو بن حُجْر الكِنْدىّ ، وكان سيّدَ كِنْدة فى زمانه . فلمّا سار حسّان بن تُبَّع إلى جَدِيس خلَّفه على بعض أموره ، فلما قتل عمرو بن تُبَّع أخاه حسَّان بنَ تُبَّع ، وملك مكانه ، اصطنع عمرو بن حُجْر الكِنْدىّ . وكان ذا رأى ونُبْل ؛ وكان ممّا أراد عمرو إكرامَه به وتصغير بنى أخيه حسّان أن زوّجه ابنةَ حسّان بن تُبَّع ، فتكلّمت فى ذلك حِمْير . وكان عندهم من الأحداث التى ابتُلوا بها ؛ لأنّه لم يكن يطمعُ فى التزويج إلى أهل ذلك البيت أحد من العرب . وولدت ابنة حسان بن تبّع لعمرو بن حُجْر الحارثَ بن عمرو ، وملك بعد عمرو بن تُبَّع عبد كُلال بن مثوِّب ؛ وذلك أنّ ولَد حسان كانوا صغاراً ، إلاّ ما كان من تُبَّع بن حسان ؛ فإنّ الجنّ استهامته ، فأخذ المُلْكَ عبدُ كُلال بن مثوِّب مخافة أن يطمع فى الملك غيرُ أهل بيت المملكة ، فوليه بسنٍّ وتجربة وسياسة حسنة . وكان — فيما ذكروا — على دين النَّصرانيّة الأولى ، وكان يُسِرّ ذلك من قومه ، وكان الذى دعاه إليه رجل من غسّان ، قدم عليه من الشأم ، فوثبتْ حمير بالغسانىّ فقتلته ، فرجع تُبَّع بن حسان من استهامة الجنّ إياه صحيحًا ، وهو أعلم الناس بنجْم ، وأعقل من تعلَّم فى زمانه ، وأكثره حديثًا عما كان قبْله ، وما يكون فى الزمان بعده . فملَّك تبّع ابن حسان بن تُبَّع بن مَلِيكَيكَرِب بن تُبَّع الأقرن ، فهابتْه حِمْير والعرب هيبة شديدة ، فبعث بابن أخته الحارثِ بن عمرو بن حُجْر الكندىّ فى جيش عظيم إلى بلاد معَدّ والحيرة وما والاها ، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس ابن الشقيقة فقاتله ، فقتل النعمان وعدّة من أهل بيته ، وهزم أصحابه وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر وأمّه ماء السماء ، امرأة من النَّمِر ، فذهب مُلك

١/٨٨١ ١/٨٨٢

آل النعمان ، وملك الحارثُ بن عمرو الكنديّ ما كانوا يملكون .

وقالَ هشام[١] : ملك بعد النعمان ابنُه المنذر بن النعمان وأمّه هند ابنة زيد مناة بن زيد الله بن عمرو الغسّانيّ أربعًا وأربعين سنة ؛ من ذلك فى زمن بَهْرام جور بن يَزْدَجِرد ثمانى سنين وتسعة أشهر ، وفى زمن يَزْدَجرد بن بهرام ثمانىَ عشرة سنة . وفى زمن فيروز بن يَزْدَجرد سبع عشرة سنة . ثم ملك بعده ابنُه الأسود بن المنذر ، وأمّه هرّ ابنة النّعمان من بنى الهيجُمانة ، ابنة عمرو بن أبى ربيعة بن ذُهْل بن شيبان ، وهو الذى أسرتْه فارس عشرين سنة ؛ من ذلك فى زمن فَيروز بن يَزْدَجِرد عشر سنين ، وفى زمن بلاش بن يَزْدجِرد أربع سنين ، وفى زمن قُباذ بن فيروز ، ستّ سنين .

* * *

[ذكر ملك بلاش بن فيروز]

ثم قام بالملك بعد فيروز بن يَزْدجِرد ابنه بَلاش بن فيروز بن يَزْدَجرد ابن بهرام جور ، وكان قُباذ أخوه قد نازعه المُلك ، فغلب[٢] بَلاش ، وهرب قُباذ إلى خاقان ملك التُّرك يسأله المعونة والمدد ، فلما عُقِد التاج لبلاش على رأسه اجتمع إليه العظماء والأشراف فهنئوه ودعوْا له ، وسألوه أن يكافئ سوخرا بما كان منه ، فخصّه وأكرمه وحبَاه ، ولم يزل بَلاش حسنَ السيرة ، حريصًا على العِمارة . وكان بلغ من حسن نظره أنه كان لا يبلغه أنّ بيتًا خرب وجَلاَ أهلُه عنه إلاّ عاقب صاحب القرية التى فيها ذلك البيت على تركِه انتعاشهم وسدّ فاقتهم حتى لا يضطروا إلى الجلاء عن أوطانهم ، وبنى بالسّواد مدينة سمّاها بلا شاواذ ، وهى مدينة ساباط التى بقرب المدائن .

وكان ملكه أربع سنين .

١/٨٨٣

* * *

[ذكر ملك قباذ بن فيروز]

ثم ملك قباذ بن فيروز بن يَزْدَجِرد بن بهرامَ جور ، وكان قباذُ قبل أن يصير المُلْك إليه قد سار إلى خاقان مستنصرًا به على أخيه بَلاش ، فمرّ فى طريقه بحدود

(١) س : « غير هشام » .
(٢) س : « فغلبه » .

نَيْسابور ، ومعه جماعة يسيرة ممّن شايعه على الشخوص متنكّرين ، وفيهم زَرْمِهْر بن سوخرا ، فتاقتْ نفسُ قباذ إلى الجماع ، فشكا ذلك إلى زَرْمِهْر، وسأله أن يلتمسَ له امرأة ذاتَ حَسَب ، ففعل ذلك، وصار إلى امرأة صاحبِ منزله ، وكان رجلا من الأساورة ، وكانت له ابنة بِكْر فائقة فى الجمال ، فتنصَّح لها فى ابنتها ، وأشار[1] عليها أن تبعثَ بها إلى قُباذ ، فأعلمتْ ذلك زوجَها ؛ ولم يزل زَرْمِهْر يُرغِّبُ المرأةَ وزوجَها ؛ ويشير عليهما بما يرغّبهما فيه حتى فَعَلا ، وصارت الابنةُ إلى قباذَ ، واسمُها نيونَنْدُخْت[2] ، فغشيَها قباذ فى تلك الليلة ، فحملَت بأنو شِرْوانَ ، فأمر لها بجائزة حسنة ، وحباها حِباءً جزيلاً .

١/٨٨٤

وقيل : إنّ أمَّ تلك الجارية سألتْها عن هيئةِ قُباذ وحالِه، فأعلمتْها أنّها لاتعرفُ من ذلك غير أنهّا رأتْ سراويله منسوجًا بالذهب ، فعلِمتْ أمُّها أنه من أبناء الملوك وسرَّها ذلك . ومضى قُباذ إلى خاقان ، فلما وصل إليه أعلمه أنه ابنُ ملكِ فارسَ ، وأن أخاه ضادَّه فى المُلك وغلبه ، وأنه أتاه يستنصره فوعَده أحسنَ العِدَةِ ، ومكث قُباذ عند خاقانَ أربعَ سنين يدافعه بما وعده . فلمّا طال الأمرُ على قُباذَ أرسل إلى امرأةِ خاقانَ يسألُها أن تتّخذه ولداً، وأن تُكلِّم فيه زوجَها ، وتسأله إنجاز عِدَتِه ففعلت، ولم تزل تحمِلُ على خاقانَ حتى وَجَّه مع قُباذ جيشًا ، فلمّا انصرف قباذ بذلك الجيشِ ؛ وصارَ فى ناحية نيسابور سألَ الرَّجلَ الذى كان أتاه بالجارية عن أمرها ، فاستخبر ذلك من أمّها ، فأخبرته أنها قَدْ ولدتْ غلامًا ، فأمر قُباذ أنْ يُؤتَى بها ، فأتته ومعها أنو شروانُ تقوده بيدها . فلما دخلت عليه سألها عن قصّة الغلام ، فأخبرتْه أنه ابنُه ، وإذا هو قد نَزَع إليه فى صورته وجماله .

ويقال : إنّ الخبر ورد عليه فى ذلك الموضع بهلاك بَلاش ، فتيمّن بالمولود ، وأمر بحمله وحَمْلِ أمّه على مراكبِ نساءِ الملوك ، فلما صار إلى المدائن[3] ،

---

(١) ت : « وسألها » .

(٢) ت : « بيوبذخت » ، س : « بيوندخت » .

(٣) س : « بالمدائن » .

١/٨٨٥ واستوثق له أمرُ المُلْكِ خصَّ سوخرا، وفوّض إليه أمرَه ، وشكرَ له ما كان من خدمة ابنه إيّاه، ووجّه الجنودَ إلى الأطراف، ففتكوا فى الأعداء ، وسبَوْا سبايا كثيرةً ، وبنى بين الأهواز وفارس مدينةَ الرّجان ، وبنى أيضًا مدينةَ حُلوانَ ، وبنى بكورة أردشير خرّة فى ناحية كارَزين[1] مدينة يقال لها قباذ خرّة، وذلك سوى مدائنَ وقرًى أنشأها ، وسوًى أنهار احتفرها ، وجسورٍ عقدها . فلما مضت أكثرُ أيامه ، وتولى سوخرا تدبيرَ مُلكه وسياسةَ أموره مال الناس عليه، وعاملوه واستخفّوا بقُباذ، وتهاونوا بأمره، فلما احْتنَكَ لم يحتملْ ذلك ، ولم يرضَ به، وكتب إلى سابورَ الرازيّ — الذى يقال للبيت الذى هو منه مِهْران، وكان إصْبَهْبَذ البلاد — فى القدوم عليه فيمن قِبَله من الجند ، فقدِم سابور بهم عليه، فواصفه قباذ حالةَ سوخرا ، وأمره بأمْرِه فيه ، فغدا سابورُ على قباذ فوجد عنده سوخرا جالسًا ، فمشى نحوَ قباذ متجاوزاً له متغافلاً[2] لسوخرا ، فلم يأبَهْ سوخرا لذلك من أرب سابور، حتى ألقى وهَقاً[3] كان معه فى عنقه ، ثم اجتذبه فأخرجه فأوثقه واستودعه السِّجن، فحينئذ قيل: « نقصت ريحُ سوخرا وهبَّتْ لمِهْران ريحٌ[4] »، وذهب ذلك مثلا . وإنَّ قباذَ أمر بعد ذلك بقتل سوخرا فقُتِل، وإنه لمّا مضى لمُلْك قباذ عشرُ سنين اجتمعتْ كلمةُ مَوْبذان مَوْبذ والعظماء على إزالته عن ملكه ، فأزالوه عنه وحبسوه ، لمتابعته[5] لرجل يقال له مَزْدَك مع أصحاب له قالوا : إن الله إنما جعل الأرزاق فى الأرض

١/٨٨٦ ليقسّمها العبادُ بينهم بالتآسى ، ولكنَّ الناسَ تظالموا فيها ، وزعموا أنّهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ، ويردّون من المُكثِرين على المقلّين، وأنه منْ كان عنده فضلٌ من الأموالِ والنساء والأمتعة فليس هو بأولى به من غيره ، فافترَص السِّفلةُ ذلك واغتنموه ، وكانفوا[6] مزدك وأصحابه وشايعوهم ، فابتُلِىَ الناس بهم ، وقوِىَ أمرُهم حتى كانوا يدخلون على الرّجل فى دارِه فيغلبونه على منزلِه

---

(١) س : « كازرون » . ت : « كارون » .

(٢) س : « متغفلا » .

(٣) الوهق : الحبل فى طرفيه أنشوطة يطرح فى عنق الدابّة أو الإنسان حتى يؤخذ .

(٤) ت : « وهبت ريح بهرام » .   (٥) ت : « لمبايعته » .

(٦) المكانفة : المعاونة .

ونسائـِه وأمواله ، لا يستطيع الامتناعَ منهم ، وحملوا قُباذ على تزيين ذلك وتوعـّدوه بخلـْعه ،فلم يلبثوا إلاّ قليلا حتى صاروا لا يعرفُ الرجلُ منهم ولدَه ، ولا المولودُ أباه ،ولا يملك الرجلُ شيئـًا ممـّا يتـّسع به . وصيـَّروا قباذَ فى مكان لا يصل إليه أحد سواهم ، وجعلوا أخـًا له يـُقال له جاماسب مكانـَه ، وقالوا لقباذ : إنـّك قد أثـِمـْتَ فيما عمـِلت به فيما مضى ، وليس يطهـّرك من ذلك إلا إباحةُ نسائـِك ، وأرادوه على أن يدفعَ إليهم نفسـَه فيذبحوه ويجعلوه قـُرباناً للنـَّار ، فلما رأى ذلك زَرْمـِهـْر بن سوخرا خرج بمن شايعه من الأشراف باذلا نفسـَه ، فقـَتلَ من المـَزْدَكيـَّة ناسـًا كثيراً ، وأعاد قـُبـَاذ إلى مـُلـْكه ، وطرح أخاه جاماسب . ثم لم يزل المـَزْدَكـِيـَّة بعد ذلك إنما يـُحرِّشون قباذ على زَرْمـِهر حتى قتله ، ولم يزل قـُباذ من خيار ملوكهم حتى حمله مـَزْدك على ما حمله عليه ؛ فانتـَشرت (١) الأطرافُ وفسدت الثغور .

* * *

وذكر بعضُ أهلِ العلم بأخبار الفـُرس أنَّ العظماءَ من الفرس هم حبسوا قباذ حين اتـَّبع مزدكَ وشايعه على ما دعاه اليه من أمرِه ، وملـّكوا مكانه أخاه جاماسب بنَ فيروز ، وأن أختـًا لقـُباذ أتـَت الحبسَ الذى كان فيه قـُباذُ محبوسـًا ، فحاولت الدخولَ عليه(٢) ، فمنعها إياه الرجلُ الموكـَّل كان بالحبس ومـَنْ فيه ، وطمع الرجل أن يفضـَحـَها بذلك السبب ، وألقى إليها طمعـَه فيها ، فأخبرتـْه أنها غيرُ مخالـِفتـِه فى شىء مما يـَهوَى منها ، فأذِن لها فدخلـَت السجنَ فأقامت عند قباذَ يومـًا ، وأمرت فـَلـُفَّ قباذُ فى بساط من البـُسـُط التى كانت معه فى الحبس ، وحـُمـِلَ على غلام من غلـِمـْانه قوىٍّ ضابط ، وأخـرِجَ من الحبس . فلما مـَرَّ الغلامُ بوالى الحبسِ سأله عمـّا كان حاملـَه فأفـْحـِم ، واتـَّبعته أختُ قباذ فأخبرته أنه فـِراشٌ كانت افترشته فى عـِراكها ، وأنـَّها إنما خرجت لتـَتـَطـَهـَّر وتنصرفَ ؛ فصدَّقـَها الرجلُ ولم يمسَّ البساطَ ، ولم يـَدْنُ منه استقذاراً له ، وخلـَّى عن الغلام الحامل لقباذ، فمضى بقباذَ ومضتْ على أثره . وهرَب قباذُ فلحـِق بأرض الهياطـِلة لـِيستمدَّ ملـِكـَهـَا ويستجيشـَه فيـُحاربَ

١ / ٨٨٧

(١) انتشرت الأطراف ، أى تفرق أمر الناس فيها . (٢) س : « إليه » .

من خالفه وخلعه . وأنه نزل فى مبدئه[١] إليها بأبرشهر رجل من عظماء أهلها، له ابنةٌ مُعْصِر[٢] ، وأنّ نِكاحَه أمّ كسرى أنو شروان كان فى سفره[٣] هذا ، وأنّ قباذَ رجع من سفره ذلك معه ابنُه أنوشِروانُ وأمّه ، فغَلَبَ أخاه جاماسب على مُلْكِه بعد أن مَلَكَ أخوه جاماسب ستّ سنين ، وأنّ قباذ غزا بعد ذلك بلادَ الروم ، وافتتَحَ منها مدينةً من مُدُن الجزيرة تُدْعَى آمِد ، وسَبَى أهلَها ، وأمر فبُنِيَتْ فى حدّ ما بين فارسَ وأرض الأهواز مدينة، وسمّاها رامقباذ[٤] ،وهى التى تُسمّى بو مقباذ[٥] ،وتُدْعى أيضًا أرّجان وكوّر كورة ، وجَعل لها رساتيق من كورة سرّق، كورة رام هُرْمز ، ومَلَّك قباذُ ابنَه كسرى ، وكتب له بذلك كتابًا وختمه بخاتمه . ١/٨٨٨

فلما هلك قباذُ ــ وكان مُلْكهُ بسنى[٦] مُلْكِ أخيه جاماسب : ثلاثًا وأربعين سنة ــ فنفّذ كسرى ما أمر به قباذ من ذلك .

---

(١) الأصول : « مبداه » .
(٢) المعصر : البنت التى بلغت شبابها ، وفى س : « محصن » .
(٣) ت : « سيره » .
(٤) ط : « رام قباذ » ، وما أثبته من تصحيحات ط ص ٥٩١ .
(٥) ط : « برمقباذ » ، وانظر تصويبات ط .
(٦) ت : « كسنى » .

ذكر ما كان من الحوادث التى كانت بين العرب فى أيام قُباذ فى مملكته وبين عمّاله

وحُدِّثتُ عن هشامِ بن محمد، قال: لمّا لقى الحارثُ بن عَمرو بن حُجْر ابن عدىّ الكِندىُّ النعمانَ بنَ المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة قتَله، وأفلتَه المنذرُ بنُ النعمانِ الأكبرِ، وملكَ الحارثُ بن عمرو الكندىُّ ما كان يملِك، بعث قُباذُ بن فيروز ملكُ فارس إلى الحارثِ بن عمرو الكندىّ: إنّه قد كان بيننا وبين الملك الذى قد كان قبْلك عهدٌ، وإنى أحِبّ أن ألقاك.

وكان قُباذُ زنديقًا يُظهِرُ الخيرَ ويكْره الدّماء، ويدارى أعداءه فيما يكرَه من سفك الدماء، وكثُرتِ الأهواءُ فى زمانه، واستضعفه الناسُ، فخرج إليه الحارثُ بنُ عمرو الكندىّ فى عَددٍ وعُدَّة حتى التقَوْا بقنطرة الفَيُّوم، فأمر قُباذ بطبَق من تمر فنُزِع نواه، وأمر بطبق فجُعِل فيه تمر فيه نواه، ثم وُضِعا بين أيديهما، فجعل الذى فيه النّوى يلى الحارثَ بنَ عمرٍو، والذى لا نوى فيه يلى قُباذ. فجعل الحارثُ يأكل التّمرَ ويُلْقى النّوى، وجعل قباذ يأكلُ ما يليه، وقال للحارث: مالك لا تأكلُ مثل[3] ما آكل! فقال: [له الحارث][4] إنما يأكلُ النوى إبلُنا وغنمُنا. وعلم أنّ قباذ يهزأ به، ثم اصطلحا على أن يُوردَ الحارثُ بنُ عمرو ومَنْ أحَبَّ من أصحابه خيولَهم الفراتَ إلى ألبابها[5]، ولا يجاوزوا أكثرَ من ذلك. فلما رأى الحارثُ ما عليه قباذُ من الضّعف طمِع فى السّواد، فأمر أصحابَ مسالحه أن يقطعوا الفراتَ فيُغيروا فى السواد، فأتى قباذَ الصريخُ وهو بالمدائن فقال: هذا من تحت كنَف مُلْكِهم. ثم أرسل إلى الحارثِ بن عمرو أنّ لصوصًا من لصوص

١/ ٨٨٩

---

(١) ط: «ما ذكر»، وما أثبته عن ت.

(٢) ت: «من».

(٣) ت: «كما آكل».

(٤) تكملة من ت.

(٥) الألباب: جمع لبب، وهو المنحر.

العربِ قد أغاروا ، وأنَّه يحبُّ لقاءه . فلقيَه ، فقال له قُباذ : لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد قبلَك ، فقال له الحارثُ : ما فعلتُ ولا شعرتُ ، ولكنها لصوصٌ من لصوص العرب ، ولا أستطيع ضبطَ العرب إلاّ بالمال والجنود ، قال له قباذ : فما الذى تريد ؟ قال : أريدُ أن تُطْعِمَنى من السَّواد ما أتَّخذُ به سِلاحًا ، فأمرَ له بما يلى جانبَ العرب من أسفلِ الفرات ، وهى ستَّةُ طساسيج[1] ، فأرسل الحارثُ بنُ عمرو الكندىُّ إلى تُبَّعٍ وهو باليمن : إنّى قد طمِعت فى مَلِكِ الأعاجم ، وقد أخذتُ منه ستةَ طساسيجَ ، فاجْمع الجنودَ وأقبل فإنه ليس دون مَلِكهم شىءٌ لأن الملكَ [عليهم][2] لا يأكلُ اللحمَ ، ولا يستحلُّ هراقة الدِّماء لأنه زنديق . فجمع تُبَّعٌ الجنودَ ، وسار حتى نزل الحيرةَ وقرُبَ من الفُرات ، فآذاه البقُّ ، فأمر الحارث بن عمرو أن يَشُقَّ له نهراً إلى النَّجف ففعل ، وهو نهرُ الحيرة . فنزل عليه ووجَّه ابنَ أخيه شَمِراً ذا الجناح إلى قباذ ، فقاتله فهزمه شمرٌ حتى لحق بالرىّ ، ثم أدركه بها فقتله ، وأمضى تبَّعٌ شمِراً ذا الجناح إلى خُرَاسانَ ، ووجَّه تبَّع ابنَه حسان إلى الصُّغْد ، وقال : أيُّكما سبقَ إلى الصين فهو عليها . وكان كلٌّ واحد منهما فى جيشٍ عظيم ؛ يقال : كانا فى ستّمائة ألفٍ وأربعين ألفًا . وبعث ابن أخيه يعفُر إلى الرُّوم ، وهو الذى يقول :

١/٨٩٠

أيا صاحِ عُجْبُكَ للداهيَهْ ... لحِمْيَرَ إذْ نزلوا الجابيَهْ !

ثمانون ألفاً رَواياهمُو ... لِكلٍّ ثمانيـــةٌ راويَهْ

فسار يعفُر حتى أتى القسطنطينيّة ، فأعطَوْه الطاعةَ والإتاوة ، ثم مضى إلى روميَةَ[3] وبينهما مسيرةُ أربعةِ أشهر ، فحاصرها وأصاب مَنْ معه جوعٌ ، ووقع فيهم طاعونٌ فرَقّوا ، فأبصرهم الرومُ وما لَقُوا ، فوثبوا عليهم فقتلوهم ، فلم يُفْلِتْ منهم أحدٌ . وسار شمِرٌ ذو الجناح حتى أتى سَمَرْقَنْد ، فحاصرها

---

(١) طساسيج : جمع طسوج ؛ وهو الناحية .

(٢) تكملة من ت .

(٣) ت « الرميه » .

فلم يَظْفَرْ بشيء منها . فلمّا رأى ذلك أطاف بالحرَس ، حتى أخذ رجلا من أهلها ؛ فسأله عن المدينة ومَلِكها ، فقال له : أمّا ملِكُها فأحمقُ الناسِ ، ليس له همّ إلا الشرابُ والأكلُ ، وله ابنة وهى التى تقضِى أمرَ الناس . فبعث معه بهديّة إليها ، فقال له : أخبرْها أنّى إنما جئتُ من أرض العربِ للذى بلغنِى من عَقْلِها لتُنْكِحَنى نفسَها ؛ فأصيبَ منها غلامًا يملكُ العجمَ والعرب ، وأنى لم أجئْ ألتمس المالَ ، وأنّ معى أربعةَ آلاف تابوت من ذهب وفضة هاهنا ، فأنا أدفعُها إليها ، وأمضى إلى الصين ، فإن كانت الأرض لى كانت امرأتى ، وإن هلَكتُ كان ذلك المالُ لها . فلما أنهيت (١) إليها رسالته قالت : قد أجبتُه فلْيبعثْ بما ذكر ، فأرسل إليها أربعةَ آلاف تابوت ، فى كلّ تابوت رجلان ، فكان لسمرْقَنْد أربعةُ أبواب على كل باب منها أربعةُ آلاف رجل ، وجعل العلامةَ بينه وبينهم أنْ يضربَ لهم بالجُلجُل . وتقدّمَ فى ذلك إلى رُسُله الذين وَجَّه معهم ، فلما صاروا فى المدينة ضربَ لهم بالجلجل فخرجوا ، فأخذوا بالأبوابِ ، ونهد شمِر فى الناس ؛ فدخل المدينة فقتلَ أهلَها وحوَى ما فيها . ثم سار إلى الصين ، فلقى زحوفَ الترك فهزَمهم ، ومضى إلى الصّين فوجد حسّانَ بن تُبّع قد كان سبقه إليها بثلاث سنين ، فأقاما بها — فيما ذكَر بعضُ الناس — حتى ماتا . وكان مُقامُهما إحدى وعشرين سنة .

٨٩١/١

قال : وقال مَنْ زعم أنهما أقاما بالصين حتى هلكا : إن تُبّعًا جعل النار فيما بينه وبينهم ، فكان إذا حدثَ حدَثٌ أوقدوا النارَ بالليل ، فأتى الخبر فى ليلة ، وجعل آيةَ ما بينه وبينهم أنْ إذا أوقدتُ نارينْ مِنْ عندى فهو هلاكُ يعفُر ، وإن أوقدتُ ثلاثًا فهو هلاك تُبّع ، وإن كانت مِنْ عندهم نارٌ فهو هلاك حسّان ، وإن كانت نارين فهو هلاكهما . فمكثوا بذلك .

ثم إنه أوقد نارين فكان هلاكُ يعفُر ، ثم أوقد ثلاثًا فكان هلاكُ تبّع

قال : وأما الحديثُ المجتمعُ عليه فإنّ شَمِرًا وحسانَ انصرفا فى الطريق الذى كانا أخذا فيه حيث بدآ ، حتى قدِما على تُبّع بما حازا من الأموال بالصين ، وصنوف

٨٩٢/١

(١) ت « انتهت » .

الجوهر[١] والطِّيب والسَّبي ، ثم انصرفوا جميعًا إلى بلادهم ، وسار[٢] تُبَّع حتى قدِم مكّةَ ، فنزل بالشِّعب من المطابخ[٣] ، وكانت وفاةُ تُبَّع باليمن ، فلم يخرج أحدٌ من ملوكِ اليمن بعدهُ عنها غازيًا إلى شيء من البلاد ، وكان مُلْكه مائةً وإحدى وعشرين سنة .

قال : ويُقال إنه كان دخل فى دين اليهود للأحبار الذين كانوا خرجوا من يثربَ مع تُبَّع إلى مكّةَ عِدّةٌ كثيرة .

قال : ويقولون : إن عِلْم كعبِ الأحبارِ كان من بقية ما أورثَتْ تلك الأحبارُ ، وكان كعبُ الأحبار رجلاً من حميَر .

وأما ابنُ إسحاق فإنّه ذكر أنّ الذى سار إلى المشرِق من التبابعةِ تُبَّع الآخرُ ، وأنه تبّع تُبّان أسعد أبو كرب بن ملِيكيكرِب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار ، وهو أبو حسّان ، حدثنا بذلك ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عنه .

* * *

[ذكر ملك كسرى أنو شِرْوان]

ثم ملك كِسْرَى أنُو شِرْوان بن قُباذَ بن فيروزَ بن يَزْدَجِرْد بن بَهْرام جور . فلما ملَك كتب إلى أربعة فاذوسبانين – كان كلٌّ واحدٍ منهم على ناحية من نواحى بلاد فارس ومَنْ قِبلَهم – كُتُبًا نُسخةُ كتابه منها إلى فاذوسبان أذرَبيجان : بسم الله الرحمن الرحيم : من الملك كسرى بن قُباذ إلى وارى ابن النّخيرجان فاذوسبان أذرَبيجان وأرمينيةَ وحيِّزِها ، ودُنباوَنْد وطبَرِسْتان وحيِّزها ، ومَنْ قِبلَه : سلام ، فإنّ أحرَى ما استوحشَ له الناسُ فَقْدُ مَن تخوّفوا فى فَقْدِهم إيّاه زوالَ النّعيم ووقوعَ الفِتَنِ ، وحلولَ المكاره بالأفضلِ فالأفضلِ منهم ، فى نفسِه أو حشمِه أو مالِه أو كريمِه ، وإنّا لا نعلم

١/٨٩٣

---

(١) س : « الجواهر » .

(٢) ت : « ثم سار » .

(٣) المطابخ ؛ موضع بمكة ، ذكره ياقوت ؛ وقال : « مذكور فى قصة تبع » .

وَحشةً ولا فقدَ شيء أجلَّ رزيئةً عند العامّة ، ولا أحرى أن تعمَّ به البليّةُ من فقد ملكٍ صالح .

وإنّ كِسرى لما استحكم له المُلْك أبطلَ ملّة رجلٍ منافقٍ من أهل فَسا يقال له : « زرادُشت [١] بن خُرّكان » ابتدعَها فى المجوسيّة ، فتابعه الناسُ على بدعته تلك ، وفاق أمرُه فيها ، وكان ممّن دعا العامةَ إليها رجلٌ من أهل مذرية [٢] يُقالُ له : « مزدق بن بامداذ [٣] » ، وكان مِمّا أمرَ به الناسَ وزيّنه لهم وحثّهم عليه ، التآسى فى أموالهم وأهليهم ، وذَكَر أن ذلك من البِرّ الذى يَرْضاه الله ويُثيبُ عليه أحسنَ الثّوابَ ، وأنّه لو لم يكن الذى أمرهم به ، وحثّهم عليه من الدّين كان مَكْرُمةً فى الفَعال ، ورِضًا فى التفاوض . فحضّ بذلك السِّفْلَةَ على العِلْية ، واختلطَ له أجناسُ اللؤماء بعناصرِ الكُرَماءِ ، وسهّل السبيل [٤] للغصَبَة إلى الغصب ، وللظَّلَمَةِ إلى الظُّلم ، وللعُهّارِ إلى قضاء نَهْمَتهم ، والوصولِ إلى الكرائم اللّائى لم يكونوا يطمعون فيهنّ ، وشمِل الناسَ بلاءٌ عظيمٌ لم يكن لهم عهدٌ بمثله . فنهى الناسُ كسرى عن السِّيرة بشىءٍ مما ابتدع زراذشْتُ [٥] خُرّكان ، ومزدقُ بن بامداذ [٦] ، وأبطلَ بدعتهما ، وقتَلَ بشراً كثيراً ثبتُوا عليها ، ولم ينتهُوا عمّا نَهاهم عنه منها ، وقومًا من المنانيّة ، [٧] وثَبّتَ للمجوس ملّتهم التى لم يزالوا عليها .

١ / ٨٩٤

وكان يلى الإصْبَهْبَذة — وهى الرياسةُ على الجنود — قَبْلَ مُلْكه رجلٌ ، وكان إليه إصْبهبَذة البلادِ ، ففرّق كسرى هذه الولايةَ والمرتبة بينَ أربعة إصْبَهذين ، منهم أصبَهذ المشرق وهو خراسانُ وما والاها ، وأصبَهذ المغرب ، وأصبَهذ نيمروز ؛ وهى بلادُ اليمنِ ، وأصبَهذ أذْرَبيجان وما والاها ، وهى

---

(١) س : « رزدشت » .
(٢) ت : « مدرية » .
(٣) ت : « بامارد » .
(٤) س : « السبل » .
(٥) س : « زردشت » .
(٦) ت : « بامازد » .
(٧) تجارب الأمم ١ : ١٧٧ : « المانوية » .

بلادُ الخزر ، [وما والاها] [١] ؛ لما رأى فى ذلك من النظام لملكه، وقوّى المقاتلةَ بالأسلحة والكُراع ، وارتجع بلاداً كانت من مملكة فارسَ ، خرج بعضُها من يد الملك قُبَاذ إلى ملوك الأمم لعلل شتّى وأسباب ، منها السِّند ، وبُسْت، والرُّخَّج ، وزابُلستان ،وطخارستان، ودَرْدِستان ، وكابُلستان ، وأعظَمَ القتلَ فى أمّة يقالُ لها البارز، [٢] وأجْلى بقيّتهم عن بلادِهم ، وأسكنهم مواضعَ من بلاد مملكته ، وأذعنُوا له بالعبوديّة ، واستعانَ بهم فى حروبه ، وأمر فأسِرَتْ أمّةٌ أخرى ، يقال لها صُول ، وقُدِمَ بهم عليه ، وأمر بهم فقُتِلوا ، ما خلا ثمانينَ رجلا من كُماتِهم استحياهم ، وأمرَ بإنزالهم شهرام فيروز ، يستعينُ بهم فى حروبه .

١/٨٩٥

وإن أمّةً يقال لها أبخز ، وأمةً يقال لها بنجر، وأمة يقال لها بلنجر ، وأمّةً يقال لها ألآن، تمالئُوا على غَزْو بلاده ، وأقبلوا إلى أرمينيَةَ ليُغيروا على أهلها ، وكان مَسْلَكُهم إليها يومئذ سهلاً مُمْكِناً ، فأغضى كسرى على ما كان منهم ، حتى إذا تمكّنوا فى بلاده وجّه إليهم جنوداً، فقاتلوهم واصْطَلموهم ما خلا عَشْرةَ آلاف رجلٍ منهم أسِروا ، فأسْكِنوا أذْرَبيجان وما والاها ، وكان الملكُ فيروزُ بنى فى ناحيةِ صول وألآن بناءً بصخْرٍ أراده [٣] أن يحصِّن بلادَه عن تناولِ تلك الأممِ إيّاها ، وأحدثَ الملكُ قباذُ بن فيروز من بَعْدِ أبيه فى تلك المواطِن بناءً كثيراً ، حتى إذا ملك كسرى أمرَ فبُنِيتْ فى ناحية صول بصخرٍ منحوتٍ فى ناحية جرجانَ مدنٌ وحصونٌ وآكامٌ وبنيانٌ كثيرٌ ، ليكونَ حِرْزاً لأهلِ بلادِه يلجئون إليها من عدوٍّ إن دَهمهم .

وإنّ سِنْجِبُوا خاقان كانَ أمنعَ الترك وأشجعهم ، وأعزّهم وأكثرَهم جنوداً ، وهو الذى قاتلَ وزر [٤] مَلِكَ الهياطِلة غيرَ خائف كثرةَ الهياطلة ومَنَعتَهم ، فقتلَ وزرَ مَلِكها وعامةَ جنوده ، وغنِم أموالهم ، واحتوى على

---

(١) تكلة من ت .

(٢) الأصول : « البازر » .

(٣) ت : « أراد » .

(٤) ت : « دوز » .

بلادِهم إلاَّ ما كان كسرى غلب عليه منها ، وإنه استمال أبخز ، وبنجر ، وبلنجر ؛ فمنحوه طاعتَهم وأعلموه أنّ ملوكَ فارس لم يزالوا يتّقونهم بفداء يكفُّونهم[1] به عن غزو بلادهم ، وإنّه أقبل فى مائةِ ألف وعَشْرةِ آلافِ مقاتل حتى شارفَ ما والى بلادَ صُولَ ؛ وأرسلَ إلى كسرى فى توعُّدٍ منه إياه واستطالة عليه ، أن يَبْعثَ إليه بأموالٍ ، وإلى أبخز وبنجر وبلَنْجر بالفداء الذى كانوا يعطونه إيّاه قَبْلَ مُلْكِ كسرى ، وأنّه إنْ لم يُعجِّلْ بالبَعْثة إليه بما سأل وطِئَ بلاده وناجزَه . فلم يحفِل كسرى بوعيده ، ولم يُجِبْه إلى شىء مما سأله لتحصينه كان ناحيةَ باب[2] صول ، ومناعةِ السُّبلِ والفِجاج التى كان سِنْجِبُوا خاقان سالكَها إياه ، ولمعرفته كانت بمقدرته على ضَبْطِ ثغرِ أرمينيَة بخمسة آلاف مقاتلٍ من الفُرسان والرَّجّالة .

٨٩٦/١

فبلغ سنجبوا خاقان تحصينُ كسرى ثغر صول ، فانصرف بمَنْ كان معه إلى بلاده خائبًا ، ولم يقدِرْ مَنْ كان بإزاء جرجان من العَدُوِّ — للحصون التى كان أمر كسرى فبُنِيتْ حوالَيْها — أن يشنُّوها بغارة ، ويغْلِبوا عليها ، وكان كِسْرى أنوشِروان قد عرف الناسُ منه فَضْلاً فى رأيه وعلمه وعقله ، وبأسه وحزمه ، مع رأفته ورحمته بهم ، فلما عُقِد التّاجُ على رأسه دخل إليه العظماءُ والأشرافُ فاجتهدوا فى الدعاءِ له ، فلما قَضَوْا مَقالتَهم ، قام خطيبًا ، فبدأ بذكر نِعَم الله على خَلْقِه عندَ خَلْقِه إياهم ، وتوكُّلِه بتدبيرِ أمورِهم ، وتقدير الأقوات والمعايشِ لهم ، ولم يَدَعْ شيئًا إلاّ ذكره فى خطبته ، ثم أعلم الناسَ ما ابتُلُوا به من ضَياع أمورِهم ، وامّحاء دينهِم ، وفساد حالهم فى أولادهم ومعاشِهم ، وأعلمَهُم أنه ناظرٌ فيما يُصْلِح ذلك ويَحْسِمُه ، وحثَّ الناسَ على معاونته .

٨٩٧/١

ثم أمر برءوس المزدكيّة فضُرِبتْ أعناقهم ، وقُسِّمت أموالهم فى أهل الحاجة ، وقَتلَ جماعةً كثيرةً ممّن كان دخل على الناس فى أموالهم ، وردّ الأموالَ إلى أهلها ، وأمر بكلّ مولودٍ اختُلِف فيه عنده أن يُلْحقَ بمن هو منهم ؛ إذا لم

(١) س : « ويكفونهم » .

(٢) س : « بلاد » .

يُعرفْ أبوُه ، وأنْ يُعطَى نصيباً من مال الرجل الذى يُسندُ إليه إذا قبله الرجلُ ، وبكلّ امرأة غُلبتْ على نفسها أن يُؤخذَ الغالبُ لها حتى يغرمَ لها مهرَهَا ، وبرضَى أهلها . ثم تُخيَّر المرأة بين الإقامة عنده ، وبين تزويج من غيره ؛ إلاّ أن يكون كان لها زوج أوّل ، فتُرَدّ إليه . وأمر بكلّ من كان أضرّ برجل فى ماله أو ركب أحداً بمظلمة أن يُؤخذ منه الحقّ ثم يعاقب الظالم بعد ذلك بقدر جُرْمه . وأمر بعيال ذوى الأحساب الذين مات قيّمهم فكُتبوا له ، فأنكح بناتهم الأكفاء ، وجعل جهازهم من بيت المال ، وأنكح شبانهم من بيوتات الأشراف وساق عنهم ، وأغناهم ، وأمرهم بملازمة بابه ليستعان بهم فى أعماله ، وخيّر نساء والده بين أن يُقِمْن مع نسائه فيواسَيْن ويَصرْن فى الأجر إلى أمثالهنّ ، أو يبتغى لهنّ أكفاءهنّ من البعولة . وأمر بكَرْى الأنهار ، وحفر القُنىّ وإسلاف[1] أصحاب العمارات وتقويتهم ؛ وأمر بإعادة كلّ جسْر قطع أو قنطرة كسرت ، أوَ قرية خربت أن يردّ ذلك إلى أحسن ما كان عليه من الصلاح ، وتفقّد الأساورة ، فمن لم يكن له منهم يَسار قوّاه بالدوابّ والعدّة ، وأجرى لهم ما يُقوِّيهم ووكّل ببيوت النيران ، وسهّل سبل الناس ، وبنى فى الطرق القصور والحصون ، وتخيّر الحكام والعمّال والولاة ، وتقدّم إلى مَنْ ولِىَ منهم أبلغ التقدّم ، وعمد إلى سِيَر أردشير وكتبه وقضاياه ، فاقتدى بها وحَمَل الناس عليها ، فلما استوثق له المُلْك ، ودانت له البلاد سار نحو أنطاكيَةَ بعد سنين من مُلْكه ، وكان فيها عظماء جنود قَيْصر ، فافتتحها . ثم أمر أن تُصَوّر له مدينة أنطاكيَة على ذرعها وعدد منازلها وطرقها ، وجميع ما فيها ، وأن يبتنى له على صورتها مدينة إلى جَنْب المدائن ، فبنيت المدينة المعروفة بالروميّة على صورة أنطاكيَة ، ثم حمل أهل أنطاكيَة حتى أسكنهم إياها .

١/٨٩٨

فلما دخلوا باب المدينة مضى أهلُ كل بيت منهم إلى ما يشبه منازلهم التى كانوا فيها بأنطاكيَة ؛ كأنهم لم يخرجوا عنها .

ثم قصد لمدينة هرقل فافتتحها ، ثم الإسكندرية ومادونها ، وخلّف طائفة من

---

(١) إسلافهم : إقراضهم .

جنوده بأرض الروم ، بعد أن أذعن له[١] قَيْصر وحمل إليه الفدية ، ثمّ انصرف من الروم ، فأخذ نحو الخَزر فأدرك فيهم تَبْلَه ، وما كانوا وتروه به فى رعيّته . ثم انصرف نحو عَدَن ، فسَكّر ناحية من البحر هناك بين جبلين مما يلى أرض الحبشة بالسفن العظام والصخور وعمد الحديد والسلاسل . وقتل عظماء تلك البلاد .

ثم انصرف إلى المدائن ؛ وقد استقام له مادون هرقلة من بلادالروم وأرمينيَة ، وما بينه وبين البحرين من ناحية عَدَن .

١ / ٨٩٩

وملّك المنذر بن النعمان على العرب وأكرمه ، ثم أقام فى ملكه بالمدائن ، وتعاهد ما كان يحتاج إلى تعاهده . ثم سار بعد ذلك إلى الهياطلة مطالبًا بوَتْر فيروز جدّه — وقد كان أنوشروان صاهر خاقان قبل ذلك — فكتب إليه قبل شخوصه يُعلمه ما عزم عليه ، ويأمره بالمسير إلى الهياطلة . فأتاهم ، فقتل ملكهم، واستأصل أهل بيته وتجاوزَ بلْخ وما وراءها ، وأنزل جنوده فَرْغانة .

ثم انصرف من خُراسان ، فلما صار بالمدائن وافاه قوم يستنصرونه على الحبشة ، فبعث معهم قائداً من قواده فى جند من أهل الدّيْلم وما يليها ، فقتلوا مسروقًا الحبشِيّ باليمن ، وأقاموا بها .

ولم يزل مظفَّراً منصوراً تهابه جميعُ الأمم ، ويحضر بابه من وفودهم عدد كثير من الترك والصين والخَزر ونظرائهم ، وكان مكرِمًا للعلماء .

* * *

وملك ثمانيا وأربعين سنة ، وكان مولد النبى صلّى الله عليه وسلّم فى آخر ملك أنوشروان .

قال هشام : وكان ملك أنوشروان سبعًا وأربعين سنة . قال : وفى زمانه ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فى سنة اثنتين وأربعين من سُلْطانه .

---

(١) ت : « إليه » .

قال هشام : لما قوىَ شأن أنوشِروْان بعث إلى المنذر بن النعمان الأكبر — وأمّه ماء السماء امرأة من النَّمِر[١] — فملّكه الحيرة وما كان يلى آلُ الحارث بن عمرو ، آكل المُرار . فلم يزل على ذلك حتّى هلك .

١/٩٠٠

قال : وأنوشرْوان غزا بُرْجان ، ثم رجع فبنى الباب والأبواب .

وقال هشام : ملك العربَ من قِبَل ملوك الفرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان — وأمّه هِرّ ابنة النعمان — سبعَ سنين .

ثم ملَك بعده النعمان بن الأسود بن المنذر — وأمّه أم الملك ابنةَ عمرو بن حُجْر أخت الحارث بن عمرو الكِندىّ — أربع سنين .

ثم استخلف أبو يعفُر بن علقمة بن مالك بن عدىّ بن الذميل بن ثور ابن أسَس بن ربى[٢] بن نُمارة بن لَخمْ ، ثلاث سنين .

ثم ملك المنذر بن امرئ القيس البدء — وهو ذو القرنين ، قال : وإنما سمّى بذلك لضفيرتين[٣] كانتا له من شعره ، وأمّه ماء السماء ، وهى مارية ابنةُ عَوْف ابن جُشَم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضيحان ابن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النَّمِر بن قاسط ؛ فكان جميع مُلكه تسعا وأربعين سنة .

ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر — وأمه هند ابنة الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار — ست عشرة سنة .

قال : ولثمانى سنين وثمانية أشهر[٤] من مُلْك عمرو بن هند ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وذلك فى زمن أنوشِروان وعام الفيل الذى غزا فيه الأشرمُ أبو يكسوم البيت .

---

(١) س ، ر : « اليمن » .
(٢) س : « أربى » .
(٣) ط : « لضفرين كانا » ؛ وما أثبته من س ، ل .
(٤) س : « ستة أشهر » .

ذكر بقيّة خبر تُبّع أيام قُباذ وزمن أنوشروان وتوجيه الفرس الجيش إلى اليمن لقتال الحبشة وسبب توجيهه إياهم إليها

حدثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدثنى محمد بن إسحاق، قال: كان تُبّع الآخر وهو تُبّان أسعد أبو كَرِب حين أقبل من المشرق، جعل طريقه على المدينة، وقد كان حين مرّ بها فى بدءته لم يُهِج أهلها، وخلّف بين أظهرهم ابنًا له، فقتل غِيلة، فقدمها وهو مُجْمع لإخرابها، واستئصال أهلها وقَطْع نخلها؛ فجمع له هذا الحىّ من الأنصار حين سمعوا بذلك من أمره ليمتنعوا منه، ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلّة، أحد بنى النجّار، ثم أحد بنى عمرو بن مبذول؛ فخرجوا لقتاله. وكان تُبّع حين نزل بهم، قد قتل رجل منهم -من بنى عدىّ بن النجار يقال له أحمر- رجلا من أصحاب تُبّع، وجده فى عَذْق[1] له يجُدّه، فضربه بمِنْجله فقتله، وقال: إنما الثمرُ لمن أبَرَه[2]، ثم ألقاه حين قتله فى بئر من آبارهم معروفة يقال لها: ذات تومان. فزاد ذلك تُبّعًا عليهم حَنَقًا.

فبينا تُبّع على ذلك من حربه وحربهم يقاتلهم ويقاتلونه - قال: فتزعُمُ الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار، ويَقْرُونه بالليل فيُعجبه ذلك منهم؛ ويقول: والله إنّ قومَنا هؤلاء لكرام - إذ جاءه حَبْران من أحبار يهود من بنى قريظة، عالمان راسخان حين سمعا منه ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك لا تفعل؛ فإنّك إن أبيت إلّا ما تريد حِيلَ بينك وبينها، ولم نأمنْ عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولم ذاك؟ فقالا: هى مهاجَر نبىّ يخرج من هذا الحىّ من قريش فى آخر الزمان، تكون دارَه وقرارَه. فتناهَى عند ذلك من قولهما عمّا كان يريد بالمدينة، ورأى أنّ لهما علْمًا، وأعجبه ما سمع منهما. فانصرف عن المدينة، وخرج بهما معه إلى اليمن واتّبعهما على دينهما. وكان اسم الحَبْرَين كعباً وأسدا، وكانا من بنى قريظة، وكانا

١/٩٠٢

(١) العذق بالفتح: النخلة بما عليها من التمر، والجد هنا: القطع. (٢) أبره: أصلحه.

ابنىْ عم، وكانا أعلم أهل زمانهما كما ذكر لى ابن حميد، عن سلَمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن عمرو ؛ عن أبان بن أبى عيّاش، عن أنس بن مالك، عن أشياخ من قومه ممن أدرك الجاهلية؛ فقال شاعر من الأنصار وهو خال ابن عبد العُزّى بن غزيّة بن عمرو بن عَبْد بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النجّار، فى حربهم وحرب تُبّع، يفتخر بعمرو بن طَلّة ويذكر فضله وامتناعه :

أصحا أم انْتَهَى ذُكَرَهْ ... أَمْ قَضَى مِنْ لَذَّةٍ وَطَرَهْ(١)

أمْ تذَكَّرْتَ الشَّبَابَ وَمَا ... ذِكْرُكَ الشَّبَابَ أوْعُصُرَهْ!

إنَّها حَرْبٌ رِباعِيَةٌ ... مِثْلُهَا آتى الْفَتَى عِبَرَهْ(٢)

فَسَلَا عِمْرَانَ أَوْ فَسَلَا ... أَسْدَاً إذْ يَغْدُو مَعَ الزُّهَرَهْ(٣)

فيْلَقٌ فيهَا أبو كَرِبٍ ... سَابِغاً أَبْدَانُهَا ذَفِرَهْ(٤)

ثمَّ قالُوا مَنْ يؤمُّ بِهَا ... أَبَنِي عَوْفٍ أَمِ النَّجَرَهْ(٥)

يا بَنِى النَّجَّارِ إنّ لَنَا ... فيهمُ قَبْلَ الأوانِ تِرَهْ(٦)

فَتَلَقَّتْهُمْ عَشَنَّقَةٌ ... مَدُّهَا كَالْغَبْيَةِ النَّثِرَهْ(٧)

٩٠٣/١

---

(١) الخبر والشعر فى ابن هشام ١ : ٢٥ — على هامش الروض الأنف» . والذكر : جمع ذكرة بمعنى الذكرى ؛ كما تقول : بكرة وبكر.

(٢) قال السهيلي : « حرب رباعية مثل ؛ أى ليست بصغيرة ولا جذعة ؛ بل هى فوق ذلك » .

(٣) قوله : « يغدو مع الزهرة » يريد صبحهم بغلس قبل مغيب الزهرة .

(٤) أبدانها ذفرة ، يعنى الدروع ؛ والذفرة ، من الذفر ؛ وهو سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة وأما الدفر ، بالدال المهملة ؛ فإنما هو فيما كره من الروائح . (السهيلي) .

(٥) النجرة : جمع ناجر ؛ والناجر والنجار بمعنى واحد .

(٦) رواية ابن هشام :

* فيهمُ قَتْلَى وإنّ تِرَهْ *

قال السهيلي : « أظهر إن بعد الواو ؛ أراد أن لنا قتلى وترة ؛ . والوترة ؛ الوتر» .

(٧) فى ابن هشام :

* فتلقتهمْ مسايفة *

وقال السهيلي فى شرحه : « أى كتيبة مسايفة » . والغبية : الدفعة من المطر . والنثرة : المنتثرة ؛ وهى التى لا تمسك ماء والعشنقة : الطويلة من الإبل .

سَيِّدٌ سَامَى المُلُوكَ ومَنْ يَغزُ عَمْرًا لَا يَجِدْ قَدَرَه[١]

وقال رجل من الأنصار ، يذكر امتناعهم من تُبّع :

تُكلِّفُنِي مِنْ تَكَالِيفِهَا نَخِيلَ الأَسَاوِيفِ والمَنْصَعَهْ
نَخِيلاً حَمَتْهَا بَنُو مَالِكٍ خُيُولَ أَبِي كَرِبَ المُفْظِعَهْ

قال : وكانَ تُبّع وقومه أصحابَ أوثان يعبدونها، فوجّه إلى مكّة — وهى طريقه إلى اليمن — حتى إذا كان بالدُّفّ من جُمْدان بين عُسْفان وأمَج ، فى طريقه بين مكّة والمدينة ، أتاه نفر من هُذيل، فقالوا له: أيُّها الملِك ، ألاَ ندلّك على بيت مال داثر ، قد أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجَد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى. قالوا : بيت بمكّة يعبده أهله ، ويصلّون عندَه . وإنما يُريد الهُذليُّون بذلك هلاكَه لما قد عرفوا من هلاك مَنْ أراده من الملوك وبَغَى عنده .

١ / ٩٠٤

فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الحَبْرين ، فسألهما عن ذلك، فقالا له : ما أراد القومُ إلاّ هلاكك وهلاك جُنْدِك ؛ ولئن فعلت مادعوْك إليه لتهلِكنّ وليهلِكنّ مَنْ معك جميعًا، قال: فماذا تأمرانى أن أصنع إذا قدمت عليه ؟ قالا: تصنع عنده ما يصنع أهلُه، تطوف به وتعظّمه وتكرّمه ، وتحلِق عنده رأسك وتتذلّل له حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أمَا والله إنه لَبيت أبينا إبراهيم، وإنّه لَكما أخبرناك ؛ ولكنّ أهلَه حالوا بيننا وبينه بالأوثان التى نصبوا حوله، وبالدّماء التى يُهريقون عنده، وهم نجس أهل شِرْك . أو كما قالا له .

فعرف نصحَهما وصِدْق حديثهما، فقرّب النّفَر من هُذَيل ، فقطّع أيديَهم وأرجلهم . ثم مضى حتى قدم مكّة، وأُرِى فى المنام أن يكسوَ البيت،

---

(١) رواية ابن هشام :

سَيِّدٌ سَامَ المُلُوكَ ومَنْ رَامَ عَمْرًا لَا يَكُنْ قَدَرَهْ

قال السهيلى : قوله : « لا يكن قدره » دعاء عليه ؛ والهاء عائدة على عمرو ، أراد لا يكن قدر عليه.

فكساه الخَصَف[١] ثم أُرِىَ أن يكسوَه أحسن من ذلك، فكساه المَعَافر[٢]، ثم أُرِىَ أن يكسوَه أحسن من ذلك، فكساه المُلاء والوصائل[٣]؛ فكان تُبَّع — فيما يزعمون — أوّل مَنْ كساه وأوصى به ولاتَه من جُرْهم، وأمرهم بتطهيره، وألّا يقربوه دمًا ولا ميتة ولا مِثْلاثًا وهى المحائض[٤]، وجعل له بابًا ومفتاحًا، ثم خرج متوجّهًا إلى اليمن بمن معه من جنوده، وبالحَبْرين، حتى إذا دخل اليمن دعا قومَه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأبَوْا عليه حتى يحاكموه إلى النّار التى كانت باليمن.

حدّثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمَة، عن ابن إسحاق، عن أبى مالك بن ثعْلبة بن أبى مالك القُرَظىّ، قال: سمعتُ إبراهيم بن محمد بن طلحة ابن عبيد الله يحدّث أنّ تُبّعا لما دنا من اليمن ليدخلها، حالت حِمْير بينه وبين ذلك، وقالوا: لا تدخلْها علينا وقد فارقت دينَنا، فدعاهم إلى دينه، وقال: إنّه دينٌ خير من دينكم، قالوا: فحاكِمْنا إلى النار، قال: نعم — قال: وكانت باليمن فيما يزعمُ أهل اليمن نارٌ تحكم بينهم فيما يختلفون فيه، تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم — فلما قالوا ذلك لتُبّع قال: أنصفتم، فخرج قومُه بأوثانهم وما يتقرّبون به فى دينهم، وخرج الحَبْران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلّديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج النار منه، فخرجت النار إليهم، فلما أقبلت نحوهم حادُوا عنها وهابوها، فذمَرهم مَنْ حضرهم من الناس، وأمروهم بالصّبر فصبروا، حتى غشيتْهم وأكلت الأوثان وما قرّبوا معها، ومَنْ حمل ذلك من رجال حِمْير، وخرج الحَبْران بمصاحفهما فى

١/٩٠٥

(١) الخصف: جمع خصفة؛ وهى شىء ينسج من الخوص والليف.

(٢) المعافر: برود يمانية منسوبة إلى معافر؛ قبيلة باليمن؛ قال فى اللسان عن الأزهرى: «برد معافرىّ: منسوب إلى معافر اليمن؛ ثم صارا سماً لها من غير نسبة».

(٣) الوصائل: ثياب موصلة من ثياب اليمن؛ واحدتها وصيلة.

(٤) فى ط: «الحائض»، وصوابه من ابن هشام. قال السهيلى: وقوله: «ولا تقربوه بمثلات؛ وهى المحائض؛ ولم يرد الحيّض؛ لأن حائضاً لا يجمع على محائض؛ وإنما هى جمع محيضة. وهى خرقة المحيض. قال: «ويقال للخرقة مثلات..» ويروى: «مثلاث».

أعناقهما تعرَق جباههما، لم تضرّهما، فأصفقت حِمْير عند ذلك على دينه؛ فمن هناك وعن ذلك كان أصلُ اليهوديّة باليمن(١).

حدّثنا ابن حميد، قال: حدثنا سَلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أصحابه أنّ الحَبْرين ومَنْ خرج معهما من حِمْير؛ إنّما اتّبعوا النار ليردّوها، وقالوا: مَنْ ردّها فهو أوْلى بالحقّ، فدنا منها رجالٌ من حِمْير بأوثانهم ليردّوها، فدنت منهم لتأكلَهم، فحادوا عنها فلم يستطيعوا ردّها، ودنا منها الحَبْران بعد ذلك، وجَعلا يتلُوَان التوراة وتنكُص، حتى ردّاها إلى مخرجها الذى خرجت منه؛ فأصفقت عند ذلك حميَر على دينهما، وكان رئام بيتًا لهم يعظّمونه وينحرون عنده ويُكلَّمون منه إذْ كانوا على شِرْكهم، فقال الحَبْران لتبّع: إنما هو شيطان يَفْتِنهُم ويلعب بهم، فخلّ بيننا وبينه، قال: فشأنكما به؛ فاستخرجا منه — فيما يزعم أهل اليمن — كلبًا أسود، فذبحاه وهدما ذلك البيت؛ فبقاياه اليوم باليمن — كما ذكر لى — وهو رئام به آثار الدّماء التى كانت تُهراق عليه(٢). ١/٩٠٦

فقال تبّع فى مسيره ذلك وما كان همّ به من أمر المدينة وشأن البيت وما صنع برجال هذيل الذين قالوا له ما قالوا، وما صنع بالبيت حين قدم مكّة من كسوته وتطهيره، وما ذكر له الحبْران من أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

مَا بَالُ نَوْمِكَ مِثْلَ نَوْمِ الْأَرْمَدِ ... أَرِقًا كَأَنَّكَ لَا تَزَالُ تُسَهَّدُ

حنقًا على سِبْطَيْنِ حَلَّا يَثْرِبًا ... أَوْلَى لهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدِ!

ولَقَدْ نَزَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ مَنْزِلًا ... طَابَ الْمبيتُ به وَطَابَ المرْقَدُ

وَجَعلْتُ عَرْصَةَ مَنْزِلٍ بِرُباوةٍ ... بَيْنَ الْعَقِيقِ إلى بقِيعِ الْغَرْقَدِ

ولقدْ تَرَكْنَا لَابَهَا وَقَرَارَهَا ... وسِبَاخَهَا فُرِشَتْ بِقَاعٍ أَجْرَدِ ١/٩٠٧

ولقد هَبَطْنَا يَثْرِبًا وَصُدُورُنَا ... تَغْلِى بَلَابِلُهَا بِقَتْلِ مُحْصِدِ

(١) الخبر فى ابن هشام ١: ٢٧، والتيجان ٢٩٦. (٢) الخبر فى ابن هشام ١: ٢٨.

(٢) بيت رئام، زعموا أن شيطاناً كان فيه، وكانوا يملئون له حياضاً من دماء القربان، فيخرج فيصيب منها.

ولقدْ حَلفْتُ يمينَ صَبرٍ مُؤْلِياً قَسماً لعمْرُكَ ليْسَ بالمُترَدِّدِ
إنْ جِئْتُ يَثْربَ لَا أُغادرُ وَسْطَهَا عِذْقاً ولا بُسْرًا بيَثْربَ يَخْلُدُ
حتى أَتانِي منْ قُرَيْظَةَ عالِمٌ حَبْرٌ لَعَمْرُكَ فِي الْيهُودِ مُسَوَّدُ
قال ازْدَجِرْ عَنْ قَرْيَةٍ مَحْفُوظَةٍ لنبيٍّ مَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِ
فَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوَ غَيْرِ مُثَرِّبٍ وتركْتُهُمْ لِعقـابِ يوْمٍ سَرْمَدِ
وتركْتُهُمْ لِلهِ أرْجُـو عَفْوَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ مِنَ الْجَحِيمِ الْمُوقَدِ
ولقدْ تَرَكْتُ بِهَا لَهُ مِنْ قَوْمِنا نَفَرًا أُولِي حَسَبٍ وبأسٍ يُحْمَدُ
نَفَرًا يكونُ النَّصْرُ فى أَعْقابِهِمْ أرْجُو بِذاكَ ثوابَ رَبِّ مُحَمَّدِ
ما كنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ بَيْتاً طاهِرًا لِلهِ فى بَطْحـاءِ مَكَّةَ يُعْبَدُ
حتى أتانى منْ هُذَيْلٍ أَعْبُدٌ بالدُّفِّ منْ جُمْدانَ فَوْقَ الْمسْنَدِ
قالوا بمَـكَّةَ بيْتُ مَالٍ داثِرٍ وكنوزُهُ مِنْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدِ
فأَرَدْتُ أَمرًا حالَ رَبِّى دُونَه واللهُ يَدْفَعُ عَنْ خَرَابِ الْمسْجِدِ
فَرَدَدتُ ما أَمَّلْتُ فيـه وفيهِمُ وتَرَكْتُهم مَثَـلًا لأَهْلِ الْمشْهَدِ
قد كانَ ذُو القرْنَيْنِ قَبْلِى مُسْلِماً مَلِـكًا تَدينُ له الْملُوكُ وتَحْشُدُ
ملَكَ الْمشارِقَ والْمَغاربَ يَبْتَغِى أَسْبَابَ عِلْمٍ منْ حَكيمٍ مُرْشِـدِ
فرأى مغيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُروبِها فى عَيْنِ ذِى خُلْبٍ وثأْطٍ حَرْمَدِ(١)
مِن قَبْلِهِ بلْقيسُ كانَتْ عَمّتِى مَلَكَتْهُمُ حتى أتاها الهُـدْهُدُ(٢)

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدّثنى ابن إسحاق ، قال : هذا الحىّ من الأنصار يزعمون أنّه إنما كان حنَق تُبّع على هذا الحىّ من يهود الذين كانوا بين أظهرهم ، وأنّه أراد هلاكهم حين قدم عليهم المدينة ،

١/٩٠٨

(١) الخلب : الطين ، والثأط الحرمد : الحمأ الأسود .

(٢) الشعر أورده ابن هشام فى التيجان ١١٢ – ١١٤ ، ولم يورده فى السيرة ، وذكر أنه مصنوع .

فمنعوه منهم ، حتى انصرف عنهم ولذلك قال فى شعره :

حنَقاً على سِبْطيْن حلاَّ يثربًا   أوْلَى لهم بعِقابِ يوم مُفْسِدِ

١/٩٠٩

حدّثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وقد كان قدِم على تُبّع قبل ذلك شافع بن كُلَيب الصَّدَفىّ ، وكان كاهنًا، فأقام عنده، فلما أراد توديعَه قال تُبّع : ما بَقِىَ مِن علمك ؟ قال : بقِىَ خبر ناطق ، وعلم صادق ، قال : فهل تجِدُ لقوم مُلْكًا يوازى ملكى ؟ قال : لا إلا لملك غسان نَجْل ، قال : فهل تجد ملكًا يزيد عليه ؟ قال : نعم ، قال : ولمن ؟ قال أجِده لبارّ مبرور ، أيِّد بالقَهور ، ووُصِف فى الزّبور ، وفُضِّلَتْ أمّته فى السُّفور ، يفرّج الظلَم بالنور ، أحمد النبىّ ، طوبى لأمته حين يجىّ ، أحد بنى لؤىّ ، ثم أحد بنى قصىّ . فبعث تُبّع إلى الزَّبُور فنظر فيها ، فإذا هو يجد صفة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عمّن حدّثه ، عن سَعيد بن جُبير ، عن ابن عباس وغيره من علماء أهل اليمن ، ممّن يروى الأحاديث ، فحدّث بعضهم بعض الحديث ، وكلّ ذلك قد اجتمع فى هذا الحديث : أنّ مَلِكًا من لَخْم ، كان باليمن فيما بين التبابعة من حِمْير ، يقال له : ربيعة بن نَصْر ، وقد كان قَبْل ملكه باليمن مَلَك تبّع الأوّل ، وهو زيد بن عمرو ذى الأذعار بن أبرهة ذى المنار بن الرائش بن قيس بن صيفىّ ابن سبأ الأصغر بن كهف الظلْم بن زيد بن سَهْل بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن جُشَم بن وائل بن الغوْث بن قطَن بن عَريب بن زُهير بن أيْمن بن هَمَيْسع ابن العرَنجَج حِمْير بن سبأ الأكبر بن يعْرُب بن يَشْجُب بن قَحطان . وكان اسم سبأ عَبْد شمْس ؛ وإنما سُمّىَ سبأ — فيما يزعمون — لأنه كان أول من سبَى فى العرب .

١/٩١٠

فهذا بيت مملكة حمير الذى فيه كانت التّبابعة ، ثم كان بعد تُبّع الأول زيد بن عمرو ، وشَمِر يُرْعش بن ياسر يُنْعم بن عمرو ذى الأذعار ، ابن عمّه . وشَمِر يُرْعش الذى غزا الصين وبنى سَمَرْقَنْد وحَيَّرَ الحيرة ، وهو الذى يقول :

أناشِرُ أبو كَرِبَ اليَمَانِي　　جَلَبْتُ الخَيْلَ من يَمَنٍ وشامِ

لِآتِيَ أَعْبُدًا مَرَدُوا عَلَيْنا　　وَرَاءَ الصِّينِ فى عَثْمٍ ويامِ

فَنَحْكُم فى بلادِهِمُ بحُكْمٍ　　سَواءٍ لا يُجَاوِزه غُلَامُ

القصيدة كلّها .

* * *

قال : ثم كان بعد شمر يُرْعِش بن ياسر يُنْعِم تُبّع الأصغر، وهو تُبّان أسعد أبو كرب بن مَلِكيكَرب بن زيد بن تُبّع الأول بن عمرو ذى الأذعار ، وهو الذى قدم المدينة ، وساق الحَبْرين من يهود إلى اليمن ، وعمر البيت الحرام وكساه ، وقال ما قال من الشّعر فكلّ هؤلاء ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر اللخميّ ؛ فلما هلَك ربيعة بن نصر ، رجع مُلْك اليمن كلّه إلى حسان بن تُبّان أسعد أبي كرب بن مَلِكيكَرب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار .

حدّثنا ابن حُمَيد، قال : حدّثنا سَلَمة، قال : حدّثنى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أنّ ربيعة بن نَصْر رأى رؤيا هالته، وفَظِعَ بها ، فلما رآها بعث فى أهل مملكته ، فلم يدع كاهنًا ولا ساحرًا ولا عائفًا ولا منجّمًا إلّا جَمَعه إليه ، ثم قال لهم : إنّى قد رأيت رؤيا هالتْنى وفظِعت بها ، فأخبرونى بتأويلها ، قالوا له : اقصصها علينا لنخبرَك بتأويلها، قال : إنى إن أخبرتكم بها لم أطمئنّ إلى خبَركم عن تأويلها ، إنّه لا يعرف تأويلَها إلّا من يعرفها قبل أن أخبِره بها . فلما قال لهم ذلك قال رجل من القوم الذين جمِعوا لذلك : فإن كان الملك يريد هذا فليبعثْ إلى سَطِيح وشِقّ، فإنّه ليس أحدٌ أعلم منهما ، فهما يخبرانك بما سألت — واسم سَطِيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدىّ بن مازن بن غسّان ، وكان يقال لسطيح : الذّئبىّ، لنسبته إلى ذئب بن عدىّ . وشِقّ بن صعب بن يشكر بن رُهْم بن أفرك بن نذير بن قيس بن عَبْقَر بن أنمار . فلما قالوا له ذلك بعث إليهما ، فقدِم عليه قبل شِقّ سَطِيح ، ولم يكن فى زمانهما مثلهما من الكُهّان، فلما قدم عليه سطيح دعاه

٩١١/١

فقال له : يا سطيح ، إنى قدرأيت رؤيا هالتنى وفظِعت بها ، فأخبرْنى بها فإنّك إن أصبتَها أصبت تأويلها ، قال ـ أفعل ، رأيتَ جُمْجُمة ـ قال أبو جعفر : وقد وجدته فى مواضع أخر ، رأيت حُمَمة[1] ـ خرجت من ظُلُمَة ، فوقعت بأرض ثهْمَة ، فأكلتْ منها كلّ ذات جُمْجُمة . فقال له الملك : ما أخطأتَ منها شيئاً يا سَطِيح ، فما عندك فى تأويلها ؟ فقال : أحلِف بما بين الحرّتين من حَنَش ، ليهبِطَنّ أرضَكم الحبَش ، فليملِكُنّ ما بين أبْيَنَ إلى جُرَش . قال له الملك : وأبيكَ يا سطيح ، إنّ هذا لغائظ مُوجِع ، فمتى هوكائن يا سطيح ؟ أفى زمانى أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بحين ، أكثر من ستّين أو سبعين ، يمضِين من السنين . قال : فهل يدوم ذلك من مُلكهم أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين ، يمضين من السنين ، ثم يقتلون بها أجمعون ، ويخرجون منها هاربين . قال الملك : ومَنْ ذا الذى يلى ذلك مِنْ قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرم ذى يزَن ، يخرج عليهم من عدَن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن . قال أفيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومَنْ يقطعه ؟ قال : نبيّ زكيّ ، يأتيه الوحى من العلىّ . قال : وممّن هذا النبىّ ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر ، قال : وهل للدّهر ياسطيح من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، ويسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون . قال : أحقٌّ ما تخبرنا ياسطيح ؟ قال : نعم ، والشفق والغسق ، والفلق[2] إذا اتّسق ، إنّ ما أنبأتك به لحقّ .

٩١٢/١

فلمّا فرغ قدِم عليه شِقّ ، فدعاه ، فقال له : يا شِقّ ، إنى قد رأيت رؤيا هالتنى وفظِعْتُ بها ، فأخبرنى عنها ، فإنك إن أصبتَها أصبت تأويلها ـ كما قال لسطيح ؛ وقد كتمه ما قال سطيح لينظر أيتفِقان أم يختلفان ـ قال : نعم ، رأيتَ جُمجمة ، خرجت من ظلَمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كلُّ ذات نَسَمة . فلما رأى ذلك الملك من قولهما شيئاً واحداً ، قال له : ما أخطأت ياشِقّ منها شيئاً ، فما عندك فى تأويلها ؟ قال : أحلِف بما بين الحرّتين من إنسان ، لينزلنّ أرضَكم السودان ، فليغلِبُنّ على كلّ طَفْلة

٩١٣/١

---

(١) هى رواية ابن هشام فى السيرة .

(٢) ط : « والغلق » .

البنان ، وليَملِكُنّ مابين أبْيَنَ إلى نجران . فقال له الملك : وأبيك يا شِقّ إن هذا لنا لغائظ مُوجع ، فمتى هو كائن ؟ أفى زمانى أم بعده ؟ قال : بل بعدك بزمان ، ثم يستنقذكُم منه عظيم ذو شان ، ويذيقهم أشدّ الهوان . قال : ومَنْ هذا العظيم الشان ؟ قال : غلام ليس بدنىّ ولا مُدَنّ[١] ، يخرج من بيت ذى يَزَن ، قال : فهل يدوم سلطانه أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسَل ، يأتى بالحقّ والعدل ، بين أهل الدين والفضل ؛ يكون المُلْك فى قومه إلى يوم الفَصْل ، قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم يجزَى فيه الولاة ، يُدْعى من السماء بدعوات ، يَسمع منها الأحياء والأموات ، ويُجمع فيه الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتّقى الفوز والخيرات . قال : أحقّ ما تقول يا شِقّ ؟ قال : إى وربّ السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفْض ؛ إنّ ما نبّأتك لحقّ ما فيه أمْض[٢] . فلما فرغ من مسألتهما ، وقع فى نفسه أنّ الذى قالا له كائن من أمر الحبشة ، فجهّز بنيه وأهلَ بيته إلى العراق بما يُصْلِحهم ، وكتب لهم إلى ملِك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرّزاذ ، فأسكنهم الحيرة ، فمن بقيّة ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو النّعمان بن المنذر بن النعمان ابن المنذر بن عمرو بن عدىّ بن ربيعة بن نصر . ذلك الملك فى نسب أهل اليمن وعلمهم[٣] .

١/٩١٤

* * *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما قال سَطِيح وشِقّ لربيعة بن نصر ذلك ، وصنع ربيعة بولده وأهل بيته ما صنع ، ذهب ذكر ذلك فى العرب ، وتحدّثوا حتى فشا ذكره وعلمه فيهم ، فلما نزلت الحبشة اليمن ، ووقع الأمر الذى كانوا يتحدّثون به من أمر الكاهنيْن ، قال الأعشى ، أعشى بنى قيس بن ثعلبة البكرىّ ، فى بعض ما يقول ، وهو يذكر ما وقع من أمر ذيْنك الكاهنين : سطيح وشِقّ :

ما نظَرَتْ ذاتُ أشْفارٍ كنظْرتِها حقًّا كما نطَقَ الذِّئبىُّ إذْ سَجَعَا[٤]

---

(١) المدنى : المقصر فى الأمر .

(٢) قال ابن هشام «أمض» ، يعنى شكا ، هذا بلغة حمير . وقال أبو عمرو : «أمض ، أى باطل» .

(٣) الخبر فى ابن هشام ١ : ١٨ — ٢٢ .

(٤) ديوانه ١٠٣ .

وكان سَطِيح إنما يدعوه العرب الذئبىّ، لأنّه من ولد ذئب بن عدىّ. فلما هلك ربيعة بن نصر ، واجتمع مُلك اليمن إلى حسّان بن تُبّان أسعد أبى كرب ابن مَلِيكَيْكَرِب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار ، كان ممّا هاج أمر الحبشة وتحوّل الملك عن حِمْير وانقطاع مدّة سلطانهم — ولكلّ أمر سبب — أنّ حسان ابن تُبّان أسعد أبى كرب ، سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرضَ العرب وأرض العجم ، كما كانت التبابعة قبْله تفعل ؛ حتى إذا كان ببعض أرض العراق ، كرِهت حِمْير وقبائل اليمن السير معه ، وأرادوا الرّجعة إلى بلادهم وأهليهم ؛ فكلّموا أخًا له كان معه فى جيشه ، يقال له عمرو ، فقالوا له : اقتل أخاك حسان نملّكك علينا مكانه، وترجع بنا إلى بلادنا . فتابعهم على ذلك، فأجمع أخوه ومن معه من حِمْير وقبائل اليمن على قَتْل حَسّان ، إلّا ما كان من ذى رُعَين الحميرىّ ، فإنّه نهاه عن ذلك، وقال له: إنّكم أهل بيت مملكتنا ، لا تقتل أخاك ولا تشتّت أمر أهلِ بيتك — أو كما قال له — فلما لم يقبل منه قوله — وكان ذو رُعَيْن شريفًا من حميَر — عَمَد إلى صحيفة فكتب فيها : ١/٩١٥

أَلا مَن يَشْتَرِى سَهرًا بِنَوْمٍ سعيدٌ مَن يَبيتُ قَريرَ عَيْنِ

فإمَّا حِمْيَرٌ غَدَرتْ وخَانَتْ فَمَعْذِرَةُ الإلهِ لِذِى رُعَيْنِ

ثم ختم عليها . ثم أتى بها عمرًا ، فقال له : ضع لى عندك هذا الكتاب؛ فإنّ لى فيه بغيةً وحاجة ، ففعل . فلما بلغ حسّان ما أجمع عليه أخوه عمرو وحمْير وقبائل اليمن من قتله ، قال لعمرو :

يا عَمْرُو لَا تُعْجِلْ عَلَىَّ مَنِيَّتى فالمُلْكُ تأخُذُه بغيْرِ حُشودِ

فأبى إلا قتلَه ، فقَتله ثم رجع بمن معه من جنده إلى اليمن . فقال قائل من حمير :

إنّ للهِ مَن رأى مِثْل حَسّا نَ قَتيلا فى سَالِفِ الأَحقَابِ[1]

---

(١) رواية ابن هشام فى السيرة : « لاه عينا » قال السهيلى فى شرحه : «أراد « لله »وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل؛ وهذا الحذف كثير ، ولكنه جاز فى هذا الرسم خاصة لكثرة دوراته على الألسنة » .

قَتَلَتْه الأَقْيالُ مِن خَشيَةِ الْجَيْـ شِ وقالُوا له لَبابِ لَبابِ (١)
مَيْتُكم خَيْرُنا وحَيُّكُمُ رَبٌّ عَلَينا وكُلُّكمْ أَرْبابِى

فلمّا نزل عمرو بن تُبّان أسعد أبى كرب اليمن مُنع منه النّوم ، وسلّط عليه السهر — فيما يزعمون — فجعل لا ينام ، فلما جَهده ذلك جعل يسأل الأطبّاء والُحزاة من الكهّان والعرّافين عمّا به ، ويقول : منِع منىّ النوم فلا أقدر عليه ، وقد جَهدنى السهر ، فقال له قائل منهم : والله ما قتلَ رجل أخاه قطّ أو ذا رحِم بغيًا على مثل ماقتلت عليه أخاك إلاّ ذهب نومُه ، وسلّط عليه السّهر ، فلما قيل له ذلك ، جعل يقتُل كلّ مَنْ كان أمرَه بقتل أخيه حسّان من أشراف حمْير وقبائل اليمن ، حتى خلَص إلى ذى رُعين ، فلما أراد قتله قال : إنّ لى عندك براءة ممّا تريدأن تصنع بى ،قال له: وما براءتك عندى ؟ قال : أخرِج الكتاب الذى كنت استودعتكه ووضعته عندك ، فأخرج له الكتاب ، فإذا فيه ذانك البيتان من الشعر :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِى سَهَرًا بنومٍ سعيدٌ مَنْ يبيتُ قريرَ عَيْنِ
فإمَّا حِمْيَرٌ غدرتْ وخانتْ فمعذرة الإله لذى رُعَيْنِ

فلمّا قرأهما عمرو قال له ذو رُعين : قد كنت نهيتُك عن قتل أخيك فعصيتَنى ، فلما أبيت علىّ وضعتُ هذا الكتاب عندك حجّة لى عليك ، وعذراً لى عندك ، وتخوّفت أن يصيبك إن أنت قتلتَه الذى أصابك ، فإن أردت بى ما أراك تصنع بمن كان أمرك بقتل أخيك ،كان هذا الكتاب نجاةً لى عندك ، فتركه عمرو بن تُبّان أسعد فلم يقتله من بين أشراف حمير ، ورأى أن قد نصحه لو قبل منه نصيحته . وقال عمرو بن تُبّان أسعد حين قتل من قتل من حمْيَر وأهل اليمن ممّن كان أمره بقتل أخيه حسان ، فقال :

شَرَيْنا النَّوْمَ إذْ عُصِبَتْ عَلَابِ بتَسْهِيدٍ وعَقْدٍ غَيْرِ مَيْنِ (٢)
تَنادَوْا عِنْدَ غَدْرِهِمُ : لَبابِ وقدْ بَرَزَتْ مَعاذِرُ ذِى رُعَيْنِ
قَتَلْنا مَنْ تولَّى المَكْرَ منهمْ بَواءٌ بابْنِ رُهْمٍ غيرَ دَيْنِ

(١) قال ابن اسحاق : قوله : «لباب ، لباب» ، لابأس ، لابأس بلغة حمير» . (٢) ط : «بين».

قَتَلْناهُمْ بحَسّانَ بنِ رُهْمٍ ... وحسّان قَتيلُ الثّائرَيْنِ
قَتَلْناهُم فلا بُقْيا عليهمْ ... وقرَّتْ عِنْدَ ذا كُمْ كلُّ عَيْنِ
عُيونُ نَوادبٍ يَبْكِينَ شَجْواً ... حرائرَ من نسَاءِ الفَيْلَقَيْنِ
أوانِسَ بالعِشَاءِ وهُنَّ حُور ... إذَا طَلَعَتْ فُروعُ الشِّعْرَيَيْنِ
فنُعْرَفُ بالوَفاءِ إذا انْتَمَيْنا ... ومَنْ يَغْدرْ نُبايِنْهُ ببيْنِ
فَضَلْنا النـاسَ كلَّهُمُ جميعاً ... كفَضْلِ الإبْرِزِيِّ على اللُّجَيْنِ
مَلَكْنَا النَّاسَ كلّهُم جَمِيعاً ... لنا الأَسْبَابُ بعدَ التُّبَّعَيْنِ
مَلَكْنا بعدَ دَاوُدٍ زماناً ... وعَبَّدْنا ملُوكَ المشْرِقَيْنِ
زَبَرْنا في ظَفارِ زبورَ مَجْدٍ ... ليَقرأه قُرومُ القريتَيْنِ
فنحن الطَّالبونَ لِكلِّ وَتْرٍ ... إذا قال المقَاوِلُ أيْنَ أيْنِ !
سَأشْفي مِنْ وُلاةِ المكرِ نَفْسي ... وكَانَ المكرُ حَيْنَهُمُ وحَيْنِي
أَطَعْتُهُمُ فلم أَرْشُدْ وكَانوا ... غُواةً أهلَكوا حَسَبِي وزَيْنِي

قال : ثم لم يلبث عمرو بن تُبّان أسعد أن هلك .

قال هشام بن محمد: عمرو بن تبّع هذا يدعى موثّبان ؛ لأنه وثب على أخيه حَسّان بفُرْضة نُعْم فقتله — قال : وفُرضة نُعْم رَحَبة طوق بن مالك، وكانت نُعْم سرّية تبّع حسان بن أسعد .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحق . قال : فمرج أمرُ حميَر عند ذلك، وتفرّقوا ، فوثب عليهم رجل من حِمْير لم يكن من بيوت المملكة منهم ، يقال له لخنيعة ينوف ذوشناتر[1] ، فملكهم فقتل خيارهم، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم، فقال قائل من حمْير ، يذكر ما ضيّعت[2] حمْير من أمرها ، وفرّقت جماعتها ، ونفت من خيارها :

٩١٨/١

(١) الشناتر : الأصابع بلغة حمير . (٢) ح : « فرطت » .

تقتِّلُ أبناها وتَنفِى سَرَاتَها ... وتَبنِى بأيديهم لَهَا الذلَّ حِمْيَرُ
تُدمِّرُ دُنياها بطَيْشٍ حُلُومِهَا ... ومَا ضَيَّعَتْ مِنْ دِينِهَا فَهُوَ أَكْثَرُ
كذَاكَ القُرونُ قَبْلَ ذَاكَ بظُلْمِها ... وَإسرَافِها تأتِى الشُّرُورَ فَتَخْسَرُ

وكان لَخنيعة ينوف ذو شناتر يصنع ذلك بهم — وكان امرأً فاسقًا يزعمون أنه كان يعمل عمل قوم لوط ، ثم كان — مع الذى بلغ منهم من القتل والبغْى — إذا سمع بالغلام من أبناء الملوك قد بلغ أرسل إليه فوقع عليه فى مَشْرَبة له قد صنعها لذلك ، لئلاّ يملك بعد ذلك أبداً ، ثم يطلع من مَشْرَبته تلك إلى حَرَسه ومَن حضر من جنده ، وهم أسفل منه ، قد أخذ سواكًا ، فجعله فى فيه — أى ليعلِمهم أنه قد فرغ منه ثم يخلّى سبيله ، فيخرج على حَرَسه وعلى الناس وقد فضحه ؛ حتى إذا كان آخر أبناء تلك الملوك زُرْعة ذو نواس بن تُبّان أسعد أبى كرب بن مَلِكيكَرِب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار أخو حسّان — وزُرْعة كان صبيًّا صغيراً حين أصيب أخوه ، فشبّ غلامًا جميلاً وسيمًا ذا هيئة وعَقْل — فبعث إليه لَخنيعة ينوف ذو شُناتر ؛ ليفعل به كما كان يفعل بأبناء الملوك قبْله ، فلما أتاه رسوله عرف الذى يريد به ، فأخذ سِكّينًا حديداً لطيفًا ، فجعله بين نعله وقدمه ، ثم انطلق إليه مع رسوله ، فلمّا خلا به فى مشربته تلك أغلقَها عليه وعليه ، ثم وثب عليه وواثبه ذو نواس بالسكّين فطعنه به حتى قتله ، ثم احتزّ رأسَه ، فجعله فى كُوّة مشربته تلك التى يطلع منها إلى حرسه وجنده ، ثم أخذ سِواكه ذلك ، فجعله فى فيه ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذو نواس ، أرطب أم يَباس[1] ؟ فقال : سلْ نخماس[2] استرطبان[3] ذو نواس ، استرطبان ذو نواس ؛ لاباس . فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال ، فإذا رأس لَخنيعة ينوف ذى شناتر فى الكُوّة مقطوع فى فيه سواكه ، قد وضعه ذو نواس فيها . فخرجت حمير والأحراس فى أثر ذى نواس حتى أدركوه ،

١/٩١٩

(١) اليباس واليبيس : مثل الكبار والكبير . (٢) النخماس فى لغة اليمن : الرأس .
(٣) قال السهيلى : قوله : «استرطبان» إلى آخر الكلام مشكل؛ وفى الأغانى : «ستعلم الأحراس ، است ذى نواس ، رطب أم يباس » .

فقالوا له : ما ينبغى لنا أن يملكنا إلاّ أنت ؛ إذ أرحتَنا من هذا الخبيث . فملّكوه واستجمعت عليه حمْير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير . وتهوّد وتهوّدت معه حِمْير ، وتسمّى «يوسف» ، فأقام فى ملكه زمانًا . وبنجْران بقايا من أهل دين عيسى على الإنجيل ؛ أهل فضل واستقامة ، لهم من أهل دينهم رأس يقال له عبد الله بن الثّامر ؛ وكان موقع أصل ذلك الدين بنَجْران ، وهى بأوسط أرض العرب فى ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلّها أهل أوثان يعبدونها . ثم إنّ رجلا من بقايا أهل ذلك الدّين وقع بين أظهرهم يقال له فيميون ، فحملهم عليه فدانوا به[1] .

١ / ٩٢٠

قال هشام : زرعة ذو نواس ؛ فلما تهوّد سمى يوسف ، وهو الذى خدّ الأخدود بنجران وقتل النصارى .

حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلَمة، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن المغيرة بن أبى لبيد مولى الأخنس، عن وهب بن منبّه اليمانىّ[1] ، أنه حدّثهم أن موقع ذلك الدّين بنجْران كان أنّ رجلاً من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له فيميون، وكان رجلاً صالحًا مجتهداً زاهداً فى الدنيا ، مجاب الدّعوة ، وكان سائحًا ينزل القرى، لا يُعرف بقرية إلاّ خرج منها إلى قرية لا يُعرَف فيها وكان لا يأكل إلاّ من كَسْب يده، وكان بنّاء يعمل الطّين، وكان يعظّم الأحد ؛ فإذا كان الأحد لم يعمل فيه شيئًا، وخرج إلى فلاة من الأرض فصلّى بها حتى يُمسى ، وكان فى قرية من قرى الشّأم يعمل عمله ذلك مستخفيًا ؛ إذ فطِن لشأنه رجل من أهلها ، يقال له صالح ، فأحبّه صالح حبًّا لم يحبّه شيئًا كان قبله، فكان يتّبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرّة فى يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع ، وقد اتّبعه صالح ، وفيميون لا يدرى ، فجلس صالح منه منظر العين ، مستخفيًا منه لا يحبّ أن يعلم مكانه ، وقام فيميون يصلّى ، فبينا هو يصلّى إذ أقبل نحوه التنّين — الحية ذات الرءوس السبعة — فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، ورآها صالح ،

(١) الخبر فى السيرة لابن هشام ١ : ٣٠ . ٢٨ — ٢٩ ، والأغانى ٢٠ : ٧ — ٩(ساسى) .

ولم يدرِ ما أصابها ، فخافها عليه فعِيل عَوْلُه[1] ، فصرخ : يا فيميون ، التنين قد أقبل نحوك ! فلم يلتفت إليه ، وأقبل عَلَى صلاته حتى فرغ وأمسى ، وانصرف وعرف أنه قد عرِف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه ، فكلّمه ، فقال : يا فيميون ، يعلم الله ما أحببت شيئًا حبّك قطّ ، وقد أردت صُحبتَك والكينونة معك حيثما كنت . قال : ما شئت ، أمرى كما ترى ؛ فإن ظننت أنك تقوى عليه فنعم . فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القَرية أن يفطُنوا لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبدُ به ضرّ ، دعا له فشُفِى ، وإذا دُعِى إلى أحد به الضرّ لم يأته .

٩٢١/١

وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضرير ، فسأل عن شأن فيميون ، فقيل له : إنّه لا يأتى أحداً إذا دعاه ، ولكنّه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر ، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه فى حجرته ، وألقى عليه ثوبا ، ثم جاءه فقال له : يا فيميون ؛ إنّى قد أردت أن أعمل فى بيتى عملاً ، فانطلق معى حتى تنظر إليه فأشارطك عليه ، فانطلق معه حتى دخل حُجرته ، ثم قال : ما تريد أن تعمل فى بيتك ؟ قال : كذا وكذا . ثم انتشط[2] الرجل الثوبَ عن الصبىّ ، ثم قال : يا فيميون ، عبد من عباد الله أصابه ما ترى ، فادع الله له ، فقال فيميون حين رأى الصبىّ : اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوّك فى نعمتك ليفسدها عليه فاشفِه وعافه ، وامنعه منه ، فقام الصبىّ ليس به بأس .

وعرف فيميون أنه قد عُرِف ، فخرج من القرية ، واتّبعه صالح ، فبينما هو يمشى فى بعض الشأم مرّ بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : أفيميون ! قال : نعم ، قال : ما زلت أنتظرك وأقول : متى هوجاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو ، لا تبرح حتى تقوم علىّ ، فإنى ميّت الآن . قال : فمات ، وقام عليه حتى واراه ثم انصرف ومعه صالح ، حتى وطئا بعضَ أرض العرب ، فعدِى عليهما فاختطفتهما سيّارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران — وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم ، لهم عيد كلّ سنة ؛ إذا كان ذلك العيدُ علّقوا عليها

٩٢٢/١

(١) عيل عوله ، أى غلب على صبره ، وفى ط : « فعول عليه عولة » ، وما أثبته عن ابن هشام . وانظر اللسان .

(٢) انتشط الثوب : جذبه و رفعه إليه .

كلّ ثوب حسن وجدوه، وحلىّ النساء . ثم خرجوا، فعكفوا عليها يومًا — فابتاع رجل من أشرافهم فيميون ، وابتاع رجل آخر صالحًا ، فكان فيميون إذا قام من الليل — فى بيت له أسكنه إياه سيّده الذى ابتاعه — يصلّى، استسرج له البيت نوراً ، حتى يصبح من غير مصباح؛ فرأى ذلك سيّده فأعجبه ما رأى ، فسأله عن دينه فأخبره به ، فقال له فيميون : إنّما أنتم فى باطل ؛ وإنّ هذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع ؛ لو دعوت عليها الذى أعبد أهلكها ، وهو الله وحده لا شريك له . قال : فقال له سيّده : فافعل ؛ فإنك إن فعلت دخلنا فى دينك، وتركنا ما كنّا عليه ، قال : فقام فيميون ، فتطهّر ثم صلّى ركعتين ، ثم دعا الله عليهما ، فأرسل الله ريحًا فجعفتْها[1] من أصلها فألقتها ، فاتّبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم . ثم دخل عليهم بعد ذلك الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكلّ أرض . فمن هنالك كانت النصرانيّة بنجران فى أرض العرب[2].

فهذا حديث وهب بن منبّه فى خبر أهل نجران .

١/٩٢٢ حدّثنا ابن حُميد، قال : حدّثنا سَلمة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد، مولًى لبنى هاشم، عن محمد بن كعب القرَظىّ. قال: وحدّثنى محمد بن إسحاق أيضًا عن بعض أهل نَجْران أنّ أهلَ نجران كانوا أهلَ شرك يعبدون الأوثان ، وكان فى قرية من قُراها قريبًا من نجْران — ونجْران القرية العظمى التى إليها جماع أهل تلك البلاد — ساحر يعلّم غلمانَ أهل نجران السّحر ، فلما أن نزلها فيميون — قال : ولم يسمّوه باسمه الذى سمّاه به وهبُ بن منبّه، قالوا: رجل نزلها — ابتنى خيمة بين نَجْران و بين تلك القرية التى بها الساحر ، فجعل أهل نَجْران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلّمهم السحر ، فبعث الثامر ابنَه عبد الله بن الثّامر، مع غلمان أهل نَجْران، فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى

---

(١) جعفتها ، أى قلعتها وأسقطتها .

(٢) الخبر فى السيرة لابن هشام ١ : ٢٩ : ٣٠ .

أسلم ، فوحّد الله وعبّده وجعل يسأله عن الاسم الأعظم — وكان يعلمه — فكتمه إيّاه وقال : يا بن أخي ، إنك لن تحتمله ؛ أخشى ضعفك عنه. فلما أبى عليه — والثامر أبو عبد الله لا يظنّ إلاّ أنّ ابنه عبد الله يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان — فلما رأى عبد الله أنّ صاحبه قد ضنّ به عنه، وتخوّف ضعفه فيه عَمَد إلى قِداح فجمعها، ثم لم يُبْقِ لله اسمًا يعلمه إلا كتبه في قِدْح[1] ؛ لكل اسم قِدْح[1] ؛ حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً، ثم جعل يقذفها فيها قِدْحًا قِدْحاً ؛ حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقِدْحه ، فوثب القِدْح حتى خرج منها ، لم يضرّه شيء ؛ فقام إليه فأخذه، ثم أتى صاحبه ، فأخبره أنه[2] قد علم الاسم الذي كتمه ، فقال له : ما هو ؟ قال ؛ كذا وكذا ، قال : وكيف علمته ؟ فأخبره كيف صنع ، قال : فقال: يا بن أخي، قد أصبته فأمسك على نفسك ، وما أظنّ أن تفعل . فجعل عبد الله بن الثّامر إذا أتى نَجْران لم يلق أحداً به ضرّ إلاّ قال له: يا عبد الله، أتوحّد الله وتدخل في ديني فأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول: نعم ، فيوحّد الله ويسلم ، ويدعو له فيشفى ، حتى لم يبق أحدٌ بنجْران به ضُرّ إلّا أتاه فاتّبعه على أمره، ودعا له فعُوفي ، حتى رُفع شأنه إلى ملك نجْران ، فدعاه فقال له : أفسدت عليّ أهل قريتي ، وخالفتَ ديني ودين آبائي ، لأمثّلنّ بك ! قال : لا تقدر على ذلك ، فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيُطرح عن رأسه فيقع على الأرض ، ليس به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه بنجْران، بُحور لا يقع فيها شيء إلّا هلك، فيُلقَى فيها فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه، قال عبد الله بن الثامر : إنّك والله لا تقدر على قتلي حتى توحّدَ الله فتؤمن بما آمنت به ؛ فإنك إن فعلت ذلك سُلّطت عليّ فقتلتني ، فوحّد الله ذلك الملك، وشهد بشهادة عبد الله ابن الثامر ، ثم ضربه بعصًا في يده فشجّه شجّة غير كبيرة فقتله، فهلك الملك مكانه ، واستجمع أهلُ نجْران على دين عبد الله بن الثّامر ، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه ، ثمّ أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النّصرانية بنجران[3] .

١/٩٢٤ — ١/٩٢٥

---

(١) القدح : السهم . (٢) ح ، ل « بأنه » .

(٣) الخبر في سيرة إبن هشام ١ : ٣١ ، ٣٢ .

فهذا حديث محمد بن كعب القرظى وبعض أهل نجران عن ذلك. والله أعلم.

قال : فسار إليهم ذو نُواس بجنوده من حِمْير وقبائل اليمن ، فجمعهم ثم دعاهم إلى دين اليهودية ، فخيّرهم بين القتل والدخول فيها ، فاختاروا القتل ، فخدّ لهم الأخدود ، فحرّق بالنار ، وقتّل بالسيف ؛ ومثّل بهم كلّ مُثْلة ، حتى قتل منهم قريبًا من عشرين ألفًا ، وأفلت منهم رجل يقال له دَوْس ذو ثعلبان ، على فرس له ، فسلك الرَّملَ فأعجزهم .

قال : وقد سمعت بعضَ أهل اليمن يقول : إنّ الذى أفلت منهم رجل من أهل نَجْران يقال له جبّار [١] بن فيض [٢] .

قال : وأثبت الحديثين عندى الذى حدّثنى أنه دوْس ذو ثعلبان .

ثم رجع ذو نُواس بمن معه من جنوده إلى صنعاء من أرض اليمن .

فى ذى نواس وجنوده تلك حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : أنزل الله على رسوله : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ إلى قوله: ﴿بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [٣] .

يقال : كان فيمن قَتَل ذو نُواس عبد الله بن الثامر رئيسهم وإمامهم . ويقال : عبد الله بن الثامر قُتِل قبل ذلك ، قَتَله ملِك كان قَبْله ، هو كان أصل ذلك الدين ؛ وإنما قَتَل ذو نواس مَنْ كان بعده من أهل دينه [٤] .

* * *

وأما هشام بن محمد فإنه قال : لم يزل مُلْك اليمن متصلا لا يطمع فيه طامع ، حتى ظهرت الحبشة على بلادهم فى زمن أنوشِرْوان . قال : وكان سببُ ظهورهم أن ذا نُواس الحِمْيرىّ ملك اليمن فى ذلك الزمان ، وكان يهوديًّا ، فقدم عليه يهودىّ ، يقال له دَوْس من أهل نَجْران ، فأخبره أنّ أهل نجران قتلوا ابنيْن له ظلمًا ، واستنصره عليهم ـ وأهل نَجْران نصارى ـ فحمِىَ ذو نُواس لليهوديّة ، فغزا أهلَ نجران ، فأكثر فيهم القتل ، فخرج رجل

٩٢٦/١

(١) ر ، ل : « حيار » ، ح : « حيان » . (٢) ر ، ل : « قيض » .

(٣) سورة البروج ٤ ـ ٨ . قال ابن هشام : « الأخدود : الحفر المستطيل فى الأرض كالخندق والجدول ونحوه » .

(٤) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ٣١ ـ ٣٥

من أهل نَجْران ، حتى قدِم على ملك الحبشة ، فأعلمه ما ركبوا به ، وأتاه بالإنجيل قد أحرقت النارُ بعضَه، فقال له : الرّجال عندى كثير ، وليست عندى سفن ، وأنا كاتب إلى قيصر فى البَعْثة إلىّ بسفن أحمل فيها الرجال . فكتب إلى قيصر فى ذلك، وبعث إليه بالإنجيل المحرّق . فبعث إليه قيصر بسفن كثيرة .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم؛ أنه حدّث أنّ رجلا من أهل نَجْران فى زمن عمر بن الخطاب حفر خَرِبة من خَرِب نَجْران لبعض حاجاته ، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دَفْن [1] منها قاعداً واضعًا يده على ضَرْبة فى رأسه ممسكًا عليها بيده؛ فإذا أخِّرت يده عنها انثعبت [2] دمًا ، وإذا أرسِلت يده ردّها عليها ، فأمسك دمها ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : « ربّى الله » . فكتب فيه إلى عمر يخبره بأمره ، فكتب إليهم عمر : أنْ أقِرّوه على حاله ، وردّوا عليه الدّفْن الذى كان عليه . ففعلوا . ١/٩٢٧

وخرج دَوْس ذو ثَعْلبان [3] ، حين [4] أعجز القومَ على وجهه ذلك؛ حتى قدم [5] على قيصر صاحب الروم ، فاستنصره على ذى نُواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له قيصر : بعُدتْ بلادك من بلادنا ، ونأت عنا ، فلا نقدر على أن نتناولها بالجنود ؛ ولكنّى سأكتب لك إلى ملك الحبشة ؛ فإنه على هذا الدّين ، وهو أقرب إلى بلادك منّا فينصرك ويمنعك ويطالب لك بثأرك ممّن ظلمك ، واستحلّ منك ومن أهل دينك ما استحلّ . فكتب معه قيصر إلى مَلِك الحبشة يذكر له حقّه وما بلغ منه ومن أهل دينه ، ويأمره بنصره ، وطلب

---

(١) الدفن : بئر أو حوض أو منهل سفت الريح فيه التراب حتى دفن .
(٢) انثعبت : تفجرت ؛ وفى ر ، ت : « انبعثت » ، ح ، ل : « انبعث » .
(٣) فى ابن هشام : « هو رجل من سبأ » .
(٤) ت ، ح : « حتى » .
(٥) كذا فى ت ، وفى ط : « تقدم » ؛ وفى ابن هشام : « أتى » .

ثأره ممّن بغى عليه وعلى أهل دينه. فلما قدم دَوْس ذو ثعلبان بكتاب قيصر على النّجاشىّ صاحب الحبشة بعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمّر عليهم رجلا منهم من أهل الحبشة، يقال له أرياط؛ وعهد إليه: إن أنت ظهرت عليهم فاقتل ثلث رجالهم، وأخرِب ثلث بلادهم، واسْبِ ثُلث نسائهم وأبنائهم. فخرج أرياط ومعه جنوده، وفى جنوده أبرَهة الأشرم، فركب البحر ومعه دَوْس ذو ثعْلبان، حتى نزلوا بساحل اليمن، وسمع بهم ذُو نُواس فجمع إليه حِمْير ومَنْ أطاعه من قبائل اليمن، فاجتمعوا إليه على اختلاف وتفرّق، لانقطاع المدّة وحلول البلاء والنّقْمة، فلم يكن له حرب غير أنّه ناوش ذو نُواس شيئًا من قتال، ثم انهزموا، ودخلها أرياط بجموعه، فلما رأى ذو نُواس ما رأى ممّا نزل به وبقومه وجّه فرسه إلى البحر، ثم ضربه فدخل فيه فخاض به ضَحْضَاح[1] البحر، حتى أفضى به إلى غَمْرة، فأقحمه فيه، فكان آخرَ العهد به. ووطئ أرياط اليمن بالحبشة، فقتل ثلثَ رجالها، وأخرب ثلثَ بلادها، وبعث إلى النجاشىّ بثلث سباياها ثم أقام بها، قد ضبطها وأذلّها، فقال قائل من أهل اليمن، وهو يذكر ما ساق إليهم دَوْس ذو ثعلبان من أمر الحبشة؛ فقال:

١/٩٢٨

«لا كدَوْس ولا كأعلاقِ رَحْلِهْ». يعنى ما ساق إليهم من الحبشة، فهى مَثَل باليمن إلى اليوم.

وقال ذو جَدَنٍ الحميرىّ وهو يذكر حِمْير، وما دخل عليها من الذُّلّ بعد العزّ الذى كانوا فيه، وما هُدِم من حصون اليمن، وكان أرياط قد أخرب مع ما أخرب من أرض اليمن سِلْحين وبَيْنون وغُمْدان؛ حصونًا لم يكن فى الناس مثلها، فقال:

هَوْنَكِ لَيْسَ يَرُدُّ الدَّمْعُ مَا فاتا ... لاَ تَهْلِكى أَسَفًا فى ذِكْرِ مَنْ مَاتا

أَبعْدَ بَينُونَ لاَ عَيْنٌ وَلاَ أَثَرٌ ... وَبَعْدَ سِلْحِين يَبْنِي النَّاسُ أَبْيَاتا!

وقال ذو جَدَنٍ الحميرىّ فى ذلك:

دَعِينِى لا أَبالَكِ لَنْ تُطِيقِى ... لَحاكِ اللهُ قَدْ أَنْزَفْتِ رِيقِى[2]

(١) الضحضاح من الماء: الذى يظهر منه القعر.

(٢) أنزفت ريقى، أى أكثرت على من العذل؛ حتى أيبست ريقى فى فى، وقلة الريق من الحصر. قاله السهيلى.

لدَى عَزْفِ الْقِيانِ إذِ انْتَشَيْنا ... وَإذ نُسْقَى منَ الخمْرِ الرّحيقِ

وَشُرْبُ الْخمْرِ لَيْسَ عَلَيَّ عَارًا ... إذَا لم يَشْكُنِى فيها رفيقى

فإنَّ الموْتَ لَا يَنْهاهُ نَاهٍ ... ولَوْ شَرِبَ الشِّفَاءَ مَعَ النَّشُوقِ [١]

وَلا مُتَرَهِّبٌ فى أُسْطُوانٍ ... يُناطِحُ جُدْرُهُ بَيْضَ الأَنُوقِ [٢]

وغُمْدَان الَّذِى حُدِّثْتَ عَنْهُ ... بَنَوْهُ مُمْسِكًا فى رَأْسِ نِيقِ [٣]

بِمَنْهَمَةٍ وأسفَله جُرُوبٌ ... وحُرُّ الموْحَلِ اللَّثِقِ الزَّلِيقِ [٤]

مَصَابيحُ السَّليطِ تَلُوحُ فيه ... إذَا يُمْسِى كتَوْماضِ البُرُوقِ

ونَخْلَتُه التى غُرِسَتْ إليه ... يَكادُ البُسْرُ يَهْصِرُ بالعُذوقِ [٥]

فأصْبَحَ بَعْدَ جِدَّتِهِ رَمَادًا ... وغيَّرَ حُسْنَه لَهَبُ الْحَرِيقِ

وَأَسْلَمَ ذُو نُوَاسٍ مُسْتَمِيتاً ... وَحَذَّرَ قَوْمَهُ ضَنْكَ المَضِيقِ [٦]

١/٩٢٩

وقال ابن الذئبة [٧] الثقفىّ، وهو يذكر حميَر حين نزل بها السودان وما أصابوا منهم :

لَعَمْرُكَ ما لِلفَتَى مِنْ مَفَرّْ ... مَعَ الْمَوْتِ يَلْحَقه وَالْكِبَرْ

لَعَمْرُكَ ما لِلفَتَى صُحرَةٌ ... لَعَمْرُكَ ما إنْ لَه مِن وَزَرْ [٨]

---

(١) الشفاء هنا : ما يتداوى به ، تسمية للسبب باسم المسبب ، والنشوق . كل دواء يدفى من الأنف لينشق .

(٢) الأنوق : الرخم ؛ ويقال فى المثل إذا أريد ما لا يوجد : «أعزّ من بيض الأنوق» .

(٣) رواية ابن هشام : « مسمكا » ، وهو المرتفع . والنيق : أعلى الجبل .

(٤) المنهمة : موضع الرهبان . والجروب : الحجارة السوداء؛ ورواية ابن هشام« جرون» ؛ جمع جرن ، وهو النقير . وحر الموحل : خالص كل شىء . واللثق ، من اللثق ، وهو اختلاط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق . (من شرح السهيلى) .

(٥) ط : « يهزر » ، وما أثبته من ابن هشام، قال السهيلى: أى يميل بها ، والعذوق : جمع عذق ، بالكسر ، وهى الكباسة .

(٦) فى ابن هشام : « مستكيناً » .

(٧) فى ابن هشام« عبد الله بن الذئبة» ، والذئبة أمه ، واسمه ربيعة بن عبد ياليل بن سالم .

(٨) الصحرة : المتسع ، أخذ من لفظ الصحراء ، والوزر : الملجأ .

أَبَعْدَ قَبَائِلَ مِنْ حِمْيَرٍ أَتَوْا ذَا صَبَاحٍ بِذَاتِ العَبَرْ[١]
بِأَلْبٍ أُلُوبٍ وَحَرَّابَةٍ[٢] كَمِثْلِ السَّمَاءِ قُبَيْلَ الْمَطَرْ
يُصِمُّ صِيَاحُهُمُ الْمُقْرَبَاتِ وَيَنْفُونَ مَنْ قَاتَلُوا بِالزُّمَرْ[٣]
سَعَالَى كَمِثْلِ عَدِيدِ التُّرَا بِ يَيْبَسُ مِنْهُم رِطَابُ الشَّجَرْ[٤]

* * *

وأما هشام بن محمد ، فإنّه زَعم أنّ السفن لما قدمت على النجاشيّ من عند قيصر حَمل جيشه فيها ، فخرجوا فى ساحل المَنْدب . قال : فلما سمع بهم ذو نُواس كتب إلى المقَاوِل يدعوهم إلى مُظاهرته ، وأن يكون أمرُهم فى محاربة الحبشة ودفعهم عن بلادهم واحداً ، فأبوْا وقالوا : يقاتل كلّ رجل عن مَقْوَلته وناحيته . فلما رأى ذلك صنع مفاتيح كثيرة ، ثم حملها على عِدّة من الإبل ، وخرج حتى لقِىَ جمعَهم ، فقال : هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جئتكم بها ، فلكم المال والأرض ، واستبْقوا الرجال والذرّيّة . فقال عظيمهم : اكتب بذلك إلى الملك ، فكتب إلى النّجاشيّ ، فكتب إليه يأمره بقبول ذلك منهم ، فسار بهم ذو نُواس حتى إذا دخل بهم صنعاء ، قال لعظيمهم : وجِّهْ ثقاتِ أصحابك فى قَبْض هذه الخزائن . ففرّق أصحابه فى قبضها ودفع إليهم المفاتيح ، وسبقت كتُب ذى نواس إلى كلّ ناحية : أن اذبحوا كلّ ثور أسودَ فى بلدكم ؛ فقتلت الحبشة ، فلم يبق منهم إلا الشّريد . وبلغ النجاشيّ ما كان من ذى نُواس ، فجهّز إليه سبعين ألفًا ، عليهم قائدان : أحدهما أبرهة الأشرم ؛ فلما صاروا إلى صنعاء ورأى ذو نُواس ألاّ طاقة له بهم ركب فرسه ، واعترض البحر فاقتحمه ، فكان آخرَ العهد به .

وأقام أبرهة ملكًا على صنعاء ومخاليفها ، ولم يبعث إلى النجاشيّ بشىء ،

---

(١) ذات العبر : ذات الحزن ؛ يقال : عبر الرجل ؛ إذا حزن .

(٢) ط : « ألف ألوف » ، وألب ألوب ، أى مجتمع كثير . الحرابة : أصحاب الحراب ، وانظر اللسان .

(٣) المقربات من الخيل : العتاق التى لا تسرح ؛ ولكن تحبس قرب البيوت للعدو . وفى ابن هشام : « الذفر » ، وهو شدة الريح .

(٤) شبههم بالسعالى من الجن ؛ جمع سعلاة .

فقيل للنجاشيّ : إنه قد خلَع طاعتك ، ورأى أنه قد استغنى بنفسه ، فوجّه إليه جيشاً عليه رجل من أصحابه ، يقال له أرْياط ، فلما حلّ بساحته ، بعث إليه أبرهة أنّه يجمعنى وإياك البلاد والدّين ، والواجبُ علىّ وعليك أن ننظر لأهل بلادنا وديننا ممّن معى ومعك ، فإن شئت فبارزنى ؛ فأيُّنا ظفر بصاحبه كان المُلْك له ، ولم يقتل الحبشة فيما بيننا . فرضىَ بذلك أرياط ، وأجمع أبرهة على المكْر به ، فاتّعدا موضعاً يلتقيان فيه ، وأكمن أبرهة لإرياط عبداً له يقال له أرنجده ، فى وَهْدة قريب من الموضع الذى التقيا فيه ، فلما التقيا سبق أرياط فزرق[1] أبرهةً بحربته ، فزالت الحربة عن رأسه وشرمت أنفه فسمِّى الأشرم ، ونهض أرنجده من الحُفْرة ، فزرق أرياط فأنفذه ، فقتله ، فقال أبرهة لأرنجده : احتكِمْ فقال : لا تدخل امرأة اليمن على زوجها حتى يُبدَأ بى ، قال : لك ذاك ، فغبر بذلك زماناً . ثم إن أهل اليمن عَدَوْا عليه فقتلوه ، فقال أبرهة : قد أنَى لكم أن تكونوا أحراراً ، وبلغ النجاشىَّ قتلُ أرياط ، فآلى ألاّ يكون له ناهية دون أن يُهريق دم أبرهة ، ويطأ بلادَه ، وبلغ أبرهة أليّتُه ، فكتب إليه : أيُّها الملك ؛ إنّما كان أرياط عبدك ، وأنا عبدك ، قدِم علىّ يريد توهينَ ملكك ، وقتل جندك ، فسألته أن يكفّ عن قتالى إلى أن أوجّه إليك رسولاً ، فإن أمرته بالكفّ عنى ، وإلاّ سلمت إليه جميع ما أنا فيه ، فأبى إلا محاربتى ، فحاربته فظهرت عليه ، وإنّما سلطانى لك ، وقد بلغنى أنّك حلفت ألاّ تنتهىَ حتى تُهريق دمى ، وتطأ بلادى . وقد بعثت إليك بقارورة من دمى ، وجراب من تراب أرضى ؛ وفى ذلك خروجك من يمينك ، فاستمّ أيّها الملك يدك عندى ؛ فإنما أنا عبدك وعزّى عزّك . فرضىَ عنه النجاشى وأقرّه على عمله .

١/٩٣١

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فأقام أرياط باليمن سنين[2] فى سلطانه ذلك ، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشىّ ،

١/٩٣٢

---

(١) زرقه : طعنه بالمزراق ؛ وهى الحربة .

(٢) ح : « سنتين » .

وكان فى جنده حتّى تفرّقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كلّ واحد منهما طائفة منهم ؛ ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس، ودنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى أرياط : إنّك لن تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتّى تُفنيَها شيئًا ؛ فابرُز لى وأبرز لك ، فأيّنا ما أصاب صاحبه انصرف إليه جنده .

فأرسل إليه أرياط : أن قد أنصفتَنى فاخرج . فخرج إليه أبرهة ، وكان رجلاً قصيراً لحيمًا حادراً[1] ، وكان ذا دين فى النصرانيّة ، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً عظيمًا طويلاً وسيمًا وفى يده حربة وخلف أبرهة ربوة تمنع ظهره وفيها غلام له يقال له عَتْوَدَة ، فلما دنا أحدهما من صاحبه رفع أرياط الحربة فضرب بها على رأس أبرهة — يريد يافوخه[2] — فوقعت الحربة على جبهة أبرهة ، فشرمتْ حاجبه وعينه وأنفه وشفته ؛ فبذلك سمّىَ أبرهة الأشرم ، وحمل غلام أبرهة عَتْودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، ففال عَتْوَدة فى قتله أرياط : « أنا عَتْوَدَهْ ، من فرقة أردَه ، لا أبٌ ولا أمّ نجده » ، أى يقول : قتلك عبدُه ، قال : فقال الأشرم عند ذلك[3] لعتْودة : حكمك يا عتودة . .[4] وإن كنت قتلته ، ولا ينبغى لنا ذلك إلا ديته ، فقال عَتْودة : حكمى ألاّ تدخل عروس من أهل اليمن على زوجها منهم حتّى أصيبَها قبله . فقال : ذلك لك ، ثم أخرج دية أرياط ، وكان كلّ ما صنع أبرهة بغير علم النجاشىّ ملك الحبشة ، فلما بلغه ذلك غضب غضبًا شديداً ، وقال : عدا على أميرى ، فقتله بغير أمرى . ثم حلف ألاّ يدع أبرهة حتى يطأ بلادَه ، ويجزّ ناصيته ؛ فلما بلغ ذلك أبرهة حلق رأسه ، ثم ملأ جرابًا من تُراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشىّ ، وكتب إليه : أيُّها الملك ؛ إنما كان أرياط عبدك ، وأنا عبدك ، فاختلفنا فى أمرك ، وكلّ طاعته لك ، إلاّ أنى كنت أقوى منه على أمر الحبشة ، وأضبط لها

١/٩٣٣

(١) الحادر : الغليظ المجتمع ؛ كذا فسره صاحب اللسان ؛ وأورد نص ابن إسحاق .
(٢) اليافوخ : وسط الرأس .
(٣) ح : «بعد ذلك» .
(٤) كذا فى ط ، وفى الكلام نقص .

وأسوسُ لها ، وقد حلقت رأسى كلّه حين بلغنى قَسَمَ الملك ، وبعثت إليه بجراب من تُراب أرض اليمن ، ليضعه تحت قدميه فيبرَّ قسمُه .

فلما انتهى ذلك إلى النّجاشيّ رضى عنه ، وكتب إليه : أن اثبت على عملك بأرض اليمن ، حتّى يأتيَك أمرى . فلما رأى أبرهة أنّ النجاشيّ قد رضىَ عنه ، وملّكه على الحبشة وأرض اليمن بعث إلى أبى مرّة بن ذى يزَن ، فنزع منه امرأته ريحانة ابنة علْقمة بن مالك بن زيد بن كَهْلان — وأبو ريحانة[1] ذو جَدَن ، وقد كانت ولدت لأبى مرة معد يكرب بن أبى مرة ، وولدت لأبرهة بعد أبى مرة مسروق بن أبرهة ، وبسباسة ابنة أبرهة ، وهرب منه أبو مرّة فأقام أبرهة باليمن وغلامه عَتْوَدة يصنع باليمن ما كان أعطاه من حكمه حينًا ، ثم عدا على عَتْوَدة رجل من حِمْيَر — أو من خثعم — فقتله ، فلما بلغ أبرهة قتله — وكان رجلا حليمًا سيداً شريفًا ورعًا فى دينه من النصرانية — قال : قد أنّى لكم يا أهل اليمن أن يكونَ فيكم رجل حازم ، يأنف مما يأنف منه الرجال ؛ إنّى والله لو علمت حين حكّمته أنّه يسأل الذى سأل ما حكّمتُه ، ولا أنعمته عينًا ، وايم الله لا يُؤخذ منكم فيه عَقْل ، ولا يتبعكم منّى فى قتله شىء تكرهونه.

١/٩٣٤

قال : ثم إنّ أبرهة بنى القُلَّيْس[2] بصنعاء ، فبنى كنيسة لم يُرَ مثلها فى زمانها بشىء من الأرض ، ثم كتب إلى النّجاشيّ ملك الحبشة : إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنتهٍ حتى أصرفَ إليها حاجّ العرب .

فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشيّ غضب رجل من النّسَأة[3] أحد بنى فقيم ، ثم أحد بنى مالك ، فخرج حتى أتى القُلَّيس فقعد[4] فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه ؛ فأخبِر بذلك أبرهة ، فقال : من صنع هذا ؟ فقيلَ : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذى تحجّ العرب إليه بمكّة ، لما سمع

---

(١) ط : « مرة » ؛ والصواب ما أثبته ، وانظر ص ١٤٣ ، والتصويبات .

(٢) القليس : الكنيسة التى أراد أبرهة أن يصرف إليها حاج العرب ؛ قال السهيلى : « وسميت هذه الكنيسة القليس ؛ لارتفاع بنائها وعلوها » .

(٣) ط : « النساه » ؛ وما أثبته عن ابن هشام ، والنسأة : هم الذين كانوا يؤخرون شهر المحرم إلى صفر ، لحاجتهم إلى شن الغارات ، وطلب الثارات .

(٤) قعد فيها ، قال ابن هشام : « يعنى أحدث فيها » .

من قولك : أصرف إليه حاجّ العرب ، فغضب فجاء فقعد فيها ؛ أى أنها ليست لذلك بأهل . فغضِب عند ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرَنّ إلى البيت فيهدمه ، وعند أبرهة رجال من العرب ، قد قدموا عليه يلتمسون فضله ، منهم محمد بن خُزاعىّ بن حزابة الذكوانىّ ، ثم السُّلَمىّ ، فى نفر من قومه ، معه أخ له يقال له قيس بن خُزاعىّ ؛ فبينا هم عنده غشيَهم عيد لأبرهة ، فبعث إليهم فيه بغدائه ، وكان يأكل الخُصَى ، فلما أتى القوم بغدائه قالوا : والله لئن أكلنا هذا لا تزال تعيبنا به العرب ما بقينا ، فقام محمد بن خزاعىّ ، فجاء أبرهة فقال : أيها الملك ، هذا يوم عيد لنا ، لا نأكل فيه إلا الجُنوب والأيدى ؛ فقال له أبرهة : فسنبعث إليكم ما أحببتم ؛ فإنما أكرمتكم بغدائى لمنزلتكم منى . ١/٩٣٥

ثم إن أبرهة توّج محمد بن خُزاعىّ ، وأمّره على مُضَر ، وأمره أن يسير فى الناس يدعوهم إلى حجّ القُلَّيْس ؛ كنيسته التى بناها . فسار محمد بن خُزاعىّ ، حتى إذا نزل ببعض أرض بنى كنانة -وقد بلغ أهلَ تِهامة أمرُه، وما جاء له- بعثوا إليه رجلاً من هُذيل ، يقال له عروة بن حياض الملاصىّ ، فرماه بسهم فقتله . وكان مع محمد بن خُزاعىّ أخوه قيس ، فهرب حين قُتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، فأخبره بقتله ، فزاد ذلك أبرهة غضبًا وحَنَقًا ، وحلَف ليغزوَنّ بنى كنانة وليهدمنّ البيت .

* * *

وأما هشام بن محمّد ، فإنه قال : بنَى أبرهة بعد أن رضىَ عنه النّجاشىّ وأقرّه على عمله كنيسة صنعاء ، فبناها بناء معجبًا لم يُرَ مثله ، بالذهب والأصباغ المعجبة ، وكتب إلى قيصر يعلمه أنّه يريد بناء كنيسة بصنعاء ، يبقى أثرُها وذكْرها ، وسأله المعونةَ له على ذلك فأعانه بالصنّاع والفُسَيفساء والرّخام ، وكتب أبرهة إلى النجاشىّ حين استتمّ بناؤها : إنى أريد أن أصرف إليها حاجّ العرب . فلما سمعت بذلك العرب أعظمته ، وكبُر عليها ، فخرج رجل من بنى مالك بن كنانة حتى قدِم اليمن ، فدخل الهيكل ، فأحدث فيه ، فغضب أبرهة ، وأجمع على غزو مكة وهدْم البيت ، فخرج سائراً بالحبشة ومعه الفيل ، فلقيَه ذو نَفْر الحميرىّ ، فقاتله فأسره ، فقال : أيها الملك ؛ إنما أنا عبدك فاستبقِنى ، فإنّ حياتى خير لك مِنْ قتلى ، فاستبقاه ، ثم سار فلقيَه نُفيل ١/٩٣٦

ابن حبيب الخثعمىّ ، فقاتله فهزم أصحابه ، وأسرَه، فسأله أن يستبقيَه ، ففعل وجعله دليله فى أرض العرب .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ثم إن أبرهة حين أجمع السّير إلى البيت أمر الحبشان فتهيّأت وتجهّزت ، وخرج معه بالفيل ــ قال : وسمعت العرب بذلك فأعظموه ، وفظِعوا به ، ورأوْا جهاده حقًّا عليهم حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام ــ فخرج له رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم ، يقال له : ذو نفْر ، فدعا قومه ومن أجابه منهم من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله ، وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه مَنْ أجابه إلى ذلك ، وعرض له فقاتله ، فهُزِم ذو نفْر وأصحابه ، وأخِذ له ذو نفْر أسيراً ، فأُتِىَ به ، فلما أراد قتله قال له ذو نفْر : أيُّها الملك، لا تقتلنى ؛ فإنّه عسى أن يكون كونى معك خيراً لك من قتلى . فتركه من القتل وحبسه عنده فى وَثاق ــ وكان أبرهة رجلا حليمًا ــ ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك ، يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثْعم ، عرض له نُفَيل ابن حبيب الخثعمىّ فى قبيلىْ خثعم : شهران وناهس ومَنْ تبِعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخِذ له نُفيل أسيراً ، فأُتى به ؛ فلما همّ بقتله قال له نُفَيل : أيُّها الملك، لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداىَ لك على قبيلَىْ خثعم ، شهران وناهس بالسمع والطّاعة ، فأعفاه وخلّى سبيله، وخرج به معه يدلّه على الطريق ، حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتّب فى رجال ثقيف ، فقال له : أيُّها الملك ؛ إنّما نحن عبيدُك ، سامعون لك مطيعون ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذى تريد ــ يعنون اللاّت ــ إنما تريد البيتَ الذى بمكّة ــ يعنون الكعبة ــ ونحن نبعث معك مَنْ يدلّك . فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رِغال ، فخرج أبرهة ومعه أبو رِغال ، حتى أنزله المغمّس ، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك ، فرجمت العرب قبرَه ، فهو القبر الذى يرجُم الناس بالمغمّس . (١)

٩٣٧/١

ولما نزل أبرهة المغمّس بعث رجلا من الحبشة ، يقال له الأسود بن مقصود

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٤٢ .

على خيل له حتّى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال أهل مكة من قُريش وغيرهم ، وأصاب منها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ؛ وهو يومئذ كبير قريش وسيّدها ، فهمّت قريش وكنانة وهذيل ومَنْ كان بالحرَم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا أنّه لا طاقة لهم به ؛ فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة حُناطة الحميرىّ إلى مكة ، وقال له : سلْ عن سيّد هذا البلد وشريفهم ؛ ثم قل له : إن الملك يقول لكم : إنى لم آتِ لحربكم ؛ إنما جئت لهدم البيت ؛ فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجةَ لى بدمائكم ؛ فإن لم يُرِدْ حربى فأتنى به . ١/٩٣٨

فلما دخل حُنَاطة مكّةسأل عن سيّد قريش وشريفها ، فقيل له : عبدالمطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصىّ ، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة . فقال له عبد المطّلب : والله ما نريد حربَه ، وما لنا بذلك من طاقة ؛ هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم — أو كما قال — فإنْ يمنعْه فهو بيته وحَرمه ، وإن يخلّ بينه وبينه ، فوالله ما عندنا من دَفْع عنه — أو كما قال له — فقال له حُناطة : فانطلِق إلى الملِك ، فإنّه قد أمرنى أن آتيَه بك — فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتّى أتى العسكر فسأل عن ذى نفْر — وكان له صديقًا — حتى دُلّ عليه ، وهو فى محبسه ، فقال له : ياذا نفْر ، هل عندك غَنَاء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفْر : وما غَنَاء رجل أسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله غدوًّا أو عشيًّا ! ما عندى غناء فى شىء مما نزل بك إلاّ أن أنيسًا سائس الفيل لى صديق ، فسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأعظِّم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذِن لك على الملك فتكلّمه بما تريد ، ويشفع لك عنده بخير ، إن قدر على ذلك . قال : حسبى .

فبعث ذو نفْر إلى أنَيْس ، فجاء به ، فقال : يا أنَيْس ؛ إن عبد المطلب سيّد قريش وصاحب عِير مكة يطعم الناس بالسّهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتى بعير فاستأذِنْ له عليه ، وانفعه عنده بما استطعت. قال : أفعل ، فكلّم أنيس أبرهة فقال : أيها الملك ؛ هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عِير مكّة يطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، فأذَنْ له عليك ، فيكلّمك بحاجته وأحْسِن إليه . قال : فأذن له ١/٩٣٩

أبرهة – وكان عبد المطلب رجلا عظيماً وسيماً جسيماً – فلما رآه أبرهة أجلّه وأكرمه أن يجلس تحته ، وكره أن تراه الحبشة يُجلسه معه على سرير مُلْكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له حاجَتك إلى الملك ، فقال له ذلك التّرجمان ، فقال عبد المطّلب : حاجتى إلى الملك أن يردّ علىّ مائتى بعير أصابها لى . فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له قد كنت أعجبتنى حين رأيتُك ، ثم زهدت فيك حين كلّمتنى ؛ أتكلّمنى فى مائتى بعير قد أصبتُها لك وتتركُ بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه لا تكلّمنى فيه ! قال له عبد المطلب : إنّى أنا ربّ الإبل ، وإن للبيت ربًّا سيمنعه ، قال : ما كان ليمنع منّى ، قال : أنت وذاك ، اردد إلىّ إبلى .

وكان – فيما زعم بعض أهل العلم – قد ذهب عبد المطّلب إلى أبرهة حين بعث إليه حُناطة بعمرو بن نُفاثة بن عدىّ بن الدُّئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة – وهو يومئذ سيّد بنى كنانة – وخويلد بن واثلة الهذلىّ – وهو يومئذ سيد هُذَيل – فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تِهامة على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم .

١/٩٤٠

وكان أبرهة قد ردّ على عبد المطلب الإبل التى أصاب له ، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطّلب إلى قُريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز فى شَعَف الجبال والشِّعاب تخوُّفًا عليهم معرّة الجيش ، ثم قام عبد المطّلب فأخذ بحلْقة الباب باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب ، وهو آخذ بحلْقة باب الكعبة :

يَا رَبِّ لاَ أرْجُو لَهُمْ سواكَا يا رَبِّ فامْنَعْ مِنْهُمُ حِمَاكا
إنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَن عاداكا امْنَعْهُمُ أنْ يُخْرِبُوا قُراكا

ثم قال أيضًا :

لا هُمَّ إنَّ العَبْدَ يَمْـ ... نَعُ رَحْلَهُ فامْنَعْ حِلالَكْ(١)

لا يغلبنَّ صَليبُهُمْ ... ومِحالُهُم غَدْوًا مِحالَكْ(٢)

فلَئِنْ فعلْتَ فرُبَّمَا ... أوْلَى فأمْرٌ ما بدا لَكْ(٣)

ولئِنْ فعلْتَ فإنَّه ... أمْرٌ تُتِمُّ بِهِ فِعالَكْ

جرُّوا جُموعَ بِلادِهِمْ ... والفيلَ كَيْ يَسْبُوا عِيالَكْ

عَمَدُوا حِمَاكَ بكَيْدِهِمْ ... جَهْلًا ومَا رَقَبُوا جَلالَكْ

[وقال أيضًا](٤) :

وَكُنْتَ إذا أتَى باغٍ بِسِلْمٍ ... نُرَجِّي أنْ تكُونَ لَنَا كذَلِكْ

فوَلَّوْا لم ينالُوا غيْرَ خِزْيٍ ... وكانَ الحَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنَالِكْ

ولم أسْمَعْ بأرْجَسَ من رِجالٍ ... أرادوا العِزَّ فانْتَهكُوا حَرامَكْ

١/ ٩٤١

ثم أرسل عبد المطلب حَلْقة الباب ، باب الكعبة ، وانطلق هو ومَنْ معه من قريش إلى شعَف الجبال ، فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكّة إذا دخلها . فلما أصبح أبرهة تهيّأ لدخول مكة ، وهيأ فيلَه ، وعبّى جيشه — وكان اسم الفيل محموداً — وأبرهة مجمع لهدْم البيت ثم الانصراف إلى اليمن ؛ فلما وجّهوا الفيل أقبل نُفيل بن حَبيب الخَثْعَميّ حتى قام إلى جنبه ، ثم أخذ بأذنه ، فقال : ابْرُكْ محمُود ، وارجعْ راشداً من حيث جئت ؛ فإنك فى بلد الله الحرام . ثم أرسل أذنه ، فبرك الفيل وخرج نُفيل بن حبيب يشتدّ حتى صعد

---

(١) الحلال فى البيت : القوم الحلول فى المكان .

(٢) غدواً ، أى غدا ولم يستعمل تاماً إلا فى الشعر ، وانظر الفائق ١ : ٢٦٠ .

(٣) ولم يذكر ابن هشام سوى هذه الأبيات الثلاثة ؛ وقال : هذا ما صح له منها .

(٤) زيادة يقتضيها اختلاف بحر الأبيات التالية عما قبلها .

فى الجبل ، وضربوا الفيل ليقومَ فأبى ، وضربوا فى رأسه بالطّبرزين[1] ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجنَ لهم فى مَرَاقّه فبزَغوه[2] ليقوم فأبى ، فوجّهوه راجعاً إلى اليمن ، فقام يهرول ، ووجّهوه إلى الشأم ففعل مثل ذلك ، ووجّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجّهوه إلى مكّة فبرك ، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كلّ طير منها ثلاثة أحجار يحملها ، حجر فى منقاره ، وحجران فى رجليه مثل الحمّص والعدَس لا تصيب منهم أحداً إلاّ هلك ، وليس كلّهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا ، ويسألون عن نُفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نُفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

١/٩٤٢

أَيْنَ الْمَفَرّ والإلهُ الطَّالِبْ ... والأَشْرَمُ الْمَغْلوبُ غَيْرُ الغالبْ !

وقال نفيل أيضًا :

أَلا حُيِّيتِ عَنَّا يا رُدَيْنا ... نَعِمْنا كُمْ مَعَ الْإِصْباحِ عَيْنا
أَتانا قابِسٌ مِنْكُمْ عِشاءً ... فَلَمْ يُقدَرْ لقَابِسِكُمْ لدَيْنا
رُدَيْنَةُ لوْ رَأَيْتِ ولَم تَرَيْهِ ... لدَى جَنْبِ المُحَصَّبِ مَا رَأَيْنا
إذًا لَعَذَرْتِنِى وحَمِدْتِ رَأْيِى ... ولَم تأسَىْ عَلَى ما فاتَ بَيْنا[3]
حَمِدْتُ اللهَ إذْ عَايَنْتُ طيْرًا ... وخِفْتُ حِجارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
فكُلُّ القَوْمِ يَسْأَلُ عن نُفَيْلٍ ... كأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا !

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق ، ويهلِكون على كلّ منهَل ، وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنمُلةً أنمُلةً ، كلّما سقطت منه

(١) الطبرزين : فأس السرج ؛ فارسى معرب ؛ قال الجواليقى : « لأن فرسان العجم كانت تحمله معها يقاتلون به » . المعرب ٢٢٨ .
(٢) بزغوه : أدموه .
(٣) قال السهيلى : نصب « بينا » نصب المصدر المؤكد لما قبله ؛ إذ كان فى معناه ولم يكن على لفظه ؛ لأن « فات » معناه « فارق » ، و « بان » .

أنملة اتبعتها منه مِدّة تَمُثّ[1] قيحًا ودمًا حتى قَدِموا به صنعاء ؛ وهو مثل فرخ الطّير ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه — فيما يزعمون[2] .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا عبد الله بن عثمان بن أبى سُليمان ، عن أبيه . قال : وحدّثنا محمد بن عبد الرحمن بن السّلمانىّ ، عن أبيه. قال : وحدّثنا عبد الله ابن عمرو بن زهير الكَعْبىّ ، عن أبى مالك الحِمْيرىّ عن عطاء بن يسار . ١/٩٤٣ قال : وحدّثنا محمد بن أبى سعيد الثّقفىّ عن يَعلَى بن عطاء ، عن وكيع بن عُدُس ، عن عمّه أبى رَزِين العُقَيْلىّ . قال : وحدّثنا سعيد بن مُسْلِم ، عن عبد الله ابن كثير ، عن مجاهد ، عن ابن عبّاس ؛ دخل حديث بعضهم فى حديث بعض ؛ قالوا : كان النجاشىّ قد وجّه أرياط أبا صحم[3] فى أربعة آلاف إلى اليمن ، فأداخها[4] وغلب عليها ، فأعطى الملوك ، واستذلّ الفقراء ، فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبو يكسوم ، فدعا إلى طاعته ، فأجابوه ، فقتل أرياط ، وغلب على اليمن ، ورأى الناس يتجهّزون أيام الموسم للحجّ إلى البيت الحرام ، فسأل : أين يذهب الناس ؟ فقالوا : يحجّون إلى بيت الله بمكة ، قال : ممّ هو ؟ قالوا : من حجارة ، قال : فما كسوته ؟ قالوا : ما يأتى ها هنا من الوصائل ، قال : والمسيح لأبنيَنّ لكم خيراً منه ! فبنى لهم بيتًا ، عمِله بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود ، وحلاّه بالذهب والفضة ، وحفّه بالجوهر ، وجعل له أبوابًا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ، وفصل بينها بالجوهر ، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة ، وجعل لها حجابًا ، وكان يوقد بالمَنْدَل ، ويلطّخ جُدُره بالمِسك ، فيسوّده حتى يغيب الجوهر . وأمر الناس فحجّوه ، فحجّه كثير من قبائل العرب سنين ، ومكث فيه رجال يتعبّدون ويتألّهون ، ونَسَكوا له ، وكان نُفَيل الخثعمىّ يؤرِّض[5] له ما يكره ، فلما كان ليلة من

---

(١) قال السهيلى : تمث ، بالضم والكسر ؛ فعلى رواية الضم يكون الفعل متعدياً ، ونصب « قيحاً » على المفعول ، وعلى رواية الكسر يكون غير متعد ، ونصب « قيحاً » على التمييز .

(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ٤٢ — ٤٦ . (٣) ر : « ضخم » .

(٤) أداخها : أذلها . (٥) أرض الشىء : سواه وزينه .

الليالى لم ير أحداً يتحرّك، فقامَ فجاء بعَذِرة فلطّخ بها قبْلته، وجمع جِيَفاً
١/٩٤٤ فألقاها فيه. فأخبر أبرهة بذلك، فغضب غضباً شديداً، وقال: إنّما فعلت هذا العرب غضباً لبيتهم، لأنقضنّه حجراً حجراً. وكتب إلى النجاشيّ يخبره بذلك، ويسأله أن يبعث إليه بفيله «محمود» — وكان فيلا لم يُر مثله فى الأرض عِظَماً وجسماً وقوّة — فبعث به إليه، فلما قدم عليه الفيل سار أبرهة بالناس ومعه مَلِك حِمْير، ونُفَيل بن حبيب الخثعميّ، فلما دنا من الحرم أمر أصحابه بالغارة على نَعم الناس فأصابوا إبلا لعبد المطلب، وكان نُفَيل صديقاً لعبد المطّلب، فكلّمه فى إبله، فكلّم نُفَيل أبرهة، فقال: أيّها الملك، قد أتاك سيّد العرب وأفضلهم قَدْراً، وأقدمهم شرفاً، يحمل على الجياد، ويُعطى الأموال، ويطعِم ما هبّت الريح. فأدخله على أبرهة، فقال: حاجتك! قال: تردّ علىّ إبلى، فقال: ما أرى ما بلَغنى عنك إلا الغُرور، وقد ظننت أنّك تكلّمنى فى بيتكم الذى هو شرفكم، فقال عبد المطلب: اردد علىّ إبلى، ودونك البيت؛ فإن له ربّاً سيمنعه. فأمر بردّ إبله عليه، فلما قبضها قلّدها النّعال، وأشعرها، وجعلها هَدْياً، وبثّها فى الحرَم لكى يصاب منها شىء فيغضب ربّ الحرم، وأوفى عبد المطلب على حِراء ومعه عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومُطعِم بن عدىّ وأبو مسعود الثقفىّ، فقال عبد المطلب:

لَاهُمَّ إنَّ المَرْءَ يَمْـ ... نَعُ رَحْلَه فامْنَعْ حِلَالَكْ
لا يَغلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ... وَمِحالُهُمْ غَدْوًا مِحالَكْ
إنْ كُنْتَ تارِكَهم وَقِبْـ ... لَتَنا فأمْرٌ ما بَدَا لكْ

١/٩٤٥ قال: فأقبلت الطّير من البحر أبابيل، مع كلّ طير [منها][1] ثلاثة أحجار: حجَرَان فى رجليه وحجر فى منقاره، فقذفت الحجارة عليهم، لا تصيب شيئاً إلا هشّمته، وإلّا نفَط ذلك الموضع، فكان ذلك أول ما كان الجُدرىّ والحصبة والأشجار المرّة، فأهمدتهم الحجارة، وبعث الله سيْلاً أتِيّاً، فذهب بهم فألقاهم فى البحر.

---

(١) تكملة من ح، ر.

قال : وولّى أبرهة ومَنْ بَقِيَ معه هُرّابًا ، فجعل أبرهة يسقط عضواً عضواً . وأما «محمود» فيل النجاشيّ فربَض ولم يشجع على الحرَم فنجا ، وأما الفيل الآخر فشجع فحُصب . ويقال : كانت ثلاثة عشر فيلا ، ونزل عبد المطّلب من حراء ، فأقبل رجلان من الحبشة فقبّلا رأسه وقالا : أنت كنت أعلم .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدّث أنّ أول ما رُئيت الحصبة والجدريّ بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أوّل ما رئى بها مُرار الشجر : الحَرْمل والحنظل والعُشَر ، ذلك العام .

* * *

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبرهة ملك اليمن ابنُه فى الحبشة يكسوم بن أبرهة — وبه كان يكنى — فذلّت حِمير وقبائل اليمن ووطئتهم الحبشة ؛ فنكحوا نساءهم ، وقتلوا رجالهم ، واتّخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب .

قال : ولما ردّ الله الحبشة عن مكّة ، فأصابهم ما أصابهم من النّقمة ، عَظّمت العرب قريشًا ، وقالوا : أهل الله ، قاتل الله عنهم ، فكفاهم مؤونة عدوّهم .

قال : ولما هلك يكسوم بن أبرهة ملكَ اليمن فى الحبشة أخوه مسروق ابن أبرهة ، فلما طال البلاء على أهل اليمن — وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروقًا ، وأخرجوا الحبشة من اليمن ثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة ملوك : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة — خرج سيف بن ذى يزَن الحميرىّ ، وكان يَكنى بأبى مُرّة ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا ما هم فيه ، وطلب إليه أن يخرجَهم عنه ، ويليهم هو ، ويبعث إليهم مَنْ شاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشْكِه ولم يجد عنده شيئًا مما يريد ، فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر — وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العرب من العراق — فشكا إليه ما هم فيه من البلاء والذلّ ، فقال له النعمان : إنّ لى على كسرى وفادة فى كلّ عام ، فأقِم عندى حتى يكون ذلك ، فأخرج بك معى . قال : فأقام عنده حتى خرج النّعمان إلى كسرى ، فخرج معه إلى

١/٩٤٦

كِسرى ، فلما قدِم النّعمان على كسرى وفرغ من حاجته ، ذكر له سيف بن ذى يزن وما قدم له ، وسأل أن يأذنَ له عليه ، ففعل. وكان كسرى إنما يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القَنْقَل[1] العظيم ، مضروبًا فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ والذهب والفضة ، معلّقًا بسلسلة من ذهب فى رأس طاق مجلسه ذلك ، كانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يُستر بالثياب حتى يجلِس فى مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه فى تاجه ، فإذا استوى فى مجلسه كشف الثياب عنه فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلاّ برك هيبة له . فلما دخل عليه سيف بن ذى يزنَ برك ، ثم قال : أيّها الملك غلبتْنا على بلادنا الأغربة ، فقال كسرى : أىّ الأغربة ؟ الحبشة أم السّند ؟ قال : بل الحبشة ، فجئتك لتنصرَنى عليهم ، وتخرِجهم عنّى ، ويكون مُلْك بلادى لك ، فأنت أحبّ إلينا منهم . قال : بعدت أرضك من أرضنا ، وهى أرض قليلة الخيْر ؛ إنّما بها الشاء والبعير ، وذلك ممّا لا حاجة لنا به ، فلم أكن لأورّط جيشًا من فارس بأرض العرب . لا حاجة لى بذلك ! ثم أمر فأجيز بعشرة آلاف درهم وافٍ ، وكساه كسوة حسنة .

١/٩٤٧

فلما قبض ذلك سيف بن ذى يزن ، خرج فجعل ينثُر الورِق للناس يُنْهِبها الصبيان والعبيد والإماء ، فلم يلبث ذلك أنْ دخل على كسرى ، فقيل له : العربىّ الذى أعطيتَه ما أعطيته ينثُر دراهمه للناس يُنْهِبها العبيد والصبيان والإماء . فقال كسرى : إنّ لهذا الرجل لشأنا ، ائتونى به ، فلما دخل عليه قال : عمَدت إلى حِباء الملِك الذى حَباك به تنثره للناس ! قال : وما أصنع بالذى أعطانى الملك ! ما جبالُ أرضِى التى جئت منها إلاّ ذهب وفضة — يرغّبه فيها لما رأى من زهادته فيها — إنّما جئت الملك ليمنعَنى من الظلم ، ويدفع عنّى الذلّ ، فقال له كسرى : أقم عندى حتى أنظر فى أمرك . فأقام عنده .

وجمع كسرى مرَازبته وأهلَ الرأى ممّن كان يستشيره فى أمره ، فقال : ما ترون فى أمر هذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل منهم : أيُّها الملك ، إن فى سجونك رجالاً قد حبستَهم للقتل ، فلو أنّك بعثتهم معه ، فإن هلكوا كان الذى أردتَ بهم ، وإن ظهروا على بلاده كان مُلكًا ازددته إلى ملكك . فقال : إنّ هذا الرأى ! أحصوا لِى كمْ فى سجونى من الرجال ؛ فحسبوا له ،

١/٩٤٨

(١) القنقل : مكيال يسع ثلاثين منا ، والمن : وزان رطلين .

فوجدوا فى سجونه ثمانمائة رجل ، فقال : انظروا إلى أفضل رجل منهم حَسَبًا وبيتًا ، اجعلوه عليهم. فوجدوا أفضلَهم حسبًا وبيتًا وَهْرِز — وكان ذا سنٍّ — فبعثه مع سيف ، وأمّره على أصحابه ، ثم حملهم فى ثمانى سفائن ، فى كلّ سفينة مائة رجل ، وما يصلحهم فى البحر .

فخرجوا حتى إذا لجَّجوا فى البحر ، غرقت من السفن سفينتان بما فيهما ، فخلَص إلى ساحل اليمن من أرْض عدن ستّ سفائن ، فيهنّ ستمائة رجل ، فيهم وهرِز ، وسيف بن ذى يزن، فلما اطمأنّا بأرض اليمن ، قال وَهْرِز لسيف : ما عندك ؟ قال : ما شئتَ من رجل عربىّ ، وفرس عربىّ ؛ ثم اجعل رجلى مع رجلك؛ حتى نموت جميعًا أو نظهر جميعًا . قال وَهْرِز : أنصفت وأحسنت ! فجمعَ إليه سيف مَن استطاع من قومه ، وسمع بهم مسروق بن أبرهة فجمع إليه جنده من الحبشة ، ثم سار إليهم حتى إذا تقارب العسكران ، ونزل الناسُ بعضهم إلى بعض بعث وهرِز ابنًا له كان معه — يقال له نَوْزاذ — على جريدة خَيْل ، فقال له : ناوشهم القتال ، حتى ننظرَ كيف قتالهم. فخرج إليهم فناوشهم شيئًا من قتال ، ثم تورّط فى مكان لم يستطع الخروج منه فقتلوه ، فزاد ذلك وهرِز حنقًا عليهم ، وجِدًّا على قتالهم .

١/٩٤٩ فلما تواقف الناس على مصافّهم قال وهرِز : أرونى ملِكهم ، فقالوا : ترى رجلاً على الفيل عاقدًا تاجَه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء ، قال : نعم ،قالوا : ذاك[1] ملكهم ،قال : اتركوه . فوقفوا طويلاً ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحوّل على الفرس ، فقال : اتركوه ، فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحوّل على البغلة ، قال : ابنة الحمار ! ذلّ وذلّ ملكه ، هل تسمعون أنّى سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه وقوفًا لم يتحرّكوا فاثبتوا حتى أوذنكم ، فإنّى قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به ، فقد أصبت الرجل ، فاحملوا عليهم .

ثم أوْتَر قوسه —وكانت فيما زعموا لا يوتِرها غيره من شدّتها — ثم أمر بحاجبيه

---

(١) ر : « ذلك » .

فعَصَّبا له ، ثم وضع فى قوسه نُشّابة فمغَط (١) فيها حتى إذا ملأها أرسلها فصكّ بها الياقوتة التى بين عينيه ، فتغلغلت النّشابة فى رأسه ، حتى خرجت من قفاه ، وتنكّس عن دابّته ، واستدارت الحبشة ، ولاثت به ، وحملت عليهم الفُرْس ، وانهزمت الحبشة ، فقتِلوا وهرب شريدهم فى كلّ وجه ، فأقبل وَهْرِز يريد صنعاء يدخلها ؛ حتى إذا أتى بابها قال : لا تدخل رايتى منكّسة أبداً ، اهدموا الباب . فهدم باب صنعاء ، ثم دخلها ناصبًا رايتَه يُسار بها بين يديه .

فلما ملك اليمن ونفى عنها الحبشة كتب إلى كسرى : إنّى قد ضبطت لك اليمن ، وأخرجت مَنْ كان بها من الحبشة ؛ وبعث إليه بالأموال . فكتب إليه كسرى يأمره أن يملّك سيف بن ذى يزن على اليمن وأرضها ، وفرض كسرى على سيف بن ذى يزن جِزْية وخرجاً يؤديه إليه فى كلّ عام معلوم ، يُبْعث إليه فى كلّ عام . وكتب إلى وهرِز أن ينصرف إليه . فانصرف إليه وهرز ، وملّك سيف بن ذى يزن على اليمن ، وكان أبوه ذو يزن من ملوك اليمن . ١/٩٥٠

فهذا ما حدثنا به ابن حميد ، عن سلمة عن ابن إسحاق ، من أمر حِمْير والحبشة ، وملكهم وتوجيه كسرى من وجّه لحرب الحبشة باليمن (٢) .

* * *

وأمّا هشام بن محمد ، فإنّه قال : ملك بعد أبرهة يكسوم ، ثم مسروق . قال : وهو الذى قتله وهرز فى مُلك كسرى بن قُباذ ، ونفى الحبشة عن اليمن .

قال : وكان من حديثه أن أبا مُرّة الفيّاض ذا يزن ، كان من أشراف اليمن ، وكانت تحته ريحانة ابنة ذى جَدَن ، فولدت له غلامًا سمّاه مَعْدِ يكرب ، وكانت ذاتَ جمال ، فانتزعها الأشرم من أبى مُرّة ، فاستنكحها ، فخرج أبو مرّة من اليمن ، فلحق ببعض ملوك بنى المنذر — أظنّه عمرو بن هند — فسأله أن يكتب له إلى كسرى كتابًا ، يعلمه فيه قدرَه وشرفه ونزوعه إليه فيما نزع إليه فيه . فقال : لا تعجَل ، فإنّ لى عليه فى كلّ سنة وِفادة ، وهذا وقتها ، فأقام قبله حتى وفَد عليه معه ، فدخل عمرو بن هند على كِسرى ،

(١) مغط الرجل القوس مغطاً ؛ إذا مدها بالوتر . (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٥٠ — ٥٢

فذكر له شرفَ ذى يزن وحاله ، واستأذن له ، فدخل فأوسع له عمرو ، فلما رأى ذلك كسرى علم أن عمراً لم يصنع به ذلك بين يديه إلا لشرفه ، فأقبل عليه ، فألطفه وأحسن مسألته ، وقال له : ما الأمر الذى نزع بك ؟ قال : أيها الملك ، إن السُّودان قد غلبونا[1] على بلادنا ، وركبوا منّا أموراً شنيعة[2] ، أجلّ الملك عن ذكرها ، فلو أنّ الملِك تناولنا بنصره من غير أن نستنصره ، لكان حقيقًا بذلك لفضله وكرمه وتقدّمه لسائر الملوك. فكيف وقد نزعنا إليه ، مؤمّلين له ، راجين أن يقصِم الله عدوّنا وينصرنا عليهم ، وينتقم لنا به منهم ! فإن رأى الملك أن يصدّق ظنّنا ، ويحقّق رجاءنا ، ويوجّهَ معى جيشًا ينفون هذا العدوّ عن بلادنا فيزدادها إلى ملكه — فإنّها من أخصب البلدان وأكثرها خيراً ، وليست كما يلى الملِك من بلاد العرب — فعل . ١/٩٥١

قال : قد علمت أنّ بلادكم كما وصفْت ، فأىّ السّودان غلبوا عليها ؟ الحبشة أم السّند ؟ قال : بل الحبشة ، قال أنوشِرْوان : إنّى لأحبّ أن أصدّق ظنّك ، وأن تنصرف بحاجتك ؛ ولكنّ المسلكَ للجيش إلى بلادكَ صعب ، وأكره أن أغرّره بجندى ، ولى فيما سألتَ نظَر ، وأنت على ما تحبّ .

وأمر بإنزاله وإكرامه ؛ فلم يزل مقيمًا عنده حتّى هلك . وقد كان أبو مرّة قال قصيدة بالحِمْيريّة يمتدح فيها كسرى ، فلما ترجِمت له ، أعجب بها .

وولدت ريحانة ابنة ذى جَدَن لأبرهة الأشرم غلامًا ، فسمّاه مسروقًا ، ونشأ معديكرب بن ذى يزن مع أمّه ريحانة فى حِجْر أبرهة فسبّه ابن لأبرهة ، فقال له : لعنك الله ، ولعن أباك ! وكان معد يكرب لا يحسب إلاّ أنّ الأشرم أبوه ، فأتى أمّه فقال لها : مَنْ أبى ؟ قالت : الأشرم ، قال : لا والله ، ما هو أبى ، ولو كان أبى ما سبّنى فلان ، فأخبرتْه أنّ أباه أبو مرّة الفيّاض ، واقتصّت عليه خبره ، فوقع ذلك فى نفس الغلام ، ولبِث بعد ذلك لبثًا . ١/٩٥٢

---

(١) ح : « غلبوا » . (٢) كذا فى ح ، وفى ط : « شنعه » .

ثم إنّ الأشرم مات ، ومات ابنه يكسوم ، فخرج ابن ذى يزن قاصداً إلى ملِك الرّوم ، وتجنّب كسرى لإبطائه عن نصر أبيه ، فلم يجد عند ملك الرُّوم ما يحبّ ، ووجده يحامى عن الحبَشة لموافقتهم إيّاه على الدّين ، فانكفأ راجعًا إلى كسرى ، فاعترضَه يومًا وقد ركب ، فصاح به : أيّها الملِك ، إنّ لى عندك ميراثًا . فدعا به كسرى لمّا نزل ، وقال : مَنْ أنت ؟ وما ميراثك ؟ قال : أنا ابن الشيخ اليمانىّ ذى يزَن ، الذى وعدتَه أن تنصره ، فمات ببابك وحَضْرتك ، فتلك العِدةُ حقٌّ لى وميراث يجب عليك الخروج لى منه . فرقّ له كسرى ، وأمر له بمال . فخرج الغلام ، فجعل ينثر الدراهم ، فانتهبها الناس . فأرسل إليه كسرى : ما الذى حملك على ما صنعت ؟ قال : إنّى لم آتك للمال ، إنّما جئتك للرجال ، ولتمنَعنى من الذّل . فأعجَب ذلك كسرى ، فبعث إليه : أن أقمْ حتى أنظرَ فى أمرك . ثم إنّ كسرى استشار وزراءه فى توجيه الجند معه ، فقال له الموْبذان : إنّ لهذا الغلام حقًّا بنزوعه وموت أبيه بباب الملك وحضرته ، وما تقدّم من عِدَته إياه ، وفى سجون الملك رجال ذوو نجدة وبأس ، فلو أنّ الملِك وجّههم معه ، فإن أصابوا ظفرًا كان له ، وإن هلكوا كان قد استراح وأراح أهلَ مملكته منهم ، ولم يكن ذلك ببعيد من الصواب .

قال كسرى : هذا الرّأى ، وأمر بمن كان فى السجون من هذا الضرْب ، فأحصوا فبلغوا ثمانمائة نفر ، فقوّد عليهم قائداً من أساورته ، يقال له وهْرِز ، كان[1] كسرى يعدِله بألف أسوار[2] ، وقوّاهم وجهّزهم وأمر بحملهم فى ثمانىَ سفائن ، فى كُلّ سفينة مائة رجل ، فركبوا البحر ، فغرقت من الثمانى السفن سفينتان ، وسلِمت ستّ ، فخرجوا بساحل حَضْرموت ، وسار إليهم مسروق فى مائة ألف من الحبشة وحِمْير والأعراب ، ولحق بابن ذى يزن بَشَرٌ كثير ، ونزل وهْرِز على سِيف البحر ، وجعل البحر وراء ظهره ، فلمّا نظر مسروق إلى قلّتهم طمع فيهم ، فأرسل إلى وهرز : ما جاء بك ، وليس معك إلاّ من

(١) ح : « وكان» .

(٢) الأسوار بالضم والكسر : القائد فى الفرس .

أرى ، ومعى مَنْ ترى ! لقد غرّرت بنفسك وأصحابك ، فإن أحببت أذِنت لك ؛ فرجعت إلى بلادك ولم أهجك ؛ ولم ينلك ولا أحداً من أصحابك منّى ولا من أحد من أصحابى مكروه ، وإن أحببتَ ناجزتُك الساعة ، وإن أحببت أجّلتك حتى تنظرَ فى أمرك ، وتشاور أصحابك .

فأعظم وهْرِز أمرَهم . ورأى أنّه لا طاقة له بهم ، فأرسل إلى مسروق : بل تضرب بينى وبينَك أجلا ، وتعطينى موثِقًا وعهداً ، وتأخذ مثله منّى ؛ ألاّ يقاتل بعضنا بعضًا حتى ينقضىَ الأجلُ ، ونرى رأينا .

ففعل ذلك مسروق ، ثم أقام كلّ واحد منهما فى عسكره ، حتى إذا مضى من الأجل عشرة أيام ، خرج[١] ابن وهْرز يسير على فرس له ، حتى دنا من عسكرهم ، وحمله فرسُه ، فتوسّط به عسكرهم ، فقتلوه – ووهْرِز لا يشعر به – فلما بلغه قتلُ ابنه أرسل إلى مسروق : قد كان بينى وبينكم ما قد علمتم ، فَلِمَ قتلتم ابنى ؟ فأرسل إليه مسروق : إنّ ابنك حَمَل علينا ، وتوسّط عسكرنا ، فثار إليه سفهاء من سفهائنا ، فقتلوه ، وقد كنت لقتله كارهًا . قال وهْرز للرّسول : قل له : إنه لم يكن ابنى ، إنما كانَ ابنَ زانية ، ولو كان ابنى لصبر ولم يغدر حتى ينقضىَ الأجل الذى بيننا . ثم أمر فرمِىَ به فى الصعيد حيث ينظَر إلى جثمانه ، وحلف ألاّ يشرب خمراً ، ولا يدهن رأسه حتى ينقضىَ الأجل بينه وبينهم .

١/ ٩٥٤

فلما انقضى الأجل إلاّ يومًا واحداً ، أمر بالسّفن التى كانوا فيها فأحرقت بالنار ، وأمر بما كان معهم من فَضْل كسوة فأحرِق ، ولم يدع منه إلاّ ما كان على أجسادهم ، ثم دعا بكلّ زاد معهم . فقال لأصحابه : كلوا هذا الزاد ، فأكلوه ، فلما انتهوْا أمر بفضله فألقِىَ فى البحر ، ثم قام فيهم خطيبًا ، فقال : أمّا ما حرّقتُ من سفنكم ، فإنى أردت أن تعلموا أنه لا سبيل إلى بلادكم أبداً ، وأما ما حرّقت من ثيابكم ، فإنّه كان يغيظنى إن ظفرتْ بكم الحبش أن يصير

---

(١) ر ، ل : « وخرج » .

ذلك إليهم ، وأمّا ما ألقيت من زادكم فى البحر ، فإنّى كرهت أن يطمع أحد منكم أن يكون معه زاد يعيش به يومًا واحداً ، فإن كنتم قومًا تقاتلون معى وتصبرون أعلمتمونى ذلك . وإن كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفى هذا حتى يخرج من ظهرى ؛ فإنى لم أكن لأمكّنهم من نفسى أبداً . فانظروا ما تكون حالكم ، إذا كنت رئيسكم وفعلت هذا بنفسى ! فقالوا : لا بل نقاتل معك حتى نموت عن آخرنا ، أو نظفر.

فلما كان صبح اليوم الذى انقضى فيه الأجلُ عبّى أصحابه، وجعل البحر خلفه ، وأقبل عليهم يحضّهم على الصبر ، ويعلمهم أنهم منه بين خلّتين ، ١/٩٥٥ إمّا ظفروا بعدوّهم ، وإمّا ماتوا كرامًا ، وأمرهم أن تكون قسيّهم موتّرة ، وقال : إذا أمرتكم أن ترموا فارموهم رشْقًا بالبَنْجكان — ولم يكن أهل اليمن رأوا النشّاب قبل ذلك — وأقبل[١] مسروق فى جمْع لا يرى طرفاه على فيل على رأسه تاج، بين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة ، لا يرَى أنّ دونَ الظفر شيئًا . وكان وهْرِز قد كلّ بصره فقال : أرونى عظيمهم ، فقالوا : هو صاحب الفيل ؛ ثم لم يلبث مسروق أن نزل فركب فرسًا ، فقالوا : قد ركب فرسًا ، فقال : ارفعوا لى حاجبَىّ ، وقد كانا سقطا على عينيه من الكِبَر ، فرفعوهما بعصابة ، ثم أخرج نُشّابة ، فوضعها فى كبد قوسه ، وقال : أشيروا لى إلى مسروق ، فاشاروا له إليه حتى أثبته[٢]، ثم قال لهم : ارموا ، فرموْا ، ونزع فى قوسه حتى إذا ملأها[٣] سرح النشابة ، فأقبلت كأنها رِشاء ، حتى صكّت جبهة مسروق ، فسقط عن دابّته ، وقتل فى ذلك الرّشق منهم جماعة كثيرة ، وانفضّ صفّهم لمّا رأوا صاحبهم صريعًا ، فلم يكن دون الهزيمة شىء ، وأمر وهْرز بجثّة ابنه من ساعته فووريت ، وأمر بجثة مسروق ، فألقيت مكانها ، وغنم من عسكرهم ما لا يُحصى ولا يُعدّ كثْرة ، وجعل الأُسوار يأخذ من الحبشة ومن حِمْير والأعراب الخمسين والستين فيسوقهم مكتّفين ، لا يمتنعون منه .

(١) ح : « فأقبل » .
(٢) أثبته : عرفه حق المعرفة .
(٣) ح : « ملأ بها » .

فقال وهْرِز : أمّا حمير والأعراب فكفّوا عنهم ، واقصدوا قصد السودان فلا تُبقوا منهم أحداً . فقتلت الحبشة يومئذ حتّى لم يبق منهم كثير أحد ، وهرب رجل من الأعراب على جَمَل له ، فركضه يوماً وليلة ، ثم التفت ، فإذا فى الحقيبة نُشّابة ، فقال : لأمك الويل ! أبُعْدٌ أم طول مسير — حسب أن النشابة لحقته . وأقبل وهْرِز حتّى دخل صنعاء ، وغلب على بلاد اليمن ، وفرّق عمّاله فى المخاليف . ١/٩٥٦

وفى ابن ذى يزن وما كان منه ومن وهْرِز والفُرس ، يقول أبو الصّلْت أبو أميّة بن أبى الصّلت الثقفىّ :

لِيَطْلُبِ الْوِتْرَ أمْثَالُ ابنِ ذى يَزَنٍ ... رَيَّمَ فى البحر لِلأعداء أحوالا[1]

أَتى هِرَقْلَ وقد شالَتْ نَعامتُهُمْ ... فَلَمْ يجِدْ عِنْدَه بَعْضَ الذى قالا[2]

ثمّ انْتَحَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ سَابعةٍ ... مِنَ السِّنِين لقَدْ أَبْعَدْتَ إيغالا

حتى أَتى بِبَنِى الْأَحْرارِ يَحْمِلُهُمْ ... إنكَ لَعَمْرِى لقَدْ أطْوَلْتَ قلْقالا[3]

مَنْ مِثْلُ كِسْرَى شَهَنْشَاهِ الملُوكِ له ... أو مِثْلُ وَهْرِزَ يَوْمَ الْجَيْشِ إذْ صالا!

لله دَرُّهُمُ مِنْ عُصْبةٍ خرجوا ... مَا إنْ تَرَى لَهُمُ فى النّاس أمثَالا

غُرٌّ جَحَاجِحَةٌ ، بيضٌ مَرَازِبَةٌ ، ... أُسْدٌ تُرَبِّبُ فى الغيضَاتِ أشْبَالا

يرْمُونَ عن شُدُفٍ كأنَّها غُبُطٌ ... فى زَمْخَرٍ يُعْجِلُ المرمِىَّ إعجَالا[4] ١/٩٥٧

أرْسَلْتَ أسْداً عَلى سُودِ الكلابِ فقَدْ ... أَضْحَى شَرِيدُهُمُ فى الأرْضِ فُلَّالا

فاشْرَبْ هَنيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُتَّكِئاً ... فى رَأْسِ غُمْدَانَ دَاراً مِنْكَ مِحْلَالا

---

(١) القصيدة فى ابن هشام ١ : ٥٢ ، وقال : « وتروى لأمية بن أبى الصلت » . ريم فى البحر : أقام فيه .

(٢) شالت نعامتهم ، أى هلكوا ، والنعامة فى الأصل : باطن القدم .

(٣) بنو الأحرار : الفرس ، والقلقال : شدة الحركة .

(٤) يراد بالشدف هنا القسى . والغبط : الهوادج . والزمخر : القصب الفارسى .

وأَطْلِ بالمِسْكِ إذْ شَالَتْ نَعامَتُهُمْ   وأَسْبِلِ اليَوْمَ فى بُرْدَيْكَ إسْبَالا
تِلكَ المَكارِمُ لَا قَعْبانِ من لَبَنٍ   شِيبَا بماءٍ فَعَادَا بَعدُ أَبْوالا[١]

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال: فلما انصرف وهرز إلى كسرى، وملّك سيفاً على اليمن، عدا على الحبشة فجعل يقتّلها ويبقر النساء عمّا فى بطونها، حتى إذا أفناها إلاّ بقايا ذليلة قليلة، فاتّخذهم خوَلا، واتخذ منهم جمّازين يسعوْن بين يديه بحرابهم، فمكث بذلك حيناً غير كثير. ثم إنه خرج يوماً والحبشة تسعى بين يديه بحرابهم؛ حتى إذا كان فى وسط منهم وجئوه بالحراب حتى قتلوه، ووثب بهم رجل من الحبشة، فقتل باليمن وأوعث، فأفسد، فلما بلغ ذلك كسرى بعث إليهم وهْرِز فى أربعة آلاف من الفُرْس، وأمره ألاّ يترك باليمن أسْوَد ولا ولدَ عربيّة من أسْوَد إلاّ قتله؛ صغيراً أو كبيراً، ولا يدع رجلا جَعْداً قَطِطاً[٢] قد شرك فيه السودان إلاّ قتله.

١/٩٥٨ فأقبل وهْرِز، حتى دخل اليمن، ففعل ذلك؛ ولم يترك بها حبشيّاً إلا قتله، ثم كتب إلى كسرى بذلك، فأمّره كسرى عليها. فكان عليها، وكان يَجْبيها إلى كسرى حتى هلَك، وأمّر كسرى بعده ابنه المرزبان بن وهرِز، فكان عليها حتى هلك، فأمّر كسرى بعده البينجان بن المرزبان بن وهرز حتى هلك، ثم أمّر كسرى بعده خُرّ خسْرَه بن البينجان بن المرزبان بن وهْرز، فكان عليها.

ثم إنّ كسرى غضِب عليه، فحلف ليأتينّه به أهلُ اليمن يحملونه على أعناقهم ففعلوا، فلما قدم على كسرى تلقّاه رجل من عظماء فارس، فألقى عليه سيفاً لأبى كسرى، فأجاره كسرى بذلك من القتْل ونزعه، وبعث باذان إلى اليمن، فلم يزل عليها حتى بعث الله رسوله محمداً صلّى الله عليه وسلّم.

وكان — فيما ذُكِر — بين كسرى أنو شِرْوان وبين يخطيانوس ملك

---

(١) قال ابن هشام بعد أن أورد الأبيات: هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها، إلا آخرها بيتا، قوله: «تلك المكارم لا قعبان من لبن». (٢) الجعد: القصير الشعر، وكذلك القطط.

الروم ، موادعة وهدنة ، فوقع بين رجل من العرب كان ملّكه يخطيانوس على عرب الشأم ، يقال له خالد بن جبَلة ، وبين رجل من لَخْم ، كان ملّكه كسرى على ما بين عُمان والبَحْرين واليَمامة إلى الطائف وسائر الحجاز ومَنْ فيها من العرب ، يقال له المنذر بن النّعمان ـ نائرة[1] ، فأغار خالد بن جبَلة على حيّز المنذر ، فقتل من أصحابه مقْتلة عظيمة ، وغنِم أموالاً من أمواله . فشكا ذلك المنذر إلى كسرى ، وسأله الكِتاب إلى ملك الروم فى إنصافه من خالد . فكتب كسرى إلى يخطيانوس ، يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة والصلح ، ويعلمه ما لقِىَ المنذر عامله على العرب من خالد بن جبَلة الذى ملّكه على مَنْ فى بلاده من العرب ، ويسأله أن يأمر خالداً أن يردّ على المنذر ما غنم من حيّزه وبلاده ، ويدفع إليه دية مَنْ قتل من عربها . وينصف المنذر من خالد ، وألاّ يستخفّ بما كتب به من ذلك ، فيكون انتقاض ما بينهما من العهد والهدنة بسببه .　١/٩٥٩

وواتَر الكُتب إلى يخطيانوس فى إنصاف المنذر ، فلم يحفِل بها ، فاستعدّ كسرى ، فغزا بلاد يخطيانوس فى بضعة وتسعين ألف مقاتل ، فأخذ مدينة دارا ، ومدينة الرُّهاء ، ومدينة منْبِج ، ومدينة قِنّسْرين ، ومدينة حلَب ، ومدينة أنْطاكِية ـ وكانت أفضل مدينة بالشأم ـ ومدينة فامِية ، ومدينة حِمْص ؛ ومدنًا كثيرة متاخمة لهذه المدائن ؛ عَنْوة ، واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض ، وسَبَى أهلَ مدينة أنطاكِية ، ونقلَهم إلى أرض السواد ، وأمر فبنيت لهم مدينة إلى جنب مدينة طَيْسَبُون على بناء مدينة أنطاكِية ـ على ما قد ذكرت قبل ـ وأسكنهم إياها ؛ وهى التى تسمّى الروميّة ، وكوّر[2] لها كورة ، وجعل لها خمسة طساسيج : طسُوج نهْروان الأعلى ، وطَسُّوج نهروان الأوسط ، وطَسّوج نهروان الأسفل ، وطَسّوج بادَرايا ، وطَسُّوج باكُسايا ، وأجرى على السَّبْى الذين نَقَلهم من أنطاكِية إلى الروميّة الأرزاق . وولّى القيام بأمورهم رجلاً من نصارى أهل الأهواز ، كان ولاّه الرّياسة على أصحاب　١/٩٦٠

---

(١) النائرة : العداوة .　(٢) ر ، ن : « وكور بها » .

صناعاته[١] ، يقال له : بَراز ، رِقّةً منه لذلك السَّبى ، إرادة أن يستأنسوا ببراز لحال ملّته ، ويسكنوا إليه . وأمّا سائر مدن الشام ومصر فإنّ يخطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة حملها إليه ، وضَمِن له فدية يحملها إليه فى كلّ سنة على ألاّ يغزوَ بلاده ، وكتب لكسرى بذلك كتابًا ، وختم هو وعظماء الروم عليه ، فكانوا يحملونها إليه فى كلّ عام .

وكان ملوك فارس يأخذون من كُوَر من كُوَرِهم قبل ملك كسرى أنوشِرْوان فى خراجها الثُّلث ، ومن كُوَر الرّبع ، ومن كُوَر الخمس ، ومن كُوَر السدس ؛ على قدر شَرْبها وعمارتها ، ومن جزية الجماجم شيئًا معلومًا ، فأمر الملك قُباذ بن فَيْروز فى آخر ملكه بمَسْح الأرض ؛ سهلها وجبلها ليصحّ الخراج عليها ، فمُسِحت ؛ غير أن قُباذ هلك قبل أن يستحكِم له أمرُ تلك المساحة ؛ حتى إذا ملك ابنه كسرى أمر باستتمامها وإحصاء النخل والزيتون والجماجم ، ثم أمر كتّابه فاستخرجوا جُمل ذلك ، وأذن للناس إذنًا عامًّا ، وأمر كاتب خراجه أن يقرأ عليهم الجمل التى استخرجت من أصناف غلاّت الأرض ، وعدد النخل والزيتون والجماجم ، فقرأ ذلك عليهم ، ثم قال لهم كسرى : إنا قد رأينا أن نضع على ما أحْصِى من جِرْبان[٢] هذه المساحة من النخل والزيتون والجماجم وضائع[٣] ، ونأمر بإنجامها فى السنة فى ثلاثة أنْجُم ، ونجمع فى بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثَغْر من ثغورنا ، أو طَرَف من أطرافنا فَتْق أو شىء نكرهه ، واحتجنا إلى تداركه أو حَسْمه ببذلنا فيه مالا ، كانت الأموال عندنا معدّة موجودة ، ولم نُرِد استئناف اجتبائها على تلك الحال . فما ترون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه ؟

١/٩٦١

فلم يُشِر عليه أحد منهم فيه بمشورة ، ولم ينبِس بكلمة ، فكرّر كسرى هذا القول عليهم ثلاث مرات . فقام رجل من عُرْضهم وقال لكسرى : أتضعُ أيها الملك — عمّرك الله — الخالدَ من هذا الخراج على الفانِى من كَرْمٍ يموت ، وزَرْعٍ يَهِيج[٤] ، ونهرٍ يغور ، وعيْن أو قناة ينقطع ماؤها ! فقال له كسرى : ياذا الكلْفة

---

(١) ح : « مبتاعاته » . (٢) الجربان : جمع جريب ؛ وهو مقدار معلوم من الأرض ؛ نقل عن قدامة الكاتب أنه ثلاثة آلاف وستمائة ذراع .

(٣) الوضيعة : ما يأخذه السلطان من الخراج والعشور . (٤) يهيج : ييبس .

المشئوم ، منْ أى طبقات الناس أنت ؟ قال : أنا رجل من الكتّاب ، فقال كسرى : اضربوه بالدّوَى [١] حتى يموت ، فضربه بها الكتّاب خاصة تبرّؤًا منهم إلى كسرى من رأيه وما جاء منه ، حتى قتلوه . وقال الناس : نحن راضون أيّها الملك بما أنت مُلزِمنا من خراج .

وإنّ كسرى اختار رجالا من أهل الرأى والنصيحة ، فأمرهم بالنظر فى أصناف ما ارتفع إليه من المساحة وعدّة النخل والزيتون ورءوس أهل الجزية . ووضع الوَضائع على ذلك بقدر ما يرون أنّ فيه صلاح رعيته ورفاغة [٢] معاشهم ، ورفعه إليه . فتكلّم كلّ امرئ منهم بمبلغ رأيه فى ذلك من تلك الوضائع ، وأداروا الأمر بينهم ، فاجتمعت كلمتهم على وَضْع الخراج على ما يعصم الناس والبهائم ، وهو الحنطة والشعير والأرزّ والكَرْم والرِّطاب والنخل والزيتون ؛ وكان الذى وضعوا على كلّ جَرِيب أرض مِنْ مزارع الحنطة والشعير درهمًا ، وعلى كلّ جَرِيب أرض كَرْم ثمانية دراهم ؛ وعلى كلّ جَرِيب أرض رِطاب سبعة دراهم ، وعلى كل أربع نخلات فارسيّة درهمًا ، وعلى كلّ ستّ نخلات دَقَل [٣] مثل ذلك ؛ وعلى كلّ ستة أصول زيتون مثل ذلك ؛ ولم يضعوا إلاّ على كلّ نخل [فى] [٤] حديقة ، أو مجتمع غير شاذّ ، وتركوا ما سوى ذلك من الغلاّت السبع . فقوِىَ الناس فى معاشهم ، وألزمُوا الناس الجِزْية ما خلا أهلَ البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتّاب ؛ ومَنْ كان فى خدمة الملك ، وصيّروها على طبقات : اثنى عشر درهمًا وثمانية وستة وأربعة ، كقَدْر إكثار الرجل وإقلاله ، ولم يُلزِموا الجزية مَنْ كان أتى له من السنّ دون العشرين أو فوق الخمسين ، ورفعوا وضائعهم إلى كسرى فرضِيَها وأمر بإمضائها والاجتباء عليها فى السنة فى ثلاثة أنجُم ، كلّ نجم أربعة أشهر وسماها أبراسيار ، وتأويله «الأمر المتراضَى» ؛ وهى الوضائع التى اقْتدى بها عمر بن الخطاب حين افتتح بلاد الفرس ، وأمر باجتباء أهل الذمّة عليها ، إلاّ أنه وضع على كلّ جَرِيب أرض غامر على قدر احتماله ؛ مثل الذى وضع على الأرض المزروعة ، وزاد على كلّ

١/٩٦٢

---

(١) الدوى : جمع دواة ؛ وهى أداة يوضع فيها الحبر .

(٢) ح : «رفاهية» وهما بمعنى .

(٣) الدقل : أردأ التمر. (٤) من س

١/٩٦٣ جريب أرض مزارع حنطة أو شعير قفيزاً من حِنْطة إلى القفيزين ، ورزق منه الجند . ولم يخالف عمر بالعراق خاصّة وضائعَ كسرى على جِرْبان الأرض وعلى النخل والزيتون والجماجم ، وألغى ما كان كسرى ألغاه من معايش الناس .

وأمر كسرى فدوّنت وضائعه نُسخًا ، فاتُّخذت نسخة منها فى ديوانه قِبَله ، ودفِعت نسخة إلى عمّال الخراج ، ليجتبوا خراجَهم عليها ، ونسخة إلى قضاة الكُوَر ، وأمر القضاة أن يحولوا بين عُمّال الكُوَر والزيادة على أهل الخراج فوق ما فى الديوان الذى دفعت إليه نسخته ، وأن يرفعوا الخراج عن كلّ مَنْ أصاب زرعه أو شيئًا من غلاّته آفة بقدر مبلغ تلك الآفة ، وعمّن هلك من أهل الجزية أو جاوز خمسين سنة ، ويكتبوا إليه بما يرفعون من ذلك ؛ ليأمر بحسبه للعمّال ، وألاّ يخلُّوا بين العمّال وبين اجتباء مَنْ أتى له دون عشرين سنة.

* * *

وكان كسرى ولّى رجلا من الكتّاب — نابهًا بالنبل والمروءة والغَناء والكفاية ، يقال له بابك بن البيروان — ديوان المقاتلة ، فقال لكسرى : إنّ أمرى لا يتمّ إلا بإزاحة علّتى فى كلّ ما بى إليه الحاجة من صلاح أمر الملك فى جنده . فأعطاه ذلك ، فأمر بابك فبنيت له فى الموضع الذى كان يعرض فيه الجند مصطبة وفرش له عليها بساط سُوسَنجرد ونَمَط صوف فوقه ، ووضعت له وسائد لتُكَأته ، ثم جلس على ما فُرِش له ، ثم نادى مناديه فى شاهد عسكر

١/٩٦٤ كسرى من الجند أن يحضره الفرسان على كُراعهم وأسلحتِهم والرجّالة على ما يلزمهم من السّلاح ، فاجتمع إليه الجُند على ما أمرهم أن يحضروه عليه ، ولم يعاين كسرى فيهم ؛ فأمرَهم بالانصراف ، ونادى مناديه فى اليوم الثانى بمثل ذلك ، فاجتمع إليه[1] الجند. فلما لم ير كسرى فيهم أمرهم أن ينصرفوا ، ويغدوا[2] إليه ، وأمر مناديَه أن ينادى فى اليوم الثالث : ألاّ يتخلف عنه من شاهد العسكر أحد ، ولا من أكرِم بتاج وسرير ؛ فإنه عزْم لا رُخصةَ فيه ولا محاباة . فبلغ ذلك كسرى ، فوضع تاجه على رأسه وتسلّح بسلاح المقاتلة ، ثم أتى بابك

---

(١) ر : « عليه » .

(٢) ر : « ويعودوا » .

ليعترض عليه ، وكان الذى يؤخذ به الفارس من الجند تجافيف[١] ودرعا ، وجَوْشنا[٢] ، وساقين ، وسيفًا ، ورمحًا ، وترسًا ، وجُرْزاً تلزمه منطقة ، وطبرزينا أو عموداً ، وجعبة فيها قوسان بوتَرَيهما ، وثلاثين نشّابة ووتَرين مضفورين يعلّقهما الفارس فى مِغْفر له ظهريًّا .

فاعترض كسرى على بابك بسلاح تامّ ما خلا الوتَرَيْن اللذين كان يستظهر بهما . فلم يجز بابك عن اسمه ، وقال له : إنّك أيها الملك واقف فى موضع المعْدَلة التى لا محاباة تكون منّى معها ولا هوادة ، فهلمّ كلّ ما يلزمك من صنوف الأسلحة . فذكر كسرى قصة الوترين فتعلّقهما ، ثم غرّد داعى بابك بصوته ، وقال : للكمىّ سيّد الكماة أربعة آلاف درهم ، وأجاز بابك عن اسمه ، ثم الصرف . وكان يفضّل الملك فى العطاء على أكثر المقاتلة عطاء بدرهم .

٩٦٥/١

فلما قام بابك من مجلسه ذلك أتى كسرى ، فقال : إن غِلْظَتى فى الأمر الذى أغلظت فيه عليك اليوم أيها الملك ؛ إنما هى لأن ينفُذ لى عليه الأمر الذى وضعتنى بسبيله ، وسبب من أوثق الأسباب لما يريد الملك إحكامه لمكانى[٣] . فقال كسرى : ما غلُظ علينا أمرٌ أريد به صلاح رعيّتنا ، وأقيم عليه أوَدُ ذى الأوَد منهم .

ثم إنّ كسرى وجّه مع رجل من أهل اليمن يقال له سَيْفان بن مَعْد يكرب — ومن الناس من يقول إنّه كان يسمى سيف بن ذى يزن — جيشًا إلى اليمن ؛ فقتلوا من بها من السودان ، واستوْلوا عليها . فلمّا دانت لكسرى بلاد اليمن وجّه إلى سَرَنْديب من بلاد الهند — وهى أرض الجوهر — قائدا من قوّاده فى جند كثيف ، فقاتل ملِكها فقتله ، واستولَى عليها ، وحمل إلى كسرى منها أموالا عظيمة ، وجوهراً كثيراً .

ولم يكن ببلاد الفرس بناتُ آوى ، فتساقطت إليها من بلاد الترك فى مُلْك كسرى أنوشِرْوان ؛ فبلغ ذلك كسرى ؛ فبلغ ذلك منه مشقّة ، فدعا

---

(١) التجافيف : جمع تجفاف ، بالكسر ؛ وهو من آلات الحرب .

(٢) الجوشن : نوع من الدروع .

(٣) ر ، ل : « بمكانى » .

بموْبَذان موْبذ ، فقال : إنه بلغنا تساقط هذه السباع إلى بلادنا ، وقد تعاظم الناسُ ذلك ، فتعجّبنا من استعظامهم أمرها لهوانها ، فأخبِرنا برأيك فى ذلك .

فقال له موبذان مَوْبَذ : فإنّى سمعت أيها الملك — عمّرك الله — فقهاءنا يقولون : متى لا يغمر فى بلدة العدلُ الجورَ ، ويمْحق ، بُلِىَ أهلها بغزو أعدائهم لهم ، وتساقط إليهم ما يكرهون ، وقد تخوّفت أن يكون تساقط هذه السباع إلى بلادك لما أعلمتك من هذا الخطب. فلم يلبث كسرى أنْ تناهى إليه أنّ فتيانًا من الترك قد غزوا أقصى بلاده ، فأمر وزراءه وأصحاب أعماله ألاّ يتعدَّوْا فيما هم بسبيله العدل ، ولا يعملوا فى شىء منه إلا به ، فصرّف الله لما جرى من العدل ذلك العدوّ عن بلاده من غير أن يكون حاربهم ، أو كلف مؤونة فى أمرهم .

١/٩٦٦

وكان لكسرى أولاد متأدّبون ، فجعل الملْك من بعده هُرمُز ابنه الذى كانت أمّه ابنة خاتون وخاقان لمعرفة كسرى إياه بالاقتصاد والأخذ بالوثيقة وما رجا بذلك من ضبط هُرمُز الملْك وقدرته على تدبير الملْك[١] ورعيّته[٢] ومعاملتهم .

* * *

وكان مولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى عهد كسرى أنوشِروان ، عام قَدِم أبرهة الأشرم أبو يكسوم مع الحبشة إلى مكّة ، وساق فيه إليها الفيل ؛ يريد هدم بيْت الله الحرام ؛ وذلك لمضىّ اثنتين وأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان . وفى هذا العام كان يوم جَبَلَة ، وهو يوم من أيّام العرب مذكور .

---

(١) ح ، ن : « ملكه » .
(٢) ح ، ن : « ورعيّتهم » .

ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا وهب بن جرير ، قال: حدّثنا أبى ، قال : سمعت محمد بن إسحاق يحدّث عن المطّلب بن عبد الله بن قَيْس بن مخرمة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الفيل . ١/٩٦٧

قال : وسأل عثمان بن عفّان قَبَاث بن أشْيم ، أخا بنى عمرو بن لَيْث : أنت أكبر أم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: رسول الله صلّى الله عليه وسلم أكبرُ منى ، وأنا أقْدَمُ منه فى الميلاد ، ورأيت خَذْق[1] الفيل أخضرَ محيلا بعْده بعام ، ورأيت أُميّة بن عبد شمس شيخاً كبيراً يقودُه عبْدُه . فقال ابنه : يا قَبَاث، أنت أعلم وما تقول .

حدّثنا ابن حُميد، قال : حدثنا سلَمة، عن ابن إسحاق ، عن المطّلب ابن عبد الله بن قيس بن مخرمة ، عن أبيه ، عن جده قيس بن مخرمة ، قال : ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، فنحن لِدَان[2] .

وحدّثت عن هشام بن محمد ، قال : وُلِد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربع وعشرين مَضَت من سلطان كسرى أنوشِرْوان، وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة اثنتين وأربعين من سلطانه .

وحُدّثت عن يحيى بن معين ، قال: حدّثنا حجّاج بن محمد ، قال: حدّثنا يونس بن أبى إسحاق ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عبّاس ، قال : وُلد رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الفيل .

حدّثت عن إبراهيم بن المنذر ، قال :حدثنا عبدُ العزيز بن أبى ثابت،

---

(١) خذق الفيل : روثه .

(٢) الخبر فى ابن هشام ١ : ١٠٧ ؛ لدان : مثنى لدة ؛ وهو الترب .

قال : حدّثنا الزّبير بن موسى ، عن أبى الحُويرث ، قال : سمعت عبدَ الملك ابن مَرْوان يقول لقُباث بن أشْيَم الكِنانىّ اللّيثىّ : يا قباث ، أنتَ أكبر أم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قال : رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أكبر منى وأنا أسنّ منه ، ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عامَ الفيل ، ووقفت بى أمّى على روث الفيل محيلا أعقله .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سَلمة ، قال : حدّثنى ابن إسحاق ، قال : ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومَ الاثنين عام الفيل ، لاثنتَىْ عشرة مضت من شهر ربيع الأول ؛ وقيل إنه وُلد صلّى الله عليه وسلّم فى الدّار التى تُعْرَف بدار ابن يوسف ؛ وقيل : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان وَهَبَها لعَقيل بن أبى طالب ، فلم تزَلْ فى يد عَقيل حتى توفّى ، فبَاعها ولده من محمد بن يوسف ، أخى الحجّاج بن يوسف ، فبنى دارَه التى يُقال لها دار ابن يوسف ، وأدخل ذلك البيتَ فى الدّار ، حتى أخرجتْه الخيزُران فجعلَتْه مسجداً يصلّى فيه .

١ / ٩٦٨

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يزْعمُون فيما يتحدّث الناس — والله أعلم — أنّ آمنة بنت وهب أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، كانت تُحدّث أنّها أتيَتْ لمّا حَملَت برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقيل لها : إنك قد حملت بسيّد هذه الأمّة ، فإذا وقع بالأرْض فقُولى : أعيذُه بالواحد ، من شرّ كلّ حاسد ، ثم سمّيه محمداً . ورأتْ حين حمَلت به أنّه خرج منها نور رأت منه قُصور بُصْرَى من أرض الشّام ، فلمّا وضعته أرسلت إلى جدّه عبد المطلب ، أنّه قد ولد لك غلام فأته فانظُر إليه . فأتاه فنظر إليه ، وحدّثتْه بما رأتْ حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمِرت أن تسمّيَه .

حدّثنى محمد بن سنان القزّاز ، قال : حدّثنا يعقوب بن محمد الزُّهْرىّ ، قال : حدّثنا عبدُ العزيز بن عمران ، قال : حدّثنى عبدُ الله بن عثمان بن أبى سُليمان بن جُبير بن مُطْعِم ، عن أبيه ، عن ابن أبى سُوَيد الثقفىّ ، عن

عثمان بن أبي العاص ، قال : حدّثتني أمّي أنّها شهدت ولادة آمنة بنت وهب ١/٩٦٩
أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — وكان ذلك ليلاً ولدته — قالت : فما شيء
أنظر إليه من البيت إلاّ نوّر ، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو ، حتى إني لأقول :
لتقعنّ عليّ .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
فيزعمون أنّ عبد المطلب أخذه فدخل به على هُبَل في جوف الكعبة ،
فقام عنده يدعو الله ويشكر ما أعطاه ، ثمّ خرج به إلى أمّه فدفعه إليها ،
والتمس له الرُّضعاء ، فاسترضع له امرأةً من بني سعد بن بكر ، يقال لها
حليمة ابنة أبي ذُؤيب ، وأبو ذئيب عبدالله ، بن الحارث ، بن شجنة ، بن
جابر ، بن رزام ، بن ناصرة ، بن فُصيّة ، بن سعد ، بن بكر ، بن هوازن ، بن
منصور ، بن عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مُضر .
واسم الذي أرضعه : الحارث بن عبد العزّى ، بن رفاعة ، بن ملاّن ، بن
ناصرة ، بن فُصيّة ، بن سعد ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصور ، بن
عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر . واسم إخوته من
الرّضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة ابنة الحارث ، وخِذامة[1] ابنة الحارث
وهي الشّيماء ، غلب ذلك على اسمها فلا تعرف في قومها إلا به .

وهي حليمة ابنةُ عبد الله بن الحارث ، أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛
ويزعمون أنّ الشّيماء كانت تحضُنُه مع أمّها إذ كان عندهم صلّى الله عليه
وسلّم[2] .

وأمّا غير ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدّثني به الحارث ، قال :
حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني موسى بن
شيبة ، عن عميرة ابنة عُبيد الله بن كعب بن مالك ، عن برّة ابنة

---

(١) قال السهيلي : « خذامة ، بكسر الخاء المنقوطة » ، ونقل أيضاً أنه يقال : حذافة ،
بالحاء المضمومة ، وبالفاء مكان الميم » .

(٢) الخبر في ابن هشام ١ : ١٠٨ .

١/٩٧٠ أبى تُجْزَأة، قالت : أوّلُ من أرضعَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثُوَيْبة ، بلبنِ ابنٍ لها – يُقال له مَسْرُوح – أيامًا قبل أن تقدَم حليمة ؛ وكانت قد أرْضَعَت قبله حمزةَ بن عبد المطلب ، وأرْضعَت بعدَه أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومىّ .

حدّثنا ابن حُميد، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى ابن إسحاق – وحدّثنا هنّاد بن السَّرِىّ ، قال : حدّثنا يونس بن بُكير ، قال : حدّثنا ابن إسحاق . وحدّثنى هارون بن إدريس الأصمّ ، قال : حدّثنا المُحارِبىّ ، عن ابن إسحاق . وحدّثنا سعيد بن يحيى الأموىّ ، قال : حدّثنى عمّى محمد ابن سعيد ، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق – عن الجهم بن أبى الجهم مولى عبد الله بن جعفر ، عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، قال : كانت حليمة ابنة أبى ذُؤَيْب السّعدية أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التى أرْضَعَتْه. تُحدّث أنها خرَجَتْ من بلدها معها زوجُها وابنٌ لها ترضعه فى نسوة من بنى سعْد بن بكر ، تَلْتمس الرُّضَعاء[1] ، قالت : وذلك فى سَنَة شهْبَاء لم تُبْقِ شيئًا، فَخرَجْتُ على أتان لى قَمْرَاء ، معنا شارفٌ[2] لنا؛ والله ما تبِضّ بقطرة، وما ننام ليْلَنا أجمعَ من صَبِيّنا الذى معى من بكائه من الجوعِ ، وما فى ثَدْيى مَا يُغْنيه ، وما فى شَارِفنا ما يغذُوه[3] ، ولكنّا نرجو الغيثَ والفرجَ ؛ فخرجتُ على أتانى تلك، فلقد أذمّت[4] بالرَّكب حتى شقّ ذلك عليهم ضعفًا وعَجَفًا ، حتى قدمنا مكّة نلتمِس الرُّضعاء ، فما منّا امرأة إلاّ وقد عُرِضَ عليها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فتَأباه إذا قيل لها إنّه

١/٩٧١ يتيمٌ ، وذلك أنّا إنّما نرجو المعروفَ من أبى الصّبىّ ، فكنّا نقولُ : يتيمٌ

---

(١) الرضعاء ؛ يريد بها المراضع ؛ وأما الرضعاء فهو جمع رضيع ؛ وأوّل السهيلى رواية ابن إسحاق من وجهين : أحدهما حذف المضاف ؛ كأنه قال : ذوات الرضعاء ، والثانى أن يكون أراد بالرضعاء الأطفال على حقيقة اللفظ؛ لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه ، فقد وجدوا له رضيعاً يرضع معه . (٢) الشارف من الإبل : المسنة الهرمة .

(٣) فى ابن هشام : « ما يغذيه » .

(٤) قال السهيلىّ : أذمت ، أى جاءت بما يذم عليه .

ما عسى أن تصنع أمه وجده ! فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معى إلا أخذت رضيعا ، غيرى. فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى : إنى لأكره أن أرجع من بين صواحباتى ولم آخذ رضيعا ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه ، قال : لا عليك أن تفعلى ، فعسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ! قالت : فذهبت إليه فأخذته وما حملنى على ذلك إلا أنى لم أجد غيره . قالت : فلما أخذته رجعت به إلى رحلى ، فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه حتى روى ، ثم ناما — وما كان ينام قبل ذلك — وقام زوجى إلى شارفنا تلك ، فنظر إليها فإذا إنها لحافل ، فحلب منها حتى شرب وشربت ، حتى انتهينا ريا وشبعا ، فبتنا بخير ليلة . قالت : يقول لى صاحبى حين أصبحت : أتعلمين والله يا حليمة ، لقد أخذت نسمة مباركة ، قلت : والله إنى لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبت أتانى تلك ، وحملته عليها معى ، فوالله لقطعت بنا الركب ما يقدم عليها شىء من حمرهم ، حتى إن صواحبي ليقلن لى : يا بنة أبى ذؤيب ، اربعى[1] علينا . أليس هذه أتانك التى كنت خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله ، إنها لهى هى ، فيقلن : والله إن لها لشأنا . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد ، وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به معنا شباعا لبنا ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرة ولا يجدها فى ضرع ، حتى إن كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم ، اسرحوا حيث يسرح راعى ابنة أبى ذؤيب! فتروح أغنامهم جياعا ما تبض[2] بقطرة لبن ، وتروح غنمى شباعا لبنا . فلم نزل نتعرف من الله زيادة الخير به ، حتى مضت سنتان وفصلته . وكان يشب شبابا لا يشبهه الغلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا[3] ، فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شىء على مكثه فينا ، لما كنا نرى من بركته . فكلمنا أمه وقلنا لها : يا ظئر ، لو تركت بنى عندى حتى يغلظ ، فإنى أخشى عليه وباء مكة ! قالت :

٩٧٢/١

(١) اربعى : أقيمى وانتظرى ؛ ربع فلان على فلان ؛ إذا أقام عليه وانتظره .

(٢) ما تبض : ما ترشح . (٣) الجفر : الشديد .

فلم نزل بها حتّى ردَدْناه معنا . قالت : فرجعْنا به ، فوالله إنّه بعد مقدمنا به بأشْهر مع أخيه فى بَهْم(١) لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتدّ ، فقال لى ولأبيه : ذاك أخى القرشىّ قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضْجعاه وشقّا بطنه وهما يسوطانه(٢) . قالت : فخرجتُ أنا وأبوه نَشْتدّ ، فوجدناه قائمًا منتقعًا وجهه ، قالت : فالتزمْتُه والتزمَه أبُوه ، وقلنا له : مالك يا بنىّ ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثيابُ بياض ، فأضجعانى فشقّا بطنِى فالتمسا فيه شيئًا لا أدرى ما هو ! قالت : فرجعنا إلى خِبائنا . قالت : وقال لى أبوه : والله يا حليمة لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فألْحقيه بأهله قبل أن يظهر به ذلك ، قالت : فاحتَمَلْناه ، فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمَكِ به يا ظِئْر ، وقد كنت حريصةً عليه وعلى مُكْثه عندك ؟ قالت : قلتُ : قد بلغ الله بابنى وقضيتُ الذى علىّ وتخوّفتُ الأحْداثَ عليه ، فأدّيتُه إليكِ كما تحبّين . قالت : ما هذا بشأنكِ ، فاصدقينى خبرَك ، قالت : فلم تدعنى حتّى أخبرتها الخبر ، قالت : فتخوّفتِ عليه الشيطانَ ؟ قالت : فقلت : نعم ، قالت : كلاّ والله ما للشّيطان عليه سبيل ، وإنّ لِبُنَىّ لشأنًا ، أفلا أخبِرُكِ خَبَرَهُ ؟ قالت : قلت : بلى ، قالت : رأيتُ حين حَمَلْتُ به أنّه خرج مِنى نُورٌ أضاء لى قصور بُصْرَى من أرض الشام ، ثم حملتُ به ، فوالله ما رأيت من حَمْل قطُّ كان أخفَّ منه ولا أيسرَ منه ، ثم وقع حين ولدته وإنّه لواضعٌ يديه بالأرْض ، رافعٌ رأسَه إلى السّماء ؛ دعيه عنكِ وانطَلِقى راشِدَةً(٣) .

١/٩٧٣

حدّثنا نصرُ بن عبد الرحمن الأزْدىّ ، قال : حدّثنا محمد بن يَعْلَى ، عن عمر بن صُبَيْح ، عن ثَوْر بن يزيد الشّامىّ ، عن مكْحول الشامىّ ، عن شدّاد بن أوْس ، قال : بينا نحن جلوسٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل شيخ من بنى عامر ، وهو مِدْرَهُ قومِه وسيّدُهم ؛ من شيخ كبير يتوكأ على عصا ، فَمَثَلَ بين يدىْ النبىّ صلى الله عليه وسلم قائمًا ، ونسبه

---

(١) البهم : الصغار من الغنم .

(٢) قال السهيلى : « يقال : سطت اللبن أو الدم أسوطه إذا ضربت بعضه ببعض ، والسوط : عود يضرب به » .

(٣) الخبر فى ابن هشام ١ : ١٠٨ — ١١٢ .

إلى جدّه، فقال: يا بن عبد المطّلب، إنّي أُنبِئْتُ أنّك تزعم أنّك رسول الله إلى النّاس، أرسلك بما أُرْسِل به إبراهيمَ، وموسى، وعيسى، وغيرهم من الأنبياء، ألا وإنّك فوّهت بعظيم، وإنّما كانت الأنبياءُ والخلفاءُ في ٩٧٤/١ بيتَيْن من بني إسرائيل، وأنت ممّن يَعْبُد هذه الحجارةَ والأوثان، فما لك وللنبوّة! ولكنّ لكلّ قول حقيقة، فأنبئني بحقيقة قولك، وبدء شأنك؛ قال: فأُعْجِبَ النبيّ صلى الله عليه وسلم بِمَسْألَتِه، ثم قال: يا أخا بني عامر، إنّ لهذا الحديث الذي تسألني عنه نبأً ومجلسًا، فاجلسْ، فَثَنَى رجْليه ثم برك كما يبرك البعير، فاستَقْبَله النبيّ صلى الله عليه وسلّم بالحديث فقال: يا أخا بني عامر، إن حقيقةَ قولي وبدءَ شأني، أنّي دَعْوةُ أبي إبراهيم، وبُشْرَى أخي عيسى بن مرْيَم. وإنّي كنْتُ بِكْرَ أمّي، وإنّها حملت بي كأثْقل ماتحمِلُ، وجعلَتْ تشتكي إلى صواحِبِها ثقلَ ما تَجِدُ. ثم إنّ أمي رأت في المنام أنّ الّذي في بطنها نورٌ، قالتْ: فجعلت أتْبِع بصري النورَ، والنورُ يسبقُ بصري، حتى أضاءَتْ لي مشارقُ الأرض ومغاربُها. ثم إنّها ولَدَتْني فنشأتُ، فلمّا أن نشأتُ بُغِّضَت إليّ أوْثانُ قريش، وبُغِّضَ إليّ الشعْر، وكنت مسترضَعًا في بني ليث بن بكر، فبينا أنا ذات يوم منتبِذ من أهلي في بطن واد مع أتْراب لي من الصبيان نتقاذف بيننا بالجلّة، إذ أتانا رهْطٌ ثلاثة معهم طَسْتٌ من ذهب مِلْء ثلْجًا، فأخذوني من بين أصحابي، فخرج أصحابي هُرّابا حتى انتهوْا إلى شفير الوادي، ثم أقبلوا على الرّهط فقالوا: ما أربُكم إلى هذا الغلام، فإنه ليس منّا، هذا ابن سيّد قريش، وهو مسترضَعٌ فينا؛ من غلام يتيم ليس له أب، فماذا يردّ عليكم ٩٧٥/١ قتلُه، وماذا تصيبون من ذلك! ولكن إن كنتم لا بدّ[1] قاتليه، فاختاروا منّا أيّنا شئتم، فليأتكم مكانَه فاقتلُوه، ودَعُوا هذا الغلام فإنّه يتيم. فلمّا رأى الصبيان القومَ لا يُحيرون[2] إليهم جوابًا، انطلقوا هُرّابًا مسرعين إلى الحيّ، يؤذنونهم ويستصرْخونهم[3] على القوم؛ فعمَد أحدُهم فأضْجعني على الأرض

(١) ح: «ولا».
(٢) ط: «لا يخبرون»
(٣) ح: «مستصرخين».

إضْجَاعًا لطيفًا ، ثم شقّ ما بين مفرق صدْرى إلى منتهى عانتى ، وأنا أنْظرُ إليه ، فلم(١) أجد لذلك مَسًّا . ثمّ أخرج أحشاءَ بطنى ثمّ غسلها بذلك الثلج فأنْعَمَ غسْلَها ، ثم أعادها مكانَها ، ثم قام الثانى منهم فقال لصاحبه : تنحّ ، فنحّاه عنى ، ثم أدْخل يده فى جوفى فأخرج قلبى وأنا أنظر إليه فصَدَعَه ، ثم أخرج منه مُضْغَة سوداء ، فرَمى بها ثم قال بيده يمنةً منه ؛ كأنّه يتناول شيئًا ، فإذا أنا بخاتم فى يده من نور يحار الناظرون دونه ، فختم به قلبى فامتلأ نوراً ، وذلك نور النبوّة والحكمة ، ثمّ أعادَهُ مكانَه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهراً ، ثم قال الثّالث لصاحبه : تَنَحَّ عنى ، فأمَرَّ يَدَه ما بيْن مفرِق صدْرى إلى مُنْتَهَى عانتى ، فالتأم ذلك الشقّ بإذْن الله . ثم أخذ بيدى فأنهضَنى من مكانى إنْهاضًا لطيفًا ، ثم قال للأوّل الذى شقّ بطنى : زِنْه بعشرة من أمّتِه ، فوزنونى بهم فرجحتُهم ، ثم قال : زنه بمائة من أمّتِه ، فوزنونى بهم فرجَحتُهم ، ثم قال : زنه بألف من أمّته ، فَوَزَنُونى بهم فرجَحتُهم . فقال : دعوهُ ، فلو وزَنْتمُوه بأمّته كلها لرجحهم . قال : ثمّ ضمّونى إلى صُدورهم وقبّلوا رأسى وما بينَ عينىّ ، ثم(٢) قالوا : يا حبيب ، لم تُرَعْ ؛ إنّك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقَرّتْ عيناك . قال : فبينَا نحن كذلك ، إذ أنا بالحىّ قد جاءوا بحذافيرهم ، وإذا أمّى — وهى ظئْرى — أمام الحىّ تهتف بأعْلَى صوتها وتقول : يا ضعيفاه ! قال : فانكبّوا علىّ فقبّلوا رأسى وما بين عينىّ ، فقالوا : حبّذا أنت من ضعيف ! ثم قالت ظئْرى : يا وحيداه ! فانكبّوا علىّ فضمّونى إلى صُدُورِهم وقَبّلوا رأسى وما بين عَيْنَىّ ، ثم قالوا : حبّذا أنت من وحيد وما أنتَ بوحيد ! إنّ اللهَ معك وملائكتَه والمؤمنين من أهل الأرض . ثمّ قالت ظئْرى : يا يتيماه ، اسْتُضْعِفْتَ من بيْن أصحابِك فَقُتِلْتَ لضعْفِك ، فانكبّوا علىّ فَضَمّونى(٣) إلى صدورهم وقبّلوا رأسى وما بينَ عيْنَىّ ، وقالوا : حبّذا أنت من يتيم ، ما أكْرَمَك على الله ! لو تعلم ماذا يراد بك من الخير ! قال : فوصلوا بى إلى شَفير الوادى ، فلمّا بصرت بى

٩٧٦/١

---

(١) كذا فى ت ، ح ، وفى ط : « لم » . (٢) ح : « وقالوا » .

(٣) ت ، ر : « وضموني » .

أمّي – وهي ظئري – قالت : يا بُنيَّ ألا أراك حيًّا بعدُ ! فجاءت حتّى انكبّتْ عليَّ وضمّتْني إلى صدْرِها ؛ فو الذي نفسي بيده ، إنّي لفي حِجْرِها وقد ضمّتني إليها ، وإنَّ يدي في يد بعضهم ، فجعلتُ ألتفتُ إليْهم وظننْتُ أنّ القوم يبصرونهم ، فإذا هم لا يبصرونهم ، يقول بعض[1] القوم : إنَّ هذا الغلامَ قد أصابه لَمَمٌ أو طائفٌ من الجنّ ، فانطلقوا به إلى كاهننا حتى ينظر إليه ويُداوِيَه . فقلت : يا هذا ، ما بي شيء مما تذكر ، إن آرائي سليمة وفؤادي صحيح ، ليس بي قَلَبَة[2] . فقال أبي – وهو زوج ظئري – ألا ترون كلامه كلامَ صحيح ! إني لأرجو ألاّ يكون بابني بأس[3] ، فاتّفقوا على أن يذهبوا بي إلى الكاهن ، فاحتملوني حتى ذهبوا بي إليْه ، فلمّا قصُّوا عليه قِصَّتي قال : اسكُتُوا حتّى أسمعَ من الغلام ، فإنّه أعلمُ بأمره منكم ، فسألني ، فاقتصصت[4] عليه أمري ما بين أوّله وآخره ، فلمّا سمع قولي وَثَبَ إليَّ فضمّني[5] إلى صدره ثم نادى بأعلى صوته : يالَلْعرب ، يا لَلْعرب ! اقتلوا هذا الغلامَ واقتلوني معه ، فو اللاّت والعزّى لئن تركْتموه وأدرك ، لَيُبَدّلنّ دينَكم وليُسفّهنّ عقولَكم وعقولَ آبائكم ، ولَيخالفنّ أمرَكم ، وليأتينّكُم بدين لم تسمعوا بمثله قطّ ! فعَمَدَتْ ظئري فانتزعتْني من حِجْرِه وقالت : لأنتَ أعتَهُ وأجنّ من ابني هذا ! فلو علمتُ أنّ هذا يكونُ من قولك ما أتيتُك به ، فاطلب لنفسك من يقتلُك ، فإنّا غيرُ قاتلي هذا الغلام . ثم احتملوني فأدّوني إلى أهلي فأصبحت مُفزّعًا مما فعل بي ، وأصبح أثر الشّقّ ما بين صدري إلى مُنتهى عانتي كأنه الشِّراك ؛ فذلك حقيقةُ قولي وبدءُ شأني يا أخا بني عامر . فقال العامريّ : أشهدُ بالله الذي لا إله غيره[6] أنَّ أمرَك حقّ[7] ، فأنبئْني

٩٧٧/١

---

(١) ر ، ح : « بعضهم » .

(٢) ليس بي قلبة ؛ أي ليس به شيء ؛ وأصله من القلاب ؛ وهو داء يأخذ الإبل في رءوسها ، فيقلبها إلى فوق ؛ قال في اللسان : « ولا يستعمل إلا في النفي » .

(٣) ت،ح : « شيء من البأس » .

(٤) ل : « فقصصت » .

(٥) ت،ح : « وضمني » .

(٦) ت،ح : « إلا هو » .

(٧) ت،ح : « لحق » .

بأشياء أسألك عنها ! قال : سل عنك — وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يقول للسّائل : سل عمّا شئت، وعمّا بدا لك، فقال للعامريّ يومئذ: «سل عنْك» ، لأنّها لغةُ بنى عامر ، فكلّمه بما علِم — فقال له العامريّ : أخبرنى

١/٩٧٨ يا بنَ عبد المطلب ما يزيدُ فى العِلم ؟ قال : التعلّم ، قال : فأخبرنى ما يدلّ على العلْم ؟ قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : السؤال ، قال : فأخبِرْنى ماذا يزيدُ فى الشرّ ؟ قال : التمادى ، قال : فأخبْرنى هل ينفع البِرُّ بعد الفجور ؟ قال : نعم، التّوبةُ تغسِل الحوْبة ، والحسناتُ يُذْهِبْن السيئات، وإذا ذكر العبدُ ربّه عند الرّخاء ، أغاثه[1] عند البلاء ، قال العامريّ : وكيف[2] ذلك يا بنَ عبد المطلب ؟ قال : ذلك بأنّ الله يقول : لا وعزّتِى وجلالى ، لا أجمع لعبدى أمْنَيْن ، ولا أجمع له أبداً خوْفَيْن ، إن هو خافَنى فى الدنيا أمِنَنِى يومَ أجمعُ فيه عِبادى عندى فى حظيرة الفردوس[3] ، فيدومُ له أمْنُه ، ولا أمْحقُه[4] فيمن أمحق ، وإن هو أمِنَنِى فى الدُّنيا خافَنِى يوم أجْمَعُ فيه عبادى لميقات يوم معلوم ، فيدومُ له خوفُه ؛ قال : يابن عبد المطّلب ، أخبرنى إلامَ تدعو ؟ قال : أدعو إلى عبادةِ الله وحْدهُ لاشريكَ لهُ ، وأن تَخْلَعَ الأنْدَاد، وتكْفُرَ باللاّت والعزّى، وتقرَّ بما جاء من الله من كتاب أو رسول، وتصلّى الصلوات الخمس بحقائقهنّ، وتصوم شهراً من السّنة ، وتؤدى زكاةَ مالِكَ ، يطهّركَ اللهُ بها ويُطَيّب لك مالَكَ ، وتحجّ البيْتَ إذا وجَدْت إليه سبيلاً ، وتغتسل من الجنابة ، وتؤمِن بالموْت ، وبالبَعْث بعد الموت ، وبالجنّة ، والنار . قال : يابن عبد المطّلب ، فإذا فعلتُ ذلك فما لِى ؟ قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: ﴿جنّاتُ عدْنٍ تجْرى من

١/٩٧٩ تحْتِها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاءُ مَن تزكّى﴾[5] .قال: يابن عبدالمطّلب ، هل مع هذا من الدنيا شىء ؟ فإنّه يُعْجِبُنى الوَطاءَة من العيش ! قال النبى

---

(١) ت، ل : «أعانه» .

(٢) ت، ح : «كيف» .

(٣) ط : «القدس» ، وما أثبته من ر .

(٤) ل : «أمحق» .

(٥) سورة طه ٧٦

صلّى الله عليه وسلّم : نعم ، النَّصْرُ والتَّمكُّن فى البلاد . قال : فأجابَ وأنابَ .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدان الكَلاعىّ ، أنّ نفراً من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالوا : يا رسول الله ، أخبرْنا عن نفسك ، قال : نعم ، أنا دَعْوَةُ أبى إبراهيم ، وبُشْرَى عيسى ، ورَأتْ أمى حين حَمَلت بى أنّه خرَج منها نورٌ أضاءَ لها قصورَ بُصْرى من أرْضِ الشام ، واستُرْضِعْت فى بنى سعد بن بَكْر ، فبَيْنَا أنا مع أخٍ لى خلفَ بُيُوتِنا نرعى بَهْماً لنا ، أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطسْتٍ من ذهب مملوءةٍ ثلجًا ، فأخذانى ، فشقَّا بطنى ، ثم استخرْجا منه قلبى ، فشقّاه فاستخرجا منه عَلَقَة سوداء ، فَطَرَحاها ، ثم غسلا بطنى وقلبى بذلك الثَّلج حتى أنْقَيَاه ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنْه بعشرة من أمّته ، فَوَزَنَنى بهم فوزْنتهُم ، ثم قال : زِنْهُ بمائة من أمَّتِه ، فوزَنَنِى بهم فَوَزَنْتُهُم ، ثم قال : زنه بألف من أمَّتِه ، فوزنَنى بهم فوزَنْتهُم ، ثم قال : دعْه عنْك ، فلو وَزَنْتَهُ بأمَّتِه لوَزَنَها[1] .

قال ابن إسحاق : هلك عبدُ الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأمُّ رسولِ الله آمنةُ بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة حاملٌ به .

وأمّا هشام فإنه قال : توفِّىَ عبدُ الله أبو رسول الله ، بعدَ ما أتى على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ثمانيةٌ وعِشْرون شهراً . ١ / ٩٨٠

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر الواقدىّ : الثَّبَت عندنا مِمّا ليس بيْن أصحابنا فيه اختلاف ، أنّ عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام فى عِير لقريش ، فنزل بالمدينة — وهو مريض — فأقام بها حتى توفّى ، ودفن فى دار النابغة ، فى الدّار الصّغْرى إذا دخلت الدّار على يسارك فى البيت .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبدالله ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارىّ ، أنّ أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة ، توُفِّيت — ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ابنُ ستّ سنين — بالأبْوَاءِ بين مكة والمدينة ، كانت قدمت به المدينة على أخْوالِهِ من

---

(١) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١١٢

بنى عدىّ بن النَّجَّار تَزيرُه إيَّاهم ، فماتَتْ وهىَ راجعةٌ به إلى مكّة[1] .

وقد حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبَرنا محمد ابن عمر ، قال : حدّثنى ابن جريج ، عن عثمان بن صفوان ، أنّ قبْر آمنة بنت وهب فى شِعْبِ أبى ذرٍّ بمكّة .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن العباس ابن عبد الله بن مَعْبد بن العباس ، عن بعض أهله ، أنّ عبد المطلب تُوُفِّىَ ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمانى سنين ؛ وكان بعضهم يقول : تُوُفِّىَ عبد المطلب ورسول الله ابنُ عَشْرِ سنين[1] .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنا طلْحَة بن عمرو الحَضْرَمىّ ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس قال : كان النبى صلّى الله عليه وسلّم فى حِجْر أبى طالب بعد جدّه عبد المطَّلب ، فيُصْبِحُ ولد عبد المطلب غُمْصًا رُمْصًا ، ويصبح صلى الله عليه وسلم صَقِيلاً دهينًا[2] . ١/٩٨١

* * *

رجع الحديث إلى تمام أمرِ كسرى بن قُباذ أنو شروان

حدثنا على بن حرب الموصلىّ ، قال : حدّثنا أبو أيّوب يَعْلى بن عِمران البَجَلِىّ ؛ قال : حدّثنى مَخْزوم بن هانئ المخزومىّ عن أبيه — وأتت له خمسون ومائة سنة — قال : لمَّا كانت ليلة وُلِدَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ارْتَجَسَ إيوانُ كِسْرى وسَقَطَتْ منه أربعَ عشرَة شرفة ، وخَمَدَتْ نار فارس ، ولم تخمدْ قبل ذلك بألف عام[3] ، وغاضتْ بُحَيْرة سَاوَة ، ورأى المَوْبَذان إبلاً صِعابًا ، تقود خيلاً عِرابًا ، وقد قطعَتْ دِجْلَة وانتشرتْ فى بلادها . فلمَّا أصْبَح كِسْرَى أفْزَعَهُ ما رأى ، فصبَرَ تَشَجّعًا ، ثم رأى ألاّ يكتم ذلك عن وزرائه ومَرَازِبَتِهِ ، فلبِسَ تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه .

---

(١) الخبر فى ابن هشام ١ : ١١٣ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٢ : ١٠٣ . والغمص والرمص : البياض الذى يجتمع فى زوايا الأجفان.

(٣) الفائق : « ألف عام » .

فلمّا اجتمعوا إليه أخبرهم بالّذى بَعَثَ إليهم فيه ودعاهم . فبيناهُم كذلك إذْ وَرَدَ عليه كتابٌ بخمودِ النّار فازداد غمًّا إلى غمّه، فقال الموْبذان: وأنا أصلح الله المَلِكَ! قد رأيت فى هذه الليلة ... وقصَّ عليه الرُّؤيا فى الإبل. فقال : أىّ شىء يكون هذا يا موْبذان ؟ — وكان أعلمهم عند نفسه بذلك — فقال : حادثٌ يكون من عندِ العرب ، فكتب عند ذلك :

من كسْرى مَلِكِ المُلُوك إلى النُّعمَان بن المنذر ، أمَّا بعد ؛ فوجّهْ إلىَّ رجلاً عالمًا بما أُريدُ أن أسأله عنه .

فوجّه إليه عبدَ المسيح بن عمرو بن حيَّان بن بُقَيْلة الغسّانىّ ، فلمَّا قدم عليه ، قال له : أعندك علم بما أريد أنْ أسألَكَ عنه ؟ قال : ليخبِرْنى الملك ، فإنْ كان عنْدى منه علم ، وإلاَّ أخبرتُهُ بمن يعلمه له ، فأخْبَرَه بما رأى ؛ فقال : علم ذلك عند خال لى يسكُن مَشَارِفَ الشأم ، يقال له سَطِيح ، قال : فأتِهِ فاسأله عمّا سألْتك ، وأتِنى بجوابه . فركب عبدُ المسيح راحِلَتَهُ حتى قدم على سَطِيح — وقد أشفى على الموت — فسلَّم عليه وحيَّاه ، فلم يُحِرْ سطيحٌ جوابًا ، فأنشأ عبدُ المسيح يقول :

٩٨٢/١

أصمّ أم يَسْمَعُ غِطْرِيفُ اليَمَنْ ! ... يا فاصِلَ الخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ

أم فَازَ فَازْلَمَّ بِهِ شَأْوُ العَنَنْ[1] ... أتاكَ شَيْخُ الحَىّ مِنْ آلِ سَنَنْ

وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذِئْبِ بن حَجَنْ ... أَزْرَقُ مُمْهَى النَّابِ صَرَّارُ الأُذُنْ[2]

أبيضُ فَضْفَاضُ الرِّدَاءِ وَالبَدَنْ ... رَسُولُ قَيْلِ العُجْمِ يَسْرِى لِلْوَسَنْ

يَجُوبُ بِى الأرضَ عَلَنْدَاةٌ شَزَنْ[3] ... تَرْفَعُنِى وَجْنٌ وتَهْوِى بِى وَجَنْ[4]

لَا يَرْهَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنْ ... حَتَّى أَتَى عَارِى الجَآجِى والقَطَنْ

---

(١) الفائق : « فاد » ، وهما بمعنى مات ، وازلم : ولى . (٢) ممهى : محدد .

(٣) العلندى : الشديد ، والفاء للمبالغة . والشزن : النشيط .

(٤) الوجين : الغليظ من الأرض ، جمعه وجن .

تَلفُّهُ فى الرِّيحِ بَوْغَاءُ الدِّمَنْ   كَأَنَّمَا حُثْحِثَ مِنْ حِضْنَىْ ثَكَنْ[١]

فلمّا سمع سطيح شعْرَه ، رفع رأسه وقال : عبدُ المسيح ، على جمل يسيح[٢] ، إلى سطيح ، وقد أوْفى على الضَّريح ، بعَثك ملِكُ بنى ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخُمودِ النيران ، ورؤيا الموْبَذان . رأى إبلاً صِعابًا ، تقود خيْلا عِرابًا ، قد قَطَعَتْ دِجْلة وانتشرت فى بلادها ؛ يا عبدَ المسيح : إذا كثُرَت التلاوَة ، وبُعث صاحبُ الهراوة ، وفاض وادى السَّماوة ، وغاضَتْ بحيرةُ ساوة ، وخَمَدَتْ نارُ فارس ، فليْسَت الشَّأمُ لِسَطِيح شأما ؛ يملِكُ منهم ملوكٌ ومَلِكَات ، على عَدَدِ الشرُفَات ، وكلٌّ ما هو آت آت .

ثمّ قضى سطيح مكانَه ، فقام عبد المسيح إلى رحْلِه وهو يقول :

شَمِّرْ فإنَّكَ مَاضِى الهَمِّ شِمِّيرُ   لا يُفزِعَنَّكَ تَفْرِيقٌ وَتَغْييرُ

إنْ يَكُ مُلْكُ بَنِى ساسانَ أَفْرَطَهُمْ   فإنَّ ذَا الدَّهْرَ أطْوارٌ دَهَارِيرُ

فرُبَّمَا رُبَّمَا أَضْحَوْا بمَنْزِلَةٍ   تَهَابُ صَوْلَهُمُ الأُسْدُ المَهاصِيرُ

مِنْهُمْ أخُوالصَّرْحِ مِهرَانٌ وَإخْوَتُهُ   والهُرْمُزان وسابورٌ وسابورُ

والنَّاسُ أولادُ عَلّاتٍ فَمَن عَلِموا   أَنْ قد أقَلَّ ، فمَهْجُورٌ وَمحقُورُ

وهُمْ بَنُو الأمِّ لَمّا أنْ رَأَوْا نَشَبًا   فذَاكَ بِالْغَيْبِ محفوظٌ ومَنْصُورُ

وَالخيْرُ والشَّرُّ مقرونانِ فى قَرَنٍ   فالخيْرُ مُتَّبَعٌ والشَّرُّ مَحْذُورُ

١/٩٨٤

فلمّا قَدِم عبدُ المسيحِ على كِسْرى ، أخبره بقول سطيح ، فقال : إلى أن يملك منّا أربعةَ عشر ملِكًا قد كانت أمور .

فَمَلَكَ منهم عشرةٌ أربعَ سنين ، ومَلَكَ الباقون إلى ملْك عثمان بن عفان[٣] .

* * *

(١) البوغاء : دقاق التراب ، وحثحث : حث وأسرع . وثكن : اسم جبل .

(٢) ر : « مشيح » .

(٣) الخبر فى الفائق ١ : ٤٦٠ ، ٤٦١

وحُدِّثتُ عن هشام بن محمد ، قال : بعث وَهْرِز بأموال وطُرَف من طُرَف اليمن إلى كسرى ، فلما صارَتْ ببلاد بنِي تميم ، دعا صَعْصَعةُ ابن ناجية بن عِقال المجاشِعِيّ بَنِي تميم إلى الوثوب عليه ، فأبَوْا ذلك، فلمَّا صارتْ فِي بِلادِ بنى يربوع دعاهم إلى ذلك ، فهابوه ، فقال : يابنى يَرْبُوع ، كأنّى بهذه العير قد مرَّت ببلاد بكْربن وائل ، فوثَبُوا عليها فاستعانوا بها على حَرْبِكُمْ ! فلمَّا سمعوا ذلك انْتَهَبُوها ، وأخذَ رجلٌ من بنى سَليط يقال له النَّطِف خُرْجاً فيه جوْهر ، فكان يقال : « أصاب كنز النَّطِف » ؛ فصار مثلا ؛ وأخذ صعصعة خَصَفَةَ(١) فيها سبائكُ فِضَّة ، وصار أصحاب العير إلى هَوْذَة بن علىّ الحنفىّ باليمامة ، فكساهم ، وزوَّدهم وحملهم ، وسار معهم حتى دخل على كسرى . وكان لهَوْذة جَمَالٌ وبَيَان ، فأعجب به كسرى وحَفِظ له ما كان منه ، ودعا بعِقد من دُرّ فعقد على رأسِه ، وكساه قباء ديباج ، مع كسوة كثيرة ، فمن ثَمَّ سُمِّىَ هوذة ذا التاج ؛ وقال كسرى لهوذة : أرَأيْتَ هؤلاءِ القوم الذين صنعوا ما صنعوا مِنْ قومِكَ هم ؟ قال : لا ، قال : أصلحٌ هُم لك ؟ قال : بيننا الموتُ ، قال : قد أدْرَكْت بعضَ حاجتك [ونلت ثأرك](٢) . وعزم على توْجيه الخيل إلى بنى تميم ، فقيل له : إنَّ بلادَهُمْ بلادُ سوء ، إنّما هى مفاوزُ وصحارى لا يهتَدَى لمسالكها ، وماؤهُمْ من الآبار ، ولا يؤمن أن يُعَوِّرُوها فيهلك جندك . وأشيرَ إليه أن يكتبَ إلى عامِله بالبحرين وهو آزاذ فرُوز بن جُشْنَس الذى سمّته العرب المُكَعْبِر — وإنّما سُمِّىَ المكعبِر ، لأنّه كان يقطع الأيدىَ والأرْجُل — وآلى ألاّ يدع من بنِى تميم عينًا تطرِفُ — فَفَعَل ؛ ووجَّه له رسولاً . ودعا بهوذة فجدَّدَ له كرامةً وصِلَةً وقالَ : سِرْ مع رسولى هذا فاشْفِنِى واشْتَفِ ، فأقبل هوذة والرَّسُول معه حتى صار إلى المكعبِر ، وذلك قريب من أيَّام اللُّقاط(٣) ، وكان بَنُو تميم يصيرون فى ذلك الوقت إلى هَجَر ، للميرَةِ واللُّقاط ، فنادى منادى المكَعْبِر : مَن كان هاهنا من بنى تميم فلْيَحْضر

٩٨٥/١

(١) الخصفة : وعاء من خوص . (٢) من ح .

(٣) اللقاط ، بالضم : جمع اللقاطة ؛ وهو ما التقط من كرب النخل بعد الصرام .

فإن الملك قد أمر لَهُمْ بميرَةٍ وطعام يُقسّم فيهم ؛ فحضروا ، فأدخلهم المُشَقَّر — وهو حصنٌ حِيالَه حصنٌ يقال له الصَّفا ، وبينهما نهرٌ يقال له محلِّم — وكان الذى بنى المشقَّر رجلا من أساوِرَةِ كسرى يقال له : «بَسَك بن ماهبوذ» ، كان كسرى وجَّهَهُ لبنائه ، فلمَّا ابتدَأه قيل له : إنَّ هؤلاء الفَعَلَةَ لا يقيمون بهذا المَوْضع إلاَّ أن تكون معهم نساء ، فإن فعلت ذلك بِهِمْ تَمَّ بناؤُك ، وأقاموا عليْه حتى يَفْرُغوا منه ؛ فنقل إليْهِم الفواجِرَ من ناحية السَّوَادِ والأهْوَاز ، وحُمِلَتْ إليهم رَوَايا الخمْرِ من أرض فارس فى البحر ، فتَنَاكَحُوا وتَوَالدوا ، فكانوا(١) جُلَّ أهل مدينة هَجَر ، وتكلّم القومُ بالعربيَّة ، وكانت دعوَتُهم إلى عبْد القيْس ، فلما جاء الإسلامُ قالوا لعبد القيْس : قد علمتم عَدَدَنا وعُدَّتنا وعظيمَ غَنَائنا ، فأدْخِلونا فيكم وزوِّجونا ، قالُوا : لا ، ولكن أقيموا على حالِكم ، فأنتم إخوانُنَا ومَوالينا ، فقال رجلٌ من عبد القيس : يا معاشر عبد القيْس ، أطيعونى وألحقوهم ، فإنَّه ليس عن مثْل هؤلاء مرغَب ، فقال رجل من القوم : أما تَسْتَحى ! أتأمرنا أن نُدْخِل فينا من قد عَرَفْتَ أوَّلَه وأصلَه ! قال : إنَّكم إن لم تفعَلُوا ألحقَهُمْ غيركم من العرب ، قال : إذاً لا نستوحش لهم ؛ فتفرّق القوْم فى العرب ، وبقيتْ فى عبد القيس منهم بَقِيَّةٌ فانتَمَوْا إليهم ، فلم يردُّوهم عن ذلك . فلما أدْخَلَ المكعبِرُ بَنى تميم المشقَّر قتل رجالهم واستبقى الغلمان ، وقُتِل يومئذ قَعْنَب الرِّياحىّ — وكان فارسَ بنى يَرْبُوع — قتله رجلانِ من شَنٍّ(٢) كانا ينوبان الملوك ؛ وجعل الغلمانَ فى السُّفن ، فعبر بهم إلى فارس ، فَخَصَوْا منهم بشرًا . قال هبيرة بن حُدير العَدَوىّ : رجع إليْنا بعد ما فتحت إصطخر عدّة منهم ، أحدُهم خصِىٌّ والآخر خيَّاط . وشدَّ رجلٌ من بنى تميم ، يقال له عبيد بن وَهْب على سلسلة الباب فَقَطَعَهَا وخرَجَ ، فقال :

١/٩٨٦ (في الهامش بإزاء السطر الخامس)

١/٩٨٧

تذَكَّرْتُ هنْداً لاتَ حِينَ تَذَكُّرِ ... تَذَكَّرتها ودُونَهَا سَيْرُ أشْهُرِ

حِجَازِيَّةٌ عُلْوِيَّةٌ حَلَّ أهلها ... مُصابَ الخرِيفِ بَيْنَ زُورٍ ومَنْوَرِ(٣)

---

(١) ح : «وكانوا» .

(٢) بنو شن ، من عبد القيس ، وانظر الاشتقاق ٣٢٥

(٣) ر ، ل : «هضاب الخريف» .

ألا هَلْ أتى قَوْمى عَلى النَّأْيِ أنّنى حَمَيْتُ ذِمارى يَوْمَ بابِ المُشَقَّرِ
ضَرَبْتُ رِتاجَ البابِ بالسَّيْفِ ضَرْبَةً تفرَّجَ مِنْها كلُّ بابٍ مُضَبَّرِ

وكلَّم هوذة بن علىّ المُكَعْبِر يومئذ فى مائةٍ من أسْرَى بنى تميمٍ ، فوهبهم له يوم الفِصْح ، فأعتقهم ، ففى ذلك يقول الأعشى :

سائِلْ تميماً به أيّامَ صفقَتِهِمْ لَمّا أتَوْهُ أُسارَى كلُّهم ضَرَعا[1]
وَسْطَ المُشَقَّرِ فى غَبْراءَ مُظْلِمَةٍ لا يَسْتَطيعونَ بَعْدَ الضُّرِّ مُنْتَفَعا
فقال للمَلْكِ أطْلِقْ مِنْهُمُ مِائَةً[2] رِسْلًا مِنَ القَوْلِ مَخْفُوضاً وما رَفَعا
ففَكَّ عن مِائَةٍ مِنْهُمْ إسارَهُمُ[3] وأصْبَحوا كُلُّهُمْ مِنْ غُلِّه خُلِعا
بِهِمْ تَقَرَّبَ يَوْمَ الفِصْحِ ضاحِيَةً[4] يَرْجُو الإلٰهَ بِمَا أسْدَى وَمَا صَنَعا[5]
فلا يَرَوْنَ بذاكُمْ نِعْمَةً سَبَقَتْ إنْ قال قائِلُها حَقًّا بِها وسِعَا ٩٨٨/١

يصف بنى تميم بالكُفْر لنعمته .

قال : فلما حضرت وهْرِزَ الوفاة — وذلكَ فى آخر ملْك أنوشِرْوان — دعا بقوسه ونشَّابته ، ثم قال : أجلسونى ، فأجلسوه ، فرمى وقال : انظروا حيث وقعت نُشَّابتى فاجعلوا ناؤوسِى هناك ، فوقعت نشَّابتُه من وراءِ الدَّيْر ، وهى الكَنيسة التى عند نُعْم ، وهىَ تسمَّى اليومَ مقبرةَ وَهْرِز ؛ فلمَّا بلغ كِسْرَى موتُ وَهْرِز ، بَعَثَ إلى اليمن أسواراً يقال له وِيْن[6] ، وكان جبَّاراً مُسْرِفاً ، فعزَلَهُ هُرْمُز بن كِسْرَى ، واستعمل مكانه المَرْوُزان ، فأقام

---

(١) من قصيدة فى ديوانه ٧٢ — ٨٧ ، والضرع ، بفتحتين : الذليل الضعيف .
(٢) الديوان : « سرح منهم مائة » .
(٣) الديوان : « وثاقهم » .
(٤) الديوان : « يوم الفتح » .
(٥) الديوان : « سدى » .
(٦) ط : « زين » ، وأثبت ما فى التصريبات .

باليمن حتى وُلِدَ له بها ، وبَلَغ وَلدُه . ثم هلك كِسْرَى أنوشِرْوان ، وكان مُلْكُه ثمانيًا وأربعين سنة .

* * *

[ذكر ملك هرمز بن كسرى أنو شروان]

ثم ملك هُرْمُز بن كِسْرى أنوشروان ، وكانت أمّهُ ابنة خاقان الأكبر ، فحُدِّثْتُ عن هشام بن محمد ، قال : كان هُرْمُز بن كِسْرى هذا كثيرَ الأدب ، ذا نيّة فى الإحسان إلى الضُّعفاء والمساكين ، والحمل على الأشراف ، فعادَوْه وأبغضوه ، وكان فى نفْسِه عليهم مثلُ ذلك ، ولمّا عُقِدَ التاجُ على رأسه ، اجْتَمَع إليْه أشرافُ أهْلِ مَمْلَكَتِه ، واجتهدوا فى الدعاء له والشكر لوالده ، فوعدهم خيراً . وكان مُتَحَرِّيًا للسيرةِ فى رعيّتِه بالعدْل ، شديداً على العظماء لاستطالتهم كانت على الوُضعاء ، وبلغ من عدْله أنّه كان يسير إلى ماه ليصيفَ ، فأمر فَنُودىَ فى مسيره ذلك فى جُنْدِه وسائر منْ كان فى عسْكره أنْ يتحامَوْا مواضعَ الحرُوث ولا يضرّوا بأحَد من الدّهاقين فيها ، ويضبطوا دوابَّهُمْ عن الفساد فيها ، ووكّل بتعاهد ما يكُون فى عسكره من ذلك ومعاقبةِ منْ تعدّىٰ أمْرَه .

١/٩٨٩

وكان ابنُه كِسْرَى فى عَسْكَرِه ، فعار مركب[1] من مراكبِه ووقع فى مَحْرَثَة من المحارث التى كانت على طريقه فرتع فيها وأفْسَد منها ، فأخِذَ ذلك المركب ، ودُفِع إلى الرّجُل الذى وكّل هُرْمُز بمعاقبة من أفسد أوْ دابّتهُ شيئًا من المحارث وتغريمه . فلم يقدر الرّجل على إنفاذ أمر هُرْمُز فى كسرى ، ولا فى أحد مِمّن كان معه فى حَشَمِه ، فرفع ما رأى من إفساد ذلك المركب إلى هُرْمز ، فأمر أن يجْدَع أذنيه ، ويبتّر ذَنَبُه ، ويغرّم كسرى ؛ فخرج الرّجل من عند هُرْمُز لينفّذ أمرَه فى كِسْرى ومركبه ذلك ، فدسّ له كِسْرَى رهْطًا من العُظماء ليسْألوه التّغْبيبَ فى أمْره ، فلقوه وكلّموه فى ذلك فلم يجب إليه ، فسألوه أن يؤخّر ما أمر به هُرْمُز فى المركب حتى يكلّموه فيأمر بالكفّ عنه ، ففعل . فلقىَ أولئك الرّهْط هُرْمُز

---

(١) عار : ضلّ ، والمركب هنا : الدّابّة .

وأعلموه أنّ بالمرْكب الذى أفسد ما أفسد زعارَةً(١) ، وأنّه عار فوقع فى مَحْرَثَة ؛ فأخِذ من ساعة وقع فيها ، وسألوه أن يأمر بالكفّ عن جدْعه وتبْتيره لما فيها من سوء الطِّيَرَة على كِسْرى . فلم يُجِبْهم إلى ما سألوا من ذلك ، وأمر بالمركب فجُدِع أذناه ، وبُتِّرَ ذنبه ، وغرم كِسْرَى مثل ما كان يغرَّم غيره فى هذا الحدّ ، ثمّ ارتحل من معسكره . وكان هُرْمُز ركب ذات يوم فى أوان إيناع الكرْم إلى ساباط المدائن ، وكانَ ممَرُّهُ على بساتينَ وكروم ، وإنَّ رجلاً ممّن ركب معه من أساوِرته اطَّلع فى كَرْم فرأى فيه حِصْرِمًا ، فأصاب منه عناقيدَ ودَفعَها إلى غلام كان معه ، وقال له : اذهب بها إلى المنْزِل واطبُخْها بِلَحم واتّخِذْ منها مَرقةً فإنها نافعة فى هذا الإبَّان(٢) . فأتاه حافظُ ذلك الكرْم فلَزِمَه وصرخ ، فبلغ [من](٣) إشفاق الرَّجل من عقوبة هرمز على تناوُلِه من ذلك الكرْم أنْ دفع إلى حافظ الكرْم مِنْطَقة محلاّة بذهب كانت عليه ، عوضًا له من الحصْرم الذى رزأ من كرْمه ، وافتدى نفسَه بها ، ورأى أنّ قَبْضَ الحافظ إياها منه وتخْلِيته عنه ، مِنّةٌ منّ بها عليه ، ومعروف أسداه إليه . وقيل إنّ هرمز كان مظفَّرًا منصوراً لا يَمُدُّ يدَه إلى شىء إلاّ ناله ، وكان مع ذلك أديبًا أريبًا داهيًا ردىء النيَّة ، قد نزعه أخوالُه الأتراك ، وكان مُقْصِيًا(٤) للأشْراف ، وإنّه قتل من العلماء وأهل البيُوتات والشّرف ثلاثةَ عشر ألف رجل وستمائة رجل ، وإنّه لم يكن له رأىٌ إلا فى تألُّفِ السَّفِلة واستِصْلاحهم ، وإنّه حبَس ناسًا كثيراً من العظماء وأسْقطهم وحطّ مراتبَهم ودرجاتهم ، وجهَّزَ الجنودَ وقصَّر بالأساورة فَفَسَد عليه كثيرٌ ممّن كان حوله لِمَا أراد الله من تغيير أمرِهم وتحويل ملكهم ؛ ولكلٍّ شىء سبب . وإنّ الهَرابِذة رفعوا اليه قصّة يبغون فيها على النّصارى ، فوقع فيها : إنّه كما لا قِوامَ لسرير مُلْكنا بقائمتيه المقدّمتين دون قائمتيْه

١/٩٩٠

١/٩٩١

---

(١) الزعارة ، بتخفيف الراء أو تشديدها : شراسة الطبع .

(٢) ل : « الأوان » .

(٣) من ح .

(٤) ل : « مغضباً » .

المؤخَّرتين ، فكذلك لاقِوَام للْكِنا ولاثباتَ له، مع استفسادنا مَنْ في بلادِنا من النَّصارى وأهل سائر المِلَلِ المخالفة لنا ؛ فأقصِروا عن البغْى على النَّصارى، وواظبوا على أعمال البرّ ليرَى ذلك النصارى وغيرُهم من أهْل الملل [والأديان] ، (١) فيحسُدوكم عليه ، وتتوق أنفسُهم إلى ملّتِكم .

وحُدِّثْتُ عن هشام بن محمد، قال: خرج على هرمز التُّرك — وقال غيره : أقبَل عليه[٢] شابة ملك التُّرك الأعظم — في ثلثمائة ألف مقاتل، في سنة إحْدى عشرة من ملكه ، حتّى صار إلى باذغيس وهَراة . وإنّ ملكَ الروم صار إلى الضّواحي في ثمانين ألف مقاتل قاصداً له ، وإنّ ملكَ الخزَرِ صار في جمْع عظيم إلى الباب والأبواب ، فعاث وأخْرب ، وإنّ رجليْن من العرب يقال لأحدهما : عبّاسُ الأحْول ، والآخر : عمرو الأزْرق ، نزلا في جمع عظيم من العرب بشاطئ الفرات ، وشنُّوا الغارةَ على أهل السَّواد ، واجْترَأ أعداؤُه عليه وغزوا بلاده ، وبلغ من اكْتِنافهم إياها أنّها سُمِّيتْ منخلا كثير السّهام . وقيل : قد اكتنف بلادَ الفرسِ الأعداءُ من كلّ وجه كاكْتناف الوترَ سيتَي القوْس . وأرْسل شابة ملك التُّرك إلى هرمز وعظماءِ الفرس يُؤْذنُهم بإقْباله في جنُوده، ويقول : رُمُّوا قناطرَ أنهارٍ وأودية أجتازُ عليها إلى بلادكم ، واعْقدوا القَناطر على كلّ نهْرٍ من تلك الأنهار لا قنطرةَ له ، وافْعلوا ذلك في الأنهارِ والأوْدية التي عليها مسْلكِي من بلادكم إلى بلادِ الرُّوم ، لإجْماعي بالمسير إليها من بِلادِكم . فاستفظَع هرمز ما ورَد عليه من ذلك ، وشاور فيه ، فأجْمِع له على القصْد لملك الترك ، فوجّه إليه رجُلاً من أهل الرّأىَ يقال لَهُ بَهْرام بن بهرام جُشْنَس — ويعرف بِجُوبِين — في اثنى عشر ألف رجل ، اختاره بهرام على عيْنيه من الكهول دون الشّباب . ويقالُ : إنّ هُرْمز عرض ذلِك الوقت من كان بحضرته من الديوانيِّة ، فكانت عِدّتهم سبعين ألف مُقاتل ، فمضى بهرام بمن ضُمّ إليه مُغِذّاً حتى جاز هَراة وباذغيس ، ولم يشعُر شابة ببهرام حتى نزل بالقرب منه مُعَسْكِراً ، فجرت

١/٩٩٢

(١) من ح .
(٢) ر : « إليه » .

بَيْنَهُما رسائلُ وحروبٌ، وقتل بهرامُ شابة برَمْية رماه إيّاها . وقيل : إن الرّمىَ فى ملك العجم كان لثلاثة نفر ، منها رمية أرشسياطين بين مِنُوشهر ، وأفراسياب[١]، ومنها رَمْيَة سوخرا فى التّرك ، ومنها رمية بهرام هذه . واستباح عسكرَه وأقام بموْضعه ، فوافاه برموذة بن شابة ، وكان يعدل بأبيه ، فحاربه فهزمه ، وحصره فى بعض الحصُون ، ثم ألحّ عليه حتّى استسْلم له ، فوجّهه إلى هرمز أسيرًا، وغَنِمَ مما[٢] كان فى الحصْن [وكانت][٣] كنوزًا عظيمة[٤].

١/٩٩٣

ويقال إنّه حمل إلى هرمز من الأمْوال والجوْهر والآنية والسلاح وسائرِ الأمْتعة مِمّا غنمَه وَقْرَ مائتىْ ألف وخمسين ألف بعير ، فشكر هرمز لبهْرام ما كان منه بسبب الغنائم التى صارت إليْه ، وخاف بهرام سَطْوَة هرمز ، وخاف مثْلَ ذلك منْ كان معه من الجنود ، فخلعوا هرمز وأقبلوا نَحْوَ المدائن ، وأظْهروا الامْتِعاضَ ممّا كان من هرمز ، وأنّ ابنَه أبَرْوِيز أصلحُ للمُلْك منه . وساعَدَهم على ذلك بعض من كان بحضرةِ هرمز ، فهرب أبَرْوِيز بهذا السببِ إلى آذربيجان خوفًا[٥] من هرمز ، فاجتمع إليه هناك عدّةٌ من المرازِبة والإصْبَهْبذين ، فأعطوْه بَيْعتَهُم ، ووثب العظماءُ والأشرافُ بالمدائن ، وفيهم بِنْدى وبِسْطام خالا أبَرْوِيز ، فخلعوا هرمز وسملوا[٦] عينيه وتركُوه تَحرُّجًا من قتله .

وبلغ الخبرُ أبَرْوِيز ، فأقبل بمن شايَعَه[٧] من آذربيجان إلى دار الملك مُسابقًا لبهرام ، فلما صار إليْها استولى على المُلْك وتحرّز من بهرام ، والتقى هُو وهُو على شاطئ النَّهْرَوَان ، فجرتْ بينهما مناظرةٌ ومواقفة ، ودعا أبَرْوِيزُ بهرامَ إلى أن يؤمِّنَه ويرفع مرتبَتَهُ ويُسْنِى ولايتَه ، فلم يقْبَل ذلك ، وجرت بينهما حروبٌ اضطرّت أبَرْوِيز إلى الهرب إلى الروم مستغيثًا بملكها بعد حرْب

١/٩٩٤

(١) ط : فراسيات » ، وأثبت ما فى الشاهنامة .

(٢) ح : « ما كان » .

(٣) من ح .

(٤) ح : « عظاما » .

(٥) ح : « تخوفا » .

(٦) سمل عينيه : فقأهما بحديدة محماة . (٧) ر : « بايعه » .

شديدة وبيات كان من بعْضهم لبعض . وقيل إنّه كان مع بَهْرام جماعةٌ من الأشدّاء، وكان فيهم ثلاثةُ نفرٍ من وجوه الأتراك لايعْدَل بهم فى فروسيّتِهم[١] وشدّتهم من الأتراك أحدٌ ، قد جعلوا لبهرام قتل أبرويز. فلمّا كان الغدُ من ليْلة البيات وقف أبَرْوِيز ودعا الناسَ إلى حرب بهرام فتثاقلُوا عليه ، قصده النفر الثلاثةُ من الأتراك ، فخرج إليهم أبرْويز فقتلهم بيده واحداً واحداً ، ثمّ انصرف من المعْركة وقد أحسّ من أصحابه بالفتور والتغيُّر ، فصار إلى أبيه بِطَيْسسَبون حتى دخل عليه ، وأعلمه ما قد تبيّنه من أصحابه وشاوره ، فأشارعليه بالمصير إلى مَوْريق ملك الروم ليستنجدهُ ، فأحرْزحُرَمَه فى موضع أمِنَ عليهم بهرامَ ، ومضى فى عدّةٍ يسيرةٍ ؛ منهم بِنْدى وبِسْطام وكُرْدى أخو بهرام جوبين حتى صار إلى أنْطَاكيَة ، وكاتَبَ موريق فقَبِلَه ، وزوّجه ابنةً له كانتْ عزيزةً عليه[٢] ، يقال لها : مَرْيم . وكان جميع مدّة مُلْك هرمز بن كسرى فى قول بعضهم ، إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام . وأمّا هشام بن محمد فإنّه قال : كان ملكه اثنتى عشرة سنة .

* * *

[ذكر ملك كسرى أبرويز بن هرمز]

١/٩٩٥ ثم ملَكَ كِسرى أبَرْويز بن هرمز بن كِسرى أنوشِروان ؛ وكان من أشدّ ملوكهم بطشًا ، وأنفذِهم رأيًا ، وأبْعدهم غوْراً ، وبلغ — فيما ذُكِر — من البأس والنّجْدة والنّصر والظّفَر وجمْع الأمْوال والكنوز ومُساعدة القَدَر ومساعفة[٣] الدّهْر إيّاه ما لم يتهيّأ لملك أكثر منه ، ولذلك سُمّى أبرْوِيز ، وتفسيرُه بالعربية : « المظفّر » . وذُكر أنه لمّا استوْحش من أبيه هرمز — لِمَا كان من احتْيِال بهرام جوبين فى ذلك ، حتّى أوْهم هرمز أنّه على أن يقوم بالملْك لنفسه دونه — سار إلى آذربيجان مكتتِماً ، ثم أظهر أمره بعد ذلك ، فلمّا صار فى النّاحية اجتمعت إليه جماعة ممّن كان هناك من الإصْبَهْبَذين وغيرهم ، فأعطوْه بيعتَهم على نُصْرته ؛ فلم يُحْدث فى الأمر شيئًا .وقيل إنّه لما قتل آذِينجُشْنَس المُوَجّه لمحاربة بهرام جوبين ، انفَضّ

(١) ط : «فروستهم» وما أثبته من ت ، ل . (٢) ح : « عنده » . (٣) كذا فى ل ، ح .

الجمع الذى كان معه حتى وافوا المدائن ، واتّبعهم جوبين ، فاضطرب أمر هرمز ، وكتبَتْ أختُ آذينْجُشْنَس إلى أبَرْويز — وكانت تِربْه — تخبره بضعف هرمز للحادث فى آذينْجشْنَس ، وأنّ العظماءَ قد أجمعوا على خلعه ، وأعلمته أنّ جوبين إن سَبَقَه إلى المدائن قبل مُوافاته احتوى عليْها .

فلمّا ورد الكتاب على أبَرْويز ، جمع من أمكنه من أرْمينيَة وآذربيجان ، وصار[1] بهم إلى المدائن ، واجتمع إليه الوجوه والأشراف مسرورين بموافاته ، فتَتَوّج بتاج المُلْك ، وجلس على سريره ، وقال : إنّ من ملّتنا إيثارَ البِرّ ، ومن رأينا العمل بالخيْر ، وإنّ جدّنا كِسْرى بن قُباذ كان لكم بمنزلة الوالد ، وإنّ هرمز أبانا كان لكم قاضيًا عادلاً ، فعليْكم بلزوم السّمع والطاعة . ٩٩٦/١

فلما كان فى اليوم الثالث ، أتى أباه فسجد له ، وقال : عمّرك الله أيها الملك ! إنّك تعلم أنّى برىء مما أتى إليك المنافقون ، وأنى إنّما تواريت ولحقت بآذربيجان خوفًا من إقدامك على القتل . فصدّقه هرمز وقال له : إنّ لى إليك يا بُنَىّ حاجتيْن ، فأسْعِفنى بهما ؛ إحداهما : أن تنْتقم لى ممّن عاون على خلْعِى والسّمْل لعيْنَىّ ، ولا تأخذْك فيهم[2] رأفة ؛ والأخرى : أن تُؤْنسنى كلّ يوم بثلاثة نفر لهم أصالة رأى ، وتأذن لهم فى الدخول علىّ . فتواضع له أبَرْويز وقال : عمّرك الله أيّها الملك ، إنّ المارق بهرام قد أظلّنا ومعه الشجاعةُ والنّجدة ، ولسْنا نقدر أن نمدّ يداً إلى من آتى إليك ما آتى ، فإن أدالَنِى اللهُ على المنافق ؛ فأنا خليفتُك وطوْعُ يدك .

وبلغ بَهرامَ قدومُ كِسْرى وتمليك الناس إياه ، فأقبل بجنده حثيثًا نحو المدائن ، وأذكى أبَرْويزُ العيون عليه ، فلمّا قرُبَ منه رأى أبَرْويز أنّ التّرفّق به أصْلح ، فتسلّح وأمر بِنْدُويه وبِسْطام وناسًا كان يَثِقُ بهم من العظماءِ وألفَ رجُل من جنْده ، فتزيّنوا وتسلّحوا ، وخرج بهم أبَرْويز من قصْره نحو بهرام ، والنّاس يدعون له ، وقد احتوشه بِنْدُويَه وبِسطام

(١) ت ، ح : « فصار » .
(٢) ت ، ح : « بهم » .

وغيرُهما من الوجوه حتّى وقف على شاطئ النّهْرَوان ، فلمّا عرف بهرام مكانَه ، ركب بِرْذَوْنا له أبلقَ كان معجبًا بِه ، وأقْبَل حاسِرًا ومعه إيزَدْجُشْنَس وثلاثةُ نفر من قرابة مَلِك الترك كانوا جَعَلوا لبهرام على أنفسهم أن يأتوه بأبَرْوِيز أسيرًا ، وأعْطاهم بهرامُ على ذلك أموالاً عظيمة . ولمّا رأى بَهْرام بزّة كسرى وزينتَه والتاجَ ، يُسايره معه «دِرَفْش كابيان» علَمُهُم الأعْظم منشورًا ، وأبصر بِنْدُوَيَه وبِسْطام وسائرَ العُظماء وحسنَ تسلّحِهم وفراهةَ دوابّهم ، اكْتأب لذلك ، وقال لمن معه : ألا تَروْن ابنَ الفاعلة قد ألْحمَ وأشْحم ، وتحوّل من الحداثة إلى الحُنْكة ، واسْتَوَتْ لِحْيَتهُ وكَمُلَ شبابهُ ، وعظُم بَدَنُه ! فبينا هو يتكلّم بهذا وقد وقف على شاطئ النّهروان . إذ قال كِسْرى لبعض منْ كان واقفًا : أيّ هؤلاء بهرام ؟ فقال أخٌ لبهرام يسمّى كُرْدى لم يزل مُطيعًا لأبَرْوِيز مُؤْثراً له : عمّرك الله ! صاحبُ البِرْذون الأبلق . فبدأ كِسرى فقال : إنّك يا بهرام رُكنٌ لمملكتنا وسنادٌ لرعيّتنا ، وقد حَسُن بلاؤُك عندنا ، وقد رأيْنا أن نخْتار لك يومًا صالحًا لنُوَلّيَكَ فيه إصْبَهْبَذَة بلاد الفرس جميعًا ؛ فقال له بهرام — وازداد من كِسْرى قربًا — : لكنّى أختار لك يومًا أصلبك فيه . فامتلأ كِسْرى حُزنًا من غير أن يبدوَ فى وجْهه من ذلك شىء ، وامتدّ بينهما الكلام ، فقال بهرام لأبَرْوِيز : يا بن الزّانية المُرَبّى فى خيام الأكراد ! هذا ومثله ، ولم يقبل شيئًا ممّا عرضه عليه ، وجرى ذِكْر إيرش جدّ بهرام ، فقرّعه أبَرْوِيز بطاعة إيرش كانت لِمنوشهْر جدّه . وتفرّقا وكلٌّ واحد منهما على غاية الوحْشة لصاحبه .

وكانت لبهرامَ أختٌ يقال لها كُرْدية ، من أتمّ النساء وأكملهنّ ، وكان تزوّجها ، فعاتبت بهرام على سوء مُلافظته كانت لكِسْرى ، وأرادَتْه على الدّخول فى طاعته ، فلم يقبل ذلك ، وكانت بين كِسْرى وبهرام مُباتية ، فيُقال إنّه لما كان من غدِ الليلة التى كان البيات فيها ، أبْرز كسرى نفْسه ، فلما رآه الأتْراك الثلاثةُ قصدوه ، فقتلهم بيده أبَرْوِيز ، وحرّض الناسَ

على القتال فتبيَّن فشلاً ، فأجمع (١) أبَرْوِيز على إتيان بعض الملوك للاستْجاشة به ، فصار إلى أبيه وشاوره ، فرأى له المصير إلى ملك الروم ، فأحْرَزَ نساءَه وشَخَص فى عدّة يسيرة ، فيهم بِنْدُويه وبِسطام وكُرْدى أخو بهرام ، فلمّا خرجوا من المدائن خاف القوم من بهرام أن يردّ هرمز إلى المُلْك ويكتُبَ إلى ملك الروم عنه فى ردّهم فيُتْلَفوا ، فأعلموا أبَرْوِيز ذلك ، واستأذَنوهُ فى إتلاف هرمز فلم يحِرْ جوابًا ، فانصرف بِندُويه وبِسطام وبعض من كان معهم إلى هرمز حتى أتلفوه خَنْقًا ، ثم رجعوا إلى كِسْرى وقالوا : سِرْ على خير طائر ، فحثُّوا دوابَّهم وصاروا إلى الفُرَات فقطعوه ، وأخذوا طريقَ المفازة بدلالة رجل يقال له خُرْشيذان ، وصاروا إلى بعض الدِّيارات التى فى أطراف العمارة ، فلما أوطنوا إلى الراحة غشِيَتْهم خيلُ بهرام، يرأسُها رجلٌ يقال له بهرام بن سِياوَش ، فلمّا نذِروا بهم أنبه بِنْدُوَيه أبَرْوِيزَ من نومه وقال له : احتلْ لنفسك ، فإنّ القوم قد أظلّوك ؛ قال كِسرى : ما عندى حيلة ، فأعلمه بِنْدُوَيه أنّه يبذل نفسه دونه ، وسأله أن يدفع إليه بِزَّته ويخرج ومن معه من الدَّير ، ففعلوا ذلك ، وبادروا القومَ حتى تَوَارَوْا بالجبل ، فلمّا وافى بهرام بن سياوش ، اطّلع عليه من فوق الدَّير بِنْدويه وعليْه بِزّة أبَرْويز ، فوَهَّمه بذلك أنه أبَرْويز ، وسأله أن يُنْظِره إلى غده ليصير فى يده سلمًا ، فأمسك عنه ، ثم ظهر بعد ذلك على حيلته ، فانصرف به إلى جوبين ، فحبسه فى يدىْ بهرام بن سِياوش .

١/٩٩٩

ويقال إنّ بهرام دخل دُور المُلك بالمدائن ، وقعد على سريره ، واجتمع إليه الوجوه والعظماء فخطبهم ووقع فى أبَرْويز ، وذمَّه ، ودار بينه وبين الوجوه مناظرات [وكلام](٢) كان كلُّهم منصرفًا عنه ، إلاّ أن بهرام جلس على سرير الملك وتتوّج وانْقادَ له الناس خوفًا — ويقال إنّ بهرام بن سِياوش واطأ بِنْدويه على الفتْك بجوبين ، وإنّ جوبين ظهر على ذلك فقتله ، وأفلت بِنْدويه فلحق بآذربيجان، وسار أبَرْويز حتى أتى أنطاكيَة ، وكاتب مَوْريق ملك الرُّوم

(١) ت ، ح . : « فأجمع رأيه »
(٢) من ح .

منها ، وأرْسل إليه بجماعة ممَّن كان معه وسأله نُصْرَته ، فأجابَه إلى ذلك ، وقادته الأمور إلى أن زَوّجه مريم ابنتَه وحملها إليه ، وبعث إليه بثياذوس أخيه ومعه ستون ألف مقاتل ، عليهم رجل يقال له سَرْجِس ، يتولّى تدبير أمرهم ، ورجلٌ آخر كانت قوّته تعدل بقوّة ألف رجل ، واشترط عليه حياطته ، وألاَّ يسأله الإتاوة التى كان آباؤه يسألونها ملوكَ الروم . فلمَّا ورد القوم على أبَرْوِيز اغتبط ، وأراحهم بعد موافاتهم خمسة أيام ، ثمَّ عرضهم وعرَّف عليهم العرفاء ، وفى القوْم ثياذوس وسَرْجِس والكمِىّ الذى يعدل بألف رجل ؛ وسار بهم حتى صار إلى آذربيجان ، ونزل صحراء تدعى الدنق ، فوافاه هناك بِنْدُويه ورجل منْ أصْبهبَذِى الناحية يقال له مُوسِيل فى أربعين ألف مقاتل ، وانقضَّ الناس من فارس وأصْبَهان وخُراسان إلى أبَرْوِيز ، وانتهى إلى بهرام مكانه بصحراء الدَّنق ، فشخص نحوه من المدائن ، فجرت بينهما حرْب شديدة قُتِل فيها الكمىُّ الرّومىّ . ويقال إن أبَرْوِيز حارب بهرام منفرداً من العسكر بأربعة عشر رجلا — منهم كُرْدِى أخو بهرام ، وبِنْدُويه وبِسطام ، وسَابُور[1] بن أفريان بن فرُّخزاد[1] ، وفرْخهُرْمُز — حرباً شديداً وصل فيها بعضُهم إلى بعض . والمجوس تزعم أن أبَرْويز صار إلى مضيق واتبعه بهرام ، فلمَّا ظن أنه قد تمكّنَ منه ، رفعه إلى الجبل شىء لا يوقف عليه .

١٠٠٠/١

وذُكِر أنَّ المنجّمين أجمعت أنَّ أبَرْوِيز يملك ثمانيًا وأربعين سنة . وقد كان أبرَوِيز بَارَزَ بهْرام فاختطف رُمْحه من يده وضرب به رأسه حتى تقصَّف ، فاضطرب على بهرام أمرُه ووجِل ، وعلم أنَّه لا حيلة له فى أبَرْوِيز فانحاز نحوَ خراسان ، ثم صار إلى التّرك ، وصار أبَرْوِيز إلى المدائن بعد أن فرَّق فى جنود الرُّوم عشرين ألف ألف وصرفهم إلى موريق . ويقال إنَّ أبَرْويز كتب للنّصارى كتابًا أطلق لهم فيه عمارة بِيَعِهِم وأنْ يدخل فى ملّتِهم من أحبَّ الدخولَ فيها من غير المجوس ، واحتجَّ فى ذلك أنَّ أنُوشِرْوان كان

(١ – ١) ط : « وسابور أنديان وأبادر وفرخراذ » ، وما أثبته من التصويبات .

هادنَ قيصَر فى الإتاوة التى أخذها منه على استِصْلاح من فى بلده من أهل ١٠٠١/١
بلده ، واتّخاذ بيوت النيران هنالك . وإنّ قيصر اشترط مثل ذلك فى النصارى ؛
ولبث بهرام فى الترك مكرَّمًا عند الملك ، حتّى احتال له أبرَويز بتوجيه رجل
يقال له هرُمز ، وجّهه إلى التّرك بجوهر نفيس وغيره حتى احتال لخاتون
أمرأة الملِك ولاطَفَها بذلك الجوهر وغيره ، حتّى دسَّت لبهرام مَنْ قتله .
فيقال إنّ خاقان اغتمّ لقتله وأرسل إلى كردية أختِه وامرأتِه[1] يُعلمها
بلوغ الحادث ببهرام منه ، ويسألها أن تزوّج نفسها نطرا أخاه ، وطلّق خاتون
بهذا السّبب ، فيقال إن كردية أجابت خاقان جوابًا ليّنًا وصرفت نطرا ، وإنّها
ضمّت إليها من كان مع أخيها من المُقاتلة وخرجت بهم من بلاد التّرك إلى
حدود مَمْلكة فارس ، وإنّ نطرا التركى اتّبَعها فى اثنىْ عشر ألف مقاتل ،
وإنّ كردية قتلت نطرا بيَدِها ومضت لوجْهِها ، وكَتَبَتْ إلى أخيها كردى
فأخذ لها أمانًا من أبرَويز . فلمّا قدمت عليه تزوّجَها أبرَويز واغتَبَط
بها وشكر لها ما كان من عِتابها لبهرام ، وأقبل أبرْويزُ على بِرّموريق وإلطافه .
وإنّ الروم خلَعوا — بعدَ أن ملك كسرى أربع عشرة سنة — موريقَ وقتلوه وأبادوا
وَرَثَتَهُ — خلا ابنٍ له هرب إلى كسرى — وملّكوا عليهم رجلاً يقال له قُوفا .

فلمّا بلغ كِسْرى نكثُ الروم عهدَ موريق وقتْلُهم إيّاه ، امتعض ١٠٠٢/١
من ذلك وأنِفَ منه ، وأخذته الحفيظة ، فآوى ابنَ موريق اللاّجئَ إليْه ،
وتوّجَه وملّكه على الروم ، ووجّه معه ثلاثة نفر من قُوّاده فى جنود كثيفة .
أمّا أحدهم فكان يقال له رُميوزان[2] ، وجّهه إلى بلاد الشام فدوّخها حتى
انتهى إلى أرض فِلَسْطين ، وورد مدينة بيْت المَقْدس فأخذ أسْقُفّها ومن
كان فيها من القِسّيسين وسائر النصارى بخشبة الصّليب ، وكانت وُضعت فى
تابوت من ذهب ، وطُمِر في بُسْتان وزُرِعَ فَوْقه مبقلة ، وألحّ عليهم حتى دلّوه
على موضعها ، فاحتفر عنها بيده واستَخْرجها ، وبعث بها إلى كِسْرى فى أربع
وعشرين من ملكه .

---

(١) ط : « مرءته » ، وما أثبته من ت ، ح .

(٢) ت ، ح : « دميران » .

وأمَّا القائدُ الآخر ــ وكان يقال له شاهين ، وكان فاذوسبان المغرب ــ فإنّه سار حتّى احتوى على مصر والإسكندرية وبلادِ نُوبة ، وبعث إلى كِسْرى بمفاتيح مدينة إسكندريّة فى سنة ثمان وعشرين من ملكه . وأما القائد الثالث فكان يقال له فَرُّهان ، وتدعى مرتبته شَهْرَبَراز . وإنّه قصد القُسْطَنْطِينيَّة حتّى أناخ على ضَفَّة الخليج القريب منها ، وخيَّم هنالك ، فأمره كِسْرى فخرَّب بلاد الرّوم غضباً ممَّا انتهكوا من موريق ، وانتقاماً له منهم ، ولم يخضع لابن موريق من الرّوم أحد ولم يمنحه الطاعة ، غير أنّهم قتلوا قوفا الملكَ الذى كانوا ملّكوه عليهم لِمَا ظَهَرَ لهم من فجوره وجرْأته على الله وسوء تدبيره ، وملّكوا عليهم رجلاً يقال له هِرَقْل . ١/١٠٠٣

فلمَّا رأى هرقل عظيم ما فيه بلادُ الروم من تخْريب جنود فارس إيَّاها وقَتْلِها مُقَاتِلتهم وسبيهم ذراريّهم واسْتِباحَتِهم أموالهم وانْتِهاكِهم ما بحضْرتهم ، بكى إلى الله وتضرَّع إليه وسأله أن يُنْقِذه وأهلَ مملكته من جنود فارس ، فرأى فى منامه رجلاً ضخمَ الجثّة رفيعَ المجلس، عليه بِزّة ، قائماً فى ناحية عنه ، فدخل عليهما داخلٌ ، فألْقى ذلك الرَّجل عن مجلسه ، وقال لهرقل[1] : إنى قدْ أسلمته[2] فى يدك . فلم يقصُصْ رؤْياه تلكَ فى يقظته على أحد ، ورأى الليلة الثانية فى منامه أن الرّجل الذى رآه فى حلمه جالس فى مجْلس رفيع ، وأنَّ الرَّجل الدَّاخلَ عليهما أتاهُ وبيَدِه سلْسِلة طويلة ، فألقاها فى عُنُق صاحب المجلس وأمكنه منْه ، وقال له : هأنذا قد دفعتُ إليك كِسْرى بِرُمَّته ، فاغْزُه فإنَّ الظفر لك ، وإنّك مدالٌ عليه ونائلٌ أمْنيّتك فى غزَاتك . فلمَّا تتابعت عليه هذه الأحلام ، قصَّها على عظماء الروم وذوى الرأى منهم .

فأخبروه أنّه مدالٌ عليه ، وأشاروا عليه أن يغزوَه ، فاستعدَّ هِرَقْل واستخلف ابناً له على مدينة قسطنطينيّة ، وأخذ غير الطريق الذى فيه شَهْرَبراز ، وسار حتّى أوغل فى بلاد أرمينيَة ، ونزل نَصيبين بعد سنة ، وكان

---

(١) ح : « لهم » .
(٢) ت ، ح : « سلمته » .

شاهين — فاذوسبانُ المغرب — بباب كِسْرى حين ورد هِرَقْل نَصيبين لمَوْجدة كانت من كسرى عليه ، وعزله إيَّاه عن ذلك الثَّغْر ، وكان شهر براز مُرابطًا للموضع الذى كان فيه لتقدّم كسرى كان إليه فى الجثوم فيه ، وترك البراح منه ، فبلغ كِسْرَى خبرُ تساقط هِرَقْل فى جنوده إلى نَصيبين ، فوجَّه لمحاربة هرقْل رجلاً من قُوَّاده يقال له : راهزار ، فى اثنى عشر ألف مقاتل ، وأمره أن يقيم بنِينَوَى من مدينة المَوْصِل على شاطئْ دجلة ، ويمنع الروم أن يجوزوها — وكان كِسْرَى حين بَلَغه خبرُ هِرَقْل مقيمًا بدَسْكَرة الملك — فنفَذ راهزار لأمْر كسرى ، وعسْكر حيث أمره ، فقطع هِرقْل دِجْلة فى موضع آخر إلى الناحية التى كان فيها جندُ فارس ، فأذْكى راهزار العيونَ عليه ، فانْصرَفُوا إليه وأخبروه[1] أنَّه فى سبعين ألف مقاتل ، وأيْقنَ راهزار أنَّه ومَنْ معه من الجنود عاجزُون عن مناهضة سبعين ألف مُقَاتل ، فكتب إلى كِسْرى غيرَ مرَّة دَهْم هرقْلٍ إيَّاه بمن لا طاقة له ولمن معه بهم ، لكثْرتهم وحسنِ عدّتهم ، كلُّ ذلك يجيبه كسرى فى كتابه ؛ أنَّه إن عجز عن أولئك الرُّوم فلنْ يعجز عن استِقْتَالهم وبذْل دمائهم فى طاعته . فلمَّا تتابعت على راهزار جواباتُ كُتُبِه إلى كِسْرى بذلك ، عبَّى جندَه وناهض الرُّوم ، فقتلت الرُّوم راهزار وستَّة آلاف رجُل ، وانهَزَم بقيَّتُهُم وهَرَبُوا على وجوههم ، وبلغ كِسْرى قتلُ الرُّوم راهزار وما نَال هرقل من الظَّفر ، فهدَّه ذلك وانحاز من دَسْكَرَة الملك إلى المدائن ، وتحصَّن فيها لعجزْه كان عن محاربة هرقل .

وسَار هِرَقل حتَّى كان قريبًا من المدائن ، فلمَّا تساقط إلى كِسْرى خبرُه واستعدَّ لقتاله ، انصرَف إلى أرض الرُّوم وكتب كِسْرى إلى قُوَّاد الجُنْد الذين انهزموا يأمرهم أن يدُلّوه على كلّ رجل منهم ومن أصحابهم ، ممَّن فشل فى تلك الحرب ولم يرابِطْ مركزه فيها ، فيأمر أن يعاقب بقدر ما استَوْجَب ، فأحْرجهم بهذا الكتابِ إلى الخلاف عليه ، وطلب الحِيَل لنجاة أنفسهم منه ، وكتب إلى شهر براز يأمره بالقدوم عليه ويستعجله فى ذلك ، ويصفُ ما كان من أمْر الرُّوم فى عمله .

١/١٠٠٤ ، ١/١٠٠٥

---

(١) ت ، ح : « فأخبروه » .

وقد قيل: إنّ قول الله : ﴿ الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] ، إنّما نزل فى أمر أبَرْوِيز ملك فارس وملك الرُّوم هِرَقل ، وما كان بينهما ممَّا قد ذكرت من هذه الأخبار .

ذكر منْ قال ذلك :

حدّثني القاسم بن الحسن ، قال : حدّثني الحسين ، قال : حدّثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن عِكرمة : أن الرّوم وفارس اقتتلوا فى أدنى الأرض . قال : وأدنى الأرض يومئذ[2] أذْرِعات ، بها التقوْا فهُزمَت الرُّوم ، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلّم وأصحابَه وهم بمكة؛ فشقّ ذلك عليهم — وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يكرَهُ أن يظهر الأمّيُّون من المجوس على أهل الكتاب من الرّوم — وفرح الكفّار بمكّة وشمِتوا ، فلقوا أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقالوا : إنّكم أهل كتاب والنّصارى أهل كتابٍ ونحن أميّون ، وقد ظهر إخوانُنا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب ، وإنّكم إن قاتلتمونا لنظهرَنّ عليكم؛ فأنزل الله : ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ — إلى — ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ ، فخرج أبو بكْر الصدّيق إلى الكفّار فقال : أفرحتم بظهور إخْوانكم على إخْوَاننا ! فلا تفرحوا ولا يقرّنّ الله أعينُكم ، فوالله ليظْهرَنّ الرُّوم على فارس ، أخبرنا بذلك نبيُّنا . فقام إليه أُبَيّ بن خلَف الجمحيّ ، فقال : كذبتَ يا أبا فَصيل ! فقال له أبو بكر : أنت أكذبُ يا عدوّ الله ! فقال : أناحبك[3] ! عشرَ قلائص[4] منّي ، وعشر قلائص منك ،

١٠٠٦/١

---

(١) سورة الروم ١ — ٨ .

(٢) ط : « يوم » ، والصواب ما أثبته من التفسير .

(٣) المناحبة : المخاطرة والمراهنة .

(٤) القلائص : جمع قلوص ؛ وهى من الإبل الشابة أو الباقية على السير .

فإن ظهرت الروم على فارس غرِمتُ ، وإن ظهرت فارس غرمتَ إلى ثلاث سنين ، ثم جاءَ أبو بكر إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرتُ ، إنّما البِضع ما بين الثّلاث إلى التّسع ، فزايِدْه فى الخطَر [١] ومادّه فى الأجل . فخرج أبو بكر فلقىَ أبيًّا فقال : لعلّك ندمتَ ، قال : لا ، تعال أزايدْك فى الخطَر وأمادّك فى الأجَل ، فاجعَلْها مائة قلوص إلى تسعِ سنين ، قال : قد فعلْت [٢] .

حدثنا القاسم ، قال : حدّثنا الحسين ، قال : حدّثنا حجّاج ، عن أبى بكْر ، عن عِكْرمة ، قال : كانت فى فارس امرأة لا تَلِدُ إلاّ الملوك الأبطال ، فدعاها كِسْرى ، فقال : إنّى أريدُ أنْ أبْعَثَ إلى الرُّوم جيشًا وأستعْمِل عليهم رجلاً من بنيك ، فأشيرى علىّ أيّهم أستعمل ، قالت : هذا فلانٌ وهو أروغ من ثعْلب ، وأحذر من صقْر ؛ وهذا فَرُّخان وهو أنفذُ من سِنان ، وهذا شَهْربراز وهو أحْلم من كذا ؛ فاستعملْ أيّهم شئت ، قال : فإنّى قد استعملت الحليم ، فاستعمل شَهْربَراز ، فسار إلى الرُّوم بأهل فارس وظهر عليهم ، فقتّلَهم وخرّب مدائِنهُم ، وقطع زيتونَهم . قال أبو بكر : فَحَدّثْت هذا الحديثَ عَطاء الخراسانىّ فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت : لا ، قال : أما إنّك لو أتيتَها لرأيتَ المدائنَ التى خُرّبت والزّيتون الذى قُطع ؛ فأتيتُ الشّام بعد ذلكَ فرأيته [٢] .

١٠٠٧/١

قال عَطاءُ الخراسانىّ : حدّثنى يحيى بن يَعْمَر ، أنّ قَيْصَر بعث رجلا يُدْعى قطمة بجيش من الرُّوم ، وبعث كِسْرى بشَهْربَراز ، فالتقيا بأذْرِعَات وبُصرى — وهى أدْنَى الشّأم إليكم — فلقيت فارسُ الرومَ فغلبتهْم فارس ، ففرح بذلك كُفّار قريش وكرهه المُسْلِمُون ، فأنْزَل الله : ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ ...﴾ الآيات . ثم ذكر مثل حديث عِكْرمة ، وزاد : فلم يبرح شَهْربَراز يطؤهم ويخرّب مدائنهم حتّى بلغ الخليج ، ثمّ مات كسرى فبلغهم موتُه ، فانهزم

(١) الخطر ، بالتحريك : ما يتخاطر عليه ويتراهن به .
(٢) الخبر فى التفسير ٢٠ : ١٣ (بولاق) .

شَهْرَبَراز وأصحابُه ، وأديلت بهم الرُّوم عند ذلك فاتّبعوهم يُقتّلونهم .

قال : وقال عِكرمة فى حديثه : لمّا ظهرت فارِس على الرُّوم ، جلس فَرُّخان يشرب ، فقال لأصحابه : لقد رأيتُ كأنى جالس على سرير كسرى؛ فبلغت كِسْرى ، فكتب إلى شَهْرَبَراز : إذا أتاك كتابى فابعث إلىّ برأس فَرُّخان . فكتب إليه : أيّها الملك ، إنّك لن تجد مثل فَرُّخان ؛ إنّ له نكايةً وصوْتًا فى العدوّ فلا تفعل . فكتب إليه : إنّ فى رجال فارس خَلَفًا منه ، فعجِّل علىّ برأسه . فراجعه ، فغضِبَ كِسْرى فلم يجبْه ، وبعث بريداً إلى أهْل فارس : إنى قد نزعتُ عنكم شَهْرَبَراز ، واستعملتُ عليكم فَرُّخان. ثمّ دفع إلى البريد صحيفةً صغيرة ، وقال : إذا ولىَ فَرُّخان المُلْك وانقادَ له أخوه ، فأعطِه هذه الصحيفةَ . فلمّا قرأ شَهْرَبَراز الكتاب ، قال : سمعًا وطاعةً ، ونزل عن سريره وجلس فَرُّخان ، ودفع الصَّحيفةَ إليه فقال : ائتونى بِشَهْرَبَراز ، فقدّمه ليضرب عُنُقَه ، فقال : لا تعجل حتّى أكتب وصيّتى ، قال : نعم ، فدعا بالسَّفَط فأعطاه ثلاث صحائف، وقال : كلّ هذا راجعتُ فيكَ كِسْرى ، وأنت أردتَ أن تقتلنى بكتاب واحد ! فردّ المُلْكَ إلى أخيه ، وكتب شَهْرَبَراز إلى قيْصَر ملك الرُّوم : إنّ لى إليك حاجةً لا تحملها البُرُد ولا تبلّغها الصُّحف ، فالقَنِى ، ولا تلقنى إلاّ فى خمسين روميًّا ، فإنى ألقاك فى خمسين فارسيًّا ، فأقبل قيْصَرُ فى خمسمائة ألف رومىّ ، وجعل يَضعُ العيُون بين يديْه فى الطريق ، وخاف أن يكون قد مكر به ، حتّى أتاه عيُونُه ، أنّه ليسْ معه إلا خمسون رجلا ، ثم بُسِط لهما والتقيا فى قُبَّة ديباج ضُربت لهما ، مع كلّ واحد منهما سكّين ، فدَعَوْا تُرْجمُانًا بينهما ، فقال شَهْرَبراز : إن الذين خرّبوامدائِنَكَ أنا وأخى بكيْدنا وشجاعتنا ، وإنّ كِسْرى حسدنا فأراد أنْ أقتلَ أخى ، فأبَيْتُ ، ثمّ أمر أخِى أن يقتلنى ؛ فقد خَلَعْناه جميعًا فنحنُ نقاتله معاك . قال : قد أصَبْتُما ، ثمّ أشارَ أحدُهما إلى صاحبه أن السرّ بين اثنين ، فإذا جاوز اثنين فَشَا ، قال : أجَلْ ، فقتلا التّرْجمان جميعًا بسِكّينَيهما ؛ فأهلك الله كِسْرى ، وجاء الخبرُ

١٠٠٨/١

١٠٠٩/١

إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم يومَ الحُديبِيَة ، ففرح ومن معه[١] .

وحُدِّثت عن هشام بن محمد ، أنه قال : فى سنة عشرين من مُلْك كِسْرى أبَرْويز ، بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلّم ، فأقام بمكّة ثلاث عشرةَ سنة ، وهاجر فى سنة ثلاث وثلاثين من مُلْكِه إلى المدينة .

(١) الخبر فى التفسير ٢٠ : ١٣ – ١٤ (بولاق) .

ذكر الخبر عن الأسباب التي حدثت عند إرادة الله إزالة مُلْك فارس عن أهل فارس

وَوطِأتْها العربُ بما أكْرَمَهُم به بنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم من النبوّة والخلافة والمُلْك والسلطان في أيام كِسْرى أبَرْويز.

فمن ذلك ما روِي عن وَهْب بن منبّه، وهو ما حدّثنا به ابن حُمَيد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، قال: كان من حديث كِسْرى كما حدّثني بعضُ أصحابي، عن وهب بن منبِّه، أنه كان سَكَر دِجلة العَوْراء[1]، وأنفقَ عليها من الأموال ما لا يُدْرَى ما هو، وكان طاقُ مَجْلسه قد بُنِيَ بنيانًا لم يُرَ مثله، وكان يعلّق تاجَه؛ فيجلس فيه إذا جلس للناس، وكان عنده ستون وثلثمائة رجل من الحُزَاة — والحُزَاة العلماء — من بين كاهنٍ وساحرٍ ومنجِّمٍ؛ قال: وكان فيهم رجل من العرب يقال له السَّائب، يعتاف اعتِيَافَ العرب قلّما يخطِئ — بعث به إليه باذانُ من اليمن — فكان كِسْرَى إذا حزَبه أمر جمع كهّانه وسحّاره ومنجّميه، فقال: انظروا في هذا الأمر ما هو!

١٠١٠/١

فلمّا أن بعث الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم، أصبح كِسْرى ذات غَدَاةٍ وقد انقصَمَتْ طاقُ مُلْكه من وسَطها من غير ثقَل، وانخرقت عليه دِجْلةُ العوْراء، فلمّا رأى ذلك حزنه، وقال: انقصمت طاقُ ملْكي من وسطها من غير ثقْل، وانخرقت عليَّ دجلة العوراء، «شاهْ بِشْكَسْتْ»: يقول: المِلك انكسرَ. ثم دعا كُهّانه وسحّاره ومنجّميه، ودعا السَّائب معهم، فقال لهم: انقصَمَتْ طاقُ ملْكي من غير ثقل، وانخرقت عليَّ دجلة العوراء، «شاهْ بِشْكَسْتْ» انظُروا في هذا الأمر ما هو؟ فخرجوا من عنْده فنظروا في أمْره، فأخِذ عليهم بأقطار السماء، وأظلمت عليهم الأرض، وتسكّعوا في علمهم، فلا

(١) دجلة العوراء: اسم لدجلة البصرة؛ ويقال: سكر النهر، إذا سد فاه.

يمضى لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانته ، ولا يستقيم لمنجّم علمُ نجومه . وبات السائب فى ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمُق برقًا نشأ من قبَل الحجاز ، ثم استطار حتى بلغ المشرق ، فلما أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت قدميْه ؛ فإذا روضة خضراء ، فقال فيما يعتاف : لئن صدق ما أرى ، ليخرجَنّ من الحجاز سلطان يبلغ المشرق ؛ تُخصِب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت عن ملِك[1] كان قبله .

١٠١١/١

فلما خلَص الكهّان والمنجّمون بعضهم إلى بعض ، ورأوْا ما قد أصابهم ، ورأى السائب ما رأى ، قال بعضهم لبعض : تعلمون والله ما حِيل بينكم وبين علمكم إلا لأمر[2] جاء من السماء ، وإنه لنبىّ قد بُعث — أو هو مبعوث — يسلب هذا الملك ويكسره . ولئن نعيتم لكسرى مُلْكه ليقتلنّكم ، فأقيموا بينكم أمراً تقولونه له تؤخّرونه عنكم إلى أمرٍ ما ساعة .

فجاءوا كسرى ، فقالوا له : إنّا قد نظرنا فى هذا الأمر فوجدْنا حُسّابك الذين وضعت على حسابهم طاق ملكك ، وسكرتَ دِجْلة العوراء وضعوه على النُّحوس ، فلما اختلف عليهما الليل والنهار وقعت النحوس على مواقعها ، فزال كلّ ما وضع عليهما ؛ وإنّا سنحسب لك حسابًا تضع عليه بنيانك فلا يزول . قال : فاحسبوا ، فحسبوا له ، ثم قالوا له : ابنه ، فبنى . فعمل فى دجلة ثمانية أشهر وأنفق فيها من الأموال مالا يدرى ما هو ، حتى إذا فرغ [منها][3] قال لهم : أجلس على سورها ؟ قالوا : نعم ، فأمر بالبُسط والفرش والرياحين فوضعت عليها ، وأمر بالمرازبة فجمِعوا[4] له ، واجتمع إليه اللعّابون ، ثم خرج حتى جلس عليها ، فبينا هو هنالك[5] انتسفت دجلة البنيان من تحته ، فلم يستخرَج[6] إلا بآخر رمَق .

---

(١) ابن الأثير ١ : ٢٨٣ : « على ملك » .
(٢) ابن الأثير : « أمر » .
(٣) تكملة من ر .
(٤) ت ، ح : « فاجتمعوا » .
(٥) ل : « كذلك » ، ح : « هناك » .
(٦) ح : « يخرج » .

١٠١٢/١ فلما أخرجوه ، جمع كُهّانه وسُحّاره ومنجّميه ، فقتل منهم قريبًا من مائة ، وقال سمّنتكم[١] وأدنيتُكم دون الناس ، وأجريت عليكم أرزاقى ، ثم تلعبون بى ! فقالوا[٢] : أيها الملك ، أخطأنا كما أخطأ مَنْ كان قبلنا ، ولكنّا سنحسب لك حسابًا فتثبّتْ حتى تضعها على الوثاق من السعود . قال : انظروا ما تقولون ! قالوا : فإنا نفعل ؛ قال : فاحسبوا ، فحسبوا له ، ثم قالوا له : ابنه ، فبنى وأنفق من الأموال ما لا يُدرى ما هو ، ثمانية أشهر من ذى قِبل . ثم قالوا : قد فرغنا ، قال : أفأخرج فأقعد عليها ؟ قالوا : نعم ، فهاب الجلوس عليها ، وركب بِرْذَوْنا له ، وخرج يسير عليها ؛ فبينا هو يسير فوقها إذ انتسفته دِجْلة بالبنيان ، فلم يدرَك إلاّ بآخر رَمَق ، فدعاهم فقال : والله لأمرّنّ على آخركم ولأنزعنّ أكتافكم ، ولأطرحنّكم تحت أيدى الفِيلَة أو لتصدُقُنى ما هذا الأمر الذى تلفّقون علىّ ! قالوا : لا نكذبك أيّها الملك ، أمرتَنا حين انخرقت عليك دِجلة ، وانقصمت[٣] عليك طاق مجلسك[٤] من غير ثقل أن ننظر فى علمنا لِمَ ذلك ! فنظرنا ، فأظلمت علينا الأرض وأخِذ علينا بأقطار السماء ، فتردد علينا علمنا فى أيدينا ، فلا يستقيم لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانته ، ولا لمنجّم علم[٥] نجومه ؛ فعرفنا أن هذا الأمر حَدث من السّماء ، وأنه قد بُعِث نبىّ أو هو مبعوث ؛ فلذلك حِيل بيننا وبين علمنا ،

١٠١٣/١ فخشينا إن نَعَيْنا لك ملكك أن تقتلنا ، وكرهنا من الموت ما يكره الناس ، فعلّلناك عن أنفسنا بما رأيت . قال : ويحكم ! فهلاّ تكونون بيّنتم لى هذا فأرى فيه رأيى ! قالوا : منَعنا من ذلك ما تخوّفنا منك . فتركهم ولها عن دِجلة حين غلبته .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الفضل ابن عيسى الرّقاشىّ ، عن الحسن البصرىّ ؛ أنّ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قالوا : يا رسول الله ، ما حجّة الله على كِسرى فيك ! قال : بعث

---

(١) ت : « أمنتكم » ، ح : « قربتكم » ر ، ل : « سميتكم » .
(٢) كذا فى ح وابن الأثير ؛ وفى ط : « قالوا » .
(٣) ل : « وانقصم » .
(٤) ت ، ح : « ملكك » .
(٥) ت ، ح : « نجم » .

إليه مَلَكًا فأخرج يده من سُور جدار بيته الذى هو فيه يتلألأ نوراً ، فلما رآها فزع ، فقال : لَمْ تُرَعْ يا كسرى ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابًا فاتبعْه تَسلَمْ دنياك وآخرتك ، قال : سأنظر .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبى بكر ، عن الزهرىّ ، عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : بَعَثَ الله إلى كسرى ملَكًا وهو فى بيت إيوانه الذى لا يُدْخل عليه فيه ، فلم يرعه إلاّ به قائمًا على رأسه فى يده عصا ، بالهاجرة فى ساعته التى كان يَقيل فيها ، فقال : يا كسرى أتُسْلِم أو أكسر هذه العصا ! فقال : بِهِلْ بِهِلْ ، فانصرف عنه ثم دعا [1] أحراسه وحجّابه فتغيّظ عليهم ، وقال : من أدخل هذا الرجل علىّ ؟ فقالوا : ما دخلَ عليك [2] أحد ولا رأيناه ؛ حتى إذا كان العام القابل [3] أتاه فى الساعة التى أتاه فيها ، فقال له كما قال له ، ثم قال له : أتُسلِم أو أكسر هذه العصا؟ فقال : بِهِلْ بِهِلْ بِهِلْ ؛ ثلاثا ؛ فخرج عنه فدعا كسرى حجّابه وحرّاسه وبوّابيه فتغيّظ عليهم وقال لهم كما قال أول مرة ، فقالوا : ما رأينا أحداً دخل عليك . حتى إذا كان فى العام الثالث أتاه فى الساعة التى جاءه فيها ، فقال له كما قال : أتُسلِم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بِهِلْ بِهِلْ ، قال : فكسر العصا ، ثم خرج فلم يكن إلا تهوُّرُ ملكه ؛ وانبعاثُ ابنه والفرْس حتى قتلوه .

١٠١٤/١

قال عبد الله بن أبى بكر : فقال الزهرىّ : حدّثت عمر بن عبد العزيز هذا الحديث عن أبى سلمة بن عبد الرحمن فقال : ذُكِر لى أن الملَك إنما دخل عليه [4] بقارورتين فى يديه ، ثم قال له : أسلم ، فلم يفعل ، فضرب إحداهما على الأخرى فرضّضهما ، ثم خرج فكان من [أمر][5] هلاكه ما كان .

---

(١) ت ، ح : « فدعا » .
(٢) ت ، ح : « علينا » .
(٣) ت ، ح : « المقبل » .
(٤) ت ، ح : « إليه » .
(٥) تكلة من ت ، ح .

حدثنى يحيى بن جعفر ، قال : أخبرنا علىّ بن عاصم ، قال : أخبرَنا خالد الحذّاء ، قال : سمعت عبد الرحمن بن أبى بَكْرة ، يقول : بينما كسرى ابن هرمز نائم ليلة فى هذا الإيوان ، إيوان المدائن، والأساورة محدِقون بقصره؛ إذ أقبل رجل يمشى معه عصا ؛ حتى قام[1] على رأسه ، فقال : يا كسرى ابن هرمز ؛ إنّى رسول الله إليك أن تُسلم ، قالها ثلاث مرات — وكسرى مستلقٍ ينظر إليه لا يجيبه ؛ ثم انصرف عنه — قال : فأرسل كسرى إلى صاحب حَرَسه ، فقال : أنت أدخلت علىّ هذا الرجل ؟ قال : لم أفعل ولم يدخل من قِبَلنا أحد . قال : فلما كان العام المقبل خاف كسرى تلك الليلة ، فأرسل إليه أن أحدِقْ بقصرى ، ولا يدخل[2] علىّ أحد ، قال : ففعل ، فلما كان تلك الساعة إذا هو قائم على رأسه ، ومعه عصًا ، وهو يقول له : يا كسرى بن هرمز ، إنّى رسولُ الله إليك أن تُسلم ، فأسلِم خير لك — قال : وكسرى ينظر إليه لا يجيبه — فانصرف عنه ، قال : فأرسل كسرى إلى صاحب الحرس : ألم آمرك ألّا يدخلَ علىّ أحد ! قال : أيّها الملك، إنّه والله ما دخل عليك مِنْ قِبَلنا أحد ، فانظرْ من أين دخل عليك ؟ قال : فلما كان العام المقبل ؛ فكأنّه خاف تلك الليلة ، فأرسل إلى صاحب الحرَس والحرس : أن أحدِقوا بى الليلة ، ولا تدخل[3] امرأة ولا رجل ؛ ففعلوا . فلما كان تلك الساعة ، إذا هو قائم على رأسه ، وهو يقول : يا كسرى بن هرمز ، إنّى رسول الله إليك أن تُسْلِم ، فأسلِم خير لك ، قالها ثلاث مرات وكسرى ينظر إليه لا يجيبه . قال : يا كسرى إنك قد أبيتَ علىّ ، والله ليكسرنّك الله كما أكْسِرُ عصاىَ هذه ، ثم كسرها وخرج ؛ فأرسل كسرى إلى الحرس ، فقال : ألم آمركم ألّا يدخل علىّ الليلة أحد ، أهل ولا ولد ! قالوا : ما دخل عليك من قِبَلنا أحد !

١٠١٥/١

(١) ت ، ح : « وقف » .
(٢) ت ، ح : « لا يدخلن » .
(٣) ت ، ح : « تدخلن » .

قال : فلم يلبث أن وثب عليه ابنُه فقتله .

* * *

[ذكر خبر يوم ذى قار]

ومن ذلك ما كان من أمر ربيعة والجيش الذى كان أنفذه إليهم كسرى أبرويز لحربهم ، فالتقوا بذى قار .

١٠١٦/١ وذُكر عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنه لما بلغه ماكان من هزيمة ربيعة جيشَ كسْرى ، قال : « هذا أوّل يوم انتصف العرب من العجم ؛ وبى نُصروا » . وهو يوم قُراقِر ويوم الحِنْو حِنْوذى قار ، ويوم حِنْو قُراقِر ، ويوم الجُبابات ، ويوم ذى العُجْرُم ، ويوم الغَذَوانِ ، ويوم البطحاء ، بَطْحاءِ ذى قار ، وكلّهنّ حول ذى قار .

فحدّثت عن أبى عبيدة مَعْمَر بن المثنّى ، قال : حدّثنى أبو المختار فِراس بن خَنْدق – أو خندقة – وعدّة من علماء العرب قد سمّاهم ؛ أن الذى جرّ يوم ذى قار ، قتلُ النعمان بن المنذر اللخمىّ عدىَّ بن زيد العِبادىّ ؛ وكان عدىّ من تراجمة أبرويز كسرى بن هرمز .

وكان سبب قتل النعمان بن المنذر عدىّ بن زيد ، ما ذكر لى عن هشام ابن محمد ، قال : سمعت إسحاق بن الجصّاص – وأخذته من كتاب حمّاد وقد ذكر أبى بعضه – قال : ولد زيد بن حمّاد بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عُصيّة بن امرئ القيس بن زيد مَناة بن تميم ثلاثة : عديا الشاعر ، وكان جميلاً شاعراً خطيبًا ، وقد قرأ كتب العرب والفرس ، وعمّارا – وهو أبىّ – وعمراً – وهو سمىّ – ولهم أخ من أمّهم ، يقال له عدىّ بن حنظلة من طيّىء . وكان عمّار يكون عند كسرى ، فكان أحدهُما يشتهى هلاك عدىّ بن زيد ، وكان الآخر يتديّن فى نصرانيّته ، وكانوا أهل بيت يكونون مع الأكاسرة لهم معهم أُكُلٌ[1] وناحيةٌ ، يُقْطعونهم القطائع ، [ويجزلون صلاتهم][2]

(١) الأكل هنا : الرزق ؛ يقال : فلان ذو أكل ؛ إذا كان ذا رزق وحظ واسع فى الدنيا

(٢) تكملة من الأغانى فيما رواه عن هشام الكلبى .

وكان المنذر بن المنذر لما ملَك جعل ابنه النعمان فى حجْر عدىّ ، فهم الذين أرضعوه [وربّوه ، وكان للمنذر ابن آخر يقال له « الأسود» ، أمّه مارية بنت الحارث بن جُلْهُم من تيم الرِّباب ، فأرضعه][١] ، وربّاه قوم من أهل الحيرة يقال لهم : بنو مَرِينا ، ينسَبون إلى لَخم ، وكانوا أشرافًا . وكان للمنذر بن المنذر سوى هذين من الولد عشرة ؛ وكان يقال لولده كلّهم الأشاهب[٢] ، من جمالهم ؛ فذلك قول الأعشى :

١٠١٧/١

وبَنُو المُنْذِرِ الأشاهِبُ بالحِـــــــيرة يَمْشُونَ غَدْوَةً بالسُّيوفِ[٣]

وكان النّعمان أحمر أبرش[٤] قصيراً ، وكانت أمّه يقال لها سَلْمَى بنت وائل بن عطيّة الصائغ من أهل فَدَك ، وكانت أمَةً للحارث ابن حِصْن بن ضَمْضَم بن عدىّ بن جَنَاب من كَلْب ، وكان قابوس بن المنذر الأكبر عمُّ النعمان وإخوته ، بعث إلى كسرى بن هرمز بعدىّ بن زيد وإخوته ، فكانوا فى كتّابه يترجمون له ، فلما مات المنذر بن المنذر وترك ولده هؤلاء الثلاثة عشر ، جعل على أمره كلّه إياس بن قبيصة الطائىّ [وملّكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيه][١] فكان عليه أشهراً[٥] ، [٦]وكسرى فى طلب رجل يملّكه على العرب. ثم إن كسرى بن هرمز دعا عدىّ بن زيد ، فقال له : من بقى من بنى المنذر[٦] ؟ وما هم ؟ وهل فيهم خير ؟ فقال : بقيّتهم فى ولد هذا الميّت

---

(١) تكملة من الأغانى فيما رواه عن هشام الكلبى .

(٢) قال فى القاموس : « والأشاهب بنو المنذر لجمالهم » ، وقال شارحه : « سموا بذلك لبياض وجوههم » . (٣) ديوانه ٢١٢ .

(٤) الأبرش : الأرقط ؛ وهو الذى يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان .

(٥) الأغانى : « فمكث مملكاً عليها أشهراً » .

(٦-٦) كذا فى أصول الطبرى وتجارب الأمم ١ : ح٢٣٨ ، وفى الأغانى بعده : « فلم يجد أحداً يرضاه ، فضجر ؛ فقال : لأبعثن إلى الحيرة اثنى عشر ألفاً من الأساورة ؛ ولأملكن عليهم رجلا من الفرس ، ولآمرنهم أن ينزلوا على العرب فى دورهم ، ويملكوا عليهم أموالهم ونساءهم ، وكان عدى بن زيد واقفاً بين يديه ؛ فأقبل عليه ، وقال : ويحك يا عدى ! من بقى من آل المنذر ! » .

المنذر بن المنذر ، وهم رجال ، فقال : ابعث إليهم ، فكتب فيهم فقدِموا عليه ، فأنزلهم على عدىّ بن زيد . فكان عدىّ يفضل إخوة النعمان عليه فى النُّزُل ، وهو يريهم أنه لا يرجوه . ويخلو بهم رجلاً رجلاً ، ويقول لهم : إن سألكم الملك: أتكفوننى العرب ؟ فقولوا : نكفيكهم إلا النّعمان ، وقال للنّعمان : إن سألك الملك: عن إخوتك فقل له : إن عجزتُ عنهم ، فأنا عن غيرهم أعجز . ١٠١٨/١

وكان من بنى مَرينا رجل يقال له عدىّ بن أوس بن مرينا ، وكان مارداً شاعراً ، وكان يقول للأسود [بن المنذر][1] : إنك قد عرفت أنّى لك راجٍ ، وأنّ طَلِبتى ورغبتى إليك أن تخالف عدىّ بن زيد ، فإنّه والله لا ينصح لك أبداً . فلم يلتفت إلى قوله .

فلما أمر كسرى عدىّ بن زيد أن يُدخلَهم عليه ، جعل يدخلهم عليه رجلاً رجلاً ، فيكلّمه ، فكان يرى رجالاً قَلّمَا رأى مثلهم ؛ فإذا سألهم : هل تكفوننى ما كنتم تلُون ؟ قالوا : نكفيك العرب إلا النّعمان. فلما دخل عليه النّعمان رأى رجلاً دميمًا فكلّمه ، وقال له : أتستطيع أن تكفيَنى العرب؟ قال: نعم : قال ، فكيف تصنع بإخوتك ؟ قال : إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز . فملّكه وكساه ، وألبسه تاجًا قيمته ستون ألف درهم ، فيه اللؤلؤ والذهب . فلما خرج ــ وقد مُلّك ــ قال عدىّ بن أوْس بن مرينا للأسود: دونك فإنك قد خالفت الرأى .

ثم إنّ عدىّ بن زيد صنع طعامًا فى بِيعة ، ثم أرسل إلى ابن مَرينا أن ائتنى بمن[2] أحببت ، فإنّ لى حاجة ، فأتاه فى ناس فتغدّوْا فى البِيعْة ، وشربوا ، فقال : عدىّ [بن زيد][3] لعدىّ بن مَرينا : يا عدىّ ، إنّ أحقّ منْ عرف الحقّ ثم لم يَلُم عليه ، مَنْ كان مثلك ؛ إنّى قد عرفت أنّ صاحبك الأسود بن المنذر كان أحبّ إليك أن يملّكَ من صاحبى النعمان ، فلا تلمنى على شىء كنتَ على مثله ، وأنا أحبّ ألاّ تحقد علىّ شيئًا لو قدرتَ

---

(١) تكملة من ابن الأثير ١ : ٢٨٥ ، وتجارب الأمم ١ : ٢٣٨ .

(٢) ت ، ح : « فيمن » .

(٣) من الأغانى وتجارب الأمم .

عليه ركبتـَه ، وأنا أحبُّ أن تعطيـَني من نفسك ما أعطيتك من نفسى ؛ فإنّ نصيبى من هذا الأمر ليس بأوفرَ من نصيبك . فقام عدىّ بن زيد إلى البيعة فحلف ألاّ يهجوَه ولا يبغيه غائلة أبداً ، ولا يـَزْوِىَ عنه خبراً أبداً . فلما فرغ عدىّ بن زيد قام عدىّ بن مـَرينا ، فحلف على مثل يمينه ألاّ يزال يهجوه أبداً ، ويبغيه الغوائل ما بقى . وخرج النـّعمان حتى نزل منزله بالحيرة ، فقال عدىّ بن مرينا لعدىّ بن زيد :

١/١٠١٩

ألا أبْلِـغْ عَديًّا عَن عَدِىٍّ ... فَلَا تجْزَعْ وإنْ رَثّتْ قُواكا[1]

هَياكِلنا تَبَزُّ لغَـيْرِ فَقْرٍ ... لتُحْمَدَ أو يَتِمَّ به غِناكا

فإنْ تَظْـفَرْ فلم تَظْفَرْ حَمِيداً ... وإنْ تَعْطَبْ فلا يَبْعُدْ سِواكا

نَدِمْتَ نَدامةَ الكُسعِىِّ لَمـّا ... رَأَتْ عَيْنَاكَ ما صَنَعَتْ يَداكا[2]

وقال عدىّ بن مرينا للأسود: [أمـّا][3] إذ لم تظفر فلا تعجز أن تطلب بثأرك من هذا المعَدّىّ ، الذى عمل بك ما عمل[4] فقد كنت أخبرك أنّ معَدًّا لا ينام مكرُها[5] . أمرتك أن تـَعصيـَه فخالفتنى . قال : فما تريد؟ قال : أريد ألاّ يأتيـَك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتـَها علىّ . ففعل .

وكان ابنُ مـَرِينا كثير المال والضَّيـْعة ، فلم يك فى الدهر يوم إلاّ على باب النعمان هديـّة من ابن مرينا[6] ، فصار من أكرم الناس عليه ، وكان لا يقضى فى ملكه شيئًا إلا بأمر عدىّ بن مـَرينا ، وكان إذا ذُكـِر عدىّ بن زيد عنده أحسن عليه الثناء ، وذكر فضله ، وقال : إنه لا يصلح المعدىّ إلا أن

١/١٠٢٠

---

(١) رثت : ضعفت .

(٢) الكسعى : نسبة إلى كسع ، حى من قيس عيلان ؛ وقيل ؛ هم حى من اليمن رماة ؛ والكسعى رجل يضرب به المثل فى الندامة ، وهو رجل رام رمى بعد ما أظلم الليل عيراً فأصابه ، وظن أنه أخطأه فكسر قوسه ، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه ، فصار مثلا لكل نادم على فعل يفعله . (٣) من الأغانى .

(٤) الأغانى : « الذى فعل به ما فعل » . (٥) الأغانى « كيدها ومكرها » .

(٦) فى ط : « فلم يك فى الأرض يوم » ، وفى تجارب الأمم : « فلم يمر يوم إلا بعث فيه إلى النعمان هدية » ، وفى ابن الأثير : « وكان لا يخلى النعمان يوماً من هدية » . وما أثبته عن الأغانى .

يكون فيه مكر وخديعة. فلما رأى مَنْ يُطيف بالنعمان منزلةَ ابن مَرينا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتمونى أذكر عدىّ ابن زيد عند الملك بخير فقولوا : إنه لكما تقول ؛ ولكنّه لا يسلم عليه أحد ؛ وإنه ليقول : إنّ الملك — يعنى النعمان — عامله، وإنّه ولاّه ما ولاّه ؛ فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه ، وكتبوا كتاباً على لسان عدىّ إلى قَهْرمان[1] لعدىّ ثم دسُّوا له ، حتى أخذوا الكتاب ، ثم أتى به النعمان فقرأه ، فأغضبه ، فأرسل إلى عدىّ بن زيد : عزمتُ عليك إلاّ زرتَنى ، فإنّى قد اشتقت إلى رؤيتك ! وهو عند كسرى[2] فاستأذن كسرى ، فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتّى حبِس فى محبس لا يدخل عليه فيه أحد ، فجعل عدىّ بن زيد يقول الشعر وهو فى السجن ، فكان أول ما قال فى السجن من الشعر :

لَيْتَ شِعْرِى عن الهُمام ويأتِيـ ـكَ بخُبْرِ الأَنْباءِ عَطْفُ السُّؤالِ[3]

فقال أشعاراً ، وكان كلّما قال عدىّ من الشعر ، بلغ النعمان وسمعه ندم على حبسه إياه، فجعل يرسل إليه ويعِده ويمنّيه ويَفْرَق أن يرسله فيبغيه الغوائل ، فقال عدىّ :

أَرِقْتُ لمكْفَهِرٍّ باتَ فِيهِ بَوَارِقُ يَرْتَقِينَ رُءوسَ شِيبِ[4]

---

(١) القهرمان : أمين الملك وخاصته ؛ فارسى معرب ، ويطلق فى لغة الفرس على القائم بأمور الرجل ، كالخازن والوكيل .

(٢) كذا فى الطبرى وتجارب الأمم ، وفى الأغانى : « وعدى يومئذ عند كسرى » .

(٣) فى رواية الأغانى بعد هذا البيت :

أيْنَ عَنَّا إخطارُنا المال والأنْـ ـفُس إذ ناهدوا ليوم المحال
ونِضالى فى جَنْبِك النَّاسَ يرمُو نَ وأرْمِى، وكُلّنا غيرُ آلِ
فأصيبُ الّذى تريـدُ بلا غِشٍّ وأربِى عليهـم وأوالى
ليت أنِّى أخـذْتُ حتى بِـكَفّى ولم ألق ميتـةَ الأقتالِ
محلُوا مَحْلَهُمْ لصرعتِنا العـا م، فقد أوقعوا الرحا بالثِّفال

(٤) انظر بقية القصيدة فى الأغانى ٢ : ١١١ ، ١١٢

وقال أيضًا :

* طَالَ ذَا ٱللَيْلُ عَلَيْنا وَاعْتَكَرْ[١] *

وقال أيضًا :

١٠٢١/١ * أَلَا طَالَ اللَّيَالِي وَالنَّهَارُ[٢] *

وقال حين أعياه ما يتضرّع إلى النعمان أشعاراً، يذكّره فيها الموت، ويخبره من هلك من الملوك قبله ، فقال :

* أَرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أَمْ بُكُورُ[٣] *

وأشعاراً كثيرة .

قال : وخرج النعمان يريد البحرين، فأقبل رجل من غسّان، فأصاب فى الحيرة ما أحبّ . ويقال : الذى أغار على الحيرة فحرّق فيها، جفنة بن النعمان الجفنىّ ، فقال عدىّ :

سَمَا صَقْرٌ فأَشْعَلَ جَانِبَيْهَا   وأَلْهَاكَ الْمُرَوَّحُ وَالعَزِيبُ[٤]

فلما طال سجن عدىّ كتب إلى أخيه أبىّ ، وهو مع كسرى بشعر فقال :

أبلغْ أُبَيًّا على نأْيِهِ   وَهَلْ يَنْفَعُ المَرْءَ ما قَدْ عَلِمْ !
بأَنَّ أَخَاكَ شَقِيقَ الْفُؤَا   دِ ، كُنْتَ بِهِ وَالِهاً مَا سَلِمْ[٥]

---

(١) بقيته :

* وكأَنّى نَاذِرُ الصُّبْحِ سَمَرْ *

وانظر بقية القصيدة فى الأغانى .

(٢) لم يذكره صاحب الأغانى .

(٣) بقيته :

* لك فاعْمدْ لأىّ حالٍ تَصِيرُ *

وهو مطلع قصيدة فى شعراء النصرانية ٤٥٥ ، ولم تذكر فى خبر الأغانى .

(٤) المروّح : الإبل المروحة إلى أعطافها . والعزيب : ما ترك فى مراعيه . وانظر بقية الأبيات فى رواية الأغانى .

(٥) الأغانى : « واثقاً » .

لَدَى مَلِكٍ مُوثَق بِالْحَدِيـ ـدِ إمَّا بِحَق وإمَّا ظُلِم
فَلَا أَعْرِفَنْكَ كَدَأْبِ الغُـلَا مِ ما لَمْ يَجِدْ عَارِماً يَعْتَرِمْ،[١]
فَأَرْضَكَ أَرْضَـكَ إنْ تأتِنا تَنمْ نوْمةً ليس فيهـا حُلُمْ

فكتب إليه أخوه :

إنْ يَكُنْ خَانَكَ الزَّمَانُ فلا عا جِزُ بَاعٍ وَلَا أَلَفُّ ضَعِيفُ،[٢]
وَيمِينِ الإلٰهِ لَوْ أَنَّ جَأْوَا ءَ طَحُونا تضِئُ فيها السُّيُوفُ،[٣]
ذاتَ رِزٍّ مُجتَابَةً غمْرَةَ المَوْ تِ صَحِيحٌ سِرْبَالُها مَكْفُوفُ،[٤]
كُنْتَ فى حَمْيِهَا ، لجِئْتُكَ أَسْعَى فاعلَمَنْ لَوْسمِعْتُ إذْ تَسْتَضِيفُ،[٥]
أَوْ بمالٍ سُئِلْتُ دُونكَ لَمْ يُمْـ ـنَعْ تِلَادٌ لِحَاجةٍ أوْ طَرِيفُ،[٦]
أَوْ بأرْضٍ أسْطِيعُ آتِيكَ فيها لَمْ يَهُلْنِى بَعِيدُهَا أوْ مَخُوفُ،[٧]
فى الأعَادِى وأنْتَ مِنِّى بَعِيدٌ عزَّ هٰـذَا الزَّمَانُ والتَّعْرِيفُ
إنْ تَفُتْنِى وَاللهِ إلفاً فجُوعاً لا يُعَقِّبْكَ ما يَصوبُ الخَرِيفُ
فَلَعَمْرِى لَئِنْ جَزِعْتُ عَلَيْهِ لجَزُوعٌ عَلَى الصديق أسوفُ
ولعَمرِى لَئِنْ مَلَكْتُ عزائى لقَلِيلٌ شَرْوَاكَ فِيما أطوفُ.[٨]

فزعموا أن أبيًّا لما قرأ كتاب عدىّ قام إلى كسرى فكلّمه ، فكتب وبعث

(١) كذا فى الطبرى والأغانى . وفى اللسان ١٥ : ٢٨٩ : «ولا تلقين كأم الغلام» ، وروى عن الأزهرى : «كذات الغلام ما لم تجد» ، وقال فى شرحه : أراد بذات الغلام الأم المرضع .

(٢) الألف : الثقيل البطىء .

(٣) الجأواء ، من وصف الكتيبة ؛ يقال : كتيبة جأواء ، أى بينة الجأى ، وهى التى يعلو لونها السواد لكثرة الدروع .

(٤) الرز : الصوت يسمع من بعيد ، والسربال : القميص . والمكفوف ، من كففت الثوب إذا خطت حاشيته .

(٥) تستضيف : تستجير .

(٦) الأغانى : «سألت» ، بالبناء للمعلوم . (٧) الأغانى : «والتعنيف» .

(٨) شرواك : مثلك .

١٠٢٢/١

١٠٢٣/١ معه رجلا ، وكتب خليفة النعمان إليه : إنه قد كتب إليك [في أمره][١]. فأتاه أعداء عديّ من بني بُقَيلة[٢] من غسّان ، فقالوا : اقتله الساعة ، فأبى عليهم وجاء الرجل[٣] ، وقد تقدّم أخو عديّ إليه ورشاه ، وأمره أن يبدأ بعديّ ، فدخل عليه وهو محبوس بالصِّنِّين ، فقال : ادخل عليه فانظر ما يأمرك به ، فدخل الرسول على عديّ ، فقال : إنّي قد جئت بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندي الذي تحبّ ، ووعده عِدَة ، وقال : لا تخرجنّ من عندي ، وأعطني الكتاب حتى أرسل به ، فإنّك والله إن خرجت من عندي لأقتلَنّ ، فقال : لا أستطيع إلاّ أن آتيَ الملك بالكتاب ، فأدخله عليه ، فانطلق مخبِر حتى أتى النعمان ، فقال : إنّ رسولَ كسرى قد دخل على عديّ وهو ذاهب به ، وإنْ فعل والله لم يستبقِ منّا أحداً ، أنت ولا غيرك . فبعث إليه النعمان أعداءه فغمّوه[٤] حتى مات ، ثم دفنوه .

ودخل الرسولُ على النعمان بالكتاب ، فقال : نعم وكرامة ! وبعث إليه بأربعة آلاف مِثْقال وجارية ، وقال له : إذا أصبحت فادخل عليه ؛ فأخرجه أنت بنفسك . فلما أصبح ركب ، فدخل السِّجن ، فقال له الحرَس : إنه قد مات منذ أيام ، فلم نجترئ على أن نخبر الملك للفرَق منه ، وقد علمنا كراهته لموته . فرجع إلى النعمان فقال : إنّي قد دخلت عليه وهو حيّ ، [وجئت اليوم فَجحدني السجّان وبهتَني . وذكر له أنه قد مات منذ أيام][٥] فقال له النعمان : يبعثك الملك إليّ فتدخل إليه قبلي ! كذبت ، ولكنك أردت الرِّشوة والخبث . فتهدّده ثم زاده جائزة وأكرمه ، واستوثق منه ألاّ يخبر كسرى ؛ إلا إنه قد مات قبل أن يقدَم عليه . ١٠٢٤/١

فرجع الرسول إلى كسرى ، فقال : إنه قد مات قبل أن أدخل عليه ،

---

(١) تكلة من الأغاني .

(٢) بقيلة : بطن من الحيرة .

(٣) الأغاني : « الرسول » .

(٤) غموه ، أي غطوا وجهه بشيء حتى مات .

(٥) من رواية الأغاني .

وندِم النّعمان على موت عدىّ، واجترأ أعداءُ عدىّ على النعمان؛ وهابهم النّعمان هيبة شديدة، فخرج النعمان فى بعض صَيْده ذات يوم، فلقى ابنا لعدىّ، يقال له زيد، فلمّا رآه عرف شبَهه، فقال: من أنت؟ قال: أنا زيد بن عدىّ بن زيد، فكلّمه فإذا غلام ظريف، ففرح به فرحًا شديداً، وقرّبه وأعطاه، واعتذر إليه من أمر أبيه، وجهّزه[1]، ثم كتب إلى كسرى[2] إنّ عديًّا كان ممّن أعين به الملك فى نصحه ولُبّه، فأصابه ما لا بدّ منه، وانقضت مدته، وانقطع أُكله، ولم يُصَب به أحد أشدّ من مصيبتى؛ وأما الملِك فلم يكن ليفقد رجلاً إلاّ جعل الله له منه خلَفًا، لما عظّم الله له من ملكه وشأنه، وقد أدرَك له ابن ليس دونه، وقد سرّحتُه إلى الملك، فإن رأى الملك أن يجعلَه مكان أبيه، فلْيفعل.

فلما قدم الغلام على كسرى جعله مكان أبيه، وصرَف عمّه إلى عمل آخر، فكان هو الذى يلى ما كَتَب به إلى أرض العرب، وخاصّة الملك. وكانت له من العرب وظيفة موظّفة فى كلّ سنة: مُهران أشقران والكَمْأة الرطبة فى حينها واليابسة، والأقِط والأُدْم وسائر تجارات العرب، فكان زيد بن عدىّ بن زيد يلِى ذلك، وكان هذا عمل عدىّ.

فلما وقع عند الملك بهذا الموقع، سأله كسرى عن النّعمان، فأحسن عليه الثناء، فمكث سنوات بمنزلة أبيه، وأعجب به كسرى، وكان يُكثر الدخول عليه، وكانت للملوك الأعاجم صفة من النساء مكتوبة عندهم، فكانوا يبعثون فى تلك الأرَضين بتلك الصفة، [فإذا وجدت حملت إلى الملك][3] غير[4] أنهم لم يكونوا يتناولون أرض العرب بشىء من ذلك، ولا يريدونه. فبدأ الملك فى طلب النساء فكتب بتلك الصفة[4]. ثم دخل على كسرى فكلّمه فيما دخل فيه، ١٠٢٥/١

---

(١) جهزه: أعد له معدات السفر.

(٢) ح: «وانقضى»، والأغانى: «وانقطعت مدته وانقضى أجله».

(٣) تكلمة من رواية الأغانى.

(٤ – ٤) رواية الأغانى: «غير أنهم لم يكونوا يطلبونها فى أرض العرب ولا يظنونها عندهم. ثم إنه بدا للملك فى طلب تلك الصفة، وأمر فكتب بها إلى النواحى».

ثم قال : إنّي رأيت الملك كتب فى نسوة يُطلَبن له ، فقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عالمًا ، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات عمّه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال : فتكتب فيهنّ . قال : أيّها الملك؛ إن شرّ شىء فى العرب وفى النعمان [خاصّة] [١] أنهم يتكرّمون — زعموا فى أنفسهم — عن العجم ، فأنا أكره أن يغيّبهنّ [عمّن تبعث إليه ، أو يعرض عليه غيرهنّ] [١] ؛ وإن قدمتُ أنا عليه لم يقدر أن يغيّبهنّ ، فابعثنى وابعث معى رجلا من حرَسك [٢] يفقه العربية ، [حتّى أبلغ ما تحبّه] [١] . فبعث معه رجلاً جليداً [٣] ، فخرج به زيد ، فجعل يكرِم ذلك الرجل ويُلْطِفه حتّى بلغ الحيرة .

فلما دخل عليه أعظم الملك ، وقال : إنه قد احتاج إلى نساءٍ لأهله وولده ، وأراد كرامتك [بصهره] [١] ، فبعث إليك . فقال : وما هؤلاء النسوة ؟ فقال : هذه صفتهنّ قد جئنا بها .

وكانت الصفةُ أنّ المنذر الأكبر أهدى إلى أنوشِروان جارية ، كان أصابها إذْ أغار على الحارث الأكبر الغسّانى بن أبى شمِر ، فكتب إلى أنوشروان يصفها [٤] له ، [وقال : إنى قد وجّهت إلى الملك جارية] [١] معتدلة الخلْق ، نَقيّة اللون والثّغْر ، بيضاء ، قمراء ، وطفاء [٥] ، [كحلاء] [١] دعجاء [٦] ، حوراء [٧] ، عيناء [٨] ، قنواء [٩] ، شمّاء [١٠] ، زجّاء [١١] ، برجاء ، [١٢] أسيلة الخدّ ، [١٣] شهيّة القدّ [١٤] ،

١/١٠٢٦

(١) تكملة من رواية الأغانى .
(٢) الأغانى : « من ثقاتك » .
(٣) الأغانى : « جلدا فهما » .
(٤) الأغانى : « بصفتها » .
(٥) الوطفاء : غزيرة الإهاب وشعر الحاجبين .
(٦) الدعجاء : شديدة سواد العين مع شدة بياض البياض .
(٧) الحور : اسوداد العين كلها مثل الظباء ، ولا يكون فى بنى آدم إلا على الاستعارة .
(٨) العين : سعة العين .
(٩) القنواء ، من القنا ، وهو ارتفاع فى أعلى الأنف واحديداب فى وسطه وسبوغ فى طرفه .
(١٠) الشمم فى الأنف : ارتفاع القصبة وحسنها .
(١١) الزجاء : دقيقة الحاجبين فى طول .
(١٢) البرجاء : الجميلة الحسنة .
(١٣) الخد الأسيل : الطويل المسترسل الأملس .
(١٤) الأغانى : « شهية المقبل » .

جَثْلَة الشعر[١] ، عظيمةَ الهامة ، بعيدةَ مهوَى القرْط ، عيطاء[٢] ، عريضةَ الصدْر ، كاعبَ الثَّدْى ، ضخْمةَ مُشاشة المنْكِب[٣] والعَضُد ، حسنةَ المِعْصم ، لطيفةَ الكفِّ ، سَبْطةَ البنان ، لطيفةَ طَىِّ البطْن ، [٤] خميصةَ الخصْر ، غرْثَى الوِشاح[٥] ، رَداحَ[٦] القبُل ، رابيةَ الكَفَل ، لفَّاء الفخذين[٧] ، ريَّا الروادف ، ضخْمةَ المأكمتَيْن[٨] ، عظيمةَ الرُّكْبة مُفْعَمَةَ الساق[٩] ، مُشْبَعة الخلخال[١٠] ، لطيفة الكَعْب والقَدَم ، قَطوفَ المَشْى[١١] ، مِكْسالَ الضُّحَى[١٢] ، بَضّةَ المتجرَّد[١٣] ، سموعًا للسيِّد ، ليست بخنْساء[١٤] ، ولا سعفاء[١٥] ، ذليلة الأنف[١٦] ، عزيزة النَّفَر ، لم تُغْذَ فى بؤس ، حَيِيَّة رزينة ، حليمةً ركينةً ، كريمةَ الخال ، تقتصر بنَسَب أبيها دون فصيلتها ، وبفصيلتها دون جِماع قبيلتها ، قد أحكمتْها الأمور فى الأدب ، فرأيها رأى أهل الشَّرَف ، وعَمَلُها عَمَلُ أهل الحاجة ،

---

(١) الجثلة : كثيفة الشعر سوداؤه .

(٢) العيطاء : الطويلة العنق .

(٣) المشاشة : رأس العظم .

(٤) الأغانى : « ضامرة البطن » .

(٥) غرثى الوشاح : دقيقة الخصر .

(٦) الرداح : العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق . والقبل : ما استقبلك من مشرف .

(٧) اللفاء : الضخمة الفخذين المكتنزتهما .

(٨) المأكمتان : اللحمتان اللتان على رءوس الوركين .

(٩) مفعمة الساق : ممتلئتها .

(١٠) مشبعة الخلخال : كناية عن سمن الساقين .

(١١) القطوف ، من القطاف ؛ وهو تقارب الخطو .

(١٢) المكسال : المرأة لا تكاد تبرح مجلسها ؛ وهو مدح لها عندهم ؛ كقولهم : « نئوم الضحى » .

(١٣) البضة : الناعمة .

(١٤) الخنساء ، من الخنس وهو تأخر الأنف إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة ، ليس بطويل ولا مشرف .

(٦٥) السفعاء ، من السفع وهو السواد .

(١٦) الأغانى : « رقيقة الأنف » .

صناع الكَفَيْن ، قطيعةَ اللسان[١] ، رَهْوَةَ الصَّوْت[٢] ، تزين البيتَ[٢] ، وتشينُ العدُوّ ، إن أردْتَها اشْتَهَتْ ، وإن تركْتَها انتهَتْ ، تُحمِلق عيناها ، وتحمرُّ وجنتاها ، وتَذبذب شفتاها ، وتبادِرك الوثبة ، [ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست][٣] .

فقبِلَها كسرى ، وأمر بإثبات هذه الصفة فى دواوينه ؛ فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز ، فقرأ عليه زيد هذه الصفة ، فشقّ[٤] عليه ، فقال لزيد ــ والرسول يسمع : أما [٥] فى عِين السّواد وفارس ما تبلغون حاجتكم ! فقال الرسول لزيد : ما العِين؟ قال : البقر ، فقال زيد للنعمان : إنما أراد كرامتك ؛ ولو علم أن هذا يشقّ عليك لم يكتب إليك به[٥] . ١٠٢٧/١

فأنزلهما يوميْن ، ثم كتب إلى كسرى : إنّ الذى طلب الملك ليس عندى ، وقال لزيد : اعذِرنى عنده ، فلما رجع إلى كسرى ، قال زيد للرسول الذى جاء معه : اصدُق الملك الذى سمعت [٦] منه ، فإنى سأحدثه بحديثك ولا أخالفك فيه . فلما دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابه ، فقرأه عليه ، فقال له كسرى : فأين الذى كنت خبّرتنى [به][٧] ؟ قال : قد كنت أخبرتُك بضَنّتهم بنسائهم على غيرهم ، وأنّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعُرْى على الشبع والرّياش ، واختيارهم السّموم والرياح على طِيب أرضك هذه ، حتى إنّهم ليسمّونها السجن ؛ فسل هذا الرسول [الذى كان][٧] معى عن الذى قال ، [٨] فإنّى أكرم الملك عن الذى قال وردّ عليه أن أقوله[٨] ، فقال للرسول : وما قال ؟ قال : أيها الملك ، أما فى بقر السواد [وفارس][٧] ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا !

---

(١) قطيعة اللسان ، أى ليست سليطة .

(٢) رهوة الصوت : رقيقته سهلته . (٢) الأغانى : الولى

(٣) من رواية الأغانى .

(٤) الأغانى : « فشقت عليه » .

(٥ ــ ٥) رواية الأغانى : « أما فى مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ! فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما المها والعين ؟ فقال له بالفارسية : كاوان ، أى البقر ، فأمسك الرسول وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به » .

(٦) الأغانى : « عما سمعت » . (٧) من الأغانى

(٨ ــ ٨) الأغانى : « فإنى أكرم الملك عن مشافهته بما قال وأجاب به » .

فعرف الغضب فى وجهه ، ووقع فى قلبه منه ما وقع ، ولكنه قد قال[١] : رُبَّ عبدٍ قد أراد ما هو أشدّ من هذا ، فيصير أمره إلى التّباب .

وشاع هذا الكلام ، فبلغ النعمان[٢] ، وسكت كسرى على ذلك أشهراً ، وجعل النّعمان يستعدّ ويتوقّع ؛ حتى أتاه كتابُه : أن أقبِل فإنّ للملك إليك حاجة ؛ فانطلق حين أتاه كتابُه فحمل سلاحه ، وما قوِىَ عليه ، ثم لحق بجبلى طيّئ . وكانت فرعة ابنة سعد بن حارثة بن لأم عنده ، وقد ولدت له رجلاً وامرأة ، وكانت أيضًا عنده زينب ابنة أوس بن حارثة ، فأراد النعمان طيّئًا على أن يُدخلوه [بين الجبلين] [٣] ويمنعوه . فأبوْا ذلك عليه ، وقالوا : لولا صهرك لقاتلناك ؛ فإنّه لا حاجة لنا فى معاداة كسرى ، [ولا طاقة لنا به] [٣]. فأقبل [يطوف على قبائل العرب] [٣] ليس أحد من الناس يقبله ، غير أنّ بنى رواحة بن سعد[٤] من بنى عبس قالوا : إن شئت قاتلنا معك ـــ لِمنّة كانت له عندهم فى أمر مروان القَرَظ[٥] ـــ فقال : لا أحبّ أن أهلِككم ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى .

١٠٢٨/١

فأقبل حتى نزل بذى قار فى بنى شيبان سرًّا ، فلقى هانئ بن مسعود ابن عامر بن عمرو بن أبى ربيعة بن ذُهْل بن شيْبان ، وكان سيّداً منيعًا ، والبيت يومئذ من ربيعة فى آل ذى الجدّين ، لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذى الجدّين . وكان كسرى قد أطعم قيس بن مسعود الأبُلّة ، فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك ، وعلم أن هانئًا مانعه مما يمنع منه نفسه .

وتوجّه النعمان إلى كسرى ، فلقى زيد بن عدىّ على قنطرة ساباط ، فقال : انجُ نعيْم ، [إن استطعت النّجاء] [٣] ، فقال : أنت يا زيد فعلت هذا[٦] ! أما

---

(١) رواية الأغانى : « ولكنه لم يزد على أن قال » .

(٢) الأغانى : « حتى بلغ النعمان » .

(٣) تكملة من رواية الأغانى .

(٤) الأغانى : « رواحة بن قطيعة بن عبس » .

(٥) هو مروان بن زنباع العبسى ، أضيف إلى القرظ ؛ لأنه كان يغزو اليمن ، وبها منبته .

(٦) رواية الأغانى : « أفعلتها يا زيد ! »

والله لئن انفلتُّ لأفعلنَّ بك ما فعلتُ بأبيك ! فقال له زيد : امض نُعَيم ، فقد والله وضعتُ لك عنده أخيّة[1] لا يقطعها المُهر الأرِن[2] . فلمّا بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه ، فقيّده وبعث به إلى خانِقين ، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه ، والناس يظنّون أنه مات بساباط لبيت قاله الأعشى :

فذاك وما أنْجَى منَ الموتِ ربَّه بساباط حتّى مات، وهو مُحَرْزَقُ[3]

١٠٢٩/١ وإنما هلك بخانقين ، وهذا قبيل الإسلام ، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتى بعث الله نبيّه صلى الله عليه وسلّم ، وكان سبب وقعة ذى قار بسبب النعمان[4] .

وحدّثت عن أبى عبيدة مَعْمَر بن المثنّى ، قال : حدّثنا أبو المختار فراس بن خَنْدَق ، وعدّة من علماء العرب قد سمّاهم ، أن النعمان لما قتل عديًّا كاد أخو عدىّ وابنه النعمانَ عند كسرى ، وحرّفا كتاب اعتذاره إليه بشىء غَضِب منه كسرى ، فأمر بقتله ، وكان النعمان لمّا خاف كسرى استودع هانئ بن مسعود بن عامر الخصيب بن عمرو المزدلف بن أبى ربيعة بن ذُهْل بن شيبان بن ثعلبة ، حلْقَته ونِعَمه وسلاحاً غير ذلك ، وذاك أن النُّعمان كان بنّاه ابنتين له .

— قال أبو عبيدة : وقال بعضهم : لم يدرك هانئ بن مسعود هذا الأمر ، إنّما هو هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود . وهو الثَّبَت عندى —

فلما قَتل كسرى النعمان ، استعمل إياس بن قبيصة الطائىّ على الحيرة وما كان عليه النُّعمان . قال أبو عبيدة : كان كِسرى لما هرب من بَهْرام مرّ بإياس بن قَبيصة فأهدى له فرسًا وجَزوراً ، فشكر ذلك له كسرى ،

---

(١) الأخية فى الأصل : أن يدفن طرفا الحبل فى الأرض وفيهما عصية أو حجير ، ويظهر منه مثل عروة تشد بها الدابة .
(٢) الأرن : النشيط .

(٣) ديوانه ١٤٧ . وحرزق الرجل ، أى حبسه ؛ وهذه رواية الطبرى والديوان ، وفى الأغانى : « محزرق » ، وهما بمعنى . قال التوزى : قلت لأبى زيد الأنصارى : أنتم تنشدون قول الأعشى : « حتى مات وهو محزرق » ، وأبو عمر الشيبانى ينشده « محرزق » ، بتقديم الراء على الزاى ؟ فقال : إنها نبطية ، وأم أبى عمرو نبطية ، فهو أعلم بها منا .
(٤) الخبر فى الأغانى ٢ : ١٠٥ – ١٢٨

فبعث كسرى إلى إياس : أين تركة النعمان ؟ قال : قد أحرزها فى بكر بن وائل ، فأمر كسرى إياساً أن يضم ما كان للنعمان ويبعث [به][1] إليه ، فبعث إياس إلى هانئ : أن أرسل إلى ما استودعك النعمان من الدروع وغيرها — والمقلل يقول : كانت أربعمائة درع ، والمكثر يقول : كانت ثمانمائة درع — فأبى هانئ أن يسلم خفارته . قال : فلما منعها هانئ ، غضب كسرى وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل — وعنده يومئذ النعمان بن زرعة التغلبي ؛ وهو يحب هلاك بكر بن وائل — فقال لكسرى : يا خير الملوك ، أدلك على غرة بكر ؟ قال نعم ، قال أمهلها حتى تقيظ ، فإنهم لو قد قاظوا تساقطوا على ماء لهم يقال له ذو قار ، تساقط الفراش فى النار ، فأخذتهم كيف شئت ، وأنا أكفيكهم . فترجموا له قوله : « تساقطوا تساقط الفراش فى النار » ، فأقرهم حتى إذا قاظوا ، جاءت بكر بن وائل فنزلت الحنو ، حنو ذى قار ؛ وهى من ذى قار [على مسيرة][1] ليلة ، فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زرعة : أن اختاروا واحدة من ثلاث خصال ، فنزل النعمان على هانئ ثم قال له : أنا رسول الملك إليكم أخيركم ثلاث خصال : إما أن تعطوا بأيديكم فيحكم فيكم الملك بما شاء ، وإما أن تعروا الديار ، وإما أن تأذنوا بحرب .

١٠٣٠/١

فتوامروا فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى ، وكانوا يتيمنون به فقال لهم : لا أرى إلا القتال ؛ لأنكم إن أعطيتم بأيديكم قتلتم وسبيت ذراريكم ، وإن هربتم قتلكم العطش ، وتلقاكم تميم فتهلككم . فآذنوا الملك بحرب . فبعث الملك إلى إياس وإلى الهامرز التسترى — وكان مسلحه بالقطقطانة — وإلى جلابزين[2] — وكان مسلحه ببارق — وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود ابن قيس بن خالد بن ذى الجدين — وكان كسرى استعمله على طف سفوان — أن يوافوا إياساً ، فإذا اجتمعوا فإياس على الناس . وجاءت الفرس معها الجنود والفيول عليها الأساورة ، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم ورق أمر فارس ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اليوم انتصفت العرب من العجم » ،

١٠٣١/١

---

(١) تكملة من ح .

(٢) فى النقائض : « خنابزين » .

فحفظ ذلك اليوم؛ فإذا هو يوم الوقْعة . فلما دنت جيوش الفرس بمن معهم انسلَّ قيسُ بن مسعود ليلاً فأتى هانئًا ، فقال له : أعطِ قومك سلاح النّعمان فيقووْا ، فإن هلكوا كان تبعًا لأنفسهم، وكنتَ قد أخذت بالحزْم ، وإن ظفروا ردّوه عليك . ففعل وقسّم الدروع والسلاح فى ذوى[1] القُوَى والجلَد من قومه . فلما دنا الجمع من بكْر ، قال لهم هانئ : يا معشر بكْر ، إنّه لا طاقةَ لكم بجنود كسرى ومَنْ معهم من العرب، فاركبوا الفلاة. فتسارع الناس إلى ذلك ، فوثب حنظلة بن ثعلبة بن سيّار فقال له : إنما أردتَ نجاتنا فلم تَزِدْ على أن ألقيتَنا فى الهَلكة ، فردّ الناس وقطّع وُضُن الهوادج لئلا تستطيع بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا — فسمّىَ «مُقطّع الوُضن» ، وهى حُزُم الرّحال . ويقال : مقطّع البُطْن ، والبُطْن حزُم الأقتاب — وضرب حنظلة على نفسه قبّة ببَطحاء ذى قار ، وآلى ألاّ يفِرّ حتى تفِرّ القبّة . فمضى مَنْ مضى من الناس ، ورجع أكثرهم ، واستقَوْا ماء لنصف شهر ، فأتتهم العجم ، فقاتلتهم بالحنْو ، فجزعت العجم من العطش ، فهربت ولم تقم لمحاصرتهم ، فهربت إلى الجُبابات ، فتبعتهم بكْر ، وعِجْل أوائل بكْر ، فتقدمت عِجْل ، وأبلَتْ يومئذ بلاء حسنًا ، واضطمّت عليهم جنود العجم ، فقال الناس : هلكت عجْل ، ثم حملت بكْر فوجدوا عِجْلا ثابتة تقاتل ، وامرأة منهم تقول : ١٠٣٢/١

إنْ يَظفَروا يحرِّزوا فينا الغُرَلْ ... إيهاً فِداءٌ لكُم بَنِي عِجِلْ !

وتقول أيضًا تحضّض الناس :

إن تَهْزِموا نعانقْ ... ونفرِشِ النَّمارقْ
أوْ تَهْرُبوا نُفارِقْ ... فِراقَ غَيْر وَامِقْ

فقاتلوهم بالجُبابات يومًا . ثم عطش الأعاجم فمالوا إلى بطحاء ذى قار ، فأرسلت إياد إلى بكر سرًّا — وكانوا أعوانًا على بكْر مع إياس بن قبيصة : أىَّ الأمرين أعجب إليكم ؟ أن نطيرَ تحت ليلتنا فنذهب، أو نقيم ونفرّ حين تلاقوا

(١) ط : « ذى » ، وما أثبته عن ح .

القوم ؟ قالوا : بل تقيمون ، فإذا التقى القوم انهزمتم بهم . قال : فصبّحتهم بكر بن وائل ، والظعن واقفة يذمّرن الرجال على القتال . وقال يزيد بن حمار السَّكُونيّ — وكان حليفًا لبني شيبان — : يا بني شيبان، أطيعوني وأكمنوني لهم كمينًا . ففعلوا ، وجعلوا يزيد بن حمار رأسهم فكمنوا في مكان من ذي قار ، يسمى إلى اليوم الجُبّ ، فاجتلدوا ، وعلى ميمنة إياس بن قبيصة الهامرز ، وعلى ميسرته الجلابزين ، وعلى ميمنة هانئ بن قبيصة رئيس بكر يزيد بن مسهر الشيبانيّ ، وعلى ميسرته حنظلة بن ثعلبة بن سيار العِجْليّ ،وجعل الناس يتحاضّون ويرجزون ، فقال حنظلة بن ثعلبة : ١٠٣٣/١

قَدْ شَاعَ أَشْيَاعُكُمُ فَجِدُّوا ... ما عِلَّتِي وأنا مُؤْدٍ جَلْدُ[١]!

وَالقَوْسُ فيها وَتَرٌ عُرُدُّ ... مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

قَدْ جَعَلَتْ أَخْبَارُ قَوْمِي تَبْدُو ... إِنَّ المَنَايَا لَيْسَ مِنْهَا بُدُّ

هٰذَا عُمَيْرٌ تحتَهُ أَلَدُّ ... يَقْدُمُهُ لَيْسَ لَهُ مَرَدُّ

حتّى يَعودَ كالكُمَيْتِ الْوَرْدُ ... خَلُّوا بَنِي شَيْبَانَ وَاسْتَبِدُّوا

* نَفْسِي فِداكُمْ وَأَبِي وَالْجَدُّ[٢] *

وقال حنظلة أيضًا :

يا قَوْمِ طِيبُوا بالقِتَالِ نَفْسَا ... أَجْدَرُ يَوْمٍ أَنْ تَفُلُّوا الفُرْسا

وقال يزيد بن المكسّر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيّار :

مَنْ فَرَّ مِنكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهِ ... وجارِهِ ، وَفَرَّ عَنْ نَدِيمِهِ

أنا ابْنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ ... إِنَّ الشِّرَاكَ قُدَّ مِنْ أَدِيمِهِ[٣]

وكُلُّهُمْ يَجْرِي عَلَى قَدِيمِهِ ... من قارِحِ الهُجْنَةِ أَوْ صَمِيمِهِ

---

(١) المؤدى : ذو الأداة التامة من السلاح .

(٢) ح : « فدتكم » .

(٣) الشراك : سير النعل ، وقد : قطع ، والأديم : الجلد المدبوغ .

قال فراس : ثم صيّروا الأمر بعد هانئ إلى حنظلة ، فمال إلى مارية ابنته — وهى أمّ عشرة نفر ؛ أحدهم جابر بن أبجر — فقطّع وضينها فوقعت إلى الأرض وقطّع وُضُن النساء ، فوقعنَ إلى الأرض ، ونادت ابنة القرين الشيبانيّة حين وقعت النساء إلى الأرض :

وَيْهاً بَنِي شَيْبَانَ صَفًّا بَعْدَ صَفّ ... إنْ تُهْزَمُوا يُصَبِّغوا فينَا القُلَفْ

١٠٣٤/١ فقطّع سبعمائة من بنى شيبان أيدىَ أقبيتهم مِنْ قِبَل مناكبهم؛ لأنْ تخِفَّ أيديهم بضرب السيوف ، فجالدوهم .

قال : ونادى الهامَرز : مَرْد ومَرْد ، فقال بُرْد بن حارثة اليشكرىّ : ما يقول ؟ قالوا : يدعو إلى البراز رجل ورجُل ، قال : وأبيكم لقد أنصفَ . فبرز له فقتله برد ، فقال سويد بن أبى كاهل :

ومِنَّا بُرَيْدٌ إذ تحدَّى جُموعَكُمْ ... فَلَمْ تُقْرِبوهُ المَرْزُبَانَ المُسَوَّرا

أى لم تجعلوه . ونادى حنظلة بن ثعلبة بن سيّار : يا قوم لا تقفوا لهم فيستغرقكم النشّاب ، فحملت ميسرة بكْر وعليها حنظلة على ميمنة الجيش ، وقد قتل بُرد منهم رئيسَهم الهامرز ، وحملت ميمنة بكْر وعليها يزيد بن مُسهر على ميسرة الجيش ، وعليهم جلابزين ، وخرج الكمين من جُبّ ذى قار من ورائهم ، وعليهم يزيد بن حمار ، فشدُّوا على قَلْب الجيش ، وفيهم إياس ابن قبيصة ، وولّت إياد مُنهزمة كما وعدتهم ، وانهزمت الفُرْس .

قال سَليط : فحدّثنا أسراؤنا الذين كانوا فيهم يومئذ ، قالوا : فلما التقى الناس ، ولّت بكْر منهزمة ، فقلنا : يريدون الماء ، فلما قطعوا الوادىَ فصاروا من ورائه ، وجاوزوا الماء ، قلنا : هى الهزيمة ، وذاك فى حَرّ الظهيرة وفى يوم

١٠٣٥/١ قائظ ، فأقبلت كتيبة عِجْل كأنهم طُنّ قَصَب ، لا يفوت بعضهم بعضًا ، لا يُمْعنُونَ هربًا ، ولا يخالطون القوم . ثم تذامروا فزحفوا فرموهم بجباههم ، فلم تكن إلا إياها ، فأمالوا بأيديهم ، فولّوا ، فقتلوا الفرس ومَنْ معهم ؛ ما بين بطحاء ذى قار ، حتّى بلغوا الراحضة .

قال فراس : فخبِّرت أنّه تبعه تسعون فارسًا[1] ، لم ينظروا إلى سلَب ولا

---

(١) كذا فى النقائض ، والعبارة فى ط مصحفة .

إلى شيء حتى تعارفوا بأدَم (موضع قريب من ذى قار) ، فوُجد ثلاثون فارسًا من بنى عِجْل ، ومن سائر بَكْر ستون فارسًا ، وقتلوا جلابزين ؛ قتله حنظلة بن ثعلبة . وقال ميمون بن قيس يمدح بنى شيبان خاصّة فى قوله :

فِدًى لِبَنِى ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ ناقَتِى ورَاكِبُهَا يومَ اللّقَاء ، وقلَّتِ[1]

هُمُ ضَرَبُوا بالحِنوِ ، حِنْوِ قُرَاقِرٍ مُقدِّمَةَ الهامَرْزِ حَتَّى تَوَلَّتِ

وأَفْلَتَنَا قَيْسٌ وقُلْتُ لَعَلَّهُ هُنالِكَ لَوْ كانَتْ بهِ النَّعْلُ زَلَّتِ[2]

فهذا يدلّ على أن قيسًا قد شهد ذا قار .

وقال بُكير ، أصَمُّ بنى الحارث بن عُبَاد ، يمدح بنى شيْبان :

إنْ كُنْتِ ساقِيَةَ الْمُدَامَةِ أَهْلَهَا فَأَسْقِى عَلَى كَرَمٍ بَنِى هَمَّام

وأَبا رَبِيعَةَ كُلَّهَا وَمُحَلِّمًا سَبَقَا بِغايَةِ أَمْجَدِ الْأَيَّامِ ١٠٣٦/١

ضَرَبوا بَنى الْأَحْرَارِ يَوْمَ لَقُوهُمُ بالمَشْرَفِىِّ عَلَى مَقِيلِ الهامِ

عَرَبًا ثَلاثَةَ آلُفٍ وكَتِيبَةً أَلْفَيْنِ أَعْجَمَ مِن بَنى الفَدَّامِ

شَدَّ ابْنُ قَيْسٍ شَدَّةً ذَهَبَتْ لها ذِكْرَى لَه فى مُعْرِقٍ وشَآمِ

عَمْرٌو ومَا عَمْرٌو بِقَحْمٍ دالِهٍ فيها ، ولا غَمْرٍ ولا بِغُلَامِ[3]

فلما مدح الأعشى والأصمّ بنى شيبان خاصّة غضبت اللهازِم ، فقال أبو كلبة ، أحد بنى قيس يؤنّبها بذلك :

جُدِّعْتُمَا شاعِرَىْ قَوْمٍ أُولِى حَسَبٍ حُزَّتْ أُنُوفُهُمَا حَزًّا بِمِنْشَارِ

أَعْنى الأَصَمَّ وأَعْشَانَا إذَا اجْتَمَعَا فلا استعانا عَلَى سَمْعٍ بِإبْصارِ

---

(١) ديوانه ١٧٩ ، وفى ط : « وفلت » ، والصواب ما أثبته من الديوان .

(٢) رواية الديوان :

وأفلتهم قيس فقلتُ لَعَلَّهُ يَبِلُّ لئنْ كانتْ بِهِ النعلُ زَلَّتِ

(٣) القحم فى الأصل : المهزول من الإبل ، والداله : الضعيف . وفى النقائض : « دالف » .

لَوْلا فَوارِسُ لامِيلٌ ولا عُزُلٌ[1] مِنَ اللَّهازِمِ ما قاظوا بذِى قارِ
نَحْنُ أَتَيْنَاهُمُ مِنْ عِنْدِ أَشْمُلِهِم كَمَا تَلَبَّسُ وُرَّادٌ بِصُدَّارِ ؟

١٠٣٧/١ قال أبو عمرو بن العلاء : فلما بلغ الأعشى قول أبى كلبة ، قال : صدق .
وقال معتذراً ممّا قال :

مَتَى يُقْرَنْ أَصَمُّ بِحَبْلِ أَعْشَى يَتِيها فى الضَّلالِ وَفى الخسارِ
فلَسْتُ بِمُبْصِرٍ ما قَدْ يَرَاهُ ولَيْسَ بِسامِعٍ أَبَدًا حِوَارِى

وقال الأعشى فى ذلك اليوم :

أَتانا عَنْ بَنِى الأَحْرا رِ قَوْلٌ لَمْ يَكُنْ أَمَما[2]
أرادوا نَحْتَ أَثْلَتِنـــا وكُنّا نَمْنَعُ الخُطُمـــا[3]

وقال أيضًا لقيس بن مسعود :

أَقَيْسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ وأَنْتَ امْرُؤٌ تَرْجُو شَبابَكَ وائِلُ
أَتَجْمَعُ فى عَامٍ غَزَاةً ورِحْلَةً أَلا لَيْتَ قَيْسًا غَرَّقَته القَوابِلُ !

وقال أعشى بنى ربيعة :

ونَحْنُ غَداةَ ذى قارٍ أَقَمْنا وقَدْ شَهِدَ الْقَبائِلُ مُحْلِبِينا[4]
وقَدْ جاءوا بها جَأْواءَ فِلْقًا مُلَمْلَمَةً كَتائِبُهَا طَحونا
لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ حَتَّى تَجَلَّتْ ظِلالُ دُجَاهُ عَنَّا مُصْلَتِينَا
فوَلَّوْنا الدَّوابِرَ وَاتَّقَوْنا بِنُعْمانَ بْنِ زُرْعَةَ أَكْتَعِينَا
وَذُدْنا عَارِضَ الأَحْرَارِ وِرْداً كَمَا وَرَدَ القَطَا الثَّمَدَ المَعِينَا

---

(١) ميل : جمع أميل ؛ وهو الذى لا سيف ولا سلاح معه كالأعزل .
(٢) ديوانه ٢٠٤ .
(٣) ديوانه ١٢٨ .
(٤) ديوان الأعشين ٢٨١ .

ذكر من كان على ثغر العرب من قِبَل ملوك الفرس بالحيرة بعد عمرو بن هند

١٠٣٨/١ قد مضى ذكرنا مَنْ كان يلِي ذلك من قبَل ملوك الفرس من آل نصْر ابن ربيعة إلى حين هلاك عمرو بن هند ، وقدر مدّة ولاية كل مَن ولى منهم ذلك ، ونذكر الآن مَنْ ولى ذلك لهم بعد عمرو بن هند ، إلى أن ولىَ ذلك لهم النعمان بن المنذر ، والذى ولىَ لهم ذلك بعد عمرو بن هند أخوه قابوس بن المنذر ، وأمّه هند ابنة الحارث بن عمرو ، فولىَ ذلك أربع سنين ؛ من ذلك فى زمن أنو شِروان ثمانية أشهر ، وفى زمن هرمز بن أنو شروان ثلاث سنين وأربعة أشهر .

ثم ولى بعد قابوس بن المنذر السُّهْرَب .

ثم ولى بعده المنذر أبو النعمان أربع سنين .

ثم ولى بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك زمن هرمز بن أنو شِروان سبع سنين وثمانية أشهر ، وفى زمن كسرى أبرويز ابن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

ثم ولى إياس بن قبيصة الطائىّ ومعه النَّخيرجَان ، تسع سنين فى زمن كسرى ابن هرمز . ولسنة وثمانية أشهر من ولاية إياس بن قبيصة بُعِث النبي صلّى الله عليه وسلّم فيما زعم هشام بن محمد .

ثم استخلف آزاذبِه بن ماهان[1] بن مِهْر بنْداذ الهمذانىّ سبع عشرة سنة ، من ذلك فى زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفى زمن شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفى زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة ١٠٣٩/١ أشهر ، وفى زمن بوران دُخْت بنت كسرى شهراً .

ثم ولى المنذر بن النعمان بن المنذر — وهو الذى تسمّيه العرب الغَرور ، الذى قتل بالبحرين يوم جُؤاثَى ، إلى أن قدم خالد بن الوليد الحيرة — ثمانية شهر .

---

(١) كذا فى تصويبات ط .

فكان آخر مَنْ بقى من آل نصر بن ربيعة ، فانقرض أمرهم مع زوال ملك فارس .

فجميع ملوك آل نصر – فيما زعم هشام – ومن استخلف من العِبَاد والفرس عشرون ملكًا . قال : وعدّة ما ملكوا خمسمائة سنة واثنتان وعشرون سنة وثمانية أشهر

* * *

رجع الحديث إلى ذكر المرُزان وولايته اليمن، من قِبَل هُرْمز وابنه أبرويز ، ومن وليها بعده :

حُدّثت عن هشام بن محمّد ، قال : عزل هرمز بن كسرى وِين[1] عن اليمن ، واستعمل مكانه المرُوزان ، فأقام باليمن ، حتّى ولد له بها ، وبلغ ولده . ثم إن أهلَ جبل من جبال اليمن يقال له المصانع[2] خالفوه ، وامتنعوا من حَمْل الخراج إليه – والمصانع جبل طويل ممتنع ، إلى جانبه جبل آخر قريب منه ، بينهما فضاء ليس بالبعيد ، إلا أنه لا يرام ولا يطمَع فيه – فسار المروزان إلى المصانع ، فلما انتهى إليه نظر إلى جبل لا يُطمع فى دخوله إلاّ من باب واحد ، يَمنع ذلك الباب رجل واحد ؛ فلما رأى أن لا سبيل له إليه، صعد الجبل الذى يحاذى حصنهم ، فنظر إلى أضيق مكان منه وتحته هواء ذاهب، فلم ير شيئًا أقرب إلى افتتاح الحصن من ذلك الموضع ، فأمر أصحابه[3] أن يصطفّوا له صفين ، ثم يصيحوا به صيحة واحدة ، وضرب[4] فرسه فاستجمع حُضْرا[5] ، ثم رمى به فوثب المضيق ، فإذا هو على رأس الحصن. فلما نظرت إليه حِمْيَر وإلى صنيعه قالوا : هذا أيم – والأيم بالحميرية شيطان – فانتهرهم وزبَرهم بالفارسيّة، وأمرهم أن يكتفّ بعضهم بعضًا، فاستنزلهم من حصنهم ، وقتل طائفة منهم وسَبَى بعضهم[6] ، وكتب بالذى كان من أمره إلى كسرى

١٠٤٠/١

(١) ط : «زين» وأثبت ما فى التصويبات . (٢) وقال ياقوت: «حصن يقال له المصانع».

(٣) ت ، ح : « فأتى أصحابه فأمرهم » .

(٤) ط : « فضرب » ، وما أثبته من ت ، ح .

(٥) الحضر : ارتفاع الفرس فى عدوه .

(٦) ت ، ح : « وسبى طائفة منهم » .

ابن هرمز . فتعجّب من صنيعه ، وكتب إليه : أن استخلفْ مَنْ شئت ، وأقبل إلىّ .

قال : وكان للمروزان ابنان : أحدهما تعجبه العربية ، ويروى الشعر ؛ يقال له خُرَّ خُسْرة ، والآخر أُسوارٌ يتكلّم بالفارسية ، ويتدهْقَن ، فاستخلف المروزان ابنه خُرَّ خُسْرة — وكان أحبّ ولده إليه — على اليمن ، وسار حتّى إذا كان فى بعض بلاد العرب هلك ، فوضع فى تابوت ، وحمل حتّى قَدِم به على كسرى ، فأمر بذلك التابوت فوضع فى خزانته ، وكتب عليه فى هذا التابوت : فلان الذى صنع كذا وكذا ، قصّته فى الجبلين . ثم بلغ كسرى تعرُّب خرّخسرة وروايته الشعر ، وتأدّبه بأدب العرب ، فعزله ، وولّى باذان ، وهو آخر من قَدم اليمن من ولاة العجم .

١٠٤١/١ وكان كسرى قد طغى لكثرة ما قد جمع من الأموال وأنواع الجوهر والأمتعة والكُراع وافتتح من بلاد العدوّ ، وساعده من الأمور ، ورُزِق من مؤاتاته ، وبطِر[١] ، وشره شرها فاسداً ، وحسد الناسَ على ما فى أيديهم من الأموال ، فولّى جِباية البقايا عِلْجًا من أهل قرية تدعى خَنْدق من طَسُّوج بَهُرَسير ؛ يقال له : فُرَّخزاذ بن سُمَىّ ، فسام الناس سوء العذاب ، وظلمهم واعتدى عليهم ، وغَصَبهم أموالهم فى غير حلّه ، بسبب بقايا الخراج ، واستفسدهم بذلك ، وضيّق عليهم المعاش ، وبُغّض َإليهم كسرى وملكه .

وحدِّثت عن هشام بن محمد ، أنه قال : كان أبرويز كسرى هذا قد جمع من الأموال ما لم يجمع أحدٌ من الملوك ، وبلغت خيلُه القُسْطنطينيّة وإفريقيّة ، وكان يشتو بالمدائن ، ويتصيّف ما بينها وبين هَمَذان ، وكان يقال : إنه كانت له اثنتا عشرة ألف امرأة وجارية ، وألف فيل إلاّ واحداً ، وخمسون ألف دابّة بين فرس وبِرْذَون وبغل ، وكان أرغبَ النّاس فى الجوهر والأوانى وغير ذلك .

وأمّا غير هشام فإنه قال : كان [له][٢] فى قصره ثلاثة آلاف امرأة يطؤهنّ ،

---

(١) ت ، ح : « وبطر وأشر » .
(٢) من ر ، ل .

وألوف جوارٍ اتّخذهنّ للخدمة والغناء وغير ذلك ، وثلاثة آلاف رجل يقومون بخدمته ، وكانت له ثمانية آلاف وخمسمائة دابّة لمركبه ، وسبعمائة وستون فيلا ، واثنا عشر ألف بغل لثَقَلِه ، وأمر فبُنيت بيوت النيران ، وأقام فيها اثنى عشر ألف هِرْبَذ للزّمزمة . وإنه أمر أن يحصى ما اجتبى من خراج بلاده وتوابعه وسائر أبواب المال ، سنة ثمانى عشرة من ملكه ، فرُفع إليه أنّ الذى اجتُبِى فى تلك السنة من الخراج وسائر أبوابه من الورِق أربعمائة ألف ألف مثقال وعشرون ألف ألف مثقال ؛ يكون ذلك وزن سبعة ، ستمائة ألف ألف درهم ، وأمر فحوّل إلى بيت مالٍ بنى بمدينة طَيْسَبون [1] ، وسمّاه بهار حفرد خسرو ، وأموال له أخرى من ضربٍ فيروز بن يَزْدَجرد وقباذ بن فيروز ، اثنا عشر ألف بَدْرة ، فى كلّ بَدْرة منها من الورِق أربعة آلاف مثقال ، يكون جميع ذلك ثمانية وأربعين ألف ألف مثقال ، وهو وزن سبعةٍ ، ثمانية وستون ألف ألف وخمسمائة ألف وأحد وسبعون ألفًا وأربعمائة وعشرونَ درهمًا ونصف وثلث ثمن درهم ، فى أنواع لا يحصِى مبلغَها إلا الله ، من الجواهر والكُسَى وغير ذلك .

١٠٤٢/١

وإنّ كسرى احتقر الناس ، واستخفّ بما لا يستخفّ به الملك الرشيد الحازم ، وبلغ من عتوّه وجُرأته على الله[2] أنه أمر رجلا كان على حَرَس بابه الخاصّ — يقال له : زاذان فرُّوخ — أن يقتل كل مقيَّد فى سجن من سجونه ، فأحصُوا ، فبلغوا ستة وثلاثين ألفًا ، فلم يقدم زاذان فَرُّوخ على قتلهم ، وتقدم لتأخير ما أمر به كسرى فيهم ، لعلل أعدّها له ، فكسب كسرى عداوة أهل مملكته من غير وجه ؛ أحدُ ذلك احتقارُه إيّاهم ، وتصغيره عظماءهم . والثانى تسليطُ العِلْج فرّخان زاد بن سمىّ عليهم ، والثالث أمرُه بقتل مَنْ كان فى السجن ، والرابع إجماعه على قتل الفَلّ الذين انصرفوا إليه من قبل هِرَقْل والروم ؛ فمضى ناس من العظماء إلى عَقَر بابل ، وفيه شيرى بن أبرويز مع إخوته بها ، قد وكّل بهم مؤدبون يؤدبونهم ، وأساورة يحولون

١٠٤٣/١

(١) ل ، ح : « طيستون » ر : « طيسور » .
(٢) ت ، ح : « عتوه على الله عز و جل وجرأته عليه » .

بينهم وبين براح ذلك الموضع ، فأقبلوا به ، ودخل مدينة بَهُرَسير ليلا ، فخلّى عمّن كان فى سجونها ، وخرج مَنْ كان فيها ، واجتمع إليه الفَلّ الذين كان كسرى أجمع على قتلهم ، فنادوا قباذ شاهنشاه ، وصاروا حين أصبحوا إلى رحبة كسرى ، فهرب مَنْ كان فى قصره من حرسه ، وانحاز كسرى بنفسه إلى باغ له قريب من قصره ،ويدعى باغ الهِنْدوان فارًّا مرعوبًا ، وطُلب فأخذ ماه آذر وروز آذر[1] ، وحبس فى دار المملكة ، ودخل شيرويه دار الملك ، واجتمع إليه الوجوه ، فملّكوه وأرسل إلى أبيه يقرّعه بما كان منه . ١٠٤٤/١

وحدِّثت عن هشام بن محمد ، قال : وُلد لكسرى أبرويز ثمانية عشر ولداً ذكراً ، أكبرهم شَهْرِيار ، وكانت شيرين تبنّته، فقال المنجمون لكسرى : إنّه سيولد لبعض ولدك غلام ؛ ويكون خراب هذا المجلس وذهاب هذا الملك على يديه ، وعلامته نقصٌ فى بعض بدنه، فحُصِر ولده لذلك عن النِّساء ، فمكثوا حينًا لا يصلون إلى امرأة ، حتى شكا ذلك شَهْرِيار إلى شيرين ، وبعث إليها يشكو الشَّبَق ، ويسألها أن تُدْخِل عليه امرأة وإلاّ قتَل نفسه ؛ فأرسلت إليه : إنّى لا أصل إلى إدخال النساء عليك إلاّ أن تكون امرأة لا يُؤبه لها ، ولا يجمُل بك أن تمسّها ، فقال لها : لست[2] أبالى ما كانت، بعد أن تكون امرأة . فأرسلتْ إليه بجارية كانت تحجمها ، وكانت — فيما يزعمون — من بنات أشرافهم ؛ إلاّ أن شيرين كانت غضبت عليها فى بعض الأمور ، فأسلمتها فى الحجّامين ؛ فلما أدخلتها على شَهْرِيار وثب عليها ، فحملت بيزْدَجِرْد ، فأمرت بها شيرين فقُصِرت[3] حتى ولدت ،وكتمتْ أمرَ الولد خمس سنين . ثم إنّها رأت من كسرى رِقّة للصبيان حين كَبِر ، فقالت له: هل يسرّك أيُّها الملك أن ترى ولداً لبعض بنيك على ما كان فى ذلك من المكروه ؟ فقال : لا أبالى . فأمرت بيزْدَجِرْد فطُيِّبَ وحُلِّى ، وأدخلتْه عليه ، وقالت : هذا يَزْدَجِرد بن شَهْرِيار ، فدعا به فأجلسه فى

---

(١) المعنى فيما يظهر أنه أخذ فى شهر الربيع ويوم الربيع .

(٢) ت ، ح : « إنى لست » . (٣) قصرت : حبست .

١/١٠٤٥ حِجْره ، وقبّله وعطف عليه ، وأحبّه[1] حبًّا شديداً ، وجعل يبيّته معه؛ فبينا هو يلعب ذات يوم بين يديه؛ إذ ذكر ما قيل [فيه][2] ، فدعا به فعرّاه من ثيابه ، واستقبله واستدبره ، فاستبان النقصَ فى أحد ورِكيْه ، فاستشاط غضباً وأسفًا ، واحتمله[3] ليجلِد به الأرض ، فتعلّقتْ به شيرين ، وناشدته الله ألاّ يقتله ، وقالت له : إنه إن يكن أمرٌ قد حضر فى هذا الملك فليس له مردّ . قال : إن هذا المشئوم؛ الذى[4] أخبِرتُ عنه ، فأخرجيه فلا أنظر إليه . فأمرت به فحمِل إلى سِجِسْتان .

وقال آخرون : بل كان بالسّواد عند ظؤورته فى قرية يقال لها خُمَانيَة . ووثبت فارس على كِسْرى فقتلته ، وساعدهم على ذلك ابنه شيرويه بن مريم الروميّة .

وكان ملكه ثمانيًا وثلاثين سنة . ولمضىّ اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يومًا من ملكه هاجرَ النبىّ صلى الله عليه وسلّم من مكة إلى المدينة.

* * *

[ذكر ملك شيرويه بن أبرويز]

ثم ملك من بعده ابنه شيرويه ، واسمه قباذ بن أبَرْويز بن هُرْمز بن كسرى أنوشِرْوان . فذُكر أن شيرويه لما ملَك دخل عظماء الفرس عليه بعد حَبْسه[5] أباه ، فقالوا له : إنّه لا يستقيم أن يكونَ لنا ملِكان اثنان ، فإمّا أن تقتل كسرى ونحن خوَلُك الباخعون لك بالطاعة ، وإمّا أن نخلعَك ونعطيه الطاعة على ما لم ١/١٠٤٦ نزل نعطيه قبْلَ أن تملك . فهدّت هذه المقالة شيرويه وكسرته ، وأمر بتحويل كسرى من دار المملكة إلى دار رجل يقال له مارَسْفَنْد . فحُمِل كسرى على

---

(١) ت ، ح : « فأحبه » .
(٢) تكملة من ر ، وفى ت ، ح : « له » .
(٣) ت ، ح : « فاحتمله » .
(٤) ت ، ح : « وهو الذى أخبرت عنه » .
(٥) ت ، ح : « خلعه » .

برذون ، وقُنّع رأسه ، وسِير به إلى تلك الدار ، ومعه ناس من الجند ، فمرّوا به فى مسيرهم[١] على إسكاف جالس فى حانوت شارع على الطريق ، فلما بَصُر بفرسان من الجند معهم فارس مقنّع ، عرف أن المقنّع كسرى ، فحذَفه بقالب ، فعطف إليه[٢] رجلٌ ممّن كان مع كسرى من الجند ، فاخترط سيفه فضرب عنقَ الإسكاف ، ثم لحق بأصحابه .

فلما صار كسرى فى دار مَارَسْفَنْد جمع شيرويه مَنْ كان بالباب من العظماء وأهل البيوتات ، فقال : إنّا قد رأينا أن نبدأ بالإرسال إلى الملك أبينا بما كان من إساءته فى تدبيره وتوقّفه على أشياء منها ، ثم دعا برجل من أهل أردشير خُرّة يقال له أسفاذ جُشْنَس ، ولمرتبته رئيس الكتيبة ، كان يلى تدبير المملكة ، فقال له : انطلقْ إلى الملك أبينا ، فقل له عن رسالتنا : إنا لم نكن للبليّة التى أصبحتَ فيها ولا أحدٌ من رعيّتنا سببًا ، ولكنّ الله قضاها عليك جزاء منه لك بسيئ أعمالك ؛ منها اجترامك إلى هرمز أبيك وفَتْكك به ، وإزالتُك الملك عنه ، وسمْلك عينيه ، وقتلُك إياه شرّ قِتلة ، وما قارفْتَ فى أمره من الإثم العظيم . ومنها سوء صنيعك إلينا معشر أبنائك فى حَظْرك علينا مثافنةَ[٣] الأخيار ومجالستهم ، وكلّ أمر يكون لنا فيه دَعَة وسرور وغبطة. ومنها إساءتك كانت بمَنْ خلّدت السجون منذ دهر ، حتى شقوا بشدة الفقر وضيق المعاش والغربة عن بلادهم وأهاليهم وأولادهم . ومنها سوء نظرك فى استخلاصك كان لنفسك من النّساء وتركك العطف عليهنّ بمودّة منك والصَّرف لهنّ إلى معاشرة مَنْ كُنّ يُرزقنَ منه الولد والنّسْل ، وحبسك إياهنّ قِبلَك مكرَهات . ومنها ما أتيت إلى رعيّتك عامّة فى اجتبائِك إياهم الخرَاج ، وما انتهكت منهم فى غلْظتك وفظاظتك عليهم . ومنها جمعُك الأموال التى اجتبيتها من النّاس فى عنف شديد ، واستفساد منك إيّاهم ، وإدخالك البلاء والمضارّ عليهم فيه . ومنها تجميرُك من جمّرت[٤] فى ثغور الروم وغيرهم

١٠٤٧/١

---

(١) ل : « فى مسيره » .

(٢) ت ، ح : « عليه » .

(٣) قال فى اللسان : « ثافنت الرجل مثافنةً ، أى صاحبتُه لا يخفى على شىء من أمره » .

(٤) التجمير : حبس الأمير جنوده فى أرض العدو ؛ ولا يأذن لهم فى العودة والقفل .

من الجنود ، وتفريقُك بينهم وبين أهاليهم . ومنها غدرُك بموريق ، ملك الروم، وكفرك إنعامه عليك فيما كان من إيوائه إياك، وحسن بلائه عندك ، ودفعه عنك شرّ عدوك ، وتنويهه باسمك فى تزويجه إيّاك أكرمَ النساء من بناته عليه ، وآثرهنّ عنده ، واستخفافك بحقّه ، وتركك إطْلابه[1] ما طلب إليك من ردّ خشبة الصليب ، التى لم يكن بك ولا بأهل بلادك إليها حاجة ، علمته[2] .
فإن كانت لك حجج تُدْلى بها عندنا وعند الرعيّة فأدلِ بها، وإن لم تكن لك حجّة ، فتب إلى الله من قريب، وأنبْ إليه حتى نأمر فيك بأمرنا .

فوعى أسفاذ جُشْنَس رسالة كسرى شيرويه هذه، وتوجّه من عنده إلى كسرى ليبلّغه إياها ، فلما توجّه إلى الموضع الذى كان حبس فيه كسرى ألْفَى رجلاً يقال له جيلنوس كان قائد الجند قد وكل بحراسة كسرى جالساً ، فتحاورا ساعة ، ثم سأل أسفاذ جشنس جلينوس أن يستأذِن له على كسرى ليلقاه برسالة من شيرويه ، فرجع جلينوس فرفع الستر الذى كان دون كسرى ، فدخل عليه ، وقال له : عمّرك الله ! إن أسفاذ جشنس بالباب ، وذكر أنّ الملك شيرويه أرسله إليك فى رسالة[3]، وهو يستأذن عليك ، فرأيك فى الأمر فيه برأيك ! فتبسّم كسرى وقال مازحًا : يا جلينوس أسفاذان ، كلامك مخالف كلام أهلِ العقل ، وذلك أنه إن كانت الرسالة التى ذكرت من شيرويه الملك، فليس لنا مع ملكه إذْن ، وإن كان لنا إذن وحجِب فليس شيرويه بملك؛ ولكن المثَل فى ذلك كما قيل : يشاء الله الشىء فيكون ، ويأمر الملك بأمر فينفذ . فأْذَنْ لأسفاذ جشنس يبلّغ الرسالة التى حملها . فلما سمع جلينوس هذه المقالة خرج من عند كسرى ، وأخذ بيد إسفاذ جشنس، وقال له : قم فادخل إلى كسرى راشداً .

فنهض أسفاذ جشنس ، ودعا بعضَ من كان معه من خدمه ، ودفع إليه

١٠٤٨/١

(١) يقال : أطلبه ؛ إذا أعطاه ما طلب .
(٢) علمته ، أى علمت ذلك الأمر من طلب رد خشبة الصليب .
(٣) ت، ح : « برسالة » .

كساء كان لابسه ، وأخرج من كمه شنتقة بيضاء نقيّة ، فمسح بها وجهه، ثم دخل على كسرى ، فلما عاين كسرى ، خرّ له ساجداً ، فأمره كسرى بالانبعاث، فانبعث وكفّر بين يديه — وكان كسرى جالسًا على ثلاثة أنماط [من][1] ديباج خُسْرُوَانىّ منسوج بذهب، قدفرشت على بساط من إبريسم، متكئًا على ثلاث وسائد منسوجة بذهب ، وكان بيده سَفَرْجلة صفراء شديدة الاستدارة . فلما عاين أسفاذ جشنس، تربّع جالسًا ووضع السّفرجلة التى كانت بيده على تُكَأته، فتدحرجت من أعلى الوسائد الثلاث لشدّة استدارتها وامْلساس الوسادة التى كانت عليها ، بامتلاء حشوها إلى أعلى تلك الأنماط الثلاثة ، ومن النّمط إلى البساط ، ولم تَلْبث على البساط أن تدحرجت إلى الأرض ، ووقعت بعيداً متلطّخة بتراب ، فتناولها أسفاذ جشنس فمسحها بكمّه ، وذهب ليضعها بين يدى كسرى ، فأشار إليه أن ينحّيَها عنه ، وقال له : أعزِبها عنى ، فوضعها أسفاذ جشنس عند طرف البساط إلى الأرض ، ثم عاد فقام مقامه ، وكفّر بيده ، فنكس كسرى، ثم قال متمثّلاً : الأمر إذا أدبر فاتت الحيلة فى الإقبال به، وإذا أقبل أعيت الحيلة فى الإدبار به، وهذان الأمران متداولان على ذهاب الحيَل فيهما ، ثم قال لأسفاذ جشنس : إنّه قد كان من تدحرج هذه السفرجلة وسقوطها حيث سقطت ، وتلطُّخها بالتراب وهو عندنا كالإخبار لنا بما حمّلتَ من الرسالة ، وما أنتم عاملون به وعاقبته ، فإن السّفرجلة التى تأويلها الخير، سقطت من عُلْو إلى سفل، ثم لم تلبث على مفرشنا أن سقطت إلى الأرض، ووقعت بعيداً متلطّخة بتراب؛ وذلك منها دليل فى حال الطِّيرَة : أنّ مجد الملوك قد صار عند السُّوَق[2]؛ وأنّا قد سلِبنا الملك ، وأنّه لا يلبث فى أيدى عقبنا أن يصير إلى من ليس من أهل المملكة، فدونك فتكلّم بما حمِّلت من رسالة ، وزُوِّدْتَ من الكلام .

١٠٤٩/١

فاندفع أسفاذ جشنس فى تبليغ الرسالة التى حمّله إياها شيرويه، ولم يغادر منها كلمة ، ولم يزلها عن نَسَقها . فقال كسرى فى مرجوع تلك الرسالة : بلّغ

١٠٥٠/١

---

(١) من ت ، ح . (٢) السوق : جمع السوقة ، وهى من الناس من لم يكن ذا سلطان ، الذكر والأنثى فى ذلك سواء .

عنَى شيرويه القصير العمر ، أنه لا ينبغى لذى عقل أن يبثّ من أحد الصغيرَ من الذنب ، ولا اليسير من السيئة إلاّ بعد تحقق ذلك عنده ، وتيقّنه إياه منه ، فضلاً عن عظيم ما بثثت ونشرت [١] وادّعيت منا ، ونسبتَنا إليه من الذنوب والجرائم ؛ مع أنّ أولى الناس بالردّ عن ذى ذنب ، وتوبيخ ذى جرمة [٢] ، مَنْ قد ضبط نفسه عن الذنوب والجرائم ، ولو كنّا على ما أضفتنا إليه لم يكن ينبغى أن تنشره وتؤنبنا [به] [٣] أيها القصير العمر القليل العلم ؛ فإن كنت جاهلاً بما يلزمك من العيوب ببثّك منّا ما بثثت ، ونسبتك إيانا إلى ما نسبت ؛ فاستثبتْ عيوبك واقتصر فى الزِّرْيِ علينا ، والعيب لنا على ما لا يزيدك بسوء مقالتك فيه إلاّ اشتهاراً بالجهل ، ونقص الرأى . أيُّها العازب العقل ، العديم العلم ؛ فإنّه إن كان لإجهادك نفسك فى شَهْرِك إيانا من الذنوب بما يوجب علينا القتل حقيقة ، وكان لك على ذلك برهان ؛ فقضاة أهل مِلّتك ينفُون ولد المستوجب للقتل من أبيه ، وينحُّونه عن مضامّة الأخيار ومجالستهم ، ومخالطتهم إلاّ فى أقلّ المواطن

١٠٥١/١ فضلاً عن أن يملك ؛ مع أنه قد بلغ بحمد الله ونعمته من إصلاحنا أنفسنا ونيّتنا فيما بيننا وبين الله وبيننا وبين أهل ملّتنا وديننا ، وبيننا وبينك وبين معشر أبنائنا ما ليس لنا فى شىء من ذلك تقصير ، ولا علينا فيه من أحد حُجّة ولا توبيخ ؛ ونحن نشرح الحال فيما ألزمتَنا من الذنوب ، وألحقتَ بنا من الجرائم ؛ عن غير التماس منّا لذلك نقصًا فيما أدليْنا به من حجة ، أو أتينا عليه من بُرْهان ؛ لتزداد علمًا بجهالتك وعزوب عقلك ، وسوء صنيعك . أمّا ما ذكرتَ من أمر أبينا هُرمز ؛ فمن جوابنا فيه أنّ الأشرار والبغاة كانوا أغرَوْا هرمزبِنا حتى اتهمنا واحتمل غِمْراً [٤] وَغِمْراً ورأينا من ازْوراره عنّا ، وسوء رأيه فينا ، ما تخوّفنا ناحيته ، فاعتزلْنا بابه لإشفاقنا منه ، ولحقنا بأذرَبيجان ، وقد استفاض ، فانتهك من الملك ما انتهك . فلما انتهى إلينا خبرُ ما بلغ منه شخَصْنَا من أذربيجان إلى بابه ، فهجم علينا المنافق بهرام فى جنود عظيمة من العصاة

---

(١) ت ، ر : « فسرت » .

(٢) ت ، ح : « جريمة » .

(٣) من ت ، ح .

(٤) الغمر ، بالكسر : الغل والحقد .

المستوجبة القتل ، مارقًا من الطاعة ، فأجلانا عن موضع المملكة فلحقنا ببلاد الرّوم، فأقبلنا منها بالجنود والعُدّة ، وحاربناه فهرب منّا ، وصار من أمره فى بلاد الترك من الهلكة والبوار إلى ما قد اشتهر فى الناس ؛ حتى إذا صفا لنا الملك، واستحكم لنا أمره ، ودفعنا بعون الله عن رعيّتنا البلاء والآفات التى كانوا أشفَوْا عليها، قلنا : إنّ من خير ما نحن بادئون به فى سياستنا، ومفتتحون به مُلْكنا الانتقامَ لأبينا ، والثأر به والقتل لكلّ من شرِك فى دمه ؛ فإذا أحكمنا ما نوينا ١٠٥٢/١ من ذلك ، وبلغنا منه ما نريد تفرّغنا لغيره من تدبير الملك ، فقتلنا كلّ من شرِك فى دمه ، وسعى فيه ومالأ عليه .

وأمّا ما ذكرتَ من أمر أبنائنا، فمن جوابنا أنه ليس من ولد ولدناه — ما خلا من استأثر الله به منهم — إلاّ صحيحة أعضاء جسده؛ غير أنّا وكّلنا بالحراسة لكم ، وكفّكم عن الانتشار فيما لا يعنيكم إرادة كفّ ما نتخوّف من ضرركم على البلاد والرعيّة . ثم كنا أقمنا من النفقات الواسعة فى كسوتكم ومراكبكم وجميع ما تحتاجون إليه ما قد علمت ، وأمّا أنت خاصّة ، فمن قصّتك أن المنجّمين كانوا قضوْا فى كتاب مولدك أنك مثرّب علينا ، أو يكون ذلك بسببك؛ فلم نأمرْ بقتلك؛ ولكن ختمنا على كتاب قضيّةِ مولدك ، ودفعناه إلى شيرين صاحبتنا . ومع ثقتنا بتلك القضيّة وجدنا فرميشاملك الهند كتب إلينا فى سنة ستّ وثلاثين من مُلْكنا ، وقد أوفدهم إلينا ، فكتب فى أمور شتّى ، وأهدى لنا ولكم — معشرَ[1] أبنائنا — هدايا، وكتب إلى كلّ واحد منكم كتابًا، وكانت هديّته لك — فاذكرها — فيلا ، وسيفًا ، وبازيًا أبيض ، وديباجة منسوجة بذهب ؛ فلما نظرنا فيما أهدى لكم ، وكتِب إليكم وجدته قد وقّع على كتابه إليك بالهنديّة : اكتم ما فيه، فأمرنا أن يصرف إلى كلّ واحد منكم ما بعث إليه من هدية أو كتاب، واحتبسنا كتابه[2] إليك لحال التوقيع الذى ١٠٥٣/١ كان عليه ، ودعوْنا بكاتب هندىّ، وأمرنا بفضّ خاتم الكتاب وقراءته ، فكان فيه : أبشر وقرّ عيناً ، وانعم بالاً ، فإنك متوّج ماه آذر روز ديبا ذرسنة

---

(١) ت ، ل : « معاشر » . (٢) ت ، ح : « كتابك » .

ثمان وثلاثين(١) من مُلْك كسرى ، وملّك على ملكه وبلاده ؛ فوثقنا أنك لم تكن لتملك إلاّ بهلكنا وبوارنا ، فلم ننتقصك ــ بما استقرّ عندنا من ذلك مما كنا أمرنا بإجرائه عليك من الأرزاق والمعاون والصّلاتِ وغير ذلك ــ شيئاً ؛ فضلا عن أمرنا بقتلك .

وأمّا كتاب فرميشا فقد ختمنا عليه بخاتمنا ، واستودعناه شيرين صاحبتنا ؛ وهى فى الأحياء صحيحة العقل والبدن ؛ فإن أحببت أن تأخذَ منها قضيّة مولدك ، وكتاب فرميشا إليك وتقرأهما لتُكسبك قراءتك إياهما ندامة وثبوراً فافعل .

وأمّا ما ذكرت من حال من خُلّد السّجن فمن جوابنا فيه أن الملوك الماضين من لدن جَيُومَرْت إلى أن ملك بِشْتاسْب ، كانوا يدبّرون ملكهم بالمعدَلة ؛ ولم يزالوا من لدن بشتاسب إلى أن ملكنا يدبّرونه بمعدلة ، معها ورع الدين ؛ فسلْ إن كنتَ عديم عقل وعلم وأدب حَمَلَةَ الدّين ــ وهم(٢) أوتاد هذه الملّة ــ عن حال من عصى الملوك وخالفهم ، ونكث عهدهم ، والمستوجبين بذنوبهم القتل فيخبروك أنّهم لا يستحقّون أن يُرحَموا ويعفَى عنهم . واعلم مع ذلك أنا لم نأمر بالحبس فى سجوننا ، ولا من قد وجب عليه فى القضاء العدل أن يقتل أو تُسمَل(٣) عينه ، وتقطع يده ورجله وسائر أعضائه . وكثيراً ما كان الموكّلون بهم وغيرهم من وزرائنا يذكرون استيجابَ من استوجب منهم القتل ، ويقولون : عاجلْهم بالقتل قبل أن يحتالوا لأنفسهم حِيَلاً يقتلونك بها ، فكنّا لحبّنا استبقاء النفوس وكراهتنا سفك الدماء نتأنّى بهم ، ونكِلهم إلى الله ، ولا نقدم على عقوبتهم بعد الحبس الذى اقتصرنا عليه ؛ إلاّ على منعهم أكل اللحم وشرب الشراب ، وشمّ الرياحين ، ولم نَعْدُ فى ذلك ما فى سنن الملّة من الحوْل بين المستوجبين للقتل ، وبين التلذّذ والتنعّم بشىء مما منعناهم إياه ؛ وكنّا أمرنا لهم من المطعم والمشرب وسائر ما يقيمهم بالذى يُصلحهم فى اقتصاد ، ولم نأمر بالحوْل بينهم وبين نسائهم والتوالد والتناسل فى حال حبسهم . وقد بلغنا أنك أجمعت على التخلية

١/١٠٥٤

---

(١) نص فارسى ، ومعناه أنك متوج فى شهر آذر ، فى يوم سعيد ، فى سنة ثمان وثلاثين من ملك كسرى .
(٢) ر : « فهم » .
(٣) ت ، ح : « وتسمل » .

عن أولئك الدّعار المنافقين المستوجبين للقتل[١] ، والأمر بهدم محبسهم ، ومتى تُخلّ عنهم تأثم بالله ربك ، وتسىء إلى نفسك ، وتُخِلّ بدينك وما فيه من الوصايا والسنن التى فيها صرف الرحمة والعفو عن المستوجبين للقتل ، مع أنّ أعداء الملوك لا يحبُّون الملك أبداً ، والعاصين لهم لا يمنحونهم الطاعة . وقد وعظ الحكماء وقالوا : لا تؤخّرنّ معاقبةَ المستوجبى العقوبة ؛ فإنّ فى تأخيرها مدفعة للعدل ، ومضرّة على المملكة فى حال التدبير ؛ ولئن نالك بعضُ السرور إن أنت خلّيت عن أولئك الدّعار المنافقين العصاة المستوجبين[١] للقتل لتجدنّ غِبّ ذلك فى تدبيرك ، ودخول أعظم المضرّة والبليّة على أهل الملّة . ١/١٠٥٥

وأمّا قولك : إنّا إنما كسبنا وجمعنا وادّخرنا الأموال والأمتعة والبزور[٢] وغيرها من بلاد مملكتنا بأعنف اجتباء ، وأشدّ إلحاح على رعيّتنا ، وأشدّ ظلم ، لا من بلاد العدوّ بالمجاهدة لهم والقهر ، عن غلبة منّا إياهم على ما فى أيديهم ؛ فمن جوابنا فيه أنّ مِن إصابة الجواب فى كلّ كلام يُتكلّم بجهل وعنجهيّة ترك الجواب فيه ، ولكن لم نَدَعْ — إذ صار ترك الجواب كالإقرار ، وكانت حجّتنا فيما غشِينا أن نحتج به ، قويّة ، وعذرنا واضحًا — شرح ما سألتنا عنه من ذلك .

اعلم أيُّها الجاهل ؛ أنه إنما يقيم مُلْك الملوك بعد الله الأموال والجنود وبخاصّة ملك فارس ، الذى قد اكتنفت بلاده أعداءٌ فاغرة أفواههم لالتقام ما فى يديه ، وليس يُقدَرُ على كفّهم عنها ، وردعهم[٣] عمّا يريدون من اختِلاس ما يرومون اختلاسه منه ؛ إلا بالجنود الكثيفة ، والأسلحة والعدد الكثيرة ؛ ولا سبيل له إلى الكثيف من الجنود والكثير ممّا يحتاج إليه إلاّ بكثرة الأموال ووفورها ، ولا يستكثر من الأموال ولا يقدِر على جمعها لحاجة إن عرضت له إليها إلاّ بالجدّ والتشمير فى اجتباء هذا الخراج . وما نحن ابتدعنا جمع الأموال ؛ بل اقتدينا فى ذلك بآبائنا والماضين من أسلافنا ؛ فإنهم جمعوها كجمعنا إياها ،

---

(١) ر : « المستوجبى القتل » ، . ل : « المستوجبين القتل » .

(٢) البزور : الحبوب الصغار ، أو البقول .

(٣) ح : « وقدعهم » .

وكثّروها ووفّروها لتكون ظهراً لهم على تقوية جنودهم وإقامة أمورهم ؛ وغير ذلك ممّا لم يستغنوا عن جمعها له . فأغار على تلك الأموال وعلى جوهر كان فى خزائننا ، المنافق بهرام فى عصابة مثله وفتّاك مستوجبين للقتل ، فشذّبوها وبذّروها وذهبوا بما ذهبوا به منها ، ولم يتركوا فى بيوت أموالنا وخزائننا إلاّ أسلحة من أسلحتنا لم يقدروا على تشذيبها والذهاب بها ، ولم يرغبوا فيها . فلما ارتجعنا بحمد الله مُلْكَنَا ، واستحكمت أمورنا وأذعن لنا الرعيّة بالطاعة ، ودفعنا عنهم البوائق التى كانت حلّت بهم ، ووجّهنا إلى نواحى بلادنا أصْبَهْبَذين ، وولّينا دونهم على تلك النواحى فاذوسبانيْن[1] ، واستعملنا على ثغورنا مرازبة وولاة ذوِى صرامة ومضاء وجَلَد ، وقوّينا مَنْ ولّينا من هؤلاء بالكثيف من الجنود ، أثخن هؤلاء الولاة مَنْ[2] كان بإزائهم من الملوك المخالفين لنا والعدوّ . وبلغ من غاراتهم عليهم ، وقتلهم مَنْ قتلوا ، وأسْرهم مَنْ أسروا منهم ، من سنة ثلاثَ عشرَة مِنْ مُلْكنا ، ما لم يقدر الرجل من أولئك على إطلاع رأسه فى حرم بلاده إلاّ بخفير ، أو خائفًا ، أو بأمان منّا ، فضلا عن الإغارة على شىء من بلادنا ، والتعاطى[3] لشىء مما كرهنا ، ووصل فى مدّة هذه السنين إلى بيوت أموالنا وخزائننا ممّا غنمنا من بلاد العدوّ من الذهب والفضة وأنواع الجوهر ، ومن النّحاس والفرِند والحرير والإستبرق والديباج والكُراع والأسلحة والسَّبْى والأسراء ما لم يَخْفَ عِظَمُ خطر ذلك وقدره على العامة ، فلمّا أمرنا فى آخر سنة ثلاث عشرة من مُلْكنا بنقش سكك حديثة ، لنأمر فيستأنف ضرب الورِق بها ، وُجِد فى بيوت أموالنا — على ما رفع إلينا المحصون لما كان فيها من الورِق سوى ما أمرنا بعزله من الأموال لأرزاق جنودنا من الورِق — مائتا ألف بَدْرة ، فيها ثمانمائة ألف ألف مثقال . فلما رأينا أنا قد حصّنّا ثغورنا ، وردعنا العدوّ عنها وعن رعيتنا ، [وجمعنا مشتّت أمرنا][4] ، وكعَمنا أفواههم الفاغرة كانت لالتقام ما فى أيديهم ، وبسطنا فيهم الأمن ، وأمّنّا على نواحى

١٠٥٦/١

١٠٥٧/١

---

(١) ح : « قاووسانين » ، ر : « فاروسانين » ، ل : « قاوسانين » .

(٢) كذا فى ح ، وفى ط : « ما » .

(٣) ل : « أو التعاطى » .

(٤) تكملة من ح .

بلادنا الأربع ما كان أهلها فيه من البوائق والمغار ، أمرنا باجتباء بقايا السنين ، وما انتهب من بيوت أموالنا من ذهب وفضة ، ومن خزائننا من جوهر أو نحاس ، ورد ذلك كله إلى موضعه ؛ حتى إذا كان فى آخر سنة ثلاثين من مُلْكنا أمرنا بنقش سكك حديثة ، يضرب عليها الورِق ، فوجد فى بيوت أموالنا سوى ما أمرنا بعزله من الأموال لأرزاق جندنا ، والأموال التى أحصيت لنا قبل ذلك من الورِق أربعمائة ألف بَدْرة ، يكون ما فيها ألف ألف ألف مثقال وستمائة ألف ألف مثقال ؛ وذلك سوى ما زادنا الله إلى تلك الأموال ؛ مما أفاء الله بمنه وطَوْله علينا من أموال ملوك الروم ، فى سفن أقبلت بها إلينا الرِّيح ؛ فسميناها فَيْء الرياح ؛ ولم تزل أموالنا من سنة ثلاثين من ملكنا إلى سنة ثمانٍ وثلاثين من مُلْكنا ، التى هى هذه السنة تزداد كثرة ووفوراً ، وبلادنا عمارة ، ورعيتنا أمناً وطمأنينة ، وثغورنا وأطرافنا مناعة وحصانة ؛ وقد بلغنا أنك هممت — لرذولة[1] مروءتك — أن تبذِّر هذه الأموال وتُتْويها[2] ، عن رأى الأشرار العتاة المستوجبين للقتل . ونحن نعلمك أن هذه الكنوز والأموال لم تجمع إلا بعد المخاطرة بالنفوس ؛ وبعد كد وعناء شديد ، لندفع بها العدو المكتنفين لبلاد هذه المملكة ، المتقلبين إلى غلبتهم على ما فى أيديهم . وإنما يُقْدَر على كف أولئك العدو فى الأزمان والدهور كلها ، بعد عون الله بالأموال والجنود ، ولن تقوَى الجنودُ إلا بالأموال ، ولا يُنتفع بالأموال إلا على كثرتها ووفورها ؛ فلا تهمّن بتفرقة هذه الأموال ، ولا تجسُرَنّ عليها ؛ فإنها كهف لملكك وبلادك ، وقوة لك على عدوك .

١٠٥٨/١

ثم انصرف إسفاذ جشنس إلى شيرويه فقص عليه ما قال له كسرى ، ولم يُسقط منه حرفاً ؛ وإن عظماء الفرس عادوا فقالوا لشيرويه : إنه لا يستقيم أن يكون لنا مَلِكان ، فإما أن تأمر بقتل كسرى ، ونحن خَوَلُك ، المانحوك الطاعة ، وإما أن نخلعك ونعطيه الطاعة . فهدّت شيرويه هذه المقالة وكسرته ، وأمر بقتل كسرى ، فانتدب لقتله رجال كان وَتَرهم كسرى ، فكلما أتاه

---

(١) الرذل : الدون فى المنظر والحال ؛ ويقال : رذل فلان رذالة ورذولة .

(٢) تتويها : تذهبها .

الرجل منهم شتمه كسرى وزَبَره . فلم يُقدِم على قتله أحد؛ حتى أتاه شابٌّ يقال له مِهرهُرمُز بن مَرْدانشاه ليقتله، وكان مردانشاه فاذوسبانا لكسرى على ناحية نيمروذ، وكان من أطوع الناس لكسرى وأنصحهم له ، وإنّ كسرى سأل قبل أن يخلع بنحو من سنتين منجِّميه وعَافَته عن عاقبة أمره ، وأخبروه أن منيّته آتية[1] من قِبَل نيمروذ . فاتّهم مردانشاه ، وتخوّف ناحيتَه لعظم قدره ، وأنّه لم يكن فى تلك الناحية مَنْ يعدِله فى القوة والقدرة .

١٠٥٩/١

فكتب إليه أن يعجّل القدوم عليه ؛ حتى إذا قدم عليه أجال الرأى فى طلب عِلّة يقتله بها ، فلم يجد عليه عثْرة ، وتذمّم من قتله لمّا علم من طاعته إيّاه ، ونصيحته له ، وتحرّيه مرضاته . فرأى أن يستبقيَه ، ويأمر بقطع يمينه ، ويعوّضه منها أموالاً عظيمة يجود له بها ، فبغى عليه من العلل ما قطع يمينه ؛ وإنما كانت تقطع الأيدى والأرجل وتقطع الأعناق فى رحبة الملك .

وإنّ كسرى أرسل يومَ أمر بقطع يده عيناً ليأتيَه بخبر ما يسمع من مردانشاه وممّن بحضرته[2] من النظّارة ، وإنّ مردانشاه لما قطعت يمينه قبض عليها بشماله ، فقبّلها ووضعها فى حجره ، وجعل يندبها بدمع له دارّ ويقول : واسمحتاه ! وارامِيتاهْ ! واكاتبتاهْ ! واضاربتاهْ ! والاعبتاهْ ! واكريمتاهْ !

فانصرف إلى كسرى الرجل الذى كان وجّهه عيناً عليه ، فأخبره بما رأى وسمع منه ، فرقّ له كسرى ؛ وندم على إتيانه فى أمره ما أتى ، فأرسل إليه مع رجل من العظماء يُعْلِمه ندامته على ما كان منه ؛ وأنه لن يسأله شيئًا يجد السبيل إلى بذله له إلاّ أجابه إليه ، وأسعفه به .

فأرسل إلى كسرى مع ذلك الرسول يدعو له ، ويقول : إنّى لم أزلْ أعرف تفضّلَك علىّ أيها الملك ، وأشكره لك ، وقد تيقّنت أن الذى أتيتَ إلىّ مع كراهتك إيّاه؛ إنّما كان سببه القضاء؛ ولكنّى سائلك أمراً فأعطنى من الأيْمان على إسعافك إيّاى به ما أطمئنّ إليه ، وليأتِنِى بيقينِ حَلِفك علَى ذلك رجل من النسّاك ، فأفرِشك إيّاه وأبثّه لك .

---

(١) ح ، ل : « تأتيه » .

(٢) ل : « بحضره » .

فانصرف رسول كسرى إلى كسرى بهذه الرسالة ، فسارع إلى ما سأله مردانشاه ، وحلف بالأيْمان المغلّظة ليجيبنّه إلى ما هو سائله ؛ ما لم تكن مسألته أمراً يُوهِن ملكه . وأرسل إليه بهذه الرسالة مع رئيس المزمْزمين ؛ فأرسل إليه مردانشاه يسأله أن يأمر بضرب عنقه ليمتحيَ بذلك العار الذى لزمه ، فأمر كسرى فضربت عنقه كراهة منه للحنْث ، زعم . ١٠٦٠/١

وإنّ كسرى سأل مِهْر هرمز بن مردانشاه ، حين دخل عليه عن اسمه ، وعن اسم أبيه ومرتبته . فأخبره أنه مِهْر هرمز بن مردانشاه ، فاذوسبان نيمروذ ، فقال كسرى : أنتَ ابن رجل شريف كثير الغَناء ؛ قد كافأناه على طاعته إيّانا ، ونصيحته لنا ، وغَنائه عنّا بغير ما كان يستحقّه ، فشأنك وما أمرت به . فضرب مهرهرمز على حَبْل عاتقه بطبرزين كان بيده ضربات فلم يُحِكْ فيه ، ففُتِّش كسرى فوجد قد شدّ فى عضده خَرَزة لا يُحيكُ السيف فى كلّ من تعلّقها . فنزعت من عَضُده ، ثم ضربه بعد ذلك مهرهرمز ضربة فهلك منها . وبلغ شيرويه فخرّق جيبه وبكى منتحبًا ، وأمر بحمل جثّته إلى الناووس فحمِلت ، وشيّعها العظماء وأفنَاء الناس .

وأمر فقتل قاتل كسرى ، وكان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة ؛ وكان قتله ماه آذر روزماه . وقتل شيرويه سبعة عشر أخاً له ذوى أدب وشجاعة ومروءة ، بمشورة وزيره فيروز ، وتحريض ابن ليزدين ـ والى عشور الآفاق كان لكسرى ، يقال له شمطا ـ إياه على قتلهم ، فابتلِيَ بالأسقام ولم يلتذّ بشىء من لذّات الدنيا ، وكان هلاكه بدَسْكَرة المَلِك ، وكان مشئومًا على آل ساسان ؛ فلما قتل إخوته جَزِع جزعًا شديداً . ويقال : إنه لما كان اليوم الثانى من اليوم الذى قتلهم فيه ، دخلت عليه بوران وآزرْميدختْ أختاه فأسمعتاه وأغلظتا له ، وقالتا : حَمَلَكَ الحرصُ على مُلْك لا يتمّ ، على قتل أبيك وجميع إخوتك ، وارتكبت المحارم ! فلما سمع ذلك منهما بكى بكاء شديداً ، ورمى بالتّاج عن رأسه ، ولم يزل أيامه كلّها مهموماً مُدْنفًا . ويقال : إنه أباد مَنْ قدر عليه من أهل بيته ؛ وإنّ الطاعون فشا فى أيامه حتى هلك الفرس إلاّ قليلا منهم . وكان ملكه ثمانية أشهر . ١٠٦١/١

* * *

[ذكر ملك أردشير بن شيرويه]

ثم ملك أردشير بن شيرويه بن أبَرْويز بن هرمز بن أنوشَرْوان، وكان طفلاً صغيراً – قيل: إنه كان ابن سبع سنين لأنه لم يكن فى أهل بيت المملكة محتنِكٌ – فملّكته عظماء فارس، وحضنه رجل يقال له مهآذرجُشنس؛ وكانت مرتبته رياسة أصحاب المائدة، فأحسن سياسة المُلْك، فبلغ من إحكامه ذلك ما لم يحسّ معه بحداثة سنّ أردشير. وكان شَهْربراز بثغر الروم فى جُنْد ضمّهم إليه كسرى، وسمّاهم السعداء، وكان كسرى وشيرويه لا يزالان يكتبان إليه فى الأمر يهمّهما، فيستشيرانه فيه؛ فلمّا لم يشاوره عظماء فارس فى تمليك أردشير، اتّخذ ذلك ذريعة إلى التعتّب والتبغّى عليهم، وبسط يده فى القتل، وجعله سبباً للطمع فى الملك، والاعتلاء عند ذلك من ضعة العبوديّة[1] إلى رفعة الملك، واحتقر أردشير لحداثة سنّه واستطال عليهم، وأجمع على دعاء الناس إلى التشاور فى الملك. ثم أقبل بجنده وقد عمَد مهآذر جشنس؛ فحصّن سور مدينة طيسبون وأبوابها، وحوّل أردشير، ومن بَقِى من نسل الملك ونسائهم، وما كان فى بيت مال أردشير من ماله وخزائنه وكُراعه إلى مدينة طَيسبون. وكان الذين أقبل فيهم من الجند شهر براز ستة آلاف رجل من جند فارس بثغر الروم، فأناخ إلى جانب مدينة طيسبون، وحاصر مَنْ فيها وقاتلهم عنها، ونصب المجانيق عليها فلم يصل إليها. فلما رأى عجزه عن افتتاحها أتاها من قِبَل المكيدة، فلم يزل يخدع رجلاً يقال له نيو خُسروا، وكان رئيس حرس أردشير ونامدار جُشْنَس بن آذرجشنس؛ أصبهبذ نيمروذ؛ حتى فتحا له باب المدينة فدخلها، فأخذ جماعة من الرؤساء فقتلهم، واستصفى أموالهم، وفضح نساءهم. وقتَل ناس بأمر شهر براز أردشير بن شيرويه؛ سنة اثنتين ماه بهمن، ليلة روزآبان فى إيوان خُسْرَوْشاه قباذ.

وكان ملكه سنة وستة أشهر.

* * *

(١) كذا فى ح، ل، وفى ط: «العبودة».

١٠٦٢/١

[ذكر مُلْك شهر براز]

ثم مَلَكَ شَهْرَبَراز ؛ وهو فَرّخان ماه إسفِنْدِيار ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، ودعا نفسه مَلِكًا. وإنّه حين جلس على سرير الملك ضرب عليه بطنه ، وبلَغ من شدّة ذلك عليه أنّه لم يقدر على إتيان الخلاء ، فدعا بطست فوضع أمام ذلك السرير فتبرّز فيه . وإنّ رجلا من أهل إصْطَخْر ، يقال له فسفرّوخ بن ما خُرشيذان وأخوين له ، امتعضوا من قتل شهربراز أردشير وغلَبته على الملك ، وأنِفوا من ذلك ، وتحالفوا وتعاقدوا على قتله ، وكانوا جميعًا فى حرَس الملوك ، وكان من السنّة إذا ركب الملك أن يقف له حرسه سِماطيْن ، عليهم الدروع والبيض والتِّرَسة والسيوف ، وبأيديهم الرماح ؛ فإذا حاذى بهم الملك وضع كلّ رجل منهم تُرْسه على قَرَبوس سرجه ، ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود . وإنّ شهربراز ركب بعد أن ملك بأيام فوقف فسفرُّوخ وأخواه ؛ قريبًا بعضهم من بعض ؛ فلما حاذى بهم شهر براز طعنه فسفرُّوخ ، ثمّ طعنه أخواه ، وكان ذلك إسفندارمَذْ ماه ، وروزدى بدين[1] ، فسقط عن دابته ميتًا ، فشدُّوا فى رجله حبلاً وجرّوه إقبالا وإدباراً ، وساعدهم على قتله رجل من العظماء يقال له زاذان فرّوخ بن شهر داران ، ورجل يقال له ماهياى ، كان مؤدّب الأساورة ، وكثير من العظماء وأهل البيوتات ، وعاونوهم على قتل رجال فتكُوا بأردشير بن شيرويه ، وقتلوا رجالاً من العظماء . وإنّهم ملّكوا بوران بنت كسرى .

وكان جميع ما ملكِ شهر براز أربعين يومًا .

١٠٦٣/١

* * *

[ذكر ملك بوران بنت كسرى أبرويز]

١٠٦٤/١

ثم ملكت بوران بنت كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان ، فذُكر أنها قالت يوم ملكت : البرّ أنوِى وبالعدل آمر ؛ وصيّرت مرتبة شهر براز لفسفرّوخ ، وقلّدته وزارتها ، وأحسنت السِّيرة فى رعيّتها ، وبسطت العدل فيهم ، وأمرت بضرب الورِق ورمّ القناطر والجسور ، ووضعت بقايا بقَيت من الخراج على الناس عنهم ، وكتبت إلى الناس عامّة كتبًا أعلمتهم ما هى عليه من الإحسان

(١) نص فارسى قديم ، ومعناه أن ذلك كان فى شهر إسفندارمذ ، وكان فى يوم شتاء .

إليهم ، وذكرت حَالَ مَنْ هلك من أهل بيت المملكة ؛ وأنها ترجو أن يريَهم الله من الرّفاهة والاستقامة بمكانها ما يعرفون به أنه ليس ببطش الرجال تُدَوّخ البلاد ، ولا ببأسِهم تستباح العساكر ، ولا بمكايدهم ينال الظفر وتطفأ النوائر ؛ ولكن كلّ ذلك يكون بالله عزّ وجلّ ، وأمرتهم بالطاعة وحضّتهم على المناصحة ، وكانت كتبها جمَّاعة لكلّ ما يحتاج إليه ؛ وإنها ردت خشبة الصليب على ملك الروم مع جاثليق يقال له إيشوعهَب .

وكان ملكها سنة وأربعة أشهر .

* * *

[ذكر ملك جشنسده]

ثم ملك بعدها رجل يقال له : جُشْنَسْدِه ، من بنى عمّ أبَرْويز الأبعدين .
وكان ملكه أقلّ من شهر .

* * *

[ذكر ملك آزرميدخت بنت كسرى أبرويز]

ثم ملكت آزَرْميدُخت بنت كسرى أبَرْويز بن هرمز بن كسرى أنوشِروان ؛ ويقال إنها كانت من أجْمَل نسائهم ؛ وإنها قالت حين ملَكت : منهاجُنَا منهاج أبينا كسرى المنصور ، فإن خالفَنا أحد هرَقنا دمه . ويقال : إنه كان عظيم فارس يومئذ فرُّخْهُرْمُز إصبهبذ خراسان ، فأرسل إليها يسألها أن تزوّجه نفسها ، فأرسلت إليه : إن التّزويج للملكة غير جائز ، وقد علمت أن دهرك فيما ذهبت إليه قضاء حاجتك وشهوتك منّى ، فصرْ إلىّ ليلة كذا وكذا . ففعل فرّخهرمز وركب إليها فى تلك الليلة ، وتقدمت آزرميدخت إلى صاحب حرَسها أن يترصّده فى الليلة التى تواعدا الالتقاء فيها حتى يقتله . فنفذ صاحبُ حرسها لأمرها ، وأمرت به فجرّ برجله ، وطُرِح فى رحبة دار المملكة ، فلما أصبحوا وجدوا فرّخهرمز قتيلاً ، فأمرت بجثّته فغيِّبت ، وعلِم أنه لم يقتَل إلا لعظيمة . وكان رستَم بن فرّخهرمز صاحب يَزْدَجِرْد الذى وجّه بعد لقتال العرب خليفة أبيه بخراسان ، فلما بلغه الخبر أقبل فى جند عظيم حتى نزل المدائن ، وسَمَل

١/١٠٦٥

عينىْ آزَرمِيدخت ، وقتلها . وقال بعضهم : بل سُمّت .
وكان ملكها ستة أشهر .

* * *

[كسرى بن مهراجشنس]

ثم أتى برجل من عقِب أردشير بن بابك كان ينزل الأهواز يقال له : كسرى بن مِهْرجُشْنَس ، فملّكه العظماء ، ولبس التاج ، وجلس على سرير الملك، وقتل بعد أن ملك بأيام .

* * *

[ذكر ملك خرّزا خسروا]

وقيل إن الذى ملك بعد آزَرْمِيدخت خُرّزاذ خُسْروا من ولد أبَرْويز .
وقيل : إنه وُجد بحصن يعرف بالحجارة بالقرب من نَصِيبين ، فلما صار إلى المدائن مكث أيامًا يسيرة ، ثم استعصوْا عليه وخالفوه . ١/١٠٦٦

* * *

[ذكر ملك فيروز بن مهراجشنس]

وقال الذين قالوا : ملك بعد آزرميدخت كسرى بن مهراجشنس : لمّا قُتِل كسرى بن مهرا جشنس ، طلب عظماء فارس من يملّكونه من أهل بيت المملكة ، فطلبوا من له عنصر من أهل ذلك البيت ولو من قبَل النساء ، فأتوا برجل كان يسكن مَيْسان ، يقال له فيروز بن مِهْرَانجُشْنس ، ويسمى أيضًا جُشْنَسْده قد ولدته صَهاربُخت بنت يزدانْدار بن كسرى أنوشروان ، فملّكوه كرهًا .
وكان رجلاً ضَخْم الرأس ، فلما توّج قال : ما أضيق هذا التاج ! فتطيّر العظماء من افتتاحه كلامه بالضّيق ؛ وقتلوه بعد أن ملك أيامًا .
ومن الناس من يقول : قتل ساعة تكلّم بما تكلّم به .

* * *

[ذكر ملك فرّخزاذ خسروا]

وقال قائل هذا القول: ثمّ شخص رجل من العظماء يقال له زاذى ولمرتبته رئيس الحَوَل إلى موضع فى ناحية المغرب قريب من نَصيبين، يقال له: حصن الحجارة، فأقبل بابن لكسرى كان نجا إلى ذلك القصر حين قتَل شيرويه بنى كسرى يقال له: فرّخزاذ خُسْروا إلى مدينة طيسبون، فانقاد له الناس زمنًا يسيراً، ثم استعصوْا عليه وخالفوه، فقال بعضهم: قتلوه.

وكان ملكه ستة أشهر.

* * *

[ذكر ملك يزدجرد بن شهريار]

١/١٠٦٧ وقال بعضهم كان أهل إصطخر ظفروا بيَزْدَجِرْد بن شهريار بن كسرى بإصطخر، قد هُرِب به إليها حيث قتل شيرويه إخوته، فلما بلغ عظماء أهل إصْطَخر أنّ مَنْ بالمدائن خالفوا فرّخزاذ خسروا، أتوا بيَزْدَجِرْد بيت نار يدعى بيت نار أردشير، فتوّجوه هنالك، وملّكوه — وكان حَدَثًا — ثم أقبلوا به إلى المدائن، وقتلوا فرّخزاذ خسروا بحيل احتالوها لقتله بعد أن ملك سنة.

وساغ المُلْك ليَزْدَجِرد؛ غير أنّ ملكه كان عند ملك آبائه كالخيال والحِلْم، وكانت العظماء والوزراء يدبّرون ملكه لحداثة سنّه، وكان أشدَّهم نباهةً فى وزرائه وأذكاهم رئيس الحَوَل. وضعف أمر مملكة فارس، واجترأ عليه أعداؤه من كلّ وجه، وتطرّفوا بلاده وأخربوا منها، وغزت العرب بلاده بعد أن مضت سنتان من ملكه. وقيل بعد أن مضى أربع سنين من ملكه.

وكان عمره كلّه إلى أن قتل ثمانيًا وعشرين سنة.

* * *

وقد بقى من أخبار يَزْدَجِرد هذا وولده أخبار سأذكرها إن شاء الله بعد فى مواضعها من فتوح المسلمين وما فتحوا من بلاد العجم، وما آل إليه أمره وأمر ولده.

فجميع ما مضى من السنين من لدن أهبط آدم إلى الأرض، إلى وقت هجرة النبى صلّى الله عليه وسلّم — على ما يقوله أهل الكتاب من اليهود، وتزعم ١/١٠٨٦ أنه فى التوراة الصورة[1] مثبت من أعمار الأنبياء والملوك — أربعة آلاف سنة وستمائة

(١) الصورة، بدل من التوراة؛ يريد النسخة المشهورة من التوراة.

سنة واثنتان وأربعون سنة وأشهر . وأما على ما تقوله النصارى ممّا تزعم أنه فى توراة اليونانية ؛ فإن ذلك خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنتان وتسعون سنة وأشهر . وأما جميع ذلك على قول المجوس من الفرس ؛ فإنه أربعة آلاف سنة ومائة سنة واثنتان وثمانون سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يومًا ؛ على أنه داخل فى ذلك مدّة ما بين وقت الهجرة ومقتل يَزْدَجِرد ، وذلك ثلاثون سنة وشهران وخمسة عشر يومًا ؛ وعلى أنّ حسابهم ذلك وابتداء تأريخهم من عهد جَيُومرت ، وجَيُومرت هو آدم أبو البشر؛ الذى إليه نسبة كلّ منتسب من الإنس، على ما قد بيّنت فى كتابى هذا .

* * *

وأمّا علماء الإسلام فقد ذكرت قبلُ ما قال فيه بعضهم ، وأذكر بعض مَنْ لم يمض ذكره منهم الآن ؛ فإنهم قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة ، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة ، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن بشّار ، قال : حدّثنا أبو داود ، قال : حدّثنا همّام ، عن قتادة ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلّهم على شريعة من الحق . ١٠٦٩/١

حدّثنى الحارث بن محمّد ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمىّ ، عن غير واحد من أهل العلم ، قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين نوح وإبراهم عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون، والقرن مائة سنة .

وروى عن عبد الرحمن بن مهدىّ ، عن أبى عَوانة ، عن عاصم الأحول، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، قال : الفترة بين محمّد وعيسى عليهما السلام ستّمائة سنة .

وروى عن فُضَيل بن عبد الوهاب ، عن جعفر بن سليمان، عن عوف ،

قال : كان بين عيسى وموسى ستمائة سنة .

حدّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن سعيد بن أبي صدقة ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبِّئت أن كعبًا قال : إن قوله : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾[1] ليس بهارون أخي موسى ، قال : فقالت له عائشة : كذبت ، قال : يا أمّ المؤمنين ؛ إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قال فهو أعلم وأخبر[2] ؛ وإلاّ فإني أجد بينهما ستمائة سنة . قال : فسكتَتْ[3] .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان بين موسى بن عمران وعيسى[4] بن مريم ألف سنة وتسعمائة سنة ، ولم يكن بينهما فتْرة ، وإنه أرسِل بينهما ألف نبيّ من بني إسرائيل ، سوى مَنْ أرسل من غيرهم ، وكان بين ميلاد عيسى والنبيّ خمسمائة وتسع وستون سنة ، بعث في أولها ثلاثة أنبياء ، وهو قوله : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾[5] ، والذي عُزِّز به شمعون ، وكان من الحواريّين ، وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولاً أربعمائة وأربعًا وثلاثين سنة ، وإن عيسى حين[6] رفع كان ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر ، وكانت نبوّته ثلاثين شهراً ، وإن الله رفعه بجسده ، وإنه حيٌّ الآن .

١/١٠٧٠

حدّثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدّثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدّثني عبد الصمد بن معقل ، أنّه سمع وهبًا يقول : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة .

حدّثني إبراهيم بن سعيد الجوهريّ ، قال : حدّثنا يحيى بن صالح ، عن الحسن بن أيوب الحضرميّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن بُسْر ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « لتدركنّ قرنًا » ، فعاش مائة سنة .

* * *

(١) سورة مريم ٢٨ .
(٢) ط : « خير » ، وما أثبته من التفسير .
(٣) الخبر في التفسير ١٦ : ٥٨ ، ٥٩ (بولاق) .
(٤) ح : « وبين عيسى » .
(٥) سورة يس ١٤ .
(٦) ح : « حيث » .

فهذا ما روى عن علماء الإسلام فى ذلك، وفى ذلك من قولهم تفاوت شديد ، وذلك أن الواقدىّ ، حكَى عن جماعة من أهل العلم أنهم قالوا ما ذكرت عنه أنه رواه عنهم . وعلى ذلك من قوله، ينبغى أن يكون جميع سنِى الدنيا إلى مولد نبينا صلّى الله عليه وسلّم أربعة آلاف سنة وستمائة سنة ، وعلى قول ابن عبّاس الذى رواه هشام بن محمد، عن أبيه، عن أبى صالح، عنه؛ ينبغى أن يكون إلى مولد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة . ١/١٠٧١

وأمّا وهب بن منبّه فقد ذكر جملة من قوله من غير تفصيل ، وأنّ ذلك إلى زمنه خمسة آلاف سنة وستمائة سنة ، وجميع مدّة الدنيا عند وهب ستة آلاف سنة ، وقد كان مضى عنده من ذلك إلى زمانه خمسة آلاف سنة وستمائة سنة . وكانت وفاة وهب بن منبّه سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة ، فكأنّ الباقىَ من الدنيا على قول وهب من وقتنا الذى نحن فيه، مائتا سنة وخمس عشرة سنة .

وهذا القول الذى قاله وهب بن منبّه موافق لما رواه أبو صالح، عن ابن عباس .

وقال بعضهم : من وقت هبوط آدم عليه السلام إلى أن بعث نبينا صلّى الله عليه وسلّم ستة آلاف سنة ومائة وثلاث عشرة سنة ؛ وذلك أنّ عنده من مَهْبِط آدم إلى الأرض إلى الطوفان ، ألفى سنة ومائتى سنة وستًّا وخمسين سنة ، ومن الطّوفان إلى مولد إبراهيم خليل الرحمن ألف سنة وتسعاً وسبعين سنة ، ومن مولد إبراهيم إلى خروج موسى ببنى إسرائيل من مصر خمسمائة سنة وخمسًا وستّين سنة ، ومن خروج موسى ببنى إسرائيل من مصر إلى بناء بيت المقدس — وذلك لأربع سنين من مُلْك سليمان بن داود — ستّمائة سنة وستًّا وثلاثين سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى مُلْك الإسكندر سبعمائة سنة وسبع عشرة سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى مولد عيسى بن مريم عليه السلام ثلثمائة سنة وتسعاً وستين سنة ، ومن مولد عيسى إلى مبعث محمّد صلّى الله عليه وسلّم خمسمائة سنة وإحدى وخمسين سنة ، ومن مبعثه إلى هجرته من مكة ١/١٠٧٢

إلى المدينة ثلاث عشرة سنة .

وقد حدّث بعضهم عن هشام بن محمد الكلبيّ، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، أنه قال : كان من آدم إلى نوح ألفا سنة ومائتا سنة ، ومن نوح إلى إبراهيم ألف سنة ومائة سنة وثلاث وأربعون سنة ، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة سنة وخمس وسبعون سنة ، ومن موسى إلى داود مائة سنة وتسع وسبعون سنة ، ومن داود إلى عيسى ألف سنة وثلاث وخمسون سنة ، ومن عيسى إلى محمد ستّمائة سنة .

وحدّث الهيثم بن عديّ عن بعض أهل الكتب أنه قال : من آدم إلى الطّوفان ألفا سنة ومائتا سنة وستّ وخمسون سنة ، ومن الطوفان إلى وفاة إبراهيم ألف سنة وعشرون سنة ، ومن وفاة إبراهيم إلى دخول بنى إسرائيل مصر خمس وسبعون سنة ، ومن دخول يعقوب مصر إلى خروج موسى منها أربعمائة سنة وثلاثون سنة ، ومن خروج موسى من مصر إلى بناء بيت المقدس خمسمائة سنة وخمسون سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك بختنصّر وخراب بيت المقدس أربعمائة سنة وست وأربعون سنة ، ومن ملك بختنصّر إلى ملك الإسكندر أربعمائة سنة وستّ وثلاثون سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى سنة ستٍّ ومائتين من الهجرة ألف سنة ومائتان وخمس وأربعون سنة .

١٠٧٣/١

ذكر نسب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده

اسم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم محمّد، وهو ابن عبد الله بن عبد المطّلب، وكان عبد الله أبو رسول الله أصغرَ ولد أبيه، وكان عبد الله والزبير وعبد مناف - وهو أبو طالب - بنو عبد المطّلب لأمّ واحدة، وأمّهم جميعًا فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم؛ حدّثنا بذلك ابن حميد، قال: حدّثنا سلَمة بن الفضل، عن ابن إسحاق.

وحدِّثت عن هشام بن محمّد، عن أبيه، أنه قال: عبد الله بن عبد المطّلب أبو رسول الله، وأبو طالب - واسمه عبد مناف - والزبير، وعبد الكعبة، وعاتكة، وبرّة، وأمَيمة، ولَدُ عبد المطلب إخوة؛ أمّ جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم بن يَقَظَة.

وكان عبد المطّلب - فيما حدّثني يونس بن عبد الأعلى - قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب، أنه أخبره أن امرأة نَذَرت أن تنحر ابنها عند الكعبة فى أمر إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فقدمت المدينة لتستفتيَ عن نَذْرها، فجاءت عبدَ الله بن عمر، فقال لها عبد الله بن عمر: لا أعلم الله أمَر فى النذر إلاّ الوفاء به، فقالت المرأة: أفأنحَرُ ابنى؟ قال ابن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسَكم؛ فلم يزدها عبد الله بن عمر على ذلك، فجاءت عبدَ الله بن عبّاس فاستفتته، فقال: أمر الله بوفاء النذر [والنذر ديْن][1]، ونهاكم أن تقتلوا أنفسكم - وقد كان عبد المطلب بن هاشم نَذرَ إن توافَى له عشرة رهط، أن ينحَر أحدهم، فلما توافَى له عشرة، أقْرع بينهم. أيُّهم ينحر؟ فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطّلب، وكان أحبَّ الناس إلى عبد المطلب، فقال عبد المطّلب: اللهمّ هو أو مائة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطارت

١٠٧٤/١

(١) تكلة من ح .

القُرعة على المائة من الإبل — فقال ابن عبّاس للمرأة: فأرى أن تنحرى مائة من الإبل مكان ابنك. فبلغ الحديث مرْوان، وهو أمير المدينة، فقال: ما أرى ابن عمر ولا ابن عباس أصابا الفُتْيا؛ إنه لا نذر فى معصية الله، استغفرى الله وتوبى إلى الله، وتصدّقى واعملى ما استطعت من الخير؛ فأمّا أن تنحرى ابنك فقد نهاك الله عن ذلك. فسُرّ الناس بذلك، وأعجبهم قولُ مرْوان، ورأوا أنه قد أصاب الفتيا، فلم[1] يزالوا يفتون بألاّ نَذْرَ فى معصية الله.

* * *

وأمّا ابن إسحاق، فإنه قصّ من أمر نذر عبد المطلب هذا قصّة؛ هى أشبع[2] مما فى هذا الخبر الذى ذكرناه عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب؛ وذلك ما حدّثنا به ابن حُمَيد، قال: حدّثنا سلمَة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، قال: كان عبدُ المطلب بن هاشمٍ — فيما يذكرون[3] والله أعلم — قد نَذَرَ حين لقِيَ من قريش فى حفر زمزم ما لَقِيَ: لئن وُلد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتّى يمنعوه؛ لينحرنّ أحدَهم لله عند الكعبة، فلما توافَى له[4] بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذْرِه الذى نذر، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه، وقالوا: كيف نصنع؟ قال: يأخذ كلّ رجل منكم قِدْحا، ثم ليكتب فيه اسمه، ثم ائتونى به. ففعلوا، ثم أتوْه، فدخل على هُبَل فى جوف الكعبة، وكانت هُبَل أعظمَ أصنام قريش بمكّة، وكانت على بئر فى جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هى التى يُجمع فيها ما يُهدى للكعبة، وكان عند هُبَل سبعةُ أقْدح[5]، كلّ قِدْح منها فيه كتاب: قِدْح فيه العقل[6]، إذا اختلفوا فى العقْل مَنْ يحمله منهم ضربوا بالقِداح السبعة، [فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله][7]، وقِدْح فيه: «نعَمْ» للأمر إذا أرادوه

١/١٠٧٥

---

(١) م: «فما زالوا».

(٢) كذا فى م، وفى ح: «أبلغ».

(٣) ابن هشام: «يزعمون».

(٤) ساقطة من ابن هشام.

(٥) ابن هشام: «قداح سبعة»، والقدح، بالكسر: السهم قبل أن يراش وينصل، وجمعه قداح وأقدح.

(٦) العقل هنا: الدية

(٧) تكملة من سيرة ابن هشام.

يضرب به ؛ فإن خرج قِدْح : «نعم» عملوا به ، وقدْح فيه «لا» ، فإذا أرادوا أمرا ضربوا به فى القداح ، فإذا خرج ذلك القِدْح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدْح فيه «منكم» ، وقِدْح فيه «مُلْصَق» ، وقِدْح فيه «من غيركم» ، وقِدْح فيه «المياه» إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقِداح ، وفيها ذلك القِدْح ، فحيثما خرج عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا ، أو يُنكِحوا مَنْكَحًا ، أو يدفنوا ميتًا ، أوْ شكّوا فى نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هُبَل وبمائة درهم وجَزور ، فأعطوْها صاحب القِداح الذى يضربها[١] ، ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا ، هذا ابن فلان ، قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرِج الحقّ فيه ؛ ثم يقولون لصاحب القِداح : اضرب ، فيضرب فإن خرج عليه «منكم» كان وسيطًا[٢] وإن خرج عليه «من غيركم» كان حليفًا ، وإن خرج عليه «ملصَق» كان على منزلته منهم ، لا نسب له ولا حِلْف ، وإن خرج فى شىء سوى هذا مما يعملون به «نعَمْ» عملوا به ، وإن خرج «لا» أخّروه عامَهم ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ، ينتهون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القِداح — فقال عبد المطلب لصاحب القِداح : اضرب على بَنِىّ هؤلاء بقِداحهم هذه ، وأخبره بنذره الذى نَذَر ، فأعطَى كلّ رجل منهم قِدْحه الذى فيه اسمه — وكان عبدُ الله بن عبد المطلب أصغرَ بنى أبيه ، وكان فيما يزعمون أحبّ ولد عبد المطّلب إليه ، وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوَى[٣] ، وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم — فلمّا أخذ صاحبُ القِداح القِداح ليضربَ بها ، قام عبد المطّلب عند هُبَل فى جوف الكعبة يدعو الله ، ثم ضرب صاحبُ القداح ، فخرج القِدْح على عبد الله ، فأخذ[٤] عبد المطلب بيده ، وأخذ الشَّفْرة ، ثم أقبل إلى إساف ونائلة — وهما وَثنا قريش اللذان تنحر عندهما ذبائحها — ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه

١٠٧٦/١

(١) سيرة ابن هشام : «يضرب بها» .
(٢) الوسيط : خالص النسب .
(٣) يقال : رمى فأشوى ، إذا رمى ولم يصب المقتل .
(٤) سيرة ابن هشام : «فأخذه» .

فقالت له قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعْذِر فيه ؛ لئن فعلتَ هذا ، لا يزال الرجل [١] يأتى بابنه حتى يذبحه، فما بقاءُ الناس على هذا ! فقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وكان عبد الله ابن أخت القوم — : والله لا تذبحه أبداً حتى تعذِر فيه ؛ فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. وقالت له قريش وبنوه : لا تفعل وانطلِقْ به إلى الحجاز ، فإنّ به عرّافة لها تابع ، فسلْها ، ثم أنت على رأس أمرك ؛ إن أمرَتْك أن تذبحه ذبحتَه ، وإن أمرتْك بأمر لك وله فيه فرج قبِلْتَه . ١/١٠٧٧

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها — فيما يزعمون — بخيبر ، فركبوا إليها حتى جاءوها ، فسألوها ، وقصّ عليها عبد المطّلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ، ونذرَه فيه . فقالت لهم : ارجعوا عنّى اليوم حتى يأتيَنى تابعى فأسأله . فرجعوا عنها ، فلمّا خرجوا من عندها ، قام عبد المطّلب يدعو الله . ثم غدوْا عليها ، فقالت : نعم ، قد جاءنى الخبر ، كم الدّيةُ فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل — وكانت كذلك — قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرّبوا صاحبكم ، وقربوا عَشْراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا فى الإبل [٢] حتى يرضى ربُّكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها ، فقد رضىَ ربُّكم ، ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قدموا مكّة ، فلما أجمعوا لذلك من الأمر قام عبد المطّلب يدعو الله ، ثم قرّبوا عبد الله وعشراً من الإبل — وعبد المطّلب فى جوف الكعبة عند هُبَل يدعو الله — فخرج القِدْح [٣] على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فكانت الإبل عشرين ، وقام عبد المطّلب فى مكانه ذلك يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج السّهم على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فكانت ثلاثين ، ثم لم يزالوا يضربون بالقِداح ويخرج القِدْح على عبد الله ، فكلّما خرج عليه زادوا من الإبل عشراً ، حتى ضربوا عشر مرات ، وبلغت الإبل مائة ، وعبد المطّلب

---

(١) ح : « لا يزال رجل منا » .

(٢) ر ، وسيرة ابن هشام : « من الإبل » .

(٣) ح ، ر ، م ، وابن الأثير « فخرجت القداح » .

قائم يدعو ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على الإبل ، فقالت قريش ومَنْ حضر : قد انتهى رضا ربّك يا عبد المطّلب . فزعموا أن عبد المطّلب قال : لا والله حتّى أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على الإبل وعلى عبد الله ، وقام عبدالمطلب يدعو فخرج القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثانية وعبد المطّلب قائم يدعو ، ثم عادوا الثالثة فضربوا[1] ، فخرج القِدْح على الإبل فنُحِرت ، ثم تُرِكتْ لا يُصدُّ عنها إنسان ولا سَبُع[2] .

١٠٧٨/١

ثم انصرف عبدُ المطّلب آخذاً بيد ابنه عبد الله ، فمرّ — فيما يزعمون — على امرأة من بنى أسد [بن عبد العزّى بن قصىّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فهر][3] ، يقال لها : أمّ قِتَال[4] بنت نوفل بن أسد بن عبد العزّى ، وهى أخت ورقة بن نوفل بن أسد ، وهى عند الكعبة ، فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبى ، قالت : لك عندى مثل الإبل التى نحِرَتْ عنك ، وقَعْ علىَّ الآن ، قال : إنّ معى أبى ولا أستطيع خلافه ولا فراقه . فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وَهْبَ بن عبد مناف بن زهرة — ووهب يومئذ سيّد بنى زُهرة سنًّا وشرفًا — فزوّجه آمنة بنت وهب ، وهى يومئذ أفضلُ امرأة فى قريش نسبًا وموضعًا ، وهى لبرّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصىّ ، وبرّة لأم حبيب بنت أسد ابن عبد العزّى بن قصىّ ، وأم حبيب بنت أسد لبرّة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدىّ بن كعب بن لؤىّ . فزعموا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه فوقَع عليها ، فحملت بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم . ثم خرج من عندها ، حتى أتى المرأة التى عرضت عليه ما عرَضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين علىّ اليومَ ما كنتِ عرضتِ علىّ بالأمس ؟ فقالت له : فارقك النور الذى كان معك بالأمس ، فليس لى بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة

١٠٧٩/١

---

(١) م ، وسيرة ابن هشام : « ثم ضربوا » .

(٢) سيرة ابن هشام : « لا يصد عنها إنسان ولا يمنع » .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) ح : « قتال » بتشديد التاء .

ابن نوفل ، وكان قد تنصّر واتّبع الكتب ، حتى أدرك ، فكان فيما طلب من ذلك أنه كائن لهذه الأمة نبيّ من بنى إسماعيل[١] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمَة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق بن يسار ؛ أنه حدّث أنّ عبد الله إنما دخلَ على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وقد عمل فى طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأتْ عليه لِمَا رأت به من آثار الطين ، فخرج من عندها[٢] ، فتوضأ وغسل عنه ما كان به من ذلك ، وعمَد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمّد صلى الله عليه وسلم ، ثمّ مرّ بامرأته تلك ، فقال : هل لك ؟ فقالت : لا ، مررتَ بى وبين عينيك غُرّة ، فدعوتَنى فأبيت ، ودخلتَ على آمنة فذهبت بها . فزعموا أنّ امرأته تلك كانت تحدّث أنّه مرّ بها وبين عينيه مثل غُرّة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن يكون بى ، فأبى علىّ ، ودخل على آمنة بنت وهب فأصابها ؛ فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] .

حدّثنى على بن حرب الموصلىّ ، قال : حدّثنا محمد بن عُمارة القرشىّ ، قال : حدّثنا الزنجىّ بن خالد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : لمّا خرج عبد المطلب بعبد الله ليزوّجه ، مرّ به على كاهنة من خَثْعم ، يقال لها فاطمة بنت مُرّ ، متهوّدة[٤] من أهل تَبالة ، قد قرأت الكتب ، فرأت فى وجهه نوراً ، فقالت له : يا فتى ، هل لك أن تقع علىّ الآن وأعطيك مائة من الإبل ؟ فقال :

١/١٠٨٠

أمّا الحرامُ فالممات دُونَهْ والحِلّ لا حِلّ فأستبينَهْ

* فكيف بالأمر الذى تبغينَهْ[٤] *

---

(١) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١٠٣ — ١٠٥ .

(٢) كذا فى ح وسيرة ابن هشام ، وفى ط : « عنها » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٠٥ .

(٤) م : « متهورة » . . .

(٤) الرجز فى السهيلى ١ : ١٠٤ ، وزاد فيه :

* يَحْمِى الكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهْ *

ثم قال : أنا مع أبي ولا أقدر أن أفارقه ، فمضى به ، فزوّجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فأقام عندها ثلاثًا ثم انصرف . فمرّ بالخثعميّة فدعته نفسه إلى ما دعته إليه ، فقال لها : هلْ لك فيما كنت أردتِ ؟ فقالت : يا فتى ، إني والله ما أنا بصاحبة ريبة ، ولكنّي رأيتُ في وجهك نوراً فأردتُ أن يكون فيّ ، وأبى الله إلاّ أن يجعله حيث أراد ، فما صنعتَ بعدى ؟ قال : زوّجني أبي آمنة بنت وهب ، فأقمت عندها ثلاثًا ؛ فأنشأت فاطمة بنت مُرّ تقول[1] :

إنّي رأيْتُ مخيلَةً لمعَتْ ... فتلألأتْ بحنَاتِم القَطْرِ[2]

فلمأْتُها نوراً يُضيء له ... ما حوْلَهُ كإضاءةِ البدْرِ[3]

فرَجوتُها فَخْراً أبوء به ... ما كلُّ قادحِ زَندِهِ يُورِي[4]

لِلهِ ما زُهْرِيَّةٌ سَلبَتْ ... ثوْبَيْكَ مَا اسْتَلبَتْ وما تَدْرِي![5]

وقالت أيضًا :

بَني هاشمٍ قد غادَرَتْ مِنْ أخيكمُ ... أمينةُ إذ لِلباهِ تَعترِكانِ ١/١٠٨١

كما غادَرَ المِصْباحُ عند خُموده[6] ... فَتائِلَ قد مِيثت له بِدِهانِ[7]

وما كلُّ مَا يَحْوِى الفَتَى مِن تِلادِهِ ... لِعزْمٍ ولا مَا فاتهُ لِتَوانِ

فأجمِلْ إذَا طَالَبْتَ أمْراً فإنه ... سَيَكفِيكَهُ جَدَّانِ يَعتَلِجان

---

(١) الروض الأنف : ١ : ١٠٥ .

(٢) الحناتم : جمع حنتم ؛ وهو السحاب .

(٣) لمأتها : أبصرتها ؛ والبيت في اللسان أيضاً ١ : ١٤٩ ، وفي السهيلي : « يضيء به » .

(٤) السهيلي :

* ورأيته شرفًا أبوء به *

(٥) رواية السهيلي :

لله ما زهريّة سَلبَتْ ... منك الذي استلبت وما تَدْرِي!

(٦) أنساب الأشراف : « بعد خبوه » .

(٧) كذا في أنساب الأشراف ، وفي ط : « ميهت » .

سَيَكفِيكَهُ إمَّا يدٌ مُقْفَعِلَّةٌ وإمَّا يدٌ مَبسُوطَةٌ ببنَانِ
ولَمَّا حَوَتْ منه أمينَةُ ما حَوَتْ حَوَتْ منْهُ فَخرًا ما لِذَلِكَ ثانِ[1]

حدّثني الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : حدّثنا محمّد بن عمر قال : حدّثنا معمر وغيره ، عن الزهريّ ، أن عبد الله بن عبدالمطلب كان أجملَ رجال قريش ، فذكر لآمنة بنت وهب جمالُه وهيئته ، وقيل لها : هل لك أنْ تزَوَّجيه! فتزوّجتْه آمنة بنت وهب ، فدخل بها ، وعلِقت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه أبوه إلى المدينة فى مِيرة يحمل لهم تمراً ، فمات بالمدينة ، فبعث عبد المطلب ابنَه الحارث فى طلبه حين أبطأ ، فوجده قد مات .

قال الواقديّ : هذا غلط ، والمجتمع عليه عندنا فى نكاح عبدالله بن عبدالمطلب ما حدّثنا به عبد الله بن جعفر الزهريّ ، عن أم بكر بنت المسوّر ، أنّ عبد المطّلب جاء بابنه عبد الله ، فخطب على نفسه وعلى ابنه ، فتزوّجا فى مجلس واحد ، فتزوّج عبد المطّلب هالةَ بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وتزوّج عبد الله ابن عبد المطلب آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة .

١٠٨٢/١ قال الحارث : قال ابن سعد : قال الواقديّ : والثَّبَت عندنا ، ليس بين أصحابنا فيه اختلاف ، أنّ عبد الله بن عبد المطّلب أقبل من الشأم فى عِير لقريش ، فنزل بالمدينة وهو مريض ، فأقام بها حتى تُوُفِّى ، ودفن فى دار النابغة — وقيل التابعة — فى الدّار الصغرى إذا دخلتَ الدار عن يسارك ، ليس بين أصحابنا فى هذا اختلاف .

ابن عبد المطّلب

وعبد المطّلب اسمه شيبة ، سُمّى بذلك ؛ لأنه فيما حدّثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه : كان فى رأسه شيبة .

وقيل له عبد المطّلب ؛ وذلك أن أباه هاشماً كان شَخَص فى تجارة له

(١) انظر أنساب الأشراف ١ : ٨٠ .

إلى الشأم ، فسلك طريقَ المدينة إليها ، فلما قدم المدينة نزل — فيما حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق . وفيما حدِّثت عن هشام ابن محمّد عن أبيه. وفيما حدثنى الحارث ، عن محمد بن سعد، عن محمد بن عمر ، ودخل حديث بعضهم فى بعض ، وبعضهم يزيد على بعض — على عمرو بن زيد بن لبيد الخزرجىّ، فرأى ابنته سلْمى بنت عمرو — وأمّا ابن حُميد فقال فى حديثه عن سلمة، عن ابن إسحاق: سلمى بنت زيد بن عمرو — ابن لبيد بن حرام بن خداش بن جندب بن عدىّ بن النجار فأعجبته ، فخطبها إلى أبيها عمرو ، فأنكحه إياها ، وشَرَط عليه ألاّ تلد ولداً إلاّ فى أهلها ، ثم مضى هاشم لوجهته قبْل أن يبنىَ بها ، ثم انصرف راجعًا من الشأم ، فبنى بها فى أهلها بيثرب ، فحملت منه . ثم ارتحل إلى مكّة وحملها معه ، فلما أثقلتْ ردّها إلى أهلها ، ومضى إلى الشأم فمات بها بغزّة ، فولدت له سلمى عبدَ المطلب ، فمكث بيثرب سبع سنين أو ثمانى سنين . ثم إن رجلاً من بنى الحارث بن عبد مناة مرّ بيثرب ، فإذا غلمان ينتضلون ، فجعل شيبة إذا خَسَق[1] قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء ، فقال له الحارثىّ : مَنْ أنت ؟ قال : أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف . فلما أتى الحارثىّ مكة، قال للمطّلب وهو جالس فى الحِجْر : يا أبا الحارث ، تعلّم أنّى وجدت غلمانًا ينتضلون بيثرب ، وفيهم غلام إذا خَسَق قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء . فقال المطّلب : والله لا أرجع إلى أهلى حتى آتىَ به ، فقال له الحارثىّ : هذه ناقتى بالفِناء فاركبها ، فجلس المطّلب عليها ، فورد يثرب عِشاء ، حتى أتى بنى عدىّ بن النجار ، فإذا غلمان يضربون كُرة بين ظهرىْ مجلس ، فعرف ابنَ أخيه فقال للقوم : أهذا ابن هاشم ؟ قالوا : نعم ، هذا ابن أخيك ، فإن كنتَ تريد أخذه فالساعة قبل أن تعلَم به أمّه ، فإنها إن علمت لم تدعْه ، وحلْنا بينك وبينه . فدعاه، فقال : يابن أخى ، أنا عمّك ، وقد أردتُ الذهاب بك إلى قومك — وأناخ

١/١٠٨٣

(١) خسق : أصاب ونفذ.

راحلته — فما كذّب أن جلس على عَجُز الناقة، فانطلق به ، ولم تعلمْ به أمّهُ حتى كان الليلُ، فقامت تدعو بحَربها على ابنها ، فأخبِرت أن عمّه ذهب به، ١/١٠٨٤ وقدِم به المطّلب ضحوة، والناس فى مجالسهم، فجعلوا يقولون: من هذا وراءك؟ فيقول : عبد لى ، حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قال : عبد لى ، ثم خرج المطّلب حتى أتى الحزْوَرة ، فاشترى حُلة فألبَسها شيبة ، ثم خرج به حين كان العَشىّ إلى مجلس بنى عبد مناف ، فجعل بعد ذلك يطوف فى سِكَك مكّة فى تلك الحُلّة ، فيقال : هذا عبد المطّلب ، لقوله : « هذا عبدى » حين سأله قومه ، فقال المطّلب :

عرَفْتُ شَيْبةَ والنَّجَّارُ قد جعلَتْ أبناؤُها حوْلَه بِالنَّبلِ تَنتَضِلُ

وقد حدّثنى هذا الحديث علىّ بن حرب الموصلىّ ، قال : حدّثنى أبو معن عيسى — من ولد كعب بن مالك — عن محمد بن أبى بكر الأنصارىّ ، عن مشايخ الأنصار ، قالوا : تزوّج هاشم بن عبد مناف امرأةً من بنى عدىّ بن النجّار ، ذات شرف ، تشرُط على من خطبها المقامَ بدار قومها، فتزوّجت بهاشم، فولدت له شيبة الحمد ، فرُبِّىَ فى أخواله مكرَّمًا ، فبينا هو يُناضل فتيان الأنصار إذ أصاب خَصْله[1] ، فقال : أنا ابن هاشم . وسمعه رجل مجتاز ، فلما قدم مكة ، قال لعمّه المطّلب بن عبد مناف : قد مررت بدار بنى قيْلة ، فرأيت فتىً من صفته ومن صفته . . . يناضل فتيانهم، فاعتزى إلى أخيك ، وما ينبغى تركُ مثله فى الغربة . فرحل المطّلب حتى ورد المدينة ، فأراده على الرِّحلة ، فقال: ذاك إلى الوالدة . فلم يزل بها حتى أذِنَتْ له ، وأقبل به قد أرْدفه ، فإذا لَقِيَه اللاقى وقال : مَنْ هذا يا مطّلِب؟ قال : عبد لى ، فسمىَ عبد المطلب . فلما قدم مكة وَقَفَه على ملك أبيه ، وسلّمه إليه ، فعرض ١/١٠٨٥ له نوفل بن عبد مناف فى رُكْح[2] له، فاغتصبه إياه ، فمشى عبدالمطّلب إلى رجالات قومه ، فسألهم النّصرة على عمّه ، فقالوا : لسنا بداخلين بينك وبين عمّك ، فلما رأى ذلك كتب إلى أخواله يصف لهم حال نوفل، وكتب فى كتابه :

أبلغْ بَنى النَّجّارِ إنْ جِئْتَهُمْ أنّىَ منهُمْ وأبنُهُمْ والْخَميسْ

---

(١) أصاب خصله ، أى غلب ، من قولهم : أحرز خصله وأصاب خصله ؛ إذا غلب .
(٢) الركح : ناحية البيت .

رَأَيْتُهمْ قَوْماً إذا جِئْتُهمْ هوُوا لقائى وأحبُّوا حَسِيسْ
فإنَّ عَمّى نَوْفلاً قد أبَى إلّا التى يُغْضِى عَلَيْهَا الخسِيسْ

قال : فخرج أبو أسعد بن عدس[1] النّجاريّ فى ثمانين راكباً ، حتى أتى الأبطح ، وبلغ عبد المطّلب ، فخرج يتلقّاه ، فقال : المنزل يا خال ! فقال : أما حتّى ألقى نوفلاً فلا . قال : تركته جالساً فى الحِجْر فى مشايخ قريش ، فأقبل حتى وقف على رأسه ، ثم استلّ سيفَه ، ثم قال : وربِّ هذه البنيّة ؛ لتردّن على ابن أختنا رُكْحه أو لأملأنّ منك السيف ، قال : فإنّى وربّ هذه البنيّة أردّ رُكحه . فأشهد عليه مَنْ حضر ، ثم قال : المنزل يابن أختى ، فأقام عنده ثلاثاً واعتمر ، وأنشأ عبد المطلب يقول :

تأبّى مَازِنٌ وبنو عَــدِيٍّ ودِينارُ بْنُ تَيمِ اللّاتِ ضَيْمِى
وسادَةُ مَالِك حتَّى تنَاهَى ونَكَّبَ بَعدُ نَوْفَلُ عن حَرِيمِى
بِهِمْ رَدَّ الإلهُ علَىَّ رُكْحِى وكَانوا فى التَّنَسُّبِ دونَ قَوْمِى[2]

وقال فى ذلك سَمُرة بن عُمير ، أبو عمرو الكنانيّ[3] :

لَعَمْرِى لأخْوَالُ لِشَيْبَةَ قَصْرةً مِنَ أعْمَامِهِ دِنْيا أبَرُّ وأوْصَلُ
أجَابُوا على بُعْدٍ دُعَاءَ ابْنِ أخْتِهِمْ ولَمْ يَثْنِهِمْ إذْ جَاوَزَ الْحَقَّ نَوْفَلُ
جَزَى اللهُ خَيْراً عُصبةً خَزْرَجِيَّةً تَواصَوْا على بِرٍّ، وذو البِرِّ أفْضَلُ

١/١٠٨٦

قال : فلمّا رأى ذلك نوفل ، حالَف بنى عبد شمس كلّها على بنى هاشم . قال محمّد بن أبى بكر : فحدّثت بهذا الحديث موسى بن عيسى ، فقال : يابن أبى بكر ، هذا شىء تَروِيه الأنصار تقرّباً إلينا ؛ إذ صيَّر الله الدولة فينا ! عبد المطلب كان أعزّ فى قومه من أن يحتاج إلى أن تركب بنو النّجار من

---

(١) م : «على» . (٢) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ : «كانوا فى التناصر» .
(٣) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ ، ونسبها إلى شمر بن نمر الرانى ، مع اختلاف فى الرواية .

المدينة إليه . قلت : أصلح الله الأمير ! قد احتاج إلى نصرهم مَنْ كان خيراً من عبد المطّلب . قال : وكان متكئًا فجلس مغضباً ، وقال : مَنْ خير من عبدالمطّلب ! قلت : محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : صدقت ، وعاد إلى مكانه ، وقال لبنيه : اكتبوا هذا الحديث من ابن أبى بكر .

وقد حُدّثت هذا الحديث فى أمرِ عبد المطلب وعمّه نوفل بن عبد مناف ، عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : حدّثنا زياد بن عِلاقة التغلبىّ — وكان قد أدرك الجاهليّة — قال : كان سبب بدء الحِلْف الذى كان بين بنى هاشم وخُزاعة الذى افتتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بسببه مكة ، وقال : لتنصبّ[1] هذه السحابة بنصر بنى كعب ؛ أنّ نوفل بن عبدمناف — وكان آخر من بقى من بنى عبد مناف — ظلم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف على أركاح له — وهى الساحات — وكانت أمّ عبدالمطلب سلمى بنت عمرو النجارية من الخزرج ، قال : فتنصّفَ عبد المطّلب عمّه ، فلم ينصِفْه ، فكتب إلى أخواله :

١٠٨٧/١

يا طُولَ لَيلِى لأحْزانِى وأشْغالِى ... هَلْ مِن رَسولٍ إلى النَّجّارِ أخْوالى !

يُنبى عَدِيًّا ودِينــارًا ومَازِنَها ... ومالِكًا عِصْمَةَ الجِيرانِ عن حالى

قد كُنْتُ فيكُمْ ولا أخْشَى ظُلامةَ ذِى ... ظُلْمٍ عزيزًا مَنيعاً ناعِمَ البَالِ

حتّى ارْتحلْتُ إلى قَوْمِى وَأزعجَنِى ... عن ذاكَ مُطَّلِبٌ عَمِّى بِترْحَالِ

وكُنْتُ مَا كَان حَيًّا نَاعِماً جَذِلاً ... أَمْشِى العِرَضْنَةَ سَحّاباً لأذْيالِى

فغــابَ مُطَّلِبٌ فى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... وقام نَوْفَلُ كَىْ يَعدُو على مَالِى

أأنْ رَأى رَجُلاً غَابَتْ عُمومَتُهُ ... وغَابَ أخْوَالُهُ عنـه بلا والِ

أنْحَى عليـه ولَمْ يَحفظْ له رَحِماً ... ما أمْنَعَ المَرْءَ بَيْنَ العَمِّ والخالِ[2] !

فاسْتنفرُوا وَامْنَعوا ضَيْمَ ابنِ أخْتِكُمُ ... لاَ تخذُلُوهُ وَمَا أنتُمْ بِخُذّالِ

ما مِثْلُكُمْ فى بَنى قَحْطانَ قاطِبةً ... حىٌّ لِجارٍ وَإنْعام وَإفْضَالِ

---

(١) ح : « لقد تنصلت » .

(٢) ح : « ما أنعم » .

أنتم لِيانٌ لِمَنْ لانَتْ عَريكتهُ ... سِلْمٌ لكم وسِمامُ الأَبْلَخِ الغالِي[1]

قال : فقدِم عليه منهم ثمانون راكبًا ، فأناخوا بفناء الكعبة ، فلما رآهم نوفل بن عبد مناف ، قال لهم : أنعموا صباحًا ! فقالوا له : لا نَعِم صباحُك أيها الرجل! أنصف ابنَ أختينا من ظُلامته. قال : أفعلُ بالحبّ لكم والكرامة؛ فردّ عليه الأركاح وأنصفه . ١٠٨٨/١

قال : فانصرفوا عنه إلى بلادهم . قال : فدعا ذلك عبد المطّلب إلى الحلْف ، فدعا عبد المطّلب بسر[2] بن عمرو وورقاء بن فلان ورجالاً من رجالات خُزاعة ، فدخلوا الكعبة وكتبوا كتابًا .

وكان إلى عبد المطّلب بعد مهلك عمّه المطّلب بن عبد مناف ما كان إلى مَنْ قبله من بنى عبدمناف من أمر السِّقاية والرِّفادة ، وشرُفَ فى قومه ، وعَظُم فيهم خطره ، فلم يكن يُعدَل به منهم أحد ، وهو الذى كشف عن زمزم ، بئر إسماعيل بن إبراهيم ، واستخرج ما كان فيها مدفونًا ؛ وذلك غزالان من ذهب ، كانت جرُهم دفنتهما ـ فيما ذكر ـ حين أخرجت من مكة ، وأسيافٌ قلْعية ، وأدراع ، فجعل الأسياف بابًا للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالين صفائح من ذهب ، فكان أول ذهب حُلّيتْه ـ فيما قيل ـ الكعبة . وكانت كُنْية عبد المطلب أبا الحارث ، كُنِّى بذلك لأنّ الأكبر من ولده الذكور كان اسمه الحارث ، وهو شيبة .

ابن هاشم

واسم هاشم عمرو ؛ وإنما قيل له هاشم ، لأنه أوّلُ مَنْ هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه ، وله يقول مطرود بن كعب الخزاعىّ ـ وقال ابن الكلبى : إنما قاله ابن الزِّبَعْرَى[3] :

---

(١) الأبلخ : المتكبر .

(٢) ح : « بشر » .

(٣) أمالى المرتضى ٢ : ٢٦٩ ، وذكر بعده :

وَهْوَ الَّذِى سَنَّ الرَّحِيلَ لِقَوْمِهِ ... رِحَلَ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةَ الأَصْيَافِ

١٠٨٩/١ عَمْرُو الذِى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ورِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ[١]

ذُكِر أنّ قومه من قريش، كانت أصابتهم لَزْبة وقَحْط ، فرحل إلى فلسطين ، فاشترى منها الدقيق ، فقدم به مكّة ، فأمر به فخبز له ونحر جَزُوراً، ثم اتّخذ لقومه مرقة ثريد بذلك الخبز.

وذُكِر أنّ هاشمًا هو أوّلُ مَنْ سنّ الرحلتين لقريش: رحلة الشتاء والصيف .

وحُدِّثت عن هشام بن محمد، عن أبيه ، قال : كان هاشم، وعبد شمس — وهو أكبر ولد عبد مناف ، والمطّلب — وكان أصغرهم — أمّهم عاتكة بنت مرّة السُّلَمِيّة ؛ ونوفل — وأمّه واقدة — بنى عبد مناف ، فسادوا بعد أبيهم جميعًا ، وكان يقال لهم المجبِّرون ، قال : ولهم يقال :

يأيُّها الرَّجُلُ المحوِّلُ رَحْلَهُ أَلَّا نزلْتَ بآلِ عَبْدِ مَنافِ ![٢]

فكانوا أوّل من أخذ لقريش العِصَم[٣]، فانتشروا من الحرم، أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشأم الروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشيّ الأكبر ، فاختلفوا بذلك السبب إلى أرض الحبشة ، وأخذ لهم نوفل حبلاً من الأكاسرة ، فاختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس ، وأخذ لهم المطّلب حبلا من ملوك حميَر ، فاختلفوا بذلك السبب إلى اليمن، فجبّر الله بهم قريشًا ، فسمُّوا المجبّرين .

وقيل : إنّ عبد شمس وهاشمًا توأمان ، وإنّ أحدهما ولد قبل صاحبه ، وإصبع له ملتصقة بجبهة صاحبه، فنحِّيت عنها فسال من ذلك دم ، فتُطيِّر من ذلك ، فقيل : تكون بينهما دماء . وولّى هاشم بعد أبيه عبد مناف السِّقاية والرّفادة .

١٠٩٠/١ حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد، قال : أخبرنا هشام ابن

---

(١) المسنتون : الذين أصابتهم السنة المجدبة الشديدة .

(٢) من أبيات فى أمالى المرتضى ٢ : ٢٦٨ .

(٣) العصم (بكسر ففتح) . الحبال ، ويراد بها العهود .

محمّد، قال : حدّثني معروف بن الخرّبوذ المكّي ، قال : حدّثني رجل من آل عديّ بن الخيار بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف عن أبيه ، قال : وقال وهب بن عبد قُصَيّ في ذلك — يعني في إطعام هاشم قومه الثّريد :

تحَمَّلَ هَاشِمٌ ما ضَاقَ عنهُ وأَعْيَا أنْ يقومَ بهِ ابْنُ بِيضِ
أَتَاهُمْ بالغَرائِرِ مُتْأَقاتٍ مِنِ اُرْضِ الشَّأْمِ بِالبُرِّ النَّفِيضِ
فأَوْسَعَ أَهْلَ مَكَّةَ من هَشِيمٍ وشابَ الْخُبْزَ بِاللَّحم الغَرِيضِ
فظَلَّ القَوْمُ بيْنَ مُكَلَّلاتٍ مِنَ الشِّيزَى وحَائِرُهَا يفِيضُ

قال : فحسده أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف — وكان ذا مال — فتكلّف أن يصنع صنيعَ هاشم ، فعجز عنه ، فشمِت به ناس من قريش فغضِب ، ونال من هاشم، ودعاه إلى المنافرة ، فكرِه هاشم ذلك لِسنّه وقَدره ، ولم تدَعْه قريش وأحفظوه ، قال : فإني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدَق ، تنحرها ببطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين . فرضي بذلك أميّة ، وجعلا بينهما الكاهن الخُزاعيّ ، فنفّرَ هاشماً عليه ، فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها مَنْ حضره ، وخرج أميّة إلى الشام ، فأقام بها عشر سنين ، فكانت هذه أوّل عداوة وقعت بين هاشم وأميّة .

١٠٩١/١ حدّثني الحارث قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام ابن محمّد ، قال : أخبرني رجل من بني كنانة ، يقال له ابن أبي صالح ، ورجل من أهل الرّقة مولى لبني أسد ، وكان عالماً ، قالا : تنافر عبد المطلب ابن هاشم وحرب بن أميّة إلى النجاشيّ الحبشيّ ، فأبى أن ينفّر[1] بينهما ، فجعل بينهما نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رزاح بن عديّ ابن كعب ، فقال لحرب : يا أبا عمرو ، أتنافر رجلاً هو أطولُ منك قامة ، وأعظم منك هامة ، وأوسم منك وسامة ، وأقلّ منك لامة ، وأكثر منك ولداً ، وأجزل منك صفَداً، وأطول منك مذوداً![2] . فنفّره عليه . فقال حرب : إنّ

(١) ينفر بينهما ؛ أي أبي أن يفضل أحدهما على الآخر .
(٢) ر : « مدداً » .

من انتكاث الزمان أن جعلناك حكَـمًا ! فكان أوّل من مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم ، مات بغزّة من أرض الشأم ، ثم مات عبد شمس بمكة فقُبِر بأجياد ، ثم مات نوفل بسَلْمان من طريق العراق ، ثم مات المطّلب بردْمان من أرض اليمن ، وكانت الرِّفادة والسِّقاية بعد هاشم إلى أخيه المطّلب .

ابن عبد مناف

واسمه المغيرة ، وكان يقال له القمر من جماله وحسنه ، وكان قصىّ يقول –فيما زعموا– : ولد لى أربعة ، فسمّيت اثنين بصنمىّ ، وواحداً بدارى ، وواحداً بنفسى ؛ وهم عبد مناف وعبد العُزّى ابنا قصىّ – وعبد العزّى والد أسد – وعبد الدار بن قصىّ ، وعبد قصىّ بن قصىّ – دَرَج ولده – وبرّة بنت قصىّ ؛ أمهم جميعًا حُبّى بنت حُلَيل بن حُبْشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خُزاعة .

١٠٩٢/١ وحُدّثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : وكان يقال لعبد مناف القمر ، واسمه المغيرة ، وكانت أمّه حُبّى دفعته إلى مناف – وكان أعظم أصنام مكة – تدينًا بذلك ، فغلب عليه عبد مناف ، وهو كما قيل له :

كانَتْ قُرَيشٌ بيْضَةً فتفلَّقَتْ فالمُحُّ خالِصَةٌ لِعَبْدِ مَنافِ[1]

ابن قصىّ

وقصىّ اسمه زيد ؛ وإنما قيل له قصىّ ، لأن أباه كلاب بن مرة كان تزوج أمّ قصىّ فاطمة بنت سعد بن سيَل – واسم سيَل خيْر – بن حمالة بن عوف بن غَنْم بن عامر الجادر ، بن عمرو بن جُعْثمة بن يشكر ، من أزدشنوءة حلفاء فى بنى الدّيل ؛ فولدت لكلاب زُهرة وزيداً ، فهلك كلاب وزيد صغير ، وقد شبّ زهرة وكبر ، فقدم ربيعة بن حرام بن ضِنّة بن عبد بن كبير ابن عُذْرة بن سعد بن زيد ، أحد قُضاعة ، فتزوّج – فيما حدّثنا ابن حميد ،

---

(١) من أبيات مطرود بن كعب الخزاعى ، أمالى المرتضى ٢ : ٢٦٨ ؛ وهو فى اللسان (مح) والسهيلى ١ : ٩٤ ، وابن أبى الحديد ٣ : ٤٥٣ ، والعينى ٤ : ١٤٠ ، منسوب إلى ابن الزبعرى . والمحّ : صفرة البيض .

قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق . وحدثت عن هشام بن محمد عن أبيه — فاطمةَ أمّ زهرة وقصيّ — وزهرة رجل قد بلغ ، وقصيّ فطيم أو قريب من ذلك — فاحتملها إلى بلاده من أرض بنى عُذْرة ، من أشراف الشأم ، فاحتملتْ معها قُصَيًّا لصغره، وتخلّف زُهرة فى قومه ، فولدت فاطمة بنت سعد بن سيَل لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة، فكان أخاه لأمّه، وكان لربيعة بن حرام ثلاثة نفر من امرأة أخرى؛ وهم حُنّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، وجُلْهمة بن ربيعة . وشبّ زيد فى حِجْر ربيعة، فسمّى زيد قُصيًّا لبعد داره عن دار قومه، ولم يبرح زهرة مكّة ، فبينا قصيّ بن كلاب بأرض قضاعة لا ينتمى — فيما يزعمون — إلاّ إلى ربيعة بن حرام ، إذْ كان بينه وبين رجل من قُضاعة شيء — وقد بلغ قصيّ، وكان رجلاً شابًّا— فأنّبه القضاعيّ بالغربة وقال له : ألاَ تلحق بقومك ونسبك فإنك لست منّا ! فرجع قصيّ إلى أمّه ، وقد وجَد فى نفسه مما قال له القضاعيّ، فسألها عمّا قال له ذلك الرجل، فقالت له : أنت والله يا بنيّ أكرم منه نفسًا ووالداً ، أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشيّ ، وقومُك بمكّة عند البيت الحرام ، وفيما حوله . فأجمع قصيٌّ الخروج إلى قومه واللحوق بهم ، وكره الغربة بأرض قُضاعة، فقالت له أمّه : يا بنيّ لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام ، فتخرج فى حاجّ العرب ، فإنى أخشى عليك أن يُصيبك بعضُ البأس ، فأقام قصيّ حتى إذا دخل الشهر الحرام ، خرج حاجّ قضاعة ، فخرج فيهم حتى قدِم مكّة ، فلما فرغ من الحجّ أقام بها، وكان رجلاً جليدًا نسيبًا، فخطب إلى حُلَيْل بن حُبْشِيّة الخزاعيّ ابنته حُبَّى بنت حُلَيْل ، فعرف حُلَيل النسب ورغب فيه ، فزوّجه — وحُلَيل يومئذ فيما يزعمون — يلِى الكعبة وأمر مكّة . ١٠٩٣/١

فأما ابن إسحاق ، فإنه قال فى خبره : فأقام قصيّ معه — يعنى مع حُلَيْل — وولدت له ولده عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبدا بنى قصي . فلما انتشر ولدُه، وكثر مالُه، وعظم شرفُه هلك حُلَيْل بن حُبْشِيّة ، ١٠٩٤/١ فرأى قُصَيّ أنه أوْلَى بالكعبة وأمر مكة من خُزاعة وبنى بكر ، وأنّ قريشًا

قَرْعة[1] إسماعيل بن إبراهيم، وصريح ولده، فكلّم رجالا من قريش وبنى كنانة، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبنى بكر من مكة، فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبايعوه عليه، كتب إلى أخيه من أمّه رزاح بن ربيعة بن حرام — وهو ببلاد قومه — يدعوه إلى نُصرته، والقيام معه، فقام رِزاح بن ربيعة فى قُضاعة، فدعاهم إلى نصر أخيه والخروج معه إليه، فأجابوه إلى ما دعاهم من ذلك[2].

وقال هشام فى خبره: قَدِم قصىّ علىْ أخيه زُهرة وقومه، فلم يلبث أن ساد، وكانت خُزاعة بمكّة أكثر من بنى النضر، فاستنجد قصىّ أخاه رِزاحًا، وله ثلاثة إخوة من أبيه، من امرأة أخرى، فأقبل بهم وبمن أجابه من أحياء قُضاعة، ومع قصىّ قومه بنو النَّضر، فنفوْا خزاعة، فتزوّج قصىّ حُبّىَ بنت حُلَيل بن حبشيّة من خُزاعة، فولدت له أولاده الأربعة، وكان حُليل آخرَ مَنْ وَلِىَ البيت، فلما ثَقُل جعل ولايةَ البيت إلى ابنته حُبَّى، فقالت: قد علمت أنّى لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه، قال: فإنّى أجعل الفتح والإغلاق إلى رجل يقوم لك به، فجعله إلى أبى غُبْشان — وهو سليم بن عمرو بن بوىّ بن مِلْكان بن أفصى — فاشترى قصىّ ولاية البيت منه بزِقّ خمر وبعوْد[3]. فلمّا رأت ذلك خُزاعة كثُروا على قصىّ، فاستنصر أخاه، فقاتل خُزاعة، فبلغنا — والله أعلم — أن خزاعة أخذتها العدَسَة، حتى كادت تُفْنيهم، فلمّا رأت ذلك جلَتْ عن مكّة، فمنهم من وهب مسكنه، ومنهم من باع، ومنهم من أسكن، فولِىَ قصىّ البيت وأمر مكة والحكم بها، وجمع قبائل قريش، ١/١٠٩٥ فأنزلهم أبطح مكة. وكان بعضهم فى الشّعاب ورءوس جبال مكة، فقسَّم منازلهم بينهم، فسمى مُجمِّعًا، وله يقول مطرود — وقيل: إنّ قائله حُذافة ابن غانم:

أَبوكُمْ قُصَىٌّ كَانَ يُدْعَى مُجَمِّعًا ... بِهِ جَمَّعَ اللهُ القَبَائِلَ مِن فِهْرِ

---

(١) فرعة الجبل: أعلاه؛ يريد أن قريشاً فى الذروة من ولد إسماعيل، وفى ابن هشام: «قرعة»، والقرعة: نخبة الشىء وخياره. (٢) سيرة ابن هشام ١: ٨٤، مع اختلاف فى الرواية. (٣) العود: المسن من الإبل، وفى اليعقوبى: «وقعود».

وملّكه قومه عليهم .

وأمّا ابن إسحاق، فإنه ذكر أن رزاحًا أجاب قصيًّا إلى ما دعاه إليه من نُصرته، وخرج إلى مكّة مع إخوته الثلاثة، ومَنْ تبعه لذلك من قُضاعة فى حاجّ العرب ، وهم مجمعون لنصر قصىّ ، والقيام معه ، قال : وخزاعة تزعم أن حُلَيل بن حُبْشية أوصى بذلك قُصيًّا ، وأمره به حين انتشر له من ابنته من الأولاد ما انتشر ، وقال : أنتَ أوْلَى بالكعبة والقيام عليها، وبأمر مكة من خُزاعة ، فعند ذلك طلب قصىّ ما طلب[١].

فلمّا اجتمع الناس بمكّة وخرجوا إلى الموقف ، وفرغوا من الحج ونزلوا مِنًى ، وقصىّ مُجمِعٌ لما أجمع له ، ومن تبعه من قومه من قريش وبنى كنانة ومَنْ معه من قُضاعة ، ولم يبق إلاّ أن ينفروا للصدَر ، وكانت صوفة تدفع بالناس من عرَفة ، وتجيزُهم إذا نَفَروا من مِنًى ؛ إذا كان يوم النَّفْر أتَوْا لرمى الجمار — ورجل من صوفة يرمى للناس ؛ لا يرمون حتى يرمى — فكان ذوو الحاجات المُعَجِّلون يأتونه ، فيقولون له : قم فارم حتى نرمىَ معك ، فيقول : لا والله حتى تَميل الشمس ، فيظلّ ذوو الحاجات الذين يحبّون التعجيل ، يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ؛ ويقولون : ويلك قم فارم ! فيأبىَ عليهم، حتى إذا مالت الشمس قام فرمَى ورمَى الناسُ معه . ١/١٠٩٦

حدثنا ابن حُميد، قال : حدثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، هذا الحديث ، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بنِ الزبير ، عن أبيه عبّاد[٢] .

فإذا فرغوا من رَمْى الجمار ، وأرادوا النَّفْرَ من مِنًى ، أخذت صوفة بناحيتى العقبة، فحبسوا الناس، وقالوا : أجيزى صوفة، فلم يُجِزْ أحد من الناس حتى ينفذوا، فإذا نَفَرت صوفة ومضت خُلِّىَ سبيل الناس، فانطلقوا بعدهم ، فلمّا كان ذلك العام ، فعلت ذلك صوفة كما كانت تفعل ، قد عرفت ذلك لها العرب ، وهو دِيْن فى أنفسهم فى عهد جُرْهم وخزاعة وولايتهم ، أتاهم قصىّ بن

---

(١) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ١ : ٨٤ .

(٢) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ١ : ٨٥ مع اختلاف فى الرواية .

كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العَقَبة، فقالوا: نحن أوْلى بهذا منكم، فناكروه فناكرهم، فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديداً، ثم انهزمت صوفة، وغلَبهم قصيّ على ما كان بأيديهم من ذلك. وحال بينهم وبينه.

قال: وانحازت عند ذلك خُزاعة وبنو بكر عن قصيّ بن كلاب، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة، وأنه سيحُول بينهم وبين الكعبة وأمْر مكة، فلما انحازوا عنه باداهم[1] وأجمع لحربهم، وثبت معه أخوه رِزاح بن ربيعة بمَنْ معه من قومه من قُضاعة، وخرجت لهم خُزاعة وبنو بكر وتهيئوا لحربهم، والتقوْا فاقتتلوا قتالا شديداً؛ حتى كثُرت القتلى من الفريقين جميعاً، وفشت فيهم الجِراحة. ثم إنهم تداعوْا إلى الصلح، إلى أن يُحكّموا بينهم رجلا من العرب فيما اختلفوا فيه، ليقضيَ بينهم، فحكّموا يعمر بن عوف ابن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقضى بينَهم بأنّ قُصيًّا أوْلَى بالكعبة وأمر مكّة من خُزاعة، وأنّ كلّ دم أصابه قصيّ من خُزاعة وبنى بكر موضوع يشدَخه[2] تحت قدميه، وأنّ ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبنى كنانة وقضاعة ففيه الدّية مؤدّاة، وأن يُخَلّى بين قصيّ ابن كلاب وبين الكعبة ومكّة؛ فسمّي يعمر بن عوف يومئذ الشّدّاخ؛ لما شدَخ من الدماء ووضع منها. فولِي قصيّ البيت وأمرَ مكة وجَمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتملّك على قومه وأهل مكة فملّكوه، فكان قصيٌّ أول ولد كعب ابن لؤى أصاب ملكًا أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسِّقاية والرِّفادة والنّدْوة واللواء، فحاز شرف مكة كلّه، وقطع مكّة أرباعًا بين قومه، فأنزل كلّ قوم من قريش منازلهم من مكّة التى أصبحوا عليها[3].

١٠٩٧/١

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ويزعُم الناس أن قريشًا هابت قَطْع شجر الحرَم فى منازلهم، فقطعها قصيّ بيده، وأعانوه، فسمّته العرب مُجَمِّعًا لما جمّع من أمرها، وتيمّنت بأمره، فما تُنكح امرأة ولا رجل من قريش إلاّ فى دار قصيّ بن كلاب، وما يتشاورون

---

(١) ر: «ناداهم». (٢) يريد أنه أبطل تلك الدماء.
(٣) سيرة ابن هشام ١: ٨٧.

فى أمر ينزل بهم إلاّ فى داره، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلاّ فى داره، يعقدها لهم بعضُ ولده، وما تدّرع [1] جارية إذا بلغت أن تدّرع من قريش إلاّ فى داره؛ يشقّ عليها فيها درعها ثم تدّرعه، ثم يُنطلق بها إلى أهلها؛ فكان أمرُه فى قومه من قريش فى حياته وبعد موته كالدّين المتّبع، لا يعمل بغيره تيمُّنًا بأمره ومعرفةً بفضله وشرفه، واتخذ قصىّ لنفسه دار النَّدْوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضى أمورها [2].

١٠٩٨/١

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمَة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، عن عبد الملك بن راشد، عن أبيه، قال: سمعت السائب بن خبّاب صاحب المقصورة يحدّث أنه سمع رجلا يحدّث عمر بن الخطاب — وهو خليفة — حديثَ قُصىّ بن كِلاب هذا وما جمّع من أمر قومه، وإخراجه خُزاعة وبنى بكر من مكّة، وولايته البيت وأمر مكّة؛ فلم يردّد ذلك عليه ولم ينكره.

قال: فأقام قصىّ بمكة على شرفه ومنزلته فى قومه لا ينازَع فى شىء من أمر مكّة؛ إلا أنه قد أقرّ للعرب فى شأن حَجّهم ما كانوا عليه؛ وذلك لأنه كان يراه دَيْنًا فى نفسه، لا ينبغى له تغييرُه، وكانت صوفة على ما كانت عليه، حتى انقرضت صوفة، فصار ذلك من أمرهم إلى آل صفوان بن الحارث ابن شِجْنة وراثةً، وكانت عَدْوان على ما كانت عليه، وكانت النَّسأة من بنى مالك بن كنانة على ما كانوا عليه، ومرّة بن عوف على ما كانوا عليه، فلم يزالوا على ذلك حتى قام الإسلام، فهدَم الله به ذلك كلّه. وابتنى قصىّ داراً بمكة، وهى دار النّدوة، وفيها كانت قريش تقضى أمورَها، فلما كَبِر قصىّ ورَقّ [عظمه] [3]— وكان عبد الدار بِكْرَه هو، كان أكبر ولده، وكان — فيما يزعمون — ضعيفًا، وكان عبد مناف قد شرُف فى زمان أبيه، وذهب كلّ مذهب وعبد العزى بن قصى وعبد بن قصى، فقال قصىّ لعبد الدار فيما يزعمون: أما والله لألحقنّك بالقوم، وإن كانوا قد شرَفُوا عليك؛ لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها، ولا يعقد لقريش لواء لحربهم إلاّ أنت بيدك، ولا يشرب رجل بمكّة ماء إلاّ من سقايتك، ولا يأكل أحد من

١٠٩٩/١

(١) أدرعت الجارية: لبست الدرع، ودرع المرأة: قميصها.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ٨٧، ٨٨. (٣) من سيرة ابن هشام.

أهل الموسم طعاماً إلاّ من طعامك، ولا تقطع قريش أمورها إلاّ في دارك . فأعطاه داره، دار النّدوة التي لا تقضي قريش أمراً إلاّ فيها ، وأعطاه الحجابة واللواء والنَّدْوة والسقاية والرِّفادة — وكانت الرِّفادة خَرْجا تخرجه قريش في كلّ موسم من أموالها إلى قصيّ بن كلاب ، فيصنع به طعاماً للحاجّ يأكله مَنْ لم تكن لهُ سعة ولا زاد ممّن يحضر الموسم ؛ وذلك أن قصيّاً فرضه على قريش ، فقال لهم حين أمرَهم به: يا معشر قريش، إنكم جيرانُ الله وأهلُ بيته الحرام، وإن الحاجّ ضيف الله وزوّار بيته، وهم أحقّ الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم شراباً وطعاماً أيام هذا الحج، حتى يَصْدُروا عنكم . ففعلوا فكانوا يُخْرِجون لذلك كلّ عام من أموالهم فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاماً للناس أيام مِنًى ، فجرى ذلك من أمره على قومه في الجاهليّة، حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا ؛ فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كلّ عام بِمنًى حتى ينقضيَ الحجّ[1] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمَة ، قال : حدّثني من أمر قصيّ ابن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه ابنُ إسحاق بن يسار ، عن أبيه ، عن الحسن بن محمد بن عليّ بن أبي طالب ، قال : سمعته يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار ، يقال له نُبَيْه بن وهب بن عامر بن عِكرمة بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار . قال الحسن بن محمد : فجعل إليه قصيّ ما كان بيده من أمر قومه كلّه ، وكان قصيّ لا يخالَف ولا يُرَدّ عليه شيء صنَعه . ١/١١٠٠ ثم إن قصيّاً هلك ، فأقام أمره في قومه من بعده بنوه .

ابن كلاب

وأمّ كلاب — فيما ذُكِر — هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة. وله أخوان من أبيه من غير أمّه ، وهما تَيْم ويقَظَة ، أمّهما — فيما قال هشام بن الكلبي — أسماء بنت عديّ بن حارثة ابن عمرو بن عامر بن بارق .

وأما ابن إسحاق فإنه قال : أمّهما هند بنت حارثة البارقيّة. قال: ويقال: بل يقظة لهند بنت سرير ، أمّ كلاب .

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٨٩ .

ابن مُرَّة

وأم مرّة وَحْشيَّة بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وأخواه لأبيه وأمّه عدىّ وهُصَيْص . وقيل إنّ أمّ هؤلاء الثلاثة مخشيّة . وقيل: إن أمّ مرّة وهصيص مخشيّة بنت شيبان بن محارب بن فِهْر ، وأمّ عدىّ رَقاش بنت رُكْبَة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيْلان .

ابن كعب

وأم كعب ماويّة — فيما قال ابن إسحاق وابن الكلبىّ — وماويّة بنت كعب ابن القيْن بن جَسْر بن شَيْع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة ، وله أخوان من أبيه وأمّه : أحدهما يقال له عامر ، والآخر سامة ، وهم بنو ناجية ، ولهم من أبيهم أخ قد انتمى ولده إلى غَطَفان ولحقوا بهم ، كان يقال له: عوف ، أمّه الباردة بنت عوف بن غَنْم بن عبد الله بن غَطَفان . ١١٠١/١

ذُكر أن الباردة لما مات لُؤىّ بن غالب خرجت بابنها عوف إلى قومها ، فتزوّجها سعد بن ذُبْيان بن بَغيض ، فتبنّى عوفًا ، وفيه يقول — فيما ذكر — فزارةُ بن ذُبْيان :

عَرِّجْ عَلَيَّ ابْنَ لُؤَىٍّ جَمَلَكْ   يتركُكَ الْقَوْمُ وَلَا مَنْزِلَ لَكْ

ولكعب أخوان آخران أيضًا من أبيه من غير أمّه ، أحدهما خزيمة ، وهو عائذة قريش ، وعائذة أمّه ، وهى عائذة بنت الخِمْس بن قُحافة ؛ من خثعم ، والآخر سعد . ويقال لهم بُنانة ، وبنانة أمّهم ؛ فأهل البادية منهم اليوم — فيما ذكر — فى بنى أسعد[١] بن همّام ، فى بنى شيبان بن ثعلبة ؛ وأهل الحاضرة ينتمون إلى قريش .

---

(١) ر : «أسد» .

ابن لؤيّ

وأم لؤيّ - فيما قال هشام - عاتكة بنت يَخْلُد بن النضر بن كنانة، وهي أولى(١) العواتك اللائى ولدن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من قريش، وله أخوان من أبيه وأمّه، يقال لأحدهما: تيْم، وهو الذى كان يقال له تيْم الأدْرم - والدَّرَم نقصان فى الذّقن؛ قيل إنه كان ناقص اللّحى - وقيس، قيل: لم يبق من قيْس أخى لؤيّ أحد، وإنّ آخر مَنْ كان بقى منهم رجل هلك فى زمان خالد بن عبد الله القسريّ، فبقىَ ميراثه، لا يدرى مَنْ يستحقّه.

١١٠٢/١ وقد قيل: إن أمّ لؤيّ وإخوته سلْمَى بنت عمرو بن ربيعة، وهو لُحَيّ بن حارثة ابن عمرو مُزَيْقياء بن عامر ماء السماء، من خُزاعة.

ابن غالب

وأمّ غالب ليلَى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل بن مدركة. وإخوته من أبيه وأمّه: الحارث، ومُحارب، وأسد، وعوف، وجَوْن؛ وذئب؛ وكانت محارب والحارث من قريش الظواهر، فدخلت الحارث الأبطح.

ابن فهر

وفهر - فيما حُدّثت عن هشام بن محمد أنه قال: هو جمّاع قريش، قال: وأمّه جَندَلة بنت عامر بن الحارث بن مُضاض الجرهميّ.

وقال ابن إسحاق - فيما حدّثنا ابن حميد - قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق: أمّه جندلة بنت الحارث بن مُضاض بن عمرو الجرهميّ.

وكان أبو عُبيدة معمر بن المثنّى يقول - فيما ذكر عنه - أمّه سلمى بنت أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر.

وقيل: إنّ أمّه جميلة بنت عَدْوان من بارق، من الأزْد.

وكان فِهْر فى زمانه رئيسَ الناس بمكة - فيما حدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق - فى حربهم حسّان بن عبد كلال بن مثوب

---

(١) كذا فى م، وفى ط: «أول».

ذى حُرَث الحميرىّ . وكان حسّان — فيما قيل — أقبل من اليمن مع حِمْير وقبائل من اليمن عظيمة ، يريد أن ينقل أحجار الكعبة من مكّة إلى اليمن ، ليجعل حجّ الناس عنده ببلاده ، فأقبل حتّى نَزَل بنخلة ، فأغار على سَرْح النّاس ، ومنع الطريق ، وهاب أن يدخل مكّة ، فلما رأت ذلك قريش وقبائل كنانة وخزيمة وأسد وجُذام ومَنْ كان معهم من أفناء مُضَر ، خرجوا إليه ، ورئيس النّاس يومئذ فهر بن مالك ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزمت حمير ، وأسِر حسّان بن عبد كلال ملك حِمْيَر ، أسَره الحارث بن فِهْر ، وقُتِل فى المعركة — فيمن قتل من الناس — ابن ابنه قيس بن غالب بن فهر ، وكان حسّان عندهم بمكة أسيراً ثلاث سنين ، حتّى افتدَى منهم نفسه ، فخَرج به ، فمات بين مكّة واليمن . ١/١١٠٣

ابن مالك

وأمّه عِكْرِشَة بنت عَدْوان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيْلان ، فى قول هشام .

وأمّا ابن إسحاق فإنه قال : أمّه عاتكة بنت عَدْوان بن عمرو بن قيس ابن عيلان .

وقيل : إنّ عِكْرِشة لقبُ عاتكة بنت عَدْوان ، واسمها عاتكة .

وقيل إن أمّه هند بنت فَهْم بن عمرو بن قيس بن عَيْلان . وكان لمالك أخَوان ، يقال لأحدهما : يخلُد ، فدخلت يخلُد فى بنى عمرو بن الحارث ابن مالك بن كنانة ، فخرجوا من جماع قريش . والآخر منهما يقال له : الصّلت ، لم يبق من ذريّته أحد .

وقيل : سُمّيت قريش قريشاً بقريش بن بدر بن يخلُد بن الحارث بن يخلُد بن النّضر بن كنانة ؛ وبه سُمّيت قريش قريشاً ، لأن عِير بنى النّضر كانت إذا قدمت قالت العرب : قد جاءت عِير قريش ، قالوا : وكان قريش

هذا دليل بنى النّضر فى أسفارهم ، وصاحبَ ميرتهم ، وكان له ابن يسمّى بدراً، احتفر بدراً ، قالوا : فبه سمّيت البئر التى تدعى بدراً ، بدراً .

وقال ابن الكلبىّ : إنّما قريش جمّاع نسب ، ليس بأب ولا أمّ ولا حاضن ولا حاضنة .

١ / ١١٠٤ وقال آخرون : إنما سمّى بنو النّضر بن كنانة قريشًا ؛ لأن النّضر بن كنانة خرج يومًا على نادِى قومه ، فقال بعضهم لبعض : انظروا إلى النَّضْر ، كأنه جملٌ قَرِيش[1] .

وقيل : إنّما سمّيت قريش قريشًا بدابّة تكون فى البحر تأكل دوابّ البحر، تدعَى القِرْش ، فشُبّه بنو النّضر بن كنانة بها ؛ لأنها أعظم دوابّ البحر قوّة .

وقيل : إنّ النضر بن كنانة كان يقرّش عن حاجة الناس فيسدّها بماله ، والتَّقْريش — فيما زعموا — التفتيش . وكان بنوه يقرّشون أهلَ الموسم عن الحاجة فيسدُّونها بما يبلغهم — واستشهدوا لقولهم : إن التقريش هو التفتيش ، بقول الشاعر[2] :

أَيُّها النَّاطِقُ المُقَرِّشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو فَهَلْ لهنَّ انْتِهاءُ !

وقيل : إنّ النّضر بن كنانة كان اسمه قريشًا . وقيل : بل لم تزل بنو النّضر ابن كنانة يدعوْن بنى النَّضْر حتى جمّعهم قصىّ بن كلاب ، فقيل لهم : قريش ؛ من أجل أن التجمُّع هو التقرُّش ، فقالت العرب : تقرّش بنو النّضر ، أى قد تجمّعوا .

وقيل : إنما قيل قريش ، من أجل أنها تقرّشت عن الغارات .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن سعيد بن محمد ابن جُبَير بن مُطْعِم ؛ أنّ عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جُبَير : مَتَى

---

(١) الجمل القريش : الشديد .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، المعلقة ٢٦٤ — بشرح التبريزى ، وروايته :

* أَيُّهَا الشَّامِتُ المبلِّغ عنّا *

سمّيت قريش قريشاً ؟ قال : حين اجتمعت إلى الحرَم من تفرّقها ، فذلك التجمّع التقرّش . فقال عبد الملك : ما سمعت هذا ، ولكن سمعت أن قصيّاً كان يقال له القرشىّ ، ولم تسمّ قريش قبله .

١١٠٥/١ حدّثنى الحارث، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن عبد المجيد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : لما نزل قصىّ الحرم وغلَب عليه ، فعل أفعالاً جميلة(١) ، فقيل له : القرشىّ ، فهو أوّل مَنْ سُمّىَ به .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنى أبو بكر بن أبى سبْرة ، عن أبى بكر بن عبيد الله بن أبى جَهْم ، قال : النّضر بن كنانة كان يسمى القرشىّ .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : وقصىّ أحدث وقودَ النار بالمزدَلِفة ، حيث وقف بها حتّى يراها مَنْ دفع من عرفة ، فلم تزل تُوقَد تلك النار تلك الليلة فى الجاهليّة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : فأخبرنى كثير بن عبد الله المزنىّ ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كانت تلك النار تُوقد على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبى بكر وعمر وعثمان . قال : محمد بن عمر : وهى توقد إلى اليوم .

ابن النّضر

واسم النَّضْر قيس ، وأمّه بَرَّة بنت مُرّ بن أدّ بن طابخة . وإخوتهُ لأبيه وأمّه نُضَيْر ومالك ومِلْكان وعامر والحارث وعمرو وسعد وعوف وغَنْم ومَخرمَة وجَرْوَل وغزوان وحُدَال . وأخوهم من أبيهم عبد مناة ، وأمّه فُكَيْهة — وقيل ١١٠٦/١

(١) ح : « حميدة » .

فَكْهة — وهى الذَّفراء بنت هَنِيّ بن بَلِيّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . وأخو عبد مناة لأمّه علىّ بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدىّ بن عمرو بن مازن الغسانىّ ، وكان عبد مناة بن كنانة تزوّج هنداً بنت بكر بن وائل ، فولدت له ولده ، ثم خلف عليها أخوه لأمّه علىّ بن مسعود، فولدت له ، فحضن علىّ بنى أخيه، فنُسبوا إليه ، فقيل لبنى عبد مناة : بنو علىّ ، وإياهم عنَى الشاعر بقوله :

لله دَرُّ بنِي عَلِ ىٍّ أَيِّمٍ مِنْهم وناكِحْ

وكعب بن زهير بقوله :

صَدَمُوا عَلِيًّا يومَ بَدْرٍ صَدْمَةً   دانَتْ علىٌّ بعْدَها لِنِزَارِ (١)

ثم وثب مالك بن كنانة على علىّ بن مسعود، فقتله، فوداه أسد بن خزيمة.

ابن كنانة

وأمّ كنانة عَوانة بنت سعد بن قيس بن عَيْلان. وقد قيل: إن أمّه هند بنت عمرو بن قيس ، وإخوتُه من أبيه أسَد وأسدَة ، يقال إنه أبو جذام والهُون، وأمهم بَرّة بنت مرّ بن أدّ بن طابخة ، وهى أم النَّضْر بن كنانة؛ خلَف عليها بعد أبيه .

ابن خُزيمة

١١٠٧/١ وأمّه سلْمى بنت سليم بن الحافِ بن قضاعة ، وأخوه لأبيه وأمّه هُذيل، وأخوهما لأمِّهما تغلب بن حُلْوان بن عمران بن الحافِ بن قضاعة .

وقد قيل : إن أمّ خزيمة وهذيل سَلْمى بنت أسد بن ربيعة .

ابن مدركة

واسمه عمرو ، وأمه خِنْدِف ، وهى ليلى بنت حُلوان بن عمران بن الحافِ ابن قضاعة ، وأمُّها ضَرِيَّة بنت ربيعة بن نزار . قيل: بها سمّى حِمَى ضَرِيَّة ،

(١) ديوانه ٣٤ .

وإخوة مدركة لأبيه وأمّه عامر — وهو طابخة — وعمير — وهو قَمَعة — ويقال: إنه أبو خزاعة .

حدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق أنه قال: أمّ بنى إلياس خِنْدف ، وهى امرأة من أهل اليمن ، فغلَبت على نسب بنيها ، فقيل : بنو خِنْدف .

قال : وكان اسم مدركة عامراً ، واسم طابخة عمرًا . قال : وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يرْعيانها، فاقتنصا صيداً ، فقعدا عليه يطبخانه ، وعدتْ عادية على إبلهما ، فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل أو تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ الصّيد ، فلحق عامر الإبل ، فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما ، فحدّثاه بشأنهما ، قال لعامر : أنت مُدْرِكة ، وقال لعمرو : أنت طابخة .

وحدّثت عن هشام بن محمد ، قالوا : خرج إلياس فى نُجعة له[1] ، فنفرت إبله من أرنب ، فخرج إليها عمرو فأدركها ، فسمّى مدركة ، وأخذها عامر فطبخها فسمّى طابخة، وانقمع عُمَير فى الخِباء فلم يخرج فسمى قمَعة، وخرجت أمّهم تمشى فقال لها : إلياس أين تخنْدِفين ؟ فسميت خِندف — والخَنْدفة ضرب من المشى — قال : وقال قُصَىّ بن كلاب :

* أمَّهَتِى خِندِف و إلياس أبى *

قال : وقال إلياس لعمرو ابنه : ١١٠٨/١

* إنكَ قد أدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَا *

ولعامر :

* وأنتَ قد أنْضَجْتَ ما طَبَخْتَا *

ولعمَير :

* وأنتَ قد أسأتَ وانْقمعْتَا *

---

(١) ه : « لهم » .

ابن إلياس

وأمّه الرّباب بنت حَيْدَة بن معدّ، وأخوه لأبيه وأمّه النّاس[1]، وهو عَيْلان، وسمى عَيْلان - فيما ذكر - لأنه كان يعاتب على جوده، فيقال له: لتغلبنّ عليك العَيْلة يا عيلان، فلزمه هذا الاسم.

وقيل: بل سمّيَ عَيْلان بفرس كانت له تدعى عَيْلان.

وقيل: سمّيَ بذلك؛ لأنه ولد فى جبل يسمى عَيْلان.

وقيل: سمّيَ بذلك لأنه حضنه عبدٌ لمضر يدعى عَيْلان.

ابن مضر

وأمّه سَودة بنت عكّ، وأخوه لأبيه وأمّه إياد، ولهما أخوان من أبيهما من غير أمّهما، وهما ربيعة وأنْمار؛ أمّهما جدالة بنت وعْلان بن جوْشم ابن جُلْهُمة بن عمرو، من جُرْهم.

وذكر بعضهم أن نزار بن مَعَدّ لما حضرتْه الوفاة أوصى بنيه، وقسّم ماله بينهم، فقال: يابنيّ، هذه القبّة - وهى قبّة من أدَم حمراء - وما أشبهها من مالى لمضر، فسمّيَ مضر الحمراء. وهذا الخِباء الأسود وما أشبهه من مالى لِربيعة، فخلّف خيلادُهْما، فسمّيَ الفُرُس. وهذه الخادم وما أشبهها من مالى لإياد - وكانت شمطاء - فأخذ البُلْق والنَّقَد من غنمه. وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه[2]، فأخذ أنمار ما أصابه. فإن أشكل عليكم فى ذلك شيء واختلفتم فى القِسْمة فعليكم بالأفْعَى الجُرْهميّ. فاختلفوا فى القِسمة، فتوجّهوا إلى الأفْعى، فبينما هم يسيرون فى مسيرهم إذ رأى مُضَر كلأً قد رُعِيَ، فقال: إنّ البعير الذى رَعى هذا الكلأ لأعور، وقال ربيعة: هو أزور، قال إياد: هو أبتر، وقال أنمار: هو شَرُود؛ فلم يسيروا إلاّ قليلاً حتى لقيَهم رجل تُوضِع به راحلته، فسألهم عن البعير، فقال مُضَر: هو أعور؟ قال: نعم، قال ربيعة: هو أزور؟ قال: نعم، قال إياد: هو أبتر؟ قال: نعم، قال أنمار: هو شَرود؟ قال: نعم، قال: هذه صفة بَعيرى،

1/1109

(1) الأصول: «الياس». (2) ح: «عليه».

دلُّونى عليه ، فحلفوا له : ما رأوْه ، .فلزمهم وقال : كيف أصدّقكم وأنتم تصِفون بعيرى بصفته ! فساروا جميعًا حتى قدِموا نجران ، فنزلوا بالأفعى الجرهمىّ ، فنادى صاحبُ البعير : هؤلاء أصحاب بعيرى ، وَصَفُوا لى صفته ثم قالوا : لم نره . فقال الجرهمىّ : كيف وصفتموه ولم ترَوْه ؟ فقال مضَر : رأيته يرْعى جانبًا ويدَع جانبًا فعرفت أنه أعور . وقال ربيعة : رأيت إحدى يدَيْه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر ، فعرفت أنه أفسدها بشدّة وطئه لازوراره . وقال إياد : عرفت أنه أبتر باجتماع بعره ، ولو كان ذيّالا لمَصع[1] به . وقال : أنمار : عرفت أنه شرود ؛ لأنه يرعى المكان الملتفّ نبته ، ثم يجوزه إلى مكان ١١١٠/١ آخر أرقّ منه نبتًا وأخبث[2] . فقال الجرهمىّ : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ، ثم سألهم : مَنْ هم ؟ فأخبروه ، فرحّب بهم فقال : أتحتاجون إلىّ وأنتم كما أرى ! فدعا لهم بطعام فأكلوا وأكل ، وشربوا وشرب ، فقال مُضَر : لم أر كاليوم خمراً أجود ، لولا أنها نبتت على قبْر ، وقال ربيعة : لم أر كاليوم لحمًا أطيب لولا أنه رُبىّ بلبن كلب ، وقال إياد : لم أر كاليوم رجلا أسْرَى لولا أنه لغير أبيه الذى يدعَى له . وقال أنمار : لم أر كاليوم قطّ كلامًا أنفع فى حاجتنا [من كلامنا][3] .

وسمع الجرهمىّ الكلام فتعجّب لقولهم ،وأتى أمّه فسألها فأخبرته أنّها كانت تحت ملِك لا يولد له ، فكرهت أن يذهبَ المُلْك فأمكنتْ رجلا من نفسها كان نزل بها ، فوطئها فحملت به ، وسأل القهرمان عن الخمر ، فقال : من حبَلَة[4] غرستُها على قبر أبيك ، وسأل الراعىَ عن اللحم ، فقال : شاة أرضعتُها لبن كلبة ، ولم يكن ولَد فى الغنم شاة غيرها . فقيل لمضر : من أين عرفت الخمر ونباتها على قبر ؟ قال : لأنه أصابنى عليها عطش شديد . وقيل لربيعة : بم عرفت ؟ فذكر كلامًا .

فأتاهم الجرهمىّ ، فقال : صفوا لى صفتكم[5] ، فقصّوا عليه ما أوصاهم

---

(١) يقال : مصعت الناقة بذنبها ؛ أى حوكته وضربت به .

(٢) م : « وأخف » . (٣) تكملة من مجمع الأمثال ١ : ١٦ .

(٤) الحبلة : شجرة الكرم .

(٥) ر : « قصتكم » .

به أبوهم ، فقضى بالقُبّة الحمراء والدنانير والإبل – وهى حُمْر – لمضر ، وقضى بالخِباء الأسود وبالخيل الدُّهم لربيعة ، وقضى بالخادم – وكانت شمطاء – وبالخيل البُلْق[1] لإياد ، وقضى بالأرض والدراهم لأنمار .

ابن نزار

١١١١/١ وقيل إن نزاراً كان يكنى أبا إياد . وقيل : بل كان يكنَى أبا ربيعة ، أمّه مُعَانة بنت جَوْشم بن جُلْهُمة بن عمرو ، وإخوته لأبيه وأمّه . قنَص ، وقناصة ، وسنام[2] ، وحيْدَان ، وحيدة ، وحيادة[3] ، وجنيد ، وجنادة ، والقحم ، وعُبيد الرّماح ، والعُرف ، وعوف ، وشكّ ، وقضاعة؛ وبه كان معدّ يكنى ، وعدّة دَرَجوا[4] .

ابن معدّ

وأمّ مَعَدّ – فيما زعم هشام – مَهْدَد بنت اللّهَمّ – ويقال : اللّهْم – ابن جَلْحَب بن جديس . وقيل : ابن طَسْم . وقيل : ابن الطوسم ، من ولد يقشان[5] بن إبراهيم خليل الرحمن .

حدّثنا الحارث بن محمد، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا هشام بن محمد ، قال : حدّثنى محمد بن عبد الرحمن العجلانىّ : وإخوته من أبيه وأمّه الدّيث – وقيل : إن الدّيث هو علكّ . وقيل : إنّ عكا هو ابن الديث ابن عدنان – وَعَدن بن عدنان ، فزعم بعض أهل الأنساب أنه صاحب عَدَن ؛ وإليه تنسب ، وأن أهلها كانوا ولده فَدَرجوا ، وأبيَن – وزعم بعضهم أنه صاحب أبيَن وأنّها إليه تنسب ، وأنّ أهلها كانوا ولده فدرجوا – وأدّ بن ١١١٢/١ عدنانَ درَج ، والضحاك ، والعىّ ، وأمّ جميعهم أمّ معدّ .

---

(١) ح ، ر : « والماشية البلق » ، م : « والخيل البلق » .
(٢) ر : « سام » .
(٣) ح : « جيادة » .
(٤) درجوا : انقرضوا .
(٥) ح : « بقشان » .

وقال بعض النّسابة : كان علكّ انطلق إلى سمرَان من أرض اليمن، وترك أخاه معدًّا ، وذلك أنّ أهل حَضور لما قتلوا شعيب بن ذى مَهْدَم الحَضورىّ ، بعث الله عليهم بختنصَّر عذابًا ، فخرج أرميا وبرخيا ، فحملا معدًّا ، فلمّا سكنت الحرب ردّاه إلى مكة ، فوجد معدّ إخوته وعمومته من بنى عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن ، وتزوّجوا فيهم، وتعطّفَتْ عليهم اليمن بولادة جُرْهم إيّاهم ، واستشهدوا فى ذلك قول الشاعر :

تَرَكْنا ألدِّيثَ إخْوَتَنَا وعَكًّا   إلى سَمْرانَ فانطَلَقُوا سِراعا
وكانوا مِنْ بنى عَدْنانَ حتّى   أضاعوا الأمْرَ بَيْنَهُمُ ، فضاعا

ابن عدنان

ولعدنان أخَوان لأبيه؛ يدعى أحدهما نَبْتًا والآخر منهما عَمْراً . فنسَبُ نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم لايختلف النسابون فيه إلى معدّ بن عدنان، وأنه على ما بيّنت من نسبه .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدّثنى ابن لهيعة عن أبى الأسود وغيره، عن نسبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصىّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لُؤى بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد[1] . ١/١١١٣ ثم يختلفون فيما بعد ذلك .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثنى يحيى بن المقداد الزّمْعىّ ، عن عمّه موسى ابن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زَمعة ، عن عمّته أم سلَمة زوج النبى صلّى الله عليه وسلّم ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «معدّ ابن عدنان بن أدد بن زَنْد بن يَرَى بن أعراق الثّرى» . ، قالت أمّ سلمة : فزند هو الهَمَيْسَع ، ويرى وهو نبت ، وأعراق الثرى هو إسماعيل بن إبراهيم .

---

(١) ح : «أدّ» .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : حدّثنى محمد بن عبد الرحمن العجلانىّ ، عن موسى بن يعقوب الزمعىّ ، عن عمّته ، عن جدّتها ابنة المقداد بن الأسود البهرانىّ ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معدّ بن عدنان بن أدد بن يرى بن أعراق الثرى» .

وقال ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد عن سلمة بن الفضل عنه عدنان — فيما يزعم بعض النّساب — بن أدد بن مقوّم بن ناحور بن تيرح[1]
١/١١١٤ ابن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم .

وبعض يقول : بل عدنان بن أدد بن أيتحب بن أيوب بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

قال : وقد انتمى قصىّ بن كلاب إلى قيذر فى شعر .

قال : ويقول بعض النّساب : بل عدنان بن ميدع بن منيع بن أدد بن كعب بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم ،

قال : وذلك أنه علم قديم أخذ من أهل الكتاب الأوّل .

وأما الكلبىّ محمد بن السائب فإنه — فيما حدّثنى الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن هشام — قال : أخبرنى مخبر عن أبى ولم أسمعه منه ؛ أنه كان ينسب معدّ بن عدنان بن أدد بن الهميسع بن سلامان بن عوص بن بوز بن قموال ابن أبىّ بن العوام بن ناشد بن حزا بن بلداس بن يدلاف بن طابخ بن جاحم
١/١١١٥ ابن تاحش بن ماخى بن عيقى بن عبقر بن عبيد بن الدعا بن حمدان بن سنبر ابن يثربى بن يحزن بن يلحن بن أرعوى بن عيفى بن ديشان بن عيصر بن أقناد ابن إيهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن شمّى بن مزّى بن عوص بن عرام ابن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم ؛ صلوات الله عليهما .

حدّثنى الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا هشام بن

(١) ر : « بيرح » .

١١١٦/١ محمّد ، قال : وكان رجل من أهل تَدْمُر ، يكنى أبا يعقوب ، من مسلمة بني إسرائيل ، قد قرأ من كتبهم ، وعلم علمًا ، فذكر أن بروخ بن ناريّا كاتب أرميا ، أثبت نسب معدّ بن عدنان عنده ، ووضعه في كتبه ، وأنه معروف عند أحبار أهل الكتاب ، مثبَت في أسفارهم ، وهو مقارب لهذه الأسماء ، ولعلّ خلاف ما بينهم من قبَل اللغة ، لأنّ هذه الأسماء ترجمت من العبرانية .

قال الحارث : قال محمد بن سعد : وأنشدني هشام ، عن أبيه شعرَ قصيّ :

فلسْتُ لِحاضِنٍ إنْ لَمْ تَأثَّلْ[1] بها أولادُ قَيذَرَ والنَّبيتُ

قال : أراد نبْت بن إسماعيل .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ ، عن زكرياء ابن عيسى ، عن ابن شهاب ، قال : معدّ بن عدنان بن أدّ بن الهميْسع بن أسحب[2] بن نبت بن قيذار بن إسماعيل .

وقال بعضهم : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن أمين بن شاجب[3] بن ثعلبة بن عتر[4] بن دريح بن محلّم[5] بن العوّام بن المحتمل[6] بن رائمة[7] بن العيقان بن علة[8] بن الشحدود[9] بن الظريب[10] بن عبقر بن إبراهيم بن إسماعيل ١١١٧/١ ابن يزن بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القسور بن عتود[11] بن دعدع بن محمود بن الزائد بن ندوان بن أتامة[12] بن دوس بن حصن بن النزال بن القمير ابن المجشّر بن معدمر بن صيفي بن نبت بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن .

---

(١) ح ، ر : لحاضر ، م : « لحاصنٍ » .
(٢) ح : « يشجب » .
(٣) ح ، م : « شاحب » .
(٤) ح : « عبر » ، ر : « عمر » .
(٥) م : « ملجم » .
(٦) ح المجمل : م : « المجتمل » .
(٧) ح : « زائدة » م : ذائمة .
(٨) م : « عكة » .
(٩) ح : « الشحدور » .
(١٠) ح : « الطريب ، ر : « الضريب » .
(١١) كذا في ر ، وفي ح : « عبور » ، وفي م : « عبوث » .
(١٢) كذا في م .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن زيد بن يقدر بن يقدم بن هميسع بن نبت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدّ بن الهميسع بن نبت بن سلمان — وهو سلامان — ابن حمل بن نبت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم.

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن المقوّم بن ناحور بن مِشْرح ابن يشجب بن مالك بن أيمن بن النبيت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم . ١١١٨/١

وقال آخرون: هو معدّ بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن أسحب[١] ابن سعد بن بريح بن نضير بن حميل بن منحم بن لافث بن الصابوح بن كنانة ابن العوام بن نبت[٢] بن قيدر بن إسماعيل .

وأخبرني بعض النسّاب أنه وجد طائفة من علماء العرب قد حفظت لمعدّ أربعين أبا بالعربية إلى إسماعيل ، واحتجّت لقولهم ذلك بأشعار العرب ، وأنه قابل بما قالوا من ذلك ما يقول أهلُ الكتاب ، فوجد العدد متّفقًا ، واللفظ مختلفًا ، وأملى ذلك عليّ فكتبته عنه ، فقال : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن مميسع — وهميسع هو سلمان وهو أمين — ابن هميتع — وهو هميدع وهو الشاجب ابن سلامان — وهو منجر ، وهو نبيت ؛ سمّى بذلك — فيما زعم — لأنه كان منجِر العرب ؛ لأن الناس عاشوا فى زمانه ، واستشهد لقوله ذلك بقول قَعْنَب بن عتّاب الرياحيّ :

١١١٩/١ تُنَاشِدُنى طىٌّ وَطىٌّ بَعِيدة ... وتُذْكِرُنِى بالودّ أَزْمَان ينبت[٣]

قال : نبيت بن عوص — وهو ثعلبة . قال : وإليه تنسب الثعلبيّة — ابن بورا — وهو بوز وهو عتر العتائر ، وأوّل من سَنّ العتيرة للعرب — ابن شوحا وهو سعد رجب ، وهو أول من سن الرجبيّة للعرب — ابن يعمانا — وهو قموال ، وهو بريح الناصب ، وكان فى عصر سليمان بن داود النبى صلى الله عليه وسلم — ابن كسدانا — وهو محلّم ذو العين — ابن حرانا — وهو العوّام — ابن

---

(١) ر : « أشحب » . (٢) ح : « نبيت » .
(٣) كذا فى ر ، و فى ط : « بالوذ أزمان ينبت » .

بلداسا — وهو المحتمل — ابن بدلانا— وهو يدلاف ، وهو رائمة —ابن طهبا — وهو طالب ، وهو العيقان—ابن جهمى — وهو جاحم ، وهو علة — ابن محشى — وهو تاحش ، وهو الشحدود — ابن معجالى — وهو ماخى ، وهو الظريب خاطم النار— ١١٢٠/١
ابن عقارا — وهو عافى ، وهو عبقر أبو الجنّ ، قال : وإليه تنسب جنة عبقر— ابن عاقارى — وهو عاقر ، وهو إبراهيم جامع الشمل . قال : وإنما سمى جامع الشمل لأنه أمّن فى ملكه كلّ خائف ، وردّ كلّ طريد ، واستصلح الناس— — ابن سداعى — وهو الدعا ، وهو إسماعيل ذو المطابخ ، سمّى بذلك لأنه حين ملَك أقام بكلّ بلدة من بلدان العرب دار ضيافة — ابن اىداعى — وهو عبيد وهو يزن الطعّان ، وهو أوّل من قاتل بالرماح ، فنسبت إليه — ابن همادى وهو حمدان ، وهو إسماعيل ذو الأعوج وكان فرسًا له ، وإليه تنسب الأعوجيّة من الخيل — ابن بشمانى — وهو بشين وهو المطعم فى المَحْل — ابن بثْرانى — وهو بثْرم ، وهو الطمح — ابن بجرانى[1] — وهو يحزن ، وهو القسور — ابن ملحانى ، وهو يلحس ، وهو العنود[2] — ابن رعوانى — وهو رعوى ، وهو الدعدع — ابن ١١٢١/١
عاقارى — وهو عاقر — ابن داسان ، وهو الزائد — ابن عاصار — وهو عاصر ، وهو النيدوان ذو الأندية ، وفى ملكه تفرق بنو القاذور وهو القادور . وخرج الملك من ولد النبيت بن القادور إلى بنى جاوان — ابن القادور ثم رجع إليهم ثانية — ابن قنادى — وهو قنار ، وهو إيّامة[3] بن ثامار ، وهو بهامى ، وهو دوس العتق ، وهو دوس أجمل الخلق ، زعم فى زمانه ، فلذلك تقول العرب : أعتق من دَوْس لأمرين : أمّا أحدهما فلحسنه وعتقه ، والآخر لقدمه ، وفى ملكه أهلكت جرهم بن فالج وقطورا ، وذلك أنهم بغوْا فى الحرم ، فقتلهم دَوْس ، وأتبع الذرّ آثار من بقى منهم ، فولج فى أسماعهم فأفناهم — ابن مقصر — وهو مقاصرى ، وهو حصن ، ويقال له : ناحث ، وهو النزال بن زارح ، وهو قمير — ابن سمى — وهو سما ، وهو المجشر ، وكان — فيما زعم — أعدلَ ملك ولى وأحسنه سياسة ، وفيه يقول أميّة بن أبى الصلت لهرقل ملك الروم :

---

(١) كذا فى ح . (٢) كذا فى ح .

(٣) كذا فى ح .

١١٢٢/١ كُنْ كَالمجَشِّرِ إذْ قالَتْ رَعِيَّتُهُ   كَانَ المجَشِّرُ أوْفانا بِما حَمَلاَ

ابن مزرا — ويقال مرهر — ابن صنفا(١) ، وهو السمر ، وهو الصفىّ ، هو أجود ملك رُئى على وجه الأرض ، وله يقول أميّة بن أبى الصلت :

إنّ الصَّفِىَّ بْن النَّبيتِ مُمَلَّكاً   أعْلَى وأجْوَدُ من هِرَقْلَ وقَيْصَرا

ابن جعثم — وهو عرام ، وهو النَّبيت ، وهو قيذر ، قال : وتأويل «قيذر» صاحب ملك ، كان أوّل من ملك من ولد إسماعيل — ابن إسماعيل صادق الوعد ، ابن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح — وهو آزر — ابن ناحور بن ساروع بن أرغوا ابن بالغ — وتفسير « بالغ » القاسم بالسريانية ، لأنه الذى قسم الأرضين بين ولد آدم ، وبالغ ، فهو فالج بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن لمك بن متُّوشلخ بن أخنوخ ، وهو إدريس النبىّ صلى الله عليه وسلّم — ابن يرد — وهو يارد الذى عملت الأصنام فى زمانه — ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش ابن شيث — وهو هبة الله ابن آدم عليه السلام . وكان وصىّ أبيه بعد مَقتل

١١٢٣/١ هابيل ، فقال : هبة الله من هابيل ، فاشتقّ اسمه من اسمه .

وقد مضى من ذكرنا الأخبار عن إسماعيل بن إبراهيم وآبائه وأمّهاته فيما بينه وبين آدم ، وما(٢) كان من الأخبار والأحداث فى كلّ زمان من ذلك بعض ما انتهى إلينا ، بوجيز من القول مختَصر ، فى كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته .

وحُدِّثت عن هشام بن محمد قال : كانت العرب تقول : إنما خدش الخدوش منذ ولد أبونا أنوش ؛ وإنما حرم الحنث ، منذ ولد أبونا شثّ ؛ وهو بالسريانية « شيث » .

* * *

ونعود الآن إلى :

---

(١) كذا فى ح .   (٢) ح ، ر : « وما » .

ذكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأسبابه

فتوفّى عبد المطلب بعد الفيل بثمانىَ سنين ؛ كذلك حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر : وكان عبدالمطّلب يوصِى برسول الله صلّى الله عليه وسلّم عَمّه أبا طالب ، وذلك أنّ أبا طالب ، وعبد الله أبا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كانا لأمّ ، فكان أبو طالب هو الذى يلِى أمرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد جدّه ، وكان يكون معه . ثم إن أبا طالب خرج فى ركب من قريش إلى الشّام تاجراً ، فلمّا تهيّأ للرحيل وأجمع السير صَبّ[1] به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما يزعمون — فرقّ له أبو طالب ، فقال : والله لأخرجنّ به معى ، ولا يفارقنى ولا أفارقه أبداً ، أوكما قال . فخرج به معه ، فلمّا نزل الركب بُصْرى من أرض الشأم ، وبها راهب يقال له بَحيرَى فى صومعة له ، وكان ذا علم من أهل النّصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة مذ قطّ راهب[2] ، إليه يصير علمهم عن كتاب — فيما يزعمون — يتوارثونه كابراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببُحَيْرَى ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك أنه رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو فى صومعته ، عليه غمامة تُظلّه من بين القوم ، ثم أقبلوا حتى نزلوا فى ظلّ شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلّت الشّجرة ، وتهصّرتْ[3] أغصان الشجرة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى استظلّ تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى ، نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم فدعاهم جميعاً ، فلما رأى بحيرَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدُها عنده من صفته . فلما فرغ القوم من الطّعام وتفرّقوا ، سأل رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم عن أشياء فى حاله ؛ فى يقَظته وفى نومه ، فجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُخبِرُه فيجدُها بَحيرَى موافقةً لما عنده من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتَم النبوّة بين كتِفَيْه ، ثم قال بَحيرى لعمّه أبى طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى ، فقال له بَحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام

١١٢٤/١

(١) كذا فى ح ، وضب به : تعلق ، وفى ط والسيرة : « صب به » ، أى مال إليه .

(٢) قط هنا : اسم بمعنى الدهر ، ومذ ظرف ، وانظر ما نقله صاحب اللسان عن اللحيانى فى مادة (ق ط ط) .

(٣) كذا فى السيرة ، وتهصرت : مالت وتدلت . وفى ط : « وهصرت » .

أن يكون أبوه حيًّا . قال : فإنه ابنُ أخى ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمّه حُبْلى به ، قال : صدقتَ ، ارجع به إلى بلدك ، واحذَرْ عليه يَهُود ؛ فوالله لَئِنْ رأوْه وعرفوا منه ما عرفْتُ، ليبغُنَّه شرًّا ، فإنه كائن له شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلده . فخرج به عمّهُ سريعًا حتى أقدمه مكّة[1] . ١١٢٥/١

وقال هشام بن محمَّد : خرج أبو طالب برسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بُصْرَى من أرْضِ الشأم ؛ وهو ابنُ تسع سنين .

حدّثنى العباس بن محمَّد ، قال: حدّثنا أبو نوح ، قال : حدّثنا يونس ابن أبى إسحاق ، عن أبى بكر بن أبى موسى ، عن أبى موسى ، قال : خرج أبو طالب إلى الشأم، وخرج معه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى أشْيَاخٍ من قُرَيش ، فلما أشرفُوا على الرّاهب هَبَطُوا فحلّوا رحالَهم ، فخرج إليهم الراهب — وكانوا قبل ذلك يمرُّون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت . قال : فهم يحلُّون رحالهم ؛ فجعل[2] يتخلّلُهُم حتى جاء فأخَذَ بيد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : هذا سيّدُ العالمين، هذا رسولُ ربّ العالمين ؛ هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين . فقال له أشياخ قُريش: ماعَلّمَكَ[3] ؟ قال : إنّكم حين أشرفتم من العَقَبة لم تبق شَجرَة ولاحَجَر إلاّخَرّ ساجداً ؛ ولا يسجدون إلا لنبىّ، وإنى أعرِفه بخاتَم[4] النبوّة، أسفَلَ من غُضْروفِ كِتفه مثل التّفاحة .

ثم رجع فصنَع لهم طعامًا ، فلما أتاهم به كان هو فى رِعْيَة الإبل . قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غَمامة ، فقال : انظروا إليه ؛ عليه غمامة تُظلّه ! فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فَىْء الشجرة ، فلما جلس مالَ فَىْء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فَىْء الشجرة مال[5] عليه ؛ قال : فبينما هو قائم عليهم ؛ وهو يناشدُهم ألاّ يذهبوا به إلى الرّوم؛ فإنّ الرّوم إن رأوْه عرفوه بالصّفة فقتلوه ؛ فالتفتَ فإذا هو بسبعة نفرٍ قد أقبلوا من الرُّوم ؛ ١١٢٦/١

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) ح : « وهو » .

(٣) ط : « ما علمك ؟ » .

(٤) ح : « خاتم النبوة » .

(٥) ح : « مالت » .

فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا أنّ هذا النبيّ خارج فى هذا الشهر ؛ فلم يبقَ طريق إلا بُعِثَ إليها ناس، وإنا اختِرْنا خيرةً، بعثنا إلى طريقك هذا ؛ قال لهم : هل خلّفتم خلفكم أحداً هو خيرٌ منكم؟ قالوا : لا ؛ إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا ، قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيَه ، هل يستطيع أحد من الناس ردّه! قالوا :لا ؛ فتابعوه وأقاموا معه، قال : فأتاهم، فقال : أنشدكم الله ، أيّكم وليّه ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزلْ يناشِده حتى ردّه ، وبعث معه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بلالاً ، وزوّده الراهب من الكَعْك والزّيت .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال :حدّثنى محمّد بن إسحاق، عن محمّد بن عبد الله بن قيس بن مخْرمة، عن الحسن بن محمّد بن علىّ بن أبى طالب، عن أبيه محمّد بن علىّ ، عن جدّه علىّ بن أبى طالب، قال : سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، يقول : ما هممتُ بشىء ممّا كان أهلُ الجاهليّة يعملون به غيرَ مرّتين ، كلّ ذلك يحول الله بينى وبين ما أُريد من ذلك. ثمّ ما هممتُ بسوء حتى أكرمَنى الله عزّ وجلّ برسالته ؛ فإنّى قد قلت ليلةً لغلامٍ من قريش كان يرعى معِى بأعلى مكة : لو أبصرتَ لى غنَمى حتى أدخلَ مكّة، فأسمرَ بها كما يسمُر الشباب ! فقال : أفعل ؛ فخرجتُ أريد ذلك ؛ حتى إذا جئتُ أوّلَ دارٍ من دُور مكّة ، سمعت عزْفاً بالدّفوف والمزامير، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : فلان ابن فلان تزوّج بفلانة بنت فلان . ١١٢٧/١ فجلستُ أنظر إليهم ، فضرب الله على أذنى فنمْت فما أيقظنى إلاّ مسّ الشمس ؛ قال : فجئت صاحبِى ، فقال : ما فعلت ؟ قُلت : ما صنعت شيئاً ، ثم أخبرتُه الخبر . قال : ثم قلتُ له ليلةً أخرى مثلَ ذلك ، فقال : أفعل ، فخرجتُ فسمعتُ حين جئت مكّة مثلَ ما سمعت حين دخلتُ مكّة تلك اللّيلة؛ فجلستُ أنظر ، فضرب الله على أذنى ؛ فوالله ما أيقظنى إلاّ مسّ[1] الشمس؛ فرجعت إلى صاحبى فأخبرتُه الخبر. ثم ما هممتُ بعدها بسوء حتى أكرمنى الله عزّ وجلّ برسالته .

(١) ر : « حر الشمس » .

ذكر تزويج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم خديجةَ رضى الله عنها

قال هشام بن محمّد: نكَح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خديجةَ؛ وهو ابنُ خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ ابنةُ أربعين سنة.

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كانت خديجة بنت خويلد بن أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ امرأة تاجرةً، ذات شرف ومال، تستَتجرُ[1] الرجال فى مالها، وتضاربُهم إيّاه بشىء تجعله لهم منه، وكانت قريشٌ قومًا تجاراً؛ فلما بلَغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما بلَغها من صِدْق حدَيثه، وعِظَم أمانته، وكَرَم أخلاقه؛ بعثتْ إليه، فعرضت عليه أن يخرُج فى مالها إلى الشأم تاجراً، وتعطيَه أفضلَ ما كانت تُعْطِى غيرَه من التّجّار؛ مع غلامٍ لها يقال له مَيْسرة. فقبله منها رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم، فخرج فى مالها ذلك؛ وخرَج معه غلامها مَيْسَرة؛ حتى قَدِما الشأم، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظِلّ شجرة قريبًا من صَوْمعة راهب من الرّهبان[2]، فأطْلَع الراهب رأسه إلى مَيْسرة فقال: مَنْ هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجلٌ من قريشٍ، من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزَل تحت هذه الشجرةَ قطّ إلاّ نبىّ[3]، ثم باع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سِلْعته التى خرج بها، واشترى ما أراد أن يشترىَ، ثم أقبل قافلا إلى مكة؛ ومعه مَيْسرة. فكان ميسَرة — فيما يزعمون — إذا كانت الهاجِرة واشتدّ الحرّ يرَى ملَكيْن يُظلّلانِه من الشّمس، وهو يسير على بعيره. فلما قدِمَ مكة على خديجة بمالِها، باعت ماجاء به فأضعفت، أو قريبًا من ذلك. وحدّثها ميسرة عن

١/١١٢٨

(١) ر، و ابن هشام: «تستأجر».

(٢) هو نسطورا؛ وليس هو بحيرى المتقدم ذكره، كذا قاله السهيلى.

(٣) قال السهيلى: «يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبى؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك».

قول الرّاهب ، وعمّا كان يرَى من إظلال الملَكيْن إيّاه — وكانت خديجة امرأةً حازمة لبيبة شريفة ؛ مع ما أراد الله بها من كرَامته — فلما أخبرها ميسرة بما أخبرَها ، بعثتْ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقالت له — فيما يزعمون — : يابن عمّ ، إنّى قد رغبتُ فيك لقرابتك وسِطَتك[1] فى قومك ، وأمانتك وحسن خُلقك وصدق حديثك . ثم عرَضت عليه نفسَها ، وكانت خديجة يومئذ أوسطَ نساء قريش نسبًا ، وأعظمهنّ[2] شرَفًا ، وأكثرهُنّ مالاً ؛ كلُّ قومِها كانَ حريصًا على ذلك منها لو يقدرُ عليها[3] .

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ذكَر ذلك لأعمامه ، فخرج معه حمزة بن عبد المطلب عَمّه ؛ حتى دخل على خُويلد بن أسد[4] ، فخطبها إليه فتزوّجها ، فولَدتْ له ولده كلّهم إلاّ إبراهيم : زينب ، ورقيّة ، وأمّ كلثوم ، وفاطمة ، والقاسم — وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلّم — والطّاهر والطّيب . فأمّا القاسم والطّاهر والطّيب ؛ فهلكوا فى الجاهلية ، وأما بناته فكلّهنّ أدركْن الإسلام فأسلمنَ ، وهاجرْنَ معه صلى الله عليه وسلّم[5] . ١١٢٩/١

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : حدّثنا محمّد ابن عمر ، قال : حدّثنا معمَر وغيره ، عن ابن شِهاب الزّهرىّ — وقد قال ذلك غيرهُ من أهل البلد : إن خديجة إنما كانت استأجرتْ رسول الله صلى الله

---

(١) السطة : مثل الوسط ؛ وهو من أوصاف المدح والتفضيل .

(٢) فى الأصول : « وأعظمهم » ؛ وما أثبته من ابن هشام .

(٣) ابن هشام : « لو يقدر عليه » ؛ وبعدها هناك : « وهى خديجة بنت خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فهر . وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب ابن فهر . وأم هالة قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر » .

(٤) قال السهيلىّ : « وذكر غير ابن إسحاق أن خويلداً كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة رضى الله عنها هو عمها عمرو بن أسد ؛ قاله المبرد وطائفة معه . وقال أيضاً : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو الذى خطب خطبة النكاح » .

(٥) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١٢١ — ١٢٣ .

عليه وسلّم ورجلاً آخر من قُريش إلى سوق حُبَاشة بتِهامة ؛ وكان الذى زوّجها إياه خُوَيلد، وكان التى مشتْ[١] فى ذلك مولاةٌ مولّدة من مولّدات مكّة.

قال الحارث : قال محمّد بن سعد : قال الواقدىّ : فكلّ هذا غلطٌ .

قال الواقدىّ : ويقولون أيضًا إنّ خديجة أرسلتْ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلّم تدعوه إلى نفسها — تَعْنى التزويج — وكانت امرأةً ذاتَ شرف ، وكان كلّ قريش حريصًا على نِكاحها — قد بذلوا الأموال[٢] لو طمعوا بذلك ، فدعتْ أباها فسقته خمراً حتى ثَمِل ، ونحرَتْ بقرة وخلّقته بخَلوق، وألبسته حُلّةً حِبرْةً ، ثم أرسلتْ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى عمومته ، فدخلوا عليه ، فزوّجه[٣] ، فلمّا صحا قال : ما هذا العَقير ؟ وما هذا العبير ؟ وما هذا الحبير ؟ قالت : زوجتَنى محمّد بن عبد الله، قال : ما فعلتُ أنّى أفعل هذا وقد خطبكِ أكابرُ قريش ، فلم أفعل !

قال الواقدىّ: وهذا غلطٌ ، والثَّبَت عندنا المحفوظ[٤] من حديث محمّد ابن عبد الله بن مسلم ، عن أبيه ، عن محمّد بن جُبَير بن مطعِم . ومن حديث ابن أبى الزّناد ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة . ومن حديث ابن أبى حبيبة ، عن داود بن الحُصَين ، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس ؛ أن عَمّها عمرو بن أسَد زوّجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأنّ أباها مات قبل الفِجار[٥] . ١١٣٠/١

* * *

قال أبو جعفر : وكان منزل خديجة يومئذ المنزل الذى يعرف بها اليوم ، فيقال : منزل خديجة ، فاشتراه معاوية — فيما ذكر — فجعله مسجداً يصلّى فيه الناس ، وبناه على الّذى هو عليه اليوم لم يغيّر . وأمّا الحجر الذى على باب البيت عَنْ يَسار منْ يدخل البيت فإنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس تَحته يستتر به من الرَّمْى إذا جاءه من دار أبى لَهَب ، ودار عدِىّ ابن حمراء الثّقفِىّ خَلْفَ دارِ ابن علْقَمة ، والحجَر ذراعٌ وشبر فى ذراع .

---

(١) م : « الذى مشى » . (٢) ح : « لها المال » .
(٣) ر : « فزوجها » . (٤) ابن سعد : « المحفوظ عن أهل العلم » .
(٥) الخبر فى طبقات ابن سعد ١ : ١٣٢ ، ١٣٣

ذكر باقى الأَخبار عن الكائن من أَمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أَن ينبَّأ ، وما كان بين مولده ووقت نبوّته من الأَحداث فى بلده

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبلُ سببَ تزويج النبيّ صلى الله عليه وسلّم خديجة واختلاف المختلفين فى ذلك ، ووقت نكاحه صلّى الله عليه وسلّم إيّاها .
وبَعْدَ السنة التى نكحها فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم هَدَمَتْ قريش الكعبة بعشر سنين ثم بَنَتْها — وذلك فى قول ابن إسحاق — فى سنة خَمسٍ وثلاثين من مولِد رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

وكان سبب هَدْمِهِمْ إياها فيما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، أنّ الكعبة كانت رَضْمة[1] فوق القامة ، فأرادوا رَفْعها وتسقِيفها ؛ وذلك أنّ نفراً من قريش وغيرهم سَرقوا كنز الكعبة ؛ وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة .

* * *

وكان أمرُ غَزالَىِ الكعبة — فيما حُدّثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه — أنّ الكعبة كانت رفعت حين غرق قوم نوح ، فأمر الله إبراهيم خليلَه عليه السلام وابنَه إسماعيل أن يعيدا بناء الكعبة على أسّها الأول ، فأعادا بناءها ، كما أنزل فى القرآن : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[2] ، فلم يكن له ولاةٌ منذ زمن نوح عليه السلام ؛ وهو مرفوع . ثم أمر الله عزّ وجلّ إبراهيمَ أن ينزل ابنهُ إسماعيل البيت ، لِمَا أراد الله من كرامة مَنْ أكرمه بنبيه محمد صلّى الله عليه وسلّم ، فكان إبراهيم خليلُ الرحمن وابنه إسماعيلَ يليَان البيت بعد عَهْدِ نوح ، ومكّة يومئذ بلاقع ؛ ومن حَوْلِ مكة يومئذ جُرْهم والعماليق . فنكح إسماعيل عليه السلام امرأة من

١١٣١/١

---

(١) فى ابن هشام : « رضما » ؛ والرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط .
(٢) سورة البقرة : ١٢٧ .

جُرْهم ؛ فقال فى ذلك عمرو بن الحارث بن مُضَاض :

وصاهَرَنا مَنْ أكْرَمُ النَّاسِ وَالدًا   فأبْناؤُهُ مِنَّا ونَحْنُ الْأَصاهِرِ

فولِىَ البيت بعد إبراهيم إسماعيل ، وبعد إسماعيل نَبْت ؛ وأمُّه الجرهمية ؛ ثم مات نَبْت ، ولم يكْثر ولد إسماعيل ، فغلبت جُرْهم على ولاية البيت ؛ فقال عمرو بن الحارث بن مُضاض :

وكُنَّا وُلَاةَ البَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ   نَطُوفُ بِذَاكَ البَيْتِ ، والخيْرُ ظَاهِرُ

فكان أولَ مَنْ وَلِىَ من جُرْهُم البيتَ مُضاض ، ثم وليتْه بعده بنُوه كابراً بعد كابر[١] ؛ حتى بغتْ جُرْهُم بمكّة ، واستحلّوا حرمتها ، وأكلوا مالَ الكعبة الذى يُهْدَى لها ، وظلموا مَنْ دخل مكّة ، ثم لم يتناهَوْا حتى جعل الرجُلُ منهم إذا لم يجد مكاناً يزنى فيه يدخل الكعبة فزنى . فزعموا أنّ أُسافا بَغَى بنائلة فى جَوْف الكعبة ، فمُسخا حَجَرين ، وكانت مكّة فى الجاهلية لا ظلمَ ولا بَغْىَ فيها ، ولا يستحِلُّ حرمتها مَلِكٌ إلاّ هلك مكانه فكانت تسمى النّاسّة ، وتُسَمَّى بَكّة ، تَبُكّ أعناق البغايا إذا بَغَوْا فيها ؛ والجبابرة .

1132/1

قال : ولمّا لم تتناهَ جُرْهم عن بَغْيها ، وتفرّق أولاد عمرو بن عامر من اليمن ، فانخزع[٢] بنو حارثة بن عمرو ، فأوْطنوا[٣] تهامة ــ فسمّيت[٤] خُزاعة ، وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة ــ وأسلم ومالك وملْكان بنو أفْصَى بن حارثة ، فبعث الله على جُرْهم الرّعَاف والنّمل ، فأفناهم . فاجتمعت خُزاعة ليجلُوا مَنْ بَقِىَ ، ورئيسُهم عمرو بن ربيعة بن حارثة ، وأمّه فُهَيرة بنت عامر بن الحارث ابن مُضاض ، فاقتتلوا . فلمّا أحسّ عامر بن الحارث بالهزيمة ، خرج بغزالَىِ الكعبة وحجر الرّكن يلتمس التوبة ، وهو يقول :

---

(١) ر : « وعن كابر » .

(٢) انخزعوا ، أى تخلفوا .

(٣) أوطن بالمكان : أقام .

(٤) ط : « سميت » .

لَا هُمَّ إنَّ جُرْهُماً عِبَادُكْ   النَّاس طُرْفٌ وَهُمُ تِلَادُكْ
* بِهِمْ قَدِيماً عمِرَتْ بِلَادُكْ *

فلم تُقْبَل توبتُه، فألقى غزالَى الكعبة وحجر الرّكن فى زمزم، ثم دفنها وخرج مَنْ بقى من جُرْهم إلى أرض من أرض جهينة، فجاءهم سيل أَتِيٌّ فذهب بهم، فذلك قول أمية بن أبى الصّلت:

وَجُرْهُمُ دَمَّنُوا تِهَامَةَ فى الـــدّهْرِ فَسَالَتْ بِجَمْعِهِمْ إضَمُ[1]

١١٣٣/١ وَوَلِىَ البيت عمرو بن ربيعة. وقال بنو قصّى: بل وَلِيَه عمرو بن الحارث الغُبْشَانِىّ[2]، وهو يقول:

وَنَحْنُ وَلِينا البَيْتَ مِنْ بَعْدِ جُرْهُمٍ   لِنَعْمُرَهُ مِنْ كُلِّ باغٍ ومُلحِدِ

وقال:

وادٍ حَرَامٌ طَيْرُهُ وَوَحْشُهُ   نَحْنُ وُلَاتُهُ فلا نَغُشُّهُ

وقال عامر بن الحارث:

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحجُونِ إلى الصَّفَا   أَنِيسٌ ولم يَسْمُرْ بمَكَّةَ سامِرُ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فأبادَنَا   صُرُوفُ اللَّيالِي وَالْجدُودُ الْعَوَاثِرُ

وقال:

يأيُّها النَّاسُ سِيرُوا إنَّ قَصْرَكُمُ   أنْ تُصبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَاتَسِيرونَا[3]
كُنَّا أُناساً كما كُنْتُمْ فغَيَّرَنا   دَهْرٌ، فأنْتُم كَمَا كُنَّا تَكُونُونا
حُثُّوا المَطِىَّ وأرْخُوا من أَزِمَّتِهَا   قَبْلَ المماتِ وَقَضُوا ما تُقَضُّونا

١١٣٤/١ يقول: اعملوا لآخرتكم، وافرُغوا من حوائجكم فى الدنيا؛ فولِيَتْ خُزاعة البيتَ؛ غير أنه كان فى قبائل مُضر ثلاث خِلال: الإجازة بالحجّ للناس من

---

(١) معجم ما استعجم ١٦٦.
(٢) فى الأصول: «الغسانى»؛ وانظر كتاب الاشتقاق ٤٧٩.
(٣) قصركم: نهايتكم وغايتكم.

عرفة ، وكان ذلك إلى الغَوْث بن مُرّ — وهو صُوفة — فكانت إذا كانت الإجازة قالت العرب : أجيزى صُوفة . والثانية الإفاضة من جَمْع غداة النَّحر إلى مِنًى ، فكان ذلك إلى بنى زيد بن عَدْوان ؛ فكان آخر مَنْ ولِىَ ذلك منهم أبو سَيَّارة عُمَيْلة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحارث بن وابش[1] ابن زيد ، والثالثة النَّسِىءُ للشهور الحُرُم ، فكان ذلك إلى القَلَمَّس ، وهو حُذَيْفة بن فُقَيْم بن عدىّ من بنى مالك بن كنانة ، ثم بنيه حتى صار ذلك إلى آخرهم أبى ثُمامة ، وهو جُنادة بن عوْف بن أميّة بن قَلَع بن حُذَيْفة . وقام عليه الإسلام ، وقد عادت الحُرُم إلى أصلها ، فأحكمها الله وأبطل النسىء ؛ فلمّا كثرت معدّ تفرّقت ، فذلك قول مهلهل :

غَنِيَتْ دارُنا تِهامَةَ فى الدَّهـ ... ـرِ وفِيها بنو مَعَدٍّ حُلُولا

وأما قريش ، فلم يفارقوا مكّة ، فلما حفر عبدُ المطلب زمزم ، وَجَدَ الغَزَالَيْن ، غَزَالَىِ الكعبة اللذيْن كانت جُرْهم دفنتْهما فيه ، فاستخرجهما ؛ وكان من أمره وأمرها ما قد ذكرت فى موضع ذلك فيما مضى من هذا الكتاب قبل .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وكان الذى وجد عنده الكنز دُوَيْكًا مولًى لبنى مُلَيْح بن عمرو ، من خزاعة . فقطعت قريش يدَه من بينهم ، وكان مِمن اتّهم فى ذلك الحارث بن عامر بن نوفل ، وأبو إهاب[2] ١١٣٥/١ ابن عُزَيْز بن قيس بن سُوَيْد التميمىّ — وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه — وأبو لَهَب بن عبد المطّلب ؛ وهم الذين تزعم قريش أنهم وضعوا كنز الكعبة حين أخذوه عند دُوَيْك مولى بنى مُلَيْح ، فلمّا اتّهمتْهم قريش ، دلّوا على دُوَيْك ، فقُطِع ، ويقال : هم وضعوه عنده .

---

(١) ح : « واشر » ، ر : « واسر » ، والمثبت يوافق ما فى الاشتقاق ٢٦٨

(٢) كذا ضبطه صاحب القاموس بوزن كتاب .

وذكروا أنّ قريشًا حين استيقنوا بأنّ ذلك كان عند الحارث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف، خرجوا به إلى كاهنة من كهّان العرب، فسجعت عليه من كهانتها بألاّ يدخل مكة عشر سنين، بما استحلّ من حرمة الكعبة، فزعموا أنّهم أخرجوه من مكّة، فكان فيما حولها عشر سنين؛ وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدّة لرجل من تجّار الروم، فتحطّمت، فأخذوا خشبها فأعدّوه لسقفها؛ وكان بمكّة رجل قبطيّ نجّار، فتهيّأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حيّة تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كلّ يوم، فتشرف على جدار الكعبة، فكانوا يهابونها، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحدٌ إلا احزألّت وكشّت[1] وفتحت فاها؛ فبينا هي يومًا تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله عليها طائراً، فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنّا لنرجو أن يكون الله عزّ وجلّ قد رضي ما أردنا. عندنا عامل رقيقٌ، وعندنا خشبٌ، وقد كفانا الله [أمر][2] الحيّة. وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم عامئذٍ ابن خمس وثلاثين سنة. ١١٣٦/١

فلمّا أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجرًا، فوثب من يده؛ حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيّبًا، ولا تدخلوا فيها مهر بغيٍّ، ولا بيع ربًا، ولا مظلمة أحدٍ من النّاس.

قال: والنّاسُ ينتحلون هذا الكلامَ الوليد بن المغيرة[3]؛ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق، عن عبد الله ابن أبي نجيح المكيّ، أنه حدّث عن عبد الله بن صفوان بن أميّة بن

---

(١) احزألت: انضمت خوفاً، وكشت: صوتت لاحتكاك بعض جلدها ببعض.

(٢) تكملة من ح.

(٣) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

خلف[١] ، أنه رأى ابناً لجعْدَة بن هُبَيْرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت ، فسأل عنه فقيل له : هذا ابنٌ لجَعْدة ابن هُبَيرة، فقال عند ذلك عبد الله بن صفوان جدّ هذا — يعنى أبا وهب الذى أخذ من الكعبة حجراً حين اجتمعت قريش لهدمها ، فوثب من يَده حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشَر قريش ، لا تُدْخِلوا فى بنيانها من كَسْبكم إلاّ طيّباً، لا تُدْخِلوا فيها مَهْر بغىّ ، ولا بيع ربًا ولا مظلمة أحدٍ .

وأبو وهب خال أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شريفاً[٢] .

١١٣٧/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق ، قال : ثم إنّ قُرَيشاً تجزّأت الكعبة ، فكان شِقٌّ الباب لبنى عبد مناف وزُهرة ، وكان ما بين الرْكن الأسود والرّكْن اليمانىّ لبنى مخزوم وتيْم وقبائلَ من قريش، ضُمّوا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبنى جُمَح وبنى سَهْم[٣] ، وكان شِقٌّ الحِجْر — وهو الحطِيم — لبنى عبد الدّار بن قصىّ ولبنى أسد بن عبد العُزّى بن قصىّ، وبنى عدىّ بن كعب .

* * *

ثم إنّ النّاس هابوا هَدْمَها وفرقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة : أنا

---

(١) بعده فى ابن هشام : « ابن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٠ ، ١٣١ ، وفيها: وله يقول شاعر من العرب :

وَلَوْ بِأَبِى وَهْبٍ أَنَخْتُ مَطِيَّتِى ... غَدَتْ مِنْ نَدَاهُ رَحْلُهَا غير خائبِ

بأَبْيَضَ مِنْ فَرْعَىْ لُؤىّ بن غالِبٍ ... إذَا حُصِّلَتْ أَنسابُها فى الذّوائبِ

أبِىٍّ لِأَخْذِ الضَّيْم يرتاح لِلنَّدَى ... تَوَسّطَ جَدّاهُ فُرُوع الأطايبِ

عَظِيمُ رَمَادِ القِدْرِ يملَأ جِفَانَه ... مِنَ الخُبْزِ يَعْلُوهُنّ مِثْلُ السّبائبِ

(٣) فى ابن هشام : « لبنى جمح وسهم ابنى عمرو بن هصيص بن كعب ين لؤى » .

أبدؤكم فى هدمها ، فأخذ المِعْوَل ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهمّ لم تُرَعْ[١] ، اللهمّ لا نريد إلا الخير . ثم هَدَم من ناحية الرُّكْنين ، فتربّص النّاس به تلك اللّيلة ، وقالوا : ننظر ؛ فإن أصيبَ لم نهدمْ منها شيئًا ؛ ورددْناها كما كانت ؛ وإن لم يصبه شىء فقد رضِىَ الله ما صنعنا هَدَمْنا[٢] .

فأصبح الوليد من ليلته غاديًا على عمله ، فهدم والنّاس معه ؛ حتى انتهى الهَدْم إلى الأساس ، فأفضَوْا إلى حجارة خُضْرٍ كأنّها أسِنّة[٣] آخذٌ بعضها ببعض[٤] .

١١٣٨/١ حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض مَنْ يروِى الحديث ، أنّ رجلا من قريش ممّنْ كان يهدمها ، أدخل عَتَلَةً بين حجريْن منها ، ليقلع بها أحَدَهما ، فلما تحرّك الحجَر انتقضت[٥] مكة بأسْرِها ، فانتهوْا عند ذلك إلى الأساس[٤] .

قال : ثم إنّ القبائل جَمَعَت الحجارة لبنائها ، جعلت كلّ قبيلة تجمع على حِدَتها ، ثم بنوْا حتى إذا بلغ البنيان مَوْضِع الرّكن اختصموا فيه ؛ كلُّ قبيلةٍ تريد أن تَرفعه إلى موضعه دون الأخرى ؛ حتى تحاوزوا[٦] وتحالفوا وتواعدوا للقتال ؛ فقرّبت بنُو عبد الدار جَفْنة مملوءة دماً ؛ ثم تعاقدوا هم

---

(١) قال السهيلى : « قولهم : اللهم لم ترع ؛ هى كلمة تقال عند تسكين الروع والتأنيس وإظهار اللين والبر فى القول ؛ ولا روع فى هذا الموطن فينفى ؛ ولكن الكلمة تقتفى إظهار قصد البر ؛ فلذلك تكلموا بها ؛ وعلى هذا يجوز التكلم بها فى الإسلام ؛ وإن كان فيها ذكر الروع الذى هو محال فى حق البارى تعالى ؛ ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا جاز النطق بها ، ويروى أيضاً : اللهم لم نزغ ، وهو جلى لا يشكل » .

(٢) فى ابن هشام : «فقد رضى الله صنعنا فهدمنا » .

(٣) ابن هشام : «أسنمة» . قال السهيلى : «وتشبيهها بالأسنة لا تشبه بها إلا فى الزرقة ، وتشبيهها بأسنمة الإبل أولى لعظمها » .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١.

(٥) فى ابن هشام : « تنقضت » ، أى اهتزت .

(٦) تحاوزوا ؛ أى انحازت كل قبيلة إلى جهة ، وفى إحدى نسخ ابن هشام : « تحاوروا » ، أى تجادلوا وكثر الكلام والحوار بينهم .

وبنو عدىّ بن كعب على الموت ، وأدخلوا أيديَهم فى ذلك الدم فى الجَفْنة ؛ فسُمُّوا لَعَقَة الدم بذلك ؛ فمكثت قريش أربع ليالٍ — أو خمس ليال — على ذلك. ثم إنّهم اجتمعوا فى المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا ؛ فزعم بعضُ الرّواة أنّ أبا أميّة ابنَ المغيرة كان عامئذ أسنّ[1] قريش كلّها ، قال : يا معشر قريش ؛ اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول مَنْ يدخلُ من باب هذا المسجد ، يقضِى بينَكم فيه ؛ فكان أوّلَ مَنْ دخل عليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلما رأوْه قالوا : هذا الأمين ، قد رَضِينا به ؛ هذا محمّد . فلمّا انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال : هَلُمّ لى ثوبًا[2] ، فأتِىَ به . فأخذ الرّكن ، فوضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كلُّ قبيلة بناحيةٍ من الثّوب ، ثمّ ارفعوه جميعًا ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه بيده ، ثم بنى عليه ؛ وكانت قريش تسمّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أن ينزل عليه الوحى الأمين[3] .

١/١١٣٩

قال أبو جعفر : وكان بناءُ قريش الكعبة بعد الفِجَار بخمس عشرة سنة ، وكان بين عام الفيل وعام الفِجَار عشرون سنة .

* * *

واختلف السَّلَف فى سنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين نُبّئَ كم كانت ؟ فقال بعضهم: نُبّئَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد ما بنتْ قريش الكعبة بخمس سنين ؛ وبعد ما تمّت له من مولده أربعون سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى محمد بن خلَف العسقلانىّ ، قال : حدّثنا آدم ، قال : حدّثنا حمّاد بن سلَمة ، قال: حدّثنا أبو جَمْرة الضّبْعىّ ، عن ابن عباس ، قال : بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأربعين سنة .

---

(١) ر : «أشرف» .

(٢) ح : «هلموا إلى بثوب» .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ ، ١٣٢

حدّثنا عمرو بن على وابن المثنّى ، قالا : حدّثنا يحيى بن محمّد بن قيس قال : سمعتُ ربيعة بن أبى عبد الرحمن يذكر عن أنَس بن مالك ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بُعث على رأس أربعين .

حدّثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى ، قال : حدّثنا الأوزاعىّ ، قال : حدّثنى ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، قال : حدثنى أنس بن مالك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بُعث على رأس أربعين .

حدّثنى ابنُ عبد الرحيم البرْقىّ ، قال : حدّثنا عمرو بن أبى سلَمة ، عن الأوزاعىّ ، قال : حدّثنى ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، قال : حدّثنى أنس بن مالك ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بُعث على رأس أربعين . ١١٤٠/١

حدثنى أبو شُرَحْبيل الحِمْصىّ ، قال : حَدّثنى أبو اليمان ، قال : حدّثنا إسماعيل بن عيّاش ، عن يحيى بن سعيد ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، عن أنَس بن مالك ، قال : أنزل على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن أربعين .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا الحجّاج بن المنهال ، قال : حدّثنا حَمّاد ، قال : حدّثنا عَمْرو بن دينار ، عن عُروة بن الزُّبَير ، قال : بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن أربعين .

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حَدّثنا الحجاج ، عن حَمّاد ، قال : أخبَرنا عمرو ، عن يحيى بن جَعْدة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لفاطمة : إنّه كان يُعْرَض علىّ القرآن كلّ عام مرّة ؛ وإنه قد عُرِض علىّ العامَ مرتين ، وإنه قد خُيِّلَ إلىّ أن أجَلِى قد حضر ؛ وأنّ أوّلَ أهلى لحاقاً[1] بى أنتِ ؛ وإنه لم يُبعث نبىّ إلاّ بُعِث الذى بعده بنصفٍ من عمره ، وبعث عيسى لأربعين ، وبعثتُ لعشرين »[2] .

---

(١) ح : « لحوقا » .

(٢) فى ط ، وفى المقاصد الحسنة ٣٦٢ : « ما بعث الله نبياً إلا عاش نصف ما عاش النبى قبله » ، ونقله برواية أخرى فى ص٣٧٢ ، وقال : إنه موضوع .

حدثني عبيد بن محمد الورّاق ، قال : حدّثنا روْح بن عبادة ، قال : حدّثنا هشام ، قال : حدّثنا عِكْرمة، عن ابن عباس ، قال : بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأربعين سنة ، فمكَثَ بمكّة ثلاث عشرة سنة .

١١٤١/١ حدّثنا أبو كُريب، قال : حدّثنا أبو أسامة ومحمّد بن ميمون الزّعفرانيّ ، عن هشام بن حسّان ، عن عِكْرمة ، عن ابن عبّاس، قال: بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة ، فمكَث بمكّة ثلاث عشرة سنة .

* * *

وقال آخرون : بل نُبِّئ حين نُبِّئ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا أحمد بن ثابت الرازيّ ، قال : حَدّثنا أحمد ، قال : حَدّثنا يحيى بن سعيد ، عن هِشَام ، عن عِكْرمة، عن ابن عبّاس ، قال : أنزِل على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال: أنزِل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الوحيُ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حَدّثنا عبد الوهّاب، قال :حدّثنا يحيى ابن سعيد ، قال : سمعت سعيداً — يعني ابن المسيَّب — يقول : أنزِل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الوحي ؛ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

ذكر اليوم الذى نُبِّئَ فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الشهر الذى نُبِّئَ فيه وما جاء فى ذلك

قال أبو جعفر : صَحّ الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم بما حدّثنا به ابن المثنّى، قال : حدّثنا محمّد بن جعفر، قال : حدّثنا شُعبة ، عن غَيْلان بن جرير ، أنه سمع عبد الله بن معبد الزِّمّانىّ ، عن أبى قَتادة الأنصارىّ ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم سئل عن صوم الاثنين، فقال : ذلك يوم وُلدتُ فيه ، ويوم بعثتُ — أو أنزل علىّ فيه .

حدّثنا أحمد بن منصور ، قال : حدّثنا الحسن بن موسى الأشيب، قال : حدّثنا أبو هلال ، قال : حدّثنا غَيْلان بن جرير المَعْوَلىّ قال : حدّثنا عبد الله بن معبد الزِّمّانىّ، عن أبى قَتَادة، عن عمر رحمه الله أنه قال للنبىّ صلى الله عليه وسلّم : يا نبىّ الله ، صومُ يوم الاثنين ؟ قال : ذاك يوم وُلدتُ فيه ، ويوم أنزلت علىّ فيه النبوّة . ١١٤٢/١

حدّثنا إبراهيم بن سعيد ، قال : حدّثنا موسى بن داود ، عن ابن لَهِيعة، عن خالد بن أبى عمران ، عن حَنَش الصَّنْعانىّ، عن ابن عباس، قال : ولد النبىّ صلى الله عليه وسلّم يوم الاثنين ، واستنبِئ يوم الاثنين[1] .

قال أبو جعفر : وهذا ممّا لا خلاف فيه بين أهل العلم .

* * *

واختلفوا فى أىّ الأثانين كان ذلك ؟ فقال بعضُهم : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلّم لثمانىَ عشرة خَلَتْ من رمضان .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن الحسَن بن دينار ، عن أيّوب، عن أبى قُلابة عبد الله بن زيد

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١٩٣ .

الجَرْمى ، أنه كان يقول — فيما بلغه وانتهى إليه من العلم : أنزِل الفرقان على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم لثمانىَ عشرة ليلةً خلَتْ من رمضان .

* * *

وقال آخرون : بل أنزل لأربع وعشرين ليلة خلَتْ منه .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، قال : حدّثنى مَنْ لا يُتّهم[1] ، عن سَعيد بن أبى عَروبة، عن قَتادة ابن دِعامة السدُوسىّ، عن أبى الجلْد ، قال: نَزَل الفرقان لأربع وعشرين ليلة خلَتْ من رمضان .

* * *

وقال آخرون : بل نزل لسبعَ عشرة خلَتْ من شهر رمضان ؛ واستشهدوا[2] لتحقيق ذلك بقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ ﴾[3] ؛ وذلكُ ملْتقَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمشركين ببدْر ؛ وأنّ التقاء رسول الله صلى الله عليه وسلّم والمشركين ببدْر كان صبيحة سبع عشرة من رمضان . ١١٤٣/١

* * *

قال أبو جعفر : وكانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم من قبل أن يظهرَ له[4] جبريل عليه السّلام برسالة الله عزّ وجلّ إليه — فيما ذكر عنه — يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار مَنْ يريد الله إكرامه واختصاصه بفضله ؛ فكان مِنْ ذلك ما قد ذكرت فيما مضى من خبره عن الملكَيْن اللذيْن أتياه فشقّا بطنه ، واستخرجا ما فيه من الغِلّ والدّنَس؛ وهو عند أمّه من

---

(١) ح : « أتهم » .

(٢) ر ، م : « واستشهد لتحقيق قوله » .

(٣) سورة الأنفال ٤١ .

(٤) ح : « عليه » .

الرضاعة حَليمة ، ومن ذلك أنه كان إذا مرّ فى طريق لا يمرّ — فيما ذكر — عنه بشجرٍ ولا حَجَر فيه إلاّ سلّم عليه .

حدّثنى الحارث بن محمّد ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرَنا محمّد بن عمر ، قال : حدّثنا علىّ بن محمّد بن عبيد الله بن عمر بن الخطّاب ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن أمّه ، عن بَرّة بنت أبى تجراة ، قالت : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين أراد الله كَرامته وابتداءه[1] بالنبوّة ، كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى لا يرى بيتًا ، ويفضِى إلى الشّعَاب وبطون الأوْدية ، فلا يمرّ بحجرٍ ولا شجرةٍ إلاّ قالت : السّلام عليك يا رسولَ الله ، فكان يلتفِتُ عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً[2] .

قال أبو جعفر : وكانت الأمم تتحدّث بمبعثه وتخبر علماء كلّ أمة منها قومها بذلك ؛ وقد حَدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حَدّثنى علىّ بن عيسى الحكمىّ ، عن أبيه ، ١/١١٤٤ عن عامر بن ربيعة ، قال : سمعت زيد بن عمرو بن نُفَيل يقول : أنا أنتظر نبيًّا من ولد إسماعيل ، ثم من بنى عبد المطّلب ولا أرانى أدركه ؛ وأنا أومن به وأصدّقه ، وأشهد أنه نبىّ ، فإن طالت بك مدّة فرأيته ، فأقرئه مِنّى السلام ، وسأخبرك ما نَعْتُه حتى لا يخفى عليك ! قلت : هَلُمّ ، قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينيْه حمرة ، وخاتم النبوّة بين كتفيْه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولِدُه ومبعثه ، ثم يخرجِه قومه منها ، ويكرَهون ما جاء به ، حتى يهاجرَ إلى يثْرب فيظهرَ أمرُه ؛ فإيّاك أن تُخدَعَ عنه ، فإنّى طُفْت البلادَ كُلّها أطلب[3] دين إبراهيم ، فكلّ من أسأل من اليهود والنّصارى والمجوس يقولون : هذا الدّين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعتّه لك ؛ ويقولون : لم يبق نبىٌّ غيره[4] .

(١) م : « فابتدأه » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٥٧ .

(٣) كذا فى ح ، ر وطبقات ابن سعد ، وفى ط : « لطلب » .

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١، ١٦٢ .

قال عامر: فلمّا أسلمتُ أخبرتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم قول زيد ابن عمرو وأقرأته منه السّلام، فردّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم؛ وترحّم[1] عليه، وقال: قد رأيتُه فى الجنّة يسحبُ ذيولا.

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق عمّن لا يُتّهم، عن عبد الله بن كعب مولى عثمان، أنه حدّث أنّ عمر بن الخطّاب بينا هو جالسٌ فى الناس فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ إذ أقبل رجلٌ من العرب داخل[2] المسجد، يريد عمر — يعنى ابن الخطّاب — فلمّا نظر إليه عمر قال: إنّ الرجلَ لعلَى شِرْكه بعد، ما فارقه — أو لقد كان كاهنًا فى الجاهلية — فسلّم عليه الرجل، ثم جلس فقال له عمر: هل أسلمتَ؟ فقال: نعم، فقال: هل كنت كاهنًا فى الجاهلية؟ فقال الرجل[3]: سبحان الله! لقد استقبلتَنى[3] بأمرٍ ما أراك قلتَه لأحد من رعيّتك منذ ولّيت! فقال عمر: اللهم غَفْرًا؛ قد كنّا فى الجاهلية على شرٍّ من ذلك، نعبدُ الأصنام، ونعتنق الأوثان حتى أكرمَنا الله بالإسلام. فقال: نعم والله يا أمير المؤمنين؛ لقد كنت كاهنًا فى الجاهليّة. قال: فأخبِرْنا ما أعجبُ ما جاءك به صاحبك. قال: جاءنى قبل الإسلام بشهر — أو سنة — فقال لى: «ألم تر إلى الجنّ وإبلاسها، وإياسها من دينها، ولحوقها بالقِلاص وأحلاسها[4]!». قال: فقال عمر عند ذلك يحدّث الناس: والله إنى لعندَ وثنٍ من أوثان الجاهلية فى نفرٍ من قريش؛ قد ذبح له رجل من العرب عجلاً فنحن ننتظرُ قَسْمَه ليقسم لنا منه، إذ سمعتُ من جوف العجل صوتًا ما سمعتُ صوتًا قطّ أنفذَ منه؛ وذلك قبل الإسلام بشهر أو شُيَيْعه[5]، يقول: يا آل ذريح؛

١/١١٤٥

---

(١) كذا فى ر، م، وفى ط: «رحم عليه». (٢) ابن هشام: «داخلاً».

(٣ — ٣) ابن هشام: «سبحان الله يا أمير المؤمنين، لقد خلت فىّ، واستقبلتنى بأمر ما أراك قلته لأحد».

(٤) قال ابن هشام: هذا الكلام سجع وليس بشعر. والإبلاس: الذلة. والإياس: اليأس. والقلاص من الإبل: الفتية. والأحلاس: جمع حلس، وهو الكساء يوضع على ظهر البعير.

(٥) كذا فى ابن هشام، قال السهيلى: «أو شيعه، اى دونه بقليل، وشيع كل شىء ما هو تبع له». وفى ط: «أو سنة»، والأجود ما أثبته عن ابن هشام.

أمْرٌ نجيح ، ورَجُلٌ يصيح ؛ يقول : لا إله إلا الله[١] .

حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا عليّ بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، عن الزهريّ ، عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفّان، مثله .

حدّثنا الحارث ، قال: حدّثنا محمّد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر قال : حَدّثنى محمد بن عبد الله، عن الزهريّ ، عن محمد بن جُبير بن مطعِم، عن أبيه، قال: كُنّا جلوساً عند صَنم ببُوانة قبل أن يبعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بشهر ؛ نحرنا جَزُوراً ؛ فإذا صائح يصيح من جَوْف واحدة : اسمعوا إلى العجب ! ذهب استراق الوحى ، ونرمى بالشُّهُب لنبيّ بمكة اسمه أحمد، مهاجَره إلى يثرب . قال : فأمسكنا ، وعجبنا ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم[٢] . ١١٤٦/١

حدّثنى أحمد بن سنان القطان الواسطيّ ، قال: حدّثنا أبو معاوية قال : حدّثنا الأعمش ، عن أبي ظَبْيان، عن ابن عبّاس ، أنّ رجلاً من بنى عامر أتَى النبيّ صلى الله عليه وسلّم، فقال: أرنى الخاتَم الذى بين كتفيك؛ فإن يَكُ بك[٣] طِبٌّ داويتُك؛ فإنى أطبّ العرب ، قال : أتحبّ أن أريَكَ آية ؟ قال : نعم ؛ ادعُ ذاك العِذْق ، قال : فنظر إلى عِذْق فى نخلة ، فدعاه فجعلَ ينقُز[٤] ؛ حتى قام بين يديه ، قال : قل له فليرجِعْ ، فرجع ، فقال العامريّ : يا بنى عامر ، ما رأيتُ كاليوم أسحر !

* * *

قال أبو جعفر : والأخبار عن الدلالة على نبوته صلّى الله عليه وسلّم أكثر من أن تحصى ، ولذلك كتاب يفرد إن شاء الله .

ونرجع الآن إلى :

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٩ — ١٤٠ .
(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١ .
(٣) الطبّ ها هنا : السحر .
(٤) النقز : الوثب .

ذكر الخبر عمّا كان من أمر نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم عند ابتداء الله تعالى ذكره إيّاه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السّلام إليه بوحيه

قال أبو جعفر: قد ذكرنا قبلُ بعضَ الأخبار الواردة عن أوّل وقت مجيء جبريل نبينا محمّداً صلى الله عليه وسلّم بالوحْي من الله، وكم كان سنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم يومئذ؛ ونذكر الآن صفة ابتداء جبريل إياه بالمصير إليه، وظهوره له بتنزيل ربّه. ١١٤٧/١

فحدّثني أحمد بن عثمان المعروف بأبي الجوزاء، قال: حدّثنا وهب ابن جرير، قال: حدّثنا أبي، قال: سمعتُ النُّعمان بن راشد، يحدّث عن الزّهريّ، عن عُرْوة، عن عائشة أنها قالت: كان أوّل ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلّم من الوَحْي الرؤيا الصادقة، كانت تجيء مثلَ فلَق الصُّبْح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان بغار بحراء يتحنَّث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى أهله، فيتزوّد لمثلها؛ حتى فجأه الحقّ، فأتاه، فقال: يا محمّد، أنتَ رسول الله! قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: فجثوْتُ لركبتي وأنا قائم، ثمّ زحفتُ[(١)] ترجفُ بوادِرِي[(٢)]، ثمّ دخلت على خديجة، فقلت: زمّلوني، زمّلوني! حتى ذهب عني الرَّوْع، ثم أتاني فقال: يا محمّد، أنت رسولُ الله. قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حَالِقٍ من جبل، فتبدّى لي حين هممت بذلك، فقال: يا محمّد، أنا جبريل، وأنتَ رسول الله. ثم قال: اقرأ، قلت: ما أقرأ؟ قال: فأخذني فغتّني ثلاث مرات، حتى بلغ منّي الجهد، ثم قال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[(٣)]، فقرأتُ. فأتيتُ خديجة. فقلت: لقد أشفقتُ على نفسي، فأخبرتها خبرِي، فقالت: أبشِرْ، فوالله لا يُخزيكَ الله أبداً؛ ووالله إنّك لتَصِلُ

---

(١) ر والتفسير: «رجعت».

(٢) ر والتفسير: «فؤادي».

(٣) سورة العلق ١.

الرَّحِم ، وتصدقُ الحديث ، وتؤدّى الأمانة ، وتحملُ الكَلّ وتَقْرِى الضّيف ، وتُعين على نوائب الحقّ . ثم انطلقتْ بى إلى ورقة بن نوفل بن أسد ، قالت : اسمع من ابن أخيك ، فسألنى فأخبرته خبرى ، فقال : هذا الناموسُ الذى أنزِل على موسى بن عمران ، ليتنى فيها جَذَعٌ ! ليتنى أكون حيًّا حينَ يخرجُك قومُك ! قلت : أمُخرِجىَّ هم ؟ قال : نعم ؛ إنه لم يجئْ رجلٌ قطُّ بما جئتَ به إلاّ عُودِىَ ، ولئن أدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزّراً[1] .

١١٤٨/١

ثم كان أول ما نزل علىّ من القرآن بعد «اقرأ» : ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۞ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۞ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۞ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾، و ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ و ﴿وَالضُّحَى ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾[1] .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهْب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : حدّثنى عُرْوة ، أنّ عائشة أخبرته . ثم ذكر نحوه ؛ غير أنه لم يقُلْ : « ثم كان أوّل ما أنزل علىّ من القرآن » . إلى آخره .

حدّثنا محمّد بن عبد الملك بن أبى الشّوارب ، قال : حدّثنا عبدالواحد بن زياد ، قال : حدّثنا سليمان الشّيبانىّ ، قال : حدّثنا عبدالله بن شدّاد ، قال : أتى جبريلُ محمّداً صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمّد ، اقرأ ؟ فقال : ما أقرأ ؟ قال : فضمّه[2] ، ثمّ قال : يا محمّد ، اقرأ ، قال : ما أقرأ ؟ قال : فضمّه ، ثم قال : يا محمّد ، اقرأ ، قال : وما أقرأ ؟ قال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ حتّى بلغ ﴿عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ، قال : فجاء إلى خديجة ، فقال : يا خديجة ، ما أرانى إلا قد عُرِض[3] لى ، قالت : كلاّ والله ما كان ربُّك يفعل ذلك بك ؛ ما أتيتَ فاحشةً قطّ . قال : فأتتْ

---

(١) الخبر فى التفسير ٣٠ : ١٦١ ، ١٦٢ (بولاق) .

(٢) ط : « فغمه » ، وما أثبته من التفسير .

(٣) عرض لى ، أى أصابنى مس من الجن . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٨٣ .

١/١١٤٩ خديجةُ ورقةَ بنَ نوفل فأخبرته الخبر ، فقال : لئن كنت صادقة ، إنّ زوجك لنبيّ ، وليلقينّ من أمّته شدّة ، ولئن أدركتُه لأومننّ به .

قال : ثم أبطأ عليه جبريل، فقالت له خديجة : ما أرى ربَّك إلاّ قد قلاك، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿والضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (١) .

حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا سَلمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني وهب بن كَيْسان مولى آل الزّبير ، قال : سمعتُ عبدَ الله بن الزُّبير ، وهو يقول لعُبيد بن عمير بن قتادة الليثيّ : حدّثنا يا عُبَيْد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلّم من النبوّة حين جاء جبريل عليه السّلام ؟ فقال عُبيد — وأنا حاضر يحدّث عبدالله بن الزُّبير ومَنْ عنده من النّاس : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم يجاورُ فى حراء من كلّ سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنّثُ(٢) بهقريش فى الجاهلية — والتحنث: التبرّر — وقال أبو طالب :

* وَرَاقٍ لِيَرْقَى فى حِرَاءٍ ونَازِلِ * (٣)

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يجاورُ ذلك الشهر من كلّ سنة ، يطعم مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قَضَى رسول الله صلى الله عليه وسلّم جواره من شهره ذلك، كان أوّل ما يبدأ به — إذا انصرف من جواره — الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعًا ، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله عزّ وجلّ فيه ما أراد من كرامته، من السّنة التى بعثه فيها ؛ وذلك فى شهر رمضان، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم إلى حراء —

١/١١٥٠ كما كان يخرج لجواره — معه أهله؛ حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل بأمر الله فقال رسول الله صلى الله

(١) الخبر فى التفسير ٣٠ : ١٦٢ (بولاق) .

(٢) ح : « تتحنث » .

(٣) صدره فى ابن هشام :

* وثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثبيرًا مَكَانَهُ *

عليه وسلّم ، فجاءنى وأنا نائم بنَمَط من ديباجٍ ، فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أقرأ ؟ فغتّنى(١) ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ماذا أقرأ ؟ وما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعود إلىّ بمثل ما صنع بى ؛ قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قال : فقرأته ، قال : ثم انتهى ، ثم انصرفَ عنّى وهببْت من نومى ؛ وكأنّما كتب فى قلبى كتاباً .

قال : ولم يكن من خَلْق الله أحدٌ أبغضَ إلىّ من شاعر أو مجنون ؛ كنت لا أطيق أن أنظر إليهما ، قال : قلت إنّ الأبْعَدَ — يعنى نفسه — لَشاعر أو مجنون ، لاتحدّث بها عنّى قريش أبداً ! لأعمِدنّ إلى حَالِقٍ من الجبل فلأطرحنّ نفسى منه فلأقتلنّها فلأستريحنّ .

قال : فخرجت أريد ذلك ؛ حتى إذا كنت فى وسطَ من الجبل ؛ سمعت صوتاً من السّماء يقول : يا محمّد، أنتَ رسول الله ، وأنا جبريل ، قال : فرفعتُ رأسى إلى السّماء ؛ فإذا جِبْرئيلُ فى صورة رجل صافّ قدميه فى أفق السماء ، يقول : يا محمّد، أنت رسول الله وأنا جبرّئيل . قال : فوقفت أنظرُ إليه، وشغلنى ذلك عمّا أردت ؛ فما أتقدّم وما أتأخّر ؛ وجعلت أصرفُ وجهى عنه فى آفاق السّماء فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك ؛ فما زلتُ واقفاً ما أتقدّم أمامى ، ولا أرجع ورائى ؛ حتى بعثتْ خديجة رسلَها فى طلبى ؛ حتى بلغوا مكّة ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى . ثم انصرف عنى وانصرفت راجعاً إلى أهلى ؛ حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخِذِها مُضيفاً(٢) فقالت : يا أبا القاسم ؛ أين كنت ؟ فوالله لقد بعثتُ رسلى فى طلبك ، حتى بلغوا مكة ورجعوا إلىّ . قال : قلت لها: إنّ الأبْعَدَ لشاعر أو مجنون ، فقالت :

١١٥١/١

---

(١) قال ابن الأثير : « الغت والغط سواء ؛ كأنه أراد : عصرنى عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة ، كما يجد من يغمس فى الماء قهرا » .

(٢) مضيفاً ، أى ملتصقاً بها مائلا إليها ؛ أضفت إلى الرجل ؛ إذا ملت نحوه ولصقت به .

أعيذك بالله من ذلك يا أبا القاسم ! ما كان الله ليصنعَ ذلك بك مع ما أعلم منكَ من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خلقك ، وصلة رحمك ! وما ذاك يا بن عمّ! لعلّك رأيت شيئًا ؟ قال : فقلت لها : نعم . ثمّ حدّثتُها بالذى رأيت ؛ فقالت : أبشرْ يابن عمّ واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكونَ نبيّ هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقتْ إلى ورقة بن نوفل بن أسد – وهو ابن عمّها ، وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكتب ، وسمع من أهلِ التوراة والإنجيل – فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قُدُّوس ، قُدُّوس ! والذى نفس ورَقَة بيده ، لئن كنتِ صدقتِنى يا خديجة ، لقد جاءه النّاموس[١] الأكبر – يعنى بالنّاموس جبْرئيل عليه السّلام الذى كان يأتى موسى – وإنه لنبيّ هذه الأمّة ، فقولى له فليثبُتْ . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبرته بقول ورقة ، فسهّل ذلك عليه بعضَ ما هو فيه من الهمّ ، فلما قضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جواره ، وانصرف صنع كما كان يصنع ؛ وبدأ بالكعبة فطاف بها . فلقيَه ورقة بن نوفل ، وهو يطوفُ بالبيت ، فقال : يابن أخى ، أخبرْنى بما رأيت أو سمعت ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال له ورقة : والذى نفسى بيده ، إنك لنبيّ هذه الأمّة ، ولقد جاءك النّاموس الأكبر الذى جاء إلى موسى ، ولتُكذبنّهْ ولتؤذينّهْ ، ولَتُخرجنّهْ ، ولتقاتلنّهْ ؛ ولئن أنا أدركتُ ذلك لأنصرنّ الله نصراً يعلمُه . ثم أدنى رأسَه فقبّل يافُوخه ، ثم انصرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلى منزله[٢] . ١١٥٢/١

وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتًا ، وخفّف عنه بعض ما كان فيه من الهمّ .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزّبير ، أنه حدّث عن

---

(١) أصل الناموس ، هو صاحب سر الرجل فى خيره وشره ؛ فعبر عن الملك الذى جاء بالوحى بذلك .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٣ – ١٥٦ .

خديجة أنّها قالتْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يثبّته فيما أكرمه الله به من نبوّته : يابن عمّ ، أتستطيع أن تخبرَني بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرنى به، فجاءه جبْرئيل عليه السّلام كما كان يأتيه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لخديجة : يا خديجة هذا جبرئيل قد جاءنى ، فقالت : نعم ، فقم يابنَ عمّ ، فاجلس على فخذِى اليُسرى ، فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل فاقعُد على فخذى اليمنى ، فتحوّل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس عليها ، فقالت: هل تراه ؟ قال : نعم؛ قالت: فتحوّل فاجلس فى حجرى ، فتحوّلَ فجلس فى حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، فتحسَّرت ، فألقت خِمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلّم جالسٌ فى حِجْرها ، ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا ، فقالت : يابن عمّ ، اثبُت وأبشر ؛ فوالله إنه لَملَكٌ وما هو بشيطان[1] .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثت بهذا الحديث عبد الله بن الحسن ، فقال : قد سمعت أمىّ فاطمة بنت الحسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة، إلاّ أنّى قد سمعتها تقول : أدخلتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم بينها وبين درْعها، فذهب عند ذلك جبرئيل، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا لَملَك، وما هو بشيطان[1] . ١١٥٣/١

حدثنا ابنُ المثنّى، قال : حدّثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : حدّثنا علىّ بن المبارك ، عن يحيى — يعنى ابن أبى كثير — قال : سألتُ أبا سلمة : أىّ القرآن أنزل أوّل ؟ فقال : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : يقولون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ! فقال أبو سلمَة : سألتُ جابرَ بن عبد الله : أىّ القرآن أنزِل أوّل ؟ فقال : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ ، فقال : لا أخبرك إلاّ ما حدّثنا النبىّ صلى الله عليه وسلّم ، قال : جاورتُ فى حِرَاء، فلما قضيتُ جِوارى، هبطتُ فاستبطنت الوادى،

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٧ .

فنوديتُ ، فنظرتُ عن يمينى وعن شمالى ، وخلْفى وقـُدّامى ، فلم أرَ شيئًا ، فنظرتُ فوقَ رأسى ، فإذا هو جالسٌ عـلَى عرشٍ بين السّماء والأرض ، فخشِيتُ منه ـ قال ابن المثنّى : هكذا قال عثمان بن عمر، وإنما هو «فجـُئثت منه» (١) ـ فلقيتُ خديجة ، فقلت : دَثـِّرُونى ، فدَثـّرونى ، وصبـُّوا علىّ ماءً ، وأنزل علىّ : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ .

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا وكيع ، عن علىّ بن المبارك ، عن يحيى بن أبى كَثير ، قال : سألتُ أبا سلـَمة عن أوّلِ ما نزل من القرآن ، قال : نزلت : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أوّل ، قال : قلت : إنـّهم يقولـُون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ ، فقال : سألت جابر بن عبد الله ، فقال : لا أحدّثك إلا ما حدّثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم ، قال : جاورتُ بحراء ، فلمـّا قضيت جوارى ، هبطت فسمعت صوتـًا ، فنظرت عن يمينى فلم أرَ شيئـًا وعن شمالى فلم أرَ شيئـًا ، ونظرت أمامى فلم أرَ شيئـًا ، ونظرت خـَلْفى فلم أرَ شيئـًا ، فرفعت رأسى ، فرأيت شيئـًا ، فأتيت خديجة ، فقلت : دَثـِّرونى ، وصبـُّوا علىّ ماءً ، قال : فدثـّرُونى وصبـُّوا علىّ ماء بارداً ، فنزلت : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ (٢) .

١/١١٥٤

وحُدّثت عن هشام بن محمّد ، قال : أتى جبريل رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم أوّل ما أتاه ليلةَ السَّبْت ، وليلة الأحد ، ثم ظهر له برسالة الله عزّ وجلّ يوم الاثنين ، فعلـّمه الوضوء ، وعـلـّمه الصلاة ، وعلـّمه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ ، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلّم يوم الاثنين ، يوم أوحى إليه ، أربعون سنة .

حدّثنى أحمد بن محمد بن حبيب الطـّوسى ، قال : حدّثنا أبو داود الطـّيالسىّ ، قال : أخبرنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القـُرشىّ ، قال : أخبرنى عمر بن

---

(١) جئثت منه ، أى خفت وفزعت ، وانظر اللسان .

(٢) الخبر فى التفسير ٢٩ : ٩٠ (بولاق) .

عروة بن الزبير ، قال : سمعتُ عروة بن الزبير يحدّث عن أبى ذرّ الغفارىّ قال : قلتُ: يا رسولَ الله ، كيف علمتَ أنك نبىّ أوّل ما علمت ، حتى علمت ذلك واستيْقنت ؟ قال : يا أبا ذرّ ، أتانى ملَكان وأنا ببعض بطْحاء مكة ، فوقع أحدُهما فى الأرض والآخر بين السّماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو ، قال : فزنْه برجُل ، فوُزِنْت برجل فرجحتُه ، ثم قال : زِنْه بعشرة ، فوزنى بعشرة فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة ، فوزنى بمائة فرجحتهم[1] ، ثم قال: زنه بألف ، فوزنى بألف فرجحتهم ، فجعلوا ينتشرون[2] علىّ من كِفّة الميزان ، قال : فقال أحدهُما للآخر : لو وزنتَه بأمّته رَجَحها . ثم قال أحدهُما لصاحبه : شُقّ بطنَه ، فشق بطنِى ، ثم قال أحدهما : أخرج قلبَه — أو قال : شقّ قلبَه — فشقّ قلبى ، فأخرج منه مغْمَز الشيطان وعلَقَ الدّم ، فطرحها ، ثم قال أحدهما للآخر : اغسِلْ بطنه غَسْل الإناء ، واغسلْ قلبه غسْل الإناء — أو اغسِلْ قلبه غسل المُلاءة — ثم دعا بالسَّكينة ، كأنّها وجه هِرّة بيضاء فأدخلَتْ قلبى ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْ بطنَه ، فخاطا بطنِى ، وجعلا الخاتم بين كتِفَىّ ، فما هو إلا أن ولّيا عنّى فكأنّما أعاين الأمرَ معاينة .

١١٥٥/١

حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى ، قال : حدّثنا ابن ثوْر ، عن معمَر ، عن الزّهرىّ ، قال : فتَر الوحىُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترةً ، فحزن حزنًا شديداً ، جعل يغدو إلى رءوس شواهق الجبال ليتردّى منها ، فكلّما أوْفى بذرْوَة جبَل تبدّى له جبْرئيل ، فيقول : إنك نبىّ الله ؛ فيسكن لذلك جأشُهُ ، وترجع إليه نفسُه ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يحدّث عن ذلك ، قال : فبينما أنا أمشى يومًا ، إذ رأيتُ الملَك الذى كان يأتينى بحراء ، على كرسىّ بين السّماء والأرض ، فجُئِثتُ منه رعبًا ، فرجعت إلى خديجة ، فقلت : زمّلونى ، فزمّلناه — أى دثّرناه — فأنزل الله عزّ وجلّ :

---

(١) ر ، م : « فوزنتهم » .

(٢) ح ، ر : « ينثرون » .

﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ ، قال الزّهرىّ : فكان أوّل شيء أنزل عليه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ حتى بلغ ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1] .

حدّثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهْب ، قال : أخبرَنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرَنى أبو سلمة بن عبد الرّحمن ، أنّ جابر بنَ عبد الله الأنصارىّ ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وهويحدّث عن فَتْرة الوحى : بينا أنا أمشِى سمعتُ صوتًا من السّماء، فرفعت رأسى ، فإذا الملَك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسىّ بين السّماء والأرض . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجُئثت منه فرَقًا ، وجئت فقلت : زمّلونى ، زمّلونى ! فدثّرونى ، فأنزل الله عزّوجلّ : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالرُّجْزَ فاهْجُرْ ﴾ ، قال : ثم تتابع الوحى[1] .

١١٥٦/١

* * *

قال أبو جعفر : فلما أمرَ الله عزّ وجلّ نبيه محمّداً صلى الله عليه وسلم أن يقوم بإنذار قومه عقابَ الله على ما كانوا عليه مقيمين من كفرهم بربّهم وعبادتهم الآلهة والأصنام دون الذى خلقهم ورزقهم ؛ وأن يحدّث بنعمة ربه عليه بقوله : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ، وذلك — فيما زعم ابن إسحاق — النبوّة .

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ، أى ما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوّة فحدّث ؛ اذكرها وادعُ إليها . قال : فجعلَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يذكر ما أنعم الله عليه وعلى العباد به من النبوّة سرًّا إلى مَنْ يطمئنّ إليه من

(١) الخبر فى التفسير ٢٩ : ٩٠ (بولاق) .

أهله ؛ فكان أوّل مَنْ صدّقه وآمن به واتّبعه من خلْق الله — فيما ذكر — زوجته خديجة رحمها الله(١) .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : قال الواقديّ : أصحابُنَا مجمِعون على أنّ أوّلَ أهل القبلة استجاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم خديجة بنت خويلد رحمها الله .

* * *

قال أبو جعفر : ثمّ كانَ أوّل شيء فرَضَ الله عزّ وجلّ من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان والأصنام وخلْع الأنداد الصلاةُ — فيما ذكر .

١١٥٧/١ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثني بعضُ أهلِ العلم أنّ الصّلاة حين افترِضَتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، أتاه جَبْرَئيل وهو بأعلَى(٢) مكة ، فهمزَ له بعقبه في ناحية الوادى ، فانفجرت منه عين ، فتوضّأ جبرئيل عليه السلام ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ينظر إليه ليريَه كيف الطّهور للصلاة ، ثم توضّأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم كما رأى جبرئيل عليه السلام توضّأ ، ثم قام جبرئيل عليه السلام ، فصلّى به وصلّى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بصلاته . ثم انصرف جبرئيل عليه السّلام ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلّم خديجة ، فتوضّأ لها يُريها كيفَ الطّهور للصّلاة ؛ كما أراه جبرئيل عليه السلام ، فتوضأتْ كما توضّأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم صلّى بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما صلّى به جبرئيل عليه السلام ، فصلتْ بصلاته .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا هارون بن المغيرة وَحكّام بن سَلْم ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) ح : « بمكة » .

عن عنبسة ، عن أبي هاشم الواسطيّ ، عن ميمون بن سياه ، عن أنس بن مالك، قال : لما كان حينُ نبّئ النبيّ صلى الله عليه وسلّم، وكان ينام حولَ الكعبة ، وكانت قريش تنام حولها ، فأتاه ملكان: جبرئيل وميكائيل، فقالا : بأيّهم أمرنا ؟ فقالا : أمِرْنا بسيّدهم ، ثم ذهبا ثم جاءا من القِبْلة ، وهم ثلاثة ، فألفَوْه وهو نائم ، فقلَبُوه لظهره، وشقّوا بطنَه ، ثم جاءوا بماء من ماء زمزم ، فغسلوا ما كان فى بطنه من شكّ أو شِرْك أو جاهليّة أو ضلالة ، ثم جاءوا بطست من ذهب ، مُلئ إيمانًا وحِكْمة ، فملئ بطنه وجوفه إيمانًا وحكمة ، ثم عرج به إلى السّماء الدّنيا ، فاستفتح جبرئيل ، فقالوا : مَنْ هذا ؟ فقال : جبْرئيل؛ فقالوا : مَنْ معك ؟ فقال : محمّد، قالوا : وقد بُعث ؟ قال : نعم ، قالوا : مرحبًا ، فدعَوْا له فى دعائهم، فلمّا دخل ؛ فإذا هو برجل جَسيم وسيم ، فقال : مَنْ هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا أبوك آدم ، ثم أتوْا به إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبرئيل ، فقيل له مثل ذلك ، وقالوا فى السّموات كلّها كما قال وقيل له فى السّماء الدّنيا، فلما دخلَ، إذا برجُليْن ، فقال : مَنْ هؤلاء يا جبْرئيل ؟ فقال : يحيي وعيسى ابنا الخالة ، ثم أتى به السّماء الثالثة ، فلما دخل إذا هو برجل ، فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ قال : هذا أخوك يوسف ، فُضّل بالحسُنْ على النّاس ، كما فُضّل القمر ليلة البدر على الكواكب ، ثم أتِيَ به السّماء الرابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ فقال : هذا إدريس ، ثم قرأ : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[1] ، ثم أتِيَ به السماء الخامسة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ قال : هذا هارون ، ثم أتِيَ به السّماء السّادسة ، فإذا هو برجل فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ فقال : هذا موسى ، ثم أتى به السّماء السابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : مَنْ هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم ، ثم انطلق إلى الجنة ، فإذا هو بنهر أشدّ بياضًا من اللبن ، وأحلَى من العسل ، بجنبتيه قِباب الدرّ ، فقال : ما هذا ياجبرئيل ؟ فقال : هذا الكَوْثَرُ الذى

١١٥٨/١

---

(١) سورة مريم ٥٧ .

أعطاك ربُّك، وهذه مساكنك ، قال : وأخذ جبرئيل بيده من تربته ، فإذا هو مسك أذفَرُ ، ثم خرج إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى وهى سدرة نَبْق أعظمُها أمثال الجرار ، وأصغرها أمثال البَيْض ، فدَنَا ربُّك عزّ وجلّ :﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾[1] ، فجعل يتغشّى السدْرَةَ من دُنُوّ[2] ربها تبارك وتعالى ، أمثال الدرّ والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ألوان . فأوحى إلى عبده، وفهّمه وعلّمه وفرض عليه خمسين صلاة، فمرّ على موسى ، فقال : ما فرَض على أمتك ؟ فقال : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فسَلْه التخفيف لأمّتك ، فإنّ أمّتك أضعفُ الأمم قوّة، وأقلّها عمراً؛ وذكَر ما لقى من بنى إسرائيل ، فرجع فوضع عنه عشراً ، ثم مرّ على موسى ، فقال :ارجع إلى ربّك فسله التخفيف ؛ كذلك حتى جعلها خمسًا ، قال : ارجع إلى ربك فسلْه التخفيف ، فقال : لستُ براجع ؛ غيرَ عاصيك ؛ وقذف فى قلبه ألاّ يرجع ، فقال الله عزّ وجلّ : « لا يبدّل كلامى ، ولا يردّ قضائى وفرضى » ، وخفّف عن أمتى الصلاة لعشْر . قال أنس: وما وجدت ريحًا قطّ ولا ريحَ عَروس قطّ ، أطيب ريحًا من جِلْدِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ ألزقت جلدى بجلده وشمِمْتُه . ١١٥٩/١

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف السَّلَف فيمن اتّبع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآمن به وصدّقه على ما جاء به[3] من عندِ الله من الحقّ بعد زوجته خديجة بنت خويلد ، وصلّى معه .

فقال بعضهم :كان أوّل ذكَرٍ آمن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصلّى معه وصدّقه بما جاءه من عند الله علىّ بن أبى طالب عليه السّلام .

(١) سورة النجم ٩ .
(٢) ح : « نور » .
(٣) ح : « جاءه » .

* ذكر بعض من قال ذلك ممن حضرنا ذكره :

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا إبراهيم بن المختار ، عن شعبة[١] ، عن أبي بَلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس ، قال : أوّل مَنْ صلّى عليٌّ .

١١٦٠/١

حدّثنا زكريّاء بن يحيى الضّرير ، قال: حدّثنا عبد الحميد بن بحر ، قال : أخبرنا شريك ، عن عبد الله بن محمّد بن عَقيل ، عن جابر ، قال : بُعث النبيّ صلى الله عليه وسلّم يوم الاثنين ، وصلى عليٌّ يوم الثلاثاء .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا محمّد بن جعفر ، قال : حدّثنا شُعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي حمزة ، عن زيد بن أرقم ، قال : أوّل مَنْ أسلمَ مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليّ بن أبي طالب . قال : فذكرتهُ للنَّخَعِيّ ، فأنكره ، وقال : أبو بكر أوّلُ مَنْ أسلم .

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا وكيع ، عن شُعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي حَمْزة مولى الأنصار ، عن زيد بن أرقم ، قال : أوّلُ مَنْ أسلم مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليّ بن أبي طالب عليه السّلام .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا عبيد بن سعيد ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا حمزة (رجلا من الأنصار) ، يقول : سمعت زيد بن أرقم ، يقول : أوّلُ رجل صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم عليّ عليه السّلام .

حدّثنا أحمد بن الحسن التّرمذيّ ، قال: حدّثنا عُبيد الله بن موسى ، قال: أخبرنا العَلاء[٢] ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبّاد بن عبد الله ، قال: سمعتُ عليًّا يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصِّدّيق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب[٣] مُفْتَرٍ ، صلّيت مع رسول الله قبلَ النّاس بسبع سنين .

---

(١) ر : « سعيد » .

(٢) هو العلاء بن صالح التيمي (الميزان) .

(٣) ر : « كذاب » .

حدّثنى محمّد بن عبيد المحاربىّ[1] ، قال: حدّثنا سعيد بن خُثَيم، عن أسد بن عَبدة البجَلىّ ، عن يحيى بن عفيف، عن عفيف، قال : جئتُ فى الجاهلية إلى مكّة ، فنزلت على العبّاس بن عبد المطلب . قال: فلمّا طلعت الشمس وحلّقت فى السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شابٌّ ، فرمى ببصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة ، فقام مستقبلها ، فلم يلبثْ حتى جاء غلام ، فقام عن يمينه . قال : فلم يلبَثْ حتى جاءت امرأة ، فقامت خلْفهما ؛ فركع الشابُّ ، فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشابّ فرفع الغلام والمرأة ، فخرّ الشابّ ساجداً فسجدا معه ، فقلت : يا عبّاس، أمر عظيم ! فقال : أمر عظيم ! أتدرِى مَنْ هذا ؟ فقلت : لا ، قال: هذا محمّد بن عبد الله بن عبدالمطّلب، ابن أخى. أتدرِى مَنْ هذا معه ؟ قلت: لا ، قال : هذا علىٌّ بن أبى طالب ابن عبد المطلب، ابن أخى . أتدرى مَنْ هذه المرأة التى خلْفهما ؟ قلتُ : لا ، قال : هذه خديجة بنت خُويلد ، زوجة ابن أخى ، وهذا حدّثنى أنّ ربّك ربّ السماء ، أمرهم بهذا الذى تراهم عليه، وايْمُ الله ما أعلم على ظهر الأرض كلّها أحداً على هذا الدّين غير هؤلاء الثلاثة .

١١٦١/١

حدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا يونس بن بكير ، قال: حدّثنا محمّد ابن إسحاق، قال : حدّثنى يحيى بن أبى الأشعث الكِنْدىّ ، من أهل الكوفة، قال : حدثنى إسماعيل بن إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كنت امرأً تاجراً ، فقدمت أيام الحج ، فأتيت العبّاس ، فبينا نحن عنده إذ خرجَ رجلٌ يصلّى ، فقام تُجاهَ الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت معه تصلى ، وخرج غلام فقام يصلّى معه ، فقلت: يا عباس ، ما هذا الدّين ؟ إنّ هذا الدّينَ ما أدرى ما هو ؟ قال : هذا محمّد بن عبد الله، يزعُم أنّ الله أرسله به ، وأنّ كُنوز كسرى وقيصر ستفتَح عليه ، وهذه امرأتُه خديجة بنت خُوَيلِد آمنت به ، وهذا الغلام ابنُ عَمّه علىّ بن أبى طالب ، آمن به . قال عفيف : فليتَنى كنتُ آمنتُ يومئذ فكنتُ أكون رابعًا !

١١٦٢/١

(١) ر : « النجارى ».

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة بن الفَضْل وعلىّ بن مجاهد ، قال سلَمة : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، عن يحيى بن أبى الأشعث — قال أبو جعفر : وهو فى موضع آخر من كتابى عن يحيى بن الأشعث — عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندىّ — وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس الكندىّ لأمّه ، وكان ابن عمه — عن أبيه عن جدّه عفيف ، قال : كان العبّاس ابن عبدْ المطلب لى صديقًا ، وكان يختلفُ إلى اليمن ، يشترى العِطْرَ فيبيعه أيّام الموسم ؛ فبينا أنا عند العبّاس بن عبد المطلب بِمنًى ، فأتاه رجل مجتمع ، فتوضّأ فأسبغَ الوضوء ، ثم قام يصلّى ، فخرجت امرأةٌ فتوضّأت وقامت تصلّى ثم خرج غلام قد راهق ، فتوضّأ ، ثم قام إلى جَنْبه يصلّى ، فقلت : وَيْحك يا عبّاس ! ما هذا ؟ قال : هذا ابنُ أخى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، يزعم أنّ الله بعثه رسولا ، وهذا ابنُ أخى علىّ بن أبى طالب قد تابَعه على دينه ، وهذه امرأته خديجة ابنة خويلد ، قد تابعتْه على دينه . قال عفيف بعد ما أسلم ورسخ الإسلام فى قلبه : يا ليتنى كُنتُ رابعًا ! ١/١١٦٣

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا عيسى بن سَوادة بن الجَعْد ، قال : حدّثنا محمّد بن المنكدرِ[1] وربيعة بن أبى عبد الرحمن ، وأبو حازم المدنى[2] ، والكلبىّ ، قالوا : علىّ أوّل مَنْ أسلم . قال الكلبىّ : أسلم وهو ابنُ تسع سنين .

حدّثنا ابن حُميد ؛ قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان أوّل ذَكَرٍ آمن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وصلّى معه وصدّقه بما جاءه من عند الله ، علىّ بن أبى طالب ؛ وهو يومئذ ابن عشر سنين ، وكان ممّا أنعم الله به على علىّ بن أبى طالب عليه السّلام ، أنه كان فى حِجْر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل الإسلام .

---

(١) ر وابن الأثير : « المنذر » .

(٢) ر : « المرى » .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى عبد الله بن أبى نَجِيح ، عن مجاهد بن جبْر أبى الحجّاج ، قال : كان مِنْ نعمة الله على علىّ بن أبى طالب ، وما صنعَ الله له وأراده به من الخير ، أنّ قريشًا أصابتْهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للعبّاس عَمّه — وكان من أيْسَرِ بنى هاشم : يا عبّاس ؛ إنّ أخاك أبا طالب كثيرُ العيال ، وقد أصاب النّاس ما تَرى من هذه الأزْمة ، فانطلِقْ بنا فلنخفّف عنه من عِياله ؛ آخذ من بنيه رجلا ، وتأخذ من بنيه رجلاً ، فنكفّهما عنه . قال العباس : نعم ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا : إنّا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لى عَقِيلاً فاصنعا ما شئتما ، فأخذ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم عليًّا فضمّه إليه ، وأخذ العبّاس جعفراً فضمّه إليه ، فلم يزل علىّ بن أبى طالب مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى بعثَه الله نبيًّا ، فاتّبعه علىّ فآمن به وصدّقه ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[١] . ١١٦٤/١

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: فحدّثنى محمّد بن إسحاق، قال : وذكر بعضُ أهل العلم أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شِعاب مكّة، وخرج معه علىّ بن أبى طالب مستخفيًا من عَمّه أبى طالب وجميع أعمامه وسائر قومه، فيصلّيان الصّلَوات فيها ؛ فإذا أمسيا رَجَعا ، فمكثا كذلك ما شاء الله أنْ يمكثا . ثمّ إنّ أبا طالب عثَر عليهما يومًا وهُمَا يصلّيان ، فقال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يابن أخى ، ما هذا الدّين الذى أراك تدين به ؟ قال : أىْ عمّ ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ، ودين أبينا إبراهيم — أو كما قال — بعثنى الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت يا عمّ أحقّ مَنْ بذلتُ له النصيحة ، ودعوته إلى الهُدَى ، وأحقُّ مَنْ أجابنى إليه ، وأعاننى عليه — أو كما قال . فقال أبو طالب : يابن أخى ؛ إنى لا أستطيع أن أفارقَ دينى ودينَ آبائى وما كانوا عليه ؛ ولكن والله لا يُخلَص إليك[١] بشىء تكرهُه ما حييت[٢] .

(١) ر : « لا يخلص إليك شىء » .
(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٣ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : وزعموا أنه قال لعليّ بن أبي طالب : أىْ بُنَيّ ، ما هذا الدين الذى أنت عليه ؟ قال : يا أبَهْ، آمنتُ بالله وبرسوله وصدّقته بما جاء به ، وصلّيت معه لله . فزعموا أنه قال له : أما إنّه لا يدعوكَ[١] إلاّ إلى خَيْر ، فالزمْه[٢] .

١١٦٥/١

حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال : أخبرنا محمّد بن عمر ، قال : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، قال : أسلَم عليّ وهو ابن عشر سنين .

قال الحارث : قال ابنُ سعد : قال الواقديّ : واجتمع أصحابنا على أنّ عليًّا أسلم بعد ما تنبّأ رسولالله صلّى الله عليه وسلّم بسنة، فأقام بمكّة اثنتى عشرة سنة .

* * *

وقال آخرون : أوّلُ مَنْ أسلم من الرجال أبو بكر رضى الله عنه .

* ذكر من قال ذلك :

* حدّثنا سهل بن موسى الرازيّ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن مَغراء ، عن مُجالِد ، عن الشعبيّ، قال : قلت لابن عبّاس: مَنْ أوّل الناس إسلامًا ؟ فقال : أما سمعت قول حسّان بن ثابت :

إذا تذَكّرْتَ شَجْوًا مِنْ أخِى ثِقَةٍ ... فَاذْكُرْ أخاكَ أبا بَكْر بما فَعَلَا[٢]

خَيْرَ البَرِيَّةِ أتقاها وأعْدَلَهَا ... بَعْدَ النَّبيِّ وأوْفاها بما حَمَلا

الثانِيَ التّالِيَ المَحْمُودَ مَشْهَدُهُ ... وَأوّلَ الناسِ منهم صَدّقَ الرُّسُلَا

(١) ح ، ر : « يدعو » . (٢) ابن هشام ١ : ١٦٣ .

(٢) ديوانه ٢٩٩ ، ٣٠٠ مع اختلاف فى الرواية .

وحدثني سعيد بن عنبسة الرازيّ ، قال : حدّثنا الهَيْثَم بن عديّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، عن ابن عباس نحوه[١] . ١١٦٦/١

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدّثنا الهيثم ابن عديّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، عن ابن عباس نحوه .

حدّثنا بَحر[٢] بن نصر الخولانيّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن وَهْب ، قال : أخبرَني معاوية بن صالح ، قال : حدّثني أبو يحيى وضَمْرة بن حبيب وأبو طلحة ، عن أبي أمامة الباهليّ ، قال: حدّثني عمرو بن عبسة[٣] قال : أتيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو نازل بعُكاظ ، قلت: يا رسولَ الله ، مَنْ تبَعك على هذا الأمر ؟ قال : اتّبعني عليه رجلان ؛ حُرٌّ وعبد : أبو بكر وبلال ، قال : فأسلمت عند ذلك ، قال : فلقد رأيتُني إذ ذاك رُبْع الإسلام .

حدثني ابنُ عبد الرحيم البَرْقيّ ، قال : حدّثنا عمرو بن أبي سَلمة ، قال : حدّثنا صدَقة ، عن نصر بن علقمة ، عن أخيه ، عن ابن عائذ ، عن جبير بن نفير ، قال : كان أبو ذرّ وابن عَبَسَة كلاهما يقول: لقد رأيتُني رُبْع الإسلام ، ولم يُسْلِم قَبْلي[٤] إلا النبيّ وأبو بكر وبلال ، كلاهما لا يدرى[٥] متَى أسلم الآخر .

حدّثنا ابنُ حَميد، قال : حدّثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : أوّل مَنْ أسلم أبو بكر .

حدّثنا أبو كُرَيب، قال : حدّثنا وكيع ، قال : حدّثنا شُعبة، عن عمرو بن مرّة ، قال : قال إبراهيم النَّخعيّ : أبو بكر أوّل مَنْ أسلم .

* * *

(١) ح : « بنحوه » .
(٢) م : « يحيى » .
(٣) في الأصول : « عنبسة » .
(٤) م : « قبل » .
(٥) م : « لا ندرى » .

وقال آخرون : أسلم قبل أبى بكر جماعة .

١١٦٧/١ * ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا كنانة بن جبَلة ، عن إبراهيم بن طَهْمان ، عن الحجّاج بن الحجّاج ، عن قتَادة ، عن سالم بن أبى الجَعْد ، عن محمد بن سعد ، قال : قلت لأبى : أكان أبُو بكر أوّلكم إسلامًا ؟ فقال : لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ؛ ولكنْ كان أفضلَنا إسلامًا .

* * *

وقال آخرون : كان أوّلُ مَنْ آمن واتبع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الرجال زيد بن حارثة مولاه .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : قال الواقدىّ : حدّثنى ابن أبى ذئب ، قال : سألت الزُّهرىّ : مَنْ أوّلُ مَنْ أسلم ؟ قال : من النساء خديجة ، ومن الرّجال زيد بن حارثة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبَرنا محمّد ابن عمر ، قال : حدّثنا مُصعب بن ثابت ، عن أبى الأسود ، عن سليمان ابن يسار ، قال : أوّلُ مَنْ أسلم زيد بن حارثة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرنا محمّد — يعنى ابن عمر — قال : حدّثنا ربيعة بن عثمان ، عن عمران بن أبى أنَس مثلــه .

وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدّثنا عبدُ الملك ابن مسلَمة ، قال : حدثنا ابن لَهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عُروة ، قال : أوّلُ مَنْ أسلم زيد بن حَارثة .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال فى ذلك ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة عنه : ثم أسلَم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فكان

١١٦٨/١ أوّل ذكَرٍ[١] أسلم، وصلّى بعد علىّ بن أبى طالب ، ثم أسلم أبو بكر بن أبى قُحافة الصدّيق ، فلما أسلم أظهر إسلامَه[٢] ، ودعا إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله . قال: وكان أبو بكر رجلاً مألفًا لقومه، محببًا سهلاً ، وكان أنسَب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خيرٍ أو شرّ ، وكان رجلاً تاجراً ذا خلُق ومعروفٍ ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجاربِه وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وثِق به من قومِه ممّن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه — فيما بلغنى — عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقّاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين استجابوا له ، فأسلموا وصلَّوْا ، فكان هؤلاء الثمانية، النّفر[٣] الذين سبقوا إلى الإسلام ، فصلَّوْا وصدّقُوا برسول الله صلَّى الله عليه وسلّم وآمنوا بما جاء به من عند الله ؛ ثم تتابع الناسُ فى الدخول فى الإسلام ؛ الرجال منهم والنساء ؛ حتى فشا ذِكْرُ الإسلام بمكّة وتحدّث به الناس[٤] .

وقال الواقدىّ فى ذلك ما حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، عنه : اجتمعَ أصحابُنا على أنّ أوّلَ أهل القبلة استجابَ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلّم خديجة بنت خُوَيلد ، ثم اختلف عندنا فى ثلاثة نفر : فى أبى بكر وعلىّ ، وزيد بن حارثة ، أيّهم أسلم أوّل .

قال : وقال الواقدىّ : أسلم معهم خالد بن سعيد بن العاص خامسًا ، وأسلم أبو ذرّ ، قالوا : رابعًا أو خامسًا ، وأسلم عمرو بن عبَسة السّلمىّ ، فيقال: رابعًا أو خامسًا . قال : فإنما اختلف عندنا فى هؤلاء النفر أيّهم أسلم ١١٦٩/١ أوّل ؛ وفى ذلك روايات كثيرة . قال: فيُختلف فى الثلاثة المتقدمين ، وفى هؤلاء الذين كتبنا بعدهم .

---

(١) ر : « من »

(٢) ح ، م : « الإسلام » .

(٣) كذا فى ح وفى ط : « نفر » ، وفى ابن هشام : « النفر الثمانية » .

(٤) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٤ ، ١٦٥ .

حدثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد، قال : أخبرنا محمّد بن عمر ، قال : حدّثني مُصعب بن ثابت ، قال : حدّثنا أبوُ الأسود محمّد بن عبد الرحمن بن الأسود بن نَوْفل ، قال : كان إسلام الزُّبير بعد أبي بكر ، كان رابعًا أو خامسًا .

وأمّا ابن إسحاق، فإنّه ذكر أنّ خالد بن سعيدبن العاص وامرأته أمَينَة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة ، من خُزاعة ، أسلما بعد جماعة كثيرة غير الذين ذكرتُهم بأسمائهم ؛ أنهم كانوا من السّابقين إلى الإسلام(١) .

* * *

ثم إنّ الله عزّوجل أمر نبيّه محمّداً صلّى الله عليه وسلّم بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدَع بما جاءه منه ، وأن يبادِيَ الناسَ بأمره ، ويدعوَ إليه ، فقال له: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٢)،وكان قبل ذلك — في السّنين الثلاث من مبعثه ؛ إلى أن أمر بإظهار الدّعاء إلى الله — مستسرًّا مخفيًا أمره صلّى الله عليه وسلّم، وأنزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ * وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٣) ، قال: وكان أصحابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إذا صلَّوْا ذهبوا إلى الشّعاب ، فاستخفَوْا من قومهم ؛ فبينا سعد بن أبي وقّاص في نَفَر من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في شِعْب من شِعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلُّون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ؛ حتى قاتلوهم ، فاقتتلوا، فضرب سعد بن أبي وقّاص يومئذ رجلاً من المشركين بلَحْيِ جملٍ فشجّه، فكان أوّلَ دم أهَريق(٤) في الإسلام(٥). ١١٧٠/١

فحدّثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : حدّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سَعيد بن جُبير ، عن ابن عبّاس ، قال :

---

(١) ابن هشام ١ : ١٦٨ .

(٢) سورة الحجر ٩٤ .

(٣) سورة الشعراء ٢١٤ — ٢١٦ .

(٤) ح : « هريق » .

(٥) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٨ ، ١٦٩

صعِد رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ذات يوم الصَّفَا، فقال : ياصَبَاحاه ! فاجتمعتْ إليه قريش ، فقالوا : مالك ؟ قال : أرأيت إنْ أخبرتكم أنّ العدوّ[1] مصبّحكم أو ممسّيكم ، أما كنتم تصدّقوننى ! قالوا : بلَى ؛ قال : فإنى نذير لكم بين يدىْ عذابٍ شديد . فقال أبو لهب : تبًّا لك ! ألهذا دعوتنا — أو جمعتنا ! فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ تبَّتْ يدَا أبِى لَهَبٍ وتبَّ ﴾[2] إلى آخر السورة .

حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن عمرو بنِ مرّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، قال : لما نزلتْ هذه الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[3] ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم حتى صعِد الصّفا ، فهتف : يا صباحاه ! فقالوا : من هذا الذى يهتِف ؟ قالوا : محمّد ، فقال : يا بنى فلان ، يا بنى عبد المطّلب ، يا بنى عبد مناف! فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتُكم أنّ خيلاً تخرج بسفْح هذا الجبَل ، أكنتم مصدّقىّ ؟ قالوا : ما جرّبنا عليك كذبًا ، قال : فإنى نذيرٌ لكم بين يدىّ عذابٍ شديد . فقال أبو لهب : تبًّا لك ! ما جمعتنا إلاّ لهذا! ثم قام، فنزلت هذه السورة : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلى آخر السورة .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن عبد الله ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، عن عبد الله بن عباس ، عن علىّ بن أبى طالب ، قال : لما نزلتْ هذه الآية على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، دعانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم فقال لى : يا علىّ ، إنّ الله أمرَنِى أن أنذِر عشيرتى الأقربين ، ١١٧١/١

---

(١) ح : « العذاب » .

(٢) سورة المسد (٣) سورة الشعراء ٢١٤

فضقتُ بذلك ذرعًا، وعرفت أنّى متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُّ عليه حتى جاءنى جبرئيل فقال: يا محمد، إنك إلاّ تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربُّك، فاصنعْ لنا صاعًا من طعام، واجعل عليه رَحْلَ شاة، واملأ لنا عُسًّا من لبن؛ ثم اجمعْ لى بنى عبد المطلب حتى أكلّمهم [(١)]، وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرنى به. ثم دعوتُهم له؛ وهم يومئذ أربعون رجلا، يزيدون رجلاً أو ينقصونه؛ فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب؛ فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطّعام الذى صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعتُه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلّم حِذْيَةً [(٢)] مِن اللحم، فشقّها بأسنانه، ثم ألقاها فى نواحى الصّحْفة. ثمّ قال: خذُوا بسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشىء حاجة وما أرى إلاّ موضع [(٣)] أيديهم، وايمُ الله الذى نَفْسُ علىّ بيده؛ وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكلُ ما قدمت لجميعهم. ثم قال: اسقِ القوم، فجئتهم بذلك العُس، فشربوا منه حتى روُوا منه جميعًا، وايمُ الله إن كان الرجلُ الواحد منهم ليَشرب مثله، فلما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أن يكلّمَهم بدرَهُ أبو لهب إلى الكلام، فقال: لَهَدّما [(٤)] سحركم صاحبُكم! فتفرّق القوم ولم يكلّمْهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم، فقال: الغد يا علىّ؛ إنّ هذا الرجل سبقنى إلى ما قد سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أن أكلّمهم، فعُدْ لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إلىّ.

١١٧٢/١

قال: ففعلتُ، ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقرّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتّى مالهم بشىء حاجة. ثم قال: اسقهم، فجئتهم بذلك العُسّ، فشربوا حتى رَوُوا منه جميعًا، ثم تكلّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقال: يا بنى عبد المطلب؛ إنى والله ما أعلمُ شابًّا فى العرب جاء قومَه

---

(١) م: «أعلمهم».
(٢) الحذية من اللحم: ما قطع منه طولا.
(٣) ابن الأثير: «مواضع».
(٤) لهدّ: كلمة يتعجب بها، وفى ط: «لقد ما»، والصواب ما أثبته من التفسير والنهاية لابن الأثير ٤: ٢٤٢.

بأفضل مما قد جئتكم به؛ إنى قد جئتكم بخير الدّنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوَكم إليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيّى وخليفتى فيكم ؟ قال : فأحجم القومُ عنها جميعًا ، وقلت ؛ وإنى لأحدثُهم سنًّا ، وأرمصهم[١] عينًا ، وأعظمهم بطنًا ، وأحمشهم ساقًا[٢] ؛ أنا يا نبىّ الله ، أكون وزيرَك عليه . فأخذ برقبتى ، ثم قال : إن هذا أخى ووصىّ وخليفتى فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا . قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبى طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[٣] . ١١٧٣/١

حدّثنى زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدّثنا عفان بن مسلم ، قال : حدّثنا أبو عوانة ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبى صادق ، عن ربيعة بن ناجد ، أنّ رجلاً قال لعلىّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، بمَ ورثت ابنَ عمّك دون عمّك؟ فقال علىّ : هاؤم! ثلاث مرات ؛ حتى اشرأبَّ الناس ، ونشروا آذانهم . ثم قال : جمَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم — أو دعا رسول الله — بنى عبد المطلب منهم رهطه ، كلّهم يأكل الجذَعة ويشرب الفرْقَ[٤] ، قال : فصنع لهم مُدًّا من طعام ، فأكلوا حتى شبعوا وبقى الطّعام كما هو ؛ كأنه لم يمسّ . قال : ثم دعا بغُمَرٍ[٥] فشربوا حتى رَوُوا وبقىَ الشراب كأنه لم يمسّ ولم يشربوا . قال : ثم قال : يا بنى عبد المطلب ، إنى بُعِثتُ إليكم بخاصّة وإلى الناس بعامة ، وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم ، فأيّكم يبايعنى علَى أن يكون أخى وصاحبى ووارثى ؟ فلم يقم إليه أحدٌ ، فقمت إليه — وكنت أصغرَ القوم — قال : فقال : اجلس ، قال : ثم قال ثلاث مرات ، كلّ ذلك أقوم إليه ، فيقول لى : اجلس ، حتى كان

---

(١) الرمص فى العين كالغمص ، وهو قذى تلفظ به ، وهو كناية عن صغر سنه .

(٢) حمش الساقين : دقيقها .

(٣) الخبر فى التفسير ١٩ : ٧٤ ، ٧٥ (بولاق)

(٤) الفرق، بكسر الفاء ، و بعضهم يقول بالفتح : مكيال كبير لأهل المدينة يكال به اللبن .

(٥) الغمر : القدح الصغير ، وفى ر : « بعس » .

فى الثالثة، فضرب بِيده على يدى، قال : فبذلك ورثتُ ابنَ عمّى دون عمّى .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سَلمة ، حدثنا محمد بن إسحاق، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبى الحسن ، قال : لما نزلتْ هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، ثم قال : يا بنى عبد المطّلب ، يابنى عبد مناف، يا بنى قصىّ– قال: ثم فخَذَ[١] قريشا قبيلة قبيلة ، حتى مرّ[٢] على آخرهم – إنى أدعوكم إلى الله وأنذركم عذابه[٣] .

١١٧٤/١

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا جارية بن أبى عمران ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، قال : أمِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يصدَع بما جاءه من عند الله ، وأن يبادِىَ الناس بأمره ، وأنيدعوَهم إلى[٤] الله ، فكان يدعو مِنْ أوّل ما نزلت عليه النبوّة ثلاث سنين ، مستخفياً ، إلى أن أمِر بالظهور للدعاء[٥] .

قال ابن إسحاق– فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة، عنه : فصدع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله ، وبادَى قومَه بالإسلام ، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه ، ولم يردّوا عليه بعض الردّ – فيما بلغنى – حتى[٦] ذكر آلهتهم وعابها ، فلمّا فعل ذلك ناكروه وأجمعُوا على خلافه وعداوته إلاّ مَنْ عصم الله منهم[٧] بالإسلام ؛ وهم قليل مستخفُون، وحَدِب عليه أبو طالب عمّه ومنعه ، وقام دونه ، ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

(١) فخذهم : دعاهم فخذا فخذا ، والفخذ أقل من البطن ، وأولها : الشعب ثم القبيلة ، ثم الفصيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن . وانظر اللسان . وفى ر : «عد» .
(٢) ح : «أتى» .
(٣) الخبر فى التفسير ١٩ : ٧٥ (بولاق) .
(٤) م : «فأمره أن يدعوهم» .
(٥) طبقات ابن سعد ١ : ١٩٩ وهناك : «إلى أن أمر بظهور الدعاء» .
(٦) م : «عن» .
(٧) زاد فى ح : «عن ذلك» .

على أمرِ الله مظهرًا لأمره ، لا يردّه عنه شيء . فلما رأت قريش أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لا يُعتبهم[1] مِنْ شيء [يكرهونه مما][2] أنكروه عليه من فراقهم وعَيْب آلهتهم ، ورأوْا أنّ أبا طالب قد حَدِبَ عليه ، وقام دونه فلم يُسلِمْه لهم ، مشى رجالٌ من أشراف قريش إلى أبي طالب : عُتْبة ابن ربيعة ، وشيْبة بن ربيعة ، وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام ، والأسود بن المطّلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجّاج — أو مَنْ مشى إليه منهم — فقالوا : يا أبا طالب ، إنّ ابنَ أخيك قد سبّ آلهتَنا ، وعاب ديننا ، وسَفّه أحلامَنا ، وضلّل آباءنا ؛ فإمّا أن تكفّه عنّا ، وإما أنْ تُخلّيَ بيننا وبينه ؛ فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكَه . فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقًا ، وردّهم ردًّا جميلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على ما هو عليه ؛ يظهِر دين الله ، ويدعو إليه . قال : ثم شرِيَ[3] الأمرُ بينه وبينهم حتى تباعد الرجالُ ، وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذِكْرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بينها ، وتذامروا فيه ، وحَضّ بعضُهم بعضًا عليه . ثم إنهم مَشَوْا إلى أبي طالب مرّة أخرى ، فقالوا : يا أبا طالب ، إن لك سِنًّا وشرفًا ومنزلة فينا ، وإنّا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهه عَنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شَتْم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفّه عنا أو تنازله وإيّاك في ذلك ؛ حتى يهلِك أحدُ الفريقين — أو كما قالوا . ثم انصرفوا عنه ، فعظُم على أبي طالب فراقُ قومه وعداوتهم له ؛ ولم يطبْ نفسًا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذْلانِه[4] .

١١٧٥/١

حدّثني محمد بن الحسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المفَضّل ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السدّيّ : أنّ ناسًا من قريش اجتمعوا[5] ، فيهم أبو جهل

١١٧٦/١

---

(١) م : « يغنيهم » ، ولا يعتبهم ، أي لا يرضيهم .

(٢) من ح .

(٣) شرى الأمر : اشتد واستطار .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٩ ، ١٧٠

(٥) م : « أجمعوا » .

ابن هشام ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المُطلّب ، والأسود بن عبد يغوث ؛ فى نفرٍ من مَشْيَخة قريش ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى أبى طالب فنكلِّمَه[1] فيه ؛ فلْيُنْصِفْنا منه ، فيأمره فليكفّ عن شتم آلهتنا ، وندَعه وإلهه الذى يعبد ؛ فإنّا نخافُ أن يموتَ هذا الشيخ فيكون منا شىء فتعيِّرنا العرب ؛ يقولون : تركوه ؛ حتى إذا مات عَمّه تناولوه .

قال : فبعثوا رجلاً منهم يُدعَى المطّلب ، فاستأذن لهم على أبى طالب ، فقال : هؤلاء مشيَخة قومك[2] وسَرواتهم ، يستأذنون عليك ، قال : أدخلْهم ؛ فلما دخلوا عليه ، قالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرُنا وسيِّدنا ، فأنصفْنا من ابن أخيك ، فمُرْه فلْيكفّ عن شَتْم آلهتنا ، وندَعَه وإلهه .

قال : فبعث إليه أبو طالب ، فلمّا دخلَ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم قال : يابنَ أخى ؛ هؤلاء مشيَخة قومك وسَرَواتهم ، وقد سألوك[3] النَّصْف ، أن تكفّ عن شَتْم آلهتهم ويدَعُوك وإلهَك . قال : أى عمّ ، أوَلاَ أدعوهم إلى ما هُوَ خير لهم منها ؟ قال : وإلامَ تدعوهم ؟ قال : أدعوهم إلى أن يتكلّموا بكلمةٍ تدين لهم بها العرب ، ويملِكون بها العجم . قال : فقال أبو جهل من بين القوم : ما هى وأبيك ؟ لنعطينَّكها[4] وعشرًا[5] أمثالها . قال : تقول : لا إله إلا الله ، قال : فنَفَروا [وتفرّقوا][6] وقالوا : سَلْنا غير هذه ، فقال : لو جئتمونى بالشمس حتى تضعُوها فى يدى ما سألتُكم غيرها ! قال : فغضبوا وقاموا من عنده غِضَابى ، وقالوا : والله لنشتمنّك وإلهك الذى يأمرُك بهذا ، ﴿ وَٱنْطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا وَٱصْبِرُوا عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾[7] .

١/١١٧٧

---

(١) ر والتفسير : « فلنكلمه » .
(٢) ر : « قريش » ، وسروات القوم : سادتهم .
(٣) م : « سألوا » .
(٤) ر : « لنعطيكها » ، م : « نعطيكها » .
(٥) ح : « وعشرا معها » .
(٦) من ح وابن الأثير .
(٧) سورة ص : ٦ ، ٧ .

وأقبل على عَمِّه فقال له عَمّه : يابن أخى ، ما شططتَ عليهم ، فأقبل على عمِّه فدعاه ، فقال : قل كلمةً أشهدُ لك بها يوم القيامة ، تقول : لا إله إلا الله ، فقال : لولا أن تعيبكم بها العرب ، يقولون[١] : جزِع من الموت لأعطيتُكها ؛ ولكن على ملَّةِ الأشياخ ، قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾[٢].

حدثنا أبو كُرَيب وابن وَكيع ، قالا : حدّثنا أبو أسامة ، قال : حدّثنا الأعمش ، قال : حدّثنا عبّاد ، عن سعيد بن جُبير ؛ عن ابن عباس ، قال : لما مَرِض أبو طالب ، دخل عليه رَهْطٌ من قريش ، فيهم أبو جهل ، فقال : إنّ ابنَ أخيك يشتِم آلهتنا ، ويفعل ويفعل ؛ ويقول ويقول ، فلو بعثتَ إليه فنهيتَه ! فبعث إليه ، فجاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فدخل البيت وبينهم وبين أبى طالب قَدْر مجلس رجل ، قال : فخشِيَ أبو جهل إنْ جلس إلى جنب أبى طالب أن يكون أرقّ[٣] له عليه ، فوثب فجلس فى ذلك المجلس ولم يجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسًا قُرْبَ عمه ، فجلس عند الباب ، فقال له أبو طالب : أى ابنَ أخى ! ما بالُ قومِك يشكُونَك ؛ يزعمون أنك تشتِمُ آلهتَهم وتقول وتقول ! قال : وأكثروا عليه من القولِ ، وتكلَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ياعمّ ، إنى أريدهم على كلمة واحدة يقولونها ، تدين لهم بها العرب ، وتؤدّى إليهم بها العجم الجِزْية . ففزعوا لكلمته ولقوله ؛ فقال القوم كلمةً واحدة : نعم وأبيك عشرًا . فما هى؟ فقال أبو طالب: وأىّ كلمةٍ هى يابن أخى ؟ قال : لا إله إلا الله ، قال: فقاموا فزِعين ينفضُون ثيابهم ، وهم يقولون : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ . قال: ونزلت من هذا الموضع

١١٧٨/١

(١) ح : « تقول » ، ابن الأثير : « وتقول » .

(٢) سورة القصص ٥٦ ، والخبر فى التفسير ٢٣ : ٨١ (بولاق) .

(٣) ح : « أرأف » .

إلى قوله : ﴿ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾[١] . لفظ الحديث لأبى كريب[٢] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى يعقوب ابن عُتبْة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدّث أنّ قُريشًا حين قالت لأبى طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال له : يابن أخى ، إنّ قومَك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا ، فأبقِ علىّ وعلَى نفسك ولا تُحمِّلْنى من الأمر مالاأطيق ! فظنّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قد بدَا لعمه فيه بَدَاءٌ[٣] ، وأنه خاذلُه ومُسلِمُه ، وأنه قد ضعُف عن نُصرته والقيامِ معه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ياعمّاه ، لو وضعوا الشمسَ فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلِك فيه ما تركته.[٤] ثم استعبَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فبكَى ثم قام ، فلمّا ولى ناداه أبو طالب ، فقال : أقبلْ يابن أخى ، فأقبل عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : اذهب يابنَ أخى ، فقل ما أحببتَ فوالله لا أسلِمُك لشىء أبداً . ١/١١٧٩

قال : ثم إنّ قريشًا لما عرفتْ أنّ أبا طالب أبَى خذلانَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وإسلامَه وإجماعه لفراقهم فى ذلك ، وعداوتهم ، مشوْا إليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له — فيما بلغنى : يا أبا طالب ، هذا عُمارة

---

(١) سورة ص ٥ — ٨ .

(٢) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٧٩ (بولاق) .

(٣) البداء : الاسم من « بدا » ؛ يريد : ظهر له رأى ؛ سمى الرأى بداء لأنه شىء يبدو بعد ما خفى .

(٤) قال السهيلى : «خص الشمس باليمين ؛ لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية الممحوة ؛ وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له : إنى رأيت فى المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ؛ ومع كل واحد منهما نجوم ! فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ، قال : كنت مع الآية الممحوّة ؛ اذهب فلا تعمل لى عملا . وكان عاملا له فعزله ؛ فقتل الرجل فى صفين مع معاوية ».

ابن الوليد أنهدُ[1] فتىً فى قريش وأشعرُه وأجمله ، فخذه فلك عقلُه ونُصْرته ، واتَّخذْه ولداً ؛ فهو لك ، وأسلِمْ لنا ابنَ أخيك — هذا الذى قد خالف دينَك ودينَ آبائك ، وفرّق جماعة قومك ، وسفّه أحلامَهم — فنقتله ؛ فإنما رَجلٌ كرجل ؛ فقال : والله لبئسَ ما تسومُوننى ! أتُعطوننى ابنَكم أغذُوه لكم ، وأعطيكُم ابنى تقتلُونه ! هذا والله مالا يكون أبدا[2] . فقال المُطْعِم ابن عدىّ بن نَوْفل بن عبد مناف : والله يا أبا طالب ، لقد أنصفك قومُك ، وجهدوا على التخلّص[3] ممّا تكرهه ، فما أراك تريد أن تَقْبل منهم شيئًا ، فقال أبو طالب للمطعِم : والله ما أنصفونِى ؛ ولكنّك قد أجمعتَ خِذلانى ومظاهرةَ القوم علىّ ، فاصنع ما بدا لك ! أو كما قال أبو طالب .

قال : فحقِب[4] الأمر عند ذلك ، وحَمِيت الحرب ، وتنابذ القوم ، وبادَى بعضهم بعضًا .

قال : ثم إنّ قُريشًا تذَامروا على مَنْ فى القبائل منهم مِنْ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذين أسلمُوا معه . فوثبتْ كلُّ قبيلةٍ علَى مَنْ فيها من المسلمين يعذّبونهم ويَفتِنونهم عن دينهم ، ومنَع الله رسولَه منهم بعمّه أبى طالب ، وقد قام أبو طالب حينَ رأى قريشًا تصنع ما تصنع فى بنى هاشم وبنى المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منْع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، والقيام دونه . فاجتمعوا إليه ، وقاموا[5] معه ، وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من الدَّفْع عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلاّ ما كان من

١ / ١١٨٠

---

(١) أنهد ، أى أقوى وأجلد ؛ ويقال : فرس نهد ؛ للذى يتقدم الخيل . قال السهيلى : « وعمارة بن الوليد هذا هو الذى أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة » .

(٢) وفى رواية أخرى عن السهيلى أن أبا طالب قال لهم حين سألوه أن يأخذ عمارة بدلا من محمد عليه السلام : « أرأيتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وترأمه ! لا أعطيكم ابنى تقتلونه أبداً وآخذ ابنكم أكفله وأغذوه ! » ، وهو معنًى ما ذكر ابن إسحاق .

(٣) ح : « أن يتخلصوا » .

(٤) فحقب الأمر عند ذلك ، قال السهيلى : « يريد اشتد ، وهو من قولك : حقب البعير ؛ إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب . . . ثم يستعمل فى الأمر إذا عسر » .

(٥) ح : « وأقاموا » .

أبي لهب ؛ فلما رأى أبو طالب مِنْ قومه ما سرَّه من جِدّهم معه ؛ وحَدَبهم عليه ، جعل يمدحهم ، ويذكر فضلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ؛ ومكانه منهم ليشدّ لهم رأيهم[١] .

* * *

حدّثنا على بن نصر بن على الجهضميّ ، وعبد الوارث بن عبد الصمد ابن عبد الوارث — قال على بن نصر : حدّثنا عبدُ الصمّد بن عبد الوارث ، وقال عبدُ الوارث : حدّثنى أبى — قال : حدّثنا أبان العطّار ، قال : حدّثنا هشام بن عُروة ، عن عُروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإنّه — يعنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — لمّا دعا قومه لمّا بعثه[٢] الله من الهُدى والنور الذى أنزل عليه ، لم يبعُدوا منه أوّل ما دعاهم ، وكادوا يسمعون له ؛ حتى ذكر طواغيتَهم . وقدِم ناس من الطائف من قُريش لهم أموال ، أنكروا ذلك عليه ، واشتدّوا عليه، وكرهوا ما قال [لهم][٣] ، وأغرَوْا به مَنْ أطاعهم ، فانصفق[٤] عنه عامّةُ الناس ، فتركوه إلاّ من حفظه الله منهم ؛ وهم قليل ؛ فمكث بذلك ما قدّر الله أن يمكث . ثم ائتمرت رءوسهم بأن يفتِنوا مَنْ تبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال على مَن اتّبع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أهل الإسلام ؛ فافتتن مَن افتتن ، وعَصَم الله منهم مَنْ شاء ؛ فلمّا فعل ذلك بالمسلمين ، أمرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يخرجُوا إلى أرض الحبَشة — وكان بالحبشة ملِكٌ صالح يقال له النجاشىّ ، لا يُظلَم أحدٌ بأرضه ، وكان يثنى[٥] عليه مع ذلك صلاح ، وكانت أرض الحبشة متْجَراً لقريش يتّجرون فيها ، يجدون فيها رَفاغاً[٦] من الرزق ، وأمناً ومتجراً حسناً —

١١٨١/١

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٧٠ ، ١٧١ .
(٢) م : « بما بعثه الله ».
(٣) من ح .
(٤) انصفقوا عنه : انصرفوا .
(٥) ينثى عليه ، أى يشيع عنه .
(٦) كذا فى الطبرى ، وفى اللسان : « ترفغ الرجل : توسع ، وإنه لفى رفاغة ورفاغية من العيش » .

فأمرهم بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم؛ فذهب إليها عامّتهم لما قهِروا بمكّة، وخاف عليهم الفتن، ومكث هو فلم يبْرح، فمكث بذلك سنوات؛ يشتدّون على مَنْ أسلم منهم.

ثم إنه فشا الإسلام فيها، ودخل فيه رجال من أشرافهم.

* * *

قال أبو جعفر: فاختُلف فى عددِ مَنْ خرَج إلى أرض الحبَشة، وهاجر إليها هذه الهجرة، وهى الهجْرة الأولى.

فقال بعضهم: كانوا أحدَ عشرَ رجلاً وأرْبعَ نسوة.

* ذكر من قال ذلك:

حدّثنا الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثنا يونس بن محمد الظَّفَرِىّ، عن أبيه، عن رجل من قومه. قال: وأخبرنا عُبيد الله بن العباس الهُذلىّ، عن الحارث بن الفُضَيْل؛ قالا: خرج الذين هاجروا الهجرَة الأولى متسلّلين سرًّا، وكانوا أحدَ عشرَ رجلا وأربعَ نسوة، حتى انتهوْا إلى الشُّعَيْبة؛ منهم الراكب والماشى، ووفّق الله للمسلمين ساعة جاءوا سفينتين للتّجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار، وكان مَخْرَجُهُم فى رجب[1] فى السنة الخامسة، من حين نبِّئ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاءوا البحر؛ حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً. ١/١١٨٢

قالوا: وقدمنا أرضَ الحبشة، فجاورْنا بها خير جارٍ؛ أمِنّا على ديننا، وعبَدْنا الله، لا نؤذَى ولا نسمعُ شيئًا نكرهه[2].

حدّثنى الحارث، قال: حدّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد ابن عمر، قال: حدّثنى يونس بن محمد، عن أبيه. قال: وحدّثنى

---

(١) ابن سعد: «من رجب».

(٢) طبقات ابن سعد ١: ٢٠٤

عبد الحميد(١) ، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان ؛ قالا : تسمية القوم الرجال والنساء : عثمان بن عفان معه امرأته رُقَيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عُتْبَة بن ربيعة معه امرأته سَهْلة بنت سُهَيل ابن عمرو ، والزّبير بن العوام بن خُوَيلد بن أسد ، ومُصعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار ، وعبد الرّحمن بن عوْف بن عبد عوْف ابن الحارث بن زُهرة ، وأبو سَلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ؛ معه امرأته أم سلَمة بنت أبي أميّة بن المُغيرة بن عبدالله بن عمر ابن مخزوم ، وعثمان بن مظْعون الجُمَحيّ ، وعامر بن ربيعة العَنْزِيّ ؛ من عَنْز بن وائل — ليس من عَنَزَة — حليف بني عديّ بن كعب ، معه امرأته ليلَى بنت أبي حَثْمة ، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزّى العامريّ ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وسُهَيْل بن بيضاء ، من بني الحارث بن فِهْر ، وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة(٢) .

١١٨٣/١

* * *

قال أبو جعفر : وقال آخرون : كان الذين لحقوا بأرض الحبشة ، وهاجروا إليها من المسلمين — سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها — اثنين وثمانين رجلا ؛ إن كان عمّار بن ياسر فيهم ؛ وهو يشكّ فيه !

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رأى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ما يصيبُ أصحابه من البلاء ، وما هو(٣) فيه من العافية بمكانه من الله وعمّه(٤) أبي طالب ، وأنه لا يقدرُ على أن يمنعَهم ممّا هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبَشة ! فإنّ بها ملِكًا

---

(١) ابن سعد : « عبد الحميد بن جعفر » .
(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤
(٣) م : « وما هم » .
(٤) ابن هشام : « ومن عمه » .

لا يظلَم أحدٌ عنده ، وهى أرضِ صدق ؛ حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه ! فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أرضِ الحبَشة مخافة الفِتْنة ؛ وفِراراً إلى الله عزّ وجلّ بدينهم ؛ فكانت أوّل هجرة كانت فى الإسلام ؛ فكان أوّلَ مَنْ خرج من المسلمين من بنى أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف عثمانُ بن عفان بن أبى العاص ابن أمية ؛ ومعه امرأته رقيَّة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومن بنى عَبْد شمس أبو حُذيفة بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، ومعه امرأته سَهْلة بنت سُهَيل بن عمرو ؛ أحد بنى عامر بن لؤىّ ؛ ومن بنى أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ الزبير بن العوام . ١١٨٤/١

فعدّ النفَر الذين ذكرهم الواقدىّ ؛ غيرَ أنه قال : من بنى عامر بن لؤى ابن غالب بن فهر أبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العزىّ بن أبى قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى ؛ ويقال : بل أبو حاطِب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ابن عامر بن لؤىّ . قال : ويقال : هو أوّلُ مَنْ قدِمها ؛ فجعلهم ابن إسحاق عشرة ؛ وقال : كان هؤلاء العَشَرة أوّل مَنْ خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة — فيما بلغنى .

قال : ثم خرج جعفر بن أبى طالب ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ؛ فكانوا بها ، منهم مَنْ خرج بأهله معه ، ومنهم مَنْ خرج بنفسه لا أهلَ معه ؛ ثم عدّ بعد ذلك تمام اثنين وثمانين رجلا ؛ بالعشرة الذين ذكرت بأسمائهم ؛ ومَنْ كان منهم معه أهله وولده ؛ ومَنْ ولد له بأرض الحبَشة ، ومَنْ كان منهم لا أهلَ معه[1] .

* * *

قال أبو جعفر : ولما خرج مَنْ خرجَ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرضِ الحبَشة مهاجراً إليها ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ١١٨٥/١

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٤ .

مقيمٌ بمكة ، يدعو إلى الله سرًّا وجهراً ، قد منعه الله بعمّه أبى طالب وبمَن استجاب لنُصرته من عشيرته ، ورأت قريش أنّهم لا سبيلَ لهم إليه ، رموْه بالسحْر والكَهانة والجنون ؛ وأنه شاعر ، وجعلوا يصدّون عنه مَنْ خافوا منه أن يسمع قوله فيتّبعه ؛ فكان أشدّ مابلغوا منه حينئذٍ — فيما ذكر — ما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عُروة بن الزبير ، عن أبيه عُرْوَة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلتُ له : ما أكثر [(١)] ما رأيتَ قريشاً أصابت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما كانت تُظْهِر من عداوته ! قال: قد حضرتُهم وقد اجتمع أشرافُهم يوماً فى الحِجْر ، فذكروا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا : ما رأينا مثلَ ما صبرنا عليه من هذا الرجل قَطّ! سفّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرّق جماعتنا ، وسبّ آلهتنا ! لقد صبرْنا منه على أمر عظيم — أو كما قالوا .

فبينا همْ كذلك إذْ طلَع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت ، فلما مرّ بهم غمزُوه[(٢)] ببعض القول . قال : فعرفتُ ذلك فى وجه رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثمّ مضَى ، فلمّا مرّ بهم الثانية غمزُوه مثلها ؛ فعرَفت ذلك فى وجهه ، ثم مضَى ، ثم مرّ بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فوقف فقال : أتسمعون يا معشرَ قريش ! أما والذى نفسُ محمدٍ بيده ، لقد جئتكم بالذّبح[(٣)] ! قال : فأخذت القومَ كلمته ؛ حتى ما منهم رجلٌ إلا كأنما على رأسه طائر واقع ؛ وحتى إنَّ أشدّهم فيه وصاةً[(٤)] قبل ذلك ليرفؤه[(٥)] بأحسن ما يجد من القول ؛ حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم راشداً ، فوالله ما كنتَ جهُولاً[(٦)] !

١١٨٦/١

---

(١) م : « ما أكبر » .
(٢) غمزوه : طعنوا فيه .
(٣) بالذبح ، أراد تهديدهم بالهلاك .
(٤) الوصاة : الوصية .
(٥) يرفؤه : يهدئه ويرفق به ، وفى ر : « ليلقاه » .
(٦) ر : « ما كنت جهولا قط » .

قال : فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ حتى إذا كان الغد ، اجتمعوا فى الحِجْر ، وأنا معهم ، فقال بعضهُم لبعض : ذكرتم ما بلَغ منكم ، وما بلغَكم عنه ؛ حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ! فبيناهم كذلك إذْ طلع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثْبة رجل واحد ؛ وأحاطوا به يقولون له : أنت الذى تقول كذا وكذا ! لما يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ؛ فيقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم أنا الذى أقول ذلك ؛ قال : فلقد رأيتُ رجلاً منهم آخذاً بجُمْع ردائه . قال : وقام أبو بكر الصدّيق دونه ، يقول وهو يبكى : ويلكم ! أتقتلون رجلا أن يقول ربّى الله ! ثم انصرفوا عنه . فإنّ ذلك أشدّ ما رأيتُ قريشًا بلغت منه قطّ[١] .

حدّثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدّثنا بشر بن بكر ، قال : حدّثنا الأوزاعىّ ، قال : حدّثنا يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن ، قال : قلتُ لعبد الله بن عمرو : حدّثنى بأشدّ شىء رأيتَ المشركين صنَعُوا برسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال : أقبل عُقْبة بن أبى مُعَيْط ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة ، فلوى ثوبه فى عنُقه ، وخنَقَه خنقًا شديداً ، فقام أبو بكر مِنْ خلْفه ، فوضع يده على منْكبه ، فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال أبو بكر : يا قوم : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[٢]

١١٨٧/١

قال ابن إسحاق : وحدّثنى رجل من أسلم كان واعيةً ، أنّ أبا جهل ابن هشام مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس عند الصّفَا ، فآذاه وشتَمه ، ونال منه بعض ما يكْره من العَيْب لدينه والتضعيف له ، فلم يُكلّمْه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ومولاةٌ لعبدالله بن جُدْعان التّيمىّ فى مسكن لها فوق الصّفا تسمع ذلك . ثم انصرف عنه ، فعمَد إلى نادى[٣]

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٣، ١٨٤ .

(٢) سورة غافر ٢٨ .

(٣) ابن هشام : «إلى ناد من قريش» ، والنادى : مجلس القوم .

قُريش عند الكعبة ، فجلس معهم فلم يلبثْ حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشّحًا قوسَه ، راجعًا من قنَص(١) له — وكان صاحبَ قَنَص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله حتى يطوفَ بالكعبة ، وكان إذا فعلَ ذلك لم يمرّ على ناد من قريش إلاّ وقف وسلم وتحدّث معهم ، وكان أعزّ قريش وأشدّها شكيمة — فلمّا مرّ بالمولاة وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع إلى بيته ، قالت : يا أبا عُمارة ، لو رأيتَ ما لقىَ ابنُ أخيك محمد آنفًا قبل أن تأتىَ من أبى الحكم بن هشام ! وجدَه ها هنا جالسًا فسبّه وآذاه ، وبلَغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلّمه محمد .

قال : فاحتمل حمزةَ الغضبُ لِمَا أراد الله به من كرامته ، فخرج سريعًا — لا يقف على أحد كما كان يصنع — يريد الطواف بالكعبة ، مُعِدًّا لأبى جهل إذا لقيَه أن يقع به ، فلمّا دخل المسجد نظر إليه جالسًا فى القوم ، فأقبلَ نحوه ؛ حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس فضربَه بها ضربة فشجّه بها شجّة منكَرة ، وقال : أتشتِمُهُ وأنا على دينه أقول ما يقول ! فرُدّ ذلك علىّ إن استطعت ! وقامت رجال بنى مخزوم إلى حمزة لينصُروا أبا جهل منه ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عُمارة ، فإنى والله لقد سببتُ ابنَ أخيه سبًّا قبيحًا . وتمّ حمزة على إسلامه ، فلمّا أسلم حمزة عرفت قريش أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفّوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ ما كانوا ينالون منه(٢) .

١/١١٨٨

حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى يحيى بن عُروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أوّل من جهَر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكّة عبد الله بن مسعود، قال : اجتمع يومًا أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعت قريشٌ بهذا القرآن يجهرُ لها به قطّ ، فمَنْ رجل يُسمعهموه ؟ فقال عبد الله

(١) القنص : الصيد .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٥

ابن مسعود : أنا ، قالوا : إنّا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، فقال : دعونى ، فإنّ الله سيمنعنى ، قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضّحى ، وقريش فى أنديتها، حتّى قام عند المقام ثم قال : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ — رافعًا بها صوته — ﴿الرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، قال : ثم استقبلها يقرأ فيها ، قال : وتأمّلوا وجعلوا يقولون : ما يقول ابن أمّ عبْد ! ثم قالوا : إنه ليتلُو بعضَ ما جاء به محمد . فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتّى بلغ منها ما شاء الله أن يبلُغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثّروا بوجهه ، فقالوا : هذا الذى خَشِينا عليك ! قال : ما كان أعداء الله أهْوَن علىّ منهم الآن[1] ! لئن شئتم لأغادينّهم غداً بمثلها ، قالوا : لا ، حسبك ، فقد أسمعتَهم مايكرهون[2] ١١٨٩/١

* * *

قال أبو جعفر : ولما استقرّ بالذين هاجروا إلى أرض الحبَشة القرارُ بأرض النّجاشىّ واطمأنّوا ، تآمرت قريشٌ فيما بينها فى الكَيْد بمن ضَوَى إليها من المسلمين ، فوجّهوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومىّ إلى النّجاشىّ ، مع هدايا كثيرة أهدوْها إليه وإلى بطارقته ، وأمروهما أن يسألا النجاشىّ تسليم مَن قِبَله وبأرضه من المسلمين إليهم. فشخَص عمرو وعبد الله إليه فى ذلك ، فنفذا لما أرسلهما إليه قومُهما ، فلم يصلا إلى ما أمّل قومهما من النجاشىّ ، فرجعا مقبوحَيْن ، وأسلم عمر بن الخطاب رحمه الله ، فلمّا أسلم — وكان رجلا جَلْداً جليداً منيعًا ، وكان قد أسلَم قبل ذلك حمزةُ ابن عبد المطّلب ، ووجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أنفسهم قوّةً ، وجعل الإسلام يفشُو[3] فى القبائل ، وحَمَى النجاشىّ مَنْ ضَوَى[4] إلى بلده منهم — اجتمعت قريش ، فائتمرت بينها : أن يكتبوا بينهم كتابًا

---

(١) ح : « اليوم » .
(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠١
(٣) ح : « يقوى ويفشو » .
(٤) ضوى إلى بلده : لجأ إليه .

يتعاقدون فيه ؛ على ألاّ يُنكِحوا إلى بنى هاشم وبنى المطلب ، ولا يُنكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا بذلك صحيفة ، وتعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة فى جوف الكعبة ، توكيداً بذلك الأمر على أنفسهم ،

١/١١٩٠ فلمّا فعلت ذلك قريش ، انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبى طالب ، فدخلوا معه فى شِعْبِه[١] ، واجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب عبد العزّى بن عبد المطلب إلى قريش ، وظاهَرهم عليه[٢] ، فأقاموا على ذلك من أمرهم سنتيْن أو ثلاثاً ؛ حتى جهِدُوا ألاّ يصل إلى أحد منهم شىء إلا سرًّا ، مستخفياً به مَن[٣] أراد صلتهم من قريش . وذكر أن أبا جهل لقِىَ حكيم بنَ حزام بن خُويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قمحاً يريد به عَمّته خديجة بنت خويلد ، وهى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه فى الشِّعب ، فتعلّق به ، وقال : أتذهب بالطّعام إلى بنى هاشم ! والله لا تبرحُ أنت وطعامك حتى أفضحك[٤] بمكّة ! فجاء أبو البخترىّ بن هشام بن الحارث ابن أسد ، فقال : مالك وله ! قال : يحمِل الطعام إلى بنى هاشم ، فقال له أبو البخترىّ : طعامٌ لعمّته عنده بَعَثَتْ إليه فيه ، أفتمنعه أن يأتيَها بطعامها ! خلِّ سبيلَ الرّجل . فأبى أبو جهل حتى نال أحدُهما من صاحبه ، فأخذ أبو البَخْترىّ لَحْىَ بَعير[٥] ، فضربه فشجّه ، ووطئه وطئاً شديداً ، وحمزة ابن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلُغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيشمَتوا بهمْ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلّ ذلك ، يدعو قومَه سرًّا وجهراً ، آناء الليل وآناء النهار ؛ والوحى عليه من الله متتابِعٌ بأمره ونهيه ، ووعيد[٦] مَنْ ناصبه العداوة ، والحجج لرسول الله

١/١١٩١ صلى الله عليه وسلّم علَى مَنْ خالفه[٧] .

---

(١) الشعب : الطريق فى الجبل .

(٢) ح : « عليهم » .

(٣) ط : « ممن » ، وما أثبته من ابن هشام .

(٤) ح ، ر : « نفضحك » .

(٥) ر : « فقام أبو البخترى إلى لحى جمل » .

(٦) ح : « ووعيده » .

(٧) سيرة ابن هشام ١ : ٢١٩ ، ٢٢٠ .

فذكر أنّ أشرافَ قومِه اجتمعوا له يومًا – فيما حدّثنى محمد بن موسى الحَرَشىّ ، قال : حدّثنا أبو خَلَف عبد الله بن عيسى ، قال : حدّثنا داود ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ؛ أنّ قريشًا وعدُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكّة ، ويزوّجوه ما أراد من النساء ، ويطئوا عَقِبه ، فقالوا : هذا لك عندنا يا محمّد ، وكُفّ عن شتم آلهتنا فلا تذكرها بسوء ؛ فإن لم تفعلَ فإنا نَعْرِضُ عليك خَصْلة واحدةً فهى لك ولنا فيها صلاح . قال : ما هى ؟ قالوا : تعبُد آلهتنا سنةً ؛ اللات والعُزّى ، ونعبد إلهك سنة ، قال : حتى أنظرَ ما يأتى من عند ربى ! فجاء الوحى من اللوح المحفوظ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ السورة ، وأنزل الله عز وجل : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ إلى قوله : ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[(١)].

حدّثنى يعقوبُ بن إبراهيم ، قال : حدّثنا ابن عُلَيّةَ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى سعيد بن ميناء ، مولى أبى البخترىّ، قال : لَقِيَ الوليدُ بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خَلَف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هلمّ فلْنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشركك فى أمرنا كلّه ؛ فإن كان الذى جئت به خيراً مما فى أيدينا ، كنّا قد شرَكناك فيه ، وأخذنا بحظّنا منه ؛ وإن كان الذى بأيدينا خيراً مما فى يدك ، كنت قد شرَكتنا فى أمرنا ، وأخذت بحظّك منه . فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ؛ حتى انقضت السورة[(٢)] . ١١٩٢/١

فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حريصًا على صلاح قومه ، محبًّا مقاربتَهم بما وجد إليه السبيل، قد ذُكِر أنه تمنّى السبيل إلى مقاربتهم ، فكان من أمره فى ذلك ما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال :

---

(١) سورة الزمر ٦٤ – ٦٦ ، والخبر فى التفسير ٢٠ : ٢١٤ (بولاق) .
(٢) الخبر فى التفسير ٣٠ : ٢١٤ (بولاق) .

حدّثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن زياد المدنيّ[١] ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تَوَلِّيَ قومِه عنه ، وشقّ عليه ما يرَى من مباعدتهم ما جاءهم به من الله ، تمنّى فى نفسه أن يأتيَه من الله ما يقاربُ[٢] بينه وبين قومه ، وكان يسرُّه مع حبِّه قومَه ، وحرصِه عليهم أن يلين له بعض ما قد غلظ عليه من أمرهم ؛ حتى حدّث بذلك نفسَه ، وتمنّاه وأحبّه ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ ، فلما انتهى إلى قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾[٣] ، ألقى الشيطان على لسانه ، لما كان يحدّث به نفسه ، ويتمنّى أن يأتىَ به قومه : « تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لتُرتجى » ؛ فلما سمعتْ ذلك قريش فرِحوا ، وسرّهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم ، فأصاخوا له — والمؤمنون مصدّقون نبيَّهم فيما جاءهم به عن ربّهم ، ولا يتّهمونه على خطإ ولاوهم ولا زلل — فلما انتهى إلى السجدة منها وختم السورة سجدَ فيها ، فسجد المسلمون بسجود نَبيّهم ، تصديقاً لما جاء به ، واتّباعاً لأمره ، وسجد مَنْ فى المسجد من المشركين من قريش وغيرهم ، لما سمعوا من ذكر آلهتهم ، فلم يبق فى المسجِد مؤمن ولا كافر إلا سجد ، إلاّ الوليد بن المغيرة ، فإنه كان شيخاً كبيراً ، فلم يستطع السجود ، فأخذ بيده حَفنة من البطحاء فسجد عليها ، ثم تفرّق الناس من المسجد ، وخرجت قريش ، وقد سرّهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ، يقولون : قد ذكر محمد آلهتنا بأحسنِ[٤] الذكر ، قد زعم فيما يتلو : « أنها الغرانيقُ العُلا ، وأنّ شفاعتهنّ تُرتضى » وبلغت السجدة مَن بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقيل : أسلمت قريش ، فنهض منهم رجال ، وتخلّف آخرون ، وأتى جبريلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، ماذا

١١٩٣/١

---

(١) ر : « المرى » .

(٢) ر : « يقرب » .

(٣) سورة النجم ١ — ٢٠

(٤) ر : « فأحسن » .

صنعتَ ! لقد تلوتَ على الناس ما لم آتِكَ به عن الله عزّ وجلّ ، وقلت مالم يقل لك ! فحزن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك حُزْنًا شديداً ، وخاف من الله خوفًا كثيراً[١] ، فأنزل الله عزّ وجلّ — وكان به رحيماً — يعزّيه ويخفّض عليه الأمر ، ويخبره أنه لم يكُ قبله نبيّ ولا رسول تمنّى كما تمنّى ، ولا أحبّ كما أحبّ إلاّ والشيطان قد ألقى فى أمْنيّته ، كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم ، فنسخ[٢] الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ؛ أى فإنما أنت كبعض الأنبياء والرّسل ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٣] ، فأذهب الله عزّ وجلّ عن نبيّه الحزن ، وآمنه من الذى كان يخاف ، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم : « أنها الغرانيقُ العلا وأنّ شفاعتهن ترتضى » ، بقول الله عزّ وجلّ حين ذكر اللاّت والعزّى ومناة الثالثة الأخرى : ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أى عوجاء ، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ — إلى قوله — ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[٤] ، أى فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده ! ١١٩٤/١

فلمّا جاء من الله ما نسخ[٥] ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيّه[٥] ، قالت قريش : ندِم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتكم عند الله ، فغيّر ذلك وجاء بغيره ؛ وكان ذانِكَ الحرْفان اللّذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا فى فم كلّ مشرك ، فازدادوا شرًّا إلى ما كانوا عليه[٦] ، وشدّة على مَنْ أسلم واتّبع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم منهم ،

---

(١) ح والتفسير : « كبيراً » .
(٢) م : « فينسخ » .
(٣) سورة الحج ٥٢ .
(٤) سورة النجم ٢١ — ٢٦
(٥ — ٥) ح : « ما كان الشيطان ألقى على نبيه » .
(٦) الخبر إلى هنا فى التفسير ١٧ : ١٣١ ، ١٣٢ (بولاق) .

وأقبل أولئك النّفر من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا[١] من أرض الحبشة لِمَا بلغهم من إسلام أهل مكّة حين سجدُوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتّى إذا دنوْا من مكّة ، بلَغهم أنّ الذى كانوا تحدّثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار ، أو مستخفيًا ، فكان ممّنْ قَدِم مكة منهم فأقام بها حتّى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدرًا من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، عثمان بن عفان ابن أبى العاص بن أمية ، معه امرأته رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل ، وجماعة أخَر معهم ، عددهم ثلاثة وثلاثون رجلا . ١١٩٥/١

حدّثنى القاسم بن الحسن ، قال : حدّثنا الحسين بن داود ، قال : حدّثنى حَجّاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب القرظِيّ ومحمد بن قيس ، قالا : جلَس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ناد من أنديَةِ قريش ، كثير أهله ، فتمنّى يومئذ ألاّ يأتيَه من الله شىء فينفِرُوا عنه ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا بلغ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ ألقَى الشيطان عليه كلمتين : « تلك الغرانيق[٢] العلا * وإن شفاعتهن لترجى[٣] » ، فتكلّم بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلّها ، فسجد فى آخر السّورة ، وسجد القوم معه جميعًا ، ورفع الوليدُ بن المغيرة ترابًا إلى جبهته ، فسجد عليه — وكان شيخًا كبيرًا لا يقدر على السُّجود — فرضُوا بما تكلّم به ، وقالوا : قد عرفنا أنّ الله يحيى ويميت ؛ وهو الذى يخلُق ويرزق ؛ ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ؛ فإذا جعلت لها نصيبًا فنحن معك . قالا : فلما أمْسَى

(١) م : « خرجوا إليه » .

(٢) ح : « الغرانقة » .

(٣) ر : « ترتضى » .

أتاه جبرئيل عليه السّلام ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغَ الكلمتين اللتيْن ألقى الشيطان عليه ، قال : ما جئتُك بهاتين ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افتريتُ على الله ، وقلتُ على الله ما لم يقل ، فأوحى الله إليه : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[1] ، فما زالَ مغموماً مهموماً ، حتى نزلت : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ — إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2]. ١١٩٦/١

قال : فسمع مَنْ كان بأرض الحبَشة من المهاجرين أنّ أهلَ مكّة قد أسلمُوا كلّهم ، فرجعوا إلى عشائرهم، وقالوا : هم أحبُّ إلينا ، فوجدوا القوم قد ارتكسُوا حينَ نسخ الله ما ألقى الشيطان ، ثم قام — فيما حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فى نقضِ الصحيفة التى كانت قريش كتبت بينها على بنى هاشم وبنى المطّلب — نفرٌ من قريش . وكان أحسنُهم بلاءً فيه هشام بن عمرو بن الحارث العامرىّ ، من عامر بن لؤىّ — وكان ابنَ أخى نضْلة بن هاشم بن عبد مناف لأمّه — وإنه مشىَ إلى زُهَير ابنَ أبى أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم—وكانت أمّه عاتكة بنت عبد المطلب — فقال : يا زهير ، أرضيتَ أن تأكلَ الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكِح النساء ، وأخوالُك حيث قد علمت ؛ لا يبايعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكِحون ولا ينكَح إليهم ! أما إنّى أحلِفُ بالله لو كانوا أخوال أبى الحكَم ابن هشام ثم دعوتَه إلى مثل مادعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال : ويحك يا هشام ! فماذا أصنع ! إنّما أنا رجلٌ واحد ؛ والله لو كان معى رجلٌ آخر لقمت فى نقضها حتى أنقضها . قال : قد وجدتَ رجلاً ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : ابغِنَا ثالثًا ، فذهب إلى المُطعِم بن عدىّ ابن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : يا مطعِم ، أقَدْ رَضيت أن يهلِك بَطْنان ١١٩٧/١

(١) سورة الإسراء ٧٣ — ٧٥ .
(٢) سورة الحج ٥٢ ، والخبر فى التفسير ١٧ : ١٣١ (بولاق) .

من بنى عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنّهم إليها منكم سراعاً[١] . قال : ويحك! فماذا أصنع! إنّما أنا رجلٌ واحد ، قال : قد وجدت ثانيًا ، قال : مَنْ هو؟ قال : أنا ، قال : ابغنا ثالثًا[٢] ، قال : قد فعلت ، قال مَنْ هو ؟ قال : زهير بن أبى أميّة ، قال : ابغِنا رابعاً ، فذهب إلى أبى البخترىّ بن هشام ، فقال له نحواً مما قال للمطعِم بن عدىّ ، فقال : وهل من أحد يُعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية والمطعِم بن عدىّ وأنا معك . قال : ابغِنا خامسًا ، فذهب إلى زَمْعة بن الأسود بن المطلّب بن أسد ، فكلّمه ، وذكر له قرابتَهم وحقّهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمّى له القومَ . فاتّعدوا له خَطْمَ الحَجون الذى[٣] بأعلى مكّة ، فاجتمعوا هنالك ، وأجمعوا أمرَهم ، وتعاهدوا على القيام فى الصّحيفة حتى ينقضُوها ، وقال زهير : أنا أبدؤكم فأكون أوّلكم يتكلّم ، فلما أصبحوا غدوْا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبى أميّة ، عليه حلّة له ؛ فطاف بالبيت سبعًا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهلَ مكّة ، أنأكل الطّعام ، ونشرب الشّراب ، ونلبس الثّياب ، وبنو هاشم هَلْكى لا يبايعون ولا يبتاع منهم ! والله لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظّالمة ، قال أبو جهل — وكان فى ناحية المسجد : كذبتَ ، والله لا تشقّ ! قال زمعة ابن الأسود : أنتَ والله أكذبُ ، ما رضينا كتابها حين كتبت ؛ قال أبو البخترىّ : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نُقِرُّ به ! قال المطعِم بن عدىّ : صدَقْتما وكَذَبَ مَنْ قال غير ذلك ؛ نبرأ إلى الله منها ، ومما كُتِب فيها ؛ وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك ، قال أبو جهل : هذا أمرٌ قُضِى بليلٍ ، وتُشوورَ فيه بغيرِ هذا المكان — وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد — وقام المطعِم بن عدىّ إلى الصحيفة ليشقّها ؛ فوجد الأَرَضَةَ قد أكلتْها ؛

١١٩٨/١

---

(١) ط : « سريعاً » ، وما أثبته من ابن هشام .

(٢) قال فى اللسان : «ابغنى كذا ، بهمزة الوصل ، أى اطلب لى ، وأبغنى بهمزة القطع ، أى أعنى على الطلب » .

(٣) كذا فى ح وابن الأثير ، وفى ط : « التى » .

إلاّ ما كان من «باسمك اللهمّ» ، وهى فاتحة ما كانت تكتب قريش ؛ تفتتح بها كتابها إذا كتبت .

قال : وكان كاتب صحيفة قريش — فيما بلغنى — التى كتبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطه من بنى هاشم وبنى المطّلب، منصور بن عكرمة ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قصىّ، فشَلّتْ يدُه[1] .

وأقام بقيّتهم بأرض الحبشة ؛ حتى بعثَ فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشىّ عمرَو بن أميّة الضَّمْرىّ ، فحملهم فى سفينتين ، فقدِم بهم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو بخيبر بعد الحديبية . وكان جميع من قَدِم فى السفينتين ستةَ عَشَر رجلا .

* * *

ولم يزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقيماً مع قُريش بمكّة يدعوهم إلى الله سرًّا وجهراً ، صابراً على أذاهم وتكذيبهم إياه واستهزائهم به ؛ حتى إن كان بعضهم — فيما ذكر — يطرح عليه رَحِم الشّاة وهو يصلّى ، ويطرحها فى بُرْمته إذا نُصبت له[2] ؛ حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم — فيما بلغنى — حجراً يستتر به منهم إذا صلّى . ١١٩٩/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق ، قال : حدّثنى عمر بن عبد الله بن عُرْوة بن الزُّبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخرج بذلك إذا رُمى به فى داره على العُود فيقف على بابه ، ثم يقول : يا بنى عبد مناف ، أىّ جوار هذا ! ثم يُلْقيه بالطريق .

ثم إن أبا طالب وخديجة هلكا فى عام واحد — وذلك فيما حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين ، فعظُمت المصيبة على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهما ؛ وذلك أن قريشاً

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٣١، ٢٣٢ .
(٢) ر : «به» .

وصلُوا من أذاه بعد موت أبى طالب إلى ما لم يكونوا يصلُونَ إليه فى حياته منه ؛ حتى نَثَر بعضُهم على رأسه التراب[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى هِشام بن عُروة ، عن أبيه قال : لما نثر ذلك السّفيه الترّابَ على رأسِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتَه والتراب على رأسه ، فقامت[٢] إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب ؛ وهى تبكى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : يا بُنَيَّة لا تبكى ؛ فإنّ الله مانعٌ أباكِ ! قال : ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نالتْ منّى قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب[١]

* * *

ولما هلك أبو طالب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطّائف يلتمس من ثقيف النّصر والمنَعة[٣] له من قومه ؛ وذُكِر أنّه خرج إليهم وحده ؛ فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدثنا ابنُ إسحاق قال : حدّثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظىّ ، قال : لما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عَمَد إلى نفرٍ من ثَقيف — همْ يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ؛ وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود ابن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ؛ وعندهم امرأة من قريش من بنى جُمَح ، فجلس إليهم — فدعاهم إلى الله وكلّمهم بما جاء لهم[٤] من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على مَنْ خالفه من قومه ، فقال أحدهم: هو يمرُط[٥] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلَك ! وقال الآخر : ما وجد الله

١/١٢٠٠

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٨ .

(٢) فى الأصول : « قامت » ، وما أثبته من ابن هشام .

(٣) ر : « الفضل والمعونة » .

(٤) ح : « جاء إليه » .

(٥) يمرطها : أى ينزعها ويرمى بها .

أحدًا يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلّمك كلمةً أبداً ؛ لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقول ، لأنتَ أعظمُ خطراً من أن أردّ عليك الكلامَ ؛ ولئن كنتَ تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلّمك !

فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد يئس من خيرِ ثقيف ؛ وقد قال لهم — فيما ذكر لى — : إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا علىّ . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلُغَ قومه عنه ، فيُذئرهم[1] ذلك عليه ، فلم يفعلوا وأغروْا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبّونه ويصيحون به ؛ حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه إلى حائط[2] لعتْبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثَقيفٍ مَنْ كان يتبعه ، فعمِد إلى ظِلِّ حبَلةٍ[3] من عنب ، فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقىَ من سفهاء ثقيف . وقد لقىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر لى — تلك المرأة من بنى جُمح ، فقال لها : ماذا لقينا[4] من أحمائك ! فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال — فيما ذكر لى : اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتى ، وقلّة حيلَتى ، وهوانى على النّاس ؛ يا أرحمَ الرّاحمين ، أنتَ ربُّ المستضعَفين ، وأنتَ ربّى ؛ إلى مَنْ تكلنى ! إلى بعيد يتجهّمنى ، أو إلى عدوّ ملّكْتَهُ أمرى ؛ إنْ لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى ! ولكنّ عافيتَك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظّلُمات ، وصلَح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بى غضبُك ، أو يحلّ علىّ سخطُك ، لك العُتبى[5] حتى ترضَى ، لا حول ولا قوة إلاّ بك . ١٢٠١/١

فلما رأى ابنا ربيعة : عُتْبة وشَيْبة ما لقى ، تحرّكت له رحِمهما ،

---

(١) قال ابن هشام : قوله : « يذئرهم » ؛ يعنى يحرش بينهم ، قال عبيد :

وَلَقَدْ أَتَانِى عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ... ذَئِرُوا لِقَتْلَى عَامِرٍ وَتَعَصَّبُوا

(٢) الحائط هنا : البستان .

(٣) الحبلة : الكرمة من العنب .

(٤) ح : « لقيت » .

(٥) العتبى : الرضا .

فدعَوا له غلامًا لهما نصرانيًّا ؛ يقال له عدّاس ، فقالا له : خذ قِطفاً[١] من هذا العنَب وضْعه فى ذلك الطّبَق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرّجل ، فقل له يأكل منه ؛ ففعل عدّاس ، ثم أقبل به حتّى وضعه بين يدىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، قال : «بسم الله» ، ثم أكل ، فنظَر عدّاس إلى وجهه ، ثم قال : والله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهلُ هذه البلدة ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومِن ْأهل أىّ البلاد أنت يا عدّاس ؟ وما دينك ؟ قال : أنا نصرانىّ ، وأنا رجلٌ من أهل نينَوى[٢]

١٢٠٢/١ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمِنْ قرية الرّجل الصّالح يونس بن متّى ؟ قال له : وما يدريك ما يونس بن متّى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخِى ، كان نبيًّا وأنا نبىّ ، فأكبّ[٣] عدّاس علَى[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبّل رأسَه ويديه ورجليه ، قال : يقول ابنا ربيعة أحدُهما لصاحبه[٥] : أمّا غلامك فقد أفسدَه عليك . فلما جاءهما عدّاس قالا له : ويلك يا عدّاس ! مالك تقبِّل رأسَ هذا الرّجل ويديه وقدميه ! قال : ياسيّدى ما فى [هذه][٦] الأرض خيرٌ من هذا الرجل ! لقد خبّرنى بأمر لا يعلمه[٧] إلاّ نبىٌّ ، فقالا : ويحك يا عدّاس ! لا يصرفنّك عن دينك ، فإنّ دينَك خيرٌ من دينه .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطّائف راجعًا إلى مكّة حين يئس من خبرِ ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة ، قام من جوْف الليل يصلّى ، فمرّ به نفرٌ من الجنّ الذين ذكر الله عزّ وجلّ .

قال محمّد بن إسحاق : وهم — فيما ذكر لى — سبعة نفر من جنّ أهل

---

(١) القطف : اسم للعنقود ، وأصله اسم لكل ما يقطف .

(٢) نينوى : قال أبو ذر الخشنى : « ورويت ها هنا بضم النون الثانية وبفتحها » .

(٣) ر : « فانكبّ » .

(٤) م : « على رأس » .

(٥) ح : « للآخر » .

(٦) من م .

(٧) م : « بما لا يعلمه » .

نَصِيبين اليمن ، فاستَمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ولَّوْا إلى قومهم مُنْذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا ، فقصَّ الله عزَّ وجلَّ خبَرَهم عليه : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ — إلى قوله : ﴿ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] . وقال : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ . . . ﴾ إلى آخر القصّة من خبرهم فى هذه السورة[2] .

قال محمّد: وتسمية النّفر من الجنّ الذين استمعوا[3] الوحى—فيما بلغنى— حسّا ، ومسّا ، وشاصر ، وناصر ، واينا الأرد ، وأينين ، والأحقم . ١٢٠٣/١

* * *

قال : ثم قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة ، وقومُه أشدّ ما كانوا عليه من خِلافه وفراق دينه ، إلاّ قليلا مستضعفين ممّن آمن به .

وذكر بعضُهم أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطّائف مريداً مكة مرّ به بعضُ أهلِ مكّة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنت مبلّغ عنّى رسالة أرسِلك بها ؟ قال : نعم ، قال : ائت الأخْنَس ابن شَرِيق ، فقل له : يقول لك محمّد : هل أنت مجيرى حتى أبلّغَ رسالة ربّى ؟ قال: فأتاه ، فقال له ذلك ، فقال الأخْنَسُ : إنّ الحليف لا يُجير على الصريح . قال: فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فأخبره، قال: تعود ؟ قال : نعم ، قال : ائت سُهَيْلَ بن عمرو ، فقل له: إنّ محمّداً يقول لك : هل أنت مجيرى حتى أبلّغ رسالات ربّى ؟ . فأتاه فقال له ذلك ، قال: فقال : إنّ بنى عامر بن لؤىّ لا تجير على بنى كعب. قال : فرجع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، قال : تعود ؟ قال : نعم ، قال : ائت المطعِم بن عدىّ ، فقل له : إنّ محمداً يقول لك: هل أنت مجيرى حتى أبلّغ رسالات ربى[4] ؟ قال : نعم ، فلْيدخل ، قال : فرجع الرّجل إليه ، فأخبره ، وأصبح المطعِم

---

(١) سورة الأحقاف ٢٩ — ٣٠ .

(٢) سورة الجن ، والخبر فى ابن هشام ١ : ٢٦٠ — ٢٦٣ .

(٣) م : « سمعوا » .

(٤) ح : « على أن أبلغ » .

ابن عدىّ قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخلوا المسجد، فلمّا رآه أبو جهل ، قال : أمُجيرٌ أم متابع ؟ قال : بل مجير ، قال : فقال : قد أجرْنا مَنْ أجرتَ ، فدخل النبىّ صلى الله عليه وسلم مكة ؛ وأقام بها ، فدخل يومًا المسجد الحرام والمشركون عند الكعبة ، فلما رآه أبو جهل ، قال : هذا نبيّكم يا بنى عبد مناف ، قال عتبة بن ربيعة : وما تنكِرُ أن يكونَ منّا نبىّ أو ملِك ! فأخبِر بذلك النبىّ صلى الله عليه وسلم — أو سمعه — فأتاهم ، فقالْ : أمّا أنتَ يا عُتْبة بن ربيعة فوالله ما حميتَ لله ولا لرسوله ؛ ولكنْ حميتَ لأنْفِك ، وأما أنتَ يا أبا جهل بن هشام ؛ فوالله لا يأتى عليك غير كبير[1] من الدّهر حتى تضحك قليلا وتبكى كثيراً . وأمّا أنتم يا معشر الملإ من قريش ؛ فوالله لا يأتى عليكم غير كبير[2] من الدّهر حتى تدخلوا فيما تنكرون ، وأنتم كارهون .

١٢٠٤/١

* * *

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعرضُ نفسَه فى المواسم — إذا كانت — على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله [وإلى نصرته][3] ويخبرهم أنه نبىّ مرسل ، ويسألهم أن يصدّقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به. حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى حسين بن عبيد الله بن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت ربيعة بن عبّاد يُحدّثُ أبى ، قال : إنى لَغلامٌ شابٌّ مع أبى بمنًى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بنى فلان ، إنّى رسولُ الله إليكم ؛ يأمرُكم أنْ تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ، وأنْ تخلعوا ما تَعْبدون[4] من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى

(١) ر : « كثير » .

(٢) ح : « كثير » .

(٣) من ر .

(٤) م : « ما يعبد » .

وتصدّقونى وتمنعونى ؛ حتى أبين عن الله ما بعثنى به .

قال : وخلْفه رجلٌ أحوَل وضىء ،له غديرتان[١]، عليه حُلّة عَدنيّة، فإذا فرَغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ، وما دعا إليه ، قال الرجل : يا بنِى فلان ،إنّ هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلُخوا اللات والعزّى من أعناقكم، ١٢٠٥/١ وحلفاءكم من الجنّ من بنى مالك بن أقَيْش، إلى ما جاء به من البدْعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا له .

قال : فقلت لأبى : يا أبتِ مَن هذا الرجل الذى يتّبعه ؛ يردّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمّه عبد العزّى أبو لهب بن عبد المطّلب[٢] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : وحدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا محمد بن مسلِم بن شهاب الزهرىّ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتى كِنْدة فى منازلهم ، وفيهم سيّد لهم ، يقال له مُلَيح ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرَض عليهم نفسَه، فأبوْا عليه[٢].

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمَة، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق، قال : حدّثنى محمّد بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن حُصَيْن ، أنّه أتى كلْبًا فى منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرَض عليهم نفسَه ؛ حتى إنّه ليَقول لهم: يا بنى عبد الله ، إن الله قد أحسن اسم أبيكم . فلم يقبَلوا منه ما عرَض عليهم[٣] .

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : محمّد بن إسحاق: حدّثنى بعضُ أصحابنا، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى حَنِيفة فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله ، وعرَض

---

(١) الغديرة : الذؤابة من الشعر .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣

(٣) سيرة ابن شام ٢ : ٢٦٤

عليهم نفسَه ؛ فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ ردًّا عليه منهم[١]

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ ، أنه أتى بني عامر بن صعصعة ، فدعاهم إلى الله ، وعرَض عليهم نفسَه ، فقال رجل منهم ، يقال له بَيْحَرَةَ بن فراس[٢] : والله لو أنّي أخذت هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العرب . ثم قال له : أرأيتَ إن نحن تابعناك[٣] على أمرك[٤] ، ثم أظهرَك الله على مَنْ خالفك ؛ أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال : الأمرُ إلى الله يضعهُ حيث يشاء . قال : فقال له : أفتُهدَفُ[٥] نحورُنا للعرب دونك ، فإذا ظهرتَ كان الأمرُ لغيرنا! لا حاجةَ لنا بأمرك . فأبَوْا عليه، فلما صدَرَ النّاس ، رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ؛ قد كانت أدركتْه السنّ ؛ حتى لا يقدر على أن يوافىَ معهم الموسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه ، حدّثوه[٦] بما يكون فى ذلك الموسم ؛ فلمّا قدِمُوا عليه ذلك العام ، سألهم عمّا كان فى موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتًى من قريش ، ثم أحد بنى عبد المطّلب ؛ يزعم أنه نبىّ ، ويدعو[٧] إلى أن نمنعه[٨] ونقوم معه ؛ ونخرج به معنا إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخُ يده على رأسه ، ثم قال : يا بنى عامر ، هل لها من تلافٍ ! هل لذناباها[٩] من مطلب ! والذى نفسُ فلان بيده ما تقوَّلها إسماعيلى[١٠] قطّ ! وإنّها لحقّ ، فأين كان رأيكم عنه !

١٢٠٦/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤

(٢) فى ابن هشام : « فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة » .

(٣) ابن هشام : « بايعناك على أمرك » .

(٤) ح : « تابعناك وآمنا بك » .

(٥) كذا فى ابن هشام ؛ أى تصير هدفاً يرمى ، وفى ط : « أفنهدف » .

(٦) ح : « يحدثونه » .

(٧) ر ، وابن هشام : « يدعونا » .

(٨) ح : « ويدعو الله ويريد أن نمنعه » .

(٩) مثل يضرب لما فات ؛ وأصله من ذنابى الطائر ؛ إذ أفلت من الحبالة .

(١٠) أى ما ادعى النبوة .

فكان رسول الله صلى عليه وسلم على ذلك من أمره ؛ كلّما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعُو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرِض عليهم نفسَه وما جاء به من الله من الهدى والرّحمة ، لا يسمع بقادم يقدَم من العرب ؛ له اسمٌ وشرفٌ إلاّ تصدّى له فدَعاه إلى الله ، وعرّض عليه ما عنده[١] . ١٢٠٧/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة، قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة الظّفَريّ ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدِم سُوَيد بن صامت – أخو[٢] بنى عمرو بن عوف – مكة حاجًّا أو معتمراً ، قال : وكان سُوَيد إنما يسميه قومه فيهم الكامل ، لجلَدِه وشِعْره ، ونسبه وشرفه ؛ وهو الذّى يقول :

ألا رُبَّ مَنْ تَدْعُوصَدِيقاً وَلَوْ تَرَى ... مَقَالَتَهُ بالغَيْبِ ساءَكَ ما يَفْرِى[٣]

مَقَالَتُهُ كالشَّحْمِ ما كان شاهدًا ... و بالغَيْبِ مأْثورٌ على ثغْرَةِ النَّحْرِ[٤]

يَسُرُّكَ باديهِ وتحْتَ أديمِهِ ... نَميمَةُ غِشٍّ تَبْتَرِى عَقَبَ الظَّهرِ[٥]

تُبينُ لكَ العَيْنانِ ما هُوَ كاتِمٌ ... ولا جِنَّ بالْبَغْضَاءِ والنَّظَرِ الشَّزْرِ

فَرِشْنِي بخَيرٍ طالَما قَدْ بَرَيْتَنِي ... وخَيْرُ المَوالى مَنْ يَرِيشُ ولا يَبْرِى[٦] ١٢٠٨/١

مع أشعار له كثيرة يقولها[٧] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) ر : « أحد » .

(٣) يفرى : يخلق من القول .

(٤) المأثور هنا : السيف الموشى .

(٥) تبترى : تقطع ، وعقب الظهر : عصبه .

(٦) راشه : قواه ، وبراه : أضعفه .

(٧) ذكر منها ابن هشام :

لاتَحْسَبَنِّى يابْنَ زُغْبِ بنِ مَالكٍ ... كَمنْ كُنْت تُرْدِى بالغُيُوب وتَخْتِلُ

تحوّلْت قَرْنًا إذْ صُرِعْتَ بِعزّةٍ ... كَذٰلِكَ إنّ الحازِمَ المُتحوِّلُ

قال : فتصدَّى له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدَعاه إلى الله وإلى الإسلام . قال : فقال له سُويدٌ : فلعلَّ الذى معك مثلُ الذى معى ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك؟ قال : مجلّة[1] لقمان — يعنى حكمة لقمان — فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علىَّ ، فعرضها عليه ، فقال : إنَّ هذا لكلام[2] حَسَنٌ ، معى أفضلُ من هذا ؛ قرآن أنزله الله علىَّ ، هدى ونورٌ . قال : فتلا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعُد منه ، وقال : إنَّ هذا لقولٌ حَسَنٌ .

ثم انصرف عنه ، وقدِم المدينة ، فلم يلبَثْ أن قَتَلَتْه الخزرج ؛ فإنْ كان قومه لَيقولونَ : قد قُتِل وهو مُسْلِمٌ ، وكان قتلُه قبل بُعاث[3] .

* * *

حدَّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدَّثنا سلمَة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدَّثنى الُحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ ؛ أخو بنى عبد الأشهل ، عن محمود بن لَبيد ؛ أخى بنى الأشهل ، قال : لمَّا قدم أبو الحَيْسَر أنسُ بن رافع مكّة ، ومعه فتيةٌ من بنى عبد الأشهل ، فيهم إياس بن مُعاذ ؛ يلتمسون الحلْف من قُرَيْش على قومهم من الخزْرج ، سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم إلى خيرٍ مما جئتم له ؟ قالوا : وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله ، بعثنِى إلى العِبَاد ، أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ، ولا يشركوا به شيئًا ، وأنزل علىَّ الكتابَ . ثم ذكر لهم[4] الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن مُعاذ — وكان ١٢٠٩/١

---

(١) المجلة : الصحيفة ؛ قال السهيلى : « ولقمان كان نبياً . من أهل أيلة ؛ وهو لقمان ابن عنقاء بن سرور — فيما ذكروا — وابنه الذى ذكر فى القرآن هو ثاران — فيما ذكر الزجاج وغيره. وقيل فى اسمه غير ذلك ؛ وليس بلقمان بن عاد الحميرى » .

(٢) م : « كلام » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٤) م : « ذكرهم » .

غلامًا حَدَثًا : أىْ قوم ؛ هذا والله خيرٌ مما جئتم(١) له . قال : فيأخذ أبو الحَيْسَر أنس بن رافع حَفْنَةً من البطْحَاء ، فضربَ بها وجه إياس ابن معاذ ، وقال : دَعْنا منك ، فلَعمرِى لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا إلى المدينة . فكانت وقعة بُعَاث بين الأوس والخزرج .

قال: ثم لم يلبث إياس بن مُعاذ أن هلك . قال محمود بن لَبِيد : فأخبرنى مَنْ حضره من قومى عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يُهلّل الله ويكبّرُه ، ويحمده ويسبّحه ؛ حتى مات ، فما كانوا يشكُّون أن قد مات مسلمًا ، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع(٢) .

* * *

قال : فلمّا أراد الله عزّ وجلّ إظهارَ دينِه وإعزاز نبيِّه ، وإنجازَ موعده له ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقِىَ فيه النفر من الأنصار ، فعرَضَ نفسَه على قبائل العرب ؛ كما كان يصنع فى كلّ موسم ؛ فبينا هو عند العَقَبَة إذ لقِىَ رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن حُمَيد : قال سلمة : قال محمّد بن إسحاق: فحدّثنى عاصم ابن عمر بن قَتادة، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : مَنْ أنتم ؟ قالوا : نفرٌ من الخزرج ، قال : أمِنْ موالى يهودَ : قالوا: نعم ، قال: أفلا تجلسون حتى أكلّمكم ؟ قالوا: بلَى، قال: فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعَرَض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

قال : وكان ممّا صَنع الله لهم به فى الإسلام ، أنّ يهودَ كانوا معهم ١٢١٠/١

(١) ح : « جئنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

بلادهم ، وكانوا أهلَ كتاب وعِلْم ، وكانوا أهلَ شرك ، أصحابَ أوثان ، وكانوا قد عزّوهم ببلادهم[١] ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبيًّا الآن مبعوثٌ قد أظلّ زمانه ، نتّبعه ونقتلكم معه قَتْلَ عاد وإرَم . فلما كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النَّفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضُهم لبعض : تعلّمُنّ والله إنّه للنبيّ الذى تُوعِدكم[٢] به يهود ، فلا يَسْبُقُنّكُم[٣] إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدّقوه ، وقبِلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركْنا قومَنا ، ولا قوم بينَهم من العداوة والشرّ ما بينهم ؛ وعسى الله أن يجمَعَهُم بك ، وسنقدَم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرضُ عليهم الذى أجبْناك إليه من هذا الدين ؛ فإنْ يجمعهم الله عليه ، فلا رجلَ أعزّ منك. ثم انصرفوا عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدّقوا .

وهم — فيما ذُكِر لى — ستّة نَفَر من الخزرج : منهم من بنى النّجار — وهم تَيْم الله — ثم من بنى مالك بن النّجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، أسعَدُ بن زرارة بن عُدَس بن عُبَيْد ابن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النّجار ؛ وهو أبو أمامة ؛ وعَوْف بن الحارث ابن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النّجار ؛ وهو ابن عفراء[٤]

١٢١١/١ ومن بنى زُرَيْق بن عامر بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم ابن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، رافع بن مالك بن العَجْلان ابن عمرو بن عامر بن زُرَيق[٥] .

ومن بنى سَلِمة بن سَعْد بن علىّ بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ؛ ثم من بنى سواد ،

---

(١) عزوهم : غلبوهم ، وفى ابن هشام : « غزوهم » .

(٢) ابن هشام : « توعّدكم » .

(٣) ابن هشام : « تسبقنكم » .

(٤) قال ابن هشام : « وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار » .

(٥) قال ابن هشام : « يقال : عامر بن الأزرق » .

قُطْبة بن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سلِمة .

ومن بنى حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة ، عُقْبَة ابن عامر بن نابى بن زيد بن حرام .

ومن بنى عُبَيد بن عدىّ بن غَنْم بن كعب بن سلِمة ، جابرُ بنُ عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عُبيد[1] .

* * *

قال : فلما قَدِمُوا المدينة على قومهم ، ذكروا لهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوْهم إلى الإسلام ؛ حتى فشا فيهم فلم تَبْقَ دارٌ من دور الأنصار إلاّ وفيها ذكرٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى إذا كان العام المقبل ، وافى الموسمَ من الأنصار اثنا عَشَر رجلا ، فلقُوه بالعَقَبة ، وهى العَقَبَة الأولى ، فبايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على بَيْعه النساء ؛ وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب ؛ منهم من بنى النّجار أسعد بن زُرارة ابن عُدَس بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار ؛ وهو أبو أمامة ؛ وعَوْف ومُعاذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك ابن النّجار ؛ وهما ابنا عَفْراء . ١٢١٢/١

ومن بنى زُرَيق بن عامر ، رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر ابن زُرَيق ، وذكوان[2] بن عبد قيس بن خلْدة بن مخلّد بن عامر بن زُرَيق .

ومن بنى عَوْف بن الخزْرج ، ثم من بنى غَنْم بن عوف — وهم القواقل —[3] عبادة بن الصامت بن قيس بن أصْرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن عَوْف ابن الخزرج ، وأبو عبد الرحمن ؛ وهو يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بن أصْرم ابن عمرو بن عَمّارة ، من بنى غُضَيْنةَ[4] من بَلِىّ ، حليف لهم .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

(٢) قال ابن هشام : « ذكر أنه مهاجرى أنصارى » .

(٣) قال ابن هشام : « وإنما قيل لهم القواقل ؛ لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهماً ، وقالوا له : قوقل بيثرب حيث شئت » .

(٤) فى ابن هشام : « غصينة » .

ومن بنى سالم بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن الخزرج عَبَّاس بن عُبادة ابن نَضْلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غَنْم بن سالم بن عَوْف .

ومن بنى سَلِمة ، ثم مِن بنى حَرَام ، عُقْبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كَعْب بن سلِمة . ١٢١٣/١

ومن بنى سَوَاد ، قُطْبة بن عامر بنُ حديدة بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سلِمة .

وشهدها من الأوْس بنُ حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى الأشْهل : أبو الهيثم بن التَّيِّهان[١] ؛ اسمه مالك ، حليف لهم .

ومن بنى عمرو بن عوف ، عُوَيم بن ساعدة بن صَلْعجة[٢] ، حليف لهم.[٣]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَنىّ ، عن أبى عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنابحىّ ، عن عُبادة بن الصّامت ، قال : كنت فيمَنْ حضَر العَقَبة الأوَلى ؛ وكُنّا اثنى عشر رجلا ، فبايعْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بَيْعة النساء ؛ وذلك قبل أن تُفْتَرَض الحرب ؛ على ألاّ نشرك بالله شيئًا ، ولا نسرِق ولا نزنِىَ ، ولانقتلَ أولادنا ، ولا نأتِىَ ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيَه فى معروف ؛ فإنْ وَفيْتُم فلكم الجنّة ، وإن غشِيتم شيئًا من ذلك فأخذتم بحدّه فى الدنيا ؛ فهو كفارة[٤] له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة ؛ فأمْركم إلى الله ؛ إن شاء عذّبكم ، وإن شاء غفر لكم[٥] .

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ؛ أنّ ابن شهاب ذكر عن عائذ الله بن عبد الله أبى إدريس الخولانى ، عن عُبادة بن

---

(١) قال ابن هشام : « التيهان يخفف ويثقل » .
(٢) ح : « صعلجة » .
(٣) ابن هشام ١ : ٢٦٧
(٤) م : « الكفارة » .
(٥) ح : « عفا عنكم » . والخبر فى ابن هشام ١ : ٢٦٨

الصامت ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم مثله .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فلمّا انصرف عنه القومُ بعث معهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قُصَىّ ، وأمره أن يقرِئهم القرآن ، ويعلّمهم الإسلام ، ويفقّههم فى الدّين ؛ فكان يسمّى مُصعب بالمدينة : المقرئ ، وكان مَنْزَلُه[1] على أسعد بن زرارة بن عُدس أبى أمامة[2] .　١٢١٤/١

* * *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقيب ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمّد ابن عمرو بن حزم ، أنّ أسْعدَ بن زرارة خرج بمُصْعَب بن عمير ؛ يريد به دارَ بنى عبْد الأشهل ، ودار بنى ظَفَر ؛ وكان سعد بن مُعاذ بن النّعمان ابن امرئ القيس ، ابن خالة أسعد بن زرارة ، فدخل به حائطًا من حوائط بنى ظَفَر[3] ، على بئر يقال لها بئر مَرْق ؛ فجلسا فى الحائط ، واجتمع إليهما رجالٌ ممّن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسَيْد بن حُضَير يومئذ سيّدا قومهما من بنى عبد الأشْهل ؛ وكلاهما مُشرِك على دين قومه ، فلمّا سمعا به ، قال سعد ابن مُعاذ لأسَيْد بن حُضَير : لا أبا لك ! انطلق إلى هذيْن الرجلين اللذيْن قد أتيا دارنا[4] ، ليسفّها ضعفاءنا ، فازجرهما وانههما أن يأتيَا دارنا[4] ، فإنه لولا أنّ أسعد بن زرارة منّى حيث قد علمت ، كفيتُك ذلك ؛ هو ابن خالتى ، ولا أجد عليه مقدَمًا . فأخذ أسَيْد بن حُضير حَرْبَتَه . ثم أقبل إليهما ؛

---

(١) قال السهيلى : « منزل ، بفتح الزاى ، وكذلك كل ما وقع فى هذا الباب ، من منزل فلان على فلان . فهو بالفتح ؛ لأنه أراد المصدر ؛ ولم يرد المكان ؛ وكذلك قيده الشيخ أبو بحر ، بفتح الزاى » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٩

(٣) قال ابن هشام : «واسم ظفر كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس»

(٤) ابن هشام : « دارينا » .

فلما رآه أسْعَد بن زُرارة قال لمُصْعَب : هذا سيّد قومه قدجاءك، فاصدق الله فيه . قال مُصعَب : إنْ يجلسْ أكلّمه ، قال : فوقف عليهما متَشتِّماً ، فقال: ما جاء بكما إلينا ، تسفّهان ضعفاءنا ! اعتزلانا[1] إن كانت لكما فى أنفسكما حاجة . فقال له مُصعب : أوَ تجلسُ فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً قبلتَه ، وإنْ كرهته كُفّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت ؛ ثم ركز حربته، وجلس إليهما ، فكلّمه مُصعَب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : والله لَعَرفْنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم، فى إشراقه وتسهّله . ثم قال : ما أحسنَ هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدّين ؟ قالا له: تغتسل ، فتطهّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحقّ، ثم تصلّى ركعتين .

١٢١٥/١

قال : فقام فاغتسلَ ، وطهّر ثوبيْه، وشهد شهادة الحقّ ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إنّ ورائى رجلاً ؛ إن اتّبعكما لم يتخلّف عنه أحدٌ من قومه ؛ وسأرسله إليكما الآن ؛ سعد بن معاذ . ثم أخذ حربتَه ، وانصرف إلى سعد وقومه؛ وهم جلُوس فى ناديهم ؛ فلمّا نظر إليه سعد بن مُعاذ مقبلا ، قال : أحلفُ بالله ، لقد جاءكم أسَيْد بن حُضَير بغيْر الوجه الذى ذهب به من عندكم ؛ فلمّا وقف على النّادى ، قال له سعد: ما فعلت؟ قال : كلّمت الرجليْن، فوالله ما رأيت بهما بأسًا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت، وقد حُدّثت أن بنى حارثة ، قد خرجوا إلى أسْعَد بن زُرارة ليقتلوه ؛ وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالتك ليُخْفِروك[2] ، قال : فقام سعد مُغضَبًا مبادرًا تخوّفًا للذى ذكر له من بنى حارثة . فأخذ الحرْبةَ من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيْت شيئًا ؛ ثم خرج إليهما؛ فلمّا رآهما سعد مطمئنّين ، عرف أنّ أسَيْداً إنما أراد أن يسمعَ منهما ، فوقف عليهما متشتّما، ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة ، لولا ما بينى وبينَك من القرابة ما رمْتَ هذا

١٢١٦/١

---

(١) ح : « اعتزلا » .

(٢) الإخفار : نقض العهد .

منّى . تغشانا[1] فى دارنا بما نكره ! وقد قال أسعد لمُصعب : أى مُصعب ! جاءك والله سيِّد مَن وراءه منْ قومه ، إن يتبعك لم يخالف عليك منهم اثنان ، فقال له مصعب : أوَ تقعد فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإنْ كرهتَه عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت ؛ ثم ركز الحربة ، فجلس فعرَض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن . قالا : فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم به ؛ فى إشراقه وتسهّله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتُمْ أسلمتم ودخلتم فى هذا الدّين ؟ قالا : تغتسِل فتطهّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحقّ ، ثم تصلِّى ركعتين . قال : فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه ، وشهِد شهادة الحقّ ، وركع ركعتيْن ، ثم أخذ حربته فأقبل عامِداً إلى نادى قومه ، ومعه أسَيد بن حُضير ؛ فلمّا رآه قومه مقبلاً ، قالوا: نحلف بالله لقد رجع سَعْد إليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ؛ فلمّا وقف عليهم ، قال : يا بنى عبد الأشهل ؛ كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيّدنا وأفضلنا رأيًا ، وأيمنُنا نقيبةً ، قال : فإنّ كلامَ رجالِكم ونسائكم علىّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى فى دار عَبْدِ الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلمًا أو مسلمة .

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعُو النّاس إلى الإسلام حتى لم تبقَ دار من دُور الأنصار إلاّ وفيها رجال ونساء مسلمون ١٢١٧/١ إلاّ ما كان من دار بنى أميّة بن زيد وخَطْمَة ووائل وواقف ؛ وتلك أوس الله ؛ وهم من أوْس بن حارثة ؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيْس بن الأسْلَت ؛ وهو صَيْفىّ ، وكان شاعراً لهم ، وقائداً يسمعون منه ، ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام ؛ فلم يزل على ذلك[2] حتى هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ ومضى بَدْر وأحُد والخندق .

---

(١) ح : « تغشانى » .

(٢) ح : « كذلك » .

قال : ثم إنّ مُصعب بن عُمير ، رجع إلى مكّة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموْسِم مع حُجَّاج قومهم من أهلِ الشرك ؛ حتى قدموا مكّة ؛ فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقَبة من أوسط أيام التّشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامتِه ، والنّصر لنبيه صلى الله عليه وسلم وإعزاز الإسلام وأهله[1] ، وإذلال الشرْك وأهله[2] .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني مَعْبَد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القيْن ، أخوبني سَلِمة ، أنّ أخاه عبد الله بن كَعْب — وكان من أعلم الأنصار — حدّثه أنّ أباه كعب ابن مالك حدّثه — وكان كعب ممّن شهد العقبَة ، وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال : خرجنا في حُجّاج قومنا ، وقد صلّينا وفقِهنا ، ومعنا البَراءُ ابن مَعْرُور ، سيّدُنا وكبيرنا . فلمّا وُجِّهنا[3] لسفرنا ، وخرجنا من المدينة ، قال البرَاء لنا : والله يا هؤلاء ، إنى قد رأيتُ رأيًا ، والله ما أدرى أتُوافقوننى عليه أم لا ! قال : فقلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيتُ ألاّ أدعَ هذه البنيَّة منّى بظهْر — يعنى الكعبة — وأنْ أصلّيَ[4] إليها . قال : فقلنا : والله ما بلغنا عن نبيّنا أنه يصلى إلاّ إلى الشّام ، وما نريدُ أن نخالفه . قال : فقال : إنّى لمُصلٍّ إليها ، قال : فقلنا له : لكنّا لا نفعل ، قال : فكنّا إذا حضرت الصّلاة صلّينا إلى الشأم ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة .

١٢١٨/١

قال : وقد عِبْنا عليه ما صَنع ، وأبىَ إلاّ الإقامة على ذلك ؛ فلما قدِمْنا مكّة قال لى : يابنَ أخِى ، انطلِقْ بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى أسأله عمّا صنعتُ فى سفرى هذا ، فإنّى والله لقدْ وقَع فى نفسى منه شىء ؛ لما رأيت من خِلافكم إيّاى فيه .

قال : فخرجْنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكنّا لانعرفه ،

---

(١) م : « وإعزازاً لأهله » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٠ — ٢٧٣

(٣) وجهنا : توجهنا .

(٤) ر : « نصلى » .

ولم نرَهُ قبل ذلك — فلقينا رجُلاً من أهلِ مكّة، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هل تعرفانه؟ قلنا: لا، قال: فهل تعرفان العبّاس ابن عبد المطّلب عمّه؟ قلنا: نعم — قال: وقد كنا نعرف العبّاس، كان لا يزال يقدَمُ علينا تاجراً — قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرّجل الجالس مع العباس ابن عبد المطلب، قال: فدخلنا المسجد؛ فإذا العبّاس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع العبّاس؛ فسلّمنا؛ ثم جلسنا إليه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعبّاس: هل تعرفُ هذينْ الرّجُلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم؛ هذا البَرَاء بن معرور سيّد قومه؛ وهذا كعب بن مالك — قال: فوالله ما أنسى قولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: الشاعر؟ قال: نعم — قال: فقال له البَرَاء بن معرور: يا نبيّ الله؛ إني خرجتُ في سفرى هذا؛ وقد هدانى الله للإسلام، فرأيت ألاّ أجعل هذه البنيّة منّى بظهْر، فصلّيت إليها؛ وقد خالفني أصحابي في ذلك؛ حتى وقع في نفسى من ذلك شيء؛ فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: قد كنتَ على قِبْلَةٍ لو صبرت عليها! فرجع البَرَاء إلى قِبْلة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وصلى معنا إلى الشأم. قال: وأهلُه يزعمون أنه صلىّ إلى الكعبة حتى مات؛ وليس ذلك كما قالوا؛ نحن أعلم به منهم. ١٢١٩/١

قال: ثم خرجْنا إلى الحجّ، وواعَدنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العقَبة من أوسط أيام التّشريق.

قال: فلما فرغنا من الحجّ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها؛ ومعنا عبد الله بن عمرو بن حَرَام، أبو جابر، أخبرناه[1]، وكنّا نكتُم مَنْ معنا من المشركين من قومنا أمرَنا؛ فكلّمناه، وقلنا له: يا أبا جابر؛ إنّك سيّد من سادتنا، وشريفٌ من أشرافنا، وإنّا نرغبُ بك عمّا أنت فيه أن تكون حطبًا للنار غداً. ثم دعَوْنَاه إلى الإسلام؛ وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيّانا العقَبة.

قال: فأسلم، وشهد معنا العقَبة — وكان نقيبًا — فبتْنا تلك اللّيلة مع قومنا في رِحالنا حتى إذا مضى ثُلث الليل، خرجْنا من رِحالنا لميعاد رسول

(١) ابن هشام: أخذناه معنا.

الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلل مستخفين تسلُّل القَطا ؛ حتى اجتمعنا فى الشِّعب عند العقَبة ؛ ونحن سبعون رجلاً ، ومعهم[١] امرأتان من نسائهم : نُسيبة بنت كعب أمّ عُمارة إحدى نساء بنى مازن بن النّجار ، وأسماء بنت عمرو بن عدىّ ، إحدى نساء بنى سَلِمة ؛ وهى أمّ منيع ؛ فاجتمعنا بالشِّعب ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى جاءنا ومعه عَمُّه العبّاس بن عبد المطّلب وهو يومئذ على دين قومه ؛ إلاّ أنه أحبّ أن يحضُرَ أمرَ ابن أخيه ، ويتوثّق له ؛ فلمّا جلس كان أوّل مَنْ تكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشرَ الخزرج — وكانت العربُ إنما يسمّون هذا الحىّ من الأنصار : الخزرج ؛ خزرجها وأوسها — إن محمداً منّا حيث قد علمتم ؛ وقد منعناه من قومنا ممّن هو على مثل رأينا ؛ وهو فى عزّ من قومه ومَنَعة فى بلده ؛ وإنه قد أبى إلاّ الانقطاعَ إليكم واللّحُوق بكم ؛ فإن كنتم ترونْ أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ؛ ومانعوه ممّن خالفه ؛ فأنتم وما تحمّلتم[٢] من ذلك ؛ وإن كنتم ترونْ أنكم مُسلِموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم ؛ فمن الآن فدَعُوه ، فإنّه فى عزّ ومَنَعة من قومه وبلده .

1220/1

قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ؛ فتكلّمْ يا رسولَ الله ؛ وخذ لنفسك وربّك ما أحببتَ .

قال : فتكلّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغّب فى الإسلام ، ثمّ قال : أبايعُكم علَى أن تمنعونى ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

قال : فأخذ البَراء بن معرور بيده ، ثم قال : والذى بعثَك بالحقّ ، لنمنعنّك مما نمنَع منه أُزُرَنا[٣] ، فبايعْنا يا رسولَ الله ، فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلْقة[٤] ؛ ورثناها كابراً عن كابر .

---

(١) ابن هشام : « ومعنا امرأتان من نسائنا » .
(٢) ح : « حملتم » .
(٣) أزرنا ؛ أى نساءنا ؛ والمرأة قد يكنى عنها بالإزار .
(٤) الحلقة ، أى السلاح .

قال : فاعترض القول — والبرَاء يكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلّم — أبو الهيثم بن التَّيِّهان ، حليف بنى عبد الأشهل ، فقال : يا رسولَ الله ؛ إنّ بيننا وبين النّاس حِبالاً وإنّا قاطعوها — يعنى اليهود — فهل عَسَيتَ إن نحنُ فعلْنا ذلك ، ثم أظهرَك الله ، أن ترجعَ إلى قومك ، وتَدَعَنا ! قال : فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ثم قال : بل الدَّم الدّم ، الهدْم الهدْم[1]! أنتم منّى وأنا منكم ؛ أحارب مَنْ حاربتم وأسالم من سالمتم . ١٢٢١/١

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلىّ منكم اثنَىْ عشر نقيباً ؛ يكونون على قومهم بما فيهم . فأخرجوا اثنى عشر نقيباً ؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس[2] .

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : قال محمّد بن إسحاق : فحدّثنى عبدُالله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتمْ على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريّين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومى ، قالوا : نعم .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى عاصم بن عمر بن قَتادة ، أنّ القومَ لمّا اجتمعوا لبيعةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال العباس بن عبادة بن نَضْلة الأنصارىّ ، ثم أخو بنى سالم بن عوف : يا معشرَ الخزرج ، هلْ تدرون عَلاَم تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنّكم تبايعونه على حرْب الأحمر والأسود من الناس ؛ فإن كنتم ترَوْن أنكم إذا نُهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافُكم قتلا أسلمتموه ؛ فمن الآن فهو والله خِزْىُ[3] الدّنيا والآخرة إن فعلتم ، وإن كنتم

---

(١) قال ابن قتيبة : «كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دمى دمك ، وهدمى هدمك ؛ أى ما هدمت من الدماء هدمته أنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٣ ، ٢٧٥

(٣) ر : « خزى فى الدنيا » .

ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، على نهكة[1] الأموال ، وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خيرُ الدنيا والآخرة . قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة ، قالوا : ابسُط يدك ، فبسط يده فبايعوه .

١/١٢٢٢ وأما عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال : والله ما قال العباس ذلك إلا ليشدّ العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم . وأما عبدُ الله بن أبى بكر ، فقال : والله ما قال العباس ذلك إلا ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبىّ بن سلول ، فيكون أقوى لأمر القوم . والله أعلم أىّ ذلك كان ؛ فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أوّل مَنْ ضرب على يديه[2] ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم ابن التيهان[3] .

قال ابن حميد ، قال : سلمة ، قال محمد : وأما معبد بن كعب بن مالك فحدثنى — قال أبو جعفر : وحدثنى سعيد بن يحيى بن سعيد — قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن معبد بن كعب ، قال : فحدثنى فى حديثه عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان أوّل مَنْ ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ؛ ثم تتابع القوم ؛ فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قطّ : يا أهلَ الجباجب[4] هل لكم فى مُذمّم والصُّباة[5] معه ، قد اجتمعوا على حربكم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يقول عدو

١/١٢٢٣ الله ؟ هذا أزبّ العقبة ، هذا ابن أزيب[6] ؛ اسمع عدوّ الله ؛ أما والله لأفرُغنّ

---

(١) نهكة الأموال : نقصها ، وفى م : « تهلكة الأموال » .

(٢) ح : « يده » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧

(٤) قال ابن هشام : « الجباجب : المنازل » .

(٥) المذمم : المذموم غاية الذم . والصباة : جمع صابئ ، بالهمزة ؛ وكان يقال للرجل إذ أسلم زمن النبى عليه السلام : « صابئ » .

(٦) قال ابن هشام : « ويقال : ابن أزيب » ، وأزب العقبة : اسم الشيطان .

لك. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : ارفضّوا[١] إلى رحالكم. فقال له العبّاس ابن عبادة بن نضلة : والّذى بعثك بالحقّ لئن شئت لنميلنّ غدا على أهل منىً بأسيافنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نُؤمَر بذلك ؛ ولكن ارجعوا إلى رحالكم ، قال : فرجعنا إلى مضاجعنا ، فنِمْنا عليها ؛ حتّى أصبحنا ؛ فلمّا أصبحنا غدَتْ علينا جِلّةُ قريش حتّى جاءونا فى منازلنا ، فقالوا : يا معشرَ الخزرج ؛ إنّا قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ؛ وإنّه والله ما من حىٍّ من العرب أبغض إلينا أن تنشَبَ الحرب بيننا وبينهم منكم ؛ قال : فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون لهم بالله : ما كان من هذا شىء وما علمناه .

قال : وصدقوا لم يعلموا . قال : وبعضنا ينظُر إلى بعض ؛ وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومىّ ، وعليه نعلان جديدان[٢] .

قال : فقلت كلمة كأنّى أريد أن أشرِك القوم بها فيما قالوا : يا أبا جابر ؛ أما تستطيع أن تتّخذ وأنت سيّد من ساداتنا مثل نعلَىْ هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث ، فخلعهما من رجليْه ؛ ثم رمى بهما إلىّ ، وقال : والله لتنتعلنّهما . قال : يقول أبو جابر : مَهْ أحفظت[٣] والله الفتى ! فاردُدْ عليه نعليه ، قال : قلت : والله لا أردّهما ؛ فأل والله صالح ؛ والله لئن صدق الفأل لأسلُبنّه . ١ / ١٢٢٤

فهذا حديث كعب بن مالك عن العقَبة وما حضر منها[٤] .

* * *

قال أبو جعفر : وقال غيرْ ابن إسحاق : كان مَقدمُ مَنْ قدم على النبىّ صلى الله عليه وسلم للبيعة من الأنصار فى ذى الحجّة ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدهم بمكّة بقيّة ذى الحجة من تلك السنّة ، والمحرّم

(١) ارفضوا : تفرقوا .

(٢) قال السهيلى : « النعل مؤنثة ؛ ولكن لا يقال : جديدة فى الفصيح من الكلام ؛ وإنما يقال : ملحفة جديد ؛ لأنها فى معنى جديدة ، أى مقطوعة » .

(٣) أحفظت : أغضبت .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧ ، ٢٧٨

وصفر ؛ وخرج مهاجراً إلى المدينة فى شهر ربيع الأول ؛ وقدِمها يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلَتْ منه .

وحدّثنى علىّ بن نصر بن على، وعبد الوارث بن عبد الصّمد بن عبدالوارث — قال علىّ بن نصر : حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث : حدّثنى أبى — قال : حدّثنا أبان العطّار ، قال : حدّثنا هشام بن عُروة ، عن عُروة؛ أنّه قال: لمّا رجع من أرض الحبشة من رَجع منها ممّن كان هاجر[١] إليها قبل هجرة النبىّ صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، جعل أهلَ الإسلام يزدادون ويكثرون، وإنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس ٌكثير، وفشا بالمدينة الإسلام؛ فطفِق أهلُ المدينة يأتونَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة ، فلمّا رأت ذلك قريش تذامرت على أنْ يفتنوهم ، ويشتدّوا عليهم[٢] ، فأخذوهم وحرصوا على أن يفتنوهم ، فأصابهم جَهد شديد ، وكانت الفتنة الآخرة ، وكانت فتنتيْن: فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة، حين أمرهم بها ، وأذن لهم فى الخروج إليها ، وفتنة لما رجعوا ورأوْا من يأتيهم من أهل المدينة .

١/١٢٢٥ ثم إنه جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم من المدينة سبعون نقيباً، رءوس الّذين أسلموا ، فوافوْه بالحجّ فبايعوه بالعقَبة، وأعطوْه عهودهم[٣] ؛ علَى أنّا منك وأنت منّا، وعلى أنه منْ جاء من أصحابك أوجئتنا[٤] فإنّا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا . فاشتدّت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه بالخروج إلى المدينة؛ وهى الفتنة الآخرة الّتى أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه وخرج ، وهى الّتى أنزل الله عزّ وجلّ فيها : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾[٥] .

---

(١) م : « مهاجرا » .
(٢) م : « عليه » .
(٣) م : « عهدهم » .
(٤) م : « وجئتنا » .
(٥) سورة الأنفال ٣٩ .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلمَة ، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم ، أنّهم أتوْا عبد الله بن أبيّ بن سَلُول — يعني قريشاً — فقالوا مثل ما ذكر كعْب بن مالك من القول لهم ، فقال لهم : إنّ هذا لأمرٌ جسيم ؛ ما كان قومي ليتفوّتوا[1] عليّ بمثل هذا وما علمته كان . فانصرفوا عنه ، وتفرّق النّاس مِنْ مِنىً ، فتنطّس[2] القوم الخبر فوجدوه قد كان ، وخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بالحاجر[3] ، والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة ابن كعب بن الخزرج ؛ وكلاهما كان نقيباً ؛ فأمّا المنذر فأعجز القوم ، وأمّا سعد فأخذوه ، وربطوا يديه إلى عنقه بِنسْع[4] رَحْله ، ثمّ أقبلوا به حتى أدخلوه مكّة ، يضربونه ويجبِذونه بجُمّته[5] — وكان ذا شَعَر كثير — فقال سعد: فوالله إنّي لفي أيديهم ؛ إذ طلع عليّ نفر من قريش ؛ فيهم رجُلٌ أبيض وَضِيءٌ شَعْشاع[6] حلو من الرّجال . قال : قلت : إن يكن عند أحدٍ من القوم خيْر فعند هذا ، فلمّا دنا منّي رفع يديه فلطمني[7] لطمةً شديدة . قال : قلت في نفسي : والله ما عندهم بعد هذا[8] خير . قال: فوالله إنّي لفي أيديهم يسحبونني ؛ إذ أوى[9] إليّ رجل منهم ممّن معهم ، فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهدٌ[10] ! قال: قلتُ : بلَى والله ، لقد كنت أجيرُ[11] لجبير بن مطعِم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف تِجَارَهُ[12] ،

١٢٢٦/١

---

(١) يقال : تفوت عليه بكذا ؛ أي فاته به .

(٢) كذا في ابن هشام ، وتنطس القوم الخبر ؛ أي أكثروا البحث عنه ، وفي ط : « تبطن » .

(٣) ابن هشام : « بأذاخر » .

(٤) النسع : الشراك الذي يشد به الرحل .

(٥) في ابن هشام : « يجذبونه » . والجمة : مجمع الشعر .

(٦) قال ابن هشام : « الشعشاع : الطويل الحسن » .

(٧) ح ، ر ، ابن هشام : « فلكمني لكمة » .

(٨) ح : « بعدها » .

(٩) ر : « أمى إلى » .

(١٠) م : « عقد » .

(١١) م : « أجيز » .

(١٢) التجار : جمع تاجر.

وأمنعهم ممّن أراد ظلمهم ببلادى ؛ وللحارث بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف. قال : ويحَك ! فاهتِف باسم الرجلين، واذكرما بينك وبينهما. قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدهما فى المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إنّ رجلاً من الخزرج الآن يُضرب بالأبطح ؛ وإنّه ليَهتف بكما ، ويذكُر أنّ بينه وبينكما جوارا ، قالا : ومَنْ هو ؟ قال: سعد بن عبادة ، قالا: صَدَقَ والله إن كان ليَجير تجارنا[١] ، ويمنعهم أن يظلَموا ببلده . قال : فجاءا فخلّصا سعداً من أيديهم وانطلق . وكان الذى لَكم سعداً سُهَيْل ابن عمرو ، أخو بنى عامر بن لؤى[٢] .

١ / ١٢٢٧

* * *

قال أبو جعفر : فلما قدِموا المدينة ، أظهروا الإسلام بها ، وفى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من أهل الشِّرْك ؛ منهم عمرو بن الجَمُوح ابن زيد بن حرام بن كعب بن غَنْم بن سلِمة ، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو قد شهد العقَبة ، وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم فى فتيان منهم، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلّم مَنْ بايع من الأوس والخزرج فى العقَبة الآخرة ؛ وهى بيعة الحرب حين أذن الله عزّ وجلّ فى القتال بشروط غير الشروط فى العقَبة الأولى ، وأمّا الأولى فإنّما كانت على بيعة النساء ؛ على ما ذكرت الخبر به عن عبادة بن الصامت قبل ؛ وكانت بيْعة العقبة الثانية على حَرْب الأحمر والأسود على ما قد ذكرتُ قبل، عن عروة بن الزبير . وقد حدّثنا ابن حُميد — قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق، قال : حدّثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه الوليد، عن عبادة بن الصامت — وكان أحد النقباء — قال: بايعْنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم على بيعة الحرب ؛ وكان عُبادة من الاثنى عشر الّذين بايعوا فى العقَبة الأولى .

* * *

قال أبو جعفر : فلمّا أذِن الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلّم فى

(١) كذا فى ابن هشام و ط ؛ وفى الأصول : « تجارته » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٨ ، ٢٧٩

القتال ، ونزل قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [1] ، وبايعه الأنصار علَى ما وصفتُ من بيعتِهم ، أمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه ممّن هو معه بمكّة من المسلمين بالهجرة والخروج إلى المدينة ، واللّحوق بإخوانهم من الأنصار ؛ وقال : إنّ الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخوانًا وداراً تأمنون فيها فخرجوا أرْسالاً ، وأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة ينتظر أن يأذن له ربّه بالخروج من مكة ؛ فكان أول من هاجر من المدينة والهجرة إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من قريش ، ثم من بنى مخزوم ، أبو سلمَة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، هاجر إلى المدينة قبل بَيْعة أصحاب العقَبة رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم بسنة ، وكان قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة من أرض الحبشة ، فلما آذتْه قريش ، وبلغه إسلامُ مَنْ أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجراً .

١٢٢٨/١

ثم كان أوّل مَنْ قدم المدينة من المهاجرين بعد أبى سلمَة ، عامر بن ربيعة ، حليف بنى عدىّ بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمَة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عَبيد بن عَوِيج بن عدىّ بن كعب . ثم عبد الله ابن جَحْش بن رِئاب ، وأبو أحمد بن جَحْش — وكان رجلاً ضرير البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد — ثم تتابع أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة أرسالا .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة بعد أصحابه من المهاجرين ؛ ينتظر أن يُؤذَن له فى الهجرة . ولم يتخلّف معه بمكّة أحد المهاجرين إلا أُخِذ فحبس أو فتن إلاّ علىّ بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قُحافة . وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم فى الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجلْ ، لعلّ الله أن يجعل لك صاحبًا ، فطمع أبو بكر أن يكونه [2] ، فلما رأتْ قُرَيش أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم

١٢٢٩/١

---

(١) سورة الأنفال ٣٩ .

(٢) ر : « أن يكون هو صاحبه » .

قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم ، بغير[١] بلدهم ، ورأوْا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم مَنَعَة ، فحذروا خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم إليهم ، وعرفوا أنّه قد أجمع أن يلحقَ بهم لحربهم ، فاجتمعوا له في دار النّدوة ؛ وهي دار قُصَىّ بن كِلاب ، التي كانت قريش لا تقضِي أمراً[٢] إلاّ فيها ، يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين خافوه[٣] !

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد بن جَبْر أبى الحجاج ، عن ابن عبّاس ، قال : وحدّثني الكلبيّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس والحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عُتَيبة ، عن مِقسَم ، عن ابن عبّاس قال : لمّا اجتمعوا لذلك واتّعدُوا أن يدخلوا دار الندوة ، ويتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم غدَوْا في اليوم الذى اتّعدوا له ؛ وكان ذلك اليوم يسمى الزَّحْمَة ؛ فاعترضَهُم إبليس فى هيئة شيخ جليل ، عليه بتٌّ[٤] له ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوْه واقفاً على بابها ، قالوا : مَن الشيخُ ؟ قال : شيخٌ من أهل نَجْد ، سمع بالذى اتّعدتم له ، فحضر معكم ليسْمَعَ ما تقولون ، وعسى ألاّ يعدِمَكُم منه رأى ونُصحٌ ، قالوا : أجَلْ ، فادخُلْ ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش كلّهم ، من كلّ قبيلة ؛ من بنى عبد شمس شَيْبة وعُتْبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب ، ومن بنى نَوْفل ابن عبد مناف طُعَيْمَة بن عدىّ وجبير بن مُطْعِم والحارث بن عامر ابن نوفل. ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ النَّضْر بن الحارث بن كلَدَة . ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى أبو البخترىّ بن هشام وزَمعة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حِزام . ومن بنى مخزوم أبو جهل بن هِشام ، ومن بنى سهم نُبيه

١/١٢٣٠

---

(١) م : « من غير بلدهم » .

(٢) م : « الأمر » .

(٣) م : « خافوا » .

(٤) البت : الكساء الغليظ .

ومُنبِّه ابنا الحجاج. ومن بنى جُمَح أميّة بن خلَف؛ ومَنْ كان معهم[١] وغيرهم ممن لا يُعدُّ من قريش.

فقال بعضُهم لبعض: إنّ هذا الرجلَ قد كان أمْره ما قد كان وما قد رأيتم؛ وإنّا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمَنْ قد اتّبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيًا؛ قال: فتشاروا. ثم قال قائلٌ منهم: احبِسُوه فى الحديد، وأغلقوا عليه بابًا، ثمّ تربّصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله: زُهَيْراً، والنّابغة ومَنْ مضى منهم؛ من هذا الموت حتى يصيبَه منه ما أصابهم.

قال: فقال الشيخُ النجدىّ: لا والله، ما هذا لكم برأى؛ والله لو حبستمُوه — كما تقولون — لخرج أمرُه من وراء الباب الذى أغلقتمُوه دونَه إلى أصحابه؛ فلأوشكوا أن يثبُوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم هذا؛ ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره.

ثم تشاوروا، فقال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيَه من بلدنا؛ فإذا خرج عنّا فوالله ما نبالى أين ذهبَ، ولا حيث وقع، إذا[٢] غاب عنا وفرغنا منه. فأصلحنا أمرَنا، وألفتُنا كما كانت.

١٢٣١/١

قال الشيخ النجدىّ: والله ما هذا لكم برأى؛ ألم تروْا حسنَ حديثه، وحلاوة منطقه، وغَلَبته على قلوب الرجال بما يأتى به! والله لو فعلتُم ذلك ما أمنتُ أن يحلّ على حىّ من العرب، فيغلب عليهم[٣] بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد. أديروا فيه رأيًا غير هذا!

قال: فقال أبو جهل بن هشام: والله إنّ لى فيه لرأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعدُ! قالوا: وما هو يا أبا الحكَم؟ قال: أرى أن تأخذوا من كلّ قبيلة

---

(١) كذا فى ابن هشام، وفى ط: «منهم».
(٢) كذا فى ابن هشام، وفى ط: «غاب عنا أذاه».
(٣) ح: «على قلوبهم».

فتًى شابًّا جلْداً ، نسيبًا وسيطًا فينا ، ثم نعطِى كلَّ فتًى منهم سيفًا صارمًا ثم يعمِدُون إليه ، ثم يضربونه بها ضرْبة رجل واحد فيقتلونه فنستريح ؛ فإنّهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه فى القبائل كلّها ؛ فلم يقدر بنُو عبد مناف على حرْب قومهم جميعًا ، ورضُوا منّا بالعقل فعقلناه لهم .

قال : فقال[١] الشيخ النجدىّ : القول ما قال الرجُل ، هذا الرأى لا رأْىَ لكم غيره .

فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمِعون له ، فأتى جبريل رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال : لا تبتْ هذه الليلة على فراشك الذى كنتَ تبيت عليه !

١٢٣٢/١ قال : فلمّا كان العَتمةُ من اللّيل ، اجتمعوا على بابه فترصّدوه متى ينام ، فيثبون عليه . فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلّم مكانهم ، قال لعلى بن أبى طالب : نمْ على فراشى ، واتّشحَ[٢] ببرْدى الحضرمىّ الأخضر ؛ فنمْ فإنه لا يخلُص إليك شىء تكرهه منهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى بُرده ذلك إذا نام[٣] .

قال أبو جعفر : زاد بعضُهم فى هذه القصّة فى هذا الموضع : وقال له : إنْ أتاك ابن أبى قُحافة ، فأخبرْه أنّى توجّهت إلى ثوْر ، فمُرْهُ فليلْحق بى ، وأرسل إلىّ بطعام ، واستأجرْ لى دليلاً يدلّنى على طريق المدينة ؛ واشتر لى راحلةً . ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، وأعمى الله أبصارَ الذين كانوا يرصُدونه[٤] عنه ، وخرج عليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى يزيد بن زياد ، عن محمّد بن كعب القُرَظىّ ، قال : اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هِشام ، فقال وهم على بابه : إنّ محمّداً

---

(١) ط : « يقول » ، وما أثبته من ابن هشام .

(٢) ابن هشام « وتسجّ » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٩٠ ، ٢٩١

(٤) ح : « يترصدونه » .

يزعُم أنّكم إن تابعتمُوه على أمره كنتم ملوكَ العرب والعجم، ثم بُعثتم بعد موتكم فجعِلت لكم جنان كجنان الأردنّ ، وإن لم تفعلوا كان لكم منه ذبح ، ثم بُعثتم بعد موتكم ؛ فجعِلت لكم نار تحرّقون فيها .

قال : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، فأخذ حَفنة من تراب ، ثم قال : نعم ، أنا أقول ذلك ، أنت أحدُهم . وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونْه(١) ، فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم ؛ وهو يتلو هذه الآيات من يس : ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إلى قوله : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ، حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلّم من هؤلاء الآيات ، فلم يبقَ منهم رجل إلّا وقد وضع على رأسه ترابًا ؛ ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب .

١٢٣٣/١

فأتاهم آت ممّن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون ها هنا ؟ قالوا : محمّدا ، قال : خيّبكم الله ! قد والله خرَج عليكم محمد ، ثم ما ترك(٢) منكم رجلا إلّا وقد وضع على رأسه ترابًا ، وانطلق لحاجته ؛ أفما ترونَ ما بكم ؟ قال : فوضع كلّ رجل منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يطّلعون(٣) ، فيرونْ عليًّا على الفراش(٤) متسجّيًا(٥) ببُرْد رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فيقولون : والله إنّ هذا لمحمّد نائم ، عليه بُردُه ؛ فلم يبرحُوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام عليّ عن(٦) الفراش ، فقالوا : والله لقد صدَقَنا الذى كان حدّثنا ، فكان ممّا نزل(٧) من القرآن فى ذلك اليوم ، وما كانوا أجمعوا(٨) له :

---

(١) ح : « يرون له أثراً » .
(٢) ح : « لم يترك » .
(٣) ر : « يتطلعون » .
(٤) ح : « فى الفراش » .
(٥) ر : « متشحاً » .
(٦) ر : « من الفراش » .
(٧) ح : « أنزل الله » .
(٨) ح : « اجتمعوا » .

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾،[١] وقول الله عز وجل: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾[٢]

وقد زعم بعضُهم أنّ أبا بكْر أتى عليًّا فسأله عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه لحقَ بالغار من ثوْر، وقال: إن كان لك فيه حاجةٌ فالحقْه، فخرج أبو بكر مسرعًا[٣]، فلحق نبيّ الله صلى الله عليه وسلم في الطّريق، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم جَرْسَ أبي بكر في ظلْمة اللّيل، فحسبه من المشركين، فأسرع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المشيَ، فانقطع قِبَالُ نعله ففلق إبهامَه حَجَرٌ فكثر دمها، وأسرع السعيَ، فخاف أبو بكر أن يشقّ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فرفع صوته، وتكلّم، فعرفه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقام حتى أتاه، فانطلقا ورجْل رسول الله صلى الله عليه وسلم تستَنّ دمًا؛ حتى انتهى إلى الغار مع الصّبح؛ فدخلاه. وأصبح الرّهط الذين كانوا يرصُدون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلوا الدّار، وقام علىّ عليه السّلام عن فراشه، فلما دنوْا منه عرفوه، فقالوا له: أين صاحبُك؟ قال: لا أدري، أو رَقيبًا كنت عليه! أمرتموه بالخروج فخرج؛ فانتهروه وضربوه وأخرجوه إلى المسجد، فحبسوه ساعة ثم تركوه، ونجّى الله رسولَه من مكرهم وأنزل عليه في ذلك: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾.

١٢٣٤/١

---

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) سورة الطور ٣٠، ٣١. قال ابن هشام المنون: الموت. وريب المنون: ما يريب ويعرض منها؛ قال أبو ذؤيب الهذلي:

أمِنَ المنُون وريبها تتوجَّع ... والدّهرُ ليسَ بمعتبٍ من يجْزعُ

والخبر: في ابن هشام ١: ٢٩٢

(٣) ح: «يمشي مسرعاً».

قال أبو جعفر : وأذِنَ الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم عندَ ذلك بالهجرة ، فحدّثنا علىّ بن نصر الجهضمىّ ، قال : حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، وحدّثنا عبد الوارث بن عبدالصّمد بن عبد الوارث ، قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنا أبان العطّار ، قال : حدّثنا هشام بن عُرْوة ، عن عُرْوة ، قال : لَمّا خرج أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقَبْل[1] ١ / ١٢٣٥ أن يخرج – يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم – وقبل أن تنزل هذه الآية التى أمِرُوا فيها بالقتال ، استأذنه أبو بكر ؛ ولم يكن أمرَه بالخروج مَعَ مَنْ خرج من أصحابه ، حبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : أنظِرْنى ، فإنّى لا أدرى ؛ لعلّى يُؤذن لى بالخروج . وكان أبو بكر قد اشترى راحلتين يعدّهما للخروج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ فلمّا استنظره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بالذى يرجو من ربّه أن يأذَن له بالخروج ، حبَسَهما وعلَفهما ، انتظارَ صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أسمنهما ، فلما حبس عليه خروج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال أبو بكر : أتطمع أن يؤذن لك ؟ قال : نعم ؛ فانتظره فمكث بذلك[2] .

فأخبرتنى عائشة ، أنهم بينا هم ظُهْرًا فى بيتهم ، وليس عند أبى بكر إلاّ ابنتاه : عائشة وأسماء ؛ إذا هم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قام قائم الظّهيرة – وكان لا يخطئه يومًا أن يأتىَ بيتَ أبى بكر أوّل النهار وآخرَه – فلما رأى أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم جاء ظُهْرًا ، قال له : ما جاء بك يا نبىَّ الله إلاّ أمرٌ حدث ؟ فلمّا دخلَ عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم البيت ، قال لأبى بكر : أخرِج مَنْ عندك ، قال : ليس علينا عيْن ، إنّما هما ابنتاى ، قال : إنّ الله قد أذِن لى بالخروج إلى المدينة ، فقال أبوبكر: يا رسولَ الله ، الصّحابة ، الصّحابة ! قال : الصحابة . قال أبو بكر : خذ إحدى الرّاحلتين – وهما الرّاحلتان اللتان كان يُعلِفهما أبوبكر ، يُعِدّهما للخروج ، إذا ١ / ١٢٣٦

---

(١) م : « قبل » .

(٢) ح : « فمكثا كذلك » .

أذِنَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم — فأعطاه إحدى الرّاحلتين ، فقال : خذها يا رسول الله[١] فارتحِلْها ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم . قد أخذتُها بالثمن ، وكان عامر بن فُهَيرة مُولَّداً[٢] من مُوَلَّدى الأزْد ، كان للطُّفَيْل ابن عبد الله بن سَخْبَرَة[٣] ، وهو أبو الحارث بن الطُّفَيل ، وكان أخا عائشة بنت أبى بكر وعبد الرحمن بن أبى بكر لأمّهما ، فأسلم عامر بن فُهيرة ، وهو مملوك لهم ، فاشتراه أبو بكر فأعتقه ، وكان حَسَنَ الإسلام ، فلمّا خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، كان لأبى بكر مَنِيحةٌ[٤] من غَنَمٍ تروحُ على أهله ، فأرسل أبو بكر عامراً فى الغنم إلى ثوْر ، فكان عامر بن فهَيْرة يروح بتلك الغَنَم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغار فى ثَوْر ، وهو الغار الذى سمّاه الله فى القرآن ، فأرسل بظهرهما رجلاً من بنى عبد بن عدىّ ، حليفًا لقريش من بنى سَهْم ، ثم آل العاص بن وائل ؛ وذلك العَدَوىّ يومئذ مشركٌ ، ولكنّهما استأجراه ، وهو هاد بالطّريق . وفى الليالى[٥] التى مكثا[٦] بالغار كان[٧] يأتيهما عبدُ الله بن أبى بكر حين يُمسى بكلّ خبر[٨] بمكّة ، ثم يصبح بمكّة ويريح عامر الغنم كلّ ليلة ، فيحلُبان ، ثم يسرح بُكرَةً فيصبح[٩] فى رُعْيانِ النّاس ، ولا يُفْطَن له ؛ حتى إذا هدأت عنهما الأصوات ، وأتاهما أنْ قد سُكِت عنهما ، جاءهما صاحبهما ببعيريْهما[١٠] ، فانطلقا وانطُلِق معهما بعامر بن فُهَيْرةَ يخدمُهما ويعينهما ، يُردفه أبو بكر ويُعقبه علَى رَحْله ، ليس معهما أحدٌ إلاّ عامر بن فُهَيْرة ،

---

(١) ح : بأبى أنت يا رسول الله » .

(٢) ح : « مولوداً » .

(٣) ضبطه صاحب التقريب بفتح فسكون .

(٤) المنيحة : ذات اللبن . وفى الفائق : « منحة » .

(٥) ح : « فى الليالى » .

(٦) ح : « مكثها » .

(٧) م : « وكان » .

(٨) ح ، ر : « خير » .

(٩) ح : « فأصبح » .

(١٠) ح ، هـ : « ببعيرها » .

وأخو بنى عدىّ يهديهما الطّريق ، فأجاز بهما فى أسفل مكة[١] ، ثم مضى ١٢٣٧/١
بهما حتى حاذَى بهما الساحل ، أسفلَ من عُسْفان ، ثم استجاز بهما حتى
عارض الطّريق بعد ما جاوز قُدَيْداً ، ثم سلك الخَرّار[٢] ، ثم أجاز على
ثَنِيَّة المَرَة[٣] ، ثم أخذ على طريق يقال لها[٤] المدْلجة بين طريق عَمْق
وطريق الرَّوْحاء، حتى توافَيَا[٥] طريق العَرْج ، وسلك ماء يقال له الغابر عن
يمين رَكُوبة ؛ حتى يَطْلع على بطن رِئم ، ثم جاء حتى قدِم المدينة على بنى
عمرو بن عوف قبل القائلة . فحُدّثت أنه لم يبقَ فيهم إلاّ يومين — وتزعم
بنو عمرو بن عوف أنْ قد أقام فيهم أفضلَ من ذلك — فاقتاد راحلتَه
فاتّبعتَه حتى دخل فى دُور بنى النجّار ، فأراهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
مِرْبداً كان بين ظهرىْ دورهم .

وقد حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن
إسحاق ، قال : حدّثنى محمّد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمىّ ،
قال : حدّثنى عُروة بن الزّبير ، عن عائشة زوْج النبىّ صلى الله عليه وسلم ،
قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئه أحدٌ طرفَىِ النهار
أن يأتىَ بيت أبى بكر إمّا بُكْرةً ، وإمّا عشيّة ؛ حتى إذا كان اليوم
الذى أذن الله فيه لرسوله بالهجرة ، وبالخروج من مكّة من بين ظهرانىْ
قومه ، أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالهاجِرة، فى ساعة كان لا يأتى فيها .
قالت : فلمّا رآه أبو بكر قال : ما جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ١٢٣٨/١
هذه السّاعة إلا لأمرٍ حدث . قالت : فلمّا دخل تأخّر أبو بكر عن سريره
فجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبى بكر إلاّ أنا وأختى

(١) م : « إلى أسفل مكة » .
(٢) م : « الحرار » .
(٣) ثنية المرة ، موضع ذكره ياقوت . وفى ح : « المرأة » .
(٤) ر : « له » ؛ والطريق تذكر وتؤنث .
(٥) ط : « ثم يوافق » ، وما أثبته من ح .

أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : أخْرِجْ عنّى مَنْ عندك[١] ، قال : يا نبىّ الله ، إنّما هما ابنتاىَ ، وماذاك فداك أبى وأمّى ! قال : إنّ الله عزّ وجلّ قد أذن لى بالخروج والهجرة ، فقال أبو بكر : الصُّحبة يا رسول الله ، قال : الصّحبة .

قالت : فوالله ما شعرتُ قطّ قبل ذلك اليوم أنّ أحداً يبكى من الفرح ؛ حتى رأيت أبا بكر يومئذٍ يبكى من الفرح . ثم قال : يا نبىّ الله ، إنّ هاتيْنِ راحلتاىَ[٢] ، كنت أعددتُهما لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أرقد — رجلاً من بنى الدِّيل بن بكْر ، وكانت أمّه امرأةً من بنى سَهْم بن عمرو ، وكان مشركًا — يدلّهما على الطّريق ، ودفعا إليه راحلتيْهما ، فكانتا[٣] عنده يرعاهما[٤] لميعادهما ، ولم يعلم — فيما بلغنى — بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلّم أحدٌ حين خرج إلاّ علىٌّ بن أبى طالب وأبو بكر الصدّيق ، وآل أبى بكر ؛ فأمّا علىّ بن أبى طالب فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم — فيما بلغنى — أخبره بخروجه ، وأمَرَه أن يتخلّف بعده بمكّة حتى يؤدّىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للنّاس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم وليس بمكة أحدٌ عنده شىء يخشىَ عليه إلاّ وضعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لِمَا يُعرف من صدقه وأمانته . فلمّا أجمعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم للخروج أتى أبا بكر بن أبى قُحافة ، فخرجا من خَوْخَة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عَمَدا إلى غار بثَوْر جبل بأسفل مكة ، فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبى بكر أنْ يسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهارَه ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخَبَر ، وأمَرَ عامرَ بن فُهَيرة مولاه أن يرعَى غنمه نهاره ، ثم يُريحها عليهما إذا أمسى بالغار . وكانت أسماءُ بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام[٥] إذا أمستْ بما يصلحهما ، فأقام رسولُ الله

١/١٢٣٩

(١) ح : « عندى » .
(٢) ح : « راحلتان » .
(٣) ح ، م : « فكانت » .
(٤) م : « يراعيهما » .
(٥) ر : « بالطعام » .

صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثًا ، ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش حين فقدُوه مائة ناقة لمن يردّه عليهم ، فكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش ومعهم ، ويستمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فُهَيرة مولَى أبى بكر يرعَى فى رُعْيانِ أهلِ مكّة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكّة اتّبع عامربن فهيرة أثرَه بالغنم ، حتى يُعفِّيَ عليه ؛ حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهُما الذى استأجرا ببعيريهما ، وأتتهما أسماء بنت أبى بكر بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عِصاما[1] . فلما ارتحلا ذهبت لتعلّق السُّفرة[2] ، فإذا ليس فيها عِصام فحلّت نِطاقها[3] ، فجعلَتْه لها عِصامًا ، ثم علّقتها به — فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر : ذات النّطاقين ؛ لذلك — فلما قرَّبَ أبو بكر الرّاحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرّب له أفضلهما ، ثم قال له : اركب فداك أبى وأمّى ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنّى لا أركب بعيراً ليس لى ، قال : فهو لك يا رسولَ الله بأبى أنت وأمّى ! قال : لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتُها بذلك ، قال : هى لك يا رسول الله ، فركبا فانطلقا ، وأردف أبو بكر عامر بن فُهَيرة مولاهُ خلْفَه يخدمُهما بالطريق[4] . ١٢٤٠/١

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثت عن أسماء بنت أبى بكر ، قالت : لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفرٌ من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجتُ إليهم ، فقالوا : أين أبوكِ يا ابنة أبى بكر ؟ قلتُ : لا أدرى والله أين أبى ! قالت : فرفع أبو جهل يدَه —

---

(١) العصام : ما تعلق به السفرة وغيرها . (٢) السفرة : طعام المسافر .

(٣) قال ابن هشام : «وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين ؛ وتفسيره أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها اثنين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر» .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢ — ٤

وكان فاحشًا خبيثًا ــ فلطم خدّي لطمة طرح منها قُرْطِي . قالت : ثم انصرفوا ومكثنا ثلاثَ ليال ، لا ندرى أين توجّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ؛ حتى أقبلَ رجل من الجنّ ، من أسفل مكّة يغنّى بأبيات من الشّعر غناء العرب والنّاس يتّبعونه ؛ يسمعون صَوْتَه وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة ، وهو يقول :

جَزَى اللهُ رَبُّ الناسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ[1]

١٢٤١/١ هُمَا نَزَلاها بالهُدَى وَاغْتَدَوْا بِهِ ... فأفلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ

لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِم ... ومَقْعَدُها لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

قالت : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأنّ وجهه إلى المدينة ، وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وعبد الله بن أرقد دليلهما[2] .

قال أبو جعفر : حدّثني أحمد بن المقدام العجليّ ، قال : حدّثنا هشام ابن محمّد بن السّائب الكلبيّ ، قال : حدّثنا عبد الحميد بن أبي عبْس بن محمّد بن أبي عبس بن جبر ، عن أبيه ، قال : سمعتْ قريش قائلاً يقول فى الليل على أبي قُبَيْس :

فإنْ يُسْلِمِ السَّعْدَانِ يُصْبِحْ مُحَمَّدٌ ... بمَكَّةَ لا يَخْشَى خِلافَ المُخَالِفِ

١٢٤٢/١ فلمّا أصبحوا قال أبو سفيان : مَنِ السَّعْدان ؟ سَعْدُ بكر ، سَعْدُ تميم ، سعد هُذَيْم ! فلمّا كان فى الليلة الثانية ، سمعوه يقول :

أيا سَعْدُ سَعْدَ الأَوْسِ كُنْ أنتَ نَاصِرًا ... ويا سَعْدُ سَعْدَ الخَزْرَجِيْنَ الغَطَارِفِ

أجيبا إلى دَاعِي الهُدَى وتَمَنَّيَا ... عَلى اللهِ فى الفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ عَارِفِ

فإنَّ ثَوَابَ اللهِ للطَّالِبِ الهُدَى ... جِنَانٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ ذات رَفَارِفِ

---

(١) قال ابن هشام : أم معبد بنت كعب ، من خزاعة .

(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٤ ، ٥

فلما أصبحوا ، قال أبو سفيان : هو والله سعد بن مُعاذ وسعد بن عبادة .

* * *

قال أبو جعفر : وقدِم دليلهُما بهما قُباءَ ، على بنى عمرو بن عوف ، لثْنتَىْ عشْرة ليلةً خلَتْ من شهر ربيع الأول ، يوم الاثنين حين اشتد الضُّحى ، وكادت الشمس أن تعتدل .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى محمّد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزّبير ، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ، قال : حدّثنى رجال قومى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، قالوا : لما سمِعْنَا بمخرج رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم من مكة ، وتوكّفنا قدومه[1] ، كنّا نخرج إذا صلّينا الصبح إلى ظاهرِ حرّتنا ، ننتظرُ[2] رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ؛ فوالله ما نَبْرَح حتّى تغلبَنا الشمس على الظلال[3] ؛ فإذا لم نجد ظِلاً دخلنا بيوتنا ، وذلك في أيام حارّة ؛ حتّى إذا كان فى اليوم الذى قدِم فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنّا نجلس ؛ حتّى إذا لم يبق ظِلٌّ دخلنا بيوتنا . وقدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أوّل مَنْ رآه رجلٌ من اليهود ، وقد رأى ما كنّا نصنع ، وإنّا[4] كُنّا ننتظر قدومَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فصرخ بأعلى صوته : يا بنى قَيْلة[5] هذا جَدُّكم قد جاء . ١٢٤٣/١

قال : فخرجنا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، وهو فى ظلّ نخلة ، ومعه أبو بكر فى مثل سنّه وأكثرُنا مَنْ لم يكن رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، قال : وركبه الناس[6] ، وما نعرفه من أبى بكر ؛ حتّى زال

---

(١) توكفنا قدومه : انتظرناه .

(٢) ر : « فننظر » .

(٣) ح : « القلال » .

(٤) ح : « وما » ، ر : « وإنما » .

(٥) بنو قيلة ؛ هم الأنصار ؛ وقيلة : اسم جدة كانت لهم .

(٦) ركبه الناس ، أى ازدحموا عليه .

الظلّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر ، فأظلّه بردائه ، فعرفناه عند ذلك، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم — فيما يذكرون — على كُلْثوم بن هِدْم، أخي بني عمرو بن عَوْف ، ثم أحد بني عُبيد ، ويقال: بل نزل على سعد بن خَيْثَمة .

ويقول مَنْ يذكُر أنه نزل على كُلثوم بن هدم: إنّما كانَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم إذا خرج من منزل كُلثوم بن هِدْم ، جلس للناس في بيت سَعْد بن خيثمة ؛ وذلك أنه كان عَزَبًا لا أهلَ له ، وكان منازلُ العزّاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم من المهاجرين عنده ؛ فمن هنالك يقال : نزل على سعد بن خيثمة ، وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة : بيت العزّاب ، فالله أعلم أيّ ذلك كان ، كلاّ قد سمعنا .

١/١٢٤٤ ونزل أبو بكر بن أبي قُحافة على خُبَيب بن أساف ، أخي بني الحارث ابن الخزرج بالسُّنْح ، ويقول قائل : كان منزلهُ على خارجة بن زيد بن أبي زُهَير ، أخي بني الحارث بن الخزرج .

وأقام عليّ بن أبي طالب رضيَ الله عنه بمكّة ثلاث ليالٍ وأيّامها ؛ حتّى أدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم الودائعَ التي كانت عنده إلى النّاس ؛ حتّى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فنزل معه على كُلْثوم ابن هِدْم، فكان عليّ يقول: وإنّما كانت إقامته بقُباء على امرأة لا زوْجَ لها مسلمة، ليلةً أو ليلتين ، وكان يقول : كنتُ نزلت بقُباء على امرأة لا زوْج لها مسلمة ، فرأيتُ إنسانًا يأتيها في جَوْف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيها شيئًا معه ، قال : فاسترَبْتُ لشأنه ، فقلت لها : يا أمَةَ الله ، مَنْ هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كلّ ليلة فتخرجين إليه ، فيعطيك شيئًا ، ما أدري ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ! قالت : هذا سَهْل بن حُنَيف بن واهب ، قد عرف أنّي امرأة لا أحدَ لي ؛ فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسّرها ، ثم[1] جاءني بها ، وقال : احتطبي بهذا . فكان عليّ بن

(١) ر : « حتى » .

أبى طالب يأثر ذلك مِن أمر سهل بن حُنَيف حين هلك عنده بالعراق[١] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى هذا الحديث علىّ بن هند بن سعد بن سهل بن حُنَيف ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

١٢٤٥/١ فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقُباء فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس؛ وأسَّس مسجدهم؛ ثم أخرجه الله عزّ وجلّ من بين أظهرهم يوم الجمعة ؛ وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنّه مكث فيهم أكثرَ من ذلك . والله أعلم .

ويقول بعضهم : إنّ مقامه بقُباء كان بضعة عشر يومًا .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف السَّلفُ من أهلِ العلم فى مدّة مقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمكّة بعد[٢] ما استنبئ ، فقال بعضهم : كانت مدّة مقامه بها إلى أن هاجر إلى المدينة عشر سنين .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن المثنّى ، قال: حدّثنا يحيى بن محمّد بن قيس المدنىّ — يقال له أبو زُكَيْر — قال : سمعتُ ربيعة بن أبى عبد الرحمن يذكر عن أنس ابن مالك ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بُعِثَ على رأس أربعين ، فأقام بمكّة عشراً .

حدّثنى الحسين بن نصر الآمُلىّ ، قال : حدّثنا عبيد[٣] الله بن موسى ، عن شَيْبان ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلَمَة بن عبد الرحمن ؛ قال : أخبرتْنى عائشة وابنُ عبّاس أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٠ ، ١١

(٢) ح : « يوم » .

(٣) ر : « عبد » .

لبث بمكة عشر سنين ، ينزل[1] عليه القرآن .

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا عبد الوهاب ، قال : حدّثنا يحيى ابن سعيد ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب ، يقول : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلّم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكّة عشراً .

١/١٢٤٦

حدّثني أحمد بن ثابت الرّازيّ ، قال : حدّثنا أحمد ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد ، عن هِشام ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، فمكث بمكّة عشراً .

حدّثني محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا عمرو بن عثمان الحمصيّ ، قال : حدّثنا أبي ، قال : حدّثنا محمد بن مسلم الطائفيّ ، عن عمرو بن دينار ، قال : هاجرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم على رأس عَشْرٍ من مُخْرَجه .

* * *

قال أبو جعفر : وقال آخرون : بل أقام بعد ما استنبِئ بمكّة ثلاث عشرة سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا حجّاج بن المنهال ، قال : حدّثنا حمّاد — يعني ابن سلمة — ، عن أبي جَمْرة ، عن ابن عبّاس ، قال : أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة ثلاث عشرة سنة يوحَى إليه .

حدّثني محمّد بن خلف ، قال : حدّثنا آدم ، قال : حدّثنا حمّاد ابن سلَمة ، قال : حدّثنا أبو جَمْرَةَ الضُّبَعيّ ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم لأربعين سنة[2] ، وأقام بمكّة ثلاث عشرة سنة .

---

(١) ر : « ونزل » .

(٢) م : « لأربعين سنة بمكة » .

حدّثني محمّد بن معمّر ، قال : حدّثنا رَوْح ، قال : حدّثنا زكرياء ابن إسحاق ، قال : حدّثنا عمرو بن دينار ، عن ابن عبّاس ، قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة ثلاث عشرة سنة .

حدّثني عبيد[1] بن محمد الورّاق ، قال : حدّثنا رَوْح ، قال : حدّثنا هشام ، قال : حدّثنا عِكْرِمة ، عن ابن عبّاس ، قال : بُعِث النبيّ صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فمكث بمكّة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر[2] بالهجرة . ١٢٤٧/١

* * *

قال أبو جعفر : وقد وافق قولُ مَنْ قال : بُعِث رسول الله صلى الله عليه وسلّم لأربعين سنة ، وأقام بمكّة ثلاث عشرة سنة قول أبى قيس صِرْمة بن أبى أنَس ، أخى بنى عدىّ بن النّجار ، فى قصيدته التى يقول فيها ، وهو يصف كرامة الله إيّاهم بما أكرمهم به من الإسلام ، ونزول نبىّ الله صلى الله عليه وسلّم ، عليهم :

ثوَى فى قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يذَكِّرُ لو يَلْقى صَدِيقاً مواتيا[3]!
ويَعرِضُ فى أَهْلِ المَوَاسِمِ نَفْسَهُ ... فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِى ، ولَمْ يَرَ داعيا
فلمَّا أتانا أظْهَرَ اللهُ دِينَهُ ... فأصْبَحَ مَسْرُورًا بطَيْبَةَ رَاضِيا
وألْفَى صَدِيقاً واطْمَأَنَّتْ به النَّوَى ... وكان له عَوْنًا مِنَ اللهِ باديا
يَقُصُّ لنا ما قال نُوحٌ لقَوْمِهِ ... وما قال مُوسَى إذْ أجابَ المُنادِيا
وأصْبَحَ لا يَخْشَى مِنَ النَّاس واحدا ... قريباً ، ولا يَخْشَى من النَّاسِ نائيا ١٢٤٨/١
بَذَلْنا له الأَمْوالَ مِنْ جُلِّ مَالنا ... وأنفُسنا عند الوَغَى والتَّآسيا[4]

(١) ر : « عبيد الله » .
(٢) ح ، م : « أمره » .
(٣) الأبيات فى الاستيعاب ٣٢٣ .
(٤) بعده فى الاستيعاب :

نُعادِي الَّذِى عادَى من النّاس كُلِّهِمْ ... جَمِيعاً وإنْ كَانَ الحَبِيبَ المواتِيَا

ونعلَمُ أن ٱللهَ لا شئ غيره ونعلَمُ أنّ ٱللهَ أفْضَلُ هاديا

فأخبر أبو القيس فى قصيدته هذه أن مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قومه قريش كان بعد ما استنبئ وصَدَع بالوحى من الله بضع عشرة حجّة .

* * *

وقال بعضهم كان مقامه بمكة خمس عشرة سنة :

ذكر من قال ذلك :

حدّثنى بذلك الحارث ، عن ابن سعد، عن محمّد بن عمر ، عن إبراهيم بن إسماعيل ، عن داود بن الحصين، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ؛ واستشهد بهذا البيت من قول أبى قيس صرمة بن أبى أنس ، غير أنه أنشد ذلك :

ثَوَى فى قُرَيشٍ خَمْسَ عَشْرَةَ حِجّةً يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِيَا[1] !

* * *

١/١٢٤٩ قال أبو جعفر : وقد روى عن الشعبيّ أنّ إسرافيل قُرن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحَى إليه ثلاث سنين .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر الواقدىّ ، قال : حدّثنا الثورىّ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبىّ — قال : وحدّثنا إملاءً من لفظه منصورٌ عن الأشعث ، عن الشعبىّ — قال : قُرن إسرافيل بنبوّة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ، يسمع حسّه ، ولا يرى شخصه . ثم كان بعد ذلك جبريلُ عليه السلام . قال الواقدىّ : فذكرتُ ذلك لمحمّد بن صالح بن دينار ، فقال : والله يابن أخى لقد سمعت عبدَالله بن أبى بكر بن حَزْم ، وعاصم بن عمر بن قتادة يحدّثان[2] فى

(١) م : « مواليا » .

(٢) ح : « يتحدثان » .

المسجد ورجل عراقيّ يقول لهما هذا ، فأنكراه جميعًا وقالا : ما سمعنا ولاعلمنا إلاّ أنّ جبريل هو الذى قُرن به ، وكان يأتيه بالوحى من يوم نُبِّئَ إلى أن توفّى صلى الله عليه وسلم[1] .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا ابنُ أبى عدىّ ، عن داود ، عن عامر ، قال : أنزلتْ عليه النبوّة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلّمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن على لسانه ، فلمّا مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشر سنين بمكّة وعشر سنين بالمدينة .

قال أبو جعفر : فلعلّ الذين قالوا : كان مقامُه بمكّة بعد الوحى عشراً عدّوا مقامَه بها من حين أتاه جبريل بالوحْيِ من الله عزّ وجلّ ، وأظهر الدعاء إلى توحيد الله . وعدّ الذين قالوا: كان مُقامه ثلاث عشرة سنة من أوّل الوقت الذى استنبئَ فيه ؛ وكان إسرافيل المقرون به وهى السنون الثلاث التى لم يكن أمِرَ فيها بإظهار الدعوة . ١٢٥٠/١

وقد روى عن قَتادة غيرُ القولين اللّذين ذكرت ؛ وذلك ما حدّثت عن رَوح بن عبادة ، قال : حدّثنا سعيد ، عن قَتادة ، قال : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانيَ سنين بمكّة وعشراً بعد ما هاجر ، وكان الحسن يقول : عشراً بمكة وعشراً بالمدينة .

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١٩١ .

ذكر الوقت الذى عمل فيه التأريخ

قال أبو جعفر : ولما قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أمر بالتأريخ فيما قيل . حدّثنى زكرياء بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : حدّثنا أبو عاصم ، عن ابن جُرَيج ، عن أبى سلمة ، عن ابن شهاب ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة — وقدمها فى شهر ربيع الأول — أمر بالتأريخ .

* * *

قال أبو جعفر : فذكر أنّهم كانوا يؤرّخون بالشهْر والشهرين من مَقْدَمه إلى أن تمت السنة ، وقد قيل إنّ أول مَنْ أمر بالتأريخ فى الإسلام عمر بن الخطاب ، رحمه الله .

* ذكر الأخبار الواردة بذلك :

حدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا أبو نعيم ، قال : حدّثنا حبّان ابن علىّ العَنَزِىّ ، عن مُجالد ، عن الشعبىّ ، قال : كتب أبو موسى الأشعرىّ إلى عمر : إنّه تأتينا منك كتب ليس لها تأريخ . قال : فجمع عمر النّاس للمشورة ، فقال بعضُهم : أرّخْ لمبعثِ رسول الله صلى الله عليه وسلّم . وقال بعضهم : لمهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال عمر : لا بل نؤرّخ لمهاجَر رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، فإنّ مهاجَرَه فرّق بين الحقّ والباطل . /١٢٥١

حدّثنى محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا قُتيبة بن سعيد ، قال : حدّثنا خالد بن حيّان أبو يزيد الخرّاز ، عن فُرات بن سَلْمان ، عن ميمون بن مهْران ، قال : رفِعَ إلى عمر صَكٌّ مَحلّه فى شعبان ، فقال عمر : أىّ شعبان؟ الذى هو آت ، أو الذى نحن فيه ؟ قال : ثم قال لأصحاب رسولِ الله صلى الله

عليه وسلم : ضعوا للنّاس شيئًا يعرِفونه ، فقال : بعضُهم : اكتبُوا على تأريخ الرّوم ، فقيل : إنهم يكتبُون من عَهْدِ ذى القرنين ؛ فهذا يطول . وقال بعضهم : اكتبوا على تأريخ الفرْس ؛ فقيل : إنّ الفرْس كلّما قام ملك طرح مَنْ كان قبله ؛ فاجتمع[1] رأيُهُم على أن ينظروا : كَمْ أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ؟ فوجدوه عشر سنين ؛ فكتِب التأريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدِّثت عن أميّة بن خالد وأبى داود الطّيالسىّ ، عن قرّة بن خالد السَّدوسىّ ، عن محمّد بن سيرين ، قال: قام رجلٌ إلى عمرَ بن الخطاب فقال: أرّخوا ، فقال عُمر : ما «أرّخوا» ؟ قال : شىء تفعله الأعاجم ، يكتبون فى شَهر كذا من سنة كذا ، فقال عمر بن الخطاب : حَسَنٌ ، فأرّخوا . فقالوا : من أىّ السنين نبدأ ؟ قالوا : من مبعثه ،وقالوا: من وفاته ؛ ثم أجمعوا[2] على الهجرة . ثم قالوا : فأىّ الشهور نبدأ ؟ فقالوا: رمضان ، ثم قالوا : المحرّم ، فهو منصرَف الناس من حَجّهم ؛ وهو شهر حرام ، فأجمعوا[3] على المحرّم . ١٢٥٢/١

حدّثنى محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثنى سعيد بن أبى مريم . وحدّثنى عبد الرّحمن بن عبد الله بن عبد الحكَم ، قال : حدّثنا أبى ، قالا جميعًا : حدّثنا عبد العزيز بن أبى حازم ، قال : حدّثنى أبو حازم ، عن سَهْل ابن سعد ، قال : ما أصاب الناس العدّد ؛ ما عدُّوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من وفاته ، ولا عدُّوا إلاّ من مقدَمه المدينة .

حدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا سعيد بن أبى مريم ، قال : حدّثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : حدّثنى محمّد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال: كان التأريخ فى السّنة الّتى قدِم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وفيها وُلد عبدُ الله بن الزّبير .

---

(١) م : « فأجمع » .
(٢) م : « اجتمعوا » .
(٣) م : « فاجتمعوا » .

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكَم ، قال : حدّثنا يعقوب ابن إسحاق بن أبي عبّاد ؛ قال : حدّثنا محمد بن مسلم الطائفيّ ، عن عمرو ابن دينار ، عن ابن عبّاس ، قال : كان التأريخ في السنَةِ التي قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فذكر مثله .

حدّثني محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدّثنا نوح بن قيس الطّاحيّ ، عن عثمان بن مِحْصن ، أنّ ابنُ عباس كان يقول في : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ ، قال : الفجر هو المحرّم ، فجْر السنة .

حدّثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا أبو نُعَيْم الفضل بن دُكَين ، قال : حدّثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ؛ عن الأسود بن يزيد ، عن عُبيد بن عمير ، قال : إنّ المحرّم شهرُ الله عزّ وجلّ ، وهو رأس السَّنة ، فيه يكسَى البيت ، ويؤرّخ[١] التأريخ ، ويضرب فيه الورِق ، وفيه يوم كان تاب فيه قوم ، فتاب الله عزّ وجلّ عليهم .

١٢٥٣/١

حدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ ، قال : حدّثنا أحمد[٢] ، قال : حدّثنا رَوْح بن عبادة ، قال : حدّثنا زكرياء بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، أنّ أوّل مَنْ أرّخ الكُتُب يعلى بن أميّة ، وهو باليمن ، وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قدِم المدينة في شهر ربيع الأول ، وأنّ النّاس أرّخوا لأوّل السّنة ؛ وإنما أرّخ النّاس لمقدَم النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وقال عليّ بن مجاهد ، عن محمّد بن إسحاق ، عن الزهريّ . وعن محمّد ابن صالح ، عن الشعبيّ ، قالا[٣] : أرّخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم عليه السّلام إلى بنيان البيت ، حين بناه إبراهم وإسماعيل ، ثم أرّخ بنو إسماعيل من بُنيان البيت ؛ حتى[٤] تفرّقت ، فكان كلّما خرج قوم من تِهامة أرّخوا

---

(١) ح : « وتؤرخ التواريخ » .
(٢) هو أحمد بن حنبل .
(٣) ح : « قال » .
(٤) ر : « حين » .

بمخرجهم[١] ، ومَنْ بقي بتِهامة من بني إسماعيل يؤرّخون من خروج سعد ونَهْد وجُهَينة ، بني زيد، من تِهامة؛ حتى مات كعب بن لؤيّ، فأرّخوا من موت كعب بن لؤيّ إلى الفيل ؛ فكان التأريخ من الفيل ، حتى أرّخ عمر ابنُ الخطّاب من الهجرة ؛ وذلك سنة سبع عشرة أو ثمانيَ عشرة .

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكَم ، قال: حدّثنا نعيم بن حمّاد ، قال :حدّثنا الدراوردىّ،عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب ، يقول : جمع عمرُ بن الخطّاب النّاس، فسألهم ، فقال : من أيّ يوم نكتب ؟ فقال علىّ عليه السّلام : من يوم هاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وترك أرض[٢] الشِّرْك ، ففعله عمر رضى الله عنه . ١١٥٤/١

قال أبوجعفر : وهذا الذى روَاه علىّ بن مجاهد ، عمّن رواه عنه فى تأريخ بني إسماعيل غيرُ بعيد من الحق؛ وذلك أنّهم لم يكونوا يؤرّخون على أمر معروف يعمل به عامّتهم، وإنّما كان المؤرّخ منهم يؤرّخ بزمان قُحْمة[٣] كانت فى ناحية من نواحي بلادهم ، ولَزْبَةٍ أصابتهم ؛ أو بالعامل كان يكون عليهم ، أو الأمر الحادث فيهم ينتشر خبره عندهم ؛ يدلّ على ذلك اختلافُ شعرائهم فى تأريخاتهم ؛ ولو كان لهم تأريخ على أمرٍ معروف ، وأصلٍ معمول عليه ، لم يختلف ذلك منهم .

ومن ذلك قول الربيع بن ضبُع الفَزارىّ :

هأَنَذَا آمُلُ الْخُلُودَ وقَدْ أدْرَكَ عَقْلِي ومَوْلَدِى حُجُرَا
أبا امرِئ الْقَيْسِ هَلْ سمِعْتَ بِهِ هَيْهاتَ هَيْهاتَ طالَ ذَا عُمُرَا !

فأرّخ عمْرَهُ بحجْر بن عمرو أبي امرئ القيس .

وقال نابغة بني جعْدة :

(١) ر ، م : « مخرجهم » .

(٢) ر : « أهل » .

(٣) القحمة ، بالضم : القحط الشديد ؛ وكذلك اللزبة .

فَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِّى فَإِنِّى مِنَ الشُّبَّانِ أَزْمَانَ الْخُنَانِ (١)

فجعل النابغة تأريخه ما أرّخ بزمان علّة كانت فيهم عامّة .

وقال آخر :

وَمَا هِىَ إِلَّا فِى إِزارٍ وعِلْقَةٍ مَغارَ ابْنِ هَمَّامٍ على حَىِّ خَثْعَمَا (٢)

١٢٥٥/١ فكلّ واحد من هؤلاء الذين ذكرت تأريخهم فى هذه الأبيات ، أرّخ على قرْب زمان بعضهم من بعض ، وقرْب وقت ما أرّخ به من وقت الآخر ؛ بغير المعنى الذى أرّخ بـه الآخر ؛ ولو كان لهم تأريخ معروف كما للمسلمين اليوم ولسائر الأمم غيرها ، كانوا إن شاء الله لا يتعدّوْنه ؛ ولكنّ الأمر فى ذلك كان عندهم إنْ شاء الله على ما ذكرت ؛ فأمّا قريش من بين العرب ؛ فإنّ آخر ما حصلْتُ من تأريخها قبل هجرة النبىّ صلى الله عليه وسلم من مكّة إلى المدينة على التأريخ بعام الفيل ؛ وذلك عام وُلد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بين عام الفيل والفِجار عشرون سنة ، وبين الفِجار وبناء الكعبة خمس عشرة سنة ، وبين بناء الكعبة ومبعث النبىّ صلى الله عليه وسلّم خمس سنين .

* * *

قال أبو جعفر : وبُعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، وقُرن بنبوّته — كما قال الشعبىُّ — ثلاث سنين : إسرافيلُ ؛ وذلك قبل أن يؤمر بالدعاء وإظهاره على ما قدّمنا الرواية والإخبار به ، ثم قُرن بنبوّته جبريلُ عليه السلام بعد السنين الثلاث ، وأمرَه بإظهار الدعوة إلى الله ، فأظهرَها ، ودعا إلى الله مقيمًا بمكّة عشر سنين ، ثم هاجر إلى المدينة فى شهر ربيع الأوّل من سنة أربع عشرة من حين استنبئ ، وكان خروجه من مكّة إليها يوم الاثنين ، وقدومه المدينة يوم الاثنين ؛ لمضىّ اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول .

---

(١) فى اللسان : « وزمن الخنان زمن ماتت فيه الإبل » ، وأورد البيت .

(٢) البيت فى اللسان (علق) من غير نسبة .

حدّثنى إبراهم بن سعيد الجوهرى ، قال : حدّثنا موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبى عمران، عن حنش الصنعانىّ ، عن ابن عبّاس ، قال : ولِد النبىّ صلى الله عليه وسلم يومَ الاثنين ، واستُنبئ يوم الاثنين ، ورفع الحجَر يوم الاثنين، وخرج مهاجراً من مكّة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقبِض يوم الاثنين. ١/١٢٥٦

حدّثنا ابن حُميد، قال : حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن الزهرىّ، قال : قدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة يوم الاثنين ، لاثنتى عشرة ليلة خلتْ من شهر ربيع الأول .

* * *

قال أبو جعفر : فإذا كان الأمرُ فى تأريخ المسلمين كالذى وصفت ، فإنّه وإن كان من الهجرة، فإنّ ابتداءهم إياه قبل مقدَم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم المدينة بشهرين وأيام ؛ هى اثنا عشر ؛ وذلك أنّ أوّل السّنة المحرّم ، وكان قدومُ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم المدينة، بعد مُضِىّ ما ذكرت من السنة، ولم يؤرّخ التأريخ من وقت قدومه ؛ بل من أول تلك السنة .

ذكر ما كان
من الأمور المذكورة فى أول سنة من الهجرة

قال أبو جعفر : قد مضَى ذكرُنا وقتَ مقدَم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم المدينة، وموضعه الذى نزل فيه حين قدمها، وعلى مَنْ كان نزوله، وقَدْر مُكْثه فى الموضع الذى نزله[١] ، وخبر ارتحاله عنه . ونذكر الآن ما لم نذكُر قبلُ ممّا كان من الأمور المذكورة فى بقيّة سنة قدومه؛ وهى السَّنة الأولى من الهجرة.

فمن ذلك تجميعُه صلّى الله عليه وسلّم بأصحابه الجمُعة ، فى اليوم الذى ارتحل فيه من قُبَاء ؛ وذلك أنّ ارتحاله عنها كان يوم الجمعة عامداً[٢] المدينة ، فأدركتْه الصّلاة ، صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف ، ببطن واد لهم — قد اتُّخذ[٣] اليوم فى ذلك الموضع مسجداً — فيما بلغنى — وكانت هذه الجمعة ، أوّلَ جمعة جمّعها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الإسلام ، فخطب فى هذه الجمعة ؛ وهى أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل . ١٢٥٧/١

* * *

خطبة رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم فى أوّل جمعة جَمَّعها بالمدينة

حدّثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهْب ، قال : حدّثنى سعيد بن عبد الرحمن الجُمحىّ ، أنه بلغه عن خطبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى أوّلِ جمعة صلاّها بالمدينة فى بنى سالم بن عوف :

الحمد لله ، أحمَده وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفُره ، وأعادى مَنْ يكفره، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له ، وأنّ محمّداً عبدُه ورسوله؛ أرسله بالهُدى والنور والموعظة ، على فَتْرَة من الرسل، وقلّة من

(١) ر : « نزل » . (٢) ح : « عامداً إلى المدينة » .
(٣) ح : « اتخذوا » .

العلمِ، وضلالةٍ من النّاس، وانقطاع من الزمان، ودُنُوٍّ من الساعة، وقُرْبٍ من الأجَل ؛ مَنْ يُطع الله ورَسُولَه فقَدَ رَشَد ، ومن يعْصهما فقد غوَى وفَرّط ؛ وضَلَّ ضَلاَلاً بَعيداً . وأوصيكُم بتقوى الله ، فإنه خيرُ ما أوصَى به المسلمُ المسلمَ ؛ أن يَحُضّه على الآخرة ، وأن يأمرَه بتقوى الله ، فاحذروا ما حذّركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكراً ؛ وإنّ تقوى الله لمن عَمِلَ به على وَجلٍ [١] ومخافة من ربّه ، عَوْنُ صدْق على ما تَبْغُون من أمر الآخرة . وَمن يصلِح الذى بينه وبين الله من أمره فى السرّ والعلانية ، لاينوى بذلك إلاّ وجه الله يكن له ذكراً [٢] فى عاجل أمره ، وذُخْراً فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء إلى ما قدّم ، وما كانَ من سوَى ذلك يوَدُّ لَوْأنَّ بيْنها وَبينهُ أمَداً بعيداً ، ويحذّركم الله نفسَه ، والله رءوف بالعباد. والذى صدّق قوله ، وأنجز [٣] وَعْدَه ، لا خُلفَ لذلك ، فإنّه يقول عزّ وجلّ : ﴿ مَا يُبدَّلُ القَوْلُ لَدَىَّ ومَا أنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [٤] . فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السرّ والعلانية ، فإنّه مَنْ يتّقِ الله يُكفِّرْ عَنْهُ سيّئاته ، ويُعْظِم له أجْرًا ، ومَنْ يتّق الله فقد فاز فَوْزاً عظيماً . وإنّ تقوى الله يُوَقّى مقته ، ويوقّى عقوبته ، ويوقّى سَخَطه ، وإنّ تقوى الله يُبيِّض الوجوه ، ويرْضى الربَّ ، ويرفع الدّرجة . ١٢٥٨/١

خذوا بحظّكم ، ولا تفرّطوا فى جَنْب الله ؛ قد علّمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيلَه ، ليعلَم الّذين صدقوا ويعلَم الكاذبين . فأحْسِنوا كما أحْسَنَ الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا فى الله حقّ جهاده هو اجتباكم وسمّاكم المسلمين ، ليهْلِكَ مَنْ هلَكَ عن بيّنة ، ويحيا من حَيَّ عنْ بيّنة ، ولا قوّة إلا بالله . فأكثِرُوا ذكْرَ الله ، واعملوا لما بعد اليوم ، فإنه مَنْ يصلح ما بينه وبين الله يَكْفِه الله مابينه وبين النّاس ، ذلك بأنّ الله يقضِي على النّاس ولا يقضُون عليه ، ويملِكُ من النّاس ولا يملكون[٥]

---

(١) ح : « رجاء » . (٢) ح : « ذخراً وذكراً » .

(٣) ح ، م : « ونجز » . (٤) سورة ق ٢٩ .

(٥) ر : « ما لا يملكون » .

منه ؛ اللهُ أكبرُ ، ولا قوّةَ إلاّ بالله العظيم ! .

* * *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ركِب ناقتَه ، وأرخَى لها الزّمام ، فجعلَت لا تَمرُّ بدار من دُور الأنصار إلاّ دعاه أهلُها إلى النزول عندهم ، وقالوا له : هلُمّ يا رسولَ الله! إلى العَدَد والعُدّة والمَنَعة ؛ فيقول لهم صلّى الله عليه وسلّم : خلّوا زِمامها فإنّها مأمورة ؛ حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبرَكت على باب مسجده[1] ؛ وهو يومئذ مِرْبَدٌ[2] لغلاميْن يتيمين من بني النّجار في حِجْر مُعاذ بن عَفْراء ؛ يقال لأحدهما سهل وللآخر سهيل ، ابنا عمرو بن عباد ابن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجار . فلما بركَتْ لم ينزل عنها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم وثبَتْ فسارتْ غيرَ بعيد ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلم واضعٌ لها زمامها لا يَثْنيها به ؛ ثم التفتت خلفْها ، ثم رجعت إلى مَبْرَكها أوّل مرة ، فبركت فيه ووضعت جِرانَها ، ونزل عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب رحله ، فوضعه في بيته ، فدعَتْه الأنصار إلى النزول عليهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : المرءُ مع رحله . فنزل على أبي أيّوب خالد بن زيد بن كليب ، في بني غَنْم بن النجّار[3] .

١٢٥٩/١

قال أبو جعفر : وسألَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن المِرْبَد لمن هو ؟ فأخبره مُعاذ بن عفراء ، وقال : هو ليتيميْن لي ، سأرضيهما . فأمر به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُبْنَى مسجداً ، ونزل على أبي أيّوب ، حتى بنى مسجدَه ومساكنه . وقيل : إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم اشترى موضعَ مسجده ، ثم بناه .

والصحيح عندنا في ذلك ، ما حدّثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدّثنا

---

(١) و : « المسجد » .

(٢) المربد : الموضع الذي يجفف فيه التمر .

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ١١ ، ١٢

يزيد بن هارون، قال : أخبرنا حمّاد بن سلَمة ، عن أبى التَّيّاح ، عن أنس ابن مالك ، قال : كان موضع مسجدِ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم لبنى النّجار ، وكان فيه نخل وحَرْث وقبورٌ من قبور الجاهليّة، فقال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ثامنُونى[١] به، فقالوا : لا نبتغى[٢] به ثمنًا إلاّ ما عندالله . فأمَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالنَّخْل فقطِع ، وبالحرْث فأفسد، وبالقبور فنبشتْ ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قبل ذلك يصلّى فى مرابضِ الغنم ، وحيث أدركته الصلاة . ١/٢٦٠

قال أبو جعفر : وتولّى بناء مسجِده صلّى الله عليه وسلّم هو بنفسه وأصحابه[٣] من المهاجرين والأنصار .

وفى هذه السَّنة بُنِى مسجد قُباء .

* * *

وكان أوّلَ من تُوفّىَ بعد مقدمه المدينة من المسلمين — فيما ذكر — صاحب مَنْزِلِه كُلْثوم بن الهِدْم ، لم يلبَث بعد مقدَمه إلا يسيراً حتى مات .

ثم توفِّىَ بعْده أسعدُ بن زُرارة فى سنَة مقدَمه ، أبو أمامة . وكانت وفاته قبل أن يَفْرُغَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من بناء مسجده، بالذّبْحَة[٤] والشَّهْقَة[٥] . فحدّثنا ابنُ حُمَيْد، قال : حدّثنا سلمَة، قال : قال محمد ابن إسحاق . حدّثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبدالرحمن؛ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : بئس[٦] الميِّتُ أبو أمامة ليَهودَ ومنافقى العرب! يقولون : لو كان محمّد نبيًّا لم يَمُتْ صاحبُه ؛ ولا أمْلكُ لنفسى ولا لصاحبى من الله شيئًا[٧] .

---

(١) ثامنونى به ؛ أى اجعلوا لها ثمناً .

(٢) و : « لا نبغى » .

(٣–٣) و : « وأصحابه المهاجرون » .

(٤) الذبحة : وجع فى الحلق يخنق فيقتل .

(٥) الشهقة : الصيحة .

(٦) ر : « لبئس » .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩

وقد حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى ، قال : حدّثنا يزيد بن زُرَيع ، عن معمَر ، عن الزهرى ، عن أنَس ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كَوَى أسعد ابن زُرارة من الشَّوْكَة[1] .

قال ابنُ حُميد ، قال سلمَة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى عاصم ابن عمر بن قتادة الأنصاريّ أنه لما مات[2] أبو أمَامة أسعد بن زرارة ، اجتمعتْ ١/١٢٦١ بنو النَّجار إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — وكان أبو أمامة نقيبَهم — فقالوا : يا رسولَ الله ؛ إنّ هذا الرّجل قد كان منّا حيث قد علمت ؛ فاجعلْ منّا رجلاً مكانه ، يقيم من أمرنا ما كان يقيمه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتمْ أخوالِى وأنا منكم ؛ وأنا نقيبكم .

قال : وكَرِه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يَخُصّ بها بعضَهم دون بعض ؛ فكان من فَضْل[3] بنى النجار الذى تَعدّ[4] على قومهم ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان نقيبَهم[5] .

وفى هذه السنة مات أبو أحَيْحَة بماله بالطائف . ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السَّهْمىّ فيها بمكّة .

* * *

وفيها بَنَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعائشة بعد مقدَمِه المدينة بثمانيَة أشهر ؛ فى ذى القَعدة فى قول بعضهم ، وفى قول بعضٍ : بعد مقدَمِه المدينة بسبعة أشهر ، فى شَوّال ، وكان تزوّجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة وهى ابنة ستّ سنين ، وقد قيل : تزوّجها وهى ابنةُ سبع .

---

(١) الشوكة : حمرة تظهر فى الوجه وغيره من الجسد . والخبر فى نهاية ابن الأثير ٤ : ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٢) ح : « أصيب » .

(٣) ح : « قصة بنى النجار وفضلهم » .

(٤) ح : « يعدونه » . ر : « يعد » ، سيرة ابن هشام : « الذى يعدون » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٠

حدّثنا عبدُ الحميد بن بيَان السكريّ ، قال : أخبرنا محمّد بن يزيد، عن إسماعيل — يعنى ابن أبى خالد — عن عبد الرحمن بن أبى الضّحاك ، عن رجل من قُرَيش، عن عبد الرحمن بن محمّد ، أنّ عبد الله بن صفوان وآخر معه أتيا عائشة ، فقالت عائشة : يا فلان ؛ أسمعتَ حديث حَفْصَة ؟ قال لها : نعم يا أمّ المؤمنين ، قال لها عبدُ الله بن صفوان : وما ذاك ؟ قالت: خِلالٌ فىّ تسع لم تكن فى أحَد من النّساء إلاّ ما آتى الله مَرْيَمَ بنت عِمْران ؛ والله ما أقول هذا فخراً على أحد من صواحبى ، قال لها: وما هنّ(١) ؟ قالت : نزل المَلَكُ بصورتى ، وتزوّجنِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسبع سنين ، وأهدِيتُ إليه لتسع سنين ، وتزوّجَنى بكراً لم يشرَكْهُ فىّ أحَدٌ من الناس ، وكان يأتيه الوحى وأنا وهو فى لحاف واحد ، وكنتُ مِنْ أحبِّ الناس إليه(٢) ، ونزل فىّ آيةٌ من القرآن كادت الأمّةُ أن تهلك ، ورأيت جبريل ولم يره أحَدٌ من نسائه غيرى ، وقُبض فى بَيْتى لم يلِهِ أحدٌ غير الملَك وأنا . ١٢٦٢/١

* * *

قال أبو جعفر : وتزوّجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما قيل — فى شوّال، وبَنَى بها حين بنى بها فى شوّال .

* ذكر الرّواية بذلك :

حدثنا ابنُ بشّار ،قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال: حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أميّة ، عن عبد الله بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت: تزوّجنِى رسُول الله صلّى الله عليه وسلّم فى شوّال، وبنَى بى فى شوّال. وكانت عائشة تستحبُّ أن يُبْنى بالنساء(٣) فى شوّال .

---

(١) كذا فى ر ، وفى ط : « هو » .

(٢) زاد بعدها ر : « وابنة أحب الناس إليه » .

(٣) كذا فى ر ، وفى ط : « بنسائها » .

حدثنا ابنُ وكيع، قال: حدثنا أبى، عن سفيان، عن إسماعيل بن أمية، عن عبد الله بنُ عُرْوة، عن عُرْوة، عن عائشة، قالت: تزوّجنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى شوّال، وبنى بى فى شوّال، فأىُّ نساء رسول الله كانت أحْظَى عنده منّى! وكانت عائشة تستحبّ أن يُدْخَلَ بالنساء[١] فى شوّال.

١/١٢٦٣

قال أبو جعفر: وقيل: إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بَنَى بها فى شوّال يوم الأربعاء، فى منزل أبى بكر بالسُّنْح.

وفى هذه السنة بعثَ النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم إلى بناتِه وزوجتِه سَوْدَة بنت زَمْعَة، زيدَ بن حارثة وأبا رافع، فحملاهنّ[١] من مكّة إلى المدينة.

ولما رجع – فيما ذكر – عبد الله بن أرَيْقِط إلى مكّة أخبر عبد الله بن أبى بكر بمكان أبيه أبى بكر، فَخَرَجَ عبدُ الله بِعِيَال أبيه إليه، وصَحِبَهم طلْحَة بن عبيد الله، معهم[٢] أمّ رُومان، وهى أمّ عائشة؛ وعبد الله بن أبى بكر حتى[٣] قدموا المدينة.

وفى هذه السنة زِيدَ فى صلاة الحَضَرِ – فيما قيل – ركعتان، وكانت صلاة الحَضَر والسفَر ركْعتين؛ وذلك بعد مقدَم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ بشهر، فى ربيع الآخر، لمُضىّ اثنتىْ عشرة ليلة منه[٤]، زعم الواقدىّ أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه.

* * *

وفيها – فى قول بعضهم – وُلِد عبد الله بن الزُّبير. وفى قول الواقدىّ: وُلِدَ فى السَّنَة الثانية من مقْدَم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة فى شوال.

---

(١) كذا فى ر وفى ط: «بنسائها».
(٢) ر: «معه».
(٣) م: «حين».
(٤) ر: «مضت منه».

حدّثني الحارثُ ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد بن عُمَر الواقديّ : وُلِد ابنُ الزّبير بعد الهجرة بعشرين شهرًا بالمدينة . ١/١٢٦٤

قال أبو جعفر : وكان أوّلَ مولودٍ ولد من المهاجرين فى دار الهِجْرة ، فكبَّر — فيما ذُكر — أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين وُلِد ؛ وذلك أنّ المسلمين كانوا قد تحدّثوا أنّ اليهود يذكرون أنّهم قد سَحَروهم فلا يُولَد لهم ؛ فكان تكبيرُهم ذلك سرورًا منهم بتكذيب الله اليهود فيما قالوا من ذلك .

وقيل : إن أسماءَ بنت أبى بكر ، هاجرتْ إلى المدينة وهى حامِلٌ به .

وقيل أيضًا : إنّ النّعمان بن بَشِير وُلِد فى هذه السنة ؛ وإنّه أوّل مولود وُلِد للأنصار بعد هجْرة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم إليهم ؛ وأنكر ذلك الواقدىّ أيضًا .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا الواقدىّ ، قال : حدّثنا محمّد بن يحيى بن سهل بن أبى حثْمَة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كانَ أوّل مولود من الأنصار[١] النعمان بن بشير ؛ ولد بعد الهجْرَة بأربعة عشر شهرًا ، فتوفّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن ثمانى سنين ، أوْ[٢] أكثر قليلا .

قال : وولد النُّعمان قبل بدْر بثلاثة أشهر أو أربعة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا مُصْعَب بن ثابت ، عن أبى الأسود ، قال : ذُكِر النُّعمان بن بشير عند ابنِ الزبير[٣] ، فقال : هو أسنُّ منّى بستّة أشهر .

قال أبو الأسود : ولد ابنُ الزُّبير على رأس عشرين شهرًا من مهاجَر

---

(١) ر : « ولد للأنصار » .
(٢) م : « وأكثر » .
(٣) ح ، م : « عبد الله بن الزبير » .

رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وولِد النعمان على رأس أربعة عشر شهرًا فى ربيع الآخر .

قال أبو جعفر : وقيل : إنَّ المـُختارَ بن أبى عُبَيْد الثَّقَفىّ وزياد ابن سُمَيّة فيها وُلدا .

* * *

قال : وزعم الواقدىّ أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عقد فى هذه السَّنة فى شهر رمضان ، على رأس بسبعة أشهر من مهاجَره ، لحمزة بن عبد المطَّلب لواءً أبيض فى ثلاثين رجلا من المهاجرين ، ليعترض[1] لِعيَرات[2] قريش ، وأنّ حمزة لقىَ أبا جهل [بن هشام][3] فى ثلاثمائة رجل ، فحجز بينهم مَجْدِىُّ بن عمْرو الجُهَنىّ فافترقوا ، ولم يكن بينهم قتال . وكان الّذى يحمل لواءَ حمزة أبو مَرْثَد . ١/١١٦٥

وأنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عقد أيضًا فى هذه السَّنة ، على رأس ثمانية أشهر من مهاجَره فى شوّال ، لعُبَيْدة بن الحارث بن المطَّلب بن عبد مناف لواء أبيض ،وأمَرَه بالمسير[4] إلى بطْن رَابِغ ، وأنّ لواءه كان مع مِسْطَح بن أُثَاثَة ، فبلغ ثنيَّة المرَة — وهى بناحية الجُحْفَة — فى ستّين من المهاجرين ، ليس فيهم أنصارىّ ؛ وأنّهم التقوْا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء ؛ فكان بينهم الرَّمْى دون المسايَفة[5] .

قال : وقد اختلفوا فى أمير السريَّة ؛ فقال بعضُهم: كان أبو سفيان بن حرْب ، وقال بعضهم : كان مُكرَز بن حفص .

قال الواقدىّ: ورأيت الثَّبتَ على أبى سفيان بن حرب ، وكان فى مائتين من المشركين .

---

(١) ر : « ليعرض » .

(٢) العيرات : جمع العير؛وهى الإبل التى تحمل الميرة؛ لا واحد لها من لفظها، قال سيبويه: « جمعوه بالألف والتاء لمكان التأنيث ؛ وحركوا الياء لمكان الجمع بالتاء » .

(٣) من ر .

(٤) م : « بالسير » .

(٥) المسايفة : التضارب بالسيف .

قال : وفيها عقد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لسعد بن أبى وقّاص إلى الخرّار لواءً أبيض يحمله المقداد بن عمرو فى ذى القعْدة . وقال : حدّثنى أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر[١] بن سعد ، عن أبيه ، قال : خرجتُ فى عشرين رجلا على أقدامنا — أو قال : واحد[٢] وعشرين رجلا — فكنّا نكمنُ النّهار ، ونسير الليل حتى صبّحْنا الخرّار صُبْحَ خامسة ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قد عهد إلىّ ألاّ أجاوز الخرّار ، وكانت العيرُ قد سبقتْنى قبل ذلك بيوم ، وكانوا ستين ، وكان مَنْ مع سعد كلّهم من المهاجرين .

١٢٦٦/١

* * *

قال أبو جعفر : وقال ابن إسحاق فى أمر كلّ هذه السرايا التى ذكرتُ عن الواقدىّ قولَه فيها غير ما قاله الواقدىّ ، وأنّ ذلك كلّه كان فى السنة الثّانية من وقت التاريخ .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفضل ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : قدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ فى شهر ربيع الأول لاثنتى عشرة ليلة مضت منه ، فأقام بها ما بقِىَ من شهر ربيع الأوّل وشهرَ ربيع الآخر وجُمادَيَيْن ورجَب وشعبان ورمضان وشوّالا وذا القعدة وذا الحجّة — وولى تلك الحجّةَ المشركون — والمحرّمَ . وخرج فى صفَر غازياً على رأس اثنى عشر شهراً من مقدَمه المدينة ، لِثْنتىْ عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل ؛ حتى بلغ ودّان ؛ يريد قريشا وبنى ضَمْرة بن بكْر بن عبد مناة بن كنانة ؛ وهى غزوة الأبْواء ، فوادعتْهُ[٣] فيها بنو ضَمْرة ؛ وكان الّذى وادعه منهم عليهم سيّدهم كان فى زمانه ذلك ، مَخْشِىّ بن عمرو ، رجل[٤] منهم .

(١) ح ، م : « عاصم » .
(٢) ح : « فى واحد وعشرين » .
(٣) وادعته : سالمته وعاهدته ألا تحاربه .
(٤) ح : « ورجل » . .

قال : ثمّ رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، ولم يلقَ كيْدًا ، فأقام بها بقيّة صَفر وصدْرًا من شهر ربيع الأوّل(١) . ١٢٦٧/١

وبعث فى مقامه ذلك عُبَيْدَةَ بن الحارث بن المطّلب فى ثمانين أو ستين راكبا من المهاجرين ؛ ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، حتى بلَغ أحياء (ماء بالحجاز بأسفل ثنيّة المرة) ، فلقِيَ بها جَمْعًا عظيمًا من قريش ؛ فلم يكن بينهم قتال ؛ إلاّ أنّ سعد بن أبى وقّاص قد رَمَى يومئذ بسهم ؛ فكان أوّل سهم رُمِى به فى الإسلام .

ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامِيَةٌ ، وفَرّ مِنَ المشركين إلى المسلمين المِقْداد بن عمرو البَهْرانىّ حليف بنى زُهْرة ، وعُتْبة بن غزْوان بن جابر حليف بنى نوْفل بن عبد مناف – وكانا مسلمين ؛ ولكنّهما خرجا يتوصّلان(٢) بالكفّار إلى المسلمين – وكان على ذلك الجمع (٣) عِكْرِمَة بن أبى جهل .

قال مُحَمّد : فكانت رايةُ عُبَيدة – فيما بلغنى – أول راية عقدها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الإسلام لأحد من المسلمين(٤) .

وحدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : وبعض العلماء يزعُم أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان بعثه حين أقبل من غزوة الأبْواء قبل أن يصِلَ إلى المدينة . قال : وبعث حمزة بن عبد المُطّلب فى مقامه ذلك إلى سِيف البحر من ناحية العِيص فى ثلاثين راكبًا من المهاجرين ؛ وهى من أرض جُهَينة ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، فلقِيَ أبا جهل بن هشام بذلك السّاحل فى ثلثمائة

---

(١) فى السيرة : « قال ابن هشام : وهى أول غزوة غزاها » ، والخبر فى السيرة ٢ : ٥٤ .

(٢) فى ابن هشام : « ليتوصلا بالكفار » ؛ أى أنهما جعلا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين .

(٣) ط : « ذلك الجمع من المشركين » .

(٤) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٥٥ .

راكب من أهل مكّة ، فحجز بينهم مَجْدِىُّ بن عمرو الجُهَنىّ ، وكان مُوَادِعًا للفريقين جميعًا ، فانصرف القومُ بعضهم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال . ١٢٦٨/١

قال : وبعضُ القوم يقول : كانت راية حمزة أوّل راية عقدها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأحد من المسلمين ، وذلك أنّ بعثه وبعث عُبَيدة بن الحارث كانا معًا ، فشُبِّه ذلك على الناس .

قال : والّذى سمعنا من أهل العلم عندنا أنّ راية عُبيدة بن الحارث كانت أوّلَ راية عُقِدت فى الإسلام[١] .

قال : ثم غزا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى شهر ربيع الآخر ، يريد قريشًا ، حتى إذا بلغ بُواط من ناحية رَضْوَى رجع ولم يَلْقَ كيْدًا ، فلبث بقيّة شهر ربيع الآخر وبعضَ جُمادى الأولى[٢] .

ثم غزا يريد قريشًا ، فسلك على نَقْب بنى دينار بن النجّار ، ثم على فَيْفَاء الخَبَار ، فنزل تحت شجرة ببطْحاء ابن أزْهَر ، يقال لها : ذات السَّاق ، فصلّى عندها ، فثمّ مسجده . وصُنِعَ له عندها طعامٌ فأكل منه وأكل الناس معه ، فموضع أثَافىّ البُرْمة معلوم هنالك . واستُقِىَ[٣] له من ماء به يقال له المُشَيْرِب[٤] . ثم ارتحل فترك الخلائق[٥] بيَسار ، وسلك شعْبَة يقال لها شعبة عبد الله — وذلك اسمها اليوم — ثم صبّ ليَسار ، حتى هبطَ يَلْيَل ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضَّبُوعة ؛ واستُقِىَ له من بئر بالضَّبُوعة . ثم سلك الفَرْش ؛ فرش ملَل ، حتى لقىَ الطريق بصخَيرات اليمام . ثم اعتدل به الطريق حتى ١٢٦٩/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٦

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٧ .

(٣) ط : « فاستقى » ؛ وما أثبته من ابن هشام .

(٤) ابن هشام : « المشترب » .

(٥) فى ياقوت : « وكان لعبد الله بن أحمد بن جحش أرض يقال لها الخلائق بنواحى المدينة ».

نزل العُشَيْرَة من بطن يَنْبُع ، فأقام بها بقيَّة جُمَادى الأولى وليالىَ من جُمادى الآخرة ، ووادَع فيها بنى مُدْلج وحلفاءهم من بنى ضَمْرة . ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلْقَ كيداً .

وفى تلك الغزوة قال لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام ما قال .

قال : فلم يُقِمْ رسولُ الله صلَّى عليه وسلَّم حين قَدِم من غَزْوة العُشَيْرة بالمدينة إلاّ ليالىَ قلائل لا تَبْلغ العَشْر ، حتى أغار كُرْزُ بن جابر الفِهْرىّ على سَرْح المدينة ، فخرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى طلَبه ، حتى بلغ واديًا يقال له سَفَوَان من ناحية بدْر ، وفَاتَه كرز فلم يدرِكه ؛ وهى غزو بدر الأولى ؛ ثم رجع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة ، فأقام بها بقيَّة جُمادى الآخرة ورجبَ وشعبان . وقد كان بعث فيما بين ذلك سَعْد بن أبى وَقَّاص فى ثمانية رهط[١] . ١٢٧٠/١

* * *

وزعم الواقدىّ أنّ فى هذه السنة — أعنى السَّنة الأولى من الهجرة — جاء أبو قيس بن الأسْلَت رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فعرَض عليه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الإسلام ، فقال : ما أحسَنَ ما تدعو إليه ! أنظُرُ فى أمرى ، ثم أعود إليك . فلقيَه عبدُ الله بن أبىّ ، فقال له : كرهتَ والله حرب الخزرج ! فقال أبو قيس : لا أسلِم[٢] سنة ؛ فمات فى ذى القعدة .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٧، ٥٨ .

(٢) ابن الأثير : « إلى سنة » .

ثم كانت السنة الثانية من الهجرة

فغزا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم – فى قول جميع أهل السِّيَر – فيها ، فى ربيع الأوّل بنفسه غَزْوَةَ الأبْواء – ويقال وَدَّان – وبينهما ستَّة أميال هى بحذائها ؛ واستخلَفَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على المدينة حين خرج إليها سعدَ بن عُبادة بن دُلَيْم . وكان صاحبَ لوائه فى هذه الغَزاة حمزة بن عبد المُطَّلب ، وكان لواؤه – فيما ذكر – أبيض .

وقال الواقدىّ: كان مُقامه بها خمسَ عشرة ليلة ، ثم قَدِم المدينة.

* * *

قال الواقدىّ : ثم غزا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى مائتين من أصحابه ، حتى بلغ بُواط فى شهر ربيع الأوّل ؛ يعترض لِعيَرات قريش ، ١٢٧٠/١ وفيها أميَّة بن خلَف ومائة رجلٍ من قريش ، وألفان وخمسمائة بعير . ثم رَجَعَ ولم يَلْقَ كيدًا .

وكان يحملُ لواءه سعدُ بن أبى وقَّاص ، واستخلَفَ على المدينة سَعْد ابن مُعاذ فى غَزْوَتِه هذه .

* * *

قال[(١)] : ثم غزا فى ربيع الأوّل فى طلب كُرْز بن جابر الفِهْرىّ فى المهاجرين ، وكان قد أغار على سَرْح[(٢)] المدينة ، وكان يرعى[(٣)] بالجَمَّاءِ فاستاقه ، فطلبه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى بلغ بدْرًا فلم يلحقه ؛ وكان يحمل لواءه علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام . واستخلف على المدينة زيدَ بن حارثة .

---

(١) ح : « قال الواقدى » . (٢) السرح : المال السارح ، ولا يسمى من الأموال سرحاً إلا ما يغدى به ويراح . (٣) ح ، ر : « وكانت ترعى » .

[غزوة ذات العُشيرة]

قال : وفيها خرجَ رسولُ الله صلَّى عليه وسلَّم يعترض لِعَيرات قريش حين أبدأت[١] إلى الشَّأم فى المهاجرين — وهى غزوة ذات العُشَيرة — حتى بلغ يَنْبُع ؛ واستخلف على المدينة أبا سلَمة بن عبد الأسد ؛ وكان يحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب . فحدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرّقىّ ، قال : حدّثنا محمّد بن سلَمة ، عن محمَّد بن إسحاق ، عن محمّد بن يزيد بن خُثَيم[٢] ؛ عن محمد بن كعب القرظىّ ؛ قال : حدّثنا أبوك يزيد بن خُثَيْم ، عن عمَّار بن ياسر ، قال كنت أنا وعلىّ رفيقين مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى غزوة العُشَيْرَة ، فنزلنا منزلا ، فرَأينا رجالا من بنى مُدْلِج يعملون فى نخْل لهم ، فقلت : لو انطلقنا ! فنظرنا إليهم كيف يعملون ، فانطلقنا فنظرنا إليهم ساعة ، ثم غَشيَنا النُّعَاس ، فعمَدنا إلى صَوْر[٣] من النخل ؛ فنمْنا تحته فى دقْعاء[٤] من التراب ، فما أيقَظنا[٥] إلاّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، أتانا وقد تَتَرَّبْنَا فى ذلك التراب ؛ فحرّك عليًّا[٦] برجله ، فقال : قم يا أبا تراب ؛ ألاَ أخبِرُك بأشْقَى النَّاس؟ أحمر ثمود عاقر النَّاقة ، والذى يضرِبُك [يا علىّ][٧] علَى هذا

١٢٧٢/١

(١) يقال : أبدأ من أرض إلى أرض أخرى ، وبدأ ؛ إذا خرج منها إلى غيرها .

(٢) فى ابن هشام : « يزيد بن محمد بن خيثم » .

(٣) الصور : جماع النخل ، ولا واحد له من لفظه .

(٤) الدقعاء : التراب اللين .

(٥) فى ابن هشام : « فو الله ما أهبنا إلا رسول الله » ؛ وأهبنا : أيقظنا .

(٦) ح : « فحرك علياً » ، وفى ابن هشام : « يحركنا برجله » .

(٧) من سيرة ابن هشام .

– يعنى قَرْنَه – فيخضِب[1] هذه منها ؛ وأخذ بلحيته[2].

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى يزيد بن محمد بن خُثَيْم[3] المحاربىّ ، عن محمد ابن كعب القرظىّ ، عن محمد بن خُثَيْم – وهو أبو يزيد – عن عمّار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعلىّ رفيقيْن ، فذكر نحوه .

وقد قيل فى ذلك غير هذا القول ؛ وذلك ما حدّثنى به محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : حدّثنا عبد العزيز بن أبى حازم ، عن أبيه ، قال : قيل لسهل[4] بن سعد: إنّ بعضَ أمراء المدينة يريد أن يبعث إليك تَسُبُّ عليًّا[5] عند المنبر ، قال : أقول ماذا ؟ قال : تقول : أبا تراب ، قال : والله ما سمّاه بذلك[6] إلاّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : قلتُ: وكيف ذاك يا أبا العبّاس ؟ قال : دخل علىّ على فاطمة ، ثم خرج من عندها ، فاضطجع فى فَىْءِ المسجد . قال : ثم دخلَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على فاطمة ، فقال لها : أين ابنُ عمّك ؟ فقالت : هو ذاك مضطجع فى المسجد ، قال : فجاءه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره ، وخلَص التراب إلى ظهره ، فجعل يمسح التّراب عن ظهره ، ويقول : اجلس أبا تراب . فوالله ما سمّاه به إلاّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ووالله ما كان له اسمٌ أحبّ إليه منه ! ١/١٢٧٣

* * *

(١) ابن هشام : « حتى يبل منها هذه » .

(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨ . قال السهيلى : « وأصح من ذلك ما رواه البخارى فى جامعه ؛ وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده فى المسجد نائماً ، وقد ترب جنبه ، فجعل يحث التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب ؛ وكان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة . وهذا معنى الحديث ؛ وما ذكره ابن إسحاق من حديث عمار مخالف له ؛ إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بها مرتين : مرة فى المسجد ، ومرة فى هذه الغزوة » .

(٣) كذا ضبطه صاحب التقريب ، بمعجمة ومثلثة ، مصغراً .

(٤) م : « لسهيل » . (٥) س : « على » (٦) ر ، م : « ذلك » .

قال أبو جعفر : وفى هذه السَّنة فى صفَر ، لليال بقينَ منه ، تزوّج علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام فاطمةَ رضى الله عنها ؛ حُدّثتُ بذلك ، عن محمّد بن عمر ، قال : حدّثنا أبوبكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبى فَرْوة ، عن أبى جعفر .

* * *

[سريّة عبد الله بن جحش]

قال أبو جعفر الطبرىّ : ولمّا رَجَع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من طلب كُرْز بن جابر الفِهرىّ إلى المدينة ، وذلك فى جُمادى الآخرة ، بعث فى رجب[1] عبدَ الله بن جَحْش معه ثمانية رهْط من المهاجرين[2] ؛ ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ؛ فيما حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى الزّهرىُّ ويزيد بن رُومان ؛ عن عُرْوة بن الزبير ، بذلك .

* * *

وأما الواقدىّ فإنه زعم أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث عبد الله ابن جحش سَرِيّةً فى اثنى عشر رجلا من المهاجرين .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ويزيد بن رُومان ، عن عروة ، قال : وكتبَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم له كتابًا — يعنى ١٢٧٤/١

(١) زاد ابن هشام : « مقفله من بدر الأولى » .

(٢) فى ابن هشام : « وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثمّ من بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ؛ ومن حلفائهم عبد الله ابن جحش ؛ وهو أمير القوم ، وعكاشة بن محصن بن حرثان ، أحد بنى أسد بن خزيمة ؛ حليف لهم . ومن بنى نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر ، حليف لهم . ومن بنى زهرة بن كلاب سعد ابن أبى وقاص . ومن بنى عدى بن كعب عامر بن ربيعة ؛ حليف لهم من عنز بن وائل ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع ؛ أحد بنى تميم ، حليف لهم ، وخالد بن البكير أحد بنى سعد بن ليث حليف لهم . ومن بنى الحارث بن فهر سهيل بن بيضاء » .

لعبد الله بن جَحْش — وأمره ألاّ ينظر فيه حتى يسير يومين ؛ ثم ينظر فيه فيُمضى له أمرَه به ، ولا يستكرِه أحدًا من أصحابه ، فلمّا سار عبدُ الله ابن جحش يومين ، فتح الكتاب ، ونظر فيه ، فإذا فيه : « وإذا نظرتَ فى كتابى هذا ؛ فسِرْ حتى تنزل نَخْلة[1] بين مكّة والطّائف ؛ فترصَّدْ بها قريشاً ، وتعلَّمْ لنا من أخبارهم ». فلمّا نظرَ عبدُ الله فى الكتاب ، قال : سمعٌ وطاعةٌ ؛ ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن أمضىَ إلى نَخْلة ، فأرصد بها قريشًا حتى آتيَه منهم بخَبر ، وقد نهانى أن أستكرِهَ أحدًا منكم ؛ فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب فيها فلينطلِقْ ، ومَنْ كره ذلك فليرجِع ؛ فأمّا أنا فماضٍ لأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

فمضى ومضى معه أصحابُه ، فلم يتخلّف عنه منهم أحد ، وسلَك على الحجاز ؛ حتى إذا كان بمَعدِن فوق الفُرْع[2] [يقال له بُحْران][3] ، أضلّ سعد بن أبى وقاص وعُتْبة بن غزْوان بعيرًا لهما كانا يَعْتقبانه[4] ، فتخلّفا عليه فى طلبه . ومضى عبد الله بن جحش وبقيّة أصحابه حتى نزل بنخْلة ، فمرّت به عِيرٌ لقريش تحمل زَبيبًا وأدَمًا وتجارة من تجارة قريش فيها ، منهم عمرو بن الحضرمىّ[5] ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميّان ، والحكَم بن كَيْسان مولى هشام بن المغيرة . فلمّا رآهم القوم هابوهم ؛ وقد نزلوا قريبًا منهم ، فأشرف لهم عُكّاشة بن مِحْصَن — وقد كان حلَق رأسه — فلما رأوْه أمِنوا ، وقالوا : عُمّار[6] لا بأس عليكم منهم[7] . وتشاور القوم فيهم ؛ وذلك فى آخر يوم من رجب ؛

١٢٧٥/١

(١) و : « بنخلة » .

(٢) كذا ضبطه ياقوت ، بضم أوله وسكون ثانيه ؛ وقال السهيلى : هو بضمتين .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) يعتقبانه ، أى يركبه هذا عقبة وهذا عقبة ، والعقبة : النوبة .

(٥) قال ابن هشام : « واسم الحضرمى عبد الله بن عباد ، أحد الصدف ، واسم الصدف عمرو ابن مالك . أحد السكون بن المغيرة بن أشرس بن كندة ، ويقال : كندىّ » .

(٦) عمار ، أى معتمرون ، والاعتمار زيارة البيت الحرام . (٧) ح : « منه » .

فقال القوم : والله لئن تركتم القومَ هذه الليلة ليدخُلنّ الحرَم ؛ فليمتنعُنّ به منكم ؛ ولئن قتلتموهم لتقتُلنّهم فى الشهر الحرام . فتردّد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ؛ ثم تشجّعوا[١] عليهم ، وأجمعوا على قتل مَنْ قدَروا عليه منهم ، وأخْذِ ما معهم ؛ فرمى واقدُ بن عبد الله التميمىّ عمرو بنَ الحضرمىّ بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين ؛ حتى قَدِموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة .

قال : وقد ذكَر بعضُ آل عبد الله بن جحش ، أنّ عبد الله بن جَحْش ، قال لأصحابه : إنّ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ممّا غنمتم الخمسَ — وذلك قبل أن يفرض الله من الغنائم الخمس — فعزل لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم خُمُس الغنيمة ، وقسّم سائرها بين أصحابه ؛ فلمّا قدِمُوا على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : ما أمرتُكم بقتالٍ فى الشّهر الحرام . فوقّف العير والأسيرين ؛ وأبَى أن يأخذ من ذلك شيئاً . فلمّا قال ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سُقِط فى أيدِى القوم ، وظنّوا أنّهم قد هلَكوا ، وعنّفَهم المسلمون فيما صنعوا . وقالوا لهم : صنعتُمْ ما لم تُؤْمَروا به ، وقاتلتم فى الشّهرِ الحرام ولم تؤمروا بقتال ! وقالت قريش : قد استحلّ مُحمّدٌ وأصحابُهُ الشّهرَ الحرام ، فسفكوا فيه الدّم وأخذوا فيه الأموال ، وأسَرُوا فيه الرّجال . فقال مَنْ يردّ ذلك عليهم من المسلمين ممّن كان بمكّة : إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان. وقالت يهود ؛ تفاءلُ[٢] بذلك علىَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : عمرو بن الحضرمىّ قتله واقد بن عبد الله: «عمرو» عمرت الحرب ، و «الحضرمىّ» حضرت الحرب ، و« واقد بن عبد الله » وقدت الحرب ؛ فجعل الله عزّ وجلّ ذلك عليهم لا لهم[٣] .

١٢٧٦/١

فلمّا أكثر الناس فى ذلك أنزل الله عزّ وجلّ على رسولِه صلّى الله عليه

---

(١) التفسير : « ثم شجعوا » .

(٢) و : « تفاؤلا » ؛ وفى التفسير : « تتفاءل » .

(٣) ح والتفسير : « وبهم » .

وسلّم : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ.... ﴾[١] الآية . فلمّا نزل القرآن بهذا من الأمر وفرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشّفق[٢] ، قبض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم العير والأسيرين[٣] .

وبعثت إليه قريش فى فداء عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : لا نُفْدِيكموهما ؛ حتى يقدم صاحبانا — يعنى سعد ابن أبى وقّاص وعتبة بن غزوان — فإنّا نخشاكم عليهما ؛ فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم . فقدم سعد وعُتْبة ، ففاداهما[٤] رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منهم ؛ فأما الحكم بن كيْسان فأسلم فحسُن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى قتِل يوم بئر معُونة شهيداً[٥] .

* * *

قال أبو جعفر : وخالف فى بعض هذه القصة محمدَ بن إسحاق والواقدىّ جميعاً السدىّ ؛ حدّثنى موسى بن هارون ، قال : حدّثنا عمرو بن حمّاد ، قال : حدّثنا أسْباط ، عن السدّىّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ ؛ وذلك أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث سريّة وكانوا سبعة نفَر ؛ عليهم عبدُالله بن جحش الأسدىّ وفيهم عمّار بن ياسر ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسعد بن أبى وقّاص ، وعُتْبة بن غزوان السُّلَمىّ حليف لبنى نوْفل ، وسُهيْل بن بيْضاء ، وعامر بن فُهيْرة ، وواقد بن عبد الله اليربوعىّ ؛ حليف لعمر بن الخطاب . وكتب مع ابن جحش كتاباً وأمره ألاّ يقرأه حتى ينزل بطن ملَل ؛ فلمّا نزل بطنَ ملَل فتح الكتاب ؛ فإذا فيه : أن سِرْ حتّى تنزل بطن نخلة ؛ فقال لأصحابه : منْ كان يريد

١٢٧٧/١

(١) سورة البقرة ٢١٧ .

(٢) الشفق : الخوف والحذر .

(٣) الخبر إلى هنا فى التفسير ٤ : ٣٠٢ — ٣٠٥ .

(٤) ابن هشام : « فأفداهما » .

(٥) ابن هشام ٢ : ٥٩ ، ٦٠ .

الموت فليَمْضِ وليُوصِ ؛ فإني مُوصٍ وماضٍ لأمر رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم. فسار وتخلّف عنه سعد بن أبى وقّاص وعُتْبة بن غزوان ، أضَلاّ راحلة لهما ، فأتيا بُحْران يطلبانِها ، وسار ابنُ جَحْش إلى بطْن نخلة ؛ فإذا هو بالحكَم بن كَيْسان ، وعبد الله بن المغيرة ، والمغيرة بن عثمان ، وعمرو بن الحضرمىّ ؛ فاقتتلوا ، فأسَرُوا الحكَم بن كَيْسان وعبد الله بن المغيرة ، وانفلت[1] المغيرة ، وقُتِل عمرو بن الحضرمىّ ، قتله واقد بن عبد الله . فكانت أوّلَ غنيمةَ غَنِمها أصحابُ محمّد صلّى الله عليه وسلّم .

فلما رجعوا إلى المدينة بالأسيريْن وما أصابوا من الأموال ؛ أراد أهل ١٢٧٨/١ مكّة أن يُفادوا الأسيرْين ، فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : حتّى ننظرَ ما فعل صاحبانا ! فلما رجع سعد وصاحبه فادَى بالأسيرْين ، ففجَر[2] عليه المشركون ، وقالوا : محَمّد يزعم أنّه يتبع طاعة الله[3] ، وهو أوّلُ مَن استحلّ الشهر الحرام ، وقتل صاحبنا فى رجَب ! فقال المسلمون : إنّما قتلناه فى جُمادى — وقيل فى أوّل ليلة من رجَب وآخر ليلة من جُمادى — وغَمَدَ[4] المسلمون سيوفَهم حين دخل رجب ؛ فأنزل الله عز وجل يُعَيِّر أهل مكة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ . . . ﴾ الآية[5].

* * *

قال أبو جعفر : وقد قيل إنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم كان

---

(١) ح ، و : « وأفلت » .

(٢) و : « ففخر » .

(٣) م : « ربه » .

(٤) و : « أغمد » ؛ وغمد السيف وأغمده : أدخله فى الغمد .

(٥) الخبر فى التفسير ٤ : ٣٠٥ — ٣٠٦ .

انتدَب(١) لهذا المسير أبا عُبيدة بن الجرّاح، ثم بدا له(٢) فيه ، فندَب له عبد الله بن جحش .

• ذكر الخبر بذلك :

حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى؛ حدّثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، أنه حدّثه رجل عن أبي السَّوّار ؛ يحدّثه عن جُنْدَب بن عبدالله ، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه بعث رهطًا ، فبعث عليهم أبا عبيدة بن الجرّاح ؛ فلمّا أخذ لينطلق بكى صَبابَةً إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فبعث رجلا مكانه يقال له عبد الله بن جحش ، وكتب له كتابًا وأمره ألاّ يقرأ الكتاب حتى يبلغ كذا وكذا : « ولا تُكرِهنّ أحدًا من أصحابك على السَّير(٣) معك» . فلمّا قرأ الكتاب استرجع ، ثم قال : سمعًا وطاعة لأمر الله ورسوله ! فخبّرَهم بالخبر ؛ وقرأ عليهم الكتاب ، فرجع رجلان ومضى بقيّتهم ، فلقوا ابن الحضرميّ فقتلوه ، ولم يدرُوا ذلك اليوم من(٤) رَجَب أو من جُمادى ! فقال المشركون للمسلمين : فعلتم كذا وكذا في الشّهر الحرام ! فأتوُا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فحدّثوه الحديث ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ، الفتنة هي الشِّرْك . ١٢٧٩/١

وقال بعض الذين — أظنّه قال — : كانوا في السريّة : والله ما قتَله إلاّ واحدٌ؛ فقال : إن يكن خيرًا فقد وليتَ ، وإنْ يكن ذنبًا فقد عمِلت(٥).

* * *

ذكر بقية ما كان في السنة الثانية من سني الهجرة

ومن ذلك ما كان من صرْف الله عزّ وجلّ قِبْلَةَ المسلمين من الشّأم

---

(١) و : « ندب » .
(٢) بدا له في الأمر بدوا و بداء ؛ أي نشأ له فيه رأى آخر ؛ ومنه قولهم : « هو ذو بدوات » .
(٣) ر : « المسير » .
(٤) التفسير : « ولم يدروا ذلك اليوم أمن رجب أو من جمادى » .
(٥) كذا في م و التفسير ، وفي ط « علمت » والخبر في التفسير ٤ : ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

إلى الكعبة ، وذلك فى السنة الثانية من مقدَم النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة فى شعبان .

* * *

واختلف السَّلَف من العلماء فى الوقت الذى صُرفت[١] فيه من هذه السَّنة ؛ فقال بعضهم — وهم الجمهور الأعظم : صُرفت فى النّصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من مقدَم رسول الله صلَّى الله عليه وسلم المدينة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا موسى بن هارون الهمْدانىّ ، قال : حدّثنا عمرو بن حمَّاد ، قال : حدّثنا أسْبَاط ، عن السُّدّىّ — فى خبر ذكره — عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عبَّاس — وعن مُرَّة الهمدانىّ ، عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : كان النَّاس يصلّون قِبَل بيت المقدس ؛ فلما قَدِم النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم المدينةَ على رأس ثمانية عشر شهرًا من مُهَاجَره ، كان[٢] إذا صلَّى رفع رأسه إلى السماء ينظر ما يؤمر ، وكان يصلّى قِبَل بيت المقدس ؛ فنسختْها الكعبة ، وكان النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم يحب أن يصلِّىَ قبَل الكعبة ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ ... ﴾[٣] ، الآية .

١٢٨٠/١

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : صُرِفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من مقدَم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة .

وحُدّثت عن ابن سعد ، عن الواقدىّ مثل ذلك . وقال : صرِفت القبلة فى الظّهْر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان .

* * *

(١) ح : « صرفت القبلة فيه » .
(٢) ط : « وكان » ، وما أثبته من التفسير .
(٣) سورة البقرة ١٤٤ . والخبر فى التفسير ٣ : ١٧٣ .

قال أبو جعفر : وقال آخرون : إنّما صُرِفت القبلة إلى الكعبة لستّة عشر شهرًا مضت من سنِى الهجرة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا المثنّى بن إبراهيم الآمُلِىّ ، قال : حدّثنا الحجّاج ، قال : حدّثنا همّام بن يحيى ، قال : سمعتُ قتادة ، قال : كانوا يصلّون نحو بيتِ المقدِس ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكّةَ قبل الهجرة ، وبعد ما هاجر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم صلّى نحو بيت المقدس ستّة عشر شهرًا ، ثم وُجِّه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام [١] .

١٢٨١/١ حدّثني يونسُ بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهْب ، قال : سمعتُ ابنَ زيد يقول : استقبل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بيتَ المقدِس ستّةَ عشر شهرًا ، فبلغه أن يهودَ تقول : والله ما درَى محمّدٌ وأصحابه أين قبلتُهم حتّى هدْيناهم ! فكرِهَ ذلك النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، ورفع وجهَه إلى السماء ، فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... ﴾ [٢] الآية .

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه السّنة فُرِض – فيما ذُكِر – صومُ رمضان . وقيل : إنّه فرِض فى شعبان منها . وكان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم حين قدِم المدينة ، رأى يهود تصوم يومَ عاشوراء ؛ فسألهم فأخبروه أنّه اليوم الّذِى غرّق الله فيه آلَ فرعون ، ونجّى موسى ومن معه منهم ؛ فقال : نحنُ أحقُّ بموسى منهم . فصامَ وأمر النّاس بصومه ، فلمّا فُرِض صوم شهر رمضان ، لم يأمرهم بصوم يوم عاشوراء ، ولم ينههم عنه .

---

(١) الخبر فى التفسير ٢ : ٥٢٩ ، مع اختلاف فى الرواية .

(٢) الخبر فى التفسير ٢ : ٥٢٩ ، ٥٢٦ ، مع اختلاف فى الرواية .

وفيها أمر الناس بإخراج زكاة الفطر . وقيل إنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم خطب الناس قبل [يوم][1] الفِطْر بيوم أو يومين ، وأمرهم بذلك .

وفيها خرج[2] إلى المُصلّى فصلّى بهم صلاةَ العيد ؛ وكان ذلك أوّلَ خَرْجَةٍ خرجها بالنّاس إلى المصلّى لصلاة العيد .

وفيها — فيما ذكر — حُمِلت العَنَزة[3] له إلى المصلّى فصلّى إليها ، وكانت للزبير بن العوام — كان النجاشيّ وهبها له — فكانت تحمَلُ بين يديه فى الأعياد ، وهى اليوم فيما بلغنى عند المؤذّنين بالمدينة .

وفيها كانتْ وقعــة بدْر الكبرَى بين رسول الله صلّى عليه وسلّم والكفار من قُريش ؛ وذلك فى شهر رمضان منها .

* * *

١٢٨٢/١ ثم اختلفوا فى اليوم الّذِى فيه كانت الحرب بينه وبينهم ، فقال بعضهم : كانت وقْعة بدر يوم تسعة عشر من شهر رمضان .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا هارون بن المغيرة ، عن عنْبسة ، عن أبى إسحاق ، عن عبدالرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، قال : التمِسُوا ليلَة القَدْرِ فى تِسْع عشرة ليلةً من رمضان ؛ فإنها ليلةُ بَدْر .

حدّثنا محمد بن عُمارة الأسديّ ، قال : حدّثنا عُبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن حُجَيْر التغلبيّ ، عن الأسود

---

(١) من ح .

(٢) ح : « خرج النبى صلى الله عليه وسلم » .

(٣) فى شرح مواهب القسطلانى للزرقانى (٣ : ٤٣٧) : « العنزة ، بفتح المهملة والنون والزاى ، قال الحافظ : عصا أقصر من الرمح يقال لها سنان ؛ وقيل : هى الحربة القصيرة ، وفى رواية : عصا عليها زج . وفى طبقات ابن سعد أن النجاشى أهداها للنبى صلى الله عليه وسلم ...، وروى أنها للزبير أخذها من مشرك يوم أحد . ونقل عن ابن سيد الناس أن الزبير قدم بها من الحبشة » .

عن عبد الله ، قال : التمسوا ليلة القدر فى تسعَ عشرة من رمضان ، فإنّ صبيحتَها كانت صبيحة بدر .

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا عُبيد بن محمد المحاربىّ ، قال : حدثنا ابنُ أبى الزّناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد ، أنه كان لا يُحْيِى ليلةً من شهر رمضان كما يحيى ليلةَ تسع عشرة وثلاث وعشرين ، ويصبح وجهه مصفرًّا مِنْ أثَر السَّهَر ، فقيل له ، فقال : إنّ الله عزّ وجلّ فرّق فى صبيحتها بين الحقّ والباطل .

* * *

وقال آخرون : كانتْ يوم الجمعة صبيحةَ سبع عشرة من شهر رمضان .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا محمد بن جعفر ، قال : حدّثنا شُعبة ، قال : سمعتُ أبا إسحاق يُحدّث عن حُجَير ، عن الأسود وعلْقَمة ، أنّ[1] عبد الله بن مسعود ، قال : التمِسُوها فى سبع عَشرة . وتلا هذه الآية : ﴿ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾[2] ، يوم بدر ، ثم قال : أو تسعَ عشرةَ ، أو إحدى وعشرين .

١/١٢٨٣

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا الثورىّ ، عن الزّبير بن عدىّ ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، قال : كانتْ بدر صبيحة تسعَ عشرة من رمضان .

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا الثورىّ ، عن أبى إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله مثله .

قال الحارث : قال ابنُ سعد ، قال الواقدىّ : فذكرتُ ذلك لمحمّد بن

---

(١) ح : « عن » . (٢) سورة الأنفال ٤١ .

صالح ، فقال : هذا أعجب الأشياء ؛ ما ظننتُ أنّ أحداً من أهل الدّنيا شكّ[١] فى هذا ؛ إنها صبيحة سبع عشرة من رمضان[٢] ، يوم الجمعة .

قال محمد بن صالح : وسمعتُ عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رُومان ، يقولان ذلك . قال لى محمد بن صالح : يابنَ أخى ، وما تحتاج إلى تسمية الرجال فى هذا ! هذا أبينُ من ذلك[٣] ؛ ما يجهل هذا النساء فى بيوتهنّ .

قال الواقدىّ : فذكرتُه لعبد الرحمن بن أبى الزّناد ، فقال : أخبرنى أبى ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد بن ثابت ، أنه كان يُحْيِى ليلةَ سبعَ عشرة من شهر رمضان ؛ وإن[٤] كان ليُصبِحْ وعلى[٥] وجهه أثر السّهَرِ ، ويقول : فرّق الله فى صَبِيحتها بين الحقّ والباطل ، وأعزّ فى صُبْحها[٦] الإسلام ، وأنزل فيها القرآن[٧] ، وأذلّ فيها أئمّة الكفر .

١٢٨٤/١

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة . حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا يحيى ابن واضح ، قال : حدّثنى يحيى بن يعقوب أبو طالب ، عن أبى عَوْن محمد ابن عبيد الله الثقفىّ ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ عبد الله بن حبيب ، قال : قال قال الحسنُ بن علىّ بن أبى طالب : كانت ليلة الفُرْقان يوم التقَى الجمعان ، لسبع عشْرة من رمضان .

وكان الّذى هاجَ وقْعة بدر وسائر الحروب التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلمَ وبين مشرِكى قريش — فيما قال عُرْوة بن الزُّبير — ما كان من قَتْل واقد بن عبد الله التميمىّ عمرَو بن الحضرمىّ .

---

(١) و : « يشك » .
(٢) و : « من شهر رمضان » .
(٣) و : « ذاك » .
(٤) ر : « وأنه » .
(٥) م : « على » .
(٦) ح ، ر : « صبيحتها » .
(٧) ر ، و : « الفرقان » .

ذكر وقعة بدر الكبرى

حدّثنا علىّ بن نصر بن علىّ، وعبد الوارث بن عبد الصّمد بن عبدالوارث — قال علىّ : حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث: حدّثنى أبى — قال : حدّثنا أبان العطار ، قال : حدّثنا هشام بن عُروة ، عن عُروة ، أنه كتب إلى عبدِ الملك بن مروان : أمّا بعد ، فإنك كتبتَ إلىّ فى أبى سفيان ومخرَجه ، تَسْألنى كيف كان شأنه ؟ كان من شأنه أنّ أبا سُفْيان بن حَرْب أقبل من الشأم فى قريب من سبعين راكبًا من قبائل قريش كلّها ، كانوا ١/١٢٨٥ تجاراً بالشأم ، فأقبلوا جميعًا معهم أموالُهم وتجارتهم ، فذكروا لرسول الله صلّى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقُتلت قتلى، وقُتِل ابن الحضرمىّ فى ناس بنَخْلَة ، وأسِرَتْ أسارَى من قريش؛ فيهم بعضُ بنى المغيرة ، وفيهم ابن كَيْسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جَحْش وواقد حليف بنى عدىّ بن كعب ، فى ناسٍ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعثهم مع عبد الله بن جحش ، وكانت تلك الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين قريش ، وأول ما أصاب به بعضهم بعضًا من الحرب ، وذلك قبلَ مخرج أبى سفيان وأصحابه إلى الشأم. ثم إنّ أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومَن معه من ركْبان قريش[١] مقبلين من الشأم ، فسلكوا طريق الساحل ، فلمّا سمع بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم نَدبَ أصحابه وحدّثهم بما معهم من الأموال ، وبقلّة عَدَدِهم ، فخرجوا لا يريدون إلاّ أبا سفيان والركْبَ معه ؛ لا يروْنها إلاّ غنيمة لهم ؛ لا يظنّون أن يكون كبيرُ قتال إذا لقُوهم ، وهى التى أنزل الله عزّ وجلّ فيها : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾[٢].

فلما سمعَ أبوسفيان أنّ أصحابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم معترضون له[٣] ،

(١) الركبان والركب : أصحاب الإبل فى السفر . وفى م : « رؤساء قريش » .
(٢) سورة الأنفال ٧ ، والخبر فى التفسير ١٣ : ٣٩٩ .
(٣) ر ، و : « لهم » .

بعث إلى قريش : إنّ محمداً وأصحابه معترضون لكم ، فأجِيرُوا[١] تجارتكم[٢]. فلمّا أتى قريشًا الخبرُ — وفى عِيرِ أبى سفيان ؛ من بُطون كعب ابن لُؤَىّ كلّها — نَفَر لها أهلُ مكة ؛ وهى نَفْرة بنى كعب بن لُؤىّ ، ليس فيها من بنى عامر أحدٌ إلاّ من كان من بنى مالك بن حِسْل ؛ ولم يَسمع بنَفْرَة قريش رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ولا أصحابه ؛ حتى قدِم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بدْرًا — وكان طريق ركبان قريش ؛ مَنْ أخذ منهم طريق الساحل إلى الشأم — فخفض[٣] أبو سفيان عن بدْر ، ولزِم طريقَ الساحل ، وخاف الرَّصَد[٤] على بدْر ، وسار النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، حتّى عرّسَ قريبًا من بدر ، وبعث النبيّ صلىّ الله عليه وسلم الزبير بن العوام فى عصابة من أصحابه إلى ماء بدر ، وليسوا[٥] يحسِبُون أنّ قريشًا خرجت لهم ، فبينا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قائم يصلّى ؛ إذ ورد بعض روايا[٦] قريش ماءَ بدر ، وفيمن ورد من الرّوايا غلام لبنى الحجّاج أسودُ ؛ فأخذه النّفرُ الذين بعثهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مع الزبير إلى الماء ، وأفلت بعضُ أصحاب العبد نحو قريش ، فأقبلوا به حتّى أتوْا به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو فى مُعَرّسه ، فسألوه عن أبى سفيان وأصحابه ؛ لايحسبون إلاّ أنه معهم ، فطفِق العبد يحدّثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رءوسهم ، ويصدُقهم الخبر ؛ وهم أكره شيء إليهم الخبر الذى يخبرهم ؛ وإنما يطلبون حينئذ بالركْب أبا سفيان وأصحابه ، والنبيّ صلىّ الله عليه وسلم يصلّى ؛ يركع ويسجد يرى ويَسمع ما يُصنع[٧] بالعبد ، فطفِقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ، ضربوه وكذّبوه ، وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابَه ؛ فجعل العبد إذا

(هامش: ١٢٨٦/١ ، ١٢٨٧/١)

---

(١) و : « فأجيزوا » .

(٢) م : « فأخبروا تجاركم » .

(٣) الخفض : السير اللين .

(٤) الرصد : المرتصدون المترقبون على الطريق .

(٥) و : « ليس » .

(٦) روايا : جمع راوية ، ويراد بالراوية هنا القوم يستقون الماء على الدواب .

(٧) م : « ما صنع » .

أذ لقوه بالضرب[١] وسألوه عن أبي سفيان وأصحابه[٢] — وليس له بهم علم؛ إنما هو من رَوَايا قريش — قال : نعم ، هذا[٣] أبو سفيان ، والرَّكْب حينئذ أسفل منهم[٤] ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذْ أَنتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ — حتّى بلغ — ﴿ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ﴾[٥] ، فطفِقوا إذا قال لهم العبد : هذه قريش قد أتتكم ضربوه ، وإذا قال لهم : هذا أبو سفيان تركوه .

فلمّا رأى صنيعَهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم انصرف من صلاته وقد سمع الذى أخبرهم ، فزعموا أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : والذى نفسى بيده ، إنكم لتضربونه إذا صَدَقَ ، وتتركونه إذا كذب ! قالوا : فإنه يحدّثنا أنّ قريشًا قد جاءت ، قال : فإنّه قد صدق ؛ قد خرجت قريش تجير[٦] رِكَابها ، فدعا الغلام فسأله فأخبره بقريش ، وقال : لا عِلْمَ لى بأبي سفيان ، فسأله : كم القوم[٧] ؟ فقال : لا أدرى ؛ والله هم كثير عددهم[٨] . فزعموا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : مَنْ أطعمهم[٩] أوّل مِنْ أمس ؟ فسمّى رجلاً أطعمهم ، فقال : كم جزائر نَحَرَ لهم[١٠] ؟ قال : تسع جزائر ، قال : فمَنْ أطعمهم أمسِ ؟ فسمىّ رجلا ، فقال : كم نحر لهم ؟ قال : عشر جزائر ؛ فزعموا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : القومُ ما بين التسعمائة إلى الألف . فكان نَفْرة[١١] قريش يومئذ خمسين وتسعمائة .

١٢٨٨/١

---

(١) أذلقوه بالضرب : أضعفوه .
(٢) ساقط من ح ، م .
(٣) م : « هو » .
(٤) ر : « منكم » .
(٥) سورة الأنفال ٤٢ .
(٦) و : « تجيز » .
(٧) ح : « فسأله عن القوم » .
(٨) ر : « عدد كثير » .
(٩) ر : « أطعمكم » .
(١٠) و : « لكم » . والجزور : الناقة المجزورة ، والجمع جزائر .
(١١) النفرة والنفر والنفير : القوم ينفرون إلى القتال .

فانطلق النبيّ صلى الله عليه وسلم فنزل الماء وملأ الحياضَ، وصفّ عليها أصحابه، حتى قدِم عليه القوم. فلمّا ورد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بدراً قال: هذه مصارعُهم؛ فوجدوا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد سبقهم إليه ونزل عليه. فلمّا طلعوا[1] عليه زعموا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: هذه قريش قد جاءت بجلَبتها[2] وفخرها؛ تحادُّك[3] وتُكذّبُ رسولك! اللهمّ إنّى أسألك ما وعدتنى.

فلما أقبلوا استقبلهم، فحثَا فى وجوههم التراب؛ فهزمَهم الله. وكانوا قبل أن يلقاهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد جاءهم راكب من أبى سفيان والركب الذين معه: أن ارْجعوا[4] — والركْب الذين يأمرون قريشًا بالرجْعة بالجُحْفة — فقالوا: والله لا نرجع حتى ننزل بدرًا، فنقيم به[5] ثلاثَ ليال، ويرانا مَن غشيَنا من أهل الحجاز؛ فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعْنا فيقاتلنا. وهم الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾[6]؛ فالتقوا همْ والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ففتح الله على رسوله، وأخزى أئمة الكُفْر وشفى صدورَ المسلمين منهم[7].

حدّثنى هارون بن إسحاق، قال: حدّثنا مصعب بن المِقْدام، قال: حدّثنا إسرائيل، قال: حدّثنا أبو إسحاق، عن حارثة، عن علىّ عليه السلام، قال: لما قَدِمْنا المدينة أصبنا من ثمارها، فاجتَويْناها، وأصابنا بها وعْكٌ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يتخبّر عن بدر؛ فلما بلغنا أنّ المشركين قد أقبلُوا سار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بدر — وبدر بئر — فسبَقْنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجليْن، منهم رجلٌ من

١٢٨٩/١

(١) و: «اطلعوا».
(٢) ح، و: «بحليتها».
(٣) ر، م: «تجادل».
(٤) فى التفسير: «إنا أجزنا القوم، وأن ارجعوا».
(٥) و، والتفسير: «فبه».
(٦) سورة الأنفال ٤٧.
(٧) الخبر ورد مفرقاً فى التفسير ١٣: ٤٤٣، ٥٧٨.

قريش ، ومولًى لعُقْبة بن أبي مُعَيْط ؛ فأما القرشيّ فانفلت[١] ، وأمّا مولى عُقْبة فأخذناه ، فجعَلنا تقول : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير ، شديدٌ بأسهم ؛ فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربُوه ، حتى انتهوْا به إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال له : كم القوم ؟ فقال : هم والله كثير ، شديد بأسهم ، فجهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن يخبرَه كم هم ، فأبى . ثمّ إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سأله : كم ينحرون من الجُزُر ؟ فقال : عشراً كلّ يوم ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : القوم ألف.

ثم إنه أصابنَا من الليل طَشٌّ[٢] من المطر ، فانطلقنا تحت الشجر والحَجَف[٣] نستظلّ تحتها من المطر ، وبات رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يدعو ربّه : اللّهمّ إنْ تَهلِكْ هذه العِصابة لا تُعبَد في الأرض . فلمّا أنْ طلع الفجر نادى : الصلاة عباد الله ! فجاء الناس من تحت الشجر والحَجف ، فصلى بنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وحَرّض على القتال ، ثم قال : إنّ جَمْع قريش عند هذه الضِّلْعة[٤] من الجبل . فلما أن دنا القوم منّا وصافَفْناهم[٥] ؛ إذا رجلٌ من القوم على جَمل أحمر يسير في القوم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا عليّ ، نادِ لي حمزة — وكان أقربهم إلى المشركين — : مَنْ صاحبُ الجمل الأحمر ؟ وماذا يقول لهم ؟ وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إن يكن في القوم مَنْ يأمر بالخير ؛ فعسى أن يكونَ صاحبَ الجمل الأحمر ، فجاء حمزة ، فقال : هو عتْبة بن ربيعة ؛ وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم : إنّي أرى قوماً مُسْتَميتين لا تصلون[٦] إليهم وفيكم خير ؛ يا قوم اعصِبُوها اليومَ برأسي ، وقولوا : جَبُنَ عُتْبة ابن ربيعة ؛ ولقد علمتم أنّي لستُ بأجبنِكم .

١٢٩٠/١

(١) ر : « فأفلت » .

(٢) الطش : المطر الضعيف فوق الرذاذ .

(٣) الحجف : ضرب من الترسة ؛ واحدتها حجفة ؛ وهي من الجلود خاصة .

(٤) الضلعة : الجانب .

(٥) صاف القوم غيرهم في القتال مصافة ، أي وقفوا مصطفين .

(٦) و : « لا يوصل إليهم » .

قال : فسمِعَ أبو جهل فقال : أنت تقول هذا ! والله لو غيرك يقول هذا لعضضتُه[١] ! لقد ملئت رِئتُك وجوفك رُعبًا ، فقال عتبة : إيّاىَ تُعيّر يامصفّرَ[٢] استِه ! ستعلم اليومَ أيّنا أجْبَن !

قال : فبرز عُتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة ، وابنه الوليد، حميّةً ، فقالوا : مَنْ يبارز ؟ فخرج فِتْيةٌ من الأنصار ستّة ، فقال عُتبة : لا نريدُ هؤلاء ؛ ولكن يبارزُنا من بنى عمّنا من بنى عبد المطلب . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا علىّ قُم ، ياحمزة قم ، يا عُبيدة بن الحارث قم ، فقتل الله عتبةَ بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وجرح عُبيدة بن الحارث ؛ فقتلنا منهم سبعين ، وأسرْنا منهم سبعين .

قال : فجاء رجل من الأنصار قصير بالعبّاس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال : يا رسولَ الله ؛ والله ما هذا أسَرَنى ، ولكن أسَرَنى رجل أجْلَح[٣] من أحسن الناس وجهًا ، على فرس أبْلق ، ما أراه فى القوم ، فقال الأنصارىّ: أنا أسرته ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: لقد آزرك الله بملَكٍ كريم . قال علىّ : فأسِر من بنى عبد المطّلب العباس وعَقيل ونوفل بن الحارث .

حدّثنى جعفر بن محمد البزُورىّ ، قال : حدّثنا عُبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق، عن حارثة ، عن علىّ ، قال : لمّا أن كان يومُ بدر ، وحضر البأس اتّقينا برسول الله ، فكان من أشدّ الناس بأسًا ، وما كان منّا أحدٌ أقربَ إلى العدوّ منه . ١/١٢٩١

حدّثنا عمرو بن على ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، عن شُعبة ، عن أبى إسحاق ، عن حارثة بن مُضرّب[٤] ، عن علىّ ، قال : سمعته

(١) ح : « لفصصته » .
(٢) مصفر استه ، قال السهيلى : « إنما أراد مصفر بدنه ؛ ولكنه قصد المبالغة فى الذم، فخص منه بالذكر ما يسوء أن يذكر » .
(٣) الجلح : انحسار الشعر عن جانبى الرأس ، وفى ح : « أجلح الرأس » .
(٤) و : « مصرف » .

يقول : ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير مِقْداد بن الأسود ؛ ولقد رأيتُنا وما فينا إلاّ نائمٌ ، إلاّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائمًا إلى شجرة يصلّى ، ويدعو حتّى الصبح .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سمِعَ بأبى سفيان بن حَرْب مقبلاً من الشأم فى عِيرٍ لقريش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم ؛ وفيها ثلاثون راكبًا من قريش — أو أربعون — منهم مخرَمة بن نوفل بن أهَيْب بن عبد مناف بن زهرة ، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام ابن سُعَيْد بن سهم .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى محمد بن مسلم الزهرىّ وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ويزيد بن رومان ؛ عن عُروة وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، كلٌّ قد حدّثنى بعض هذا الحديث ؛ فاجتمع حديثهم ١٢٩٢/١ فيما سُقتُ من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بأبى سفيان مقبلاً من الشأم ، ندَب المسلمين إليهم ، وقال : هذه عِيرُ قريش فيها أموالهم ، فاخرُجوا إليها ، لعلّ الله أن يُنَفِّلكموها ، فانتدب الناس فخفّ بعضهم وثقُل بعضهم ؛ وذلك أنهم لم يظنّوا أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يلقى حَرَبًا ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسّس الأخبار ، ويسأل مَنْ لقىَ من الرُّكبان تخوّفًا على أموال الناس ؛ حتى أصاب خبراً من بعض الركبان ؛ أنّ محمداً قد استنفَر أصحابه لك ولِعيرك . فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضَمْضَم بن عمرو الغِفارىّ ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتىَ قريشًا يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أنّ محمداً قد عرَض لها فى أصحابه ،

فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة(١) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال ابنُ إسحاق : وحدّثني مَن لا أتّهم ، عن عِكْرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ويزيد ابن رُومان ، عن عُروة ، قال : وقد رأتْ عاتكةُ بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزَعتها ، فبعثتْ إلى أخيها العباس بن عبدالمطلب فقالت له : يا أخى ، والله لقد رأيتُ الليلة رؤيا لقد أفظعتنى(٢) ، وتخوّفت أن يدخلَ على قومك منها شرٌّ ومصيبة ، فاكتُمْ علىّ(٣) ما أحدّثك [به](٤) 1/1293 قال لها : وما رأيتِ ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعيرٍ له حتى وقف بالأبطح . ثم صرخَ بأعلى صوته : أن(٥) انفِروا يا آل غُدَرَ(٦) لمصارعكم فى ثلاث ! فأرى الناس(٧) اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛ فبيناهم حولَه مَثَلَ به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته بمثلها : أن انفروايا آل غُدر لمصارعكم فى ثلاث ! ثمّ مثل به بعيرهُ على رأس أبي قُبَيْس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذَ صخرة فأرسلها ، فأقبلتْ تهوِى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت(٨) فما بقىَ بيت من بيوت مكة ، ولا دارٌ من دورها إلاّ دخلت منها فِلْقة .

قال العباس : والله إنّ هذه لرؤيا رأيتِ فاكتُميها ولا تذكريها لأحد .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦١ .

(٢) أفظعتنى : اشتدت على .

(٣) ابن هشام : « اكتم عنى » .

(٤) من سيرة ابن هشام .

(٥) ابن هشام : « ألا انفروا » .

(٦) كذا فى ط ، بضم الغين وفتح الدال . وفى اللسان : « ورجل غادر وغدار وغدير وغدور ، وكذلك الأنثى بغير هاء ، وغدر (بضم الغين وفتح الدال) ، وأكثر ما يستعمل هذا النداء فى الشتم ، يقال : يا غدر ، وفى الحديث : « يا غدر ، ألست أسعى فى غدرتك ! » ، ويقال فى الجمع : يا لغدر (بضم الغين وفتح الدال) ، ومنه حديث عاتكة : يا لغدر يالفجر ! » . وقال السهيلى : « هو بضم الغين والدال ، جمع غدور » .

(٧) فى سيرة ابن هشام : « فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛ فبينا هم حوله ، مثل به بعيره . ومثل به : قام به » .

(٨) ارفضت : تفرقت .

ثم خرج العباس فلقىَ الوليد بن عتبة بن ربيعة — وكان له صديقًا — فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عُتْبة ، ففشا الحديث ؛ حتى تحدّثت به قريش [فى أنديتها][1] .

قال العبّاس : فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام فى رهْط من قريش قُعودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة ؛ فلمّا رآنى أبو جهل ، قال : ياأبا الفضْل ؛ إذا فرغتَ من طوافك فأقبل إلينا . قال : فلمّا فرغت أقبلتُ إليه حتى جلست معهم ، فقال لى أبو جهل : يا بنى عبد المطّلب ؛ متى حدَثت فيكم هذه النبيّة ! قال : قلتُ : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التى رأت عاتكة ، قال : قلت : وما رأت ؟ قال : يا بنى عبد المطّلب ، أما رضيتُم أن تتنبأ رجالُكم ، حتى تتنبّأ نساؤكم ! قد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال : انفرُوا فى ثلاث ، فسنتربّص بكم هذه الثلاث ؛ فإن يكن ما قالت حقًّا فسيكون ، وإن تمضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شىء ؛ نكتب عليكم كتابًا أنكم أكذبُ أهل بيتٍ فى العرب . ١٢٩٤/١

قال العباس : فوالله ما كان منّى إليه كبير إلاّ أنى جحدت ذلك وأنكرت أن تكونَ رأتْ شيئًا . قال : ثم تفرّقنا ؛ فلمّا أمسيتُ لم تبقَ امرأةٌ من بنى عبد المطلب إلاّ أتتنِى ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ؛ ثم لم يكن عندك غَيْرة لشىء مما سمعت ! قال : قلت : قد والله فعلتُ ؛ ماكان منّى إليه من كبيرٍ ، وايمُ الله لأتعرّضنّ له ؛ فإن عاد لأكفينكموه[2] .

قال : فغدوتُ فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضَب ، أرى أن قد فاتنى منه أمرٌ أحبّ أن أدركه منه .

قال : فدخلت المسجد فرأيته ؛ فوالله إنّى لأمشى نحوه أتعرّضه[3] ليعود لبعض ما قال فأقع به — وكان رجلا خفيفًا حديدَ الوجه ، حديدَ اللسان ، ١٢٩٥/١

---

(١) من سيرة ابن هشام .
(٢) سيرة ابن هشام : « لأكفينكنه » .
(٣) ج : « أتعرض له » .

حديد النظر – إذْ خرج نحو باب المسجد يشتدّ . قال : قلتُ فى نفسى : ما له لعنه الله ! أكلّ هذا فرَقاً من أن أشاتمه ! قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ؛ صوت ضمضم بن عمرو الغفارىّ ، وهو يصرخ ببطن الوادى واقفًا على بعيره ، قد جدّع[١] بعيره ، وحوّل رحلَه ، وشقّ قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللّطيمة[٢] ! أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ؛ الغوث الغوث !

قال : فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر . فتجهّز الناس سراعًا ، وقالوا : أيظنّ محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمىّ ! كلاّ والله ليعلمُنّ غيرَ ذلك . فكانوا بين رجلين : إمّا خارج ، وإمّا باعث مكانه رجلا ، وأوعبَتْ[٣] قريش فلم يتخلّف من أشرافها أحدٌ ؛ إلاّ أنّ أبا لهب بن عبد المطلب تخلّف ، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ؛ وكان لاط له[٤] بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلَس بها ، فاستأجره بها على أن يجزىَ عنه بعثه ، فخرج عنه وتخلّف أبو لهب[٥] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح ، أنّ أمية بن خلَف كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلا ثقيلا ، فأتاه عقْبة بن أبى مُعَيط ، وهو جالس فى المسجد بين ظهرىْ قومه بمجْمرة يحملها ، فيها نار ومجْمر[٦] ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علىّ ، استجمِرْ ؛ فإنما أنت من النساء ، قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ! قال : ثم تجهّز ، فخرج مع الناس ، فلمّا فرغوا من جهازهم ، وأجمعوا السَّيْر ؛ ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نَخْشى أن يأتونا من خلْفنا[٧] .

١٢٩٦/١

---

(١) جدع بعيره : قطع أنفه .
(٢) اللطيمة : الإبل التى تحمل البز والطيب .
(٣) أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم للغزو .
(٤) لاط له : أربى ، وفى ح والأغانى : « لط » .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٦١ ، ٦٢ ، والأغانى ٤ : ١٧١ – ١٧٤ (طبعة الدار)
(٦) المجمر : العود يتبخر به .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٢ ، والأغانى ٤ : ١٧٤ ، ٢٧٥

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، وحدّثنى يزيد بن رُومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش المسيرَ ، ذكرت الذى بينها وبين بنى بكْر ؛ فكاد ذلك أن يَثْنيهم ، فتبدّى لهم إبليس فى صورة سُراقة بن جُعْشُم المُدْلجىّ — وكان من أشراف كنانة — فقال : أنا جارٌ لكم من أن تأتيكم كنانة بشىء تكرهونه . فخرجوا سراعًا[1] .

* * *

قال أبو جعفر : وخرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى عن غير ابن إسحاق — لثلاث ليال خلَوْن من شهر رمضان فى ثلثمائة وبضعة عشر رجلا من أصحابه ؛ فاختلِف فى مبلغ الزيادة على العشرة .

فقال بعضهم ، كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر[2] رجلاً .

١٢٩٧/١

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عياش ، قال : حدّثنا أبو إسحاق[3] ، عن البرَاء ، قال : كنّا نتحدّث أنّ أصحابَ بدر يوم بدر[4] كعِدّة أصحاب طالوت ، ثلثمائة رجل وثلاثة عشر رجلاً ؛ الذين جاوَزُوا النهر ؛ فسكت[5] .

حدّثنى محمد بن عُبيد المحاربىّ ، قال : حدّثنا أبو مالك الجَنْبىّ ، عن الحجاج ، عن الحكَم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : كان المهاجرون يومَ بدْر سبعة وسبعين رجلا ؛ وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا ، وكان صاحبُ رايةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وصاحبُ راية الأنصار سعدَ بن عُبَادة[6] .

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، والأغانى ٤ : ١٧٥

(٢) و : « وعشرين » .

(٣) كذا فى ط ، و فى م : « ابن إسحاق » ، والصواب ما فى ط ، وأبو إسحاق ممن روى عن البراء بن عازب . تهذيب التهذيب ١ : ٤٢٥ .

(٤) و : « أنهم كانوا » .

(٥) كذا فى ط .

(٦) الأغانى ٤ : ١٧٥ .

وقال آخرون : كانوا ثلثمائة رجُل وأربعة عشر ، منْ شهد منهم ، ومن ضُرِب بسهمه وأجره ؛ حدّثنا بذلك ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق .

وقال بعضهم : كانوا ثلثمائة وثمانية عشر .

وقال آخرون : كانوا ثلثمائة وسبعة .

* * *

وأمّا عامة السلف ؛ فإنهم قالوا : كانوا ثلثمائة رجل وبضْعة عشرَ رجلا .

١٢٩٨/١ * ذكر من قال ذلك :

حدّثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدّثنا مُصعَب بن المِقْدام ، وحدّثنى أحمد بن إسحاق الأهوازىّ ، قال : حدّثنا أبو أحمد الزُّبيرىّ ، قالا : حدّثنا إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البَراء ، قال : كنّا نتحدّث أنّ عدّة أصحاب بدر على عِدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر — ولم يَجُزْ[١] معه إلاّ مؤمن — ثلثمائة وبضعة عشر .

حدّثنا ابن بشار ، قال : حدّثنا أبو عامر ، قال : حدّثنا سُفيان ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ، قال : كنّا نتحدّث أن أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم كانوا يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، على عدّة أصحاب طالوت ؛ مَنْ جاز معه النهر ؛ وما جاز معه إلاّ مؤمنٌ .

حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا أبى ؛ عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ، بنحوه .

حدّثنا إسماعيل بن إسرائيل الرّمْلىّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن محمد ابن المغيرة ، عن مِسْعر ، عن أبى إسحاق ، عن البَرَاء ، قال : عِدّة أهل بدر عدّة أصحاب طالوت .

---

(١) م : « يكن » .

حدّثنى أحمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا أبو أحمد ، قال : حدّثنا مِسْعَر ، عن أبى إسحاق ، عن البَرَاء ، مثله .

حدّثنا بِشْر بن معاذ ، قال : حدّثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قَتادة ، قال : ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر : أنتم بعِدّة أصحاب طالوت يوم لَقِىَ جالوت ، وكان أصحابُ نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمائةً وبضعة عشر رجلاً .

١٢٩٩/١ حدّثنى موسى بن هارون ، قال : حدّثنا عمرو بن حماد ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السدّى ، قال : خَلَصَ طالوت فى ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ؛ عدّة أصحاب بدر .

حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرَنا مَعْمر ، عن قَتادة ، قال : كان مع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلا .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال: وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى أصحابه ، وجعل على الساقة [١] قيس بن أبى صَعْصعَةَ أخا بنى مازن بن النجار ، فى ليال مضتْ من شهر رمضان ؛ فسار حتى إذا كان قريبًا من الصفراء ، بعث بسَبْسَ بن عمرو الجهنىّ ، حليف بنى ساعدة وعدىّ بن أبى الزّغْباء الجُهَنىّ حليف بنى النجار إلى بَدْر ، يتحسّسان [٢] له الأخبار عن أبى سفيان بن حرب وعيره ؛ ثم ارتحل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وقد قدّمهما ؛ فلما استقبلَ الصفْراء — وهى قرية بين جبلين — سأل عن جبليْهما : ما أسماؤهما ؟ فقالوا لأحدهما : هذا مُسْلِح ؛ وقالوا للآخر : هذا مُخرِئ ؛ وسأل عن أهلهما ، فقالوا : بنو النار وبنو حُراق (بطنان من بنى غِفار) ، فكرههما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمرورَ بينهما ، ١٣٠٠/١

(١) ساقة الجيش : مؤخرته .
(٢) ابن هشام والأغانى : « يتجسسان » ، والتجسس والتحسس : تطلب الأخبار والبحث عنها .

وتفاءل[١] بأسمائهما وأسماء أهاليهما ؛ فتركهما والصَّفْراء[٢] بيَسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذَفِران ؛ فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل .

وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنَعُوا عيرهم ، فاستشار النبيّ صلى الله عليه وسلم الناسَ ، وأخبرهم عن قُريش ، فقامَ أبو بكر رضى الله عنه ، فقال فأحسن ، ثمّ قام عمر بن الخطاب فقال فأحسن ، ثم قام المِقْداد بن عمرو ، فقال : يا رسولَ الله ، امضِ لما أمرك الله ، فنحنُ معك ؛ والله لا نقول كما قالتْ بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُون ﴾[٣] ؛ ولكن اذهب أنتَ وربّك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فوالذى بعثَك بالحقّ لو سرتَ بنا إلى بِرْك الغِماد – يعنى مدينة الحبشة – لجالدْنا معك مَن دونه حتى تبلغَه . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودَعا له بخير[٤].

* * *

حدّثنا محمد بن عبَيْد المحاربىّ ، قال : حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى ، قال : حدّثنا المخارق ، عن طارق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لقد شهدتُ من المِقداد مشهداً لأنْ أكونَ أنا صاحبه أحبّ إلىّ مما فى الأرض من شىء ؛ كان رجلاً فارساً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمارّتْ وجْنتاه ؛ فأتاه المقدادُ على تلك الحال[٥] ، فقال : أبشِرْ يا رسولَ الله ؛ فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُون ﴾ ، ولكن والذى بعثك بالحقّ لنكوننّ مِنْ بين يديك ومِنْ خلفك ، وعن يمينك وعن شمالك ، أو يفتَحَ الله لك[٦] . ١/١٣٠١

* * *

(١) الفأل فى الأصل ، ضد الطيرة ؛ وينقل إلى ما يكون صالحاً تجوزاً . وفى الحديث : « ويعجبنى الفأل الصالح » ، قال فى اللسان : « وهذا يدل على أن الفأل منه ما يكون صالحاً ، ومنه ما يكون غير صالح » .

(٢) فى بعض النسخ : « الصفيراء » .

(٣) سورة المائدة ٢٤ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، ٦٤ ، والأغانى ٤ : ١٧٦ ، ١٧٧

(٥) ج ، م : « ذلك الحال » .

(٦) الأغانى ٤ : ١٧٧ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : أشيرُوا علىّ أيها الناس — وإنما يريد الأنصار ؛ وذلك أنهم كانوا عدد الناس ؛ وذلك أنّهم حين بايعوه بالعقَبة ، قالوا : يا رسولَ الله ؛ إنا برآء من ذِمامك حتى تصلَ إلى دارنا ، فإذا وصلت إلينَا فأنت فى ذمامنا ؛ نمنعك مما نمنع منه أبناءَنا ونساءَنا ؛ فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يتخوّف ألاّ تكون الأنصار ترى عليها نُصرته ؛ إلاّ ممن دَهِمَه بالمدينة من عدّوه ، وأن ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوّ من بلادهم — فلمّا قال ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال له سعد بن مُعاذ : والله لكأنّك تريدنا يا رسول الله ! قال : أجَلْ ، قال : فقد آمنّا بك وصدّقناك ، وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ ، وأعطيناك على ذلك عُهُودَنا ومواثيقنا ؛ على السمع والطاعة ، فامضِ يا رسولَ الله لمَا أردْتَ ؛ فوالذى بعثك بالحقّ ، إن استعرضت[1] بنا هذا البحر فخضْتَه لخضْناه معك ، ما تخلّف منّا رجلٌ واحد ؛ وما نكره أن تَلقَى بنا عدوَّنا غداً ! إنا لَصُبُرٌ عند الحرب ، صُدْق عند اللقاء ؛ لعلّ الله يريك منّا مَا تقَرُّ به عينُك ؛ فسرْ بنا على بَركة الله . ١/١٣٠٢

فَسُرَّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بقول سعد ، ونشّطه ذلك ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وأبْشروا ؛ فإنّ الله قد وَعَدَنى إحدى الطائفتين ؛ والله لكأنّى الآنَ أنظرُ إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من ذَفران ، فسلك على ثنايا يقال لها الأصافر[2] ، ثم انحطّ منها على بلد يقال لها الدَّبَّة ، وترك الحَنّان بيمين ؛ — وهو كثيب عظيم كالجبل — ثم نزل قريبًا من بَدْر ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه — كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يحيى بن حبّان — حتى وقف على شَيْخ من العرب[3] ؛ فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال

---

(١) استعرض البحر : أتاه من جانبه عرضاً . (٢) فى بعض النسخ : « الصفيراء » .
(٣) قال ابن هشام : « يقال ذلك الشيخ سفيان الضمرى » .

١٣٠٣/١ الشيخ : لاأخبركما حتى تخبرانى ممّن أنتما ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتَنا أخبرناك ؛ فقال : وذاك بذاك ! قال : نعم ، قال الشيخ : فإنّه بلغنى أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، ، فإن كان صدَقَنِى الذى أخبرنى فهو اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — وبلغنِى أنّ قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذى حدّثنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذى به قريش — فلما فرغ من خبره ، قال : ممّن أنتما ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ؛ ثم انصرف عنه . قال : يقول الشيخ : « ما من ماءٍ » ، أمِنْ ماءِ العِرَاق [1] !

ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ؛ فلمّا أمسى بعث علىّ ابن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص ، فى نَفَرٍ من أصحابه إلى ماء بَدْر يلتمسون له الخبر عليه — كما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، كما حدّثنى يزيد بن رومان ، عن عُروة بن الزبير — فأصابوا راويةً لقريش فيها أسْلَم ؛ غلام بنى الحجّاج ، وعَرِيض أبو يَسَار ، غلام بنى العاص بن سعيد ؛ فأتوْا بهما رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم قائم يصلّى ؛ فسألوهما ، فقالا :
١٣٠٤/١ نحن سقاة قريش ؛ بعثونا لنسقيَهم من الماء ، فكره القوم خبرَهما ، ورَجَوْا أن يكونا لأبى سفيان ؛ فضربوهما ، فلما أذْلَقوهما قالا : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما ، وركع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد سجدتين ، ثم سلّم ، فقال : إذَا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ! صَدَقَا والله ! إنّهما لقريش ؛ أخبِرانى : أين [2] قريش ؟ قالا : هم وراءَ هذا الكثيب الذى ترى بالعُدْوَة القُصْوَى — والكثيب : العَقَنْقَل — فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لهما : كم القوم ؟ قالا : كثيرٌ ، قال : ما عِدّتهم ؟ قالا : لا ندرى ، قال : كم ينحرون كلّ يوم ؟ قالا : يومًا تسعًا ويومًا عشراً ، قال رسول

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٥ ، والأغانى ٤ : ١٧٨ ، ١٧٩
(٢) سيرة ابن هشام : « عن قريش » .

اللهِ صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: فَمَنْ فيهم من أشراف قريش ؟ قال: عُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو البختَرِىّ بن هشام ، وحكيم بن حِزام ، ونوْفل بن خُوَيلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعَيْمَة بن عَدِىّ بن نوفل ، والنضْر بن الحارث بن كَلَدَة ، وزَمْعَة بن الأسود ، وأبو جهل ابن هشام، وأميَّة بن خلَف ونُبيه، ومُنبه ابنا الحجاج ،وسُهَيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ودّ . فأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، فقال : هذه مكّة قد ألْقتْ إليكم أفلاذَ[1] كبِدِها .

١/١٣٠٥

قالوا : وقد كان بَسْبَس بن عمرو وعَدِىُّ بن أبي الزَّغْباء مَضَيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا إلى تَلّ قريب من الماء ، ثم أخذا شنًّا[2] يستقيان فيه — ومجدىّ بن عمرو الجهنىّ على الماء — فسمع عدىّ وبسبس جار يتيْن من جوارى الحاضر[3] ، وهما تتلازمان[4] على الماء، والملزومة[5] تقول لصاحبتها : إنما تأتى العيرُ غداً أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقْضيكِ الذى لكِ . قال : مَجْدِىّ: صدقت ، ثم خلّص بينهما ؛ وسمع ذلك عدىّ وبَسْبَس ، فجلسا على بعيرَيْهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبراه بما سمِعَا .

وأقبل أبو سفيان قد تقدّم العيرَحَذِرًا حتى ورد الماء ، فقال لمجدىّ بن عمرو : هل أحْسَسْتَ أحداً ؟ قال : ما رأيتُ أحداً أنْكرُه ، إلاّ أنى رأيتُ راكبين أناخا إلى هذا التلّ ، ثم استقيا فى شَنٍّ لهما ؛ ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبعار بعيرَيْهما ففتّه ؛ فإذا فيه نَوًى[6] . فقال : هذه والله علائف يثْرب! فرجع إلى أصحابه سريعًا ، فضرب وجه عِيره عن الطريق ، فساحَلَ

(١) الأفلاذ : القطع .
(٢) الشن : الزق البالى .
(٣) الحاضر : القوم النازلون على الماء .
(٤) التلازم : تعلق الغريم بغريمه .
(٥) الملزومة : المدينة .
(٦) ابن هشام : « النوى » .

١/١٣٠٦ بها[١] ، وترك بدراً يساراً ، ثم انطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجُحْفة رأى جُهَيم بن الصَّلْت بن مَخْرَمَة ابن المطّلب بن عبد مناف رؤيا؛ فقال: إنى رأيتُ فيما يرى النائم، وإنى لبين النائم واليقظان، إذْ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرسٍ حتى وقف ومعه بعيرٌ له، ثم قال : قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميّة بن خلف ، وفُلانٌ وفلان ؛ فعَدّدَ رجالا ممن قتل يومئذ من أشراف قريش ؛ ورأيته ضرب فى لَبَّة بعيره ، ثم أرسله فى العسكر ، فما بقى خِباء من أخْبِيةِ العسكر . إلاّ أصابه نَضْحٌ[٢] من دمه .

قال : فبلغتْ أبا جهل ، فقال : وهذا أيضًا نبىٌّ آخَرُ من بنى المطّلب؛ سيَعلَم غداً مَن المقتول إن نحن التقينا !

ولما رأى أبوسفيان أنه قد أحرز عِيرَه، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم ١/١٣٠٧ لتمنعوا عِيرَكم ورجالكم وأموالَكم ؛ فقد نجّاها الله ، فارجعوا . فقال أبوجهل ابن هشام : والله لا نرجع حتى نَرِدَ بَدْراً — وكان بدرٌ مَوْسِما من مواسم العرب ، تجتمع لهم بها سُوقٌ كلَّ عام — فنقيم عليه ثلاثاً، ونَنحَرُ الجُزُرَ ، ونُطْعِمُ الطعام ، ونسقى الخُمور ، وتَعزِف علينا القِيَان، وتسمع بنا العرب؛ فلا يزالون يهابوننا أبداً ؛ فامضوا . فقال الأخْنَسُ بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفىّ — وكان حليفًا لبنى زُهْرَةَ وهم بالجُحْفَة : يا بنى زُهرة ؛ قد نجّى الله لكم أموالَكم، وخلّص لكم صاحبَكم مَخْرَمة بن نوفل؛ وإنّما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بى جُبْنَها وارجعوا ، فإنه لا حاجةَ بكم فى أن تخرجوا فى غير ضَيْعَة ؛ لا ما يقول هذا — يعنى أبا جهل — فرجعوا ؛ فلم يَشْهدْها زهرىٌّ واحدٌ ؛ وكان فيهم مطاعًا. ولم يكن بقى من قريش بطن إلاّ نَفَرَ منهم ناس، إلاّ بنى عدىّ بن كعب ، لم يخرج منهم رجلٌ واحدٌ، فرجعت بنو زُهرة مع الأخنس بن شَرِيق، فلم يشهد بدراً من هاتَيْن القبيلتَيْن أحدٌ . ومضى القوم .

---

(١) ساحل بها ، أى أخذ بها طريق الساحل .

(٢) نضح ، أى لطخ .

قال : وقد كان بين طالب بن أبى طالب — وكان فى القوم — وبين ١/١٣٠٨ بعض قريش مُحَاوِرة[١] ، فقالوا : والله لقد عرَفْنا يا بنى هاشم — وإنْ[٢] خرجتم معنا — أنّ هواكم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة فيمن[٣] رجع .

* * *

قال أبو جعفر : وأما ابن الكلبىّ ؛ فإنه قال فيما حُدّثتُ عنه : شَخَص طَالبُ بن أبى طالب إلى بدر مع المشركين ، أخرج كرهًا . فلم يوجَدْ فى الأسْرَى ولا فى القتلى ، ولم يرجع إلى أهله ، وكان شاعراً ؛ وهو الذى يقول :

يَارَبِّ إمَّا يَغْزُوَنَّ طَالِبْ[٤] فى مِقْنَبٍ من هٰذِهِ المَقَانِبْ[٥]

فَلْيَكُنِ المَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبْ وَلْيَكُنِ المَغْلُوبَ غَيْرَ الغَالِبْ[٦]

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدْوَة القُصْوَى من الوادى ؛ خلف العَقَنْقَل ، وبطن الوادى وهو يَلْيَل ، بين بدر وبين العَقَنْقَل ؛ الكثيب الذى خلفه قريش ، والقُلُب[٧] ببدر فى العُدْوة الدنيا من بطن يَلْيل إلى المدينة ، وبعث الله السماء ، وكان الوادى دَهْسًا[٨] ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبَّدَ لهم الأرض ؛ ولم يمنعهم المسير ، وأصاب قريشًا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه ؛ فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يُبَادِرهم إلى الماء ؛ ١/١٣٠٩ حتّى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به[٩] .

---

(١) ح : « مجاورة » . (٢) م : « إن » .
(٣) و : « مع من رجع » . (٤) ابن هشام : « لا هم » .
(٥) ابن هشام : « فى عصبة مخالف محارب » ؛ والمقنب : الجماعة من الخيل ؛ مقدار ثلاثمائة أو نحوها .
(٦) قال ابن هشام : قوله : « فليكن المسلوب » ، وقوله : « وليكن المغلوب » ، عن غير واحد من الرواة للشعر .
(٧) القلب : جمع قليب ، وهو البئر .
(٨) الدهس : كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملا .
(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٤ ، ٦٥ ، والأغانى ٤ : ١٧٨ ، ١٨٣ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال: حُدِّثتُ عن رجال من بني سلمَة ؛ أنهم ذكروا أنّ الحُبَاب ابن المُنْذر بن الجمُوح ، قال : يا رسولَ الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمَنزِلٌ[1] أنزلَكه الله ليسَ لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّره ، أم هو الرّأيُ والحرب والمكيدة ؟ قال : بَلْ هو الرأى والحرب والمكيدة ؛ فقال : يا رسولَ الله ، فإنّ هذا ليس لك بمنزِل ، فانهَضْ بالناس حتى نأتيَ أدنى ماء من القوم فننزلَه ، ثم نعوِّر[2] ما سواه من القُلُب ، ثم نبنِي عليه حَوْضًا فتملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أشرتَ بالرأى. فنهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم ؛ فنزل عليه ، ثم أمر بالقُلُب فَعُوِّرَتْ ، وبنى حوضًا على القليب الذى نزل عليه فمُلِئ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية[3] . ١٣١٠/١

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال: قال محمد بن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر ، أنّ سعد بن معاذ قال : يا رسول الله ، نَبْنِي لَكَ عريشًا من جريد فتكون فيه ، ونُعِدُّ عندك ركائبك ، ثم نَلْقَى عَدُوّنا ؛ فإنْ أعزّنا الله وأظهرنا على عَدُوِّنا[4] كان ذلك مما[5] أحببْنَا ، وإن كانت الأخرَى جلستَ على ركائبك ، فلحقْتَ بمَنْ وراءنا من قومنا ، فقد تخلّف عنك أقوام يا نبيّ الله ، ما نحن بأشدّ حُبًّا لك منهم ؛ ولو ظنّوا أنك تلْقَى حربًا ما تخلّفوا عنك . يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه[6] خيراً ، ودعا له بخير .

---

(١) م : « منزل » .

(٢) عور العين ؛ إذا دفنها ، وفى ابن هشام : « نغور » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٥ ، والأغانى ٤ : ١٨٣ ، ١٨٤

(٤) ح : « عليه » .

(٥) ابن هشام : « ما أحببنا » .

(٦) ر : « عليهم » .

ثم بُني لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عريشٌ، فكان فيه ؛ وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلتْ ، فلمّا رآها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تصوّب[١] من العَقَنْقَل — وهو الكثيب الذى منه جاءوا إلى الوادى — قال : اللهمّ هذه قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخرها تُحادُّك وتُكذّب رسولَك ؛ اللهُمّ فنصرَك الذى وعدتَنى ؛ اللهم فأحْنِهِم[٢] الغَداة !

وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — ورأى عتبة بن ربيعة فى القوم ، على جمل له أحمر : إن يكنْ عندَ أحد من القوم خيرٌ؛ فعند صاحب الجمل الأحمر ؛ إن يُطيعوه يَرشُدُوا . وقد كان خُفاف بن إيماء بن رَحَضَة الغِفاريّ — أو أبوه إيماء بن رَحَضة — بعث إلى قريش حين مرّوا به ابنًا له بجزائر[٣] أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن أمِدّكم بسلاح ورجال فَعلنا ؛ فأرسلوا إليه مع ابنه : أنْ وصلتْك الرّحم[٤]! فقد قضيت الذى عليك ؛ فلَعمرى لئن كنّا إنما نقاتل الناس ؛ ما بنا ضعفٌ عنهم ؛ ولئن كنا نقاتل الله — كما يزعم محمد — فما لأحد بالله من طاقة . ١٣١١/١

فلمّا نزل الناس ، أقبل نفر من قريش ؛ حتى وردوا حوضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حَكِيم بن حِزام ، على فرس له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم ؛ فما شرب منهم رجل إلا قُتل يومئذ ؛ إلاّ ما كان من حَكِيم بن حزام ، فإنّه لم يُقتل[٥] ؛ نجا على فرس له يقال له الوجيه ، وأسلم بعد ذلك[٥] ، فحسن إسلامه ؛ فكان إذا اجتهد فى يمينه قال : لا والذى نجّانى يوم بدر[٦] ! ١٣١٢/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : قال محمّد بن إسحاق :

---

(١) التصوب : الانحدار من علو .
(٢) أحنهم : أهلكهم .
(٣) الجزائر : الذبائح ؛ واحدها جزور .
(٤) ابن هشام : « رحم » .
(٥ — ٥) ابن هشام : « فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه » .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٦ ، والأغانى ٤ : ١٨٤ ، ١٨٥ .

وحدّثنى إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لما اطمأنّ القومُ ، بعثوا عُمَيْر بن وهب الجُمَحِىّ ، فقالوا : احزُرْ[١] لنا أصحابَ محمد ، قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقصون[٢] ؛ ولكن أمهلونى حتى أنظر ؛ أللقوم كمين أم مَدَد ؟ قال : فضرب فى الوادى ؛ حتى أبْعد فلم ير شيئًا ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيت شيئًا ، ولكنى قدرأيتُ ـ يا معشرَ قريش ـ الوَلايا[٣] تحمل المنايا ، نواضح[٤] يثرب تحمل الموت الناقع ؛ قوم ليس لهم[٥] مَنَعة ولا مَلْجأ إلاّ سيوفُهم ؛ والله ما أرى [أن][٦] يقتل رجل منهم حتى يُقتل رجل منكم ؛ فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك ! فَرَوْا رَأيكم .

فلمّا سمع حَكِيم بن حزام ذلك ، مشى فى الناس[٧] ، فأتى عتبةَ بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ؛ إنكّ كبيرُ قريش الليلة وسيّدُها ، والمطاع فيها ؛ هل لك ألاّ تزال[٨] تذكر منها[٩] بخير إلى آخر الدهر ! قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل دمَ حليفك عمرو بن الحضرمىّ ! قال : قد فعلت ، أنتَ علىّ بذلك ؛ إنما هو حليفى فعلىّ عَقْله ، وما أصيب من ماله ؛ فأت ابنَ الحنْظَلية[١٠] ؛ فإنى لا أخشى أن يشجُرَ[١١] أمرَ الناس غيرُه ـ

١٣١٣/١

---

(١) الحزر : التخمين .

(٢) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « ينقصونه » .

(٣) الولايا : جمع ولية : وهى البرذعة التى تكون تحت الرحل ؛ وفى ابن هشام : « البلايا » .

(٤) النواضح : الإبل التى يستقى عليها الماء ، ثم استعمل فى كل بعير ولو لم يحمل الماء .

(٥) ح ، م ، ابن هشام : « معهم » .

(٦) تكملة من ابن هشام .

(٧) خ : « القوم » .

(٨) ابن هشام : « إلى أن » .

(٩) ابن هشام « فيها » .

(١٠) فى ابن هشام : « والحنظلية أم أبى جهل ؛ وهى أسماء بنت مخربة ، أحد بنى نهشل ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم » .

(١١) يشجر ؛ من الشجار ؛ وهو المخالفة والمخاصمة .

يعنى أبا جهل بن هشام[١]

حدّثنا الزُّبير بن بكار، قال: حدّثنا عثامة[٢] بن عمرو السهمىّ، قال: حدّثنى مُسوَّر بن عبد الملك اليَربوعىّ، عن أبيه، عن سعيد بن المسيّب، قال: بينَا نحن عند مروان بن الحكَم؛ إذ دخل حاجبه، فقال: هذا أبو خالد حكيم بن حِزام، قال: إئذنْ له، فلمّا دخل حكيم بن حِزام، قال: مرحبًا بك يا أبا خالد! ادْنُ، فحال له مرْوان عن صدْر المجلس؛ حتى كان بينه وبين الوِسادة، ثمّ استقبله مرْوان، فقال: حدّثنا حديثَ بدْر، قال: خرجنا حتى إذا نزلنا الجُحْفَة رجعتْ قبيلة من قبائل قريش بأسْرها، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بَدْراً. ثم خرجنا حتى نزلنا العُدْوة التى ذكرها[٣] الله عزّ وجلّ، فجئت عُتْبة بن ربيعة، فقلت: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهب بشَرَفِ هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمّد إلا دَم ابن الحضرمىّ؛ وهو حليفك، فتحمّل دِيتَه وترجع بالناس. فقال: أنت وذاك، وأنا أتحمّل بِديتَه، واذهبْ إلى ابن الحنظليّة — يعنى أبا جهل — فقل له: هل لك أن ترجعَ اليوم بمَنْ معك عن ابن عمّك؟ فجئته فإذا هو فى جماعة من بين يديه ومن ورائه، وإذا ابنُ الحضرمىّ واقف على رأسه؛ وهو يقول: قد فَسَخْتُ عقْدى من عبد شمس، وعقْدى إلى بنى مخزوم. فقلت له: يقول لك عُتْبة بن ربيعة: هل لك أن ترجعَ اليوم عن ابن عمك بمَنْ معك؟ قال: أما وجدَ رسولا غيرك! قلت: لا، ولم أكن لأكونَ رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرجت مبادراً إلى عُتْبة؛ لئلا يَفُوتَنى من الخبر شىء، وعتبة مُتّكِىء على إيماء بن رَحَضة الغفَارىّ؛ وقد أهْدَى إلى المشركين عشر جزائر، فطلع أبو جهل والشرّ فى وجهه، فقال لعتبة: انتفخ سَحْرُك! فقال له عتبة: ستعلم! فسلّ أبو جهل سيفَه، فضرب به متنَ فرسه، فقال إيماء بن رَحَضة: بئس الفأل[٤] هذا! فعند ذلك قامت الحرب[٥].

١٣١٤/١

١٣١٥/١

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٦٦، ٦٧، والأغانى ٤: ١٨٥، ١٨٦.

(٢) ط: «عمامة»، وانظر الفهرس. (٣) كذا فى و، وفى ط: «قال».

(٤) الأغانى: «المقام». (٥) الخبر فى الأغانى ٤: ١٨٦، ١٨٧.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قام عُتْبة بن ربيعة خطيباً ، فقال : يا معشرَ قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تَلْقوا محمداً وأصحابه شيئًا ؛ والله لئن أصبتُموه لا يزال رجلٌ ينظر فى وَجْهِ رجل يكره النَّظَر إليه ، قتل ابن عمّه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ؛ فارجعوا وخلُّوا بين محمّد وبين سائر العرب ؛ فإن أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرَّضوا[١] منه ماتريدون . قال حكيم : فانطلقتُ أؤمُّ أبا جهل ؛ فوجدته قد نَثَل[٢] دِرْعًا له من جِرابها ؛ فهو يُهيّئها[٣] . فقلت : يا أبا الحكم ؛ إنّ عُتْبَة قد أرسلنى إليك بكذا وكذا — للذى قال — فقال : انتفخ والله سَحْرُه[٤] حين رأى محمداً وأصحابه ؛ كلاّ والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد وأصحابه ، وما بعتْبة ما قال ؛ ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه أكلةَ جَزور ؛ وفيهم ابنه فقد تخوّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمىّ ، فقال له : هذا حَليفُك ، يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرَك بعينِك ، فقم فانشُد خُفْرتك[٥] ومقتَلَ أخيك . فقام عامر بن الحضرمىّ فاكتشف ثم صرخ : واعمراه ! واعمراه ! فحمِيَت الحربُ ، وحَقِبَ[٦] أمر الناس ، واستوسقوا[٧] على ما هم عليه من الشرّ ، وأفسِد على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عُتْبة بن ربيعة .

١/١٣١٦

فلما بلغ عُتبةَ بن ربيعة قولُ أبى جهل : « انتفخ سَحْره » ، قال : سيعلم المُصَفِّرُ استَه من انتفخ سَحْره ، أنا أم هو ! ثم التمس بَيْضَة يُدْخِلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تَسَعُه من عِظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتَجَر[٨] على رأسه ببُرْد له .

(١) الأغانى : « ولم تعدموا » .
(٢) نثل : أخرج .
(٣) ابن هشام : « يهنئها » ؛ أى يطليها بعكر الزيت .
(٤) انتفخ سحره ؛ أى رئته ؛ يقال ذلك للجبان .
(٥) انشد خفرتك ؛ أى اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ، أى عهدهم ؛ لأنه كان حليفاً لهم وجاراً .
(٦) حقب أمرهم : اشتد .
(٧) استوسقوا : اجتمع أمرهم .
(٨) الاعتجار : لف العمامة على الرأس .

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومىّ — وكان رجلا شرِساً سيّىء الخلُق — فقال : أعاهد الله لأشرَبنّ من حوْضِهم ولأهدِمنّه أو لأموتنّ دونه . فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب ، فلمّا التقيا ضربه حمزة ، فأطنّ[1] قدمه بنصف ساقه؛ وهو دونَ الحوض ، فوقع على ظهره تَشْخُبُ[2] رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبَا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد — زعَمَ — أن يُبِرّ يمينَه ، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض . ١/١٣١٧

ثم خرج بعده عُتْبة بن ربيعة بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتْبة؛ حتى إذا فصَل من الصفّ دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتْية من الأنصار ثلاثة نفر منهم : عوف ومُعوِّذ ابنا الحارث — وأمهما عفراء — ورجل آخر يقال له عبد الله بن رواحة ، فقال : مَنْ أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . فقالوا : ما لنا بكم حاجة ! ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرِجْ إلينا أكفاءنا من قومنا ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : قم يا حمزة بن عبد المطلب ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا علىّ بن أبى طالب ؛ فلما قاموا ودنَوْا منهم ، قالوا: مَنْ أنتم ؟ قال عبيدة: عبيدة ، وقال حمزة: حمزة ، وقال علىّ : علىّ ، قالوا: نعم أكفاءٌ كِرام ! فبارز عُبيدة بن الحارث — وكان أسنّ القوم — عُتْبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شَيْبةَ بن ربيعة ، وبارز علىٌّ الوليد بن عتبة؛ فأمّا حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علىٌّ فلم يمهل الوليد أن قتله؛ واختلف عُبيدة وعتبة بينهما بضربتيْن ، كلاهما أثبتَ صاحبه[3] ، وكرّ حمزة وعلىّ بأسيافهما على عُتْبة ، فذفّفا[4] عليه فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عبيدة فجاءا به[5] إلى أصحابه؛ وقد قطعت رجله ، فمُخُّها يسيل ، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : ألستُ شهيداً يا رسول الله ! قال : ١/١٣١٨

(١) أطن : اطار .
(٢) تشخب : يسيل منها الدم بصوت .
(٣) أثبت صاحبه : جرحه جراحة لم يقم معها .
(٤) ذففا عليه : أسرعا لقتله .
(٥) ابن هشام : « فحازاه » .

بلى، فقال عبيدة : لوكان أبو طالب حيًّا لعلم أنى أحقّ بما قال منه حيث يقول :

ونُسْلِمُهُ حتى نُصَرَّعَ حَوْلَه [1] ونَذْهَلَ عن أبنائِنا والحلائِلِ [2]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا : أكفاءٌ كرامٌ ، إنما نريد قومَنا ، ثم تزاحفَ الناس ؛ ودنا بعضُهم من بعض ، وقد أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه ألاّ يحملوا حتى يأمرهم ؛ وقال : إن اكتنفكُم القوم فانضحوهم [3] عنكم بالنَّبْل ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش معه أبو بكر .

قال أبو جعفر : وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان ، كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ؛ كما حدّثنى أبو جعفر محمد بن على بن الحسين . وحدثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى حَبّان بن واسع بن حَبّان بن واسع ، عن أشياخ من قومه ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عدَّل صفوفَ أصحابه يوم بدر ، وفى يده قِدْحٌ [5] يعدّلُ به القوم ، فمرّ بسَوّاد [6] بن غَزِيّة ، حليف بنى عدىّ بن النجار ، وهو مُسْتَنْتِل [7] من الصفّ ، فطعَن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بطنه بالقِدْح ، وقال: اسْتَوِ يا سوادَ بن غزيَّة ؛ قال : يا رسولَ الله أوجعتَنى وقد بعثك الله بالحقّ ، فأقِدْنى [8]. قال : فكشف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ثم قال: استقِدْ ، قال : فاعتنقَه وقبَّل بطنه ، فقال : ماحملك

١٣١٩/١

---

(١) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٦٧ ، ٦٨ ، وهو أيضاً فى الأغانى ٤ : ١٨٧–١٩٠

(٢) م : « دونه » .

(٣) النضح بالنبل : الرمى به .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، والأغانى ٤ : ١٩٠

(٥) القدح : السهم .

(٦) كذا فى ط ، وقال ابن هشام : يقال « سواد » ، مثقلة ، وسواد فى الأنصار غير هذا مخفف .

(٧) مستنتل : متقدم . قال ابن هشام : يقال : « مستنصل » .

(٨) أقدنى : أى اقتص لى من نفسك .

على هذا يا سَوَاد ؟ فقال : يا رسولَ الله ، حضَر ما ترى فلم آمن القتْل . فأردتُ أن يكونَ آخرَ العهد بك أن يمسّ جلدى جلدَك . فدعا له رسول الله صلّى الله عليه وسلم بخير ، وقال له خيراً .

ثم عدّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصّفوفَ ، ورجع إلى العريش ، ودخلَه ، ومعه فيه أبو بكر ليس معه فيه غيره ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربّه ما وعده من النّصر، ويقول فيما يقول : اللهمّ إنك إن تَهْلِكْ هذه العِصابة اليوم — يعنى المسلمين — لا تُعبَد بعد اليوم ، وأبو بكر يقول : يا نبيّ الله، بعضَ مناشدتِك ربّك! ، فإن الله عزّ وجل منجزٌ لك ما وعدك[1]. ١٣٢٠/١

* * *

فحدّثنى محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : حدّثنا عبدُ الله بن المبارك ، عن عكرمة بن عمّار ، قال : حدّثنى سماك الحنفىّ ، قال : سمعتُ ابنَ عباس يقول : حدّثنى عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدْر ، ونظر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعِدّتهم ، ونظر إلى أصحابه نيّفًا على ثلثمائة ، استقبل القبلة ، فجعل يدعو ، يقول : اللهمّ أنجزْ لى ما وعدتنى ، اللهمّ إن تَهْلِكْ هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبَد فى الأرض ؛ فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ، ثمّ التزمه من ورائه، ثم قال : كفاك يا نبيّ الله، بأبى وأنت وأمى ، مناشدتك ربّك ؛ فإنه سينجز لك ما وعدك ! فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[2] .

حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا الثقفىُّ — يعنى عبد الوهاب — عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال وهو فى قبّته يومَ بدر : اللهمّ إنى أسألُك عهدَك ووعدَك ؛ اللهمّ إن شئت لم تُعْبَدْ بعْدَ اليوم !

---

(١) سيرة ابن هشام ٦٨ ، ٦٩ ، والأغانى ٤ : ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) سورة الأنفال ٩ ، والخبر فى التفسير ١٣ : ٤٠٩ والأغانى ٤ : ١٩١ ، ١٩٢ .

قال : فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبُك يا نبيّ الله ، فقد ألححت على ربّك — وهو فى الدّرع — فخرج وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾(١) .

* * *

١/١٣٢١ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وقد خَفَق(٢) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خفقةً وهو فى العريش ؛ ثم انتبه ، فقال : يا أبا بكر ، أتاك نصرُ الله ، هذا جبريل آخذ بِعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النَّقع(٣) . قال : وقد رُمِيَ مِهْجَعٌ مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتل ؛ فكان أوّلَ قتيل من المسلمين ، ثم رُمِيَ حارثة بن سُراقة ، أحد بنى عدىّ بن النجار وهو يشرب من الحوْض فقتِل . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النّاس فحرّضهم ، ونفّل كلّ امرئ منهم ما أصاب ، وقال : والّذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتَلُ صابراً محتسِباً مُقْبِلا غير مُدْبِر ؛ إلاّ أدخله الله الجنة . فقال عمَيرُ بن الُحمَام ، أخو بنى سلَمة ، وفى يده تَمَراتٌ يأكُلهنَّ : بَخْ بَخْ(٤) ، فما بينى وبين أن أدخلَ الجنة إلا أن يقتلَنى هؤلاء ! ثم قذف التَّمرَاتِ من يده ، وأخذ سيفَه ، فقاتل القوم حتى قُتِل(٥) وهو يقول :

رَكْضًا إلَى اللهِ بغيْرِ زادِ ... إلاَّ التُّقَى وعَمَلِ المَعادِ
وَالصَّبْرِ فى اللهِ على الجهادِ ... وكلُّ زادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
* غَيْرُ التُّقَى والبرّ والرَّشَادِ *

١/١٣٢٢ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أنّ عوْف بن الحارث — وهو ابن

(١) سورة القمر ٤٥ ، ٤٦ . والخبر فى الأغانى ٤ : ١٩٢
(٢) خفق : نام نوماً خفيفاً .
(٣) النقع : التراب .
(٤) بخ ، بكسر الخاء وإسكانها ؛ كلمة تقال للإعجاب .
(٥) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، ٦٩ ، وهو أيضاً فى الأغانى ٤ : ١٩٢ ، ١٩٣

عفراء – قال : يا رسول الله ، ما يُضْحِكُ(١) الربَّ من عبده ؟ قال : غَمْسُهُ يدَه في العدوّ حاسِرًا . فنزع درْعًا كانت عليه ، فقذفها ؛ ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِل(٢) .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق . وحدّثني محمد بن مسلم الزهريّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير العُذرِيّ ، حليف بني زُهرة ، قال : لما التقى النّاس ، ودنا بعضُهم من بعض ، قال أبو جهل : اللهمّ أقْطَعَنَا لِلرَّحم ، وآتانا بما لا يُعرف ؛ فأحِنْه(٣) الغداة ، فكان هو المستفتِح(٤) على نفسه .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم أخذ حَفْنة من الحَصْباء ، فاستقبل بها قريشًا ، ثم قال : شاهت الوُجوه ! ثم نَفَحهم بها ، وقال لأصحابه : شُدُّوا ، فكانت الهزيمة ، فقتل الله مَنْ قتلَ من صناديد قريش ، وأسِر مَنْ أسِر منهم . فلما وضع القوم أيديَهم يأسرون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلّم في العريش ، وسعد بن مُعاذ قائم على باب العريش الذى فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، متوشِّحًا السيف ، في نفر من الأنصار يحرُسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كَرَّةَ العدوّ ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما ذكر لي – في وجه سعد بن معاذ الكَرَاهيةَ لمَا يصنع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : لكأنّك يا سعد تكره ما يصنع الناس ! ١٣٢٣/١ قال : أجلْ والله يا رسولَ الله ! كانت أوّل وقعة أوقعها الله بالمشركين ؛ فكان الإثخَانُ في القتل أعجَبَ إليّ من استبقاء الرجال(٥) .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثني العباس بن عبد الله بن مَعْبَد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ،

(١) ما يضحك ربك ، أي ما يرضيه غاية الرضا .
(٢) ابن هشام ٢ : ٦٨ ، ٦٩ . (٣) أحنه : أهلكه .
(٤) يريد أنه حكم على نفسه بهذا الدعاء ، وانظر اللسان (فتح) .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٠٩ ، والأغاني ٤ : ١٩٣ ، ١٩٤

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال لأصحابه يومئذ : إنّى قد عرفت أنّ رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرِجُوا كرْهًا ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمَنْ لقِيَ منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومَنْ لقِيَ أبا البختَرىّ بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومَنْ لقِيَ العبّاس بن عبد المطلب عمّ رسول فلا يقتله ؛ فإنه إنما أخرِج مستكرَهًا .

قال : فقال أبو حُذيفة بن عُتْبة بن ربيعة : أنقتلُ آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتَنا ، ونترك العباس ! والله لئن لقيتُه لألْحِمنّه[1] السيف . فبلغتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص ، أما تسمع إلى قول أبى حُذَيفة ، يقول : أضرب وجه عمّ رسول الله بالسيف ! فقال عمر : يارسولَ الله، دعْنِى فلأضربنّ[2] عنقَه بالسيف ؛ فوالله لقد نافَقَ .

١/١٣٢٤ — قال[3] عمر : والله إنه لأوّلُ يوم كنّانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم بأبى حفص — .

قال : فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التى قلتُ يومئذ ، ولا أزال منها خائفًا إلاّ أن تكفّرها عنى الشهادة . فقُتِل يوم اليمامة شهيداً .

قال : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البَختَرىّ ؛ لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهو بمكّة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شىء يكرهه ؛ وكان ممّن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطّلب ، فلقيَه المُجذَّرُ بن ذياد البَلَوىّ ، حليف الأنصار من بنى عدىّ ، فقال المجذَّر بن ذياد لأبى البخترىّ : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قد نهى عن قتلك — ومع أبى البخترىّ زميلٌ[4] له خرج معه من مكة ، وهو جُنادة بن مُلَيْحَة بنت زُهَيْر بن الحارث بن أسَد ، وجُنادة رجل من بنى لَيْث . واسم أبى البخترىّ العاص بن هشام

---

(١) لألحمنه ، أى لأطعنن لحمه بالسيف ولأخالطنه . وقال ابن هشام : « ويقال : لألجمنه بالسيف » ، أى لأضربنه به فى وجهه .

(٢) و : « فلأضرب » ، وكذلك فى ابن هشام .

(٣) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « فقال » .

(٤) الزميل : الذى يركب مع صاحبه على بعير واحد .

ابن الحارث بن أسد — قال : وزميلي ؟ فقال : المجذّر : لا والله ما نحن بتاركي زميلَك ؛ ما أمرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلاّ بك وحدَك ، قال : لا والله إذاً ، لأمُوتَنّ أنا وهو جميعًا ؛ لا تحدّث عنّي نساء قريش من أهل مكة أنّي تركتُ زميلي حِرْصًا على الحياة . فقال أبو البختريّ حين نازله المجذّر ، وأبى إلاّ القتال ، وهو يرتجز :

لَنْ يُسْلِمَ ابنُ حُرَّةٍ أَكِيلَهْ حتَّى يموتَ أَوْ يرى سَبيلَهْ ١٣٢٥/١

فاقتتلا ، فقتله المجذّر بن ذياد .

قال : ثم أتى المجذّر بن ذياد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : والّذي بعثَك بالحقّ ، لقد جهدتُ عليه أن يستأسرَ فآتيَك به ؛ فأبى إلاّ القتال ، فقاتلته فقتلتُه[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، قال . وحدّثني أيضًا عبد الله بن أبي بكر ، وغيرهما ، عن عبد الرّحمن بن عوْف ، قال : كان أميّة بن خلَف لي صَديقًا بمكّة — وكان اسمي عبدعمْرو ، فسمِّيتُ حين أسلمتُ : « عبد الرحمن » ، ونحن بمكة — قال : فكان يلْقاني ونحن بمكّة ، فيقول : يا عبدَ عمرو ، أرغبْتَ عن اسم سمّاكَه أبوك ؟ فأقول : نعم ، فيقول : فإنّي لا أعرف « الرحمن » ؛ فاجعل بيني وبينك شيئًا أدعوك به ؛ أما أنتَ فلا تجيبني باسمك الأوّل ، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعاني : « يا عبد عمرو » ، لم أجبه ، فقلت : اجعل بيني وبينك يا أبا عليّ ما شئت ، قال : فأنت « عبد الإله » ، فقلت : نعم ، فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله ، فأجيبه ، فأتحدّث معه ؛ حتى إذا كان يومُ بدر ، مررت به وهو واقف مع ابنه عليّ بن أميّة ، آخذاً بيده ، ومعي أدراعٌ قد استلبتُها ، فأنا أحملها . فلمّا رآني[٢] قال : يا عبد عمرو ! فلم أجبه ، ١٣٢٦/١

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٩ ، ١٧ ، والأغاني ٤ : ١٩٤ ، ١٩٥ .
(٢) م : « رأى ذلك » .

فقال : يا عبد الإله ، قلت : نعم ، قال : هل لك فىّ ، فأنا خير لك من هذه الأدراع التى معك ؟ قال : قلت : نعمْ ، هلُمَّ إذاً[١] . قال : فطرحتُ الأدراع من يدى وأخذت بيده ويد ابنه علىّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم قطّ ! أما لكم حاجة فى اللّبن![٢] قال : ثم خرجت أمشى بهما[٣].

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عبد الواحد بن أبى عوْن ، عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لى أميّة بن خلف وأنا بينه و بين ابنه ، آخذٌ بأيديهما : يا عبدَ الإله ، مَن الرجل منكم ، المعْلِم بريشة نعامة فى صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطّلب ، قال : ذاك الذى فَعل بنا الأفاعيل ! قال عبد الرحمن : فوالله إنّى لأقودهما إذْ رآه بلال معى — وكان هو الذى يعذّب بلالا بمكّة على أن يترك الإسلام فيخرجُه إلى رَمْضاء[٤] مكة إذا حميَتْ ، فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضَع على صدره ، ثم يقول : لاتزالُ هكذا حتى تفارقَ دين محمد ، فيقول بلال : أحدٌ أحَدٌ — فقال بلال حين رآه : رأس الكفر أميّة ابن خلَف ، لا نجوتُ إن نَجوْتَ[٥] ؛ قال : قلت : أىْ بلال ، أسيرَىّ[٦]! قال : لا نجوتُ إن نجوا . قال : قلت : تسمَع[٧] يابن السوداء ! قال : لانجوتُ إن نجوَا ، ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصارَ الله ، رأس الكفر أميّة ابن خلَف ، لانجوتُ إن نجا ! قال : فأحاطوا بنا ، ثم جعلونا فى مثل المسَكَة[٨]

١٣٢٧/١

(١) ابن هشام : « ها الله ذا » ، وها تنبيه ، وذا إشارة إلى نفسه .

(٢) قال ابن هشام : « يريد باللبن ، أن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٠ ، ٧١ ، والأغانى ١٤ : ١٩٦ ، ١٩٧

(٤) الرمضاء : الرمل الحار من الشمس .

(٥) فى ابن هشام : « لا نجوت إن نجا » .

(٦) ابن هشام : « أبا سيرى » .

(٧) ابن هشام : « اتسمع » والتسميع : التشهير .

(٨) فى مثل المسكة ، أى جعلونا فى حلقة كالسوار وأحدقوا بنا .

وأنا أذُبُّ عنه(١) ؛ قال : فضرب رجلٌ ابنه فوقع . قال : وصاح أميّة صيحة ما سمعت بمثلها قطّ . قال : قلتُ : انجُ بنفسك ، ولا نجاءَ ؛ فوالله ما أغنِى عنك شيئاً . قال : فهبرُوهما(٢) بأسيافهم حتى فرغوا منهما .

قال : فكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالا ! ذهبت أدراعى وفجعنى بأسيرىّ(٣) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر ، أنّه حُدّث عن ابن عبّاس ، أن ابن عباس ، قال : حدّثنى رجلٌ من بنى غِفار ، قال : أقبلتُ أنا وابنُ عمّ لى حتى أصعدنا فى جبل يُشْرِف بنا على بدْر ، ونحن مشرِكان ، ننتظر الوقْعة على مَنْ تكون الدَّبْرَة ، فننتهب مع من ينتهب . قال : فبينا نحن فى الجبل ؛ إذ دنت منّا سحابة ، فسمعنا فيها حَمْحَمة الخيل ، فسمعت قائلا : يقول : أقدِمْ حَيْزُوم(٤) . قال : فأمّا ابن عمّى فانكشف قِناعُ قلبه فمات مكانه ؛ وأمّا أنا فكدتُ أهلِك ، ثم تماسكت(٥) .

١/١٣٢٨

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى أبى إسحاق بن يَسار ، عن رجال من بنى مازن بن النّجار ، عن أبى داود المازنىّ — وكان شهد بدرا — قال : إنى لأتْبَعُ رجلاً من المشركين يوم بدر لأضرِبه ، إذْ وقع رأسه قبل أن يصِلَ إليه سيفى ، فعرفت أن قد قتله غيرى .

حدّثنى عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصرىّ ، قال : حدّثنا يحيى بن بُكير(٦) ، قال : حدّثنا محمد بن يحيى الإسكندرانىّ عن العَلاء بن

---

(١) فى ابن هشام بعدها : «قال : فأخلف رجل السيف» ؛ ويقال : أخلف الرجل السيف ، إذا سله من غمده .

(٢) هبروهما : قطعوهما . (٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٧١ ، والأغانى ٤ : ١٩٧ ، ١٩٨

(٤) قال أبو ذر الخشنى . «قال ابن سراج : اقدم ، كلمة تزجر بها الخيل ، وحيزوم اسم فرس جبريل عليه السلام ، ويقال فيه : جيرون» .

(٥) ابن هشام ٢ : ٧١ ، والأغانى ٤ : ١٩٨ .

(٦) هو يحيى بن عبد الله بن بكير .

كثير ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مخرَمة ، عن أبى أمامة ابن سَهْل بن حُنَيف ، قال : قال لى أبى : يا بُنَىّ ، لقد رأيتُنا يوم بدر ؛ وإنّ أحَدَنا ليشيرُ بسيفه إلى المشرك فيقع رأسُه عن جسده قبل أن يصلَ إليه السيف[١] .

حدّثنا ابنُ حُميد، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق، قال : وحدّثنى الحسن بن عُمارة ، عن الحكَم بن عتيبة ، عن مِقْسم مولى عبدالله بن الحارث، عن عبد الله بن عباس ، قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيضًا قد أرسلوها فى ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمرًا ، ولم تقاتل الملائكة فى يوم من الأيام سوى يوم بدر . وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عُدَدًا ومدَدًا لا يضربون[٢] . ١٣٢٩/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال: قال محمد : وحدّثنى ثور بن زيد مولى بنى الدِّيل ، عن عِكْرمة مولى ابنِ عبّاس ، عن ابن عبّاس قال : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر ، قالا : كان مُعاذ بن عمرو بن الجَمُوح أخو بنى سَلمة يقول : لما فرغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من عدوّه ، أمرَ بأبى جهل أن يلتَمس فى القتلى ، وقال : اللهمّ لا يعجزنّك ، قال : فكان أوّل مَنْ لقِيَ أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح ، قال : سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحرَجة[٣] وهم يقولون : أبو الحكَم لا يُخلَص إليه . فلما سمعتها جعلته من شأنى ، فصَمدْت نحوه ، فلمّا أمكننى حملتُ عليه فضربته ضربة أطنَّت[٤] قدَمه بنصف ساقه؛ فوالله ما شبّهتُها حين طاحت إلا النّواة تَطيح[٥] من تحت مِرْضَخةِ[٦] النّوى حين يُضرب بها . ١٣٣٠/١

(١) الأغانى ٤ : ١٩٩ .

(٢) ابن هشام ٢ : ٢٨٦ ، ٧٠ والأغانى ٤ : ١٩٩ .

(٣) قال ابن هشام : « الحرجة الشجر الملتف ؛ وفى الحديث ، عن عمر بن الخطاب أنه سأل عن الحرجة فقال : هى شجرة من الأشجار لا يوصل إليها » .

(٤) أطنت قدمه : أطارتها .

(٥) تطيح : تذهب .

(٦) المرضخة : التى يدق بها النوى للعلف .

قال : وضربني ابنُه عِكْرِمة على عاتقي ؛ فطرح يدي ، فتعلقت بجلْدة من جنبي ، وأجهضني(١) القتال عنه ؛ فلقد قاتلت عامّة يومي، وإني لأسحبها خلْفِي ؛ فلما آذتْنِي جعلت عليها رجلي ، ثم تمطّيت بها ، حتى طرحتُها .

قال : ثم عاش مُعاذ بعد ذلك ، حتى كان في زمن عثمان بن عفان . قال : ثم مرّ بأبي جهل — وهو عقير(٢)— مُعَوّذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبتَه(٣) ؛ فتركه وبه رمق ؛ وقاتل معوّذ حتى قُتل ، فمرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُلتَمس في القتلى ، وقد قال لهمْ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما بلغني : انظروا إنْ خفيَ عليكم في القتلى إلى أثر جُرْح بركبتِه ؛ فإني ازدحمت أنا وهو يومًا على مأدُبة لعبد الله ابن جُدعان ؛ ونحن غلامان ؛ وكنت أشفّ منه بيسير ؛ فدفعته ، فوقع على ركبتَيْه ، فَجُحِشَ(٤) في إحداهما جَحْشًا لم يزل أثرُه فيه بعد . قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رَمَق ، فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضَبَثَ(٥) بي مرّة بمكة ، فآذاني ولكزني . ثم قلت : هل أخزاك الله يا عدوّ الله ! قال : وبما ذا أخزاني ! أَعْمَدُ من رجل قتلتموه(٦) ! أخبرني لمن الدّبْرَة ؟ [اليوم](٧) قال : قلت : لله ولرسوله(٨) .   ١٣٣١/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق : وزعم رجال من بني مخزوم أنّ ابن مسعود ، كان يقول : قال لي أبو جهل : لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِيَ الغنم مرتقًى صعبًا ! ثم احتززتُ رأسه ؛ ثم جئت به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقلت : يا رسولَ الله ، هذا رأس عدوّ الله

---

(١) أجهضني : غلبني واشتد علي .   (٢) العقير : المجروح .

(٣) أثبته : جرحه جراحة لا يتحرك معها .

(٤) جحش : خدش .

(٥) ضبث ، قال ابن هشام : « قبض عليه ولزمه» .

(٦) يقال : أعمد من رجل قتله قومه ، أي أعجب ، قال أبو عبيد : معناه هل زاد على سيد قتله قومه ! أي أن هذا ليس بعار . (٧) من الأغاني . (٨) سيرة ابن هشام ٢ : ٧١ ، والأغاني ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

أبى جهل ، قال : فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ : آللهِ الذى لا إله غيره[١]! — وكانت يمينَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم — قال : قلتُ : نعم ؛ والله الذى لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسه بين يدىْ رسول الله صلى الله عليه وسلّم . قال : فحمد الله[٢].

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى يزيد بن رُومان ، عن عُروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما أمرَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالقتلى أن يُطرَحوا فى القَليب[٣] طُرِحوا فيه ؛ إلا ما كان من أميّة بن خلَف ؛ فإنه انتفخ فى دِرْعه حتى ملأها ، فذهبوا ليحرّكوه ، فتزايلَ[٤] فأقرّوه ، وألقوا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم فى القَليب ، وقف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عليهم ، فقال : يا أهلَ القليب ، هل وجدتم ما وعَدكم ربكم حقًّا ! فإنى وجدتُ ما وعدنى ربى حقًّا . فقال له أصحابه : يا رسولَ الله ، أتكلّم قوماً موتَى! قال : لقد علموا أن ما وعدتُهم حقّ ، قالت عائشة : والناس يقولون : «لقد سمعوا ما قلت لهم» ، وإنّما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقد علموا»[٥].

١٣٣٢/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق . قال : وحدّثنى حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحابُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وهو يقول من جوف الليل : يا أهلَ القليب ، يا عُتْبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، يا أميّة بن خلَف ، يا أبا جهل بن هشام — فعدّدَ مَنْ كان معهم فى القَليب : هل وجدتم ما وعدكُمْ ربّكم حقًّا ؛ فإنى قد وجدتُ ما وعدنى

---

(١) قال السهيلى : «الله الذى لا إله إلا هو» ، هو بالخفض عند سيبويه وغيره ؛ لأن الاستفهام عوض عن الخافض عنده» .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٢ ، والأغانى ٤ : ٢٠١ .

(٣) القليب : البئر .

(٤) تزايل : تفرق .

(٥) ابن هشام ٢ : ٧٤ ، والأغانى ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢

ربِّي حقًّا! قال: المسلمون: يارسولَ الله؛ أتنادى قومًا قد جيَّفوا[1]! فقال: ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم؛ ولكنَّهم لا يستطيعون أن يجيبونى[2].

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سَلَمة، قال: قال محمد بن إسحاق: وحدّثنى بعضُ أهلِ العلم، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوم قال هذه المقالة: قال: يا أهلَ القَليب، بئس عشيرة النبىّ كنتم لنبيّكم! كذّبتمونى وصدّقنى الناس، وأخرجتمونى وآوانى النَّاس، وقاتلتمونى ونصرنى الناس. ثم قال: هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقًّا؟ للمقالة التى قال. قال: ولما أمر بهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يُلْقَوْا فى القَليب، أخِذ عتبة بن ربيعة فسحِب إلى القَليب، فنظر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم — فيما بلغنى — فى وجه أبى حُذيفة بن عتبة؛ فإذا هو كئيب قد تغيّر، فقال: يا أبا حذيفة؛ لعلَّك دخلك مِنْ شأن أبيك شىء! — أو كما قال صلَّى الله عليه وسلَّم — فقال: لا والله يا نبىّ الله، ما شككتُ فى أبى ولا فى مصرعه؛ ولكنِّى كنتُ أعرف من أبى رأيًا وحِلْمًا وفضلاً؛ فكنت أرجو أن يهديَه ذلك إلى الإسلام؛ فلما رأيتُ ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنتُ أرجو له، حَزَنَنى ذلك، قال: فدعا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم له بخير، وقال له خيراً. ١٣٣٣/١

ثم إنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم أمر بما فى العسكر ممَّا جَمَع الناس فجُمع؛ فاختلف المسلمون فيه، فقال مَنْ جمعه: هو لنا؛ قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفَّل كلّ امرئ ما أصاب، فقال الذين كانوا يقاتلون العَدُوّ ويطلبونهم: لولا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلْنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم. فقال الذين يَحْرسون رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مخافة أن يخالِف إليه العدوّ: والله ما أنتم بأحَقّ به منَّا؛ لقد رأينا أن نقتلَ العدوّ إذْ ولاّنا الله، ومنحنا أكتافهم؛ ولقد رأينا أن نأخذ المتاع

(١) جيفوا: أى صاروا جيفاً.

(٢) ابن هشام ٢ : ٧٤، والأغانى ٤ : ٢٠٢.

حين لم يكن دونه مَنْ يمنعه ؛ ولكن خِفْنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كرّة العدوّ ، فقمنا دونه ؛ فما أنتم بأحقّ به منّا[1] .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأشدَق ، عن مكحول ، عَنْ أبي أمامة الباهليّ ، قال : سألت عبادة بن الصّامت عن الأنفال ، فقال : فينا معشرَ أصحاب بدر نزلتْ ؛ حين اختلفنا فى النَّفَل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسوله ، فقسّمه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين المسلمين عن بَوَاء — يقول على السَّوَاء — فكان فى ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله ، وصلاح ذات البين . ١/١٣٣٤

قال : ثمّ بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عند الفتح عبدَ الله بن رواحة بشيرًا إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله صلّى الله عليه وسلّم وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة .

قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين سوّينا التّراب على رقيّة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التى كانت عند عثمان بن عفان ، كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خلّفنى عليها مع عثمان .

قال : ثم قدم زيد بن حارثة فجئته وهو واقف بالمصلّى قد غَشِيَهُ الناس وهو يقول : قُتِل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزَمعة بن الأسود ، وأبو البَختريّ بن هشام ، وأميّة بن خلَف ونبيه ومنبّه ابنا الحجاج . قال : قلت : يا أبهْ أحقٌّ هذا ! قال : نعم والله يا بُنيّ . ثم أقبل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قافلاً إلى المدينة ؛ فاحتمل معه النَّفَل الذى أصيب من المشركين ، وجعل على النَّفَل عبد الله بن كعب بن زيد ابن عوف بن مبذول بن عمرو بن مازن بن النّجار . ثم أقبلَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم حتى إذا خرج من مضِيق الصَّفْراء ، نزل على كَثِيب بين المضِيق وبين النازية — يقال له سَيَر — إلى سَرْحة به ، فقسّم هنالك النَّفَل ١/١٣٣٥

(١) ابن هشام ٢ : ٧٤ — ٧٦ ، والأغانى ٤ : ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

الَّذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السَّواء ، واستقى له من ماء به يقال له الأرواق .

ثم ارتحل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالرَّوْحاء ، لقيَهُ المسلمون يُهنِّئونه بما فتَح الله عليه ومَنْ معه من المسلمين ، فقال سلمة بن سلامة بن وقْش — كما حدّثنا ابن حميد ، فقال: حدّثنا سَلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، كما حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، ويزيد بن رومان : وما الذى تُهنّئون به ! فوالله إن لقينا إلا عجائز صُلعًا كالبُدْن المعَقّلَة ، فنحرناها . فتبسَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا بنَ أخى ، أولئك الملأ[1] . قال : ومع رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم الأسارى من المشركين وكانوا أربعة وأربعين أسيراً ، وكان من القتلى مثل ذلك — وفى الأسارَى عُقْبة بن أبى مُعَيط ، والنَّضْر بن الحارث بن كَلَدَة — حتى إذا كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالصَّفْراء ، قتِل النَّضْر بن الحارث ، قتَله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه[2] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة قال: قال محمد بن إسحاق : كما حدّثنى بعضُ أهل العلْم من أهل مكة ؛ قال : ثم خرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ حتى إذا كان بعرْق الظَّبْية ، قتل عُقْبة بن أبى مُعَيط ، فقال حين أمر به رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يُقتل: فمَنْ للصبية يا محمد ! قال : النار ، قال : فقتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارىّ ، ثم أحد بنى عمرو بن عوف .

١٣٣٦/١

قال : كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمَّار بن ياسر ، قال : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عِرْق الظبية حين قتل عُقبة لَقيَه أبو هند مولى فَرْوة بن عمرو البَيَاضىّ بحَميت مملوء حَيْساً[3] ، وكان قد تخلّف عن بدر ، ثم شهد المشاهد كلّها مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ،

---

(١) الملأ : الأشراف .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ ، والأغانى ٤ : ٢٠٣ .

(٣) قال ابن هشام : الحميت : « الزق . والحيس : السمن يخلط بالتمر والأقط » .

وكان حجّام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنما أبو هند امرؤٌ من الأنصار ، فأنكحوه وأنكحوا إليه ، ففعلوا.
ثم مضَى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى قدِم المدينة قبل الأسارى بيوم[١] .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرَارة ، قال : قُدِم بالأسارى حين قُدم بهم وسَوْدَة بنت زَمْعة زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم عند آل عَفْرَاء فى مَنَاحتهم على عَوْف ومُعوّذ ابنَى عفراء — قال : وذلك قبل أن يُضْرَب عليهنّ الحجاب — قال : تقول سَوْدة : والله إنى لَعندهم إذ أتِينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أُتِيَ بهم ، قالت : فَرُحْتُ إلى بيتِي ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيه ؛ وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو فى ناحية الحُجْرة ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبْل ، قالت : فوالله ما ملكتُ نفسى حين رأيتُ أبا يزيد كذلك أن قلت : يا أبا يزيد ، أعطيْتم بأيديكم ، ألاّ متّم كراما! فوالله ما أنْبهنى إلاّ قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من البيت : يا سودة ، أعلَى الله وعلى رسوله! قالت : قلت : يارسولَ الله ؛ والّذى بعثك بالحقّ ما ملكتُ نفسى حين رأيت أبا يزيدَ مجموعةً يداه إلى عنقه بحبْل أن قلت ما قلت[٢] .

١٣٣٧/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثنى نُبَيْه بن وهب ، أخو بنى عبد الدّار ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حين أقبل بالأسارَى فرّقهم فى أصحابه ، وقال : استوصُوا بالأسارى خيرًا — قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم ، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمّه فى الأسارى — قال : فقال أبو عزيز : مرّ بى أخى مصعب بن عمير ، ورجل من الأنصار يأسِرنى ، فقال : شُدَّ يَدَيك به ؛

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ ، ٧٨ ، والأغانى ٤ : ٢٠٤ .

فإن أمه ذاتُ متاع ، لعلّها أن تفتديَهُ منك . قال : وكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدْر ؛ فكانوا إذا قدّموا غَدَاءهم وعشاءهم خصُّونى ١٣٣٨/١ بالخبز ، وأكلوا التمر لوصيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقع فى يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نَفحنى بها . قال : فأستحى ، فأردّها على أحدهم فيردّها علىّ ما يَمسُّها[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وكان أوّل مَنْ قدم مكة بمُصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله بن إياس ابن ضُبَيْعة بن مازن بن كعب بن عمرو الخزاعىّ — قال أبو جعفر : وقال الواقدىّ : الحيسُمان بن حابس الخزاعى — قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البخترىّ بن هشام ونُبَيه ومنبه ابنا الحجاج . قال : فلمّا جعل يعدّد أشراف قريش ، قال صَفْوان بن أمية وهو قاعد فى الحِجْر : والله إنْ يعقل هذا فَسلُوه عنى ، قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالسا فى الحِجْر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قتلا[٢] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدّثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكْرمة مولى ابن ١٣٣٩/١ عبّاس ، قال : قال أبو رافع مولى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم : كنت غلامًا للعبّاس بن عبد المطّلب ، وكان الإسلام قد دخلنَا أهلَ البيت ، وأسلمتْ أمّ الفضل وأسلمتُ ، وكان العبّاس يهاب قومه ، ويكره أن يخالفَهم ، وكان يكتم إسلامَه ، وكان ذا مال كثير متفرّق فى قومه ، وكان أبو لهب عدوّ الله قد تخلّف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا ، لم يتخلّف رجل إلاّ بعثَ مكانه رجلا ، فلمّا جاء الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش ، كبته الله وأخزاه ، ووجدنا فى أنفسنا قوّة وعزًّا .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٠ .

قال : وكنت رجلاً ضعيفًا ، وكنت أعمل القِداح ، أنحتُها فى حَجْرة زمزم ، فوالله إنى لجالس فيها أنحت القِداح ، وعندى أمّ الفضْل جالسة ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبلَ الفاسق أبو لهب يجرّ رجليْه بشرّ ، حتّى جلس على طُنُب الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهرى ؛ فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب قد قدِم . قال : فقال أبو لهب : هلمّ إلىّ يا بنَ أخى ؛ فعندك الخبر . قال : فجلس إليه ، والناس قيام عليه ، فقال : يا بن أخى ، أخبِرْنى ؛ كيف كان أمر الناس ؟

١/١٣٤٠ قال : لا شيء ؛ والله إن كان إلاّ أن لقِيناهم ، فمنحناهم أكتافنا ، يقتُلوننا ويأسرون كيف شاءوا ؛ وايمُ الله مع ذلك ما لُمْتُ الناس ؛ لقِينا رجالاً بِيضًا على خيل بُلْقٍ بين السماء والأرض ؛ ما تليق[١] شيئًا ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعت طُنُب[٢] الحجْرة بيدى ، ثم قلت : تلك الملائكة . قال : فرفع أبو لهب يدَه فضرب وجهى ضربة شديدة ، قال : فثاورتُه[٣] ، فاحتملنى ، فضرب بى الأرضَ ثم بركَ علىّ يضربنى — وكنت رجلا ضعيفًا — فقامت أمّ الفضل إلى عَمُود من عُمُد الحجرة ، فأخذته فضربته به ضربة فشجّت[٤] فى رأسه شجّة منكرة ، وقالت : تستضعفه أنْ غاب عنه سيّده! فقام مولّيا ذليلا ، فوالله ما عاش إلاّ سبع ليال حتى رماه الله عزّ وجلّ بالعَدَسة[٥] فقتلته ، فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا ما يدفنانه حتى أنتن فى بيته — وكانت قريش تتّقى العَدَسة وعَدْوَتَها كما يتّقى الناس الطاعون — حتى قال لهما رجل من قريش : ويحكما ! ألاَ تستحيان أنّ أباكما قد أنتن فى بيته لا تغيِّبانه ! فقالا : إنا نخشى هذه القَرْحة ، قال : فانطلِقا فأنا معكما ، فما غسلوه إلا قذْفًا بالماء عليه من بعيد ، ما يمسّونه ، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى

١/١٣٤١ مكّة إلى جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروْه[٦] .

---

(١) ما تليق : ما تبقى . (٢) طنب الحجرة : طرفها .

(٣) ثاورته : وثبت إليه .

(٤) كذا فى الأغانى ، وفى ط : « فلقت » .

(٥) العدسة : قرحة قاتلة كالطاعون .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٨ ، ٧٨ ، والأغانى ٤ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثني العبّاس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن عبدالله ابن عبّاس ، قال : لمّا أمسى القوم من يوم بدْر ، والأسارى محبوسون فى الوَثاق ، باتَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ساهرًا أوّل ليلة ، فقال له أصحابه : يا رسولَ الله ، مالك لا تنام ! فقال : سمعت تضوّرَ العبّاس فى وَثاقه ، قال : فقاموا إلى العبّاس فأطلقوه ، فنام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم[(١)] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثني الحسنُ بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة بن مِقْسَم ، عن ابن عبّاس ، قال : كان الذى أسر العبّاس أبو اليَسَر كعب بن عمرو أخو بنى سلمة ، وكان أبو اليَسَر رجلاً مجموعًا ، وكان العبّاس رجلاً جسيمًا ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لأبى اليَسَر : كيف أسرت العباس يا أبا اليَسَر ؟ فقال : يا رسولَ الله ؛ لقد أعانني عليه رجلٌ ما رأيته قبلَ ذلك ولا بعده ؛ هيئته كذا وكذا ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لقد أعانك عليه مَلَك كريم[(١)] .

١٣٤٢/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثني يحيى بن عبّاد ، عن أبيه عبّاد ، قال : ناحتْ قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلُغَ ذلك محمدًا وأصحابَه ، فيشمَت[(٢)] بكم ، ولا تبعثوا فى فداء أسراكم حتى تستأنوا بهم[(٣)] ؛ لا يتأرّب[(٤)] عليكم محمد وأصحابُه فى الفداء[(٥)] .

---

(١) الأغانى ٤ : ٢٠٦ .
(٢) سيرة ابن هشام والأغانى : « فيشمتوا » .
(٣) حتى تستأنوا بهم : أى تؤخروا فداءهم ، وفى الأغانى : « حتى تيأسوا » .
(٤) يتأرب : يتأبى ويتشدد . وفى السيرة واللسان– مادة أرب : « لا يأرب» ، وأرب : تشدد .
(٥) سيرة ابن هشام ٧٩ ، والأغانى ٤ : ٢٠٦ .

قال : وكان الأسود بن عبد المطّلب[١] قد أصيب له ثلاثة من ولده : زَمْعة بن الأسود ؛ وعقيل بن الأسود ، والحارث بن الأسود ؛ وكان يحبّ أن يبكِيَ على بنيه ؛ فبينا هو كذلك ؛ إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أحِلّ النّحبُ ؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلّى أبكى على أبى حكيمة — يعنى زَمْعة — فإنّ جوْفى قد احترق ! قال : فلما رجع إليه الغلام ، قال : إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلّته. قال : فذلك حين يقول :

١٣٤٣/١

أتَبْكى أنْ يَضِلّ لها بَعِيرٌ ... ويَمْنَعُها مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ[٢]

فلا تَبْكى على بَكْرٍ ولٰكنْ ... على بَدْرٍ تَقَاصَرَتِ الجدُودُ[٣]

على بَدْرٍ سَراةِ بَنِى هُصَيْصٍ ... ومَخْزُومٍ ورَهْطِ أبى الوَليدِ[٤]

وبَكِّى إنْ بَكَيْتِ على عَقِيلٍ ... وبَكِّى حارِثًا أسَدَ الأُسُودِ[٥]

وبَكِّيهِمْ ولا تَسِمِى[٦] جَميعاً ... فما لأبى حَكِيمَةَ مِنْ نَديدِ

ألا قد سادَ بَعْدَهُمُ رجالٌ ... ولوْلا يومُ بدْرٍ لَمْ يَسُودُوا[٧]

قال : وكان فى الأسارى أبو وداعة بن ضُبيْرة السَّهْمىّ ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إن له ابناً تاجرًا كيّساً ذا مال ؛ وكأنكم به قد جاءكم فى فداء أبيه ! قال : فلّما قالت قريش : لا تعجلوا فى فداء أسرائكم لا يتأرّب[٨] عليكم محمد وأصحابه ، قال المطّلب بن أبى وداعة — وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنَى — : صدقتم ، لا تعجلوا بفداء أسرائكم .

---

(١) كذا فى السيرة ؛ وهو الموافق لما فى حماسة أبى تمام والاشتقاق لابن دريد ٩٤ ، وفى ط : « ابن عبد يغوث » .

(٢) حماسة أبى تمام — بشرح التبريزى ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٣) البكر : الفتى من الإبل . تقاصرت الجدود ، أى تواضعت الحظوظ .

(٤) سراة : جمع سرى ؛ وهو السيد الكريم .

(٥) بكّاه بالتضعيف ، كبكاه المخفف .

(٦) لا تسمى مخفف « لا تسأمى » .

(٧) قال ابن هشام : « هذا إقواء » .

(٨) سيرة ابن هشام : « لا يتأرث » .

ثم انسلّ من الليل ، فقَدِم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، ثم انطلق به ، ثم بعثت قريش فى فداء الأسارَى ، فقدم مِكرَزُ بن حفص ابن الأخْيف فى فداء سُهيْل بن عمرو ، وكان الذى أسَرَه مالك بن الدُّخْشم ، أخو بنى سالم بن عوف ، وكان سهيل بن عمرو أعْلَمَ[1] من شَفَته السفْلَى[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : فحدّثنى محمد بن عمرو بن عطاء بن عيّاش[3] بن علقمة ، أخو بنى عامر بن لؤىّ ، أنّ عمر بن الخطاب قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا رسولَ الله انتزع ثنيّتَىْ سُهَيْل بن عمرو. السّفْليَيْن يَدْلَعْ[4] لسانه ، فلا يقوم عليك خَطيبا فى موطنٍ أبداً ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : لاأمثّلُ به فيمثّل الله بى ، وإنْ كنت نبيًّا .

١٣٤٤/١

قال : وقد بلغنى أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لعمر فى هذا الحديث : إنّه عسى أن يقوم مقامًا لا تذمّه ؛ فلمّا قاولهم فيه مِكْرَز ، وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هات الذى لنا . قال : اجعلُوا رجلِى مكان رجْله ، وخلّوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه . قال : فخلّوْا سبيل سُهيل ، وحبسوا مِكرزًا مكانَه عنْدهم[5] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمّد بن إسحاق ، عن الكلبىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال للعبّاس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة : يا عبّاس ، افدِ نفسَك وابنىْ[6] أخيك عَقِيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث ، وحليفك عُتْبة بن عمرو بن جَحْدم ، أخابنى الحارث بن فهر ؛ فإنك ذو مال .

(١) الأعلم : المشقوق الشفة العليا ؛ وأما المشقوق الشفة السفلى ؛ فهو الأفلح .
(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٧٩ ، ٨٠ ، والأغانى ٤ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .
(٣) ط : « عباس » ، والصواب ما أثبته ، وانظر كتب التراجم .
(٤) يدلع : يخرج .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٠ .
(٦) الأغانى : « ابن » .

فقال : يا رسولَ الله ؛ إنّى كنتُ مُسْلِمًا ؛ ولكنّ القوم استكرهونى ، فقال : الله أعلم بإسلامك؛ إن يكن ما تذكر حقًّا فالله يجزِيك به ، فأمَّا ظاهرُ أمرك فقد كان علينا ، فافْدِ نفسَك — وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد أخذ منه عشرين أوقيَّة من ذهب — فقال العبَّاس : يا رسولَ الله ، احسبها لى فى فدائى ، قال: لا ؛ ذاك شىء أعطاناه الله عزّ وجلّ منك ، قال: فإنَّه ليس لى مال . قال : فأين المال الذى وضعتَه بمكة حيث خرجتَ من عند أم الفضل بنت الحارث ، ليس معكما أحد . ثم قلتَ لها : إن أصِبتُ فى سفرى هذا فللفضل كذا وكذا ، ولعبد الله كذا وكذا ، ولِقُثَم كذا وكذا ، ولعبيد الله كذا وكذا ! . قال : والّذى بعثَك بالحقّ ما علِمَ هذا أحد غيرى وغيرها ؛ وإنى لأعلم أنك رسول الله ، ففدَى العبَّاس نفسَه وابنى[1] أخيه وحليفَه[2] .

١٣٤٥/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفضل ، عن محمد ، قال : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : كان عمرو بن أبى سفيان بن حرب — وكان لابنة عُقْبة بن أبى مُعيْط — أسيرًا فى يدىْ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من أسارى بدر ، فقيل لأبى سفيان : افْدِ عَمْرًا ، قال : أيجمع علىّ دمى ومالى ! قتلوا حَنْظَلة وأفدى عمرا ! دَعُوه فى أيديهم يمسكوه ما بدا لهم . قال : فبينا هو كذلك محبوسٌ عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم ، خرج سعدُ بن النّعمان بن أكّال ، أخو بنى عمرو بن عوف ، ثم أحد بنى معاوية معتمرًا ، ومعه مُرَيَّة[3] له ؛ وكان شيخاً كبيرًا مسلما فى غنم له بالنقيع[4] ؛ فخرج من هنالك معتمراً ؛ ولا يخشى الذى صُنع به ؛ لم يظن أنه يُحْبس بمكَّة ؛ إنما جاء معتمراً ؛

(١) الأغانى: « وابن أخيه » .

(٢) الأغانى ٤ : ٢٠٧ .

(٣) مرية ، تصغير امرأة .

(٤) م : « البقيع » ، والصواب ما فى ط والسيرة ؛ والنقيع : موضع قرب المدينة ، والبقيع : موضع داخل المدينة ؛ والأول هو المراد .

وقد عَهِد قريشا لا تعترض لأحد حاجًّا أو معتمرًا إلاّ بخير ؛ فعدَا عليه ١٣٤٦/١
أبو سفيان بن حرب ، فحبسه بمكّة بابنه عمرو بن أبى سفيان ، ثم قال
أبو سفيان :

أَرَهْطَ ابْنِ أَكَّالٍ أَجِيبُوا دُعاءَه   تعاقدتم لا تُسْلِمُوا السَّيِّدَ الكَهلا[1]

فإنَّ بَنِى عَمْرٍو لئامٌ أَذِلّةٌ   لئن لم يَفُكُّوا عن أسيرِهِمُ الكَبْلاَ

قال : فمشى بنُو عمرو بن عوف إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛
فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيَهم عمرو بن أبى سفيان فيفكّوا شيخَهم ؛
ففعل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فبعثوا به إلى أبى سفيان ، فخلّى
سبيل سعد .

قال : وكان فى الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزّى بن
عبد شمس[2] ختَنُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، زوج ابنته زَيْنَب ، وكان
أبو العاص من رجال مكّة المعدودين مالا وأمانة وتجارةً ، وكان لهالَة بنت خُوَيْلد
[وكانت][3] خديجة خالته ، فسألت خديجة رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم
أن يزوّجه ؛ وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لا يخالفها ؛ وذلك قبل
أن ينزّل عليه ، فزوّجه ؛ فكانت تعدّه بمنزلة ولدها ؛ فلما أكرمَ الله عزّ وجل
رسولَه بنُبُوّته آمنت به خديجة وبناته ، فصدّقنهُ وشهِدْنَ[4] أنّ ما جاء
به هو الحقُّ ؛ ودِنّ بدينه ؛ وثبتَ أبو العاص على شِرْكه .

وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد زوَّج عتبة بن أبى لهب
إحدى ابنتيه رُقيّة أو أمّ كُلْثوم ؛ فلما بادى قريشًا بأمر الله عزّ وجلّ
وباعدوه[5] ، قالوا : إنكم قد فرّغتم محمّدًا من همّه ؛ فردوا عليه بناته ، فاشغلُوه
بهنّ ، فمشَوْا إلى أبى العاص بن الربيع ، فقالوا له : فارقْ صاحبتَك ؛ ونحن ١٣٤٧/١

---

(١) كذا فى السيرة ، و ، وفى ط : « تفاقدتم » .
(٢) قال ابن هشام : « أسره خراش بن الصمة ، أحد بنى حرام » .
(٣) من ابن هشام .
(٤) م : « وشهدت » .
(٥) ابن هشام : « بالعداوة » .

نزوّجك أيّ امرأة شئت من قريش ، قال : لا ها الله إذاً ؛ لاأفارق صاحبتي وما أحبّ أنّ لى بامرأتى امرأة من قريش ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يثني عليه فى صهْره خيرًا — فيما بلغنى .

قال : ثم مشوْا إلى الفاسق ابن الفاسق، عُتبة بن أبى لهب، فقالوا له: طلّق ابنةَ محمد ونحن نزوّجك أيّ امرأة من قريش شئت؛ فقال : إن زوّجتمونى ابنةَ أبان بن سعيد بن العاص ، أو ابنة سعيد بن العاص فارقتُها . فزوّجوه ابنة سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن عدوّ الله دخل بها ، فأخرجها الله من يده كرامة لها ، وهوانًا له ؛ فخلفَ عليها عثمان بن عفّان بعده ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لا يُحِلّ بمكّة ولا يحرم مغلوبًا على أمره ، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين أسلمت وبين أبى العاص بن الربيع ؛ إلاّ أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان لا يقدر على أن يفرّق بينهما ؛ فأقامت معه على إسلامهمْ وهو على شِرْكه ؛ حتى هاجر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا سارت قريش إلى بدْر سار فيهم أبو العاص بن الرّبيع ؛ فأصيب فى الأسارى يوم بدر ، وكان بالمدينة عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (١) .

حدّثنا ابنُ حُميد، قال : حدّثنا سَلَمة، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبّاد ، عن عائشة زوْج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قالت : لما بعث أهل مكة فى فِداء أُسَرَائهم ، بعثت زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى فداء أبى العاص ابن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتْها بها على أبى العاص حين بَنَى عليها . ١٣٤٨/١

قالت : فلمّا رآها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم رقّ لها رِقّةً شديدةً ، وقال : إن رأيتم أن تُطْلِقُوا لها أسيرَها وتَرُدّوا عليها الذى لها فافعلوا ! فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلَقُوه ورَدّوا عليها الذى لها .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٠ ، ٨١ .

وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد أخذَ عليه — أو وَعَدَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم — أن يخلّيَ سبيلَ زينب إليه، أو كان فيما شرَط عليه فى إطلاقه ؛ ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فيعلم ما هو ! إلاّ أنّه لما خرج أبو العاص إلى مكّة وخُلِّيَ سبيلُه، بعث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم زيدَ بن حارثة ورجلا من الأنصار مكانه ، فقال : كونا ببطن يأجَج ؛ حتى تمرَّ بكما زينب فتصحباها ،حتى تأتيانى بها ، فخرجا مكانهما ؛ وذلك بعد بدر بشهر أوشَيْعه[1]. فلما قدِم أبوالعاص مكّة أمرها باللحوق بأبيها ؛ فخرجت تجهّز[2].

فحدّثنا ابنُ حُميد قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق، قال: حدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : حُدّثت عن زينب أنّها قالت: بينا أنا أتجهّزُ بمكّة للّحوق بأبى، لقيتْنى هنْد بنت عُتْبة ، فقالت : أى ابنة محمد[3] ؛ ألم يَبْلغْنى أنّك تريدين اللحوق بأبيك ! قالت : فقلت : ما أردتُ ذلك ، قالت : أى ابنةَ عمى ، لا تفعلى ؛ إن كانت لكِ حاجة بمتاع مما يرفُق بك فى سفرك ، أو بمال تبلُغين[4] به إلى أبيك ، فإنّ عندى حاجتَك فلا تضطنِى[5] منّى ؛ فإنّه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال . قالت : ووالله ما أراها قالت ذلك إلاّ لتفعل . قالت : ولكنى خفتُها ، فأنكرتُ أن أكون أريد ذلك ، وتجهّزْت. ١٣٤٩/١

فلمّا فرغت ابنةُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من جِهازها قدّم لها حمُوها كِنانة بن الربيع أخو زوجها بعيرًا فركبتْه ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهارًا يقود بها، وهى فى هوْدج لها. وتحدّث بذلك رجال قريش،

---

(١) شيعه : قريب منه .

(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٨١ .

(٣) سيرة ابن هشام : « يا بنت محمد » .

(٤) سيرة ابن هشام : « تتبلغين » .

(٥) لا تضطنى : لا تستحى ، وأصله الهمز؛ يقال : اضطأنت المرأة : استحيت ؛ فحذفت الهمزة تخفيفاً .

فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طَوًى ، فكان أوّل مَنْ سبق إليها هَبَّار بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزّى ونافع بن عبد القيس ، والفهرىّ[١] . فروّعها هبّار بالرّمح وهى فى هودجها — وكانت المرأة حاملا ، فيما يزعمون — فلمّا رجعَت طرحَتْ ذا بطنها ، وبرك حَمُوها ، ونثر كنانته ثم قال : والله لا يدنُو منى رجُلٌ إلاّ وضعت فيه سهما ، فتكركر[٢] النّاس عنه ، وأتاه أبو سفيان فى جِلّة قريش ، فقال : أيّها الرجل ، كفّ عنا نَبْلَك حتى نكلّمك ، فكفّ . فأقبل أبو سفيان حتّى وقف عليه ، فقال : إنّك لم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رءوس الرّجال علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتَنا وما دخل علينا من محمّد ، فيظنّ النّاس إذا خرج بابنته علانيةً من بين أظهُرنا أنّ ذلك عن ذلّ أصابنا عن مصيبتنا ، ونكبتنا التى كانت ، وأنّ ذلك منّا ضعفٌ ووَهَنٌ ؛ لَعَمْرِى ما لنا حاجة فى حبسها عن أبيها ، ومالنا فى ذلك من ثؤْرة[٣] ؛ ولكن أرجع المرأة ، فإذا هدأ الصوت ، وتحدّث النّاس أنا قد رددناها ، فسُلَّها سرًّا فألحِقْها بأبيها[٤] . ففعل حتى إذا هدأ الصوتُ خرج بها ليلا ؛ حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحِبه ، فقدِما بها على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

١/١٣٥٠

قال : فأقام أبو العاص بمكّة ، وأقامت زينبُ عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة ، قد فرّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قُبَيْل الفتح خرج تاجرًا إلى الشأم — وكان رجلا مأمونا بمال له ، وأموال رجال من قريش أبضعوها معه — فلما فرغ من تجارته — وأقبل قافلاً ؛ لقِيتْه سريّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هربًا ، فلما قدِمت السريّة بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل ؛ حتى دخل على زينب بنت رسول الله

---

(١) ط : « الفهرى » ؛ . وما أثبته من الروض الأنف . قال السهيلى : « قال : وسبق إليها هبار بن الأسود ، والفهرى ، ولم يسم ابن إسحاق الفهرى ، وقال ابن هشام : هو نافع بن عبد قيس ، وفى غير السيرة أنه خالد بن عبد قيس » .

(٢) تكركر الناس عنه : رجعوا وانصرفوا .

(٣) الثؤرة : طلب الثأر .

(٤) م : « بأهلها » .

صلّى الله عليه وسلم ، فاستجار بها ، فأجارته فى طلب ماله ، فلمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبْح – فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كما حدّثنى يزيد بن رومان – فكبَّر وكبَّر الناس معه ، صرخت زينب من صُفَّة[١] النساء : أيها الناس ، إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع. فلما سلَّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم من الصلاة ، أقبل على النّاس، فقال: أيّها النَّاس ، هل سمعتم ما سمعت ! قالوا : نعم ، قال : أما والّذى نفس محمد بيده ، ما علمت بشىء كان حتى سمعت منه ما سمعتم ؛ إنه يجير على المسلمين أدناهم . ثم انصرف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فدخل على ابنته ، فقال : أى بنيّة أكرمى مثواه ولا يخلُصْ إليك ، فإنك لا تَحِلّين له[٢].

١٣٥١/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلَّم بعث إلى السريَّة الذين أصابوا مال أبى العاص ، فقال لهم : إنّ هذا الرّجل منّا حيث قد علمتم ، وقد أصبْتم له مالاً ، فإن تُحسنوا تردّوا عليه الذى له ؛ فإنا نحبّ ذلك ؛ وإن أبيتم فهو فىْء الله الذى أفاءه عليكم ؛ فأنتم أحقّ به . قالوا : يا رسولَ الله ، بل نردّه عليه !

قال : فردّوا عليه مالَه حتى إنّ الرجلَ ليأتى بالحبْل[٣] ، ويأتى الرجل بالشَّنة[٤] والإداوة[٥] ، حتى إنّ أحدهم ليأتى بالشِّظاظ[٦] ؛ حتى رَدّوا عليه ماله بأسره ؛ لا يفقد منه شيئًا . ثم احتَمل إلى مكّة ، فأدّى إلى كلّ ذى مال من قريش

---

(١) الصفة : السقيفة .

(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٨٢ ، ٨٣

(٣) ابن هشام : « الدلو » .

(٤) الشنة : السقاء البالى .

(٥) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٦) الشظاظ : خشبة عقفاء تدخل فى عروة الجوالق ، والجمع أشظة .

ماله ممن كان أبْضَع معه، ثم قال : يا معشرَ قريش؛ هل بَقِي لأحد منكم عندى مال لم يأخذه؟ قالوا : لا فجزاك الله خيرًا؛ فقد وجدناك وفيًّا كريماً ، قال : فإنى أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله؛ والله ما منعنى من الإسلام عنده إلاّ تخوُّفُ أن تظنوا أنّى إنما أردت أكلَ أموالكم ؛ فلما أدّاها الله إليكم ، وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[١] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى داود بن الحُصين ، عن عِكْرِمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ردّ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زينب بالنِّكاح الأول ، ولم يُحْدِثْ شيئًا بعد ستّ سنين[١] .

* * *

١٣٥٢/١ حدّثنا ابن حُمَيد، قال حدّثنا سلمة بن الفضل، قال : قال محمّد بن إسحاق ، حدّثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، قال : جلس عُمَير بن وهب الجُمحىّ مع صفوان بن أميَّة بعد مصاب أهل بدْر من قريش بيسير فى الحِجْر — وكان عُمير بن وهب شيطانًا من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذِى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، ويلْقَوْن منه عناء وهم بمكّة ، وكان ابنُه وهب بن عمير فى أسارَى بَدْر — فذكر أصحاب القَلِيب ومصابهم ، فقال صفوان : والله إنْ فى العيش خير بعدهم ، فقال عُمَيْر : صدقت والله ! أما والله لولا دَيْن علىّ ليس له عندى قضاء وعيالٌ أخْشى عليهم الضَّيْعة بعدى ، لركبت إلى محمّد حتى أقتله ، فإنّ لى قِبَلهم علّةً ، ابنى أسيرٌ فى أيديهم .

فاغتنمها صفوان بن أمية ، فقال : علىّ دينُك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى أواسِيهم ما بقُوا ، لا يَسعُنى شىء ويعجز عنهم ، قال عمير : فاكتُم علىّ شأنى وشأنك : قال : أفعل .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٣ .

قال : ثمّ إنّ عميرًا أمر بسيفه فشُحِذ له وسُمّ ، ثم انطلق حتى قدِم المدينة ، فبينا عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين فى المسجد يتحدّثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله عزّ وجلّ به ، وما أراهم فى عدُوّهم ؛ إذ نظر عمر إلى عُمير بن وهب حين أناخ بعيره على باب المسجد ، متوشّحًا السيف ، فقال : هذا الكلب عدُوّ الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشرّ ! وهو الذى حرّش[1] بيننا ، وحزَرَنا[2] للقوم يوم بدر . ثمّ دخل عمر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا نبىّ الله ، هذا عدوّ الله عُمير بن وهب قد جاء متوشّحًا سيفه ، قال : فأدْخِله علىّ .

١٣٥٣/١

قال : فأقبل عُمَر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه ، فلبّبه بها ، وقال لرجال ممّن كان معه من الأنصار : ادخُلوا على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

فلمّا رآه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وعمر آخذ بحمالة سيفه ، قال : أرسلْه يا عمر ، ادْنُ يا عمير ، فدَنا ثم قال : أنعِمُوا صبَاحًا — وكانت تحيّة أهل الجاهليّة بينهم — فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : قد أكرمنا الله بتحيّة خير من تحيّتك يا عمير ؛ بالسّلام تحيّة أهلِ الجنّة ، قال : أما والله يا محمد إن كنْتَ لحديث عَهد بها . قال : ما جاء بك يا عُمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : فما بالُ السّيْف فى عنقك ! قال : قَبحها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئاً ! قال : اصدُقْنى بالذى جئتَ له ، قال : ما جئت إلاّ لذلك ، فقال : بلى ، قعدتَ أنت وصفوان بن أمية فى الحِجْر ، فذكرتما أصحاب القَليب من قريش ، ثم قلت : لولا دَيْن علىّ وعيالى لخرجتُ حتى أقتُلَ محمداً ، فتحمّل لك صفوان بدينِك وعيالك ، على أن تقتلنى له . والله عزّ وجلّ حائلٌ بينى وبينك . فقال عمير : أشهدُ أنك رسول الله ؛ قد كنّا يا رسولَ الله نكذّبك بما كنت

١٣٥٤/١

---

(١) حرش : أفسد .

(٢) الحزر : تقدير العدد تحمينه .

تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحى ؛ وهذا أمرٌ لم يَحضره إلاّ أنا وصفوان ؛ فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ؛ فالحمد لله الّذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المساق . ثم تشهّدَ شهادة الحقّ ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فَقّهُوا أخاكم فى دينه ، وأقرئوه وعَلّموه القرآن ، وأطلقوا له أسيرَه .

قال : فَفَعَلُوا ، ثم قال : يا رسول الله : إنى كنت جَاهِدًا فى إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ؛ وإنّى أحبّ أن تأذن لى فأقدَم مكّة فأدعُوهم إلى الله وإلى الإسلام ؛ لعلّ الله أن يهديَهم ! وإلا آذيتُهم فى دينهم كما كنتُ أوذِى أصحابك فى دينهم .

قال : فأذن له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلحق بمكّة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول لقريش : أبشروا بوقْعَةٍ تأتيكم الآن فى أيام تنْسيكم وقْعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ؛ حتى قَدِم راكبٌ فأخبره بإسلامه ، فحلف ألاّ يكلّمه أبدًا ولا ينفعه بنفع أبدًا . فلما قدم عُمير مكّة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذى مَنْ خالفه أذًى شديدًا فأسلم على يديه أناس كثير[1] .

* * *

فلما انقضى أمرُ بدر ، أنزل الله عزّ وجلّ فيه من القرآن الأنفال بأسْرِها . حدّثنا أحمدُ بن منصور ، قال : حدّثنا عاصم بن علىّ ، قال : حدّثنا عِكْرمة بن عمار ، قال : حدّثنا أبو زُمَيْل ، قال : حدّثنى عبد الله بن عباس ؛ حدّثنى عُمر بن الخطاب ، قال : لمّا كان يوم بدر التقوْا ، فهزم الله المشركين ، فقتِل منهم سبعون رجلا ، وأسِرَ سبعون رجلا ، فلمّا كان يومئذ شاوَرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبا بكر وعليًّا وعمر ، فقال أبو بكر : يا نَبِىَّ الله ، هؤلاء بنو العمّ والعشيرة والإخوان ؛ فإنى أرَى أن تأخذ منهم الفِدْيَة ؛ فيكون ما أخذنا منهم قوّة ، وعسى الله أن يهديَهم ، ١٣٥٥/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٤ .

فيكونوا لنا عَضُدًا . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ما ترى يا بن الخطاب ؟ قال : قلتُ :لا والله ، ما أرى الذى رأى أبو بكر ،ولكنى أرى أن تمكِّننى من فلان فأضربَ عنقه ، وتمكِّن حمزة من أخ له فيضرب عنقه ، وتمكِّن عليًّا من عَقيل فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس فى قلوبنا هَوَادَة للكفَّار ؛ هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم .

قال : فهوى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ما قال أبو بكر ، ولم يَهْوَ ما قلت أنا ، فأخذ منهم الفِداء ، فلمَّا كان الغدُ قال عمر : غدوتُ إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم وهو قاعِدٌ وأبو بكر ، وإذا هما يبكيان ، قال : قلت : يا رسول الله أخبِرْنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ ، وإن لم أجِدْ تباكيتُ لبُكائكما . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: للَّذِى عرض علىّ أصحابُك من الفداء . لقد عُرِض علىّ عذابُكم أدْنى من هذه الشجرة – لشجرة قريبة – وأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِى الْأَرْضِ﴾ إلى قوله : ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1] ؛ ثم أحلّ لهم الغنائم .

فلمَّا كان من العام القابل فى أحُد عُوقِبُوا بما صنعوا ، قُتِل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعون ، وأسر سبعون ، وكسرت رباعِيَتُه وهُشِمَت البَيْضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، وفرّ أصحابُ النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وصعدوا الجبل ، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية : ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ إلى قوله : ﴿إن اللَّهَ عَلَى كلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] ، ونزلت هذه الآية الأخرى : ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يدْعُوكُمْ فى أُخْرَاكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿منْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً﴾[3].

١٣٥٦/١

(١) سورة الأنفال ٦٧

(٢) سورة آل عمران ١٦٥

(٣) سورة آل عمران ١٥٣ ، ١٥٤

حدّثنى سلم بن جُنادة ، قال : حدّثنا أبو معاوية ، قال : حدّثنا الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لمّا كان يوم بدْر ، وجىء بالأسرى ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسولَ الله ، قومُك وأهلُك ، استبْقِهم واستأنِهم ؛ لعلّ الله أن يتوبَ عليهم . وقال عُمَر : يا رسولَ الله كذّبوك وأخرجوك ، قدّمهم فضرّبْ أعناقهم . وقال عبدُ الله بن رَواحة : يا رسول الله ، انظر وَادِيًا كثير الحطب فأدْخِلْهم فيه ، ثم أضْرِمه عليهم نارًا . قال : فقال له العبّاس : قطعتْك رحِمك ! قال : فسكت رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فلم يُجِبهُم ، ثم دخل ، فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ، ثم خرج عليهم رسول الله ، فقال : إنّ الله عزّ وجلّ ليلين ُ قلوبَ رجال فيه حتى تكون ألْيَنَ من اللّبن[1] ، وإنّ الله ليشدّد قلوب رجال فيه حتى تكون أشدَّ من الحجارة ، وإنّ مثلك يا أبا بكر مثلُ إبراهيم ، قال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فإنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2] ، ومثلك يا أبا بكر ، مثل عيسى ، قال : ﴿ إنْ تُعذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ وَإنْ تَغفِرْ لَهُمْ فإنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[3] ومثلك يا عمر مثل نوح ، قال : ﴿ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾[4] ، ومثلك كمثل موسى ، قال : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾[5] . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم عَالَةٌ فلا يفلتنّ منهم أحدٌ إلا بفِداء أو ضرب عُنق ؛ قال عبد الله بن مسعود : إلا سُهَيْل ابن بَيْضاء ؛ فإنى سمعته يذكر الإسلام . فسكتَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ،

١/١٣٥٧

(١) م : « اللين » .
(٢) سورة إبراهيم ٣٦
(٣) سورة المائدة ١١٨
(٤) سورة نوح ٢٦
(٥) سورة يونس ٨٨

فما رأيتُنى فى يوم أخوف أن تقع علىَّ الحجارة من السماء منِّى فى ذلك اليوم ؛ حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إلاَّ سهيل بن بيضاء » قال : فأنزل الله عزّ وجلّ :﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِى الْأَرْضِ . . . ﴾ إلى آخر الآيات الثلاث .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلمة ، قال: قال محمد بن اسحاق : لما نزلت – يعنى هذه الآية :﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾، قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: لو نزل عَذَابٌ من السَّمَاء لم يَنْجُ منه إلاّ سعد بن معاذ ، لقوله: يا نبىَّ الله ، كان الإثْخَانُ فى القتل أحبَّ إلىَّ من استبقاء الرجال .

* * *

قال أبو جعفر : وكان جميعُ مَنْ شهد بدرًا من المهاجرين ، ومن ضَرَب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجْرِه ثلاثةً وثمانين رجلاً فى قول ابن إسحاق .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة، عنه: وجميع من شهد من الأوْس معه ومن ضَرَب له بسهمه واحدٌ وستون رجلا . وجميع مَنْ شهِد معه من الخزرج مائةٍ وسبعون رجلا فى قول ابن إسحاق ، وجميعُ مَن استشهد من المسلمين يومئذ أربعةَ عشر رجلا ،ستَّة من المهاجرين وثمانية من الأنصار . ١٣٥٨/١

وكان المشركون – فيما زعم الواقدى – تسعمائة وخمسين مقاتلا ؛ وكانت خيلهم مائة فرس .

ورَدَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذ جماعة استصغرهم – فيما زعم الواقدى – فنهم فيما زعم عبدُالله بن عمر ، ورافع بن خَدِيج ، والبَرَاءُ ابن عازب ، وزيد بن ثابت، وأسَيْد بن ظُهَيْر ،وعُمَير بن أبى وقاص ثم أجاز عميرًا بعد أن رَدّه فقتل يومئذ .

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد بعث قبل أن يخرج من المدينة طَلْحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفَيل، إلى طريق الشأم يتحسّسان الأخبار عن العِير ، ثم رجعا إلى المدينة ، فَقَدِماها يوم وقْعَة بدر ، فاستقبلا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بتُرْبَان ؛ وهو منحدرٌ من بدر يريد المدينة .

* * *

قال الواقديّ : كان خروج رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من المدينة فى ثلثمائة رجل وخمسة ، وكان المهاجرون أربعةً وسبعين رجلا ، وسائرهم من الأنصار ، وضرب لثمانية بأجورهم وسُهمانهم : ثلاثة من المهاجرين ؛ أحدهم عثمان بن عفان كان تخلّف على ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت ، وطَلْحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ، كان بَعَثهما يتحسّسان الخبر عن العِير ، وخمسة من الأنصار : أبو لُبابة بشير بن عبد المنذر ؛ خلّفه على المدينة ، وعاصم بن عديّ بن العجلان ؛ خلّفه على العالية ، والحارث بن حاطب ؛ ردّه من الرَّوْحاء إلى بنى عمرو بن عوف لشىء بلغه عنهم ، والحارث ابن الصِّمة ؛ كُسِرَ بالرَّوْحاء ، وهو من بنى مالك بن النجّار ، وخَوَّاتُ بن جُبَيْر ، كسر من بنى عمرو بن عوف . قال : وكانت الإبل سبعين بعيراً ، والخيل فرسيْن : فرس للمِقْداد بن عمرو ، وفرس لمرثَد بن أبى مَرْثَد .

١/١٣٥٩

* * *

قال أبو جعفر : وروى عن ابن سعد ، عن محمّد بن عمر ، عن محمد بن هلال ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : ورئِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثر المشركين يوم بدر مُصْلِتًا السَّيْفَ ، يتلو هذه الآية : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾[1] .

قال : وفى غزوة بدر انتفَل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفَه ذا الفَقَار ،

---

(١) سورة القمر ٤٥ .

وكان لمُنَبِّه بن الحجَّاج .

قال : وفيها غنم جَمَلَ أبي جَهْل؛ وكان مَهْرِيًّا يغزو عليه ويضرب في لِقاحه .

* * *

قال أبو جعفر : ثم أقام رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالمدينة ، مُنْصَرَفه من بدر ، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودَها ؛ على أن لا يُعِينوا عليه أحدًا ؛ وأنَّه إن دَهمَه بها عَدوٌّ نصروه . فلمَّا قَتَل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مَنْ قتل ببدر من مشركي قريش ، أظهروا له الحسدَ والبغي ، وقالوا : لم يلق محمدٌ من يُحْسِنُ القتال ؛ ولو لقينَا لاقى عندنا قتالاً لا يشبهه قتال أحد ؛ وأظْهَرُوا نقْضَ العهد .

* * *

غزوة بني قَيْنُقاع

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمَّد بن إسحاق ، قال : كان من أمر بني قينُقاع ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم جمعهم ١٣٦٠/١ بسوق بني قَيْنُقَاع ، ثم قال : يا معشر اليهود، احذَرُوا من الله عزّ وجلّ مثل ما نزل بقريش من النِّقْمة ، وأسلموا ؛ فإنّكم قد عرفتم أني نبيٌّ مُرْسَلٌ تجدون ذلك في كتابكم ؛ وفي عهد الله إليكم . قالوا : يا محمَّد ؛ إنَّك ترى أنا كقومك! لا يغرّنَّك أنك لقيت قومًا لا علْم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة؛ إنا والله لئن حاربتنا لتعلمَنّ أنَّا نحن الناس[1] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمَّد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ بني قينُقاع كانوا أوّلَ يهود نقضوا ما بينهم وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم ، وحاربوا فيما بين بدر وأُحد .

فحدّثني الحارث، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر :

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٢٠ .

عن محمد بن عبد الله ، عن الزهرىّ ، أنّ غزوة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلِم بنى القينـُقاع كانت فى شوّال من السنة الثانية من الهجرة .

قال الزهرىّ عن عروة : نزلَ جبريلُ على رسول الله صلى الله عليهما وسلم بهذه الآية : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾[١] ، فلما فرغ جبريل عليه السلام من هذه الآية ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنى أخاف من بنى قينـُقاع ، قال عروة : فسار إليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بهذه الآية .

قال الواقدىّ : وحدّثنى محمّد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حاصرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خمسَ عشرةَ ليلة لا يطلُع منهم أحد. ثم نزلوا على حكْم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكُتـِفوا وهو يريد قتلهم ، فكلّمه فيهم عبد الله بن أبىّ .

* * *

١٣٦٠/١ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصرَهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبىّ بن سَلُول حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمّد ، أحْسنْ فى موالىّ — وكانوا حلفاء الخزرج — فأبطأ عليه النبىّ صلى الله عليه وسلّم فقال : يا محمّد ، أحسِنْ فى موالىّ ، فأعرض عنه النبىّ صلى الله عليه وسلّم . قال : فأدخل يده فى جَيْب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : أرسلنى ، وغضب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى رأوْا فى وجههِ ظلالاً[٢] — يعنى تلوّنا — ثم قال : ويحك أرسِلنى ! قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن إلى موالىّ . أربعمائة حاسر و ثلثمائة دارع قد منعونى من الأسود والأحمر ؛ تحصدهم فى غداة واحدة ! وإنى والله لا آمنُ وأخشى الدوائر . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : هُمْ لك[٣] .

---

(١) سورة الأنفال ٥٨ .

(٢) ابن هشام « ظللا » ، وهما جمع ظلة ، وهى السحابة ، استعارها لتغير الوجه عند الغضب .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ ، ١٢١ .

قال أبو جعفر : وقال محمَّد بن عمر فى حديثه عن محمَّد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم : خلّوهم لعنهم الله ولعنه معهم ! فأرسلوهم . ثم أمر بإجلائهم ، وغنَّم الله عزّ وجلّ رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال — ولم تكن لهم أرضون ؛ إنَّما كانوا صاغةً — فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلّم لهم سلاحًا كثيرًا وآلة صياغتهم ؛ وكان الذى وَلِىَ إخراجَهم من المدينة بذراريِّهم عُبادة بن الصامت ، فمضى بهم حتى بلغ بهم دِباب[1] ؛ وهو يقول : الشرف الأبعد ، الأقصى فالأقصى ! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر .

١٣٦٢/١

* * *

قال أبو جعفر : وفيها كان أوّل خُمسٍ خَمَسَهُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى الإسلام ؛ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صَفِيَّهُ[2] والخُمُسَ وسهمه ، وفَضَّ[3] أربعة أخماس على أصحابه ، فكان أول خُمسٍ قَبَضه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم . وكان لِوَاء رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوم بنى قينُقاع لواءً أبيض ، مع حمزة بن عبد المطَّلب ، ولم تكن يومئذ رايات . ثم انصرف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة ، وحضرت الأضحى ؛ فذُكِر أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ضحَّى وأهل اليُسْر من أصحابه ، يوم العاشر من ذى الحجة ، وخرج بالنَّاس إلى المصلَّى فصلَّى بهم ، فذلك أوّلُ صلاة صلَّى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالناس بالمدينة بالمصلَّى فى عيد ، وذبح فيه بالمصلَّى بيده شاتيْن — وقيل ذبح شاة .

قال الواقدىّ : حدّثنى محمد بن الفضل ، من ولد رافع بن خَديج ، عن أبى مُبشِّر ، قال : سمعتُ جابرَ بنَ عبد الله ، يقول : لما رجعْنا من بنى قينُقاع ضحَّينا فى ذى الحجَّة صَبيحة عشر ، وكان أوّل أضحى رآه

(١) ط : « ذباب » ، وانظر الفهرس وياقوت . (٢) الصفى : سهم الرئيس من الغنيمة .
(٣) يقال : فض الشىء على القوم ؛ أى فرقه وقسمه عليهم .

المسلمون ، وذبحنا فى بنى سلِمة فَعُدَّتْ فى بنى سلَمة سبع عشرة أضْحِية .

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا ابن إسحاق فلم يُوَقِّتْ لغزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التى غزَاها بنى قَيْنُقاع وقتًا ، غير أنه قال : كان ذلك بين غزوة السَّوِيق وخروج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من المدينة يريد غَزْوَ قريش ؛ حتى بلغ بنى سُلَيم وبَحْرَانَ ، مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الفُرُع[١] .

١٣٦٣/١ وأما بعضُهم ، فإنه قال : كان بين غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلم بدرًا الأولى وغزوة بنى قينُقاع ثلاث غزوات وسريَّة أسْراها . وزعم أن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم إنّما غزاهم لتسع ليالٍ خَلَوْن من صَفَر من سنة ثلاث من الهجرة ، وأنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم غزا بعد ما انصرف من بدر ، وكان رجوعه إلى المدينة يوم الأربعاء لثمانىَ ليالٍ بقِينَ من رمضان ، وأنه أقام بها بقيَّة رمضان . ثم غزا قَرْقَرة الكُدْر حينَ بلغه اجتماع بنى سُلَيْم وغطفان ؛ فخرج من المدينة يوم الجمعة بعد ما ارتفعت الشمس ، غُرَّةَ شوّال من السنة الثانية من الهجرة إليها .

وأما ابنُ حميد ، فحدّثنا عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : لما قدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من بدر إلى المدينة ، وكان فراغه من بدر فى عقب شهر رمضان — أو فى أول شوّال — لم يقِمْ بالمدينة إلاّ سبع ليال ؛ حتى غزا بنفسه يريد بنى سُلَيم ، حتى بلغ ماء من مياههم ؛ يقال له الكُدْر ، فأقام عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيْدًا ، فأقام بها بقيَّة شوّال وذا القعدة ، وفدى فى إقامته تلك جُلّ الأسارى من قريش[٢] .

وأما الواقدىّ ، فزعم أنّ غزوة النبىّ صلى الله عليه وسلّم الكُدْر كانت فى المحرّم من سنة ثلاث من الهجرة ، وأنّ لواءه كان يحمله فيها علىّ بن

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .

أبى طالب ؛ وأنه استخلف فيها ابنَ أمّ مكتوم المَعيصيّ على المدينة .

وقال بعضهم : لمّا رجع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من غزوة الكُدْر إلى المدينة ، وقد ساق النّعم والرِّعاء ولم يلق كيداً . وكان قدومه منها — فيما ١٣٦٤/١ زعم — لعشر خلَوْن من شوّال ، بعث غالب بن عبد الله الليثيّ يوم الأحد لعشر ليال مضيْن من شوّال إلى بنى سليم وغطفان فى سَريّة ، فقتلوا فيهم ، وأخذوا النّعم ، وانصرفوا إلى المدينة بالغنيمة يوم السبت ، لأربع عشرة ليلة بقيتْ من شوّال ، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ، وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أقام بالمدينة إلى ذى الحجّة ، وإنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم غزا يوم الأحد لسبع ليال بقينَ من ذى الحجّة غزوة السَّويق .

* * *

غزوة السَّويق

قال أبو جعفر : وأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال فى ذلك ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق، قال : لمّا رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من غزوة الكُدْر إلى المدينة ، أقام بها بقيّة شوّال من سنة اثنتين من الهجرة، وذا القعدة . ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السَّويق فى ذى الحجّة . قال : ووَليَ تلك الحجّة المشركون من تلك السَّنة[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رُومان ومَنْ لا أتّهم ، عن عبيد الله ابن كعب بن مالك — وكان من أعلم الأنصار — قال : كان أبو سفيان بن حرب حين رجع إلى مكّة ، ورجع فَلُّ[٢] قريش إلى مكّة من بدر ، نَذَرَ ألاّ يمسّ رأسه ماء من جَنابة حتى يغزُوَ محمداً . فخرج فى مائتى راكب ١٣٦٥/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .
(٢) الفلّ : القوم المنهزمون .

من قريش ، ليُبِرّ يمينه ، فسلك النّجديّة حتى نزل بصدور قَناة إلى جبل يقال له تَيْت ، من المدينة على بريد أو نحوه . ثم خرج من اللّيل حتى أتى بنى النّضير تحت اللّيل ، فأتى حُيَيّ بن أخطب ، فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه ، فأبى فانصرف إلى سلاّم بن مِشْكم — وكان سيد النّضير فى زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم[1]— فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه ، وبَطَن[2] له خبر الناس ، ثم خرج فى عَقِب ليلته ؛ حتى جاء أصحابه ، فبعث رجالا من قُريش إلى المدينة ، فأتوْا ناحية منها يقال لها العُرَيْض ، فحرّقوا فى أصوار[3] من نخل لها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفًا له فى حَرْث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ؛ ونَذِرَ بهم الناس ، فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم فى طلبهم ، حتى بلغ قرقرة الكُدْر ، ثم انصرف راجعًا ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه ، وقد رأوا من مزاود القوم ما قد طرحوه فى الحرث ؛ يتخفّفون منه للنّجاة . فقال المسلمون حين رجع بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أنطمع أن تكون لنا غزوة ؟ قال : نعم[4] .

* * *

وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهّز خارجًا من مكة إلى المدينة أبياتًا من شعر يُحرّضُ قريشًا :

١٣٦٦/١

كُرُّوا على يَثْرِبٍ وجَمْعِهِمُ ... فإنَّ ما جمَّعوا لكُمْ نفَلُ
إنْ يكُ يومُ القَليبِ كان لهُمْ ... فإنَّ ما بعده لكُم دُوَلُ
آلَيْتُ لا أقْرَبُ النِّساءَ ولا ... يَمَسُّ رأسى وجِلْدىَ الغُسُلُ
حتَّى تُبيرُوا قبائلَ الأَوس والْـ ... خَزْرج ، إنَّ الفُؤادَ مُشْتَعِلُ

فأجابه كعب بن مالك :

تَلْهَفُ أُمُّ المسَبِّحينَ على ... جيْش ابن حرْبٍ بالْحرَّةِ الْفَشِلِ
إذ يطرَحُونَ الرِّجالَ منْ سَئِمَ الطَّـ ... ـير ترقَّى لقُنَّة الْجَبَلِ

(١) الكنز هنا : ما كان يجمعون من أموال يحفظونها لمهماتهم ونوائبهم .
(٢) بطن له ، أى أعلمه سرهم .
(٣) الأصوار : جمع صور ؛ وهو النخل مجتمعة .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩

جاءوا بجمعٍ لو قيسَ مبرَكهُ ما كان إلّا كمَفْحَصِ الدُّئِلِ[1]

عارٍ منَ النَّصْر والثَّراء ومن أبطَال أهل البَطْحاء والأسَل

وأما الواقديّ فزعم أنّ غزوة السّويق كانت فى ذى القَعدة من سنة اثنتين من الهجرة . وقال : خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم فى مائتى رجل من أصحابه من المهاجرين والأنصار . ثم ذكر من قصّة أبى سفيان نحوًا مما ذكره ابن إسحاق، غيرَ أنه قال : فمرّ — يعنى أبا سفيان — بالعُرَيْض، برجل معه أجير له يقال له مَعْبَد بن عمرو، فقتلهما وحرّق أبياتًا هناك وتبنًا، ورأى أنّ يمينه قد حُلَّت ، وجاء الصريخ إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فاستنفر الناس ، فخرجوا فى أثره فأعجزهم . قال : وكان أبو سفيان وأصحابه يلقُون جُرُب الدقيق ويتخفّفون ، وكان ذلك عامّة زادهم ؛ فلذلك سُمِّيت غزوة السّويق .

١٣٦٧/١

وقال الواقدىّ: واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلّم على المدينة أبا لبابة ابن عبد المنذر.

* * *

قال أبو جعفر : ومات فى هذه السنة — أعنى سنة اثنتين من الهجرة — فى ذى الحجّة عثمان بن مظعون ، فدفنَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع ، وجعل عند رأسه حَجَرًا علامة لقبره .

وقيل : إنّ الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام وُلد فى هذه السنة .

قال أبو جعفر : وأما الواقدىّ ، فإنّه زعم أنّ ابن أبى سَبْرة حدّثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبى جعفر ، أن علىّ بن أبى طالب عليه السلام بنَى

---

(١) البيت فى اللسان (دأل) ، وروايته :

جَاءوا بِجَيْشٍ لَوْ قِيسَ مُعرَسُه مَا كَانَ إلّا كَمُعْرَس الدُّئِلِ

بفاطمة عليها السّلام فى ذى الحجّة ، على رأس اثنين وعشرين شهرا .

قال أبو جعفر : فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل .

وقيل : إنّ فى هذه السّنة كتب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المَعَاقِل[1] فكان معلّقًا بسيفه .

(١) المعاقل : جمع معقلة ، بضم القاف ؛ وهى الدية .

ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة

[غزوة ذى أمَر]

فحدّثنا ابن حميد ، قال حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السَّويق ، أقام بالمدينة بقيَّة ذى الحجَّة والمحرّم ، أو قريبًا منه ، ثم غزا نجدا يريد غَطَفان ؛ وهى غزوة ذى أمَر ، فأقام بنجد صَفَرًا كلَّه أو قريبًا من ذلك . ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيدًا ، فلبث بها شهر ربيع الأوّل كلَّه إلاّ قليلا منه . ١٣٦٨/١

ثم غزا يريد قريشًا وبنى سُلَيْم ، حتى بلغ بَحْران (مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الفُرُع) فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيدا[1] .

* * *

خبر كَعب بن الأشْرَف

قال أبو جعفر : وفى هذه السَّنة سَرّى النبى صلى الله عليه وسلم سريَّة إلى كعب بن الأشرف ؛ فزعم الواقدىّ أن النبىّ وجَّه مَن وجَّه إليه فى شهر ربيع الأوّل من هذه السنة .

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان من حديث ابنِ الأشرف أنَّه لمَّا أصيب أصحاب بدر ، وَقَدِمَ زيد بن حارثة إلى أهل السَّافلة وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية[2] بَشِيرَيْنِ ، بعثهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم إلى مَن بالمدينة من المسلمين بفتح الله عزّ وجلّ عليه وقتْل مَنْ قُتِل من المشركين ؛ كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن المغيث ابن أبى بُرْدة بن أسير الظَّفَرِىّ ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبى أمامة بن سهل ، قال : كلٌّ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .

(٢) العالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهو السافلة .

قد حدثني بعض حديثه، قال: قال كعب بن الأشرف – وكان رجلاً من طيئ، ثم أحد بني نبهان، وكانت أمه من بني النضير، فقال حين بلغه الخبر: ويلكم أحقٌّ هذا! أترون أنّ محمداً قتل هؤلاء الّذين يسمّي هذان الرجلان – يعني زيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة؟ وهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس. والله لئن كان محمّد أصاب هؤلاء القوم لبطنُ الأرض خيرٌ لنا من ظهرها[1].

١٣٦٩/١

فلما تيقّن عدوُّ الله الخبر، خرج حتّى قدم مكّة، فنزل على المطّلب بن أبي وَداعة بن ضُبَيْرة السّهميّ، وعنده عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، فأنزلته وأكرمته؛ وجعل يحرّض على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وينشد الأشعار، ويبكي على أصحاب القليب الذين أصيبوا ببدر من قريش. ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة، فشبّب بأمّ الفضل بنت الحارث، فقال:

أراحلٌ أنتَ لم تَحْلُل بمَنقبةٍ ... وتاركٌ أنت أمَّ الفضل بالحَرَمِ!

صفراءُ رادعةٌ لو تُعْصَرُ انْعَصرت ... منْ ذي القوارير والحنّاء والكَتَم

يرْتَجُّ ما بين كعبيْها ومِرْفقها ... إذا تأتّتْ قياماً ثم لم تَقُم

أشباهُ أمِّ حكيمٍ إذْ تُواصِلُنا ... والحبْلُ منها مَتينٌ غيرُ مُنْجَذِم

إحْدَى بني عامرٍ جُنّ الفُؤادُ بها ... ولو تشاءُ شفَتْ كَعْباً من السَّقم

فرعُ النِّساء وفرعُ القومِ والدُها ... أهلُ التَّحِلَّةِ والإيفاء بالذِّمَم

لم أرَ شَمساً بليْلٍ قبلها طلَعَتْ ... حتى تجلّتْ لنا في ليلةِ الظُّلَم[2]

ثم شبّب بنساء من نساء المسلمين حتى آذاهم؛ فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن المغيث بن أبي بُرْدة: مَنْ لي من ابن الأشرف!

---

(١) م: «ظاهرها».
(٢) لم تذكر هذه الأبيات في رواية ابن هشام؛ وذكر موضعها أبياتاً مطلعها:

طَحَنتْ رَحَى بَدْرٍ لمهلِكِ أَهلِهِ ... ولِمِثْل بدرٍ تستهلّ وتدمَعُ

قال : فقال محمد بن مسلمة ، أخو بنى عبد الأشهل : أنا لك به يا رَسولَ الله ، ١/١٣٧٠
أنا أقتله . قال : فافعل إن قَدَرْت على ذلك ، فرجع محمَّد بن مسلمة ،
فمكث ثلاثًا لا يأكل ولا يشرب . إلاّ ما يعلّق [به][1] نفسه ، فذكر ذلك
لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فدعاه فقال له : لِمَ تركتَ الطعام والشراب ؟
قال : يا رسولَ الله ، قلت قولا لا أدرى أفِى به أم لا! قال : إنما عليك الجهْد ،
قال : يا رسول الله ، إنه لا بُدَّ لنا من أن نقول . قال : قولوا ما بدا لكم ، فأنتم
فى حلّ من ذلك !

قال : فاجتمع فى قتله محمَّد بن مسلمة وسِلْكان بن سلامة بن وَقْش — وهو أبو نائلة أحدُ بنى عبد الأشهل ، وكان أخا كعب من الرّضاعة — وعَبّادُ ابن بشر بن وقْش ، أحد بنى عبد الأشْهَل ، والحارث بن أوس بن مُعاذ ، أحد بنى عبد الأشهل ، وأبو عَبْس بن جَبْر ، أخو بنى حارثة . ثم قدَّموا إلى ابن الأشرف قبل أن يأتوه سِلْكان بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه فتحدَّث معه ساعة ، وتناشدا شعرًا — وكان أبو نائلة يقول الشعر — ثم قال : ويحك يا بن الأشرف ! إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك ، فاكتُم علىّ ، قال : أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرّجل بلاءً [علينا][1] عادَتْنا[2] العرب ورَموْنا عن قوسٍ واحدة ، وقُطِعَتْ عنا السُّبُلُ حتى ضاع العِيَال ، وجُهِدَتِ الأنفس ، وأصبحنا قد جُهِدنا وجُهِد عيالُنا ! فقال كعب : أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنتُ أخبرتك يا بنَ سلامة أنّ الأمرَ سيصير إلى ما كنت أقول ، فقال سِلْكان : إنى قد أردت أن تبيعنا طعامًا ونَرْهَنك ونُوثّق لك ، وتُحْسن فى ذلك . قال : ترهنوننى أبناءكم ! فقال : لقد أردت أن تَفضَحَنا ! إن معى أصحابًا لى على مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيَك بهم فتبيعهم ، وتحسن فى ١/١٣٧١ ذلك ، ونرهنك من الحَلْقَةِ[3] ما فيه لك وفاء — وأراد سِلْكان ألاّ ينكر السلاح إذا جاءوا بها — فقال : إنّ فى الحلقة لوفاء ، قال : فرجع سِلْكان إلى

---

(١) من ابن هشام .
(٢) م : « عادينا » .
(٣) الحلقة هنا : السلاح كله .

أصحابه ، فأخبرهم خبَره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح فينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم[1] .

حدّثنا ابنُ حميد قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق قال : فحدّثني ثَوْر بن زيد الدِّيلىّ ، عن عِكْرِمة مولى ابن عبّاس ، عن ابن عباس ، قال : مشى معهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بقيع الغَرْقَد ، ثم وجّههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللّهمّ أعِنْهم . ثم رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بيته فى ليلة مُقْمِرة ، فأقبلوا حتى انتهوْا إلى حصنه ، فهتَف به أبو نائلة — وكان حديثَ عهد بعُرْس — فوثب فى مِلْحَفته[2] ، فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ مُحاربٌ ، وإنّ صاحبَ الحرب لا ينزل فى مثل هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة ؛ لو وجدنى نائمًا لما أيقظنى ، قالت : والله إنى لأعرف فى صوته الشرّ . قال : يقول لها كعب : لو دُعِىَ الفتى لطعنة[3] أجاب ، فنزل فتحدّث معهم ساعة ، وتحدّثوا معه ، ثم قالوا له : هل لك يا بن الأشرف ، أن نتماشى إلى شِعْب العجوز[4] فنتحدّث به بقية ليلتنا هذه ! قال : إنّ شئتم ! فخرجوا يتماشوْن ، فمشوْا ساعة . ثم إنّ أبا نائلة شام يدَه فى فَوْدِ رأسه ، ثم شمّ يدَه ، فقال : ما رأيتُ كالليلة طيبَ عطرٍ قطّ . ثم مَشى ساعة ثم عاد لمثلها ، حتى اطمأنّ ثمّ مشى ساعة ، فعاد لمثلها ، فأخذ بفودَىْ رأسه ، ثم قال : اضربوا عدوّ الله ؛ فاختلَفتْ عليه أسيافهم ، فلم تُغْنِ شيئًا . قال محمّد بن مسلمة : فذكرت مِغْوَلاً[5] فى سيفِى حين رأيتُ أسيافنا لا تغنى شيئًا ، فأخذته ، وقد صاح عدوُّ الله صيحة لم يبق حولَنا حِصنٌ إلاّ أوقدت عليه نار . قال : فوضعته فى ثُنْدؤته ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانَتَه ، ووقع عدوُّ الله ، وقد أصيب الحارث بن أوْس بن معاذ بجُرْح فى رأسه أو رجله ، أصابه بعضُ أسيافنا.

١٣٧٢/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ .

(٢) الملحفة : اللباس الذى فوق سائر اللباس .

(٣) و : « إلى طعنة » ، ابن هشام : « لو يدعى إلى طعنة » .

(٤) شعب العجوز : موضع بظاهر المدينة ؛ ذكره ياقوت ، وقال : « قتل عنده كعب ابن الأشرف » .

(٥) المغول : السكين التى تكون فى السوط .

قال : فخرجنا حتى سلكْنا على بنى أميَّة بن زيد ، ثم على بنى قريْظة، ثم على بُعاث حتى أسْنَدْنا[1] فى حرّة العُريْض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونَزَفه الدّمُ ، فوقفْنَا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا . قال: فاحتملناه فجئنا به رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم آخر الليل وهو قائم يصلّى ، فسلَّمنَا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، وتفَل على جُرْح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدوّ الله، فليس بها يهودىّ إلاّ وهو يخاف على نفسه . قال : فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : مَنْ ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب مُحيِّصَةُ بن مسعود على ابن سُنَيْنة — رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله — وكان حُوَيِّصة بن مسعود إذ ذاك لم يُسْلِمْ ، وكان أسَنّ من محيّصة — فلما قتله جعل حويّصة يضربه ويقول : أى عدوّ الله ! قتلته[2] ! أما والله لرُبّ شَحْم فى بطنك من ماله ! قال محيّصة : فقلت له : والله لو أمرنى بقتلك مَنْ أمرنى بقتله لضربت عنقك . قال: فوالله إنْ كان لأوّل إسلام حويّصة ، وقال : لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ! قال : نعم والله ، لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك . قال : والله إن دينًا بلغ بك هذا لَعَجب ! فأسلم حُوَيّصة[3] .

١٣٧٣/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق . قال : حدثنى هذا الحديث مولى لبنى حارثة ، عن ابنة محيّصة ، عن أبيها .

قال أبو جعفر : وزعم الواقدىّ أنهم جاءوا برأس ابن الأشرف إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم .

* * *

وزعم الواقدىّ أن فى ربيع الأول من هذه السَّنة تزوّج عثمان بن عفان أمّ كلثوم بنت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأدْخِلَتْ عليه فى جمادى

---

(١) أسند فى الحرّة : صعدها . (٢) ابن هشام : « أقتلته! » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ .

الآخرة ، وأنّ فى ربيع الأول من هذه السنة غزا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم غزوة أنْمار — ويقال لها : ذو أمَر — وقد ذكرنا قول ابن إسحاق فى ذلك قبل.

قال الواقدىّ : وفيها وُلِدَ السائب بن يزيد ابن أخت النَّمِر .

* * *

غزوة القَرْدة

١٣٧٤/١ قال الواقدىّ : وفى جُمادى الآخرة مِنْ هذه السنة ، كانت غزوة القَرْدة وكان أميرهم — فيما ذكر — زيد بن حارثة ، قال : وهى أول سريّة خرج فيها زيد بن حارثة أميرًا .

قال أبو جعفر : وكان من أمرها ما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سريّة زيد بن حارثة الّتى بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيها حين أصاب عيرَ قريش ، فيها[١] أبو سفيان بن حرب ، على القَرْدة ، ماء من مياه نجد . قال : وكان من حديثها أن قريشاً قد كانت خافت[٢] طريقها التى كانت تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العِراق ، فخرج منهم تجّار فيهم أبو سفيان بن حرْب ، ومعه فضّة كثيرة ؛ وهى عُظْم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فُرَات بن حَيّان ، يدلّهم على ذلك[٣] الطريق ، وبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زيدَ بن حارثة ، فلقيَهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العيرَ وما فيها ، وأعجزه الرّجَال ، فقدم بها على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم[٤]

* * *

قال أبو جعفر : وأما الواقدىّ ، فزعم أنّ سبب هذه الغزوة كان أنّ قريشاً قالت : قد عوّر علينا محمد مَتْجَرَنَا وهو على طريقنا . وقال أبو سفيان

---

(١) ابن هشام : « وفيها » .

(٢) ابن هشام : « خافوا طريقهم » .

(٣) ابن هشام : « فى ذلك على الطريق » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢١ .

وصفوان بن أمية: إن أقمنا بمكّة أكلنا رءوس أموالنا. قال أبو زَمْعة(١) بن الأسود: فأنا أدلّكم على رجل يسلك بكم النّجديّة، لو سلكها مغمَّض العينين لاهتدى. قال صفوان: مَنْ هو؟ فحاجتنا إلى الماء قليل؛ إنّما نحن شاتون. قال: فرات بن حيّان؛ فدعَوْه فاستأجراه؛ فخرج بهم فى الشتاء، فسلك بهم على ذات عِرْق، ثم خرج بهم على غَمْرة، وانتهى إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم خبر العيرِ وفيها مال كثير، وآنية من فضّة حملها صَفْوان بن أميّة؛ فخرج زيد بن حارثة، فاعترضها، فظفر بالعير، وأفلت أعيانُ القوم؛ فكان الخمُس عشرين ألفا، فأخذه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، وقسّم الأربعة الأخماس على السريّة، وأُتِىَ بفرات بن حيّان العِجْلىّ أسيرًا، فقيل: إنْ أسلمت لم يقتلْك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فلمّا دعا به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أسلم، فأرسله. ١٣٧٥/١

* * *

مقتل أبى رافع اليهودىّ

قال أبو جعفر: وفى هذه السّنة كان مقتل أبى رافع اليهودىّ — فيما قيل — وكان سبب قتله، أنّه كان — فيما ذُكِر عنه — يُظاهر كعبَ بن الأشرف علَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فوجّه إليه — فيما ذُكِر — رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة عبد الله بن عَتِيك، فحدّثنا هارون بن إسحاق الهمْدانىّ، قال: حدّثنا مصعب بن المقدام، قال: حدّثنى إسرائيل، قال: حدّثنا أبو إسحاق، عن البَراء، قال: بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أبى رافع اليهودىّ — وكان بأرض الحجاز — رجالا من الأنصار، وأمّر عليهم عبد الله بن عقبة — أو عبد الله بن عتيك — وكان أبو رافع يؤذِى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ويبغى عليه، وكان فى حصن له بأرض الحجاز، فلما دَنَوْا منه وقد غربت الشمس، وراحَ النّاس بسَرْحهم، قال لهم عبد الله بن عقبة — أو عبد الله بن ١٣٧٦/١

(١) ط: «زمعة»، وزمعة مات يوم بدر.

عَتيك : اجلسوا مكانكم ، فإنى أنطلق وأتلطّف للبوّاب ، لعلّى أدخل ! قال : فأقبل حتّى إذا دنا من الباب ، تقنّع بثوبه ؛ كأنه يقضى حاجة ، وقد دخل النّاس ، فهتف به البوّاب . يا عبد الله ، إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإنى أريدُ أنْ أغلق الباب . قال : فدخلت فكمَنْتُ[١] تحت آرِىّ[٢] حمار ؛ فلمّا دخل النّاس أغلق الباب ثم علّقَ الأقاليد على وَدٍّ[٣] . قال : فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ، ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يسْمرُ عنده فى علالىّ ؛ فلما ذهب عنه أهل سَمَره ، فصعَدتُ إليه فجعلت كلّما فتحت بابًا أغلقته علىّ مِنْ داخل . قلت : إن القوم نَذِروا بى لم يخلصوا إلىّ حتى أقتلَه . قال : فانتهيتُ إليه ؛ فإذا هو فى بيت مظلم وسْط عياله ؛ لا أدرى أين هو من البيت ! قلت : أبا رافع ! قال : مَنْ هذا ؟ قال : فأهوْيتُ نحو الصوت ، فأضرِبهُ ضربة بالسيف ، وأنا دَهِش فما أغنى شيئًا وصاح ؛ فخرجت من البيت ومكثت غير بعيد . ثم دخلت إليه ، فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ قال : لأمّك الوْيل ! إنّ رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف ، قال : فأضربه فأثخنه ولم أقتله . قال : ثم وضعتُ ضبيب[٤] السّيف فى بطنه ، حتى أخرجته من ظهره ، فعرفت أنى قد قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب بابًا فبابًا ، حتى انتهيت إلى درجة ؛ فوضعت رجلى ، وأنا أرى أنى انتهيت إلى الأرض ، فوقعت فى ليلة مقمرة ؛ فانكسرتْ ساقى ، قال : فعصّبتها بعمامتى ، ثم إنى انطلقتُ حتى جلست عند الباب ، فقلت : والله لا أبرح الليلة حتى أعلَم : أقتلته أم لا ؟ قال : فلما صاح الدّيك ، قام الناعى عليه على السُّور ، فقال : أنْعَى أبا رافع ربّاح أهل الحجاز ! قال : فانطلقت إلى أصحابى ، فقلت : النّجاء ! قد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى

١٣٧٧/١

---

(١) م : « فكثت » .

(٢) الآرى : محبس الدابة .

(٣) الود : الوتد ، بلغة تميم ، وفى ابن الأثير : « وتد » .

(٤) ضبيب السيف : حده .

النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فحدّثته فقال : ابسُط رجلك، فبسطتها فمسحها فكأنما لم أشتكها قطّ .

* * *

قال أبو جعفر : وأما الواقدىّ ؛ فإنه زعم أن هذه السريّة التى وجّهها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى رافع سلاّم بن أبى الحُقيق إنّما وجهها إليه فى ذى الحجّة من سنة أربع من الهجرة ، وأنّ الذين توجّهوا إليه فقتلوه ، كانوا أبا قتادة ، وعبد الله بن عَتيك ، ومسعود بن سنان، والأسود بن خُزَاعىّ ١٣٧٨/١ وعبد الله بن أُنَيْس .

وأما ابنُ إسحاق ، فإنّه قصّ من قصّة هذه السريّة ما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة عنه : كان سلاّم بنُ أبى الحُقيق — وهو أبو رافع — ممّن كان حزّبَ الأحزاب على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكانت الأوس قبل أحُد قتلت كعب بن الأشرف فى عَداوته رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وتحريضه عليه ، فاستأذنت الخزرج رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فى قتل سلاّم بن أبى الحُقيق ؛ وهو بخيبر ، فأذن لهم[1] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمد مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرىّ ، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك، قال : كان مما صنع الله به لرسوله أنّ هذين الحيّين من الأنصار : الأوس والخزرج ؛ كانا يتصاوَلان[2] مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم تصاوُلَ الفحلْين ؛ لا تصنع الأوس شيئًا فيه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غَناء[3] إلاّ قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الإسلام ؛ فلا ينتهون حتى يُوقِعوا مثلها . قال : وإذا فعلت الخزرج شيئاً ، قالت الأوس مثل ذلك . فلمّا أصابت الأوْس

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٩
(٢) يتصاولان : يتفاخران .
(٣) غناء : كفاية وخير .

كعبَ بن الأشرف فى عداوته لرسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، قالت الخزرج : لا يذهبون بها فضلا علينا أبداً . قال : فتذاكروا : مَنْ رجلٌ لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى العداوة كابن الأشرف ! فذكروا ابنَ أبى الحُقيق وهو بخيبر ؛ فاستأذنوا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى قتله ، فأذن لهم ؛ فخرج إليه من الخزرج ثم من بنى سلِمة خمسة[1] نفر : عبد الله بن عَتِيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أُنَيْس ، وأبو قَتادة الحارث بن رِبعىّ ، وخُزاعىّ بن الأسود ، حليف لهم من أسلَم ؛ فخرجوا ، وأمَّر عليهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عبدَ الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة .

١٣٧٩/١

فخرجوا حتى قدموا خيبر ؛ فأتوا دار ابن أبى الحُقيق ليلاً ؛ فلم يَدَعوا بيتاً فى الدّار إلاّ أغلقوه من خلفهم على أهله ، وكان فى عُلِّيَّة[2] له إليها عَجَلَة[3] روميَّة ، فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت : مَنْ أنتم ؟ فقالوا : نفرٌ من العرب نلتمس الميرَة ، قالت : ذاك صاحبكم فادخلوا عليه ، فلمَّا دخلنا أغلقنا عليها وعلينا وعليه باب الحجرة ، وتخوّفنا أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته ، ونوّهت بنا ، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا ؛ والله ما يدّلنا عليه فى سواد اللَّيل إلا بياضُه ، كأنه قُبْطِيَّةٌ[4] مُلقاة . قال : ولما صاحتْ بنا امرَأته ، جعل الرّجل منّا يرفع عليها السَّيف ثم يذكر نهيَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فيكفّ يده ؛ ولولا ذاك فرغنا منها بليلٍ ، فلمَّا ضربناه بأسيافنا ، تحامل عليه عبدُ الله بن أُنَيس بسيفه فى بطنه حتى أنفَذه وهو يقول : قَطْنِى قَطْنِى !

١٣٨٠/١

قال : ثم خرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك سيئ البصر ، فوقع من الدرجة فَوُثِئَتْ رجله وَثْئاً شديداً واحتملناه حتى نأتى به مَنهراً من عيونهم ، فندخل فيه . قال : وأوقدوا النِّيران ، واشتدُّوا فى كلّ وجه يطلبوننا ؛ حتى إذا

---

(١) ط : « ثمانية » ، والصواب ما أثبته من ابن هشام .

(٢) العلّية ، بالكسر والضم : بيت منفصل عن الأرض ببيت أو نحوه .

(٣) قال ابن الأثير : « فى عجلة من نخل ، هو أن ينقر الجذع ويجعل فيه مثل الدرج ليصعد فيه إلى الغرف ونحوها » .

(٤) القبطية : ضرب من الثياب منسوب إلى قبط مصر (بالكسر) على غير قياس .

يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه؛ وهو يقضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم أن عدوّ الله قد مات! فقال رجل منّا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلق حتى دخل فى الناس ، قال : فوجدتُه ورجال يهود عنده ، وامرأته فى يدها المصباح تنظر فى وجهه . ثم قالت تحدّثهم وتقول: أما والله لقد عرفتُ صوتَ ابن عتيك؛ ثم أكذبت ، فقلت: أنّى ابن عتيك بهذه البلاد! ثم أقبلت عليه لتنظرَ فى وجهه ثم قالت : فاظ[1] وإله يهود! قال : يقول صاحبُنا ؛ فما سمعتُ من كلمة كانت ألذّ إلى نفسى منها ، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا ، فقدمنا على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ، وأخبرناه بقتل عدوّ الله ، واختلفنا عنده فى قتله ؛ وكلُّنا يدّعيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم، فجئناه بها فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أُنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام . فقال حسان بن ثابت ؛ وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلاّم ابن أبى الحُقَيق :

لله دَرُّ عِصَابَةٍ لاقيْتَهُمْ ... يا بنَ الْحُقيْقِ وأنْتَ يا بنَ الأشْرَفِ[2]

يسْرُونَ بالْبيضِ الخفاف إليْكُمُ ... مرحاً كأُسْدٍ فى عرينٍ مُغْرِف[3]

حتى أتوكُمْ فى محلِّ بلادكُمْ ... فسقوْكُمُ حتْفاً ببيضٍ ذُفَّفِ[4]

مُسْتَبْصِرينَ لنَصْر دين نبيِّهِمْ ... مُسْتَضْعِفِينَ لكلِّ أمرٍ مُجْحِفِ[5]

١٣٨١/١

حدّثنى موسى بن عبد الرحمن المسْرُوقىّ وعبّاس بن عبد العظيم العَنْبَرىّ ، قالا : حدّثنا جعفر بن عون ، قال : حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل ، قال : حدّثنى إبراهيم بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أنّ أباه حدّثه عن أمّه ابنة عبد الله بن أنَيس ، أنّها حدّثته عن عبد الله بن أنَيس ، أنّ

---

(١) فاظ : هلك . (٢) ديوانه ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، والعصابة : الجماعة من الناس .

(٣) يسرون ، من السرى ؛ وهو السير ليلا . والبيض الخفاف : السيوف . ومرحا : نشاطاً . مغرف : أى فى غريف ؛ وهو الأجمة من البردى والحلفاء والقصب .

(٤) ذفف ، أى سريعة القتل .

(٥) رواية الديوان : « مستصغرين لكل أمر » . والخبر والشعر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٩–٢١١ .

الرهط الّذين بعثهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى ابن أبى الحُقَيْق ليقتلوه : عبد الله بن عَتِيك ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قَتادة ، وحليف لهم ، ورجل من الأنصار ؛ وأنهم قَدِمُوا خَيْبَر ليلا . قال : فعَمَدْنا إلى أبوابهم نغلقها من خارج ، ونأخذ المفاتيح ، حتى أغلقنا عليهم أبوابهم ، ثم أخذنا المفاتيح فألقيناها فى فقير[1] ، ثم جئنا إلى الْمَشْرَبة[2] التى فيها ابنُ أبى الحقيق ، فظهرت عليها[3] أنا وعبد الله بن عتيك وقعد أصحابنا فى الحائط ، فاستأذن عبد الله بن عتيك ؛ فقالت امرأة ابن أبى الحُقيق : إنّ هذا لصوت عبد الله بن عَتِيك . قال ابنُ أبى الحقيق : ثكلتْك أمّك ! عبدُ الله بن عتيك بيثْرب ؛ أين هو عندك هذه الساعة ! افتحى لى ؛ إنّ الكريم لا يردّ عن بابه هذه الساعة. فقامت ففتحت ؛ فدخلتُ أنا وعبد الله على ابن أبى الحُقَيق ، فقال عبد الله بن عَتِيك : دونك ، قال : فشهرت عليها السيف ، فأذهب لأضربها بالسيف فأذكر نَهْىَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم عن قتل النساء والوِلْدان ، فأكفّ عنها ، فدخل عبد الله بن عتيك على ابن أبى الحُقيق . قال : فأنظر إليه فى مَشْرَبة مظلمة إلى شدّة بياضه ، فلمّا رآنى ورأى السيف ، أخذ الوسادة فاتّقانى بها ، فأذهب لأضربه فلا أستطيع ، فوخزتُه بالسيف وخزًا . ثم خرج إلىّ عبد الله ابن أنَيس ، فقال : أقتله؟ قال : نعم ، فدخل عبد الله بن أنيس فذفّف عليه . قال : ثم خرجت إلى عبد الله بن عَتِيك ؛ فانطلقنا ، وصاحت المرأة : وا بَيَاتاه وابَيَاتاه ! قال : فسقط عبدُ الله بن عَتِيك فى الدّرجة ، فقال : وارجلاه وارجلاه ! فاحتمله عبدالله بن أنَيس ؛ حتى وضعه إلى الأرض . قال : قلت : انطلق ، ليس برجلك بأس . قال : فانطلقنا ، قال عبد الله بن أنيس : جئنا أصحابنا فانطلقنا ، ثم ذكرت قوسِى أنى تركتها فى الدّجة[4] ؛ فرجعت إلى قوسى ؛ فإذا أهلُ خَيْبر يموجُ بعضهم فى بعض ؛ ليس لهم

١٣٨٢/١

---

(١) قال ابن الأثير : الفقير هنا : البئر .

(٢) المشربة : الغرفة ؛ لأنهم كانوا يشربون فيها .

(٣) و : « عليه » . (٤) الدرجة : المرقاة .

كلام إلاّ مَنْ قَتَل ابن أبى الحقيق؟ مَنْ قتل ابن أبى الحُقيق ؟ قال: فجعلت لا أنظر فى وجه إنسان ، ولا ينظر فى وجهى إنسان إلاّ قلت : مَنْ قتل ابن أبى الحُقَيق؟ قال : ثم صعدت الدّرجة ؛ والناس يظهرون فيها ؛ وينزلون ؛ فأخذت قوسى من مكانها ، ثم ذهبتُ فأدركتُ أصحابى ، فكُنَّا نكمنُ النهار ونسير الليل ؛ فإذا كمنّا بالنهار أقعدنا منَّا ناطورًا[1] ينظر لنا؛ فإنْ رأى شيئًا أشار إلينا ؛ فانطلقنا حتى إذا كنَّا بالبيضاء كنت — قال موسى : أنا ناطرهم ، وقال عباس : كنتُ أنا ناطورهم — فأشرت إليهم فذهبوا جمزًا[2] وخرجت فى آثارهم ؛ حتى إذا اقتربنا من المدينة أدركتهم ، قالوا : ما شأنك ؟ هل رأيت شيئًا ؟ قلت : لا ، إلاّ أنى قد عرفت أنْ قد بلغكم الإعياء والوَصَبُ ، فأحببت أن يحملكم الفزَع . ١٣٨٣/١

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة تزوّج النبى صلى الله عليه وسلم حَفْصَة بنت عمر فى شعبان ؛ وكانت قبله تحت خُنَيْس بن حذافة السَّهْمىّ فى الجاهليّة ، فتوفّىَ عنها .

وفيها كانت غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أحُدًا ؛ وكانت فى شوّال يوم السبت لسبع ليالٍ خلوْن منه — فيما قيل — من سنة ثلاث من الهجرة .

* * *

غزوة أُحد

قال أبو جعفر : وكان الّذى هاج غزوة أحُد بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومشركى قريش وقْعة بدر وقتل مَنْ قُتل ببدْر من أشراف قريش ورؤسائهم ؛ فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب ١٣٨٤/١

---

(١) الناطور فى الأصل : حارس الكرم والنحل .

(٢) الجمز : السير السريع .

الزُّهريّ ، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، وعاصم بن عمر بن قَتادة ، والحُصَيْن ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ وغيرُهم من علمائنا ؛ كلّهم قد حدّث ببعض هذا الحديث عن يوم أحُد ، وقد اجتمع حديثهم كلّهم فيما سُقْتُ من الحديث عن يوم أحُد ، قالوا[١] :

لما أصيبتْ قريش — أو من قاله منهم — يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القَليب ، فرجع فَلُّهم[٢] إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعِيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعِكْرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أميّة ، في رجال من قريش ممّن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ؛ فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومَنْ كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشرَ قريش ، إنّ محمّدًا قد وَتَرَكم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حَرْبه ؛ لعلّنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منّا ، ففعلوا ، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العِير بأحابيشها[٣] ومن أطاعها من قبائل كِنانة وأهل تِهامة ؛ وكلّ أولئك قد استَعووْا[٤] على حرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ١٣٨٥/١

وكان أبو عَزّة عمرو بن عبد الله الجُمحيّ قد منّ عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر . وكان فقيرًا ذا بنات[٥] ، وكان في الأسارى ، فقال : يا رسولَ الله ، إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتَها ، فامنن عليّ صلّى الله عليك ! فمنّ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال صَفوان

---

(١) أخبار غزوة أحد عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٥ — ١٤٣ ، والأغاني ١٥ : ١٧٩ — ٢٠٧ (طبعة دار الكتب) .

(٢) الفل : القوم المنهزمون .

(٣) الأحابيش : الجماعة أيا كانوا ؛ أو هم أحابيش قريش ، أو هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة ؛ اجتمعوا عند جبل يسمى « حبشيا » ، بأسفل مكة ، فحالفوا قريشاً .

(٤) يقال : هو يستعوى القوم ؛ أي يستغيث بهم ؛ وفي الأغاني : « استغوا » بالغين المعجمة ؛ وهما سواء .

(٥) ابن هشام : « عيال » .

ابن أميَّة : يا أبا عزّة ، إنك امرؤٌ شاعرٌ ، فأعِنَّا بلسانك ، فاخرج معنا . فقال : إنّ محمدًا قد منّ عليّ فلا أريد أن أظاهِرَ عليه ، فقال : بلى فأعِنَّا بنفسك، فلك الله[1] إن رجعتَ أن أغنيَك ، وإن أصِبْتَ أن أجعل بناتِك مع بناتي يصيبهنّ ما أصابهنّ من عسر ويسر . فخرج أبو عزّة يسير في تِهامة ، ويدعو بني كنانة . وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حُذافة بن جُمح ؛ إلى بني مالك بن كنانة يحرّضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ودعا جبير بن مُطْعِم غُلامًا له يقال له وحشيّ، كان حبشيًّا يقذف بحربة له قَذْف الحَبَشة ، قلَّما يُخْطِئُ بها ، فقال له : اخرج مع النَّاس ، فإن أنت قتلت عمّ محمد بعمى طُعَيْمة بن عديّ فأنت عَتيقٌ .

فخرجت قريش بحدّها وجَدّها وأحابيشها ، ومَن معها[2] من بني كِنانة وأهل تِهامة ، وخرجوا معهم بالظُّعُن[3] التماس الحفيظة ؛ ولئلاّ يفرّوا . فخرج أبو سفيان بن حرب – وهو قائد النَّاس ، معه هند بنت عُتبة ابن ربيعة – وخرج عِكْرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أميَّة بن خلف بِبَرْزَةَ – قال أبو جعفر: وقيل ببرَّة – بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثَّقفيَّة ؛ وهي أمّ عبد الله ابن صفوان – وخرج عمرو بن العاص بن وائل بريْطة بنت منبّه بن الحجَّاج ، وهي أمّ عبد الله بن عمرو بن العاص ، وخرج طلحة بن أبي طلحة ، وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدّار بسُلافة بنت سعد بن شهيد – وهي أمّ بني طلحة مُسافع والجُلاس وكلاب ؛ قتلوا يومئذ وأبوهم – وخرجت خناس بنت مالك بن المضَرّب إحدى نساء بني مالك ابن حِسْل ، مع ابنها أبي عزيز بن عمير ؛ وهي أمّ مُصْعَب بن عمير ،

١٣٨٦/١

---

(١) ابن هشام : « لك الله » .

(٢) م : « تبعها » .

(٣) الظعن : جمع ظعينة ؛ وهي المرأة ما دامت في الهودج .

وخرجت عَمْرة بنت علقمة إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ؛

١/١٣٨٧ وكانت هند بنت عُتْبة بن ربيعة كُلَّمَا مَرَّتْ بوحشىّ أو مرّ بها قالت : إيهٍ [١] أبا دَسْمَةَ ! اشْفِ واشْتَفِ — وكان وحشىّ يكنى أبا دَسْمة . فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنين بجبل ببطن السَّبْخَة ؛ من قناة على شفير الوادى ممّا يلى المدينة .

فلمّا سمع بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للمسلمين : إنى قد رأيت بقرًا فأوّلتها خيرًا ، ورأيت فى ذُباب سيفى ثَلْمًا ، ورأيت أنّى أدخلت يدى فى درع حَصِينَة فأوّلتها المدينة ؛ فإنْ رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام ؛ وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها . ونزلت قريش منزلَها من أحد يوم الأربعاء . فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة . وراح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين صلّى الجمعة ، فأصبح بالشِّعب من أحُد . فالتقوْا يومَ السّبت للنّصف من شوّال ؛ وكان رأى عبد الله بن أبىّ ابن سَلول مع رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، يرى رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى ذلك : ألاّ يخرج إليهم ؛ وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكره الخروجَ من المدينة ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحُد وغيرهم مِمّن كان فاته بدر وحضوره : يا رسول الله ، اخرج

١/١٣٨٨ بنا إلى أعدائنا [٢] ، لا يروْن أنّا جَبُنّا عنهم وضَعُفْنا ، فقال عبدُ الله بن أبىّ بن سَلُول : يا رسولَ الله ، أقمْ بالمدينة ولا تخرجْ إليهمْ ؛ فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍّ لنا قطّ إلاّ أصاب منّا ، ولا دخلها [٣] علينا إلا أصبنا منه ، فَدَعْهم يا رسولَ الله ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرّ مجلس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم النّساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ،

---

(١) ابن هشام : « ويها » .

(٢) م : « أعداء الله » .

(٣) الأغانى : « يدخلها » .

وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا. فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلّم الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القوم ؛ حتى دخل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلبِس لأمته ؛ وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، أحد بنى النّجار ، فصلّى عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ثم خرج عليهم وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرَ هْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا .

* * *

قال أبو جعفر : وأما السدّىّ ؛ فإنّه قال فى ذلك غير هذا القول ؛ ولكنه قال ما حدّثنى محمّد بن الحسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السدّىّ ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم لما سمع بنزول المشركين من قُريش وأتباعها أحداً ، قال لأصحابه : أشيروا علىّ ما أصنع ! فقالوا : يا رسولَ الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب ، فقالت الأنصار : يا رسول الله ، ما غلبنا عَدوٌّ لنا قطّ أتانا فى ديارنا (١) ، فكيف وأنت فينا! فدعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عبدَ الله بن أبىّ بن سَلُول — ولم يدعه قطّ قبلها — فاستشاره فقال : يا رسولَ الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلُب ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة ، فيقاتلوا فى الأزقّة ، فأتاه النّعمان بن مالك الأنصارىّ ، فقال : يا رسولَ الله لا تحرمنْى الجنة ؛ فوالّذى بعثك بالحقّ لأدخلنّ الجنّة ، فقال له : بِمَ ؟ قال : بأنّى أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله ، وأنّى لا أفرُّ من الزّحف . قال : صدقتَ ، فقتل يومئذ . ثم إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم دعا بدرعه فلبِسها ، فلّما رأوْه قد لبس السّلاح ندموا وقالوا : بئس ما صنعنا ! نشيرُ على رسول الله والوحى يأتيه ! فقاموا فاعتذروا إليه ، وقالوا : اصنع ما رأيت ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا ينبغى لنبىّ أن يلبس لأمته فيضعَها حتى يقاتل . فخرج

١٣٨٩/١

(١) م : « دارنا » .

رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى أحُد فى ألف رجل ؛ وقد وعدهم الفتح إن صبروا . فلمَّا خرج رجع عبد الله بن أبى بن سلول فى ثلاثمائة ، فتبعهم أبو جابر السُّلمىّ يدعوهم ، فلمّا غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالا ؛ ولئن أطعتَنا لترجعنّ معنا ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾[1] فهمّ بنو سَلِمة وبنو حارثة ، هَمُّوا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبىّ ، فعصمهم الله عزّ وجلّ ، وبقىَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فى سبعمائة .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : قال : قالوا : لما[2] خرج عليهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قالوا : يا رسولَ الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإنْ شئت فاقعُد صلى الله عليك ! فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ما ينبغى لنبىّ إذا لبس لأمتَه أن يضَعها حتى يقاتل ؛ فخرج رسولُ الله فى ألف رجل من أصحابه ؛ حتى إذا كانوا بالشَّوط بين أحُد والمدينة انخزل عنه عبد الله بن أبىّ بن سلول بثلث الناس ، فقال : أطاعهم فخرج وعصانى ؛ والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس ! فرجع بمن اتَّبعه من الناس من قومه من أهل النِّفاق وأهل الرَّيْب ، واتَّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، أخو بنى سلمة ، يقول : يا قوم أذكّرُكم الله أن تخذلوا نبيَّكم وقومَكم عند ما حضر من عدوّهم ! قالوا : لو نعلم أنَّكم تقاتلون ما أسلمناكم ؛ ولكنَّا لا نرى أن يكون قتال ، فلما استعصوْا عليه ، وأبَوْا إلاّ الانصراف عنه ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ! فسيغنى الله عنكم !

١/١٣٩٠

* * *

قال أبو جعفر : قال محمد بن عمر الواقدىّ : انخزل عبد الله بن أبىّ عن رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من الشَّيْخين بثلثمائة ، وبقىَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى سبعمائة ، وكان المشركون ثلاثة آلاف ، والخيل

(١) سورة آل عمران ١٢٢ .

(٢) م : « فلما » .

مائتى فرس ، والظُّعنُ خمس عشرة امرأة .

قال : وكان فى المشركين سبعمائة دارع ؛ كان فى المسلمين مائة دارع ؛ ولم يكن معهم من الخيل إلاّ فَرَسان : فرسٌ لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وفرس لأبى بردة بنِ نيار الحارثى . فأدلج[1] رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من الشيخيْن حين طلعت الحمراء — وهما أُطمان ، كان يهودى ويهودية أعميان يقومان عليهما ؛ فيتحدّثان فلذلك، سُميَّا الشيخين ؛ وهو فى طرف المدينة — قال : وعرض رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المقاتِلة بالشَّيْخين بعد المغرب ؛ فأجاز مَنْ أجاز ، وردّ مَنْ ردّ ، قال : وكان فيمن ردّ زيد بن ثابت وابن عمر ، وأسَيد بن ظُهَير ، والبَرَاء بن عازب ، وعَرَابة بن أوس . قال : وهو الذى قال فيه الشَّماخ : ١/١٣٩١

رأيتُ عَرَابَةَ الأوسىَّ ينْمِى إلى الْخَيْراتِ مُنْقطعَ القَرِين[2]
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمَجْدٍ تلقَّاها عَرَابةُ باليمين

قال : وردّ أبا سعيد الخُدْرِىّ ، وأجاز سَمُرة بن جندَب ورافع بن خَدِيج ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم ، قد استصغر رافعًا ، فقام على خُفَّين له فيهما رقاع ، وتطاول على أطراف أصابعه ؛ فلمّا رآه رسولِ الله صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم أجازه .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : كانت أم سَمُرة بن جندَب تحت مُرَىّ بن سِنَان بن ثعلبة ، عمّ أبى سعيد الخُدرىّ ، فكان ربيبَه ، فلمّا خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أحُد ، وعرض أصحابه ، فردّ من استصغر ردّ سَمُرة بن جندب ، وأجاز رافع بن خديج ، فقال سَمُرة بن جندب لربيبه مُرَىّ بن سنان : يا أبتِ ،

---

(١) أدلج : سار فى آخر الليل .
(٢) ديوانه ٩٦ ، ٩٧

١/١٣٩٢ أجاز رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم رافع بن خَدِيج ، وردّنى وأنا أصرع رافع بن خَدِيج، فقال : مُرَىّ بن سنان : يا رسول الله ، رددت ابنى ، وأجزت رافع بن خَدِيج وابنى يصرعه ! فقال النبى صلَّى الله عليه وسلَّم لرافع وسمُرة : تصارعا ، فصرع سمُرة رافعًا ، فأجازه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فشهدها مع المسلمين .

قال : وكان دليل النبىّ صلى الله عليه وسلَّم أبو حَثْمَة الحارثىّ .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق: قال: ومضى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم حتى سلك فى حَرّة بنى حارثة ، فذبّ فرس بذنبه[1] ، فأصاب كلاّب[2] سيف ، فاستلّه، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم — وكان يُحبُّ الفأل ولا يعتاف — لصاحب السيف : شِمْ سيفَك، فإنى أرى السيوف ستُسَلّ اليوم . ثمّ قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لأصحابه : مَنْ رجُلٌ يخرج بنا على القوم من كثَب، من طريق لا يمُرُّ بنا عليهم ؟ فقال أبو حثمة[3] أخو بنى حارثة بن الحارث: أنا يا رسول الله، فقدّمه فنفذ به فى حَرّة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلَك به فى مال المِرْبع بن قيظىّ — وكان رجلا منافقًا ضرير البصر — فلمّا سمع حسّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ومن معه من المسلمين، قام يَحْثِى فى وجوههم التراب ، ويقول : إن كنتَ رسول الله ؛ فإنى لا أحلُّ لك أن تدخل حائطى ؛ قال : وقد ذكر لى أنه

١/١٣٩٣ أخذ حَفْنة من تراب فى يده ، ثم قال: لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك. فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: لا تفعلوا ؛ فهذا الأعمى البصر ، الأعمى القلب . وقد بَدَر إليه سعد بن زيد أخو بنى عبد الأشهل حين نهىَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عنه ،

---

(١) ذب بذنبه ، أى حركه ليذب به الطير .

(٢) الكلاب : مسمار يكون فى قائم السيف ؛ وفيه الذؤابة لتعلقه بها .

(٣) ابن هشام والأغانى : « خيثمة » .

فضربه بالقوس فى رأسه فشجَّه ، ومضى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على وجهه ؛ حتى نزل الشِّعب من أُحُد فى عُدْوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحُد ، وقال : لا يقاتلنّ أحدٌ حتى نأمره بالقتال ؛ وقد سرّحت قريش الظّهْر[1] والكُراع فى زروع كانت بالصَّمْغة[2] من قناة للمسلمين . فقال رجل من المسلمين حينَ نهى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن القتال : أتُرْعَى زروع بنى قيْلة[3] ولمَّا نُضارب ! وتعبَّأ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم للقتال وهو فى سبعمائة رجل ، وتعبَّأت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ؛ ومعهم مائتا فرس قد جَنَبُوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عِكْرمة بن أبى جهل ، وأمَّرَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على الرُّماة عبد الله بن جُبَيْر ، أخا بنى عمرو بن عوف وهو يومئذ معلِمٌ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلا ، وقال : انضح[4] عنا الخيل بالنَّبل لا يأتونا من خلْفنا إن كانت لنا أو علينا ؛ فاثبت مكانك لا نؤْتيَنّ من قِبَلك ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين دِرْعين[5] .

* * *

فحدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدّثنا مُصعب بن المقدام ، قال : حدّثنا إسرائيل . وحدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا أبى ، عن إسرائيل ، قال : حدّثنا أبو إسحاق ، عن البَراء ، قال : لمَّا كان يومُ أحُد ، ولقِيَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المشركين أجْلسَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم رجالاً بإزاء الرّماة ، وأمّر عليهم عبد الله بن جُبير ، وقال لهم : لاتبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرْنا عليهم ، وإنْ رأيتموهم ظَهَرُوا علينا فلا تعينونا . فلمَّا لقِيَ القوم هزَم المشركين حتى رأيت النساء قد رَفَعن عن سوقهنّ ، وبدت

١٣٩٤/١

(١) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .
(٢) الصمغة : موضع قرب أحد .
(٣) بنو قيلة : الأوس والخزرج .
(٤) انضح الخيل ؛ أى ادفعهم .
(٥) ظاهر بين درعين ؛ أى لبس درعا فوق درع .

خلاخيلهنّ ، فجعلوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ! فقال عبد الله : مهلا ، أما علمتم ما عهد إليكم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ! فأبَوْا ، فانطلقوا ، فلمّا أتوْهم صَرَفَ الله وجوههم ؛ فأصيب من المسلمين سبعون .

حدثني محمّد بن سعد ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني عمّي ، قال : حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عبّاس ، قال : أقبل أبو سفيان في ثلاث ليال خلوْن من شوّال ، حتّى نزل أحُدًا ، وخرج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأذّن في الناس فاجتمعوا ، وأمّر الزّبير على الخيل ؛ ومعه يومئذ المِقداد بن الأسود الكِنديّ ، وأعطى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم اللّواء[١] رجلاً من قريش يقال له مُصعب بن عمير ، وخرج حمزة بن عبد المطّلب بالحسّر[٢] ، وبُعِث حمزةُ بين يديه ، وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ؛ ومعه عِكْرمة بن أبي جهل ، فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الزّبير ، وقال : استقبلْ خالدَ[٣] بن الوليد ؛ فكنْ بإزائه حتّى أوذنك ، وأمر بخيل أخرى ، فكانوا من جانب آخر ، فقال : لا تبرحُنّ[٤] حتى أوذنكم . وأقبل أبو سفيان يحمِل اللّات والعُزّى ، فأرْسلَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الزُّبير أن يحمِل ، فحمل على خالد بن الوليد ؛ فهزمه الله ومَنْ معه ، فقال : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ — إلى قوله — ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾[٥] ؛ وإنّ الله عزّ وجلّ وَعَدَ المؤمنين أن ينصرهم[٦] ؛ وأنّه معهم . وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث ناسًا من الناس ؛ فكانوا من ورائهم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : كونوا ها هنا ، فرُدُّوا وجهَ مَن فرّ منّا ، وكونوا حرّاسًا لنا من قِبَل ظهورنا . وأنّ رسولَ

١٣٩٥/١

---

(١) الأغاني : « الراية » .

(٢) الأغاني : « بالجيش » .

(٣) و : « خالدا » .

(٤) و : « لا تبرحوا » .

(٥) سورة آل عمران ١٥٢ .

(٦) الأغاني : « النصر » .

الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا هزم القوم هو وأصحابه ، قال الذين كانوا جُعِلوا من ورائهم بعضهم لبعض ، ورأوا النساء مُصْعِدات فى الجبل ، ورأَوُا الغنائم : انطلقوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلِم ؛ فأدركوا الغنيمة[١] قبل أن يسبقونا[٢] إليها ؛ وقالت طائفة أخرى : بل نطيع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فنثبُت مكاننا ؛ فذلك قوله لهم : ﴿ مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ الذين أرادوا الغنيمة ،﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ الذين قالوا : نطيع رسول الله ونثبت مكاننا ، فكان ابن مسعود يقول : ما شعرت أن أحدًا من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم كان يريد الدُّنيا وعرضَها ؛ حتى كان يومئذ .

حدّثنى محمد بن الحسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المفضّل ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السّدّىّ ، قال : لمّا برز رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المشركين بأحُد أمر الرُّماة ، فقاموا بأصل الجبل فى وجوه خيل المشركين ؛ وقال [لهم][٣] : لا تبرحوا مكانكم إن رأيتم [أننا][٣] قد هزمناهم ، فإنّا لا نزال غالبين ما ثبتّم مكانكم . وأمّر عليهم عبد الله بن جُبير أخا خوّات بن جُبير . ١/١٣٩٦

ثم إنّ طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام ، فقال : يا معشرَ أصحابِ محمد ، إنّكم تزعمون أنّ الله يعجّلنا[٤] بسيوفكم إلى النار ، ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنة ؛ فهل منكم أحدٌ يعجّله الله بسيفى إلى الجنة ، أو يعجّلنى بسيفه إلى النار ! فقام إليه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال : والّذى نفسى بيده لا أفارقك حتى أعجّلك[٥] بسيفى إلى النار ، أو تعجّلنى بسيفك إلى الجنّة ، فضربه علىّ فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته ، فقال : أنشدك الله والرّحمَ يا بن عمّ ! فتركه ، فكبّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال لعلىّ : ما منعك أن تجهِزَ عليه ؟ قال : إنّ ابنُ عمّى ناشدنى حين انكشفف

---

(١) الأغانى : « الغنائم » .
(٢) الأغانى : « يسبقوا » .
(٣ - ٣) من الأغانى .
(٤) الأغانى : « تعجلنا » .
(٥) الأغانى : « يعجلك الله عز وجل بسيفى إلى النار » .

عورته فاستحييتُ منه . ثم شدّ الزبير بن العوّام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ؛ وحَمَل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلمّا رأى ذلك خالد بن الوليد — وهو على خيل المشركين — حمل فرمَتْه الرماة فانقمع [١] . فلمّا نظر الرّماة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه فى جوف عسكر المشركين ينتهبونه ، بادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : لا نترك أمرَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . وانطلق عامتهم فلحقوا [٢] بالعسكر ، فلما رأى خالد قلّة الرّماة صاح فى خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ؛ وحمل على أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . فلمّا رأى المشركون أنّ خيلهم تقاتل ، تنادَوْا فشدُّوا على المسلمين ، فهزموهم وقتلوهم . ١٣٩٧/١

فحدّثنى بشر بن آدم ، قال : حدّثنا عمرو بن عاصم الكِلابىّ ، قال : حدّثنا عبيد الله بن الوازع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : قال الزُّبير : عَرَض رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم سيفا فى يده يوم أحُد ؛ فقال : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قال : فقمت فقلت : أنا يا رسول الله ، قال : فأعرض عنّى ، ثم قال : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ فقمت فقلت : أنا يا رسول الله ، فأعرض عنّى ، ثم قال : مَنْ يأخذ هذا السّيف بحقّه ؟ قال : فقام أبو دُجَانة سِماك بن خَرَشَةَ ، فقال : أنا آخذه بحقّه ؛ وما حقّه ؟ قال : حقه ألاّ تقتل به مسلما ، وألاّ تفرّ به عن كافر ؛ قال : فدفعه إليه . قال : وكان إذا أراد القتال أعْلَم بعصابة ؛ قال : فقلت : لأنظرنّ اليوم ما يصنع ، قال : فجعل لا يرتفع له شىء إلاّ هتكه وأفراه ؛ حتى انتهى إلى نسوة فى سفح جبل ، معهنّ دُفوف لهنّ ؛ فيهنّ امرأةٌ تقول :

نَحْنُ بنـاتُ طارقْ إنْ تُقْبِلوا نُعانِقْ
ونَبْسُطُ النّمارقْ أو تدْبِرُوا نُفارِقْ
* فِراقَ غَيْرِ وامِقْ *

---

(١) انقمع : اختفى .

(٢) و : « فلحق » .

قال : فرفع السّيف ليضربَها ، ثم كفّ عنها . قال : قلت : كلّ عملك قد رأيت ، أرأيت رفعك للسيف عن المرأة بعد ما أهويت به إليها ! قال : فقال : أكرمت سيف رسول الله أن أقتل به امرأة .

* * *

١٣٩٨/١ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم [١] ؛ حتّى قام إليه أبو دُجَانة سماك بن خَرَشة أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقّه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به فى العدوّ حتى ينحنِيَ ؛ فقال : أنا آخذه بحقّه يا رسول الله ؛ فأعطاه إياه — وكان أبو دُجَانة رجلا شجاعًا يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلِم بعصابة له حمراء يعصبها على رأسه علم النّاس أنه سيقاتل — فلمّا أخذ السيف من يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أخذ عصابته تلك ، فعصب [٢] بها رأسه ؛ ثم جعل يتبختر بين الصّفّين .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بنى سلمة ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دُجَانة يتبختر : إنّها لمشيْةٌ يبغِضُها الله عزّ وجلّ إلاّ فى هذا الموطن . وقد أرسل أبو سفيان رسولاً ، فقال : يا معشر الأوْس والخزرج ، خلّوا بيننا وبين ابن عمّنا ننصرفْ عنكم ، فإنّه لا حاجة لنا بقتالكم . فردّوه بما يكره .

١٣٩٩/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ أبا عامر عبد [٣] عمرو بن صيفىّ بن مالك بن النعمان بن أمة [٤] ، أحد بنى ضُبيْعَة ؛ وقد كان خرج إلى مكة مُباعدًا

---

(١) الأغانى : « بينهم » .
(٢) ابن هشام : « فاعتصب بها » .
(٣) ساقطة من الأغانى .
(٤) الأغانى : « امية » .

لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، معه خمسون غلامًا من الأوْس؛ منهم عثمان ابن حُنَيْف — وبعض النّاس يقول: كانوا خمسة عشر — فكان يعِد قريشًا أنْ لو قد لقِيَ محمّدًا لم يختلف عليه منهم رجلان، فلمّا التقى الناس، كان أوّل مَنْ لقيَهم أبو عامر فى الأحابيش وعُبْدَان أهل مكّة، فنادى: يا معشرَ الأوس، أنا أبو عامر، قالوا: فلا أنعم الله بك عينًا يا فاسق — وكان أبو عامر يسمّى فى الجاهلية «الراهب»، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم «الفاسق» — فلمّا سمع ردّهم عليه، قال: لقد أصاب قومى بعدى شرّ. ثم قاتلهم قتالا شديدًا، ثم راضخهم بالحجارة [١]، وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللّواء من بنى عبد الدار يحرّضهم بذلك على القتال: يا بنِى عبدِ الدّار، إنّكم وليتم لواءنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم؛ وإنّما يؤتى النّاس من قبَل راياتهم؛ إذا زالت زالوا؛ فإما أن تكفونا لواءنا؛ وإما أن تخلّوا بيننا وبينه فسنكفيكموه. فهمّوا به وتواعدوه، وقالوا: نحن نسلّم إليك لواءنا، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع! وذلك الذى أراد أبو سفيان. فلمّا التقى الناس، ودنا بعضُهم من بعض، قامت هند بنت عُتْبة فى النّسوة اللّواتى معها، وأخذن الدُّفوفَ يضربْن خلْف الرّجال ويُحرّضْنهم، فقالت هند فيما تقول: ١٤٠٠/١

إنْ تُقْبلوا نُعانقْ ونَفْرش النَّمارقْ

أو تدْبرُوا نُفارقْ فِراقَ غيْرِ وامِقْ

وتقول:

وَيْهاً بنى عَبد الدّار[٢]! وَيْهاً حُماةَ الأدْبار[٣]!

* ضرْباً بكلّ بتّار[٤] *

---

(١) الأغانى: «الحجارة». والمراضخة: المراماة.

(٢) الأغانى: «إيهاً».

(٣) حماة الأدبار: الذين يحمون أعقاب الناس.

(٤) البتار: السيف القاطع.

واقْتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجَانة حتَّى أمعن فى الناس ، وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين ، فأنزل الله عزّ وجلّ نصرَه ، وصدَقهم وعدَه ، فحسُّوهم[1] بالسيوف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمة لا شكّ فيها .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ،عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : قال الزبير : والله لقد رأيتُنى أنظر إلى خَدَمِ هند بنت عتبة وصواحبها[2] مشمّرات هوارب ، مادون أخْذِهنّ قليل كثير ؛ إذ مالت الرُّماة إلى العسكر حين كَشَفْنَا القوم عنه يريدون النّهب ، وخلّوْا ظهورنا للخيل ؛فأتِينا من أدبَارنا وصرخ صَارِخٌ :ألا إن محمدًا قد قتِلَ !فانكفأنا[3] وانكفأعلينا القوم؛ بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحدٌ من القوم .

١٤٠١/١

حدّثنا ابن حميد قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ،عن بعض أهل العلم ، أنّ اللِّواء لم يزل صريعًا حتَّى أخذتْهُ عَمْرَةُ بنت علقمة الحارثيّة ، فرفعتْهُ لقريش ، فلاثوا به[4] ، وكان اللّواء مع صوَاب ، غُلامَ لبنى أبى طلحة ، حبشىّ ، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل حتى قُطِعَتْ يداه ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصدره وعُنُقِه حتى قُتِلَ عليه ؛ وهو يقول : اللّهمّ هل أعذرت ! فقال حَسَّان بن ثابت فى قطع يد صواب حين تقاذفوا بالشعر :

فَخَرْتم باللِّواءِ وشرُّ فخرٍ ... لوَاءٌ حينَ رُدَّ إلى صوَابِ[5]

جَعلْتُمْ فخرَكُمْ فيها لعَبْدٍ ... منَ الأَمِ مَنْ وَطِى عفرَالترَاب[6]

(١) حسوهم : استأصلوهم . (٢) و : « وصواحباتها » .

(٣) انكفأنا : رجعنا .

(٤) لاثوا به : اجتمعوا حوله . وفى الأغانى : « فلاذوا بها » . (٥) ديوانه ٦٢

(٦) ابن هشام والديوان : « من يطا عفر التراب » .

ظَنَنْتُمْ والسـفيهُ له ظُنُونٌ ... وما إن ذاك منْ أمْرِ الصَّوابِ

١/١٤٠٢ بأَنَّ جِـلادَنا يومَ الْتقَيْنا ... بمكَّةَ بيْعُكُمْ حُمْرَ العِيابِ

أقرَّ العيْنَ أنْ عُصِبَتْ يدَاهُ ... وما إنْ تُعصبَانِ على خضَابِ[1]

حدّثنا أبو كُرَيب، قال: حدّثنا عثمان بن سعيد، قال: حدّثنا حِبَّان ابن عليّ، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه، قال: لما قتَل عليّ بن أبي طالب أصحاب الألوية[2]، أبصر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جماعة من مشركي قريش، فقال لعليّ: احمل عليهم، فحمل عليهم؛ ففرّق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجُمَحيّ. قال: ثم أبصر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جماعةً من مشركي قريش، فقال لعليّ: احمِل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم؛ وقتل شيبة بن مالك أحَد بني عامر بن لُؤيّ، فقال جبريل: يا رسولَ الله، إنّ هذه لَلْمواساة، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: إنه منّي وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما، قال: فسمعوا صَوْتا:

لا سيْفَ إلَّا ذو الفَقَا ... ر ولا فتًى إلَّا علِي

قال أبو جعفر: فلمّا أتِيَ المسلمون من خلفهم انكشفوا وأصاب منهم المشركون، وكان المسلمون لمّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثا: ثلث قتيل، وثلث جريح، وثلث منهزم؛ وقد جهدته الحرب حتّى ما يدرى ما يصنع، ١/١٤٠٣ وأصيبت رَبَاعِيَةُ[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم السفْلى، وشُقّتْ شفته،

---

(١) قال ابن هشام: «آخرها بيتا يروى لأبي خراش الهذلي، وأنشدنيه له خلف الأحمر:

أقرَّ العيْن أنْ عُصِبتْ يدَاها ... ومَا إنْ تُعْصبَان عَلَى خضَاب

في أبيات له يعني امرأته في غير حديث أحد، وتروى الأبيات أيضاً لمعقل بن خويلد الهذلي».

(٢) الأغاني: «لما قتل أصحاب الألوية».

(٣) الرباعية: السن التي بين الثنية والناب.

وكُلِم فى وجنتيه وجبهته فى أصول شعره ، وعلاه ابنُ قميئة بالسّيف على شقّه الأيمن ؛ وكان الذى أصابه عُتْبة بن أبى وقاص .

حدّثنا ابن بشار ، قال : حدّثنا ابن أبى عَدِيّ ، عن حُمَيْد ، عن أنس بن مالك ، قال : لمَّا كان يوم أحدٍ ، كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وشُجّ ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : كيف يُفلح قومٌ خضّبوا وجه نبيّهم بالدم. وهو يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ ! فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ...﴾ (١) الآية .

* * *

قال أبو جعفر : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيَه القوم : مَنْ رجلٌ يشرِى لنا نفسه !

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السَّكَن ، قال : فقام زياد بن السَّكَن فى نفر خمسة من الأنصار ، وبعض الناس يقول : إنّما هو عُمارة بن زياد ابن السَّكَن ، فقاتلوا دونَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلا ، ثم رجلا ، يقتلون دونه ؛ حتّى كان آخرهم زيادٌ ـ أوعمارة بن زياد بن السَّكن (٢) ـ فقاتل حتى أثبتَتْه الجراحة ، ثم فاءَت من المسلمين فئَةٌ (٣) حتّى أجهَضوهم (٤) عنه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أدنوهُ منى ، فأدنوْه منه ، فوَسَّدَه قدمه ؛ فمات وخدُّه على قَدَمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتَرّس دون ١٤٠٤/١

(١) سورة آل عمران ١٢٨ .
(٢) الأغانى : « زياد بن عمارة بن زياد بن السكن » .
(٣) الفئة : الجماعة .
(٤) أجهضوهم : أزالوهم وغلبوهم .
(٥) الأغانى : « من دون » .

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبو دُجانة بنفسه يَقَعُ النَّبل فى ظهره وهو مُنْحَنٍ عليه ؛ حتى كثُرت فيه النَّبل، ورَمى سعد بن أبى وقاص دونَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال سَعْدٌ : فلقد رأيتُه يناولنى ويقول : ارْمِ فِداك أبى وأمّى ! حتى إنَّه ليُناوِلُنى السَّهم ما فيه نَصْلٌ ، فيقول : ارْمِ به !

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم رَمَى عن قوسه حتى اندقّتْ سِيَتُها [١] ، فأخذها قتادة بن النعمان ؛ فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عينُ قَتادة بن النعمان ؛ حتى وقعت على وجْنَتِه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ردّها بيده ؛ فكانت أحسن عينيه وأحَدَّهما .

* * *

قال أبو جعفر : وقاتَل مُصعب بن عمير دون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه لواؤه حتى قتل ؛ وكان الذى أصابه ابن قَمِيئة [٢] الليثىّ . وهو يظنّ أنّه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فرجع إلى قريش ، فقال : قتلت محمدًا . فلما قتِل مُصعب بن عمير أعطى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم اللواءَ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد [٣] شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصىّ ؛ وكان أحدَ النَّفر الّذين يحملون اللِّواء ، ثم مرّ به سباع بن عبد العُزّى الغُبْشانىّ – وكان يكنى بأبى نِيَار – فقال له حمزة بن عبد المطّلب : هلمّ إلىّ يا بنَ مُقَطِّعة البُظور – وكانت أمّه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفىّ ، وكانت ختّانة بمكّة – فلمّا التقيا ضربه حمزة فقتله ، فقال

١٤٠٥/١

---

(١) سيه القوس : طرفه .

(٢) الأغانى وابن هشام : « ابن قبئة » . (٣) ساقطة من رواية الأغانى .

وَحْشِيّ غُلامُ جبَير بن مطعِم : والله إنى لأنْظُر إلى حمزة يَهُدُّ[١] الناس بسيفه، ما يُلِيق[٢] شيئًا يمرّ به ؛ مثل الجمل الأورق؛ إذ تقدّمنى إليه سِباع بن عبد العزّى ، فقال له حمزة : هلُمّ إلىّ يا بن مقطّعة البظور ! فضربه ؛ فكأنما أخطأ رأسَه ، وهززت حربتى حتى إذا رضيتُ منها دفعتُها عليه فوقعت فى لَبّته حتى خرجت من بين رجليه ، وأقبل نحوى ، فغلب فوقع ، فأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذتُ حربتى ؛ ثم تنحّيت إلى العسكر ؛ ولم يكن لى بشىء حاجة غيره . وقد قتل عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح أخو بنى عمرو بن عوف مسافع بن طلحة وأخاه كِلابَ بن طلحة ؛ كلاهما يُشعره[٣] سهماً ؛ فيأتى أمّه سُلافة فيَضَعُ رأسه فى حجرها ، فتقول : يا بنىّ ، مَنْ أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلاً حين رمانى يقول : خذها وأنا ابن الأقلح ! فتقول : أقلحىّ ! فنذَرَتْ لله إن الله أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخَمْرَ . وكان عاصم قد عاهد الله ألاّ يمسّ مشركًا أبدًا ولا يمسّه . ١٤٠٦/١

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ؛ أخو بنى عدىّ بن النّجار ، قال : انتهى أنس بن النضر ؛ عمّ أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب وطلْحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوْا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتِل محمد رسول الله، قال: فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا [كراما] [٤] على ما مات عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ثم استقبل القوم ؛ فقاتل حتى قتِل ؛ وبه سمّى أنس بن مالك .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى حُميْد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن

(١) هذه بالسيف : قطعه .

(٢) ما يليق : ما يترك وما يبقى .

(٣) أشعره سهما : خالطه به .

(٤) من الأغانى .

النَّضر يومئذ سبعين ضربة وطعنة فما عرفه إلاّ أخته ، عرفتْه بحسن بنانه .

حدّثنا ابنُ حميد ،قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان أوّل مَنْ عرف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعد الهزيمة وقول الناس : « قُتِل رسول الله صلى الله عليه وسلم » ــ كما حدثني ابن شهاب الزهريّ ــ كعب بن مالك ، أخو بنى سلِمة ، قال : عرفت عينيه تزهَران تحت المغْفر، فناديت : بأعلى صوتى : يا معشرَ المسلمين أبشروا ! هذا[1] رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم! فأشار إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أن أنصِتْ . فلمّا عرف المسلمون رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم نهضوا به ، ونهض نحو الشِّعب ، معه علىّ بن أبى طالب ، وأبو بكر بن أبى قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، والحارث بن الصِّمَّة ، فى رهط من المسلمين[2] . فلما أسند[3] رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى الشِّعب أدركه أبىّ بن خلف وهو يقول : أين مُحمَّد ! لا نجوْتُ إن نجوتَ ! فقال القوم : يا رسولَ الله ، أيعطف عليه رجل منَّا؟ قال : دعوه ، فلمَّا دنا تناول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الحربة من الحارث بن الصِّمَّة ــ قال : يقول بعض الناس فيما ذكر لى : فلمَّا أخذها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، انتفض بها انتفاضة تطايرْنا عنه تطايُر الشَّعْراء[4] عن ظهر البعير إذا انتفض بها ؛ ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدَأدَأ[5] منها عن فرسه مرارًا .

١٤٠٧/١

وكان أبىّ بن خلف ــ كما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد ابن اسحاق، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ــ يلْقَى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بمكّة ، فيقول : يا محمَّد إن عندى العَوْد ، أعلفه كلّ يوم فَرْقا[6] من ذُرة أقتلك عليه ! فيقول

(١) م : « هذاك » . (٢) الخبر إلى هنا فى التفسير ٧ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) أسند فى الجبل : رقى فيه .

(٤) الشعراء : ذباب أحمر ، وقيل أزرق ، يقع على الإبل ويؤذيها أذى شديداً .

(٥) تدأدأ : تدحرج .

(٦) الفرق : مكيال لأهل المدينة يسع ثلاثة أصواع .

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: بل أنا أقتلك إن شاء الله. فلما رجع إلى قريش، وقد خدشه فى عنقه[١] خَدْشًا غير كبير؛ فاحتقن الدم، قال: قتلنى والله محمّد. قالوا: ذهب والله فؤادك؛ والله إنْ بك بأس[٢]. قال: إنه قد كان بمكّة قال لى: أنا أقتلك؛ فوالله لو بصق علىّ لقتلنى. فمات عدوّ الله بسَرِف وهم قافلون به إلى مكّة.

١/١٤٠٨

قال: فلمّا انتهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى فم الشِّعب، خرج علىّ بن أبى طالب حتى ملأ دَرَقَتَه من المِهْراس[٣]. ثم جاء به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليشرب منه؛ فوجد له ريحًا فعافه؛ ولم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدّم؛ وصُبّ على رأسه؛ وهو يقول: اشتدّ غضب الله على من دَمّى وَجْهَ نَبيِّه.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، قال: حدّثنى صالح بن كيسان، عمّن حدّثه، عن سعد بن أبى وقّاص، أنه كان يقول: والله ما حرَصْت على قتل رجل قطّ ما حرَصْت على قتل عُتْبة بن أبى وقّاص؛ وإن كان ما علمتُ لَسيِّىءَ الخلق، مبغّضًا فى قومه؛ ولقد كفانى منه قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اشتدّ غضب الله على من دَمّى وجه رسول الله».

حدّثنا محمد بن الحُسين، قال: حدّثنا أحمد بن المفضل، قال: حدّثنا أسباط، عن السُّدىّ، قال: أتى ابن قميئة الحارثىّ أحد بنى الحارث ابن عبد مناة بن كنانة، فرمى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بحجَر، فكسر أنفه ورباعيَته، وشجّه فى وجهه، فأثقله وتفرّق عنه أصحابه، ودخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة، فقاموا عليها، وجعل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يَدْعُو الناس: إلىّ عباد الله!

---

(١) الأغانى: «حلقه».

(٢) الأغانى: «ما بك بأس».

(٣) المهراس: ماء بجبل أحد.

١/١٤٠٩ إلىّ عباد الله ! فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسيرون بين يديه ، فلم يقف أحد إلاّ طلحة وسهل بن حُنَيف ، فحماه طلحة ، فرُمى بسهم فى يده فيبِسَتْ يَدُه ، وأقبل أبىّ بن خلَف الجُمحىّ ؛ وقد حلف ليقتلنّ النبى صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : بل أنا أقتله ، فقال : يا كذّاب ، أين تَفِرُّ ! فحمل عليه فطعنه النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى جيب الدرع ؛ فجرح جرحًا خفيفًا ، فوقع يخورُ خُوَارَ الثور ؛ فاحتملوه ، وقالوا : ليس بك جراحة ، فما يجزعك ؟ قال: أليس قال : « لأقتلنّك » ! لوكانت بجميع ربيعة ومضر لقتلتْهم ! فلم يلبث إلاّ يومًا أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

وفشا فى النّاس أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبىّ ؛ فيأخذ لنا أمَنة من أبى سفيان ! يا قوم إن محمدًا قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم. قال أنس بن النّضر : يا قوم إن كان محمّد قد قتِل ؛ فإن ربّ محمد لم يقتل. فقاتِلوا على ما قاتل عليه محمّد : اللهمّ أنى أعتذر إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ! ثم شدّ[1] بسيفه فقاتل حتى قتل ؛ وانطلق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يدعو النّاس حتّى انتهى إلى أصحاب الصخرة ؛ فلمّا رأوه وَضَعَ رَجُلٌ سهمًا فى قوسه ، فأراد أن يرميَه فقال : أنا رسولُ الله ؛ ففرحوا بذلك حين وجدوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حيًّا ، وفرح رسول ١/١٤١٠ الله صلّى الله عليه وسلّم حين رأى أنّ فى أصحابه مَنْ يمتنع به ؛ فلمّا اجتمعوا وفيهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ذهب عنهم الحزن ؛ فأقبلوا يذكرون الفتح ، وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عزّ وجلّ للذين قالوا : « إن محمدًا قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم » : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

---

(١) م : « سل سيفه » .

وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ ﴾[1].

فأقبل أبو سفيان حتّى أشرف عليهم ، فلمّا نظروا إليه نسوا ذلك الذى كانوا عليه، وأهمّهم أبو سفيان ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ليس لهم أن يعلُونا ؛ اللّهمّ إنْ تقتَل هذه العصابة لا تُعْبَد ! ثم نَدَب أصحابه ، فرمَوْهم بالحجارة حتى أنزلوهم ؛ فقال أبو سفيان يومئذ: اعلُ هُبَل ، حنظلة بحنظلة ، ويومٌ بيوم[2] بدر . وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب ، وكان جُنُبًا فغسّلته الملائكة ؛ وكان حنظلة بن أبى سفيان قُتِل يوم بدر ؛ وقال أبو سفيان: لنا العزّى ولا عزّى لكم ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لعمر : قل: الله مولانا ولا مولى لكم . فقال أبو سفيان : أفيكم[3] محمّد ! أما إنّها[4] قد كانت فيكم مُثْلة ، ما أمرت بها ولا نهيت عنها ؛ ولا سرَّتْنى ولا ساءتنى ؛ فذكر الله عزّ وجلّ إشراف أبى سفيان عليهم، فقال : ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ ، والغمّ الأول ما فاتهم من الغنيمة والفتح ، والغمّ الثانى إشراف العدوّ عليهم ، ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ من الغنيمة ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾[5] من القتل حين تذكرون . فشغلهم أبو سفيان[6]. ١ / ١٤١١

قال أبو جعفر : وأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال — فيما حدّثنا ابنُ حُميد قال : حدّثنا سلمة عنه — بينا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الشِّعب ؛ ومعه أولئك النَّفر من أصحابه إذ علَتْ عالية من قريش الجبل ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : اللّهمّ إنّه لا ينبغى لهم أن يعلُونا ؛ فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ؛ ونهض رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى صَخْرة من الجبل ليعلوها . وقد كان بدّنَ رسول

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .
(٢) م : « ويوم أحد بيوم بدر » .
(٣) م : « فيكم » .
(٤) م : « قال : أما إنها » ، وفى التفسير « قالوا : نعم ، قال » .
(٥) سورة آل عمران ١٥٣ .
(٦) التفسير ٧ : ٣٠٧ — ٣٠٨ .

الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وظاهَرَ بين دِرْعَيْن[١] ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ؛ فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض حتَّى استوى عليها[٢] .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد : قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، كما حدّثنا يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزُّبير ، قال : سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول يومئذ : أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع .

قال أبو جعفر : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، حتى انتهى بعضُهم إلى المنقّى دون الأعوص ، وفرّ عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان (رجلان من الأنصار) ؛ حتى بلغوا الجَلْعَبَ (جَبلا بناحية المدينة مما يلى الأعوص) ، فأقاموا به ثلاثًا ثم رجعوا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فزعموا أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، قال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة[٣] . ١٤١٢/١

* * *

قال أبو جعفر : وقد كان حنظلة بن أبى عامر الغسيل ، التقى هو وأبو سفيان بن حرب ، فلمّا استعلاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود — وكان يقال له . ابن شَعوب — قد علا أبا سفيان ، فضربه شدّاد فقتله ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إن صاحبكم[٤] — يعنى حنظلة — لتغسلهُ الملائكة . فسلوا أهله : ما شأنه ؟ فسئلَتْ صاحبته ، فقالت : خرج وهو جُنُب حين سمع الهائعة[٥] ؛ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لذلك غسَّلته الملائكة ، فقال شدّاد ابن الأسود فى قتله حنظلة :

لأَحْمِيَنَّ صاحِبى ونفْسى ... بطَعْنَةٍ مِثْل شُعاع الشَّمْسِ

---

(١) وظاهر بين درعين ، أى لبس إحداهما على الأخرى .

(٢) الخبر فى التفسير ٧ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) عريضة ، أى واسعة ، وانظر النهاية ٣ : ٨٢ . (٤) و : « صاحبكما » .

(٥) الهائعة : الصوت الذى تفزع منه وتخافه من العدو .

وقال أبو سفيان بن حرب ؛ وهو يذكر صبره ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شَعوب شدّاد بن الأسود إيّاه على حنظلة :

ولو شئْتُ نجّتْنى كُمَيتٌ طِمِرّةٌ ... ولم أحْمل النّعْماءَ لابن شَعُوب[1]
فما زال مُهْرى مَزْجَرَ الكلْب مِنْهُمُ ... لدَى غُدْوَةٍ حتى دَنتْ لِغُرُوب[2]
أقاتلهُمْ وأدّعِى يالَ غالبٍ ... وأدْفعهُمُ عَنِّى برُكْن صَليب
فبَكِّى ولا ترْعَىْ مقالة عاذلٍ ... ولا تسْأمى من عَبْرَةٍ ونَحيبِ
أباكِ وإخواناً له قد تتابعوا ... وحُقَّ لهم من عَبْرَةٍ بنصيب
وسَلَّى الذى قد كان فى النَّفس أنّنى ... قَتلت من النَّجار كُلَّ نجيب
ومن هاشمٍ قرْماً نجيباً ومُصْعباً ... وكان لدَى الهَيْجاء غير هَيُوب[3]
وَلو أنّنى لم أشْف منهم قَرُونتِى ... لكانت شجًى فى القلب ذات نُدُوب[4]
فآبُوا وَقد أودَى الجلائبُ منْهُمُ ... لهم خدَبٌ من مُغْبطٍ وكَئيب[5]
أصابهُمُ من لم يكن لدِمَائِهم ... كَفِيًّا ولا فى خُطَّةٍ بضرِيب

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

ذكرْتَ القُرُومَ الصِّيدَ من آل هاشمٍ ... ولسْتَ لزُورٍ قُلْتَهُ بمُصيب[6]
أتعْجَبُ أنْ أقْصَدْتَ حَمْزَةَ منْهُمُ ... نجيباً وقدْ سَمّيْتَه بنَجيب[7]
ألَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وعُتْبَةَ وابنَهُ ... وشَيْبَةَ وَالحَجّاجَ وابْنَ حَبيبِ !

---

(١) الطمرة : الفرس السريعة الوثب .

(٢) مزجر الكلب ؛ أى لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذى يزجر الكلب فيه .

(٣) القرم : الفحل الكريم من الإبل ؛ يريد حمزة .

(٤) القرونة : النفس ، وفى ابن هشام : « لم أشف نفسى منهم ».

(٥) الحلائب : الجماعات ، أو أنصار الرجل من بنى عمه ؛ ورواية البيت فى ابن هشام :

قالُوا وَقَدْ أَوْدَى الجَلابِيبُ منْهمُ ... بِهِم خدَبٌ مِنْ معْطبٍ وكَئِيب

(٦) أبيات أبى سفيان وجواب حسان ؛ فى ديوان حسان ٦٤ – ٦٦ .

(٧) أقصده : رماه .

غدَاة دعَا العاصى عَليًّا فراعَهُ بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بلّه بخَضيب

وقال شدّاد بن الأسود، يذكر يده عند أبى سفيان بن حرب فيما دفع عنه :

وَلوْلا دِفَاعِى يابنَ حَرْبٍ ومَشْهَدِى لألْفِيتَ يَوْمَ النَّعْفِ غيْرَ مجيبِ
ولَوْلا مَكرّى المُهرَ بالنَّعْفِ قَرْقَرَتْ ضِبَاعٌ عَلَيْهِ أوْ ضِرَاءُ كَلِيبِ

وقال الحارث بن هشام يجيب أبا سفيان فى قوله :

* وما زال مُهْرِى مَزْجَرَ الكلبِ منهمُ *

وظنّ أنه يعرّض به إذ فرّ يوم بدر :

١٤١٥/١

وإنَّكَ لوْ عَاينْتَ ما كان منْهُمُ لأبْتَ بقَلْبٍ مَا بقيتَ نَخِيبِ [1]
لَدَى صَحْنِ بدْرٍ أَولقامَتْ نَوَائِحٌ عليك، ولم تَحْفِلْ مُصَابَ حَبِيبِ
جَزَيتهمُ يَوماً ببَدْر كمثْلِهِ عَلى سابحٍ ذى مَيْعَةٍ وشَبِيبِ [2]

* * *

قال أبو جعفر : وقد وقفت هند بنت عتبة ـ فيما حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى صالح بن كيسان ـ والنّسوة اللّاتى معها يمثُلْنَ بالقتْلَى من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، يجدَعْنَ الآذان والأنوف [3] ؛ حتى اتّخذَتْ هند من آذان الرجال وآنُفِهم خَدَمًا [4] وقلائد ، وأعطت خَدَمَها وقلائدها وقِرَطَتَها وَحْشِيًّا ، غلام جُبير بن مُطْعِم ، وبقرتْ عن كبد حمزة

---

(١) النخيب : الجبان الفزع .

(٢) السابح : الفرس الذى كأنه يسبح فى جريه . والميعة : الخفة والنشاط ، شبيب ، أى شاب .

(٣) الأغانى : « الآنف » .

(٤) الخدم : جمع خدمة ، بالتحريك ؛ وهى الخلخال .

فلاكتْها فلم تستطع أن تُسيغها فلفظتها . ثم علَتْ على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفرُوا بما أصابوا من أصحاب رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدثنى صالح بن كيسان ، أنّه حدّث أنّ عمر بن الخطاب ١٤١٦/١ قال لحسان : يا بن الفُرَيْعَة لو سمعتَ ما تقول هند ورأيتَ أشَرها ، قائمة على صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ! فقال له حسَّان : والله إنِّى لأنظر إلى الحربة تهوِى وأنا على رأس فارع — يعنى أطُمَه — فقلت : والله إنّ هذه لسلاحٌ ما هى بسلاح العرب ؛ وكأنَّها إنَّما تهوِى إلى حمزة ؛ ولا أدرى . أسمِعْنى بعض قولها أكفيكموها ؛ قال : فأنشده عُمَرُ بعض ما قالت ، فقال حسَّان يهجو هندًا :

أَشِرَتْ لَكَاعِ وكان عادَتَها ... لُؤْمًا إذَا أَشِرَتْ مَعَ الْكُفْرِ [(١)]

لَعَنَ الإلهُ وزَوْجَهَا مَعَهَا ... هِنْدَ الهُنُودِ عَظِيمَةَ البَظْرِ

أَخْرَجْتِ مُرْقِصَةً إلَى أُحُدٍ ... فى القَوْمِ مُقْتِبَةً عَلَى بَكْرِ [(٢)]

بَكْرٍ ثَفَالٍ لا حَرَاكَ بِهِ ... لا عَنْ مُعاتَبَةٍ ولا زَجْرِ [(٣)]

وعصَاكِ إسْتُكِ تَتَّقِينَ بهَا ... دُقِّى العُجَايَةَ هِنْدُ بالفِهْرِ [(٤)]

قَرِحَتْ عَجِيزَتُهَا وَمَشْرَجُهَا ... من دَأْبِهَا نَصًّا على القُتُرِ [(٥)]

---

(١) ديوانه ٢٢٩ . لكاع : كنى بها عن هند ، وامرأة لكاع : لئيمة ، ورواية الأغانى : « من الكفر » .

(٢) الإرقاص : أن يحمل البعير على الخبب ، وفى الديوان : « معنقة على بكر » .

(٣) الثفال : البطىء من الإبل .

(٤) يقال : عصاه استه ، أى ليس معه عصا ؛ فهو يحرك استه على المطية حتى تسير . والعجاية : العصب يضرب حتى يلين . والفهر : حجر يملأ الكف .

(٥) النص : ضرب من السير السريع ؛ والقتر ، بالضم : الناحية والجانب .

١٤١٧/١

ظَلّتْ تُدَاوِيهـا زَمِيلَتُهَا بالماء تَنْضَحُهُ و بِالسِّدْرِ
أَخْرَجْتِ ثائِرَةً مبـادِرةً بأَبيكِ وابْنِكِ يومَ ذى بَدْرِ
و بعمِّكِ المَسْتُوهِ فى رَدَعٍ وأخيكِ منعفِرَيْنِ فى الجَفْرِ (١)
ونسيتِ فاحشـةً أَتَيْتِ بهـا يا هِنْدُ ، وَيْحَكِ سُبَّةَ الدَّهْرِ! (٢)
فَرَجَعْتِ صـاغِرَةً بلا تِرَةٍ مِنّا ظَفِرْتِ بهـا ولا نَصْرِ
زَعَمَ الوَلائِدُ أَنها وَلَدَتْ وَلَدًا صَغِيرًا كان من عَهْرِ

قال أبو جعفر : ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم — فيما حدّثنا هارون بن إسحاق قال : حدّثنا مصعب بن المقدام ، قال : حدّثنا إسرائيل .

وحدّثنا ابن وكيع ، قال : حدّثنى أبى ، عن إسرائيل ، قال : حدّثنا أبو إسحاق ، عن البَرَاء ، قال : ثمّ إن أبا سفيان أشرف علينا ، فقال : أفى القوم محمد ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تجيبوه ؛ مرتين ، ثمّ قال : أفى القوم ابن أبى قُحافة ؟ ثلاثًا ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : لا تجيبوه ، ثم قال : أفِى القوم ابن الخطاب ؟ ثلاثًا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجيبوه ، ثم التفت إلى أصحابه ، فقال : أمّا هؤلاء فقد قُتِلوا ، لو كانوا فى الأحياء لأجابوا ، فلم يملك عمرُ بنُ الخطّاب نفسَه أن قال : كذبتَ يا عدوّ الله ، قد أبقى الله لك ما يخزيك ! فقال : اعلُ هُبَل ! اعلُ هُبَل ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعْلَى وأجَلّ ! قال أبو سفيان : ألا لنا العُزّى ولا عُزّى لكم ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : أجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم ! قال أبو سفيان : يومٌ

١٤١٨/١

---

(١) المستوه : المضروب فى استه . والردع : الدم . الديوان : « المسلوب بزته » وفى ط : « ودع » ، وما أثبته من الأغانى .

(٢) الأغانى : « سيئة الدهر » .

بيوم بدر ، والحرب سِجَال ؛ أمَّا إنكم ستجدون فى القوم مُثْلاً لم آمُرْ بها ولم تسؤنى .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال فى حديثه : لمَّا أجاب عمرُ أبا سفيان قال له أبوسفيان : هلمّ يا عمر ، فقال له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إيتِه فانظُرْ ما شأنه ؟ فجاءه فقال له أبوسفيان : أنشدُك اللهَ يا عمر ، أقتلنا محمدًا ؟ فقال عمر : اللهمّ لا ؛ وإنه ليسمع كلامَك الآن ، فقال : أنت أصْدَق عندى من ابن قَميئَةَ[1] وأبرّ ؛ لقول ابن قميئة لهم : إنّى قتلت محمدًا . ثمّ نادى أبو سفيان ، فقال : إنَّه قد كان فى قتلاكم مُثَلٌ[2] والله ما رضيت ولا سخِطت ، ولا نهيت ولا أمرْت[3] .

وقد كان الحُلَيْس بن زَبّان أخو بنى الحارث بن عبد مَناة ، وهو يومئذ سيّد الأحابيش ، قد مرّ بأبى سفيان بن حرب ، وهو يضرب فى شِدْق حمزة بزُجّ الرّمح ، وهو يقول : ذُقْ عُقَقُ ![4] فقال الحُلَيْس : يا بنى كنانة ، هذا سيّد قريش يصنع بابن عمّه كما ترون لحما[5] ! فقال : اكتمها ، فإنّها كانت زَلَّة ؛ فلمَّا انصرف أبوسفيان ومَنْ معه نادى : إنّ موعدَكم بدر للعام المقبل ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لرجل من أصحابه : قل نعمْ هى بيننا و بينك موعد . ١ / ١٤١٩

ثم بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، فقال : اخرُجْ فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ! فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ؛ فإنّهم يريدون مكَّة ؛ وإن ركبوا الخيل ، وساقوا الإبل ؛ فهم يريدون المدينةَ ؛ فوالّذِى نفسى بيده ؛ لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها ثم لأناجزَنّهم . قال علىّ : فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا

---

(١) الأغانى : « قمئة » . (٢) الأغانى : « إنه قد كان مثل » . والمثل : جمع مثلة .
(٣) التفسير ٧ : ٣٠٩ ، ٣١٠ .
(٤) ذق عقق ، أى ذق جزاء فعلك يا عاق ؛ وعقق : معدول عن عاق للمبالغة ، كغدر من غادر .
(٥) لحما ، أراد وهو قتيل .

يصنعون ؛ فلما اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل توجّهوا إلى مكّة ؛ وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قال: أيّ ذلك كان فأخفه[١] حتى تأتيني. قال عليٌّ عليه السلام: فلما رأيتُهم قد توجّهوا[٢] إلى مكّة أقبلت أصيح؛ ماأستطيع أن أكتم الذى أمرنى به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لما بى من الفرَح ؛ إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكّة عن المدينة.

وفرغ الناس لقتلاهم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، عن محمّد بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة المازنىّ أخى بنى النّجار ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : مَن رجلٌ ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ — وسعد أخو بنى الحارث بن الخزرج — أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسولَ الله ما فعل ؛ ١٤٢٠/١ فنظر فوجده جريحًا فى القتلَى به رمَق ، قال : فقلت له : إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أمرنى أن أنظر له : أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : فأنا فى الأموات، أبلغْ رسولَ الله عنّى السّلام ، وقل له : إنّ سعدَ ابن الربيع يقول لك : جزاك الله خيرما جُزِى نبىّ عن أمته ؛ وأبلغْ عنّى قومَك السّلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عُذْر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيّكم صلّى الله عليه وسلّم وفيكم عينٌ تطرف . ثم لم أبرح حتّى مات ؛ فجئت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبرتهُ خبرَه . وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما بلغنى — يلتمس حمزة بن عبد المطّلب ، فوجده ببطن الوادى قد بُقِرَ بَطْنُه عن كبده ، ومثّلَ به ، فجُدِعَ أنفه وأذناه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فحدّثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حين رأى بحمزة ما رأى ، قال : لولا أن تحزن صفيّة أو تكون سنّة من بعدى لتركته حتى يكونَ فى أجواف السباع وحواصل الطّير ؛ ولئن أنا أظهرَنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثّلنّ بثلاثين رجلا منهم ؛ فلمّا رأى

---

(١) و : « فأخف » . (٢) م : « وجهوا » .

المسلمون حزْنَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وغيظه على ما فُعِل بعمِّه ، قالوا : والله لئن ظهرْنا عليهم يومًا من الدهر لنَمثُلَنّ بهم مُثْلَةً لم يمثُلها أحد من العرب بأحد قطّ ! . ١ / ١٤٢١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، قال : أخبرني بُرَيدة بن سفيان بن فروة الأسلميّ ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، عن ابن عباس . قال ابن حميد ، قال سلَمة : وحدّثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثني الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقسَم ، عن ابن عباس ، قال : إن الله عزّ وجلّ أنزل في ذلك من قول رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم وقول أصحابه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾[1]، إلى آخر السورة ، فعفا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وصبر ونهى عن المُثْلَة .

قال ابن إسحاق : وأقبلَتْ — فيما بلغني — صفيَّةُ بنتُ عبد المطّلب لتنظر إلى حمزة — وكان أخاها لأبيها وأمها — فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لابنها الزّبير بن العوّام : القَها فارجعها ، لا ترى ما بأخيها . فلقيها الزبير فقال لها : يا أمّه ؛ إنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يأمرك أن ترجعي ، فقالت : ولم ، وقد بلغني أنه مُثِلَ بأخي وذلك في الله قليل ! فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله . فلمّا جاء الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خَلّ سبيلها ، فأتَتْهُ فنظرتْ إليه وصلّتْ عليه ؛ واسترجعَتْ واستغفرت له ؛ ثم أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم به فدُفِن .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : فحدّثني محمَّد بن إسحاق ، قال : فزعم بعض آل عبد الله بن جحش — وكان لأمَيْمةَ بنت عبد المطّلب خاله حمزة ؛ وكان قد مُثِل به كما مُثِل بحمزة ؛ إلاّ أنه ١ / ١٤٢٢

(١) سورة النحل ١٢٦ .

لم يُبْقَرْ عن كبده ـ أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم دَفَنه مع حمزة فى قبره ؛ ولم أسمع ذلك إلاّ عن أهله .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عاصم بن قتادة ، عن محمود بن لَبِيد ، قال : لمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحُد وقع[1] حُسَيْل بن جابر ـ وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان ـ وثابت بن وقْش بن زَعوراء فى الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدُهما لصاحبه ؛ وهما شيخان كبيران : لا أبالك ! ماتنتظر؟ فوالله إنْ بقى لواحد منّا من عمره إلاّ ظِمْءُ حِمَار[2] ؛ إنّما نحن هامة اليوم[3] أو غَد ؛ أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعلّ الله عزّ وجلّ يرزقنا شهادة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ! فأخذا أسيافهما ، ثم خرجا حتى دخلا فى النّاس ، ولم يُعلَم بهما ؛ فأمّا ثابت بن وقْش فقتله المشركون ، وأما حُسَيْل بن جابر ، اليَمَان ، فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ؛ ولا يعرفونه . فقال حُذَيفة : أبى ! قالوا : والله إنْ عرفناه . وصدقوا ، قال حُذَيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ! فأراد رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن يَدِيَه[4] فتصدّق حُذَيفة بِديَتِه على المسلمين ، فزادته عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خيرًا . ١ / ١٤٢٣

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ رجلاً منهم كان يُدْعى حاطب بن أميّة بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جِراحة يوم أحُد : فأُتِىَ به إلى دار قومه وهو يموت ؛ فاجتمع إليه أهلُ الدّار ؛ فجعل المسلمون يقولون من الرجال والنساء : أَبْشِرْ يا بنَ حاطب بالجنّة ،

(١) كذا فى م ، وفى الأغانى : « رجع » .
(٢) ظمء الحمار : ما بين الشربتين له ؛ وليس شىء من الدواب أقصر ظمئاً من الحمار ، يرد الماء كل يوم فى الصيف مرتين .
(٣) هامة اليوم ، أى سنموت اليوم أو غدا .
(٤) وداه ، أى أدى ديته .

قال : وكان حاطب شيخًا قد عسا [١] فى الجاهليّة ، فنَجَم يومئذ نفاقه ، فقال : بأىّ شىء تبشّرونه ، أبجنّة من حرمل [٢] ! غررتُم والله هذا الغلامَ من نفسه ، وفجعتمونى به !

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ أتىٌّ [٣] لا يُدْرَى من أين هو ، يقال له قُزْمَان ، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول إذا ذُكِر له : إنّه لَمِنْ أهل النار ؛ فلمّا كان يوم أحُد ، قاتل قتالا شديدًا ، فقَتَل هو وحده ثمانيةً من المشركين أو تسعة ؛ وكان شهمًا شجاعًا ذا بأس ؛ فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بنى ظَفَر . قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبليت اليوم يا قُزمان ؛ فأبشر ! قال : بم أبشر ! فوالله إن قاتلتُ إلاّ على أحساب قومى ؛ ولولا ذلك ما قاتلت ؛ فلمّا اشتدّت عليه جراحته ، أخذ سهمًا من كنانته فقطع رواهِشَه فنزفه الدم فمات ؛ فأخبر بذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : أشهد أنّى رسولُ الله حقًّا ! ١٤٢٤/١

وكان ممّن قُتِل يوم أحُد مُخَيْريق اليهودىّ ، وكان أحدَ بنى ثعلبة ابن الفِطْيَوْن ، لمّا كان ذلك اليوم قال : يا معشَر يهود ؛ والله لقد علمتم أنّ نصر محمد عليكم لَحَقٌّ . قالوا : إنّ اليوم يوم السَّبت ، فقال : لا سبْتَ ، فأخذ سيفه وعدّته ، وقال : إن أصِبْتُ فمالى لمحمّد يصنع فيه ما شاء . ثم غدا إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فقاتل معه حتى قُتِل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى : مُخَيْرِيق خيرُ يهود .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن

---

(١) عسا ، أى كبر وأسن .

(٢) قال السهيلى : « يريد الأرض التى دفن فيها ؛ وكانت تنبت الحرمل : أى ليس له جنة إلا ذاك » .

(٣) الأتى : الغريب ليس من القوم .

إسحاق ، قال : وقد احتمل ناسٌ من المسلمين قتْلاهم إلى المدينة. فدفنوهم بها ، ثم نهَى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن ذلك ، وقال : ادفنوهم حيث صُرِعُوا .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال: حدثنى أبى إسحاق بن يَسار ، عن أشياخ من بنى سلِمة ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال يومئذ حين أمَر بدفن القتْلى : انظروا عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام . فإنهما كانا متصافيَيْنِ فى الدنيا ، فاجعلوهما فى قبر واحد. قال : فلمّا احتفر معاوية القناة أخْرِجا وهما ينثنيان[1] كأنما دفنا بالأمس .

قال : ثم انصرف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم راجعًا إلى المدينة ، فلقيتْه حَمْنَةُ بنت جحش — كما ذكر لى — فنُعِيَ لها[2] أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجَعَتْ واستغفرتْ له ، ثم نعِيَ لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجَعت واستغفرت له ، ثم نُعِيَ لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنّ زَوْجَ[3] المرأة منها لبمكان ؛ لما رأى من تثبُّتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها . ١٤٢٥/١

قال : ومرّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وظَفَر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ؛ فذَرَفتْ عينَا رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فبكى ثم قال : لكنّ حمزة لا بواكيَ له ! فلمّا رجع سعد بن معاذ وأسَيْد بن حُضَيْر إلى دار بنى عبد الأشهل أمَرَ نساءهم أن يتحزَّمْنَ ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق، قال: حدّثنى عبد الواحد بن أبى عَوْن، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص ؛

(١) م : « يتثنيان » .
(٢) م : « إليها » .
(٣) م : « لزوج » .

قال : مرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بامرأة من بني دينار ؛ وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأحُد ؛ فلما نعُوا لها قالت : فما فعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قالوا : خيرًا يا أمّ فلان ؛ هو بحمد الله كما تحبّين ؛ قالت : أرنيه حتى أنظرَ إليه ، فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كلُّ مصيبة بعدك جَلَلٌ (١) !

* * *

قال أبو جعفر : فلمّا انتهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الى أهله ناول سيفَه ابنته فاطمة ، فقال: اغسلي عن هذا دمَهُ يا بنيَّة ؛ وناولها عليٌّ عليه السلام سيفَه ، وقال : وهذا فاغسلى عنه ؛ فوالله لقد صدقنى اليوم . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لئن كنتَ صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حُنَيْف ، وأبو دُجانة سماك بن خَرَشَةَ . وزعموا أن عليّ بن أبى طالب حين أعطى فاطمة عليهما السلام سيفَه قال : ١٤٢٦/١

أفاطِمَ هَاكِ السَّيفَ غيْرَ ذَمِيم ... فلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ ولا بمُلِيمِ
لَعَمْرِى لقدقاتَلْتُ فى حُبِّ أحْمَدٍ ... وطاعةِ ربٍّ بالعِبادِ رحيمِ
وسَيفِى بكَفِّى كالشِّهابِ أهُزُّهُ ... أجُذُّ به من عاتِقٍ وصَمِيمِ
فما زِلْتُ حتى فَضَّ ربِّى جُمُوعَهمْ ... وحتى شَفَيْنَا نَفْسَ كلِّ حليمِ

وقال أبو دُجانة حين أخذ السيف من يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقاتل به قتالا شديدًا — وكان يقول : رأيت إنسانًا يخمش الناس خمشًا شديدًا فصَمدْت له ، فلما حملتُ عليه بالسيف وَلْوَلَتْ ؛ فإذا امرأة ؛ فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة — وقال أبو دُجانة :

أنا الَّذِى عاهَدَنى خَليلِى ... ونحْنُ بالسَّفْحِ لَدَى النَّخيلِ
ألاّ أقُومَ الدَّهْرَ فى الكَيُّولِ ... أضْرِبْ بِسَيْفِ اللهِ والرَّسولِ (٢) ١٤٢٧/١

(١) جلل ، أى صغيرة ، وهو من الأضداد . (٢) الكيول : آخر الصفوف فى الحرب .

[غزوة حمراء الأسد]

وكان رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم السبت؛ وذلك يوم الوقعة بأحُد؛ فحدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدّثنى حسين بن عبد الله، عن عِكْرِمة، قال: كان يوم أحُد يومَ السَّبت؛ للنّصف من شوال؛ فلمّا كان الغدُ من يوم أحُد - وذلك يوم الأحد لستّ عشرة ليلة خلتْ من شوّال - أذّنَ مُؤذّنُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى الناس بطلب العدوّ؛ وأذّن مؤذنه: ألاّ يخرجنّ معنا أحد إلاّ مَنْ حضر يومنا بالأمس. فكلّمه جابر بن عبدالله بن عمرو بن حَرام، فقال: يا رسول الله، إنّ أبى كان خلّفنى على أخوات لى سبعٍ، وقال لى: يا بُنىّ؛ إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رُجلَ فيهنّ، ولستَ بالذى أُوثرك بالجهاد مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على نفسى؛ فتخلّف على أخَواتك. فتخلّفت عليهنّ. فأذن له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم، فخرج معه؛ وإنّما خرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مُرْهِباً للعدوّ؛ وليبلّغهم أنه خرج فى طلبهم؛ ليظنّوا به قوّة، وأنّ الذى أصابهم لم يوهِنهم عن عدوّهم. ١/١٤٢٨

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، قال: فحدّثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان، أنّ رجلاً من أصحاب رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من بنى عبد الأشهل كان شهد أحُدًا، قال: شهدتُ مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنا وأخ لى، فرجعنا جَرِيحَيْنِ؛ فلمّا أذّن مؤذّنُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالخروج فى طلب العدوّ، قلت لأخى وقال لى: أتفُوتنا غزوة مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم! والله ما لنا من دابّة نركبها، وما منّا إلا جريح ثقيل؛ فخرجنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم - وكنت أيسر جُرْحاً منه - فكنت إذا غُلِبَ حملتُه عُقْبة[1] ومشى عُقْبة؛ حتى

---

(١) العقبة، بالضم: النوبة.

انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، حتّى انتهى إلى حمْراء الأسد ؛ وهى من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً : الاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

وقد مرّ به — فيما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم — معبدٌ الخُزاعىّ ، وكانت خُزاعة مسلمهم ومشركهم عَيْبَة[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة ، صفْقتُهم[2] معه ،لا يخفون عليه شيئًا كان بها — ومعبد يومئذ مشركٌ — فقال : يا محمّد ؛ أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك فى أصحابك ؛ ولوَدِدْنا أن الله كان أعفاك فيهم ! ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ، حتى لقىَ أبا سفيان بن حرْب ومن معه بالرّوحاء ، وقد أجمعوا الرّجعة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدّ أصحابه وقادتهم وأشرافهم ؛ ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم ؛ لنكرّن على بقيّتهم ؛ فلنفرُغنّ منهم . فلمّا رأى أبو سفيان معْبدًا ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمّد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمعٍ لم أر مثله قطّ ؛ يتحرّقون عليكم تحرّقًا ؛ قد اجتمع معه منْ كان تخلّف عنه فى يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنَق عليكم شىء لم أر مثلَه قطّ . قال : ويلك ما تقول ! قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصىَ الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم لنستأصل[3] بقيّتهم ، قال : فإنّى أنهاك عن ذلك ، فوالله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيه أبياتًا من شعر ، قال : وماذا قلت ؟ قال : قلت:

كَادَتْ تُهَدُّ منَ الأصْوَاتِ رَاحلَتِي إذسالَتِ الْأَرْضُ بالجُرْدِ الأبابيلِ[4]

١/ ١٤٢٩

---

(١) عيبة الرجل : موضع سره .
(٢) ساقطة من رواية الأغانى .
(٣) فى الأغانى : « لنستأصل شأفتهم » .
(٤) تهد : يبلغ منها الجهد وتكسر . والجرد : جمع أجرد ؛ وهو الفرس القصير الشعر . والأبابيل : الجماعات .

تَردِى بأسْدٍ كِرَامٍ لا تَنَابِلَةٍ عند اللِّقَاءِ ولا خُرْقٍ مَعَازِيلِ

١/١٤٣٠ فظَلتُ عَدْوًا أظنُّ الأرْضَ مَائلةً لمَّا سَمَوْا بِرَئيسٍ غيرِ مخذولِ

فقلتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ من لِقائِكُمُ إذا تَغَطْمَطَتِ البَطْحَاء بالجِيلِ[1]!

إنِّى نَذِيرٌ لأهلِ البَسْلِ ضاحِيةً لِكلِّ ذى إرْبَةٍ منهم ومَعْقُولِ[2]

من جَيْشِ أَحْمَدَ لا وَخْشٍ قَنَابِلُه وليسَ يُوصَفُ ما أنْذَرْتُ بالقِيلِ[3]

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومَنْ معه . ومَرّ به ركبٌ من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرَة ، قال : فهل أنتم مبلِّغون عنى محمّدًا رسالة أرسِلكم بها إليه ، وأحمِّل لكم إبلكم هذه غدًا زبيبًا بعُكَاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسيرَ إليه وإلى أصحابه ؛ لنستأصل بقيَّتهم. فمرّ الركبُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه : حسبنا الله ونعم الوكيل !

قال أبو جعفر : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد الثالثة ؛ فزعم بعضُ أهل الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظفر فى وجهه إلى حمراء الأسد بمعاوية بن المغيرة بن أبى العاص، وأبى عَزّة الجُمَحِىّ ؛ ١/١٤٣١ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلَّف على المدينة حين خرج إلى حمراء الأسد ابنَ أمّ مكتوم .

* * *

(١) تغطمطت : اضطربت . والجيل : الأمة وكل صنف من الناس .

(٢) فى الأغانى : « لأهل السيل » ؛ والسيل : من أسماء مكة . ضاحية : علانية . المعقول العقل .

(٣) الوخش : رذالة الناس وصغارهم . والقنابل : جمع قنبلة ؛ وهى الطائفة من الناس . وفى الأغانى : « تنابلة » .

وفى هذه السنة — أعنى سنة ثلاث من الهجرة — وُلِدَ الحَسَنُ بن علىّ بن أبى طالب فى النصف من شهر رمضان .

وفيها عَلِقَتْ فاطمة بالحسيْن صلوات الله عليهما. وقيل : لم يكن بين ولادتها الحسن وحملها بالحسين إلاّ خمسون ليلة .

وفيها حملت — فيما قيل — جَميلة بنت عبد الله بن أبىّ بعبد الله بن حنظلة بن أبى عامر فى شوّال .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة أربع من الهجرة

[غزوة الرَّجيع]

ثم دخلت السنة الرابعة من الهجرة ، فكان فيها غزوة الرّجيع في صفر.

وكان من أمرها ما حدّثني به ابن حُمَيد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثني محمّد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ قال : قدِم على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بعد أحُد رهْط من عَضَل والقارة[1] فقالوا له: يا رسولَ الله ؛ إن فينا إسلامًا وخيرًا ؛ فابعث معنا نفرًا من أصحابك يُفَقِّهونا[2] في الدين ، ويقرءونا[2] القرآن ، ويعلمونا[2] شرائع الإسلام. فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم معهم نفرًا ستّة من أصحابه : مَرْثَد بن أبي مرثد الغَنَوِيّ حليف حمزة بن عبد المطّلب ، وخالد بن البُكَيْر حليف بني عديّ بن كعب ، وعاصمِ بن ثابت بن أبي الأقلح أخا بني عمرو بن عوف ، وخُبَيْبَ بن عديّ أخا بني جَحْجَبى بن كُلْفَة بن عمرو بن عوف ، وزيدَ بن الدّثِنة أخا بني بياضة بن عامر ، وعبدَ الله بن طارق حليفًا لبني ظَفَر من بَلِيّ.

١ / ١٤٣٢

وأمّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على القوم مرثَد بن أبي مرثَد ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرّجِيع (ماء لهذيل بناحية من الحجاز من صدور الهَدْأة) غدرُوا بهم ، فاستصرخوا[3] عليهم هُذَيْلاً ، فلم يُرَع القومُ وهم في رحالهم إلاّ بالرجال في أيديهم السيوف ، قد غَشُوهم. فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا[4] القوم، فقالوا لهم : إنّا والله ما نريد قتلكم ؛ ولكنّا

---

(١) قال ابن هشام : « عضل والقارة : من الهون بن خزيمة بن مدركة ».

(٢) في رواية الأغاني ، بحذف النون على الجزم في جواب الطلب ؛ وإثباتها على أن تكون الجملة صفة لنفر.

(٣) استصرخوا : استنصروا.

(٤) ابن هشام : « ليقاتلوهم ».

نريد أن نصيب بِكم شيئًا من أهل مكَّة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألاّ نقتلَكم . فأمَّا مرثَد وخالد بن البُكَيْر وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا ؛ فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعًا .

وأمَّا زيد بن الدّثِنة وخُبَيْب بن عَدِىّ وعبد الله بن طارق فلانُوا ورقُّوا ورغِبوا فى الحياة ، فأعطَوْا بأيديهم[1] ، فأسروهم ، ثمّ خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بالظَّهْران ، انتزع عبدُ الله بن طارق يدَه من القِران[2] ، ثمّ أخذ سيفه واستأخر عنه القوم ، فرموْه بالحجارة حتى قتلوه ، فقَبْرُه بالظَّهْران . ١/١٤٣٣

وأما خُبَيْبُ بن عدىّ وزيد بن الدّثِنة ، فقدِمُوا بهما مكَّة ، فباعوهما فابتاع خبيبا حُجَيْرُ بن أبى إهاب التميمىّ حليف بنى نوفل لعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نوفل — وكان حُجير أخا الحارث بن عامر لأمّه — ليقتله بأبيه ، وأمَّا زيد بن الدّثِنَة، فابتاعه صَفْوان بن أميّة ليقتله بأبيه أميَّة بن خلف ، وقد كانت هُذيل حين قُتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سُلاَفة بنت سعد بن شُهَيْد ، وكانت قد نذرتْ حين أصاب ابنها يوم أحُد : لئن قدرَتْ على رأس عاصم لتشرَبنّ فى قِحْفه الخمر ، فمنعته الدَّبْر[3] . فلما حالت بينهم وبينه ، قالوا : دعوه حتى يُمْسِى فتذهب عنه ، فنأخذه ، فبعث الله الوادى . فاحتمل عاصما فذهب به ، وكان عاصم قد أعطَى الله عهدًا ألاّ يمسه مشركٌ أبدًا ولا يمسّ مشركًا أبدًا ، تنجُّسًا[4] منه . فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه ، أن الدَّبْرَ منعته : عجبا ، لحفظ الله العبد المؤمن ! كان عاصم نذر ألاّ يمسَّه مشرك ، ولا يمس مشركًا أبدًا فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته[5] .

---

(١) أعطوا بأيديهم : انقادوا . (٢) القران : الحبل يربط به الأسير .

(٣) الدبر : الزنابير والنحل .

(٤) يقال : فلان يتنجس ؛ إذا فعل فعلا يخرج به عن النجاسة ، كما يقال : يتأثم ويتحرج ويتحنث ؛ إذا فعل فعلا يخرج به عن الإثم والحرج والحنث .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٧ ، ١٦٨ ، الأغانى ٤ : ٢٢٥ — ٢٢٧ (طبعة دار الكتب) .

قال أبو جعفر : وأما غيرُ ابنِ إسحاق ، فإنَّه قصَّ من خبر هذه السريّة غير الذى قصّه ، والذى قصّه غيره من ذلك ما حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا جعفر بن عون العمرىّ ، قال : حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل ، عن عمرو — أوعمر — بن أَسِيد ، عن أبى هُريرة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث عشرة رهط ، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت ، فخرجوا حتى إذا كانوا با لهَدْأة ذُكِروا لحىّ من هُذَيل ، يقال لهم : بنو لِحْيان ، فبعثوا إليهم مائة رجل راميًا ؛ فوجدوا مأكَلَهم حيث أكلوا التَّمر ، فقالوا : هذه نوَى يثرب ، ثمّ اتَّبعوا آثارهم ؛ حتى إذا أحسّ بهم عاصمٌ وأصحابه التجئوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون ، فاستنزلوهم ، وأعطَوْهم العهدَ ؛ فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافرٍ ، اللّهمّ أخبر نبيَّك عنّا . ونزل إليهم ابن الدَّثِنَة البَيَاضِىّ ، وخُبيب ، ورجل آخر ، فأطلق القوم أوتار قِسيِّهم ، ثمّ أوثقوهم ، فجرحوا رجلاً من الثلاثة ، فقال : هذا والله أوّل الغَدْر ؛ والله لا أتّبعكم . فضربوه فقتلوه ، وانطلقوا بخُبيب وابن الدَّثِنَة إلى مكّة ، فدفعوا خُبيبًا إلى بنى الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خُبَيب هو الذى قَتَل الحارث بأحُد ؛ فبينما خُبَيب عند بنات الحارث ؛ إذ استعار من إحدى بنات الحارث موسًى يستحدّ[1] بها للقتل ، فما راع المرأة — ولها صبىّ يدْرُجُ — إلاّ بخُبيب قد أجلَس الصبىَّ على فَخذِه ، والموسَى فى يده ، فصاحت المرأة ، فقال خُبَيب : أتخْشَيْن أنّى أقتُله ! إنّ الغدر ليس من شأننا . قال : فقالت المرأة بعد : ما رأيتُ أسيرًا قطّ خيرًا من خُبيب ؛ لقد رأيته وما بمكّة من ثمرة ؛ وإن فى يده لقِطْفًا من عنب يأكله ؛ إن كانَ إلاّ رِزْقًا رزقه اللهُ خبَيبا .

١٤٣٥/١

وبعث حىّ من قريش إلى عاصم ليُؤْتَوْا من لحمه بشىء ، وقد كان لعاصم فيهم آثار[2] بأحُد ؛ فبعث الله عليه دَبْرًا ، فحمَتْ لَحمه ، فلم

---

(١) يستحد : يحلق شعر عانته ، وفى اللسان — حدد : « وفى حديث خبيب أنه استعار موسى استحد بها ؛ لأنه كان أسيراً عندهم وأرادوا قتله لئلا يظهر شعر عانته عند قتله » .
(٢) آثار : جمع ثأر على القلب .

يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئًا ، فلمَّا خرجوا بخُبَيب من الحرم ليقتلُوه ، قال : ذَرُونى أصَلِّ ركعتيْن ، فتركوه فصلَّى سجدتين ، فجرت سُنَّة لمن قُتل صبرًا أن يصلِّىَ ركعتين. ثم قال خُبَيب : لولا أن يقولوا جَزِعَ لزدت ، وما أبالى : ١٤٣٦/١

* عَلَى أىِّ شِقٍّ كان لله مَصْرَعى(١) *

ثم قال :

وذلِك فى ذاتِ الإله وإن يَشَأْ يُبَارِكْ على أوصالِ شِلْو مُمَزَّعِ(٢)

اللهم أحْصِهم(٣) عددًا ، وخذهم بَدَدًا(٤) .

ثم خرج به أبو سِرْوَعة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ؛ فضربه فقتله(٥) .

* * *

حدَّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدَّثنا جعفر بن عون ، عن إبراهيم بن إسماعيل ، قال : وأخبرَنى جعفر بن عمرو بن أميّة ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعثه وحدَه عَيْنًا إلى قريش ، قال : فجئت إلى خشبة خُبَيبٍ وأنا أتخوَّف العيون ، فرَقِيتُ فيها ، فحللْت خُبَيبًا ، فوقع إلى

---

(١) صدره :

* فوالله ما أرجو إذا مِتُّ مسلماً *

من أبيات ذكرها ابن هشام فى السيرة ٢ : ١٧٠ ، بنسبتها إلى خبيب ، وقال : « وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له » .

(٢) فى ذات الإله ، أى فى طاعته وطلب رضاه . والأوصال : جمع وصل ؛ وهو العضو . والشلو : الجسد .

(٣) أحصهم ، أى أهلكهم بحيث لا تبقى من عددهم أحداً .

(٤) خذهم بدداً ، قال ابن الأثير : « يروى بكسر الباء ؛ جمع بدة ؛ وهى الحصة والنصيب ، أى اقتلهم حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه ، ويروى بفتح الباء ، من التبديد ؛ أى متفرقين فى القتل ، واحداً بعد واحد » .

(٥) نقله فى الأغانى ٤ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

١٤٣٧/١ الأرض، فانتبذتُ(١) غير بعيد، ثم التفتُّ فلم أر لخُبيب رِمّة(٢)؛ فكأنما الأرض ابتلعته؛ فلم تذكر لخبيب رِمّة حتى الساعة(٣).

* * *

قال أبو جعفر: وأما زيد بن الدَّثِنّة؛ فإنّ صفوان بن أميّة بعث به — فيما حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق — مع مولى له يقال له نِسْطاس إلى التَّنْعيم، وأخرجه من الحرم ليقتُلَه، واجتمع إليه رَهطٌ من قريش؛ فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قُدّم ليُقتل: أنشدُك الله يا زيد، أتحبّ أن محمدًا عندنا الآن مكانك نضرب عنقه، وأنّك فى أهلك! قال: والله ما أحبّ أنّ محمّدًا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكةٌ تُؤْذيه وأنا جالس فى أهلى. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيتُ فى النّاس أحدًا يحبّ أحدًا كحبّ أصحاب محمّد محمّدًا. ثم قتله نِسطاس(٤).

* * *

ذكر الخبر عن عمرو بن أميَّة الضَّمرىّ

إذ وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلّم لقتل أبى سفيان بن حرب

ولمّا قُتِل من وجّهَه النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى عضَل والقارَة من أهل الرّجيع، وبلغ خبرُهم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث عمرو بن أميّة الضَّمْرىّ إلى مكّة مع رجل من الأنصار، وأمرهما بقتل أبى سفيان بن حرب؛ فحدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة بن الفضل، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أميّة ١٤٣٨/١ الضَّمْرىّ، عن أبيه، عن جدّه — يعنى عمرو بن أميّة — قال: قال عمرو بن

---

(١) انتبذت: تنحيت.
(٢) ط: «أرمة»، وما أثبته من الأغانى.
(٣) الأغانى ٤: ٢٢٨، ٢٢٩.
(٤) الأغانى ٤: ٢٣٠.

أميَّة : بعثني رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعد قتل خُبيب وأصحابه ، وبعث معي رجلاً من الأنصار ، فقال : ائتيا أبا سفيان بن حرْب فاقتلاه ، قال : فخرجتُ أنا وصاحبي ومعي بعير لي ، وليس مع صاحبي بعير ، وبرجله علَّة . فكنت أحمله على بعيري ؛ حتَّى جئنا بطن يأجَج ؛ فعقلْنا بعيرنا في فِناء شعْب ، فأسندنا فيه ، فقلت لصاحبي : انطلق بنا إلى دار أبي سفيان ؛ فإني محاول قتلَه . فانظر ؛ فإن كانت مجاولة أو خشيت شيئًا فالحقْ ببعيرك فاركبه ، والحقْ بالمدينة فأتِ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأخبره الخبر ، وخلّ عنِّي ؛ فإني رجل عالم بالبلد ، جريء عليه ، نجيب الساق . فلمَّا دخلنا مكَّة ومعي مثل خافية النَّسر – يعني خنجره[1] – قد أعددته ؛ إن عانقني[2] إنسان قتلته به ، فقال لي صاحبي : هل لك أن نبدَأ فنطوفَ بالبيت أسبوعا ، ونصلّي ركعتين ؟ فقلت : أنا أعلم بأهلِ مكَّة منك ؛ إنهم إذا أظلموا رشُّوا أفنيتَهم ، ثم جلسوا بها ، وأنا أعرَف بها من الفرَس الأبلق .

قال : فلم يزلْ بي حتَّى أتينا البيت ، فطفنا به أسبوعا ، وصلَّينا ركعتين ، ثم خرجنا فمررنا بمجلس من مجالسهم ، فعرفني رجل منهم ، فصرخ بأعلى صوته : هذا عمرو بن أميَّة ! قال : فتبادرتْنَا أهلُ مكَّة وقالوا : تالله ما جاء بعمرو خير ! والَّذي يُحلَف به ما جاءها قطّ إلاّ لشرّ – وكان عمرو رجلا فاتكا متشيطنًا في الجاهلية – قال : فقاموا في طلبي وطلب صاحبي ، فقلت له : النَّجاء ! هذا والله الَّذي كنت أحذر ؛ أمَّا الرجل فليس إليه سبيل ، فانجُ بنفسك ، فخرجنا نشتدّ حتى أصعدنا في الجبل ، فدخلنا في غار ، فبتْنا فيه ليلتَنا ، وأعجزناهم ، فرجعوا وقد استترتُ دونهم بأحجار حين دخلت الغار ، وقلت لصاحبي : أمهِلْني حتى يسكُن الطلب عنَّا ؛ فإنهم والله ليطلبُنَّا ليلتهم هذه ويومهم هذا[3] حتى يمسُوا . قال : فوالله إني لفيه إذْ أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيميّ ، يتخيَّلُ[4] بفرس له ، فلم يزل يدنُو ويتخيَّلُ بفرسه حتى قام علينا بباب الغار . قال : فقلت لصاحبي : هذا والله ابنُ مالك ؛

١ / ١٤٣٩

(١) و : « خنجراً » . (٢) ابن الأثير : « عاقني » . (٣) و : « غداً » .
(٤) يتخيل ، أي يعجب بنفسه ، وفي ط : « يختلي » . وفي ابن الاثير : « يختل » .

والله لئن رآنا ليُعلمَنّ بنا أهل مكّة . قال : فخرجت إليه فوجأته بالخنْجر تحت الثّدى ، فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، فأقبلوا إليه ، ورجعت إلى مكانى ، فدخلت فيه ، وقلت لصاحبى : مكانك ! قال : واتّبع أهلُ مكة الصوتَ يشتدّون ، فوجدوه وبه رَمَق ، فقالوا : ويلكَ مَنْ ضربك ! قال : عمرو بن أميّة : ثم مات وما أدركوا ما يستطيع أن يخبرهم بمكاننا ، فقالوا : والله لقد علمنا أنّه لم يأت لخير ، وشغلهم صاحبهم عن طلبنا ، فاحتملوه ؛ ومكثنا فى الغار يوميْن حتى سكن عنّا الطلب . ثم خرجنا إلى التّنعيم ؛ فإذا خشبةُ خُبيب ، فقال لى صاحبى: هل لك فى خُبَيب تُنزله عن خشبته ؟

١/١٤٤٠ فقلت : أين هو ؟ قال : هو ذاك حيث ترى . فقلت : نعم ، فأمهلْنى وتنحّ عنّى . قال : وحوله حرس يحرُسونه . قال عمرو بن أميّة : فقلت للأنصارىّ : إن خشيت شيئًا فخذ الطريق إلى جمَلك فاركبْه والحقْ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبِرْه الخبر ، فاشتددت إلى خشبته فاحتللتُه واحتملتُه على ظهرى ؛ فوالله ما مشيتُ إلاّ نحو أربعين ذراعًا حتى نذِروا بى ، فطرحته ؛ فما أنسى وجبْتَه حين سقط ؛ فاشتدّوا فى أثرى ، فأخذت طريق الصفراء فأعيَوْا ، فرجعوا ، وانطلق صاحبى إلى بعيره فركبه ؛ ثم أتى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبره أمرَنا ، وأقبلت أمشى ، حتى إذا أشرفْتُ على الغليل ، غليل[1] ضَجْنان ، دخلت غارًا فيه ، ومعى قوسى وأسهمى ، فبينا أنا فيه إذْ دخل علىّ رجل من بنى الدّيل بن بكر ، أعورُ طويل يسوق غنمًا له ، فقال : مَن الرجل ؟ فقلت : رجل من بنى بكر ، قال : وأنا من بنى بكر ، ثم أحد بنى الدّيل . ثم اضطجع معى فيه ، فرفع عقيرته يتغنّى ويقول :

ولسْتُ بمسْلِمٍ ما دمتُ حيًّا ولستُ أدِينُ دِينَ المُسْلمينَا

فقلت : سوف تعلم! فلم يلبث الأعرابىّ أن نام وغطّ ، فقمت إليه فقتلته أسوأ قتْلة قتَلها أحدٌ أحدًا ؛ قمت إليه فجعلت سِيَةَ قوسى فى عينه الصحيحة ، ثم تحاملت عليها حتى أخرجتها من قفاه .

١/١٤٤١ قال : ثم أخرُج مثل السَّبُع ؛ وأخذت المحجّة كأنى نسر ، وكان النّجاء حتى أخرج على بلد قد وصفه ، ثم على ركوبة ، ثم على النّقيع ؛ فإذا رجلان

(١) الغليل ، واحد الغلان : وهى منابت الطلح ، وضجنان : موضع بعينه .

من أهل مكة بعثَتْهما قريش يتحسَّسان من أمرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرفتهما فقلت : استأسِرا ، فقالا : أنحن نستأسر لك ! فأرمى أحَدهما بسهم فأقتله ، ثم قلت للآخر : استأسِر ، فاستأسَرَ ، فأوثقته ، فقدمتُ به على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن سليمان بن وردان ، عن أبيه ، عن عمرو بن أميَّة ، قال : لما قدمتُ المدينة ، مررتُ بمشيَخة من الأنصار ، فقالوا : هذا والله عمرو بن أميَّة ، فسمع الصبيان قولهم ، فاشتدّوا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يخبرونه ، وقد شددت إبهام أسيرى بوَتر قوسِي ، فنظر النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم إليه فضحك حتى بدَت نواجذه ، ثم سألنى فأخبرته الخبر ، فقال لى خيراً ودعا لى بخير .

* * *

وفى هذه السنة تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة أمّ المساكين من بنى هلال فى شهر رمضان ، ودخل بها فيه ، وكان أصدَقها اثنتى عشرة أوقية ونَشًّا[1] ؛ وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث ، فطلقها .

ذكر خبر بئر معونة

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة — أعنى سنة أربع من الهجرة — كان من أمر السريَّة التى وجَّهها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقُتلت ببئر مَعُونة . وكان سبب توجيه النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم إيَّاهم لِمَا وجَّههم له ، ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : وحدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم بالمدينة بقيّة شوّال وذا القَعْدة وذا الحِجَّة والمحرَّم ، وولىَ تلك الحجَّة المشركون . ١٤٤٢/١

ثم بعث أصحاب بئر معونة فى صفَر على رأس أربعة أشهر من أحُد ، وكان من حديثهم ما حدّثنى أبى : إسحاق بن يَسار ، عن المغيرة بن عبدالرحمن ابن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وغيرهما من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعِبُ

(١) النش : وزن نواة من ذهب ؛ وقيل : هو وزن عشرين درهماً .

الأسنَّة — وكان سيِّد بنى عامر بن صَعْصعة — على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة ، وأهدى له هديّة ، فأبى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يقبَلها ، وقال : يا أبا بَراء ، لا أقبل هديّة مشرك ، فأسْلِمْ إن أردتَ أن أقبل هديّتك. ثم عرض عليه الإسلام ، وأخبره بما له فيه ، وما وعد الله المؤمنين من الثّواب ، وقرأ عليه القرآن فلم يسلِم ولم يبعُد ، وقال : يا محمّد ، إنّ أمرك هذا الذى تدعو إليه حَسَنٌ جميل ، فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نَجْد فدعَوْهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنى أخشى عليهم أهل نجْد ! فقال أبو بَراء : أنا لهم جارٌ ، فابعثهم فليدعُوا النّاس إلى أمرك . فبعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة المُعْنِقَ[1] ليموت فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين ؛ منهم الحارث بن الصِّمَّة ، وحرام بن مِلْحان أخو بنى عدىّ بن النّجار ، وعُروة بن أسماء بن الصَّلْت السُّلَمىّ ، ونافع ابن بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعىّ ، وعامر بن فُهَيرة مولى أبى بكر ؛ فى رجال مُسَمَّيْنَ من خيار المسلمين[2] . ١ / ١٤٤٣

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المنذرَ بن عمرو فى سبعين راكبًا ، فساروا حتّى نزلوا بئر مَعونة — وهى أرض بين أرض بنى عامر وحَرّة بنى سُليم ، كِلاَ البلدين منها قريب ، وهى إلى حرّة بنى سليم أقرب — فلمّا نزلوها بعثوا حرام بن مِلْحَان بكتاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطُّفَيْل ، فلمَّا أتاه لم ينظر فى كتابه ، حتّى عدَا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوْا أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخْفِرَ أبا بَراء ؛ قد عقد لهم عقدًا وجوارًا ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سُليم : عُصَيَّة ، ورِعْلا ، وذَكْوَان ؛ فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتّى غَشُوا القوم ، فأحاطوا

(١) المعنق : المسرع ؛ وإنما سمى بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤

بهم فى رحالهم، فلمَّا رأوْهم أخذوا السيوف، ثم قاتلوهم حتى قُتلوا عن آخرهم، إلاّ كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النَّجار، فإنهم تركوه وبه رمقٌ، فارتُثّ[1] من بين القتلى، فعاش حتى قُتِل يوم الخندق.

وكان فى سَرْح القوم عمرو بن أمية الضمرىّ، ورجل[2] من الأنصار أحد بنى عمرو بن عوف، فلم يُنْبئهما بمُصاب أصحابهما إلا الطَّير تحوم على العسكر، فقالا: والله إن لهذه الطير لشأنًا، فأقبلا لينظرا إليه، فإذا القوم فى دمائهم، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة. فقال الأنصارىّ لعمرو بن أميَّة: ماذا ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله صلَّى الله ١/١٤٤٤ عليه وسلَّم فنخبره الخبر، فقال الأنصارىّ: لكنِّى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتِل فيه المنذر بن عمرو، وما كنتُ لتخبرنى عنه الرجال. ثمّ قاتل القوم حتى قُتِل، وأخذوا عمرو بن أمية أسيرًا، فلما أخبرهم أنَّه من مُضَر، أطلقه عامر بن الطُّفَيل، وجزّ ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنَّها كانت على أمّه. فخرج عمرو بن أميَّة حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة، أقبل رجلان من بنى عامر حتى نزلا معه فى ظلّ هو فيه؛ وكان مع العامريَّيْن عقدٌ من رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وجوارٌ لم يعلم به عمرو بن أميَّة، وقد سألهما حين نزلا: ممَّن أنتما؟ فقالا: من بنى عامر، فأمهلهما حتَّى إذا ناما عَدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنَّه قد أصاب بهما ثُؤرة[3] من بنى عامر، بما أصابوا من أصحاب رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم. فلمَّا قدم عمرو بن أميَّة علَى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم أخبره الخبر، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: لقد قتلتَ قتيلين لأدِينَّهما. ثم قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: هذا عمل أبى بَراء؛ قد كنت لهذا كارهًا متخوّفًا. فبلغ ذلك أبا بَراء فشقّ عليه إخْفَارُ عامر إيَّاه، وما أصاب رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بسببه وجواره، وكان فيمنْ أصيب عامر بن فُهَيْرة[4].

* * *

(١) ارتث، أى وقع وبه جراح.

(٢) قال ابن هشام: «هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح».

(٣) الثؤرة: الثأر. (٤) سيرة ابن هشام ٢: ١٧٤، ١٧٥

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سَلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، عن هشام بن عُروةَ ، عن أبيه ، أنّ عامرَ بن الطُّفَيل ، كان يقول : إنّ الرجل منهم لما قتل رأيته رُفع بين السماءِ والأرض حتّى رأيت السماءَ من دونه . قالوا : هو عامر بن فهيرة[1] .

١/١٤٤٥ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن أحد بنى جعفر ، رجل من بنى جبّار بن سُلْمَى بن مالك ابن جعفر ، قال : كان جبّار فيمن حَضَرها[2] يومئذ مع عامر ، ثم أسلم بعد ذلك . قال : فكان يقول : ممّا دعانى إلى الإسلام أنّى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سِنان الرّمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول حين طعنته : فُزْتُ والله ! قال : فقلت فى نفسى : ما فاز ! أليس قد قتلتُ الرجل ! حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : الشهادة ، قال : فقلت : فاز لعَمْرُ الله ! فقال حسّان بن ثابت يُحرّضُ بنى أبى البَراءِ على عامر بن الطُّفَيل :

بَنِى أمّ البَنِينَ أَلَمْ يرُعكُمْ وأنتُمْ من ذَوائبِ أَهْلِ نجْدِ[3]
تَهَكُّمُ عامرٍ بأبى بَرَاء لِيُخْفِرَهُ ، وما خَطَأٌ كعَمْدِ
ألا أبْلغْ رَبيعَةَ ذا المَسَاعِى فما أحْدَثْتَ فى الحدَثان بَعْدِى[4]
أبوك أَبو الْحُرُوبِ أبو بَرَاء وخالُك ماجِدٌ حَكَمُ بن سَعْدِ

وقال كعب بن مالك فى ذلك أيضًا :

لقد طارَتْ شَعَاعًا كلّ وَجْهٍ خِفَارَةُ ما أجارَ أَبُو بَرَاء

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٥
(٢) أى فيمن حضر يوم بئر معونة .
(٣) ديوانه ١٠٧ مع اختلاف فى ترتيب الأبيات .
(٤) المساعى : السعى فى طلب المجد والمكارم .

١٤٤٦/١

فمثلُ مُسَهَّبٍ وبنِي أبيهِ بِجَنْبِ الرِّدهِ من كَنَفَيْ سَوَاءِ[١]
بَنِي أمِّ البَنِين أمَا سَمِعْتُمْ دُعاءَ الْمُسْتَغِيثِ مَعَ المَسَاءِ!
وتَنْويهَ الصَّرِيخِ بَلَى ولٰكِنْ عَرَفْتُم أنَّه صَدْقُ اللِّقَاء
فما صَفِرَتْ عِيَابُ بَنِي كِلَابٍ ولا القُرَطاء من ذَمٍّ الْوَفاء
أعامِرَ عامِرَ السَّوْءاتِ قِدْماً فلا بالعَقْلِ فُزْت ولا السَّناء
أأَخفَرْتَ النَّبيَّ وكُنْتَ قِدْماً إلى السَّوْءات تَجْرِي بالعَرَاءِ!
فلَسْتَ كجارِ جَار أبي دُوَادٍ ولا الأسَدِيِّ جارِ أَبِي العلَاءِ
ولٰكِنْ عارُكُمْ داءٌ قديمٌ وداءُ الغَدْرِ فاعْلَمْ شَرُّ داءِ

فلمّا بلغ ربيعةَ بن عامر أبي البَراء قولُ حسّان وقولُ كعب ، حملَ على عامر بن الطُّفَيل فطعنه ، فشطب الرُّمْحُ عن مقتله ، فخرّ عن فرسه . فقال : هذا عمل أبي بَراء ! إنْ متّ فدمى لعَمّي ولا يُتْبَعَنّ به ؛ وإن أعش فسأرَى رأيِي فيما أتِيَ إلىّ[٢]

* * *

حدّثني محمد بن مرزوق ، قال : حدّثنا عمرو بن يونس ، عن عكرمة ، قال : حدّثنا إسحاق بن أبي طلحة ، قال : حدّثني أنس بن مالك فى أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الذين أرسلهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أهل بئر معونة ؛ قال : لا أدرى ، أربعين أو سبعين ! وعلى ذلك الماءِ عامرُ بن الطُّفَيل الجعفريّ ، فخرج أولئك النَّفر من أصحابِ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الذين بُعثوا ؛ حتى أتوْا غارًا مشرفا على الماءِ قعدوا فيه . ثم قال بعضهم لبعض : أيُّكم يبلِّغ رسالة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم أهل هذا الماءِ ؟ فقال — أراه ابن مِلْحان الأنصارى — : أنا أبلِّغ رسالَة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فخرج حتى أتى حِوَاءً منهم ، فاحتبى أمام البيوت ، ثم قال : يا أهلَ بئر معونة ، إنّى رسولُ رسولِ الله إليكم ،

١٤٤٧/١

---

(١) و : « بجنب المرو » . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤ ، ١٧٥

إنِّى أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله، فآمِنوا بالله ورسوله .
فخرج إليه من كِسْرِ البيت برمح فضرب به فى جَنْبه حتى خرج من الشقّ الآخر، فقال: الله أكبر، فُزْتُ وربّ الكعبة! فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه فى الغار، فقتلهم أجمعين عامرُ بن الطُّفيل .

قال إسحاق : حدّثنى أنس بن مالك أنّ الله عزّ وجلّ أنزل فيهم قُرْآنا : « بلِّغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربَّنا ، فرضِىَ عنَّا ، ورضينا عنه»، ثم نُسِخت، فرفعت بعد ما قرأناه زمانًا ، وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ ﴾ (١)

حدّثنى العبّاس بن الوليد، قال: حدّثنى أبى، قال : حدّثنا الأوزاعىّ، قال: حدّثنى إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة الأنصارىّ عن أنس بن مالك، قال : بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عامر بن الطُّفَيل الكلابىّ سبعين رجلا من الأنصار. قال: فقال أميرُهم: مكانَكم حتى آتيَكم بخبر القوم! فلمّا جاءهم قال: أتؤمّنوننِى حتى أخبرَكم برسالة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ قالوا : نعم ؛ فبينا هو عندهم ؛ إذ وخَزه رجلٌ منهم بالسِّنان . قال : فقال الرّجل: فُزْتُ وربِّ الكعبة! فقتل، فقال: عامر : لا أحسبه إلاّ أنّ له أصحابًا، فاقتصّوا أثرَه حتى أتوْهم فقتلوهم، فلم يفلِت منهم إلا رَجُلٌ واحدٌ . ١/١٤٤٨

قال أنس: فكنا نقرأ فيما نُسِخ: «بلِّغوا عنّا إخوانَنا أنْ قدْ لقِينا ربَّنا ، فرضىَ عنا ورضينا عنه » .

* * *

وفى هذه السنة – أعنى السنة الرابعة من الهجرة – أجلَى النبىّ صلى الله عليه وسلم بنى النّضير من ديارهم .

* * *

ذكر خبر جلاء بنى النضير

قال أبو جعفر : وكان سبب ذلك ما قد ذكرنا قبل من قَتْل عمْرو بن

(١) سورة آل عمران ١٦٩، ١٧٠، والخبر فى التفسير ٧ : ٣٩٣ .

أميَّة الضَّمْرىّ الرَّجُلين الذين قَتَلَهما فى منصرَفه من الوجه الذى كان رسول ُالله صلَّى الله عليه وسلَّم وجّهه إليه مع أصحاب بئْر معونة، وكان لهما من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم جوارٌ وعهدٌ. وقيل إنّ عامرَ بن الطُّفَيل كتب إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم : إنك قتلت رجليْن لهما منك جوارٌ وعهدٌ؛ فابعث بِديَتِهما . فانطلق رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى قُباء ، ثم مال إلى بنى النَّضير مستعينًا بهم فى دِيَتِهما ، ومعه نفر من المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر وعلىّ وأسيْد بن حُضَير .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : خرجَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى بنى النَّضير ، يستعينهم فى دِيَةِ ذَيْنِكَ القتيلين[1] من بنى عامر اللَّذَيْن قتل عمرو بن أمية الضَّمْرىّ، للجوار الذى كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عقده لهما؛ — كما حدثنى يزيد بنُ رُومان — وكان بين بنى النَّضير وبين بنى عامر حِلْف وعقد ؛ فلمّا أتاهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يستعينهم فى دِيَة ذيْنك القتيلين ؛ قالوا : نعم يا أبا القاسم ، نعينُك على ما أحببت ممَّا استعنت بنا عليه . ثم خلا بعضُهم ببعض ، فقالوا : إنّكم لن تجدوا هذا الرجل على مثل حاله هذه — ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى جَنْب جدار[2] من بيوتهم، قاعد — فقالوا : مَن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقى عليه صخرة فيقتله بها فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جِحاش بن كعب أحدهم ؛ فقال : أنا لذلك ، فصعِد ليلقى عليه الصخرة — كما قال — ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه ؛ فيهم أبو بكر وعمر وعلىّ ؛ فأتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الخبَرُ من السماء بما أراد القوم ، فقام وقال لأصحابه : لا تبرحوا حتى آتيَكم ، وخرج راجعًا إلى المدينة ، فلمَّا استلْبث رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم أصحابُه ، قاموا فى طلبه ، فلقُوا رجلاً مقبلا من المدينة ، فسألوه عنه ، فقال : رأيتُه داخلا المدينة ، فأقبل أصحابُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى انتهوْا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يَهُود قد أرادت

١/١٤٤٩

---

(١) و : « الرجلين » . (٢) م : « خراب » .

من الغدْر به ، وأمر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم بالتهيُّؤ لحربهم ، والسير إليهم .

ثم سار بالنَّاس إليهم ؛ حتى نزل بهم ، فتحصّنوا منه فى الحصون ، فأمر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بقطع النخل والتَّحريق فيها ، فنادوْه : يا محمَّد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على مَنْ صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها[1] !

* * *

قال أبو جعفر : وأما الواقدىّ ، فإنه ذكر أن بنى النَّضير لما تآمروا بما تآمروا به من إدلاء الصّخْرة على رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم ، نهاهم عن ذلك سَلاّم بن مِشْكَم وخوّفهم الحرب وقال : هو يعلم ما تريدون ، فعصوْه ، فصعِد عمرو بن جِحاش ليُدَحْرِجَ الصخرة ، وجاء النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم الخبر من السماء ، فقام كأنَّه يريد حاجة ، وانتظره أصحابه ، فأبطأ عليهم ، وجعلت يهود تقول : ما حبس أبا القاسم ، وانصرف أصحابه ؟ فقال كنانة بن صُورَيا[2] : جاءه الخبر بما هممتم به ، قال : ولما رجع أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهوْا إليه وهو جالس فى المسجد ، فقالوا : يا رسول الله ، انتظرناك ومضيْت ، فقال : همّت يهود بقتلِى ، وأخبرَنيه الله عزّ وجلّ ، ادعُوا لِى محمد بن مسلمة ، قال : فأتى محمد بن مسلمة[3] ، فقال : اذهب إلى يهود فقل لهم : اخرجوا من بلادى فلا تساكنونى وقد هممتم بما هممتم به من الغدر .

١/١٤٥٠

قال : فجاءهم محمد بن مسلمة ، فقال لهم : إنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يأمركم أن تظعنوا من بلاده ، فقالوا : يا محمَّد ، ما كنا نظنّ أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس ! فقال محمد : تغيَّرت القلوب ، ومحا الإسلام العهود ؛

---

(١) قال السهيلى : « قال أهل التأويل : وقع فى نفوس المسلمين من هذا الكلام شىء؛ حتى أنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا . . ﴾ الآية .

(٢) م : « من موريا » .

(٣) م : « فأتى بمحمد » .

فقالوا : نتحمَّل . قال : فأرسل إليهم عبدُ الله بن أبيّ يقول : لا تخرجوا ، فإنّ معى من العرب وممَّن انضوى إلىّ من قومى ألفيْن ، فأقيموا فهم يدخلون معكم ، وقُريظة تدخل معكم . فبلغ كعب بن أسد صاحب عهد بنى قُرَيظة فقال : لا ينقض العهدَ رجل من بنى قُرَيظة وأنا حَىٌّ ، فقال سَلاّم بن مِشْكم لحُيَىّ بن أخطب : يا حُيَىّ اقبل هذا الذى قال محمَّد ؛ فإنَّما شرُفْنا على قومنا بأموالنا قبل أن تقبل ما هو شَرٌّ منه . قال : وما هو شرٌّ منه ؟ قال : أخذ الأموال وسبْىُ الذريَّة وقتل المقاتلة ، فأبى حُيَىّ ، فأرسل جُدَىّ ابن أخطب إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنا لا نريم[1] دارنا فاصنع ما بدا لك ! قال : فكبَّر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وكبَّر المسلمون معه ، وقال : حاربت يهود ، وانطلق جُدَىّ إلى ابن أبىّ يستمدّه . قال : فوجدْتُه[2] جالسًا فى نفر من أصحابه ، ومنادى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ينادى بالسلاح ، فدخل ابنه عبد الله بن عبد الله ابن أبىّ ، وأنا عنده ، فأخذ السِّلاح ، ثم خرج يعدُو ، قال : فأيست من معونته . قال : فأخبرت بذلك كله حُيَيًّا ، فقال : هذه مكيدة من محمَّد ، فزحف إليهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم خمسةَ عشر يومًا ؛ حتى صالحوه على أن يحقِنَ لهم دماءهم ، وله الأموالُ والحلْقة .

1/1451

فحدّثنى محمد بن سعد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : حدّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : حاصرهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم — يعنى بنى النَّضير — خمسةَ عشر يومًا حتَّى بلغ منهم كلّ مبلغ ، فأعطوْه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحقِن لهم دماءهم ، وأن يُخرجهم من أرضهم وأوطانهم ، ويسيّرهم إلى أذرِعات الشأم ، وجعل لكلّ ثلاثة منهم بعيرًا وسِقاءً .

---

(١) م : « ندع » .

(٢) و : « فوجده » .

حدثنا ابنُ عبد الأعلى ، قال : حدّثنا محمد بن ثور ، عن معمَر ، عن الزّهرىّ ، قال : قاتلهم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم حتى صالحهم على الجلاء ، فأجلاهم إلى الشأم ، على أنّ لهم ما أقلّت الإبلُ من شىء إلا الحلْقة — والحلْقة : السِّلاح .

* * *

١/١٤٥٢ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وقد كان رهطٌ من بنى عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبى بن سَلُول وديعة ومالك بن أبى قوقل ، وسويد وداعس قد بعثوا إلى بنى النَّضير : أن اثبتوا وتمنّعوا ؛ فإنّا لن نسلِمكم ؛ وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرِجتم خرجنا معكم ، فتربّصوا فلم يفعلوا ؛ وقذف الله فى قلوبهم الرُّعْبَ ، فسألوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم أن يُجليَهم ، ويكفّ عن دمائهم ؛ على أنّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم ؛ إلاّ الحلْقة . ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل ، فكان الرّجل منهم يهدِم بيتَه عن نِجاف[1] بابه ؛ فيضعه على ظهر بعيره ؛ فينطلق به . فخرجوا إلى خَيْبر ، ومنهم مَنْ سار إلى الشأم ؛ فكان أشرافهم ممّن سار منهم إلى خيبر سلاّم بن أبى الحُقَيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحُقيق ، وحُيَىّ بن أخطب ، فلما نزلوها دانَ لهم أهلها[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنّه حدّث أنّهم استقلوا بالنِّساء والأبناء والأموال ، معهم الدّفوف والمزامير والقِيان يعزِفْن خلفهم ، وأنّ فيهم يومئذ لأمّ عمرو ، صاحبة عُرْوة بن الورد العبسىّ ؛ التى ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بنى غِفار[3] بزُهاء[4] وفَخْر ، ما رُئِىَ مثله من حىّ من الناس فى ١/١٤٥٣

---

(١) النجاف : العتبة التى بأعلى الباب .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٦ ، ١٧٨

(٣) هى سلمى ، وقال الأصمعى : اسمها ليلى بنت شعواء ، وقال أبو الفرج : هى سلمى أم وهب ، امرأة من كنانة ؛ كانت ناكحة فى مزينة ، فأغار عليهم عروة بن الورد فسباها . وكنانة من غفار . وانظر الروض الأنف .

(٤) الزهاء : الكبر والإعجاب .

زمانهم ؛ وخلّوا الأموالَ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّة يضعها حيث يشاء ، فقسّمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلاّ أنّ سهل بن حُنيف وأبا دُجانة سِماك بن خَرَشَة ، ذكرا فقرًا فأعطاهما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . ولم يسلم من بنى النّضير إلاّ رجلان : يامين بن عمير بن كعب ابن عمّ عمرو بن جِحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاها[١] .

قال أبو جعفر : واستخلف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إذ خرج لحرب بنى النّضير — فيما قيل — ابنَ أمّ مكتوم ، وكانت رايتُه يومئذ مع علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

* * *

وفى هذه السنة ماتَ عبدُ الله بن عثمان بن عفّان ، فى جمادَى الأولى منها ، وهو ابن ستّ سنين ، وصلّى عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ونزل فى حفرته عثمان بن عفان .

وفيها ولِد الحسين بن علىّ عليه السلام ، لليالٍ خلوْن من شعبان .

* * *

[غزوة ذَات الرقاع]

واختلِف فى التى كانت بعد غزوة النبىّ صلّى الله عليه وسلم بنى النّضير من غزواته ، فقال ابن إسحاق فى ذلك ، ما حدّثنا ابن حُميد ؛ قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثم أقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة بعد غزوة بنى النّضير شهرىْ ربيع ، وبعض شهر جُمادى. ثمّ غزا نجدًا — يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان — حتى

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٨ .

١٤٠٤/١ نزل نخْلاً ، وهى غزوةُ ذات الرّقاع [١] ؛ فلقىَ بها جمعًا [٢] من غَطَفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهُمْ حرب ؛ وقد خاف النّاس بعضُهم بعضًا ، حتى صلّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالمسلمين صلاةَ الخوف ، ثم انصرف بالمسلمين [٣] .

وأما الواقدىّ ؛ فإنه زَعَم أنّ غزوة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ذات الرّقاع ، كانت فى المحرّم سنة خمس من الهجرة . قال : وإنما سُمِّيت ذاتَ الرّقاع ؛ لأن الجبل الذى سُميت به ذات الرّقاع جبل به سواد وبياض وحمرة ؛ فسمّيت الغزوة بذلك الجبل . قال : واستخلف رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى هذه الغزْوة على المدينة عثمان بن عفان .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى محمد بن جعفر بن الزبير ومحمد — يعنى ابن عبدالرحمن — عن عُروة بن الزُّبير ، عن أبى هُريرة ، قال : خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى نجْد ، حتى إذا كنّا بذات الرّقاع من نَخْل ، لقىَ جمعًا من غطفان ؛ فلم يكن بيننا قتال ؛ إلاّ أن الناس قد خافُوهم ، ونزلت صلاة الخوف ، فصَدَع أصحابَه صدعين ، فقامت طائفة مواجِهة العدوّ ، وقامت طائفة خلْف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكبّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكبّرُوا جميعًا ، ثم ركع بِمَنْ خلْفه ، وسجد بهم ، فلمّا قاموا مشوُا القهقرى إلى مصافّ أصحابهم ، ورجع الآخرون ، فصلّوا لأنفسهم ركعة ، ثم قاموا فصلّى بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ركعة وجلسوا ، ورجع الّذين كانوا مواجهين العدوّ [٤] ، فصلّوا الركعة الثانية ، ١٤٠٥/١

---

(١) قال ابن هشام : « وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع ؛ لأنهم رقعوا بها راياتهم . ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع » .

(٢) ابن هشام : « جمعاً عظيماً » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٢ : « بالناس » .

(٤) س : « مواجهى العدو » .

فجلسوا جميعًا ، فجمعهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالسلام ، فسلّم عليهم .

* * *

قال أبو جعفر : وقد اختلفت الرّواية فى صفة صلاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هذه الصلاة ببطن نخْل اختلافًا متفاوتًا ، كرهت ذكره[1] فى هذا الموضع خشية إطالة الكتاب ، وسأذكره إن شاء الله فى كتابنا المسمّى « بسيط القول فى أحكام شرائع الإسلام » فى كتاب صلاة الخوف منه . وقد حدّثنا محمد بن بشّار ، قال : حدّثنا معاذ بن هِشَام ، قال : حدّثنى أبى ، عن قتادة ، عن سليمان اليشكرىّ ، أنّه سأل جابرَ بن عبد الله عن إقصار الصّلاة : أىّ يوم أنزل ، أو فى أىّ يوم هو ؟ فقال جابر : انطلقنا نتلقّى[2] عيرَ قريش آتية من الشأم ؛ حتى إذا كنّا بنخْل جاء رجلٌ من القوم إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا محمد ، قال : نعم ، قال : هل تخافنى ؟ قال : لا ، قال : فمن يمنعُك منّى ؟ قال : الله يمنعنى منك ، قال : فسلّ السيفَ ثم تهدّده وأوعده . ثم نادى بالرحيل وأخْذ السلاح . ثم نودى بالصّلاة ، فصلّى نبىّ الله صلّى الله عليه وسلّم بطائفة من القوم ، وطائفة أخرى تحرُسهم ، فصلّى بالذين يلُونَه ركعتين ، ثم تأخّر الّذين يلُونه على أعقابهم ، فقاموا فى مصافّ أصحابهم ، ثمّ جاء الآخرون فصلّى بهم ركعتيْن ، والآخرون يحرسونهم . ثم سلّم ، فكانت للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم أربع ركعات ، وللقوم ركعتين ركعتين ؛ فيومئذ أنزل الله عزّ وجلّ فى إقصار الصّلاة ، وأمِر المؤمنون بأخْذ السلاح[3] .

١٤٥٦/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصرىّ ، عن جابر بن عبد الله الأنْصارىّ ؛ أنّ رجلاً من بنى محارب يقال له فلان بن الحارث ، قال لقومه من غَطَفان ومحارب : ألاّ أقتلُ لكم محمدًا ؟ قالوا : نعم ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتِكُ به ؛ فأقبلَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو جالسٌ ، وسيفُ

---

(١) كذا فى و ، وفى ط : « ذكرها » . (٢) ط : « متلق » ، وما أثبته من التفسير
(٣) الخبر فى التفسير ٩ : ١٣٢

رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فى حجره ، فقال : يا محمّد ، انظرُ إلى سيفك هذا ! قال : نعم، فأخذه فاستلّه، ثم جعل يهزّه ويهمّ به، فيكبته الله عزّ وجلّ. ثم قال : يا محمّد ، أما تخافنى؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافنى وفى يدى السيف ؟ قال: لا ، يمنعنى الله منك! قال : ثم غمَد السيف ، فردّه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأنزل الله عزّ وجلّ :

﴿يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطوا إلَيْكُمْ أيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنْكم﴾[1] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى صدقة بن يَسار ، عن عَقيل بن جابر ، عن جابر ابن عبد الله الأنصارىّ، قال : خرجنا مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فى غزوة ذات الرِّقاع من نخْل، فأصاب رجل من المسلمين امرأة من المشركين، فلّما انصرفَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قافلا أتى زوجُها وكان غائبًا ، فلمّا أخبِر الخبر ، حلَف ألاّ ينتَهىَ حتى يُهريق فى أصحاب محمّد دما ، فخرج يتبع أثر رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فنزل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم منزلاً ، فقال : مَنْ رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ فانتدب رجلٌ من المهاجرين ورجُلٌ من الأنصار ، فقالا : نحنُ يا رسولَ الله ، قال : فكونا بفم الشّعب— وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابُه قد نزلوا الشِّعب، من بطْن الوادى — فلمّا خرج الرجلان إلى فم الشِّعب ، قال الأنصارىّ للمهاجرىّ ؛ أى الليل تحبّ أن أكفيكه ؟ أوّله أو آخره ؟ قال : بل اكفنى أوّله ؛ فاضطجع المهاجرىّ فنام ، وقام الأنصارىّ يصلّى ، وأتى زوج المرأة ، فلمّا رأى شخص الرجل عرف أنه رَبيئَة القوم ، فرمى بسهم فوضعه فيه فنزعه ، فوضعه وثبت قائمًا يصلّى . ثم رماه بسهم آخر ، فوضعه فيه ، فنزعه ، فوضعه وثبت قائمًا يصلّى ، ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه ، فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهبّ صاحبه ، فقال : اجلس ، فقد أتيت[2] .

١٤٥٧/١

(١) سورة المائدة ١١ ، وانظر سيرة ابن هشام٢ : ١٨٢ . (٢) ابن هشام : « أثبت » .

قال: فوثب المهاجرىّ، فلمّا رآهما الرجل، عرف أنهم قد نَذِرُوا به؛ ولمّا رأى المهاجرىّ ما بالأنصارىّ من الدماءِ ، قال : سبحان الله! أفلا ؛ أهبَبْتنى أوّل ما رَمَاك! قال : كنتُ فى سورة أقرؤها فلم أحبّ أن أقطعها حتى أنفدها ؛ فلمّا تتابع علىّ الرمىُ ركعتُ فآذنْتُك، وايم الله لولا أن أضيّع ثغرًا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقَطَع نفْسِى قبل أن أقطعها أو أنفِدَها [1].

* * *

ذكر الخبر عن غزوة السويق *

وهى غزوة النبىّ صلى الله عليه وسلم بَدْرًا الثانية لميعاد أبى سفيان .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قَدِمَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة من غزوَة ذات الرّقاع ، أقام بها بقيّة جُمادى الأولى وجمادَى الآخرة ورجبَ ، ثم خرج فى شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان حتى نزله ، فأقام عليه ثمانىَ ليالٍ ينتظر أبا سُفيان ، وخرج أبو سُفْيان فى أهل مكّة ، حتى نزل مَجَنَّةً من ناحية مرّ الظَّهْران — وبعض الناس يقول : قد قطع عُسفان — ثم بدا له الرجوع ، فقال : يا معشرَ قريش ، إنّه لا يصلِحكم إلاّ عامٌ خِصْب ترعوْن فيه الشجر ، وتشربون فيه اللّبن ؛ وإنّ عامَكم هذا عام جَدْب ؛ وإنّى راجع فارجعوا . فرجع ورجع الناس ، فسمّاهم أهل مكّة جيش السَّويق . يقولون : إنّما خرجتم تشربون السَّويق . ١/١٤٥٨

فأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده ، فأتاه مَخشىٌّ بن عمرو الضَّمْرىّ ، وهو والذى وادعه على بنى ضَمْرة فى غزوة وَدّان ، فقال : يا محمد ، أجئت للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بنى ضَمْرة ؛ وإن شئت مع ذلك رَدَدْنا إليك ما كان بيننا وبينك ،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٢ ، ١٨٣ .

* هى غير الغزوة التى عرفت بهذا الاسم أيضاً ؛ وقد مر ذكرها فى حوادث السنة الثانية ص ٤٨٣ .

ثم جالدناك . حتى يحكم الله بيننا وبينك . فقال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك من حاجة ، وأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ينتظر أبا سفيان ؛ فمرّ به مَعْبَدُ بن أبي معبد الخُزاعيّ ، وقد رأى مكان رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وناقته تَهْوِي[1] به فقال :

١/١٤٥٩ قد نَفَرَتْ من رُفقَتَيْ محمّدِ وعَجوَةٍ من يَثْرِبٍ كالعُنْجُدِ[2]
تَهْوِي على دِينِ أبيها الأتْلَدِ[3] قد جَعَلَتْ ماءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي
* وماءَ ضَجْنان لها ضُحَى الْغَدِ[4] *

* * *

وأما الواقديّ ؛ فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَدَب أصحابَه لغزوة بدْر لموعد أبي سفيان الذي كان وعده الالتقاء فيه يوم أحُد رأس الحوْل للقتال في ذي القعدة . قال : وكان نُعَيم بن مسعود الأشْجَعيّ قد اعتمر ، فقدم على قريش ، فقالوا : يا نُعيم ، من أين كان وجهك ؟ قال : مِنْ يثرب ، قال : وهل رأيتَ لمحمد حركة ؟ قال : تركته على تعبئة لغزوكم ، — وذلك قبل أن يسلِم نعيم — قال : فقال له أبو سفيان : يا نُعيم ، إنّ هذا عام جَدْبٌ ، ولا يصلحنا إلاّ عامٌ ترعى فيه الإبل الشجر ، ونشرب فيه اللبنَ ، وقد جاء أوان موعد محمّد ، فالحق بالمدينة فثبِّطْهم وأعلمهم أنّا في جمع كثير ، ولا طاقة لهم بنا ؛ فيأتي الخُلْف منهم أحبّ إليّ من أن يأتيَ من قبَلنا ، ولك عشر فرائض أضعها لك في[5] يد سُهيل بن عمرو يضمنُها . فجاء سهيل بن عمرو إليهم ، فقال نعيم لسهيل : يا أبا يزيد ، أتضمن[6] هذه الفرائض وأنطلق إلى محمد فأثبِّطَه ؟ فقال : نعم ، فخرج نُعَيم حتى قدم المدينة ، فوجد الناس يتجهّزون ، فتدسّس لهم ، وقال : ليس هذا برأي ،

---

(١) تهوى : تسرع .
(٢) العنجد : حب الزبيب .
(٣) الدين هنا : الدأب والعادة . والأتلد : القديم .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٦ .
(٥) و : « على » .
(٦) م : « تقمن » .

ألم يُجرح محمد فى نفسه! ألم يقتل أصحابه! قال: فثبَّط الناس؛ حتى بلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم، فتكلَّم، فقال: والَّذى نفسِي بيده، لو لم يخرج معى أحد لخرجت وحدِى. ١/١٤٦٠

ثم أنهجَ الله عزّ وجلّ للمسلمين بصائرهم؛ فخرجوا بتجارات، فأصابوا الدّرهم درهمين؛ ولم يلقوْا عدُوًّا؛ وهى ببَدْر الموعد؛ وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية، يجتمعون إليها فى كلّ عام ثمانية أيام.

قال أبو جعفر: واستخلف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على المدينة عبد الله بن رَوَاحة.

* * *

قال الواقدىّ: وفى هذه السنة تزوّج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمّ سلَمة بنت أبى أميَّة فى شوّال؛ ودخل بها.

قال: وفيها أمَر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم زيد بن ثابت أن يتعلَّم كتاب يهود؛ وقال: إنّى لا آمن أن يبدّلوا كتابى.

ووليَ الحجَّ فى هذه السنة المشركون.

ثم كانت السنة الخامسة من الهجرة

فى هذه السنة تزوّج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم زينبَ بنت جحش .

حُدِّثت عن محمَّد بن عمر ، قال : حدّثنى عبد الله بن عامر الأسلميّ عن محمَّد بن يحيى بن حبَّان ، قال : جاء رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم بيتَ زيد بن حارثة ، وكان زيد إنَّما يقال له زيد بن محمد ، ربَّما فقده رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الساعة ، فيقول : أين زيد ؟ فجاء منزله يطلبه فلم يجده ، وقامت إليه زينب بنت جحش زوجته فُضُلا[1] ؛ فأعرض عنها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقالت : ليس هو هاهنا يا رسولَ الله ، فادخل بأبى أنت وأمّى ! فأبى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يدخل ؛ وإنّما عجِلت زينب أن تلبس إذْ قيل لها : رسولُ الله[2] صلَّى الله عليه وسلَّم على الباب ، فوثبت عجِلة ، فأعجبت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فولَّى وهو يهمهم بشىء لا يكادُ يفهم ؛ إلاّ أنه أعلن : سبحان الله العظيم ! سبحان الله مُصرّف القلوب ! قال : فجاء زيدٌ إلى منزله ، فأخبرته امرأته أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أتى منزله ، فقال زيد : ألا قلتِ له : ادخل ! فقالت : قد عرضتُ عليه ذلك فأبى ، قال : فسمعتِه[3] يقول شيئًا ؟ قالت : سمعتُه[4] يقول حين ولَّى : سبحان الله العظيم ، سبحان الله مصرّف القلوب ! فخرج زيدٌ حتى أتى[5] رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : يا رسول الله ؛ بلغنى أنك جئت منزلى[6] ؛ فهلاّ دخلت بأبى أنت وأمّى يا رسول الله ، لعل زينب أعجبتْك فأفارقها ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمسِكْ

١٤٦١/١

(١) يقال : امرأة فضل ، أى تلبس ثوباً واحداً .
(٢) س : « هذا رسول الله » .
(٣) كذا فى م ، وفى ط : « فسمعتيه » .
(٤) و : « قد سمعته » .
(٥) س : « رأى » .
(٦) س : « إلى منزلى » .

عليك زوجَك، فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك اليوم؛ فكان يأتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فيخبره ، فيقول له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أمسِكْ عليك زوجَك ؛ ففارقها زيد واعتزلها وحلَّت .

فبينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يتحدّث مع عائشة ؛ إذ أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم غَشْيَة، فسُرِّىَ عنه وهو يتبسَّمُ ويقول[1] : مَنْ يذهب إلى زينب يبشِّرها ، يقول : إنّ الله زوّجَنيها ؟ وتلا رسول الله ١٤٦٢/١ صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَك ... ﴾[2] القصّة كلَّها .

قالت عائشة : فأخذنى ما قَرُبَ وما بَعُدَ لما يبلغنا من جمالها ؛ وأخرى هى أعظمُ الأمور وأشرفها ، ما صنع الله لها ؛ زَوّجَها ، فقلت : تَفْخَرُ علينا بهذا .

قالت عائشة : فخرجت سَلْمَى خادم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم تخبرها بذلك ، فأعطتْها أوضاحًا عليها[3] .

حدّثنى يونسُ بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : قال ابنُ زيد : كان النبىّ صلى الله عليه وسلَّم قد زوّج زيد بن حارثة زينبَ بنت جحش ابنة عمَّته ، فخرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يومًا يريده ، وعلى الباب سِتْرٌ من شعر ؛ فرفعت الريح السِّتر فانكشف وهى فى حُجْرتها حاسرة ، فوقع إعجابُها فى قلب النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فلمَّا وقع ذلك كُرّهَتْ إلى الآخر ، قال : فجاء فقال : يا رسولَ الله ، إنى أريد أن أفارق صاحبتى ، فقال : مالك ! أرابَكَ منها شىء ! فقال : لا والله يا رسولَ الله ، ما رابنى منها شىء ، ولا رأيت إلا خيرًا . فقال له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أمسِك عليك زوْجَك واتقِ الله ؛ فذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَإذْ تَقُولُ

---

(١) م : « وهو يقول » .

(٢) سورة الأحزاب ٣٧ .

(٣) الأوضاح : جمع وضح ؛ وهو حلى من فضة .

لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾، تخفى فى نفسك إنْ فارقَتها تزوجتَها[1].

* * *

[غزوة دومة الجندل]

قال الواقدىّ : وفيها غزَا دَوْمة الجنْدل فى شهر ربيع الأول ، وكان سببُها أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بلغه أن جمعًا تجمّعوا بها ودنوْا من أطرافه . فغزاهُم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ حتى بلغ دَوْمة الجندل ، ولم يلقَ كيدًا ، وخلّف على المدينة سباع بن عُرْفطَة الغِفارىّ .

١٤٦٣/١

* * *

قال أبو جعفر : وفيها وادَعَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عُيَيْنَةَ ابن حِصْن أن يرعى بتَغْلَمَيْن وما والاها .

قال محمد بن عمر — فيما حدّثنى إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه — وذلك أن بلاد عُيَيْنَةَ أجدبت ، فوادع رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أن يرعى بتغلميْن إلى المَرَاض ؛ وكان ما هنالك قد أخصب بسحابة وقعت ، فوادعه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يرعى فيما هنالك .

قال الواقدىّ : وفيها تُوفيتْ أم سعد بن عبادة وسعد غائبٌ مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى دومة الجندل .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة الخندق

وفيها : كانت غزوةُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم الخندَق[2] فى شوّال ؛ حدّثنا بذلك ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق :

---

(١) الخبر فى التفسير ٢٢ : ١٠ — ١١ (بولاق) .

(٢) أخبار غزوة الخندق فيما نقل عن ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٧ — ١٩٣ .

وكان الذى جرّ غزوة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم الخندق — فيما قيل — ما كان من إجلاء رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بنى النَّضِير عن ديارهم .

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رُومان ، مولى آل الزُّبير ، عن عُرْوة بن الزبير ومَنْ لا أتَّهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وعن الزُّهرىّ ، وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعن محمد بن كَعْب القُرَظىّ وعن غيرهم من علمائنا ؛ كلٌّ قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدّث ما لا يحدّث بعض ؛ أنه كان من حديث الخندق أنّ نفرًا من اليهود منهم سلاّم بن أبى الحُقَيق النَّضرىّ[1] وحُيَىّ بن أخْطَب النَّضَرىّ ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق النَّضَرىّ ، وهَوْذَة بن قيس الوائلىّ ، وأبو عمَّار الوائلىّ ؛ فى نفر من بنى النَّضِير ونَفر من بنى وائل ؛ هم الذين حزّبوا الأحزاب على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكّة ؛ فدَعَوْهم إلى حرْب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقالوا : إنّا سنكونُ معكم عليه حتى نستأصِله ، فقالت لهم قريشُ : يا معشَر يهود ؛ إنّكم أهلُ الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمَّد ، أفدِينُنا خيرٌ أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خيرٌ من دينه ، وأنتم أولَى بالحقّ منه . قال : فهم الذين أنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ — إلى قوله — ﴿ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ﴾[2] .

١٤٦٤/١

فلمّا قالوا ذلك لقريش ، سرّهم ما قالوا ونشِطوا لما دعوْهم إليه من حرْب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأجمعوا لذلك واتّعدوا له .

(١) قال السهيلى : « ونسب طائفة من بنى النضير ؛ فقيل فيهم : النضرى ؛ وهكذا تقيد فى النسخة العتيقة ، وقياسه النضيرىّ ؛ إلا أن يكون من باب قولهم : « ثقفى وقرشى ؛ وهو خارج عن القياس » .

(٢) سورة النساء ٥١ — ٥٥ .

ثم خرج أولئك النَّفر من يَهود حتى جاءوا غَطَفان من قيْس عَيْلان فدعوْهم إلى حَرْب رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ؛ وأنّ قريشا تابعوهم على ذلك وأجمعوا فيه ، فأجابوهم . ١/١٤٦٥

فخرجت قريش وقائدُها أبو سفيان بن حرْب ، وخرجت غَطَفان وقائدها عُيَيْنة بن حِصْن بن حذيفة بن بدرٍ فى بنى فَزارة ، والحارث بن عوْف بن أبى حارثة المرّى فى بنى مرّة ، ومسعود[1] بن رُخَيْلَة بن نُوَيْرَة ابن طَريف بن سُحْمةَ بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشْجَع بن رَيْث بن غَطَفان ؛ فيمن تابعه من قومه من أشجع .

* * *

فلمّا سمع بهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وبما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة . فحدِّثت عن محمد بن عمر ، قال : كان الذى أشار عَلَى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم بالخندق سَلْمان ، وكان أوّل مشهد شهِده سلْمان مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ وهو يومئذ حرّ ، وقال : يا رسولَ الله ؛ إنا كنَّا بفارس إذا[2] حوصرنا خَنْدَقْنا علينا .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاقْ : فعَمِل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ترغيباً للمسلمين فى الأجر ، وعمل فيه المسلمون : فدأب فيه ودأبوا ، وأبطأ عَن رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وعن المسلمين فى عملهم رجالٌ من المنافقين ، وجعلوا يُوَرّون بالضَّعْف[3] من العمل ، ويتسلَّلون إلى أهاليهم بغير علْم من رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ولا إذن . وجعل الرّجُل من المسلمين إذا نابتْه نائبة من الحاجة التى لا بدّ منها يذكر ذلك لرسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ويستأذنه فى اللحوق بحاجته[4] ؛ فيأذن له ؛ ١/١٤٦٦

(١) كذا فى ط ؛ وهو يوافق ما فى الإصابة ٣ : ٣٩٠ ؛ وفى السيرة : « مسعر » .

(٢) م : « إن » .

(٣) ابن هشام : « بالضعيف » . ويورون : يستترون .

(٤) س : « بأهله لحاجته » .

فإذا قضى حاجتَه رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبةً فى الخير ، واحتساباً له ؛ فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(١). فنزلت هذه الآية فى كلّ من كان من أهل الحِسْبَةِ من المؤمنين والرغبة فى الخير ؛ والطاعة لله ولرسولِه صلّى الله عليه وسلم . ثم قال يعنى المنافقين الذين كانون يتسلّلون من العمل ، ويذهبون بغير إذْن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾(٢) ، أى قد علم ماأنتم عليه من صدق أوكَذِب ، وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ؛ وارتجزوا فيه برَجُل من المسلمين يقال له جُعَيْل ، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم « عَمْرًا » ، فقالوا :

سَمَّاهُ مِنْ بعدِ جُعَيْلٍ عَمْرَا ... وكانَ للْبَائِس يوماً ظَهْرَا(٣)

فإذا مرّوا بعمرو ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « عمرا » ، ١٤٦٧/١ وإذا قالوا : « ظهرًا » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم :« ظهرا »(٤) .

فحدّثنا محمد بن بشار ، قال : حدّثنا محمد بن خالد بن عَثْمَة ، قال : حدّثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنىّ ، قال : حدّثنى أبى ، عن أبيه ، قال : خطّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الخَنْدق عامَ الأحزاب

---

(١) سورة النور ٦٢ .

(٢) سورة النور ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) الظهر : القوة والمعونة ؛ والضمير فى « سماه » للنبى صلى الله عليه وسلم . وقال : أبو ذر الخشنى : « وقد يجوز فيه وجه ثان ؛ وهو أن يكون الظهر هنا : الإبل ؛ فيكون البيت على وجه آخر تقديره : وكان المال للبائس يوماً ظهراً ؛ فأضمر اسم « كان » ؛ وإن لم يتقدم ما يفسره ؛ لأن مساق الكلام يدل عليه ؛ كما قالوا : إذا كان غداً فأتنى ؛ أى إذا كان اليوم غدا » .

(٤) ابن هشام : « وإذا مروا بظهر » .

من أجُم الشَّيْخَيْن (١) طرف بنى حارثة ؛ حتى بلغ المذاد (٢) ثم قطَّعه أربعين ذراعًا بين كلٍّ عشرة ، فاحْتقّ (٣) المهاجرون والأنصار فى سلْمان الفارسىّ — وكان رجلاً قويًّا — فقالت الأنصار : سلْمان منَّا ، وقالت المهاجرون : سلْمان منَّا ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : سلْمان منَّا أهلَ البيت . قال عمرو بن عوف : فكنتُ أنا وسلْمان ، وحُذَيفة بن اليمان ، والنعمان بن مقرِّن المزنىّ ، وستة من الأنصار فى أربعين ذراعًا ، فحفرنا تحت ذوباب حتى بلغنا النَّدى (٤) ، فأخرج الله عزّ وجلّ من بطن الخندق صخرةً بيضاء (٥) مَرْوَةً فكسرت حديدَنا ، وشقَّت علينا . فقلنا : يا سلْمان ، ارقَ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأخبرْه خبرَ هذه الصخرة ، ١٤٩٨/١ فإمَّا أن نعدِل عنها فإنّ المعدل قريب ، وإمَّا أن يأمرنا فيها (٦) بأمره ؛ فإنا لا نحبّ أن نجاوزَ خطَّه .

فرَقِىَ سلمان حتى أتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو ضاربٌ عليه قُبَّة تُرْكِيَّة ؛ فقال : يا رسولَ الله ، بأبينا أنت وأمِّنا ! خرجتْ صخرة بيضاء من الخندق (٧) مَرْوة ، فكسرتْ حديدَنا ، وشقَّت علينا حتى ما نُحيك (٨) فيها قليلا ولا كثيرًا ؛ فمُرْنا فيها بأمرك ؛ فإنا لا نحبّ أن نجاوزَ خطَّك .

---

(١) الأجم : واحد آجام المدينة ، وهو بمعنى الأطم ، وآجام المدينة آطامها وحصونها . والشيخان : موضع بالمدينة ؛ كان فيه معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خرج لقتال المشركين بأحد . انظر ياقوت (أجم — شيخ) .

(٢) المذاد ، قال ياقوت : « موضع بالمدينة حيث حفر الخندق النبى صلى الله عليه وسلم » .

(٣) فى اللسان : « احتق القوم : قال كل واحد منهم : الحق فى يدى ؛ وفى حديث ابن عباس فى قراء القرآن : متى ما تغلوا فى القرآن تحتقوا ، يعنى المراد فى القرآن ؛ ومعنى تحتقوا تختصموا فيقول كل واحد منهم : الحق فى يدى » . وفى س ، و ، والتفسير : « فاختلف » .

(٤) م : « الترى » ، س : « الشرى » ، التفسير : « الصرب » .

(٥) المرو : حجارة بيض براقة تكون فيها النار ، وتقدح منها ، واحدتها مروة .

(٦) كذا فى التفسير ، وفى ط : « فيه » .

(٧) التفسير : « من بطن المروة » .

(٨) التفسير : « حتى ما يجىء منها قليل ولا كثير » .

فهبط رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مع سلْمان فى الخندق ، ورقِينا نحن التّسعةَ على شقّة[1] الخندق ، فأخذ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المعْول من سلْمان ، فضرب الصّخرة ضَرْبةً صدَعها ، وبرقت منها بـرْقة أضاء ما بين لابتَيْها[2] — يعنى لابتِى المدينة — حتّى لكأنّ مصباحًا فى جوف بيت مظلم . فكبّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تكبير فتح ، وكبّر المسلمون . ثم ضربها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الثانية ، فصدَعها وبرق منها برقة أضاء منها ما بين لابتيْها ، حتّى لكأنّ مصباحًا فى جوف بيت مظلم ؛ فكبّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تكبيرَ فتح وكبّر المسلمون . ثم ضربها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الثالثة فكسرها ، وبرقَ منها برقة أضاء ما بين لابتيْها ؛ حتى لكأنّ مصباحًا فى جوف بيت مظلم ، فكبّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تكبيرَ فتح وكبّر المسلمون ، ثم أخذ بيد سلمان فرقِيَ ، فقال سلْمان : بأبى أنت وأمىّ يا رسول الله ! لقد رأيت شيئًا ما رأيته قطّ ! فالتفت رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى القوم ، فقال : هل رأيتُم ما يقول سلْمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمّنا قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموْج ، فرأيناك تكبّر فنكبّر ، ولا نرى شيئًا غير ذلك . قال : صدقتم ، ضربت ضربتى الأولى ، فبرق الذى رأيتم ، أضاءت لى منها قصور الحِيرة ومدائن كسرى ، كأنّها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبريلُ أنّ أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضربتُ ضربتى الثانية ، فبرق الّذى رأيتُم ؛ أضاءت لى منها قصور الحُمْر من أرض الرُّوم ، كأنّها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبريل أنّ أمّتى ظاهرة عليها ، ثم ضربتُ ضربتى الثالثة ، فبرق منها الّذِى رأيتُم ؛ أضاءت لى منها قصور صنْعاء كأنّها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبريل أنّ أمتى ظاهرة عليها ، فأبشروا يبلغهم النّصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ! فاستبشر المسلمون ، وقالوا : الحمدُ لله موعد صادق بارّ ، وعدنا النصر بعد الحصر . فطلعت الأحزاب ، فقال المؤمنون : ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾[3]

١٤٦٩/١

(١) س والتفسير : « شفة الخندق » . (٢) اللابة : الحرة ، والمدينة تقع بين لا بتين .

(٣) سورة الاحزاب ٢٢ .

وقال المنافقون: ألا تعجبون ! يحدّثكم ويُمَنّيكم ويَعِدُكم الباطل ! يخبِركم أنه يبصِر من يثرب قصورَ الحيرة ومدائن كسرى ؛ وأنها تُفْتَح لكم ؛ وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا ! وأنزل القرآن : ﴿ وإذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إلَّا غُروراً ﴾[١] .

١/١٤٧٠

حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق عمّن لايتّهم ، عن أبى هريرة ، أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار فى زمن عمر وعثمان وما بعده : افتتحوا ما بدالكم ! فوالّذى نفس أبى هريرة بيده ؛ ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلاّ وقد أعطِيَ محمّد مفاتيحَها قبل ذلك .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق قال : كان أهلُ الخندق ثلاثة آلاف . قال : ولمّا فرغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجُرُف والغابة[٢] ، فى عشرة آلاف من أحابيشِهم ، ومَنْ تابعهم من كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غَطَفان ومَنْ تابعهم من أهل نجْدٍ ؛ حتى نزلوا بذَنب نَقَمَى إلى جانب أحُد .

وخرج رسولُ الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه والمسلمون ؛ حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع ، فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره[٣] ، وأمر بالذرارىّ والنساء. فرفعوا[٤] فى الآطام[٥] . وخرج عَدُوُّ الله حُيَىُّ بن أخطب ؛

١/١٤٧١

(١) سورة الأحزاب ١٢ ، والخبر فى التفسير ٢١ : ٨٥ ، ٨٦ (بولاق) .

(٢) كذا فى ط ، وفى ابن هشام : « زغابة » . قال السهيلى : « زغابة : اسم موضع ، بالغين المنقوطة والزاى المفتوحة » .

(٣) م : « عسكرهم » .

(٤) م : « فدفعوا » ، وابن هشام : « فجعلوا » .

(٥) الآطام : الحصون ، الواحد أطم .

حتى أتى كعب بن أسدَ القُرظىّ صاحب عَقْد بنى قُرَيظة وعهدهم ؛ وكان قد وادَع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم على قومه ، وعاهده على ذلك وعاقده ؛ فلمّا سمع كعب بحُيَىّ بن أخطب ، أغلَقَ دونه حِصْنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيَىٌّ : يا كعب ، افتح لى ، قال : ويحك يا حيَىّ ! إنك امرؤٌ مشئوم ، إنى قد عاهدت محمدًا فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلاّ وفاءً وصدقا . قال : ويْحك ! افتح لى أكلّمك ، قال : ما أنا بفاعل ؛ قال : والله إن أغلقتَ دونى إلاّ على جَشيشتك[1] أن آكل معك منها ؛ فأحفَظ[2] الرجل ، ففتح له ، فقال : ويْحك يا كعب ! جئتك بعزّ الدّهر وببَحْرٍ طامٍ ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها ؛ حتى أنزلتُهم بمجتَمع الأسيال من رومة ، وبغَطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَب نَقَمَى إلى جانب أحُد ؛ قد عاهدونى وعاقدونى ألاّ يبرحوا حتى يستأصِلوا محمدًا ومَنْ معه . فقال له كعب بن أسَد : جئتنى والله بذلّ الدهر ! بجَهَام قد هراق ماءَه يرعِد ويُبرق ، ليس فيه شىء ! ويْحك فدعنى ومحمدًا وما أنا عليه ؛ فلم أرَ من محمدٍ إلا صدقًا ووفاءً ! فلم يزلْ حُيَىّ بكعب يَفْتِله فى الذّرْوة والغارب ؛ حتّى سَمَح له ، علَى أن أعطاه عهدًا من الله وميثاقا : لئن رجعت قريش وغَطفان ولم يصيبوا محمدًا أن أدخل معك فى حِصْنك حتى يصيبَنى ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهدَه ، وبرئ ممّا كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٤٧٢/١

فلما انتهى إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سعد بن مُعاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بنى عبد الأشهل – وهو يومئذ سيِّد الأوْس – وسعد بن عبادة بن دُلَيم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج – وهو يومئذ سيِّد الخزْرج – ومعهما عبدُ الله بن رَواحة أخو بلْحارث بن الخزرج ، وخَوّات بن جُبَير ، أخو بنى عمرو بن عوف ؛ فقال : انطلِقُوا حتى تنظروا : أحقّ ما بلغنا عن

---

(١) الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش . وهو البر يطحن غليظاً .
(٢) أحفظه : أغضبه .

هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقًّا فالحنوا لى لَحْنًا نعرفه ، ولا تَفُتُّوا فى أعضاد الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس .

فخرجوا حتى أتوْهم فوجدوهم على أخبث ما بلَغهم عنهم ، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : لا عقْد بيننا وبين محمّد ولا عهد . فشاتَمهم سعد بن عبادة وشاتَمُوه ، وكان رجلا فيه حَدٌّ[1] ، فقال له سعد ابن مُعاذ : دَعْ عنك مشاتَمتهم ؛ فما بيننا وبينهم أرْبَى[2] من المشاتمة . ١٤٧٣/١ ثم أقبل سعد وسعد ومَنْ معهما إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فسلَّموا عليه ، ثم قالوا : عَضَل والقَارة [أى] [3] كغدر عَضَل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلَّم أصحاب الرَّجيع ؛ خُبَيْب بن عَدِيّ وأصحابه . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : الله أكبر ! أبشروا يا معشرَ المسلمين ، وعَظُمَ عند ذلك البلاء ، واشتدّ الخوف ، وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتَّى ظنّ المؤمنونَ كلَّ ظنّ ، ونَجَمَ النِّفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعَتِّبُ ابن قُشَيْر ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمدٌ يعِدُنا أن نأكلَ كنوزَ كسرى وقيصر ؛ وأحدنا لا يقدِرُ أن يذهب إلى الغائط ! وحتى قال أوس بن قيظىّ ، أحد بنى حارثة بن الحارث : يا رسولَ الله ، إن بيوتَنا لعوْرَة من العدوّ — وذلك عن ملأ من رجال قومه — فأذَنْ لنا فلنرجع إلى دارنا ؛ فإنَّها خارجة من المدينة .

فأقام رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأقام المشركون عليه بضعًا وعشرين ليلة ، قريبًا من شهر ؛ ولم يكن بين القوم حَرْب إلاّ الرّمْىُ[4] بالنَّبْل والحصار .

فلما اشتدّ البلاء على النَّاس بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم — كما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة . وعن محمّد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ — إلى

---

(١) ابن هشام : « حدة » ؛ وهما بمعنى الغضب .
(٢) أربى : أعظم .
(٣) من سيرة ابن هشام .
(٤) ابن هشام : « الرميا » بكسر الميم والراء المشددتين وتخفيف الباء ؛ وهى المراماة .

عُيَيْنة بن حصن ، وإلى الحارث بن عَوْف بن أبي حارثة المرّيّ — وهما قائدا غَطَفان — فأعطاهما ثلث ثمار المدينة ؛ على أن يرجعا بمَنْ معهما عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ؛ حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلّا المراوضة في ذلك ، ففعَلا ، فلما أراد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن مُعاذ وسعد بن عبادة ؛ فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله ؛ أمرٌ تحبّه فنصنعه ، أم شيءٌ أمرك الله عزّ وجلّ به ؛ لا بُدّ لنا من عمل به ، أم شيءٌ تصنعه لنا ؟ قال : لا ، بل لكم ؛ والله ما أصنَعُ ذلك إلّا أني رأيت العرب قد رَمَتْكم عن قوس واحدة ، وكالَبُوكم[1] من كلّ جانب ، فأردت أن أكسِرَ عنكم شوكتَهم لأمرٍ ما ساعة . فقالَ له سعْد بن معاذ : يا رسولَ الله ؛ قد كُنّا نحنُ وهؤلاء القوم على شِرْك بالله عزّ وجلّ وعبادة اللأوثان ، ولا نعبد الله ولا نعرفه ؛ وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة إلّا قِرًى[2] أو بيعًا ، أفحين أكرمَنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزّنا بك ، نُعْطيهم أموالنا ! ما لنا بهذا من حاجة ؛ والله لا نعطيهم إلّا السيف حتى يحكُمَ الله بيننا وبينهم . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فأنت وذاك ! فتناول سعدٌ الصحيفة ؛ فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليَجْهدوا علينا .

١٤٧٤/١

فأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون وعدوّهم محاصروهم ؛ لم يكن بينهم قتال إلّا أنّ فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدُودّ بن أبي قيس ، أخو بني عامر بن لُؤيّ ، وعِكْرمة بن أبي جهل وهُبَيْرة بن أبي وهب المخزوميّان ، ونوْفَل بن عبد الله ، وضِرار بن الخطّاب[3] بن مرداس ، أخو بني محارب بن فِهْر ؛ قد تلبّسوا للقتال ، وخرجوا على خيلهم ، ومرّوا على بني كِنانة ، فقالوا : تهيّئوا يا بني كنانة للحرب ؛ فستعلمون اليوم

١٤٧٥/١

---

(١) كالبوكم : اشتدوا عليكم .

(٢) القرى : ما يصنع للضيف من الطعام .

(٣) زاد ابن هشام بعدها : « الشاعر » .

مَنْ الفرسان ! ثم (١)أقبلوا نحو الخندق ؛ حتّى وقفوا عليه(١) ، فلمّا رأوه قالوا : والله إنّ هذه لمكيدةٌ ما كانت العرب تكيدها ؛ ثم تيمّموا مكانًا من الخندق ضيّقًا ، فضربوا خيولَهم ، فاقتحمت منه ؛ فجالت بهم فى السَّبَخة بين الخنْدق وَسلْع ، وخرج علىّ بن أبى طالب فى نَفر من المسلمين ؛ حتى أخذ عليهم الثُّغْرَةَ التى أقْحَمُوا منها خيلَهم ، وأقبلت الفرسان تُعْنِقُ(٣) نحوهم . وقد كان عمرو بن عبدوُدٌ قاتل يوم بدر ؛ حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد أحدًا ، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلِمًا(٢) ليُرَى مكانُه ؛ فلمّا وقف هو وخيله ، قال له علىّ : ياعمرو ؛ إنك كنتَ تعاهد الله ألاّ يَدْعُوَك رجلٌ من قريش إلى خلّتَيْن إلا أخذتَ منه إحداهما ! قال : أجَلْ ! قال له علىٌّ بن أبى طالب : فإنى أدعوك إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله وإلى الإسلام ، قال : لا حاجة لى بذلك ؛ قال : فإنى أدعوك إلى النِّزال ، قال : ولِمَ يا بن أخى ؛ فوالله ما أحبّ أن أقتلك ! قال : علىّ : ولكنى والله أحبُّ أن أقتلك . قال : فحمِىَ عَمْرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرَسه فعَقرَه — أو ضرَبَ وجْهَه — ثم أقبل على علىّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علىّ عليه السلام وخرجت خيلُه منهزمة ؛ حتى اقتحمت من الخَنْدق هاربة ، وقتِل مع عمرو رجلان : مُنَبّه بن عثمان بن عُبيْد بن السَّبّاق بن عبد الدار ، أصابه سهم فمات منه بمكّة ؛ ومن بنى مخزوم نوفل بن عبد الله بن المغيرة ؛ وكان اقتحم الخندق فتورّط فيه ، فرموْه بالحجارة ، فقال : يا معشرَ العرب ، قَتْلَة أحسن من هذه ! فنزل إليه علىّ فقتله ، فغلب المسلمون على جسده ، فسألوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسدَه ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا حاجة لنا بجَسده ولا ثمنه ؛ فشأنكم به . فخلّى بينهم وبينه .

١٤٧٦/١

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق

(١ — ١) سيرة ابن هشام : « ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم ؛ حتى وقفوا على الخندق » .

(٢) المعلم : الذى جعل له علامة يعرف بها .

(٣) تعنق : تسرع .

عن أبى ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصارىّ ، ثم أحد بنى حارثة ، أنّ عائشة أمّ المؤمنين كانت فى حِصْن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة ؛ وكانت أمّ سَعْد بن مُعاذ معها فى الحصن .

قالت عائشة : وذلك قبل أن يضرَب علينا الحجاب . قالت : فمرّ سعدٌ وعليه درْعٌ مقلّصة [١] ، قد خرجت منها ذِراعه كلُّها ؛ وفى يده حربته يرْقَدُ [٢] بها ويقول :

١٤٧٧/١

لَبّثْ قليلا يَشْهَدِ الهَيْجَا حَمَلْ ... لا بَأْسَ بالمَوْتِ إذا حانَ الأجَلْ [٣]

قالت له أمّه : الحق يا بُنَىَّ ، فقد والله أخّرْتَ .

قالت عائشة : فقلتُ لها : يا أمّ سعد ؛ والله لوَددْتُ أنّ دِرْعَ سعد كانت أسبغَ [٤] مما هى ! قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه .

قالت : فرُمِىَ سعد بن معاذ بسهْم ، فقطع منه الأكْحل [٥] ، رمَاه — فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنا محمد ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة — حِبَّانُ بن قيس بن العرِقة أحدُ بنى عامر بن لؤىّ ؛ فلمّا أصابه قال : خذْها وأنا ابن العَرِقة ؛ فقال سعدٌ : عرّقَ الله وجهك فى النّار ! اللّهمّ إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقنى لها ، فإنّه لا قومَ أحبّ إلىّ أن أجاهدهم من قوم آذوْا رسولَك ، وكذّبوه وأخرجوه . اللهمّ وإن كنت قد وضعتَ الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ولا تُمِتْنى حتى تقرّ عينى من بنى قُرَيظة .

حدّثنا سُفيان بن وكيع ، قال : حدّثنا محمد بن بشر ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو ، قال : حدّثنى أبى ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت :

---

(١) مقلصة : قصيرة قد ارتفعت ؛ يقال : تقلص الشىء ؛ إذا ارتفع وانقبض ، وفى و : « مفاضة » . (٢) يرقد : يسرع .

(٣) قال السهيلى : « هو بيت تمثل به ، يعنى به حمل بن سعدانة بن حارثة بن معقل بن كعب ابن عليم بن جناب الكلبى » .

(٤) أسبغ : أكمل .

(٥) الأكحل : عرق فى الذراع .

خرجتُ يوم الخَنْدق أقفو آثار الناس ؛ فوالله إنى لأمشِي إذْ سمعت وئيد[1] الأرض خلْفى – تعنِى حِس الأرض – فالتفتُّ فإذا أنا بسعد ؛ فجلست إلى الأرض ، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوْس – شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدّثنا بذلك محمد بن عمرو – يحمل مِجَنَّه ، وعلَى سعد دِرْع من حديد قد خرجت أطرافه منها .

قالت : وكان من أعظم الناس وأطولهم .

قالت : فأنا أتخوّفُ على أطراف سعد ، فمرّ بى يرتجز ، ويقول :

لَبِّثْ قليلا يُدْرِكِ الْهَيْجَا حَمَلْ ... ما أحْسَنَ المَوْتَ إذا حان الأجَلْ !

قالت : فلمّا جاوزنى قمتُ فاقتحمت حديقة فيها نَفَر من المسلمين ، فيهم عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه تَسْبِغَة له – قال محمد : والتَّسبغة المِغْفَر – لا تُرى إلا عيناه ، فقال عمر : إنكِ لَجَرِيئة ؛ ما جاء بكِ ؟ ما يدريكِ لعلّه يكون تحوُّز أو بلاء ! فوالله ما زال يلومنى حتى وددت أن الأرض تنشقّ لى فأدخل فيها ، فكشف الرجل التَّسبغة عن وجهه ، فإذا هو طلحة ، فقال : إنك قد أكثرت ، أين الفرار ، وأين التحوُّز إلاّ إلى الله عزّ وجلّ !

قالت : فَرُمِىَ سعد يومئذ بسهم ، رماه رجلٌ يقال له ابن العَرِقَة ؛ فقال : خذها وأنا ابنُ العَرِقَة ؛ فقال : سعْد: عرّق الله وجهك فى النار ! فأصاب الأكحَل منه فقطعه . قال محمد بن عمرو : زعموا أنّه لم ينقطع من أحد قطّ إلاّ لم يزل يبضّ دماً حتى يموت . فقال سعد : اللّهمّ لاتمِتْنى حتى تقرّ عينى فى بنى قُرَيظة ! وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية .

١٤٧٩/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عمن لايتّهم ، عن عُبيد الله بن كعب بن مالك ، أنّه كان

---

(١) قال فى اللسان : « وفى حديث عائشة : خرجت أقفو آثار الناس يوم الخندق ؛ فسمعت وئيد الأرض خلفى . الوئيد : شدة الوطء على الأرض يسمع كالدوى من بعد » .

يقول : ما أصاب سعداً يومئذ بالسَّهم إلا أبو أسامة الجُشَمىّ حليف بنى مخزوم ؛ فالله أعلم أىّ ذلك كان !

حدّثنا ابنُ حُميد ،قال : حدثنا سَلَمة ،قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد ، قال : كانت صفيَّة بنت عبد المطَّلب فى فارع (حِصْنِ حسَّانَ بن ثابت) . قالت : وكان حسَّان مَعَنا فيه مع النِّساء والصبيان . قالت صفيّة : فمرّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يُطِيف بالحصن ، وقد حاربَتْ بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنَّا ، ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمون فى نحورِ عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن[1] أتانا آت . قالت : فقلت : ياحسَّان ، إنّ هذا اليهودىّ كما ترى ، يُطِيف بالحصن ، وإنى والله ما آمنُه أن يدلّ على عوراتنا مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شغل عنَّا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه ، فانزلْ إليه فاقتلْه . فقال : يغفر الله لكِ يا بنت عبد المطَّلب ! والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا ! قالت : فلمَّا قال ذلك لى ، ولَمْ أرَ عنده شيئا احتجزت[2] ؛ ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحِصْنِ إليه فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلمَّا فرغت منه رجعت إلى الحِصْن ، فقلت : يا حسَّان ، انزل إليه فاسلبه ؛ فإنَّه لم يمنعْنى من سلَبه إلاّ أنه رجلٌ ؛ قال : مالى بسلَبه من حاجة يا بنت عبد المطلب[3] .

١٤٨٠/١

قال ابنُ إسحاق : وأقامَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابُه ؛

(١) ر : « إذا » .

(٢) احتجزت : شددت وسطى ، قال أبو ذر الخشنى : « ومن رواه : اعتجرت ، فمعناه شددت معجرى » .

(٣) قال السهيلى : « ويحمل هذا الحديث عند الناس على أن حسان كان جباناً شديد الجبن ؛ وقد رفع هذا بعض العلماء وأنكره ؛ وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ؛ وقال : لو صح هذا لهجى به حسان ؛ فإنه كان يهاجى الشعراء ، كضرار وابن الزبعرى وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجبن ، ولا وسمه به ؛ فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلعله كان معتلا فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال » .

فيما وصف الله عزّ وجلّ من الخوف والشدّة ؛ لتظاهر عدوّهم عليهم ، وإتيانهم من فَوْقهم ومن أسفل منهم .

ثم إنّ نُعَيْمَ بن مسعود بن عامر بن أنَيْف بن ثعلبة بن قُنْفذ بن هلال ابن خلاوة بن أشجع بن رَيْث بن غَطَفان أتَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسولَ الله ، إنّى قد أسلمت ، وإنّ قومِى لم يعلموا بإسلامى ؛ فمُرْنى بما شئتَ . فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّما أنت فينا رجلٌ واحد ؛ فخَذّلْ عنّا إن استطعت ؛ فإنّ الحربَ خُدعة . فخرج نُعَيم بن مسعود حتى أتى بنى قُرَيظة — وكان لهم نديمًا فى الجاهليّة — فقال لهم : يا بنىِ قُرَيظة ، قد عرفتم وُدّى إيّاكم ، وخاصّة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت ، لستَ عندنا بمتّهم ؛ فقال لهم : إنّ قريشًا وغَطَفان قد جاءوا لحرب محمّد ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وإنّ قريشًا وغَطَفان ليسوا كهيئتكم[1] ؛ البلد بلدكم ، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ؛ لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإنّ قريشا وغَطَفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم وبلدهم بغيره ؛ فليسوا كهيئتكم ، إن رأوْا نُهْزَةً وغنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقُوا ببلادهم ، وخلّوْا بينكم وبين الرجل ببلدكم ؛ ولا طاقةَ لكم به إن خلا بكم ؛ فلا تقاتلُوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُنًا من أشرافهم يكونون بأيديكم ؛ ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدًا ؛ حتى تناجزوه ، فقالوا : لقد أشرت برأىٍ ونصحٍ . ثم خرج حتى أتى قريشًا ، فقال لأبى سُفيان بن حرب ومَنْ معه من رجال قريش : يا معشَر قريش ، قد عرفتم ودّى إياكم ، وفراقى محمدًا ؛ وقد بلغنى أمرٌ رأيتُ حقًّا علىّ أن أبلغكموه نصحًا لكم ، فاكتموا علىّ . قالوا : نفعل ، قال : فاعلموا أنّ معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أن قد ندِمْنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك عنّا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغَطَفان رجالا من أشرافهم ؛ فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ؛ ثمّ نكون معك على مَنْ بقى منهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم ؛ فإن بعثتْ إليكم يهودُ يلتمسون منكم رُهُنًا من رجالكم ؛ فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدًا . ثم خرجَ حتى أتى غَطَفان ، فقال :

١٤٨١/١ — ١٤٨٢/١

---

(١) ابن هشام : « كأنتم » .

يا معشرَ غطفان ؛ أنتم أصلي وعشيرتي ، وأحبّ الناس إليّ ، ولا أراكم تتّهمونني! قالوا : صدقتَ ، قال : فاكتموا عليّ ، قالوا : نفعل ، ثم قال لهم مثلَ ما قال لقريش ، وحذّرهم ما حذّرهم ؛ فلمّا كانت ليلة السَّبت فى شوّال سنة خمس ؛ وكان ممّا صنع الله عزّ وجلّ لرسوله [أن] (١) أرسل أبو سفيان ورءوس غَطَفان إلى بنى قريظة عِكْرمة بن أبى جهل ، فى نفرٍ من قريش وغَطَفان ، فقالوا لهم : إنّا لسْنا بدار مقام ؛ قد هلك الخفّ والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجزَ محمدًا ونفرُغ ممّا بيننا وبينه ؛ فأرسلوا إليهم أنّ اليوم السَّبت ؛ وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا ؛ وقد كان أحدث فيه بعضنا حدَثًا فأصابه ما لم يَخْفَ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطُونا رُهُنًا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا ؛ حتى نناجز محمدًا ؛ فإنّا نخشى إن ضرّستْكم الحرب ، واشتدّ عليكم القتال ، أن تشمّروا إلى بلادكم وتتركونا والرّجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك من محمدٍ . فلّما رجعت إليهم الرُّسل بالذى قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : تعلمون والله أنّ الذى حدّثكم نُعَيم بن مسعود لحقّ . فأرسلوا إلى بنى قريظة : إنّا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحدًا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرُّسل إليهم بهذا : إنّ الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقّ ؛ ما يريد القوم إلاّ أن يقاتلوا ؛ فإن وجدوا فرصة انتهزوها ؛ وإن كان غير ذلك تشمّروا (٢) إلى بلادهم ، وخلّوْا بينكم وبين الرجل فى بلادكم . فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنّا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رُهُنًا ، فأبوْا عليهم ، وخذّل الله بينهم ؛ وبعث الله عزّ وجلّ عليهم الريح فى ليالٍ شاتية شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورَهم ، وتَطْرح أبنيتهم . فلمّا انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما اختلف من أمرهم ، وما فرّق الله من جماعتهم ، دعا حُذيفة بن اليَمان ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا .

١٤٨٣/١

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرظىّ ؛ قال : قال فتى

(١) من ابن هشام . (٢) ابن هشام : «انشمروا إلى بلادهم» .

من أهل الكوفة لحذيفة بن اليَمان : يا أبا عبد الله ، رأيتم رسولَ الله وصحبتموه!
قال : نعم يابن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنّا نجهَد ، فقال الفتى : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا . فقال حذيفة : يابن أخي ؛ والله لقد رأيتُنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالخندق ، وصلّى هَوِيًّا[1] من الليل، ثم التفت إلينا ، فقال : مَنْ رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم [ثم يَرجع][2] ـــ يشرُط له رسولُ الله أنه يرجع[3] ـــ أدخله الله الجنّة ؟ فما قام رجل. ثم صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هَوِيًّا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منّا رجل ، ثم صلّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم هَوِيًّا من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال : مَنْ رجُل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ـــ يشرُط له رسول الله الرجعة ـــ أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة ؟ فما قام رجُلٌ من القوم من شدّة الخوف وشدّة الجوع وشدّة البرد . فلما لم يقم أحدٌ دعانى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فلم يكن لى بدّ من القيام حين دعانى . فقال : يا حذيفة ؛ اذهب فادخل فى القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تحدثنّ شيئًا حتى تأتيَنا ؛ قال : فذهبت فدخلتُ فى القوم والريحُ وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ؛ لا تقرّ لهم قِدْرًا ولا نارًا ولا بناء . فقام أبو سفيان بن حرب ، فقال : يا معشرَ قريش ، لينظر امرؤٌ جليسَه ، قال : فأخذتُ بيد الرجل الذى كان إلى جنبى ، فقلت : مَنْ أنت ؟ قال : أنا فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشرَ قريش ، إنّكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ، لقد هلك الكُراع والخُفّ ، وأخلَفَتْنا[4] بنو قريظة وبلغنا عنهم الّذى نكره ؛ ولقينا مِنْ هذه الريح ما ترْون ؛ والله ما تطمئنّ لنا قِدْرٌ ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناءٌ ؛ فارتحلوا فإنى مرتحل .

١/١٤٨٤

ثم قام إلى جمَله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ؛ فما أطلق عِقَاله إلاّ وهو قائم ؛ ولولا عهدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىّ ألاّ أحْدِث[5] شيئًا حتى آتيه ، ثم شئت لقتلتُه بسهم . قال حذيفة :

(١) الهوى : الهزيع من الليل . (٢) من ابن هشام (٣) ابن هشام : « الرجعة » .
(٤) التفسير : « واختلفت » .
(٥) ابن هشام : « ألا تحدث » .

فرجعتُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو قائم يصلّى فى مِرْط لبعض نسائه مُرَحَّلٍ؛ فلمّا رآنى أدخلنى بين رجليه وطرح علىّ طرف المِرْط [١] ثم ركع وسجد؛ فأذْلَقْتُه. فلمّا سلّم أخبرتُه الخبر، وسمعتْ غطفان بما فعلتْ قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم [٢].

١٤٨٥/١

حدثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق قال: فلمّا أصبَح نبىّ الله صلّى الله عليه وسلّم انصرف عن الخندَق راجعا إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح.

* * *

غَزوة بَنِي قريظة

فلما كانت الظُّهْر، أتى جبريلُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم — كما حدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثنى محمّد بن إسحاق [٣]، عن ابن شهاب الزُّهرىّ — معتجرًا [٤] بعمامة من إستبرق، على بغْلة عليها رِحالة [٥]، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أقد [٦] وضعتَ السِّلاح يا رسول الله؟ قال نعم، قال جبريل: ما وضعتِ الملائكةُ السِّلاحَ وما رجعت الآن إلا من طلب القوم؛ إنّ الله يأمرُك يا محمّد بالسَّير إلى بنى قُريظة، وأنا عامد إلى بنى قُريظة.

فأمرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مناديا، فأذّن فى النّاس: إنّ [٧] مَنْ كان سامعًا مطيعًا فلا يصلّينّ العصر إلاّ فى بنى قُريظة [٨].

---

(١) المرط: كساء من صوف وخز أو كتان يؤتزر به.
(٢) الخبر فى التفسير ٢١: ٨٠، ٨١ (بولاق).
(٣) أخبار غزوة بنى قريظة ما نقل عن ابن إسحاق، فى سيرة ابن هشام ٢: ١٩٤ — ٢٠٣
(٤) الاعتجار: أن يتعمم الرجل دون تلح، أى لا يلق شيئاً تحت لحيته.
(٥) الرحالة: السرج.
(٦) ابن هشام والتفسير: «أوقد»
(٧) ساقطة من ابن هشام.
(٨) بعدها فى ابن هشام: «واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم».

وقدّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم علىّ بن أبى طالب برايته إلى بنى قُريظة ، وابتدرها الناس ، فسار علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام ؛ حتى إذا دَنا من الحصون ، سمِع منها مقالة قَبيحة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم منهم ؛ فرجع حتى لَقِىَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بالطريق ، فقال : يا رسولَ الله ، لا عليك ألاّ تدنو من هؤلاء الأخابث[1] ! قال : لِمَ ؟ أظنُّك سمعتَ لى منهم أذًى ! قال : نعم يا رسول الله . لو قد رأوْنى لم يقولُوا من ذلك شيئًا . فلمّا دنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من حُصونهم ، قال : يا إخوان القِردة ، هل أخزاكم الله ، وأنزل بكم نقمته ! قالوا : يا أبا القاسم[2] ، ما كنتَ جهولا . ومرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أصحابه بالصَّوْرَيْن قبل أن يصلَ إلى بنى قُرَيظة ، فقال : هل مرّ بكم أحد ؟ فقالوا : نعم يا رسولَ الله ، قد مرّ بنا دِحْيَةُ بن خليفة الكلبىّ ، على بغلة بيضاء ، عليها رِحالة عليها قطيفة دِيباج ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ذلك جبريل ، بُعِثَ إلى بنى قريظة يُزَلْزِلُ بهم حصونَهم ، ويقذِف الرّعب فى قلوبهم . فلمّا أتى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بنى قريظة ، نزل على بئر من آبارها فى ناحية من أموالهم ، يقال لها بئر أنا[3] ؛ فلاحق به النّاس ، فأتاه رجالٌ من بعد العشاء الآخرة ، ولم يُصلّوا العصرَ ، لقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا يصلّينّ أحدٌ العصر إلاّ فى بنى قريظة ، لشىء لم يكن لهم منه بُدٌّ من حربهم ؛ وأبوْا أن يُصلّوا ، لقول النبىّ صلى الله عليه وسلّم : حتّى تأتُوا بنى قُرَيظة ، فصلُّوا العصر بها بعد العشاء الآخرة . فما عابهم الله بذلك فى كتابه ؛ ولا عنّفَهم به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . والحديث عن محمّد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن مَعْبَد بن كعب بن مالك الأنصارىّ .

١/١٤٨٦

* * *

(١) التفسير : « الأخباث » .

(٢) س : « يا محمد » .

(٣) أنا ، مثل « هنا » ، أو مثل « حتى » ، أو بكسر النون المشددة ، ويروى بموحدة بدل النون : من آبار بنى قريظة — ياقوت .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا محمد بن بِشر ، قال : حدّثنا محمّد ابن عمرو ، قال : حدّثني أبي ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت : ضرب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على سعد قُبَّة في المسجد ، ووضع السّلاح — يعني عند منصرَف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الخندق — ووضع المسلمون السِّلاح ، فجاءه جبريل عليه السّلام ، فقال : أوَضعتم السلاح ! فوالله ما وضعتِ الملائكة بَعْدُ السلاح ، اخرُجْ إليهم[1] فقاتِلْهم ، فدعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بلأمتِه فلبسها ، ثم خرج وخرج المسلمون ؛ فمرّ ببني غَنْم ، فقال : من مَرّ بكم ؟ قالوا : مرّ علينا دِحْيَة الكلبيّ — وكان يشبه سُنَّتُه[2] ولِحيته ووجهه بجبريل عليه السلام — حتى نزل عليهم ، وسعدٌ في قُبَّته التي ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ؛ فحاصرهم شهرًا — أو خمسًا وعشرين ليلة — فلما اشتدّ عليهم الحصار قيل لهم : انزِلوا على حكم رسول الله ، فأشار أبو لُبابة بن عبد المنذر إنّه الذبح ، فقالوا : ننزل على حكم سعد بن مُعاذ ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : انزلوا على حكمه ، فنزلوا ، فبعث إليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بحمار بإكاف من لِيف ، فحمِل عليه . قالت عائشة : لقد كان بَرَأ كَلْمُه[2] حتى ما يُرى منه إلا مثل الخُرْص[3] .

١/١٤٨٧

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وحاصرهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خمسًا وعشرين ليلة ؛ حتى جَهَدهم الحِصار ؛ وقذف الله في قلوبهم الرّعب — وقد كان حُيَيٌّ بن أخطب دخلَ على بني قُريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه — فلما أيقنوا أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم غيرُ منصرف عنهم حتّى يناجزَهم ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشرَ يهود ، إنّه قد نزل بكم من الأمر ما ترْون[4] ، وإني عارض[5]

١/١٤٨٨

(١) س : « بهم » . (٢) السنة هنا : الصورة ، وقيل : صفحة الخد .
(٣) الخرص : حلقة القرط ؛ وقول عائشة في الفائق ١ : ٣٣٥ .
(٤) س : « قد نزل » . (٥) س : « أعرض » .

عليكم خِلالا ثلاثا فخذوا أيـّها شئتم ! قالوا: وما هنّ ؟ قال : نتابع [١] هذا الرجل ونُصَدّقه ؛ فوالله لقد كان تبيـّن لكم أنـّه لـَنبىّ[٢] مرسل ، وأنه للذى كنتم تجدونه فى كتابكم ، فتأمـَنُوا على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدًا ، ولا نستبدل به غيرَه. قال : فإذ أبيتم هذه علىّ فـَهلمّ فلنقتل أبناءَنا ونساءَنا ، ثم نخرج إلى محمّد وأصحابه رجالا مـُصْلتِين السيوف ؛ ولم نترك وراءَنا ثـَقـَلاً يهمـّنا ؛ حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد ؛ فإن نهلِك نهلِك ولم نترك وراءنا شيئًا نخشى عليه ، وإن نظْهر فـَلعمرِى لنجدنّ النساءَ والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ؛ فما خير العيش بعدهم ! قال: فإذ أبيتم هذه علىّ فإنّ الليلة ليلة السَّبت ؛ وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنُوا فيها ، فانزلوا لعلّنا نصيب من محمد وأصحابه غِرّةً . قالوا: نُفْسِد سبتَنا ، ونُحْدث فيه ما لم يكن أحدث فيه مَنْ كان قبلنا ، إلاّ مَنْ قد علمت . فأصابه [٣] من المسخ ما لم يخفَ عليك. قال: ما بات رجل منكم منذ ولدتْه أمه ليلة واحدة من الدّهر حازمًا .

قال : ثم إنـّهم بعثوا إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم : أن ابعث إلينا أبا لُبابة بن عبد المنذر ؛ أخابنى عمرو بن عوف — وكانوا[٤] حلفاء الأوس — نستشيره فى أمرنا ، فأرسله رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم فلما رأوْه قام إليه الرجال ، وبهشَ [٥] إليه النساءُ والصبيان يبكون فى وجهه ؛ فرَقّ لهم وقالوا له : يا أبا لُبابة ، أترى أن ننزِل على حكم محمّد ! قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلْقه: إنه الذّبح ؛ قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماى حتى عرفت أنى خُنْتُ الله ورسوله .

١/١٤٨٩

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم

(١) ابن هشام والتفسير : « نبايع » .

(٢) و : « نبى » .

(٣) التفسير : « فأصابهم » .

(٤) س : « من حلفاء » .

(٥) بهش إليه النساء : خفوا إليه ، وفى ابن هشام والتفسير : « جهش » .

حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عُمُده ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوبَ الله علىّ مما صنعت ؛ وعاهد الله ألاّ يطأ بنى قريظة أبدًا . وقال : لا يرانى الله فى بلد خُنْتُ الله ورسوله فيه أبدًا . فلما بلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم خبرُه ، وأبطأ عليه — وكان قد استبطأه — قال : أما لو جاءنى لاستغفرت له ؛ فأمّا إذْ فعل ما فعل ، فما أنا بالّذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه(١) .

* * *

حدّثنا ابن حُميد، قال : حدّثنا سَلَمة بن الفضل ، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط ، أنّ توبة أبى لُبابة أنزلَتْ على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم : وهو فى بيت أمّ سلَمة . قالت أمّ سلمة : فسمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم من السَّحَر يضحك فقلت : مِمّ تضحك يا رسول الله ، أضحكَ الله سِنّك ! قال : تِيبَ على أبى لُبابة، فقلت : ألاَ أبشّره بذلك يا رسول الله ! قال : بلَى إن شئتِ ؛ قال : فقامت على باب حجرتها — وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب — فقالت : يا أبا لُبابة، أبشِرْ فقد تاب الله عليك . قال : فثارَ الناس إليه ليُطلقوه ؛ فقال : لا والله حتى يكونَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم هو الذى يُطلِقنى بيده، فلما مرّ عليه خارجًا إلى الصّبح أطلَقَه(٢) . ١٤٩٠/١

قال ابن إسحاق: ثمّ إنّ ثعلبة بن سَعْيَة وأسَيْد بن سَعْية ، وأسَد ابن عُبَيْد — وهم نفر من بنى هَدْل ؛ ليسوا من بنى قُرَيظة ولا النَّضير ، نَسَبهُم فوق ذلك — هم بنو عمّ القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قُريظة على حكم رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم — وخرج فى تلك الليلة عمرو بن

---

(١) خبر ابن إسحاق كلة فى التفسير ٢١ : ٩٥ ، ٩٦ (بولاق) .

(٢) بعدها فى السيرة عن ابن هشام : « أقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال ، تأتيه امرأته فى كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم تعود فتربطه بالجذع، فيما حدثنى بعض أهل العلم . والآية التى نزلت فى توبته قول الله عز وجل : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

سُعْدَى القرظىّ ، فمرّ بحَرَس رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وعليه محمد بن مَسْلَمة الأنصارىّ تلك الليلة ؛ فلمّا رآه قال : من هذا ؟ قال : عمرو بن سعدى — وكان عمرو قد أبَى أن يدخلَ مع بنى قُريظة فى غَدْرهم برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال : لا أغدر بمحمّد أبدًا — فقال محمّد بن مَسْلمة حين عرَفه : اللهمّ لا تحرِمْنى عثَرات الكرام . ثمّ خلّى سبيله ؛ فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة تلك الليلة . ثم ذهب فلا يُدْرَى[1] أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا ! فذكِر لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم شأنه ، فقال : ذاك رجل نجّاه الله بوفائه . ١٤٩١/١

قال ابن إسحاق : وبعضُ النّاس يزعم أنه كان أوثِقَ برُمّة[2] فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأصبحتْ رُمّته مُلْقاةً لا يُدْرَى أين ذهب ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيه تلك المقالة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق . فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنّهم موَالينا دون الخزْرج ، وقد فعلت فى موالِى الخزرج بالأمس ما قد علمت — وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قبل بنى قُريظة حاصر بنى قَيْنُقاع ، وكانوا حلفاء الخزْرج ، فنزلوا على حكمه ؛ فسأله إيّاهم عبد الله بن أبىّ بن سَلُول ، فوهبهم له . فلمّا كلّمه الأوْس قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ألا ترضوْن يا معشرَ الأوْس أن يحكم فيهم رجل منكم ! قالوا : بلى ، قال : فذاك إلى سَعْد بن معاذ — وكان سعد بن معاذ قد جعله رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى خَيْمة امرأة[3] من أسلم[4] يقال لها رُفَيْدة فى مسجده ، كانت تُداوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة مَنْ كانت به ضَيْعة من المسلمين ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد قال لقومه حين أصابه السّهم بالخندق : اجعلوه فى خيمة رُفَيْدة ، حتى أعودَه من قريب — فلما

(١) فى ابن هشام : «فلم يدر» .
(٢) الرمة : الحبل .
(٣) س : « لامرأة » .
(٤) كذافى ابن هشام وفى ط : « المسلمين» .

حكَّمه رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فى بنى قريظة ، أتاه قومُه ، فاحتملوه على حِمار قد وطَّئوا له بوسادة من أدَمٍ — وكان رجلا جسيمًا — ثم أقبلوا معه إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحْسِنْ ١٤٩٢/١ فى مواليك ؛ فإنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إنَّما ولاّك ذلك لتُحْسِن فيهم . فلما أكثروا عليه قال : قد أنى لسعد ألاّ تأخُذَه فى الله لومة لائم . فرجع بعضُ مَنْ كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنعَى لهم رجال بنى قُريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التى سمع منه .

* * *

قال أبو جعفر : فلما انتهى سعْدٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم والمسلمين ، قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم — فيما حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا محمد بن بشر ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو ، قال : حدّثنى أبى ، عن علقمة : فى حديث ذكره ، قال : قال أبو سعيد الخُدرِىّ : فلما طلعَ — يعنى سعداً — قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : قوموا إلى سيدَكم — أو قال : إلَى خيركم — فأنزلوه ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : احكم فيهم ، قال : فإنّى أحكم فيهم أن تقتل مُقاتلتهم ، وأن تُسْبَى ذَرَارِيُّهم ، وأن تُقْسَمَ أموالهُم . فقال : لقد حكمْتَ فيهم بحكمِ الله وحكم رسوله .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : وأمَّا ابن إسحاق فإنَّه قال فى حديثه : فلما انتهى سعدٌ إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمون ؛ قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : قوموا إلى سيِّدكم ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد ولاّك [أمر][1] مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أنّ الحكم فيها ما حكمت ! قالوا : نعم ، قال : وعلى من ها هنا ؟ — فى النَّاحية التى فيها رسولُ ١٤٩٣/١

(١) من سيرة ابن هشام .

الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو معرض عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إجلالا له — فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم ، قال سعْد : فإنى أحكُم فيهم بأن تُقتَل الرّجال، وتُقسَم الأموال ، وتسبَى الذرارىّ والنساء .

حدّثنا ابن حُميد، قال : حدّثنا سلمة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقّاص الليثىّ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقِعَة[١] .

قال ابنُ إسحاق : ثمّ استُنْزلوا ، فحبسهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى دار ابنة الحارث ، امرأة من بنى النجّار . ثمّ خرجَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق ؛ يُخرَج بهم إليه أرْسَالا ؛ وفيهم عدوّ الله حُيَىُّ بن أخطب، وكعب بن أسد ؛ رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة؛ المكثّرُ لهم يقول : كانوا من الثمانمائة إلى التسعمائة . وقد قالوا لكعب بن أسد — وهم يُذْهَب بهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أرَسالا[٢]— : يا كعب، ما ترى ما يصنع بنا ! فقال كعب : فى كلّ موطن لا تعقلون: ألا ترون الداعى[٣] لا ينزع ، وأنّه من ذُهِبَ به منكم لا يرجع ، هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدّأبُ حتى فرغ منهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وَأُتِىَ بِحُيَىّ بن أخطب عدوّ الله وعليه حلّة لَه فقّاحيّة[٤] قد شقّقها عليه من كلّ ناحية كموضع الأنملة، أنملة أنملة، لئلا يُسْلَبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. فلمّا نظر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : أما والله ما لمْتُ نفسى فى عداوتك؛ ولكنه من يَخْذُلِ الله يُخْذَل .

١٤٩٤/١

---

(١) الأرقعة : السموات ، واحدها رقيع .

(٢) أرسالا ، أى طائفة بعد طائفة .

(٣) س : « الراعى » .

(٤) حلة فقاحية : على لون الورد حين هم أن يتفتح .

ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنّه لا بأس بأمر الله ، كتاب الله وقَدَرُه، وملحمةٌ قد كتبت [١] على بنى إسرائيل . ثم جلس فضُربت عنقه ، فقال جبل بن جوّال التعلبىّ :

لَعَمْرُكَ مَا لامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ ولكنه مَنْ يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلِ
لَجَاهَدَ حتى أَبْلَغَ النَّفْس عذْرَهَا وقَلْقَلَ يَبْغِى العِزَّ كلَّ مُقَلْقَلِ

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لم يُقتل من نسائهم إلاّ امرأة واحدة . قالت : والله إنّها لعندى تحدّثُ معى ، وتضحك ظهرًا وبطنًا ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يقتلُ رجالهم بالسوق، إذ هتف هاتفٌ باسمها : أين فُلانة ؟ قالت : أنا والله. قالت : قلت : ويلك مالك ! قالت : أقتَل! قلت : ولِمَ ؟ قالت : حَدَثٌ أحدثته. ١/١٤٩٥ قالت : فانُطلِقَ بها فضُربت عنقُها [٢] . فكانت عائشة تقول : ما أنْسَى عجبنا منها ، طيبَ نفس وكثرة ضحك ، وقد عرفَتْ أنها تُقْتَل !

وكان ثابت بن قيس بن شمّاس — كما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق، عن ابن شهاب الزُّهرىّ — أتى الزَّبِير [٣] بن باطا القُرَظىّ — وكان يكنى أبا عبد الرحمن — وكان الزَّبير قد مَنّ على ثابت بن قيس بن شمّاس فى الجاهلية . قال محمّد : مما ذكَر لى بعضُ ولد الزَّبير ، أنه كان مَنّ عليه يوم بُعاث ؛ أخذه فجزّ ناصيته ، ثم خلّى سبيله — فجاءه [٤] وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفنى ؟ قال : وهل يجهلُ مثلى مثلك !

---

(١) فى ابن هشام : « كتبها الله » .

(٢) قال أبو ذر الخشنى : « هى امرأة الحسن القرظى » .

(٣) قال السهيلى : « هو الزبير ، بفتح الزاى وكسر الباء ، جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور فى الموطأ فى كتاب النكاح » .

(٤) ابن هشام : « فجاءه ثابت » .

قال : إنى قد أردتُ أن أجزيَك بيدك عندى ، قال : إنّ الكريم يجزِى الكريم . ثم أتى ثابتٌ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله ؛ قد كانت للزَّبير عندى يَدٌ ؛ وله علىّ مِنّةٌ ؛ وقد أحببت أن أجزيَهُ بها ؛ فهبْ لى دَمَه . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : هو لك ، فأتاه فقال : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد وهب لى دمك فهو لك ؛ قال : شيخ كبير لا أهْلَ له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ! فأتى ثابت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله ، أهلُه وولده ، قال : هم لك ، فأتاه فقال : إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قد أعطانى امرأتك وولدك فهم لك . قال : أهلُ بيت بالحجاز لا مالَ لهم ، فما بقاؤهم ! فأتى ثابتٌ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسولَ الله ، ماله ! قال : هو لك ، فأتاه فقال : إنّ رسولَ الله قد أعطانى مالك فهو لك ، قال : أىْ ثابت ! ما فعل الذى كأنّ وَجْهَهُ مِرْآة صِينِيَّة تتراءى فيها[1] عذارَى الحىّ ؛ كعب بن أسد ؟ 1496/1 قال : قُتل ، قال : فما فعل سيّد الحاضر والبادى ؛ حُيَىّ بن أخطب ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل مقدّمتُنا إذا شددْنا ، وحاميتُنا إذا كررنا ؛ عزّال بن شمويل ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل المجلسان — يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة — قال : ذَهَبُوا ، قتِلوا . قال : فإنّى أسألك بيدى عندك يا ثابت ، إلاّ ألحقْتَنِى بالقوم ؛ فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله قَبْلة دَلْو[2] نَضَح حتى ألقَى الأحِبّةَ ! فقدّمه ثابت فضرب عنقه ؛ فلما بلغ أبا بكر قوله : «ألقى الأحبة » قال : يلقاهم والله فى نار جهنّم خالدًا فيها مُخَلّداً أبداً . فقال ثابت بن قيس بن الشماس فى ذلك ، يذكر الزَّبير بن باطا :

---

(١) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : «فيه » .

(٢) فى ابن هشام : « فتلة » ، قال أبو ذر الخشى ، : « ومن رواه : « قبلة » بالقاف والباء فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها فى الحوض ثم يصرفها ؛ وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة » .

وَفَتْ ذِمَّتِي أَنِّي كَرِيمٌ وَأنني صَبُورٌ إذاما القومُ حَادُوا عن الصَّبْرِ
وكان زَبِيرٌ أعْظَمَ النَّاس مِنَّةً عَلَيَّ فلمّا شُدَّ كُوعاهُ بالأسْرِ
أتيتُ رسولَ الله كَيْمَا أُفُكَّهُ وكان رسولُ الله بَحْرًا لنا يَجْرِي

قال : وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم قد أمر بقتل مَنْ أنبت منهم .

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صَعْصعة ، أخى بنى عدىّ بن النّجار ؛ أنّ سَلْمَى بنت قيس أمّ المنذر أخت سَلِيط بن قيس – وكانت إحدى خالاتِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قد صلّتْ معه القبلتين ، وبايعَتْه[1] بيعة النساءِ – سألَتْه رفاعةَ بن شمويل[2] القرظىّ – وكان رجلا قد بلغ ولاذَ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك – فقالت : يا نبىّ الله ، بأبى أنت وأمىّ ! هبْ لى رفاعةَ بن شمويل ؛ فإنّه قد زعم أنه سيُصلّى ، ويأكل لحم الجمل؛ فوهبه لها ؛ فاستَحْيَتْه .

١٤٩٧/١

قال ابن إسحاق : ثم إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قسَمَ أموال بنى قُريظة ونساءَهم وأبناءَهم على المسلمين ، وأعلم فى ذلك اليوم سُهْمانَ الخيل وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخُمُس ؛ فكان للفارس ثلاثة أسهم ؛ للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل ممّن ليس له فرسٌ سهم ؛ وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرسًا ، وكان أوّلَ فَىْء وقع فيه السهمان وأخرج منه الخمس ، فعلَى سُنَّتها وما مَضى من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنّة فى المغازى ؛ ولم يكن يُسهِم للخيل إذا كانت مع الرجل إلاّ لفرسين .

ثم بعثَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سعدَ بن زيد الأنصارىّ ،

---

(١) و : « وبايعت » .

(٢) ابن هشام : « سمويل » .

أخا بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قُرَيظة إلى نجْد ، فابتاع له بهم خيلا وسلاحًا ، وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريْحانة بنت عمرو بن خُنافة[1] إحدى نساء بنى عمرو بن قُرَيظة ، ١/١٤٩٨ فكانت عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى توفِّى عنها وهى فى مِلْكِه ، وقد كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عرض عليها أن يتزوّجها ، ويضربَ عليها الحجاب ، فقالت : يا رسولَ الله ، بل تتركنى فى ملكك فهو أخفّ علىّ وعليك . فتركها ؛ وقد كانت حين سباها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد تعَصَّتْ[2] بالإسلام ، وأبَتْ إلاّ اليهوديّة ، فعزلها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ووجد فى نفسه لذلك من أمرها ؛ فبينا هو مع أصحابه إذْ سمع وَقْعَ نعليْن خلفه ، فقال : إنّ هذا لثعلبة بن سعيَة يبشِّرنى بإسلام ريحانة ، فجاءَه فقال : يا رسولَ الله ، قد أسلمتْ ريحانة ، فسرّه ذلك .

فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر جُرْحُ سعد بن معاذ ، وذلك أنه دعا — كما حدّثنى ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا ابن بشر ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو ؛ قال : حدّثنى أبى ، عن علقمة ، فى خبر ذكره عن عائشة : ثم دعا سعد بن معاذ — يعنى بعد أن حكم فى بنى قريظة ما حكم — فقال : اللهمّ إنَّك قد علمت أنَّه لم يكن قوم أحبَّ إلىّ أن أقاتلَ أو أجاهد من قوم كذّبوا رسولك . اللهمّ إن كنتَ أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئًا فأبقنى لها ، وإن كنتَ قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى إليك . فانفجر كَلْمُه ، فرَجَعَه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيمته[3] التى ضربت عليه فى ١/١٤٩٩ المسجد . قالت عائشة : فحضره رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأبو بكر ، وعمر ؛ فوالّذى نفس محمد بيده ؛ إنى لأعرف بكاء أبى بكر من بكاء عمر وإنى لفى حُجرتى . قالت : وكانوا كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[4]

---

(١) كذا فى ابن هشام وشرح المواهب ، والطبرى ٣ : ٢٤٣٢ ؛ وفى الأصل : «جنافة» .

(٢) تعصت ، أى عصت .

(٣) س : « القبة » .

(٤) سورة الفتح ٢ .

قال علقمة : أى أمَّهْ ! كيف كان يصنع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؟ قالت : كانت عينه لا تَدْمَعُ على أحد ؛ ولكنَّه كان إذا اشتدّ وَجْدُه على أحد ، أو إذا وَجَد فإنما هو آخذٌ بلحيته .

حدّثنا ابنُ حُميد ؛ قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق ، قال : لم يُقتل من المسلمين يوم الخندق إلاّ ستة نفر ، وقُتل من المشركين ثلاثة نفر ، وقُتل يوم بنى قريظة خَلاّد بن سُويْد بن ثعلبة بن عمرو ابن بلحارث بن الخزرج ، طُرِحَتْ عليه رحًى فشدختْه شدخًا شديدًا . ومات أبو سنان بن محصن بن حُرْثان ، أخو بنى أسد بن خزيمة ، ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم محاصِرٌ بنى قريظةَ ، فدفن فى مقبرة بنى قُريظة . ولمَّا انصرف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن الخندق ، قال : الآن نَغْزوهم — يعنى قريشًا — ولا يغزوننا ، فكان كذلك حتى فتح الله تعالى على رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم مكَّة .

وكان فتح بنى قُريظة فى ذى القَعْدة أو فى صدر[1] ذى الحجة ، فى قول ابن إسحاق . وأما الواقدىّ فإنه قال : غَزَاهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى ذى القعدة ، لليال بقِين منه ؛ وزعَم أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمر أن يُشَقّ لبنى قُريظة فى الأرض أخاديد ثم جلس ؛ فجعل علىّ والزبير يضربان أعناقهم بين يديه ، وزعم أنّ المرأة التى قتلها النبى صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذ كانت تسمى بُنَانَة ، امرأة الحكَم القرظىّ ، كانت قتلت خلاّد بن سُوَيد ، رمتْ عليه رَحًى ، فدعا له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فضرب عنقها بخلاّد بن سويد .

١٥٠٠/١

* * *

واختلف فى وقت غزوة النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم بنى المصطلق ؛ وهى الغزوة التى يقال لها غزوة المُرَيْسيع — والمريسيع اسم ماء من مياه خُزاعة بناحية قديد إلى الساحل — فقال : ابن إسحاق — فيما حدّثنا ابن حميد ،

(١) ابن هشام : « وصدر » .

قال : حدّثنا سلمة ، عنه، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غزا بنى المصطلِق من خُزَاعة، فى شعبان سنة ست من الهجرة .

وقال الواقدىّ: غزا رسول الله صلّى الله عليه وسلم المريسِيع فى شعبان سنة خمس من الهجرة . وزعم أن غزوة الخندق وغزوة بنى قريظة كانتا بعد المريسيع لحرب بنى المصطلق من خُزَاعة .

وزعم ابنُ إسحاق– فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عنه – أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انصرف بعد فراغه من بنى قُريظة ؛ وذلك فى آخر ذى القعدة أو فى صدر ذى الحجّة – فأقام بالمدينة ذا الحجّة والمحرّم وصفراً وشهرى ربيع ، وولى الحجّة فى سنة خمس المشركون .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ست من الهجرة

غزوة بني لِحيان

قال أبو جعفر: وخرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في جُمادى الأولى على رأس ستَّة أشهر من فتح بني قُريظة إلى بني لِحيان، يطلب بأصحاب الرَّجيع؛ خُبَيب بن عديّ وأصحابه؛ وأظهر أنه يريد الشأم ليصيب من القوم غِرَّةً. فخرج من المدينة، فسلك على غُراب (جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشأم) ثم على مَخيض، ثم على البتراء؛ ثم صفَّق[1] ذات اليسار، ثم على يَيْن، ثم على صُخَيْرات اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجَّة من طريق مكة، فأغذّ السير سريعًا؛ حتى نزل على غُرَان؛ وهي منازل بني لحيان — وغُرَان واد بين أمَج وعُسْفان — إلى بلد يقال له ساية، فوجدهم قد حذِرُوا وتمنَّعوا في رءوس الجبال، فلمَّا نزلها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأخطأه من غِرّتهم ما أراد، قال: لو أنَّا هبطنا عُسفان لرأى أهل مكَّة أنَّا قد جئنا مكَّة. فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسفان، ثم بعث فارسيْن من أصحابه؛ حتى بلغا كُرَاع الغَميم، ثم كَرَّا وراح قافلا[2]. ١٥٠١/١

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثني ابنُ إسحاق. — قال: والحديث في غزوة بني لحيان — عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر، عن عبيد الله بن كعب.

قال ابن إسحاق: ثم قدِم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة، فلم يُقِمْ إلاّ لياليَ قلائل حتى أغار عُيَيْنة بن حِصْن بن حذيفة بن بدر الفزاريّ في خيل لغطفان على لِقَاح رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالغابة؛ وفيها رجلٌ من بني غِفَار وامرأته، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللّقاح[3]. ١٥٠٢/١

* * *

(١) صفق: عدل. (٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٢.

(٣) اللقاح: الإبل الحوامل ذوات الألبان.

غزوة ذى قَرَد

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومَنْ لا أتّهم ، عن عُبيد الله بن كعب بن مالك ، كلٌّ قد حَدّثَ فى غزوة ذى قَرَد بعض الحديث، أنه أوّل من نَذِرَ[1] بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمىّ ، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونَبْلَه ، ومعه غلام لطلحة بن عبد الله .

* * *

وأما الرّواية عن سلَمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم بعد مقدَمه المدينة ، منصرفاً من مكة عام الحديبية ، فإن كان ذلك صحيحاً ، فينبغى أن يكون ما رُوِى عن سلمة بن الأكوع كان إمّا فى ذى الحجّة من سنة ستّ من الهجرة ، وإمّا فى أول سنة سبع ، وذلك أنّ انصراف رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم من مكّة إلى المدينة عام الحديْبيَة كان فى ذى الحجّة من سنة ستّ من الهجرة ، وبين الوقت الذى وقّتَه ابن إسحاق لغزوة ذى قَرَد والوقت الّذِى رُوِى عن سلمة بن الأكوع قريب من ستة أشهر. حدّثنا حديث سلَمة بن الأكوع الحسنُ بن يحيى ، قال: حدّثنا أبو عامر العَقَدِىّ، قال: حدّثنا عِكْرِمة بن عَمّار اليمامىّ، عن إياس بن سلَمة، عن أبيه ، قال : أقبلنا مع رَسُولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة — يعنى بعد صلْح الحديْبيَة — فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بظهره[2] مع ربَاح غلام رسول الله، وخرجتُ معه بفرس لطلحة بن عبيد الله. ١٥٠٣/١ فلمّا أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عُيَيْنة قد أغار على ظَهْر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فاستاقه أجمع ، وقتل راعيه . قلت : يا رَباح ؛ خذ هذا الفرس وأبلغْه طلحة. وأخبرْ رسولَ اللهأنّ المشركين قد أغاروا على سَرْحِه . ثم قمت

(١) نذر : علم .
(٢) الظهر : الإبل تعد للركوب أو حمل الثقل .

علىأكَمة فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاثة أصوات : يا صَبَاحاه ! ثم خرجت فى آثار القوم أرميهم بالنَّبْل ، وأرتجز وأقول : : « أنا[١] ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضّع » .

قال : فوالله ما زلتُ أرميهم وأعقِر بهم[٢] ، فإذا رجع إلىّ فارس منهم أتيت شجرةً وقعدت فى أصلها ، فرميتُه فعقرْت به ؛ وإذا تضايق الجبل فدخلوا فى مُتَضايق[٣] علوْت الجبَل ، ثم أرَدّيهم بالحجارة ؛ فوالله ما زلت كذلك حتى ما خلَقَ الله بعيراً من ظهْر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلاّ جعلته وراء ظَهْرى ، وخلّوْا بينى وبينه وحتّى ألقوْا أكثر من ثلاثين رُمحًا وثلاثين بُرْدةً[٤] ، يستخفُّون[٥] بها لا يُلْقُون[٦] شيئًا إلاّ جعلت عليه آراما[٧] حتّى يعرفه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، حتى إذا انتهَوْا إلى متضايق من ثنيّة[٨] وإذا هم قد أتاهم عُيَيْنة بن حِصْن بن بدر مُمِدًّا ، فقعدوا يتَضَحَّوْن[٩] ، وقعدت على قَرْن[١٠] فوقهم ، فنظر ١/١٥٠٤

---

(١) كذا فى صحيح مسلم ، وفى ط : « وأنا » .

(٢) فى اللسان : « أصل العقر : ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم . . . ومنه حديث ابن الأكوع « وما زلت أرميهم وأعقر بهم » ، أى أقتل مركوبهم ؛ يقال : عقرت به ؛ إذا قتلت مركوبه » .

(٣) صحيح مسلم : « فدخلوا فى تضايقه » . والتضايق : ضد الاتساع .

(٤) صحيح مسلم : « ثم أتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة » .

(٥) يستخفون ، أى يطلبون بإلقائها الخفة ؛ ليكونوا أقدر على الفرار .

(٦) صحيح مسلم : « لا يطرحون » .

(٧) الآرام : الأعلام.

(٨) الثنية : العقبة والطريق فى الجبل ، وفى صحيح مسلم : « حتى أتوا متضايقا من ثنية » .

(٩) فى نهاية ابن الأثير : « بينا نحن نتضحى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أى نتغدى ، والأصل فيه أن العرب كانوا يسيرون فى ظعنهم ، فإذا مروا ببقعة من الأرض فيها كلأ وعشب قال قائلهم : ألا ضحوا رويداً ! أى ارفقوا بالإبل حتى نتضحى أى ننال من هذا المرعى ، ثم وضعت التضحية مكان الرفق لتصل الإبل إلى المنزل وقد شبعت ، ثم اتسع فيه حتى قيل لكل من أكل فى وقت الضحى : هو يتضحى ؛ أى يأكل فى هذا الوقت ؛ كما يقال : يتغدى ويتعشى فى الغداء والعشاء » .

(١٠) القرن : الجبل الصغير المنقطع عن الجبل الكبير ، وفى صحيح مسلم : « وجلست على رأس قرن » .

عيَينة ،فقال : ما الذى أرى[١] ؟ قالوا : لقينا من هذا البَرْح[٢] ، لا والله ما فارقنا هذا منذ غلَس ، يرمينا حتى استنقذ[٣] كلّ شيء فى أيدينا . قال : فليقُمْ إليه منكم أربعة . فعمَد إلىّ أربعة[٤] منهم. فلمّا أمكنونى من الكلام ، قلت : أتعرفونى ؟ قالوا : مَنْ أنت ؟ قلت : سلَمة بن الأكوع ؛ والذى كرَّم وَجْهَ محمد لا أطلبُ أحداً منكم إلاّ أدركته ، ولا يطلبنى رجل منكم فيدركنى . قال أحدهم : أنا[٥] أظنّ ، قال : فرجعوا فما برحت مكانى ذاك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يتخلَّلون الشجر ؛ أوّلهم الأخْرَم الأسدىّ ، وعلى إثْره أبو قَتادة الأنصارىّ ، وعلى إثْره المِقْداد بن الأسود الكِندىّ ، فأخذت بعِنان فرس الأخْرم ، [فولّوا مدبرين] [٦] ، فقلت : يا أخرم ؛ إنّ القوم قليل ، فاحذرهم لا يقتطعوك حتى يلحقَ بنا رسولُ الله وأصحابه . فقال : يا سلمة ، إن كنتَ تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أنّ الجنة حقّ والنار حقّ ، فلا تحُلْ بينى وبين الشهادة . قال : فحلَّيتُه ، فالتقى هو وعبد الرحمن بنُ عُيَينة ، فعقر الأخرم بعبدِ الرحمن فرسه ،فطعنه عبدُ الرحمن فقتله ، وتحوّل عبد الرحمن على فرسه ، ولحِق أبو قَتَادة عبد الرحمن فطعنه وقتله ، وعقَرَ عبد الرحمن بأبى قتادة فرسه ، وتحوّل أبو قتادة على فرس الأخرم ؛ فانطلقوا هاربين . قال سلَمة : فوالذى كرَّم وجه محمد ، لَتَبِعتُهم أعْدُو على رجلىّ ؛ حتى ما أرى ورائى من أصحاب محمد صلَّى الله عليه وسلَّم ولا غبارهم شيئًا .

/١٠٠٥

قال : ويعدِلُون قبل غروب الشمس إلى شِعْب فيه ماء يقال له ذو قَرَد

---

(١) صحيح مسلم : «ما هذا الذى أرى ؟» .

(٢) البرح : الشدة .

(٣) صحيح مسلم : « حتى انتزع » .

(٤) صحيح مسلم : « فصعد إلى أربعة منهم فى الجبل » .

(٥) ط : « إن » .

(٦) من صحيح مسلم .

يشربون منه وهم عِطَاش ؛ فنظروا إلىّ أعدو فى آثارهم ؛ فَحلَّيْتُهم[١] فما ذاقوا منه قطرة .

قال : ويُسْندون[٢] فى ثنيّة ذى أثير[٣] ، ويعطف علىّ واحدٌ فأرْشُقه بسهم فيقع فى نُغْض[٤] كتفه ، فقلت :

خُذها وأنا ابنُ الأكوع والیومُ یومُ الرُّضَّع

فقال : أكْوَعِى غُدْوَةٌ[٥] ! قلت : نعم يا عدوّ نفسه ؛[٦] وإذا فَرَسان على الثنيّة ، فجئت بهما أقودُهما إلى رسول الله[٦] ، ولحِقنى عامر عمّى بعد ما أظلمت بسَطِيحة[٧] فيها مِذْقَة من لبن ، وسطيحة فيها ماء ، فتوضّأتُ وصلّيت وشربت ، ثم جئت إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو على الماء الذى حلّيْتُهم[٨] عنه ، عند ذى قَرَد ، وإذا رسولُ الله قد أخذ تلك الإبل التى استنقذتُ من العدوّ ، وكلّ رُمح ، وكلّ بُردة ؛ وإذا بلال قد نَحَر ناقة من الإبل التى استنقذت من العدوّ ، فهو يشوِى لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من كَبِدها وسَنامها ، فقلت : يا رسولَ الله ؛ خلّنى فلأنتخِب[٩] مائةَ رجل من القوم ، فأتّبعُ القوم فلا يبقى[١٠] منهم عين . فضحك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى بدا — وقد بانت — نواجذُه . [فى ضوء النار][١١] . ثم قال : أكنتَ فاعلا ! فقلتُ : إى والّذى أكرمك !

١٥٠٦/١

---

(١) فحليتهم ، أى طردتهم وأجليتهم .

(٢) أسندوا ، أى صعدوا ، وفى صحيح مسلم : « ويخرجون فيشتدون فى ثنية » .

(٣) كذا ذكر فى ط ، ولم أجد هذا الموضع فى ياقوت .

(٤) النغض : العظم الرقيق على طرف الكتف ؛ سمى بذلك لكثرة تحركه .

(٥) صحيح مسلم : « قال : يا ثكلته أمه ! أكوعه بكرة ! » .

(٦ — ٦) صحيح مسلم : « قال : وأردوا فرسين على ثنية ، قال : فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٧) السطيحة : إناء من جلود ، سطح بعضها على بعض . والمذقة : قليل من لبن ممزوج بماء .

(٨) صحيح مسلم : « حلأتهم » .

(٩) صحيح مسلم : « فأنتخب » .

(١٠) صحيح مسلم : « فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته » .

(١١) من صحيح مسلم .

فلمّا أصبحنا قال رسول الله إنّهم ليُقْرَوْن(١) بأرض غَطَفان . قال ، فجاء رجلٌ من غَطَفان ، فقال : نحر لهم فلان جَزورا ، فلمّا كشطوا (٢) عنها جلدها رأوْا غُبارًا ؛ فقالوا : أُتِيتم!(٣) فخرجوا هاربين ، فلمّا أصبحنا قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : خير فُرْساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رَجّالتنا سلَمة بن الأكْوع . ثمّ أعطانِى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم [سهمين] (٤) سهم الفارس ، وسهْم الراجل ؛ [فجمعهما لى جميعًا](٤)، ثم أردفنِى رسولُ الله وراءه على العَضباء(٥) ؛ [راجعين إلى المدينة](٤) . فبينما نحن نسير ؛ وكان رجل من الأنصار لا يُسْبَق شَدًّا(٦) فجعل يقول : ألا مِن مسابق ! فقال ذاك مِرارًا ؛ فلمّا سمعتُه قلتُ : أما تُكرم كريمًا ولا تهاب شريفًا ! فقال : لا ؛ إلاّ أن يكون رسول الله ، فقلت : يا رسولَ الله ، بأبى أنتَ وأمى! ائذَنْ لى(٧) فلأسابق الرجل ! قال : إن شئت ، قال : فطفرت(٨) فعدوتُ ، فربطتُ شَرَفًا أو شرفيْن فألحقه(٨) وأصكُّه بين كتفيْه ، فقلت : سبقتك(٩) والله ! فقال : إنّى أظنّ ،(١٠) فسبقته إلى المدينة ، فلم نمكث بها إلا ثلاثًا حتى خرجنا إلى خَيْبر(١١) .

١٥٠٧/١

* * *

(١) يقرون : يضافون .

(٢) صحيح مسلم : « كشفوا جلدها » .

(٣) صحيح مسلم : « أتاكم القوم » .

(٤) من صحيح مسلم .

(٥) العضباء : لقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦) شداً ، أى عدوا على الرجلين .

(٧) صحيح مسلم : « ذرنى » .

(٨ – ٨) صحيح مسلم : « فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقى لنفسى ، ثم عدوت فى إثره ، فربطت عليه شرفاً أو شرفين ؛ ثم إنّى رفعت حتى ألحقه » .والشرف : ما ارتفع من الأرض ، ومعنى ربطت ، حبست نفسى عن الجرى الشديد .

(٩) صحيح مسلم : « قد سبقت » .

(١٠) أى أظن ذلك ، وفى ط : « إن أظن » .

(١١) الخبر فى صحيح مسلم ٣ : ١٤٣٣ – ١٤٤١ ؛ بسنده عن سلمة بن الأكوع ؛ مع اختلاف فى الرواية .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله - يعنى مع سلَمة بن الأكوع - معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا على ثنيّة الوَدَاع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف فى ناحية سَلْع ، ثم صرخ : واصبَاحاه ! ثم خرج يشتدّ فى آثار القوم - وكان مثل السَّبُع - حتى لحق بالقوم ، فجعل يردُّهم بالنَّبْل ، ويقول إذا رمى : «خُذها منى وأنا ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضع » .

فإذا وُجّهت الخيل نحوه ، انطلق هاربًا ، ثم عارضهم ؛ فإذا أمكنه الرمىُ رَمى ، ثم قال :

خُذْها وانا ابنُ الأكوعِ واليومُ يوم الرضَّعِ (1)

قال : فيقول قائلهم : أوَيكعنا(2) هو أول النهار .

قال : وبلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم صياحُ ابن الأكوع ؛ فصرخ بالمدينة : الفزع الفزع! ؛ فتتامَّتِ(3) الخيول إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فكان أوّلَ من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو .

ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد المقداد من الأنصار ، عبَّاد بن بشْر بن وَقْش بن زُغْبَة بن زَعُورا ، أخو بنى عبد الأشهل ، وسعد بن زيد ، أحد بنى كعب بن عبد الأشهل ، وأسْيد بن ظُهَير أخو بنى حارثة بن الحارث - يُشكّ فيه - وعُكّاشة بن مِحْصَن ، أخو بنى أسد بن خُزيمة ، ومُحْرِز بن نَضْلة ، أخو بنِى أسَد بن خزيمة ، وأبو قَتادة الحارث بن رِبْعىّ ، أخو بنى سَلِمة ، وأبو عيَّاش ؛ وهو عُبَيد بن زيد بن صامت ، أخو بنى زُرَيق .

١/١٥٠٨

فلَّما اجتمعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمّر عليهم سعد بن زيد . ثم قال : اخرُجْ فى طلب القوم حتى ألحقك فى النَّاس .

وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم - فيما بلغنى عن رجال من بنى زُرَيق - لأبى عيَّاش : يا أبا عيَّاش ، لو أعطيتَ هذا الفرس رجلا هو أفرسُ منك فلحق بالقوم ! قال أبو عيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا

(1) الرضع : جمع راضع ، وهو اللئيم . (2) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « أكيعنا » .
(3) ابن هشام : « فترامت » .

أفرسُ الناس ، ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جرَى خمسين ذراعا حتى طرحنى ؛ فعجِبت أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : لو أعطيه أفرس منك ! وأقول : أنا أفرس الناس . فزعم رجال من بنى زُريق أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أعطى فرس أبى عيّاش مُعاذ بن ماعص — أو عائذ بن ما عص — ابن قيس بن خَلْدة — وكان[1] ثامنا — وبعض الناس يعدّ سلمة بن عمرو بن الأكوع أحدَ الثمانية ، ويطرحُ أسَيد بن ظُهَير أخا بنى حارثة ، ولم يكن سلَمة يومئذ فارسًا ، وكان أوّل مَنْ لحق بالقوم على رجْليه ؛ فخرج الفرسانُ فى طلب القوم ، حتّى تلاحقوا[2] .

١/١٥٠٩ حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : وحدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ أوّل فارسٍ لحِقَ بالقوم مُحرز بن نَضْلة ، أخو بنى أسد بن خزيمة — ويقال لمحرز : الأخرَم ، ويقال له : قمير — وأنّ الفزع لما كان، جالَ فرسٌ لمحمود بن مسلمة فى الحائط حين سمع صاهِلة الخيل ، وكان فرسا صَنيعًا[3] جامًّا[4] ، فقال نساءٌ من نساء بنى عبد الأشهل حين رأى الفرس يجول فى الحائط بجذْع من نخل هو مربوط به : يا قُمَير ، هل لك فى أن تركبَ هذا الفرس — فإنّه كما ترى — ثمّ تلحق برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبالمسلمين ! قال : نعم ، فأعطنيه إياه ، فخرج عليه ، فلم ينْشَبْ أن بذّ الخيل بِجَمامه[5] حتى أدركَ القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قفوا معشرَ اللكيعَة حتى يلحق بكم مَنْ وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار .

قال : وحمَل عليه رجُلٌ منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يقدروا عليه ؛

(١) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « كان » ، بدون واو .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤

(٣) الفرس الصنيع : الذى يخدمه أهله ، ويقومون عليه .

(٤) يقال : جم الفرس ؛ إذا ترك ولم يركب .

(٥) الجمام كسحاب : الراحة ، والباء هنا للسببية .

حتى وقف على آريّه (١) فى بنى عبد الأشهل ، فلم يقتل من المسلمين غيره ، وكان اسم فرس محمود ذا اللمّة (٢) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عمنّ لا يتّهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، أنّ محرزا إنّما كان على فرس لعُكّاشة بن محْصن يقال له(٣) الجناح ، فقتِل مُحرز ، واستُلب الجناح . ولمّا تلاحقت الخيول قتَل أبو قتَادة الحارث بن رِبْعىّ أخو بنى سلِمة ، حَبيبَ بن عيينة بن حِصْن ، وغشّاه ببردته ، ثم لحق بالنّاس ، وأقبل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون ، فإذا حبيب مسجّى (٤) ببردة أبى قتَادة ، فاسترجع (٥) الناس ، وقالوا : قُتِل أبو قتَادة ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ليس بأبى قتَادة ، ولكنّه قتيلٌ لأبى قتادة ، وضع عليه بردته ، لتعرِفوا أنه صاحبه . وأدرك عُكّاشة ابن مِحْصن أو بارًا وابنه عمرو بن أو بار على بعير واحد ، فانتظمهما بالرّمح فقتلهما جميعًا ، واستنقذُوا بعضَ اللّقاح . وسار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى نزل بالجبَل مِنْ ذِى قرَد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأقام عليه يومًا وليلة . فقال له سلمة بن الأكوع : يا رسولَ الله ، لو سرّحْتَنى فى مائة رجل لاستنقذت بقيّة السّرح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم — فيما بلغنى : إنّهم الآن ليُغبَقُونَ (٦) فى غطَفان .

١ / ١٥١٠

وقسمَ (٧) رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى أصحابه فى كلّ مائة جزُورًا ،

---

(١) الآرى : الحبل الذى تشد به الدابة ، وقد يسمى الموضع الذى تقف فيه الدابة آريًّا أيضاً .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) س : « لها » .

(٤) مسجى : مغطى .

(٥) استرجع الناس : قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٦) يغبقون : يشربون اللبن وقت العشىّ .

(٧) ابن هشام : « فقسم » .

فأقاموا عليها ، ثم رجع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قافلا حتّى قدم المدينة[١] .

فأقام بها بعض جُمَادى الآخرة ورَجبَ . ثم غزا بلْمصْطلق من خُزاعة فى شعبان سنة ستّ .

* * *

١٥١١/١

ذكر غزوة بنِي المُصْطَلِق

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفَضْل وعلىّ بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قَتادة ، وعن عبدِ الله بن أبى بكر . وعن محمد بن يحيى بن حَبَّان ، قال : كُلٌّ قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق ، قالوا : بلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنّ بلْمُصْطلق[٢] يجتمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضِرار ؛ أبو جُوَيْرية بنت الحارث ، زوج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فلمّا سمع بهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم خرج إليهم حتى لقيَهم على ماء[٣] من مياههم ، يقال له : المُرَيْسِيع ، من ناحية قُدَيد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا قتالا شديدًا ، فهزم الله بنِى المصطلِق ، وقُتِل مَنْ قتل منهم ، ونَفَّلَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ؛ فأفاءهم الله عليه .

وقد أصيب رجلٌ[٤] من المسلمين من بنى كلْب بن عوف بن عامر بن ليث ابن بكر ، يقال له هشام بن صُبَابة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عُبادة ابن الصّامت ، وهو يرى أنه من العدوّ ، فقتله خطأ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٤

(٢) ابن هشام : « بنى المصطلق » .

(٣) ابن هشام : « على ماء لهم » .

(٤) س : « وأصيب » .

فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجيرٌ له من بنى غفار يقال له جَهْجَاه بن سعيد[1] ، يقود له فرسه ، فازدحم جَهْجَاه وسِنان الجهنىّ[2] حليف بنى عَوْف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجُهَنِىُّ : يا معشرَ الأنصار ، وصرخ جَهْجَاه : يا معشر المهاجرين[3] ، فغضب عبدُ الله بن أبىّ بن سَلول ، وعنده رَهْط من قومه[4] ، فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السنّ ، فقال : أقد[5] فعلوها ! قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما عَدَوْنا[6] وجلابيبَ[7] قريش ما قال القائل : « سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ » ؛ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجنّ الأعزُّ منها الأذلّ ! ثم أقبل على مَنْ حضره من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ! أحللتُموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ! أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم .

١٥١٢/١

فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من عدوّه . فأخبره الخبر

(١) ابن هشام : « جهجاه بن مسعود » . وفى الإصابة ١ : ٢٥٤ : « جهجاه بن سعيد ، وقيل : ابن قيس ، وقيل ابن مسعود الغفارى ؛ شهد بيعة الرضوان بالحديبية . . . » وذكر خبره فى غزاة بنى المصطلق .

(٢) فى ابن هشام : « وسنان بن وبر الجهنى » . وقال السهيلى : « وقال غيره : هو سنان ابن تميم — من جهينة — بن سود بن أسلم ، حليف الأنصار » .

(٣) قال السهيلى : « ولم يذكر ما قال النبى صلى الله عليه وسلم حين سمعهما ؛ وفى الصحيح أنه عليه السلام قال : دعوها فإنها منتنة . يعنى أنها كلمة خبيثة ؛ لأنها من دعوى الجاهلية . وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً ؛ فإنما ينبغى أن تكون الدعوة للمسلمين ؛ فمن دعا فى بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن يجلد من استجاب له خمسين سوطاً ؛ اقتداء بأبى موسى الأشعرى فى جلده النابغة الجعدى خمسين سوطاً ؛ حين سمع : « يا لعامر الإسلام ! » فأقبل يشتد بعصبة . والثانى أن فيها الجلد دون العشر لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد قومه العشرة إلا فى حد . والقول الثالث اجتهاد الإمام فى ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعه وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن ، وإما بالجلد » .

(٤) س : « قومهم » .

(٥) ابن هشام : « أوقد » .

(٦) ابن هشام : « ما أعدنا » .

(٧) جلابيب قريش ؛ كان المشركون يلقبون من يسلم من قريش بذلك . وأصل الجلابيب الأزر الغلاظ ؛ وكانوا يلتحفون بها ؛ فلقبوهم بذلك .

وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله مُرْ به عَبَّاد بن بِشْر بن وَقْش فليقتلْه ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : فكيف يا عُمَرُ إذا تحدّث الناس : أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ، ولكن أذّنْ بالرحيل — وذلك فى ساعة لم يكن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يرتحل فيها — فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أبىّ بن سَلول إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين بلغه أنّ زيد بن أرقم قد بلّغه ما سمع منه . فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلّمت به — وكان عبدُ الله بن أبىّ فى قومه شَرِيفاً عَظِيماً — فقال مَنْ حضر رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم من أصحابه من الأنصار : يا رسولَ الله ، عسى أن يكون الغلام أوهم [١] فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ! حَدَباً [٢] على عبد الله بن أبىّ ودفعاً عنه . ١/١٥١٣

فلما استقلّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسار ، لقيه أسَيْد بن حُضَير ، فحياه تَحيّة النبوّة ، وسلّم عليه ، ثم قال : يا رسولَ الله ، لقد رُحْتَ فى ساعة منكَرة ما كنتَ تروح فيها ! فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أوَ مَا بلغك [٣] ما قال صاحبكم ! قال : وأىُّ صاحب يا رسول الله ! قال : عبد الله بن أبىّ ، قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُّ منها الأذلّ ، قال أسَيْد : فأنت والله يا رسولَ الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذّليل وأنت العزيز ! ثم قال : يا رسولَ الله ، ارفُقْ به فوالله لقد جاء الله بك ، وإنّ قومه لينظمون له الخَرَز ليتوّجوه ؛ فإنه لَيَرَى [٤] أنّك قد استلبته مُلْكاً [٥] .

ثم مَتَنَ [٦] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالنّاس يومهم ذلك حتّى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصَدْرَ يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس.

---

(١) يقال : وهم فى كذا ، إذا أسقط وأخطأ ، ومثله « أوهم » .
(٢) التفسير : « حذراً » .
(٣) التفسير : « أما » .
(٤) و : « يرى »
(٥) س : « سلبته ملكه » .
(٦) و : « سار » . ابن هشام والتفسير : « مشى » . ومتن ، أى سار بهم حتى أضعف إبلهم ؛ يقال : متن بالإبل ؛ إذا أتعبها حتى الضعف .

ثم نزَل بالنَّاس ؛ فلم يكن إلاّ أن وجدوا مسَّ الأرض وقعوا نياما ؛ وإنما فَعَل ذلك [رسول الله صلى الله عليه وسلم][1] ليشغلَ الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبىّ .

ثم راح بالنَّاس ، وسلك الحجاز حتى نزلَ على ماء بالحجاز فُوَيْق النَّقِيع[2] ، يقال له نقعاء ، فلمَّا راحَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم هبَّت على الناس ريحٌ شديدةٌ آذتهم ، وتخوّفوها ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لا تخافوا[3] ، فإنما هَبَّت لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلمّا قدِموا المدينة وجدوا رِفاعة بن زيد بن التَّابوت ، أحد بنى قَيْنُقاع — وكان من عظماء يهود ، وكَهْفًا للمنافقين — قد مات فى ذلك اليوم .

١٥١٤/١

ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى عبد الله بن أبىّ بن سَلُول ومَنْ كان [معه][4] على مثل أمره ، فقال : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، فلمَّا نزلت هذه السورة أخذ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بأذُن زيد بن أرقم فقال : هذا الذى أوفى الله بأذُنه .

* * *

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا يحيى بن آدم ، قال : حدّثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : خرجت مع عمّى فى غَزاةٍ ، فسمعت عبدالله بن أبىّ بن سلول يقول لأصحابه : ﴿ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ والله ، ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾[5] ؛ فذكرت ذلك لعمىّ ، فذكره عمّى لرسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، فأرسل إلىّ

---

(١) من ابن هشام .

(٢) كذا فى ط والتفسير ، بالنون ، وفى رواية ابن إسحاق بالباء ؛ وهما قولان ذكرهما ياقوت فى معجم البلدان ٨ : ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٣) س : « لا تخافوها » .

(٤) من التفسير .

(٥) سورة المنافقين ٧ : ٨ .

فحدّثته ، فأرسل إلى عبدالله وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا ؛ قال : فكذّبنى رسول الله صلّى الله عليه وسلم وصدّقه ، فأصابنى همٌّ لم يصبْنى مثله قطّ ، فجلست[١] فى البيت ، فقال لى عمّى : ما أردتَ إلى[٢] أن كذّبك رسولُ الله ومقتَك ! قال : حتّى أنزل الله عزّوجلّ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، قال : فبعث إلىّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقرأها ، ثم قال : إنّ الله صدّقك[٣] يا زيد[٤] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبىّ الذى كان من أمر أبيه . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أنّ عبدَ الله بن عبد الله بن أبىّ ابن سلول أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسولَ الله ، إنّه قد بلغنى أنّك تريد قتلَ عبد الله بن أبىّ — فيما بلغك عنه — فإن كنت فاعلا فمرْنى به ، فأنا أحملُ إليك رأسه ؛ فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجلٌ أبرّ بوالده منّى ؛ وإنّى أخشى أن تأمرَ به غيرى فيقتلَه ، فلا تدعْنى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبىّ يمشى فى الناس فأقتلَه ؛ فأقتلَ مؤمنًا بكافر فأدخل النار ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : بل نرفُق به ، ونحسن صحبتَه ما بقىَ معنا . وجعل بعد ذلك إذا أحْدَثَ الحدَثَ ، كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ، ويُعنّفونه ويتوعّدُونه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم : كيف ترى يا عمر ! أما والله لو قتلتهُ يومَ أمرْتَنى بقتله ، لأرعِدَت له آنُفٌ لو أمرتُها اليوم

١٥١٥/١

---

(١) التفسير : « فدخلت » .

(٢) س : « إلا » .

(٣) س : « صدقت يا زيد » .

(٤) الخبر فى التفسير ٢٨ : ٧٠ ، ٧١ (بولاق) .

بقتله لقتلتُه. قال : فقال عمر : قد والله علمتُ، لأمرُ رسولِ الله أعظمُ بركة من أمرى . (١)

قال : وقدم مِقْيَس بن صُبابة من مكة مسلمًا فيما يُظهر، فقال : يا رسولَ الله ، جئتك مسلمًا وجئت أطلب دية أخى قتل خطأ . فأمر له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بديَة أخيه هشام بن صُبابة ، فأقام عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكَّة مرتدًّا ، فقال فى شعر :

شَفَى النَّفسَ أنْ قَدْباتَ بالْقَاعِ مُسْنَدًا ... تُضَرِّجُ ثوْبَيْه دِماءُ الأخادِعِ (٢) ١/١٥١٦
وكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ من قَبْلِ قَتْلِه ... تُلِمُّ ، فتَحْمِينى وِطَاءَ المضَاجِعِ (٣)
حَلَلْتُ به وِتْرِى، وأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتِى ... وكُنْتُ إلى الأوْثان أوّلَ رَاجِعِ (٤)
تأرْتُ به فِهْراً وحَمَّلْتُ عَقْلَه ... سَرَاةَ بنى النَّجّارِ أرْبابَ فارِعِ (٥)

وقال مِقيسُ بن صُبابة أيضًا :

جَلَّلْتُه ضَرْبَةً باءَتْ ،لها وشَلٌ ... مِنْ ناقعِ الجوْفِ يَعلُوهُ ويَنْصَرِمُ (٦)
فَقُلْتُ والمَوْتُ تَغْشَاهُ أَسِرَّتُه ... لا تأمَنَنَّ بنى بَكْرٍ إذَا ظُلِمُوا (٧)

وأصيب من بنى المصطلِق يومئذ ناسٌ كثيرٌ ، وقتَل علىٌّ بن أبى طالب منهم رجليْن : مالكاً وابنه ، وأصاب رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم منهم

(١) التفسير ٢٨ : ٧٥ ، ٧٦ (بولاق) ، وابن هشام ٢ : ٢١٧ ، ٢١٨ .
(٢) القاع : المنخفض من الأرض . وتضرج : تلطخ . والأخادع : عروق القفا ؛ وإنما هما أخدعان ؛ فجمعهما مع يليهما .
(٣) تلم : تحل ب . وتحمينى : تمنعنى . ووطاء المضاجع : ليناتها .
(٤) الوتر : طلب الثأر . والثؤرة : الثأر .
(٥) ط : « ثأرت به قهراً ! ! »، وما أثبته من ابن هشام . العقل : الدية . وسراة بنى النجار : خيارهم . وفارع : حصن لهم .
(٦) جللته ضربة : علوته بها . وباءت : أخذت بالثأر : يقال ؛ بؤت بفلان ؛ إذ أخذت بثأره . والوشل : القطر ، ويريد بنافع الجوف الدم . ينصرم : ينقطع .
(٧) الأسرة: التكسر الذى يكون فى جلد الوجه والجبهة .

سبيًا كثيرًا ، ففشا قَسْمُه فى المسلمين ؛ ومنهم جُوَيْرية بنت الحارث بن أبى ضرار زوْج النبى صلى الله عليه وسلم [١] .

١٥١٧/١ حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة ، عن عائشة زوْج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، قالت : لما قَسَمَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم سبايا بنى المصطلِق ، وقعت جُوَيرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس ابن الشماس — أو لابن عمٍّ له — فكاتبتْه على نفسها — وكانت امرأة حُلْوَةً مُلاّحة [٢] ، لا يراها أحدٌ إلا أخذت بنفسه — فأتتْ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم تستعينه على كتابتها ، قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجرتى كرِهتها ، وعرفت أنه سيرَى منها مثلَ ما رأيت ، فدخلتْ عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيِّد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ما لم يَخْفَ عليك ؛فوقعت فى السَّهم لثابت بن قيس بن الشماس — أو لابن عمٍّ له — فكاتبتُه على نفسى ، فجئتك أستعينك على كتابتى ، فقال لها : فهل لكِ فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى كتابَتك وأتزوّجك ، قالت : نعم يا رسولَ الله ، قال : قد فعلت ، قالت: وخرج الخبر إلى النّاس أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم قد تزوَّج جويرية بنت الحارث ، فقال النّاس : أصهارُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأرسلوا ما بأيديهم .

قالت : فلقد أعتِق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأةً كانت أعظمَ بركة على قومها منها [٣] .

* * *

حديث الإفك

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ .

(٢) الملاحة : الشديدة الملاحة .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ ، ٢١٩ .

قال : وأقبل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من سفره ذلك — كما حدّثنى أبى إسحاق، عن الزهرىّ، عن عروة، عن عائشة — حتى إذا كان قريبًا من المدينة — وكانت [معه][1] عائشة فى سفره ذلك — قال أهل الإفك فيها ما قالوا[2]. ١٠١٨/١

حدثنا ابنُ حميد قال : حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزّهرىّ، عن علقمة بن وقّاص الليثىّ وعن سعيد بن المسيَّب[3]، وعن عُرْوة بن الزُّبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة [بن مسعود][4] قال الزهرىّ : كُلٌّ قد حدّثنى بعضَ هذا الحديث، وبعضُ القومِ كان أوعَى له من بعض. قال : وقد جمعت لك كلّ الذى حدّثنى القوم.

حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلَمة، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق، قال : حدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير، عن أبيه، عن عائشة، قال : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارىّ، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة، قال : وكلٌّ قد اجتمعَ حديثه فى خبر قصّة عائشة عن نفسها حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا، فكلٌّ قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعًا، ويحدّث بعضُهم ما لم يحدّث بعضٌ، وكلٌّ كان عنها ثقة، وكلٌّ قد حدّث عنها بما سمع. ١٠١٩/١

قالت عائشة : كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إذا أراد سفرًا أقْرَعَ بين نسائه، فأيّتهُن خرج سهمُها خرج بها معه؛ فلمَّا كانت غزوة بنى المصطلق، أقرع بين نسائه كما كان يصنع؛ فخرج سهمِى عليهنّ، فخرج بى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم. قالت : وكان النساء إذ ذاك إنّما يأكلن العُلَق[5] لم يُهبّجهنّ[6] اللّحم فيثْقُلْنَ. قالت : وكنت إذا رُحِلَ بعيرى جلستُ فى هودجِى، ثمّ يأتى القوم الذين يرحلون هودجى فى بعيرى،

(١) من سيرة ابن هشام. (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠.
(٣) ابن هشام : «سعيد بن جبير». (٤) من التفسير.
(٥) العلق : بضم ففتح؛ وهى ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء.
(٦) التهبيج، كالورم فى الجسم، قد يكون من سمن وقد يكون من آفة.

ويحملونى فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من سفره ذلك، وجَّه قافلا ، حتى إذا كان قريبًا من المدينة نزل منزلا ، فبات فيه بعضَ الليل ، ثم أذَّنَ فى النَّاس بالرحيل ، فلمَّا ارتحل النَّاس خرجتُ لبعض حاجتى وفى عنقى عِقْدٌ لى فيه جَزْعُ[1] ظَفار ، فلمَّا فرغتُ انسلَّ من عنقى ولا أدرى ؛ فلمَّا رجعتُ إلى الرَّحْل ذهبتُ ألتمسه فى عنقى فلم أجده ، وقد أخذ النَّاس فى الرحيل . قالت : فرَجعْتُ عَوْدِى على بدئى إلى المكان الذى ذهبت إليه ؛ فالتمسته حتى وجدته ، وجاء خلافى القوم الذين كانوا يرجّلون لى البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنِّى فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدّوه على البعير ، ولم يشكُّوا أنّى فيه . ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلفَّفت بجلبابى ثمّ اضطجعت فى مكانى الذى ذهبت إليه ؛ وعرفت أنْ لو قد افتقدونى قد رجعوا إلىّ . قالت : فوالله إنِّى لمضطجعة ، إذ مرّ بى صفوان بن المُعَطَّل السُلَمىّ[2] ، وقد كان تخلَّف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبتْ مع النَّاس فى العسكر ؛ فلمَّا رأى سوادِى أقبل حتى وقف علىّ فعرَفنى – وقد كان يرانى قبل أن يُضْرَب علينا الحجاب – فلمَّا رآنى قال : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ! أظعينة رسول الله ! وأنا متلفّفة فى ثيابى . قال : ما خَلَّفَكِ رحمكِ الله ؟ قالت : فما كلَّمته ، ثم قرّب البعير فقال : ارْكبى رحمكِ الله ! واستأخر عنِّى . قالت : فركبتُ وجاءَ فأخذ برأس البعير ، فانطلق بى سريعًا يطلب الناس ؛ فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتُقدت حتى أصبحت ، ونزل النَّاس ، فلما اطمأنّوا طلع الرجل يقودنى ، فقال أهلُ الإفك فِىَّ ما قالوا . فارتجّ[3]

١٥٢٠/١

---

(١) الجزع : الخرز . وظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء ؛ ينسب إليها الجزع الظفارى .

(٢) قال السهيلى : « يكنى أبا عمرو ؛ وكان يكون على ساقة العسكر ، يلتقط مما يسقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به ؛ ولذلك تخلف فى هذا الحديث الذى قال فيه أهل الإفك ما قالوا . وقد روى فى تخلفه سببٌ آخر ؛ وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرحل الناس » .

(٣) ابن هشام : « ارتجع العسكر » ، أى تحرك واضطرب .

العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك . ثم قدمنا المدينة ، فلم أمكُثْ[١] أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغني شيء من ذلك ؛ وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وإلى أبَوَيَّ ، ولا يذكران لى من ذلك قليلاً ولا كثيراً[٢] ، إلاَّ أنِّى قد أنكرتُ من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعضَ لُطْفه بى ؛ كنتُ إذا اشتكيتُ رحمِنى ولَطُف بى ؛ فلم يفعل ذلك فى ١٦٢١/١ شكْواى[٣] تلك ، فأنكرت منه ، وكان إذا دخل علىَّ وأمى تُمَرّضُنى ، قال : كيف تيكُم ؟ لا يزيد على ذلك . قالت : حتى وَجدتُ فى نفسى ممَّا رأيت من جَفَائه عنِّى ، فقلت له : يا رسولَ الله ، لو أذنت لى فانتقلت إلى أمىّ فمرّضتْنى ! قال : لا علَيْكِ ! قالت : فانتقلت إلى أمىّ ، ولا أعلم بشيء ممَّا كان ، حتى نقِهْت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة . قالت : وكنّا قوماً عَرَبا لا نتَّخذ فى بيوتنا هذه الكُنُف التى تتّخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها ؛ إنّما كنا نخرجُ فى فُسَح المدينة ؛ وإنّما كان النساء يخرجْنَ كلّ ليلة فى حوائجهنّ ؛ فخرجت ليلةً لبعض حاجتى ، ومعى أمّ مِسْطح بنت أبى رُهْم بن المطَّلب بن عبد مناف ، وكانت أمّها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، خالة أبى بكر . قالت : فوالله إنّها لتمشِي معى ، إذْ عثرت فى مِرْطِها[٤] ، فقالت : تَعِس مِسْطح[٥] ! قالت : قلتُ : بئس لعمر الله ما قلتِ لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً ! قالت : أوَ ما بلغك الخبر يا بنتَ أبى بكر ! قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتْنى بالّذى كان من قولِ أهل الإفك . قالت : قلت وقد كان هذا ! قالت : نعم والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرتُ على أن أقْضِيَ حاجتى ، ورجعت فما زِلْتُ أبكى حتى ظننتُ أنّ البكاء سيصدع[٦] كبدى . قالت : وقلت لأمىّ :

(١) ابن هشام : « ألبث » .

(٢) و : « لا يذكر لى منه قليل ولا كثير » .

(٣) و : « شكاتى » .

(٤) المرط : الكساء .

(٥) قال ابن هشام : « ومسطح لقب ، واسمه عوف » .

(٦) سيصدع : سيشق .

يغفر الله لك ! تحدّث الناس بما تحدّثوا به وبلغك ما بلغك ؛ ولا تذكرين لى من ذلك شيئًا ! قالت : أى بُنَيَّة خفِّضِى الشأن [١] ؛ فوالله قلَّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبُّها لها ضرائر إلا كثَّرن وكثَّر الناس عليها . ١٥٢٢/١

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يخطبهم [٢] ولا أعلم بذلك . ثم قال : أيّها الناس ، ما بالُ رجال يُؤذُونني فى أهلِي ، ويقولون عليهنّ غير الحقّ ! والله ما علمتُ منهنّ [٣] إلاّ خيرًا ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرًا ! وما دخل [٤] بيتًا من بيوتى إلاّ وهو معى . قالت : وكان كُبْرُ [٥] ذلك عند عبد الله بن أبىّ بن سَلُول فى رجال من الخزرج ؛ مع الذى قال مسطح وحَمْنَة بنت جحش — وذلك أنّ أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [ولم تكن من نسائه امرأة تناصبنى فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله ، وأما حمنة بنت جحش] [٦] ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضارّنى [٧] لأختها زينب بنت جحش — فشقِيتُ بذلك .

فلمَّا قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم تلك المقالة ، قال أسَيد بن حُضَيْر أخو بنى عبد الأشهل : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوْس نَكْفِكَهُم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمُرْنا بأمرك ؛ فوالله إنَّهم لأهلٌ أن تضرَب [٨] أعناقهم . قالت : فقام سعد بن عبادة — وكان قبل ذلك يُرى رجلا صالحًا — فقال : كذبت لعمر الله لا تضْرَب أعناقهم ! أما والله ما قلتَ هذه المقالة إلاّ أنَّك قد عرفت أنَّهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا! قال أسَيد : كذبت لعمر الله ! ولكنك منافق تجادل عن ١٥٢٣/١

---

(١) خفضى الشأن : هونيه عليك .

(٢) و : « فخطبهم » .

(٣) س : « عليهن » .

(٤) و : « ولا دخل » .

(٥) الكبر ، بالضم والكسر : الإثم ومعظم الشىء .

(٦) من سيرة ابن هشام .

(٧) ابن هشام : « تضادنى » .

(٨) و : « نضرب » .

المنافقين ! قالت : وتثاوره[١] النَّاس حتَّى كاد أن يكون بين هذين الحيَّين من الأوْس والخزرج شرّ ، ونزل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فدخل علىّ ، قالت : فدعا علىّ بن أبى طالب وأسامة بن زيد ؛ فاستشارهما ، فأمَّا أسامة فأثنى خيرًا وقاله[٢] ، ثم قال : يا رسولَ الله ، أهلُك ، ولا نعلم عليهنّ إلا خيرًا ؛ وهذا الكذب والباطل . وأمّا علىّ فإنه قال : يا رسولَ الله ؛ إنّ النساء لكثيرٌ ؛ وإنك لقادرٌ على أن تستخلف ؛ وسِل الجارية فإنّها تَصدُقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَريرَة يسألها . قالت : فقام إليها علىّ فضربها ضربًا شديدًا[٣] ؛ وهو يقول : اصدُقى رسول الله ؛ قالت : فتقول : والله ما أعلم إلاّ خيرًا ، وما كنت أعيبُ[٤] على عائشة ؛ إلاّ أنّى كنتُ أعجِن عجينى[٥] فآمرها أن تحفظه[٦] فتنام عنه ، فيأتى الدّاجن فيأكله[٧] .

ثم دخلَ علىّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وعندى أبَوَاىَ ، وعندى امرأة من الأنصار ؛ وأنا أبكى وهى تبكى معى ؛ فجلس فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة ؛ إنَّه قد كان ما بلغك من قول الناس ، فاتَّقى الله ؛ وإن كنتِ قارفْتِ سوءًا[٨] ممَّا يقول النَّاس فتوبى إلى الله ؛ فإنّ الله يقبل التَّوبة عن عباده ؛ قالت : فوالله ما هو إلاّ أن قال ذلك ، تقلَّص[٩] دمعى ؛ حتى ما أحسُّ منه شيئًا ، وانتظرتُ أبَوَىَّ أن يجيبَا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فلم يتكلَّما . قالت : وايْمُ الله لأنا كنتُ أحقَرُ فى نفسى وأصغُر شأنًا من أن ينزّل الله عزّ وجلّ فىّ قرآنًا يقرأ به فى المساجد ، ١/١٥٢٤

(١) س : « وتنافر » . وفى ابن هشام : « وتساور الناس » ، أى قام بعضهم إلى بعض .
(٢) س : « وقال خيراً » .
(٣) قال السهيلى : « وأما ضرب على للجارية وهى حرة ، ولم تستوجب ضرباً ، ولا استأذن رسول الله فى ضربها ؛ فأرى معناه أنه أغلظ لها بالقول ، وتوعدها بالضرب ، واتهمها أن تكون خانت الله ورسوله ، فكتمت من الحديث ما لا يسعها كتمه » .
(٤) س : « أعتب » .
(٥) و : « عجنتى » .
(٦) س : « بحفظه » .
(٧) ابن هشام : « فتأتى الشاة فتأكله » .
(٨) قارفت سوءاً : دخلت فيه .
(٩) ابن هشام : « فقلص » ، وقلص وتقلص : ارتفع .

ويصلّى به ، ولكنّى قد كنت أرجو أن يرَى رسول الله فى نومه شيئًا يكذّب الله به عنّى ، لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبرا ؛ فأما قرآنٌ ينزل فىّ ، فوالله لنفسى كانتْ أحقَر عندى من ذلك . قالت : فلمّا لم أرَ أبوىّ يتكلمان . قالت : قلت ألا تجيبان رسولَ الله ! قالت : فقالا لى : والله ما ندرى بماذا نجيبه ! قالت : وايمُ الله ما أعلمُ أهلَ بيت دخلَ عليهم ما دخلَ على آل أبى بكر[1] فى تلك الأيام ! قالت : فلما استعجَما علىّ استعبرتُ فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدًا ؛ والله لئن أقررت بما يقول الناس — والله يعلم أنى منه بريئة — لتصدّقنى ؛ لأقولنّ ما لم يكن ؛ ولئن أنا أنكرت ما تقولون لا تصدّقوننى . قالت : ثم التمست اسمَ يعقوب فما أذكره ؛ ولكنّى أقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ .

قالت : فوالله ما بَرِحَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مجلسَه حتى تغشّاه من الله ما كان يتغشّاه ، فسُجِّىَ بثوبه ، ووضعت وسادة من أدَم تحت رأسه ؛ فأمّا أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ؛ فوالله ما فزعت كثيرًا ولا باليت ؛ قد عرفت أنّى بَريئة ، وأنّ الله غير ظالمى ، وأمّا أبوایَ ؛ فوالّذى نفس عائشة بيده ، ما سُرّىَ عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى ظننت لتخرجَنّ أنفسُهما فرَقًا أن يأتىَ من الله تحقيق ما قال الناس . قالت : ثم سُرّىَ عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فجلس وإنّه ليتحدّر منه مثل الجُمان فى يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشرى يا عائشة ؛ فقد أنزل الله براءتك ، قالت : فقلت : بحمد الله وذمّكم . ثم خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن فىّ . ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحَمْنة بنت جحش — وكانوا ممّن أفصح بالفاحشة — فضرِبوا[2] حدّهم .[3]

١/١٥٢٥

(١) س : « أهل بيت » .

(٢) س : « فجلدوا »

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠ — ٢٢٢ ، التفسير ١٨ : ٧١ — ٧٤ (بولاق)، مع اختلاف فى آخر الخبر .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن بعض رجال بنى النّجار ، أنّ أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أمّ أيوب : يا أبا أيوب ، أما تسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟ قال : بَلَى ؛ وذلك الكذب ؛ أكنتِ يا أمّ أيوب فاعلةً ذلك ! قالت : لا والله ما كنت لأفعلَه [1] ، قال : فعائشة والله خيرٌ منك . قال : فلمّا نزل القرآن ذكر الله من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك : ﴿ إنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ . . ﴾ [2] . الآية ؛ وذلك حسان بن ثابت فى أصحابه الذين قالوا ما قالوا [3] .

ثم قال الله عزّ وجلّ : ﴿ لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا . ﴾ [2] الآية ، أى كما قال أبو أيوب وصاحبته . ثم قال : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ... ﴾ [4] الآية . فلمّا نزل هذا فى عائشة وفيمنْ قال لها ما قال قال أبو بكر — وكان ينفق على مِسْطَح لقرابته منه وحاجته : والله لا أنفق على مِسْطح شيئًا أبدا ، ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة ، وأدخل علينا ما أدخل ! قالت : فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك : ﴿ ولاَ يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِى القُرْبَى... ﴾ [5] الآية . ١٥٢٦/١

(١) س : « فاعلة ولا أفعله » .
(٢) سورة النور ١١ ، ١٢
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٢ .
(٤) سورة النور ١٥ .
(٥) سورة النور ٢٢ . قال ابن هشام : ولا يأتل أولو الفضل منكم ؛ منه قول امرئ القيس ابن حجر الكندى :

أَلارُبَّ خصمٍ فيكَ أَلْوَى رَدَدْتُه ... نَصيحٍ عَلَى تعذاله غير مؤتَل

وفى كتاب الله تعالى : ﴿ للَّذِينَ يُؤلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ وهو من الألية ، والألية : اليمين ، قال حسان بن ثابت :

آلَيْتُ ما فى جَمِيعِ النَّاس مُجْتَهِدًا ... مِنِّى أَلِيَّةَ برٍّ غير إفْنَادِ

فمعنى « أن يؤتوا » فى هذا المذهب : « ألا يؤتوا » .

قالت : فقال أبو بكر : والله لأحبُّ أن يغفر الله لى . فرجع إلى مِسْطح نفقته التى كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

ثم إنّ صفوان بن المعطّل اعترض حسان بن ثابت بالسيف حين بلغه ما يقول فيه ؛ وقد كان حسّان قال شعرًا مع ذلك يعرّض بابن المعطّل فيه وبمن أسْلَم من العرب من مُضَر ، فقال :

أمْسَى الجَلَابِيبُ قد عزُّوا وقد كثروا ... وابْنُ الفُرَيْعَةِ أمْسَى بَيْضَةَ البَلَدِ [1]

قد ثَكِلَتْ أُمُّهُ من كنتَ صَاحِبَهُ ... أو كان مُنْتَشِباً فى بُرْثُنِ الأَسَدِ [2]

ما لقتيلى الذى أغــدُو فآخُذُه ... من دِيَةٍ فيه يُعطَاها ولا قَوَدِ [3]

ما البَحْرُ حين تَهبُّ الرِّيحُ شامِيَةً ... فيَغْطئِلُّ ويَرْمِى العِبْرَ بالزَّبَدِ [4]

يَوْماً بأغْلَبَ منِّى حين تُبْصِرُنِى ... مِلْغَيْظِ أفْرِى كفَرْىِ العارضِ البَرِدِ [5]

١٠٢٧/١

فاعترضه صفوان بن المعطّل بالسيف فضربه ثم قال — كما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق :

تَلقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عنِّى فإننى ... غُلَامٌ إذا هُوجِيتُ لَسْتُ بشاعِرِ [6]

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ ، أنّ ثابت بن قيس بن الشَّمّاس أخا

---

(١) ديوانه ١٠٤ . قال السهيلى : « يعنى بالجلابيب الغرباء . وبيضة البلد ، يعنى منفرداً ؛ وهى كلمة يتكلم بها فى المدح تارة ، وفى معنى القل أخرى ، يقال : فلان بيضة البلد ؛ أى أنه واحد فى قومه عظيم فيهم . وفلان بيضة البلد ؛ يريد أنه ذليل ليس معه أحد » .

(٢) ثكلته أمه : فقدته . والبرثن : الكف مع الأصابع .

(٣) القود : قتل النفس .

(٤) يغطئل : يجول ويتحرك . والعبر : جانب البحر .

(٥) ملغيظ ، أى من الغيظ . أفرى : أقطع . والعارض : السحاب . والبرد ، بكسر الراء : الذى فيه برد . وبعده فى سيرة ابن هشام :

أمَّا قريشٌ فإنى لن أسَالِمَهمْ ... حَتَّى يُنِيبُوا مَنَ الغَيَّاتِ للرَّشَدِ

وَيتْرُكُوا اللَّاتَ والعُزَّى بمَعْزِلَةٍ ... وَيسْجُدُوا كُلُّهم للواحِدِ الصَّمَدِ

وَيشْهَدُوا أنَّ مَاقَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ ... حقٌّ، وَيُوفُوا بعَهْدِ اللهِ والوُكُدِ

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٢ ، ٢٢٣

بلْحارث بن الخزرج ، وَثَبَ على صَفْوان بن المعطَّل فى ضربه حسان ، فجمع يَدَيْه إلى عُنُقه ، فانطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ قال : ألاَ أعجبك[1] ضرب حَسَّان بن ثابت بالسَّيف ! والله ما أراه إلاّ قد قتله . قال : فقال له عبدُ الله ابن رَواحة : هل علِمَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجترأت ! أطلق الرجل ، فأطلقه . ثم أتوْا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فذكروا له ذلك ؛ فدعا حَسَّان وصفوان بن المعطَّل ، فقال ابنُ المعطَّل : يا رسولَ الله ، آذانى وهجانى ، فاحتملنى الغضب فضربته . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لحسان : يا حسان أتشوّهت[2] على قومى أن هداهم الله للإسلام ! ثم قال : أحسِن يا حَسَّان فى الذى قد أصابك ، قال : هى لك يا رسول الله[3].

١٥٢٨/١

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، عن محمد ابن إبراهيم بن الحارث ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أعطاه عِوَضًا منها بَيْرَحَا — وهى قصر بنى حُدَيْلة اليوم بالمدينة ؛ كانت مالاً لأبى طلحة بن سهل ، تصدّق بها إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأعطاها حسَّان فى ضربته — وأعطاه سيرين ؛ أمَةً قِبْطيةً ، فولدت له عبد الرَّحمن بن حسان . قال : وكانت عائشة تقول : لقد سئِل عن صفوان بن المعطّل فوجدوه رجلا حَصُورًا ما يأتى النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيدًا[3].

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الواحد ابن حمزة ، أنّ حديث عائشة كان فى عُمْرة القضاء .

* * *

قال أبو جعفر : ثم أقامَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالمدينة شهر رمضان وشَوّالا ، وخرج فى ذى القعدة من سنة ست معتمرًا .

(١) : س « ألا أعجل » .

(٢) أتشوهت على قومى ، أى أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم الجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله !

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

ذكر الخبر عن عُمرة النبيّ صلى الله عليه وسلَّم التى صدَّه المشركون فيها عن البيت، وهى قصّة الحُديبية

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا الحكَم بن بشير، قال: حدّثنا عمر ابن ذرّ الهمْدانىّ، عن مجاهد، أن النبىّ صلَّى الله عليه وسلم اعتمر ثلاث عُمَرٍ، كلّها فى ذى القعدة؛ يرجع فى كلّها إلى المدينة.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق[1]، قال: خرج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم معتمرًا فى ذى القَعدة لا يريد حربًا، وقد استنفَر[2] العرب ومَنْ حوله من أهل البوادى من الأعراب أن يخرجوا معه، وهو يخشى من قُريش الذى صنعوا به أن يعرضوا له بحرْب، أو يصدّوه عن البيت، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعْرَاب، وخرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ومَنْ معه من المهاجرين والأنصار، ومَنْ لحِق به من العرب، وساق معه الهدْىَ، وأحرم بالعُمرة، ليأمن النَّاسُ من حربه، وليعلم النَّاس أنَّه إنَّما جاء زائرًا لهذا البيت، مُعظِّمًا له.

1/1529

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، عن محمد بن مسلِم الزهرىّ، عن عروة بن الزُّبير، عن المِسْوَر بن مَخرَمة ومروان بن الحَكَم؛ أنَّهما حدّثاه قالا: خرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عامَ الحديبيَة، يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً، وساق معه سبعين بَدَنة، وكان النَّاس سبعمائة رجل؛ كانت كلّ بَدَنة عن عشرة نفر.

وأمَّا حديث ابن عبد الأعلى؛ فحدّثنا عن محمد بن ثَوْر، عن مَعْمَر، عن الزهرىّ، عن عُروة بن الزُّبير، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة.

---

(١) أخبار قصة الحديبية عن ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ — ٢٣٣ .

(٢) س: «استنصر».

وحدّثني يعقوب ، قال : حدّثني يحيى بن سعيد ، قال : حدّثنا عبد الله بن مبارك ، قال : حدّثني معمَر ، عن الزهريّ ، عن عُروة بن الزبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومرْوان بن الحكَم ، قالا : خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من الحديبيَة ، فى بضْعة عشر ومائة من أصحابه . . . ثم ذكر الحديث .

حدّثنا الحسن بن يحيى ، حدّثنا أبو عامر ، قال : حدّثنا عِكْرمة بن عمّار اليماميّ ، عن إياس بنَ سلمة ، عن أبيه ، قال : قدمنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحديبيَة ، ونحن أربعة عشر [١] ومائة . ١٥٣٠/١

حدّثنا يوسف بن موسى القَطّان ، قال : حدّثنا هِشام بن عبد الملك وسعيد بن شُرَحْبيل المصريّ ، قالا : حدّثنا الليث بن سعد المصريّ ، قال : حدّثنا أبو الزُّبير ، عن جابر ، قال : كنّا يوم الحديبيَة ألفا وأربعمائة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدّثني أبى ، قال : حدّثني عمّى ، قال : حدثني أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان أهلُ البيعة تحت الشّجرة ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين .

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا أبو داود ، قال : حدّثنا شُعْبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال : سمعتُ عبدَ الله بن أبى أوفَى ، يقول : كنّا يومَ الشّجرة ألفا وثلثمائة ، وكانت أسْلَمُ ثُمن [٢] المهاجرين .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن أبى سُفيان ، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ ، قال : كنّا أصحابَ الحديبية أربعة عشر ومائة .

* * *

قال الزهريّ : فخرجَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتّى إذا كان بعُسْفان لقَيه بشْر بن سُفيان الكعبىّ ، فقال له : يا رسولَ الله ، هذه ١٥٣١/١

---

(١) و : « بضع عشرة » .

(٢) س : « من المهاجرين » .

قريش قد سمعوا بمسيرك، فخرجوا معهم العُوذ المَطَافيل[١]، قد لبسوا جُلود النمور، وقد نزلوا بذى طُوى، يحلفون بالله[٢] لا تدخلُها عليهم أبدا؛ وهذا خالد بن الوليد فى خيْلهم، قد قدموها إلى كُرَاع الغَميم.

* * *

قال أبو جعفر: وقد كان بعضُهم يقول: إنّ خالدَ بن الوليد كانَ يومئذ مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم مسلمًا.

* ذكر من قال ذلك:

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا يعقوب القُمّىّ، عن جعفر – يعنى ابن أبى المغيرة – عن ابن أبْزَى، قال: لمّا خرج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بالهَدْى، وانتهى إلى ذى الحُلَيْفَة، قال له عمر: يا رسولَ الله، تدخل على قوم هم لك حربٌ بغير سِلاح ولا كُراع! قال: فبعثَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة، فلم يَدَعْ فيها[٣] كُراعًا ولا سلاحًا إلاّ حَمَلَه، فلمّا دنا من مكّة منعوه أن يدخلَ، فسار حتّى أتى مِنًى، فنزل بمنًى، فأتاه عينُه أنّ عِكْرمة بن أبى جهل قد خرج عليك فى خمسمائة، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لخالد بن الوليد: يا خالد، هذا ابنُ عمّك، قد أتاك فى الخيل، فقال خالد: أنا سيفُ الله وسيف رسوله – فيومئذ سُمّى سيفَ الله –: يا رسولَ الله ارْمِ بى حيث شئت. فبعثه على خيل، فلقِىَ عِكْرمة فى الشِّعب، فهزمه حتّى أدخله حيطَانَ مكّة، ثم عاد فى الثانية، فهزمه حتّى أدخله حيطان مكّة، ثم عاد فى الثّالثة فهزمه حتّى أدخله حيطان مكة، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ – إلى قوله: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٤] قال: وكفّ الله النبىّ صلّى الله عليه

١٥٣٢/١

(١) العوذ: جمع عائذ؛ وهن من الإبل: الحديثة النتاج. والمطافيل: التى معها أولادها؛ يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان.

(٢) ابن هشام والتفسير: «يعاهدون الله».

(٣) س: «منها».

(٤) سورة الفتح ٢٤

وسلَّم عنهم بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقُوا فيها من بعد أن أظفرَه عليهم كراهيَة أن تطأهم الخيل بغير علم[١] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يا ويح قريش ! قد أكلتْهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلَّوْا بينى وبين سائر العرب ؛ فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وإن أظهرَنِى الله عليهم دخلُوا فى الإسلام وافرين ؛ وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة . فما تظنّ قريش ! فوالله لا أزالُ أجاهدهم على الَّذِى بعثنى الله به حتّى يظهرَه الله أو تنفرد هذه السالفة[٢] .

ثم قال : مَنْ رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم الّتى هم بها ؟

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنّ رجلاً من أسْلم قال : أنا يا رسولَ الله ، قال : فسلَك بهم على طريق وَعْرٍ حَزْن[٣] بين شعَاب ، فلما أن خرجوا منه — وقد شقّ ذلك على المسلمين ، وأفضَوْا إلى أرض سَهْلة عند منقطَع الوادى — قال رسولُ الله صلىّ الله عليه وسلّم للناس : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه . ففعلوا . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والله إنها للحِطّة[٤] التى عُرِضَتْ على بنى إسرائيل فلم يقولوها[٥] . ١٥٣٣/١

قال ابن شهاب : ثم أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين ، بين ظَهْرَىِ الحَمْض فى طريق تُخرِجه على[٦] ثنيّة المُرَار، على مهبَط الحديبيَة من أسفل مكة . قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ،

---

(١) الخبر فى التفسير ٢٦ : ٥٩ ، ٦٠ (بولاق) .

(٢) السالفة : صفحة العنق ؛ وهما سالفتان من جانبيه ؛ وكنى بانفرادها عن الموت .

(٣) ابن هشام : « فسلك بهم طريقاً وعراً أجرل » ، والأجرل : الكثير الحجارة .

(٤) يريد قوله تعالى لبنى إسرائيل : ﴿ وقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ؛ ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ .

(٦) س : « إلى » .

فلمّا رأت خيل قريش قَتَرَةَ[١] الجيش ، وأنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم قد خالفهم عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى إذا سلك فى ثنيّة المُرار ، بركَتْ ناقته ، فقال الناس : خلأتْ[٢] ! فقال : ما خلأتْ ، وما هو لها بخُلُق ؛ ولكن حبَسها حابسُ الفيل عن مكة ؛ لا تدعونى قريش اليومَ إلى خُطّة يسألونى صلةَ الرَّحِم إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا ، فقيل : يا رسولَ الله ما بالوادى ماء ننزل عليه ! فأخرجَ سهما من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل فى قَليب من تلك القُلُب فغرزه فى جَوْفه ، فجاش[٣] الماءُ بالرَّىّ[٤] حتى ضربَ الناسُ عليه بعَطَن[٥] .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أنّ رجلاً من أسْلَم حدّثه ، أنّ الذى نزل فى القَليب بسهْم رسول الله صلى الله عليه وسلّم ناجية [بن جندب] بن عُمَيْر ابن يَعْمَر بن دارم ، وهو سائق بُدْنِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ١/١٥٣٤ قال : وقد زعم لى بعض أهل العلم أن البَراءَ بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلتُ بسهْم رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . قال : وأنشدتْ أسلمُ أبياتًا من شعر قالها ناجية ، قد ظنَنّا أنه هو الذى نزل بسهْم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فزعمتْ أسلم أنّ جاريةً من الأنصار أقبلت بدلْوها ، وناجيةُ فى القَليبِ يَميح على الناس[٦] ، فقالت :

(١) قترة الجيش : ما يثيره من الغبار . وفى الفائق ١ : ٣٢٢ : « فلم يشعر خالد وأصحابه إلا وقد خلفتهم قترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه » .

(٢) خلأت : بركت ؛ قال أبو ذر : « الخلاء فى الإبل بمنزلة الحران فى الدواب . وقال بعضهم : لا يقال إلا للناقة خاصة » .

(٣) جاش : ارتفع .

(٤) ابن هشام : « الرواء » .

(٥) ضرب الناس عليه بعطن ؛ أصله فى الإبل ، يقال : ضربت الإبل بعطن ؛ إذا رويت ثم بركت حول الماء أو عند الحياض لتعاد إلى الشرب مرة أخرى لتشرب عللا بعد نهل ؛ فإذا استوفت ردت إلى المراعى ؛ ضرب ذلك مثلا لاتساع الناس . وانظر اللسان (عطن) .

(٦) يميح على الناس : يملأ الدلاء ليسقيهم .

يأَيُّهَا المـائحُ دَلْوِى دُونَـكا إِنِّى رأَيتُ الناسَ يَحْمَدُونَـكا

* يُثنونَ خيْراً ويُمَجِّدُونَـكا *

وقال ناجية ، وهو فى القَلِيب يَمِيح الناس :

قد علمتْ جارِيَةٌ يَمـانِيَهْ أَنِّى أَنا المائحُ واسْمِى ناجِيَهْ

وطَعْنَةٍ ذاتِ رَشاشٍ واهِيَـهْ طَعَنتُها تحتَ صـدورِ العادِيَه[1]

حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعانىّ ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمَر ، عن الزُّهرىّ ، عن عرْوة ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة . وحدّثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال : حدّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدّثنا مَعْمَر ، عن الزّهرىّ ، عن عروة ، عن المسْور بن مَخْرمة ومرْوان بن الحكم ، قالا : نزَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بأقصى الحُدَيْبِيَة على ثَمَد[2] قليل الماء ؛ إنما يتبرّضُه الناس تبرّضا[3] فلم يُلَبِّثْه الناس أنْ نَزَحُوه ، فشُكِىَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم العطش ، فنزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرىّ حتى صدروا عنه ؛ فبيناهم كذلك جاء بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعىّ ١٥٣٥/١ فى نفر من قومِه من خُزاعة — وكانوا عَيْبَةَ نُصْحِ[4] رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أهل تِهامة — فقال : إنىّ تركت كعب بن لؤىّ وعامر بن لؤى قد نزلوا أعْدَاد[5] مِياه الحديبية ؛ معهم العُوذُ المطافيل ؛ وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت . فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : إنّا لم نأتِ لقتال أحد ، ولكنّا جئنا معتمرين ، وإنّ قريشا قد نهكَتْهم الحرب وأضرَّتْ بهم ، فإن شاءوا مادَدْناهم مُدَّة ويُخَلّوا بينى وبين الناس ، فإن أظْهَر ، فإن شاءوا أن يدخلوا

---

(١) الواهية : الواسعة الشق . والعادية : القوم الذين يعدون ؛ أى يسرعون فى العدو .

(٢) الثمد : موضع يجتمع فيه ماء السماء .

(٣) يقال : هو يتبرض الماء ؛ كلما اجتمع منه شىء غرفه .

(٤) عيبة نصح رسول الله ؛ أى خاصته وأصحاب سره .

(٥) الأعداد : جمع عد ، بالكسر ، وهو الماء الدائم الذى له مادة لا انقطاع لها .

فيما دخل فيه الناس فَعَلوا وإلاّ فقد جَمُّوا ؛ وإن هم أبوْا فوالذى نفسى بيدِه لأقاتلنهم على أمرِى هذا حتى تنفرد سالِفتى[١] ، أو ليُنَفِّذنّ الله أمره . فقال بُدَيل : سنبلغُهم ما تقول .

فانطلق حتى أتى قريشًا فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولا ؛ فإن شئتم أن نعرِضه عليكم فعلْنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجةَ لنا أن تحدّثنا عنه بشىء ، وقال ذو الرأى منهم : هاتِ ما سمعتَه يقول ، قال : سمعتُه يقول كذا وكذا ، فحدّثهم بما قال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . فقام عروة بن مسعود الثقفىّ ، فقال : أىْ قوْم ؛ ألستمُ بالوالد ! قالوا : بلى ، قال : أو لستُ بالولد ! قالوا : بلى ، قال : فهل تتّهموننى؟ قالوا : لا ، قال : ألستُمْ تعلمون أنّى استنفرت أهلَ عُكاظ ؛ فلما بَلّحوا[٢] علىّ جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ! قالوا : بلى .

١٥٣٦/١

* * *

وحدّثنا ابنُ حُميد، قال : حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرىّ، فى حديثه ، قال : كان عروة بن مسعود لسُبيْعة بنت عبد شمس.

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب . قال : فإنّ هذا الرّجل قد عرض عليكم خُطّةَ رُشْد فاقبلوها ، ودعونى آتِه . فقالوا : ائته ، فأتاه ، فجعل يكلّم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال النبىّ نحواً من مقالته لبُدَيل ، فقال عروة عند ذلك : أىْ محمد ، أرأيتَ إن استأصلت قومَك ، فهل سمعتَ بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ! وإن تكن الأخرى ، فوالله إنّى لأرى وجوهًا وأوشابا[٣] من الناس خلقًا أن يَفِرُّوا ويَدَعُوك. فقال أبو بكر : امْصص بَظْرَ اللات — واللاتُ طاغية ثقيف التى كانوا يعبدون — أنحن نَفِرُّ ونَدَعَه ! فقال : مَنْ هذا ؟ فقالوا : أبو بكر ، فقال : أما وَالذى نفسى بيده

---

(١) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه .

(٢) بلحوا ، أى أبوا .

(٣) الأوشاب : الأخلاط . وفى ط : « أشوابا » ، والتصويب من الفائق ١ : ٣٨٨ (طبع الهند) .

لولا يَدٌ كانت لك عندى لم أجْزِك بها لأجبتك؛ وجعل يكلّم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فكلّما كلّمه أخذ بلحيته — والمغيرةُ بن شعبة قائمٌ على رأس النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ومعه السيف وعليه المغفر ؛ فكلّما(١) أهوَى عروة بيده إلى لحية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ضرب يده بنعْل السيف ، وقال : أخّرْ يدَك عن لحيته ، فرفع عُروة رأسَه ، فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : المغيرة ابن شعبة ، قال : أى غُدَرُ ، ألستُ(٢) أسعىَ فى غَدْرتك ! وكان المغيرةُ بن شعبة صحِبَ قوماً فى الجاهليّة ، فقتلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : أما الإسلام فقد قبلْنا ، وأما المالُ فإنه مال غَدْر ، لا حاجة لنا فيه . ١/١٥٣٧

وإنّ عُرْوة جعل يرمُق أصحابَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعينه . قال : فوالله إنْ يتنخّم النبيّ نُخامة إلا وقعت فى كَفّ رجل منهم فَدلكَ بها وجهه وجلده ؛ وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه ؛ وإذا تكلّموا عنده خفضوا أصواتهم وما يُحِدّون النظر إليه تعظيما له . فرجع عُروة إلى أصحابه ، فقال : أىْ قوم ، والله لقد وفدتُ على الملوكِ ووفدت على كسرى وقيصرَ والنّجاشيّ ؛ والله إنْ رأيتُ ملكا قطّ يُعَظّمه أصحابه ما يُعَظّمُ أصحابُ محمّدٍ محمداً ، والله إن يتنخّم نُخامة إلا وقعت فى كفّ رجل منهم فدَلكَ بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلّموا عنده خفضوا أصواتهم ؛ وما يُحِدّون النظر إليه تعظيماً له ؛ وإنّه قد عرض عليكم خُطةَ رُشْد فاقبلوها . فقال رجل من كنانة : دعونى آتِه ، فقالوا : ائته ، فلمّا أشرفَ على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : هذا فلان ، وهو من قوم يُعَظّمون البُدْنَ فابعثوها له ، فبعِثَتْ له ، واستقبله قومٌ يُلَبّون ، فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ! ما ينبغى لهؤلاء أن يُصَدّوا عن البيت ! ١/١٥٣٨

* * *

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن

(١) س : « فلما » .

(٢) س : « أولست » .

الزهريّ ؛ قال فى حديثه : ثم بعثوا إليه الحلَيْس بن علْقَمة — أو ابن زبّان — وكان يومئذ سيّد الأحابيش ؛ وهو أحد بلْحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلمّا رآه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قال : إنّ هذا من قوم يتألّهون[1] ، فابعثوا الهَدْىَ فى وجهه حتى يراه ، فلمّا رأى الهدىَ يسيل عليه من عُرْض[2] الوادى فى قلائده[3] ، قد أكل أو باره من طول الحبس ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى ، فقال : يا معشرَ قريش ، إنّى قد رأيتُ مالا يحلّ صدّه : الهدى فى قلائده ، قد أكل أوباره من طول الحبس عن محِلّه ؛ قالوا له : اجلس ، فإنما أنت رجل أعرابىّ لا علْم لك .

وحدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ؛ أنّ الحُليس غضب عند ذلك ، وقال : ١٥٣٩/١ يا معشرَ قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ؛ أنْ تصدّوا عن بيت الله مَنْ جاءه معظّما له ؛ والذى نفس الحُلَيس بيده لتُخلُّنَّ بين محمّد وبين ما جاء له ؛ أو لأنفرَنّ بالأحابيش نَفْرَةَ رجل واحد ! قال : فقالوا له : مَهْ ! كُفَّ عنّا يا حُلَيس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب . فقام رجل منهم يقال له مِكْرَز بن حفص ، فقال لهم : دَعُونى آتِه ، قالوا : ائته ، فلمّا أشرف عليهم قال النبى صلّى الله عليه وسلّم : هذا مِكْرز بن حفص ؛ وهو رجل فاجر ؛ فجاء فجعل يكلّم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ؛ فبينا هو يكلّمه إذ جاء سهيل بن عمرو .

وقال أيوب عن عكرمة : إنّه لما جاء سُهَيل قال النبى صلّى الله عليه وسلّم : قد سَهُل لكم من أمركم .

* * *

(١) يتألهون : يتعبدون و يعظمون الإله .
(٢) عرض الوادى : جانبه .
(٣) القلائد : ما يعلق فى أعناق الهدى ليعلم أنه هدى .

فحدّثنى محمد بن عُمارة الأسدىّ ومحمد بن منصور — واللفظ لابن عمارة — قالا : حدّثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرَنا موسى بن عبيدة عن إياس ابن سلَمة بن الأكْوع ، عن أبيه ، قال : بعثتْ قريش سهيل بن عمرو وحُوَيْطب بن عبد العُزّى وحفص بن فلان ، إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلّم ليصالحوه ، فلمّا رآهم رسولُ الله فيهم سهيل بن عمرو ، قال : سهَّل الله لكم من أمركم ؛ القوم ماتُّون إليكم بأرحامكم[1] ، وسائلوكم الصّلْح ؛ فابعثوا الهدى ، وأظهروا التَّلْبِيةَ ؛ لعلّ ذلك يُلين قلوبهم . فلبَّوْا من نواحى العسكر حتى ارتجّت أصواتهم بالتلبية . قال : فجاءوا فسألوه الصلح ، قال : فبينما الناس قد توادَعُوا ، وفى المسلمين ناس من المشركين ، وفى المشركين ناس من المسلمين ، قال : ففتك به أبو سفيان ، قال : فإذا الوادى يسيل بالرجال والسلاح . قال إياس : قال سلمة : فجئت بستة من المشركين متسلّحين أسوقُهم ، ما يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا ؛ فأتيت بهم النبىّ صلَّى الله عليه وسلّم ، فلم يسلب ولم يقتُل ، وعفا . ١/١٥٤٠

* * *

وأما الحسن بن يحيى فإنه حدّثنا قال : حدّثنا أبو عامر قال : حدّثنا عِكرمة بن عمار اليمامىّ ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، أنه قال : لما اصطلحنا نحن وأهلُ مكة ، أتيتُ الشجرة فكسحتُ شوكها ، ثم اضطجعتُ فى ظلّها ، فأتانى أربعةُ نفر من المشركين من أهل مكة ، فجعلوا يقعُون فى رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم ، فأبغضتُهم . قال : فتحوّلت إلى شجرة أخرى ، فعلّقوا سلاحهم ، ثم اضطجعوا ؛ فبيناهم كذلك ؛ إذ نادى مناد من أسفل الوادى : ياللمهاجرين ! قُتل ابن زُنَيْم ! فاخترطتُ سيفى ، فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود ؛ فأخذت سلاحهم فجعلته ضِغْثًا[2] فى يدى ، ثم قلت : والذى كرّم وجهَ محمد صلَّى الله عليه وسلّم ؛ لا يرفعُ أحدٌ منكم رأسه إلاّ ضربت الذى فيه عيناه . قال : فجئت بهم

(١) و : « بأرحامهم » .
(٢) ضغثاً ، أى حزمة فى يده .

١ /١٠٤١ أقودهم إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وجاءَ عَمِّى عامر برجل من العَبَلاَتِ ، يقال له مكرز؛ يقوده مجَفّفًا[1] ،حتى وقفنا بهم على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى سبعين من المشركين ، فنظر إليهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم ، فقال : دعوهم يكن لهم بَدْء الفجور ، فعفا عنهم . قال : فأنزل الله عزّ وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبطْنِ مَكَّةَ ﴾[2] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث محمد بن عمارة ومحمد بن منصور ، عن عبيد الله . قال سلمة : فشددنا على مَنْ فى أيدى المشركين منا ، فما تركنا فى أيديهم منّا رجلا إلا استنقذناه . قال : وغلبنا على من فى أيدينا منهم .

ثم إنّ قريشًا بعثوا سُهيلَ بن عمرو وحُوَيْطبًا فولّوهم صلحَهم ، وبعث النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم عليًّا عليه السلام فى صُلْحه .

حدّثنا بشر بن معاذ ؛ قال : حدّثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدّثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكِر لنا أنّ رجلاً من أصحابِ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقال له زُنَيم ، اطّلع الثنيّة من الحديبيَة ، فرماه المشركون فقتلوه ، فبعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم خيلاً ، فأتوْه باثنى عشر رجلا فارسًا من الكفار ، فقال لهم نبيّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : هل لكم علىّ عهد ؟ هل لكم علىّ ذمة ؟ قالوا : لا ، قال : فأرسلهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛

١٠٤٢/١ فأنزل الله فى ذلك القرآن : ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ — إلى قوله : ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ .

وأمّا ابنُ إسحاق ، فإنه ذكر أن قريشًا إنما بعثتْ سهيل بن عمرو بعد رسالة كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أرسلها إليهم مع عثمان بن عفان .

---

(١) مجففاً ، أى لابساً التجفاف (بكسر التاء) ، وهو آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقى فى الحرب .

(٢) سورة الفتح ٢٤ . والخبر فى التفسير ٢٦ : ٦٠ ، ٦١ (بولاق) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة، عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى بعضُ أهلِ العلم أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم دعا خِراشَ بن أميّة الخُزاعىّ ، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على جمل له يقال له الثعلب؛ ليبلّغ أشرافَهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسولِ الله وأرادوا قتله ، فمنعتْه الأحابيش ، فخلَّوْا سبيلَه؛ حتى أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم[1].

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى من لا أتّهم، عن عِكْرمة مولى ابنِ عبّاس ، أنّ قريشًا بعثوا أربعين رجلا منهم — أو خمسين رجلا — وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليُصيبوا لهم من أصحابه ، فأُخِذُوا أخذاً ، فأُتِيَ بِهِم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فعفا عنهم ، وخلّى سبيلهم — وقد كانوا رَمَوْا فى عسكر رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالحجارة والنَّبْل — ثم دعا النبي صلّى الله عليه وسلم عُمر بن الخطاب ليبعثَه[2] إلى مكة، فيبلّغ عنه أشرافَ قريشٍ ما جاءَ له ؛ فقال : يا رسولَ الله؛ إنى أخاف قريشًا على نفسى ؛ وليس بمكّة من بنى عدىّ بن كعب أحد يمنعنى ؛ وقد عرفَتْ قريش عداوتى إيّاها ، وغلظَتى عليها ، ولكنّى أدلك على رجل هو أعزّ بها منّى ، عثمان بن عفان !

فدعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عثمان ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ؛ وإنما جاء زائراً لهذا البيت، معظّمًا لحرمته . ١/١٥٤٣

فخرج عثمان إلى مكّة ، فلقيَه أبَان بن سَعيد بن العاص حين دخل مكة — أو قبْل أن يدخلها — فنزل عن دابّته ، فحمله بين يديه ، ثم رَدفه وأجاره ؛ حتى بلّغ رسالَة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فانطلق عثمان حتى أتَى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلّغهم عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ما أرسلَهُ به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم : إن شئتَ أن تطوف بالبيت فطُفْ به ؛ قال : ما كنت لأفعَل حتى يطوف به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فاحتبسته قريش عندها ،

---

(١) الخبر فى التفسير ٢٦ : ٥٣ ، ٥٤ (بولاق) .

(٢) س : « لينفذه » .

فبلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمين أنّ عثمان قد قُتل .

حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق، قال : فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكر ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حين بلغه أنّ عثمان قد قُتل ، قال : لا نبرح حتى نناجزَ القوم ؛ ودعا النّاس إلى البيعة فكانت بيعةُ الرّضوان تحت الشجرة

* * *

حدّثني ابنُ عمارة الأسديّ ، قال : حدّثني عبيد الله بن موسى ، عن موسى بن عُبيدة، عن إياس بن سلَمة، قال : قال سلَمة بن الأكْوع : بينما نحن قافلون من الحديبيَة، نادى منادِى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : أيها الناس، البيعة البيعة! نزل رُوح القدس . قال : فسرْنا إلى رسول الله وهو تحت شجرة سَمُرَة، قال : فبايعناه ، قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[١] . ١٥٤٢/١

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن عامر ، قال : كان أول مَنْ بايع بيعة الرضوان رجلا من بني أسد ، يقال له : أبو سنان بن وهب

حدّثني يونس بن عبد الأعلى، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا القاسم بن عبد الله بن عمر ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ؛ أنهم كانوا يوم الحديبية أربعة عشر ومائة. قال : فبايعنا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، وعمرُ آخذ بيده تحت الشجرة ، وهى سَمُرة ، فبايعناه غير الجدّ بن قيس الأنصاريّ ، اختبأ تحت بطن بعيره .

قال جابر : بايعْنا رسول الله على ألاّ نفرّ ؛ ولم نبايعه على الموت[٢] .

---

(١) سورة الفتح ١٨ .
(٢) الخبر فى التفسير ٢٦ : ٥٤ ، ٥٥ (بولاق)

وقد قيل فى ذلك ما حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرَ أبو عامر ، قال : أخبرنا عِكْرِمة بن عمّار اليمامىّ ، عن إياس بن سلَمة بن الأكوع ، عن أبيه ، أنّ النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم دعا الناس للبيعة فى أصل الشجرة ، فبايعتُه فى أوّل الناس ، ثم بايع وبايع ؛ حتّى إذا كان فى وسط من الناس ، قال : بايعْ يا سلَمة ، قال : قلت : قد بايعتُك يا رسولَ الله فى أوّل الناس! قال : وأيضًا ؛ ورآنى النبي صلى الله عليه وسلم أعزَلَ ، فأعطانى حَجَفَة أو دَرَقَةً . قال : ثم إنّ رسولَ الله بايع الناس ؛ حتى إذا كان فى آخرهم ، قال : ألا تبايعُ يا سلمةُ! قلت : يارسول الله ، قد بايعتك فى أوّل الناس وأوسطهم! قال : وأيضًا . قال : فبايعتُه الثالثة ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فأين الدَّرَقة ، والحَجَفة التى أعطيتُك ؟ قلتُ : لقِيَنى عمّى عامر أعزَل فأعطيته إياها ، فضحك رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وقال : إنك كالذى قال الأول : اللهمّ ابغنى حبيبًا هو أحبّ إلىّ من نفسى . ١/١٥٤٥

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قالَ : فبايع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم النَّاس ، ولم يتخلَّفْ عنه أحد من المسلمين حضرها إلاّ الجَدُّ ابن قيس ، أخو بنى سلِمة ، قال : كان جابر بن عبد الله يقول : لكأنىّ أنظرُ إليه لاصقًا بإبط ناقته ، قد ضَبَأ[1] إليها يستتر بها من الناس. ثم أتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّ الذى كان من أمر عثمان باطل .

قال ابن إسحاق : قال الزهرىّ : ثم بعثتْ قريش سهيلَ بن عمرو ، أخا بنى عامر بن لؤىّ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ وقالوا له : ائت محمداً فصالحْه ، ولا يكن فى صلْحه إلاّ أن يرجعَ عنّا عامه هذا ، فوالله لا تحدّث العرب أنه دخل علينا عنوة أبداً .

قال : فأقبل سُهيل بن عمرو ، فلمّا رآه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلمّا انتهَى سهيل

(١) ضبأ إليها : لصق بها واستتر .

إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تكلّم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ، فلمّا التأم الأمر ، ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ! قال : بلى ، قال : أو لسْنا بالمسلمين! قال : بلى ، قال : أو ليسُوا بالمشركين! قال : بلى ؛ قال : فعَلامَ نُعْطى الدنيّةَ[1] فى ديننا ! قال أبو بكر : يا عُمر الزَمْ غَرْزَه[2] ؛ فإنى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . قال : ثم أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : يا رسول الله، ألستَ برسول الله ! قال : بلى ، قال : أوَ لَسْنَا بالمسلمينَ ! قال : بلى ، قال : أو ليسوا ! بالمشركين! قال : بلى ، قال: فعلامَ نعطى الدنيّة فى ديننا! فقال : أنا عبد الله ورسوله لن أخالفَ أمرَه ، ولن يُضيّعَنى . قال : فكان عمر يقول : ما زلت أصومُ وأتصدّقُ وأصلّى وأعتِق من الذى صنعت يومئذ ، مخافة كلامى الذى تكلّمت به؛ حتى رجوت أن يكون خيراً .

١٥٤٦/١

حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق ، عن بُرَيْدة بن سفيان بن فروة الأسلمىّ ، عن محمد بن كعب القرظىّ ، عن علقمة ابن قيس النخعىّ ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، قال : ثمّ دعانى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سُهَيل : لا أعرف هذا، ولكن اكتب :«باسمك اللهمّ»، فقال رسول الله :اكتب« باسمك اللهمّ» ، فكتبتُها. ثم قال: اكتب :« هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو». فقال سهيل بن عمرو : لو شهدتُ أنك رسولُ الله لم أقاتلْك ؛ ولكن اكتب اسمَك واسم أبيك ، قال : فقالَ رسولُ الله صلّى اللهعليه وسلم: اكتب :« هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل ابن عمرو ؛ اصطلحا على وضْع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهنّ الناس، ويكفّ بعضهم عن بعض ، على أنه مَنْ أتى رسولَ الله من قريش بغير

---

(١) الدنية : الذل والأمر الخسيس .

(٢) الزم غرزه ؛ أى ألزم أمره ، والغرز للرحل بمنزله الركاب للسرج .

إذن وليه ردّه عليهم، ومن جاء قريشًا ممنْ مع رسول الله لم ترُدُّه عليه. وأنّ بيننا عَيْبة مكفوفة(١)، وأنه لا إسلال(٢) ولا إغلال(٣)؛ وأنه مَنْ أحب أن يدخلَ فى عَقْد رسولِ الله وعهده دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخلَ فى عَقْد ١/١٥٤٧ قريش وعهدهم، دخل فيه» — فتواثبت خُزاعة فقالوا: نحن فى عَقْد رسول الله وعهده، وتواثبتْ بنو بكر، فقالوا: نحن فى عَقْد قريش وعهدها — «وأنك ترجع عنّا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجْنا عنك، فدخلتَها بأصحابك؛ فأقمت بها ثلاثًا، وأن معك سلاح الراكب، السيوف فى القُرُب لا تدخلها بغير هذا».

فبينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جَنْدل بن سهيل بن عمرو يَرْسُف فى الحديد، قد انفلتَ إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم — قال: وقد كان أصحابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم خرجوا وهم لا يشكّون فى الفتح، لرؤيا رآها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم؛ فلمّا رأوْا ما رأوْا من الصلح والرجوع، وما تحمّل عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى نفسه، دخل الناسَ من ذلك أمرٌ عظيمٌ حتى كادوا أن يهلِكوا — فلمّا رأى سهيل أبا جندل، قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بلَبَبِه(٤)، فقال: يا محمد قد لجّت(٥) القضيّة بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا! قال: صدقْتَ، قال: فجعل يَنْتِرُه(٦) بلَبَبِه، ويجرّه ليَرُدّه إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرُخ بأعلى صوتِه: يا معشر المسلمين، أُرَدُّ إلى المشركين يفتنونِنى فى دينى! فزاد الناس ذلك شرًّا(٧) إلى ما بهم فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: يا أبا جندل، احتسِبْ، فإن الله جاعلٌ لك ١/١٥٤٨

(١) عيبة مكفوفة، أى لا تكون عداوة بيننا، على التمثيل.
(٢) الإسلال: السرقة الخفية.
(٣) الإغلال: الخيانة.
(٤) ابن هشام: «بتلبيبه».
(٥) لجت القضية: تمت.
(٦) ينتره، أى يجذبه جذباً شديداً مع جفاء.
(٧) ساقطة من ابن هشام.

ولمن معك من المستضعَفين فَرَجًا ومخرجًا ؛ إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم عَقْداً وصلحًا ، وأعطيناهم على ذلك عهدا ، وأعطونا عهداً ، وإنا لا نغدِر بهم .

قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ؛ فإنّما هم المشركون ؛ وإنما دَمُ أحدهم دمُ كلب !

قال : ويُدْنى قائم السيف منه ، قال : يقولُ عمر : رجوت أن يأخذَ السيفَ فيضرب به أباه ، قال : فضنّ الرجل بأبيه .

فلمّا فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ، ورجالا من المشركين : أبا بكر بن أبى قُحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقّاص ، ومحمود بن مسلمة أخا بنى عبد الأشهل ، ومِكْرز بن حفص بن الأخْيَف - وهو مشرك - أخا بنى عامر بن لؤىّ ، وعلى بن أبى طالب ، وكتب[1] وكان هو كاتب الصحيفة .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدام ، وحدّثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدّثنا أبى ، قالا جميعًا : حدّثنا إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البَرَاء ، قال : اعتَمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم فى ذى القَعْدة ، فأبى أهلُ مكة أن يَدَعُوه يدخل مكة ، حتى يقاضيَهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام . فلمّا كتب الكتاب كتب : « هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله » ؛ فقالوا : لو نعلم أنك رسولُ الله ما منعناك ؛ ولكن أنت محمد بن عبدالله ، قال : أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبدالله ، قال لعلىّ عليه السلام : امْحَ « رسولَ الله » ، قال : لا والله لا أمحاك أبدًا ، فأخذه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم - وليس يُحسِن يكتب - فكتب مكان « رسول الله » « محمد » فكتب : « هذا ما قاضى عليه محمد ، لا يدخل مكة بالسلاح إلا السيوف فى القِراب ، ولا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتّبعه ، ولا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم بها » . فلما دخلها ومضَى الأجل ، أتَوا عليًّا عليه السلام ، فقالوا له[2] : قل

١٥٤٩/١

---

(١) ساقطة من و .
(٢) ساقطة من و .

لصاحبك: اخرجْ عنّا فقد مضى الأجل، فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم .

حدّثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمَر ، عن الزهريّ ، عن عروة بن الزبير ، عن المِسْور بن مخرمة . وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدّثنا معمَر ، عن الزّهريّ، عن عُرْوَة، عن المِسْور بن مَخْرمة ومرْوان بن الحكَم فى قصة الحديبيَة : فلّما فرغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من قضيتّه[1] قال لأصحابه : قوموا فانحرُوا ، ثم احلِقُوا . قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاث مرّات[2] ؛ فلمّا لم يقمْ منهم أحد ، قام فدخلَ على أمّ سلَمة، فذكر لها ما لقىَ من الناس ، فقالت له أمّ سلمة: يا نبيّ الله، أتحبّ ذلك ! اخرج ثم لا تكلّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بَدَنَتَك؛ وتدعوَ حالِقك فيحلقك ؛ فقام فخرج فلم يكلّم أحداً منهم كلمة حتى فعل ذلك؛ نحر بَدنته ودعا حالِقه فحلقه. فلمّا رأَوْا ذلك قاموا فنحرُوا ؛ وجعل بعضهم يحلِق بعضا ؛ حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غَمّاً .

١٥٥٠/١

قال ابن حميد : قال سلمة : قال ابن إسحاق : وكان الذى حلقه – فيما بلغنى ذلك اليوم – خراش بن أميّة بن الفضل الخُزاعيّ .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال: حلَق رجالٌ يوم الحديبية ، وقصّر آخرون ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: يرحم الله المحلّقين ، قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم[3] الله المحلّقين ؛ قالوا: والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلّقين ، قالوا: يا رسولَ الله : والمقصّرين ؟ قال : والمقصّرين ؛ قالوا: يا رسولَ الله؛ فلِمَ ظاهرتَ الترحّم للمحلّقين دون المقصّرين ؟ قال : لأنهم لم يشكّوا .

(١) س : « قصته » . (٢) س : « ثلاثا » . (٣) س : « رحم » .

حدّثنا ابن حُميد قال : حدّثنا سلَمة، عن أبان بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عبّاس ، قال : أهدى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عامَ الحديبيَة فى هداياه جملاً لأبى جهل؛ فى رأسه بُرَة من فِضّة ، ليغيظ المشركين بذلك .

* * *

رجع الحديث إلى حديث الزهرىّ الذى ذكرنا قبل[1] . ثم رجع النبى صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة — زاد ابنُ حُميد عن سلمة فى حديثه ، عن ابن إسحاق عن الزهرىّ ، قال : يقول الزهرىّ : فما فُتِح فى الإسلام فتحٌ قبلَه كان أعظمَ منه ؛ إنما كان القتال حيث التقى النّاس — فلما ١/١٥٥١ كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلّهم بعضهم بعضا فالتقوا ؛ وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلّم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه ، فلقد دخل فى تينْك[2] السنتيْن فى الإسلام مثلُ ما كان فى الإسلام قبل ذلك وأكثر . وقالوا جميعاً فى حديثهم عن الزُّهْرِى ، عن عُروة ، عن المِسْور ومروان : فلما قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جاءه أبو بَصير ؛ —رجل من قريش — قال ابن إسحاق فى حديثه : أبو بِصير عُتْبة بن أسَيْد ابن جارية — وهو مسلمٌ ، وكان ممن حُبِس بمكة ، فلمّا قدِم على رسول الله كتب فيه أزهر بن عبد عوْف والأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثقفىّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وبعث رجلا من بنى عامر بن لؤىّ ، ومعه مولًى لهم. فقدما على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بكتاب الأزهر والأخنس ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا أبا بصير ؛ إنّا قد أعطَيْنا هؤلاء القوم ما قد علمت ؛ ولا يصلح لنا فى ديننا الغَدْر ، وإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرَجا ومخرجا .

١/١٥٥٢ قال : فانطلق معهما حتى إذا كان بذى الحُلَيْفة ، جلس إلى جدار وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير : أصارمٌ سيفك هذا يا أخا بنى عامر؟ قال : نعم ، قال : انظر إليه ؟ قال: إن شئت! فاستلّه أبو بَصير ، ثمّ علاه

---

(١) س : « فى الذى ذكرناه » .

(٢) و : « ذينك » .

به حتّى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو جالس فى المسجد ، فلمّا رآه رسول الله طالعاً ، قال : إنّ هذا رجل قد رأى فَزَعًا ، فلمّا انتهى إلى رسولِ الله قال: ويلك ! مالك ! قال: قتَل صاحبُكم صاحبي ؛ فو الله ما برح حتّى طلع أبو بصير متوشّحًا السيف ، حتّى وقف على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال: يا رسولَ الله، وفتْ ذمّتك ، وأدّىَ عنك ، أسلمتَنى ورددتَنِي إليهم ثم أنجانى الله منهم . فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم : ويلُ امّه مِسْعَرُ حَرْب ! — وقال ابن إسحاق فى حديثه : محَشّ حَرْب[1]— لو كان معه رجالٌ ! فلمّا سمع ذلك عرف أنه سيرُدّه إليهم . قال : فخرج أبو بصير حتّى نزل بالعِيص من ناحية ذى المَرْوة على ساحل البحر بطريق قريش الذى كانوا يأخذون إلى الشام . وبلغ المسلمين الذين كانوا احتُبسوا بمكة قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأبى بصير : «ويل امّه محشّ حرب لو كان معه رجال » ، فخرجوا إلى أبي بصير بالعِيص ،وينفلت أبو جندل بن سُهَيل بن عمرو ، فلحق بأبي بصير ؛ فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلا منهم ؛ فكانوا قد ضيّقوا على قُرَيش ؛ فو الله ما يسمعون بعيرٍ خرجت لقريش إلى الشأم إلا اعترضوا لهم فقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يناشدونه بالله و بالرّحم[2] لَمـا أرسل إليهم ! فمن أتاه فهو آمِن ، فآواهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقدموا عليه المدينة .

زاد ابن اسحاق فى حديثه : فلمّا بلغ سهيلَ بن عمرو قتلُ أبى بصير صاحبَهم العامرىّ أسند ظهرَه إلى الكعبة ، وقال : لا أؤخّر ظهرِى عن الكعبة ؛ حتى يُودُوا هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : والله إنّ هذا لهو السّفه ! والله لا يُودَى ! ثلاثا . ١٥٥٣/١

* * *

(١) محش حرب : موقد حرب ومهيجها .

(٢) س : « الله والرحم » .

وقال ابن عبد الأعلى ويعقوب فى حديثهما : ثم جاءه — يعنى رسولَ الله — نسوةٌ مؤمناتٌ ، فأنزل الله عزّ وجلّ عليه : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ﴾ — حتى بلغ : ﴿ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾[1] . قال : فطلَّق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتيْن كانتا له فى الشرْك . قال : فنهاهم أن يردّوهنّ ، وأمرهم أن يردّوا الصّداق حينئذ .

قال رجل للزهرىّ: أمِنْ أجل الفُروج ؟ قال : نعم ؛ فتزوّج إحداهما معاوية بن أبى سفيان ، والأخرى صَفْوان بن أميّة .

زاد ابن إسحاق فى حديثه : وهاجرتْ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمّ كلثوم بنت عُقْبة بن أبى مُعَيْط فى تلك المدّة ؛ فخرج أخواها عُمارة والوليد ابنا عُقْبة ؛ حتى قَدِما على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يسألانِه أن يردّها عليهما بالعهد الذى كان بينه وبين قريش فى الحديبية ؛ فلم يفعل، أبَى الله عزّ وجلّ ذلك .

وقال أيضًا فى حديثه : كان ممّن طلَّق عمر بن الخطاب ؛ طلق امرأتَيْه قُرَيْبَة بنت أبى أمية بن المغيرة ؛ فتزوّجها بعده معاوية بن أبى سفيان ؛ وهما على شِرْكهما بمكّة، وأمّ كلثوم بنت عمرو بن جَرْوَل الخزاعيّة أمّ عُبيد الله بن عمر ؛ فتزوّجها أبو جَهْم بن حُذافة بن غانم ، رجلٌ من قومها ؛ وهما على شركهما بمكة . ١٥٥٤/١

* * *

وقال الواقدىّ : فى هذه السنة — فى شهر ربيع الآخر منها — بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عُكَّاشة بن مِحْصَن فى أربعين رجلا إلى الغَمْر ؛ فيهم ثابت بن أقْرَم وشُجَاع بن وهب ؛ فأغذّ السير ، ونذِر[2] القوم به فهربوا ؛ فنزل على مياههم وبعث الطلائع ؛ فأصابوا عينا فدلّهم على بعض ماشيتهم ؛ فوجدوا مائتى بعير ، فحدَرُوها إلى المدينة .

---

(١) سورة الممتحنة ١٠

(٢) نذر : علم .

قال: وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة فى عشرة نفر فى ربيع الأول منها ، فكمن القوم لهم حتى نام هو وأصحابه؛ فما شعروا إلاّ بالقوم ؛ فقتِل أصحاب محمد بن مسلمة وأفلَت محمد جريحا .

قال الواقدى : وفيها أسْرَى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم سريَّةَ أبى عُبيدة بن الجرَّاح إلى ذى القَصّة فى شهر ربيع الآخر فى أربعين رجلاً ، فساروا ليلتهم مُشاةً ، ووافوْا ذا القَصّة مع عَماية الصُّبح ، فأغاروا عليهم ، فأعجزوهم هَرَبًا فى الجبال، وأصابوا نعمًا ورِثَّة[1] ورجلا واحدًا، فأسلم ، فتركه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

١٥٥٥/١

قال : وفيها كانت سرّية زيد بن حارثة بالجَمُوم ، فأصاب امرأة من مُزَيْنة ؛ يقال لها حليمة ، فدلَّتْهم على محلَّة من محالّ بنى سُلَيم ، فأصابوا بها نَعَمًا وشاء وأسَراء ؛ وكان فى أولئك الأسَراء زوْج حليمة ، فلمَّا قفل بما أصاب وَهَب رسول الله صلَّى الله عليه وسلم للمزَنيَّة زوجَها ونفسَها .

قال : وفيها كانت سريّة زيْد بن حارثة إلى العِيص فى جُمادى الأولى منها .

وفيها أخذت الأموال التى كانت مع أبى العاص بن الربيع ؛ فاستجار بزينب بنت النبى صلّى الله عليه وسلّم فأجارَتْه .

قال : وفيها كانت سريَّة زيد بن حارثة إلى الطَّرَف ، فى جمادى الآخرة، إلى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا؛ فهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسولُ الله سارَ إليهم ، فأصاب من نَعَمهم عشرين بعيرا . قال : وغاب أربع ليال .

قال : وفيها سريَّة زيد بن حارثة إلى حِسْمَى فى جمادى الآخرة .

---

(١) و : « نعمة ورثاه » ، والرث والرثة : السقط من المتاع .

قال : وكان أوّل ذلك — فيما حدثنى موسى بن محمّد ، عن أبيه ، قال : أقبل دِحْيَةُ الكلبىّ من عند قيصر ؛ وقد أجاز دِحْيَةَ بمال ، وكساه كُسًى ، فأقبل حتى كان بحِسْمَى ، فلقيَه ناسٌ من جُذام ؛ فقطعوا عليه الطريق ، فلم يُترك معه شىء ؛ فجاء إلى رسول الله قبل أن يدخلَ بيته فأخبره ، فبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زيدَ بن حارثة إلى حِسْمى .

١/١٥٥٦

قال : وفيها تزوّج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن أبى الأقلح ؛ أخت عاصم بن ثابت ، فولدت له عاصم بن عمر ؛ فطلّقها عمر فتزوّجها[1] بعده يزيد بن جارية ؛ فولدت له عبد الرحمن بن يزيد ؛ فهو أخو عاصم لأمّه .

قال : وفيها سريّة زيد بن حارثة إلى وادى القُرى فى رجب .

قال : وفيها سريّة عبد الرحمن بن عوف إلى دَوْمة الجَنْدل فى شعبان ؛ وقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إن أطاعوك فتزوّج ابنَة ملكهم ؛ فأسلم القوم ، فتزوّج عبد الرحمن تُماضر بنت الأصْبَغ ؛ وهى أمّ أبى سلَمة ؛ وكان أبوها رأسَهم وملكهم .

قال : وفيها أجدب الناسُ جدبًا شديدًا ، فاستسقى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى شهر رمضان بالناس .

قال : وفيها سريّة على بن أبى طالب عليه السلام إلى فَدَك فى شعبان .

قال : وحدّثنى عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عُقْبة ، قال : خرج علىٌّ بن أبى طالب فى مائة رجل إلى فَدَك ، إلى حىّ من بنى سَعْد بن بكر ؛ وذلك أنّه بلغ رسولَ الله أنّ لهم جمعًا يريدون أن يمدّوا يهود خيبر ؛ فسار إليهم الليل وكَمَن النّهار ؛ وأصاب عَيْنًا ؛ فأقرّ لهم أنه بُعِث إلى خيبر يعرض عليهم نصرَهم على أن يجعلوا لهم ثمر خَيْبر .

قال : وفيها سريّة زيد بن حارثة إلى أمّ قِرْفة فى شهر رمضان .

١/١٥٥٧

وفيها قتلت أمّ قِرْفة ؛ وهى فاطمة بنت ربيعة بن بدر، قتلها قتلاً

(١) س : « فتزوجت » .

عنيفًا ؛ ربط برجليها حبلاً ثم ربطها بين بعيرين حتى شقّاها شقًّا ؛ وكانت عجوزًا كبيرةً .

وكان من قصّتها ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني ابنإسحاق ، عنعبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة إلى وادى القُرى ؛ فلقيَ به بنى فزارة ؛ فأصيب به أناسٌ من أصحابه ، وارْتُثَّ زيد من بين القتلى ، وأصيب فيها ورد ابن عمرو أحد بنى سعد بنى هُذَيم ، أصابه أحد بنى بدْر ؛ فلمّا قدم زيد نَذَر ألاّ يمسّ رأسه غسلٌ من جنابة حتى يَغْزُوَ فَزارة ؛ فلمّا استبلّ من جراحه[1] ، بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى جيش إلى بنى فَزارة ، فلقيَهم بوادى القُرى ، فأصاب فيهم ؛ وقتل قيس بن المسحَّر اليَعْمُرىّ مَسْعَدَةَ بن حكمة بن مالك بن بدر ، وأسر أمّ قرفة — وهى فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وكانت عند مالك بنُ حذيفة بن بدر ، عجوزًا كبيرة — وبنتًا لها ، وعبد الله بن مسعدة . فأمر زيد بنحارثة أن يقتل أمقِرْفة ؛ فقتلها قتلا عنيفًا ، ربط برجليها حبلين ثم رَبطهما[2] إلى بعيرين حتىشقّاها . ١/١٥٥٨ ثم قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بابنة أم قِرْفة وبعبد الله بن مسعدة ؛ وكانت ابنة أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع ؛ كان هو الذى أصابها ، وكانت فى بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول : لو كنت أعزّ من أم قرفة ما زدتَ . فسألها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سلَمة ، فوهبهاله ، فأهداها لخاله حَزْن بن أبى وهْب ؛ فولدت له عبد الرحمن بن حَزْن .

وأما الرواية الأخرى عنسلَمة بن الأكوع فى هذه السرّية ، أن أميرها كان أبا بكر بنأبى قحافة ؛ حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرَنا أبوعامر، قال : حدّثنا عِكْرمة بن عمار ، عن إياس بنسلمة ، عنأبيه ، قال : أمّرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم علينا أبابكر ؛ فغزونا ناسًا من بنى فَزارة ، فلمّا دنوْنا من الماء أمرَنا

(١) س : « جراحته » .
(٢) س : « ربطها » .

أبو بكر فعرّسنا ؛ فلمّا صلّينا الصبح ، أمرنا أبو بكر فشنَنّا الغارة عليهم . قال : فوردنا الماء فقتلنا به من قتلنا . قال : فأبصرت عُنُقًا [١] من الناس ؛ وفيهم النّساء والذرارىّ قد كادوا يسبقون إلى الجبل ، فطرحت سهمًا بينهم وبين الجبل ، فلمّا رأوا السّهم وقفوا ، فجئت بهم أسوقهم إلى أبى بكر ؛ وفيهم امرأة من بنى فَزارة عليها قَشْعٌ [٢] أدَم ، معها ابنة لها من أحسن العرب . قال : فنفّلنى أبو بكر ابنتها ، قال : فقدمت المدينة ، فلقيَنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالسوق ، فقال : يا سلَمة ، لله أبوك ! هب لى المرأة ! فقلت : يا رسولَ الله ؛ والله لقد أعجبَتْنى وما كشفت لها ثوبًا . قال : فسكت عنى حتى إذا كان من الغد لقيَنى فى السّوق ، فقال : يا سلَمة ، لله أبوك ! هبْ لى المرأة ، فقلت : يا رسولَ الله ؛ والله ما كشفت لها ثوبا ؛ وهى لك يا رسولَ الله . قال : فبعث بها رسول الله إلى مكّة ؛ ففادى بها أسارى من المسلمين كانوا فى أيدى المشركين . فهذه الرواية عن سلمة .

١٥٥٩/١

* * *

قال محمد بن عمر : وفيها سرّية كُرز بن جابر الفهرىّ إلى العُرَنيّين الذين قتلوا راعىَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، واستاقوا الإبل فى شوّال من سنة ستّ ؛ وبعثه رسول الله فى عشرين فارسًا .

* * *

[ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك]

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّسُلَ ؛ فبعث فى ذى الحجة ستّة نفر: ثلاثة مصطحبين ؛ حاطب بن أبى بلتعة من لَخْم حليف بنى أسد بن عبد العزى إلى المقوقس ، وشجاع بن وهب من بنى أسد بن خُزيمة — حليفا لحرب بن أمية شهد بدرًا — إلى الحارث بن أبى شَمِر الغسانىّ ، ودِحْيَةَ ابن خليفة الكلبىّ إلى قيصر . وبعث سليط بن عمرو العامرىّ عامرَ بن لؤىّ إلى هَوْذة بن على الحنفىّ . وبعث عبد الله بن حُذافة السهمىّ إلى كسرى . وعمرو بن أمية الضَّمْرىّ إلى النجاشىّ .

١٥٦٠/١

---

(١) عنقا : جماعة . (٢) القشع : الفرو الخلق .

وأمّا ابنُ إسحاق ، فإنّه — فيما زعم ، وحدّثنا به ابنُ حميد — قال : حدّثنا سلَمة ، عنه قال : كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد فرّق رجالا من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم ، دعاةً إلى الله عزّ وجلّ فيما بين الحديبيَة ووفاته .

وحدّثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدّثني ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حَبيب المصريّ ، أنه وجد كتاباً فيه تسمية مَنْ بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى ملوك الخائبين ، وما قال لأصحابه حين بعثهم ، فبعث به إلى ابن شهاب الزُّهريّ ، مع ثقة من أهل بلدة فعرّفه . وفى الكتاب أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم خرج على أصحابه ذاتَ غَداة ، فقال لهم : إنى بُعِثتُ رحمةً وكافّة ؛ فأدّوا عنّى يرحمكم الله[1] ؛ ولا تختلفوا علىّ كاختلاف الحواريِّين على عيسى بن مريم ، قالوا : يا رسول الله ، وكيف كان اختلافُهم ؟ قال : دعا إلى مثل ما دعوتكم إليه ؛ فأمّا من قَرُبَ به[2] فأحبّ وسلِم ، وأمّا مَنْ بَعُد به فكرِه وأبى ؛ فشكا ذلك منهم عيسى إلى الله عزّ وجلّ ، فأصبحوا من ليلتهم تلك ؛ وكلُّ رجل منهم يتكلّم بلغة القوم الّذين بُعث إليهم . فقال عيسى : هذا أمرٌ قد عزم الله لكم عليه ؛ فامضوا[3] .

قال ابنُ إسحاق : ثم فرّق رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بين أصحابه ؛ فبعث سَليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ أخا بنى عامر بن لؤى إلى هَوْذة بن علىّ ، صاحب اليمامة . وبعث العَلاءَ بن الحضرمىّ إلى المنذر بن ساوى أخى بنى عبدالقَيْس صاحب البحرَيْن ،وعمرو بن العاص إلى جَيْفَر بن جُلَنْدَى وعبّاد بن جُلَنْدَى الأزديَّيْن صاحِبَىْ عُمان . وبعث حاطب بن أبى بَلْتَعَة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ؛ فأدّى إليه كتابَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأهدى المقوقس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أربَع جوار ، منهنّ مارية أمّ إبراهيم بن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وبعث رسول الله

١٥٦١/١

(١) س : « رحمكم الله » .
(٢) و : « له » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٣ .

دِحْيَةَ بن خليفة الكلبىّ ثم الخزْجىّ [١] إلى قيصر ، وهو هِرَقْل ملك الروم ؛ فلـمّا أتاه بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نَظر فيه ثم جعله بين فَخِذَيْه وخاصِرَته [٢].

* * *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزّهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود ، عن عبدالله ابن عباس ، قال : حدّثنى أبو سُفيان بن حرب ، قال [٣] : كنّا قومًا تجَارًا ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتْنا حتى نَهَكَتْ أموالَنا ؛ فلمّا كانت الهُدْنَة بينَنا وبين رسول الله ، لم نأمَنْ ألاّ نجد أمنًا ؛ فخرجتُ فى نَفَر من قريش تُجّار إلى الشأم ؛ وكان وجهُ متجرنا منها غَزَّة ، فقدمناها حين ظهر هِرَقْل على مَنْ كان بأرضه من فارس ؛ وأخرجهم منها ، وانتزع له منهم صليبه الأعظم ؛ وكانوا قد استلبوه إياه ، فلمّا بلغ ذلك منهم ، وبلغه أن صليبه قد استنقِذ له — وكانت حِمْصُ منزله — خرج منها يمشى على قدميْه متشكرًا لله حين ردّ عليه ما ردّ ، ليصلّىَ فى بيت المقدس ، تُبْسَطُ له البُسط ، وتلقّى عليها الرياحين ، فلمّا انتهى إلى إيلياء وقضى فيها صلاته ، ومعه بطارقته وأشراف الروم ، أصبح ذات غَدَاة مهمومًا يقلّب طرفه إلى السماء ، فقال له بطارقته : والله لقد أصبحتَ أيها الملك الغداةَ مهمومًا ، قال : أجلْ ، أريت فى هذه الليلة أن مُلكَ الختان ظاهرٌ ! قالوا له : أيها الملك ؛ ما نعلم أمّةً تختتن إلاّ يهود ؛ وهم فى سلطانك وتحت يدك ؛ فابعث إلى كلّ مَنْ لك عليه سلطان فى بلادك ، فمرْه فليضرب أعناقَ كلّ مَنْ تحت يديه من يهودَ ، واسترِحْ من هذا الهمّ ؛ فوالله إنّهم لفى ذلك من رأيهم يُديرونه ؛ إذْ أتاه رسولُ صاحب بُصْرَى برجل من العرب ، يقوده — وكانت الملوك تَهَادَى الأخبار بينها — فقال : أيها الملك ؛ إنّ

١٥٦٢/١

---

(١) ط : « الخزرجى » ، والتصويب من القاموس ، نسبة إلى الخزج بن عامر ، وهو جد دحية .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ ، ٣٥٣ .
(٣) الخبر فى الأغانى ٦ : ٣٤٥ — ٣٤٩ (طبعة دار الكتب) .

هذا الرجل من العرب من أهل الشَّاءِ والإبل ؛ يحدّث عن أمر حَدَثَ ببلاده عجب ؛ فسلْه عنه .

فلمَّا انتهى به إلى هِرَقْل رسول صاحب بُصرى ، قال هرقل لتَرْجُمانه : سلْه ، ما كان هذا الحدَث الّذى كان ببلاده ؟ فسأله فقال : خرج بين أظهرنا رَجُلٌ يزعُم أنه نبىّ ، قد اتّبعه ناسٌ وصدّقوه ، وخالفه ناس ؛ وقد كانت بينهم ملاحم فى مواطن كثيرة ؛ ؛ فتركتهم على ذلك . قال : فلمَّا أخبره الخبر قال : جَرّدُوه ، فجرَّدوه ؛ فإذا هو مختُون ، فقال هرقل : هذا والله الذى أريت[1] ؛ لا ما تقولون ؛ أعطوه ثوبه ؛ انطلق عنا . ثم دعا صاحبَ شُرْطته ، فقال له : قَلّب لى الشأم ظهرًا وبطنًا ؛ حتى تأتيَنى برجل من قوم هذا الرجل — يعنى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . ١٥٦٣/١

قال أبو سفيان : فوالله إنّا لبغَزّةَ ، إذ هجم علينا صاحب شرطته ؛ فقال : أنتم من قوم هذا الرجل الذى بالحجاز ؟ قلنا : نعم ، قال : انطلقوا بنا إلى الملك ؛ فانطلقنا ؛ فلما انتهينا إليه قال : أنتم من رَهْط هذا الرجل ؟ قلنا : نعم ؛ قال : فأيّكم أمسّ به رحِمًا ؟ قلت : أنا .

قال أبو سفيان : وايمُ الله ما رأيتُ من رجل أرى أنّه كان أنكَر من ذلك الأغلف — يعنى هرقل — فقال : ادْنُهْ فأقعدنى بين يديْه ، وأقعد أصحابى خلْفى ، ثم قال : إنى سأسأله ؛ فإن كَذَبَ فردُّوا عليه ؛ فوالله لو كذبتُ ما ردُّوا علىّ ؛ ولكنى كنتُ امرأً سيّدًا أتكرّمُ عن الكذب ؛ وعرفت أن أيْسر ما فى ذلك إنْ أنا كذّبته أن يحفظُوا ذلك علىّ ؛ ثم يحدّثوا به عنى ؛ فلم أكذبه ، فقال : أخبرْنى عن هذا الرجل الذى خرج بين أظهركم يدّعى ما يدّعى ! قال : فجعلتُ أزَهّدُ له شأنه ؛ وأصغّرُ له أمره ؛ وأقول له : أيّها الملك ، ما يهمّك من أمره ! إنّ شأنه دون ما يبلغك ؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك ، ثم قال : أنبئنى عمَّا أسألك عنه من شأنه . قلت : سَلْ عمَّا بدا لك ؛ قال : كيف نسبُه فيكم ؟ قلت : محضٌ[2] ، أوسطنا نسبًا . قال :

---

(١) الأغانى : « رأيت » .

(٢) محض : خالص .

فأخبِرْنى هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول ، فهو يتشبَّه به ؟ قلت : لا : قال : فهل كان له فيكم مُلْكٌ فاستلبتموه إيَّاه ؛ فجاء بهذا الحديث لتردُّوا عليه ملكه ؟ قلت : لا ؛ قال : فأخبرنى عن أتْبَاعِه منكم ، مَنْ هم ؟ قال : قلت الضعفاء والمساكين والأحداث من الغِلْمان والنِّساء ، وأما ذوو الأسنان والشَّرَف من قومه ؛ فلم يتّبعه منهم أحدٌ . قال : فأخبِرْنى عَمَّنْ تَبِعه ، أيحبّه ويلزمُه(١) أم يقليه ويفارقه ؟ قال : قلت : ما تبعه رجل ففارقه . قال : فأخبِرْنى كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : قلت : سِجَالٌ يُدال علينا وندال عليه ؛ قال : فأخبرنى هل يَغْدِر ؟ فلم أجد شيئًا ممَّا سألنى عنه أغمزه فيه غيرها ، قلت : لا ، ونحن منه فى هُدْنة ، ولا نأمن غَدْره . قال : فوالله ما التفت إليها منّى ، ثم كرّ علىّ الحديث . قال : سألتك كيف نسبه فيكم ، فزعمتَ أنه مَحْضٌ ، من أوسطكم نسباً ؛ وكذلك يأخذ الله النبىّ إذا أخذه ؛ لا يأخذه إلا من أوْسَط قومه نسبًا . وسألتك : هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول بقوله ؛ فهو يتشبَّه به ؛ فزعمت أن لا ؛ وسألتك : هل كان له فيكم مُلْكٌ فاستلبتموه إياه ؛ فجاءَ بهذا الحديث يطلب به ملكه ؟ فزعمت أن لا . وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنَّهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء ؛ وكذلك أتباع الأنبياء فى كلّ زمان ، وسألتكُ عَمَّن يتَّبعه ، أيحبه ويلزمه أم يَقْليه ويفارقه ؟ فزعمت أنه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه ؛ وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلبًا فتخرج منه . وسألتك : هل يغدر ؟ فزعمت أن لا ؛ فلئن كنتَ صدقتَنى عنه ليغلبَنِّى(٢) على ما تحت قدمىّ هاتين ؛ ولوددت أنِّى عنده فأغسل قدميه . انطلق لشأنك .

١/١٥٦٤ — ١/١٥٦٥

قال : فقمتُ من عنده وأنا أضرب إحدى يدىّ بالأخرى ؛ وأقول : أى عبادَ الله ؛ لقد أمِرَ أمْرُ(٣) ابن أبى كَبْشَةَ ! أصبح ملوك بنى الأصفر يهابونَه فى سلطانهم بالشأم !

قال : وقدم عليه كتاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مع دحيَة بن

(١) س : « ويكرمه » .
(٢) الأغانى : « فليغلبن » .
(٣) أمر أمره : قوى واشتدّ .

خليفة الكلبىّ : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هِرَقْل عظيم الروم . السَّلام على من اتَّبع الهدى . أمَّا بعد : أسْلِمْ تَسْلَم ، وأسْلِمْ يُؤْتِكَ الله أجْرَكَ مرّتين ؛ وإن تتولّ فإنّ إثْمَ الأكّارين عليك — يعنى تحمّالَه .

حدّثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدّثنا يحيى بن آدم ، قال : حدّثنا عبد الله بن إدريس ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن الزُّهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، عن ابن عبَّاس ، قال : أخبرنى أبو سفيان ابن حَرْب ، قال : لمَّا كانت الهُدْنة بيننا وبين رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عامَ الحديبيَة ، خرجتُ تاجرا إلى الشأم . ثم ذكر نحو حديث ابنِ حميد ، عن سلَمة ، إلا أنه زاد فى آخره : قال : فأخذ الكتاب فجعله بين فخذيه وخاصرته .

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق ، قال : قال ابنُ شِهاب الزُّهرىّ : حدّثنى أسقفٌ للنصارى أدركتُه فى زمان عبد الملك بن مروان ، أنه أدرك ذلك من أمْرِ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأمْر هرقل وعَقَله ، قال : فلمَّا قدِم عليه كتابُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مع دِحْيَة بن خليفة ، أخذه هِرَقْل ، فجعله بين فخذيه وخاصرته . ثم كتب إلى رجل برومِيَة كان يقرأ من العبرانية ما يقرءونه ؛ يذكر له أمره ، ويَصفُ له شأنه ، ويخبره بما جاءَ منه ؛ فكتب إليه صاحب رومِيَة : إنَّه لَلنَّبىُّ الذى كنا ننتظرُه[١] ؛ لا شكّ فيه ؛ فاتَّبعه وصدِّقه . ١/١٥٦٦

فأمر هرقلُ ببطارقة الرُّوم ؛ فجُمِعُوا له فى دَسْكَرة[٢] ، وأمر بها فأشرِجَتْ[٣] أبوابُها[٤] عليهم ؛ ثم اطّلع عليهم من عُلِّيَّة له ، وخافهم على نفسه ، وقال : يا معشرَ الروم ؛ إنى قد جمعتُكم لخير ؛ إنه قد أتانى كتاب

(١) و : « ننتظر » .

(٢) الدسكرة : القرية ، والصومعة ، والأرض المستوية ، وبيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهى ، وبناء بالقصر حوله بيوت ، وهو المراد هنا .

(٣) أشرجت : سدت . (٤) و : « بأبوابها » .

هذا الرّجل يدعونى إلى دينه ؛ وإنّه والله لَلنبىّ الذى كنّا ننتظره ونجده فى كتبنا ؛ فهلمّوا فلنتّبعه ونصدّقه ، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا .

قال : فَنَخَروا نَخْرَةَ رجل واحد؛ ثم ابتدروا أبوابَ الدّسْكرة ليخرجوا منها فوجدُوها قد أغلقت ؛ فقال : كرُّوهم علىّ — وخافهم على نفسه — فقال : يا معشَر الرُّوم ؛ إنى قد قلت لكم المقالة التى قلت لأنظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الأمر الّذى قد حَدَث ؛ وقد رأيت منكم الذى أسَرُّ به ؛ فوقعوا له سُجّدًا ؛ وأمر بأبواب الدّسْكرة ففتِحَتْ لهم ؛ فانطلقوا[1] .

حدثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أنّ هرقل قال لدِحْيَة بن خليفة حين قدم عليه بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ويحك ! والله إنّى لأعلَمُ أن صاحبَك نبىٌّ مرسل ؛ وأنّه الّذِى كنّا ننتظره ونجده فى كتابنا ؛ ولكنى[2] أخاف الرُّوم على نفسى ؛ ولو لا ذلك لاتّبعتُه ؛ فاذهب إلى صغاطر الأسقفَ فاذكر له أمرَ صاحبكم ؛ فهو والله أعظم فى الروم منّى ، وأجوَز[3] قولا عندهم منىّ ؛ فانظر ما يقول لك . ١/١٥٦٧

قال : فجاءَه دِحْية ؛ فأخبره بما جاءَ به من رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى هِرَقل، وبما يدعوه إليه ،فقال صغاطر : صاحبُك والله نبى مرسَل ؛ نعرفه بصفته ، ونجده فى كتبنا باسمه .

ثم دخل فألقى ثيابًا كانت عليه سودًا ، ولبِس ثيابًا بيضا ، ثم أخذ عصاه ؛ فخرج على الرّوم وهم فى الكنيسة ، فقال : يا معشرَ الرُّوم ؛ إنه قد جاءَنا كتابٌ من أحمد ؛ يدعونا فيه إلى الله عزّ وجلّ ؛ وإنىّ أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأنّ أحمد عبده ورسوله .

قال : فوثبوا عليه وَثْبَةَ رجل واحد ، فضربوه حتى قتلوه . فلمّا رجع

---

(١) الأغانى ٦ : ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٢) و : ولكن » .

(٣) ابن الأثير : « وأحور » .

دِحْيَة إلى هرقل فأخبره الخبر قال : قد قلت لك : إنا نخافهم على أنفسنا ؛ فضغاطر — والله — كان أعظمَ عندهم وأجْوَزَ قولاً منى .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق ، عن خالد بن يسار ، عن رجل من قدماء أهل الشأم ، قال : لما أراد هِرقْل الخروجَ من أرض الشأم إلى القسطنطينية ، لمَا بلغه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمع الرّوم ، فقال : يا معشرَ الرُّوم ؛ إنى عارضٌ عليكم أمورًا ، فانظروا فِيمَ قد أردتُها ! قالوا : ما هى ؟ قال : تعلمون والله أنّ هذا الرّجل لنبى مرسلٌ ؛ إنا نجده فى كتابنا نعرفه بصفتِه التى وصف لنا ، فهلُمَّ فَلْنتّبِعْه ، فتسلَم لنا دنيانا وآخرتنا ، فقالوا : نحن نكون تحتَ يدى العرب ؛ ونحن أعظم الناس مُلْكًا ، وأكثرهم رجالاً ، وأفضلُهم بلدا !

قال : فهلمّ فأعطيه الجزية فى كلّ سنة ، اكسِرُوا عنى شوكتَه وأستريحُ من حَرْبِه بمال أعطيه إياه ، قالوا : نحن نعطِى العربَ الذلّ والصَّغار ، بخَرْج يأخذونه منا ؛ ونحن أكثر الناس عدداً ، وأعظمهم ملكًا ، وأمنعهم[1] بلداً ؛ لا والله لا نفعل هذا أبداً . ١٥٦٨/١

قال : فهلمّ فلأصالحه على أنْ أعطيَه أرض[2] سُورِيَة ، ويَدَعنى وأرض الشأم — قال : وكانت أرضُ سوريّة أرضَ فلسطين والأردنّ ودمشق وحِمْص وما دون الدَّرْب من أرض سوريَة ؛ وكان ما وراء الدَّرْب عندهم الشأم — فقالوا له : نحن نعطيه أرضَ سوريَة ؛ وقد عرفت أنها سرّة الشأم ؛ والله لا نفعل هذا أبداً .

فلما أبَوا عليه ، قال : أما والله لتَرونّ أنكم قد ظفرتُمْ إذا امتنعتم منه فى مدينتكم . ثم جلس على بَغْل له ؛ فانطلق حتى إذا أشرف على الدَّرْب استقبل أرض الشأم ، ثم قال : السّلام عليكم أرض سوريَة تسليمَ الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينيّة .

* * *

(١) س : « وأمنعه » .
(٢) س : « على أن أصالحه بأرض » .

قال ابن إسحاق : وبعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شُجاع بن وهب ، أخا بنى أسد بن خُزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبى شَمِر الغسانىّ ؛ صاحب دمشق .

وقال محمد بن عمر الواقدىّ : وكتب إليه معه : سلام علَى مَن اتّبع الهدى ، وآمن به . إنّى أدعُوك إلى أن تؤمنَ بالله وحدَه لا شريك له يبقى لك ملكك .

فقدم به شجاع بن وهْب ، فقرأه عليهم ، فقال : مَنْ ينزع منّى ملكى! أنا سائر إليه ؛ قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : بادَ مُلْكه[1] !

* * *

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنا ابنُ إسحاق ، قال : بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضَّمْرِىّ إلى النجاشىّ فى شان جعفر بن أبى طالب وأصحابه ؛ وكتب معه كتاباً . ١/١٥٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشىّ الأصحم ملك الحبشة ، سلمٌ[2] أنت ؛ فإنى أحمَد إليك الله الملك القُدُّوس السَّلام المُؤمِن المهيمن ؛ وأشهدُ أن عيسى بن مريم روحُ الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم البتُول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ؛ فخلقه الله من رُوحِه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإنّى أدعوك إلى الله وحْده لا شريك له ؛ والموالاة على طاعته ؛ وأن تتبعنى وتؤمِنَ بالذى جاءنى ؛ فإنّى رسول الله ، وقد بعثت إليك ابنَ عمّى جعفراً ونفراً[3] معه من المسلمين ؛ فإذا جاءك فأقرّهم ، ودع التجبّر ؛ فإنّى أدعُوك وجنودَك إلى الله ؛ فقد بلّغت ونصحت ؛ فاقبلوا نصْحِى ؛ والسلام على من اتّبع الهدى .

فكتب النجاشىّ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشىّ الأصْحَم بن أبجر . سلامٌ عليك

(١) باد ملكه : ذهب .
(٢) س : « سلام » .
(٣) س : « ومعه نفر » .

يانبيَّ الله(١ ورحمة الله وبركاته١)، من الله الذى لا إله إلا هو، الذى هدانى إلى الإسلام . أما بعد ؛ فقد بلغنى كتابُك يا رسولَ الله فيما ذكرتَ من أمر عيسى ، فوربِّ السماء والأرض إنّ عيسى ما يزيد على ما ذكرتَ ثُفْرُوقاً[٢] ؛ إنه كما قلت ؛ وقد عرفنا ما بُعثتَ به إلينا ؛ وقد قرَيْنا ابنَ عمّك وأصحابه[٣] ؛ فأشهد أنك رسولُ الله صادقاً مصدَّقاً ؛ وقد بايعتك وبايعتُ ابنَ عمك ؛ ١/١٥٧٠ وأسلمت على يديه[٤] لله ربّ العالمين ؛ وقد بعثت إليك بابنى أرها بن الأصحم ابن أبجر ؛ فإنى لا أملكُ إلا نفسى ؛ وإن شئت أن آتيَك فعلت يا رسول الله ؛ فإنّى أشهد أن ما تقول حقّ ، والسلام عليك يا رسول الله .

قال ابن إسحاق : وذُكرَ لى أنّ النجاشيّ بعث ابنه فى ستين من الحبشة فى سفينة ؛ فإذ كانوا فى وَسَط من البحر غرِقَتْ بهم سفينتُهم ، فهلكوا .

وحُدّثت عن محمد بن عمر ، قال : أرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشيّ ليزوّجه أمَّ حبيبة بنت أبى سفيان ؛ ويبعث بها إليه مع مَنْ عنده من المسلمين ، فأرسل النجاشيّ إلى أمّ حبيبة يخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها جارية له يقال لها أبرهة ؛ فأعطتها أوْضَاحاً[٥] لها وفَتَخاً[٦] ؛ سروراً بذلك ، وأمرها أن توكّل مَنْ يزوّجها ، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص ، فزوّجها ، فخطب النجاشيّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطب خالد فأنكَح أمّ حبيبة ، ثم دعا النجاشيّ بأربعمائة دينار صداقها ؛ فدفعها إلى خالد بن سعيد ؛ فلما جاءت أمّ حبيبة تلك الدنانير ، قال : جاءت بها أبْرهة فأعطتها خمسين مثقالا ، وقالت : كنت أعطيتُكِ ذلك ؛ وليس بيدى شىء ، وقد جاء الله عزّ وجلّ بهذا .

(١-١) س : « من الله ورحمته » .
(٢) يقال : ماله ثفروق ، أى شىء وأصله قمع التمر ، أو ما يلتزق به قمعها .
(٣) و : « وأصحابك » .
(٤) س : « يده » .
(٥) أوضاحاً ، أى حلياً من فضة .
(٦) الفتخة : خاتم كبير يكون فى اليد والرجل .

١/١٥٧١ فقالت أبرهة : قد أمرنى الملك ألاّ آخذ منك شيئًا ؛ وأن أردّ إليك الذى أخذت منك ، فرددته وأنا صاحبة دُهن الملك وثيابه ، وقد صدّقتُ محمداً[1] رسول الله وآمنتُ به ؛ وحاجتى إليك أن تقرئيه منى السّلام .

قالت : نعم ؛ وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهنّ من عُود وعنبر ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عليها وعندها فلا ينكره .

قالت أمّ حبيبة : فخرجنا فى سفينتين ؛ وبعث معنا النّواتى حتى قدمنا الجار ، ثم ركبنا الظّهر إلى المدينة ؛ فوجدْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بخيْبر ، فخرج مَنْ خرج إليه ، وأقمت بالمدينة حتى قدِم رسولُ الله ؛ فدخلتُ إليه ، فكان يسائلنى عن النّجاشىّ ؛ وقرأت عليه من أبرهة السلام ، فردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ؛ ولما جاء أبا سفيانَ تزويجُ النبىّ صلىّ الله عليه وسلم أمّ حبيبة قال : ذلك الفحل لا يقدَعُ أنفه .

* * *

وفيها كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ، وبعث الكتاب مع عبد الله بن حُذافة السهمىّ ؛ فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من محمد رسول الله إلى كِسرى عظيم فارس . سلامٌ على مَن اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ؛ وشهد أن لا إله إلا الله ، وأنىّ رسول الله ، إلى الناس كافّة ، ليُنذِرَ مَنْ كان حَيًّا ؛ أسْلِمْ تسلَمْ ، فإنْ أبيت فعليك إثم المجوس .

فمزّق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : مُزِّق ملكه !

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن

/١٥٧٢ يزيد بن حبيب ، قال : وبعث عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، إلى كِسْرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كِسْرى عظيم فارس ؛ سلام عَلَى من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده

(١) س : « لمحمد » .

لا شريك له ؛ وأن محمداً عبده ورسوله ؛ وأدعوك بدعاء الله ؛ فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافّةً لأنذِر من كان حيّاً ويحقّ القول على الكافرين ، فأسلِم تَسلَم ، فإن أبيت ؛ فإن إثم المجوس عليك .

فلمّا قرأه مزّقه ، وقال : يكتب إلىّ هذا وهو عبدى !

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن الزُّهرىّ ، عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن بن عوف ؛ أن عبد الله بن حُذافة قدِمَ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كسرى ، فلمّا قرأه شقّه ، فقال رسول الله : مُزِّق ملكُه! حين بلغه أنه شقّ كتابه .

* * *

ثم رجع إلى حديث يزيد بن أبى حبيب . قال : ثمّ كتب كِسْرى إلى باذان ؛ وهو على اليمن : أن ابعث إلى هذا الرّجل الذى بالحجاز رجلَيْن من عندك جَلْدَيْن ، فلْيأتيانى به ؛ فبعث باذانَ قهرمانه وهو بابَوَيْه — وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس — وبعث معه رجلا من الفُرْس يقال له خُرّخُسره ، ١/١٥٧٣ وكتب معهما إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لبابويه : ائت بلد هذا الرجل ، وكلّمه وأتِنى بخبره ، فخرجا حتّى قدما الطائف فوجدا رجالا من قريش بنَخِب من أرض الطائف فسألاهم عنه ، فقالوا : هو بالمدينة ، واستبشروا بهما وفرحوا ؛ وقال بعضهم لبعض : أبشِرُوا فقد نَصِب[1] له كسرى ملك الملوك ، كُفِيتم الرجل !

فخرجا حتّى قَدِما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّمه بابويه ، فقال : إنّ شاهانشاه ملك الملوك كِسْرى ؛ قد كتب إلى الملك باذان ، يأمره أن يبعث إليك مَنْ يأتيه بك ؛ وقد بعثنى إليك لتنطلق معى ؛ فإن فعلتَ كتَب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفّه عنك ؛ وإن أبيتَ فهو من قد علمت ! فهو مهلكُك ومهلك قومك ، ومخرّب بلادك ؛ ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما ؛ فكره النظر إليهما ، ثم

(١) نصب : جد واهتم .

أقبل عليهما فقال: ويلكُما! مَنْ أمركما بهذا؟ قالا: أمرنا بهذا ربّنا — يعنيان كسرى — فقال رسول الله: لكنّ ربّى قد أمرنى بإعفاء لحيتى وقصّ شاربى.
ثم قال لهما: ارجعا حتى تأتيانى غداً، وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السّماءِ أنّ الله قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه؛ فقتله فى شهر كذا وكذا ليلة كذا وكذا من الليل؛ بعد ما مضى من الليل؛ سلّط عليه ابنُه شيرويه فقتله. ١/١٥٧٤

— قال الواقدىّ: قَتَل شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضيْن(١) من جمادى الأولى من سنة سبع لستّ ساعات مضت منها —

رجع الحديث إلى حديث محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبى حبيب. فدعاهما فأخبرهما، فقالا: هل تدرى ما تقول! إنا قد نَقِمْنا عليك ما هو أيسرُ من هذا؛ أفنكتب هذا عنك، ونخبره الملك! قال: نعم، أخبراه ذلك عنّى، وقولا له: إنّ دينى وسلطانى سيبلغُ ما بلغ ملك كسرى، وينتهى إلى منتهى الخُفّ والحافر؛ وقولا له: إنك إن أسْلمتَ أعطيْتُك ماتحت يدَيك؛ وملّكتُك على قومك من الأبناء؛ ثم أعطى خُرّ خسره مِنْطقة فيها ذهب وفضة، كان أهداها له بعض الملوك.

فخرجا من عنده حتى قدِما على باذان، فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام مَلِك، وإنّى لأرى الرّجل نبيّاً كما يقول؛ ولننظرنّ ماقد قال؛ فلئن كان هذا حقّاً ما فيه كلامٌ؛ إنه لنبى مُرْسَلٌ؛ وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا.

فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتابُ شيرويه؛ أما بعدُ فإنّى قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحلّ من قتل أشرافهم وتجميرهم(٢) فى ثغورهم؛ فإذا جاءك كتابى هذا فخذْ لى الطاعة ممّن قِبَلك؛ وانظر الرجل الذى كان كسرى كتب فيه إليك فلا تُهِجْه حتى يأتيَك أمرى فيه.

فلمّا انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال: إنّ هذا الرجل لرسولٌ. فأسلم وأسلمت الأبناءُ معه من فارس مَنْ كان منهم باليمن؛ فكانت حِمْيَر تقول ١/١٥٧٥

(١) و: «بقين».
(٢) التجمير: الحبس فى الثغور.

لخرّخُسره : ذو المِعْجَزَة ، للمنطقة التى أعطاه إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم —والمنطقة بلسان حمير المِعجَزة[١] —فبَنُوه اليوم ينسبون إليها خُرّخُسره ذو المِعْجَزَة .

وقد قال بابويه لباذان : ما كلّمت رجلاً قطّ أهيبَ عندى منه ، فقال له باذان : هل معه شُرَطٌ ؟ قال : لا .

* * *

قال الواقدىّ : وفيها كتب إلى المقوقس عظيم القِبْط ، يدعوه إلى الإسلام فلم يُسْلِم .

* * *

قال أبو جعفر : ولما رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم من غزوة الحديبية إلى المدينة أقام بها ذا الحجّة وبعض المحرّم — فيما حدثنا ابنُ حُمَيد قال : حدثنا سلَمة، عن ابن اسحاق .

قال : وولى الحجّ فى تلك السنة المشركون .

تم الجزء الثانى من تاريخ الطبرى ، ويليه
الجزء الثالث ، وأوله :
ذكر الأحداث الكائنة فى سنة سبع .

---

(١) المعجزة : المنطقة ؛ باليمانية ، وفى و : « المعجزة » .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الأحداث الكائنة فى سنة سبع من الهجرة

غزوة خَيْبَر

ثم دخلت سنة سبع ؛ فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم فى بقيّة المحرّم إلى خَيْبَر واستخلَف على المدينة سباع بن عُرْفطة الغفاريّ ، فمضى حتى نزل بجيشه بوادٍ يقال له الرَّجِيع ؛ فنزل بين أهل خَيْبر وبين غَطَفان — فيما حدّثنا ابن حُميد قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق — ليَحُول بينهم وبين أن يُمِدّوا أهلَ خيبر ؛ وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال : فبلغنى أنّ غَطَفان لما سمعتْ بمنزلِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من خَيْبر ، جَمَعُوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا يهودَ عليه ؛ حتى إذا ساروا مَنقَلةً[1] سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهاليهم حِسًّا ؛ ظنّوا أنّ القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعُوا على أعقابهم ؛ فأقاموا فى أهاليهم وأموالهم ؛ وخلَّوْا بين رسول الله وبين خَيْبَر ، وبدأ[2] رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالأموال يأخذها[3] مالاً مالا ، ويفتتحها[4] حِصْنًا حِصْنًا ؛ فكان أوّلَ حصونهم افتتح حصن ناعم ؛ وعنده قُتِل محمود بن مسلمة ؛ ألقيتْ عليه رحًا منه فقتلته ؛ ثم القَمُوص ؛ حصن ابن أبى الحُقَيق . وأصاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منهم سبَايا ؛ منهم صفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحُقيق ؛ وابْنتَىْ عمٍّ لها . فاصطفَى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم صفيّة لنفسه ، وكان دحية الكلبيّ قد سألَ رسولَ الله صفية ؛ فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتَىْ عمّها ؛ وفشت السبايا من خيبر[5] فى[6] المسلمين[7] .

١٥٧٦/١

(١) منقلة : مرحلة .
(٢) ابن هشام : « وتدنى » .
(٣) س : « وأخذها » .
(٤) س : « وفتحها » .
(٥) س : « وقسمت السبايا فى خيبر » .
(٦) س : « بين » .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٧

قال : ثم جعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يتدنّى[1] الحصون والأموال .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ؛ أنه حدّثه بعضُ أسلَم ؛ أنّ بني سهم مِنْ أسلَم ، أتوْا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقالوا : يا رسول الله ؛ والله لقد جُهِدْنا وما بأيدينا شيء ؛ فلم يجدُوا عند رسول الله شيئًا يعطيهم إياه ، فقال النبيّ : اللهمّ إنك قد عرفت حالَهم ، وأنْ ليست بهم قوة ؛ وأن ليس بيدى شيء أعطيهم إياه ؛ فافتح عليهم أعظمَ حصونِها[2] ، أكثرها طعاما وَوَدَكاً . فغدا النَّاس ، ففتح الله عليهم حِصْنَ الصَّعب بن معاذ ؛ وما بخيبر حصْنٌ كان أكثرَ طعاماً ووَدَكًا منه . ١٥٧٧/١

قال : ولما افتتح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مِنْ حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوْا إلى حصنهم الوَطِيح والسُّلالِم — وكان آخر حصون خَيْبر افتتح — حاصرَهم رسول الله بضعَ عشرة ليلة[3] .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سَهْل أخي بني حارثة ، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ ، قال : خرج مَرْحب اليهوديّ من حِصْنهم ؛ قد جمع سلاحه وهو يرتجز ؛ ويقول :

قد علمَتْ خَيْبَرُ أَنِّى مَرْحَبُ ... شاكِى السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ[4]

أَطْعَنُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ ... إِذَا اللُّيوثُ أَقْبلَتْ تَحَرَّبُ[5]

* كانَ حِمَايَ ، لَلْحِمَى لا يُقْرَبُ *

وهو يقول : هَلْ من مبارز ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : من لهذا ؟ فقام محمد بن مسلمة ؛ فقال : أنا له يا رسول الله ؛ أنا والله الموتور الثائر ؛ قتلوا أخي بالأمس ! قال : فقم إليه ؛ اللهمّ أعِنْه عليه .

فلما أن دنا كلُّ واحدمنهما مِن صاحبه ، دخلت بينهما شجرةٌ عُمْرِيَّةٌ[6]

---

(١) يتدنى ، أى يأخذ الأدنى فالأدنى .
(٢) س : « حصن لهم » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٨ .
(٤) شاكى السلاح : حادّة .
(٥) تحرب ، أى أقبلت مغضبة .
(٦) عمرية : قديمة .

من شجر العُشَر[١]؛ فجعل أحدُهما يلوذ بها مِن صاحبه ؛ فكلّما لاذ بها ١٠٧٨/١ اقتطع بسيفه منها ما دونه منها ؛ حتى برز كلٌّ واحدٍ منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرّجل القائم ، ما بينهما فَنَنٌ ؛ ثم حمل مَرحبٌ على محمد فضربه ؛ فاتقاه بالدّرقة فوقع سيفه فيها ؛ فعَضّتْ به فأمْسَكَتْه ، وضربه محمد ابن مسلمة حتى قتله[٢] .

ثمّ خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّى يَاسِرُ شاكِى السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَاوِرُ
إِذَا اللُّيُوثُ أَقْبَلَتْ تُبَادِرُ وَأَحْجَمَتْ عَنْ صَوْلَتِى المَغَاوِرُ
* إنّ حِمَاىَ فيه مَوْتٌ حَاضِرُ *

وحدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمد ابن إسحاق ، عن هشام بن عروة ؛ أنّ الزُّبَير بنَ العوّام خرج إلى ياسر ، فقالت أمّه صفيّة بنت عبد المطلب : أيقتُلُ ابنى يا رسول الله ؟ قال : بل ابنك يقتلُه إن شاء الله . فخرج الزّبير وهو يقول :

قد علمَتْ خَيْبَرُ أنِّى زبَّارْ[٣] قَرْمٌ لقوم غَيْرِ نِكْسٍ فرَّارْ
ابنُ حُمَاةِالمَجْدِ وابْنُ الأخْيَارْ[٤] يَاسِرُ لا يَغْرُرْكَ جَمْعُ الكُفَّار
* فَجَمْعُهم مثل السَّرَابِ الجرَّارْ *

ثم التقيا فقتله الزبير .

١٠٧٩/١

حدّثنا ابنُ بشّار ، قال : حدّثنا محمد بن جعفر ، قال : حدّثنا عَوْف ، عن ميمون أبى عبد الله ، أنّ عبد الله بن بُرَيدة حدّث عن بُرَيدة الأسلمىّ ، قال : لما كان حين[٥] نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحصن أهل خيبر ، أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللواءَ عمر بن الخطاب ، ونهض مَنْ نهض

---

(١) العشر : شجر أملس ضعيف العود . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٨، ٢٣٩ .
(٣) زبار ، من الزبر وهو القوة والمنعة . (٤) النويرى : « أين حماة المجد » .
(٥) س : « حيث » .

معه من الناس ؛ فلقوا أهل خيبر ؛ فانكشف عمر وأصحابه ، فرجعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ يجبّنه أصحابه ويجبّنهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأعطينّ اللواء غداً رجلا يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله. فلمّا كان من الغد تطاولَ لها[1] أبو بكر وعمر ؛ فدعا عليّاً عليه السلام وهو أرمد ، فتفل فى عينيه ، وأعطاه اللواءَ ؛ ونهض معه من الناس مَنْ نهض قال : فلقيَ أهل خيبر ؛ فإذا مرحب يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّى مَرْحبُ شاكِى السِّلاَحِ بَطَلٌ مجرَّبُ

أَطعَنُ أَحْيَاناً وحيناً أَضْرِبُ إِذَا اللُّيُوث أَقبلتْ تَلَهَّبُ

فاختلف هو وعلىٌّ ضربتين ؛ فضربه علىٌّ على هامَتِه ؛ حتى عضّ السيف منها بأضراسه[2] ؛ وسمع أهل العسكر صوت ضَرْبته[3] ؛ فما تتامَّ آخر الناس مع علىّ عليه السلام حتى فتح الله له ولهم .

حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا يونس بن بكير ، قال : حدّثنا المسيّب بن مسلِم الأودىّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن بُرَيدة ، عن أبيه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشَّقيقة[4] ، فيلبث اليوم واليومين لا يخرج. فلمّا نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس . وإن أبا بكر أخذ رايةَ رسول الله ؛ ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ؛ ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا شديداً هو أشدّ من القتال الأوّل ؛ ثم رجع فأخبِر بذلك رسول الله ، فقال : أما والله لأعطينّها غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، يأخذها[5] عنوة — قال: وليس ثَمّ علىّ عليه السلام — فتطاولت لها قريش، ورجا كلٌّ واحد منهم أن يكون صاحب ذلك ؛ ١٥٨٠/١

---

(١) و : « تطاولها » .

(٢) س : « باطن رأسه » .

(٣) س : « المضربة » .

(٤) الشقيقة : نوع من صداع يعرض فى مقدم الرأس أو إلى أحد جانبيه ، وفى الحديث : « احتجم وهو محرم من شقيقة » — اللسان .

(٥) س : « فأخذها » .

فأصبح فجاء على عليه السلام على بعيرٍ له ، حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو أرْمد، وقد عصب عينيه بشقّة بُرْد قِطْرِىّ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : مالك ؟ قال : رمِدْتُ بعد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادنُ منّى، فدنا فتفَل فى عينيه، فما وجِعهما[1] حتى مضى لسبيله . ثم أعطاه الراية ؛ فنهض بها معه وعليه حُلّة أرجوان حمراء قد اخرجّ خَمْلُها[2]. فأتى مدينة خيبر ؛ وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مِغْفرٌ مُعَصْفَرٌ يمانٍ ، وحجرٌ قد ثقَبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمتْ خيبر أنّى مرحبُ شاكِى السِّلاحِ بَطَلٌ مجرَّبُ

فقال على عليه السلام :

أَنَا الذى سَمَّتْنِى أُمِّى حَيْدَرَهْ أَكِيلُكم بالسيفِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ[3]

لَيْثٌ بغاباتٍ شَدِيدٌ قَسْوَرَهْ

فاختلفا ضربتين ؛ فبدره علىٌّ فضربه ، فقدّ الحجرَ والمِغْفرَ ورأسَه ؛ حتى وقع فى الأضراس . وأخذ المدينة . ١/١٥٨١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن الحسن ؛ عن بعض أهله ، عن أبى رافع مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع علىّ بن أبى طالب حين بعثَه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم برايته؛ فلمّا دنا مِن الحِصْن خرج إليه أهلُه ؛ فقاتلهم فضربه رجل من اليهود ، فطرح تُرْسَه من يده ؛ فتناول علىٌّ رضى الله عنه باباً كان عند الحصن ، فترّس به عن نفسه، فلم يزل فى يده وهو يقاتل ؛ حتى فتح الله عليه؛ ثم ألقاه من يده حين فرغ ؛ فلقد رأيتُنى فى نفر سبعة أنا ثامنهم، نجهد على أن نَقْلِبَ ذلك الباب فما نَقلِبُه[4].

حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق ، قال : ولما

(١) ط : «وجعها» ، و : «رجعها» ، وما أثبته من النويرى .
(٢) الخمل : هدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول .
(٣) السندرة : مكيال كبير .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٩ .

فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القَمُوص، حصن ابن أبي الحُقَيق، أتِيَ رسول الله بصفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب، وبأخرى معها؛ فمرّ بهما بلال — وهو الذي جاء بهما — على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفيّة صاحت وصكّتْ وجهها، وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسولُ الله قال: أغرِبوا[1] عني هذه الشيطانة؛ وأمر بصفيّة فحِيزت خلفَه، وألقِيَ عليها رداؤُه، فعرف المسلمون أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لبلال — فيما بلغني — حين رأى من تلك اليهودية[2] ما رأى: أنُزِعَتْ منك الرحمة يا بلال؛ حيث تمرُّ بامرأتين على قتلى رجالهما! وكانت صفيّة قد رأت في المنام وهي عروسٌ بكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق؛ أن قمرًا وقع في حجرها؛ فعرضت رؤياها على زوْجها فقال: ما هذا إلا أنّك تمنّيْن ملك الحجاز محمداً، فلطَم وجهَها لطمةً اخضرَّتْ عينها منها؛ فأتِيَ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثرٌ منها، فسألها: ما هو؟ فأخبرته هذا الخبر.

١٥٨٢/١

قال ابن إسحاق: وأتِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق — وكان عنده كنز بني النَّضير — فسأله فجحَد أن يكون يعلم مكانه؛ فأتِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم برجل من يهود؛ فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني قد رأيت كِنانة يُطِيفُ بهذه الخَرِبَة كلّ غداة. فقال رسول الله لكنانة: أرأيتَ إن وَجَدْناه عندك، أأقتلك؟ قال: نعم؛ فأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالخربة فحُفِرَتْ؛ فأخرج منها بعض كنزهم؛ ثم سأله ما بقي، فأبى أنْ يؤديَه، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبيرَ بن العوام، فقال: عذِّبه حتى تستأصل ما عنده؛ فكان الزبير يقدح بزنده في صدرِه حتى أشرف على نفسه؛ ثم دفعه رسولُ الله إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة. وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ خيبر في حصنَيْهم، الوطيح والسُّلالم؛ حتى إذا أيقنوا بالهلَكة[3] سألوه

---

(١) أغربوا: أبعدوا.

(٢) س: «اليهود»، وفي ابن هشام: «بتلك».

(٣) س: «الهلاك».

أن يسيّرهم ويحقن لهم دماءهم ؛ ففعل . وكان رسول الله قد حاز الأموال كلها : الشِّقّ ونطاة والكتيبة ؛ وجميع حصونهم إلّا ما كان من ذينك الحصنين . ١٥٨٣/١
فلما سمع بهم أهل فَدَك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يسيّرهم ويحقن دماءهم لهم ، ويخلُّوا له الأموال، ففعل ، وكان فيمن مشى بينهم وبين رسول الله فى ذلك مُحيّصة بن مسعود؛ أخو بنى حارثة؛ فلما نزل أهلُ خيبر على ذلك ؛ سألوا رسول الله أن يعاملهم بالأموال على النِّصْف ، وقالوا : نحن أعلمُ بها منكم ؛ وأعمرُ لها ؛ فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على النِّصف ؛ على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ وصالحه أهل فَدَك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فيئاً للمسلمين ، وكانت فَدَك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم لم يجلبوا[1] عليها بخيل ولا ركاب .
فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلّام بن مِشْكم شاةً مصليّة[2] ؛ وقد سألت : أىّ عضو من الشاة أحبُّ إلى رسول الله ؟ فقيل لها : الذراع ؛ فأكثرتْ فيها السمّ ، فسمّتْ سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتْها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذِّراع ؛ فأخذها فلاكَ منها مُضغة فلم يُسِغها؛ ومعه بِشْر بن البَراء ابن معرور؛ وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ، فأما بِشْر فأساغها ؛ وأما رسول الله فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرُنى أنه مسمُومٌ ؛ ثم دعا بها فاعترفت ، فقال : ما حملكِ على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومى ما لم يخفَ عليك ، فقلتُ : إن كان نبيًّا فسيُخبَر ؛ وإن كان ملِكًا استرحتُ منه ؛ فتجاوز عنها النبىّ صلى الله عليه وسلم. ومات بشر بن البَراء من إكلته التى أكل[3] . ١٥٨٤/١

حدّثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ؛ عن مَرْوان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلّى ، قال : وقد كان رسول الله صلى الله

(١) و : « يوجفوا » .
(٢) مصلية : مشوية .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٠ ، ٢٤١

عليه وسلم قال فى مرضه الذى تُوفِّىَ فيه — ودخلتْ عليه أمّ بشر بن البرَاء تعوده : يا أمّ بِشْر ، إنّ هذا الأوانَ وجدت انقطاع أبْهَرِى من الأكْلة التى أكلتُ مع ابنك بخيبر .

قال : وكان المسلمون يروْن أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوّة .

قال ابن إسحاق : فلمّا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى القُرى فحاصر أهله ليالىَ ، ثمّ انصرف راجعًا إلى المدينة .

* * *

ذكر غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى القرى

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن ثور ابن زيد ، عن سالم مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبى هريرة ، قال : لمّا انصرفنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من خيبر إلى وادى القرى ، نزلْنا أصُلاً مع مغارِب الشمس ، ومع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غلامٌ له ؛ أهداه إليه رفاعة بن زيد الجُذامىّ، ثم الضُّبَيْبىّ[1] ؛ فوالله إنا لنضع رَحْلَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذ أتاه سهمٌ غرَب[2] ؛ فأصابه فقتله، فقلنا : هنيئًا له الجنّة ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : كلا والذى نفس محمد بيده ؛ إنّ شَمْلتَه الآن لتُحرَقُ عليه فى النار . قال : وكان غلّها من فىْء المسلمين يوم خيبر . ١٥٨٥/١

قال : فسمعها رجلٌ من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأتاه ، فقال : يا رسولَ الله ، أصبتُ شِرَاكيْن لنعليْن لى ، قال : فقال : يُقَدُّ لك مثلهما من النار[3] .

وفى هذه السّفرة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه عن صلاة الصبح حتّى طلعت الشمس ؛ حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق،

---

(١) الضبيبى ، من الضبيب بن جذام ، له صحبة . وفى ابن هشام : « الضبينى » .

(٢) سهم غرب : لا يدرى راميه .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤١ .

عن الزهرىّ، عن سعيد بن المسيّب، قال: لمّا انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من خيبر، وكان ببعض الطريق، قال مِنْ آخر الليل: مَنْ رجلٌ يحفظ علينا الفجر، لعلّنا ننام؟ فقال بلال: أنا يا رسول الله أحفظ لك؛ فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ونزل الناس فناموا؛ وقام بلال يصلى، فصلّى ما شاء الله أن يُصلّى ثم استند إلى بعيره؛ واستقبل الفجر يرمقُه؛ فغلبته عينه، فنام فلم يُوقِظْهم إلا مسُّ الشمس؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّلَ أصحابه هبّ من نومه، فقال: ماذا صنعت بنا يا بلال! فقال: يا رسولَ الله، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك، قال: صدقت. ثم اقتاد رسول الله غيرَ كثير، ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة، فصلّى بالناس، فلمّا سلّم أقبل على الناس، فقال: إذا نسيتمُ الصلاة فصلّوها إذا ذكرتموها، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى ﴾[1].

قال ابن إسحاق: وكان فتْح خيبر فى صفر.

١٥٨٦/١

قال: وشهد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نساء من نساء المسلمين، فرضَخَ[2] لهنّ رسول الله من الفَىْء ولم يضربْ لهنّ بسهم.

* * *

[أمر الحجاج بن علاط السُّلَمِى]

قال: ولما فتِحت خيبر قال الحجّاج بن عِلاَط السُّلَمىّ ثم البَهْزىّ لرسول الله صلّى الله عليه وسلم: يا رسول الله؛ إنّ لى مالاً بمكة عند صاحبتى أمّ شيبة بنت أبى طلحة — وكانت عنده، له منها مُعَرَّض بن الحجاج — ومال متفرّق فى تجار أهل مكة، فأذنْ لى يا رسولَ الله. فأذِن له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم قال: إنه لا بدّ لى من أن أقول، قال: قل، قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة، فوجدت بثنيّة البيضاء رجالاً من قريش يتسمّعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله، وقد بلغهم أنه قد سار

(١) سورة طه ١٤، والخبر فى ابن هشام ٢: ٢٤١، ٢٤٢
(٢) رضخ: أعطى.

إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ؛ ريفاً ومنعة ورجالا ، فهم يتحسّسون الأخبار ؛ فلما رأونى قالوا : الحجاج بن علاط — ولم يكونوا علموا بإسلامى — عنده والله الخبَر ! أخبِرْنا بأمرِ محمد ، فإنه قد بلَغنا أن القاطع قد سار إلى خيْبر ؛ وهى بلدة يهود وريف الحجاز . قال : قلتُ : قد بلغنى ذلك ، وعندى من الخبر ما يسرّكم . قال : فالتاطوا[1] بجَنْبَىْ ناقتى يقولون : إيه ياحجّاج! قال: قلت: هُزِمُوا هزيمةً لم تسمعوا بمثلها قطّ؛ وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قطّ ، وأُسِرَ محمدٌ أسراً ، وقالوا : لن نقتلَه حتى نبعثَ به إلى مكّة فيقتلوه بين أظهرهم بمَنْ كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا فصاحوا بمكّة وقالوا : قد جاءكم الخبَر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقْدَم به عليكم فيُقتَل بين أظهرِكم . قال : قلت: أعينونِى على جمع مالى بمكّة على غرَمائى ؛ فإنّى أريد أن أقدَم خيبر ،فأصيب من فَلّ[2] محمد وأصحابه قبل أن يسبِقَنى التجار إلى ما هنالك .

قال : فقاموا فجمعوا مالى كأحثّ جَمْع سمعت به . فجئت صاحبتى فقلت : مالى — وقد كان لى عندها مال موضوع — لعلى ألحق بخيبْر ؛ فأصيب من فُرَص البيع قبل أن يسبِقَنِى إليه التجار . فلما سمع العباس بن عبدالمطلب الخبرَ وجاءه عنّى ، أقبل حتى وقف إلى جنبى ؛ وأنا فى خيمةٍ من خيام التجّار ، فقال : يا حجّاج ، ما هذا الذى جئت به؟ قال: قلت: وهلْ عندك حِفْظٌ لما وضعت عندك ؟ قال: نعم ، قلت: فاستأخِرْ عَنّى حتى ألقاك على خَلاء ، فإنى فى جَمْع مالى كما ترى؛ فانصرفَ عنى حتى إذا فرغتُ من جَمْع كلّ شىء كان لى بمكة ، وأجمعت الخروجَ ، لقيت العبّاس ، فقلت: احفظ علىّ حديثى يا أبا الفضل ؛ فإنّى أخشى الطّلَب ثلاثاً ، ثم قل ما شئت. قال: أفعل، قال: قلتُ فإنّى والله لقد تركتُ ابنَ أخيك عروساً على ابنة ملِكهم — يعنى صفيّة بنت حيى ابن أخطب — ولقد افتتح خيبر ، وانتثل ما فيها ؛ وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجّاج ! قال : قلت : إى والله ؛ فاكتم علىّ ؛ ولقد أسلمت

١٠٨٧/١

١٠٨٨/١

---

(١) التاطوا : التصقوا ، وفى ابن هشام : « التبطوا » ، أى مشوا إلى جنبها ملازمين لها .

(٢) الفل : القوم المنهزمون . قال ابن هشام : « ويقال : من فىء محمد » .

وما جئت إلاّ لآخذ مالى فَرَقًا من أن أغلَب عليه، فإذا مضت ثلاثٌ فأظهِرْ أمرَك؛ فهو والله على ما تحبّ. قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حُلّةً له، وتخلّقَ وأخذ عصاه؛ ثم خرج حتى أتى الكعبةَ، فطاف بها؛ فلما رأوْه قالوا: يا أبا الفضل؛ هذا والله التجلّد لحرِّ المصيبة! قال: كلا والذى حلفتم به! لقد افتتحَ محمدٌ خيبر، وتُرِك عروسا على ابنة ملكهم، وأحرز أموالها وما فيها؛ فأصبحَتْ له ولأصحابه. قالوا: مَنْ جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذى جاءكم بما جاءكم به؛ لقد دخل عليكم مسلمًا، وأخذ مالَه وانطلق ليلحقَ برسول الله وأصحابه فيكون معه، قالوا: يالَ عبَاد الله! أفلت عدوُّ الله! أما والله لو علمْنَا لكان لنا وله شأنٌ، ولم ينشَبُوا[1] أن جاءهم الخبر بذلك[2].

* * *

[ذكر مقاسم خيبر وأموالها]

حدثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدّثنى عبد الله بن أبى بكر، قال: كانت المقاسم على أموال خيبر على الشِّقّ ونَطَاة والكَتِيبَة؛ فكانت الشِّقُّ ونَطاة فى سُهمان المسلمين، وكانت الكتيبةُ خمس الله عزّ وجلّ وخُمْس النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ وسهم ذوِى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وطُعْمُ أزواج النبيّ، ١٥٨٩/١ وطعم رجال مَشَوْا بين رسول الله وبين أهل فَدَك بالصُّلْح؛ منهم مُحَيِّصَةُ ابن مسعود، أعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثين وَسْق شعير، وثلاثين وَسْق تمر. وقُسِمَتْ خيبر على أهل الحديبيَة؛ مَنْ شهد منهم خيبر ومن غاب عنها، ولم يَغِبْ عنها إلاّ جابر بن عبد الله بن حَرام الأنصاريّ، فقسم له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كسهم مَنْ حضرها.

---

(١) لم ينشبوا: لم يلبثوا غير قليل.

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢٤٤، ٢٤٥.

قال : ولما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خَيْبر قذف الله الرُّعب فى قلوب أهل فَدَك حين بلغهم ما أوقع الله بأهل خيبر ؛ فبعثوا إلى رسول الله يُصَالحونه على النِّصف من فَدَك، فقدمتْ عليه رُسُلهم بخيْبر أو بالطائف[١]، وإمّا بعد ما قدِم المدينة . فقبل ذلك منهم ؛ فكانت فَدَك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّة ، لأنه لم يُوجِفْ[٢] عليها بخيل ولا ركاب[٣] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبعثُ إلى أهل خَيْبر عبدَ الله بن رواحة خارصًا[٤] بين المسلمين ويهود ، فيَخْرُص عليهم ؛ فإذا قالوا : تعدّيت علينا ، قال : إن شئتم فلكم ؛ وإن شئتم فلنا ؛ فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

وإنما خرَص عليهم عبد الله بن رواحة ؛ ثم أصيب بمُؤتة ، فكان جبّار بن صَخْر بن خنساء ، أخُو بنى سلِمة ؛ هو الذى يخرُص عليهم بعد عبد الله بن رواحة ، فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسًا فى معاملتهم ؛ حتى عَدوْا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله ابن سهل ، أخى بنى حارثة ؛ فقتلوه ، فاتّهمهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه[٥] .

١/١٥٩٠

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سألتُ ابنَ شهاب الزُّهرىّ : كيف كان إعطاء رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يهودَ خيبر نخيلهم حين أعطاهم النّخل على خَرْجها ؟ أبَتّ ذلك لهم حتى قُبض ، أم أعطاهم إياها لضرورة من غير ذلك ؟

فأخبرنى ابنُ شهاب أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عَنْوةً بعد القتال ؛ وكانت خيبر مما أفاء الله على رسوله ؛ خمّسها رَسول الله وقسّمها

---

(١) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « بالطريق » .

(٢) الإيجاف : سرعة السير ، والركاب هنا : الإبل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٦ ، ٢٤٧

(٤) الخارص : الذى يحزر ما على النخل والكرم من ثمر ؛ وهو من الخرص ؛ أى الظن .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٨

بين المسلمين ، ونزل مَنْ نزل[١] من أهلها على الإجْلاءِ بعد القتال ؛ فدعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن شئتم دفعنا إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم ؛ وأقِرُّكم ما أقرّكم الله. فقبِلوا[٢] ، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبدَالله بن رواحة فيَقْسِم ثُمَرَها ، ويعدل عليهم في الخرْص ؛ فلما تَوفّى الله عزّ وجلّ نبيَّه صلى الله عليه وسلم أقرّها أبو بكر بعد النبيّ في أيديهم على المعاملة التي كان عاملهم عليها رسول الله حتى توفّيَ ، ثم أقرّها عمر صَدْرًا من إمارته ؛ ثمّ بلغ عمرَ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجَعِه الذي قبض فيه : لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دِينان ، ففحَص عمر عن ذلك حتى بلغه الثَّبَتُ ، فأرسَلَ إلى يهود أنّ الله قد أذِنَ في إجلائكم ؛ فقد بلغني أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان ، فمن كان عنده عهدٌ من رسول الله فليأتِني به أنفذه له ؛ ومَنْ لم يكن عنده عهدٌ من رسول الله من اليهود فليتجهّزْ للجلاء ؛ فأجلى عمر مَنْ لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم[٣] .

١٥٩١/١

قال أبو جعفر : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

* * *

قال الواقديّ : في هذه السنة ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ابنته على أبي العاص بن الربيع ؛ وذلك في المحرّم .

قال : وفيها قَدِمَ حاطبُ بن أبي بَلْتَعة من عند المُقَوْقس بمارية وأختها سيرين وبغلته دُلْدُل وحِمَاره يَعْفُور وكُسًا ؛ وبعث[٤] معهما بخَصيّ فكان معهما ، وكان حاطب قد دعاهما إلى الإسلام قبل أن يقدم بهما[٥] ؛ فأسلمت هي وأختها ، فأنزلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمّ سُلَيْم بنت مِلْحَان — وكانت ماريَة وضيئة — قال : فبعث النبيّ صلى الله عليه

(١) س : « وترك من ترك » .
(٢) س : « فقبلوه » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٩
(٤) و : « وأرسل » .
(٥) س : « للناس » .

وسلم بأختها سيرين إلى حسان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان .

قال : وفى هذه السنة اتّخذ النبىّ صلى الله عليه وسلم مِنْبره الذى كان يخطبُ الناس عليه ، واتخذ دَرَجتَيْن ومقعده .

قال : ويقال إنه عمل فى سنة ثمان . قال : وهو الثبَتُ عندنا .

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرَ بن الخطاب فى ثلاثين رجلا إلى عَجُز هوازن بتُرَبَةَ ، فخرج بدليل له من بنى هلال ؛ وكانوا ١/١٥٩٢ يسيرون الليل ، ويكمُنون النهار ، فأتى الخبرُ هوازنَ فهربوا ؛ فلم يلق كيداً ، ورجع .

قال : وفيها سريّة أبى بكر بن أبى قُحافة فى شعبان إلى نجد ؛ قال سلَمة ابن الأكوع : غزونا مع أبى بكر فى تلك السنة .

قال أبو جعفر : قد مضى خبرها قبل .

قال الواقدىّ : وفيها سريّة بَشير بن سعد إلى بنى مُرّة بفدَك فى شعبان فى ثلاثين رجلا ، فأصيب أصحابه وارْتُثَّ فى القتلى ، ثم رجع إلى المدينة .

* * *

قال أبو جعفر : وفيها سريّة غالب بن عبد الله فى شهر رمضان إلى المَيْفَعة ؛ فحدّثنا ابنُ حُميد قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : بعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم غالبَ ابن عبد الله الكلبىّ إلى أرض بنى مرّة ، فأصاب بها مِرْداس بن نَهيك حليفاً لهم من الُحرَقة من جُهَيْنة ؛ قتله أسامة بن زيد ورجلٌ من الأنصار .

قال أسامة : لمّا غشِيناه ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ فلم ننزع عنه حتى قتلناه ؛ فلما قدمنا على رسول الله أخبرناه الخبر ؛ فقال : يا أسامة ، مَنْ لك بلا إله إلا الله !

* * *

١/١٥٩٣ قال الواقدىّ : وفيها سريّة غالب بن عبد الله إلى بنى عبد بن ثعلبة ؛ ذكر أن عبد الله بن جعفر حدّثه عن ابن أبى عون ، عن يعقوب بن عتبة ، قال :

قال يسار مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسولَ الله ؛ إنى أعلم غِرّةً من بنى عبد بن ثعلبة ، فأرسل معه غالب بن عبد الله فى مائة وثلاثين رجلا ؛ حتى أغاروا على بنى عبد ، فاستاقوا النَّعمَ والشاء ، وحَدَرُوها إلى المدينة .

* * *

قال : وفيها سريّة بشير بن سعد إلى يُمْن وجِناب ، فى شوّال من سنة سبع ، ذكر أن يحيى بن عبد العزيز بن سعيد حدّثه عن سعد بن عبادة ، عن بشير بن محمد بن عبد الله بن زيد ، قال : الذى أهاج هذه السريّة أن حُسَيْل بن نويرة الأشجعىّ — وكان دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر — قدِم على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما وراءك ؟ قال : تركت جمعاً من غَطَفان بالجِناب قد بعث إليهم عُيينة بن حِصْن ليسيروا إليكم ، فدعا رسول الله بشيرَ بن سعد ، وخرج معه الدليل حُسَيل بن نويرة ، فأصابوا نَعَماً وشاءً ؛ ولقيَهم عبدٌ لعُيينة بن حِصْن فقتلوه ، ثم لقوا جمع عُيَيْنة ؛ فانهزم ، فلقيَه الحارث بن عوف منهزماً ، فقال : قد آن لك يا عيينة أن تقصر عما ترى .

* * *

[عمرة القضاء]

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لمّا رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خَيْبر ، أقام بها شهر ربيع الأوّل وشهر ربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبانَ ١٥٩٤/١ وشهر رمضان وشوّالا ؛ يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ، ثم خرج فى ذى القَعْدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمراً عُمْرة القضاء مكان عُمرته التى صدّوه عنها ؛ وخرج معه المسلمون ممّن كان معه فى عُمْرته تلك ، وهى سنة سبع ؛ فلما سمِع به أهلُ مكة خرجوا عنه ؛ وتحدّثَتْ قريش بينها أنّ محمداً وأصحابه فى عسْر وجُهْد وحاجة[1] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٤ .

الحسن بن عُمارة ، عن الحكَم بن عُتَيْبة ، عن مِقسَم ، عن ابن عباس ، قال : اصطفُّوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دار النَّدْوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسولُ الله المسجد ، اضطبع[1] بردائه ، وأخرج عَضُدَه اليمنى ، ثم قال : رَحِمَ الله امرأً أراهُم اليوم من نفسه قُوَّةً ! ثم استلم الركن. وخرج يُهَرْوِلُ ويهرول أصحابه معه حتى إذا واراهُ البيت منهم ؛ واستلم الرّكْن اليمانىّ مشى حتى يستلم الأسود ، ثم هَرْوَل كذلك ثلاثة أطواف ؛ ومشى سائرها .

وكان ابن عباس يقول : كان النّاس يظنُّون أنها ليستْ عليهم ؛ وذلك أنّ رسولَ الله إنما صنعها لهذا الحىّ من قريش للّذِى بلغه عنهم ؛ حتى حج حجّة الوداع ، فرَمَلَها ، فمضت السنّة بها[2] .

١/١٥٩٥ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بَكْر ؛ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكّة فى تلك العُمرة ، دخلها وعبد الله بن رواحة آخذٌ بخِطام ناقته ؛ وهو يقول :

خَلُّوا بنى الكُفَّارِ عن سَبِيلِهْ ... إنِّى شَهِيدٌ أنَّه رَسُولُهْ

خَلوا فكلُّ الخيْرِ فى رسولِهْ ... يا رَبِّ إنِّى مُؤْمِنٌ بقيلهْ

أعْرِفُ حَقَّ الله فى قَبُولِهْ ... نَحْنُ قَتَلْناكم على تأويلهْ[3]

كما قَتَلْناكم على تَنْزِيلهْ ... ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عن مَقِيلِهْ

* ويُذْهِلُ الخليلَ عن خَلِيلِهْ[4] *

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ،

(١) فى اللسان : « اضطبع الشىء : أدخله تحت ضَبعيه ؛ والاضطباع الذى يؤمر به الطائف بالبيت أن تدخل الرداء من تحت الإبط الأيمن وتغطى به الأيسر كالرجل يريد أن يعالج أمراً فيتهيأ له ، يقال : قد اضطبعت بثوبه ؛ وهو مأخوذ من الضبع ؛ وهو العضد ؛ ومنه الحديث : « أنه طاف مضطبعاً وعليه برد أخضر » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٤ . (٣) قال السهيلى : ويروى : « اليوم نضربكم على تأويله » ، بسكون الباء ؛ وهو جائز فى الضرورة .

(٤) قال السهيلى : « وهذان البيتان الأخيران هما لعمار بن ياسر ؛ كما قال ابن هشام ؛ قالهما يوم صفين وهو اليوم الذى قتل فيه عمار ؛ قتله أبو الغادية الفزارى وابن جزء ؛ اشتركا فيه » .

عن أبان بن صالح وعبد الله بن أبى نَجِيح ، عن عطاء بن رَبَاح ومجاهد ، عن ابن عباس ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تزوّج ميمونة بنت الحارث فى سفره ذلك ؛ وهو حرامٌ ؛ وكان الذى زوّجه إياها العباس بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكّة ثلاثاً ، فأتاه حُوَيْطِبُ بن عبد العزّى بن أبى قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ، فى نفر من قريش فى اليوم الثالث ، وكانت قريش وكّلَتْه بإخراج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من مكة ، فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنّا ، فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ما عليكم لو تركتمونى فأعْرَسْتُ بين أظهركم فصنعنا لكم طعامًا فحضرتموه ! قالوا : لا حاجة لنا فى طعامك فاخرج عنّا . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلّف أبا رافع مولاه على ميمونة ؛ حتى أتاه بها بسَرِف ، فبنى عليها رسول الله هنالك ، وأمر رسول الله أن يُبْدِلوا الْهَدْىَ وأبدَل معهم ، فعزّتْ عليهم الإبل فرخّص لهم فى البقر ؛ ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة فى ذى الحجة ، فأقام بها بقيّة ذى الحجة — وولى تلك الحجة المشركون — والمحرم وصفرا وشهرَىْ ربيع ؛ وبعث فى جمادى الأولى بعثَه إلى الشأم الذين أصيبوا بمؤتة .

١٥٩٦/١

وقال الواقدىّ : حدّثنى ابن أبى ذئب ، عن الزهرىّ ، قال : أمرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يعتمروا فى قابل قضاء لعُمْرَة الحديبية ، وأن يهدوا .

قال : وحدّثنى عبدُ الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال : لم تكُنْ هذه العمرة قضاءً ، ولكن كان شرط على المسلمين أن يعتمروا قابلاً فى الشهر الذى صدّهُم المشركون فيه .

قال الواقدىّ : قول ابن أبى ذئب أحبُّ إلينا ، لأنهم أحصِروا ولم يَصِلوا إلى البيت .

وقال الواقدىّ : وحدّثنى عُبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب ، عن محمد ابن إبراهيم ، قال : ساقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضية ستين بَدَنَة .

١٥٩٧/١

قال : وحدّثنى مُعاذ بن محمد الأنصارىّ ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حمل السلاح والبيض والرّماح ، وقاد مائة فرس ، واستعمل على السلاح بشيرَ بن سعد ، وعلى الخيل محمد بن مَسْلَمة ، فبلغ ذلك قريشًا فراعهم ؛ فأرسلوا مِكْرز بن حفص بن الأخيَف ، فلقيه بمَرّ الظّهْران ، فقال له : ما عُرِفتَ صغيراً ولا كبيراً إلاّ بالوفاء ؛ وما أريد إدخال السلاح عليهم ؛ ولكن يكون قريبًا إلىّ . فرجع إلى قريش فأخبرهم .

* * *

قال الواقدىّ : وفيها كانت غزوة ابن أبى العوْجاء[1] السُّلَمِىّ إلى بنى سُلَيم فى ذى القعْدة ؛ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم بعد ما رجع من مكة فى خمسين رجلاً ، فخرج إليهم .

قال أبو جعفر : فلقيه — فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر — بنو سليم ، فأصيب بها هو وأصحابه جميعًا .

قال أبو جعفر : أما الواقدىّ فإنه زعم أنه نجا ورجع إلى المدينة ، وأصيب أصحابه .

---

(١) ر : « أبى العوجاء » .

ثم دخلت سنة ثمان من الهجرة

ففيها توفِّيتْ — فيما زعم الواقدىّ — زينْب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن يحيى بن عبد الله بن أبى قتادة ، عن عبد الله بن أبى بكر .

* * *

[خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوّح]

قال : وفيها أغزى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غالبَ بن عبد الله الليثى فى صفر إلى الكَدِيد إلى بنى الملوّح .

١/١٥٩٨

قال أبو جعفر : وكان من خبر هذه السريّة وغالب بن عبد الله ؛ ماحدّثنى إبراهيم بن سَعِيد الجوهرىّ وسعيد بن يحيى بن سعيد — قال إبراهيم : حدّثنى يحيى بن سعيد ، وقال سعيد بن يحيى : حدّثنى أبى — وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ؛ جَميعاً عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى يعقوب ابن عُتْبة بن المغيرة ، عن مُسْلِم بن عبدالله بن خُبَيْب الجُهَنىّ ، عن جندب ابن مكيث الجهنىّ ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبدالله الكلبىّ ؛ كلب ليث ، إلى بنى الملوّح بالكَدِيد ، وأمره أن يُغير عليهم ، فخرج — وكنت فى سريّته — فضينا ؛ حتى إذا كنا بقُدَيد لقينا بها الحارث ابن مالك — وهو ابن البَرْصاء الليثىّ — فأخذناه فقال : إنىّ إنما جئت لأُسلِم ؛ فقال غالبُ بن عبد الله : إن كنت إنّما جئت مسلماً ، فلنْ يضرّك رِباطُ يوم وليلة ؛ وإن كنتَ على غير ذلك استوثقنا منك . قال : فأوثقه رباطاً ثم خلّف عليه رُوَيْجلا أسود كان معنا ، فقال : امكث معه حتى نمرّ عليك ، فإنْ نازعَك فاحتزّ رَأسَه . قال : ثمّ مضينا حتى أتينا بطن الكَدِيد ، فنزلنا عُشَيْشِيَةً بعد العصر ، فبعثنى أصحابى رَبِيئَةً ، فعَمَدْتُ إلى تلّ يطلعنى على الحاضر[1] ، فانبطحت عليه — وذلك قُبَيْلَ المغرب — فخرج منهم رجل ، فنظر فرآنى منبطحاً على التلّ ، فقال لامرأته : والله إنّى لأرى على هذا التلّ سواداً ما كنت رأيته أوّل النهار ؛ فانظِرى لا تكون الكلاب

١/١٥٩٩

(١) الحاضر : الحىّ إذا حضر .

جرّت بعض أوعيتك . فنظرتْ فقالت : والله ما أفقد شيئًا . قال : فناولِينى قوسى وسهمين من نَبْلى ، فناولته فرمانى بسهْم فوضعه فى جنبى . قال : فنزعتهُ فوضعته ، ولم أتحرّك . ثمّ رمانى بالآخر ، فوضعه فى رأس منكبى ، فنزعته فوضعته ولم أتحرّك . فقال : أما والله لقد خالطه سهمایَ ، ولو كان ربيئة[1] لتحرّك ؛ فإذا أصبحت فاتّبعى سهمىّ فخذِيهما لا تمضغهما على الكلاب ، قال : فأمهلناهم حتى راحت رائحتُهم ، حتى إذا احتلبوا وعطنوا سكنوا ، وذهبت عَتَمةٌ[2] من الليل شننّا عليهم الغارة ، فقتلنا مَنْ قتلنا واستقْنا النّعم ؛ فوجّهنا قافلين ؛ وخرج صَرِيخُ القوم إلى القوم مُغَوِّثاً[3] . قال : وخرجنا سِراعًا حتى نمرّ بالحارث بن مالك ؛ ابن البرصاء ، وصاحبه ؛ فانطلقنا به معنا ، وأتانا صَرِيخ الناس ، فجاءنا ما لا قبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلاّ بطنُ الوادى مِنْ قُدَيْد ، بعثَ الله عزّ وجلّ من حيث شاء سحابًا ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا خالاً ، فجاء بما لا يقدر أحدٌ أن يقدم عليه ؛ فلقد رأيناهم ينظرون إلينا ، ما يقدِرُ أحدٌ منهم أن يقدم ولا يتقدّم ؛ ونحن نحدوها سراعًا ؛ حتى أسندناها فى المشلّل ؛ ثم حدرناها عنها ، فأعجزنا القوم بما فى أيدينا ، فما أنسى قولَ راجزٍ من المسلمين ؛ وهو يحدوها فى أعقابها ، ويقول : ١/١٦٠٠

أَبَى أبو القاسم أنْ تَعَزَّبى[4] فى خَضِلٍ نَباتُه مُغْلَوْلِبِ[5]

* صُفْرٍ أعاليه كلَوْنِ المُذْهَبِ *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن رجل من أسلم ، عن شيخ منهم ، أن شِعارَ أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة كان : أمِتْ أمِتْ[6] .

قال الواقدىّ : كانت سرّية غالب بن عبد الله بضعةَ عشرَ رجلاً .

* * *

(١) الربيئة : الطليعة . (٢) العتمة : ثلث الليل الأول .
(٣) غوث الرجل ؛ إذا قال : واغوثاه ! (٤) تعزبت الإبل : إذا غابت فى المرعى .
(٥) الخضل : النبات الأخضر المقبل . والمغلولب : الكثير الذى يغلب على الماشية حين ترعاه .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٤ .

قال : وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العَلاء بن الحضرمىّ إلى المنذر بن ساوَى العبدىّ ؛ وكتب إليه كتابًا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبىّ رسولِ الله إلى المنذر بن ساوَى. سلامٌ عليك؛ فإنّى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإنّ كتابك جاءنى ورسلُك . وإنه مَنْ صلّى صلاتَنا ، وأكل ذبيحتَنا ، واستقبَلَ قِبلَتَنا فإنه مسلم؛ له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ، ومَنْ أبَى فعليه الجزية . قال : فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أنّ على المجوس الجِزْية ، لا تؤكل ذبائحهم ، ولا تنكح نساؤهم.

قال : وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرَو بن العاص إلى جَيْفَر وعبّاد ابنىْ جُلَنْدَى بعُمَان ، فصدّقا النبىّ ، وأقرّا بما جاء به ، وصدّق ١٦٠١/١ أموالهما ، وأخذ الجزية من المجوس .

قال : وفيها سريّة شجاع بن وهب إلى بنى عامر ، فى شهر ربيع الأول فى أربعة وعشرين رجلا ، فشنّ الغارة عليهم ، فأصابوا نَعَما وشاءً ، وكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً ؛ لكلّ رجل .

قال : وفيها كانت سريّة عمرو بن كعب الغِفارىّ إلى ذات أطلاح ، خرج فى خمسة عشر رجلا ؛ حتى انتهى إلى ذات أطلاح ، فوجد جمعًا كثيراً ، فدعوْهم إلى الإسلام ، فأبوْا أن يجيبوا ، فقتلوا أصحابَ عمرو جميعًا، وتحامل حتى بلغ المدينة .

قال الواقدىّ : وذات أطلاح من ناحية الشأم ، وكانوا من قُضاعة ، ورأسهم رَجُلٌ يقال له سَدُوس .

* * *

قال : وفيها قدم عمرو بن العاص مسلمًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أسلم عند النجاشىّ ، وقدم معه عثمان بن طلحة العبدرىّ ، وخالد ابن الوليد بن المغيرة ، قدموا المدينة فى أوّل صفر .

قال أبو جعفر : وكان سبب إسلام عمرو بن العاص ، ما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن راشد مولى ابن أبى أوْس ، عن حبيب بن أبى أوْس ، قال : حدّثنى

١٦٠٢/١ عمرو بن العاص من فيه إلى أذنى، قال : لمّا انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق، جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يروْن رأيى، ويسمعون منّى، فقلت لهم : تعلمون والله أنّى لأرى أمر محمد يَعلُو الأمور عُلوًّا مُنْكَراً . وإنّى قد رأيت رأيًا فما تروْن فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قلت : رأيتُ أن نلحقَ بالنجاشىّ ، فنكون عنده ، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنّا عند النجاشىّ ، فلأن[1] نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدى محمد ؛ وإن يظهر قومنا فنحن مَنْ قد عرفوا ؛ فلا يأتينا منهم إلا خيرٌ . فقالوا : إنّ هذا لرأىٌ . قلت : فاجمَعوا له ما نُهْدِى إليه — وكان أحبَّ ما يُهْدَى إليه من أرضنا الأدَم — فجمعنا له أدَمًا كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ؛ فوالله إنا لعنده ؛ إذ جاءه عمرو بن أميّة الضّمرىّ — وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه — قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلتُ لأصحابى : هذا عَمْرو بن أميّة الضمْرىّ ، لو قد دخلت على النّجاشىّ وسألته إياه ؛ فأعطانيه فضربتُ عنقه ! فإذا فعلت ذلك رأتْ قريش أنّى قد أجزأتُ عنها حين قتلت رسول محمد .

فدخلت عليه ، فسجدتُ له كما كنت أصنع ، فقال : مرحبًا بصديقى ! أهديْتَ لى شيئًا من بلادك ؟ قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت لك أدَمًا كثيراً ، ثم قَرَّبته إليه ، فأعجبه واشتهاه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ؛ إنّى
١٦٠٣/١ قد رأيتُ رجلاً خرج من عندك؛ وهو رسول رجل عدوّ لنا، فأعطِنيه لأقتله[2] ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال : فغضب ، ثم مدّ يده[3] فضرب بها[4] أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره — يعنى النجاشىّ — فلو انشقّت الأرض لى لدخلتُ فيها فَرَقًا منه . ثم قلت : والله أيها الملك لو ظننتُ أنك تَكْرَه هذا ما سألتكه ، قال : أتسألنى أن أعطيَك رسول رجل يأتيه الناموسُ الأكبر[5] الذى كان يأتى موسى ، لتقتله ! فقلت : أيّها الملك ، أكذاك هو ؟ قال :

(١) ط « فإنا أن » .
(٢) س : « أقتله » .
(٣) و : « يديه » .
(٤) و : « بهما » .
(٥) و : « الأعظم » .

ويحك ياعمرو! أطعني واتّبعه ؛ فإنه والله لَعلى الحقّ ، وليظهرنّ عَلَى مَن خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قال : قلت : فتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعتُه على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي ؛ وقد حال رأيي عمّا كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي ، ثم خرجت عامداً لرسول الله لأسلم ؛ فلقيتُ خالد ابن الوليد — وذلك قبل الفتح — وهو مقبلٌ من مكة ، فقلت : إلى أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المَنسِم ؛ وإن الرجل لنبيّ ، أذهب والله أسلِم ؛ فحتّى متى ! فقلت : والله ما جئتُ إلاّ لأسلم ، فقدمنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلَم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسولَ الله ، إنّى أبايعك على أن تغفرَ لى ما تقدّم من ذنبِي ، ولا أذكر ما تأخّر ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، بايع فإنّ الإسلام يَجُبُّ ما قبله ، وإنّ الهجرة تجبُّ ما قبلها . فبايعته ثم انصرفت . ١/١٦٠٤

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عمّن لا أتّهم ؛ أنّ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، كان معهما ، أسلم حين أسلَمَا .

* * *

ذكر ما فى الخبر عن الكائن كان من الأحداث المذكورة فى سنة ثمان من سنى الهجرة

فممّا كان فيها من ذلك توجيهُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم عمرو بن العاص فى جُمادى الآخرة إلى السّلاسل من بلاد قُضاعة فى ثلثمائة[1] ؛ وذلك أنّ أمّ العاص بن وائل — فيما ذُكر — كانت قُضاعيّة ، فذُكر أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يتألّفهم بذلك ، فوجّهه فى أهلِ الشرف من المهاجرين والأنصار ، ثم استمدّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأمدّه بأبى عبيدة بن الجرّاح على المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر فى مائتين ، فكان جميعهم[2] خمسمائة .

(١) س: « فى ثلثمائة من قضاعة » . (٢) س: « جمعهم » .

[غزوة ذات السلاسل]

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى أرض بَلِىّ وعُذْرة ، يستنفر الناس إلى الشأم ؛ وذلك أنّ أمّ العاص بن وائل كانت امرأةً مِنْ بَلِىّ ، فبعثه رسولُ الله إليهم يستألِفهم بذلك ؛ حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام ، يقال له السلاسل — وبذلك سُمّيت تلك الغزوة ذات السلاسل — فلمّا كان عليه خاف ، فبعث إلى رسول الله يستمدّه ، فبعث إليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبا عبيدة ابن الجرّاح فى المهاجرين الأولين ؛ فيهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهم ، وقال لأبى عبيدة حين وجّهه : لا تختلفا ؛ فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو بن العاص : إنما جئتَ مدداً لى ، فقال له أبو عبيدة : يا عمرو ؛ إنّ رسول الله قد قال لى : لا تختلفا ؛ وأنت إن عصيتَنى أطعتُك ، قال : فأنا أميرٌ عليك ؛ وإنما أنت مددٌ لى ، قال: فدونَك ! فصلّى عمرو ابن العاص بالناس .

١٦٠٥/١

* * *

[غزوة الخبَط]

قال الواقدىّ : وفيها كانت غزوة الخبَط ؛ وكان الأميرَ فيها أبو عبيدة ابن الجراح ، بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى رجب منها ، فى ثلثمائة من المهاجرين والأنصار قبَل جُهَينة ، فأصابهم فيها أزْلٌ شديد وجهدٌ ، حتى اقتسموا التّمر عدداً .

وحدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال : حدّثنا عَمّى عبد الله بن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث أن عمرو بن دينار حدّثه أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول: خرجنا فى بعث ونحن ثلثمائة ، وعلينا أبو عبيدة بن الجراح ، فأصابنا جوعٌ ، فكنّا نأكل الخبَط ثلاثة أشهر ؛ فخرجت دابّةٌ من البحر

يقال لها العنبر ، فمكثنا نصف شهر ، نأكل منها ، ونحر رجلٌ من الأنصار ١/٦٠٦ جزائر ، ثم نحر من الغد كذلك ؛ فنهاه أبو عبيدة ، فانتهى .

قال عمرو بن دينار — وسمعت ذكوان أبا صالح قال: إنه قيس بن سعد .

قال عمرو : وحدثنى بكر بن سوادة الجُذامىّ ، عن أبى جمرة ، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك ، إلاّ أنه قال : جهدوا ؛ وقد كان عليهم قيس ابن سعد ، ونحر لهم تسع ركائب ، وقال : بعثهم فى بَعْثٍ من وراء البحر ؛ وإنّ البحرَ ألقى إليهم دابّة ؛ فمكثوا عليها ثلاثة أيام يأكلون منها ويقدّدون ويغرفون شحمها ؛ فلما قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك من أمر قيس بن سعد ، فقال رسول الله : إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت ، وقال فى الحوت : لو نعلم أنّا نبلغه قبل أن يُرْوِح لأحببنا أن لو كان عندنا منه شىء ؛ ولم يذكر الخبَط ولا شيئًا سوى ذلك .

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا الضّحاك بن مخْلد ، عن ابن جريج ، قال: أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يخبر ، قال : زوّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم جرابًا من تمر ، فكان يقبض لنا أبو عبيدة قبضة قبضة ، ثم تمرة تمرة ، فنمصّها ونشرب عليها الماء إلى الليل؛ حتى نَفِد ما فى الجراب، فكنّا نجنِى الخبَط ، فجعنا جوعًا شديداً .قال: فألقى لنا البحر حوتًا ميتًا، فقال أبو عبيدة : جياع كلوا، فأكلنا — وكان أبو عبيدة ينصب الضِّلَع من أضلاعه فيمرّ الراكب على بعيره تحته، ويجلس النفر الخمسة فى موضع عينه — ١/١٦٠٧ فأكلنا وادّهنّا حتى صلَحت أجسامنا ، وحسنت شحماتنا ؛ فلما قدمنا المدينة قال جابر : فذكرنا ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : كُلوا رزقًا أخرجه الله عزّ وجلّ لكم، معكم منه شىء ؟ — وكان معنا منه شىء — فأرسل إليه بعض القوم فأكل منه .

قال الواقدىّ : وإنما سميت غزوة الخبَط [1] ، لأنهم أكلوا الخبَط حتى كأنّ أشداقهم أشداق الإبل العَضِهة .

---

(١) الخبط : ورق العضاه من الطلح ونحوه، يخبط ويضرب بالعصا فيتناثر ثم يعلف الإبل. يقال : عضه البعير كفرح إذا اشتكى من أكل العضاه ورعيها .

قال : وفيها كانت سَرِيّة وجّهها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان ، أميرها أبو قتادة .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، عن يحيي بن سعيد الأنصاريّ ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلميّ ، قال: تزوّجتُ امرأةً من قومى، فأصدقتُها مائتى درهم ، فجئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحى ، فقال : وكم أصدقتَ ؟ قلت : مائتى درهم يا رسول الله ، قال : سبحان الله ! لو كنتم إنّما تأخذون الدراهم من بطن وادٍ ما زدتم ! والله ما عندى ما أعينُك به . قال : فلبثتُ أيامًا ؛ وأقبل رَجُلٌ من بنى جُشَم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس — أو قيس بن رفاعة — فى بطنٍ عظيمٍ من جُشَم ؛ حتى نزل بقومه ومَنْ معه بالغابة ؛ يريد أن يجمع قيسًا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وكان ذا اسمٍ وشرف فى جُشَم . قال : فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين ، من المسلمين فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتونا به ؛ أو تأتونا منه بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارفًا [1] عجفاء ، فحمل عليها أحدنا ؛ فوالله ما قامت به ضعفًا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلّت وما كادت . ثم قال : تَبلّغوا على هذه واعتقبوها .

١٦٠٨/١

قال : فخرجنا ومعنا سلاحُنا من النّبل والسيوف ؛ حتى جئنا قريبًا من الحاضر عُشَيْشِيَةً مع غروب الشمس ، فكمنت فى ناحية ، وأمرت صاحبيّ ، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كبّرت وشددت على العسكر فكبّرا وشُدّا معى .

قال : فوالله إنا لكذلك ننتظر أن نرى غِرّة أو نصيب منهم شيئًا ، غَشِيَنا الليلِ حتى ذهبت فحمة العشاء ؛ وقد كان لهم راعٍ قد سرَح فى ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوّفوا عليه .

---

(١) الشارف من النوق : المسنة الهرمة .

قال : فقام صاحبهُم ذلك رفاعة بن قيس ، فأخذ سيفَه ، فجعله فى عنقه ثم قال: والله لأتبعنّ أثر راعينا هذا؛ ولقد أصابه شرٌّ. فقال نَفَرٌ ممّن معه : والله لا تذهب، نحن نكفيك ! فقال : والله لا يذهب إلاّ أنا ، قالوا : فنحنُ معك ، قال : والله لا يتبعنى منكم أحد .

قال : وخرج حتى مرّ بى ، فلما أمكننى نفحتُه بسهم فوضعته فى فؤاده ، فوالله ما تكلّم ، ووثبتُ إليه فاحتززت رأسه ، ثم شددتُ فى ناحية العسكر وكبَّرت ؛ وشدّ صاحباى وكبّرا ؛ فوالله ما كان إلا النّجاء ممّن كان فيه عندك بكلّ ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ؛ وما خفّ معهم من أموالهم .

قال : فاستقنا إبلاً عظيمة ، وغنماً كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجئت برأسه أحمله معى ، قال : فأعانني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرًا ، فجمعتُ إلىّ أهلى . ١٦٠٩/١

وأما الواقدىّ ، فذكر أنّ محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حَثْمَةَ ، حدّثه عن أبيه ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم بعث ابن أبى حَدْرَد فى هذه السريّة مع أبى قَتادة ، وأنّ السريّة كانت ستة عشر رجلا ، وأنّهم غابوا خمس عشرة ليلة ، وأن سُهمانهم كانت اثنى عشر بعيرًا يُعْدَلُ البعير بعشرٍ من الغنم ، وأنهم أصابوا فى وُجوههم أربعَ نسوة ؛ فيهنّ فتاة وضيئة ، فصارت لأبى قتادة ، فكلّم مَحْمِيَة بن الجَزْء فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة عنها ، فقال : اشتريتها من المغنم ، فقال : هَبْها لى ، فوهبها له ، فأعطاها رسولُ الله محمية بن جَزْء الزُّبيدىّ .

* * *

قال : وفيها أغزى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى سريّة أبا قتادة إلى بطن إضَم. حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد ابن عبد الله بن قُسَيْط ، عن أبى القعقاع بن عبد الله بن أبى حَدْرَد الأسلمىّ .

وقال بعضهم عن ابن القعقاع — عن أبيه ، عن عبد الله بن أبى حَدْرَد ، قال : بعثَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضَم ، فخرجت فى نفر من المسلمين فيهم أبو قَتادة الحارث بن رِبْعِىّ ومحلِّم بن جَثَّامة بن قيس الليثى ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضَم — وكانت قبل الفتح — مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعىّ على قَعود له، معه مُتَيِّع له ووطْب من لبن [1] . فلمّا مرّ بنا سلّم علينا بتحيّة الإسلام، فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلّم بن جثّامة الليثى لشىء كان بينه وبينه ؛ فقتله وأخذ بعيره ومتيّعه ، فلمّا قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر ، نزل فينا القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا . . . . ﴾ [2] الآية . ١٦١٠/١

وقال الواقدىّ : إنّما كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعثَ هذه السريّة حين خرج لفتح مكة فى شهر رمضان ، وكانوا ثمانيةَ نفر .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق — فيما حدّثنا ابن حُميد، قال : حدّثنا سلَمة عنه ، قال : لما رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة من خيْبر ؛ أقام بها شهرَىْ ربيع ، ثم بعث فى جمادى الأولى بَعثَه إلى الشأم الذين أصيبوا بمؤتة .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بَعثَهُ إلى مؤتة فى جُمادى الأولى من سنة ثمانٍ ؛ واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : إن أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فإن أصيبَ جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

فتجهّز الناسُ ، ثم تهيّئُوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم وَدّع الناسُ أمراء رَسُول اللهِ وسلموا عليهم وودّعوهم : فلمّا

(١) متيع : تصغير متاع ؛ وهو السلعة وما يستمتع به الإنسان من حوائجه أو ماله . والوطب : وعاء اللبن .
(٢) سورة النساء ٩٤ ، والخبر فى التفسير ٩ : ٧٣ .

ودّع عبد الله بن رَواحة مع من ودّع من أمراء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بكَى، فقالوا له : ما يُبكيك يابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بى حبّ الدنيا ، ولا صبابة بكم ؛ ولكنى سمعتُ رسولَ الله يقرأ آيةً من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً ﴾[1] . فلست أدرى كيف لى بالصَّدَرِ بعد الورود ! فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردّكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

١٦١١/١

لَـكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا[2]

أو طَعْنَةً بِيَدَىْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً بِحَرْبَةٍ تُنفِذُ الأحْشاءَ والـكَبِدَا[3]

حتى يقولوا إذَا مَرُّوا على جَدَثِي أَرْشَدَكَ اللهُ مِنْ غَازٍ وقد رَشَدَا !

ثم إن القوم تهيّئوا للخروج ،فجاء عبد الله بن رواحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودّعه ، ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله يُشيّعهم ؛ حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خلفَ السَّلاَمُ على أمْرِئٍ وَدَّعْتُهُ فِى النَّخْلِ خَيْرَ مُشَيِّعٍ وخَلِيلِ

ثم مضوا حتى نزلوا مُعان من أرض الشأم ؛ فبلغ الناسَ أنّ هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم، وانضمّت إليه المستعربة من لَخم وجُذام وبلقَيْن وَبهْراء وبَلِىّ فى مائة ألف منهم ؛ عليهم رجلٌ من بَلِىّ ، ثم أحد إرَاشة ، يقال له : مالك بن رافلة ، فلمّا بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مُعان ليلتَيْن ، ينظرون فى أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ونخبره بعدد عدونا ، فإما أن يُمِدّنا برجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى له فشجّع الناسَ عبدُ الله بن رواحة، وقال: يا قوم ؛ والله إنّ الذى تكرهونَ لَلّذى خرَجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلاّ بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ؛ فانطلقوا ، فإنما هى إحدَى

١٦١٢/١

---

(١) سورة مريم ٧١ .

(٢) ذات فرغ : ذات سعة . والزبد هنا : رغوة الدم .

(٣) مجهزة : سريعة القتل . وتنفذ الأحشاء : تمضى فيها .

الحسنَيَيْن ؛ إما ظهور ؛ وإمّا شهادة ، فقال الناس : قد والله صَدَقَ ابنُ رواحة . فمضى الناس ، فقال عبد الله بن رواحة فى مَحبسهم ذلك :

جَلبْنَا الخيْلَ منْ آجامِ قُرْحٍ ... تُغَرُّ مِنَ الحَشِيشِ لها العَكُومُ[1]
حذَوْناها مِنَ الصَّوَّانِ سِبْتاً ... أزَلَّ كأنَّ صَفْحَتَهُ أَديمُ[2]
أقامَتْ لَيْلَتيْنِ على مُعَانٍ ... فأُعْقِبَ بعْدَ فترتِها جُمُومُ
فَرُحْنا والجِيادُ مُسَوَّمَاتٌ ... تَنَفَّسُ فى مَناخِرِها السَّمُومُ
فلا وأبى ، مَآبَ لنأتِيَنْها ... ولو كانت بها عَرَبٌ ورُومُ
فعبَّأْنا أَعِنَّتَها فجاءَتْ ... عَوَابِسَ والغُبَارُ لها بَرِيمُ[3]
بذِى لَجَبٍ كأَنَّ البَيْضَ فيه ... إذا بَرَزَتْ قَوَانِسُها النُّجُومُ
فراضِيَةِ المعيشَةِ طَلَّقَتْها ... أَسِنَّتُنا فتَنْكِحُ أو تَئِيمُ[4]

ثم مضى الناس[5]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنه حدّث عن زيد بن أَرْقم ، قال : كنتُ يتيمًا لعبد الله بن رواحة فى حِجْره ، فخرج فى سفره ذلك مُرْدِفِى على حَقيبة رحله ، فوالله إنه ليسير ليلةً إذ سمعته وهو يتمثّل أبياته هذه : ١٦١٣/١

إذَا أَدَّيْتِنِي وَحَمَلْتِ رحْلِي ... مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الحِسَاءِ
فشَأْنُكِ أَنْعُمٌ وخَلاكِ ذَمٌّ ... ولا أَرجِعْ إلى أَهْلِى وَرَائِى[6]
وجاءَ المسلمون وغادَرُونى ... بأرضِ الشأم مشْتَهِيَ الثَّواءِ
وَرَدَّكِ كلُّ ذى نَسَبٍ قَرِيبٍ ... إلى الرَّحْمٰنِ مُنْقَطِعُ الإخَاءِ

(١) قال السهيلى : تغر ، أى يجمع بعضها إلى بعض . والعكوم : جمع عكم ، وهو الجنب. وفى ابن هشام : « من أجأ وفرع » ، اوالبيت فى ياقوت ٧ : ٤٩ .

(٢) سبتا ، أى حذوناها نعالا من جلد . وأزل : أملس .

(٣) قال السهيلى : « البريم : حيط تحزم به المرأة ، والبريم أيضا : لفيف الناس وأخلاطهم » .

(٤) راضية المعيشة ، أى معيشتها مرضية . وتئيم : تبقى من غير زوج .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٦) خلاك ذم ، أى فارقك الذم .

هنالك لا أبالى طَلْعَ بَعْلٍ ولا نَخْلٍ أَسَافِلُهَا رِواءِ[١]

قال : فلما سمعتهنّ منه بكيت ، فخفقنى بالدِّرَّة ، وقال : ما عليك يا لُكَع ! يرزقنى الله الشهادة ، وترجع بين شُعْبَتَىِ الرَّحْل ! ثم قال عبد الله فى بعض شعره وهو يرتجز :

يا زَيْدَ زيدَ اليَعْمُلَاتِ الذُّبَّلِ تطاول اللَّيْلُ هُدِيتَ فانْزِلِ[٢]

١٦١٤/١

قال : ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتُخوم البلقاء ، لقيتْهم جموع هِرَقل من الرّوم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشَارِف . ثم دنا العدُوُّ ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤْتة ؛ فالتقى الناس عندها ، فتعبّأ المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عُذْرة ، يقال له قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عبَايَة بن مالك ، ثم التقى الناس ؛ فاقتتلوا ؛ فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى شاط[٣] فى رماح القوم ؛ ثم أخذها جعفر بن أبى طالب ؛ فقاتل بها حتى إذا ألحمه[٤] القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها[٥] ، ثم قاتل القوم حتى قُتِل ؛ فكان جعفرٌ أوّل رجل من المسلمين عقَر فى الإسلام فرسه[٦] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة وأبو تُمَيْلة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبّاد ، عن أبيه ، قال : حدّثنى أبى الذى أرضعنى — وكان أحد بنى مرّة بن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مُؤْتة — قال : والله لكأنّى أنظرُ إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ؛ فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتِل ؛ فلما قتل جعفر أخذ الرّايةَ عبدُ الله بن رَواحة ؛ ثمّ تقدّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردّد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمْتُ يا نَفْسُ لَتَنزِلِنّهْ طَائِعَةً أوْ فَلَتُكْرَهِنّهْ

---

(١) البعل : الذى يشرب بعروقه من الأرض . (٢) اليعملات : جمع يعملة ؛ وهى الناقة السريعة . والذبل : التى أضعفها السير فقل لحمها .

(٣) يقال : شاط الرجل ؛ إذا سال دمه فهلك. (٤) ألحمه القتال : نشب فيه فلم يجد مخلصا.

(٥) عقرها : ضرب قوائمها بالسيف . (٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

١/١٦١٥

إنّ أجْلَبَ الناسُ وشدُّوا الرَّنّهْ[١] مالِى أراكِ تَكْرَهِين الجَنَّهْ !
قد طَالَمَا قد كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ هَلْ أنْتِ إلا نُطْفَةٌ فى شَنَّهْ ![٢]

وقال أيضًا :

يا نَفْس إلَّا تُقْتَلى تَمُوتِى هٰذَا حِمَامُ الموْتِ قد صَلِيتِ
وما تَمَنَّيتِ فقدْ أُعْطِيتِ إنْ تَفْعَلِى فِعْلَهُمَا هُدِيتِ

قال : ثم نزل ؛ فلمّا نزل أتاه ابن عمٍّ له بعظم من لحم ؛ فقال : شُدَّ بها صلبك ؛ فإنك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت ؛ فأخذه من يده ؛ فانتهس[٣] منه نَهسةً ثم سمع الحَطْمة[٤] فى ناحية الناس ، فقال : وأنت فى الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، وأخذ سيفه ؛ فتقدّم فقاتل حتى قتل ؛ فأخذ الراية ثابتُ بن أقرم ؛ أخو بَلْعجلان ؛ فقال : يا معشرَ المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل ؛ فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ؛ فلمّا أخذ الراية دافع القوم ؛ وحاشى[٥] بهم ، ثم انحاز وتحيّز عنه[٦] حتى انصرف بالناس[٧] .

١/١٦١٦

فحدّثنى القاسم بن بِشْر بن معروف ، قال : حدّثنا سليمان بن حرب ، قال : حدّثنا الأسود بن شيبان ، عن خالد بن سُمَيْر ، قال : قَدِم علينا عبد الله بن رَبَاح الأنصارىّ — وكانت الأنصار تُفَقِّهُه — فغشيَه الناس ، فقال : حدّثنا أبو قتادة فارسُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : بعث رسول الله جيشَ الأمراء ، فقال : عليكم زيد بن حارثة ؛ فإن أصيب فجعفر

---

(١) أجلب القوم : صاحوا واجتمعوا .
(٢) النطفة : الماء القليل الصافى . والشنة : السقاء البالى .
(٣) انتهس : أخذ منه بفمه يسيرا .
(٤) الحطمة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضا .
(٥) حاشى بهم : انحاز بهم ؛ من الحشى وهو الناحية . وفى ابن هشام : « خاشى بهم » ، من المخاشاة ؛ وهو المحاجزة .
(٦) س : « وتحيزوا » ، ابن هشام : « وانحيز » .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٨ .

ابن أبي طالب؛ فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ؛ فوثب جعفر فقال : يا رسولَ الله؛ ما كنت أذهبُ أن تستعمل زيداً عليّ ! قال : امض ؛ فإنك لا تدرى أيّ ذلك خير !

فانطلقوا ، فلبثوا ما شاء الله . ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صعِد المنبر ، وأمر فنودى : الصّلاة جامعة ! فاجتمع الناس إلى رسول الله ، فقال : باب خير ، باب خير ، باب خير ! أخبركم عن جيشكم هذا الغازى ؛ إنّهم انطلقوا فلقُوا العدوّ، فقتِل زيد شهيداً — واستغفر له — ثمّ أخذ اللواءَ جعفر، فشدّ على القوم حتى قتِل شهيداً — فشهد له بالشهادة واستغفر له — ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ؛ فأثبت قدميْه حتى قتِل شهيداً — فاستغفر له — ثمّ أخذ اللواء خالد بن الوليد — ولم يكن من الأمراء ؛ هو أمّر نفسه — ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ إنه سيف من سيوفك ، فأنت تنصره — فمنذ يومئذ سمّيَ خالد سيف الله — ثم قال رسول الله : أبكروا فأمدّوا إخوانكم ولا يتخلّفنّ منكم أحد . فنفروا مُشاةً ورُكبانًا ، وذلك فى حرّ شديد . ١/١٦١٧

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبى بكر ، قال : لما أتى رسولَ الله مصابُ جعفر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد مرّ[1] جعفر البارحة فى نفر من الملائكة، له جناحان، مختضب القوادم بالدّم ، يريدون بيشة ؛ أرضًا باليمن .

قال . وقد كان قُطْبَة بن قتادة العذريّ الذى كان على ميمنة المسلمين حمل على مالك بن رافلة [2] قائد المستعربة فقتله . قال : وقد كانت كاهنة من حدَس [3] حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قد قالت لقومها من حدَس — وقومها بطن يقال لهم بنو غنْم : أنذِرُكم قومًا خُزْراً [4]، ينظرون شزْرًا [5]، ويقودون الخيل بُترًا [6]، ويُهريقون دمًا

(١) ابن هشام : « قدم » . (٢) ابن هشام : « زافلة » .
(٣) حدس : قبيلة من لخم .
(٤) خزراً : جمع أخزر ؛ وهو الذى ينظر بمؤخر عينه .
(٥) الشزر : نظر العداوة .
(٦) ابن هشام : « تترى » ، أى متتابعة .

عكْراً[١]. فأخذوا بقولها ؛ فاعتزلوا من بين لَخْم ؛ فلم يزالوا بعدُ أثْرَى[٢] حَدَس . وكان الذين صَلَوُا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ؛ بطن من حَدَس ؛ فلم يزالوا قليلاً بعد ؛ ولما انصرف خالد بن الوليد بالناس أقبل بهم قافلاً[٣] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني محمد ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما دَنَوا من دخول المدينة ، تلقاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، ولقيهم الصبيان يشتدّون ، ورسول الله مقبل مع القوم على دابّة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابنَ جعفر ؛ فأُتِيَ بعبد الله بن جعفر فأخذه ، فحمله بين يديه ، قال : وجعل الناس يحثُون على الجيش التراب ، ويقولون : يا فُرّار في سبيل الله ،فيقول رسول الله : ليسوا بالفُرّار ؛ ولكنهم الكُرّار ؛ إن شاء الله[٤] !

١٦١٨/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزّبير ؛ عن بعض آل الحارث بن هشام — وهم أخواله — عن أم سلمة زوْج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : قالت أمّ سلمَة لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالى لا أرى سلَمة يحضر الصلاة مع رسول الله ومع المسلمين ! قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلّما خرج صاح الناس : أفرَرتم في سبيل الله ! حتى قعد في بيته فما يخرج[٤] .

وفيها غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة .

* * *

ذكر الخبر عن فتح مكة

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حَدّثني ابن إسحاق ،

---

(١) العكر : المتعكر .
(٢) أثرى ، أي أكثر مالا وعددا ؛ من الثروة ؛ وهي الكثرة .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٩ ، ٢٦٠ .
(٤) ابن هشام ٢ : ٢٦٠ .

قال: ثمّ أقامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد بعثه إلى مُؤتة، جمادى الآخرة ورجب.

ثم إنّ بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عَدَتْ على خُزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة؛ يقال له الوتير. وكان الذى هاج ما بين بنى بكر وبنى خُزاعة رجلٌ من بَلْحضرمىّ، يقال له مالك بن عبّاد - وحِلْف الحضرمىّ يومئذ إلى الأسود بن رَزْن - خرج تاجراً، فلما توسّط أرض خزاعة عدَوا عليه فقتلوه؛ وأخذوا ماله؛ فعدتْ بنوبكْر على رجل من خُزاعة فقتلوه، فعَدَتْ خُزاعة قُبيل الإسلام على بنى الأسود بن رَزْن الدّيلىّ؛ وهم مَنْخَرَ[1] بنى بكر وأشرافهم: سلْمى، وكلثوم، وذؤيب؛ فقتلوهم بعرفَة عند أنصاب الحرم[2]. ١/١٦١٩

حدّثنا ابنُ حُميد؛ قال: حدثنا سلَمة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، عن رجل من بنى الدّيل، قال: كان بنو الأسود يُودَّوْنَ فى الجاهليّة دِيَتَيْن ديتين، ونُودِّى دية دِيَةً لفضلهم [فينا][2].

فبينا بنو بكر وخُزاعة على ذلك حَجَزَ بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به، فلمّا كان صلحُ الحديبية بينَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين قريش كان فيما شرطوا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وشرط لهم - كما حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرىّ، عن عُروة بن الزبير، عن المِسْوَر بن مخرمة ومروان بن الحكم وغيره من علمائنا - أنه مَنْ أحَبَّ أن يدخلَ فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقْده دخلَ فيه، ومَنْ أحبّ أن يدخلَ فى عهد قُريش وعقدهم دخل فيه؛ فدخلت بنو بكر فى عَقْد قريش، ودخلت خُزاعة فى عَقْد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ١/١٦٢٠

فلمّا كانت تلك الهدنة اغتنمتها[3] بنو الدّيل، من بنى بكر من خُزاعة[4]

(١) المنخر هنا: المتقدمون؛ لأن الأنف هو المقدم من الوجه.
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣.
(٣) س: «اغتنمها».
(٤) س: «من بنى خزاعة».

وأرادوا أن يصيبوا منهم [ثأراً][١] بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببني الأسود بن رزْن ، فخرج نَوْفَل بن معاوية الدِّيلي في بني الدِّيل — وهو يومئذ قائدهم ؛ ليس كل بني بكْر تابعه — حتى بَيَّتَ خزاعة ، وهم على الوتير ؛ ماءٍ لهم ، فأصابوا منهم رجلا وتحاوزوا واقتتلوا ؛ ورفَدَت قريش بني بكْر بالسِّلاح ؛ وقاتل معهم من قريش مَنْ قاتل بالليل مستخفيًا ؛ حتى حازوا[٢] خُزاعة إلى الحَرم .

— قال الواقديّ : كان ممن أعان من قريش بني بكْر على خُزاعة ليلتئذٍ بأنفسهم متنكّرين صَفْوان بن أميّة ، وعِكْرمة بن أبي جهل ، وسُهَيل بن عمرو ؛ مع غيرهم وعبيدهم —

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : فلما انتهوْا إليه قالت بنو بكْر : يانوْفل ، إنا قد دخلْنا الحرم إلهَكَ إلهَكَ ؛ فقال : كلمةعظيمة إنه لا إله له اليوم ! يا بني بكْر أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنكم لتسرقُون في الحرم ؛ أفلا تصيبون ثأركم فيه ! وقد أصابوا منهم ليلة بَيَّتوهم بالوتير رجلا يقال له منبّه ، وكان منبّه رجلاً مفئوداً[٣] خرج هو ورجل من قومه، يقال له تميم بن أسد — فقال له منبّه : يا تميم ، انجُ بنفسك؛ فأمّا أنا فوالله إني لميّتٌ قتلوني أو تركوني ؛ لقد انبتّ[٤] فؤادي . فانطلق تميم فأفلَت ، وأدركوا منبّهًا فقتلوه — فلمّا دخلت خُزاعة مكة لجئوا إلى دار بُدَيْل بن ورْقاء الخُزاعيّ ، ودار مولى لهم يقال له رافع .

١٦٢١/١

قال : فلما تظاهرتْ [بنو بكرو][٥] قُريش على خُزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلّوا من خُزاعة — وكانوا في عَقْده وعهده — خرج عمرو بن سالم الخُزاعيُّ ، ثم أحد بني كعب ؛ حتى قدِم على رسولِ الله صلّى الله عليه

---

(١) من ابن هشام .
(٢) حازوهم : ساقوهم .
(٣) مفئود : ضعيف الفؤاد .
(٤) انبت : انقطع.
(٥) من سير ابن هشام .

وسلم المدينةَ ؛ وكان ذلك مما هاج فتح مكة ؛ فوقف عليه وهو فى المسجد جالسٌ بين ظهرانَىِ الناس ، فقال :

لاهمّ إنّى ناشدٌ مُحمّدا خِلْفَ أبينا وأبيه الأتْلدَا[1]

فوالِداً كُنّا وكُنتَ ولَدَا[2] ثُمّتَ أسلَمْنا فلم نَنْزِعْ يدَا[3]

فانْصُر رسول الله نصْراً أعْتَدَا[4] وادْعُ عِبادَ الله يأتوا مَدَدَا[5]

فيهم رسول الله قد تجرّدَا[6] أبيَض مثْل البَدْرِ يَنْمِى صُعُدَا ١٦٢٢/١

إن سِيمَ خَسْفاً وَجْهُهُ تَربّدَا فى فَيْلَقٍ كالبَحْرِ يجْرى مُزْبدَا[7]

إنّ قريشاً أخلفوكَ الموْعِدَا ونَقَضُوا ميثاقك المُؤَكّدا

وجعلوا لى فى كَدَاء رَصَدَا وزعموا أن لسْتُ أدْعُو أحَدا

وَهُمْ أذَلُّ وأقَلُّ عددَا هُمْ بَيّتُونَا بالوَتِيرِ هُجّدَا

* فقتّلونا رُكّعاً وَسُجّدَا *

يقول : قد قتّلونا وقد أسلمنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينَ سمع ذلك : قد نُصرْتَ يا عمرو بن سالم ! ثم عرض لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عنَانٌ من السماء ، فقال : إنّ هذه السحابة لتستَهِلّ بنصر بنى كعب .

ثم خرج بُدَيْل بن ورقاء فى نفر من خُزاعة حتى قدِموا على رسولِ الله المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ؛ ثم انصرفوا راجعين إلى مكة . وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال للناس : كأنّكم بأبى سفيان قد جاء ليشدّد العَقْد ، ويزيد فى المدّة .

---

(١) ناشد : طالب ومذكر ، والأتلد : القديم .

(٢) ابن هشام : « قد كنتم ولداً وكنا والدا » ؛ قال السهيلى : « يريد أن بنى عبد مناف، أمهم من خزاعة وكذلك قصى أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية » .

(٣) أسلمنا ، من السلم .

(٤) ابن هشام : « أعتدا ، أى حاضرا ، من الشىء العتيد ؛ وهو الحاضر » .

(٥) المدد : العون .

(٦) تجرد : تشمر وتهيأ ؛ وفى إحدى نسخ ابن هشام : «تحرد » ؛ بالحاء المهملة؛ من الحرد ؛ وهو الغضب .

(٧) الفيلق : العسكر الكبير .

ومضى بُديل بن ورقاء وأصحابه، فلقُوا أبا سفيان بعُسفان، قد بعثتْه قريش إلى رسول الله ليشدّد العقد ويزيد فى المدّة؛ وقد رهبوا الذى صنعوا؛ فلما لقىَ أبو سفيان بُديلا، قال: مِنْ أين أقبلت يا بديل؟ وظنّ أنه قد أتى رسولَ الله، قال: سِرْتُ[1] فى خُزاعة فى السّاحل وفى بطن هذا الوادى. قال: أوَ ما أتيتَ محمداً؟ قال: لا. قال: فلما راح بُديل إلى مكّة قال أبو سفيان: لئن[2] كان جاء المدينة لقد علَف بها النّوى؛ فعمد إلى مَبْرَك ناقته[3]، فأخذ من بعرها ففتّه؛ فرأى فيه النوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بُديل محمداً.

١٦٢٣/١

ثم خرج أبو سفيان حتى قدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينة؛ فدخل على ابنتِه أمّ حبيبة بنت أبى سفيان؛ فلما ذهب ليجلس على فِراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوَتْه عنه، فقال: يا بنيّة؛ والله ما أدرى أرغبتِ بى عن هذا الفراش، أم رغبتِ به عنّى! قالت: بل هو فراشُ رسول الله، وأنت رجل مشرك نجِس، فلم أحبّ أن تجلس على فراش رسول الله. قال: والله لقد أصابكِ يا بنيّة بعدى شرٌّ. ثم خرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم، فكلّمه فلم يردُدْ عليه شيئًا، ثم ذهب إلى أبى بكر فكلّمه أن يكلّم له رسولَ الله، فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتى عمَر بن الخطاب، فكلّمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله! فوالله لو لم أجدْ إلا الذرَّ لجاهدتُكم. ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه، وعنده فاطمة ابنة رسول الله، وعندها الحسن بن علىّ؛ غلامٌ يدِبُّ بين يديها، فقال: يا علىّ؛ إنك أمسُّ القوم بى رَحِمًا، وأقربُهم منّى قرابة، وقد جئتُ فى حاجة؛ فلا أرجعنّ كما جئت خائبًا، اشفع لنا إلى رسول الله! قال: ويحك يا أباسفيان! والله لقد عزَم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه، فالتفت إلى فاطمة، فقال: يا ابنةَ محمّد؛ هل لكِ أن تأمرى بُنيّك هذا فيجير بين الناس، فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر! قالت: والله ما بلغ بُنَيّى ذلك

١٦٢٤/١

---

(١) ابن هشام: «تسيرت».

(٢) س: «لمن».

(٣) ابن هشام: «فأتى مبرك راحلته».

أن يجيرَ بين الناس ، وما يجير على رسول الله أحد . قال : يا أبا الحسن ، إنّى أرى الأمور قد اشتدّتْ علىّ فانصحنى . فقال له : والله ما أعلمُ شيئًا يُغنى عنك شيئًا ، ولكنّك سيّد بنى كنانة ؛ فقم فأجِرْ بين الناس ، ثم الحقْ بأرضك. قال : أوَ ترَى ذلك مُغْنيًا عنى شيئًا ! قال : لا والله ما أظنّ ؛ ولكن لا أجدُ لك غير ذلك ؛ فقام أبو سفيان فى المسجد ، فقال : أيّها الناس ؛ إنى قد أجَرْتُ بين الناس ؛ ثم ركب بعيرة فانطلق .

فلما قَدِم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلّمته ، فوالله ما ردّ علىّ شيئًا ، ثم جئت ابنَ أبى قُحافة ، فلم أجد عنده خيراً ، ثم جئت ابنَ الخطاب ؛ فوجدته أعْدَى القوم ، ثمّ جئت علىّ بن أبى طالب ، فوجدته أليَنَ القوم ؛ وقد أشار علىّ بشىء صنعتُه ؛ فوالله ما أدرى هل يغنيى شيئًا أم لا ! قالوا : وبماذا أمَرَك ؟ قال : أمرَنى أن أجيرَ بين الناس ففعلت ؛ قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : ويلك ! والله إن زاد على أن لَعِبَ بك ، فما يُغنى عنّا ما قلت . قال : لا والله ، ما وجدتُ غير ذلك ، قال : وأمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجِهاز ؛ وأمر أهله أن يجهّزوه ؛ فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهى تحرّك بعض جِهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أىْ بنَيّة ، أ أمركم رسول الله بأن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهّزْ . قال : فأين ترينَه يريد ؟ قالت : والله ما أدرى .

١٦٢٥/١

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس[١] أنه سائر إلى مكة ؛ وأمرهم بالجدّ والتهيّؤ[٢] ، وقال : اللهمّ خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نَبْغَتَها[٣] فى بلادها .

فتجهّز الناس ، فقال حسان بن ثابت الأنصارى يُحرّضُ الناس ، ويذكر مصابَ رجال خُزاعة :

---

(١) و : « العباس » .
(٢) س : « والانكماش » .
(٣) نبغتها ، من البغتة ؛ وهى المفاجأة .

أَتانِى ولم أَشْهَدْ ببطْحَاء مكَّةٍ رجالُ بنى كعب تُحَزُّ رقابُها[١]

بأيدى رجالٍ لم يَسُلُّوا سيوفهمْ وقتلَى كثيرٌ لم تُجَنَّ ثيابُها[٢]

ألا ليت شعرِى هل تنالنَّ نُصْرَتِى سُهَيْلَ بْنَ عمرو حرُّها وعقابُها[٣]!

وصفوَان عَوْدًا حُزَّ من شُفْرِ استِهِ فهذَا أَوَانُ الْحَربِ شُدَّ عصَابُها

فلا تأمننَّا يابن أمِّ مُجَالدٍ إذَا احتُلبتْ صِرْفًا وأعصَلَ نابُها[٤]

١٦٢٦/١ فلا تجزَعوا مِنْها فإنَّ سيوفنا لَهَا وقعة بالموْت يُفْتَحُ بابُها[٥]

وقول حسان :

* بأيْدِى رِجَالٍ لَمْ يَسُلُّوا سُيوفَهمْ *

يعنى قريشًا . وابن أمّ مجالد ، يعنى عِكْرِمة بن أبى جَهل[٦]

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُرْوة بن الزُّبير وغيره من عُلمائنا ، قالوا : لما أجمعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسير[٧] إلى مكة ، كتب حاطب بن أبى بَلْتَعة كتابًا إلى قُريش ، يخبرهم بالذى أجمع عليه رسولُ الله من الأمر فى السَّيْر إليهم ؛ ثمّ أعطاه امرأة — يزعُم محمد بن جعفر أنها من مُزَيْنة ؛ وزعم غيرُه أنها سارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب[٨] — وجعل لها جُعْلاً على أن تُبلِّغه قريشًا . فجعلَتْه فى رأسها ، ثم فتلتْ عليه قُرونها ، ثم خرجتْ به . وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما صنع حاطبٌ ؛ فبعث علىّ بن أبى طالب والزبير بن العوام ، فقال : أدْركا امرأةً

(١) ديوانه ٤١ ، ٤٢ ، وروايته : « وغبنا فلم نشهد ببطحاء مكة » ، وفى ابن هشام : « عنانى ولم أشهد » .

(٢) لم تجن ثيابها : لم تستر . (٣) الديوان وابن هشام : « وخزها وعقابها » .

(٤) الديوان : «إذا لحقت حرب وأعصل نابها » .

(٥) موضع هذا البيت فى الديوان :

وَلَوْ شَهِدَ البَطْحَاءَ مِنَّا عِصَابَةٌ لَهَانَ عَلَيْنَا يَوْمَ ذَاكَ ضِرَابُها

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣ — ٢٦٦ .

(٧) س والتفسير وابن هشام : « السير » . (٨) « لبنى المطلب » .

قد كتب معها حاطب بكتاب[١] إلى قريش ، يحذّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم ؛ فخرجا[٢] حتى أدركاها بالخليفة ، خليفة[٣] ابن أبي أحمد ؛ فاستنزلاها ، فالتمسا في رحلها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها عليّ بن أبي طالب : إنّي أحلف[٤] ما كذب رسول الله ولا كذبنا ؛ ولتُخرجِنّ إليّ هذا الكتاب أو لنكشفنّكِ ؛ فلما رأت الجدّ منه ، قالت : أعرض عنّي ، فأعرض عنها ، فحلّت قرونَ رأسِها ، فاستخرجت الكتاب منه[٥] ، فدفعته إليه ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله حاطباً ؛ فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إني لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ما غيّرتُ ولا بدّلتُ ، ولكنّي كنتُ امرأً ليس لي في القوم أصلٌ ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم أهلٌ وولد ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسولَ الله ، دعني فلأضربْ عنقه ، فإنّ الرجل قد نافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر ، لعلّ الله قد اطّلع إلى[٦] أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ! فأنزل الله عزّ وجلّ في حاطب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ... ﴾[٧] إلى آخر القصة[٨] .

١٦٢٧/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلم الزّهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، قال : ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم لسفره ؛ واستخلف

---

(١) و : « كتابا » .

(٢) بعدها في و : « مسرعين » .

(٣) كذا في ط ؛ على التصغير ؛ وفي ابن هشام : « الخليقة » ، وهما موضعان قرب المدينة ؛ ذكرهما ياقوت .

(٤) ابن هشام والتفسير : « أحلف بالله » .

(٥) ابن هشام : « منها » .

(٦) س : « على » .

(٧) سورة الممتحنة ١ ، ٤ .

(٨) الخبر في التفسير ٢٨ : ٣٩ (بولاق) ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

على المدينة أبا رُهْم كُلْثوم بن حُصَين بن خلَف الغِفَاريّ ، وخرج لعشر مضيْن من شهر رمضان ، فصام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ؛ حتى إذا كان بالكَدِيد ما بين عُسْفان وأمَج ، أفطر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى حتى نزل مَرّ الظَّهْران فى عشرة آلاف من المسلمين ، فسبَّعَتْ سليم ؛ وألَّفَتْ مُزَيْنة[1] وفى كلّ القبائل عدد وإسلام ؛ وأوعَبَ[2] مع رسول الله المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلّف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم مَرّ الظهران، وقد عُمِّيَت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبرٌ عن رسول الله ؛ ولا يدرون ما هو فاعلٌ ؛ فخرج فى تلك الليلة أبو سفيان بن حرب وحَكيم بن حزام ، وبُدَيل بن ورْقاء ، يتحسسون الأخبار ؛ هل يجدون خبراً أو يسمعون به[3] !

١/١٦٢٨

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : وقد كان فيما حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن العباس بن عبد الله بن معبَد بن العباس بن عبد المطلب ؛ عن ابن عباس : وقد كان العباس بن عبد المطلب تلقّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق ؛ وقد كان أبو سُفيان بن الحارث وعبد الله بن أبى أميّة بن المغيرة قد لَقيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنِيق العُقَاب ؛ فيما بين مكة والمدينة ، فالتمس الدخولَ على رسولِ الله ، فكلّمته أمُّ سلَمة فيهما ، فقالت : يا رسولَ الله ، ابن عمك وابن عمّتك وصهرُك ، قال : لا حاجةَ لى بهما ، أما ابنُ عمّى فهتَك عِرْضى ؛ وأما ابنُ عمّتى وصِهرى فهو الذى قال بمكة ما قال .

فلمّا خرج الخبر إليهما بذلك ؛ ومع أبى سفيان بُنىٌّ له فقال : والله ليأذَنَنّ لِى أو لآخُذَنّ بيد بُنَىّ[4] هذا ؛ ثم لنذهبنّ فى الأرض ؛ حتى نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رقّ لهما ؛ ثم أذن لهما ،

١/١٦٢٩

---

(١) سبعت سليم ؛ أى كانت سبعمائة ، وألفت مزينة ، أى كانت ألفا .

(٢) أوعب القوم : خرجوا كلهم للغزو .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٧ .

(٤) ابن هشام : « بيدى بنى هذا » .

فدخلا عليه ؛ فأسلما وأنشده أبو سفيان قوله فى إسلامه واعتذاره مما كان مَضَى منه :

لَعَمْرِىَ إنّى يومَ أحملُ رايةً لِتَغْلِبَ خَيلُ اللّاتِ خَيلَ محمدِ
لَكالْمُدْلِجِ الحيْرانِ أظلمَ ليله فهذا أوانى حين أُهْدَى وأهْتَدِى[1]
وَهادٍ هدَانِى غيْرَ نفسى ونالنِى معَ اللهِ مَنْ طَرَّدْتُ كلَّ مُطرَّدِ
أَصُدُّ وأَنْأَى جاهِدًا عن محمدٍ[2] وأُدْعى ولو لم أنتسِبْ من محمّدِ
هُمُ ماهُمُ منْ لم يقل بهوَاهُمُ وإنْ كانَ ذا رأْيٍ يُلَمْ ويُفَنَّدِ[3]
أُريد لأُرْضِيهمْ ولسْتُ بلائِطٍ معَ القَومِ مالم أُهْدَ فِى كلِّ مَقْعدِ[4]
فقل لثَقِيفٍ لا أُريد قتَالها وقل لثقيفٍ تلك غَيْرِى أَوْعِدِى
وما كنتُ فِى الجيْشِ الّذِى نالَ عامِراً وما كانَ عن جَرَّى لسانِى ولا يدِى[5]
قبائل جَاءتْ مِنْ بلَادٍ بعيدَةٍ نَزائعُ جَاءتْ مِنْ سُهَامٍ وسُرْدَدِ

قال : فزعموا أنه حين[6] أنشد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قوله : «ونالنى مع الله من طرّدتُ كلّ مُطَرَّدِ» ؛ ضَرَبَ النبي صلى الله عليه وسلم فى صدره ، ثم قال : أنت طرّدتنى كل مطرّد[7] ! ١٦٣٠/١

وقال الواقدىّ : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى مكّة ، فقائل يقول : يريد قريشًا ، وقائل يقول : يريد هوازن ، وقائل يقول : يريد ثقيفًا ؛ وبعث إلى القبائل فتخلّفت عنه ؛ ولم يعقد الألوية ولم ينشر الرّايات حتى قدم قُدَيْداً ، فلقيته بنو سُلَيم على الخيل والسلاح التامّ ؛ وقد كان عُيينة

(١) المدلج : الذى يسير ليلا .
(٢) ط : « جاهد » ، وما أثبته من ابن هشام .
(٣) يفند : يلام ويكذب .
(٤) اللائط : الملصق .
(٥) عن جرى ؛ من جراء .
(٦) س : « لما » .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

لِحقَ رسولَ الله[1] بالعَرْج فى نفر من أصحابه ، ولحقه الأقرع بن حابس بالسُّقْيا ، فقال عيينة : يا رسولَ الله ؛ والله ما أرى آلة الحرب ولا تَهيئة الإحرام ، فأين تتوجّه[2] يا رسول الله ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : حيث شاء[3] الله . ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعمى عليهم الأخبار ؛ فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَرّ الظَّهْران ، ولقيه العباس بالسُّقيا ، ولقيه مخرمة بن نوفل بنِيق العُقاب .

* * *

قلما نزل مَرّ الظهران خرج أبُو سفيان بن حرب ومعه حكيم بن حِزام .

فحدّثنا أبو كريب ، قال : أخبرَنا يُونس بنُ بكَير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى حُسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكْرمة عن ابن عباس ، قال : لما نزلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب ، وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة : يا صباح قريش[4]! والله لئن بَغَتَها رسولُ الله فى بلادها ؛ فدخل مكة عَنْوة ؛ إنه لهلاكُ قريش آخر الدهر ! فجلس على بغلةِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم البيضاء ، وقال : أخرُج إلى الأراك لعلّى أرى حَطّابًا أو صاحب لَبَن ؛ أو داخلاً يدخل مكة ؛ فيخبِرهم بمكان رسول الله ؛ فيأتونه فيستأمنونه . فخرجت ؛ فوالله إنى لأطوف فى الأراك ألتمس ما خرجت له ؛ إذ سمعت صوت أبى سفيان بن حَرْب وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء ، وقد خرجوا يتحسسون[5] الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعتُ أبا سفيان وهو يقول : والله ما رأيت كاليوم قطّ نيرانًا ! فقال بُديل : هذه والله نِيرانُ خُزاعة ، حَمَشَتْها[6] الحرب ! فقال أبو سفيان : خُزاعة ألأم من ذلك وأذلّ ! فعرفت صوته ، فقلت :

١٦٣١/١

(١) و : « برسول الله » .

(٢) و : « يتوجه رسول الله » .

(٣) س : « يشاء » .

(٤) يا صباح كذا ، ويا صباحاه ، مما يستعمل من الألفاظ عند الإنذار بالغارة .

(٥) الأغانى : « يتجسسون » .

(٦) حمش فلانا : هيجه .

يا أبا حنظلة ! فقال : أبو الفضل ! فقلت : نعم ، فقال : لبّيك فداك أبى وأمى ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسول الله وراءى قد دَلَفَ (١) إليكم بما لا قِبَلَ لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرنى ؟ فقلت : تركب عَجُزَ هذه البغلة ، فأستأمن لك رسولَ الله ؛ فوالله لئن ظَفِر بك ليضربِنَّ عنقك ، فردفنى فخرجت به أركُض بغلةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم نحو رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّما مررت بنارٍ من نيران المسلمين ونظروا إلىّ ، قالوا : عمُّ رسول الله على بَغْلةِ رسول الله ؛ حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال أبو سفيان ! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عَقْدٍ ولا عهد ! ثم اشتدّ نحو النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وركضت البغلة ، وقد أردفتُ (٢) أبا سفيان ؛ حتى اقتحمتُ على باب القبّة ، وسبقت عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجلَ البطىءَ ؛ فدخل عمر على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسولَ الله ، هذا أبو سفيان عدوّ الله ؛ قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد ؛ فدعْنِى أضرب عنقه ؛ فقلت : يا رسولَ الله ؛ إنّى قد أجرْتُه ! ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يناجيه اليومَ أحدٌ دونى ! فلمّا أكثر فيه عُمَر ، قلت : مهلا يا عمر ! فوالله ما تصنع هذا إلاّ لأنه رجل من بنى عبد مناف ؛ ولو كان من بنى عَدِىّ ابن كعب ما قلت هذا . فقال : مهلاً يا عباس ! فوالله لإسلامُك يومَ أسلمتَ كان أحبّ إلىّ من إسلام الخطاب لو أسلم ! وذلك لأنى أعلمُ أنَّ إسلامَك كان أحبّ إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فقد آمنّاه حتى تغدوَ به علىّ بالغداة . فرجع به إلى منزله ؛ فلمّا أصبح غدا به على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأنِ لك أن تعلَم أن لا إله إلا الله ! فقال : بأبى أنت وأمّى ، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! والله لقد ظننتُ أنْ لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنّى شيئًا ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأنِ لك أن تعلم أنّى

١٦٣٢/١

(١) دلف : مشى مشياً فوق الدبيب .

(٢) س : « وقد ردفت أبا سفيان حتى اقتحمت » .

رسول الله ! فقال : بأبى أنت وأمى ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! أمّا هذه فى النفس منها شىء ! فقال العباس : فقلت له ويلك ! تشهّدْ شهادة الحق قبل والله أن تُضرب عنقك ؛ قال : فتشهّد .

١/١٦٣٣ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعباس حين تشهّد أبو سفيان : انصرف يا عباس فاحبِسه عند خَطْم[1] الجبل بمضِيق الوادى ، حتى تمرّ عليه جنود الله ، فقلت له : يا رسولَ الله ، إنّ أبا سفيان رجلٌ يحبّ الفخر ، فاجعل له شيئًا يكون فى قومه . فقال: نَعمْ ؛ مَنْ دخل دارَ أبى سفيان فهو آمِنٌ ، ومَنْ دخلَ المسجد فهو آمنٌ ، ومَنْ أغلق عليه بابه فهو آمنٌ . فخرجت حتى حبستُه عند خَطْم الجبل بمضيق الوادى ؛ فمرّت عليه القبائل ، فيقول : مَنْ هؤلاء يا عباس ؟ فأقول : سليْم ، فيقول : مالى ولسليْم ! فتمرّ به قبيلة ، فيقول: مَنْ هؤلاء ؟ فأقول: أسلم ، فيقول : مالى ولأسلَم ! وتمرّ جُهينة ، فيقول : مالى ولجهينة ! حتى مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الخضراء ؛ كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلّم من المهاجرين والأنصار فى الحديد ؛ لا يُرى منهم إلا الحدَق ، فقال : مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل ؟ فقلت: هذا رسول الله فى المهاجرين والأنصار ؛ فقال : يا أبا الفضل ، لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك عظيمًا . فقلت : ويْحك إنها النبوّة ! فقال : نعم إذاً ، فقلتُ : الحق الآن بقومك فحذّرهم ؛ فخرج سريعًا حتى أتى مكة، فصرخ فى المسجد : يا معشرَ قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به ! قالوا : فمَهْ ! فقال : مَنْ دخل دارى فهو آمن ، فقالوا : ويحك ! وما تُغنى عنّا دارك ! فقال : ومَنْ دخل المسجد فهو آمن ، ومَنْ أغلق عليه بابه فهو آمن[2] .

١/١٦٣٤ حدّثنى عبدُ الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدّثنى

---

(١) خطم الجبل : أنفه ؛ أى مقدمه ، وفى س : « حطم » بالحاء ؛ وهو موضع ضيق تتزاحم فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضا .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، والأغانى ٦ : ٣٥٢ — ٣٥٤ ، (طبعة دار الكتب) .

أبي ، قال : حدّثنا ، أبان العطّار قال : حدّثنا هِشام بن عروة ، عن عُرْوة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: أمّا بعد، فإنك كتبت إليّ تسألني عن خالد بن الوليد : هل أغار يوم الفتح؟ وبأمر مَنْ أغار؟ وإنه كان من شأن خالد يوم الفتح أنه كان مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلما ركب النبيّ بطنَ مَرّ عامِداً إلى مكة ، وقد كانت قريش بعثوا أبا سفيان وحكيم بن حزام يتلقّيان رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم؛ وهم حين بعثوهما لا يدرون أين يَتوجّه[1] النبيّ صلى الله عليه وسلم! إليهم أو إلى الطائف! وذاك أيام الفتح ؛ واستتبع أبو سفيان وحكيم بن حزام بُدَيْلَ بن ورقاء، وأحبّا أن يصحبَهما، ولم يكن غير أبي سفيان وحكيم بن حزام وُبدَيل ؛ وقالوا لهم حين بعثوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نؤْتَيَنَّ من ورائكم ، فإنا لا ندرِى مَنْ يريد محمد! إيّانا يريد ، أو هوازن يريد ، أو ثقيفًا ! وكان بين النبيّ صلى الله عليه وسلم وبين قريش صُلْح يوم الحديبية وعَهْد ومدّة ، فكانت بنو بكر فى ذلك الصلح مع قريش ، فاقتتلتْ طائفة من بنى كَعب وطائفة من بنى بكْر ؛ وكان بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين قريش فى ذلك الصّلح الذى اصطلحوا عليه: «لا إغلال ولا إسلال »، فأعانت قريش بنى بكر بالسلاح ، فاتّهمت بنو كعب قريشًا، فمنها غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ مكة ؛ وفى غزوته تلك لَقِى أبا سفيان وحكيمًا وبُدَيْلا بمَرّ الظَهْران ؛ ولم يشعروا أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نزل مَرّ ، حتى طلعوا عليه ، فلما رأوْه بمَرّ ، دخل عليه أبو سفيان وبُدَيل وحكيم بمنزله بمَرّ الظّهران فبايعوه ، فلمّا بايعوه بعثَهم بين يديه إلى قريش ، يدعوهم إلى الإسلام ، فأخبِرتُ أنه قال : مَنْ دخل دار أبى سفيان فهو آمن — وهى بأعلى مكة — ومن دخلَ دارَ حكيم — وهى بأسفل مكة — فهو آمن ، ومن أغلق بابه وكَفّ يده فهو آمن . ١٦٣٥/١

وإنّه لما خرج أبو سفيان وحكيم من عند النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عامديْن إلى مكة، بعث فى أثرهما الزّبير وأعطاه رايته، وأمّره على خيل المهاجرين والأنصار

---

(١) س : « توجه » .

وأمَره أن يغرز رايته بأعلى مكة بالحَجُون ؛ وقال للزُّبير : لا تبرحْ حيث أمرتُك أن تغرِز رايتى حتى آتِيَك ؛ ومن ثمّ دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وأمر خالد بن الوليد — فيمن كان أسلم من قُضاعة وبنى سليم وأناس، إنما أسلموا قُبَيْل ذلك — أن يدخل من أسفَل مكة ، وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش، وبنو الحارث بن عبد مناة ومَنْ كان من الأحابيش أمرتْهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة ، فدخل عليهم خالد بن الوليد من أسفل مكة .

وحُدّثت أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لخالد والزبير حين بعثهما : لا تقاتِلا إلاّ مَنْ قاتلكما ؛ فلمّا قدم خالد على بنى بكْر والأحابيشُ بأسفل مكة، قاتلهم فهزمهم الله عزّ وجلّ ، ولم يكن بمكّة قتال غير ذلك؛ غير أنّ كُرْز بن جابر أحد بنى محارب بن فِهْر وابن الأشعر — رجلا من بنى كعب — كانا فى خيل الزبير فسلكا كَدَاء ، ولم يسلُكا طريق الزّبير الذى سلك ، الذى أمِر به[1] . فقتلا على كتيبة من قريش مهبط كَداء فقُتِلا ؛ ولم يكن بأعلى مكة من قِبَلِ الزبير قتال ؛ ومن ثمّ قدم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وقام الناس إليه يبايعونه ؛ فأسلم أهلُ مكّة ، وأقام النبيّ صلى الله عليه وسلم عندهم نصف شهر ، لم يزد على ذلك ، حتى جاءت هَوازن وثَقيف فنزلوا بحُنَيْن .

١٦٣٦/١

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجِيح ، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه مِنْ ذى طُوًى، أمر الزبير أن يدخل فى بعض الناس من كُدًى ؛ وكان الزبير على المُجنِّبَة اليسرى ، فأمر سعد بن عبادة أن يدخُل فى بعض الناس من كَدَاء. فزعم بعضُ أهل العلم أن سعدًا قال حين وجه داخلاً : « اليوم يوم المَلحَمَة ، اليوم تُستَحَلُّ الحُرْمَة » . فسمعها رجلٌ من المهاجرين ، فقال : يا رسولَ الله ، اسمع ما قال سعد بن عبادة ، وما نأمن أن تكون له فى قريش صَوْلةٌ ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ بن أبى طالب : أدركْه فخُذ الراية ، فكن أنتَ الذى تدخُل بها[2] .

---

(١) ط : « أمره » . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٠ ، ٢٧١ .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجِيح فى حديثه ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللِّيط أسفلَ مكة ، فى بعض الناس ؛ وكان خالد على المجنِّبَة اليمنى ، وفيها أسلم وغِفَار ومُزَيْنة وجهينة وقبائل من قبائل العرب ؛ وأقبل أبو عبيدة بن الجرّاح بالصَّفّ من المسلمين ينصبُّ لمكة بين يدى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أذاخِر ؛ حتى نزل بأعلى مكة ، وضُرِبَتْ هنالك قبّتُه[1]. ١٦٣٧/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجِيح وعبد الله بن أبى بكر ، أنّ صفوان بن أميّة ، وعِكْرمة ابن أبى جَهْل ، وسُهيل بن عمرو ، وكانوا قد جمعوا أناسًا بالخندمة ليقاتلوا ؛ وقد كان حِمَاسُ بن قيس بن خالد أخو بنى بكر يُعِدُّ سلاحًا قبل أن يدخل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مكة ويُصلح منها ، فقالت له امرأته : لمَاذا تعِدّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، فقالت : والله ما أ.اه يقوم لمحمد وأصحابه شىء ، قال : والله إنى لأرجو أن أُخْدِمَك بعضَهم ، فق ، :

إنْ تُقبلوا اليومَ فمالى عِلّهْ هٰذَا سلَاحٌ كامل وأَلّهْ[2]
* وذُو غِرارَيْنِ سريعُ السَّلّهْ[3] *

ثم شهد الخَنْدمة مع صفوان وسهيل بن عمرو وعكرمة ، فلمّا لقيَهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد نَاوَشُوهم شيئًا من قتال ، فقُتِل كُرْزُ ابن جابر بن حِسْل بن الأجبَّ بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر ، وحُبَيْش بن خالد ، وهو الأشعر بن ربيعة بن أصرم بن ضَبِيس ١٦٣٨/١

---

(١) ابن هشام : « ثم قال » .

(٢) الألة : الحربة لها سنان طويل .

(٣) ذو غرارين : ذو حدين .

ابن حرَام بن حبَشيَّة بن كعب بن عمرو ؛ حليف بنى منْقذ — وكانا فى خيل خالدبن الوليد ، فشذّا عنه ، وسلكا طريقاً غير طريقه ، فقتلا جميعاً — قُتل خُنيس قبل كُرْز بن جابر ؛ فجعله كرز بين رجليه ؛ ثم قاتل حتى قُتِل وهو يرتجز ، ويقول :

قد علمتْ صفراء من بنى فِهر[1] نَقِيَّةُ الوَجْهِ نَقِيَّةُ الصَّدرْ

* لأضربنَّ اليومَ عن أبِي صَخرْ *

وكان خُنيس يكنى بأبى صَخْر ؛ وأصيب من جُهينةَ سلَمة بن الميْلاء من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين أناسٌ قريب من اثنى عشر أو ثلاثة عشر . ثم انهزموا ، فخرج حِماس منهزماً ؛ حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقى علىَّ بابى ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

١٦٣٩/١

إنكِ لو شهدتِ يوم الخَنْدَمَهْ إذْ فرَّ صفوان وفرَّ عِكْرِمَهْ

وابو يزيدَ قائمٌ كالمؤتمه[2] واستقبلَتْهُم بالسيوفِ المُسْلمَهْ

يَقْطَعنْ كلَّ ساعِدٍ وجُمْجُمَهْ ضَرْباً فلاَ تُسْمَعُ إلاَّ غَمْغَمَهْ[3]

لهم نَهِيتٌ خَلْفنَا وهَمْهَمَهْ[4] لم تَنْطِقِى فى اللَّوْمِ أدْنَى كَلِمَهْ[5]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وكانَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ؛ ألاّ يقتلوا أحداً إلاّ من قاتلهم ؛ إلا أنه قد عهد فى نَفر سمّاهم ؛ أمر بقتلهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة ؛ منهم عبد الله بن سعد

---

(١) قال السهيلى : « أشار بقوله : « صفراء » ، إلى صفرة الخلوق » .

(٢) قوله : « وابو يزيد » ، بقلب الهمزة من « أبو » ألفا ساكنة ؛ وهو سهيل بن عمرو خطيب قريش . المؤتمة : المرأة التى لها أيتام ؛ والأعرف فيها مؤتم مثل مطفل . وفى ط : « كالمأتمة » ، والصواب ما أثبته من ابن هشام . وانظر الروض الأنف .

(٣) الغمغمة : أصوات غير مفهومة لاختلاطها .

(٤) النهيت : صوت فى الصدر ، والهمهمة مثله .

(٥) الخبر والرجز فى ابن هشام ٢ : ٢٧٢ .

ابن أبي سَرْح بن حُبَيِّب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ابن لؤيّ — وإنما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتله، لأنه كان قد أسلم فارتدّ مشركًا ، ففرّ إلى عُثْمانَ ، وكان أخاه من الرضاعة ، فغيّبه حتى أتى به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعد أن اطمأنّ أهلُ مكة، فاستأمن له رسول الله ، فذُكِر أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صَمَتَ طويلاً ، ثم قال : نعم ؛ فلمّا انصرف به عثمان ، قال رسول الله لمن حولَه من أصحابه: أما والله لقد صمتّ ليقومَ إليه بعضُكم فيضرب عنقه ! فقال رجلٌ من الأنصار : فهلاّ أومأتَ إليّ يا رسول الله ! قال : إن النبيّ لا يقتُل بالإشارة — وعبد الله بن خَطَل ، رجلٌ من بنى تيم بن غالب — وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلمًا ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدّقًا[1] ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ؛ وكان معه مولًى له يخدُمُه، وكان مسلمًا ، فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح لـه تيْسًا ، ويصنع له طعامًا ، ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئًا ، فعدَا عليه فقتله ، ثم ارتدّ مشركًا ؛ وكانت له قينتان : فرتنى وأخرى[2] معها ، وكانتا تغنّيان بهجاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأمر بقتلهما معه — والحويرث بن نُقَيْذ بن وهب بن عبد بن قصيّ، وكان ممن يؤذيه بمكة، ومقيَس بن صُبَابة — وإنما أمر بقتلِه لقتله الأنصاريّ الذى كان قتل أخاه خطأً ، ورجوعه إلى قريش مرتدًّا — وعكرمة بن أبي جهل، وسارة مولاة كانت لبعض بنى عبدالمطلب؛ وكانت ممن يُؤذيه بمكة . فأما عِكْرمة بن أبي جهل فهرَب إلى اليمن ؛ وأسلمت امرأته أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له رسولَ الله فأمّنه ؛ فخرجت فى طلبه حتى أتتْ به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكان عِكْرمة يحدّث — فيما يذكرون — أنّ الّذى ردّه إلى الإسلام بعد خروجه إلى اليمن أنه كان يقول : أردت ركوبَ البحر لألحقَ بالحبشة ، فلما أتيتُ السفينة لأركبها قال صاحبها : يا عبد الله ، لا تركب سفينتى حتى تُوَحّدَ اللهَ ، وتخلع ما دونه من الأنداد ، فإنى أخشى إن لم تفعل أن نهلِك فيها ، فقلت : وما يركبه أحدٌ

١/١٦٤٠
١/١٦٤١

(١) مصدقا : جامعا للصدقات .

(٢) ابن هشام : « وصاحبتها » .

حتى يوحّد الله ويخلع ما دونه ! قال : نعم ؛ لا يركبه أحدٌ إلاّ أخلص . قال : فقلت : فقيم أفارق محمداً ! فهذا الذى جاءنا به ، فوالله إنّ إلهنا فى البحر لإلهُنا فى البرّ ؛ فعرفت الإسلام عند ذلك ، ودخل فى قلبى . وأما عبد الله ابن خَطَل ، فقتله سعيد بن حريث المخزومىّ وأبو برزة الأسلمىّ ، اشتركا فى دمه ، وأما مقيَس بن صُبابة فقتله نُمَيْلَةُ بن عبد الله ؛ رجل من قومه ، فقالت أخت مِقيَس :

لَعَمْرِىْ لَقَدْ أَخزى نُمَيْلَةُ رهطَهُ وفَجَّعَ أضيافَ الشتاءِ بمقيَسِ
فلله عَيْنَا مَن رأى مثلَ مِقْيَسٍ إذا النُّفَساءُ أصبحَتْ لم تُخَرَّسِ[1] !

وأما قينتا ابن خَطَل فقتلت إحداهما ، وهربت الأخرى حتى استؤمِن لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمّنها . وأما سارَة ، فاستؤمِنَ لها فأمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرساً له فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح ، فقتلها . وأما الحويرث بن نُقَيْذ ، فقتله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه[2] .

١٦٤٢/١ وقال الواقدىّ : أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقتل ستة نفر وأربع نسوة ، فذكر من الرجال مَنْ سمّاه ابن إسحاق ، ومن النساء هند بنت عُتْبة ابن ربيعة ، فأسلمت وبايعت ، وسارَة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب ابن عبد مناف ، قتلت يومئذ ، وقُرَيبَة ؛ قتلت يومئذ ، وفَرتَنَى عاشت إلى خلافة عثمان .

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمر بن موسى ابن الوجيه ، عن قتادة السَّدوسىّ ، أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قام قائماً حين وقف على باب الكعبة ، ثم قال : لا إله إلا الله وحدَه ، لا شريك له ،

---

(١) لم تخرس : لم يصنع لها طعام عند ولادتها ، واسم ذلك الطعام : خرس وخرسة ، بضم الخاء ؛ وإنما أرادت به زمن الشدة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٣ .

صَدَقَ وعدَه، ونصر عبدَه، وهزم الأحزاب وحدَه. ألا كلّ مأثرة[1]، أو دم، أو مال يُدَّعى؛ فهو تحت قدميَّ هاتين إلا سِدانة[2] البيت وسِقاية الحاجّ. ألا وقتيلُ الخطإ مثل[3] العَمْد؛ السوط[4] والعصا، فيهما الدِّية مغلّظة [مائة من الإبل][5]، منها أربعون في بطونها أولادها.

يا معشر قريش؛ إنّ الله قد أذهب عنكم نَخْوة الجاهليّة وتعظُّمَها بالآباء. الناسُ مِن آدَمَ، وآدم خلق من تراب. ثم تلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ....﴾[6] الآية.

يا معشر قريش، ويا أهل مكة؛ ما تُرَوْن أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريمٌ وابن أخ كريم. ثم قال: اذهبُوا فأنتم الطُّلَقاء[7].

١٦٤٣/١ فأعتقهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عَنْوة، وكانوا له فَيْئاً، فبذلك يسمَّى أهلُ مكة الطلقاء. ثمّ اجتمع الناس بمكّة لبيعةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، فجلس لهم — فيما بلغني — على الصَّفا وعمر بن الخطاب تحت رسول الله أسفلَ من مجلسه يأخذ على الناس. فبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة لله ولرسوله — فيما استطاعوا — وكذلك كانت بيعتُه لمن بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من الناس على الإسلام. فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرّجال بايعَ النساء، واجتمع إليه نساءٌ من نساء قريش؛ فيهنّ هند بنت عُتْبة، متنقّبة متنكّرة لحدَثها وما كان من صنيعها بحمزة[8]، فهي تخاف أن يأخذَها رسولُ الله صلى الله

---

(١) المأثرة: الخصلة التي تتوارث ويتحدث بها الناس. (٢) سدانة البيت: خدمته.
(٣) ابن هشام: «شبه». (٤) ابن هشام: «بالسوط والعصا».
(٥) من ابن هشام. (٦) سورة الحجرات ١٣.
(٧) الخبر إلى هنا في ابن هشام ٢: ٢٧٤. (٨) س: «لحمزة».

عليه وسلم بحدَثها ذلك ، فلما دنوْنَ منه ليبايعنَه قال، رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني —: تبايعْنَنِي على ألاّ تشركْن بالله شيئًا ! فقالت هند: والله إنّك لتأخذ علينا أمرًا ما تأخذه على الرّجال وسنؤتيكه، قال: ولا تسرقْنَ ، قالت : والله إن كنتُ لأصيب من مال أبي سفيان الهَنَةَ والهنَةَ ، وما أدري أكان ذلك حِلاًّ لِي أم لا ! فقال أبو سفيان — وكان شاهداً لما تقول : أمّا ما أصبتِ فيما مضى فأنت منه في حِلٍّ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وإنّكِ لهند بنت عتبة ! فقالت : أنا هند بنت عتبة ، فاعفُ عمّا سلف عفا الله عنك ! قال : ولا تزنينَ ، قالت : يا رسولَ الله ، هل تزني الحرّة ! قال : ولا تقتلْنَ أولادَكُنّ ، قالت : قد ربّيْناهم صغاراً، وقتلتَهم يوم بدر كباراً ، فأنت وهم أعلم ! فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى استغرَب[1]. ١/١٦٤٤ قال : ولا تأتينَ ببهتان تفترينَه بين أيديكُنّ وأرجلكُنّ ، قالت : والله إنّ إتيان البهتان لقبيح ؛ ولبعض التجاوز أمثل . قال : ولا تعصينني في معروف ، قالت: ما جلسنا هذا المجلسَ ونحن نريد أن نعصيكَ في معروف ، فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمر : بايعهنّ واستغفر لهنّ رسولَ الله ، فبايعهنّ عُمر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُصافِحُ النساء ، ولا يمسّ امرأة ولا تمسّه إلاّ امرأة أحلّها الله له ، أو ذات مَحْرَمٍ منه .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبان ابن صالح ، أنّ بيعة النساء قد كانت على نحويْن — فيما أخبره بعض أهل العلم — كان يوضَع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إناء فيه ماء ، فإذا أخذ عليهنّ وأعطيْنَه غمسَ يدَه في الإناء ، ثم أخرجها ، فغمس النساءُ أيديهنّ فيه . ثم كان بعد ذلك يأخذ عليهنّ ، فإذا أعطينَه ما شرط عليهنّ ، قال : اذهبْنَ فقد بايعتُكنّ ، لا يزيد على ذلك .

* * *

قال الواقديّ : فيها قتل خِراشُ بن أميّة الكعبيّ جُنَيْدبَ بن الأدْلع

(١) استغرب ، معلوماً ، ومجهولا : بالغ في الضحك .

الهُذلِيّ — وقال ابن إسحاق: ابن الأثْوَع الهذليّ — وإنما قتله بذَحْل، كان فى الجاهليّة، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: إنّ خراشًا قتّال؛ إن خراشًا قتّال! يَعيبُه بذلك، فأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم خُزَاعَةَ أن يَدُوه.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير — قال محمد بن إسحاق: ولا أعلمه إلاّ وقد حدّثنى عن عروة بن الزبير — قال: خرج صَفْوان بن أميّة يريد جُدّة، ليركب منها إلى اليمن[1]، فقال عُمير بن وهب، يا نبيّ الله، إنّ صفوان بن أميّة سيّد قومه، وقد خرج هاربًا منك ليقذف نفسه فى البحر؛ فأمّنْه صلّى الله عليك! قال: هو آمِنٌ، قال: يا رسول الله، أعطِنى شيئًا يعرف به أمانك؛ فأعطاه عِمامته التى دخل فيها مكة؛ فخرج بها عُمير حتى أدركه بجُدّة، وهو يريد أن يركب البحر، فقال: ياصفوان، فِداك أبى وأمى! أذكّرك اللهَ فى نفسك أن تُهلِكَها! فهذا أمانٌ من رسول الله قد جئتك به، قال: ويلك! اغرُبْ عنّى فلا تكلّمنى! قال: أىْ صفوان! فداك أبى وأمّى! أفضلُ الناس، وأبرّ الناس، وأحلمُ الناسُ، وخيرُ الناس، ابن عمّتك، عِزّه عِزّك، وشرفه شرفك، ومُلْكه ملكك! قال: إنّى أخافه على نفسى، قال: هو أحلَمُ من ذلك وأكرمُ؛ فرجع به معه، حتى قدِم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال صَفْوان: إنّ هذا زعم أنك قد أمّنتنى، قال: صدق، قال: فاجعلنى فى أمرى بالخيار شهريْن، قال: أنت فيه بالخيار أربعة أشهر[2].

١٦٤٥/١

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن الزّهرى، أنّ أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام وفاختِةَ بنت الوليد — وكانت فاختة عند صفوان بن أميّة، وأمّ حكيم عند عكرْمة بن أبى جهل — أسلمتا، فأمّا أمّ حكيم فاستأمنت رسولَ الله لِعكرْمة بن أبى جهل، فآمنه، فلحقت به باليمن، فجاءَتْ به؛ فلمّا أسلم عكرْمة وصفوان، أقرّهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النّكاح الأول[3].

١٦٤٦/١

---

(١) س: «البحر».
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٦.
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٨.

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ؛ لما دخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكّة هرب هبَيْرَةُ بن أبى وهب المخزومىّ وعبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمى إلى نَجْران .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارىّ ؛ قال : رمَى حسّانُ عبدَ الله بن الزِّبَعْرى وهو بنجْران ببيت واحد ، ما زاده[1] عليه :

لاتَعْدَمَنْ رجلا أحَلَّكَ بُغْضُهُ ... نَجْرانَ فى عَيْشٍ أحَذَّ لئيم[2]

فلما بلغ ذلك ابنَ الزِّبعَرى ، رجع إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال حين أسلم :

يا رسولَ المليكِ إنَّ لسانِى ... راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذ أنا بُورُ[3]

إذْ أُبارِى الشيطانَ فى سَنَنِ الرِّ ... ح ومَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ[4]

آمَنَ اللَّحْمُ والعِظَامُ لرَبِّى ... ثم نفسى الشهيدُ أنْتَ النَّذِيرُ

إنّنى عنكَ زاجِرٌ ثَمَّ حَيًّا[5] ... من لؤىٍّ فكلُّهم مَغْرُورُ

١٦٤٧/١

وأما هُبيرة بن أبى وَهْب ، فأقام بها كافراً ، وقد قال حين بلغه إسلامُ أمّ هانئْ بنت أبى طالب وكانت تحته ، واسمها هند :

أشاقَتْك هِنْدٌ أم نَآك سؤَالُها ... كَذَاكَ النَّوَى أسبابُها وانفتالُها[6]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وكان جميعُ مَنْ شهد فتح مكّة من المسلمين عشرة آلاف ؛ من بنى غِفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، ومِن مُزينة ألف وثلاثة نَفر ، ومن بنى سُلَيْم

---

(١) س : « زاد » .
(٢) عيش أحذ : قليل منقطع .
(٣) بور : هالك .
(٤) ابن هشام : « سَنَن الغى » ، والسَّنَن : وسط الطريق . ومثبور : هالك .
(٥) كذا فى ابن هشام : وفى ط « إننى عنك ناهى . . . » .
(٦) فى أبيات ذكرها ابن هشام مع الخبر فى السيرة ٢ : ٢٧٩ .

سبعمائة ، ومن جُهينة ألف وأربعمائة رجل ؛ وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من بنى تميم وقيس وأسد[١] .

* * *

قال الواقدىّ : فى هذه السنة تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مليكة بنت داود الليْثيّة ، فجاء إليها بعضُ أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقالت لها : ألا تستَحيين حين تزوّجين رجلًا قتل أباك ! فاستعاذت منه ؛ وكانت جميلة ، وكانت حدثة ، ففارقها رسول الله ؛ وكان قتل أباها يوم فتح مكة .

* * *

قال : وفيها هدم خالد بن الوليد العُزّى ببطن نَخْلة ، لخمس ليال بقينَ من رمضان ؛ وهو صنمٌ لبنى شيبان ؛ بطن من سليم حلفاء بنى هاشم ، وبنو أسد بن عبد العزّى ، يقولون : هذا صَنمنا ، فخرج إليه خالد ، فقال : قد هدمته ، قال : أرأيتَ شيئًا ؟ قال : لا ، قال : فارجع فاهدِمْه ، فرجع خالد إلى الصنم فهدم بيتَه ، وكسر الصنم ، فجعل السادنُ يقول : أعُزّىاغضَبى بعض غضباتك ! فخرجت عليه امرأة حبشيّة عريانةٌ مُوَلْوِلَة ، فقتلها وأخذ ما فيها من حلية ، ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بذلك، فقال : تلك العزّى ، ولا تعبَدُ العُزّى أبداً . ١٦٤٨/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزّى ــ وكانت بنخلة ، وكانت بيتًا يعظّمه هذا الحىّ من قريش وكنانة ومُضر كلّها ؛ وكانت سدَنَتُها من بنى شيبان ، من بنى سُلَيم حلفاء بنى هاشم ــ فلما سمع صاحبها بمسير خالد إليها ، علّق عليها سيفَه ، وأسند[٢] فى الجبل الذى هى إليه فأصعد فيه ، وهو يقول :

أَيا عَزَّ شُدِّى شَدَّةً لا شَوَى لها ... على خَالدٍ أَلْقِى القِناعَ وشَمِّرِى[٣]

ويا عُزَّ إن لم تَقْتُلِى اليومَ خَالِداً ... فَبُوئى بإثمٍ عَاجِلٍ أوتنصَّرِى[٤]

---

(١) ابن هشام ٢ : ٢٨٩ .
(٢) أسند فى الجبل : ارتفع فيه .
(٣) لا شوى لها ؛ أى لا تبقى على شىء .
(٤) بوئى : ارجعى .

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [1]

* * *

قال الواقدىّ : وفيها هُدِم سُواع ؛ وكان برُهاط لهذيل ، وكان حَجَرًا ؛ وكان الذى هدّمه عمرو بن العاص لما انتهى إلى الصنّم ، قال له السّادن : ما تريد ؟ قال : هَدْم سُواع ، قال : لا تطيق تَهدمُه ، قال له عمرو بن العاص : أنتَ فى الباطل بعد ! فهدمه عمرو ، ولم يجد فى خزانته شيئًا ، ثم قال عمرو للسادن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت والله . ١٦٤٩/١

وفيها هدم مناة بالمشلّل ، هدمه سعد بن زيد الأشهلىُّ ، وكان للأوس والخزرج .

* * *

[مسير خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة بن مالك]

وفيها كانت غزوة خالد بن الوليد بنى جَذِيمة ، وكان من أمره وأمرهم ما حدّثنا به ابن حُميد ؛ قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : قد كانَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عزّ وجلّ ؛ ولم يأمرهم بقتال ؛ وكان ممّن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تِهامة داعيًا ، ولم يبعثه مقاتِلاً ؛ فوطئَ بنى جذيمة ، فأصاب منهم .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، عن حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حُنَيف ، عن أبى جعفر محمد بن على بن حسين ، قال : بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين افتتح مكة خالدَ بن الوليد داعيًا ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب : سُلَيم ومُدْلِج ، وقبائل من غيرهم ؛ فلمّا نزلوا على الغُمَيْصاء — وهى ماء من مياه بنى جَذِيمة بن عامر بن عبد مناة ابن كنانة — على جماعتهم ، وكانت بنو جذيمة قد أصابوا فى الجاهلية عَوْف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة — وكانا أقبلا تاجرين من اليمن — حتى إذا نزلا بهم قتلوهما ، وأخذوا أموالهما ، فلمّا كان الإسلام ، وبعث ١٦٥٠/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٦ .

رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد ، سار حتّى نزل ذلك الماء ؛ فلمّا رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال لهم خالد : ضعوا السلاح ، فإنّ الناس قد أسلموا[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى بعضُ أهل العلم ، عن رجل من بنى جُذيمة ، قال : لما أمرَنا خالدٌ بوضع السّلاح ، قال رجل منّا يقال له جَحْدَم : ويلكم يا بنى جذيمة! إنّه خالد! والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، ثمّ ما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ؛ والله لا أضع سلاحى أبدًا . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ؛ أتريد أن تسفِك دماءنا ! إنّ الناس قد أسلموا ، ووضعت الحرب ، وأمِن الناس ؛ فلم يزالوا به حتّى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد ؛ فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكُتِفُوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل مَنْ قَتَل منهم . فلما انتهى الخبرُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السّماء ، ثم قال : اللهمّ إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد !

ثم دعا علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، فقال : يا علىّ اخرج إلى هؤلاء القوم ؛ فانظر فى أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميْك . فخرج حتّى جاءهم ومعه مالٌ قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، فودَى لهم الدماء وما أصيب من الأموال ؛ حتى إنه ليَدِى ميلغَةَ[٢] الكلب ؛ حتى إذا لم يبقَ شىء من دم ولا مال إلاّ وَدَاه ، بقيتْ معه بقيّة من المال . فقال لهم علىّ عليه السلام حين فرغ منهم : هل بقىَ لكم دم أو مال لم يودَ إليكم ؟ قالوا : لا ، قال : فإنّى أعطيكم هذه البقيّة من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا لا يعلم ولا تعلمون . ففعل ، ثمّ رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال : أصبت وأحسنت . ثم قامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فاستقبل القبلة قائمًا شاهرًا يديه ؛ حتى إنه ليُرى بياضُ

١٦٥١/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ .

(٢) الميلغة : شىء يحفر من خشب ويجعل ليلغ فيه الكلب ، يكون عند أصحاب الغنم وأهل البادية .

ما تحت منكبيه ؛ وهو يقول : اللهمّ إنّى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثلاث مرات !

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض مَنْ يَعْذِرُ خالداً : إنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حُذافة السهمىّ ، وقال : إنّ رسولَ الله قد أمرك بقتلهم لامتناعهم من الإسلام ، وقد كان جَحْدم قال لهم حين وضعوا سلاحهم ، ورأى ما يصنع خالد ببنى جذيمة : يا بنى جذيمة ، ضاع الضّرب ، قد كنت حذّرتكم ما وقعتم فيه [١] !

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى عبد الله بن أبى سلَمة ، قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن ابن عوف — فيما بلغنى — كلام فى ذلك ، فقال له : عملت بأمر الجاهليّة فى الإسلام ! فقال : إنّما ثأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن بن عوف : كذبت ! قد قتلتُ قاتل أبى ، ولكنك إنما ثأرت بعمّك الفاكه بن المغيرة ؛ حتى كان بينهما شىءٌ [٢] ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلا يا خالد ! دع عنك أصحابى ؛ فوالله لو كان لك أحُدٌ ذهبًا ثم أنفقتَه فى سبيل الله ؛ ما أدركت غَدْوةَ رجل من أصحابى ولا رَوْحته [٣] .

١/١٦٥٢

حدّثنا سعيد بن يحيى الأموىّ ، قال : حدّثنا أبى . وحدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ؛ جميعًا عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنس بن شَريق ، عن ابن شهاب الزهرىّ ، عن ابن عبد الله بن أبى حَدْرَد الأسلمىّ ، عن أبيه عبد الله بن أبى حَدْرد ، قال : كنتُ يومئذ فى خَيْل خالد ، فقال لى فتى منهم — وهو فى السبى ؛ وقد جُمِعت يداه إلى عنقِه برُمَّة [٤] ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى ! قلت : نعم ؛ قال : هل أنتَ آخذٌ بهذه الرُّمة فقائدى بها إلى هؤلاء النسوة ، حتى أقضىَ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ .
(٢) ابن هشام : « شرّ » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ .
(٤) الرمة : الحبل البالى .

إليهنّ حاجة ، ثم تَرُدُّنى بعد ، فتصنعوا بى ما بدا لكم؟ قال: قلت : والله لَيسيرٌ ما سألت ، فأخذت برُمّته فقدْتُه بها حتى أوقفته عليهنّ ، فقال : اسلمى حُبَيش[1] ، على نَفَد العيش[2] :

أريْتَكِ إذْ طالَبْتكم فوجَدْتُكم بحَلْيَةَ أو ألْفيتكمْ بالخوانِقِ ! ١٦٥٣/١

ألم يَكُ حَقًّا أن يُنوَّلَ عاشقٌ تَكلّفَ إدْلاجَ السُّرى والوَدائِقِ[3] !

فلا ذَنْبَ لى قد قُلْتُ إذْ أهْلُنا معاً أثيبى بوُدٍّ قَبْلَ إحْدَى الصَّفائِقِ![4]

أثيبى بوُدٍّ قبل أن تَشْحَط النَّوَى ويَنْأى الأميرُ بالحبيب المُفارِقِ[5]

فإنّىَ لاسِرًا لَدَىّ أضَعْتُه ولا راق عَيْنى بعد وَجهِكِ رائِق

عَلَى أنّ ما نابَ العَشِيرَةَ شَاغِلٌ ولا ذِكْرَ إلاّ أن يكون لوامِقِ

قالت : وأنت فحُيِّيتَ عشراً ، وسبْعًا وِتْراً ، وثمانيًا تَتْرى[6] ! ثم انصرفتُ به ، فقدِّم فضُرِبت عنقه .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبى فِراس بن أبى سُنْبُلة الأسلمىّ ؛ عن أشياخ منهم ، عمّن كان حضرها ، قالوا : قامت إليه حين ضُربت عنقه ، فأكبّتْ عليه ، فما زالت تُقبِّلُه حتى ماتت عنده .

حدّثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصُر الصلاة . ١٦٥٤/١

* * *

قال ابنُ إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقِينَ من شهر رمضان سنة ثمانٍ .

* * *

(١) حبيش : مرخّم حبيشة . (٢) على نفد العيش ؛ يريد على تمامه .
(٣) الإدلاج : السير ليلا . والودائق : جمع وديقة ؛ وهى شدة الحر فى الظهيرة .
(٤) الصفائق : صوارف الخطوب وحوادثها ، الواحدة صفيقة .
(٥) تشحط : تبعد . (٦) تترى : متتابعة .

ذكر الخبر عن غزوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازن بحنين

وكان من أمْر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأمْر المسلمين وأمْرِ هوازن ما حدّثنا عليّ بن نصر بن عليّ الجَهضميّ وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث — قال عليّ: حدّثنا عبد الصّمد ، وقال عبد الوارث: حدثنا أبي — قال: حدّثنا أبان العطار ، قال: حدّثنا هشام بن عروة ، عن عُروة ، قال: أقام النبيّ صلى الله عليه وسلم بمكّة عام الفتح نصف شهر ، لم يزد على ذلك؛ حتى جاءت هوازن وثَقيف ، فنزلوا بحُنين — وحنين واد إلى جنب ذي المجاز — وهم يومئذ عامدون يريدون قتال النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكانوا قد جمعوا قبل ذلك حين سمعوا بمخرَج رسول الله من المدينة ، وهم يظنّون أنه إنما يريدهم حيث خرج من المدينة ، فلمّا أتاهم أنه قد نزل مكة ، أقبلتْ هَوازِن عامدين إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأقبلوا معهم بالنساء والصبيان والأموال — ورئيس هَوازن يومئذ مالك بن عوف أحد بني نصر — وأقبلت معهم ثَقيف؛ حتى نزلوا حُنَيْنًا يريدون النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ فلما حُدِّث النبيّ وهو بمكّة أنْ قد نزلت هوازن وثقيف بحنين ، يسوقهم مالك بن عوف أحد بني نصر — وهو رئيسهم يومئذ — عمَد النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى قدِم عليهم ، فوافاهم بحُنَين ، فهزمهم الله عزّ وجلّ ، وكان فيها ما ذكر الله عزّ وجلّ في الكتاب؛ وكان الذي ساقوا من النساء والصبيان والماشية غنيمة غنّمها الله عزّ وجلّ رسولَه ، فقسّم أموالَهم فيمن كان أسلم معه من قريش. ١/١٦٥٥

حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال: لما سمعتْ هوازِن برسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وما فتح الله عليه من مكة؛ جمعها مالك بن عوف النَّصريّ؛ واجتمعت إليه مع هَوازن ثَقيف كلّها ، فجُمعت نصر وجُشَم كلّها وسعد بن بكر وناس من بني هلال؛ وهم قليل ، ولم يشهدها من قَيْس عَيْلان إلاّ هؤلاء ، وغابت عنها فلم يحضرها من هَوازن كعب ولا كلاب؛ ولم يشهدها منهم أحدٌ له اسمٌ ، وفي جُشَم دُرَيْد بن

الصِّمَّة شيخ كبير ؛ ليس فيه شيء إلا التيمّن برأيه ومعرفته بالحرْب ، وكان شيخًا كبيراً مجرّبًا ؛ وفى ثقيف سيّدان لهم فى الأحْلاف : قارب بن الأسود ابن مسعود ، وفى بنى مالك ذو الخِمار سُبيْع بن الحارث وأخوه الأحمر بن الحارث فى بنى هلال ، وجِماع أمرِ الناس إلى مالك بن عوف النصرىّ .

١٦٥٦/١ فلمّا أجمعَ مالك المسيرَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ؛ فلمّا نزل بأوْطاس ، اجتمع إليه الناس ؛ وفيهم دُرَيد بن الصمّة فى شِجَار[1] له يُقَادُ به ؛ فلما نزَل قال : بأىّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوْطاس ، قال : نعم مجالُ الخيل ! لا حَزْن ضَرِس[2] ، ولا سَهْل دَهِس[3] ؛ مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، ويُعار الشاء[4] ، وبكاء الصغير ! قالوا : ساقَ مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالَهم ، فقال : أين مالك ؟ فقيل : هذا مالك ، فدُعِى له ، فقال : يا مالك ، إنّك قد أصبحتَ رئيس قومك ؛ وإنّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ؛ مالى أسمع رُغاء البعير ، ونهاق الحمير ، ويعار الشاء ، وبكاء الصغير ! قال : سُقْتُ مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، قال : ولِمَ ؟ قال : أردتُ أن أجعل خَلْف كلّ رجل أهلَه ومالَه ليقاتل عنهم ؛ قال : فأنقضَ به[5] ثم قال : راعى ضأن[6] والله ! هل يردّ المنهزمَ شىءٌ ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلاّ رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحتَ فى أهلك ومالك . ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهد منهم أحد ، قال : غاب الحدُّ والجدُّ ؛ لو كان يوم علاءٍ ورفعة لم تَغِب عنه كعب وكلاب ؛ ولوَددت أنكم فعلتم ما فعلتْ كعب وكلابٌ ؛ فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف بن عامر ؛ قال : ذانك الجَذَعان[7] من بنى عامر ! لا ينفعان ولا

(١) الشجار : شبه الهودج ؛ إلا أنه مكشوف الأعلى .

(٢) الحزن : المرتفع من الأرض ، والضرس : الذى فيه حجارة محددة .

(٣) الدهس : اللين الكثير التراب .

(٤) الأغانى : « ثغاء الشاء » .

(٥) أنقض به ، أى زجره .

(٦) فى الأغانى : « أى أحمق » .

(٧) الجذع : الشاب الحدث .

١/١٦٥٧ يضرّان، يا مالك إنّك لم تصنع بتقديم البَيْضة ؛ بيضة هوازن، إلى نُحور الخيل شيئًا ، ارفعهم إلى متمنّع[1] بلادهم وعُلْيا قومهم ؛ ثم الق الصبّاء[2] على مُتُون الخيل ، فإن كانت لك لحِق بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزتَ أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرتَ وكبِر علمك ؛ والله لتطيعُنّني يا معشرَ هوازن أو لأتّكئنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ! وكره أن يكون لدُرَيْد فيها ذكرٌ ورأىٌ . قال دُريد بن الصمّة : هذا يوم لم أشهده ؛ ولم يَفُتْنى :

يا ليْتَنى فيهـــا جذَعْ أخُبّ فيها وأضَعْ [3]
أقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ كأنّها شاةٌ صَدَعْ [4]

وكان دُريد رئيسَ بنى جُشَم وسيّدهم وأوسطهم ؛ ولكن السنّ أدركته حتى فَنِىَ — وهو دُريد بن الصّمة بن بكر بن علْقمة بن جُدَاعة بن غَزيّة

١/١٦٥٨ ابن جُشَم بن معاوية بن بكْر بن هوازن — ثم قال مالك للناس : إذا أنتم رأيتم القومَ فاكسرُوا جفونَ سيوفكم ، وشُدّوا شَدّةَ رجل واحد عليهم [5] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن أميّة ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ أنه حدّث أن مالك بن عوف بعث عيونًا من رجاله لينظروا له ، ويأتوه بخبر الناس ؛ فرجعوا إليه وقد تفرّقت أوصالُهم ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضًا على خيل بُلْق ؛ فوالله ما تماسَكْنا أن أصابَنا ما ترى! فلم ينهَهُ ذلك عن وجهه ؛ أن مضى على ما يريد[6] .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث

---

(١) الأغانى : « أعلى بلادهم » .
(٢) الصباء : جمع صابئ ؛ وهم المسلمون عندهم ؛ كانوا يسمونهم بذلك ؛ لأنهم صبئوا من دينهم ، أى خرجوا .
(٣) الخبب والوضع : ضربان من السير .
(٤) الوطفاء : الطويلة الشعر ، والزمع : الشعر الذى فوق مربط الدابة .
(٥) الخبر فى ابن هشام ٢ : ٢٨٧ ، والأغانى ١٠ : ٣٠ — ٣٢ (طبع دار الكتب) .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٧ .

إليهم عبدَ الله بن أبى حَدْرد الأسلمىّ ، وأمره أن يدخلَ فى الناس فيُقيم فيهم حتى يأتيَه بخبر منهم ؛ ويعلم مِنْ علمهم . فانطلق ابن أبى حَدْرد ، فدخل فيهم ، فأقام معهم حتى سمع وعلم ما قد أُجمعوا له من حَرْب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلم أمر مالك وأمرَ هوازن وما هم عليه . ثم أتى رسولَ الله ، فأخبره الخبر ؛ فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرَ بن الخطاب ، فأخبره خبَرَ ابن أبى حَدْرد ، فقال عمرُ : كذب ! فقال ابن أبى حَدْرد : إنْ تكذّبْنى فطالَما كذّبْتَ بالحقّ يا عمر ! فقال عمر : ألا تسمعُ يا رسول الله إلى ما يقول ابن أبى حَدْرد ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قد كنتَ ضالاً فهداك الله يا عمر (١) .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى أبو جعفر محمد بن على بن حسين ، قال : لما أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السَّيْرَ إلى هَوازن ليلقاهم ، ذُكِر له أنّ عند صفوان بن أميّة أدراعًا وسلاحًا ، فأرسل إليه ، فقال : يا أبا أميّة — وهو يومئذ مشرك : أعِرْنا سلاحك هذا نلْق فيه عدوّنا غداً . فقال له صفوان : أغَصْبًا يا محمد! قال : بل عاريّة مضمونة حتى نؤدّيَها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة دِرْع بما يصلحُها من السلاح ؛ فزعموا أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيَه حَمْلها ففعل (٢) . ١٦٥٩/١

قال أبو جعفر محمد بن علىّ : فمضت السنّة أن العاريّة مضمونة مؤدّاة .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبى بكْر ، قال : ثمّ خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومعه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفًا ، واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عتّابَ بن أسيد ابن أبى العيص بن أميّة بن عبد شمس على مكّة أميراً على مَنْ غاب عنه من الناس ، ثم مضى على وجهه يريد لقاء هوازن (٣) .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٧ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٨ .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٨ .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه ، قال : لمّا استقبلنا وادى حُنين ، انحدَرْنا فى واد من أودية تِهامة أجوف [١] حَطُوط ، إنما ننحدر فيه انحداراً — قال : وفى عَماية [٢] الصبح ، وكان القوم قد سبقوا إلى الوادى ، فكَمنوا لنا فى شِعابه وأحنائه ومضايقه ، قد أجمعوا وتهيّئوا وأعدّوا — فوالله ما راعنا ونحن منحطّون إلاّ الكتائب قد شدّتْ علينا شَدّة رجل واحد؛ وانهزم الناس أجمعون،فانشمروا [٣] لا يلوِى أحدٌ على أحد ؛ وانحاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ! هلمّ إلىّ ! أنا رسولُ الله ، أنا محمد بن عبد الله ! قال: فلا شىء، احتملت الإبل بعضها بعضًا ، فانطلق الناس ؛ إلاّ أنه قد بقِىَ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم نفرٌمن المهاجرين والأنصاروأهل بيته . وممّن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر ، وعمر ، ومن أهل بيته علىُّ بن أبى طالب،والعبّاس بن عبد المطلب، وابنُه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث ، وربيعة بن الحارث ، وأيْمَن بن عُبيد — وهو أيمن بن أمّ أيمن — وأسامة بن زيد بن حارثة . قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء فى رأس رمح طويل ، أمام الناس وهوازن خلْفه ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه ؛ فاتبعوه . ولما انهزم النّاس ، ورأى مَنْ كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة أهل مكة الهزيمةَ، تكلّم رجالٌ منهم بما فى أنفسهم من الضِّغْن ، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ؛ والأزلام معه فى كنانته ؛ وصرخ كَلَدةُ بن الحنبل — وهو مع أخيه صفوان بن أميّة بن خَلف وكان أخاه لأمه ، وصفوان يومئذ مشرك فى المدّة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقال : ألابطل السِّحْرُ اليوم ! فقال له صفوان: اسكت فَضّ اللهُ فاك ! فوالله لأنْ يَرُبَّنى رجلٌ من قريش أحبُّ إلىّ من أن يَرُبَّنى

١/١٦٦٠ ١/١٦٦١

---

(١) أجوف : متسع . (٢) عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين .

(٣) انشمر الناس : انفضوا وانهزموا .

رجل من هوازن ! وقال شيبةُ بن عثمان بن أبى طلحة ، أخو بنى عبد الدار : قلت : اليوم أدرِكُ ثأرى — وكان أبوه قُتل يوم أُحُد — اليوم أقتل محمداً . قال : فأردت رسولَ الله لأقتلَه ، فأقبل شىء حتى تغشَّى فؤادى فلم أطقْ ذلك ، وعلمت أنه قد مُنِع منِّى (١) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزّهرىّ ، عن كَثير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : إنّى لمعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم آخذٌ بحَكَمَة (٢) بغلته البيضاء ، قد شجرتُها (٣) بها ، قال : وكنت امرأً جسيماً شديد الصوت ، قال : ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى من الناس ما رأى : أينَ أيّها الناس ! فلمّا رأى الناس لا يَلْوُون على شىء قال : يا عباس ، اصرخ : يا معشر الأنصار ! يا أصحاب السَّمُرَة ! فناديت : يا معشرَ الأنصار ، يا معشر أصحاب السَّمُرة ! قال : فأجابوا : أنْ لبَّيك لبّيك ! قال : فيذهبُ الرّجُل منهم يريد ليَثْنى بعيرَه ؛ فلا يقدِر على ذلك ، فيأخذ درْعه فيقذِفها فى عُنقه ، ويأخذ سيفه وتُرسه ، ثم يقتحم عن بعيره فيخلِّى سبيلَه فى الناس ، ثم يؤمّ الصوت ، حتى ينتهىَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة رجل استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، فكانت الدَّعوى أوّلَ ما كانت : ياللأنصار ! ثم جُعلت أخيراً : يا للخزرج ! وكانوا صُبُراً عند الحرب ؛ فأشرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى ركابه ، فنظر مُجتَلَد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن حَمِىَ الوَطِيس (٤) !

١٦٦٢/١

حدّثنا هارونُ بن إسحاق ، قال : حدّثنا مُصعب بن المقدام ، قال : حدّثنا إسرائيل ، قال : حدّثنا أبو إسحاق ، عن البَراء ، قال : كان أبو سفيان بن الحارث يقودُ بالنبىّ صلى الله عليه وسلم بغلته يوم حُنين ، فلمّا

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ .
(٢) الحكمة محركة : ما أحاط بحنكة بغلته من لجامه .
(٣) شجرتها بها ؛ أى وضعتها فى شجرها ؛ وهو مجتمع اللحيين .
(٤) الوطيس : التنور يخبز فيه . والخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .

غَشِيَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم المشركون ، نزل فجعل يرتجز ، ويقول :

أنا النبيُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبد المطَّلِبْ

فما رُئِيَ من الناس أشدّ منه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينَا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع ؛ إذ هوَى له عليّ بن أبى طالب ورجل من الأنصار ، يريدانه ، فيأتيه على من خلْفه ، فيضرب عُرْقُوبَيِ الجمل ، فوقع على عَجُزِه ، ووثب الأنصاريّ على الرّجل فضربه ضربة أطَنّ قدَمه[1] بنصف ساقه، فانجعف[2] عن رَحْله . قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعتْ راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارَى مكتّفين ؛ وقد التفت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب — وكان ممّن صبَر يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسنَ الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثَفَر[3] بغلته — فقال : من هذا ؟ قال : ابن أمّك يا رسول الله[4] !

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكْر ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم التفَت ، فرأى أمّ سُليم بنت مِلْحان — وكانت مع زوجها أبي طلحة — حازمة وسطها ببُرْد لها ؛ وإنّها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعها جمل أبي طلحة ، وقد خشيتْ أن يَعُزّها[5] الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلتْ يدها في خِزَامته[6] مع الخِطام ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّ سليم ! قالت : نعم ؛

١/١٦٦٣

(١) أطن قدمه : أطارها ؛ وسمع لضربه طنين ؛ أى دوىّ .

(٢) انجعف عن رحله : سقط عنه صريعا .

(٣) الثفر : السير فى مؤخر السرج .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .

(٥) يعزها : يغلبها .

(٦) الخزامة : حلقة من شعر تجعل فى أنف البعير .

بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ! اقتُلْ هؤلاء الذين يفرُّون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهلٌ ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أوَ يكفي اللهُ يا أمّ سُليم ! ومعها خنجر فى يدها ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا معك يا أمّ سليم ؟ قالت : خنجر أخذتُه معى ؛ إن دنا منّى أحدٌ من المشركين بعجتُه به[1]. قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع ما تقولُ أمّ سليم يارسول الله![2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى حمّاد بن سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس ابن مالك ، قال : لقد استلبَ أبو طلحة يوم حنين عشرين رجلاً وحدَه هو قتلهم[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن أبيه ، أنه حدّث عن جُبير بن مُطعِم ، قال : لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثلَ البِجَاد[3] الأسود ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ؛ فنظرت فإذا نملٌ أسود مبثوثٌ قد ملأ الوادى ؛ فلم أشكّ أنها الملائكة ، ولم يكن إلاّ هزيمة القوم[4] .

١/١٦٦٤

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فلمّا انهزمت هوازن استحرّ القتل من ثَقيف ببنى مالك ، فقُتِل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حُبيِّب ؛ جَدُّ ابن أمّ حكم بنت أبى سفيان ، وكانت رايتهم مع ذى الخِمار ، فلمّا قُتل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قُتل[4] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عامر بن وهب بن الأسود بن مسعود ، قال : لمّا بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قتلُ عثمان ، قال : أبعدَه الله ! فإنه كان يبغِض قريشاً[4] .

---

(١) بعج بطنه : شقه .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .
(٣) البجاد : الكساء .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ .

حدّثنا عليّ بن سهل ، قال : حدّثنا مؤمّل ، عن عُمارة بن زاذان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم حُنين على بغلة بيضاء ، يقال لها دُلْدُل ، فلمّا انهزم المسلمون ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لبغلته : البُدى[1] دُلْدُل! فوضعت بطنها على الأرض ، فأخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم حَفْنَةً من تراب ، فرمى بها فى وجوههم ، وقال: «حم لا يُنْصَرون !». فولّى المشركون مُدْبرين ، ما ضربَ بسيف ولا طعن برمْح ولا رمى بسهم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، قال: قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نَصرانىّ أغرلُ[2]. قال : فبينا رجلٌ من الأنصار يستلب قتلَى من ثقيف ، إذ كشف العبد ليستلبَه ، فوجده أغرل ، فصرخ بأعلَى صوته : يعلم الله أن ثقيفًا غُرْل ما تختتن ! قال المغيرة بن شعبة : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنّا فى العرب ، فقلت : لا تقُلْ ذلك فداك أبى وأمىّ ! إنما هو غلامٌ لنا نصرانىٌّ ، ثم جعلت أكشف له قتلانا فأقول: ألا تراهم مُختّنين! قال: وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود بن مسعود ، فلمّا هُزِم الناس أسند رايتَه إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمّه وقومه من الأحلاف ، فلم يُقتَلْ منهم إلاّ رجلان ؛ رجل من بنى غِيَرَة يقال له وهب ، وآخر من بنى كُنّة[3] يقال له: الجُلاح ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بلَغه قتل الجُلاح : قُتل اليوم سيّد شباب ثَقيف ؛ إلا ما كان من ابن هُنَيدة — وابنُ هنيدة الحارث بن أوْس[4] .

١٦٦٥/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما انهزم المشركون أتوُا الطائف ، ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوْطاس ، وتوجّه بعضُهم نحو نَخْلة — ولم يكن فيمن توجّه نحو نخلة إلاّ بنو غِيَرَة من ثَقيف — فتبعتْ خيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مَنْ سلك فى نَخْلة

(١) البدى : أمر من لبد بالمكان إذا لزمه فلم يبرحه .
(٢) أغرل : غير مختون . (٣) ابن هشام : « كبة » .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، وفيه : « الحارث بن أويس » .

من النّاس ، ولم تتبع مَنْ سلَك الثنايا ، فأدرك ربيعةُ بن رُفيع بن أهْبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يَرْبوع بن سَمَّال بن عوْف بن امرئ القيس — وكان يقال له ابن لذْعة[1] وهى أمّه، فغلبتْ على نسبه — دريدَ بن الصِّمّة ، فأخذ بخِطام جمله ؛ وهو يظنّ أنه امرأة ؛ وذلك أنه كان فى شِجَار له ، فإذا هو رجل ، فأناخ به ، وإذا هو بشيخٍ كبير ؛ وإذا هو دُريد بنُ الصِّمّة ، لا يعرفه الغلام ، فقال له دُريد: ماذا تريد بى ؟ قال: أقتلك ، قال : ومَنْ أنتَ ؟ قال : أنا ربيعة بنُ رفيع السُّلَمىّ، ثمّ ضربه بسيفه فلم يُغْنِ شيئًا ، فقال: بئسما سَلّحتْك أمك! خذ سيفى هذا من مؤخّر الرّحل فى الشّجَار ، ثم اضرب به وارفع عن العظام ، واخفض عن الدّماغ ، فإنى كذلك كنت أقتل الرجال . ثمّ إذا أتيتَ أمّكَ فأخبرْها أنك قتلتَ دُريد بن الصّمة ؛ فرُبّ يومٍ والله قد منعت نساءَك ! فزعمتْ بنو سُليم أنّ ربيعة قال : لما ضربتُه فوقع تكشف الثوب عنه ، فإذا عِجَانُه وبطون فَخِذيْه مثل القِرْطاس من ركوب الخيل أعراء[2]، فلمّا رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : والله لقد أعتق أمّهات لك ثلاثًا[3].

١٦٦٦/١

* * *

قال أبو جعفر : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى آثار مَنْ توجّه قِبَلَ أوطاس ؛ فحدّثنى موسى بن عبد الرحمن الكِندىّ ، قال : حدّثنا أبو أسامة ، عن بُريْد بن عبد الله، عن أبى بُرْدة ، عن أبيه، قال : لما قدِم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من حُنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوْطاس ، فلقىَ دُرَيْد بن الصِّمّة ، فقتل دريداً ، وهزم الله أصحابه .

١٦٦٧/١

قال أبو موسى : فبعثنى مع أبى عامر ، قال : فرُمِىَ أبو عامر فى ركْبته، رماه رجلٌ من بنى جُشَم بسهم فأثبتَه فى ركبته ، فانتهيت إليه ، فقلت : يا عمّ ، مَنْ رماك ؟ فأشار أبو عامر لأبى موسى ، فقال : إنّ ذاك قاتلى ، تراه ذلك الذى رمانى !

---

(١) ابن هشام : « الدغنة » . (٢) أعراء : جمع عرى وهو الفرس الذى لا يسرج .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٣ ، والأغانى ١٠ : ٣١ ، ٣٢ .

قال أبو موسى : فقصدت له فاعتمدتُه ، فلحِقْتُه ، فلما رآنى ولّى عنى ذاهبًا ، فاتبعته ، وجعلت أقول له : ألا تستحى ! ألستَ عربيًّا ! ألا تثبت ! فكرّ ، فالتقيت أنا وهو ، فاختلفنا ضربتين ، فضربته بالسيف ، ثم رجعت إلى أبى عامر ، فقلت : قد قتل الله صاحبَك ، قال : فانزع هذا السهم ، فنزعتُه فنزَا منه الماء ، فقال : يا بن أخى ، انطلق إلى رسول الله ، فأقرِئْه منى السلام ، وقل له إنه يقول لك : استغفر لى .

قال : واستخلفنى أبو عامر على الناس فمكث يسيراً . ثمّ إنه مات .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يزعمون أن سَلمة بن دُريد ، هو الذى رمى أبا عامر بسهم فأصاب رُكْبته ، فقتله ، فقال سَلمة بن دُريد فى قتله أبا عامر :

إنْ تسألوا عنّى فإنّى سَلَمَهْ ابنُ سَمادِيرَ لمَنْ توَسَّمَهْ [1]

* أضرِبُ بالسَّيْفِ رءوسَ المُسْلِمَهْ *

وسمادير أمّ سَلمة ، فانتمى إليها .

١/١٦٦٨ قال : وخرج مالك بن عوْف عند الهزيمة ، فوقف فى فوارس من قوْمه على ثنيّة من الطريق ، وقال لأصحابه : قِفوا حتى تمضى ضُعفاؤكم وتلحق أخراكم ؛ فوقف هنالك حتى مضَى مَنْ كان لحق بهم من منهزمة الناس [2] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى بعضُ بنى سعد بن بكر ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ لخيله التى بعث : إن قدرتم على بِجَاد — رجل من بنى سعد ابن بكر — فلا يفلتنّكم ؛ وكان بجاد قد أحدَث حدثًا ، فلمّا ظفِر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا أخته الشَّيْماء بنت الحارث بن عبد الله بن عبد العُزّى ، أخت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعنّفوا عليها فى السياق معهم ،

---

(١) توسمه : استدل عليه وعرفه .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٣ .

فقالت للمسلمين: تعلمون والله أنّي لأختُ صاحبكم من الرّضاعة؛ فلم يُصدّقوها حتى أتوْا بها رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم.

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثنا ابنُ إسحاق، عن أبي وَجْزَة يزيد بن عبيد السعديّ، قال: لما انتُهِيَ بالشَّيْماء إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالت: يا رسولَ الله، إنّي أختُك، قال: وما علامة ذلك؟ قالت عَضّةٌ عَضِضْتَنيها في ظهري وأنا متورّكَتُك. قال: فعرَفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العلامة، فبسط لها رداءَه، ثم قال: ها هنا، فأجلسها عليه، وخيّرها، وقال: إن أحببتِ فعندي مُحبّبةٌ مكرَمَةً، وإن أحببتِ أمتّعْك وترجعي إلى قومك، قالت: بل تمتعني وتردّني إلى قومي، فمتّعها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وردّها إلى قومها؛ فزعمت بنو سعد بن بكر أنه أعطاها غلامًا له يقال له مكحول، وجارية؛ فزوّجت أحدهما الآخر، فلم يزل فيهم من نَسْلهما بقيّة[1]. ١٦٦٩/١

قال ابن إسحاق: استشهد يوم حُنَين من قريش، ثم من بني هاشم: أيْمَنُ بن عبيد — وهو ابن أمّ أيمن، مولاة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم — ومن بني أسد بن عبد العُزّى يزيد بن زمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد — جَمَحَ به فرسٌ له يقال له الجناح، فقُتل — ومن الأنصار سُراقة بن الحارث ابن عديّ بن بلْعجلان، ومن الأشعريين أبو عامر الأشعريّ. ثم جُمعت إلى رسول الله سَبَايا حُنين وأموالها؛ وكان على المغانم مسعود بن عمرو القاريّ، فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالسبايا والأموال إلى الجِعْرانة فحبِسَتْ بها[2].

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سَلَمة، قال: قال ابن إسحاق: لما قدِمَ فَلّ[3] ثَقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها، وصنعوا الصنائع للقتال؛ ولم يشهد حُنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيْلان بن

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤.
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤، ٢٩٥.
(٣) الفل: الجماعة المنهزمون من الجيش.

سلمة ؛ كانا بجُرَش يتعلّمان صنعة الدّبّاب[١] والضُّبُور[٢] والمجانيق[٣].

* * *

[غزوة الطائف]

فحدّثنا علىّ بن نصر بن علىّ، قال: حدّثنا عبدُ الصمد بن عبد الوارث، وحدّثنا عبدُ الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: حدّثنا أبى، قال: أخبرَنا أبان العطار، قال: حدّثنا هِشام بن عُرْوة، عن عروة، قال: سارَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين من فوره ذلك — يعنى منصرَفه[٤] من حنين — حتى نزلَ الطائف، فأقام نصف شهر يقاتلهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابُه، وقاتلتهم ثقيف من وراء الحِصْن؛ لم يخرج إليه فى ذلك أحدٌ منهم؛ وأسلم مَنْ حولهم من الناس كلّهم؛ وجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفودُهم؛ ثم رجع النبىّ صلى الله عليه وسلم ولم يحاصرهم إلاّ نصفَ شهر حتى نزل الجِعْرانة؛ وبها السبْىُ الذى سَبَى رسولُ الله من حُنين من نسائهم وأبنائهم — ويزعمون أنّ ذلك السَّبْىَ الذى أصاب يومئذ من هوازن كانت عدّته ستّة آلاف من نسائهم وأبنائهم — فلمّا رجَع النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى الجِعْرانة، قدمتْ عليه وفود هَوازن مُسْلِمين، فأعتق أبناءهم ونساءهم كلّهم، وأهلّ بعُمْرةٍ من الجِعْرانة؛ وذلك فى ذى القعدة.

١٦٧٠/١

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة، واستخلف أبا بكر رضى الله تعالى عنه على أهِل مكة، وأمره أن يقيم للناس الحجّ، ويعلّم الناس الإسلام، وأمره أن يؤمّن مَنْ حجّ من الناس؛ ورجع إلى المدينة؛ فلما

(١) فى ابن هشام: «الدبابات» قال السهيلى: «الدبابة: آلة من آلات الحرب، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها». وقال أبو ذر الخشنى: «الدبابات: آلات تصنع من خشب وتغشى بجلود ويدخل فيها الرجال ويتصلون بحائط الحصن».

(٢) قال السهيلى: «الضبور: مثل رءوس الأسفاط، يتقى بها فى الحرب عندالانصراف، وفى كتاب العين: الضبور: جلود يغشى بها خشب يتقى بها الحرب».

(٣) المجانيق: جمع منجنيق؛ وهى من آلات الحصار ترمى بها الحجارة الثقيلة. والخبر فى سيرة ابن هشام ٢: ٣٠١.

(٤) و: «من منصرفه».

قَدِمها قَدِم عليه وفود ثَقيف ، فقاضوْه على القضيّة التى ذكرت ؛ فبايعوه ، وهو الكتاب الذى عندهم كاتبوه عليه .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق عن عمرو بن شعيب ؛ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سلَك إلى الطائف من حُنَين على نَخْلة اليمانية ، ثم على قَرْن ، ثم على المُلَيْح ، ثم على بَحْرَة الرُّغاء من لِيَّة ، فابتنى بها مسجدًا ، فصلّى فيه ، فأقاد يومئذ ببحْرة الرّغاة حين نزلَها بدم — وهو أول دم أقيد به فى الإسلام — رجلا من بنى ليث ؛ قتل رجلاً من هُذَيل ، فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأمر رسول الله وهو بلِيّة بحصن مالك بن عوف فهُدِم ؛ ثم سلك فى طريق يقال لها الضَّيْقة، فلما توجّه فيها ، سأل على اسمها ، فقال : ما اسم هذه الطريق ؟ فقيل له : الضَّيْقة ، فقال : بل هى اليسرى . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَخْب ، حتى نزل تحت سِدْرة يقال لها الصادرة ، قريبًا من مال رجل من ثَقيف ، فأرسل إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرُج ، وإما أن نُخرب عليك حائطك ؛ فأبى أن يخرُج ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه[1]. ١٦٧١/١

ثم مضى رسولُ الله حتى نزل قريبًا من الطائف ؛ فضرب عسكره ، فقُتل أناس من أصحابه بالنَّبْل ؛ وذلك أنّ العسكر اقترب من حائط الطائف فكانت النَّبْل تنالُهم، ولم يقدر المسلمون أن يدخُلوا حائطهم ، غلّقوه دونهم ؛ فلما أصيبَ أولئك النّفرُ من أصحابه بالنَّبْل ، ارتفع ، فوضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ؛ فحاصرهم بضعًا وعشرين ليلة[2] ؛ ومعه امرأتان من نسائه ؛ إحداهما أمّ سلمة بنت أبى أميّة وأخرى معها — قال الواقدىّ : الأخرى زينب بنت جحش — فضرب لهما قبّتين ، فصلّى بين القبّتين ما أقام .

---

(١) س : « بإخراجه » .

(٢) قال ابن هشام : « ويقال : سبع عشرة ليلة » .

فلما أسلمتْ ثَقيف ، بنَى عَلَى مُصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ذلك أبو أميّة بن عمرو بن وهب بن مُعتّب بن مالك مسجداً ، وكانت فى ذلك المسجد سارِيَة — فيما يزعمون — لا تطلع عليها الشمس يوماً من الدهر ؛ إلا سُمع لها نقيض[١] ؛ فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالاً شديداً ، وترامَوْا بالنّبْل[٢] حتى إذا كان يوم الشدْخة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبّابة ؛ ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ، فأرسلت عليهم ثقيف سككَ الحديد مُحمّاةً بالنار ، فخرجوا مِنْ تحتِها ، فرمتهم ثَقيف بالنّبْل ، وقتلوا رجالا ؛ فأمر رسول الله بقطع أعناب ثقيف ، فوقع فيها الناس يقطعون .

١٦٧٢/١

وتقدّم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعبة إلى الطائف . فناديا ثقيفاً : أنْ أمّنُونا حتى نكلّمكم ! فأمّنوهما ؛ فدعَوَا نساءً من نساء قريش وبنى كنانة ليخرُجْن إليهما — وهما يخافان عليهنّ السّباء — فأبيْنَ ؛ منهنّ آمنة بنت أبى سفيان ، كانت عند عروة بن مسعود له منها داود بن عروة وغيرها[٣] .

وقال الواقدىّ : حدثنى كَثير بن زيد ، عن الوليد بن رَبَاح ، عن أبى هريرة ، قال : لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف ، استشار رسول الله نَوْفل بن معاوية الدّيلى ، وقال : يا نوفل ، ما تَرَى فى المقام عليهم ؟ قال : يا رسول الله ؛ ثعلب فى جُحْرٍ ؛ إن أقمت عليه أخذتَه ، وإن تركتَه لم يضرّك .

١٦٧٣/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا ابنُ إسحاق ، قال : قد بلَغنى أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر بن أبى قحافة ، وهو محاصرٌ ثقيفاً بالطائف : يا أبا بكر ، إنّى رأيتُ[٤] أنه أهْديَتْ لى قَعْبَةٌ[٥]

---

(١) النقيض : الصوت .

(٢) قال ابن هشام : «ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ؛ حدثنى من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٤) ر : « أريت » .

(٥) القعبة : القدح .

مملوءة زُبْداً ، فنقرَها ديكٌ فأهرَاق ما فيها ؛ فقال أبو بكر : ما أظنّ أن تدْرِك منهم يومك هذا ما تُريد يا رسولَ الله. فقال رسولُ اللهصلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ثم إنّ خَوْلة بنت حكيم بن أميّة بن حارثة بن الأوْقص السُّلَميّة — وهى امرأة عثمان بن مظعون — قالت : يا رسولَ الله ، أعْطِنى إن فتح الله عليك الطائف حُلِيّ بادية بنت غيلان بن سلمة ، أو حُلِيّ الفارعة بنت عُقَيْل — وكانتا من أحلَى نساءِ ثقيف — قال : فذكر لى أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذنْ لى فى ثقيف يا خويلة ! فخرجت خويلة ، فذكرَتْ ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل عمرُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ما حديث حدّثتْنيه خويلة أنك قلتَه ! قال : قد قلتُه ، قال : أوَ مَا أذِن فيهم يا رسول الله ! قال : لا ، قال : أفلا أؤَذّنُ بالرّحيل فى الناس ! قال : بلى ؛ فأذّنَ عمر بالرّحيل ؛ فلما استقلّ الناس نادى سعيد بن عُبَيد بن أسيد بن أبى عمرو بن عِلاج الثقفىّ : ألا إنّ الحىّ مقيمٌ ! قال : يقول عيينة بن حصن : أجلْ والله مَجَدَةً كراما ! فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عُيينة ! أتمدح قومًا من المشركين بالامتناع من رسول الله ، وقد جئت تنصره[1] ! قال : إنى والله ما جئت لأقاتلَ معكم ثقيفاً ؛ ولكنى أردت أن يفتح محمدٌ الطّائف فأصيب من ثَقيف جارية أتبطّنُها لعلها أن تلد لى رجلاً ؛ فإن ثقيفًا قوم مناكير[2].   ١٦٧٤/١

واستُشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلاً ؛ سبعة من قريش ورجل من بنى ليْث ، وأربعة من الأنصار[3] .

* * *

(١) ابن هشام : « تنصر رسول الله » .   (٢) مناكير : ذوو دهاء .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٣ .

[أمر أموال هوازن وعطايا المؤلفة قلوبهم منها]

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثمّ خرجَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين انصرف من الطائف على دَحْنَا ؛ حتّى نزل الجِعْرانة بمن معه من المسلمين ؛ وكان قدّم سَبْيَ هوازن حين سار إلى الطّائف إلى الجِعْرانة ، فحُبس بها ؛ ثم أتته وفود هَوازن بالجِعْرانة ؛ وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سَبْي هوازن من النساء والذرارىّ عدد كثير ، ومن الإبِل ستة آلاف بعير ، ومن الشاء ما لا يُحْصَى [١] .

١/١٦٧٥ حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، قال : حدّثنى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : أتى وفدُ هوازِن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجِعْرانة ؛ وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسولَ الله، إنّا أصلٌ وعشيرة ؛ وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفَى عليك ، فامننْ علينا مَنّ الله عليك ! فقام رجل من هوازن — أحدُ بنى سعد بن بكر ، وكان بنو سعد هم الذين أرضعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم — يقال له زهير بن صُرَد ، وكان يكنى بأبى صُرَد — فقال : يا رسولَ الله ؛ إنّما فى الحظائر [٢] عمّاتك وخالاتك وحواضنك [٣] اللاتى كنّ يكفُلْنك ! ولو أننا ملَحْنا [٤] للحارث بن أبى شمِر أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منّا بمثل ما نزلتَ به ، رجوْنا عطْفَه وعائدته ، وأنت خير المكفولين! ثم قال :

امْنُن علينا رسولَ اللهِ فى كَرَمٍ ... فإنّكَ المرْء نرْجُوه ونَدَّخِرُ [٥]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٥

(٢) الحظائر : جمع حظيرة ؛ وهى الزرب الذى يصنع للإبل والغنم ؛ وكان السبى فى حظائر مثلها .

(٣) حواضنك : يعنى اللائى أرضعن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت حاضنته من بنى سعد ابن بكر .

(٤) ملحنا : أرضعنا ، والملح هنا : الرضاع . قال ابن هشام : « ويروى : « ولو أنا مالحنا » .

(٥) قال السهيلى : « ولم يذكر ابن إسحاق شعره فى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم فى رواية البكائى ؛ وذكره فى رواية إبراهيم بن سعد عنه » .

امنُنْ علَى بَيْضَةٍ قد عاقَها قدرٌ[1] مُمَزَّقٌ شَمْلُهَا ، فِى دهرِهَا غِيَرُ

فى أبيات قالها[2] ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يا رسولَ الله ؛ خيَّرتَنا بين أحسابنا وأموالنا ، ١٦٧٦/١ بل تردّ علينا نساءنا وأبناءَنا فهم أحبّ إلينا ، فقال : أمّا ما كان لى ولبنى عبد المطّلب فهو لكم ؛ فإذا أنا صلّيت بالناس، فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا ؛ فسأعطيكم عند ذلك ؛ وأسأل لكم ؛ فلمّا صلّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالناس الظهر، قاموا فتكلّموا بالذى أمرهم به، فقال رسول الله: أمّا ما كان لِى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم ، وقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله . قال الأقرع بن حابس : أمّا أنا وبنو تميم فلا ، وقال عُيينة بن حصن: أمّا أنا وبنو فزارة فلا ،[و] قال عباس بن مرداس: أمّا أنا وبنو سليم فلا، قالت[3] بنو سليم : ما كان لنا فهو لرسول الله .

قال : يقول العباس لبنى سليم : وهّنتمونى[4]! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّا مَنْ تمسّك بحقه من هذا السبى منكم فله بكلّ إنسان ستّ فرائض من أوّل شىء نُصيبه ، فردّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم[5] .

* * *

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال: حدّثنى يزيد بن عُبَيد السعدىّ أبو وَجْزة، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم كان أعطى علىّ بن أبى طالب جاريةً من سَبْى حُنين يقال لها رَيْطة بنت هلال بن حيّان بن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قُصَيّة بن نصر بن ١٦٧٧/١ سعد بن بكر ، وأعطى عثمان بن عفّان جاريةً يقال لها زينب بنت حيّان بن

(١) كذا فى السهيلى وفى ط : « اعتاقها » .
(٢) ذكرها السهيلى فى الروض الأنف ٢ : ٣٠٦ .
(٣) ابن هشام : « فقالت » . (٤) وهنتمونى : أضعفتمونى .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

عمرو بن حيّان ، وأعطى عمرَ بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عمر[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أعطى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عمرَ بن الخطاب جاريةً من سبي هوازن ، فوهبها لى ، فبعثت بها إلى أخوالِى من بنى جُمَح ليُصلِحوا لى منها حتّى أطوف بالبيت ثم آتيهم ؛ وأنا أريد أن أصيبَها إذا رجعت إليها ، قال : فخرجتُ من المسجد حين فرغت ؛ فإذا الناس يشتدّون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : ردّ علينا رسولُ الله نساءَنا وأبناءَنا ، قال : قلت : تِلْكمُ صاحبتكم فى بنى جُمَح ؛ اذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها فأخذوها ؛ وأما عُيينة بن حِصْن فأخذ عجوزاً من عَجائز هَوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً وأرى لها فى الحىّ نسباً ؛ وعسى أن يعظُم َفداؤها ! فلمّا ردّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم السبايا بستّ فرائض أبَى أن يردّها ، فقال له زهير أبو صُرَد : خُذْها عنك ؛ فوالله ما فُوها ببارد ، ولا ثَدْيُها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا دَرُّها بماكد ، ولا زوجها بواجد[٢] . فردّها بستّ فرائض حين قال له زهير ما قال ؛ فزعموا أنّ عُيينة لَقِىَ الأقرع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : والله إنك ما أخذتَها بكْراً غريرةً[٣] ، ولا نَصَفًا وثِيرَةً[٤] ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوَفْد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف : ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثَقِيف ؛ فقال رسول الله : أخبروا مالكًا أنه إن أتانى مسلمًا رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ، فأُتِىَ مالك بذلك ؛ فخرج من الطائف إليه ؛ وقد كان مالك خاف ثَقيفًا على نفسه أن يعلموا أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال له ما قال ؛ فيحبسوه ، فأمر براحلته فهيِّئتْ له ، وأمر بفرس له فأُتِىَ به الطائف ؛ فخرج ليلا ، فجلس على فرسه فركضَه ؛ حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحْبس له ، فركبها ، فلحق برسول الله فأدركه بالجِعْرانة — أو

١٦٧٨/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٦ . (٢) واجد : حزين ، والماكد : الغزير.

(٣) الغريرة : الصغيرة السن من النساء . (٤) الوثيرة : السمينة .

بمكة — فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسُن إسلامه[١].

واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعلى مَنْ أسلم من تلك القبائل حولَ الطائف: ثُمالة وسلِمة وفَهْم؛ فكان يقاتل بهم ثَقيفًا، لا يخرج لهم سَرْحٌ إلاّ أغار عليه، حتى ضيّقَ عليهم، فقال أبو مِحْجَن ابن حبيب بن عمرو بن عميْر الثّقفِيّ:

هابَتِ الأعداءُ جَانِبَنا ثمَّ تغزُونا بَنو سَلِمَهْ
وأتانا مالكٌ بِهِمُ ناقِضًا لِلعَهْدِ والحُرُمَهْ
وأتَوْنا في مَنَازِلنا ولقد كُنَّا أُولِي نَقِمَهْ

وهذا آخر حديث أبي وجْزة[٢].

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث عمرو بن شعيب، قال: فلما فرغَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حُنين إلى أهلها، ركب واتّبعه الناس ١٦٧٩/١ يقولون: يا رسولَ الله، اقسِمْ علينا فيئنا الإبل والغنم، حتى ألجئوه إلى شجرة، فاختطفت الشجرة عنه رداءه، فقال: رُدُّوا عليَّ ردائي أيها الناس؛ فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نَعَمًا لقسمتها عليكم، ثم ما لقيتموني بخيلاً ولا جبانًا ولا كذّابًا. ثم قام إلى جنب بعير، فأخذ وبَرَةً من سَنامه فجعلها بين أصبعيه، ثم رفعها فقال: أيّها الناس، إنه والله ليس لي من فيئكم ولاهذه الوبرة إلاّ الخمُس، والخُمس مردودٌ عليكم، فأدّوا الخِياطَ والمخيط[٣]؛

---

(١) في رواية ابن هشام: «فقال مالك بن عوف حين أسلم:

ما إن رأيتُ ولا سَمِعتُ بمثلهِ في الناس كلّهم بمثل محمَّدِ
أوفَى وأعطى للجزيل إذا اجتُدِي ومتَى تَشَأْ يخبركَ عمّا في غدِ
وإذا الكتيبة عرّدَتْ أنيابُها بالسمهريّ وضربِ كلّ مهنَّدِ
فكأنّه ليثٌ على أشبالِهِ وسْطَ الهباءةِ خادرٌ في مرصَدِ

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٣٠٧، ٣٠٨.

(٣) الخياط هنا: الخيط، والمخيط: الإبرة.

فإن الغُلول(١) يكون على أهله عاراً وناراً وشَنَاراً يوم القيامة . فجاءَه رجلٌ من الأنصار بكُبَّة(٢) من خيوط شَعَر فقال : يا رسولَ الله أخذتُ هذه الكُبَّةَ أعملُ بها برذعة بعير لى دَبِر ، قال : أمّا نصيبى منها فلكَ ، فقال : إنه إذا بلغت هذه فلا حاجةَ لى بها ، ثم طرحها من يده(٣) .

إلى ها هنا حديث عمرو بن شعَيْب .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبى بكْر ، قال : أعطى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المُؤَلَّفَةَ قلوبهم — وكانوا أشرافًا من أشراف الناس يتألّفهم ويتألّف به قلوبهم — فأعطى أبا سفيان بن حرْب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم ابن حزام مائة بعير ، وأعطى النُّضير(٤) بن الحارث بن كلَدة بن علقمة أخا بنى عبد الدار مائة بعير ، وأعطى العَلاء بن جارية الثقفىّ حليف بنى زُهْرة مائة بعير ، وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى صَفْوان بن أميّة مائة بعير ، وأعطى سُهَيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حُوَيطِب بن عبد العُزّى بن أبى قيس مائة بعير ، وأعطى عُيَيْنَةَ بن حِصْن مائة بعير ، وأعطى الأقرع ابن حابس التميمىّ مائة بعير ، وأعطى مالك بن عوف النصرىّ مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين ؛ وأعطى دون المائة رجالاً من قريش ؛ منهم مَخْرَمة ابن نوفل بن أهَيب الزهرىّ ، وعمير بن وهب الجمحىّ ، وهشام بن عمرو أخو بنى عامر بن لؤىّ — لا يحفَظ عدّة ما أعطاهم ؛ وقد عرف فيما زعم أنها دون المائة — وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنْكَثة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل ، وأعطى السَّهْمِىَّ(٥) خمسين من الإبل ، وأعطى عبّاس بن مرداس السُّلمىّ أبا عرَ فتَسخّطها(٦) ، وعاتب فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال :

١/١٦٨٠

---

(١) الغلول : الخيانة . (٢) الكبة ، من قولهم أكب الغزل ؛ إذا جعله كبيا.

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٦ — ٣٠٨ .

(٤) فى رواية أخرى عن ابن هشام : « الحارث » .

(٥) ابن هشام : « واسمه عدى بن قيس » .

(٦) ابن هشام : « فسخطها » .

١٦٨١/١

كانت نِهاباً تلافيْتُها بكَرِّى على المهرِ فى الأجْرَعِ[١]
وإيقاظِىَ القوْمَ أن يرْقدوا إذا هَجَعَ الناسُ لم أَهْجَعِ
فأَصْبَحَ نَهْبِى ونَهْبُ العُبَيْـ ـدِ بيْنَ عُيَيْنَةَ والأَقْرَعِ
وقد كنتُ فى الحربِ ذَا تُدْرَإٍ فلم أُعْطَ شَيْئاً ولم أُمْنَعِ[٢]
إلاّ أفائِلَ أُعْطِيتُهـا عَدِيدَ قوائِمِها الأرْبَعِ[٣]
وما كانَ حِصْنٌ ولا حَابِسٌ يَفُوقانِ مِرْداسَ فى المَجْمَعِ[٤]
وما كُنْتُ دونَ امْرِئٍ منهمَا ومَنْ تَضَعِ اليَوْمَ لا يُرْفَعِ[٥]

قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذْهبوا فاقطعوا عنى لسانه ؛ فزادوه حتى رضىَ ؛ فكان ذلك قطْع لسانه الذى أمر به[٦] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، أنّ قائلاً قال لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من أصحابه : يا رسولَ الله ، أعطيتَ عُيينة بن حِصْن والأقرع بن حابس مائةً مائةً ،وتركتَ جُعَيْلَ بن سراقة الضَّمْرىّ[٧] ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أما والذى نفسى بيده ،لَجُعَيْلُ بن سراقة خيرٌ من طِلاع[٨] الأرض ، كلّهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ؛ ولكنّى تألّفتهُما ليُسْلما ، ووكلتُ جُعَيل بن سُراقة إلى إسلامه[٩] .

١٦٨٢/١

---

(١) النهاب : جمع نهب ؛ وهو ما ينهب ويغنم ، يريد الماشية والإبل . والأجرع : المكان السهل .
(٢) ذا تدرأ ، أى ذا دفع عن قوى .
(٣) الأفائل : صغار الإبل ، واحدها أفيل .
(٤) ابن هشام : « يفوقان شيخى » .
(٥) س : « ومن تخفض » .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
(٧) قال السهيلى : « نسب ابن إسحاق جعيلا إلى ضمرة ؛ وهو معدود فى غفار ؛ لأن غفاراً هم بنو حليل بن ضمرة » .
(٨) طلاع الأرض : ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل .
(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى أبو عبيدة بن محمد ، عن مِقْسَم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثىّ حتى أتينا عبد الله ابن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلّقًا نعلَيه [1] بيده ، فقلنا له : هل حضرتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين كلّمه التميمىُّ يوم حنين ؟ قال: نعم ، أقبل رَجُلٌ من بنى تميم يقال له ذو الخُوَيْصِرة، فوقف على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يعطى الناس، فقال : يا محمد قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم ! فقال رسول الله : أجل ؛ فكيف رأيت ؟ قال : لم أرَكَ عدلْتَ ! فغضب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى ، فعند مَنْ يكون ! فقال عمر بن الخطاب: يا رسولَ الله ، ألا نقتله [2] ! فقال : لا ، دعوه [3] ؛ فإنه سيكون له شيعة يتعمّقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة [4] ، يُنْظَرُ فى النصل [5] فلا يوجد شىء، [ثم فى القِدْح فلا يوجد شىءٌ] [6] ؛ ثم فى الفُوق [7] فلا يوجد شىء ؛ سبَقَ الفَرْثَ [8] والدَّمَ [9] .

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق ، عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن على مثل ذلك؛ وسمّاه ذا الخويصرة التميمىّ [9] .

قال أبو جعفر : وقد روى عن أبى سعيد الخُدْرِىّ أنّ الذى كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام؛ إنما كلّمه به فى مال كان علىٌّ عليه السلام بعثه من اليمن إلى رسول الله، فقسّمه بين جماعة ؛ منهم عُيَينة بن حِصْن ، والأقرع ، وزيد الخيل ؛ فقال حينئذ ما ذُكر عن ذى الخُوَيصرة أنه قاله رجل حضره . ١٦٨٣/١

(١) و : « معلقاً فيمنعليه » .
(٢) ابن هشام : « أقتله » .
(٣) ابن هشام : « دعه » .
(٤) الرمية : الشىء الذى يرمى .
(٥) النصل : حديد السهم .
(٦) من سيرة ابن هشام ، والقدح : السهم .
(٧) الفوق : طرف السهم الذى يباشر الوتر .
(٨) الفرث : ما يوجد فى الكرش .
(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر أنّ رجلاً من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ممّن شهد معه حنَيْنًا ، قال : والله إنّى لأسير إلى جَنْب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم على ناقة لى ، وفى رِجْلى نَعل غليظة ، إذ زحمت ناقتى ناقةَ رسول الله ، ويقع حرف نعلى على ساق رسول الله فأوجعَه ، قال : فقرَع قدمى بالسوط ، وقال : أوجعتَنى فتأخّرْ عنّى ، فانصرفت ؛ فلمّا كان من الغد إذا رسول الله يلتمسنى ، قال : قلت : هذا والله لما كنت أصبتُ من رجْل رسول الله بالأمس . قال : فجئته وأنا أتوقّع ، فقال لى : إنّك قد أصبتَ رجلى بالأمس فأوجعتَنى فقرعت قدمك[1] بالسوط ، فدعوتك لأعوّضَك منها ؛ فأعطانى ثمانين نعجة بالضَّرْبة التى ضربنى .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبى سعيد الخُدرىّ ، قال : لما أعطَى رسولُ الله ما أعطى من تلك العطايا فى قريش وقبائل العرب ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء ، وَجَد هذا الحىّ من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثُرَتْ منهم القالة[2] ؛ حتى قال قائلهم : لقِىَ والله رسولُ الله قومَه ! فدخل عليه سعد بن عُبادة فقال : يا رسولَ الله ؛ إن هذا الحىّ من الأنصار قد وجَدوا عليك فى أنفسهم لما صنعتَ فى هذا الفىء الذى أصبت ؛ قسَمت فى قومك وأعطيت عطايا عظامًا فى قبائل العرب ، ولم يكن فى هذا الحىّ من الأنصار ١/١٦٨٤ شىء ، قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ! قال : يا رسول الله ما أنا إلاّ من قومى ! قال : فاجمَعْ لى قومَك فى الحظيرة ، قال : فخرج سعدٌ فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة ، قال : فجاءَه رجالٌ من المهاجرين ، فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردّهم ، فلما اجتمعوا إليه أتاه سعدٌ فقال : قد اجتمع لك هذا الحىّ من الأنصار ، فأتاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو له أهلٌ ، ثم قال : يا معشرَ الأنصار ، ما قالةٌ بلغتنى عنكم ،

---

(١) و : « رجلك » . (٢) القالة : الكلام السيء .

ومَوْجِدَةٌ[١] وجدتموها فى أنفسكم ! ألم آتكم ضُلَّالاً فهداكم الله ؛ وعالةً[٢] فأغناكم الله ، وأعداءً فألّف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلَى ، لله ولرسوله المنُّ والفضل ! فقال : ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ! قالوا : وبماذا نُجيبُكَ يا رسول الله ، لله ولرسوله المنُّ والفضلُ ! قال : أما والله لو شئتم لقلتم فصَدَقتم ، ولَصُدِّقتم ؛ أتيتنا مُكَذَّبًا فصدّقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك ؛ وَجَدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى لُعَاعة[٣] من الدنيا تألّفتُ بها قومًا ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ! أفلا ترضَوْن يا معشر الأنصار ؛ أن يذهب الناس بالشاء والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ! فوالذى نفس محمد بيده ؛ لولا الهجرةُ لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناسُ شِعْبًا[٤] وسلكت الأنصار شِعْبا ، لسلكتُ شِعْبَ الأنصار ! اللهمّ ارْحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ! ١/١٦٨٥

قال : فبكى القوم حتى أخضَلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قِسمًا وحظًّا ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرّقوا[٥] .

[عمرة رسول الله من الجعرانة]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الجِعْرانة معتمراً ، وأمر ببقايا الفىء ، فحبس بمِجَنّةَ ، وهى بناحية مرّ الظّهران ، فلمّا فرغ رسول الله من عُمْرته وانصرف راجعًا إلى المدينة ؛ استخلف عتّاب بن أسيد على مكة ، وخلّف معه معاذَ بن جبل يُفقّهُ الناس فى الدين ويعلّمهم القرآن ، واتُّبِع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا الفىء .

وكانت عُمرة رسول الله فى ذى القعدة ، فقدم رسولُ الله صلى الله عليه

(١) كذا وردت هذه الرواية فى الطبرى ، وفى ابن هشام : «جدة» ، قال السهيلى : « هكذا الرواية « جدة » ، والمعروف عند أهل اللغة الموجدة إذا أردت الغضب ، وإنما الجدة فى المال » .

(٢) عالة : جمع عائل ؛ وهو الفقير .

(٣) قال السهيلى : «اللعاعة : بقلة ناعمة» .

(٤) الشعب : الطريق بين جبلين .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ ، ٣١١ .

وسلم المدينة فى ذى القعدة أو فى ذى الحجة ، وحجّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحجّ عليه ، وحجّ تلك السنة بالمسلمين عتّاب بن أَسيد ؛ وهى سنة ثمانٍ ؛ وأقام أهلُ الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ما بين ذى القعدة ، إذ انصرف رسول الله عنهم إلى شهر رمضان من سنة تسع[١].

قال الواقدىّ : لمّا قسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الغنائمَ بين المسلمين بالجِعرانة ، أصاب كلّ رجلٍ أربع من الإبل وأربعون شاة ؛ فمن كان منهم فارسًا أخذ سهم فرسه أيضًا . وقال أيضًا : قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ لليالٍ بقينَ من ذى الحجة من سفرته هذه .

قال : وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعمرو ابنى الجُلَنْدَى من الأزْد مُصَدّقًا ، فخلّيا بينه وبين الصّدقة ، فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردّها على فقرائهم ، وأخذ الجزية من المجوس الذين بها ، وهم كانوا أهل البلد ، والعرب كانوا يكونون حولها .

١٦٨٦/١ قال : وفيها تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم الكلابية التى يقال لها فاطمة بنت الضّحاك بن سفيان ، فاختارت الدنيا حين خُيّرت . وقيل : إنها استعاذتْ من رسول الله ، ففارقها . وذكر أن إبراهيم بن وثيمة بن مالك بن أوس بن الحدثان ؛ حدّثه عن أبى وجزة السعدىّ أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلّم تزوّجها فى ذى القعدة .

قال : وفيها ولدت مارية إبراهيم فى ذى الحجّة ، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمّ بُرْدة بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن خِداش بن عامر ابن غَنْم بن عدىّ بن النجار ، وزوْجها البَرَاء بن أوس بن خالِد بن الجعد ابن عوف بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن عدىّ بن النجار ؛ فكانت ترضعه .

قال : وكانت قابلتُها سَلْمى مولاة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فخرجت إلى أبى رافع فأخبرته أنها ولدت غلامًا ؛ فبشّر به أبو رافع رسول الله ، فوهب له مملوكًا .

قال : وغارت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتدّ عليهنّ حين رزِقتْ منه الولد .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١١ .

ثم دخلت سنة تسع

وفيها قَدِم وفدُ بني أسد على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر — فقالوا: قدِمنا يا رسول الله قبل أن ترسل إلينا رسولا، فأنزل الله عز وجلّ في ذلك من قولهم: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ...﴾[1] الآية.

وفيها قدم وفد بَلِيّ في شهر ربيع الأوّل، فنزلوا على رُوَيْفع بن ثابت البَلَويّ.

وفيها قدِم وفد الداريّين من لخْم، وهم عشرة.

* * *

[أمر ثقيف وإسلامها]

وفيها قدِم — في قول الواقديّ — عُرْوة بن مسعود الثقفيّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلِمًا، وكان من خبره — ما حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق — أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن أهل الطائف اتّبع أثرَه عروة بنُ مسعوذ بن مُعتّب حتى أدركه قبل أن يصِل إلى المدينة، فأسلم؛ وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما يتحدّث قومهم[2]: إنهم قاتلوك؛ وعرف رسولُ الله أنّ فيهم نخوةً بالامتناع الذى كان منهم — فقال له عُروة: يا رسولالله، أنا أحبّ إليهم من أبكارهم[3] — وكان فيهم كذلك محبّبًا مطاعًا —

(١) سورة الحجرات ١٧. (٢) ابن هشام: «قومه».
(٣) قال ابن هشام: «ويقال: من أبصارهم».

فخرج يدعُو قومـَه إلى الإسلام ، ورجا ألاّ يخالفوه لمنزلته فيهم ؛ فلما أشرف لهم على عُلـّيـَّة له وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموْه بالنَّبل من كلّ وجه ، فأصابه سهمٌ فقتله ؛ فتزعم بنو مالك أنه قتله رَجُلٌ منهم يقال له أوْس بن عوف ، أخو بنى سالم بن مالك ، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجلٌ منهم من بنى عتّاب بن مالك، يقال له وهب بن جابر . فقيل لعروة : ما ترى فى دمك؟ قال : كرامة أكرمنى الله بها، وشهادة ساقها الله إلىّ، فليس فىّ إلاّ ما فى الشهداءِ الذين قُتِلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فدفنوه معهم . فزعموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال فيه : إن مثَـله فى قومه كمثل صاحب يسٓ فى قومه[1] . ١٦٨٨/١

* * *

وفيها قدم وفدُ أهل الطائف على رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، قيل : إنهم قدموا عليه فى شهر رمضان .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة، عن محمّد بن إسحاق، قال: ثمّ أقامت ثَقيف بعد قتل عُرْوة أشهُرًا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ألاّ طاقة لهم بحرب مَنْ حوْلهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

وحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عَن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنس بن شَرِيق الثقفىّ ، أنّ عمرو بن أميّة أخا بنى عِلاج كان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو، الذى بينهما سَيِّىءٌ — وكان عمرو بن أميّة من أدهى العرب — فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل عليه داره ، ثم أرسل إليه : إن عمرو بن أمية يقول لك : اخرج إلىّ ، فقال عبد ياليل للرسول : ويحك ! أعمرو أرسلك ؟ قال : نعم ، وهو ذا واقف فى دارك . فقال : إنّ هذا لشىءٌ ما كنت أظنّه ! لَعَمْرو كان أمنعَ فى نفسه من ذلك . فلمّا رآه رَحَّبَ به، وقال عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هِجْرةٌ ، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيتَ ، وقد[2] أسلمت ١٦٨٩/١

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ . (٢) ابن هشام : « قد » .

العربُ كلُّها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا فى أمركم . فعند ذلك ائتمرت ثَقِيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : ألا تروْن أنه لا يأمن لكم سِرْبٌ ، ولا يخرج منكم أحدٌ إلاّ اقتُطِع به ! فائتمروا [بينهم][1] ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجُلاً ، كما أرسلوا عروة ، فكلّموا عبد ياليل ابن عمرو بن عمير — وكان فى سنّ[2] عُروة بن مسعود — وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشِيَ أن يُصنَع به إذا رجع كما يُصنع بعروة ، فقال : لست فاعلاً حتى تبعثوا معى رجالاً ، فأجمعوا على أن يبعثوا معه رجليْن من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك ، فيكونوا ستة : عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد دُهْمان أخو بنى يسَار ، وأوس بن عوف أخو بنى سالم ، ونُمَيْر بن خَرَشة بن ربيعة أخو بلحارث ؛ وبعثوا من الأحلاف مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتّب وشُرَحبيل بن غَيْلان بن سَلَمة بن معتّب ؛ فخرج بهم عبد ياليلَ — وهو نابُ القوم[3] وصاحب أمرهم ؛ ولم يخرج إلا خَشْيَةً من مثل ما صنِــع بعروة بن مسعود ، ليشغلَ كلٌّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه — فلما دنوْا من المدينة ، ونزلوا قناة لقُوا بها المغيرة بن شعبة يرعى فى نوبته

١٦٩٠/١ ركاب أصحاب رسول الله ، وكانت رِعْيتُها نُوَباً على أصحابه ، فلما رآهم المغيرة ترك الركاب وضبر[4] يشتدُّ ليُبَشّرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه ، فلقيَه أبو بكر الصّديق رضى الله عنه قبل أن يدخُل على رسول الله ، فأخبره عن ركْب ثقيف أنّهم قدموا يريدون البيعة والإسلام ، بأن يشرط لهم شروطًا ، ويكتتبوا من رسول الله كتابًا فى قومهم وبلادهم وأموالهم. فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى رسول الله حتى أكون أنا الذى أحدّثه ، ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر على رسول الله ، فأخبره عن ركب ثقيف بقدومهم ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروّح الظّهر معهم ، وعلّمهم كيف يُحيُّون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلـيّة .

---

(١) من ابن هشام .
(٢) ابن هشام : « وكان سنّ عروة » .
(٣) ناب القوم : سيدهم ورئيسهم.
(٤) ضبر : وثب .

ولما أن قدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبّة فى ناحية مسجده — كما يزعمون — وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى اكتتبوا كتابهم ؛ وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعَمون طعامًا يأتيهم من عند رسول الله حتى يأكل منه خالد ؛ حتى أسلموا وبايعوا وفرغوا من كتابهم — وقد كان فيما سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يدَع الطاغية ؛ وهى اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ؛ فأبى رسولُ الله ذلك عليهم ؛ فما برحوا يسألونه سنة سنة ، فأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدَمهم ؛ فأبى أن يدَعها شيئًا يسمّى ؛ وإنما يريدون بذلك فيما يُظْهِرُون أن يسلَموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريّهم ، ويكرهون أنْ يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلَهم الإسلام — فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ذلك إلاّ أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة فيهدماها ؛ وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيَهم من الصّلاة ، وأن يكسروا أوثانهم بأيديهم ؛ فقال رسول الله : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنُعْفيكم منه ؛ وأما الصّلاة فلا خيرَ فى دين لا صلاة فيه ؛ فقالوا : يا محمد ، أما هذه فسنؤتيكها وإن كانت دناءة . ١٦٩١/١

فلمّا أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ؛ أمّرَ عليهم عثمان بن أبى العاص — وكان من أحدثِهم سنًّا — وذلك أنه كان أحرصَهم على التفقه فى الإسلام وتعلّم القرآن ، فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ إنى قد رأيتُ هذا الغلام فيهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام وتعلّم القرآن[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب ابن عُتْبة ، قال : فلمّا خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجّهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

والمغيرة بن شعبة فى هدْم الطاغية ، فخرجا مع القوم ؛ حتى إذا قدِموا الطائف
١/١٦٩٢ أراد المغيرة أن يقدّم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل
أنتَ على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهرْم[1] ، فلما دخل المغيرة بن
شعبة علاها يضربها بالمِعْوَل ، وقام قومه دونه — بنو مُعتِّب — خَشْيةَ أن يُرْمَى
أو يصاب كما أصيب عُروة ، وخرج نساءُ ثقيف حُسَّرًا[2] يبكين عليها ،
ويقلن :

أَلاَ أَبْكِينْ دُفّاعْ[3] أَسْلَمَهَا الرُّضّاعْ[4]

* لم يُحْسِنُوا المِصَاعْ[5] *

قال : ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهاً لك[6] ! واهاً لك !
فلما هدمها المغيرة أخذ مالها وحُلِيَّها وأرسل إلى أبى سفيان وحليُّها مجموع ،
ومالُها من الذهب والجزْع ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا سفيان أن
يقضىَ من مال اللات دَيْنَ عروة والأسود ابنىْ مسعود ، فقضى منه
دينْهما[7] .

وفى هذه السنة غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة تبوك

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ،
قال : أقامَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بالمدينة بعد منصَرفه من الطائف ،
ما بين ذى الحجة إلى رجب .

---

(١) ابن هشام : « الهدم » .
(٢) حسرا : مكشوفات الرءوس .
(٣) ابن هشام : « لتبكين » .
(٤) الرضاع هنا : اللئام .
(٥) المصاع : المصارعة .
(٦) ابن هشام : « آها لك » .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

ثم أمر النّاس بالتهيُّؤ لغزو الروم ؛ فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق، عن الزّهرىّ ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ؛ كلٌّ قد حدّث فى غزوة تبوك ما بلَغه عنها ، وبعض القوم يحدّث ما لم يحدّث بعض ، وكلٌّ قد اجتمع حديثه فى هذا الحديث . إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم أمرَ أصحابه بالتهيُّؤ لغزو الرُّوم ؛ وذلك فى زمن عُسْرة من الناس ، وشدّة من الحرّ، وجدْب من البلاد ؛ وحين طابت الثمار وأحبّت الظلال ؛ فالناس يحبُّون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قلّما يخرج فى غزوة إلاّ كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الذى يصمد له ؛ إلاّ ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بيّنها للناس لبُعْد الشُّقّة وشدّة الزمان وكثرة العدوّ الذى يصمد[1] له ، ليتأهّبَ الناس لذلك أهبتَه ، وأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم . ١٦٩٣/١

فتجهّز الناس على ما فى أنفسهم من الكُرْه لذلك الوجه لما فيه ؛ مع ما عظّموا من ذكر الرّوم وغزوهم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجدّ بن قيس أخى بنى سلِمة : هل لك ياجدّ العامَ فى جلاد بنى الأصفر[2] ؟ فقال : يا رسول الله، أَوَ تأذَنُ لى ولا تفتنّى ! فوالله لقد عرف قومى ما رجلٌ أشدّ عجباً بالنساء منّى ؛ وإنى أخشى إن رأيتُ نساء بنى الأصفر ألاّ أصبرَ عنهنّ . فأعرض عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم وقال : قد أذنت لك ؛ ففى الجدّ بن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي . . . ﴾[3] الآية ؛ أى إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بنى الأصفر — وليس ذلك به — [فما][4] سقط فيه من الفتنة بتخلّفه عن رسول الله والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم ؛ وإن جهنم لمن ورائه . ١٦٩٤/١

وقال قائل من المنافقين لبعض : لا تنفِرُوا فى الحرّ ، زهادةً فى الجهاد ،

---

(١) يصمد : يقصد . (٢) بنو الأصفر : هم الروم .

(٣) سورة التوبة ٤٩ . (٤) من ابن هشام .

وشكًّا فى الحقّ ، وإرْجافًا بالرسول ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ . إلى قوله : ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[١] .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جَدّ فى سفره ، فأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحضّ أهل الغِنَى على النفقة والحُمْلان[٢] فى سبيل الله ، ورغّبهم فى ذلك ، فحمل رجال من أهل الغنى فاحتسبوا[٣] ، وأنفق عثمان ابن عفان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحدٌ أعظمَ من نفقته[٤] .

ثمّ إن رجالاً من المسلمين أتوْا رسولَ الله؛ وهم البكّاءُون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم[٥]، فاستحْملوا[٦] رسولَ الله، وكانوا أهلَ حاجة، فقال: ﴿ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾[٧] . قال: فبلَغنى أنّ يامين بن عُمَير بن كعب النضْرىّ لَقِىَ أبا ليلى عبدالرحمن بن كعب وعبد الله بن مُغَفَّل ، وهما يبكيان ، فقال لهما: ما يُبْكيكما ؟ قالا: جئنا رسولَ الله ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملُنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوّى به على الخروج معه ، فأعطاهما ناضحًا[٨] فارتحلاه ، وزوّدهما شيئًا من تَمْر ، فخرجا مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم . ١٦٩٥/١

---

(١) سورة التوبة ٨١ ، ٨٢ . (٢) الحملان : مصدر حمل يحمل .

(٣) احتسبوا ، أى جعلوا أجر ما بذلوا عند الله .

(٤) قال ابن هشام : « حدثنى من أثق به أن عثمان بن عفان أنفق فى جيش العسرة فى غزوة تبوك ألف دينار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض » .

(٥) ابن هشام : « وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعلبة بن زيد أحد بنى حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أحد بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن حمام بن الجموح أخو بنى سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزنى — وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزنى — وهرمى بن عبد الله أخو بنى واقف ، وعرباض بن سارية الفزارى » .

(٦) استحملوه : طلبوا منه ما يحملهم عليه . (٧) سورة التوبة ٩٢ .

(٨) الناضح : الجمل يستقى عليه .

قال : وجاءَ المُعَذِّرون من الأعْراب ، فاعتذروا إليه فلم يعذرهم اللهعزّ وجلّ ؛ وُذِكر لى أنهم كانوا من بنى غِفَار ، منهم خُفاف بن إيماء بن رَحْضَة .

ثم استتبّ[١] برسول الله صلى الله عليه وسلم سفرُه ، وأجمع السير ؛ وقد كان نفر من المسلمين أبطأتْ بهم النيّة عن رسول الله حتى تخلّفوا عنه من غير شكّ ولا ارتياب ؛ منهم كعب بن مالك بن أبى كعب أخو بنى سلِمة ، ومرارة بن الربيع أخو بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أميّة أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة أخو بنى سالم بن عوف ؛ وكانوا نفرَ صدق لا يُتّهمون فى إسلامهم ، فلمّا خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنيّة الوَدَاع ، وضرب عبد الله بن أبىّ بن سَلُول عسكره على حِدَةٍ أسفل منه بحذاء ذُبَاب ؛ جبل بالجبّانة أسفل من ثنيّة الوداع . وكان — فيما يزعمون — ليس بأقلّ العسكرين ؛ فلمّا سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تخلّف عنه عبد الله بن أبىّ فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرّيب — وكان عبدُ الله بن أبىّ أخا بنى عوف بن الخزرج — وعبد الله بن نَبْتَل أخا بنى عمرو بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بنى قَينُقَاع ؛ وكانوا من عظماء المنافقين ؛ وكانوا ممّن يكيد الإسلام وأهــله[٢] .

قال : وفيهم — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصرىّ — أنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ . . . ﴾[٣] ، الآية . ١/١٦٩٦

* * *

قال ابن إسحاق : وخلّف رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم علىّ بن أبى طالب على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، واستخلَف على المدينة سِبَاع بن عُرْفُطَة ، أخا بنى غِفار ، فأرجف المنافقون بعلىّ بن أبى طالب ، وقالوا : ما خلّفه

(١) استتب : تتابع واستمر . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٦ — ٣١٧ .
(٣) سورة التوبة ٤٨ .

إلا استثقالا له ، وتخفّفًا منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ علىّ سلاحَه ثم خرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجُرف فقال : يا نبىّ الله ؛ زعم المنافقون أنّك إنّما خلّفتنى ؛ أنك استثقلتنى وتخفّفتَ منّى! فقال : كذبوا ، ولكنى إنما خلّفتُك لما ورائى ، فارجع فاخلُفْنى فى أهلى وأهلِك ؛ أفلا ترضَى يا علىّ أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؛ إلاّ أنه لا نبىّ بعدى ! فرجع علىّ إلى المدينة ، ومضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على سفره[١] .

ثم إنّ أبا خَيْثَمة أخا بنى سالم رجع — بعد أن سارَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أيامًا — إلى أهله فى يوم حارّ ، فوجد امرأتين له فى عريشين[٢] لهما فى حائط[٣] ، قد رشّتْ كلٌّ واحدة منهما عريشَها وبرّدتْ له فيه ماءً ، وهيّأتْ له فيه طعامًا ؛ فلمّا دخل فقام على باب العريشين ؛ فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، قال : رسولُ الله فى الضِّحّ[٤] والريح ، وأبو خيثمة فى ظلال باردة وماء بارد وطعام مهيّإ وامرأة حسناء ، فى ماله مقيمٌ ! ما هذا بالنَّصَف! ثمّ قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحقَ برسول الله ؛ فهيّئا لى زادًا ؛ ففعلتا . ثم قدّم ناضِحَه فارتحله ، ثمّ خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلّم حتى أدركه حين نزل تبُوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عميرُ بن وهبٍ الجُمحىّ فى الطريق ، يطلب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فترافقا[٥] حتى إذا دنَوَا من تبوك قال أبو خيثمة لعُمير بن وهب : إنّ لى ذنبًا ، فلا عليك أن تَخلّفَ عنّى حتى آتىَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . ففعل ، ثم سار حتى إذا دنا من رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم وهو نازل بتبُوك ، قال الناس : يا رسولَ الله ، هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله : كُنْ أبا خيثمة ! فقالوا : يا رسولَ الله ، هو والله أبو خيثمة ! فلمّا أناخ أقبلَ فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسولُ الله : أوْلَى لك

١٦٩٧/١

---

(١) ابن هشام : « ثم رجع على إلى المدينة ؛ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره » .

(٢) العريش : شبيه الخيمة ، يظلل ليكون أبرد الأخبية والبيوت .

(٣) ابن هشام : « حائطه » ، والحائط هنا : البستان .

(٤) الضح : الشمس . (٥) س : « فتوافقا » .

يا أبا خيثمة ! ثم أخبر رسولَ الله الخبرَ ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير .

وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين مرّ بالحِجْر نزلها واستقى الناس من بئرها ، فلمّا راحوا منها قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تشربُوا من مائِها شيئًا ، ولا تتوضّئوا منها للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئًا ، ولا يخرجنّ أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ؛ ففعل الناس ما أمرهم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا رجُلين من بنى ساعدة ؛ خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ١٦٩٨/١ ذهب لحاجته فإنه خُنِقَ على مذهبه ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملتْه الريح حتى طرحته فى جبلَىْ طيِّئٍ ، فأخبر بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحدٌ إلا ومعه صاحب له ! ثم دعا للّذى أصيب على مذهبه فشُفِيَ ، وأما الآخر الذى وقع بجبلَىْ طيِّئٍ ؛ فإنّ طيِّئاً هدتْهُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة[1] .

قال أبو جعفر : والحديث عن الرجلين[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن العبّاس بن سهل بن سعد الساعدىّ : فلما أصبح النّاس — ولا ماءَ معهم — شكَوْا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا الله ، فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوَى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء[3] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قلت لمحمود بن لَبيد : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم ؛ والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٦ ، ٣١٨ .

(٢) فى ابن هشام : « والحديث عن الرجلين ، عن عبد الله بن أبى بكر عن عباس بن سهل ابن سعد الساعدى ، وقد حدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه قد سمى له العباس الرجلين ؛ ولكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميهما لى » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ .

أبيه ومن عمّه ومن عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضًا على ذلك؛ ثم قال محمود : لقد أخبرنى رجالٌ من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقُه ، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الماء بالحِجْر ما كان ، ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السحابة فأمطرت حتّى ارتوى الناس، أقبلنا عليه نقول : ويْحَك ! هل بعد هذا شىء ! قال : سحابة مارّةٌ .

ثمّ إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّتْ ناقتُه، فخرج أصحابُه فى طلَبِها، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من أصحابه ، يقال له عُمارة بن حزم ، وكان عقَبيًّا[1] بدريًّا ، وهو عمّ بنى عمرو بن حزم، وكان فى رحله زيد بن لُصَيْب القَيْنُقاعىّ، وكان منافقًا ، فقال زيد بن لُصَيب[2] وهو فى رحل عُمارة ، وعُمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس يزعم محمد أنه نبىّ يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - وعمارة عنده : إن رجلاً قال : إنّ محمداً هذا يخبركم أنه نبىّ ، وهو يزعم أنه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ! وإنى والله ما أعلم إلاّ ما علّمنى الله ، وقد دلّنى الله عليها ، وهى فى الوادى من شِعْب كذا وكذا قد حبستْها شجرة بزمامها ، فانطلِقوا حتى تأتُوا بها ، فذهبوا فجاءوا بها ، فرجع عُمارة بن حزم إلى أهله ، فقال : والله لَعجبٌ من شىء حدّثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفًا عن مقالة قائل أخبره الله عنه كذا وكذا - للذى قال زيد بن اللُّصَيب - فقال رجُلٌ ممن كان فى رحْل عمارة ، ولم يحضر رسول الله : زيدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتِيَ . فأقبل عمارة على زيد يَجَأ فى عنقه[3] ، ويقول : يا عباد الله ، والله إنّ فى رَحْلِي لداهية وما أدرى ! اخرج يا عدوّ الله من رحلى فلا تصحبْنى ! قال : فزعم بعضُ الناس أنّ زيداً تاب بعد ذلك ، وقال بعض : لم يزل مُتّهمًا بشرّ حتى هلك .

(١) أى من شهد بيعة العقبة . (٢) ابن هشام فى إحدى روايتيه : « لصيت » .

(٣) يجأ فى عنقه : يطعنه .

ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سائراً ؛ فجعل يتخلّف عنه الرجل فيقولون : يا رسولَ الله ، تخلّف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يكُ فيه خير فسيُلحِقه الله بكم ، وإنْ يكُ غير[1] ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ حتى قيل : يا رسول الله ، تخلّف أبو ذرّ وأبطأ به بعيره ؛ فقال : دعوه ، فإنْ يك فيه خير فسيُلحقه الله بكم ، وإن يَكُ غيرَ ذلك فقد أراحكم الله منه . ١/١٧٠٠

قال : وتلوّم[2] أبو ذرّ على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعَه ، فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ماشياً ، ونزل رسولُ الله فى بعض منازله ، فنظره ناظرٌ من المسلمين ، فقال : يا رسولَ الله ، إنّ هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : كن أبا ذرّ ! فلمّا تأمله القوم ، قالوا : يا رسول الله ، هو أبو ذرّ ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله أبا ذرّ ! يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبْعث وحده[3] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بُرَيْدة بن سفيان الأسلميّ ، عن محمّد بن كعب القُرَظيّ ، قال : لما نفى عثمان أبا ذرّ نزل أبو ذرّ الرَّبَذَة ، فأصابه بها قَدَرُه ، ولم يكن معه أحدٌ إلاّ امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن غسّلانى وكفّنانى ، ثم ضعانى على قارعة الطريق ، فأوّل ركْب يمرّ بكم فقولوا : هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعة الطريق ، فأقبل عبد الله بن مسعود ورهطٌ من أهل العراق عُمّاراً ، فلم يَرُعْهم إلاّ بجنازة على الطريق قد كادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام ، فقال : هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهلّ عبدُ الله بن مسعود يبكى ، ويقول : صدق رسول الله ! تمشى وحدك ، وتموت وحدك ، وتُبْعث وحدك ! ثم نزل هو وأصحابه فواروْه . ١/١٧٠١

ثمّ حدّثهم ابن مسعود حديثه وما قال له رسول الله فى مسيره إلى تبوك .

---

(١) ابن هشام : « على غير ذلك » . (٢) تلوم : تمكث وتمهل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ ، ٣١٩ .

قال : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت أخو بنى عمرو ابن عوف ، ومنهم رجل من أشْجَع حليفٌ لبنى سلِمة ، يقال له مَخشى[١] ابن حُمَيِّر ، يسيرون مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسبون قتال بنى الأصفر كقتال غيرهم ! والله لكأنّى بكم غداً مُقَرَّنين فى الحبال ؛ إرْجافًا وترهيبًا للمؤمنين . فقال مخشىّ ابن حميِّر : والله لَوَدِدْتُ أنّى أقاضَى على أن يُضرب كلّ رجل منّا مائة جلدة ، وأنا ننفلت أن يُنزِل الله فينا قرآنًا لمقالتكم هذه . وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — لعمّار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ،[٢] فسلْهم عمّا قالوا ؛ فإن أنكروا فقل : بلى قد قلتم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمّار فقال لهم ذلك ؛ فأتوْا رسولَ الله يعتذرون إليه ، فقام وديعة بن ثابت ورسول الله واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبِها[٣] : يا رسولَ الله ، كنّا نخوض ونلعب ؛ فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾[٤] . وقال مخشّى بن حميِّر : يا رسول الله ، قعد بى اسمى واسم أبى ؛ فكان الذى عُفِىَ عنه فى هذه الآية مخشىّ بن حميِّر ؛ فسمّى عبد الرحمن ، وسأل الله أنْ يقتله شهيداً لا يُعلَم مكانه ، فقُتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر . فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يُحنّه بن رُؤبة ، صاحب أيلَة ، فصالح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية ، وأهل جَرْباء وأذْرُح أعطوْه الجزية ، وكتب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لكلٍّ كتابًا ؛ فهو عندهم .

١/١٧٠٢

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أكَيْدِر دومة — وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من كِنْدة ، كان ملكًا عليها ، وكان نصرانيًّا — فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده

---

(١) ابن هشام فى إحدى رواياته : « مخشى » . بالتشديد .

(٢) احترقوا ، أى هلكوا ، وفى ط : « اخترقوا » ، وأثبت ما فى ابن هشام .

(٣) الحقب : حبل يشد على بطن البعير . (٤) سورة التوبة ٦٥ .

يصيد البقر ، فخرج خالد بن الوليد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفى ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحكُّ بقرونها باب القصر ، فقالت امرأته : هل رأيتَ مثلَ هذا قطّ ! قال : لا والله ، قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لاأحد . فنزل فأمر بفرسه فأسْرِج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخٌ له يقال له حسان، فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم ؛ فلمّا خرجوا تلقّتهم خيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخذتْه ، وقتلوا أخاه حسّان ، وقد كان عليه قَباء له من ديباج مُخوّص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه[1] عليه[2].

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ قال : رأيتُ قَباء أكيدر حين قُدِم به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ، ويتعجّبون منه ، فقال رسول الله : أتَعْجَبون مِنْ هذا ! فو الذى نفس محمد بيده لمناديل[3] سعد بن معاذ فى الجنة أحسنُ من هذا ! ١٧٠٣/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمَه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيلَه ، فرجع إلى قريته .

* * *

رجع الحديث إلى حديث يزيد بن رومان الذى فى أول غزوة تبُوك . قال : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها[4]، ثم انصرَف قافلا إلى المدينة ، فكان فى الطريق ماء يخرج من وَشَلٍ ما يرْوِى الراكبَ والراكبَيْن والثلاثة ، بوادٍ يقال له وادى المُشقّق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ سبقنا إلى ذلكَ الماء فلا يَستْقيَنّ منه شيئاً حتى نأتيَه . قال : فسبقه إليه نفرٌ من المنافقين فاستقوْا مافيه ، فلما أتاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم

(١) ط : « مقدمه » .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٩ .
(٣) ط : « لمنديل » .
(٤) ابن هشام : « لم يجاوزها » .

وقف عليه فلم يَرَ فيه شيئًا ؛ فقال : مَنْ سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله ، فلان وفلان، فقال : أوَ لم ننْهَهم أن يستقوا منه شيئًا حتى نأتيه ! ثم لعنهم رسولُ الله ، ودعا عليهم. ثمّ نزل صلى الله عليه وسلم، فوضع يده تحت الوَشَل[١] ، فجعل يصبّ فى يده ما شاء الله أن يصبّ ، ثم نضحه به ومسحه بيده ، ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعوَ ، فانخرق من الماء — كما يقول مَنْ سمعه: إن[٢] له حِسًّا كحسّ الصواعق؛ فشرب الناس واستقوْا حاجتهم منه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ١٧٠٤/١ مَنْ بَقِيَ منكم لَيسمعنّ[٣] بهذا الوادى ؛ وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه . ثمّ أقبل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى نزل بذى أوَان؛ بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ؛ وكان أصحاب مسجد الضِّرار قد كانوا أتوْه وهو يتجهّز إلى تَبوك، فقالوا : يا رسول الله؛ إنا قد بنينا مسجداً لذى العلّة والحاجة والليلة المَطِيرة والليلة الشاتية؛ وإنا نحبّ أن تأتينا فتصلّى لنا فيه . فقال : إنّى على جَنَاح سَفَر ، وحال شغل — أو كما قال رسول الله — ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلّينا لكم فيه؛ فلما نزل بذى أوَان أتاه خبرُ المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكَ بن الدُّخشُم ، أخا بنى سالم بن عوف ومعن بن عدىّ — أو أخاه عاصم بن عدىّ أخا بنى العَجْلان — فقال : انطلقا إلى المسجد الظالم أهلُه فاهدِماه وحرّقاه ؛ فخرجا سريعيْن حتى أتيا بنى سالم ابن عوف؛ وهم رهط مالك بن الدُّخشُم ، فقال مالك لمعن : أنظرْنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى ، فدخل إلى أهله ، فأخذ سَعَفًا من النّخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدّان حتى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرّقاه وهَدماه، وتفرّقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن مانزل : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤] ، إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خِذام بن خالد ، من بنى عُبَيد بن

---

(١) الوشل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلا قليلا .

(٢) ابن هشام : « وإن له حسا » .

(٣) ابن هشام : « لئن بقيتم لتسمعن » . (٤) سورة التوبة ١٠٧ .

زيد ؛ أحد بنى عمرو بن عوف – ومن داره أخرج مسجد الشقاق – وثعلبة بن حاطب من بنى عبيد – وهو إلى بنى أمية بن زيد ، ومُعَتِّب بن قُشَيْر من بنى ضُبَيْعة بن زيد ، وأبو حَبيبة بن الأزعر من بنى ضُبيعة بن زيد ، وعبّاد ابن حُنَيْف ؛ أخو سهل بن حُنَيْف من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مجمّع بن جارية وزيد بن جارية ، ونَبْتَل بن الحارث ، من بنى ضُبَيعة ، وبحزج – وهو إلى بنى ضُبيعة – وبجاد بن عثمان – وهو من بنى ضُبيعة – ووديعة بن ثابت وهو إلى بنى أميّة رهط أبى لُبابة بن عبد المنذر . ١٧٠٥/١

* * *

قال : وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ – وقد كان تخلّف عنه رهط من المنافقين ، وتخلّف أولئك الرّهط من المسلمين من غير شكّ ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أميّة – فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا يكلّمن أحدٌ أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه مَنْ تخلّف عنه من المنافقين ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول الله ولم يعذِرْهم الله ولا رسوله ، واعتزل المسلمون كلامَ هؤلاء الثلاثة النفر ، حتى أنزل الله عزّ وجلّ قوله : ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ – إلى قوله – ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1] ، فتاب الله عليهم .

قال : وقدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تَبُوك فى شهر رمضان . وقدِم عليه فى ذلك الشهر وفْدَ ثَقِيف ، وقد مضى ذكر خبرهم قبل .

* * *

[أمر طيّئ وعدىّ بن حاتم]

قال : وفى هذه السنة – أعنى سنة تسع – وجّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى سريّة إلى بلاد طيّئ فى ربيع الآخر ، فأغار عليهم ، فسبَى وأخذ سيفين كانا فى بيتِ الصنم ؛ يقال لأحدهما : ١٧٠٦/١

---

(١) سورة التوبة ١١٧ – ١١٩ .

رَسُوب ، وللآخرِ المخذَم ؛ وكان لهما ذِكْرٌ ، كان الحارث بن أبى شمِر نَذَرهما له ، وسبَى أخت عدىّ بن حاتم .

قال أبو جعفر : فأما الأخبار الواردة عن عدىّ بن حاتم عندنا بذلك فبغير بيان وقت ، وبغير ما قال الواقدىّ فى سبى علىّ أختَ عدىّ بن حاتم .

حدّثنا محمد بن المثنى ، قال : حدّثنا محمد بن جعفر ، قال : حدّثنا شعبة ، قال : حدثنا سماك ، قال : سمعت عبّاد بن حُبَيْش يحدّث عن عدىّ بن حاتم ، قال : جاءت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم — أو قال : رسلُ رسول الله — فأخذوا عمّتى وناسًا ، فأتوْا بهم النبىّ صلى الله عليه وسلم . قال : فصُفّوا له . قالت : قلتُ : يا رسولَ الله ، نأى الوافد ، وانقطع الولد ؛ وأنا عجوز كبيرة ما بى من خدمة ؛ فمُنّ علىّ منّ الله عليك يا رسول الله ! قال : ومن وَافِدُكِ ؟ قالت : عدىٌّ بن حاتم ؛ قال : الذى فرّ من الله ورسوله ! قالت : فمَنّ علىّ — ورَجُل إلى جنبه ترَى أنه علىٌّ عليه السلام ، قال : سليه حُمْلانًا — قال : فسألته ، فأمر بها فأتتنى ، فقالت : لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها ! قالت : ائتِه راغبًا وراهبًا ، فقد أتاه فلان فأصاب منه ، وأتاه فلان فأصاب منه . قال : فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان — أو صبىّ — فذكر قربهم من النبىّ صلى الله عليه وسلم — فعرفت أنه ليس بملك[1] كسرى ولا قيصر ، فقال لى : يا عدىّ بن حاتم ، ما أفرّك[2] أن يقال لا إله إلا الله ! فهل من إله إلا الله ! وما أفرّك أن يُقال الله أكبر ! فهل من شىء هو أكبر من الله ! فأسلمتُ فرأيتُ وجهَه استبشر .

١٧٠٧/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن شيْبان بن سعد الطائىّ ، قال : كان عدىّ بن حاتم طيّئ يقول فيما بلغنى : ما رجل[3] من العرب كان أشدّ كراهيةً لرسول الله حين سمع به منّى ؛ أمّا

(١) و : « ملك » . (٢) ما الذى جعلك تفر من الجهاد فى سبيل الله .
(٣) ابن هشام : « ما من رجل » .

أنا فكنتُ امرأ شريفًا ، وكنتُ نصرانيًّا أسيرُ فى قومى بالمرْباع [١] ، فكنت فى نفسى على دين ، وكنت ملِكًا فى قومى ، لما كان يُصنع بى ، فلمّا سمعتُ برسول الله كرهتُه ، فقلت لغلام كان لى عربىّ وكان راعيًا لإبلى : لا أبالك ! أعدِدْ لى من إبلى أجمالاً ذُلُلا [٢] سِمانا مَسَانَّ ، فاحبسها قريبًا منّى ؛ فإذا سمعتَ بجيش لمحمد قد وطِئ هذه البلاد فآذنّى ، ففعل . ثم إنه أتانى ذات غداة ، فقال : يا عدىّ ؛ ما كنت صانعًا إذا غَشِيَتْك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيتُ رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد ، قال : فقلت : قرِّبْ لى جمالى ، فقرّبها ، فاحتملتُ بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحقُ بأهلِ دينى من النّصارى بالشأم ، فسلكت الحوشيّة وخلّفت ابنةَ حاتم فى الحاضر ، فلما قدمتُ الشأم أقمت بها ، وتُخالفنى خيلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيبُ ابنةَ حاتم فيمن أصيب . فقُدِم بها على رسول الله فى سبايا طيِّئ ، وقد بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هرَبى إلى الشأم . قال : فجُعلت ابنة حاتم فى حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يُحبَّسن بها ، فمرّ بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقامت إليه — وكانت امرأةً جزْلَةً — فقالت : يارسولَ الله ؛ هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامننْ علىّ منّ الله عليك ! قال : ومَنْ وافدك ؟ قالت : عدىُّ بن حاتم ، قال : الفارُّ من الله ورسوله ! قالت : ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتركنى ؛ حتى إذا كان الغد مرّ بى وقد أيِستُ ، فأشار إلىّ رجلٌ من خلْفه : أن قومى إليه فكلّميه ، قالت : فقمتُ إليه ، فقلت : يا رسولَ الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامننْ علىّ منّ الله عليك ! قال : قد فعلتُ فلا تعجلى بخروجٍ حتى تجدِى من قومك مَنْ يكون لك ثقة حتى يبلّغك إلى بلادك ثم آذنينى . قالت : فسألت عن الرجل الذى أشار إلىّ أن كلّميه فقيل : علىّ بن أبى طالب . قالت : وأقمت حتى قدم ركبٌ من بلِىّ — أو من قضاعة — قالت : وإنما أريد أن آتىَ أخى

١٧٠٨/١

(١) أسير بالمرباع ؛ أى آخذ الربع من الغنائم ؛ لأنى سيدهم .

(٢) ذللا : جمع ذلول ؛ وهو الجمل السهل الذى قد ريض .

بالشأم ، قالت : فجئتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقلت : يا رسولَ الله ، قد قدم رهط من قومى لى فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكسانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وحملنى وأعطانى نفقةً ، فخرجت معهم حتى قدمْت الشأم .

١٧٠٩/١ قال عدىّ : فوالله ، إنى لقاعدٌ فى أهلى إذ نظرت إلى ظَعينة[1] تُصَوِّبُ إلىّ[2] تَؤمّنا . قال : فقلت : ابنة حاتم ! قال : فإذا هى هى ؛ فلما وقفتْ علىّ انسحلَتْ[3] تقول : القاطع الظالم ! احتملتَ بأهلك وولدك ، وتركت بُنَيّةَ والدك وعَوْرَتَهُ ! قال : قلت : يا أخيّة ، لا تقولى إلا خيراً ، فوالله مالى عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال : ثم نزلتْ فأقامت عندى ، فقلت لها — وكانت امرأة حازمةً : ماذا ترينْ فى أمر هذ الرجل ؟ قالت : أرَى والله أن تلحق به سريعًا ، فإن يكن الرجل نبيًّا فالسابق إليه له فضيلة ، وإن يكن ملِكًا فلن تذلّ فى عزّ اليمن وأنت أنت ! قلتُ : واللهِ إن هذا للرّأى . قال : فخرجت حتى أقدم على رسول الله المدينة ، فدخلت عليه وهو فى مسجده فسلّمت عليه ، فقال : مَنِ الرجل ؟ فقلت : عدىٌّ بن حاتم ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بى إذ لَقيَتْه امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفَتْه ، فوقف لها طويلا تكلّمه فى حاجتها . قال : فقلت فى نفسى : والله ما هذا بملِك ، ثم مضى رسولُ الله حتى دخل بيته ، فتناول وسادةً من أدَم محشُوَّةً لِيفًا ، فقذفها إلىّ ، فقال لى : اجلس على هذه ، قال : قلت : لا بل أنت ، فاجلس عليها . قال : لا بل أنت ، فجلستُ وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالأرض . قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملِك ، ثم قال : إيه يا عدىّ بن حاتم! ألم تك رَكُوسيا[4]! قال : قلت : بلى ، قال : أوَلم تكن تسير فى قومك بالمِرْباع ! قال : قلت : بلى ، قال : فإنّ ذلك لم يكن يحلّ لك فى دينك ، قال : قلت : أجلْ والله — وعرفت أنه نبىٌّ مرسل يعلم ما يُجهل — قال : ثمّ قال : لعلّه[5] يا عدىّ بن

١٧١٠/١

(١) الظعينة : المرأة فى الهودج . (٢) تصوب إلى : تقصد .
(٣) انسحلت : أخذت فى اللوم ومضت فيه بجدة .
(٤) الركوسية : قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين .
(٥) بن هشام : « لعلك » .

حاتم ؛ إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى[١] من حاجتهم ! فوالله ليوشكن المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ؛ ولعله[٢] إنما يمنعك من الدخول[٣] فى هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ؛ فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف إلا الله ؛ ولعله إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم ، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت . قال : فأسلمت ، فكان عدى بن حاتم يقول : مضت الثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تحج هذا البيت . وايم الله لتكونن الثالثة ليفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه .

* * *

[قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات]

قال الواقدى : وفيها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى تميم ، فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن أبى بكر ، قالا : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمى فى أشراف من تميم ، منهم الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر التميمى ثم أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهتم ، والحتات بن فلان ، ونعيم بن زيد ، وقيس بن عاصم أخو بنى سعد فى وفد عظيم من بنى تميم ، معهم عيينة بن حصن بن حذيفة الفزارى — وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحصار الطائف ، فلما وفد وفد بنى تميم كانا معهم — فلما دخل وفد بنى تميم المسجد ، نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات : أن اخرج إلينا يا محمد . فآذى ذلك من صياحهم رسول الله ١٧١١/١

(١) كذا فى ابن هشام : وفى ط : « لما » . (٢) ابن هشام : « ولعلك » .
(٣) ابن هشام : « دخول فيه » .

صلى الله عليه وسلم؛ فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد، جئناك[1] لنفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال : نعم ، أذنت لخطيبكم فليقل[2] . فقام إليه عُطارد بن حاجب ، فقال : الحمدُ لله الذى له علينا الفَضْل وهو أهله، الذى جعلنا ملوكًا ، ووهب لنا أموالاً عظامًا نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثره عدداً . وأيسره عُدّةً ، فمن مثلُنا فى الناس! ألسنا برءوس الناس وأولى فضلهم ! فمن يفاخرنا فليعدّد مثل ما عدّدنا؛ وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام؛ ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا؛ وإنا نُعرف. أقول هذا الآن لتأتونا بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضلَ من أمرنا ، ثم جلس. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شمّاس أخى بلحارث بن الخزرج : قمْ فأجب الرجل فى خطبته . ١٧١٢/١

فقام ثابت، فقال : الحمدُ لله الذى السمواتُ والأرضُ خَلْقُه ، قضى فيهنّ أمره، وَوسِع كُرْسِيّه علمه، ولم يك شىء قطّ إلاّ من فضله. ثم كان من قدرته أنْ جعلنا ملوكًا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نَسَبًا، وأصْدَقهم حَدِيثًا ، وأفضلهم حَسَبًا، فأنزل عليه كتابه، وائتمنه على خَلْقِه ؛ فكان خِيَرَةَ الله من العالمين ، ثم دعا الناسَ إلى الإيمان ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رَحِمِه؛ أكرم الناس أنسابًا، وأحسن الناس وجوهاً ؛ وخير الناس فعالاً ؛ ثم كان أوّل الخلق إجابةً — واستجاب لله حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم— نحنُ ؛ فنحنُ أنصارُ الله ووُزراء رسوله ، نقَاتِل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودَمَه ، ومَنْ كفر جاهدناه فى الله أبداً ، وكان قتله علينا يَسِيرًا ، أقول قولى هذا وأستغفر الله للمؤمنين وللمؤمنات ؛ والسلام عليكم .

قالوا : يا محمد، ائذَنْ لشاعرنا ، فقال : نعم ، فقام الزِّبرقان بن بدر فقال[3] :

نَحْنُ الكِرامُ فلاَ حَىٌّ يُعادِلُنا ... منّا الملوكُ وفينَا تُنصَبُ البِيَعُ[4]

---

(١) و : « قد جئناك » . (٢) س : « فليفعل » .

(٣) قال السهيلى: « وإن بعض الناس ينكر الشعر له ، وذكر أن الشعر لقيس بن عاصم» .

(٤) البيع : مواضع الصلوات والعبادات ، واحدها بيعة .

وكَم قَسَرْنا من الأحياءِ كلّهم عند النِّهابِ وفَضْلُ العِزِّ يُتّبعُ

ونحن نُطْعم عند القَحْطِ مطعَمنا مِنَ الشِّواءِ إذا لم يُؤنَس القَزَعُ (١)

ثم تَرَى الناسَ تأتينا سَرَاتُهمُ من كل أرضٍ هُوِيًّا ثم نَصْطَنِعُ (٢)

فَنَنْحَرُ الكُومَ عَبْطاً فى أرُومتِنَا للنّازلينَ إذا ما أنزلوا شَبِعُوا (٣)

فلاَ تَرَانا إلَى حَىٍّ نُفاخِرُهمْ إلاَّ استَقَادُوا وكادَ الرَّأْسُ يُقْتَطعُ

إنا أبَيْنا ولَنْ يأْبَى لنا أحدٌ إنا كَذلكَ عند الفَخْرِ نَرْتَفِعُ

فمَنْ يُقادِرُنَا فى ذاكَ يعرِفنا فيرجِعِ القوْلُ والأخبارُ تُسْتَمَعُ (٤)

وكان حسّان بن ثابت غائباً، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال حسان: فلمّا جاءنى رسولُه فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيبَ شاعر بنى تميم، خرجتُ إلى رسول الله، وأنا أقول :

١٧١٣/١

مَنَعنَا رسولَ اللهِ إذْ حلَّ وَسْطَنَا على كلِّ باغٍ من مَعَدٍّ وراغِمِ (٥)

منعْنَاه لمّا حَلَّ بين بُيُوتنا بأسْيافنا من كلِّ عادٍ وظَالِمِ

ببَيْتٍ حَرِيدٍ عِزُّه وثَرَاؤُه بجابيَةِ الجَوْلانِ وَسْطَ الأعاجِمِ (٦)

هَلِ المَجْد إلا السُّؤْدُد العَوْد والنَّدَى وَجَاهُ الملوكِ واحتمالُ العَظَائمِ !

قال: فلما انتهيتُ إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وقام شاعر القوم، فقال ما قال، عرضتُ فى قوله وقلت على نحوٍ مما قال؛ فلما فرغ الزِّبرقان بن

١٧١٤/١

(١) القزع : السحاب الرقيق ؛ يريد إذا أخلفهم المطر فأجدبت أرضهم .

(٢) هويا : سراعا . قال السهيلى : « وليس السراة جمع سرى » كما ظنوا ؛ وإنما هو كما تقول : « ذروتهم وسنامهم ، وسراة كل شىء : أعلاه » .

(٣) الكوم : جمع كوماء؛ وهى العظيمة السنام من النوق . وعبط : من غير علة . أرومتنا ، أى أن هذا الكرم متأصل فينا .

(٤) فى ابن هشام : « فن يفاخرنا فى ذاك نعرفه » ؛ وبعد هذا البيت فى ابن هشام :

إنّا أبيْنَا وَلَا يَأْبَى لَنَا أحدٌ إنّا كَذلكَ عِنْدَ الفَخْر نَرْتَفِعُ

(٥) ديوانه ٢٤٦

(٦) البيت الحريد : الفريد .

بدر من قوله قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لحسّان : قم يا حسّان فأجب الرجل فيما قال ، قال : فقال حسان :

إنّ الذَّوائبَ من فِهْرٍ وَإِخوتِهِم ... قد بيّنُوا سُنَّةً للنّاسِ تُتَّبَعُ (١)

يَرْضَى بها كلُّ مَن كانت سَرِيرَتُهُ ... تَقْوَى الإلهِ وكلُّ الخيرِ يُصْطَنَعُ

قومٌ إذا حارَبوا ضَرُّوا عدُوَّهُمُ ... أو حاوَلُوا النَّفعَ فى أشياعهمْ نَفَعُوا

سَجِيَّةٌ تلك منهم غير مُحْدَثَةٍ ... إنّ الخلائق فاعلم شرُّها البِدَعُ

إنْ كانَ فى الناسِ سَبَّاقونَ بَعْدَهُمُ ... فكلُّ سَبْقٍ لأدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ

لا يَرْقَعُ الناسُ ما أَوْهَتْ أكُفُّهُمُ ... عند الدِّفاعِ ولا يُوهُونَ ما رَقَعُوا

١٧١٥/١ إنْ سابَقوا الناسَ يَوْماً فازَ سَبْقُهُمُ ... أوْ وَازَنُوا أهْلَ مَجْدٍ بالنَّدَى مَتَعُوا (٢)

أعِفَّةٌ ذُكِرَتْ فى الْوَحْىِ عِفَّتُهُمْ ... لا يَطْبَعونَ ولا يُرْدِيهِمُ طَمَعُ (٣)

لا يبْخَلونَ على جارٍ بِفَضْلِهِمُ ... ولا يَمَسُّهم من مَطْمَعٍ طَبَعُ (٤)

إذا نَصَبْنَا لحيٍّ لم نَدِبَّ لهم ... كما يَدِبُّ إلى الوَحْشيَّةِ الذَّرَعُ (٥)

نَسْمو إذا الحَرْبُ نالَتْنا مَخالِبُها ... إذا الزّعانِفُ من أظفارِها خَشَعُوا (٦)

لا فخْرَ إن هُمْ أصابوا من عَدوِّهِم ... وإنْ أُصِيبوا فلا خُورٌ ولا هُلُعُ (٧)

كأنّهمْ فى الوَغَى والمَوْتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسْدٌ بحَلْيَةَ فى أرْسَاغِها فَدَعُ (٨)

١٧١٦/١ خذْ منهمُ ما أتوا عَفْوًا إذا غَضِبُوا ... ولا يكن همَّكَ الأمرُ الذى مَنَعوا (٩)

---

(١) ديوانه ٢٤٨ ، ويريد بالذوائب ، السادة . (٢) متعوا : زادوا .

(٣) لا يطبعون : لايدنسون . (٤) الطبع : الدنس .

(٥) نصبنا : أظهرنا العداوة ولم نسرها . والذرع : ولد البقرة الوحشية .

(٦) الزعانف : أطراف الناس وأتباعهم . وخشعوا : تذللوا .

(٧) الخور : الضعفاء . والهلع : جمع هلوع ؛ وهم الجازعون .

(٨) مكتنع : دان . وحلية : مأسدة باليمن . والأرساغ : جمع رسغ ؛ وهو موضع القيد من الرجل . وفدع : اعوجاج إلى ناحية .

(٩) عفوا : من غير مشقة .

فإنّ فى حربهم — فاترُكْ عداوتهم — شرًّا يُخاضُ[1] عليه السمُّ والسلَعُ[2]
أكْرِمْ بقومٍ رسولُ اللهِ شيعتهم إذا تفرّقتِ الأهواءُ والشِّيَعُ
أهدى لهم مِدْحتِي قلبٌ يُوازِرُه فيما أحبَّ لسانٌ حائكٌ صَنَعُ[3]
فإنهمْ أفضَلُ الأحيَاء كلّهمُ إنْ جَدَّ بالناسِ جِدُّ القولِ أوشَمَعُوا[4]

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله، قال الأقرَعُ بن حابس: وأبِى إنّ هذا الرجلَ لمؤتّى[5] له! لخطيبُه أخطب من خطيبنا، ولَشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم[6] أعلى من أصواتنا. فلمّا فرغ القوم أسلموا، وجوّزهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأحْسَنَ جوائزهم — وكان عمرو بن الأهتم قد خلّفه القوم فى ظهرهم — فقال قيس بن عاصم — وكان يُبغِض عمرو بن الأهتم: يا رسولَ الله؛ إنه قد كان منّا رجلٌ فى رحالنا وهو غلام حدَثٌ، وأزرِى به، فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مثلَ ما أعطى القوم؛ فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه ذلك من قول قيس بن عاصم، وهو يهجوه:

١٧١٧/١

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشاً هَلباكَ تشتِمُنِى[7] عند الرسولِ فلم تَصدُقْ ولم تُصِبِ
إنْ تُبغِضُونا فإنّ الرُّومَ أصْلُكُمُ والرُّوم لاتملِكُ البغضاءَ للعرَبِ
سُدْنا فسُودَدُنا عَوْدٌ وسُودَدُكمْ مُؤخَّرٌ عندأصلِ العَجْبِ والذَّنَبِ[8]

(١) يخاض يخلط. (٢) السلع: نبات مسموم.
(٣) صنع: يحسن القول ويجيده.
(٤) شمعوا: هزلوا؛ وأصل الشمع اللهو والطرب. وقد أورد ابن هشام بعد هذا أبياتا أخرى للزبرقان، أنشدها فى وفد بنى تميم عند الرسول، أولها:

أتيناكَ كيما يَعلم الناسُ فضْلَنَا إذا احتفلوا عند احتضار المواسِمِ

وأجابه حسان بأبيات أخرى أيضا، أولها:

هل المجْدُ إلا السّودَدُ العوْدُ والندى وجَاهُ المُلوكِ واحتمالُ العظائِمِ!

إلى آخر الأبيات..
(٥) مؤتى له: موفق.
(٦) ابن هشام: «ولأصواتهم».
(٧) ابن هشام «مفترش الهلباء».
(٨) ابن هشام: ٣: ٣٢٣ – ٣٣٧

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ، قال : فأنزل الله فيهم القرآن : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ ﴾ — من بنى تميم — ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[1] ، قال : وهى القراءة الأولى[2].

* * *

قال الواقدىّ : وفيها مات عبدُالله بن أبىّ بن سَلُول، مرِض فى ليال بقِينَ من شوال ، ومات فى ذى القَعْدة ، وكان مرضه عشرين ليلة .

* * *

[قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم]

قال : وفيها قدم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوك حِمْيَر فى شهر رمضان مُقرين بالإسلام ؛ مع رسولهم الحارث بن عبد كُلاَل ونعيم ابن عبد كُلاَل ، والنعمان قَيْل ذى رُعَيْن .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : قدم علَى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوكِ حِمْيَر مَقْدَمَهُ من تَبُوك ورسولهم إليه بإسلامهم : الحارث بن عبد كُلال ونعيم بن عبد كُلال ، والنعمان قَيْل ذى رُعَين ، وهَمْدان ومَعافِر ؛ وبعث إليه زُرْعة ذو يَزَن مالكَ بن مُرّة الرَّهاوىّ بإسلامه ، ومفارقتهم الشرك وأهله ، فكتب إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ١٧١٨/١

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبىّ رسولِ الله إلى الحارث بن عبد كُلال ونعيم بن عبد كُلال والنعمان[3] قَيْل ذى رُعَين وهَمْدان ومَعافر ؛ أما بعد ذلكم ؛ فإنى أحمَد إليكم الله الذى لا إله إلا هو . أما بعدُ ؛ فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلَنا[4] من أرض الرّوم ، فلقِينا بالمدينة ، فبلّغ ما أرسلْتم ،

---

(١) سورة الحجرات ٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٧

(٣) ابن هشام : « وإلى النعمان » .

(٤) ابن هشام : « منقلبنا » .

وخَبَّرَ ما قِبَلَكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ؛ وإنّ الله قد هداكم بهدايته[١] ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ؛ وأعطيتم من المغانم خُمس الله ، وسهم نبيّه وصفيّه ؛[٢] وما كُتب على المؤمنين من الصّدقة من العَقار[٣] عُشْرُ ما سَقَت العين وما سَقَت السماءُ ، وكلّ ما سُقِى بالغَرْب[٤] نصف العُشْر ، وفى الإبل فى الأربعين ابنة لَبون ، وفى ثلاثين من الإبل ابنُ لبون ذكرٌ ، وفى كلّ خمس من الإبل شاة ، وفى كلّ عشر من الإبل شاتان ، وفى كلّ أربعين من البقر بقرةٌ ، وفى كلّ ثلاثين من البقر تَبيعٌ ؛ جَذَعٌ أو جَذَعة ، وفى كلّ أربعين من الغنم سائمة وحدَها ، شاة . وإنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له ، ومَنْ أدّى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر[٥] المؤمنين على المشركين ؛ فإنه من المؤمنين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ؛ وله ذمّة الله وذمة رسوله . وإنه مَنْ أسلم من يهودىّ أو نصرانىّ فإنّ له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومَنْ كان على يهوديّته أو نصرانيته فإنه لا يفتَنُ[٦] عنها ، وعليه الجزية ؛ على كلّ حالم ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ؛ دينار وافٍ أو قيمته من المَعافر[٧] أو عِرْضُه[٨] ثياباً ؛ فمن أدّى ذلك إلى رسول الله ؛ فإنّ له ذمة الله وذمة رسوله ، ومَنْ منعه فإنه عدوٌّ لله ولرسوله . ١٧١٩/١

أما بعد ؛ فإنّ رسولَ الله محمداً النبىّ أرسلَ إلى زُرْعة ذى يزَن أن إذا أتتكم[٩] رُسُلى فأوصيكم بهم[١٠] خيراً : مُعاذ بن جَبَل ، وعبد الله بن زيد ومالك بن عُبادة ، وعُقْبة بن نَمِر ، ومالك بن مُرّة وأصحابهم ؛ وأنِ اجْمَعُوا ما عندكم من الصدقة والجزْية من مخالِفيكم وبلّغوها[١١] رُسُلى ، وإنّ أميرهم معاذ بن جبل ؛ فلا ينقلبنّ إلاّ راضياً .

---

(١) ابن هشام : « بهداه » .
(٢) الصفى : نصيب الرئيس من الغنيمة .
(٣) العقار : الأرض التى تزرع .
(٤) الغرب : الدلو .
(٥) ظاهر : عاون وآزر .
(٦) ابن هشام : « لا يرد عنها » .
(٧) المعافر : ثياب اليمن .
(٨) ابن هشام : « أو عوضه » .
(٩) ابن هشام : « أتاكم » .
(١٠) كذا فى ابن هشام ، فى ط : « بها » .
(١١) ابن هشام : « أبلغوها » .

أما بعد ؛ فإنّ محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ؛ ثم إن مالك بن مرة الرُّهاوىّ قد حدثنى أنك أسلمت من أوّل حميَر ، وقتلت المشركين فأبشر بخير ، وآمرك بحمير خيْراً ، ولا تَخُونُوا ولا تخذلوا فإنّ رسولَ الله ١٧٢٠/١ مولى غنيّكم وفقيركم ؛ وإنّ الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا لأهله ؛ إنما هى زكاة يتزكّى بها على فقراء المؤمنين وأبناء السبيل ؛ وإنّ مالكًا قد بلّغ الخبر وحفظ الغيب ، وآمرُكم به خيراً ، وإنى قد بعثت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينى [1] ، وأولِى علمهم ؛ فآمركم بهم خيراً فإنه منظور إليهم ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [2] .

• • •

قال الواقدىّ : وفيها قدمَ وفْدُ بَهْراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلاً ، ونزلوا على المقداد بن عمرو .

قال : وفيها قدم وفد بنى البَكّاء .

وفيها قدم وفد بنى فَزارة ؛ وهم بضعة عشر رجلا ، فيهم خارجة بن حصن .

قال : وفيها نَعَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين النجاشىّ ، وأنه مات فى رجب سنة تسع .

قال : وفيها حجّ أبو بكر بالناس ثم خرج أبو بكر من المدينة فى ثلثمائة ، وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرين ببَدَنَة ، وساق أبو بكر خمسَ بدنات . وحجّ فيها عبد الرحمن بن عوف وأهدى .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب عليه السلام على أثر أبى بكر رضى الله عنه ، فأدركه بالعَرْج ، فقرأ علىّ عليه براءة يوم النحر عند العقبة . فحدّثنى محمد بن الحُسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المُفَضَّل ، قال : حدّثنا أسباط ؛ عن السّدّىّ ، قال : لما نزلت هذه الآيات إلى رأس الأربعين

(١) ابن هشام : « دينهم » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٦ .

— يعني من سورة براءة — فبعث بهنّ رسول الله مع أبي بكر ، وأمّره على الحجّ، ١ /١٧٢١
فلما سار فبلغ الشجرة من ذى الحُلَيْفة أتبعه بعليّ ، فأخذها منه ؛ فرجع أبو بكر إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسولَ الله ، بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء ؟ قال : لا ؛ ولكن لا يبلّغ عنّي غيرى أو رجل منّي. أما ترضى يا أبا بكر أنك كنتَ معى فى الغار ، وأنك صاحبي على الحوض ! قال : بلَى يا رسول الله . فسار أبوبكر على الحجّ ،وسار عليّ يؤذِن ببراءة ، فقام يوم الأضحَى فأذن فقال : لا يقربَنّ المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطوفنّ بالبيت عُرْيان ، ومَن كان بينه وبين رسول الله عهد فله عهده [١] إلى مدّته ، وإنّ هذه أيام أكل وشرب ، وإن الله لا يُدخِل الجنة إلاّ مَن كان مسلمًا . فقالوا : نحن نبرأ من عهدك وعهد[٢] ابن عمّك إلاّ من الطعن والضرب.

فرجع المشركون فلام بعضهم بعضًا ، وقالوا : ما تصنعون وقد أسْلَمَتْ قريش ! فأسلموا[٣] .

حدّثني الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا عبد العزيز بن أبان ، قال : حدّثنا أبو معشَر ، قال : حدّثنا محمد بن كعب القرَظيّ وغيره ، قالوا : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميراً على المَوْسِم سنة تسع ، وبعث عليّ بن أبي طالب بثلاثين أو أربعين آية من « براءة »، فقرأها على الناس، يؤجِّل المشركين أربعة أشهر يَسيحون في الأرض ، فقرأ عليهم براءة يوم عرفة ، أجّل المشركين عشرين يومًا من ذى الحجّة والمحرم وصفروشهر ربيع الأول وعشراً من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم فى منازلهم ، ولا يحجّنّ بعد عامنا هذا مشرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عُريان[٤] .

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة فُرِضت الصدقات ، وفَرّقَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمّاله على الصدقات . ١٧٢٢/١

---

(١) س : « فعهده » .
(٢) التفسير : « أو عهد » .
(٣) الخبر فى التفسير ١٤ : ١٠٩
(٤) الخبر فى التفسير ١٤ : ١٠٠

وفيها نزل قوله : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾[١]؛ وكان السبب الذى نزل ذلك به قصّة أمر ثعلبة بن حاطب، ذكر ذلك أبو أمامة الباهلىّ[٢].

قال الواقدىّ : وفى هذه السنة ماتت أمّ كلثوم ابنة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان ، وغسلتْها أسماء بنت عُمَيس وصفيّة بنت عبد المطلب . قال : وقيل غسلتْها نسوة من الأنصار ، فيهنّ امرأة يقال لها أم عطيّة ، ونزل فى حفرتها أبو طلحة .

قال : وفيها قدم وفد ثعلبة بن منقذ .

* * *

[قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بنى سعد]

وفيها قدم وفد سعد هُذَيْم. حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى سلَمة بن كُهيل ومحمد بن الوليد بن نويفع ، عن كُرَيب مولى ابن عبّاس ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : بعث بنو سعْد بن بكر ضِمَام بن ثعلبة إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ؛ فأناخ بعيرَه على باب المسجد ثم عقَله ، ثم دخل المسجد ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه ، وكان ضِمام بن ثعلبة رجلاً جلْداً أشعر ذا غديرتين ، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فقال : أيّكم ابن عبد المطلب ؟ قال : قال رسولُ الله : أنا ابن عبد المطلب ، قال : محمد[٣] ؟ قال : نعم ، قال : يابن عبد المطلب ، إنى سائلك ومُغْلِظٌ لك[٤] فى المسألة ، فلا تجدَنّ فى نفسك ! قال : لا أجد فى نفسى ، فَسَلْ عمّا بدا لك ، قال : أنشدُك بالله[٥] إلهك وإله مَن كان قبلك وإله مَنْ هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولاً ؟ قال : اللهمّ نعم ، قال : فأنشدك بالله إلهك وإله مَنْ كان

١٧٢٣/١

(١) سورة التوبة ١٠٣ .

(٢) أسباب النزول للواحدى ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٣) ابن هشام : « أحمد ؟ » .

(٤) ابن هشام : « عليك » .

(٥) ابن هشام : « أنشدك الله » .

قبلك وإله مَنْ هو كائن بعدك ، آلله أمرَك أن تأمُرَنا أن نعبُدَه وَحْدَه ، ولا نشرك به شيئًا ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كانت آباؤنا تعبد من دونه[1] ؟ قال : اللهمّ نعم ، قال : فأنشدك بالله إلهك وإله مَنْ كان قبْلَك وإله مَنْ هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نُصَلّىَ هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهمّ نعم . قال : ثم جعل يذكر فرائضَ الإسلام فريضة فريضة ؛ الزكاة ، والصيام ، والحجّ ، وشرائع الإسلام كلّها ، يناشده عن كلّ فريضة كما ناشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وسأؤدّى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتَنى عنه، ثم لا أنقصُ ولا أزيد . ثم انصرف إلى بعيره راجعًا[2] . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين ولّى : إن صدق ذو العَقيصتَيْن[3] يدخل الجنة . قال : فأتى بعيرَه فأطلق عِقَاله ، ثم خرج حتى قدِم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أوّل ما تكلم به أن قال : باسَتِ اللات والعزّى! قالوا : مَهْ ياضِمام ! اتّق البرصَ ، اتّق الجذام، اتّق الجنون ! قال: وَيْحكم[4]، إنهما والله لا ينفعان ولا يضرّان ؛ إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابًا ، استنقذكم به مما كنتم فيه ؛ وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ؛ وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه . ١٧٢٤/١

قال : فوالله ما أمسى ذلك اليوم فى حاضره[5] رجل ولا امرأة إلا مسلما . قال: يقول ابن عباس : فما سمعنا بوافِدِ قومٍ كان أفضَل من ضِمام بن ثعلبة[6] .

---

(١) ابن هشام : « يعبدون معه » .

(٢) من ابن هشام .

(٣) العقيصة : الضفيرة من الشعر .

(٤) ابن هشام : « ويلكم » .

(٥) الحاضر : الحى .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

ثم دخلت سنة عشر

[سريّة خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب وإسلامهم]

قال أبو جعفر : فبعث فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد فى شهر ربيع الآخر – وقيل فى شهر ربيع الأول ، وقيل فى جُمَادى الأولى – سريّةً فى أربعمائة إلى بنى الحارث بن كعب.

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثنى ابنُ إسحاق، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ ابن الوليد فى شهر ربيع الآخر – أو فى جمادى الأولى – من سنة عشر، إلى بَلْحارث بن كعب بنجْران ، وأمره أن يدعوَهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثًا ، فإن استجابُوا لك فاقبل منهم ، وأقِمْ فيهم ، وعلِّمهم كتابَ الله وسنّة نبيّه ، ومعالم الإسلام ، فإن لم يفعلوا فقاتلْهم .

فخرج خالدٌ حتى قدِم عليهم ، فبعث الرّكبان يضربون فى كلّ وجه ، ويدعون الناس إلى الإسلام ، ويقولون : يأيها الناس أسْلِموا تَسْلَموا . فأسلم الناس، ودخلوا فيما دعاهم إليه، فأقام خالد فيهم ؛ يعلّمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيّه .

ثم كتبَ خالدٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد النبيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد ، السّلام عليك يا رسولَ الله ورحمة الله وبركاته؛ فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ؛ أمّا بعد يا رسولَ الله صلّى الله عليك ؛ بعثتَنى إلى بنى الحارث بن كعب ، وأمرتنى إذا أتيتُهم ألاّ أقاتلَهم ثلاثةَ أيام ، وأن أدعوَهم إلى الإسلام ؛ فإن أسلموا قبلتُ منهم وعلّمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيّه ، وإن لم يُسْلموا قاتلتهم . وإنى قدمتُ عليهم فدعوتُهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرنِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وبعثت فيهم ركبانًا [قالوا][1] : يا بنى الحارث ، أسْلِموا

١/١٧٢٥

---

(١) من ابن هشام .

تَسْلَموا، فأسلَموا ولم يقاتلوا ،وأنا مقيمٌ بين أظهرهم وآمرهم بما أمرهم الله به، وأنهاهم عمّا نهاهم الله عنه؛وأعلّمهم معالم الإسلام وسنة النّبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلىّ رسول الله ، والسلام عليك يا رسولَ الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبيّ رسول الله إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو ؛ أما بعد ، فإنّ كتابك جاءنى مع رسُلك بخبر أنّ بنى الحارث قد أسلموا قبل أن يقاتَلوا[1] ، وأجابوا إلى ما دعوتَهم إليه من الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ؛ فبشِّرْهم وأنذِرْهم ، وأقْبِلْ وليُقْبِلْ معك وفدُهُم؛ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فأقبل خالد بن الوليد إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفدُ بلْحارث بن كعب ؛ فيهم قيس بن الحُصين بن يزيد بن قَنَان ذى الغُصّة ، ويزيد بن عبد المَدَان ، ويزيد بن المُحَجَّل ، وعبد الله بن قُرَيظ[2] الزيادىّ؛ وشدّاد بن عبد الله القَنانىّ ، وعمرو بن عبد الله الضِّبابىّ . ١/١٧٢٦

فلما قدِمُوا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، فرآهم قال: مَنْ هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ قيل : يا رسول الله ، هؤلاء بنو الحارث بن كعب ؛ فلمّا وقفوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّموا عليه ، فقالوا : نشهد أنك رسولُ الله ، وأن لا إله إلا الله، فقال رسول الله : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنىّ رسول الله . ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنتم الذين إذا زُجِروا استقدموا ! فسكتوا ، فلم يراجعْه منهم أحد ، ثم أعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها رسول الله الثالثة فلم يراجعْه منهم أحد ، ثم أعادها رسولُ الله الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المَدان: نعمْ يا رسولَ الله ، نحن الذين إذا زُجِرنا استقدمنا ، فقالها أربعَ مرات[3]، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لو أنّ خالدَ بن الوليد لم يكتُبْ إلىّ فيكم

(١) ابن هشام : « تقاتلهم » . (٢) ابن هشام : « قراد » .
(٣) ابن هشام : « قالها أربع مرار » .

أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم . فقال يزيد بن عبد المدان : أمَا والله يا رسول الله ، ما حمِدناك ولا حمدنا خالداً ، فقال رسول الله : فمن حمِدتم؟ قالوا : حمِدْنا الله الذى هدانا بك [يا رسول الله] [١] ؛ قال : صدقتم ؛ ثم قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : بمَ كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم فى الجاهليّة ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحداً ، فقال رسولُ الله : بلى قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم ، قالوا : يا رسولَ الله ، كنا نغلب مَنْ قاتلنا ، أنَّا كنا بنى عبيد ، وكنا نجتمع ولا نتفرّق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ، قال : صدقتم . ثم أمَّر رسولُ الله علَى بلْحارث بن كعب قيسَ بن الحُصين . فرجع وفد بلْحارث ابن كعب إلى قومهم فى بقيّة شوال أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعد أن قدِموا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى توفِّىَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم [٢] . ١٧٢٧/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر ، قال : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعَث إلى بنى الحارث بن كعب بعد أن ولّى وفدهم عَمْرَو بن حزم الأنصارىّ ، ثم أحد بنى النّجار ، ليفقّههم فى الدين ويعلّمهم السنّة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيان من الله ورسوله : ﴿ يَأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [٣] ؛ عقدٌ من محمد النبىّ لعمرو بن حَزْم حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله فى أمره كله ، فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمر به الله وأنْ يبشّر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلّم الناس القرآن ، ويفقّههم فى الدين ، وينهى الناس ولا يمسّ أحد القرآن إلاّ وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ؛ وبالذى عليهم ؛ ويلين للناس فى الحقّ ، ويشتدّ عليهم فى الظلم ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ كره الظلم ونهى عنه وقال : ﴿ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [٤] ، ويبشّر الناس بالجنة وبعملها ، ويُنذر بالنار

(١) من ابن هشام . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٧، ٣٤٨ .
(٣) سورة المائدة ١ (٤) سورة هود ١٨

وبعملها ، ويستألف الناس حتى ينفقّهوا فى الدّين ، ويعلّم الناس معالمَ الحجّ وسنَّته وفريضته ، وما أمر الله به فى الحجّ الأكبر والحجّ الأصغر ؛ وهو العُمْرة ، ١٧٢٨/١ وينهَى الناس أن يصلّيَ أحدٌ فى ثوب واحد صغير ؛ إلا أن يكون ثوبًا واحداً يثنى طرَفه على عاتقه ، وينهى أن يحتبِيَ أحدٌ فى ثوب واحد يفضِى بفرْجه إلى السماء ، وينهى ألاّ يعقص أحد شعر رَأسه إذا عفا فى قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هَيْجٌ عن الدعاءِ إلى القبائل والعشائر ؛ وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ؛ فمن لم يدعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطَّعُوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحدَه لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله عزّ وجلّ ، وأمره بالصّلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والخشوع ، ويغلّس بالفجر ، ويهجّر بالهاجرة حين تَميل الشمس ، وصلاةِ العصر والشمسُ فى الأرض مدبرة ، والمغرب حينَ يقبل الليل ؛ لا تؤخَّر حتى تبدوَ النجوم فى السماء ، والعشاء أوّلَ الليل . ويأمر بالسّعى إلى الجُمُعة إذا نودى لها ، والغُسل عند الرّواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خُمسَ الله وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عُشْر ما سقى البعل وما سقت السماء ومما سقى الغرْب نصف العشر ، وفى كلّ عشْر من الإبل شاتان ، ١٧٢٩/١ وفى كلّ عشرين من الإبل أربع شياه ، وفى كلّ أربعين من البقر بقرة ، وفى كلّ ثلاثين من البقر تبيع جذَعٌ أو جذَعَةٌ ، وفى كلّ أربعين من الغنم سائمةٌ شاةٌ ؛ فإنها فريضة الله التى افترض الله عزّ وجلّ على المؤمنين فى الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له ، وأنه مَنْ أسلم من يهودىّ أو نصرانىّ إسلامًا خالصًا من نفسه ، ودانَ دين الإسلام فإنه من المؤمنين ؛ له مثل ما لهمْ وعليه مثل ما عليهم ؛ ومَنْ كان على نصرانيّته أو يهوديته فإنه لا يُفْتَن عنها ، وعلى كلّ حالم ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ، دينارٌ وافٍ أو عرْضه[1] ثيابًا ؛ فمن أدّى ذلك ؛ فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومَنْ منع ذلك فإنه عدوٌّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعًا[2] .

---

(١) ابن هشام : « أو عوضه » .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

* * *

قال الواقدىّ : توفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بن حزم عامله بنَجْران .

* * *

قال الواقدىّ : وفى هذه السنة قدم وفد سَلامان فى شوّال على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم سبعة نفر ؛ رأسهم حبيب السَّلامانىّ .

وفيها قدِم وَفْدُ غَسّان فى رمضان .

وفيها قدم وفد غامد فى رمضان .

* * *

[قدوم وفد الأزد]

وفيها قدم وفد الأزد ، رأسهم صُرَد بن عبد الله فى بضعة عشر . فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكْر ، قال : قدم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم صُرَد ابن عبد الله الأزدىّ فأسلم فحسن إسلامه، فى وفد من الأزد ، فأمّرَه رسولُ الله على مَنْ أسلم من قومه، وأمَرَه أن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين من قبائل اليمن ، فخرج صُرَد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله فى جيش حتى نزل بجُرَش ؛ وهى يومئذ مدينة مغلَقة ، وفيها قبائل اليمن ، وقد ضَوَتْ إليهم خَثْعم ، فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين ، فحاصروهم بها قريباً من شهر ، وامتنعوا منهم فيها . ثم إنه رجع عنهم قافلاً ؛ حتى إذا كان إلى جبل يقال له « كَشر »[1] ظنّ أهل جُرَش أنه إنما ولّى عنهم منهزماً ؛ فخرجوا فى طلبه ؛ حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا ؛ وقد كان أهل جُرَش قد بعثوا رجلين منهم إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة يرتادان وينظران ؛ فبينا هما عند رسول الله عشيّةً بعد العصر ، إذْ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بأىّ بلاد الله شَكْر ؟ فقام الجُرَشيّان فقالا : يا رسولَ الله ، ببلادنا جبل

١/١٧٣٠

(١) ابن هشام : « شكر » .

يقال له جبل كَشَر ؛ وكذلك تسمّيه أهلُ جرش ، فقال : إنه ليس بكشرَ ؛ ولكنه « شكر » قالا : فماله يا رسول الله ؟ قال : إنّ بُدْنَ الله اتُنحَر عنده الآن . قال فجلس الرَّجُلان إلى أبى بكر وإلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إنّ رسول الله الآن ليَنْعَى لكما قومكما[1] ، فقوما إلى رسول الله فاسألاه أن يدعوَ الله فيرفع عن قومكما ، فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : اللهمّ ارفع عنهم ؛ فخرجا من عند رسول الله راجعيْن إلى قومهما ، فوجدا قومهما أصيبوا يوم أصابهم صُرَد بن عبد الله فى اليوم الذى قال فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما قال ؛ وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر ؛ فخرج وفدُ جُرَش حتى قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، وحَمَى لهم حِمًى حول قريتهم ١٧٣١/١ على أعلام معلومة للفرَس ، وللراحلة ، وللمثيرة تُثير[2] الحرث ؛ فَمَنْ رعاها من الناس سوى ذلك فمالُه سُحْتٌ ، فقال رجل من الأزد فى تلك الغزوة — وكانت خثعم تصيب من الأزْد فى الجاهلية وكانوا يغزُون[3] فى الشهر الحرام :

ياغَزْوَةً مَا غَزَوْنا غَيرَ خَائِبَةٍ فيها البغالُ وفيها الخيلُ والحُمُرُ
حتى أتينْا حُمَيْراً فى مَصانِعِها وجَمْعَ خَثْعَمَ قَدْ سَاغَتْ لَهَا النُّذُرُ[4]
إذَا وَضَعْتُ غَليلا كنت أَحمِلُه فَما أُبالِى أَدَانوا بعدُ أمْ كَفَروا ![5]

* * *

[سريّة على بن أبى طالب إلى اليمن]

قال : وفيها وجّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب فى سرّية إلى اليمن فى رمضان . فحدّثنا أبو كريب ومحمد بن عمرو بن هيّاج ، قالا : حدّثنا يحيى بن عبد الرحمن الأرْحَبىّ ، قال : حدّثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق ، عن البَرَاء بن عازب ، قال : بعثَ

(١) أى يخبركما بقتلهم . (٢) ابن هشام : « بقرة الحرث » .
(٣) ابن هشام : « يعدون » ، أى يعتدون .
(٤) المصانع : القرى والحصون والأبنية الضخمة . ساغت : ذاعت وانتشرت .
(٥) الغليل : حرارة الجوف من عطش أو نحوه . ودانوا : خضعوا . والخبرة فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٥ .

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فكنت فيمن سار معه ؛ فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء ، فبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبى طالب ، وأمره أن يُقْفِل خالداً ومَنْ معه ، فإن أراد أحد ممن كان مع خالد بن الوليد أن يعقّب معه تركه . ١٧٣٢/١

قال البَراء : فكنت فيمن عقّب معه ؛ فلمّا انتهينا إلى أوائل اليمن، بلغ القوم الخبر ، فجمعوا له ، فصلّى بنا عليٌّ الفجر ، فلما فرغ صفّنا صفاً واحداً ، ثمّ تقدّم بين أيدينا ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ عليهم كتابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمتْ هَمْدان كلُّها فى يوم واحد ، وكتب بذلك إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قرأ كتابه خرّ ساجداً ، ثم جلس ، فقال : السلام على هَمْدان ، السلام على هَمْدان ! ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام .

* * *

[قدوم وفد زُبيد]

قال أبو جعفر : وفيها قدِم وفدُ زُبَيد علَى النبيّ صلى الله عليه وسلم بإسلامهم . فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : قدِم علَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عمرُو بن معدِ يكرب فى أناس من بنى زُبَيد ، فأسلم ، وكان عمرو بن معديكرب قد قال لقيس بن مكْشُوح المُرادىّ حين انتهى إليهم أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ، إنك سيّد قومِك اليوم ؛ وقد ذُكر لنا أنّ رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول ، إنى نبىّ ؛ فانطلق بنا إليه حتى نعلم عِلْمَه ؛ فإن كان نبيًّا كما يقول ؛ فإنه لا يخفى [1] عليك . إذا لقيناه اتبعناه [2] ؛ وإن كان غير ذلك علمنا علمَه ، فأبى عليه ذلك قيسُ بن مكشوح وسفّه رأيه .

(١) ابن هشام : « لن يخفى » . (٢) ابن هشام : « وإذا لقيناه اتبعناه » .

فركب عمرو بن معد يكربَ حتى قدِم علَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدّقه وآمن به ؛ فلما بلغ ذلك قيسًا أوعد عَمرًا، وتحطّظ عليه[١]، وقال : خالفني وترك رأيي ! فقال عمرو فى ذلك :

١٧٣٣/١

أمَرْتكَ يومَ ذى صَنْعَا ءِ أمْراً بادِياً رَشَدُهْ
أمَرْتكَ باتِّقـاءِ اللـ ـهِ والمعروفِ تا تعِدُهْ[٢]
خَرجتَ مِنَ المُنَى مثْلَ الـ حِمارِ أعارَهُ وَتِدُهْ[٣]
تمَنَّانِى على فرسٍ عليه جَالِسًا أسَدُهْ
علىَّ مُفاضَةٌ كالنِّهْـ ـىِ أخْلَصَ ماءَهُ جَدَدُهْ[٤]
تَرُدُّ الرُّمحَ مَثْنِىَّ الـ سِّنانِ عَوائراً قِصَدُهْ[٥]
فلَوْ لاَقَيْتَنِى لاقَيْـ ـتَ لَيْثاً فوقه لِبَدُهْ[٦]
تلاقِى شَنْبَثاً شَثْنَ الـ بَراثِنِ ناشِزاً كتَدُهْ[٧]
يُسَامِى القِرْنَ إنْ قِرْنٌ تيَمَّمَهُ فيَعْتَضِدُهْ[٨]
فيَأْخُذُهُ فيرْفَعُهُ فيَخْفِضُهُ فيَقْتَصِدُهْ[٩]
فيَدْمَغُهُ فيَحْطِمُهُ فيَخْضِمُه فيَزْدَرِدُهْ[١٠]
ظَلومُ الشِّرْكِ فيما أحْـ ـرَزَتْ أنيابُهُ ويَدُهْ

---

(١) ابن هشام : « تحطم عليه » ، أى اشتد .
(٢) فى ابن هشام : « تتعده » .
(٣) ابن هشام : « مثل الحمير غره وتده » .
(٤) الدرع المفاضة : الواسعة . والنهى : الغدير من الماء . والجدد : الأرض الصلبة .
(٥) عوائر : متطايرة . والقصد : جمع قصدة ؛ وهى ما يكسر من الرمح .
(٦) اللبد : جمع لبدة ، وهى ما على كتفى الأسد ورأسه من الشعر .
(٧) الشنبث : الذى يتعلق بقرنه ولا يزايله . والشثن : الغليظ الأصابع ، والبراثن للسباع بمنزلة الأصابع للإنسان . وناشز : مرتفع . والكتد : ما بين الكتفين .
(٨) يعتضده : يأخذه تحت عضده ليصرعه .
(٩) يقتصده : يقتله .
(١٠) يدمغه : يذهبه . ويحطمه : يكسره . ويخضمه : يأكله .

١٧٣٤/١

مَتى ما يغدُ أو يُغْدَى ... به فقبـــوله برده(١)
فَيخطر مِثْلَ خَطْرِ الفَحـ ... ـلِ فَوقَ جِرانِهِ زَبَدُهْ
فأمسَى يَعتريه مِنَ الـ ... بَعوضِ مُمنَّعاً بلَدُهْ
فـلاَ تَتَمنَّنى وتَمـــنَّ ... غَيْرِى لَيِّنَاً كَتَدُهْ
وبوَّئنِى له وَطَناً(٢) ... كَثيراً حوْلَه عَدَدُهْ

قال : فأقام عمرو بن معد يكرب فى قومِه من بنى زُبَيْد ؛ وعليهم فَرْوة ابن مُسَيْك المُرادىّ ، فلما توَفّىَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عمرو فقال حين ارتدّ :

وَجَدْنا مُلْكَ فَرْوَةَ شَرَّ مُلْكٍ ... حِماراً سَافَ مُنْخُره بِقَذْرِ(٣)
وكنْتَ إذا رَأَيْتَ أبا عُمَيْرٍ ... تَرَى الحُوَلاءَ مِن خُبْثٍ وغَدْرِ(٤)

* * *

[قدوم فَرْوَة بن مسيك المرادىّ]

وقد كان قدم على رسول الله فى هذه السنة — أعنى سنة عشر — قبل قدوم عمرو ابن معد يكرب ، فَرْوَةُ بن مُسَيك المُرادىّ مفارقاً لملوك كِندة . فحدثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : قدِم فَرْوة بن مُسيك المرادىّ علَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً لملوك كِنْدة ، ومعانداً لهم ؛ وقد كان قبَيْلَ الإسلام بين مُراد وهَمْدان وقعة أصابت فيها هَمْدان من مُراد ما أرادوا ؛ حتى أثخنوهم(٥) فى يوم كان يقال له الرّزْم ؛ وكان الذى قاد هَمْدان إلى مُراد الأجدع بن مالك ، ففضحهم يومئذ ، وفى ذلك يقول فَرْوة بن مُسَيك :

---

(١) من هذا البيت إلى آخر القصيدة مما لم يذكر فى سيرة ابن هشام .
(٢) ط : « وثوى» .
(٣) ساف : شم . وفى ابن هشام : « بثفر » . عن أبى عبيدة .
(٤) الحولاء : جلدة ماؤها أخضر تخرج مع الولد وفيها أغراس وعروق وخطوط خضر وحمر . والخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٤ .
(٥) أثخنوهم : أكثروا القتل فيهم والجراحات .

١٧٣٥/١

فَإِنْ نَغْلِبْ فغلاّبونَ قِدْماً وإنْ نُهْزَمْ فغيرُ مُهزَّمِينا (١)
وإنْ نُقْتَلْ فلاَ جُبْنٌ ولكن منايانا وطُعْمَةُ آخَرِينا (٢)
كَذَاكَ الدَّهْر دولته سِجَالٌ تَكُرُّ صُرُوفُه حيناً فحِينا (٣)
فبَيناهُ يُسَرُّ بِهِ وَيرضَى ولَو لُبِسَتْ غَضارَتُه سِنِينَا (٤)
إذ انْقَلَبَتْ بِهِ كرّاتُ دَهْرٍ فألفَى للأولى غَبَطُوا طَحِينا (٥)
ومَنْ يُغْبَط بريْبِ الدهرِ منهم يجدْ رَيْبَ الزّمانِ له خَؤُونا
فلَوْ خَلَدَ الملوكُ إذًا خَلَدْنا ولَوْ بَقِيَ الكِرَامُ إذًا بَقِينا
فأفنَى ذاكُمُ سَرَوَاتِ قوْمِي كما أفنَى القرونَ الأوّلِينا (٦)

ولما توجّه فَروة بن مُسَيك إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مفارقًا لملوك كِنْدة قال :

لما رَأيْتُ ملوكَ كِنْدَةَ أعْرَضَت كالرِّجْلِ خَانَ الرِّجْلَ عِرْقُ نسائِها (٧)
يممْتُ رَاحلتِى أؤُمُّ مُحَمّدًا أرْجُو فوَاضِلها وَحُسْنَ ثرَائِها

١٧٣٦/١

قال : فلمّا انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رسول الله — فيما بلغني : يا فرْوة ، هل ساءك ما أصاب قومك يومك يوم الرّزم (٨) ؟ فقال : يا رسول الله ، ومَنْ ذا يصيب قومَه مثل ما أصاب قومِي يوم الرّزم ؛ لا يسوءه

---

(١) ابن هشام : « وإن نغلب فغير مغلبينا » .

(٢) رواية ابن هشام : « وما إن طبناجبن ولكن » ، قال فى اللسان : « طبنا ، يجوز أن يكون معناه : ما دهرنا وشأننا وعادتنا ، ومعنى هذا الشعر : إن كانت همدان ظهرت علينا فى يوم الردم فغلبنا فغير مغلبين ، والمغلب : الذى يغلب مرارا ؛ أى لم نغلب إلا مرة واحدة » .

(٣) سجال من المساجلة ؛ وأصله فى البئر يستقى هذا مرة وهذا مرة ؛ والمعنى هنا يكون تارة للإنسان وتارة عليه .

(٤) غضارة الشىء : طراوته . (٥) غبطوا : حسنت حالتهم.

(٦) سروات الناس : أشرافهم .

(٧) النسا : عرق مستبطن فى الفخذ ؛ وهو مقصور ومده للشعر .

(٨) ابن هشام : « الردم » .

ذلك ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أما إنّ ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيراً . فاستعمله رسولُ الله على مُراد وزُبَيْد ومَذْحِج كلّها ؛ وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصَّدَقة ، وكان معه فى بلاده حتّى تُوفِّىَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم (١).

حدّثنا أبو كُرَيب وسفيان بن وكيع ، قالا : حدّثنا أبو أسامة ، قال : أخبرنا مجالد ، قال : حدّثنا عامر ، عن فَرْوة بن مُسَيك ، قال : قال رسول الله : أكرهت يومك ويوم هَمْدان ؟ فقلت : إى والله ! أفنى الأهل والعشيرة ؛ فقال : أما إنه خيرٌ لمن بقى .

* * *

[قدوم الجارود فى وفد عبد القيس]

وفيها قَدِم وفْد عبد القيس ، فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارودُ بن عمرو بن حنَش بن المعلّى ، أخو عبد القيس فى وفد عبد القيس وكان نصرانيًّا .

حدّثنا ابنَ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلّمه ؛ فعرض عليه الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغّبه فيه ، فقال : يا محمد ، إنى قد كنت على دين ؛ وإنى تاركٌ دينى لدينك ؛ فتضمن (٢) لى دَيْنى ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا ضامنٌ لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه . قال : فأسلم وأسلم معه أصحابه ، ثم سألوا رسولَ الله الُحمْلان ؛ فقال : والله ما عندى ما أحمِلُكم عليه ، فقالوا : يا رسولَ الله ، إنّ بيننا وبين بلادنا ضَوَالّ من ضوالّ الناس ؛ أفنتبلّغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : إياكم وإياها ؛ فإنما ذلك حَرَق النار . قال : فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه — وكان حسنَ الإسلام صُلْبًا على دينه — حتى هلك ؛ وقد أدرك الرِّدةَ ،

١٧٣٧/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٤ .

(٢) ابن هشام : « أفتضمن ؟ » .

فلما رجع من قومه مَنْ كان أسلم منهم إلى دينهم الأوّل مع الغَرور[١]، المنذر ابن النعمان بن المنذر ، أقام الجارود فشهد شهادةَ الحقّ ودعا إلى الإسلام ، فقال : يأيها الناس ؛ إنى أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأُكَفِّر مَنْ لم يشهد[٢] .

وقد كان رسول الله بعث العَلاءَ بن الحضرميّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوَى العبدىّ ، فأسلم فحسُن إسلامه ؛ ثم هلك بعد وفاة رسولِ الله، وقبل ردّة أهل البَحْرَيْن ، والعَلاءُ أميرٌ عنده لرسول الله على البحرين[٣] .

* * *

[قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة]

وفيها قدم وفد بنى حنيفة؛ حدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق، قال: قدِم على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وفد بنى حَنِيفة ؛ فيهم مُسيلمة بن حبيب الكذّاب ، فكان منزلهم فى دار ابنة الحارث؛ امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى بعضُ علمائنا من أهل المدينة ، أنّ بنى حنيفة أتتْ بمسَيْلمة إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسول الله جالس فى أصحابه ، ومعه عَسِيبٌ[٤] من سَعَف النّخل ، فى رأسه خُوصات ، فلمّا انتهَى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثّياب ، كلّم رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله : لو سألتَنى هذا العسيب الذى فى يدى ما أعطيتك !

١٧٣٨/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق؛ عن شيخ من بنى حَنيفة من أهل اليمامة ، قال : كان حديثُ مسيلمة على غير هذا ؛

---

(١) قال السهيلىّ : « إنما سمى الغرور لأنه غر قومه فى تلك الردة ، أو غروه واستعانوا به على حربهم فقتل هنالك » .

(٢) ابن هشام : « وأكفر من لم يشهد » . قال : ويروى : « وأكفى من لم يشهد » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٠ .

(٤) العسيب : جريد النخل .

زعم أن وفدَ بنى حنيفة أتوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وخلّفوا مسيلمة فى رحالهم ؛ فلما أسلموا ذكروا له مكانه ، فقالوا : يا رسولَ الله؛ إنا قد خلّفنا صاحبًا لنا فى رحالنا وركابنا يحفظهما لنا . قال : فأمر له رسول الله بمثل ما أمر به للقوم ؛ وقال : أما إنه ليس بشرّكم مكانًا ، يحفظ ضيعة أصحابه ؛ وذلك [الذى] [١] يريد رسول الله . قال : ثم انصرفوا عن رسولِ الله وجاءوا مسيلمة بما أعطاه رسول الله ؛ فلما انتهى إلى اليمامة ارتدّ عدو الله وتنبأ وتكذّب لهم ، وقال : إنى قد أشركت فى الأمر معه ، وقال لوفده : ألم يقل لكم رسول الله حيث ذكرتمونى : « أما إنه ليس بشرّكم مكانًا»! ما ذلك إلا لما كان يعلم أنى قد أشركت معه ؛ ثم جعل يسجَع السّجعات [٢] ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة[٣] للقرآن : «لقد أنعم الله على الحُبْلى، أخرج منها نسمة تَسْعَى ، من بين صفاق[٤] وحشى» ، ووضع عنهم الصلاة ؛ وأحلّ لهم الخمر والزّنا ، ونحو ذلك . فشهد لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنه نبىٌّ[٥] ، فأصفقت [٦] بنو حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أىّ ذلك كان[٧] . ١٧٣٩/١

* * *

[قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة]

قال أبو جعفر : وفيها قدم وفدُ كِنْدة ؛ رأسهُم الأشعث بن قيس الكندىّ ؛ فحدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهرىّ، قال: قدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الأشعث ابن قيس فى ستين راكبًا من كِندة ، فدخلوا على رسول الله مسجدَه ، وقد

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) ابن هشام : « الأساجيع » .
(٣) مضاهاة : مشابهة . (٤) الصفاق : مارق من البطن .
(٥) ابن هشام : « وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبى » .
(٦) أصفقوا على ذلك : أجمعوا عليه .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .

رَجَّلوا جُمَمَهُم [١] ، وتكحّلوا ، عليهم جُبَبُ الحِبرة ؛ قد كفّفُوها [٢] بالحرير ؛ فلمّا دخلُوا على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : ألم تسلموا ؟ قالوا : بلى ، قال : فما بالُ هذا الحرير فى أعناقكم ؟ قال : فشقّوه منها فألقوْه ، ثم قال الأشعث : يا رسولَ الله ؛ نحن بنو آكل [٣] المُرار ، وأنت ابن آكل المُرار ، فتبسّم رسول الله ، ثم قال : ناسبوا بهذا النّسَب العباس ابن عبد المطلب وربيعة بن الحارث . قال : وكان ربيعة والعبّاس تاجِرَين ؛ فكانا إذا ساحا فى أرض العرب فسئلا مَنْ هما ؟ قالا : نحن بنو آكل المُرار ؛ يتعزّزان بذلك ؛ وذلك أن كِنْدة كانت ملوكًا ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نحن بنو النَّضْر بن كنانة لا نَقْفُو أمّنا [٤] ، ولا ننتفى من أبينا . فقال الأشعث بن قيس : هل عرفتم يا معشَر كندة ! والله لا أسمع رجلاً قالها بعد اليوم إلا ضربته حدّه ثمانين [٥] .

* * *

قال الواقدىّ : وفيها قدم وفدُ محارب

وفيها قدم وفدُ الرّهاويّين .

وفيها قدم وفد العاقب والسيّد من نجْران ، فكتب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح . ١٧٤٠/١

قال : وفيها قدم وفد عَبْس .

وفيها قدم وفد صَدِف ، وافوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجّة الوداع .

---

(١) رجلوا : سرحوا ومشطوا . والجمم : جمع جمة ؛ وهى مجتمع شعر الناصية الذى يصل إلى المنكبين .

(٢) كففوها : جعلوا لها سجفا من حرير.

(٣) قال ابن هشام : « الأشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قبل النساء ، وآكل المرار الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية ابن كندى – ويقال كندة » .

(٤) لا نقفوا أمنا : لا نتبع نسب أمنا ، قال السهيلى : « وذلك أن فى جدات النبى صلى الله عليه وسلم من هى من هذا القبيل ؛ منهن دعد بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث الكندى المذكور ؛ وهى أم كلاب بن مرة » . (٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٥ .

قال : وفيها قدم عدىُّ بن حاتم الطائىّ ، فى شعبان .

وفيها مات أبو عامر الراهب عند هرقل ، فاختلف كنانة بن عبد ياليل وعلقمة بن عُلاثة فى ميراثه ، فقُضِىَ به لكنانة بن عبد ياليل . قال : هما من أهل المدر ، وأنت من أهل الوبَر .

• • •

[قدوم رفاعة بن زيد الجذامىّ]

قال : وفيها قدم وفد خوْلان ، وهم عشرة .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى ابن إسحاق ، قال : حدّثنى يزيدُ بن أبى حبيب ، قال : قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هُدْنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد الجُذامىّ ثم الضُّبَيْبِىّ ؛ فأهدى لرسول الله غلامًا ، وأسلم فحسُن إسلامه ، وكتب له رسول الله إلى قومه كتابًا ، فى كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد ؛ إنّى بعثته إلى قومه عامّةً ومَنْ دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ؛ فمَنْ أقبل فمِنْ حزب الله وحزب رسوله ، ومَنْ أدبر فله أمان شهريْن . فلمّا قدم رفاعة على قومه ، أجابوا وأسلموا ، ثمّ ساروا إلى الحرّة ؛ حرّة الرّجلاء فنزلوها [1] .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عمّن لا يتّهم ، عن رجال من جُذام كانوا بها علماءَ ، أنّ رفاعة بن زيد ، لما قدِم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن أقبل دحْيه بن خليفة الكلبىّ مِنْ عند قيصر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله ومعه تجارة له ؛ حتى إذا كان بوادٍ من أوديتها ، يقال له : شنَار ؛ أغار على دِحية الهُنَيْد بن عوْص وابنه عوص بن الهُنَيد ، الضُّلَيْعِيَّان — والضُّلَيْع بطن من جُذام — فأصابا كلّ شىء كان معه ؛

١/١٧٤١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٨ .

فبلغ ذلك نفرًا من بنى الضُّبَيْب قوم رفاعة ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهُنَيد وابنه ، فيهم من بنى الضُّبيب النّعمان بن أبى جِعال ، حتى لقُوهم ، فاقتتلوا ، وانتمى يومئذ قُرَّةُ بن أشْقَر الضِّفاريّ ثم الضُّلَيعيّ ، فقال : أنا ابن لُبْنَى ؛ ورمى النّعمانَ بن أبى جِعال بسهم فأصاب رُكبتَه ، فقال حين أصابه : خُذْها وأنا ابن لُبنى — وكانت له أمٌّ تدعى لُبنى — قال : وقد كان حسّان بن مِلّة الضُّبَيبى قد صحب دِحْية بن خليفة الكلبىّ قبل ذلك ؛ فعلّمه أمّ الكتاب ؛ فاستنقذوا ما كان فى يد الهُنَيد وابنه عوص ، فردّوه على دِحْية ؛ فسار دِحْية حتى قدِم على رسولِ الله ، فأخبره خبره ، واستسقاه دم الهُنَيد وابنه ؛ فبعث إليهم رسول الله زيد بن حارثة — وذلك الذى هاج غزوة زيد جُذَاماً ، وبعث معه جيشاً — وقد وجّهت غطفان من جُذام كلّها ووائل ومَنْ كان من سَلامان وسعد بن هُذَيم حين جاءهم رفاعة بن زيد بكتاب رسول الله ؛ فنزلوا بالحَرّة ؛ حرّة الرجلاء ، ورفاعة بن زيد بكُرَاع رَبّة ولم يعلم ، ومعه ناسٌ من بنى الضبيب وسائر بنى الضّبيب بوادٍ من ناحية الحَرَّة ممّا يسيل مُشَرِّقًا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ؛ فأغار بالفَضَافِض من قِبَل الحرّة ، وجمعوا ما وجدوا من مال وأناس ، وقتلوا الهُنَيد وابنه ورجُلَيْن من بنى الأحنف ، ورجلاً من بنى خَصيب ؛ فلمّا سمعت بذلك بنو الضُّبيب والجيش بفَيْفاء مَدَان ، ركب حسّان بن ملّة على فرس لسُويد بن زيد يقال لها العَجّاجة ، وأنَيف بن ملّة على فرس لملّة ، يقال لها رِغال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس له يقال لها شَمِر ؛ فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد لأنَيْف بن مِلّة : كفّ عنا وانصرفْ ؛ فإنا نخشى لسانَك ، فانصرف فوقف عنهما ، فلم يبعدا منه ؛ فجعل فرسُه تبحث بيدها وتوثّب ؛ فقال : لأنا أضنُّ بالرجلين منك بالفرسَيْن ؛ فأرخى لها حتى أدركهما ؛ فقالا له : أمّا إذْ فعلت ما فعلت ، فكفّ عنا لسانك ولا تشأمْنا اليوم ، وتواطئوا [1] ألّا يتكلم منهم إلّا حسان بن مِلّة ؛ وكانت

١٧٤٢/١

---

(١) ابن هشام : « فتواطئوا » .

١٧٤٣/١ بينهم كلِمة فى الجاهلية؛ قد عرفوها ؛ بعضهم من بعض؛ إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال : «ثورى [١]» .

فلمَّا برزوا على الجيش أقبل القومُ يبتدرونَهم ؛ فقال حسان : إنا قوم مسلمون ؛ وكان أوّلَ مَنْ لقيهم رجلٌ على فرس أدْهم بائع رمحه [٢] يقول معرِّضُه : كأنما ركزه على منسج فرسه جدّ وأعتق [٢] ؛ فأقبل يسوقهم ، فقال أنيف : «ثورى» ،فقال حسان: مهلاً ! فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال له حسّان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد : فاقرأ أمّ الكتاب ، فقرأها حسان ، فقال زيد بن حارثة : نادوا فى الجيش ، إنّ الله قد حَرّمَ علينا ثُغرة[٣]القوم التى جاءوا منها إلا من ختَر[٤]؛ وإذا أختٌ لحسان ابن ملّة — وهى امرأة أبى وبْر بن عدىّ بن أمية بن الضُّبيب — فى الأسارى. فقال له زيد : خذها ، فأخذت بحَقْويْه [٥]، فقالت أمُّ الفَزْر الضُّلَيْعية: أتَنْطلقون ببناتكم ، وتَذَرُون أمّهاتكم ! فقال أحد بنى خصيب : إنها بنوالضّبيب ! وسحرت[٦] ألسنَتَهم سائراليوم ؛ فسمعها بعضُ الجيش ؛ فأخبر بها زيد بن حارثة ؛ فأمر بأخت حسان ؛ ففُكّت يداها من حَقْويه ، فقال لها : اجلِسى مع بنات عَمّك حتى يحكم الله فيكنّ حكمه ؛ فرجعوا ؛ ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ، فأمسَوْا فى أهليهم ؛ واستعتموا ذَوْداً[٧] لسُويد بن زيد ؛ فلما شربوا عَتَمَتَهُم[٨]ركبوا إلى رفاعة بن زيد؛

١٧٤٤/١ وكان ممن ركب إلى رفاعة تلك الليلة أبو زيد بن عمرو وأبو شمّاس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبعْجة بن زيد ، وبرَذْع بن زيد ، وثعلبة بن عمرو ، ومَخَربة بن عدىّ ، وأنيف بن ملّة ، وحسّان بن ملّة ؛ حتى صبّحُوا رفاعة

---

(١) ابن هشام : « أو بورى » .
(٢) ساقطة من ابن هشام .
(٣) ثغرة القوم : ناحيتهم التى يحمونها .
(٤) ختر : نقض العهد وخان .
(٥) حقو الرجل : خصره .
(٦) ابن هشام : « سحر » .
(٧) الذود : ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل . واستعتموا ذودا : انتظروه إلى عتمة الليل .
(٨) عتمتهم ، أى فى وقت العتمة .

ابن زيد بكراع رَبَّةَ بظهر الحرّة على بئر هنالك من حَرّة ليلى ، فقال له حسان بن ملّة : إنك لجالس تحلُبُ المِعْزَى ونساء جذام يُجرّرْنَ أسارى قد غرّها كتابك الذى جئت به ! فدعا رفاعة بن زيد بجمل له ؛ فجعل يشكل عليه رحله ؛ وهو يقول :

* هل أنت حىٌّ أو تُنادى حيّا *

ثم غدا وهم معه بأميّة بن ضفارة أخى الخصيبىّ المقتول مبكّرين من ظهر الحرّة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ؛ فلما دخلوا انتهوْا إلى المسجد ، ونظر إليه رجلٌ من الناس ، فقال لهم : لا تُنيخوا إبلكم فتقطع أيديهنّ ، فنزلوا عنها وهن قيامٌ ؛ فلمّا دخلُوا على رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ، ألاح[1] إليهم بيده : أن تعالوْا من وراء الناس ؛ فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق قام رجلٌ من الناس ، فقال : إنّ هؤلاء يا نبىّ الله قومٌ سَحرةٌ ؛ فرددها مرّتيْن ؛ فقال رفاعة : رحمَ اللهِ من لم يَجْزِنا فى يومنا هذا إلا خيراً ! ثم دفع رفاعة كتابه إلى رسول الله الذى كان كتبه له ، فقال : دونك يا رسول الله قديمًا كتابُه ، حديثًا غدره . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا غلام وأعلن ؛ فلما قرأ كتابهم واستخبرهم فأخبروه الخبر ، قال رسول الله : كيف أصنع بالقتلى ؟ ثلاث مرات ؛ فقال رفاعة : أنت يا رسول الله أعلمُ ، لا نحرّم عليك حلالاً ، ولا نُحِلّ لك حراماً ؛ فقال أبو زيد بن عمرو : أطْلِقْ لنا يا رسولَ الله مَنْ كان حيًّا ، ومن كان قد قُتِل فهو تحت قدمىَّ هاتيْن . فقال رسول الله : صدق أبو زيد ، اركب معهم يا علىُّ ، فقال علىٌّ : يارسولَ الله ؛ إنّ زيداً لن يطيعَنى ، قال : خذ سيفى ، فأعطاه سيفَه ، فقال علىّ : ليس لى راحلة يا رسولَ الله أركبها ، فحمله رسول الله على جمل لثعلبة بن عمرو ، يقال له المكحال ؛ فخرجوا ، فإذا رسولٌ لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وبْر ، يقال لها الشمر ؛ فأنزلوه عنها ، فقال : يا علىّ ما شأنى ؟ فقال له علىٌّ : ما لهم عرفوه فأخذوه . ثم ساروا حتى لقوا الجيش بفيفاء الفَحْلَتيْن ، فأخذوا ما فى أيديهم من أموالهم ؛ حتى كانوا ينزعون لبَدَ المرأة من تحت الرّحل[2]

١٧٤٥/١

(١) ألاح : أشار .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

وفدُ بني عامر بن صَعْصَعَة

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عُمر بن قتادة ، قال : قدِم علَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وفدُ بني عامر ؛ فيهم عامر بن الطفَيل ، وأربَدُ بن قيس بن مالك بن جعفر ، وجَبّارُ بن سلمَى بن مالك بن جعفر ؛ وكان هؤلاء الثلاثة رءوس القوم وشياطينهم . ١٧٤٦/١

فقدم عامر بن الطّفيل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغَدْر به ؛ وقد قال له قومه : يا عامر ؛ إنّ الناس قد أسلموا فأسلِمْ ؛ قال : والله لقد كنتُ آليتُ ألاّ أنتهيَ حتى تتبع العربُ عَقِبي ؛ أفأنا أتّبع عقِب هذا الفتى من قريش ! ثم قال لأربد : إذا قدمت على الرجل فإني شاغلٌ عنك وجهه ؛ فإذا فعلتُ ذلك فاعلُه بالسَّيْف ؛ فلما قدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالّني [1] ؛ قال : لا والله حتى تؤمِنَ بالله وحده ، قال : يا محمد خالّني ، قال : وجعل يكلمه فينتظر منْ أربد ما كان أمرَهَ به ، فجعل أربد لا يحير شيئًا ، فلمّا رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالّني ، قال : لا والله حتى تؤمِنَ بالله وحدَه لا شريك له . فلما أبى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأملأنّها عليك خيلاً حُمْرًا ورجالاً ، فلما ولّى قال رسول الله : اللهمّ اكفني عامر بن الطفيل ، فلما خرجوا من عند رسول الله قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! أين ما كنت أوصيتك به ! والله ما كان على ظهر الأرض رجلٌ هو أخوف على نفسي عندي منك ، وايمُ اللهِ لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا تعجلْ علىّ لا أبالك ! والله ما هممت بالذى أمرتَني به من مرة إلاّ دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف! قال عامر بن الطُّفَيل : ١٧٤٧/١

بَعَثَ الرسولُ بمَا ترَى فَكأنَّما عَمْدًا نَشُنّ على المَقَانِب غَارَا
وَلَقَدْ وَرَدْنَ بنَا المدينَةَ شُزَّباً ولَقَد قَتَلْنَ بجَوِّهَا الأَنْصَارَا

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ؛ حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عزّ

---

(١) خالنى بالتشديد ؛ أى اتخذ نى خليلا ، وبالتخفيف : تفرد لى خاليا .

وجلّ على عامر بن الطُّفيل الطاعون فى عنقه فقتله ؛ وإنّه فى بيت امرأة من بنى سَلول ؛ فجعل يقول : يا بنى عامر ؛ أغُدّةٌ كغُدّة البَكْر ؛ وموت فى بيت امرأة من بنى سَلول(١)! ثم خرج أصحابه حين واروْه ؛ حتى قدموا أرضَ بنى عامر ؛ فلما قدموا أتاهم قومهم ، فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شىء ؛ والله لقد دعانا إلى عبادة شىء لوددت أنه عندى الآن فأرميه بنَبْلى هذه حتى أقتلَه ؛ فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومَيْن ، معه جملٌ له يبيعه ؛ فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقةً فأحرقتْهما . وكان أربدُ بن قيس أخا لَبيد بن ربيعة لأمّه(٢).

[قدوم زيد الخيل فى وفد طيئ]

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ طيّئ ؛ فيهم زيد الخيل ، وهو سيّدهم ، فلما انتهوْا إليه كلّموه ؛ وعرض عليهم رسول الله الإسلام فأسلموا فحسن إسلامهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ــ كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن رجال من طيِّئ : « ماذُكِر لى رجلٌ من العرب بفضل ثم جاءنى إلاّ رأيته دونَ ما يقال فيه إلاّ ما كان من زيد الخيل ؛ فإنه لم يُبْلَغ فيه كلّ مافيه » . ثم سمّاه زيد الخير ؛ وقطع له فيداً وأرضين معه ؛ وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله راجعاً إلى قومه ، فقال رسول الله : إن يَنْجُ زيدٌ من حُمّى المدينة ! سمّاها رسول الله [باسم](٣) غير الحُمّى وغير أمّ مَلْدَم فلم يُثْبِتْه ــ فلما انتهى من بلاد نجد إلى ماءٍ من مياهه يقال له فَرْدَة أصابَتْه الحمّى ؛ فمات بها ، فلما أحسّ زيد بالموت قال :

أمُرتَحِلٌ قَوْمِى المَشارِقَ غُدْوَةً وَأُتْرَكُ فى بَيْتٍ بِفَرْدَةَ مُنْجِدِ
ألا رُبَّ يومٍ لَوْ مَرِضْتُ لَعادَنِى عَوائِدُ مَن لم يُبْرَ مِنهنَّ يَجْهَدِ

١/١٧٤٨

(١) الغدة : داء يصيب البعير فيموت منه ، والبكر : الفتى من الإبل ، والسلولية : امرأة منسوبة إلى سلول بن صعصعة ؛ وهم بنو مرة بن صعصعة ، وسلول أمهم .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٧ .

(٣) من ب وابن هشام .

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معها من كتبه التى قطع له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم فحرّقتها بالنار(١) .

* * *

[كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه]

وفى هذه السنة كتب مُسيلمة إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم يدّعى أنه أشرِكَ معه فى النبوّة . حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ؛ عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : كان مُسيلمة بن حبيب الكذّاب كتبَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله . سلامٌ عليك ؛ فإنى قد أشرِكت فى الأمر معك ؛ وإن لنا نِصْفَ الأرض ولقريش نِصْف الأرض ، ولكنّ قريشًا قوم يعتدون . ١٧٤٩/١

فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب(٢) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن شيخ من أشجع قال ابن حميد : أمّا علىّ بن مجاهد فيقول : عن أبى مالك الأشجعىّ ، عن سلمة بن نُعيم بن مسعود الأشجعىّ ، عن أبيه نُعَيم ـ قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتاب مسيلِمة : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ؛ فقال : أما والله لولا أن الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لضربتُ أعناقكما .

ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرّحمن الرّحيم ؛ من محمد رسول الله إلى مُسيلِمة الكذّاب . سَلامٌ عَلى من اتَّبَعَ الهدى ؛ أما بعد ، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قال : وكان ذلك فى آخر سنة عشر(٢) .

قال أبو جعفر : وقد قيل : إنّ دعوى مُسيلمة ومَن ادّعى النبوّة من الكذابين فى عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، إنما كانت بعد انصراف النبىّ من حَجّه المسمىّ حِجّة الوداع ؛ ومرْضته التى مرضَها التى كانت منها وفاته صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٢ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ .

حدّثنا عبيد الله بن سعيد الزّهرىّ ، قال: حدّثنى عمّى يعقوب بن إبراهيم قال : حدّثنى سيف بن عمر — وكتب بذلك إلىّ السرىّ يقول : حدّثنا شُعيب ابن إبراهيم التميمىّ، عن سَيْف بن عمر التميمىّ الأسيّدِىّ — قال : حدّثنا عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجِذْع الأنصارىّ ، عن عبيد مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبى مُوَيْهِبة مولى رسول الله ، قال: لما انصرف النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد ما قضى حجّة التّمام ، فتحلّل به السيرُ ، وطارت به الأخبار لتحلّل السير بالنبىّ صلى الله عليه وسلم؛ أنه قد اشتكى ؛ فوثب الأسود باليمن ومسيلمةُ باليمامة ؛ وجاء الخبر عنهما للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم وثب طليحة فى بلاد بنى أسد بعد ما أفاق النبىّ ، ثم اشتكى فى المحرّم وجعه الذى توفّاه الله فيه . ١٧٥٠/١

* * *

[خروج الأمراء والعمال على الصدقات]

قال أبو جعفر : وفرّق رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى جميع البلاد التى دخلها الإسلامُ عُمّالاً على الصدقات . فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم قد بعث أمراءَه وعمّاله على الصّدقات ، على كلّ ما أوطأ الإسلام من البلدان؛ فبعث المهاجر بن أبى أميّة بن المغيرة إلى صنعاء ؛ فخرج عليه العنْسىّ وهو بها ، وبعث زياد بن لبَيد أخا بنى بياضة الأنصارىّ إلى حضْرَموت على صدقتها[١] ، وبعث عدىّ بن حاتم على الصدقة؛ صدقة طيّئ وأسد ، وبعث مالك بن نُوَيْرة على صدقات بنى حنظلة ، وفرّق صدقة بنى سعد على رجلين منهم ، وبعث العلاء بن الحضرمىّ على البحريْن ، وبعث علىّ بن أبى طالب إلى نَجْران ليجمع صدقاتهم ، ويقدم عليه بجزيتهم[٢] . .

* * *

(١) ط : « عبد الله » ، والصواب ما أثبته من الإصابة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٩ .

[حجّة الوداع]

١٧٥١/١ فلمّا دخل ذو القعدة من هذه السنة – أعنى سنة عشر – تجهّز النبىّ إلى الحجّ ، فأمر الناس بالجهاز له . فحدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ؛ عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج النبىّ صلّى الله عليه وسلم إلى الحجّ لخمس ليال بقينَ من ذى القعدة [1] ، لا يَذكُر ولا يَذكُر الناس إلاّ الحجّ؛ حتى إذا كان بسَرِف ، وقد ساق رسول الله معه الهدْىَ وأشرافٌ من أشراف الناس ، أمر الناس أن يُحِلّوا بعُمْرة إلاّ من ساق الهدْى ، وحِضْتُ ذلك اليوم؛ فدخل علىّ وأنا أبكى؛ فقال: مالك يا عائشة ؟ لعلك نَفِسْتِ ! فقلت: نعم ، لوددت أنى لم أخرج معكم عامِى هذا فى هذا السفر ، قال: لا تفعلِى ؛ لا تقولِنّ ذلك؛ فإنك تقضين [كلّ] [2] ما يقضىّ الحاجّ؛ إلاّ أنك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ؛ فحلّ كلّ مَنْ كان لا هدىَ معه ، وحلّ نِساؤه بعمْرة؛ فلمّا كان يوم النحر أتِيتُ بلحم بقر [كثير] [3] ، فطُرح فى بيتى ، قلت: ما هذا ؟ قالوا : ذَبح رسول الله عن نسائِه البقر ؛ حتى إذا كانت ليلة الحَصْبَة ، بعثنى رسولُ الله مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر ، لأقضىَ عُمْرتى من التّنعيم مكان عُمْرتى التى فاتَتْنى [4] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن أبى نَجيح ، قال : بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم علىّ بن أبى طالب إلى نَجْران ، فلقيَه بمكّة ، وقد أحرم ؛ فدخل علىٌّ علَى فاطمة ابنة رسول الله ،

---

(١) قال ابن هشام : « فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى ، ويقال : سباع بن عرفطة الغفارى » .

(٢) من ابن هشام . (٣) من ابن هشام . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ .

١٧٥٢/١ فوجدها قد حلّتْ وتهيّأت ، فقال : مالك يابنة رسول الله ؟ قالت : أمرَنا رسولُ الله أن نحِلّ بعمرة ؛ فأحللنا ، قال: ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسولُ الله : انطلق فطُفْ بالبيت ، وحِلّ كما حلّ أصحابك ، فقال : يا رسولَ الله ، إنى قد أهللتُ بما أهللتَ به ؛ قال : ارجع فاحلِل كما حلّ أصحابك، قال: قلت: يارسولَ الله ، إنى قلت حين أحرمت: اللهمّ إنى أهللت بما أهلّ به عبدك ورسولك؛ قال : فهلْ معك من هَدْى ؟ قال: قلت : لا ،قال : فأشركه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى هديِه وثبت على إحرامه مع رسول الله ؛ حتى فرغا من الحجّ، ونحر رسول الله الهدْىَ عنهما (١).

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عَمْرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، قال : لما أقبل علىٌّ بن أبى طالب من اليمن ليلقَى رسول الله بمكّة تعجّل إلى رسولِ الله ، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه ، فعمَد ذلك الرجل ، فكسا رجالاً من القوم حُلَلاً من البزّ الذى كان مع علىّ بن أبى طالب ؛ فلما دنا جيشه ؛ خرج علىٌّ ليلقاهم ؛ فإذا هم عليهم الحُلل ، فقال : ويْحك ما هذا ! قال : كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدموا فى الناس ، فقال : ويلك ! انزِعْ من قبل أن تنتهىَ إلى رسول الله . قال : فانتزع الحُلل من الناس، وردّها فى البزّ؛ وأظهر الجيشُ شكاية لما صُنع بهم (٢).

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمَر بن حزْم ، عن سليمان بن محمد بن كعب ١٧٥٣/١ ابن عُجْرة ، عن عمّته زينب بنت كعب بن عُجْرة ــ وكانت عند أبى سعيد الخدرىّ ــ عن أبى سعيد ، قال : شكا الناس علىّ بن أبى طالب ، فقام رسول الله فينا خطيبًا ، فسمعته يقول : يأيّها الناس ؛ لا تشكُوا عليًّا ، فوالله إنه لأخشى فى ذات الله ــ أو فى سبيل الله ــ [من أن يُشكَى] (٢).

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥١ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجيح ، قال : ثمّ مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم على حجّه ؛ فأرى الناس مناسكَهم ، وأعلمهم سنَنَ حجّهم ؛ وخطب الناس خطبته التي بيّن للناس فيها ما بيّن ، فحمِد الله وأثنى عليه ؛ ثم قال :

أيّها الناس ، اسمعوا قولي ؛ فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا ، بهذا الموقف أبداً . أيّها الناس ؛ إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام ؛ إلى أن تلقَوْا ربّكم كحرْمة يومكم هذا ، وحرْمة[1] شهركم هذا ؛ وستلقوْن[2] ربّكم ، فيسألكم عن أعمالكم . وقد بلّغْتُ ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها . وإنّ كلّ رِباً موضوع ، ولكم رءوس أموالكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون . قضى الله أنه لا رِبا . وإنّ ربا العباس بن عبد المطلب موضوعٌ كلّه ، وأنّ كلّ دم كان في الجاهلية موضوع ، وإنّ أوّل دم أضعُ دمَ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب — وكان مسترضَعاً في بني ليث ، فقتلتْه بنو هُذَيْل — فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهليّة .

١/١٧٥٤ أيّها الناس ؛ إنّ الشيطان قد يئس من أن يُعْبَد بأرضكم هذه أبداً ؛ ولكنه[3] رضِيَ أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم[3] ، فاحذروه على دينكم .

أيّها الناس : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾[4] ، ويُحرّموا ما أَحَلّ اللهُ ؛ وإنّ الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلَق الله السموات والأرض ؛ و﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ

---

(١) ابن هشام : « وكحرمة » .

(٢) ابن هشام : « وإنكم ستلقون » .

(٣ – ٣) ابن هشام : « ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى مما تحقرون من أعمالكم » .

(٤) سورة التوبة ٣٧

السَّمَوات وَالأرْضَ مِنْها أربعةٌ حُرُمٌ ﴾ [١]، ثلاثة متوالية ؛ ورجب مُضَر الذى بين جمادى وشعبان [٢].

أمّا بعد أيها الناس ؛ فإنّ لكم على نسائكم حقًّا ولهنّ عليكم حقًّا ، لكم عليهنّ ألا يُوطِئْن فرشَكم أحداً تكرهونه ، وعليهنّ ألا يأتينَ بفاحشة مُبَيِّنَة ؛ فإن فعلن فإنّ الله أذِن لكم أن تهجروهنّ فى المضاجع ، وتضربوهنّ ضرباً غير مُبَرِّح [٣] ، فإن انتهينَ فلهنّ رزقهنّ وكِسْوتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهنّ عندكم عَوَانٍ [٤] لا يملكن لأنفسهنّ شيئًا ، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله ؛ فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولى ؛ فإنىّ قد بلّغت وتركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلَنْ تضلّوا أبداً ؛ كتاب الله وسنة نبيّه .

أيها الناس ، اسمعوا قولى فإنى قد بلّغت ، واعقلوه . تعلَّمُنّ أن كلّ مسلم أخو المسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحلّ لامرئٍ من أخيه إلاّ ما أعطاه عن طِيب نفس ؛ فلا تظلموا أنفسكم . اللهمّ هل بلغتُ ! قال : فذكر أنهم قالوا : اللهمّ نعم ، فقال رسول الله : اللهمّ اشهد [٥].

١٧٥٥/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عبّاد ، قال : كان الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله وهو على عرَفَة ، ربيعة بن أميّة بن خلف ، قال : يقول له رسول الله : قل : أيُّها [٦] الناس ؛ إنّ رسول الله يقول : هل تدرون أىّ شهر هذا ! فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول : قل لهم : إنّ الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرْمة شهركم هذا . ثمّ قال : قلْ : إنّ رسولَ الله ، يقول : أيّها الناس ؛ فهل تدرُون أىّ بلد هذا ؟ قال : فيصرخُ به ، فيقولون : البلد الحرام ، قال : فيقول : قل : إنّ الله حرّم عليكم دماءكم

(١) سورة التوبة ٣٦ .
(٢) قال السهيلى : « إنما قال ذلك ؛ لأن ربيعة كانت تحرم فى رمضان وتسميه رجب » .
(٣) الضرب المبرح : الشديد . (٤) عوان : جمع عانية ؛ وهى الأسيرة .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ ، ٣٥١ . (٦) ابن هشام : « يأيها » .

وأموالكم إلى أنْ تلقوْا ربّكم ، كحرمة بلدكم هذا . ثم قال : قل :أيها الناس ، هل تدرون أىّ يوم هذا ؟ فقال لهم ، فقالوا : يوم الحجّ الأكبر ، فقال : قل : إنّ الله حرّم عليكم أموالكم ودماءكم إلى أن تلقوْا ربّكم كحرمة يومكم هذا[١] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، أنّ رسولَ الله حين وقف بعَرفة ، قال : هذا الموقف — للجبل الذى هو عليه — وكلّ عرفة موقف . وقال حين وقف على قُزَح صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكلّ المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمَنحر ، قال : هذا المنحر ، وكلّ مِنًى منحرٌ ؛ فقضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحجّ وقد أراهم مناسكَهم ، وعلّمهم ما افترض عليهم فى حجّهم فى المواقف ورمْىِ الجمار والطواف بالبيت ، وما أحلّ لهم فى حجّهم وما حرّم عليهم ؛ فكانت حجّة الوداع وحجّة البلاغ ؛ وذلك أن رسول الله لم يحجّ بعدها[٢] .

١/١٧٥٦

* * *

[ذكر جملة الغزوات]

قال أبو جعفر : وكانت غزواتُه بنفسه ستًّا وعشرين غزوة ؛ ويقول بعضهم : هنّ سبع وعشرون غزوة ؛ فمن قال : هى ستٌّ وعشرون ، جعلَ غزوة النبيّ صلى الله عليه وسلم خيبر وغزوته من خيبر إلى وادى القرى غزوة واحدة ؛ لأنه لم يرجع من خيبر حين فرغ من أمرها إلى منزله ؛ ولكنه مضى منها إلى وادى القرى ؛ فجعل ذلك غزوة واحدة . ومن قال : هى سبع وعشرون غزوة ، جعل غزوة خيبر غزوةً ، وغزوة وادى القرى غزوة أخرى ؛ فيجعل العدد سبعاً وعشرين .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبدالله بن أبى بكر ، قال : كان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلّم بنفسه ستًّا وعشرين غزوة . أول غزوة غزاها وَدّان ؛ وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بُوَاط إلى ناحية رَضْوَى ، ثم غزوة العُشيرة من بطن ينبُع ، ثم غزوة بدر

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥١ ، ٣٥٢ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ .

الأولى يطلب كُرْز بن جابر ، ثم غزوة بدر [الكبرى] [١] التى قتل فيها صناديد قريش وأشرافهم ، وأسَر فيها مَنْ أسر ، ثم غزوة بنى سُليم حتى بلغ الكُدْر ؛ ماء لبنى سُليم ، ثم غزوة السَّويق يطلب أبا سفيان حتى بلغ قرقرة الكُدْر ، ثم غزوة غَطفان إلى نجد ؛ وهى غزوة ذى أمَر ؛ ثم غزوة بَحْران ؛ معدن بالحجاز من فوق الفُرُع ، ثم غزوة أحُد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بنى النّضير ، ثم غزوة ذات الرّقاع من نخل ، ثم غزوة بدْر الآخرة [٢] ، ثم غزوة دُومة الجنْدل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قُريظة ، ثم غزوة بنى لِحْيان من هُذَيل ، ثم غزوة ذى قَرَد ، ثم غزوة بنى المصطلِق من خُزاعة ، ثم غزوة الحديبيَةِ — لا يريدقتالاً ، فصدّه المشركون — ثم غزوة خيبر ؛ ثم اعتمر عُمرة القضاء ، ثم غزوة الفتح ؛ فتح مكة ، ثم غزوة حُنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك . قاتل منها فى تسع غزوات : بدْر ، وأحُد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحُنين ، والطائف [٣] . ١٧٥٧/١

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حَثْمة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ستًّا وعشرين غزوة . ثم ذكر نحو حديث ابن حُميد ، عن سَلَمة .

قال محمد بن عمر : مغازى رسول الله معروفة مجتمَع عليها ، ليس فيها اختلاف بين أحد فى عددها ؛ وهى سبع وعشرون غزوة ؛ وإنما اختلفوا بينهم فى تقديم مغزاة قبل مغزاة .

حدثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنى محمد بن عمر ، قال : حدّثنا مُعاذ بن محمد الأنصاريّ ، عن محمد بن ثابت الأنصاريّ ، قال : سئِل ابن عُمر : كَمْ غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سبعا وعشرين غزوة ، فقيل لابن عمر : كم غزوتَ معه ؟ قال : إحدى وعشرين غزوة ؛ أوّلها الخندق ، وفاتنى ستّ غزوات ، وقد كنت حريصاً ، قد عرضت

---

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) ط : « الأخرى » ، وأثبت ما فى ابن هشام .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

على النبي صلى الله عليه وسلم؛ كلّ ذلك يردّنى فلا يجيزنى حتى أجازنى فى الخندق .

١٧٥٨/١ قال الواقدىّ : قاتلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى إحدى عشرة ، ذكر من ذلك التسع التى ذكرتها عن ابن إسحاق ؛ وعدّ معها غزوة وادى القرى ، وأنه قاتل فيها فقُتِل غلامه مِدْعَم ، رُمِى بسهم. قال : وقاتل يوم الغابة ، فقتل من المشركين ، وقُتل مُحْرِزُ بن نضلة يومئذ .

* * *

[ذكر جملة السرايا والبعوث]

واختلف فى عدد سراياه صلى الله عليه وسلم ، حدثنا محمد بن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : كانت سرايا رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم وبعوثه — فيما بين أن قدِم المدينة وبين أن قبضه الله — خمسًا وثلاثين بعثًا وسريّة[1] : سريّة عُبَيدة بن الحارث إلى أحياء من ثنيّة المَرَة ، وهو ماء بالحجاز ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطّلب إلى ساحل البحر من ناحية العِيص — وبعضُ الناس يقدّم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة — وغزوة سعد بن أبى وقّاص إلى الخَرّار من أرض الحجاز ، وغزوة عبد الله بن جحش إلى نخلة ، وغزوة زيد ابن حارثة القَرَدَة ؛ ماء من مياه نجد ، وغزوة مَرْثَد بن أبى مَرْثَد الغَنَوىّ الرّجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر مَعُونة ، وغزوة أبى عبيدة بن الجرّاح إلى ذى القَصّة من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تُرَبَة من أرض بنى عامر ، وغزوة علىّ بن أبى طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبىّ — كلب ليث — الكَدِيد ، وأصاب بلْمُلَوّح ، وغزوة علىّ بن أبى طالب إلى بنى

١٧٥٩/١ عبد الله بن سعد من أهل فَدَك ، وغزوة ابن أبى العَوْجاء السُّلَمىّ أرض

---

(١) ابن هشام من رواية البكائى عن ابن إسحاق : « ثمانيا وثلاثين . من بين بعث وسرية » ، وجاء فى الأصل بعد ما ذكر : « بعث : غزوة » ، ويبدو أن هذا تفسير أدرج فى النص .

بنى سُلَيم ؛ أصيب بها هو وأصحابه جميعاً ، وغزوة عُكّاشة بن مِحْصَن الغَمْرَةَ ، وغزوة أبى سلَمة بن عبد الأسد قَطَنَاً ؛ ماء من مياه بنى أسد من ناحية نجد قُتل فيها مسعود بن عروة ، وغزوة محمد بن مسلمة ؛ أخى بنى الحارث إلى القُرَطاء من هوازن ، وغزوة بشير بن سعد إلى بنى مُرَّة بفَدَك ، وغزوة بشير بن سعد أيضًا إلى يُمْن وجِنَاب ؛ بلد من أرض خيبر – وقيل يُمْن وجَبَار ؛ أرض من أرض خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجَمُومَ ؛ من أرض بنى سليم ، وغزوة زيد بن حارثة أيضًا جُذَام من أرض حِسْمَى – وقد مضى ذكر خبرها قبل – وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادى القُرى ، لقِىَ بنى فَزَارة .

وغزوة عبد الله بن رواحة خَيْبَرَ مرّتين : إحداهما التى أصاب الله فيها يُسَيْر بن رزام – وكان من حديث يسَيْر بن رزام اليهودىّ أنه كان بخيبر يجمع غَطَفان لغزو رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسولُ الله عبد الله بن رواحة فى نفرٍ من أصحابه ؛ منهم عبد الله بن أُنَيْس حليف بنى سَلِمة ، فلمّا قدِموا عليه كلّموه وواعدوهُ وقرّبوا له ، وقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله استعملك وأكرمك ؛ فلم يزالوا به حتى خرج معهم فى نفرٍ من يهود ؛ فحمله عبد الله بن أُنَيْس على بعيره وردفه حتى إذا كان بالقَرْقَرة من خيبر على ستّة أميال ندِم يُسَير بن رِزام على سيره إلى رسول الله ، فَفَطَن له عبد الله ابن أُنَيس وهو يريد السّيف ؛ فاقتحم به ؛ ثم ضربه بالسيف فقطع رجْله وضربه يُسَيْر بمِخْرَش[1] فى يده من شَوْحط[2] ، فأمَّه[3] فى رأسه ، وقتل الله يُسيرا ؛ ومال كلّ رجل من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله إلا رجلاً واحداً أفلت على راحلته ؛ فلمّا قدم عبد الله ابن أُنَيس على رسول الله صلّى الله عليه وسلم تفل على شجّتِه فلم تَقِح ولم تؤذِه .

١٧٦٠/١

وغزوة عبد الله بن عَتِيك إلى خيبر ؛ فأصاب بها أبا رافع ؛

---

(١) المخرش والمخراش : المحجن ؛ وهو عصا معقوفة يجذب بها البعير ونحوه .

(٢) الشوحط : شجر النبع .

(٣) أمه : جرحه فى أم رأسه .

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث محمد بن مسلمة وأصحابه — فيما بين بدر وأحد — إلى كعب بن الأشرف فقتلوه ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنَيس إلى خالد بن سُفيان بن نُبَيْح الهُذلىّ — وهو بنخلة أو بعُرَنة — يجمع لرسول الله ليغزوَه ، فقتله[١] .

* * *

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن أنَيْس ، قال : دعانِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه بلغنِى أنّ خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهذلىّ يجمع لى الناس ليغزوَنى — وهو بنخلة أو بعُرَنة — فأتِه فاقتلْه ، قال : قلت : يا رسولَ الله ؛ انعتْه لى حتى أعرفَه ، قال : إذا رأيتَه أذكرَكَ الشيطانَ ! إنه آية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قُشَعْريرة . قال : فخرجت متوشّحًا سيفِى حتى دفعت إليه وهو فى ظُعُن يرتاد لهنّ منزلاً حيث كان وقت العصر ؛ فلمّا رأيته وجدت ما وصف لى رسول الله صلّى الله عليه وسلم من القُشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بينى وبينه مجاولة تشغلنى عن الصّلاة ، فصلّيت وأنا أمشى نحوه ، أومئ برأسى إيماء ؛ فلمّا انتهيتُ إليه قال : مَن الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ؛ فجاءك لذلك ، قال : أجلْ ، أنا فى ذلك ؛ فمشيت معه شيئًا حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف حتى قتلته ؛ ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبّات عليه . فلمّا قدِمت على رسول الله وسلّمت عليه ورآنى ، قال : أفلح الوجه ! قال : قلت : قد قتلته . قال : صدقت ! ثم قام رسولُ الله فدخل بيته ، فأعطانى عصا ، فقال : أمسِكْ هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنَيس . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسولُ الله ، وأمرنى أن أمسكها عندِى ، قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله فتسأله لِمَ ذلك ؟ فرجعتُ إلى رسولِ الله ، فقلت : يا رسولَ الله ، لِمَ أعطيتَنِى هذه العصا ؟ قال : آية ما بينى وبينك يوم القيامة ؛ إنّ أقلّ الناس المتخصّرون[٢]

١/١٧٦١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٧ .

(٢) تخصر الرجل ؛ إذا أمسك المخصرة ، وهى ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه ، من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة .

يومئذ ؛ فقرنها عبد الله بسيفه ، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضُمّت معه في كفنه ، ثم دفنا جميعًا .

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث عبد الله بن أبي بكر . قال : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة إلى مُؤْتة من أرض الشام ، ١/١٧٦٢ وغزوة كعب بن عمير الغِفاريّ بذات أطلاح من أرض الشأم ، فأصيب بها هو وأصحابه ، وغزوة عيينة بن حصن بني العنبر من بني تميم ؛ وكان من حديثهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعثه إليهم ؛ فأغار عليهم ؛ فأصاب منهم ناسًا ، وسبيَ منهم سبيًا .

* * *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسولَ الله ؛ إنّ عليَّ رقَبَةً من بني إسماعيل ، قال : هذا سبيُ بني العنبر يقدُم الآن فنُعْطيك إنسانًا فتُعْتقينه . قال ابن إسحاق : فلما قدِم سبيهُم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فيهم وفدٌ من بني تميم ، حتى قدِموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلم ؛ منهم ربيعة بن رُفيع ، وسَبْرة بن عمرو ، والقعقاع بن معبد ، ووردْان بن محرز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وحنظلة بن دارم ، وفراس بن حابس . وكان ممَّن سُبِيَ من نسائهم يومئذ أسماء بنت مالك ، وكأس بنت أريّ ، ونَجْوَة بنت نهد وجُمَيعة بنت قيس ، وعمرة بنت مَطر .

* * *

ثم رجع إلى حديث عبد الله بن أبي بكر . قال : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبيّ — كلبِ ليث — أرض بني مُرّة ؛ فأصاب بها مرداس بنَ ١/١٧٦٣ نَهِيك ؛ حليفًا لهم من الحُرَقة من جُهينة ، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار ، وهو الذي قال فيه النبيّ صلى الله عليه وسلم لأسامة : مَنْ لك بلا إله إلا الله !

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل ، وغزوة ابن أبي حَدْرَد وأصحابه إلى بطن إضَم ، وغزوة ابن أبي حَدْرد الأسلميّ إلى الغابة ، وغزوة عبد الرحمن ابن عوف .

وبعث سَرِيّةً إلى سِيف البحر ، وعليهم أبو عبيدة بن الجراح ؛ وهي غزوة الخَبَط .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد ابن عمر : كانت سرايا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ثمانيًا وأربعين سريّة .

* * *

قال الواقديّ : في هذه السنة قدِم جرير بن عبد الله البَجَليّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلِمًا في رمضان ، فبعثه رسولُ الله إلى ذي الخَلَصَة فهدمها .

قال : وفيها قدم وَبرُ بن يُحَنّس على الأبناء باليمن ، يدعوهم إلى الإسلام فنزل على بنات النعمان بن بُزُرْج فأسلمْن ، وبعث إلى فيروز الديلميّ فأسلم ، وإلى مركبود وعطاء ابنه ، ووهب بن منبّه ، وكان أوّل مَنْ جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبّه .

قال : وفيها أسلم باذان ، وبعث إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم بإسلامه .

* * *

قال أبو جعفر : وقد خالف في ذلك عبد الله بن أبي بكر مَن قال : كانت مغازي رسول الله صلّى الله عليه وسلم ستًّا وعشرين غزوة ، مَنْ أنا ذاكره :

حدّثنا أبو كُرَيب محمد بن العَلاء ، قال : حدّثنا يحيي بن آدم ، قال : حدّثنا زُهير ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : سمعتُ منه أنّ رسولَ الله غزا تسع عشرة غزوة ، وحجّ بعد ما هاجر حجةً ، لم يحجّ غير حجّة الوداع . وذكر ابن إسحاق حجّة بمكة . ١٧٦٤/١

قال أبو إسحاق : فسألتُ زيدَ بن أرقم : كم غزوتَ مع رسول الله ؟ قال : سبع عشرة .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعبة ، عن أبي إسحاق ؛ أن عبد الله بن يزيد الأنصاريّ خرج يستسقِي بالناس ، قال :

فصلّى ركعتين ثم استسقى . قال : فلقيتُ يومئذ زيدَ بن أرقم ، قال : ليس بيني وبينه غيرُ رجل — أو بيني وبينه رجل — قال : فقلت : كم غزا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة غزوة ، فقلت : كم غزوتَ معه ؟ قال : سبع عشرة غزوة ، فقلت : فما أوّلُ غزوة غزا ؟ قال : ذات العُسير — أو العُشير .

وزعم الواقديّ أن هذا عندهم خطأ ؛ حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرَنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق الهمْدانيّ ، قال : قلت لزيد بن أرقم : كم غزوتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سبع عشرة غزوة ، قلت : كم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة غزوة . قال الحارث : قال ابنُ سعد : قال الواقديّ : فحدّثت بهذا الحديث عبدَالله بن جعفر ، فقال : هذا إسناد أهلِ العراق ؛ يقولون هكذا ؛ وأوّل غزوة غزاها زيد بن الأرقم المُرَيْسيع ؛ وهو غلام صغير، وشهد مُؤتة رديف عبد الله بن رَوَاحة ؛ وما غزا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلا ثلاث غزوات أو أربعا . ١/١٧٦٥

ورِوي عن مكحول في ذلك ما حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا ابنُ عمر ، قال : حدّثني سُوَيد بن عبد العزيز ، عن النعمان بن المنذر ، عن مكحول ، قال : غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ثمانيَ عشرة غزوة ؛ قاتل من ذلك في ثمانِ غزوات أوّلهنّ بدر وأحُد والأحزاب وقريظة .

قال الواقديّ : فهذان الحديثان : حديث زيد بن الأرقم ، وحديث مكحول جميعًا غلَط .

* * *

ذكر الخبر عن حجّ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم

حدّثني عبدُالله بن أبي[1] زياد، قال : حدّثنا زيدُ بن الحارث ، عن سفيان الثوريّ ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، أنّ النبيّ صلى الله

(١) ساقطة من ط ، وما أثبته من التصويبات .

عليه‌وسلم حجّ ثلاث حِجَج : حِجّتين قبل‌أن يهاجر ،وحِجّة بعد ما هاجر ، معها عُمرة .

حدّثنا عبد الحميد بن بيان[١] ، قال:أخبرنا إسحاق بن يوسف، عن شريك ، عن أبى‌إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن‌عمر ، قال : اعتمرَ رسولُ‌الله صلى الله عليه وسلم عُمْرتين قبل أن يحجّ ، فبلغ‌ذلك عائشة ، فقالت: اعتمر رسولُ الله أربعَ عُمَر ؛ قد علم ذلك عبد الله بن عمر ، منهنّ عُمرةٌ مع حجّته .

حدّثنا محمد بن على بن الحسن بن شَقيق، قال : سمعتُ أبى ، قال : حدّثنا أبو حمزة،عن‌مُطرّف ، عن أبى‌إسحاق، عن مجاهد ، قال: سمعت ابنَ عمر يقول : اعتمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عُمَر . فبلغ عائشة ، فقالت: لقد علم ابن عمر أنه اعتمر أربع‌عُمَر ، منها عمرته التى قرن معها الحجّة .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : دخلتُ أنا وعروة بن الزُّبير المسجد ؛ فإذا ابن عمر جالسٌ عند حجرة عائشة ، فقلنا : كم اعتمر النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أربعًا ؛ إحداهنّ فى رَجب ، فكرهنا أن نكذّبه ونردّ عليه ، فسمعنا استنان عائشة فى الُحجْرة ، فقال عروة بن الزبير : يا أمّهْ ، يا أمَّ المؤمنين ، أما تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن ! فقالت : وما يقول ؟ قال: يقول: إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عُمَر : إحداهنّ فى رجب ، فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ! ما اعتمر النبيّ عمرةً إلاّ وهو شاهد ، وما اعتمر فى رجب .

١/١٧٦٦

* * *

ذكر الخبر عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومَنْ منهنّ عاش بعده ومن منهنّ فارقه فى حياته ، والسبب الذى فارقه من أجله ، ومن منهنّ مات قبله .

فحدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنا هشام بن محمد ، قال : أخبرنِى أبى أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تزوّج خمس

(١) ط : « بنان » ، وأثبت ما فى التصويبات .

عشرة امرأة ؛ دخل بثلاث عشرة ، وجمع بين إحدى عشرة ، وتوفِّىَ عن تسع .

تزوّج فى الجاهليّة ؛ وهو ابن بضع وعشرين سنة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى؛ وهى أوّل مَنْ تزوّج، وكانت قبله عند عَتيق بن عابد[1] ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم؛ وأمّها فاطمة بنت زائدة بن الأصمّ[2] بن رَواحة بن حَجَر بن مَعيص بن لؤىّ . فولدت لعتيق جارية ، ثم توفّىَ عنها وخلَف عليها أبو هالة بن زُرَارة بن نبّاش بن زُرارة بن حبيب بن سلامة بن غُذَىّ بن جُرْوَة بن أسيّد بن عمرو بن تميم ؛ وهو فى بنى عبد الدار بن قصىّ . ١٧٦٧/١ فولدت لأبى هالة هند بن أبى هالة ؛ ثمّ توفِّى عنها فخلَف عليها رسول الله، وعندها ابنُ أبى هالة هند ، فولدت لرسول الله ثمانية : القاسم ، والطيّب ، والطاهر ، وعبد الله ، وزينب ، ورقيّة ، وأمّ كلثوم ، وفاطمة .

قال أبو جعفر : ولم يتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى حياتها على خديجة حتى مضتْ لسبيلها ؛ فلمّا توفِّيت خديجة تزوّج رسول الله بعدها ؛ فاختلف فيمن بدأ بنكاحها منهنّ بعد خديجة ، فقال بعضهم : كانت التى بدأ بنكاحها بعد خديجة قبل غيرها عائشة بنت أبى بكر الصديق. وقال بعضهم : بل كانت سوْدة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر . فأما عائشة فكانت يوم تزوّجها صغيرة لا تصلح للجِماع ؛ وأما سَوْدة فإنها كانت امرأة ثيّبًا ، قد كان لها قبل النبىّ صلى الله عليه وسلم زوْج ؛ وكان زوجُها قبل النبىّ السكْران بن عمرو بن عبد شمس ، وكان السكْران من مهاجرة الحبشة فتنصّر ومات بها ؛ فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قال أبو جعفر : ولا خلاف بين جميع أهل العلم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بَنَى بسوْدة قبل عائشة .

* * *

* ذكر السبب الذى كان فى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة وسوْدة والرواية الواردة بأولاهما كان عقد عليها رسول الله عقدة النكاح :

---

(١) فى الاستيعاب : « عائذ » . (٢) النويرى : « واسم الأصم جندب بن هرم بن رواحة » .

حدثنا سعيد بن يحيي بن سعيد الأموىّ ، قال: حدّثنى أبى ، قال :

١/١٧٦٨ حدثنا محمد بن عمرو ، قال: حدّثنا يحيي بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن عائشة ، قالت : لمّا توفّيت خديجة ، قالت خولة بنت حكيم بن أميّة بن الأوقص ، امرأة عثمان بن مَظْعون وذلك بمكّة : أىْ رسولَ الله ، ألا تزوّج ؟ فقال : ومَنْ ؟ فقالت : إن شئت بكراً وإن شئتَ ثيّباً ، قال: فمَن البِكْر ؟ قالت : ابنة أحبّ خلق الله إليك عائشة بنت أبى بكر ، قال : ومَن الثيّب ؟ قالت : سودة بنت زمعة بن قيس ، قد آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه . قال : فاذهبي فاذكريهما علىّ . فجاءت فدخلت بيت أبى بكر ، فوجدتْ أمّ رُومان ، أمّ عائشة ، فقالت : أى أمّ رومان ؟ ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ! قالت : وماذاك ؟ قالت : أرسلنى رسول الله أخطب عليه عائشة ، قالت : وددتُ ! انتظرى أبا بكر ، فإنه آتٍ ، فجاء أبو بكر ، فقالت : يا أبا بكر ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ! أرسلنى رسولُ الله أخطب عليه عائشة ، قال : وهل تصلح له ، إنما هى ابنة أخيه ! فرجعتْ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فقالت له ذلك ، فقال : ارجعى إليه ، فقولى له : أنت أخى فى الإسلام ، وأنا أخوك ، وابنتك تصلح لى ؟ فأتت أبا بكر فذكرت ذلك له ، فقال : انتظرينى حتى أرجع ، فقالت أم رُومان : إن المطعِم بن عدىّ كان ذكرها على ابنه ، ولا والله ما وعد شيئاً قطّ فأخلف . فدخل أبو بكر على مطعِم ، وعنده امرأته أمّ ابنه الذى كان ذكرها عليه ، فقالت العجوز :

١/١٧٦٩ يابن أبى قُحافة ، لعلنا إن زوّجنا ابننا ابنتك أن تصبئَه[1] وتدخله فى دينك الذى أنت عليه ! فأقبل على زوجها المطعِم ، فقال: ما تقول هذه ؟ فقال : إنها تقول ذاك . قال : فخرج أبو بكر ، وقد أذهب الله العِدَة التى كانت فى نفسه من عِدَته التى وعدها إياه ، وقال لخولة : ادعِى لى رسول الله ، فدعتْه فجاء فأنكحه ؛ وهى يومئذ ابنة ستّ سنين . قالت : ثم خرجتُ فدخلت على سَوْدة فقلت : أى سَوْدة ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ! قالت : وماذاك ؟ قالت : أرسلنى رسولُ الله يخْطبك عليه ، قالت : فقالت :

---

(١) تصبئه : ترده عن دينه .

وددت ! ادخلى على أبى فاذكرى له ذلك ، قالت : وهو شيخ كبير قد تخلّف عن الحجّ ، فدخلت عليه ، فحيّيته بتحيّة أهل الجاهليّة ، ثم قلت : إن محمّد بن عبدالله بن عبد المطلب أرسلنى أخطب عليه سَوْدة ، قال : كفءٌ كريمٌ ، فماذا تقول صاحبته ؟ قالت : تحبّ ذلك ، قال : ادعيها إلىّ ، فدعيت له ، فقال : أىْ سودة ، زعمتْ هذه أنّ محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب أرسل يخطبك وهو كفءٌ كريم ، أفتحبّين أن أزوِّجكه ؟ قالت : نعم ، قال : فادعيه لى ، فدعتْه ، فجاء فزوّجه ، فجاء أخوها من الحجّ ، عبد بن زمعة ، فجعل يحثى فى رأسه التراب ، فقال بعد أن أسلم : إنّى لسفيهٌ يوم أحثِى فى رأسى التراب أن تزوّج رسول الله سودة بنت زمعة ! قال : قالت عائشة : فقدمنا المدينة ، فنزل أبو بكر السُّنْح فى بنى الحارث بن الخزرج ، قالت : فجاء رسولُ الله فدخل بيتنا ، فاجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء ، فجاءتنى أمّى وأنا فى أرجوحة بيْن عَذْقين يرجَّح بى ، فأنزلتنى ثم وفَتْ جُميمة كانت لى ، ومسحت وجهى بشىء من ماء ، ثم أقبلت تقودنى ، حتى إذا كنتُ عند الباب وقفت بى حتى ذهب بعض نفَسى ، ثم أدخلت ورسول الله جالسٌ على سرير فى بيتنا . قالت : فأجلستنى فى حجره ، فقالت : هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهنّ وبارك لهنّ فيك! ووثب القوم والنساء ، فخرجوا ، فبنى بى رسول الله فى بيتى ، ما نحِرت جَزورٌ ولا ذُبحت علىّ شاة ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين ، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجَفْنة كان يرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١/١٧٧٠

حدّثنا علىّ بن نَصْر ، قال : حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث — وحدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : حدّثنى أبى — قال : حدّثنا أبان العطار ، قال : حدّثنا هِشام بن عروة ، عن عُروة ، أنه كتب إلى عبد الملك ابن مروان : إنك كتبت إلىّ فى خديجة بنت خويلد تسألنى : متى توفّيت ؟ وإنها توفيت قبل مُخرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة بثلاث سنين أو قريبًا من ذلك ، ونكح عائشة متوفَّى خديجة ، كان رسول الله رأى عائشة مرّتين ، يقال له : هذه امرأتك ، وعائشة يومئذ ابنة ستّ سنين .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بعائشة بعد ما قدم المدينة وهى يوم بنى بها ابنة تسع سنين .

* * *

رجع الخبر إلى خبر هشام بن محمد . ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبى بكر — واسمه عتيق بن أبى قُحافة ، وهو عثمان — ويقال عبدالرحمن بن عثمان — بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرّة ، تزوّجها قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهى ابنة سبع سنين ؛ وجمع إليها بعد أن هاجر إلى المدينة وهى ابنة تسع سنين فى شوّال ؛ فتوفّىَ عنها وهى ابنة ثمان عشرة ، ولم يتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكْراً غيرها ، ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب ابن نُفيل بن عبد العزّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن كعب — وكانت قبله عند خُنَيْس بن حُذافة بن قيس بن عدىّ ابن سعد بن سهم . وكانَ بدريّاً ، شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم — فلم تلد له شيئاً ، ولم يشهد من بنى سهم بدراً غيره .

١٧٧١/١

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمّ سلَمة ، واسمها هند بنت أبى أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وكانت قبله عند أبى سلَمة ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وشهد بدراً مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فارسَ القوم ، فأصابته جراحة يوم أحُد فمات منها ؛ وكان ابن عمة رسول الله ورضيعه ، وأمّه برّة بنت عبد المطلب ولدت له عمر ، وسلمة ، وزينب ، ودُرّة ؛ فلمّا مات كبَّر رسول الله صلى الله عليه وسلَم على أبى سلمة تسع تكبيرات ، فلمّا قيل : يا رسول الله ، أسهوتَ أم نسيت ؟ قال : لم أسْهُ ولم أنْسَ ؛ ولو كبّرت على أبى سلمة ألفاً كان أهلاً لذلك ؛ ودعا النبىّ صلى الله عليه وسلم لأبى سلمة بخلَفه فى أهله . فتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الأحزاب سنة ثلاث ، وزوّج سلمة بن أبى سَلمة ابنةَ حمزة بن عبد المطلب .

١٧٧٢/١ ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عام المرَيْسيع جُوَيرية بنت الحارث ابن أبى ضرار بن حبيب بن مالك بن جَذِيمة — وهو المصطلق بن سعد بن عمرو — سنة خمس ، وكانت قبله عند مالك بن صفوان ذى الشُّفْر بن أبى سَرْح بن مالك بن المصطلق ؛ لم تلد له شيئًا ؛ فكانت صفيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المرَيسيع ، فأعتقها وتزوّجها ، وسألتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عتق ما فى يده من قومها ، فأعتقهم لها .

ثمّ تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمّ حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ؛ وكانت عند عبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صَبِرَةَ بن مرّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودان بن أسد — وكانت من مُهاجرات الحبشة هى وزوجها ، فتنصّر زوجُها وحاولها أن تتابعه فأبت وصبرت على دينها ، ومات زوجها على النصرانيّة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشىّ فيها ، فقال النجاشىّ لأصحابه : مَنْ أولاكم بها ؟ قالوا : خالد بن سعيد بن العاص ، قال : فزوِّجْها من نبيّكم ، ففعل وأمهرها أربعمائة دينار . ويقال : بل خطَبها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن عفان ، فلمّا زوّجه إياها بعث إلى النجاشىّ فيها ، فساق عنه النجاشىّ ، وبعث بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينبَ بنت جحش بن رئاب ابن يعمر بن صبِرة ؛ وكانت قبله عند زيد بن حارثة بن شراحيل مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم تلد له شيئًا ، وفيها أنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ... ﴾ [1] إلى آخر الآية ، فزوّجها الله عزّ وجلّ إياه ، وبعث فى ذلك جبريل ؛ وكانت تَفْخَر على نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وتقول : أنا أكرمكنّ وليًا ، وأكرمكنّ سَفيرًا . ١٧٧٣/١

ثم تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم صَفِيّة بنت حُيَىّ بن أخطب بن سَعْيَة بن ثعلبة بن عُبيد بن كعب بن الخزرج بن أبى حبيب بن النَّضير ؛

---

(١) سورة الأحزاب ٣٧

وكانت قبله تحت سلاّم بن مِشْكَم بن الحكَم بن حارثة بن الخزرج بن كعب بن الخزرج ؛ وتوفّى عنها وخلف عليها كنانة بن الربيع بن أبى الحُقيق ، فقتله محمد بن مسلمة بأمر النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ضرب عنقه صبراً ، فلما تصفّح النبىّ صلى الله عليه وسلم السَّبْىَ يوم خَيْبر ، ألقى رداءه على صفيّة ، فكانت صَفِيَّهُ يوم خيبر ؛ ثم عرض عليها الإسلام فأسلمت ، فأعتقها ؛ وذلك سنة ستّ .

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حَزْن ابن بُجَير بن الهُزَم بن رُوَيْبة بن عبد الله بن هلال ؛ وكانت قبله عند عمير ابن عمرو ، من بنى عُقْدة بن غِيَرَة بن عوف بن قَسِىّ — وهو ثقيف — لم تلد له شيئًا ، وهى أخت أمّ الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب ، فتزوّجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بسَرِف فى عُمْرة القضاء ؛ زوّجها إياه العباس ابن عبد المطلب ؛ فتزوّجَها رسولُ الله . ١٧٧٤/١

وكلٌّ هؤلاء اللواتى ذكرنا أنّ رسولّ الله صلى الله عليه وسلم تزوّجهن إلى هذا الموضع ، توفّى رسولُ الله وهنّ أحياء ، غير خديجة بنت خويلد .

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم امرأةً من بنى كلاب بن ربيعة ؛ يقال لها النشاة بنت رفاعة ، وكانوا حلفاءَ لبنى رفاعة من قُريظة . وقد اختلف فيها ، وكان بعضُهم يسمّى هذه سَنَا وينسبها ، فيقول : سنا بنت أسماء بن الصَّلْت السُّلَمية . وقال بعضهم : هى سبا بنت أسماء بن الصَّلْت من بنى حرام من بنى سُلَيم . وقالوا : توفّيت قبل أن يدخل بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ونسبها بعضهم فقال : هى سنا بنت الصَّلْت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سَمَّال بن عَوْف السُّلَمِىّ .

ثمّ تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الشَّنْباء بنت عمرو الغِفاريّة . وكانوا أيضًا حلفاءَ لبنى قُرَيظة ، وبعضُهم يزعم أنها قُرَظيّة ، وقد جهل نسبها لهلاك بنى قُرَيظة ، وقيل أيضًا إنها كنانيّة ، فَعَرَكَت[1] حين دخلت

---

(١) عركت ، أى حاضت .

عليه ؛ ومات إبراهيم قبل أن تطهُر ، فقالت : لو كان نبيًّا ما مات أحبّ النّاس إليه ؛ فسرَّحها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

ثمّ تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم غَزِيّة بنت جابر من بنى أبى بكر بن كلاب ، بلغ رسول الله عنها جمالٌ وبسطة ، فبعث أبا أسَيْد الأنصاريّ ، ثم الساعدىّ ، فخطبها عليه . فلما قدِمتْ على النبيّ صلى الله عليه وسلم — وكانت حديثة عهد بالكفر — فقالت : إنى لم أستأمرْ فى نفسى ، إنى أعوذ بالله ١/١٧٧٥ منك ! فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : امتنع عائذُ الله . وردّها إلى أهلها ؛ ويقال : إنها من كِنْدة .

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت النعمان بن الأسود ابن شَرَاحيل بن الجَوْن بن حُجْر بن معاوية الكندىّ ، فلما دخل بها وجد بها بياضًا فمتّعها وجهّزها وردّها إلى أهلها ؛ ويقال : بل كان النعمان بعثَ بها إلى رسولِ الله فسرّحتْه ، فلما دخلت عليه استعاذت منه أيضًا ، فبعث إلى أبيها ، فقال له : أليست ابنتك ؟ قال : بلى ، قال لها : ألست ابنته؟ قالت : بلى ، قال النعمان : عليكها يا رسولَ الله ، فإنها وإنها ... وأطْنَبَ فى الثناء فقال : إنها لم تيجَعْ قطّ ، ففعل بها ما فعل بالعامريّة ، فلا يُدْرَى : ألقولها أم لقول أبيها : « إنها لم تيجعْ قطّ » .

وأفاء الله عزّ وجلّ على رسوله ريحانة بنت زيد ، من بنى قُرَيظة .

وأهدىَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم مارية القبطية ، أهداها له المُقَوقس صاحبُ الإسكندرية ، فولدَتْ له إبراهيم بن رسول الله .

فهؤلاء أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهنّ ستّ قرشيّات .

قال أبو جعفر : وممن لم يذكر هشام فى خبره هذا ممّن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تزوّجه من النساء : زَيْنب بنت خزيمة — وهى التى يقال لها أمّ المساكين — من بنى عامر بن صعصعة ، وهى زينب بنت خُزَيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت قبل رسول الله عند الطّفيل بن الحارث بن المطلب ، أخى عبيدة بن الحارث ، توفّيت عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

١٧٧٦/١ وقيل إنه لمْ يَمُتْ عند رسول الله فى حياته من أزواجه غيرها وغير خديجة وشَرَاف بنت خليفة، أخت دِحْيَة بن خليفة الكلبيّ، والعالية بنت ظَبيان .

حدّثنى ابن عبد الله بن عبد الحكَم ، قال : حدّثنا شُعَيْب بن الليث، عن عُقَيل، عن ابن شهاب، قال: تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العالية؛ امرأة من بنى أبى بكر بن كلاب فمتّعها [1]، ثمّ فارقها، وقُتَيْلة بنت قيس ابن معد يكرب أخت الأشعث بن قيس، فتوفّىَ عنها قبل أن يدخل بها ، فارتدّت عن الإسلام مع أخيها ، وفاطمة بنت شُرَيح .

وذُكِر عن ابن الكلبيّ أنّه قال: غَزِيَّة بنت جابر، هى أمّ شريك ، تزوّجَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد زوجٍ كان لها قبله؛ وكان لها منه ابنٌ يقال له شريك ، فكُنِيت به ، فلمّا دخل بها النبيّ صلى الله عليه وسلم وجدها مَسنّةً ، فطلّقها ، وكانت قد أسلمت ؛ وكانت تدخل على نساء قريش فتدعوهنّ إلى الإسلام .

وقيل: إنه تزوّج خَوْلة بنت الهُذَيل بن هُبيرة بن قَبِيصة بن الحارث ؛ رُوِىَ ذلك عن الكلبيّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس .

وبهذا الإسناد أن ليلَى بنت الخَطِيم بن عدىّ بن عمرو بن سَوَاد بن ظَفَر ابن الحارث بن الخزرج، أقبلت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو مُوَلّ ظهرَه الشمسَ ، فضربتْ على منكبِه ، فقال : مَنْ هذه ؟ قالت : أنا ابنة مبارِى الريح ، أنا ليلى بنت الخَطِيم ، جئتك أعرِض عليك نفسى فتزوّجْنى ، قال : قد فعلت ، فرجعت إلى قومها ، فقالت : قد تزوّجنى رسول الله ، ١٧٧٧/١ فقالوا : بئسما صنعت ! أنت امرأة غَيْرَى ؛ والنبيُّ صاحبُ نساء ، استقيليه نفسك ، فرجعتْ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقالت : أقلنى ، قال : قد أقلتك .

وبغير هذا الإسناد أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم تزوّج عَمْرة بنت يزيد ، امرأة من بنى رُؤاس بن كلاب .

---

(١) متعة المرأة : ما وصلت به بعد الطلاق .

ذكر مَنْ خطب النبيّ
صلى الله عليه وسلم من النساء ثم لم ينكحهنّ

منهنّ أم هانئ بنت أبي طالب ، واسمها هِنْد ، خطبها رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتزوّجها ؛ لأنها ذكرتْ أنها ذات ولَد .

وخطب ضُبَاعة بنت عامر بن قُرْط بن سلَمة بن قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة إلى ابنها سلَمة بن هشام بن المغيرة ، فقال : حتى أستأمِرَها ، فأتاها فقال : إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم خطبك ، فقالت : ما قلتَ له ؟ قال : قلت له حتى أستأمِرَها ! قالت : وفى النبيّ يُسْتأمَرُ ! ارْجِعْ فزَوّجْه ؛ فرجع فسكت عنه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه أخبر أنها قد كبِرَتْ .

وخطب — فيما ذكر — صَفِيّة بنت بشامة أخت الأعْوَر العنبريّ ، وكان أصابها سِباء ، فخيّرها ، فقال : إن شئتِ أنا وإن شئت زوْجك ، قالت : بل زوجى ؛ فأرسلها .

وخطب أمّ حبيب بنت العبّاس بن عبد المطلب ، فوجد العباس أخاه من الرضاعة ، أرضعتهما ثُوَيبة .

وخطب جَمْرة بنت الحارث بن أبى حارثة ، فقال أبوها — فيما ذكر : بها شىء ، ولم يكن بها شىء ، فرجع فوجدها قد بَرِصَتْ .

* * *

ذكر سرارى رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٧٧٨/١ وهى مارية بنت شمعون القِبْطيّة ، وريحانة بنت زيد القُرَظيّة . وقيل: هى من بنى النَّضِير . وقد مضى ذكر أخبارهما قبل .

* * *

ذكر موالى رسول الله صلّى الله عليه وسلم

فمنهم زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد ، وقد ذكرنا خبره فيما مضى .
وثوْبان — مولى رسول الله ، فأعتقه ، ولم يزل معه حتى قُبِض ، ثم نزل حِمْص

وله بها دار وقْف ؛ ذكر أنه توفى سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية . وقال بعضُهم : بل كان سكن الرَّمْلة ، ولا عِقب له .

وشُقْرَان — وكان من الحبشة ، اسمه صالح بن عدىّ ؛ اختلف فى أمرِه . قد ذكر عن عبد الله بن داود الخُرَيْبىّ أنه قال : شُقْران ورِثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه . وقال بعضهم : شُقْران من الفرس، ونسبه فقال : هو صالح بن حول ابن مهر بود .

نسب شُقْران مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول مَنْ نسبه إلى عجم الفرس . زعم أنه صالح بن حول بن مهربوذ بن آذَر جُشْنَس بن مهربان بن فيران بن رستَم بن فيروز بن ماى بن بهرام بن رشتهرى ، وزعم أنهم كانوا من دَهاقين الرّىّ .

وذكر عن مصعب الزبيرىّ أنه قال : كان شُقران لعبد الرحمن بن عوف . فوهبه للنبىّ صلى الله عليه وسلم وأنه أعقب ؛ وأن آخرهم مؤبا ، رجلٌ كان بالمدينة من ولده ، كان له بالبصرة بقيّة .

ورُوَيْفع — وهو أبو رافع مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اسمه أسلم . وقال بعضهم : اسمه إبراهيم . واختلفوا فى أمره؛ فقال بعضُهم : كان للعباس بن عبد المطلب ،فوهبه لرسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فأعتقه رسول الله. وقال بعضهم : كان أبو رافع لأبى أحَيْحة سعيد بن العاص الأكبر فورثه بنوه ، فأعتق ثلاثةٌ منهم أنصباءهم منه ، وقُتِلوا يوم بدر جميعًا ؛ وشهد أبو رافع معهم بدراً ، ووهب خالد بن سعيد نصيبَه منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه رسولُ الله . ١٧٧٩/١

وابنه البهىّ — اسمه رافع .

وأخو البهىّ عُبيدة الله بن أبى رافع — وكان يكتُب لعلىّ بن أبى طالب ، فلما وَلِىَ عمرو بن سعيد المدينةَ دعا البهىّ ، فقال : مَنْ مولاك ؟ فقال : رسولُ الله ، فضربه مائةَ سوط ، وقال : مولى مَنْ أنت! قال : مولى رسول الله ، فضربه مائة سوط ؛ فلم يزل يفعل به ذلك كلّما سأله: مولَى من أنت ؟ قال : مولى رسول الله ؛ حتى ضربه خمسمائة سوط ، ثم قال : مَوْلَى مَنْ أنت ؟ قال : مولاكم ، فلمّا قتل عبدُ الملك عمرَو بن سعيد قال البهىّ بن أبى رافع :

صَحَّتْ ولاَ شَلَّتْ وَضَرَّتْ عَدُوَّهَا يَمِينٌ هَرَاقَتْ مُهْجَةَ ابْنِ سَعِيدِ
هُوَ ابْنُ أَبِي العاصِي مِرَارًا وينتَمِي إلى أُسْرَةٍ طابتْ له وجُدُودِ

وسَلْمان الفارسىّ — وكنيته أبو عبد الله من أهل قرية أصبهان ؛ ويقال: إنه من قرية رامَهُرْمُز ؛ فأصابه أسرٌ من بعض كَلْب ، فبيع من بعض اليهود بناحية وادى القُرى ؛ فكاتب اليهودىّ ، فأعانه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى عتَق . وقال بعضُ نسّابة الفُرس : سلْمان من كورسابور ، واسمه مابه بن بوذخشان بن ده ديره .

وسَفِينة — مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان لأمّ سلمة فأعتقته ؛ ١٧٨٠/١ واشترطت عليه خِدْمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حياتَه، قيل: إنه أسوَد ؛ واختلِف فى اسمه، فقال بعضهم : اسمه مِهران ، وقال بعضهم : اسمه رَبَاح ، وقال بعضهم : هو مِن عجم الفرس ؛ واسمه سبيه بن مارقيه، وأنسة . يكنى أبا مُسَرَّح ، وقيل : أبا مَسْرُوح . كان من مولَّدى المراة ؛ وكان يأذن على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس ، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : أصلُه من عَجَم الفرس ؛ كانت أمّه حبشيّةً وأبوه فارسيًّا . قال : واسم أبيه بالفارسية كردوى ابن أشرنيده بن أدوهر بن مهرادر بن كحنكان من بنى مهجوار بن يوماست .

وأبو كَبْشَة — واسمه سُلَيْم ، قيل إنه كان من مولّدى مكة ، وقيل : من مولّدى أرض دَوْس ، ابتاعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، فشهِد مع رسولِ الله بدْراً وأحُداً والمشاهدَ . تُوُفِّىَ فى أوّل يوم استُخلِف فيه عمر بن الخطاب ، سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

وأبو مُوَيْهِبَة — قيل : إنه كان من مولّدى مُزَيْنة ، فاشتراه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه .

ورَبَاح الأسود — كان يأذن لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وفَضَالة — مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نزَل — فيما ذكر — الشأم .

ومِدْعَم — مولَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، كان عبداً لرفاعة

١/١٧٨١ ابن زيد الجُذامىّ، فوهبه لرسول الله، فقتِل بوادى القُرى ، يوم نزل بهم رسول الله ، أتاه سهم غَرَبٍ[1] فقتله .

وأبو ضُمَيرة — كان بعضُ نسّابة الفرس زعم أنه من عَجَم الفرس، من ولَدِ كشتاسب الملك ، وأنّ اسمه واح بن شيرز بن بيرويس بن تاريشمه ابن ماهوش بن باكمهير . . وذكر بعضهم أنه كان ممن صار فى قَسْم رسول الله فى بعض وقائعه ، فأعتقه ، وكتب له كتابًا بالوصيّة ؛ وهو جَدّ حسين بن عبد الله بن أبى ضُميرة ، وأن ذلك الكِتاب فى أيدى ولد ولده وأهل بيته ، وأنّ حسين بن عبد الله هذا قدم على المهدىّ ومعه ذلك الكتاب ، فأخذه المهدىّ فوضعه على عينيه ، ووصله بثلثمائة دينار .

ويَسَار — وكان فيما ذكِر نوبيًّا ؛ كان فيما وقع فى سهم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته فأعتقه ؛ وهو الذى قتله العُرَنيُّون الذين أغاروا على لِقاح رسول الله .

ومِهْران — حدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان له خَصِىٌّ يقال له مابور — كان المقوقس أهداه إليه مع الجاريتين اللتيْن يقال لإحداهما مارية ، وهى التى تَسرّى بها والأخرى سِيرين وهى التى وَهَبها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ، لما كان من جناية صفوان بن المعطّل عليه ، فولدتْ لحسان ابنَه عبد الرحمن بن حسّان . وكان المقوقس بعث بهذا الخصىّ مع الجاريتين اللتين أهداهما لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ليوصلهما إليه ، ويحفظهما من الطريق حتى تَصلا إليه . وقيل : إنه الذى قُذِفت مارية به ، فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليًّا وأمره

١/١٧٨٢ بقتله ، فلمّا رأى عليًّا وما يريد به تكشّف حتى تبيّن لعلىّ أنه أجبُّ لا شىء معه مما يكون مع الرجال ، فكفّ عنه علىٌّ . وخرج إليه من الطائف — وهو محاصِرٌ أهْلها — أعبدٌ لهم أربعة ، فأعتقهم صلى الله عليه وسلم ، منهم أبو بَكْرة .

* * *

(١) سهم غرب : لا يدرى راميه .

ذكر من كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ذُكِر أنّ عثمان بن عفّان كان يكتب له أحيانًا ، وأحيانًا عليّ بن أبي طالب ، وخالد بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، والعلاء بن الحضرميّ .

قيل : أوّل مَنْ كتب له أبيّ بن كعب ؛ وكان إذا غاب أبيّ كتب له زيد بن ثابت .

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، ثم ارتدّ عن الإسلام ، ثم راجع الإسلام يوم فتح مكة .

وكتب له معاوية بن أبي سفيان ، وحنظلة الأسَيِّديّ .

* * *

أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حَثْمة ، عن أبيه ، قال : أوّل فرس ملكه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فرسٌ ابتاعه بالمدينة من رجلٍ من بني فَزارة بعشر أواق ، وكان اسمه عند الأعرابيّ الضَّرِس ، فسمّاه رسول الله السَّكْب ؛ وكان أوّلَ ما غزا عليه أحُدٌ ، ليس مع المسلمين يومئذ فرس غيره ، وفرس لأبي بُرْدة بن نِيَار ، يقال له مُلاوِح[1] .

حدّثني الحارث ، قال : أخبرنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : سألت محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حَثْمة عن المرتجِز ، فقال : هو الفرس الذي اشتراه من الأعرابيّ الذي شهد له فيه خُزَيْمة بن ثابت ؛ وكان الأعرابيّ من بني مرّة[2] . ١٧٨٣/١

حدّثني الحارث قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرنا أبيّ بن عباس بن سهل ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ثلاثة أفراس : لِزَاز ، والظَّرِب ، واللَّخيف[3] ؛

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٨٩ (٢) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٠

(٣) في الفائق : «اللحيف » ، بالحاء ، ورجحها ابن الأثير

فأما لِزَاز فأهداه له المقوقس، وأما اللُّخَيْف فأهداه له ربيعة بن أبى البَرَاء؛ فأثابه عليه فرائضَ من نَعَم بنى كلاب ، وأمّا الظَّرِب فأهداه له فَرْوة ابن عمرو الجُذامىّ . وأهدى تميم الدارىّ لرسول الله فرسًا يقال له : الوَرْد ، فأعْطاه عمر ؛ فحمل عليه عمر فى سبيل الله ، فوجده يتَنْباع [١].

وقد زعم بعضُهم أنه كان له مع ما ذكرت من الخيل فرس يقال لـه اليَعْسُوب .

* * *

ذكر أسماء بغال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : كانت دُلْدُل بغلَة النبىّ صلى الله عليه وسلم أوّل بغلة رُئِيت فى الإسلام ، أهداها له المقوقِس وأهدى له معها حماراً يقال له عُفَيْر ؛ فكانت البغلة قد بقيَتْ حتى كان زمن معاوية [٢] .

حدّثنى الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال : أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا معمَر، عن الزهرىّ ، قال : دُلْدُل أهداها له فَرْوة بن عمرو الجذامىّ.

١/١٧٨٤ حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرَنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن زامل بن عمرو ، قال : أهدى فَرْوة بن عمرو إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم بغلة يقال لها فضّة ؛ فوهبها لأبى بكر ، وحمارَه يعْفُور ؛ فنفق منصرفَه من حجة الوداع [٣] .

* * *

ذكر أسماء إبله صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى موسى بن محمد بن إبراهيم التيمىّ ، عن أبيه ، قال : كانت

---

(١) ينباع : يسير بخطا فسيحة . طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٠
(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩١ (٣) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩١

القَصْواء من نَعَم بنى الحريش ، ابتاعها أبو بكر وأخرى معها بثمانمائة درهم ، وأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعمائة ؛ فكانت عنده حتى نفقت ؛ وهى التى هاجر عليها ؛ وكانت حين قدم رسولُ الله المدينة رَبَاعية ، وكان اسمها القصواء والجَدْعاء والعَضْباء[١] .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى ابن أبى ذئب ، عن يحيى بن يعلى ، عن ابن المسيّب ، قال : كان اسمها العَضْباء ؛ وكان فى طرف أذنها جَدْع[١] .

* * *

ذكر أسماء لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبى رافع ، قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لِقاح ، وهى التى أغار عليها القوم بالغابة ، وهى عشرون لَقْحة[٢] ، وكانت التى يعيش بها أهلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يراح إليه كلّ ليلة بقربتَيْن عظيمتين من لبن فيها لِقاحٌ غِزَارٌ[٣] : الحناء ، والسَّمْراء ، والعريس ، والسَّعْدية ، والبَغوم ، واليَسيرة ، والرَّيّا[٤] . ١٧٨٥/١

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى هارون بن محمد ، عن أبيه ، عن نَبْهان ؛ مولَى أمّ سلَمة ، قال : سمعتُ أمّ سلمَة ، تقول : كان عيشُنا مع رسول الله اللبن — أو قالت أكثر عيشنا — كانت لرسول الله لِقاح بالغابَة كان قد فرّقها على نسائه ، فكانت فيها لقحة تُدعى العريس ؛ وكنا منها فيما شئنا من اللبن ، وكانت لعائشة لِقحة تدعى السمراء غزيرة ، لم تكن كلقحتى ، فقرّب راعيهنّ اللقاحَ إلى مَرعًى بناحية الجوّانيّة ، فكانت تروح على أبياتنا فنؤتَى بهما فتحلبان ، فتوجَدُ لقحته أغزر منهما بمثل لبنهما أو أكثر[٥] .

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٢ (٢) اللقحة واللقوح : الناقة الحلوب .

(٣) ابن سعد : « لقائح غزر » ، أى كثيرات اللبن

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، وفيها : «والدباء» . (٥) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٤

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا عبد السلام بن جُبَيْر ، عن أبيه ، قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقائح تكون بذى الجَدْر ، وتكون بالجمَّاء ، فكان لبنُها يَؤوب إلينا ؛ لِقحة تدعى مهرة ، أرسل بها سعدُ بن عُبادة من نَعم بنى عُقَيل وكانت غزيرة ؛ وكانت الرَّيّا والشقراء ابتاعهما بسوق النَّبَط من بنى عامر ، وكانت بردة ، والسمراء ، والعريس ، واليسيرة ، والحناء ، يُحْلَبْنَ ويُراح إليه بلبنهن كلّ ليلة ؛ وكان فيها غلام للنبيّ صلى الله عليه وسلم اسمه يَسَار ، فقتلوه(١) .

* * *

ذكر أسماء منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم

١/١٧٨٦ حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني زكرياء بن يحيي ، عن إبراهيم بن عبد الله ، من ولد عُتْبة بن غَزْوان ، قال : كانت منائحُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعًا : عجوَة ، وزَمْزم ، وسُقْيا ، وبَرَكة ، ووَرْسَة ، وأطلال ، وأطراف(١) .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد ، قال : حدّثني أبو إسحاق ، عن عبّاد بن منصور ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت منائحُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سبع أعْنُز منائح ، يرعاهنّ ابنُ أمّ أيْمَن(١) .

* * *

ذكر أسماء سيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة ، عن مَرْوان بن

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٥

أبى سعيد بن المعلّى ، قال : أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بنى قَيْنُقاع ثلاثة أسياف : سيفًا قَلَعيًّا[١] ، وسيفًا يُدعى بَتّاراً ، وسيفًا يدعى الحَتْف ؛ وكان عنده بعد ذلك المِخْذَم ورَسُوب ، أصابهما من الفِلْس[٢] . وقيل إنه قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ومعه سيفان ، يقال لأحدهما : القضيب[٣] ، شهد به بدرًا ، وسيفه ذو الفَقَار غَنِمه يوم بدر ، كان لمنبّه بن الحجّاج[٤] . ١٧٨٧/١

* * *

ذكر أسماء قِسِيّه ورماحه صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن مَرْوان بن أبى سعيد بن المعلّى ، قال : أصابَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بنى قَيْنُقَاع ثلاثة أرماح وثلاث قِسِىّ : قَوْس الرّوحاء ، وقوْس شَوْحَط ، تدعى البيْضَاءَ ، وقوس صَفْرَاء تدعَى الصّفراء من نَبْع[٥] .

* * *

ذكر أسماء دروعه صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بَكْر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عَن مَرْوان بن أبى سعيد بن المعلّى ، قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بنى قَيْنُقاع درعيْن ؛ درع يقال لها السعْدية ، ودرع يقال لها فضّة[٦] .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنى ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى موسى بن عمر ، عن جعفر بن محمود ، عن محمد بن مسلمة ، قال : رأيتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ أحُد دِرْعيْن :

---

(١) سيف قلعى : منسوب إلى القلعة موضع بالبادية قرب حلوان ، تنسب إليه السيوف .

(٢) الفلس : صنم كان لطيىء ، أرسل الرسول فى هدمه سنة تسع ، وأصاب منه ثلاثة سيوف ، ياقوت ٦ : ٣٩٤ .

(٣) ط : « العضب » ، والتصويب من الفائق .

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٦

(٥) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٩

(٦) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٧

درعُه ذاتُ الفُضول ودرعُه فضّة ، ورأيت عليه يوم خَيْبر درعين : ذات الفضول والسّعدية[1] .

* * *

ذكر تُرسه صلى الله عليه وسلم

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا عتّاب بن زياد ، قال : أخبرَنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا عبدُالرّحمن بن يزيد ابن جابر ، قال : سمعتُ مكحولا يقول : كان لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم تُرْس فيه تمثال رأس كبش ، فكره رسولُ الله مكانَه ، فأصبح يومًا وقد أذهبه الله عزّ وجلّ . ١٧٨٨/١

* * *

ذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني محمد بن المثنّى ، قال : حدّثنا ابنُ أبي عديّ ، عن عبدالرحمن — يعني المسعوديّ — عن عَمرو بن مرّة ، عن أبي عبيدة ، عن أبي موسى ، قال : سمّى لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نفسَه أسماء ، منها ما حفظنا . قال : أنا محمد ، وأحمد ، والمقفّى ، والحاشر ، ونبيّ التوبة والمَلْحَمَةِ .

حدّثني ابن المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : أخبرَنا إبراهيم — يعني ابن سعد — عن الزهريّ ، قال : أخبرني محمد بن جبير بن مطعِم ، عن أبيه ، قال : قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن لي أسماء ؛ أنا محمد ، وأحمد ، والعاقب ، والماحي . قال الزهريّ: العاقب: الذي ليس بعده أحد ، والماحِي: الذي يمحو الله به الكفر .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا يزيد بن هارون ، قال ، أخبرنا سفيان ابن حسين ، قال : حدّثني الزهريّ ، عن محمد بن جُبير بن مطعِم ، عن أبيه ؛ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنا محمد ، وأحمد ، والماحي ،

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٧

والعاقب ، والحاشر ؛ الذى يحشر الناس على قدمىَّ . قال يزيد : فسألت سفيانَ : ما العاقب ؟ قال : آخر الأنبياء .

* * *

١٧٨٩/١

ذكر صفة النبىّ صلى الله عليه وسلم

حدّثنى ابنُ المثنَّى ، قال : حدّثنى ابن أبى عدىّ ، عن المسعودىّ ، عن عثمان بن عبد الله بن هُرمز ، قال : حدّثنى نافع بن جُبير ، عن علىّ ابن أبى طالب ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير ، ضَخْم الرأس واللحية ، شَثْن الكفّيْن [١] والقدميْن ، ضَخْم الكراديس [٢] ، مُشْرَباً وجهه الُحمْرَةَ ، طويل المَسْرُبَة [٣] إذا مشى تكَّفأ تَكَفُّؤا [٤] كأنما ينحطُّ من صَبَب [٥] ، لم أر قبله ولا بعده مثلَه ؛ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا أبو أحمد الزبيرىّ ، قال : حدّثنا مجمَّع بن يحيى ، قال : حدّثنا عبد الله بن عمران ، عن رجل من الأنصار — لم يسمّه — أنه سأل علىّ بن أبى طالب وهو فى مسجد الكوفة مُحْتَبٍ بحِمالة سيفه ، فقال : انعَتْ لى نعتَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له علىّ : كان رسولُ الله أبيضَ اللون مُشْرَبًا حُمْرَةً ، أدعج سَبْط الشعر ، دقيق المَسْرُبة ، سَهْل الخدَّيْن ، كَثَّ اللحية ، ذَا وفْرَة [٦] ؛ كأن عنقه إبريقُ فِضَّة ؛ كان له شعر من لَبَّته إلى سُرّته يجرى كالقضيب ؛ لم يكن فى إبطه ولا صدره شعر غيره ، شَثْن الكفّ والقدَم ؛ إذا مشى كأنما ينحدِر من صَبَب ؛ وإذا مشى كأنما ينقلع من صَخْر ، وإذا التفت التفت جميعًا ؛ ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا العاجز ولا اللئيم ؛ كأنّ العرَق فى وجهه

---

(١) شثن الكفين : يميلان إلى الغلظ . (٢) الكراديس : ملتقى كل عظمين .

(٣) المسربة : الشعر ما بين وسط الصدر إلى البطن .

(٤) تكفأ : يميل إلى الأمام فى مشيه .

(٥) الصبب ، محركة : طريق يكون فى حدور .

(٦) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ، أو ما سال على الأذنين منه .

اللؤلؤ ؛ ولَريحُ عرَقه أطيب من المسك ؛ لم أر قبله ولابعده مثله صلى الله عليه وسلم .

حدّثنا ابنُ المقدمىّ ، قال : حدّثنا يحيى بن محمد بن قيس الذى يقال له أبو زُكيْر . قال : سمعتُ ربيعة بن أبى عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين ؛ فأقام بمكة عشرًا وبالمدينة عشراً ، وتوفّىَ على رأسِ ستين ؛ ليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ؛ ولم يكن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بالطويل البائن ، ولا القصير ؛ ولم يكن بالأبيض الأمْهَق[1] ؛ ولا الآدم ، ولم يكن بالجَعْد القَطَط ولا السَّبط[2] . ١٧٩٠/١

حدثنى ابن المثنّى قال : حدّثنا يزيد بن هارون ، عن الجُرَيرىّ ، قال : كنت مع أبى الطُّفيل نطوف بالبيت ؛ فقال : ما بقىَ أحدٌ رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غيرى ؛ قال : وقلت : أرأيتَه ؟ قال : نعم ، قلت : كيف كان صفتُه ؟ قال : كان أبيضَ مليحًا مقَصَّداً[3] .

* * *

ذكر خاتم النبوة التى كانت به صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدّثنا الضّحاك بن مَخلد ، قال : حدّثنا عَزْرَة بن ثابت ، قال : حدّثنا عِلباء ، قال : حدّثنا أبو زيد ، قال : قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا زيد ، ادْنُ منى امسَحْ ظهرى — وكشف عن ظهره — قال : فمسَسْتُ ظهره ، ثم وضعتُ أصبعى على الخاتم[4] فغَمَزْتُها ، قال : قلت : وما الخاتم ؟ قال : شعرٌ مجمعٌ كان على كتفيْه . ١٧٩١/١

حدّثنا ابن المثنى ، قال : حدّثنا بشر بن الوضّاح أبو الهيثم ، قال : حدّثنا أبو عقيل الدَّوْرَقىّ عن أبى نَضْرة ، قال : سألت أبا سعيد الخدرىّ عن الخاتم التى كانت للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال كانت بَضعةً ناشزة .

* * *

(١) الأمهق : الشديد البياض. (٢) السبط : المسترسل ، والجعد : القصير ، والقطط : شعر الزنج . (٣) المقصد : الذى ليس بالجسيم ولا الضئيل .
(٤) أنث كلمة « الخاتم » ، لأنه ضمنها معنى الشامة أو العلامة .

ذكر شجاعته وجوده صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا حمَّاد بن واقد، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلّم من أحسنِ الناس ، وأسمح الناس ، وأشجع الناس ؛ لقد كان فزعٌ بالمدينة ، فانطلق أهلُ المدينة نحو الصوت ، فإذا هم قد تلقَّوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على فرس عُرْى[1] لأبى طلحة ، ما عليه سَرْج ، وعليه السّيْف. قال : وقد كان سبقهم إلى الصَّوْت ، قال : فجعل يقول : يأيها الناس ، لم تُراعوا ، لم تُراعوا ! مرّتين ، ثم قال : يا أبا طلحة ، وجدناه بحراً ؛ وقد كان الفرس يبطأ ، فما سبقه فرسٌ بعد ذلك.

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا عبدُ الرحمن بن مهدىّ ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس ، وأجودَ الناس ؛ كان فزعٌ بالمدينة فخرج الناس قبَل الصوت ، فاستبرأ الفزعَ على فرس لأبى طلحة عُرْى، ما عليه سَرْج، فى عنقه السيف . قال : وجدناه بحْرًا — أو قال : وإنه لبَحْرٌ .

* * *

ذكر صفة شعره صلى الله عليه وسلم وهل كان يخضب أم لا

١٧٩٢/١

حدّثنى ابنُ المثنى ، قال : حدّثنا مُعاذ بن معاذ ، قال : حدّثنا حَرِيز بن عثمان ، قال أبو موسى : قال مُعاذ : وما رأيتُ من رجل قطّ من أهل الشأم أفضِّلُه عليه ، قال : دخلنا على عبد الله بن بُسْر ، فقلت له من بين أصحابى : أرأيتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟ أشَيْخا كان؟ قال : فوضع يده على عَنْفَقته ، وقال : كان فى عَنْفقته شعر أبيض .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا أبو داود ، قال : حدثنا زُهير ، عن أبى إسحاق ، عن أبى جُحَيفة ، قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنفقتُه بيضاء. ، قيل: مثلُ مَنْ أنت يومئذ يا أبا جُحيفة ؟ قال : أبرِى النَّبل وأريشها .

حدّثني ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا خالد بن الحارث ، قال : حدّثنا حُمَيد ، قال : سئِل أنس : أختَضَب رسول الله ؟ قال : فقال أنس : لم يشتدّ برسول الله الشَّيْب ، ولكن خضب أبو بكر بالحنّاء والكتَم [١] ، وخضب عمر بالحنّاء .

حدّثنا ابن المثنى ، قال : حدّثنا ابن أبي عدىّ ، عن حُميد ، قال : سئِل أنسٌ : هل خَضَب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لم يُرَ من الشَّيب إلاّ نحوٌ من تسع عشرة أو عشرين شعرة بيضاء في مقدَّم لحيته . قال : إنه لم يُشَنْ بالشَّيْب ، فقيل لأنس : وشَيْنٌ هو ! قال : كلُّكم يكرهه ؛ ولكن خضب أبو بكر بالحنّاء والكتَم ، وخضَب عمر بالحناء .

حدّثنا ابنُ المثنى ، قال : حدّثنا مُعاذ بن معاذ ، قال : حدّثنا حُميد ، عن أنس ، قال : لم يكن الشيبُ الذى بالنبيّ صلى الله عليه وسلم عشرين شعـــرة . ١٧٩٣/١

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال: حدّثنا عبدُ الرحمن ، قال : حدّثنا حمّاد ابن سلَمة ، عن سِماك ، عن جابر بن سَمُرة ، قال : ما كان فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشيْب إلاّ شعرات فى مفرِق رأسه ؛ وكان إذا دهنه غطّاهنّ .

حدّثنا ابنُ المثنى ، قال : حدّثنا عبدُالرحمن بن مهدىّ ، قال : حدّثنا سلاّم بن أبى مَطيع ، عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهَب، قال : دخلتْ زوجُ النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخرجتْ إلينا شعرًا من شعر رسول الله مخضوبًا بالحنّاء والكتَم .

حدّثنا ابنُ جابر بن الكردىّ الواسطىّ ، قال : حدّثنا أبو سفيان ، قال : حدّثنا الضّحاك بن حُمْرَة ، عن غَيْلان بن جامع ، عن إياد بن لَقيط ، عن أبى رِمْثَة ، قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخضِب بالحنّاء والكتَم ؛ وكان يبلغ شعره كتِفيْه أو منكبيْه ــ الشكّ من أبى سفيان .

---

(١) الكتم محركة : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه .

حدّثنا ابنُ المثنى ، قال : حدّثنا عبدُ الرحمن بن مهدىّ ، عن إبراهيم – يعنى ابن نافع – عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، عن أمّ هانئ ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وله ضفائر أربع .

* * *

ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله الذى توفى فيه وما كان منه قبيل ذلك لما نعيت إليه نفسه صلى الله عليه وسلم

قال أبو جعفر : يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ (١). قد مضى ذكرُنا قبلُ ما كان من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه – فى حجّته التى حجّها المسمّاة حجّة الوداع ، وحجّة التمام ، وحجة البلاغ – مناسكَهم ووصيّته إياهم ، بما قد ذكرت قبل فى خطبته التى خطَبها بهم فيها . ١٧٩٤/١

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من سَفَره ذلك بعد فراغه من حجّه إلى منزله بالمدينة فى بقيّة ذى الحجّة ، فأقام بها ما بقِىَ من ذى الحجّة والمحرّم والصّفَر .

---

(١) سورة النصر ١ – ٣

ثم دخلت سنة إحدى عشرة

ذكر الأحداث التى كانت فيها

قال أبو جعفر : ثم ضرب فى المحرّم من سنة إحدى عشرة على النّاس بَعْثًا إلى الشأم ، وأمّر عليهم مولاه وابن مولاه أسامة بن زيد بن حارثة ، وأمره - فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عيّاش بن أبى ربيعة - أن يوطئ الخيل تُخوم البلقاء والدّاروم من أرض فلسطين ، فتجهّز الناس ، وأوعب[1] مع أسامة المهاجرون الأولون[2] .

فبينا الناس على ذلك ابتدئ صلى الله عليه وسلم شكْواه الّتى قبضه الله عزّ وجلّ فيها إلى ما أراد به من رحمته وكرامته فى ليالٍ بقينَ من صفَر ، أو فى أول شهر ربيع الأول .

حدّثنا عبيدُ الله بن سعد[3] الزُّهرىّ ، قال : حدّثنى عمّى يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرنا سيف بن عمر ، قال : حدّثنا عبد الله بن سعيد بن ثابت ابن الجزع الأنصارىّ ، عن عبيد بن حنين مولَى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، عن أبى مُوَيْهبة مولَى رسول الله ، قال : رجعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد ما قضى حجة التّمام ، فتحلّل به السيرُ ، وضرب على الناس بعثًا ، وأمّر عليهم أسامة بن زيد ، وأمَره أن يوطِئ من آبل الزيت من مشارف الشأم الأرض بالأردنّ . فقال المنافقون فى ذلك ، وردّ عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم : «إنه لخليق لها - أى حقيق بالإمارة - وإن قلتم فيه لقد قلتم فى أبيه من قبل ؛ وإن كان لخليقًا لها» . فطارت الأخبار بتحلّل السير بالنبىّ صلى الله عليه وسلم أنّ النبىّ قد اشتكى ، فوثب الأسود باليمن ومسيلمة باليمامة ؛

١٧٩٥/١

(١) أوعب المهاجرون : جمعوا ما استطاعوا من العدة .

(٢) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ .

(٣) ط : «سعيد» ، وأثبت ما فى التصويبات .

وجاء الخبر عنهما للنبيّ صلى الله عليه وسلم . ثم وثب طليحة فى بلاد أسَد بعد ما أفاق النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم اشتكى فى المحرّم وجعَه الذى قبضه الله تعالى فيه .

حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنى عمّى يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرنا سيف ، قال : حدّثنا هِشام بن عروة ، عن أبيه ؛ قال : اشتكى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وجعَه الذى توفّاه الله به فى عقِب المحرّم .

وقال الواقدىّ : بُدِئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه لليلتين بقيتا من صفر .

* * *

حدّثنا عبيد الله بن سعد ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : حدّثنا سيف ابن عمر ، قال : حدّثنا المُستَنير بن يزيد النَّخَعىّ ، عن عروة بن غَزِيّة الدَّثِينىّ ، عن الضحاك بن فيْرُوز بن الديلمىّ ، عن أبيه ، قال : إنّ أوّل رِدّة كانت فى الإسلام باليمن كانت على عهد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على يدى ذى الخِمار عَبْهلة بن كعب — وهو الأسود — فى عامّة مذحِج. خرج بعد الوداع ؛ كان الأسود كاهنًا شعْباذا[1] ، وكان يريهم الأعاجيب، ١٧٩٦/١ ويسبِى قلوب مَنْ سمع منطقه ، وكان أوّل ما خرج أن خرجَ من كهف خُبّان ؛ وهى كانت داره ، وبها ولد ونشأ ؛ فكاتبته مذحِج ، وواعدته نَجْران ؛ فوثبوا بها وأخرجوا عَمْرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص وأنزلوه منزلهما ، ووثب قيس بن عبد يغوث على فَرْوة بن مُسَيك وهو على مُراد ، فأجلاه ونزل منزله ؛ فلم ينْشَب عَبْهلة بنجْران أن سارَ إلى صنعاء فأخذها ، وكتِب بذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من فعله ونزوله صنعاء ؛ وكان أوّل خبر وقع به عنه من قِبَل فَرْوة بن مُسَيك ، ولحق بفروة من تمّ على الإسلام من مذْحِج ، فكانوا بالأحْسِيَة ، ولم يكاتبه الأسود ولم يرسل إليه ، لأنه لم يكن معه أحد يشاغبه ، وصفا له مُلْك اليمن .

(١) شعباذا : مشعبذا ، والشعبذة والشعوذة : أخذ كالسحر يرى الشىء بغير ما عليه أصله فى رأى العين .

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : أخبرني عمّي يعقوب ، قال : حدّثني سيف ، قال : حدّثنا طلحة بن الأعلم ، عن عكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم قد ضرب بَعْثَ أسامة فلم يستتبّ لوجع رسول الله وخلع مسيلمة والأسود ؛ وقد أكثر المنافقون فى تأمير أسامة ، حتى بلَغه ؛ فخرج النبيّ صلى الله عليه وسلم علَى الناس عاصبًا رأسه من الصُّداع لذلك الشأن وانتشارِه ، لرؤيا رآها فى بيتِ عائشة : فقال : إنّى رأيتُ البارحةَ — فيما يرى النائم — أن فى عضدىّ سوارين من ذهب ؛ فكرهتُهما فنفختهما ، فطارا ، فأوّلتهما هذين الكذّابين — صاحب اليمامة وصاحب اليمن — وقد بلغنى أنّ أقوامًا يقولون فى إمارة أسامة ! ولعمرى لئنْ قالوا فى إمارته ، لقد قالوا فى إمارة أبيه من قبله ! وإن كان أبوه لخليقًا للإمارة ، وإنه لخليق لها ؛ فأنفذوا بعثَ أسامة . وقال : لعن الله الذين يتّخذون قبور أنبيائهم مساجدَ !

١٧٩٧/١

فخرج أسامة فضربَ بالجُرْف ؛ وأنشأ الناس فى العسكر ، ونجمَ طليحة وتمهّل الناس ، وثقُل[١] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلم يستتمّ الأمر ؛ ينظرون أوّلهم آخرَهم ، حتى توفّى الله عزّ وجلّ نبيّه صلى الله عليه وسلم .

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، يقول : حدّثنا شُعيب بن إبراهيم التّميمىّ ، عن سيف بن عمر ، قال : حدّثنا سعيد بن عبيد أبو يعقوب ، عن أبي ماجد الأسدىّ ، عن الحضرمىّ بن عامر الأسدىّ ، قال : سألته عن أمر طُلَيحة ابن خُوَيلد ؛ فقال : وقع بنا الخبر بوجعِ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم بلَغَنا أن مسيلمة قد غلَبَ على اليمامة ، وأنّ الأسود قد غلَبَ على اليمن ؛ فلم يلبث إلا قليلاً حتى ادّعى طُليحة النبوّة ، وعسكر بسَميراء ، واتّبعه العوامّ ؛ واستكثف أمره ؛ وبعث حِبال ابنَ أخيه إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الموادعة ، ويخبره خبرَه . وقال حبال : إنّ الذى يأتيه ذو النون ؛ فقال : لقد سمّى ملَكًا ، فقال حِبال : أنا ابن خُوَيلد ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : قتلك الله وحرمك الشهادة !

---

(١) ثقل : اشتد عليه المرض .

وحدّثنى عبيدُ الله بن سعد ، قال : أخبرَنا عمّى يعقوب ، قال : أخبرنا سَيْف ، قال : وحدّثنا سعيد بن عبيد ، عن حُرَيْث بن المعلّى : أنّ أوّل مَنْ كتب إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم بخبر طُلَيحة سِنانُ بن أبى سنان، وكان على بنى مالك ؛ وكان قُضاعىّ بن عمرو على بنى الحارث . ١٧٩٨/١

حدّثنا عبيدُ الله بن سعد ، قال : أخبرَنا عمّى ، قال : أخبرنا سيف ، قال : أخبرَنا هِشام بن عُروة ، عن أبيه، قال : حاربهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالرسل ، قال : فأرسل إلى نفرٍ من الأبناء رسولاً ، وكتب إليهم أن يحاولوه ، وأمرهم أن يستنجدوا رجالاً ـ قد سمّاهم ـ من بنى تميم وقيس ؛ وأرسل إلى أولئك النَّفَر أن ينجدوهم، ففعلوا ذلك ؛ وانقطعت سُبُل المرتدّة ، وطعنوا فى نقصان وأغلقهم، واشتغلوا فى أنفسهم ، فأصيب الأسود فى حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلم وقبل وفاته بيوم أو بليلة ، ولظّ طليحة ومسيلمة وأشباههم بالرّسل ؛ ولم يشغله ما كان فيه من الوجَع عن أمرِ الله عزّ وجلّ والذبّ عن دينه، فبعث وبَر بن يُحنَّس إلى فيروز وجُشَيْش الديلمىّ وداذويه الإصطخرىّ؛ وبعث جرير بن عبد الله إلى ذى الكَلاَع وذى ظُلَيم ، وبعث الأقرع بن عبد الله الحميرىّ إلى ذى زُود وذى مُرّان ، وبعث فرات بن حيّان العجلىّ إلى ثُمامة بن أثال ، وبعث زياد بن حنظلة التميمىّ ثم العمرى إلى قيس بن عاصم والزِّبْرِقان بن بدر ، وبعث صلصل بن شُرَحبيل إلى سَبْرة العنبرىّ ووكيع الدارمىّ وإلى عمرو بن المحجوب العامرىّ، وإلى عمرو بن الخَفَاجىّ من بنى عامر ، وبعث ضرار بن الأزْور الأسدىّ إلى عَوْف الزرقانىّ من بنى الصَّيْداء وسنان الأسدىّ ثم الغنمىّ، وقضاعىّ الدُّئلِىّ، وبعث نعيم بن مسعود الأشْجَعى إلى ابن ذى اللحية وابن مشيمصة الجبيرىّ . ١٧٩٩/١

وحُدّثت عن هشام بن محمد ، عن أبى مخْنف ، قال : حدّثنا الصقْعَب ابن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وَجع وجعه الذى قبض فيه فى آخر صفر فى أيام بقِين منه ؛ وهو فى بيت زينب بنت جحش .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمَة وعليّ بن مجاهد ، عن محمد ابن إسحاق ، عن عبد الله بن عمر بن عليّ ، عن عبيد بن جُبَير، مولى الحكم ابن أبي العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي مُوَيهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال لي : يا أبا مويهبة ، إني قد أمِرْتُ أن أستغفرَ لأهل البقيع ؛ فانطلق معي ، فانطلقت معه ، فلمّا وقف بين أظهرهم ، قال : السّلام عليكم أهلَ المقابر ؛ ليَهْنِ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ! أقبلت الفِتَن كقِطَع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شرٌّ من الأولى . ثم أقبل عليّ فقال : يا أبا مويهبة ، إني قد أوتيت مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلْد فيها ، ثم الجنة ، خيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربّي والجنة ، فاخترت لقاء ربّي والجنّة . قال : قلت : بأبي أنت وأمّي ! فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلْد فيها ، ثم الجنّة . فقال : لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربّي والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف فبدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجعه الذى قُبِض فيه(١) .

١٨٠٠/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد ابن إسحاق .

*

وحدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا عليّ بن مجاهد ، قال : حدّثنا ابنُ إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزّهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، عن عائشة زوج النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدني وأنا أجدُ صُداعًا في رأسي ، وأنا أقول : وارأساه ! قال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه ! ثمّ قال : ما ضرّكِ لو متِّ قبلي فقمتُ عليكِ وكفّنْتك ، وصلّيت عليك ، ودفنتك ! فقلت : والله لكأنّي بك لو فعلت ذلك رجعتَ إلى بيتي فأعْرستَ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

ببعض نسائك ، قالت : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . وتمادّ به وجعه ؛ وهو يدور على نسائه حتى استُعِزّ به[١] وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يُمرّض فى بيتى ، فأذِنّ له[٢] . ١/١٨٠١

فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين رجُلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر تخطّ قدماه الأرض ، عاصبًا رأسه حتى دخل بيتى .

— قال عبيد الله : فحدّثت هذا الحديث عنها عبدَ الله بن عباس ، فقال : هل تدرِى من الرجل ؟ قلت : لا ، قال : علىّ بن أبى طالب ، ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهى تستطيع —

ثم غُمِر[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتدّ به الوجع ؛ فقال : أهريقوا علىّ من سبع قِرَب من آبار شتّى ؛ حتى أخرج إلى الناس فأعهدَ إليهم ، قالت : فأقعَدْناه فى مِخضَب[٤] لحفصة بنت عمر ، ثم صببْنا عليه الماء حتى طَفِق يقول : حَسْبُكم ، حسبكم ![٥] .

فحدّثنى حُميد بن الرّبيع الخراز ، قال : حدّثنا معن بن عيسى ، قال : حدّثنا الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن إياس الليثىّ ، ثم الأشجعىّ ، عن القاسم بن يزيد ، عن عبد الله بن قُسَيْط ، عن أبيه ، عن عطاء ، عن ابن عبّاس ، عن أخيه الفضْل بن عبّاس ، قال : جاءنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إليه فوجدته موعوكًا قد عصَب رأسه ، فقال : خذ بيدِى يا فَضْل ، فأخذتُ بيده ؛ حتى جلَس على المنبر ، ثم قال : نادِ فى الناس . فاجتمعوا إليه ، فقال : أمّا بعدُ أيّها الناس ، فإنى أحمَد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ؛ وإنه قد دنا منّى حقوق من بين أظهركم ، فمن كنتُ جلدتُ له ظهرًا فهذا ظهرى فليستقِدْ منه ، ومنْ كنتُ شتمتُ له عِرْضًا فهذا عِرْضى فليستقِدْ منه ؛ ألاَ وإنّ الشحناء ليست من طبعى ولا من شأنى ، ؛ ألا وإنّ ١/١٨٠٢

(١) استعزبه : اشتد به وجعه وغلبه على نفسه . (٢) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٦ .
(٣) غمر : أصابته غمرة المرض ؛ وهى شدته . (٤) المخضب : إناء يغتسل فيه .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٨ .

أحبَّكم إلىَّ مَنْ أخذ منِّى حقًّا إن كان له ، أو حلَّلنى فلقيت الله وأنا أطيبُ النفس ؛ وقد أرى أن هذا غير مُغْن عنِّى حتى أقوم فيكم مراراً .

قال الفضل : ثمَّ نزل فصلَّى الظهر ، ثم رجع فجلس على المِنْبر ، فعاد لمقالته الأولى فى الشحناء وغيرها ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ؛ إنَّ لى عندك ثلاثة دراهم ، قال : أعطِه يا فضل ، فأمرته فجلس . ثم قال : أيـُّها الناس ، مَنْ كان عنده شىء فليؤدِّه ولا يقل فُضوح الدنيا ، ألاَ وإن فضوحَ الدنيا أيسرُ من فضوح الآخرة . فقام رجل فقال : يا رسولَ الله عندى ثلاثة دراهم غللتُها فى سبيل الله ، قال : ولِمَ غللتَها ؟ قال : كنت إليها محتاجًا ، قال : خُذْها منه يا فضل . ثم قال : يأيها النَّاس ، مَنْ خَشِىَ من نفسه شيئًا فليقم أدعُ له . فقام رجل فقال : يا رسولَ الله ، إنّى لكذّاب ، إنّى لفاحش ، وإنى لنؤوم ؛ فقال : اللهمّ ارزقه صدقًا وإيمانًا ، وأذهِبْ عنه النوم إذا أراد . ثم قام رجل فقال : والله يا رسولَ الله ، إنى لكذّاب وإنى لمنافِق ، وما شىء — أو إن شىء — إلاّ قد جنيتُه . فقام عمر بن الخطاب ، فقال : فضحتَ نفسك أيها الرجل ! فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : يابنَ الخطاب ، فضوح الدنيا أهونُ من فضوح الآخرة ، اللهمّ ارزقه صدقًا وإيمانًا وصيِّرْ أمرَه إلى خير . ١٨٠٣/١

فقال عمر كلمة ، فضحِك رسول الله ، ثمّ قال : عمر معِى وأنا مع عمر ، والحقّ بعدى مع عمر حيث كان .

حدّثنا ابن حُميد قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزّهرىّ ، عن أيوب بن بشير ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خرجَ عاصبًا رأسه ؛ حتى جلس على المنبر ؛ ثم كان أوّل ما تكلّم به أنْ صلّى على أصحاب أحُد ، واستغفر لهم ؛ وأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إنّ عبداً من عباد الله خيّره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر ، وعلم[1] أنّ نفسه يُريد ؛ فبكى ، وقال : بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على

---

(١) ابن هشام : « وعرف » .

رِسْلك يا أبا بكر ! انظروا هذه الأبواب الشوارع اللافظة[١] فى المسجد فسُدّوها ؛ إلاّ ما كان من بيت أبى بكر[٢] ؛ فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل عندى فى الصحبة يداً منه[٣] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبى سعيد بن المُعَلّى ، أنّ رسولَ الله قال يومئذ فى كلامه هذا : فإنّى لو كنت متّخِذاً من العباد خليلاً لاتّخذت أبا بكر خليلاً ؛ ولكن صحبة وإخاءُ إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده[٤] . ١/١٨٠٤

وحدّثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدّثنى عمّى عبد الله ابن وهب ، قال : حدّثنا مالك ، عن أبى النَّضْر ، عن عُبيد بن حنين ، عن أبى سعيد الخُدرِىّ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جلس يوماً على المنبر ، فقال : إنّ عبداً خيّره الله بين أن يؤتيه من زَهْرة الدنيا ما شاء ، وبين ما عند الله ؛ فاختار ما عند الله ؛ فبكى أبو بكر ثم قال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله ! قال : فتعجّبنا له ، وقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسولَ الله عن عبد يخيّر ، ويقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ! قال : فكان رسول الله هو المخيَّر ، وكان أبو بكر أعلمنا به ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنّ أمَنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر ؛ ولو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتّخذت أبا بكر خليلاً ؛ ولكن أخوّة الإسلام ؛ لا تبق خَوْخة فى المسجد إلاّ خَوْخة أبى بكر .

حدّثنى محمد بن عمر بن الصبّاح الهمْدانىّ ، قال : حدّثنا يحيى بن عبد الرحمن ، قال : حدّثنا مسلم بن جعفر البَجَلىّ ، قال : سمعتُ عبد الملك ابن الأصبهانىّ عن خلاّد الأسدىّ ، قال : قال عبد الله بن مسعود : نعى إلينا نبيُّنا وحبيبُنا نفسَه قبل موته بشهر ؛ فلمّا دنا الفراق جمَعنا فى بيت أمنا عائشة ، فنظر إلينا وشدّد ، فدمعتْ عينُه ، وقال : مرحباً بكم ! رحمكم الله ! ١/١٨٠٥

---

(١) اللافظة فى المسجد : النافذة إليه .
(٢) سيرة ابن هشام : « إلا بيت أبى بكر » . قال ابن هشام : ويروى : « إلا باب أبى بكر » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٩ . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٩ .

آواكم الله ! حفظكم الله ! رفعكم الله ! نفعكم الله ! وفّقكم الله ! نصركم الله ! سلّمكم الله ! رحمكم الله ! قبلكم الله ! أوصيكم بتقوى الله ، وأوصِى الله بكم ، وأستخلِفه عليكم ، وأؤديكم إليه ؛ إنى لكم نذير وبشير ، لا تعلُوا علىَ الله فى عباده وبلاده ؛ فإنه قال لى ولكم : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَيُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الْأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1]. وقال: ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[2] . فقلنا : متى أجلك ؟ قال : قد دنا الفراق ، والمنقلبُ إلى الله، وإلى سِدْرَة المنتهَى . قلنا : فمن يغسلك يا نبىّ الله ؟ قال : أهلِى الأدْنى فالأدنى ، قلنا: ففيم نكفنُك يا نبىّ الله ؟ قال : فى ثيابى هذه إن شئتم ؛ أو فى بياض مصر ، أو حلّة يمانيّة ، قلنا : فمن يصلّى عليك يا نبىّ الله ؟ قال: مهلاً غفر الله لكم ، وجزاكم عن نبيّكم خيراً ! فبكينا وبكَى النبىّ صلى الله عليه وسلم، وقال : إذا غسّلتمونى وكفّنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا ، على شفِير قبرى، ثم اخرجوا عنّى ساعة ، فإنّ أوّل منْ يصلّى علىّ جليسى وخليلى جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم ملَك الموت مع جنودٍ كثيرة من الملائكة بأجمعها ، ثم ادخلوا علىّ فَوْجًا فَوْجًا ، فصلوا علىّ وسلِّموا تسليماً ، ولا تؤذونى بتزكية ولا برنّة ولا صيْحة ، وليبدأ بالصّلاة علىّ رجالُ أهل بيتى ، ثم نساؤهم ، ثم أنتم بعد . أقرئوا أنفسكم منّى السلام ؛ فإنّى أشهدكم أنّى قد سلّمت علَى مَنْ بايعنى على دينى من اليوم إلى يوم القيامة . قلنا : فمن يُدْخلك فى قبرك يا نبىّ الله ؟ قال : أهلى مع ملائكة كثيرين يرونْكم من حيث لا ترونهم . ١٨٠٦/١

حدّثنا أحمد بن حمّاد الدُّولابىّ ، قال : حدّثنا سُفيانُ ، عن سليمان ابن أبى مسلم ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ! قال : اشتدّ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم وجعُه ، فقال : ائتونى أكتب كتاباً لا تضلّوا بعدى أبداً . فتنازعوا — ولا ينبغى عند نبىّ أن يُتنازع —

---

(١) سورة القصص ٨٣ . (٢) سورة الزمر ٦٠ .

فقالوا: ما شأنه؟ أهَجَرَ[1]! استفهموه؛ فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعونى فما أنا فيه خيرٌ مما تدعونى إليه؛ وأوصى بثلاث؛ قال: أخرِجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفدَ بنحوٍ مما كنت أجيزهم؛ وسكت عن الثالثة عمداً — أو قال: فنسيتها[2].

حدّثنا أبو كُريب، قال: حدّثنا يحيى بن آدم، قال: حدّثنا ابنُ عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس! ثم ذكر نحو حديث أحمد بن حماد، غير أنه قال: ولا ينبغى عند نبىّ أن ينازَع.

حدّثنا أبو كُريب وصالح بن سِمَال، قال: حدّثنا وكيع، عن مالك ابن مِغْوَل، عن طلحة بن مصرِّف، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! قال: ثم نظرتُ إلى دموعه تسيل على خدّيْه كأنها نظام اللؤلؤ. قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ائتونى باللّوح والدّواة — أو بالكَتِف والدّواة — أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده. قال: فقالوا: إن رسول الله يَهْجُر. ١٨٠٧/١

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدّثنى عمى عبد الله ابن وهب، قال: أخبرَنى يونس، عن الزُّهرىّ، قال: أخبرَنى عبد الله ابن كعب بن مالك؛ أنّ ابنَ عباس أخبره أنّ علىّ بن أبى طالب خرَج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجعه الذى تُوفِّىَ فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبَح رسولُ الله؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده عبّاس بن عبد المطلب، فقال: ألا تَرَى أنك بعد ثلاث عَبْدُ العصا! وإنى أرَى رسول الله سيُتَوفَّى فى وجعه هذا؛ وإنّى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت؛ فاذهب إلى رسول الله فسلْه فيمَنْ يكون هذا الأمر؟ فإن كان فينا علِمْنَا ذلك، وإن كان فى غيرنا أمر به فأوصَى بنا. قال علىٌّ: والله لئن

---

(١) أهجر، أى اختلف كلامه بسبب المرض، وانظر نهاية ابن الأثير.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٢٥٧، وروايته: «فأنسيتها».

سألناها رسولَ الله فمنَعَناها لا يعطيناها النّاس أبداً ؛ والله لا أسألها رسولَ الله أبداً .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمدُ بن إسحاق ، عن الزُّهريّ ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : خرج يومئذ علىّ بن أبي طالب علَى الناس من عند رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه ؛ غير أنه قال فى حديثه : أحلِف بالله لقد عرفت الموتَ فى وجه رسول الله كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ؛ فانطلقْ بنا إلى رسول الله ؛ فإنْ كان هذا الأمر فينا علمنا ، وإن كان فى غيرنا أمَرْنا[1] فأوصى بنا الناس ؛ وزاد فيه أيضًا : فتوفّى رسولُ الله حين اشتدّ الضُّحَى من ذلك اليوم[2] .

١/١٨٠٨

حدّثنا سعيد بن يحيى الأمويّ ، قال : حدّثنا أبى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أفرغوا علىّ من سبع قِرَب من سبع آبار شتّى ، لعلّى أخرج إلى الناس فأعهَدَ إليهم .

قال محمد ، عن محمد بن جعفر ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : فصببنا عليه من سبع قرَب ، فوجد راحةً ، فخرج فصلّى بالناس ، وخطَبهم ، واستغفر للشهداء من أصحاب أحُد ، ثم أوصى بالأنصار خيراً ، فقال : أمّا بعد يا معشر المهاجرين ، إنكم قد أصبحتم تزيدون ، وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التى هى عليها اليوم ، والأنصار عيْبَتى[3] التى أويت إليها ، فأكرِموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مُسيئهم . ثم قال : إنّ عبداً من عباد الله قد خُيِّر بين ما عند الله وبين الدنيا فاختار ما عند الله ؛ فلم يفقهها إلاّ أبو بكر ؛ ظنّ أنه يريد نفسَه ، فبكى ، فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : على رِسْلِك يا أبا بكر ! سدُّوا هذه الأبوابَ الشوارع فى المسجد إلا باب أبى بكر ؛ فإنى لا أعلم امرأً أفضلَ يداً فى الصحابة من أبى بكر .

---

(١) ابن هشام : «أمرناه» . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ .
(٣) عيبتى : موضع ثقتى وسرّى . والعيبة فى الأصل : ما يجعل فيه الثياب .

حدّثنا عمرو بن علىّ ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد القطّان ، قال : حدّثنا سُفيان ، قال : حدّثنا موسى بن أبى عائشة ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عُتْبة ، عن عائشة ، قالت : لَدَدْنا[1] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه ، فقال : لا تلُدّونى! فقلنا : كراهيَةُ المريض الدواء . فلمّا أفاق قال : لا يبقى منكم أحدٌ إلا لُدّ ؛ غير العبّاس فإنه لم يشهدْكم . ١٨٠٩/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق فى حديثه الذى ذكرناه عنه ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : ثم نزلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتتامّ به وجعُه حتى غُمِر ، واجتمع عنده نساء من نسائِه : أمّ سلَمة، وميمونة ، ونساء من نساء المؤمنين ؛ منهنّ أسماء بنت عُميس ،وعنده عمُّه العباس بن عبد المطلب ، وأجمعوا على أن يلُدّوه ، فقال العباس : لألُدّنه ، قال : فلُدّ ، فلما أفاقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : مَنْ صنع بى هذا ؟ قالوا : يا رسول الله ، عمّك العباس ، قال : هذا دواء أتى به نساء من نحو هذه الأرض — وأشار نحو أرض الحبشة — قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال العباس : خشينا يا رسولَ الله أن يكون بك وجع ذات الجَنْب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان الله ليعذّبَنى به ، لا يبقى فى البيت أحدٌ إلا لُدّ إلاّ عمّى . قال : فلقد لدّت ميمونة وإنها لصائمة لقسم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ عقوبةً لهم بما صنعوا .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، أنّ عائشة حدّثته أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم حين قالوا : خشينا أن يكونَ بك ذات الجَنْب ، قال : إنّها من الشيطان ؛ ولم يكن الله ليسلّطها على . ١٨١٠/١

حُدّثتُ عن هشام بن محمد ، عن أبى مِخنف ، قال : حدّثنى الصّقْعب ابن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثَقُل فى وجعه الذى تُوُفّىَ فيه حتى أغمِىَ عليه ؛ فاجتمع إليه نساؤه وابنته وأهلُ

---

(١) اللد : أن يجعل الدواء فى شق الفم .

بيته والعبّاس بن عبد المطلب وعلىّ بن أبى طالب وجميعهم ؛ وإنّ أسماءَ بنت عُميس قالت : ما وجعه هذا إلاّ ذات الجنْب ، فلُدّوه ، فلددناه ، فلما أفاق، قال : مَنْ فعل بى هذا ؟ قالوا : لَدّتْك أسماء بنت عُميس ؛ ظنّتْ أنّ بك ذات الجنْب . قال : أعوذ بالله أن يُبليَنى بذات الجنْب ؛ أنا أكرم على الله من ذلك .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن عُبَيد بن السبّاق، عن محمد بن أسامة بن زيد ، عن أبيه أسامة ابن زيد ، قال : لما ثقُل رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم هبطتُ وهبط الناس معى إلى المدينة ، فدخلنا علىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصْمِت فلا يتكلّم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها علىّ ، فعرفتُ أنه يدعُو لى[١] .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعه ، وهو يقول : إنّ الله عزّ وجلّ لم يقبض نبيًّا حتى يخيّره[٢] .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا يونس بن بكير ، قال : حدّثنا يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن الأرقم بن شُرَحبيل ، قال : سألتُ ابنَ عباس : أوصَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا ، قلت : فكيف كان ذلك ؟ قال : قال رسول الله : ابعثوا إلى علىّ فادعوه ، فقالت عائشة : لو بعثتَ إلى أبى بكر ! وقالت حفصة : لو بعثتَ إلى عمر ! فاجتمعوا عنده جميعًا ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : انصرفوا ، فإن تك لى حاجة أبعثُ إليكم ؛ فانصرفوا، وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : آن الصلاة ؟ قيل : نعم ، قال : فأمروا أبا بكر ليُصلّىَ بالناس ، فقالت عائشة : إنه رجلٌ رقيق ، فمُرْ عمر ، فقال : مُرُوا عمر ، فقال عمر : ما كنت لأتقدّم وأبو بكر

١٨١١/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ : وبقية الخبر هناك : « قالت : فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، قالت : فقلت : إذاً والله لا يختارنا ! وعرفت أنه الذى كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يخير » .

شاهد ، فتقدّم أبو بكر ، ووجد رسولُ الله خِفّةً ، فخرج ، فلمّا سمع أبو بكر حركَتَه تأخّر ، فجذب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثوبه ، فأقامه مكانه ، وقعد رسول الله ، فقرأ من حيث انتهى أبو بكر .

حدّثنا ابنُ وكيع ،قال: حدّثنا أبى ،عن الأعمش ، قال : [و] حدّثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : حدّثنا أبو معاوية ووكيع ، قالا : حدّثنا الأعمش ، وحدّثنا عيسى بن عثمان بن عيسى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : لما مرض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المرضَ الذى مات فيه ، أذّنَ بالصلاة ، فقال : مُرُوا أبا بكر أنْ يصَلّىَ بالناس ، فقلت : إنّ أبا بكر رجلٌ رقيق ، وإنه متى يقوم مقامَك لا يطيق ! قال : فقال : مروا أبا بكر يصلّى بالناس ، فقلت مثل ذلك ، فغضِب ، وقال : إنكنّ صواحبُ يوسف — وقال ابن وكيع : « صواحبات يوسف » — مُرُوا أبا بكر يصلّى بالناس ، قال : فخرج يُهادَى بين رجلين وقدماه تخُطّان فى الأرض ؛ فلما دنا من أبى بكر ، تأخّر أبو بكر ؛ فأشار إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن قُمْ فى مقامك ، فقعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فصلّى إلى جنب ١٨١٢/١ أبى بكر جالساً . قالت : فكان أبو بكر يصلّى بصلاة النبىّ ، وكان الناس يصلّون بصلاة أبى بكر . اللفظ لحديث عيسى بن عثمان .

حُدّثت عن الواقدىّ ، قال : سألت ابن أبى سَبْرة : كم صلّى أبو بكر بالناس ؟ قال : سبع عشرة صلاةً ، قلت : مَنْ أخبرك ؟ قال : أيوب بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة ، عن رجلٍ من أصحابِ النبىّ صلى الله عليه وسلم . قال : وحدّثنا ابنُ أبى سَبْرة ، عن عبد المجيد بن سُهَيل ، عن عِكْرمة ، قال : صلّى بهم أبو بكر ثلاثةَ أيام .

حدّثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدّثنا شُعيب بن الليث ، عن الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن موسى بن سَرْجِس ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يموت ، وعنده قدحٌ فيه ماء يُدخل يده فى القدح ، ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : اللهم أعنّى على سَكْرة الموت !

حدّثنى محمد بن خلَف العسقلانىّ ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدّثنا الليث بن سعد ، عن ابن الهاد ، عن موسى بن سَرْجِس ، عن القاسم بن محمد عن عائشة ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت . ثم ذكر مثله ؛ إلا أنه قال : أعِنّى على سَكَرات الموت .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، قال : حدّثنا أنَس بن مالك ، قال : لما كانَ يوم الاثنين ، اليوم الذى قُبِض فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، خرجَ إلى الناس وهم يصلون الصبح ، فرَفَعَ السِّتْرَ ، وفتح الباب ، فخرج رسولُ الله ؛ حتى قام بباب عائشة ، فكاد المسلمون أن يفتتِنُوا فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ؛ فرَحا به ، وتفرَّجوا . فأشار بيده : أن اثبتوا على صلاتكم ، وتبسّم رسولُ الله فرحًا لمّا رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ هيئة منه تلك الساعة ؛ ثم رجع وانصرف الناس ، وهم يظنّون أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أفاق من وجعه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح[1] . ١/١٨١٣

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ، عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى مُلَيْكة ، قال : لما كان يومُ الاثنين خرجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبًا رأسه إلى الصُّبح ؛ وأبو بكر يصلّى بالناس ؛ فلما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تفرَّج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يفعلوا ذلك إلاّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنكص عن مصلاّه ، فدفع رسول الله فى ظهره ، وقال : صلّ بالناس . وجلس رسول الله إلى جنبه ؛ فصلّى قاعداً عن يمين أبى بكر ؛ فلمّا فرَغ من الصّلاة ، أقبل على الناس وكلّمهم رافعًا صوته حتى خرج صوته من باب المسجد ؛ يقول : يأيّها الناس ، سُعِّرت النار ، وأقبلت الفتن كقِطَع الليل المظلم ! وإنىّ والله لا تمْسِكون علىّ شيئًا ؛ إنىّ لم أحِلّ لكم إلا ما أحَلّ لكم القرآن ، ولم أحرّم عليكم إلا ما حرّم عليكم القرآن . فلما فرغَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر :

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ ، ٣٧١ .

يا نبيّ الله ، إنى أراك قد أصبحت بنعمة الله وفضله كما نحبّ ، واليوم يوم ١٨١٤/١ ابنة خارجة ، فآتيها . ثم دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وخرجَ أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عُتْبة ، عن الزهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع فى حِجْرى ، فدخل علىّ رجل من آل بكر فى يده سواك أخضر . قالت : فنظر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى يده نظراً عرفتُ أنه يريده ، فأخذته فمضغتُه حتى ألنْتُه ، ثم أعطيته إياه ؛ قالت : فاستنّ به كأشدّ ما رأيته يستنُّ بسواك قبله ، ثم وضعه ؛ ووجدت رسول الله يثقل فى حِجْرى . قالت : فذهبت أنظر فى وجهه ، فإذا نظره قد شَخص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنّة ! قالت : قلت : خُيِّرتَ فاخترتَ والذّى بعثك بالحق ! قالت : وقُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبّاد بن الزبير ، عن أبيه عبّاد ، قال : سمعتُ عائشةَ تقول : مات رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بين سَحْرى ونَحْرى وفى دوْرى ؛ ولم أظلِم فيه أحداً ، فمِن سَفَهِى وحداثة سنّى أنّ رسول الله قُبِض وهو فى حجرى ، ثم وضعت رأسه على وسادة ؛ وقمت ألتَدِمُ مع النساء ، وأضرب وجهى [١] .

* * *

ذكر الأخبار الواردة باليوم الذى توفى فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته

١٨١٥/١

قال أبو جعفر : أما اليوم الذى مات فيه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فلا خلاف بين أهل العلم بالأخبار فيه أنّه كان يومَ الاثنين من شهر ربيع الأوّل ، غير أنه

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ .

اختُلف فى أىّ الأثانين كان موته صلى الله عليه وسلم ؟ فقال بعضهم فى ذلك ما حُدّثت عن هشام بن محمد بن السائب، عن أبى مِخنَف، قال : حدّثنا الصَّقْعَب بن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، قالوا : قُبِض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نصفَ النهار يوم الاثنين ، لليلتَيْن مَضتا من شهر ربيع الأول ، وبويع أبو بكر يوم الاثنين فى اليوم الذى قُبِض فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال الواقدىّ : تُوُفِّىَ يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلَتْ من شهر ربيع الأوّل ، ودفن من الغد نصفَ النهار حين زاغت الشمس ، وذلك يوم الثلاثاء .

قال أبو جعفر : تُوُفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بالسُّنْح وعمر حاضِرٌ . فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزُّهرىّ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبى هريرة، قال: لما تُوُفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب ، فقال : إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله تُوُفِّىَ وأنّ رسول الله والله ما مات ؛ ولكنه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ؛ ثم رجع بعد أن قيل قد مات ؛ والله ليرجعَنّ رسولُ الله فليقطعنّ أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنّ رسول الله مات . ١٨١٦/١

قال : وأقبلَ أبو بكر حتى نزلَ على باب المسجد حين بلَغه الخبر ، وعمَر يكلّم الناس ؛ فلم يلتفت إلى شىء حتى دخلَ علَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ؛ ورسول الله مُسَجًّى[1] فى ناحية البيت ، عليه بُرْد حِبَرة[2]، فأقبل حتى كشف عن وجهه ، ثم أقبل عليه فقبّله ، ثم قال : بأبى أنت وأمىّ ! أما المَوْتة التى كتب الله عليك فقد ذُقتَها ، ثمّ لن يصيبَك بعدها موتةٌ أبداً . ثم رَدّ الثّوْب على وجهه ، ثم خرج وعمرُ يكلّم الناس ، فقال: على رِسْلِك يا عمر! فأنصت ، فأبى إلاّ أن يتكلّم ، فلما رآه أبو بكر لا يُنْصِت أقبل على الناس ، فلمّا سمع الناسُ كلامَه أقبلوا عليه ،

(١) مسجى : مغطى .

(٢) الحبرة : ضرب من ثياب اليمن .

وتركوا عمر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أيّها الناس ، إنه مَنْ كان يعبُد محمداً فإن محمداً قد مات ؛ ومَنْ كان يعبد الله فإنّ الله حيٌّ لا يموت . ثم تلا هذه الآية : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْخَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُل....﴾[1] إلى آخر الآية . قال : فوالله لكأنّ الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى تلاها أبو بكر يومئذ . قال : وأخذها الناس عن أبى بكر فإنما هى فى أفواههم .

قال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلاّ أن سمعتُ أبا بكر يتلوها فعَقِرتُ[2] حتى وقعتُ إلى الأرض ؛ ما تحمِلنى رِجْلاى ، وعرفتُ أنّ رسولَ الله قد مات[3] . ١٨١٧/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبى معشر زياد بن كُلَيْب ، عن أبى أيّوب ، عن إبراهيم ، قال : لما قُبِض النبيُّ صلّى الله عليه وسلم كان أبو بكر غائباً ، فجاءَ بعد ثلاث ، ولم يجترئ أحدٌ أن يكشِفَ عن وجهه ؛ حتى اربدَّ بطنُه ؛ فكشف عن وجهه ، وقبّل بين عينيه ، ثم قال : بأبى أنت وأمى ! طبْت حيًّا وطبت ميّتًا ! ثم خرج أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : مَنْ كان يعبدُ الله فإنّ الله حيٌّ لا يموت ، ومَنْ كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات . ثم قرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .[1] وكان عمر يقول : لم يمُت ؛ وكان يتوعّد الناس بالقتل فى ذلك .

فاجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعِدة ليبايعوا سعدَ بن عُبادة ، فبلَغ ذلك أبا بكر ، فأتاهم ومعه عُمر وأبو عبيدة بن الجرّاح ، فقال : ما هذا ؟

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) عقرت : دهشت .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ ، ٣٧٢ .

فقالوا : منّا أميرٌ ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : منّا الأمراء ومِنْكم الوزراء .

ثم قال أبو بكر : إنّى قد رضيتُ لكم أحدَ هذيْن الرجُلين : عمر أو أباعبيدة ، إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم جاءَه قومٌ فقالوا : ابعث معنا أمينًا فقال : لأبعثنَّ معكم أمينًا حقَّ أمين ؛ فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح ؛ وأنا أرضَى لكم أبا عُبيدة . فقام عمر ، فقال : أيّكُم تطيب نفسه أن يخلُف قَدَمَيْن قدّمهما النبيّ صلى الله عليه وسلم ! فبايعه عمر وبايعه الناس ، فقالت الأنصار — أو بعض الأنصار ؛ لا نبايع إلاّ عليًّا . ١٨١٨/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد بن كليب ، قال : أتى عمرُ بن الخطاب منزلَ علىّ وفيه طلحة والزبير ورجالٌ من المهاجرين ، فقال : والله لأحرِقنّ عليكم أو لتخرُجُنّ إلى البَيْعة . فخرج عليه الزبيرُ مُصْلِتًا بالسيف ، فعثَر فسقط السَّيْف من يده ، فوثبوا عليه فأخذوه .

حدّثنا زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدّثنا أبو عَوانة ، قال : حدّثنا داود بن عبد الله الأوْدِىّ ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن الحميرىّ ، قال : تُوُفّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فى طائفة من المدينة ، فجاء فكشف الثوبَ عن وجْهه فقبّله ، وقال : فِداك أبى وأمى! ما أطيَبَك حيًّا وميتًا ! مات محمدٌ وربِّ الكعبة ! قال : ثم انطلق إلى المنبر ، فوجد عمر ابن الخطاب قائمًا يُوعِد الناس ، ويقول : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حىٌّ لم يمت ؛ وإنه خارج إلى من أرْجَفَ به ، وقاطع أيديَهم ، وضارب أعناقَهم ، وصالبهم . قال : فتكلّم أبو بكر ، وقال : أنصِتْ . قال : فأبى عمر أن يُنصِت ، فتكلّم أبو بكر ، وقال : إن الله قال لنبيّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنكَ مَيِّت وَإِنَّهُمْ مَيِّتُون * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُون ﴾ [١] . ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قد خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ . . . ﴾ [٢] ؛ حتى ختم الآية ، فمن ١٨١٩/١

(١) سورة الزمر ٣٠ ، ٣١ . (٢) سورة آل عمران ١٤٤ .

كان يعبدُ محمداً فقد مات إلهه الذى كان يعبُده ، ومَن كان يعبد الله لا شريك له ، فإن الله حىٌّ لا يموت .

قال : فحلف رجالٌ أدركناهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : ما علمنا أنّ هاتين الآيتين نزلتَا حتى قرأهما أبو بكر يومئذ ؛ إذ جاء رجل يسعَى فقال : هاتِيكَ الأنصار قد اجتمعتْ فى ظُلّة بنى ساعدة ، يبايعون رجلاً منهم ، يقولون : منّا أميرٌ ومن قريش أمير ، قال : فانطلق أبو بكر وعمر يتقاوَدان حتى أتياهم ؛ فأراد عمر أن يتكلّم ، فنهاه أبو بكر ، فقال : لا أعصى خليفةَ النبىّ صلى الله عليه وسلم فى يوم مرّتَيْن .

قال : فتكلّم أبو بكر ، فلم يترك شيئًا نزل فى الأنصار ، ولا ذكره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من شأنهم إلاّ وذكره . وقال : لقد علمتْم أنّ رسولَ الله قال : لوسلك النّاس واديًا وسلكت الأنصارُ واديًا سلكتُ وادىَ الأنصار ، ولقد علمتَ يا سعد أنّ رسول الله قال وأنت قاعدٌ : قريش ولاةُ هذا الأمر ، فبَرُّ الناس تَبَعٌ لبَرّهم ، وفاجرهم تبعٌ لفاجرهم . قال : فقال سعد : صدقتَ ، فنحن الوزراء وأنتم الأمراء . قال : فقال عمر : ابسُطْ يدك يا أبا بكر فلأبايعك ؛ فقال أبو بكر : بل أنت يا عمر ، فأنتَ أقوَى لها منّى . قال : وكان عمر أشدّ الرجلين ، قال : وكان كلٌّ واحد منهما يريد صاحبَه يفتح يده يضرب عليها ، ففتح عمر يد أبى بكر وقال : إن لك قوّتى مع قوّتك . قال : فبايع الناس واستثبتوا للبيْعة ، وتخلّف علىّ والزّبير ، واخترط الزّبير سيفَه ، وقال : لا أغمده حتى يُبايَع علىٌّ ، فبلغ ذلك أبا بكر وعمر ، فقال عمر : خُذُوا سيفَ الزُّبير ، فاضربوا به الحجَر . قال : فانطلق إليهم عمر ، فجاء بهما تعبًا ، وقال : لتبايعانِ وأنتما طائعان ، أو لتبايعان وأنتما كارهان ! فبايعا . ١/١٨٢٠

* * *

حديث السقيفة

حدثنى علىّ بن مسلم ، قال : حدّثنا عبّاد بن عبّاد ، قال : حدّثنا عباد بن راشد ، قال : حُدّثنا عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عبّاس ، قال : كنت أقرْئ عبدَالرحمن بنَ عوْف القرآن ، قال :

فحجّ عمر وحججنا معه ، قال : فإنى لفى منزل بمنًى إذ جاءنى عبدُ الرحمن ابن عوف ، فقال : شهدتُ أمير المؤمنين اليوم ، وقام إليه رجلٌ فقال : إنى سمعت فلانًا يقول : لو قد مات أمير المؤمنين لقد بايعتُ فلانًا[1] . قال : فقال أمير المؤمنين : إنى لقائم العشيّة فى الناس فمحذّرهم هؤلاء الرّهط الذين يريدون أن يغصبوا الناس أمرَهم . قال : قلتُ : يا أمير المؤمنين ؛ إنّ الموسم يجمع رِعاع الناس وغوغاءَهم ؛ وإنهم الذين يغلبون على مجلِسك ، وإنى لخائف إن قلت اليوم مقالة ألاّ يعُوها ولا يحفظوها ، ولا يضعوها على مواضِعها ، وأن يطيروا بها كلَّ مطيرٍ ؛ ولكن أمهل حتى تقدَم المدينة ، نقدم دار الهجرة والسنّة ، وتخلُص بأصحابِ رسولِ الله من المهاجرين والأنصار ، فتقول ما قلت متمكّنًا فيعُوا مقالتَك ، ويضعوها على مواضعها . فقال : والله لأقومنّ بها فى أوّل مقام أقومُه بالمدينة . ١/١٨٢١

قال : فلمّا قدِمْنا المدينة ، وجاء يوم الجمعة هجّرتُ للحديث الذى حدثنيه عبد الرحمن ؛ فوجدت سعيد بنَ زيد قد سبقنى بالتّهجير ، فجلست إلى جنبه عند المنبر ، ركبتى إلى ركبته ؛ فلمّا زالت الشمس لم يلبث عمر أن خرَج ، فقلت لسعيد وهو مقبل : ليقولنّ أميرُ المؤمنين اليومَ على هذا المنبر مقالةً لم تُقلْ قبلَه . فغضب وقال : فأىّ مقالة يقول لم تُقَل قبله ! فلمّا جلس عمر على المنبر أذّن المؤذنون ، فلمّا قضى المؤذن أذانه قام عمر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال : أمّا بعد ، فإنّى أريد أن أقول مقالة قد قُدّر أن أقولها ، مَنْ وعاها وعقَلها وحفظها ، فليحدّث بها حيث تنتهى به راحلته ، ومَنْ لم يعِها فإنى لا أحلّ لأحد أن يكذِب علىّ . إن الله عزّ وجلّ بعثَ محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ؛ وكان فيما أنزل عليه آية الرَّجْم ، فرجم رسولُ الله ورجمنا بعده ، وإنى قد خشيتُ أن يطولَ بالناس زمان ، فيقول قائل : والله ما نجد الرَّجْم فى كتاب الله ، فيضلّوا بترْك فريضة أنزلها الله ، وقد كنا نقول : لا ترْغبوا عن آبائكم ؛ فإنه كفرٌ

(١) بعدها فى ابن هشام : « والله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فلتة ، فتمت ، قال : فغضب عمر فقال : إنى لم إن شاء الله لقائم العشية . . . » .

بكم أن ترغبوا عن آبائكم . ثم إنه بلَغني أنّ قائلاً منكم يقول : لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً ! فلا يَغُرَّنّ امرأً أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فَلْتَة ؛ فقد كانت كذلك ؛ غيرَ أنّ الله وَقَى شرّها ؛ وليس منكم من تُقطَعُ إليه الأعناق مثل أبى بكر [١] ! وإنه كان من خَبَرنا حين توفّى الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أنّ عليًّا والزُّبير ومَنْ معهما تخلّفوا عنا فى بيت فاطمة ، وتخلّفت عنا الأنصار بأسْرِها ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نؤمُّهم ؛ فلقِيَنا رجلان صالحان قد شهدا بدرًا ، فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار . قالا : فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم . فقلنا : والله لنأتينّهم ، قال : فأتيناهم وهم مجتمعون فى سَقيفة بنى ساعدة . قال : وإذا بين أظهرهم رجلٌ مزمَّلٌ [٢] ، قال : قلتُ : مَنْ هذا ؟ قالوا : سعد بن عبادة ، فقلت : ما شأنه ؟ قالوا : وَجِعٌ ، فقام رجلٌ منهم ، فحمِد الله ، وقال : أمّا بعد ، فنحنُ الأنصار وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشرَ قريش رهطُ نبيّنا ؛ وقد دفّت إلينا من قومكم دافّة [٣] . قال : فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر . وقد كنت زوّرت [٤] فى نفسى مقالةً أقدمها بين يدى أبى بكر ، وقد كنت أدارى منه بعض الحدّ [٥] ، وكان هو أوقرَ منّى وأحلم ؛ فلمّا أردت أن أتكلم ، قال : على رِسْلِكَ ! فكرهت أن أعصيَه ؛ فقام فحمد الله وأثنى عليه ، فما ترك شيئًا كنتُ زوّرت فى نفسى أن أتكلّم به لو تكلمت ، إلا قد جاء به أو بأحسنَ منه . وقال : أما بعدُ يا معشرَ الأنصار ؛ فإنكم لا تذكُرون منكم فضلاً إلاّ وأنتم له أهلٌ ؛ وإنّ العربَ لا تعرف هذا الأمرَ إلاّ لهذا الحىّ من قريش ؛ وهم

١٨٢٢/١ ١٨٢٣/١

(١) بعدها فى ابن هشام : « فمن بايع رجلا عن غير مشورة المسلمين فإنه لا بيعة له هو ولا الذى بايعه تغرة أن يقتلا » .

(٢) مزمل : ملتف فى كساء أو غيره .

(٣) الدافة : القوم يسيرون جماعة سيراً ليس بالشديد .

(٤) زورت مقالة : هيأتها وأعددتها .

(٥) الحد ؛ أى الحدة .

أوسط [العرب][1] داراً ونسباً ، ولكن قد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين ، فبايعوا أيّهما شئتم . فأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح . وإنّى والله ما كرهتُ من كلامه شيئاً غيرَ هذه الكلمة ؛ إن كنت لأقدَّم فتُضرَب عنقى فيما لا يقرّبنى إلى إثم أحبُّ إلىّ من أن أؤمَّر على قوم فيهم أبو بكر . فلمّا قضى أبو بكر كلامَه ، قام منهم[2] رجلٌ ، فقال : أنا جُذَيْلُها[3] المُحَكَّك ، وعُذَيْقُها[4] المُرَجَّب ؛ منّا أميرٌ ومنكم أمير ؛ يا معشر قريش .

قال : فارتفعت الأصوات ، وكثُر اللَّغَط[5] ، فلمّا أشفقت الاختلاف ، قلت لأبى بكر : ابسُطْ يدك أبايعْك . فبسط يده فبايعتُه وبايعه المهاجرون ، وبايعه الأنصار . ثم نزونا[6] على سعد ، حتى قال قائلهم : قتلتُم سعد بن عبادة ! فقلت : قتل الله سعداً ! وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبى بكر ؛ خشينا إنْ فارقنا القوم ولم تكن بيعةٌ أن يحدِثوا بعدنا بيعة ، فإما أن نتابعهم على ما نرضَى ، أو نخالفهم فيكون فساد[7] .

١٨٢٤/١ حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزُّهرىّ ، عن عروة بن الزبير ، قال : إن أحدَ الرجُلين اللذيْن لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة ، عُوَيْم بن ساعدة والآخر معْنُ بن عدىّ ؛ أخو بنى العجلان ، فأما عُويم بن ساعدة فهو الذى بلَغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله

---

(١) من ابن هشام ، وأوسط العرب : أشرفهم . وداراً ؛ أى بلدا ؛ يريد مكة .

(٢) ابن هشام : « من الأنصار » .

(٣) الجذيل : تصغير جذل ، وهو عود يكون فى وسط مبرك الإبل تحتك به وتستريح إليه ؛ فيضرب به المثل فى الرجل يشتفى برأيه .

(٤) العذيق : تصغير عذق ؛ وهو النخلة نفسها . والمرجب : الذى تبنى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله ولعزه على أهله ؛ فضرب به المثل فى الرجل الشريف الذى يعظمه قومه .

(٥) اللغط : اختلاط الأصوات .

(٦) نزونا على سعد : وثبنا عليه ووطئناه .

(٧) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ برواية ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكير ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، عن عبد الرحمن بن عوف .

عليه وسلم : مَن الذين قال الله لهم : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[1]؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم المرء منهم عُويم بن ساعدة ! وأما معن فبلَغنا أنّ الناس بكَوْا علَى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفّاه الله ، وقالوا : والله لوددنا أنا متنا قبلَه ؛ إنا نخشى أن نفتتن بعده. فقال معن بن عديّ : والله ما أحبُّ أنى متُّ قبله حتى أصدّقه ميتاً كما صدّقته حيًّا . فقتل مَعْنٌ يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر يوم مُسَيْلمة الكذّاب[2].

حدّثنا عُبيد الله بن سعيد الزهرىّ ، قال : أخبرنا عمى يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرنى سَيْفُ بن عمر ، عن الوليد بن عبد الله بن أبى ظَبْيَة البَجَلىّ ، قال : حدّثنا الوليد بن جُمَيْع الزُّهرىّ، قال : قال عمرو بن حريث لسعيد ابن زيد : أشهدت وفاةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : فمتى بويع أبو بكر ؟ قال : يوم مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كرهوا أن يبقوْا بعض يوم وليسوا فى جماعة . قال : فخالف عليه أحدٌ ؟ قال : لا إلا مرتدٌّ أو مَنْ قد كاد أن يرتدّ ، لولا أنّ الله عزّ وجلّ ينقذهم من الأنصار . قال : فهل قعد أحد من المهاجرين ؟ قال: لا، تتابع المهاجرون على بيعته ، من غير أن يدعوَهم . ١٨٢٥/١

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنى عمّى ، قال : أخبرنى سيف ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبى ثابت ، قال : كان علىٌّ فى بيته إذْ أتِىَ فقيل له : قد جلس أبو بكر للبيْعة ، فخرج فى قميص ما عليه إزارٌ ولا رداءٌ ، عجلاً ، كراهيَةَ أن يُبْطئ عنها ، حتى بايعه . ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله ، ولزم مجلسه .

حدّثنا أبو صالح الضّرارىّ، قال: حدّثنا عبد الرزاق بن همّام، عن معمَر ، عن الزهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة ، أنّ فاطمةَ والعباس أتيا

---

(١) سورة التوبة ١٠٨ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

أبا بكر يطلُبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما حينئذ يطلبان أرضَه من فَدَك ، وسهمَه من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : أما إنّى سمعتُ رسولَ الله يقول : لا نورَثُ ، ما تَرَكْنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد فى هذا المال . وإنى والله لا أدَعُ أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلاّ صنعته . قال : فهجرتْه فاطمة فلم تكلّمْه فى ذلك حتى ماتت ، فدفنها علىٌّ ليلاً ، ولم يؤذِنْ بها أبا بكر . وكان لعلىّ وَجْهٌ من الناس حياةَ فاطمة ، فلمّا توفِّيَتْ فاطمة انصرفتْ وجوه الناس عن علىّ ؛ فمكثتْ فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم توفِّيت .

قال معمر : فقال رجلٌ للزهرىّ : أفلم يبايعه علىٌّ ستة أشهر ! قال : لا ؛ ولا أحدٌ من بنى هاشم ؛ حتى بايعه علىّ . فلما رأى علىٌّ انصرافَ وجوه الناس عنه ضَرِع إلى مصالحة أبى بكر ، فأرسل إلى أبى بكر : أن ائتنا ولايأتنا معك أحدٌ ، وكره أن يأتيَه عمر لما علم من شدّة عمر ، فقال عمر : لا تأتهم وحدَك ، قال أبو بكر : والله لآتينّهم وحدِى ، وما عسى أن يصنعوا بى ! قال : فانطلق أبو بكر ، فدخل على علىّ ، وقد جَمَع بنى هاشم عنده ، فقام علىٌّ فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنه لم يمنعنا من أنْ نبايعك يا أبا بكر إنكارٌ لفضيلتك ، ولا نَفاسَةٌ عليك بخيرٍ ساقه الله إليك ، ولكنا كنّا نرى أنّ لنا فى هذا الأمر حقّاً ، فاستبددتم به علينا . ثم ذكر قرابتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقَّهم . فلم يزل علىٌّ يقول ذلك حتى بَكى أبو بكر . ١/١٨٢٦

فلما صمت علىٌّ تشهّد أبو بكر . فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعدُ ؛ فوالله لقرابة رسول الله أحبُّ إلىّ أن أصلَ من قرابتى ؛ وإنى والله ما ألوتُ فى هذه الأموال التى كانت بينى وبينكم غيرَ الخير ؛ ولكنّى سمعت رسول الله يقول : « لا نورَث ؛ ما تركنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد فى هذا المال » ؛ وإنى أعوذ بالله لا أذكر أمراً صنعه محمد رسول الله إلاّ صنعتُه فيه إن شاء الله .

ثم قال علىٌّ : موعدك العشيّة للبَيْعة ، فلمّا صلى أبو بكر الظّهرَ أقبلَ

على النّاس ، ثم عذر عليًّا ببعض ما اعتذر، ثم قام علىّ فعظّم من حقّ أبى بكر ، وذكر فضيلته وسابقته ، ثم مضى إلى أبى بكر فبايعه . قالت: فأقبل الناس إلى علىّ فقالوا : أصبت وأحسنت ، قالت : فكان الناس قريبًا إلى علىّ حين قاربَ الحق والمعروف .

١/١٨٢٧

حدّثنى محمد بن عثمان بن صفوان الثقفىّ ، قال : حدّثنا أبو قُتيبة ، قال : حدّثنا مالك — يعنى ابن مِغْوَل — عن ابن الحرّ ، قال : قال أبوسفيان لعلىّ: ما بالُ هذا الأمر فى أقلّ حىّ من قريش ! والله لئنْ شئت لأملأنّها عليه خيلاً ورجالاً ! قال : فقال علىّ : يا أبا سفيان ، طالما عاديتَ الإسلام وأهلَه فلم تضرّه بذاك شيئًا ! إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً .

حدّثنى محمد بن عثمان الثّقَفِىّ ، قال : حدّثنا أميّة بن خالد ، قال : حدثنا حمّاد بن سلَمة ، عن ثابت ، قال : لما استخلِف أبو بكر قال أبو سُفيان : ما لَنا ولأبى فَصيل ، إنما هى بنو عبد مناف ! قال : فقيل له : إنه قد ولّى ابنَك ، قال : وصلَتْه رَحِم !

حُدّثت عن هِشام ، قال : حدّثنى عوَانَة ، قال : لما اجتمعَ الناسُ على بيعة أبى بكر ، أقبل أبو سفيان ؛ وهو يقول : والله إنى لأرَى عجاجةً لايطفئها إلاّ دم! يا آل عبد مناف فيم أبوبكرمن أموركم! أين المستضعَفان ! أين الأذلان علىّ والعباس ! وقال : أبا حسنٍ ! ابسُط يدك حتى أبايعَك . فأبى علىّ عليه ، فجعل يتمثل بشعر المتلمّس :

وَلَنْ يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُرادُ بِهِ ... إلَّا الأذلّانِ عَيْرُ الحَىِّ وَالوَتِدُ

هٰذَا عَلَى الْخَسْفِ مَعْكُوسٌ بِرُمَّتِه[1] ... وذَا يُشَجُّ فَلَا يَبكى لَهُ أحَدُ

قال : فزجره علىّ ، وقال : إنك والله ما أردتَ بهذا إلا الفتنة ؛ وإنك والله طالما بغيتَ الإسلامَ شرًّا ! لا حاجة لنا فى نصيحتك .

١/١٨٢٨

---

(١) الرمة : الحبل ، والعكس : شد عنق الدابة إلى إحدى يديها .

قال هشام بن محمد : وأخبرنى أبو محمد القرشىّ ، قال : لما بويع أبو بكر ، قال أبو سفيان لعلىّ والعباس : أنتما الأذلاّن ! ثم أنشد يتمثّل :

إنَّ الهوانَ حِمارُ الأهلِ يعرِفُه ... والحرُّ يُنكِرُهُ والرَّسْلَةُ الأُجُد

ولا يُقيمُ على ضَيْمٍ يُرادُ بِهِ ... إلا الأذلّانِ عَيْرُ الحىِّ والوتِدُ

هٰذا على الخَسْفِ معكوسٌ برُمَّتِه ... وذا يُشَجُّ فلا يَبكى له أحد

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرىّ ، قال : حدّثنا أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبو بكْر فى السقيفة ؛ وكان الغدُ ، جلَس أبو بكر على المِنْبَر ، فقام عُمر فتكلّم قبل أبى بكر ؛ فحمد اللهَ وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ؛ إنى قد كنتُ قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلاعن رأيى ؛ وما وجدتُها فى كتاب الله ؛ ولا كانت عهداً عَهِده إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولكنى قد كنت أرى أنّ رسول الله سيدبّر أمرنا ؛ حتى يكون آخرَنا ؛ وإنّ الله قد أبقَى فيكم كتابه الذى هَدَى به رسول الله ؛ فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هَداه له ؛ وإنّ الله قد جمع أمركم على خيرِكم ؛ صاحِب رسول الله ، وثانى اثنين إذْ هما فى الغار ؛ فقوموا فبايعوا . فبايع الناس أبا بكر بيعة العامّة بعد بيعة السقيفة . ١٨٢٩/١

ثم تكلّم أبو بكر ، فحمِد الله وأثنى عليه بالذى هو أهلُه ، ثم قال : أما بعدُ أيها الناس ؛ فإنى قد وُلّيتُ عليكم ولستُ بخيرِكم ؛ فإن أحسنت فأعينونى ؛ وإن أسأت فقَوّمونى . الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوىٌّ عندى حتى أريح عليه حقّه إن شاء الله ، والقوىُّ منكم الضعيف عندى حتى آخذَ الحقّ منه إن شاء الله . لا يَدَع أحدٌ منكم الجهاد فى سبيل الله ؛ فإنه لا يَدعُه قوم إلاّ ضربهم الله بالذلّ ، ولا تشيع الفاحشة فى قومٍ إلاّ عَمّهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعتُ الله ورسوله ؛ فإذا عصيتُ اللهَ ورسوله فلا طاعة لى عليكم . قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله ![1]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٤ .

حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق ، عن حسين بن عبد الله ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إنى لأمشى مع عمر فى خلافته ، وهو عامد إلى حاجة له ، وفى يده الدِّرّة ، وما معه غيرى. قال وهو يحدّث نفسه ، ويضرب وَحْشِيّ[1] قدمه بدِرّته ، قال إذ التفت إلىّ فقال : يابنَ عباس ، هلْ تدرى ما حملنى على مقالتى هذه التى قلت حين توفّى الله رسوله ؟ قال : قلت : لا أدرى يا أميرَ المؤمنين ؛ أنت أعلم ، قال : والله إنْ حمَلنى على ذلك إلاّ أنّى كنتُ أقرأ هذه الآية : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2]؛ فوالله إنّى كنت لأظنّ أنّ رسولَ الله سيبقَى فى أمّته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ؛ فإنه لَلّذى حملنى على أن قلتُ ما قلت[3]. ١٨٣٠/١

* * *

[ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه]

قال أبو جعفر : فلما بويع أبو بكر أقبلَ الناسُ على جِهازِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : كان ذلك من فعلهم يوم الثلاثاء ؛ وذلك الغدُ من وفاته صلى الله عليه وسلم .

وقال بعضهم : إنما دُفن بعد وفاته بثلاثة أيام ، وقد مضى ذِكرُ بعض قائلى ذلك .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبدِ الله بن أبى بكر وكثير بن عبد الله وغيرهما من أصحابه ، عمّن يحدثه ؛ عن عبد الله بن عباس ، أنّ علىّ بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل ابن العباس وقُثَم بن العباس وأسامة بن زيد وشُقران مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم هُم الذين وَلُوا غَسْلَه ، وإنّ أوسَ بن خَوْلِىّ أحد بنى عوف ابن الخزرج ؛ قال لعلىّ بن أبى طالب: أنشُدك الله يا علىُّ ؛ وحَظّنا من رسول

(١) الوحشى من أعضاء الإنسان : ما كان إلى خارج . (٢) سورة البقرة ١٤٣ .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٤ .

الله ! وكان أوْس من أصحاب بدر[١] ؛ وقال : ادخل ؛ فدخل فحضر غُسْلَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأسنده علىٌّ بن أبى طالب إلى صدره ، وكان العبّاس والفضل وقُثَم هم الذين يقلّبونه معه ؛ وكان أُسامة بن زيد وشُقْران مولياه هُمَا اللذان يصبّان الماء ، وعلىّ يغسله قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يَدْلُكه مِنْ ورائه ، لا يفْضى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلىٌّ يقول : بأبى أنت وأمى ! ما أطيبك حيًّا وميّتا ! ولم يُرَ من رسول الله شىءٌ مما يُرَى من الميت[٢] .

١/١٨٣١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى ابن عبّاد ، عن أبيه عبّاد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا أن يَغْسِلوا النبىّ صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه ، فقالوا : والله ما ندرى أنُجرّد رسولَ الله من ثيابه كما نجرّد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ! فلما اختلفوا ألقىَ عليهم السِّنَةُ حتى ما منهم رجل إلا وَذَقْنُه فى صدره ، ثم كلّمهم متكلّمٌ من ناحية البيت لا يُدْرى مَنْ هو : أن اغسلوا النبىّ وعليه ثيابُه ؛ قالت : فقاموا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فغسّلوه وعليه قميصه يصبّون عليه الماء فوق القميص ، ويدلُكونه والقميص دون أيديهم[٣] .

قال : فكانت عائشة تقول : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ما غسّله إلا نِساؤه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن جعفر ابن محمد بن على بن حسين ، عن أبيه ، عن جدّه علىّ بن حسين . قال ابن إسحاق : وحدّثنى الزّهرىّ ، عن علىّ بن حسين ، قال : فلما فُرِغ من غُسْل رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كُفِّن فى ثلاثة أثواب : ثوبين صُحَارِيَّيْن[٤] وبُرد حِبَرَة ؛ أدرج فيها إدراجا[٥] .

---

(١) فى ابن هشام : « وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(٣) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٥ .

(٤) ثوب صحارىّ : منسوب إلى صحار ؛ وهى مدينة باليمن .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٥ .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن حسين بن عبد الله ، عن عِكْرمة مولَى ابنِ عبّاس ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : لما أرادوا أن يحفِروا لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم — وكان أبو عبيدة بن الجرّاح يَضْرَح[1] كحفر أهل مكّة ، وكان أبو طلحة زيد ابن سهل هو الذى يحفِر لأهل المدينة ، وكان يَلْحَد — فدعا العباسُ رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبى عبيدة ، وللآخر : اذهب إلى أبى طلحة ؛ اللهمّ خِرْ لرسولك ؛ قال : فوجد صاحبُ أبى طلحة أبا طلحة فجاء به فلحَد لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم . فلمّا فرِغ من جهاز رسول الله يوم الثلاثاء وُضع على سريره فى بيته ؛ وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه ؛ فقال قائل : ندفنه فى مسجده ، وقال قائل : يدفَن مع أصحابه ؛ فقال أبو بكر : إنّى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ما قبِض نبىٌّ إلاّ يدفن حيث قُبِض» ؛ فرُفع فراش رسولِ الله الذى توفِّىَ عليه ؛ فحُفِرَ له تحته ؛ ودخل الناس على رسول الله يصلّون عليه أرْسالا[2] ؛ حتى إذا فرغ الرجال أدخِل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخِل الصبيان ؛ ثم أدخِل العبيد ؛ ولم يؤمّ الناسَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أحدٌ ، ثم دفن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من وسَط الليل ليلة الأربعاء[3] .

١/١٨٣٢

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن فاطمة بنت محمد بن عُمارة ، امرأة عبد الله — يعنى ابن أبى بكر — عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة أمّ المؤمنين ، قالت : ما علمنا بدفن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى سمِعنا صوتَ المَساحِى من جوف الليل ليلة الأربعاء .

١/١٨٣٣

قال ابن إسحاق : وكان الذى نزل قبرَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب والفضل بن العبّاس وقُثَم بن العباس وشُقران مولَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد قال أوس بن خوَلىّ : أنشُدك الله يا علىّ وحظّنا

---

(١) يضرح : يشق الأرض للقبر .
(٢) أرسالا : جماعة بعد جماعة .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

من رسول الله ! فقال له : انـزل ، فنزل مع القوم ؛ وقد كان شُقران مولَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين وُضِع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته، وبنيَ عليه؛ قد أخذ قطيفة كان رسول الله يلبسها ويفترشها ؛ فقذفها فى القبر ، وقال : والله لا يلبَسها أحدٌ بعدَك أبداً . قال : فدفِنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وكان المغيرة بن شعبة يدّعى أنه أحدثُ الناس عهداً برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : أخذت خاتمى فألقيتُه فى القبر ، وقلت : إنّ خاتمى قد سقط ، وإنما طرحته عمداً لأمسّ رسول الله ، فأكون آخرَ الناس به عهداً[1] .

حدّثنى ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق بن يَسار ، عن مِقْسَم أبى القاسم، مولَى عبد الله بن الحارث ابن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرتُ مع علىّ بن أبى طالب فى زمانِ عمر — أو زمان عثمان — فنزل على أخته أمّ هانئ بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عُمرته رجع وسكبتُ له غسلا فاغتسل ؛ فلمّا فرغ من غُسْله دخل عليه نفرٌ من أهل العراق ؛ فقالوا ، يا أبا الحسن ؛ جئنا نسألك عن أمر نحبّ أن تخبرنا به ! فقال : أظنّ المغيرة يحدّثكم أنه كان أحدثَ الناس عهداً برسول الله صلّى الله عليه وسلم ! قالوا : أجل ، عن ذا جئنا نسألك ! قال : كذب ؛ كان أحدثُ الناس عهداً برسول الله قُثَمَ بن العبّاس[2] .

١/١٨٣٤

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن صالح ابن كيسان ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : كان على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم خميصة[3] سوداء حين اشتدّ به وجعُه، قالت : فهو يَضَعُها مرّة على وجهه ، ومرّة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوماً اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجدَ ! يحذّر ذلك على أمته[4] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن صالح

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٦ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٦ .
(٣) خميصة سوداء : ثوب خز أو صوف معلم . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٧ .

ابن كيسان ، عن الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يُتْرَك بجزيرة العرب دينان[١] .

قالت : وتوفِّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، فى اليوم الذى قدم فيه المدينة مهاجراً فاستكمل فى هجرته عشر سنين كوامل .

* * *

واختلف فى مبلغ سنّه يوم توفى صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : كان له يومئذ ثلاث وستون سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا حجّاج بن المنهال ، قال : حدّثنا حمّاد – يعنى ابنَ سلَمة – عن أبى جمرة ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكّة ثلاث عشرة سنة يُوحَى إليه ، وبالمدينة عشرا ؛ ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة . ١٨٣٥/١

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا حجّاج بن المنهال ، قال : حدّثنا حمّاد، عن أبى جمرة، عن أبيه، قال : عاش رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثًا وستين سنة .

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا عبد الوهاب ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيّب ، يقول: أنزل على رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وأقام بمكّة عشراً ، وبالمدينة عشراً ، وتوفِّيَ وهو ابن ثلاث وستين.

حدّثنا محمد بن خلَف العسقلانىّ ، قال : حدّثنا آدم ، قال : حدثنا حمّاد بن سلمة ، قال : حدّثنا أبو جمرة الضُّبَعىّ ، عن ابن عباس ، قال :

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٧ .

بُعِث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، وأقام بمكّة ثلاث عشرة يوحىَ إليه ، وبالمدينة عشرًا ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

حدّثني أحمدُ بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدّثني عمي عبد الله ، قال : حدّثنا يونس ، عن الزُّهريّ ، عن عُرْوة ، عن عائشة ، قالت : توفّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين .

* * *

وقال آخرون : كان له يومئذ خمس وستون .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني زياد بن أيوّب ، قال : حدّثنا هُشَيم ، قال : أخبرنا عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مِهران ، عن ابن عبّاس ، قال : قبِض النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وستين .

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا معاذ بن هشام ، قال : حدّثني أبي ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن د غْفل – يعني ابن حنظلة – أن النبيّ صلى الله عليه وسلم توفّيَ وهو ابن خمس وستين سنة .

* * *

١/١٨٣٦ وقال آخرون : بل كان له يومئذ ستون سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا حجاج ، قال : حدّثنا حمّاد ، قال : حدّثنا عمرو بن دينار ، عن عُرْوة بن الزبير ، قال : بُعِث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين ، ومات وهو ابن ستين .

حدّثنا الحسينُ بن نصر ، قال : أخبرَنا عبيدُ الله ، قال : أخبرنا شيبان ، عن يحيى بن أبي كَثير ، عن أبي سلَمة ، قال : حدثتْني عائشة وابنُ عبّاس ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشراً .

* * *

ذكر الخبر عن اليوم والشهر
اللذَيْن توفّى فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو جعفر : حدّثنا عبد الرحمن بن الوليد الجرجانىّ ، قال : حدّثنا أحمد بن أبى طَيْبَة ؛ قال : حدّثنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم استعمل أبا بكر على الحجّ سنة تسع ، فأراهم مناسكَهم ، فلمّا كان العام المقبل حجّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجّةَ الوداع سنة عشر ، وصدر إلى المدينة ، وقُبِض فى ربيع الأول .

حدّثنى إبراهيم بن سعيد الجوهرىّ ، قال : حدّثنا موسى بن داود ، عن ابن لَهِيعة ، عن خالد بن أبى عمران ، عن حَنَش الصنعانىّ ، عن ابن عباس ، قال : وُلد النبىّ صلى الله عليه وسلم يومَ الاثنين ، واستُنْبِئ يوم الاثنين ، ورفع الحجَر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدِم المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين .

حدّثنى أحمدُ بن عثمان بن حكيم ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن شريك ، قال : حدّثنى أبى ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، قال : توفّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأوّل فى اثنتى عشرة ليلة مضتْ من شهر ربيع الأوّل يوم الاثنين ودفن ليلةَ الأربعاء . ١٨٣٧/١

حدّثنى أحمدُ بن عثمان ، قال : حدّثنا عبد الرحمن ، قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنا محمد بنُ إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنه دخل عليه فقال لامرأته فاطمة : حدِّثِى محمداً ما سمعتِ من عَمْرة بنت عبد الرحمن. فقالت : سمعت عَمْرة تقول : سمعت عائشة تقول : دُفِن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ الأربعاء ؛ وما علمنا به حتى سمعنا صوتَ المَسَاحِى .

* * *

ذكر الخبر عما جرى
بين المهاجرين والأنصار فى أمر الإمارة فى سقيفه بنى ساعدة

حدّثنا هشام بن محمد ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارىّ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم لما قُبِض اجتمعت الأنصارُ فى سقيفة بنى ساعدة ، فقالوا : نُولّى هذا الأمر بعد محمد عليه السلام سعدَ بن عبادة، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض؛ فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بنى عمّه : إنىّ لا أقدر لشكواىَ أن أسمِع القوم كلّهم كلامى ؛ ولكن تلَقَّ منّى قولى فأسْمِعْهموه ؛ فكان يتكلّم ويحفظ الرجل قوله، فيرفع صوتَه فيسمِع أصحابه، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا معشر الأنصار ؛ لكم سابقةٌ فى الدين وفضيلة فى الإسلام ليست لقبيلة من العرب ؛ إنّ محمّداً عليه السلام لبِث بضع عشرة سنة فى قومه يدعوهم إلى عبادة الرّحمن وخلْع الأنداد والأوثان ؛ فما آمن به من قومه إلا رجالٌ قليل؛ وكان ما كانوا يقدرون على أن يمنعُوا رسولَ الله ؛ ولا أن يُعِزّوا دينَه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضَيْماً عُمُّوا به ؛ حتى إذا أراد بكم الفضيلةَ ، ساق إليكم الكرامةَ وخصّكم بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله ، والمنعَ له ولأصحابه ، والإعزازَ له ولدينه ؛ والجهادَ لأعدائه ؛ فكنتم أشدَّ الناس على عدوّه منكم ، وأثقلَه على عدوّه من غيركم ؛ حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً ؛ وأعطى البعيدُ المقادةَ صاغراً داخراً؛ حتى أثخن الله عز وجلّ لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيافكم له العرب ؛ وتوفّاه الله وهو عنكم راض ؛ وبكم قرير عين . استبدّوا بهذا الأمر فإنّه لكم دون الناس .

١٨٣٨/١

فأجابوه بأجمعهم : أن قد وُفِّقتَ فى الرأى وأصبت فى القول ، ولن نعدُوَ ما رأيت ، ونولّيك هذا الأمر ، فإنك فينا مَقْنَعٌ ولصالح المؤمنين رضا . ثم إنهم ترادّوا الكلامَ بينهم ، فقالوا : فإن أبَتْ مهاجرة قريش ، فقالوا : نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأوّلون ؛ ونحن عشيرته وأولياؤه ؛ فعلامَ تنازعوننا هذا الأمر بعده ! فقالت طائفة منهم : فإنّا نقولُ إذاً : منّا أميرٌ

ومنكم أميرٌ ؛ ولن نرضى بدون هذا الأمر أبداً . فقال سعدُ بن عبادة حين ١/١٨٣٩
سمعها : هذا أول الوهَن !

وأتى عمرَ الخبرُ ، فأقبل إلى منزل النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى أبي بكر وأبو بكر فى الدار وعلى بن أبى طالب عليه السلام دائب فى جهاز رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأرسل إلى أبى بكر أن اخرج إلىّ ، فأرسل إليه : إنّى مشتغل ؛ فأرسل إليه أنه قد حدَث أمرٌ لا بدّ لك من حضوره ، فخرج إليه ، فقال : أمَا علمتَ أنّ الأنصار قد اجتمعت فى سَقيفة بنى ساعدة ، يريدون أن يولّوا هذا الأمر سعدَ بن عبادة ؛ وأحسنهم مقالةً مَنْ يقول : منّا أمير ومِنْ قريش أمير ! فمضيا مسرعين نحوهم ؛ فلقيَا أبا عُبيدة بن الجراح ؛ فتماشَوْا إليهم ثلاثتهُم ، فلقيَهم عاصم بن عدىّ وعُوَيمُ بن ساعدة ، فقالا لهم : ارجعوا فإنه لايكون ما تريدون ، فقالوا: لا نفعل ، فجاءوا وهم مجتمعون . فقال عمر بن الخطاب : أتيناهم — وقد كنتُ زوَّرت كلاماً[1] أردت أن أقوم به فيهم — فلما أن دفعتُ إليهم ذهبتُ لأبتدئ المنطق ، فقال لى أبو بكر : رُوَيداً حتى أتكلّم ثم انطِقْ بعد بما أحببت . فنطق ، فقال عمر : فما شىء كنتُ أردت أن أقوله إلاّ وقد أتى به أو زاد عليه .

فقال عبد الله بن عبد الرحمن[2] : فبدأ أبو بكر ، فحمِد الله وأثنى عليه ؛ ثم قال : إنّ الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه ، وشهيداً على أمته ، ليعبُدوا الله ويوحّدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتّى ؛ ويزعمون أنها لهم عنده شافعةٌ ، ولهم نافعة ؛ وإنما هى من حَجَرٍ منحوت ، وخشب منجور ، ثم قرأ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ ولاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولونَ هٰؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ ٱللَّهِ ﴾[3] ، وقالوا : ﴿ مَانَعْبُدُهُم إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إلَى اللهِ زُلْفَى ﴾[4] ؛ ١/١٨٤٠
فعظُم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخصّ الله المهاجرين الأولين من

---

(١) زورت كلاماً : هيأته ، وفى ز : « رويت » . (٢) هو راوى الخبر .
(٣) سورة يونس ١٨ . (٤) سورة الزمر ٣ .

قومه بتصديقه ، والإيمان به ، والمؤاساة له ، والصبر معه على شدّة أذى قومهم لهم ؛ وتكذيبهم إياهم ؛ وكلُّ الناس لهم مخالف ، زارٍ عليهم ، فلم يستوحشوا لقلّة عددِهم وشَنَفِ الناس لهم ؛ وإجماع قومهم عليهم ؛ فهم أوّل مَنْ عَبَد الله فى الأرض وآمن بالله وبالرسول ؛ وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحقُّ الناس بهذا الأمر من بعده ؛ ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم ، وأنتم يا معشرَ الأنصار ، مَنْ لا ينكَر فضلُهم فى الدينِ ، ولا سابقتُهم العظيمة فى الإسلام ، رضيَكم الله أنصاراً لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته ، وفيكم جِلّةُ أزواجه وأصحابه ؛ فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا [أحدٌ][1] بمنزلتكم ؛ فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تُفْتاتون بمشورة ، ولا نقضى دونكم الأمور.

قال : فقام الحُبَابُ بن المنذر بن الجموح ، فقال : يامعشرَ الأنصار ، املِكوا عليكم أمرَكم ؛ فإنّ الناس فى فيئكم وفى ظِلّكم ، ولن يجترئ مجترئ على خلافِكم ؛ ولن يُصدِر الناس إلاّ عن رأيكم ، أنتم أهل العزّ والثَّرْوَة ، وأولو العَدَد والمَنعة والتجربة ، ذوو البأس والنجْدة ؛ وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ؛ ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيُكم ؛ وينتقض عليكم أمركم ؛ [فإن] أبى هؤلاء إلاّ ما سمعتم ؛ فمنّا أمير ومنهم أمير .

١٨٤١/١

فقال عمر : هيهات لا يجتمع اثنان فى قَرن ! والله لاترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيها من غيركم ؛ ولكن العرب لاتمتنع أن تولّى أمرَها مَنْ كانت النبوّة فيهم وولى أمورهم منهم ؛ ولنا بذلك على مَنْ أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ؛ مَنْ ذا ينازعنا سلطانَ محمد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مُدْلٍ بباطل ، أو مُتَجانِف لإثم ، و متورِّط فى هَلَكَة !

فقام الحبُاب بن المنذر فقال : يامعشرَ الأنصار، املكُوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر؛ فإن أبوْا عليكم ما سألتموه ، فاجلُوهم عن هذه البلاد ، وتولَّوْا عليهم هذه الأمور؛ فأنتم والله أحقُّ بهذا الأمر منهم ؛ فإنه بأسيافكم دانَ لهذا الدين مَنْ دانَ ممّن لم يكن يدين ؛ أنا جُذَيْلُها

(١) من ب .

المُحَكَّك ، وعُذَيقُها المرَجَّب ! أمَا والله لَئن شئتم لنعيدنّها جذَعَةً[١] ؛ فقال عمر : إذاً يقتلك الله ! قال : بل إياك يقتل !

فقال أبو عبيدة : يا معشرَ الأنصار ؛ إنّكم أوّل مَنْ نصر وآزرَ ؛ فلا تكونوا أوّل مَنْ بدّل وغيّر . ١/١٨٤٢

فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال : يا معشرَ الأنصار ؛ إنا والله لئن كنا أولى فضيلة فى جهادِ المشركين ، وسابقةٍ فى هذا الدّين ؛ ما أردنا به إلاّ رضا ربنا وطاعة نبينا ؛ والكَدْحَ لأنفسنا ؛ فما ينبغى لنا أن نستطيل على النّاس بذلك ، ولا نبتغى به من الدنيا عرَضا ؛ فإن الله ولىّ المنة علينا بذلك ؛ ألا إنّ محمداً صلى الله عليه وسلم من قريش ، وقومُه أحقّ به وأولى . وايم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر أبدا ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم !

فقال أبو بكر : هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأيّهما شئتم فبايعوا . فقالا : لا والله لا نتولّى هذا الأمر عليك ؛ فإنك أفضلُ المهاجرين وثانى اثنين إذْ هما فى الغار ، وخليفةُ رسول الله على الصّلاة ؛ والصّلاةُ أفضلُ دين المسلمين ؛ فمن ذا ينبغى له أن يتقدّمك أو يتولّى هذا الأمر عليك ! ابسُط يدك نبايعْك .

فلما ذهبا ليبايعاه ، سبقهما إليه بشير بن سعد ، فبايعه ، فناداه الحُباب ابن المنذر : يا بشير بن سعد : عَقّتْك[٢] عَقاقِ ؛ ما أحوجك إلى ما صنعت ، أنَفِسْتَ على ابن عمّك الإمارة ! فقال : لا والله ؛ ولكنى كرهت أن أنازع قوماً حقّاً جعله الله لهم .

ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد ، وما تدعُو إليه قريش ، وما تطلبُ الخزرجُ من تأمير سعد بن عبادة ، قال بعضهم لبعض ، وفيهم أسَيْد ابن حُضير — وكان أحدَ النقباء : والله لئن وليَتْها الخزرج عليكم مرّة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ؛ ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً ، فقوموا فبايعوا ١/١٨٤٣

(١) جذعة : فتية . (٢) ط : « عققت » ، والتصويب من اللسان .

أبا بكر . فقاموا إليه فبايعوه ، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم.

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدّثني أبو بكر بن محمد الخُزاعيّ ، أن أسلمَ أقبلتْ بجماعتها حتّى تضايـَقَ بهم السكك، فبايعوا أبا بكر ؛ فكان عمر يقول : ما هو إلاّ أن رأيتُ أسلم ، فأيقنتُ بالنّصر .

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال عبدُ الله بن عبد الرحمن : فأقبـَل الناس من كلّ جانب يبايعون أبا بكر ، وكادوا يطئون سعد بن عبادة ، فقال ناس من أصحاب سعد : اتقوا سعداً لا تطئوه، فقال عمر : اقتلوه قتله الله ! ثم قام على رأسه ، فقال : لقد هممتُ أن أطأكَ حتى تُنْدَرَ عَضُدك[1] ، فأخذ سعد بلِحية عمر ، فقال : والله لو حصصتَ منه شعره ما رجعت وفى فيك واضحة[2] ؛ فقال أبو بكر : مهلاً يا عمر! الرِّفْقُ ها هنا أبلغ . فأعرض عنه عمر . وقال سعد : أما والله لو أنّ بي قوّة مّا، أقوى على النهوض ، لسمعتَ منّي فى أقطارها وسككها زَئيراً يُجْحِرك[3] وأصحابك ؛ أما والله إذاً لألحقنك بقوم كنتَ فيهم تابعًا غير متبوع ! احملوني مِنْ هذا المكان ، فحملوه فأدخلوه فى داره ، وترِكَ أياماً ثم بعث إليه أن أقبِل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومُك ؛ فقال : أما والله حتى أرميَكم بما فى كنانتى من نَبْلى ، وأخْضِب سنان رمْحى ، وأضربكم بسيفى ما ملكته يدى ، وأقاتلكم بأهل بيتى ومَنْ أطاعنى من قومى ؛ فلا أفعل ، وايْمُ الله لو أنّ الجنّ اجتمعتْ لكم مع الإنس ما بايعتُكم ، حتى أعرَض على ربّى ، وأعلَم ما حسابى .

١/١٨٨٤

فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر : لا تَدَعْه حتى يبايع . فقال له بشير بن سعد : إنه قد لجّ وأبى ؛ وليس بمبايعكم حتى يُقتل ، وليس بمقتول حتى يُقتل معه ولدُه وأهل بيته وطائفة من عشيرته ؛ فاتركوه فليس تركُه بضارّكم ؛ إنما هو رجلٌ واحد. فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه ؛

---

(١) تندر عضدك : تزال عن موضعها ، وفى ط : « عضوك » .

(٢) الواضحة : الأسنان التى تبدو عند الضحك .

(٣) يجحرك وأصحابك ، أى يدخلكم المضايق .

فكان سعْد لا يصلّى بصلاتهم ، ولا يجمع معهم ويحجّ ولا يُفيض معهم بإفاضتهم ؛ فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله .

حدّثنا عُبيد الله بن سعد ، قال: حدّثنا عمّى ، قال : أخبرنا سَيْف ابن عمر ، عن سهل وأبى عثمان ، عن الضحّاك بن خليفة ، قال : لما قام الحُبابُ ابن المنذر انتضَى سيفه؛ وقال: أنا جُذَيلُها المحكّك وعُذَيقها المرجّب؛ أنا أبو شبل فى عِرّيسةِ الأسد، يعزَى إلىّ الأسْد . فحامله عمر فضرب يده، فندَر السيفُ ، فأخذه ثم وثب على سعد ووثبوا على سعد ؛ وتتابع القوم على البيعة ؛ وبايع سعد ؛ وكانت فلتةٌ كفلَتات الجاهليّة ؛ قام أبو بكر دونها . وقال قائل حين أوطىء سعد: قتلتم سعداً ، فقال عمر : قتله الله ! إنه منافق ، واعترض عمرَ بالسيف صخرةٌ فقطعه . ١/١٨٤٥

حدّثنا عُبيد الله بن سعيد ، قال : حدّثنى عمّى يعقوب ، قال : حدثنا سيف ، عن مبشّر ، عن جابر ، قال : قال سعد بن عبادة يومئذ لأبى بكر : إنكم يا معشرَ المهاجرين حسدتمونى على الإمارة ؛ وإنك وقومى أجبرتمونى على البَيْعة ، فقالوا : إنا لو أجبَرْناك على الفُرقة فصرت إلى الجماعة كنت فى سَعة ؛ ولكننا أجبرنا على الجماعة ، فلا إقالة فيها؛ لئن نزعت يداً من طاعة ، أو فرّقت جماعة ، لَنضرِبنّ الذى فيه عيناك .

* * *

[ذكر أمر أبى بكر فى أول خلافته]

حدّثنا عبيدُ الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمى ، قال : حدّثنا سيف — وحدّثنى السرىّ بن يحيى ، قال : حدّثنا شُعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر — عن أبى ضَمْرة ، عن أبيه ، عن عاصم بن عدىّ ، قال : نادى منادى أبى بكر ، من بعد الغدِ مِنْ متوفَّى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : ليُتَمّ بعث أسامة ؛ ألا لا يبقينّ بالمدينة أحدٌ من جُنْد أسامة إلاّ خرج إلى عسكره بالجُرف . وقام فى الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

يأيها الناس ، إنما أنا مثلُكم ؛ وإنى لا أدرى لعلكم ستكلفوننى ما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يطيق ؛ إن الله اصطفى محمدًا على العالمين وعصمه من الآفات ؛ وإنما أنا متبعٌ واست بمبتدع ؛ فإن استقمت فتابعونى، وإن زغت فقومونى ؛ وإنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبض وليس أحدٌ من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها ؛ ألاَ وإنّ لى شيطانًا يعترينى ؛ فإذا أتانى فاجتنبونى ؛ لا أؤثر فى أشعاركم وأبشاركم ؛ وأنتم تغدون وتَرُوحون فى أجلٍ قد غيِّب عنكم علمه ؛ فإن استطعتم ألاّ يمضىَ هذا الأجل إلاّ وأنتم فى عمل صالح فافعلوا ؛ ولن تستطيعوا ذلك إلاّ بالله ، فسابقوا فى مَهل آجالكم من قبل أن تُسلمَكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال ؛ فإن قومًا نسوُا آجالهم ، وجعلُوا أعمالهم لغيرهم ؛ فإيّاكم أن تكونوا أمثالهم . الجدّ الجدّ ! والوحا الوحا ! والنّجاء النّجاء ! فإن وراءكم طالباحثيثًا ، أجلاً مَرُّه سريعٌ . احذروا الموت . واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات .

١٨٤٦/١

وقام أيضًا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنّ الله عزّ وجلّ لا يقبل من الأعمال إلاّ ما أريد به وجهه ؛ فأريدوا الله بأعمالكم ، واعلموا أنّ ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها ، وخطأٌ ظفرتم به، وضرائب أدّيتموها ، وسلَفٌ قدّمتموه من أيام فانية لأخرى باقية ؛ لحين فقركم وحاجتكم . اعتبروا عباد الله بمَنْ مات منكم ، وتفكّروا فيمن كان قبلكم . أين كانوا أمس ، وأين هم اليوم ! أين الجبّارون ! وأين الذين كان لهم ذِكْر القتال والغلَبة فى مواطن الحروب ! قد تضعضع بهم الدّهر ، وصاروا رميماً ؛ قد تُركت عليهم القالات ؛ الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات . وأينَ الملوك الذين أثاروا الأرض وعمرُوها ؛ قد بعدوا ونُسِىَ ذكرهم ، وصاروا كلا شىء . ألا إنّ الله قد أبقى عليهم التَّبِعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوْا والأعمال أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلَفًا بعدهم ؛ فإن نحن اعتبرنا بهم نجوْنا ؛ وإن اغتررنا كنّا مثلهم ! أين الوُضّاءُ الحسنة وجوهُهم ، المعجبون بشبابهم ! صاروا ترابًا ، وصار ما فرطوا فيه حَسْرَة عليهم ! أين الذين بنوا المدائن وحصّنوها بالحوائط ، وجعلوا فيها الأعاجيب ! قد تركوها

١٨٤٧/١

لمن خلَّفهم ؛ فتلك مساكنهم خاوية ، وهم فى ظلمات القبور ، هل نحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ! أين مَنْ تعرفون من أبنائكم وإخوانكم ؛ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا على ما قدموا فحلُّوا عليه وأقاموا للشّقْوة والسعادة فيما بعد الموت . ألاَ إنّ الله لا شريك له ، ليس بينه وبين أحد مِنْ خلقه سببٌ يعطيه به خيراً ، ولا يصرف عنه به سوءًا ، إلاّ بطاعته واتباع أمره . واعلموا أنكم عبيدٌ مَدِينُونَ ، وإنّ ما عنده لا يُدْرك إلاّ بطاعته ؛ أما أنه لا خير بخير بَعْدَه النارُ ، ولا شر بشرّ بعده الجنة .

١٨٤٨/١ حدّثنى عُبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنى عمّى ، قال : أخبرنى سيف — وحدّثنى السَّرِىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، قال : أخبرنا سيف — عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، قال : لما بويع أبو بكر رضى الله عنه وجمع الأنصار فى الأمر الذى افترقوا فيه ، قال : لِيُتَمّ بعثُ أسامة ؛ وقد ارتدت العرب ؛ إمّا عامة وإمّا خاصّة فى كلّ قبيلة ؛ ونجَم النفاق ، واشرأبّت اليهود والنصارى ، والمسلمون كالغَنَم فى الليلة المطيرة الشاتية ، لفقد نبيّهم صلى الله عليه وسلم وقِلّتهم ، وكثرة عدوّهم . فقال له الناس : إن هؤلاء جُلّ المسلمين والعرب — على ما ترى — قد انتقضت بك ؛ فليس ينبغى لك أن تفرّق عنك جماعة المسلمين . فقال أبو بكر : والذى نفس أبى بكر بيده ، لو ظننت أن السِّباع تخطّفنى لأنفذت بعثَ أسامة كما أمَر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يبقَ فى القرى غيرى لأنفذته !

حدّثنى عبيدُ الله ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : أخبرنى سيف — وحدّثنى السرىّ ، قال : حدّثنا شعيب ، قال : حدّثنا سيف — عن عطية ، عن أبى أيوب عن علىّ ، وعن الضّحاك عن ابن عباس ، قالا : ثم اجتمعَ من حول المدينة من القبائل التى غابت فى عام الحُدَيبيَة ، وخرجوا وخرج أهلُ المدينة فى جُنْد أسامة ؛ فحبس أبو بكر مَنْ بَقِىَ من تلك القبائل التى كانت لهم الهجرة فى ديارهم ، فصاروا مسالحَ حول قبائلهم وهم قليل .

١٨٤٩/١ حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثنى عمى ، قال : أخبرنى سيف — وحدّثنى السرىّ ، قال : حدّثنا شعيب ، قال : حدّثنا سَيْف — عن أبى ضَمْرة

وأبى عمرو وغيرهما؛ عن الحسن بن أبى الحسن البصرىّ، قال: ضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعثًا على أهل المدينة ومَنْ حولهم؛ وفيهم عمر ابن الخطاب، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد. فلم يجاوز آخرهم الخندقَ، حتى قُبِض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فوقف أسامةُ بالناس، ثم قال لعمر: ارجع إلى خليفة رسول الله فاستأذِنْه؛ يأذن لى أن أرجع بالناس؛ فإنّ معى وجوهَ الناس وحدَّهم؛ ولا آمن على خليفة رسول الله وثَقَلِ رسول الله وأثقال المسلمين أن ينخطّفهم المشركون. وقالت الأنصارُ: فإن أبى إلاّ أن نمضىَ فأبلغْه عنّا، واطلب إليه أن يولّىَ أمرَنا رجلاً أقدمَ سنًّا من أسامة. فخرج عمر بأمر أسامة، وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة، فقال أبو بكر، لو خطَفَتْنى الكلاب والذئاب لم أردّ قضاء قضَى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم! قال: فإنّ الأنصار أمرونى أن أبلغك، وإنهم يطلبون إليك أن تُولّى أمرَهم رجلاً أقدمَ سنًّا من أسامة؛ فوثب أبو بكر — وكان جالسًا — فأخذ بلحيةِ عمر، فقال له: ثكلتك أمُّك وعدمَتْك يابن الخطاب! استعملَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أنزِعَه! فخرج عمر إلى الناس فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: امضوا، ثكلَتْكم أمّهاتُكم! ما لقيتُ فى سببكم من خليفة رسول الله!

١/١٨٥٠ ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم، فأشخصهم وشيّعهم وهو ماش وأسامة راكبٌ، وعبد الرحمن بن عوف يقودُ دابة أبى بكر، فقال له أسامة: يا خليفةَ رسول الله، والله لتركبنّ أو لأنزلنّ! فقال: والله لاتنزل ووالله لاأركب! وما علىّ أن أغبّرَ قدمىّ فى سبيل الله ساعةً؛ فإن للغازى بكلّ خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترتفع له، وترفع عنه سبعمائة خطيئة! حتى إذا انتهى قال: إن رأيتَ أن تعينَنى بعمر فافعل! فأذن له، ثم قال: يأيها الناس، قفُوا أوصِكُمْ بعشر فاحفظوها عنّى: لاتَخُونُوا ولا تُغلّوا، ولا تَغْدِروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيرًا، ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقِرُوا[١] نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرةً

(١) عقر النخلة: قطع رأسها.

مثمرة ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ؛ وسوف تمرُّون بأقوام قد فرّغوا أنفسَهم فى الصوامع ؛ فدَعُوهم وما فرّغوا أنفسهم له ، وسوف تقدَمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوانُ الطعام؛ فإذا أكلتم منها شيئًا بعد شىء فاذكروا اسمَ الله عليها . وتلقوْن أقوامًا قد فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ؛ فاخفِقوهم بالسيف خَفْقًا . اندفعوا باسم الله ، أفناكم الله بالطعن والطاعون[1] .

١٨٥١/١ حدّثنى السرىّ ، قال : حدّثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف — وأخبرنا عبيد الله ، قال : أخبرنى عمّى ، قال :حدثنا سيف — عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : خرج أبوبكر إلى الجُرْف ، فاستَقْرى أسامة وبعثه ، وسأله عمرَ فأذن له ، وقال له : اصنع ما أمرَك به نبىُّ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ابدأ ببلاد قُضاعة ثم إيتِ آبِلَ ، ولا تقصّرنّ فى شىء من أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولا تعجلنّ لما خلّفتَ عن عهده . فمضى أسامة مُغِذًّا على ذى المَرْوَة والوادى ، وانتهى إلى ما أمره به النبىّ صلى الله عليه وسلم من بَثّ الخيول فى قبائل قُضاعة والغارة على آبِل ، فسلِم وغنِم ، وكان فراغه فى أربعين يومًا سوى مقامه ومنقلبه راجعًا .

فحدّثنى السرىّ بن يحيى ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف — وحدّثنا عُبيد الله ، قال : أخبرنا عمّى ، قال : أخبرنا سيف — عن موسى بن عقبة ، عن المغيرة بن الأخنَس .

وعنهما ، عن سيف ، عن عمرو بن قيس ، عن عطاء الخراسانى مثلَه .

* * *

بقيّة الخبر عن أمر الكذّاب العنسىّ

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جمّع — فيما بلغنا — لباذام حين أسلم وأسلمت اليمن عمَل اليمن كلّها ، وأمّرَه على جميع مخالفيها ، فلم يزل عامل رسول الله

(١) كذا فى س ، وفى ط : « أقناكم » ، ولا معنى له ، وما أثبته يتفق مع الحديث : « فناء أمتى بالطعن والطاعون » . وانظر النهاية ٣ : ٣٩ .

صلى الله عليه وسلم أيامَ حياته ، فلم يعزِله عنها ولا عن شيء منها ، ولا أشرك معه فيها شريكًا حتى مات باذام ، فلمّا مات فرّق عملها بين جماعة من أصحابه .

فحدّثني عُبيد الله بن سعد الزُّهريّ ، قال : حدّثنا عمّي ، قال : حدّثنا سيف — وحدّثني السريّ بن يحيى ، قال : حدّثنا شُعيب بن إبراهيم ، عن سيف — قال : حدّثنا سَهْل بن يوسف ، عن أبيه ، عن عبيد بن صَخْر ابن لَوْذان الأنصاريّ السُّلميّ — وكان فيمن بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مع عمّال اليمن في سنة عشر بعد ما حجّ حجّة التّمام : وقد مات باذام ، فلذلك فرّق عملَها بين شَهْر بن باذام ، وعامر بن شهر الهَمْدانيّ ، وعبد الله بن قيس أبي موسى الأشعريّ ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والطّاهر بن أبي هالة ، ويعلَى بن أميّة ، وعمرو بن حَزْم ، وعلى بلاد حَضْرَمَوْت زياد بن لَبِيد البيَاضيّ وعُكّاشة بن ثور بن أصغر الغَوْثيّ ؛ على السَّكاسك والسَّكون ومعاوية ابن كندة ، وبعث مُعاذ بن جبل معلّمًا لأهل البلديْن : اليمن وحضرموت .

١٨٥٢/١

حدّثني عبيدُ الله ، قال : أخبرني عمّي ، قال : أخبرني سَيْف — يعني ابن عمر — عن أبي عمرو مولى إبراهيم بن طلحة ، عن عبادة بن قُرْص بن عبادة ، عن قُرْص الليثيّ ، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة بعد ما قضى حجّة الإسلام ، وقد وجّه إمارة اليمن وفرّقها بين رجال ، وأفرد كلّ رجل بحَيِّزِه ، ووجّه إمارة حضرموت وفرّقها بين ثلاثة ، وأفرد كلّ واحد منهم بحيِّزه ، واستعمل عمرو بن حزم على نَجْران ، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نَجْران ورِمَع وزَبيد ، وعامر بن شهر على هَمْدان ، وعلى صنعاء ابن باذام ، وعلى عَكّ والأشعريّين الطّاهر بن أبي هالة ، وعلى مأرب أبا موسى الأشعريّ ، وعلى الجنَد يعلَى بن أميّة . وكان معاذ معلّمًا يتنقّل في عِمالة كلّ عامل باليمن وحضرموت ؛ واستعمل على أعمالِ حضرموت ؛ على السَّكاسك والسَّكون عُكّاشة بن ثور ، وعلى بني معاوية بن كندة عبد الله[1] — أو المهاجر — فاشتكى فلم يذهب حتى وجّهه أبو بكر . وعلى حضرموت زياد بن لبيد

١٨٥٣/١

---

(١) هو عبد الله بن قيس ، أبو موسى الأشعري .

البياضيّ ، وكان زياد يقوم على عمل المهاجر ؛ فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء عمّاله على اليمن وحضرموت ؛ إلاّ مَنْ قُتِل فى قتال الأسود أو مات ؛ وهو باذام ، مات ففرّق النبيّ صلى الله عليه وسلم العملَ من أجله. وشهر ابنُه — يعنى ابن باذام — فسار إليه الأسود فقاتله فقتله.

وحدّثنى بهذا الحديث السريّ ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سَيْف . فقال فيه: عن سيف، عن أبى عمرو مولى إبراهيم بن طلحة . ثم سائر الحديث بإسناده مثل حديث ابن سعد الزُّهريّ.

قال : حدّثنى السريّ ، قال : حدّثنا شُعيب بن إبراهيم ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ، عن عِكْرمة ، عن ابن عبّاس ، قال : أوّل من اعترض على العَنْسىّ وكاثَره عامرُ بن شَهْر الهمْدانىّ فى ناحيته وفيروز وداذَوَيْه فى ناحيتهما ، ثم تتابع الذين كتِب إليهم على ما أمِروا به .

حدّثنا عُبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمّى ، قال : أخبرنى سَيْف ، قال . وحدّثنا السرِىّ ، قال: حدّثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف — عن سهل بن يوسف ، عن أبيه، عن عبيد بن صخر، قال: فبينا نحن بالجَنَد قد أقمناهم على ما ينبغى ، وكتبنا بيننا وبينهم الكتب ، إذ جاءنا كتاب من الأسْود : أيها المتورّدُون علينا ، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضِنا ، ووفّروا ما جمعتم ؛ فنحن أوْلى به وأنتم علَى ما أنتم عليه . فقلنا للرسول : مِنْ أين جئت ؟ قال : من كهف خُبّان . ثم كان وجّهه إلى نَجْران ؛ حتى أخذها فى عشرٍ لمخرجه ، وطابقه عوامّ مذحج . فبينا نحن ننظر فى أمرنا ، ونجمع جَمعنا ، إذ أتينا فقيل : هذا الأسود بشَعُوب[1]، وقد خرج إليه شهر بن باذام ؛ وذلك لعشرين ليلة من منجَمه . فبينا نحن ننتظر الخبر على من تكون الدَّبْرَة ، إذ أتانا أنه قتل شهرًا ، وهزم الأبناء ، وغلب على صَنْعاء لخمس وعشرين ليلة من منجَمه . وخرج معاذ هاربًا ، حتى مرّ بأبى موسى

١٨٥٤/١

---

(١) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع ، أو بساتين بظاهر صنعاء — ياقوت .

وهو بمأرِب ، فاقتحما حضرموت ؛ فأما معاذ فإنه نزل فى السَّكون ؛ وأما أبو موسى فإنه نزل فى السَّكاسك مما يلى المفُّور والمفازة[١] بينهم وبين مأرِب ، وانحاز سائر أمراء اليَمن إلى الطَّاهر إلاّ عمراً وخالداً ؛ فإنهما رجعا إلى المدينة ؛ والطَّاهر يومئذ فى وسَط بلاد عَكّ بحِيال صنعاء . وغلب الأسودُ على ما بين صَهيد — مفازة حضرموت — إلى عمل الطائف إلى البحرين قِبَل عَدَن ، وطابقت عليه اليمن ، وعكّ بتهامة معترضون عليه ؛ وجعل يستطير استطارة الحريق ، وكان معه سبعمائة فارس يوم لَقِيَ شهراً سوى الرُّكبان ؛ وكان قُوَّاده قيس بن عبد يغوث المُرادىّ ومعاوية بن قيس الجَنْبِىّ ويزيد بن محرم ويزيد بن حُصين الحارثىّ ويزيد بن الأَفْكَل الأزدىّ . وثبت ملكُه واستغلظ أمرُه ، ودانتْ له سواحل من السواحل ؛ حاز عَثْر[٢] والشَّرْجَة والحَرْدة[٣] وغَلافقَة وعَدَن ، والجَنَد ؛ ثم صَنْعاء إلى عَمَل الطائف ، إلى الأحسِيَة وعُلَيْب ؛ وعامله المسلمون بالبَقيّة[٤] ، وعامله أهلُ الرّدّة بالكفر والرجوع عن الإسلام . وكان خليفته فى مذحِج عمرَو بن معد يكرب ، وأسند أمره إلى نفر ؛ فأما أمرُ جنده فإلى قيس بن عبد يغوث ، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز وداذويْه .

١٨٥٥/١

فلمّا أثخن فى الأرض استخفّ بقيس وبفيروز وداذويْه ، وتزوّج امرأة شهر ؛ وهى ابنة عمّ فيروز ؛ فبينا نحن كذلك بحضرموت — ولا نأمن أن يسير إلينا الأسود ، أو يبعث إلينا جيشاً ، أو يخرج بحضرموت خارجٌ يدّعى بمثل[٥] ما ادّعى به الأسود ، فنحن على ظهر ، تزوّج مُعاذ إلى بنى بكرة ؛[٦] حى من السَّكون ، امرأة أخوالها بنو زنكبيل يقال لها رَمْلة ، فحَدِبوا لصهره[٧]

١٨٥٦/١

---

(١) ز : « أظفور وأظفارة » .

(٢) عثر ، ضبطه صاحب مراصد الاطلاع بفتح أوله وسكون ثانيه ، وقال : « وهو عثر ، بالتشديد ؛ إلا أن أهل اليمن لا يقولونه إلا بالتخفيف » .

(٣) كذا ضبطه ياقوت بالفتح ، وقال : « بلد باليمن له ذكر فى حديث العنسى » وفى ط بكسر الحاء .

(٤) س : « بالتقية » .

(٥) س : « مثل » .

(٦) س : « نكره » .

(٧) س : « بصهره » .

علينا[١] ، وكان معاذ بها معجَبًا ، فإن كان ليقول فيما يدعو الله به : اللهمّ ابعثني يوم القيامة مع السَّكون ، ويقول أحيانًا : اللهمّ اغفر للسَّكون — إذ جاءتْنا كتبُ النبيّ صلى الله عليه وسلم يأمرُنا فيها أن نبعثَ الرِّجالَ لمجاولته أو لمصاولته ؛ ونُبلِغَ[٢] كلّ مَنْ رجا عنده شيئًا من ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وسلم . فقام معاذ فى ذلك بالذى أمِر به ، فعرفنا القوّة ووثقنا بالنصر.[٣]

حدّثنا السرىّ ، قال : أخبرَنا شُعيب ، قال : حدّثنا سَيْف — وحدّثنى عُبيد الله ، قال : أخبرَنا عمّى ، قال : أخبرنا سيف — قال : أخبرَنا المستنير ابن يزيد ، عن عروة بن غزّية الدَّثينىّ ، عن الضّحاك بن فيروز — قال السرىّ : عن جُشَيْش بن الديلمىّ ، وقال عبيد الله : عن جشنس[٤] بن الديلمىّ — قال : قدِم علينا وَبَرُ بن يُحَنّس بكتاب النّبىّ صلى الله عليه وسلم ، يأمرنا فيه بالقيام على ديننا ، والنهوض فى الحرب ، والعمل فى الأسود : إمّا غيلة وإما مصادمة ؛ وأن نبلغ عنه مَن رأينا أنّ عنده نجدة ودينًا . فعملنا فى ذلك ، فرأينا أمراً كثيفًا ، ورأيناه قد تغيّر لقيس بن عبد يغوث — وكان على جنده — فقلنا : يُخاف على دمه ؛ فهو لأوّل دعوة ؛ فدعوناه وأنبأناه الشأنَ ، وأبلغناه عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ؛ فكأنما وقعنا عليه من السماء ، وكان فى غمّ وضيق بأمره ؛ فأجابنا إلى ما أحببنا من ذلك ، وجاءنا[٥] وبر بن يحَنّس ، وكاتبْنا الناسَ ودعوناهم ؛ وأخبره الشيطان بشىء ، فأرسل إلى قيس وقال : يا قيس ، ما يقول هذا ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول : عَمَدت إلى قيس فأكرمته ؛ حتى إذا دخل منك كلّ مدخل ، وصار فى العزّ مثلك ، مال ميل عدوّك ؛ وحاول ملكَك وأضمر على الغدر ! إنه يقول : يا أسود يا أسود ! يا سوءة يا سوءة ! اقطف قُنَّتَه ، وخذْ من قيس أعلاه ؛ وإلاّ سلبك أو قطف قُنّتَك . فقال قيس — وحلَف به : كذَبَ وذى الخِمار ؛ لأنتَ أعظمُ فى

١/١٨٥٠٧

---

(١) ز : « عليه » .

(٢) س : « أو نبلغ » .

(٣) ز : « بالنصرة » .

(٤) كذا فى المشتبه ١٨٦ ، وفى ط : « جشيش » ، تحريف .

(٥) ز : « وجاء » .

نفسي وأجَلُّ عندى من أنْ أحدِّثَ بك نفسى ؛ فقال : ما أجفاك ! أتكذّب المَلَك ! قد صدق الملَك ، وعرفت الآن أنك تائبٌ مما اطّلع عليه منك .

ثم خرج فأتانا ، فقال : ياجُشَيش ، ويافيْروز ، وياداذويه ؛ إنه قد قال وقلت[١] ؛ فما الرأىُ ؟ فقلنا : نحن على حذَر ؛ فإنا فى ذلك ؛ إذ أرسل إلينا ، فقال : ألم أشرِّفْكُم على قومِكم ، ألم يبلغنى عنكم ! فقلنا : أقِلْنا مرّتَنا هذه ، فقال : لا يبلغنى عنكم فأقتلكم[٢] ؛ فنجوْنا ولم نكدْ ؛ وهو فى ارتياب من أمرنا وأمر قيس ؛ ونحن فى ارتياب وعلى خطر عظيم ؛ إذ جاءنا اعتراض عامر ابن شَهْر وذى زود وذى مُرّان وذى الكَلاع وذى ظُلَيْم عليه ، وكاتبونا وبذلوا لنا النَّصر ؛ وكاتبناهم وأمرناهم ألاّ يحركوا شيئًا حتى نُبْرِم الأمْرَ — وإنما اهتاجوا لذلك حين جاء كتاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛[٣] وكتب النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى أهل نَجْران[٣] ؛ إلى عَرَبهم وساكنى الأرض من غير العرب ؛ فثبتوا فتَنحّوا وانضمّوا إلى مكان واحد — وبلغه ذلك ، وأحسّ بالهلاك ، وفرَق لنا الرّأىُ ، فدخلتُ على آذاد ؛ وهى امرأته ، فقلت : يا ابنةَ عمّ ؛ قد عرفتِ بلاءَ هذا الرجل عند قومك ؛ قَتَل زوجك ، وطأطأ فى قومك القتل[٤] ، وسفل بمن بقى منهم ؛ وفضح النساء ؛ فهل عندك من ممالأة عليه ! فقالت : على أىّ أمره[٥] ؟ قلت : إخراجه ، قالت : أو قتله ، قلت : أو قتله ، قالت : نعم والله ما خلَق الله شخصًا أبغضَ إلىّ منه ؛ ما يقوم لله على حقّ ، ولا ينتهى له عن حُرْمة[٦] ؛ فإذا عزمتم فأعلمونى أخبركم بمَأتَى هذا الأمر . فأخرجُ فإذا فيروز وداذويه ينتظرانى ، وجاء قيس ونحن نريد أن نناهضه ، فقال له رجل قبل أن يجلسّ إلينا : المَلِك يدعوك ، فدخل فى عشرة من مَذْحِج وهَمْدان ، فلم يقدر[٧] على قتله معهم — قال السرِىّ فى حديثه : فقال :

١٨٥٨/١

---

(١) س : « وقد قلت » . (٢) كذا فى ز ، وفى ط : « فأقيلكم » .

(٣ — ٣) ساقط من ز .

(٤) طأطأ القتل فى قومه ؛ أى أسرع فيهم بالقتل .

(٥) ز : أضاف : « هو » .

(٦) ابن الأثير : « محرم » .

(٧) ز : « فلم يقدم » .

يا عيْهلة بن كعب بن غوث ، وقال عبيدُ الله فى حديثه : يا عبهلة بن كعب بن غوث — أمِنِّى تحصَّنُ بالرّجال ! ألم أخبرك الحقّ وتخبرنى الكذابة[١] ! إنه يقول : ياسوءة ياسوءة ! إلاّ تقطع من قيس يدَه يقطع قُنّتك[٢] العُلْيا ؛ حتى ظنّ أنه قاتله ؛ فقال : إنه ليس من الحق أن أقتلك[٣] وأنت رسول الله ، فمر[٤] بى بما أحببت ؛ فأما الخوف والفزَع فأنا فيهما مخافة [أن تقتلنى][٥] — قال الزّهرىّ : فإمّا قتلتَنى فموتة ، وقال السّرىّ : اقتلنى فموتةٌ أهونُ علىّ من موتات أموتُها كلّ يوم — فرقّ له فأخرجه ، فخرج علينا فأخبرنا وواطأنا[٦] ، وقال : اعْملُوا عملَكم ؛ وخرج علينا فى جمع ، فقمنا مُثُولا له ، وبالباب مائة ما بين بقرة وبعير ، فقام وخطّ خطًّا فأقيمت من ورائه ، وقام من دونها ، فنحرها غير محبَّسة ولا معقَّلة ، ما يقتحم الخطّ منها شىء ، ثم خلاّها فجالتْ إلى أن زهَقت ؛ فما رأيت أمراً كان أفظع منه ، ولا يومًا أوحش منه . ثم قال : أحقٌّ ما بلغنى عنك يا فيروز ؟ وبوّأ له الحربة — لقد هممتُ أن أنحرَك فأتبِعَك هذه البهيمة ، فقال : اخترتَنا لِصهْرِك وفضّلتنا على الأبناء ؛ فلو لم تكن نبيًّا ما بعْنَا نصيبنا منك بشىء ؛ فكيف وقد اجتمع لنا بك أمرُ آخرة ودنيا ؛ لا تقبلنّ علينا أمثال ما يبلغك ؛ فإنّا بحيث تحبّ . فقال : اقسِمْ هذه ؛ فأنت أعلم بمَنْ ها هنا ، فاجتمع إلىّ أهلُ صنعاء ، وجعلت آمر للرهط بالجَزور ولأهل البيت بالبقرة ، ولأهل الحِلَّة[٧] بعدّة ، حتى أخذ أهل كلّ ناحية بقسطهم . فلحق به قبل أن يصل إلى داره — وهو واقف علىّ — رجلٌ يسعى إليه بفيروز ؛ فاستمع له ، واستمع له فيروز وهو يقول : أنا قاتله غداً وأصحابه ؛ فاغدُ علىّ ، ثم التفت فإذا به[٨] ، فقال : مَه ! فأخبره بالذى صنع ، فقال : أحسنت ، ثم ضرب دابّته داخلاً ، فرجع إلينا فأخبرنا

١٨٥٩/١

١٨٦٠/١

---

(١) ابن الأثير : « الكذب » . (٢) ابن الأثير : « قبتك » .
(٣) ابن الأثير : « أهلك » . (٤) ابن الأثير : « فرنى » .
(٥) من النويرى . (٦) ط : « وطوانا » ، وانظر ص ٢٣٢ س ١٤
(٧) ط : « الحلة » ، والصواب ما أثبته من ز . (٨) ز : « بفيروز » .

الخبر ، فأرسلنا إلى قيس ؛ فجاءنا؛ فأجمع ملؤهم أن أعود إلى المرأة فأخبرها بعزيمتنا لتخبرنا بما تأمر ؛ فأتيتُ المرأة وقلت : ما عندك ؟ فقالت : هو متحرِّز متحرِّس ؛ وليس من القصْر شيء إلاّ والحرَسُ محيطون به غير هذا البيت ؛ فإنّ ظهرَه إلى مكان كذا وكذا من الطريق ؛ فإذا أمسيتُم فانقُبوا عليه ؛ فإنّكم من دون الحرَس ؛ وليس دون قتله شيء . وقالت : إنّكم ستجدون فيه سِراجًا وسلاحًا . فخرجتُ فتلقّانى الأسود خارجًا من بعض منازله . فقال لى : ما أدخلك علىّ ؟ ووجأ رأسى حتى سقطتُ — وكان شديداً — وصاحت المرأة فأدهشتْه عنّى؛ ولولا ذلك لقتلنى . وقالت : ابن عمّى جاءنى زائراً ، فقصّرْتَ بى ! فقال : اسكتِى لا أبالك ، فقد وهبته لك ! فتزايلتْ عنّى ، فأتيت أصحابى فقلت : النَّجاء ! الهَرب ! وأخبرتُهم الخبر ؛ فإنا على ذلك حيَارَى إذ جاءنى رسولُها : لا تدَعنّ ما فارقتُك عليه ؛ فإنى لم أزلْ به حتى اطمأنّ ؛ فقلنا لفيروز : ائتِها فتثبّتْ منها ؛ فأما أنا فلا سبيلَ لى إلى الدخول بعد النَّهْى. ففعل، وإذا هو كان أفطنَ منى ؛ فلما أخبرتْه قالتْ : وكيف ينبغى لنا أن ننقّب على بيوت مبطّنة ! ينبغى لنا أن نقلع بِطانةَ البيت ؛ فدخلا فاقتلعا البطانة ، ثم أغلقاه ؛ وجلس عندها كالزائر ؛ فدخلَ عليها [الأسود][1] فاستخفّتْه غَيْرة[2] ، وأخبرته برضاع وقرابة منها عنده محرم ، فصاح به وأخرجه . وجاءنا بالخبر ؛ فلمّا أمسينا عملنا فى أمرنا ؛ وقد واطأنا أشياعَنا ، وعجِلْنا عن مراسلة الهمْدانيّين والحميَريِّين ؛ فنقبنا البيتَ من خارج ، ثم دخلنا وفيه سراج تحت جفْنة ؛ واتّقينا بفيْروز ؛ وكان أنجدَنا وأشدّنا — فقلنا : انظر ماذا ترى ! فخرج ونحن بينه وبين الحرس معه فى مقصورة ؛ فلمّا دنا من باب البيت سمع غطيطًا شديداً ، وإذا المرأة جالسة ؛ فلمّا قام[3] على الباب أجلسه الشّيْطان فكلّمه على لسانه — وإنه ليغُطّ جالسًا . وقال أيضاً : مالى ولك يا فيروز ! فخشىَ إن رجع أن يهلِك وتهلك المرأة ، فعاجله فخالطه وهو مثل الجمَل ؛ فأخذ برأسه فقتله ، فدقّ

١٨٦١/١

---

(١) من ابن الأثير . (٢) س : « الغيرة » .

(٣) س : « قدم » .

عنقه ، ووضع ركبته فى ظهره فدقّه ، ثم قام ليخرج ؛ فأخذت المرأة بثوبه وهى تَرى أنه لم يقتله ، فقالت : أين تَدَعُنِى ! قال : أخبرُ أصحابى بمقتله ؛ فأتانا فقمنا معه ، فأردنا حزّ رأسه ؛ فحرّكه الشيطان فاضطرب[1] فلم يضبطه ؛ فقلت : اجلسوا علَى صدره ؛ فجلس اثنان على صدره . وأخذت المرأة بشعره ، وسمعنا بربرة[2] فألجمتُه بمِئلاة[3] ؛ وأمرّ الشَّفْرة على حلْقه فخار كأشدّ خُوار ثور سمعته قطّ ؛ فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة ، فقالوا : ما هذا ، ما هذا ! فقالت المرأة : النبىّ يوحَى إليه! فخمد . ثم سمرنا ليلتَنا ونحن نأتمر كيف نخبرُ أشياعَنا ، ليس غيرنا ثلاثتنا : فيروز وداذويه وقيس[4] ؛ فاجتمعنا على النداء بشعارنا الذى بيننا وبين أشياعنا ، ثم يُنادى بالأذان ، فلما طلَع الفجر نادى داذويه بالشعار ، ففزع المسلمون والكافرون ، وتجمّع الحرس فأحاطوا بنا ، ثم ناديت بالأذان ، وتوافت خيولُهم إلى الحرس ، فناديتهم : أشهدُ أنّ محمداً رسول الله ، وأن عبْهلة كذّاب ! وألقينا إليهم رأسَه ، فأقام وبَر الصلاة ، وشنّها القوم غارةً ؛ ونادينا : يا أهلَ صنْعاء ، مَن دخل عليه داخل فتعلّقوا به ، ومَن كان عنده منهم أحد فتعلقوا به . ونادينا بمَن فى الطريق : تعلّقوا بمَن استطعتم ! فاختطفوا صبياناً كثيرين ؛ وانتهبوا ما انتهبوا ، ثم مضوْا خارجين ؛ فلمّا برزوا فقدوا منهم سبعين فارساً ركبانا ؛ وإذا أهلُ الدّور والطُرُق وقد وافوْنا بهم ؛ وفقدنا سبعمائة عيِّل فراسلونا وراسلناهم أن يتركُوا لنا ما فى أيديهم ، ونترك لهم ما فى أيدينا ؛ ففعلوا فخرجوا لم يظفرُوا منّا بشىء ؛ فتردّدوا فيما بين صنعاء ونَجْران ، وخلصت صنعاء والجَنَد ، وأعزّ الله الإسلام وأهله ؛ وتنافسْنا الإمارة ؛ وتراجع أصحابُ النبىّ صلّى الله عليه وسلم إلى أعمالهم ؛ فاصطلحنا على معاذ بن جبل ، فكان يصلّى بنا ، وكتبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر ؛ وذلك فى حياة

١/١٨٦٢ ، ١/١٨٦٣

---

(١) س : « فاضطرب فيه » .

(٢) البربرة : الصياح .

(٣) المئلاة : الخرقة التى تمسكها المرأة عند النوح تشير بها .

(٤) كذا فى ط ، وعبارة ابن الأثير : « وقعدنا نأتمر بيننا : فيروز وداذويه وقيس ؛ كيف نخبر أشياعنا » ، ويلاحظ أن راوى الخبر هنا هو جشنس الديلمى ، وانظر أوله ص ٢٣١ .

النبيّ صلى الله عليه وسلم . فأتاه الخبر مِنْ ليلته ، وقدمَتْ رُسُلُنا ؛ وقد مات النبيُّ صلى الله عليه وسلم صبيحةَ تلك الليلة ؛ فأجابنا أبو بكر رحمه الله .

حدّثنا عُبيد الله ، قال : أخبرنا عمّى ، قال : أخبرَنا سيف — وحدّثنى السَّرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سَيْف — عن أبى القاسم الشَّنَوىّ ، عن العلاء بن زياد ، عن ابن عمر ، قال : أتى الخبرُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم من السماء الليلةَ التى قتل فيها العَنْسىُّ ليبشِّرنا ، فقال : قُتِل العنسىّ البارحةَ ، قتله رجلٌ مباركٌ من أهل بيت مباركين ، قيل : ومن هو ؟ قال : فيروز ، فاز فيروز !

حدّثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا عمّى ، قال : أخبرنى سيف — وحدّثنى السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف — عن المستنير ، عن عُروة ، عن الضّحاك ، عن فيروز ، قال : قتلنا الأسود ، وعاد أمرنا كما كان ؛ إلاّ أنا أرسلْنا إلى مُعاذ ، فتراضينا[1] عليه ؛ فكان يصلِّى بنا فى صَنْعاء ؛ فوالله ما صلَّى بنا إلا ثلاثا ونحن راجون مؤمّلون ، لم يبق شىء نكرهه إلاّ ما كان من تلك الخيول التى تردّد بيننا وبين نَجْران ؛ حتى أتانا الخبر بوفاة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فانتقضت الأمور ؛ وأنكرنا كثيراً مما كنّا نعرف ، واضطربت الأرض .

١/١٨٦٤ حدثنى السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، قال : حدّثنا سيف ، عن أبى القاسم وأبى محمد ، عن أبى زُرعة يحيى بن أبى عمرو السَّيبانىّ[2] ، من جُنْد فلسطين ؛ عن عبد الله بن فيروز الدّيلمىّ ؛ أنّ أباه حدّثه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم بعث إليهم رسولاً ، يقال له : وَبَر بن يُحنّس الأزدىّ ؛ وكان منزله على داذَويه الفارسىّ ، وكان الأسود كاهنًا معه شيطان وتابع له ، فخرج فنزل على ملك اليمن ؛ فقتل ملكها ونكح امرأته ومَلَك اليمن ؛ وكان باذام هلك قبل ذلك ، فخلف ابنه على أمره ، فقتله وتزّوجها ، فاجتمعتُ أنا وداذويه وقيس بن المكشوح المرادىّ عند وَبَر بن يُحَنّس رسول نبىّ الله صلى الله عليه

---

(١) س : « فتواصينا » . (٢) ط : « الشيبانى » ، وانظر تصويبات ط .

وسلم نأتمر بقتل الأسود . ثمّ إنّ الأسود أمر الناس فاجتمعوا فى رَحَبَة من صنعاء ، ثمّ خرج حتى قام فى وسطهم ، ومعه حربة الملك ، ثم دعا بفرَس الملك فأوْجَره الحربة ، ثم أرسِل فجعل يجرِى فى المدينة ودماؤه تسيل حتى مات . وقام وسط الرّحبة ؛ ثمّ دعا بجُزُر[١] من وراء الخطّ فأقامها ، وأعناقُها ورءوسُها فى الخطّ ما يَجُزْنَه . ثمّ استقبلهنّ بحربَته فنحرهنّ فتصدّعن عنه ؛ حتى فرغ منهنّ ، ثم أمسك حربتَه فى يده ، ثم أكبّ على الأرض ، ثم رفع رأسه ، فقال : إنه يقول — يعنى شيطانه الذى معه : إنّ ابنَ المكْشُوح من الطغاة ، يا أسود اقطع قُنّةَ رأسه العليا . ثم أكبّ رأسه أيضًا ينظر ، ثمّ رفع رأسه ، فقال : إنه يقول : إنّ ابن الديلمىّ من الطغاة ؛ يا أسود اقطع يده اليمنى ورجله اليمنى ؛ فلمّا سمعتُ قولَه قلت : والله ما آمن أن يدعوَ بى ، فينحرنى بحربته كما نحر هذه الجُزُر ؛ فجعلت أستتر بالناس لئلا يرانِى ، ١٨٦٥/١ حتى خرجت ولا أدرى من حذرى[٢] كيف آخذ ! فلما دنوتُ من منزلى لقيَنى رجلٌ من قومه ، فدقّ فى رقبتى ، فقال : إنّ الملك يدعوك وأنت تَرُوغ ! ارجع ؛ فردّنى ، فلمّا رأيتُ ذلك خشيت أن يقتلَنى . قال : وكنّا لا يكاد يفارق رجلا منا أبداً خنجرُه ، فأدُسّ يدى فى خفّى ، فأخذت خنجرى ، ثم أقبلت وأنا أريد أن أحمل عليه ، فأطعنه به حتى أقتله ، ثم أقتل مَن معه ، فلمّا دنوت منه رأى فى وجهى الشرّ ، فقال : مكانك! فوقفت ، فقال : إنك أكبرُ مَن هاهنا وأعلمُهم بأشراف أهلها ، فاقسِمْ هذه الجُزُرَ بينهم . وركب فانطلق وعَلِقتُ أقسم اللّحم بين أهل صنعاء ، فأتانى ذلك الذى دقّ فى رقبتى ، فقال : أعطِنى منها ، فقلت : لا والله ولا بَضعة واحدة ؛ ألستَ الذى دققتَ فى رقبتى ! فانطلق غضبانَ حتى أتى الأسوَد ؛ فأخبره بما لقِى منّى وقلت له . فلمّا فرغتُ أتيتُ الأسودَ أمشى إليه ، فسمعت الرّجل وهو يشكونى إليه ، فقال له الأسود : أمَا والله لأذبحنّه ذبحًا ! فقلت له : إنى قد فرغت

---

(١) الجزر : جمع جزور ، بالفتح ، وهو ما يذبح من الإبل .
(٢) س : « حذره » .

ممّا أمرتَنى به ، وقسَمْتُه بين الناس . قال : قد أحسنتَ فانصرف. فانصرفت ، فبعثنا إلى امرأة الملك : إنا نريد قتل الأسود ؛ فكيف لنا ! فأرسلتْ إلىّ : أن هلمّ . فأتيتها ، وجعلت الجارية على الباب لتُؤذِنَنا إذا جاء ؛ ودخلتُ أنا وهى البيتَ الآخر ، فحفرنا حتّى نقبنا نَقبًا ، ثم خرجنا[1] إلى البيت ، فأرسلنا السّتر ، فقلت : إنا نقتُله الليلة ، فقالت : فتعالوْا ؛ فما شعرت بشىء حتّى إذا الأسود قد دخل البيت ؛ وإذا هو معنا ؛ فأخذتْه غَيْرة شديدة ، فجعل يدقّ فى رقبتى ، وكَفْكَفْتُه عنّى ، وخرجت فأتيتُ أصحابى بالذى صنعت ، وأيقنت بانقطاع الحيلة عنّا فيه ؛ إذ جاءنا رسولُ المرأة ؛ ألاّ يَكْسِرنّ عليكم أمرَكم ما رأيتُم ؛ فإنّى قد قلت له بعد ما خرجتَ : ألستم تزعمون أنكم أقوام أحرار لكم أحسابٌ[2] ! قال : بلى ، فقلت : جاءنى أخى يُسلِّم علىّ ويكْرمنى ، فوقعتَ عليه تدقّ فى رقبته ؛ حتّى أخرجته ، فكانت هذه كرامتك إيّاه ! فم أزَلْ ألومه حتى لام نفسه ، وقال : أهو أخوك ؟ فقلت : نعم ، فقال : ما شعرتُ ؛ فأقبِلوا الليلة لما أردتم .

١٨٦٦/١

قال الديلمىّ : فاطمأنّتْ أنفسُنا ، واجتمع لنا أمرُنا ؛ فأقبلنا من الليل أنا وداذويه وقيس حتّى ندخل البيت الأقصى من النّقْب الذى نَقَبْنا ، فقلت : يا قيس ، أنت فارس العرب ، ادخل فاقْتُل الرّجل ، قال : إنى تأخذنى رِعْدة شديدة عند البأس ، فأخاف أن أضرب الرجل ضربةً لا تُغْنى شيئاً ؛ ولكن ادخل أنت يا فيروز ، فإنّك أشَبُّنا وأقوانا ، قال : فوضعتُ سيفى عند القوم ، ودخلت لأنظر أين رأسُ الرجل ! فإذا السراج يزهر ؛ وإذا هو راقد على فُرُش قد غاب فيها لا أدرى أين رأسه من رجليْه ! وإذا المرأة جالسة عنده كانت تطعمه رمّانًا حتى رقَد ، فأشرتُ إليها : أين رأسه ؟ فأشارت إليه ، فأقبلتُ أمشِى حتى قمتُ عند رأسه لأنظر ، فما أدرى أنظرتُ فى وجهه أم لا ! فإذا هوقد فتّح عينيه ؛ فنظر إلىّ ، فقلت : إن رجعتُ إلى سيفى خفت أن يفوتنى ويأخذ عُدَّةً يمتنع[3] بها منّى ؛ وإذا شيطانه قد أنذره بمكانى وقد

١٨٦٧/١

---

(١) س : « خرجت » . (٢) ز : « حسنات » .

(٣) س : « فيمتنع » .

أيقظه ، فلمّا أبطأ كلّمني على لسانه ؛ وإنه لينظر ويغطّ ، فأضرب بيدىّ إلى رأسه ، فأخذت رأسه بيد ولحيته بيد ؛ ثم ألوْى عنقه فدققتها ؛ ثم أقبلت إلى أصحابى ، فأخذت المرأة بثوبى ، فقالت : أختكم نصيحتكم ! قلت : قد والله قتلتُه وأرحتُك منه . قال : فدخلتُ على صاحبيَّ فأخبرتُهما ، قالا : فارجع فاحتزّ رأسَه وائتنابه ، فدخلت فبرْبر فألجمته فحزّزت رأسه ، فأتيتهما[١] به ، ثم خرجنا حتى أتينا منزلَنا ؛ وعندنا وَبَرُ بن يُحنّس الأزدىّ ، فقام معنا حتى ارتقينا على حِصْن مرتفع من تلك الحصون ؛ فأذّنَ وَبَر بن يُحنّس بالصلاة ، ثم قلنا : ألا إنّ الله عزّ وجلّ قد قتل الأسود الكذّاب ، فاجتمع الناس إلينا فرمْينا برأسه ، فلمّا رأى القوم الذين كانوا معه أسْرَجوا خيولهم ؛ ثم جعل كلّ واحد منهم يأخذ غلامًا من أبنائنا معه من أهل البيت الذى كان نازلا فيهم ؛ فأبصرتُهم فى الغَلَس مُرْدِفِى الغلمان ، فناديت أخى وهو أسفل منّى مع الناس : أن تعلّقوا بمَن استطعتم منهم ؛ ألا ترَوْن ما يصنعون بالأبناء! فتعلّقوا بهم ؛ فحبسنا منهم سبعين رجلاً ، وذهبوا منّا بثلاثين غلامًا ، فلمّا برزوا إذا هم يفقدون سبعين رجلا حين تفقّدوا أصحابَهم ، فأتوْنا فقالوا : أرسِلوا إلينا أصحابَنا ، فقلنالهم : أرسلوا إلينا أبناءنا ، فأرسلوا إلينا الأبناء ، وأرسلنا إليهم أصحابهم .

١/١٨٦٨ قال : وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إنّ الله قد قتل الأسوَد الكذّاب العَنْسىَّ ، قتله بيَدِ رجل من إخوانكم ، وقوم أسلموا وصدّقوا ؛ فكنّا كأنّا على الأمر الذى كان قبل قدوم الأسود علينا وأمِنَ الأمراءُ وتراجعوا ، واعتذر الناسُ وكانوا حديثِى[٢] عهد بالجاهليّة[٣] .

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثنا عمّى ، قال : أخبرنا سيف — وحدّثنى السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، قال : حدّثنا سيف — عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن عُبيد بن صَخْر ، قال : كان أول أمره إلى آخره ثلاثة أشهر .

---

(١) س : « ثم أتيتهم » .
(٢) ط : « حديث » .
(٣) س : « بجاهلية » .

وحدّثني السريّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف — وحدّثنا عبيد الله قال : أخبرنا عمّى ، قال : أخبرنا سَيْف — عن جابر بن يزيد ، عن عُروة ابن غزيّة، عن الضّحّاك بن فيروز، قال : كان ما بين خروجه بكَهْف خُبّان ومقتله[1] نحواً من أربعة أشهر ؛ وقد كان قبل ذلك مستسرًّا بأمره : حتّى بادَى[2] بعد .

حدّثني عمر بن شبّة ، قال :حدّثنا علىّ بن محمد ، عن أبي معْشر ويزيد بن عياض بن جُعْدَبة وغسّان بن عبد الحميد وجُوَيْرِيَة بن أسماء ، عن مشيختهم ، قالوا : أمضى أبو بكر جيشَ أسامة بن زيد في آخر ربيع الأول ، وأتى مقتلُ العنسىّ في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة ؛ وكان ذلك أوّل فتح أتى أبا بكر وهو بالمدينة .

* * *

وقال الواقدىّ : في هذه السنة — أعنى سنة إحدى عشرة — قدِم وفد النَّخَع في النصف من المحرّم علَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، رأسُهم زُرارة بن عمرو ، وهم آخر من قدم من الوفود . ١/١٨٦٩

وفيها : ماتت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الثلاثاء ، لثلاث خلوْن من شهر رَمضان ؛ وهي يومئذ ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها . وذكر أنّ أبا بكر بن عبد الله، حدّثه عن إسحاق بن عبد الله، عن أبان بن صالح بذلك . وزعم أنّ ابن جُريج حدّثه عن عمرو بن دينار ، عن أبي جعفر ، قال: تُوفِّيتْ فاطمة عليها السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر .

قال : وحدّثنا ابن جُريج ، عن الزهرىّ ، عن عروة ، قال : توفِّيتْ فاطمة بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم بستة أشهر .

قال الوَاقدىّ : وهو أثبت عندنا .

قال : وغسّلها علىّ عليه السلام وأسماء بنت عُمَيس .

---

(١) س : « إلى مقتله » .

(٢) يقال : بادى بالأمر ؛ إذا جاهر به .

قال : وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عثمان بن حنيف، عن عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم، عن عَمْرة ابنة عبدالرّحمن قالت : صلّى عليها العباس بن عبد المطلب .

وحدّثنا أبو زيد ، قال : حدّثنا علىّ ، عن أبى معشر ، قال : دخل قبرَها العباس وعلىّ والفضل بن العباس .

قال : وفيها توفِّىَ عبدُ الله بن أبى بكر بن أبى قُحافة، وكان أصابه بالطائف سهمٌ مع النبىّ صلى الله عليه وسلم، رماه أبو محجن ، وَدمِلَ الجرح حتى انتقض به فى شوّال ؛ فمات .

وحدّثنى أبو زيد ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا أبو معشر ومحمد ابن إسحاق وجُوَيْرِيَة بن أسماء بإسناده الذى ذكرتُ قبل، قالوا: فى العام الذى بُويع فيه أبو بكر مَلَّكَ أهلُ فارس عليهم يَزْدَجِرد .

* * *

قال أبو جعفر : وفيها كان لقاء أبى بكر رحمه الله خارجةَ بن حِصْن الفَزارىّ. حدّثنى أبو زيد، قال: حدّثنا علىّ بن محمد بإسناده الذى ذكرت قبل ، قالوا : أقام أبو بكر بالمدينة بعد وفاةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وتوجيهه أسامة فى جيشه إلى حيث قُتل أبوه زيد بن حارثة من أرض الشأم ؛ وهو الموضع الذى كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم أمره بالمسير إليه ؛ لم يُحدِثْ شيئًا ، وقد جاءته[1] وفودُ العرب مرتدّين يُقِرُّون بالصّلاة ، ويمنعون الزكاة . فلم يقبل ذلك منهم وردّهم ، وأقام حتى قَدِم أسامة بن زيد بن حارثة بعد أربعين يومًا من شخوصه — ويقال : بعد سبعين يومًا — فلمّا قدِم أسامة بن زيد استخلفه أبو بكر على المدينة وشخص — ويقال استخلف سنانًا الضَّمْرىّ على المدينة — فسار ونزل بذى القَصّة فى جُمادى الأولَى ؛ ويقال فى جُمادى الآخرة ؛ وكان نوفل بن معاوية الدِّيلىّ بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ،

٨٧٠/١

(١) س : « جاءت » .

فلقيه خارجة بن حصن بالشَّرَبَّة ؛ فأخذ ما فى يدَيه ؛ فردّه على بنى فزارة؛ فرجع نوفل إلى أبى بكر بالمدينة قبل قدوم أسامة على أبى بكر . فأوّل حرب كانتْ فى الرِّدّة بعد وفاة النبىّ صلى الله عليه وسلم حرب العنسىّ ؛ وقد كانت حرب العنسىّ باليمن ؛ ثم حرب خارجة بن حصن ومنظور بن زَبَّان بن سيّار فى غَطَفان ، والمسلمون غارُّون ، فانحاز أبو بكر إلى أجَمَة فاستتر بها ، ثم هزم الله المشركين .

وحدّثنى عُبيد الله ، قال : حدثنا عمّى ، قال : أخبرنا سيف — وحدّثنى السَّرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، قال : حدّثنا سيْف — عن المجالد ابن سعيد ، قال : لما فَصَل أسامة كفرت الأرض وتضرّمت[1] ، وارتدّت من كلّ قبيلة عامّة أو خاصة إلا قريشًا وثقيفًا .

١٨٧١/١

وحدّثنى عُبيد الله ، قال : حدّثنا عمّى ، قال : أخبرَنا سيف — وحدّثنى السَّرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، قال : حدّثنا سيْف — عن هشام بن عُروة ، عن أبيه ، قال : لما مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وفَصَل أسامة ارتدّت العرب عوامّ أو خواصّ ؛ وتوحّى مسيلمة وطُليحة ، فاستغلظ أمرهما ؛ واجتمع على طُليحة عوامُّ طيِّىء وأسد ، وارتدّت غَطَفان إلى ما كان من أشْجع وخواصّ من الأفناء فبايعوه ، وقدّمت هوازن رِجْلاً وأخّرَتْ رِجْلاً[2] أمسكوا الصّدقة إلاّ ما كان من ثَقيف ولِفّها[3] ؛ فإنهم اقتدى بهم عوامّ جَدِيلة والأعجاز ؛ وارتدّت خواصّ من بنى سُليْم ؛ وكذلك سائر الناس بكلّ مكان .

قال : وقدمت رسُل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من اليَمن واليمامة وبلاد بنى أسد ووفود مَن كان كاتبه النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأمِر أمرُه فى الأسود ومسيلمة وطلحة بالأخبار والكتب ؛ فدفعوا كتبَهم إلى أبى بكر ، وأخبروه

---

(١) ابن الأثير ٢ : ٢٧١ : « وتضرمت الأرض ناراً » .

(٢) س : « أخرى » .

(٣) يقال : جاءوا ومن لف لفهم ، أى ومن عد فيهم وتأشب إليهم .

الخبر ، فقال لهم أبو بكر : لا تبرحوا حتى تجيء رسلُ أمرائكم وغيرهم بأدْهى ممّا وصفتم وأمرّ ؛ وانتقاضِ الأمور . فلم يلبثُوا أن قَدِمتْ كتبُ أمراء النبيّ صلى الله عليه وسلم من كلّ مكان بانتقاضِ عامّة أو خاصّة، وتبسّطهم بأنواع الميل على المسلمين ، فحاربهم أبو بكر بما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاربَهم بالرّسل . فردّ رسلَهم بأمره ، وأتبعَ الرّسلَ رسلاً ؛ وانتظر بمصادمتهم قدومَ أسامة ؛ وكان أول مَنْ صادم عَبْس وذُبْيان ، عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة . ١٨٧٢/١

حدثني عُبيد الله ، قال : أخبرَنا عمّي ، قال : أخبرنا سَيْف — وحدّثني السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، قال : حدّثنا سَيْف — عن أبي عمرو ، عن زيد بن أسلم ، قال : ماتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعُمّاله على قضاعة ، وعلى كلْب امرؤ القيس بن الأصبغ الكلبيّ من بنى عبد الله ، وعلى القَيْن عمرو بن الحكم ، وعلى سعد هُذَيْم معاوية بن فلان الوائليّ .

وقال السرىّ الوالبيّ : فارتدّ وديعة الكلبيّ فيمن آزره من كلْب ، وبقىَ امرؤ القيس على دينه ، وارتدّ زُمَيْل بن قُطْبةَ القَيْنيّ فيمن آزره من بنى القَيْن وبقى عمرو ، وارتدّ معاوية فيمن آزره من سعد هُذَيم . فكتب أبو بكر إلى امرئ القيس بن فلان — وهو جدّ سُكَيْنة ابنة حسين — فسار لوديعة ، وإلى عمرو فأقام لزميل ، وإلى معاوية العذرىّ . فلمّا توسّط أسامة بلاد قضاعة ، بَثّ الخيول فيهم وأمرهم أن يُنهضوا مَن أقام على الإسلام إلى مَن رجع عنه ؛ فخرَجوا هُرّابًا ؛ حتى أرَزُوا [1] إلى دُومة ، واجتمعوا إلى وديعة ، ورجعت خيولُ أسامة إليه ؛ فمضى فيها أسامه حتى أغار على الحَمْقَتَيْن ، فأصاب فى بنى الضُّبيب من جُذام ، وفى بنى خيليل من لَخْم ولِفّها من القبيلين ؛ وحازهم من آبل وانكفأ سالمًا غانمًا . ١٨٧٣/١

(١) أرزوا إلى دومة الجندل : التجئوا إليها .

فحدّثني السريّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : ماتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ واجتمعت أسَد وغَطفان وطيّئ على طليحة ؛ إلا ما كان من خواصّ أقوام في القبائل الثلاث ؛ فاجتمعت أسد بسَميراء، وفزارة ومَنْ يليهم من غَطفان بجنوب طيبة ، وطيّئ على حدود أرضهم . واجتمعت ثَعلبة بن سعد ومَن يليهم من مُرّة وعَبْس بالأبرق من الرَّبَذة، وتأشّبَ[1] ، إليهم ناسٌ من بني كنانة ؛ فلم تحملهم البلاد ؛ فافترقوا فرقتين ؛ فأقامت فرقة منهم بالأبرق ، وسارت الأخرى إلى ذى القَصّة ، وأمدهم طليحة بحِبال[2] فكان حِبال على أهل ذى القَصّة من بني أسد ومن تأشّب من ليْث والدِّيل ومُدْلِج . وكان على مُرّة بالأبرق عوف بن فلان بن سنان ، وعلى ثعلبة وعبس الحارث ابن فلان ؛ أحد بني سَبَيع ، وقد بعثوا وفوداً فقدموا المدينة ، فنزلوا على وجوه الناس ، فأنزلوهم ما خلاَ عبّاساً فتحمّلوا بهم على أبي بكر ؛ على أن يقيموا الصّلاة ، وعلى ألاّ يؤتوا الزّكاة ؛ فعزم الله لأبي بكر على الحقّ ، وقال : لو منعوني عِقالا[3] لجاهدتّهم عليه — وكانت عُقُل[4] الصدقة على أهل الصّدقة مع الصدقة — فردّهم فرجع وفْدُ من يَلى المدينة من المرتدّة إليهم ، فأخبروا

---

(١) تأشبوا إليهم : انضموا والتفوا .

(٢) حبال، ضبطه ابن الأثير : « بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وبعد الألف لام » . وهو أخو طليحة .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية ٣ : ١١٨ : « وفي حديث أبي بكر : لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه : أراد بالعقال الحبل الذى يعقل به البعير الذى كان يؤخذ في الصدقة ؛ لأن على صاحبها التسليم ؛ وإنما يقع القبض بالرباط . وقيل : أراد ما يساوي عقالا من حقوق الصدقة . وقيل : إذا أخذ المصدق أعيان الإبل ، قيل : أخذ عقالا ، وإذا أخذ أثمانها قيل : أخذ نقداً . وقيل : أراد بالعقال صدقة العام ؛ يقال : أخذ المصدق عقال هذا العام ؛ أي أخذ منهم صدقته ، وبعث فلان على عقال بني فلان ؛ إذا بعث على صدقاتهم . واختاره أبو عبيدة ؛ وهو أشبه عندى بالمعنى . وقال الخطابي : إنما يضرب المثل في مثل هذا بالأقل لا بالأكثر ، وليس بسائر في لسانهم ؛ لأن العقال صدقة عام . وفي أكثر الروايات : لو منعوني عناقاً ، وفي أخرى جدياً » .

(٤) العقل ، بضمتين : جمع عقال .

عشائرهم بقلّة من أهل المدينة ، وأطعموهم فيها ؛ وجعل أبو بكر بعد ما أخرج الوفد على أنقاب المدينة نفراً : عليًّا والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود ؛ وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد ، وقال لهم : إن الأرض كافرة[١] ؛ وقد رأى وفدهم منكم قلّة ؛ وإنكم لا تدرون أليلاً تُؤتَون أم نهاراً ! وأدناهم منكم على بريد . وقد كان القوم يأمُلون أن نقبل منهم ونوادِعهم ؛ وقد أبينا عليهم ، ونبذنا إليهم عهدهم ، فاستعِدّوا وأعدّوا . فما لبثوا إلا ثلاثًا حتى طرقوا المدينة غارةً مع الليل ، وخلّفوا بعضهم بذى حُسًى[٢] ، ليكونوا لهم رِدْءاً ، فوافق الغوار[٣] ليلا الأنقاب ؛ وعليها المقاتلة ، ودونهم أقوام يدرجون ، فنبّهوهم ؛ وأرسلوا إلى أبى بكر بالخبر ، فأرسل إليهم أبو بكر أن الزموا أماكنكم ، ففعلوا . وخرج فى أهلِ المسجد على النواضح إليهم ، فانفشّ[٤] العدوّ ، فاتّبعهم المسلمون على إبلهم ؛ حتى بلغوا ذا حُسًى ؛ فخرج عليهم الرّدء بأنحاء قد نفخوها ، وجعلوا فيها الحبال ، ثم دَهْدهوها[٥] بأرجلهم فى وجوه الإبل ؛ فتدهده كلّ نِحْى[٦] فى طِوَله[٧] ، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها — ولا تنفر الإبل من شىء نفارَها من الأنحاء — فعاجت بهم ما يملكونها ؛ حتى دخلت بهم المدينة ؛ فلم يُصْرَعْ مسلمٌ ولم يُصَبْ ؛ فقال فى ذلك الخُطَيل بن أوس أخو الحُطيئة ابن أوس :

١٨٧٤/١

١٨٧٥/١

فِدًى لِبَنِى ذُبْيَانَ رَحْلِى ونَاقتى ... عَشِيَّةَ يُحْذَى بالرِّمَاحِ أبو بَكْرِ

ولكِنْ يُدَهْدَى بالرِّجَالِ فهِبْنَه ... إلى قَدَرٍ مَا إنْ يزيد ولا يَحْرِى[٨]

ولله أجْنَادٌ تُذَاقُ مَذَاقَهُ ... لَتُحْسَبَ فيما عُدّ من عَجَبِ الدَّهْرِ !

---

(١) كافرة ، أى مظلمة .

(٢) ضبطه ابن الأثير : « بضم الحاء المهملة ، والسين المهملة المفتوحة » .

(٣) كذا فى س ، وفى ط : « فوافوا » .

(٤) انفش العدو انفشاشاً : انهزم وفشل .

(٥) دهدهوها ، أى دفعوها .

(٦) النحى : الزق .

(٧) الطول : الحبل يشد به .

(٨) أى لا يزيد ولا ينقص . وهذه رواية س . وفى ط : « ما إن تقيم ولا تسرى » .

وأنشده الزّهرىّ: « من حسب الدهر » .

وقال عبدُ الله الليثىّ، وكانتْ بنو عبد مناة من المرتدّة — وهم بنو ذُبيان — فى ذلك الأمر بذى القَصَّة وبذى حُسًى :

أَطَعْنا رسولَ اللهِ مَا كَانَ بَيْننَا فَيَا لَعبادِ اللهِ مَا لأبى بَكْرِ ! [(١)]

١٨٧٦/١ أَيُورِثُها بَكراً إذا ماتَ بَعْدَه وتِلْكَ لَعمْرُ اللهِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ [(٢)]

فَهلاَّ رَدَدْتم وفْدَنَا بزَمَانِهِ وهلاَّخَشِيتم حِسَّ رَاغِيَةِ الْبَكرِ ! [(٣)]

وإنَّ التى سالُوكُمُ فمنعْتُمُ لكالتَّمْرِ أَوْأَحلى إلَىَّ مِنَ التَّمْرِ

فظنّ القومُ بالمسلمين الوهَن ، وبعثوا إلى أهل ذى القَصَّة بالخبر ؛ فقدموا عليهم اعتماداً فى الذين أخبروهم ، وهم لا يشعرون لأمر الله عزّ وجلّ الذى أراده ، وأحبّ أن يبلّغه فيهم ، فبات أبو بكر ليلَته يتهيّأ ، فعبّى الناس ، ثم خرج على تَعْبِيَةٍ من أعجاز ليلته يمشى ،وعلى ميمنته النُّعمان بن مُقَرِّن ، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرّن، وعلى السَّاقة سُويد بن مقرّن معه الرُّكّاب ؛ فما طلَع الفجر إلاّ وهُم والعدوُّ فى صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين هَمْساً ولا حسّا حتى وضعوا فيهم السيوف ، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم ؛ فما ذَرّقَرْن الشَّمس حتى ولَّوْهم الأدبارَ ، وغلبوهم على عامّة ظهرهم ؛ وقتل حِبال واتّبعهم أبو بكر ؛ حتى نزل بذى القَصّة — وكان أوّل الفتح — ووضع بها النعمان

١٨٧٧/١ ابن مقرّن فى عدد[(٤)] ،ورجع إلى المدينة فذلّ[(٥)] بها المشركون؛فوثب بنو ذُبيان وعبس على مَن فيهم من المسلمين ؛ فقتلوهم كلّ قتلة ؛ وفعل مَنْ وراءهم فعلهم . وعزّ المسلمون بوقعة أبى بكر ، وحلَف أبو بكر ليقتلنّ فى المشركين كلّ قتلة ؛ وليقتلنّ فى كلّ قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة ، وفى ذلك يقول زياد بن حنظلة التميمىّ :

---

(١) أورد صاحب الأغانى (٢ ، ١٥٧ — طبعة دار الكتب) هذا البيت وتاليه ، ونسبهما إلى الحطيئة . (٢) الأغانى : « أيورثها » .

(٣) ط : « راعية البكر » والأجود ما أثبت من س .

(٤) ز : « عدده » . (٥) ابن الأثير : « له » .

غَدَاةَ سَعَى أبو بَكْرٍ إليْهِم كما يَسْعَى لموْتَته جُلاَلُ(١)
أَرَاحَ عَلَى نَوَاهِقِهَا عَلِيًّا ومَجَّ لهنَّ مُهْجَتَهُ حِبَالُ

وقال أيضًا :

أَقَمْنَا لهم عُرْضَ الشِّمَال فكُبْكِبُوا كَكَبْكَبَةِ الغُزَّى أَنَاخوا عَلَى الوَفْرِ
فَمَا صَبَرُوا لِلْحَرْبِ عِنْدَ قِيَامِهَا صبيحَةَ يَسْمُو بِالرِجَالِ أَبُو بَكْرِ
طَرَقْنا بنِي عَبْسٍ بِأَدْنَى نِبَاجِهَا وذُبْيانَ نَهْنَهْنَا بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ

ثم لم يُصنعْ إلاّ ذلك ؛ حتى ازداد المسلمون لها ثباتًا على دينهم في كلّ قبيلة ، وازداد لها المشركون انعكاسًا من أمرهم في كلّ قبيلة ؛ وطرقت المدينةَ صدقاتُ نفَر : صَفْوان ، الزبرقان ، عديّ ؛ صفوان ، ثم الزبرقان ، ثم عديّ ؛ صفوان في أول الليل ، والثاني في وسطه ، والثالث في آخره . وكان الذى بشّر بصَفْوان سعد بن أبي وقاص ، والذى بشّر بالزبرقان عبدُ الرحمن بن عوف ، والذى بشّر بعديّ عبدُ الله بن مسعود . وقال غيره : أبو قتادة . ١٨٧٨/١

قال : وقال الناس لكلّهم حين طلع : نذير ، وقال أبو بكر : هذا بشير ، هذا حام وليس بوان ؛ فإذا نادى بالخير ، قالوا : طالما بشّرت بالخير ! وذلك لتمام ستين يومًا من مَخْرج أسامة . وقدم أسامة بعد ذلك بأيام لشهرين وأيام ، فاستخلفه أبو بكر على المدينة ، وقال له ولجنده : أريحوا وأريحوا ظهركم .

ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذى القَصّة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظّهر ؛ فقال له المسلمون : نَنْشُدُك الله يا خليفة رسول الله أنْ تعرّض نفسك ! فإنك إن تُصَبْ لم يكن للناس نِظَامٌ ، ومقامُك أشدُّ على العدوّ ؛ فابعث رجلاً ، فإن أصيب أمّرتَ آخر ، فقال : لا والله لا أفعلُ ولأواسينّكم بنفسي ؛ فخرج في تعبيته إلى ذى حُسًى وذى القَصّة ، والنّعمان وعبد الله وسُويد على ما كانوا عليه ، حتى نزل على أهل الرَّبذَة بالأبرق ؛ فاقتتلوا ، فهزم

(١) كذا في ز ، والجلال : البعير العظيم ، وفي ط : « حلال » .

الله الحارث وعوفًا ، وأُخذ الحطيئةُ أسيراً ، فطارت عبس وبنو بكر ؛ وأقام أبو بكر على الأبرق أيامًا ؛ وقد غلب بنى ذُبيان على البلاد . وقال :
١/١٨٧٩ حرام على بنى ذبيان أن يتملّكوا هذه البلاد إذْ غنّمناها اللهُ ! وأجلاها . فلما غلب أهل الردّة ؛ ودخلوا فى الباب الذى خرجوا منه ، وسامح[1] الناس جاءت بنو ثعلبة ؛ وهى كانت منازلهم لينزلوها ، فمنعوا منها فأتوْه فى المدينة ، فقالوا : علامَ نُمنَع من نزول بلادنا! فقال : كذبتم، ليست لكم ببلاد ؛ ولكنها موْهبي ونَقَذِى[2]، ولم يُعتِبهم ، وحمَى الأبرقَ لخيول المسلمين ، وأرعى سائر بلاد الرَّبذة الناس على بنى ثعلبة ، ثم حماها كلَّها لصدقات المسلمين ؛ لقتالٍ كان وقع بين الناس وأصحاب الصّدقات ، فمنع بذلك بعضهم من بعض .

ولما فُضّتْ عبس وذبيان أرَزوا إلى طُليحة وقد نزل طليحة على بُزاخة ، وارتحل عن سَميراء إليها ، فأقام عليها ؛ وقال فى يوم الأبرق زياد بن حنظلة :

ويومٍ بالأبارق قد شَهِدْنا على ذُبيانَ يَلتهب التِهابا
أَتَيْناهمْ بداهيَةٍ نَسُوفٍ[3] مَعَ الصّدّيقِ إذ تركَ العِتابَا

* * *

حدّثنى السرىّ ، قال : حدّثنا شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجِذْع وحرام بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : لما قدم أسامة بن زيد خرج أبو بكر واستخلفه على المدينة ، ومضى حتى انتهى إلى الرَّبَذَة يلقى بنى عبس وذُبيان وجماعة من بنى عبد مناة
١/١٨٨٠ ابن كنانة ، فلقيَهم بالأبْرَق ، فقاتلهم فهزمَهم الله وفلّهم . ثم رجع إلى المدينة ، فلما جمّ جند أسامة ، وثاب مَن حول المدينة خرج إلى ذى القَصّة فنزل بهم — وهو على بريد من المدينة تلقاء نَجْد — فقطّع فيها الجند ، وعقَد الألوية ، عقد أحد عشر لواءً على أحد عشر جنداً ، وأمَر أمير كلّ

(١) ز : « وشاع البأس » . (٢) النقذ : ما استنقذ من العدو .
(٣) داهية نسوف : شاقة ؛ وفى معجم البلدان : « نآد » .

جند باستنفار مَنْ مرّ به من المسلمين من أهل القوّة ، وتخلّف بعضُ أهل القوّة لمنع بلادهم .

حدّثنا السّريّ ، قال : حدّثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : لما[1] أراح أسامة وجنده ظهرَهم وجَمّوا ، وقد جاءت صدقات كثيرة تفضُل عنهم [2] ، قطع أبو بكر البعوثَ وعقد الألوية ، فعقد أحد عشر لواءً : عقد لخالد بن الوليد وأمَره بطليحة بن خويلد ؛ فإذا فرغ سار إلى مالك بن نُويرة بالبُطاح إن أقام له ، ولِعكْرِمة لبن أبي جهل وأمره بمسيْلمة ، وللمهاجر بن أبي أميّة وأمَره بجنود العنْسيّ ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح ومَنْ أعانه من أهل اليمن عليهم ، ثم يمضي إلى كِنْدة بحضرموت ، ولخالد بن سعيد بن العاص ــ وكان قدم على تفيئة[3] ذلك من اليمن وترك عمله ــ وبعثه إلى الحَمْقَتَيْن من مشارف الشأم ، ولعمرو بن العاص إلى جماع قُضاعة ووديعة والحارث ، ولحذيفة بن مِحْصَن الغلفانيّ وأمرَه بأهل دَبا ولعرفجة بن هرثمة وأمره بمهْرة ؛ وأمرهما أن يجتمعا وكلّ واحد منهما في عمله على صاحبه ، وبعث شُرحبيل بن حَسَنة في أثر عكرمة ابن أبي جهل ، وقال : إذا فرِغ من اليمامة فالحق بقُضاعة ، وأنت على خيلك تقاتلُ أهل الرِّدّة ، ولطُرَيفَة بن حاجز وأمره ببني سُلَيم ومَن معهم من هَوازن ، ولسُويد بن مقرّن وأمَره بتِهامة اليمن ، وللعَلاء بن الحضرميّ وأمرَه بالبَحْرين .

١/١٨٨١

* * *

[كتاب أبي بكر إلى القبائل المرتدّة ووصيّته للأمراء]

ففصلت الأمراء من ذي القَصّة ، ونزلوا على قَصْدهم ، فلحِق بكلّ أمير جندُه ، وقد عهد إليهم عهده ، وكتب إلى مَنْ بعث إليه من جميع المرتدّة .

(١) س : « فلما » . (٢) ابن الأثير : « عليهم » . (٣) تفيئة ذلك : حين ذلك .

حدّثنا السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ؛ وشاركه فى العهد والكتاب قَحْذَم ؛ فكانت الكتب إلى قبائل العرب المرتدة كتابًا واحداً :

بسم الله الرحمن الرحيم . من أبى بكر خليفة رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم إلى من بَلَغه كتابى هذا من عامَّة وخاصَّة ؛ أقام على إسلامه أو رجع عنه . سلامٌ علَى مَن اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ؛ فإنّى أحمَد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، نُقِرُّ بما جاء به ، ونكفِّر مَن أبى ونُجاهده . أمّا بعدُ ؛ فإن الله تعالى أرسلَ محمداً بالحقّ من عنده إلى خلقه بشيراً ونَذيراً ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً ، ليُنذِر مَن كان حيًّا ويحقّ القول على الكافرين . فهدَى الله بالحقّ مَن أجاب إليه ، وضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإذنه مَنْ أدبر عنه ؛ حتى صار إلى الإسلام طَوْعًا وكَرْهًا . ثمّ تَوَفّى الله رسولَه صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأمّته ، وقضى الذى عليه ، وكان الله قد بيّن له ذلك ولأهل الإسلام فى الكتاب الذى أنزل ؛ فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾[2] ، وقال للمؤمنين : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[3] ؛ فمَن كان إنما يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات ، ومَن كان إنما يعبدُ الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد ؛ حيٌّ قيُّومٌ لا يموت ؛ ولا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نَومٌ ، حافظ لأمره ، منتقمٌ من عدوّه ، يجزيه . وإنى أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله ، وما جاءكم به نبيُّكم صلّى الله عليه وسلّم ، وأن تهتدوا بهُداه ، وأن تعتصموا بدين الله ، فإنّ كلّ مَن لم يهدِه الله ضالٌّ ، وكلّ

١٨٨٢/١

---

(١) سورة الزمر : ٣٠ . (٢) سورة الأنبياء ٣٤ . (٣) سورة آل عمران ١٤٤ .

مَنْ لم يُعافِه مبتلًى، وكلّ مَنْ لم يُعِنْه الله مخذول، فمن هداه الله كان مُهتَديًا، ومَنْ أضلّه كان ضالاً؛ قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾(١)، ولم يُقبَل منه في الدنيا عمَلٌ حتى يقرّ به؛ ولم يُقبَلْ منه في الآخرة صرْف ولا عدْل.

١/١٨٨٣

وقد بلغني رجوعُ مَنْ رجع منكم عن دينه بعد أن أقرّ بالإسلام وعمل به؛ اغتراراً بالله، وجهالةً بأمره، وإجابة للشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾(٢). وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٣)؛ وإني بعثتُ إليكم فلانًا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرتُه ألاّ يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوَه إلى داعية الله؛ فمن استجاب له وأقرّ وكفّ وعمِل صالحًا قبِلَ منه وأعانه عليه؛ ومَنْ أبى أمرتُ أن يقاتلَه على ذلك؛ ثم لا يبقِي على أحد منهم قدَر عليه، وأن يُحرقهم بالنار، ويقتلهم كلّ قِتْلة، وأن يَسبيَ النساء والذراريّ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام؛ فمَن اتّبعه فهو خير له، ومَنْ تركه فلن يعجز الله. وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كلّ مجمع لكم؛ والداعية الأذان؛ فإذا أذّن المسلمون فأذّنوا كُفُّوا عنهم؛ وإن لم يؤذّنوا عاجلوهم؛ وإن أذّنوا اسألوهم ما عليهم؛ فإن أبوْا عاجلوهم، وإن أقرّوا قبِل منهم؛ وحملهم على ما ينبغي لهم.

١/١٨٨٤

فنفذت الرُّسل بالكتب أمام الجنود، وخرجت الأمراء ومعهم العهود:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا عهدٌ من أبي بكر خليفة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال مَن رجع عن الإسلام، وعهِد إليه أن يتّقي الله ما استطاع في أمره كلّه سرّه وعلانيته، وأمره بالجدّ في أمر الله،

---

(١) سورة الكهف ١٧. (٢) سورة الكهف ٥٠. (٣) سورة فاطر ٦.

ومجاهدة مَنْ تولّى عنه ، ورجع عن الإسلام إلى أمانىّ الشيطان بعد أن يُعذِر إليهم فيدعوَهم بداعية الإسلام ؛ فإن أجابوه أمسك عنهم ، وإن لم يجيبوه شنّ غارته عليهم حتى يقرّوا له ؛ ثم ينبئهم بالذى عليهم والّذى لهم ، فيأخذ ما عليهم ، ويعطيهم الذى لهم ؛ لا يُنظرهم ، ولا يردّ المسلمين عن قتال عدوّهم ؛ فمن أجاب إلى أمرِ الله عزّ وجلّ وأقرّ له قبِل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف ؛ وإنما يقاتل[1] مَن كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله ؛ فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيلٌ ؛ وكان الله حسيبه بعد فيما استسرّ به ، ومَن لم يجب داعية الله قُتِل وقوتل حيث كان ؛ وحيث بلغ مراغمه ، لا يقبل من أحد شيئًا أعطاه إلا الإسلام ؛ فمَن أجابه وأقرّ قبِل منه وعلّمه ، ومَنْ أبى قاتله ؛ فإن أظهره الله عليه قتل منهم[2] كلّ قتلة بالسلاح والنيران ، ثم قسّم ما أفاء الله عليه ، إلا الخُمس فإنه يبلّغناه ، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد ، وألاّ يُدخل فيهم حَشْوًا حتى يعرفهم ويعلم ما هم ؛ لا يكونوا عيونًا ، ولئلاّ يؤتى المسلمون مِن قبَلهم ، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم فى السير والمنزل و يتفقّدهم ، ولا يعجل بعضَهم عن بعض ، ويستوصى بالمسلمين فى حُسْن الصحبة ولين القول .

١٨٨٥/١

(١) س : « نقاتل » . (٢) س : « فيهم » .

ذكر بقية الخبر عن غطفان
حين انضمت إلى طُلَيْحَة وما آل إليه أمْرُ طليحة

حدّثنا عبيد الله بن سعد ، قال : حدّثنا عمى ، قال : أخبرَنا سيف —
وحدّثنى السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، قال : حدّثنا سيف —
عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد وبدر بن الخليل وهشام بن عروة ، ١/١٨٨٦
قالوا : لما أرزَتْ عَبْس وُذبيان ولِفُّها إلى البُزَاخَة ، أرسل طليحة إلى جَدِيلة والغَوْث أن ينضمُّوا إليه، فتعجّل إليه أناس من الحَيَّيْن ، وأمروا قومهم باللحاق بهم ، فقدِموا على طُلَيحَة ، وبعث أبوبكر عَدِيًّا قبل توجيه خالد من ذى القَصَّة إلى قومه ، وقال : أدْرِكْهُم لا يُؤكَلُوا . فخرج إليهم ففتَلهم فى الذِّرْوَة والغارب ، وخرج خالد فى أثره ، وأمره أبو بكر أن يبدأ بطيِّئ على الأكناف ، ثم يكون وجهه إلى البُزاخة ، ثم يثلِّث بالبُطاح ، ولا يريم إذا فرغ من قوم حتى يحدّث إليه ، ويأمره بذلك . وأظهر أبوبكر أنه خارج إلى خَيْبر ومنصبّ عليه منها حتى يلاقيَه بالأكناف ، أكناف سَلْمَى ؛ فخرج خالد فازوارَّ عن البُزاخة ، وجَنَح إلى أجأ ، وأظهر أنه خارج إلى خَيْبَر ، ثم منصبّ عليهم ، فقعَّد ذلك طيِّئًا وبطَّأهم عن طليحة؛ وقدم عليهم عدىٌّ ؛ فدعاهم فقالوا : لا نبايعْ أبا الفَصِيل أبداً ، فقال : لقد أتاكم قوم ليُبيحُنّ حريمكم، ولتُكَنُّنَّه بالفَحْل الأكبر ؛ فشأنكم به . فقالوا له : فاستقبِل الجيش فنهنهْه[1] عنّا حتى نستخرج من لحِق بالبُزاخة منّا ، فإنا إن خالفنا طُلَيحة وهم فى يديه قتَلهم أو ارتَهنهم . فاستقبل عدىٌّ خالداً ١/١٨٨٧
وهو بالسُّنْح ، فقال : يا خالد ، أمسِكْ عنِّى ثلاثا يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوّك ؛ وذلك خيرٌ من أن تُعْجِلَهم إلى النار ؛ وتشاغلُ بهم ؛ ففعل. فعاد عدىّ إليهم وقد أرسلوا إخوانهم ؛ فأتوْهم من بُزاخة كالمدَدِ لهم ؛ ولولا ذلك لم يُتْركوا ؛ فعاد عدىّ بإسلامهم إلى خالد ، وارتحل خالد نحو الأنسُر يريد جَدِيلة ، فقال له عدىّ : إن طيّئًا كالطائر ، وإن جَدِيلة

---

(١) نهنهه عنا ؛ أى ادفعه وكفه

أحدُ جناحَىْ طيّئ ؛ فأجِّلْنى أيامًا لعلّ الله أن ينتقذ جَديلة كما انتقذ الغوْث ؛ ففعل ، فأتاهم عدىّ فلم يزل بهم حتى بايعوه ؛ فجاءه بإسلامهم ، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب ؛ فكان خير مولود وُلِد فى أرض طيّئ وأعظمه عليهم بركة .

وأما هشام بن الكلبىّ ؛ فإنه زعم أنّ أبا بكر لما رَجع إليه أسامة ومَن كان معه من الجيش ؛ جَدّ فى حرب أهل الرّدة ، وخرج بالناس وهو فيهم حتى نزل بذى القَصّة ؛ منزلا من المدينة على بريد من نحو نجد؛ فعَبَّى هنالك جنودَه ، ثم بعث خالد بن الوليد على الناس ، وجعل ثابت بن قيس على الأنصار ، وأمْرُه إلى خالد ، وأمره أن يصمُد لطَليْحة وعُيينة بن حصن ، وهما على بُزَاخة ؛ ماء من مياه بنى أسد ؛ وأظهر أنىّ ألاقيك[1] بمَن معى من نحو خيبر ، مكيدة ؛ وقد أوعب[2] مع خالد النّاس ؛ ولكنّه أراد أن يبلغ ذلك عدوّه فيرعبهم . ثم رجع إلى المدينة ، وسار خالد بن الوليد ؛ حتى إذا دَنَا من القوم بعث عُكّاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم — أحد بنى العَجْلان حليفًا للأنصار — طليعة ؛ حتى إذا دنَوَا من القوم خرج طُليحة وأخوه سلَمة ، ينظران ويسألان : فأمّا سلمَة فلم يمهل ثابتًا أن قتله ، ونادى طليحة أخاه حين رأى أن قد فرغ من صاحبه أن أعِنّى على الرجل ؛ فإنه آكل؛ فاعتوَنا عليه ، فقتلاه ثم رجعا ، وأقبل خالد بالناس حتى مرّوا بثابت بن أقرم قتيلاً ، فلم يفطُنوا له حتى وطئته المطِىّ بأخفافها ، فكبُر ذلك على المسلمين ، ثم نظروا فإذا هم بعُكّاشة بن محصن صريعًا ؛ فجزع لذلك المسلمون ، وقالوا : قتل سيّدان من سادات المسلمين وفارسان من فرسانهم ؛ فانصرف خالد نحو طيّئ .

١٨٨٨/١

قال هشام : قال أبو مِخْنف : فحدّثنى سَعْد بن مجاهد ، عن المُحِلّ ابن خليفة ، عن عدىّ بن حاتم ، قال : بعثتُ إلى خالد بن الوليد أن سِرْ إلىّ فأقم عندى أيامًا حتى أبعث إلى قبائل طيّئ ، فأجمع لك منهم أكثر ممن معك ، ثم أصحبك إلى عدوّك . قال : فسار إلىّ .

قال هشام : قال أبو مِخْنف : حدّثنا عبد السلام بن سُويد أنّ بعض

---

(١) س : « لاقيك » .
(٢) أوعب الناس : خرجوا للغزو .

الأنصار حدّثه أن خالداً لما رأى ما بأصحابه من الجزع عند مقتل ثابت وعُكّاشة ، قال لهم : هل لكم إلى أن أميل بكم إلى حيٍّ من أحياء العرب ؛ كثير عددهم ، شديدة شوْكتهم ، لم يرتدّ[(١)] منهم عن الإسلام أحد! فقال له الناس : ومَنْ هذا الحيُّ الذى تعنى ؟ فنعم والله الحىّ هو! قال لهم : طَيِّئٌ ، فقالوا : وفّقك الله ، نعم الرأى رأيت ! فانصرف بهم حتى نزل بالجيش فى طيّئ . ١٨٨٩/١

قال هشام : حدّثنى جديل بن خبّاب النّبهانىّ من بنى عمرو بن أبىّ ، أن خالداً جاء حتى نزل على أرُك ؛ مدينة سَلْمى .

قال هشام : قال أبو مخنف : حدّثنى إسحاق أنه نزل بأجأ ، ثم تعبّى لحربه ، ثمّ سار حتى التقيا على بُزَاخة ، وبنو عامر على سادتهم وقادتهم قريبًا يستمعون ويتربّصون على من تكون الدَّبْرَة .

قال هشام عن أبى مِخْنف : حدّثنى سعد بن مجاهد ، أنه سمع أشياخًا من قومه يقولون : سألْنا خالداً أن نكفيَه قيسًا فإنّ بنى أسد حلفاؤنا ، فقال : والله ما قيسٌ بأوهن الشوْكتين ، اصمُدُوا إلى أىّ القبلتين أحببتم ؛ فقال عدىٌّ : لو ترك هذا الدين َأسْرَتى الأدنى فالأدنى من قَوْمى لجاهدتُهم عليه ، فأنا أمتنع من جهاد بنى أسَد لحِلْفهم ! لا لعمرُ الله لا أفعل ! فقال له خالد : إنّ جهاد الفريقين جميعًا جهادٌ ؛ لا تخالف رأىَ أصحابك ، امضِ[(٢)] إلى أحدِ الفريقين ، وامضِ بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط[(٣)] . ١٨٩٠/١

قال هشام ، عن أبى مخنف : فحدّثنى عبد السلام بن سُوَيد ، أن خيلَ طيّئٍ كانت تلقى خيل بنى أسد وفزارة قبل قُدوم خالد عليهم فيتشامّون[(٤)] ولا يقتتلون ، فتقول أسد وفزارة : لا والله لا نبايع[(٥)] أبا الفَصِيل أبداً . فتقول لهم خيل[(٦)] طيئٌ : أشهد ليقاتلنّكم حتى تكنوه أبا الفحل الأكبر !

فحدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، .

---

(١) ز : « يرجع » . (٢) ابن الأثير : « وامض » .
(٣) س : « نشاط » .
(٤) يتشامون ، أى يدنو بعضهم من بعض ، وفى س : « يتشاتمون »
(٥) ب « نتابع » . (٦) ساقطة من ز .

عن محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ،عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، قال : حُدِّثت أنّ الناس لما اقتتلوا ، قاتل عُيينة مع طليحة فى سبعمائة من بنى فزارة قتالا شديداً ، وطُلَيحة متلفّف فى كساء له بفناء بيت له من شَعَر ، يتنبّأ لهم ، والناس يقتتلون، فلما هزّتْ عُيَينة الحرب ، وضرَس القتال ، كرّ على طليحة ، فقال : هل جاءك جبريل بعد ؟ قال : لا ، قال : فرجع فقاتل حتى إذا ضرَس القتال وهزّته الحرب كرّ عليه فقال : لا أبا لك ! أجاءك جبريل بعد ؟ قال : لا والله ، قال : يقول عُيينة حلِفًا: حتى متى ! قد والله بلَغ منّا ! قال : ثم رجع فقاتل ، حتى إذا بلغ كرّ عليه، فقال : هل جاءك جبريل بعد ؟ قال : نعم، قال : فماذا قال لك ؟ قال : قال لى : « إنّ لك رحًا كرَحاه ، وحديثًا لا تنساه » ، قال : يقول عيينة : أظنّ أن قد علم الله أنه سيكون حديث[1] لا تنساه ؛ يا بنى فزارة هكذا ؛ فانصرفوا ؛ فهذا والله كذّاب. فانصرفوا وانهزم الناس فغَشُوا طليحة يقولون : ماذا تأمرنا ؟ وقد كان أعدّ فرسه عنده ، وهيّأ بعيراً لامرأته النّوَار ، فلما أن غَشُوه يقولون : ماذا تأمرنا ؟ قام فوثب على فرسه ، وحمل امرأته ثم نجا بها ، وقال : مَن استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله فلْيفعل ؛ ثم سلك الحوشيّة حتى لحق بالشأم وارفضّ جمعه ؛ وقتل الله مَن قتل منهم ، وبنو عامر قريبًا منهم على قادتهم وسادتهم ؛ وتلك القبائل من سُلَيم وهوازن على تلك الحال ؛ فلما أوقع الله بطُلَيحة وفَزَارة ما أوقع ، أقبل أولئك[2] يقولون : ندخل فيما خرجنا منه ، ونؤمن بالله ورسوله ، ونُسلّم لحُكْمه فى أموالنا وأنفسنا .

١/١٨٩١

قال أبو جعفر : وكان سبب ارتداد عُيينة وغطَفان ومَن ارتدّ من طيئ ماحدثنا عبيد الله بن سعد، قال : أخبرنى عمّى ، قال : أخبرنى سيف— وحدثنى السرىّ قال : حدثنا شعيب عن سيف — عن طلحة بن الأعلم عن حبيب ابن ربيعة الأسَدىّ ، عن عُمارة بن فلان الأسدىّ ، قال : ارتدّ طُلَيحة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فادّعى النبوّة ، فوجّه النبىّ

١/١٨٩٢

---

(١) س : « حديثاً » (٢) س : « أولئك النفر » .

صلى الله عليه وسلم ضِرار بن الأزْوَر إلى عمّاله على بنى أسد فى ذلك ؛ وأمرهم بالقيام فى ذلك على كلّ مَن ارتدّ ، فأشجَوْا [١] طليحة وأخافوه ، ونزل المسلمون بوَارِدَات ، ونزل المشركون بسَمِيراء ، فما زال المسلمون فى نماء والمشركون فى نقصان ؛ حتى همّ ضِرار بالمسير [٢] إلى طُليحة ، فلم يَبْق [أحد] [٣] إلاّ أخذه سلَماً [٤] ، إلاّ ضربةً كان ضربها بالجُراز [٥] ، فنباعنه، فشاعت فى النّاس . فأتى المسلمون وهم على ذلك بخبر موتِ نبيّهم صلى الله عليه وسلم، وقال ناس من الناس لتلك الضربة : إنّ السلاح لا يُحيك [٦] فى طليحة ؛ فما أمسى المسلمون من ذلك اليوم حتى عرفوا النقصان، وارفضّ الناس إلى طُليحة واستطار أمرُه ، وأقبل ذو الخِمارَيْن عوفُ الجِذْمِيّ حتى نزل بإزائنا ، وأرسل إليه ثُمامة بن أوْس بن لأم الطائىّ : إنّ معى من جَدِيلة خمسمائة ، فإنْ دَهِمَكم أمر فنحن بالقُرْدُودة والأنسُر دُوَيْنَ الرمل . وأرسل إليه مُهَلْهِلُ بن زيد : إنّ معى حدّ الغوث ؛ فإنْ دهِمكم أمرٌ فنحن بالأكناف بحيال فَيْد. وإنما تحدَّبتْ طيّئٌ على ذى الخِمارين عوف ؛ أنه كان بين أسَد وغَطَفان وطيّئ حِلْفٌ فى الجاهليّة، فلما كان قبل مبعثِ النبيّ صلى الله عليه وسلم اجتمعتْ غَطَفان وأسَد على طيّئ ، فأزاحوها عن دارها فى الجاهليّة : غَوْثها وجَدِيلتها ، فكره ذلك عَوْف ؛ فقطع ما بينه وبين غَطَفان ، وتتابع الحيَّانِ على الجَلاء ، وأرسل عوف إلى الحيّيْن من طيّئ، فأعاد حِلْفهم ، وقام بنصرتهم ، فرجعوا إلى دُورهم ، واشتدّ ذلك على غَطَفان؛ فلما مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قام عُيَيْنة بن حِصْن فى غَطَفان ، فقال : ما أعرِف حدودَ غَطَفان منذ انقطع ما بيننا وبَين بنى أسَد ؛ وإنى لمجدّد الحِلْف الذى كان بيننا فى القديم ومتابعٌ طليحة ؛ والله [٧] لأنْ نتّبع نبيًّا من الحليفيْن أحبُّ إلينا من أن نتّبع نبيًّا [٨] من قريش ؛ وقد مات محمد ، وبَقِى طليْحة . فطابَقُوه على رأيه ، ففعل وفعلوا .

١٨٩٣/١

(١) أشجوه : أوقعوه فى الهم والخوف .
(٢) ب : « بالسير » .
(٣) تكملة من ز .
(٤) سلما بالتحريك ، أى صلحا .
(٥) الجراز : السيف القطاع .
(٦) لا يحيك فيه السيف ؛ أى لا يؤثر .
(٧) ب : « ووالله » .
(٨) ب : « بيتا » .

فلمّا اجتمعت غطفان على المطابَقة(١) لطليحة هَرب ضرار وقُضاعيّ وسنان ومَن كان قام بشيء من أمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فى بنى أسد إلى أبى بكر ، وارفضّ مَن كان معهم ، فأخبروا أبا بكر الخبر ، وأمروه بالحذَر ، فقال ضرار بن الأزور : فما رأيتُ أحداً – ليس رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم – أملأَ بحرب شَعْواء من أبى بكر ؛ فجعلنا نخبره ، ولكأنما نخبره بما له ولا عليه . وقدمتْ عليه وفودُ بنى أسد وغَطَفان وهَوازِن وطيّئ ، وتلقتْ وفودُ قضاعة أسامة بن زيد ، فحوّزها(٢) إلى أبى بكْر ؛ فاجتمعُوا بالمدينة فنزلوا على وجوه المسلمين ؛ لعاشر من مُتَوَفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرضوا الصلاةَ على أن يُعْفَوْا من الزّكاة ، واجتمع مَلأُ مَن أنزلَهم على قبول ذلك حتى يبلغوا ما يريدون ؛ فلم يبق من وجوه المسلمين أحد إلا أنزل منهم نازلا إلا العبّاس . ثم أتوا أبا بكر فأخبروه خبرهم وما أجمع عليه ملؤُهم ، إلاّ ما كان من أبى بكر ، فإنه أبى إلاّ ما كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يأخذ ، وأبوْا ، فردّهم وأجّلهم يومًا وليلة ؛ فتطايروا إلى عشائرهم .

١/١٨٩٤

حدّثنى السّرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن الحجاج ، عن عمرو بن شعيب ، قال : كانَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد بعثَ عمرو ابن العاص إلى جَيْفر ، منصرَفَه من حجّة الوداع ، فماتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بعُمَان ، فأقبل حتى إذا انتهى إلى البحْرين وجَد المنذر بن ساوى فى الموت . فقال له المنذر : أشِرْ علىّ فى مالِى بأمرٍ لى ولا علىّ ، قال : صَدِّقْ بعَقار صَدَقَةً تجرى مِن بعدك ، ففعل . ثم خرج من عنده ، فسار فى بنى تميم ، ثم خرج منها إلى بلاد بنى عامرٍ ، فنزل على قُرّة بن هبيرة ، وقرّة يقدّم رِجْلا ويؤخّر رِجلاً ؛ وعلى ذلك بنوعامر كلّهم إلاّ خواصّ ، ثم سار حتى قدِم المدينة ، فأطافت به قريش ، وسألوه فأخبرهم أنّ العساكر مُعَسْكِرة من دَبَا إلى حيث انتهيت إليكم ، فتفرّقوا وتَحلّقوا حَلَقًا ، وأقبل عمر بن الخطاب يريد التسليم على عمرو ،

١/١٨٩٥

(١) ب : « المقاتلة » . (٢) س : « فجوزها » .

فمرّ بحلْقة ، وهم فى شىء مِنَ الذى سمعوا من عمرو فى تلك الحلْقة : عثمان وعلىّ وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد ؛ فلما دنا عمر منهم سكتوا ، فقال : فيم أنتم ؟ فلم يجيبوه ، فقال : ما أعلمنى بالذى خلوتم عليه ! فغضب طلحة ، وقال : تالله يابن الخطاب لتُخبرنا بالغيب ! قال : لا يعلم الغيبَ إلا الله ؛ ولكن أظنّ قلتم : ما أخوفَنا على قريش من العرب وأخلقهم[١] ألاّ يقرُّوا بهذا الأمر ! قالوا : صدقت ، قال : فلا تخافوا هذه المنزلة ، أنا والله منكم على العرب أخوفُ منّى من العرب عليكم ؛ والله لو تدخلون معاشرَ قريش جُحْرًا لدخلتْه العرب فى آثاركم ؛ فاتقوا الله فيهم . ومضى إلى عمرو فسلّم عليه ، ثم انصرف إلى أبى بكر .

حدّثنا السَّرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : نزل عَمرو بن العاص منصرفَه من عُمَان — بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم — بقُرَّة بن هُبيرة بن سلَمة بن قُشير ، وحولَه عسكر من بنى عامر من أفنائهم ، فذبح له وأكرمَ مثواه ، فلمّا أراد الرحلة خلا به قرّة ، فقال : يا هذا ، إنّ العرب لا تطيبُ لكم نفسًا بالإتاوة ، فإن أنتم أعفيتموها من أخذِ أموالها فستسمع[٢] لكم وتطيع ؛ وإن أبيتم فلا أرى أن تجتمع[٣] عليكم . فقال عمرو : أكفرت[٤] يا قرّة ! وحوله بنو عامر ؛ فكره أن يبوح بمتابعتهم فيكفروا بمتابعته ، فينفر[٥] فى شرّ ، فقال : لنردّنكم إلى فيئتكم — وكان من أمره الإسلام — اجعلوا بيننا وبينكم موعداً . فقال عمرو : أتوعدنا[٦] بالعرب وتخوّفنا بها ! موعدك حَفْشُ[٧] أمك ؛ فوالله لأوطِئنّ عليك الخيل . وقدم على أبى بكر والمسلمين فأخبرهم .

١/١٨٩٦

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لمّا فرغ خالد من أمر بنى عامر وبيعتهم على ما بايعهم عليه ، أوثق عُيينة بن

---

(١) كذا فى ب ، س ، وفى ط : « أحلفهم » . (٢) ز : « فتسمع »
(٣) ب : « تجمع » . (٤) ب : « كفرت » .
(٥) ز « وينفر » . (٦) كذا فى ب ، وفى ط : « أتواعدنا » .
(٧) الحفش : حقيبة المرأة تضع فيه زينتها ، يريد تحقيره .

حِصن وقُرّة بن هبيرة ، فبعث بهما إلى أبي بكر ، فلمّا قدِما عليه قال له قرّة : يا خليفةَ رسولِ الله، إنّي قد كنت مسلمًا، ولي من ذلك على إسلامي عند عمرو بن العاص شهادة ؛ قد مرّ بي فأكرمته وقرّبته ومنعته . قال : فدَعا أبو بكر عمرَو بن العاص ، فقال : ما تعلم من أمر هذا ؟ فقصّ عليه الخبر ، حتى انتهى إلى ما قال له من أمر الصّدقة ، قال له قرّة: حسبك رحمك الله ! قال : لا والله ؛ حتى أبلّغ له كلّ ما قلت ، فبلّغ له ، فتجاوز عنه أبو بكر، وحقَن دمه[1] .

١٨٩٧/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن محمّد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عُتْبة ، قال : أخبرني مَنْ نظر إلى عُيَيْنة بن حصن مجموعةً يداه إلى عُنقه بحبل ، يَنْخُسه غلمان المدينة بالجرِيد[2] ، يقولون : أيْ عدوّ الله ، أكفرت بعد إيمانك ! فيقول : والله ما كنت آمنت بالله قطّ . فتجاوز عنه أبو بكر وحقَن له دمه .

حدّثني السريّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن سَهْل بن يوسف ، قال : أخذ المسلمون رجلاً من بني أسَد، فأُتِيَ به خالد بالغَمْر — وكان عالمًا بأمر طُلَيحة — فقال له خالد : حدّثنا عنه وعمّا يقول لكم ، فزعم أن مما أتى به : « والحمام واليمام، والصُّرَد الصوّام، قد صمن قبلكم بأعوام، ليبلغنّ مُلْكُنا العراق والشام » .

حدّثني السريّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن أبي يعقوب سعيد بن عبيد ، قال : لما أرْزَى أهل الغَمْر إلى البُزاخة[3] ، قام فيهم طليحة ، ثم قال : « أمرت أن تصنعوا رحًا ذات عُرًا ، يرمي الله بها مَنْ رَمى، يهوي عليها من هوى» ، ثم عبّى جنوده ، ثم قال : « ابعثوا فارسيْن ، على فرسين

(١) يقال : حقن دمه ؛ إذا حل به القتل فأنقذه .

(٢) الجريد : قضبان النخل ، واحدته جريدة .

(٣) أرزى أهل الغمر إلى البزاخة : التجئوا إليها .

أدهميْن ، من بنى نَصْر بن قُعَيْن ، يأتيانكم بعيْن». فبعثوا فارسين[١] من بنى قُعَين ، فخرج هو وسلَمة طليعتين .

١٨٩٨/١ حدثنا السرىّ، قال : حدثنا شعيب، عن سيف ، عن عبدالله بن سعيد بن ثابت بن الجِذْع ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عمّن شهد بُزاخة من الأنصار ، قال : لم يُصبْ خالد على البُزاخة عيِّلا[٢] واحداً ، كانت عيالات بنى أسد مُحْرَزة — وقال أبو يعقوب : بين مِثْقَب وفَلْج ، وكانت عيالات قيس بين فلْج وَواسط — فلم يَعْدُ أن انهزموا ، فأقرُّوا جميعًا بالإسلام خشية على الذرارىّ ، واتقوا خالداً بطلبته ، واستحقوا الأمان ؛ ومضى طُلَيحة ؛ حتى نزل[٣] كلْب على النَّقْع ، فأسلم ، ولم يزل مقيمًا فى كلْب حتى مات أبو بكر ؛ وكان إسلامه هنالك حين بلغه أن أسداً وغطفان وعامرا قد أسلموا ؛ ثم خرج نحو مكة معتمراً فى إمارة أبى بكر ، ومرّ بجَنَبات المدينة ، فقيل لأبى بكر : هذا طليحة ، فقال : ما أصنع به ! خلّوا عنه ، فقد هداه الله للإسلام . ومضى طليحة نحو مكة فقضى عمرته ، ثم أتى عمر إلى البَيعة حين استخْلِف ، فقال له عمر : أنت قاتل عُكّاشة وثابت ! والله لا أحبُّك أبداً . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تَهَمّ من رجلين أكرمهما الله بيدى ، ولم يُهِنِّى بأيديهما ! فبايعه عمر ثم قال له : يا خُدَع ، ما بقى من كهانتك ؟ قال : نفخة أو نفختان بالكير . ثم رجع إلى دار قومه ؛ فأقام بها حتى خرج إلى العراق .

* * *

ذكر رِدّة هوازن وسليم وعامر

١٨٩٩/١ حدّثنا السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن سهل وعبد الله ، قالا : أمّا بنو عامر فإنهم قدّموا رِجْلا وأخّروا أخرى ، ونظروا ما تصنع أسد وغَطَفان ؛ فلما أُحيطَ بهم وبنو عامر على قادتهم وسادتهم ، كان قُرّة بن

---

(١) ب : « بفارسين » .
(٢) العيل والعيال : من تتكفل بهم وتقوم بأمرهم .
(٣) ب : « ينزل » .

هُبيرة فى كعب ومن لافّها[1] ، وعلقمة بن عُلاثة فى كلاب ومَن لافَّها ؛ وقد كان علقمة أسلمَ ثم ارتدّ فى أزمان النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، ثم خرج بعد فتْح الطائف حتى لحق بالشأم ؛ فلما تُوُفّىَ النبىّ صلى الله عليه وسلم أقبل مسرعًا حتى عسكر فى بنى كَعْب ، مقدّمًا رجلاً ومؤخّرًا أخرى ؛ وبلغ ذلك أبا بكر ، فبعث إليه سريّةً ، وأمّر عليها القَعْقاع بن عمرو ، وقال : ياقعقاع ، سِرْ حتى تُغير على علْقمة بن عُلاثة ، لعلك أن تأخذه لى أو تقتله ؛ واعلم أنّ شفاء الشَّقّ الحوْص[2] ، فاصنع ما عندك . فخرج فى تلك السرّية ؛ حتى أغار على الماء الذى عليه علْقمة ؛ وكان لا يبرح أن يكون على رِجْل[3] ؛ فسابقهم على فرسه ؛ فسبقهم مراكضةً ، وأسلم أهلَه وولده ، فانتسف[4] امرأتَه وبناتِه ونساءَه ، ومَن أقام من الرجال ؛ فاتّقوْه بالإسلام ، فقدِم بهم على أبى بكر ، فجحد ولده وزوجته أنْ يكونوا مالئوا علقمة ، وكانوا مقيمين فى الدار ، فلم يبلغه إلاّ ذلك ، وقالوا : ماذنبنا فيما صنع علقمة من ذلك ! فأرسلهم ثم أسلم ، فقبل ذلك منه[5] . ١/١٩٠٠

حدّثنا السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عمرو وأبى ضَمْرة ، عن ابن سيرين مثل[6] معانيه .

وأقبلت بنوُ عامر بعد هزيمة أهل بُزاخة يقولون : ندخلُ فيما خرجنا منه ؛ فبايعهم على ما بايع عليه أهل البُزاخة من أسَد وغَطَفان وطيِّئ قبلَهم ، وأعطوْه بأيديهم على الإسلام ، ولم يقبل من أحد من أسد ولا غطَفَان ولا هوازن ولا سُليم ولا طيِّئ إلاّ أن يأتوه بالذين حرّقوا ومثّلوا وعدوْا على أهل الإسلام فى حال ردّتهم . فأتوْه بهم ، فقبل منهم إلاّ قرة بن هُبيرة ونفراً معه أوثقهم ، ومثّل بالذين عَدَوْا على الإسلام ؛ فأحرقهم بالنيران ورضَخهم بالحجارة ، ورمى بهم من الجبال ، ونكسهم فى الآبار ، وخزّق بالنّبال[7] . وبعث بقرّة وبالأسارى ، وكتب

---

(١) لافها ، أى اجتمع إليها واختلط بها .
(٢) الحوص : الخياطة .
(٣) ز : « رحل » .
(٤) انتسفهم : اختلعهم .
(٥) س : « منهم » .
(٦) س : « بمثل » .
(٧) خزق بالنبال : رمى فأصاب .

إلى أبى بكر : إنّ بنى عامر أقبلت بعد إعراض ، ودخلت فى الإسلام بعد تربّص[١] ؛ وإنّى لم أقبل من أحد قاتلنى أو سالمنى شيئاً حتى يجيئونى بمَن عدا على المسلمين ؛ فقتلتهم كلّ قتلة ، وبعثتُ إليك بقرّة وأصحابه .

حدّثنا السَّرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن أبى عمرو ، عن نافع ، قال : كتب أبو بكر إلى خالد: ليَزِدْك ما أنعم الله به عليك خيراً ، واتّق الله فى أمرك ؛ فإنّ الله مع الذين اتّقَوْا والذين هُمْ محسنون جدّ فى أمر الله ولا تَنِيَنّ ، ولا تظفرنّ بأحد قتَل[٢] المسلمين إلا قتلته ونكّلتَ به غيره ؛ ومَن أحببت ممن حادّ الله أو ضادّه[٣] ، ممّن ترى أن فى ذلك صلاحاً فاقتله . فأقام على البُزاخة شهراً يُصَعِّد عنها ويُصوّب ، ويرجع إليها فى طلب أولئك ؛ فمنهم مَنْ أحرق ، ومنهم من قمطه ورضَخه بالحجارة ؛ ومنهم مَنْ رمى به من رءوس الجبال . وقدم بقرّة وأصحابه ، فلم ينزلوا ولم يُقتَل لهم كما قيل لعُيَيْنة وأصحابه ؛ لأنهم لم يكونوا فى مثل حالهم ؛ ولم يفعلوا فعلهم

قال السرىّ : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن سهل وأبى يعقوب ، قالا : واجتمعت فُلاّل غَطَفان إلى ظَفَر ، وبها أم زِمْل سلمى ابنة مالك بن حُذيفَة بن بدْر ؛ وهى تشبّه بأمّها أم قرفة بنت ربيعة بن فلان بن بدر ؛ وكانت أمّ قرفة عند مالك بن حذيفة ، فولدت له قِرفة ، وحكَمة ، وجُرَاشَة ، وزِمْلاً ، وحصيناً ، وشريكاً ، وعبداً ، وزُفَر ، ومعاوية ، وحَمَلة ، وقيساً ، ولأياً ؛ فأما حكَمة فقتله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم أغار عُيينة بن حِصْن على سَرْح المدينة ، قتله أبو قتادة ؛ فاجتمعت تلك الفُلاّل إلى سلْمى ؛ وكانت فى مثل عزّ[٤] أمها ، وعندها جَمل أم قرفة ؛ فنزلوا إليها فذمرتْهُم ، وأمرتهم بالحرب ، وصعّدتْ سائرة فيهم وصوّبتْ ، تدعوهم إلى حرب خالد ، حتى اجتمعوا لها[٥] ، وتشجّعوا على ذلك ، وتأشّب[٦] إليهم الشُّرَداءُ من كلّ جانب — وكانت قد سبِيَت أيّام

١/١٩٠١

١/١٩٠٢

---

(١) بعد تربص ؛ أى بعد توقف وتلبث .

(٢) ز : « من المسلمين »

(٣) ب : « صاده » .

(٤) س : « عزم » .

(٥) س : « إليها » .

(٦) تأشب إليهم الشرداء : التجئوا .

أم قِرْفة، فوقعت لعائشة فأعتقتها ، فكانت تكون عندها، ثم رجعت إلى قومها ؛ وقد كان النبيّ صلى الله عليه وسلم دخل عليهنّ يومًا ، فقال إنّ إحداكنّ تستنبح كلاب الحوءب ؛ ففعلت سَلْمى ذلك حين ارتدّت ؛ وطلبت بذلك الثأر ، فسيّرت فيما بين ظفَر والحوْءب؛ لتجمع إليها ، فتجمّع إليها كُلُّ فَلّ[1] ومُضيَّق عليه من تلك الأحياء من غَطفان وهَوازِن وسُلَيم وأسد وطيّئ ، فلما بلغ ذلك خالداً — وهو فيماهو فيه من تتبع الثأر ، وأخذ الصدقة ودعاء الناس وتسكينهم — سار إلى المرأة وقد استكثف أمرُها ، وغلُظ شأنها ؛ فنزل عليها وعلى جُمّاعها[2] ، فاقتتلوا قتالا شديداً ؛ وهى واقفة على جَمَل أمّها ، وفى مثل عزّها ، وكان يقال : من نخس جملها فله مائة من الإبل لعزّها ، وأبيرتْ يومئذ بيوتات من جاس[3] — قال أبو جعفر : جاس حيّ من غَنْم — وهاربة ، وغَنْم ، وأصيب فى أناس من كاهِل ، وكان قتالهم شديداً ؛ حتى اجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوها . وقتِل حول جملها مائة رجل؛ وبعث بالفتح ، فقدم على أثر قُرّة بنحو من عشرين ليلة .

١/١٩٠٣

قال السريّ : قال شعيب ، عن سيف ، عن سهل وأبى يعقوب ، قالا : كانَ من حديث الجوَاء وناعِر ، أنّ الفجاءة إياس بن عبدياليل قدِم على أبى بكر ، فقال: أعنّى بسلاح ، ومُرْنى بمن شئت من أهل الرِّدّة ؛ فأعطاه سلاحًا ، وأمَره أمرَه ، فخالف أمره إلى المسلمين ؛ فخرج حتى ينزل بالجِواء، وبعث نجبة[4] بن أبى المَيْثاء من بنى الشَّرِيد ، وأمره بالمسلمين ؛ فشنّها غارةً على كلّ مسلم فى سُلَيم وعامر وهوازن ؛ وبلغ ذلك أبا بكر ، فأرسل إلى طُرَيْفة بن حاجز يأمره أن يجمع له وأن يسير إليه ؛ وبعث إليه عبد الله بن قيس الجاسىّ عوناً ؛ ففعل ، ثمّ نهضا إليه وطلباه ؛ فجعل يلوذ منهما حتى لقِيَاه على الجِواء ؛ فاقتتلوا ، فقتل نجبة ، وهرب الفجاءة ، فلحقه طُرَيفة فأسره. ثم بعث به إلى أبى بكر ، فقدم به على أبى بكر ، فأمر فأوقد له ناراً فى مصلّى المدينة على حطب كثير ، ثمّ رمِى به فيها مقموطًا .

(١) الفل : الجماعة المنهزمون . (٢) س : « جماعتها » .
(٣) ط : « خاسىء » ، وانظر تصويبات ط . (٤) ابن الأثير : « نخبة ».

قال أبو جعفر : وأمّا ابنُ حُميد ؛ فإنه حدّثنا فى شأن الفُجاءة عن سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : قدِم على أبى بكر رجلٌ من بنى سُلَيم ، يقال له الفجاءة ؛ وهو إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عُميرة بن خُفاف ، فقال لأبى بكر : إنى مسلم ؛ وقد أردت جهاد مَن ارتدّ من الكفّار ، فاحملنى وأعنّى ؛ فحمله أبو بكر على ظَهْر ، ١٩٠٤/١ وأعطاه سلاحًا ، فخرج يستعرِض الناس : المسلِم والمرتدّ ، يأخذ أموالهم ، ويصيب مَن امتنع منهم ؛ ومعه رجلٌ من بنى الشّريد ، يقال له : نجبة بن أبى الميْثاء ، فلمّا بلغ أبا بكر خبرُه ، كتب إلى طريفة بن حاجز : إنّ عدو الله الفجاءة أتانى يزعُم أنه مسلم ، ويسألنى أنْ أقوّيَه علَى مَن ارتدّ عن الإسلام ، فحملته وسلّحتُه ، ثم انتهى إلىّ من يقين الخبر أنّ عدوّ الله قد استعرَض الناس : المسلم والمرتدّ يأخذ أموالهم ، ويقتل مَن خالفه منهم ، فسرْ إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتلَه ، أو تأخذه فتأتيَنى به . فسار طُريفة بن حاجز ، فلمّا التقى الناس كانت بينهم الرِّمِّيّا بالنّبل ، فقُتل نجبة بن أبى الميثاء بسهم رُمى به ، فلما رأى الفجاءة من المسلمين الجِدّ قال لطُريفة : والله ما أنت بأوْلى بالأمر منّى ، أنت أميرٌ لأبى بكر وأنا أميره . فقال له طريفة : إن كنت صادقًا فضع السلاح ، وانطلق معى إلى أبى بكر . فخرج معه ، فلما قدِما عليه أمر أبو بكر طُريفَة بن حاجز ، فقال : اخرج به إلى هذا البَقيع فحرّقْه فيه بالنار ؛ فخرج به طُريفة إلى المصلّى فأوقد له ناراً ، فقذفه فيها ، فقال خُفاف بن نُدْبَة — وهو خُفاف بن عمير — يذكر الفُجاءة ، فيما صنع :

لِمَ يأخذون سلاحَه لقِتالِه ... ولذاكُمُ عند الإلهِ أثامُ[(١)] ١٩٠٥/١
لادينهمْ دينى ولا أنا منهم[(٢)] ... حتى يسيرَ إلى الصّراةِ شَمامُ

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : كانت سُليم بن منصور قد انتقض بعضُهم ، فرجعوا كُفّاراً ، وثبت بعضهم على الإسلام مع أمير كان لأبى بكر عليهم ،

(١) الأصمعيات ٢١ . (٢) كذا فى س ، وفى ط : « ولا أنا فاتن » وفى الأصمعيات «كافر».

يقال له معن بن حاجز ، أحد بنى حارثة ، فلمّا سار خالد بن الوليد إلى طليحة وأصحابه ، كتب إلى معن بن حاجز أن يسير بمن ثبت معه على الإسلام من بنى سُلَيم مع خالد ، فسار واستخلف على عمله أخاه طُرَيفة ابن حاجز ، وقد كان لحِقَ فيمن لحق من بنى سُلَيم بأهل الردّة أبو شجرة ابن عبد العُزَّى ، وهو ابن الخنساء ، فقال :

فلو سألَتْ عنّا غداةَ مُرامِرٍ[1] كما كنتُ عنها سائلا لو نَأيْتُها[2]

لقاء بنى فِهْرٍ وكان لقاؤهم غداةَ الجِوَاء حَاجَةً فقضيتُها

صبَرْتُ لهم نفسِي وعرَّجْتُ مُهْرَتى على الطَّعْن حتى صار وَرْدًا كُمَيْتُها

إذا هىَ صَدَّتْ عن كَمِيٍّ أُريده عَدَلْتُ إليه صَدْرَها فهدَيْتُها

فقال أبو شجرة حين ارتدّ عن الإسلام :

١٩٠٦/١

صَحَا القلبُ عن مَىّ هواه وأقْصرا وطاوَعَ فيها العاذلين فأبْصَرا

وأصبح أدنَى رَائدِ الجَهْل والصِّبا كما وُدُّها عنّا كذاك تَغَيَّرَا

وأصبح أدنى رائدِ الوصل منهمُ كما حبْلُها من حبلنا قد تَبَتَّرا

ألا أيّها المُدْلِى بكثرة قومه وحظُّك منهم أن تُضَامَ وتُقْهَرَا

سَلِ الناس عنّا كلَّ يوم كَرِيهَةٍ إذا ما التقينا : دارِعِينَ وحُسَّرا

ألَسْنا نُعاطى ذا الطِّمَاح لجامَهُ ونَطْعن فى الهيجا إذا الموتُ أَقفَرا !

وعاضِرَةٌ شهباء تَخْطِرُ بالقَنا ترى البُلْقَ فى حافاتها والسَّنَوّرا[3]

فرَوَّيْتُ رُمْحِي من كَتِيبَةِ خَالدٍ وإنى لأرْجو بعدها أن أُعمَّرا

ثم إنّ أبا شجرة أسلم ، ودخل فيما دخل فيه الناس ؛ فلما كان زمن عمر بن الخطاب قدم المدينة . فحدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أنس السُّلَمىّ ، عن رجال من قومه . وحدثنا السَّرى قال : حدّثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل وأبى يعقوب ومحمد بن مرزوق ،

---

(١) ياقوت ٣ : ١٥٥ ، وروايته : « غداة لقائنا » . وانظر الإصابة : ٤ : ١٠١ .
(٢) ب : « إذ نأيتها » . (٣) السنور : كل سلاح من حديد .

وعن هشام، عن أبى مِخْنف، عن عبدالرحمن بن قيس السُّلَمىّ، قالوا: فأناخ ناقته بصعيد بنى قريظة. قال: ثمّ أتى عمر وهو يعطى المساكين من الصّدقة ويقسّمها بين فقراء العرب، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطنى فإنى ١٩٠٧/١ ذو حاجة، قال: ومَنْ أنت؟ قال: أبو شجرة بن عبد العزّى السُّلمىّ، قال: أبو شجرة! أىْ عدوّ الله، ألستَ الذى تقول:

فروّيتُ رمحى من كتيبة خالدٍ ... وإنى لأرجو بعدها أن أعمّرا

قال: ثم جعل يعلوه بالدِّرّة فى رأسه حتى سبقه عَدْواً، فرجع إلى ناقته فارتحلها، ثم أسندها فى حَرّة شَوْران راجعًا إلى أرض بنى سليم، فقال:

ضَنّ علينا أبو حفصٍ بنائلِه ... وكلُّ مُختبطٍ يوماً له وَرَقُ [1]

ما زال يُرْهقنى حتى خَذِيتُ له [2] ... وحال من دون بعض الرَّغبةِ الشَّفَقُ

لمَّا رهبتُ أبا حفصٍ وشُرْطَتَهُ ... والشَّيخُ يفزع أحياناً فينْحمِقُ

ثمّ ارْعويتُ إليها وَهْىَ جانحةٌ ... مِثل الطّريدة لم ينبت لها ورق [3]

أوردتها الخَلَّ من شَوْران صادِرَةً ... إنى لأزْرِى عليها وَهْىَ تنطلق [4] ١٩٠٨/١

تَطِيرُ مَرْوُ أبانٍ عن مناسمها ... كما تُنُوقِدَ عند الجِهْبِذ الورِقُ

إذا يعارضها خَرْقٌ تعارضه ... وَرْهاء فيها إذا استعجلتها خُرُق

ينوء آخرها منها بأوّلها ... سُرُحُ اليدين بها نَهّاضةَ العُنُقِ [5]

* * *

ذِكر خبر

بنى تميم وأمر سَجَاح بنت الحارث بن سُوَيْد

وكان من أمر بنى تميم، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تُوُفِّىَ وقد فرّق فيهم عماله، فكان الزِّبْرِقان بن بدر على الرِّباب وعوف والأبناء — فيما

(١) الخبط: ضرب ورق الشجر حتى ينحّى عنه؛ ثم يستخلف من غير أن يضر ذلك بأصل الشجرة وأغصانها. وفى الإصابة: «قد ضنّ عنا». (٢) س: «رهبت».

(٣) أرعويت إليها: راقبتها ونظرت اليها. والطريدة: أصل العذق.

(٤) حرة شوران، من حرار الحجاز، معروفة. (٥) فى البيت إقواء.

ذكر السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصعب بن عطية بن بلال ، عن أبيه وسهم بن منجاب — وقيس بن عاصم على مُقَاعِس والبُطُون ، وصفوان ابن صفوان وسَبْرَةُ بن عمرو على بنى عمرو ؛ هذا على بَهْدَى وهذا على خَضَّم — قبيلتين[1] من بنى تميم — ووكيع بن مالك ومالك بن نُوَيْرة على بنى حنظلة ؛ هذا على بنى مالك ، وهذا على بنى يربوع . فضرب صفوان إلى أبى بكر حين وقع إليه الخبر بموت النبىّ صلى الله عليه وسلم بصدقات بنى عمرو ، وما ولى منها وبما ولى سبرة ، وأقام سبرة فى قومه لحدث إن ناب القوم ، وقد أطرق قيس ينظر ما الزبرقان صانعٌ . وكان الزّبرقان متعتّبًا[2] عليه ، وقلّما جامله إلاّ مزّقه الزّبرقان بحظوته وجَدّه . وقد قال قيس وهو ينتظر لينظر ما يصنع ليخالفه حين أبطأ عليه : واويلنا[3] من ابن العُكْلِيّة ! والله لقد مزّقنى فما أدرى ما أصنع ! لئن أنا تابعتُ أبا بكر وأتيته بالصّدقة لينحرنّها فى بنى سعد فليسودُنّى فيهم ، ولئن نحرتها فى بنى سعد ليأتينّ أبا بكر فليسودنّى عنده . فعزم قيس على قسمها فى المقاعس والبطون ، ففعل . وعزم الزّبرقان على الوَفاء ، فاتّبع صَفوانَ بصدقات الرِّباب وعوف والأبناء حتى قدم بها المدينة ، وهو يقول ويُعرّض بقيس :

١/١٩٠٩ — ١/١٩١٠

وفيتُ بأذْوادِ الرّسول وقد أبَتْ ... سُعاةٌ فلم يَردُدْ بعيرًا مُجيرُها[4]

وتحلّل الأحياء ونشب الشرّ ، وتشاغلوا وشَغَل بعضُهم بعضًا . ثم ندم قيس بعد ذلك ، فلما أظلّه العَلاء بن الحضرميّ أخرج صدقتها ؛ فتلقّاه بها ؛ ثم خرج معه ، وقال فى ذلك :

ألاَ أبْلِغَا عَنّى قريشًا رسالةً ... إذا ما أتَتْها بيّناتُ الودائع[5]

فتشاغلت فى تلك الحال عَوْف والأبناء بالبُطون ؛ والرِّباب بمقاعس ، وتشاغلت خَضّمَ بمالك وبَهْدَى بيربوع ؛ وعلى خَضّم سَبْرة بن عمرو ، وذلك الذى خلّفه عن صفوان والحصين بن نِيَار على بَهْدَى ، والرِّباب ؛ عبد الله بن صَفْوان

(١) ب والنويرى : « قبيلتان » . (٢) س : « مبغياً » .
(٣) ب ، س : « ياويلتاه » . (٤) الإصابة ١ : ٥٢٤ برواية مخالفة .
(٥) الأغانى ١٤ : ٧٥ (طبعة دار الكتب) .

على ضبّة ، وعِصمة بن أبَيْر على عبد مناة ، وعلى عوف والأبناء عوف بن البلاد ابن خالد من بنى غَنْم الجُشمىّ ، وعلى البطون سِعْر بن خُفاف ؛ وقد كان ثمامة ابن أثال تأتيه أمدادٌ من بنى تميم ؛ فلمّا حدث هذا الحدث[1] فيما بينهم ١/١٩١١ تراجعوا إلى عشائرهم ، فأضرّ ذلك بثمامة بن أثال حتّى قدم عليه عكرمة وأنهضه ؛ فلم يصنع شيئًا ؛ فبينا الناس فى بلاد تميم على ذلك ، قد شغل بعضهم بعضًا ؛ فمُسْلِمُهم بإزاء من قَدّم رجْلا وأخّر أخرى وتربَّص ، وبإزاء من ارتاب ، فجِئْتَهم سَجَاح بنت الحارث قد أقبلت من الجزيرة ، وكانت ورهطها فى بنى تغلِب تقود أفناءَ ربيعة ، معها الهُذَيل بن عمران فى بنى تغلِب ، وعَقّة ابن هلال فى النَّمِر ، وتاد[2] بن فلان فى إياد ، والسَّليل بن قيس فى شَيْبان ، فأتاهم أمرٌ دهىٌّ ، هو أعظم مما فيه الناس ، لهجوم سَجاح عليهم ، ولما هُمْ فيه من اختلاف الكلمة ، والتشاغل بما بينهم . وقال عُفَيف بن المنذر فى ذلك :

ألم يأتيك والأنباء تَسْرِى ... بما لاقَتْ سَرَاة بنى تميم

تَدَاعَى مِنْ سراتِهمُ رِجَالٌ ... وكانوا فى ٱلذَّوائب والصَّمِيم

وألْجَوْهم وكان لهم جِنابٌ ... إلى أحياء خاليةٍ وخِيم

وكانت سَجاح بنت الحارث بن سويد بن عُقْفان — هى وبنو أبيها عُقْفان — فى بنى تغلِب . فتنبّأتْ بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجزيرة فى بنى تغلِب ، فاستجاب لها الهُذَيل ، وترك التنصّر ؛ وهؤلاء الرؤساء الذين أقبلوا معها لتغزوَ بهم أبا بكر . فلما انتهتْ إلى الحَزْن راسلتْ مالك بن نُويرة ١/١٩١٢ ودعَتْه إلى الموادعة ، فأجابها ، وفثأها[3] عن غزوها ، وحَمَلَها على أحياء من بنى تميم ، قالت : نعم ، فشأنَك بمن رأيت ، فإنى إنما أنا امرأة من بنى يربوع ، وإن كان مُلك فالمُلك مُلْككم . فأرسلت إلى بنى مالك بن حنظلة تدعُوهم إلى الموادعة ، فخرج عطارد بن حاجب وسرَوات بنى مالك حتّى نزلوا فى بنى العنبر على سَبْرة بن عمرو هرّابًا قد كرهوا ما صنع وكيع ،

---

(١) ب : « الحديث » .

(٢) ط : « زياد » ، وهو أبو عدى بن وتاد الايادى ، وانظر تاريخ الطبرى ، ٩٤٤ ، ٩٩٦ — طبع أوربا .

(٣) فثأها : كفها .

وخرج أشباههم من بنى يربوع ؛ حتى نزلوا على الحصين بن نيار فى بنى مازن ، وقد كرهوا ما صنع مالك ؛ فلمّا جاءت رسلُها إلى بنى مالك تطلب الموادعة ، أجابها إلى ذلك وكيع ، فاجتمع وكيع ومالك وسجاح ، وقد وادع بعضهم بعضًا ، واجتمعوا على قتال الناس وقالوا : بمن نبدأ ؟ بخضَمّ ، أم ببهدى ، أم بعوف والأبناء ، أم بالرِّباب ؟ وكفّوا عن قيس لما رأوا من تردّده وطمعوا فيه ، فقالت : «أعِدّوا الرّكاب ، واستعدّوا للنّهاب ؛ ثمّ أغيروا على الرِّباب ، فليس دونهم حجاب » .

قال : وصمدتْ[1] سجاح للأحفار حتى تنزِل بها ، وقالت لهم : إنّ ١٩١٣/١ الدَّهْناء حجاز بنى تميم ؛ ولن تعدوَ الرِّباب ؛ إذا شدّها المصاب ، أن تلوذ بالدجانى والدهانى ؛ فلينزلها بعضكم . فتوجّه الجفول – يعنى مالك بن نُوَيرة – إلى الدّجانى فنزلها ؛ وسمعتْ بهذا الرِّباب فاجتمعوا لها ؛ ضَبَّتها وعبد مناتها ، فولِي وكيع وبِشْر بنى بكْر من بنى ضَبَّة ، ووَلِيَ ثعلبة بن سَعْد بن ضَبَّة عقّة ، ووَلِيَ عبدَ مناة الهذيلُ . فالتقى وكيع وبشر وبنو بكر من بنى ضبَّة ، فُهزما ، وأسِرَ سماعة ووكيع وقعْقاع ، وقتلتْ قتلى كثيرة ؛ فقال فى ذلك قَيْس بن عاصم ؛ وذلك أوّلَ ما استبانَ فيه الندم[2] :

كأنّك لم تَشْهَدْ سَمَاعةَ إذْ غَزَا[3] ... وما سُرَّ قَعْقاعٌ وخابَ وَكِيعُ[4]

رأيتُك قد صاحَبْتَ ضَبَّةَ كارهاً ... على نَدَبٍ فى الصَّفْحَتَيْنِ وَجِيعِ[5]

ومُطْلَقُ أَسْرَى كان حمقاً مَسِيرُها[6] ... إلى صَخَراتٍ أَمْرُهُنَّ جَمِيعِ

فصرفَتْ سجاح والهذيل[7] وعقّة بنى بكر ، للموادعة التى بينها وبين ١٩١٤/١ وكيع – وكان عقّة خالَ بشر – وقالت : اقتلوا الرِّباب ويصالحونكم ويطلقون أسراكم ، وتحملون[8] لهم دماءهم ؛ وتحمَد غبَّ رأيهم أخراهم . فأطلقتْ

---

(١) صمدت : قصدت .

(٢) بعدها فى س : « إسعاداً لضبّة » .

(٣) س : « غزوا » .

(٤) س : « مرّ قعقاعا » .

(٥) س : « للصفحتين » .

(٦) ز : « مبيرها » .

(٧) س : « الهذيل » بدون واو .

(٨) س : « ويحملون » .

لهم ضبّة الأسْرَى ؛ ووَدَوُا القتلَى ، وخرجوا عنهم . فقال فى ذلك قيس يُعَيّرهم صلْحَ ضَبّة ، إسعاداً لضبّة وتأنيبًا لهم . ولم يدخل فى أمر سجاح عمرىّ ولا سعدىّ ولا ربّىّ ؛ ولم يطمعوا من جميع هؤلاء إلا فى قيس ؛ حتّى بدا منه إسعاد ضبّة ؛ وظهر منه الندم . ولم يُمَالِئْهُم من حنظلة إلاّ وكيع ومالك ؛ فكانت ممَالأتهما موادَعةٌ على أن ينصر بعضهم بعضا ، ويحتاز بعضهم إلى بعضهم ؛ وقال أصَمُّ التَّيمىّ فى ذلك :

أَتَتْنا أختُ تغلب فَاستهدّتْ جلائبَ من سَرَاةِ بنى أبِينا

وأَرْسَتْ دعوةً فينا سَفَاهاً وكانت من عمائر آخرينـــا

فما كُنَّا لنَرْزِيهم زِبالاً وما كانت لتُسْلم إذ أُتِينا

ألاَ سَفِهَتْ حلومُكُمُ وضلَّتْ عَشِيَّةَ تَحْشُدونَ لها ثُبِينَا

قال : ثمّ إنّ سَجَاح خرجت فى جُنود الجزيرة[1] ، حتى بلغت النِّبَاج ؛ ١٩١٥/١ فأغار عليهم أوْس بن خُزَيمة الهُجَيْمىّ فيمن تأشَّبَ إليه من بنى عمرو ، فأسِرَ الهذيل ؛ أسره رجلٌ من بنى مازن ثم أحد بنى وَبر ، يُدْعى ناشرة . وأسِرَ عَقّة ؛ أسره عبدة الهجيمىّ ؛ وتحاجزوا على أن يترادّوا الأسرى ، وينصرفوا عنهم ، ولا يجتازوا عليهم ؛ ففعلوا ، فردُّوها وتوثّقوا عليها وعليهما ؛ أن يرجعوا عنهم ، ولا يتّخذوهم طريقًا إلا من ورائهم . فوفوا [2] لهم ؛ ولم يزل فى نفس الهذيل على المازنىّ ؛ حتى إذا قُتل عثمان بن عفّان ، جمع جمعًا فأغار على سَفَار ، وعليه بنو مازن ؛ فقتلتْه بنو مازن ورَموا به فى سَفَار .

ولمّا رجع الهُذيل وعقّة إليها واجتمع رؤساء أهل الجزيرة قالوا لها : ما تأمريننا ؟ فقد صالَح مالك ووكيع قومَهما ؛ فلا ينصروننا ولا يزيدوننا على أن نجوز فى أرضهم ، وقد عاهدنا هؤلاء القوم . فقالت : اليمامة ؛ فقالوا : إن شوكة أهل اليمامة شديدة ؛ وقد غلُظَ أمرمسيْلمة ؛ فقالت : « عليكم باليمامة ؛

---

(١) بعدها فى س : « تريد المدينة » .
(٢) ب : « فوقفوا » .

ودفُّوا دَفِيفَ الحمامة ؛ فإنها غزوة صَرّامة ؛ لا يلحقكم بعدها ملامة » .

١/١٩١٦ فتَنَهَّدَتْ لبني حنيفة ؛ وبلغ ذلك مسيلمة فهابها ؛ وخاف إن هو شغل بها أن يغلبه ثُمامة على حَجْر أو شرحبيل[1] بن حَسَنَة ، أو القبائل التي حولَهم ، فأهدي لها ؛ ثم أرسل إليها يستأمِنها على نفسه حتى يأتيَها . فنزلت الجنود على الأمواه ، وأذِنَتْ له وآمَنَتْه ؛ فجاءها وافداً في أربعين من بني حَنيفة — وكانت راسخةً في النَّصرانيّة ، قد علمت من علم نصارى تغلِب — فقال مُسيلِمة : لنا نصف الأرض ؛ وكان لقريش نصفها لو عدلَتْ ؛ وقد ردّ الله عليكِ النّصف الذي رَدَّتْ قريش ؛ فَحَباكِ[2] به ، وكان لها لو قبلتْ . فقالت : « لا يردّ النّصف إلاّ مَنْ حَنَفَ[3] ، فاحمل النّصف إلى خيل تراها كالسَّهَف[4] » . فقال مسيلمة : « سمع الله لمن سمع ، وأطمعه بالخير إذ طمع ؛ ولا زال أمره في كلّ ما سرّ نفسه يجتمع . رآكم ربُّكم فحيَّاكم ، ومن وحشة خلاّكم ؛ ويوم دينه أنجاكم . فأحياكم علينا من صلوات معشر أبرار ، لا أشقياء ولا فجّار ، يقومون الليل ويصومون النهار ، لربّكم الكُبار ، ربّ الغيوم والأمطار » .

وقال أيضاً : « لمّا رأيت وجوههم حَسُنَت ، وأبشارهم[5] صفت ، وأيديهم

١/١٩١٧ طَفُلَت[6] ؛ قلت لهم : لا النساء تأتون ، ولا الخمر تشربُون ؛ ولكنّكم معشر أبرار ، تصومون يوماً ، وتكلفون يوماً ؛ فسبحان الله ! إذا جاءت الحياة كيف تحيَوْن ، وإلى ملك السماء ترقَوْن ! فلو أنها حبّة خرْدَلة[7] ؛ لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور ، ولأكثر الناس فيها الثُّبور » .

وكان ممّا شرَع لهم مسيلمة أنّ من أصاب ولداً واحداً عقِباً[8] لا يأتي

(١) ابن الأثير : « وشرحبيل » . (٢) ز س : « فحياك » .

(٣) حنف : مال .

(٤) السهف : فلوس السمك الصغار ، أرادت أنها هزيلة .

(٥) س : « وأبصارهم » .

(٦) طفلت : صارت طفلة ؛ أي ناعمة .

(٧) س : « خردل » .

(٨) ابن الأثير : « ذكراً » .

امرأة إلى أن يموت ذلك الابن فيطلب الولد ؛ حتى يصيب ابنا ثم يُمْسِك ؛ فكان قد حرَّم النِّساء على من له ولد ذَكر .

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا غير سيف ومنْ ذكرنا عنه هذا الخبر ؛ فإنه ذكر أنّ مسيْلمة لما نزلتْ به سجاح ، أغلق الحِصْن دُونها ، فقالت له سجاح : انزل ، قال : فنحِّ عنكِ أصحابكِ ، ففعلت . فقال مسيلمة : اضربوا لها قُبَّةً وجمِّروها لعلَّها تذكر الباه ؛ ففعلوا ، فلمَّا دخلت القُبَّة نزل مسيلمة فقال : ليقِفْ ها هنا عشرة ، وها هنا عشرة ؛ ثم دارَسَها ، فقال : ما أوحِيَ إليكِ ؟فقالت[1] : هل تكون النساءُ يبتدئن ! ولكن أنت قُلْ ماأوحى إليك ؟ قال : « ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحُبْلى ، أخرج منها نسمة تسْعى ، من بين صِفاق[2] وحشى[3] » . قالت : وماذا أيضًا ؟ قال : أوحىَ إلىّ : « أنّ الله خلق النساء أفراجا ، وجعل الرجال لهنّ أزواجا ؛ فنولج فيهن قُعْسًا[4] إيلاجا ، ثم نُخرِجُها إذا نشاء إخراجا ، فيُنْتَجْن لنا سِخَالا إنتاجًا » . قالت : أشهد أنك نبىّ ، قال : هل لكِ أن أتزوّجك فآكل بقومى وقومك العرب ! قالت : نعم ، قال :

١٩١٨/١

ألاَ قُومى إلى النَّيك ... فقد هُيّى لك المَضْجَعْ
وإن شئتِ ففى البيت ... وإن شئتِ ففى المخدَعْ
وإن شئتِ سلقناكِ ... وإن شئتِ على أربعْ
وإن شئتِ بثلثيه ... وإن شئتِ به أجْمَعْ

---

(١) ط : « وقالت » : وأثبت ما فى ب ، س .

(٢) الصفاق : الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر .

(٣) بعدها فى الأغانى : « من بين ذكر وأنثى ، وأموات وأحيا ، ثم إلى ربهم يكون المنتهى » .

(٤) فى الأغانى : « الغراميل » ؛ وهو بمعناها . وفى ط : « فعسا » ، بالفاء ؛ تصحيف .

قالت : بل به أجمع ، قال بذلك[١] أوحِى إلىّ[٢] . فأقامت عنده ثلاثًا ثمّ انصرفت إلى قومها ، فقالوا : ما عندك ؟ قالت : كان على الحقّ فاتّبعتُه فتزوّجته ، قالوا : فهل أصدقَك شيئًا ؟ قالت : لا ، قالوا : ارجعى[٣] إليه ، فقبيحٌ بمثلك أن ترجع بغير صَدَاق ! فرجعت ، فلمّا رآها مسيلمة أغلق الحِصْن ، وقال : مالكِ ؟ قالت : أصدِقْنى صداقًا ، قال : من مؤذِّنُك[٤] ؟ قالت : شَبَث بن رِبْعِىّ الرِّياحىّ ، قال : علىّ به ، فجاء فقال : نادِ فى أصحابك أنّ مسيلمة بن حبيب رسولُ الله قد وضع عنكم صلاتين ممّا أتاكم به محمّد : صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر . ١٩١٩/١

قال : وكان من أصحابها الزِّبرقان بن بدْر وعُطارد بن حاجب ونُظَراؤهم .

— وذكر الكلبىّ أن مشيخة بنى تميم حدّثوه أن عامّة بنى تميم بالرّمل لا يصلّونهما — فانصرفت ومعها أصحابها ، فيهم الزِّبرقان ، وعُطارد بن حاجب ، وعَمْرو بن الأهْتَم ، وغيلان بن خَرَشَة ، وشَبَث ابن رِبعىّ ، فقال عُطارد بن حاجب :

أَمْسَتْ نَبِيَّتُنا أُنثى نُطِيفُ بها ... وأصبَحَتْ أنبياءُ النّاسِ ذُكْرَانا[٥]

وقال حكيم بن عيّاش الأعور الكلبىّ ، وهو يعيِّر مُضَر بسَجاح ، ويذكر ربيعة :

أتوْكُمْ بدِينٍ قائِمٍ وأتيتُمُ ... بِمُنْتَسِخِ الآيات فى مُصْحَفٍ طَبِّ[٦]

* * *

(١) ب : « بذاك » .

(٢) الخبر إلى هنا فى الأغانى ١٨ : ١٦٥ ، ١٦٦ (ساسى) ، وفيه : « فواقعها فلما قام عنها قالت : إن مثلى لا يجرى أمرها هكذا فيكون وصمة على قومى ؛ ولكنى مسلمة النبوة إليك ، فاخطبنى إلى أوليائى يزوجوك ، ثم أقود تميما معك ، فخرج وخرجت معه ؛ فاجتمع الحيان من حنيفة وتميم ، فقالت لهم سجاح : إنه قرأ علىّ ما أنزل عليه فوجدته حقاً ، فاتبعته . ثم خطبها فزوجوه إياها ، وسألوه عن المهر ، فقال : قد وضعت عنكم صلاة العصر ؛ فبنو تميم إلى الآن بالرمل لا يصلونها ، ويقولون : هذا حق لنا ، ومهر كريمة منا لا نردّه » .

(٣) س : « فارجعى » . (٤) س : « دونك » .

(٥) الأغانى : « أضحت نبيتنا » .

(٦) س : « بمنسلخ » .

رجع الحديث إلى حديث سيف . فصالحها على أن يحمل إليها النّصف من غَلاّت اليمامة ، وأبت إلاّ السنة المقْبلة يُسْلِفها[١] ؛ فباح لها بذلك ؛ ١٩٢٠/١ وقال : خلّفي على السلف مَنْ يجمعه لك ، وانصرفى أنتِ بنصف العام ؛ فرجع فحمل إليها النّصف ، فاحتملتْه وانصرفتْ به إلى الجزيرة ، وخلّفَتِ الْهذيل وعُقّة وزياداً لينجز النّصف الباقى ؛ فلم يفجأهم إلا دُنُوّ خالد بن الوليد منهم ؛ فارفضّوا . فلم تزل سَجاح فى بنى تَغْلب ؛ حتى نقلهم[٢] معاوية عامَ الجماعة فى زمانه ؛ وكان معاوية حين أجمع[٣] عليه أهلُ العراق بعد علىّ عليه السلام يُخرِج من الكوفة المستغربَ فى أمر علىّ ، ويُنْزِل داره المستغربَ فى أمر نفسه من أهل الشأم وأهل البصرة وأهل الجزيرة ؛ وهم الذين يقال لهم النواقل[٤] فى الأمصار ؛ فأخرج من الكوفة قَعقاعَ بن عمرو بن مالك إلى إيليا بفلسطين ، فطلب إليه أن ينزل منازلَ بنى أبيه بنى عُقْفان ، وينقلهم إلى بنى تميم ، فنقلهم من الجزيرة إلى الكوفة ، وأنزلهم منازل القَعْقاع وبنى أبيه[٥] ؛ وجاءت معهم وحسن إسلامها[٦] ؛ وخرج الزّبرقان والأقرع إلى أبى بكر ، وقالا : اجعل لنا خَراج البحرين ونضمن لك ألاّ يرجع من قومنا أحدٌ ، ففعل وكتب الكتاب . وكان الذى يختلف بينهم طلحة بن عبيد الله وأشهدوا شهوداً منهم عمر . فلما أُتِىَ عمر بالكتاب فنظر فيه لم يشهد ، ثم ١٩٢١/١ قال : لا والله ولا كَرامة ! ثم مزّق الكتاب ومحاه ، فغضب طلحة ، فأتى أبا بكر ، فقال : أأنت الأمير أم عمر ؟ فقال : عمر ؛ غير أنّ الطاعة لى . فسكت .

وشهدا مع خالد المشاهدَ كلّها حتى اليمامة ، ثم مضى الأقرع ومعه شُرَحبيل إلى دُومة[٧] .

* * *

(١) ز : « بسلفها » .

(٢) ب : « قفلهم » .

(٣) ز : « اجتمع » .

(٤) ب : « النوافل » .

(٥) ب : « أمية »

(٦) ز : « إسلامهم » .

(٧) ز : « دومة الجندل » .

ذكر البُطَاح وخبره

كتب إلىّ السرىُّ بن يحيى ، عن شعيب، عن سيف ، عن الصَّعْب بن عطية بن بلال ، قال : لما انصرفتْ سَجاح إلى الجزيرة ، ارعَوَى مالك بن نُوَيرة ، وندِم وتحيَّر فى أمره ، وعرف وكيع وسماعة قُبْحَ ما أتيا ، فرجعا رجوعًا حسنًا ، ولم يتجبَّرا ، وأخرجا الصدقات فاستقبلا بها خالدًا ؛ فقال خالد : ما حملكما على موادعة هؤلاء القوم ؟ فقالا : ثأرٌ كنَّا نطلبه فى بنى ضَبَّة ؛ وكانت أيام تشاغُل وفرص ، وقال وكيع فى ذلك :

فلا تَحْسَبا أنِّى رجعتُ وأننى مُنِعْتُ وقد تُحْنَى إلىَّ الأصابعُ[1]

١/١٩٢٢ ولكنَّنى حامَيْتُ عن جُلِّ مالكٍ ولاحَظْتُ حتى أكْحَلَتْنى الأخادِعُ[2]

فلمّا أتَانا خالدٌ بلِوائه تخطَّتْ إليه بالبُطَاح الوَدَائعُ

ولم يبق فى بلاد بنى حنظلة شىء يكره إلا ما كان من مالك بن نُويرة ومَن تأشَّب إليه بالبُطاح ؛ فهو على حاله متحيِّرٌ شَجٍ .

كتب إلىَّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم وعمرو بن شعيب ، قالا : لما أراد خالد السَّيْر خرج من ظَفَر ، وقد استبرأ أسدًا وغَطَفان وطيِّئًا وهوازن ؛ فسار يريدُ البُطاح دون الحَزْن ؛ وعليها مالك بن نُوَيرة ، وقد تردّد عليه أمره ، وقد تردّدت الأنصار على خالد وتخلَّفت عنه ، وقالوا : ما هذا بعهد الخليفة إلينا ! إنّ الخليفة عَهِد إلينا إنْ نحن فرغنا من البُزاخة ، واستبرأنا بلادَ القوم أنْ نقيمَ حتَّى يكتب إلينا . فقال خالد : إن يكُ عهد إليكم هذا فقد عهد إلىّ أن أمضىَ ، وأنا الأمير وإلىّ تنتهى الأخبار . ولو أنّه لم يأتِنى له كتاب ولا أمر ؛ ثم رأيت فرصةً ؛ فكنت ١/١٩٢٣ إن أعلمته فاتتنى لم أعلِمْه حتى أنتهزها ؛ كذلك لو ابتُلينا بأمر ليس منه[3]

---

(١) ياقوت ٢ : ٢١٥ .

(٢) ياقوت : « أكلحتنى » .

(٣) ب : « فيه » .

عهد إلينا فيه لم [١] نَدَعْ أن نرى أفضلَ ما بحضرتنا [٢] ، ثم نعمل به . وهذا مالك بن نُوَيرة بحيالنا ، وأنا قاصد إليه ومَن معى من المهاجرين والتابعين بإحسان ؛ ولست أكرهكم [٣]. ومضى خالد ،وندمت الأنصار ،وتَذَامروا [٤] ، وقالوا : إن أصاب القوم خيرًا إنه لَخَيرٌ حُرِمتموه ، وإن أصابتهم مصيبة ليجتَنِبنّكُم الناس . فأجمعوا اللّحاق بخالد وجرّدوا إليه رسولا ؛ فأقام عليهم حتّى لحِقوا به ؛ ثم سار حتى قدم البُطاح فلم يجد به أحدًا [٥] .

قال أبو جعفر ؛ فيما كتب به إلىّ السرىّ بن يحيى ، يذكر عن شعيب ابن إبراهيم أنّه حدّثه عن سيف بن عمر ، عن خزيمة بن شجرة العُقْفانىّ ، عن عثمان بن سويد ، عن سُويد بن المثعبة [٦] الرِّياحىّ ؛ قال : قدم خالد ابن الوليد البُطاح فلم يجدْ عليه أحدًا ، ووجد مالكًا [٧] قد فرّقهم فى أموالهم، ونهاهم عن الاجتماع حين تردّد عليه أمره ، وقال : يا بنى يَربوع ؛ إنّا قد كنا عصينا أمراءنا إذ دعوْنا إلى هذا الدين ، وبَطَّأنا الناس عنه فلم نُفْلح ولم نُنْجِح ، وإنّى قد نظرتُ فى هذا الأمر ، فوجدتُ الأمر يتأتّى لهم بغير سياسة ، وإذا الأمر لا يسوسه الناس ؛ فإيّاكم ومناوأة قوم صُنع لهم ؛ فتفرّقوا إلى دياركم وادخلوا فى هذا الأمر . فتفرّقوا على ذلك إلى أموالهم ، وخرج مالك حتى رجع إلى منزله . ولما قدم خالد البطاح بثّ السَّرايا وأمرهم بداعية الإسلام أن يأتُوه بكلّ مَن لم يُجِب ، وإن امتنع أن يقتلوه ؛ وكان ممّا أوصى به أبو بكر : إذا نزلتُم منزلا فأذّنُوا وأقيموا ؛ فإن أذّن القوم وأقاموا فكفُّوا عنهم ؛ وإن لم يفعلوا فلا شىءَ إلاّ الغارة ؛ ثم اقتلوهم كلّ قِتْلة ؛ الحرْق فما سواه ؛ وإن [٨]

١٩٢٤/١

(١) س : « فلم » . (٢) ابن الأثير : « ما يحضرنا » .
(٣) الأغانى : « أكرههم » .
(٤) تذامروا : حض بعضهم بعضاً .
(٥) الخبر فى الأغانى ١٥ : ٢٩٩ ، ٣٠٠ (طبعة دار الكتب) .
(٦) الأغانى : « المنعبة » .
(٧) الأغانى : « مالك بن نويرة » .
(٨) الأغانى : « فإن » .

أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ؛ فإن أقرُّوا بالزكاة فاقبلوا[١] منهم ؛ وإن أبَوْها فلا شيء إلاّ الغارة ولا كلمة . فجاءته الخيل بمالك بن نُويرة فى نفر معه من بنى ثعلبة بن يربوع ، من[٢] عاصم وعبيد وعرين وجعفر ، فاختلفت[٣] السريَّة فيهم ، وفيهم أبو قتادة ؛ فكان فيمَن شهد أنَّهم قد أذّنوا وأقاموا وصلُّوا . فلمَّا اختلفوا فيهم أمر بهم فحُبِسوا[٤] فى ليلة باردة لا يقوم لها شىء ؛ وجعلت تزداد بَرْدًا ، فأمر خالدٌ مناديًا فنادى : « أدفِئوا أسراكم » ، وكانت فى لغة كنانة إذا قالوا[٥] : دَثِّروا الرجل فأدفئوه ، دِفْئُه قتله وفى لغة غيرهم : أدْفِه فاقتله ، فظنّ القوم – وهى فى لغتهم القتل – أنه أراد القتل ، فقتلوهم ، فقتل ضرارُ بن الأزور مالكًا ، وسمع خالد الواعية[٦] ؛ فخرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمرًا أصابه .

١/١٩٢٥

١/١٩٢٦

وقد اختلف القوم فيهم ، فقال أبو قتادة : هذا عملُك ، فزَبَرَه خالد فغضب ومضَى ، حتى أتى أبا بكر فغضِب عليه أبو بكر ؛ حتى كلَّمه عمر فيه ، فلم يرضَ إلاّ أن يرجع إليه ، فرجع إليه حتى قدم معه المدينة ، وتزوج[٧] خالدٌ أمّ تميم ابنة المنهال[٨] ، وتركها لينقضِىَ طُهرها ، وكانت العرب تكره النساء فى الحرب وتعايَرُه ، وقال[٩] عمر لأبى بكر . إنّ فى سيفِ خالد رَهَقًا ، فإن لم يكن هذا حقًا ، حقّ[١٠] عليه أن تُقيدَه ؛ وأكثر عليه فى ذلك – وكان أبو بكر لا يُقيد من عماله ولا وَزَعَتِه[١١] – فقال : هيه يا عمر! تأوّلَ فأخطأ ، فارفَعْ لسانك عن خالد . وودى مالكًا وكتب إلى خالد أن يقدُم عليه ، ففعل ، فأخبره خبَرَه ،

---

(١) الأغانى : « قبلتم » . (٢) الأغانى : « ومن بنى عاصم » .

(٣) الأغانى : « واختلفت » .

(٤) الأغانى : « أمر بحبسهم » .

(٥ – ٥) الأغانى : « دافأنا الرجل وأدفئوه ، فذلك معنى : اقتلوه ، من الدفء » .

(٦) الواعية : الجلبة والصراخ على الميت ونعيه .

(٧) الأغانى : « وكان قد تزوج » .

(٨) المنهال بن عصمة الرياحى ؛ وهو الذى كفن مالكاً فى ثوبيه .

(٩) الأغانى : « فقال » .

(١٠) الأغانى : « وحق عليه أن تقيده » .

(١١) الوزعة : أصحاب السلطان .

فعذره وقبل منه، وعنّفه فى التزويج الذى كانت تعيب عليه العرب من ذلك[١]

وكتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: شهد قومٌ من السريّة أنهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا، ففعلوا مثل ذلك. وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شىء، فقُتلوا. وقدم أخوه متمّم بن نُوَيْرة يَنْشُد أبا بكر دَمه، ويطلب إليه فى سَبْيهم؛ فكتب له بردّ السَّبْى، وألحّ عليه عمر فى خالد أن يعزله، وقال: إنّ فى سيفه رَهَقًا. فقال: لا يا عمر؛ لم أكُنْ لأشيمَ سيفًا سلّه الله على الكافرين[٢].

كتب إلىّ السَّرِىّ، عن شعيب، عن سَيْف، عن خُزيمة، عن عثمان، عن سُوَيد، قال: كان مالك بن نُوَيرة من أكثر الناس شعرًا؛ وإن أهل العسكر أثّفوا برءوسهم[٣] القُدور، فما منهم رأس إلا وصلت النار إلى بَشَرته ما خلا مالكًا، فإنّ القِدْر نَضِجتْ وما نضج رأسه من كثرة شَعره، وقَى[٤] الشَّعَرُ البَشَرةَ حرَّها[٥] أن يبلغ منه ذلك. ١٩٢٧/١

وأنشده متمّم؛ وذكر خَمَصَه[٦]؛ وقد كان عمر رآه مقَدمَه على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، فقال: أكذاك يا متمّم كان! قال: أمّا ما أعنى فنعم[٧].

حَدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق؛ أنّ أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه: أنْ إذا غشيتم دارًا من دُور النَّاس فسمعتم فيها أذانا للصلاة، فأمسكُوا عن أهلها حتّى تسألوهم ما الذى نقِموا! وإن لم تسمعوا أذانا، فشُنُّوا الغارة، فاقتلوا[٨]، وحَرّقوا.

---

(١) الأغانى ١٥ : ٣٠٠ – ٣٠٢ (٢) الأغانى ١٥ : ٣٠٢.

(٣) أثف القدر تأثيفاً: وضعها على الأثافى، يريد أنهم جعلوا رءوسهم أثافى للقدور.

(٤) الأغانى: «ووقى». (٥) الأغانى: «من حر النار».

(٦) فى الأغانى: «يعنى قوله:

لقدْ كفَّن المنْهَالُ تَحتَ رِدَائِه فَتًى غَير مِبطانِ العشيَّات أَرْوَعَا

فقال: أكذاك كان يا متمم؟ قال: أما ما أعنى فنعم».

(٧) الأغانى ١٥ : ٣٠٢، ٣٠٣. (٨) الأغانى: «واقتلوا».

وكان ممّن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربعىّ أخو بنى سلمة ، وقد كان عاهد الله ألاّ يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها ؛ وكان يحدّث أنّهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل ، فأخذ القوم السلاح . قال : فقلنا : إنّا المسلمون ، فقالوا : ونحن المسلمون، قلنا : فما بال السلاح معكم ! قالوا لنا : فما بال السلاح معكم ! قلنا : فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح ، قال : فوضعوها ؛ ثم صلّينا وصلّوا . وكان خالد يعتذر فى قتله أنه قال له وهو يراجعه : ما إخال صاحبكم[1] إلاّ وقد كان يقول كذا وكذا . قال : أوَ ما تعدّه لك صاحباً ! ثم قدّمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه ، فلما بلغ قتلهم عمرَ بن الخطاب ، تكلّم فيه عند أبى بكر فأكثر ، وقال : عدوُّ الله عدا على امرئ مسلم فقتله ، ثم نزا على امرأته !

وأقبل خالد بن الوليد قافلا حتى دخل المسجد وعليه قباءٌ له عليه صدأ الحديد ، معتجراً بعمامة له ، قد غرز فى عمامته أسهُماً ؛ فلمّا أنْ دخلَ المسجد قام إليه عُمَرُ فانتزع الأسهُمَ من رأسه فحطّمها ، ثم قال : أرِئاء ! قتلتَ امرأً مسلما ، ثم نزوت على امرأته ! والله لأرْجمنّك بأحجارك — ولا يكلّمه خالد بن الوليد ، ولا يظنّ إلا أنّ رأى أبى بكر على مثل رأى عمر فيه — حتى دخل على أبى بكر ، فلمّا أنْ دخلَ عليه أخبره الخبر ، واعتذر إليه فعذره أبو بكر ، وتجاوز عنه ما كان فى حربه تلك . قال : فخرَج خالد حين رضى عنه أبو بكر ، وعُمَرُ جالسٌ فى المسجد ، فقال : هلم إلىّ يا بن أمّ شمْلة ! قال : فعرف عمر أن أبا بكر قد رضىَ عنه فلم يكلّمه ، ودخل بيته .

وكان الذى قتل مالك بن نويرة عبد بن الأزور الأسدى[2] . وقال ابن الكلبىّ : الّذى قتل مالك بن نُويرة ضرار بن الأزور .

* * *

(١) بعدها فى الأغانى : « يعنى النبى صلى الله عليه وسلم » .

(٢) الأغانى ١٥ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

ذكر بقيّة خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : كان أبو بكر حين بعث عِكْرمة بن أبى جهل إلى مُسيْلمة وأتبعه شُرَحْبِيلَ عجّل عكرمة ، فبادر شرحْبِيل ليذهب بصوتها[1] فواقعهم ، فنكبوه ، وأقام شُرحْبيل بالطريق حيث أدركه الخبر ؛ وكتب عكرمة إلى أبى بكر بالذى كان[2] من أمره ، فكتب إليه أبو بكر : يابن أمّ عكرمة ، لا أرينَّك ولا ترانى على حالها ! لا ترجع فتوهِن النّاسَ ؛ امض على وجهك حتى تساند حُذَيفَةَ وعَرْفجة فقاتلْ معهما أهلَ عُمان ومَهْرة ، وإن شغلا فامضِ أنت ، ثم تسير وتسيّر جندك تستبرئون[3] مَنْ مررتم به ؛ حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبى أميّة باليمن وحضرموت . ١٩٣٠/١

وكتب إلى شُرحبيل يأمره بالمقام حتى يأتيَه أمرُه ، ثم كتب إليه قبل أن يوجّه خالداً بأيام إلى اليمامة : إذا قدم عليك خالدٌ ، ثم فرغتم إن شاء الله فالحق بقُضاعة ؛ حتى تكونَ أنت وعمرو بن العاص على مَنْ أبَى منهم وخالف . فلمّا قدِم خالدٌ على أبى بكر من البُطاح رضىَ أبو بكر عن خالد ، وسَمِع عذْره وقَبِل منه وصدّقه ورضى عنه ، ووجّهه إلى مُسَيلمة وأوعب معه الناس . وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبَراء بن فلان ، وعلى المهاجرين أبو حذَيفة وزيد ، وعلى القبائل ؛ علَى كلّ قبيلة رجلٌ . وتعجّل خالد حتى قدِم على أهلِ العسكر بالبُطاح ، وانتظر البعث الذى ضرِب بالمدينة ؛ فلمّا قدِم عليه نهض حتّى أتى اليَمامة وبنو حَنيفة يومئذ كثير .

كتب إلىّ السَّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عمرو بن العلاء ، عن رجال ، قالوا : كان عددُ بنى حنيفة يومئذ أربعين ألف مقاتل ؛ فى قُراها

---

(١) س : « بصوبها » . (٢) ابن الأثير : « بالخبر » .

(٣) ب : « تستثيرون » .

وحُجَرها ، فسار خالد حتى إذا أظلّ عليهم أسندَ خيولاً لعقة والهُذيل وزياد ؛ وقد كانوا أقاموا على خرْج أخرجه لهم مُسيلمة ليلحقوا به سجاح . وكتب إلى القبائل من تميم فيهم ؛ فنفّروهم حتى أخرجوهم من جزيرة العرب ، وعجّل شُرحبيل بن حسنة ، وفعل فِعْل عِكرمة ، وبادر خالداً بقتال مُسيْلمة قبل قدوم خالد عليه ؛ فنُكِب ، فحاجَزَ[1] ؛ فلمّا قدم عليه خالد لامَه ؛ وإنّما أسنَد خالد تلك الخيول مخافةَ أن يأتوه من خلْفه ؛ وكانوا بأفْنية اليمامة . ١٩٣١/١

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن جابر بن فلان ، قال : وأمدّ أبو بكر خالداً بسَليط ؛ ليكون رِدْءاً له مِن أن يأتيه أحدٌ من خلْفه ؛ فخرج ؛ فلمّا دنا من خالد وجد تلك الخيول الّتى انتابت تلك البلاد قد فرّقوا ؛ فهربوا ، وكان منهم قريباً رِدْءاً لهم ؛ وكان أبو بكر يقول : لا أستعمل أهل بدر ؛ أدَعُهم حتى يلقوا الله بأحسنِ أعمالهم ؛ فإنّ الله يدفع بهم وبالصُّلحاء من الأمم أكثرَ وأفضلَ ممّا ينتصر[2] بهم ؛ وكان عمر بن الخطاب يقول : والله لأشرِكنّهم وليُواسُنّنى .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ، عن عُبيد بن عمير ، عن أثال الحنفيّ — وكان مع ثمامة بن أثال — قال : وكان مُسَيلمة يصانِع كلّ أحد ويتألّفه[3] ولا يبالى أن يطّلع الناس منه على قبيح ؛ وكان معه نهار الرَّجّال بن عُنْفُوَةَ ، وكان قد هاجر إلى[4] النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ؛ وقرأ القرآن ؛ وفُقّه فى الدّين ، فبعثه مُعلّماً لأهل اليمامة وليشْغَب على مُسَيلمة ، وليَشْدُد[5] مِنْ أمر المسلمين ؛ فكان أعظمَ فتنةً على بنى حَنيفةَ مِنْ مُسيلمة ؛ شهد له أنّه سمع محمّداً صلّى الله عليه وسلّم يقول : إنه قد أشرِك معه ؛ فصدّقوه واستجابوا له ، وأمروه بمكاتبة النبيّ صلّى الله ١٩٣٢/١

---

(١) حاجز عدوه محاجزة : منعه .

(٢) ب : « مما ينتظر » . (٣) ب : « يتابعه » .

(٤) ن : « مع » . (٥) ىس : « وليسدد » .

عليه وسلَّم ، ووعدُوه إن هو لم يقبل أن يُعينوه عليه ؛ فكان نهار الرَّجَّال بن عنْفوة لا يقول شيئًا إلاّ تابعه عليه ؛ وكان ينتهى إلى أمره ، وكان يؤذّن للنبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، ويشهد فى الأذان أنّ محمدًا رسول الله ؛ وكان الّذى يؤذّن له عبد الله بن النَّوّاحة ، وكان الذى يُقيم له حُجَيْر بن عُمَير ، ويشهد له ، وكان مسيلمة إذا دنا حُجَيْر من الشهادة ، قال : صرّح حُجَير ؛ فيزيد فى صوته ، ويبالغ لتصديق نفسه ، وتصديق نهار وتضليل مَن كان قد أسلم ؛ فعَظُمَ وَقَارُه فى أنفسهم .

قال : وضرب حرَمًا باليمامة ، فنهى عنه ؛ وأخذ النَّاس به ، فكان مُحرَّمًا فوقع فى ذلك الحرَم قُرَى الأحاليف ؛ أفخاذ من بنى أسيّد ، كانت دارهم باليمامة ؛ فصار مكان دارهم فى الحرَم — والأحاليف : سَيْحان ونُمارة ونمر والحارث بنو جُرْوة — فإن أخصبوا أغاروا على ثمار أهل اليمامة ، واتّخذوا الحرَم دغَلا[١] ، فإن نَذِرُوا بهم فدخلوه أحجموا عنهم ؛ وإن لم ينذِروا بهم فذلك ما يريدون . فكثر ذلك منهم حتى استَعْدَوْا عليهم ؛ فقال : أنتظر الّذى يأتى من السماء فيكم وفيهم . ثم قال لهم : « والليل الأطحم[٢] ، والذئب الأدلم[٣] . والجذَع الأزلم[٤] ، ما انتهكت أسيّدٌ من مَحْرَم » ؛ فقالوا : أما مَحْرَم استحلالُ الحرَم وفساد الأموال ! ثم عادوا للغارة ، وعادوا للعُدوى[٥] . فقال : أنتظر الذى يأتينى ، فقال : « والليل الدّامس ، والذئب الهامس[٦] ، ما قطعت أسيّد من رَطْب ولا يابس » ؛ فقالوا : أمّا النخيل مُرْطبة فقد جدُّوها[٧] ، وأمّا الجدران يابسة فقد هدَموها ؛ فقال : اذهبوا وارجعوا فلا حقّ لكم .

١٩٢٣/١

وكان فيما يقرأ لهم فيهم : « إنّ بنى تميم قوم طهر لَقَاحٌ[٨] ، لا مكروه

---

(١) الدغل : ما استترت به .
(٢) الطحمة : سواد الليل .
(٣) الأدلم : الأسود الطويل .
(٤) الجذع الأزلم : الدهر .
(٥) العدوى : العدوان .
(٦) الذئب الهامس : الشديد .
(٧) جدوها : قطعوها .
(٨) قوم لقاح : لم يدينوا للملوك ولم يصبهم سباء .

عليهم ولا إتاوة ، نجاورهم ما حيينا بإحسان ، نمنعهم من كلّ إنسان؛ فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن » .

وكان يقول : « والشاء وألوانها ، وأعجبُها السود وألبانها . والشاة السوداء واللبن الأبيض ، إنه لعجب مَحْض ،وقد حرِّم المذق ، فما لكم لا تمجّعون! » .

١/١٩٣٤ وكان يقول : « يا ضفدع ابنة ضفدع ، نُقِّى ما تَنقِّين ، أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدّرين » .

وكان يقول : « والمبذّرَات زَرْعا ، والحاصدات حَصْدًا ، والذاريات قمحًا ، والطاحنات طحنًا ، والخابزات خُبزًا ، والثاردات ثردًا [١] ؛ واللاقمات لقمًا ، إهالة وسمنًا ، لقد فضِّلتُم على أهل الوَبر ، وما سبقكم أهل المَدَر ؛ رِيفكم فامنعوه ، والمعترّ [٢] فآووه ، والباغى فناوئوه » .

قال : وأتته امرأة من بنى حنيفة تكنى بأمّ الهيثم فقالت : إنّ نخلنا لسُحُق [٣] وإن آبارَنا لجُرُز [٤] ؛ فادع الله لمائنا ولنخلنا [٥] كما دعا محمد لأهل هَزْمان». فقال : يا نَهارُ [٦] ما تقول هذه ؟ فقال : إنّ أهل هَزْمان أتوْا محمدًا صلَّى الله عليه وسلَّم فشكَوْا بُعْد مائهم [٧] ؛ — وكانت آبارهم جُرُزًا — ونخلهم أنَّها سُحُق ، فدعا لهم فجاشت آبارهم ، وانْحنَتْ كلّ نخلة قد انتهت حتى وضعت جِرانها لانتهائها ، فحكَّت [٨] به الأرض حتى أنْشبَتْ عروقًا ثم ١/١٩٣٥ قُطِعت من دون ذلك ، فعَادت فسيلا [٩] مكمَّمًا ينمى صاعدًا [١٠] . قال : وكيف صنع بالآبار ؟ قال : دَعا بَسْجل [١١] ، فدعا لهم فيه ،

(١) ثرد الخبز ثردا : فته ثم بله بمرق . (٢) ز : وابن الأثير : « والمعي » .
(٣) سحق : جمع سحوق ؛ وهى الطويلة من النخل .
(٤) ياقوت : « بجرز » ؛ والجرز : الأرض المجدبة .
(٥) ب : « ونخلنا » .
(٦) ياقوت : « فقال لرحال بن عنفوة » .
(٧) ياقوت : « مياههم » .
(٨) ياقوت : « فحكمت ».
(٩) الفسيل : صغار النخل ؛ وجمعه فسلان .
(١٠) ياقوت : « صعدا » .
(١١) السجل : الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء قل أو كثر ، ولا يقال لها سجل إذا كانت فارغة

ثم تمضمضَ بفمـه [١] منه ، ثم مَجَّهُ فيه ، فانطلقوا به حتى فرّغوه فى تلك الآبار ، ثم سَقَوْه نخلهم ، ففعل النبيّ [٢] ما حدّثتك ، وبقىَ الآخر إلى انتهائه. فدعا مُسَيلمة بدلْوٍ من ماء فدعا لهم فيه ، ثم تمضمض منه ، ثم مجّ فيه فنقلوه فأفرغوه فى آبارهم . فغارت مياه تلك الآبار ، وخَوَى نخلُهم ؛ وإنما استبان ذلك بعد مهلكه [٣] .

وقال له نهار : بَرِّكْ على مولودى بنى حنيفة [٤] ، فقال له : وما التبريك ؟ قال : كان أهلُ الحجاز إذا ولد فيهم المولود أتوْا به محمداً صلّى الله عليه وسلّم فحنّكه ومسح رأسه ؛ فلم يؤتَ مسيلمة بصبىّ فحنّكه ومسح رأسه إلاّ قَرِع [٥] ولَثِغ [٦] واستبان ذلك بعد مهلكه .

وقالوا : تَتَبَّعْ حيطانهم كما كان محمد صلّى الله عليه وسلّم يصنع فصلّ فيها . فدخل حائطاً [٧] من حوائط اليمامة ، فتوضأ ، فقال نهار لصاحب الحائط : ما يمنعك من وَضُوء [٨] الرحمن فتسقِىَ به حائطك حتى يَرْوَى ويبتلّ ، كما صنع بنو المهريّة ، أهل بيت من بنى حنيفة — وكان رجل من المهريّة قدم على النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخذ وَضُوءَه فنقله معه إلى اليمامة فأفرغه فى بئره ، ثم نزع وسقى ، وكانت أرضه تَهُوم فَرويتْ وجَزَأتْ فلم تُلْفَ إلا خضْراء مُهْتَزّةٌ — ففعل فعادت يَبَاباً لا ينبت مرعاها .

١٩٣٢/١

وأتاه رجلٌ فقال : ادعُ الله لأرضى فإنّها مُسْبِخةٌ ؛ كما دعا محمد صلّى الله عليه وسلّم لسُلمىّ على أرضه . فقال : ما يقول يا نهار ؟ فقال :

---

(١) كذا فى ياقوت ، وفى ط : « بفم » .

(٢) كذا فى ياقوت ، وفى ط : « المنتهى » .

(٣) ياقوت ٨ : ٤٦٤ .

(٤) ابن الأثير : « أمر يدك على أولاد بنى حنيفة » .

(٥) القرع : ذهاب الشعر عن مقدم الرأس ، كالصلع ، أو أشد منه .

(٦) اللثغ : تحول اللسان من السين إلى الثاء ، أو من الراء إلى الغين .

(٧) الحائط هنا : البستان .

(٨) الوضوء ، بالفتح : الماء يتوضأ به .

قدم عليه سلمى ، وكانت أرصه سبخة فدعا له ، وأعطاه سَجْلا من ماء ، ومجّ له فيه ، فأفرغه فى بئره ، ثم نزع ، فطابت وعَذُبَتْ ؛ ففعل مثل ذلك فانطلق الرّجُل ، ففعل بالسَّجْل كما فعل سلمى ، فغرقت أرضه ، فما جفّ ثراها ، ولا أدرك ثمرها .

وأتته امرأة فاستجلبته إلى نَخْل لها يدعو لها فيها ، فجزّت كبائسها[1] يوم عَقْرَباء كلّها ؛ وكانوا قد علموا واستبان لهم ؛ ولكن الشّقاء غلَب عليهم .

كتب إلىّ السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن خُلَيد بن ذفرة النَّمَرىّ ، عن عمير بن طلحة النَّمرِىّ ، عن أبيه ، أنَّه جاء اليمامة ، فقال : أين مُسيلمة ؟ قالوا : مه رسول الله ! فقال : لا ، حتّى أراه ؛ فلَّما جاءه ، قال : أنت مسيلمة ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ يأتيك ؟ قال : رحمن ، قال : أفى نور أو فى ظلمة ؟ فقال : فى ظلمة ، فقال : أشهد أنَّك كذاب[2] وأنّ محمدًا صادق ؛ ولكنّ كَذّاب ربيعة أحبّ إلينا من صادقِ مُضَر ، فقتِل معه يوم عقرَباء . ١٩٣٧/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن الكلبى مثله ؛ إلاّ أنه قال : كذّاب ربيعة أحبّ إلىّ من كَذّاب مضر .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ، عن عبيد بن عمير ، عن رجل منهم ، قال : لما بلغ مسيلمة دنوُّ خالد ، ضرب عسكره بعقرَباء ، واستنفر الناس ، فجعل النَّاس يخرجون إليه ، وخرج مَجّاعة بن مُرَارة فى سرّية يطلب ثأرًا له فى بنى عامر وبنى تميم قد خاف فواته ، وبادر به الشغل ، فأمَّا ثأره فى بنى عامر فكانت خَوْلة ابنة جعفر فيهم ، فمنعوه منها ، فاختلجها ؛ وأما ثأره فى بنى تميم فنعَمٌ أخذُوا له . واستقبل خالدٌ شُرَحبيل بن حَسَنة ، فقدمه وأمّر على المقدمة خالد بن فلان المخزومىّ ، وجعل على المجنِّبَتَيْن زيدًا وأبا حُذَيفة ، وجعل مُسَيلمة على

---

(١) الكبائس : جمع كباسة ؛ وهى العذق التام بشماريخه وبسره .

(٢) ابن الأثير : « الكذاب » .

١٩٣٨/١ مجنّبتيه المحكّم والرّجّال ، فسار خالد ومعه شُرَحبيل ، حتى إذا كان من عسكر مسيلمة على ليلة ، هجم على جُبَيلة[1] هجوم[2] ــ المقلّل يقول : أربعين ، والمكثّر يقول : ستين ــ فإذا هو مجّاعة وأصحابه ، وقد غلبهم الكَرَى ، وكانوا راجعين من بلاد بنى عامر ، قد طوَوْا إليهم ؛ واستخرجوا خَوْلة ابنة جعفر فهى معهم ، فعرّسوا دون أصل الثنيّة ؛ ثنيّة اليمامة ، فوجدوهم نيامًا وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خدودهم وهم لا يشعرون بقرب الجيش منهم ؛ فأنبهوهم ، وقالوا : مَن أنتم ؟ قالوا : هذا مَجّاعة وهذه حنيفة ، قالوا : وأنتم فلا حيّاكم الله ! فأوثقوهم وأقاموا إلى أن جاءهم خالد بن الوليد ، فأتوْه بهم ؛ فظنّ خالد أنهم جاءوه ليستقبلوه وليتّقوه بحاجته ، فقال : متى سمعتم بنا ؟ قالوا : ما شعَرْنا بك ؛ إنّما خرجنا لثأر لنا فيمَن حولنا من بنى عامر وتميم ، ولو فطنوا لقالوا : تلقّيناك حين سمعنا بك . فأمر بهم أن يقتلوا ، فجادوا كلّهُم بأنفسهم دُون مَجّاعة بن مرارة ، وقالوا : إن كنتَ تريد بأهل اليمامة غدًا خيرًا أو شرًّا فاستبق هذا ولا تقتله ؛ فقتلهم خالد وحبس مَجّاعة عنده كالرّهينة .

كتب إلىّ السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن عِكْرمة ، عن أبى هريرة ، وعبد الله بن سَعيد عن أبى سعيد عن أبى هريرة ، قال : قد كان أبو بكر بعثَ إلى الرجّال فأتاه فأوصاه بوصيّته ، ١٩٣٩/١ ثم أرسله إلى أهل اليمامة ؛ وهو يرى أنّه على الصدق حين أجابه . قالا : قال أبو هريرة : جلستُ مع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى رهط معنا الرّجّال ابن عُنْفوة ، فقال : إنّ فيكم لرجلاً ضِرْسه فى النار أعظم من أحُد ، فهلك القوم وبقيت أنا والرّجال ، فكنت متخوّفًا لها ؛ حتى خرج الرّجّال مع مُسيلمة ، فشهد له بالنبوّة ؛ فكانت فتنة الرّجّال أعظَم من فتنة مُسَيلمة ، فبعث إليهم أبو بكر خالدًا ، فسار حتى إذا بلغ ثنيّة اليَمامة ، استقبل مَجّاعة ابن مُرارَة ــ وكان سيّد بنى حنيفة ــ فى جيل[3] من قومه ، يريد الغارة على

---

(١) ب : « حبيلة » . (٢) كذا فى ب . وفى ط : « هجوع » .

(٣) جيل من قومه : أى جماعة منهم .

بنى عامر ، ويطلبُ دمًا ، وهم ثلاثة وعشرون فارسًا ركبانًا قد عرّسوا. فبيّتهم خالد فى معرّسهم ، فقال : متى سمعتم بنا ؟ فقالوا : ما سمعنا بكم ؛ إنّما خرجنا لنثّئِرَ بدم لنا فى بنى عامر . فأمر بهم خالد فضرِبتْ أعناقهم، واستحيا مجّاعة ؛ ثم سار إلى اليمامة ؛ فخرج مسيلمة وبنو حنيفة حين سمعوا بخالد ، فنزلوا بعقرباء ، فحلّ بها عليهم — وهى طرف اليمامة دون الأموال — وريف اليمامة وراء ظهورهم . وقال شُرحبيل بن مُسيلمة : يا بنى حنيفة ، اليومَ يومُ الغَيْرة ، اليوم إن هزمتم تستردَفُ النّساء سبيّات ، ويُنْكحْن غير خطيبات [1] ؛ فقاتلوا عن أحسابكم، وامنعوا نساءكم. فاقتتلوا بعقرَباء ، وكانت رايةُ المهاجرين مع سالم مولى أبى حذيفة ، فقالوا : تخشى علينا من نفسك شيئًا ! فقال : بئس حامل القرآن أنا إذاً ! وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شمّاس ، وكانت العرب على راياتها ومجّاعة أسيرٌ مع أمّ تميم فى فُسطاطها . فجال المسلمون جَوْلَةً ، ودخل أناس من بنى حنيفة على أمّ تميم ، فأرادوا قتلها ، فمنعها مجّاعة . قال : أنا لها جارٌ ، فنِعْمَتِ الحرّة هى ! فدفعهم عنها ، وترادّ المسلمون ، فكرّوا عليهم ؛ فانهزمت بنو حنيفة ، فقال المحكّم بن الطّفيل : يا بنى حنيفة ، ادخلوا الحديقة ؛ فإنى سأمنع أدباركم ، فقاتلَ دونهم ساعة ثم قتله الله ؛ قتله عبد الرحمن بن أبى بكر ؛ ودخل الكفار الحديقة ، وقتل وحشيٌّ مسيلمة ، وضربه رجلٌ من الأنصار فشاركه فيه .

١٩٤٠/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، بنحو حديث سيف هذا ؛ غير أنه قال : دعا خالد بمجّاعة ومَنْ أخذ معه حين أصبح ، فقال : يا بنى حنيفة ، ما تقولون ؟ قالوا : نقول : منّا نبىٌّ ومنكم نبىٌّ ؛ فعرضَهم على السيف ؛ حتى إذا بقىَ منهم رجلٌ يقال له سارية بن عامر ومجّاعة بن مُرارة ، قال له سارية : أيّها الرّجل ؛ إن كنتَ تريد بهذه القرية غدًا خيرًا أو شرًّا ، فاستبقِ هذا الرجل — يعنى مجّاعة — فأمر به خالد فأوثقه فى الحديد ؛ ثم دفعه إلى أمّ تميم امرأته ، فقال : استوصِى به

١٩٤١/١

---

(١) ط : « حظيات » ، وانظر تصويبات ط وابن الأثير .

خيرًا ، ثم مضى حتى نزل اليمامة على كُثيب مشرف على اليمامة ، فضرب به عسكره ، وخرج أهل اليمامة مع مسيلمة وقد قدم فى مقدمته الرّحّال — قال أبو جعفر ، هكذا قال ابن حميد بالحاء — بن عُنْفوة بن نهشل ، وكان الرّحّال رجلاً من بنى حنيفة قد كان أسلم ، وقرأ سورة البقرة ، فلمّا قدم اليمامة شهد لمسيلمة أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قد كان أشركه فى الأمر ؛ فكان أعظمَ على أهل اليمامة فتنةً من مسيلمة ؛ وكان المسلمون يسألون عن الرّحّال يرجون أنه يَثْلم على أهل اليمامة أمرهم بإسلامه، فلقيَهم فى أوائل النّاس متكتّبًا[1] ، وقد قال خالد بن الوليد وهو جالس على سريره ، وعنده أشراف الناس والنّاس على مصافّهم ؛ وقد رأى بارقة فى بنى حنيفة : أبشِروا يا معشرَ المسلمين ؛ فقد كفاكم الله أمر عدوّكم . واختلف القوم إن شاء الله ؛ فنظر مجّاعة وهو خلفَه موثَقًا فى الحديد ، فقال : كلاّ والله، ولكنها الهُنْدُوانيّة خَشُوا عليها من تحطّمها ، فأبرزوها للشمس لتَلين لهم ؛ فكان كما قال . فلما التقى المسلمون كان أوّل من لقيَهم الرّحال بن عُنْفُوة، فقتله الله .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن شيخ من بنى حنيفة ، عن أبى هريرة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال يومًا — وأبو هريرة ورحّال بن عُنْفوة فى مجلس عنده : « لضِرْسُ[2] أحدكم أيّها المجلس فى النار يوم القيامة أعظم من أحُد » . قال أبو هريرة : فمضى القوم لسبيلهم ، وبقيتُ أنا ورحّال بن عُنفوة ، فما زلت لها متخوّفًا ؛ حتى سمعت بمخرَج رحّال ، فأمنت وعرفت أنّ ما قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حقّ .

١٩٤٢/١

ثم التقى الناس ولم يلقهم حَرْبٌ قطّ مثلَها من حرب العرب ؛ فاقتتل النّاس قتالا شديدًا ؛ حتى انهزمَ المسلمون وخلَص بنو حنيفة إلى مجّاعة وإلى خالد ، فزال خالد عن فُسطاطه ودخل أناس الفسطاطَ وفيه مجّاعة عند أم تميم ، فحمل عليها رجل بالسيف ، فقال مجّاعة : مَهْ ،

(١) س : « متنكباً » . (٢) ز : « ضرس » .

أنا لها جارٌ ، فنعمَت الحرَّة ! عليكم بالرجال ، فرَعبَلوا(١) الفُسْطاط بالسيوف . ثم إنّ المسلمين تَدَاعَوْا ، فقال ثابت بن قيس : بئسَما عوَّدتم أنفسكم يا معشر المسلمين ! اللهمّ إنّى أبرأ إليك ممّا يَعْبُد هؤلاء — يعنى أهل اليمامة — وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء — يعنى المسلمين — ثم جالد بسيفه حتى قُتِل . وقال زيد بن الخطاب حين انكشف الناس عن رحالهم : لا تحوُّزَ بعد الرّحال ، ثم قاتل حتى قتِل . ثم قام البَرَاءُ بن مالك أخو أنس(٢) بن مالك — وكان إذا حضر الحرب أخذته العُرَوَاء(٣) حتى يقعد عليه الرجال ؛ ثم ينتفض تحتهم حتى يبولَ فى سراويله ؛ فإذا بال يثورُ كما يثور الأسد — فلمّا رأى ما صنع الناس أخذه الذى كان يأخذه حتى قعد عليه الرجال ، فلمّا بال وثَب ، فقال : أين يا معشر المسلمين ! أنا البراءُ بن مالك ، هلمّ إلىّ ! وفاءَتْ فئة من النّاس ، فقاتلوا القوم حتى قتلهم الله ، وخلَصوا إلى مُحكّم اليمامة — وهو مُحكّم بن الطُّفيل — فقال حين بلغه القتال : يا معشَر بنى حنيفة ، الآنَ والله تُستحقَب الكرائم غيرَ رضيّات ، ويُنكحن غير خطيبات ؛ فما عندكم من حسَب فأخرجوه . فقاتل قتالا شديدًا ؛ ورماه عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق بسهم فوضعه فى نحره فقتله . ثم زحف المسلمون حتى ألْجئوهم إلى الحديقة ؛ حديقة الموت ؛ وفيها عدوّ الله مُسيلمة الكذاب ، فقال البرَاء : يامعشَر المسلمين ، ألقونى عليهم فى الحديقة . فقال الناس : لا تفعل يا برَاء ، فقال : والله لتطرَحنّى عليهم فيها ؛ فاحتمِل حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار ؛ اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة ، حتى فتحها للمسلمين ، ودخل المسلمون عليهم فيها ؛ فاقتتلوا حتى قتل الله مسيلمة عدوّ الله ؛ واشترك فى قتله وَحْشىٌّ مولى جُبَيْر بن مطعم ورجل من الأنصار ، كلاهما قد أصابه ؛ أمّا وحشىٌّ فدفع عليه حربَته ، وأمّا الأنصارىُّ فضربَه بسيفه ، فكان وحشىّ يقول : ربّك أعلم أيّنا قتله !

١٩٤٣/١

---

(١) رعبلوا الفسطاط ، أى مزقوه .

(٢) س : « أخ لأنس » .

(٣) العرواء : رعدة تصيب الإنسان ؛ وهى فى الأصل برد الحمى .

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: وحدّثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن الفضل بن العباس بن ربيعة، عن سليمان بن يسار، عن عبد الله بن عُمَر، قال: سمعتُ رجلاً يومئذ يصرُخ يقول، قتله العبد الأسود! ١/١٩٤٤

كتبَ إلىّ السرِىّ، عن شعيب، عن سيف، عن طلْحة، عن عبيد بن عُميْر، قال: كان الرّجالُ بحيال زيد بن الخطاب؛ فلمّا دنا صَفّاهما، قال زيد: يا رجّال، الله الله! فوالله لقد تركت الدّين، وإن الذى أدعوك إليه لأشرفُ لك، وأكثرُ لدنياك[١]. فأبى، فاجتلدا فقُتِل الرجّال وأهل البصائر من بنى حنيفة فى أمر مسيلمة، فتذامروا وحمل كلٌّ قوم فى ناحيتهم؛ فجال المسلمون حتى بلغوا عسكرَهم، ثم أعرْوْه لهم، فقطعوا أطناب البيوت، وهتكوها، وتشاغلوا بالعسكر، وعالجوا مجّاعة؛ وهمّوا بأمّ تميم، فأجارها وقال: نِعْمَ أمُّ المَثْوَى! وتذامر زيْدٌ وخالد وأبو حذيفة، وتكلّم النّاس — و[كان][٢] يوم جَنوب له غبار — فقال زيد: لا والله لا أتكلّم اليوم حتى نهزمهم أو ألقى الله فأكلّمه بحُجتى! عضّوا على أضراسكم أيّها الناس، واضربوا فى عدوّكم، وامضوا قدُمًا. ففعلوا، فردّوهم إلى مصافّهم حتى أعادوهم إلى أبعد من الغاية التى حيزوا إليها من عسكرهم، وقُتل زيد رحمه الله. وتكلّم ثابت فقال: يا معشرَ المسلمين، أنتم حزْبُ الله وهم أحزاب الشيطان، والعزّة لله ولرسوله ولأحزابه، أرُونى كما أريكم[٣]، ثم جلد فيهم حتى حازهم[٤]. ١/١٩٤٥
وقال أبو حذيفة: يا أهلَ القرآن، زيّنوا القرآن بالفعال. وحمل فحازهم حتى أنفذهم، وأصيب رحمه الله، وحمل خالد بن الوليد، وقال لحُماته: لا أوتيَنّ مِن خلَفى. حتى كان بحيال مسيلمة يطلب الفرُصة ويرْقب مسيلمة.

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن مُبَشّر بن الفُضَيْل، عن سالم بن عبد الله، قال: لمّا أعْطِىَ سالم الراية يومئذ، قال: ما أعلمَنى لأىّ شىء أعطيتمونيها! قلتم: صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها

(١) ز «وأكبر لك».
(٢) من ز.
(٣) ز: «أراكم».
(٤) س: «جاوزهم أبعد مما جاوزهم».

قبله حتّى مات ! قالوا : أجل . وقالوا : فانظر كيف تكون ؟ فقال : بئس والله حامل القرآن أنا إن لم أثبت ! وكان صاحبُ الراية قبله عبدَ الله بن حفص بن غانم .

وقال عبد الله بن سعيد بن ثابت وابن إسحاق : فلمّا قال مجّاعة لبني حنيفة : ولكن عليكم بالرّجال ، إذا فئة من المسلمين قد تذامروا بينهم فتفانَوْا وتفانَى المسلمون كلّهم ، وتكلّم رجالٌ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال زيد بن الخطاب : والله لا أتكلّم أو أظفر أو أُقتل ، واصنعوا كما أصنعُ أنا ؛ فحمل وحمل أصحابه . وقال ثابت بن قيس : بئسما عوّدتم أنفسكم يا معشر المسلمين ! هكذا عنّى حتى أريكم الجلاد . وقُتِل زيدَ بن الخطاب رحمه الله .

كتب إلىّ السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن مبشّر ، عن سالم ، قال : قال عمر لعبد الله بن عمر حين رجع : ألاّ هلكت قبل زيد ! ١٩٤٦/١ هلك زيد وأنت حىّ ! فقال : قد حرَصتُ على ذلك أن يكون ، ولكنّ نفسى تأخّرتْ ، فأكرمه الله بالشّهادة . وقال سهل : قال : ما جاء بك وقد هلك زيد ؟ ألاّ واريتَ وجهك عنّى ! فقال : سأل الله الشهادة فأعطِيها ، وجهدتُ أن تُساقَ إلىّ فلم أعطَها .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ، عن عُبيد بن عمير : إنّ المهاجرين والأنصار جبّنوا أهل البوادى وجبّنهم أهلُ البوادى ، فقال بعضهم لبعض : امتازوا كى نُستحْيَا من الفرار اليوم ، ونعرف اليوم من أين نؤتى ! ففعلوا . وقال أهلُ القرى : نحن أعلم بقتال أهل القرُى يا معشرَ أهل البادية منكم ، فقال لهم أهل البادية : إنّ أهل القرى لا يحسنون القتال ، ولا يدرون ما الحرب ! فسترَوْنَ إذا امتزنا[1] من أين يجىء الخلل ! فامتازوا ، فما رُئى يوم كان أحدّ ولا أعظم نكايةً مما رُئِىَ يومئذ ؛ ولم يُدْرَ أىّ الفريقين كان أشدّ فيهم نكاية ! إلاّ أنّ المصيبة كانت فى المهاجرين والأنصار أكثرَ منها فى أهل البادية ، وأنّ البقيّة أبدًا فى الشدّة .

١٩٤٧/١ ورمى عبدُ الرّحمن بن أبى بكر المحكّمَ بسهم فقتله وهو يخطب ، فنحره

(١) كذا فى ب ، وفى ط : « امتزتجا » .

وقَتَل زيدُ بن الخطاب الرجَّال بن عُنْفوة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضَّحاك بن يربوع ، عن أبيه ، عن رجل من بنى سُحَيْم قد شهدها مع خالد ، قال : لمَّا اشتدّ القتال — وكانت يومئذ سِجَالا إنَّما تكون مرة على المسلمين ومرّة على الكافرين — فقال خالد : أيُّها الناس امتازوا [١] لنعلَم بلاء كلّ حىّ ، ولنعلم من أين نؤتى ! فامتاز أهلُ القُرى والبوادى ، وامتازت القبائل من أهل البادية وأهل الحاضر ؛ فوقف بنو كلّ أب على رايتهم ، فقاتلوا جميعًا ، فقال أهل البَوادى يؤمئذ : الآن يستحرّ القتل فى الأجزع الأضعف ، فاستحرّ القتل فى أهل القرى ، وثبت مسيلِمة ، ودارت رحاهم عليه ، فعرف خالدٌ أنَّها لا تركُد إلاّ بقتل مسيلمة ؛ ولم تحفْل بنو حنيفة بقتل مَن قتل منهم . ثم برز خالد ، حتى إذا كان أمام الصّفّ دعا إلى البِراز وانتمى ، وقال : أنا ابنُ الوليد العوْد ، أنا ابن عامر وزيد ! . ونادى بشعارهم يومئذ ، وكان شعارهم يومئذ : يا محمداه ! فجعل لا يبرز له أحدٌ إلا قتله ، وهو يرتجز :

أَنَا ابنُ أَشياخ وَسَيْفِى السَّخْتْ ... أَعظمُ شىء حين يأتيك النَّفْتْ

ولا يبرُز له شىء إلا أكله ، ودارت رحا المسلمى وطحنت . ثم نادى خالد حين دنا من مُسَيلِمة — وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : إنّ مع مسيلمة شيطانًا لا يعصيه ، فإذا اعتراه أزْبَدَ كأنّ شِدْقيه زَبيبتان لايهمّ بخير أبدًا إلا صَرفه عنه ، فإذا رأيتم منه عَوْرة ؛ فلا تُقيلوه العثْرةَ — فلمَّا دنا خالدٌ منه طلب تلك ، ورآه ثابتًا ورحاهم تَدور عليه ؛ وعرف أنَّها لا تزول إلا بزواله ، فدعا مسيلمة طلبًا لعورته ، فأجابه ، فعرض عليه أشياءَ ممَّا يشتهى مسيلمة ، وقال : إن قبِلنا النّصف ، فأىّ الأنصاف تعطينا ؟ فكان إذا همّ بجوابه أعرض بوجهه مستشيرًا [٢] ، فينهاه [٣] شيطانه أن

١٩٤٨/٤

(١) امتازوا ، أى تفرقوا وانفصلوا .

(٢) ب : « مستنيراً » ، ابن الأثير : « ليستشير شيطانه » .

(٣) ز : « فيها » .

يقبلَ ، فأعرض[١] بوجهه مرّة من ذلك ؛ وركبه خالدٌ فأرهقه فأدبر ، وزالوا فذمَّرَ خالد النَّاس ، وقال : دونكم لا تقيلوهم ! وركبوهم فكانت هزيمتهم ؛ فقال مسيلمة حين قام ، وقد تطاير النَّاس عنه ، وقال قائلون : فأين ماكنتَ تَعِدُنا ؟ فقال : قاتِلُوا عن أحسابكم ، قال : ونادى المحكَّم : يا بنِي حنيفة ؛ الحديقةالحديقة ! ويأتى وحشىٌّ على مسيلمة وهو مُزْبِدٌ متساندٌ لا يعقل من الغيظ ، فخرَط عليه حربتَه فقتله ، واقتحم النَّاس عليهم حديقةَ الموت من حيطانها وأبوابها ، فقُتِل فى المعركة ، وحديقة الموت عشرة آلاف مقاتل .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هارون ، وطلحة ، عن عمرو بن شعيب وابن إسحاق أنهم لما امتازوا وصبروا ، وانحازت بنو حنيفةَ تبعهم المسلمون يقتلونهم ؛ حتى بلَغوا بهم إلى حديقة الموت ، فاختلفوا فى قتل مُسيلمةَ عندها ، فقال قائلون : فيها قُتل ، فدخلوها وأغلقوها عليهم ، وأحاط المسلمون بهم وصرخ البَراء بن مالك ، فقال : يا معشَر المسلمين ، احملونى على الجِدَار حتى تطرحونى عليه ؛ ففعلوا حتى إذا وضعوه على الجِدار نظر وأرْعِد . فنادى : أنزلونى ، ثم قال : احملونى ؛ ففعل ذلك مراراً ثم قال : أفّ لهذا خَشَعاً ! ثم قال : احمِلونى ، فلمَّا وضعوه على الحائط اقتحم عليهم ، فقاتلهم على الباب حتَّى فتحه للمسلمين وهم على الباب من خارج فدخلوا ؛ فأغلق الباب عليهم ، ثم رمَى بالمفتاح من وراء الجدار ، فاقتتلوا قتالا شديداً لم يروْا مثله ، وأبيرَ[٢] مَن فى الحديقة منهم ؛ وقد قتل الله مسيلمة ، وقالت له بنو حنيفة : أين ما كنت تعدنا ! قال : قاتلوا عن أحسابكم !

١٩٤٩/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن هاوون وطلحة وابن إسحاق ، قالوا : لمَّا صرخ الصارخ أنّ العبد الأسود قتلمُسيلمة ؛ خرج

---

(١) ب : « فاعترض » .
(٢) أبير : أهلك .

خالد بمجّاعة يرسُفُ فى الحديد ليُرِيَه مُسيْلمة ، وأعلام جنده ، فأتى على الرجّال فقال : هذا الرجّال !

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لمّا فرَغ المسلمون من مُسيلِمة أتِى خالد فأخبِر ، فخرج بمجّاعة يرسفُ معه فى الحديد ليَدلّه على مُسَيلِمة ، فجعل يكشِف له القتلى حتى مرّ بمِحكَم بن الطُّفَيل — وكان رجلا جسيمًا وَسيمًا — فلمّا رآه خالد، قال : هذا صاحبكم . قال : لا ، هذا والله خيرٌ منه وأكرم ، هذا محكَم اليمامة . قال : ثمّ مضى خالد يكشف له القتلى حتى دخَل الحديقة ، فقلّب له القتلى ؛ فإذا رُوَيْجل أصيْفر أخيْنس[1] . فقال مجّاعة : هذا صاحبكم ، قد فرَغتم منه ، فقال خالد لمجّاعة : هذا صاحبكم الّذى فعل بكم ما فعل ، قال : قد كان ذلك يا خالد ، وإنّه والله ما جاءك إلاّ سرَعان[2] الناس ؛ وإنّ جماهير النّاس لفِى الحصون[3] . فقال : ويلك ما تقول ! قال : هو والله الحقّ ؛ فهلمّ لأصالِحك[4] على قومى.

١/١٩٥٠

كتبَ إلىّ السَّرِىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضّحاك ، عن أبيه ، قال : كان رجلٌ من بنى عامر بن حنيفة يُدْعى الأغلب بن عامر بن حنيفة ، وكان أغلظَ أهلِ زمانه عنُقًا ؛ فلمّا انهزم المشركون يومئذ، وأحاط المسلمون بهم ، تمَاوتَ ، فلمّا أثبتَ المسلمون فى القتلى أتى رجلٌ من الأنصار يكنى أبا بَصيرة ومعه نفرٌ عليه ، فلمّا رأوه مُجدَّلا فى القتلَى وهم يحسبونه قتيلا ، قالوا : يا أبا بصيرة ، إنّك تزعم — ولم تزل تزعم — أنّ سيفك قاطع ، فاضرب عنُق هذا الأغلب الميّت ، فإنْ قطعته فكلّ شىء كان يبلغنا حقّ ، فاخترطه ثمّ مشى إليه ولا يروْنه إلاّ ميتًا ، فلمّا دنا منه ثار ،

---

(١) الأخينس : تصغير الأخنس ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة .

(٢) سرعان الناس ، بالتحريك ويخفف : أوائلهم المستبقون إلى الأمر .

(٣) ز : « فى الحصون » .

(٤) ز : « فلأصالحك » .

فحاضره[١]، واتّبعه أبو بصيرة ، وجعل يقول : أنا أبو بصيرة الأنصاريّ ! وجعل الأغلب يتمطّر[٢] ولا يزداد منه إلا بُعْدًا ؛ فكلّما قال ذلك أبو بصيرة ، قال الأغلب : كيف ترى عَدْوَ أخيك الكافر ! حتى أفلت .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : لمّا فرغ خالد من مُسيْلمة والجند ، قال له عبد الله ابن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر : ارتحِلْ بنا وبالنّاس فانزل على الحصون ، فقال : دعانى أبُثّ الخيولَ فألقط[٣] مَن ليس فى الحصون ، ثم أرى رأيى . فبثّ الخيول فحَوَوْا ما وجدوا من مال ونساء وصبيان، فضمّوا هذا إلى العسكر ، ونادى بالرّحيل لينزل على الحصون ، فقال له مجّاعة : إنّه والله ما جاءك إلاّ سَرَعان الناس ، وإنّ الحصون لمملوءة رِجالاً ، فهلمّ لك إلى الصُّلح على ما ورائى ، فصالحه على كلّ شىء دون النفوس . ثم قال[٤] : أنطلقُ إليهم فأشاورهم وننظر فى هذا الأمر ؛ ثمّ أرجع إليك . فدخل مجّاعة الحصون ، وليس فيها إلاّ النساء والصبيان ومشيخة فانية ، ورجال ضَعْفَى[٥] فظاهَرَ الحديد على النساء وأمرهنّ أن ينشرن[٦] شعورهنّ ، وأن يُشْرِفْن على رءوس الحصون حتى يرجع إليهنّ ؛ ثم رجع فأتى خالدًا فقال : قد أبَوْا أن يُجيزوا ما صنعتُ ، وقد أشرف لك[٧] بعضهم نقضًا علىّ وهم منّى بُرَآء . فنظر خالد إلى رءوس الحصون وقد اسودّت ، وقد نَهَكَتَ المسلمين الحرب ، وطال اللقاء ، وأحبُّوا أن يرجعوا على الظَّفَر ، ولم يدروا ما كان كائنًا لو كانَ فيها رجال وقتال[٨] ، وقد قُتِل من المهاجرين والأنصار من أهل قصَبَة المدينة يومئذ ثلثمائة وستون . قال سهل : ومن المهاجرين من غير أهل المدينة والتابعين بإحسان ثلثمائة

١٩٥١/١

(١) حاضره : جالده.
(٢) تمطر : أسرع فى عدوه ؛ وأصله فى الخيل .
(٣) ز : « فالتقط » .
(٤) النويرى : « ثم قال مجاعة » .
(٥) س : « ضعفاء » .
(٦) النويرى : « بنشر » .
(٧) ن : « لكم » .
(٨) ب ، س : « أو قتال » .

من هؤلاء وثلثمائة من هؤلاء ؛ ستمائة أو يزيدون . وقتل ثابت بن قيس يومئذ ؛ قتله رجل من المشركين قُطعت رجلُه، فرمى بها قاتله فقتله ، وقتِل من بنى حنيفة فى الفضاء بعَقْرَباء سبعة آلاف ، وفى حديقة الموت سبعة آلاف ؛ ١٩٥٢/١
وفى الطلب نحوٌ منها[١] .

وقال ضِرَارُ بن الأزْوَر فى يوم اليمامة :

ولو سُئِلتْ عنَّا جَنُوبُ لأخْبَرَتْ … عشيّةَ سالَتْ عقْرَباء ومَلْهَمُ[٢]

وسال بفَرْع الوادِ حتى تَرَقْرَقَتْ … حجارتُه فيها من القوم بالدَّمِ[٣]

عشيّةَ لا تُغنى الرِّماحُ مكانَها … ولا النَّبلُ إلّا المَشْرَفىُّ المُصَمّمُ[٤]

فإن تَبْتَغى الكفَّارَ غير مُليمَةٍ … جَنُوب ، فإنِّى تابعُ الدين مُسْلِمُ

أجاهد إذ كان الجهادُ غنيمةً … ولله بالمَرْء المجاهدِ أعلمُ

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال مجّاعة لخالد ما قال إذ قال له: فهلمّ لأصالحك عن قومى لرجل قد نهكتْه الحرب ، وأصيب معه من أشراف الناس مَنْ أصيب ؛ فقد رقّ وأحبّ الدَّعَةَ والصُّلْح . فقال : هلمّ لأصالحك[٥] ، فصالحه على الصَّفْراء والبَيْضاء والحَلْقة ونصف السَّبْى . ثم قال : إنّى آتِى القوم فأعرض عليهم ما قد صنعت. قال : فانطلق إليهم[٦] ، فقال للنساء: الْبَسْنَ الحديد ثم أشْرِفنَ على الحصون ، ففعلن . ثم رجع إلى خالد ، وقد رأى خالدٌ الرِّجال فيما يرى على الحُصُون عليهم الحديد . فلمّا انتهى إلى خالد ، قال : أبَوْا ما صالحتُك ١٩٥٣/١

---

(١) س : « مثلها » .

(٢) معجم البلدان ٦ : ١٩٤ .

(٣) فى البيت إقواء .

(٤) المصمم من السيوف : الذى يمر فى العظام .

(٥) ز : « أصالحك » .

(٦) ز : « قال القوم » .

عليه ، ولكنْ إن شئتَ صنعت [لك] [١] شيئًا ، فعزمتُ على القوم . قال : ما هو ؟ قال : تأخذُ منّى رُبْعَ السَّبْى وتَدَعُ ربعًا . قال خالد : قد فعلت ، قال : قد صالحتُك ، فلمّا فرغا فتحت الحصون ، فإذا ليس فيها إلاّ النّساء والصّبْيان ، فقال خالد لمجّاعة : ويحك خدعتَنى ! قال : قومى ، ولم أستطع إلاّ ما صنعت .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، قال : قال مجّاعة يومئذ ثانية : إن شئت أن تقبل منى نصفَ السَّبْى والصَّفْراء والبيضاء والحلْقة والكُراع عزمت وكتبت الصُّلْحَ بينى وبينك . ففعل خالد ذلك ، فصالحه على الصَّفْراء والبَيْضاء والحلْقة والكُراع وعلى نصف السبْى وحائط من كلّ قرية يختاره خالد ، ومزرعة يختارها خالد . فتقاضَوْا على ذلك ، ثم سرّحه ، وقال : أنتم بالخيار ثلاثًا ؛ والله لئن تُتمّوا وتقبلوا لأنهدَنّ إليكم ، ثم لا أقبل منكم خصْلةً أبدًا إلاّ القتل . فأتاهم مجّاعة فقال : أمّا الآن فاقبلوا ، فقال سلَمة بن عمير الحنفىّ : لا والله لا نقبل ؛ نبعث إلى أهل القرى والعبيد فنقاتل ولا نقاضى خالدًا ، فإنّ الحصون حصينة والطعام كثير ، والشتاء قد حضَر . فقال مجّاعة : إنّك امرؤٌ مشئوم ، وغرّك أنّى خدعت القوم حتى أجابونى إلى الصلح ، وهل بقىَ منكم [٢] أحد فيه خيرٌ ، أو به دَفْع ! وإنّما أنا بادَرتكم [٣] قبل أن يصيبكم ما قال شرحبيل بن مسيلمة ، فخرج مجّاعة سابع سبعة حتى آتى خالدا ، فقال : بعد شدّ [٤] مارضوا ؛ اكتب كتابك ، فكتب : ١٩٥٤/١

هذا [٥] ما قاضى عليه خالد بن الوليد بن مجّاعة بن مرارة وسلَمة بن عمير وفلانا وفلانا ؛ قاضاهم على الصَّفْراء والبَيْضاء ونصف السَّبْى والحلْقة والكُراع وحائط من كلّ قرية ؛ ومزرعة ؛ على أن يُسْلموا [٦] . ثمّ أنتم آمنون بأمان الله ؛ ولكم ذمّة خالد بن الوليد وذمّة أبى بكر خليفة رسول الله

---

(١) من ز .
(٢) ب : « فيكم » .
(٣) س : « أبادر بكم » .
(٤) ط : « شر » ، وانظر التصويبات .
(٥) قبلها فى النويرى : « بسم الله الرحمن الرحيم » .
(٦) س : « تسلموا » .

صلّى الله عليه وسلّم ، وذمّة[1] المسلمين على الوفاء .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن عِكْرمة ، عن أبى هُريرة ، قال : لمّا صالح خالد مجّاعة ؛ صالَحَه على الصَّفْراء والبيضاء والحلْقة وكلّ حائط رِضانَا فى كلّ ناحية ونصف المملوكين . فأبوْا ذلك ، فقال خالد : أنتَ بالخيار ثلاثةَ أيام ، فقال سلَمة بن عُمَير : يا بنى حَنِيفة ، قاتِلُوا عن أحْسابكم ، ولا تصالحوا على شىء ، فإنّ الحصْنَ حصين ، والطعام كَثير وقد حَضَر الشّتاء . فقال مجّاعة : يا بنى حَنِيفة ، أطيعونى واعصُوا سلَمة ، فإنّه رجلٌ مشئوم ، قبل أن يصيبَكم ما قال شُرَحبيل بن مسيلمة « قَبْل أن تُسْتَرْدف النساء غَير رضِيَّات ، وينكَحْن غير خطيبات » . فأطاعوه وعَصَوْا سَلمة ، وقبِلوا قضيَّته . وقد بعث أبو بكر رضى الله عنه بكتاب إلى خالد مع سلَمة بن سَلامة بن وقْش ، يأمره إن ظفَّره الله عزّ وجلّ أن يقتل مَنْ جرَت عليه المواسِى من بنى حَنِيفة ، فقدِم فوجده قد صالحهم ، فوفَى لهم ، وتمّ على ما كان منه ، وحُشرت بنو حَنِيفة إلى البَيْعة والبَراءة ممّا كانوا عليه إلى خالد ، وخالد فى عسكره ؛ فلمّا اجتمعوا قال سلَمة بن عمير لمجّاعة : استأذِن لى على خالد أكلّمْه فى حاجة له عندى ونصيحة — وقد أجمع أن يفتك به — فكلّمه فأذن له ، فأقبل سلَمة بن عُمَير ، مشتملاً على السيف يريد ما يريد ، فقال : مَن هذا المقبل ؟ قال مَجّاعة : هذا الذِى كلّمتك فيه ، وقد أذنت له ، قال : أخرِجُوه عنّى ؛ فأخرجوه عنه ، ففتشوه فوجدوا معه السيف ، فلعنوه وشتموه وأوثقوه ، وقالوا : لقد أردت أن تهلك قومك ، وايم الله ما أردت إلا أن تُسْتَأْصَلَ بنو حنيفة ، وتسبى الذريّة والنساء ؛ وايم الله لو أن خالداً علم أنك حملت السلاح لقتلك ، وما نأمنه إن بلغه [ذلك أن يقتلك و][2] أن يقتُل الرجال ويسبى النّساء بما فعلت ؛ ويحسب أنّ ذلك عن مَلإ منّا . فأوثقوه وجعلوه فى الحِصْن ؛ وتتابع بنو حنيفة على البَراء ممّا كانوا عليه ، وعلى الإسلام ، وعاهدهم سلَمة على ألاّ يُحدث حدثًا ويعفوه ، فأبوْا ولم يثقُوا بحُمْقه أن يقبلوا منه عهداً ، فأفلت

١٩٥٥/١

١٩٥٦/١

---

(١) كذا فى ز ، وفى ط : « ذمم » . (٢) من ز .

ليلاً ؛ فعمَد إلى عسكر خالد ، فصاح به الحرَس [١] ، وفزعتْ بنُو حنيفة ، فاتّبعوه فأدركوه فى بعض الحوائط ، فشدّ عليهم بالسيف ؛ فاكتنفوه بالحجارة ، وأجال السيف على حلْقه فقطع أوداجَه ، فسقط فى بئر فمات .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضحّاك بن يربوع ، عن أبيه ، قال : صالح خالدٌ بنى حنيفة جميعاً إلاّ ما كان بالعرْض والقريّة فإنهم سُبُوا عند انبثاث الغارة ، فبعث إلى أبى بكر ممَّن جرَى عليه القسمُ بالعِرْض والقُرَيَّة من بنى حَنِيفة أو قيس بن ثعلبة أو يشكُر ، خمسمائة رأس .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : ثمّ إن خالدًا قال لمجّاعة : زَوّجْنِى ابنتَك ، فقال له مجّاعة : مهلاً ، إنّك قاطع ظهرى وظهرك معى عند صاحبك . قال : أيها الرّجل ، زَوّجْنِى ؛ فزوّجه ؛ فبلغ ذلك أبا بكر ، فكتب إليه كتابًا يقطر الدم : لَعمرِى يا بنَ أمّ خالد ، إنك لفارغ تنكح النّساء وبفناء بيتك دَمُ ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجْففْ بعد ! قال : فلمّا نظر خالد فى الكتاب جعل يقول : هذا عمل الأعيَسْر — يعنى عمر بن الخطاب — وقد بعث خالد بن الوليد وفدًا من بنى حَنِيفة إلى أبى بكر ، فقدمُوا عليه ، فقال لهم أبو بكر : وَيْحكم ! ما هذا الذى استزلّ منكم ما استزّل ! قالوا : يا خليفةَ رسول الله ؛ قد كان الّذى بلغك ممَّا أصابنا كان أمرًا لم يبارك الله عزّ وجلّ له ولا لعشيرته فيه ، قال : على ذلك [٢] ، ما الّذِى دعاكم به ! قالوا : كان يقول : « يا ضِفْدَع نقّى نِقّى ، لا الشارِبَ تمنعين ، ولا الماء تكدّرين ؛ لنا نصف الأرض ، ولقريش [٣] نصف الأرض ؛ ولكنّ قريشًا قوم يَعْتَدون » .

١/١٩٥٧

قال أبو بكر : سبحان الله ! ويحكم ! إنّ هذا لكلامٌ [٤] ما خرج من إلّ [٥] ولا برّ ، فأين يُذهب بكم ! فلمّا فرغ خالد بن الوليد من اليمامة — وكان منزله الذى به التقى الناس أباض ؛ واد من

(١) ز : « الحراس » .
(٢) ز : « ذاك » .
(٣) ز : « ولكم » .
(٤) ز : « كلام » ، النويرى : « الكلام » .
(٥) الإل : العهد والقرابة .

أودية اليمامة . ثم تحوّل إلى وادٍ من أوديتها يقال له الوَبَر ـ كان[1] منزله بها .

* * *

ذكر خبر
أهل البَحْرَيْن وردّة الُحطَم ومَنْ تجمّع معه بالبحرين

قال أبو جعفر : وكان فيما بلَغنا من خَبَر أهل البحرين وارتداد مَن ارتدّ منهم ما حدّثنا عبيد الله بن سعد[2] ، قال : أخبَرنا عَمّى يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا سَيْف ، قال : خرج العَلاء بن الحضرمىّ نحو البحرين ؛ وكان من حديث البحريْن أنّ النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم والمنذر بن ساوى اشتكيا فى شهر واحد ، ثم مات المنذر بعد النبىّ صلى الله عليه وسلّم بقليل ، وارتدّ بعده أهلُ البحرين ، فأمَّا عبد القيس ففاءت ، وأمَّا بكر فتمَّت على رِدّتها ؛ وكان الّذى ثنَى عبدَ القيس الجارودُ حتى فاءوا[3] . ١/١٩٥٨

حدّثنا عُبيد الله ، قال : أخبَرنا عمّى ، قال : أخبَرنا سيف ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن بن أبى الحسن ، قال : قَدِم الجارود بن المُعَلَّى عَلَى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم مرتادًّا ، فقال : أسلِم يا جارود ، فقال : إنّ لى دينًا ، قال له النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : إنّ دينَك يا جارود ليس بشىء ، وليس بدين ؛ فقال له الجارود : فإنْ أنا أسلمت فما كان من تبِعةٍ فى الإسلام فعليك؟ قال : نعم . فأسلم ومكث بالمدينة حتى فُقه[4] . فلما أرادَ الخروج ، قال : يا رسولَ الله ، هل نجدُ[5] عند أحد منكم ظهرًا نتبلّغ[6] عليه؟ قال : ما أصبح عندنا ظهر ، قال : يا رسول الله ؛ إنَّا

---

(١) كذا فى س ، وفى ط : « وكان » .
(٢) كذا فى الأغانى ؛ وفى ط : « عبيد الله بن سعيد » ، وانظر تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد.
(٣) الخبر فى الأغانى ١٥ : ٢٥٥ (دار الكتب) . وروايته : «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات ارتدوا ، ففاءت عبد القيس منهم ، وأما بكر فتمت على ردتها ، وكان الذى ثنى عبد القيس الجارود بن على » .
(٤) الخبر إلى هنا فى الأغانى ١٥ : ٢٥٦ . (٥) ب : « ما نجد » .
(٦) ب : « يتبلغ عليه » .

نَجِد بالطريق ضَوالّ من هذه الضوالّ ، قال : تلك حَرَقُ النار ، فإيّاك وإيّاها . فلمّا قدم على قومه دعاهم إلى الإسلام فأجابوه كلُّهم ، فلم يلبث إلاّ يسيرًا حتى مات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. فقالت عبد القيس : لوكان محمدٌ نبيًّا لما مات؛ وارتدوا، وبلغه ذلك فبعث فيهم فجمعهم ، ثم قام فخَطَبهم ، فقال : يا معشَر عبد القيس ؛ إنى سائلُكم عن أمر فأخبرونى به إن علمتموه ولا تجيبونى إن لم تَعْلَموا[1] . قالوا : سلْ عمّا بدا لك ، قال : تعلمون[2] أنّه كان لله أنبياء فيما مضى ؟ قالوا : نعم ، قال : تعلمونه[3] أو ترونه ؟ قالوا : لا بل نعلمه ، قال : فما فعلوا ؟ قالوا : ماتوا ، قال : فإن محمدًا صلّى الله عليه وسلّم مات كما ماتوا ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله ، قالوا : ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ؛ وأنّك[4] سيّدنا وأفضلُنا . وثبتوا على إسلامهم ، ولم يبسطوا ولم يُبْسَط إليهم وخلَّوْا بين سائر ربيعة وبين المنذر والمسلمين ، فكان المنذر مشتغلاً بهم حياته ، فلمّا مات المنذر حُصِر أصحاب المنذر فى مكانين حتى تنقّذهم[5] العلاء . ١٩٥٩/١

قال أبو جعفر : وأمّا ابن إسحاق فإنه قال فى ذلك ما حدّثنا به ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة عنه ، قال : لمّا فرغ خالد بن الوليد من اليمامة بعث أبو بكر رضى الله عنه العَلاء بن الحضرمىّ . وكان العَلاء هو الّذِى كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعثه إلى المنذر بن ساوى العبدىّ ، فأسلم المنذر ، فأقام بها العلاء أميرًا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فمات المنذر بن ساوى بالبحرين بعد متوفّى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان عمرو بن العاص بعُمان ، فتوفّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وعمرو بها فأقبل عمرو ، فمرّ بالمنذر بن ساوى وهو بالموت[6] فدخل عليه فقال المنذر له :

---

(١) ز : « تعلموه » .
(٢) س : « أتعلمون » .
(٣) س : « أتعلمونه » .
(٤) ز : « وأنت » .
(٥) النويرى : « أنقذهم » .
(٦) ز : « فى الموت » .

١٩٦٠/١ كم كان رسُول الله صلى الله عليه وسلم يجعل للميّت من المسلمين من ماله عند وفاته ؟ قال عمرو : فقلت له : كان يجعل له الثّلُث؛ قال : فما ترى لِي أن أصنع فى ثلُث مالى ؟ قال عمرو : فقلت له : إن شئت قسمتَه فى أهل قرابتك ، وجعلتَه فى سبيل الخير ؛ وإن شئت تصدّقت به فجعلته صدقةً مُحرّمة تجرى من بعدك على مَنْ تصدّقت به عليه . قال : ما أحبّ أن أجعل من مالى شيئًا محرّمًا كالبَحيرة والسّائبة والوَصيلة والحامِى[١] ولكن أقسمه ، فأنفِذه على مَنْ أوصيتُ به له يصنع به ما يشاء .

قال : فكان عمرو يعجب لها[٢] من قوله . وارتدّت ربيعة بالبحرين فيمَن ارتدّ من العرب ، إلا الجارود بن عمرو بن حنَش بن مُعلّى ؛ فإنه ثبت على الإسلام ومَن معه من قومه ، وقامَ حين بلغته وفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وارتداد العرب ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله ، وأكفّر من لا يشهد . واجتمعت ربيعة بالبحرين وارتدّت ، فقالوا : نردُّ الملكَ[٣] فى آل المنذر ، فملّكوا المنذر بن النعمان بن المنذر ، وكان يُسَمَّى الغَرور ، وكان يقول حين أسلم وأسلم الناس وغلبهم السيف : لستُ بالغَرُور ؛ ولكنّى المغرور[٤]

حدّثنا عُبيد الله بن سعد ، قال : أخبرَنا عمّى ، قال : أخبرنا سَيفٌ ،

---

(١) هو ما تضمنته الآية الكريمة : ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ ﴾ قال الزمخشرى : « كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها ، أى شقوها وحرموا ركوبها ، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى ، وإذا لقيها المعيى لم يركبها ، واسمها البحيرة . وكان يقول الرجل : إذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقتى سائبة ، وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها . وقيل : كان الرجل إذا أعتق عبداً قال : هو سائبة ، فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم ، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم ، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها ، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم ، وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا : قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى » .

(٢) س : « بها » .

(٣) الأغانى : « ردوا » .

(٤) الأغانى ١٥ : ٢٥٦ (طبعة دار الكتب) .

١/١٩٦١ عن إسماعيل بن مسلم ، عن عُمَيْر بن فلان العَبْدِىّ ، قال : لمّا مات النبىّ صلّى الله عليه وسلّم خرج الحُطَم بن ضُبَيْعة أخو بنى قيس بن ثعلبة فيمَن[1] اتّبعه من بكر بن وائل على الرِّدّة ، ومَنْ تأشّب[2] إليه من غير المرتدّين ممّن لم يزل كافرًا ، حتى نزل القَطِيف وهَجَر ، واستغوى الخطّ ومن فيها من الزُّطّ والسَّيابجة ، وبَعث بعثًا إلى دارِين ، فأقاموا له ليجعلَ عبدَ القَيْس بينه وبينهم ،وكانوا مخالفين لهم ، يمدّون المنذر والمسلمين ؛ وأرسل إلى الغَرور بن سُوَيد ، أخى النعمان بن المنذر ؛ فبعثه إلى جؤاثَى ، وقال : اثبت ، فإنّى إن ظفرت ملّكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة[3]. وبعث إلى جؤاثَى ، فحصرهم وألحّوا عليهم[3] فاشتدّ على المحصورين الحصر[4] ،وفى المسلمين المحصورين رَجُل من صالح المسلمين يقال له

١/١٩٦٢ عبد الله بن حذَف ؛ أحد بنى أبى بكر بن كِلاب ، وقد اشتدّ عليه وعليهم الجوع حتى كادوا أن يهلكوا . وقال فى ذلك عبد الله بن حذَف :

ألا أبْلِغْ أبا بَكْر رسولاً ... وفِتْيانَ المدينـة أجْمَعِينَا

فهل لَكُمُ إلى قومٍ كِرَامٍ ... قُعُودٍ فى جُؤاثَى مُحْصَرِينا!

كأنَّ دِمَاءَهُمْ فى كلِّ فَجٍّ ... شُعَاعُ الشَّمسِ يغْشَى الناظرينا

توكّلْنا على الرَّحمنِ إنَّا ... وَجَدْنا الصَّبْرَ للمتوكّلينا[5]

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصعب[6] بن عطيّة ابن بلال ، عن سَهْم بن مِنْجاب ، عن مِنْجاب بن راشد ، قال : بعث أبو بكر العَلاء بن الحضرمىّ علَى قتال أهل الرِّدّة بالبحرين ؛ فلمّا أقبل إليها ؛ فكان بحيال اليمامة ، لحِقَ به ثُمامة بن أثال فى مُسْلِمة بنى حنيفة

---

(١) الأغانى : « ومن اتبعه » .

(٢) تأشب إليه : تجمع من هاهنا وها هنا

(٣ – ٣) الأغانى : « وبعث إلى رواثا ، وقيل : جؤاثى فحاصرهم ، وألح عليهم » .

(٤) الأغانى : « فاشتد الحصار على المحصورين من المسلمين » .

(٥) الأغانى ١٥ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ . (٦) الأغانى : « الصقعب » .

من بنى سُحَيْم ومن أهل القرى من سائر بنى حنيفه ، وكان متلدّدًا ؛ وقد ألحق[١] عكرمة بعُمان ثم مَهْرة ، وأمَر شُرحبيل بالمقام حيث انتهى إلى أن يأتيه أمرُ أبى بكر ، ثم يغاور هو وعمرو بن العاص أهل الرِّدّة من قُضَاعة . فأمَّا عمرو بن العاص فكان يُغاوِر سعدًا وبَلِيًّا وأمَر هذا بكلْب ولِفّها ، فلمَّا دنا منَّا ونحن فى عُلْيا البلادِ لم يكن أحدٌ له فرس من الرِّباب وعمرو بن تميم إلاّ جنَبَه ، ثم استقبله ؛ فأمّا بنو حنظلة فإنّهم قدّموا رِجْلا وأخَّروا أخرى . وكان مالك بن نُويرة فى البُطاح ومعه جُموع يساجلنا ونساجله. وكان وكيع بن مالك فى القَرْعاء معه جموع يُساجل عمرا وعمرو يساجلُه ، وأمَّا سعد بن زيد مناة فإنّهم كانوا فِرْقتين ؛ فأمَّا عوف والأبناء فإنّهم أطاعوا الزِّبْرقان بن بدر ، فثبتوا على إسلامهم وتمّوا وذَبّوا عنه ؛ وأمَّا المُقاعس والبُطون فإنّهما أصاخا ولم يتابعا ؛ إلاّ ما كان من قَيْس بن عاصم ؛ فإنّه قسّم الصدقات التى كانت اجتمعت إليه فى المقاعس والبطون حين شخص الزِّبْرقان بصَدقاتِ عَوْفٍ والأبناء ؛ فكانت عوف والأبْناء مشاغيل بالمُقاعس والبطون . فلمَّا رأى قيس بن عاصم ما صنعت الرِّباب وعمرو من تلقّى العلاء نَدِم على ما كان فرَط منه ، فتلقّى العَلاءَ بإعداد ما كان قسم من الصدقات ، ونزع عن أمره الّذى كان همّ به ، واستاق حتى أبلغها إياه ، وخرج معه إلى قتال أهل البحرين ؛ وقال فى ذلك شعرًا كما قال الزبرقان فى صَدقته حين أبلغها أبا بكر ؛ وكان الذى قال الزبرقان فى ذلك :

وَفَيْتُ بأذْواد الرَّسُول وقد أبتْ سُعاةٌ فلمْ يَرْدُد بعيراً مُجيرُها
معاً ومَنعْناها منَ النّاسِ كلِّهمُ تَرَامِى الأعادى عِنْدَنا ما يضيرُها[٢]
فأدّيْتُها كَىْ لا أخُونَ بذِمّتِى مَحَانيق لم تُدرَسْ لركبٍ ظهورُها
أَردتُ بها التّقْوَى ومَجْد حديثها إذا عُصْبَة سامَى قَبيلى فَخُورُها
وإنى لَمِنْ حَىّ إذا عَدَّ سَعْيُهم[٣] يرى الفَخر منها حَيُّها وقُبورها

(١) ز : « لحق » . (٢) ب : « نرامى » .
(٣) ز : « شعبهم » .

١ / ١٩٦٣
١ / ١٩٦٤

أصاغِرُهم لم يَضْرَعُوا وكِبارُهم[(١)] رِزانٌ مَراسيها ، عِفَافٌ صُدُورُها

ومن رَهْطِ كنَّادٍ توفَّيتُ ذِمَّتي[(٢)] ولم يَثْنِ سيفى نَبْحُها وهَرِيرُها[(٣)]

ولله مُلْك قد دخلتُ وفارس[(٤)] طعنتُ إذا ما الخيْلُ شدَّ مُغِيرُها

١/١٩٦٥ فَفَرَّجْتُ أولاها بِنَجْلاء ثَرَّةٍ بحيث الذى يَرْجو الحياةَ يَضِيرُها[(٥)]

ومَشْهَدِ صِدْقٍ قد شهدتُ فلم أكُنْ به خاملاً واليومَ يُثْنَى مَصِيرُها

أرَى رَهْبَةَ الأعداء منِّى جَراءَةً ويبكى إذا ما النفسُ يُوحَى ضميرُها[(٦)]

وقال قيس عند استقبال[(٧)] العلاء بالصدقة :

ألاَ أبْلِغا عنِّى قريشاً رسالةً إذا ما أتَتْها بيِّناتُ الودائع[(٨)]

حبَوْتُ بهافى الدّهرأعراضَ مِنقرٍ[(٩)] وأيأسْتُ منها كلَّ أطْلَسَ طامعِ[(١٠)]

وَجَدْتُ أبى والخالَ كانا بنجوة بقاعٍ فلم يَحْلُلْ بها مَنْ أدافِعُ[(١١)]

فأكرمه العلاءُ ، وخرج مع العَلاء بن عمرو وسعد الرّباب مثل عسكره ، وسلك بنا الدَّهْناء ؛ حتى إذا كنا فى بُحبُوحتها والحسَّانات والعزَّافاتُ[(١٢)] عن يمينه وشماله ، وأراد الله عزّ وجلّ أن يرِينا آياته نزَل وأمر الناس بالنّزول ، فنفَرت الإبل فى جَوْف الليل ؛ فمَا بَقِيَ عندنا بعير ولا زادٌ ولا مزاد

١/١٩٦٦

---

(١) ب : « يصغروا » ، س : « يصرعوا » .

(٢) ب : « كنان » ، ز : « كناز » .

(٣) ز : « نفخها » .

(٤) س : « وقبة ملك » .

(٥) ب : « بصيرها » ، ز : « نصيرها » .

(٦) ب : « ونبكى » .

(٧) ب ، ز : « استقلال » .

(٨) البيتان : الأول والثانى فى الأغانى ١٤ : ٧٥ (طبع دار الكتب) ، وفى س: « إذا ما أتتهم » . وفى الأغانى : « إذا ما أتتهم مهديات الودائع » .

(٩) الأغانى : « حبوت بما صدقت فى العام منقرا » .

(١٠) يريد بالأطلس هنا اللص الخبيث ؛ على التشبيه بالذئب .

(١١) كانا بنجوة ، أى كانا بمنجى . وفى البيت إقواء .

(١٢) العزافات : الضاربات بالدفوف .

ولا بناء إلا ذهب عليها فى عرض الرمل ، وذلك حين نزل الناس ، وقبل أن يحطُّوا ؛ فما علمت جمعًا هجم عليهم من الغَمّ ما هجم علينا وأوصَى بعضُنا إلى بعض ، ونادى منادى العَلاءِ : اجتمعوا ، فاجتمعنا إليه ، فقال : ما هذا الذى ظهر فيكم وغلب عليكم ؟ فقال الناس : وكيف نلامُ ونحن إن بلغنا غدًا لم تحمَ شمسُه حتى نصير حديثًا! فقال: أيّها الناس ، لا تُراعوا ، ألستم مسلمين ! ألستم فى سبيل الله ! ألستم أنصار الله ! قالوا : بلى ، قال : فأبشروا ، فوالله لا يَخْذُل الله مَن كان فى مثل حالكم . ونادى المنادى بصلاة الصبح حين طلَع الفجر فصلَّى بنا ، ومنّا المتيمِّم ، ومنّا من لم يزل على طَهُوره ؛ فلمّا قضى صلاته جثا لرُكبَتَيْه وجثَا النَّاس ، فنصِب[1] فى الدّعاء ونصِبوا معه ؛ فلمع لهم سرابُ الشمس ؛ فالتفت إلى الصّفّ ، فقال: رائد ينظر ما هذا ؟ ففعل ثم رجع ، فقال : سراب ، فأقبل على الدّعاء ، ثم لمع لهم آخر فكذلك ، ثم لمع لهم آخر ، فقال : ماء ، فقام وقام الناس ، فمشينا إليه حتى نزلْنا عليه ، فشربنا واغتسلنا ، فما تعالى النّهار حتى أقبلت الإبل تُكْرَد[2] من كلّ وجه ، فأناخت إلينا ، فقام كلّ رجل إلى ظهره ، فأخذه ، فما فقدنا سِلْكًا[3]. فأرويناها وأسقيناها العَلَلَ بعد النَّهَلِ ؛ وتَرَوّينا ثم تروّحنا — وكان أبو هريرة رفيقى — فلّما غِبْنَا عن ذلك المكان ، قال لى : كيف علمُك بموضع ذلك الماء ؟ فقلت: أنا من أهدَى العرب[4] بهذه البلاد قال : فكن[5] معى حتى تقيمَنى عليه ، فكررتُ به ، فأتيت به[6] على ذلك المكان بعينه ؛ فإذا هو لا غديرَ به ، ولا أثر للماء ، فقلت له : والله لولا أنّى لا أرى الغدير لأخبرتك أنّ هذا هو المكان ؛ وما رأيت بهذا المكان ماءً ناقعًا قبل[7] اليوم ؛ وإذا إداوة مملوءة ، فقال : يا أبا سهم[8] ، هذا والله المكان ؛

١٩٦٧/١

---

(١) نصب فى الدعاء ينصب ؛ إذا تعب فيه واجتهد. (٢) الكرد : الطرد .

(٣) السلك : جمع سلكة ؛ وهو الخيط الذى يخاط به الثوب .

(٤) الأغانى : « أنا أهدى الناس » .

(٥) الأغانى : « فكر معى » .

(٦) الأغانى : « فأنخت على ذلك المكان » .

(٧) الأغانى : « وما رأيت بهذا المكان ماء قبل ذلك » .

(٨) الأغانى : « يا سهم » .

ولهذا رجعت ورجعت بك . وملأت[1] إداوتى ثم وضعتها على شفيره[2]، فقلت : إن كانَ مَنّاً من المنّ وكانتْ آية عرفتها ؛ وإن كان غياثاً عرفته ؛ فإذا منّ من المَنّ ، فحَمِد الله ، ثم سِرْنا حتى ننزل هَجَر . قال : فأرسل العَلاء

١/١٩٦٨ إلى الجارود ورجل آخر أن انضمّا فى عبد القيس حتى تنزلا على الحطَم ممّا يليكما ؛ وخرج هو فيمَن جاء معه وفيمَن قدِم عليه ؛ حتى ينزل عليه ممّا يلى هَجَر، وتجمّع المشركون كلّهم إلى الحُطَم إلاّ أهل دارين ، وتجمّع المسلمون كلّهم إلى العَلاء بن الحضرمىّ ، وخندق المسلمون والمشركون ، وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خَنْدقهم ؛ فكانوا كذلك شهراً؛ فبينا الناس ليلةً إذ سمع المسلمون فى عسكر المشركين ضوضاء شديدة ؛ كأنها ضوضاءُ هزيمة أو قتال ، فقال العلاء : مَنْ يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبد الله ابن حَذَف : أنا آتيكم بخبر القوم — وكانت أمّه عِجْليّة — فخرج حتى إذا دنا من خَندقهم أخذوه ، فقالوا له : مَن أنت ؟ فانتسب لهم ، وجعل ينادى : يا أبْجَراه ! فجاء أبجر بن بُجَير ، فعرفه فقال : ما شأنُك ؟ فقال : لا أضيعنّ [الليلة][3] بين اللَّهَازم ! عَلامَ أقتَل وحولى عساكر من عِجْل وتَيْم اللّات وقيس وعَنَزَة! أيتلاعب بى الحُطم ونُزّاع القبائل وأنتم شهود ! فتخلّصه ، وقال : والله إنّى لأظنّك بئس ابن الأخت لأخوالك

١/١٩٦٩ الليلة ! فقال : دَعْنى من هذا وأطعِمْنى ؛ فإنى قد متُّ جوعاً . فقرّب له طعاماً ؛ فأكل ثمّ قال : زوّدنى واحمِلْنى وجَوّزنى أنطلق إلى طِيَّتى . ويقول ذلك لرجل قد غلب عليه الشراب ، ففعل وحَمَله على بعير ، وزوّده وجَوّزه ؛ وخرج عبد الله بن حَذَف حتى دخل عسكرَ المسلمين ، فأخبرهم أنّ القوم سُكارى ، فخرج المسلمون عليهم حتى اقتحموا عليهم عسكرَهم ، فوضعوا السيوف فيهم حيث شاءوا ، واقتحموا الخندق هُرّابا ، فمتردٍّ ، وناجٍ ودهِشٍ ، ومقتول أو مأسور ، واستولَى المسلمون على ما فى العسكر ؛ لم يفلِت

---

(١) كذا فى ز والأغانى وابن الأثير ، وفى ط : « ملأت » بدون الواو .

(٢) الأغانى : « شفير الوادى » .

(٣) من الأغانى .

رجلٌ إلاّ بما عليه ؛ فأما أبجر فأفلتَ ، وأمّا الحُطَم فإنّه بَعِل[١] ودُهِش ، وطار فؤاده ؛ فقام إلى فرسه — والمسلمون خلالهم يجوسُونهم — ليركَبه ؛ فلمّا وضع رجلَه فى الرّكاب انقطعَ به ، فمرّ به عفيف بن المنذر أحد بنى عمرو بن تميم ، والحُطَم يستغيث ويقول : ألا رجلٌ مِنْ بنى قيس بن ثعلبة يَعْقِلنى ! فرفع صوته ، فعرف صوته ، فقال : أبو ضُبَيعة ! قال : نعم ، قال : أعطنى رِجْلك أعقلْك ، فأعطاه رِجْله يعقلُه ، فنفحَها فأطنّها[٢] من الفَخِذ ، وتركه ، فقال : أجهز علىّ ، فقال : إنى أحبّ ألا تموت حتى أمِضّك .

١٩٧٠/١

— وكان مع عَفيف عدّة من ولد أبيه ، فأصيبوا ليلتئذ — وجعل الحطم لا يمرّ به فى الليل أحدٌ من المسلمين إلاّ قال : هل لك فى الحُطَم أن تقتله ؟ ويقول : ذاك لمن لا يعرفه ، حتى مرّ به قيس بن عاصم ، فقال له ذلك ، فمال عليه فقتله ، فلمّا رأى فخِذَه نادرة[٣] ، قال : واسوأتاه ! لو علمت الّذى به لم أحرّكه ؛ وخرج المسلمون بعد ما أحرزوا الخندق على القوم يطلبونهم ، فاتّبعوهم ، فلحق قيس بن عاصم أبجر — وكان فرس أبجر أقوى من فرس قيس — فلمّا خشِيَ أن يفوتَه طعنه فى العُرقوب فقطع العَصَب ، وسَلِم النَّسَا ؛ فكانت رادّة ، وقال عُفَيف بن المنذر :

فإنْ يرقَأ العرقوبُ لا يرْقأ النَّسا ... وما كلُّ مَنْ يهوى بذلك عالِمُ[٤]

ألم ترَ أنّا قد فَلَلْنا حُماتَهمْ ... بأسْرَةِ عمرو والرِّبابِ الأكارِمِ[٥]

وأسرَ عفيف بن المنذر الغَرور بن سويد[٦] ، فكلّمتْه الرّباب فيه ، وكان أبوه ابن أخت التَّيْم[٧] ، وسألوه أن يُجيره ، فقال للعلاء : إنى قد أجَرْت هذا ، قال : ومَنْ هذا ؟ قال : الغَرُور ، قال : أنت غررت هؤلاء ، قال : أيّها الملك ، إنى لستُ بالغَرور ؛ ولكنى المغرور ، قال :

---

(١) بعل : دهش وخاف فلم يدر ما يصنع .
(٢) نفحه بالسيف : تناوله به . أطنها : قطعها .
(٣) نادرة : ساقطة .
(٤) الأغانى : « وما كل من تلقى بذلك عالم » .
(٥) فى البيت إقواء .
(٦) بعدها فى الأغانى: «ابن أخى النعمان بن المنذر». (٧) الأغانى: « وكان ابن أختهم » .

أسلِمْ ، فأسلم وبقى بهجَر ، وكان اسمه الغرور ، وليس بلقب ؛ وقتل عفيف المنذر بن سويد بن المنذر ، [أخا الغرور لأمّه[١]] ، وأصبح العلاء فقسّم الأنفال ، ونفّل رجالاً من أهل البلاء ثيابا ، فكان فيمن نفّل عفيف بن المنذروقيس بن عاصم وثمامة بن أثال ؛ فأمّا ثمامة فنُفِّل ثيابًا فيهاخميصة[٢] ذات أعلام ، كان الحُطَم يُباهى فيها ، وباع الثياب. وقصد عُظْمُ الفُلّال لدارين[٣] ، فركبوا فيها السفن ، ورجع الآخرون إلى بلاد قومهم ؛ فكتب العلاء بن الحضرميّ إلى مَن أقام على إسلامه من بكر بن وائل فيهم ، وأرسل إلى عُتَيبة بن النهّاس وإلى عامر بن عبد الأسود بلزوم ما هم عليه والقعود لأهل الردّة بكلّ سبيل ، وأمر مِسْمَعًا بمبادرتهم ، وأرسل إلى خَصَفة التميمىّ والمثنّى بن حارثة الشيبانىّ ، فأقاموا لأولئك بالطريق ، فمنهم مَنْ أناب ، فقبلوا منه واشتملوا عليه ؛ ومنهم مَنْ أبى ولَجّ فمنع من الرجوع ، فرجعوا عَوْدَهم على بدئهم ، حتى عَبَرُوا إلى دارين ، فجمعهم الله بها ، وقال فى ذلك رجل مِن بنى ضُبيعة بن عجل ، يدْعَى وهبا ، يعيّر مَن ارتدّ من بكر بن وائل :

ألم ترَ أنَّ الله يَسْبِكُ خَلْقَه ... فيَخْبُثَ أقوامٌ ويَصْفُوَ مَعْشَرُ
لَحَى اللهُ أقواماً أُصيبوا بخَنْعَةٍ[٤] ... أصابَهُمُ زيدُ الضَّلالِ ومَعْمَرُ !

١/١٩٧١

ولم يزل العلاءُ مقيمًا فى عسكر المشركين حتى رجعت إليه الكتب من عند مَنْ كان كتب إليه من بكْر بن وائل ، وبلغه عنهم القيام بأمر الله ، والغضبُ لدينه ، فلمّا جاءه عنهم من ذلك ما كان يشتهى ، أيقن أنه لن يؤتَى من خلفه بشىء يكرهه على أحد من أهل البحرين ، وندَب النّاس إلى دارين ، ثم جمعهم فخطبهم ، وقال : إنّ الله قد جمع لكم أحزابَ الشياطين وشُرَّدَ الحرب[٥] فى هذا البحر[٦] ؛ وقد أراكم من آياته فى البرّ لتعتبروا بها

١/١٩٧٢

---

(١) من الأغانى .
(٢) الخميصة : كساء أسود له علمان .
(٣) الأغانى : « وهرب الفل إلى دارين » .
(٤) ب : « بجمعة » .
(٥) الأغانى : « وشذاذ الحرب » .
(٦) الأغانى : « فى هذا اليوم » .

فى البحر ، فانهضوا إلى عدوّكم ، ثم استعرِضوا البحر إليهم ، فإنّ الله قد جَمعهم ، فقالوا : نفعل ولا نهاب والله بعدَ الدّهناء هَوْلاً ما بقينا .

فارتحل وارتحلوا ، حتى إذا أتى ساحل البحر اقتحموا على الصّاهل[١] ، والجامِل[٢] ، والشاحج[٣] والنّاهق ؛ والراكبُ والراجل[٤] ، ودعا ودعوْا ؛ وكان دعاؤه ودعاؤهم : يا أرحم الراحمين ، يا كريم ، يا حليم ، يا أحَد ، يا صَمَد يا حىّ يا مُحيي الموتى ، يا حىّ يا قيوم ، لا إله إلا أنت يا ربّنا . فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعًا يمشون على مثل رَمْلة مَيْثاءَ ، فوقها ماء يغمُر أخفاف الإبل ، وإنّ ما بين الساحل ودَارين مسيرة يوم وليلة لسُفُن البحر فى بعض الحالات ، فالتقوْا بها ، واقتتلوا قتالا شديدًا ، فما تركوا بها مُخْبِرًا[٥] وسبوا الذَّرارىّ ، واستاقوا الأموالَ ؛ فبلغ نَفَل الفارس ستّة آلاف ، والراجل ألفيْن ، قطعوا ليلهم وساروا يومَهم ؛ فلمّا فرغوا رجعوا عَوْدَهم على بدْئهم حتى عَبَروا ، وفى ذلك يقول عفيف بن المنذر :

١٩٧٣/١

ألم ترَ أنَّ الله ذَلَّلَ بَحْــــرَه ... وأنزل بالكُفَّار إحدَى الجلائلِ !

دَعَوْنا الَّذى شقّ البحارَ فجاءَنا ... بأعجبِ من فَلْقِ البحار الأوائلِ[٦]

ولمّا رجع العلاء إلى البحْرين ، وضرب الإسلام فيها بجِرَانِه ، وعزّ الإسلامُ وأهله ، وذلّ الشرْك وأهلُه ؛ أقبل الّذين فى قلوبهم ما فيها على الإرجاف ، فأرجف مُرْجِفُون، وقالوا : هاذاك مَفْرُوق، قد جمع رهطه . شيبان وتغلِب والنّمِر ، فقال لهم أقوام من المسلمين : إذًا تشغَلهم عنا اللّهَازِم — واللّهَازم يومئذ قد استجمع أمرهم على نصر العلاء وطابقوا . وقال عبد الله

---

(١) الصاهل : الفرس ؛ والصهيل صوته .

(٢) الجامل : القطيع من الإبل .

(٣) الشاحج : البغل ، والشحيج : صوته .

(٤) عبارة الأغانى : « فارتحل وارتحلوا حتى أتى ساحل البحر ؛ فاقتحموا على الخيل ؛ هم والحمولة والإبل والبغال ، الراكب والراجل » .

(٥) مخبراً ، أى أحداً يخبر بما كان ؛ يريد أنهم استأصلوهم .

(٦) الأغانى : « من شق البحار »

ابن حذف فى ذلك :

لا توعدونا بمفروق وأسرته إنْ يأتنا يَلْقَ فينا سنّة الحُطَم

وإنّ ذا الحىّ من بكر وإن كثروا لأمّةٌ داخلون النارَ فى أمم

١/١٩٧٤ فالنخلُ ظاهره خيلٌ وباطنه خيلٌ تكدّسُ بالفتيان فى النعم

وأقفل[١] العلاء بن الحضرمىّ الناس ، فرجع الناس إلاّ من أحبّ المقام ، فقفلنا وقفل ثمامة بن أثال ؛ حتى إذا كنّا على ماء لبنى قيس بن ثعلبة ؛ فرأوا ثمامة ، ورأوا خميصة الحطم عليه دسّوا[٢] له رجلاً ، وقالوا : سله عنها كيف صارت له ؟ وعن الحطم : أهو قتله أو غيره ؟ فأتاه ، فسأله عنها ، فقال : نُفّلْتُها . قال : أأنت قتلت الحطم ؟ قال : لا ، ولوددت أنى كنت قتلته ، قال : فما بال هذه الخميصة معك ؟ قال : ألم أخبرك ! فرجع إليهم فأخبرهم ، فتجمّعوا له ، ثم أتوه فاحتوشوه ؛ فقال : مالكم ؟ قالوا : أنت قاتل الحطم ؟ قال : كذبتم ، لستُ بقاتله ولكنى نفّلتها ، قالوا : هل ينفّل إلاّ القاتل ! قال : إنها لم تكن عليه ، إنما وُجدتْ فى رحْله ، قالوا : كذبت . فأصابوه .

قال : وكان مع المسلمين راهبٌ فى هجر ؛ فأسلم يومئذ فقيل : ما دعاك إلى الإسلام ؟ قال : ثلاثة أشياء ، خشيت أن يمسخنى الله بعدها إن أنا لم أفعل : فيْضٌ فى الرمال ، وتمهيد أثباج البحار[٣] ، ودعاءٌ سمعته فى عسكرهم فى الهواء من السحر . قالوا : وما هو ؟ قال : اللهمّ أنتَ الرحمن الرحيم ؛ لا إله غيرُك ، والبديع ليس قبلك شىء ، والدائم غير الغافل ، والحىّ الذى لا يموت ، وخالق ما يُرَى وما لا يُرَى ، وكلّ يوم أنت فى شأن ، وعلِمتَ اللهمّ كلّ شىء ١/١٩٧٥ بغير تعلّم[٤] ؛ فعلمت أنّ القوم لم يُعانوا بالملائكة إلا وهم على أمر الله[٥] .

فلقد كان أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسمعون من ذلك الهجرىّ[٦] بعد .

---

(١) أقفل الناس : أرجعهم . (٢) الأغانى : « بعثوا إليه » .
(٣) الأغانى : « البحور » . (٤) الأغانى : « تعليم » .
(٥) الخبر إلى هنا فى الأغانى ١٥ : ٢٥٧ — ٢٦٢ ، مع تصرف واختصار .
(٦) ابن الأثير : « هذا منه بعد » .

وكتب العلاء إلى أبى بكر : أما بعدُ ؛ فإنّ الله تبارك وتعالى فجّر لنا الدّهناءَ فيضًا لا تُرَى غواربه ، وأرانا آية وعبرة بعد غمّ وكرب ، لنحمد الله ونمجّده ، فادعُ الله واستنصرْه لجنوده وأعوان دينه .

فحمِد أبو بكر الله ودعاه ، وقال : ما زالت العرب فيما تحدّث عن بلدانها يقولون : إنّ لقمان حين سُئِل عن الدّهناء : أيحتفرونها أو يدَعونها ؟ نهاهم ، وقال : لا تبلغها الأرْشِيَة ، ولم تقرّ العيون ؛ وإنّ شأن هذا الفَيْض من عظيم الآيات ، وما سمعنا به فى أمّة قبلها . اللهمّ أخلف محمدًا صلى الله عليه وسلم فينا .

ثم كتب إليه العلاءُ بهزيمة أهل الخندق وقتْل الحطم ، قتله زيد ومعمر[١] : أمّا بعد ، فإنّ الله تبارك اسمه سلَب عدوّنا عقولهم ، وأذهب ريحَهم بشراب أصابوه من النّهار ، فاقتحمنا عليهم خندقَهم ، فوجدناهم سُكارى ، فقتلناهم إلاّ الشريد ، وقد قتل الله الحُطَم .

فكتب إليه أبو بكر : أمّا بعد ، فإنْ بلغك عن بنى شيبان بن ثعلبة تمامٌ على ما بلغك ، وخاض فيه المُرْجفون ، فابعث إليهم جندًا فأوطِئهم وشرّد بهم من خلفهم . فلم يجتمعوا ؛ ولم يصرْ ذلك من إرجافهم إلى شىء . ١/١٩٧٦

* * *

ذكر الخبر عن ردّة أهل عُمان ومَهْرة واليمن

قال أبو جعفر : وقد اختُلف فى تاريخ حرْب المسلمين ، فقال محمد ابن إسحاق ــ فيما حدثنا ابنُ حميد ، عن سلَمة عنه : كان فتحُ اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود إلى الشّأم فى سنة اثنتىْ عشرة .

وأمّا أبو زيد فحدّثنى عن أبى الحسن المدائنى فى خبر ذكره ، عن أبى معشر ويزيد بن عياض بن جُعْدُبَة وأبى عبيدة بن محمد بن أبى

(١) ط : « مسمع » ، وانظر ص ٣١٠ س ١٥ .

عُبَيدة وغسَّان بن عبد الحميد وجُوَيْرِيَة بن أسماء، بإسنادهم عن مشيختهم وغيرهم من عُلماء أهل الشأم وأهل العِراق ؛ أنّ الفتوح فى أهل الرِّدّة كلّها كانت لخالد بن الوليد وغيره فى سنة إحدى عشرة ، إلاّ أمر ربيعة بن بُجَيْر ؛ فإنّه كان فى سنة ثلاث عشرة .

وقصّة ربيعة بن بجير التغلبىّ أنّ خالد بن الوليد — فيما ذكر فى خبره هذا الذى ذكرت عنه — بالمُصَيّخ والحَصِيد ، قام وهو فى جَمْع من المرتدّين فقاتله ، وغَنِم وسَبَى ، وأصاب ابنةً لربيعة بن بُجَيْر ، فسباها وبعث بالسَّبْى إلى أبى بكر رحمه الله ، فصارت ابنة ربيعة إلى علىّ بن أبى طالب عليه السلام . ١٩٧٧/١

* * *

فأمّا[1] أمْر عُمان فإنّه كان — فيما كتب إلىّ السرىّ بن يحيى يخبرنى عن شُعيب ، عن سَيْف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد والغصن بن القاسم وموسى الجليوسىّ[2] عن ابن مُحَيْريز ، قال : نبغ بعمان ذو التَّاج لَقِيط[3] بن مالك الأزدىّ ، وكان يسامى[4] فى الجاهليّة الجُلَنْدَى ؛ وادّعى بمثل ما ادّعى به مَنْ كان نبيًّا ، وغلب على عُمَان مرتدًّا ، وألجأ جَيْفَرًا وعبّادًا إلى الأجبال والبحر ؛ فبعث جَيْفر إلى أبى بكر يخبره بذلك ، ويستجيشه عليه . فبعث أبو بكر الصّدّيق حُذَيفة بن محصن الغَلْفانىّ من حِمْير ، وعَرْفجةَ البارقىّ من الأزد ؛ حذيفة إلى عُمَان وعرفجة إلى مَهْرة . وأمرهما إذا اتّفقا أن يجتمعا على مَن بُعثا إليه ، وأن يبتدئا بعُمان ، وحُذيفة على عَرْفجة فى وجهه ، وعَرْفجة على حذيفة فى وجهه . فخرجا متساندين ، وأمرهما أن يُجِدَّا السَّيْرَ حتى يقدَما عُمان ؛ فإذا كانا منها قريباً كاتَبا جَيْفَرًا وعبّادًا ؛ وعملا برأيهما . فمضيا لما أمِرا به ؛ وقد كان أبو بكر بعث عِكْرمة إلى مُسَيْلمة باليمامة ، وأتبعه شُرَحبيل بن حَسَنَة ،

---

(١) ب ، س : « قال أبو جعفر فأما »
(٢) كذا فى ز وفى ب : « الحليوسى » .
(٣) س : « ابن لقيط » .
(٤) كذا فى ط ، وفى س : « يسمى » .

١٩٧٨/١ وسمّى لهما اليَمامة ، وأمرهما بما أمر به حُذيفة وعَرْفجة . فبادر عِكْرِمة شُرَحْبيل ، وطلب حَظْوَةَ الظَّفَر ، فنكبه مُسَيْلمة ؛ فأحجم عن مُسيلمة ، وكتب إلى أبى بكر بالخبَر ، وأقام شُرَحبيل عليه حيث بلغه الخبَر ، وكتب أبو بكر إلى شُرَحْبيل بن حَسَنة ؛ أن أقم بأدنى اليَمامة حتى يأتيَكَ أمرِى ، وترَكَ أن يُمْضيَه لوجهه الذى وجّهه له ؛ وكتب إلى عِكْرِمة يُعَنّفه لتسرّعه ، ويقول : لا أرَيَنّكَ ولا أسمعنّ بك إلاّ بعد بلاء ، والحقْ بعُمَان حتى تقاتل أهلَ عُمان ، وتُعين حُذَيفة وعَرْفجة ، وكلّ واحد منكم على خَيْله ، وحذيفة ما دُمتم فى عمله على النّاس ، فإذا فرغتم فامضِ إلى مَهْرة ، ثم ليكُنْ وجهُكَ منها إلى اليَمَن ؛ حتى تُلاقىَ المهاجر ابن أبى أميّة باليمن وبحضْرَموت ، وأوطِئْ مَنْ بين عمان واليمن ممنْ ارتدّ ؛ ولْيَبْلُغنى بلاؤك .

فمضى عِكْرمة فى أثَرِ عَرْفجة وحُذيفة فيمَن كان معه حتّى لحق بهما قبل أن ينتهيَا إلى عُمان ، وقد عهد إليهم أن ينتهوا إلى رأى عِكرِمة بعد الفراغ فى السَّيْر معه أو المقام بعُمان ، فلمّا تلاحقوا — وكانوا قريباً من عُمَان بمكان يُدعى رِجَاماً[١] — راسلوا جَيْفَراً وعَبّاداً . وبلغ لَقيطا مجىء الجيش ، فجمع جموعه وعسكر بدَبَا ، وخرج جَيْفر وعبّاد من موضعهما الّذى كانا فيه ، فعسكرا بصُحَار ، وبعثا إلى حُذَيفة وعَرْفجة وعِكرِمة فى القدوم عليهما ، فقدموا عليهما بصُحَار ، فاستبرءُوا ما يليهم حتى رضُوا

١٩٧٩/١ ممّن يليهم ؛ وكاتبوا رؤساءَ مع لقيط وبدءوا بسيد بنى جُدَيْد ، فكاتبهم وكاتبوه حتى ارفضّوا عنه ؛ ونهَدوا إلى لَقيط ، فالتقوْا على دَبَا ، وقد جمع لقيط العيَالات ، فجعلهم وراء صفوفهم ليُجَرّبهم ؛ وليحافظوا على حُرَمِهم — ودَبَا هى المِصْر والسوق العظمى — فاقتتلوا بدَبَا قتالا شديداً ؛ وكاد لَقيط يستعلى النّاس ؛ فبيناهم كذلك ، وقد رأى المسلمون الخلَل ورأى المشركون الظَّفَر ، جاءت المسلمين موادّهم العُظْمى من بنى ناجية ؛ وعليهم الخِرّيتُ بن راشد ، ومن عبد القيس وعليهم سَيْحان بن صُوحان ، وشواذب[٢]

---

(١) س : « رخاما » .

(٢) الشواذب : جمع شاذب ، وهو المتنحى عن وطنه .

عُمان من بنى ناجية وعبد القيس ، فقوّى الله بهم أهلَ الإسلام ، ووهّن الله بهم أهلَ الشِّرْك ؛ فولّى المشركون الأدبار ، فقتلوا منهم فى المعركة عشرة آلاف ، وركبوهم حتى أثخنوا فيهم ، وسَبَوُا الذّرارىّ ، وقسموا الأموال على المسلمين ، وبعثوا بالخمس إلى أبى بكر مع عَرْفجة ، ورأى عِكْرمة وحذيفة أن يقيم حُذَيفة بعُمان حتى يوطّئ الأمور ، ويُسكّن الناس ؛ وكان الخمس ثمانمائة رأس ، وغنموا السوق بحذافيرها . فسار عرفجة إلى أبى بكر بخُمس السَّبْى والمغانم ، وأقام حُذَيفة لتسكين النَّاس ، ودعا القبائل حَوْلَ عُمان إلى سكون[1] ما أفاء الله على المسلمين ، وشواذب عُمان ، ومضى عِكْرمة فى الناس ، وبدأ بمهْرة ، وقال فى ذلك عبّاد الناجىّ :

١/١٩٨٠ لَعَمْرِى لقد لاقَى لَقِيطَ بنَ مالكٍ ... من الشَّرِّ ما أخزى وجوهَ الثعالِبِ

وبادَى أبا بكرٍ ومن هَلَّ فَارْتمَى ... خَليجَانِ مِنْ تيّارِهِ المُتَرَاكِبِ

ولم تَنْهَهُ الأولى ولم يُنْكَأ العِدَا ... فألوَتْ عليه خَيْلُه بالجَنائبِ[2]

* * *

ذكر خبر مَهْرَة بالنّجد

ولمّا فرغ عِكْرِمة وعَرْفجة وحُذَيفة من رِدّة عُمان ، خرج عِكْرمة فى جنده نحو مَهْرة ، واستنصر مَن حول عُمان وأهل عُمان ، وسار حتى يأتى مَهْرة ، ومعه ممّن استنصره من ناجية والأزْد وعبد القيس وراسب وسَعْد من بنى تميم[3] بشرٌ[4] ؛ حتى اقتحم على مَهْرة بلادَها ، فوافق بها جمعَيْن من مَهْرة : أمّا أحدُهما فبمكان من أرض مَهْرة يقال له : جَيْرُوت ، وقد امتلأ ذلك الحيّز إلى نَضَدُون — قاعَيْن من قِيعان مَهْرة — عليهم شخريت ، رجل من بنى شخراة ؛ وأمّا الآخر فبالنَّجد ؛ وقد انقادت

(١) سكون ، بمعنى السكنى ، وهو الإقامة
(٢) ب : « بالجنائب » .
(٣) وهو سعد بن زيد ، وانظر ص ٣٢٧ س ١٤ .
(٤) ز : « يسير » .

مَهْرة جميعًا لصاحب هذا الجمْع ؛ عليهم المُصَبَّح ، ؛ أحد بنى مُحارِب والنَّاس كلُّهم معه ؛ إلاّ ما كان من شخريت ، فكانا مختلفين ؛ كلّ واحد ١ / ١٩٨١ من الرئيسين يدعو الآخر إلى نفسه ، وكلٌّ واحد من الجُنْدَيْن يشتهى أن يكون الفُلْج[١] لرئيسهم ؛ وكان ذلك ممَّا أعان الله به المسلمين وقَوّاهم على عدوّهم ؛ ووهّنهم .

ولما رأى عِكْرِمة قلةَ مَنْ مع شخريت دعاه إلى الرجوع إلى الإسلام ؛ فكان لأوّل الدعاء ، فأجابه ووهَّن الله بذلك المصبَّح . ثم أرسل إلى المصبّح يدعوه إلى الإسلام والرجوع عن الكفر ؛ فاغترّ بكثرة مَن معه ، وازداد مباعدةً لمكان شخريت ، فسار إليه عِكْرِمة ، وسار معه شخريت ، فالتقوْا هم والمصبّح بالنَّجد ؛ فاقتتلوا أشدّ من قتال دَبَا .

ثمَّ إنّ الله كشفَ جنودَ المرتدّين ، وقتل رئيسَهم ، وركبهم المسلمون فقتلوا منهم ما شاءوا ، وأصابوا ما شاءوا ، وأصابوا فيما أصابوا ألْفَىْ نَجيبة ، فخمَّس عِكْرمة الفىء ، فبعثَ بالأخماس مع شخريت إلى أبى بكر ، وقسّم الأربعة الأخماس على المسلمين ، وازداد عِكْرِمة وجنده قوّةً بالظَّهر والمتَاع والأداة ، وأقام عِكْرِمة حتَّى جمعهم على الذى يحبّ ، وجمع أهل النَّجد ؛ أهل رياض[٢] الروضة ، وأهل الساحل ؛ وأهل الجزائر ؛ وأهل المرّ واللّبان وأهل جيْروت ، وظهور الشَّحْر والصَّبَرات ، وينعب ، وذات الخيم ؛ فبايعوا ١ / ١٩٨٢ على الإسلام ، فكتب بذلك مع البشير — وهو السائب أحد بنى عابد من مخزوم — فقدم على أبى بكر بالفتْح ، وقدم شخريت بعده بالأخماس ، وقال فى ذلك عُلْجُوم المحاربىّ :

جزى الله شخريتاً وأفناءَ هَيْثَمٍ ... وفِرْضِمَ إذْسارت إلينا الحلائبُ[٣]

جزَاءَ مُسِيءٍ لَمْ يُرَاقِب لذِمَّةٍ[٤] ... ولم يَرْجُها فيما يُرَجّى الأقاربُ

أعِكْرِمَ لولا جَمْع قومِى وفِعلُهم ... لضاقَتْ عليك بالفَضَاء المذاهب

---

(١) الفلج : الفوز والنصر .

(٢) ط : « رياضة » ، ورياض الروضة : موضع ذكره ياقوت وقال : إنه بأرض مهرة من أقصى اليمن ، له ذكر فى الردة . وانظر ص ٣٣٢ س ٤ ، ١٤

(٣) الحلائب : الجماعات .

(٤) ط « ذمة » ، وما أثبته من ز ، وفى ابن كثير : « لدينه » .

وكنّا كمن إقتاد كفًّا بأختها وحلّتْ علينا فى الدُّهورِ النوائبُ

* * *

ذكر خبر المرتدّين باليمن

قال أبو جعفر : كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن عكرمة وسهل ، عن القاسم بن محمّد ، قال : توُفِّىَ رَسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وعلى مكّة وأرضها عَتّاب بن أسِيد والطّاهر بن أبى هالة ؛ عتّاب على بنى كنانة ، والطّاهر على علكّ ؛ وذلك أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلم قال : اجعلوا عمالة علكّ فى بنى أبيها مَعَدّ بن عدنان ، وعلى الطّائف وأرضها عُثمان بن أبى العاص ومالك بن عوف النّصرىّ ؛ عثمان على أهل المدَر ومالك على أهل الوَبَر أعجازِ هوازن ، وعلى نجران وأرضها عَمْرو بن حزم وأبو سفيان ابن حَرْب ؛ عمرو بن حزم على الصّلاة وأبو سفيان بن حرب على الصَّدَقات ، وعلى ما بين رِمَع وزَبيد إلى حدّ نَجْران خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى هَمْدان كلّها عامر بن شَهْر ، وعلى صنعاء فيروز الدّيلمىّ يسانده[1] داذَوَيْه وقيس بن المكشُوح ، وعلى الجَنَد يعلَى بن أميّة ، وعلى مأرِب أبو موسى الأشعرىّ ، وعلى الأشعرّيين مع علكّ الطّاهر بن أبى هالة ، ومُعاذ بن جبل يعلّم القوم ، يتنقّل[2] فى عَمَل كلّ عامل ، فنَزابهم[3] الأسْود فى حياة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فحارَبَه النبىّ عليه السّلام بالرُّسل والكتب حتى قتله الله ، وعاد أمر النبىّ عليه السلام كما كان قبل وفاة النبىّ عليه السّلام بليلة ؛ إلاّ أنّ مجيئهم لم يحرّك النّاس ، والنّاس مستعدّون[4] له .

١٩٨٣/١

فلمّا بلغهم موتُ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انتقضت اليمن والبلدان ؛ وقد كانت تذبذبَتْ خيولُ العَنْسِىّ — فيما بين نَجْران إلى صَنْعَاء فى

---

(١) ط : « مساندة » وأثبت ما فى ز .

(٢) ب : « ينتقل » .

(٣) نزابهم ، أى وثب .

(٤) س : « يستعدون » .

عرض ذلك البحر – لا تأوى إلى أحد ، ولا يأوى إليها أحدٌ ؛ فعمرو بن معد يكرب بحيال فَرْوة بن مُسَيك ، ومعاوية بن أنس فى فَالَّة العَنْسِيّ يتردّد ؛ ولم يرجع من عمال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلاّ عمرو بن حَزْم وخالد بن سعيد ، ولجأ سائر العمّال إلى المسلمين ؛ واعترض عمرو بن معديكرب خالدَ بن سعيد ، فسلبه الصَّمصامة.

١٩٨٤/١

ورجعت الرُّسل مع مَن رجع بالخبر ، فرجع جرير بن عبد الله والأقرع بن عبد الله ووَبَر بن يُحَنِّس ، فحارب أبو بكر المرتدّة جميعًا بالرسل والكتب ، كما كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حاربهم ؛ إلى أن رجع أسامة بن زيد من الشَّأم ، وحزْر ذلك ثلاثة أشهر ، إلاّ ما كان من أهل ذى حُسًى وذى القَصّة. ثم كان أوّل مصادم عند رجوع أسامة هم[١]. فخرَج إلى الأبرَق فلم يصمُد لقوم فيَفلّهم[١] إلا استنفر مَنْ لم يرتدّ منهم إلى آخرين ، فيفلّ بطائفة من المهاجرين والأنصار والمستنفرة ممن لم يرتدّ إلى الّتى تَليهم ؛ حتى فرَغ من آخر أمور النّاس ، ولا يستعين بالمرتدّين.

فكان أوّل مَنْ كتب إليه عتّاب بن أسيد ، كتب إليه بركوب مَن ارتدّ من أهل عمله بمَن[٢] ثبت على الإسلام ، وعثمان بن أبى العاص بركوب من ارتدّ من أهل عَمَله بمن ثبتَ على الإسلام ، فأما عتّاب فإنّه بعث خالد ابن أسِيد إلى أهل تِهامة ، وقد تجمّعت بها جُمّاعٌ من مُدْلج ، وتأشّب إليهم شُذّاذٌ من خُزَاعة وأفْناء كنانة ، عليهم جُندَب بن سُلْمَى ، أحد بنى شَنوق[٣] ، من بنى مُدْلج ، ولم يكن فى عمل عتّاب جمعٌ غيره ، فالتقوْا بالأبارق ، ففرّقهم وقتلهم ، واستحرّ القتل فى بنى شَنُوق ، فما زالوا أذلاّء قليلاً ، وبرئت عمالةُ عتّاب ، وأفلت جندب ، فقال جندب فى ذلك :

١٩٨٥/١

ندمتُ وأيقنت الغَدَاة بأنّنِى ... أَتيْتُ الّتى يَبْقى على المَرْءِ عارُها
شهدتُ بأنّ اللهَ لا شىءَ غيرُه ... بنى مُدْلج فاللهُ ربّى وجارُها

---

(١) كذا فى ز ، وفى ط : « هو » (٢) س : « ممن » . (٣) س : « شبوق »

وبعث عثمان بن أبي العاص بعثا إلى شَنوءة ، وقد تجمّعت بها جُمّاع من الأزْد وبَجيلة وخَثْعَم ؛ عليهم حُمَيْضة بن النُّعمان ، وعلى أهل الطّائف عثمان بن ربيعة ، فالتقوْا بشنوءة ، فهزموا تلك الجُمّاعَ ، وتفرّقوا عن حُمَيضة وهرب حُمَيضة في البلاد ، فقال في ذلك عثمان بن ربيعة :

فضضنا جَمْعهم والنَّقْعُ كابٍ وقد تُعْدِى على الغَدْرِ الفُتُوقُ
وأَبْرَقَ بارقٌ لمّا التقينـــا فعادت خُلَّبًا تلك البروقُ

* * *

خبر الأخابث من عكّ

قال أبو جعفر : وكان أول منتقض بعد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بتهامة عكّ والأشْعَرُون، وذلك أنّهم حين [١] بلغهم موتُ [١] النبيّ صلّى الله عليه وسلّم تجمّع منهم طَخارير [٢] ، فأقبل إليهم طَخاريرُ من الأشعرين وخَضّم فانضمّوا إليهم ، فأقاموا على الأعلاب طريق الساحل ، وتأشّب إليهم أوزاعٌ على غير رئيس ؛ فكتب بذلك الطاهر بن أبي هالة إلى أبي بكر ؛ وسار إليهم ، وكتب أيضًا بمسيره إليهم ، ومعه مَسْرُوق العكّيّ حتى انتهى [٣] إلى تلك الأوزاع ، على الأعلاب ، فالتقوْا فاقتتلوا ، فهزمهم الله ، وقتلوهم كلّ قِتْلة ؛ وأنْتَنَت السُّبل لقتلِهم ؛ وكان مقتلُهم فتحًا عظيمًا . وأجاب أبو بكر الطّاهر قبل أن يأتيَه كتابه بالفتح :

١٩٨٦/١

بلغني كتابك تخبرُني فيه مسيرَك واستنفارَك مسروقًا وقومَه إلى الأخابث بالأعلاب ، فقد أصبْتَ ، فعاجِلوا هذا الضَّرْب ولا تُرَفِّهوا عنهم ، وأقيموا بالأعلاب حتى يأمَن طريق الأخابث ، ويأتيَكم أمري . فسمِّيَتْ تلك

(١ – ١) س : « حين مات » .
(٢) يقال : جاء في طخارير ؛ أي في أشابة من الناس متفرقين .
(٣) ز : « انتهيا » .

الجموع من علكّ ومَنْ تأشَّب إليهم إلى اليوم الأخابث ، وسُمّى ذلك الطريق طريقَ الأخابث ؛ وقال فى ذلك الطاهر بن أبى هالة :

ووالله لولا اللهُ لاشىء غيرُه ... لَمَا فُضّ بالأجراع جَمْعُ العثاعث[1]

فلم ترَ عينى مِثْلَ يومٍ رأيتُه ... بجَنْب صُحَارٍ فى جموع الأخَابث[2]

قتلْنَاهُمُ ما بين قُنَّـــةِ خامرٍ ... إلى القِيعَة الحمْراء ذات النبائث[3]

وفِئْنَا بأموالِ الأخابث عَنْوَةً ... جِهارًا ولم نَحْفِلْ بتلك الهثاهث[4]

١٩٨٧/١

وعسكر طاهر على طريق الأخابث ، ومعه مسروق فى علكّ ينتظر أمرَ أبى بكر رحمه الله .

* * *

قال أبو جعفر : ولما بلغ أهلَ نَجْران وفاةُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وهم يومئذ أربعون ألف مقاتل ، من بنى الأفْعى ؛ الأمّةِ التى كانوا بها قبل بنى الحارث ؛ بعثوا وفدًا ليجدّدوا عهدًا ، فقدموا إليه[5] فكتب لهم كتابًا :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من عبد الله أبى بكر خليفةِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم لأهل نَجْران ، أجارهم من جُنْده ونفسه ، وأجاز لهم ذمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم إلاّ ما رجع عنه محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأمر الله عزّ وجلّ فى أرضهم وأرض العرب ؛ ألاّ يسكن بها دِينان ؛ أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم[6] وعاديتهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وأسقُفّهم ورهبانهم وبِيَعِهم[7] حيثما وقعت ؛ وعلى ما ملكَت أيديهم من قليل أو كثير ؛ عليهم ما عليهم ، فإذا أدَّوْه فلا

(١) ياقوت ١ : ١٤٦ .
(٢) ياقوت : « بجمع مجاز » .
(٣) ياقوت : « إلى القيعة البيضاء » .
(٤) الهثهثة : التخليط فى الأمر .
(٥) س : « عليه » .
(٦) س : « وحاشيتهم » .
(٧) ب : « وبيعتهم » .

١٩٨٨/١ يُحْشرون ولا يُعَشَّرُون[1] . ولا يغيَّر أسقفٌ من أسقفيّته ، ولا راهبٌ من رَهْبانيَّته ؛ ووفّى لهم بكلِّ ما كتَبَ لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وعلى ما فى هذا الكتاب من ذمّة محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجوار المسلمين . وعليهم النُّصْح والإصلاح فيما عليهم من الحقّ . شهد المِسْوَر بن عمرو ، وعمرو مولى أبى بكر .

وردّ أبو بكر جريرَ بن عبد الله ، وأمَرَه أن يدعوَ من قومه مَن ثبت على أمر الله ، ثم يستنفر مُقْوِيَهم[2] ، فيقاتل بهم مَن ولّى عن أمر الله ، وأمره أن يأتى خَثْعَم ؛ فيقاتل مَن خرج غَضَبًا لذى الخَلَصة ؛ ومَن أراد إعادته[3] حتى يقتلَهم الله ، ويقتلَ مَن شاركهم فيه ؛ ثم يكون وجهه إلى نجْران ، فيقيم بها[4] حتى يأتيَه أمرُه .

فخرج جريرٌ فنفذ[5] لما أمره به أبو بكر ، فلم يقرّ له أحدٌ إلا رجالٌ فى عدّة قليلة ، فقتلهم وتتبّعهم ؛ ثمّ كان وجهه إلى نَجْران ، فأقام بها انتظارًا أمرَ أبى بكر رحمه الله .

وكتب إلى عثمان بن أبى العاص أن يضرِب بعثًا على أهل الطّائف على كلِّ مخْلاف بقدْره ، ويولّيَ عليهم رجلا يأمنه ويثِق بناحيته ؛ فضرب على كلِّ مخلاف عشرين رجلا ، وأمّر عليهم أخاه .

وكتب إلى عتّاب بن أسِيد ؛ أن اضرب على أهلِ مكّة وعملها
١٩٨٩/١ خمسمائة مُقْوٍ ؛ وابعث عليهم رَجُلاً تأمَنُه ، فسمّى مَن يبعث ، وأمّر عليهم خالد بن أسِيد ؛ وأقام أميركلِّ قوم ، وقاموا على رِجْلٍ[6] ليأتيَهم أمر أبى بكر ، وليمرّ عليهم المهاجر .

* * *

(١) ز : « يعسرون » .
(٢) ز : « مقوتهم » ومقويهم : القوى بنفسه ودابته .
(٣) ز : « إعادتهم » .
(٤) ب : « به » .
(٥) ز : « فنفر » .
(٦) قاموا على رجل كما يقال : قاموا على قدم وساق .

رِدّة أهل اليمن ثانية

قال أبو جعفر : فممّن ارتدّ ثانية منهم ، قيس بن عبد يغوث المكشوح[1] ؛ كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، قال : كان من حديث قيس فى رِدّته الثانية ، أنه حين وقع إليهم الخبر بموت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انتكث ، وعمل فى قتل فيروز وداذويه وجُشَيْش ، وكتبَ أبو بكر إلى عُمير ذى مُرّان وإلى سعيد ذى زود وإلى سَمَيْفَع ذى الكَلاع ، وإلى حَوْشب ذى ظُلَيْم ، وإلى شَهْر ذى يناف ؛ يأمرهم بالتمسك بالذى هم عليه ، والقيام بأمرِ الله والنّاس ، ويعدهم الجنود :

من أبى بكر خليفة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عُمَير بن أفْلَح ذى مُرّان ، وسعيد بن العاقب ذى زُود ، وسَمَيْفَع بن ناكُور ذى الكَلاع وحَوْشب ذى ظُلَيم ، وشهر ذى يناف . أمّا بعد ، فأعينوا الأبناء على مَنْ ناوَأهم وحُوطوهم واسمعوا مِنْ فيروز ، وجِدّوا معه ، فإنى قد وليّتُه .

كتب إلىّ السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عن عُروة بن غزيّة الدَّثِينِىّ ، قال : لمّا ولِىَ أبُو بكرٍ أمّر فيْروز ؛ وهم قبل ذلك متساندون ؛ هو وداذويه وجُشَيش وقيس ؛ وكتب إلى وجوه مِن وجوه أهل اليمن ؛ ولما سمع بذلك قيس أرسل إلى ذى الكَلاع وأصحابه : إنّ الأبناء نُزّاع فى بلادكم ، ونُقَلاء فيكم[2] ؛ وإن تتركوهم لن يزالوا عليكم ؛ وقد أرَى من الرأى أن أقتُل رءوسهم ، وأخرِجهم من بلادنا . فتبرّءوا ، فلم يمالِئوه ولم ينصروا الأبناء ، واعتزلوا وقالوا : لسنا ممّا ها هنا فى شىء ، أنت صاحبُهم وهم أصحابك . ١٩٩٠/١

فتربّص لهم قيس ، واستعدّ لقتل رؤسائهم وتسيير عامّتهم ؛ فكاتب قيس تلك الفالّة السيّارة اللَّحْجيّة ؛ وهم يصعّدون فى البلاد ويصوّبون ،

---

(١) المكشوح لقب عبد يغوث بن هبيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر المرادى . وانظر التاج (كشح) .

(٢) النزاع : جمع نازع ؛ وهو الغريب . والنقلاء : جمع نقيل ؛ وهو الغريب أيضاً .

محاربين لجميع مَن خالفهم ؛ فكاتبهم قيس فى السرّ ؛ وأمرهم أن يتعجّلوا إليه ؛ وليكون أمره وأمرهم واحدًا ؛ وليجتمعوا[1] على نفى الأبناء من بلاد اليمن . فكتبوا[2] إليه بالاستجابة له ، وأخبروه أنهم إليه سِراعٌ ؛ فلم يَفْجأ أهلَ صنعاء إلا الخبر بدنوّهم منها ، فأتى قيس فيروزَ فى ذلك كالفَرِق من هذا الخبر وأتى داذويه ؛ فاستشارهما لِيَلْبِس عليهما ، ولئلاّ يتّهماه ، فنظروا فى ذلك واطمأنّوا إليه .

ثم إن قيسًا دعاهم من الغد إلى طعام ، فبدأ بداذويه ، وثنّى بفيروز ، وثلّث بجشيش ؛ فخرج داذويه حتى دخلَ عليه ؛ فلمّا دخل عليه عاجله فقتله ، وخرج فيروز يسير حتى إذا دنا سمع امرأتيْن على سطحين تتحدّثان ، فقالت إحداهما : هذا مقتول كما قُتِل داذويه ؛ فلقيهما ، فعاج حتى يرى أوِىَّ القوم الذى أرْبَثوا[3] ، فأخْبِر برجوع فيروز ؛ فخرجوا يركُضون ، وركض فيروز ، وتلقّاه جُشَيْش ، فخرج معه متوجّهًا نحو جبل خَوْلان – وهم أخوال فيروز – فسبقا الخيول إلى الجبل ، ثم نزلا ، فتوقّلا وعليهما خِفافٌ ساذجة ، فما وصلا حتى تقطّعت أقدامُهما ، فانتهيا إلى خَوْلان وامتنع فيروز بأخواله ، وآلى ألاّ ينتعل ساذجًا ، ورجعتْ الخيول إلى قيس ؛ فثار بصنعاء فأخذها ، وجَبَى ما حولها ، مقدّمًا رِجْلاً ومؤخّرًا أخرى ، وأتته خيول الأسود . ولمّا أوى فيروز إلى أخواله خَوْلان فمنعوه وتأشّب إليه الناس ، كتب إلى أبى بكر بالخَبَر . فقال قيس : وما خولان! وما فيروز ! وما قَرار أوَوْا إليه ! وطابق على قيس عوامٌ قبائل مَن كتب أبو بكر إلى رؤسائهم ، وبقى الرؤساء معتزلين ، وعمَد قيسٌ إلى الأبناء ففرّقهم ثلاث فرق : أقرّ مَنْ أقام وأقرّ عياله ، وفرّق عيال الذين هربوا إلى فيروز فرقتَيْن ؛ فوجّه إحداهما إلى عَدَن ؛ ليُحمَلوا فى البحر ، وحمل الأخرى فى البرّ ، وقال لهم جميعًا : الحقوا بأرضكم ؛ وبعث معهم مَنْ يسيّرهم ؛ فكان عيال الديلميّ ممّن سُيِّر فى البرّ

١ / ١٩٩١

(١) س : « وأن يجتمعوا » . (٢) ز : « فقاموا » .
(٣) أربثوا : أشرفوا علوا .

١٩٩٢/١ وعيال داذويه ممن سُيِّرَ فى البحر ؛ فلمّا رأى فيروز أن قد اجتمع عوامّ أهلِ اليمن علىَ قيس ؛ وأنّ العيال قد سيّروا وعرّضهم للنّهب ، ولم يجد إلى فراق عسكره فى تنقّذِهم سبيلا ؛ وبلغه ما قال قيس فى استصغاره الأخوال والأبناء ، فقال فيروز منتميًا ومفاخرًا وذكر الظُّعْن :

ألا ناديا ظُعْنًا إلى الرّمْل ذى النَّخْلِ ... وقولاَ لها ألاَّ يُقالَ ولا عَذْلِ

وما ضَرَّهم قولُ العُدَاةِ لو انه(١) ... أتى قَوْمه عن غير فحش ولا بُخْلِ

فَدَعْ عنك ظُعنا بالطريق التى هَوَتْ ... لِطِيّتِها صَمْدَ الرِّمَالِ إلى الرَّمْلِ(٢)

وإنّا وإن كانت بصَنْعَاءَ دارُنا(٣) ... لنا نَسْلُ قوم مِنْ عَرَانينهم نَسْلِى

ولَلدَّيْلَمُ الرَّزَّامُ من بعد باسِلٍ(٤) ... أَبِى الخفْضَ وَاخْتَارَ الحَرورعلى الظِّلِّ

وكانت مَنَابِتُ العراق جِسَامُها ... لرَهْطى إذا كسرى مَرَاجِلُهُ تَغْلِى

وباسِلُ أَصْلِي إن نَميْتُ ومَنْصبِى ... كما كلُّ عود مُنْتهاه إلى الأصل

هُمُ تركُوا مَجْرَاىَ سَهْلا وحَصّنوا ... فجاجِى بحسن القَوْلِ والحَسَبِ الجَزْلِ ١٩٩٣/١

فما عزّنا فى الجَهْل من ذى عَدَاوة ... أبى الله إلا أنْ يعزّ على الجَهْلِ

ولا عاقنا فى السِّلْم عن آل أَحْمَدِ ... ولا خسَّ فى الإسلام إذ أسْلَمُوا قَبْلِى

وإنْ كان سَجْلٌ من قَبِيلِى أرَثَّنِى ... فإنى لَرَاجٍ أن يُغرِّقهمْ سَجْلِي

وقام فيروز فى حربه ، وتجرّد لها ، وأرسل إلى بنى عُقَيْلِ بن ربيعة بن عامر بن صعصعة رسولاً بأنه متخفّر بهم ، يستمدّهم ويستنصرهم فى ثِقَله على الّذين يزعجون أثقال الأبناء ، وأرسل إلى علكّ رسولا يستمدّهم ويستنصرهم على الّذين يزعجون أثقال الأبناء . فركبت عُقَيل وعليهم رجل من الحُلفاء يقال له معاوية ، فاعترضوا خيل قَيْس فتنقّذوا أولئكَ العيال ، وقتلوا الذين سيّروهم ، وقصروا عليهم القرى ؛ إلى أن رجع فيروز إلى

---

(١) ط : « أثرى » ، وأثبت ما فى ب .
(٢) س : « صم الرمال » .
(٣) ط : « فإن كانت بصنعاء » وما أثبته من س .
(٤) ب ، س : « والديلم » .

صَنْعاء ، ووثبت علكّ ؛ وعليهم مسروق ، فساروا حتى تنقّذوا عيالات الأبناء ، وقصروا عليهم القرى ، إلى أن رجع فَيْروز إلى صَنْعاء ، وأمدّت عَقَيل وعكّ فيروز بالرّجال ،فلما أتته أمدادُهم — فيمن كان اجتمع إليه — خرج فيمن كان تأشَّب إليه ومن أمَدّه من علكّ وعُقيل ، فناهد قيساً فالتقوْا دون صَنْعاء ، فاقتتلوا فهزَم الله قيساً فى قومه ومَن أنهضوا ، فخرج هارباً فى جنده حتّى عاد معهم ، وعادوا إلى المكان الذى كانوا به[(١)] مبادِرين حين هربوا بعد مقتل العنسىّ ، وعليهم قيس ، وتَذَبْذَبَتْ[(٢)] رافضة العنسىّ وقيس معهم فيما بين صنعاء ونَجْران ، وكان عمرو بن معديكرب بإزاء فَرْوة بن مُسَيْك فى طاعة العَنْسِىّ .

١/١٩٩٤

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن عطيَّة ، عن عمرو بن سلَمة ، قال : وكان من أمر فَرْوة بن مُسَيك أنه كان قَدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مُسْلِماً ، وقال فى ذلك :

لمّا رأيتُ ملوكَ حِمْيَرَ أعرَضَتْ كالرِّجْلِ خان الرِّجْلَ عِرْقُ نَسائِها
يمّمتُ راحلتى أمام محمّدٍ أرْجُو فواضلَها وحُسْنَ ثَنَائِها

وقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما قال له : هل ساءَك ما لقِىَ قومُك يوم الرَّزْم يا فروة أو سرّك ؟ قال : ومن يُصَبْ فى قومه بمثل الذى أصِبْتُ به فى قومى يوم الرَّزْم إلا ساءه ذلك[(٣)] !

وكان يوم الرَّزْم بينهم وبين هَمْدان على يغوث ؛ وثَنٍ كان يكون فى هؤلاء مرّة وفى هؤلاء مرّة ، فأرادت مراد أن تغلبهم عليه فى مرّتهم ، فقتلتهم هَمْدان ، ورئيسهم الأجدع أبو مسروق ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أما إن ذلك لم يزدهم فى الإسلام إلا خيراً ؛ فقال : قد سرّنى إذ كان ذلك ، فاستعمله رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم علَى صدقات مُراد ومَن نازلهم أو نزل دارهم . وكان عمرو بن معديكرب قد فارق قَومه سعد العشيرة فى بنى زُبيد وأحلافها ، وانحاز

١/١٩٩٥

(١) ب : « فيه » . (٢) ز : « وتذبذب » .
(٣) انظر ص ١٣٥ ، ١٣٦ من هذا الجزء .

إليهم ، وأسلم معهم ؛ فكان فيهم ، فلمّا ارتدّ العنسيّ واتّبعه عوامّ مذحِج ، اعتزل فَرْوة فيمَن أقام معه على الإسلام ، وارتدّ عمرو فيمن ارتدّ ، فخلّفه العنسيّ ، فجعله بإزاء فَرْوة ، فكان بحياله ، ويمتنع كلٌّ واحد منهما لِمكان صاحبه من البَرَاح ، فكانا يتهاديان الشعر ، فقال عمرو يذكر إمارة فَرْوَةَ ويعيبها :

وَجَدْنَا مُلكَ فَرْوَةَ شَرَّ مُلْكٍ حِمَارًا سافَ مَنْخِرُهُ بقَذْرِ
وكنتَ إذا رأيتَ أبا عُمَيْرٍ ترى الحُوَلاء من خُبْثٍ وَغَدْرِ

فأجابه فَرْوة :

أتانى عَنْ أبِى ثَوْر كلامٌ وقِدْماً كان فى الأبغال يَجْرِى
وكان اللهُ يُبْغِضُــــهُ قَدِيماً عَلَى ما كان من خُبْثٍ وَغَدْرِ

فبيناهم كذلك قدم عكرمة أبْيَن.

* * *

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم وموسى بن الغصن ، عن ابن مُحَيْرِيز ، قال : فخرَج عكرمة من مَهْرة سائرًا نحو اليمن حتى وَرَد أبْيَن ، ومعه بشَرٌ كثير من مَهْرة ، وسعد بن زيد ، والأزد ، وناجية ، وعبد القيس، وحُدْبان من بنى مالك بن كنانة ، وعمرو بن جندب من العَنْبَر ، فجمع النَّخَع بعد من أصاب[1] من مدبِّريهم ١٩٩٦/١ فقال لهم : كيف كنتم فى هذا الأمر ؟ فقالوا له : كنّا فى الجاهليّة أهل دينٍ ، لا نَتعاطَى ما تتعاطَى العرب بعضها من بعض ، فكيف بنا إذا صرنا إلى دينٍ عرفنا فضلَه ، ودخلَنا حبُّه ! فسأل عنهم فإذا الأمر كما قالوا ، ثبت عوامّهم وهربَ مَن كان فارق من خاصّتهم ، واستبرأ النَّخَع وحِمْيَر ، وأقام لاجتماعهم ، وأرَزَ قيس بن عبد يغوث لهبوط عِكْرِمة إلى اليمن إلى عمرو بن معديكرب، فلَما ضامَّه[2] وقع بينهما تَنَازُعٌ ، فتعايَرا ، فقال

---

(١) ز : « ما أصاب » .

(٢) ضامه ، بمعنى ضمه ، يقال : نهض للقتال وضامه قومه .

عمرو بن معد يكرب يُعَيِّر قيساً غَدْرَه بالأبناء وقتْله داذويه ، ويذكر فراره من فيروز :

غَدرتَ ولم تُحْسِنْ وَفَاءً ولم يكُنْ ليَحْتمل الأسبابَ إلّا المعوَّدُ
وكيف لقَيْسٍ أن يُنَوِّط نفسَه إذا ماجرى والمَضْرِحيُّ المسوَّدُ(١)!

وقال قيس :

وفَيْتُ لقومي وَاُحْتَشدتُ لمَعْشَرٍ أصابوا على الأحياء عَمْرًا ومَرْثَدَا
وكنتُ لدَى الأبناء لمّا لقيتُهم كأصيَدَ يسمو بالعَزَازة أصْيدَا

وقال عمرو بن معديكرب :

فما إنْ داذَوَيْ لكُمُ بفَخْرٍ ولكن داذَوَيْ فضَحَ الذِّمَارَا
وفيروزٌ غَدَاةَ أصاب فيكمْ وأَضْرَبَ فى جموعكمُ اسْتَجَارا(٢)

• • •

١/١٩٩٧

ذكر خبر طاهر حين شخص مَدَدًا لفيروز

قال أبو جعفر الطبرى رحمه الله : قد كان أبو بكر رحمه الله كتبَ إلى طاهر بن أبي هَالَة بالنّزول إلى صنعاء وإعانة(٣) الأبناء ؛ وإلى مسروق ، فخرجا حتى أتَيَا صنْعاء ، وكتب إلى عبد الله بن ثَوْر بن أصغر ، بأن يجمع إليه العرَب ومن استجاب له من أهل تِهامة ، ثم يقيم بمكانه حتى يأتيَه أمرُه .

وكان أوّلَ رِدّة عمرو بن معديكرب أنّه كان مع خالد بن سعيد فخالفه ، واستجاب للأسود ، فسار إليه خالد بن سعيد حتى لقيَه ؛ فاختلفا ضربتين ، فضربه خالد على عاتقه فقطع حِمالةَ سَيْفِه فوقعَ ، ووصلت الضربة إلى عاتقه ، وضربه عمرو فلم يصنع شيئًا ، فلمّا أراد خالد أن يُثنّيَ عليه نزل فتوقّل(٤) فى الجبل ، وسَلَبَه فرسه وسيفَه الصَّمْصامة ،

(١) ينوط نفسه : يكرمها . والمضرحي : السيد الكريم . (٢) ب ، س : « وأصوب » .
(٣) س : « فى إعانة » . (٤) توقل فى الجبل : صعد فى أعلاه .

ولحَّج عمرو فيمن لحَّج[1]. وصارت إلى سعيد بن العاص الأصغر مواريثُ آل سعيد بن العاص الأكبر . فلمَّا ولِيَ الكوفة عرض عليه عمرو ابنته ، فلم يقبلْها ، وأتاه فى داره بعدّة سيوف كان خالد أصابها باليمن ، فقال : أيّها الصَّمصامة ؟ قال : هذا ، قال : خذه فهو لك ، فأخذه ، ثم آكف بغلاً له فضرب الإكاف فقطعه والبرذعة ؛ وأسرع فى البغل ، ثم ردّه على سعيد ، وقال : لو زرتَنِي فى بيتِي وهو لِي لوهبتُه لك ، فما كنت لأقبلَه إذ وقع .

١٩٩٨/١ كتب إلىَّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المُسْتَنير بن يزيد عن عُرْوة بن غَزيّة وموسى ، عن أبى زُرْعة السَّيبانىّ ، قال : ولما فَصَل المهاجر بن أبى أميَّة من عند أبى بكر — وكان فى آخر مَنْ فَصَل — اتَّخذ مكة طريقًا ، فمرّ بها فاتَّبعه خالد بن أسيد ، ومرّ بالطائف فاتَّبعه عبد الرحمن بن أبى العاص ، ثم مضى حتى إذا حاذَى جرير بن عبد الله ضمَّه إليه ، وانضمّ إليه عبد الله بن ثَوْر حين حازَاه ، ثم قدِم على أهل نَجْران ؛ فانضمّ إليه فَرْوة بن مُسَيك ، وفارق عمرو بن معدِيكرب قيسا ، وأقبل مستجيبًا ؛ حتى دخل على المهاجر على غير أمان ؛ فأوثقه المهاجر ؛ وأوثق قَيْسًا ، وكتب بحالهما إلى أبى بكر رحمه الله ، وبعث بهما إليه . فلَّما سار المهاجر من نَجْران إلى اللحجيّة ، والتفَّت الخيول على تلك الفالّة استأمنوا ، فأبى أن يؤمِّنَهم ، فافترقوا فرقتين ؛ فلقىَ المهاجر إحداهما بعجيب ، فأتى عليهم ، ولقيَتْ خيولُه الأخرى بطريق الأخابث ، فأتوْا عليهم — وعلى الخيول عبدُ الله — وقتل الشُّرَداء بكلّ سبيل ، فقُدِم بقيس وعمرو على أبى بكر ، فقال : يا قيس ، أعدوْتَ على عباد الله تقتلهم وتتّخذ المرتدّين والمشركين وليجَةً من دون المؤمنين ! وهمّ بقتله لو وجد أمرًا جليًّا . وانتفى قيس من أن يكون قارف من أمر داذويه شيئًا ، وكان ١٩٩٩/١ ذلك عملاً عُمِل فى سِرّ لم يكن به بيِّنَةٌ ، فتجافَى له عن دمه ، وقال لعمرو ابن معديكرب : أما تخزَى أنّك كلّ يوم مهزوم أو مأسور ! لو نصرت هذا

---

(١) لحج ، أى ذهب إلى لحج مع المرتدين الذين ذهبوا إليها ، وهم اللحجية .

الدين لرفعك الله . ثم خلَّى سبيله ، وردَّهما إلى عشائرهما ، وقال عمرو : لا جَرَمَ ! لأقبلنّ ولا أعود .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير وموسى قالا : سار المهاجِر من عجيب ، حتى ينزل[1] صَنْعاء ، وأمر أن يتَّبعوا شُذَّاذ[2] القبائل الذين هربوا ؛ فقتلوا مَنْ قَدَرُوا[3] عليه منهم كلّ قِتْلة ، ولم يُعْفِ متمرّدًا ، وقبل توبةَ من أناب من غير المتمرّدة ؛ وعملوا فى ذلك على قَدْرِ ما رأوا من آثارهم ، ورجَوا عندهم . وكتب إلى أبى بكر بدخوله صنعاء وبالذى يتّبع من ذلك .

* * *

ذكر خبر حَضْرموت فى ردّتهم

قال أبو جعفر : كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ابن يوسف ، عن الصَّلْت ، عن كَثير بن الصَّلْت ، قال : مات رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وعُمَّاله على بلاد حَضْرموت : زياد بن لَبيد البياضيّ على حَضْرموت ، وعُكَّاشة بن مِحْصَن على السَّكاسِك والسَّكون ، والمهاجر على كِنْدة — وكان بالمدينة لم يكن خرج حتى توفِّيَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فبعثه أبو بكر بعد إلى قتال مَن باليمن والمُضِيّ بعد إلى عمله . ١/٢٠٠٠

كتب إليّ السريّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبى السائب ، عطاء ابن فلان المخزوميّ ، عن أبيه ، عن أمّ سَلَمة والمهاجر بن أبى أمية ، أنّه كان تخلَّف عن تَبوك ، فرجع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو عليه عاتبٌ ؛ فبينا أمّ سلَمة تغسل رأس رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، قالت : كيف ينفعنى شيء وأنت عاتب على أخي ! فرأت منه رِقَّة ؛ فأومأت إلى خادمها ؛ فدعتْه ، فلم يزل برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يَنْشُر عُذْرَه حتى

---

(١) س : « نزل » . (٢) س : « شراد » . (٣) ز : « عليهم »

عَذَرَه ورضِيَ عنه وأمَّره على كِنْدة . فاشتكى ولم يطق الذَّهاب ؛ فكتب إلى زياد ليقوم له على عمله . وبَرَأ بعد ، فأتَمَّ له أبو بكر إمْرَتَه ، وأمره بقتال مَن بين نَجْران إلى أقصى اليمن ؛ ولذلك أبطأ زياد وعُكّاشة عن مناجزة كندة انتظارًا له .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ؛ قال : كان سبب رِدّة كِنْدة إجابتَهم الأسود العنسىّ حتى لعن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الملوك الأربعة ، وأنَّهم قبل رِدّتهم حين أسلموا وأسلم أهل بلاد حَضْرَموت كلّهم أمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بما يوضع من الصَّدقات أن يوضَع صدقة بعض حَضْرموت فى كِنْدة ، وتوضع[1] صدقة كِنْدة فى بعض حضْرموت ، وبعض حضْرموت فى السَّكُون والسَّكون فى بعض حَضْرموت. فقال نفرٌ من بنى وَلِيعة : يا رسولَ الله ، إنَّا لسنا بأصحاب إبل ؛ فإن رأيت أن يبعثوا إلينا بذلك على ظَهْر ! فقال : إن رأيتم ! قالوا : فإنَّا ننظر ، فإنْ لم يكن لهم ظَهْرٌ فعلنا . فلمَّا توفّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وجاء ذلك الإبّان ، دعا زياد الناس إلى ذلك ، فحضروه ، فقالت بنو وَلِيعة: أبلغونا كما وعدتم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فقالوا : إنّ لكم ظهرًا ، فهلمّوا فاحتملوا ، ولاحَوْهم ؛ حتى لاحوْا زيادا ؛ وقالوا له : أنت معهم علينا . فأبى الحضرميُّون ، ولجّ الكِنْديُّون ، فرجعوا إلى دارهم ، وقدّموا رِجْلاً وأخّروا أخرى ، وأمسك عنهم زياد انتظارًا للمُهاجر ؛ فلمّا قدم المهاجر صنعاء ، كتب إلى أبى بكر بكلّ الذى صنَع ، وأقام حتى قدم عليه جواب كتابه من قِبَل أبى بكر ؛ فكتب إليه أبو بكر وإلى عكرمة ، أن يسيرا حتى يقدَما حضرموت ، وأقِرّ زيادًا على عَمله ، وأذَنْ لمن معك من بين مكّة واليمن فى القَفْل ؛ إلا أن يؤثر قوم الجهاد . وأمِدّه بعُبَيْدة ابن سعد . ففعل ؛ فسار المُهاجر من صَنْعاء يريد حضرموت ، وسار عِكْرمة من أبْيَنَ يريد حضْرموت ، فالتقيا بمأرِب ؛ ثم فَوّزا[2] من صَهيد ؛ حتى اقتحما حَضْرموت ، فنزل أحدُهما على الأشعث والآخر على وائل .

١ / ٢٠٠١

---

(١) ط : « ووضع » ، وانظر التصويبات .
(٢) فوزا : سلكا المفازة .

كَتب إلىّ السرىّ ، عن شُعَيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن كَثير بن الصَّلْت ؛ قال : وكان زياد بن لبيد حين رجع الكِنْديّون ولجُّوا ولجّ الحضرميون ، ولى صدقات بنى عمرو بن معاوية بنفسه ، فقدِم عليهم وهم بالرّياض ، فصدّق أوّل مَن انتهى إليه منهم ؛ وهو غلام ، يقال له شيْطان بن حُجْر ؛ فأعجبته بَكْرة من الصّدقة ، فدعا بنارٍ فوضع عليها الميسَم ، وإذا النّاقة لأخى الشيطان العَدّاء بن حُجْر ، وليست عليه[1] صدقة ، وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها وظنّها غيرها ؛ فقال العدّاء : هذه شَذْرة باسمها ؛ فقال الشيطان : صدق أخى ؛ فإنى لم أعْطِكموها إلاّ وأنا أراها غيرها ؛ فأطلِق شذرة وخذ غيرها ، فإنّها غير متروكة . فرأى زياد أنّ ذلك منه اعتلال ، واتّهمه بالكفر ومباعدة الإسلام وتَحَرّى الشرّ . فَحَمِىَ وحَمِىَ الرجلان ، فقال زياد : لا ولا تَنْعَم ؛ ولا هى لك ؛ لقد وقع عليها ميسَم الصدقة وصارت فى حقّ الله ، ولا سبيل إلى ردّها ، فلا تكوننّ شذرة عليكم كالبَسُوس ؛ فنادى العدّاء : يا آل عمرو ، بالرياضِ أضامُ وأضطَهد ! إن الذليل مَنْ أكِل فى داره ! ونادى : يا أبا السُّمَيْط ، فأقبل أبو السّميط حارثة بن سُراقة بن معديكرب ؛ فقصد لزياد بن لَبِيد وهو واقف ، فقال : أطلِق لهذا الفتى بَكْرته ، وخذ بعيرًا مكانها ، فإنّما بعير مكان بعير ، فقال : ما إلى ذلك سبيل ! فقال : ذاك إذا كنتَ يهوديًّا ! وعاج إليها ، فأطلق عِقالها ، ثم ضرب على جَنْبها ؛ فبعثها وقام دونها ، وهو يقول :

يَمنعُها شيخٌ بخدَّيْه الشَّيْبْ مُلَمَّعٌ كما يُلَمَّع الثَّوْبْ

فأمر به زياد شبابًا من حضْرموت والسَّكون ، فمغثوه[2] وتوطَّئوه ، وكتفوه[3] وكتفوا أصحابه ، وارتهنوهم ، وأخذوا البَكْرة فعقلوها كما كانت ؛ وقال زياد ابن لَبِيد فى ذلك :

(١) س : « وليس عليه » .

(٢) مغثوه : نالوه بالأيدى ، وفى ابن الأثير : « فنعوه » .

(٣) كتفوه : أصابوا كتفه ، أو ضربوه عليها .

١/٢٠٠٢
١/٢٠٠٣

لم يمنعِ الشَّذْرَةَ أرْكُوبُ والشَّيْخُ قد يَثْنيهِ أرْجُوبُ

وتصايح أهلُ الرِّيَاض وتنادَوْا ، وغَضِبَتْ بنو معاوية لحارثة ، وأظهروا أمرهم ، وغضبت السَّكُون لزياد ، وغضبت له حَضْرموت ، وقاموا جميعاً دونه . وتَوافَى عسكران عظيمان من هؤلاء وهؤلاء ؛ لا تُحْدث بنو معاوية لمكان أسَرائهم شيئًا ، ولا يجد[1] أصحاب زياد على بنى معاوية سبيلا يتعلَّقون به عليهم ؛ فأرسل إليهم زياد : إمَّا أن تَضَعُوا السِّلاح ، وإما أن تُؤذِنوا بحرْب ؛ فقالوا : لا نضع السِّلاح أبدًا حتى ترسِلوا أصحابنا ، فقال زياد : لا يُرْسَلون أبدًا حتى ترفضُّوا وأنتم صَغَرَةٌ قَمَأة . يا أخابثَ النَّاس ، ألستم سكَّانَ حَضْرموت وجيران السَّكون ! فما عسيتم أن تكونوا وتصنعوا فى دار حَضْرموت ؛ وفى جنوب مواليكم! وقالت له السَّكون : ناهِد القوم ، فإنه لا يفطِمُهم إلاّ ذلك ، فنَهد إليهم ليلاً ، فقتل منهم ، وطاروا عَبادِيد ، وتمثّل زياد حين أصبح فى عسكرهم :

وكنتُ امرأً لا أبعثُ الحربَ ظالماً فلما أبَوْا سامَحتُ فى حَرْبِ حاطِبِ

ولمَّا هرب القوم خَلَّى عن النفر الثلاثة ؛ ورجع زياد إلى منزله على الظَّفر . ولما رجع الأسَراء إلى أصحابهم ذَمَّرُوهم فتذامروا ، وقالوا : لا تصلح البلدة علينا وعلى هؤلاء حتى تخلُوَ لأحد الفريقين . فأجمعوا وعسكروا جميعًا ، ونادَوْا بمنع الصدقة ، فتركهم زياد لم يخرج إليهم ، وتركوا المسير إليه . وأرسل إليهم الحُصَين بن نمَير ، فما زال يُسْفِر فيما بينهم وبين زياد وحَضْرموت والسَّكُون حتى سكن بعضهم عن بعض ؛ وهذه النَّفْرة الثانية ، وقال السَّكُونىّ فى ذلك :

١/٢٠٠٤

لَعمْرِى وما عمرى بعُرْضةِ جانبٍ ليَجْتَلِبُنْ منهـــا المرارَ بنو عَمْرِو
كَذَبْتُمْ و بيتِ الله لا تَمْنَعونها زياداً، وقد جئنـــــا زياداً على قَدْرِ

---

(١) كذا فى ب ، وفى ط : « تجد »

فأقاموا بعد ذلك يسيرًا . ثم إن بنى عمرو بن معاوية خصوصًا خرجوا إلى المحاجِر ، إلى أحماء حَمَوْها ، فنزل جَمَد محجرًا ، ومِخْوص محجرًا ، ومِشْرح محجرًا ، وأبضَعة محجرًا ، وأختهم العَمَرَّدة محجرًا – وكانت بنو عمرو ابن معاوية على هؤلاء الرُّؤساء – ونزلت بنو الحارث بن معاوية محاجرها ، فنزل الأشعث بن قيس مَحْجَرًا ، والسِّمط بن الأسود محجرًا ، وطابقت معاوية كلُّها على منع الصدقة ، وأجمعوا على الرِّدّة إلا ما كان من شُرَحبيل بن السِّمط وابنه ، فإنهما قاما فى بنى معاوية ، فقالا : والله إنَّ هذا لَقبيحٌ بأقوام أحرار التنقُّل ؛ إنّ الكرام ليكونون على الشُّبهة فيتكرّمون أن يتنقّلوا منها إلى أوْضَح منها مخافة العار ؛ فكيف بالرجوع عن الجميل ، وعن الحقّ إلى الباطل والقبيح ! اللهمّ إنّا لا نمالئ قومنا على هذا ، وإنّا لَنادمون على مجامعتهم إلى يومنا هذا – يعنى يوم البكرة ويوم النُّفرة – وخرج شُرَحبيل بن السِّمط وابنه السِّمط ؛ حتى أتيا زياد بنَ لَبيد ، فانضمَّا إليه ، وخرج ابن صالح[1] وامرؤ القيس بن عابس ؛ حتى أتيا زيادًا ، فقالا له : بَيِّتِ القوم ، فإنَّ أقوامًا من السَّكاسك قد انضموُّا[2] إليهم ، وقد تسرّع إليهم قوم من السَّكُون وشُذّاذ من حَضْرموت ، لعلَّنا نُوقع بهم وَقْعة تُورث بيننا عداوة ، وتفرِّق بيننا ؛ وإن أبيتَ خشينا أن يرفضّ[3] الناس عنَّا إليهم ؛ والقوم غارّون[4] لمكان مَن أتاهم ، راجون لمن بقِيَ . فقال : شأنَكم . فجمعوا جمعَهم ، فطرقوهم فى محاجِرهم ، فوجدوهم حول نيرانهم جلوسًا ، فعرفوا مَن يريدون ، فأكبُّوا على بنى عمرو بن معاوية ؛ وهم عدَد القوم وشوكتهم ، من خمسة أوجه فى خمس[5] فرق ، فأصابوا مشرحًا ومخوصا وجَمَدا وأبضَعة وأختهم العمَرَّدة ، أدركتهم اللعنة ، وقتَلوا فأكثروا ، وهرب مَنْ أطاق الهرَب ، ووُهِنت[6] بنو عمرو بن معاوية ، فلم يأتوا بخير بعدها ، وانكفأ زياد بالسَّبْى والأموال ، وأخذوا طريقًا

١/٢٠٠٥

---

(١) ز : « قيس » .
(٢) ب : « انتموا » .
(٣) س : « ترفض » .
(٤) ز : « عازون » .
(٥) س : « وخمس » .
(٦) ز : « ووهت » .

يُفْضِي بهم إلى عَسْكر الأشعث وبنى الحارث بن معاوية ؛ فلمَّا مرُّوا بهم فيه استغاث نسوةُ بنى عمرو بن معاوية ببنى الحارث ونادينه : يا أشعث ، يا أشعث! خالاتك خالاتك ! فثار فى بنى الحارث فتنقّذهم — وهذه الثالثة — وقال الأشعث :

منعتُ بنى عمرو وقد جاء جمعُهُمْ ... بأمْعَزَ من يوم البضيض وأصبَرا

وعلم الأشعث أنّ زياداً وجنْده إذا بلغهم ذلك لم يُقلعوا عنه ولا عن بنى الحارث بن معاوية وبنى عمرو بن معاوية ، فجمع إليه بنى الحارث بن معاوية وبنى عمرو بن معاوية ، ومَن أطاعه من السَّكاسك والخَصائص مِن قبائل ما حولهم ، وتباين لهذه الوقعة مَن بحضْرموت من القبائل ، فثبتَ أصحاب زياد على طاعةِ زياد ، ولجَّتْ كِنْدة ، فلَّما تباينت القبائل كتب زيادٌ إلى المهاجِر ، وكاتَبه النَّاس فتلقَّاه بالكتاب ، وقد قطع صَهيد — مفازةٌ ما بين مأرب وحضرموت — واستخلف على الجيش عِكْرمة ، وتعجَّل فى سَرَعان[1] النَّاس ، ثم سَار حتى قدِم على زياد ؛ فَنَهَد إلى كِنْدة وعليهم الأشعث ، فالتقوْا بمحجر الزُّرْقان فاقتتلوا به فهُزمت كندة ، وقُتلت وخرجوا هُرّاباً ، فالتجأتْ إلى النُّجَيْر وقد رمُّوه وحصّنوه ، وقال فى يوم مَحْجر[2] الزُّرْقان المهاجِر : ١/٢٠٠٦

كُنَّا بزُرْقان إذ يُشَرِّدُكُمْ ... بحرٌ يُزَجّى فى مَوْجه الحطَبَا[3]

نحن قتلناكُمُ بمَحْجركم ... حتى ركبْتُمْ من خَوْفِنا السَّبَبَا

إلى حصارٍ يكون أهْوَنَه ... سَبْيُ الذَّرَارِى وسَوْقُها خَبَبَا

وسار المهاجر فى النَّاس من مَحْجر الزُّرْقان حتى نزل[4] على النُّجَير ،

---

(١) سرعان الناس : أوائلهم المستبقون إلى الأمر .

(٢) قال ياقوت : زرقان بأرض حضرموت . والمحجر ، كالناحية للقوم .

(٣) ياقوت ٤ : ٣٨٤ .

(٤) ب : « ينزل » .

١/٢٠٠٧ وقد اجتمعت إليه كنده ، فتحصّنوا فيه ، ومعهم من استغووْا من السكاسك وشُذّاذ من السَّكون وحضرْموت والنُّجير ، على ثلاثة[1] سُبُل ، فنزل زياد على أحدها ، ونزل المهاجر على الآخر ، وكان الثالث لهم يؤتون فيه ويذهبون فيه ، إلى أن قدم عِكْرِمة فى الجيش[2] ، فأنزله على ذلك الطَّريق ، فقطع عليهم الموادّ وردّهم ، وفرّق فى كِنْدة الخيول ، وأمرَهم أن يُوطِئوهم . وفيمن بعث يزيد بن قَنان من بنى مالك بن سعد ، فقتل مَن بقرى بنى هند إلى بَرَهُوت ، وبعث فيمَن بعث إلى السَّاحل خالدَ بن فلان المخزومىّ وربيعة الحضرمىّ، فقتلوا أهل مَحَا[3] وأحياء أخَر ، وبلغ كِنْدة وهم فى الحِصار مالقىَ سائر قومهم ، فقالوا : الموت خير ممَّا أنتم فيه ؛ جُزُّوا نواصيَكم حتى كأنّكم قومٌ قد وهبتم لله أنفسكم ، فأنعم عليكم فبؤتم بنعمه ؛ لعلّه أن ينصرَكم على هؤلاء الظَّلَمة . فجزُّوا نواصيَهم ، وتعاقدوا وتواثقوا ألاّ يفرّ بعضُهم عن بعض[4] ، وجعل راجزهم يرتجِز فى جوف الليل فوق حصنهم :

صَبَاحُ سَوْءٍ لبنى قُتَيرهْ[5] وللأمير من بنى المغِـيرهْ

وجعل راجزُ المسلمين زياد بن دينار يردّ عليهم :

لا توعِدُونا واصْبِروا حَصِيرهْ[6] نحنُ خيولُ وَلدِ المغيرهْ

* وفى الصَّبَاح تَظفَرُ العشيرهْ[7] *

١/٢٠٠٨ فلمّا أصبحوا خرجوا على النَّاس ، فاقتتلوا بأفنية النُّجير ، حتى كثرت القتلى بحِيال كلّ طريق من الطرق الثلاثة ، وجعل عِكْرِمة يرتجز يومئذ ، ويقول :

أطعُنُهمْ وأنا على أوْفَازِ[8] طَعْناً أبوء به على مَجَازِ[9]

(١) س : « ثلاث » ، والسبيل تذكر وتؤنث . (٢) ز : « وفرق الجيش » .
(٣) ز : « محنا » .
(٤) ز : « من بعض » . (٥) س : « قنيره » .
(٦) س : « حضيره » . (٧) ب : « تظهر العشيرة » .
(٨) ز : « أطعنهم » . (٩) أبوء به : أرجع به .

ويقول :

أُنفِذُ قولى وله نَفَاذُ   وكلُّ مَنْ جاوَرنى مُعاذُ

فهزمت كِنْدة، وقد أكثروا فيهم القتل .

وقال هشام بن محمد : قدِم عِكْرِمة بن أبى جهل بعد ما فرغ المهاجر من أمرِ القوْم مدداً له ، فقال زياد والمهاجر لمن معهما : إنّ إخوانكم قَدِموا مَدَداً لكم ، وقد سبقتموهم بالفتح فأشرِكوهم فى الغنيمة . ففعلوا وأشركوا من لحق بهم ، وتواصوْا بذلك ، وبعثوا بالأخماس والأسْرَى ، وسار البشير فسبقهم ؛ وكانوا يبشّرون القبائل ويقرءون عليهم الفتح .

وكتب إلىّ السّرىّ ، قال : كتب أبو بكر رحمه الله إلى المهاجر مع المغيرة بن شعبة : إذا جاءكم كتابِى هذا ولم تظفَروا ؛ فإن ظفرتم بالقوم فاقتلوا المقاتِلة ، واسبُوا الذريّة إن أخذتموهم عَنْوة ، أو ينزلوا على حكمى ، فإن جرَى بينكم صُلْح قبل ذلك فعلَى أن تخرجوهم من ديارهم ؛ فإنّى أكْرَهُ أن أقرّ أقوا مًا فعلوا فعلهم فى منازلهم ، ليعلموا أن قد أساءوا ، وليذوقوا وَبال بعض الذى أتَوْا .

قال أبو جعفر : ولما رأى أهل النُّجَير الموادّ لا تنقطع عن المسلمين ، وأيقنوا أنّهم غيرُ منصرفين عنهم ، خشعت أنفسُهم ، ثمّ خافوا القتل ، وخاف الرُّؤساء على أنفسهم ؛ ولو صبروا حتّى يجىء المغيرة لكانت لهم فى الثالثة الصّلح على الجلاء نَجاةً . فعجّل الأشعث ، فخرج إلى عِكْرِمة بأمان ، وكان لا يأمن غيرَه ؛ وذلك أنّه كانت تحته أسماء ابنة النعمان بن الجَوْن[1] ، خطبها وهو يومئذ بالجنَد ينتظِر المهاجر ، فأهداها إليه أبوها قبل أن يبادُوا ، فأبلغه عكرمةُ المهاجرَ ، واستأمنه له على نفسه ، ونَفَر معه تسعة ؛ على أن يؤمّنهم وأهلِيهم وأن يفتحوا لهم الباب ؛ فأجابه إلى ذلك ، وقال : انطلق فاستوثِقْ لنفسك ، ثم هلمّ كتابك أختمه . ٢٠٠٩/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعَيب ، عن سيْف ، عن أبى إسحاق

(١) النعمان بن الجون ، كذا أورده الطبرى هنا وفى ص ٣٤٠ ، وفى ص ١٦٧ «النعمان بن الأسود ابن شراحيل بن الجون بن حجر » . وفى كتابه المنتخب من ذيل المذيل ص ٢٤٥٦ : « النعمان بن أبى الجون الأسود بن الحارث بن شراحيل بن الجون آكل المرار» . وانظر الإصابة ٤ : ٢٢٧ ، والاستيعاب ٣ : ٧٠٣ .

الشَّيْبانى ، عن سعيد بن أبى بُرْدة ، عن عامر ، أنه دخَل عليه فاستأمنه على أهله وماله ، وتسعة ممَّن أحبّ ، وعلى أن يفتح لهم الباب فيدخلوا على قومه . فقال له المهاجر : اكتب ما شئت واعْجل ، فكتب أمانَه وأمانهم ، وفيهم أخوه وبنو عمّه وأهلُوهم ، ونسىَ نفسَه ؛ عَجِلَ ودَهِشَ . ثم جاء بالكتاب فختمه[١] ؛ ورجع فسرّب الّذين فى الكتاب .

وقال الأجْلَح والمجالد : لمَّا لم يبق إلاّ أن يكتب نفسه وثب عليه جَحْدَم بشَفرْة ، وقال : نفسَك أو تكتبنى ! فكتبه وترك نفسه .

١/٢٠١٠ قال أبو إسحاق : فلمَّا فتح الباب اقتحمه المسلمون فلم يدَعوا فيه مقاتلا إلاّ قتلوه ؛ ضَربوا[٢] أعناقهم صبْرًا ، وأحصى ألف امرأة ممَّن فى النُّجير والخَنْدق ؛ ووضع على السَّبْى والفَىْء الأحراس ، وشاركهم كثير .

وقال كَثير بن الصّلت : لمَّا فُتح الباب وفُرِغ ممَّن فى النُّجير ، وأحصِىَ ما أفاء الله عليهم ، دعا الأشعث بأولئك النَّفَر ، ودعا بكتابه فعرَضهم ، فأجاز[٣] مَن فى الكتاب ، فإذا الأشعث ليس فيه ، فقال المهاجر : الحمد لله الّذى أخطأك نوْءُك[٤] يا أشعث ، ياعدوّ الله! قد كنت أشتهى أن يخزيك[٥] الله . فشدّه وَثاقا ، وهمّ بقتله ، فقال له عكرمة : أخِّرْه ، وأبلغْه أبا بكر ، فهو أعلمُ بالحكْم فى هذا . وإنه كان رجلا نسى اسمه أن يكتبه ؛ وهو ولىّ المخاطبة . أفذاك يبطل ذاك[٦] ! فقال المهاجر : إنّ أمره لبيِّنٌ ، ولكنى أتّبع المشورة وأوثرها . وأخّرَه وبعث به إلى أبى بكر مع السَّبْى ، فكان معهم يلعنه المسلمون ويلعنه سبايا قومِه ، وسمَّاه نساء قومه عُرْفَ النَّار — كلامٌ يمانٍ يسمُّون به الغادر — وقد كان المغيرة تحيَّر ليلَة للّذى أراد الله ، فجاء والقوم فى دمائهم[٧] والسَّبْى على ظَهْر ، وسارت السبايا والأسْرَى ، فقدم القوم على أبى بكر رحمه الله بالفَتْح والسَّبَايا والأسرى . فدعا بالأشعث ، فقال :

---

(١) ز : « يختمه » .

(٢) فى ب : « وضربوا » .

(٣) ابن الأثير : « فأجار » .

(٤) النوء : النجم مال إلى الغروب ، وهو كناية عن أنه لم يوفق إلى الصواب فى الرأى لعجلته وسوء طالعه .

(٥) ز : « يجزيك » .

(٦) س : « ذلك » . (٧) ز : « ذمامهم » .

استزّلك بنو وَليعة، ولم تكن لتستزلَّهم — ولا يروْنك لذلك أهلاً — وهلكوا[١] وأهلكوك ! أما تَخشى أن تكون دعوةُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم قد وصل إليك منها طرفٌ ! ما ترانى صانعًا بك ؟ قال : إنى لا علم لى برأيك ، وأنت أعلم برأيك ، قال : فإنّى أرى قتلك . قال : فإنّى أنا الذى راوضتُ القوم فى عشرة ، فما يحلُّ دمى ، قال : أفوّضوا إليك ؟ قال : نعم ، قال : ثم أتيتَهمُ بما فوّضوا إليك فختموه لك ؟ قال : نعم ، قال : فإنّما وجب الصّلح بعد ختْم الصحيفة على مَن فى الصحيفة ، وإنّما كنتَ قبل ذلك مُراوِضًا . فلمّا خشِيَ أن يقع به قال : أو تحتسب فىّ خيرًا فتطلق إسارى وتُقيلنى عثرتى ، وتقبل إسلامى ، وتفعل بى مثل ما فعلتَه بأمثالِى وتردّ علىّ زوجتى — وقد كان خطب أمّ فَرْوة بنت أبى قحافة مَقْدَمَه على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فزوّجه وأخّرها إلى أنْ يقدم الثانية ، فمات رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وفعل الأشعث ما فعل ، فخشِيَ ألاّ تُرَدّ عليه — تجدُنى خيرَ أهل بلادى لدين الله ! فتجافَى له عن دمه ، وقَبِل منه ، و ردّ عليه أهله ، وقال : انطلِقْ فليبلغنى عنك خيرٌ ، وخلّى عن القوم فذهبوا ، وقسّم أبو بكر فى الناس الخُمُس ، واقتسم الجيش الأربعة الأخماس .

٢٠١١/١

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا ابنُ حُميد ، فإنه قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنّ الأشعث لمّا قُدِم به على أبى بكر ، قال : ماذا ترانى أصنع بك ؛ فإنّك قد فعلتَ ما علمتَ[٢] ! قال : تمُنُّ علىّ فتَفُكّنى من الحديد وتزوّجنى أختَك ؛ فإنى قد راجعتُ وأسلمتُ . فقال أبو بكر : قد فعلتُ . فزوّجه أمّ فروة ابنة أبى قُحافة ، فكان بالمدينة حتّى فتح العراق .

٢٠١٢/١

* * *

رجع الحديث إلى حديث سيف[٣] . فلمّا ولِىَ عمر رحمه الله ، قال : إنّه

---

(١) ب : « وأهلكوا » . (٢) ب : « ما فعلت » .
(٣) انظر أول الحديث ص ٣٣٧ .

لَيَقبُح بالعرب أن يملِك بعضُهم بعضاً ، وقد وسَّع الله ، وفتح الأعاجم . واستشار فى فداء سَبَايا العرب فى الجاهليَّة والإسلام إلاَّ امرأة ولَدت لسيِّدها ، وجعل فداء كلِّ إنسان سبعةَ أبعرة [١] وستَّةَ أبعرة إلاَّ حَنِيفة كندة ؛ فإنَّه خفَّف عنهم [٢] لقتل رجالهم ، ومَنْ لا يقدر على فداء لقيامهم [٣] وأهل دَبَا ، فتتبَّعتْ رجالُهم نساءَهم بكلِّ مكان . فوجد الأشعثُ فى بنى نَهْد وبنى غُطَيْف امرأتين ؛ وذلك أنَّه وقف فيها يسأل عن غُراب وعُقاب ، فقيل : ما تريد إلى ذلك ؟ قال : إنَّ نساءنا يوم النُّجير خطفهنَّ العِقْبان والغربان والذِّئاب والكلاب . فقال بنو غطيف : هذا غُراب ، قال : فما موضعه فيكم ؟ قالوا : فى الصِّيانة [٤] ، قال : فنعم ، وانصرف. وقال عمر : لا مِلْكَ علَى عربىّ ، للذى أجمع عليه المسلمون معه .

قالوا : ونظر المهاجر فى أمر المرأة التى كان أبوها النُّعمان بن الجَوْن أهدَاها لرسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فوصفها أنَّها لم تَشْتَكِ قطّ ، فردَّها ، وقال : لا حاجةَ لنا بها ، بعد أن أجلَسها بين يديه وقال له [٥] : ١/٢٠١٣ لو كان لها عند الله خيرٌ لاشتكت. فقال المهاجر لعِكْرِمة : متى تزوجتَها ؟ قال : وأنا بعَدن ، فأهديتْ إلىَّ بالجَند ، فسافرت بها إلى مأرِب ، ثم أوردتُها العسكر . فقال بعضهم : دعْها فإنَّها ليست بأهل أن يُرغَب فيها . وقال بعضُهم : لا تَدَعْها . فكتب المهاجر إلى أبى بكر رحمه الله يسأله عن ذلك ، فكتب إليه أبو بكر : إنَّ أباها النُّعمان بن الجَوْن أتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فزيَّنها له حتى أمره أن يجيئه بها ، فلمَّا جاءه بها قال: أزيدك أنَّها لم تِيجعْ [٦] شيئاً قطّ ، فقال: لو كان لها عند الله خيرٌ لاشتكتْ ، ورغب عنها ؛ فارغَبُوا عنها . فأرسلها وبقى فى قريش بعد ما أمر عمر فى السَّبْى بالفداء عدَّةٌ ، منهم بشرى بنت قيس بن أبى الكيسم ،

---

(١) ز : « أبكر » . (٢) ابن الأثير : « عليهم » .

(٣) كذا فى ط ، وفى التصويبات : « لفئامهم » ، أى جماعتهم .

(٤) ز : « الضيافة » . (٥) ب : « وقال لها » .

(٦) لم تيجع شيئاً ، أى أنها لم تشك ألماً قط .

عند سعد بن مالك ، فولدت له عمر ، وزُرْعة بنت مِشْرَح عند عبد الله بن العباس ولدت له عليًّا .

وكتب أبو بكر إلى المهاجر يخيِّره اليمَن أو حضرموت؛ فاختار اليَمَن، فكانت اليمن على أميرين : فيروز والمهاجر ، وكانت حضْرموت على أميرين : عُبيدة بن سعد على كندة والسَّكاسك، وزياد بن لَبيد على حَضْرموت .

وكتب أبو بكر إلى عمَّال الرِّدّة : أمَّا بعدُ، فإنَّ أحبَّ مَنْ أدخلتم في أموركم إلىّ مَن لم يرتدّ ومَن كان ممَّن لم يرتدّ ، فأجْمِعوا على ذلك ، فاتّخذوا منها صنائع ، وائذنوا لمن شاء في الانصراف ، ولا تستعينوا بمرتدّ في جهاد عدوّ . ٢٠١٤/١

وقال الأشعث بن مثناس[1] السّكونىّ يبكى أهل النُّجيْر :

لعَمْرِى وما عَمْرِى عَلَىَّ بهَيِّنٍ ... لقد كنتُ بالقَتْلى لحقٌّ ضَنِينِ

فلا غَرْوَ إلا يومَ أَقْرِعَ بينهمْ ... وما الدَّهرُ عندى بَعْدَهم بأمِينِ

فليتَ جُنُوبَ الناس تحتَ جنوبهم ... ولم تَمْشِ أنْثى بعدهم لِجَنينِ

وكنتُ كذاتِ البَوِّ ريعتْ فأقبلتْ ... على بَوِّها إذ طَرَّبَتْ بحنِينِ

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن موسى بن عُقْبَة ، عن الضّحاك بن خليفة ، قال : وقع إلى المهاجر امرأتان مُغَنِّيتان ؛ غنّت إحداهما بشتْم رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقطع يدها، ونزع ثنيَّتها[2] ؛ فكتب إليه أبو بكر رحمه الله : بلَغَنِي الذى سِرْتَ به فى المرأة التى تغنّت وزمرت بشتيمة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فلو لا ما قد سبقْتنى فيها لأمرتك بقتْلها ؛ لأنّ حدّ الأنبياء ليس يشبه الحدود ، فمن تعاطَى ذلك من مسلم فهو مرتدّ ، أو معاهَد فهو محارب غادر . ٢٠١٥/١

وكتب إليه أبو بكر فى التى تغنّت[3] بهجاء المسلمين : أما بعدُ ؛ فإنه

---

(١) الإصابة ١ : ١١٥ : « ابن ميناس » .
(٢) ب : « ثنيتيها » .   (٣) ب : « تغنى » .

بلغني أنَّك قطعت يدا امرأة في أن تغنَّت بهجاء المسلمين، ونزعتَ ثنيّتها[١]؛ فإن كانت ممن تدّعي الإسلام فأدبٌ وتقدمةٌ دون المُثْلة، وإن كانت ذِمّيّة فلعمري لما صفحت عنه من الشِّرْكِ أعظم؛ ولو كنتُ تقدّمتُ إليك في مثل هذا لَبلغتُ مكروهًا؛ فاقبل الدّعة وإيّاك والمُثلة في الناس؛ فإنها مأثم ومُنَفِّرة إلاّ في قصاص.

* * *

وفي هذه السنة — أعني سنة إحدى عشرة — انصرف مُعاذ بن جبل من اليمن.

وستقضى أبو بكر فيها عمر بن الخطاب، فكان على القضاء أيّام خلافته كلّها.

وفيها أمّر أبو بكر رحمه الله على الموسِم عتّاب بن أسيد — فيما ذكره الذين أسند إليهم خبره عليّ بن محمد الذين ذكرت قبل في كِتابي هذا أسماءَهم.

وقال علي بن محمد: وقال قومٌ: بل حجّ بالناس في سنة إحدى عشرة عبد الرحمن بن عوف عن تأمير أبي بكر إيّاه بذلك[٢].

---

(١) ب: «ثنيتيها».

(٢) س: «ذلك».

٢٠١٦/١

ثم كانت سنة اثنتى عشرة من الهجرة

[مسير خالد إلى العراق وصلح الحيرة]

قال أبوجعفر ، ولمّا فرغ خالدٌ من أمر اليمامة ، كتب إليه أبو بكر الصّدّيق رحمه الله ؛ وخالد مقيم باليمامة — فيما حدّثنا عُبيد الله بن سعد الزّهرىّ ، قال : أخبرنا عمّى ، قال : أخبرنا سَيف بن عمر ، عن عمرو بن محمّد ، عن الشعبىِّ : أنْ سِر إلى العراق حتى تدخلَها ، وابدأ بفرْج الهند، وهى الأبُلّة، وتألّف أهلَ فارس ، ومَن كان فى مُلْكهم من الأمم .

حدّثنى عمر بن شَبّة ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد بالإسناد الّذى قد تقدّم ذكرُه ، عن القوم الذين ذكرتهم فيه، أنّ أبا بكر رحمه الله وجّه خالدَ بن الوليد إلى أرضِ الكوفة ، وفيها المثنّى بن حارثة الشّيبانىّ ، فسار فى المحرّم سنة اثنتى عشرة ، فجعل طريقه البصرة[١] ، وفيها قُطْبة بن قَتادة السّدُوسىّ .

قال أبوجعفر : وأمّا الواقدىّ ، فإنه قال : اختُلف فى أمر خالد بن الوليد ، فقائل يقول : مضى من وجهه ذلك من اليمَامة إلى العراق . وقائل يقول : رجع من اليمامة ، فقدم المدينة ، ثم سار إلى العراق من المدينة على طريق الكُوفة ؛ حتى انتهى إلى الحِيرة .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثَنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن صالح بن كيسان؛ أنّ[٢] أبا بكر رحمه الله كتَبَ إلى خالد بن الوليد يأمُره أن ١/٢٠١٧ يسير إلى العراق ، فمضى خالدٌ يريد العراق ، حتى نزل بقُريَات[٣] من السّواد ، يقال لها : بانِقْيا وبارُوسْما وألّيْس ؛ فصالحه أهلُها ، وكان الّذى صالحه عليها ابن صَلوبا ، وذلك فى سنة اثنتى عشرة ، فقبل منهم خالد الجزْية

(١) ب : « فمر على طريق البصرة » . (٢) ب : « زعم أن أبا بكر» .
(٣) كذا فى ب وابن حبيس .

وكتب لهم كتاباً فيه : بسم الله الرّحمن الرّحيم . من خالد بن الوليد لابن صلوبا السّوادىّ– ومنزله بشاطئ الفُرات – إنّك آمنٌ بأمان الله – إذْ حقَن دمه بإعطاء الجزية – وقد أعطيتَ عن نفسك وعن أهل خَرْجك وجزيرتك ومَنْ كان فى قريتيك – بانقيا وباروسما – ألف درهم ، فقبلتُها منك ، ورضىَ مَن معى من المسلمين بها منك ، ولك ذمّة الله وذمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم ، وذمّة المسلمين على ذلك . وشهد هشام بن الوليد .

ثم أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتّى نزل الحيرة ، فخرج إليه أشرافُهم مع قَبيصة بن إياس بن حيّة الطائىّ – وكان أمّره عليها كسرى بعد النعمان ابن المنذر – فقال له خالد ولأصحابه : أدعُوكم إلى الله وإلى الإسلام . فإن أجبتم إليه فأنتمْ من المسلمين ، لكم مالهم وعليكم ما عليهم ؛ فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم الجِزية فقد أتيتُكم بأقوام هم أحرصُ علىَ الموت منكم على الحياة ؛ جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم .

١/٢٠١٨ فقال له قَبيصة بن إياس : ما لنا بحرْبك من حاجة ، بل نقيم على دِيننا ، ونعطيك الجِزْية . فصالحهم على تسعين ألف درهم ، فكانت أوّل جزية وقعت بالعراق ، هى القُرَيّات الّتى صالح عليها ابن صلوبا .

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا هشام بن الكلبىّ ؛ فإنه قال : لمّا كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة أن يسير إلى الشأم ، أمره أن يبدأ بالعراق فيمرّ بها ؛ فأقبل خالد منها يسير حتّى نزل النِّباج .

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو الخطّاب حَمزة بن علىّ ، عن رجل من بكْر بن وائل ، أنّ المثنى بن حارثة الشّيبانىّ ، سار حتّى قدِم على أبى بكر رحمه الله ، فقال : أمِّرْنِى على مَنْ قِبَلى من قومى ، أقاتل مَن يلينِى من أهل فارس ، وأكفيك ناحيتى ، ففعل ذلك ؛ فأقبل فجمع قومَه وأخذ يُغير بناحية كَسْكَر مرّة ، وفى أسفل الفرات مرّة ، ونزل خالد بن الوليد النِّباج والمثنّى بن حارثة بخَفّانَ معسكرٌ [1] ؛ فكتب إليه خالد بن الوليد

(١) س : « معسكراً » .

ليأتيه ، وبعث إليه بكتاب من أبى بكر يأمره فيه بطاعته ؛ فانقضّ [١] إليه جواداً حتى لحق به ، وقد زعمت بنو عِجْل أنّه كان خرج مع المثنّى بن حارثة رجلٌ منهم يقال له مذعور بن عدىّ ، نازع المثنَّى بن حارثة ، فتكاتبا إلى أبى بكر ؛ فكتب أبو بكر إلى العِجْلىّ يأمره بالمسير مع خالد إلى الشأم ، وأقرّ المثنّى على حاله ، فبلغ العجلىُّ مصرَ ، فشرُف بها وعظم شأنه [٢] ، فداره اليوم بها معروفة؛ وأقبل خالد بن الوليد يسير ، فعرض له جابانُ صاحِب ألّيْس ، فبعث إليه المثنّى بن حارثة ، فقاتله فهزمه ، وقتل جُلّ أصحابه ، إلى جانب نهرٍ ثَمّ يُدعى نهر دم لتلك الوقعة؛ وصالح أهلَ ألّيْس ، وأقبل حتى دنا من الحِيرة ، فخرجت إليه خيول آزاذبه صاحب خيل كسرى التى كانت فى مسالح ما بينه وبين العرب ، فلقُوهم بمجتَمع الأنهار ، فتوجّه إليهم المثنّى بن حارثة ، فهزمهم الله .

ولمّا رأى ذلك أهلُ الحيرة خرجوا يستقبلونه ؛ فيهم عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيلة وهانئ بن قَبِيصة ، فقال خالد لعبد المسيح : من أين أثَرُك ؟ قال : من ظَهْر أبى ، قال : من أينَ خرجت ؟ قال : من بطن أمّى ، قال : ويحك ! علَى أىّ شىء أنت ؟ قالَ : على الأرضَ ، قال: ويلَكَ ! فى أىّ شىء أنت ؟ قال : فى ثيابى ، قال : ويحك ! تعقل ؟ قال : نعم وأقيِّد ، قال : إنّما أسألك ، قال : وأنا أجيبُك ، قال : أسِلمٌ أنت أم حربٌ ؟ قال : بل سِلْم ، قال : فما هذه الحصون التى أرى [٣] ؟ قال : بنيناها للسَّفِيه نحبسه [٤] حتى يجىء الحليم فينهاه . ثم قال لهم خالد : إنّى أدعُوكم إلى الله وإلى عبادتِه وإلى الإسلام ، فإن قبلتم فلكم مالَنا وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم فالجِزْيَة ، وإن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبُّون الموت كما تحبّونَ أنتم شرب الخمر . فقالوا: لا حاجة لنا فى حَرْبِك، فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم ، ؛ فكانت أوّلَ جزية حملت إلى المدينة من العراق . ثم نزل

(١) ز : « فانفض » . (٢) ز : « وعظم شأنه وقدره » .

(٣) ب : « التى بيننا »

(٤) ابن حبيش : « تحبسه » .

على بانِقْيا ، فصالحه بُصْبُهْرى بن صلوبا على ألف درهم وطيلسان ؛ وكتب لهم كتابًا ، وكان صالح (١) خالد أهل الحيرة على أن يكونوا له عيونًا ، ففعلوا .

١/٢٠٢٠

قال هشام ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى المجالد بن سعيد ، عن الشّعبىّ ، قال : أقرأنى بنو بُقيلة كتابَ خالد بن الوليد إلى أهل المدائن :

من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس ؛ سلام على من اتّبع الهدى . أمّا بعدُ ، فالحمدُ لله الذى فَضّ خَدَمتكم (٢) ، وسلب مُلْككم ، ووهّن كيدَكم . وإنّه مَن صلّى صلاتنا ؛ واستقبل قبلتَنا ، وأكلَ ذبيحتنا ؛ فذلك المسلم الّذى له مالنا ، وعليه ما علينا . أمّا بعد ، فإذا جاءكم كتابى فابعثوا إلىّ بالرُّهُن ، واعتقدوا منّى الذّمة ، وإلاّ فوالّذى لا إله غيره لأبعثنّ إليكم قومًا يحبّون الموت كما تحبّون الحياة .

فلما قرءوا الكتاب ، أخذوا يتعجّبون ، وذلك سنة اثنتى عشرة .

* * *

قال أبو جعفر : وأما غيرُ ابن إسحاق وغير هشام ومَن ذكرت قولَه من قَبْل ، فإنّه قال فى أمر خالد ومسيره إلى العراق ما حدّثنا عُبيد الله بن سعد الزُّهرىّ ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف بن عمر ، عن عمرو بن محمد ، عن الشّعبىّ ، قال : لمّا فرغَ خالد بن الوليد من اليَمامة ، كتب إليه أبو بكر رحمه الله : إنّ الله فتحَ عليك فعارِقْ حتّى تلقى عِياضًا . وكتب إلى عياض بن غَنْم وهو بين النِّباج والحجاز : أن سِرْ حتّى تأتىَ المُصَيَّخ فابدأ بها ، ثم ادخل العراق من أعلاها ، وعارق حتى تلقى خالدًا . وأذَنَا لمن شاء بالرجوع ، ولا تستفتحا بمتكارِهٍ .

١/٢٠٢١

ولما قدم الكتاب على خالد وعياض ، وأذنا فى القفْل عن أمر أبى بكر قفَل أهلُ المدينة وما حولَها وأعروهما (٣) ، فاستمدّا أبا بكر ، فأمدّ أبو بكر خالدًا بالقعقاع بن عمرو التميمىّ ، فقيل له : أتمدّ رجلا قد ارفضّ عنه

(١) ب : « صلح » .

(٢) فى اللسان : « وفى حديث خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس : الحمد لله الذى فضّ خدمتكم . قال : فضّ الله خدمتهم ، أى فرق جماعتهم » .

(٣) يقال : أعرى القوم صاحبهم ، أى تركوه فى مكانه وذهبوا عنه

جنودُه برجل! فقال: لا يُهْزم جيشٌ فيهم مثل هذا. وأمدّ عِياضاً بعبد بن عوف الحميريّ، وكتب إليهما أن استنفرا مَن قاتل أهل الردّة، ومَنْ ثبت على الإسلام بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولا يغزونّ معكم أحدٌ ارتدّ حتى أرَى رأيي. فلم يشهد الأيّام مرتَدّ.

فلمّا قدِم الكتاب على خالد بتأمير العراق، كتب إلى حَرْمَلَة وسُلْمَى والمثنّى ومذعور باللّحاق به، وأمرهم أن يواعدوا جنودَهم الأُبُلّة، وذلك أنّ أبا بكرٍ أمر خالداً في كتابه: إذا دخلَ العراق أن يبدأ بفَرْج أهل السِّنْد والهِنْد - وهو يومئذ الأُبُلّة - ليوم قد سمّاه، ثم حشر مَن بينه وبين العراق، فحشر ثمانية آلاف من رَبيعة ومُضر إلى ألفيْن كانا معه، فقدم في عشرة آلاف على ثمانية آلاف ممّن كان مع الأمراء الأربعة - يعني بالأمراء الأربعة: المثنّى، ومذعوراً، وسُلْمى، وحرملة - فلَقِيَ هُرْمُزَ في ثمانية عشر ألفاً.

حدّثنا عُبيد الله، قال: حدّثني عمّي، عن سيف، عن المهلّب الأسديّ عن عبد الرحمن بن سِياه، وطلحة بن الأعلَم، عن المغيرة بن عُتَيبة، قالوا: كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد، إذ أمّره على حرب العراق؛ أن يدخلَها من أسفلها. وإلى عياض إذ أمّره على حرب العراق؛ أن يدخلَها من أعلاها؛ ثم يستبقا إلى الحيرة، فأيّهما سبق إلى الحيرة فهو أميرٌ على صاحبه، وقال: إذا اجتمعتُما بالحيرة، وقد فضضتما مسالحَ فارس وأمِنْتُما أن يؤتَى المسلمون من خلفهم، فليكن أحدكما رِدْءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة؛ وليقتحم الآخر على عدوّ الله وعدوّكم من أهل فارس دارَهم ومستقَرّ عِزّهم؛ المدائن.

٢٠٢٢/١

حدّثنا عُبيد الله، قال: حدّثني عمّي، عن سيف، عن المجالد، عن الشّعبيّ، قال: كتب خالد إلى هُرمز قبل خروجه مع آزاذبه - أبي الزياذبة الّذين باليمامة - وهرمز صاحب الثّغر يومئذ: أمّا بعدُ، فأسلِم تَسْلم، أو اعتقد[1] لنفسك وقومك

(١) اعتقد لنفسك الذمة؛ أي أقرّ بها.

الذّمة، وأقررْ بالجزية؛ وإلا فلا تلومنّ إلاّ نفسك، فقد جئتُك بقوم يحبّون الموت كما تحبُّون الحياة .

قال سيف، عن طلحة بن الأعلم، عن المغيرة بن عتيبة — وكان قاضىَ أهل الكوفة — قال: فرّق خالد مخرجَه من اليمامة إلى العراق جندَه ثلاث فرَق، ولم يحملْهم على طريق واحدة. فسرّح المثنّى قبلَه بيومين ودليله ظَفَر، وسرّح عدىّ بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلاهما مالك بن عبّاد وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم؛ وخرج خالد ودليله رافع؛ فواعدهم جميعًا الحفير ليجتمعوا به وليصادموا به عدوّهم؛ وكان فرْج الهند أعظمَ فروج فارس شأنا، وأشدّها شوْكةً، وكان صاحبه يحارب العرب فى البرّ والهند فى البحر. ١/٢٠٢٣

قال — وشاركه المهلّب بن عُقْبة وعبد الرحمن بن سياه الأحمرىّ، الذى تُنْسَب إليه الحمراء؛ فيقال: حمراء سياه — قال: لمّا قدم كتاب خالد على هُرْمز كتب بالخبر إلى شيرَى بن كسرى وإلى أردشير بن شيرى وجمع جموعه، ثم تعجّل إلى الكواظم فى سرَعان أصحابه ليتلقّى خالدًا، وسبّق حلْبَته فلم يجدها طريق خالد، وبلغه أنّهم تواعدوا الحفيرَ، فعاج يبادره[1] إلى الحفير فنزله، فتعبّى به، وجعل على مجنّبته[2] أخوين يُلاقيان أرْدَشير وشيرى إلى أردشير الأكبر، يقال لهما: قُباذ وأنوشَجان، واقترنوا فى السلاسل، فقال مَن لم ير ذلك لمن رآه: قيّدتم أنفسكم لعدوّكم، فلاتفعلوا؛ فإنّ هذا طائر سَوْء، فأجابوهم وقالوا: أمّا أنتم فحدّثوننا أنّكم تريدون الهرَب. فلما أتى الخبر خالدًا بأنّ هرمز فى الحفير أمالَ النّاس إلى كاظمةَ، وبلغ هرمزَ ذلك. فبادره إلى كاظمة فنزلها وهو حسير؛ وكان من أسوَأ أمراء ذلك الفرْج جِوارًا للعرب، فكلّ العرب عليه مَغيظ؛ وقد كانوا ضربوه مثلا فى الخُبث حتى قالوا: أخبث من هرمز، وأكفر من هرمز. وتعبّى هرمز وأصحابه واقترنوا فى السلاسل، والماء فى أيديهم. وقدم خالد عليهم فنزل على غير ماء، فقالوا له فى ذلك، ١/٢٠٢٤

---

(١) س: «يبادرهم».
(٢) ابن كثير: «مجنبتيه».

فأمر مناديَه ، فنادى : ألا انزِلوا وحُطُّوا أثقالكم ، ثم جالِدوهم على الماء ، فلَعمرى ليصيرَنّ الماءُ لأصبَرِ الفريقين ، وأكرم الجنديْن ؛ فحُطَّت الأثقال والخيل وقُوف ، وتقدّم الرَّجْل ، ثم زحف إليهم حتى لاقاهم ؛ فاقتتلوا ، وأرسل الله سحابةً فأغْزَرت ما وراءَ صفّ المسلمين[1] ، فقوّا هم بها ؛ وما ارتفع النهار وفى الغائط مقترِن .

حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عطاء البَكّائىّ ؛ عن المقطَّع بن الهيثم البكائىّ بمثله ، وقالوا : وأرسل هُرمز أصحابه بالغدِ ليغدِروا بخالد ، فواطئوه على ذلك ، ثم خرج هُرْمز ، فنادى رجلٌ ورجلٌ : أين خالد ؟ وقد عهد إلى فرسانه عهدَه ، فلمّا نزل[2] خالد نزلَ هرمز ، ودعاه إلى النزال[3] فنزل خالد فمشى إليه ، فالتقيا فاختلفا ضربتيْن ، واحتضنه خالدٌ ، وحملت حامية هُرْمز وغدرت ، فاستلحموا[4] خالدًا ، فما شغله ذلك عن قتله . وحمل القَعْقاع بن عمرو واستلحم حُماةَ هرمز فأناموهم ؛ وإذا خالد يُماصعهم[5] ، وانهزم أهل فارس ، وركب المسلمون أكتافَهم إلى الليل ، وجمع خالد الرّثاث[6] وفيها السَّلاسل ، فكانت وِقْرَ بعيرٍ ؛ ألف رطل ، فسمّيت ذات السلاسل ، وأفلت قُباذ وأنوشجان . ٢٠٢٥/١

حدثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن عمرو بن محمّد ؛ عن الشعبىّ ، قال : كان أهلُ فارس يجعلون قلانسَهم على قَدْر أحسابهم فى عشائرهم ، فمَنْ تمّ شرفُه فقيمة قلنسوته مائه ألف . فكان هرمز ممن تَمّ شرفه ، فكانت قيمتها مائة ألف ؛ فنفّلها أبو بكر خالدًا ، وكانت مفصَّصة بالجوهر ، وتمام شرف أحدِهم أن يكون من بُيوتات[7]

---

(١) ابن كثير : « فأمطرتهم حتى صار لهم غدران من ماء » .
(٢) ابن حبيش : « برز » .
(٣) س : « النزول » ، ابن حبيش « البراز » .
(٤) استلحموا خالدا : تبعوه .
(٥) يماصعهم : يجالدهم .
(٦) الرثاث : المتاع .
(٧) ز : « من بيوتاتهم السبع

حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدثنى عمّى ، عن سيف ، عن محمّد بن نويْرة ، عن حنظلة بن زياد بن حنظلة ، قال : لما تراجع الطّلب من ذلك اليوم ، نادى منادى خالد بالرّحيل ، وسار بالنّاس ، واتّبعته الأثقال ؛ حتى ينزل بموضع الجسْر الأعظم من البصرة اليوم ، وقد أفلت قُباذ وأنوشجان ، وبعث خالد بالفتح وما بقىَ من الأخماس وبالفيل ، وقرأ الفتح على الناس . ولما قدم زِرّ بن كليب بالفيل مع الأخماس ، فطيف به فى المدينة ليراه النّاس ، جعل ضعيفات النساء يقلن : أمِن خلْق الله ما نرى ! ورأينَه مصنوعًا ، فردّه أبو بكر مع زِرّ . قال : ولما نزل خالد موضع الجسر الأعظم اليوم بالبَصْرة ؛ بعث المثنّى بن حارثة فى آثار القوم ؛ وأرسل معقل بن مُقرّن المزَنىّ إلى الأبُلّة ليجمع له مالها والسّبى ، فخرج معقل حتى نزل الأبُلّة فجمع الأموال[1] والسبايا .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه القصة فى أمر الأبُلّة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السِّيَر ، وخلاف ما جاءت به الآثار الصّحاح ، وإنما كان فتح الأبلّة أيام عُمر رحمه الله ، وعلى يد عُتْبة بن غَزْوان فى سنة أربع عشرة من الهجرة ؛ وسنذكر أمرها وقصّة فتحها إذا انتهينا إلى ذلك إن شاء الله . ٢٠٢٦/١

* * *

رجع الحديث إلى حديث سيف ، عن محمّد بن نويرة ، عن حنظلة بن زياد ، قال : وخرج المثنّى حتّى انتهى إلى نهر المرأة ، فانتهى إلى الحصن الذى فيه المرأة ، فخلّف المُعَنّى بن حارثة عليه ، فحاصرها فى قَصْرها ، ومضى المثنّى إلى الرّجُل فحاصره ثم استنزلهم عَنْوةً ؛ فقتلهم واستفاء[2] أموالهم ؛ ولمّا بلغ ذلك المرأة صالحت المثنّى وأسلمتْ ، فتزوّجها المعنّى ، ولم يحرّك خالد وأمراؤه الفلاّحين فى شىء من فتوحهم لتقدّم أبى بكر إليه فيهم ، وسبَى أولاد المقاتلة الّذين كانوا يقومون بأمور الأعاجم ، وأقرّ مَن لم ينهض من الفلاحين ؛ وجعل لهم الذّمّة ؛ وبلغ سهمُ الفارس فى يوم ذات السلاسل والثّنْى ألف درهم ، والراجل على الثلث من ذلك .

---

(١) س : « المال » . (٢) ز ، س : « واستبق » .

[ذكر وقعة المذار]

قال : وكانت وقعة المذار فى صفر سنة اثنتى عشرة ، ويومئذ قال الناس : صفر الأصفار ، فيه يقتَل كلّ جبَّار ، على مجمع الأنهار . حدّثنا عُبيدالله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن زياد والمهلّب ، عن عبد الرحمن ابن سياه الأحمرىّ .

وأمَّا فيما كتب به إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، فإنَّه عن سيف ، عن المهلّب بن عُقْبة وزياد بن سَرْجِس الأحمرىّ وعبد الرحمن بن سياه الأحمرىّ وسفيان الأحمرىّ ، قالوا : وقد كان هُرْمز كتب إلى أردشير وشيرى[1] بالخبر بكتاب خالد إليه بمسيره من اليمامة نحوه ، فأمدّه بقارِن بن قريانس ، فخرج قارن من المدائن مُمِـدًّا لهرمز ؛ حتى إذا انتهى إلى المذار بلغتْه الهزيمة ؛ وانتهت إليه الفُلاّل فتذامَروا ، وقال فُلاّل الأهواز وفارس لفلاّل السواد والجبَل : إن افترقتم لم تجتمعوا بعدَها أبدًا ؛ فاجتمعوا على العَوْد مرّة واحدة ، فهذا مدد الملك وهذا قارن ، لعلّ الله يُديلُنَا ويشفينا من عدوّنا ونُدرك بعضَ ما أصابوا منَّا . ففعلوا وعسكروا بالمذار ، واستعمل قارن على مجنِّبته قُبَاذ وأنوشجان ، وأرَز[2] المثنَّى والمعنَّى إلى خالد بالخبَر ؛ ولمَّا انتهى الخبر إلى خالد عن قارن قسَم الفَىْء على مَن أفاءه الله عليه ، ونفَّل من الخمْس ما شاء الله ، وبعث ببقيَّته وبالفتح إلى أبى بكر وبالخَبَر عن القوم وباجتماعهم إلى الثِّنْى المغيثِ والمغاث ، مع الوليد ابن عُقْبة — والعرب تسمى كلّ نهر الثِّنْى — وخرج خالد سائرًا حتّى ينزل المذار على قارن فى جموعه ، فالتقوْا وخالد على تعبيته ، فاقتتلوا على حَنَقٍ وحفيظة ، وخرج قارن يدعو للبراز ، فبرز له خالد وأبيض الركبان معقل بن الأعشى بن النبَّاش ، فابتدراه ، فسبقه إليه معقِل ، فقتله وقتل عاصِمٌ الأنوشجان ، وقتل عدىٌّ قُباذ . وكان شرف قارن قد انتهى ؛ ثم لم يقاتل

١/ ٢٠٢٧

---

(١) ابن حبيش : « وشيرين » .

(٢) أرز هنا : أسرع .

١/٢٠٢٨ المسلمون بعده أحداً انتهى شرفه فى الأعاجم، وقُتلت فارس مقتلة عظيمة؛ فضمّوا السفُنَ، ومنعت المياه المسلمين مِن طلَبهم، وأقام خالد بالمذار، وسلّم الأسلاب لمن سلَبها بالغةً ما بلغتْ، وقسّم الفىءَ ونفّل من الأخماس أهل البلاء، وبعث ببقيّة الأخماس، ووفّد وفداً مع سعيد بن النعمان أخى بنى عدىّ بن كعب.

حدثنا عُبيد الله، قال: حدّثنى عمّى، عن سيف، عن محمّد بن عبد الله، عن أبى عثمان، قال: قتل ليلة المذار ثلاثون ألفًا سوَى مَن غرق، ولولا المياه لأتِىَ على آخرهم؛ ولم يفلت منهم مَن أفلت إلا عُراة وأشباه العراة.

قال سيف، عن عمرو والمجَالد، عن الشعبىّ، قال: كان أوّل مَن لقِىَ خالد مَهْبَطه العراق هرمزَ بالكواظم، ثمّ نزل الفرات بشاطئِ دِجْلة؛ فلم يلقَ كيداً، وتبحبَح بشاطئ دجلة، ثم الثِّنْى، ولم يلقَ بعد هرمز أحداً إلا كانت الوقْعة الآخرة أعظَم من التى قبلها، حتى أتى دُومَةَ الجندل، وزاد سهمُ الفارس فى يوم الثِّنْى على سهمه فى ذات السلاسل. فأقام خالد بالثِّنْى يسبِى عِيالات المقاتلة ومَن أعانَهم، وأقرّ الفلاحين ومن أجاب إلى الخراج من جميع الناس بعد ما دُعوا، وكلّ ذلك أخذ عنوةً ولكن دُعوا إلى الجزاء[1]، فأجابوا وتراجعوا، وصاروا ذمّة، وصارت أرضهم لهم؛ كذلك جرى مالم يُقسم، فإذا اقتُسم فلا.

١/٢٠٢٩ وكان فى السّبْى حبيب أبو الحسن — يعَنى أبا الحسن البصرىّ — وكان نصرانيًّا، ومافنّة مولى عثمان، وأبو زياد مولَى المغيرة بن شعبة.

وأمّر على الجند سعيد بن النُّعمان، وعلى الجزاء سُوَيد بن مُقرّن المزنىّ، وأمره بنزول الحفير، وأمره ببثّ عُمّاله ووضع يده فى الجباية، وأقام لعدوّه يتحسّس الأخبار.

* * *

---

(١) س: «الخراج».

[ذكر وقعة الولَجة]

ثم كان أمر الولَجة فى صفر من سنة اثنتى عشرة؛ والولَجة مما يلى كَسْكر من البرّ .

حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدّثنى عمى ، قال : حدّثنى سَيْف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبىّ قال لما فرغ خالد من الثِّنْىِ وأتى الخبرُ أردشير ، بعث الأنْدَرْزَغَرَ[١] ؛ وكان فارِسيًّا من مولَّدى السّواد .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثنى عمّى ، قال : حدثنى سيف ، عن زياد بن سَرْجِس ، عن عبد الرحمن بن سياه ، قال — وفيما كتب به إلىّ السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ؛ قال : حدثنا سَيْف ، عن المهلّب بن عُقْبة وزياد بن سرجس وعبد الرحمن بن سياه — قالوا : لمَّا وقع الخبرُ بأردَشير بمصاب قارن وأهل المَذَار ، أرسل الأندرْزَغَر ؛ — وكان فارسيًّا من مولّدى السواد وتُنَّائهم[٢] ؛ ولم يكن ممّن وُلد فى المدائن ولا نشأ بها — وأرسل بَهمن جاذَوَيْه فى أثره فى جيش ، وأمَره أن يعبُر طريق الأندرْزَغَر ؛ ٢٠٣٠/١ وكان الأندرْزَغَر قبل ذلك على فَرْج خُراسان ؛ فخرج الأندرْزَغَر سائرًا من المَدَائن حتى أتى كَسْكَر ، ثم جازَها إلى الوَلَجة ، وخرج بَهْمَن جاذويه فى أثره ، وأخذ غير طريقه ، فسلك وسط السَّواد ، وقد حشر إلى الأندرْزَغَر من بيْن الحيرة وكَسْكَر من عرب الضّاحية والدّهاقين فعسكروا إلى جَنْب عسكره بالوَلَجة ؛ فلمَّا اجتمع له ما أراد واستتمّ أعجبه ما هو فيه ، وأجمع السَّيْر إلى خالد ؛ ولما بلغ خالدًا وهو بالثِّنْىِ خبرُ الأندرْزَغَر ونزوله الوَلَجة ، نادى بالرّحيل ، وخلّف سُوَيْد بن مقرّن ، وأمره بلزوم الحفير ، وتقدّم إلى مَن خلّف فى أسفل دِجْلة ، وأمرهم بالحَذرِ وقِلّة الغَفْلَة ، وترك الاغترار ، وخرج سائرًا فى الجنود نحو الوَلَجة ، حتى ينزل على الأندرْزَغَر وجنوده ومَن تأشّب إليه[٣] ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا ؛ هو أعظم من قتال الثِّنْىِ .

---

(١) كذا ضبط فى ط . (٢) التناء : جمع تانىء ، وهو الطارىء الغريب .
(٣) ز : « معه » .

حدّثنا عبيد الله ، قال : حدّثني عمّي ، عن سيف ، عن محمّد بن أبي عثمان ، قال : نزل خالدٌ على الأندرْزَغَر بالولَجة في صَفَر ، فاقتتلوا بها قتالا شديدًا ، حتّى ظنّ الفريقان أنّ الصبر قد فرغ ، واستبطأ خالد كمينَه ؛ وكان قد وضع لهم كمينًا في ناحيتيْن ، عليهم بُسْر بن أبي رُهْم وسعيد بن مُرّة العِجليّ ، فخرج الكمين في وجْهين ، فانهزمت صفوف الأعاجم وولّوا ، فأخذهم خالد من بين أيديهم والكمين من خلْفهم ، فلم يرَ رجلٌ منهم مقتلَ صاحبه ؛ ومضى الأندرْزَغَر في هزيمته ، فمات عطشًا . وقام خالد في الناس خطيبًا يرغّبهم في بلاد العَجَم ، ويزهّدهم في بلاد العرب ، وقال : ألا ترونْ إلى الطّعام كرفْغ[1] التراب وبالله لو لم يلزمنا [2] الجهادُ في الله والدعاء إلى الله عزّ وجلّ ولم يكن إلاّ المعاش ؛ لكان الرأي أن نقارعَ على هذا الرّيف حتّى نكونَ أولى به ، ونولّي الجوعَ والإقلال مَن تولاّه ممّن اثّاقل عمّا أنتم عليه . وسار خالد في الفلاحين بسيرته فلم يقتلهم ، وسبَى ذراريّ المقاتلة ومَن أعانهم ، ودعا أهلَ الأرض إلى الجِزاء [3] والذمّة ، فتراجعوا .

٢٠٣١/١

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف — وحدّثنا عبيد الله ، قال : حدّثني عمّي ، عن سيف — عن عمرو ، عن الشّعبيّ ، قال : بارز خالد يوم الوَلَجة رجلاً من أهل فارس يُعدَل بألف رجل فقتله ، فلمّا فرغ اتّكأ عليه ، ودعا بغدَائه . وأصاب في أناس من بكْر بن وائل ابنًا لجابر بن بُجير وابناً لعبد الأسود .

* * *

(١) الرفغ : مجتمع التراب .
(٢) ز : « لو لم يكن منا » ابن كثير « يكن بنا » .
(٣) س : « الجزية » .

خبر أُلّيس ، وهى على صُلْب الفرات

قال أبو جعفر ، حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : حدّثنا سيف ، عن محمد بن طلحة ، عن أبى عثمان وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عتيبة . وأمّا السَّرِىّ فإنّه قال فيما كتب إلىّ : حدّثنا شُعيب، عن سيف ، عن محمّد بن عبد الله عن أبى عثمان ، وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عُتَيبة ، قالا : ولمّا أصاب خالد يوم الوَلَجة مَن أصاب من بكْر بن وائل مِن نصاراهم الّذِين أعانوا أهلَ فارس غضب لهم نصارَى قومِهم ؛ فكاتبوا الأعاجم وكاتبتهم الأعاجم ؛ فاجتمعوا إلى أُلّيس ، وعليهم عبد الأسود العِجْلىّ ، وكان أشدّ الناس على أولئك النّصارى مسلمو بنى عِجْل : عُتيبة بن النّهاس وسعيد بن مُرّة وفرات بن حَيّان والمثنّى بن لاحق ومذعور ابن عدىّ . وكتب أردشير إلى بَهمن جاذَوَيْه ، وهو بقُسْيَانا — وكان رافدَ فارس فى يوم من أيام شَهْرهم وبنوْا شهورَهم كلّ شهر على ثلاثين يومًا ؛ وكان لأهل فارس فى كلّ يوم رافد قد نُصِب لذلك يرفدُهم عند الملك ؛ فكان رافدهم بَهْمَن روز — أن سِر حتى تقدَم أُلّيس بجيشك إلى مَن اجتمع بها من فارس ونصارى العرب . فقدّم بَهْمَن جاذويه جابان وأمره بالحثّ ، وقال : كفكِفْ نفسَك وجندَك من قتال القوم حتى ألحق بك إلاّ أنْ يُعجِلوك . فسار جابان نحو أُلّيس ؛ وانطلق بَهْمَن جاذويه إلى أردشير ليُحْدِث به عهدًا ، وليستأمره فيما يريد أن يشيرَ به ، فوجده مريضًا ؛ فعرّج عليه ، وأخلَى جابان بذلك الوجه ، ومضى حتى أتى أُلَّيْس، فنزل بها فى صفَر ، واجتمعت إليه المسالح التى كانت بإزاء العرب[1] ؛ وعبد الأسود فى نصارى العرب من بنى عِجْل[2] وتيمْ اللّات وضُبَيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة ؛ وكان جابر بن بجير نصرانيا ، فساند عبد الأسود ؛ وقد كان خالد بلغه تجمّع عبدالأسود وجابر وزُهير فيمنْ تأشّب إليهم ، فنَهدلهم ولا يشعر بدنوّ جابان ، وليست لخالد همة إلاّ من تجمّع له من عرَب الضّاحية

١/٢٠٣٢ ١/٢٠٣٣

---

(١) ز : « الفرات » . (٢) ز : « بكر » .

ونصاراهم ؛ فأقبل فلمَّا طلع على جابان بألَيْس ، قالت الأعاجم لجابان : أنعاجلهم أم نغَدّى الناس ولانريهم أنا نحفِل بهم، ثم نقاتلهم بعد الفراغ ؟ فقال جابان : إن تركوكم والتّهاون بكم [(١)] فتهاونوا ، ولكن ظنّى بهم أن سيعجلونكم ويعجّلونكم عن الطعام . فعصوه وبسطوا البُسُط ووضعوا الأطعمة ، وتداعوْا إليها ، وتوافوْا عليها . فلمَّا انتهى خالد إليهم ، وقف وأمر بحطّ الأثقال ، فلمَّا وُضِعت توجّه إليهم ، ووكّل خالد بنفسه حوامىَ يحمُون ظهره ، ثم بَدَرَ أمام الصفّ ، فنادى : أين أبجر ؟ أين عبد الأسود ؟ أين مالك بن قيس ؟ رجلٌ من جَذْرة ؛ فنكَلُوا عنه جميعًا إلاّ مالكا ، فبرز له ، فقال له خالد : يا بنَ الخبيثة ، ما جرّأك علىَّ من بينهم ، وليس فيك وفاء ! فضربه فقتله ، وأجهض [(٢)] الأعاجمَ عن طعامهم قبل أن يأكلوا ؛ فقال جابان : ألم أقل لكم يا قومُ ! أما والله ما دخلتْنى من رئيس وحشة قطٌّ حتى كان اليوم ؛ فقالوا حيث لم يقدروا على الأكل تجلّدًا : نَدعُها حتى نفرغ منهم ؛ ونعود إليها . فقال جابان : وأيضًا أظنّكم والله لهم وضعتموها وأنتم [(٣)] لا تشعرون ؛ فالآن فأطيعونى ؛ سُمّوها ؛ فإن كانت لكم فأهْونُ هالكٍ ، وإن كانت عليكم كنتم قد صنعتم شيئًا ؛ وأبلَيْتم عذرًا . فقالوا : لا ، اقتدارًا عليهم . فجعل جابان على مجنّبتَيْه عبد الأسود وأبجر ؛ وخالد على تعبئته فى الأيام التى قبلها ، فاقتتلوا قتالا شديدًا ، والمشركون يزيدهم كَلَبًا وشدّةً ما يتوقّعون من قدوم بَهْمَن جاذويه ، فصابروا المسلمين للّذى كان فى علم الله أن يصيّرهم إليه ، وحَرِبَ المسلمون عليهم ، وقال خالد : اللهمّ إنَّ لك علىّ إن منحتَنا أكتافَهم ألاّ أستبقِىَ منهم أحدًا قدرْنا عليه حتى أجرِىَ نهرَهم بدمائهم !

١/٢٠٣٤

ثم إنّ الله عزّ وجلّ كشفَهم للمسلمين ، ومنحَهم أكتافهم ، فأمر خالد مناديَه ، فنادى فى الناس : الأسرَ الأسرَ ! لا تقتلوا إلاّ مَن امتنع ؛ فأقبلت الخيول بهم أفواجًا مستأسرين يساقون سَوْقاً ، وقد وكّل بهم رجالاً يضربون أعناقهم فى النهر ، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة ، وطلبوهم [(٤)] الغد وبعد الغد ؛

---

(١) ط : « بهم » ، وأثبت ما فى س .
(٢) أجهضهم : نحاهم . (٣) ز : « وأنكم »
(٤) ز : « وطلبوا إثرهم من الغد » .

حتى انتهوا إلى النهرين ، ومقدارِ ذلك من كلّ جوانب ألّيْس . فضرب أعناقهم ، وقال له القعقاع وأشباهٌ له : لو أنَّك قتلتَ أهلَ الأرض لم تجرِ دماؤهم ؛ إنّ الدّماء لا تزيد على أن تَرقرَق منذ نُهيتْ عن السَّيَلان ، ونُهيت الأرض عن نَشْف الدماء ؛ فأرسل عليها الماء تَبَرّ يمينك . وقد كان صدّ الماءَ عن النَّهر فأعاده ، فجرى دمًا عبيطًا[1] فسمِّى نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم . ٢٠٣٥/١

وقال آخرون منهم بشير بن الخصاصيّة ، قال : وبلغنا أن الأرض لما نشِفتْ[2] دمَ ابن آدم نُهيتْ عن نَشْف الدماء، ونُهِيَ الدّم عن السَّيَلان إلا مقدارَ بَرْدِه .

ولما هُزِم القوم وأجْلَوا عن عسكرهم ، ورجع المسلمون من طلبهم ودخلوه ؛ وقف خالد على الطعام ، فقال : قد نفَّلْتُكموه فهو لكم . وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى على طعام مصنوع نفَّله . فقعد عليه المسلمون لعشائِهم بالليل ، وجعل مَنْ لم يرَ الأرياف ولا يعرف الرّقاق يقول : ما هذه الرّقاق البيض ! وجعل مَنْ قد عرفها يجيبهم ، ويقول لهم مازحًا : هل سمعتم برقيق العيش ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : هو هذا ؛ فسمى الرّقاق ، وكانت العرب تسمّيه القرَى .

* * *

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثنى عمِّى ، قال : حدّثنا سيف ، عن عمرو بن محمّد ، عن الشَّعبيّ ، عمَّن حدّث ، عن خالد ، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم نفّل الناس يوم خَيْبَر الخبز والطَّبيخ والشِّواء ، وما أكلوا غير ذلك فى بطونهم غير متأثِّليه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن المغيرة ، قال : كانت على النَّهر أرحاء ، فطحنتْ بالماء وهو أحمر قوت العسكر ؛ ثمانية عشر ألفًا أو يزيدون ثلاثة أيام . وبعث خالد بالخبر مع رجل يدعى

---

(١) دماً عبيطا ، أى طرياً .

(٢) نشفت الأرض الدم : شربته .

١/٢٠٣٦ جَنْدَلا من بنى عجْل ، وكان دليلاً صارماً ، فقدم على أبى بكر بالخَبَر ، وبفتح ألَّيْس ، وبقدْر الفيء وبعدّة السَّبْى ، وبما حصل من الأخماس ؛ وبأهل البلاء من الناس ؛ فلمَّا قدم على أبى بكر ، فرأى صرامته وثباتَ خبره ، قال : ما اسمك ؟ قال: جَنْدَل ، قال : ويْهًا جندل !

نَفسُ عِصامٍ سَوَّدَتْ عِصامَا وَعَوَّدَتْهُ الكرَّ وَالإقْداما

وأمر له بجارية من ذلك السَّبْى ، فولدت له .

قال : وبلغت قتلاهم من ألَّيْس سبعين ألفًا جلّهم من أمْغيشِيَا .

قال أبو جعفر : قال لنا عبيد الله بن سعد : قال عمّى : سألت عن أمْغِيشِيَا بالحيرة فقيل لى : مَنِيشِيَا ، فقلت لسيف ، فقال : هذان اسمان[1] .

* * *

حديث أمغِيشِيا

فى صفر ، وأفاءَها الله عزّ وجلّ بغير خيل .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن محمد ، عن أبى عثمان وطلحة ، عن المغيرة ، قال : لمَّا فرَغ خالد من وقعة ألَّيْس ، نهض فأتى أمْغِيشِيَا ، وقد أعجلهم عمَّا فيها ، وقد جلا أهلُها ؛ وتفرّقوا فى السَّوَاد ، ومن يومئذ صارت السَّكرات[2] فى السَّواد ؛ فأمر خالد بهدم أمْغيشِيَا ١/٢٠٣٧ وكلّ شيء كان فى حيّزها ، وكانت مِصْرًا كالحيرة ؛ وكان فرات بادَقْلَى ينتهى إليها ، وكانت ألَّيْس من مسالحها ، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله قطّ .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن بَحْر بن الفُرات العجلىّ ، عن أبيه ، قال : لم يصِب المسلمون فيما بين ذات السَّلاسل وأمغيشِيا مثل شيء أصابوه فى أمغيشِيَا ، بلغ سهمُ الفارس ألفًا وخمسمائة ، سوى النَّفَل الذى نُفِّلَه أهلُ البلاء . وقالوا جميعًا : قال أبو بكر رحمه الله حين

---

(١) س : « هكذا سمعت » . (٢) ياقوت ٤ : ٣٢٧ : «السكرة : الفعلة » .

بلغه ذلك : يا معشرَ قريش — يخبرهم بالّذى أتاه : عدا أسدُكم على الأسد فغلّبه على خراذيله [١] ؛ أعجزت النساء أن ينسلن [٢] مثل خالد !

* * *

حديث يوم المَقْر وفم فُرات بادَقْلَى

قال أبو جعفر : كتب إلىّ السَّرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن أبى عثمان وطلحة ، عن المغيرة : أن الآزاذبه كان مرزُبان الحِيرة أزمان كسرى إلى ذلك اليوم ؛ فكانوا لا يمدّ بعضُهم بعضا إلاّ بإذن الملك ، وكان قد بلغ نصف الشَّرَف ، وكان قيمة قَلَنْسُوته خمسين ألفا ؛ فلما أخرب خالد أمغيشيا ، وعاد أهلها سَكَرات لدهاقين القرى علم الآزاذبه أنّه غيرُ متروك ، فأخذ فى أمره وتهيّأ لحرب خالد ، وقدّم ابنه ثم خرج فى أثرِه حتى عسكر خارجًا من الحيرة؛ وأمر ابنه بسدّ الفرات ، ولما استقلّ خالد من أمغيشيا وحمل الرَّجْل [٣] فى السفن مع الأنفال والأثقال ، لم يفجأ خالدٌ إلاّ والسفنُ جوانح [٤] ، فارتاعوا لذلك ، فقال الملاّحون : إنّ أهلَ فارس فجرّوا الأنهار ؛ فسلك الماء غير طريقه؛ فلا يأتينا الماء إلاّ بسدّ الأنهار ، فتعجّل خالد فى خيلٍ نحو ابن الآزاذبه ، فتلقّاه على فمِ العتيق خيلٌ من خيله ؛ فجأهم وهم آمنون لغارة خالد فى تلك الساعة ، فأنامهم بالمقْر ، ثم سار من فَوْرِه وسبق الأخبارَ إلى ابن الآزاذبة حتّى يلقاه وجندَه على فم فرات بادَقْلَى ؛ فاقتتلوا فأنامهم ؛ وفجّر الفُرات وسدّ الأنهار وسلك الماءُ سبيلَه .

٢٠٣٨/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد ، عن أبى عثمان وطلحة عن المغيرة ، وبحر عن أبيه ، قالوا . وحدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : حدّثنا سيفٌ ، عن محمّد عن أبى عثمان ، وطلحة عن المغيرة ، قالا : لمّا أصابَ خالد ابن الآزاذبه على فم فرات بادَقْلَى ، قصد

---

(١) الخراذيل : قطع اللحم ، واحدة خرذولة .

(٢) كذا فى ز ، وفى ط : « أن ينشئوا » ، وفى التصويبات : « ينشئن » .

(٣) س : « الرجال » .

(٤) جنحت السفينة جنوحاً : انتهت إلى الماء القليل ، فلزقت بالأرض فلم تمض .

للحيرة ، واستلحق أصحابه ، وسار حتى ينزل بين الخورْنَق والنَّجَف ، فقدِم خالد الخورنَق، وقد قطع الآزاذبه الفُرات هاربًا من غير قتال ؛ وإنَّما حداه على الهَرَب أنّ الخبر وقع إليه بموت أردشير ومصاب ابنه ، وكان عسكره بين الغَرِيَّيْن والقصر الأبيض . ولمَّا تتامّ أصحابُ خالد إليه بالخورنق خرج من العسكر حتى يعسكر بموضع عسكر الآزاذبه بين الغريّيْن والقصر الأبيض ، وأهلُ الحيرة متحصّنون ، فأدخل خالد الحيرة الخيلَ من عسكرهَ، وأمر بكلّ قصر رجلا من قوّاده يحاصر أهلَه ويقاتلهم ، فكان ضرار بن الأزور محاصرًا القصر الأبيض ، وفيه إياس بن قَبيصة الطائىّ ، وكان ضرار بن الخطاب محاصرًا قصر العدَسيّين وفيه عدىّ بن عدىّ المقتول ، وكان ضرار بن مقرّن المزنىّ عاشر عشرة إخوة له محاصرًا قصرَ بنى مازن ، وفيه ابن أكَّال ؛ وكان المثنَّى محاصرًا قصر ابن بُقَيلة وفيه عمرو ابن عبد المسيح ؛ فدعوهم جميعًا ، وأجَّلُوهم يومًا ، فأبى أهلُ الحيرة ولجُّوا ، فناوشهم المسلمون .

١/٢٠٣٩

حدّثنى عبيدُ الله بن سعد ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف، عن الغُصْن بن القاسم ، رجل من بنى كنانة — قال أبو جعفر : هكذا قال عُبيد الله . وقال السَّرِىّ فيما كتب به إلىّ : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن الغصن بن القاسم ، عن رجل من بنى كنانة — قال : عهِد خالد إلى أمرائه أن يبدءوا بالدّعاء ، فإن قَبِلُوا قبلوا منهم وإن أبَوْا أن يؤجَّلوهم يومًا ، وقال: لا تمكّنوا عدوّكم من آذانكم، فيتربّصوا بكم الدوائر؛ ولكن ناجزُوهم ولا تُرَدّدُوا [1] المسلمين عن قتال عدوّهم. فكان أوّل القُوّاد أنشب القتال بعد يوم أجلَوهم فيه ضرار بن الأزور ، وكان على قتال أهل القَصْر الأبيض، فأصبحوا وهم مشرفُون؛ فدعاهم إلى إحدى ثلاث : الإسلام، أو الجزَاء ، أو المنابذة ، فاختاروا المنابذة وتنادوا : عليكم الخزازيف، فقال ضرار: تنحَّوْا لا ينالكم الرّمى، حتى ننظر فى الذى هتفوا به. فلم يلبث أن امتلأ رأسُ

١/٢٠٤٠

---

(١) ز : « ولا تردوا » .

القصر من رجال متعلِّقى المخالى، يرمون المسلمين بالخزازيف — وهى المدَاحى من الخزَف — فقال ضرار : ارشقوهم، فدنوْا منهم فرشقُوهم بالنَّبْل، فأعروْا رءوس الحيطان، ثم بثُّوا غارتهم فيمن يليهم، وصبَّح أميرَ كلِّ قوم أصحابه بمثل ذلك، فافتتحوا الدُّور والدّيرات، وأكثروا القتل، فنادى القسيسون والرُّهبان : يا أهلَ القصور، ما يقتلنا غيركم. فنادى أهل القصور : يَا معشرَ العرب، قد قبِلْنا واحدة من ثلاث؛ فادعوا بنا وكُفّوا عنّا حتّى تبلِغونا خالداً. فخرج إياس بن قَبِيصة وأخوه إلى ضرار بن الأزور، وخرج عدىّ بن عدىّ وزيد بن عدىّ إلى ضرار بن الخطاب — وعدىّ الأوسط الذى رثته أمّه وقتل يوم ذى قَار — وخرج عمرو بن عبد المسيح وابن أكّال، هذا إلى ضرار بن مقرّن، وهذا إلى المثنّى بن حارثة، فأرسلوهم إلى خالد وهم على مواقفهم.

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد عن أبى عثمان، وطلحة عن المغيرة، قالا : كان أوّل مَنْ طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح ابن قيس بن حيّان بن الحارث وهو بُقَيْلة — وإنما سُمى بُقَيلة لأنه خرج على قومه فى برْدَيْن أخضرين، فقالوا : يا حارِ[1] ما أنت إلا بُقَيلة خضراء — وتتابعوا[2] على ذلك، فأرسلهم الرؤساء إلى خالد، مع كل رجل منهم ثِقة؛ ليصالح عليه أهلَ الحصن، فخلا خالد بأهلِ كلِّ قصرٍ منهم دون الآخرين، وبدأ بأصحابِ عدىّ، وقال : ويحكم! ما أنتم! أعرب؟ فما تنقمون من العرب! أو عجم؟ فما تنقمون من الإنصاف والعدل! فقال له عدىّ : بل عرب عاربة وأخرى متعرّبة، فقال : لو كنتم كما تقولون لم تحادُّونا وتكرهوا أمرنا، فقال له عدىّ : لَيدلّك على ما نقول أنّه ليس لنا لسان إلاّ بالعربية، فقال : صدقتَ. وقال : اختاروا واحدة من ثلاث : أن تدخلوا فى ديننا فلكم مالنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم

١/٢٠٤١

(١) ز : « يا جار ».

(٢) ابن حبيش : « وتبايعوا ».

وإنْ أقمتم فى دياركم، أو الجزية ، أو المنابذة والمناجزة ؛ فقد والله أتيتُكم بقوم هم على الموت أحرصُ منكم على الحياة . فقال : بل نعطيك الجزْية ، فقال خالد : تبًّا لكم ، ويحكم ! إنّ الكُفْر فلاة مَضَلّة، فأحمقُ العرب مَن سلكها فلقيه دليلان : أحدهما عربىّ فتركه واستدلّ الأعجمىّ . فصالحوه على مائة ألف وتسعين ألفا؛ وتتابعوا على ذلك ، وأهدَوا له هدَايا ، وبعث بالفتح والهدايا إلى أبى بكر رحمه الله مع الهذيل الكاهلىّ ، فقبلها أبو بكر من الجِزَاء ، وكتب إلى خالد أن احسبْ لهم هديّتهم من الجِزَاء، إلاّ أن تكون من الجِزَاء، وخذ بقيّة ما عليهم فقوِ بها أصحابك: وقال ابن بُقَيْلة : ١/٢٠٤٢

أبعْدَ المُنْذِرِيْنِ أرَى سَواماً تُرَوَّحُ بالخَوَرْنَق والسَّدير !
وبَعْدَ فَوارِسِ النُّعْمان أرْعى قَلوصاً بين مُرَّةَ والحَفِيرِ
فصِرْنا بعد هُلْك أَبِى قُبَيْس كجُرْب المَعْز فى اليوم المَطِيرِ
تَقَسَّمَنا القبائلُ مِنْ مَعَدٍّ علانِيَةً كأَيْسارِ الجَزُورِ
وكُنَّا لا يرامُ لنا حَرِيمٌ فنحْنُ كضَرَّةِ الضرْعِ الفَخُورِ
نؤدِّى الخَرْجَ بعد خَراجِ كِسْرَى وخَرْجٍ مِنْ قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ
كذاك الدَّهْرُ دَوْلَتَه سِجالٌ فيَوْمٌ مِنْ مَساءَةٍ أو سُرُورِ

* * *

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب، عن سيف ، عن الغصن بن القاسم عن رجل من بنى كِنانة ، ويونس بن أبى إسحاق بنحو منه، وقالا : فكانوا يختلفون إليه ويقدَمون فى حوائجهم عمرو بن عبد المسيح ، فقال له خالد : كم أتتْ عليك [من السنين] قال :مئو سنين ، قال : فما أعجبُ ما رأيت ؟ قال: رأيتُ القرى منظومةً ما بين دمشق والحِيرة ، تخرجُ المرأة من الحيرة فلا تُزَوَّدُ إلا رغيفًا . فتبسّم خالد ، وقال : ١/٢٠٤٣

* هل لك من شَيخك إلا عَمَلُهْ [1] *

---

(١) ط : « عقله » تصحيف ، وهو يضرب للرجل حين يكبر ، وبقيته :

* إلّا رسيمه وإلّا رَمَلُهْ *

وانظر مجمع الأمثال ٢ : ٢٨٩ .

خرِفْتَ والله ياعمرو! ثم أقبل على أهل الحيرة فقال: ألم يبلغنى أنكم خَبَثَة خَدَعَة مكَرة[١] ! فمالكم تتناولون حوائجكم بخرِف لا يدرَى من أين جاء! فتجاهل له عمرو، وأحبَّ أن يريَه من نفسه ما يَعْرِفُ به عقلَه، ويستدلّ به على صحّة ما حدّثه به، فقال: وحقِّك أيها الأمير، إنّى لأعرف من أين جئتُ؟ قال: فمن أين جئتَ؟ قال: أقْرب أم أبْعِد؟ قال: ما شئت، قال: من بَطْن أمى، قال: فأين تريد؟ قال: أمامى، قال: وما هو؟ قال: الآخرة. قال: فمن أين أقصَى أثرِك؟ قال: من صُلْب أبى، قال: ففيم أنت؟ قال: فى ثيابى، قال: أتعقل؟ قال: إى والله وأقيِّد. قال: فوجده حين فرّه عِضًّا[٢]، وكان أهل قريته أعلم به — فقال خالد: قتلت أرضٌ جاهلَها، وقتَل أرْضًا عالمها؛ والقوم أعلم بما فيهم. فقال عمرو: أيُّها الأمير، النملة أعلم بما فى بيتها من الجَمل بما فى بيت النَّملة. وشاركهم فى هذا الحديث من هذا المكان محمد بن أبى السَّفَر، عن ذى الجوشن الضِّبابىّ، وأمّا الزهرىّ فإنه حدثنا به، فقال: شاركهم فى هذا الحديث رجل من الضِّباب.

١/٢٠٤٤

قالوا: وكان مع ابن بُقيلة مَنْصفٌ[٣] له فعلّق كيسًا فى حَقْوِه، فتناول خالد الكيس، ونثر ما فيه فى راحتِه، فقال: ما هذا يا عمرو؟ قال: هذا وأمانة الله سَمّ ساعة، قال: لِمَ تحتقب السمّ؟ قال: حشيت أن تكونوا على غير ما رأيتُ، وقد أتيتُ على أجلِى، والموت أحبُّ إلىّ من مكروه أدخِله على قومى وأهل قريتى. فقال خالد: إنّها لن تَموت نفْسٌ حتى تأتىَ على أجلِها، وقال: بسم الله خير الأسماء، ربّ الأرض وربّ السماء، الذى ليس يضرّ مع اسمه داء، الرحمن الرحيم. فأهوَوْا إليه ليمنعوه منه، وبادرهم فابتلعه، فقال عمرو: والله يا معشَر العرب لتملكُنّ ما أردتم ما دام منكم أحدِ أيّها القَرن[٤]. وأقبل على أهل الحيرة، فقال: لم أر كاليوم أمرًا أوضحَ إقبالاً!

---

(١) خبثة: جمع خبيث، قال فى اللسان: «وليس فى الكلام «فعيل» يجمع على فعلة غيره». وخدعة مكرة: جمع خادع وماكر.

(٢) فره: اختبره، والعض بالكسر: الداهية.

(٣) المنصف كمقعد ومنبر: الخادم.

(٤) القرن هنا: أهل الزمان الواحد.

وأبى خالد أن يكاتبَهم إلاَّ على إسلام كرامةَ بنت عبدالمسيح إلى شُوَيل؛ فثقُل ذلك عليهم، فقالت: هوّنوا عليكم وأسلمونى، فإنّى سأفتدى. ففعلوا؛ وكتب خالد بينه وبينهم كتابًا:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عديًّا وعمرا ابنىْ عدىّ، وعمرَو بنَ عبد المسيح وإياس بنَ قَبيصة وحيرىّ بن أكّال — وقال عبيد الله: جبرىّ — وهم نقباء أهل الحيرة؛ ورضىَ بذلك أهلُ الحيرة، وأمروهم[1] به — عاهدهم على تسعين ومائة ألف درهم، تُقبَل فى كلّ سنة جِزاءً عن أيديهم فى الدنيا؛ رهبانهم وقسّيسهم؛ إلاّ مَن كان منهم على غير ذى يدٍ، حبيسًا عن الدنيا، تاركًا لها — وقال عبيدُ الله: إلاّ من كان غير ذى يد حبيسًا عن الدنيا، تاركا لها — أوسائحًا[2] تاركاً للدنيا، وعلى المنَعة، فإن لم يمنعهم فلا شىء عليهم حتى يمنعهم، وإن غدروا بفعل أو بقوْل فالذمّة منهم بريئة. وكُتِب فى شهر ربيع الأول من سنة اثنتى عشرة، ودفع الكتاب إليهم.

١/٢٠٤٥

فلما كفر أهلُ السّواد بعد موت أبى بكر استخفّوا بالكتاب، وضيّعوه، وكفروا فيمن كفر، وغلب عليهم أهل فارس؛ فلما افتتح المثنّى ثانية؛ أدْلَوْا بذلك، فلم يجبْهم إليه، وعاد بشرط[3] آخر؛ فلما غُلب المثنّى على البلاد كفَروا وأعانوا[4] واستخفّوا وأضاعوا الكتاب. فلمّا افتتحها سعد، وأدْلَوا بذلك سألهم واحداً من الشّرْطين، فلم يجيئوا بهما؛ فوضع عليهم وتحرّى ما يرى أنهم مُطيقون[5]، فوضع عليهم أربعمائة ألف سوى الحَرَزة — قال عبيدُ الله: سوى الخرَزة[6].

حدّثنا عبيدُ الله، قال: حدّثنى عمّى، عن سيف — والسَّرِىّ، عن

(١) س: «وأمرهم». (٢) كذا فى ز، وفى ط: «وسائحاً».
(٣) س: «ودعا لشرط».
(٤) س: «وأغاثوا».
(٥) ابن حبيش: «يطيقون».
(٦) الخرزة: نوع من جزية الرءوس، كانت معروفة فى زمن الأكاسرة يؤديها، كل من لم يدخل فى جند الحكومة. الوثائق السياسية: ٤٢٢.

شُعيب ، عن سيف — عن الغُصن بن القاسم الكنانيّ ، عن رجل من بنى كِنانة ويونسَ بن أبى إسحاق ، قالا : كان جرير بن عبد الله ممّن خرج مع خالد بن سعيد بن العاصى إلى الشأم ، فاستأذن خالدًا إلى أبى بكر ليكلّمه فى قومه وليجمّعهم له ؛ وكانوا أوزاعًا فى العرب ، وليتخلّصهم ؛ فأذن له ، فقدِم على أبى بكر ، فذكر له عدَةً من النبىّ صلى الله عليه وسلم وأتاه على العدَة بشهود ، وسأله إنجاز ذلك ، فغضب أبو بكر ، وقال له : ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث[1] المسلمين ممن بإزائهم من الأسديْن فارس والروم ؛ ثم أنْتَ تكلّفنى التّشاغُل بما لا يغنِى عمّا هو أرضى لله ولرسوله ! دعْنِى وسِرْ نحو خالد بن الوليد حتّى أنظر ما يحكم الله فى هذين الوجْهيْن . ١/٢٠٤٦

فسار حتّى قدِم على خالد وهو بالحيرة ، ولم يشهد شيئًا ممّا كان بالعراق إلاّ ما كان بعد الحيرة ؛ ولا شيئًا ممّا كان خالد فيه من أهل الرّدّة . وقال القعقاع بن عمرو فى أيام الحيرة[2] :

سَقَى اللهُ قَتْلَى بِالفُراتِ مُقِيمَةً ... وأخرَى بأَثْباجِ النّجافِ الكوانِفِ

فنحْنُ وَطِئْنا بالْكواظِمِ هُرْمُزاً ... وبِالثِّنْىِ قَرْنَىْ قارنٍ بِالْجوارِفِ

ويَوْمَ أحَطْنا بالقُصُورِ تتابعَتْ ... على الحِيرَةِ الرَّوْحاءِ إحْدَى المَصارِفِ

حطَطْناهُمُ مِنْها وقَدْ كادَ عَرْشُهُمْ ... يَميلُ بهم ، فِعْلَ الجبانِ المُخالِفِ[3] ١/٢٠٤٧

رَمَيْنا عَلَيهِم بِالْقَبُولِ وَقَدْ رَأَوْا ... غَبُوقَ المنايا حَوْلَ تِلكَ المَحارِفِ

صَبيحَةَ قالوا نَحْنُ قَوْمٌ تَنزَّلُوا ... إلى الرِّيفِ مِن أرضِ العُرَيْبِ المَقانِفِ

* * *

خبر ما بعد الحيرة

حدّثنا عبيد الله بن سعد الزهرىّ ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن جميل الطائىّ ، عن أبيه ، قال : لما أعطِىَ شُوَيل كرامة بنت عبد المسيح

---

(١) ز : « نغوث » . (٢) ابن كثير : « الردة » .
(٣) كذا فى ابن كثير ، وفى ط : « يحيل به » .

قلت لعدىّ بن حاتم : ألا تعجبُ من مسألة شويل كرامةَ بنت عبد المسيح على ضَعْفه ! قال : كان يَهْرِف بها دهَره ، قال : وذلك أنّى لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما رُفع له من البلدان ، فذكر الحيرة فيما رُفع له، وكأنّ شُرَف قصورها أضراسُ الكلاب ؛ عرفت أن قد أرِيَها ، وأنها ستفتح ، فلقّيتُه[1] مسألتها .

وحدّثنا عبيد الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، قال : قال لى عمرو والمجالد ، عن الشعبىّ — والسرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبىّ — قال : لما قدم شُوَيل إلى خالد ، قال : إنى سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يذكر فتحَ الحيرة ، فسألتُه كرامةَ ، فقال : « هى لك إذا فتحت عنوةً » . وشُهد له بذلك ، وعلى ذلك صالحهم ؛ فدفعها إليه ، فاشتدّ ذلك على أهلِ بيتها وأهل قرْيتها ما وقعت فيه ، وأعظموا الخَطَر ، فقالت : لا تُخطروه ، ولكن اصبروا ؛ ما تخافون على امرأة بلغت ثمانين سنة ! فإنّما هذا رجلٌ أحمقُ رآنى فى شبيبتى فظن أنّ الشباب يدوم . فدفعوها إلى خالد ؛ فدفعها خالد إليه ، فقالت : ما أرَبُك إلى عجوز كما ترى ! فَادِنِى ، قال : لا ، إلاّ على حُكْمى ، قالت: فلك حكمك مُرسَلا . فقال : لستُ لأمٍّ شويل إن نقَصْتُك من ألف درهم ! فاستكثرتْ ذلك لتخدَعه ، ثم أتته بها . فرجَعتْ إلى أهلها ، فتسامع الناس بذلك ، فعنّفوه ، فقال : ماكنت أرى أن عددًا يزيد على ألف ! فأبوْا عليه إلاّ أن يخاصمهم [فخاصمهم] [2] ، فقال : كانت نيّتى غاية العدد ، وقد ذكروا أنّ العدد يزيد على ألف ، فقال خالد : أردتَ أمرًا وأراد الله غيره ؛ نأخذ بما يظهر ونَدَعك ونيّتك ، كاذبًا كنت أو صادقًا .

١/٢٠٤٨

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، قال : لمّا فتح خالد الحيرةَ صلّى صلاةَ الفتح ثمانىَ ركعات لا يسلّم فيهنّ ، ثم انصرف ، وقال : لقد قاتلت يوم مُؤتَة فانقطع فى يدى تسعةُ

---

(١) ابن حبيش : « فلقنته » ، وهما فى المعنى سواء

(٢) من ابن حبيش .

أسياف ، وما لقيت قوماً كقوم لقيتُهم من أهل فارس ؛ وما لقيت من أهل فارسَ قوماً كأهل أُلَّيْس !

حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدّثني عمّي ، عن سيف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبيّ ، قال : صلّى خالد صلاةَ الفتح[1] ، ثم انصرف . ثم ذكر مثل حديث السريّ . ١/٢٠٤٩

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثني عمّي ، عن سيف – والسريّ ، عن شعيب ، عن سيف – عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قَيْس بن أبي حازم – وكان قدِم مع جرير على خالد – قال : أتينا خالداً بالحيرة وهو متوشّح قد شدّ ثوبه في عُنُقه يصلّي فيه وحده ، ثمّ انصرف ، فقال : اندقّ في يدى تسعةُ أسياف يوم مُؤْتة ، ثم صبرَتْ في يدى صَفيحةٌ[2] يمانيّة ، فما زالت معى.

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثني عمّي ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عُتيبة والغصن ابن القاسم ، عن رجل من بني كنانة وسفيان الأحمريّ عن ماهان ، قال : ولمّا صالحَ أهلُ الحيرة خالداً خرج صَلُوبا بن نسطونا صاحب قُسِّ النّاطف، حتى دخل على خالد عسكره ؛ فصالحه على بانِقْيا وبَسْما ، وضمِن له ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطئ الفرات جميعاً ، واعتقد لنفسه وأهلِه وقومه على عشرة آلاف دينار سوى الخَرَزة ، خرزة كسرى ؛ وكانت على كلّ رأس أربعة دراهم ، وكتب لهم[3] كتاباً فتمّوا وتمّ ، ولم يتعلّق عليه في حالِ غلبة فارس بغدْرٍ ، وشاركهم المجالد في الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من خالد بن الوليد لصلُوبا بن نَسْطونا وقومه ؛ إنّي عاهدتكم على الجِزْية والمَنَعة ؛ على كلّ ذى يدٍ ؛ بانقيا وبَسْما جميعاً ، على عشرة آلاف دينار سوى الخرَزة ، القويّ على ١/٢٠٥٠

(١) س : « الصبح » . (٢) الصفيحة : السيف العريض .

(٣) ابن حبيش : « وكتب له خالد . »

قدر قوّته ، والمقلّ على قدر إقلاله ، فى كلّ سنة . وإنّك قد نُقِّبْتَ على قومك ، وإنّ قومك قد رضُوا بك ، وقد قبلتُ ومَن معى من المسلمين ، ورضيتُ ورضىَ قومُك ؛ فلك الذّمّة والمنَعة ؛ فإن منعناكم فلنا الجزية ؛ وإلاّ فلا حتّى نمنعكم . شهد هشام بن الوليد ، والقعقاع بن عمرو ، وجرير بن عبد الله الحميرىّ ، وحنظلة بن الربيع . وكتِب سنة اثنتى عشرة فى صفر .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن أبى عثمان ، عن ابن أبى مُكنِف ، وطلحة عن المغيرة ، وسفيان عن ماهان . وحدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن محمّد ، عن أبى عثمان ، وطلحة عن المغيرة ، قال : كان الدّهاقين يتربّصون بخالد وينظُرون ما يصنع أهلُ الحيرة . فلمّا استقامَ ما بين أهل الحيرة وبين خالد ، واستقاموا له أتته دَهاقين المِلْطاطيْن[1] ، وأتاه زاذبن بُهيْش دِهقان فُرات سِرْيَا ، وصَلُوبا بن نسطونا بن بَصْبَهْرَى-هكذا فى حديث السرىّ ، وقال عبيد الله : صلوبا بن بصبهرى ونسطونا — فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هُرْمُزْجِرْدَ على ألفَىْ ألف — وقال عبيد الله فى حديثه : على ألف ألف ثقيل — وأنّ للمسلمين ما كان لآل كسرى ، ومَن مالَ معهم عن المقام فى داره فلم يدخل فى الصلح . وضرب خالد رِواقه فى عسكره ، وكتب لهم كتابًا :

١/٢٠٥١

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاذ بن بُهيش وصَلُوبا بن نسطونا ؛ لكم الذّمّة وعليكم الجزية ، وأنتم ضامنون لمن نُقِّبتُم عليه من أهل البِهْقُباذ الأسفل والأوسط — وقال عبيد الله : وأنتم ضامنون جزية[2] مَن نُقِّبتم عليه — على ألفى ألف ثقيل[3] فى كل سنة ؛ عن[4] كلّ ذى يد سوى ما على بانِقْيا وبَسْما وإنّكم قد أرضيتمونى والمسلمين ؛ وإنا قد أرضيناكم وأهل البِهْقُباذ

(١) كذا ورد الاسم فى ط على التثنية ، وفى ياقوت : « كان يقال لظهر الكوفة اللسان ، وما ولى الفرات منه الملطاط . وفى فتوح البلدان للبلاذرى ٣٤١ : «ما بين الكوفة والحيرة يسمى الملطاط » .

(٢) ط : « حرب » وانظر التصويبات . (٣) كذا فى ابن حبيش ، وفى ط : « تقبل » .

(٤) كذا فى ابن حبيش ؛ وفى ط : « ثم » .

الأسفل؛ ومن دخل معكم من أهل البِهقُباذ الأوسط على أموالكم ؛ ليس فيها ما كان لآل كسرى ومَن مال ميلَهم . شهد هشام بن الوليد، والقعقاع بن عمرو، وجرير بن عبد الله الحِميَرِىّ، وبشير بن عبيد الله بن الخصاصيّة، وحنظلة بن الربيع . وكتِب سنة اثنتى عشرة فى صَفَر .

وبعث خالد بن الوليد عمّاله ومسالحه ؛ فبعث فى العِمالة عبد الله بن وثيمة النّصْرىّ ، فنزل فى أعلَى العمل بالفلاليج على المَنَعة وقبض الجزية ، وجرير بن عبد الله على بانقيا وبَسْما ، وبشيرَ بن الخصاصيّة على النّهرَيْن فنزل الكُوَيْفة ببانبورا ، وسُوَيدَ بن مقرّن المزنىّ إلى نِستَر ، فنزل العَقَر — فهى تسمَّى عَقَر سُوَيد إلى اليوم، وليست بسويد المِنقرىّ سمّيت — وأطّ بن أبى أطّ إلى روذمستان ، فنزل منزلاً على نهر سُمّىَ ذلك النهر به — ويقال له: نهر أطّ إلى اليوم ؛ وهو رجل من بنى سعد بن زيد مناة ؛ فهؤلاء كانوا عمالَ الخَراج زمنَ خالد بن الوليد .

١/٢٠٥٢

وكانت الثُّغور[1] فى زمن خالد بالسَّيب ، بعث ضرار بن الأزور وضرار ابن الخطاب والمثنّى بن حارثة وضِرار بن مقرّن والقعقاع بن عمرو وبُسر بن أبى رُهْم وعُتَيْبة بن النّهاس ؛ فنزلوا على السَّيْب فى عَرْض ساطانه . فهؤلاء أمراءُ ثغور خالد . وأمرهم خالد بالغَارة والإلحاح . فَمَخَرُوا ما وراء ذلك إلى شاطئ دِجْلة .

قالوا : ولمّا غلب خالد على أحد جانبى السواد ، دعا من أهل الحيرة برجل ، وكتب معه إلى أهل فارس وهم بالمدائن مختلفون متساندون[2] لموت أردشير ؛ إلاأنهم قد أنزلوا بهمن جاذويه ببَهُرَسير ؛ وكأنّه على المقدّمة ، ومع بهمن جاذويه الآزاذبه فى أشباه له ، ودعا صلوبا برجُلٍ ، وكتب معهما كتابيْن ؛ فأمّا أحدُهما فإلى الخاصّة وأما الآخر فإلى العامّة ؛ أحدهما حِيرىّ والآخر نَبَطىّ .

١/٢٠٥٣

ولما قال خالد لرسول أهل الحيرة : ما اسمك ؟ قال : مُرّة ، قال : خذ

(١) ز : « البعوث » .
(٢) س : « متساترون » .

الكتاب فأتِ به أهل فارس، لعلّ الله أن يُمِرّ عليهم عيشَهم، أو يُسلموا، أو ينيبوا. وقال لرسول صلوبا: ما اسمك؟ قال: هِزْقيل، قال: فخذ الكتاب. وقال[1]: اللهمّ أزهق نفوسَهم.

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد وغيره، بمثله. والكتابان:

بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس؛ أمّا بعدُ؛ فالحمد لله الذى حلّ نظامكم، ووهّن كيدكم، وفرّق كلمتكم، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شرًّا لكم؛ فادخلوا فى أمرنا ندعكم وأرضكم، ونجوزكم إلى غيركم، وإلاّ كان ذلك وأنتم كارهون على غَلَبٍ، على أيدى قومٍ يحبّون الموت كما تحبّون الحياة.

بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس؛ أمّا بعد فأسلِموا تسلَموا؛ وإلاّ فاعتقدوا منى الذّمّة، وأدّوا الجزْية، وإلاّ فقد جئتكم بقوم يحبّون الموت، كما تحبّون شُربَ الخمر.

١/٢٠٥٤

حدّثنى عبيدُ الله، قال: حدّثنى عمّى، عن سيف، عن محمّد بن نويرة، عن أبى عثمان. والسرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن أبى عثمان والمهلب بن عُقْبة وزياد بن سَرْجِس، عن سياه وسفيان الأحمرىّ، عن مَاهَان: أن الخراج جُبِيَ إلى خالد فى خمسين ليلة، وكان الّذين ضَمِنوه والذين هم رءوس الرساتيق رُهُنًا فى يده، فأعطى ذلك كلّه للمسلمين، فقوُوا به على أمورهم. وكان أهلُ فارس بموت أردشير مختلفين فى المُلْك، مجتمعين على قتال خالد، متساندين؛ وكانوا بذلك سنةً، والمسلمون يمخرُون ما دون دِجْلة، وليس لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمْر؛ وليست لأحد منهم ذمّة إلاّ الذين كاتبوه واكتتبوا منه، وسائر أهل السواد جُلاّء، ومتحصّنون، ومحاربون. واكْتُتب عمّال الخراج، وكتبوا البراءات لأهل الخراج، من نسخة واحدة:

---

(١) ز: «وقل».

بسم الله الرحمن الرحيم . براءة لمن كان من كذا وكذا من الجِزْية الَّتى صالحهم عليها الأمير خالدُ بن الوليد ، وقد قبضت الَّذى صالحهم عليه خالد ، وخالد والمسلمون لكم يَدٌ على من بَدّل صلح خالد ؛ ما أقررتم بالجزية وكففتم . أمانكم أمان ، وصلحكم صلح ؛ نحن لكم على الوفاء . ٢٠٥٥/١

وأشهدوا لهم النَّفر من الصحابة الَّذِين كان خالد أشهدهم : هشاما ، والقعقاع ، وجابر بن طارق ، وجريرًا ، وبشيرًا ، وحنظلة ، وأزداذ ، والحجَّاج بن ذى العُنُق ، ومالك بن زيد .

حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، عن عبد خير ، قال : وخرجَ خالدٌ وقد كتب أهل الحيرة عنه كتابًا : إنَّا قد أدّيْنا الجِزْية الَّتِى عاهدَنا عليها خالدٌ العبد الصالح والمسلمون عباد الله الصالحون ، على أن يمنعونا وأميرهم البغىَ من المسلمين وغيرهم .

وأمَّا السرىّ ؛ فإنه قال فى كتابه إلىّ : حدثنا شُعيب ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، عن عبد خير ، عن هشام بن الوليد ، قال : فرغ خالد . . . ثم سائر الحديث مثل حديث عبيد الله بن سعد .

حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف — والسرىّ ، عن شعيب عن سيف — عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن ابن الهذيل الكاهلى نحواً منه ، قالوا : وأمر الرسولين اللّذَيْن بعثهما أن يوافِيَاه بالخبر ، وأقام خالد فى عَمَلِه سنة ، ومنزله الحيرة ، يصعّد ويصوّب قبل خروجه إلى الشأم ، وأهل فارس يخلعون ويملّكون ؛ ليس إلاّ الدّفع عن بَهُرَسِير ؛ وذلك أن شيرَى بن كسرى قتل كلّ مَن كان يناسبه[1] إلى كسرى بن قُباذ ، ووثب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه ، فقتلوا كلّ مَن بين كسرى بن قُباذ وبيْن بَهْرام جور ، فبقُوا لا يقدرون على من يملّكونَه ممن يجتمعون عليه . ٢٠٥٦/١

(١) ز : « إخوته ومن كان يناسبه » .

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثني عمّي ، قال : حدّثني سيف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبيّ ، قال : أقام خالدٌ بن الوليد فيما بين فتح الحيرة إلى خروجه إلى الشأم أكثرَ من سنة ، يعالج عَمَل عِياض الذى سُمّيَ له ، وقال خالد للمسلمين : لولا ما عهد إلىّ الخليفة لم أتنَقّذ[1] عياضًا ، وكان قد شجِيَ وأشجى بدُومة ، وما كان دون فتح فارس شيء ؛ إنها لسنّة كأنها سنّة نساء . وكان عهد إليه ألاّ يقتحم عليهم وخلفه نظام لهم . وكان بالعيْن عسكر لفارس وبالأنبار آخر وبالفراض آخر . ولما وقعت كتُب خالد إلى أهل المدائن تكلّم نساء آل كسرى ، فوُلّى الفرُّخزاذ بن البِنْدوان إلى أن يجتمع[2] آل كسرى على رجل إن وجدوه . ٢٠٥٧/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله عن أبى عثمان ، وطلحة عن المغيرة ، والمهلّب عن سياه ، وسُفْيان عن ماهان ، قالوا : كان أبو بكر رحمه الله قد عهد إلى خالد أن يأتىَ العِراق من أسفل منها ، وإلى عياض أن يأتىَ العراق من فَوْقِها ، وأيُّكما ما سبق إلى الحيرة فهو أميرٌ على الحِيرة ؛ فإذا اجتمعتما بالحيرة إن شاء الله وقد فضضتما مسالح ما بين العرب وفارس وأمِنتم أن يؤتىَ المسلمون من خلْفهم فلْيُقِم بالحيرة أحدُكما ، ولْيقتحم الآخر على القوم ، وجالدوهم عمّا فى أيديهم ، واستعينوا بالله واتّقُوه ، وآثروا أمرَ الآخرة على الدنيا يجتمعا لكم ؛ ولا تؤثروا الدنيا فتسلَبوهما . واحذروا ما حذّركم الله بترْك المعاصى ومعاجلة التوبة ؛ وإيّاكم والإصرار وتأخير التوبة .

فأتى خالد على ما كان أمِر به ، ونزل الحيرة ، واستقام له ما بين الفلاليج إلى أسفل السَّواد ، وفرّق سَواد الحيرة يومئذ على جرير بن عبد الله الحميرىّ ، وبشير بن الخَصاصيّة ، وخالد بن الواشمة ، وابن ذى العنق ، وأطّ ، وسويد وضرار ؛ وفرّق سواد الأبُلّة على سُوَيد بن مقرّن ، وحَسَكة الحبطىّ ، والحصين بن أبى الحُرّ ، وربيعة بن عِسْلٍ ، وأقرّ المسالحَ على ثُغورهم ، ٢٠٥٨/١

---

(١) يقال : تنقذه ، إذا نجاه وخلصه .

(٢) ز : « اجتمع » .

واستخلَف على الحيرة القعقاع بن عمرو . وخرج خالد فى عملِ عياض ليقضيَ ما بينه وبينه ، ولإغاثته ، فسلك الفَلُّوجة حتى نزل بكَرْبَلاء وعلى مَسْلَحتِها عاصم بن عمرو ، وعلى مقدّمة خالد الأقرع بن حابس ؛ لأنّ المثنَّى كان على ثَغْر من الثُّغور التى تلى[1] المدائن ؛ فكانوا يغاورون أهل فارس ، وينتهون إلى شاطئ دجلة قبل خروج خالد من الحيرة وبعد خروجه فى إغاثة عياض .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعَيب ، عن سيف ، عن أبى رَوْق ، عمَّن شهدهم بمثله ، إلى أن قال : وأقام خالد على كَرْبَلاء أيَّامًا ، وشَكَا إليه عبدُ الله بن وثيمة الذُّباب ، فقال له خالد : اصبِرْ فإنِّى إنَّما أريد أن أستفرغ المسالح التى أمِر بها عياضٌ فنُسكنها العرب ، فتأمن جنود المسلمين أن يؤتَوْا من خَلْفهم ، وتجيئنا العرب آمِنةً وغير مُتَعْتَعَة ؛ وبذلك أمرَنا الخليفة ، ورأيه يعدل نَجْدَةَ الأمَّة . وقال رجل من أشْجَع فيما حكى ابن وثيمة :

لقد حُبِسَتْ فى كَرْبَلاء مطيّتى … وفى العَيْنِ حتى عاد غَثًّا سمينُها[2]

إذا رَحلَتْ من مَبْرَكٍ رجعَتْ له … لَعَمْرُ أبيها إنَّنى لأهِينُها ٢٠٥٩/١

ويَمْنعُها من ماء كلِّ شريعةٍ … رِفاق من الذِّبان زُرقٌ عيونها

* * *

حديث الأنبار — وهى ذات العيون — وذكر كَلْواذَى

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمَّد وطلحة وأصحابهما ، قالوا : خرج خالدُ بن الوليد فى تعبيته الَّتى خرج فيها من الحيرة ، وعلى مقدّمته الأقرعُ بن حابس . فلمَّا نَزَل الأقرع المنزلَ الّذى يُسلمه إلى الأنبار أنتَجَ قومٌ من المسلمينَ إبلَهم ، فلم يستطيعوا العَرْجة[3] ،

---

(١) ط : « على » ، وأثبت ما فى ابن حبيش .

(٢) ياقوت ٧ : ٢٢٩ .

(٣) العرجة : المقام .

ولم يجدوا بُدًّا من الإقدام ، ومعهم بنات مَخَاض ، تتبعهم . فلمَّا نودِى بالرَّحيل صَرُّوا(١) الأمَّهات ، واحتقبوا المنتوجات؛ لأنها لم تطقِ السَّيْر؛ فانتهوا ركبانا إلَى الأنبار ، وقد تحصَّنَ أهلُ الأنبار ، وخندقوا عليهم ، وأشرفوا من حصنهم ، وعلى تلك الجنود شيرزاد صاحب ساباط ــ وكان أعقل أعجميّ يومئذ وأسودَه وأقنعَه فى الناس : العرب والعجم ــ فتصايح عربُ الأنبار يومئذ من السُّور ، وقالوا: صبَّح الأنبار شرٌّ؛ جَمَلٌ يحمل جُمَيْلَهُ وجملٌ تُربِّهُ عوذٌ(٢). فقال شيرزاذ : ما يقولون ؟ ففسَّر له ، فقال : أمَّا هؤلاء فقد قَضَوْا على أنفسهم ؛ وذلك أنّ القوم إذا قضوْا على أنفسهم قضاءً كاد يلزمهم ؛ والله لئن لم يكن خالد مجتازًا لأصالحنَّه ؛ فبيناهم كذلك قدِم خالد على المقدّمة ، فأطاف بالخندق ، وأنشب القتال ؛ وكان قليل الصَّبْر عنه إذا رآه أو سمع به ؛ وتقدّم إلى رُماته ، فأوصاهم وقال : إنِّى أرى أقوامًا لا علم لهم بالحرْب ، فارموا عيونهم ولا تَوَخَّوْا غيرَها ، فرموا رِشْقا(٣) واحدًا، ثم تابعوا ، ففقِىء ألف عين يومئذ ، فسُمّيت تلك الوقعة ذات العيون ؛ وتصايح القوم : ذهبت عيون أهل الأنبار ! فقال شيرزاذ : ما يقولون ؟ ففسر له، فقال : آباذ آباذ(٤). فراسل خالدًا فى الصُّلْح على أمر لم يرضَه خالد، فردّ رسلَه ، وأتى خالد أضيقَ مكان فى الخندق برذايا(٥) الجيش فنحرها ؛ ثم رمى بها فيه فأفعمه ؛ ثم اقتحم الخندق ــ والرذايا جسورهم ــ فاجتمع المسلمون والمشركون فى الخندق . وأرزَ القوم إلى حصنهم ، وراسل شيرزاذ خالدًا فى الصُّلْح على ما أراد ، فقبل منه على أن يخلّيَه ويُلْحِقَه بمأمنِه فى جريدة خيل، ليس معهم من المتاع والأموال شىء؛ فخرج شيرزاذ ، فلمّا قدِم على بهمن جاذويه ، فأخبره الخبر لامه ، فقال : إنى كنتُ فى قوم ليست لهم عقول ، وأصلهم من العرب، فسمعتهم مَقْدَمهم علينا يقضون على أنفسهم، وقلَّما قضى قوم على أنفسهم قضاء إلا وجب عليهم . ثم قاتلهم الجند ، ١/٢٠٦٠

(١) صر الناقة : شد ضرعها بالصرار ؛ لئلا يرضعها ولدها .

(٢) تربه : تصلحه . (٣) رموا رشقا ، أى وجهاً واحداً بجميع سهامهم .

(٤) آباذ ، كلمة ثناء بالفارسية ، ومعناها بارك الله ؛ وانظر المعجم فى اللغة الفارسية .

(٥) الرذايا : جمع رذية ؛ وهى الناقة المهزولة من السير .

ففقئوا فيهم وفى أهل الأرض ألف عين ؛ فعرفتُ أنّ المسالمة أسلم . ولمّا ١/٢٠٦١
اطمأنّ خالد بالأنبار والمسلمون ، وأمنَ أهلُ الأنبار وظهروا ، رآهم يكتبون بالعربية ويتعلّمونها ، فسألهم : ما أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب ، نزلنا إلى قوم من العرب قبلنا — فكانت أوائلهم نزلُوها أيّامَ بختنصّر حين أباح العرب ؛ ثمّ لم تزُل عنها — فقال : ممَّنْ تعلّمتم الكتاب ؟ فقالوا : تعلّمنا الخطّ من إياد ، وأنشدوه قول الشاعر :

قَوْمى إيادٌ لو أنّهُمْ أمَمٌ أو لو أقاموا فتُهْزَلَ النَّعَمُ [(١)]

قَوْمٌ لهم باحةُ العراق إذا ساروا جميعاً والخَط والقَلَمِ [(٢)]

وصالح خالد مَنْ حولهم ، وبدأ بأهل البَوازيج ؛ وبعث إليه أهلُ كَلْواذَى ليعقِد لهم ، فكاتبهم فكانوا عيْبتَه من وراء دجلة . ثم إن أهل الأنبار وما حولها نقضُوا فيما كان يكون بين المسلمين والمشركين من الدُّول ما خلا أهل البوازيج ، فإنّهم ثبتوا كما ثبت أهل بانِقْيا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد العزيز — يعنى ابن سياه — عن حبيب بن أبى ثابت ، قال : ليس لأحدٍ من أهلِ السَّواد عَقْد قبل الوقعة إلاّ بنى صلوبا — وهم أهل الحيرة — وكلواذَى ، وقرى من قرى الفرات [(٣)] ، ثم غدروا حتى دُعوا إلى الذمّة بعد ما غدروا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، ١/٢٠٦٢
قال : قلت للشعبىّ : أخِذ السواد عنوة ؟ قال : نعم ، وكلّ أرض إلا بعض القلاع والحصون ، فإنّ بعضهم صالح به ، وبعضهم غَلَب [(٤)] . فقلت : فهل لأهل السَّوَاد ذمّة اعتقدوها قبل الهَرَب [(٥)] ؟ قال : لا ، ولكنّهم لما دُعُوا ورضُوا بالخَرَاج وأخِذ منهم صاروا ذمّة .

---

(١) سيرة ابن هشام ٤٣ ، ونسبهما إلى أمية بن أبى الصلت .
(٢) ابن كثير : « واللوح والقلم » . ابن هشام : « والقط والقلم » .
(٣) ز وابن كثير . « من قرى فرات » .
(٤) ز : « غالب » .
(٥) ابن كثير : « الحرب » .

خبر عَيْن التَّمْر

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب وزياد ، قالوا : ولما فرغ خالد من الأنبار ، واستحكمت له ، استخلف على الأنبار الزِّبْرِقان بن بدر ، وقصد لعين التَّمْر ؛ وبها يومئذ مِهران بن بهرام جُوبين فى جَمع عظيم من العجم ، وعَقّة بن أبى عقّة فى جمع عظيم من العرب من النَّمِر وتغلب وإياد ومن لافّهم[1] . فلما سمعوا بخالد قال عقّة لِمهران : إنّ العرب أعلمُ بقتال العرب ، فدَعْنا[2] وخالدًا ، قال : صدقت ، لعمرى لأنتم أعلمُ بقتال العرب ، وإنّكم لَمثلنا فى قتال العجم . فخدعه واتّقى به ، وقال : دونكموهم وإن احتجتم إلينا أعنّاكم . فلما مضى نحو خالد قالت له الأعاجم : ماحملك على أن تقول هذا القول لهذا الكلب ! فقال : دعونى فإنى لم أرِدْ إلاّ ما هو خير لكم وشرّ لهم ؛ إنّه قد جاءكم مَن قتلَ ملوككم ، وفلّ حدّكم ، فاتّقيتُه بهم ؛ فإن كانت لهم على خالد فهى لكم ؛ وإن كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يَهِنوا ، فنقاتلهم ونحن أقوياء وهم مضعَفون . فاعترفوا له بفضْل الرّأى ، فلزم مِهْران العين ، ونزل عقّة لخالد على الطريق ، وعلى ميمنته بُجَير بن فلان أحد بنى عتبة بن سعد بن زهير ، وعلى ميسرته الهذيل ابن عمران ، وبين عقّة وبين مِهران[3] رَوْحة أو غَدوة ، ومِهران فى الحصن[4] فى رابطة فارس ، وعقّة على طريق الكَرْخ كالخفير . فقدم عليه خالد وهو فى تعبئة جنده ، فعبّى خالد جندَه وقال لمجنّبتيه[5] : اكفُونا ما عنده ، فإنى حامل ؛ ووكّل بنفسه حوامىَ ، ثمّ حمل وعقّة يقيم صُفوفه ؛ فاحتضنه فأخذه أسيرًا ، وانهزم صفّه من غير قتال ، فأكثروا فيهم الأسْر ، وهرب بُجَير والهذيل ، واتّبعهم المسلمون . ولمّا جاء الخبرُ مِهرانَ هرب فى جُنْده ، وتركوا الحِصْن . ولما انتهت فُلاّل عقّة من العرب والعجم إلى الحصن اقتحموه واعتصموا به ؛ وأقبل خالد فى النّاس حتّى ينزل على الحِصْن ومعه عقّة أسير وعمرو بن الصَّعِق ، وهم يرجون أن يكون خالد كمَن كان

١/٢٠٦٣

---

(١) ب وابن كثير : «لاقاهم». (٢) س : «فدعها» (٣) ز ، س : « بين عقة ومهران ».
(٤) س : « فى حصن » . (٥) المجنبتان : ميمنة الجيش وميسرته .

يُغير من العرب ، فلما رأوْه يحاولَهم سألوه الأمان . فأبى إلاّ على حُكمه فسلِسوا له [١] به . فلما فتحوا دفعهم إلى المسلمين فصاروا مِساكًا [٢] ، وأمر خالد بعقَّة وكان خفير القوم فضُربت عنُقه ليُوئس الأسراءَ من الحياة ، ولما رآه الأسراءُ مطروحًا على الجسر يئسوا من الحياة ، ثم دعا بعمرو بن الصَّعِق فضرب عنقَه ، وضرب أعناق أهل الحصْن أجمعين . وسبَى كلّ من حوى ١/ ٢٠٦٤ حصنهم ، وغنم ما فيه ، ووجد فى بيعتهم أربعين غلامًا يتعلّمون الإنجيل ، عليهم باب مُغْلَق ؛ فكسره عنهم [٣] ، وقال : ما أنتم ؟ قالوا : رُهُن ، فقسمهم فى أهل البلاء ؛ منهم أبو زياد مولى ثَقيف ، ومنهم نُصَيْر أبو موسى بن نصَير ، ومنهم أبو عمرة جدّ عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر ، وسيرين أبو محمد بن سيرين ، وحُرَيث ، وعُلاثة . فصار أبو عمرة لشُرَحْبِيل ابن حَسَنة ، وحُريث لرجل من بنى عِباد ، وعلاثة للمعنّى ، وحُمران لعثمان . ومنهم عمير وأبو قيس ؛ فثبت على نسبه من موالى أهل الشأم القدماء ، وكان نُصير يُنسب إلى بنى يشكر ، وأبو عمْرة إلى بنى مُرّة . ومنهم ابن أخت النَّمِر .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعَيْب ، عن سيف ، عن محمَّد وطلحة وأبى سفيان طلحة بن عبد الرحمن والمهلَّب بن عُقْبة ، قالوا : ولما قدِم الوليد بنُ عُقْبة من عند خالد على أبى بكر رحمه الله بما بعث به إليه من الأخمَاس وجّهه إلى عِياض ، وأمدّه به ، فقدِم عليه الوليد ، وعِياض محاصرُهُمْ وهم محاصروه ، وقد أخذوا عليه بالطّرِيق ، فقال له : الرأى فى بعض الحالات خيرٌ من جند كثيف ؛ ابعث إلى خالد فاستمدّه . ففعل ؛ فقدم عليه رسولُه غِبَّ وقعة العين مستغيثًا ، فعجِل إلى عياض بكتابه : من خالد إلى عياض إيَّاك أريد .

لبّثْ قليلاً تأتِكَ الحلائبُ [٤] ... يَحْمِلْنَ آساداً عليهـا القاشِبُ

* كَتائبٌ يتْبَعُها كَتائبُ *

---

(١) سلسواله : لانوا . (٢) ابن كثير : « جعلوا فى السلاسل » ، وفى ابن الأثير والنويرى : « فأخذهم أسرى » . (٣) س : « عليهم » .

(٤) الحلائب : الجماعات ؛ يقال : أحلب القوم ، إذا اجتمعوا للنصرة .

١/٢٠٦٥

خبر دُومَة الجَنْدَل

قالوا: ولما فرغ خالد من عَيْن التَّمْر خلَّف فيها عُوَيْم[1] بن الكاهل[2] الأسلميّ، وخرج فى تعبيته الّتى دخل فيها العين؛ ولمّا بلغ أهلَ دُومة مَسيرُ خالد إليهم بعثوا إلى أحزابهم من بَهْراء وكلْب وغسّان وتَنُوخ والضَّجاعم، وقبلُ ما قد أتاهم وَديعة فى كلْب وبَهراء، ومساندُه ابن وَبَرة بن رُومانِس، وآتاهم ابن الحِدرِجان فى الضَّجاعم، وابن الأيْهَم فى طوائف من غَسَّان وتَنُوخ، فأشْجَوْا عياضًا وشجُوا به.

فلما بلغهم دنوّ خالد؛ وهم على رئيسين: أُكَيْدر بن عبد الملك والجُوديّ ابن ربيعة، اختلفوا، فقال أكيدر: أنا أعلمُ النّاس بخالد؛ لا أحد أيمنُ طائرًا منه، ولا أحدّ فى حرب، ولا يرى وجه خالد قوم أبدًا قلُّوا أو كثُروا إلاّ انهزموا عنه؛ فأطيعونى وصالحوا القوم. فأبَوْا عليه، فقال: لن أمالئَكم على حرْب خالد، فشأنَكم.

فخرج لطيَّته، وبلغ ذلك خالدًا؛ فبعث عاصمَ بن عمرو معارضًا له، فأخذه فقال: إنّما تلقّبْت الأمير خالدًا؛ فلمّا أتى به خالدًا أمر به فضُرِبت عنقُه، وأخذ ما كان معه من شىء، ومضى خالدٌ حتى ينزل على أهل دُومة، وعليهم الجوديّ بن ربيعة، ووديعة الكلبيّ، وابن رُومانس الكلبيّ، وابن الأيهم وابن الحِدْرِجان؛ فجعل خالد دُومة بين عسكره وعسكر عياض. وكان النّصارى الذين أمدُّوا أهل دُومة من العرب محيطين بحصن

١/٢٠٦٦

دُومة، لم يحمِلْهم الحصن، فلما اطمأنّ خالد خرج الجوديّ، فنهض بوديعة فزحفا لخالد، وخرج ابن الحدرجان وابن الأيْهم إلى عياض؛ فاقتتلوا، فهزم الله الجوديّ ووديعة على يدىْ خالد، وهزم عياض مَن يليه، وركبهم المسلمون؛ فأمّا خالد فإنه أخذ الجوديّ أخذًا، وأخذ الأقرع بن حابس وديعةَ، وأرَزَ بقيَّة النّاس إلى الحصن؛ فلم يحملهم؛ فلما امتلأ الحِصْن، أغلق مَن فى الحصن الحصنَ دون أصحابهم، فبقُوا حولَه حُرداءَ؛ وقال عاصم بن عمرو: يا بنى تميم، حلفاؤكم كَلْب، آسوهم[3] وأجيروهم؛

(١) ابن كثير والنويرى: «عويمر».

(٢) ز وابن كثير: «الكاهن»؛ س: «الطاهر». (٣) كذا فى ابن حبيش، وفى ط: «آسروهم».

فإنَّكم لا تقدرون لهم على مثْلها ، ففعلوا . وكان سبب نجاتِهم يومئذ وصيَّة عاصم بنى تميم بهم ، وأقبل خالد على الَّذين أرَزُوا إلى الحِصْن فقتلهم حتى سدّ بهم بابَ الحِصْن ، ودعا خالد بالجودىّ فضَرَب عنقه ؛ ودعا بالأسرى فضرب أعناقهم إلاّ أسارى كلب ، فإنّ عاصمًا والأقرع وبنى تميم قالوا : قد آمناهم ؛ فأطلقهم لهم خالد ، وقال : مالى ولكم ! أتحفظون[١] أمر الجاهليَّة وتُضيِّعون أمر الإسلام ! فقال له عاصم : لا تحسُدهم العافيةَ ؛ ولا يُحوّزهم الشيطانُ[٢] . ثم أطاف خالد بالباب ، فلم يزُل عنه حتى اقتلعه ؛ واقتحموا عليهم ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا الشَّرْخَ[٣] ؛ فأقاموهم فيمن يزيد ؛ فاشترى خالد ابنة الجودىّ وكانت موصوفةً ، وأقام خالد بدُومة وردّ الأقرع إلى الأنبار . ١/٢٠٦٧

ولما رجع خالد إلى الحيرة — وكان منها قريبًا حيث يصبّحها — أخذ القعقاع أهل الحيرة بالتَّقْليس[٤] ، فخرجوا يتلقَّوْنه وهم يُقلِّسُون ؛ وجعل بعضهم يقول لبعض : مُرّوا بنا فهذا فَرَج[٥] الشرّ !

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب ، قالوا : وقد كان خالد أقام بدُومة ، فظنّ الأعاجم به ؛ وكاتبهم عرب الجزيرة غضبًا لِعَقَّة ؛ فخرج ، زَرْمِهْر من بغداد ومعه رُوزبه يريدان الأنبار ؛ واتّعدا حُصيدًا والخَنافس ، فكتب الزّبرقان وهو على الأنبار إلى القعقاع بن عمرو وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة ؛ فبعث القعقاع أعْبَدَ بن فَدَكِىّ السعدىّ وأمره بالحُصيد ، وبعث عُرْوة بن الجعْد البارقىّ وأمره بالخَنافس ، وقال لهما : إن رأيتما مَقْدَمًا فأقدِما . فخرجا فحالا بينهما وبين الريف ، وأغلقاهما ، وانتظر روزبه وزرمهر بالمسلمين ١/٢٠٦٨ اجتماع مَن كاتبهما من رَبيعة ؛ وقد كانوا تكاتَبوا واتّعدوا ؛ فلمَّا رجع خالد من دُومة إلى الحيرة على الظَّهر وبلغه ذلك وقد عزم على مصادمة أهل المدائن ، كرِه خلافَ أبى بكر ، وأن يتعلَّق عليه بشىء ، فعجّل القعقاع

---

(١) ابن حبيش : « أتحوطون » . (٢) يحوزهم الشيطان : يخالطهم .
(٣) الشرخ : النساء الشابات . (٤) التقليس : استقبال القوم عند قدومهم بأصناف اللهو.
(٥) س وابن كثير : « فرح » .

ابن عمرو وأبو ليلى بن فَدَكيّ إلى رُوزبه وزرمهر ، فسبقاه إلى عين التَّمر ، وقدم على خالد كتاب امرئ القيس الكلبيّ ، أنّ الهذيل بن عمران قد عَسْكر بالمُصَيَّخ ،ونزل ربيعة بن بُجير بالثَّنِيّ وبالبِشْر فى عسكر غضباً لعقّة، يريدان زرمهر ورُوزبه . فخرج خالد وعلى مقدّمته الأقرع بن حابس ، واستخلف على الحيرة عياض ين غَنْم ، وأخذ طريق القعقاع وأبى ليلى إلى الخنَافس حتى قدم عليهما بالعين ، فبعث القعقاع إلى حُصَيد ، وأمّره على الناس ، وبعث أبا ليلى إلى الخنَافس ، وقال : زجّياهم ليجتمعوا ومن استثأرهم ؛ وإلاّ فواقِعاهم . فأبيا إلاّ المُقام

* * *

خبر حُصَيد

فلمّا رأى القعقاع أنّ زرمهر وروزبه لا يتحرّكان سار نحو حُصيد ، وعلَى من مرّ به من العرب والعجم روزْبه . ولمّا رأى روزْبه أنّ القعقاع قد قصد له استمدّ زرمهر ، فأمدّه بنفسه ، واستخلف على عسكره المَهْبُوذان، فالتقوْا بحُصَيد ، فاقتتلوا ، فقتل الله العجمَ مقتلةً عظيمة ، وقَتَلَ القعقاعُ زرمهرَ، وقُتِل روزبه ؛ قتله عِصْمة بن عبد الله أحد بنى الحارث بن طرِيف ، من بنى ضَبَّة ، وكان عصمة من البَرَرَة — وكلّ فَخِذ هاجرت بأسرها تُدعى البررة ، وكلّ قوم هاجروا من بطن يُدعون الخِيَرة — فكان المسلمون خِيرَة وبرَرة . وغنم المسلمون يوم حُصيد غنائم كثيرة وأرَز فُلاّل[1] حُصيد إلى الخنَافس فاجتمعوا بها . ٢٠٦٩/١

* * *

الخنافِس

وسار أبو ليلى بن فَدَكِيّ بمَن معه ومَن قدم عليه نحو الخنافس ؛ وقد أرَزت فُلاّل حُصيد إلى المَهْبُوذان، فلما أحسّ المهبوذان [بقد ومهم][2] هرب ومن معه وأرَزُوا إلى المُصَيَّخ ، وبه الهُذيل بن عمران ، ولم يلق بالخنافس كيداً ، وبعثوا إلى خالد بالخبر جميعًا .

(١) الفلال : جمع فل ؛ وهم القوم المنهزمون . (٢) من ز .

مُصَيَّخ بنى البَرْشاء

قالوا : ولمـَّا انتهى الخبرُ إلى خالد بمصاب أهلِ الحُصيد وهرب أهل الخَنافس كتب إليهم ، ووعد القعقاعَ وأبا ليلى وأعبد وعُروة ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المصيَّخ — وهو بين حَوْران والقَلْت — وخرج خالد من العين قاصداً للمصيَّخ على الإبل يجنب الخيل ، فنزل الجَناب فالبَرَدان فالحِنْى ، واستقلّ من الحِنْى ؛ فلمـَّا كان تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعاً بالمَصيَّخ ، فأغاروا على الهُذَيل ومَن معه ومن أوى إليه ؛ وهم نائمون من ثلاثة أوجه ، فقتلوهم . وأفلت الهُذَيل فى أناس قليل ؛ وامتلأ الفضاء قَتْلى ، فما شبَّهوا بهم إلاّ غنماً مصرَّعة ؛ وقد كان حُرْقوص بن النّعمان قد محضهم النّصح ، وأجاد الرأى ، فلم ينتفعوا بتحذيره ، وقال حرقوص بن النّعمان قبل الغارة : ٢٠٧٠/١

* ألا سَقّيانى قبلَ خيلِ أبى بكرْ [١] *

الأبيات . وكان حرقوص معرِّساً بامرأة من بنى هلال تُدعى أمّ تغلب ، فقتلت تلك الليلة ، وعُبادة بن البشر وامرؤ القيس بن بشر وقيس بن بشر ؛ وهؤلاء بنو الثّوريّة من بنى هِلال . وأصاب جرير بن عبد الله يوم المَصيَّخ من النَّمِر عبدَ العزّى بن أبى رُهْم بن قِرْواش أخا أوس مناة ، من النَّمِر ، وكان معه ومع لَبيد بن جرير كتاب من أبى بكر بإسلامهما ، وبلغ أبا بكر قول عبد العزّى ؛ وقد سماه « عبد الله » ليلة الغارة ، وقال :

* سبحانك اللهمّ ربَّ محمد *

فوداه ودى لبيدا — وكانا أصيبا فى المعركة — وقال : أما إنّ ذلك ليس علىَّ إذ نازلا أهل الحرب ؛ وأوصى بأولادهما ، وكان عمر يعتدّ على خالد بقتلهما إلى قتل مالك — يعنى ابن نوَيْرة — فيقول أبو بكر : كذلك يلقَى مَن ساكَنَ أهل الحرب فى ديارهم . وقال عبد العُزّى : ٢٠٧١/١

أقول إذ طَرَقَ الصباحُ بِغارةٍ : سبحانك اللهمّ ربَّ محمد

(١) ابن حبيش : « فاسقيانى » .

سبحان ربِّىَ لا إله غَيْرُه ربٌّ البلاد وربٌّ من يتَوَرَّدُ[1]

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن عدىّ بن حاتم ، قال : أغرنا على أهل المُصَيَّخ ، وإذا رجلٌ يُدعى باسمه حُرْقوص ابن النعمان ، من النَّمِر[2] ، وإذا حوله بنوه وامرأته ، وبينهم جَفْنة من خَمْر ؛ وهم عليها عكوف يقولون له : ومَن يشرب هذه الساعة وفى أعجاز الليل ! فقال : اشربوا شُرْب ودَاع ، فما أرى أن تشربوا خمرًا بعدها ، هذا خالد بالعين وجنوده بحُصَيد ، وقد بلغه جمعُنا وليس بتاركنا ؛ ثم قال :

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظّهرِ بُعَيْدَ انْتفاخ القوم بالعكَرِ الدَّثْرِ

١/٢٠٧٢ وقبلَ مَنايانا المُصِيبةِ بالقَدْرِ لحِينٍ لَعَمْرِى لا يزيدُ ولا يَحْرِى[3]

فسبق إليه وهو فى ذلك فى بعض الخيل ، فضرب رأسه ، فإذا هو فى جفنته ، وأخذنا بناتِه وقتلنا بنيه .

* * *

الثَّنِىّ والزُّمَيْل

وقد نزل ربيعة بن بُجَير التغلبىّ الثَّنِىّ والبِشْر غضبًا لعقَّة ، وواعد رُوزْبه وزَرْمِهر والهُذيل . فلمَّا أصاب خالد أهل المُصَيَّخ بما أصابَهم به ، تقدَّم إلى القعقاع وإلى أبى ليلى ، بأن يرتحلا أمامَه ، وواعدهما اللَّيلة ليفترقوا فيها للغارة عليهم من ثلاثة أوجه ؛ كما فعل بأهل المُصَيَّخ . ثم خرج خالد من المُصَيَّخ ، فنزل حَوْران ، ثمّ الرَّنْق ، ثم الحَمَاة — وهى اليوم لبنى جُنادة بن زهير من كلْب — ثم الزُّمَيل ؛ وهو البِشْر والثَّنِىّ معه — وهما اليوم شرقىّ الرُّصافة — فبدأ بالثَّنِىّ ، واجتمع هو وأصحابه ، فبيَّتَه من ثلاثة أوجه بياتاً ومن اجتمع له وإليه ، ومن تأشَّب لذلك من الشُّبان ؛ فجرّدُوا فيهم السيوف ، فلم يُفلِتْ من ذلك الجيش مخبِر ، واستَبى الشَّرْخ ، وبعث بخُمْس الله إلى أبى بكر مع النُّعمان بن عوف بن النعمان الشيبانىّ ، وقسّم النَّهْب والسَّبَايا ، فاشترى علىّ بن أبى طالب عليه السلام بنتَ ربيعة

---

(١) س وابن حبيش : « يتودد » ، ب : « يتمرد » ، وفى البيت إقواء .

(٢) ابن كثير : « النمرى » ، وفى ص ٤٠٧ ش ٣ من هذا الجزء : « البهرانى » .

(٣) يحرى : ينقص .

ابن بُجَير التغلبىّ ، فاتّخذها ؛ فولدت له عمر ورُقيّة ،وكان الهذيل حين نجا ١/٢٠٧٣
أوى إلى الزُّمَيْل ، إلى عتّاب بن فلان ؛ وهو بالبِشْر فى عسكر ضخم ؛ فبيّتهم بمثلها غارةً شعْواءَ من ثلاثة أوجه سبقت إليهم الخبر عن ربيعة ، فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يُقْتَلوا قبلها مثلها ؛ وأصابوا منهم ما شاءوا، وكانت على خالد يَمين : «ليبغتنّ تَغْلِبَ فى دارها» ؛ وقسّم خالد فيئَهُم فى الناس، وبعث بالأخماس إلى أبى بكر مع الصباح بن فلان المزنىّ ، وكانت فى الأخماس ابنة مؤذِن النَّمَرىّ؛ وليلى بنت خالد، وريحانة بنت الهذيل بن هبيرة. ثم عطف خالد من البِشْر إلى الرُّضاب ؛ وبها هلال بن ُ عَقّة ، وقد ارفضّ عنه أصحابُه حين سمعوا بدنوّ خالد ؛ وانقشع عنها هلال فلم ياق كيداً بها .

* * *

حديث الفِرَاض

ثم قصد خالدٌ بعد الرُّضاب وبغتته تغلبَ إلى الفِراض — والفِراض: تخوم الشأم والعراق والجزيرة — فأفطر بها رمضان فى تلك السّفْرة التى اتّصلت له فيها الغزَوات والأيّام، ونُظمن نظماً، أكثرَ فيهنّ الرُّجّاز إلى ما كان قبل ذلك منهنّ . ١/٢٠٧٤

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ،عن سيف ،عن محمد وطلحة — وشارَكهما عمرو بن محمد ؛ عن رجل من بنى سعد ، عن ظَفَر بن دهى — والمهلّب بن عُقْبة ، قالوا : فلمّا اجتمع المسلمون بالفِراض ، حميَت الرّوم واغتاظت، واستعانوا بمَن يليهم من مَسالح أهلِ فارس ، وقد حَمُوا واغتاظوا واستمدّوا تَغْلِب وإياد والنَّمِر ؛ فأمدّوهم ؛ ثم ناهدوا خالداً ؛ حتى إذا صار الفرات بينهم ، قالوا : إما أن تعبرُوا إلينا وإمّا أن نعبُر إليكم . قال : خالد : بل اعبروا إلينا ، قالوا : فتنحَّوْا حتى نعبُر ؛ فقال خالد : لانفعل ؛ ولكن اعبُروا أسفَل منّا . وذلك للنّصْف من ذى القَعدة سنة اثنى عشرة . فقالت الرّوم وفارس بعضُهم لبعض : احتسبوا ملككم ؛ هذا رجل يقاتل على دين ، وله عقل وعلم ، ووالله ليُنْصَرَنّ ولَنُخْذلَنّ . ثم لم ينتفعوا بذلك ؛ فعبروا أسفلَ من خالد ؛ فلما تتامّوا قالت الروم : امتازوا حتى نعرف اليوم ما كان من حَسَنٍ أو قبيح ؛ من أيّنا يجىء ! ففعلوا ، فاقتتلوا قتالاً

شديدًا طويلاً. ثم إنّ الله عزّ وجلّ هزمهم، وقال خالد للمسلمين: ألحّوا عليهم ولا تُرَفِّهوا[1] عنهم؛ فجعل صاحب الخيل يحشر منهم الزُّمْرة برماح أصحابه، فإذا جمعوهم قتلوهم، فقتِل يوم الفِراض فى المعركة وفى الطلب مائة ألف، وأقام خالد على الفِراض بعد الوقعة عشرا، ثم أذن فى القفْل إلى الحيرة لخمس بقِين من ذى القَعدة؛ وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم؛ وأمر شَجرة بن الأعزّ أن يسوقهم. وأظهر خالد أنه فى السّاقة. ١/٢٠٧٥

* * *

حجّة خالد

قال أبو جعفر: وخرج خالدٌ حاجًّا من الفِراض لخمس بقين من ذى القعدة، مكتتمًا بحجّه، ومعه عدّةٌ من أصحابه؛ يعتسف[2] البلاد حتى أتى مكّة بالسَّمْت[3]، فتأتَّى له من ذلك مالم يتأتَّ لدليل ولا رئبال، فسار طريقًا من طُرق أهل الجزيرة، لم يُرَ طريقٌ أعجبُ منه؛ ولا أشدّ على صعوبته منه، فكانت غيبته عن الجند يسيرة؛ فما تَوَافَى إلى الحيرة آخرهم حتى وافاهم[4] مع صاحب السّاقة الّذى وضعه. فقدما معًا؛ وخالد وأصحابه محلّقون؛ لم يعلَم بحجّه إلا مَنْ أفضَى إليه بذلك من السّاقة، ولم يعلم أبو بكر رحمه الله بذلك إلاّ بعد؛ فعتب عليه. وكانت عقوبته إيّاه أن صرَفه إلى الشأم. وكان مسيرُ خالد من الفِراض أن استعرض البلاد متعسّفًا متسمّتًا، فقطع طريقُ الفِراض ماءَ العنبرىّ، ثم مِثْقَبًا، ثم انتهى إلى ذات عِرْق، فشرّق منها، فأسلمه إلى عَرَفات من الفِراض، وسُمِّىَ ذلك الطريق الصُّدّ؛ ووافاه كتاب من أبى بكر[5] منصرفَه من حَجّه بالحيرة يأمره بالشأم؛ يقاربه ويباعده. ١/٢٠٧٦

قال أبو جعفر: قالوا: فوافى خالدًا كتابُ أبى بكر بالحيرة، منصرفَه من حجّه: أن سِرْ حتّى تأتىَ جموعَ المسلمين باليَرموك، فإنهم قد شجُوا

(١) ز: «ترفعوا». (٢) اعتسف الطريق؛ إذا قطعه دون صوب توخاه فأصابه
(٣) السمت: السير على الطريق بالظن. (٤) س: «توافاهم».
(٥) ز: «كتاب أبى بكر».

وأشجوا ؛ وإيَّاك أن تعودَ لمثل ما فعلت ؛ فإنَّه لم يُشْجِ الجموعَ من الناس بعون الله شجاك ، ولم ينزِع [1] الشجىَ من الناس نَزْعَك ؛ فليهنئك أباسليمان النيّة [2] والحظْوة ؛ فأتمِمْ يتمم الله لك [3] ، ولا يدخلنَّك عُجْب فتخسر وتخذَل ، وإيَّاك أن تُدِلّ بعمل ، فإنّ الله له المنّ ، وهو وليّ الجزاء .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ؛ عن عبد الملك بن عطاء بن البَكائى ، عن المقطَّع بن الهيثم البكّائى ، عن أبيه ، قال : كان أهل الأيّام من أهل الكوفة يُوعدون معاوية عند بعض الّذى يبلغهم ، ويقولون : ما شاء معاوية ! نحن أصحاب ذات السلاسل . ويُسمُّون ما بينها وبين الفرَاض ما يذكرون ما كان بعدُ احتقاراً لما كان بعد فيما كان قبل .

وحدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد بالإسناد الذى قد مضى ذكرُه ، أن خالد بن الوليد أتى الأنبارَ فصالحوه على الجلاء ، ثم أعطوْه شيئاً رضىَ به ، وأنه أغار على سوق بغداد من رُسْتاق العال ، وأنه وجَّه المثنَّى فأغار على سوق فيها جَمْع لقُضاعة وبكْر ، فأصاب ما فى السُّوق ، ثم سار [4] إلى عين التَّمر ، ففتحها عَنْوة ، فقتل وسَبى ، وبعث بالسَّبى إلى أبى بكر ، فكان أوّلَ سبى قدِم المدينة من العجم ؛ وسار إلى دُومة الجندل ، فقتل أكيدر ، وسبىَ ابنة الجودّى ، ورجع فأقام بالحيرة . ٢٠٧٧/١

هذا كلّه سنة اثنتى عشرة .

* * *

وفيها تزوّج عمر رحمه الله عاتكة بنت زيد .

وفيها مات أبو مرثَد الغنوىّ .

وفيها مات أبو العاصى بن الربيع فى ذى الحجة ؛ وأوصى إلى الزبير ، وتزوج علىّ عليه السلام ابنته

وفيها اشترى عمر أسلم مولاه .

---

(١) س : « ولن تزع » .
(٢) ابن حبيش : « النعمة » .
(٣) ز : « فأتمم ينعم الله »
(٤) ص : « صار » .

واختلف فيمن حجّ بالناس فى هذه السنة ، فقال بعضهم : حجّ بهم فيها أبو بكر رحمه الله .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، مولَى الحُرَقة ، عن رجل من بنى سَهْم ، عن ابن ماجدة السَّهمىّ ، أنه قال : حجّ أبو بكر فى خلافته سنة اثنتى عشرة ، وقد عارمتُ[1] غلامًا من أهلى ، فعضّ بأذنى فقطع منها — أو عضضتُ بأذنه فقطعت منها — فرُفع شأننا إلى أبى بكر ، فقال : اذهبوا بهما إلى عمر فلينظر ، فإن كان الجارح قد بلَغ فليُقِدْ منه . فلما انتُهِىَ بنا إلى عمر رضى الله عنه ، قال : لَعَمْرِى لقد بلَغ هذا ! ادعوا لى حجّامًا . قال : فلمّا ذكر الحجام ، قال : أما إنّى قد سمعتُ النّبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : قد أعطيت خالتى غلامًا ، وأنا أرجو أن يبارك الله لها فيه ، وقد نهيتُها أن تجعله حجّامًا أو قصّابا أو صائغًا ؛ فاقتصّ منه . ١/٢٠٧٨

وذكر الواقدىّ ، عن عثمان بن محمد بن عبيد الله بن عبدالله بن عمر ، عن أبى وَجْزة يزيد بن عبيد ، عن أبيه ، أنّ أبا بكرٍ حجّ فى سنة اثنتى عشرة ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رحمه الله .

* * *

وقال بعضهم : حجّ بالناس سنة اثنتى عشرة عمر بن الخطاب .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بعضُ النّاس يقول : لم يحجّ أبو بكر فى خلافته ، وإنه بعث سنة اثنتى عشرة على الموسم عمرَ بن الخطاب ، أو عبد الرحمن بن عوف .

---

(١) عارمت ؛ قال صاحب اللسان : « أى خاصمت وفاتنت » .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

ففيها وَجّه أبو بكر رحمه الله الجيوشَ إلى الشأم بعد منصرَفه من مكّة إلى المدينة

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمّد بن إسحاق، قال لما قَفَل أبو بكر من الحجّ سنة اثنتى عشرة جهّز الجيوش إلى الشأم، فبعث عمرو بن العاص قِبَلَ فلسْطِين، فأخذ طريق المُعْرِقة على أيْلَة، ١/٢٠٧٩ وبعث يزيد بن أبى سفيان وأبا عبيدة بن الجرّاح وشُرحبيل بن حَسَنة — وهو أحد الغَوْث — وأمرهم أن يسلُكوا التَّبُوكيّة على البلقاء من عَلْياء الشأم.

وحدّثنى عُمر بن شبّة، عن علىّ بن محمد بالإسناد الذى ذكرتُ قبلُ، عن شيوخه الّذين مضى ذكرهم، قال: ثم وجّه أبو بكر الجنودَ إلى الشّأم أوّل سنة ثلاث عشرة، فأوّل لواء عقده لواءُ خالد بن سعيد بن العاصى، ثم عزله قبل أن يسير، وولّى يزيدَ بن أبى سفيان، فكان أوّل الأمراء الذين خرجوا إلى الشأم، وخرجوا فى سبعة آلاف.

قال أبو جعفر: وكان سببُ عزلِ أبى بكر خالدَ بن سعيد — فيما ذُكِر — ما حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله ابن أبى بكر؛ أنّ خالدَ بن سعيدلمّا قَدِم من اليمن بعد وفاةِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم؛ تربّص ببيعته شهريْن، يقول: قد أمّرنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم لم يعزلنى حتى قَبَضه الله. وقد لَقِى علىّ بن أبى طالب وعثمان ابن عفان؛ فقال: يا بنى عبد مناف؛ لقد طِبتم نفسًا عن أمركم يليه غيركم! فأمّا أبو بكر فلم يحفِلْها[1] عليه، وأمّا عمر فاضطغنها عليه. ثم بعث أبو بكر

(١) ابن الأثير: «لم يحقدها».

الجنود إلى الشأم ، وكان أوّل مَن استعمل على رُبْعٍ منها خالد بن سعيد ، فأخذ عمر يقول : أتؤمِّره وقد صنع ما صنع وقال ما قال ! فلَم يزل بأبى بكر حتى عزَله ، وأمّر يزيد بن أبى سفيان . ١/٢٠٨٠

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشّر بن فُضَيل ، عن جُبَيْر بن صخر حارس النبىّ صلّى الله عليه وسلم ؛ عن أبيه ، قال : كان خالدُ بن سعيد بن العاصى باليمن زمنَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وتوفِّىَ النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم وهو بها ، وقدم بعد وفاته بشهر ، وعليه جُبَّة ديباج فلقِىَ عمرَ بن الخطاب وعلىّ بن أبى طالب ، فصاح عمر بمن يليه : مَزِّقوا عليه جُبَّته ! أيلبس الحرير وهو فى رجالنا فى السلم مهجور ! فمزّقوا جبّته ، فقال خالد : يا أبا الحسن ، يا بنى عبد مناف ، أغُلِبتم عليها ! فقال علىّ عليه السلام : أمغالبة ترى أم خلافة ؟ قال : لا يغالب على هذا الأمر أوْلى منكم يا بنى عبد مناف . وقال عمر لخالد : فضّ الله فاك! والله لا يزال كاذب يخوض فيما قلت ثم لا يضرُّ إلا نفسه . فأبلغ عمر أبا بكر مقالته ؛ فلمّا عقد أبو بكر الألوية لقتال أهل الرّدة عقد له فيمن عقد ، فنهاه عنه عمر وقال : إنه لمخذول ، وإنه لضعيف التروئة ؛ ولقد كذب كذبة لا يفارق الأرض مدْلٍ بها وخائضٌ فيها ، فلا تستنصر به[1] . فلم يحتمِل أبو بكر عليه ، وجعله ردءًا بتَيْماء ؛ أطاع عمرَ فى بعض أمره[2] وعصاه فى بعض .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبى إسحاق الشيبانى ، عن أبى صفيَّة التَّيمىّ ؛ تَيْم بن شيبان ، وطلحة عن المغيرة ؛ ومحمد عن أبى عثمان ، قالوا : أمرَ أبو بكر خالدًا بأن ينزلَ تَيْماء ، ففصل ردءًا حتّى ينزل بتَيْماءَ ؛ وقد أمره أبو بكر ألاّ يبرَحها ، وأنْ يدعُوَ مَن حوْله بالانضمام إليه ، وألاّ يقبل إلاّ ممّن لم يرتدّ ، ولا يقاتل إلاّ من قاتله ؛ حتى يأتيَه أمرُه . فأقام فاجتمع إليه جموع كثيرة ؛ وبلغ الرّوم عِظَمُ ذلك العسكر ، فضربوا على العرب الضّاحية البعوث بالشأم إليهم ؛ فكتب خالد بن ١/٢٠٨١

---

(١) ز : « تستنصره » .

(٢) ز : « الأمر » .

سعيد إلى أبى بكر بذلك ، وبنزول من استنفرت الرّوم ؛ ونفر إليهم من بَهْراء وكلْب وسَليح وتَنُوخ ولَخْم وجُذام وغَسَّان من دون زِيزاءَ بثلاث ؛ فكتب إليه أبو بكر : أن أقدِمْ ولا تُحْجِم واستنصر الله ؛ فسار إليهم خالد ، فلمَّا دنا منهم تفرّقوا وأعرَوْا منزلهم ؛ فنزله ودخل عامة مَن كان تجمَّع له فى الإسلام ؛ وكتب خالد إلى أبى بكر بذلك ؛ فكتب إليه أبو بكر : أقدِم ولا تقتحمنّ حتى لا تُؤتَى مِن خلفك . فسار فيمن كان خرج معه من تَيْماء وفيمَن لحق به من طَرَف الرمل ؛ حتى نزلوا فيما بين آبل وزِيزاء والقسطل ؛ فسار إليه بِطْريقٌ من بطارقة الرُّوم ، يُدعى باهان ؛ فهزمه وقتل جندَه ، وكتب بذلك إلى أبى بكر واستمدّه . وقد قدم على أبى بكر أوائلُ مستنفَرِى اليمن ومَن بين مكَّة واليمن ؛ وفيهم ذو الكَلاع ، وقدم عليه عِكْرمة قافلا وغازياً فيمَن كان معه من تِهامة وعُمان والبحرين والسَّرْو . فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يبدّلوا من استبدل ؛ فكلّهم استبدل ؛ فسُمِّىَ ذلك الجيش جيش البِدال . فقدموا على خالد بن سعيد ؛ وعند ذلك اهتاج أبو بكر للشأم ، وعناه أمرُه . وقد كان أبو بكر ردّ عمرو بن العاص على عِمالة كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ولاّها إيَّاه من صدقات سعد هُذَيْم ، وعُذْرة ومَنْ لَفَّها من جُذام ، وحَدَس قبل ذهابه إلى عُمان . فخرج إلى عُمان وهو على عِدَةٍ من عمله ؛ إذا هو رجع . فأنجز له ذلك أبو بكر . ١/٢٠٨٢

فكتب أبو بكر عند اهتياجه للشأم إلى عمرو : إنى كنت قد رددتُك على العمل الذى كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلّم ولاّكه مرّة ، وسمّاه لك أخرى ؛ مبعثَك إلى عُمان إنجازًا لمواعيد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقد وليتَه ثم وليتَه ؛ وقد أحببتُ — أبا عبد الله — أن أفرّغك لما هو خير لك فى حياتك ومعادك منه ؛ إلاّ أنْ يكون الذى أنت فيه أحبَّ إليك . فكتب إليه عمرو : إنى سهم من سهام الإسلام ، وأنت بعد الله الرامِى بها ، والجامعُ لها ، فانظر أشدّها وأخشاها وأفضلها فارمِ به شيئًا إن جاءك من ناحية من النواحى . وكتب إلى الوليد بن عقبة بنحو ذلك ، فأجابه بإيثار الجهاد . ١/٢٠٨٣

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعَيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : كتبَ أبو بكر إلى عمرو ، وإلى الوليد بن عُقْبة — وكان على النّصف من صدقات قُضاعة — وقد كان أبو بكر شيّعهما مبعثَهما على الصدقة ، وأوصى كلّ واحد منهما بوصيّة واحدة : اتّقِ الله فى السرّ والعلانية ؛ فإنه مَنْ يتّق الله يجعلْ له مخرجًا ، ويرزقه مِنْ حيث لا يحتسب ؛ ومن يتّق الله يكفّرْ عنه سيّئاته ويُعظِم له أجرًا . فإنّ تقوى الله خيرُ ما تَوَاصَى به عباد الله ؛ إنّك فى سبيل من سبُل الله ؛ لا يَسَعُكَ فيه الإذهان[1] والتفريط والغفلة عمّا فيه قِوام دينكم ، وعصمة أمركم ، فلا تَنِ ولا تفتُر . وكتب إليهما : استخلفا على أعمالكما ، واندُبا مَنْ يليكما .

فولّى عمرٌو على عُليا قضاعة عَمرَو بن فلان العذرىّ ، وولّى الوليدُ على ضاحية قضاعة مما يلى دُومة امرأ القيس ، وندبا الناس ، فتتامّ إليهما بشر كثير ، وانتظرا أمرَ أبى بكر .

وقام أبو بكر فى الناس خطيبًا ، فحمِد الله وأثنَى عليه ، وصلّى على رسوله ، وقال : ألاَ إنّ لكلّ أمر جوامعَ ، فمن بلَغها فهى حسبُه ؛ ومن عمل لله كفاه الله . عليكم بالجدّ والقصد ؛ فإنّ القصد أبلَغ ؛ ألا إنه لادين لأحد لا إيمان له ، ولا أجرَ لمن لاحِسْبة له ، ولا عمل لمن لا نيّة له . ألا وإنّ فى كتاب الله من الثواب على الجهاد فى سبيل الله لَمَا ينبغى للمسلم أن يحبّ أن يُخَصّ به ؛ هى التجارة التى دلّ الله عليها ، ونجّى بها من الخزى ؛ وألحق بها الكرامة فى الدنيا والآخرة . ٢٠٨٤/١

فأمدّ عمرًا ببعض من انتدب إلى من اجتمع إليه ، وأمّره على فِلَسطين ، وأمَره بطريق سمّاها له ؛ وكتب إلى الوليد وأمَرَه بالأرْدُنّ ، وأمدّه ببعضهم ؛ ودعا يزيد بن أبى سفيان ، فأمّره على جُند عظيم ، هم جمهور مَن انتدب له ، وفى جنده سُهَيل بن عمرو وأشباهه من أهل مكّة ، وشيّعه ماشيًا . واستعمل أبا عبيدة بن الجرّاح علَى من اجتمع [إليه] ، وأمّره على حِمْص وخرج معه وهما ماشيان والناس معهما وخلفهما ، وأوْصَى كلّ واحد منهما .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم ،

---

(١) يقال : ذهن عن الشيء ؛ أنساه إياه وألهاه عنه ، ومثله أذهنه .

ومبشِّر عن سالم، ويزيد بن أسيد الغسانيّ عن خالد، وعبادة ، قالوا : ولمّا قدم الوليد على خالد بن سعيد فسانده(١)، وقدمت جنود المسلمين الّذين كان أبو بكر أمدّه بهم وسمّوا جيش البدال ، وبلغه عن الأمراء وتوجّههم إليه، اقتحم على الرّوم طلبَ الحُظْوة، وأعرى ظهرَه، وبادر الأمراء بقتال(٢) الرّوم ، واستطرد له باهان فأرزَهو ومَن معه إلى دمشق ؛ واقتحم خالد فى الجيش ومعه ذو الكَلاع وعِكْرِمة والوليد حتّى ينزل مَرْج الصُّفَّر ؛ من بين الواقوصة ودمشق ؛ فانطوت مسالح باهان عليه ، وأخذوا عليه الطرق(٣) ولا يشعر ، وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطر فى الناس ، فقتلوهم . وأتى الخبرُ خالدًا ، فخرج هاربًا فى جريدة ، فأفات مَن أفلت من أصحابه على ظهور الخيل والإبل ، وقد أجهضوا عن عسكرهم ؛ ولم تنته بخالد بن سعيد الهزيمة عن ذى المروة ، وأقام عِكْرِمة فى الناس ردءًا لهم ، فردّ عنهم باهانَ وجنوده أن يطلبوه ، وأقام من الشأم على قريب ، وقد قدم شرحبيل بن حَسَنة وافدًا من عند خالد بن الوليد ، فندب معه النّاس ، ثم استعمله أبو بكر على عمل الوليد ، وخرج معه يوصيه ، فأتى شرحبيل على خالد ، ففصل بأصحابه إلّا القليل ، واجتمع إلى أبى بكر أناسٌ ، فأمّر عليهم معاوية ، وأمره باللحاق بيزيد ، فخرج معاوية حتى لحق بيزيد ؛ فلما مرّ بخالد فصل ببقيّة أصحابه .

١/٢٠٨٥

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب، عن سيف ، عن هشام بن عروة، عن أبيه : أنّ عمر بن الخطاب لم يزلْ يكلّم أبا بكر فى خالد بن الوليد وفى خالد ابن سعيد؛ فأبى أن يعطيَه فى خالد بن الوليد، وقال: لاأشيم(٤) سيفًا سلّه الله على الكُفّار ، وأطاعه فى خالد بن سعيد بعد ما فعل فَعْلته . فأخذ عمرو طريق المُعْرِقة ، وسلك أبو عبيدة طريقه ، وأخذ يزيد طريق التبوكيّة ؛ وسلك شُرحبيل طريقه ، وسمّى لهم أمصار الشأم ، وعرف أن الرّوم ستشغلهم ؛ فأحبّ أن يصعّد المصوّب ويصوّب المصعّد ؛ لئلا يتواكلوا ، فكان كما ظنّ وصاروا إلى ما أحبّ .

١/٢٠٨٦

---

(١) س : «يسانده» . (٢) ز وابن الأثير : «لقتال» .
(٣) ب وابن حبيش : «بالطرق» . (٤) لا أشيمه : لا أغمده .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، قال : لما قدم خالد بن سعيد ذا المروة ، وأتى أبا بكر الخبرُ كتب إلى خالد : أقمْ مكانك[١] ، فلعمرى إنّك مقدام محجام ، نجّاءٌ من الغمرات ، لا تخوضها إلاّ إلى حقّ ، ولا تصبر عليه . ولمّا كان بعد ؛ وأذن له فى دخوله المدينة قال خالد : اعذِرْنى ، قال : أخطَلٌ ! أنت امرؤٌ جُبُن لدى الحرب . فلمّا خرج من عنده قال : كان عمر وعلىّ أعلمَ بخالد ؛ ولو أطعتهما فيه اختشيته واتّقيته !

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن مبشّر وسهل وأبى عثمان ، عن خالد وعبادة وأبى حارثة ، قالوا : وأوعبَ القوّاد بالنّاس نحو الشأم وعكرمة ردءٌ للناس ، وبلغ الرُّوم ذلك ؛ فكتبوا إلى هِرَقل ؛ وخرج هرقل حتى نزل بحِمْص ، فاعدّ لهم الجنودَ ، وعبّى لهم العساكر ؛ وأراد اشتغال[٢] بعضهم عن بعض لكثرة جنده ، وفضول رجاله ؛ وأرسل إلى عمرو أخاه تَذَارِق لأبيه وأمّه ، فخرج نحوهم فى تسعين ألفًا ، وبعث مَن يسوقهم ، حتّى نزل صاحب الساقة ثنيّة جِلّق بأعلى فلسطين ، وبعث جَرَجة بن توذرا نحو يزيد بن أبى سفيان ، فعسكر بإزائه ، وبعث الدُّراقص فاستقبل شُرحبيل بن حَسَنة ، وبعث الفِيقار بن نَسْطُوس فى ستّين ألفًا نحو أبى عبيدة ؛ فهابهم المسلمون وجميع فِرَق المسلمين واحد وعشرون ألفًا ؛ سوى عكرمة فى ستّة آلاف ؛ ففزِعوا جميعًا بالكتُب وبالرّسل إلى عمرو : أن ما الرأى ؟ فكاتبهم وراسلهم : إنّ الرأى الاجتماع ، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلَب من قلّة ؛ وإذا نحن تفرّقْنا لم يبق الرّجل منا فى عدد يُقْرِن[٣] فيه لأحد ممّن استقبلنا وأعِدّ لنا لكلّ طائفة منّا . فاتّعَدوا اليَرْموك ليجتمعوا به ، وقد كتب إلى أبى بكر بمثل ما كاتبوا به عمرا ؛ فطلع عليهم كتابه بمثل رأى عمرو ، بأن اجتمعوا فتكونوا عسكرًا واحدًا ، والقَوْا زحوف المشركين بزحف المسلمين ،

١/٢٠٨٧

---

(١) س : « بمكانك » .

(٢) ابن حبيش وابن الأثير : « إشغال » .

(٣) يقال : أقرن له : إذا غلب عليه .

فإنكم أعوان الله ؛ والله ناصرٌ مَن نصره ، وخاذلٌ من كفره ، ولن يؤتَى مثلُكم من قلّة ؛ ،وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتُوا مِنْ تلقاء الذنوب ؛ فاحترسوا من الذّنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين ولْيُصلِّ كلّ رجل منكم بأصحابه . ١/٢٠٨٨

وبلغ ذلك هرقل ، فكتب إلى بطارقته : أن اجتمعُوا لهم ، وانزلوا بالرُّوم منزلا واسع العَطَن ، واسع المطَّرَد ، ضيّق المهرَب ؛ وعلى الناس التَّذارق وعلى المقدمة جَرجة ، وعلى مجنّبتيْه باهان والدُّراقص ، وعلى الحرب الفيقار ؛ وأبشروا فإن باهان فى الأثر مددٌ لكم . ففعلوا فنزلوا الواقوصة وهى على ضفّة اليَرموك ، وصار الوادى خَنْدقًا لهم ؛ وهو لِهْبٌ [١] لا يدرَك ؛ وإنما أراد باهان وأصحابُه أن تستفيق [٢] الرُّوم ويأنسوا بالمسلمين ؛ وترجع إليهم أفئدتهم عن طِيَرَتها .

وانتقل المسلمون عن عسكرِهم الذى اجتمعوا به ؛ فنزل عليهم بحذائهم على طريقهم؛ وليس للرُّوم طريق إلاّ عليهم . فقال عمرو : أيّها الناس ، أبشِروا ، حُصِرت والله الرُّوم ، وقلَّما جاء محصور بخير ! فأقاموا بإزائهم وعلى طريقهم؛ ومخرجهم صفر من سنة ثلاث عشرة وشهرَىْ ربيع ، لا يقدرون من الرّوم على شىء ؛ ولا يخلصُون إليهم ؛ اللّهْبُ — وهو الواقوصة — من ورائهم ، والخندق من أمامهم، ولايخرجون خرْجةً إلا أديل المسلمون منهم [٣] ؛ حتى إذا سلخوا شهر ربيع الأول ؛ وقد استمدُّوا أبا بكر وأعلموه الشأن فى صفر ؛ فكتب إلى خالد ليلحق بهم ، وأمره أن يخلّف على العراق المثنّى؛ فوافاهم فى ربيع . ١/٢٠٨٩

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمّد وطلحة وعمرو والمهلّب ، قالوا : ولما نزل المسلمون اليرمُوك ، واستمدُّوا أبا بكر ، قال : خالد لها . فبعث إليه وهو بالعراق ، وعزَم عليه واستحثّه فى السَّير ، فنفذ خالد لذلك؛ فطلع عليهم خالد؛ وطلع باهان على الرُّوم، وقدقدَّم قدّامَه الشَّمامِسةَ والرّهبان والقسِّيسين ؛ يُغرونهم و يحضّضونهم على القتال ؛ ووافق قدوم خالد

(١) اللهب ، بالكسر : الفرجة بين الجبلين . (٢) ز : « يستثبت » .

(٣) فى اللسان : «يقال : أديل لنا على أعدائنا ، أى نصرنا عليهم ، وكانت الدولة لنا » .

قدومَ باهان ، فخرج بهم باهان كالمقتدر ؛ فولّى خالد قتالَه ، وقاتل الأمراءُ مَنْ بإزائهم ؛ فهزم باهان ، وتتابع الروم على الهزيمة ، فاقتحموا خندقَهم ؛ وتيمّنت الروم بباهان ؛ وفرح المسلمون بخالد وحَرِد[1] المسلمون . وحَرِب[2] المشركون وهم أربعون ومائتا ألف ؛ منهم ثمانون ألف مقيّد ، وأربعون ألفا منهم مسلسل للموت ، وأربعون ألفًا مربّطون بالعمائم ، وثمانون ألف فارس وثمانون ألف راجل ، والمسلمون سبعة وعشرون ألفًا ممّن كان مقيمًا ؛ إلى أن قدم عليهم خالد فى تسعة آلاف ؛ فصاروا ستة وثلاثين ألفًا .

ومرض أبو بكر رحمه الله فى جمادى الأولى ، وتُوُفِّىَ للنصف من جمادى الآخرة ، قبل الفتح بعشر ليال .

* * *

٢٠٩٠/١

خبر اليَرْموك

قال أبو جعفر : وكان أبو بكر قد سمّى لكلّ أمير من أمراء الشأم كُورَةً ؛ فسمّى لأبى عُبيدة بن عبد الله بن الجرّاح حِمْص ، وليزيد بن أبى سفيان دِمَشق ؛ ولشُرحبيل بن حَسَنة الأردنّ ، ولعمرو بن العاص ولعلقمة بن مُجَزّز فلسطين ، فلمّا فرغا منها نزل علقمة وسار إلى مِصْر . فلمّا شارفوا الشأم ، دهم كلَّ أمير منهم قومٌ كثير ، فأجمع رأيهم أن يجتمعوا بمكان واحد ، وأن يلقوْا جمعَ المشركين بجمع المسلمين .

ولما رأى خالد أنّ المسلمين يقاتلون متساندين قال لهم : هل لكم يا معشر الرؤساء فى أمرٍ يُعزّ الله به الدّين ، ولا يدخل عليكم معه ولا منه نقيصة ولا مكروه !

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن أبى عثمان يزيد بن أسيد الغسّانىّ ، عن خالد وعبادة ، قالا : توافَى إليها مع الأمراء والجنود الأربعة سبعةٌ وعشرون ألفًا وثلاثة آلاف من فُلاّل خالد بن سعيد ، أمّر عليهم أبو بكر معاويةَ وشُرحبيل ، وعشرة آلاف من أمداد أهل العراق مع خالد

(١) الحرد : الجد والقصد إلى الأمر . (٢) حرب المشركون : اشتد غضبهم .

ابن الوليد سوى ستّة آلاف ثبتوا مع عكرمة ردءا بعد خالد بن سعيد ؛ ١/٢٠٩١
فكانوا ستّة وأربعين ألفًا ، وكلّ قتالهم[١] كان على تساند ، كلّ جند وأميره[٢] ؛
لا يجمعهم أحدٌ ؛ حتّى قدم عليهم خالد من العراق. وكان عسكر أبي عبيدة
باليرْموك مجاورًا لعسكر عمرو بن العاص ، وعسكر شُرَحبيل مجاورًا لعسكر
يزيد بن أبي سفيان ؛ فكان أبو عبيدة ربّما صلّى مع عمرو ، وشرحبيل مع يزيد.
فأما عمرو ويزيد فإنّهما كانا لا يصلّيان مع أبي عبيدة وشُرحبيل ، وقدم
خالد بن الوليد وهم على حالهم تلك ؛ فعسكر على حِدَة ؛ فصلّى بأهلِ العراق ،
ووافق خالد بن الوليد المسلمين وهم متضايقون بمدَدِ الرّوم ؛ عليهم باهان ،
ووافق الرّوم وهم نِشاط بمددهم[٣] ، فالتقوْا ، فهزمهم الله حتى ألجأهم وأمدادَهم إلى
الخنادق — والواقوصة أحد حدوده — فلزموا خندقهم عامّة شهر ، يُحَضِّضُهم
القسّيسون والشّمامسة والرّهبان وينعَوْن لهم النّصرانيّة ؛ حتى استبصروا.
فخرجوا للقتال الذى لم يكن بعده قتال مثله ، فى جمادى الآخرة.

فلمّا أحسّ المسلمون خروجَهم ، وأرادوا الخروجَ متساندين ، سار فيهم
خالد بن الوليد ؛ فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال : إن هذا يومٌ من أيّام الله ،
لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى . أخلِصوا جهادَكم ، وأريدوا الله بعملكم ؛
فإن هذا يومٌ له ما بعده ؛ ولا تقاتلوا قومًا على نظام وتعبية ؛ على تساندُ[٤] ١/٢٠٩٢
وانتشار ؛ فإن ذلك لا يحلّ ولا ينبغى . وإنّ مَن وراءَكم لو يعلم علمَكم
حال بينكم وبين هذا ؛ فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون أنّه الرّأى
من واليكم ومحبّته ، قالوا : فهات ، فما الرأى ؟ قال : إنّ أبا بكر لم يبعثْنا
إلّا وهو يرى أنا سنتياسر ، ولو علم بالذى كان ويكون ؛ لقد جمعكم[٥]. إنّ الذى
أنتم فيه أشدُّ على المسلمين ممّا قد غشيَهم ، وأنفعُ للمشركين من أمدادهم ؛
ولقد علمت أنّ الدنيا فرّقت بينكم ، فاللهَ الله ، فقد أفرِدَ كلّ رجل منكم ببلد
من البلدان لا ينتقصه منه أن دان لأحد من أمراء الجنود ، ولا يزيده عليه أن

---

(١) ز : « قتال » . (٢) ز : « وأميرهم » . (٣) ب ، س : « لمددهم » .
(٤) فى اللسان « يقال : خرج القوم متساندين ، أى على رايات شتّى ؛ إذا خرج كل بنى أب على راية ولم يجتمعوا على راية واحدة تحت راية أمير واحد » . وفى ابن الأثير : « وأنتم متساندون » .
(٥) ابن الأثير : « لما جمعكم » .

دانوا له . إنّ[١] تأمير بعضكم لا ينقصكم[٢] عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلم. هلمّوا فإنّ هؤلاء تَهَيَّئوا، وهذا يوم له ما بعده، إنْ رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردّهم ، وإن هزمونا لم نُفلح بعدها . فهلمّوا فلْنتعاور الإمارة ، فليكن عليها بعضُنا اليوم، والآخر غداً ، والآخر بعد غد ؛ حتى يتأمّر كلّكم ، ودعوني ألِيكُم اليوم[٣].

فأمّروه ، وهم يرون أنها كخرجاتهم ، وأن الأمر أطولُ ممّا صاروا إليه ؛ فخرجت الرُّوم فى تعبية لم يرَ الراءون مثلَها قطّ ، وخرج خالد فى تعبية لم تُعبِّها العرب قبل ذلك ؛ فخرج فى ستّة وثلاثين كُردوساً[٤] إلى الأربعين ، وقال : إنّ عدوّكم قد كثُر وَطَغَى ، وليس من[٥] التعبية تعبية أكثر فى رأى العين من الكراديس . فجعل القلب كراديسَ ، وأقام فيه[٦] أبا عبيدة ، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شُرَحْبيل بن حَسَنة . وجعل الميسرة كَراديس وعليها يزيد بن أبى سفيان . وكان على كُردوس من كراديس أهل العراق القَعْقاع بن عمرو ، وعلى كُردوس مذعور بن عدىّ، وعياض بن غَنْم على كُرْدوس، وهاشم بن عتبة على كُرْدوس، وزياد بن حنظلة على كُردوس ، وخالد فى[٧] كُردوس ؛ وعلى فالّة خالد بن سعيد[٨] دحْيَة بن خليفة على كُردوس ، وامرؤ القيس على كُرْدُوس ، ويزيد بن يحنّس على كُردوس ، وأبو عبيدة على كُردوس ، وعِكْرمة على كُردوس ، وسهيل على كُردوس ، وعبد الرحمن بن خالد على كُردوس — وهو يومئذ ابن ثمانيَ عشرة سنة — وحبيب بن مَسلمة على كُرْدوس ، وصفوان بن أميّة على كُردوس، وسعيد بن خالد على كُرْدوس ، وأبوالأعور بن سفيان على كُرْدوس ، وابن ذى الخِمار على كُرْدُوس ؛ وفى الميمنة عُمارة بن مُخشىّ ابن خُوَيْلِد على كُردوس ؛ وشُرَحْبيل على كُردوس[٩] ومعه خالد بن

١/٢٠٩٣ ، ١/٢٠٩٤

(١) ب وابن حبيش : « وإن » . (٢) ز وابن الأثير : « لا ينتقصكم » .
(٣) ب ، وابن حبيش : « ألكم » ؛ وهما فى العربية سواء .
(٤) الكردوس: القطعة العظيمة من الخيل ، ويقال : كردس القائد خيله ، أى جعلها كتيبة منه .
(٥) س : « فى التعبية » . (٦) ب : « عليه » .
(٧) ب : « على كردوس » . (٨) س : « سعيد بن خالد » .
(٩) ز : « على كردوس آخر » .

سعيد، وعبد الله بن قيس على كُردُوس؛ وعمرو بن عَبسَة على كُرْدوس، والسِّمط بن الأسود على كُردوس، وذو الكَلاَع على كُردوس، ومعاوية بن حُدَيْج على آخر؛ وجُنْدب بن عمرو بن حُمَمَة على كُردوس، وعمرو بن فلان على كردوس؛ ولَقيط بن عبد القيس بن بجرة حليف لبنى ظَفَر من بنى فزارة على كُرْدوس، وفى المَيْسَرة يزيد بن أبى سفيان على كُرْدوس، والزُّبَير على كُرْدوس، وحَوْشب ذو ظُلَيْم على كُرْدوس، وقيس بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن مازن بن صعصعة من هوازن — حليف لبنى النَّجَّار — على كُردوس، وعِصْمة بن عبد الله — حليف لبنى النجار من بنى أسد — على كُردوس، وضِرار بن الأزور على كُردوس، ومسروق بن فلان على كُرْدُوس، وعُتْبة بن ربيعة بن بَهْز — حليف لبنى عِصْمة — على كُردوس، وجارية بن عبد الله الأشجعىّ — حليف لبنى سلِمة — على كُردوس، وقَبَاث على كردوس. ٢٠٩٥/١

وكان القاضى أبو الدرداء، وكان القاصّ أبو سفيان بن حرب، وكان على الطَّلائع قَبَاث بن أشيَم؛ وكان على الأقباض [١] عبد الله بن مسعود.

كتب إلىّ السرىُّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة نحواً من حديث أبى عثمان؛ وقالوا جميعاً: وكان القارىء المِقْداد. ومن السُّنَّة التى سنّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعد بدر أن تقرأ سورة الجِهاد عند اللِّقاء؛ وهى الأنفال، ولم يزَلِ النَّاس بعد ذلك على ذلك.

كتب إلىّ السرىُّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبى عثمان يزيد بن أسيد الغَسَّانى، عن عبادة وخالد؛ قالا: شهد اليَرْموكَ ألفٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيهم نحو من مائة من أهل بدر. قالا: وكان أبو سفيان يسيرُ فيقِف على الكراديس، فيقول: اللهَ اللهَ! إنكم ذَادةُ العرب، وأنصارُ الإسلام، وإنهم ذَادة الرُّوم وأنصار الشرك! اللهمّ إنّ هذا يومٌ من أيَّامك؛ اللهم أنزلْ نصرك على عبادك!

قالا: وقال رجل لخالد: ما أكثرَ الرومَ وأقلّ المسلمين! فقال خالد:

---

(١) الأقباض: جمع قبض، بفتحتين؛ وهو ما جمع من الغنائم.

ما أقلَّ الروم وأكثر المسلمين ! إنما تكثُر الجنود بالنَّصر وتقلّ بالخذلان ؛ لا بعدد[١] الرِّجال؛ والله لوددت أنّ الأشقر[٢] بَراءٌ من توجيه[٣]؛ وأنهم أضعفوا فى العدد — وكان فرسه قد حفِىَ فى مسيره — قالا : فأمر خالد عِكرمة والقَعْقاع ، وكانا على مجنَّبَتى القَلْب ، فأنشبا القِتال ، وارتجز القعقاع وقال :

١/٢٠٩٦

ياليتنى ألقــــاك فى الطِّرادِ قبلَ اعترام الجَحْفَلِ الوَرَّادِ

* وأنت فى حَلْبتك الورادِ *

وقال عِكْرمة :

قد عَلِمتْ بَهْكَنةُ الجوارى[٤] أنِّى على مَكْرُمةٍ أحامِى[٥]

فنشِب القتال ، والتحمَ النَّاس ، وتطارد الفرسان ؛ فإنَّهم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة ؛ فأخذته الخيول ؛ وسألوه الخَبَر ؛ فلم يخبرهم إلاّ بسلامة ؛ وأخبرهم عن أمداد ؛ وإنما جاء بموت أبى بكر رحمه الله وتأمير أبى عبيدة ؛ فأبلغوه خالدًا ، فأخبره خبَر أبى بكر ؛ أسرّه إليه[٦] ، وأخبره بالّذى أخبر به الجندَ . قال : أحسنتَ فقفْ ، وأخذ الكتاب وجعله فى كنانته ؛ وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند ؛ فوقف محمية بن زُنَيم مع خالد ؛ وهو الرسول ؛ وخرج جَرَجة[٧] ؛ حتى كان بين الصفَّين ، ونادى : ليخرجْ إلىّ خالد ، فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه ، فوافقه بين الصَّفَّين ؛ حتى اختلفت أعناق دابَّتيهما[٨] ، وقد أمِّن أحدُهما صاحبَه ، فقال جَرَجَة : يا خالد أصدِقْنى ولا تكذِبْنى فإنّ الحرّ لا يكذِب ولا تخادعنى فإنّ الكريم لا يخادع المسترسل بالله ؛ هل أنزل الله على نبيِّكم سيفاً من السماء فأعطاكه ،

١/٢٠٩٧

(١) ز : «تعدد». (٢) الأشقر من الخيل : الأحمر فى مغرة حمرة؛ يحمر منها السبيب؛ ويطلق على عدة أفراس لأصحابها (٣) وجى الفرس وتوجى ؛ أى أصيب بالوجا ، وهو أن يشتكى الفرس باطن حافره . (٤) البهكنة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة .

(٥) ز : « أدارى » . (٦) ز : « فأسره وأخبره » .

(٧) جرجة ، بفتحات ، كذا ضبطه صاحب القاموس ، وقال : « اسم مقدم عسكر الروم يوم اليرموك » . (٨) س والنويرى : « دوابّهما » .

فلا تسلّه على قوم[١] إلاّ هزمتهم ؟ قال : لا ، قال : فبمَ سُميت سيف الله ؟ قال : إن الله عزّ وجلّ بعث فينا نبيّه صلّى الله عليه وسلّم ، فدعانا فنفرْنا عنه[٢] ونأيْنا عنه جميعًا . ثم إنّ بعضنا صدّقه وتابعه ؛ وبعضنا باعده وكذّبه ؛ فكنت فيمن كذّبه وباعده وقاتله . ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا ؛ فهدانا به ، فتابعناه . فقال : أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين ! ودعا لى بالنّصر ؛ فسُمِّيت سيف الله بذلك ؛ فأنا من أشدّ المسلمين[٣] على المشركين . قال صدقتَنى ، ثم أعاد عليه جرَجة : يا خالد ، أخبرْنى إلامَ تدعونى ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، قال : فَمنْ لم يُجبْكم ؟ قال : فالجِزْيَة ونمنعهم ، قال : فإن لم يعطِها ، قال : نؤذنه بحرب ، ثم نقاتله . قال : فما منزلةُ الّذِى يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم ؟ ١/٢٠٩٨ قال : منزلتُنا واحدة فيما افترضَ الله علينا ، شريفنا ووضيعنا ، وأوّلنا وآخرنا . ثم أعاد عليه جرَجة : هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالدُ مثل مالكم من الأجر والذُّخْر ؟ قال : نعم ، وأفضل ؛ قال : : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ قال : إنّا دخلْنا فى هذا الأمر ، وبايَعْنا[٤] نبينا صلّى الله عليه وسلّم وهو حىّ بين أظهرنا ، تأتيه أخبار السماء[٥] ويخبرنا بالكتب ، ويرينا الآيات ، وحقّ لمن رأى ما رأينا[٦] ، وسمع ما سمعنا ، أن يُسلِم ويبايع[٧] ؛ وإنكم أنتم لم تروْا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحُجَج ؛ فَمنْ دخل فى هذا الأمر منكم بحقيقة ونيّة كان أفضلَ منّا . قال جرجة : بالله لقد صدَقتَنى ولم تخادعْنى ولم تألَفْنى ! قال : بالله ؛ لقد صدقتُك وما بى إليك ولا إلى أحد منكم وحشة[٨] ؛ وإنّ الله لَولِىٌّ ما سألت عنه . فقال : صدقتَنى ؛ وقلب التّرس ومال مع خالد ، وقال : علّمْنى الإسلام ، فمال به خالد إلى فُسطاطه ، فشنّ عليه قِربَة من ماء ، ثم صلّى ركعتيْن ؛ وحملت الرُّوم مع

---

(١) س ، وابن حبيش وابن كثير : « أحد » . (٢) ابن حبيش : « منه » .
(٣) ز : « الناس » . (٤) ابن الأثير : « اتبعنا » ، وابن حبيش : « تابعنا » .
(٥) ز : « يأتينا بأخبار السماء » . (٦) س : « مثل ما رأينا » .
(٧) س وابن حبيش : « ويتابع » . (٨) ابن حبيش : « حاجة » .

انقلابه إلى خالد ؛ وهم يرون أنّها منه حملة ، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية ، عليهم عِكرمة والحارث بن هشام . وركب خالدٌ ومعه جرَجة والرّوم خلالَ المسلمين ؛ فتنادَى الناس ، فثابوا ، وتراجعت الرّوم إلى مواقفهم ، فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسّيوف ، فضرب فيهم خالد وجَرَجَة من لدن ارتفاع[1] النهار إلى جُنُوح الشمس للغروب ، ثم أصيبَ جرجَة ولم يصلِّ صلاة سجد فيها إلا الرّكعتين اللّتين أسلم عليهما ، وصلّى الناس الأولى والعصر إيماءً ، وتضعضع الروم ، ونَهَد خالد بالقلب حتّى كان بين خيلهِم ورجْلهم ، وكان مقاتِلهُم واسِعَ المطّرد، ضيّق المهرب ؛ فلمّا وجدت خيلُهم مذهَبًا ذهبت وتركوا[2] رَجْلهم فى مصافّهم ؛ وخرجت خيلُهم تشتدّ بهم فى الصحراء ، وأخّر النّاس الصلاة حتى صلّوا بعد الفتح . ولما رأى المسلمون خيلَ الروم توجّهت للهرَب ، أفرجوا لها ، ولم يحرّجوها ؛ فذهبت فتفرّقت فى البلاد ، وأقبل خالد والمسلمون على الرّجْل ففضّوهم ؛ فكأنّما هُدِم بهم حائط ؛ فاقتحموا فى خندقهم ، فاقتحمه عليهم فعمَدوا إلى الواقوصة ، حتى هوى فيها المقترنون وغيرُهم ، فمَنْ صبر من المقترنين للقتال هوى به من خَشَعَتْ[3] نفسُه ، فيهوِى[4] الواحد بالعشرة لا يطيقونه[5] ؛ كلّما هوى اثنان كانت البقيّة أضعف[6] ، فتهافت[7] فى الواقوصة عشرون ومائة ألف ؛ ثمانون ألف مقترن[8] وأربعون ألف مطلق ؛ سوى مَنْ قُتِل فى المعركة من الخيْل والرّجل ؛ فكان سهم الفارس يومئذ ألفا وخمسمائة ، وتجلّل الفيقار وأشرافٌ من أشراف الرّوم برانسَهم ، ثم جلسوا وقالوا : لا نحبّ أن نرى يوم السّوء إذْ لم نستطع أن نرى يوم السرور ؛ وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانيّة ؛ فأصيبوا فى تزمّلهم .

١/٢٠٩٩ — ١/٢١٠٠

كتب إلىّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان ، عن خالد

---

(١) ز : « طلوع » .
(٢) ز : « وتركت » .
(٣) ط : « جشعت » ، وما أثبته من س .
(٤) س : « فهوى » .
(٥) س : « ولا يطيقونه » .
(٦) س : « أضعف منها » .
(٧) النويرى : « فتهادت » .
(٨) ز ، س : « مقترنين » .

وعبادة ؛ قالا : أصبح خالد من تلك اللَّيْلة ، وهو في رِواق تَدارِق ، لمَّا دخل الخندق نزله وأحاطت به خيله ، وقاتل الناسُ حتى أصبحوا .

كتب إليّ السريّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان الغسَّانيّ ، عن أبيه ، قال : قال عِكْرمة بن أبي جهل يومئذ : قاتلت رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في كلّ موطن ، وأفِرُّ منكم اليوم ! ثم نادى : مَن يبايع على الموت ؟ فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزْوَر في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم ؛ فقاتلوا قدّام فُسطاط خالد حتى أثبِتوا جميعًا جراحًا ، وقُتِلوا إلاّ من برأ ، ومنهم ضرار بن الأزور . قال : وأتِيَ خالد بعد ما أصبحوا بعِكْرمة جريحًا فوضع رأسه على فخِذه ، وبعمرو بن عِكْرمة فوضع رأسه على ساقه ، وجعل يمسح عن وجوههما ، ويقطِّر في حلوقهما الماء ، ويقول : كلاّ ، زعم ابن الحَنْتَمة(١) أنَّا لا نُستشهَد !

كتب إليّ السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عُميس ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة — وكان شهد اليَرْموك هو وعُبادة بن الصامت — أنّ النساء قَاتلْنَ يوم اليَرْموك في جَوْلة ، فخرجت جُوَيْرِية ابنة أبي سفيان في جَوْلة ، وكانت مع زوجها [وأصيبت](٢) بعد قتال شديد ، وأصيبت يومئذ عينُ أبي سفيان ، فأخرج السهم من عينه أبو حثْمة .

١/٢١٠١

كتب إليّ السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المُستَنير بن يزيد بن أرطاة ابن جُهَيْش ، قال : كان الأشتَر قد شهد اليَرْموك ولم يشهد القادسيَّة ؛ فخرج يومئذ رجلٌ من الرّوم ، فقال : مَنْ يبارز ؟ فخرج إليه الأشتر ؛ فاختلفا ضربتيْن ، فقال للرّومي : خُذْها وأنا الغلام الإياديّ(٣) ، فقال الروميّ : أكثر الله في قومي مثلك ! أمَا والله لو(٤) أنَّك من قومي لآ زرْت(٥) الرُّوم ، فأمَّا الآن فلا أعينهم !

---

(١) حنتمة ، بنت ذى الرمحين هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية ، أم عمر ابن الخطاب . (٢) من ز . (٣) كذا في ط ؛ والمعروف أن الأشتر نخعيّ من مذحج (٤) ط : « لولا » ، ولا يستقيم به النص . (٥) ط : « لزرت » ، وانظر التعليقات .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان وخالد : وكان ممّن أصيب فى الثلاثة الآلاف الّذين أصيبوا يوم اليَرْموك عِكرمة ، وعمرو بن عِكْرمة، وسلمَة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد — وأثبِت[1] خالد بن سعيد فلا يُدرَى أين ماتَ بَعْد — وجُنْدَب بن عمرو ابن حُمَمَة الدَّوْسِيّ ، والطّفَيْل بن عمرو ، وضِرار بن الأزور أثبِت فبقَى وطُلَيْب بن عُمَير بن وَهْب من بنى عبد بن قُصىّ ، وهَبّار بن سُفْيان ، وهشام بن العاصى .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن عمرو بن ميمون ، عن أبيه ، قال : لقَىَ خالداً مقدمَه الشأم مغيثًا لأهل اليرموك رجلٌ من روم العرب ، فقال : يا خالد ، إنّ الروم فى جمع كثير ؛ مائتى ألف أو يزيدون ؛ فإنْ رأيت أن ترجعَ عَلَى حاميتك فافعل ؛ فقال خالد : أبالرّوم تخوّفنى ! والله لودِدْتُ أنّ الأشقر بَراءٌ من تَوَجّيه ، وأنّهم أضعفوا ضِعْفَهم ، فهزمهم الله على يدَيه ! ٢١٠٢/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عن أرطاة بن جهيش ، قال : قال خالد يومئذ : الحمدُ لله الّذى قضى على أبى بكر بالموتِ وكان أحبَّ إلىّ من عمر ، والحمدُ لله الذى ولّى عمر ، وكان أبغضَ إلىّ من أبى بكر ثم ألزمنى حُبَّه !

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو ابن ميمون ، قالوا : وقد كان هرقل حجّ قبل مهزم خالد بن سعيد ، فحجّ بيت المقدس ، فبينا هو مقيم به أتاه الخبر بقُرْب الجنود منه ، فجمع الرُّوم ، وقال : أرى من الرأى ألاّ تقاتِلُوا هؤلاء القوم ، وأن نُصالحوهم ؛ فوالله لأن تُعطوهم نصفَ ما أخرجت الشأم ؛ وتأخذوا نصفًا وتقِرّ لكم جبال الرُّوم ؛ خيرٌ لكم من أن يبلغوكم على الشأم ، ويشاركوكم فى جبال الرّوم ؛ فنخر أخوه ونخر ختَنُه ؛ وتصدّع عنه مَن كان حوله ؛ فلمّا رآهم يعصونه ويردّون عليه بعث أخاه ، وأمّر الأمراء ووجّه إلى كلّ جند

(١) أثبت ؛ أى جرح جرحاً عميقاً .

٢١٠٣/١ جندًا . فلما اجتمع المسلمون ، أمرهم بمنزل واحد واسع جامع حصين ، فنزلوا بالواقوصة ، وخرج فنزل حِمْص ، فلمَّا بلغه أن خالدًا قد طلع على سُوَى وانتسف أهلَه وأموالَهم ، وعَمَد إلى بُصْرَى وافتتحها وأباح عَذْراء ، قال لجلسائه : ألم أقل لكم لا تقاتلوهم ! فإنَّه لا قِوامَ لكم مع هؤلاء القوم ؛ إنّ دينهم دينٌ جديد يجدّد لهم ثِبارَهم[١] ، فلا يقوم لهم أحد حتى يُبْلَى . فقالوا : قاتِل عن دينك ولا تُجبِّن النَّاس ، واقض الذى عليك ؛ قال : وأىَّ شىء أطلب إلا توفيرَ دينكم !

* * *

ولما نزلت جنود المسلمين اليَرْموك ، بعث إليهم المسلمون : إنَّا نريد كلامَ أميركم وملاقاته ؛ فدعُونا نأتِه ونكلّمه ، فأبلغوه فأذِن لهم . فأتاه أبوعبيدة ويزيد بن أبى سفيان كالرسول ، والحارث بن هشام وضِرار بن الأزور وأبو جَنْدل بن سُهيل ؛ ومع أخى الملك يومئذ ثلاثون رِواقا فى عسكره وثلاثون سُرادِقاً ، كلُّها من ديباج ؛ فلمَّا انتهوْا إليها أبوْا أن يدخلوا عليه فيها ، وقالوا : لا نستحلّ الحرير فابْرُز لنا . فبرز إلى فُرُش ممهَّدة ؛ وبلغ ذلك هرقل ، فقال : ألم أقل لكم ! هذا أوّلُ الذُّلّ ،أما الشأم فلا شأم ؛ وويل للروم من المولود المشئوم ! ولم يتأتّ بينهم وبين المسلمين صُلْح ، فرجع أبو عبيدة وأصحابه واتّعدوا ، فكان القتال حتى جاء الفتح .

٢١٠٤/١ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مُطَرَّح ، عن القاسم ، عن أبى أمامة وأبى عثمان ، عن يزيد بن سنان ، عن رجال من أهل الشأم ومن أشياخهم ؛ قالوا : لمَّا كان اليوم الّذى تأمّر فيه خالد ، هزم الله الرُّوم مع الليل ، وصعد[٢] المسلمون العَقَبة ، وأصابوا ما فى العسكر ، وقتل الله صناديدَهم ورءوسهم وفرسانهم ، وقتل الله أخا هِرَقْل ، وأخِذ التَّذارق ، وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دُون مدينة حِمْص ، فارتحل فجعل حِمْص بينه وبينهم ، وأمّر عليها أميرًا وخلّفه فيها ، كما كان أمّر على دمشق ، وأتبع المسلمون الرُّوم حين هزموهم خيولاً يَشْفِنونهم[٣] . ولمَّا صار إلى

---

(١) الثبار على الأمر : المواظبة عليه. (٢) كذا فى ز والنويرى . (٣) يثفنونهم : يطردونهم.

أبى عبيدة الأمرُ بعد الهزيمة؛ نادى بالرّحيل ، وارتحل المسلمون بزحْفهم حتى وضعوا عساكرَهم بمَرْج الصُّفَّر . قال أبو أمامة : فبُعِثت طليعةً من مَرج الصُّفَّر ، معى فارسان ؛ حتى دخلت الغُوطة فجُسْتها بين أبياتها وشجراتها ، فقال أحد صاحبَىّ : قد بلغتَ حيث أمِرت فانصرف لاتهلكْنا ، فقلت : قِفْ مكانَك حتى تصبح أو آتيَك. فسِرْتُ حتى دفعت إلى باب المدينة ؛ وليس فى الأرض أحدٌ ظاهر ، فنزعت لجام فرسِى وعلّقت عليها مخلاتها ، وركزت[1] رمحى ، ثم وضعت رأسى فلم أشعُر إلاّ بالمفتاح يحرِّك عند الباب ليُفتح ؛ فقمت فصلَّيت الغداة ، ثم ركبت فرسى ، فحملت عليه ، فطعنت البوّاب[2] فقتلته ، ثم انكفأت راجعًا ؛ وخرجوا يطلبوننى ،فجعلوا يكفّون عنِّى مخافة أن يكون لى كمين ، فدفعت إلى صاحبى الأدْنى الّذى أمرتُه أن يقف ، فلمّا رأوْه قالوا : هذا كمين انتهى إلى كمينه . فانصرفوا وسرت أنا وصاحبى ، حتى دفعنا إلى صاحبنا الثانى ، فسِرْنا حتى انتهينا إلى المسلمين ؛ وقد عزم أبو عبيدة ألاّ يبرح حتى يأتيَه رأىُ عمر وأمْرُه ؛ فأتاه فرحلوا حتى نزلوا على دِمَشق ، وخلّف باليَرْمُوك بشير بن كعب بن أبىّ الحميرىّ فى خَيْل .

كتب إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سيف عن عبد الله بن سعيد عن أبى سَعِيد ، قال : قال قَباث : كنت فى الوفْد بفتح اليَرْموك ، وقد أصبنا خيرًا ونَفَلا كثيرًا ، فمرَّ بنا الدّليل على ماء رجل قد كنت اتّبعته فى الجاهليّة حين أدركتُ وآنستُ من نفسى لأصيب منه ؛ كنت دُلِلْتُ عليه ، فأتيته فأخبرته ، فقال : قد أصبتَ ، فإذا ربيال من رِيابلة العرب قد كان يأكل فى اليوم عَجزُ جَزور بأدْمها ومقدارَ ذلك من غير العَجُز ما يفضل عنه إلاّ ما يقوتنى . وكان يُغير على الحىِّ ويَدَعُنِى قريباً ، ويقول : إذا مرّ بك راجز يرتجز بكذا وكذا ، فأنا ذلك ؛ فَشُلّ معى . فمكثت بذلك حتى أقطعنى قطيعًا من مال ، وأتيت به أهلى ؛ فهو أوّلُ مالٍ أصبته . ثم إنّى رأستُ قومى ؛ وبلغت مبلغ رجال العرب ، فلمّا مرّ بنا على ذلك الماء

١/٢١٠٥ (margin)

١/٢١٠٦ (margin)

---

(١) ابن حبيش : « وتركت » . (٢) س : « فطعنته وطعنت » .

عرفتُه ، فسألت عن بيته فلم يعرفوه ، وقالوا : هو حيٌّ ، فأتيت ببنين استفادهم بعدى ، فأخبرتهم خبرى ، فقالوا : اغْدُ علينا غداً ، فإنه أقربُ ما يكون إلى ما تحبّ بالغداة ، فغاديتهم فأدخِلْت عليه ، فأخرِج من خِدْره ؛ فأجلِس لى ، فلم أزل أذكّره حتى ذكر ، وتسمّع وجعل يطرَب للحديث ويستطعمنيه ، وطال مجلسنا وثقُلنا على صبيانهم ؛ ففرّقوه ببعض ما كان يفرَق منه ليدخل خِدْره ، فوافق ذلك عقله ، فقال : قد كنت وما أفزَع ! فقلت : أجل ، فأعطيته ولم أدعْ أحداً من أهله إلا أصبتُه بمعروف ثم ارتحلت .

كتب إلىّ السرىّ ، عن سيف ، عن أبى سعيد المَقْبُرِىّ ، قال : قال مروان بن الحكم لقَبَاث : أأنت أكبر أم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قال : رسول الله أكبر منّى ، وأنا أقدم منه ، قال : فما أبعدُ ذكرك ؟ قال : خِثْى[1] الفيل لسنة . قال : وما أعجب ما رأيتَ ؟ قال : رجل من قُضاعة ؛ إنى لما أدركتُ وآنَسْتُ من نفسى سألتُ عن رجل أكونُ معه وأصيب منه ، فدلِلْتُ عليه . . . واقتصّ هذا الحديث . ٢١٠٧/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن صالح بن كيسان ، أنّ أبا بكر رحمه الله حين سار القوم خرج مع يَزيد ابن أبى سفيان يُوصيه ، وأبو بكر يمشى ويزيد راكب ، فلمّا فرغ من وصيّته قال : أقرئُك السلام ، وأستودعك الله . ثم انصرف ومضى يزيد ، فأخذ التّبُوكيّة ثم تبعه شُرَحبيل بن حَسَنة ثم أبو عبيدة بن الجرّاح مدداً لهما على رُبْع ، فسلكوا ذلك الطريق ، وخرج عمرو بن العاص حتى نزل بغَمْر العَرَبات ، ونزلت الرُّوم بثَنيَّة جِلّق بأعلَى فلسطين فى سبعين ألفاً ، عليهم تَذَارق أخو هِرَقْل لأبيه وأمّه . فكتب عَمْرو بن العاص إلى أبى بكر ، يذكر له أمرَ الرُّوم ويستمدّه . وخرج خالد بن سعيد بن العاصى ؛ وهو بمرج الصُّفَّر من أرض الشأم فى يوم مَطير يستمطر فيه ؛ فتعاوَى عليه

---

(١) الخثى : ما يرميه الفيل من ذى بطنه .

أعلاجُ الروم ، فقتلوه ، وقد كان عمرو بن العاص كتب إلى أبى بكر يذكر له أمر الروم ويستمدّه .

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا أبو زيد ، فحدّثنِى عن علىّ بن محمد بالإسناد الذى قد ذكرت قبلُ ؛ أنّ أبا بكر رحمه الله وجّه بعد خروج يزيد بن أبى سفيان موجّها إلى الشأم بأيام ، شُرَحبيلَ بن حَسَنة ـ قال : وهو شُرَحْبيل ابن عبد الله بن المطاع بن عمرو ، من كِنْدة ، ويقال من الأزد ـ فسار ١/٢١٠٨ فى سبعة آلاف ، ثم أبا عبيدة بن الجرّاح فى سبعة آلاف ، فنزل يزيد البَلْقاء ، ونزل شُرحبيل الأرْدُنّ ـ ويقال بُصْرَى ـ ونزل أبو عبيدة الجابية ، ثم أمدّهم بعمرو بن العاص ، فنزل بغَمْر العرَبات ، ثم رغِب الناس فى الجهاد ؛ فكانوا يأتون المدينة فيوجّههم أبو بكر إلى الشأم فمنهم مَن يصير مع أبى عبيدة ، ومنهم مَن يصير مع يزيد ، يصير كلّ قوم مع من أحبّوا .

قالوا : فأوّل صُلْح كان بالشأم صلح مآبَ ؛ وهى فسطاط ليست بمدينة ، مرّ أبو عبيدة بهم فى طريقه ، وهى قرية من البَلْقاء ، فقاتلوه ، ثم سألوه الصُّلْح فصالحهم . واجتمع الرُّوم جمعًا بالعَرَبة من أرضِ فلسطين ؛ فوجّه إليهم يزيدُ بن أبى سفيان أبا أمامة الباهلىّ ؛ ففضّ ذلك الجمع .

قالوا : فأوّل حرب كانت بالشأم بعد سريّة أسامة بالعَرَبة . ثم أتوا الدّاثنة ـ ويقال الدّاثن ـ فهزمهم أبو أمامة الباهلىُّ ، وقتل بِطْريقًا منهم . ثم كانت مَرْج الصُّفَّر ، استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاصى ، أتاهم أدْرُنْجار فى أربعة آلاف وهم غارُّون ، فاستُشهد خالد وعدّة من المسلمين .

قال أبو جعفر : وقيل إنّ المقتول فى هذه الغزوة كان ابنًا لخالد بن سعيد ، وإنّ خالداً انحاز حين قُتل ابنه ، فوجّه أبو بكر خالد بن الوليد ١/٢١٠٩ أميرًا على الأمراء الذين بالشأم ، ضَمّهم إليه ؛ فشخص خالد من الحِيرة فى ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة فى ثمانمائة ـ ويقال فى خَمْسمائة ـ واستخلف على عَمَلِه المثنّى بن حارثة ، فلَقيَه عدوّ بصَنْدَوْداء ، فظفر بهم ، وخلّف بها ابن حَرام الأنصارىّ ؛ ولَقِىَ جمعًا بالمُصيّخ والحُصَيْد ، عليهم

ربيعة بن بُجَيْر التَّغْلِبىّ ، فهزمهم وسَبَى وغَنِم ، وسار ففوّز[١] من قُراقِر إلى سُوَى ؛ فأغار على أهل سُوَى ؛ واكتسح أموالَهم ، وقتل حُرْقُوص ابن النُّعمان البَهرانىّ ، ثم أتى أرَك فصالحوه ، وأتى تَدْمُر فتحصّنوا ، ثم صالحوه ؛ ثم أتى القريتيْن ، فقاتلهم فظفِر بهم وغَنِم ، وأتى حُوّارين ؛ فقاتلهم فهَزَمهم وقتلَ وسبَى ، وأتى قُصَم فصالحه بنو مَشْجَعَة من قُضاعة ، وأتى مَرْج راهِط ، فأغار على غَسَّان فى يوم فِصْحهم ، فقتل وسَبَى ، ووجَّه بُسْر بن أبى[٢] أرطاة وحبيب بن مَسْلَمة إلى الغوطة ، فأتوْا كنيسة فسَبُوا الرِّجال والنِّساء ، وساقُوا العيال إلى خالد .

قال : فوافى خالدًا كتابُ أبى بكر بالحيرة منصرفَه من حجّه : أن سِرْ حتّى تأتىَ جموعَ المسلمين باليَرْموك ، فإنهم قد شَجُوا وأشْجَوْا[٣] ، وإيّاك أن تعود لمثل ما فعلت ، فإنه لم يُشْجِ[٤] الجموع من الناس بعون الله شجاك ، ولم ينتزع الشجىَ من الناس نزعك . فليهنئك أبا سليمان النّيّة والحُظوة[٥] ؛ فأتمِم يُتمم الله لك ، ولا يدخلنَّك عُجب فتخسَر وتُخْذَل ؛ وإيّاك أن تُدِلّ بعمل ، فإن الله عزّ وجلّ له المنّ ، وهو ولىّ الجزاء . ٢١١٠/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عطاء ، عن الهيْثَم البكائىّ ، قال : كان أهلُ الأيّام من أهل الكوفة يُوعِدون معاويةَ عند بعض الذى يبلُغهم ، ويقولون : ما شاء معاوية ! نحنُ أصحابُ ذات السلاسل ، ويسمّون ما بينها وبين الفِراض ؛ ما يذكرون ما كان بعد ؛ احتقارًا لما كان بعد فيما كان قبل .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن ظَفَر بن دهى ، ومحمد بن عبد الله عن أبى عثمان ،

---

(١) فى اللسان : « يقال : فوز الرجل بإبله ؛ إذا ركب المفازة » .

(٢) ساقطة من ط ، وانظر التصويبات .

(٣) أشجاه قرنه : قهره حتى شجى به .

(٤) أى لم يقهر الجموع قهرك .

(٥) الحظوة : المكانة .

وطلحة عن المغيرة ، والمهلَّب بن عقبة عن عبد الرحمن بن سِياه الأحمريّ ، قالوا : كان أبو بكر قد وجَّه خالدَ بن سعيد بن العاصى إلى الشأم حيث وجَّه خالد بن الوليد إلى العراق، وأوصاه بمثل الَّذى أوصى به خالداً . وإنّ خالد ابن سعيد سار حتى نزلَ على الشأم ولم يقتحم ؛ واستجلب النَّاس فعزّ[1] ، ١/٢١١١ فهابته الرُّوم ، فأحجموا عنه ، فلم يصبر على أمر أبى بكر ولكن تورّدها فاستطردت له الرُّوم ، حتى أوردوه الصُّفَّر ، ثم تعطَّفُوا عليه بعد ما أمِن ؛ فوافقوا ابنَه سعيد بن خالد مستمطِرًا ؛ فقتلوه هو ومَن معه ، وأتى الخبرُ خالدًا ، فخرج هاربًا ؛ حتى يأتى البرّ ، فينزل منزلا ، واجتمعت الرُّوم إلى اليَرْموك ؛ فنزلوا به ، وقالوا : والله لنشغلنّ أبا بكر فى نفسه[2] عن تورّد بلادنا بخيوله .

وكتب خالد بن سعيد إلى أبى بكر بالَّذى كان ، فكتب أبو بكر إلى عمرو ابن العاص — وكان فى بلاد قُضاعة — بالسَّير إلى اليرموك ، ففعل . وبعث أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبى سفيان ، وأمر كلّ واحد منهما بالغارة ، وألّا تُوغلوا حتى لا يكون وراءكم أحدٌ من عدوِّكم .

وقدم عليه شُرَحْبيل بن حَسَنة بفتح من فتوح خالد ، فسرّحه نحو الشأم فى جُنْد ، وسمّى لكلّ رجل من أمراء الأجناد كورةً من كور الشأم ؛ فتوافوا باليَرْموك ، فلمّا رأت الروم توافيَهم ، ندموا على الَّذِى ظهر منهم ، ونَسُوا الذى كانوا يتوعَّدون به أبا بكر ، واهتموا وهمَّتهم أنفسهم، وأشْجَوْهم وشجوا بهم ، ثم نزلوا الواقوصة . وقال أبو بكر : والله لأنْسِيَنّ الرُّوم وساوسَ الشيطان بخالد بن الوليد ، فكتب إليه بهذا الكتاب الَّذِى فوق هذا الحديث ، وأمَرَه أن يستخلِف المثنَّى بن حارثة على العِراق فى نصف الناس ، ١/٢١١٢ فإذا فتح الله على المسلمين الشَّأم ، فارجعْ إلى عملك بالعراق . وبعث خالد بالأخماس إلّا ما نفَّل منها مع عُمَيْر بن سعد الأنصاريّ وبمسيره إلى الشأم . ودعا خالد الأدلَّة ، فارتحل من الحيرة سائرًا إلى دُومة ، ثم طعن فى البرّ إلى قراقر ، ثم قال : كيف لى بطريق أخرج فيه[3] من وراء جموع الروم !

---

(١) ز : « وعز » . (٢) ز : « بنفسه على » . (٣) ز : « منه » .

فإنى إن استقبلتها حبستنى عن غياث المسلمين ، فكلّهم قال[١] : لا نعرف إلاطريقًا لا يحمل الجيوش ، يأخذه الفذّ[٢] الراكب ، فإيّاكأن تغرّر بالمسلمين . فعزم عليهم ولم يُجبه إلى ذلك إلاّ رافع بن عُميرة على تهيّب شديد ، فقام فيهم ، فقال : لا يختلفنّ هَدْيُكم ، ولا يضعفنّ يقينُكم ، واعلموا أنّ المعونة تأتى على قدر النيّة ، والأجر على قدر الحِسْبة[٣] ؛ وإنّ المسلملا ينبغى لهأن يكترث بشىء يقع فيه[٤] مع معونة اللهله ، فقالوا له : أنت رَجُلٌ قد جمع الله لك الخير ، فشأنَك . فطابقوه ونووا واحتسبوا ، واشتهوا مثلَ الذى اشتهى خالد ، فأمرهم خالد ، فتروّوا للشَّفَة لخمس ، وأمر صاحب كلّ خيل بقدرما يسقيها ، فظمّأ كلّ قائد من الإبل الشُّرُفِ الجِلال[٥] ما يكتفى به ، ثم سَقَوْها العَلَل بعد النَّهل[٦] ؛ ثم صرّوا آذان الإبل وكعموها ، وخلّوا أدبارها ، ثم ركبوا من قراقر مفوّزين إلى سُوَى — وهى على جانبها الآخر ممّا يلى الشأم — فلما ساروا يومًا افتظّوا[٧] لكل عِدّة من الخيل عشرًا من تلك الإبل فمزجوا ما فى كُروشها بما كان من الألبان ، ثم سَقَوا الخيلَ ، وشربوا للشفة جَرْعًا ، ففعلوا ذلك أربعة أيام .

١ / ٢١١٣

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سَيْف ، عن عبيد الله بن مُحَفّز ابن ثعلبة ، عمن حدّثه من بكر بن وائل ، أنّ مُحْرز بن حَرِيش المحاربىّ قال لخالد : اجعل كوكبَ الصبح على حاجبك الأيمن ، ثم أُمَّه تُفْضِ إلى سُوَى ؛ فكان أدلَّهم .

قال أبو جعفر الطبرىّ : وشاركهم محمّد وطلحة ، قالوا : لما نزل بسُوَى وخشِيَ أن يفضحهم حرُّ الشمس ، نادى خالد رافعًا : ما عندك ؟ قال :

---

(١) س : « قالوا » .

(٢) الفذّ : الفرد .

(٣) ز ، س : « الحسنة » .

(٤) ز : « وقع فيه » .

(٥) الظمء : حبس الإبل عن الماء إلى غاية الورد ، والشارف : الناقة التى قد أسنت ، وجمعه شرف . وجلة الإبل : مسانها .

(٦) قال الأصمعى : إذا وردت الإبل الماء فالسقية الأولى النهل والثانية العلل .

(٧) يقال : افتظ رجل كرش بعيره إذا نحره فاعتصر ماءه وصفاه .

خير، أدركتم الرِّىّ(١)، وأنتم على الماء ! وشجّعهم وهو متحيّر أرمد، وقال : أيّها النّاس، انظروا عَلَمَيْن كأنهما ثَدْيان . فأتوْا عليهما وقالوا : عَلَمان، فقام عليهما فقال : اضربوا يمْنةً ويَسْرَةً — لعَوْسجة(٢) كقِعدة الرجل — فوجدوا جِذْمها ، فقالوا : جذمٌ ولا نرى شجرة ، فقال : احتفروا حيث شئتمْ ، فاستثاروا أوشالاً وأحساءً رَواءً ، فقال رافع : أيّها الأمير ، والله ما وردتُ هذا الماء منذ ثلاثين سنة ، وما وردته إلاّ مرّة وأنا غلام مع أبى .

فاستعدّوا ثم أغاروا والقوم لا يروْن أنّ جيشًا يقطع إليهم . ١/٢١١٤

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف، عن عمرو بن محمد ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن ظفر بن دهى، قال : فأغار بنا خالد من سُوَى على مُصَيَّخ بَهْراءَ بالقُصْوانَى —ماء من المياه— فصبّح المُصَيَّخ والنَّمِر ؛ وإنهم لغارّون ، وإن رفقة لتشرب فى وجه الصُّبْح ، وساقيهم يغنّيهم، ويقول :

*ألا صَبّحانى قَبْلَ جَيْشِ أبى بكرِ *

فضُربت عنُقه ، فاختلط دمُه بخمره .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف، عن عمرو بن محمد بإسناده الذى تقدّم ذكره، قال : ولمّا بلغ غسّان خروج خالد على سُوى وانتسافَها، وغارتُه على مصيَّخ بَهْراء وانتسافها ، فاجتمعوا بمرْج راهط ، وبلغ ذلك خالدًا ، وقد خلّف ثُغور الرُّوم وجنودها ممّا يلى العراق ، فصار بينهم وبين اليرموك، صمد لهم ؛ فخرج من سُوَى بعد ما رجع إليها بسبْى بَهْراء ، فنزل الرُّمّانتيْن— عَلَميْن على الطريق —ثم نزل الكَثَب ؛ حتى صار إلى دمشق، ثم مَرْج الصُّفَّر ، فلقِىَ عليه غَسّانَ وعليهم الحارث بن الأيْهَم ، فانتسف عسكرهم وعيالاتِهم . ونزل بالمَرْج أيّامًا ، وبعث إلى أبى بكر بالأخماس مع بلال بن الحارث المُزَنىّ ، ثم خرج من المرْج حتى ينزل قناة بُصْرَى ؛ فكانت أوّلَ مدينة افتُتحت بالشأم على يدىْ خالد ١/٢١١٥

---

(١) ز : « أدرككم الغى » .

(٢) العوسج : ضرب من الشجر كثير الشوك ، وله ثمر أحمر مدوّر كأنه العقيق .

فيمن معه من جُنُود العراق ، وخرج منها ، فوافَى المسلمين بالواقُوصة ، فنازلهم بها فى تسعة آلاف.

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب ، قالوا : ولما رجع خالدٌ من حجّه وافاه كتاب أبى بكر بالخُروج فى شَطْر الناس ، وأن يخلّف على الشَّطْر الباقى المثنَّى بن حارثة ، وقال : لا تأخذنْ نجدًا إلاّ خلّفت له نجدًا ، فإذا فتح الله عليكم فاردُدْهم إلى العراق ، وأنت معهم ، ثم أنت على عمَلِك ؛ وأحضر خالدٌ أصحابَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم واستأثر بهم على المثنَّى ، وترك للمثنَّى أعدادهم من أهل القناعة ممنّ لم يكن له صحبة ، ثم نظر فيمن بقىَ ، فاختلج(١) مَن كان قدِم على النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم وافدًا أو غير وافد ، وترك للمثنَّى أعدادَهم من أهل القناعة ؛ ثم قسَم الجند نصفيْن ، فقال المثنّى : والله لا أقيم إلاّ على إنفاذ أمر أبى بكر كلّه فى استصحاب نصف الصحابة أو بعض النصف ؛ وبالله ما أرجو النَّصر إلاّ بهم ، فأنَّى تُعرينى منهم ! فلما رأى ذلك خالد بعد ما تلكَّأ عليه أعاضه منهم حتى رضىَ ، وكان فيمن أعاضه(٢) منهم فُرات بن حيّان العجلىّ ، وبَشير بن الخَصَاصِيَة والحارث بن حسّان الذُّهليَّان ، ومعبَد بن أمّ معبد الأسلمىّ ، وعبد الله بن أبى أوفى الأسلمىّ ؛ والحارث بن بِلال المُزنىّ ، وعاصم بن عمرو التميمىّ ؛ حتى إذا رضىَ المثنَّى وأخذ حاجتَه ، انجذب خالد فمضَى لوجهه وشيَّعه المثنَّى إلى قُراقر ، ثم رجع إلى الحيرة فى المحرّم ، فأقام فى سلطانه ، ووضع فى المسلحة التى كان فيها على السَّيْب أخاه ، ومكان ضرار بن الخطاب عتيبةَ بن النّهاس ، ومكان ضرار بن الأزور مسعوداً أخاه الآخر ، وسدّ أماكن كلّ مَن خرج من الأمراء برجالٍ أمثالهم من أهل الغَناء ، ووضع مذعور بن عدىّ فى بعض تلك الأماكن ، واستقام أهل فارس — على رأس سنة من مقدَم خالد الحيرة ؛ بعد خروج خالد بقليل ؛ وذلك فى سنة ثلاث عشرة — على شَهْرَ بَراز بن أردشير بن شهريار ممّن يُناسب(٣) إلى كسرى ، ثم إلى سابور . فوجّه إلى المثنَّى جندًا عظيمًا عليهم هُرْمُز جاذوَيْه

١/٢١١٦

---

(١) اختلجهم : طوح بهم وأطارهم . (٢) س : « أعانه به » . (٣) ز : « تنسّب » .

فى عشرة آلاف ، ومعه فيل ، وكتبت المسالح إلى المثنَّى بإقباله ، فخرج المثنّى من الحيرة نحوه ، وضمّ إليه المسالح ، وجعل على مجنِّبتَيْه المُعَنَّى ومسعودًا ابنَى حارثة ، وأقام [1] له ببابل، وأقبلَ هُرمز جاذويه ،وعلى مجنِّبتَيْه الكوكبد والخرُ كْبذ . وكتب إلى المثنّى : من شهر براز إلى المثنَّى ؛ إنى قد بعثتُ إليك جندًا من وخش أهل فارس[2] ، إنما هم رُعاة الدّجاج والخنازير ؛ ولست أقاتلك إلاّ بهم . فأجابه المثنَّى : من المثنّى إلى شهر براز ؛ إنما أنتَ أحدُ رجليْن : إما باغٍ فذلك شرٌّ لك وخيرٌ لنا ، وإمَّا كاذب فأعظم الكذّابين عقوبةً وفضيحةً عند الله فى الناس الملوك . وأمَّا الذى يدلّنا عليه الرأى ؛ فإنّكم إنما اضطررتم إليهم ؛ فالحمد لله الذى ردّ كيدكم إلى رعاة الدّجاج والخنازير . فجزع أهلُ فارس من كتابه ، وقالوا : إنما أُتِىَ شهر براز من شؤم مولده ولؤم منشئه — وكان يسكن ميسان — وبعض البلدان شَيْنٌ على مَنْ يسكنه . وقالوا له : جرّأت علينا عدوَّنا بالَّذى كتبت به إليهم ؛ فإذا كاتبت أحدًا فاستشِرْ . فالتقوْا ببابل ، فاقتتلوا بعُدْوة الصَّراة الدُّنيا على الطريق الأوّل قتالا شديدًا .

١/٢١١٧

ثم إن المثنّى وناسًا من المسلمين اعتورُوا الفيل — وقد كان يفرّق بين الصفوف والكراديس — فأصابوا مقتَله ، فقتلوه وهزموا أهلَ فارس ، واتّبعهم المسلمون يقتلونهم ، حتى جازوا بهم مسالِحَهُمْ ، فأقاموا فيها ، وتتبَّع الطلب الفالَّة ؛ حتى انتهوْا إلى المدائن ؛ وفى ذلك يقول عَبْدة بن الطبيب السعدىّ ، وكان عَبْدة قد هاجَرَ لمهاجَرة حليلة له حتى شهد وقعة بابل ؛ فلما آيسته رجع إلى البادية ، فقال :

١/٢١١٨

هل حَبْلُ خَولَةَ بَعْدَ البَيْنِ موصولُ ... أم أنت عنها بَعِيدُ الدارِ مشغولُ ![3]

ولِلأَحِبَّــــةِ أيّامٌ تَذَكَّرُها ... وللنّوى قبل يوم البين تأويل[4]

---

(١) س : « وأقاما » .

(٢) الوخش : رذال الناس .

(٣) من قصيدة مفضلية ؛ المفضليات ١٣٥ — ١٤٥ .

(٤) تذكرها : تتذكرها أنت . تأويل : علامات تبين لك أن البين سيقع .

حَلَّتْ خُوَيْلَةُ فى حَىٍّ عَهِدتهمُ دُونَ المَدائنِ فيها الدِّيكُ والفيلُ
يُقارِعون رءوسَ العُجْمِ ضاحِيَةً مِنْهُمْ فوارِسُ، لا عُزلٌ ولا مِيلُ (١)

القصيدة . وقال الفرزدق يعدّد بيوتات بكر بن وائل وذكر المثنّى وقتلَه ١/٢١١٩ الفيلَ :

وبَيْتُ المُثنّى قاتِلِ الفيلِ عَنْوةً ببابلَ إذ فى فارسٍ مُلكُ بابِلِ (٢)

ومات شهر براز منهزَمَ هرمز جاذويه .

واختلف أهل فارس ، وبقى ما دون دِجْلة وبُرْس من السَّواد فى يدى المثنّى والمسلمين .

* * *

ثم إنّ أهل فارس اجتمعوا بعد شهر براز على دُخْت زَنان ابنة كسرى ؛ فلم ينفذ لها أمرٌ فخُلعت .

ومُلِّكَ سابور بن شهر براز .قالوا : ولما ملك سابور بن شهر براز قام بأمره الفَرُّخزاذ بن البِنْدَوان ، فسأله أن يزوّجه آزَرْميدُخْت ابنة كِسْرى ، ففعل ، فغضبت من ذلك ، وقالت : يا بن عمّ ، أتزوّجنى عبدى ! قال : استحْيِى من هذا الكلام ولا تعيديه علىّ ، فإنّه زوجُك ، فبعثت إلى سِياوَخْش الرازىّ — وكان من فتّاك الأعاجم — فشكَتْ إليه الّذِى تخاف ، فقال لها : إن كنتِ كارهة لهذا فلا تعاوِدِيه فيه ، وأرسلى إليه وقولى له : فليقل له فليأتك ؛ فأنا أكفيكه . ففعلت وفعل ؛ واستعدّ سياوَخْش ، فلمّا كان ليلة العُرْس أقبل الفرّخزاذ حتى دخلَ ، فثار به سياوَخْش فقتله ومَن معه، ثم نَهَدَ بها معه إلى سابور، فحضرته ثم دخلوا عليه فقتلوه . ومُلّكَتْ آزر ميدخت بنت كسرى ، وتشاغلوا بذلك ؛ وأبطأ خبر ١/٢١٢٠ أبى بكر على المسلمين فخلّف المثنّى على المسلمين بشير بن الخصاصيّة ، ووضع مكانه فى المسالح سعيدَ بن مُرّة العِجْلىّ ؛ وخرج المثنّى نحو أبى بكر ليخبره خبر المسلمين والمشركين ، وليستأذنه فى الاستعانة بِمَن قد ظهرت

(١) العزل : جمع أعزل ؛ وهو الذى لا سلاح معه . والميل : جمع أميل ؛ وهو السيئ الركوب .
(٢) ديوانه ٦٦٩

توبتُه وندمُه من أهل الرِّدة مِمَّن يستطعمه الغزوَ[١] ، وليخبره أنه لم يخلف أحداً أنشط إلى قتال فارس وحربها ومعونة المهاجرين منهم . فقدم المدينة وأبو بكر مريض ، وقد كان مرض أبو بكر بعد مخرَج خالد إلى الشأم — مَرْضَتَه التي مات فيها — بأشهر ؛ فقدم المثنَّى وقد أشفى ، وعقد لعمر ، فأخبره الخبر ، فقال : عليّ بعمر ، فجاء فقال له : اسمع يا عمر ما أقول لك ، ثم اعمل به ؛ إنِّى لأرجُو أن أموتَ من يومى هذا — وذلك يوم الاثنين — فإن أنامِتّ فلا تمسينّ حتى تندُب الناس مع المثنَّى ، وإن تأخّرتُ إلى الليل فلا تُصْبحنّ حتى تندب الناس مع المثنَّى ، ولا تشغلنَّكم مصيبة وإنْ عَظُمت عن أمر دينكم ، ووصية ربِّكم ؛ وقد رأيتُنِي[٢] متوفَّى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وما صنعت ، ولم يصَب الخلق بمثله ؛ وبالله لو أنِّى أنِى عن أمر رسوله لخذلَنا ولعاقبَنا ، فاضطرمت المدينة ناراً . وإن فتح الله على أمراء الشأم فارْدُدْ أصحابَ خالد إلى العراق ؛ فإنَّهم أهلُه وولاة أمره وحدّه[٣] وأهل الضَّراوة منهم[٤] والجراءة عليهم .

١/٢١٢١ ومات أبو بكر رحمه الله مع الليل ، فدفنه عمرُ ليلاً ، وصلى عليه فى المسجد ، وندب الناس مع المثنَّى بعد ما سُوِّىَ على أبى بكر ، وقال عمر : كان أبو بكر قد علِم أنه يَسُوءنى أنْ أؤمِّر خالداً على حرب العراق ؛ حين أمرنى بصرف أصحابى ، وترَك ذكره .

قال أبو جعفر : وإلى آزر ميدخت انتهى شأن أبى بكر ، وأحدُ شِقَّيِ السَّواد فى سلطانه ، ثم مات وتشاغل أهلُ فارس فيما بينهم عن إزالة المسلمين عن السَّواد ، فيما بين ملك أبى بكر إلى قيام عمر ورجوع المثنَّى مع أبى عبيد إلى العراق ، والجمهور من جُنْد أهل العراق بالحيرة ، والمسالح بالسِّيب ، والغارات تنتهى بهم إلى شاطئ دِجْلة ، ودجلة حجاز بين العرب والعجم .

فهذا حديث العراق فى إمارة أبى بكر من مبتدئه إلى منتهاه .

* * *

(١) ز : « استعظمه العدو » .
(٢) س : « رأيتمونى » .
(٣) ز : « وجده » .
(٤) كذا فى ز ، وفى ط : « بهم » .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق [١]. وكتب أبو بكر إلى خالد وهو بالحيرة ، يأمره أن يمدّ أهلَ الشأم بمن معه من أهل القوّة ، ويخرج فيهم ، ويستخلف على ضَعَفة النَّاس رجلا منهم ؛ فلمَّا أتى خالدًا كتابُ أبي بكر بذلك ، قال خالد : هذا عمل الأعيسر بن أمّ شَمْلَة — يعني عمر ابن الخطاب — حسدني أن يكون فتْح العراق على يديّ . فسار خالد بأهل القوّة من الناس وردّ الضعفاء والنّساء إلى المدينة ؛ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمّر عليهم عُمير بن سعد الأنصاريّ ، واستخلف خالد على مَن أسلم بالعراق من رَبيعة وغيرهم المثنَّى بن حارثة الشيبانيّ . ثم سار حتى نزل على عَيْن التَّمْر ، فأغار على أهلها ، فأصاب منهم ، ورابط حِصْنًا بها فيه مقاتِلةٌ كان كسرى وضعهم فيه حتى استنزلهم ، فضرب أعناقهم ، وسَبَى من عَيْن التَّمْر ومن أبناء تلك المرابِطة سبايا كثيرة ، فبعث بها إلى أبي بكر ؛ فكان من تلك السَّبَايا أبو عَمْرة مولى شبّان ؛ وهو أبو عبد الأعلى بن أبي عمرة ، وأبو عبيدة مولى المعلَّى ، من الأنصار من بني زُرَيق ، وأبو عبد الله مولى زُهرة ، وخَيْر مولى أبي داود الأنصاريّ ثم أحد بني مازن بن النَّجار ، ويَسار وهو جدّ محمد بن إسحاق مولى قيس بن مَخْرَمة بن المطَّلب بن عبد مناف ، وأفلح مولى أبي أيوب الأنصاريّ ثم أحد بني مالك بن النَّجار ، وحُمران ابن أبان مَوْلى عثمان بن عفان . وقَتَل خالد بن الوليد هلالَ بن عَقّة ابن بشر النَّمَريّ وصلبه بعين التّمر ، ثم أراد السَّير مفوّزًا من قُراقر — وهو ماء لكلب إلى سُوَى ، وهو ماء لبهراء بينهما خمس ليال — فلم يهتدِ خالد الطريق ، فالتمس دليلا ، فدُلّ على رافع بن عميرة الطائيِّ ؛ فقال له خالد : انطلق بالنَّاس ، فقال له رافع : إنّك لن تطيق ذلك بالخيل والأثقال ؛ والله إنّ الراكب المفرد ليخافُها على نفسه وما يسلُكها إلا مغرّرًا ؛ إنها لخمس ليال جِياد لا يُصاب فيها ماء مع مَضَلّتها ، فقال له خالد : ويْحك ! إنه والله إنْ لي بدٌّ من ذلك ، إنه قد أتتني من الأمير عَزْمة بذلك ، فمُرْ بأمرك [٢]. قال : استكثِروا من الماء ؛ مَنِ استطاع منكم أن يصرّ أذنَ ناقته على ماء فليفعل ؛

١/٢١٢٢

١/٢١٢٣

---

(١) انظر أول الحديث ص ٤٠٥ .

(٢) س : « فمرنا أمرك » .

فإنها المهالك إلا ما دفع الله ؛ ابغنى عشرين جزوراً عظاماً سماناً مسانّ.[1]
فأتاه بهنّ خالد ، فعمد إليهنّ رافع فظمّأهن، حتى إذا أجهدهنّ عطشاً أوردهنّ فشربن حتى إذا تملّأن[2] عمد إليهنّ ، فقطع مشافرهنّ ، ثم كعمهنّ لئلا يجتررن ، ثم أخلى أدبارهنّ.

ثم قال لخالد : سر ؛ فسار خالد معه مُغِذّاً بالخيول والأثقال ؛ فكلّما نزل منزلا افتظّ[3] أربعا من تلك الشّوارف ؛ فأخذ ما فى أكراشها ، فسقاه الخيل ؛ ثم شرب الناس مما حملوا معهم من الماء ؛ فلما خشِىَ خالد على أصحابه فى آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عميرة وهو أرمد : ويحكَ يا رافع ! ما عندك ؟ قال أدركتَ الرِّىَّ إن شاء الله ؛ فلمّا دنا من العلَمَيْن ، قال للناس : انظروا هل ترون شُجيرة من عوْسج كقعْدة الرجل ؟ قالوا : ما نراها. قال : إنّا لله وإنا إليه راجعون ! هلكتم والله إذاً وهلكتُ ؛ لاأبالكم ! انظروا ، فطلبوا فوجدوها قدقطعت وبقيت منها بقيّة ، فلمّا رآها المسلمون كبّروا وكبّر رافع بن عميرة ؛ ثم قال : احفروا فى أصلها ، فحفروا فاستخرجوا عيناً ، فشربوا حتى رَوِىَ النّاس ، فاتّصلتْ بعد ذلك لخالد المنازل ، فقال رافع : والله ما وردتُ هذا الماءَ قطّ إلا مرّةً واحدة ، وردته مع أبى وأنا غلام ، فقال شاعر من المسلمين :

١/٢١٢٤

لله عَيْنا رافعٍ أنّى اهْتَدَى[4] ... فوّزَ من قُراقرٍ إلى سُوَى !
خِمْساً إذا ما سارها الجَيْشُ بكى[5] ... ما سارها قَبْلك إنسىٌّ يُرَى[6]

فلمّا انتهى خالد إلى سُوَى ، أغار على أهله — وهم بَهْراء — قبيل الصُّبح ، وناس منهم يشربونَ خَمْراً لهم فى جَفْنة قد اجتمعوا عليها ، ومغنّيهم يقول :

ألا علّلانِى قبل جيش أبى بكرِ ... لعلّ منايانا قريب وما نَدْرِى

---

(١) ز : « مشارف ».
(٢) ز : « تملأت ».
(٣) افتظها : عصر ماء كروشها .
(٤) ياقوت ٥ : ١٥٧ ، وروايته : « لله در رافع » .
(٥) ياقوت : « سارها الجبس » .
(٦) ياقوت : « من قبلها إنس يرى » .

ألا علّلانى بالزُّجاج وكرِّرا ... علىَّ كُميْتَ اللونِ صافيةً تجْرِى
ألا علّلانى من سُلافة قهوةٍ ... تُسلِّى همومَ النفس من جيِّدِ الخمرِ
أظُنُّ خيولَ المسلمين وخالدًا ... ستطرُقكمْ قبل الصَّباح من البِشْرِ[1]
فهل لكُمُ فى السير قبل قتالهم ... وقبل خروج المعصراتِ من الخِدْرِ[2]!

فيزعمون أن مغنّيَهم ذلك قتِل تحت الغارة ، فسال دمُه فى تلك الجفنة .
ثم سار خالدٌ على وجهه ذلك ، حتى أغار على غسَّان بمرْج راهط ، ثم ٢١٢٥/١
سار حتى نزلَ على قناة بُصْرَى ، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشُرَحْبيل بن حسَنة ويزيد بن أبى سفيان ؛ فاجتمعوا عليها ، فرابطوها حتى صالحت بُصرى على الجِزْية ، وفتحها الله على المسلمين ، فكانتْ أوّلَ مدينة من مَدائن الشأم فتحت فى خلافة أبى بكر . ثم ساروا جميعًا إلى فِلَسطين مددًا لعمرو بن العاص ، وعمرو مقيم بالعَربات مِنْ غَوْر فِلَسطين ، وسمعت الرُّوم بهم ، فانكشفوا عن جِلِّق إلى أجْنادين ؛ وعليهم تَذَارق أخُو هِرَقْل لأبيه وأمِّه — وأجنادين بلد بين الرَّمْلة وبيت جِبْرين من أرض فلسطين — وسار عمرو بن العاص حينَ سمع بأبى عبيدة بن الجرّاح وشُرَحْبيل ابن حَسَنة ويزيد بن أبى سفيان حتى لقيَهم ، فاجتمعوا بأجنادين ؛ حتى عسكروا عليهم .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزُّبَير ، عن عُروة بن الزبير ، أنّه قال : كان على الرّوم رجل منهم يقال له القُبُقْلار ؛ وكان هِرَقل استخلفه على أمَرَاء الشأم حين سار إلى القسطنطينيّة ، وإليه انصرف تذَارق بمنْ معه من الروم . فأمّا علماء الشأم فيزعُمون أنّما كان على الرّوم تَذارِق . والله أعلم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، عن محمّد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة ، قال : لما تدانَى العسكران بعث

---

(١) النويرى وابن الأثير : «مع النسر» . (٢) المعصر : الجارية التى راهقت العشرين .

١/٢١٢٦ القُبُقْلارِ رجلاً عربيًّا — قال: فحدّثت أنّ ذلكَ الرجل رجلٌ من قضاعة، من تزيد بن حَيْدان، يقال له ابن هزارف — فقال: ادْخُل في هؤلاء القوم فأقم فيهم يومًا وليلة، ثم ائتني بخبرهم. قال: فلمخل في النّاس رجلٌ عربيٌّ لا ينكَر؛ فأقام فيهم يومًا وليلة، ثم أتاه فقال له: ما وراءك؟ قال: بالليل رهبان، وبالنهار فرسان، ولو سرَق ابنُ ملكهم قطعوا[1] يده، ولو زنى رُجِم؛ لإقامة الحقّ فيهم. فقال له القبقلار: لئن كنتَ صدقتني لَبطنُ الأرض خيرٌ من لقاء هؤلاء على ظهرها[2]، ولودِدْتُ أنّ حظّي من الله أن يخلّيَ بيني وبينهم، فلا ينصرني عليهم، ولا ينصرُهم عليّ. قال: ثم تزاحف النّاس، فاقتتلوا، فلما رأى القُبُقْلار ما رأى من قتال المسلمين؛ قال للروم: لفّوا رأسي بثوب، قالوا له: لِمَ؟ قال: يوم البئيس، لا أحبّ أن أراه! ما رأيت في الدّنيا يومًا أشدّ من هذا! قال: فاحتزّ المسلمون رأسَه، وإنّه لملفّف.

وكانت [وقعة][3] أجنادين في سنة ثلاث عشرة لليلتيْن بقيتَا من جُمادَى الأولى. وقتل يومئذ من المسلمين جماعةٌ؛ منهم سلمة بن هشام ابن المغيرة، وهبّار بن الأسود بن عبد الأسد، ونعيم بن عبد الله النحّام، وهشام بن العاصي بن وائل، وجماعة أخَر من قُريش. قال: ولم يسمّ لنا من الأنصار أحدٌ أصيب بها.

١/٢١٢٧ وفيها تُوُفّيَ أبو بكر لثمانِ ليالٍ بقينَ — أو سبع بقينَ — من جُمَادى الآخرة.

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي زيد، عن علي بن محمد بإسناده الذي قد مضى[4] ذكره. قال: وأتَى خالدٌ دمشقَ فجمع له صاحِب بصرى، فسار إليه هو وأبو عُبيدة؛ فلقيَهم أدرنجا، فظفر بهم. وهزمهم؛ فدخلوا حصنَهم؛ وطلبوا الصُّلْح، فصالحهم على كلّ رأس دينار في كلّ عام وجريب حنطة. ثم رجع العدوّ للمسلمين، فتوافَتْ جنود المسلمين والرُّوم

---

(١) ز: «قطعت». (٢) ز: «ظهورها».
(٣) من ز وابن كثير. (٤) انظر أول خبر أبي زيد ص ٤٠٦.

بأجنادين ، فالتقَوْا يوم السبت لليلتين بقيتا من جُمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ؛ فظهر المسلمون ، وهزم الله المشركين ، وقتل خليفة هِرَقل ، واستشهد رجالٌ من المسلمين ؛ ثم رجع هِرَقْل للمسلمين ، فالتقوْا بالواقوصة فقاتلوهم ، وقاتلهم العدوّ ، وجاءتهم وفاة أبى بكر وهم مصافّون وولاية أبى عبيدة ، وكانت هذه الوقعة فى رجب .

[ذكر مرض أبى بكر ووفاته]

حدّثنى أبو زيد ، عن علىّ بن محمد ، بإسناده الذى قد مضى ذكره ، قالوا : تُوُفِّىَ أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة فى جُمادى الآخرة يوم الاثنين لثمان بقين منه . قالوا : وكان سبب وفاته أنّ اليهود سَمَّتْه فى أرُزّة ، ويقال فى جذيذة ، وتناول معه الحارث بن كَلَدة منها ، ثم كَفّ وقال لأبى بكر : أكلتَ طعامًا مسمومًا سمّ سنة . فمات بعد سنة ، ومرض خمسة عشر يومًا ، فقيل له : لو أرسلتَ إلى الطبيب ! فقال : قد رآنى ، قالوا : فما قال لك ؟ قال : إنّى أفعل ما أشاء . ٢١٢٨/١

قال أبو جعفر : ومات عتّاب بن أسيد بمكّة فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر — وكانا سُمّا جميعًا — ثم ماتَ عَتّاب بمكة .

وقال غير مَن ذكرت فى سبب مرض أبى بكر الذى توفى فيه ، ما حدّثنى الحارثُ ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى أسامة بن زيد الليثىّ ، عن محمد بن حمزة ، عن عمرو ، عن أبيه ، قال . وأخبرنا محمّد بن عبد الله ، عن الزُّهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة ، قال . وأخبرَنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، عن عمر بن الحسين مولى آل مظعون ، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى بكر ، قالوا : كان أوّل ما بدأ مرضُ أبى بكر به أنّه اغتسلَ يوم الاثنين لسبع خَلَوْن من جُمادى الآخرة ، وكان يومًا باردًا فَحُمّ خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى الصلاة ؛ وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يُصَلِّى بالنّاس ؛ ويدخل الناس يعودونه ؛ وهو يَثْقل كلّ يوم ، وهو نازل فى داره

التى قطع له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وِجَاه (١) دار عثمان بن عفان اليوم ، وكان عثمان ألزمهم له فى مرضه ؛ وتوفى أبو بكر مُسْىَ ليلة الثلاثاء ؛ لثمان ليالٍ بقين من جُمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة . وكانت خلافتُه سنتيْن وثلاثة أشهر وعشر ليال . قال : وكان أبو مَعْشَر يقول : كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال ، فتُوُفِّىَ ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ؛ مجتمعٌ على ذلك فى الروّايات كلّها ، استوفى سنّ النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر وُلِد بعد الفيل بثلاث سنين (٢) .

٢١٢٩/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال حدّثنا جَرير ، عن يحيى بن سعيد ، قال : قال سعيد بن المسيَّب : استكمل أبو بكر بخلافته سنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فتوفِّىَ وهو بسنِّ النبي صلى الله عليه وسلم .

حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا أبو نُعَيم ، عن يونس بن إسحاق ، عن أبى السَّفَر ، عن عامر ، عن جرير ، قال : كنت عند معاوية فقال : تُوفِّىَ النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم وهو ابنُ ثلاث وستين سنة ، وتوفِّىَ أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وحد ثنا أبو الأحوص ، عن أبى إسحاق ، عن عامر بن سعد (٣) ، عن جرير ، قال : قال معاوية : قُبِض رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن ثلاث وستين ، وقُتِل عمر وهو ابن ثلاث وستين ، وتُوُفِّىَ أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين .

وقال علىّ بن محمد فى خبره الذى ذكرت عنه : كانت ولاية أبى بكر سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يومًا ، ويقال : عشرة أيام .

* * *

(١) وجاه ، أى تجاه . (٢) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٢
(٣) ط : « سعيد » ، وانظر التصويبات .

ذكر الخبر عمّن غسّله والكفن الذى كفّن فيه أبو بكر ومن صلّى عليه والوقت الذى صلّى عليه فيه والوقت الذى توفّى فيه

حدّثنى الحارث ، عن ابن سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى مالك بن أبى الرّحّال[1] ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : توفّىَ أبو بكر رحمه الله بين المغرب والعشاء .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا يحيى بن واضح ، عن محمد بن عبد الله ، عن عطاء وابن أبى مُلَيكة ، أنّ أسماءَ بنت عُمَيس ، قالت : قال لى أبو بكر : غَسّلينى ، قلت : لا أطيق ذلك ، قال : يعينُك عبد الرحمن ابن أبى بكر ، يصبّ الماء .

حدّثنى الحارث ، عن محمد بن سعد ، قال : أخبرَنا مُعاذ بن مُعاذ ومحمد بن عبد الله الأنصارىّ ، قالا : حدّثنا الأشعث ، عن عبد الواحد بن صَبِرة ، عن القاسم بن محمد ، أنّ أبا بكر الصّدّيق أوصى أن تغسله امرأته أسماء ؛ فإن عجزت أعانها ابنُه محمد . قال ابن سعد : قال محمد بن عمر : وهذا الحديث وَهِل ؛ وإنما كان لمحمد يوم تُوُفِّىَ أبو بكر ثلاث سنين[2] . ١/٢١٣٠

حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا ابن عُيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبى مليكه ، عن عائشة ، سألها أبو بكر ؛ فى كم كُفّن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ؟ قالت : فى ثلاثة أثواب ، قال : اغسلوا ثوبَىَّ هذين — وكانا ممشّقَيْن[3] — وابتاعوا لى ثوبًا آخر . قلت : يا أبَهْ ، إنّا موسرون ، قال : أىْ بُنيّة ، الحىُّ أحقُّ بالجديد من الميّت ، وإنما هما للمُهْلة[4] والصّديد .

حدّثنى العبّاس بن الوليد ، قال : أخبرَنا أبى قال : حدّثنا الأوزاعىّ ؛

---

(١) ط : « عن أبى الرحال » ، والصواب ما أثبته من طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ .
(٢) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٣ . (٣) الثوب الممشق : المصبوغ بالمغرة .
(٤) المهلة مثلثة الميم : القيح والصديد الذى يذوب من الجسد . وانظر نهاية ابن الأثير .

قال : حدّثني عبد الرحمن بن القاسم ؛ أنّ أبا بكر تُوُفِّيَ عشاءً بعد ما غابت الشمس ليلةَ الثلاثاء ، ودفن ليلا ليلة الثلاثاء .

حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا غَنَّام ، عن هشام ، عن أبيه ، أنّ أبا بكر مات ليلة الثلاثاء ودُفن ليلاً .

حدّثني أبو زيد ، عن عليّ بن محمد بإسناده الذى قد مَضَى ذكريه ، أنّ أبا بكر حُمِلَ على السَّرير الذى حُمِل عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وصلّى عليه عمر فى مسجد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ودخل قبره عمر ، وعثمان ؛ وطلحة ؛ وعبد الرحمن بن أبى بكر ؛ وأراد عبد الله أن يدخلَ قَبَره ، فقال له عمر : كُفِيت .

قال أبو جعفر : وكان أوصى — فيما حدّثني الحارثُ ، عن ابن سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن عمر بن عبد الله — يعنى ابن عروة — أنّه سمع عُروة والقاسم بن محمد يقولان : أوصى أبو بكر عائشة أن يُدفن إلى جَنْب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ٢١٣١/١ فلمّا تُوُفِّيَ حُفِر له ، وجعل رأسه عند كَتِفَيْ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وألصقوا اللحدَ بِلَحدِ النبيّ صلّى الله عليه وسلم فقبِر هنالك[1] .

قال الحارث : حدّثني ابنُ سعد ، قال : وأخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني ابنُ عثمان ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، قال : جعل رأس أبى بكر عند كتفى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ورأس عمر عند حَقْوَىْ أبى بكر[2] .

حدّثني عليّ بن مسلم الطوسيّ ، قال : حدّثنا ابنُ أبى فُدَيك ، قال : أخبرنى عمرو بن عثمان بن هانئ ، عن القاسم بن محمد ، قال : دخلتُ على عائشة رضى الله تعالى عنها ، فقلت : يا أُمَّهْ ، اكشفِى لى عن قبر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وصاحبيْه ؛ فكشفت لى عن ثلاثة قبور ، لا مُشرِفَة ولا لاطئة ، مبطوحة ببطحاء العَرْصة الحمراء ؛ قال : فرأيتُ قبرَ النبيّ صلّى

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ . (٢) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ .

الله عليه وسلّم مقدّماً وقبر أبى بكر عند رأسه ، وعمر رأسه عند رِجْلِ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

حدّثنى الحارثُ ، عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن عمرو بن أبى عمرو ، عن المطّلب بن عبد الله بن حنطب ، قال : جُعل قبر أبى بكر مثل قبرِ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مُسطّحاً ؛ ورُشّ عليه الماء ، وأقامت عليه عائشة النَّوْح(١).

حدّثنى يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب ؛ قال : حدّثنى سعيد بن المسيّب ، قال : لما تُوُفِّىَ أبو بكر رحمه الله أقامت عليه عائشة النَّوْح ، فأقبل عمر بن الخطّاب حتى قام ببابها ، فنهاهنّ عن البكاء على أبى بكر ، فأبيْن أن ينتهين ، فقال عمر لهشام بن الوليد : ادخل فأخرج إلىّ ابنة أبى قُحافة ؛ أخت أبى بكر ، فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر : إنى أحرّج(٢) عليك بيتى . فقال عمر لهشام : ادخُل فقد أذنتُ لك ، فدخل هشام فأخرج أمّ فرْوة أخت أبى بكر إلى عمر ، فعلاها بالدّرّة ، فضربها ضربات ، فتفرّق النَّوْح حين سمعوا ذلك . ٢١٣٢/١

وتمثّل فى مرضِه — فيما حدثنى أبو زيد ، عن علىّ ابن محمد بإسناده — الذى توفى فيه :

وكلُّ ذى إبلٍ موروثٌ وكلُّ ذى سَلَبٍ مسلوبُ(٣)
وكلّ ذى غيبةٍ يَئوبُ وغائبُ الموتِ لا يئوبُ

وكان آخر ما تكلم به ، رَبّ ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ .

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ . (٢) أحرّج عليك ، أى أمنعك من دخول بيتى .
(٣) لعبيد بن الأبرص ، ديوانه ١٣ .

ذكر الخبر عن صفة جسم أبى بكر رحمه الله

حدّثنى الحارث ، عن ابن سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا شُعَيب بن[1] طَلْحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضى الله تعالى عنها ، أنها نظرتْ إلى رجلٍ من العَرب مرّ وهى فى هَوْدجها ، فقالت : ما رأيتُ رجلا أشبَه بأبى بكر من هذا ، فقلنا لها : صِفِى أبا بكر ، فقالت : رجل أبيض نحيف خفيف العارضين ، أجْنَأ[2] لايستمسك إزاره ، يسترخى عن حَقويْه[3] ، معروق[4] الوجه ، غائر العينين ، ناتئ الجبهة ، عارى الأشاجع[5] .

وأما علىّ بن محمد ؛ فإنه قال فى حديثه الذى ذكرت إسناده قَبْلُ : إنَّه كان أبيضَ يخالِطه صُفرة ، حسنَ القامة ، نحيفًا أجْنأ ، رقيقًا عتيقًا ، أقْنى ، معروق الوجه ، غائر العينين ، حَمْش[6] الساقين ، ممحوص الفخذيْن ، يخضب بالحنَّاء والكتَم . ١/٢١٣٣

وكان أبو قحافة حين تُوُفِّىَ حيًّا بمكَّة ، فلما نُعى إليه قال : رُزْءٌ جليل !

* * *

ذكر نسب أبى بكر واسمِه وما كان يُعرف به

حدّثنى أبو زيد ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد بإسناده الذى قد مَضى ذكرُه ، أنَّهم أجمعوا على أنّ اسم أبى بكر عبد الله ، وأنه إنما قيل له عَتيق عن عتقه[7] . قال : وقال بعضهم : قيل له ذلك ؛ لأنّ النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، قال له : أنت عَتيقٌ من النار .

---

(١) ط : « عن طلحة » ، وانظر ص ٢٧٣ س ٦ (ليدن) .
(٢) الأجنأ : الأحدب ؛ وفى ط : « أحنى » ، وما أثبته من النويرى وطبقات ابن سعد .
(٣) الحقو : الخصر . (٤) المعروق : القليل اللحم .
(٥) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف . والخبر فى طبقات ابن سعد ٣ : ١٨٨ . (٦) حمش الساقين : دقيقهما . (٧) عن هنا ؛ بمعنى اللام ، أى لعتقه .

حدّثني الحارثُ ، عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثنا إسحاق بن يحيي بن طلحة ، عن معاوية بن إسحاق ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها سُئلت : لِمَ سُمِّىَ أبو بكر عتيقًا ؟ فقالت : نظر إليه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يومًا ، فقال : هذا عتيق الله من النار[1] .

واسم أبيه عثمان ، وكنيته أبو قُحافة ، قال : فأبو بكر عبد الله بن عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ ابن غالب بن فهر بن مالك ، وأمُّه أمّ الخيْر بنت صَخْر بن عامر بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة .

وقال الواقدىّ : اسمه عبد الله بن أبى قُحافة — واسمه عثمان — بن عامر . وأمّه أمّ الخير ، واسمها سَلْمى بنت صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة .

وأمّا هِشام ، فإنه قال — فيما حُدّثت عنه — إنّ اسم أبى بكر عَتيق ابن عثمان بن عامر . ٢١٣٤/١

وحدثني يونس ، قال أخبرَنا ابن وَهْب ، قال : أخبرَنى ابن لَهيعة ، عن عُمارة بن غزيّة ، قال : سألتُ عبدَ الرحمن بن القاسم عن اسم أبى بكر الصديق ، فقال : عَتيق ؛ وكانوا إخوةً ثلاثة بنى أبى قُحافة : عتيق ومُعْتِق وعُتَيْق .

* * *

ذكر أسماء نساء أبى بكر الصدّيق رحمه الله

حدّث على بن محمّد ، عمّن حدّثه ومن ذكرت مِنْ شيوخه ، قال : تزوّج أبو بكر فى الجاهلية قُتَيْلة — ووافقه على ذلك الواقدىّ والكلبىّ — قالوا : وهى قُتَيلة ابنة عبد العُزَّى بن عبد بن أسعد بن جابر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤىّ ، فولدت له عبدَ الله وأسماء . وتزوّج أيضًا فى الجاهليّة أم رُومان

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ١٦٩ ، ١٧٠ .

بنت عامر بن عَميرة بن ذُهْل بن دُهْمان بن الحارث بن غَنْم بن مالك ابن كنانة — وقال بعضهم : هى أمّ رُومان بنت عامر بن عُوَيْمِر بن عبد شمس بن عَتّاب بن أذَينة بن سُبيع بن دُهْمان بن الحارث بن غَنْم بن مالك بن كنانة — فولدت له عبد الرحمن وعائشة .

فكلّ هؤلاء الأربعة من أولاده ، وُلدوا من زوجتيه اللتيْن سمّيناهما فى الجاهليّة .

وتزوّج فى الإسلام أسماء بنت عُميس ؛ وكانت قبله عند جعفر بن أبى طالب ؛ وهى أسماء بنت عميس بن مَعَدْ بن تَيْم بن الحارث بن كعب ابن مالك بن قُحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن مالك بن نَسْر بن وهب الله بن شَهْران بن عِفْرِس بن حَلْف بن أفْتَل — وهو خَثْعم — فولدت له محمد بن أبى بكر . ١/٢١٣٥

وتزوّج أيضًا فى الإسلام حَبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبى زهير ؛ من بنى الحارث بن الخزرج ؛ وكانت نَسْأً[1] حين تُوُفِّىَ أبو بكر ؛ فولدت له بعد وفاته جاريةً سُمّيتْ أمّ كلثوم .

* * *

ذكر أسماء قضاته وكتّابه وعُمّاله على الصدقات

حدّثنا محمد بن عبد الله المُخَرّمى ، قال : حدّثنا أبو الفتح نَصْر بن المغيرة ، قال : قال سفيان — وذكره عن مِسْعَر : لمّا ولى أبو بكر ، قال له أبو عبيدة : أنا أكفيك المال — يعنى الجزاء — وقال عمر : أنا أكفيك القضاء : فمكث عمر سنةً لا يأتيه رجلان .

وقال علىّ بن محمد عن الذين سمّيتُ : قال بعضهم : جعل أبو بكر عمرَ قاضيًا فى خلافته ، فمكث سنة لم يخاصم إليه أحد .

قال : وقالوا : كان يكتب له زيد بن ثابت ، ويكتب له الأخبار عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وكان يكتب له مَنْ حضر .

---

(١) النسء : المرأة التى يظن بها الحمل ، وقيل : التى ظهر حملها .

وقالوا : كان عامله على مكة عتاب بن أسيد ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاصى ، وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أمية ، وعلى حضرموت زياد بن لبيد ، وعلى خولان يعلى بن أمية ؛ وعلى زبيد ورمع أبو موسى الأشعرى ، وعلى الجند معاذ بن جبل ، وعلى البحرين العلاء ابن الحضرمى. وبعث جرير بن عبد الله إلى نجران ، وبعث بعبد الله بن ثور ؛ أحد بنى الغوث إلى ناحية جرش ، وبعث عياض بن غنم الفهرى إلى دومة الجندل ؛ وكان بالشأم أبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ؛ كل رجل منهم على جند ، وعليهم خالد ابن الوليد . ٢١٣٦/١

* * *

قال أبو جعفر : وكان رضى الله عنه سخياً ليناً ، عالماً بأنساب العرب ؛ وفيه يقول خفاف بن ندبة — وندبة أمه ، وأبوه عمير بن الحارث — فى مرثيته أبا بكر :

أَبْلَجُ ذو عُرْفٍ وذو مُنكَرٍ مُقَسِّمُ المعروفِ رَحْبُ الفِناءْ(١)

للمجْدِ فى منزلِهِ بادِياً حَوْضٌ رفيعٌ لم يَخُنْهُ الإزاءْ

واللهِ لا يُدْرِكُ أيامَهُ ذو مِئزَرٍ حافٍ ولا ذو رِدَاءْ

مَنْ يَسْعَ كَىْ يُدْرِكَ أيّامَهُ يَجْتَهِدِ الشَّدَّ بأرضٍ فَضاءْ

وكان — فيما ذكر الحارث ، عن ابن سعد ، عن عمرو بن الهيثم أبى قطن ؛ قال : حدثنا الربيع عن حيان الصائغ ، قال : كان نقش خاتم أبى بكر رحمه الله : « نعم القادر اللهُ » . ٢١٣٧/١

قالوا: ولم يعش أبو قحافة بعد أبى بكر إلا ستة أشهر وأياماً ؛ وتوفى فى المحرم سنة أربع عشرة بمكة ؛ وهو ابن سبع وتسعين سنة .

(١) الأبيات فى الكامل للمبرد ٣ : ٧٦ — بشرح المرصفى ؛ مع اختلاف فى الرواية .

[ذكر استخلافه عمر بن الخطاب]

وعقد أبو بكر فى مَرْضته التى تُوُفِّىَ فيها لعمر بن الخطاب عَقْد الخلافة من بعده .

وذُكر أنه لما أراد العَقْد له دَعَا عبد الرحمن بن عَوْف ؛ فيما ذكر ابن سعد ، عن الواقدىّ ، عن ابن أبى سَبْرة ، عن عبد المجيد بن سُهيل ، عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن ؛ قال : لمَّا نزل بأبى بكر رحمه الله الوفاةُ دعا عبدَ الرحمن بن عَوْف ، فقال : أخبِرْنِى عن عمر ، فقال : يا خليفةَ رسول الله ، هو واللهِ أفضلُ منْ رأيِك فيه من رجل ؛ ولكن فيه غِلْظة . فقال أبو بكر : ذلك لأنه يرانى رقيقًا ، ولو أفضَى الأمر إليه لترك كثيرًا ممَّا هو عليه . ويا أبا محمد قد رمَّقتُه ، فرأيتُنى إذا غضبتُ على الرجل فى الشىء أرانى الرّضا عنه ، وإذا لِنتُ له أرانى الشدّة عليه ؛ لا تذكرْ يا أبا محمد مما قلت لك شيئًا ، قال : نعم . ثم دعا عثمان بن عفان ، قال : يا أبا عبد الله ، أخبِرْنِى عن عمر ، قال : أنت أخبرُ به ، فقال أبو بكر : علىّ ذاك يا أباعبد الله ! قال : اللهمّ عِلْمِى به أنّ سريرته خيرٌ من علانيته ؛ وأن ليس فينا مثله . قال أبو بكر رحمه الله : رحمك الله يا أبا عبد الله ، لا تذكر ممَّا ذكرتُ لك شيئًا ، قال : أفعل ، فقال له أبو بكر : لو تركتُه ما عدوتُك ، وما أدرى لعلَّه تَارِكه ، والخِيرَة له ألاّ يلى من أموركم شيئًا ، ولودِدتُ أنى ٢١٣٨/١ كنت خلْوًا من أموركم ؛ وأنّى كنتُ فيمَن مضى من سلَفِكم ؛ يا أبا عبد الله ، لاتذكرَنّ مما قلتُ لك من أمر عمر ، ولا ممَّا دعوتك له شيئًا[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا يحيى بن واضِح ، قال : حدّثنا يونس بن عمرو ، عن أبى السَّفَر ، قال : أشرف أبو بكر على النَّاس من كنيفه وأسماءُ ابنة عُميس ممسِكتُه ، موشومة اليديْن ، وهو يقول : أترضوْن بمن أستخلف عليكم ؟ فإنّى واللهِ ما ألوْتُ من جَهْد الرّأى ، ولا ولَّيت ذا قرابة ، وإنّى قد استخلفتُ عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فقالوا : سمعنا وأطعنا .

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ١٩٩ ، مع اختلاف فى الرواية .

حدّثنى عُثمان بن يحيى ، عن عثمان القرقسانىّ ، قال : حدّثنا سفيان ابن عُيَيْنة ، عن إسماعيل ، عن قيس ، قال : رأيتُ عمرَ بن الخطاب وهو يجلس والنّاس معه ، وبيده جَرِيدة ، وهو يقول : أيُّها الناس ، اسمعوا وأطيعوا قولَ خليفةِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ إنّه يقول : إنّى لم آلُكم نصْحاً . قال : ومعه مولًى لأبى بكر يقال له : شديد ، معه الصحيفة الّتى فيها استخلاف عمر .

قال أبو جعفر : وقال الواقدىّ : حدّثنى إبراهيم بن أبى النّضر ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، قال : دعا أبو بكر عثمانَ خاليًا ، فقال : اكتُب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قُحافة إلى المسلمين ؛ أمّا بعد . قال : ثمّ أغمِىَ عليه ، فذهب عنه ، فكتب عثمان : أمّا بعد ؛ فإنى قد استخلفتُ عليكم عمرَ بن الخطاب ، ولم آلُكم خيرًا منه ، ثم أفاق أبو بكر ، فقال : اقرأ علىّ ، فقرأ عليه ، فكبّر أبو بكر [1] ، وقال : أراك خِفْتَ أن يختلف الناس إن افتُلتتْ نفسى فى غَشْيتِى ! قال : نعم ، قال : جزاك الله خيرًا عن الإسلام وأهله ، وأقرّها أبو بكر رضى الله عنه من هذا الموضع . ١/٢١٣٩

حدّثنا يونُس بن عبد الأعلى ، قال : حدّثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر ، قال : حدّثنا اللّيْث بن سعد ، قال : حدّثنا عُلْوان ، عن صالح بن كيسان ، عن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، أنّه دخل على أبى بكر الصّدّيق رضى الله تعالى عنه فى مَرَضِه الذى تُوُفّىَ فيه ؛ فأصابه مهتمًّا ، فقال له عبد الرحمن : أصبحتَ والحمد لله بارئًا ! فقال أبو بكر رضى الله عنه : أتراه ؟ قال : نعم ، قال : إنّى ولّيْتُ أمرَكم خيرَكم فى نفسى ؛ فكلّكم وَرِمَ أنفُه من ذلك ، يريد أن يكون الأمر له دونه ؛ ورأيتم الدنيا قد أقبلتْ ولمّا تقبِلْ ، وهى مقبلة حتى تتّخذوا ستور

---

(١) ز : « فقال بعد ما كبر » .

الحرير ونضائد[١] الديباج، وتألَموا[٢] الاضطجاع على الصوف الأذْرِىّ[٣]؛ كما يألمُ أحدُكم أن ينامَ على حَسَك[٤]؛ والله لأن يقدّم أحدكم فتُضرب عنقُه فى غير حدّ خيرٌ له من أن يخوضَ فى غمرة الدنيا وأنتم أوّلُ ضالّ بالناس غدًا، فتصدونهم عن الطريق يمينًا وشمالا. يا هادىَ الطريق، إنّما هو الفَجْر أو البَحْر[٥]، فقلت له: خَفّض عليك رحمك الله؛ فإن هذا يَهِيضك[٦] فى أمرك. إنّما النّاس فى أمرك بين رجليْن: إمّا رجلٌ رأى ما رأيتَ فهو معك، وإمّا رجلٌ خالفك فهو مُشير عليك وصاحبُك كما تحبّ؛ ولا نعلمك أردتَ إلا خيرًا، ولم تزل صالحًا مُصْلحًا، وأنك لا تأسى على شىء من الدنيا[٧].

١/٢١٤٠

قال أبو بكر رضى الله عنه: أجَلْ، إنى لا آسَى على شىء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتُهنّ وددت أنى تركتهنّ، وثلاث تركتهنّ وددتُ أنى فعلتهنّ؛ وثلاث وددت أنّى سألتُ عنهنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم. فأمّا الثلاث اللاّتى وددت أنّى تركتُهنّ؛ فوددْت أنّى لم أكشِفْ بيتَ فاطمة عن شىء. وإن كانوا قد غلّقوه على الحرب، ووددت أنى لم أكن حرّقْتُ الفُجاءَة السُّلَمىّ، وأنى كنت قتلته سريحًا أو خلّيته نجيحًا. ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنتُ قذفت الأمرَ فى عنق أحد الرجلين — يريد عمر وأبا عبيدة — فكان أحدُهما أميرًا؛ وكنت وزيرًا. وأمّا اللاتى تركتهنّ؛ فوددت أنى يوم أتِيتُ بالأشعثِ بن قيس أسيرًا كنت

---

(١) قال أبو العباس المبرد: «نضائد الديباج، واحدتها نضيدة؛ وهى الوسادة، وما ينضد من المتاع». (٢) الكامل: «ولتألمن». (٣) كذا وردت الرواية فى الطبرى، منسوب إلى أذربيجان؛ جريا على القياس؛ وفى رواية الكامل: «الأذربى»؛ وقال فى شرحه: «فهذا منسوب إلى أذربيجان وكذلك تقول العرب.» (٤) فى الكامل: «على حسك السعدان»؛ والسعدان: نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه. (٥) ط: «البحر»؛ والرواية الجيدة ما أثبتّها من الكامل، والبجر: الأمر العظيم؛ قال أبو العباس: «يقول: إن انتظرت حتى يضىء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك، وإن خبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المكروه، وضرب ذلك مثلا لغمرات الدنيا وتحيير أهلها». (٦) قال أبو العباس: «وقوله: يهيضك؛ مأخوذ من قولهم: هيض العظم؛ إذا جبر ثم أصابه شىء فآذاه فكسره ثانية».

(٧) الخبر إلى هنا فى الكامل ١: ٥٤، ٥٥ — بشرح المرصفى؛ فى رواية مخالفة.

ضربت عنقه ، فإنه تخيَّل إلىّ أنه لا يرى شرًّا إلاّ أعان عليه . ووددت أنى حين سيَّرتُ خالد بن الوليد إلى أهل الرِّدّة ؛ كنت أقمت بذى القَصّة ؛ فإن ظَفِر المسلمون ظفِروا ، وإن هُزموا كنت بصددِ لقاء أو مددًا . ووددت أنى كنت إذ وجّهت خالد بن الوليد إلى الشأم كنتُ وجّهت عمر بن الخطاب إلى العراق ؛ فكنت قد بسطتُ يدىّ كلتيهما فى سبيل الله — ومدّ يديه — ووددْتُ أنى كنتُ سألتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم : لمن هذا الأمر؟ فلا ينازَعه أحد ؛ ووددت أنى كنتُ سألته : هل للأنصار فى هذا الأمر نصيب ؟ ووددْتُ أنى كنتُ سألته عن ميراث ابنة الأخ والعَمّة ؛ فإنّ فى نفسى منهما شيئًا .

١٤١/١ ٢

قال لى يونس : قال لنا يحيى : ثم قدِم علينا علْوان بعد وفاة اللّيْث ، فسألته عن هذا الحديث ، فحدّثنى به كما حدّثنى الليث بن سعد حرْفًا حرْفًا ؛ وأخبرنى أنه هو حدّث به الليث بن سعد ، وسألته عن اسم أبيه ، فأخبرنى أنه علوان بن داود .

وحدّثنى محمد بن إسماعيل المرادىّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن صالح المصرىّ ، قال حدّثنى اللّيْث ، عن علوان بن صالح ، عن صالح بن كَيْسان ، عن حُميد بن عبد الرحمن بن عوف ؛ أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، قال — ثم ذكر نحوه ، ولم يقل فيه : « عن أبيه » .

* * *

قال أبو جعفر : وكان أبو بكر قبل أن يشتغل بأمور المسلمين تاجرًا ، وكان منزله بالسُّنْح ، ثم تحوّل إلى المدينة . فحدّثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن مَرْوان بن أبى سعيد بن المعلّى ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب . قال : وأخبرنا مُوسى بن محمّد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن صبيحة التميمىّ ، عن أبيه ، قال . وأخبرَنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : وأخبرَنا محمد بن عبد الله ، عن الزهرىّ ، عن عُرْوة ، عن عائشة ، قال : وأخبرنا أبو قُدامة عثْمان بن محمد ، عن

١٤٢/١ ٢

أبى وَجْزة ، عن أبيه ؛ قال . وغير هؤلاء أيضًا قد حدّثنى ببعضه[١] ، فدخلَ حديثُ بعضهم فى حديث بعض ، قالوا : قالت عائشةُ : كان منزل أبى بالسُّنْح عند زوْجته حَبيبة ابنة خارجة بن زيد بن أبى زُهير من بنى الحارث ابن الخزرج ، وكان قد حجَّر عليه حُجرة من سَعَف ؛ فما زادَ على ذلك حتى تحوّل إلى منزله بالمدينة ؛ فأقام هنالك بالسُّنْح بعد ما بويع له ستّة أشهر ، يغدُو على رجليْه إلى المدينة ، وربما ركب على فرس له ، وعليه إزارورِداء ممشّق ، فيوافِى المدينةَ فيصلىّ الصَّلَوات بالنَّاس ، فإذا صلَّى العِشاء ؛ رجع إلى أهله بالسُّنْح ؛ فكان إذا حَضَر صلَّى بالناس وإذا لم يحضر صلَّى بهم عمر بن الخطاب . قال : فكان يُقيم يوم الجمعة صدرَ النَّهار بالسُّنح يصبغ رأسه ولحيته ثم يروح لقَدَر[٢] الجمعة ، فيُجمِّع بالنَّاس. وكان رجلا تاجرًا ، فكان يغدُو كلَّ يوم إلى السوق ، فيبيع ويبتاع ؛ وكانت له قطعة غنم تروحُ عليه ؛ وربَّما خرج هو بنفسه فيها ؛ وربما كُفِيَهَا فرُعيت له ، وكان يحلب للحىّ أغنامَهم ، فلمَّا بويع له بالخلافة قالتْ جارية من الحىّ : الآن لا تُحلَبُ لنا منائحُ دارِنا ، فسمعها أبو بكر ، فقال : بلَى لعمرى لأحلبنَّها لكم ؛ وإنى لأرجو ألاّ يغيِّرنى ما دخلت فيه عن خُلق كنت عليه . فكان يحلُب لهم ، فربما قال للجارية من الحىِّ : يا جارية أتحبّين أن أرغىَ لك ، أو أصرِّح ؟ فربما قالت : ارْغَ ، وربما قالت : صرِّح ؛ فأىّ ذلك قالتْه فعل ؛ فمكث كذلك بالسُّنْح ستَّة أشهر ؛ ثم نزل إلى المدينة ، فأقام بها ، ونَظَر فِى أمرِه ، فقال : لاوالله ، ما تصلِح أمور الناس التِّجارة ، وما يصلِحُهم إلاّ التفرُّغ لهم والنَّظر فى شأنهم ، ولا بدّ لعيالى مما يُصلِحُهم . فترك التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يُصلِحُه ويُصْلح عيالَه يومًا بيوم ، ويحجّ ويعتمِر . وكان الذى فرضوا له فى كلّ سنة ستّة آلاف درهم ؛ فلما حضرتْه الوفاة ، قال : رُدُّوا ما عندَنا من مال المسلمين ؛ فإنى لا أصيبُ من هذا المال شيئًا ، وإنّ أرضى الَّتِى بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم ؛ فدفع ذلك إلى عمر ، ولقوحًا وعبدًا

١/٢١٤٣

(١) ز : « بعضه » . (٢) س : « بقدر » .

صَيْقلا[١]، وقطيفة ما تُساوى خمسة دراهم ؛ فقال عمر : لقد أتعب مَن بعده .

وقال علىّ بن محمد — فيما حدّثنى أبو زيد عنه فى حديثه عن القوم الذين ذكرتُ روايته عنهم — قال أبو بكر: انظروا كم أنفقت منذ وُلِّيتُ من بيت المال فاقضوه عنّى . فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف دِرهم فى ولايته .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن القاسم بن محمد ، عن أسماءَ ابنة عُميس ، قالت : دخل طلحة بن عبيد الله على أبى بكر ، فقال : استخلفتَ على الناس عُمر ، وقد رأيتَ ما يلقى الناس منه وأنت معه ؛ فكيف به إذا خلا بهم ! وأنت لاقٍ ربَّك فسائلك عن رعيَّتك . فقال أبو بكر — وكان مضطجعًا : أجلسونى ، فأجلسوه ، فقال لطلحة : أبالله تفرّقنى[٢] — أو أبالله تخوّفنى — إذا لقيتُ الله ربّى فساءلنى قلت : استخلفتُ على أهلِكَ خيرَ أهلك . ١/٢١٤٤

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمّد بن عبد الرحمن بن الحصين بمثل ذلك .

قال أبو جعفر: قد تقدّم ذكرنا وقت عقد أبى بكر لعُمر بن الخطاب الخلافة ، ووقت وفاة أبى بكر ، وأنّ عمَر صلّى عليه ، وأنه دفن ليلةَ وفاته قبل أن يُصْبح الناس ، فأصبح عمر صبيحةَ تلك الليلة ، فكان أوّل ما عمل وقال — فيما ذُكر — ما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عيّاش ، عن الأعمش ، عن جامع بن شدّاد ، عن أبيه ؛ قال : لمَّا استُخلف عمر صعِد المنبر ، فقال : إنى قائل كلمات فأمِّنوا عليهنّ ، فكان أوّل منطق نطق به حين استُخلف — فيما حدّثنى أبو السائب ، قال : حدّثنا ابن فُضيل ، عن ضرار[٣] ، عن حُصَين المُرىّ ، قال : قال عمر : إنّما مَثَلُ العرب مثلُ جمل أنِف اتّبع قائده ، فلينظر قائدُه حيث يقود ؛ وأمَّا أنَا فوربّ الكعبة لأحملنّهم على الطريق .

---

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .
(٢) تفرقنى : تخوفنى .
(٣) كذا فى ز .

حدّثنا عمر ، قال : حدّثنى علىّ ، عن عيسى بن يزيد ، عن صالح بن كيسان ، قال : كان أوّل كتاب كتبه عمر حين وُلّى إلى أبى عبيدة يولّيه على جند خالد : أوصيك بتقوى الله الذى يبقَى ويفنَى ما سواه ؛ الذى هدانا من الضّلالة ، وأخرجَنا من الظُّلمات إلى النور . وقد استعملتك على جُنْد خالد ابن الوليد، فقم بأمرهم الذى يحقّ عليك، لا تُقدِّم[1] المسلمين إلى هلَكة رجاء غنيمة ؛ ولا تُنزلهم[2] منزلا قبل أن تستريده لهم ؛ وتعلمَ كيف مأتاه ؛ ولا تبعث سريّة إلا فى كَثْف[3] من الناس ؛ وإيّاك وإلقاء المسلمين فى الهلكة ، وقد أبلاك الله بى وأبلانى بك ؛ فغمِّضْ بَصرَك عن الدنيا ، وألْه قلبك عنها ؛ وإيّاك أن تُهلِكَك كما أهلكتْ مَن كان قبلك ، فقد رأيتَ مصارعَهم .

١/٢١٤٥

* * *

[ذكر غزوة فِحْل وفتح دمشق]

حدّثنى عمر ، عن علىّ بن محمد ، بإسناده ، عن النّفر الذين ذكرت روايتَهم عنهم فى أول ذكرى أمرَ أبى بكر ؛ أنّهم قالوا : قدِم بوفاة أبى بكر إلى الشأم شدّاد بن أوْس بن ثابت الأنصارىّ ومَحْمِيَة بن جَزْء ، ويَرْفأ ؛ فكتموا الخبرَ الناس حتّى ظفر المسلمون — وكانوا بالياقوصة يقاتلون عدوَّهم من الروم ؛ وذلك فى رجب — فأخبروا أبا عبيدة بوفاة أبى بكر وولايته حَرْب الشأم ، وضمِّ عمر إليه الأمراءَ ، وعزلِ خالد بن الوليد .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فرغ المسلمون من أجنادين ساروا إلى فِحْل من أرض الأردنّ ؛ وقد اجتمعت فيها رافضة الروم ، والمسلمون على أمرائهم وخالد على مقدّمة الناس . فلمّا نزلت الروم بيْسان بثقوا أنهارها ؛ وهى أرض سَبْخة ، فكانت وحلاً ، ونزلوا فِحلاً — وبيسانُ بين فلسطين وبين الأردنّ — فلما غشيَها المسلمون ولم

١/٢١٤٦

---

(١) ز : « تقدمن » .
(٢) س : « ولا تنزلنهم » .
(٣) الكثف : الجماعة من الناس .

يعلموا بما صنعت الروم ، وَحِلت خيولُهم ، ولقوا فيها عَناءً ، ثم سلّمهم الله — وسميت بَيْسان ذات الرَّدغَة[١] لما لقى المسلمون فيها — ثم نهضوا إلى الروم وهم بفِحْل ؛ فاقتتلوا فهُزمت الروم ، ودخل المسلمون فِحْلاً ولحقت رافضة الروم بدمشق ؛ فكانت فِحْل فى ذى القعدة سنة ثلاث عشرة ، على ستّة أشهر من خلافة عمر . وأقام تلك الحجّة للناس عبد الرحمن بن عوف . ثم ساروا إلى دمشق وخالد على مقدّمة الناس ؛ وقد اجتمعت الروم إلى رجل منهم يقال له باهان بدمشق — وقد كان عمر عزلَ خالدَ بن الوليد واستعمل أبا عبيدة على جميع الناس — فالتقى المسلمون والروم فيما حول دمشق ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم هزم الله الرّومَ ، وأصاب منهم المسلمون ، ودخلت الروم دمشق ؛ فغلّقوا أبوابَها وجثَم[٢] المسلمون عليها فرابطوها حتى فُتحت دمشق ، وأعطوا الجزية ، وقد قدم الكتاب على أبى عبيدة بإمارته وعزل خالد ، فاستحيا أبو عبيدة أن يقرئ خالداً الكتاب حتى فتحت دمشق ؛ وجرى الصُّلْح على يدىْ خالد ؛ وكتِب الكتاب باسمه . فلما صالحت دمشق لحِق باهان — صاحب الروم الّذى قاتل المسلمين — بهرْقل . وكان فتح دمشق فى سنة أربع عشرة فى رجب ، وأظهر أبو عبيدة إمارتَه وعَزْلَ خالد ؛ وقد كان المسلمون ، التقوْا هم والرّوم ببلد يقال له عيْن فِحْل بين فِلَسطين والأردنّ ، فاقتتلوا به قتالا شديداً ، ثمّ لحقت الروم بدمشق . ١/٢١٤٧

وأما سيف — فيما ذكر السرىّ ، عن شُعيب ، عنه ، عن أبى عثمان ، عن خالد وعبادة — فإنه ذكر فى خبره أنّ البريد قدم على المسلمين من المدينة بموت أبى بكر وتأمير أبى عبيدة ؛ وهم باليرموك ؛ وقد التحم القتال بينهم وبين الرُّوم . وقصّ من خبر اليرموك وخبر دمشق غير الذى اقتصّه ابن إسحاق ؛ وأنا ذاكر بعض الذى اقتصّ من ذلك :

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد ، عن أبى عثمان ، عن أبى سعيد ، قال : لمّا قام عمر رضى عن خالد بن سعيد والوليد بن عُقْبة فأذِنَ لهما بدخول المدينة ، وكان أبو بكر قد منعهما لفَرّتِهما التى فرّاها وردّهما

(١) الردغة : الوحل الشديد .
(٢) س : « وخيم » .

إلى الشأم ،وقال : ليبلغنى عنكما غناء[1] أبْلِكما بلاءً ؛ فانضمَّا إلى أى أمرائنا أحببتما ؛ فلحقا بالناس فأبليا وأغنَيا .

* * *

* خبر دمشق من رواية سيف :

كتب إلىَّ السَّرىُّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان ، عن خالد وعبادة ؛ قالا : لما هزم الله جُنْد اليَرْموك ، وتهافت أهلُ الواقوصة وفُرِغ من المقاسم والأنفال[2] ، وبُعِث بالأخماس وسُرِّحت الوفود ، استخلف أبو عبيدة على اليَرْموك بشير بن كعب بن أبَىّ الحِمْيَرىّ كَيْلا يُغتال بردّة ؛ ولا تقطع الرُّوم على موادّه ، وخرج أبو عبيدة حتى ينزل بالصُّفَّر ؛ وهو يريد إتباع الفالّة ؛ ولا يدرى يجتمعون أو يفترقون[3] ؛ فأتاه الخبر بأنَّهم أرَزوا إلى فِحْل ، وأتاه الخبر بأن المدد قد أتى أهل دمشق من حِمص ، فهو لا يدرى أبدمشق يبدأ أم بفِحْل من بلاد الأردنّ . فكتب فى ذلك إلى عمر ، وانتظر الجواب ، وأقام بالصُّفَّر ، فلمَّا جاء عمرَ فتحُ اليرموك أقرّ الأمراء على ما كان استعملهم عليه أبو بكر إلاّ ما كان من عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ، فإنه ضمّ خالدًا إلى أبى عبيدة ، وأمر عمرًا بمعونة الناس ؛ حتى يصير الحرب إلى فِلَسطين ، ثم يتولَّى حربَها .

١/٢١٤٨

* * *

وأما ابن إسحاق ؛ فإنه قال فى أمْر خالد وعَزْل عمر إياه ما حدّثنا محمد بن حُميد ، قال: حدثنا سَلَمة عنه ، قال : إنَّما نزَع عمر خالدًا فى كلام كان خالد تكلَّم به — فيما يزعمون — ولم يزل عمر عليه ساخطًا ولأمره كارهًا فى زمان أبى بكر كلّه ، لوقعته بابن نُويْرة ، وما كان يعمل به فى حربه ؛ فلمَّا استُخلف عمر كان أوّل ما تكلَّم به عزله ، فقال : لا يلِى لى عملاً أبدًا ؛ فكتب عمر إلى أبى عُبيدة : إنْ خالد أكذب نفسه فهو أمير على ما هو عليه ؛ وإن هو لم يُكذب نفسَه فأنتَ الأمير على ما هو عليه ؛ ثم انزع عمامته عن

---

(١) ط : « عناء » .
(٢) ز : « والأثقال » .
(٣) ابن حبيش « أيجتمعون » .

رأسه ، وقاسمْه مالَه نصفيْن . فلمّا ذكر أبوعبيدة ذلك لخالد ، قال : أنظِرْنى أستشِرْ[١] أختى فى أمرى ، ففعل أبو عبيدة ؛ فدخل خالد على أخته فاطمة بنت الوليد — وكانت عند الحارث بن هشام — فذكر لها ذلك ، فقالت : والله لا يحبّك عمر أبدًا ، وما يريد إلاّ أن تُكذب نفسك ثم ينزعك . فقبّل رأسها وقال : صدقتِ والله ! فتمّ على أمره ، وأبى أن يُكذِب نفسَه . فقام بلال مولَى أبى بكر إلى أبى عبيدة ، فقال : ما أمِرْتَ به فى خالد ؟ قال : أمِرْت أن أنزع عمامته ، وأقاسمه مالَه . فقاسمه مالَه حتى بقيتْ نعلاه ، فقال أبو عبيدة : إنّ هذا لا يصلُح إلاّ بهذا ، فقال خالد : أجلْ ، ما أنا بالّذِى أعصِي أميرَ المؤمنين ؛ فاصنع ما بدَا لك ! فأخذ نعلا وأعطاه نعلا . ثم قدم خالد على عمر المدينة حين عزله . ١/٢١٤٩

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمّد بن عمر بن عطاء ، عن سُلَيمان بن يَسار ، قال : كان عُمر كلّما مرّ بخالد قال : يا خالد ، أخرِج مالَ الله من تحتِ استك ، فيقول : والله ما عندى من مال ؛ فلمّا أكثرَ عليه عمر قال له خالد : يا أميرَ المؤمنين ، ما قيمةُ ما أصبتُ فى سلطانكم ! أربعين ألف درهم ! فقال عمر : قد أخذتُ ذلك منك بأربعين ألف درهم ، قال : هو لك ، قال : قد أخذته . ولم يكن لخالد مال إلاّ عُدّة ورقيق ، فحُسِب ذلك ، فبلغت قيمته ثمانين ألف درهم فناصَفَه عمر ذلك ، فأعطاه أربعين ألف درهم ، وأخذ المال . فقيل له : يا أميرَ المؤمنين ، لورددت على خالد مَاله ! فقال : إنّما أنا تاجر للمسلمين ، والله لا أردّه عليه أبدًا . فكان عمر يُرَى أنه قد اشتفَى من خالد حين صنع به ذلك . ١/٢١٥٠

* * *

رجع الحديث إلى حديث سيف[٢] ، عن أبى عثمان ، عن خالد وعبادة ، قالا : ولمّا جاء عمرَ الكتاب عن أبى عُبيدة بالذى ينبغى أن يبدأ به كتب إليه :

أمّا بعد ؛ فابدءوا بدمشق ، فانهَدوا لها ؛ فإنّها حِصن الشأم وبيت

---

(١) س : « أستشرُ » .

(٢) أنظر أوله فى الصفحة السابقة .

مملكتهم ، واشغلوا عنكم أهلَ فِحْل بخيلٍ تكون بإزائهم فى نحورهم وأهلَ فِلسطين وأهل حِمْص ؛ فإن فتحها الله قبل دمشق فذاك الذى نحبّ ، وإن تأخّر فتحُها حتى يفتح الله دمشق فلينزلْ بدمشق مَن يمسك[1] بها ، ودعوها ، وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تُغيروا على فِحْل ؛ فإن فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حِمْص ، ودَعْ شُرَحْبيل وعمرًا وأخْلِهما بالأردنّ وفلسطين ، وأميرُ كلّ بلد وجُنْد على الناس حتى يخرجوا من إمارته . فسرّح أبو عبيدة إلى فِحْل عشرة قُوّاد : أبا الأعور السُّلَمىّ ، وعبدَ عمرو بن يزيد بن عامر الجُرَشىّ ، وعامرَ بن حَثْمة ، وعمرو بن كُليب من يَحْصُب ، وعُمَارة بن الصَّعِق بن كعب ، وصَيْفىّ بن عُلْبة بن شامل ، وعمرو بن الحبيب بن عمرو ، ولبدة بن عامر بن خَثْعمة ، وبِشْرَ بن عِصْمة ، وعُمارة بن مُخشّ قائد الناس ؛ ومع كلّ رجل خمسة قوّاد ؛ وكانت الرُّؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا مَن يحتمل ذلك منهم ، فساروا من الصُّفّر حتّى نزلوا قريبًا من فِحْل ، فلمّا رأت الرُّوم أنّ الجنود تريدهم بَثَقُوا المياه حولَ فِحْل ، فأردغتْ[2] الأرض ، ثم وحِلَت ، واغتمّ المسلمون من ذلك ، فحبسوا عن المسلمين بها ثمانين ألف فارس . وكان أوّلَ محصور بالشأم أهل فِحْل ، ثم أهل دِمشق . وبعث أبو عبيدة ذا الكَلاع حتّى كان بين دمشق وحِمْص ردءًا . وبعث عَلْقمة بن حكيم ومَسْروقًا فكانا بين دمشق وفِلَسطين ، والأمير يزيد . ففصَل ، وفصَل بأبى عبيدة من المرْج ؛ وقدّم خالد بن الوليد ، وعلى مجنّبتيه عمرو وأبو عبيدة وعلى الخيل عِياض ، وعلى الرَّجْل شُرَحبيل ، فقدِموا على دمشق ، وعليهم نِسطاس بن نُسْطُورس[3] ؛ فحصَروا أهلَ دمشق ، ونزلوا حواليْها ، فكان أبو عبيدة على ناحية ، وعمرو على ناحية ، ويزيد على ناحية ، وهِرَقل يومئذ بحِمْص ، ومدينة حِمْص بينه وبينهم . فحاصروا أهلَ دمشق نحوًا من سبعين ليلة حِصارًا شديدًا بالزُّحوف والتَّرامِى والمجانيق ؛ وهم معتصمون

٢١٥١/١

٢١٥٢/١

(١) س وابن حبيش : « تمسك » .

(٢) أردغت الأرض : كثر رداغها ، والرداغ : الوحل الشديد .

(٣) كذا فى ط ، وانظر ص ٤٤٣ س ٥ من هذا الجزء .

بالمدينة يرجون الغياث ، وهرقل منهم قريب وقد استمدّوه . وذو الكَلاع بين المسلمين وبين حِمْص على رأس ليلة من دمشق ؛ كأنه يريد حِمْص ، وجاءت خيولُ هِرقل مغيثةً لأهل دمشق ، فأشجتْها الخيول الّتى مع ذى الكَلاع ، وشغلتها عن النّاس ، فأرَزوا ونزَلوا بإزائه ، وأهلُ دمشق على حالهم .

فلّما أيقن أهلُ دمشق أنّ الأمداد لا تصلُ إليهم فشِلوا ووَهنوا وأبلِسوا[١] وازداد المسلمون طمعًا فيهم ؛ وقد كانوا يروْن أنّها كالغارات قبل ذلك ؛ إذا هجم البرد قفَل الناس ، فسقطَ النّجم والقوم مقيمون ؛ فعند ذلك انقطع رجاؤهم ، وندِموا على دخول دمشق ، ووُلِد للبِطريق[٢] الّذى دخل على أهل دمشق مولودٌ ؛ فصنع[٣] عليه ، فأكل القوم وشربوا ، وغفلوا عن مواقفهم ؛ ولا يشعر بذلك أحدٌ من المسلمين إلا ما كان من خالد ؛ فإنه كان لا ينام ولا يُنيم ، ولا يخفى عليه من أمورهم شيء ؛ عيونُه ذاكية وهو معنىٌّ بما يليه ، قد اتّخذ حبالا كهيئة السلاليم وأوْهاقًا[٤] فلمّا أمسى من ذلك اليوم نَهَد[٥] ومَنْ معه من جنده الذين قدم بهم عليهم ، وتقدّمهم هو والقعقاع بن عمرو ، ومذعور بن عدىّ ، وأمثاله من أصحابه فى أول يومه ، وقالوا : إذا سمعتم تكبيرَنا على السّور فارقَوْا إلينا ، وانْهدوا للباب . فلما انتهى إلى الباب الذى يَليه هو وأصحابه المتقدّمون رَمَوْا بالحبال الشُّرَف وعلى ظهورهم القِرَب التى قطعوا بها خندقهم . فلمّا ثبت لهم وَهَقان تسلّق فيهما القعقاع ومذعور ، ثم لم يدعا أحبولةً إلاّ أثبتاها — والأوْهاق بالشُّرَف — وكان المكان الذى اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق ، أكثرَه ماءً ، وأشدّه مدخلا ، وتوافوا لذلك ، فلم يبقَ ممّن دخل معه أحدٌ إلا رقى أو دنا من الباب ؛ حتى إذا استَوَوْا على السُّور حَدَر عامّةَ أصحابه ، وانحدَر معهم ؛ وخلّف

٢١٥٣/١

---

(١) أبلسوا : تحيروا .

(٢) البطريق ، بكسر الباء ؛ قال صاحب القاموس : « هو القائد من قواد الروم » ، وفى المعرب : « ولما سمعت العرب أن البطارقة أهل رياسة صاروا يصفون الرئيس بالبطريق » .

(٣) صنع ، يريد أولم .

(٤) الأوهاق : جمع وهق ، بالتحريك : الحبل فى طرفيه أنشوطة يطرح فى عنق الدابة أو الإنسان حتى يؤخذ .

(٥) نهد الرجل : نهض ومضى على كل حال ؛ بخلاف النهوض فإنه يكون عن قعود .

مَنْ يحمِي[1] ذلك المكان لمن يرتقِى، وأمرهم بالتَّكبير ، فكبَّر الذين على رأس السور ، فنهَد المسلمون إلى الباب ، ومال إلى الحِبال بشرٌ كثير ، فوثَبُوا فيها ، وانتهى خالد إلى أوّل مَن يليه فأنامهم ، وانحدر إلى الباب ، فقتل البوّابين ، وثار أهلُ المدينة ، وفزِع سائر الناس ؛ فأخذوا مواقفَهم ، ولا يدرون ما الشأن ! وتشاغل أهلُ كلّ ناحية بما يليهم ، وقطع خالد بن الوليد ومن معه أغلاق الباب بالسيوف ، وفتحوا للمسلمين ، فأقبلوا عليهم مِن داخل ، حتّى ما بقِىَ ممّا يلى باب خالد مقاتل إلا أنيم . ولما شدّ خالد على مَن يليه ؛ وبلغ منهم الذى أراد عَنْوة أرَزَ من أفلت إلى أهل الأبواب التى تَلِى غيرَه ؛ وقد كان المسلمون دَعَوْهم إلى المشاطرة[2] فأبوْا وأبعدوا[3] ، فلم يفجأهم إلاّ وهم يَبُوحون لهم بالصُّلح ، فأجابوهم وقبلوا منهم ، وفتحوا لهم الأبواب ، وقالوا : ادخلوا وامنعونَا من أهلِ ذلك الباب . فدخل أهلُ كلّ باب بصلح ممّا يليهم ، ودخل خالد مما يليه عَنْوة ، فالتقى خالد والقوّاد فى وسطها ؛ هذا استعراضًا وانتهاباً ، وهذا صلحاً وتسكيناً ؛ فأجرَوا ناحيةَ خالد مُجرَى الصّلح ، فصار صُلْحًا ، وكان صلح دمشق على المقاسمة ، الدينار والعقار ، ودينارٌ عن كلّ رأس ، فاقتسموا الأسلاب ؛ فكان أصحابُ خالد فيها كأصحاب سائر القوّاد ، وجَرَى على الديار ومَنْ بقى فى الصّلح جَرِيب[4] من كلّ جَرِيب أرض ؛ ووَقف ما كان للملوك ومَن صوّب معهم فَيْئاً ، وقسموا لذى الكَلاع ومَن معه ، ولأبى الأعور ومَن معه ، ولبشير ومَن معه ، وبعثوا بالبِشارة إلى عمر ، وقدم على أبى عبيدة كتاب عمر ؛ بأن اصرِف جند العراق إلى العراق ، وأمرهم بالحثّ إلى سعد بن مالك ، فأمَّر على جُنْد العراق هاشم بن عُتْبة ، وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو ، وعلى مجنِّبَتَيْه عمرو بن مالك الزُّهرىّ ورِبْعىّ بن عامر ، وضربوا بعد دمشق نحو سعد ، فخرج هاشم نحو العراق فى جُنْد العراق ؛ وخرج القوّاد نحو فِحْل

١/٢١٥٤

---

(١) س : « حمى » .

(٢) ز : « المناظرة » .

(٣) ز : « واتعدوا » .

(٤) الجريب : مقدار من الأرض ؛ ونقل عن قدامة : إنه ثلاثة آلاف وستمائة ذراع .

وأصحاب هاشم عشرة آلاف إلاّ مَن أصيب منهم ، فأتمّوهم بأناس ممّن لم يكن منهم ؛ ومنهم قيس والأشتر ، وخرج علقمة ومسروق إلى إيلياءَ ، فنزلا على طريقها ، وبقى بدمشق مع يزيد بن أبى سفيان من قوّاد أهل اليمن عددٌ ؛ منهم عمرو بن شِمْر بن غزيّة ، وسَهْم بن المسافر بن هَزْمة ، ومشافع ابن عبد الله بن شافع . وبعث يزيد دِحْية بن خليفة الكلبىّ فى خيل بعد ما فتح دمشق إلى تَدْمُر ، وأبا الزهراء القُشَيرىّ إلى البَثَنيّة وحَوْران ، فصالحوهما على صلح دمشق ؛ ووليَا القيام على فَتْح ما بُعثا إليه . ٢١٥٥/١

وقال محمد بن إسحاق : كان فتح دمشق فى سنة أربع عشرة فى رجب .

وقال أيضًا : كانت وقعة فِحْل قبل دمشق ؛ وإنما صار إلى دمشق رافضة فِحْل ، واتّبعهم المسلمون إليها . وزعم أنّ وقعة فحْل كانت سنة ثلاث عشرة فى ذى القَعْدة منها ؛ حدّثنا بذلك ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عنه .

وأمّا الواقدىّ : فإنه زعم أنّ فتح دمشق كان فى سنة أربع عشرة ؛ كما قال ابنُ إسحاق . وزعم أنّ حِصار المسلمين لها كان ستّة أشهر . وزعم أنّ وقعة اليرموك كانت فى سنة خمس عشرة . وزعم أنّ هرقل جلا فى هذه السنة بعد وقعة اليَرْموك فى شعبان من أنْطاكِيَة إلى قُسْطنطِينيَّة ، وأنه لم يكن بعد اليَرْموك وقعة .

قال أبو جعفر : وقد مضى ذكرى ماروِى عن سيف ، عمَّن روى عنه ؛ أنّ وقعة اليرموك كانتْ فى سنة ثلاث عشرة ؛ وأنّ المسلمين وَرَد عليهم البريد بوفاة أبى بكر باليَرْموك ، فى اليوم الذى هُزِمت الروم فى آخره ، وأنّ عمر أمرهم بعد فراغهم من اليَرْموك بالمسير إلى دمشق ، وزعم أنّ فِحْلاً كانت بعد دمشق ؛ وأنّ حروبًا بعد ذلك كانت بين المسلمين والرُّوم سوى ذلك ، قبل شخوص هِرَقل إلى قسطنطينية ؛ سأذكرها إن شاء الله فى مواضعها .

وفى هذه السنة — أعنِى سنة ثلاث عشرة — وجّه عمر بن الخطاب أبا عُبيد ابن مسعود الثقفىّ نحو العراق . وفيها استُشهد فى قول الواقدىّ . ٢١٥٦/١

وأمَّا ابن إسحاق؛ فإنه قال : كان يوم الجِسْر، جِسْرِ أبى عُبيد بن مسعود الثَّقفىّ فى سنة أربع عشرة .

* * *

• ذكر أمر فِحْلَ من رواية سيف :

قال أبو جعفر : ونذكر الآن أمر فِحْل[١] إذ كان فى الخبر[١] الذى فيه من الاختلاف ما ذكرتُ من فتوح جُنْد الشأم . ومن الأمور التى تستنكَر وقوعُ مثل الاختلاف الذى ذكرتُه فى وقته ؛ لقرب بعض ذلك من بعض .

فأمّا ما قال ابنُ إسحاق من ذلك وقصّ من قصّته ، فقد تقدّم ذكريه قبل.

وأمَّا السَّرِىّ فإنَّه فيما كتب به إلىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان يزيد بن أسيد الغسَّانىّ وأبى حارثة العبشمى[٢] ، قالا : خلَّف النَّاسُ بعد فتح دمشق يزيدَ بن أبى سفيان فى خيْله فى دِمشق ، وساروا نحو فِحْل ، وعلى الناس شُرَحبيل بن حَسَنة ، فبعث خالدًا على المقدّمة وأبا عبيدة وعمرا على مجنّبتيه ، وعلى الخيل ضِرار بن الأزْور ، وعلى الرَّجْل عياض ، وكرهوا أن يصمُدوا لهرقل ، وخلْفهم ثمانون ألفًا ، وعلموا أنّ مَنْ بإزاء فِحْل جُنَّة الرّوم وإليهم ينظرون ، وأن الشأم بعدهم سِلْم . فلما انتهوْا إلى ١/٢١٥٧ أبى الأعور ، قدّموه إلى طَبَرِيَّة ، فحاصرهم ونزلوا على فِحْل من الأردنّ ، — وقد كان أهل فِحْل حين نزل بهم أبو الأعور تركوه وأرَزُوا إلى بَيْسان — فنزل شُرَحبيل بالناس فِحْلاً ، والروم ببَيْسان ، وبينهم وبين المسلمين تلك المياه والأوحال ، وكتبوا إلى عمر بالخبر ، وهم يحدّثون أنفسهم بالمقام ، ولا يريدون أن يَرِيموا فِحْلاً حتَّى يرجع جواب كتابهم من عند عمر ، ولا يستطيعون الإقدام على عدوِّهمْ فى مكانهم لما دونهم من الأوحال ؛ وكانت العرب تسمّى تلك الغزاة فِحْلاً وذاتَ الرَّدَغة وبَيْسان . وأصاب المسلمون من رِيف الأردنّ أفضلَ ممّا فيه المشركون ؛ مادّتهم متواصِلة ، وخصِبْهم رَغْد ؛ فاغترّهم القوم ، وعلى القوم سَقَلاّر بن مِخْراق ؛ ورجوا أن يكونوا

(١ — ١) كذا فى ز ، وفى ط : « إذ كان وإن كان فى الخبر » .

(٢) ط : « العتبى » ، وانظر التصويبات .

على غِرَّة ، فأتوْهم والمسلمون لا يأمنون مجيئهم ، فهم على حَذَر . وكان شُرَحبيل لا يبيت ولا يصبح إلاّ على تعبية . فلمَّا هجموا على المسلمين غافصوهم[1] ، فلم يناظروهم ، واقتتلوا بفِحْل كأشدّ قِتال اقتتلوه قطّ ليلتَهم ويومَهم[2] إلى الليل ، فأظلم الليلُ عليهم وقد حاروا ، فانهزموا وهم حيارَى . وقد أصيب رئيسهم سَقَلاّر بن مخراق ؛ والذى يليه فيهم نسطورس ، وظفِر المسلمون أحسنَ ظفر وأهنأه ، وركبوهم وهم يَرَوْن أنهم على قَصْد وجدَد ، فوجدوهم حيارَى لا يعرفون مأخذهم ، فأسلمتهم هزيمتُهم وحَيْرَتهم إلى الوَحَل ، فركبوه ، ولحِق أوائل المسلمين بهم ؛ وقد وحِلوا فركبوهم ؛ وما يمنعون يد لامس ؛ فوخَزُوهم بالرّماح ، فكانت الهزيمة فى فِحْل ؛ وكان مقتلهم فى الرّداغ ، فأصيب الثمانون ألفا ، لم يُفلِت منهم إلاّ الشّريد ؛ وكان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون ، كرهوا البُثوق فكانت عونًا لهم على عدوّهم ، وأناةً من الله ليزدادوا بصيرة وجِدًّا ، واقتسموا ما أفاء الله عليهم ، وانصرف أبو عبيدة بخالد من فِحْل إلى حِمْص ، وصرفوا سُمَيْر بن كعب معهم ، ومضَوْا بذى الكَلاع ومَن معه ، وخلّفوا شُرَحبيل ومَن معه .

١/٢١٥٨

* * *

ذكر بَيْسان

ولمَّا فرغ شُرَحبيل من وقعة فِحْل نَهَد فى النّاس ومعه عمرو إلى أهل بَيْسَان ، فنزلوا عليهم ، وأبو الأعور والقوّاد معه على طَبَريّة ، وقد بلغ أفناءَ أهل الأردنّ ما لقيت دمشق ، وما لقى سقلاّر والرّوم بفِحْل وفى الردَغة ، ومسيرُ شرحبيل إليهم ، ومعه عمرو بن العاص والحارث بن هشام وسُهيل بن عمرو ؛ يريد بيسان ؛ وتحصّنُوا[3] بكلّ مكان ، فسار شُرَحبيل بالنّاس إلى أهلِ بَيْسان ، فحصروهم أياماً . ثم إنّهم خرجُوا عليهم فقاتلوهم ، فأناموا مَن خرج إليهم ، وصالحوا بقيّة أهلها ، فقبِل ذلك على صلْح دمشق .

* * *

(١) غافصوهم : فاجئوهم وأخذوهم على غرة .
(٢) ز : « قبل يومهم وليلتهم » .
(٣) ز : « فحاصروهم » .

١/٢١٥٩

طَبَرِيَّة

وبلغ أهلَ طَبَرِيَّة الخبر ، فصالحوا أبا الأعور ، على أن يبلغهم شُرَحبيل ، ففعل ؛ فصالحوهم وأهل بَيْسان على صلح دمشق ؛ على أن يشاطروا المسلمين المنازلَ فى المدائن ، وما أحاط بها ممَّا يصلُها ، فيدَعون لهم نصفًا ، ويجتمعون فى النِّصف الآخر ، وعن كلّ رأس دينار كلَّ سنة ، وعن كلّ جريب أرض جَريب بُرّ أو شعير ؛ أىّ ذلك حُرِث ؛ وأشياء فى ذلك صالحوهم عليها ، ونزلت القوّاد وخيولُهم فيها ، وتمّ صلح الأردنّ ، وتفرّقت الأمداد فى مدائن الأردنّ وقراها ، وكُتب إلى عمر بالفتح .

* * *

ذكر خبر المثنّى بن حارثة وأبى عبيد بن مسعود

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف بن عمر ، عن محمد بن عبد الله بن سَوَاد وطلحة بن الأعلم وزياد بن سِرْجِس الأحْمَرىّ بإسنادهم ، قالوا : أوّل ما عمِل به عمر أن ندَب النَّاس مع المثنَّى بن حارثة الشيبانىّ إلى أهل فارس قَبْلَ صلاة الفجر ، من اللَّيلة التى مات فيها أبوبكر رضى الله عنه ، ثم أصبح فبايع الناس ، وعاد فندَب النَّاس إلى فارس ، وتتابع النَّاس على البَيْعة ففرغوا فى ثلاث ، كلّ يوم يندبهم فلا ينتدب أحد إلى فارس ؛ وكان وجْه فارس من أكرهِ الوجوه إليهم وأثقلها عليهم ، لشدّة سلطانهم وشوكتهم وعزّهم وقهرهم الأمم . قالوا : فلمَّا كان اليوم الرابع ؛ عاد فندب النَّاس إلى العراق ؛ فكان أوّلَ منتدب أبو عُبيد بن مسعود وسعد بن عبيد الأنصارىّ حليف بنى فزارة ؛ هرب يوم الجسر ، فكانت الوجوه تُعْرَض عليه بعد ذلك ، فيأبى إلاّ العراق ، ويقول: إنّ الله جلّ وعزّ اعتدّ علىّ فيها بفَرَّة ؛ فلعلّه أن يردّ علىّ فيها كرّة . وتتابع الناس . ١/٢١٦٠

كَتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : وتكلّم المثنَّى بن حارثة ، فقال :

يأيها الناس ، لا يَعظُمنّ عليكم هذا الوجه ؛ فإنا قد تبحبحنا ريفَ فارس ، وغلبناهم على خير شِقَّى السَّواد وشاطرناهم ونلنا منهم ؛ واجترأ مَن قِبلَنا عليهم ؛ ولها إن شاء الله ما بعدها . وقام عمر رحمه الله فى الناس ؛ فقال : إنّ الحجاز ليس لكم بدار إلاّ على النُّجعة ، ولا يقوَى عليه أهلُه إلاّ بذلك ؛ أين الطُّرّاء المهاجرون عن موعود الله ! سيرُوا فى الأرض التى وعدكم الله فى الكتاب أن يورثكموها ؛ فإنه قال : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّين كُلِّه ﴾ ، والله مظهر دينه ، ومعزّ ناصِره ، وموليِ أهله مواريثَ الأمم . أين عباد الله الصالحون!

فكان أوّلَ منتدب أبو عُبيد بن مسعود ، ثم ثنى سعد بن عبيد — أو سَليط ابن قيس — فلمَّا اجتمعَ ذلك البعث ، قيل لعمر : أمِّرْ عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين والأنصار . قال : لاوالله لا أفعل ؛ إنّ الله إنَّما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدوّ ؛ فإذا جبُنتم وكرهتم اللِّقاء ؛ فأولى بالرياسة منكم مَن سبق إلى الدفع ، وأجاب إلى الدعاء! والله لا أؤمّر عليهم إلاّ أوّلَهم انتدابًا . ثم دعا أبا عُبيد ، وسَليطا وسعدًا ؛ فقال : أما إنَّكما لو سبقتماه لولَّيتكما ولأدركتُما بها إلى مالَكما من القُدْمة . فأمّر أبا عُبيد على الجيش ، وقال لأبى عبيد : اسْمَع من أصحاب النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأشرِكْهم فى الأمر ، ولا تجتهد[١] مسرعًا حتى تتبيَّن ؛ فإنها الحرب ، والحرب لايصلحها إلاّ الرّجل المكيث[٢] الذى يعرف الفرصة والكفّ .

وقال رجل من الأنصار : قال عمر رضى الله عنه لأبى عبيد : إنه لم يمنعني أن أؤمِّرَ سَليطاً إلاّ سرعته إلى الحرب ، وفى التسرّع إلى الحرب ضَياع إلاّ عن بيان ، والله لولا سرعتُه لأمّرتُه ؛ ولكنّ الحرب لا يصلحها إلاّ المَكيث .

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سَيْف بن عمر ، عن المجالد ، عن الشعبيّ ، قال : قدِم المثنَّى بن حارثة على أبى بكر سنة ثلاث عشرة ؛ فبعث معه بَعْثاً قد كان ندبهم ثلاثًا ؛ فلم ينتدب له أحد حتّى انتدَب[٣] له أبو عُبيد ثم سعد بن عبيد ، وقال أبو عبيد حين انتدَب :

١ / ٢١٦١

---

(١) س . « تجتهر » ، ابن حبيش : « لا تجبن » .
(٢) المكيث : الرزين لا يعجل .
(٣) انتدب : خف وأسرع .

أنا لَهَا ، وقال سعد : أنا لَهَا ؛ لفَعْلة فعلها . وقال سَليط : فقيل لعمَر : أمّر عليهم رجلاً له صحبة ، فقال عمر : إنّما فَضَل الصحابة بسرعتهم إلى العدوّ وكفايتهم مَنْ أبى[1] ؛ فإذا فعل فعلهم قوْم واثّاقلوا[2] كان الذين ينفرون خِفافًا وثِقالا أوْلَى بها منهم ؛ والله لا أبعث عليهم إلاّ أوّلَهم انتدابًا . فأمّر أبا عُبيد ، وأوصاه بجنده .

١/٢١٦٢

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيْف بن عمر ، عن سهل ، عن القاسم ومُبشّر ، عن سالم ، قال : كان أوّلَ بعث بعثه عمر بعثُ أبى عبيد ، ثم بعث يعلَى بن أميّة إلى اليمن وأمَره بإجلاء أهل نجْران ، لوصيّة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فى مرضه بذلك ، ولوصيّة أبى بكر رحمه الله بذلك فى مرضِه ، وقال : ائْتِهِم ولا تفتنْهم عن دينهم ، ثمّ أجْلهم ؛ مَن أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، وامْسح أرض كلّ مَنْ تُجْلِي منهم ، ثمّ خيرّهم البلدان ، وأعلِمهْم أنّا نُجليهم بأمر الله ورسوله ؛ ألاّ يُتْرك بجزيرة العرب دينان ؛ فلْيخرَجوا ؛ مَن أقام على دينه منهم ؛ ثم نعطيهم[3] أرضًا كأرضهم ، إقرارًا لهم بالحقّ على أنفسنا ، ووفاء بذمّتهم فيما أمر الله من ذلك ، بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالرّيف .

* * *

خبر النّمارق

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ومبشّر بإسنادهما ، ومُجالدٍ عن الشعبىّ ، قالوا : فخرج أبو عُبيد ومعه سعد بن عبيد ، وسَليط بن قيس ؛ أخو بنى عدىّ بن النجار ، والمثنّى بن حارثة أخو بنى شيبان ، ثم أحد بنى هند .

١/٢١٦٣

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، وعمرو عن الشعبىّ ، وأبى روْق ، قالوا : كانت بُوران بنت كسرى — كلّما اختلف النّاس بالمدائن — عَدْلاً بين الناس حتى يصطلحوا ، فلما قُتِل الفرُّخزاذ بن

(١) ز : « أتى » . (٢) ز : « وتنافلوا » . (٣) ز : « تعطيهم » .

البِنْدُوان وقدِم رستَم فقتل آزَرْميدُخت ، كانت عَدْلاً إلى أن استخرجوا يَزْدَجِرْد ، فقدم أبو عُبيد والعَدْل بُوران ، وصاحب الحرب رستم ؛ وقد كانت بُوران أهدتْ للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقبِل [هديّتها][1] ، وكانت ضدًّا على شيرى سنة ، ثم إنّها تابعته ، واجتمعا على أن رأَس وجعلها عدلاً .

كتب إلىّ السريّ بن يحيى . عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : لما قتَل سِيَاوَخْش فرّخْزَاذ بن البِنْدوان ، وملكت آزرميدخت ، اختلف أهلُ فارس ، وتشاغلوا عن المسلمين غَيْبةَ المثنّى كلَّها إلى أن رجع من المدينة . فبعثت بُوران إلى رستم بالخبر ، واستحثّتْه بالسَّير ؛ وكان على فَرْج خُراسان ، فأقبل فى النَّاس حتى نزل المدائن ؛ لا يلقى جيشًا لآزرميدخت إلاّ هزمه ، فاقتتلوا بالمدائن ، فهُزم سِياوَخْش وحُصِر وحُصِرت آزرميدخت ؛ ثم افتتحها فقتل سِياوَخْش ، وفقأ عين آزرميدخت ، ونصّبَ بوران ودعتْه إلى القيام بأمرِ أهل فارس ، وشكَتْ إليه تضعضعَهم وإدبار أمرهم ؛ على أن تملّكه عَشْر حجَج ؛ ثم يكون المُلْكُ فى آل كسرى ، إن وجدوا من غلمانهم[2] أحدًا ؛ وإلاّ ففى نسائِهم . فقال رستم : أمّا أنا فسامع مطيع ، غير طالب عِوضًا ولا ثوابًا ، وإن شرّفتمونى وصنعتم إلىّ شيئًا فأنتم أولياء ما صنعتم ؛ إنما أنا سهمُكم وطوعُ أيديكم . فقالت بُوران : اغدُ علىّ ، فغدا عليها ودعتْ مرازبةَ فارس ، وكتبت له بأنّك على حرب فارس ؛ ليس عليك إلاّ الله عزّ وجلّ ، عن رضًا منّا وتسليم لحكمك ، وحكمُك جائز فيهم ما كان حكمك فى منْع أرضهم وجمعِهم عن فُرقتهم . وتوّجته وأمرت أهلَ فارس أن يسمعوا له ويطيعوا . فدانت له فارس بعد قدوم أبى عُبيد ؛ وكان أوّل شىء أحدثه عمر بعد موتِ أبى بكر من اللّيل ؛ أن نادى : الصلاة جامعة ! ثم ندبهم فتفرّقوا على غير إجابة من أحد ، ثم نَدبهم فى اليوم الرابع ، فأجاب أبو عبيد فى اليوم الرابع أوّل الناس ، وتتابع النّاس ، وانتخب عمر من أهل المدينة ومَن حولها ألفَ رجل ، ١/٢١٦٤

---

(١) من ز .

(٢) ز : « علمائهم » .

أمَّر عليهم أبا عُبيد ، فقيل له : استعمل عليهم من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : لا ها الله ذا يا أصحاب النبيّ ، لا أندبكم فتنكلون[1] ، وينتدب غيركم فأؤمّركم عليهم ! إنكم إنّما فُضِّلتم بتسرّعكم[2] إلى مثلها ؛ فإن نكلتم فضلوكم ؛ بل أؤمّر عليكم أوّلكم انتدابًا . وعجّل المثنّى ، وقال : النَّجاء حتى يقدم عليك أصحابك ! فكان أوّل شيء أحدثه عمر في خلافته ١/٢١٦٥ مع بيعته بعثُه أبا عبيد ، ثم بعث أهلَ نجران ، ثم ندب أهل الرّدة ، فأقبلوا سراعًا من كلّ أوْب ؛ فرمى بهم الشأم والعراق ؛ وكتب إلى أهل اليرموك ؛ بأنّ عليكم[3] أبا عبيدة بن الجرّاح ؛ وكتب إليه : إنّك على الناس ؛ فإن أظفرك الله فاصرف أهلَ العراق إلى العراق ؛ ومن أحبَّ من أمدادكم إذا هم قدِموا عليكم . فكان أوّل فتح أتاه اليرموك على عشرين ليلة من متوفّى أبي بكر ؛ وكان في الأمداد إلى اليرموك في زمن عمر قيس بن هُبيرة ، ورجع مع أهل العراق ولم يكن منهم ، وإنما غزا حين أذِن عمر لأهل الردّة في الغزْو . وقد كانت فارس تشاغلتْ بموت شَهْربَراز عن المسلمين ؛ فملّكت شاه زَنان ؛ حتى اصطلحوا على سابور بن شَهْربَراز بن أردشير بن شَهرِيار ، فثارت به آزرميدُخْت ، فقتلته والفرُّخْزاذ ، وملكت — ورستم بن الفرُّخْزاذ بخُراسان على فَرْجها — فأتاه الخبر عن بُوران . وقدم المثنّى الحيرة من المدينة في عَشْرٍ ، ولحقه أبو عبيد بعد شهر ، فأقام المثنّى بالحيرة خمسَ عشرَة ليلة ؛ وكتب رستم إلى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين ، ودسّ في كلّ رُستاق رجلاً ليثور بأهله ، فبعث جابان إلى البِهقُباذ الأسفل ؛ وبعث نَرْسِي إلى كَسْكر ، ووعدهم يومًا ؛ وبعث جندًا لمصادَمة المثنّى ؛ وبلغ المثنّى ذلك ؛ فضمّ إليه مسالِحَه وحذِر ، وعجِل جابان ، فثار ونزل النَّمارق . ١/٢١٦٦

وتوالوا[4] على الخروج ؛ فخرج نَرْسِي ، فنزل زَنْدَوَرْد ، وثار أهلُ الرساتيق من أعلى الفُرات إلى أسفله ؛ وخرج المثنّى في جماعة حتى ينزل

---

(١) ابن حبيش : « فتبطئون » .
(٢) ز : « بتنزعكم » ، ابن حبيش : « بسرعتكم » .
(٣) س : « عليهم » . (٤) ز : « ودعاهم » .

خفّان ؛ لئلاّ يؤتى من خلفه بشيء يكرهه، وأقام حتى قدم عليه أبو عبيدة ؛ فكان أبو عبيد على النّاس ، فأقام بخفّان أيامًا ليستجمّ[١] أصحابه ؛ وقد اجتمع إلى جابان بشرٌ كثير ، وخرج أبو عبيد بعد ما جمّ الناسُ وظهرُهم ، وتعبّى ، فجعل المثنّى على الخيل ، وعلى ميمنته والق بن جيدارة ، وعلى ميسرته عمرو بن الهيثم بن الصّلْت بن حبيب السلميّ . وعلى مجنّبتي جابان جُشنَس ماه ومَرْدانْشاه . فنزلوا على جابان بالنّمارق، فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، فهزم الله أهلَ فارس ، وأسِرَ جابان ، أسره مطر بن فضّة التيميّ ، وأسِرَ مَرْدانشاه ، أسره أكْتَل بن شمّاخ العُكْليّ ، فأمّا أكْتَل فإنه ضرب عنق مردانشاه ، وأمّا مطر بن فضّة فإنّ جابان خدَعه ، حتى تفلّت منه بشيء فخلّى عنه ؛ فأخذه المسلمون ، فأتوا به أبا عُبيد وأخبروه أنّه الملك ، وأشاروا عليه بقتله ، فقال : إنّى أخافُ الله أن أقتلَه ؛ وقد آمنه رجل مسلم ، والمسلمون[٢] فى التوادّ والتناصر كالجسد ؛ ما لزم بعضَهم فقد لزمهم كلّهم . فقالوا له : إنه الملك ، قال : وإن كان لا أغدر ، فتركه . ٢١٦٧/١

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصلت بن بهرام ، عن أبى عمران الجُعْفىّ ، قال : ولّت حربَها فارس رُستَمَ عشر سنين ، وملّكوه ، وكان منجّما عالماً بالنجوم ، فقال له قائل : ما دعاك إلى هذا الأمر وأنت ترى ما ترى ! قال : الطّمَع وحبّ الشّرَف . فكاتب أهل السّواد ، ودسّ إليهم الرؤساء ، فثاروا بالمسلمين ؛ وقد كان عهد إلى القوم أنّ الأمير عليكم أوّل مَنْ ثار ، فثار جابان فى فُرات بادَقْلَى ، وثار الناس بعده ، وأرَز المسلمون إلى المثنّى بالحيرة ، فصمد لخفّان ، ونزل خفّان حتى قدم عليه أبو عبيد وهو الأمير على المثنّى وغيره ، ونزل جابان النّمارق، فسار إليه أبو عبيد من خفّان ، فالتقوْا بالنّمارق؛ فهزم الله أهلَ فارس، وأصابوا منهم ما شاءوا وبَصُر مَطَر بن فضّة — وكان ينسب إلى أمّه — وأبَىٌّ برجل عليه حَلْىٌ ؛ فشدّا عليه فأخذاه أسيرًا ، فوجداه شيخا كبيرًا

(١) س : « ليسحمر » .
(٢) كذا فى ز وابن الأثير والنويرى ؛ وفى ط بحذف الواو والنون .

فزهد فيه أبىّ ورغب مَطَر فى فدائه ، فاصطلحا على أنّ سلَبه لأبىّ ، وأن إساره لمَطر ، فلما خلّص مطر به ، قال : إنّكم معاشر العرب أهل وفاء ، فهل لك أن تؤمّننى وأعطيَك غلامَيْن أمردَيْن خفيفين فى عملك وكذا وكذا ! ٢١٦٨/١ قال : نعم ، قال : فأدخِلْنى على ملِككم ؛ حتّى يكون ذلك بمشهد منه ، ففعل فأدخله على أبى عبيد ، فتمّ له على ذلك ؛ فأجاز أبو عبيد ، فقام أبىّ وأناس من ربيعة ؛ فأما أبىّ فقال : أسرتُه أنا وهو على غير أمان ؛ وأمّا الآخرون فعرفوه ، وقالوا : هذا الملك جابان ؛ وهو الذى لقِينا بهذا الجمع ، فقال : ما ترونى فاعلا معاشر ربيعة ؟ أيؤمّنه صاحبكم وأقتله أنا ! معاذ الله من ذلك ! وقسّم أبو عبيد الغنائم ، وكان فيها عِطْر كثير ونَفَّل ، وبعث بالأخماس مع القاسم .

* * *

السَّقاطية بكَسْكر

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقال أبو عبيد حين انهزموا وأخذوا نحو كَسْكَر ليلجئوا إلى نَرْسِى — وكان نَرْسِى ابن خالة كسرى ؛ وكانت كسكر قطيعة له ؛ وكان النَّرْسيان له ، يحميه لا يأكله بشرٌ ، ولا يغرسه غيرهم أو ملك[1] فارس إلاّ مَنْ أكرموه بشىء منه ، وكان ذلك مذكورًا من فِعْلهم فى النّاس ، وأنّ ثَمرهم هذا حِمًى ، فقال له رستم وبوران : اشخص إلى قطيعتك فاحمِها من عدوّك وعدوّنا وكن رجلاً ، فلمّا انهزم الناس يوم النّمارق ، ووجّهت الفالّة نحو نَرْسى — ونَرْسى فى عسكره — نادى أبو عبيد بالرّحيل ، وقال للمجرّدة : أتبعوهم حتى تُدخِلوهم عسكر نَرْسِى ، أو تبيدوهم فيما بين النّمارق إلى بارق إلى دُرْتا . وقال عاصم بن عمرو ٢١٦٩/١ فى ذلك :

لَعَمْرِى وما عمرى عَلَىَّ بِهَيِّنٍ لَقَدْ صُبِّحَتْ بالخِزْى أهلُ النّمارِق

(١) كذا فى ط ، وربما كان اللفظ : « أى ملوك فارس » .

بأيْدِي رِجالٍ هاجروا نحو رَبِّهِمْ يجوسونهم ما بين دُرْتا وبارِقِ
قتلناهمُ ما بين مَرْجِ مُسَلَّحٍ وبين الهَوافِي من طريق البَذارِقِ

ومضى أبو عُبَيْد حين ارتحلَ من النَّمارق حتى ينزل على نَرْسِي بكَسْكر — ونَرْسِي يومئذ بأسفل كَسْكر — والمثنَّى فى تعبيته الّتى قاتل فيها جابانَ، ونَرْسِي على مجنِّبتيه ابنا خاله — وهما ابنا خال كسرى بِنْدَوَيْه وتِيرَوَيْه ابنا بِسْطام — وأهل بارُوسْما ونهر جَوْبَر والزّوابِي معه إلى جنده، وقد أتى الخبر بُوران ورستَم بهزيمة جابان؛ فبعثوا إلى الجالِنُوس، وبلغ ذلك نَرْسِي وأهل كَسْكَر وبارُوسْما ونهر جَوْبَر والزّاب، فرجوا أن يلحق قبل الوقعة، وعاجَلَهم أبو عُبيد فالتقوْا أسفل من كَسْكر بمكان يدعى السَّقاطية فاقتتلوا فى صحارَى مُلْس قتالا شديدًا. ثمّ إنّ الله هزم فارس، وهرب نَرْسِي، وغُلِب على عسكره وأرضه، وأخرب أبو عبيد ما كان حول معسكرهم من كسكر، وجمع الغنائم، فرأى من الأطعمة شيئًا عظيمًا، فبعث فيمَن يليه من العرب فانتقلوا ما شاءوا، وأخذت خزائن نَرْسِي؛ فلم يكونوا بشىء ممَّا خزن أفرح منهم بالنّرسيان؛ لأنّه كان يحميه ويمالئه عليه ملوكهم؛ فاقتسموه فجعلوا يُطعمونه الفلاحين؛ وبعثوا بخُمسه إلى عمر وكتبوا إليه: إنّ الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها، وأحببنا أن تروْها؛ ولتذكروا إنعام الله وإفضاله. ٢١٧٠/١

وأقام أبو عبيد وسرّح المثنَّى إلى بارُوسما، وبعث والقًا إلى الزّوابِي وعاصِمًا إلى نهر جَوْبر؛ فهزموا مَن كان تجمّع وأخربوا وسبوْا، وكان ممَّا أخرب المثنَّى وسَبى أهل زَنْدَوَرْد وبسوسيا [١]، وكان أبو زَعْبل من سَبْي زَنْدوَرْد؛ وهرب ذلك الجند إلى الجالِنوس؛ فكان ممَّن أسر عاصم أهل بيتيق من نهر جوبر، وممَّن أسر والق أبو الصَّلْت. وخرج فرُّوخ وفَرْوَنداذ إلى المثنَّى، يطلبان الجزاء والذّمّة، دفعًا عن أرضهم؛ فأبلغهما أبا عبيد: أحدهما بارُوسْما والآخر نهر جوبر، فأعطياه عن كلّ رأس أربعة، فرّوخ عن باروسما وفر ونداذ عن نهر جَوْبر، ومثل ذلك الزّوابى وكَسْكر، وضمّنا لهم الرّجال عن التعجيل، ففعلوا وصاروا صُلْحًا. وجاء فرُّوخ

(١) ط: «بسريسى»؛ وانظر ص ٤٦١ س ١٥ من هذا الجزء.

٢١٧١/١ وفرونداذ إلى أبى عُبيد بآنية فيها أنواع أطعمة فارس من الألوان والأخبِصة وغيرها ؛ فقالوا : هذه كرامة أكرمناك بها ، وقِرًى لك . قال : أأكرمتم الجند وقريتمُوهم مثله ؟ قالوا : لم يتيسَّر ونحن فاعلون ؛ وإنما يتربَّصون بهم قدوم الجالِنُوس وما يصنع ؛ فقال أبو عُبيد : فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند ، فردّه ، وخرج أبو عُبيد حتى ينزل ببارُوسما فبلغه مسير الجالِنوس .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السرىّ الضّبىّ ، قال : فأتاه الأنْدَرْزَغَر بن الحركبذ(١) بمثل ما جاء به فرُّوخ وفرونداذ . فقال لهم : أأكرمتُم الجند بمثله وقريتموهم ؟ قالوا : لا ، فردّه ، وقال : لا حِاجة لنا فيه ؛ بئس المرءُ أَبو عبيد ؛ إن صحب قومًا من بلادهم أهراقوا دماءَهم دُونه ، أو لم يُهريقوا فاستأثر عليهم بشىء يصيبه ! لا والله لا يأكل ممَّا أفاء الله عليهم إلا مثْل ما يأكل أوساطهم .

قال أبو جعفر : وقد حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق بنحو من حديث سيف هذا ، عن رجاله فى توجيه عمر المثنّى وأبا عبيد ابن مسعود إلى العراق فى حرب مَن بها من الكُفَّار وحروبهم ، ومن حاربهم بها ؛ غير أنه قال : لما هُزِم جالنوس وأصحابه ، ودخل أبو عبيد باروسما ، نزل هو وأصحابه قريةً من قراها ؛ فاشتملت عليهم ، فصُنع لأبى عبيد ٢١٧٢/١ طعامٌ فأتِىَ به ؛ فلمَّا رآه قال : ما أنا بالذى آكل هذا دون المسلمين! فقالوا له : كُلْ فإنَّه ليس من أصحابك أحدٌ إلا وهو يؤتَى فى منزله بمثل هذا أوأفضل ؛ فأكل . فلمَّا رجعوا إليه سألهم عن طعامهم ، فأخبروه بما جاءهم من الطعام .

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد وطلحة وزيادة بإسنادهم ، قالوا : وقد كان جابان ونَرْسِى استمدّا بوران ، فأمدّتهما بالجالنوس فى جُنْد جابان ، وأمرأن يبدأ بنَرْسى ؛ ثم يقاتل أبا عُبيد بعد ، فبادره أبو عُبيد ، فنهض فى جنده قبل أن يدنوَ ، فلمَّا دنا

(١) ط : « الحوكبذ » .

استقبله أبو عبيد ، فنزل الجالنُوس بباقُسْياثا من بارُوسما ، فنهد إليه أبو عُبيد في المسلمين ؛ وهو على تعبيته ؛ فالتقوْا على باقُسياثا ، فهزمهم المسلمون وهرب الجالنوس ، وأقام أبو عُبيد ، قد غلَب على تلك البلاد .

كتب إليّ السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر بن السريّ والمجالد بنحو من وقعة باقُسياثا .

كتب إليّ السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ومجالد وزياد والنَّضْر بإسنادهم ، قالوا : أتاه أولئك الدّهاقين المتربِّصون جميعًا بما وسع الجند ، وهابوا وخافوا على أنفسهم . وأمّا النَّضْر ومجالد فإنهما قالا : قال أبو عبيد : ألم أعلِمكم أني لستُ آكلا إلاّ ما يسع مَن معي ممّن أصبتم بهم ! قالوا : لم يبقَ أحدٌ إلاّ وقد أتى بشبَعه من هذا في رحالهم وأفضل . فلمّا راح النّاس عليه سألهم عن قِرى أهلِ الأرض فأخبروه ، وإنما كانوا قصّروا أوّلا تربّصًا ومخافة عقوبة أهل فارس . وأمّا محمد وطلحة وزياد فإنهم قالوا : فلمّا علم قَبِيل منهم ، وأكل وأرسل إلى قوم كانوا يأكلون معه أضيافًا عليه يدعوهم إلى الطعام ، وقد أصابوا من نُزل فارس ولم يروْا أنّهم أتوا أبا عبيد بشيء فظنّوا أنهم يُدْعَون إلى مثل ما كانوا يُدعون إليه من غَليظ عيش أبي عبيد ؛ وكرهوا تَرْك ما أتوا به من ذلك ؛ فقالوا له : قل للأمير ؛ إنّا لا نشتهي شيئًا مع شيء أتتنابه الدهاقين ؛ فأرسل إليهم : إنّه طعام كثير من أطعمة الأعاجم ؛ لتنظروا أين هو مما أتيتم به ! إنه قَرْو ونجم وجوزل[1] وشواء وخردل ، فقال في ذلك عاصم بن عمرو وأضيافه عنده :

١/٢١٧٣

إن تَكُ ذا قرْوٍ ونَجْمٍ وَجَوْزَلٍ ... فعِندَ ابنِ فَرُّوخٍ شواءٌ وخَرْدَلُ

وقَرْوٌ رقاق كالصَّحائفِ طُوِّيَتْ ... على مُزَعٍ فيها بقُولٌ وجَوْزَلُ

وقال أيضًا :

صبَحْنا بالبَقايسِ رَهْط كِسرَى ... صَبُوحًا ليس من خَمرِ السَّوادِ

صَبَحْناهُمْ بكلٍّ فتًى كَمِيٍّ ... وأجْرَدَ سابحٍ من خَيْلِ عادِ

١/٢١٧٤

---

(١) القرو : الإناء الصغير . والجوزل فرخ الحمام .

ثم ارتحل أبو عُبيد ، وقدم المثنّى ، وسار فى تعبيته حتى قدم الحيرة .
وقال النّضر ومجالد ومحمد وأصحابه : تقدّم عمر إلى أبى عُبيد ، فقال : إنّك تقدم على أرض المكْر والخديعة والخيانة والجَبريّة ، تقدم على قوم قد جرءوا على الشرّ فعلموه ، وتناسوا الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون ! واخزُن لسانك ، ولا تفشِينّ سرّك ؛ فإنّ صاحبَ السرّ ما ضبطه، متحصّن لا يؤتَى من وجْه يكرهه ؛ وإذا ضيّعه كان بمضيعة .

* * *

وقعة القَرْقس

ويقال لها القُسّ قُسّ النّاطِف ، ويقال لها الجِسر ، ويقال لها المَرْوحَة .

قال أبو جعفر الطبرىّ رحمه الله: كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : ولمّا رجع الجالنوس إلى رستَم ومَن أفلت من جنوده ، قال رستم : أىُّ العجم أشدّ على العرب فيما ترون ؟ قالوا : بَهْمَن جاذويه ؛ فوجّهه ومعه فيَلة[1] وردّ الجالِنوس معه ، وقال له : قدّم الجالنوس ، فإن عاد لمثلها فاضرب عنقه ، فأقبل بهمن جاذويه ومعه « دِرَفْش كابيان » راية كسرى — وكانت من جلود النّمِر ، عرض ثمانية أذرع فى طول اثنى عشر ذراعًا — وأقبل أبو عبيد ، فنزل المرْوحة ، موضع البُرْج والعاقول ، فبعث إليه بهمن جاذويه : إمّا أن تعبروا إلينا ونَدَعكم والعبور وإمّا أن تَدَعونا نعبر إليكم ! فقال الناس : لا تعبر يا أبا عُبيد ، ننهاك عن العبور . وقالوا له : قل لهم : فليعبروا — وكان من أشدّ الناس عليه فى ذلك سَلِيط — فلجّ أبو عبيد ، وترك الرّأى ، وقال : لا يكونون أجرأ على الموت منّا ؛ بل نعبُر إليهم . فعبروا إليهم وهم فى منزل ضيّق المطّرد والمذهب ، فاقتتلوا يومًا — وأبو عبيد فيما بين الستّة والعشرة — حتى إذا كان من آخر النهار ، واستبطأ رجلٌ من ثَقيف الفتح ، ألّف بين الناس ، فتصافحوا بالسيوف وضرب أبو عبيد الفيل ، وخبط الفيلُ أبا عبيد ، وقد أسرعت السيوف فى أهلِ فارس ، ٢١٧٥/١

(١) ابن حبيش : « الفيلة » .

وأصيب منهم ستة آلاف فى المعركة ، ولم يبقَ ولم يُنتظر إلا الهزيمة ، فلما خُبِط أبو عبيد ، وقام عليه الفيل جالَ المسلمون جولَة ، ثم تمّوا عليها ، وركبهم أهلُ فارس ، فبادر رجل من ثَقيف إلى الجسر فقطعه ، فانتهى النّاس إليه والسيوف تأخذهم من خَلْفهم ، فتهافتوا فى الفرات ، فأصابوا يومئذ من المسلمين أربعة آلاف ؛ من بين غريق وقتيل ، وحمى المثنّى الناس وعاصمٌ والكلَج الضّبّى ومذعور ، حتى عقدوا الجسر وعبَّروهم ثم عبروا فى آثارهم ، فأقاموا بالمروحة ١/٢١٧٦ والمثنى جَريح ، والكلَج ومذعور وعاصم — وكانوا حماة الناس — مع المثنّى ، وهرب من الناس بشرٌ كثير على وجوههم ؛ وافتضحوا فى أنفسهم ، واستحيَوْا ممّا نزل بهم ، [وبلغ ذلك [(١)] عمر عن بعض مَن أوى إلى المدينة فقال : عبادَ الله ! اللهمّ إنّ كلّ مسلم فى حلٍّ منّى ، أنا فئة كلّ مسلم ، يرحم الله أبا عُبيد ! لوكان عبَر فاعتصم بالخَيْف ، أو تحيّزَ إلينا ولم يستقتِل لكنّا له فئة !

وبينا أهلُ فارس يحاولون العبور أتاهم الخبر أنّ النّاس بالمدائن قد ثاروا برستَم ، ونقضوا الذى بينهم وبينه فصاروا فرقتين : الفَهْلوج على رستم ، وأهل فارس على الفَيْرُزان ؛ وكان بين وقعة اليَرْموك والجسر أربعون ليلة . وكان الذى جاء بالخبر عن اليَرْموك جرير بن عبد الله الحميرىّ ؛ والذى جاء بالخبر عن الجسر عبد الله بن زيد الأنصارىّ — وليس بالّذى رأى الرؤيا — فانتهى إلى عمر وعمر على المنبر . فنادى عمر : الخبر يا عبد الله بن زيد ! قال : أتاك الخبر اليقين ؛ ثم صعِد إليه المنبر فأسرّ ذلك إليه .

وكانت اليرموك فى أيام من جمادى الآخرة ، والجسر فى شعبان .

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد وسعيد ابن المَرْزُبان ، قالا : واستعمل رستم على حرب أبى عُبيد بهمن جاذويه ؛ وهو ذو الحاجب ، وردّ معه الجالنوس ومعه الفَيلة ، فيها فيل أبيض عليه النّخل [(٢)] ، وأقبل فى الدّهْم [(٣)] ، وقد استقبله أبو عُبيد حتى انتهى إلى بابل ؛ ١/٢١٧٧ فلمّا بلغه انحاز حتى جعل الفرات بينه وبينه ؛ فعسكر بالمرْوحَة .

---

(١) من ز .
(٢) النخل هنا : ضرب من الحلى .
(٣) الدهم : العدد من الناس .

ثم إن أبا عبيد ندم حين نزلوا به وقالوا : إمَّا أن تعبروا إلينا وإمَّا أن نعبر ، فحلف ليقطعنّ الفرات إليهم ، وليمحّصنّ ما صنع ، فناشده سَليط بن قيس ووجوه النَّاس ، وقالوا : إنّ العرب لم تلق مثل جنود فارس مذ كانوا ، وإنهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزُّهاء والعُدّة بما لم يلقَنَا به أحد منهم ؛ وقد نزلتَ منزلا لنا فيه مجال وملجأ ومرجع ؛ من فَرّة إلى كَرّة . فقال : لا أفعل ؛ جبُنتَ والله ! وكان الرَّسول فيما بين ذى الحاجب وأبى عبيد مردانْشاه الخصىّ ؛ فأخبرهم أنّ أهل فارس قد عيَّروهم ؛ فازداد أبو عبيد مَحَكا[1] ، وردّ على أصحابه الرأى ، وجبَّن سَليطا ، فقال : سليط : أنا والله أجرأ منك نفسًا ؛ وقد أشرنا عليك الرأىّ فستعلم !

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر بن السرىّ ، عن الأغرّ العِجلىّ ، قال : أقبل ذو الحاجب حتى وقف على شاطئ الفُرات بقُسّ النَّاطف ، وأبو عبيد معسكرٌ على شاطئ الفرات بالمَرْوحة فقال : إما أن تعبُروا إلينا وإما أن نعبُر إليكم . فقال أبو عبيد : بل نعبُر إليكم . فعقد ابن صلوبا الجسر للفريقين جميعًا ؛ وقبل ذلك ما قد رأت دَوْمة امرأة أبى عبيد رُؤيا وهى بالمَرْوحة ؛ أنّ رجلا نزل من السماء بإناء فيه شراب ، فشرب أبو عُبيد وجَبْر فى أناس من أهله ؛ فأخبرت بها أبا عبيد ، فقال : هذه الشهادة ؛ وعهد أبو عبيد إلى الناس ، فقال : إن قتِلتُ فعلَى الناس جَبْر ، فإن قتِل فعليكم فلان ، حتى أمّر الذين شربوا من الإناء على الوِلاء من كلامه . ثم قال : إن قتِل أبو القاسم فعليكم المثنّى ، ثم نَهَد بالناس فعبَر وعبروا إليهم ، وعضَلَت[2] الأرض بأهلها ، وألحم الناس الحربَ . فلمَّا نظرت الخيول إلى الفيَلة عليها النخل ؛ والخيل عليها التَّجافيف[3] والفرسان عليهم الشُّعُر[4] رأت شيئا منكرًا لم تكن ترى مثله ، فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم ، وإذا حملوا على المسلمين بالفيَلة والجلاجل فرّقت بين كراديسهم ؛ لا تقوم لها الخيلُ إلاّ على نِفار . وخزَقهم[5] الفُرْس

٢١٧٨/١

---

(١) محكا ، أى لجاجا . (٢) عضلت الأرض بأهلها : ضاقت بهم لكثرتهم .

(٣) التجفاف ؛ من آلات الحرب ، يوضع على الفرس يتقى بها كالدرع للإنسان .

(٤) الشعر : جمع شعار ، وهو جل الفرس . (٥) خزقوهم بالنشاب : طعنوهم .

بالنشّاب، وعضّ المسلمين الألم؛ وجعلوا لا يصلون إليهم؛ فترجّل أبو عبيد وترجّل الناس، ثم مشوا إليهم فصافحوهم بالسيوف؛ فجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة إلّا دفعتهم؛ فنادى أبو عبيد: احتوشوا[١] الفيلة، وقطّعوا بُطُنَها[٢] واقلبوا عنها أهلها؛ وواثب هو الفيل الأبيض، فتعلّق ببطانه فقطعه؛ ووقع الذين عليه، وفعل القوم مثل ذلك؛ فما تركوا فيلا إلا حطّوا رحله؛ وقتلوا أصحابه، وأهوى الفيل لأبى عُبيد، فنفح مِشْفَره بالسيف، فاتّقاه الفيل بيده؛ وأبو عبيد يتجرثمه[٣]؛ فأصابه بيده فوقع فخبطه الفيل، وقام عليه؛ فلما بصُر الناس بأبى عبيد تحت الفيل، خشعت أنفس بعضهم، وأخذ اللواء الذى كان أمّره بعده، فقاتل الفيل حتى تنحّى عن أبى عبيد، فاجترّه إلى المسلمين، وأحرزوا شِلوه[٤]؛ وتجرثم الفيلَ فاتّقاه الفيل بيده، دأبَ[٥] أبى عبيد وخبطه الفيل. وقام عليه وتتابع سبعة من ثَقيف؛ كلّهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت. ثم أخذ اللواء المثنّى، وهرب النّاس، فلما رأى عبد الله بن مَرْثَد الثقفىّ ما لقىَ أبو عبيد وخلفاؤه وما يصنع الناس، بادرهم إلى الجسر فقطعه، وقال: يأيّها الناس، موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أوتظفروا. وحاز المشركون المسلمين إلى الجِسر؛ وخشع ناس فتواثبوا فى الفُرات؛ فغرق من لم يصبِر وأسرعوا فيمن صبَر، وحمَى المثنّى وفرسانٌ من المسلمين الناس، ونادى: يأيّها الناس، إنّا دونكم فاعبُروا على هِينتكم[٦] ولا تدهَشوا؛ فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب، ولا تغرّقوا أنفسكم. فوجدوا الجسر وعبد الله بن مرثَد قائم عليه يمنع الناس من العبور، فأخذوه فأتوا به المثنّى، فضربه وقال: ما حملك على الذى صنعت؟ قال: ليقاتلوا، ونادى مَن عبر فجاءوا بعلوج، فضمّوا إلى السفينة التى قُطِعتْ سفائنها، وعبر الناس، وكان آخر من قُتِل عند الجسر سَليط بن قيس، وعبَر المثنّى وحمى جانبه؛ فاضطرب عسكره، ورامهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم؛

(١/٢١٧٩) (١/٢١٨٠)

---

(١) فى اللسان: «يقال: احتوش القوم الصيد؛ إذا نفره بعضهم على بعض».

(٢) البطن: جمع بطان؛ وهو حزام القتب.

(٣) يتجرثمه: يمسك بمعظمه (٤) شلوه: جسده.

(٥) ز: «ذات». (٦) هينتكم؛ أى متمهلين، وفى ابن حبيش: «هيئتكم».

فلمَّا عبر المثنَّى [وحمى جانبه][١] ارفضّ عنه أهلُ المدينة حتى لحقوا بالمدينة وتركها بعضهم ونزلوا البوادى وبقى المثنَّى فى قلَّة .

كتب إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سيف ، عن رجل ، عن أبى عثمان النّهدىّ ، قال : هلك يومئذ أربعة آلاف بين قتيل وغريق ؛ وهرب ألفان ، وبقىَ ثلاثة آلاف ، وأتى ذا الحاجب الخبرُ باختلاف فارس ؛ فرجع بجنده ؛ وكان ذلك سبباً لارفضاضهم عنه ، وجرح المثنَّى ، وأثبتَ فيه حلَق من درعه هتّكهنّ الرمح .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد وعطية نحواً منه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب عن سيف ، عن مجالد وعطية والنّضر ، أنّ أهل المدينة لما لحقوا بالمدينة وأخبروا عمّن سار فى البلاد استحياءً من الهزيمة ، اشتدّ على عمر ذلك ورحمهم . قال الشعبىّ : قال عمر : اللهمّ كلّ مسلم فى حلّ منّى ، أنا فئة كلّ مسلم ، مَن لقى العدوّ ففظِع بشىء من أمره فأنا له فئة ؛ يرحم الله أبا عُبَيد لوكان انحاز إلىّ لكنت له فئة ! وبعث المثنَّى بالخبر إلى عمر مع عبد الله بن زيد ، وكان أوّل من قدم على عمر .

وحدثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق بنحو خبر سيف هذا فى أمر أبى عُبيد وذى الحاجب ، وقصّة حربهما ، إلاّ أنه قال :

١/٢١٨١ وقد كانت رأت دَوْمة أمّ المختار بن أبى عُبيد ، أن رجلا نزل من السماء معه إناء فيه شراب من الجنَّة فيما يرى النائم ، فشرب منه أبو عُبيد وجَبر بن أبى عبيد وأناس من أهله . وقال أيضًا : فلما رأى أبو عُبيد ما يصنع الفيل ، قال : هل لهذه الدابّة من مقتل؟ قالوا : نعم ؛ إذا قطع مِشفرها ماتت ، فشدّ على الفيل فضرب مِشفره فقطعه ، وبرك عليه الفيل فقتله . وقال أيضًا : فرجعت الفُرْس ونزل المثنَّى بن حارثة ألّيس ، وتفرّق الناس ، فلحقوا بالمدينة ، فكان أوّل مَن قدم المدينة بخبر الناس عبدُ الله بن زيد بن الُحصين الخَطْمِىّ ، فأخبر الناس .

---

(١) من ز .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عَمْرة ابنة عبد الرحمن ، عن عائشة زوْج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قالت : سمعتُ عمربن الخطاب حين قدم عبد الله بن زيد ، فنادى : الخبر يا عبد الله بن زيد ! وهو داخل المسجد ، وهو يمرّ على باب حُجرتى ، فقال : ما عندك يا عبد الله بن زيد ؟ قال : أتاك الخبرُ يا أمير المؤمنين ؛ فلمّا انتهى إليه أخبره خبرَ الناس ، فما سمعت برجل حضر أمرًا فحدّث عنه كان أثبتَ خبرًا منه . فلماقدم فلّ الناس ، ورأى عمر جزَع المسلمين من المهاجرين والأنصار من الفِرار ، قال : لا تجزعوا يا معشر المسلمين ، أنا فئتكم ، إنما انحزتم إلىّ . ٢١٨٢/١

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ؛ عن ابن إسحاق ، عن محمد ابن عبد الرحمن بن الحصين وغيره ؛ أنّ مُعاذًا القارئ أخا بنى النّجار ؛ كان ممن شهدها ففرّ يومئذ ، فكان إذا قرأ هذه الآية : ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[1] ، بكى ، فيقول له عمر : لا تبك يا معاذ ، أنا فئتُك ، وإنما انحزْتَ إلىّ .

* * *

خبر ألّيس الصُّغْرَى

قال أبو جعفر : كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد بن نُويرة وطلحة وزياد وعطيّة ، قالوا : وخرج جابان ومَرْدانْشاه حتى أخذا بالطريق ، وهم يروْن أنهم سيرفضّون ولا يشعرون بما جاء ذا الحاجب من فُرقة أهل فارس[2] ، فلما ارفضّ أهلُ فارس ، وخرج ذو الحاجب فى آثارهم ، وبلغ المثنى فَعْلة جابان ومَرْدانشاه ؛ استخلف على النّاس عاصم بن عمرو ، وخرج فى جريدة خيل يريدهما ، فظنّا أنه هارب ،

(١) سورة الأنفال ١٦ .
(٢) ز : «من الخبر عن فرقة أهل فارس» .

فاعترضاه فأخذهما أسيرين ، وخرج أهل أليس على أصحابهما ، فأتوه بهم أسراء ؛ وعقد لهم بها ذمة وقدّمهما ، وقال : أنتما غررتما أميرَ نا ، وكذبتماه واستفززتماه . فضرب أعناقهما ، وضرب أعناق الأسراء ؛ ثمّ رجع إلى عسكره ١/٢١٨٣ وهرب أبو مِحْجن من ألّيس ؛ ولم يرجع مع المثنّى ؛ وكان جرير بن عبد الله وحنظلة بن الربيع ونفر استأذنوا خالداً من سُوَى ، فأذِن لهم ، فقدموا على أبي بكر ، فذكر له جريرٌ حاجته ، فقال : أعلى حالِنا! وأخّره بها[1] ، فلما ولّى عمر دعاه بالبيّنة ؛ فأقامها ، فكتب له عمر إلى عُمَّاله السعاة في العرب كلّهم : مَن كان فيه أحدٌ يُنسب إلى بَجِيلة في الجاهليّة ، وثبت عليه في الإسلام يُعْرَف ذلك فأخرِجوه إلى جرير . ووعدهم[2] جرير مكاناً بين العراق والمدينة . ولما أعطِيَ جرير حاجته في استخراج بَجِيلة من الناس فجمعهم فأخرِجوا له ، وأمرهم بالموعد ما بين مكة والمدينة والعراق ، فتتامّوا ، قال لجرير : اخرج حتى تَلحق بالمثنّى ، فقال : بل الشأم ، قال : بل العراق ، فإن أهل الشأم قد قَوُوا على عدوّهم ، فأبى حتى أكرهه ؛ فلمّا خرجوا له وأمرهم بالموعد عوّضه لإكراهه واستصلاحاً له ، فجعل له ربع خُمس ما أفاء الله عليهم في غَزاتهم هذه له ولمن اجتمع إليه ، ولمن أخرِج له إليه من القبائل ، وقال : اتّخذونا طريقاً ، فقدموا المدينة ، ثم فصلوا منها إلى العراق ممدّين للمثنّى ، وبعث عصمة بن عبد الله من بني عبد بن الحارث الضّبّيّ فيمن تبعه من بني ضبّة ؛ وقد كان كتب إلى أهل الرّدة ، فلم يوافِ شعبانَ أحدٌ إلا رمى به المثنّى .

* * *

البُوَيْب

١/٢١٨٤ كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : وبعث المثنّى بعد الجسر فيمَن يليه من المُمِدّين ،

---

(١) ز : « فيها » . (٢) ابن حبيش : « وواعدهم » .

فتوافوْا إليه فى جمع عظيم ، اوبلغ رستَم والفَيْرُزان ذلك ، وأتتهم العيون به وبما ينتظرون من الأمداد ، واجتمعا على أن يبعثا مِهْران الهمَذانىّ ؛ حتى يريا مِن رأيهما ، فخرج مِهْران فى الخيول وأمَرَاه بالحيرة ، وبلغ المثنّى الخبر وهو معسكر بمرْج السِّباخ بين القادسيّة وخَفّان فى الذين أمدّوه من العرب عن خبر بشير وكِنانة[1]– وبشير يومئذ بالحيرة – فاستبطن فُرات بادَقْلى، وأرسل إلى جرير ومَن معه : إنّا جاءنا أمر لم نستطِع معه المقام حتّى تقدموا علينا ، فعجِّلوا اللّحاق بنا ، وموعدكم البُوَيْب .

وكان جرير مُمِدًّا له، وكتب إلى عِصْمة ومَن معه، وكان ممِدًّا له بمثل ذلك ، وإلى كل قائد أظلّه بمثل ذلك ، وقال : خذوا على الجَوْف ، فسلكوا القادسيّة والجَوْف ، وسلك المثنّى وسط السَّواد ، فطلع على النَّهرين ثم على الخوَرْنَق ، وطلع عصمة على النَّجَف ، ومَن سلك معه طريقه ، وطلع جرير على الجوْف ومَن سلك معه طريقه، فانتهوْا إلى المثنّى، وهو على البُويب، ومِهران من وراء الفرات بإزائه ، فاجتمع عسكر المسلمين على البُويب ممَّا يلى موضع الكوفة اليوم ؛ وعليهم المثنّى وهم بإزاء مِهران وعسكره . فقال المثنّى لرجل من أهل السواد: ما يقال للرُّقْعة التى فيها مِهران وعسكره ؟ قال : بَسُوسْيا. ١/٢١٨٥ فقال : أكْدَى مِهران وهلك ! نزل منزلا هو البَسوس ؛ وأقام بمكانه حتّى كاتبه مِهران: إمّا أن تعبُروا إلينا ، وإمّا أن نعبَر إليكم ؛ فقال المثنّى : اعبُروا ؛ فعبر مِهْران ، فنزل على شاطىء الفرات معهم فى الملطاط، فقال المثنّى لذلك الرجل: ما يُقال لهذه الرقعة التى نزلها مِهران وعسكره ؟ قال : شُوميا – وذلك فى رمضان – فنادى فى الناس : انهدوا لعدوّكم ، فتناهدوا ، وقد كان المثنّى عَبّى جيشه ، فجعل على مجنِّبتيه مذعورًا والنُّسَير ، وعلى المجرّدة عاصمًا ، وعلى الطلائع عِصْمة، واصطفّ الفريقان ؛ وقام المثنّى فيهم خطيبًا ؛ فقال : إنكم صُوّام ؛ والصوم مَرَقّة ومَضعفة ؛ وإنّى أرى من الرأى أن تُفطِروا ثم تقوَوْا بالطعام على قتال عدوّكم. قالوا : نعم، فأفطروا ؛ فأبصر رجلا يستوفز ويستنتِل[2]من الصفّ ، فقال : ما بال هذا ؟ قالوا : هو ممّن فرّ من

---

(١) ابن حبيش : « وكتابه » . (٢) استوفز : تهيأ . واستنتل : تقدم .

الزّحف يوم الجسر ؛ وهو يريد أن يستقتل ، فقرعه بالرّمح ، وقال : لا أبالك ! الزَمْ موقفَك ، فإذا أتاك قِرنك فأغْنِه عن صاحبك ولا تستقتل ، قال : إنى بذلك لَجدير ، فاستقرّ ولزم الصّفّ .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى إسحاق الشيبانىّ بمثله .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سَيْف ، عن عطيّة . وعن سفيان الأحمرىّ ، عن المجالد ، عن الشعبىّ ، قالا : قال عمر حين استجمّ [١] جَمْعُ بجيلة : اتّخذونا طريقًا ، فخرج سَرَوات بَجِيلة ووفدُهم نحوه ، وخلّفوا الجمهور ، فقال : أىّ الوجوه أحبّ إليكم ؟ قالوا : الشأم فإنّ أسلافنا بها ، فقال : بل العراق ؛ فإنّ الشأم [٢] فى كفاية ؛ فلم يزل بهم ، ويأبوْن عليه حتى عزم على ذلك ؛ وجعل لهم ربع خُمس ما أفاء الله على المسلمين إلى نصيبهم من الفىء ، فاستعمل عَرْفجة على مَن كان مقيمًا على جَديلة من بَجِيلة ، وجريرا علَى مَن كان من بنى عامر وغيرهم ؛ وقد كان أبو بكر ولاّه قتالَ أهل عُمان فى نفر ، وأقفله حين غزا فى البحر ، فولاّه عمر عُظْم بَجيلة ، وقال : اسمعوا لهذا ، وقال للآخرين : اسمعوا لجرير ، فقال جرير لبَجيلة : تُقِرُّونَ بهذا — وقد كانت بَجِيلة غضبت على عَرْفجة فى امرأة منهم — وقد أدخل علينا ما أدخل ! فاجتمعوا فأتوا عُمر ، فقالوا : أعْفِنا من عَرْفجة ، فقال : لا أعفيكم من أقدمِكم هجرةً وإسلامًا ، وأعظمكم بلاءً وإحسانًا ، قالوا : استعمل علينا رجلاً منّا ، ولا تستعمل علينا نزيعًا فينا ، فظنّ عمر أنّهم يَنفُونه من نسبه ، فقال : انظروا ما تقولون! قالوا : نقول ما تسمع ؛ فأرسل إلى عرفجة ، فقال : إنّ هؤلاء استعفوْنى منك ، وزعموا أنّك لست منهم ، فما عندك ؟ قال : صدقوا ، وما يسُرّنى أنى منهم . أنا امرؤ من الأزد ، ثم من بارق ، فى كَهْف لا يُحْصَى عدده ، وحَسَب غير مُؤْتَشَب [٣] . فقال عمر : نِعْمَ الحىُّ الأزد ! يأخذون نصيبَهم من الخير والشرّ . قال عرفجة : إنه كان من شأنى أنّ الشرّ تفاقم فينا ، ودارُنا واحدة ؛

١/٢١٨٦

(١) ابن حبيش : « استتم » .

(٢) ز : « أهل الشام » .

(٣) غير مؤتشب ؛ أى مخلوط غير صريح فى نسبه .

فأصبنا الدّماء ، ووتر بعضنا بعضا ، فاعتزلتهم لمّا خِفتهم ، فكنت فى ١/٢١٨٧
هؤلاء أسودَهم وأقودَهم ، فحفِظوا علىّ لأمر دار بينى وبين دهاقينهم ،
فحسدونى وكفرونى . فقال : لا يضرّك فاعتزلهمْ إذْ كرِهوك . واستعمل
جريرًا مكانه ، وجمع له بَجِيلة ، وأرى جريرًا وبَجِيلة أنّه يبعث عرْفجة
إلى الشأم ، فحبّب ذلك إلى جرير العراق ، وخرج جرير فى قومه ممِدًّا للمثنّى
ابن حارثة ، حتّى نزل ذا قار ، ثم ارتفع حتّى إذا كان بالجُلِّ والمثنّى
بمرْج السِّباخ ، أتى المثنّى الخبرُ عن حديث بشير وهو بالحيرة ؛ أنّ الأعاجم
قد بعثوا مِهران ، ونهض من المدائن شاخصًا نحو الحيرة . فأرسل المثنّى إلى
جرير وإلى عصمة بالحثِّ ، وقد كان عهد إليهم عمر ألّا يعبروا بحرًا
ولا جسرًا إلّا بعد ظفَر ، فاجتمعوا بالبُوَيب ، فاجتمع العسكران على شاطىء
البُوَيب الشرقىّ ، وكان البويب مَغيضًا للفرات أيام المدود ، أزمانَ فارس ،
يصبّ فى الجوف ، والمشركون بموضع دار الرزق ، والمسلمون بموضع السّكون .

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شُعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ،
عن عطيّة والمجالد بإسنادهما ، قالا : وقدما على عُمر غُزاة بنى كنانة والأزْد فى
سبعمائة جميعًا ، فقال : أىّ الوجوه أحبّ إليكم ؟ قالوا : الشأم ، أسلافنا
أسلافنا ! فقال : ذلك قد كُفيتموه ؛ العراقَ العراقَ ! ذَرُوا بلدة قد قلّل الله
شوكتها وعددَها ، واستقبلوا جهاد قوم قد حوَوْا فنون العيش ، لعلّ الله أن ١/٢١٨٨
يورثكم بقِسْطكم من ذلك فتعيشوا مع مَن عاش من الناس . فقال
غالب بن عبد الله الليثىّ وعرفجة البارقىّ ، كلّ واحد منهما لقومه ، وقاما فيهم :
يا عشيرتاه ! أجيبوا أميرَ المؤمنين إلى ما يرى ، وأمضوا له ما يُسكِنكم . قالوا :
إنّا قد أطعناك وأجبنا أميرَ المؤمنين إلى ما رأى وأراد . فدعا لهم عمر بخير
وقاله لهم ، وأمّر على بنى كنانة غالب بن عبد الله وسرّحه ، وأمّر على الأزْد
عرْفجة بن هرْثمة وعامّتُهم من بارق ، وفرحوا برجوع عرْفجة إليهم .
فخرج هذا فى قومه ، وهذا فى قومه ، حتّى قدما على المثنّى .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وعمرو

---

(١) ط : « فلان » .

بإسنادهما ، قالا : وخرج هلال بن عُلَّفة التيميّ فيمن اجتمع إليه من الرِّباب حتى أتى عمر ، فأمَّره عليهم وسرَّحه ، فقدِم على المثنَّى وخرج ابن المثنّى الجُشَمِيّ ؛ جُشَم سعد ، حتى قدم عليه ، فوجَّهه وأمَّره على بنى سعد ، فقدم على المثنَّى .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبىّ وعطية بإسنادهما ، قالا : وجاء عبد الله بن ذى السَّهْمَيْن فى أناس من خَثْعم ، فأمَّره عليهم ووجَّهه إلى المثنَّى ، فخرج نحوه حتى قدم عليه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سَيْف ، عن محمد وعمرو بإسنادهما ، قالا : وجاء رِبْعِىّ فى أنَاس من بنى حنظلة ، فأمَّره عليهم وسرَّحهم ، وخرجوا حتى قدم بهم على المثنَّى ، فرأس بعده ابنه شَبَث بن رِبْعِىّ ، وقدم عليه أناسٌ من بنى عمرو ، فأمَّر عليهم رِبْعِىّ بن عامر بن خالد العَنُود ، وألحقه بالمثنَّى ، وقدم عليه قومٌ من بنى ضبَّة ، فجعلهم فرقتيْن ، فجعل على إحدى الفرقتين ابن الهَوْبَر ، وعلى الأخرى المنذر بن حسَّان ، وقدم عليه قُرْط بن جمَّاح فى عبد القيس ، فوجَّهه . وقالوا جميعًا : اجتمع الفيرزان ورستَم على أن يبعثا مِهْران لقتال المثنَّى واستأذنا بُوران — وكانا إذا أرادا شيئًا دنَوَا من حجابها حتى يكلِّماها به — فقالا بالذى رأيا وأخبراها بعدد الجيش — وكانت فارس لا تُكثِر[1] البعوث ؛ حتى كان من أمر العرب ما كان — فلمَّا أخبراها بكثرة عدد الجيش ، قالت : ما بالُ أهلِ فارس لا يخرجون إلى العرب كما كانوا يخرجون قبل اليوم ؟ ومالكما لا تبعثان كما كانت الملوك تبعث قبل اليوم ! قالا : إنّ الهيبة كانت مع عدوّنا يومئذ ، وإنها فينا اليوم ؛ فمالأتْهما وعرفت ما جاءاها به ، فمضى مِهْران فى جنده حتى نزلَ من دون الفرات والمثنّى وجنده على شاطئ الفرات ؛ والفرات بينهما ؛ وقدم أنس بن هلال النَّمَرِىّ ممدًّا للمثنَّى فى أناس من النَّمِر نصارى وجلاَّب جلبوا خيلا ، وقدم ابن مِرْدَى الفِهْرِىّ التغلبىّ فى أناس من بنى تَغْلِب نصارى وجلاَّب جلبوا خيلا — وهو عبد الله بن كُلَيب بن خالد — وقالوا حين رأوا نزولَ العرب بالعجم : نقاتل مع قومنا . وقال مِهران : إمَّا أن تعبُروا

١/٢١٨٩

١/٢١٩٠

---

(١) كذا فى س ، وفى ط : « لا يكثرون » .

إلينا ، وإمّا أن نعبُر إليكم ، فقال المسلمون : اعبُروا إلينا ، فارتحلوا من بَسُوسْيا إلى شُومِيا ، وهي موضع دار الرّزق .

كتب إليّ السّريّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن مُحَفّز ، عن أبيه ، أنّ العَجم لمّا أذِن لهم في العبور نزلوا شوميا موضع دار الرّزق ، فتعبّوْا هنالك ؛ فأقبلوا إلى المسلمين في صُفوف ثلاثة مع كلّ صفّ فيل ، ورَجْلُهم أمام فيلهم ، وجاءوا ولهم زَجَل . فقال المثنّى للمسلمين : إنّ الّذى تسمعون فَشَلٌ ، فالزموا الصّمْت وائتمِروا همْساً . فدنوا من المسلمين وجاءوهم من قِبَل نهر بنى سُلَيم نحو موضع نهر بنى سُلَيم ، فلمّا دنوا زحفوا ، وصُفّ المسلمون فيما بين نهر بنى سليم اليوم وما وراءها . ١ / ٢١٩١

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد وطلحة ، قالا : وكان على مجنّبتَيِ المثنّى بشير وبُسْر بن أبى رُهْم ، وعلى مجرّدته المُعنّى ، وعلى الرَّجْل مسعود ، وعلى الطلائع قبل ذلك اليوم النُّسَيْر ، وعلى الرّدء مذعور ؛ وكان على مجنّبتى مِهران ابنُ الآزاذبه مرزُبان الحيرة ومَرْدانْشاه . ولمّا خرج المثنّى طاف فى صفوفه يعهد إليهم عهدَه ، وهو على فرسه الشّمُوس — وكان يُدعَى الشّموس من لين عريكته وطهارته ، فكان إذا ركبه قاتَل ؛ وكان لا يركبه إلاّ لقتال ويدَعُه ما لم يكن قتال — فوقف على الرّايات رايةً رايةً يحضّضهم ، ويأمرهم بأمرِه ، ويهزّهم بأحسن ما فيهم ، تحضيضاً لهم ، ولكلّهم يقول : إنّى لأرجو ألاّ تُؤتَى العرب اليوم من قِبَلكم ؛ والله ما يَسُرُّنى اليوم لنفسى شىء إلاّ وهو يسرّنى لعامّتكم ؛ فيجيبونه بمثل ذلك . وأنصفهم المثنّى فى القول والفعل ، وخلَط النّاس فى المكروه والمحبوب ؛ فلم يستطع أحدٌ منهم أن يعيب له قولا ولا عملا . ثم قال : إنّى مكبّر ثلاثاً فتهيّئوا ؛ ثم احمِلوا مع الرابعة ، فلمّا كبّر أوّل تكبيرة أعجلهم أهل فارس وعاجلوهم فخالطوهم مع أوّل تكبيرة ؛ وركدت حَرْبُهم مَليّاً ، فرأى المثنّى خللاً فى بعض صُفوفه ، فأرسل إليهم رجلا ، وقال : إنّ الأمير يقرأ عليكم السّلام ، ويقول : لا تفضحوا المسلمين اليوم ، فقالوا : نعم ، واعتدلوا ، وجعلوا قبل ذلك يروْنه وهو يمدّ لحيته لما يرى منهم ؛ فاعتنوْا بأمر لم يجئ به ١ / ٢١٩٢

أحد من المسلمين يومئذ فرمقوه ، فرأوه يضحك فرَحًا والقوم بنو عِجْل[١] .
فلمَّا طال القتالُ واشتدّ ، عمَد المثنَّى إلى أنس بن هلال ، فقال : يا أنس ، إنَّك امرؤ عربىّ ، وإن لم تكن على ديننا ؛ فإذا رأيتَنى قد حملت على مِهران فاحمِل معى ، وقال لابن مِرْدَى الفِهْر مثلَ ذلك فأجابه . فحمل المثنَّى على مِهران ؛ فأزاله حتى دخل فى ميمنته ، ثم خالطوهم ، واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنَّبات تقتَتِل[٢] ، لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم ، لا المشركون ولا المسلمون ، وارتُثَّ مسعود يومئذ وقُوّاد من قُوّاد المسلمين ؛ وقد كان قال لهم : إن رأيتمونا أصِبنا فلا تَدَعوا ما أنتم فيه ؛ فإنّ الجيش ينكشف ثم ينصرف ؛ الزموا مصافَّكم ، وأغْنُوا غَناء مَن يليكم . وأوجع قلب المسلمين فى قلْب المشركين ، وقَتَلَ غلام من التغلبيّين نصرانىّ مِهرانَ واستوى على فرسه ، فجعل المثنَّى سلبه لصاحب خَيْله ؛ وكذلك إذا كان المشرك فى خيل رجل فقتل وسلب فهو للذى هو أمير على مَن قتل ؛ وكان له قائدان : أحدهما جَرير والآخر ابن الهوبر ؛ فاقتسما سلاحَه .

٢١٩٣/١ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفِّز ، عن أبيه محفِّز بن ثعلبة ؛ قال : جلَب فتية من بنى تغلِب أفراسًا ، فلمَّا التقى الزّحفان يوم البُوَيب ، قالوا : نقاتل العجم مع العرب ، فأصاب أحدهم مِهران يومئذ ، ومِهران على فرس له وَرْد مجفَّف بتِجْفاف أصفر ، بين عينيه هلالٌ ، وعلى ذَنَبه أهِلَّة من شَبَه ، فاستوى على فرسه ، ثم انتمى : أنا الغلام التغلَبىّ ، أنا قتلتُ المرزبان ! فأتاه جرير وابن الهوبر فى قومهما فأخذا برجله فأنزلاه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ، أن جريرًا والمنذر اشتركا فيه فاختصما فى سلاحه ، فتقاضيا إلى المثنَّى ، فجعل سلاحه بينهما والمِنْطقة والسوارين بينهما ، وأفنَوا قلْبَ المشركين .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى رَوْق ، قال :

---

(١) ز : « بين عجل وما وراءها » . (٢) ز وابن الأثير : « تقتل » .

والله إنْ كنّا لنأتى البُويب ، فنرى فيما بين موضع السّكون وبنى سُلَيم عظامًا بيضًا تلولاً تلوح من هامِهم وأوصالهم ؛ يُعتبر بها . قال : وحدّثنى بعض مَنْ شهدها أنّهم كانوا يحزُرونها مائة ألف ، وما عُفى عليها حتى دفنها أدْفان البيوت .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ؛ قالا : وقف المثنّى عند ارتفاع الغُبار ؛ حتى أسفر الغبار ، وقد فنِىَ قلب المشركين ، والمجنّبات قد هزّ بعضها بعضًا ، فلمّا رأوه وقد أزال القلب ، وأفنى أهلَه ، قوِيت المجنّبات — مجنّبات المسلمين — على المشركين ، وجعلوا يردّون الأعاجم على أدبارهم ، وجعل المثنّى والمسلمون فى القلْب يدعُون لهم بالنّصر ، ويرسل عليهم مَنْ يذمُرهم ، ويقول : إنّ المثنّى يقول : عاداتكم فى أمثالهم ؛ انصروا الله ينصركم ؛ حتى هزموا القوم ، فسابقهم المثنّى إلى الجسر فسبقهم وأخذ الأعاجم ، فافترقوا بشاطئ الفرات مصعّدين ومصوّبين ، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلُوهم ، ثمّ جعلوهم جُثًا(١) ؛ فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت أبقى رِمّةً منها . ولما ارتُثّ مسعود بن حارثة يومئذ — وكان صُرِع قبل الهزيمة ، فتضعضع مَن معه ، فرأى ذلك وهو دَنِف — قال : يا معشر بكر بن وائل ، ارفعوا رايتكم ، رفعكم الله ! لا يهولنّكم مَصْرعِى . وقاتل أنس بن هلال النمَرِىّ يومئذ حتى ارتُثّ ، ارتثّه المثنّى ، وضمّه وضمّ مسعودًا إليه . وقاتل قُرْط بن جَمّاح العبدىّ يومئذ حتى دقّ قنًا(٢) ، وقطع أسيافًا . وقتِل شَهْربراز من دهاقين فارس وصاحب مجرّدة مِهران .

١ / ٢١٩٤

قال : ولما فرغوا جلس المثنّى للناس من بعد الفراغ يحدّثهم ويحدّثونه ، وكلّما جاء رجل فتحدّث قال له : أخبرْنى عنك ؛ فقال له قُرْط بن جمّاح : قتلتُ رجلاً فوجدتُ منه رائحة المسك ، فقلتُ : مِهران ، ورجوت أن يكون إيّاه ، فإذا هو صاحب الخيل شَهْربراز ، فوالله ما رأيتُه إذ لم يكن مِهران شيئًا .

١ / ٢١٩٥

فقال المثنّى : قد قاتلت العرب والعجم فى الجاهليّة والإسلام ؛ والله لمائة من العجم فى الجاهليّة كانوا أشدّ علىّ من ألف من العرب ، ولمائة اليومَ من العرب

---

(١) جثاً : أكواماً .

(٢) القنا : الرماح ، ودقها : كسرها .

أشدّ علىّ من ألف من العجم ؛ إن الله أذهب مصدوقتَهم ، ووهَّن كيدَهم ؛ فلا يروعنَّكم زُهَاء[1] ترونه ، ولا سَواد ولا قِسِيّ فُجٌّ[2] ، ولا نِبال طوال ، فإنَّهم إذا أعجِلوا عنها أو فقدوها ، كالبهائم أيْنما وجَّهتموها اتَّجهت .

وقال رِبْعىّ وهو يحدّث المثنَّى : لمّا رأيتُ ركود الحرب واحتدامها ، قلتُ : تترّسوا[3] بالمجانّ ، فإنهم شادّون عليكم ؛ فاصبروا لشدّتيْن وأنا زعيم لكم بالظفر فى الثالثة ؛ فأجابونى والله ؛ فوفَّى اللهُ كفالتى .

وقال ابن ذى السَّهمين محدّثًا : قلت لأصحابى : إنّى سمعت الأميرَ يقرأ ويذكر فى قراءته الرُّعْب[4] ؛ فما ذكره إلا لفضل عنده ؛ اقتدوا برايتكم ، وليَحْمِ راجلَكم خيلُكم ، ثم احملوا ، فما لقول الله من خُلْف ؛ فأنجز الله لهم وعده ، وكان كما رجوت .

وقال عَرْفجة محدّثا : حُزْنا كتيبةً منهم إلى الفرات ، ورجوْت أن يكون الله تعالى قد أذِن فى غَرَقِهم وسلَّى عنَّا بها مصيبة الجسر ، فلمَّا دخلوا فى حدّ الإحراج ، كرّوا علينا ، فقاتلناهم قتالا شديدًا حتى قال بعض قومى : لو أخَّرتَ رايتَك ! فقلت : علىّ إقدامُها ، وحملت بها على حاميتهم فقتلتُه ، فولّوْا نحو الفُرات ، فما بلغه منهم أحد فيه الرّوح .

١/٢١٩٦

وقال رِبْعِىّ بن عامر بن خالد : كنت مع أبى يوم البُويب — قال وسُمِّىَ البُويب يوم الأعشار — أحصِى مائة رجل ، قَتَل كلّ رجل منهم عشرة فى المعركة يومئذ ، وكان عُرْوة بن زيد الخيل من أصحاب التّسعة ، وغالِب فى بنى كنانة من أصحاب التسعة ، وعرفجة فى الأزْد من أصحاب التسعة .

وقتِل المشركون فيما بين السَّكون اليوم إلى شاطئ الفرات ، ضفَّة البويب الشرقيّة ؛ وذلك أنّ المثنّى بادرهم عند الهزيمة الجسرَ ، فأخذه عليهم ، فأخَذوا يَمْنة ويَسْرة ، وتبِعهم المسلمون إلى الليل ، ومن الغد إلى اللَّيل ، وندم المثنَّى على أخذه بالجسر ، وقال : لقد عجزتُ عجزة وَقَى الله شرّها بمسابقتى إيّاهم إلى الجسر وقَطْعِه ؛ حتى أحرجتُهم ؛ فإنى غير عائد ؛ فلا تعودوا

---

(١) الزهاء : العدد .

(٢) يقال : قوس فجاء ومنفجة : بان وترها عن كبدها .

(٣) تترس : تستر بالترس .

(٤) ابن حبيش : « الزحف »

ولا تقتدوا بى أيّها الناس ، فإنها كانت منّى زلّة لا ينبغى إحراج أحد إلاّ مَن لا يقوى على امتناع . ومات أناس من الجرحى من أعلام المسلمين، منهم خالد ابن هلال ومسعود بن حارثة ، فصلّى عليهم المثنّى ، وقدّمهم على الأسنان والقرآن ؛ وقال : والله إنّه ليُهوِّن علىّ وجْدى أن شهدوا البُويب ، أقدَموا وصَبَرُوا ، ولم يجزَعوا ولم ينكلوا، وإن كان فى الشهادة كفّارة لِتجوُّز الذنوب . ١/٢١٩٧

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقد كان المثنّى وعصمة وجرير أصابُوا فى أيّام البُويب على الظّهر نُزُل مِهْران غنمًا ودقيقًا وبقرًا ، فبعثوا بها إلى عِيالات مَن قدم من المدينة وقد خلّفوهنّ بالقوادس ، وإلى عِيالات أهل الأيّام قبلَهم ؛ وهم بالحيرة . وكان دليل الذين ذهبوا بنصيب العِيالات الّذين بالقوادس عَمْرو بن عبد المسيح بن بُقَيلة ، فلمّا رُفِعوا للنسوة فرأين الخيلَ ، تصَايحن وحسبنها غارةً ، فقمْنَ دون الصبيان بالحجارة والعُمُد ، فقال عمرو : هكذا ينبغى لنساء هذا الجيش ! وبشّروهنّ بالفتح ، وقالوا: هذا أوّله ، وعلى الخيل الّتى أتتهم بالنُّزُل النُّسيْر ، وأقام فى خيله حاميةً لهم، ورجع عمرو بن عبد المسيح فبات بالحيرة . وقال المثنّى يومئذ : من يتبَع الناس حتّى ينتهى إلى السِّيب ؟ فقام جرير بن عبد الله فى قومه ، فقال : يا معشر بَجِيلة ، إنّكم وجميع مَن شهد هذا اليوم فى السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم فى هذا الخُمس غدًا من النَّفَل مثل الذى لكم منه؛ ولكم رُبع خمسه نفَلا من أمير المؤمنين ؛ فلا يكونَنّ أحدٌ أسرعَ إلى هذا العدوّ ولا أشدّ عليه منكم للذى لكم منه ، ونِيّة إلى ما ترجون[1] ؛ فإنما تنتظرون إحدى الحُسنَيَيْن : الشهادة والجنّة أو الغنيمة والجنّة . ١/٢١٩٨

ومال المثنّى على الّذين أرادوا أن يستقتلوا من مُنهزِمة يوم الجسر، ثم قال: أين المستبسل بالأمس وأصحابه ! انتدبوا فى آثار هؤلاء القوم إلى السِّيب ، وابلغوا من عدوّكم ما تغيظونهم به ، فهو خيرٌ لكم وأعظَمُ أجرًا ؛ واستغفروا الله إنّ الله غفورٌ رحيم .

---

(١) ز : « يرجون » .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حمزة بن علىّ بن محفز ، عن رجل من بكر بن وائل ، قال : كان أوّل الناس انتدب يومئذ للمثنّى واتّبع آثارهم المستبسل وأصحابه ؛ وقد كان أراد الخروج بالأمس إلى العدوّ من صفّ المسلمين واستوفز واستنتل[1] ، فأمرَ المثنّى أنْ يُعقد لهم الجسر؛ ثم أخرجهم فى آثار القوم ، واتّبعتهم بَجِيلة وخيولٌ من المسلمين تُغِذّ[2] من كلّ فارس ، فانطلقوا فى طلبهم حتى بلغوا السَّيْب ، ولم يبقَ فى العسكر جسرىّ إلاّ خرج فى الخيل ، فأصابوا من البقر والسَّبى وسائر الغنائم شيئًا كثيرًا فقسمه المثنّى عليهم ، وفضّل أهل البلاء من جميع القبائل ، ونفّل بَجِيلة يومئذ ربعَ الخمس بينهم بالسويّة، وبعث بثلاثة أرباعه مع عكرمة ، وألقى الله الرُّعب فى قلوب أهلِ فارس . وكتب القُوّاد الذين قادوا النّاس فى الطّلب إلى المثنّى ، وكتب عاصم وعصمة وجرير : إنّ الله عزّ وجلّ قد سلّم وكفى ، ووجّه لنا ما رأيت ، وليس دون القوم شىء ؛ فتأذن لنا فى الإقدام ! فأذن لهم ، فأغاروا حتى بلغوا ساباط ، وتحصّن أهلُ ساباط منهم واستباحوا القُرَيّات دونها ؛ وراماهم أهل الحصن بساباط عن حصنهم ، وكان أوّل مَن دخل حصنهم ثلاثة قُوّاد : عصمة ، وعاصم ، وجرير ؛ وقد تبعهم أوزاعٌ من الناس كلّهم . ثم انكفئوا[3] راجعين إلى المثنّى .

١ / ٢١٩٩

كتبَ إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، قال : لمّا أهلك الله مِهران استمكن المسلمون من الغارة على السّواد فيما بينهم وبين دجلة فمَخروها ، لا يخافون كيدًا ، ولا يلقوْن فيها مانعًا ، وانتقضت مسالح العجم ، فرجعت إليهم ؛ واعتصموا بساباط ، وسرّهم أن يتركوا ما وراء دجلة .

وكانت وقعة البُوَيب فى رمضان سنة ثلاث عشرة ، قتل الله عليه مِهْران وجيشه ، وأفعموا جنبتىِ البُوَيب عظامًا ، حتى استوى وما عفّى عليها إلاّ التراب أزمان الفتنة ، وما يثار هنالك شىء إلاّ وقعوا منها على شىء ؛ وهو ما بين السَّكون ومُرْهِبة وبنى سُليم ؛ وكان مَغيضًا للفرات أزمان الأكاسرة يصبّ فى الجَوْف . وقال الأعور العَبْدىّ الشَّنّىّ :

---

(١) استنتل للأمر : استعد . (٢) ز : « تعدو » . (٣) ز : « انكفوا » .

هاجَتْ لِأعْوَرَ دارُ الحىِّ أحْزانَا واستَبْدَلَتْ بَعْدَ عبد القَيْس خَفّانا ١ / ٢٢٠٠

وقد أرانا بها والشّملُ مُجْتَمِعٌ إذ بالنُّخَيْلة قَتْلَى جُنْدِ مِهْرانا

أزْمانَ سار المُثنَّى بالخيـــول لَهُمْ فقُتِّلَ الزَّحْفُ من فُرْسٍ وجِيلانا

سما لِمِهْرَانَ والجيشِ الّذى معه حتى أبادَهُمُ مَثْنَى ووُحْـــدانا

قال أبو جعفر : وأمّا ابن إسحاق ، فإنه قال فى أمر جرير وعرفجة والمثنّى وقتال المثنّى مِهرانَ غير ما قصّ سيف من أخبارهم ؛ والذى قال فى أمرِهم ما حدّثنا محمد بن حُمَيد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لمّا انتهت إلى عمر بن الخطاب مصيبةُ أصحاب الجسر ، وقدم عليه فَلّهم ؛ قدِم عليه جرير بن عبد الله البجَلىّ من اليمن فى ركب من بَجِيلة ، وعَرْفجة بن هرثمة ــ وكان عرفجة يومئذ سيّد بَجِيلة ، وكان حليفًا لهم من الأزْد ــ فكلّمهم عمر ، فقال لهم : إنّكم قد علمتم ما كان من المصيبة فى إخوانكم بالعراق ؛ فسيروا إليهم وأنا أخرِج إليكم مَن كان منكم فى قبائل العرب فأجمعهم إليكم . قالوا : نفعل يا أمير المؤمنين ، فأخرج لهم قَيْسَ كُبَّةَ وسُحْمة وعُرَينة ؛ وكانوا فى قبائل بنى عامر بن صعصعة ، وأمَّرَ عليهم عرفجة بن هَرثمة ، فغضب من ذلك جَرير بن عبد الله البَجَلىّ ، فقال لبَجِيلة : كلّموا أميرَ المؤمنين ، فقالوا له : استعملت علينا رجلاً ليس منّا ، فأرسل إلى عَرفجة ، فقال : ما يقول هؤلاء ؟ قال : صدقوا يا أمير المؤمنين ، لستُ منهم ، ولكنّى رجل من الأزْد ، كنّا أصبنا فى الجاهليّة دمًا فى قومنا ، فلحقْنا بَجِيلة[١] ، فبلغنا فيهم من السؤدد مَا بلغك . فقال له عمر : فاثبت على منزلتك ، ودافعهم كما يدافعونك . قال : لستُ فاعلاً ولا سائرًا معهم ؛ فسار عرفجة إلى البَصْرة بعد أن نُزلت ، وترك بَجِيلة ، وأمَّر عمر على بَجِيلة جرير بن عبد الله ، فسار بهم مكانه إلى الكوفة ، وضمّ إليه عمر قومَه من بَجِيلة ، فأقبل جرير حتى إذا مرّ قريبًا من المثنّى بن حارثة ، كتب إليه المثنّى أن أقْبلْ إلىّ ، فإنما أنت مَدَدٌ لى . فكتب إليه جرير : إنّى لست فاعلا إلاّ أن يأمرَنى بذلك أمير المؤمنين ؛ أنت أمير وأنا أمير . ١ / ٢٢٠١

---

(١) ابن حبيش : « ببجيلة » .

ثم سار جرير نحو الجسر ، فلقيَه مهران بن باذان — وكان من عظماء فارس — عند النُّخَيْلة ، قد قطع إليه الجسر ، فاقتتلا قتالا شديدًا ، وشدّ المنذر بن حسَّان بن ضِرار الضَّبىّ على مِهران فطعَنه ، فوقع عن دابَّته ، فاقتحم عليه جرير فاحتزّ رأسَه ، فاختصما فى سَلَبه ، ثم اصطلحا فيه ؛ فأخذ جَرير السِّلاح ، وأخذ المنذر بن حسَّان منطقته .

قال : وحُدِّثتُ أنّ مهران لمّا لقى جريرًا قال :

إن تسألوا عنّى فإنى مِهْرانْ ۝ أنا لِمَنْ أنْكَرَنى ابنُ باذانْ

قال : فأنكرتُ ذلك حتى حدّثنى من لا أتّهم من أهل العلم أنه كان عربيًّا نشأ مع أبيه باليمن إذ كان عاملا[1] لكسرى . قال : فلم أنكر ذلك حين بلغنى .

١ / ٢٢٠٢

وكتب المثنَّى إلى عمر يَستَحِل[2] بجرير ، فكتب عمر إلى المثنّى : إنّى لم أكن لأستعملك على رجل من أصحاب محمّد صلَّى الله عليه وسلّم — يعنى جريراً . وقد وجّه عمر سعد بن بى وقّاص إلى العراق فى ستة آلاف ، أمّره عليهم ؛ وكتب إلى المثنَّى وجرير بن عبد الله أن يجتمعا إلى سعد بن أبى وقّاص ، وأمّر سعدًا عليهما ؛ فسار سعد حتّى نزل شَرَاف ، وسار المثنَّى وجرير حتّى نزلا عليه ، فشتا بها سعد ، واجتمع إليه الناس ، ومات المثنَّى بن حارثة رحمه الله .

* * *

خبر الخنافس

رجع الحديث إلى حديث سيف . كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : ومخر المثنَّى السَّواد وخلّف بالحيرة بشيرَ بن الخصاصيَّة ، وأرسل جريرًا إلى مَيْسان ، وهلال بن عُلَّفة التَّيْمىّ إلى دَسْت ميسان ، وأذكى المسالح بعصمة بن فلان الضبىّ

(١) ز : « غلاما » . (٢) يمحل به ، أى يعرض .

وبالكَلَج الضّبى وبعرفجة البارقىّ ؛ وأمثالهم فى قوّاد المسلمين ؛ فبدأ فنزل ألَّيْس – قرية من قُرى الأنبار – وهذه الغزاة تُدعى غزاة الأنبار الآخرة؛ وغزاة ألَّيس الآخرة، وألزّ[١] رجلان بالمثنَّى: أحدهما أنبارىّ، والآخر حيرىّ[٢] يدلّه كلّ واحد منهما على سوق ، فأما الأنبارى فدلَّه على الخَنَافس ، وأمَّا الحيرىّ فدلَّه على بغداد . فقال المثنّى : أيّتُهما قبل صاحبتها ؟ فقالوا: بينهما أيّام ، قال : أيّهما أعجل؟ قالوا: سوق الخنافس سوق يتوافى إليها الناس ، ويجتمع بها[٣] ربيعة وقضاعة يخفرونهم . فاستعدّ لها المثنّى ؛ حتى إذا ظنّ أنه مُوافيها يوم سوقِها ركب نحوهم ، فأغار على الخَنَافس يوم سُوقها ، وبها خَيْلان من ربيعة وقضاعة، وعلى قضاعة رُومانِس بن وَبَرَة، وعلى ربيعة السَّليل بن قيس وهم الخُفَراء ، فانتسف السّوق وما فيها ، وسَلَب الخفراء ، ثم رجع عَوْدَه على بدْئه حتى يطرق دهاقين الأنبار طروقًا فى أوّل النهار يومَه ، فتحصّنوا منه، فلمَّا عرفوه نزلُوا إليه فأتوْه بالأعلاف والزاد؛ وأتوْه بالأدلاّء على بغداد؛فكان وجهُه إلى سوق بغدْاد، فصبَّحهم والمسلمون يمخرون السَّواد والمثنَّى بالأنبار، ويَشنُّون الغارات فيما بين أسفل كَسْكر وأسفل الفرات وجسور مِثْقَب إلى عين التَّمر وما والاها من الأرض فى أرض الفلاليج والعال .

١ / ٢٢٠٣

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفزّ ، عن أبيه ، قال : قال رجلٌ من أهل الحيرة للمثنّى: ألا ندلّك على قرية يأتيها تجّار مدائن كسرى والسَّواد ، وتجتمع بها فى كلّ سنة مرّة ومعهم فيها الأموال ؛ كبيت المال ؛ وهذه أيام سوقهم ، فإن أنت قدرت أن تُغيرَ عليهم وهم لا يشعرون أصبتَ فيها مالاً[٤] يكونُ غَنَاء للمسلمين ؛ وقَوُوا به على عدوّهم دهرَهم؛ قال :وكم بين مدائن كسرى وبينها ؟ قال : بعض يوم أو عامّة يوم ، قال : فكيف لى بها ؟ قالوا : نأمرك إنْ أردتَها أن تأخذ طريق البرّ،

١ / ٢٢٠٤

---

(١) ألزا به : لصقا . (٢) ز : « جسرى » .

(٣) ابن حبيش : « إليها » . (٤) ابن حبيش : « بها أموالا » .

حتى تنتهىَ إلى الخنافس، فإنّ أهل الأنبار سيضربون إليها ، ويخبرون عنك فيأمنون ، ثم تعوج على أهل الأنبار فتأخذ الدّهاقين بالأدلاّء ، فتسير سواد ليلتك من الأنبار حتى تأتيَهم صُبحًا فتُصبّحهم غارةً .

فخرج من ألّيس حتى أتى الخَنافس ، ثم عاج حتى رجع على الأنبار ، فلمَّا أحسَّه صاحبها تحصّن وهو لا يدرى من هو ؛ وذلك ليلا ؛ فلمّا عرفه نزل إليه فأطمعه المثنَّى ، وخوّفه واستكتمه ، وقال : إنّى أريدُ أن أغيِرَ فابعثْ معى الأدلاّء إلى بغداد ، حتى أغير منها إلى المدائن . قال : أنا أجىء معك ، قال : لا أريد أن تجىء معى ، ولكن ابعث معى مَن هو أدلُّ منك ، فزوّدهم الأطعمة والأعلاف ، وبعث معهم الأدلَّة ، فساروا حتى إذا كانوا بالنّصف ، قال لهم المثنَّى : كم بينى وبين هذه القرية ؟ قالوا : أربعة أو خمسة فراسخ . فقال لأصحابه : مَن ينتدب للحرَس ؟ فانتدب له قومٌ فقال لهم : أذكُوا حرسَكم ، ونزل ، وقال : أيُّها الناس ، أقيموا واطعَموا وتوضّئوا وتهيّئوا . وبعث الطلائع فحبسوا النَّاس ليسبقوا الأخبار ، فلمَّا فرغوا أسرى إليهم آخر الليل ، فعبر إليهم ، فصبَّحهم فى أسواقهم ، ١ / ٢٢٠٥ فوضع فيهم السيف فقتل ، وأخذوا ما شاءوا ، وقال المثنَّى : لا تأخذوا إلاّ الذهب والفضة ، ولا تأخذوا من المتاع إلاّ ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابّته . وهرب أهلُ الأسواق ، وملأ المسلمون أيديَهم من الصفراء والبيضاء والحُرّ من كلّ شىء ، ثم خرج كارًّا حتى نزل بنهر السَّيْلَحين بالأنبار ؛ فنزل وخطب الناس ، وقال : أيُّها الناس ، انزلوا وقَضُّوا أوطاركم ، وتأهَّبوا للسَّير ، واحمَدوا الله وسلُوه العافية ، ثم انكشِفوا قبيضًا[1] . ففعلوا ، فسمع همسًا فيما بينهم : ما أسرع القومَ فى طلبنا ! فقال : تناجَوْا بالبرّ والتقوى ولا تتناجَوْا بالإثم والعدوان ، انظروا فى الأمور وقدّروها ثم تكلَّموا ؛ إنه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد ؛ ولو بلغهم لحال الرُّعب بينهم وبين طلبكم . إن للغارات رَوْعات تنتشر عليها يومًا إلى الليل ، ولو طلبكم المحامون من رأى العين ما أدركوكم ؛ وأنتم على العِراب[2] حتى تنتهوا إلى

(١) قبيضا ، أى سريعاً .

(٢) العراب : الخيل السليمة من الهجنة .

عسكركم وجماعتكم ، ولو أدركوكم لقاتلتهم لاثنتين : التماس الأجر ورجاء النصر ؛ فثقوا بالله وأحسنوا به الظنّ ، فقد نصركم الله فى مواطن كثيرة وهم أعدّ منكم ؛ وسأخبركم عنّى وعن انكماشى والذى أريد بذلك ؛ إن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أوصانا أن نقلّل العُرْجة[1] ، ونسرع الكرّة فى الغارات ، ونسرع فى غير ذلك الأوْبَة . وأقبل بهم ومعهم أدلاّؤهم يقطعون بهم الصحارى والأنهار ؛ حتى انتهى بهم إلى الأنبار ؛ فاستقبلهم دهاقين الأنبار بالكرامة ، واستبشروا بسلامته ، وكان موعده الإحسان إليهم إذا استقام لهم من أمرهم ما يحبّون . ١ / ٢٢٠٦

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : لمّا رجع المثنّى من بغداد إلى الأنبار سرّح المُضارِبَ العجلىّ وزيدا إلى الكَبَاث ، وعليه فارس العُناب التغلبىّ ، ثمّ خرج فى آثارهم ، فقدم الرّجلان الكَبَاث ، وقد ارفضّوا وأخلوا الكَبَاث ، وكان أهله كلّهم من بنى تغلِب ، فركبوا آثارَهم يتبعونهم ، فأدركوا أخرياتهم وفارس العُناب يحميهم ، فحماهم ساعة ثم هرب ، وقتلوا فى أخرياتهم وأكثروا ، ورجع المثنّى إلى عسكره بالأنبار ، والخليفة عليهم فُرات بن حيّان . فلما رجع المثنّى إلى الأنبار سرّح فُرات ابن حيّان وعُتَيبة بن النّهاس وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلِب والنَّمِر بِصفّين ، ثم اتّبعهما وخلّف على الناس عمرو بن أبى سُلمى الهُجَيمىّ ؛ فلمّا دنوا من صِفّين ، افترق المثنّى وفُرات وعُتيبة ، وفرّ أهل صِفّين وعبروا الفرات إلى الجزيرة ، وتحصّنوا ، وأرمل[2] المثنّى وأصحابه من الزاد ، حتى أقبلوا على رواحلهم إلاّ مالا بدّ منه فأكلوها حتى أخفافها وعظامها وجلودها . ثم أدركوا عِيرًا من أهل دِيَاف وحَوْران ، فقتلوا العلوج وأصابوا ثلاثة نفر من بنى تغلِب خفراء ، وأخذوا العير . وكان ظهرًا فاضلاً ، وقال لهم : دلّونى ، فقال أحدهم : آمنونى على أهلِى ومَالى ، وأدلّكم على حَىّ من تغلِب غدوت من عِندهم اليوم ؛ فآمَنه المثنّى وسارَ معه يومه ، حتى إذا كان العشىّ هجم على القوم ، فإذا النَّعَم صادرة عن الماء ، وإذا القوم جُلوس بأفنية ١ / ٢٢٠٧

---

(١) العرجة : المقام . (٢) أى قل زادهم ، أو افتقدوه .

البيوت ، فبثّ غارته ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا الذرّية ؛ واستاقوا الأموال ، وإذا هم بنو ذى الرُّوَيْحلة ؛ فاشترى مَن كان بين المسلمين من ربيعة السَّبَايا بنصيبه من الفىء ، وأعتقوا سبْيَهم ؛ وكانت ربيعة لاتُسْبَى إذالعرب يتسابَوْن فى جاهليّتهم .

وأخبِر المثنّى أن جمهور مَنْ سلك البلاد قد انتجعوا الشَّطّ[1] ؛ شاطئ دِجْلة ، فخرج المثنّى ، وعلى مقدّمته فى غزواته هذه بعد البُوَيب كلّها حُذيفة بن محصن الغلفانىّ ، وعلى مجنّبتيه النُّعمان بن عوف بن النعمان ومطَر الشيبانيان، فمرّح فى أدبارهم حُذيفة واتّبعه ؛ فأدركوهم بتَكريت دُوينَها من حيث طلبوهم يخوضون الماء ، فأصابوا ما شاءوا من النَّعَم ، حتى أصاب الرجل خمسًا من النَّعم ، وخمسًا من السَّبْى ، وخُمس المال ؛ وجاء به حتى ينزل على النّاس بالأنبار ؛ وقد مضى فُرات وعُتيبة فى وجوههما ؛ حتى أغاروا على صِفّين وبها النَّمِر وتَغْلِب متسانديْن ، فأغاروا عليهم[2] حتى رموا بطائفة منهم فى الماء ، فناشدوهم فلم يقلِعوا عنهم ، وجعلوا ينادونهم : الغرق الغرق ! وجعل عُتيبة وفرات يذمرُون النّاس ، وينادونهم : تغريق بتحريق — يذكّرونهم يومًا من أيّامهم فى الجاهليّة أحرقوا فيه قومًا من بكْر بن وائل فى غَيْضة من الغياض — ثم انكفئوا راجعين إلى المثنّى ، وقد غرّقوهم .

١/٢٢٠٨

ولما تراجع الناس إلى عسكرهم بالأنبار وتوافَى بها البعوث والسرايا ، انْحدرَ بهم المثنّى إلى الحيرة ، فنزل بها . وكانت تكون لعمر رحمه الله العيون فى كلّ جيش ، فكتب إلى عمر بما كان فى تلك الغزَاة ، وبلغه الذى قال عتيبة وفُرات يوم بنى تغلب والماء ؛ فبعث إليهما فسألهما ، فأخبراه أنهما قالا ذلك على وجه أنه مَثَلٌ ، وأنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذَحْل الجاهليّة ، فاستحلفهما ، فحلفا أنّهما ما أرادا بذلك إلاّ المثل وإعزاز الإسلام ، فصدّقهما وردّهما حتى قدِما على المثنّى .

* * *

(١) ابن حبيش : « الشاطئ » .

(٢) بعدها فى ابن حبيش : « و بغتوا بهم فعصبوهم » .

ذكر الخبر عمّا هيّج أمر القادسيّة

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله بن سواد بن نُويرة ، عن عزيز بن مِكنَف التميمىّ ثم الأسيْدىّ ، وطلحة بن الأعلم الحنفىّ ، عن المغيرة بن عتيبة بن النّهاس العِجْلىّ ، وزياد بن سَرجس الأحمرىّ ، عن عبد الرحمن بن ساباط الأحمرىّ ، قالوا جميعًا : قال أهلُ فارس لرُسْتم والفيرزان — وهما على أهل فارس — : أين يُذهب بكما ! لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهّنتما أهلَ فارس ، وأطمعتما فيهم عدوّهم ! وإنه لم يبلغ من خطركما أن يقرّكما فارس على هذا الرأى ، وأن تعرّضاها للهلكة؛ ما بعد بغداد وساباط وتكريت إلا المدائن ؛ والله لتجتمعان أو لنبدأنّ بكما قبل أن يشمت بنا شامت . ١ / ٢٢٠٩

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب ، عن سيف، عن عبيد الله بن محفّز ، عن أبيه ، قال : قال أهلُ فارس لرستم والمسلمون يمخرون السّواد : ما تنتظرون والله إلاّ أن يُنزلَ بنا ونهلك ! والله ما جرّ هذا الوَهَن علينا غيركم يا معاشر القوّاد ! لقد فرّقتم بين أهل فارس وثبّطتموهم عن عدوّهم . والله لولا أنّ فى قتلكم هلاكنا لعجّلنا لكم القتل الساعة ، ولئن لم تنتهوا لنهلكنّكم ثم نهلك وقد اشتفينا منكم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : فقال الفيرزان ورستم لبُوران ابنة كسرى : اكتبى لنا نساءَ كسرى وسراريّه ونساءَ آل كسرى وسراريّهم . ففعلت ، ثم أخرجت ذلك إليهم فى كتاب ، فأرسلوا فى طلبهنّ فلم يبق منهنّ امرأة إلا أتوْا بها ، فأخذوهنّ بالرجال ووضعوا عليهنّ العذاب يستدلونهنّ على ذَكَرٍ من أبناء كسرى ، فلم يوجد عندهنّ منهم أحد ، وقلن — أو من قال منهنّ — : لم يبقَ إلاّ غلام يدعى يَزْدَجِرْد من ولد شَهْرِيار بن كسرى ، وأمّه من أهل بادوريا . فأرسلوا إليها فأخذوها به ، وكانت قد أنزلته فى أيام شيرى حين جمعهنّ فى القصر ١ / ٢٢١٠

الأبيض ، فقتل الذكور ، فواعدت أخواله ، ثم دلّته إليهم فى زَبيل[1] فسألوها عنه وأخذوها به ، فدلتْهم عليه ، فأرسلوا إليه فجاءوا به فملّكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، واجتمعوا عليه ، واطمأنّت فارس واستوثقوا وتبارَى الرؤساء فى طاعته ومعونته فسمىّ الجنود لكلّ مسلحة كانت لكسرى أو موضع ثغر ، فسمّى جند الحيرة والأنبار والمسالح والأبُلّة . وبلغ ذلك من أمرهم واجتماعهم على يَزْدجِرد المثنّى والمسلمين ، فكتبوا إلى عمر بما ينتظرون ممّن بين ظهرانيهم ، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كَفَر أهل السَّواد ؛ مَن كان له منهم عهد ومن لم يكن له منهم عهد . فخرج المثنّى على حاميته حتى نزل بذى قار ، وتنزّل الناس بالطّفّ فى عسكر واحد حتى جاءهم كتاب عمر :

أما بعد ؛ فاخرجوا من بين ظهرَى الأعاجم ، وتفرّقوا فى المياه التى تلِى الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ، ولا تَدَعُوا فى ربيعة أحدًا ولا مُضَر ولا حلفائهم أحدًا من أهل النَّجَدات ولا فارسًا إلا اجتلبتموه ؛ فإن جاء طائعًا وإلاّ حشرتموه، احملوا العرب على الجدّ إذ جدّ العجم ؛ فلتلقوْا جِدّهم بِجِدّكم .

١/٢٢١١

فنزل المثنّى بذى قار ، ونزل الناس بالجُلّ وشَراف إلى غُضَىّ — وغُضَىّ حيال البصرة — فكان جرير بن عبد الله بغُضَىّ وسَبْرة بن عمرو والعَنْبَرىّ ومن أخذ أخذهم فيمن معه إلى سلمان ، فكانوا فى أمواه الطّفّ من أوّلها إلى آخرها مسالح بعضهم ينظر إلى بعض ؛ ويُغيث بعضهم بعضًا إن كان كون ، وذلك فى ذى القعدة سنة ثلاث عشرة .

حدّثنا السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : كان أوّل ما عمل به عمر حين بلغه أنّ فارس قد ملّكوا يزدجرد ، أن كتب إلى عُمّال العَرَب على الكُور والقبائل ، وذلك فى ذى الحجّة سنة ثلاث عشرة مُخرجَه إلى الحجّ ، وحجّ سنواته كلها : لا تَدَعَا

(١) الزبيل كأمير : الجراب أو الوعاء .

أحداً له سلاح ، أو فرس ، أو نجدة ، أو رأى إلا انتخبتموه ، ثم وجّهتموه إلىّ ، والعَجَلَ العَجَلَ !

فمضت الرُّسل إلى مَن أرسلهم إليهم مخرجَه إلى الحجّ ، ووافاه أهلُ هذا الضّرب من القبائل التى طُرُقها على مكّة والمدينة ، فأمَّا مَن كان من أهل المدينة على النِّصف ما بينه وبين العراق ، فوافاه بالمدينة مرجِعَه من الحجّ ، وأمّا مَن كان أسفلَ من ذلك فانضمّوا إلى المثنّى ، فأمَّا مَنْ وافى عمر فإنّهم أخبروه عمَّن وراءهم بالحثّ .

وقال أبو معشر ، فيما حدثنى الحارث ، عن ابن سعد ، عنه . وقال ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عنه : الذى حجّ بالناس سنة ثلاث عشرة عبد الرحمن بن عوف . ١ / ٢٢١٢

وقد حدثنى المقدّمىّ[1] ، عن إسحاق الفَرْوىّ ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : استعمل عمرُ على الحجّ عبدَ الرحمن بن عَوْف فى السنة التى ولِىَ فيها ، فحجّ بالناس ، ثم حجّ سنيه كلِّها بعد ذلك بنفسه .

وكان عامل عمر فى هذه السنة — على ما ذكر — على مكّة عتّاب بن أسيد ، وعلى الطائف عثمان بن أبى العاص ، وعلى اليمن يَعْلَى بن مُنْيَة ، وعلى عُمان واليمامة حُذيفة بن مِحْصَن ، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمىّ ، وعلى الشأم أبو عبيدة بن الجراح ، وعلى فرْج الكوفة وما فتح من أرضها المثنّى ابن حارثة .

وكان على القضاء — فيما ذُكِر — علىّ بن أبى طالب . وقيل : لم يكن لعمر فى أيامه قاضٍ .

---

(١) ط : « المقدى » ، وهو ابن المقدمى أبو عثمان ، وانظر ص ١٨٠ س ٢ من هذا الجزء .

ثم دخلت سنة أربع عشرة

[ذكر ابتداء أمر القادسيّة]

ففى أوّلِ يوم من المحرّم سنة أربع عشرةَ — فيما كتب إلىّ به السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم — خرج عمر حتّى نزل على ماء يدعى صِرارًا ، فعسكر به ولا يدرِى النّاس ما يريد ؛ أيسيرُ أم يقيم . وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شىء رموْه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف ؛ وكان عثمان يُدعى فى إمارة عمر ردِيفًا — قالوا : والرّدِيف بلسان العرب [الرجل][1] الّذى بعد الرّجُل ، والعرب تقول ذلك للرجل الّذى يرجونه بعد رئيسهم[2]— وكانوا إذا لم يقدِر هذان على علم شىء ممّا يريدون ، ثلّثوا بالعبّاس ، فقال عثمان لعمر : ما بلغك؟ ما الذى تريدُ؟ فنادى : الصلاة جامعة . فاجتمع النّاس إليه ، فأخبرهم الخبر . ثم نظر ما يقول النّاس ، فقال العامّة : سِرْ وسِرْ بنا معك ؛ فدخل معهم فى رأيهم ، وكره أن يَدَعهم حتى يُخرجهم منه فى رِفْق ، فقال : استعدّوا وأعِدّوا فإنّى سائر إلاّ أن يجىء رأى هو أمثل من ذلك[3]. ثم بعث إلى أهل الرأى ، فاجتمع إليه وجوه أصحابِ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وأعلامُ العرب ، فقال : أحضِرونى الرّأىَ فإنى سائر . فاجتمعوا جميعًا ، وأجمع ملؤهم على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ويقيم ، ويرميه بالجنود ، فإن كان الّذى يشتهى من الفتح ، فهو الذى يريد ويريدون ؛ وإلاّ أعاد رجلا وندَب جندًا آخر ؛ وفى ذلك ما يغيظ العدوّ ، ويرعوى المسلمون ، ويجىء نصر الله بإنجاز موعود الله . فنادى عمر : الصلاة جامعة ، فاجتمع النّاس إليه ، وأرسل إلى علىّ عليه السلام ، وقد استخلفه على المدينة ، فأتاه ، وإلى طلحة وقد بعثه

١/٢٢١٣

---

(١) من ز . (٢) اللسان : « أرداف الملوك هم الذين يخلفونهم فى القيام بأمر المملكة ؛ بمنزلة الوزراء فى الإسلام ، واحدهم ردف ؛ والاسم الردافة » .

(٣) ز ، وابن الأثير : « هذا » .

على المقدّمة، فرجع إليه، و[جعل][١] على المجنّبتين الزّبير وعبدالرحمن بن عوف، فقام فى الناس فقال: إنّ الله عزّ وجلّ قد جمع على الإسلام أهلَه؛ فألّف بين القلوب، وجعلهم فيه إخوانًا، والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلُو منه شىء من شىء أصاب غيره؛ وكذلك يَحِقّ على المسلمين أن يكونوا أمرُهم شورى بينهم وبين[٢] ذوى الرّأى منهم؛ فالناس تبعٌ لمَن قام بهذا الأمر؛ ما اجتمعوا عليه ورضُوا به لزِم النّاس وكانوا فيه تبعًا لهم، ومن أقام بهذا الأمر تبعٌ لأولِى رأيهم ما رأَوْا لهم ورضُوا به لهم من مكيدة فى حرْب كانوا فيه تبَعًا لهم. يأيّها النّاس، إنى إنّما كنت كرجل منكم حتى صرفنى[٣] ذوو الرّأى منكم عن الخروج، فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً، وقد أحضرتُ هذا الأمر؛ مَنْ قدّمتُ ومَنْ خلّفتُ. وكان علىّ عليه السلام خليفتَه على المدينة، وطلحة على مقدّمته بالأعوص؛ فأحضرهما ذلك. ١ / ٢٢١٤

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، عن عمر بن عبد العزيز، قال: لمّا انتهى قتلُ أبى عُبَيد ابن مسعود إلى عُمر، واجتماعُ أهلِ فارس على رجل من آل كسرى، نادى فى المهاجرين والأنصار؛ وخرجَ حتى أتى صرارًا، وقدّم طلحةَ بن عُبيد الله حتّى يأتىَ الأعوَص، وسمّى لميمنته عبد الرحمن بن عوف، ولميسرته الزّبير ابن العوّام، واستخلف عليًّا رضى الله عنه على المدينة، واستشار النّاسَ، فكلّهم أشار عليه بالسّير إلى فارس، ولم يكن استشار فى الّذى كان حتى نزل بصِرار ورجع طلحة، فاستشار ذوِى الرّأىِ، فكان طلحة ممّن تابع النّاس، وكان عبدالرحمن ممّن نهاه، فقال عبد الرحمن: فما فديتُ أحدًا بأبى وأمى بعد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قبل يومئذ ولا بعده؛ فقلت: يا بأبى وأمّى، اجعل عَجزْها بى[٤] وأقِم وابعث جندًا، فقد رأيت قضاء الله لك فى جنودك قبلُ وبعدُ، فإنه إن يُهزم[٥] جيشُك ليس كهزيمتك؛ وإنّك إن تُقتل أو تُهزم ١ / ٢٢١٥

---

(١) من س. (٢) كذا فى س، وفى ط بحذف الواو. (٣) ز: «صدفنى».

(٤) ز: «لى». (٥) س: «انهزم».

فى أنف الأمر خشيتُ ألاّ يكبّر المسلمون وألاّ يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً وهو فى ارتياد من رجل ؛ وأتى كتاب سعْد على حفَف[١] مَشُورتهم ؛ وهو على بعض صدقات نجْد ، فقال عمر : فأشيروا علىّ برجل ، فقال عبد الرحمن : وجدته ، قال : مَنْ هو ؟ قال : الأسد فى براثنه ؛ سعد بن مالك ؛ ومالأه أولو الرأى .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن خُلَيْد بن ذَفَرَة[٢] ، عن أبيه ، قال : كتب المثنّى إلى عُمر باجتماع فارس على يزْدَجرد وبعوثهم ، وبحال أهل الذمّة . فكتب إليه عمر ؛ أن تَنَحَّ إلى البرّ ، وادعُ مَن يليك ، وأقم منهم قريباً على حدود أرضك وأرضهم ؛ حتى يأتيَك أمرى .

وعاجلتهم الأعاجم فزاحفتهم الزُّحوف ، وثار بهم أهل الذمّة ؛ فخرج المثنّى بالناس حتى ينزل الطّفّ ، ففرّقهم فيه من أوّله إلى آخره ، فأقام ما بين غُضَىّ إلى القُطْقُطانة مسالحَه ، وعادت مسالحُ كسرى وثغورُه ، واستقرّ أمرُ فارس وهم فى ذلك هائبون مُشْفِقون ، والمسلمون متدفِّقون[٣] قد ضَرُوا بهم كالأسد ينازَع فريستَه[٤] ، ثم يعاود الكرّ[٥] ؛ وأمراؤهم يكفكفونهم بِكتاب[٦] عمر وأمداد المسلمين .

١/٢٢١٦ كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : قد كان أبو بكر استعمل سعداً على صدقات هوازن بنجْد ، فأقرّه عمر ، وكتب إليه فيمن كتب إليه من العُمّال حين استنفر الناس أن ينتخب أهلَ الخيل والسّلاح ممّن له رأى ونجدة . فرجع إليه كتاب سعد بمَن جمع الله[٧] له من ذلك الضرب ؛ فوافق عمرَ وقد استشارهم فى رجل ، فأشاروا عليه به عند ذكره .

---

(١) على حفف مشورتهم ، أى حين مشورتهم (٢) ط : « زفر » ، وانظر التصويبات .

(٣) ز ، س : « مندفقون » ، ابن حبيش : « يتدفقون » .

(٤) ز : « ضريبته » .

(٥) س : « الكرة » .

(٦) كذا فى ز ، س ، وفى ط : « لكتاب » .

(٧) ابن حبيش : « بمن جمع إليه » .

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمّد وطلحة بإسنادهما، قالا: كان سعد بن أبى وقّاص على صَدَقات هوازن، فكتب إليه عمر فيمَن كتب إليه بانتخاب ذوِى الرّأى والنّجدة ممّن كان له سلاح أو فرس، فجاءه كتاب سعد: إنّى قد انتخبت لك ألف فارس مُؤدٍ[1] كلّهم له نجدة ورأى، وصاحبُ حيطة يحوط حريم قومه، ويمنع ذمارهم، إليهم انتهت أحسابهم ورأيُهُم، فشأنك بهم. ووافق كتابُه مشورتهم، فقالوا: قد وجدْتَه، قال: فمن؟ قالوا: الأسد عادِيًا، قال: مَنْ؟ قالوا: سعد، فانتهى إلى قولهم فأرسل إليه، فقدم عليه، فأمّره على حرب العراق وأوصاه. فقال: يا سعد، سعد بَنِى وُهَيْب؛ لا يغرّنك من الله أن قيل خال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصاحب رسول الله؛ فإنّ الله عزّ وجلّ لا يمحُو السيّئ بالسيّئ؛ ولكنّه يمحُو السيّئ بالحسن؛ فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب[2] إلاّ طاعته[3]؛ فالنّاس شريفُهم ووضيعهم فى ذات الله سواءٌ؛ الله ربُّهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويُدركون ما عنده بالطاعة. فانظر الأمرَ الّذى رأيتَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عليه منذ بُعِث إلى أن فارقنا فالزمْهُ فإنّه الأمر. هذه عظتى إيّاك إن تركتها ورَغبت عنها حَبِطَ عَمَلُك؛ وكنت من الخاسرين.

١ / ٢٢١٧

ولمّا أراد أن يسرّحه دعاه، فقال: إنى قد ولّيتُك حرب العراق فاحفظ وصيّتى فإنّك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلّص منه إلاّ الحقّ، فعوّد نفسك ومَن معك الخير، واستفتح به. واعلم أنّ لكلّ عادة عَتادًا، فعتاد الخير الصبر؛ فالصبرَ على ما أصابك أو نابك؛ يجتمع لك خشية الله. واعلم أنّ خشية الله تجتمع فى أمرين: فى طاعته واجتناب معصيته؛ وإنّما أطاعه مَن أطاعه ببغض الدنيا وحبّ الآخرة، وعصاه مَن عصاه بحبّ الدنيا

---

(١) يقال: رجل مؤد: ذو أداة؛ أو كامل أداة السلاح.

(٢) ابن حبيش: «سبب».

(٣) ابن كثير: «بطاعته».

وبغض الآخرة ؛ وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً ؛ منها السرّ ، ومنها العلانية ؛ فأمّا العلانية فأنْ يكون حامدُه وذامّه فى الحقّ سواءً ، وأما السرّ فيعرف بظهور الحِكْمة من قلبِه على لسانِه ، وبمحبّة النّاس ؛ فلا تزهد فى التحبّب فإنّ النبيّين قد سألوا محبّتهم ؛ وإن الله إذا أحبّ عبدًا حبّبه ؛ وإذا أبغض عبدًا بغّضه . فاعتبِرْ منزلتَك عند الله تعالى بمنزلتِك عند الناس ، ممّن يشرع معك فى أمرك . ثم سرّحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفير المسلمين . ٢٢١٨/١

فخرج سعد بن أبى وقّاص من المدينة قاصدًا العراق فى أربعة آلاف ؛ ثلاثة ممّن قدِم عليه من اليَمَن والسَّراة ؛ وعلى أهل السَّرَوات حُمَيْضة بن النّعمان بن حُميضة البارِقىّ ؛ وهم بارِقٌ وألْمَعُ وغامِدٌ وسائر إخوتهم ؛ فى سبعمائة من أهل السَّراة ، وأهلُ اليمن ألفان وثلاثمائة ؛ منهم النَّخَع بن عمرو ، وجميعهم يومئذ أربعة آلاف ؛ مقاتلتهم وذراريُّهم ونساؤهم ؛ وأتاهم عمر فى عسكرهم ؛ فأرادهم جميعًا على العِراق ، فأبوْا إلاّ الشّأم ، وأبى إلاّ العراق ، فسمح نصفُهم فأمضاهم نحو العراق ، وأمضى النّصف الآخر نحو الشّأم .

كتب إلىّ السرىّ، عن شُعيب ، عن سَيْف ، عن حنَش النَّخَعىّ ، عن أبيه وغيره منهم ، أنّ عمر أتاهم فى عسكرهم ؛ فقال : إنّ الشَّرَف فيكم يا معشر النَّخَع لمتربِّع[1]، سيروا مع سعد . فنزعوا إلى الشأم ، وأبى إلاّ العِراق ، وأبوْا إلاّ الشأم ؛ فسرّح نصفَهم إلى الشأم ونصفَهم إلى العراق .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمستنير وحَنَش ؛ قالوا : وكان فيهم من حَضْرَمَوْت والصَّدِف ستّمائة ؛ عليهم شَدّاد بن ضَمعَج ، وكان فيهم ألف وثلثمائة من مَذْحج ، على ثلاثة رؤساء : عمرو بن مَعْدِ يكَرِبَ على بنى منبِّه ، وأبو سَبْرة بن ذؤيْب على جُعْفىّ ومَن فى حِلف جُعْفِىّ من إخوة جَزْء وزُبَيْد وأنَس الله ومَن لَفّهم ، ويزيد بن الحارث الصُّدائىّ على صُداء وجَنْب ومُسْلِية فى ثلثمائة ؛ هؤلاء شهدوا من مذحِج فيمن خرج من المدينة مَخْرَجَ سعد منها ، وخرج ٢٢١٩/١

(١) كذا فى س ، وفى ط : «لمتربع» .

معه من قيس عَيْلانَ ألفٌ عليهم بِشر بن عبد الله الهلالىّ .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عُبيدة ، عن إبراهيم ، قال : خرج أهل القادسيّة من المدينة ، وكانوا أربعة آلاف ؛ ثلاثة آلاف منهم من أهل اليمن وألفٌ من سائر الناس .

كتب إلىّ السرىّ ؛ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وسهل ، عن القاسم ، قالوا : وشيّعهم عمر من صِرار إلى الأعوص ، ثم قام فى الناس خطيبًا ، فقال : إنّ الله تعالى إنّما ضربَ لكم الأمثال ، وصرّف لكم القول ، ليحيي به[1] القلوب ؛ فإنّ القلوب ميّتة فى صدورها حتى يحييها الله ؛ مَن عِلم شيئًا فلينتفع به ، وإن للعدل أمارات وتباشير ؛ فأما الأمارات فالحياء والسّخاء والهَيْن واللّيْن ، وأما التّباشير فالرّحمة ؛ وقد جعل الله لكلّ أمر بابًا ، ويسّر لكلّ باب مفتاحًا ، فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد . والاعتبار. ذكرُ الموت بتذكر الأموات ، والاستعداد له بتقديم الأعمال ، والزّهدُ أخذُ الحقّ من كلّ أحد قِبَله حقٌّ ، وتأديةُ الحقّ إلى كلّ أحد له حقّ . ولا تصانع فى ذلك أحدًا ، واكتَفِ بما يكفيك من الكَفاف ؛ فإنّ مَن لم يكفه الكفاف لم يُغنه شىء . إنّى بينكم وبين الله ؛ وليس بينى وبينه أحدٌ ؛ وإنّ الله قد ألزمنى دفع الدعاء عنه ، فأنهوا شكاتكم إلينا ؛ فمن لم يستطع فإلى من يبلّغُناها نأخذ له الحقّ غير متعتَع . وأمر سعدًا بالسَّيْر ، وقال : إذا انتهيتَ إلى زَرود فانزِل بها ؛ وتفرّقوا فيما حولها ، واندب مَن حولك منهم ، وانتخبْ أهلَ النجدة والرأى والقوّة والعُدّة .

١ / ٢٢٢٠

كتب إلىّ السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن سُوقة ، عن رجل ، قال : مرّت السّكون مع أوّل كِنْدة مع حُصَيْن بن نُمَير السّكونىّ ومعاوية بن حُدَيج فى أربعمائة ؛ فاعترضهم ؛ فإذا فيهم فِتْية دُلْم[2] سِباط

---

(١) كذا فى ابن كثير ، وفى ط : « بها » .

(٢) دلم : جمع أدلم ، وهو الطويل .

مع معاوية بن حُدَيج ، فأعرض عنهم ، ثم أعرض ، ثم أعرض ؛ حتى قيل له : مالك ولهؤلاء ! قال: إني عنهم لمتردّد ، وما مرّ بي قومٌ من العرب أكره إليّ منهم . ثم أمضاهم ، فكان بعدُ يُكثر أن يتذكّرهم بالكراهيَة ، وتعجّب الناس من رأى عمر . وكان منهم رجل يقال له سودان بن حُمْران ، قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه؛ وإذا منهم حليف لهم يقال له خالد بن مُلْجَم[1]، قتلَ عليّ بن أبى طالب رحمه الله ؛ وإذا منهم معاوية بن حُدَيج ؛ فنهض فى قوم منهم يتبع قَتَلة عثمان يقتلهم ؛ وإذا منهم قوم يَقْرُون[2] قَتَلةَ عثمان . 1/2221

كتب إليّ السريّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمّد وطلحة ، عن ماهان، وزياد بإسناده ، قالوا : وأمدّ عمر سعداً بعد خروجه بألفَيْ يمانيّ وألفى نجديّ مُؤْدٍ من غَطَفان وسائر قَيْس ، فقدِم سعد زَرُودَ فى أوّل الشتاء ، فنزلها وتفرّقت الجنود فيما حولَها من أمواه بنى تميم وأسد ، وانتظر اجتماع الناس ، وأمْر عمر ، وانتخب من بنى تميم والرِّباب أربعة آلاف ؛ ثلاثة آلاف تميميّ وألف ربِيّ ؛ وانتخب من بنى أسد ثلاثة آلاف، وأمرهم أن ينزلوا على حدّ أرضهم بين الحَزْن والبَسيطة ، فأقاموا هنالك بين سَعْد بن أبى وقّاص وبين المثنّى بن حارثة ، وكان المثنّى فى ثمانية آلاف ؛ مِنْ ربيعة ستة آلاف من بكر بن وائل ، وألفان من سائر ربيعة ؛ أربعة آلاف ممّن كان انتخب بعد فصول خالد، وأربعة آلاف كانوا معه ممّن بقِيَ يوم الجسر . وكان معه من أهل اليمن ألفان من بَجِيلة ، وألفان من قُضاعة وطيِّئ ممّن انتُخبوا إلى ما كان قبل ذلك، على طيّئ عديّ بن حاتم ، وعلى قُضاعة عمرو بن وَبَرة ، وعلى بَجِيلة جرير بن عبد الله ؛ فبينا النّاس كذلك ؛ سعد يرجو أن يقدَم عليه المثنّى ، والمثنّى يرجو أن يقدَم عليه سعد ، مات المثنّى من جِراحته التى كان جُرِحها يوم الجِسْر ، انتقضت به ؛ فاستخلف المثنّى على النّاس بشير بن الخَصاصيَّة ، وسعد يومئذ بزَرُود ، ومع بشير يومئذ وجوهُ أهل العراق ، ومع سعد وفود أهل العراق الّذين كانوا قدموا على عمر ، منهم فُرات بن حيَّان 1/2222

(١) كذا فى ط والمشهور فى اسمه : « عبد الرحمن » ، وانظر ابن الأثير ٣ : ١٩٤ .
(٢) ز : « يقرّون قتل عثمان » .

العِجْلىّ وعتيبة ، فردّهم مع سعد .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد بإسناده ، وزياد عن مَاهان ، قالا : فمن أجلِ ذلك اختلف النَّاس فى عددِ أهل القادسيَّة ، فمَن قال : أربعة آلاف فلمخرجهم مع سَعْد من المدينة ، ومَن قال : ثمانية آلاف فلاجتماعهم بزَرُود ، ومَنْ قال : تسعة آلاف فللحاق القيسيِّين ، ومن قال : اثنا عشر ألفًا فلدفوف بنى أسَد من فروع الحَزْن بثلاثة آلاف . وأمر سعدًا بالإقدام ، فأقدم ونهض إلى العراق وجموع الناس بشَراف ، وقدم عليه مع قدومه شَراف الأشْعثُ بن قيس فى ألف وسبعمائة من أهل اليمن ؛ فجميع مَن شهد القادسيَّة بضعة وثلاثون ألفًا ، وجميع من قُسم عليه فىء القادسيَّة نحو من ثلاثين ألفًا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عمير ، عن زياد ، عن جرير ، قال : كان أهلُ اليمن ينزعون إلى الشَّأم ؛ وكانت مُضَر تنزع إلى العراق ، فقال عمر : أرحامكم أرسخ من أرحامنا ! ما بال مُضر لا تذكر أسلافها من أهل الشأم !

١ / ٢٢٢٣

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى سعد بن المرزبان ، عمَّن حدّثه ، عن محمد بن حذيفة بن اليَمان ، قال : لم يكن أحدٌ من العرب أجرأ على فارس من ربيعة ، فكان المسلمون يسمُّونهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفَرَس ، وكانت العرب فى جاهليَّتها تسمّى فارس الأسد ، والرّوم الأسد .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن ماهان ، قال : قال عمر : والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب ؛ فلم يَدَعْ رئيسًا ، ولا ذا رأى ، ولا ذا شَرف ، ولا ذا سِطة ، ولا خطيبًا ؛ ولا شاعرًا ؛ إلاّ رماهم به ، فرماهم بوجوه الناس وغُرَرهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، قال : كان عمر قد كتب إلى سعد مرتحله من زَرُود ؛ أن ابعث إلى فَرْج الهند

رجلاً ترضاه يكون بحياله، ويكون رِدءاً لك من شىء إن أتاك من تلك التّخوم؛ فبعث المغيرة بن شعبة فى خمسمائة؛ فكان بحيال الأبُلّة من أرض العرب؛ فأتى غُضيًّا، ونزل على جرير؛ وهو فيما هنالك يومئذ. فلمّا نزلَ سعد بشَراف، كتب إلى عمر بمنزله وبمنازل الناس فيما بين غضىّ إلى الجبّانة، فكتب إليه عمر: إذا جاءك كتابى هذا فعشّر النّاس وعرّف عليهم، وأمّرْ على أجنادهم، وعبّهم، ومُرْ رؤساء المسلمين فليَشْهَدوا، وقدّرْهم وهم شهود[1]؛ ثم وجّههم إلى أصحابهم، وواعدْهم القادسيّة؛ واضمم إليك[2] المغيرة بن شعبة فى خيْله؛ واكتب إلىّ بالذى يستقرّ عليه أمرهم.

١ / ٢٢٢٤

فبعث سعد إلى المغيرة؛ فانضمّ إليه وإلى رؤساء القبائل، فأتوْه، فقدّر الناس وعبّاهم بشَراف، وأمّر أمراء الأجناد، وعرّف العُرَفاء؛ فعرّف على كلّ عشرة رجلا، كما كانت العِرافات أزمانَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، وكذلك كانت إلى أن فُرِض العطاء، وأمّر على الرّايات رجالا من أهل السابقة، وعشّر الناس، وأمّر على الأعشار رجالاً من الناس لهم وسائل فى الإسلام، وولّى الحروبَ رجالا، فولّى على مقدّماتها ومجنّباتها وساقتها ومجرّداتها وطلائعها ورَجْلها ورُكبانها، فلم يفصل إلاّ على تعبِيَة، ولم يفصل منها إلاّ بكتاب عمر وإذنه؛ فأمّا أمراء التعبية، فاستعمل زُهرة بن عبد الله بن قتادة بن الحَوِيّة بن مَرْثَد بن معاوية بن معن بن مالك بن أرثم بن جُشَم بن الحارث الأعرج؛ وكان ملك هَجَر قد سوّدَه فى الجاهليّة، ووفّدَه على النبىّ صلّى الله عليه سلّم، فقدّمه، ففصل بالمقدّمات بعد الإذن من شَراف؛ حتى انتهى إلى العُذيْب، واستعمل على الميمنة عبد الله بن المعتمّ، وكان من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم؛ وكان أحدَ التّسعة الذين قدِموا على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، فتمّمهم طلحة بن عبيد الله عشرة؛ فكانوا عِرافة، واستعمل على الميسرة شُرحبيل بن السِّمْط بن شُرَحبيل الكِنْدىّ — وكان غلاماً شابًّا، وكان قد قاتل أهل الرّدّة، ووفّى اللهَ، فعُرِف ذلك له، وكان قد غلب الأشعث على الشّرف فيما بين المدينة؛ إلى أن اختُطّت الكوفة

١ / ٢٢٢٥

---

(١) ز: «شهودهم». (٢) ز: «إليهم».

وكان أبوه ممَّن تقدّم إلى الشأم مع أبى عبيدة بن الجراح — وجعل خليفته خالد ابن عُرْفطة ، وجعل عاصم بن عمرو التميمىّ ثم العمْرىّ على الساقة ، وسواد ابن مالك التميمىّ على الطلائع ، وسلْمان بن ربيعة الباهلىّ على المجرّدة ، وعلى الرّجْلْ حَمَّال بن مالك الأسدىّ ، وعلى الرّكبان عبد الله بن ذى السهمين الخَثْعَمىّ ، فكان أمراءُ التّعبية يَلُون الأمير ، والذين يلُون أمراءَ الأعشار ، والذين يلُون أمراء الأعشار أصحاب الرايات ، والذين يلُون أصحاب الرايات والقوّاد رءوس القبائل ، وقالوا جميعًا : لا يستعين أبو بكر فى الرّدّة ولا على الأعاجم بمرتدّ ، واستنفرهم عمر ولم يولّ منهم أحدًا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مُجالد وعمرو بإسنادهما ، وسعيد بن المرزبان ، قالوا : بعث عمر الأطبَّة ، وجعل على قضاء النَّاس عبدَ الرحمن بن ربيعة الباهلىّ ذا النور ، وجعل إليه الأقباض[1] وقسمة الفىء ، وجعل داعيتهم[2] ورائدهم سلْمان الفارسىّ .

٢٢٢٦/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبى عمرو ، عن أبى عثمان النَّهْدىّ ، قال : والتّرجمان هلال الهجَرىّ والكاتب زياد بن أبى سفيان . فلمَّا فرغ سعد من تعبيته ، وعُدّ لكلّ شىء من أمره جِماعًا ورأسًا ، كتب بذلك إلى عمر ، وكان من[3] أمر سعد فيما بين كتابه إلى عمر بالَّذى جمعَ عليه[4] الناس وبين رجوع جوابه ورحله من شَراف إلى القادسيَّة قدومُ المُعَنَّى بن حارثة وسلْمى بنت خَصَفة التيميَّة ؛ تَيْم اللات ، إلى سعد بوصيَّة المثنَّى ، وكان قد أوصى بها ، وأمرهم أن يعجّلوها على سعد بزَرُود ، فلم يفرغوا لذلك وشغلهم عنه قابوس بن قابوس بن المنذر ؛ وذلك أن الآزاذمرد بن الآزاذبه بعثه إلى القادسيَّة ، وقال له : ادعُ العربَ ، فأنت على من أجابك ، وكن كما كان آباؤك . فنزل القادسيَّة ، وكاتب بكر بن

---

(١) الأقباض : جمع قبض ؛ وهو ما جمع من الغنائم .

(٢) ابن حبيش : « داعيهم » .

(٣) ابن حبيش : « بين » .

(٤) ابن حبيش : « إليه » .

وائل بمثل ما كان النعمان يكاتبهم به مقاربة ووعيداً[١] . فلمّا انتهى إلى المعنّى خبره ، أسْرَى المعنّى من ذى قار حتى بيّته ، فأنامه ومن معه ، ثمّ رجع إلى ذى قار ، وخرج منها هو وسَلْمى إلى سعد بوصيّة المثنّى بن حارثة ورأيه ، فقدموا عليه وهو بشَراف ، يذكر فيها أنّ رأيه لسعد ألاّ يقاتل عدوّه وعدوّهم — يعنى المسلمين — من أهل فارس ؛ إذا استجمع[٢] أمرهم وملؤهم فى عُقْر دارهم ، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حَجَر من أرض العرب وأدنى مَدَرة من أرض العجم ؛ فإن يُظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ؛ وإن تكن الأخرى فاءوا إلى فئة ، ثم يكونوا أعلمَ بسبيلهم ، وأجرأ على أرضهم ؛ إلى أن يردّ الله الكرّة عليهم .

١ / ٢٢٢٧

فلمّا انتهى إلى سعد رأىُ المثنّى ووصيّته ترحّم عليه ، وأمّر المعنّى على عمله ، وأوصى بأهل بيته خيراً ، وخطب سَلْمَى فتزوّجها وبنى بها ؛ وكان فى الأعشار كلّها بضعة وسبعون بدْريّاً ، وثلثمائة وبضعة عشر ممّن كانت له صُحبة ، فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك ، وثلثمائة ممّن شهد الفتح ، وسبعمائة من أبناء الصّحابة ، فى جميع أحياء العرب . وقدم على سعد وهو بشَراف كتابُ عمر بمثل رأى المثنّى ؛ وقد كتب إلى أبى عُبيدة مع كتاب سعد ؛ ففصل كتاباهما إليهما ، فأمر أبا عبيدة فى كتابه بصرْف أهل العراق وهم ستّة آلاف ، ومَنِ اشتهى أن يلحق بهم ؛ وكان كتابه إلى سعد :

أمّا بعد ، فسِرْ من شَراف نحو فارس بمن معك من المسلمين ؛ وتوكّل على الله ، واستعِنْ به على أمرك كلّه ؛ واعلم فيما لديك أنّك تقدمُ على أمّة عددهم كثير ، وعُدّتهم فاضلة ، وبأسهم شديد ، وعلى بلد منيع — وإن كان سهلا — كَؤود لبحوره وفيوضه ودآدئه ؛ إلاّ أن توافقوا غَيْضاً من فَيْض. وإذا لقيتم القوم أو أحداً منهم فابدءوهم[٣] الشدّ والضرب ، وإيّاكم والمناظرة لجموعهم[٤] ولا يخدعُنّكم ؛ فإنهم خَدَعة مكَرة ؛ أمرُهم غير أمركم ؛ إلا

١ / ٢٢٢٨

(١) ابن حبيش : « ووعدا » .
(٢) ابن حبيش : « اجتمع » .
(٣) ابن حبيش : « فابدروهم » .
(٤) ز : « بجموعكم » .

أن تجادّوهم ، وإذا انتهيت إلى القادسيَّة — والقادسيَّة باب فارس فى الجاهليَّة ، وهى أجمع تلك الأبواب لمادّتهم ، ولما يريدونه من تلك الآصُل ؛ وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر ، وأنهار ممتنعة — فتكون مسالحك على أنقابها ، ويكون الناس بين الحَجَر والمَدَر على حافّات الحجَر وحافّات المدر ، والجِراع بينهما ؛ ثم الزم مكانك فلا تبرحْه ؛ فإنهم إذا أحسُّوك أنغضتَهم ورمَوْك بجمعهم الذى يأتى على خيلهم ورجْلهم وحدّهم وجِدّهم ؛ فإن أنتم صبرتم لعدوّكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة؛ رجوتُ أن تُنصَروا عليهم؛ ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدًا إلاّ أن يجتمعوا ؛ وليست معهم قلوبهم ، وإن تكن الأخرى كان الحجَر فى أدباركم ؛ فانصرفتم من أدنى مَدَرة من أرضهم إلى أدنى حَجَر من أرضكم ؛ ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبَن وبها أجهل ؛ حتى يأتىَ الله بالفتح عليهم ، ويردّ لكم الكرّة .

وكتب إليه أيضًا باليوم الذى يرتحل فيه من شَراف : فإذا كان يوم كذا وكذا فارتحِل بالنَّاس حتى تنزلَ فيما بين عُذَيب الهِجانات وعُذَيب القوادس ، وشرِّقْ[1] بالناس وغرِّبْ بهم .

١/٢٢٢٩

ثم قدم عليه كتاب جواب عمر : أمَّا بعد ، فتعاهد[2] قلبك ، وحادِثْ جندَك بالموعظة والنيّة والحِسْبة ، ومَنْ غفل فليُحْدِثْهما ؛ والصبرَ الصبرَ ؛ فإنّ المعونة تأتِى من الله على قدر النيَّة ؛ والأجر على قدر الحِسْبة . والحذَرَ الحذرَ علَى مَنْ أنت عليه وما أنت بسبيله ، واسألوا الله العافية ، وأكثِروا من قول : « لا حول ولا قوّة إلا بالله[3] » ، واكتب إلىّ أين بَلغك جمعُهم ، ومَن رأسهُم الذى يلِى مصادمتَكم[4] ؛ فإنه قد منعنى من بعض ما أردت الكتاب به قلّةُ عِلْمى بما هجمتم عليه ، والذى استقرّ عليه أمرُ عدوّكم ؛ فصِفْ لنا منازل المسلمين ، والبلد الذى بينكم وبين المدائن صفةً كأنى أنظر إليها ، واجعلنى من أمركم على الجليّة ، وخفِ الله وارجُه ، ولا تُدِلَّ بشىء . واعلم

---

(١) ر : « وشرف » .

(٢) ابن حبيش : « فتعهد » .

(٣) بعدها فى ابن حبيش : « العلى العظيم » .

(٤) ر : « الذى يريد مصادمتكم » .

أنّ الله قد وَعدكم. وتوكّل لهذا الأمر بما لاخُلْف له؛ فاحذرْ أن تَصرفه عنك، ويستبدل بكم غيركم.

فكتب إليه سعدبصفةالبلدان: إنّ القادسيّة بين الخندق والعَتيق ، وإنّ ماعن يَسار القادسيَّة بحر أخضر فى جوف لاحّ إلى الحيرة بين طريقين ؛ فأمَّا أحدهما فعلى الظَّهْر ، وأمَّا الآخر فعلى شاطئ نهر يُدعَى الحُضُوض ؛ يطلع بمَنْ سلكه على ما[1] بين الخَوَرْنَق والحيرة ؛ وما عن يمين القادسيّة إلى الوَلَجة فيضٌ من فيوض مياههم . وإنّ جميع من صالح المسلمين من أهل السَّواد قبلى ألْبٌ لأهل فارس قد خَفّوا لهم، واستعدّوا لنا. وإنّ الذى أعدّوا لمصادمتنا رُسْتم فى أمثال له منهم ؛ فهم يحاولون إنغاضَنا وإقحامنا ؛ ونحن نحاول إنغاضهم وإبرازهم؛ وأمْرُ الله بعدُ ماضٍ ؛ وقضاؤه مسلّم إلى ما قدّر لنا وعلينا ؛ فنسأل الله خير القضاء ، وخير القَدَر فى عافية .

٢٢٣٠/١

فكتب إليه عمر : قد جاءنى كتابك وفهِمتُه ، فأقِمْ بمكانك حتى يُنغِض الله لك عدوَّك؛ واعلم أنّ لها ما بعدها ، فإن منحَك الله أدبارَهم فلا تنزِعْ عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن ؛ فإنه خرابها إن شاء الله .

وجعل عمر يدعو لسعد خاصّة ، ويدعون له معه ، وللمسلمين عامة ، فقدّم زُهْرةَ سعدٌ حتى عسكر بعُذيب الهجانات ، ثم خرج فى أثره حتى ينزل على زُهرة بعُذيب الهجانات، وقدّمه، فنزل زهرةٌ القادسيَّة بين العتيق والخندق بحيال القنطرة ؛ وقُدَيْس يومئذ أسفل منها بميل .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن القعقاع بإسناده ، قال : وكتب عمر إلى سعد : إنّى قد أُلقِيَ فى رُوعى أنّكم إذا لقيتم العدوّ هزمتموهم، فاطّرحوا الشكّ، وآثروا التقيَّة[2] عليه؛ فإنْ[3] لاعب أحد منكم أحدًا من العجم بأمان أو قرفَه[4] بإشارة أو بلسان، فكان لا يدرى الأعجمىّ ما كلّمه به، وكان عندهم أمانًا ؛ فأجروا ذلك له مجرى الأمان. وإيَّاكم والضَّحك؛ والوفاءَ الوفاءَ ! فإن الخطأ بالوفاء بقيَّة[5] وإن الخطأ بالغدرِ الهلكة، وفيها وهنُكم

٢٢٣١/١

---

(١) ز : «على ماء» .

(٢) ابن حبيش : «اليقين» .

(٣) ابن حبيش : «فن لاعب» .

(٤) قرفه، أى رماه واتهمه .

(٥) ز : «تقية» .

وقوّة عدوّكم ، وذهاب ريحكم ، وإقبال ريحهم . واعلموا أنى أحذّركم أن تكونوا شَيْنًا على المسلمين وسببًا لتوهينهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن مُسلم العُكْلىّ والمقدام بن أبى المقدام ، عن أبيه ، عن كَرِب بن أبى كَرِب العُكْلِىّ — وكان فى المقدّمات أيّام القادسيّة — قال : قدّمَنا سعد من شَراف ، فنزلنا بعُذيب الهِجانات ثم ارتحل ؛ فلما نزل علينا بعُذيب الهجانات وذلك فى وجه الصُّبْح خرج زُهرة بن الحَوِيَّة فى المقدّمات ، فلما رُفع لنا العُذَيب — وكان من مسالحهم — استبنَّا على بروجه ناسًا ، فما نشاءُ أن نرى على برج من بروجه رجلا أو بين شُرْفتين إلاّ رأيناه ، وكنا فى سَرَعان الخيل[1] ، فأمسكنا حتى تلاحق بنا كَشْف[2] ونحن نرى أنّ فيها خيلا ، ثم أقدمنا على العُذَيب ، فلمَّا دنونا منه ، خرج رجل يركضُ نحو القادسيَّة ، فانتهينا إليه ، فدخلناه فإذا ليس فيه أحد؛ وإذا ذلك الرجل هو الذى كان يتراءَى[3] لنا على البُروج وهو بين الشُّرَف مكيدة ، ثم انطلق بخبرنا ، فطلبناه فأعجزَنا ، وسمع بذلك زُهرة فاتَّبعَنا ، فلحق بنا وخلفَنا واتّبعه . وقال : إن أفلت الرَّبِىءُ[4] أتاهم الخبر . فلحقه بالخندق فطعنه فجدّله فيه ، وكان أهل القادسيَّة يتعجّبون من شجاعة ذلك الرّجل ، ومن علمه بالحرب ، لم يُرَ عين قوم قطُّ أثبتَ ولا أربط جأشًا من ذلك الفارسىّ ، لولا بُعْدُ غايته لم يلحق به ، ولم يُصبه زُهرة ، ووجد المسلمون فى العُذَيب رماحًا ونُشَّاباً وأسفاطًا من جلود وغيرها ، انتفع بها المسلمون . ثم بثّ الغارات ، وسرّحهم فى جوف الليل ، وأمرهم بالغارة على الحيرة ، وأمَّر عليهم بُكَيْر بن عبد الله الليثىّ — وكان فيها الشَّمَّاخ الشاعر القيسىّ فى ثلاثين معروفين بالنَّجدة والبأس — فسرَوْا حتى جازوا السَّيْلحين ، وقطعوا جِسرها يريدون الحِيرة ، فسمعوا جَلَبة وأزْفَلة ، فأحجموا عن الإقدام ، وأقاموا كمينا حتى يتَبيَّنوا ، فما زالوا كذلك حتى جازُوا بهم ، فإذا خيول تقدُم تلك الغَوْغاء ، فتركوها فنفذت الطريق إلى الصِّنِّين ، وإذا هم

١/٢٢٣٢

(١) سرعان الخيل : أوائلها .
(٢) الكشف : الجماعة .
(٣) ابن حبيش : « تراءى » .
(٤) الربىء : المشرف على القوم

لم يشعروا بهم ؛ وإنما ينتظرون ذلك العيْن لا يريدونهم ، ولا يأبهون لهم ، إنّما همّتهم الصِّنّين ؛ وإذا أخت آزاذ مرْد بن آزاذ به مرْزُبان الحيرة تُزَفّ إلى صاحب الصِّنّين — وكان من أشراف العجم — فسار معها من يبلّغها مخافة ما هو دون الذى لقوا ؛ فلمّا انقطعت الخيل عن الزوافّ ، والمسلمون كمِينٌ فى النخل ، وجازت بهم الأثقال ، حمل بُكَيْر على شيرزاذ بن آزاذ به ، وهو بينها وبين الخيل ، فقصَم صُلْبَه ، وطارت الخيل على وجوهها ، وأخذوا الأثقال وابنة آزاذ به فى ثلاثين امرأة من الدّهاقين ومائة من التوابع ، ومعهم مالا يُدرَى قيمته ، ثم عاج واستاق ذلك ، فصبّح سعدًا بعُذَيْب الهِجَانات بما أفاء الله على المسلمين ، فكبّروا تكبيرة شديدة . فقال سعد : أقسم بالله لقد كبّرتم تكبيرة قوم عرفتُ فيهم العزّ ، فقسم ذلك سعد على المسلمين فالخمس نفله ، وأعطى المجاهدين بقيّته ، فوقع منهم موقعًا ، ووضع سعد بالعُذَيب خيلا تَحُوط الحريم ، وانضمّ إليها حاطة[1] كلّ حريم ، وأمّر عليهم غالبَ بن عبد الله الليثىّ ، ونزل سعد القادسيّة ، فنزل بقُدَيْس ، ونزل زُهرة بحيال قنطرة العتيق فى موضع القادسيّة اليوم ؛ وبعث بخبر سرّية بُكير ، وبنزوله قُديسًا ، فأقام بها شهرًا ، ثم كتب إلى عمر : لم يوجّه القوم إلينا أحدًا ، ولم يُسْنِدوا[2] حربًا إلى أحد علمناه ، ومتى ما يبلغنا ذلك نكتب به ؛ واستنصر الله ، فإنّا بمنحاة دنيا عريضة ؛ دونها بأس شديد ؛ قد تقدّم إلينا فى الدعاء إليهم ، فقال : ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾[3] .

وبعث سعد فى مقامه ذلك إلى أسفل الفُرات عاصم بن عمرو فسار حتّى أتى مَيْسان ، فطلب غنمًا أو بقرًا فلم يقدر عليها ، وتحصّن منه مَن فى الأفدان ، ووغَلوا فى الآجام ، ووَغَل حتّى أصاب رجلا على طَفّ أجَمة ، فسأله واستدلّه على البقر والغنم ، فحلف له وقال : لاأعلم ؛ وإذا هو راعى ما فى تلك الأجَمة ، فصاح منها ثور كذب والله وها نحن أولاء ؛ فدخل فاستاق الثّيران وأتى بها العسكر ، فقسم ذلك سعد على الناس فأخصبوا أيامًا[4] ؛ وبلغ ذلك الحجّاج فى زمانه ، فأرسل إلى نفر ممّن شهدها أحدهم نذير بن عمرو والوليد بن عبد شمس وزاهر ،

(١) الحاطة : المحافظون .

(٢) ز : « يشدوا » .

(٣) سورة الفتح : ١٦ .

(٤) ز : « فأحصوا أياماً أخصبوا فيها » .

فسألهم فقالوا : نعم ، نحن سمعنا ذلك ، ورأيناه واستقناها ، فقال : كذبتم ! فقالوا : كذلك ؛ إن كنت شهدتها وغِبْنا عنها ، فقال : صدقتم ، فما كان الناس يقولون فى ذلك ؟ قالوا : آيةُ تبشير يُستدلّ بها على رضا الله ، وفتح عدوّنا ؛ فقال : والله ما يكون هذا إلا والجمع أبرار أتقياء ، قالوا : والله ما ندرى ما أجنَّت قلوبهُم ؛ فأمّا ما رأينا فإنّا لم نرَ قوماً قطُّ أزهدَ فى دنيا منهم ، ولا أشدّ لها بُغْضا ؛ ما اعتُدّ على رجل منهم فى ذلك اليوم بواحدة من ثلاث ؛ لا بجُبْن ولا بغدر ولا بغُلُول ؛ وكان هذا اليوم يوم الأباقِر ؛ وبثّ الغارات بين كَسْكَر والأنبار ، فحوَوْا من الأطعمة ما كانوا يستكفون[1] به زماناً ، وبعث سعد عيوناً إلى أهل الحيرة وإلى صَلُوبا ، ليعلَموا له خبر أهل فارس ؛ فرجعوا إليه بالخبر ؛ بأن الملك قد ولّى رُستم بن الفَرّخزاذ الأرْمَنّى حرْبَه ، وأمره بالعسكرة . فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : لا يكرُبنّك[2] ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ؛ واستعن بالله وتوكّل عليه ، وابعث إليه رجالا من أهل المنظَرة[3] والرأى والجلَد يدعونه ، فإنّ الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم ، وفَلْجاً عليهم ؛ واكتب إلىّ فى كلّ يوم . ولمّا عسكر رُسْتم بساباط كتبوا بذلك إلى عمر .

١/٢٢٣٥

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى ضَمْرة ، عن ابن سيرين ، وإسماعيل بن أبى خالد عن قَيْس بن أبى حازم ، قالا : لمّا بلغ سعداً فصولُ رستم إلى ساباط ، أقام فى عسكره لاجتماع الناس ؛ فأمّا إسماعيل فإنه قال : كتب إليه سعد أنّ رستم قد ضرب عسكره بساباط دون المدائن وزحف إلينا ؛ وأمّا أبو ضَمْرة فإنه قال : كتب إليه أنّ رستم قد عسكر بساباط ، وزحف إلينا بالخيول والفيول وزُهاء فارس ، وليس شىء أهمّ إلىّ ولا أنا له أكثر ذكراً منّى لما أحببت أن أكون عليه ؛ ونستعين بالله ، ونتوكّل عليه ، وقد بعثت فلاناً وفلاناً وهم ما وصفت .

---

(١) ابن حبيش : « يكتفون » . (٢) ابن حبيش : « لا يكرثنك » .

(٣) ز وابن الأثير والنويرى : « المناظرة » .

١ / ٢٢٣٦ كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو والمجالد بإسنادهما ، وسعيد بن المرزُبان ؛ أن سعد بن أبي وقّاص حين جاءه أمرُ عمر فيهم ، جمع نفرًا عليهم نِجار ، ولهم آراء، ونفرًا لهم منظر؛ وعليهم مهابة ولهم آراء ؛ فأمّا الذين عليهم نِجار ولهم آراء ولهم اجتهاد فالنعمان بن مقرّن وبُسْر بن أبي رُهْم وحَمَلة بن جُوَيّة الكِنانيّ وحنظلة بن الربيع التميميّ وفُرات بن حيّان العِجْليّ وعديّ بن سُهيل والمغيرة بن زُرارة بن النّبّاش بن حبيب؛ وأما مَنْ لهم منظر لأجسامهم ؛ وعليهم مَهابة ولهم آراء ؛ فعُطارد بن حاجب والأشعث بن قيس والحارث بن حسّان وعاصم بن عمرو وعمرو ابن معديكرب والمغيرة بن شعبة والمعنّى بن حارثة ؛ فبعثهم دُعاةً إلى الملك .

حدثني محمد بن عبد الله بن صَفْوان الثّقفيّ ، قال : حدّثنا أميّة بن خالد، قال: حدّثنا أبو عوانة ، عن حُصَين بن عبد الرحمن ، قال : قال أبو وائل : جاء سعد حتى نزل القادسيّة ، ومعه النّاس ، قال : لا أدرى لعلّنا لا نزيد على سبعة آلاف أو نحو من ذلك ، والمشركين ثلاثون ألفًا أو نحو ذلك . فقالوا لنا : لا يدى لكم[1] ولا قوّة ولا سلاح ، ما جاء بكم ؟ ارجعوا ، قال: قلنا: لا نرجع ؛ وما نحن براجعين ، فكانوا يضحكون من نَبْلنا ، ويقولون: «دُوك دوك»[2] ، ويشبّهونها بالمغازل . قال : فلما أبينا عليهم أن نرجع ، قالوا: ابعثوا إلينا رجلا منكم ، عاقلاً يبيّن لنا ما جاء بكم ؛ فقال المغيرة بن شعبة: أنا ، فعَبَر إليهم ، فقعد مع رستم على السرير ، فنخَروا وصاحوا ، فقال : إنّ هذا لم يزدني رفعة ، ولم ينقص صاحبكم ، قال رستم : صدقت ، ما جاء بكم ؟

١ / ٢٢٣٧ قال : إنّا كنّا قومًا في شرٍّ وضلالة ؛ فبعث الله فينا نبيًّا ، فهدانا الله به ورزقنا على يديه ؛ فكان ممّا رزقنا حَبّة زُعمت تنبُتُ بهذا البلد ؛ فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لا صبر لنا عن هذه ، أنزلونا هذه الأرضَ حتى نأكل من هذه الحبّة ، فقال رستم : إذاً نقتلُكم ، فقال : إن قتلتمونا

(١) لا يدى لكم ، أي لا حول لكم ولا قوة .

(٢) دوك ، كلمة فارسية بمعنى « مغزل » .

دَخلْنا الجنَّة ، وإن قتلناكم دخلتم النار ؛ أو أدّيتم الجزْية . قال: فلمّا قال: أدّيتم الجزية ، نخروا وصاحوا ، وقالوا : لا صلحَ بيننا وبينكم ، فقال المغيرة: تعبرون إلينا أو نعبر إليكم؟ فقال رستم : بل نعبُر إليكم ، فاستأخر المسلمون حتى عَبَر منهم مَن عبر ، فحملوا عليهم فهزموهم .

قال حصين : فحدّثني رجل منّا يقال له عُبيد بن جَحْش السُّلميّ ، قال: لقد رأيتُنا وإنّا لنطأ على ظهور الرجال ، ما مسّهم سلاح ، قتل بعضهم بعضًا ، ولقد رأيتُنا أصبْنا جِرابًا من كافور ، فحسِبْناه ملحًا لا نشكّ أنه مِلْح ؛ فطبخنا لحمًا ، فجعلنا نُلقيه في القِدْر فلا نجده له طعمًا ، فمرّ بنا عِباديّ معه قميص فقال: يا معشرَ المُعربين ، لاتفسِدُوا طعامَكم ؛ فإنّ ملح هذه الأرض لا خيرَ فيه ، هل لكم أن تأخذوا هذا القميصَ به ؟ فأخذناه منه ، وأعطيناه منّا رجلا يلبسه ، فجعلنا نُطيف به ونعجب منه ، فلمّا عرفنا الثياب ، إذا ثمن ذلك القميص درهمان . قال : ولقد رأيتُني أقربُ إلى رجل عليه سِواران من ذهب ، وسلاحُه ، فجاء فما كلّمته حتى ضربتُ عنقه .

قال : فانهزموا حتى انتهوا إلى الصَّراة ؛ فطلبناهم فانهزموا حتى انتهوا إلى المدائن ؛ فكان المسلمون بكُوثَى وكان مسلحة المشركين بدَيْر المسلاخ ، فأتاهم المسلمون فالتقوْا ، فهُزم المشركون حتى نزلوا بشاطئ دِجلة ، فمنهم مَن عبر من كَلْواذَى ، ومنهم مَن عبَر من أسفل المدائن ، فحصروهم حتى ما يجدون طعامًا يأكلونه ، إلاّ كلابَهم وسنانيرهم . فخرجوا ليلاً ، فلحِقوا بجَلولاء ، فأتاهم المسلمون ؛ وعلى مقدّمة سعد هاشم بن عُتْبة ، وموضع الوقعة التي ألحقهم منها فريد. قال أبو وائل : فبعث عمر بن الخطاب حذيفةَ ابن اليمان على أهل الكوفة ، ومُجاشع بن مسعود على أهل البصرة . ١/٢٢٣٨

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبيّ ، وطلحة عن المغيرة ، قالوا : فخرجوا من العسكر حتى قدموا المدائنَ احتجاجًا ودُعاةً ليزدَجِرْد ، فطوَوا رستم ، حتى انتهوْا إلى باب يزْدَجِرد ، فوقفوا على خيولٍ عُرُوات ، معهم جَنائب ، وكلّها صهّال ، فاستأذنوا فحبسوا ، وبعث يزدجرد إلى وزرائه ووجوه أرضِه يستشيرهم فيما

يصنع بهم ، ويقوله لهم ، وسمع بهم الناس فحضروهم ينظرون إليهم ، وعليهم المقطّعات والبُرود ، وفى أيديهم سياط دقاق ، وفى أرجلهم النّعال . فلمّا اجتمع رأيهم أذن لهم فأدخلوا عليه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن بنت كيسان الضّبّيّة ، عن بعض سبايا القادسيّة ممّن حسن إسلامه ، وحضر هذا اليوم الذى قدم فيه وفود العرب . قال : وثاب إليهم النّاس ينظرون إليهم ؛ فلم أرَ عشرة قطّ يعدلون فى الهيئة بألف غيرَهم ، وخيلهم تخبط ويوعد بعضها بعضا . وجعل أهلُ فارس يسوءهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم ؛ فلمّا دخلوا على يزْدَجِرد أمرهم بالجلوس ؛ وكان سيّئ الأدب ، فكان أوّل شىء دار بينه وبينهم أن أمر التّرجمان بينه وبينهم فقال : سَلْهم ما يسمّون هذه الأردية ؟ فسأل النّعمان — وكان على الوفد : ما تُسمّى رداءَك ؟ قال : البُرْد ، فتطيّر وقال : « برْدجهان » ، وتغيّرت ألوان فارس وشقّ ذلك عليهم. ثم قال : سلهم عن أحذيتهم ، فقال : ما تسمّون هذه الأحذية ؟ فقال : النّعال ، فعاد لمثلها ، فقال : «ناله ناله» فى أرضنا ، ثم سأله عن الّذى فى يده فقال : سوط ، والسوط بالفارسيّة الحريق ، فقال : أحرقوا فارس أحرقهم الله ! وكان تطيُّره[1] على أهل فارس ، وكانوا يجدون من كلامه .

٢٢٣٩/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيْف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، بمثله وزاد : ثمّ قال الملك : سلْهم ما جاء بكم ؟ وما دعاكم إلى غزْونا والوَلوع ببلادنا ؟ أمِنْ أجل أنّا أجممناكم ، وتشاغلنا عنكم ، اجترأتم علينا ! فقال لهم النعمان ابن مقرّن : إن شئتم أجبتُ عنكم ؛ ومن شاء آثرته . فقالوا : بل تكلّم ، وقالوا للملك : كلامُ هذا الرجل كلامُنا . فتكلّم النّعمان ، فقال : إنّ الله رحِمنا فأرسل إلينا رسولا يدلّنا على الخير ويأمرُنا به ، ويعرّفنا الشرّ وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خيرَ الدّنيا والآخرة ؛ فلم يدعُ إلى ذلك قبيلةً إلاّ صاروا فرقتيْن ؛ فرقة تُقاربه ، وفرقة تباعده ، ولا يدخل معه فى دينه إلاّ الخواصّ . فمكث

---

(١) كذا فى ز ، وفى ط : « نظيره » .

بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينبذ إلى مَن خالفه من العرب ؛ وبدأ ١/٢٢٤٠ بهم وفعل ؛ فدخلوا معه جميعًا على وجهين : مكرَه عليه فاغتبط ؛ وطائع أتاه فازداد ؛ فعرفنا جميعًا فضلَ ما جاء به على الّذى كنّا عليه من العداوة والضّيق ؛ ثم أمرنا أن نبدأ بمَن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف ، فنحن ندعُوكم إلى ديننا ، وهو دين حسَّن الحسَن وقبّح القبيح كلّه ، فإن أبيتم فأمرٌ من الشرّ هو أهون من آخرَ شرٍّ منه الجِزاء ؛ فإن أبيتم فالمناجزة ، فإن أجبتم إلى ديننا خلّفنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه ، على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ؛ وإن اتّقيتمونا بالجِزاء قبِلْنا ومنعناكم ؛ وإلاّ قاتلناكم .

قال : فتكلّم يَزْدَجرد ، فقال : إنى لا أعلم فى الأرْض أمّة كانت أشقى ولا أقلّ عدداً ولا أسوأ ذات بينٍ منكم ؛ قد كنّا نوكّل بكم قُرَى الضواحى فيكفوناكُم [١] . لا تغزون فارس ولا تطمعون أن تَقُوموا لهم ، فإن كان عددٌ لحق [٢] فلا يغرّنّكم منّا ، وإن كان الجَهد دعاكم فرضْنا لكم قوتًا إلى خِصْبكم ؛ وأكرْمنا وجوهكم وكسوناكم ، وملّكنا عليكم مَلِكًا يرفُق بكم : ١/٢٢٤١

فأسكَت القوم . فقام المغيرة بن زُرارة بن النبّاش الأسَيْدىُّ ، فقال : أيُّها الملك ، إنّ هؤلاء رءوس العرب ووجوهُهم ؛ وهم أشراف يستحيُون من الأشراف ؛ وإنّما يكرم الأشرافَ الأشرافُ ، ويعظّم حقوق الأشراف الأشراف ، ويفخّم الأشرافَ الأشرافُ ؛ وليس كلّ ما أرسِلوا به جمعوه لك ، ولا كلّ ما تكلّمتَ به أجابوك عليه ، وقد أحسنوا ولا يحسُن بمثلهم إلاّ ذلك ؛ فجاوِبْنى لأكون الذى أبلّغك ، ويشهدون على ذلك ؛ إنّك قد وصفتَنا صفةً لم تكن بها عالما ، فأمّا ما ذكرت من سُوء الحال ، فما كان أسوأ حالاً منّا ، وأمّا جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنّا نأكل الخنافس والجِعلان والعقارب والحيّات ؛ فنرى ذلك طعامنا . وأمّا المنازل فإنما هى ظهر الأرض ، ولا نلبس إلاّ ما غزلْنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم ؛

---

(١) ابن الأثير والنويرى : « فيكفونا أمركم » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « غرر » ، وابن كثير : « عددكم كثر » .

دينُنا أن يقتلَ بعضُنا بعضًا، ويُغيرَ بعضُنا على بعض، وإن كان أحدنا ليَدفن ابنتَه وهى حيَّة كراهيةَ أن تأكل من طعامنا؛ فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك؛ فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً، نعرف نسبَه، ونعرف وجهه ومولِده؛ فأرضُه خير أرضنا، وحَسَبُه خير أحسابنا، وبيته أعظم بيوتنا؛ وقبيلته خير قبائلنا [١]؛ وهو بنفسه كان خيرَنا فى الحال التى كان فيها أصدقنا وأحلمَنا [٢]؛ فدعانا إلى أمر فلم يُجبه أحد قبل تربٍ كان له وكان الخليفةَ من بعده، فقال وقلنا، وصَدَق وكَذبنا، وزاد ونقصنا، فلم يقل شيئًا إلاَّ كان، فقذف الله فى قلوبنا التَّصديق له واتِّباعه؛ فصار فيما بيننا وبين ربِّ العالمين؛ فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمرُ الله؛ فقال لنا: إنَّ ربَّكم يقول: إنّى أنا اللهُ وحدى لا شَريك لى، كنتُ إذْ لم يكن شىء وكلّ شىء هالك إلاَّ وجهى، وأنا خلقتُ كلّ شىء، وإلىَّ يصير كلّ شىء، وإنَّ رحمتى أدركتْكم فبعثت إليكم هذا الرّجل لأدُلَّكُمْ علَى السَّبيل الّتى بها أنْجيكمْ بعد الموت من عذابى، ولأحِلَّكم دارى؛ دار السَّلام، فنشهد عليه أنه جاء بالحقّ من عند الحقّ، وقال: مَنْ تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم، ومَنْ أبَى فاعرِضوا عليه الجزية، ثم امنعوه ممَّا تمنعون منه أنفسكم، ومَنْ أبى فقاتلوه، فأنا الحكَم بينكم. فمن قُتل منكم أدخلته جنَّتى، ومَنْ بقِىَ منكم أعقبته النَّصر على مَنْ ناوأه؛ فاختَرْ إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر؛ وإن شئت فالسيف، أو تُسلم فتُنجى نفسك. فقال: أتستقبلنى بمثل هذا!

فقال: ما استقبلتُ إلاّ مَنْ كلَّمنى، ولو كلَّمنى غيرُك لم أستقبِلك به. فقال: لولا أنَّ الرسل لا تُقْتَل لقتلتُكم؛ لا شىء لكم عندى، وقال [٣]: ائتونى بوِقْر من تراب، فقال: احملوه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن؛ ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنّى مرسِل إليكم رستَم

(١) ط: «قبيلتنا».
(٢) ابن حبيش: «أجملنا».
(٣) كذا فى س، وفى ط: «فقال».

حتى يُدفيكم ويدفيه[١] فى خندق القادسيّة، وينكّل به وبكم من بعد، ثم أورده بلادكم، حتى أشغلكم فى أنفسكم بأشدّ ممّا نالكم من سابور.

ثم قال: مَنْ أشرفُكم؟ فسكت القوم، فقال عاصم بن عمرو — وافتات[٢] ليأخذ التراب: أنا أشرفُهم، أنا سيّد هؤلاء فحمّلْنيه، فقال[٣]: أكذاك؟ قالوا: نعم، فحمّله على عنقه، فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمله عليها؛ ثم انجذب[٤] فى السّير، فأتوْا به سعدًا[٥] وسبقهم عاصم فمرّ بباب قُدَيس فطواه، فقال: بشّروا الأميرَ بالظّفر، ظفرنا إن شاء الله. ثم مضى حتّى جعل التراب فى الحِجْر، ثم رجع فدخل على سعد، فأخبره الخبر فقال: أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليدَ ملكِهم.

وجاء أصحابه وجعلوا يزدادون فى كلّ يوم قوّة، ويزداد عدوّهم فى كلّ يوم وَهَنًا، واشتدّ ما صنع المسلمون، وصنع الملك من قبول التراب على جلساء الملك، وراح رستم من ساباط إلى الملك يسأله عمّا كان من أمره وأمرهم، وكيف رآهم، فقال الملك: ما كنتُ أرى أنّ فى العرب مثل رجال رأيتهم دخلُوا علىّ وما أنتم[٦] بأعقلَ منهم، ولا أحسنَ جوابًا منهم؛ وأخبره بكلام متكلّمهم، وقال: لقد صَدَقنى القوم، لقد وعِد القوم أمرًا ليُدركُنّه أو ليموتُنّ عليه، على أنى قد وجدت أفضلَهم أحمقَهم، لمّا ذكروا الجزية أعطيتُه ترابًا فحملَه على رأسه، فخرج به، ولو شاء اتّقى بغيره؛ وأنا لا أعلم.

قال: أيّها الملك، إنه لأعقلُهم، وتطيّر إلى ذلك، وأبصرها دون أصحابه. ١/ ٢٢٤٤

وخرج رستم من عنده كئيبا غضبانَ — وكان منجّما كاهنًا — فبعث فى أثر الوفد، وقال لثقته[٧]: إن أدركَهم الرّسول[٨] تلافَينا أرضَنا، وإن أعجزوه[٩]

---

(١) النويرى: «يدفنكم ويدفنه». وأدفى الجريح: أجهز عليه.
(٢) ابن حبيش: «واقتاف». (٣) ابن حبيش: «قال».
(٤) ابن حبيش: «انحدر» (٥) ابن حبيش: «فباتوا بسعد».
(٦) ابن حبيش: «والله ما أنتم».
(٧) ابن حبيش: «لبعثه». (٨) ز: «إن أدركتهم».
(٩) ر: «أعجزوك». ابن الأثير: «أعجزه»، النويرى: «أعجزوا».

سلبكم الله أرضكم وأبناءكم . فرجع الرّسول من الحيرة بفواتهم ، فقال : ذهب القوم بأرضكم غير ذى شكّ ، ما كان من شأن ابن الحجّامة الملك ! ذهب القوم بمفاتيح أرضنا ! فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظًا . وأغاروا بعد ما خرج الوفد إلى يزدجرد ، إلى أن جاءوا إلى صيّادين قد اصطادوا سمكًا ، وسار سواد بن مالك التميمىّ إلى النّجاف والفراض إلى جنبها ، فاستاق ثلثمائة دابّة من بين بغل وحمار وثور ، فأوقروها سمكًا ، واستاقوها ، فصبّحوا العسكر ، فقسم السّمك بين النّاس سعد ، وقسم الدوابّ ، ونفّل الخمس إلا ما رُدّ على المجاهدين منه ، وأسهم على السّبْى ؛ وهذا يوم الحيتان ، وقد كان الآزاذ مرد ابن الآزاذبه خرج فى الطّلب ، فعطف عليه سوادٌ وفوارس معه ، فقاتلهم على قنطرة السّيْلحين ؛ حتى عرفوا أنّ الغنيمة قد نجت ، ثم اتّبعوها فأبلغوها المسلمين ، وكانوا إنّما يقرمون إلى اللحم ؛ فأمّا الحنطة والشعير والتمر والحبوب ؛ فكانوا قد اكتسبوا منها ما اكتفوْا به لو أقاموا زمانًا ؛ فكانت السّرايا إنّما تسرى للحوم ، ويسمّون أيامها بها ، ومن أيّام اللحم يومُ الأباقر ويوم الحيتان . وبُعث مالك بن ربيعة بن خالد التيمىّ ؛ تيْم الرّباب ، ثم الواثلىّ ومعه المساور بن النّعمان التيمىّ ثم الرّبَيعىّ فى سريّة أخرى ؛ فأغارا على الفيّوم ؛ فأصابا إبلاً لبنى تغلب والنّمر فشلّاها[1] ومَن فيها ، فغدوا بها على سعد ، فنُحرت الإبل فى النّاس . وأخصبوا ، وأغار على النّهريْن عمرو ابن الحارث ، فوجدوا على باب ثوراء مواشىَ كثيرة ، فسلكوا أرض شَيْلى — وهى اليوم نهر زياد — حتى أتوا بها العسكر . ١/٢٢٤٥

وقال عمرو : ليس بها يومئذ إلا نهرانِ . وكان بين قدوم خالد العراق ونزول سعد القادسيّة سنتان وشىء . وكان مُقام سعد بها شهرين وشيئًا حتى ظفر .

قال — والإسناد الأول — : وكان من حديث فارس والعرب بعد البُويب أنّ الأنوشَجان بن الهِربَذ خرجَ من سَواد البصرة يريد أهل غُضَىّ ، فاعترضه أربعة نفر على أفناء تميم ؛ وهم بإزائهم : المستورِد وهو على الرّباب ،

---

(١) فشلاها ، أى انتزعاها .

وعبد الله بن زيد يسانده ؛ الرِّبابُ بينهما ، وجَزْء بن معاوية وابن النابغة يسانده ؛ سَعْد بينهما ، والحُصين[1] بن نِيَار والأعور بن بشامة يسانده على عمرو ، والحصين بن معبد والشَّبه على حنظلة ، فقتلوه دونهم . وقدم سعد فانضمُّوا إليه هم وأهل غُضَىّ وجميع تلك الفِرَق .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو بإسنادهم ، قالوا : وعجّ أهلُ السَّواد إلى يَزْدَجِرد بن شهريار ، وأرسلوا إليه أنّ العرب قد نزلوا القادسيَّة بأمر ليس يُشبه إلاّ الحرب ، وإنّ فعل العرب مذ نزلوا القادسيَّة لا يبقى عليه شىء ؛ وقد أخربوا ما بينهم وبين الفرات ؛ وليس فيما[2] هنالك أنيس إلاّ فى الحصون ، وقد ذهب الدوابّ وكلّ شىء لم تحتمله الحصون من الأطعمة ، ولم يبق إلاّ أن يستنزِلونا[3] ، فإن أبطأ عنّا الغياث أعطيناهم بأيدينا . وكتب إليه بذلك المُلُوك الّذين لهم الضّياع بالطفّ ، وأعانوهم عليه ، وهيَّجوه على بعثه رستم . ١/٢٢٤٧

ولما بدا ليزدَجِرْد أن يرسلَ رستَم أرسلَ إليه ، فدخل عليه ، فقال له : إنّى أريد أن أوَجِّهك فى هذا الوجه ؛ وإنما يُعَدّ[4] للأمور على قدرها ، وأنت رجل أهل فارس اليوم[5] ، وقد ترى ما جاء أهلَ فارس من أمر لم يأتِهم مثلُه منذ ولىَ آلُ أردشير . فأراه أن قد قبِل منه ، وأثنى عليه .

فقال له الملك : قد أحبّ أن أنظر فيما لديك لأعرفَ ما عندك ، فصفْ لِى العرب وفعلَهم منذ نزلوا القادِسيَّة ، وصف لى العَجَم وما يلقوْن منهم .

فقال رستم : صفَة ذئاب صادفت غِرّة من رِعاء فأفسدت . فقال : ليس كذلك ؛ إنى إنما سألتك رجاء أن تُعرب صفتهم فأقوّيك لتعمل على قَدْر ذلك فلم تُصِبْ ، فافهم عنّى ؛ إنّما مَثَلُهم ومثَلُ أهل فارس كمَثَل عُقَاب أوفَى على جبل يأوى إليه الطير بالليل ، فتبيت فى سَفْحه فى أوكارها ، ١/٢٢٤٨

(١) كذا فى ابن حبيش ، وفى ط : « الحسن » . (٢) ابن حبيش : « بها » .
(٣) بعدها فى ابن حبيش : « يستنزلوا » . (٤) ز : « يعمد » .
(٥) بعدها فى ابن حبيش : « وأنت لها » .

فلمّا أصبحت تجلّت الطير ، فأبصرته يرقبها ، فإن شذّ منها شىء اختطفه ، فلمّا أبصرته الطير لم تنهض من مخافته ؛ وجعلت كلّما شذّ منها طائر اختطفه ، فلو نهضت نهضةً واحدة ردّته ؛ وأشدُّ شىء يكون فى ذلك أن تنجُوَ كلُّها إلا واحداً ؛ وإن اختلفت لم تنهض فرقة إلاّ هلكت ؛ فهذا مثلُهم ومثل الأعاجم ؛ فاعمل على قَدْرِ ذلك . فقال له رستُم : أيّها الملك ، دَعْنى ؛ فإنّ العرب لا تزالُ تهاب العجم ما لم تُضَرِّهم بى ؛ولعلّ الدولة أن تثبت بى فيكون الله قد كَفَى ، ونكون قد أصبْنَا المكيدة ورأىَ الحرب ؛ فإنّ الرّأى فيها والمكيدة أنفع من بعض الظّفر . فأبَى عليه ، وقال : أىّ شىء بقى ! فقال رستم : إنّ الأناة فى الحرْب خيرٌ من العجلة ، وللأناة اليومَ موضع ، وقتال جيش بعد جيش أمثلُ من هزيمة بمرّة وأشدّ على عدوّنا . فلجّ وأبَى ، فخرج حتى ضرب عسكره بساباط ، وجعلت تختلف إلى الملك الرُّسل ليرى موضعاً لإعفائه وبعثةِ غيره ، ويجتمع إليه النّاس . وجاء العيون إلى سعد بذلك من قبَل الحيرة وبنى صلوبا ، وكتب إلى عمر بذلك . ولما كثرت الاستغاثة على يزْدَجرد من أهل السّواد على يدى الآزاذمرد بن الآزاذبه جشعت نفسه ، واتّقى الحرب برستم ، وترك الرّأى — وكان ضيّقاً لجوجاً — فاستحثّ رستم ، فأعاد عليه رستم القول ، وقال : أيُّها الملك ؛ لقد اضطرنى تضييع الرأى إلى إعظام نفسى وتزكيتها ؛ ولو أجدُ من ذلك بدّاً لم أتكلّمْ به ، فأنشدك الله فى نفسِك وأهلك ومُلْكك ؛ دعنى أقم بعسكرى وأسرّح الجالنوس ؛ فإن تكن لنا فذلك ؛ وإلاّ فأنا على رِجْل وأبعث غيره ، حتى إذا لم نجد بدّاً ولا حيلةً صبَرْنا لهم ؛ وقد وهنّاهم وحسّرناهم ونحن جامّون . فأبى إلاّ أن يسير .

١/٢٢٤٩

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضْر بن السرىّ الضّبىّ ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال : لمّا نزل رستم بساباط ، وجمع آلة الحرب وأداتها بعثَ على مقدّمته الجالنوس فى أربعين ألفاً ، وقال : ازحف زحفاً ، ولا تنْجذب إلاّ بأمرى ؛ واستعملَ على ميمنته الهُرْمزان ، وعلى ميسرته مِهْران بن بَهْرام الرازىّ ، وعلى ساقته البيرزان ، وقال رستم

١/٢٢٥٠ ليشجّع الملك: إن فتح الله علينا القوم[١] فهو وجهنا[٢] إلى ملكهم فى دارهم[٣] حتى نشغلهم فى أصلهم وبلادهم، إلى أن يقبلوا[٤] المسالمة أو يرضوْا بما كانوا يرضوْن به . فلمّا قدمت وفود سعد على الملِك، ورجعوا من عنده رأى رستم فيما يرى النائم رؤيا فكرهها ، وأحسّ بالشرّ ، وكره لها الخروج ولقاء القوم، واختلف عليه رأيه واضطرب . وسأل الملك أن يُمضىَ الجالنوس ويُقيم حتّى ينظر ما يصنعون ، وقال: إن غَناء الجالنوس كغَنائى ، وإن كان اسمى أشدّ عليهم من اسمه ، فإن ظفِر فهو الذى نريد ، وإن تكن الأخرى وُجِّهتُ مثله ، ودفعنا هؤلاء القوم إلى يوم ما ؛ فإنّى لا أزال مرجوًّا فى أهل فارس، ما لم أهزَم ينشَطون ، ولا أزال مهيبًا فى صدور العرب ؛ ولا يزالون يهابون الإقدام مالم أباشرهم ؛ فإن باشرتهم اجترءوا آخرَ دهرِهم ، وانكسر أهلُ فارس آخرَ دهرهم . فبعث مقدّمته أربعين ألفًا ؛ وخرج فى ستين ألفًا ، وساقته فى عشرين ألفًا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمدوطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم ؛ قالوا : وخرج رستُم فى عشرين ومائة ألف ،كلُّهم متبوع ، وكانوا بأتباعهم أكثرَ من مائتى ألف ، وخرج من المدائن فى ستين ألف متبوع .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، ، عن سَيْف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنّ رستَم زحف لسعد وهو بالقادسيَّة فى ستين ألفَ متبوع .

١/٢٢٥١ كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم ، قالوا : لمّا أبى المَلِك إلاّ السيرَ ، كتب رستم إلى أخيه وإلى رءوس أهل بلادهم : من رستم إلى البِنْدوان مرزبان الباب ، وسهم أهل فارس ، الّذى كان لكلّ كونٍ يكون ، فيفضّ الله به كلّ جند عظيم شديد ، ويفتح به

(١) ابن حبيش : « هؤلاء القوم » .
(٢) ز : « فهو خلاصنا ثم وجهنا » .
(٣) ابن حبيش : « فى داره » .
(٤) ابن حبيش : « إلا أن يقبلوا » .

كلّ حصن حصين ، ومن يليه ؛ فرُمُّوا حصونكم ، وأعِدّوا واستعِدّوا ، فكأنّكم بالعرب قد وردُوا بلادَكم ، وقارعوكم عن أرضكم وأبنائكم، وقد كان من رأيى مدافعتهم ومطاولتهم حتّى تعود سعودُهم نحوساً ؛ فأبى الملك .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصّلْت بن بَهرام ، عن رجل؛ أنّ يزدَجِرد لمّا أمر رستم بالخروج من سَاباط ، كتب إلى أخيه بنحوٍ من الكتاب الأوّل ، وزاد فيه : فإنّ السمكة قد كدّرت الماء، وإنّ النعائم قد حسُنت ، وحسُنت الزُّهرَة ، واعتدل الميزان ، وذهب بَهْرام ؛ ولا أرى هؤلاء القوم إلاّ سيظهرون علينا ، ويستولُون على مايلينا . وإنّ أشدّ ما رأيت أن الملك قال : لتسيرُنّ إليهم أو لأسيرَنّ إليهم أنا بنفسى. فأنا سائر إليهم .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ،عن النَّضْر بن السّرىّ ، عن ابن الرُّفيل ، ،عن أبيه ، قال : كان الذى جرّأ يزدجِرد على إرسال رستم ١/٢٢٥٢ غلام جابان منجِّم كسرى ، وكان من أهل فُرات بادَقلَى، فأرسل إليه فقال : ما ترى فى مسير رستم وحرب العرب اليوم ؟ فخافه على الصّدق فكذبه ، وكان رستم يعلَم نحوًا من علمه ، فثقُل عليه مسيرُه لعلمه ، وخفّ على الملكِ لما غرّه منه ، وقال : إنّى أحبّ أن تخبرَنِى بشىء أراه أطمئنّ به إلى قولك ، فقال الغلام لزُرنا الهندىّ : أخبِره ،فقال : سَلْنِى ، فسأله فقال : أيها الملكُ يُقبل طائر فيقع على إيوانِك فيقع منه شىء فى فيه ها هنا — وخطّ دارةً — فقال العبد : صدَق ، والطائر غراب ، والذى فى فيه درهم . وبلغ جابان أنّ الملك طلبه ، فأقبل حتّى دخل عليه ، فسأله عمّا قال غلامُه ، فحسِب فقال : صدق ولم يُصب ؛ هو عقعق ، والذى فى فيه درهم ، فيقع منه على هذا المكان ، وكذب زرنا. ينزو الدرهم فيستقرّ ها هنا — ودوّر دارة أخرى — فما قاموا حتّى وقع على الشُّرفات عقعق ، فسقط منهُ الدرهم فى الخط الأول ، فنزا فاستقرّ فى الخطّ

الآخر . ونافر الهنديُّ جابانَ حيث خطّأه ؛ فأتيا ببقرة نتوج ؛ فقال الهنديُّ : سخلتها غرّاء سوداء ، فقال جابان : كذبتَ ، بل سوداء صبغاء [١]، فنُحرت البقرة فاستُخرجت سخلتها ، فإذا هي ذنَبها بين عينيها ، فقال جابان : من هاهنا أتِيَ زرنا ، وشجّعاه على إخراج رستم ، فأمضاه ، وكتب جابان إلى جُشْنَسْماه : إنّ أهل فارس قد زالَ أمرهم ، وأُديلَ عدوُّهم عليهم ، وذهب مُلك المجوسيّة ، وأقبل مُلك العرب ، وأديل دينهم ؛ فاعتقدْ منهم الذمّة ، ولا تخلُبنّك الأمور ، والعجل العجل قبل أن تُؤخذ ! فلمّا وقع الكتاب إليه خرج جشنسماه إليهم حتى أتى المعنّى ؛ وهو في خيل بالعتيق ، وأرسله إلى سعد ، فاعتقد منه على نفسه وأهل بيته ومَن استجاب له وردّه ، وكان صاحبَ أخبارهم . وأهدى للمعنّى فالوذق [٢] ، فقال لامرأته : ما هذا ؟ فقالت : أظنّ البائسة امرأته أراغتْ العصيدةَ فأخطأتْها ، فقال المعنّى : بؤسًا لها !

١/٢٢٥٣

كتب إليّ السريُّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم ، قالوا : لمّا فَصَل رستم من ساباط ، لقيَه جابان على القَنْطَرة ، فشكا إليه ، وقال : ألا ترَى ما أرى ؟ فقال له رستم : أمّا أنا فأقاد بخِشاش وزمام ، ولا أجد بُدًّا من الانقياد . وأمر الجالنوس حتّى قدم الحِيرة ؛ فمضى واضطرب فُسطاطه بالنّجَف ، وخرج رستم حتى ينزل بكُوثَى ، وكتب إلى الجالنوس والآزاد مرْد : أصيبَا لي رجلاً من العرب من جند سعْد . فركبا بأنفسهما طليعة ، فأصابا رجلا ، فبعثا به إليه وهو بكوثَى فاستخبرَه ، ثم قتله .

١/٢٢٥٤

كتب إليّ السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر بن السريّ ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال : لمّا فصَل رستم ، وأمر الجالنوس بالتقدّم إلى الحيرة ، أمره أن يصيبَ له رجلا من العرَب ، فخرج هو والآزاذمرد

---

(١) ز : « سفعاء » . وفي اللسان عن أبي عبيدة : « إذا شابت ناصية الفرس فهو أسعف ، فإذا ابيضت كلها فهو أصبغ » .

(٢) الفالوذق : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، معربة عن « بالودة » . الألفاظ الفارسية ١٢٠ .

سريّةً فى مائة ؛ حتى انتهيا إلى القادسيّة ، فأصابا رجلاً دون قنطرة القادسيّة فاختطفاه ، فنفر النّاس فأعجزوهم إلاّ ما أصاب المسلمون فى أخرياتهم . فلمّا انتهيا إلى النّجف سرّحا به إلى رستم ، وهو بكُوثَى ، فقال له رستم : ما جاء بكم ؟ وماذا تطلبون ؟ قال : جئنا نطلب موعود الله ، قال : وما هو ؟ قال : أرضكم وأبناؤكم ودماؤكم إن أبيتم أن تُسْلِموا . قال رستم : فإن قُتِلتم قبل ذلك ؟ قال : فى موعود الله أنّ مَن قُتِل منّا قبل ذلك أدخله الجنة ، وأنجز لمن بقى منّا ماقلت لك ، فنحن على يقين . فقال رستم : قد وُضِعْنا إذًا فى أيديكم ؛ قال : ويحك يا رستم ! إنّ أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها ؛ فلا يغرنّك ما ترى حولك ، فإنك لست تُحاول[1] الإنس ؛ إنما تحاول القضاءَ والقدر ! فاستشاط غضبًا ؛ فأمر به فضربت عنقه ، وخرج رستم من كُوثَى ؛ حتى ينزل ببُرس ، فغصب أصحابُه الناسَ أموالهم ووقعوا على النساء ، وشربوا الخمور . فضجّ العلوج إلى رستم ، وشكَوْا إليه ما يلقوْن فى أموالهم وأبنائهم . فقام فيهم ، فقال : يا معشر أهل فارس ، والله لقد صدق العربىّ ؛ والله ما أسلمنا إلا أعمالنا ، والله للعرب فى هؤلاء وهم لهم ولنا حربٌ أحسنُ سيرةً منكم . إنّ الله كان ينصركم على العدوّ ، ويمكّن لكم فى البلاد بحُسن السيرة وكفِّ الظلم والوفاءِ بالعهود والإحسان ؛ فأمّا إذ تحوّلتم عن ذلك إلى هذه الأعمال ، فلا أرى الله إلا مغيّراً ما بكم ، وما أنا بآمن من أن ينزع الله سلطانه منكم . وبعث الرجال ؛ فلقطوا له بعض من يُشكَى فأتِى بنفر ، فضرب أعناقهم ، ثم ركب ونادى فى الناس بالرّحيل ، فخرج ونزل بحيال دير الأعور ، ثم انصبّ إلى الملطاط ؛ فعسكر ممّا يلى الفرات بحيال أهل النّجف بحيال الخَوَرْنق إلى الغَرِيّيْن ، ودعا بأهل الحيرة ، فأوعدهم وهمّ بهم ، فقال له ابن بُقَيْلة : لا تجمع علينا اثنتين : أن تعجز عن نُصرتنا ، وتلومنا على الدفع عن أنفسنا وبلادنا . فسكت .

١/٢٢٥٥

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، والمقدام الحارثى عمّن ذكره ، قالا : دعا رستم أهلَ الحيرة وسُرادقُه إلى جانب الدّير ، فقال : يا أعداءَ الله ، فرحتم بدخول العرب علينا بلادَنا ، وكنتم عيونًا لهم علينا ، وقوّيتموهم بالأموال ! فاتّقوْه بابن بُقَيلة ،

١/٢٢٥٦

[1] كذا فى ابن حبيش وفى ط : « تجاول » .

وقالوا له : كن أنت الذى تكلّمه، فتقدّم ، فقال : أمّا أنت وقولك : « إنا فرحنا بمجيئهم »⁽¹ ، فماذا فعلوا ؟ وبأىّ ذلك من أمورهم ⁽¹ نفرح ! إنّهم ليزعمون أنّا عبيد لهم ، وما هم على ديننا ؛ وإنّهم لَيشهدون علينا أنّا من أهل النار. وأمّا قولُك : « إنّا كنا عيونًا لهم » ، فما الذى يُحوجهم إلى أن نكون عيوناً لهم ، وقد هرب أصحابكم منهم ، وخلّوا لهم القرى ! فليس يمنعهم أحد من وجه أرادوه ؛ إن شاءوا أخذوا يمينًا أو شمالا . وأمّا قولك : « إنا قوّيناهم بالأموال » ؛ فإنا صانعناهم بالأموال عن أنفسنا ؛ وإذ لم تمنعونا مخافة أن نُسْبَى وأن نُحرب⁽٣⁾ ، وتُقتل مقاتلتُنا — وقد عجز منهم مَنْ لقيهم منكم — فكنّا نحن أعجز ؛ ولعمرى لأنتم أحبُّ إلينا منهم ؛ وأحسن عندنا بلاءً ، فامنعونا منهم لكن لكم أعوانًا ؛ فإنّما نحن بمنزلةِ عُلُوج السّواد ، عَبِيد مَنْ غَلَب . فقال رستم: صدقكم الرجل .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضْر ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال: رأى رستُم بالدّير أنّ ملكًا جاء حتى دخل عسكر فارس ، فختَم السلاح أجمع .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وأصحابه ؛ وشاركهم النّضر بإسناده ، قالوا : ولمّا اطمأنّ رستم أمَرَ الجالنوس أن يسير من النّجف ، فسار فى المقدّمات ، فنزل فيما بين النّجف والسَّيْلَحين ، وارتحل رستم ، فنزل النّجَف — وكان بين خروج رستم من المدائن وعسكرته بساباط وزحفه منها إلى أن لَقِيَ سعدًا أربعة أشهر ، لا يُقدِم ولا يقاتِل — رجاء أن يضجَروا بمكانهم ، وأن يجهَدوا فينصرفوا ، وكره قتالَهم مخافة أن يلقَى ما لَقِيَ مَن قبلَه⁽٤⁾ ، وطاولَهم لولا ما جعل الملك يستعجله ويُنهضه ويُقدّمه ؛ حتى أقحمه ؛ فلما نزل رستم النّجَف عادت عليه الرؤيا ، فرأى ذلك الملك ومعه النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وعمر ، فأخذ الملك سلاح أهل

٢٢٥٧/١

(١-١) ابن حبيش : « فوالله ما فرحنا بمجيئهم » .

(٢) ابن حبيش : « من أمرهم » .

(٣) ز : « تسبى وأن تحرب » .

(٤) ز : « من قبلهم » .

فارس ، فختمه ، ثم دفعه إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فدفعه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى عمر. فأصبح رستم ، فازداد حزنا ، فلمّا رأى الرّفيل ذلك رغب فى الإسلام ؛ فكانت داعيته إلى الإسلام ، وعرف عمر أنّ القوم سيطاولونهم ، فعهد إلى سعد وإلى المسلمين أن ينزلوا حدود أرضهم ، وأنْ يطاولوهم أبداً حتى يُنغضوهم ، فنزلوا القادسيّة ، وقد وطّنوا أنفسهم على الصّبْر والمطاولة ، وأبى الله إلا أن يتمّ نوره ، فأقاموا واطمأنوا ، فكانوا يُغيرون على السّواد ، فانتسفوا ما حولهُم[1] فحوَوه وأعدّوا للمطاولة ؛ وعلى ذلك جاءوا ، أو يفتح الله عليهم[2]. وكان عمر يمدّهم بالأسواق إلى ما يصيبون ؛ فلمّا رأى ذلك الملك ورستم وعرفوا حالهم ، وبلغهم عنهم فعلُهم ؛ علم أن القوم غير منتهين ، وأنّه إن أقام لم يتركوه ؛ فرأى أن يشخص رستم ، ورأى رستم أن ينزل بين العتيق والنّجف ، ثم يطاولهم مع المنازلة ، ورأى أنّ ذلك أمثلُ ما هم فاعلون[3] ، حتى يصيبوا من الإحجام حاجتَهم ، أو تدور لهم سعود .

١/٢٢٥٨ كتب إلىّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : وجعلت السّرايا تطوفُ ، ورستُم بالنّجف والجالنوس بين النّجف والسَّيْلَحين وذو الحاجب بين رستم والجالنوس ، والهرْمزان ومِهْران على مجنّبتيْه ، والبيرزان على ساقته وزاذ بن بُهَيْش صاحب فُرات سرْيا على الرّجالة ؛ وكنارَى على المجرّدة ؛ وكان جنده مائة وعشرين ألفا ، ستين ألفَ متبوع مع الرجل الشاكريّ ، ومن الستين ألفا خمسة عشر ألف شريف متبوع ، وقد تسلسلوا وتقارنوا لتدورَ عليهم رَحى الحرب .

كتب إلىّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قَيْس ، عن موسى بن طَريف ، قال : قال النّاس لسعد : لقد ضاق بنا المكان ؛ فأقدِمْ ، فزَبر مَن كلّمه بذلك ، وقال : إذا كُفيتم الرّأى ، فلا تكلّفوا ؛ فإنا لن نقدِم إلاّ على رأى ذوى الرّأى ، فاسكتوا ما سكتنا عنكم . وبعث

(١) ابن حبيش : « يليهم » .
(٢) ز : « لهم » .
(٣) ابن حبيش : « عاملون » .

طليحة وعمرًا فى غير خيلٍ كالطليعة ، وخرج سواد وحُمَيْضة فى مائة مائة ؛ فأغاروا على النَّهرين ؛ وقد كان سعد نهاهما أن يُمعِنا ، وبلغ رستم ، فأرسل إليهم خيلا ، وبلغ سعدًا أنّ خيلَه قد وَغلت ؛ فدعا عاصم بن عمرو وجابرا الأسدىّ ، فأرسلهما فى آثارهم يقتصّانها ، وسلكا طريقَهما ، وقال لعاصم: إن جَمعَكم قتَال فأنت عليهم ، فلقيهم بين النهرين وإصْطيميَا ؛ وخيل أهل فارس محتوشتُهم ، يريدون تخلُّص ما بين أيديهم ؛ وقد قال سواد لحُميضة: اختَرْ ؛ إمّا أن تقيم لهم وأستاق الغَنيمة ، أو أقيم لهم وتستاق الغنيمة . قال : أقِمْ لهم ونَهنِهْهُم عنّى ، وأنا أبلِّغ لك الغنيمة ؛ فأقام لهم سواد ، وانجذب حُميضة ، فلقيه عاصم بن عمرو ، فظنّ حُميضة أنّها خيل للأعاجم أخرى ، فصدّ عنها منحرفًا ؛ فلمّا تعارفوا ساقَها ؛ ومضى عاصم إلى سواد — وقد كان أهل فارس تنقّذوا بعضها — فلمّا رأت الأعاجم عاصمًا هربوا ، وتنقّذ سوادُ ما كانوا ارتجعوا ؛ فأتوا سعدًا بالفتح والغنائم والسلامة ؛ وقد خرج طُلَيحة وعمرو ؛ فأمّا طُلَيحة فأمره بعسكر رستم ، وأما عمرو فأمره بعسكر الجالنوس ؛ فخرج طُليحة وحْدَه ، وخرج عمرو فى عدّة ، فبعث قيس بن هبيرة فى آثارهما ؛ فقال : إن لقيتَ قتالا فأنت عليهم — وأراد إذلال طليحة لمعصيته ، وأمّا عمرو فقد أطاعه — فخرج حتّى تلقّى عمرًا ، فسأله عن طليحة ، فقال : لا علْمَ لى به ، فلمّا انتهينا إلى النَّجَف من قبل الجوْف ، قال له قيس: ما تريد ؟ قال : أريد أن أغير على أدنَى عسكرهم ؛ قال : فى هؤلاء ! قال : نعم ، قال : لا أدَعك والله وذاك ! أتُعرّض المسلمين[1] لِما لا يطيقون ! قال : وما أنت وذاك ! قال : إنى أمِّرت عليك ؛ ولو لم أكن أميرًا لم أدعك وذاك . وشهد له الأسْود بن يزيد فى نفر أنّ سعدًا قد استعمله عليك ، وعلى طليحة إذا اجتمعتم ، فقال عمرو : والله يا قيس ؛ إنّ زمانًا تكون علىّ فيه أميرًا لزمانُ سوء ! لأن أرجعَ عن دينكم هذا إلى دينى الّذى كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت أحبُّ إلىّ مِنْ أن تتأمَّر علىّ ثانية . وقال : لئن عاد صاحبك الّذى بعثَك لمثلها لنفارقنّه ؛ قال: ذاك إليك بعد مرّتك هذه ، فردّه ؛ فرجعا

١/٢٢٥٩

١/٢٢٦٠

---

(١) ابن حبيش : « أيعرض المسلمون ؟ » .

إلى سعد بالخبَر . وبأعلاج وأفراس ، وشكا كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه ؛ أمّا قيسٌ فشكا عصيانَ عمرو ، وأمّا عمرو ، فشكا غِلْظةَ قيس ، فقال سعد : يا عمرو ، الخبر والسلامة أحبّ إلىّ من مُصاب مائة بقتل ألف ، أتعمَد إلى حَلْبة فارس فتصادِمهم بمائة! إن كنت لأراك أعلَم بالحرب ممّا أرى . فقال : إنّ الأمر لكَما قلت ؛ وخرج طُلَيحة حتى دخل عسكرهم فى ليلة مقمِرة ، فتوسّم فيه ، فهتك أطنابَ بيت رجل عليه ، واقتاد فرسه ، ثم خرج حتى مرّ بعسكر ذى الحاجب ، فهتَك على رَجُلٍ آخر بيتَه ، وحلّ فرسه ، ثم دخل على الجالنوس عسكرَه فهتك على آخر بيته ، وحلّ فرسه ، ثم خرج حتى أتى الخرّارة ؛ وخرج الّذى كان بالنَّجف ، والّذى كان فى عسكر ذى الحاجب فاتّبعه الذى كان فى عسكر الجالنوس ، فكان أوّلَهم لحاقًا به الجالنوس ؛ ثم الحاجبىّ ، ثم النَّجَفى ؛ فأصاب الأوّلَيْن ، وأسَرَ الآخِر . وأتى به سعداً فأخبره ، وأسلم ؛ فسمّاه سعد مسلمًا ؛ ولزم طُليحة ؛ فكان معه فى تلك المغازى كلّها .

١/٢٢٦١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عمرو ، عن أبى عثمان النَّهْدىّ ، قال : كان عمر قد عهِد إلى سعد حين بعثَه إلى فارس ؛ ألّا يمرّ بماء من المياه بذى قوّة ونجدة ورياسة إلّا أشخصه ؛ فإن أبَى انتخبه ، فأمَّره عمر ، فقدم القادسيَّة فى اثنى عشر ألفًا من أهل الأيَّام ، وأناس من الحمراء استجابوا للمسلمين ، فأعانوهم ؛ أسلم بعضهم قبل القتال ، وأسلم بعضهم غِبَّ القتال ، فأشركوا فى الغنيمة ، وفُرِضت لهم فرائض أهل القادِسيّة : ألفين ألفين ؛ وسألوا عن أمنع قبائل العرب ، فعادُّوا تميمًا ؛ فلمَّا دنا رستم ، ونزل النَّجَف بعث سعد الطلائع ؛ وأمرهم أن يصيبوا رجلا ليسأله عن أهل فارس ؛ فخرجت الطلائع بعد اختلاف ؛ فلما أجمع مَلأ الناس أنّ الطليعةَ من الواحد إلى العشرة سَمَحوا ، فأخرج سعد طُلَيحة فى خمسة ، وعمرو بن مَعْدِيكرب فى خمسة ؛ وذلك صبيحةَ قدّم رستم الجالنوس وذا الحاجب ؛ ولا يشعرون بفُصولهم من النَّجف ؛ فلم يسيروا إلّا فرسخا وبعض

آخر ؛ حتى رأوا مسالحهم وسَرْحهم على الطُّفوف قد ملئوها ، فقال بعضهم : ارجعوا إلى أميركم فإنه سرّحكم ؛ وهو يرى أنّ القوم بالنّجف ؛ فأخبِروه الخبر ، وقال بعضهم : ارجعوا لا يَنْذرْ بكم[1] عدوّكم ! فقال عمرو لأصحابه : صدقتم ، وقال طليحة لأصحابه : كذبتم ؛ ما بُعثتم لتُخبروا عن السَّرْح ، وما بُعثتم إلا للخُبْر[2] قالوا : فما تريد ؟ قال : أريد أن أخاطِر القوم أو أهلك ، فقالوا : أنت رجل فى نفسك غَدْر ؛ ولن تفلح بعد قتل عُكّاشة ابن مِحْصَن ؛ فارجع بنا ، فأبى . وأتى سعداً الخبرُ برحيلهم ؛ فبعث قيس بن هُبيرة الأسدىّ ، وأمّره على مائة ، وعليهم إن هو لقيَهم . فانتهى إليهم وقد افترقوا ، فلمّا رآه عمرو قال : تجلّدوا له ، أرَوْه أنّهم يريدون الغارة ؛ فردّهم ، ووجد طليحةَ قد فارقهم فرجع بهم . فأتوْا سعداً ، فأخبروه بقُرب القوم ، ومضى طُليحة ، وعارض المياهَ على الطُّفُوف ؛ حتى دخلَ عسكر رستم ، وبات فيه يجوسه وينظر ويتوسّم ؛ فلمّا أدبر الليل ، خرج وقد أتى أفْضل مَن توسّم فى ناحية العسكر ؛ فإذا فرس له لم يُرَ فى خيل القوم مثلُه ، وفسطاط أبيض لم يُرَ مثله ؛ فانتضى سيفَه ، فقَطع مِقْودَ الفرس ، ثم ضمّه إلى مقْوَد فرسه ، ثم حرّك فرسه ، فخرج يعدُو به ، ونذِر به الناس والرَّجْل ، فتنادوْا وركبوا الصّعْبة والذّلول ، وعجِل بعضهم أن يسرج ، فخرجوا فى طلبه ، فأصبح وقد لحقه فارسٌ من الجُند ، فلمّا غشيَه وَبوّأ له الرّمح ليطعنه عدل طُليحة فرسه ، فندر الفارسىّ بين يديه ، فكرّ عليه طُلَيحة ، فقصَم ظهره بالرّمح ، ثم لحِق به آخر ، ففعل به مثلَ ذلك ، ثم لحِق به آخر ؛ وقد رأى مصرع صاحبيه — وهما ابنا عمّه — فازداد حنَقا ، فلمّا لحق بطُليحة ، وبوّأ له الرمح ، عدل طليحة فرسَه ، فندر الفارسىّ أمامه ، وكرّ عليه طليحة ؛ ودعاه إلى الإسار ، فعرف الفارسىّ أنه قاتله فاستأسرَ ، وأمره طُليحة أن يركُض بين يديه ؛ ففعل . ولحِق الناس فرأوا فارسَىِ الجند قد قتِلا وقد أسِر الثالث ، وقد شارف طُليحة عسكرهم ،

٢٢٦٢/١

٢٢٦٣/١

---

(١) ابن حبيش : « لا يبدرنكم » .

(٢) ابن حبيش : « للخبر » .

فأحجموا عنه ، ونكسوا ، وأقبل طُليحة حتى غشِيَ العسكر ، وهم على تعبية ، فأفزِع النّاس ، وجوّزوه إلى سعد ؛ فلمّا انتهى إليه ، قال : ويحك ما وراءك ! قال : دخلت عساكرَهم[(١)] وجُستها منذ الليلة ، وقد أخذت أفضلَهم توسُّمًا ، وما أدرى أصبت أم أخطأت ! وها هو ذا فاستخبِرْه . فأقيم التّرجمان بين سعد وبين الفارسىّ ، فقال له الفارسىّ : أتؤمِّننى على دمى إن صدقتُك ؟ قال : نعم ، الصّدق فى الحرب أحبّ إلينا من الكذب ، قال : أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمّن قِبَلى ؛ باشرتُ الحروب وغشيتُها ، وسمعت بالأبطال ولقيتُها ؛ منذ أنا غلام إلى أن بلغت ما ترَى ، ولم أرَ ولم أسمع بمثل هذا ؛ أن رجلا قطع عسكرين لا يجترئ عليهما الأبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفًا ، يخدم الرجلَ منهم الخمسةُ والعشرة إلى ما هو دون ؛ فلم يرضَ أن يخرج كما دخل حتّى سلَب فارس الجند ؛ وهَتك أطناب بيته فأنذرَه ، فأنذرَنا به ، فطلبناه ، فأدركه الأوّل وهو فارس الناس ، يعدِل ألفَ فارس فقتله ، فأدركه الثانى وهو نظيره فقتله ، ثم أدركتُه ، ولا أظنّ أننى خلّفت بعدى مَنْ يعدِلنى وأنا الثائر بالقتيلين ، وهما ابنا عمّى ، فرأيتُ الموت فاستأسرت . ثم أخبره عن أهل فارس ؛ بأن الجند عشرون ومائة ألف ، وأن الأتباع مثلهم خُدّام لهم . وأسلم الرّجل وسمّاه سعد مسلمًا ، وعاد إلى طليحة ، وقال : لا والله ، لا تُهزَمون ما دمتم على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح والمؤاساة ؛ لا حاجةَ لى فى صُحبة فارس ؛ فكان من أهل البلاء يومئذ . ١/٢٣٦٤

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن موسى بن طريف ، قال : قال سعد لقيس بن هُبيرة الأسدىّ : اخرج يا عاقلُ ، فإنّه ليس وراءك من الدُّنيا شىء تحنُو عليه حتى تأتيَنى بعلم القوم . فخرج وسرّح عمرَو بن معديكرب وطليحةَ ؛ فلمّا حاذَى القنطرة لم يسِرْ إلاّ يسيرًا حتى لحِق ، فانتهى إلى خيلٍ عظيمة منهم بحيالها تردّ عن عسكرهم ، فإذا رستُم قد ارتحلَ من النّجَف ، فنزل منزل ذى الحاجب ،

---

(١) ز : « عسكرهم » .

فارتحل الجالنوس ، فنزل ذو الحاجب منزلَه ، والجالنوس يريد طَيْزَناباذ ؛ فنزل بها ، وقدّم تلك الخيل . وإنّ ما حمل سعداً على إرسال عمرو وطليحة معه لَمقالةٌ بلغتْه عن عمرو ، وكلمة قالها لقيس بن هُبيرة قبل هذه المرّة ، فقال : قاتِلوا عدوَّكم يا معشرَ المسلمين . فأنشِب القتال ، وطاردهم ساعة . ثم إنّ قيساً حَمَل عليهم ، فكانت هزيمتهم ، فأصاب منهم اثنى عشر رجلا ، وثلاثة أسراء ، وأصاب أسلاباً ، فأتوا بالغنيمة سعداً وأخبروه الخبر ؛ فقال : هذه بشرى إن شاء الله ؛ إذا لقيتم جمعهم الأعظم وحدّهم ؛ فلهم أمثالُها ، ودعا عمرا وطُليحة ، فقال : كيف رأيتما قيسا ؟ فقال طليحة : رأيناه أكمانا[1] ، وقال عمرو : الأمير أعلم بالرّجال منّا . قال سعد : إنّ الله تعالى أحيانا بالإسلام وأحيا به قلوباً كانت ميّتة ، وأمات به قلوباً كانت حيّة ، وإنى أحذّركما أن تؤثِرا أمر الجاهليّة على الإسلام ؛ فتموت قلوبكما وأنتما حيّان ؛ الزَما السمع والطاعة والاعتراف بالحقوق ؛ فما رأى النّاس كأقوام أعزّهم الله بالإسلام . ١/٢٢٦٥

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو وزياد ؛ وشاركهم المجالِد وسعيد بن المَرْزُبان ، قالوا : فلمّا أصبح رستم من الغدِ من يوم نزل السَّيْلَحِين قدّم الجالنوس وذا الحاجب ، فارتحل الجالِنوس ، فنزل من دون القنطرة بِحيال زُهرة ، ونزل إلى صاحب المقدّمة ، ونزل ذو الحاجب منزله بطيزَناباذ ، ونزل رستم منزلَ ذى الحاجب بالخرّارة ، ثم قدّم ذا الحاجب ؛ فلمّا انتهى إلى العتيق تَياسر حتى إذا كان بحيال قُدَيس خندق خندَقاً ، وارتحل الجالنوس فنزل عليه وعلى مقدّمته — أعنى سعداً — زُهرة بن الحَويَّة ، وعلى مجنّبتيه عبد الله بن المُعْتَمّ ، وشُرحبيل بن السِّمط الكندىّ ، وعلى مجرّدته عاصم بن عمرو ، وعلى المُرامية فلان ، وعلى الرجْل فلان ، وعلى الطلائع سَواد بن مالك ، وعلى مقدّمة رستم الجالنوس ، وعلى مجنّبتيه الهُرمزان ومِهران وعلى مجرّدته ذو الحاجب ، وعلى الطلائع البيرزان ، وعلى الرّجالة زاد بن بُهَيش . فلّما انتهى رستم إلى العتيق ، وقف عليه ١/٢٢٦٦

---

(١) ابن حبيش : « أكمى منا » .

بِحيال عسكر سعد ؛ ونزّل الناس ؛ فما زالوا يتلاَحقون ويُنْزِلهم فينزلون؛ حتى أعتموا من كَثْرتهم ؛ فبات بها تلك الليلة والمسلمون مُمْسِكون عنهم .

قال سعيد بن المرزبان : فلمّا أصبحوا من ليلتهم بشاطئ العتيق غدا منَجّم رستم على رستم برؤيا أرِيَها من اللّيل ، قال : رأيت الدّلو فى السماء؛ دلوًا أفرِغ ماؤه ، ورأيت السمكة ؛ سمكة فى ضَحْضاح من الماء تضطرب ، ورأيت النّعائم والزُّهرة تزدهر ، قال : ويحك ! هل أخبرت بها أحدًا ؟ قال : لا ، قال : فاكتمها .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : كان رستم منجّمًا ، فكان يبكِى ممّا يرى ويقدم عليه ، فلمّا كان بظهر الكوفة رأى أنّ عمر دخل عسكر فارس ، ومعه ملَك ، فختم على سلاحهم ، ثم حزمه ودفعه إلى عمر .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم — وكان قد شهد القادسيّة — قال : كان مع رستم ثمانية عشر فيلاً ، ومع الجالنوس خمسة عشر فيلا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبىّ ؛ قال : كان مع رستم يوم القادسيّة ثلاثون فيلا . ٢٢٦٧/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ، عن رجل ، قال : كانَ مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلا ؛ منها[1] فيل سابور الأبيض ؛ وكانت الفيَلة تألفه ، وكان أعظمها وأقدمها .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضْر ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال : كان معه ثلاثة وثلاثون فيلا ، معه فى القَلْب ثمانية عشر فيلاً ، ومعه فى المجنّبتين خمسة عشر فِيلا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد وسعيد وطلحة

---

(١) ابن حبيش : « فيها » .

وعمرو وزياد ، قالوا: فلمَّا أصبح رستم من ليلته الّتى باتها بالعتيق ، أصبح راكبًا فى خَيْلِه ، فنظر إلى المسلمين ، ثم صعد نحو القنطرة ، وقد حزر الناس ، فوقف بحيالهم دون القنطرة؛ وأرسل إليهم رَجُلاً ؛ إنَّ رستم يقول لكم : أرسلوا إلينا رجلاً نكلِّمه ويكلِّمنا ، وانصرف فأرسل زُهرة إلى سعد بذلك ؛ فأرسل إليه المغيرة بن شُعبة ، فأخرجه زُهرة إلى الجالنوس ؛ فأبلغه الجالِنوس رستَم .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر ، عن ابن الرُّفَيل ، عن أبيه ، قال : لمَّا نزل رستم على العتيق وبات به ، أصبح غاديًا على التَّصفّح والحزْر[1] ، فسايَرَ العتيق نحو خَفَّان ، حتى أتى على مُنْقطَع عسكر المسلمين ، ثم صعِد حتى انتهى إلى القنطرة ؛ فتأمَّل القوم ؛ حتى أتى على شىء يُشرِف منه عليهم ؛ فلما وقف على القنطرة راسل زُهرة ، فخرج إليه حتى واقفه ، فأراده أن يصالحهم ، ويجعل له جُعْلاً على أن ينصرفوا عنه ، وجعل يقول فيما يقول : أنتم[2] جيراننا وقد كانت طائفة منكم فى سلطاننا ؛ فكنّا نُحسن جِوارهم ، ونكفّ الأذى عنهم ، ونولِّيهم المرافق الكثيرة ، نحفظهم فى أهل باديتهم[3] ؛ فنُرعيهم مرَاعينا ، ونميرهم من بلادنا ، ولا نمنعهم من التجارة فى شىء من أرضنا ؛ وقد كان لهم فى ذلك معاشٌ — يعرّض لهم بالصّلح ؛ وإنما يخبره بصنيعهم ، والصلح يريد ولا يصرّح — فقال له زهرة : صدقتَ ، قد كان ما تذكر ؛ وليس أمرُنا أمرَ أولئك ولا طَلِبتنا . إنّا لم نأتِكم لطلَب الدُّنيا ؛ إنما طَلِبتنا وهِمّتنا الآخرة ؛ كنّا كما ذكرت ، يدين لكم من ورد عليكم منّا ، ويضرع إليكم يطلب ما فى أيديكم . ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولاً ، فدعانا إلى ربِّه ، فأجبناه ، فقال لنبيّه صلى الله عليه وسلم : إنّى قد سلّطت هذه الطائفة عَلَى من لم يَدِنْ بدينى ، فأنا منتقم بهم منهم ؛ وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به ، وهو دين الحقّ ، لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ ، ولا يعتصم به أحَد إلاّ عزّ . فقال له رستم : وما هو ؟ قال : أمّا عموده الّذى

١/٢٢٦٨

---

(١) التصفح : التأمل ، والحزر : التخمين .
(٢) ابن الأثير : « كنتم » ، وابن حبيش : « إنكم » .
(٣) ز : « ناديهم » .

لا يصلح منه شيء إلاّ به ، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى . قال: ما أحسن هذا ! وأىّ شيء أيضًا ؟ قال : وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى . قال : حسنٌ ، وأىّ شيء أيضًا ؟ قال : والنّاس بنو آدم وحوّاء،إخوة لأب وأمّ، قال : ما أحسن هذا ! ثمّ قال له رستم : أرأيت لو أنّى رضيت بهذا الأمْر وأجبتكم إليه ؛ ومعى قومى كيف يكون أمركم ! أترجعون ؟ قال : إى والله ، ثمّ لا نقرب بلادكم أبداً إلاّ فى تجارة أو حاجة . قال : صدقتَنى والله ، أمَا إنّ أهل فارس منذ ولى أردشير لم يدَعُوا أحداً يخرج من عمله من السِّفلة ، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم : تعدَّوا طَوْرهم ، وعادَوْا أشرافهم . فقال له زُهرة : نحن خيرُ النّاس للنّاس ، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون ؛ نطيع الله فى السّفلة ، ولا يضرّنا مَنْ عصى الله فينا . فانصرف عنه ، ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا ، فَحمُوا[1] من ذلك،وأنفوا، فقال: أبعدَكم الله وأسحقكم ! أخزى الله أخْرَعنا وأجبننا[2]! فلمّا انصرف رستم ملتُ إلى زُهرة، فكان إسلامى ؛ وكنت له عديداً . وفرض لى فرائض أهل القادسيّة . ١/٢٢٦٩

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن محمد وطلحة وعمرو وزياد بإسنادهم مثله . قالوا : وأرسل سعد إلى المغيرة بن شُعبة وبُسْر بن أبى رُهْم وعَرفَجة بن هَرثمة وحُذيفة بن مِحصَن ورِبْعىّ بن عامر وقِرفة بن زاهر التيمىّ ثم الوائلىّ ومذعُور بن عَدِىّ العجلىّ، والمضارب ابن يزيد العِجلىّ ومَعْبَد بن مُرّة العِجلىّ — وكان من دُهاة العرب — فقال : إنى مُرسلُكم إلى هؤلاء القوم ؛ فما عندكم ؟ قالوا جميعًا : نتّبع ما تأمرنا به ، وننتهى إليه ؛ فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثلَ ما ينبغى وأنفعَه للنّاس ؛ فكلّمناهم به . فقال سعد : هذا فِعل الحزَمة ، اذهبوا فتهيّئُوا ، فقال رِبعىّ بن عامر : إنّ الأعاجم لهم آراء وآداب ، ومتى ١/٢٢٧٠

(١) ز : « فخملوا » . (٢) ز : « أجنننا وأجزعنا » .

نأتهم جميعاً يروا أنّا قد احتفلنا بهم ! فلا تَزِدهم على رجل ؛ فمالئوه جميعاً على ذلك ، فقال : فسرّحونى ، فسرّحه ، فخرج ربعىّ ليدخُل على رستم عسكره ، فاحتبسه الّذين على القنطرة ، وأرسِل إلى رستم لمجيئه ، فاستشار عظماءَ أهل فارس ، فقال : ما ترون ؟أنُباهى أم نتهاوَن ! فأجمع ملؤُهم على التهاون ، فأظهروا الزِّبْرِج ، وبسطوا البُسُط والنَّمارق ، ولم يتركوا شيئاً ، ووضع لرستم سرير الذَّهب ، وألبس زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب . وأقبل رِبعىّ يسير على فرس له زبّاء[1] قصيرة ، معه سيف له مَشُوف[2] ، وغمده لِفافة ثوب خَلَق ، ورمحُه معلوب[3] بقِدّ ، معه حَجَفة[4] من جلود البقر ؛ على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف ، ومعه قوسه ونَبْله . فلمّا غشى الملكَ ، وانتهى إليه وإلى أدنى البُسط ، قيل له : انزل ، فحمَلها على البِساط ، فلمّا استوت عليه ، نَزَل عنها ورَبطها بوسادتين فشقّهما ، ثم أدخل الحبل فيهما ، فلم يستطيعوا أن ينهَوه ؛ وإنما أروه التّهاون وعرف ما أرادوا ، فأراد استحراجَهم[5] ، وعليه دِرع له كأنها أضاة[6] ويَلْمَقُه[7] عباءة بعيره ، قد جابها[8] وتدرّعها ، وشدّها على وسطه بسَلَب[9] وقد شدّ رأسه بمعجرته ؛ وكان أكثر العرب شعرةً ، ومِعجرته نِسعة بعيره ؛ ولرأسه أربع ضفائر ؛ قد قمن قياماً ، كأنهنّ قرون الوعِلة . فقالوا : ضَعْ سلاحك ، فقال : إنّى لم آتِكم فأضع سلاحى بأمركم ، أنتم دعوتمونى ، فإن أبيتم أن آتيَكم كما أريد رجعت . فأخبروا رستم ؛ فقال : ائذنوا له ؛ هل هو إلاّ رجل واحد! فأقبل يتوكّأ على رمحه ، وزُجّه نصلٌ يقارب

١/٢٢٧١

---

(١) زباء : طويلة الشعر كثيرته . (٢) المشوف : المجلو .

(٣) يقال : علب الرمح ، فهو معلوب ، أى حزم مقبضه بعلباء البعير ، وهو عنقه .

(٤) الحجفة : الترس .

(٥) ز : « استخراجهم » .

(٦) الأضاة : الغدير .

(٧) اليلمق : القباء .

(٨) فى اللسان : « جبت القميص : قورت جيبه » .

(٩) السلب : ليف المقل .

الحطو ، ويزجّ النّمارق والبُسط ؛ فمَا ترك لهم نُمرقة ولا بساطًا إلاّ أفسده وتركه منهتكا مخرّقًا[1] ؛ فلمَّا دنا من رستم تعلّق به الحرس ، وجلَس على الأرض ، وركز رمحَه بالبُسط ، فقالوا : ما حملك على هذا ؟ قال : إنّا لا نستحبّ[2] القعود على زينتكم هذه. فكلّمه ،فقال : ما جاء بكم ؟ قال : الله ابتعثنا ،والله جاء بنا لنُخرجَ مَن شاءمن عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضِيق الدُّنيا إلى سَعتها ، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خَلْقه لندعوَهم إليه،فَمَن قَبِل منّاذلك قَبِلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضَه يليها دُوننا، ومن أبى قاتلناه أبدًا؛ حتى نُفضِيَ إلى موعود الله. قال : وما موعود الله ؟ قال : الجنّة لمن مات على قتال مَن أبى، والظَّفَر لمن بقِى . فقال رستم : قد سمعت مقالتَكم ؛ فهل لكم أن تؤخّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتَنْظُروا ! قال : نعم ،كم أحبّ إليكم ؟ أيومًا أو يومين؟ قال : لا بل حتَّى نكاتب أهلَ رأينا ورؤساء قومِنا . وأراد مقاربته ومدافعتَه ، فقال : إنّ مما سنّ لنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وعمِل به أئمّتنا ، ألاّ نمكّن الأعداء من آذاننا ، ولا نؤجِّلهم عند اللقاء أكثرَ من ثلاث، فنحن متردّدون عنكم ثلاثًا ، فانظر فى أمرك وأمرهم ، واختَر واحدةً من ثلاث بعد الأجل ، اختر الإسلام ونَدَعك وأرضك ، أوالجزاء، فنقبل ونكفّ عنك؛وإن كنت عن نصرنا غنيًّا تركناك منه ، وإن كنت إليه محتاجًا منعناك؛أو المنابذة فى اليوم الرابع ؛ ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا ؛ أنا كفيل لك بذلك على أصحابى وعلى جميع مَن ترى . قال : أسيّدُهم أنت ؟ قال : لا ؛ ولكنّ المسلمين كالجسد بعضهم من بعض ؛ يجير أدناهم على أعلاهم . فخلص رستم برؤساء أهل فارس ، فقال : ما ترون ؟ هل رأيتم كلامًا قطّ أوضحَ ولا أعزّ من كلام هذا الرجل ؟ قالوا : معاذ الله لك أن تميل إلى شىء من هذا وتدَع دينك لهذا الكلْب ! أما ترى إلى ثيابه ! فقال : وَيْحكم

١/٢٢٧٢

(١) ابن حبيش : « وتركها متهتكة منخرقة » .

(٢) النويرى : « نستحل » .

لا تنظروا إلى الثياب ؛ ولكن انظروا إلى الرّأى والكلام والسّيرة ؛ إنّ العرب تستخفّ باللّباس والمأكل ويصونون الأحساب ، ليسوا مثلكم فى اللبّاس ، ولا يروْن فيه ما ترون . وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه ، ويزهّدونه فيه ، فقال لهم : هل لكم إلى ١/٢٢٧٣ أن تُرُونى فأريَكم ؟ فأخرج سيفه من خِرَقه كأنه شُعْلة نار . فقال القوم : اغمِده ، فغمَده ؛ ثم رمى تُرسًا ورموا حَجَفته ، فخُرق تُرسهم ، وسلمت حَجَفته ، فقال : يا أهلَ فارس ؛ إنكم عظّمتم الطعام واللّباس والشراب ؛ وإنّا صغّرناهنّ . ثمّ رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل ، فلمّا كان من الغد بعثوا أن ابعث إلينا ذلك الرّجُل ؛ فبعث إليهم سعد حُذيفة بن مِحصن ، فأقبل فى نحو من ذلك الزّىّ ، حتى إذا كان على أدنى البِساط ، قيل له : انزل ، قال : ذلك لو جئتُكم فى حاجتى ؛ فقولوا لملككم : أله الحاجة أم لى ؟ فإن قال : لى ؛ فقد كذب ؛ ورجعت وتركتكم ؛ فإن قال : له ، لم آتكم إلا على ما أحِبّ . فقال : دعوه ، فجاء حتى وقف عليه ورستم على سريره ، فقال : انزل ، قال : لاأفعل ، فلمّا أبى سأله : ما بالك جئت ولم يجئْ صاحبنا بالأمس ؟ قال : إن أميرنا يحبّ أن يعدل بيننا فى الشدّة والرّخاء ؛ فهذه نوْبتى . قال : ما جاء بكم ؟ قال : إنّ الله عزّ وجلّ منّ علينا بدينه ، وأرانا آياتِه ، حتى عرفناه وكنا له منكرين . ثم أمرَنا بدُعاء الناس إلى واحدة من ثلاث ؛ فأيّها أجابوا إليها قبلناها : الإسلام وننصرف عنكم ، أو الجِزَاء ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك ، أو المنابذَة . فقال : أو الموادعة إلى يوم ما ؟ فقال : نعم ، ثلاثًا من أمسِ . فلمّا لم يجد عنده إلا ذلك ردّه وأقبل على أصحابه ، فقال : ويْحكم ! ألا ترون إلى ما أرى ! جاءنا الأوّل بالأمس فغلَبنا على أرضنا ، وحقّر ما نعظّم ، وأقام فرسه على زِبْرِجنا وربَطه به ؛ فهو فى يُمْن ١/٢٢٧٤ الطائر ، ذهب بأرضنا وما فيها إليهم ، مع فضل عقله . وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا ؛ فهو فى يُمْنِ الطائر ، يقوم على أرضنا دونَنا ، حتى أغضبَهم وأغضبوه . فلمّا كان من الغد أرسل : ابعثوا إلينا رجلاً ، فبعثوا إليهم المغيرة بن شعبة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان النّهدىّ . قال : لمّا جاء المغيرة إلى القنطرة فعبَرها إلى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رستم

فى إجازته ، ولم يغيِّروا شيئًا من شارتهم ، تقويةً لتهاونهم ؛ فأقبل المغيرة بن شعبة ، والقوم فى زيّهم ، عليهم التّيجان والثّياب المنسوجة بالذهب ، وبُسُطُهم على غَلْوة[١] لا يصلُ إلى صاحبهم ؛ حتى يمشىَ عليهم غَلْوةً ؛ وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشى ؛ حتى جلس معه على سريره ووسادته ؛ فوثبوا عليه فترتروه[٢] وأنزلوه ومغثوه[٣] . فقال : كانت تَبْلغنا عنكم الأحلام ؛ ولا أرى قومًا أسفهَ منكم ! إنّا معشر العرب سواءٌ ؛ لا يستعبد بعضنا بعضاً إلاّ أن يكون محاربًا لصاحبه ؛ فظننت أنّكم تُواسون قوْمكم كما نَتواسى ؛ وكان أحسن مِن الذى صنعتم أن تُخبرونى أنّ بعضكم أربابُ بعض ، وأنّ هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه ؛ ولم آتِكم ؛ ولكن دعوتمونى اليوم ؛ علمت أن أمركم مضمحلّ ، وأنّكم مغلوبون ؛ وأن مُلكًا لا يقوم على هذه السيرة ، ولا على هذه العقول .

١/٢٢٧٥

فقالت السّفلة : صدَق والله العربىّ ، وقالت الدّهاقين : والله لقد رَمى بكلام لا يزال عبيدُنا ينزِعون إليه ؛ قاتلَ الله أوّلينا ، ما كان أحمقهم حين كانوا يصغّرون أمر هذه الأمّة ! فمازحه رستُم ليمحُوَ ما صُنع ، وقال له : يا عربىّ ؛ إنّ الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك ، فيتراخى عنها مخافة أن يكسرها عمّا ينبغى من ذلك ؛ فالأمر علَى ما تحبّ من الوفاء وقبول الحقّ ؛ ما هذه المغازل التى معك ؟ قال : ما ضرّ الجمرة ألاّ تكون طويلة ! ثم راماهم . وقال : ما بال سيفك رثًّا ! قال : رثُّ الكسوةِ ، حديد المضربة . ثم عاطاه سيفه ، ثم قال له رستم : تكلّم أم أتكلّم ؟ فقال المغيرة : أنت الّذى بعثت إلينا ، فتكلّم ، فأقام الترجمان بينهما ، وتكلّم رستم ، فحمِد قومه ، وعظّم أمرهم وطوّله ، وقال : لم نزل متمكّنين فى البلاد ، ظاهرين على الأعداء ، أشرافًا فى الأمم ؛ فليس لأحد من الملوك مثل عزّنا وشرفنا وسلطاننا ، نُنصَر على النّاس ولا يُنصرون علينا إلاّ اليوم واليومين ، أو الشّهر والشهرين ؛ للذنوب ؛ فإذا انتقم الله فرضىَ ردّ إلينا عزّنا ، وجمعنا لعدونا شرّ يوم هو آتٍ عليهم .

١/٢٢٧٦

---

(١) الغلوة : قدر رجعة السهم .

(٢) ترتروه : حركوه .

(٣) مغثوه : ضربوه ضرباً ليس بالشديد .

ثم إنه لم يكن فى النّاس أمة أصغر عندنا أمرًا منكم ؛ كنتم أهلَ قَشف ومعيشة سيّئة ، لا نراكم شيئًا ولا نعدّكم ، وكنتم إذا قحطت أرضكم ، وأصابتكم السَّنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشىء[1] من التَّمْر والشعير ثم نردّكم ، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلاّ ما أصابكم من الجهد فى بلادكم ، فأنا آمرُ لأميركم بكُسوة وبغْل وألف درهم ، وآمرُ لكلّ رجل منكم بوِقر تمْرٍ وبثوبين ، وتنصرفون عنّا ، فإنى لست أشتهى أن أقتُلكم ولا آسركم .

فتكلّم المغيرة بن شُعبة ، فحمِد الله وأثنَى عليه ، وقال : إنّ الله خالق كلّ شىء ورازقه ؛ فمَن صنع شيئًا فإنما[2] هو الذى يصنعه هو له[2] . وأمّا الذى ذكرت به نفسَك وأهلَ بلادك ؛ من الظّهورِ على الأعداء والتمكّن فى البلاد وعُظْم السلطان فى الدنيا ؛ فنحن نعرفه ، ولسنا نُنكره ؛ فالله صنعه بكم ؛ ووضعه فيكم ؛ وهو له دونكم ؛ وأمّا الذى ذكرت فينا من سُوء الحال ، وضِيق المعيشة واختلاف القلوب ؛ فنحن نعرفُه ؛ ولسنا ننكره ؛ والله ابتلانا بذلك ، وصيّرنا إليه ، والدنيا دُوَل ؛ ولم يزل أهلُ شدائدها يتوقّعون الرّخاء حتى يصيروا إليه ؛ ولم يزل أهل رخائها يتوقّعون الشّدائد حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ؛ ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوِى شُكر ، كان شكركم يقصّر عمّا أوتيتم ، وأسلمكم ضَعْف الشكر إلى تغيّر الحال ؛ ولو كنّا فيما ابتُلينا به أهلَ كفر ؛ كان عظيم ما تتابع علينا مستجلبًا من الله رحمة يرفّه بها عنّا ، ولكنّ الشأن غيرُ ما تذهبون إليه ؛ أو[3] كنتم تعرفوننا به ؛ إنّ الله تبارك وتعالى بعثَ فينا رسولاً ... ثم ذكر مثلَ الكلام الأوّل ؛ حتى انتهى إلى قوله : وإن احتجت إلينا أن نمنعك فكنْ لنا عبدًا تؤدّى الجزية عن يدٍ وأنت صاغر ، وإلاّ فالسيف إن أبيت ! فنخر نخرة ، واستشاط غضبًا ، ثم حلَف بالشّمْس لا يرتفع لكم الصّبح غدًا حتى أقتلكم أجمعين .

١/٢٢٧٧

فانصرف المغيرة ؛ وخلَص رستم تألّفا بأهل[4] فارس ، وقال : أين هؤلاء منكم ؟ ما بعد هذا ! ألم يأتِكم الأوّلان فحسَّراكم واستحرجاكم ، ثم جاءكم

(١) ابن الأثير والنويرى : « بشىء » .

(٢ – ٢) ط : « فإنما هو يصنعه والذى له » ، وانظر التصويبات .

(٣) ابن حبيش : « إذ » . (٤) ز : « لأهل »

هذا ، فلم يختلفوا ، وسلكوا طريقًا واحدًا ، ولزموا أمرًا واحدًا ؛ هؤلاء والله الرجال ؛ صادقين كانوا أم كاذبين ! والله لئن كان بلغ من إربهم وصونهم لسرّهم ألّا يختلفوا، فما قومٌ أبلغ فيما أرادوا منهم ؛ لئن كانوا صادقين ما يقوم لهؤلاء شيء ! فلجّوا وتجلّدوا وقال : والله إني لأعلم أنكم تصغون إلى ما أقول لكم ؛ وإنّ هذا منكم رئاء؛ فازدادوا لجاجة .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن الرفيل ، عن أبيه ، قال : فأرسل مع المغيرة رجلاً ، وقال له : إذا قطع القنطرة ، ووصل إلى أصحابه ، فناد : إن الملك كان منجّمًا قد حسب لك ونظر في أمرك، فقال : إنّك غدًا تُفقأ عينُك[1] . ففعل الرسول ، فقال المغيرة : بشّرتني[2] بخير وأجر ؛ ولولا أنْ أجاهدَ بعد اليوم أشباهكم من المشركين ، لتمنّيتُ أنّ الأخرى ذهبت أيضًا . فرآهم يضحكون من مقالته ، ويتعجّبون منْ بصيرته ؛ فرجع إلى الملك بذلك، فقال : أطيعوني يا أهلَ فارس ؛ وإنّي لأرى لله فيكم نقْمة لا تستطيعون ردّها عن أنفسكم . وكانت خيولُهم تلتقي على القنطرة لا تلتقي إلّا عليها ، فلا يزالون يبدءون المسلمين ، والمسلمون كافّون عنهم الثلاثة الأيام ؛ لا يبدءونهم ؛ فإذا كان ذلك منهم صدّوهم وردعوهم. ١ / ٢٢٧٨

كتب إليّ السريّ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد ، عن عبيد الله، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان ترجمان رستم عن أهل الحيرة يُدعى عبود.

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبيّ وسعيد بن المرزبان ، قالا : دعا رستم بالمغيرة ، فجاء حتى جلس على سريره ، ودعا رستم ترجمانه — وكان عربيًّا من أهل الحيرة ، يُدعى عبود — فقال له المغيرة : ويحك يا عبود ! أنت رجل عربيّ ؛ فأبلغه عنّي إذا أنا تكلّمت كما تبلغني عنه. فقال له رستم مثل مقالته ، وقال له المغيرة مثل مقالته، إلى إحدى

---

(١) ابن حبيش : « إنا نفقأ عينك غداً » . (٢) ز : «تبشرني » .

ثلاث خلال : إلى الإسلام ولكم فيه مالنا وعليكم فيه ما علينا ؛ ليس فيه تفاضُل بيننا ، أوالجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون . قال : ما « صاغرون » ؟ قال : أن يقوم الرجل منكم على رأس أحدِنا بالجزية يحمَده أن يقبلها منه ... إلى آخر الحديث ؛ والإسلام أحبّ إلينا منهما . ٢٢٧٩/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة ، عن شقيق ، قال : شهدتُ القادسيَّة غلامًا بعد ما احتلمت ؛ فقدم سعد القادسيَّة فى اثنى عشر ألفًا ؛ وبها أهل الأيَّام ، فقدمتْ علينا مقدّمات رستم ، ثمّ زحف إلينا فى ستين ألفًا ، فلما أشرف رستم على العسكر قال : يا معشرَ العرب ، ابعثوا إلينا[1] رجلاً يكلّمنا ونكلّمه ؛ فبعث إليه المغيرةَ بن شعبة ونفرًا ، فلما أتوْا رستم جلس المغيرة على السَّرير ، فنخر أخو رستم ، فقال المغيرة : لا تنخر ؛ فما زادنى هذا شرفًا ولانقص أخاك . فقال رستم : يا مغيرة ، كنتم أهل شقَاء ، حتى بلغ ؛ وإن كان لكم أمرٌ سِوى ذلك ، فأخبِرونا . ثم أخذ رستم سهمًا من كنانته ، وقال : لا تروْا أنّ هذه المغازل تغنِى عنكم شيئًا ؛ فقال المغيرة مُجيبًا له ، فذكَر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم [قال] : فكان ممَّا رزقنا الله على يديه حبَّةتنبت فى أرضكم هذه ؛ فلمَّا أذقناها عيالَنا ، قالوا : لا صبرَ لنا عنها ، فجئنا لنُطعمهم أو نموت . فقال رستم : إذًا تموتون أو تُقتلون ، فقال المغيرة : إذًا يدخل مَن قتِل منَّا الجنّة ، ويدخل مَن قَتلنا منكم النارَ ، ويظفر مَن بقىَ منَّا بمن بقى منكم ؛ فنحن نخيّرك بين ثلاث خلال ... إلى آخر الحديث . فقال رستم : لا صلح بيننا وبينكم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزيادٍ ، قالوا : أرسل إليهم سعد بقيَّة ذوى الرأى جميعًا ، وحبس الثَّلاثة[2] ، فخرجوا حتى أتوْه ليعظموا عليه استقباحًا ، فقالوا له : إنّ أميرَنا يقول لك : إنّ الجوار يحفظ الوُلاة ، وإنّى أدعوك إلى ما هو خير لنا ولك ، العافية أن تقبل ٢٢٨٠/١

---

(١) ن : « لنا » . (٢) ز : « فحبس الثلاثة جميعاً » .

ما دعاك الله إليه ، ونرجع إلى أرضنا ، وترجع إلى أرضك وبعضنا من بعْض ؛ إلاّ أنّ داركم لكم ، وأمركم فيكم ؛ وما أصبتم ممّا وراءكم كان زيادة لكم دوننا ؛ وكنّا لكم عونا على أحد إن أرادكم أو قوِى عليكم . واتّق الله يا رستم ؛ ولا يكونَنّ هلاكُ قومك على يديك ، فإنه ليس بينك وبين أن تُغْبَط به إلا أن تدخل فيه وتطرُد به الشيطان عنك ؛ فقال : إنى قد كلّمت منكم نفرًا ، ولو أنهم فهموا عنّى رجوت أن تكونوا قد فهِمتم ، وإنّ الأمثال أوضحُ من كثير من الكلام ، وسأضرب لكم مثَلكم تبصَّروا . إنكم كنتم أهل جَهد فى المعيشة ، وقَشَف فى الهيئة ، لا تمتنعون ولا تنتصفون ، فلم نُسئ جِوارَكم ، ولم ندع مواساتكم ، تُقحِمون المرّة بعد المرّة ، فنميركم ثم نردّكم[1] ، وتأتوننا أُجَراء وتجّارًا ، فنحسِن إليكم ؛ فلما تطاعمتم بطعامنا ، وشربتم شرابنا ، وأظلّكم ظلّنا ، وصفتم لقومكم ؛ فدعوتموهم ، ثم أتيتمونا بهم ، وإنما مثلُكم فى ذلك ومثلُنا كمثل رجل كان له كَرْم ، فرأى فيه ثعلبا ، فقال : وما ثعلب ! فانطلق الثّعلب ، فدعا الثّعالب إلى ذلك الكَرْم ، فلما اجتمعن عليه سدّ عليهنّ صاحبُ الكرْم الجُحر الّذى كنّ يدخلْن منه ، فقتلهنّ ؛ وقد علمتُ أنّ الذى حمَلكم على هذا الحرصُ والطمعُ والجَهد ؛ فارجعوا عنّا عامَكم هذا ، وامتاروا حاجتَكم ، ولكم العَوْد كلّما احتجتم ، فإنى لا أشتهى أن أقتلكم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عُمارة بن القعقاع الضّبىّ ، عن رجل من يَربوع شهدَها ، قال : وقال وقد أصابَ أناس كثير منكم من أرضنا ما أرادوا ، ثم كان مصيرُهم القتل والهرَب ، ومَن سنّ هذا لكم خيرٌ منكم وأقوى ؛ وقد رأيتم أنتم كلّما أصابوا شيئًا أصيب بعضهم ونجا بعضهم ؛ ونخرج ممّا كان أصاب ، ومن أمثالكم فيما تصنعون مثل جُرْذان ألِفت جرّة فيها حَبّ ، وفى الجرّة ثَقْب ، فدخل الأوّل فأقام فيها ، وجعل الأخَر ينقُلن منها ويرجعْنَ ويكلّمنه فى الرجوع ، فيأبَى فانتهى سمن الذى فى الجرّة ، فاشتاق إلى أهله ليُريَهم حُسن حاله ،

---

(١) ز : « ندرؤكم » .

فضاق عليه الجُحر ، ولم يُطِق الخروج ، فشكا القَلَق إلى أصحابه ، وسألهم المخرج ، فقلن له : ما أنت بخارج منها حتى تعودَ كما كنت قبل أن تدخل ، فكفّ وجوّع نفسه ، وبقِيَ فى الخوف ، حتى إذا عاد كما كان قبل أن يدخُلَها أتى عليه صاحب الجَرّة فقتله . فاخرُجوا ولا يكونَنّ هذا لكم مثلا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال : وقال : لم يخلق الله خلْقا أولَع من ذُباب ولا أضرّ ؛ ما[1] خلاكم يا معشر العرب ؛ تروْن الهلاك ويُدليكم فيه الطّمع ؛ وسأضرب لكم مثلكم : إنّ الذّباب إذا رأى العسَلَ طار ، وقال : مَن يوصّلنى إليه وله درهمان حتى يدخله ؟ لا ينهنِهُه أحد إلا عصاه ، فإذا دخله غرق ونشِب وقال : مَن يخرجنى وله أربعة دراهم ؟ وقال أيضًا : إنما مثلُكم مثل ثعلب دخل جُحرًا وهو مهزول ضعيف إلى كَرْم ، فكان فيه يأكل ما شاء الله ، فرآه صاحب الكَرْم ، ورأى ما به ، فرحمه ، فلمّا طال مكثُه فى الكَرْم وسمِن ، وصلَحت حالُه ، وذهب ما كان به من الهزال أشِر ، فجعل يعبث بالكَرْم ويُفسد أكثر ممّا يأكل ، فاشتدّ على صاحب الكَرْم ، فقال : لا أصبر علَى هذا من أمر هذا ، فأخذ له خشبة واستعان عليه غِلمانه ، فطلبوه وجعل يراوِغهم فى الكَرْم ، فلّما رأى أنّهم غيرُ مُقلعين عنه ، ذهب ليخرج من الجُحر الّذى دخل منه ، فنشب . اتّسع عليه وهو مهزول ، وضاق عليه وهو سمين ؛ فجاءه وهو على تلك الحال صاحب الكَرْم ، فلم يزل يضربه حتى قتله ، وقد جئتم وأنتم مهازيل ؛ وقد سِمنتُم شيئًا من سِمَن ؛ فانظروا كيف تخرجون ! وقال أيضًا : إنّ رجلا وضع سَلاًّ ، وجعل طعامه فيه ؛ فأتى الجِرذان ، فخرقوا سلّه ، فدخلوا فيه فأراد سدّه ، فقيل له : لا تفعل ، إذًا يخرقْنَه ، ولكن انقب بحياله ؛ ثم اجعل فيها قصبة مجوّفة ، فإذا جاءت الجُرذان دخلْن من القصبة وخرجن منها ، فكلّما طلع عليكم جُرَذ قتلتموه . وقد سددتُ عليكم ؛ فإيّاكم أن تقتحموا القصَبة ، فلا يخرج منها أحدٌ إلاّ قُتل ، وما دعاكم إلى ما صنعتم ؛ ولا أرى عَددًا ولا عُدّة !

٢٢٨٣/١

(١) كذا فى ابن حبيش ، وفى ط : « أما » .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن محمّد وطلحة بإسنادهما وزياد معهما ، قالوا : فتكلّم القوم فقالوا : أمّا ما ذكرتم من سُوء حالنا فيما مضى ، وانتشار أمرنا ، فلمّا تبلغ كُنْهَه ! يموت الميّت منّا إلى النار ، ويبقى الباقى منّا فى بؤس ؛ فبينا نحن فى أسْوَإ ذلك ؛ بعث الله فينا رَسُولاً من أنْفُسِنَا إلى الإنس والجنّ ، رحمةً رحم بها مَن أراد رحْمَتَه ، ونقمة ينتقم بها ممن ردّ كرامته ؛ فبدأ بنا قبيلةً قبيلة ، فلم يكن أحدٌ أشدّ عليه ؛ ولا أشدُّ إنكارًا لما جاء به ، ولا أجهدُ على قتله وردّ الذى جاء به من قومه ، ثم الّذين يلُونهم ، حتى طابقْناه على ذلك كلّنا ، فنصبنا له جميعًا ، وهو وحده فَردٌ ليس معه إلاّ الله تعالى ، فأعطِىَ الظّفرَ علينا ، فدخل بعضُنا طوعًا ، وبعضنا كرهًا ، ثم عرفنا جميعًا الحقّ والصّدق لما أتانا به من الآيات المعجزة ؛ وكان ممّا أتانا به من عند ربّنا جِهاد الأدنى فالأدنى ، فسِرنا بذلك فيما بيننا ، نرى أنّ الذى قال لنا ووعَدنا لا يُخرَم عنه ولا يُنقَض ؛ حتى اجتمعت العرب على هذا ، وكانوا من اختلاف الرّأى فيما لا يطيق الخلائق تأليفهم . ثم أتيناكم بأمر ربّنا ، نجاهد فى سبيله ، ونَنفُذ لأمره ، ونتنجز موعودَه ، وندعوكم إلى الإسلام وحكمه ؛ فإن أجبتمونا تركناكم ورجعنا وخلّفنا فيكم كتابَ اللهِ ؛ وإن أبيتم لم يحلّ لنا إلاّ أن نعاطيكم القتال أو تفتدوا بالجِزَى ؛ فإن فعلتم وإلا فإنّ الله قد أورثنا أرضَكم وأبناءكم وأموالكم . فاقبلوا نصيحتَنا ؛ فوالله لَإسلامُكمْ أحبّ إلينا من غنائمكم ، ولَقتالكم بعدُ أحبّ من صلحكم . وأمّا ما ذكرت من رثاثتنا وقلّتنا فإنّ أداتَنا الطاعة ، وقتالَنا الصبر[1] . وأمّا ما ضربتم لنا من الأمثال ، فإنكم ضربتمُ للرجال والأمور الجسام وللجِدّ الهزل ؛ ولكنّا سنضرب مثلَكم ، إنّما مثلُكم مثلُ رجل غَرَس أرضا ، واختار لها الشّجَرَ والحَبّ ، وأجرى إليها الأنهار ، وزيّنها بالقصور ، وأقام فيها فلاّحين يسكنون قصورها ، ويقومون على جنّاتها ، فخلاّ الفلاحون فى القصور على ما لا يحبّ ، وفى الجنان بمثل ذلك ، فأطال نظرَتهم ؛ فلمّا لم يستحيوا[2] من تلقاء أنفسهم ؛ استعتَبهم فكابروه ، فدعا

١/٢٢٨٤ (margin, at «ولا أشدُّ إنكارًا»)
١/٢٢٨٥ (margin, at «الجسام وللجِدّ»)

(١) ز : « بالنصر » .
(٢) ابن حبيش والنويرى : « يستجيبوا » .

إليها غيرهم ، وأخرجهم منها ؛ فإن ذهبوا عنها تخطَّفهم النَّاس ، وإن أقاموا فيها صارُوا خوَلاً لهؤلاء يملكونهم ؛ ولا يملِّكون عليهم ؛ فيسومونَهُم الخَسْفَ أبداً ؛ ووالله أن لولم يكن ما نقول لك حقّاً ، ولم يكن إلاّ الدنيا، لما كان لنا عمّا ضرِينا به من لذيذ عيشكم، ورأينا من زِبْرِجكم من صبرٍ ، ولقارعناكم حتّى نغلبكم عليه .

فقال رستم : أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم.؟ فقالوا : بل اعبرُوا إلينا ، فخرجوا من عنده عشيّاً ، وأرسل سعد إلى النَّاس أن يقفوا مواقفَهم ، وأرسل إليهم : شأنكم والعبور؛ فأرادوا القنطرة ، فأرسل إليهم : لا ولا كرامة ! أمّا شيء قد غلبناكم عليه فلن نردّه عليكم ؛ تكلَّفوا مِعبراً غير القناطر ، فباتوا يسكُرون العتيق حتّى الصباح بأمتعتهم .

* * *

يوم أرماث

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد ، عن عبيد الله ، عن نافع وعن الحكَم ، قالا : لمّا أراد رستم العبورَ أمر بسَكْر[1] العتيق بِحيال قادس ، وهو يومئذ أسفل منها اليوم ممّا يلِي عين الشمس ، فباتوا ليلتَهم حتّى الصباح يسكُرون العتيق بالتراب والقَصَب والبراذع حتّى جعلوه طريقاً ، واستُتِمّ بعد ما ارتفع النهار من الغد . ١/٢٢٨٦

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا : ورأى رستم من الليل أن ملَكاً نزل من السماء ، فأخذ قِسِيّ أصحابه ، فختم عليها ، ثم صعد بها إلى السماء؛ فاستيقظ مهموماً محزوناً ، فدعا خاصّته فقصّها عليهم ، وقال : إنّ الله ليَعظُنا ، لو أنّ فارس تركوني أتّعظ ! أما ترون النصر قد رُفع عنّا ، وترون الريح مع عدوّنا ، وأنّا لا نقوم لهم في فعل ولا منطق ، ثم هم يريدون مغالبة بالجبريّة ! فعبروا بأثقالهم حتى نزلُوا على ضَفّة العتيق .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعمش ، قال :

---

(١) سكر النهر : سد فاه .

لمَّا كان يوم السُّكْر ، لبس رستم درعَيْن ومِغفرًا وأخذ سلاحه ، وأمر بفرسه فأسرِج ، فأُتِىَ به فوثَب ؛ فإذا هو عليه لم يمسَّه ولم يضع رِجله فى الرِّكاب ، ثم قال : غدًا ندقّهم دقًّا ، فقال له رجل : إن شاء الله ، فقال : وإن لم يشأ !

كتبَ إلىّ السرىُّ ، بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : قال رستم : إنّما ضَغَا الثعلب حين مات الأسد — يذكّرهم[1] موتَ كسرى — ثم قال لأصحابه : قد خشيتُ أن تكونَ هذه سنة القرود . ولما عَبر أهل فارس أخذوا مصافّهم ، وجلس رستم على سريره وضُرِب عليه طيّارة ، وعبَّى فى القلب ثمانية عشر فيلاً ، عليها الصناديق والرّجال ، وفى المجنّبتين ثمانية وسبعة ، عليها الصناديق والرّجال ، وأقام الجالنوس بينه وبين ميمنته والبيرزان بينه وبين ميمرته ، وبقيت القنطرة بين خيليْن من خيول المسلمين وخيول المشركين ؛ وكان يزْدَجِرْد وَضَع رجُلاً على باب إيوانه ، إذ سرّح رستم ، وأمَرَه بلزومه وإخباره ، وآخرَ حيث يسمعه من الدّار ، وآخر خارج الدار ، وكذلك علَى كلّ دعوة رجلا ؛ فلما نزل رستم ، قال الذى بساباط : قد نزل ، فقاله الآخر ... حتى قاله الذى على باب الإيوان ؛ وجعل بين كلّ مرحلتَيْن على كلّ دعوة رجلاً ؛ فكلّما نزل وارتحل أو حدث أمرٌ قاله ؛ فقاله الذى يليه ، حتى يقوله الذى يلى باب الإيوان ؛ فنظّم ما بين العتيق والمدائن رجالاً ، وترك البُرُد ، وكان ذلك هو الشأن .

١/٢٢٨٧

وأخذ المسلمون مصافّهم ، وجُعِل زُهرة وعاصم بين عبد الله وشُرَحبيل ، ووكلّ صاحب الطلائع بالطِّراد ، وخلّط بين الناس فى القلب والمجنّبات ، ونادى مناديه : ألا إنّ الحسد لا يحلّ إلاّ على الجهاد فى أمر الله يأيّها الناس ؛ فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد . وكان سعد يومئذ لا يستطيعُ أن يركبَ ولا يجلس ، به حُبون[2] ، فإنّما هو على وجهه فى صدره وسادة ، هو مُكِبّ عليها ، مُشرِف على الناس من القَصْر ، يرمى بالرّقاع فيها أمرُه ونهيُه ،

١/٢٢٨٨

(١) ابن حبيش : « يريد » .

(٢) الحبون : الدماميل ، واحدها حبن .

إلى خالد بن عُرْفُطة ، وهو أسفل منه ؛ وكان الصفّ إلى جنب[1] القَصْر ، وكان خالد كالخليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهداً مُشرِفاً .

كتب إلىَّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن الوليد الهمْدانىّ ، عن أبيه، عن أبى نِمْران ، قال : لمَّا عَبَر رستم تحوّل زُهرة والجالنوس ، فجعل سعد زُهرةَ مكان ابن السِّمط ، وجعل رستم الجالِنوس مكان الهُرْمُزان، وكان بسعد عِرْق النَّسَا ودَمَاميل ، وكان إنما هو مكبٌّ ، واستخلف خالد بن عُرْفُطة علَى الناس ، فاختلف عليه الناس ، فقال : احملونى، وأشرِفوا بى على النَّاس ؛ فارتقَوْا به ، فأكبّ مطَّلعًا عليهم ، والصفُّ فى أصل حائط قُدَيْس ؛ يأمر خالداً فيأمر خالد الناس ، وكان ممَّن شغب عليه وجوهٌ من وجوه النَّاس ، فهمّ بهم سعد وشتَمهم ، وقال : أمَاوالله لولاَ أنّ عدوّكم بحضرتكم لجعلتكم نَكالاً لغيركم ! فحبسهم — ومنهم أبو مِحْجَن الثَّقَفِىّ — وقيّدهم فى القصر ، وقال جرير : أما إنى بايعت رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على أن أسمعَ وأطيع لمن ولاَّه الله الأمر وإن كان عبداً حبشيًّا ، وقال سعد : والله لا يعود أحدٌ بعدها يحبس المسلمين عن عدوّهم ويشاغلهم وهم بإزائهم إلاّ سُنَّت به[2] سُنَّة يؤخَذ بها مِنْ بعدى.

كتب إلىَّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : إنّ سعداً خطب مَنْ يليه يومئذ ؛ وذلك يوم الاثنين فى المحرّم سنة أربع عشرة ، بعد ما تهدّم على الذين اعترضوا على خالد بن عُرْفُطة فحمِد الله وأثنى عليه . وقال : إن الله هو الحقّ لا شريك له فى المُلك ؛ وليس لقوله خلْف ، قال الله جلّ ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ ﴾[3] ، إنّ هذا ميراثكم وموعود ربّكم ، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حِجَج ؛ فأنتم تطعمون منها ، وتأكلون منها ، وتقتلون أهلها ، وتجبُونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم

١/٢٢٨٩

(١) ابن حبيش : « جانب » . (٢) ابن حبيش : « سننت فيه » .
(٣) سورة الأنبياء ١٠٥ .

بما نال منهم أصحاب الأيّام منكم ، وقد جاءكم منهم هذا الجمع ؛ وأنتم وجوهُ العرب وأعيانُهم ، وخيار كلّ قبيلة ، وعِزُّ مَن وراءكم ؛ فإن تَزْهدوا فى الدّنيا وترغبوا فى الآخرة جَمَعَ الله لكم الدُّنيا والآخرة ، ولا يقرّب ذلك أحدًا إلى أجلِه ، وإنْ تفشَلوا وتَهِنوا وتضعُفوا تذهب ريحُكم ، وتُوبِقوا آخرتكم .

وقام عاصم بن عمرو فى المجرّدة ؛ فقال : إنّ هذه بلاد قد أحلّ الله لكم أهلَها ، وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين مالا ينالون منكم ، وأنتم الأعلوْن والله معكم ؛ إن صبرتم وصدقتموهم الضّرب والطعن فلكم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم وبلادهم ؛ وإن خُرتم وفشِلتم فالله لكم من ذلك جار وحافظ ، لم يُبق هذا الجمع منكم باقية ؛ مخافةَ أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك . اللهَ اللهَ ! اذكروا الأيّام وما منحكم الله فيها ؛ أوَ لا ترون أنّ الأرض وراءكم بسابس قِفارٌ ليس فيها خَمَر ولا وَزَر يُعقل إليه ، ولا يُمتنَع به ! اجعلوا همّكم الآخرة .

١/٢٢٩٠ وكتب سعد إلى الرّايات : إنى قد استخلفتُ عليكم خالد بن عُرْفُطة ، وليس يمنعنى أن أكونَ مكانَه إلاّ وَجَعى الذى يعودُنى وما بى من الحُبُون ، فإنّى مُكبّ على وجهى وشخصى لكم باد ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فإنّه إنّما يأمركم بأمرى ، ويعمل برأيى . فقُرِئ على النّاس فزادهم خيرًا ، وانتهوْا إلى رأيه ، وقبلوا منه وتحاثّوا على السمع والطاعة ، وأجمعوا على عُذر سعد والرّضا بما صنع .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حلاّم ، عن مسعود ، قال : وخطب أمير كلّ قوم أصحابَه ، وسيّر فيهم ، وتحاضّوا على الطاعة والصبر تواصَوْا ؛ ورجع كلّ أمير إلى موقفه بمن والاه من أصحابه عند المواقف ؛ ونادى مُنادى سعد بالظُّهر ، ونادى رستم : «پادِشَهانِ مَرَنْدر» ، أكل عمر كبدِى أحرق الله كبده ! علّم هؤلاء حتى علموا .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شُعيب ، قال : حدّثنا سيف ، عن النّضر ،

١/٢٢٩١ عن ابن الرُّفيل ، قال : لمّا نزل رستم النّجَف بعثَ منها عينا إلى عسكر المسلمين ، فانغمس فيهم بالقادسيّة كبعض مَن ندّ منهم ، فرآهم يستاكون

عند كلّ صلاة ثم يصلّون فيفترقون إلى مواقفهم ، فرجع إليه فأخبره بخبرهم ، وسيرتهم ، حتى سأله : ما طعامهم ؟ فقال : مكثتُ فيهم ليلةً ، لا والله ما رأيت أحدًا منهم يأكل شيئًا إلا أن يمصّوا عِيدانًا لهم حين يُمْسُون ، وحين ينامون ، وقُبيلَ أن يُصبِحوا . فلمّا سار فنزل بين الحصن والعتيق وافقهم وقد أذّن مؤذّن سعد الغداة ، فرآهم يتحشحشون[1] ؛ فنادى فى أهل فارس أنْ يركبوا ، فقيل له : ولِمَ ؟ قال : أما ترون إلى عدوّكم قد نُودِىَ فيهم فتحشحشوا لكم ! قال عينه : ذلك إنما تحشحُشُهم هذا للصلاة ، فقال بالفارسية ، وهذا تفسيره بالعربية : أتانى صوت عند الغداة ، وإنما هو عُمَر الذى يكلّم الكلاب فيعلّمهم العقل ، فلمّا عبروا تواقفوا ، وأذّن مؤذّن سعد للصّلاة ، فصلّى سعد ، وقال رستم : أكل عمر كَبِدِى !

كتب إلىّ السرىّ ، قال : حدّثنا شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : وأرسل سعدٌ الذين انتهى إليهم رأىُ الناس ، والذين انتهت إليهم نجدتُهم وأصناف الفَضْل منهم إلى الناس ، فكان منهم من ذوِى الرأى النَّفرُ الذين أتوا رستم المغيرةُ ، وحُذَيْفة ، وعاصم ؛ وأصحابهم ؛ ومن أهل النجدة[2] طُلَيْحة ، وقَيس الأسدىّ ، وغالب ، وعمرو ابن مَعْد يكرب وأمثالهم ؛ ومن الشعراء الشَّمَّاخ والحُطَيْئَة ، وأوس بن مَغْراء ، وعبْدة بن الطبيب ؛ ومن سائر الأصناف أمثالهم . وقال قبل أن يُرسلهم : انطلقوا فقومُوا فى النَّاس بما يحقّ عليكم ويحقّ عليهم عند مواطن البأس ؛ فإنّكم من العرب بالمكان الذى أنتم به ، وأنتم شُعراء العرب وخُطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا فى الناس ، فذكّروهم وحرّضوهم على القتال ، فساروا فيهم . فقال قيس بن هُبَيرة الأسَدىّ : أيُّها الناس ، احمَدوا الله على ما هداكُم له وأبلاكم يَزِدْكم ، واذكروا آلاءَ الله ، وارغَبوا إليه فى عاداته ؛ فإنّ الجنّة أو الغنيمة[3] أمامكم ؛ وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء

١/٢٢٩٢

(١) التحشحش : التحرك للنهوض .

(٢) ابن حبيش : « النجدات » .

(٣) ز : « والغنيمة » .

والأرض القَفْر ، والظِّراب الخُشْن ، والفلوات التى لا تقطعها الأدلّة .

وقال غالب : أيُّها الناس ، احمَدوا الله على ما أبلاكم ، وسلوه يزدْكم ، وادعوه يُجبْكم ؛ يا معاشر معَدّ ؛ ما علّتُكم اليوم وأنتم فى حصونكم — يعنى الخيل — ومعكم من لا يعصيكم — يعنى السيوف ؟ اذكروا حديث الناس فى غدٍ ؛ فإنه بكم غدًا يُبْدَأ عنده ، وبمن بعدكم يُثنَّى .

١/٢٢٩٣

وقال ابن الهُذَيْل الأسدىّ : يا معاشر معدّ ، اجعلوا حصونَكم السيوف ، وكونوا عليهم كأسود الأجَم ، وترَبّدوا[1] لهم تربُّد النُّمور ، وادَّرِعوا العَجاج ، وثقوا بالله . وغُضّوا الأبصار ، فإذا كلّت السيوف فإنها مأمورة ، فأرسلوا عليهم الجنادل ، فإنها يؤْذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه .

وقال بُسْر بن أبى رُهْم الجُهَنىّ : احمَدوا الله ، وصدّقوا قولكم بفعل ، فقد حمِدتم الله على ما هداكم له ووحّدتموه ولا إله غيره ، وكبرّتموه ، وآمنتم بنبيّه ورُسُله فلا تَموتُنّ إلا وأنتم مُسْلِمُون ؛ ولا يكوننّ شىء بأهونَ عليكم من الدُّنيا ، فإنها تأتى مَن تهاون بها ، ولا تميلوا إليها فتهرُب منكم لتميلَ بكم . انصرُوا الله ينصرْكم .

وقال عاصم بن عمرو : يا معاشرَ العرب ؛ إنّكم أعيانُ العرب ، وقد صمدتم[2] الأعيان من العجم ؛ وإنما تخاطرون بالجنّة ، ويخاطرون بالدنيا ، فلا يكونُنّ على دنياهم أحوطَ منكم على آخرتكم . لا تحدِثوا اليوم أمرًا تكونون به شَيْنًا على العَرَب غدًا .

وقال ربيع بن البلاد السعدىّ : يا معاشرَ العرب ، قاتلوا للدّين والدُّنيا ؛ ﴿ وسَارِعُوا إلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ[3] ﴾ ، وإن عظّم الشيطان عليكم الأمرَ ، فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل .

١/٢٢٩٤

---

(١) تربدوا : تعبسوا واغضبوا .

(٢) صمدتم : قصدتم .

(٣) سورة آل عمران ١٣٣ .

وقال رِبْعىّ بن عامر : إنّ الله قد هداكم للإسلام ، وجمعكم به ، وأراكم الزّيادة ، وفى الصبر الرّاحة ، فعوّدوا أنفسكم الصبر تعتادوه ، ولا تعوّدوها الجزَع فتعتادوه .

وقام كلّهم بنحو من هذا الكلام ، وتواثَق الناس ، وتعاهدوا ، واهتاجوا لكلّ ما كان ينبغى لهم ، وفعل أهلُ فارس فيما بينهم مثلَ ذلك، وتعاهدوا وتواصوْا ؛ واقترنوا بالسلاسل ؛ وكان المقترنون ثلاثين ألفًا .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ : إنّ أهل فارس كانوا عشرين ومائة ألف ، معهم ثلاثون فيلاً ، مع كلّ فيل أربعة آلاف .

كتب إلىّ السرىُّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حلاّم ، عن مسعود بن خِراش ، قال : كان صفّ المشركين على شفير العتيق ، وكان صفّ المسلمين مع حائط قُدَيْس ، الخندقُ من ورائهم . فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق . ومعهم ثلاثون ألف مسلسَل ، وثلاثون فيلا تُقاتِل ، وفِيَلة عليها الملوك وقوف لا تُقاتل . وأمر سعد النّاس أن يقرءوا على النّاس سورة الجهاد ، وكانوا يتعلّمونها .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : قال سعد : الزمُوا مواقفَكم ، لا تحرّكوا شيئًا حتى تصلّوا الظهر ، فإذا صلّيتم الظهر فإنّى مكبّر تكبيرةً ، فكبّروا واستعدّوا . واعلموا أنّ التكبير لم يُعْطَه أحدٌ قبلكم ، واعلموا أنّما أعطيتموه تأييدًا لكم . ثم إذا سمعتم الثانية فكبّروا ، ولتَستتمّ عُدّتكم ، ثم إذا كبّرتُ الثالثة فكبّروا ، ولينشّط فرسانُكم الناس ليبرزوا وليطاردوا ، فإذا كبّرت الرابعة فازحفوا جميعًا حتى تخالطوا عدوّكم ؛ وقولوا : لا حول ولا قوّة إلا بالله ! ٢٢٩٥/١

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الرّيان ، عن مُصْعَب بن سعد ، مثله .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن زكريّاء ، عن أبى إسحاق ، قال : أرسل سعد يوم القادسيّة فى النّاس : إذا سمعتم التّكبير

فشدّوا شُسوع نعالِكم ، فإذا كبّرتُ الثانية فتهيّئوا ، فإذا كبّرت الثالثة فشدّوا النواجذ على الأضراس واحملوا .

كتب إليّ السريّ بن يحيي ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : لمّا صلّى سعد الظهر أمر الغلام الّذى كان ألزمه عمر إيّاه — وكان من القرّاء — أن يقرأ سورة الجهاد ، وكان المسلمون يتعلّمونها كلّهم ، فقرأ على الكتيبة الذين يلُونه سورةَ الجهاد ، فقرئت فى كلّ كتيبة ، فهشّت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : لما فرغ القُرّاء كبّر سعد ، فكبّر الذين يلُونه تكبيرة ، وكبّر بعض الناس بتكبير بعض ، فتحشحش[١] الناس ، ثم ثنّى فاستتمّ الناس ، ثم ثلّث فبرز أهلُ النّجدات فأنشبوا القتال ، وخرج من أهل فارس أمثالُهم ، فاعتوروا الطّعن والضّرب ، وخرج غالب بن عبد الله الأسديّ وهو يقول : ١/٢٢٩٦

قد عَلِمَتْ واردَةُ المسائحِ ذاتُ اللَّبانِ والبنانِ الواضحِ[٢]

أنّى سِمامُ البَطَلِ المُشايحِ[٣] وفارِجُ الأمْرِ المُهِمّ الفادحِ

فخرج إليه هُرمُز — وكان من ملوك الباب ، وكان متوّجًا — فأسره غالب أسرًا ، فجاء سعدًا ، فأدخِل ، وانصرف غالب إلى المطاردة ، وخرج عاصم ابن عمرو وهو يقول :

قد عَلِمَتْ بَيْضاءُ صَفْراءُ اللَّبَبْ[٤] مِثْلُ اللُّجَيْنِ إذْ تَغَشّاهُ الذّهَبْ

أنّى امْرُؤٌ لا مَنْ تَعيبُه السَّبَبْ[٥] مِثْلى على مِثْلِكَ يُغْريهِ العَتَبْ

---

(١) تحشحش الناس : تحركوا.

(٢) اللبان : الصدر .

(٣) المشايح : المقاتل .

(٤) اللبب ، بالتحريك : موضع القلادة من الصدر .

(٥) ط : « يعينه السبب » ، وانظر التصويبات .

فطارد رجلا من أهل فارس ، فهرب منه واتّبعه ، حتى إذا خالط صفّهم التقى بفارس معه بغلة ، فترك الفارس البَغل ، واعتصم بأصحابه فحموْه ، واستاق عاصم البغل والرَّحْل ، حتى أفضى به إلى الصفّ ، فإذا هو خبّاز الملك وإذا الّذى معه لَطَفُ الملك الأخبصةُ والعسل المعقود ، فأتى به سعداً ، ورجع إلى موقفه ، فلمّا نظر فيه سعد ، قال : انطلقوا به إلى أهل موقفه ، وقال : إنّ الأمير قد نفّلكم هذا فكلُوه ، فنفّلهم إياه . قالوا : وبينا الناس ينتظرون التكبيرة الرابعة ، إذ قام صاحب رجّالة بنى نَهْد قيس بن حِذيَم بن جُرثومة ، فقال : يا بنى نَهْد انهدوا ، إنما سمِّيتم نَهْداً لتفعلوا . فبعث إليه خالد بن عُرفُطة : والله لتكُفَّنّ أوْلأولِّيَنّ عملَك غيرَك . فكَفّ .

١/٢٢٩٧

ولما تطاردت الخيل والفُرسان خرج رجُلٌ من القوم ينادى : مَرد ومَرد ، فانتدب له عمرو بن معديكرِب وهو بحياله ، فبارزه فاعتنقه ، ثم جلَد به الأرض فذبحه ، ثم التفتَ إلى النّاس ، فقال : إن الفارسىّ إذا فقد قوسَه فإنما هو تَيْس . ثم تكتّبت الكتائب من هؤلاء وهؤلاء .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، قال : مرّ بنا عمرو بن معديكرب وهو يحضّض الناس بين الصّفين ، وهو يقول : إنّ الرجل مِن هذه الأعاجم إذا ألقى مِزراقه ، فإنّما هو تيْس ؛ فبينا هو كذلك يحرّضنا إذ خرج إليه رجلٌ من الأعاجم ، فوقف بين الصفّيْن فرمى بنُشّابة ، فما أخطأت سِيَةَ قوسِه وهو متنكّبها ، فالتفت إليه فحمل عليه ، فاعتنقه ، ثم أخذ بِمنْطَقته ، فاحتمله فوضعه بين يديه ، فجاء به حتى إذا دنا منّا كسر عنقَه ، ثم وضع سيفَه على حَلْقه فذبحه ؛ ثم ألقاه . ثم قال : هكذا فاصنعوا بهم ! فقلنا : يا أبا ثَور ، مَن يستطيع أن يصنع كما تصنع !

١/٢٢٩٨

وقال بعضهم غير إسماعيل : وأخذ سوارَيْه ومنْطقته ويلْمَق ديباج عليه .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبى خالد ،

عن قيس بن أبى حازم ؛ أنّ الأعاجم وجّهت إلى الوجه الّذى فيه بَجيلةُ ثلاثة عشر فيلا[١] .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب، عن سيف، عن إسماعيل بن أبى خالد، قال : كانت— يعنى وقعة القادسيّة — فى المحرّم سنة أربع عشرة فى أوله . وكان قد خرج من الناس إليهم ،فقال له أهل فارس: أحِلْنا ، فأحالهم على بَجيلة، فصرفوا إليهم ستّة عشر فيلا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد، قالوا : لمّا تكتّبت الكتائب بعد الطِّراد حمل أصحاب الفيَلة عليهم ، ففرّقت بين الكتائب ، فابذعرّت[٢] الخيل ؛ فكادت[٣] بَجيلة أن تُؤكل[٤]؛ فرّت عنها خيلُها نِفارًا ، وعمّن كان معهم فى مواقفهم[٥]، وبقيت الرجّالة من أهل المواقف ، فأرسل سعد إلى بنى أسَد : ذبّبوا[٦] عن بَجيلة ومن لافّها من الناس ؛ فخرج طُلَيحة بن خُوَيْلِد وحَمّال بن مالك وغالب بن عبد الله والرِّبّيل بن عمرو فى كتائبهم ، فباشروا الفيَلة حتى عدلها ركبانها ؛ وإنّ على كلّ فيل[٧] عشرين رجلا .

١/٢٢٩٩ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمدبن قيس ، عن موسى بن طريف ، أن طُلَيحة قام فى قومه حين استصرخهم سعد ، فقال[٨] : يا عشيرتاه ؛ إنّ المنوَّه باسمه، الموثوق به، وإنّ هذا لو علم أنّ أحدًا أحقّ بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم؛ ابتدءوهم[٩] الشّدّة ، وأقدِموا عليهم

---

(١) فى ابن حبيش بعدها : « وصفوا على سائر الناس سبعة عشر » .

(٢) ابذعرت الخيل : تفرقت ؛ وفى ز : « فانذعرت » .

(٣) ابن حبيش : « وكادت » .

(٤) ابن الأثير والنويرى : « تهلك » .

(٥) ابن حبيش : « موقفهم » .

(٦) ذبوا : دافعوا .

(٧) ابن حبيش : « كل فيل يومئذ » .

(٨) ابن حبيش : « فقال وهو يحرضهم » .

(٩) ابن حبيش : « ابدءوهم » .

إقدام الليوث الحربة ؛ فإنما سميتم أسدًا لتفعلوا فعله[١] ؛ شدّوا ولا تصدّوا، وكرّوا[٢] ولا تفرّوا ، لله درّ ربيعة ! أى فرىّ يفرون ! وأىّ قرن يغنون[٣] ! هل يوصل إلى مواقفهم[٤] ! فأغنوا عن مواقفكم أعانكم الله ! شدّوا عليهم باسم الله ! فقال المعرور بن سويد وشقيق : فشدّوا والله عليهم فما زالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حبسنا الفيلة عنهم ؛ فأخّرت ، وخرج إلى طليحة عظيم منهم فبارزه ؛ فما لبّثه طليحة أن قتله .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقام الأشعث بن قيس فقال : يا معشر كندة ؛ لله درّ بنى أسد ! أىّ فرىّ يفرون[٥] ! وأىّ هذّ يهذّون[٦] عن موقفهم منذ اليوم ! أغنى كلّ قوم ما يليهم ؛ وأنتم تنتظرون من يكفيكم البأس[٧] ! أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم العرب[٨] منذ اليوم ، وإنهم ليقتلون ويقاتلون ؛ وأنتم جثاة على الركب تنظرون ! فوثب إليه عدد منهم عشرة ؛ فقالوا : عثّر الله جدّك[٩] ! إنّك لتؤبّسنا[١٠] جاهدًا ، ونحن أحسن الناس موقفًا ! فمن أين خذلنا قومنا العرب وأسأنا إسوتهم ! فها نحن معك . فنهد ونهدوا، فأزالوا الّذين بإزائهم ؛ فلمّا رأى أهل فارس ما تلقى الفيلة من كتيبة أسد رموهم بحدّهم وبدر المسلمين الشدّة عليهم ذو الحاجب والجالنوس، والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد ، فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك الفيلة ، وقد ثبتوا لهم ؛ وقد كبّر سعد الرّابعة ، فزحف إليهم

١ / ٢٣٠٠

---

(١) ز : « فعلة الأسد » .
(٢) ز : « وكبروا » .
(٣) ز : « يعنون » .
(٤) ز : « من واقفهم » .
(٥) الفرىّ : الأمر العظيم ؛ ويقال : فلان يفرى الفرىّ ؛ إذا كان يأتى بالعجب فى عمله .
(٦) الهذ : القطع السريع .
(٧) ز : « الناس » .
(٨) ابن حبيش : « إخوانكم من العرب » .
(٩) ابن حُبَيش : « فقال له : عثر جدك » .
(١٠) تؤبسنا ، أى تحقر أمرنا .

المسلمون ورحَى الحرب تدور على أسَد ، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة على الخيول ؛ فكانت الخيول تُحْجِم عنها وتَحيد، وتلحّ فرسانهم على الرَّجْل يشمّسون بالخيل ؛ فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو ، فقال : يا معشرَ بنى تميم ؛ ألستم أصحابَ الإبل والخيل ! أما عندكم لهذه الفيَلة من حيلة ! قالوا : بلى والله ؛ ثم نادى فى رجال من قومه رماة وآخَرين لهم ثَقافة[١]، فقال لهم : ١/٢٣٠١ يا معشرَ الرماة ذبُّوا ركبان الفيَلة عنهم بالنَّبْل ، وقال : يا معشرَ أهل الثقافة استدبِروا الفيَلة فقطِّعوا وُضُنها[٢] ؛ وخرج يحميهم والرّحى تدور على أسد ، وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد ؛ وأقبل أصحاب عاصم على الفيَلة ، فأخذوا بأذنابها وذباذب[٣] توابيتها ، فقطعوا وضُنَها ، وارتفع عُواؤهم ؛ فما بقىَ لهم يومئذ فيل إلاّ أعرِىَ ، وقُتل أصحابها ، وتقابل الناس ونُفِّس عن أسد ، وردّوا فارسَ عنهم إلى مواقفهم ؛ فاقتتلوا حتى غربت الشمس . ثمّ حتى ذهبت هَدأة من الليل ؛ ثم رجع هؤلاء وهؤلاء ؛ وأصيب من أسد تلك العشيّة خمسمائة؛ وكانوا ردءًا للنَّاس؛ وكان عاصم عادية النَّاس وحاميتهم؛ وهذا يومها الأوّل وهو يوم أرماث .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن ، عن القاسم ، عن رجل من بنى كنانة ، قال : جالت المجنَّبات ودارت على أسد يوم أرماث فقتِل تلك العشيّة منهم خمسمائة رجل ؛ فقال عمرو بن شأس الأسدىّ :

١/٢٣٠٢ جَلَبْنَا الخيْلَ من أكنافِ نِيقٍ ... إلى كِسْرَى فوافَقَها رِعالا[٤]

١/٢٣٠٣ تَرَكْنَ لهم على الأقسام شجْوًا ... وبالْحَقْوَيْنِ أيّامًا طِوالا

وداعِيةٍ بفارِسَ قد تَرَكْنا ... تُبَكِّى كلّما رَأتِ الهِلالا

قَتَلنا رُسْتُمًا وبَنِيه قَسْرًا ... تُثِيرُ الخيلُ فوقَهُم الهَيالا

تركْنا منهُمُ حَيْثُ التَقينا ... فِئامًا ما يُرِيدون ارتِحالا[٥]

---

(١) ابن حبيش : « وأخرى أهل ثقاف » .

(٢) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر .

(٣) الذباذب : أشياء تعلق بالهودج للزينة .

(٤) الرعال : الجماعة من الخيل .

(٥) الفئام : الجماعة من الناس ، وفى ط : « قياما » .

وفَرّ البيـــرُزانُ ولم يُحامِ وكان على كتيبتِهِ وَبالا
ونَجّى الهُرْمُزَانَ حِذارُ نَفْسٍ وركْضُ الخيلِ مُوصِلةً عِجالا[1]

---

(١) وذكر ابن حبيش هذه الأبيات أيضاً : منسوبة إلى عمرو بن شأس :

لقد عَلِمَتْ بنو أَسَدٍ بأنّا أولو الأحلام إن ذكروا الحلُوما
وأنّا النازلون بكلِّ ثَغْرٍ ولو لم نُلفِهِ إلا هَشِيما
ترى فينا الجِياد مُســـوّماتٍ مع الأبطال يَعْلُكْنَ الشَّكيما
ترى فينا الجِيادَ مجلّحاتٍ تُنهنِهُ عن فَوارسِها الخصوما
بجَمعٍ مثل سَلْمِ مكفَهِرٍّ تشبّهُهُمْ إذا اجتمعوا قروما
بمثلهمُ تُلاقى يومَ هَيْجٍ إذا لاقَيْتَ بأساً أو خصوما
نفَينا فارســـاً عمّا أرادت وكانت لا تُحَاوِلُ أن تريما

يوم أغواث

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا :

١/٢٣٠٤ وكان سعد قد تزوّج سلْمَى بنت خَصَفة ؛ امرأة المثنّى بن حارثة قبله[١] بشَراف ، فنزل بها القادسيّة ، فلمّا كان يوم أرماث ، وجال الناسُ ، وكان لا يُطيق جِلْسةً إلاّ مستوفِزًا أو على بطنه ؛ جعل سعد يتَمَلْمل ويحُول جزَعًا فوق القصر ؛ فلمّا رأت ما يصنع أهلُ فارس ، قالت : وامُثَنَّياهُ ولا مُثنّى للخيل اليوم ! — وهى عند رجل قد أضجره ما يَرى من أصحابه وفى نفسه — فلطَم وجهها ، وقال : أين المثنّى من هذه الكتيبة التى تدورُ عليها الرّحى! — يعنى أسدًا وعاصمًا وخيله — فقالت : أغَيْرةً وجُبْنًا ! قال : والله لا يعذِرنى اليوم أحد إذا أنتِ لم تعذِرينى وأنتِ ترَيْنَ ما بى ، والناس أحقُّ ألاّ يعذِرونى ! فتعلّقها الناس ؛ فلمّا ظهر النّاس لم يبقَ شاعر إلاّ اعتدّ بها عليه ؛ وكان غير جَبان ولا ملوم . ولمّا أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبية ، وقد وكّل سعد رجالا بنقل الشهداء إلى العُذَيْب ونقلِ الرّثيث[٢] ؛ فأمّا الرّثيث فأسلِمَ إلى النساء يقمْن عليهم إلى قضاء الله عزّ وجلّ عليهم ؛ وأمّا الشُّهداء فدفنوهم[٣] هنالك على مُشَرّق — وهو وادٍ بين العُذَيْب وبين عين الشمس فى عُدْوتَيْه جميعًا ؛ الدنيا منهما إلى العُذَيب والقُصْوَى منهما من العُذيب — والنّاس ينتظرون بالقتال حَمْلَ الرّثيث والأموات ؛

١/٢٣٠٥ فلمّا استقلّت بهم الإبل وتوجّهت[٤] بهم نحو العُذَيب طلعت نواصى[٥] الخيل من[٦] الشأم — وكان فتح دِمَشْق قبل القادسيّة بشهر — فلمّا قدم على أبى عُبَيدة كتاب عمر بصَرف أهلِ العراق أصحاب خالد ؛ ولم يذكر خالدًا

(١) ابن الأثير : « بعده » .
(٢) الرثيث : الجريح وبه رمق .
(٣) ابن الأثير : « فدفنوا » .
(٤) ابن حبيش : « ووجهت » .
(٥) ابن حبيش : « طلعت عليهم نواصى الخيل » .
(٦) ابن حبيش : « من نحو الشام » .

ضنّ بخالد فحبسه وسرّح الجيش ؛ وهم ستة آلاف ؛ خمسة آلاف من ربيعة ومُضر وألف من أفناء اليَمن من أهل الحجاز ؛ وأمّر عليهم هاشم بن عُتبة بن أبى وقّاص ، وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو ، فجعله[١] أمامه ؛ وجعل على إحدى مجنبتَيْه[٢] قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث المرادىّ — ولم يكن شهد الأيّام ، أتاهم وهم باليرموك حين صُرِف أهل العراق وصُرِف معهم — وعلى المجنّبة الأخرى الهَزهاز بن عمرو العِجلىّ ، وعلى الساقة أنس بن عبّاس . فانجذب القعقاع وطوى وتعجّل ، فقدم على الناس صبيحة يوم أغواث ، وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطّعوا أعشارًا ؛ وهم ألف ، فكُلّما بلغ عشرة مَدَى[٣] البَصَر سرّحوا فى آثارهم عشرة ، فقدّم القعقاع أصحابه فى عشرة ، فأتى النّاس فسلّم عليهم ، وبشّرهم بالجنود ، فقال : يأيّها الناس ؛ إنّى قد جئتكم فى قوم ؛ والله أن لو كانوا بمكانكم ، ثم أحسّوكم حسدوكم حُظْوتَها ، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم ، فاصنعوا كما أصنع ، فتقدّم ثم نادى : مَن يبارز ؟ ٢٣٠٦/١ فقالوا فيه بقول أبى بكر : لا يُهزَم جيشٌ فيهم مثل هذا ، وسكنوا إليه ، فخرج إليه ذو الحاجب ، فقال له القعقاع : مَن أنت ؟ قال : أنا بهمَن جاذَوَيْه ، فنادى : يا لِثارات أبى عبيد وسَليط وأصحاب يوم الجِسْر ! فاجتلدا ، فقتله القعقاع ، وجعلت خيله تَرِد قِطَعًا ، وما زالت ترِدُ إلى الليل وتنشّط الناس ؛ وكأن لم يكن بالأمس مصيبة ؛ وكأنّما استقبلوا قتالَهم بقتل الحاجبىّ وللحاق القِطَع ، وانكسرت الأعاجم لذلك . ونادى القعقاع أيضًا : مَن يبارز ؟ فخرج إليه رجلان : أحدهما البيرزان والآخر البِنْدوان ؛ فانضمّ إلى القعقاع الحارث بن ظَبْيان بن الحارث أخو بنى تَيْم اللاّت ، فبارز القعقاع البيرزان ، فضربه فأذرى رأسَه ، وبارز ابن ظَبْيان البِنْدوان ، فضربه فأذرى رأسَه ، وتورّدهم فرسان المسلمين ، وجعل القعقاع يقول : يا معاشرَ المسلمين ، باشروهم بالسيوف ، فإنّما يُحصَد الناس بها ! فتواصَى النّاس ،

---

(١) ط : « فعجله » ، وأثبت ما فى ز .
(٢) ز : « مجنبته » .
(٣) ابن حبيش : « مد » .

وتشايعوا إليهم ، فاجتلدوا بها حتّى المساء . فلم ير أهل فارس فى هذا اليوم شيئاً ممّا يعجبهم ، وأكثر المسلمون فيهم القتل ، ولم يقاتلوا فى هذا اليوم على فيل ، كانت توابيتها تكسّرت بالأمس ، فاستأنفوا علاجها حين أصبحوا فلم ترتفع حتى كان الغد .

١/٢٣٠٧ كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : كانت امرأة من النَّخَع لها بنون أربعة شهدوا القادسيّة ؛ فقالت لبنيها : إنّكم أسلمتم فلم تبدّلوا ، وهاجرتم فلم تثوبوا[1] ، ولم تَنْبُ بكم البلاد ، ولم تُقحِمكم السَّنة ، ثم جئتم بأمّكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين يدى أهل فارس ؛ والله إنّكم لبنو رجل واحد ، كما أنّكم بنو امرأة واحدة ، ما خُنْتُ أباكم ، ولا فضحت خالكم ؛ انطلقوا فاشهدوا أوّل القتال وآخره . فأقبلوا يشتدّون ، فلمّا غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء ، وهى تقول : اللهمّ ادفع[2] عن بنىّ ! فرجعوا إليها ، وقد أحسنوا القتال ؛ ما كُلِم منهم رجل كَلْماً ؛ فرأيتهم بعد ذلك يأخذون ألفين ألفين من العطاء ، ثم يأتون أمّهم ، فيُلقونه فى حجْرها ، فتردّه عليهم وتقسمه فيهم على ما يُصلحهم ويُرضيهم .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : فأزرَ القعقاعَ يومئذ ثلاثة نفر من بنى يربوع رياحيّين ، وجعل القعقاع كلّما طلعت قطعة كبّر وكبّر المسلمون ، ويحمل ويحملون ، واليربوعيّون : نعَيْم بن عمرو بن عتّاب ، وعتّاب بن نُعَيم بن عتّاب بن الحارث ابن عمرو بن همّام ، وعمرو بن شبيب بن زنباع بن الحارث بن ربيعة ؛ أحد بنى زيد . وقدم ذلك اليوم رسولٌ لعمر بأربعة أسياف وأربعة أفراس يقسمها فيمن انتهى إليه البلاء ، إن كنت لقيتَ حرباً . فدعا حَمّالَ بن مالك ١/٢٣٠٨ والرِّبّيل بن عمرو بن ربيعة الوالبيّيْن وطليحة بن خويلد الفَقْعسىّ — وكلّهم من بنى أسد — وعاصم بن عمرو التميمىّ ؛ فأعطاهم الأسياف ، ودعا القعقاع ابن عمرو واليربوعيّين فحملهم على الأفراس ؛ فأصاب ثلاثة من بنى يربوع

---

(١) ط « تثربوا » . (٢) ز : « ارفع » .

ثلاثـة أرباعها ، وأصاب ثلاثة من بنى أسد ثلاثة أرباع السيوف ، فقال فى ذلك الربّيل بن عمرو :

لقد عَلِم الأقوامُ أنّا أحَقُّهمْ إذا حصلوا بالمُرْهَفاتِ البواتِرِ

وما فَتِئَتْ خَيْلِي عَشِيَّةَ أرْمَثُوا يَذُودون رَهْوًا عن جُموع العشائرِ

لَدُنْ غدوةٍ حتى أتى الليلُ دونهمْ وقد أفلحتْ أخرَى الليالى الغوابر

وقال القعقاع فى شأن الخيل :

لم تعرف الخيل العِرابُ سواءنا عَشِيَّةَ أغْواثٍ بجَنْبِ القَوادِسِ

عشيَّةَ رُحْنا بالرِّماح كأنَّها على القوم ألوانُ الطُّيورِ الرَّسارِسِ [١]

١/٢٣٠٩

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن سُلَيم بن عبد الرحمن السعدىّ ، عن أبيه ، قال : كان يكون أوّل القتال فى كلّ أيامها المطاردة ، فلمّا قدم القعقاع قال: يأيّها الناس، اصنعوا كما أصنع ، ونادَى[٢] : مَنْ يبارزُ ؟ فبرز له ذو الحاجب فقتلَه، ثم البِيرزان فقتله، ثم خرج الناس من كلّ ناحية ، وبدأ الحرب والطِّعان ، وحمل بنو عمّ القعقاع يومئذ ؛ عشرة عشرة من الرَّجالة ، على إبل قد ألبسوها فهى مجلَّلة مبرقعة ، وأطافت بهم خيولُهم ، تحميهم[٣] ، وأمرهم أن يحملوا على خيلهم بين الصّفين يتشبّهون[٤] بالفيَلة ، ففعلوا بهم يوم أغواث كما فعلت فارس يوم أرماث ؛ فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل ولا لكثير إلاّ نفرت بهم خيلهم ، وركبتهم خيول المسلمين. فلمّا رأى ذلك الناس استنُّوا بهم ، فلقىَ فارس من الإبل يوم أغواث أعظَم ممّا لقى المسلمون من الفيَلة يوم أرماث .

وحمل رجلٌ من بنى تميم ممّن كان يحمى العشيرة يقال له سواد ، وجعل يتعرّض للشهادة ، فقُتل بعد ما حمل ، وأبطأت عليه الشهادة ؛ حتى تعرّض لرستم يريده ، فأصيب دونه .

---

(١) ابن حبيش : « أمثال الطيور » .
(٢) كذا فى ز ، وفى ط : « فنادى » .
(٣) كذا فى ابن الأثير وابن حبيش وفى ط : « يحموهم » .
(٤) ابن حبيش : « يشبهون » .

١/٢٣١٠ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصْن عن العلاء ابن زياد، والقاسم بن سُلَيم عن أبيه ، قالا : خرج رجل من أهلِ فارس ، ينادى : مَنْ يبارز ؟ فبرز له عِلْباء بن جحش العِجلىّ ، فنفَحه عِلباء ، فأسحره[١] ، ونفحه الآخر فأمْعاه ، وخرّا ؛ فأمّا الفارسىّ فمات من ساعته ، وأمّا الآخر فانتثرت أمعاؤه ، فلم يستطع القيام ، فعالج إدخالها فلم يتأتّ له حتى مرّ به رجل من المسلمين ، فقال : يا هذا ، أعنِّى على بطنى ، فأدخله له ، فأخذ بصِفاقَيْه[٢] ، ثم زحف نحو صفّ فارس ما يلتفت إلى المسلمين ، فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعًا من مَصْرَعه ، إلى صفّ فارس ، وقال :

أرْجُو بها من ربّنا ثوابا قد كنتُ مِمَّنْ أحْسَنَ الضِّرابا

كتب إلىّ السّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن عن العلاء ، والقاسم عن أبيه ، قالا : وخرج رجل من أهل فارس فنادى : مَنْ يبارز ؟ فبرز له الأعْرَف بنُ الأعلم العقيلىّ فقتله ، ثم برز له آخر فقتله ، وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه ، ونَدَر سلاحُه عنه فأخذوه ، فغبّر فى وجوههم بالتراب حتى رجع إلى أصحابه ؛ وقال فى ذلك :

وإن يأخذوا بَزّى فإنىّ مُجَرَّبٌ خَرُوجٌ من الغمّاء مُحْتَضِرُ النَّصْرِ
وإنى لحَامٍ من وراء عشيرتى رَكُوبٌ لآثارِ الهوَى مُحْفِلُ الأمْرِ

١/٢٣١١ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن عن العلاء ، والقاسم عن أبيه ، قالا : فحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حَملة ؛ كلّما طلعت قطعة حَمل حملة ، وأصاب فيها ، وجعل يرتجز ويقول :

أُزْعِجُهُم عَمْدًا بها إزْعاجا أطعُنُ طَعْنًا صائبًا ثَجّاجا
* أرْجُو به من جنّةٍ أفواجا *

---

(١) أسحره : أصاب سحره ؛ والسحر : الرئة .
(٢) الصفاق : جلد البطن .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : قتل القعقاع يوم أغواث ثلاثين فى ثلاثين حملة ؛ كلّما حمل حملة قتل فيها ، فكان آخرهم بزرجمهر الهمذانىّ ، وقال فى ذلك القعقاع :

حَبَوْتُهُ جيّاشةً بالنَّفسِ هَدَّارةً مثلَ شُعاعِ الشمسِ
فى يوم أغواثٍ فَلِيلِ الفُرْسِ أَنْخُسُ بالقوم أشدَّ النَّخْسِ
* حتى تَفِيضَ مَعْشَرى ونَفْسى[(١)] *

وبارز الأعوَر بن قُطبة شَهْرَ بَرازَ سِجْستان، فقتل كلّ واحد منهما صاحبَه ، فقال أخوه فى ذلك :

لم أرَ يوماً كان أحلَى وأمَرّْ من يوم أغواثٍ إذِ افترّ الثَّغَرْ
* من غير ضَحْكٍ كان أَسْوا وأَبَرّْ *

٢٣١٢/١ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ؛ وشاركهم ابن مِخراق عن رجل من طيّئ، قالوا: وقاتلت الفرسان يوم الكتائب فيما بين أن أصبحوا إلى انتصاف النهار ؛ فلمّا عدَل[(٢)] النهار تزاحف الناس ؛ فاقتتلوا بها صَتيتاً[(٣)] حتى انتصف الليل ؛ فكانت ليلة أرماث تُدعى الهَدْأة ، وليلة أغواث تُدعى السَّواد ، والنّصف الأول يدعى السَّواد . ثم لم يزل المسلمون يروْن فى يوم أغواث فى القادسيّة الظَّفَر ، وقتلوا فيه عامّة أعلامهم ؛ وجالت فيه خيل القلب، وثبتَ رَجْلهم ؛ فلولا أنّ خيلهم كرّت أخذ رستم أخذا ، فلمّا ذهب السواد بات النّاس على مثل ما بات عليه القوم ليلة أرماث ؛ ولم يزل المسلمون ينتمون لَدُن[(٤)] أمسوا حتى تفايئوا . فلمّا أمسى سعد وسمع ذلك نام ، وقال لبعض من عنده: إن تمّ الناس على الانتماء فلا تُوقِظْنى ، فإنهم أقوياء على عدوّهم ؛ وإن سكتوا ولم ينْتَمِ الآخرون فلا توقظنى ، فإنّهم على السَّواء

(١) ابن حبيش : « حتى تفيظ » .
(٢) ابن الأثير : « اعتدل » .
(٣) الصتيت : الجلبة والصوت .
(٤) الأغانى : « منذ لدن » .

فإن سمعتَهم ينتمون فأيقظني ؛ فإن انتماءهم عن السوء .

فقالوا : ولما اشتدّ القتال بالسواد ، وكان أبو محجن قد حُبس وقُيّد ، فهو في القصر ، فصعد حين أمسى إلى سعد يستعفيه ويستقيله ، فزبره وردّه ، فنزل ، فأتى سلمى بنت خصفة ، فقال : يا سلمى يا بنت آل خصفة ؛ هل لكِ إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : تخلّين عني وتُعيرينني البلقاء ؛ فلله عليّ إن سلّمني الله أن أرجع إليكِ حتى أضع رجلي في قيدي ، فقالت : وما أنا وذاك ! فرجع يرسُف في قيوده ، ويقول :

١/٢٣١٣

كفى حزَنًا أن تردِيَ الخيلُ بالقنا[١] وأُترَكَ مشدودًا عليّ وثاقيا

إذا قُمتُ عنّاني الحديدُ وأُغلقَتْ مصاريعُ دوني قد تُصِمّ المناديا

وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ فقد تركوني واحدًا لا أخا ليَا[٢]

ولله عَهْدٌ لا أَخيسُ بعهده لئن فُرِجَتْ ألّا أزورَ الحوانيا

فقالت سلمى : إني استخرتُ الله ورضيتُ بعهدك ، فأطلقته . وقالت : أمّا الفرَس فلا أعيرها ؛ ورجعتْ إلى بيتها ، فاقتادها فأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها ؛ ثم دبّ عليها ؛ حتى إذا كان بحيال الميمنة كبّر ، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفّين ؛ فقالوا : بسرجها ، وقال سعيد والقاسم : عُرْيًا ؛ ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة فكبّر وحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصفّين برمحه وسلاحه ، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فندر[٣] أمام الناس ، فحمل على القوم يلعب بين الصفّين برمحه وسلاحه ؛ وكان يقصف الناس ليلتئذٍ قصفًا منكرًا

١/٢٣١٤

---

(١) القنا : الرماح .

(٢) بعده في الأغاني :

وقدْ شفّ جسمي أنّني كلّ شارقٍ أعالج كَبْلا مصمتًا قدْ برانيَا

فلله دَرّي يومَ أُترك موثقًا وتذهل عنّي أسرتي ورجاليَا

حبيسًا عن الحربِ العوان وقد بدتْ وإعمال غيرِي يومَ ذاك العواليَا

(٣) الأغاني : « فبادر » .

وتعجَّب[1] الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروْه من النَّهار ، فقال بعضهم : أوائل أصحاب هاشم أو هاشم نفسه. وجعل سعد يقول وهو مُشرِف على النَّاس مُكِبٌّ من فوق القصر : والله لولا مَحْبِس أبى مِحْجَن لقلتُ : هذا أبو مِحْجن و هذه البلقاء! وقال بعض الناس : إنْ كان الخَضِر يشهد الحروب فنظنّ صاحب البلقاء الخَضِر ، وقال بعضهم : لولا أنّ الملائكة لا تُباشر القتال لقلنا : مَلَكٌ يثبِّتنا[2] ؛ ولا يذكره الناس ولا يأبهون له ؛ لأنَّه بات فى محبسه ، فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس ، وتراجع المسلمون ، وأقبل أبو مِحْجَن حتى دخل من حيث خرج ؛ ووضع عن نفسه وعن دابته ، وأعاد رجلَيْه فى قيديْه ، وقال :

لقد علمَتْ ثَقيفٌ غيرَ فَخْرٍ	بأنَّا نحن أكرَمُهم سُيُوفَا	٢٣١٥/١
وأكثَرُهُمْ دُروعًا سابغَاتٍ	وأصبرُهم إذا كَرِهوا الوُقُوفا	
وأنَّا وَفدُهم فى كلّ يومٍ[3]	فإن عَمِيُوا فَسَل بِهِمْ عَرِيفًا[4]	
وليلةَ قادِسٍ لم يَشْعُروا بى	ولم أُشْعِرْ بمَخْرَجِىَ الزُّحُوفَا	
فإن أُحْبَسْ فذلكُمُ بلائى[5]	وإنْ أُترَكْ أُذيقُهُمُ الحُتوفا[6]	

فقالت له سلمى : يا أبا مِحْجَن ، فى أىّ شىء حبسك هذا الرجل ؟ قال : أمَا والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ؛ ولكنّى كنت صاحبَ شراب فى الجاهليَّة ، وأنا امرؤ شاعر يدِبّ الشعر على لسانى ، يبعثه على شفتى أحيانًا ، فيُساء لذلك ثنائى ؛ ولذلك حبسنى ، قلت :

إذا مِتُّ فادْفِنّى إلى أصل كَرْمَةٍ	تُرَوِّى عِظامى بعد موتى عُرُوقَها	٢٣١٦/١
ولا تَدْفِنَنِّى بالفَلاة فإننى	أخافُ إذا ما متُّ ألَّا أذوقَها	
وتُرْوِى بخمر الحُصّ لَحْيِى فإننى[7]	أسيرٌ لها من بعدِ ما قد أسوقُها	

(١) الأغانى : « فتعجب الناس منه » .
(٢) الأغانى : « هذا ملاك يبيننا »
(٣) الأغانى : « وأنا رفدهم » .
(٤) الأغانى : « فإن جحدوا » .
(٥) الأغانى : « فقد عرفوا بلائى » .
(٦) الأغانى : « وإن أطلق » .
(٧) الأغانى : « ليروى بخمر الحص لحمى » .

ولم تزل سلْمى مغاضبة لسعد عشيّة أرماث ، وليلة الهدأة ، وليلة السواد؛ حتى إذا أصبحتْ أتته وصالحتْه وأخبرته خبرها وخبر أبى محجن ، فدعا به فأطلقه ، وقال : اذهب فما أنا مؤاخذك بشىء تقوله حتّى تفعله ، قال: لا جَرَم، والله لا أجيب لسانى إلى صفة قبيح أبدًا[1] .

* * *

يوم عِماس

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزيادٍ بإسنادهم ، وابن مخراق عن رجل من طيّئ ، قالوا : فأصبحوا من اليوم الثالث؛ وهم على مواقفهم؛ وأصبحت الأعاجم على مواقفهم،[2] وأصبح ما بين النّاس كالرِّجلة الحَمراء -يعنى الحَرَّة- مِيلٌ فى عرض ما بين الصّفّين، وقد قتلَ من المسلمين ألفان من رثيث[3] ومَيّت، ومن المشركين عشرة آلاف من رثيث وميّت. وقال سعد : مَنْ شاء غسَل الشهداء ، ومن شاء فليدفنْهم بدمائهم ، وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم ، فجعلوهم من وراء ظهورهم ، وأقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم إلى المقابر ، ويُبلِّغون الرّثيث إلى النساء ، وحاجب بن زيد على الشهداء ، وكان النّساء والصبيان يحفرون القبور فى اليومين : يوم أغواث ، ويوم أرماث ، بِعُدْوتَى مُشَرّق ، فدُفن ألفان وخمسمائة من أهل القادسيّة وأهل الأيّام ، فمرّ حاجب وبعض أهلِ الشهادة ووُلاةِ الشهداء فى أصل نخلة بين القادسيّة والعُذَيْب ، وليس بينهما يومئذ نخلة غيرها ، فكان الرّثيث إذا حُملوا فانتهىَ بهم إليها وأحدهم يَعقِل سألهم أن يقفوا به تحتها يسترْوح إلى ظلّها ، ورجل من الجرحَى يُدعى بُجَيرًا ، يقول وهو مستظلّ بظلها :

ألا يا اسْلَمِى يا نَخْلَةً بين قادسٍ ... و بين العُذَيْبِ لا يُجاوِرُكِ النَّخْلُ

٢٣١٧/١

(١) الخبر فى الأغانى ، بروايته عن الطبرى فى ٢١ : ١٣٩ ، ١٤٠ (ساسى) .

(٢) ز : « مواقفها » .

(٣) الرثيث هنا : الجريح و به رمق .

ورجل من بني ضبَّة، أو من بني ثوْر يُدعى غَيْلان، يقول :

ألا يا اسلَمِي يا نخلةً بين جَرْعةٍ يجاوِرُكِ الجُمَانُ دونكِ والرَّغلُ[1]

١/٢٣١٨ ورجل من بني تيْم الله، يقال له : رِبْعيّ يقول :

أيا نخلة الجَرْعاءِ يا جَرْعةَ العِدَى سَقَتْكِ الغوادِي والغُيُوثُ الهواطِل

وقال الأعور بن قُطبة :

أيا نخلة الرُّكبان لازُلْتِ فانضرِي ولا زال في أكناف جَرْعَائِكِ النَّخل

وقال عوف بن مالك التميميّ — ويقال التيْميّ تيْم الرِّباب :

أيا نخلةً دون العُذَيب بتَلْعةٍ سُقِيتِ الغَوادِي المُدْجنات من النَّخل

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد، قالوا : وبات القعقاع ليلته كلَّها يسرِّب أصحابَه إلى المكان الذى فارقهم فيه من الأمس، ثم قال : إذا طلعتْ لكم الشمس، فأقبلوا مائة مائة، كلَّما توارى[2] عنكم مائة فليتبعها مائة؛ فإن جاء هاشم فذاك وإلاّ جدَّدتم للناس رَجاءً وجدًّا، ففعلوا، ولا يشعر بذلك أحدٌ، وأصبح الناس على مواقفهم قد أحرزوا ١/٢٣١٩ قتلاهم؛ وخلَّوْا بينهم وبين حاجِب بن زيد وقتلى المشركين بين الصّفَّين قد أضيعوا، وكانوا لا يعرضون لأمواتهم[3]، وكان مكانهم مما صنع الله للمسلمين مكيدة فتحها ليشدّ[4] بها أعضاد المسلمين؛ فلمَّا ذرّ قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيلَ، وطلعت نواصيها كبَّر وكبَّر الناس، وقالوا : جاء المَدَد، وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها، فجاءوا من قِبَل خَفَّان، فتقدمَ الفرسان وتكتَّبت الكتائب، فاختلفوا الضّرب والطَّعن، ومددُهم متتابع؛ فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتّى انتهى إليهم هاشم؛ وقد طلعوا في سبعمائة، فأخبروه برأى القعقاع وما صنع في يوميه، فعبَّى

(١) الجمان والرغل : نبتان.
(٢) ابن حبيش : «توازت».
(٣) ابن حبيش : «لموتاهم».
(٤) ز : «ليستد».

أصحابه سبعين سبعين ، فلمَّا جاء آخر أصحاب القعقاع خرَج هاشم فى سبعين معه ، فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث – ولم يكن من أهل الأيَّام ؛ إنما أتى من اليمن اليَرموك – فانتدب مع هاشم ، فأقبل هاشم حتّى إذا خالط القلب ؛ كبَّر وكبَّر المسلمون ؛ وقد أخذوا مصافَّهم ، وقال هاشم : أوّل القتال المطاردة ثم المراماة ؛ فأخذ قوسَه ، فوضع سهمًا على كَبِدها ، ثمّ نزع فيها ، فرفعت فرسُه رأسها ، فخلّ [1] أذنها ، فضحك وقال : واسوأتاه من رمية رجل ! كلّ من رأى ينتظره ! أين ترون سهمى كان بالغًا ؟ فقيل : العتيق ، فنزّقها وقد نزع السهم ، ثم ضربها حتى بلغت العتيق ، ثم ضربها فأقبلت به تخرقهم ، حتّى عاد إلى موقفه ، وما زالت مَقَانبه تطلع إلى الأولى ، وقد بات المشركون فى علاج توابيتهم ، حتى أعادوها ، وأصبحوا على مواقفهم ، وأقبلت الفيَلة معها الرّجالة يحمُونها أن تقطَع وُضُنها ، ومع الرّجّالة فرسان يحمونهم ، إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه ، ليُنفِروا بهم خيلَهم فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس ، لأنّ الفيل إذا كان وحْده ليس معه أحد كان أوحشَ ، وإذا أطافوا به كان آنسَ ، فكان القتال كذلك ، حتى عدَل النهار ، وكان يومُ عِماس من أوّله إلى آخره شديدًا ؛ العرب والعجم فيه على السواء ، ولا يكون بينهم نُقطة إلاّ تعاوَرَها الرجال [2] بالأصوات حتى تبلغ يزدجِرْد ، فيبعث إليهم أهل النَّجَدات ممَّن بقى عنده ، فيَقْوَون بهم ، وأصبحت عنده للّذى لقىَ بالأمس الأمداد على البرُد ، فلولا الذى صنع الله للمسلمين بالذى ألهم القعقاعَ فى اليومين وأتاح لهم بهاشم ، كسر ذلك المسلمين .

١ / ٢٣٢٠

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : قدم هاشم بن عُتْبة من قِبَل الشأم ، معه قيس بن المكشوح المرادىّ فى سبعمائة بعد فتْح اليرموك ودمشق ؛ فتعجّل فى سبعين ، فيهم [3] سعيد بن نِمْران

١ / ٢٣٢١

---

(١) يقال : خلّ الشىء ، أى ثقبه ونفذه .

(٢) ز : « تعاورا لها » .

(٣) ابن حبيش : « منهم » .

الهمْدانىّ . قال مجالد : وكان قيس بن أبى حازم مع القعقاع فى مقدّمة هاشم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن جَخْدَب بن جَرْعَب ، عن عصْمة الوابلىّ — وكان قد شهد القادسيَّة — قال : قدم هاشم فى أهلِ العراق من الشأم ، فتعَجَّل أناس ليس معه أحد من غيرهم إلاّ نُفيْر ، منهم ابن المكشوح ؛ فلمَّا دنا تعجَّل فى ثلثمائة ، فوافق النَّاس وهم على مواقفهم ، فدخلوا مع النَّاس فى صفوفهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : كان اليوم الثالث يوم عِماس ؛ ولم يكن فى أيام القادسيَّة مثله ؛ خرج النَّاس منه على السَّواء ، كلُّهم على ما أصابه كان صابرًا ، وكلَّما بلغ منهم المسلمون بلغ الكافرون من المسلمين مِثلَه ، وكلَّما بلغ الكافرون من المسلمين بلغ المسلمون من الكافرين مثلَه .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف، عن عمرو بن الرَّيَّان ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد ، قال : قدم هاشم بن عتبة القادسيَّة يوم عِماس ، فكان لايقاتل إلاّ على فرس أنثى ، لا يقاتل على ذكَر ؛ فلمَّا وقف فى الناس رمى بسهم ، فأصاب أذُن فرسه ، فقال : واسوأتاه من هذه ! أين ترونْ سهمى كان بالغًا لو لم يُصِب أذن الفرس ! قالوا : كذا وكذا ، فأجال فنزل وترك فرسه ، ثم خرج يضربهم[1] حتى بلغ حيث قالوا . ١/٢٣٢٢

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وكان فى الميمنة .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الرَّيان ، عن إسماعيل بن محمد، قال: كنَّا نرى أنه كان على الميمنة، وما كان عامّةُ جُنَن الناس إلاّ البراذع ؛ براذع الرحال، قد أعرضوا فيها الجريد، وعصّب من لم يكن له وقاية رءوسَهم بالأنساع[2] .

---

(١) ن : « يصرفهم » . (٢) الأنساع : جمع نسع (بكسر فسكون) ، وهو سير وقيل : حبل من أدم يكون عريضاً تشد به الرحال .

كتب إلىّ السَّرِىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى كِبْران الحسن ابن عُقبة ، أنّ قيس بن المكشوح ، قال مقدَمَه من الشأم مع هاشم ، وقام فيمن يليه ، فقال لهم : يا معشرَ العرب ، إنّ الله قد منّ عليكم بالإسلام ، وأكرمكم بمحمَّد صلّى الله عليه وسلّم ، فأصبحتم بنعمة الله إخوانًا. دَعْوَتُكم واحدة ، وأمركم واحد ، بعد إذ أنتم يعدُو بعضكم على بعض عَدْوَ الأسْد ، ويختطف بعضكم بعضًا اختطاف الذئاب ، فانصروا الله ينصركم ، وتنجَّزوا من الله فتح فارس ؛ فإنّ إخوانكم من أهل الشأم قد أنجز الله لهم فتح الشأم ، وانتثال القصور الحُمر والحصون الحُمر

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المقدام الحارثىّ ، عن الشعبىّ ، قال : قال عمرو بن معديكرب : إنّى حاملٌ على الفيل ومَنْ حوله — لفيل بإزائهم — فلا تَدَعونى أكثر من جَزْر جَزور ؛ فإن تأخَّرْتم عنّى فقدتم أبا ثور ؛ فأنَّى لكم مثل أبى ثور ! فإن أدركتمونى وجدتمونى وفى يدى السيف . فحمل فما انثنى حتى ضرب فيهم ، وستره الغبار ، فقال أصحابه : ما تنتظرون! ما أنتم بخُلَقاء أن تُدركوه ، وإن فقدتموه فقد المسلمون فارسَهم ، فحملوا حملة ، فأفرج المشركون عنه بعد ما صرعوه وطعنوه ، وإنّ سيفه لفى يده يضاربهم ، وقد طُعِن فرسه ، فلمّا رأى أصحابه ، وانفرج عنه أهل فارس أخذ برجْل فرس رجل من أهل فارس ، فحرّكه الفارسىّ ، فاضطرب الفرس ، فالتفت الفارسىّ إلى عمرو ؛ فهمّ به وأبصره المسلمون ، فغشُوه ، فنزل عنه الفارسىّ ، وحاضر إلى أصحابه ، فقال عمرو : أمكِنونى من لجامه ، فأمكنوه منه فركبه .

١/٢٣٢٣

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن المغيرة العبدىّ ، عن الأسود بن قيس ، عن أشياخ لهم شهدوا القادسيَّة ، قالوا : لمّا كان يوم عِماس خرج رجل من العجم حتى إذا كان بين الصفَّين هدر وشقشق ونادى : مَنْ يبارز؟ فخرج رجل منّا يقال له شَبْر بن علقمة — وكان قصيرًا قليلا دميمًا — فقال : يا معشر المسلمين قد أنصفكم الرّجل ، فلم يُجبه أحدٌ ؛ ولم يخرج إليه أحد ، فقال : أما والله لولا أن تزدرونى لخرجت

إليه . فلمَّا رأى أنه لا يُمنع أخذ سيفه وحَجَفَته [١] ، وتقدمّ . فلمَّا رآه الفارسيّ هدَر ، ثم نزل إليه فاحتمله ، فجلس على صدره ، ثم أخذ سيفه ليذبحه ومِقْوَدُ فرسه مشدود بمِنْطقته ، فلما استلّ السيف حاص الفرس حيصة [٢] فجذبه المقود ، فقلبه عنه ، فأقبل عليه وهو يُسْحب ، فافترشه [٣] ، فجعل أصحابه يصيحون به ، فقال : صيحوا ما بدا لكم ؛ فوالله لا أفارقه حتى أقتله وأسلبه . فذبحه وسلبه ، ثم أتى به سعدًا ، فقال : إذا كان حين الظُّهر فأتني ، فوافاه بالسَّلَب ، فحمِد الله سعد وأثنى عليه ، ثم قال : إنِّى قد رأيتُ أن أنحلَه إيَّاه ، وكلّ مَن سلب سلَبًا فهو له ، فباعه باثنى عشر ألفًا . ١/٢٣٢٤

كتب إلىّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : ولمَّا رأى سعد الفيَلة تُفرّق بين الكتائب وعادت لفعلها يوم أرماث ، أرسل إلى أولئك المُسْلِمة : ضَخْم ، ومُسْلِم ، ورافع ، وعَشَنَّق ؛ وأصحابهم من الفرس الّذين أسلموا ، فدخلوا عليه ، فسألهم عن الفِيَلة : هل لها مَقاتِل ؟ فقالوا : نعم ، المشافر والعيون لا يُنتفَع بها بعدها . فأرسل إلى القعقاع وعاصم ابنَى عمرو : اكفِيانى الأبيض — وكانت كلُّها آلفة له ، وكان بإزائهما — وأرسل إلى حَمَّال والرِّبِّيل : اكفيانى الفيل الأجرب ، وكانت آلفة له كلّها ، وكان بإزائهما ، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصمَّين ليِّنين ودبَّا فى خيل ورجل فقالا : اكتنِفوه لتحيِّروه ، وهما مع القوم ، ففعل حمَّال والرِّبيل مثلَ ذلك ، فلما خالطوهما اكتنفوهما ، فنظر كلّ واحد منهما يَمنة ويَسرة ، وهما يريدان أن يتخبَّطا ، فحمل القعقاع وعاصم ، والفيل متشاغل بمن حوله ، فوضعا رمحَيْهما معًا فى عينى الفيل الأبيض ، وقبع ونفض رأسه ، فطرح سائسه ودلَّى مشفرَه ، فنفحه القعقاع ، فرمى به ووقع لجنبه ، فقتلوا مَن كان عليه ، وحمل حمَّال ، وقال للرِّبِّيل : اختَرْ ، إمَّا أن تضرب المشفر وأطعن فى عينه ، أو تطعن فى عينه وأضرب مشفرَه ؛ فاختار الضَّرب ، فحمل عليه حمَّال وهو ١/٢٣٢٥

(١) الحجفة : الترس من جلد بلا خشب ولا عقب .

(٢) يقال : حاص الفرس يحيص حيصاً : إذا عدل وحاد .

(٣) ابن حبيش . « فافترسه » .

متشاغل بملاحظة من اكتنفه ؛ لا يخاف سائسه إلاّ على بِطانه ، فانفرد به أولئك ، فطعنه فى عينه ، فأقعى ؛ ثم استوى ونفحه الرِّبّيل ، فأبان مشفره وبصر به سائسُه، فبقر[1] أنفه وجبينه بفأسه .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : قال رجلان من بنى أسد ؛ يقال لهما الرِّبّيل وحمّال : يا معشر المسلمين أىّ الموت أشدّ ؟ قالوا: أن يُشَدّ على هذا الفيل، فنزّقا[2] فرسيهما حتى إذا قاما على السَّنابك ضرباهما على الفيل الذى بإزائهما ، فطعن أحدهما فى عين الفيل ، فوطئ الفيل من خلفه ، وضرب الآخر مشفرَه ، فضربه سائس الفيل ضربة شائنة بالطَّبَرْزين فى وجهه؛ فأفلت بها هو والرِّبّيل ، وحمل القعقاع وأخوه على الفيل الذى بإزائهما ، ففقآ عينيه ، وقطعا مشفره ، فبقى متلدّداً[3] بين الصفّين ؛ كلّما أتى صفّ المسلمين وخزوه ،وإذا أتى صفّ المشركين نخسُوه . ١/٢٣٢٦

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، قال : كان فى الفيَلة فيلان يعلّمان الفيَلة ، فلمّا كان يوم القادسيّة حملوهما على القلْب ؛ فأمر بهما سعد القعقاع وعاصماً التميميّين وحمّالا والرِّبّيل الأسديّين ؛ فذكر مثل الأوّل إلاّ أن فيه: وعاش بعد ، وصاح الفيلان صياح الخنزير ، ثم ولّى الأجرب[4] الّذى عُوِّر ، فوثب فى العتيق ، فاتّبعته الفيلة ؛ فخرقَت صفّ الأعاجم فعبرت العتيق فى أثره ، فأتت[5] المدائن فى توابيتها ، وهلك مَنْ فيها .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وزياد ؛ قالوا: فلمّا ذهبت الفيَلة ، وخلَص المسلمون بأهلِ فارس، ومال الظِّلّ تزاحفَ المسلمون ، وحماهم فرسانهم الّذين قاتلوا أوّل النهار ، فاجتلدوا بها[6] حتى أمسَوْا

---

(١) بقر أنفه : شقه .
(٢) نزق الفرس ، بالتشديد: ضربه حتى ينزو ويَنزق
(٣) ابن حبيش : « يتلدد » .
(٤) ز : « الآخر » .
(٥) ابن حبيش : « فبيتت » .
(٦) بها ، أى بالسيوف .

على حَرْد ؛ وهم فى ذلك على السّواء ، لأنّ المسلمين حين فعلوا بالفيول ما فعلوا، تكتّبت كتائب الإبل المجفّفة[١]، فعرقبوا فيها؛ وكفكفوا عنها .
وقال فى ذلك القعقاع بن عمرو :

حَضَّضَ قومى مَضرَحِيٌّ بنُ يَعْمَرٍ فلله قومى حين هَزُّوا العَواليا
وما خام عنها يومَ سارت جموعُنا لأهل قُدَيسٍ يمنعون المواليا[٢]
فإن كنتُ قاتلتُ العدوَّ فَلَلتُهُ فإنِّى لألقَى فى الحروب الدَّواهِيا
فُيولا أراها كالبيوت مُغيرةً[٣] أسمِّل أعيانًا لها ومآقيا

١/٢٣٢٧

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : لمَّا أمسى الناس من يومهم ذلك ، وطعنوا فى الليل؛ اشتدّ القتال وصبر الفريقان ، فخرجا على السَّواء إلا الغماغم من هؤلاء وهؤلاء ، فسُمِّيت ليلة الهَرير ؛ لم يكن قتال بليل بعدها بالقادسيَّة .

قال أبو جعفر : كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ابن محمد بن قيس ، عن عبد الرحمن بن جيش ؛ أنّ سعدًا بعث ليلة الهرير طُليحة وعمرًا إلى مخاضة أسفل من العسكر ليقوما عليها خَشْيَةَ أن يأتيَه القوم منها ؛ وقال لهما : إن وجدتما القوم قد سبقوكما إليها فانزلا بحيالهم؛ وإن لم تجداهم علموا بها ، فأقيما حتى يأتيكما أمرى — وكان عمر قد عهد إلى سعد ألاّ يولّى رؤساء أهل الرّدّة على مائة — فلما انتهيا إلى المخاضة فلم يريا فيها أحدًا ، قال طليحة : لو خُضنا فأتينا الأعاجم من خلفهم! فقال عمرو :لا ،بل نعبر أسفل ؛ فقال طُليحة: إنّ الذى أقوله أنفع للناس ، فقال عمرو : إنّك تدعونى إلى مالا أطيق[٤]، فافترقا ، فأخذ طليحة نحو العسكر من وراء العتيق وحده ، وسفل عمرو بأصحابهما جميعًا ، فأغاروا ،

---

(١) مجففة ، أى عليها التجافيف ، جمع تجفاف ؛ وهو ما يوضع على ظهر الفرس أو الجمل فى الحرب يصنع من الحديد أو غيره .
(٢) خام : نكص وجبن .
(٣) ابن حبيش : « كالليوث مغيرةً » .
(٤) ابن حبيش : « نطيق » .

١/٢٣٢٨ وثارت بهم[1] الأعاجم ، وخَشِيَ سعد منهما الّذى كان ، فبعث قيس بن المكشوح فى آثارهما فى سبعين رجلاً ، وكان من أولئك الرؤساء الذين نُهى عنهم أن يولّيهم المائة ، وقال : إن لحقتَهم فأنت عليهم . فخرج نحوهم ، فلمّا كان عند المخاضة وجد القوم يكرُدون عمرًا وأصحابه ، فنهنه الناسُ عنه ، وأقبل قيس على عمرو يلومه ، فتلاحيَا ، فقال أصحابه : إنّه قد أمِّر عليك ؛ فسكت ، وقال : يتأمَّر علىّ رجل قد قاتلتُه فى الجاهليّة عُمْرَ رجل ! فرجع إلى العسكر ، وأقبل طليحة حتى إذا كان بحيال السِّكْر ، كبّر ثلاث تكبيرات ؛ ثم ذهب ، فطلبه القوم فلم يدروا أين سلك ! وسفل حتى خاض ، ثمّ أقبل إلى العسكر ، فأتى سعدًا فأخبره ؛ فاشتدّ ذلك على المشركين ، وفرِح المسلمون وما يدرون ما هو !

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن قُدامة الكاهلىّ ، عمّن حدّثه ، أن عشرة إخوة من بنى كاهل بن أسَد ، يقال لهم بنو حَرْب ؛ جعل أحدهم يرتجز ليلتئذ ، ويقول :

أنا ابن حَرْبٍ ومعى مِخْراقى أضرِبهُمْ بصارِمٍ رَقْراقِ
إذْ كَرِه الموت أبو إسحاقِ وجاشتِ النَّفْسُ على التَّراقى
* صَبْراً عِفاقُ إنّه الفراقُ *

١/٢٣٢٩ وكان عِفاق أحد العشرة ، فأصيب فَخذ صاحبِ هذا الشعر يومئذ ، فأنشأ يقول :

صبْرًا عِفاقُ إنّها الأساوِرَهْ صَبْراً ولا تَغرُرْكَ رِجْلٌ نادِرَهْ

فمات من ضربته يومئذ .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر ، عن ابن الرُّفَيْل ، عن أبيه ، عن حُميد بن أبى شجّار ، قال : بعث سعد طليحة فى حاجة فتركها ، وعبر العتيق ؛ فدار إلى عسكر القوم ، حتى إذا وقف على رَدْم النهر كبّر ثلاث تكبيرات ، فراع أهلَ فارس ، وتعجّب المسلمون ،

(١) ابن حبيش : « فأغار فثارت به » .

فكفّ بعضُهم عن بعض للنَّظَر فى ذلك ، فأرسلت الأعاجم فى ذلك ، وسأل المسلمون عن ذلك . ثم إنهم عادوا وجدّدوا تعبية ، وأخذوا فى أمرٍ لم يكونوا عليه فى الأيّام الثلاثة ، والمسلمون على تعبيتهم ، وجعل طليحة يقول : لا تَعْدَموا امرأً ضعضعكم . وخرج مسعود بن مالك الأسدىّ وعاصم بن عمرو التميمىّ وابن ذى البُردين الهلالىّ وابن ذى السَّهْمَيْن وقيس بن هُبيرة الأسدىّ ؛ وأشباههم ، فطاردوا القومَ ، وانبعثوا[1] للقتال ، فإذا القوم لُمَّة لا يشدّون ، ولا يريدون غير الزّحف[2] ؛ فقدّموا صفًّا له أذنان ، وأتبعوا آخر مثله ، وآخر وآخر ، حتّى تمّت صفوفُهم ثلاثة عشر صفًّا فى القلْب والمجنّبتيْن كذلك ؛ فلما أقدم[3] عليهم فرسان العسكر رامَوْهم فلم يعطفهم ذلك عن ركوبهم ؛ ثم لحقت بالفرسان الكتائب ، فأصيب ليلتئذ خالد بن يَعْمَر التميمىّ ، ثم العمْرىّ ؛ فحمل القعقاع على ناحيته الّتى رمى بها مزدلفًا ، فقاموا على ساق ، فقال القعقاع[4] :

٢٣٣٠/١

سَقَى اللهُ ياخَوْصاء قَبْرَ ابن يَعْمَرٍ ... إذا ارتحل السُّفّارُ لم يترحّل
سقى الله أرضًا حلّها قبرُ خالدٍ ... ذِهابَ غَوادٍ مُدْجِناتٍ تُجَلْجِلُ[5]
فأقسمتُ لا يَنْفَكُّ سيفى يَحُسُّهم ... فإن زَحَل الأقوامُ لم أتزحّلِ

فزاحفهم والناس على راياتهم بغير إذن سعد ؛ فقال سعد : اللهمّ اغفرْها له ، وانصرْه قد أذنت له إذ لم يستأذِنّى ، والمسلمون على مواقفهم ، إلاّ مَن تكتّب أو طاردهم وهم ثلاثة صفوف ، فصفٌّ فيه الرَّجّالة أصحاب الرماح والسيوف ، وصف فيه المرامية ، وصفّ فيه الخيول ، وهم أمام الرَّجّالة[6] ، وكذلك الميمنة ، وكذلك الميسرة . وقال سعد : إنّ الأمر الذى صنع القعقاع ، فإذا كبّرتُ ثلاثًا فازحفوا ، فكبّر تكبيرة فتهيّئوا ، ورأى النّاس كلّهم مثل الذى

---

(١) ابن حبيش : « وابتعثوا » .
(٢) ابن حبيش : « إلا الزحف » .
(٣) ز : « قدم » .
(٤) ابن حبيش : « وفى ذلك من الشأن يقول القعقاع بن عمرو » .
(٥) فى البيت إقواء .
(٦) ابن حبيش : « الرجال » .

رأى ، والرّحى تدور على القعقاع ومَن معه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عُبَيْد الله بن عبد الأعلى ، عن عمرو بن مرّة ، قال : وقام قيس بن هبيرة المرَادىّ فيمن يليه ، ولم يشهد شيئًا من لياليها إلاّ تلك الليلة ؛ فقال : إنّ عدوّكم قد أبى إلاّ المزاحفة ، والرّأى رأى أميركم[1] ، وليس بأن تحمل الخيل ليس معها الرّجّالة ، فإنّ القوم إذا زحفوا وطاردهم عدوّهم على الخيل لا رجال معهم عقروا بهم ؛ ولم يطيقوا أن يُقدِموا عليهم ، فتيَسَّروا للحملة. فتيسّروا وانتظروا التكبيرة[2] وموافقة حمل الناس ؛ وإنّ نُشّاب الأعاجم لتجوزُ صفّ المسلمين .

١/٢٣٣١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عمّن حدّثه ، قال : وقال دُريد بن كعب النّخَعىّ ، وكان معه لواء النّخع : إنّ المسلمين تهيّئوا للمزاحفة ، فاسبقوا المسلمين[3] الليلة إلى الله والجهاد ، فإنه لا يَسبق الليلةَ أحدٌ إلاّ كان ثوابه على قدر سَبْقه ؛ نافسوهم فى الشهادة ، وطِيبوا بالموت نفسًا[4] ؛ فإنّه أنجى من الموت إن كنتم تريدون الحياة ، وإلاّ فالآخرة ما أردتم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأجلح ، قال : قال الأشعَث بن قيس : يا معشرَ[5] العرب ؛ إنّه لا ينبغى أن يكون هؤلاء القوم أجرأ على الموت ، ولا أسخى أنفسًا عن الدنيا ، تنافَسوا الأزواج والأولاد ، ولا تجزَعوا من القتل ، فإنه أمانىّ الكرام ، ومنايا الشهداء ، وترجّل .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، قال : قال حنظلة بن الربيع وأمراء الأعشار : ترجّلوا[6] أيّها الناس ، وافعلوا كما نفعل ، ولا تجزعوا ممّا لا بدّ منه ، فالصّبر أنجى من الفزَع . وفعل طُلَيحة وغالب وحمّال وأهل النّجدات من جميع القبائل مثلَ ذلك .

---

(١) ابن حبيش : « الأمير » .
(٢) ز : « التكبير » .
(٣) ابن حبيش : « المؤمنين » .
(٤) ابن حبيش : « أنفسا » .
(٥) ابن حبيش : « معاشر » .
(٦) ز : « ترحلوا » .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو والنّضر بن السرىّ ، قالا : ونزل ضِرار بن الخطّاب القُرَشىّ ، وتتابع على التسرّع إليهم النّاس كلّهم فيما بين تكبيرات سعد حين [١]استبطئوه . فلمّا كبّر الثانية ، حمل عاصم بن عمرو حتّى انضمّ إلى القعقاع ، وحملت النَّخَع ، وعصى الناس كلّهم سعدًا ، فلم ينتظر [٢] الثالثةِ إلاّ الرؤساء ، فلما كبّر الثالثة زحفوا فلحقوا بأصحابهم ، وخالطوا القوم ، فاستقبلوا اللّيل استقبالا بعد ما صلّوا العشاء . ١/٢٣٣٢

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله بن أبى طيبة ، عن أبيه ، قال : حمل الناس ليلة الهرير عامّة ؛ ولم ينتظروا بالحملة سعدًا ، وكان أوّل مَن حمل القعقاع ، فقال : اللهمّ اغفرها له وانصره . وقال : واتميماه سائرَ الليلة ! ثمّ قال : أرى الأمر [٣] ما فيه هذا [٤] ، فإذا كبّرتُ ثلاثًا فاحملوا . فكبّر واحدة فلحقتهم [٥] أسد ، فقيل : قد حملت أسد ، فقال : اللهمّ اغفرها لهم وانصرهم ؛ وأسَداهْ سائرَ الليلة ! ثم قيل : حملت النّخَع ، فقال : اللهمّ اغفرها لهم وانصرهم ؛ وانَخعاه سائر الليلة ! ثم قيل : حملت بجيلة ، فقال : اللهمّ اغفرها لهم ، وانصرهم ؛ وابجيلتاه ! ثم حملت الكنود ، فقيل : حملت كندة ، فقال : واكندتاه ! ثم زحف الرؤساء بمن انتظر التكبيرة ، فقامت حربهم على ساق حتّى الصّباح ، فذلك ليلة[٦] الهرير .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن نويرة ، عن عمّه أنس بن الحُلَيْس ، قال : شهدتُ ليلة الهرير ، فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتَهم حتّى الصّباح ، أفرِغ عليهم الصبر إفراغًا ، وبات سعد بليلة لم يَبِت بمثلها ، ورأى العرب والعجم أمرًا لم يرَوْا مثلَه قطّ ، وانقطعت الأصوات والأخبار عن رسْتم وسعد ، وأقبل سعد على الدّعاء ، حتّى ١/٢٣٣٣

---

(١) ز : « حتى » . (٢) ط : « فلم ينتظروا » .
(٣) ابن حبيش : « إن الأمر » . (٤) ز : « ما فى هذا » .
(٥) كذا فى ابن حبيش ، وفى ط : « فلحقهم » .
(٦) ابن حبيش : « فتلك الليلة » .

إذا كان وجهُ الصُّبْح ، انتهى الناس فاستدلّ بذلك على أنّهم الأعلوْن ، وأنّ الغلَبة لهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الأعوَر بن بنان [1] المنقرى ، قال : أوّل شيء سمعه سعد ليلتئذ مما يستدلّ به على الفتح فى نصف الليل الباقى صوتُ القعقاع بن عمرو وهو يقول :

نحن قتلْنا معْشَرًا وزائدا أربعةً وخمسةً وواحِدا

نُحْسَبُ فوق اللِّبَد الأساودا حتّى إذا ماتوا دعوتُ جاهِدا

* اللهُ ربّى ، واحترزتُ عامِداً *

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الأعور ومحمد عن عمّه ، والنضر عن ابن الرُّفَيْل ، قالوا : اجتلدوا تلك الليلة من أوّلها حتى الصّباح لاينطقون، كلامُهم الهرير ،فسُمِّيت ليلة الهرير . ١ / ٢٣٣٤

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن الرّيّان ، عن مُصْعَب بن سعد ، قال : بعث سعد فى تلك الليلة بجاداً وهو غلام إلى الصفّ ، إذْ لم يجد رسولاً ، فقال : انظُر ما ترى من حالهم ؛ فرجع فقال : ما رأيت أىْ بُنَىّ ؟ قال : رأيتُهم يلعبون ، فقال : أو يَجِدّون !

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن جرير العبْدىّ ، عن عابس الجُعفىّ ، عن أبيه ، قال : كانت بإزاء جُعْفىّ يوم عماس كتيبةٌ من كتائب العجم ، عليهم السلاح التامّ ، فازدلفُوا لهم ، فجالدوهم بالسيوف ، فرأوْا أنّ السيوف لا تعمل فى الحديد فارتدعوا ، فقال حُمَيْضة : مالكم ؟ قالوا : لا يجوز فيهم السلاح ، قال : كما أنتم حتى أرِيَكم ، انظروا . فحمل على رجل منهم ، فدقّ ظهره بالرّمح ، ثم التفت

---

(١) ط : « بيان » ، وانظر ١ : ٣١٦٧ (طبع ليدن) .

إلى أصحابه، فقال : ما أراهم إلاّ يموتون دونكم . فحملوا عليهم فأزالوهم إلى صفّهم .

١ / ٢٣٣٥ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : لا والله ما شهدها من كِنْدة خاصّة إلاّ سبعمائة ؛ وكان بإزائهم تُرْك الطَّبَرِىّ ، فقال الأشعث : يا قوم ازحفوا لهم ، فزحف لهم فى سبعمائة ، فأزالهم وقتل تُرْكا ، فقال راجزهم :

نحن تركنا تُركَهم فى المَصْطَرَهْ مُختضِباً من بَهَران الأبْهَرَهْ

* * *

ليلة القادسيّة

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب، عن سيف ، عن محمّد وطلحة وزياد ، قالوا : وأصبحوا ليلة القادسيَّة ؛ وهى صُبْحة ليلة الهرير، وهى تسمىّ ليلة القادسيَّة ، من بين تلك الأيام والناس حَسْرَى ، لم يغمضوا ليلتهم كلَّها ، فسار القعقاع فى النَّاس ، فقال : إن الدّبْرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعة واحملوا ، فإنّ النّصر مع الصّبر . فآثروا الصّبر على الجزَع ؛ فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء، وصمدوا لرستم، حتّى خالطوا الّذين دونه مع الصُّبح.

ولما رأت ذلك القبائل قامَ فيها رجال ، فقام قيس بن عبد يغوث والأشعث ابن قيس وعمرو بن معديكرب وابن ذى السَّهْمَيْن الخثعمىّ وابن ذى البُرْدَيْن الهلالىّ ، فقالوا : لا يكوننّ هؤلاء أجدّ فى أمر الله منكم ، ولا يكوننّ هؤلاء — لأهل فارس [(١)] — أجرأَ على الموت منكم ؛ ولا أسخَى أنفسا عن الدنيا ، تَنافسوها . فحملوا ممّا يليهم [(٢)] حتّى خالطوا الّذين بإزائهم، وقام ١ / ٢٣٣٦ فى ربيعة رجال ، فقالوا : أنتم أعلم الناس بفارس وأجرؤهم عليهم فيما مضى ؛ فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجرأ مما كنتم بالجرْأة ! فكان أوّل مَن زال حين قام قائم الظهيرة الهرُمْزان والبيرزان ، فتأخّرا وثبتا حيث [(٣)] انتهيا ، وانفرج

---

(١) ابن الأثير والنويرى : « يعنى الفرس »

(٢) ابن الأثير : « فيما يليهم » .

(٣) ز : « حين » .

القلْب حين قام قائم الظهيرة ، وركد عليهم النَّقْع ، وهبَّت ريحٌ عاصف ، فقلعت طيَّارة رستم عن سريره ، فهوت فى العتيق ؛ وهى دَبُور ، ومال الغبار عليهم ، وانتهى القعقاع ومَن معه إلى السرير فعثروا به ، وقد قام رستم عنه حين طارت الرّيح بالطيَّارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ فهى واقفة ، فاستظلّ فى ظلّ بغل وحِمْله ، وضرب هلال بن عُلَّفة الحِمْل الذى رستم تحته ؛ فقطع حباله ، ووقع عليه أحد العِدْلين ، ولا يراه هلال ولا يشعر به ؛ فأزال من ظهره فَقَارًا ، ويضربه ضربة فنفحت مِسْكًا ، ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه ، واقتحمه هلال عليه ؛ فتناوله وقد عام ؛ وهلال قائم ، فأخذ برجله ، ثم خرج به إلى الجُدّ [١] ، فضرب جبينه بالسَّيف حتى قتله ، ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البغال ، وصعد السرير ، ثم نادى : قتلتُ رستم وربّ الكعبة ؛ إلىّ ؛ فأطافوا به وما يُحسُّون السرير ولا يرونه ؛ وكبَّروا وتنادَوْا ، وانبتّ قلب المشركين عندها وانهزموا [٢] ، وقام الجالنوس على الرَّدْم ، ونادى أهل فارس إلى العبور ، وانسفر الغبار ؛ فأمَّا المقترنون فإنَّهم جشعوا فتهافتوا فى العتيق ، فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبِّر ، وهم ثلاثون ألفًا ، وأخذ ضِرار بن الخطاب « دِرَفْش كابيان » ، فعُوِّض منها ثلاثين ألفا ، وكانت قيمتها ألف ألف ومائتى ألف ، وقتلوا فى المعركة عشرة آلاف سوى مَنْ قتلوا فى الأيَّام قبله .

٢٣٣٧/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عَطيَّة ، عن عمرو بن سَلمة ، قال : قتَل هلال بن عُلَّفة رستمَ يوم القادسيّة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن مخراق ، عن أبى كعب الطائىّ ، عن أبيه ، قال : أصيب من الناس قبل ليلة الهرير ألفان وخمسمائة ، وقتل ليلة الهرير ويوم القادسيّة ستة آلاف من المسلمين ، فدُفنوا فى الخندق بحيال مُشرِّق .

٢٣٣٨/١

---

(١) الجدّ : شاطئ البحر.

(٢) ز : « عنها وانهفتوا » .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : لما انكشف أهلُ فارس ؛ فلم يَبْقَ منهم بين الخَنْدق والعتيق أحد ، وطبَّقت [1] القتلى ما بين قُدَيْس والعتيق أمر سعد زُهرة باتّباعهم ، فنادى زهرة فى المقدّمات ، وأمر القعقاعَ بمَن سفَل ، وشُرَحْبيل بمن علا ، وأمر خالدبن عُرْفُطة بسَلْب القتلى وبدَفْن الشهداء ، فدُفن الشهداء ، شهداء ليلة الهرير ويوم القادسيّة ، حول قُدَيْس ألفان وخمسمائة وراءَ العتيق بحِيال مُشرِّق ، ودُفن شهداء ما كان قبل ليلة الهرير على مشرِّق ، وجُمعت الأسلاب والأموالُ فجُمع منها شىءٌ لم يُجمَع قبله ولا بعده مثله ؛ وأرسل سعد إلى هلال ، فدعَا له ، فقال : أين صاحبُك ؟ قال : رميتُ به تحت أبغُل ؛ قال : اذهبْ فجئْ به ، فذهب فجاء به ، فقال : جَرِّدْه إلاّ ما شئتَ ، فأخذ سلَبه فلم يَدَعْ عليه شيئًا ، ولما رجع القعقاع وشُرحبيل قال لهذا : اغدُ فيما طلب هذا ، وقال لهذا : اغد فيما طلب هذا ؛ فعلا هذا ، وسفَل هذا ، حتى بلغا مقدار الحرّارة من القادسيَّة ، وخرج زُهرة بن الحَوِيَّةِ فى آثارهم ، وانتهى إلى الرَّدْم وقد بثقوه ليمنعوهم به من الطَّلَب ، فقال زهرة : يا بُكَيْر ، أقدِم ، فضرب فرسه ، وكان يقاتل على الإناث ، فقال : ثِبِى أطلالُ ، فتجمّعت وقالت : وَثْبًا وسورة البقَرَةِ ! ووثب زهرةُ — وكان عن حصان — وسائرُ الخيل فاقتحمته ، وتتابع على ذلك ثلثمائة فارس ، ونادى زُهرة حيث كاعت [4] الخيل : خذوا أيّها الناس على القنطرة ، وعارضونا ، فمضى ومضى الناس إلى القنطرة يتّبعونه ، فلحق بالقوم والجالنوس فى آخرِهم [5] يحميهم ، فشاوله [6] زهرة ، فاختلفا ضربتين ، فقتله زهرة ، وأخذ سلبَه ، وقتلوا

١/٢٣٣٩

(١) ابن حبيش : « وطبق القتلى » .

(٢) ز : « فاقتحمه » .

(٣) ثبى : انهضى وقومى .

(٤) كاعت الخيل : جبنت .

(٥) ابن حبيش : « أخراهم » .

(٦) فى اللسان عن أبى زيد : « تشاول القوم تشاولا ؛ إذا تناول بعضهم بعضاً عند القتال بالرماح ، والمشاولة مثله » .

ما بين الحرّارة إلى السَّيْلَحين ، إلى النَّجَف ؛ وأمسوْا فرجعوا فباتوا بالقادسيَّة .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن شُبْرُمَة ، عن شقيق ، قال : اقتحمنا القادسيَّة صدرَ النهار ، فتراجعْنا وقد أتى الصلاة ؛ وقد أصيب المؤذّن ، فتشاحَّ النَّاس فى الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف ، فأقرع سعد بينهم ؛ فخرج سهم رجل فأذّن .

* * *

ثم رجع الحديث . وتراجع الطلبُ الّذين طلبوا مَنْ علا على القادسيَّة ومَن سِفَل عنها ، وقد أتى الصلاة وقد قتل المؤذن فتشاحّوا على الأذان ، فأقرع بينهم سعد ، وأقاموا بقيَّة يومهم ذلك وليلتَهم حتى رجع زهرة ، وأصبحوا وهم جميعٌ لا ينتظرون أحدًا من جندهم ؛ وكتب سعد بالفتح وبعدّة مَنْ قتلوا ومن أصيب من المسلمين ، وسمَّى لعُمَر مَن يعرف مع سعد بن عُمَيْلة الفزارىّ . ١ / ٢٣٤٠

كتب إلىّ السَّرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر ، عن ابن الرُّفَيْل ، عن أبيه ، قال : دعانى سعد ، فأرسلنى أنظر له فى القتلَى ، وأسمّى له رءوسهم ، فأتيته فأعلمته ، ولم أرَ رستم فى مكانه ، فأرسل إلى رجل من التَّيْم يُدعى هلالاً ، فقال : ألم تُبلغنى أنَّك قتلت رستم ! قال : بلى ، قال : فما صنعت به ؟ قال : ألقيته تحت قوائم الأبغُل ، قال : فكيف قتلتَه ؟ فأخبره ، حتَّى قال : ضربت جبينه وأنفَه . قال : فجئنا به ، فأعطاه سلَبه ، وكان قد تخفَّف حين وقع إلى الماء ، فباع الّذى عليه بسبعين ألفًا ، وكانت قيمة قَلَنْسُوتِه مائة ألف لو ظفر بها . وجاء نفر من العِباد حتى دخلوا على سعد ، فقالوا : أيّها الأمير ؛ رأينا جسد رستم على باب قصرك وعليه رأس غيره ؛ وكان الضَّرب قد شوَّهه ؛ فضحك .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقال الدَّيْلَم ورؤساء أهل المسالح الذين استجابوا للمسلمين ، وقاتلوا معهم على غير الإسلام : إخوانُنا الّذين دَخلوا فى هذا الأمر من أوّل الشأن أصوَبُ منَّا وخير ، ولا والله لا يُفْلح أهلُ فارس بعد رستم إلا مَن دخل فى ١ / ٢٣٤١

هذا الأمر منهم ؛ فأسلَموا ؛ وخرج صبيان العسكر فى القتلَى ، ومعهم الأداوَى يسقُون مَن به رَمَق من المسلمين ، ويقتلون مَن به رَمق من المشركين ، وانحدروا من العُذَيْب مع العشاء . قال : وخرج زهرة فى طلب الجالنوس ، وخرج القعقاع وأخوه وشرحبيل فى طلب مَن ارتفع وسفل ، فقتلوهم فى كلّ قرية وأجَمة وشاطىء نهر ؛ ورجعوا فوافوا صلاةَ الظهر ، وهنّأ الناس أميرَهم ، وأثنى على كلّ حىّ خيرًا ، وذكرَه منهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المَرْزبان ، قال : خرج زهرة حتى أدرك الجالنوس ؛ ملكًا من ملوكهم ؛ بين الخرّارة والسَّيْلَحين ، وعليه يارقَان[1] وقُلْبان[2] وقُرْطان على بِرْذَوْن له قد خَضِدَ ، فحمل عليه ، فقتله . قال : والله إنّ زهرة يومئذ لعلَى فرس له ما عنانها إلا من حبْل مضفور كالمِقْودِ ، وكذلك حزامها شَعْر منسوج ، فجاء بسلبه إلى سعد ، فعرف الأسارى الذين عند سعد سلَبه ، فقالوا : هذا سلَب الجالنوس ، فقال له سعد : هل أعانك عليه أحد ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ ؟ قال : الله ، فنفَّله سلَبه . ٢٣٤٢/١

كتب إلىّ السّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة ، عن إبراهيم ، قال : كان سعد استكثر له سلَبه ، فكتب فيه إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إنّى قد نفَّلت مَنْ قتل رجلا سلَبه ؛ فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفًا .

وعن سيف ، عن البرمكان ، والمجالد عن الشعبىّ ، قال : لحق به زهرة ، فرفع له الكُرة فما يخطئها بنُشّابة ، فالتقيا فضربه زهرة فجدّله — ولزهرة يومئذ ذُؤابه وقد سُوّد فى الجاهليّة ، وحسن بلاؤه فى الإسلام و[له] سابقة ، وهو يومئذ شابّ — فتدرّع زهرة ما كان على الجالنوس ، فبلغ بضعةً وسبعين

---

(١) فى اللسان : « اليارق : ضرب من الأسورة : قال شبرمة بن الطفيل :

لعمرِى لظبىٌ عند باب ابن محرزٍ ... أغنّ عليه اليارقان مَشُوفُ
أحبّ إليكُمْ من بيوتٍ عِمادُها ... سيوفٌ وأرْماحٌ لهنّ حَفيف

(٢) القلب ، بالضم : سوار للمرأة إذا كان مفتولا من طاق .

ألفًا . فلما رجع إلى سعد نزع سَلَبه ، وقال : ألا انتظرتَ إذْنى ! وتكاتبا ، فكتب عمر إلى سعد : تَعمِد إلى مثل زهرة – وقد صلِىَ بمثل ماصَلىَ به ، وقد بقِىَ عليك من حربك ما بقِىَ – تكسر قَرْنَه ، وتُفسد قلبه ! أمْض له سَلَبَه ، وفضّلْه على (١) أصحابه عند العطاء بخمسمائة .

وعن سيف ، عن عبيد ، عن عصمة ، قال : كتب عمر إلى سعد : أنا أعلم بزُهرة منك ، وإنّ زهرة لم يكن ليغيّب من سلبِ سلَبه شيئًا ؛ فإن كان الّذى سعى به إليك كاذبًا فلقّاه الله مثل زهرة ، فى عضدَيْه يا رَقان ؛ وإنّى قد نفّلت كلّ مَنْ قتل رجلا سلَبه ؛ فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفا . ١/٢٣٤٣

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن إبراهيم وعامر ، أنّ أهل البلاء يوم القادسيّة فُضّلوا عند العطاء بخمسمائة خمسمائة فى أعطياتهم ، خمسة وعشرين رجلا ؛ منهم زهرة ، وعِصْمة الضّبّىّ ، والكلَج . وأمّا أهل الأيّام ، فإنه فرِض لهم على ثلاثة آلاف فُضّلوا على أهل القادسيّة .

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن يزيد الضّخم ، قال : فقيل لعمر : لو ألحقتَ بهم أهل القادسيّة ! فقال : لم أكن لألحقَ بهم من لم يدركهم . وقيل له فى أهل القادسيّة : لو فضلت مَن بعُدَتْ داره على مَنْ قاتلهم بفنائه ! قال : وكيف أفضّلهم عليهم على بعد دارهم ، وهم شَجَن العدوّ ، وما سوّيت بينهم حتى استطبتهم ؛ فهلاّ فعل المهاجرون بالأنصار إذ قاتلوا بفنائهم مثل هذا !

وعن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبىّ ، وسعيد بن المرزبان عن رجل من بنى عبْس ، قال : لمّا زال رستم عن مكانه ركب بغلاً ، فلمّا دنا منه هلال نزع له نشّابة ، فأصاب قدمه فشكّها فى الرّكاب ، وقال : « ببايَه » (٢) ، فأقبل عليه هلال . فنزل ، فدخل تحت البغل ، فلمّا لم يصل إليه قطع عليه المال ، ثم نزل إليه ففلق هامتَه . ١/٢٣٤٤

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن شَقيق ، قال : حملنا على الأعاجم يوم القادسيّة حَمْلة رجل واحد ، فهزمهم الله ، فلقد رأيتُنى أشرتُ إلى أسوارٍ منهم

---

(١) ز : « عن » .

(٢) كلمة فارسية ، معناها « كما انت » ، وانظر ص ٥٧٧ س ١ من هذا الجزء .

فجاء إلىّ وعليه السلاح التامّ ، فضربت عنقه ، ثم أخذت ما كان عليه .

وعن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ، عن رجل من بنى عَبْس ، قال : أصاب أهلَ فارس يومئذ بعد ما انهزموا ما أصاب النَّاس قبلهم ؛ قتِلوا حتَّى إن كان الرجل من المسلمين ليدعوُ الرجُلَ منهم فيأتيه حتى يقوم بين يديه ، فيضرب عنقه ، وحتى إنّه ليأخذ سلاَحَه فيقتله به ؛ وحتى إنّه ليأمر الرّجليْن أحدَهما بصاحبه ؛ وكذلك فى العِدّة .

وعن سيف ، عن يونس بن أبى إسحاق ، عن أبيه ، عمَّن شهدها ، قال : أبصر سَلْمان بن ربيعة الباهلىّ أناساً من الأعاجم تحت راية لهم قد حفروا لها ، وجلسوا تحتها ، وقالوا : لا نبرح حتى نموت ، فحمل عليهم فقتل مَن كان تحتها وسلبهم . وكان سلمان فارس الناس يوم القادسيَّة ، وكان أحد الَّذين مالوا بعد الهزيمة على مَنْ ثبت ، والآخر عبد الرحمن ابن ربيعة ذو النور ، ومال على آخرين قد تكتَّبوا ، ونصبوا للمسلمين فطحنهم بخيله .

١/٢٣٤٥ وعن سيف ، عن الغصن ، عن القاسم ، عن البَهِىّ ، أن الشعبىّ قال : كان يقال : لَسلْمَان أبصرُ بالمفاصل من الجازر بمفاصل الجزور . فكان موضع المَحبَس اليوم دارَ عبد الرحمن بن ربيعة ، والتى بينها وبين دار المختار دار سَلْمان ؛ وإنّ الأشعث بن قيس استقطع فناء كان قدّامها ، هو اليوم فى دار المختار ، فأقْطعه فقال له : ما جرّأك علىّ يا أشعث ؟ والله لئن حزْتَها لأضربنَّك بالجُنيْىّ — يعنى سيفه — فانظر ما يبقى منك بعدُ ، فصدف عنها ولم يتعرّض لها .

وعن سيف ، عن المهلَّب ومحمد وطلحة وأصحابه ، قالوا : وثبت بعد الهزيمة بضع وثلاثون كتيبة ، استقتلوا واستحيَوْا من الفرار ، فأبادهم الله ، فصمَد لهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين ، ولم يُتبعوا فالَّة القوم ، فصمد سلمان بن ربيعة لكتيبة وعبد الرحمن بن ربيعة ذو النور لأخرى ؛ وصمد لكلّ كتيبة منها رأس من رؤساء المسلمين . وكان قتال أهل هذه الكتائب ،

من أهل فارس على وجهين ؛ فمنهم من كذب فهرب ، ومنهم من ثبت حتى قتل ؛ فكان ممن هرب من أمراء تلك الكتائب الهرمزان وكان بإزاء عطارد ، وأهود وكان بإزاء حنظلة بن الربيع ، وهو كاتب النبي صلى الله عليه وسلم ، وزاذ بن بهيش وكان بإزاء عاصم بن عمرو ، وقارن وكان بإزاء القعقاع بن عمرو ؛ وكان ممن استقتل شهريار بن كنارا وكان بإزاء سلمان . وابن الهربذ وكان بإزاء عبد الرحمن ، والفرخان الأهوازى وكان بإزاء بسر بن أبي رهم الجهني ، وخسروشنوم الهمذاني وكان بحيال ابن الهذيل الكاهلي .

١ / ٢٣٤٦

ثم إن سعدا أتبع بعد ذلك القعقاع وشرحبيل من صوب في هزيمته أو صعد عن العسكر وأتبع زهرة بن الحوية الجالنوس .

* * *

* ذكر حديث ابن سحاق :

١ / ٢٣٤٧

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال : ومات المثنى بن حارثة ، وتزوج سعد بن أبي وقاص امرأته سلمى ابنة خصفة وذلك في سنة أربع عشرة . وأقام تلك الحجة للناس عمر بن الخطاب . ودخل أبو عبيدة بن الجراح تلك السنة دمشق ، فشتا بها ، فلما أصافت الروم سار هرقل في الروم حتى نزل أنطاكية ومعه من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبلي وعاملة ، وتلك القبائل من قضاعة ، غسان بشر كثير ؛ ومعه من أهل أرمينية مثل ذلك ، فلما نزلها أقام بها ، وبعث الصقلار ؛ خصيا له ، فسار بمائة ألف مقاتل ، معه من أهل أرمينية اثنا عشر ألفا ، عليهم جرجة ، ومعه من المستعربة من غسان وتلك القبائل من قضاعة اثنا عشر ألفا عليهم جبلة بن الأيهم الغساني ، وسائرهم من الروم ؛ وعلى جماعة الناس الصقلار خصي هرقل ؛ وسار إليهم المسلمون

وهم أربعة وعشرون ألفًا عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، فالتقوْا باليَرْموك فى رجب سنة خمس عشرة ؛ فاقتتل الناس قتالا شديدًا حتى دُخِل عسكر المسلمين ، وقاتل نساء من نساء قريش بالسيوف حين دخِل العسكر — منهنّ أم حكيم بنت الحارث بن هشام — حتى سابقن[1] الرجال ، وقد كان انضمّ إلى المسلمين حين ساروا إلى الرّوم ناس من لَخْم وجُذام ؛ فلمّا رأوا جِدّ القتال فرّوا ونجوا إلى ما كان قُرْبهم من القُرى ، وخذلوا المسلمين . ١/٢٣٤٨

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عروة بن الزُّبير ، عن أبيه ، قال : قال قائل من المسلمين حين رأى من لخم وجذام ما رأى :

القومُ لخمٌ وجُذامٌ فى الهرَبْ ونحنُ والرّومُ بمَرْجٍ نَضطرِبْ

* فإن يعودوا بَعْدَها لا نَصْطَحِبْ *

حدّثنا ابنُ حمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب ابن كيسان ، عن عبد الله بن الزُّبير ، قال : كنت مع أبى الزبير عامَ اليرموك ؛ فلمّا تعبّى المسلمون للقتال ، لبس الزُّبير لأمتَه ، ثم جلس على فرسه ، ثم قال لموليَين له : احبسا عبدَ الله بن الزُّبير معكما فى الرَّحْل ؛ فإنه غلام صغير. قال : ثم توجّه فدخل فى الناس ؛ فلمّا اقتتل النّاس والرّوم نظرت إلى ناس وقوف على تلّ لا يقاتلون مع الناس . قال : فأخذت فرسًا للزبير كان خلّفه فى الرّحل فركبته ، ثم ذهبت إلى أولئك الناس فوقفت معهم ؛ فقلت : أنظر ما يصنع الناس ؛ فإذا أبو سفيان بن حرب فى مَشْيَخة من قريش من مُهاجِرة الفتح وقوفًا لا يقاتلون ؛ فلمّا رأوْنى رأوْا غلامًا حدَثًا ، فلم يتّقونى . قال : فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبتْهم الحرب ، للروم يقولون : إيهِ إيهِ بنى الأصْفَر ! فإذا مالت الرّوم وركبهم المسلمون ، قالوا : يا ويح بنى الأصْفَر ! فجعلتُ أعجب من قولهم ، فلمّا هزم الله الرّوم ورجع الزُّبير ، جعلت أحدّثه ١/٢٣٤٩

(١) ق : « سايفن » .

خبرهم. قال: فجعل يضحك ويقول: قاتلهم الله، أبوْا إلاّ ضِغنًا! وماذا لهم إن يَظْهَرْ علينا الرّوم! لنحن خير لهم منهم.

ثم إنّ الله تبارك وتعالى أنزل نصرَه، فهزِمت الرّوم وجموع هرقل التى جمع، فأصيب من الرُّوم أهل إرمينيّة والمستعربة سبعون ألفًا، وقتل الله الصَّقلار وباهانَ؛ وقد كان هرقل قدّمه مع الصَّقلار حين لحق به، فلمّا هزمت الروم بعث أبو عبيدة عياض بن غَنْم فى طلبهم، فسلك الأعماق حتى بلغ مَلَطْيَة، فصالحه أهلها على الجزية، ثم انصرف، ولما سمع هرقل بذلك بعث إلى مقاتلتها ومَن فيها، فساقهم إليه، وأمر بمَلَطْية فحُرِقت. وقُتل من المسلمين يوم اليرموك من قريش من بنى أميَّة بن عبد شمس عمرُو بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد بن العاص؛ ومن بنى مخزوم عبدالله بن سفيان بن عبد الأسد، ومن بنى سهم سعيد بن الحارث بن قيس.

قال: وفى آخر سنة خمس عشرة، قتل الله رستم بالعراق؛ وشهد أهل اليرموك حين فرغوا منه يوم القادسيَّة مع سعد بن أبى وقَّاص، وذلك أنّ سعدًا حين حسر عنه الشتاء، سار من شَرَاف يريد القادسيَّة، فسمع به رستم، فخرج إليه بنفسه؛ فلمّا سمع بذلك سعد وقف، وكتب إلى عمر يستمدُّه؛ فبعث إليه عمر المغيرة بن شعبة الثقفىّ فى أربعمائة رجل مددًا من المدينة، وأمدَّه بقيس ابن مكشوح المرادىّ فى سبعمائة، فقدموا عليه من اليرموك. وكتب إلى أبى عبيدة: أن أمدّ سعد بن أبى وقَّاص أميرَ العراق [1] بألف رجل من عندك؛ ففعل أبو عبيدة، وأمَّر عليهم عياض بن غَنْم الفِهْرىّ؛ وأقام تلك الحِجَّة للناس عمر بن الخطاب سنة خمس عشرة.

١/٢٣٥٠

وقد كان لكسرى مُرابطة فى قصر بنى مقاتل، عليها النُّعْمان بن قَبيصة؛ وهو ابن حيَّة الطائىّ ابن عمّ قَبيصة بن إياس بن حيَّة الطائىّ صاحب الحيرة؛ فكان فى منظَرة له، فلمّا سمع بسعد بن أبى وقاص سأل عنه عبدَ الله بن سنان ابن جرير الأسدىّ؛ ثم الصَّيْداوِىّ، فقيل له: رجل من قريش، فقال:

---

(١) ابن حبيش: «سعدا بالعراق».

أمّا إذ كان قُرَشِيًّا فليس بشىء ؛ والله لأجاهدنّه القتال ؛ إنما قريش عبيد مَن غَلَب ؛ والله ما يمنعون خفيرًا ، ولا يخرجون من بلادهم إلا بخفير[١] ؛ فغضب حين قال ذلك عبدُ الله بن سنان الأسدىّ ، فأمهله حتى إذا دخل عليه وهو نائم ، فوضع الرمح بين كتِفَيْه فقتله ، ثم لحق بسعد فأسلم . وقال فى قتله النُّعمان بن قَبِيصة :

لقد غادَرَ الأقوامُ ليلةَ أدْلَجوا ... بقصر العِبادِى ذَا الفَعالِ مُجَدّلا

دَلَفْتُ له تحت العَجاج بِطَعْنَةٍ ... فأصبح منها فى النّجيع مُرَمَّلا[٢]

أقولُ له والرمح فى نُغْضِ كَتْفِهِ[٣] ... أبا عامرٍ عنك اليمينُ تحَلَّلا

سَقَيْتُ بها النّعْمانَ كأساً رَوِيَّةً ... وعاطَيْتُه بالرُّمح سمًّا مُثَمَّلا[٤]

تركتُ سباعَ الجوِّ يعرِفن حوله ... وقد كان عنها لابن حيَّةَ مَعزِلا

كفيتُ قريشاً إذ تَغيَّبَ جَمْعُها ... وهَدَّمتُ للنُّعمان عِزًّا مُؤَثَّلا

ولمّا لحق سعد بن أبى وقّاص المغيرة بن شعبة وقيس بن مكشوح فيمن معهما ، سار إلى رستم حين سمع به حتى نزل قادِسَ — قرية إلى جانب العُذَيب — فنزل الناس بها ، ونزل سعد فى قصر العُذيب ، وأقبل رستم فى جموع فارس ستين ألفًا ممّا أحْصِىَ لنا فى ديوانه ، سوى التّباع والرقيق ، حتى نزل القادسيّة وبينه وبين الناس جسرُ[٥] القادسيّة ، وسعد فى منزله وَجِعٌ ، قد خرج به قَرْح شديد ، ومعه أبو مِحْجَن بن حبيب الثقفىّ محبوس فى القصر ، حبسه فى شرب الخمر ، فلمّا أن نزل بهم رستم بعث إليهم أن ابعثوا إلىّ رجلا منكم جليدًا أكلّمْه ، فبعثوا إليه المغيرة بن شعبة ، فجاءه وقد فرق رأسه أربع فِرَق : فرقة من بين يديه إلى قفاه ، وفرقة إلى أذنيْه ، ثم عقصَ شعره ، ولبس بُردًا له ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رستم ، ورستم من وراء الجسر العتيق ممّا يلى

١ / ٢٣٥١
١ / ٢٣٥٢

(١) ابن الأثير : «بخفين» . (٢) مرملا ، أى ملطخاً .
(٣) نغض الكتف : أعلى منقطع الغضروف . (٤) المثمل : السم الناقع .
(٥) ط : «العتيق جسر القادسية» ، وكلمة «العتيق» مقحمة ، فيما يبدو ، للشرح .

العراق ، والمسلمون من ناحيته الأخرى ممَّا يلى الحجاز فيما بين القادسيَّة والعُذَيب ، فكلَّمه رستم ، فقال : إنَّكم معشر العرب كنتم أهل شَقاء وجهد ، وكنتم تأتوننا من بين تاجر وأجير ووافد ، فأكلتم من طعامنا ، وشربتم من شرابنا ، واستظللتم من ظِلالنا ؛ فذهبتم فدعوتم أصحابَكم ، ثم أتيتمونا بهم ، وإنما مَثَلُكم مَثَل رجل كان له حائط من عِنَب ، فرأى فيه ثعلبًا واحدًا ، فقال : ما ثعلب واحد ! فانطلق الثعلب ، فدعا الثعالب إلى الحائط ؛ فلمَّا اجتمعن فيه جاء الرجل فسدَّ الجُحْر الذى دخلْن منه ، ثم قتلهنَّ جميعًا . وقد أعلم أن الذى حملكم على هذا معشر العرب الجَهْدُ الذى قد أصابكم ؛ فارجعوا عنَّا عامكم هذا ، فإنَّكم قد شغلتمونا عن عِمارة بلادنا ، وعن عدوِّنا ، ونحن نُوقِر لكم ركائبكم قمحًا وتمرًا ، ونأمر لكم بكُسوة، فارجعوا عنَّا عافاكم الله !

فقال المغيرة بن شعبة : لا تذكُر لنا جهدًا إلاَّ وقد كنا فى مثله أو أشدّ منه ؛ أفضلُنا فى أنفسنا عيشًا الذى يقتل ابنَ عمِّه ، ويأخذ ماله فيأكله ، نأكل الميتة والدم والعظام ، فلم نزل كذلك حتَّى بعث الله فينا نبيًّا ، وأنزل عليه الكتاب ، فدعانا إلى الله وإلى ما بعثه به ، فصدَّقه منَّا مصدِّق، وكذَّبه منَّا آخر ،فقاتل مَن صدَّقه مَن كذبه ، حتى دخلنا فى دينه ؛ من بين مُوقِن به ، وبين مقهور ؛حتَّى استبان لنا أنه صادق ، وأنه رسول من عند الله . فأمرنا أن نقاتل مَن خالفنا ، وأخبرَنا أن من قُتِل منَّا على دينه فله الجنَّة، ومَنْ عاش ملك وظهر على من خالفه ؛ فنحن ندعوك إلى أن تؤْمن بالله ورسوله، وتدخل فى ديننا ، فإن فعلت كانت لك بلادك ، لا يدخل عليك فيها إلاَّ من أحببتَ ، وعليك الزكاة والخُمس ، وإن أبيتَ ذلك فالجزية ؛ وإن أبيتَ ذلك قاتلناك حتى يحكم الله بيننا وبينك .

١/٢٣٥٣

قال له رستم : ما كنت أظن أنى أعيش حتى أسمع منكم هذا معشر العرب. لا أمسى غدًا حتى أفرُغ منكم وأقتلكم كلَّكم . ثمَّ أمر بالعَتيق أن يُسكَر، فبات ليلته يسكر بالبراذع [1] والتراب والقَصَب حتى أصبح ، وقد تركه طريقًا مَهْيَعًا ، وتعبَّى له المسلمون ، فجعل سعد على جماعة الناس خالد بن

---

(١) ط : « بالزرع » ، والصواب ما أثبته ، وانظر ص ٥٢٩ س ١٥ من هذا الجزء .

عُرْفُطة حليف بنى أميَّة بن عبد شمس ، وجعل على ميمنة الناس جرير ابن عبد الله البَجَلىّ ، وجعل على ميسرتهم قيس بن المكشوح المُرادىّ .

ثم زحف إليهم رستم ، وزحف إليه المسلمون ، وما عامّةُ جُنَنِهِم — فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبى بكر — غير براذع الرِّحال ، قد عرّضوا فيها الجريد ، يترّسون بها عن أنفسهم ، وما عامّة ما وضعوه على رءوسهم إلا أنساع الرِّحال ، يطوى الرجل نِسْعَ رحْله على رأسه يتّقى به ، والفُرس فيما بينهم من الحديد واليلامق ؛ فاقتتلوا قتالا شديدًا ، وسعد فى القصر ينظر ، معه سلمَى بنت خَصَفة ؛ وكانت قبله عند المثنّى بن حارثة ، فجالت الخيل ، فرعبت سلمى حين رأت الخيل جالت ، فقالت : وامثنّياه ولا مُثنّى لى اليوم ! فغار سعد فلطم وجهها ، فقالت : أغَيْرةً وجُبْناً ! فلمّا رأى أبو مِحْجن ما تصنع الخيل حين جالت ، وهو ينظر من قصر العُذيب وكان مع سعد فيه ، قال : ١/٢٣٥٤

كَفَى حَزَناً أن تَرْدِىَ الخيْل بالقنا وأُتْرَكَ مشدودًا علَىَّ وثاقيا[1]

إذا قمْتُ عَنّانى الحديدُ وأُغلِقَتْ مَصاريعُ دونى لا تُجيبُ المُناديا

وقدْ كُنْتُ ذَا مالٍ كثيرٍ وإخوة فقَدْ تَركونى واحِدًا لا أخاليا

فكلَّم زَبْراءَ أمّ ولد سعد — وكان عندها محبوسًا ، وسعد فى رأس الحصن ينظر إلى الناس — فقال : يا زَبْراءُ ، أطلقينى ولك علىّ عهد الله وميثاقه ، لئن لم أقتل لأرجعنّ إليك حتى تجعلى الحديد فى رجلىّ ، فأطلقته وحملته على فرس لسعد بلْقاءَ وخلّت سبيله ، فجعل يشدّ على العدوّ وسعد ينظر . فجعل سعد يعرف فرسَه ويُنكرها ، فلمّا أنْ فرغوا من القتال ؛ وهزم الله جموع فارس ، رجع أبو مِحْجن إلى زَبْراء ، فأدخل رِجْله فى قيده ، فلمّا نزل سعد من رأس الحصن رأى فرسه تعرق ، فعرف أنها قد رُكِبَتْ ، فسأل عن ذلك زَبْراء ، فأخبرته خبر أبى مِحْجن فخلّى سبيله . ١/٢٣٥٥

---

(١) ردى الفرس يردى ، إذا عدا رجم الأرض رجما .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، قال : وقد كان عمر وبن مَعْديكرب شهِد القادسيّة مع المسلمين .

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الأسْوَد النّخَعيّ ، عن أبيه ، قال : شهدت القادسيّة ؛ فلقد رأيت غلامًا منّا من النَّخَع يسوق ستين أو ثمانين رجلا من أبناء الأحرار . فقلت : لقد أذلّ الله أبناءَ الأحرار !

حدّثنا ابنُ حُميد، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، مولى بَجيلة ، عن قيس بن أبى حازم البَجَلىّ — وكان ممّن شهد القادسيّة مع المسلمين — قال : كان معنا يوم القادسيّة رجل من ثَقيف ، فلحق بالفُرْس مرتدًّا ، فأخبرهم أنّ بأس الناس فى الجانب الذى به بَجيلة . قال : وكُنّا رُبع النّاس ؛ فوجّهوا إلينا ستة عشر فيلا وإلى سائر الناس فيلَيْن ، وجعلوا يُلقون تحت أرجُل خيولنا حَسَك الحديد ، ويرشقوننا بالنُّشّاب ، فكأنّه المطر علينا ، وقرنوا خيلهم بعضها إلى بعض لئلا يفرُّوا . قال : وكان عمرو بن معديكرب يمرّ بنا فيقول : يا معشرَ المهاجرين ، كونوا أسودًا ، فإنّما الأسد من أغنَى شأنه؛ فإنّما الفارسىّ تيس إذا ألقى نيزَكه. ١/٢٣٥٦

قال : وكان أسوار منهم لايكاد تسقط له نُشّابة، فقلنا له : يا أبا ثوْر ، اتّقِ ذلك الفارسىّ فإنه لا تقع له نُشّابة ؛ فتوجّه إليه ورماه الفارسىّ بنشّابة فأصاب قوسه، وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه، واستلبه سوارَيْن من ذهب ومِنطقة من ذهب ويَلْمقًا[1] من ديباج ، وقتل الله رستم ، وأفاء على المسلمين عسكرَه وما فيه ، وإنما المسلمون ستة آلاف أو سبعة آلاف ، وكان الذى قتل رستم هِلال بن علّفة التَّيْمىّ رآه فتوجّه إليه ، فرماه رستم بنشّابة فأصاب قدمه وهو يُتبعه، فشكّها إلى ركاب سَرْجه، ورستم يقول بالفارسية:

---

(١) اليلمق : القباء المحشو .

« بپايه » ، أى « كما أنت » ؛ وحمل عليه هلال بن عُلَّفة فضربه فقتله ، ثم احتزّ رأسه فعلّقه ، وولّت الفُرْس فأتبعهم المسلمون[١] يقتلونهم[٢] ؛ فلما بلغت الفرس الخرّارة نزلوا فشربوا من الخمر ، وطعِموا من الطعام ، ثم خرجوا يتعجّبون من رَميهم ، وأنّه لم يعمل فى العرب . وخرج جالنوس فرفعوا له كُرَةً فهو يرميها ويشكّها بالنّشاب ، ولحق بهم فرسان من المسلمين وهم هنالك ، فشدّ على جالنوس زُهرة بن حَوِيّة التميمىّ فقتله ، وانهزمت الفرس ، فلحقوا بدير قُرّة وما وراءه ، ونهض سعد بالمسلمين حتى نزل بدير قُرّة على من هنالك من الفرس ؛ وقد قدم عليهم وهم بدير قُرّة عياض بن غَنْم فى مدده من أهل الشأم ، وهم ألف رجل ، فأسْهَم له سعد ولأصحابه مع المسلمين فيما أصابوا بالقادسيّة ، وسعد وَجِعٌ من قَرْحته تلك ، وقال جرير ابن عبد الله :

١/ ٢٣٥٧

أنا جريرٌ كُنْيتى أبو عَمْرِو ... قد نَصَرَ اللهُ وسَعْدٌ فى القَصْرْ

وقال رجل من المسلمين أيضًا :

نُقاتِلُ حتى أنزَلَ اللهُ نَصْرَهُ ... وسَعْدٌ بباب القادسيّة مُعْصِمُ
فأُبْنا وقد آمَت نِساءٌ كثيرةٌ ... ونِسْوَةُ سَعْدٍ ليس فيهِنَّ أيِّمُ

قال : ولما بلغ ذلك من قولهما سعدًا ، خرج إلى الناس فاعتذر إليهم ، وأراهم ما به من القَرْح فى فَخِذَيْه وأليَتَيْه ، فعذره الناس ، ولم يكن سعد لعَمْرى يُجبَّن ؛ فقال سعد يجيب جريرًا فيما قال :

١/ ٢٣٥٨

وما أَرْجُو بَجِيلةَ غيرَ أنّى ... أؤمِّلُ أجْرَهم يوم الحِسابِ
فقد لَقِيَتْ خُيُولُهُمُ خيولاً ... وقد وَقَعَ الفَوارِسُ فى ضِرابِ
وقد دلَفَتْ بعَرْصَتِهم فيولٌ ... كأنّ زُهاءَها إبلٌ جِرابُ[٣]

---

(١) ز : « واتبعوهم » .
(٢) ابن حبيش : « فقتلوهم » .
(٣) فى البيت إقواء .

ثم إنّ الفرس هربت من دير قُرّة إلى المدائن يريدون نِهاوَنْد ، واحتملوا معهم الذّهب والفضة والديباج والفِرِنْد والحرير والسلاح وثياب كسرى وبناته ، وخلّوا ما سوى ذلك ، وأتبعهم سعد الطلبَ من المسلمين ، فبعث خالد بن عُرْفُطة حليف بنى أمية ، ووجّه معه عِياض بن غَنْم فى أصحابه ، وجعل على مقدّمة النّاس هاشم بن عُتْبة بن أبى وقّاص ، وعلى ميمنتهم جرير بن عبد الله البَجَلى ، وعلى ميسرتهم[1] زُهرة بن حَوِيّة التميمىّ ؛ وتخلّف سعد لما به من الوَجَع ؛ فلمّا أفاق سعد من وجعه ذلك اتّبع الناسَ بمن بقِىَ معه من المسلمين ؛ حتى أدركهم دون دِجلة على بَهُرَسِير . فلمّا وضعوا على دِجْلة العسكر والأثقال طلبوا المخاضة ، فلم يهتدوا لها ؛ حتى أتى سعدًا عِلْج من أهل المدائن ، فقال : أدُلُّكم على طريق تُدركونهم قبل أن يُمْعِنوا فى السير ! فخرج بهم على مخاضة بقَطْرَ بُّلَ ، فكان أول مَن خاض المخاضة هاشم ابن عُتبة فى رَجْله ، فلمّا جاز اتّبعته خيله ، ثم أجاز خالد بن عُرْفُطة بخيله ، ثم أجاز عياض بن غَنْم بخيله ، ثم تتابع الناس فخاضوا حتى أجازوا ؛ فزعموا أنه لم يُهتَدَ لتلك المخاضة بعد . ثم ساروا حتى انتهَوْا إلى مُظْلِم ساباط ، فأشفق النّاس أن يكون به كمين للعدوّ ، فتردّد الناس وجبنوا عنه ؛ فكان أوّل منْ دخله بجيشه هاشم بن عُتبة ، فلمّا أجاز ألاح للناس بسيفه ، فعرّف الناس أن ليس به شىء يخافونه[2] ، فأجاز بهم خالد بن عُرْفُطة ، ثم لحق سعد بالناس ؛ حتى انتهوا إلى جَلولاء وبها جماعة من الفرس ، فكانت وقعة جلولاء بها ، فهزم الله الفرس ، وأصاب المسلمون بها من الفىء أفضلَ مما أصابوا بالقادسيّة ، وأصيبت ابنة لكسرى ، يقال لها منجانة ؛ ويقال : بل ابنة ابنه . وقال شاعر من المسلمين :

٢٣٥٩/١

يارُبَّ مُهْرٍ حَسَنٍ مُطَهَّمْ ... يَحْمِلُ أثقالَ الغُلامِ الْمُسْلِمْ

يَنْجُو إلى الرّحمن من جهنَّمْ ... يومَ جَلولاءَ ويوم رُسْتَمْ

ويومَ زَحفِ الكوفة المُقدَّمْ ... ويوم لاقَى ضَيْقَة مُهزَّمْ

* وخرَّ دينُ الكافِرين للفَمْ *

---

(١) ز : « ميسرته » .
(٢) كذا فى ز وفى ط : « تخافونه » .

١/٢٣٦٠ ثم كتب سعد إلى عمر بما فتح الله على المسلمين[1] ؛ فكتب إليه عمر : أن قِفْ ولا تطلبوا غير ذلك . فكتب إليه سعد أيضًا : إنما هى سُرْبة[2] أدركناها والأرض بين أيدينا ، فكتب إليه عمر : أن قف مكانك ولا تَتْبعهم ، واتّخذْ للمسلمين دار هجرة ومنزل جهاد ، ولا تجعل بينى وبين المسلمين بحرًا . فنزل سعد بالناس الأنبار ، فاجتوَوْها وأصابتهم بها الحُمَّى ، فلم توافقهم ، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك ، فكتب إلى سعد أنه لا تصلح العرب إلا حيث يصلح البعير والشاة فى منابت العُشب ؛ فانظر فلاةً فى جنب البحر فارتَدْ للمسلمين بها منزلا .

قال : فسار سعد حتى نزل كُوَيْفة عمرو بن سعد ، فلم توافق النّاس مع الذّباب والحمّى . فبعث سعد رجلا من الأنصار يقال له الحارث بن سلَمة — ويقال : بل عثمانَ بن حُنَيْف ، أخا بنى عمرو بن عوف — فارتاد لهم موضع الكوفة اليوم ، فنزلها سعد بالنّاس ، وخطّ مسجدها ، وخطّ فيها الخِطَط للنّاس .

وقد كان عمر بن الخطاب خرج فى تلك السنة إلى الشأم فنزل الجابية ، وفتِحت عليه إيلياء ؛ مدينة بيت المقدِس ، وبعث فيها أبو عبيدة بن الجراح حنظلةَ بن الطُّفيل السُّلَمىّ إلى حِمْص ، ففتحها الله على يديه ، واستعمل سعد بن أبى وقّاص على المدائن رجلا من كِنْدة ، يقال له شُرَحْبيل بن السِّمط ؛ ١/٢٣٦١ وهو الذى يقول فيه الشاعر :

ألا لَيْتَنى والمَرْءُ سعدَ بن مالكٍ ... ورَبْراء وابن السِّمْطِ فى لُجَّة البَحْرِ

* * *

ذكر أحوال أهل السَّواد

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عُمَيْر ، عن قَبيصة بن جابر ، قال : قال رجل منّا يوم القادسيّة مع الفتح :

---

(١) ابن حبيش : « للمسلمين » .

(٢) السربة : جماعة يتسللون من العسكر فيغيرون ويرجعون .

نقاتل حتى أنزلَ اللهُ نصرَهُ وسعدٌ ببابِ القادسيّة معصِمُ
فأُبْنا وقد آمَتْ نساء كثيرةٌ ونسوة سعدٍ ليسَ فيهنّ أيّمُ

فبعث بها فى الناس ، فبلغت سعداً ، فقال : اللهمّ إن كان كاذباً ، أوقال الذى قال رياءً وسُمْعة وكَذِباً ، فاقطع عنّى لسانه ويَده .

وقال قَبِيصة : فوالله إنّه لواقف بين الصفَّين يومئذ ؛ إذ أقبلت نُشّابة لدعوة سعد ، حتى وقعت فى لسانه فيبس شِقّه ؛ فما تكلّم بكلمة حتى لحق بالله .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المقدام بن شُرَيْح الحارثِىّ ، عن أبيه ، قال : قال جرير يومئذ :

أنا جريرٌ كنيتِى أبو عمْرْو قدْ نصرَ اللهُ وسعد فى القَصِرْ

١/٢٣٦٢ فأشرف عليه سعد ، فقال :

وما أرْجو بَجيلةَ غيرَ أنّى أؤمّلُ أجْرَها يومَ الحِسَابِ
وقد لَقِيَتْ خيُولُهُمُ خيُولاً وقدْ وقع الفوارِسُ فى الضِّرَابِ
فلولا جَمْعُ قَعقاع بن عَمْرٍو وحمّالٍ للَجُّوا فى الكِذابِ
هُمُ منعوا جُموعَكُمْ بطَعْنٍ وضَرْبٍ مِثْلِ تَشْقيقِ الإهاب
ولولا ذاك ألفِيتُمْ رَعاعاً تُشَلُّ جموعُكم مثل الذُّباب[1]

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن سُليم بن عبد الرحمن السعدىّ ، عن عثمان بن رجاء السعدىّ ، قال : كان سعد بن مالك أجرَأ النّاس وأشجعَهم ؛ إنه[2] نزل قصراً غير حصين بين الصّفّين ، فأشرف منه على النّاس ، ولو أعراه الصّفّ فُواقَ ناقة أخذ برُمّته ؛ فوالله ما أكرثه هول تلك الأيام ولا أقلقه .

---

(١) ز : « الذئاب » .
(٢) ز : « وإنه » .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سليمان بن بشير ، عن أمّ كثير ؛ امرأة همّام بن الحارث النَّخَعىّ ، قالت : شهدنا القادسيّة مع سعد مع أزواجنا ، فلمّا أتانا أن قد فُرغ من الناس شددنا علينا ثيابَنا ، ١/٢٣٦٣ وأخذنا الهَرَاوَى ، ثم أتينا القتْلى ؛ فما كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ؛ وما كان من المشركين أجهزنا عليه ، وتبعنا الصِّبْيان نولّيهم ذلك ، ونصرّفهم به .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطيّة — وهو ابن الحارث — عمّن أدرك ذلك ؛ قال : لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر امرأةً يوم القادسيّة من بَجِيلة والنَّخَع ، وكان فى النَّخَع سبعمائة امرأة فارغة ، وفى بَجِيلة ألف ، فصاهر هؤلاء ألفٌ من أحياء العرب ، وهؤلاء سبعمائة ، وكانت النَّخَع تُسمَّى أصهار المهاجرين ، وبجيلة ، وإنّما جرّأهم على الانتقال بأثقالهم توطئةُ خالد ، والمثنّى بعد خالد ، وأبى عُبيد بعد المثنّى ، وأهل الأيّام ، فلاقوْا بأسًا بعد ذلك شديدًا .

كتب إلىّ السرِىُّ ؛ عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمّد والمهلّب وطلحة ، قالوا : وكان بُكَيْر بن عبد الله اللّيْثىّ وعتبة بن فَرْقَد السُّلَمىّ وسِماك بن خَرَشة الأنصارىّ — وليس بأبى دُجانة — قد خطبوا امرأة يوم القادسيّة ، وكان مع النّاس نساؤهم ؛ وكانت مع النَّخَع سبعمائة امرأة فارغة ؛ وكانوا يُسمَّوْن أختانَ المهاجرين حتى كان قريبًا ؛ فتزوجهنّ المهاجرون قبل الفتح وبعد الفتح ؛ حتى استوعبوهنّ ، فصار إليهن سبعمائة رجل من ١/٢٣٦٤ الأفناء ؛ فلمّا فرغ النّاس خطب هؤلاء النّفر هذه المرأة — وهى أرْوَى ابنة عامر الهِلاليّة — هلالِ النَّخَع ؛ وكانت أختها هُنَيْدة تحتَ القعقاع بن عمرو التميمىّ ، ،فقالت لأختها : استشيرى زوجَك أيّهم يراه لنا ! ففعلت ؛ وذلك بعد الوقعة وهم بالقادسيّة ؛ فقال القعقاع : سأصفهم فى الشعر فانظرى لأختك ، وقال :

إن كنتِ حاولتِ الدّراهم فانكِحِى ... سِماكًا أخا الأنصار أوْ إبن فَرْقَدِ

وإن كنتِ حاولتِ الطِّعان فيمّمِى ... بُكَيْرًا إذاما الخيلُ جالَتْ عن الرَّدِى

وكلُّهُمُ فى ذِرْوة المجدِ نَازلٌ ... فشأْنكُمُ إنّ البيانَ عن الغَد

وقالوا : وكانت العرب توقّع[1] وقعة العرب وأهل فارس فى القادسيّة فيما بين العُذيب إلى عَدَنِ أبْيَن ، وفيما بين الأُبلّةِ وأيلَة؛ يروْن أنّ ثبات مُلكهم وزواله بها، وكانت فى كلّ بلد[2] مُصيخةٌ إليها، تنظُر ما يكون من أمرها؛ حتّى إن كان الرجل ليريد الأمر فيقول: لا أنظر فيه حتّى أنظر ما يكون من أمر القادسيّة . فلمّا كانت وقعة القادسيّة سارت بها الجنّ، فأتت بها ناسًا من الإنس ، فسبقت أخبار الإنس إليهم ؛ قالوا : فبدرت امرأة ليلا على جبل بصَنْعاء ، لا يُدرَى مَنْ هى ؟ وهى تقول :

١/٢٣٦٥ حُيِّيتِ عنّا عِكْرِمَ ابنةَ خالدٍ ... وما خَيْرُ زادٍ بالقَليل المُصَرَّدِ
وحَيَّتْكِ عنّى الشمسُ عند طُلوعها ... وحَيّاكِ عنّى كلُّ ناجٍ مُفَرَّدِ
وحَيَّتْكِ عنّى عُصْبَةٌ نَخَعِيَّةٌ ... حِسانُ الوُجوهِ آمَنوا بِمُحَمَّدِ
أقاموا لِكِسْرَى يَضْرِبون جُنودَه ... بكلِّ رَقيقِ الشَّفْرَتَيْن مُهَنَّدِ
إذا ثَوَّبَ الدّاعى أناخوا بكَلْكَلٍ ... مِنَ الموت تَسْوَدُّ الغَياطِلُ مُجْرَدِ

وسمع أهل اليمامة مجتازًا يغنّى بهذه الأبيات :

وَجَدْنا الأكْثَرين بنى تميمٍ ... غَداةَ الرَّوْعِ أصْبَرَهُمْ رِجالا
هُمُ ساروا بِأرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ ... إلى لَجِبٍ فَزَرَّتْهُمْ رِعالا
بُحُورٌ لِلأكاسِرِ مِن رِجالٍ ... كأُسْدِ الغاب تَحْسَبُهُمْ جِبالا
تَرَكْنَ لهم بقادِسَ عِزَّ فَخْرٍ ... وبالخيفَيْنِ أيّامًا طِوالا
١/٢٣٦٦ مُقَطَّعَةً أكُفُّهُمُ وسُوقٌ ... بِمِرْدَى حيثُ قابلَتِ الرِّجالا

(١) ابن الأثير : « تتوقع » .
(٢) ابن حبيش : « بلدة » .

قال : وسُمِع بنحو ذلك فى عامّة بلاد العرب .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلّب وطلحة ، قالوا : وكتب سعد بالفتح وبعدّة مَنْ قتلوا وبعدّة مَن أصيب من المسلمين ؛ وسمّى لعمر مَن يعرف مع سعد بن عُمَيلة الفزارىّ ، وشاركهم النَّضْر بن السرىّ عن ابن الرُّفيل بن مَيْسور ؛ وكان كتابه : أمّا بعد ؛ فإن الله نصرنا على أهل فارس ، ومنحهم سُنَن مَن كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال طويل وزلْزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعِدّة لم ير الراءون مثل زُهائها[1] فلم ينفعهم الله بذلك ، بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين ، واتّبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفى الفجاج ؛ وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ ، وفلان ، وفلان ، ورجال من المسلمين لا نعلمهم ، الله بهم عالم ، كانوا يُدَوُّون بالقرآن إذا جنّ عليهم الليل دَوِىَّ النحل ، وهم آساد النّاس ؛ لا يشبههم[2] الأسود ، ولم يفضُل مَن مضى منهم مَنْ بقى[3] إلا بفضل الشهادة إذ لم تُكتَب لهم . ١/٢٣٦٧

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد بن سعيد ، قال : لمّا[4] أتى عمرَ بن الخطاب[5] نزولُ رستم القادسيّة ، كان يستخبر الرّكبان عن أهل القادسيّة من حين يُصبح إلى انتصاف النهار ، ثم يرجع إلى أهله ومنزله . قال : فلمّا لقى[6] البشير سأله من أين[7] ؟ فأخبره ، قال : يا عبدَ الله حدّثنى ، قال : هزم الله العدوّ[8] ، وعمر يخُبّ معه ويستخبره[9] والآخر يسير على ناقته ولا يعرفه[10] ؛ حتى دخل المدينة ، فإذا الناس يسلّمون عليه بإمْرة المؤمنين ، فقال : فهلاّ أخبرتنى رحمك الله ، أنّك أمير المؤمنين ! وجعل عمر يقول : لا عليك يا أخى !

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب

---

(١) الزهاء : العدد أو المقدار .
(٢) ابن حبيش : « لاتشبههم » .
(٣) ابن حبيش : « على من بقى » .
(٤) ابن حبيش : « ولما » .
(٥) ابن حبيش : « الخبر بنزول » .
(٦) ابن حبيش : « لقيه » .
(٧) ابن حبيش : « من أين جاء » .
(٨) ابن الأثير : « المشركين » .
(٩) ابن الأثير : « يسأله » .
(١٠) ابن حبيش : « وهو لا يعرفه » .

وزياد ، قالوا : وأقام المسلمون فى انتظار بلوغ البشير وأمرِ عمر ، يقوّمون أقباضهم ، ويَحزُرون جندَهم ، ويرمّون أمورهم . قالوا : وتتابع أهلُ العراق من أصحاب الأيّام الذين شهدوا اليرموك ودمشق ، ورجعوا مُمِدّين لأهل القادسيّة؛ فتوافوْا بالقادسيّة من الغد ومن بعد الغد ، وجاء أوّلهم يوم أغواث ، وآخرهم من بعد الغد من يوم الفتح ، وقدمت أمداد فيها مُراد وهَمْدان ، ومن أفناء الناس ، فكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه عمّا ينبغى أن يُسار[1] به فيهم — وهذا الكتاب الثانى بعد الفتح — مع نذير بن عمرو . ولمّا أتى عمرَ الفتح قام فى النّاس فقرأ عليهم الفتح ، وقال : إنى حريص على ألاّ أدَعَ حاجة إلاّ سددتها ما اتّسع بعضنا لبعض ، فإذا عجز ذلك عنّا تآسينا فى عيشنا حتى نستوِىَ فى الكَفاف ، ولوددت أنّكم علمتم من نفسى مثل الذى وقع فيها لكم ، ولستُ معلّمكم[2] إلاّ بالعمل[3]؛ إنى والله ما أنا بملِك فأستعبدكم ، وإنّما أنا عبدُ الله عرَضَ علىّ الأمانة ، فإن أبيتُها ورددتها عليكم واتّبعتكم حتى تشبعوا فى بيوتكم ، وترووْا سعدتُ ، وإن أنا حملتها واستتبعتُها[4] إلى بيتى شقيت ؛ ففرِحتُ قليلا ، وحزنت طويلا ، وبقيتُ لا أقال ولا أرَدّ فأستعتِب .

٢٣٦٨/١

قالوا : وكتبوا إلى عمر مع أنس بن الحُليس : إنّ أقوامًا من أهل السّواد ادّعوا عهودًا ، ولم يُقِمْ على عهد أهل الأيام لنا ، ولم يفِ به أحد علمناه إلاّ أهل بانِقيا وبَسْما وأهل ألَّيْس الآخرة وادّعى أهل السّواد أنّ فارس أكرهوهم وحشروهم ؛ فلم يخالفوا إلينا ؛ ولم يذهبوا فى الأرض .

٢٣٦٩/١

وكتب مع أبى الهيّاج الأسدىّ — يعنى ابن مالك — إنّ أهلَ السّواد جلوا ، فجاءنا مَن أمسك بعهده ولم يُجلب علينا ؛ فتمّمنا لهم ما كان بين المسلمين قبلنا وبينهم ؛ وزعموا أنّ أهلَ السّواد[5] قد لحقوا بالمدائن ، فأحدِث إلينا فيمن تمّ وفيمن جلا وفيمن ادّعى أنه

(١) ز : « يشار » .
(٢) ابن حبيش : « معلمكموه » .
(٣) ز : « بالعلم » .
(٤) كذا فى ز .
(٥) ابن حبيش : « الأرض » .

استكره وحشر فهرب ولم يقاتل، أو استسلم[١]؛ فإنّا بأرض رغيبة[٢]، والأرض خلاء من أهلها، وعددنا قليل، وقد كثر أهل صُلحنا؛ وإنّ أعمرَ لنا وأوهن لعدوّنا تألُّفهم. فقام عمر فى الناس فقال: إنّه مَن يعمل بالهوى والمعصية يسقط حظُّه ولا يضرّ إلا نفسه، ومَنْ يتّبع السُّنّة وينته إلى الشرائع، ويلزم السبيل النَّهْج ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة؛ أصاب أمره، وظفر بحظّه، وذلك بأنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[٣]، وقد ظفر أهل الأيّام والقوادس بما يليهم، وجلا أهله، وأتاهم مَنْ أقام على عهدهم، فما رأيكم فيمن زعم أنه استُكرِه وحُشر؛ وفيمن لم يدّع ذلك ولم يُقِم وجلاَ، وفيمن أقام ولم يدّع شيئًا، ولم يجْلُ، وفيمن استسلم. فأجمعوا على أنّ الوفاء لمن أقام وكفّ لم يزده غَلَبُه إلا خيرًا، وأن من ادّعى فصُدِّق أو وفى فبمنزلتهم، وإن كُذِّب نُبذ إليهم وأعادوا صلحهم؛ وأن يُجعل أمر مَنْ جلا إليهم، فإن شاءوا وادعوهم وكانوا لهم ذمّة، وإن شاءوا تمّوا على منعهم من أرضهم ولم يُعطوهم إلاّ القتال؛ وأن يخيِّروا مَن أقام واستسلم: الجزاء، أو الجلاء، وكذلك الفلاّح. ١/ ٢٣٧٠

وكتب بجواب كتاب أنس بن الحُليس: أمّا بعد؛ فإنّ الله جل وعلا أنزل فى كلّ شىء رُخصة فى بعض الحالات إلاّ فى أمرين: العدل فى السِّيرة والذّكر؛ فأمّا الذّكر فلا رخصة فيه فى حالة، ولم يرضَ منه إلاّ بالكثير، وأمّا العدل فلا رخصة فيه فى قريب ولا بعيد، ولا فى شدّة ولا رخاء، والعدل — وإن رُئِىَ ليِّناً — فهو أقوى وأطفأ للجور، وأقمع للباطل من الجوْر، وإن رُئِى شديدًا فهو أنكشُ للكفر؛ فمن تمّ على عهده من أهل السّواد، ولم يُعِنْ عليكم بشىء؛ فلهم الذمّة، وعليهم الجِزْية؛ وأمّا مَن ادّعى أنه استكرِه ممن لم يخالفْهم إليكم أو يذهب فى الأرض؛ فلا تصدّقوهم بما ادّعوْا من ذلك إلاّ أن تشاءوا؛ وإن لم تشاءوا فانبذوا إليهم، وأبلغوهم مأمنَهم.

---

(١) ابن حبيش: «واستسلم».
(٢) أرض رغيبة: مرغوب فيها.
(٣) سورة الكهف ٤٩.

وأجابهم فى كتاب أبى الهيَّاج : أمَّا من أقام ولم يَجلْ وليس له عهد فلهم ما لأهل العهد[١] بمقامهم لكم وكفِّهم عنكم إجابة ، وكذلك الفلاّحون إذا فعلوا ذلك ؛ وكلّ من ادّعى ذلك فصُدّق فلهم الذمَّة ؛ وإن كذّبوا نُبذ إليهم ؛ وأمَّا مَنْ أعان وجلا[٢] ؛ فذلك أمرٌ جعله الله لكم ؛ فإن شئتم فادعُوهم إلى أن يقيموا[٣] لكم فى أرضهم، ولهم الذِّمَّة ، وعليهم الجِزية ؛ وإن كرهوا ذلك ، فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم . ١/٢٣٧١

فلمَّا قدمتْ كتُب عمر على سعد بن مالك والمسلمين عرضوا على مَن يليهم مِمَّنْ جلا وتنحّى عن السواد أن يتراجعوا ، ولهم الذمَّة وعليهم الجزية ، فتراجعوا وصاروا ذمَّة كمن تمّ وازم عهدَه ؛ إلاّ أن خراجهم أثقل ؛ فأنزلوا من ادّعى الاستكراه وهرب منزلتَهم وعقدوا لهم ، وأنزلوا مَن أقام منزلة ذى العهد وكذلك الفلاّحين ، ولم يُدخلوا فى الصلح ما كان لآل كسرى ، ولا ما كان لمن خرج معهم ،ولم يُجبهم إلى واحدة من اثنتين : الإسلام ، أو الجِزاء ، فصارت فيئًا لمن أفاء الله عليه ؛ فهى والصوافى[٤] الأولى ملك لمن أفاء الله عليه ، وسائر السواد ذمَّة وأخذوهم بخراج كسرى ، وكان خراج كسرى على رءوس الرّجال على ما فى أيديهم من الحصّة والأموال ، وكان مما أفاء الله عليهم ما كان لآل كسرى ، ومن صوّب معهم وعيالُ من قاتل معهم وماله. وما كان لبيوت النيران والآجام ومستنقع المياه ، وما كان للسِّكك ، وما كان لآل كسرى ، فلم يتأتَّ قَسْم ذلك الفىء الذى كان لآل كسرى ومن صوّب معهم ؛ لأنه كان متفرّقًا فى كلّ السّواد ، فكان يليه لأهل الفىء مَن وَثِقُوا به ، وتراضَوْا عليه ؛ فهو الّذى يتداعاه أهلُ الفىء لاعُظْمُ السواد؛ وكانت الولاة عند تنازعهم فيها تهاونُ بقسمه بينهم ؛ فذلك الذى شبَّه على الجهَلة أمر السَّواد ، ولو أنّ الحُلماء جامعوا السُّفهاء الذين سألوا الوُلاةَ قسمَه لقسموه بينهم ، ولكنّ الحلماء أبوْا ، فتابع الولاة الحلماء ، وتُرِك قول السفهاء . كذلك صنع علىّ رحمه الله ، وكلّ مَنْ طُلب إليه قسمُ ذلك، فإنَّما تابع ٢/٢٣٧٢

(١) ابن حبيش : « العهدة » . (٢) ز : « رجلا » .
(٣) ابن حبيش : « يقوموا » . (٤) الصوافى : الأرض والأملاك التى جلا عنها أهلها .

الحُلماء ، وترك قولَ السُّفهاء ، وقالوا : لئلاّ يضرب بعضُهم وجوهَ بعض .

كتب إلىّ السَّرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن عامر الشّعبىّ ، قال : قلت له : السّواد ما حاله ؟ قال : أخِذ عَنْوَةً ، وكذلك كلّ أرض إلاّ الحصون ، فجلا أهلها ، فدُعوا إلى الصّلح والذّمة ، فأجابوا وتراجعوا ، فصاروا ذمّة ، وعليهم الجِزاء ، ولهم المَنَعة ، وذلك هو السنّة ، كذلك صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدُومة ، وبقِىَ ما كان لآل كسرى ومَن خرج معهم فيئًا لمن أفاءه الله عليه .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة وسفيان ، عن ماهان ، قالوا : فتح الله السَّوادَ عَنْوةً — وكذلك كلّ أرض بينها وبين نهر بلْخ — إلاّ حصنًا ، ودُعوا إلى الصلح ، فصاروا ذمّة ، وصارت لهم أرَضوهم ولم يُدخلوا فى ذلك أموال آل كسرى ومَن اتّبعهم ، فصارت فيئًا لمن أفاءه الله عليه ، ولا يكون شىء من الفتوح فيئًا حتى يُقَسم ؛ وهو قوله : ﴿ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ ﴾ ؛ ممّا اقتسمتم .

١/ ٢٣٧٣

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن بن أبى الحسن ، قال : عامّة ما أخذ المسلمون عَنْوة فدعوهم إلى الرجوع والذمّة ، وعرضوا عليهم الجِزاء فقبلوه ومنعوهم .

وعن سيف ، عن عمرو بن محمّد ، عن الشعبىّ ، قال : قلت له : إنّ أناسًا يزعُمون أنّ أهل السّواد عبيد ، فقال : فعلام يؤخذ الجِزاء من العبيد ؟ أخِذ السَّواد عَنْوة ، وكلّ أرض علمتَها إلاّ حصنًا فى جبل أو نحوه . فدُعوا إلى الرجوع فرجعوا ، وقبل منهم الجِزاء ، وصاروا ذمّة ؛ وإنّما يُقْسَم من الغنائم ما تُغنَم ؛ فأمّا ما لم يُغْنَم وأجاب أهله إلى الجِزاء من قبل أن يُتغنَّم ، فلهم جرت السنّة بذلك .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى ضَمْرة ، عن عبد الله بن المستورِد ، عن محمد بن سيرين ، قال : البلدان كلّها أخذت عَنْوة إلاّ حصون قليلة ، عاهدوا قبل أن يَنزِلوا . ثم دُعوا — يعنى الذين أخذوا عَنْوة — إلى الرّجوع والجِزاء ، فصاروا ذمّة أهل السّواد ، والجبَل كلّه

أمر لم يزل يُصنع فى أهل الفىء ، وإنما عمل عمر والمسلمون فى هذا الجزاء والذمّة على إجريّا [١] ما عمل به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى ذلك ، وقد كان بعث خالد بن الوليد من تَبُوك إلى دُومة الجنْدل ، فأخذها عَنْوة ، وأخذ ملكها أكَيْدِرَ بن عبد الملك أسيرًا ، فدعاه إلى الذمّة والجزاء ، وقد أخذت بلاده عَنْوة ، وأخذ أسيرًا ؛ وكذلك فعل با بنى عريض [٢] ، وقد أخذا فادّعيا أنهما أودّاؤه ، فعقد لهما على الجزاء والذمّة ، وكذلك كان أمر يُحنّه ابن رُؤية صاحب أيْلة . وليس المعمول به من الأشياء كرواية الخاصّة ، مَن روى غير ما عمل به الأئمة العدول المسلمون ، فقد كذب وطعن عليهم .

١/٢٣٧٤

وعن سيف ، عن حجّاج الصوّاف ، عن مسلم مولى حُذَيفة ، قال : تزوّج المهاجرون والأنصار فى أهلِ السّواد — يعنى فى أهل الكتابيْين منهم ، ولو كانوا عبيدًا لم يستحلّوا ذلك ، ولم يحلّ لهم أن ينكحوا إماء أهل الكتاب ؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً [٣] ...﴾ الآية ، ولم يقل: « فتياتهم من أهل الكتابين » .

وعن سيف ، عن عبد الملك بن أبى سلمان ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : بعث عمر بن الخطّاب إلى حُذيفة بعد ما ولاّه المدائن وكثر المسلمات : إنه بلغنى أنّك تزوّجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلّقها . فكتب إليه : لا أفعل حتّى تخبرَنى : أحلال أم حرام ، وما أردت بذلك ! فكتب إليه : لا بل حلال ، ولكن فى نساء الأعاجم خَلابة ، فإن أقبلتم عليهنّ غلبنَكم [٤] على نسائِكم . فقال : الآن ؛ فطلّقها .

١/٢٣٧٥

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أشعث بن سوّار ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال : شهدت القادسيّة مع سعد ، فتزوّجنا نساء أهل الكتاب ، ونحن لا نجد كثير مسلمات ، فلمّا قفلنا ؛ فمنّا مَن طلّق ، ومنّا من أمسك .

وعن سيف ، عن عبد الملك بن أبى سليمان ، عن سعيد بن جُبَير ، قال :

---

(١) ابن حبيش : « على آخر ما » .
(٢) ابن حبيش : « حريض » .
(٣) سورة النساء ٢٥ .
(٤) ز : « غلبتكم » .

أخذ السّواد عَنْوة ،فدُعوا إلى الرّجوع والجِزاء ، فأجابوا إليه ، فصاروا ذمّة ، إلاّ ما كان لآل كسرى ، وأتباعهم ، فصار فيئًا لأهله ، وهو الذى يتحجّى أهل الكوفة إلى أن جُهل ذلك،فحسبوه السّواد كلّه ، وأمّا سوادهم؛ فذلك .

وعن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عن إبراهيم بن يزيد النّخعىّ ، قال : أخِذ السّواد عَنْوة ، فدُعوا إلى الرجوع ، فمَنْ أجابَ فعليه الجزية وله الذمّة ، ومَن أبى صار ماله فيئًا، فلا يحلّ بيع شىء من ذلك الفىء فيما بين الجَبل إلى العُذَيب من أرض السّواد ولا فى الجبَل .

وعن سيف ،عن محمّد بن قيس،عن الشعبىّ ،بمثله : لا يحلّ بيع شىء من ذلك الفىء فيما بين الجبَل والعُذَيب .

١/٢٣٧٦

وعن سيف ، عن عمرو بن محمّد ، عن عامر ، قال : أقطع الزبير وخبّاب وابن مسعود وابن ياسر وابن هبّار أزمانَ عثمان، فإن يكن عثمان أخطأ فالّذين قبلوا منه الخطأ أخطأ ؛ وهم الذين أخذنا عنهم ديننا . وأقطع عمر طلحة وجرير بن عبد الله والرُّبيل بن عمرو، وأقطع أبا مُفَزّر دار الفيل فى عدد ممّن أخذنا عنهم ، وإنما القطائع على وجه النّفَل من خُمس ما أفاء الله .

وكتب عُمر إلى عُثمان بن حُنيف مع جرير : أمّا بعد ؛ فأقطِعْ جرير ابن عبد الله قَدْر ما يقُوته لا[1] وكْس ولا شَطَط . فكتب عثمان إلى عمر: إنّ جريرًا قدِم علىّ بكتاب منك تُقْطعه ما يقوته ، فكرهت أن أمضى ذلك حتى أراجعَك فيه . فكتب إليه عمر : أن قد صدق جرير ، فأنفِذ ذلك ، وقد أحسنتَ فى مؤامرتى[2] وأقْطع أبا موسى . وأقطع علىّ رحمه الله كردوسَ بن هانىء الكردُوسيّة ، وأقطع سُويد بن غفلة الجعفىّ .

وعن سيف ، عن ثابت بن هُريم ، عن سُوَيد بن غفلة ، قال : استقطعت عليًا رحمه الله ، فقال : اكتب :هذا ما أقطع علىٌّ سُوَيدا أرضا لداذَويْه ؛ ما بين كذا إلى كذا وما شاء الله .

١/٢٣٧٧

وعن سيف ، عن المستنير ، عن إبراهيم بن يزيد ، قال : قال عمر ; إذا

---

(١) ز : « ولا » .
(٢) مؤامرتى ، أى مشاورتى .

عاهدتم قوماً فأبرءوا إليهم من معرّة الجيوش . فكانوا يكتبون فى الصلح لمن عاهدوا : « ونبرأ إليكم من معرّة الجيوش » .

وقال الواقدىّ: كانت وقعة القادسيَّة وافتتاحها سنة ستّ عشرة ، وكان بعض أهل الكوفة يقول : كانت وقعة القادسيَّة سنة خمس عشرة .

قال : والثَّبَت عندنا أنَّها كانت فى سنة أربع عشرة .

وأما محمد بن إسحاق فإنه قال : كانت سنة خمس عشرة ، وقد مضى ذكرى الروايةَ عنه بذلك .

* * *

ذكر بناء البَصْرة

قال أبو جعفر : وفى سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطّاب رحمه الله -فيما زعم الواقدىّ- النّاس بالقيام فى المساجد فى شهر رمضان بالمدينة، وكتب إلى الأمصار يأمر المسلدين بذلك .

وفى هذه السنة - أعنى سنة أربع عشرة - وجَّه عمر بن الخطاب عُتْبة ابن غَزْوان إلى البصرة ، وأمره بنزولها بمَن معه ، وقطع مادّة أهلِ فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم فى قول المدائنىّ وروايته .

وزعم سيف أن البصرة مُصّرت فى ربيع سنة ست عشرة ، وأنّ عُتبة بن غَزْوان إنَّما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جَلولاء وتَكْرِيت والحِصْنين ؛ وجَّهه إليها سعد بأمر عمر .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عنه . فحدّثنى عمر بن شبّة ؛ قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، عن أبى مخْنف ، عن مجالد، عن الشعبىّ ، قال : قُتل مِهران سنة أربع عشرة فى صفر ، فقال عمر لعتبة - يعنى ابنَ غزوان - : قد فتح الله جلّ وعزّ على إخوانكم الحِيرة وما حولها ، وقتِل عظيم من عظمائها ، ١/ ٢٣٧٨

ولست آمن أن يمدّهم إخوانُهم من أهل فارس ؛ فإنى[1] أريد أن أوجّهك إلى أرض الهند[2] ، لتمنعَ أهلَ تلك الحيزة من إمداد إخوانهم على إخوانكم ، وتقاتلهم ؛ لعلّ الله أن يفتح عليكم . فسِرْ على بركة الله ، واتّق الله ما استطعت ، واحكم بالعدل ، وصلّ الصلاة لوقتها ، وأكثر ذكر الله . فأقبل عتبة فى ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، وضوَى إليه قوم من الأعراب وأهل البوادى ، فقدم البصرة فى خمسمائة ، يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ، فنزلها فى شهر ربيع الأول — أو الآخر — سنة أربع عشرة ، والبصرة يومئذ تدعى أرضَ الهند فيها حجارة بيض خُشْن ، فنزل الخُرَيبة ، وليس بها إلاّ سبع دساكر ؛ بالزابُوقة والخُرَيبة وموضع بنى تميم والأزد : ثنتان بالخُريبة ، وثنتان بالأزد ، وثنتان فى موضع بنى تميم وواحدة بالزابوقة . فكتب إلى عمر ، ووصف له منزله . فكتب إليه عمر : اجمع للناس موضعًا واحدًا ؛ ولا تفرّقهم ؛ فأقام عتبة أشهراً لا يغزو ولا يلقَى أحدًا .

وأمّا محمد بن بَشّار ؛ فإنّه حدّثنا ، قال : حدّثنا صفوان بن عيسى الزُّهرىّ ، قال : حدّثنا عمرو بن عيسى أبو نَعامة العَدَوِىّ ، قال : سمعت خالد بن عُمَير وشُوَيْسًا أبا الرُّقاد ، قالا : بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان ، فقال له : انطلق أنت ومَن معك ؛ حتّى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم ، فأقيموا . فأقبلوا حتى إذا كانوا بالمِرْبَد وجدوا هذا الكذّان[3] . قالوا : ما هذه البَصْرةُ ؟ فساروا حتى بلغوا حيال الجِسْر الصغير ، فإذا فيه حَلْفاء وقصبٌ نابتة ، فقالوا : ها هنا أمرتم ، فنزلوا دون صاحب الفُرات ، فأتوه فقالوا : إنّ ها هنا قومًا معهم راية ، وهم يريدونك ، فأقبل فى أربعة آلاف أسوار ، فقال : ما هم إلا ما أرى ؛ اجعلوا فى أعناقهم الحبال ؛ وأتونى بهم ؛ فجعل عتبة يَزْجَل[4] ، وقال : إنى شهدت الحرب[5] مع النبىّ صلّى الله عليه وسلم ؛ حتى إذا زالت الشمس ، قال : احملوا ؛ فحملوا عليهم فقتلوهم أجمعين ، فلم يبق منهم أحد إلاّ صاحب الفرات ، أخذوه

١/٢٣٧٩

(١) ابن حبيش : « فأنا » .
(٢) ابن حبيش : « السند » .
(٣) الكذان : حجارة رخوة كالمدر .
(٤) يزجل : يرفع صوته .
(٥) ابن حبيش : « القتال » .

أسيرًا ، فقال عتبة بن غَزْوان : ابغوا لنا منزلا هو أنزه من هذا — وكان يوم عِكاك[1] وَوَمَد[2] — فرفعوا له منبرًا ، فقام يخطب ، فقال : إنّ الدنيا قد تصرّمت وولّت حَذّاء[3] ، ولم يبق منها إلا صُبابة كصُبابة[4] الإناء . ألا وإنّكم منتقلون منها إلى دار القرار ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم . وقد ذكر لى : لو أنّ صخرة ألقيت من شفير جهنّم هوت[5] سبعين خريفًا ، ولتُملأنّه ؛ أوعجبتم ! ولقد ذكر لى أنّ ما بين مصراعين من مصاريع الجنّة مسيرة أربعين عامًا ، وليأتينّ عليه يوم وهو كظيظ[6] بزحام ، ولقد رأيتُنِى وأنا سابع سبعة مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، مالنا طعام إلا ورق السَّمُر ، حتى تقرّحت أشداقنا ؛ والتقطت بُردة فشققتها بينى وبين سعد ، فما منّا من أولئك السبعة من أحدٍ إلا وهو أمير مِصْر من الأمصار ، وسيُجرّبون الناس بعدنا .

١/٢٣٨٠

وعن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : لما توجّه عُتبة بن غزوان المازنىّ من بنى مازن بن منصور من المدائن إلى فَرْج الهند ، نزل على الشاطىء بحيال جزيرة العرب ، فأقام قليلا ثم أرز ، ثم شكوا ذلك حتى أمره عمر بأن ينزل الحجَر بعد ثلاثة أوطان إذا اجتَوَوا الطين ، فنزلوا فى الرابعة البصرة — والبصرة كلّ أرض حجارتها جصّ — وأمر لهم بنهر يجرى من دِجْلة ، فساقوا إليها نهرًا للشَّفة ، وكان إيطان أهل البصرةالبصرة اليوم وإيطانُ أهل الكوفة الكوفة اليوم فى شهر واحد . فأمّا أهل الكوفة فكان مقامهم قبل نزولها المدائن إلى أن وطّنوها ، وأمّا أهل البصرة فكان مقامهم على شاطىء دِجْله . ثم أرزوا مرّات حتى استقرّوا وبدءوا ، فخنسوا فرسخًا وجرّوا معهم نهرًا ، ثم فرسخا ثم جرّوه ثم فرسخاً ، ثم جرّوه ثم أتوا

١/٢٣٨١

(١) العكاك : شدة الحر مع سكون الريح . وفى ز : « عكاب » ، وهو الغبار .
(٢) الومد : شدة الحر .
(٣) حذاء : أى مسرعة .
(٤) الصبابة : البقية .
(٥) ابن الأثير : « لهوت » .
(٦) الكظيظ : الممتلىء .

الحجر، ثم جرّوه، واختُطت على نحو من خطط الكوفة، وكان على إنزال البصرة أبو الجرباء عاصم بن الدُّلف، أحد بنى غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم.

وقد كان قُطبة بن قتادة — فيما حدّثنى عمر، قال: حدّثنا المدائنىّ عن النّضر بن إسحاق السُّلَمىّ، عن قطبة بن قتادة السّدُوسىّ — يُغير بناحية الخُرَيبة من البصرة، كما كان المثنّى بن حارثة الشيبانىّ يُغير بناحية الحيرة. فكتب إلى عمر يُعلمه مكانه، وأنه لو كان معه عدد يسير ظفِر بمن قِبَله من العجم، فنفاهم من بلادهم. وكانت الأعاجم بتلك الناحية قد هابوه بعد وقعة خالد بنهر المرأة، فكتب إليه عمر: إنّه أتانى كتابك أنّك تغير على مَنْ قِبَلك من الأعاجم، وقد أصبت ووُفِّقت؛ أقم مكانك، واحذر على مَن معك من أصحابك حتى يأتيك أمرى. فوجّه عمر شريح بن عامر، أحد بنى سعد بن بكْر إلى البصرة؛ فقال له: كن ردءًا للمسلمين بهذه الجيزة، فأقبلَ إلى البصرة؛ فترك بها قطبة، ومضى إلى الأهواز حتى انتهى إلى دارس، وفيها مسلحة للأعاجم؛ فقتلوه، وبعث عمر عُتْبة بن غزوان. ١/٢٣٨٢

حدّثنا عمر، قال: حدّثنى علىّ، عن عيسى بن يزيد، عن عبد المَلِك بن حذيفة ومحمد بن الحجّاج، عن عبد الملك بن عُمَير، قال: إنّ عمر قال لعتبة بن غزوان إذ وجّهه إلى البصرة: يا عتبة، إنّى قد استعملتك على أرض الهند، وهى حوْمة من حوْمة العدوّ، وأرجو أن يكفيَك الله ما حولها، وأن يُعينك عليها. وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمىّ أن يُمدّك بعرْفجة بن هرثمة؛ وهو ذو مجاهدة العدوّ ومكايدته، فإذا قدم عليك فاستشره وقرّبه، وادع إلى الله؛ فمن أجابك فاقبل منه، ومَنْ أبى فالجزية عن صَغَار وذلّة، وإلاّ فالسيف فى غير هوادة. واتّق الله فيما وُلّيت، وإيّاك أن تنازعك نفسك إلى كِبْر يفسد عليك إخوتك، وقد صحبتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعززتَ به بعد الذّلّة، وقويتَ به بعد الضعف، حتى صرتَ أميرًا مسلّطًا وملِكًا مطاعًا، تقول فيُسمع منك، وتأمر فيطاع أمرُك، فيالها نعمة؛ إن لم ترفعك فوق قدرك وتُبطرك على مَنْ دونك! احتفظ[1] من النعمة احتفاظك من المعصية؛ ولَهِيَ[2] أخوفُهما عندى عليك ١/٢٣٨٣

---

(١) ابن الأثير: «واحتفظ». (٢) ابن حبيش: «وهى».

أن تستدرجك وتخدعك، فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنّم، أعيذك باللهونفسى من ذلك. إنّ الناس أسرعوا إلى الله حين رفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرد الله ولا ترد الدنيا، واتّق مصارع الظالمين.

١/٢٣٨٤ حدّثنى عمر بن شبّة، قال: حدّثنا علىّ، قال: حدّثنا أبو إسماعيل الهمدانىّ وأبو مخنف، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبىّ، قال: قدم عتبة بن غزْوان البصرة [فى[1] ثلثمائة، فلما رأى منبت القصب، وسمع نقيق الضفادع قال: إنّ أمير المؤمنين أمرنى أن أنزل أقصى البَرّ من أرض العرب، وأدنى أرض الرّيف من أرض العجم؛ فهذا حيث واجب علينا فيه طاعة إمامنا. فنزل الخُرَيبة وبالأبلّة خمسمائة من الأساورة يحمونها. وكانت مرفأ السفن من الصين وما دونها، فسار عتْبة فنزل دون الإجّانة، فأقام نحوا من شهر، ثم خرج إليه أهل الأبلّة فناهضهم عتُبة، وجعل قطبة بن قتادة السدوسىّ وقسامة بن زهير المازنىّ فى عشرة فوارس، وقال لهما: كونا فى ظهرنا، فتردّا المنهزم، وتمنعا مَن أرادنا من ورائنا. ثم التقوْا فما اقتتلوا مقدار جزْر جزور وقسمها؛ حتى منحهم الله أكتافهم، وولّوا منهزمين؛ حتى دخلوا المدينة، ورجع عتبة إلى عسكره، فأقاموا أيامًا، وألقى الله فى قلوبهم الرّعب. فخرجوا عن المدينة، وحملوا ما خفّ لهم، وعبَروا إلى الفُرات، وخلّوا[2] المدينة، فدخلها المسلمون

١/٢٣٨٥ فأصابوا متاعًا وسلاحًا وسبيًا وعينًا، فاقتسموا العين، فأصاب كلّ رجل منهم درهمان، وولّى عتُبة نافعَ بن الحارث أقباضَ الأبُلّة؛ فأخرج خُمسه، ثم قسّم الباقى بين مَنْ أفاءه الله عليه؛ وكتب بذلك مع نافع بن الحارث.

وعن بشير بن عبيد الله؛ قال: قتل نافع بن الحارث يوم الأبُلّة تسعة، وأبو بكرة ستّة.

وعن داود بن أبى هند، قال: أصاب المسلمون بالأبُلّة من الدراهم ستمائة درهم، فأخذ كلّ رجل درهمين، ففرض عمر لأصحاب الدّرهمين ممن أخذهما من فتح الأبُلّة فى ألفين من العطاء، وكانوا ثلثمائة رجل، وكان فتح الأبُلّة فى رجب، أو فى شعبان من هذه السنة.

---

(١) من هنا يبدأ النقص الموجود بالمخطوطات التى رجع إليها مصححو ط وآخره فى ص ٦١٥ س ٨ من هذا الجزء.

(٢) خلوها: تركوها.

وعن الشعبيّ ، قال : شهد فتح الأبُلَّة مائتان وسبعون ، فيهم أبو بكْرة ، ونافع بن الحارث ، وشِبْل بن معبد ، والمغيرة بن شعبة ، ومُجاشع بن مسعود ، وأبو مريم البلَويّ ، وربيعة بن كَلَدة بن أبى الصَّلْت الثقفىّ ، والحجّاج .

وعن عَباية بن عبد عمرو ، قال : شهدت فتح الأبُلَّة مع عُتْبة ، فبعث نافع بن الحارث إلى عمر رحمه الله بالفتح ، وجمع لنا أهل دستِ مَلْسان ، فقال عتبة : أرى أن نسير إليهم ، فسرنا فلقينا مَرْزُبان دست مَيْسان ، فقاتلناه ، فانهزم أصحابه وأخذ أسيرًا ، فأخِذ قباؤه ومِنطقته ، فبعث به عتبة مع أنس ابن حُجيَّة اليَشكرى .

١/٢٣٨٦ وعن أبى المَليح الهُذَلىّ ، قال : بعث عُتبة أنسَ بن حُجيَّة إلى عمر بمنطقة مرزبان دَسْت ميسان ؛ فقال له : كيف المسلمون ؟ قال : انثالت عليهم الدنيا ، فهم يَهيلون الذّهب والفضّة . فرغب الناس فى البصرة ، فأتوْها .

وعن علىّ بن زيد ، قال : لما فرغ عتبة من الأبُلَّة ، جمع له مرزبان دَسْت مَيْسان ، فسار إليه عُتْبة من الأبُلَّة ، فقتله ، ثم سرّح مجاشع بن مسعود إلى الفرات وبها مدينة . ووفَد عتبة إلى عمر ، وأمر المغيرة أن يصلّىَ بالناس حتى يقدَم مجاشع من الفرات ، فإذا قدم فهو الأمير . فظفر مجاشع بأهل الفرات ، ورجع إلى البصرة وجمع الفياكان[١] ؛ عظيم من عظماء أبزَرْ قُباذ[٢] للمسلمين ، فخرج إليه المغيرة بن شعبة ، فلقيه بالمرْغاب ، فظفِر به ، فكتب إلى عمر بالفتح ، فقال عمر لعتبة : مَن استعملت على البصرة ؟ قال : مجاشع بن مسعود ، قال : تستعمل رجلا من أهل الوبَر على أهل المدر ؟ تدرى ما حدث ! قال : لا ، فأخبره بما كان من أمر المغيرة ، وأمره أن يرجع إلى عمله ، فمات عُتبة فى

(١) ابن حبيش : « الميلكان » ، ابن الأثير : « الفيلكان » .
(٢) ابن حبيش : « أبرقباذ » .

الطريق ، واستعمل عمرُ المغيرةَ بن شعبة .

وعن عبد الرحمن بن جَوْشن ، قال : شخص عُتْبة بعد ما قتل مرزبان دَسْت مَيْسان ، ووجّه مجاشعًا إلى الفرات ، واستخلفه على عمله ، وأمر المغيرة ابن شعبة بالصّلاة حتى يرجع مجاشع من الفرات ، وجمع أهل مَيْسان ، فلقيَهم المغيرة ، وظهر عليهم قبل قدوم مجاشع من الفرات ، وبعث بالفتح إلى عمر .

الطبريّ ، بإسناده عن قَتادة ، قال : جمع أهل مَيْسان للمسلمين ، فسار إليهم المغيرة ، وخلّف المغيرة الأثقال ، فلقى العدوّ دون دِجْلة ، فقالت أرْدة بنت الحارث بن كَلَدة : لو لحقنا بالمسلمين فكنّا معهم ! فاعتقدت لواءً من خمارها ، واتّخذ النّساءُ من خُمُرهنّ رايات ، وخرجْنَ يُرِدْنَ المسلمين ، فانتهينَ إليهم ، والمشركون يقاتلونهم ، فلمّا رأى المشركون الرايات مقبلة ، ظنّوا أنّ مددًا أتى المسلمين فانكشفوا ، وأتبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدّة . ٢٣٨٧/١

وعن حارثة بن مُضَرّب ، قال : فُتحت الأبُلّة عَنوة ، فقسم بينهم عتبة كَكَّة - يعنى خبزًا أبيض . وعن محمّد بن سيرين مثله .

قال الطّبريّ ، وكان ممّن سُبِيَ من مَيْسان يَسار أبو الحسن البصريّ ، وأرطَبان جدّ عبد الله بن عون بن أرطَبان .

وعن المثنّى بن موسى بن سلمة بن المحبّق ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : شهدت فتح الأبُلّة ، فوقع لى فى سهمى قِدْر نحاس ، فلمّا نظرت إذا هى ذهب فيها ثمانون ألف مثقال ، فكتِب فى ذلك إلى عمر ، فكتب أن يُصْبَر[1] يمين سلمة بالله لقد أخذها وهى عنده نحاس ، فإن حلف سُلّمت إليه ؛ وإلاّ قسمت بين المسلمين . قال : فحلفتُ ، فسُلّمت لى .

قال المثنّى : فأصول أموالنا اليوم منها .

(١) فى اللسان : «ومن هذا يمين الصبر ، وهو أن يحبسه السلطان على اليمين حتى يحلف بها» .

وعن عمرة ابنة قيس ، قالت : لمّا خرج الناس لقتال أهل الأبُلّة خرج زوجي وابني معهم ، فأخذوا الدرهمين ومكّوك زبيب [١] ، وإنّهم مضوْا حتى إذا كانوا حيال الأبُلّة ، قالوا للعدوّ ، نعبر إليكم أو تعبرون إلينا ؟ قال : بل اعبرُوا إلينا ، فأخذوا خشب العُشَر [٢] فأوثقوه ، وعبروا إليهم ، ١/٢٣٨٨ فقال المشركون : لا تأخذوا أوّلهم حتى يعبُر آخرهم . فلمّا صاروا على الأرض كبّروا تكبيرة ، ثم كبّروا الثانية ، فقامت دوابُّهم على أرجلها ، ثم كبّروا الثالثة ، فجعلت الدّابة تضرب بصاحبها الأرض ، وجعلنا ننظر إلى رءوسٍ تُنْدَر ، ما نرى مَن يضربها ؛ وفتح الله على أيديهم .

المدائنيّ ، قال : كانت عند عُتبة صفيّة بنت الحارث بن كَلَدة ، وكانت أختها أردة بنت الحارث عند شِبْل بن معبَد البَجَليّ ، فلمّا ولِي عتبة البصرة انحدر معه أصهارُه : أبو بكْرة ، ونافع ، وشِبْل بن معبد ؛ وانحدر معهم زياد ؛ فلمّا فتحوا الأبُلّة لم يجدوا قاسمًا يقسم بينهم ، فكان زياد قاسمَهم ؛ وهو ابن أربع عشرة سنة ، له ذؤابة ، فأجرَوْا عليه كلّ يوم درهمين .

وقيل : إن إمارة عتبة البصرة كانت سنة خمس عشرة ، وقيل ست عشرة ؛ والأول أصحّ ؛ فكانت إمارته عليها ستة أشهر .

واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة فبقي سنتين ، ثم رُمِي بما رُمِيَ ؛ واستعمل أبا موسى ، وقيل استعمل بعد عُتْبة أبا موسى ، وبعده المغيرة .

وفيها — أعني سنة أربع عشرة — ضرب عمر ابنَه عبيد الله وأصحابَه في شراب شربوه وأبا مِحْجن .

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان على مكّة عتّاب بن أسِيد في قول ، وعلى اليمن يَعلَى بن مُنْيَة ، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقّاص ، وعلى الشأم أبو عبيدة بن الجرّاح ، وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص — وقيل : ١/٢٣٨٩ العلاء بن الحضرميّ — وعلى عُمان حُذيفة بن مِحصن .

---

(١) المكوك : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع .
(٢) العشر كصرد : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس في أجود منه .

ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابن جرير : قال بعضهم : فيها مصَّر سعد بن أبى وقّاص الكُوفة ؛ دلّهم عليها[1] ابن بُقَيلة ؛ قال لسعد: أدلُّك على أرض ارتفعت عن[2] البقّ ، وانحدرت عن الفلاة ! فدلّهم على موضع الكوفة اليوم .

* * *

ذكر الوقعة بمرْج الروم

وفى هذه السنة كانت الوقعة بمرْج الرُّوم ، وكان من ذلك أنّ أبا عُبيدة خرج بخالد بن الوليد من فِحْل إلى حِمْص ، وانصرف بمن أضيف إليهم من اليَرموك ؛ فنزلوا جميعًا على ذى الكَلاع ، وقد بلغ الخبر هرقلَ ، فبعث توذَرا البِطريق حتّى نزل بمرْج دمشق وغربها ، فبدأ أبو عبيدة بمرْج الروم وجمعِهم هذا ، وقد هجم الشتاء عليهم والجِراحُ فيهم فاشية ، فلمّا نزل على القوم بمرْج الرّوم نازله يوم نزل عليه شنس الرومىّ ، فى مثل خيل توذرا ؛ إمداداً لتوذرا ورِدءاً لأهل حمص ؛ فنزل فى عسكر على حِدَة ، فلمّا كان من الليل أصبحت الأرض من توذرا بلاقعَ ، وكان خالد بإزائه وأبو عبيدة بإزاء شنس ، وأتى خالداً الخبر أنّ توذرا قد رَحل إلى دمشق ، فأجمع رأيه ورأى أبى عبيدة أن يتبعه خالد ، فأتبعه خالد من ليلته فى جريدة ؛ وقد بلغ يزيد بن أبى سفيان الذى فعل[3] ، فاستقبله فاقتتلوا ، ولحق بهم خالد وهم يقتتلون ؛ فأخذهم من خلفهم ، فقتلوا من بين أيديهم ومن خلفهم ؛ فأناموهم ولم يفلِتْ منهم إلاّ الشريد ؛ فأصاب المسلمون ما شاءوا من ظَهْرٍ وأداة وثياب ، وقسم

١/ ٢٣٩٠

(١) ابن الأثير : « على موضعها » .
(٢) ابن الأثير : « من » .
(٣) ابن الأثير : « فعل توذرا » ، النويرى : « الخبر » .

ذلك يزيد بن أبى سفيان على أصحابه وأصحاب خالد ، ثم انصرف يزيد إلى دمشق ، وانصرف خالد إلى أبى عبيدة ، وقد قتل خالد توذرا ، وقال خالد :

نحن قَتَلْنا توذَرا وشوذرا وقَبْلَه ما قد قَتلْنا حَيْدَرا

* نحن أزَرْنا الغَيْضَةَ الأُكَيْدِرا *

وقد ناهد أبو عبيدة بعد خروج خالد فى أثر توذرا شنس ، فاقتتلوا بمرْج الرّوم ، فقتلهم مقتلة عظيمة ، وقتل أبو عبيدة شنس ، وامتلأ المرْج من قتلاهم ، فأنتنت منهم الأرض، وهرب من هرب منهم ، فلم يفلتهم ، وركبوا أكساءهم إلى حِمْص[1] .

* * *

ذكر فتح حمْص

حكى الطبرىّ عن سيف ، فى كتابه، عن أبى عثمان . قال : ولما بلغ هرقل الخبر بمقتل أهل المرْج ، أمر أمير حمص بالسَّير والمضىّ إلى حِمْص ، وقال: إنّه بلغنى أنّ طعامهم لحوم الإبل، وشرابهم ألبانها ، وهذا الشتاء فلا تُقاتلوهم إلاّ فى كلّ يوم بارد، فإنه لا يبقى إلى الصيف منهم أحد ، هذا جُلّ طعامه وشرابه . وارتحل من عسكره ذلك ، فأتى الرُّهاء ، وأخذ عامله بحمْص ، وأقبل أبو عبيدة حتى نزل على حِمْص ، وأقبل خالد بعده حتى ينزل عليها ، فكانوا يُغادون المسلمين ويراوحونهم فى كلّ يوم بارد ؛ ولقىَ المسلمون بها برداً شديداً ، والرّوم حصاراً طويلاً ، فأمّا المسلمون فصبروا ورابطوا ، وأفرغ الله عليهم الصَّبْر ، وأعقبهم النصر ، حتى اضطرب الشتاء ، وإنمّا تمسّك القوم بالمدينة رجاء أن يهلكهم الشتاء .

٢٣٩١/١

وعن أبى الزّهراء القُشَيْرىّ ،عن رجل من قومه، قال : كان أهل حِمْص

(١) الأكساء هنا : الأدبار ؛ يريد أنهم تتبعوهم .

يتواصوْن فيما بينهم ، ويقولون : تمسّكوا فإنّهم حُفاة ، فإذا أصابهم البرد نقطّعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون ؛ فكانت الرّوم تَراجعُ ، وقد سقطت أقدام بعضهم فى خِفافهم ، وإن المسلمين فى النّعال ما أصيب أصبع أحد منهم ، حتى إذا انخنس الشتاء ، قام فيهم شيخ لهم يدعوهم إلى مصالحة المسلمين . قالوا : كيف والملك فى سلطانه وعزّه ، ليس بيننا وبينهم شىء ! فتركهم ؛ وقام فيهم آخر فقال : ذهب الشتاء ، وانقطع الرّجاء ، فما تنتظرون ؟ فقالوا : البِرسام ، فإنما يسكن فى الشتاء ويظهر فى الصيف ، فقال : إن هؤلاء قوم يُعانون ؛ ولأنْ تأتوهم بعهد وميثاق ، خير من أن تؤخذوا عَنْوة ؛ أجيبونى محمودين قبل أن تجيبونى مذمومين ! فقالوا : شيخ خَرِف ، ولا علم له بالحرب .

وعن أشياخ من غسّانَ وبَلْقين ، قالوا : أثاب الله المسلمين على صبْرهم أيام حِمْص أن زُلزل بأهل حِمْص ؛ وذلك أنّ المسلمين ناهدوهم ، فكبّروا تكبيرة زلزلت معها الرّوم فى المدينة ، وتصدّعت الحيطان ، ففزعوا إلى رؤسائهم وإلى ذوى رأيهم ممن كان يدعوهم إلى المسالمة ، فلم يجيبوهم وأذلّوهم بذلك ، ثم كبّرُوا الثانية ، فتهافتت منها دور كثيرة وحيطان ؛ وفزعوا إلى رؤسائهم وذوى رأيهم ، فقالوا : ألا ترون إلى عذاب الله ! فأجابوهم : لا يطلب الصلح غيرُكم ؛ فأشرفوا فنادَوْا : الصلح الصلح ! ولا يشعر المسلمون بما حدث فيهم ، فأجابوهم وقبلوا منهم على أنصاف دورهم ، وعلى أن يترك المسلمون أموالَ الرّوم وبنيانَهم ؛ لا ينزلونه عليهم ، فتركوه لهم ، فصالح بعضهم على صُلْح دمشق على دينار وطعام ، على كلّ جريب أبدا أيسروا أو أعسروا . وصالح بعضُهم على قَدْر طاقته ؛ إن زاد ماله زيد عليه ، وإن نقص نُقِص ، وكذلك كان صلْح دمشق والأردنّ ؛ بعضُهم على شىء إن أيسروا وإن أعسروا ، وبعضُهم على قَدْر طاقته ، ووَلّوا مُعاملةَ ما جلا ملوكهم عنه . ٢٣٩٢/١

وبعث أبو عبيدة السِّمْطَ بن الأسود فى بنى معاوية ، والأشعثَ بن مِئناس فى السَّكون ، معه ابن عابِس ، والمقداد فى بَلِىّ ، وبلالا وخالداً فى الجيش ، والصبّاح

ابن شُتَيْر وذُهيل بن عطية وذا شمستان، فكانوا فى قصبتها . وأقام فى عسكره، وكتب إلى عمر بالفتح ، وبعث بالأخماس مع عبد الله بن مسعود، وقد وفّده. وأخبر خبر هرقل ؛ وأنه عبر الماء إلى الجزيرة ، فهو بالرُّهاء ينغمس أحياناً ، ويطلع أحيانًا . فقدم ابن مسعود على عمر ، فردّه ، ثم بعثه بعد ذلك إلى سعد بالكوفة، ثم كتب إلى أبى عُبَيدة : أن أقم فى مدينتك وادعُ أهلَ القوّة والجلَد من عرب الشأم ، فإنّى غير تارك البعثة إليك بمن يكانفك ؛ إن شاء الله . ١/٢٣٩٣

* * *

حديث قِنَّسرين

وعن أبى عثمان وجارية ، قالا : وبعث أبو عبيدة بعد فتح حِمْص خالدَ ابن الوليد إلى قِنَّسْرين ، فلمّا نزل بالحاضر زحف إليهم الرّوم ، وعليهم مِيناس ، وهو رأس الرّوم وأعظمُهم فيهم بعد هرَقل ، فالتقوْا بالحاضر ، فقتِل مِيناس ومَن معه مقتلةً[1] لم يُقتَلوا مثلها، فأما الرّوم فماتوا على دمه حتى لم يبق منهم أحد، وأمّا أهل الحاضر فأرسلوا إلى خالد أنهم عرب ، وأنّهم إنما حُشروا ولم يكن من رأيهم حربُه، فقبل منهم وتركهم . ولمّا بلغ عمَر ذلك قال : أمّر خالد نفسَه ؛ يرحم الله أبا بكر ؛ هو كان أعلمَ بالرّجال منّى، وقد كان عزله والمثنَّى مع قيامه ، وقال : إنىّ لم أعزلهما عن ريبة ؛ ولكن الناس عظّموهما ، فخشيت أن يوكَلوا إليهما . فلمّا كان من أمره وأمر قِنّسرين ما كان، رجع عن رأيه ، وسار خالد حتى نزل قِنّسرين، فتحصّنوا منه، فقال : إنّكم لو كنتم فى السحاب لحمَلنا الله إليكم أو لأنزلكم الله إلينا . قال : فنظروا فى أمرهم ، وذكروا ما لقىَ أهلُ حمص ؛ فصالحوه على صُلْح حمص ، فأبى إلاّ على إخراب المدينة فأخربها ، واتّطأت حِمْص وقنّسرين ؛ فعند ذلك خنَس[2] هرَقل؛ وإنّما كان سبب خنوسه أنّ خالداً حين قتل مِيناس ومات الرّوم على دمه ، وعقد لأهل الحاضر وترك قِنّسرين، طلع من قبَل الكوفة عمر ١/٢٣٩٤

---

(١) ابن الأثير : « مقتلة عظيمة » .

(٢) خنس خنوساً : رجع وتأخر .

ابن مالك من قبل قَرْقيسيَا ، وعبد الله بن المُعتمّ من قِبَل المَوْصل ، والوليد ابن عقبة من بلاد بنى تغلب وعرب الجزيرة ، وطووا مدائن الجزيرة من نحو هرَقل ، وأهل الجزيرة فى حرّان والرّقة ونَصيبين وذواتها لم يُغرِضوا غرضَهم ؛ حتى يرجعوا إليهم ؛ إلاّ أنهم خلّفوا فى الجزيرة الوليدَ لئلا يؤتَوْا من خلفهم ؛ فأدرب خالد وعياض ممّا يلى الشأم ، وأدرب عمر وعبد الله مما يلِى الجزيرة ؛ ولم يكونوا أدربوا قبله ؛ ثم رجعوا، فهى أوّل مُدرِبة كانت فى الإسلام سنة ست عشرة . فرجع خالد إلى قِنّسرين فنزلها ، وأتته امرأته ، فلمّا عزله قال : إنّ عمر ولاّنى الشأم حتى إذا صارت بثنيّةً وعَسَلا عزلنى [١].

قال أبو جعفر الطبرىّ : ثم خرج هِرَقل نحو القسطنطينية ، فاختُلِف فى حين شخوصه إليها وتركه بلاد الشأم ؛ فقال ابن إسحاق : كان ذلك سنة خمس عشرة ؛ وقال سيف : كان سنة ستّ عشرة .

* * *

ذكر خبر ارتحال هِرقل إلى القسطنطينيّة

١ / ٢٣٩٥

ذكر سيف عن أبى الزّهراء القُشيرىّ ، عن رجل من بنى قُشَير ، قالوا : لما خرج هِرَقل من الرُّهاء واستتبع أهلَها ، قالوا : نحن ها هنا خير منّا معك ، وأبوْا أن يتبعوه ، وتفرّقوا عنه وعن المسلمين ؛ وكان أوّل مَن أنبح كلابها ، وأنفر [٢] دجاجها زياد بن حنظلة ، وكان من الصحابة ، وكان مع عمر ابن مالك مساندَه ، وكان حليفًا لبنى عبد بن قُصىّ ؛ وقبل ذلك ما قد خرج هرَقل حتى شِمْشاط ؛ فلما نزل القوم الرّهاء أدرب فنفذ نحو القسطنطينيّة ، ولحقه رجلٌ من الرّوم كان أسيراً فى أيدى المسلمين ، فأفلت ، فقال له : أخبرنى عن هؤلاء القوم ، فقال : أحدّثك كأنك تنظر إليهم ؛ فُرسان بالنهار ورهبان بالليل ، ما يأكلون فى ذمّتهم إلاّ بثمن ، ولا يدخلون إلاّ بسلام ، يقفون على

(١) البثنية : نسبة إلى البثنة ، بلدة بدمشق مشهورة بالحنطة الجيدة .

(٢) ابن الأثير : « ونفر » .

مَن حاربهم حتى يأتوا عليه ، فقال : لئن كنت صدقتَنى ليرثُنّ ما تحت قدَمىّ هاتين .

وعن عبادة وخالد ، أنّ هرَقل كان كلّما حجّ بيت المقدس فخلّف سُورية ، وظعن فى أرض الرّوم التفت فقال : عليكِ السّلام يا سوريَة تسليم مودِّع لم يقضِ منك وطرَه ، وهو عائد . فلمّا توجّه المسلمون نحو حِمْص عَبَر الماء ، فنزل الرّهاء ، فلم يزل بها حتى طلع أهل الكوفة وفتحت قِنَّسرين وقتِل ميناس ، فخنَس عند ذلك إلى شمشاط ؛ حتى إذا فصل منها نحو الرّوم علا على شرف ، فالتفت ونظر نحو سورَية ، وقال : عليكِ السلام يا سورَية ، سلاما [(١)] لا اجتماع بعده ، ولا يعود إليك رومىّ أبداً إلاّ خائفاً ، حتى يولد المولود المشئوم ، ويا ليته لا يولد ! ما أحلَى فِعلَه ، وأمرّ عاقبته على الرّوم ! ٢٣٩٦/١

وعن أبى الزّهراء وعمرو بن ميمون ، قالا : لما فصَل هرقل من شمشاط داخلا الرّوم التفت إلى سورَية ، فقال : قد كنت سلّمت عليك تسليم المسافر ، فأمّا اليوم فعليك السلام يا سوريَة تسلم المفارق ، ولا يعود إليكِ رومىّ أبداً إلاخائفاً ، حتى يولد المولود المشئوم ، وليته لم يولد ! ومضى حتى نزل القسطنطينيّة . وأخذ أهلَ الحصون التى بين إسكندريّة وطَرسُوس معه ؛ لئلاّ يسير المسلمون فى عمارةٍ ما بين أنطاكيَة وبلاد الرّوم ، وشعّث الحصون ، فكان المسلمون لا يجدون بها أحداً ، وربّما كمن عندها الرّوم ؛ فأصابوا غِرّة المتخلّفين ، فاحتاط المسلمون لذلك .

* * *

ذكر فتح قَيْساريّة وحَصْر غزّة

ذكر سيف ، عن أبى عثمان وأبى حارثة ، عن خالد وعبادة ، قالا : لما انصرف أبو عبيدة وخالد إلى حِمْص من فِحْل ، نزل عمرو وشرحبيل على بَيْسان فافتتحاها ، وصالحته الأُرْدُنّ ، واجتمع عسكر الرّوم بأجنادين . ٢٣٩٧/١

(١) ابن الأثير : « سلام » .

وبَيْسان وغزّة ، وكتبوا إلى عمر بتفرّقهم ، فكتب إلى يزيد بأن يدفئ ظهورَهم بالرّجال ، وأن يسرّح معاوية إلى قَيْسارِيّة . وكتب إلى عمرو يأمره بصدم الأرْطَبون ، وإلى علقمة بصدْم الفِيقار .

وكان كتاب عمر إلى معاوية : أما بعد ، فإنّى قد ولّيتك قَيسارِيّة ، فسر إليها واستنصر الله عليهم ، وأكثر من قول : « لا حول ولا قوّة إلا بالله ، الله ربّنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا ، نعم المولى ونعم النصير » . فانتهى الرّجلان إلى ما أُمِرا به ، وسار معاوية فى جنده حتّى نزل على أهل قيسارِيّة وعليهم أبنى ، فهزمه وحصره فى قيسارِيّة . ثم إنهم جعلوا يزاحفونه ، وجعلوا لا يزاحفونه من مرّة إلا هزمهم وردّهم إلى حصنهم . ثمّ زاحفوه آخر ذلك ، وخرجوا من صياصيهم ، فاقتتلوا فى حفيظة واستماتة ، فبلغت قتلاهم فى المعركة ثمانين ألفًا ، وكمّلها فى هزيمتهم مائة ألف ، وبعث بالفتح مع رجلين من بنى الضُّبيب ، ثم خاف منهما الضّعف ، فبعث عبدَ الله بن علقمة الفراسىّ وزهير بن الحلاب الخثعمىّ ، وأمرهما أن يتّبعاهما ويسبقاهما ، فلحقاهما ، فطوَياهما وهما نائمان . وابن علقمة يتمثّل وهى هِجّيراه :

أرّقَ عَينى أَخَوَا جُذَامِ كيفَ أنامُ وهُمَا أمامى !

إذْ يرحَلانِ والهَجيرُ طامِى أخو حُشَيْمٍ وأخو حَرامِ

١/٢٣٩٨ وانطلق علقمة بن مُجَزِّز ، فحصر الفِيقار بغزّة ، وجعل يراسله ، فلم يشفه مما يريد أحد ؛ فأتاه كأنّه رسول علقمة ، فأمر الفِيقار رجلاً أن يقعد له بالطريق ، فإذا مرّ قتله ، ففطِن علقمة ، فقال : إنّ معى نفراً شركائى فى الرّأى ، فأنطلقُ فآتيك بهم ؛ فبعث إلى ذلك الرّجل : لا تعرض له . فخرج من عنده ولم يَعُد ، وفعل كما فعل عمرو بالأرطبون ، وانتهى بريد معاوية إلى عمر بالخبر ، فجمع الناس وأباتهم على الفرح ليلا ، فحمد الله وقال : لتحمدوا الله على فتح قيسارِيّة ، وجعل معاوية قبل الفتح وبعده يحبس الأسرَى عنده ، ويقول : ما صنع ميخائيل بأسرانا صنعنا بأسراهم مثله ، ففطمه عن العَبث بأسرَى المسلمين حتّى افتتحها .

ذكر فتح بَيْسَان ووقعة أجْنادين

ولمّا توجّه علقمة إلى غزّة وتوجّه معاوية إلى قَيسارِيّة، صمد عمرو بن العاص إلى الأرْطَبون ، ومرّ بإزائه ، وخرج معه شُرَحبيل بن حسَنَة على مقدّمته ، واستخلف على عمل الأرْدُنّ أبا الأعوَر ، وولى عمرو بن العاص مجنّبتيه عبدَ الله بن عمرو وجُنادة بن تميم المالكىّ ؛ مالك بن كنانة ، فخرج حتى ينزل على الرّوم بأجناديْن ، والرّوم فى حصونهم وخنادقهم وعليهم الأرطَبون. وكان الأرطبون أدهى الرّوم وأبعدَها غَوْراً ، وأنكاها فعلا ، وقد كان وضع بالرّملة جنداً عظيماً ، وبإيلياء جنداً عظيماً ؛ وكتب عمرو إلى عمر بالخبر ؛ فلمّا جاءه كتاب عمرو ، قال : قد رمينا أرطبون الرّوم بأرطبون العرب ، فانظروا عمّ تتفرّج[1] ! وجعل عمر رحمه الله من لدن وجّه أمراء الشأم يمدّ كلّ أمير جند ويرميه بالأمداد ؛ حتى إذا أتاه كتاب عمرو بتفريق الرّوم، كتب إلى يزيد أن يبعث معاوية فى خيله إلى قيساريّة ، وكتب إلى معاوية بإمرته على قتال أهل قيساريّة؛ وليشغلهم عن عمرو ؛ وكان عمرو قد استعمل علْقمة ابن حكيم الفراسىّ ومسروق بن فلان العكىّ على قتال أهل إيلياء ، فصاروا بإزاء أهل إيلياء ، فشغلوهم عن عمرو ، وبعث أبا أيوّب المالكىّ إلى الرّملة ، وعليها التَّذَارِق ، وكان بإزائهما ، ولما تتابعت الأمداد على عمرو ، بعث محمد بن عمرو مدداً لعلقمة ومسروق ، وبعث عُمارة بن عمرو بن أميّة الضّمْرىّ مدداً لأبى أيّوب ، وأقام عمرو على أجناديْن لا يقدر من الأرطبون على سقطة ، ولا تشفيه الرّسل ، فوليَه بنفسه ، فدخل عليه كأنه رسول ، فأبلغه ما يريد ، وسمع كلامه ، وتأمّل حصونَه حتى عرف ما أراد . وقال أرطبون فى نفسه : والله إنّ هذا لعمرو ، أو إنه لَلّذى يأخذ عمرو برأيه ؛ وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظمَ عليهم من قتله . ثم دعا حرَسيًّا فسارّه بقتله ، فقال : اخرج . فقم مكان كذا وكذا ، فإذا مرّ بك فاقتله ، وفطِن له عمرو ، فقال : قد سمعتَ منّى وسمعتُ منك ، فأمّا ما قلتَه فقد وقع منى

١/ ٢٣٩٩

(١) ابن الأثير والنويرى : « تنفرج ».

موقعًا؛ وأنا واحد من عشرة؛ بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالى لنكانفه[1] ويشهدنا أموره، فأرجع فآتيك بهم الآن، فإن رأوا فى الذى عرضت مثلَ الذى أرى، فقد رآه أهل العسكر والأمير؛ وإن لم يروْه رددتَهم إلى مأمنهم، وكنتَ على رأس أمرك. فقال: نعم، ودعا رجلا فسارّه، وقال: اذهب إلى فلان فردّه إلىّ، فرجع إليه الرّجل وقال لعمرو: انطلق فجئ بأصحابك؛ فخرج عمرو ورأى ألاّ يعود لمثلها، وعلم الرّومىّ بأنه قد خدعه، فقال: خدَعنى الرّجُل؛ هذا أدهى الخلق. فبلغت عمر، فقال: غلبه عمرو، لله عمرو! وناهده عمرو، وقد عرف مأخذه وعاقبته، والتقوْا ولم يجد من ذلك بدًّا فالتقَوْا بأجناديْن، فاقتتلوا قتالا شديداً كقتال اليَرموك؛ حتى كثرت القتلى بينهم.

ثم إنّ أرطبون انهزم فى الناس فأوى إلى إيلياء، ونزل عمرو أجناديْن. ولمّا أتى أرطبون إيلياء أفرج له المسلمون حتى دخلها، ثم أزالهم إلى أجناديْن، فانضمّ علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وأبو أيّوب إلى عمرو بأجنادين، وكتب أرطبون إلى عمرو بأنك صديقى ونظيرى؛ أنت فى قومك مثلى فى قومى؛ والله لا تفتتح من فلسطين شيئًا بعد أجناديْن، فارجع ولا تَغرّ فتلقَى ما لقِى الذين قبلك من الهزيمة. فدعا عمرو رجلا يتكلم بالروميّة، فأرسله إلى أرطبون، وأمره أن يُغرِب ويتنكّر، وقال: استمع ما يقول حتى تخبرَنى به إذا رجعت إن شاء الله.

وكتب إليه: جاءنى كتابك وأنت نظيرى ومثلى فى قومك، لو أخطأتْك خصْلة تجاهلت فضيلتى، وقد علمتَ أنّى صاحبُ فتح هذه البلاد، واستعدى عليك فلانًا وفلانًا وفلانًا ــ لوزرائه ــ فأقرئهم كتابى، ولينظروا فيما بينى وبينك.

فخرج الرسول على ما أمره به حتى أتى أرطبون فدفع إليه الكتاب بمشهد من النفر، فاقترأه فضحكوا وتعجّبوا، وأقبلوا على أرطبون، فقالوا: من أين علمتَ أنه ليس بصاحبها؟ قال: صاحبها رجل اسمه «عمر» ثلاثة أحرف؛ فرجع الرّسول إلى عمرو فعرف أنه عمر.

(١) لنكانفه، أى لنعاونه.

وكتب إلى عمر يستمدّه ، ويقول : إنى أعالج حربًا كئودا صدومًا وبلاداً ادُّخِرت لك ، فرأيَك . ولما كتب عمرو إلى عمر بذلك ، عرف أنّ عمراً لم يقل إلاّ بعلم ، فنادى فى الناس ، ثم خرج فيهم حتى نزل بالجابية . وجميع ما خرج عمر إلى الشأم أربعَ مرّات ، فأما الأولى فعلى فرَس ، وأما الثانية فعلى بعير ، وأما الثالثة فقصّر عنها أن الطاعون مستعر ، وأما الرابعة فدخلها على حمار . فاستخلف عليها ، وخرج وقد كتب مخرجَه أوّلَ مرة إلى أمراء ١/٢٤٠٢ الأجناد أن يوافوه بالجابية — ليوم سمّاه لهم فى المجرّدة — وأن يستخلفوا على أعمالهم . فلقوه حيث رفعت لهم الجابية ؛ فكان أوّل مَنْ لقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الخيول ؛ عليهم الدّيباج والحرير ، فنزل وأخذ الحجارة ، فرماهم بها ، وقال : سَرْعَ ما لُفِتّم عن رأيكم ! إيّايَ تستقبلون فى هذا الزّى ؛ وإنما شبعتم منذ سنتين ! سَرْعَ ما ندّت بكم البِطْنة! وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، إنها يلامقة ، وإنّ علينا السلاح ، قال : فنعم إذاً . وركب حتى دخل الجابية وعمرو وشُرحبِيل بأجْنَادين لم يتحرّكا من مكانهما .

* * *

ذكر فتح بيت المقدس

وعن سالم بن عبد الله ، قال : لما قدم عمر رحمه الله الجابيةَ ، قال له رجل من يهود : يا أميرَ المؤمنين ؛ لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك ١/٢٤٠٣ إيلياء ؛ فبينا عمر بن الخطاب بها ؛ إذ نظر إلى كُردوس من خيل مقبل ، فلمّا دنَوْا منه سلّوا السيوف ، فقال عمر : هؤلاء قوم يستأمِنون ، فأمّنوهم ؛ فأقبلوا فإذا هم أهل إيلياء ، فصالحوه على الجِزْية ، وفتحوها له ، فلمّا فتحت عليه دعا ذلك اليهوديّ ، فقيل له : إن عنده لعلماً . قال : فسأله عن الدجّال — وكان كثير المسألة عنه — فقال له اليهوديّ : وما مسألتك عنه يا أميرَ المؤمنين! فأنتم والله معشر العرب تقتلونه دون باب لُدٍّ ببضعَ عشرة ذراعًا .

وعن سالم، قال: لمّا دخل عمر الشأم تلقّاه رجل من يهود دمشق ، فقال : السّلامُ عليك يا فاروق ! أنت صاحب إيلياء لا والله لا ترجع حتّى يفتح الله إيلياء ؛ وكانوا قد أشجَوا عمراً وأشجاهم ؛ ولم يقدر عليها ولا على الرّملة ، فبينا عمر معسكراً بالجابية ، فزع الناس إلى السلاح ، فقال : ما شأنكم ؟ فقالوا : ألا ترى الخيل والسيوف ! فنظر ، فإذا كُردوس يلمعون بالسيوف ؛ فقال عمر : مستأمِنةٌ ، ولا تُراعوا وأمِّنوهم ؛ فأمّنوهم ؛ وإذا هم أهل إيلياء ، فأعطوْه واكتتبوا منه على إيلياء وحيّزِها ، والرّملة وحيّزها ؛ فصارت فلسطين نصفين : نصفٌ مع أهل إيلياء ، ونصف مع أهل الرّملة ؛ وهم عشر كُوَر ، وفلسطين تعدِل الشأم كلّه ؛ وشهد ذلك اليهوديّ الصّلح ، فسأله عمر عن الدجّال؛ فقال : هو من بنى بنيامين ؛ وأنتم والله يا معشرَ العرب تقتلونه على بضع عشرة ذراعًا من باب لُدّ .

١/٢٤٠٤ وعن خالد وعبادة ، قالا : كان الذى صالح فلسطين العوامّ من أهل إيلياء والرّملة؛ وذلك أنّ أرطبون والتّذارِق لحقا بمصْر ، مقدَمَ عمر الجابية ، وأصيبا بعد فى بعض الصوائف[١] .

وقيل : كان سبب قدوم عمر إلى الشأم ، أنّ أبا عبيدة حضر بيت المقدس ، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشأم، وأن يكون المتولّى للعقد عمر بن الخطاب ؛ فكتب إليه بذلك ، فسار عن المدينة .

وعن عَدِىّ بن سهل ، قال : لما استمدّ أهلُ الشأم عمر على أهل فلسطين ، استخلف عليّاً ، وخرج ممدًّا لهم ، فقال عليّ: أين تخرج بنفسك ! إنك تريد عدوًّا كَلِبًا ، فقال : إنّى أبادر بجهاد العدوّ موتَ العباس ؛ إنّكم لو قد فقدتم العباس لانتقض بكم الشرّ كما ينتقض أوّلُ الحبْل . ١/٢٤٠٥

قال : وانضمّ عمرو وشرحبيل إلى عمر بالجابية حين جرى الصلح فيما بينهم ، فشهد الكتاب .

وعن خالد وعبادة ، قالا : صالح عمر أهل إيلياء بالجابية ، وكتب لهم

---

(١) الصوائف : جمع صائفة ؛ وبها سميت غزوة الروم ؛ لأنهم كانوا يغزونها صيفاً لمكان البرد والثلج .

فيها الصلح لكلّ كُورة كتابًا واحداً ، ما خلاَ أهل إيلياء .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبدُ الله عمر أمير المؤمنين أهلَ إيلياء من الأمان ؛ أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبَريئها وسائر ملّتها ؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيِّزِها ، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يضارّ أحد منهم ، ولا يسكنُ بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطُوا الجزية كما يُعطِي أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الرّوم واللصوت[1]؛ فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ؛ ومَن أقام منهم فهو آمن ؛وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجِزْية ، ومنْ أحبّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الرّوم ويخلّي بِيَعهم وصُلُبهم فإنّهم آمنون على أنفسهم وعلى بِيَعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومَن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجِزْية ، ومن شاء سار مع الرّوم ؛ ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصد حصادهم ؛ وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمّة رسوله وذمّة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبدالرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان. وكتب وحَضَر سنة خمس عشرة.

١/٢٤٠٦

فأما سائر كُتبهم فعلى كتاب لُدّ . بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لُدّ ومَن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين ،أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلُبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملّتهم ؛ أنه لا تُسْكن كنائسهم ولا تُهدم ولا ينتقصُ منها ولا من حيّزها ولا مِللها ، ولا من صُلُبهم ولا من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ؛ ولا يضارّ أحد منهم ؛ وعلى أهل لُدّ ومَن دخل معهم من أهل فلسطين أن يُعطوا الجزية كما يعطى أهلُ مدائن الشأم ، وعليهم إن خرجوا مثلُ

١/٢٤٠٧

---

(١) اللصت مثل اللص : السارق ، وجمعه لصوت .

ذلك الشرط إلى آخره . ثم سرّح إليهم ، وفرّق فلسطين على رجلين ، فجعل علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرّملة ، وعلقمة بن مُجزّز على نصفها وأنزله إيلياء ؛ فنزل كلّ واحد منهما فى عمله فى الجنود التى معه .

وعن سالم ، قال : استعمل علقمة بن مجزّز على إيلياء وعلْقمة بن حكيم على الرّملة فى الجنود التى كانت مع عمرو وضمّ عمراً وشُرَحبيل إليه بالجابية ، فلمّا انتهيا إلى الجابية ، وافقا عمر رحمه الله راكبًا ، فقبّلا ركبتيه ، وضمّ عمر كلّ واحد منهما محتضنَهما[1] .

وعن عبادة وخالد ، قالا : ولما بعث عمر بأمان أهل إيلياء وسكّنها الجند ، شخص إلى بيت المقدس من الجابية ، فرأى فرسه يتوجّى[2] ، فنزل عنه ، وأُتىَ ببرذون فركبه ، فهزّه فنزل ، فضرب وجهه بردائه ، ثم قال : قبحّ الله مَنْ علمك هذا ! ثم دعا بفرسه بعد ما أجمّه أيامًا يوقّحه[3] فركبه ، ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس .

وعن أبى صفيّة ، شيخ من بنى شيبان ، قال : لما أتى عمرُ الشأم أتِىَ ببرذون فركبه ، فلما سار جعل يتخلّج[4] به ، فنزل عنه ، وضرب وجهه ، وقال : لا علّم الله مَنْ علّمك! هذا من الخيَلاء ؛ ولم يركب برذونا قبله ولا بعده . وفتحت إيلياء وأرضها كلّها على يديه ، ما خلا أجناديْن فإنها فتِحت على يدى عمرو ، وقيساريّة على يدىْ معاوية . ١/٢٤٠٨

وعن أبى عثمان وأبى حارثة ، قالا : افتتِحت إيلياء وأرضها على يدى عمر فى ربيع الآخر سنة ستّ عشرة .

وعن أبى مريم مولى سلامة ، قال : شهدتُ فتح إيلياء مع عمر رحمه الله ، فسار من الجابية فاصلاً حتى يقدم إيلياء ، ثم مضى حتى يدخل المسجد ، ثم مضى نحو محراب داود ؛ ونحن معه ،

---

(١) النويرى : « محتضناً » .

(٢) وجى الفرس وتوجى : إذا وجد وجعاً فى حافره .

(٣) يوقحه ، أى تركه أياماً حتى صلب حافره .

(٤) ابن الأثير : « يتجلجل » ، والنويرى : « يتخلخل » .

فدخله ثم قرأ سجدة داود ، فسجد وسجدنا معه .

وعن رجاء بن حيْوَة ، عمّن شهد ؛ قال : لما شخص عمر من الجابية إلى إيلياء ، فدنا من باب المسجد ، قال : ارقبوا لى كعبًا ، فلمّا انفرق به الباب ، قال : لبَّيْك ، اللهم لبّيك ، بما هو أحبُّ إليك ! ثم قصد المحراب ؛ محراب داود عليه السلام ، وذلك ليلاً ، فصلى فيه ، ولم يلبث أن طلع الفجر ، فأمر المؤذّن بالإقامة ، فتقدّم فصلّى بالناس ، وقرأ بهم « ص » ، وسجد فيها ، ثم قام ، وقرأ بهم فى الثانية صدْرَ «بنى إسرائيل»[١] ، ثم ركع ثم انصرف ، فقال : علىّ بكعب ، فأتِىَ به ، فقال : أين ترى أن نجعل المصلّى ؟ فقال : إلى الصخرة ، فقال : ضاهيتَ والله اليهوديّة يا كعب ، وقد رأيتك وخلعَك نعليك ، فقال : أحببتُ أن أباشره بقدمىّ ، فقال : قد رأيتُك ، بل نجعل قبلته صدره ، كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مساجدنا صدورَها ؛ اذهب إليك ، فإنا لم نؤمر بالصّخرة ، ولكنّا أمِرنا بالكعبة ، فجعل قبلته صدرَه ، ثم قام من مُصلاّه إلى كُناسة قد كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس فى زمان بنى إسرائيل ؛ فلمّا صار إليهم أبرزوا بعضها ، وتركوا سائرها ، وقال : يأيّها الناس ، اصنعوا كما أصنع ، وجثا فى أصلها ، وجثا فى فَرْج من فروج قبائه ، وسمع التكبير من خلفْه ، وكان يكره سُوء الرِّعةَ فى كلّ شىء ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : كبّر كعب وكبّر الناس بتكبيره فقال : علىّ به فأتِىَ به ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبىّ منذ خمسمائة سنة ، فقال : وكيف ؟ فقال : إنّ الرّوم أغاروا على بنى إسرائيل فأدِيلوا عليهم ، فدفنوه ، ثم أدِيلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبَغوْا على بنى إسرائيل ، ثم أديلت الرّوم عليهم إلى أن وَلِيتَ ، فبعث الله نبيًا على الكُناسة ، فقال : أبشرِى أورى شَلَم ! عليكِ الفاروق ينقّيك مما فيك . وبعث إلى القُسطنطينيّة نبىّ ؛ فقام على تلّها ، فقال : يا قُسطنطينيّة ، ما فعل أهلك ببيتى ! أخربوه وشبّهوك كعرشى ؛ وتأوّلوا علىّ ، فقد قضيت عليك أن أجعلك جلَحاء[٢] يوما ما ، لا يأوى إليك أحد ، ولا يستظلّ فيك

١/٢٤٠٩

(١) أى سورة الإسراء .

(٢) يقال : بلد جلحاء ، أى لا شجر فيها .

على أيدى بنى القاذر سبَأ وودّان ؛ فما أمسوْا حتى ما بقِى منه شىء .

وعن ربيعة الشامىّ بمثله ؛ وزاد : أتاك الفاروق فى جندى المُطيع ، ويُدركون لأهلك بثأرك فى الرّوم . وقال فى قسطنطينيّة : أدعُك جلْحاء بارزة للشمس ، لا يأوى إليك أحد ، ولا تظلّينه .

٢٤١٠/١ وعن أنس بن مالك ، قال : شهدت إيلياء مع عمر ، فبينا هو يطعِم النّاس يومًا بها أتاه راهبها وهو لا يشعرُ أنّ الخمر محرّمة ، فقال : هل لك فى شراب نجده فى كتبنا حلالا إذا حرّمت الخمر ! فدعاه به فقال : من أىّ شىء هذا ؟ فأخبره أنه طبخه عصيراً ، حتّى صار إلى ثلثه ، فغرف بإصبعه ، ثم حرّكه فى الإناء فشطره ، فقال : هذا طِلاء ؛ فشبّهه بالقَطِران ، وشرب منه ، وأمر أمراء الأجناد بالشأم به ؛ وكتب فى الأمصار : إنى أتِيت بشراب مما قد طُبِخ من العصير حتى ذهب ثُلثاه وبقى ثُلثه كالطِّلاء ، فاطبخوه وارزقوه المسلمين .

وعن أبى عثمان وأبى حارثة ، قالا : ولحق أرْطبون بمصر مقدَمَ عمر الجابية ، ولحق به مَن أحبّ ممّن أبى الصلح ، ثم لِحق عند صُلح أهل مصر ، وغلبهم بالرّوم فى البحر ، وبقىَ بعد ذلك ؛ فكان يكون على صوائف الرّوم ، والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين فيختلف هو ورجل من قيس يقال له ضُريْس ؛ فقطع يد القيمىّ ، وقتله القيسى[1] ، فقال :

فإن يَكُنْ أرْطَبونُ الرُّومِ أفسدَها ... فإنّ فيها بحَمْدِ اللهِ مُنْتَفَعا

بَنانتَانِ وجُرْموزٌ أقِيمُ به ... صَدْرَ القَناةِ إذا ما آنَسوا فَزَعا

وإنْ يَكُنْ أَرْطَبُونُ الرُّومِ قَطَّعَها ... فقَدْ تَرَكْتُ بها أوصالَه قِطَعا

وقال زياد بن حنظلة :

تذَكَّرتُ حربَ الرُّومِ لمّا تطاوَلَتْ ... وإذ نَحْنُ فى عامٍ كثيرٍ نزائلُهْ

٢٤١١/١ وإذ نَحْنُ فى أرضِ الحجازِ وبيْنَنا ... مَسيرَةُ شَهْرٍ بَيْنَهُنَّ بَلابلُهْ

وإذْ أرْطَبُونُ الرُّومِ يَحْمِى بِلادَهُ ... يُحاوِلُهُ قَرْمٌ هُناكَ يُساجِلُهْ

---

(١) النويرى : « القرشى » .

فلمَّا رأى الفاروق أزْمانَ فَتْحِها سَما بِجُنودِ الله كَيْما يُصاوِلَهْ
فلمَّا أَحَسّوه وخافوا صِوالَهُ أَتَوْهُ وقالوا أَنْتَ مِمَّنْ نُواصِلَهْ
وأَلْقَتْ إليْهِ الشأم أفْلاذَ بَطْنِها وعَيْشاً خَصيباً ما تُعَدُّ مآكِلَهْ
أباحَ لَنا ما بيْنَ شَرْقٍ ومَغْرِبٍ مَواريثَ أَعْقابٍ بَنَتْها قَرامِلَهْ
وكَمْ مُثْقَلٍ لَمْ يَضْطلعْ باحْتِمالِهِ تَحَمَّلَ عِبْئاً حينَ شالَتْ شَوائلَهْ

وقال أيضًا :

سَما عُمَرٌ لمـــا أتتْهُ رَسائلٌ كأَصْيَدَ يَحْمِي صرْمَةَ الحَيِّ أغيَدَا
وقد عَضَّلَتْ بالشَّأْمِ أَرْضٌ بأَهلِها تريدُ من الأقوامِ مَن كان أَنْجدَا
فلمَّا أتاهُ ما أتاهُ أجابَهُمْ بِجَيْشٍ تَرَى مِنهُ الشَّبائِكَ سُجَّدَا
وأَقبلَتِ الشأمُ العَريضَةُ بِالذى أراد أَبو حفْص وأزكى وأزْيَدَا
فقَسَّطَ فيما بَيْنَهُمْ كلَّ جِزْيَةٍ وكلَّ رِفادٍ كان أَهْنَا وأَحْمَدا

* * *

ذكر فرض العطاء وعمل الديوان

وفى هذه السنة فرض عمر للمسلمين الفروض ، ودَّون الدَّواوين ، وأعطى العطايا على السابقة ، وأعطى صفوان بن أميّة والحارث بن هشام وسُهيل بن عمرو فى أهل الفتح أقلّ ما أخذ(١) مَن قبلهم ، فامتنعوا من أخذه وقالوا : لا نعترف أن يكون أحد أكرم منّا ، فقال : إنّى إنّما أعطيتكم على السابقة فى الإسلام لا على الأحساب ؛ قالوا : فنعم إذاً ، وأخذوا ، وخرج الحارث وسُهَيل بأهليهما نحو الشأم ؛ فلم يزالا مجاهدين حتى أصيبا فى بعض تلك الدّروب ؛ وقيل : ماتا فى طاعون عَمْواس(٢) . ٢٤١٢/١

(١) النويرى : « أعطى » .

(٢) عمواس ، رواه الزمخشرى بسكون الثانى ، ورواه غيره بفتحه : كورة بفلسطين ؛ كان منها ابتداء الطاعون فى زمن عمر ، ثم فشا فى الشام كله ؛ فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة وغيرهم ؛ وكان ذلك سنة ١٨ هـ . ياقوت .

ولما أراد عمر وضعَ الديوان ، قال له عليّ وعبد الرحمن بن عوف : ابدأ بنفسك، قال : لا ، بل أبدأ بعمّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الأقرب فالأقرب ؛ ففرض للعبّاس وبدأ به ، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، ثم فرض لمَن بعد بدر إلى الحُديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديْبِيَة إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردّة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ؛ فى ذلك مَن شهد الفتح وقاتل عن أبى بكر ، ومَن ولى الأيام قبل القادسيّة ؛ كلُّ هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف . ثم فرض لأهل القادسيّة وأهل الشأم ألفين ألفين ؛ وفرض لأهل البَلاء البارع [1] منهم ألفين وخمسمائة ، ألفين وخمسمائة، فقيل له : لو ألحقت أهلَ القادسيّة بأهل الأيّام ! فقال : لم أكن لألحقهم بدرجة مَن لم يدركوا ، وقيل له : قد سوّيت من بَعُدَتْ داره بمَن قربت داره وقاتلهم عن فنائه ، فقال : مَن قربت داره أحقّ بالزيادة ، لأنهم كانوا ردءاً للحُوق [2] وشجًى للعدوّ ، فهلاّ قال المهاجرون مثل قولكم حين سوّينا بين السابقين منهم والأنصار ! فقد كانت نُصرة الأنصار بفنائهم ؛ وهاجر إليهم المهاجرون من بعد ؛ وفرض لمن بعد القادسيّة واليرموك ألفاً ألفاً ، ثم فرض للروادف : المثنّى خمسمائة خمسمائة، ثم للروادف الثّليث [3] بعدهم ؛ ثلثمائة ثلثمائة ؛سوّى كلّ طبقة فى العطاء ، قويّهم وضعيفهم، عربَهم وعجَمهم، وفرض للرّوادف الرّبيع [4] على مائتين وخمسين ، وفرض لمن بعدهم وهم أهل هَجَر والعِباد على مائتين ، وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها : الحسن والحسين وأباذرّ وسلمان ؛ وكان فرض للعبّاس خمسة وعشرين ألفاً — وقيل . اثنى عشر ألفاً — وأعطى نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف ؛ إلاّ مَنْ جرى عليها الملك ؛ فقال نسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضّلنا عليهنّ فى القِسمة ؛ فسوِّ بيننا ؛ ففعل وفضّل عائشة بألفين لمحبّة رسول الله صلى الله عليه وسلم إيّاها فلم تأخذ ؛ وجعل نساء أهل بدر فى

١/٢٤١٣

(١) ابن الأثير : « النازع » .
(٢) ابن الأثير : « للمحترف » .
(٣) النويرى : « الثلث » ، وهما سواء .
(٤) الربيع هنا : الجزء من أربعة .

خمسمائة خمسمائة ، ونساءَ مَن بعدهم إلى الحديبيَة على أربعمائة أربعمائة ؛ ونساء من بعد ذلك إلى الأيّام ثلثمائة ثلثمائة ، ونساء أهل القادسيّة مائتين مائتين ، ثم سوّى بين النساء بعد ذلك ؛ وجعل الصبيان سواء على مائة مائة ، ثم جمع ستين مسكينًا ، وأطعمهم الخبز ، فأحصوْا ما أكلوا ، فوجدوه يخرج من جَريبتين ، ففرض لكلّ إنسان منهم ولعياله جريبتين فى الشهر. ١/٢٤١٤

وقال عمر قبل موته : لقد هممتُ أن أجعلَ العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف ، ألفًا يجعلها الرجل فى أهله ، وألفًا يزوّدها[١] معه ، وألفًا يتجهّز بها ، وألفًا يترفّق بها ؛ فمات قبل أن يفعل][٢] .

قال أبو جعفر الطبرىّ : كتب إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سيف ؛ عن محمد وطلحة والمهلّب وزياد والمجالد وعمرو ، عن الشعبىّ ؛ وإسماعيل عن الحسن ، وأبى ضمْرة عن عبد الله بن المُستورد عن محمد بن سيرين ، ويحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيّب ، والمستنير بن يزيد عن إبراهيم ، وزهرة عن أبى سلمة ، قالوا : فرض عمر العطاء حين فرض لأهل الفيء الذين أفاء الله عليهم ؛ وهم أهل المدائن ، فصاروا بعدُ إلى الكوفة ، انتقلوا عن المدائن إلى الكوفة والبَصْرة ودمشق وحِمْص والأردنّ وفِلسطين ومِصر ، وقال : الفيء لأهل هؤلاء الأمصار ولمن لحق بهم وأعانهم، وأقام معهم ولم يفرض لغيرهم ؛ ألا فبهم سُكنت المدائن والقرى ، وعليهم جرى الصُّلْح ؛ وإليهم أدّى الجِزاء ، وبهم سُدّت الفروج ودُوّخ العدوّ . ثم كتب فى إعطاء أهل العطاء أعطياتِهم إعطاءً واحداً سنة خمْسَ عشرة .

وقال قائل : يا أميرَ المؤمنين ، لو تركت[٣] فى بيوت الأموال عدّة لكون إن كان ! فقال : كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقانِى الله شرّها ؛ وهى فتنة لمن بعدى ؛ بل أعدّ لهم ما أمرنا الله ورسوله طاعة لله ورسوله ؛ فهما عدّتنا التى بها أفضينا إلى ما تروْن ، فإذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم . ١/٢٤١٥

---

(١) النويرى : « يتزودها » .

(٢) هذا آخر ما زيد من ابن الأثير وابن حبيش : مما لم يرد فى الأصول المخطوطة ، وانظر ص ٥٩٤ س ٥ من هذا الجزء

(٣) ابن الأثير : « شركت » .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد ؛ قالوا : لما فتح الله على المسلمين وقُتِل رستم ، وقدمت على عمر الفتوح من الشأم جمع المسلمين ، فقال : ما يحلّ للوالى من هذا المال ؟ فقالوا جميعًا : أمّا لخاصّته فقوتُه وقوت عياله ، لاوَكْسَ ولا شَطَطَ ، وكسوتهم وكسوته للشتاء والصيف ، ودابّتان إلى جهاده وحوائجه وحُمْلانه إلى حَجّته وعمرته ، والقَسْم بالسويّة ، أن يعطَى أهلُ البلاء على قدر بلائهم ، ويرمّ أمور الناس بعد ، ويتعاهدهم عند الشدائد والنوازل حتى تُكشف ، ويبدأ بأهل الفىء .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : جمع الناس عمر بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسيّة ودمشق ، فقال : إنى كنت امرأً تاجرًا ، يغنى الله عيالى بتجارتى وقد شغلتمونى بأمركم ، فماذا ترَوْن أنه يحلّ لى من هذا المال[1] ؟ فأكثر القوم وعلىّ عليه السلام ساكت ، فقال : ما تقول يا علىّ ؟ فقال : ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف ، ليس لك من هذا المال غيره ، فقال القوم : القول قولُ ابن أبى طالب . ١/٢٤١٦

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن أسلم ، قال : قام رجلٌ إلى عمر بن الخطاب فقال : ما يحلّ لك من هذا المال ؟ فقال : ما أصلحنى وأصلح عيالى بالمعروف ، و حُلّة الشتاء وحلّة الصيف ، وراحلة عمر للحجّ والعمرة ، ودابّة فى حوائجه وجهاده .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مُبَشّر بن الفضيل ، عن سالم بن عبد الله ، قال : لمّا وَلِىَ عمر قعد على رزق أبى بكر الذى كانوا فرضوا له ، فكان بذلك ؛ فاشتدّت حاجته ، فاجتمع نفر من المهاجرين[2] منهم عثمان ، وعلىّ وطلحة ، والزبير ، فقال الزّبير : لو قلنا لعمر فى زيادة نزيدها إيّاه فى رزقه ! فقال علىّ : وددنا قبل ذلك ؛ فانطلِقوا بنا ، فقال

(١) ابن الأثير والنويرى : « فى هذا المال » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « الصحابة » .

عثمان : إنه عمر ! فهلموّا فلنستبرئ ما عنده من وراء ؛ نأتى حفصة فنسألها ونستكتمها ، فدخلوا عليها وأمروها أن تخبر بالخبر عن نفر ، ولا تسمّى له أحداً ، إلا أن يقبل ، وخرجوامن عندها ، فلقيَت عمر فى ذلك ، فعرفت الغضب فى وجهه ، وقال : مَن هؤلاء ؟ قالت : لا سبيل إلى علمهم حتى أعلم رأيَك ، فقال : لوعلمت مَن هم لسؤت وجوههم ؛ أنت بينى وبينهم ! أنشدك بالله ؛ ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتكِ من الملبس ؟ قالت : ثوبين ممشَّقين [١] كان يلبسهما للوفد ، ويخطب فيهما للجُمَع ؛ قال : فأىّ الطعام ناله عندكِ أرفَع ؟ قالت : خبزنا خُبزة شعير ، فصببنا عليها وهى حارّة أسفل عُكّة [٢] لنا ، فجعلناها هشّة دسمة ؛ فأكل منها وتطعّم منها استطابة لها . قال : فأىّ مُبسَط كان يبسطه عندك كان أوطأ ؟ قالت : كساء لنا ثخين كنا نربّعه فى الصيف ، فنجعله تحتنا ، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفَه وتدثّرنا بنصفه ، قال : يا حفصة ؛ فأبلغيهم عنى أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قدّر فوضع الفُضول مواضعَها ؛ وتبلّغ بالتَّزجية [٣] ، وإنى قدّرت فوالله لأضعنّ الفضول مواضعها ، ولأتبلّغنّ بالتزجية ؛ وإنما مَثَلى ومثل صاحبَىّ كثلاثة سلكوا طريقًا ؛ فمضى الأوّل وقد تزوّد زاداً فبلغ ، ثم اتّبعه الآخر فسلك طريقه ، فأفضى إليه ، ثم اتّبعه الثالث ، فإن لزم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما وكان معهما ؛ وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما .

١/٢٤١٧

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن أصحابه . والضحّاك عن ابن عباس ، قال : لما افتُتحت القادسيّة وصالح مَن صالح من أهل السوّاد وافتتحت دمشق ، وصالح أهل دمشق ، قال عمر للناس : اجتمعوا فأحضرونى علمكم فيما أفاء الله على أهل القادسيّة وأهل الشأم . فاجتمع

---

(١) الثوب الممشق : المصبوغ بالمشق ، أى المغرة .

(٢) العكة : زقيق صغير للسمن .

(٣) التزجية : الاكتفاء ؛ يقال : تزجيت بكذا ، أى اكتفيت به ، وفى ط : « الترجية »

رأى عمر وعلىّ على أن يأخذوا من قبل القرآن ، فقالوا : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ — يعنى من الخمس — ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ؛ إلى الله وإلى الرسول ؛ من الله الأمر وعلى الرسول القسم ﴿ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ.. ﴾ الآية، ثم فسّروا ذلك بالآية التى تليها : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ.. ﴾[1] الآية ، فأخذوا الأربعة أخماس على ماقسم عليه الخمس فيمن بـُدِئَ به وثُنِّىَ وثُلِّث ، وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليه المغنم. ثم استشهدوا على ذلك أيضاً : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾[2] ، فقسّم الأخماس على ذلك ، واجتمع على ذلك عمر وعلىّ ، وعمل به المسلمون بعدَه ، فبدأ بالمهاجرين ، ثم بالأنصار ، ثم التابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم ، ثم فوض الأعطيَة من الجزاء على مَن صالح أو دُعى إلى الصلح من جزائه ، مردود عليهم بالمعروف ؛ وليس فى الجزاء أخماس ، والجزاء لمن منع الذّمة . ووفّى لهم ممّن ولى ذلك منهم ؛ ولمن لحق بهم فأعانهم ، إلا أن يؤاسوا بفضلةٍ من طيب أنفس منهم مَنْ لم ينل مثل الذى نالوا .

١/٢٤١٨

قال الطبرىّ : وفى هذه السنة — أعنى سنة خمس عشرة — كانت وقعات فى قول سيف بن عمر ، وفى قول ابن إسحاق : كان ذلك فى سنة ست عشرة ، وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبل ؛ وكذلك ذلك فى قول الواقدىّ .

* * *

نذكر الآن الأخبار التى وردت بما كان بين ما ذكرت من الحروب إلى انقضاء السنة التى ذكرتُ أنهم اختلفوا فيما كان فيها من ذلك :

١/٢٤١٩

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : عهد عمر إلى سعْد حين أمره بالسَّيْر إلى المدائن أن يخلّف النّساء والعيال بالعتيق ، ويجعل معهم كَثْفاً[3] من الجند ، ففعل

---

(١) سورة الحشر ٧ ، ٨ .
(٢) سورة الأنفال ٤١ .
(٣) الكثف : الجماعة .

وعهد إليه أن يُشركهم فى كلّ مغنم ما داموا يخلفون المسلمين فى عيالاتهم .
قالوا : وكان مُقام سعد بالقادسيّة بعد الفتح شهرين فى مكاتبة عمر فى العمل بما ينبغى ، فقدّم زُهرة نحو اللسان — واللسان لسان البرّ الذى أدلعَه فى الريف ، وعليه الكوفة اليوم ، والحيرة قبل اليوم — والنّخيرجان معسكر به ، فارفضّ ولم يثبت حين سمع بمسيرهم إليه ، فلحق بأصحابه . قالوا : فكان مما يلعب به الصبيان فى العسكر وتلقيه النساء عليهم ، وهم على شاطىء العتيق ، أمر كان النساء يلعبن به فى زَرود وذى قار ؛ وتلك الأمواه حين أمِرُوا بالسير فى جمادى إلى القادسيّة ، وكان كلامًا أبَدْنَ فيه كالأوابد من الشعر ؛ لأنه ليس بين جمادى ورجب شىء :

العَجَبْ كُلُّ العجَبْ بين جُمادَى ورَجَبْ

أمْرٌ قَضاه قد وَجَبْ يَخْبُرُه مَن قد شَجَبْ ١/٢٤٢٠

* تحت غبارٍ وَلَجَبْ *

* * *

خبر يوم بُرس

قال : ثمّ إنّ سعدا ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسيّة كلّه ، وبعد تقديم زُهرة بن الحَوِيّة فى المقدّمات إلى اللسان ، ثم أتبعه عبد الله بن المعتمّ ، ثم أتبع عبدَ الله شُرحبيل بن السِّمط ، ثم أتبعهم هاشم بن عتبة ، وقد ولاّه خلافتَه ، عملَ خالد بن عُرْفُطة ، وجعل خالداً على الساقة ، ثم أتبعهم وكلّ المسلمين فارس مُؤْد قد نقل الله إليهم ما كان فى عسكر فارس من سلاح وكُراع ومال ، لأيّام بقينَ من شوّال ، فسار زُهرة حتى ينزل الكوفة — والكوفة كلّ حَصباء حمراء وسهلة حمراء مختلطتين — ثم نزل عليه عبدُ الله وشرحبيل ، وارتحل زُهرة حين نزلاَ عليه نحو المدائن ، فلمّا انتهى إلى بُرْس لقيَه بها بُصْبُهرى فى جمع فناوشوه فهزمهم ، فهرب بُصْبُهرى ومن

معه إلى بابل وبها فالّة القادسيّة [١] وبقايا رؤسائهم : النَّخيرجان ومِهران الرازىّ والهُرْمزان وأشباههم ؛ فأقاموا واستعملوا عليهم الفيرُزان ، وقدم عليهم بُصْبُهرى وقد نجا بطعنة ، فمات منها .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضْر بن السّرىّ ، عن ابن الرّفيل ، عن أبيه ، قال : طعن زهرة بُصْبُهرى فى يوم بُرْس ، فوقع فى النهر فمات من طعنته بعد ما لحق ببابل ؛ ولما هُزم بُصْبُهرى أقبل بِسطام دِهقان بُرْس ، فاعتقد من زُهرة وعقد له الجسور ، وأتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل . ٢٤٢١/١

* * *

يوم بابل

قالوا : ولما أتى بِسْطام زهرةَ بالخبر عن الذين اجتمعوا ببابل من فُلاّل القادسيّة ، أقام وكتب إلى سعد بالخبر . ولمّا نزل سعد على مَن بالكوفة مع هاشم بن عتبة ، وأتاه الخبر عن زُهرة باجتماع الفُرْس ببابل على الفيرُزان ، قدّم عبدَ الله ، وأتبعه شرُحبيلَ وهاشماً ، ثم ارتحل بالناس ، فلمّا نزل عليهم بُرْس ، قدّم زهرة فأتبعه عبد الله وشُرَحبيل وهاشما ، واتّبعهم فنزلوا على الفيرُزان ببابل ، وقد قالوا : نقاتلهم دَسْتًا قبل أن نفترق ، فاقتتلوا ببابل ، فهزموهم فى أسرع من لَفْتِ الرّداء ، فانطلقوا على وجوههم ؛ ولم يكن لهم همّة إلا الافتراق ، فخرج الهرمزان متوجّهًا نحو الأهواز ، فأخذها فأكلها ومِهْرجَان قَذق ، وخرج الفيرُزان معه حتى طلع على نَهاوند ، وبها كنوز كسرى ؛ فأخذها وأكل الماهَيْن [٢] ، وصمد النَّخيرجان ومِهران الرازىّ للمدائن ، حتى عبرا بَهُرَسِير إلى جانب دِجْلة الآخر ، ثم قطعا الجِسْر ، وأقام سعد ببابل أيامًا ، وبلغه أن النَّخِيرجان قد

---

(١) فالة القادسية : المنهزمون منهم .

(٢) الماهان : الدينور ونهاوند ، إحداهما ماه البصرة والأخرى ماه الكوفة .

خلّف شهريار ؛ دِهقانا من دهاقين الباب بِكُوثَى فى جمع ، فقدّم زهرةَ ثم أتبعه الجنودَ ، فخرج زهرة حتى ينزل على شهريار بكُوثَى بعد قتل فيومان والفَرُّخان فما بين سُورَا والدَّيْر . ١/٢٤٢٢

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضْر بن السرىّ ، عن ابن الرّفيل، عن أبيه ، قال : كان سعد قدّم زُهرة من القادسيّة فمضى متشعبًا فى حربه وجنده ، ثم لم يلقَ جمعًا فهزمهم إلاّ قُدُم ، فأتبعهم لا يمرّون بأحد إلاّ قتلوه ممّن لحقوا به منهم أو أقام لهم ، حتى إذا قدّمه من بابل قدّم زُهرة بُكَيْر بن عبد الله الليثىّ وكَثير بن شهاب السعدىّ أخا الغَلاّق حين عَبَر الصَّراة ، فيلحقون بأخريات القوم وفيهم فيومان والفَرّخان ؛ هذا ميْسانىّ وهذا أهوازىّ ، فقتل بكير الفرُّخان ، وقتل كثير فيومان بسُّورا . ثمّ مضى زُهرة حتى جاوز سُورا ، ثم نزل، وأقبل هاشم حتى نزل عليه ، وجاء سعد حتى ينزل عليهم ، ثم قدّم زُهرة ، فسار تِلقاء القوم ، وقد أقاموا له فيما بين الدّير وكُوثَى ، وقد استخلف النّخيرجان ومِهران على جنودهما شهريار، دِهْقان الباب . ومَضَيا إلى المدائن ، وأقام شهريار هنالك ، فلما التقوْا بأكناف كُوثى ؛ جيش شهريار وأوائل الخيل ، خرج فنادى : ألا رجل ، ألا فارس منكم شديد عظيم يخرج إلىّ حتى أنكّل به ! فقال زُهرة : لقد أردت أن أبارزَك ؛ فأمّا إذ سمعت قولك ، فإنىّ لا أخرج إليك إلاّ عبداً ؛ فإن أقمتَ له قتلك إن شاء الله ببغيك ؛ وإن فررتَ منه فإنما فررت من عبد ، وكايده ؛ ثمّ أمر أبا نباتة نائل بن جُعشم الأعرجىّ — وكان من شجعان بني تميم — فخرج إليه ، ومع كلّ واحد منهما الرمح ، وكلاهما وثيق الخَلْق ؛ إلاّ أنّ الشهريار مثل الجمل ، فلمّا رأى نائلا ألقى الرمح ليعتنقه ، وألقى نائلٌ رمحه ليعتنقه ، وانتضيا سيفيهما فاجتلدا ، ثم اعتنقا فخرّا عن دابّتيهما ، فوقع على نائل كأنه بيت ، فضغطه بفخذه ، وأخذ الخنجر وأراغ حلّ أزرار درعه ، فوقعت إبهامه فى فم نائل ، فحطم عظمهما، ورأى منه فُتوراً ، فثاوره فجلد به الأرض ، ثم قعد على صدره ، وأخذ خِنجره ، فكشف درعه عن بطنه ، فطعنه فى بطنه وجنبه حتى مات ، ١/٢٤٢٣

فأخذ فرسه وسواريه وسلَبه ، وانكشف أصحابُه ، فذهبوا فى البلاد ، وأقام زهرة بكوثَى حتّى قدم عليه سعد ، فأتى به سعداً ، فقال سعد : عزمت عليك يا نائل بن جعشم لما لبست سواريه وقَباءه ودِرْعه، ولتركبنّ بِرذونه! وغنّمه ذلك كلّه . فانطلق ، فتدرّع سلبه ، ثم أتاه فى سلاحه على دابّته ، فقال : اخلع سواريك إلاّ أن ترى حربًا فتلبسهما ؛ فكان أوّل رجل من المسلمين سُوِّر بالعراق .

١/٢٤٢٤

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو وسعيد ، قالوا : فأقام سعد بكُوثَى أيامًا ، وأتى المكان الذى جلس فيه إبراهيم عليه السلام بكُوثَى ، فنزل جانب القوم الذين كانوا يبشّرون إبراهيم ، وأتى البيت الذى كان فيه إبراهيم عليه السلام محبوسًا ، فنظر إليه وصلّى على رسول الله وعلى إبراهم ، وعلى أنبياء الله صلوات الله عليهم ، وقرأ : ﴿ وتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُها بَيْنَ النَّاسِ ﴾[1] .

حديث بَهُرَسير

فى ذى الحجّة سنة خمس عشرة فى قول سيف

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو وسعيد والنّضر، عن ابن الرُّفيل، قالوا: ثم إنّ سعداً قدم زهرة إلى بَهُرَسير ، فمضى زُهرة من كُوثَى فى المقدّمات حتى ينزل بَهُرَسير ، وقد تلقّاه شيرزاذ بساباط بالصّلح وتأدية الجِزاء ، فأمضاه إلى سعد ، فأقبل معه وتبعتْه المجنّبات ، وخرج هاشم ، وخرج سعد فى أثره ، وقد فلّ زهرة كتيبة كِسرى بُوران حول المظلم ، وانتهى هاشم إلى مظلم ساباط ، ووقف لسعد حتى لِحق به ، فوافق ذلك رجوع المُقرَّطُ . أسد كان لكسرى قد ألِفه وتخيرّه من أسود المظلِم ؛ وكانت به كتائب كسرى التى تُدعى بُوران ، وكانوا يحلفون بالله كلّ يوم : لا يزول مُلك فارس ما عشنا ــ، فبادر

١/٢٤٢٥

(١) سورة آل عمران ١٤٠ .

المقرّط الناس حين انتهى إليهم سعد ، فنزل إليه هاشم فقتله ، وسُمّى سيفه المتْن ، فقبّل سعد رأس هاشم ، وقبّل هاشم قَدَم سعد ، فقدّمه سعد إلى بَهُرَسير ، فنزل إلى المظلم وقرأ : ﴿ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ[1] ﴾ ، فلمّا ذهب من الليل هدأة ارتحل ، فنزل على النّاس ببهُرَسير ، وجعل المسلمون كلّما قدمت خيل على بُهَرَسير وقفوا ثم كبّروا ، فكذلك حتّى نجز آخر مَنْ مع سعد ، فكان مقامه بالناس على بَهُرَسير شهريْن ، وعبروا فى الثالث .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان عامله فيها على مكة عتّاب بن أسيد ، وعلى الطائف يعلَى بن مُنْية ، وعلى اليمامة والبحرين عُثْمان ابن أبى العاص ، وعلى عُمان حُذيفة بن محصن ، وعلى كُور الشأم أبوعبيدة ابن الجراح ، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبى وقاص ، وعلى قضائها أبو قرّة[2] ؛ وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبة . ٢٤٢٦/١

تم الجزء الثالث من تاريخ الطبرى

ويليه الجزء الرابع وأوله : ذكر حوادث سنة ست عشرة

(١) سورة إبراهيم ٤٤ .
(٢) ط : « أبوفروة » .

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة ستّ عشرة

قال أبو جعفر : ففيها دخل المسلمون مدينة بَهُرَسير ، وافتتحوا المدائن ، وهرب منها يَزْدَجِرْد بن شهريار .

* * *

ذكر بقيّة خبر دخول المسلمين مدينة بَهُرَسير

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ، قالوا : لما نزل سعد على بَهُرَسير بثّ الخيول ، فأغارت على ما بَيْن دِجْلة إلى مَن له عهد من أهل الفرات ، فأصابوا مائة ألف فلاّح ، فحسِبوا ، فأصاب كلٌّ منهم فلاحًا ؛ وذلك أنّ كلهم فارس ببهرسير . فخندق لهم ، فقال له شيرزاذ دِهْقان ساباط : إنك لا تصنع بهؤلاء شيئًا ؛ إنما هؤلاء علوج لأهل فارس لم يجرّوا إليك ، فدعْهم إلىّ حتى يفرُق لكم الرأى[1] . فكتب عليه بأسمائهم ، ودفعهم إليه ، فقال شيرزاذ : انصرفوا إلى قراكم .

وكتب سعد إلى عمر : إنّا وردنا بَهُرَسِير بعد الذى لقينا فيما بين القادسيّة وبَهُرَسير، فلم يأتنا أحد لقتال ؛ فبثثتُ الخيول ، فجمعتُ الفلاحين من القرى والآجام ؛ فرَ رأيَك . ٢٤٢٧/١

فأجابه : إنّ مَن أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين لم يُعينوا عليكم فهو أمانُهم ، ومَن هرب فأدركتموه فشأنُكم به .

فلما جاء الكتاب خلّى عنهم . وراسله الدّهاقين ، فدعاهم إلى الإسلام والرجوع ، أو الجزاء ولهم الذمّة والمَنَعة ، فتراجعوا على الجزاء والمنعة ولم يدخل فى ذلك ما كان لآل كسرى ، ومَن دخل معهم ؛ فلم يبقَ فى غربىّ دِجْلة إلى أرض العرب سوادىّ إلاّ أمِن واغتبط بمُلك الإسلام . واستقبلوا الخراج ؛ وأقاموا على بَهُرَسير شهرين يرمونها بالمجانيق ويدبّون إليهم

(١) يفرق لكم الرأى : يبدو ويظهر .

بالدّبابات[1] ، ويقاتلونهم بكلّ عُدّة .

كتب إلىّ السّرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن المقدام بن شُرَيح الحارثىّ ، عن أبيه ، قال : نزل المسلمون على بَهُرَسير ، وعليها خنادقها وحرَسها وعُدّة الحرب ، فرموْهم بالمجانيق والعرّادات[2] ، فاستصنع سعد شيرزاذ المجانيق ، فنصب على أهل بَهُرسير عشرين منجنيقًا ، فشغلوهم بها .

١/٢٤٢٨ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضْر بن السرىّ ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال : فلما نزل سعد على بَهُرسير ، كانت العرب مطيفةً بها ، والعجم متحصّنة فيها ، وربما خرج الأعاجم يمشون على المُسَنَّيات[3] المشرفة على دِجْلة فى جماعتهم وعُدّتهم لقتال المسلمين ؛ فلا يقومون لهم ، فكان آخر ما خرجوا فى رجّالة وناشبة ، وتجرّدوا للحرب ، وتبايعوا على الصَّبْر ، فقاتلهم المسلمون فلم يثبتوا لهم ، فكذّبوا وتولوا ؛ وكانتْ على زُهرة بن الحَوِيّة درع مفصومة ، فقيل له : لو أمرتَ بهذا الفَصْم فسرِد ! فقال : ولِمَ ؟ قالوا : نخاف عليك منه ، قال : إنّى لكريم على الله ، أن ترك سهم فارسَ الجندَ كلّه ثم أتانى من هذا الفصم ، حتى يثبت فىّ ! فكان أوّل رجل من المسلمين أصيب يومئذ بنُشّابة ، فثبتت فيه من ذلك الفَصْم ؛ فقال بعضهم : انزعوها عنه ، فقال : دعونى ، فإنّ نفسى معى ما دامت فىّ ، لعلّى أن أصيب منهم بطعنة أو ضربة أو خطوة ، فمضى نحو العدوّ ، فضرَب بسيفه شَهْرَبَراز من أهل إصطَخْر ، فقتله،وأحيط به فقتل وانكشفوا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ١/٢٤٢٩ ابن ثابت ، عن عَمْرة ابنة عبد الرحمن بن أسعد ، عن عائشة أمّ المؤمنين ، قالت : لما فتح الله عزّ وجلّ وقتل رُستم وأصحابه بالقادسيّة وفُضّت جموعهم ،

(١) فى اللسان : « الدبابة : آلة تتخذ من جلود وخشب ، يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه وتقيهم ما يرمون به من فوقهم » .
(٢) المنجنيق : المقذاف الذى ترمى به الحجارة ؛ والعرادة آلة شبهه ، صغيرة .
(٣) المسناة : ضفيرة تقام على النهر لترد الماء .

اتّبعهم المسلمون حتى نزلوا المدائن ، وقد ارفضّت جموعُ فارس ، ولحقوا بجبالهم ، وتفرّقت جماعتهم وفرسانهم ، إلاّ أنّ الملك مقيم فى مدينتهم ، معه مَن بقىَ من أهل فارس على أمره .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سماك بن فلان الهُجيمىّ ، عن أبيه ومحمد بن عبد الله ، عن أنس بن الحُلَيس ، قال : بينا نحنُ محاصرو بَهُرسِير بعد زحفِهم وهزيمتهم ، أشرفَ علينا رسول فقال : إنّ الملك يقول لكم : هل لكم إلى المصالحة على أنّ لنا ما يلينا من دِجْلة وجبلنا ، ولكم ما يليكم من دِجلة إلى جبلكم ؟ أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم ! فبدَر الناسَ أبو مفزّر الأسود بن قُطْبة ، وقد أنطقه الله بما لا يدرى ما هو ولا نحن ؛ فرجع الرّجل ورأيناهم يقطعون إلى المدائن ، فقلنا : يا أبا مفزّر ، ما قلتَ له ؟ فقال : لا والذى بعث محمداً بالحقّ ما أدرى ما هو ؛ إلاّ أنّ علىّ سكينة ، وأنا أرجو أن أكون قد أنطقت بالذى هو خير ؛ ١/٢٤٣٠ وانتاب الناس يسألونه حتى سمع بذلك سعد ؛ فجاءنا فقال : يا أبا مفزّر ، ما قلت ؟ فوالله إنهم لهُرّاب ؛ فحدّثه بمثل حديثه إيّانا ، فنادى فى الناس ، ثم نَهد بهم ؛ وإنّ مجانيقنا لتخطر عليهم ؛ فما ظهر على المدينة أحدٌ ، ولا خرج إلينا إلاّ رجل نادى بالأمان فآمنّاه ، فقال : إن بقِىَ فيها أحد فما يمنعكم ! فتسوّرها الرّجال ، وافتتحناها ، فما وجدنا فيها شيئاً ولا أحداً ؛ إلاّ أسارى أسرناهم خارجًا منها ، فسألناهم وذلك الرجلَ : لأىّ شىء هربوا ؟ فقالوا : بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح ، فأجبتموه بأنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً حتى نأكل عسل أفريذين بأترجّ كُوثَى ؛ فقال الملك : واويله ! ألاَ إنّ الملائكة تكلَّم على ألسنتهم ، تردّ علينا وتُجيبنا عن العرب ، ١/٢٤٣١ والله لئن لم يكن كذلك ؛ ما هذا إلاّ شىء أُلقِىَ على فِى هذا الرجل لننتهىَ ؛ فأرَزُوا إلى المدينة القُصوى .

كتب إلىّ السرىّ عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ، عن مسلم بمثل حديث سماك .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : لما دخل سعد والمسلمون بَهُرَسِير أنزل سعد الناس فيها ، وتحوّل العسكر إليها ، وحاول العُبور فوجدوهم قد ضمّوا السفنَ فيما بين البَطائح وتَكْريت . ولما دخل المسلمون بَهُرَسير — وذلك فى جوف الليل — لاح لهم الأبيض ، فقال ضرار بن الخطاب : الله أكبر ! أبيض كسرى[1] ؛ هذا ما وعد الله ورسوله ، وتابعوا التكبير حتى أصبحوا . فقال محمد وطلحة : وذلك ليلة نزلوا على بَهُرَسير .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعمش ، عن حبيب بن صُهْبان أبى مالك ، قال : دفعنا إلى المدائن — يعنى بَهُرَسير — وهى المدينة الدّنيا ، فحصرنا ملكهم وأصحابه ، حتى أكلوا الكلاب والسنانير . قال : ثمّ لم يدخلوا حتى ناداهم منادٍ : والله ما فيها أحدٌ ؛ فدخلوها وما فيها أحد .

* * *

حديث المدائن القصوى التى كان فيها منزل كسرى

قال سيف : وذلك فى صفر سنة ستّ عشرة ، قالوا : ولما نزل سعد بَهُرَسير ، وهى المدينة الدنيا ؛ طلب السفن ليعبرَ بالناس إلى المدينة القُصْوى ، فلم يقدر ١/٢٤٣٢

(١) قال ياقوت: الأبيض : قصر الأكاسرة بالمدائن ؛ كان من عجائب الدنيا ؛ لم يزل قائماً إلى أيام المكتفى فى حدود سنة ٢٩٠ ؛ وإياه أراد البحترى بقوله :

ولقد رابنى نبوّ ابن عمِّى بعد لينٍ من جانبيْه وأُنْسِ
وإذا ما جُفيتُ كنت حَريًّا أن أرى غيرَ مُصْبحٍ حيثُ أُمْسِى
حضرتْ رَحْلِىَ الهموم فوجّهْـتُ إلى أبيض المدائنِ عَنْسِى
أتسَلّى عن الحظوظ وآسَى لمحلٍّ من آل سَاسَان دَرْسِ
ذكّرتْنيهمُ الخطوبُ التّوالِى ولَقَدْ تُذْكِرُ الخطوبُ وتُنْسِى
وهمُ خافضون فى ظلّ عالٍ مُشْرِفٍ يُحْسِرُ العيون ويُخْسِى

على شىء ، ووجدهم قد ضمّوا السفن ، فأقاموا ببهُرسير أياماً من صَفَر يريدونه على العبور فيمنعه الإبقاء على المسلمين ، حتى أتاه أعلاج فدلّوه على مخاضة تخاض إلى صُلْب الوادى ، فأبى وتردّد عن ذلك ، وفجئهم المدّ ، فرأى رؤيا ؛ أنّ خيول المسلمين اقتحمتها فعبرت وقد أقبلت من المدّ بأمر عظيم ؛ فعزم لتأويل رؤياه على العُبور ؛ وفى سنة جَوْدٍ صيفيها متتابع . فجمع سعد الناس ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال : إنّ عدوّكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون إليه معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا ، فيناوشونكم فى سفنهم ، وليس وراءكم شىء تخافون أن تُؤتَوْا منه ؛ فقد كفاكموهم أهلُ الأيام ، وعطّلوا ثغورَهم ، وأفنَوْا ذادتَهم ، وقد رأيت من الرأى أن تبادروا جهاد العدوّ بنيّاتكم قبل أن تحصركم الدّنيا . ألا إنّى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم . فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرُّشد ، فافعل .

فندب سعد الناس إلى العبور ، ويقول : مَن يبدأ ويحمى لنا الفِراض حتى ٢٤٣٣/١ تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج ؟ فانتدب له عاصم بن عمرو ذو البأس ، وانتدب بعده ستّمائة من أهل النَّجَدات ، فاستعمل عليهم عاصماً ، فسار فيهم حتّى وقف على شاطئ دِجْلة ، وقال : مَن ينتدب معى لنمنع الفِراض من عدوّكم ولنحمِيَكم حتّى تعبروا ؟ فانتدب له ستون ؛ منهم أصمّ بنى ولاّد وشُرَحبيل ، فى أمثالهم ، فجعلهم نصفين على خيول إناث وذُكورة ، ليكون أساساً لعَوْم الخيل . ثم اقتحموا دجلة ، واقتحم بقيّة الستمائة على أثرهم ، فكان أوّل مَن فصَل من الستين أصمّ التَّيْم ، والكلَج ، وأبو مفزّر ، وشُرَحبيل ، وحَجْل العِجْلىّ ، ومالك بن كعب الهمْدانىّ ، وغلام من بنى الحارث بن كعب ؛ فلما رآهم الأعاجم وما صنعوا أعدّوا للخيل التى تقدمت سعداً مثلَها ، فاقتحموا عليهم دِجْلة ، فأعاموها إليهم ، فلقوا عاصماً فى السَّرَعان ، وقد دنا من الفِراض ، فقال عاصم : الرّماحَ الرماحَ ! أشرعوها وتوخَّوا العيون ؛ فالتقوا فاطّعنوا ، وتوخّى المسلمون عيونَهم ، فولّوا نحو الجُدّ ، والمسلمون يشمّصون[1] بهم خيلَهم ، ما يملك رجالها منعَ ٢٤٣٤/١

---

(١) شمص الفرس : نخسه ليتحرك ، وفى ابن حبيش : « يشمسون » ، وهما سواء .

ذلك منها شيئاً . فلحقوا بهم فى الجُدّ ، فقتلوا عامّتهم ، ونجا مَنْ نجا منهم عُوراناً (١) ، وتزلزلت بهم خيولهم ، حتى انتقضت عن الفِراض ، وتلاحق الستمائة بأوائلهم الستين غيرَ متعتَعِين . ولما رأى سعد عاصماً على الفِراض قد منعها ، أذن للناس فى الاقتحام ، وقال : قولوا نستعين بالله ، ونتوكّل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، لاحول ولا قوّة إلا بالله العلى العظيم ! وتلاحق عُظْم الجند ، فركبوا اللجّة ، وإنّ دِجْلة لترمى بالزَّبد ، وإنها لمُسْوَدّة ، وإنّ الناس ليتحدّثون فى عومهم وقد اقتربوا ما يكترثون ، كما يتحدّثون فى مسيرهم على الأرض ، ففجئوا أهلَ فارس بأمر لم يكن فى حسابهم ، فأجهضوهم وأعجلوهم عن جُمهور أموالهم ، ودخلها المسلمون فى صفر سنة ستّ عشرة ، واستولوْا على ذلك كلّه مما بقى فى بيوت كسرى من الثلاثة آلاف ألف ألف ، ومما جمع شيرى ومن بعده . وفى ذلك يقول أبو بُجَيد نافع بن الأسود :

وأسَلْنا على المدائن خيلا بَحْرها مِثل بَرِّهِنَّ أريضا (٢)

فانتثَلْنا خزائنَ المرءِ كِسْرَى يومَ وَلَّوا وحاصَ منَّا جَريضا (٣)

١/٢٤٣٥ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله ابن أبى طَيْبة ، عن أبيه ، قال : لما أقام سعد على دِجْلة أتاه عِلْج ، فقال : ما يقيمك ! لا يأتى عليك ثالثة (٤) حتى يذهب يَزْدَجِرد بكلّ شىء فى المدائن ؛ فذلك مما هيّجه على القيام بالدّعاء إلى العبور .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن رجل ، عن أبى عثمان النّهدىّ فى قيام سعد فى الناس فى دعائهم إلى العُبور بمثله ، وقال : طبّقنا دجلة خَيْلا ورَجْلاً ودوابّ حتى ما يرى الماء من الشاطئ أحد ، فخرجتْ

---

(١) عوراناً ، أى صاغرين أذلاء .

(٢) أريضاً : معجب للعين .

(٣) انتثلنا ، أى استخرجنا ما فيها . حاص ، أى ولى وانهزم ؛ وجريضاً ، أى مشرفاً على الهلاك . وفى ابن الأثير : « وخاص » .

(٤) ابن الأثير : « ثلاثة » .

بنا خيلنا إليهم تنفض أعرافها ، لها صهيل . فلما رأى القوم ذلك انطلقوا لا يلْوُون على شيء ، فانتهينا إلى القصر الأبيض ، وفيه قوم قد تحصّنوا ، فأشرف بعضهم فكلّمنا ، فدعوناهم وعرضنا عليهم ، فقلنا : ثلاث تختارون منهنّ أيّتهنّ شئتم ، قالوا : ما هنّ ؟ قلنا : الإسلام فإن أسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم فمناجزتكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم . فأجابنا مجيبُهُم : لا حاجة لنا فى الأولَى ولا فى الآخرة [١]، ولكن الوُسطى .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب، عن سيف ، عن عطيّة بمثله . قال : والسفير سلمان .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر بن السرىّ ، عن ابن الرُّفيل ، قال : لما هزموهم فى الماء وأخرجوهم إلى الفِراض ، ثم كشفوهم عن الفِراض أجْلوْهم عن الأموال ، إلاّ ما كانوا تقدّموا فيه — وكان ١/٢٤٣٦ فى بيوت أموال كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف [٢] — فبعثوا مع رستم بنصف ذلك ، وأقرّوا نصفه فى بيوت الأموال .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن بدْر بن عثمان ، عن أبى بكر بن حفص بن عمر ، قال : قال سعد يومئذ وهو واقف قبل أن يُقحم الجمهورَ ، وهو ينظر إلى حُماة الناس وهم يقاتلون على الفِراض : والله أنْ لو كانت الخرساء — يعنى الكتيبة التى كان فيها القعقاع بن عمرو وحَمّال بن مالك والرُّبيل بن عمرو ، فقاتلوا قتال هؤلاء القوم هذه الخيل — لكانت قد أجزأت وأغنت ؛ وكتيبة عاصم هى كتيبة الأهوال ؛ فشبّه كتيبة الأهوال — لِما رأى منهم فى الماء والفراض — بكتيبة الخرساء . قال : ثمّ إنهم تنادوْا بعد هَنات قد اعتوروها عليهم ولهم . فخرجوا حتّى لحقوا بهم ، فلما استووْا على الفِراض هم وجميع كتيبة الأهوال بأسرهم ، أقحم سعد الناس — وكان الذى يساير سعداً فى الماء سلْمان الفارسىّ — فعامت بهم الخيل ، وسعد

(١) س : « الأخيرة » . (٢) بعدها فى ط : « ثلاث مرات » ، مقحمة ، وانظر ص ١٠ س ١٠ من هذا الجزء .

يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ! والله لينصرنّ الله وليّه ، وليظهرنّ الله دينَه ، وليهزمنّ الله عدوّه ؛ إن لم يكن فى الجيش بَغْى أو ذنوب تغلب الحسنات .

١/٢٤٣٧ فقال له سلمان : الإسلام جديد، ذُلِّلت لهم والله البحور(١) كما ذُلّل لهم البرّ ، أما والذى نفس سلمان بيده ليخرُجُنّ منه أفواجاً كما دخلوه أفواجاً . فطبّقوا الماءحتى ما يُرى الماء من الشاطئ ، ولهم فيه أكثر حديثاً منهم فى البرّ لو كانوا فيه ، فخرجوا منه –كما قال سلمان– لم يفقدوا شيئاً، ولم يغرق منهم أحد .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عمر دِثار ، عن أبى عثمان النهدىّ ، أنهم سلموا من عند آخرهم إلاّ رجلاً من بارق يُدعى غَرْقدة ، زال عن ظهر فرس له شقراء ، كأنى أنظر إليها تنفض أعرافها عُرياً والغريقُ طاف ، فثنى القعقاع بن عمرو عِنانَ فرسه إليه ، فأخذ بيده فجرّه حتى عبر ، فقال البارقىّ – وكان من أشدّ الناس : أَعْجِزَ(٢) الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع ! وكان للقعقاع فيهم خُؤولة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : فما ذهب لهم فى الماء يومئذ إلاّ قَدَح كانت عِلاقته رثّة ، فانقطعت ، فذهب به الماء ، فقال الرجل الذى كان يعاوِم صاحب القدح معيّراً له : أصابه القَدَر فطاح ، فقال : والله إنى لَعلَى جَدِيلةٍ ما كان الله ليسلبنى قدَحِى من بين أهل العسكر . فلما عبروا إذا رجل ممن

١/٢٤٣٨ كان يحمى الفِراض ، قد سفل حتى طلع عليه أوائل الناس ، وقد ضربته الرّياح والأمواج حتى وقع إلى الشاطئ ، فتناوله برمحه ، فجاء به إلى العسكر فعرفه ، فأخذه صاحبه ، وقال للذى كان يعاومه : ألم أقل لك ! وصاحبه حَليف لقُريش من عَنَز ، يُدعى مالك بن عامر ، والذى قال : « طاح » يُدعى عامر بن مالك .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن الوليد ، عن عُمير الصائدىّ ، قال : لما أقحم سعد الناس فى دِجْلة اقترنوا ، فكان

---

(١) ابن حبيش : « البحار » .
(٢) ابن حبيش : « أعجزت » ، ابن كثير : « عجز » .

سلمان قرينَ سعد إلى جانبه يسايره فى الماء ، وقال سعد : ذلك تقدير العزيز العليم ؛ والماء يطمو بهم ، وما يزال فرس يستوى قائمًا إذا أعيا يُنْشَزَ له تَلْعة فيستريح عليها ؛ كأنه على الأرض ، فلم يكن بالمدائن أمرٌ أعجب من ذلك ، وذلك يوم الماء ، وكان يدعى يوم الجراثيم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلّب وطلحة وعمرو وسعيد ، قالوا : كان يوم ركوب دِجْلة يدعى يوم الجراثيم ، لا يعيا أحد إلا أنشِزت له جرثومة يُريح عليها . ٢٤٣٩/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، قال: خُضْنا دِجلة وهى تطفح ، فلما كنّا فى أكثرها ماء لم يزل فارس واقف ما يبلغ الماء حزامه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعمش ، عن حبيب بن صُهبان أبى مالك، قال : لما دخل سعد المدينة الدنيا، وقطع القوم الجسر ، وضموا السفن ، قال المسلمون : ما تنتظرون بهذه النطفة ! فاقتحم رجل ، فخاض الناس فما غرق منهم إنسان ولا ذهب لهم متاع ، غير أنّ رجلاً من المسلمين فقد قَدَحًا له انقطعت عِلاقته ، فرأيته يطفح على الماء .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف، عن محمد والمهلب وطلحة ، قالوا : وما زالت حُماة أهل فارس يقاتلون على الفِراض حتى أتاهم آتٍ فقال : علاَمَ تقتلون أنفسكم ! فوالله ما فى المدائن أحد .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو وسعيد ، قالوا : لما رأى المشركون المسلمين وما يهُمّون به بعثوا مَن يمنعهم من العبور، وتحمّلوا فخرجوا هُرّابًا ، وقد أخرج يزْدَجِرد — قبل ذلك وبعد ما فُتِحت بَهُرسير — عيالَه إلى حُلوان، فخرج يزْدَجِرد بعدُ حتى ينزل حُلوان ، فلحق بعياله ، وخلّف مِهران الرازىّ والنّخيرجان — وكان على بيت المال — بالنّهروان ، وخرجوا معهم بما قدروا عليه من حُرّ متاعهم ٢٤٤٠/١

وخفيفه ، وما قدروا عليه من بيت المال، وبالنساء والذّرارىّ ، وتركوا فى الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفضول والألطاف والأدهان مالا يُدرَى ما قيمته، وخلّفوا ما كانوا أعدّوا للحصار من البقر والغنم والأطعمة والأشربة، فكان أوّل مَن دخل المدائن كتيبة الأهوال ، ثم الخرْساء، فأخذوا فى سككها لا يلقوْن فيها أحداً ولا يُحسُّونه إلاّ من كان فى القصر الأبيض ، فأحاطوا بهم ودعوْهم ، فاستجابوا لسعد على الجِزاء والذمّة ، وتراجع إليهم أهلُ المدائن على مثل عهدهم ؛ ليس فى ذلك ما كان لآل كسرى ومن خرج معهم ، ونزل سعد القصر الأبيض ، وسرّح زهرةَ فى المقدّمات فى آثار القوم إلى النّهروان، فخرج حتّى انتهى إلى النّهروان، وسرّح مقدار ذلك فى طلبهم من كلّ ناحية .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعمش ، عن حبيب بن صُهبان أبى مالك ، قال : لما عَبَر المسلمون يوم المدائن دِجْلة ، فنظروا إليهم يعبُرون، جعلوا يقولون بالفارسيّة : « ديوان آمد »[1]. وقال بعضهم لبعض : والله ما تقاتلون الإنس وما تقاتلون إلاّ الجنّ . فانهزموا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطيّة بن الحارث وعطاء بن السائب ، عن أبى البَخترىّ ، قال : كان رائدُ المسلمين سَلْمان الفارسىّ ، وكان المسلمون قد جعلوه داعيةَ أهلِ فارس . قال عطية : وقد كانوا أمروه بدُعاء أهل بَهُرَسير ، وأمّروه يوم القصر الأبيض ، فدعاهم ثلاثاً . قال عطية وعطاء : وكان دعاؤه إيّاهم أن يقول: إنى منكم فى الأصل ، وأنا أرقّ لكم ، ولكم فىّ ثلاث أدعوكم إليها ما يصلحكم : أن تُسلموا فإخواننا لكم مالنا وعليكم ما علينا ، وإلاّ فالجزية ، وإلاّ نابذْناكم على سواء ؛ إنّ الله لا يحب الخائنين . قال عطية : فلما كان اليوم الثالث فى بَهرسير أبوْا أنْ يُجيبوا إلى شىء، فقاتلهم المسلمون حين أبوْا . ولما كان اليوم الثالث فى المدائن قبِل أهل القصر الأبيض وخرجوا ، ونزل سعد القصر الأبيض واتّخذ

١/٢٤٤١

(١) فى حاشية ابن حبيش : « قال أبو بكر بن سيف : يعنى قد جاء الشيطان » .

الإيوان مُصلًّى ، وإنّ فيه لتماثيلَ جصّ فما حرّكها .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ، وشاركهم سِماك الهُجيمىّ ، قالوا : وقد كان الملك سرّب عيالَه حينَ أخِذت بَهُرَسير إلى حُلوان ، فلما ركب المسلمون الماء خرجوا هرّابًا ، وخيلهم على الشاطئ يمنعون المسلمين وخيلهم من العبور ، فاقتتلوا هم والمسلمون قتالا شديدًا ، حتى ناداهم منادٍ : علامَ تقتلون أنفسكم ! فوالله ما فى المدائن من أحد . فانهزموا واقتحمتها الخيول عليهم ، وعبر سعد فى بقيّة الجيش . ١/٢٤٤٢

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ، قالوا : أدرك أوائلُ المسلمين أخرياتِ أهلِ فارس ، فأدرك رجلٌ من المسلمين يدعى ثقيفًا أحدُ بنى عدىّ ابنَ شريف ؛ رجلاً من أهل فارس ، معترضًا على طريق من طرقها يحمى أدبار أصحابه ، فضرب فرسَه على الإقدام عليه ، فأحجم ولم يُقدِم ، ثم ضربه للهرب فتقاعسَ حتى لحقه المسلم ، فضرب عنقه وسلبه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية وعمرو ودثار أبى عمر ، قالوا : كان فارس من فرسان العجم فى المدائن يومئذ مما يلِى جازِر ، فقيل له : قد دخلت العرب وهرب أهل فارس ؛ فلم يلتفت إلى قولهم ، وكان واثقًا بنفسه ، ومضى حتى دخل بيت أعلاج له ، وهم ينقلون ثيابًا لهم ، قال : ما لكم ؟ قالوا : أخرجتْنا الزنابير ، وغلبتْنا على بيوتنا ، فدعا بجُلاهق[1] وبطين ، فجعل يرميهنّ حتى ألزقهنّ بالحيطان ، فأفناهنّ . وانتهى إليه الفزَع ، فقام وأمر عِلْجًا فأسرج له ، فانقطع حِزامه ، فشدّه على عَجَل ، وركب ، ثم خرج فوقف . ومرّ به رجل فطعنه ، وهو يقول : خذها وأنا ابن المخارق ! فقتله ثم مضى ما يلتفت إليه . ١/٢٤٤٣

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان بمثله ، وإذا هو ابن المخارق بن شهاب .

قالوا : وأدرك رجل من المسلمين رجلاً منهم معه عصابة يتلاومون ،

---

(١) الجلاهق : الطين المدور .

ويقولون : من أىّ شىء فررنا ! ثم قال قائل منهم لرجل منهم : ارفع لى كُرَة ، فرماها لا يُخطىء ، فلما رأى ذلك عاج وعاجوا معه وهو أمامهم ؛ فانتهى إلى ذلك الرّجل ، فرماه من أقرب مما كان يرمى منه الكُرَة ما يصيبه ، حتّى وقف عليه الرّجل ، ففلق هامتّه ، وقال : أنا ابن مُشرّط الحجارة . وتفارّ عن الفارسىّ أصحابه .

وقالوا جميعًا ؛ محمد والمهلب وطلحة وعمرو وأبو عمر وسعيد ، قالوا : ولما دخل سعد المدائن، فرأى خلوتَها، وانتهى إلى إيوان كسرى ، أقبل يقرأ : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾[1]. وصلّى فيه صلاة الفتح — ولا تصلّى جماعة — فصلى ثمانى ركعات لا يفصل بينهنّ ، واتخذه مسجداً، وفيه تماثيل الجصّ رجال وخيل ، ولم يمتنع ولا المسلمون لذلك ، وتركوها على حالها . قالوا : وأتمّ سعد الصلاة يوم دخلها ، وذلك أنه أراد المُقام فيها . وكانت أوّل جمعة بالعراق جُمعت جماعةً بالمدائن[2] ، فى صفر سنة ستّ عشرة .

١/٢٤٤٤

* * *

ذكر ما جُمع من فىء أهل المدائن

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وعُقبة وعمرو وأبى عمر وسعيد، قالوا : نزل سعد إيوان كسرى ، وقدّم زُهْرَةَ، وأمره أن يبلغ النّهروان . فبعث فى كلّ وجه مقدار ذلك لنفى المشركين وجمع الفَيوء ، ثمّ تحوّل إلى القصر بعد ثالثة ، ووكّل بالأقباض[3] عمرو بن عمرو ابن مقرّن ، وأمره بجمْع ما فى القصر والإيوان والدّور وإحصاء ما يأتيه به الطلب ؛ وقد كان أهلُ المدائن تناهبوا عند الهزيمة غارةً ، ثم طاروا فى كلّ وجه ، فما أفلت أحدٌ منهم بشىء لم يكن فى عسكر مِهْران بالنّهروان

---

(١) سورة الدخان ٢٥ — ٢٨ . (٢) ابن كثير : «فكانت أول جمعة جمعت بالعراق» . النويرى : «وكانت أول جمعة أقيمت بالمدائن» .
(٣) الأقباض : جمع قبض ، بفتحتين ، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن يُقسم .

ولا بخيط . وألحّ عليهم الطلب فتنقّذوا ما فى أيديهم ، ورجعوا بما أصابوا من الأقباض ، فضمُّوه إلى ما قد جُمع ؛ وكان أوّل شىء جمِع يومئذ ما فى القصر الأبيض ومنازل كسرى وسائر دور المدائن .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعمش ، عن حبيب بن صُهبان ، قال : دخلنا المدائن ، فأتينا على قباب تركيّة مملوءة سِلالا مختّمة بالرصاص ، فما حسبناها إلاّ طعامًا ، فإذا هى آنية الذّهب والفضة فقسمت بعدُ بين الناس . وقال حبيب : وقد رأيتُ الرّجل يطوف ويقول : مَن معه بيضاء بِصفراء ؟ وأتينا على كافور كثير ، فما حسبناه إلا ملْحًا ، فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته فى الخبز . ١/٢٤٤٥

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضر بن السرىّ ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه الرُّفيل بن ميسور ، قال : خرج زُهرة فى المقدّمة يُتبعهم حتى انتهى إلى جِسْر النَّهْروان ، وهم عليه ، فازدحموا ، فوقع بغل فى الماء فعجلوا وكلِبوا عليه ، فقال زهرة : إنى أقسم بالله إنّ لهَذا البغل لشأنًا ! ما كلِب القوم عليه ولا صبروا للسيوف بهذا الموقف الضنك إلاّ لشىء بعد ما أرادوا تركه ، وإذا الذى عليه حلية كسرى ؛ ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه الّتى كان فيها الجوهر ، وكان يجلس فيها للمباهاة ؛ وترجّل زهرة يومئذ حتى إذا أزاحهم أمر أصحابه بالبغل فاحتملوه ، فأخرجوه فجاءوا بما عليه ، حتى ردّه إلى الأقباض ، ما يدرون ما عليه ، وارتجز يومئذ زهرة :

فِدًى لقومى اليوم أخوالى وأعمامى ... هم كرهوا بالنهر خِذْلانى وإسلامى[1]

هُمْ فَلَجُوا بالبغل فى الخِصام ... بكلّ قطّاعٍ شُـــئونَ الهام

وصرّعوا الفرْسَ على الآكام ... كأنّهمْ نعْمٌ من الأنعـــام

١/٢٤٤٦

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هُبيرة بن الأشعث ، عن جدّه الكَلَج ، قال : كنت فيمن خرج فى الطّلب ، فإذا أنا ببغّاليْن قد ردّا الخيل عنهما بالنّشاب ، فما بقى معهما غير نشّابتين ، فألظظت بهما ، فاجتمعا ، فقال أحدهما لصاحبه : ارمِه وأحميك ، أو أرميه وتحمينى !

(١) الوزن مضطرب .

فحمى كلّ واحد منهما صاحبَه حتى رمَيا بها . ثم إنى حملت عليهما فقتلتهما وجئت بالبغلين ما أدرى ما عليهما ، حتّى أبلغتهما صاحب الأقباض ، وإذا هو يكتب ما يأتيه به الرّجال وما كان فى الخزائن والدّور ، فقال : علَى رِسْلك حتى ننظر ما معك ! فحططت عنهما ، فإذا سفَطان على أحد البغلين فيهما تاج كِسْرَى مفسّخًا — وكان لا يحمله إلاّ أسطوانتان — وفيهما الجوهر ، وإذا على الآخر سَفَطان فيهما ثياب كسرى التى كان يلبس من الديباج المنسوج بالذّهب المنظوم بالجوهر وغير الدّيباج منسوجًا منظومًا.

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ، قالوا : وخرج القَعقاع بن عمرو يومئذ فى الطلب ، فلحق بفارسىّ يحمى الناس ، فاقتتلا فقتله ؛ وإذا مع المقتول جَنيبة عليها عَيبتان وغِلافان فى أحدهما خمسة أسياف وفى الآخر ستّة أسياف ؛ وإذا فى العيبتين أدراع ، فإذا فى الأدراع درع كسرى ومِغفره وساقاه وساعداه ، ودرْع هرقل ، ودرْع خاقان ودرع داهر ودرع بَهرام شوبين ودرع سياوَخش ودرع النعمان ؛ وكانوا استلبوا ما لم يرثوا، استلبوها أيام غزاتهم خاقانَ وهرقلَ وداهرَ ؛ وأمّا النعمان وبَهْرام فحين هربا وخالفا كسرى ، وأما أحد الغلافين ففيه سيف كسرى وهرمز وقُباذ وفَيروز ، وإذا السيوف الأخر ، سيف هرقل وخاقان وداهر وبهرام وسياوخش والنعمان . فجاء به إلى سعد ، فقال : اختر أحد هذه الأسياف ، فاختار سيف هرقل ، وأعطاه دِرْع بهرام ، وأما سائرها فنفّلها فى الخرْساء إلاّ سيف كسرى والنعمان — ليبعثوا بهما إلى عمر لتسمع بذلك العرب لمعرفتهم بهما ، وحبسوهما فى الأخماس — وحُلِىّ كسرى وتاجه وثيابه ؛ ثم بعثوا بذلك إلى عمر ليراه المسلمون، ولتسمع بذلك العرب، وعلى هذا الوجه سلب خالد بن سعيد عمرَو بن معد يكرب سيفَه الصَّمصامة فى الرِّدّة والقوم يستحيُون من ذلك .

١/٢٤٤٧ ، ١/٢٤٤٨

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة بن مُعتّب ، عن رجل من بنى الحارث بن طَرِيف ، عن عصمة بن الحارث الضبىّ ؛ قال : خرجت فيمن خرج يطلب، فأخذت طريقًا مسلوكًا وإذا عليه حمّار ،

فلما رآنى حثّه فلحق بآخر قدّامه ، فمالا ، وحثّا حماريهما ، فانتهيا إلى جدول قد كُسر جسره ، فثبتا حتى أتيتهما ، ثم تفرّقا ، ورمانى أحدهما فألظظت[1] به فقتلته وأفلت الآخر ، ورجعت إلى الحمارين ، فأتيت بهما صاحب الأقباض ، فنظر فيما على أحدهما ، فإذا سَفَطان فى أحدهما فرس من ذهب مسرَج بسرْج من فضة ، على ثَفره ولَببه الياقوت ، والزُّمُرُّد منظوم على الفضة ، ولجام كذلك ، وفارس من فضّة مكلّل بالجوهر ، وإذا فى الآخر ناقة من فضّة ، عليها شَليل[2] من ذهب ، وبِطان من ذهب ولها شِناق[3] — أو زمام — من ذهب ، وكلّ ذلك منظوم بالياقوت ؛ وإذا عليها رجلٌ من ذهب مكلّل بالجوهر ، كان كسرى يضعهما إلى أسطوانتى التاج .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن هبيرة بن الأشعث ، عن أبى عُبيدة العنبرىّ ، قال : لما هبط المسلمون المدائن ، وجمعوا الأقباض ، ١/٢٤٤٩ أقبَل رجل بحُقّ معه ، فدفعه إلى صاحب الأقباض ، فقال والذين معه : ما رأينا مثلَ هذا قطّ ، ما يعدِله ما عندنا ولا يقاربه ؛ فقالوا : هل أخذتَ منه شيئًا ؟ فقال : أمَا والله لولا الله ما أتيتُكم به ، فعرفوا أنّ للرّجل شأنًا ، فقالوا : مَنْ أنتَ ؟ فقال : لا والله لا أخبركم لتحمدونى ، ولا غيركم ليقرّظونى ، ولكنّى أحمَد الله وأرضى بثوابه . فأتبعوه رجلا حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأل عنه ، فإذا هو عامر بن عبد قيس .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : قال سعد : والله إنّ الجيش لذو أمانة ، ولولا ما سبق لأهل بدر لقلت : وايم الله — على فضل أهل بدر — لقد تتبّعت من أقوامٍ منهم هنَات وهنات فيما أحرزوا ، ما أحسبها ولا أسمَعُها من هؤلاء القوم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مُبشِّر بن الفُضَيل ، عن جابر بن عبد الله ، قال : والله الذى لا إله إلاّ هو ؛ ما اطّلعنا على أحد من أهل القادسيّة ، أنه يريد الدنيا مع الآخرة ، ولقد اتّهمنا ثلاثة نفر ، فما ١/٢٤٥٠

(١) ألظظت به ، يريد تبعته ؛ يقال : لظ به وألظ . (٢) الشليل : مسح من صوف أو شعر يجعل على عجز البعير . (٣) الشناق : حبل يجذب به رأس البعير .

رأينا كالذى هجمنا عليه من أمانتهم وزُهدهم : طُليحة بن خُوَيلد ، وعمرو بن معَد يكرب ، وقيس بن المكشوح .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مخلد[1] بن قيس العجلىّ ، عن أبيه ، قال : لما قُدم بسيف كسرى على عمر ومِنْطقته وزِبْرِجه، قال: إنّ أقواماً أدّوْا هذا لَذَوُو أمانة ! فقال علىّ : إنّكَ عففت فعفّت الرعيّة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبىّ ، قال : قال عمر حين نظر إلى سلاح كسرى: إن أقواماً أدّوْا هذا لذوو أمانة .

* * *

ذكر صفة قسم الفىء الذى أصيب بالمدائن بين أهله
وكانوا – فيما زعم سيف – ستين ألفاً

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد والمهلّب ، قالوا : ولما بعث سعد بعد نزوله المدائن فى طلب الأعاجم ، بلغ الطلب النّهْروَان ؛ ثمّ تراجعوا ، ومضى المشركون نحو حُلْوان ، فقسّم سعد الفىء بين الناس بعد ما خمّسه ؛ فأصاب الفارسَ اثنا عشر ألفاً ، ١/٢٤٥١ وكلّهم كان فارساً ليس فيهم راجل؛ وكانت الجنائب فى المدائن كثيرة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبىّ بمثله ، وقالوا جميعاً : ونفّل من الأخماس ولم يجْهَدْها فى أهل البلاء . وقالوا جميعاً: قسم سعد دور المدائن بين الناس، وأوطنوها، والذى ولىَ القبض عمرو بن عمرو المُزَنىّ ، والذى ولى القسم سلْمان بن ربيعة ؛ وكان فتْح المدائن فى صفر سنة ستّ عشرة . قالوا : ولما دخل سعد المدائن أتمّ الصلاة وصام ، وأمر الناس بإيوان كسرى فجعل مسجداً للأعياد ، ونصب فيه مِنْبَراً ، فكان يصلّى فيه – وفيه التماثيل– ويُجَمّع فيه ، فلما كان الفِطْر

---

(١) ط : « محمد » ، وانظر التصويبات .

قيل : ابرزوا ، فإنّ السنّة فى العيدين البَراز[1] . فقال سعد : صلّوا فيه ؛ قال : فصلِّىَ فيه ، وقال : سواء فى عُقْر القرية أو فى بطنها .

كتب إلىّ السرىّ : عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، قال : لما نزل سعد المدائن ، وقسم المنازل ، بعث إلى العيالات ، فأنزلهم الدُّور وفيها المرافق ، فأقاموا بالمدائن حتّى فرغوا من جَلولاء وتَكريت والمَوصِل ، ثم تحوّلوا إلى الكوفة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد والمهلب ، وشاركهم عمرو وسعيد : وجمع سعد الخُمْس ، وأدخل فيه كلّ شىء أراد أن يعجب منه عمر ؛ من ثياب كسرى وحُليته وسيفه ونحو ذلك ، ١/٢٤٥٢ وما كان يُعجِب العربَ أن يقع إليهم ، ونفّل من الأخماس ، وفضل بعد القَسْم بين الناس وإخراج الخمس القِطْف ، فلم تعتدل قسمتُه ، فقال للمسلمين : هل لكم فى أن تطيب أنفُسُنا عن أربعة أخماسه ، فنبعثَ به إلى عمر فيضعه حيث يرى ، فإنا لا نراه يتفق قسمته ؛ وهو بيننا قليل ؛ وهو يقع من أهل المدينة موقعًا ! فقالوا : نعم ها اللهِ إذاً ؛ فبعث به على ذلك الوجه ، وكان القِطْف ستين ذراعًا فى ستين ذراعًا ، بساطًا واحداً مقدار جَرِيب ؛ فيه طُرُق كالصّور وفصوص كالأنهار ؛ وخلال ذلك كالدّير ، وفى حافاته كالأرض المزروعة والأرض المبقِلة بالنبات فى الربيع من الحرير على قضبان الذهب ونوّاره بالذهب والفضة وأشباه ذلك . فلما قدم على عمر نفّل من الخمس أناسًا ، وقال : إنّ الأخماس ينفّل منها مَن شهد ومن غاب من أهل البلاء فيما بين الخُمسين ؛ ولا أرى القوم جهدوا الخُمس بالنفل ؛ ثم قسم الخمس فى مواضعه ، ثمّ قال : أشيروا علىّ فى هذا القِطْف ! فأجمع ملؤهم على أن قالوا : قد جعلوا ذلك لك ، فَرَ رأيَك ، إلاّ ما كان ١/٢٤٥٣ من علىّ فإنه قال : يا أمير المؤمنين ، الأمر كما قالوا ، ولم يبق إلا التّروية ؛ إنك إن تقبله على هذا اليوم لم تعدم فى غد مَن يستحقّ به ما ليس له ،

---

(١) البراز بالفتح : اسم للفضاء الواسع .

قال : صدقتَني ونصحتَني . فقطّعه بينهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : أصاب المسلمون يوم المدائن بَهار كسرى ، ثقُل عليهم أن يذهبوا به ، وكانوا يُعِدّونه للشتاء إذا ذهبت الرّياحين ، فكانوا إذا أرادوا الشرب شربوا عليه ؛ فكأنَّهم فى رياض بساط ستين فى ستين ؛ أرضه بذهب ، ووشيه بفصوص ، وثمره بجوهر ، وورقه بحرير وماء الذهب ؛ وكانت العرب تسمّيه القِطف ، فلما قسم سعد فيئهم فضل عنهم ، ولم يتّفق قسمته ، فجمع سعد المسلمين ، فقال : إن الله قد ملأ أيديكم ، وقد عسر قسم هذا البساط ، ولا يقوى على شرائه أحد ، فأرى أن تطيبوا به نفسًا لأمير المؤمنين يضعه حيث شاء ؛ ففعلوا . فلما قدم على عمر المدينة رأى رؤيا فجمع الناس ، فحمِد الله وأثنى عليه ، واستشارهم فى البساط ، وأخبرهم خبره ؛ فمن بين مُشير بقبْضه ، وآخر مُفوِّض إليه ، وآخر مرقّق ، فقام علىّ حين رأى عمر يأبى حتّى انتهى إليه ، فقال : لِمَ تجعل[1] علمك جهلا ، ويقينك شكًّا ! إنه ليس لك من الدنيا إلاّ ما أعطيت فأمضيت ، أو لبست فأبليت ، أو أكلت فأفنيت . قال : صدقْتَني . فقطّعه فقسمه بين الناس ، فأصاب عليًّا قطعة منه ، فباعها بعشرين ألفًا ؛ وما هى بأجودِ تلك القِطَع . ١/٢٤٥٤

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو وسعيد ، قالوا : وكان الذى ذهب بالأخماس ؛ أخماس المدائن ، بشير بن الخَصاصيّة ، والذى ذهب بالفتح خنيس بن فلان الأسدىّ ، والذى ولِىَ القبض عمرو ، والقَسْمَ سلْمان . قالوا : ولما قُسِم البساط بين الناس أكثر الناس فى فضل أهل القادسيّة ، فقال عمر : أولئك أعيان العرب وغُررها ، اجتمع لهم مع الأخطار الدِّين ، هم أهل الأيام وأهل القوادِس . قالوا : ولما أُتِىَ بحُلِىّ كسرى وزيّه فى المباهاة وزيّه فى غير ذلك — وكانت له عدّة أزياء لكلّ حالة زىّ — قال : علىّ بمحلّم — وكان أجسَم عربىّ يومئذ

---

(١) ابن الأثير : « لم يجعل » .

بأرض المدينة — فألبِس تاج كسرى على عمودين من خشب ، وصبّ عليه أوشحتَه وقلائده وثيابه ، وأجلِس للناس؛ فنظر إليه عمر ، ونظر إليه الناس ، فرأوْا أمراً عظيماً من أمر الدنيا وفتنتها، ثم قام عن ذلك ، فألبِس زِيّه الذى يليه ، فنظروا إلى مثل ذلك فى غير نوع ، حتى أتى عليها كلها ؛ ثم ألبسه سلاحه ، وقلّده سيفه ، فنظروا إليه فى ذلك ، ثم وضعه ثم قال : والله إنّ أقواماً أدّوْا هذا لذوو أمانة . ونفّل سيف كسرى محلِّماً ، وقال : أحمق بامرئ من المسلمين غرّته الدنيا ! هل يبلغنّ مغرور منها إلاّ دون هذا أو مثْله ! وما خيرُ امرئ مسلم سبقه كسرى فيما يضرّه ولا ينفعه ! إنّ كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتِى عن آخرته ، فجمع لزوج امرأته أو زوج ابنته ، أو امرأة ابنه، ولم يقدّم لنفسه ، فقدّم امرؤ لنفسه ووضع الفضول[1] مواضعها تحصُل له ، وإلاّ حصلت للثلاثة بعده ؛ وأحمِق بمن جمع لهم أو لعدوّ جارِف ! ١/٢٤٥٥

كتب إلىّ السّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن كُرَيب ، عن نافع بن جُبَير ، قال : قال عمر مَقْدَم الأخماس عليه حين نظر إلى سلاح كسرى وثيابه وحُلِيّه ، مع ذلك سيف النعمان بن المنذر ، فقال بجُبير : إنّ أقواماً أدّوْا هذا لَذوو أمانة ! إلى مَنْ كنتم تنسبون النعمان ؟ فقال جُبير : كانت العرب تنسبُه إلى الأشلاء ، أشلاء قَنَص ، وكان أحد بنى عجم بن قَنَص ، فقال : خذ سيفه فنفّله إياه ، فجهل الناس «عجم» ، وقالوا «لَخْم» . وقالوا جميعاً : وولّى عمر سعدَ بن مالك صلاة ما غلب عليه وحَرْبه، فولى ذلك ؛ وولّى الخراجَ النعمانَ وسويداً ابنى عمرو بن مقرّن ؛ سويداً على ما سَقى الفرات ، والنعمان على ما سقت دِجْلة ، وعقدوا الجسور ، ثم ولّى عملهما ، واستعفيا حُذيفَة بن أسِيد وجابر بن عَمرو المزنىّ ، ثم ولّى عملهما بعدُ حذيفَة بن اليمان وعثمان بن حُنَيف . ١/٢٤٥٦

* * *

قال : وفى هذه السنة — أعنى سنة ستّ عشرة — كانت وقعة جَلُولاء ،كذلك

(١) الفضول : ما يفضل بعد القسمة .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . وكتب إلىّ السرىّ يذكر أن شعيبًا حدّثه عن سيف بذلك .

* * *

ذكر الخبر عن وقعة جلولاء الوقيعة

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، قال : لما أقمنا بالمدائن حين هبطناها واقتسمنا ما فيها ، وبعثنا إلى عمر بالأخماس ، وأوطنّاها ، أتانا الخبر بأنّ مِهْران قد عسكر بجَلُولاء ، وخندق عليه ؛ وأنّ أهل الموصل قد عسكروا بتكريت .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله ابن أبى طيبة البَجَلىّ ، عن أبيه بمثله ؛ وزاد فيه : فكتب سعد بذلك إلى عمر ، فكتب إلى سعد : أن سرّح هاشم بن عتبة إلى جَلُولاء فى اثنى عشر ألفًا ، واجعل على مقدّمته القعقاع بن عمرو ، وعلى ميمنته سِعْر بن مالك ، وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة ، واجعل على ساقته عَمْرو بن مُرّة الجهنىّ . ١/٢٤٥٧

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وزياد ، قالوا : وكتب عمر إلى سعد : إن هزم الله الجندَيْن : جند مِهران وجند الأنطاق ؛ فقدِّم القعقاع حتى يكون بين السواد وبين الجبل على حدّ سوادكم د وشاركهم عمرو وسعيد . قالوا : وكان من حديث أهل جَلُولاء ، أنّ الأعاجم لما انتهوْا بعد الهرب من المدائن إلى جلولاء ، وافترقت الطرق بأهل أذْرَبيجان والباب وبأهل الجبال وفارس ، تذامروا وقالوا : إن افترقتم لم تجتمعوا أبداً ، وهذا مكان يفرّق بيننا ، فهلمّوا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم ، فإن كانت لنا فهو الذى نريد ، وإن كانت الأخرى كنا قد قضينا الذى علينا ، وأبلينْا عذراً . فاحتفروا الخندق ، واجتمعوا فيه على مِهران الرازىّ ، ونفذَ يزدَجِرد إلى حُلوان فنزل بها ، ورماهم بالرّجال ؛

وخلّف فيهم الأموال ، فأقاموا فى خندقهم ، وقد أحاطوا به الحسَك من الخشب إلاّ طرقهم . قال عمرو ، عن عامر الشعبيّ : كان أبو بكر لايستعين فى حربه بأحد من أهل الرِّدّة حتّى مات ، وكان عمر قد استعان بهم ؛ فكان لا يؤمّر منهم أحداً إلا على النفر ومادون ذلك ؛ وكان لا يعدِل أن يؤمّر الصحابة إذا وجد مَن يجزى عنه فى حربه ؛ فإن لم يجد ففى التابعين بإحسان ؛ ولا يُطمع من انبعث فى الردّة فى الرياسة ؛ وكان رؤساء أهل الردّة فى تلك الحروب حِشوة إلى أن ضرب الإسلام[١] بجرانه . ١/٢٤٥٨

ثمّ اشترك عمرو ومحمد والمهلب وطلحة وسعيد ، فقالوا : ففصل هاشم ابن عُتْبة بالناس من المدائن فى صفر سنة ستّ عشرة ، فى اثنى عشر ألفًا ؛ منهم[٢] وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممن ارتدّ وممن لم يرتدّ ؛ فسار من المدائن إلى جَلُولاء أربعًا ، حتّى قدم عليهم ، وأحاط بهم ، فحاصرهم وطاولهم أهلُ فارس ، وجعلوا لا يخرجون عليهم إلاّ إذا أرادوا ؛ وزاحفهم المسلمون بجَلُولاء ثمانين زحفًا ، كلّ ذلك يعطى الله المسلمين عليهم الظّفَر ، وغلبوا المشركين على حَسَك الخشب ، فاتّخذوا حَسَك الحديد .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عُقْبة بن مكرَم ، عن بطان بن بِشْر ، قال : لما نزل هاشم على مِهْران بجَلُولاء حصرهم فى خندقهم ، فكانوا يزاحفون المسلمين فى زُهاء وأهاويل ، وجعل هاشم يقوم فى الناس ، ويقول : إنّ هذا المنزل منزل له ما بعده ؛ وجعل سعد يُمدّه بالفرسان حتّى إذا كان أخيراً احتفلوا للمسلمين ؛ فخرجوا عليهم ، فقام هاشم فى الناس ، فقال : أبلُوا الله بلاء حسنًا يتمّ لكم عليه الأجر والمغنَم ، واعملوا لله . فالتقوا فاقتتلوا ، وبعث الله عليهم ريحًا أظلمت عليهم البلاد فلم يستطيعوا إلا المحاجزة ، فتهافت[٣] فرسانهم فى الخندق ؛ فلم يجدوا بُدًّا من أن يجعلوا فُرَضًا مما يليهم ؛ تصعد منه خيلهم ؛ فأفسدوا حصنَهم ؛ وبلغ ذلك المسلمين ، فنظروا إليه ، فقالوا : أننهض إليهم ثانية فندخله عليهم ١/٢٤٥٩

(١) س : « الدين » . (٢) ابن حبيش : « فيهم » .
(٣) ابن حبيش : « فتهافتت » .

أو نموت دونه ! فلما نَهَدَ المسلمون الثانية خرج القوم ، فرمَّوا حول الخندق مما يلى المسلمين بحسَك الحديد لكيلا يقدم عليهم الخيل ، وتركوا للمجال وجهاً ، فخرجوا على المسلمين منه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله إلا ليلة الهرير ، إلا أنه كان أكمش وأعجل ؛ وانتهى القعقاع بن عمرو فى الوجه الذى زاحف فيه إلى باب خندقهم ، فأخذ به ، وأمر منادياً فنادى : يا معشر المسلمين ، هذا أميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به فأقبلوا إليه ؛ ولا يمنعنَّكم مَن بينكم وبينه من دخوله. وإنما أمر بذلك ليقوّى المسلمين به ، فحمل المسلمون ولا يشكّون إلا أن هاشماً فيه ، فلم يقم لحملتهم شىء ، حتى انتهوا إلى باب الخندق ، فإذا هم بالقعقاع بن عمرو ، وقد أخذ به ؛ وأخذ المشركون فى هزيمة يَمنة ويَسرة عن المجال الذى بحيال خندقهم ؛ فهلكوا فيما أعدّوا للمسلمين فعُقرت دوابّهم ، وعادوا رجّالة ؛ وأتبعهم المسلمون ، فلم يفلِتْ منهم إلا من لا يعدّ ، وقتَل الله منهم يومئذ مائة ألف ، فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلْفه ، فسمّيت جلولاءَ بما جللها من قتْلاهم ؛ فهى جلولاء الوقيعة .

١/٢٤٦٠

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفّز ، عن أبيه ، قال : إنى لفى أوائل الجمهور ، مُدخَلهم ساباط ومظْلِمها ، وإنى لفى أوائل الجمهور حين عَبَرُوا دجلة ، ودخلوا المدائن ؛ ولقد أصبت بها تمثالاً لو قسم فى بكر بن وائل لسدّ منهم مسَدًّا ، عليه جوهر ، فأدّيته ؛ فما لبثنا بالمدائن إلا قليلاً حتى بلغنا أنّ الأعاجم قد جمعت لنا بجلولاء جمعاً عظيماً ، وقدّموا عيالاتِهم إلى الجبال ، وحبسوا الأموال ؛ فبعث إليهم سعد عمرَو بن مالك بن عتبة بن أهْيَب بن عبد مناف بن زهرة ، وكان جُند جلولاء اثنى عشر ألفاً من المسلمين ، على مقدّمتهم القعقاع بن عمرو ، وكان قد خرج فيهم وجوه الناس وفرسانهم ؛ فلما مرُّوا ببابل مَهْرُوذ صالحه دِهقانها ، على أن يفرش له جريب أرض دراهم ؛ ففعل وصالحه . ثم مضى حتى قدم عليهم بجَلُولاء ، فوجدهم قد خندقوا وتحصنوا فى خندقهم ، ومعهم بيت مالهم ، وتواثقوا وتعاهدوا بالنيران ألاّ يفرّوا ، ونزل المسلمون قريباً منهم ، وجعلت

١/٢٤٦١

الأمداد تقدُم على المشركين كلّ يوم من حُلوان ، وجعل يُمدّهم بكلّ من أمدّه من أهل الجبال ، واستمدّ المسلمون سعداً فأمدّهم بمائتى فارس ، ثم مائتين ، ثم مائتين . ولما رأى أهل فارس أمداد المسلمين بادروا بقتال المسلمين . وعلى خيل المسلمين يومئذ طليحة بن فلان ، أحد بنى عبد الدار ، وعلى خيل الأعاجم خرّزاذ بن خرّهرمز — فاقتتلوا قتالا شديداً ، لم يقاتلوا[1] المسلمين ١/٢٤٦٢ مثلَه فى موطن من المواطن ، حتى أنفدوا النبْل ؛ وحتى أنفدوا النّشّاب ؛ وقصفوا الرماح حتى صاروا إلى السيوف والطّبَرزينات[2] . فكانوا بذلك صدْرَ نهارهم إلى الظهر ؛ ولما حضرت الصلاة صلى الناس إيماء ، حتى إذا كان بين الصّلاتين خَنَست[3] كتيبة وجاءت أخرى فوقفت مكانها ، فأقبل القعقاع بن عمرو على الناس ، فقال : أهالتْكم هذه ؟ قالوا : نعم ؛ نحن مُكِلّون وهم مُريحون ، والكالّ يخاف العَجْز إلا أن يُعْقِب ؛ فقال : إنّا حاملون عليهم ومجادّوهم[4] وغير كافّين ولا مقلعين حتى يحكم الله بيننا [وبينهم][5] فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى تخالطوهم ، ولا يكذبنّ أحد منكم . فحمل فانفرجوا ، فما نُهْنِه أحد عن باب الخندق ، وألبسهم الليل رواقه ، فأخذوا يَمنة ويسرة ؛ وجاء فى الأمداد طليحة وقيس بن المكشوح وعمرو بن معد يكرب وحُجْر بن عدىّ ، فوافقوهم قد تحاجزوا مع الليل ، ونادى منادى القعقاع بن عمرو : أين تحاجزون وأميركم فى الخندق ! فتفارّ المشركون ، وحمل المسلمون ، فأُدخل الخندق ، فأتى فسطاطًا فيه مرافق وثياب ؛ وإذا فُرُش على إنسان فأنبشه ، فإذا امرأة كالغزال فى حسن الشمس ، فأخذتُها وثيابها ، فأدّيت الثياب ، وطلبت فى الجارية حتى صارت إلىّ فاتخذتها ١/٢٤٦٣ أمّ ولد .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حماد بن فلان البرجمىّ ، عن أبيه ، أنّ خارجة بن الصّلت أصاب يومئذ ناقة من ذهب

---

(١) س : « لم يقتتلوا » .
(٢) الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الفأس .
(٣) خنست : تأخرت ليحل غيرها مكانها .
(٤) س : « ومجاهدوهم » . (٥) من س .

أو فضة موشحة بالدرّ والياقوت مثل الجفرة إذا وُضعت على الأرض ، وإذا عليها رجلٌ من ذهب موشّح كذلك ، فجاء بها وبه حتّى أدّاهما .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو وسعيد والوليد بن عبد الله والمجالد وعُقْبة بن مكرَم ، قالوا : وأمر هاشم القعقاع بن عمرو بالطلب ، فطلبهم حتى بلغ خانِقين ، ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حُلوان نحو الجبال ، وقدم القعقاع حُلوان ، وذلك أنّ عمر كان كتب إلى سعد : إن هزم الله الجندين ؛ جند مهران وجند الأنطاق ، فقدّم القعقاع ؛ حتى يكون بين السّواد والجبل ، على حدّ سوادكم . فنزل القعقاع بحُلوان فى جند من الأفناء ومن الحمْراء ، فلم يزل بها إلى أن تحوّل الناس من المدائن إلى الكوفة ؛ فلما خرج سعد من المدائن إلى الكوفة لحق به القعقاع ؛ واستعمل على الثغر قُبَاذ — وكان من الحمراء، وأصله من خُراسان — ونفّل منها مَن شهدها ، وبعض من كان بالمدائن نائياً .

وقالوا — واشتركوا فى ذلك : وكتبوا إلى عمر بفتح جَلُولاء وبنزول القعقاع حُلوان واستأذنوه فى إتباعهم ، فأبى ، وقال : لوددت أنّ بين السواد وبين الجبل سدًّا لا يخلُصون إلينا ولا نخلُص إليهم ؛ حسبُنا من الرّيف السواد ، إنّى آثرت سلامة المسلمين على الأنفال . قالوا : ولما بعث هاشم القعقاع فى آثار القوم ، أدرك مِهران بخانِقين ، فقتله وأدرك الفيرزان فنزل ، وتوقّل فى الظِّراب[1]، وخلّى فرسه[2]، وأصاب القعقاع سبايا ، فبعث بهم إلى هاشم من سباياهم ، واقتسموهم فيما اقتسموا من الفىء، فاتُّخذنَ ، فولدن فى المسلمين . وذلك السبى ينسب إلى جَلولاء ، فيقال : سبْى جَلولاء . ومن ذلك السبى أم الشعبىّ ، وقعت لرجل من بنى عبس ، فولدت فمات عنها فخلَف عليها شراحيل ، فولدت له عامراً، ونشأ فى بنى عبس .

١/٢٤٦٤

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب،

---

(١) توقل فى الظراب : صعد فيها ، والظراب : الروابى الصغار
(٢) خلى فرسه : ترك سبيلها للسير .

قالوا : واقتُسم فى جلولاء على كلّ فارس تسعة آلاف ، تسعة آلاف ؛ وتسعة من الدواب ، ورجع هاشم بالأخماس إلى سعد .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، قال : أفاء الله على المسلمين ما كان فى عسكرهم بجَلُولاء وما كان عليهم ، وكلّ دابة كانت معهم إلاّ اليسير لم يفلتوا[1] بشىء من الأموال ، وولِىَ قَسْمَ ذلك بين المسلمين سلمان بن ربيعة ؛ فكانت[2] إليه يومئذ الأقباض ١/٢٤٦٥ والأقسام ، وكانت العرب تسمّيه لذلك[3] سلْمان الخيل ؛ وذلك أنه كان يقسم لها ويقصّر بما دونها ، وكانت العِتاق عنده ثلاث طبقات ، وبلغ سهم الفارس بجَلولاء مثل سهمه بالمدائن .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد وعمرو ، عن الشعبىّ ، قال : اقتسم الناس فىء جَلولاء على ثلاثين ألف ألف ، وكان الخُمس ستة آلاف ألف .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ومحمد والمهلب وسعيد ، قالوا : ونفّل سعد من أخماس جَلولاء مَن أعظم البلاء ممّن شهدها ومن أعظم البلاء ممن كان نائياً بالمدائن ، وبعثَ بالأخماس مع قضاعىّ ابن عمرو الدُّؤلىّ من الأذهاب والأوراق والآنية والثياب ، وبعث بالسبى مع أبى مفزّر الأسود ، فمضيا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن زُهرة ومحمد بن عمرو ، قالا : بعث الأخماس مع قضاعىّ وأبى مفزّر ، والحسابَ مع زياد ابن أبى سفيان ، وكان الذى يكتب للناس ويدوّنهم ، فلما قدموا على عمر كلم زياد عمرَ فيما جاء له ، ووصف له ، فقال عمر : هل تستطيع أن تقوم فى الناس بمثل الذى كلمتنى به ؟ فقال : والله ما على الأرض شخص أهيبَ ١/٢٤٦٦ فى صدرى منك ، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك ! فقام فى الناس بما

---

(١) س : « ولم » . (٢) ابن حبيش : « كانت » .
(٣) ابن حبيش : « بذلك » .

أصابوا وبما صنعوا، وبما يستأذنون[١] فيه من الانسياح فى البلاد . فقال عمر : هذا الخطيب المِصقع ، فقال : إنَّ جُنْدَنا أطْلَقوا بالفَعال لِساننا[٢] .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن زهرة ومحمد، عن أبى سلمة ، قال : لما قَدم على عمر بالأخماس من جَلولاء ، قال عمر : والله لا يُجنّه سقف بيت حتى أقسمه . فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم يحرسانه فى صحن المسجد ، فلما أصبح جاء فى الناس فكشف عنه جلابيبَه — وهى الأنطاع — فلما نظر إلى ياقوته وزبرجدِه وجوهره بكى ، فقال له عبد الرحمن : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ، فوالله إنّ هذا لموطن شُكر ! فقال : عمر : والله ما ذاك يبكينى ، وتالله ما أعطَى الله هذا قوماً إلاّ تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا إلاّ ألقِىَ بأسهم بينهم . وأشكل على عمر فى أخماس القادسيّة حتى خطر عليه ما أفا الله — يعنى من الخُمس — فوضع ذلك فى أهله ، فأجرى خُمس جلولاء مُجرى خمس القادسيّة عن ملإ وتشاور وإجماع من المسلمين ، ونفّل من ذلك بعض أهل المدينة . ٢٤٦٧/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وسعيد وعمرو ، قالوا : وجمع سعد مَن وراء المدائن ، وأمر بالإحصاء فوجدهم بضعة وثلاثين ومائة ألف ، ووجدهم بضعة وثلاثين ألف أهل بيت ، ووجد قِسْمتَهم ثلاثة لكلّ رجل منهم بأهلهم ؛ فكتب فى ذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : أن أقِرّ الفلاحين على حالهم ؛ إلاّ مَن حارب أو هرب منك إلى عدوّك فأدركتَه ، وأجْرِ لهم ما أجريت للفلاحين قبلهم ؛ وإذا كتبتُ إليك فى قوم فأجْرُوا أمثالَهم مُجراهم . فكتب إليه سعد فيمن لم يكن فلاحًا فأجابه : أما مَن سوى الفلاّحين فذاك إليكم ما لم تَغنموه — يعنى تقتسموه — ومَنْ ترك أرضه من أهل الحرب فخلاّها فهى لكم ؛ فإن دعوتموهم وقبلتم منهم الجزاء ورددتموهم قبل قسمتها فذِمّة ؛ وإن لم تدعوهم ففىء لكم لمن أفاء الله

(١) ابن الأثير والنويرى : « يستأنفون » .

(٢) س وابن كثير : » بالمقال » .

ذلك عليه . وكان أحظَى بفيء الأرض أهل جَلُولاء؛ استأثروا بفيء ما وراء النّهروان ، وشاركوا الناس فيما كان قبل ذلك ، فأقرّوا الفلاحين ودعوا مَن لجّ ، ووضعوا الخراج على الفلاحين وعلى من رجع وقبِل الذّمّة ، واستصفَوْا ما كان لآل كسرى ومَن لجّ معهم فيئًا لمن أفاء الله عليه ، لا يُجاز بيع شيء من ذلك فيما بين الجبل إلى الجبل من أرض العرب إلاّ من أهله الذين أفاء الله عليهم ، ولم يجيزوا بيعَ ذلك فيما بين الناس — يعنى فيمن لم يُفئه الله تعالى عليه ممن يعاملهم ممن لم يفئه الله عزّ وجلّ عليه — فأقرّه المسلمون؛ لم يقتسموه ؛ لأن قسمته لم تتأتّ لهم ؛ فمن ذلك الآجام ومَغيض المياه وما كان لبيوت النار ولسكك البُرُد ، وما كان لكسرى ومَن جامعه [1]، وما كان لمن قُتل، والأرحاء؛ فكان بعضُ من يُرِقّ يسأل الولاة قسْمَ ذلك ؛ فيمنعهم من ذلك الجمهور، أبَوْا ذلك، فانتهوا إلى رأيهم ولم يجيبوا ، وقالوا : لولا أن يضرب بعضكم وجوهَ بعض لفعلنا ؛ ولو كان طلبُ ذلك منهم عن ملإ لقسمها بينهم . ٢٤٦٨/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ، عن ماهان ، قال : لم يثبت أحد من أهل السواد على العهد فيما بينهم وبين أهل الأيام إلاّ أهل قَريات ، أخذوها عنوة ، كلهم نكث ؛ ما خلا أولئك القريات ، فلما دُعوا إلى الرّجوع صاروا ذمّة ، وعليهم الجِزاء ، ولهم المَنَعَة ، إلا ما كان لآل كسرى ومَنْ معهم ، فإنه صافية فيما بين حُلوان والعراق ؛ وكان عمر قد رضىَ بالسَّواد من الرّيف . ٢٤٦٩/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن ماهان ، قال : كتبوا إلى عمر فى الصّوافى [2] ، فكتب إليهم : أن اعمَدوا إلى الصّوافى التى أصفاكموها الله ، فوزّعوها على مَن أفاءها الله عليه ؛ أربعة أخماس للجند ، وخُمس فى مواضعه إلىّ ، وإن أحبُّوا أن ينزلوها فهو الذى لهم . فلما

---

(١) س : «جاء معه» .

(٢) الصوافى : الأملاك والأرض التى جلا عنها أهلها ، أو ماتوا ولا وارث لها .

جعل ذلك إليهم رأوا ألاّ يفترقوا فى بلاد العجم ، وأقرّوها حبيساً لم يُولُّوها مَنْ تراضوْا عليه ، ثم يقتسمونها فى كلّ عام ، ولا يُولونها إلا مَن أجمعوا عليه بالرِّضا ، وكانوا لا يُجمعون إلاّ على الأمراء ، كانوا بذلك فى المدائن؛ وفى الكوفة حين تحوّلوا إلى الكوفة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله ابن أبى طيبة ، عن أبيه ، قال : كتب عمر : أن احتازوا فيئكم فإنكم إن لم تفعلوا فتقادُم الأمر يلَحج[1] ؛ وقد قضيت الذى علىّ . اللهمّ إ نى أشهدك عليهم فاشهد .

١/٢٤٧٠ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : فكان الفلاّحون للطرق والجسور والأسواق والحرث والدّلالة مع الجِزاء عن أيديهم على قَدْر طاقتهم ؛ وكانت الدّهاقين للجِزية عن أيديهم والعِمارة ، وعلى كلهم الإرشاد وضيافة ابنِ السبيل من المهاجرين ، وكانت الضّيافة لمن أفاءها الله خاصّة ميراثاً .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبى ثابت بنحو منه ، وقالوا جميعاً : كان فتح جَلولاء فى ذى القعدة سنة ستّ عشرة فى أولها[2] ، بينها وبين المدائن تسعة أشهر . وقالوا جميعاً : كان صلح عمر الذى صالح عليه أهل الذمة ؛ أنهم إن غشّوا المسلمين لعدوّهم برئتْ منهم الذّمة ، وإن سبّوا مسلماً أن يُنهَكوا عقوبة ، وإن قاتلوا مسلماً أن يُقتلوا ؛ وعلى عمر مَنَعتهم ؛ وبرئ عمر إلى كلّ ذى عهد من معرّة الجيوش .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله والمستنير ، عن إبراهيم بمثله .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن ماهان ، ١/٢٤٧١ قال : كان أشقى أهل فارس بجلُولاء أهل الرّىّ ؛ كانوا بها حُماةَ أهل

---

(١) يلحج ؛ أى يصير علاجه عسراً ؛ ولحج الشىء ، إذا ضاق .
(٢) ط : « أوله » .

فارس ، ففنىَ أهلُ الرّىّ يوم جلولاء . وقالوا جميعًا : ولما رجع أهل جلولاء إلى المدائن نزلوا قطائعَهم ، وصار السواد ذمة لهم إلا ما أصفاهم الله به من مال الأكاسرة ، ومَن لجّ معهم . وقالوا جميعًا : ولما بلغ أهلَ فارس قولُ عمر ورأيه فى السواد وما خلْفه ، قالوا : ونحن نرضى بمثل الذى رضُوا به ، لا يرضى أكراد كلّ بلد أن ينالوا من ريفهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد وحكيم بن عُمَير ، عن إبراهيم بن يزيد ، قال : لا يحلّ اشتراء أرض فيما بين حُلوان والقادسيّة ؛ والقادسيّة من الصوافى ، لأنه لمن أفاءه الله عليه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبىّ مثله .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن المغيرة بن شِبْل ، قال : اشترى جرير من أرضِ السواد صافيةً على شاطئ الفُرات ، فأتى عمر فأخبره ، فردّ ذلك الشراء وكرهه ، ونهى عن شراء شىء لم يقتسمه أهله .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، قال : قلت للشعبىّ : أخِذ السواد عنوة ؟ قال : نعم ، وكلّ أرض إلاّ بعض القِلاع والحصون ؛ فإن بعضهم صالح وبعضهم غلب ، قلت : فهل لأهل السواد ذمّة اعتقدوها قبل الهرب ؟ قال : لا ، ولكنهم لما دُعوا ورضوا بالخراج وأخذ منهم صاروا ذمّة . ٢٤٧٢/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد العزيز ، عن حبيب بن أبى ثابت ، قال : ليس لأحد من أهل السواد عَقْد إلاّ بنى صَلوبا وأهل الحيرة وأهل كَلواذَى وقُرى من قرى الفُرات ، ثم غدروا ، ثم دُعوا إلى الذمّة بعد ما غدروا . وقال هاشم بن عُتبة فى يوم جلُولاء :

يومُ جَلولاءَ ويومُ رُستَمْ ويومُ زَحْفِ الكوفةِ المُقدَّمْ
ويومُ عَرْضِ النَّهرِ المحرَّمْ من بيْن أيّامٍ خلوْنَ صُرَّمْ

شَيَّبْنَ أصْداغى فَهنَّ هُرَّمْ مِثْلُ ثَغامِ البَلَدِ المحرَّمْ[١]

وقال أبو بُجيد فى ذلك :

ويومَ جَلولاء الوَقيعةِ أَصْبَحَتْ كتائبُنا تَرْدِى بأسْدٍ عَوَابِسِ[٢]

فَفَضَّتْ جموعَ الفرْسِ ثمّ أنمْتُهم فتَبًّا لِأَجْسادِ المجوسِ النَّجائسِ !

وأفلَتَهنّ الفيْرزانُ بجرْعَةٍ ومِهْرَانَ أرْدَتْ يومَ حَزِّ القَوَانسِ

أقاموا بِدارٍ لِلمَنِيَّة مَوْعِدٍ وللتُّرْبِ تحثوها خَجوجُ الرَّوامِسِ

١/٢٤٧٣ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : وقد كان عمر رضى الله عنه كتب إلى سعد : إنْ فتح الله عليكم جَلولاء فسرّح القعقاع بن عمرو فى آثار القوم حتى ينزل بحُلوان ، فيكون ردءاً للمسلمين ويحرز الله لكم سوادكم . فلما هزم الله عزّ وجلّ أهلَ جلولاء، أقام هاشم بن عتبة بجَلولاء، وخرج القعقاع بن عمرو فى آثار القوم إلى خانِقين فى جند من أفْناء الناس ومن الحمراء ، فأدرك سبْيًا من سبيِهم ؛ وقتل مقاتِلة مَنْ أدرك ، وقتل مِهْران وأفلت الفيرزان ؛ فلما بلغ يَزْدجرد هزيمةُ أهل جلولاء ومصاب مِهران ، خرج من حلوان سائراً نحو الرّىّ ، وخلف بحُلوان خيلاً عليها خسْرَوْشْنُوم ؛ وأقبل القعقاع حتى إذا كان بقصر شيرين على رأس فرسخ من حلوان خرج اليه خُسْرَوْشنوم ، وقدّم الزّينبى دِهْقان حُلوان ، فلقيه القعقاع فاقتتلوا فقتل الزينبىّ ، واحتقّ فيه عميرة بن طارق وعبد الله ، فجعله وسلبه بينهما ، فعدّ عميرة ذلك حُقْرة وهرب خُسْرَوْشنوم ، واستولى المسلمون على حُلوان وأنزلها القعقاع الحمراء ، ١/٢٤٧٤ وولّى عليهم[٣] قُباذ ، ولم يزل القعقاع هنالك على الثغر والجزاء بعد ما دعاهم ،

---

(١) « الثغام : نبت أبيض الثمر والزهر يشبه به بياض الشيب .

(٢) تردى بخيل عوابس ، أى ترمى بها للقتال .

(٣) ابن حبيش : « عليها » .

فتراجعوا وأقرّوا بالجزاء إلى أن تحوّل سعد من المدائن إلى الكوفة ، فلحق به ، واستخلف قُباذ على الثغر ، وكان أصلُه خراسانيًّا .

* * *

[ذكر فتح تَكْرِيت]

وكان فى هذه السنة ــ أعنى سنة ست عشرة فى رواية سيف ــ فتحُ تَكْرِيت ، وذلك فى جُمادى منها .

* ذكر الخبر عن فتحها :

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد وطلحة والمهلب وسعيد ، وشاركهم الوليد بن عبد الله بن أبى طَيْبة ، قالوا : كتب سعد فى اجتماع أهل الموصل إلى الأنطاق وإقباله حتّى نزل بتكْريت ، وخندق فيه عليه ليحمىَ أرضه ، وفى اجتماع أهل جلولاء على مِهران معه ؛ فكتب فى جلولاء ما قد فرغنا منه ، وكتب فى تكْرِيت واجتماع أهل الموصل إلى الأنطاق بها : أن سرّح إلى الأنطاق عبد الله بن المُعتمّ[1] ، واستعمل على مقدّمته ربعىَّ ١/٢٤٧٥ ابن الأفكَل العَنَزىّ ، وعلى ميمنته الحارثَ بن حسان الذهلىّ ، وعلى ميسرته فُراتَ بن حَيّان العِجلىّ ، وعلى ساقته هانئ بن قيس ، وعلى الخيل عرفجةَ ابن هَرْثمة ؛ ففصل عبد الله بن المعتمّ فى خمسة آلاف من المدائن ، فسار إلى تَكريت أربعا ؛ حتّى نزل على الأنطاق ؛ ومعه الرّوم وإياد وتغلِب والنَّمِر ومعه الشهارجة وقد خندقوا بها ؛ فحصرهم أربعين يومًا ، فتزاحفوا فيها أربعة وعشرين زحفًا ؛ وكانوا أهون شوْكة ، وأسرعَ أمراً من أهل جَلولاء ، ووكّل عبد الله بن المعتمّ بالعرب[2] ليدعوَهم إليه وإلى نصرته على الرّوم ؛ فهم لا يُخفون عليه شيئًا ؛ ولما رأت الرّوم أنهم لا يخرجون خرْجة إلاّ كانت عليهم ، ويُهزَمون فى كلّ ما زاحفوهم ؛ تركوا أمراءهم ، ونقلوا متاعَهم إلى السفن ، وأقبلت العيون من تغلِب وإياد والنَّمِر إلى عبد الله بن المعتمّ بالخبر ، وسألوه للعرب السلم ، وأخبروه أنهم قد استجابوا له ؛ فأرسل إليهم : إن كنتم

---

(١) المعتمّ ، ضبطه ابن الأثير بضم الميم وسكون العين المهملة وآخره ميم مشدّدة » .
(٢) س : « بالقرى » .

صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقرّوا بما جاء به من عند الله؛ ثم أعلمونا رأيكم. فرجعوا إليهم بذلك، فردّوهم إليه بالإسلام ؛ فردّهم إليهم ، وقال : إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد نَهدْنا إلى الأبواب التي تلينا لندخل عليهم منها ، فخذوا بالأبواب التي تلي دِجْلة ، وكبّروا واقتلوا مَن قدرتم عليه ؛ فانطلقوا حتى تُواطئوهم على ذلك . ونَهد عبد الله ١/٢٤٧٦ والمسلمون لما يليهم وكبّروا ، وكبّرت تغلِب وإياد والنَّمِر ؛ وقد أخذوا بالأبواب ، فحسب القوم أنّ المسلمين قد أتوْهم من خلفهم ، فدخلوا عليهم مما يلي دِجْلة ، فبادروا الأبواب التي عليها المسلمون ، فأخذتهم السيوف ؛ سيوف المسلمين مستقبلتَهم ، وسيوف الرَّبَعيِّين الذين أسلموا ليلتئذ من خلفهم ؛ فلم يفلت من أهل الخندق إلاّ مَنْ أسلم من تغلِب وإياد والنَّمِر . وقد كان عمر عهد إلى سعد ؛ إن هم هُزموا أن يأمر عبد الله بن المعتمّ بتسريح ابن الأفكَل العَنَزِىّ إلى الحِصْنين ؛ فسرّح عبدُ الله بن المعتمّ ابنَ الأفكل العَنَزِىّ إلى الحصنيْن ، فأخذ بالطريق ، وقال : اسبق الخبر ، وسر ما دون القيل ، وأحيِ الليل . وسرّح معه تغلِب وإياد والنَّمِر ، فقدمهم وعليهم عُتْبة بن الوعْل ؛ أحد بنى جشم بن سعد وذو القُرْط وأبو وداعة بن أبى كرب وابن ذى السُّنَيْنَة قتيل الكُلاب وابن الحجير الإيادىّ وبشر بن أبى حَوْط ١/٢٤٧٧ متساندين ، فسبقوا الخبر إلى الحصنيْن . ولما كانوا منها قريباً قدّموا عتبة ابن الوعل فادّعى بالظفر والنَّفل والقَفْل ، ثم ذو القُرْط ، ثم ابن ذى السُّنينة ، ثم ابن الحجير ، ثمّ بشر ؛ ووقفوا بالأبواب ، وقد أخذوا بها ، وأقبلت سَرَعان الخيل مع رِبعىّ بن الأفكل حتى اقتحمت عليهم الحصنيْن ، فكانت إيّاها ، فنادوا بالإجابة إلى الصلح ، فأقام من استجاب ، وهرب مَن لم يستجب ، إلى أن أتاهم عبد الله بن المعتمّ ، فلما نزل عليهم عبد الله دعا من لجّ وذهب ، ووفّى لمن أقام ، فتراجع الهرّاب واغتبط المقيم ، وصارت لهم جميعاً الذمة والمنَعَة ، واقتسموا فى تكريت على كلّ سهم ألف درهم ، للفارس[1] ثلاثة آلاف وللراجل ألف ، وبعثوا بالأخماس مع فُرات بن حَيّان ، وبالفتح

---

(١) س : « والفارس » .

مع الحارث بن حسان وولى حربَ الموصل رِبعىّ بن الأفكل ، والخراجَ عرْفجة ابن هرثمة .

* * *

[ذكر فتح ماسَبَذان]

وفى هذه السنة – أعنى سنة ست عشرة – كان فتح ماسَبَذان أيضًا .

* ذكر الخبر عن فتحها :

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ومحمد والمهلّب ٢٤٧٨/١ وعمرو وسعيد قالوا : ولما رجع هاشم بن عُتْبة من جَلُولاء إلى المدائن ، بلغ سعداً أن آذين بن الهرمزان قد جمع جمعًا ، فخرج بهم إلى السهل ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : ابعث إليهم ضرار بن الخطاب فى جُنْد واجعل على مقدّمته ابن الهذيل الأسدىّ، وعلى مجنّبتيه[1] عبد الله بن وهب الراسبىّ حليف بَجِيلة ، والمضارب بن فلان العجلىّ ؛ فخرج ضرار بن الخطاب ، وهو أحد بنى محارب بن فِهْر فى الجند ، وقدّم ابنَ الهذيل حتى انتهى إلى سهل ماسَبَذان ، فالتقوْا بمكان يدعَى بهَنْدف ، فاقتتلوا بها ، فأسرع المسلمون فى المشركين ، وأخذ ضرار آذين سَلَماً ، فأسره فانهزم عنه جيشه فقدّمه فضرب عنقه . ثم خرج فى الطلب حتى انتهى إلى السيرَوان فأخذ ماسَبَذان عنوة فتطاير أهلها فى الجبال ، فدعاهم فاستجابوا له ، وأقام بها حتى تحول سعد من المدائن فأرسل إليه ، فنزل الكوفة واستخلف ابن الهذيل على ماسَبَذان فكانت إحدى فروج الكوفة .

* * *

[ذكر وقعة قرقيسياء]

وفيها كانت وقعة قَرْقيسياء فى رَجب .

* ذكر الخبر عن الوقعة بها :

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ومحمد والمهلب ٢٤٧٩/١ وعمرو وسعيد ، قالوا : ولما رجع هاشم بن عُتْبة عن جَلُولاء إلى المدائن

---

(١) س وابن حبيش : « مجنبتة » .

وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة ، فأمدّوا هرقل على أهل حمص ، وبعثوا جنداً إلى أهل هيت ، وكتب بذلك سعد إلى عمر ، فكتب إليه عمر أن ابعث إليهم عمرَ بن مالك بن عُتْبة بن نوفل بن عبد مناف فى جند ، وابعث على مقدّمته الحارثَ بن يزيد العامرىّ، وعلى مجنّبتيه ربعىَّ بن عامر ومالكَ ابن حبيب ، فخرج عمر بن مالك فى جنده سائراً نحو هيت ، وقدّم الحارث ابن يزيد حتى نزل على مَن بهيت[1] ، وقد خندقوا عليهم . فلما رأى عمر ابن مالك امتناعَ القوم بخندقهم واعتصامهم به ، استطال ذلك ، فترك الأخبية على حالها وخلّف عليهم الحارث بن يزيد محاصرَهم[2] ، وخرج فى نصف النّاس يعارض الطريق حتى يجىء قَرْقيسياء فى عِرّة ، فأخذها عَنوة ، فأجابوا إلى الجزاء ، وكتب إلى الحارث بن يزيد إن هم استجابوا فخلّ عنهم فليخرجوا ، وإلاّ فخندق على خندقهم خندقاً أبوابُه ممّا يليك حتى أرى من رأيى . فسمحوا بالاستجابة ، وانضمّ الجند إلى عمر والأعاجم إلى أهل بلادهم .

* * *

١/٢٤٨٠ وقال الواقدىّ : وفى هذه السنة غرّب عمرُ أبا محجن الثقفىّ إلى باضع.[3]

قال : وفيها تزوّج ابن عُمر صفيّة بنت أبى عُبيدة .

قال : وفيها ماتت مارية أمّ ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمّ إبراهيم ، وصلّى عليها عمر ، وقبرها بالبَقيع ، فى المحرّم .

* * *

قال : وفيها كُتِب التأريخ فى شهر ربيع الأول .

قال : وحدّثنى ابنُ أبى سبرة ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبى رافع ، عن ابن المسيّب ، قال : أوّل مَن كتب التأريخ عمر ، لسنتين ونصف من خلافته ، فكتب لستّ عشرة من الهجرة بمشورة علىّ بن أبى طالب .

حدثنى عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا نُعيم

---

(١) ابن حبيش : «على هيت» .

(٢) ابن حبيش : «فحاصرهم» . ابن الأثير : «يحاصرهم» .

(٣) باضع ، ذكرها ياقوت ، وقال : إنها جزيرة فى بحر اليمن .

ابن حمّاد ، قال : حدّثنا الدراوردىّ ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبى رافع ، قال : سمعت سعيد بن المسيّب يقول : جمع عمرُ بن الخطاب الناسَ ، فسألهم من أىّ يوم نكتب ؟ فقال علىّ : من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك أرضَ الشرك . ففعله عمر .

وحدّثنى عبدُ الرحمن ، قال : حدّثنى يعقوب بن إسحاق بن أبى عباد[1] ، قال : حدّثنا محمد بن مسلم الطائفىّ ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : كان التأريخ فى السنة التى قدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . وفيها وُلد عبد الله بن الزبير .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطّاب ، واستخلف على المدينة — فيما زعم الواقدىّ — زيد بن ثابت . وكان عامل عمر فى هذه السنة على مكة عتّاب بن أسيد ، وعلى الطائف عثمان بن أبى العاص ، وعلى اليمن يعلَى ابن أميّة ، وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرمىّ ، وعلى عُمان حذيفة بن محصن ، وعلى الشأم كلها أبو عبيدة بن الجرّاح ، وعلى الكوفة سعد بن أبى وقاص ، وعلى قضائها أبو قُرّة ، وعلى البصرة وأرضها المُغيرة بن شعبة ، وعلى حرب الموصل ربعىّ بن الأفكل ، وعلى الخراج بها عرْفجة بن هرثمة فى قول بعضهم ، وفى قول آخرين عتبة بن فرْقد على الحرب والخراج — وقيل ذلك كلّه كان إلى عبد الله بن المعتمّ — وعلى الجزيرة عياض بن عمرو[2] الأشعرىّ . ١/٢٤٨١

---

(١) ط : « عتاب » ، وانظر التصويبات .

(٢) ط : « غنم » ، وانظر التصويبات .

ثم دخلت سنة سبع عشرة

ففيها اختُطّت الكوفة ، وتحوّل سعد بالناس من المدائن إليها فى قول سيف بن عمر وروايته .

ذكر سبب تحوُّل مَن تحوّل من المسلمين من المدائن إلى الكوفة وسبب اختطاطهم الكوفة فى رواية سيف

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو وسعيد ، قالوا : لما جاء فتح جَلولاء وحُلوان ونزول القعقاع بن عمرو بحُلوان فيمن معه ، وجاء فتح تكريت والحِصْنَيْن ، ونزول عبد الله بن المعتمّ وابن الأفكَل الحصنيْن فيمن معه ؛ وقدمت الوفود بذلك على عُمر ، فلمّا رآهم عمر قال : والله ما هيئتكم بالهيئة التى أبدأتم[1] بها ؛ ولقد قدمت وفود القادسيّة والمدائن وإنهم لكما أبدءوا ، ولقد انتكيتم فما غيّركم ؟ قالوا : وُخومة البلاد . فنظر فى حوائجهم ، وعجل سَراحهم ؛ وكان فى وفود عبد الله بن المعتمّ عُتبة بن الوعْل ، وذو القُرْط ، وابن ذى السُّنيْنَة ، وابن الحجيْر وبشْر ، فعاقدوا عمر على بنى تغلِب ، فعقد لهم ؛ على أنّ مَن أسلم منهم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، ومَن أبى فعليه الجزاء ؛ وإنمـا الإجبار من العرب على مَن كان فى جزيرة العرب . فقالوا : إذاً يهربون وينقطعون فيصيرون عجماً ؛ فأمرّ أجمَلُ الصّدقة ؛ فقال : ليس إلاّ الجزاء ، [illegible] : تجعل جزيتهم مثل صدقة المسلم ، فهو مجهودهم ، ففعل على ألاّ ينصّروا وليداً ممن أسلم آباؤهم ، فقالوا : لك ذلك ، فهاجر هؤلاء التغلَبيّون ومَن أطاعهم من النمريّين والأياديّين إلى سعد بالمدائن وخطّوا معه بعد بالكوفة ، وأقام مَن أقام فى بلاده على ما أخذوا لهم على عمر مسلمهُم وذمّيّهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن شُبرمة ، عن الشعبىّ ، قال : كتب حذيفة إلى عمر : إنّ العرب قد أترِفتْ بطونها ،

(١) أبدأ مثل بدأ ، وفى س : « ابتدأتم ».

وخفّت(١) أعضادُها ، وتغيّرت ألوانها . وحذيفة يومئذ مع سعد .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأصحابهما ، قالوا : كتب عمر إلى سعد : أنبئنى ما الذى غيّر ألوان العرب ولحومَهم؟ فكتب إليه : إنّ العرب خدّدهم(٢) وكفى(٣) ألوانهم وخُومة المدائن ودِجلة ؛ فكتب إليه : إن العرب لا يوافقها إلاّ ما وافق إبلَها من البلدان ، فابعث سلمان رائداً وحذيفة — وكانا رائدِى الجيش — فليرْتادا منزلا بريًّا بحريًّا ، ليس بينى وبينكم فيه بحر ولا جِسر ، ولم يكن بقى من أمر الجيش شىء إلا وقد أسنده إلى رجل ، فبعث سعد حذيفة وسلمان ، فخرج سلمان حتى يأتىَ الأنبار ، فسار فى غربىّ الفرات لا يرضى شيئًا ، حتى أتى الكوفة . وخرج حذيفة فى شرقىّ الفُرات لا يرضى شيئًا حتى أتى الكوفة ، والكوفة على حَصْباء — وكلّ رملة حمراء يقال لها سِهْلة ، وكلّ حصباء ورمل هكذا مختلطين فهو كوفة — فأتيا عليها ، وفيها دِيرات ثلاثة : دير حُرقة ، ودير أم عمرو ، ودير سِلسلة، وخِصاصٌ خلال ذلك ، فأعجبتهما البقعة ، فنزلا فصلّيا ، وقال كلّ واحد منهما : اللهمّ ربّ السماء وما أظلّت ، وربّ الأرض وما أقلتْ، والريح(٤) وما ذرَتْ، والنجوم وما هوَتْ ، والبحار وما جرَتْ، والشياطين وما أضلّت ، والخِصاص وما أجنّتْ ؛ باركْ لنا فى هذه الكوفة ، واجعله منزل ثبات . وكتب(٥) إلى سعد بالخبر .

١/ ٢٤٨٤

حدّثنى محمد بن عبد الله بن صفوان ، قال : حدّثنا أميّة بن خالد ، قال : حدّثنا أبو عوانة ، عن حُصَين بن عبد الرحمن ، قال : لما هزِم الناس يوم جَلُولاء ، رجع سعد بالناس ، فلمّا قدم عمار خرج بالناس إلى المدائن فاجتووْها ؛ قال عمّار : هل تصلح بها الإبل ؟ قالوا : لا ؛ إنّ بها البعوض ، قال : قال عمر : إنّ العرب لا تصلح بأرض لا تصلح بها الإبل .. قال : فخرج عمارٌ بالناس حتى نزل الكوفة .

---

(١) ابن الأثير : « وجفت » ؛ س : « ووهنت » .
(٢) خددهم ، أى أهزلهم . (٣) ابن حبيش : « وغير » .
(٤) ابن كثير : « ورب الريح» . (٥) ابن الأثير ، ابن حبيش : « فرجعا » .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مخلَد بن قيس ، عن أبيه ، عن النُّسَير[1] بن ثور ، قال : ولما اجتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلناها وآذاهم الغبار والذّباب ، وكتب إلى سعد فى بعثه رُوّاداً يرتادون منزلاً بريًّا بحريًّا ، فإن العرب لا يصلحها من البلدان إلاّ ما أصلح البعير والشاة ؛ ١/ ٢٤٨٥ سأل مَن قِبَله عن هذه الصفة فيما بينهم ، فأشار عليه مَن رأى العراق من وجوه العرب باللِّسان — وَظهْر الكوفة يقال له اللسان ، وهو فيما بين النهرين إلى العين ، عين بنى الحذاء ، كانت العرب تقول : أدلع البرّ لسانَه فى الريف ، فما كان يلى الفرات منه فهو المِلطاط ، وما كان يلى الطين منه فهو النِّجاف — فكتب إلى سعد يأمره به .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : ولما قدم سلمان وَحذيفة على سعد ، وأخبراه عن الكوفة ، وقدم كتاب عمر بالذى ذكرا له ، كتب سعد إلى القعقاع بن عمرو : أن خلِّف على الناس بجلولاء قُباذ فيمن تبعكم إلى من كان معه من الحمراء . ففعل وجاء حتى قدم على سعد فى جنده ، وكتب سعد إلى عبد الله بن المعتمّ : أن خلّف على الموصل مسلَم بن عبد الله الذى كان أسِر أيام القادسيّة فيمن استجاب لكم من الأساورة ، ومَن كان معكم منهم . ففعل ، وجاء حتى قدم على سعد فى جنده ، فارتحل سعد بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة فى المحرّم سنة سبع عشرة . وكان بين وقعة المدائن ونزول الكوفة سنة وشهران ، وكان بين قيام عمر واختطاط الكوفة ثلاث سنين وثمانية أشهر ؛ اختطّت سنة أربع ١/ ٢٤٨٦ من إمارة عمر فى المحرّم سنة سبع عشرة من التأريخ ، وأعطوا العطايا بالمدائن فى المحرّم من هذه السنة قبل أن يرتحلوا . وفى بَهُرَسير ، فى المحرّم سنة ستّ عشرة ، واستقرّ بأهل البصرة منزلهم اليوم بعد ثلاث نزلات قبلها ، كلّها ارتحلوا عنها فى المحرم سنة سبع عشرة ، واستقرّ باقى قرارهما اليوم فى شهر واحد .

* * *

وقال الواقدىّ : سمعتُ القاسم بن معن يقول : نزل الناس الكوفة فى آخر سنة سبع عشرة .

---

(١) ط : « اليسر » ، وانظر التصويبات .

قال : وحدّثني ابن أبى الرُّقاد ، عن أبيه ، قال : نزلوها حين دخلت سنة ثمانى عشرة ، فى أوّل السنة .

* * *

رجْع الحديث إلى حديث سيف . قالوا : وكتب عمر إلى سعد بن مالك وإلى عُتْبة بن غَزْوان أن يتربّعا بالناس فى كلّ حين ربيع فى أطيب أرضهم ، وأمر لهم بمعاونهم فى الربيع من كلّ سنة ، وبإعطائهم فى المحرّم من كلّ سنة ، وبفيئهم عند طلوع الشِّعْرى فى كلّ سنة ؛ وذلك عند إدراك الغلاَّت ، وأخذوا قبل نزول الكوفة عطاءين .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مخلد بن قيس ، عن رجل من بنى أسد يدعى المغرور [١] ، قال : لما نزل سعد الكوفة ، كتب إلى عمر : إنّى قد نزلت بكوفة منزلا بين الحيرة والفُرات برّيا بحريا ، يُنبت [٢] الحلىّ والنَّصِىّ [٣] ، وخيّرتُ المسلمين بالمدائن ، فمن أعجبه المقام فيها تركته فيها كالمسلحة . فبقى أقوام [٤] من الأفناء ، وأكثرهم بنو عَبْس . ١ / ٢٤٨٧

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد والمهلب ، قالوا : ولما نزل أهل الكوفةِ الكوفةَ ، واستقرّت بأهل البصرة الدار ، عرف القوم أنفسهم ، وثاب إليهم ما كانوا فقدوا . ثمّ إنّ أهلَ الكوفة استأذنوا فى بنيان القصَب ، واستأذن فيه أهل البصرة ، فقال عمر : العسكر أجدُّ [٥] لحربكم وأذكى لكم ، وما أحبّ أن أخالفكم ، وما القصب ؟ قالوا : العِكْرِش [٦] إذا رَوِىَ قصّب فصار قصبًا ، قال : فشأنكم ؛ فابتنى أهل المصريْن بالقصب .

ثم إنّ الحريق وقع بالكوفة وبالبصرة ، وكان أشدّهما حريقًا الكوفة ،

---

(١) ط « : المغرور » ، وانظر التصويبات .
(٢) س والنويرى : « يبيت » .
(٣) النصى : نبت سبط ناعم أبيض من أفضل المرعى .
(٤) س : « قوم » . (٥) النويرى وابن الأثير : « أشد » .
(٦) العكرش : نبات شبه الثيل ، أشد خشونة منه .

فاحترق ثمانون عريشًا ، ولم يبق فيها قَصبة فى شوّال ، فما زال الناس يذكرون ذلك . فبعث سعد منهم نفراً إلى عُمر يستأذنون فى البناء باللبِن ، فقدِموا عليه بالخبر عن الحريق ، وما بلغ منهم — وكانوا لا يَدَعون شيئًا ولا يأتونه إلاّ وآمَروه[1] فيه — فقال : افعلوا[2] ؛ ولا يزيدَنّ أحدُكم على ثلاثة أبيات ، ولا تطاوَلوا[3] فى البنيان ، والزموا السنّة تلزمكم الدولة . فرجع القوم إلى الكوفة بذلك . وكتب عمر إلى عُتبة وأهل البصرة[4] بمثل ذلك ؛ وعلى تنزيل أهل الكوفة أبو الهيّاج بن مالك ، وعلى تنزيل أهل البصرة عاصم ابن الدُّلَف أبو الجرباء. ٢٤٨٨/١

قال : وعهد عمر إلى الوفد وتقدّم إلى الناس ألاّ يرفعوا بنيانًا فوق القَدْر . قالوا : وما القدْر ؟ قال : ما لا يقرّبكم من السَّرَف ، ولا يخرجكم من القصد .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : لما أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة ، أرسل سعد إلى أبى الهيّاج فأخبره بكتاب عمر فى الطُّرُق ، أنه أمر بالمناهِج أربعين ذراعًا ، وما يليها ثلاثين ذراعًا ، وما بين ذلك عشرين ، وبالأزقّة سبع أذرع ، ليس دون ذلك شىء ، وفى القطائع ستين ذراعًا إلاّ الذى لبنى ضبّة . فاجتمع أهل الرأى للتقدير ؛ حتى إذا أقاموا على شىء قسّم أبو الهيّاج عليه ؛ فأوّل شىء خُطّ بالكوفة وبُنى حين عزموا على البناء المسجدُ ، فوُضع فى موضع أصحاب الصابون والتّمارين من السّوق ، فاختطوه ، ثم قام رجل فى وسطه ، رامٍ شديد النَّزْع ، فرمى عن يمينه فأمر مَنْ شاء أن يبنىَ وراء موقع ذلك السهم ، ورمى من بين يديه ومن خلفه ، وأمر مَن شاء أن يبنىَ وراء موقع السهمين . فترك المسجد فى مربّعةٍ غلوة[4] من كلّ جوانبه ، وبنى ظُلّةً فى مقدمه ، ليست لها مجنّبات ولا مواخير ، والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا — ٢٤٨٩/

---

(١) آمروه ، أى شاوروه . (٢) ابن حبيش : «افعلوا وابنوا » .

(٣) س : « ولا يتطاول أحد منكم » ، ابن حبيش : « ولا يتطاول أحد » .

(٤) ط : « علوه » تصحيف .

وكذلك كانت المساجد ما خلا المسجد الحرام ، فكانوا لا يشبّهون به المساجد تعظيماً لحرمته ، وكانت ظُلّته مائتى ذراع على أساطين رخام كانت للأكاسرة ، سماؤها كأسمية الكنائس الرّوميّة ، وأعلموا على الصحن بخندق لئلا يقتحمه أحد ببنيان، وبنَوا لسعد داراً بحياله بينهما طريق منقَبٌ مائتى ذراع ، وجعل فيها بيوت الأموال ، وهى قصر الكوفة اليوم، بنى ذلك له روزبه من آجرّ بنيان الأكاسرة بالحيرة ، ونهَج فى الودَعة من الصحن خمسة مناهج ، وفى قبْلته أربعة مناهج ، وفى شرقيّه ثلاثة مناهج ، وفى غربيّه ثلاثة مناهج ، وعلّمها ، فأنزل فى وَدَعة الصحن سليماً وثَقيفا مما يلى الصحن على طريقين ، وهَمْدان على طريق ، وبَجيلة على طريق آخر ، وتيْم اللاّت على آخرهم وتغلِب ، وأنزل فى قبلة الصحن بنى أسد على طريق ، وبين بنى أسَد والنَّخَع طريق ، وبين النَّخَع وكِندة طريق ، وبين كِنْدة والأزْد طريق ، وأنزل فى شرقىّ الصحن الأنصار ، ومُزَينة على طريق ، وتميماً ومحارباً على طريق ، وأسداً وعامراً على طريق ، وأنزل فى غربىّ الصحن بجالة وبَجْلة على طريق ، وجَديلةَ وأخلاطاً على طريق، وجُهينة وأخلاطاً على طريق ، فكان هؤلاء الذين يلون الصحن وسائر الناس بين ذلك ومن وراء ذلك . واقتُسِمت على السُّهْمان ؛ فهذه مناهجها العظمى . وبنوا مناهج دونها تحاذِى هذه ثم تلاقيها ، وأخَر تُتبعها ، وهى دونها فى الذَّرْع ، والمحالّ من ورائها ؛ وفيما بينها ، وجعل هذه الطرقات من وراء الصحن ، ونزل فيها الأعشار من أهل الأيّام والقوادس ، وحمى لأهل الثغور والموصل أماكنَ حتى يُوافوا إليها ؛ فلما ردفتهم الروادف؛ البدء والثّناء، وكثُروا عليهم، ضيّق الناس المحالّ فمَن كانت رادِفَتُه كثيرة شخص إليهم وترك محلّته ، ومَن كانت رادِفته قليلة أنزلوهم منازلَ مَن شخص إلى رادفته لقلّته إذا كانوا جيرانهم ؛ وإلاّ وسعوا على روادفهم وضيّقوا على أنفسهم ؛ فكان الصحن على حاله زمانَ عمر كله ، لا تطمع فيه القبائل ؛ ليس فيه إلا المسجد والقصر ، والأسواق فى غير بنيان ولا أعلام . وقال عمر : الأسواق على سنّة المساجد ، مَن سبق

١/٢٤٩٠

١/٢٤٩١

إلى مقْعد[١] فهو له ؛ حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه ؛ وقد كانوا أعدُّوا مُناخًا لكلّ رادف ؛ فكان كلّ مَن يجيء سواء فيه — وذلك المناخ اليومَ دور بنى البكّاء — حتى يأتوا بالهيّاج ، فيقوم فى أمرهم حتى يقطع لهم حيث أحبُّوا . وقد بنى سعد فى الذين خطُّوا للقصر قصراً بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم ، فشيّده ، وجعل فيه بيتَ المال ، وسكن ناحيتَه. ثم إنّ بيتَ المال نُقب عليه نقبًا ، وأخِذ من المال ، وكتب سعد بذلك إلى عمر ، ووصف له موضع الدّار وبيوت المال من الصّحن مما يلى وَدعة الدار. فكتب إليه عمر : أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جَنْب الدار ، واجعَل الدّار قبلته ؛ فإنّ للمسجد أهلا بالنهار وبالليل ؛ وفيهم حصن لمالهم ، فنقل المسجد وأراغ بنيانه ، فقال له دِهقان من أهل هَمَذان ؛ يقال له روزبه بن بُزُرْجُمِهر : أنا أبنيه لك ، وأبنى لك قصراً فأصِلُهما ، ويكون بنيانًا واحداً. فخطّ قصر الكوفة على ما خطّ عليه ، ثم أنشأه من نِقْضِ[٢] آجرّ قصر كان للأكاسرة فى ضواحى الحيرة على مساحته اليوم، ولم يسمح به، ووضع المسجد بحيال بيوت الأموال منه إلى منتهى القصر ، يَمْنة على القبلة ، ثم مدّ به عن يمين ذلك إلى منقطع رَحبَة علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، والرحبَة قبلته ، ثم مدّ به فكانت قبلة المسجد إلى الرّحَبة وميمنة القصر ، وكان بنيانه على أساطين من رُخام كانت لكسرى بكنائس بغير مجنّبات ؛ فلم يزل على ذلك حتى بنِيَ أزمانَ معاوية بن أبى سفيان بنيانَه اليوم ؛ على يدىْ زياد . ولما أراد زياد بنيانه دعا ببنّائين من بنّائِى الجاهليّة ، فوصف لهم موضع المسجد وقدرَه وما يشتهِى من طَوله فى السماء ، وقال : أشتهى من ذلك شيئًا لا أقع على صفته ؛ فقال له بنّاء قد كان بنّاءً لكسرى : لا يجىء هذا إلا بأساطين من جبال أهواز ، تُنقَر ثم تُثقَب ، ثم تحشى بالرصاص وبسفافيد[٣] الحديد ، فترفعه ثلاثين ذراعًا فى السماء ، ثم تسقّفه ، وتجعل له مجنّبات ومواخير ؛ فيكون أثبت له . فقال : هذه الصّفة التى كانت نفسى تنازعنى

١/٢٤٩٢

---

(١) س : « مقعده » .

(٢) النقض : اسم البناء المنقوض إذا هدم .

(٣) السفافيد : جمع سفود ؛ حديدة معقفة ذات شعب .

إليها ولم تعبرها . وغلّق باب القصر ، وكانت الأسواق تكون فى موضعه بين يديه ، فكانت غوغاؤهم تمنع سعداً الحديث ؛ فلمّا بنى ادّعى الناس عليه ١/٢٤٩٣ ما لم يقل ، وقالوا : قال سعد : سَكّن[1] عنى الصُّوَيت . وبلغ عمر ذلك ، وأنّ الناس يسمّونه قصر سعد ، فدعا محمد بن مسلمة ، فسرّحه إلى الكوفة ، وقال : اعمِد إلى القصر حتّى تحرِق بابه ، ثم ارجع عودَك على بدئك ؛ فخرج حتّى قدم الكوفة ، فاشترى حطبًا ، ثم أتى به القصر ، فأحرق الباب ، وأُتِيَ سعد فأخبر الخبر ، فقال : هذا رسول أرسِل لهذا من الشأن ، وبعث لينظر مَن هو ؟ فإذا هو محمد بن مسلَمة ، فأرسل إليه رسولاً بأن ادخل ، فأبى فخرج إليه سعد ، فأراده على الدخول والنزول ، فأبى ، وعرض عليه نفقة فلم يأخذ ، ودفع كتاب عمر إلى سعد : بلغنى أنك بنيت قصرًا اتّخذته حصنًا ، ويسمى قَصْر سعد ، وجعلت بينك وبين الناس بابًا ؛ فليس بقصرك ؛ ولكنه قصر الخَبال ؛ انزل منه منزلاً مما يلى بيوت الأموال وأغلقه ، ولا تجعل على القصر بابًا تمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ، ليوافقوا مجلسَك ومخرجك مِنْ دارك إذا خرجت ؛ فحلف له سعد ما قال الذى قالوا . ورجع محمد بن مسلَمة من فوره ؛ حتّى إذا دنا من المدينة فنى زادُه ، فتبلّغ بلحاء من لحاء الشجَر ، فقدم على عمر ، وقد سَنِق[2] فأخبره خبره كله ، فقال : فهلاّ قبلت من سعد ! فقال : لو أردت ذلك كتبتَ لى به ، أو أذنت ١/٢٤٩٤ لى فيه ، فقال عمر : إنّ أكملَ الرّجال رأياً من إذا لم يكن عنده عهد من صاحبه عمل بالحزم ، أو قال به ، ولم ينكل ؛ وأخبره بيمين سعد وقوله ، فصدّق سعداً وقال : هو أصدق ممن روى عليه ومَن أبلغنى .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطاء أبى محمد ، مولى إسحاق بن طلحة ، قال : كنت أجلس فى المسجد الأعظم قبل أن يبنيَه زياد ؛ وليست له مجنّبات ولا مَواخير ، فأرى منه دير هند وباب الجِسْر .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن شبرمة ، عن

---

(١) ابن الأثير : « سكنوا » ، النويرى : « سكتوا » . (٢) السنق : البشم .

الشعبىّ ، قال : كان الرجل يجلس فى المسجد فيرى منه باب الجسر .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمر بن عياش أخى أبى بكر بن عيّاش ، عن أبى كثير ، أن روزبه بن بزرجُمِهْر بن ساسان كان هَمَذانيًّا ، وكان على فَرْج من فُروج الرّوم ، فأدخل عليهم سلاحًا ، فأخافه الأكاسرة ، فلحق بالرّوم ، فلم يأمن حتى قدم سعد بن مالك ، فبنى له القصرَ والمسجد . ثم كتب معه إلى عمر ، وأخبره بحاله ، فأسلم ، وفرض له عمر وأعطاه ، وصرفه إلى سعد مع أكريائه — والأكرياء يومئذ هم العِباد — حتى إذا كان بالمكان الذى يقال له قبر العِبادىّ مات ، فحفروا له ، ثم انتظروا به من يمرّ بهم ممن يُشهدونه موته ، فمرّ قوم من الأعراب ، وقد حفروا له على الطريق ، فأرَوْهموه ليبرءوا من دمه ، وأشهدوهم ذلك ، فقالوا : قبر العِبادىّ — وقيل قبر العبادىّ لمكان الأكرياء — قال أبو كثير : فهو والله أبى ، قال : فقلت : أفلا تخبر الناس بحاله ! قال : لا . ٢٤٩٥/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد وزياد ، قالوا : ورَجح الأعشار بعضهم بعضًا رَجَحانًا كثيرًا ، فكتب سعد إلى عمر فى تعديلهم ، فكتب إليه : أن عَدّل لهم ، فأرسل إلى قوم من نُسّاب العرب وذوى رأيِهم وعقلائهم منهم سعيد بن نِمْران ومشعلة ابن نعم ، فعدّلوهم عن الأسباع ، فجعلوهم أسباعًا ، فصارت كنانة وحلفاؤها من الأحابيش وغيرهم ، وجديلة — وهم بنو عمرو بن قيس عيلانَ — سبعًا ، وصارت قضاعةَ — ومنهم يومئذ غسان بن شبام — وبجَيلة وخَثْعم وكِنْدة وحضرموت ، والأزْدُ سُبعًا ، وصارت مذحِج وحمير وَهمدان وحلفاؤهم سُبعًا ، وصارت تميم وسائر الرِّباب وهوازن سبعًا ، وصارت أسد وغطفان ومحارب والنَّمِر وضُبيعة وتغلِب سُبعًا ، وصارت إياد وعكّ وعبد القيس وأهل هَجَر والحمراء سبْعًا ، فلم يزالوا بذلك زمانَ عمر وعثمان وعلىّ ، وعامّة إمارة معاوية[1] ، حتى ربَّعهم زياد[2] .

(١) ابن حبيش : « إلى عامة » . (٢) س : « فولى زياد فربعهم » .

إعادة تعريف الناس

٢٤٩٦/١

وعرّفوهم على مائة ألف درهم ، فكانت كل عِرافة من القادسيّة خاصّة ثلاثة وأربعين رجلا وثلاثًا وأربعين امرأة وخمسين من العِيال ؛ لهم مائة ألف درهم ، وكلّ عِرافة من أهل الأيّام عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة ، وكلّ عيّل على مائة ، على مائة ألف درهم ، وكلّ عِرافة من الرّادفة الأولى ستّين رجلا وستين امرأة وأربعين من العيال ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم ، ثم على هذا من الحساب .

وقال عطيّة بن الحارث : قد أدركت مائة عريف ، وعلى مثل ذلك كان أهل البصرة ، كان العطاء يُدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرّايات ، والرّايات على أيادى العرب ، فيدفعونه إلى العُرفاء والنقباء والأمَناء ، فيدفعونه إلى أهله فى دُورهم .

* * *

فتوح المدائن قبل الكوفة

٢٤٩٧/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو وسعيد ، قالوا : فتوح المدائن السّواد وحُلوان وماسَبَذَان وقَرْقِيسيا ، فكانت الثُّغور ثغور الكوفة أربعةً : حُلْوان عليها القعقاع بن عمرو ، وماسَبَذَان عليها ضِرار بن الخطاب الفِهرىّ ، وقَرْقِيسياء عليها عمر بن مالك أو عمرو بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف ، والموصل عليها عبد الله بن المعتمّ ، فكانوا بذلك ، والناس مقيمون بالمدائن بعد ما تحوّل سعد إلى تمصير الكوفة ، وانضمام هؤلاء النفر إلى الكوفة واستخلافهم على الثغور مَن يمسك بها ويقوم عليها ؛ فكان خليفة القعقاع على حُلوان قُباذ بن عبد الله ، وخليفة عبد الله على الموصل مسلم بن عبد الله ، وخليفة ضرار رافع بن عبد الله ، وخليفة عمر عشنّق بن عبد الله ، وكتب إليهم عمر أن يستعينوا بمن احتاجوا إليه من الأساورة ، ويرفعوا عنهم الجِزاء ، ففعلوا . فلما اختّطت الكوفة وأذِن للناس بالبناء ، نقل الناس أبوابَهم من المدائن إلى الكوفة فعلّقوها على

ما بنوا وأوطنوا[١] الكوفة . وهذه ثغورهم ، وليس فى أيديهم من الرّيف إلا ذلك .

١/٢٤٩٨ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد عن عامر ، قال : كانت الكوفة وسوادها والفروج : حُلوان ، والموصل ، وماسَبَذان وقَرْقِيسياء . ثم وافقهم فى الحديث عمرو بن الريان ، عن موسى بن عيسى الهمْدانىّ بمثل حديثهم ، ونهاهم عمّا وراء ذلك ، ولم يأذن لهم فى الانسياح . وقالوا جميعًا : وَلِىَ سعد بن مالك على الكوفة بعد ما اختُطّت ثلاث سنين ونصفًا سوى ما كان بالمدائن قبلها ، وعماله ما بين الكوفة وحلوان والموصل وماسَبَذان وقَرْقيسياء إلى البصرة ، ومات عتبة بن غزوان وهو على البصرة فَطَنِع[٢] بعمله ، وسعد على الكوفة فولّى عمر أبا سبْرة مكان عتبة بن غزوان ، ثم عزل أبا سبْرة عن البصرة ، واستعمل المغيرة ، ثم عزل المغيرة ، واستعمل أبا موسى الأشعرىّ .

* * *

ذكر خبر حمص

حين قصد من فيها من المسلمين صاحبُ الروم

وفى هذه السنة قصدت الرّوم أبا عُبيدة بن الجرّاح ومَن معه من جند المسلمين بحمْص لحربهم ؛ فكان من أمرهم وأمر المسلمين ما ذكر أبو عبيدة ؛ وهو فيما كتب به إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد — قالوا : أوّلُ ما أذِن عمر للجند بالانسياح[٣] ؛ أن

١/٢٤٩٩ الرّوم خرجوا ، وقد تكاتبوا هم وأهلُ الجزيرة يريدون أبا عبيدة والمسلمين بحمْص ، فضَمّ أبو عبيدة إليه مسالحه ، وعسكروا[٤] بفناء مدينة حِمْص ، وأقبل خالد[٥] من قِنّسرين حتّى انضمّ إليهم فيمن انضمّ من أمراء المسالح ، فاستشارهم أبو عبيدة فى المناجزة أو التحصّن إلى مجىء الغِياث ، فكان[٦] خالد يأمره أن يناجزَهم ، وكان سائرهم يأمرونه بأن يتحصّن ، ويكتب إلى عمر ، فأطاعهم وعصَى خالداً ، وكتب إلى عمر [يخبره][٧] بخروجهم عليه ،

---

(١) أوطن البلد : اتخذه وطناً . وفى س : « ووطنوا » . (٢) س : « فطن بحمله » .
(٣) ابن حبيش : « فى الانسياح » . (٤) ابن الأثير والنويرى : « وعسكر » .
(٥) س : « خالد بن الوليد » . (٦) ابن حبيش : « وكان » . (٧) من س .

وشغلِهم أجنادَ أهل الشأم عنه ، وقد كان عمر اتّخذ فى كلّ مِصْر [١] على قدره خيولا من فضول أموال المسلمين عُدّة لكون إن كان ، فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فَرَس . فلمّا وقع الخبر لعمر كتب إلى سعد ابن مالك : أن اندب الناس [٢] مع القعقاع بن عمرو وسرّحهم من يومهم الذى يأتيك فيه كتابى إلى حِمْص ؛ فإنّ أبا عبيدة قد أحيط به ، وتقدّمْ [٣] إليهم فى الجدّ والحثّ .

وكتب أيضًا إليه أن سرّح سُهيل بن عدىّ إلى الجزيرة فى الجند وليأتِ الرَّقة [٤] فإنّ أهل الجزيرة . هم الذين استثاروا الرّوم على أهل حمص ؛ وإن أهل قرقِيسياء لهم [٥] سلَف. وسرّحْ عبد اللهبن عبد الله بن عِتْبان إلى نَصيبين ، فإن أهل قَرْقِيسياء لهم سلَف ، ثم لينفُضا [٦] حرّان والرُّهاء . وسرّحْ الوليد بن عُقْبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتَنُوخ وسرِّح عياضًا ؛ فإنْ كان قتال فقد جعلتَ أمرهم جميعًا إلى عياض بن غَنْم — وكان عياض من أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد ممدّين لأهل الشأم ، وممّن [٧] انصرف أيامَ انصرف أهل العراق ممدّين لأهل القادسيّة ، وكان يُرافد أبا عبيدة — فمضى القعقاع فى أربعة آلاف من يومهم الذى أتاهم فيه الكتاب نحو حِمْص ؛ وخرج عياض بن غَنْم وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على الفِراض وغير الفِراض ، وتوجّه كلّ أمير إلى الكُورة التى أمِّر عليها . فأتى الرّقة ، وخرج عمر من المدينة مغيثًا [٨] لأبى عبيدة يريد حِمْص حتى نزل الجابية . ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الرّوم على أهل حمص واستثاروهم [٩] وهم معهم مقيمون عن حديث مَن بالجزيرة منهم بأنّ الجنود [١٠] قد ضربت [١١] من الكوفة ، ولم [١٢] يدروا : أَلجزيرة يريدون أم حمص ! فتفرّقوا إلى بلدانهم

١/٢٥٠٠

(١) س : « على كل مصر » . (٢) س : « أن يندب الناس » .
(٣) وتقدم إليهم ، أى أمرهم . (٤) بعدها فى س : « إلى مجىء الغياث » .
(٥) س : « هم » . (٦) ابن الأثير والنويرى : « ليقصد » .
(٧) س : « ممن » ، ابن حبيش : « فيمن » . (٨) ابن حبيش : « معينا » .
(٩) ابن حبيش : « واستشاروهم » . (١٠) س : « الخيول » .
(١١) س : « قربت » . (١٢) س : « لم » .

وإخوانهم ، وخلَّوا الرّوم . ورأى أبوعبيدة أمراً لما انفضّوا غير الأوّل ، فاستشار
١/٢٥٠٣ خالداً فى الخروج ، فأمره بالخروج ، ففتح الله عليهم . وقدم القعقاع بن عمرو
فى أهل الكوفة فى ثلاث من يوم الوقعة ، وقدم عمر فنزل الجابية ، فكتبوا
١/٢٥٠٤ إلى عمر بالفتح وبقدوم المَدد عليهم فى ثلاث ، وبالحُكْم فى ذلك . فكتب
إليهم أن أشركوهم ، وقال : جزى الله أهلَ الكوفة خيراً ! يكفون حوْزتهم [١]
ويُمِدّون أهل الأمصار .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن زكرياء بن سِياه ، عن الشعبىّ ، قال : استمدّ أبو عبيدة عمرَ ، وخرجت عليه الرّوم ، وتابعهم النصارى فحصروه [٢] ، فخرج وكتب إلى أهل الكوفة ، فنفر إليهم فى غداة أربعة آلاف على البِغال يجنِبون الخيل ، فقدِموا على أبى عبيدة فى ثلاث بعد الوقعة ، فكتب فيهم إلى عمر ، وقد انتهى إلى الجابية ، فكتب إليه : أنْ أشرِكْهم [٣] ، فإنهم قد نفَروا إليكم ، وتفرّق لهم عدوّكم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن ماهان ، قال : كان لعمر أربعة آلاف فَرس عُدّة لكون إن كان ، يُشَتّيها فى قبلة قصر الكوفة وميْسرته ؛ ومن أجل ذلك يسمّى ذلك المكان الآرىّ إلى اليوم ، ويربّعها فيما بين الفرات والأبيات من الكوفة مما يلى العاقول ، فسمّته الأعاجم «آخُر الشاهجان» ، يعنونَ مَعْلَف الأمراء ، وكانَ قيِّمُه عليها سَلْمان ابن ربيعة الباهلىّ فى نفر من أهل الكوفة ، يصنِّع سوابقَها ، ويُجْريها فى كلّ عام ، وبالبصرة نحو منها ، وقيّمُه عليها جَزْء بن معاوية ، وفى كلّ مصر من الأمصار الثّمانية على قدرها ، فإن نابتهم نائبة ركب قوم
١/٢٥٠٥ وتقدّموا إلى أن يستعدّ الناس .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حلاّم ، عن شهر ابن مالك بنحو منه . فلما فرغوا رجعوا .

---

(١) ابن كثير : «يحمون حوزتهم» . (٢) س : «فحصروهم» .
(٣) ابن حبيش : «أشركوهم» .

[ذكر فتح الجزيرة]

وفى هذه السنة – أعنى سنة سبع عشرة – افتُتحت الجزيرة فى رواية سيف . وأما ابن إسحاق ، فإنه ذكر أنها افتُتحت فى سنة تسع عشرة من الهجرة ، وذكر من سبب فتحها ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة عنه ؛ أن عمر كتب إلى سعد بن أبى وقاص : إنّ الله قد فتح على المسلمين الشام والعراق ، فابعث من عندك جنداً إلى الجزيرة ، وأمِّر عليهم أحد الثلاثة : خالدَ بن عُرْفطة ، أو هاشمَ بن عتبة ، أو عياضَ بن غَنْم . فلما انتهى إلى سعد كتابُ عمر ، قال : ما أخّر أمير المؤمنين عياضَ بن غَنْم آخر القوم إلاّ أنه له فيه هوًى أن أولّيَه ؛ وأنا موليه . فبعثه وبعث معه جيشاً ، وبعث أبا موسى الأشعرى ، وابنه عمر بن سعد – وهو غلام حدَث السنّ ليس إليه من الأمر شىء – وعثمانَ بن أبى العاص بن بشْر الثقفىّ ، وذلك فى سنة تسع عشرة . فخرج عياض إلى الجزيرة ، فنزل بجنده على الرُّهاء فصالحه أهلُها على الجِزية ، وصالحت حرّان حين صالحت الرُّهاء، فصالحه أهلها على الجزية . ثمّ بعث أبا موسى الأشعرىّ إلى نصيبين ، ووجّه عمر بن سعد إلى رأس العين فى خيل ردءًا للمسلمين ، وسار بنفسه فى بقيّة الناس إلى دارا ، فنزل عليها حتّى افتتحها ،فافتتح أبو موسى نَصِيبين ، وذلك فى سنة تسع عشرة . ثمّ وجه عثمان بن أبى العاص إلى أرمينية الرابعة فكان عندها شىء من قتال ،أصيب فيه صفوان بن المُعطّل السُّلمىّ شهيداً . ثمّ صالح أهلها عثمان بن أبى العاص على الجِزْية ، على كلّ أهل بيت دينار .ثم كان فتح قيساريّة من فلسطين وهرب هرقل . ١/٢٥٠٦

وأما فى رواية سيف ؛ فإن الخبر فى ذلك ، فيما كتب به إلى السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد ، قالوا : خرج عياض بن غَنْم فى أثر القَعقاع ، وخرج القُوّاد – يعنى حين كتب عمر إلى سعد بتوجيه القعقاع فى أربعة آلاف من جنده مدداً لأبى عبيدة حين قصدته الروم وهو بحمْص – فسلكوا طريق الجزيرة على الفِراض وغيرها ،

فسلك سُهيل بن عدىّ وجنده[1] طريقَ الفِراض حتى انتهى إلى الرّقة[2] ، وقد ارفضّ أهلُ الجزيرة عن حِمْص إلى كُوَرِهم حين سمعوا بمُقبَل أهل الكوفة ، فنزل عليهم ، فأقام محاصرَهم حتى صالحوه ؛ وذلك أنهم قالوا فيما بينهم : أنتم بين أهل العراق وأهل الشأم ؛ فما بقاؤكم على حرب هؤلاء وهؤلاء ! فبعثوا فى ذلك إلى عياض وهو فى منزل واسط من الجزيرة ؛ فرأى أن يقبَل منهم ؛ فبايعوه وقبل منهم ؛ وكان الذى عقد[3] لهم سُهَيل بن عدىّ عن أمر عياض ، لأنه أمير القتال وأجروْا[4] ما أخذوا عَنْوة ، ثم أجابوا مُجرَى أهل الذّمة ، وخرج عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان ، فسلك على دِجْلة حتى انتهى إلى الموصل ، فعبر إلى بَلَد حتى أتى نصيبين ، فلقوه بالصّلح ، وصنعوا كما صنع أهل الرَّقة ، وخافوا مثل الذى خافوا ؛ فكتبوا إلى عياض ، فرأى أن يقبل منهم ، فعقد لهم عبد الله بن عبد الله ، وأجروْا ما أخذوا عَنْوة ، ثم أجابوا مُجرى أهل الذّمة ، وخرج الوليد بن عُقْبة حتى قدم على بنى تغلِب وعرب الجزيرة ، فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلاّ إياد ابن نزار ، فإنهم ارتحلوا بقلِّيَّتِهِم*[5] ، فاقتحموا أرض الرّوم ، فكتب بذلك الوليد إلى عمر بن الخطاب . ولما أعطى أهل الرّقة ونَصيبين الطاعة ضمّ عياض سهيلا وعبد الله إليه فسار بالناس إلى حَرّان ، فأخذ ما دونها . فلما انتهى إليهم اتقوه بالإجابة إلى الجزية فقبل منهم ، وأجرى مَن أجاب بعد غَلَبِه مُجْرى أهل الذّمة . ثم إنّ عياضًا سرّح سُهيلاً وعبد الله إلى الرُّهاء ، فاتقوهما بالإجابة إلى الجزية ، وأجرى مَن دونهم مجراهم ؛ فكانت الجزيرة أسهلَ البلدان أمراً ، وأيسره فَتْحًا ، فكانت تلك السهولة مهجَنة عليهم وعلى من أقام فيهم من المسلمين ، وقال عياض بن غَنْم[6] :

١/٢٥٠٧

١/٢٥٠٨

مَن مُبْلِغُ الأقوامِ أنّ جُموعَنا ... حوَتِ الجزيرةَ يومَ ذاتِ زِحامِ[7]

جَمعوُا الجزيرةَ والغِياثَ فَنَفّسُوا ... عَمّنْ بِحِمْصَ غَيابةَ القُدّامِ

(١) ابن حبيش : « فى جنده » .
(٢) ابن حبيش : « أهل الرقة » .
(٣) ابن حبيش : « عقده » .
(٤) س ، : « وأخذوا » .
(٥) بقليتهم ، يريد بعددهم القليل .
(٦) ياقوت ٣ : ٩٨ .
(٧) ياقوت وابن حبيش : « رجام » .

إنَّ الأعِزَّةَ والأكارِمَ مَعْشَرٌ فَضُّوا الجزيرَةَ عن فِراخ الهامِ[1]
غَلَبُوا المُلوكَ على الجزيرةِ فانتَهَوْا عن غَزْوِ مَنْ يأوِى بلادَ الشامِ

ولما نزل عمر الجابية ، وفرغ أهلُ حمص أمدّ عياض بن غَنْم بحبيب ابن مَسلمة ، فقدم على عياض مدداً[2] ، وكتب أبو عبيدة إلى عمر بعد انصرافه من الجابية يسأله أن يضمّ إليه عياض بن غَنْم إذ ضمّ خالداً إلى المدينة ، فصرفه إليه ، وصرف سهيل بن عدىّ وعبد الله بن عبد الله إلى الكوفة ليصرفهما إلى المشرق، واستعمل حبيب بن مَسْلمة على عجم الجزيرة وحربها ، والوليد بن عُقْبة على عرب الجزيرة ، فأقاما[3] بالجزيرة على أعمالهما .

قالوا : ولما قدم الكتاب من الوليد على عمر كتب عمر إلى ملك الروم : إنه بلغنى أنّ حيًّا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك ؛ فوالله لتُخرجنّه أَو لننبِذنّ إلى النصارى، ثم لنخرجنّهم إليك . فأخرجهم ملك الرّوم ، فخرجوا فتمّ منهم على الخروج أربعة آلاف مع أبى عدىّ بن زياد ، وخَنَس بقيّتهم ، فتفرّقوا فيما يلى الشام والجزيرة من بلاد الروم ؛ فكلّ إيادىّ فى أرض العرب من أولئك الأربعة الآلاف ؛ وأبَى الوليد بن عقبة أن يقبل من بنى تغلب إلاّ الإسلام ؛ فقالوا له : أمّا من نُقّب على قومه فى صلح سعد ومَن كان قَبلِه فأنتم وذاك ، وأمّا من لم ينقّب عليه أحد ولم يُجْرِ ذلك لمن نقب فما سبيلك عليه ! فكتب فيهم إلى عمر ، فأجابه عمر : إنما ذلك لجزيرة[4] العرب لا يقبل منهم فيها إلاّ الإسلام ، فدعْهم على ألاّ يُنصِّروا وليداً ، واقبل منهم إذا أسلموا . فقبل منهم على ألاّ يُنَصّروا وليداً ، ولا يمنعوا أحداً منهم من الإسلام ، فأعطَى بعضهم ذلك فأخذوا به ، وأبى بعضهم إلا الجِزاء ، فرضىَ منهم بما رضىَ من العِبَاد وتَنُوخ .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن أبى سيف التَّغلَبىّ ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد عاهد وَفْدَهم

١ / ٢٥٠٩

---

(١) ياقوت : « فراج » .
(٢) س وابن حبيش : « ممداً » .
(٣) ابن حبيش : « فأقاموا » .
(٤) ابن الأثير : « بجزيرة » .

على ألاّ يُنصِّروا وليداً ، فكان ذلك الشرط على الوفد وعلى من وفّدهم ، ولم يكن على غيرهم ، فلما كان زمان عمر [١] قال مسلموهم : لا تنفّروهم بالخراج فيذهبوا ، ولكن أضعِفوا عليهم الصدقة التى تأخذونها من أموالهم فيكون جزاء ؛

١/٢٥١٠ فإنهم يغضبون من ذكْر الجزاء على ألاّ ينصّروا مولوداً [٢] إذا أسلم آباؤهم . فخرج وفدُهم فى ذلك إلى عمر ؛ فلما بعث الوليد إليه برءوس النصارى وبديّانيهم ، قال لهم عمر : أدُّوا الجزية ، فقالوا لعمر : أبلغنا مأمننا ، والله [٣] لئن وضعت علينا الجزاء لندخلنّ أرض الرّوم ، والله لتفضحنا من بين العرب ، فقال لهم : أنتم فضحتم أنفسكم ، وخالفتم أمّتكم فيمن خالف وافتضح من عرب الضاحية ، وتالله لتؤدُّنّه وأنتم صَغَرة قَمَأة [٤] ، ولئن هربتم إلى الرّوم لأكتبنّ فيكم ، ثمّ لأسبِينّكم . قالوا : فخذ منا شيئاً ولا تسمّه جزاء ، فقال : أمّا نحن فنسمّيه جِزاء ، وسمُّوه أنتم ما شئتم . فقال له علىّ بن أبى طالب : يا أميرَ المؤمنين ، ألم يُضْعِف عليهم سعد بن مالك الصدقة ؟ قال : بلى ، وأصغى إليه ، فرضىَ به منهم جِزاء ، فرجعوا على ذلك ، وكان فى بنى تغلِب عزّ وامتناع ، ولا يزالون ينازعون الوليد ، فهمّ بهم الوليد ، وقال فى ذلك :

١/٢٥١١ إذا ما عَصَبْتُ الرأسَ مِنّى بِمِشْوَذٍ فغَيَّك مِنِّى تَغلِبَ ابنةَ وائِلِ [٥]

وبلغت عنه عمر ، فخاف أن يحرجوه [٦] وأن يضعف صبره فيسطوَ عليهم ، فعزله وأمّر عليهم فُرات بن حيّان وهند بن عمرو الجَمَلىّ ، وخرج الوليد واستودع إبلاً له حُريثَ بن النعمان ، أحدَ بنى كنانة بن تَيْم من بنِىَ تغلِب ، وكانت مائة من الإبل فاختانها بعد ما خرج الوليد .

وكان فتح الجزيرة فى سنة سبع عشرة فى ذى الحجة .

* * *

[خروج عمر بن الخطاب إلى الشام]

وفى هذه السنة — أعنى سنة سبع عشرة — خرج عمر من المدينة يريد

---

(١) س : « عثمان » . (٢) ابن حبيش : « وليداً » .
(٣) ابن كثير وابن حبيش : « فوالله » . (٤) القمىء : الحقير .
(٥) المشوذ : العمامة ؛ والبيت فى اللسان وتاج العروس — شوذ ، وفيهما : «يريد غيا لك ما أطوله منى ! » . (٦) س : « يخرجوه » .

الشام حتّى بلغ سَرْغ ، فى قول ابن إسحاق ، حدثنا بذلك ابن حميد عن سلمة عنه ، وفى قول الواقدىّ .

* ذكر الخبر عن خروجه إليها :

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : خرج عُمر إلى الشأم غازيًا فى سنة سبع عشرة ؛ حتى إذا كان بسرْغ لقيَه أمراء الأجناد ، فأخبروه أنّ الأرض سقيمة ، فرجع بالناس إلى المدينة .

وقد كان عمر — كما حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد ابن إسحاق ، عن ابن شهاب الزّهرىّ ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن عبد الله ابن عباس — خرج غازيًا ، وخرج معه المهاجرون والأنصار . وأوعب الناسُ معه ، حتى إذا نزل بسرْغ ، لقيَه أمراء الأجناد : أبو عبيدة ابن الجرّاح ، ويزيد بن أبى سفيان ، وشُرحبيل بن حَسَنة ؛ فأخبروه أنّ الأرض سقيمة[1] ، فقال عمر : اجمع إلىّ المهاجرين الأولين ، قال : فجمعتُهم له ، فاستشارهم ، فاختلفوا عليه ، فمنهم القائل: خرجتَ لوجه تريد فيه الله وما عنده ، ولا نرى أن يصدّك عنه بلاء عرض لك . ومنهم القائل : إنه لَبلاء وفَناء ما نرى أن تقدِم عليه ؛ فلما اختلفوا عليه قال : قوموا عنى ، ثم قال : اجمعْ لى مهاجِرة الأنصار ، فجمعتُهم له ، فاستشارهم فسلكوا طريق المهاجرين ، فكأنما سمعوا ما قالوا فقالوا مثله . فلما اختلفوا عليه قال : قوموا عنى ، ثم قال : اجمعْ لِى مهاجِرة الفَتْح من قريش ، فجمعتُهم له ، فاستشارهم فلم يختلف عليه منهم اثنان ، وقالوا : ارجع بالناس ، فإنه بلاء وفناء . قال : فقال لى عمر : يابنَ عباس ، اصرُخْ فى الناس فقل : إنّ أمير المؤمنين يقول لكم إنى مُصبِح على ظَهْر ، فأصبِحُوا عليه قال : فأصبح عمر على ظَهْر ، وأصبح الناس عليه ، فلما اجتمعوا عليه قال : أيّها الناس ؛ إنى راجع فارجعوا، فقال له أبو عبيدة بن الجراح : أفراراً من قَدَر الله ! قال : نعم فراراً من قَدَر الله إلى قَدَر الله ؛ أرأيت لو أن

٢٥١٢/١

٢٥١٣/١

(١) بعدها فى س : «قال» .

رجلاً هبط وادياً له عُدْوتان : إحداهما خَصِبَة والأخرى جَدْبة ، أليس يرعى مَنْ رعَى الجدْبة بقَدر الله ، ويرعَى مَن رَعى الخصبة بقَدر الله ! ثم قال : لو غيرك يقول[1] هذا يا أبا عبيدة ! ثم خلا به بناحية دون الناس ؛ فبينا الناس على ذلك إذْ أتى عبدُ الرحمن بن عوف — وكان متخلِّفاً عن الناس لم يشهدهم بالأمس — فقال : ما شأن الناس ؟ فأخبِر الخبر ، فقال : عندى من هذا علم ، فقال عمر : فأنت عندنا الأمين المصدّق ، فماذا عندك ؟ قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد[2] فلا تقدِموا عليه ، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فِراراً منه » ؛ ولا يخرجنّكم إلاّ ذلك ، فقال عمر : فلله الحمد ! انصرفوا أيها الناس ، فانصرف بهم .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهرىّ ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة وسالم بن عبد الله بن عمر ؛ أنهما حدّثاه أنّ عمر إنما رجع بالناس عن حديث عبد الرحمن بن عوف ؛ فلما رجع عمر رجع عمّال الأجناد إلى أعمالهم .

* * *

وأما سيف ، فإنه روى فى ذلك ما كتَب به إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى حارثة وأبى عثمان والربيع ، قالوا : وقع الطاعون بالشام ومصر والعراق ، واستقرّ بالشام ، ومات فيه الناس الذين هم فى كلّ الأمصار ١/٢٥١٤ فى المحرّم وصفر ، وارتفع عن الناس وكتبوا بذلك إلى عمر ما خلا الشام ، فخرج حتّى إذا كان منها قريباً بلغه أنه أشدّ ما كان ، فقال وقال الصحابة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا كان بأرض وباء فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » ، فرجع حتّى ارتفع عنها ؛ وكتبوا بذلك إليه وبما فى أيديهم من المواريث ، فجمع الناس فى جمادى الأولى سنة سبع عشرة ، فاستشارهم فى البُلدان ، فقال : إنى قد بدا[3] لى أنْ أطوف على المسلمين[4] فى بلدانهم لأنظر فى آثارهم ، فأشيروا علىّ — وكعب الأحبار

(١) ابن كثير : « يقولها » .
(٢) س : « ببلاد » . ابن كثير : « بأرض قوم » .
(٣) س : « إنى أريد » . (٤) س : « الناس » .

فى القوم ، وفى تلك السنة من إمارة عمر أسلم — فقال كعب : بأيّها تريد أن تبدأ يا أمير المؤمنين ؟ قال : بالعراق ، قال : فلا تفعل ؛ فإن الشرّ عشرة أجزاء والخير عشرة أجزاء،فجزء من الخير بالمشرق وتسعة بالمغرب ، وإنّ جزءاً من الشرّ بالمغرب وتسعة بالمشرق،وبها قرن الشيطان ، وكلّ داء عضال .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد ، عن الأصبغ ، عن علىّ ، قال : قام إليه علىّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، والله إنّ الكوفة للهجرة بعد الهجرة ، وإنها لقبّة الإسلام ، وليأتينّ عليها يوم لايبقى مؤمن إلاّ أتاها وحنّ إليها ؛ والله ليُنصرَنّ بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط . ٢٥١٥/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المطرّح ، عن القاسم ، عن أبى أمامة ، قال : وقال عثمان : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنّ المغرب أرض الشرّ ، وإن الشرّ قسم مائة جزء ؛ فجزء فى الناس وسائر الأجزاء بها .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى يحيى [1] التميمىّ ، عن أبى ماجد ، قال : قال عمر : الكوفة رمح الله ، وقبّة الإسلام ، وجمجمة العرب ، يكفُون ثغورَهم ، ويمدّون الأمصار ، فقد ضاعت مواريث أهل عمَوَاس ، فأبدأ بها .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان وأبى حارثة والربيع بن النعمان ، قالوا : قال عمر : ضاعت مواريث الناس بالشأم ؛ أبدأ بها فأقسم المواريث ، وأقيم لهم ما فى نفسى ، ثمّ أرجع فأتقلّب فى البلاد ، وأنبِذ إليهم أمرى . فأتى عمر الشام أربعَ مرّات ، مرّتين فى سنة ست عشرة ، ومرّتين فى سنة سبع عشرة ، لم يدخلها فى الأولى من الآخرتين .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن بكر بن وائل ، عن محمد بن مسلم ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « قُسّم الحفظ عشرة أجزاء ، فتسعة فى التُّرك وجزء فى سائر الناس ، وقُسّم البخل عشرة أجزاء ، فتسعة فى فارس ، وجزء فى سائر الناس ؛ وقسّم السخاء عشرة أجزاء ، ٢٥١٦/١

(١) ط : « يحيى » ، واسمه إسماعيل بن يحيى ؛ وانظر ميزان الاعتدال .

فتسعة فى السودان ، وجزء فى سائر الناس ، وقُسِّم الشَّبَق عشرة أجزاء ، فتسعة فى الهند ، وجزء فى سائر الناس ؛ وقسِّم الحياء عشرة أجزاء ، فتسعة فى النساء ، وجزء فى سائر الناس ، وقسِّم الحسَد عشرة أجزاء ، فتسعة فى العرب وجزء فى سائر الناس ، وقُسم الكِبْر عشرة أجزاء ، فتسعة فى الرّوم وجزء فى سائر الناس .

* * *

واختُلف فى خبر طاعون عَمَواس[1] وفى أىّ سنة كان ، فقال ابن إسحاق ما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عنه ، قال : ثم دخلت سنة ثمانى عشرة ؛ ففيها كان طاعون عَمَواس ، فتفانى فيها الناس ، فتوفِّىَ أبو عبيدة ابن الجراح ؛ وهو أمير الناس ، ومُعاذ بن جبل ، ويزيد بن أبى سفيان ، والحارث ابن هشام ، وسُهَيل بن عمرو ، وعُتْبة بن سهيل ، وأشرافُ الناس .

وحدّثنى أحمد بن ثابت الرازىّ ، قال : حُدِّثنا عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى مَعْشر ، قال : كان طاعون عَمَواس والجابية فى سنة ثمانىَ عشرة .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن شعبة بن الحجاج ، عن المخارق بن عبد الله البَجَلىّ ، عن طارق بن شهاب البَجَلىّ ، قال : أتينا أبا موسى وهو فى داره بالكوفة لنتحدّث عنده ، فلما جلسنا قال : لاعليكم أن تخفّوا ، فقد أصيب فى الدار إنسان بهذا السقم ، ولا عليكم أن تَتنزّهوا عن هذه القرية ، فتخرجوا فى فسيح بلادكم ونُزَهها حتى يُرفع هذا الوباء ؛ سأخبركم بما يكرَه مما يتّقى ، من ذلك أن يظن مَنْ خرج أنه لو أقام مات ، ويظنّ مَن أقام فأصابه ذلك لو أنه لوخرج لم يصبه ، فإذا لم يظنّ هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج ، وأن يتنزّه عنه ؛ إنى كنت مع أبى عبيدة بن الجرّاح بالشأم عام طاعون عَمَواس ، فلما اشتعل الوجع ، وبلغ ١/٢٥١٧

---

(١) عمواس ، ضبطه ياقوت بفتحات ، وقال : « رواه الزمخشرى بكسر أوله وسكون الثانى ورواه غيره بفتح أوله وثانيه وآخره سين مهملة » .

ذلك عمرَ ، كتب إلى أبى عبيدة ليستخرجه منه : أن سلام عليك ، أمّا بعد ، فإنه قد عرضتْ لى إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها ، فعزمت عليك إذا نظرت فى كتابى هذا ألاّ تضعَه من يدك حتى تقبل إلىّ . قال : فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء، قال[1] : يغفر الله لأمير المؤمنين ! ثمّ كتب إليه : يا أميرَ المؤمنين ، إنى قد عرفت حاجتك إلىّ ، وإنى فى جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم حتى يقضىَ الله فىّ وفيهم أمره وقضاءه؛ فحلّلنى[2] من عزْمتك يا أمير المؤمنين، ودَعْنى فى جندى . فلما قرأ عمر الكتاب بكَى ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين ، أمات أبو عبيدة ؟ قال : لا ، وكأنْ قدْ . قال : ثم كتب إليه : سلام عليك، أما بعد، فإنك أنزلتَ الناس أرضًا غَمِقة[3] ، فارفعهم إلى أرض مرتفعة نَزِهة . فلما أتاه كتابه دعانى فقال : يا أبَا موسى ، إنّ كتاب أمير المؤمنين قد جاءنى بما ترى ، فاخرج فارتدْ للناس منزلا حتى أتبعك بهم ، فرجعتُ إلى منزلى لأرتحل ، فوجدت صاحبتى قد أصيبت ، فرجعت إليه ، فقلت له : والله لقد كان فى أهلى حَدَث، فقال : لعلّ صاحبتك أصيبت! قلت : نعم ، قال : فأمر ببعيره فرحِل له ، فلما وضع رجلَه فى غَرْزه طُعِن ، فقال : والله لقد أصِبْت . ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ، ورُفِع عن الناس الوباء .

١/٢٠١٨

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبان بن صالح ، عن شهر بن حوشب الأشعرىّ ، عن رابة — رجل من قومه، وكان قد خلَف على أمه بعد أبيه، كان شهد طاعون عَمَواس — قال : لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة فى الناس خطيبًا، فقال : أيّها الناس ، إنّ هذا الوجَع رحمة بكم ودعوة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، وموت الصالحين قبلكم ، وإنّ أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظّه . فطُعِن فمات ،

١/٢٠١٩

(١) ابن كثير : « فقال » . (٢) ابن الأثير وابن كثير : « فخلنى » .
(٣) غمقة ، من الغمق ؛ وهو فساد الريح وخمومها ، وفى ط : « عميقة »، وما أثبته من الفائق ٢ : ٢٣٦

واستُخلِف على الناس مُعاذ بن جبَل . قال : فقام خطيباً بعده ، فقال : أيها الناس ، إنّ هذا الوجع رحمة ربّكم ، ودعوة نبيكم وموْت الصالحين قبلكم ، وإن مُعاذاً يسأل الله أن يقسم لآل مُعاذ منه حظهم ، فطُعِن ابنه عبد الرحمن بن مُعاذ ، فمات . ثمّ قام فدعا به لنفسه ، فطعِن فى راحته ؛ فلقد رأيتُه ينظر إليها ثم يقبّل ظهرَ كفه ، ثم يقول : ما أحبّ أنّ لى بما فيكِ شيئاً من الدنيا ، فلما مات استُخلف على الناس عمرو بن العاص ، فقام خطيباً فى الناس ، فقال : أيها الناس ، إنّ هذا الوجَع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار ، فتجبّلوا[1] منه فى الجبال . فقال أبو واثلة الهُذَلىّ : كذبت ؛ والله لقد صحبتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأنت شرّ من حمارى هذا ! قال : والله ما أردّ عليك ما تقول ، وايمُ الله لا نقيم عليه . ثم خرج وخرج الناس فتفرّقوا ، ورفعه الله عنهم . قال : فبلغ ذلك عمَر بن الخطاب من رأى عمرو بن العاص ، فوالله ما كرهه . ٢٥٢٠/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن رجل ، عن أبى قِلابة عبد الله بن زيد الجَرْمىّ ، أنه كان يقول : بلغنى هذا من قول أبى عبيدة وقول مُعاذ بن جبل : إنّ هذا الوَجع رحمة بكم ودعوة نبيّكم ، وموت الصالحين قبلكم ؛ فكنتُ أقول : كيف دعا به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأمّته ، حتى حدّثنى بعضُ من لا أتّهم عن رسول الله أنّه سمعه منه ، وجاءه جبريل عليه السلام فقال : « إن فناء أمتك يكون بالطعن أو الطاعون » ؛ فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهمّ فَناء الطاعون ! » فعرفت أنها التى كان قال أبو عبيدة ومُعاذ .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ولما انتهى إلى عمر مصابُ أبى عبيدة ويزيد بن أبى سفيان ، أمّر معاوية ابن أبى سفيان على جُند دمشق وخراجها ، وأمّرَ شُرحبيل بن حَسَنة على جُند الأردنّ وخراجها .

وأما سيف ، فإنه زعم أن طاعون عَمَواس كان فى سنة سبع عشرة .

---

[1] تجبل القوم ، أى دخلوا فى الجبل .

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب ، عن سيف، عن أبى عثمان وأبى حارثة والربيع بإسنادهم ، قالوا : كان ذلك الطاعون — يعنون طاعون عمَواس — موتانًا لم يُرَ مثله ، طمع له العدوّ فى المسلمين ، وتخوّفت(١) له قلوب المسلمين، كَثُرَ موته ، وطال مكثُه ، مكث أشهراً حتى تكلّم فى ذلك الناس .

١/ ٢٥٢١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ، عن أبى سعيد ، قال : أصاب البصرة من ذلك موت ذريع ، فأمر رجل من بنى تميم غلامًا له أعجميًّا أن يحمل ابنًا له صغيراً ليس له ولد غيره على حمار ، ثم يسوق به إلى سفَوان، حتى يلحقه. فخرج فى آخر الليل ثم اتّبعه ، وقد أشرف على سفَوا ن ، ودنا من ابنه وغلامه ، فرفع الغلام عقيرته(٢) يقول :

لَنْ يُعْجِزوا اللهَ على حِمَارِ ولا على ذى غُرَّةٍ مُطارِ

* قد يُصْبِحُ المَوْتُ أمامَ السارى *

فسكت حتى انتهى إليهم ، فإذا هم هم؛ قال : ويحك ، ما قلت ! قال : ما أدرى ، قال: ارجعْ ، فرجع بابنه ، وعلم أنه قد أسمع آيةً وأُرِيَها .

قال : وعزم رجل على الخروج إلى أرض بها الطاعون فتردد بعد ما طُعن ، فإذا غلام له أعجمىّ يحدو به :

يأيُّها المُشْعَرُ هَمًّا لا تَهُمّ إنَّكَ إنْ تُكْتَبْ لك الحُمَّى تُحَمْ

* * *

وفى هذه السنة — أعنى سنة سبع عشرة — كان خروج عمر إلى الشأم الخرْجة الأخيرة فلم يعد إليها بعد ذلك فى قول سيف؛ وأما ابن إسحاق فقد مضى ذكره .

١/ ٢٥٢٢

* ذكر الخبر عن سيف فى ذلك ، والخبر عمّا ذكره عن عمر فى خرجته تلك أنه أحدث فى مصالح المسلمين :

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان وأبى حارثة والرّبيع ، قالوا : وخرج عمر وخلف عليًّا على المدينة ، وخرج معه بالصحابة

(١) س : « وتخرقت » . (٢) عقيرته ، أى صوته .

وأغذُّوا السير واتّخذَ أيلة طريقًا ؛ حتى إذا دنا منها تنحَّى عن الطريق ، واتّبعه غلامه ، فنزل فبال ، ثم عاد فركب بعير غلامه ، وعلى رَحْله فَرْو مقلوب ، وأعطى غلامه مركبه ، فلمّا تلقّاه أوائلُ الناس ، قالوا : أين أميرالمؤمنين ؟ قال : أمامكم – يعني نفسه – وذهبوا هم إلى أمامهم ، فجازوه حتى انتهى هو إلى أيلَة فنزلها وقيل للمتلقّين : قد دخل أميرُ المؤمنين أيْلة ونزلها . فرجعوا إليه .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لما قدم عمر بن الخطاب أيْلة ، ومعه المهاجرون والأنصار دفع قميصًا له كرابيس (١) قد انجابَ مؤخّره (٢) عن قَعْدته من طول السير إلى الأُسقفّ ، وقال : اغسل هذا وارقعه ، فانطلق الأسقفّ بالقميص ، ورقعه ، وخاط له آخر مثلَه ، فراح به إلى عمر ، فقال : ما هذا ؟ قال الأسقفّ : أمّا هذا فقميصك قد غسلتُه ورقعته ، وأما هذا فكسوة لك منّي . فنظر إليه عمر ومسحه ، ثم لبس قميصه ، وردّ عليه ذلك القميص ، وقال : هذا أنشفُهما للعرَق . ٢٥٢٣/١

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطيّة وهلال ، عن رافع بن عمر ، قال : سمعتُ العباس بالجابية يقول لعمر : أربع مَن عمِل بهنّ استوجب العدل : الأمانة في المال ، والتسوية في القَسْم ، والوفاء بالعِدَة ، والخروج من العيوب ؛ نظِّف نفسَك وأهلك .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب عن سيف ، عن أبي عثمان والربيع وأبي حارثة بإسنادهم ، قالوا : قسم عمر الأرزاق ، وسمَّى الشواتِيَ والصوائف ، وسدّ فروجَ الشأم ومسالِحها ، وأخذ يدور بها ، وسمَّى ذلك في كلّ كُورة ، واستعمل عبد الله بن قيس على السواحل من كلّ كورة ، وعزل شُرحبيل ، واستعمل معاوية ، وأمَّر أبا عبيدة وخالداً تحته ، فقال له شرحبيل : أعَن

---

(١) كرابيس : جمع كرباس ؛ وهو القطن ؛ وفي اللسان : « وفي حديث عمر رضي الله عنه : وعليه قميص من كرابيس » . (٢) انجاب : انشق .

سُخطة عزلتَنى يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، إنك لكما أحبّ ، ولكنى أريد رجلاً أقوى من رجل ، قال : نعم ، فاعذرنى فى الناس لاتُدْركنى هُجْنة، فقام فى الناس ، فقال : أيّها الناس ، إنى والله ما عزلتُ شُرحبيل عن سخطة ، ولكنى أردت رجلا أقوى من رجل . وأمَّر عمرو بن عَبَسة على الأهراء ، وسمى كلّ شىء ، ثم قام فى الناس بالوَداع .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى ضَمْرة وأبى عمرو ، عن المستورِد ، عن عدىّ بن سُهيل ، قال : لما فرغ عمر من فروجه وأموره قسم المواريث ، فورّث بعضَ الورثة من بعض ، ثم أخرجها إلى الأحياء من وَرَثة كلّ امرىء منهم . ١/٢٥٢٤

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ : وخرج الحارث بن هشام فى سبعين من أهل بيته[1] ، فلم يرجع منهم إلا أربعة ، فقال المهاجر بن خالد بن الوليد :

مَنْ يَسْكُنِ الشأمَ يُعَرِّسْ بِهِ … والشأمُ إن لم يُفنِنا كارِبُ
أفنَى بَنى رَيْطَةَ فُرسانَهُمْ … عِشرون لم يُقصَصْ لهم شارِبُ
ومِنْ بَنى أعمامِهِمْ مِثلَهُمْ … لِمِثلِ هذا أعْجِبَ العاجِبُ
طعناً وطاعوناً مَنَاياهُمُ … ذلك ما خَطّ لنا الكاتِبُ

قال : وقَفَل عمر من الشأم إلى المدينة فى ذى الحجة ، وخطب حين أراد القفول ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال : ألا إنى قد وُلِّيتُ عليكم وقضيتُ الذى علىّ فى الذى ولاّنى الله من أمركم ، إن شاء الله قسطْنا بينكم فيئكم ومنازلكم ومغازيكم ، وأبلغنا ما لديكم ، فجنَّدنا لكم الجنود ، وهيَّأنا لكم الفروج ، وبوّأناكم[2] ووسّعنا عليكم ما بلغ فيئُكم وما قاتلتم عليه من شأمكم ، وسمّينا لكم أطماعكم ، وأمرنا لكم بأعطياتكم[3] ، وأرزاقكم ومغانمكم[4]

(١) ابن كثير : « من أهله » . (٢) ابن كثير : « وبوأنا لكم » .
(٣) كذا فى ابن كثير ، وفى ط : « بإعطائكم » .
(٤) كذا فى ابن كثير ، وفى ط : « ومعاونكم » .

١/٢٥٢٥ فمن علم عِلمَ شىء ينبغى العمل به فبلّغنا(١) نعملْ به إن شاء الله ، ولا قوّة إلاّ بالله . وحضرت الصلاة ، وقال الناس : لو أمرتَ بلالا فأذّن ! فأمره فأذّن ، فما بقىَ أحدٌ كان أدرك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وبلال يؤذّن له إلاّ بكى حتى بلّ لحيته ، وعمر أشدّهم بكاء ، وبكى مَنْ لم يدركه ببكائهم ، ولذكره صلى الله عليه وسلم .

* * *

[ذكر خبر عزل خالد بن الوليد]

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان وأبى حارثة ، قالا : فما زال خالد على قِنَّسرين حتى غزا غزْوته التى أصاب فيها ، وقسم فيها ما أصاب لنفسه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى المجالد مثله . قالوا : وبلغ عمرَ أنّ خالداً دخل الحمام ، فتدلّك بعد النورة بثخين عُصفر معجون بخمر ؛ فكتب إليه : بلغنى أنك تدلّكت بخمر ؛ وإنّ الله قد حرّم ظاهرَ الخمر وباطنه ، كما حرّم ظاهر الإثم وباطنه ، وقد حرّم مسّ الخمر إلاّ أن تغسَل كما حرّم شربها ، فلا تُمِسّوها أجسادكم فإنّها نَجَس ، وإن فعلتم فلا تعودوا .

فكتب إليه خالد : إنّا قتلناها فعادت غَسُولا غير خمر . فكتب إليه عمر : إنّى أظن آل المغيرة قد ابتُلُوا بالجفاء ، فلا أماتكم الله عليه ! فانتهى إليه ذلك .

* * *

وفى هذه السنة — أعنى سنة سبع عشرة — أدرب(٢) خالد بن الوليد وعياض ابن غَنْم فى رواية سيف عن شيوخه .

(١) ابن كثير : « فليعلمنا » .
(٢) الدرب فى الأصل : المضيق فى الجبال ؛ وأطلق على كل مدخل إلى بلاد الروم .

• ذكر من قال ذلك :

١/٢٠٢٦ كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان وأبي حارثة والمهلّب ، قالوا : وأدرب سنة سبع عشرة خالد وعياض ، فسارا فأصابا أموالا عظيمة، وكانا توجّها من الجابية ، مرجِعَ عمر إلى المدينة، وعلى حِمْص أبو عبيدة وخالد تحت يديه على قِنَّسرين، وعلى دمشق يزيد بن أبي سفيان ، وعلى الأردنّ معاوية، وعلى فِلَسطين علقمة بن مجزّز ، وعلى الأهراء عمرو ابن عبَسة ، وعلى السواحل عبد الله بن قيس ، وعلى كلّ عمَل عامل . فقامت مسالح الشأم ومصر والعراق على ذلك إلى اليوم لم تَجُزْ أمّة إلى أخرى عملَها بعدُ ؛ إلاّ أن يقتحموا عليهم بعد كُفْرٍ منهم ، فيقدّموا مسالحَهم بعد ذلك ، فاعتدل ذلك سنة سبع عشرة .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ،عن سيف، عن أبي المجالد وأبي عثمان والربيع وأبي حارثة ، قالوا : ولما قَفَل خالد وبلغ الناسَ ما أصابت تلك الصّائفة انتجعه رجال ، فانتجع خالداً رجالٌ من أهل الآفاق ، فكان الأشعث بن قيس ممّن انتجع خالداً بقِنَّسرين ، فأجازه بعشرة آلاف . وكان عمر لا يَخْفَى عليه شيء في عمله ، كُتب إليه من العراق بخروج مَن خرج ، ومن الشأم بجائزة من أجِيز فيها — فدعا البريد ، وكتب معه إلى أبي عبيدة أن يقيم خالداً ويعقِله بعمامته ، وينزع عنه قلنسُوته حتى يعلمهم من أين إجازة الأشعث ؛ أمن ماله أم من إصابة أصابها ؟ فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقرّ بخيانة ،وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف . واعزله على كلّ حال ، واضمم إليك عمله . فكتب أبو عبيدة إلى خالد، فقدم ١/٢٠٢٧ عليه، ثم جمع الناس وجلَس لهم على المِنبر ، فقام البريد فقال : يا خالد، أمِن مالك أجزت بعشرة آلاف أم من إصابة ؟ فلم يجبه حتى أكثر عليه ، وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً، فقام بلال إليه، فقال : إنّ أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ، ثم تناول قلنسوته فعقله بعمامته وقال: ماتقول! أمن مالك أم من إصابةٍ ؟ قال: لا بل من مالي، فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عمّمه بيده، ثم قال: نسمع ونطيع لولاتنا ، ونفخّم ونخدم مواليَنا. قالوا: وأقام خالد متحيّراً لا يدري أمعزول

أم غيرُ معزول ؟ وجعل أبو عبيدة لا يخبره حتّى إذا طال على عمرَ أن يقدم ظنّ الذى قد كان ، فكتب إليه بالإقبال ، فأتى خالد أبا عبيدة ، فقال : رحمك الله ، ما أردت إلى ما صنعت ! كتمتَنِي أمرًا كنت أحبّ أن أعلمه قبل اليوم ! فقال أبوعبيدة : إنىّ والله ماكنت لأروعك ما وجدت لذلك بدًّا ، وقد علمت أن ذلك يروعك . قال : فرجع خالد إلى قنّسرين ، فخطب أهل عمله وودّعهم وتحمّل ، ثم أقبل إلى حمص فخطبهم وودعهم ، ثمّ خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر ، فشكاه وقال : لقد شكوتك إلى المسلمين ؛ وبالله إنّك فى أمرى غير مجمِل يا عمر ، فقال عمر : من أين هذا الثَّرَاء ؟ قال : من الأنفال والسُّهمان ، ما زاد على الستين ألفًا فلك . فقوّم عمر عُروضه فخرجت إليه عشرون ألفًا ، فأدخلها بيت المال . ثم قال : يا خالد ، والله إنك علىّ لكريم ، وإنك إلىّ لحبيب ، ولن تعاتِبنى بعد اليوم على شىء . ٢٥٢٨/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن المستورِد ، عن أبيه ، عن عدىّ بن سهيل ، قال : كتب عمر إلى الأمصار : إنى لم أعزل خالداً عن سُخْطة ولا خيانة ، ولكنّ الناس فتِنوا به ، فخفت أن يُوكَلوا إليه ويبتَلوا به ، فأحببت أن يعلموا أنّ الله هو الصانع ، وألاّ يكونوا بعرَض فتنة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشّر ، عن سالم ، قال : لما قدم خالد على عمر قال عمر متمثّلا :

صَنَعْتَ فلَمْ يَصْنَعْ كصُنْعكَ صانِعٌ   وما يَصْنَعِ الأقْوامُ فاللهُ يَصْنَعُ

فأغرمه شيئًا ، ثمّ عوّضه ، وكتب فيه إلى الناس بهذا الكتاب ليعذره عندهم وليبصّرَهم .

* * *

[ذكر تجديد المسجد الحرام والتوسعة فيه]

وفى هذه السنة — أعنى سنة سبع عشرة — اعتمر عمر ، وبنى المسجد الحرام — فيما زعم الواقدىّ — ووسّع فيه ، وأقام بمكة عشرين ليلة ، وهدم على أقوام أبوْا أن يبيعوا ، ووضع أثمان دورهم فى بيت المال حتّى أخذوها .

قال : وكان ذلك الشهر الذى اعتمر فيه رجب ، وخلّف على المدينة زيد بن ثابت .

قال الواقدىّ : وفى عمرته هذه أمر بتجديد أنصاب الحرَم ، فأمر بذلك مخرمة بن نوفل والأزهر بن عبد عوف وحُوَيطب بن عبد العزّى وسعيد بن يربوع .

١/٢٥٢٩ قال : وحدّثنى كَثير بن عبد الله المزنىّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : قدمنا مع عمر مكة فى عمرته سنة سبع عشرة ، فمرّ بالطريق فكلّمه أهل المياه أن يبتنوا منازل بين مكة والمدينة — ولم يكن قبل ذلك بناء — فأذن لهم ، وشرط عليهم أنّ ابن السبيل أحقّ بالظلّ والماء .

* * *

قال : وفيها تزوّج عمر بن الخطاب أمّ كلثوم ابنة علىّ بن أبى طالب ، وهى ابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل بها فى ذى القعدة .

[ذكر خبر عزل المغيرة عن البصرة وولاية أبى موسى]

قال : وفى هذه السنة ولّى عمر أبا موسى البصرة، وأمره أن يُشخِص إليه المغيرة فى ربيع الأول — فشهد عليه — فيما حدّثنى معمَر ، عن الزهرىّ ، عن ابن المسيّب — أبو بَكْرة ، وشِبْل بن معبد البَجَلىّ ، ونافع بن كلَدة ، وزياد .

قال : وحدّثنى محمد بن يعقوب بن عُتْبة ، عن أبيه ، قال : كان يختلف إلى أمّ جميل ، امرأة من بنى هلال ؛ وكان لها زوْج هلك قبل ذلك من ثَقيف ، يقال له الحجّاج بن عُبَيد ، فكان يدخل عليها ، فبلغ ذلك أهلَ البصرة ، فأعظموه ، فخرج المغيرة يومًا من الأيام حتى دخل عليها ، وقد وضعوا عليها الرّصد ، فانطلق القوم الذين شهدوا جميعًا ، فكشفوا الستر ، وقد واقعها . فوفد[1] أبو بَكْرة إلى عمر ، فسمع صوته وبينه وبينه حجاب ، ١/٢٥٣٠ فقال : أبو بكْرة ؟ قال : نعم ، قال : لقد جئت لشرّ ، قال : إنما جاء بى المغيرة ، ثم قصّ عليه القصّة ، فبعث عمر أبا موسى الأشعرىّ عاملا ، وأمره

(١) ط : « فكتب » وانظر اليعقوبى ٢ : ١٢٤

أن يبعث إليه المغيرة ، فأهدى المغيرة لأبى موسى عقيلةَ ، وقال : إنى رضيتها لك ، فبعث أبو موسى بالمغيرة إلى عمر .

قال الواقدىّ : وحدّثنى عبدُ الرحمن بن محمد بن أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، عن مالك بن أوس بن الحدَثان ، قال : حضرتُ عمر حين قَدِم بالمغيرة ، وقد تزوّج امرأة من بنى مرّة ، فقال له : إنك لفارغ القلب ، طويل الشَّبَق ، فسمعتُ عمر يسأل عن المرأة . فقال : يقال لها الرقطاء ، وزوجها من ثقيف ، وهو من بنى هلال .

* * *

قال أبو جعفر : وكان سبب ما كان بين أبى بكْرة والشهادة عليه – فيما كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلّب وطلحة وعمرو بإسنادهم ، قالوا : كان الذى حدث بين أبى بكْرة والمغيرة بن شعبة أنّ المغيرة كان يناغيه ، وكان أبو بكْرة ينافره عند كلّ ما يكون منه ، وكانا بالبصرة ، وكانا متجاورين بينهما طريق ، وكانا فى مَشْربتين متقابلتين لهما فى داريْهما فى كلّ واحدة منهما كُوّة مقابلة الأخرى ، فاجتمع إلى أبى بكْرة نفرٌ يتحدّثون فى مشربته ، فهبّت ريح[1] ، ففتحت باب الكوّة ، فقام أبو بكرة ليَصْفِقه ، فبصُر بالمغيرة ، وقد فتحت الريح باب كوّة مشربته ، وهو بين رِجلَىِ امرأة ، فقال للنّفر : قوموا فانظروا ، فقاموا فنظروا ، ثم قال : اشهدوا ، قالوا : مَن هذه ؟ قال : أمّ جميل ابنة الأفقم – وكانت أمّ جميل إحدى بنى عامر بن صعصعة ، وكانت غاشيةً للمغيرة ، وتغشى الأمراء والأشراف – وكان بعض النساء يفعلن ذلك فى زمانها – فقالوا : إنما رأينا أعجازاً ، ولا ندرى ما الوجه ؟ ثم إنهم صمّموا حين قامت ، فلما خرج المغيرة إلى الصلاة حال أبو بكْرة بينه وبين الصلاة وقال : لا تصلّ بنا . فكتبوا إلى عمر بذلك ، وتكاتبوا ، فبعث عمر إلى أبى موسى ، فقال : يا أبا موسى ، إنى مستعملك ، إنى أبعثك إلى أرض قد باضَ بها الشيطان وفرّخ ، فالزم ما تعرف ، ولا تستبدلْ فيستبدل الله بك . فقال : يا أميرَ المؤمنين ،

١/٢٥٣١

(١) ابن الأثير والنويرى : « الريح » .

أعنّى بعدّة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار ، فإنّى وجدتهم فى هذه الأمة وهذه الأعمال كالملح لا يصلح الطعام إلاّ به . فاستعِن بمن أحببتَ . فاستعان بتسعة وعشرين رجلا ؛ منهم أنس بن مالك وعمران بن حُصَين وهشام بن عامر . ثمّ خرج أبو موسى فيهم حتى أناخ بالمِرْبد ، وبلغ المغيرة أنّ أبا موسى قد أناخ بالمِرْبد فقال: والله ما جاء أبو موسى زائراً ، ولا تاجراً ، ولكنّه جاء أميراً . فإنهم لفى ذلك ، إذ جاء أبو موسى حتى دخل عليهم ، فدفع إليه أبو موسى كتاباً من عمر ، وإنه لأوجزُ كتاب كتَب به أحد من الناس ؛ أربعَ كلِم عزل فيها ، وعاتب ، واستحثّ ، وأمّر : أما بعد ، فإنه بلغنى نبأ عظيم ، فبعثتُ أبا موسى أميراً، فسلّم [إليه][1] ما فى يدك[2] ، والعجَل . وكتبَ إلى أهل البصرة : أمّا بعدُ ، فإنى قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم ، ليأخذ لضعيفكم من قويّكم ، وليقاتل بكم عدوّكم ، وليدفع عن ذمّتكم[3] ، وليُحصىَ لكم فيئكم ثم ليقسمه بينكم ، ولينقّى لكم طرقكم[4] .

١/٢٥٣٢

وأهدى له المغيرة وليدةً من مولّدات الطائف تدعّى عَقيلة ، وقال : إنى قد رضيتُها لك — وكانت فارهة — وارتحل المغيرة وأبو بكْرة ونافع بن كلَدة وزياد وشِبْل بن معبد البَجَلىّ حتى قدِموا على عمر ، فجمع بينهم وبين المغيرة ، فقال المغيرة : سلْ هؤلاء الأعبُد كيَف رأوْنى ؛ مستقبلَهم أو مستدبرَهم ؟ وكيف رأَوُا المرأة أو عرفوها ؟ فإن كانوا مستقبلىّ فكيف لم أستتر[5] ، أو مستدبرىّ فبأىّ شىء استحلّوا النظر إلىّ فى منزلى على امرأتى ! والله ما أتيت إلاّ امرأتى — وكانت شبهَها[6] — فبدأ بأبى بكْرة ، فشهد عليه أنه رآه بين رجلىْ أمّ جميل وهو يدخله ويخرجه كالمِيل فى المكحلة ، قال : كيف رأيتَهما؟ قال مستدبِرَهما ، قال : فكيف استثبتّ[7] رأسها ؟ قال : تحاملت . ثم دعا بشِبْل بن معبد ، فشهد بمثل ذلك ، فقال : استدبرتَهما أو استقبلتَهما ؟

١/٢٥٣٣

(١) من ابن الأثير والنويرى . (٢) س ، ابن الأثير : « يديك » .
(٣) ابن الأثير : « دينكم » . (٤) ابن الأثير : « طريقكم » .
(٥) ابن كثير : « لم يستتروا » .
(٦) ابن الأثير وابن كثير والنويرى : « تشبهها » . (٧) س : « استبنت » .

قال : استقبلتُهما . وشهد نافع بمثل شهادة أبى بكْرة ، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم ؛ قال : رأيته جالساً بين رجلى امرأة ، فرأيت قدمين مخضوبتين تخفِقان ، واستين مكشوفتين ، وسمعت حَفَزاناً شديداً . قال : هل رأيت كالميل فى المكحلة ؟ قال : لا ، قال : فهل تعرف المرأة؟ قال : لا ، ولكن أشبّهها ، قال : فتنحّ ، وأمر بالثلاثة فجلدوا الحدّ ، وقرأ : ﴿ فإذْ لَمْ يَأْتُوا بالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُون ﴾[1]، فقال المغيرة : اشفنى من الأعبد ، فقال : اسكت أسكت الله نأمتَك ! أما والله لو تمّت الشهادة لرجمتك بأحجارك .

* * *

[فتح سوق الأهواز ومناذر ونهر تيرى]

وفى هذه السنة — أعنى سنة سبع عشرة — فتِحت سوق الأهواز ومَنَاذر ونهر تيرَى فى قول بعضهم ، وفى قول آخرين : كان ذلك فى سنة ستّ عشرة من الهجرة . ١/٢٥٣٤

* ذكر الخبر عن سبب فتح ذلك وعلى يدىْ مَن جرى :

كتب إلىّ السرىّ ، يذكر أن شعيباً حدّثه عن سيف بن عمر ، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو ، قالوا : كان الهُرمزان أحدَ البيوتات السبعة فى أهل فارس ، وكانت أمّته مِهرَجان قَذَق وكُوَر الأهواز ، فهؤلاء بيوتات دون سائر أهل فارس ، فلما انهزم يوم القادسيّة كان وجهُه إلى أمّته ، فملكهم وقاتل بهم مَن أرادهم ، فكان الهُرْمزان يُغير على أهل مَيْسان ودسْتِمَيْسان من وجهين ، من مَنَاذر ونهرتيرَى ، فاستمدّ عُتبة بن غَزْوان سعداً ، فأمدّه سعد بنعيم بن مُقَرّن ونعيم بن مسعود ، وأمرهما أن يأتيا أعلى مَيْسان ودَسْتِمَيْسَان حتى يكونا بينهم وبين نهر تيرَى . ووجّه عُتبة ابن غَزْوان سُلْمى بن القيْن وحَرْملة بن مُرَيطة — وكانا من المهاجرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما من بنى العَدَوِيّة من بنى حَنْظلة — فنزلا على حدود أرض مَيْسان ودَسْتِمَيْسَان ، بينهم وبين مَناذر ، ودعَوَا

(١) سورة النور ٣٣

بنى العم ، فخرج إليهم غالب الوائلىّ وكليب بن وائل الكليبىّ ، فتركا نُعيمًا ونُعيمًا[١] ونكبا عنهما ، وأتيا سُلْمى وحَرْملة ، وقالا : أنتما من العشيرة ، وليس لكما مَتْرك ؛ فإذا كان يوم كذا وكذا فانهدا للهرْمزان ، فإنّ أحدنا يثور بمنَاذر والآخر بنهر تِيرى ؛ فنقتل المقاتلة ، ثم يكون وجهُنا إليكم ، فليس دون الهُرْمزان شىء إن شاء الله . ورجعَا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العمِ بن مالك .

١/٢٥٣٥

قال : وكان من حديث العَمِى ؛ والعَمِى مرّة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم — أنه تَنَخّت[٢] عليه وعلى العُصَيّة بن امرئ القيس أفناء معدّ فعمّاه عن الرشد مَن لم ير نصرَه فارسَ على آل أرْدَوان ، فقال فى ذلك كعب بن مالك أخوه — ويقال : صُدىّ بن مالك :

١/٢٥٣٦

لقد عَمِ عنها مُرّةُ الخيرِ فانصمَى ... وصَمّ فلَمْ يَسمَعْ دُعاءَ العَشائرِ

ليتَنَخ عنّا رَغْبةً عن بِلادِهِ ... ويَطْلبَ مُلْكاً عاليًا فى الأساوِرِ

فبهذا البيت سمى العَمِ ؛ فقيل بنو العمِ ؛ عمّوه عن الصواب بنصره أهل فارس كقول الله تبارك وتعالى : ﴿ عَمُوا وصَمُّوا ﴾[٣] ؛ وقال يربوع بن مالك :

لَقَدْ علِمتْ عُليا مَعَدٍّ بأنّنــا ... غَداةَ التّباهى غُرُّ ذاكَ التّبادُرِ

تَنَخْنا على رَغْمِ العُداة ولمْ نُنِخْ ... بحىّ تميمٍ والعَديد الُجماهِرِ[٤]

نَفَيْنا عَنِ الفرْسِ النّبيطَ فلَمْ يَزَلْ ... لَنا فيهِمُ إحْدَى الهَنَاتِ البَهاتِرِ

إذا العرَبُ العَلْياء جاشَتْ بُحورُها ... فَخَرْنا عَلَى كلّ البُحورِ الزواخرِ

وقال أيّوب بن العُصَيَة بن امرئ القيس :

لَنحْنُ سَبَقْنا بالتّنُوخِ القَبــائلا ... وَعَمْداً تَنخْنا حَيْثُ جاءوا قَنابِلا[٥]

وَكُنّــا مُلوكاً قدْعَزَّنا الأوائلا ... وَفى كلّ قَرْن قَدْ مَلَكْنا الحَلائلا

---

(١) يريد نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود .
(٢) تنخت : اجتمعت .
(٣) سورة المائدة ٧١ .
(٤) ننخ : نجتمع .
(٥) قنابل ، أى جماعات .

١/٢٥٣٧ فلما كانت تلك الليلة ليلة الموعد من(١) سُلمى وحرملة وغالب وكُلَيب، والهُرْمزان يومئذ بين نهر تيرَى بين دُلُث، خرج سُلْمَى وحَرْملة صبيحتَها فى تعبية، وأنهضا نُعيما ونُعيما فالتقوا هم والهرمزان بين دُلُث ونهر تِيرى، وسُلْمى ابن القَيْن على أهل البصرة، ونُعيم بن مقرّن على أهل الكوفة. فاقتتلوا فبيناهم فى ذلك أقبل المددَ مِن قِبَل غالب وكُليب، وأتى الهرمزانَ الخبرُ بأنّ مَنَاذر ونهر تيرَى قد أخِذتا، فكسر الله فى ذرْعه وذَرْع جنده، وهزمه وإيّاهم، فقتلوا منهم ما شاءوا، وأصابوا منهم ما شاءوا، وأتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ دُجَيل، وأخذوا ما دونه، وعسكروا بحيال سوق الأهواز، وقد عبر الهُرْمزان جسرَ سوق الأهواز، وأقام بها، وصار دُجَيل بين الهُرْمزان وحَرْملة وسُلْمَى ونُعيم ونُعَيم وغالب وكليب.

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن المغيرة العبْدىّ، عن رجل من عبد القيس يدعى صُحاراً، قال: قدمتُ على هَرِم ابن حيّان — فيما بين الدّلوث ودُجيل — بِجلال(٢) من تَمْر، وكان لا يصبر ١/٢٥٣٨ عنه، وكان جلّ زادِه إذا تزوّد التّمر، فإذا فنِىَ انتخب له مزاودَ من جِلال وهم ينفرون فيحملها فيأكلها ويطعمها حيثُما كان من سهل أو جبل.

قالوا: ولما دهم القوم الهرمزان ونزلوا بحياله من الأهواز رأى ما لا طاقة له به، فطلب الصلح، فكتبوا إلى عُتْبة بذلك يستأمرونه فيه، وكاتبه الهرمزان، فأجاب عُتْبة إلى ذلك على الأهواز كلّها ومِهرَجان قَذَق، ما خلا نهر تيرى ومَناذر، وما غلبوا عليه من سوق الأهواز، فإنه لا يُردّ عليهم ما تنقّذْنا. وجعل سُلمى بن القيْن على مَناذر مسلحةً وأمْرَها إلى غالب، وحرملة على نهر تيرَى وأمرَها إلى كليب؛ فكانا على مسالح البصرة وقد هاجرت طوائف بنى العَم، فنزلوا منازلهم من البصرة، وجعلوا يتتابعون على ذلك، وقد كتب بذلك عُتْبة إلى عمر، ووفّد وفْداً منهم سُلمى، وأمرَه أن يستخلف على عمله، وحرملة — وكانا من الصحابة — وغالب وكليب، ووفّد وفود من البصرة

---

(١) ابن الأثير: «بين».

(٢) الجلال: جمع جلة؛ وهى القفة الكبيرة يوضع فيها التمر.

يومئذ ، فأمرهم أن يرفعوا حوائجهم ، فكلُّهم قال : أما العامّة فأنت صاحبها ، ولم يبق إلا خواصّ أنفسنا ، فطلبوا لأنفسهم ، إلاّ ما كان من الأحنف ابن قيس ، فإنه قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنك[1] لكما ذكروا ، ولقد يعزب[2] عنك ما يحقّ علينا إنهاؤه إليك مما فيه[3] صلاح العامّة ، وإنّما ينظر الوالى فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر ، ويسمع بآذانهم ، وإنّا لم نزل ننزل منزلاً بعد منزل حتى أرزنا إلى البرّ ، وإنّ إخواننا من أهل الكوفة نزلوا فى مثل حَدَقة[4] البعير الغاسقة ؛ من العيون العذاب ، والجنان الخصاب ، فتأتيهم ثمارهم ولم تُخْضَد ، وإنّا معشرَ أهل البصرة نزلنا سَبَخة[5] هَشّاشة[6] ، زعِقة[7] نشّاشة[8] ، طَرَف لها فى الفلاة وطَرَف لها فى البحر الأُجاج ، يجرى إليها ما جرى فى مثل مَرِىء النعامة . دارنا فعْمة ، ووظيفتنا ضيّقة ، وعددنا كثير ، وأشرافنا قليل ، وأهل البلاء فينا كثير ، ودرهمنا كبير ، وقفيزنا صغير ؛ وقد وسّع الله علينا ، وزادنا فى أرضنا ، فوسِّعْ علينا يا أمير المؤمنين ، وزدنا وظيفة تُوَظِّف علينا ، ونعيش بها . فنظر إلى منازلهم التى كانوا بها إلى أن صاروا[9] إلى الحَجَر فنفَّلهموه وأقطعهموه ، وكان مما كان[10] لآل كسرى ، فصار فيئًا فيما بين دِجلة والحَجَر ، فاقتسموه ، وكان سائر ما كان لآل كسرى فى أرض البصرة على حال ما كان فى أرض الكوفة يُنزِلونه مَن أحبُّوا ، ويقتسمونه بينهم ؛ لا يستأثرون به على بدء ولا ثِنًى ، بعدما يرفعون خمسه إلى الوالى . فكانت قطائع أهل البصرة نصفين : نصفها مقسوم ، ونصفها متروك للعسكر وللاجتماع ؛ وكان أصحاب الألفين ممّن شهد القادسيّة . ثم أتى البصرة مع عُتْبة خمسة آلاف ، وكانوا بالكوفة ثلاثين ألفًا ، فألحق عمر أعدادهم من أهل البصرة من أهل البلاء فى الألفين حتى ساواهم بهم ، ألحق جميع مَنْ شهد الأهواز . ثم قال : هذا الغلام سيّد أهل البصرة ، وكتب إلى عُتْبة فيه بأن يسمع منه

١/٢٥٣٩ ، ١/٢٥٤٠

---

(١) ابن حبيش : « إنه » . (٢) ابن الأثير : « تغرب » .
(٣) س : « ما فيه » . (٤) يقال : نزلوا فى مثل حدقة البعير ، أى نزلوا فى خصب ودعة .
(٥) السبخة : أرض ذات ملح . (٦) هشاشة : لينة .
(٧) زعقة ، أى ماؤها مر .
(٨) يقال : سبخة نشاشة ونشناشة ؛ ولا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها .
(٩) ابن الأثير : « صاروا منه » . (١٠) س : « ما كان » .

ويشرب برأيه ، وردّ سُلمى وحَرْملة وغالبًا وكليبا إلى مَناذر ونهرتِيرَى ، فكانوا عُدّة فيه لكون إن كان، وليميّزوا خراجها.

كتب إلىّ السّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : بينا الناس من أهل البصرة وذمّتهم على ذلك وقع بين الهُرْمزان وبين غالب وكُليب فى حدود الأرَضين اختلاف وادّعاء، فحضر ذلك سُلْمى وحَرْملة لينظرا فيما بينهم، فوجدا غالبًا وكُلَيْبًا محقَّيْن والهرمزان مبطلا ، فحالا بينه وبينهما ، فكفر الهرمزان أيضًا ومنع ما قبِله ، واستعان بالأكراد ، فكثُف جنده[1] . وكتب سُلْمى وحرملة وغالب وكليب ببغْىِ الهُرمزان وظلْمه وكفره إلى عُتبة بن غَزْوان ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر يأمره بأمره[2] ، وأمدّهم عمر بحُرقوص بن زهير السعدىّ ، وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمّره على القتال وعلى ما غلب عليه . فنهَد الهُرمزان بمَن معه وسُلْمى وحَرْملة وغالب وكليب ، حتى إذا انتهوا إلى جسر سوق الأهواز أرسلوا إلى الهرمزان : إمّا أن تعبرُوا إلينا وإمّا أن نعبُر إليكم ، فقال : اعبرُوا إلينا ، فعبروا من فوق الجسر ، فاقتتلوا فوق الجسْر ممّا يلى سوق الأهواز ، حتى هزم الهرمزان ووجّه نحو رامهرمز ، فأخذ على قنطرة أربك بقرية الشّغَر حتى حلّ برامَهُرمز ، وافتتح حُرقوص سوقَ الأهواز ، فأقام بها ونزل الجبل ، واتّسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تُسْتَر ، ووضع الجزية ، وكتب بالفتح والأخماس إلى عمر ، ووفّد وفداً بذلك ، فحمِد الله ، ودعا له بالثبات والزيادة . وقال الأسود بن سَرِيع فى ذلك — وكانت له صحبة :

١/٢٥٤١

لَعَمْرُكَ ما أَضـاعَ بنو أبينا ... وَلـكِن حافَظوا فيمَنْ يُطيعُ
أطاعوا رَبَّهُمْ وَعَصـاهُ قَوْمٌ ... أضاعوا أمْرَهُ فيمَنْ يُضيعُ
مَجُوسٌ لا يُنَهْنِهُها كِتابٌ ... فَلاقَوْا كَبَّةً فيها قُبُوعُ
ووَلّى الهُرْمُزَانُ على جَوَادٍ ... سَريعِ الشَّدِّ يَثْفِنُه الجميعُ

---

(١) س : « جمعه » . (٢) ابن حبيش وابن الأثير والنويرى : « بقصده ».

وخَلّى سُرَّةَ الأهواز كَرْهاً غَداةَ الجِسْرِ إذ نَجَمَ الرَّبيعُ

وقال حُرْقوص :

غلَبْنا الهُرْمزَانَ على بِـــلادٍ لها فى كلٍّ ناحِيَـــةٍ ذَخائِرْ

سَواءٌ بَرُّهمْ والبَحْرُ فيهــــا إذا صارَتْ نَواجِبُها بَواكِرْ

لهـــا بَحْرٌ يَعِجُّ بِجَانِبَيْه جَعافِرُ لا يزَالُ لها زَواخِرْ

* * *

[فتح تُسْتَرَ]

وفيها فتحت تُسْتَر فى قول سيف وروايته — أعنى سنة سبع عشرة — وقال بعضهم : فتحت سنة ستّ عشرة ، وبعضهم يقول : فى سنة تسع عشرة .

* ذكر الخبر عن فتحها :

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : لما انهزم الهرمزان يوم سوق الأهواز ، وافتتح حرقوص بن زهير سوق الأهواز ، أقام بها ، وبعث جَزْء بن معاوية فى أثره بأمر عمر إلى سُرَّق ، وقد كان عهد إليه فيه : إن فتح الله عليهم أن يُتبعه جَزْءاً ، ويكون وجهه إلى سرَّق . فخرج جَزء فى أثر الهرمزان ، والهُرمزان متوجِّه إلى رامهرمُز هاربًا ، فما زال يقتلهم حتى انتهى إلى قرية الشَّغَر ، وأعجزه بها الهرمزان ؛ فمال جَزْء إلى دورق من قرية الشَّغَر ؛ وهى شاغرة برجلها — ودَوْرق مدينة سُرَّق فيها قوم لا يطيقون منعها — فأخذها صافية ، وكتب إلى عمر بذلك وإلى عُتْبة ، وبدعائه مَن هرب إلى الجِزاء والمنعَة ، وإجابتهم إلى ذلك . فكتب عمر إلى جَزْء بن معاوية وإلى حُرقوص بن زهير بلزوم ما غلَبا عليه ، وبالمقام حتى يأتيَهما أمره ، وكتب إليه مع عُتبة بذلك ، ففعلا واستأذن جَزء فى عمران بلاده عمَر ، فأذن له ، فشقّ الأنهار ، وعمَر الموات . ولما ١/٢٥٤٣

(١) س والنويرى : « فأعجزه » ، ابن حبيش : « وأعجزهم » .

نزل الهُرْمزان رامَهُرمُز و ضاقت عليه الأهواز والمسلمون حُلاّلٌ فيها فيما بين يديه ، طلب الصلح ، وراسل حُرقوصًا وجَزْءا فى ذلك ، فكتب فيه حُرقوص إلى عمر ، فكتب إليه عمر وإلى عُتبة ، يأمره أن يقبل منه على ما لم يفتحوا منها على رامهرمز وتُستَر والسوس وجُنْدَىْ سابور ، والبُنيان ومِهرجا نقَذَق ، فأجابهم إلى ذلك ، فأقام أمراء الأهواز على ما أسند إليهم ، وأقام الهرمزان على صلحه يجبِى إليهم ويمنعونه ، وإن غاوره أكراد فارس أعانوه وذبّوا عنه .

١/٢٥٤٤ وكتب عمر إلى عُتْبة أن أوفد[١] علىّ وفداً من صُلحاء جند البصرة عشرة[٢] ، فوفّد إلى عمر عشرةً ، فيهم الأحنف . فلما قدم على عمر قال : إنك عندى مصدَّق ، وقد رأيتك رجلا ، فأخبرنى أأن ظُلِمت الذّمة ، ألمظلمة نفروا أم لغير ذلك ؟ فقال : لا بل لغير مظلِمة ، والناس على ما تحبّ . قال : فنعم إذاً ! انصرفوا إلى رحالكم . فانصرف الوفد إلى رحالهم ، فنظر فى ثيابهم فوجد ثوبًا قد خرج طرفه من عيبةٍ فشمّه ، ثم قال : لمَنْ هذا الثوب منكم ؟ قال الأحنف : لى ، قال : فبكم أخذته ؟ فذكر ثمنًا يسيراً ، ثمانية أو نحوها ، ونقص ممّا كان أخذَه به — وكان قد أخذه باثنى عشر — قال : فهلاّ بدون هذا ، ووضعتَ فَضْلته موضعًا تغنِى به مسلمًا ! حُصُّوا[٣] وضعوا الفُضول مواضعها تريحوا أنفسكم وأموالكم ، ولا تسرفوا فتخسروا أنفسكم وأموالكم ؛ إن نظر امرؤ لنفسه وقدّم لها يُخْلَفْ له . وكتب عمر إلى عُتبة أن أعزب الناس عن الظلم ، واتّقوا واحذروا أن يُدالَ عليكم لغدرٍ يكون منكم أو بغْىٍ ، فإنكم إنّما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه ، وقد تقدّم إليكم[٤] فيما أخذ عليكم . فأوفُوا بعهد الله ، وقوموا على أمره يكن لكم عونًا وناصراً .

١/٢٥٤٥ وبلغ عمرَ أنّ حُرقوصًا نزل جبل الأهواز والناس يختلفون إليه ، والجبل كئود يشقّ على مَن رامه . فكتب إليه : بلغنى أنك نزلت منزلا كئودًا لا تؤتى فيه إلاّ على مشقّة ، فأسهِل ولا تشقّ على مسلم ولا معاهد ، وقم فى أمرك على رِجْل تدرك الآخرة وتصفُ لك الدنيا ، ولا تدركنّك فترة ولا عجلة ، فتكدر دنياك ، وتذهب آخرتك .

---

(١) ابن حبيش : « وفد » .
(٢) ابن حبيش : « عشرة نفر » .
(٣) حص الشىء : جعله حصصا .
(٤) ابن حبيش : « عليكم » .

ثمّ إن حرقوصًا تحرّر يوم صِفّين وبقى على ذلك ، وشهد النّهروان مع الحَرُوريّة .

* * *

[غزو المسلمين فارس من قبَل البحرين]

وفى هذه السنة – أعنى سنة سبع عشرة – غزا المسلمون أرضَ فارس من قِبَل البحرين فيما زعم سيف ورواه .

* ذكر الخبر بذلك :

كتب إلىّ السرىّ ، يقول : حدّثنا شعيب ، قال : حدّثنا سيف ، عن محمد والمهلّب وعمرو ، قالوا : كان المسلمون بالبصرة وأرضها – وأرضها يومئذ سوادها ، والأهواز على ما هم عليه إلى ذلك اليوم ، ما غلبوا عليه منها ففى أيديهم ، وما صولحوا عليه منها ففى أيدى أهله ، يؤدّون الخراج ولا يدخل عليهم ، ولهم الذّمة والمنَعة – وعميد الصلح الهُرمزان. وقد قال عمر : حسبُنا لأهل البصرة سوادهم والأهواز ، وددْت أنّ بيننا وبين فارس جبلا من نار لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم ، كما قال لأهل الكوفة : وددت أنّ بينهم وبين الجبل جبلاً من نار لا يصلون إلينا منه ، ولا نصل إليهم .

وكان العلاء بن الحضرمىّ على البحرين أزمانَ أبى بكر ، فعزله عمر ، وجعل قدامةَ بن المظعون مكانه ، ثم عزَل قدامة وردّ العلاء ، وكان العلاء يبارى سعداً لصدع صدعه القضاء بينهما ، فطار العلاء على سعد فى الردّة بالفضل ؛ فلما ظفر سعد بالقادسيّة ، وأزاح الأكاسرة عن الدّار ، وأخذ حدود ما يلى السواد ، واستعلَى ، وجاء بأعظم مما كان العلاء جاء به ، سرّ العلاء أن يصنع شيئًا فى الأعاجم ، فرجا أن يُدال كما قد كان أديل ، ولم يقدّر العلاء ولم ينظر فيما بين فضل الطاعة والمعصية بجدّ ، وكان أبو بكر قد استعمله ، وأذن له فى قتال أهل الردّة ، واستعمله عمر ، ونهاه عن البحر ، فلم يقدّر فى الطاعة والمعصية وعواقبهما ، فندب أهل البحرين إلى فارس ، فتسرّعوا إلى ذلك ، وفرّقهم أجناداً ؛ على أحدهما ١/٢٥٤٦

الجارود بن المعلّى ، وعلى الآخر السوّار بن همّام ، وعلى الآخر خُلَيد بن المنذر بن ساوى ؛ وخُليد على جماعة الناس ، فحملهم فى البحر إلى فارس بغير إذن عمر ، وكان عمر لا يأذن لأحد فى ركوبه غازيًا ؛ يكره التغرير بجنده استنانًا بالنبىّ صلى الله عليه وسلم وبأبى بكر ، لم يغزُ فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر . فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس ، فخرجوا فى إصْطَخر ، وبإزائهم أهلُ فارس ، وعلى أهل فارس الهِرْبذ ، اجتمعوا عليه ، فحالوا بين المسلمين وبين سُفنهم ، فقام خُليد فى الناس ، فقال : أمّا بعد ؛ فإنّ الله إذا قضَى أمراً جرت به المقادير حتى تصيبَه[1] ، وإنّ هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوْكم إلى حربهم ؛ وإنما جئتم لمحاربتهم ، والسفنُ والأرض لمن غلَب ، فاستعينوا بالصّبر والصلاة ، وإنّها لكبيرة إلاّ على الخاشعين . فأجابوه إلى ذلك فصلّوا الظهر ، ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديداً فى موضع من الأرض يدعى طاوُس ، وجعل السَّوار يرتجز يومئذ ويذكر قومه ، ويقول :

١/٢٥٤٧

يا آلَ عَبْد القَيْسِ لِلْقِرَاعِ قد حَفَلَ الأمْدادُ بالجِراعِ[2]

وكلُّهمْ فى سَنَنِ المِصاعِ[3] يحْسِنُ ضَرْبَ القومِ بالقطّاعِ

حتى قتل . وجعل الجارود يرتجز ويقول :

لو كان شيئاً أَمَماً أكلتُهْ أو كان ماءً سادِماً جَهَرْتُهْ[4]

* لكنّ بحراً جاءَنا أنْكَرْتُهْ *

حتى قتل . ويومئذ وَلِيَ عبدُ الله بن السوّار والمنذر بن الجارود حياتهما إلى أن ماتا . وجعل خُليد يومئذ يرتجز ويقول :

١/٢٥٤٨

يالَ تميمٍ أجْمِعُوا النُّزُولْ[5] وكادَ جَيْشُ عُمَرٍ يزُولْ

* وكُلُّكمْ يعلمُ ما أقولْ[6] *

---

(١) س : « يصيبه » .

(٢) يقال : حفل القوم ، إذا اجتمعوا واحتشدوا . والجراع : جمع جرعة وهى الرملة الطيبة المنبت التى لا وعوثة فيها . (٣) المصاع : المجالدة والمضاربة .

(٤) الماء السادم : المتغير . وجهرته ؛ أى عرفته وكشفته .

(٥) س : « جمعوا النزول » . (٦) س : « وكلهم يعلم » .

انزلوا ، فنزلوا . فاقتتل (١) القوم فقُتِل أهل فارس مقتلة لم يُقتَلوا مثلها قبلها . ثمّ خرجوا يريدون البصرة وقد غرقت (٢) سفنهم ، ثمّ لم يجدوا(٣) إلى الرجوع فى البحر سبيلا . ثم وجدوا شَهْرَك(٤) قد أخذ على المسلمين بالطرق ؛ فعسكروا وامتنعوا فى نُشُوبهم . ولما بلغ عمر الذى صنع العَلاء من بعثه ذلك الجيش فى البحر ألقِيَ فى رُوعه نحوٌ من الذى كان . فاشتدّ غضبه على العَلاء ، وكتب إليه يعزِله وتوعّده ، وأمره بأثقل الأشياء عليه ، وأبغض الوجوه إليه ؛ بتأمير سعد عليه ، وقال : الحق بسعد بن أبى وقاص فيمن قِبلَك ، فخرج بمَن معه نحو سعد . وكتب عمر إلى عُتبة بن غزوان : إنّ العلاء بن الحضرمىّ حمل جنداً من المسلمين ، فأقطعهم أهلُ فارس ، وعصانى ، وأظنه لم يرد الله بذلك ، فخشيت عليهم إلاّ يُنصروا أن يغلَبوا وينشَبوا(٥) ، فاندب إليهم الناس ، واضممهم إليك من قبل أن يُجتاحوا(٦) . فندب عُتبة الناس ، وأخبرهم بكتاب عمر . فانتدب عاصم بن عمرو ، وعرفجة بن هرْثمة ، وحذيفة بن محصن ، ومجزأة بن ثور ، ونهار بن الحارث ، والترجمان بن فلان ، والحصين بن أبى الحرّ ، والأحنف بن قيس ، وسعد بن أبى العرْجاء ، وعبد الرحمن بن سهل ، وصعصعة بن معاوية ؛ فخرجوا فى اثنى عشر ألفاً على البغال يجنبون الخيل ، وعليهم أبو سَبْرة بن أبى رُهْم أحد بنى مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤىّ ، والمسالح على حالها بالأهواز والذمّة ، وهم رِدْء للغازى والمقيم . فسار أبو سَبْرة بالناس ، وساحَلَ لا يلقاه أحد ، ولا يعرض له ؛ حتى التقى أبو سَبْرة وخُلَيد بحيث أخِذ عليهم بالطرق غبّ وقعة القوم

١/٢٥٤٩

---

(١) ابن حبيش : « فقاتلوا » . (٢) ابن حبيش : « إذ غرقت » .

(٣) ابن حبيش : « ولم يجدوا » .

(٤) كذا فى ط ، وفى ياقوت ٦ : ١٠ « شهراك » ، وأورد قول خليد :

بطاوُس نَاهَبْنَا الملوكَ وخيلُنـــا عشيَّة شهراكٍ عَلونَ الرّواسِــيا
أطاحَتْ جموعَ الفُرْسِ مِنْ رأسِ حَالقٍ تراهُ كَموّارِ السحابِ مُناغيـــا

(٥) س : « ويثبتوا » . (٦) س : « أن يحتاجوا » .

بطاوس ، وإنما كان ولىَ قتالهم أهلُ إصطَخر وحدهم ، والشذّاذ [١] من غيرهم ؛ وقد كان أهل إصطخر حيث أخذوا على المسلمين بالطرق ، وأنشبوهم ؛ استصرخوا عليهم أهلَ فارس كلّهم ؛ فضربوا إليهم من كلّ وجه وكورة ، فالتقوْا هم وأبو سَبْرة بعد طاوس ، وقد توافتْ إلى المسلمين أمدادهم وإلى المشركين أمدادهم ، وعلى المشركين شَهْرك ؛ فاقتتلوا ، ففتح الله على المسلمين ، وقَتل المشركين وأصاب المسلمون منهم ما شاءوا — وهى الغزاة التى شرفت فيها نابتة [٢] البصرة ؛ وكانوا أفضل نوابت الأمصار ؛ فكانوا أفضل المصريْن نابتة — ثم انكفئوا بما أصابوا ، وقد عهد إليهم عُتبة وكتب إليهم بالحثّ وقلة العُرْجة [٣] ، فانضموا إليه بالبصرة ، فخرج أهلها إلى منازلهم منها ، وتفرّق الذين تُنقّذوا من أهل هَجر إلى قبائلهم ، والذين تُنقّذوا من عبد القيس فى موضع سوق البَحْرين . ولما أحرز عُتبة الأهواز وأوطأ فارس [٤] ، استأذن عمر فى الحجّ ، فأذِن له ، فلمّا قضى حجّه استعفاه ، فأبى أن يُعفيَه ، وعزم عليه ليَرجعنّ إلى عمله ؛ فدعا الله ثم انصرف ؛ فمات فى بطن نخلة ، فدفن ؛ وبلغ عمر ، فمرّ به زائراً لقبره ، وقال : أنا قتلتك ، لولا أنه أجل معلوم وكتاب مرقوم ؛ وأثنى عليه بفضله ، ولم يختطّ فيمن اختطّ من المهاجرين ؛ وإنما ورث ولدُه منزلهم من فاختة ابنة غزْوان ، وكانت تحت عثمان بن عفان ، وكان خبّاب [٥] مولاه قد لزم سمته [٦] فلم يختطّ ، ومات عتبة بن غزوان على رأس ثلاث سنين ونصف من مفارقة سعد بالمدائن ، وقد استخلف على الناس أبا سَبْرة بن أبى رُهْم ، وعمّاله على حالهم ، ومسالحه على نهر تيرَى ومَناذِر وسوق الأهواز وسُرّق والهُرْمزان برامهُرمز مُصالَح عليها ، وعلى السُّوس والبُنيان وجندىْ سابور ومِهْرَجانَقذَق ؛ وذلك بعد تنقّذ الذين كان حمل العلاء فى البحر إلى فارس ، ونزولهم البصرة .

١/٢٥٥٠

وكان يقال لهم أهل طاوس ، نُسبوا إلى الوقعة . وأقرّ [٧] عمر أبا سَبْرة

---

(١) ابن حبيش : « والشذان » .
(٢) النابتة : النشء الصغار .
(٣) العرجة : المقام .
(٤) أوطأ فارس ، أى غلبها على أمرها .
(٥) ابن الأثير : « حباب » .
(٦) ابن الأثير : « شيمته » .
(٧) ابن الأثير : « وأمر » .

ابن أبى رُهْم على البصرة بقيّة السنة[١] . ثم استعمل المغيرة بن شعبة فى السنة ٢٠٠١/١ الثانية بعد[٢] وفاة عتبة ، فعمل عليها بقيّة تلك السنة والسنة التى تليها ، لم ينتقض عليه أحد فى عمله ؛ وكان مرزوقًا السلامة ؛ ولم يُحدث شيئًا إلاّ ما كان بينه وبين أبى بكْرة .

ثم استعمل عمر أبا موسى على البصرة ، ثم صُرِف إلى الكوفة ، ثمّ استعمل عمر بن سُراقة ، ثمّ صُرِف عمر بن سراقة إلى الكوفة من البصرة ، وصُرِف أبو موسى إلى البصرة من الكوفة ؛ فعمل عليها ثانية .

* * *

[ذكر فتح رامهرمز وتستر]

وفى هذه السنة – أعنى سنة سبع عشرة – كان فتح رَامَهُرْمُز والسّوس وتُستَر . وفيها أسر الهُرْمزان فى رواية سيف .

* ذكر الخبر عن فتح ذلك من روايته :

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ؛ قالوا : ولم يزل يَزْدَجِرد يُثير أهلَ فارس أسفًا على ما خرج منهم ؛ فكتب يَزْدَجِرد إلى أهل فارس وهو يومئذ بمرْوَ ، يذكّرهم الأحقاد ويؤنّبهم ؛ أن قد رضيتم ياأهل فارس أن قد غلبتكم العرب على السواد وما والاه ، والأهواز . ثم لم يرْضَوا بذلك حتى توردّوكم فى بلادكم وعقْر داركم ، فتحرّكوا[٣] وتكاتبوا : أهلُ فارس وأهلُ الأهواز ، وتعاقدوا وتعاهدوا وتواثقوا على النُّصرة ، وجاءت الأخبار حرقوصَ بن زُهير ، وجاءت جزءًا وسُلْمى وحرْملة عن خبر غالب ٢٠٠٢/١ وكُلَيب ؛ فكتب سُلْمَى وحَرْملة إلى عمر و إلى المسلمين بالبَصْرة ، فسبق كتاب سُلْمى حرملة ، فكتب عمر إلى سعد : أن ابعث إلى الأهواز بعثًا كثيفًا مع النعمان بن مقرّن ، وعجّل وابعث سُوَيد بن مقرّن ، وعبد الله بن ذى السهمين ، وجَرير بن عبد الله الحميرىّ ، وجرير بن عبد الله البَجَلِىّ ؛ فلْينزلوا بإزاء الهُرْمزان حتى يتبيّنوا أمره . وكتب إلى أبى موسى

---

(١) بعدها فى ابن حبيش : « التى مات فيها عتبة ، ثم عزله واستخلف عبد الرحمن بن سهل فعمل بقية السنة » .

(٢) ابن حبيش : « من بعد » . (٣) ابن حبيش : « فتحزبوا » .

أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفًا وأمِّرْ عليهم سهل بن عدىّ — أخا سهيل ابن عدىّ — وابعث معه البَرَاء بن مالك ، وعاصم بن عمرو ، ومجزأة بن ثور ، وكعب بن سور ، وعَرْفجة بن هَرْثمة ، وحُذيفة بن مِحْصَن ، وعبد الرحمن ابن سهل ، والحُصَيْن بن معبد ؛ وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعًا أبو سَبْرة ابن أبى رُهْم ؛ وكلّ من أتاه فمددٌ له .

وخرج النُّعمان بن مقرّن فى أهل الكوفة ، فأخذ وسط السواد حتى قطع دِجْلة بِحيال مَيْسان ، ثم أخذ البرّ إلى الأهواز على البغال يجنبون[1] الخيل ، وانتهى إلى نهر تِيرَى فجازها ، ثم جاز مَنَاذر ، ثم جاز سوقَ الأهواز ، وخلَّف حُرقوصًا وسُلمَى وحرْملة ، ثم سار نحو الهُرمزان — والهرمزان يومئذ برامَهُرمز — ولما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشّدَّة ، ورجا أن يقتطعه ، وقد طمع الهرمزان فى نصر أهل فارس ، وقد أقبلوا نحوه ، ونزلت أوائل أمدادهم بتُسْتَر ، فالتقى النعمان والهُرمزان بأربُك ، فاقتتلوا قتالا شديداً . ثمّ إنّ الله ١/٢٥٥٣ عزّ وجلّ هزم الهُرمزان للنعمان ، وأخلى رامَهُرْمز وتركها ولحق بتُستَر ، وسار النعمان من أربُك حتى ينزل برامَهُرْمز ، ثم صعد لإيذَج ، فصالحه عليها تيرويْه ، فقبل منه وتركه ورجع إلى رامَهُرْمز فأقام بها .

قالوا : ولما كتب عمر إلى سعد وأبى موسى ، وسار النعمان وسهل ، سبق النعمان فى أهل الكوفة سهلاً وأهلَ البصرة ، ونكَب الهُرمزان ، وجاء سهل فى أهل البصرة حتى نزلوا بسوق الأهواز ، وهم يريدون رامَهُرمز ، فأتتهم الوقعة وهمْ بسوق الأهواز ، وأتاهم الخبر أنّ الهرمزان قد لحِق بتستَر ، فمالوا من سوق الأهواز نحْوَه ، فكان وجههم منها إلى تُسْتَر ، ومال النعمان من رامَهرمز إليها ، وخرج سُلْمَى وحَرْملة وحُرقوص وجَزْء ، فنزلوا جميعًا على تُستَر والنعمان على أهل الكوفة ، وأهل البصرة متساندون ، وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس وأهل الجبال والأهواز فى الخنادق ، وكتبوا بذلك إلى عمر ، واستمدّه أبو سَبْرة فأمدّهم بأبى موسى ، فسار نحوهم ، وعلى أهل الكوفة النعمان ، وعلى أهل البصرة أبو موسى ، وعلى الفريقين جميعًا أبو سَبْرة ،

---

(١) يقال : جنب الدابة إذا قادها إلى جنبه .

فحاصروهم أشهراً ، وأكثروا فيهم القتل . وقتل البَرَاء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتح الله على المسلمين مائة مبارز ، سوى مَن قتل فى غير ذلك ، وقتَل مجزأة بن ثَوْر مثل ذلك ، وقتَل كعبُ بن سُور مثلَ ذلك ، ١/٢٥٥٤
وقتَل أبو تميمة مثلَ ذلك فى عدّة من أهل البصرة . وفى الكوفيين مثل ذلك ؛ منهم حَبِيب بن قُرّة ، ورِبعىّ بن عامر ، وعامر بن عبد الأسود — وكان من الرؤساء — فى ذلك ما ازدادوا به إلى ما كان منهم ، وزاحفهم المشركون فى أيام تُستَر ثمانين زَحْفًا فى حصارهم ؛ يكون عليهم مرّة ولهم أخرى ؛ حتى إذا كان فى آخر زَحْف منها واشتدّ القتال قال المسلمون : يا بَرَاء ، أقسِم على ربّك ليهزمنّهم لنا ! فقال : اللهمّ اهزِمْهم لنا ، واستشهدنى . .
قال : فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم ، ثم اقتحموها عليهم ، وأرَزُوا إلى مدينتهم ، وأحاطوا بها ، فبيناهم على ذلك وقد ضاقت بهم المدينة ، وطالت حربهم ، خرج إلى النّعمان رجل فاستأمنه على أن يدلّه على مدخل يُؤتَوْن منه ، ورمى فى ناحية أبى موسى بسهْم [فقال] : قد وثقت بكم وأمنتكم واستأمنتكم على أن دللتكم على ما تأتون منه المدينة ، ويكون منه فتحها ، فآمنوه فى نُشابة فرمى إليهم بآخر ، وقال : انهدُوا من قِبَل مخرج الماء ؛ فإنكم ستفتحونها ، ١/٢٥٥٥
فاستشار[1] فى ذلك وندب إليه ، فانتدب له عامر بن عبد قيس ، وكعب بن سُور ، ومجزأة بن ثور ، وحَسَكة الحبَطىّ ، وبَشر كثير ؛ فنهدوا لذلك المكان ليلا ، وقد ندب النعمان أصحابه حين جاءه الرّجل ، فانتدب له سُويد بن المثعبَة ، وورقاء بن الحارث ، وبشر بن ربيعة الخثعمىّ ، ونافع ابن زيد الحميرىّ ، وعبد الله بن بِشر الهلالىّ ، فنهدوا فى بشر كثير ، فالتقَوا هم وأهلُ البصرة على ذلك المخرج ، وقد انسرب سويد وعبد الله بن بِشر ، فأتبعهم هؤلاء وهؤلاء ؛ حتى إذا اجتمعوا فيها — والناس على رِجْل من خارج — كبّروا فيها ، وكبّر المسلمون من خارج ، وفُتِحت الأبواب ؛ فاجتلدو فيها ، فأناموا كلَّ مقاتل ، وأرَز الهُرْمزان إلى القَلْعة ، وأطاف به الذين دخلوا من مخرج الماء ؛ فلما عاينوه وأقبلوا قِبَله قال لهم : ماشئتم !

---

(١) كذا فى ابن حبيش فى ط : « فاستشار » :

قد ترْون ضيقَ ما أنا فيه وأنتم ، ومعى فى جَعبتى مائةُ نُشّابة ؛ ووالله ما تصِلون إلىّ ما دام معى منها نُشّابة ؛ وما يقع لى سهم ؛ وما خير إسارى إذا أصبتُ منكم مائة بين قتيل أو جريح ! قالوا : فتريد ماذا ؟ قال : أن أضعَ يدى فى

١/٢٥٥٦ أيديكم على حُكْم عُمَر يصنع بى ما شاء ، قالوا : فلك ذلك[1] ، فرمى بقوسه ، وأمكنهم من نفسه ، فشدّوه وثاقًا ، واقتسموا ما أفاء الله عليهم ؛ فكان سهم الفارس [فيها][2] ثلاثة آلاف ، والراجل ألفًا ؛ ودعا صاحب الرميّة بها ، فجاء هو والرّجل الذى خرج بنفسه ، فقالا : مَن لنا بالأمان الذى طلبنا ؛ علينا وعلى مَن مالَ معنا ؟ قالوا : ومَن مال معكم ؟ قالا : مَن أغلق بابه عليه مدخلَكم . فأجازوا ذلك لهم ، وقُتل من المسلمين ليلتئذ أناس كثير ، وممن قَتل الهُرمزان بنفسه مجزَأة بن ثور ، والبَرَاء بن مالك .

قالوا : وخرج أبو سَبْرة فى أثر الفَلّ من تُستَر — وقد قصدوا للسُّوس — إلى السوس ، وخرج بالنعمان وأبى موسى ومعهم الهُرْمزان ؛ حتى اشتملوا على السُّوس ، وأحاط المسلمون بها ، وكتبوا بذلك إلى عمر . فكتب عمر إلى عمر بن سُراقة بأن يسيرَ نحو المدينة ، وكتب إلى أبى موسى فردّه على البَصْرة ، وقد ردّ أبا موسى على البصرة ثلاث مرات بهذه ، وردّ عمر عليها مرتين ؛ وكتب إلى زِرّ بن عبد الله بن كليب الفُقَيمىّ أن يسير إلى جُنْدَىْ سابور ، فسار حتى نزل عليها ، وانصرف أبو موسى إلى البصْرة بعد ما أقام إلى رجوع كتاب عمر ، وأمّر عمر على جند البصرة المقترِبَ ، الأسود بن ربيعة أحدَ

١/٢٥٥٧ بنى ربيعة بن مالك ، وكان الأسود وزِرّ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين — وكان الأسود قد وفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : جئت لأقترب إلى الله عزّ وجلّ بصحبتك ، فسمّاه المقترب ؛ وكان زِرّ قد وفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : فنِىَ بطنى ، وكثر إخوتُنا ، فادعُ الله لنا ، فقال : اللهمّ أوفِ لزِرّ عُمْرَه ، فتحوّل إليهم العدد — وأوفد أبو سَبْرة وفداً ؛ فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس ، وأرسل الهُرمزان معهم ، فقدِموا مع أبى موسى البصرة ، ثم خرجوا نحو المدينة ؛

---

(١) ابن حبيش : « فذلك لك » . (٢) من ابن حبيش .

حتى إذا دخلوا هيّئوا الهرمزان فى هيئته ، فألبسوه كُسوته من الدّيباج الذى فيه الذهب ، ووضعوا على رأسه تاجًا يدعى الآذين ، مكلّلاً باالياقوت ، وعليه حِلْيته ، كيما يراه عمر والمسلمون فى هيئته ، ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر فى منزله فلم يجدوه ، فسألوا عنه ، فقيل[لهم][1] : جلس فى المسجد لوفد قدموا عليه من الكوفة ، فانطلقوا يطلبونه فى المسجد ، فلم يروْه ، فلما انصرفوا مرّوا بغلمان من أهل المدينة يلعبون ، فقالوا لهم : ما تلدّدكم[2] ! ؟ تريدون أميرَ المؤمنين ؟ فإنّه نائم فى ميمنة المسجد ، متوسد[3] برنسه — وكان عمر قد جلس لوفْد أهل الكوفة فى بُرنس ، فلمّا فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه ، وأخلَوْه نزع بُرنسه ثم توسّده فنام — فانطلقوا ومعهم النظّارة ، حتى إذا رأوْه جلسوا دونه ، وليس فى المسجد نائم ولا يقظان غيره ، والدِّرّة فى يده معلّقة[4] ، فقال : الهرمزان : أين عمر ؟ فقالوا : هو ذا[5] ؛ وجعل الوفد يشيرون إلى الناس أن اسكتوا عنه ؛ وأصغى الهرمزان إلى الوفد ، فقال : أين حرسُه وحجّابه عنه ؟ قالوا : ليس له حارس ولا حاجب ، ولا كاتب ولا ديوان ، قال : فينبغى له أن يكون نبيًّا ، فقالوا : بل يعمل عمل الأنبياء[6] ؛ وكثر الناس ؛ فاستيقظ[7] عمر بالجلَبَة ، فاستوى جالسًا ، ثم نظر إلى الهرمزان ، فقال : الهرمزان ؟ قالوا : نعم ؛ فتأمّله ، وتأمّل ما عليه ، وقال : أعوذ بالله من النار ، وأستعين الله[8] ! وقال : الحمد لله الذى أذلّ بالإسلام هذا وأشياعه ؛ يا معشر المسلمين ، تمسّكوا بهذا الدين ، واهتدوا بهُدَى نبيّكم ، ولا تبطرنّكم الدنيا فإنها غرّارة . فقال الوفد : هذا ملك الأهواز ، فكلّمه ، فقال : لا ، حتى لا يبقى عليه من حِلْيته شىء ، فرُمِى عنه بكلّ شىء عليه إلا شيئًا يستره ، وألبسوه ثوبًا صفيقًا ، فقال عمر : هِيه يا هرمزان ! كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله ! فقال : يا عمر ، إنا وإيّاكم فى الجاهليّة كان الله قد خلّى بيننا وبينكم ، فغلبناكم إذْ لم يكن معنا ولا معكم ، فلمّا كان معكم

١/٢٥٥٨

---

(١) من ابن حبيش .
(٢) التلدد : التلفت يميناً وشمالا .
(٣) كذا فى ابن حبيش : وفى ط « متوسداً » .
(٤) ابن حبيش : « معلقها » .
(٥) س : « هذا هو » .
(٦) ابن الأثير : « بعمل الأنبياء » .
(٧) س : « واستيقظ » .
(٨) ابن كثير : « وأستغفر الله » .

غلبتمونا. فقال عمر : إنما غلبتمونا فى الجاهليّة باجتماعكم وتفرّقنا . ثم قال عمر : ما عُذرك وما حجّتك فى انتقاضك مرّة بعد مرّة ؟ فقال: أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك ، قال : لا تخف ذلك . واستسقى ماء ، فأتِىَ به فى قَدَح غليظ ، فقال : لو متّ عطشًا لم أستطع أنْ أشرب فى مثل هذا ، فأتى به فى إناء يرضاه ، فجعلت يده ترجُف(١) ، وقال : إنى أخاف أن أقتَل وأنا أشرب الماء ، فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشرَبه ، فأكفأه ، فقال عمر : أعيدوا عليه ، ولا تجمعوا عليه القتل والعطش ، فقال : لا حاجة لى فى الماء ، إنما أردت أن أستأمِن به ، فقال له عمر : إنى قاتلك ، قال : قد آمنتنى ! فقال : كذبت ! فقال أنس : صدق يا أمير المؤمنين ، قد آمنته ، قال : ويحك يا أنس! أنا أؤمّن قاتل مجزأة والبَراء ! والله لتأتينّ بمخرج أو لأعاقبنّك ! قال : قلتَ له : لا بأس عليك حتى تخبرَنى ، وقلتَ : لا بأس عليك حتى تشربه ، وقال له مَنْ حوله مثل ذلك ، فأقبل على الهرمزان، وقال : خدعتَنى ، والله لا أنخدع إلا لمسلم ؛ فأسلم . ففرض له على ألفين ، وأنزله المدينة . ١/٢٥٥٩

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى سفيان طلحة ابن عبد الرحمن ، عن ابن عيسى ، قال : كان التُّرجمان يوم الهُرمزان المغيرة بن شعبة إلى أن جاء المترجِم ، وكان المغيرة يفقَه شيئًا من الفارسيّة ، فقال عمر للمغيرة : قل له : مِنْ أىّ(٢) أرض أنت ؟ فقال المغيرة : أزكُدَام أرضى (٣) ؟ فقال : مِهرجانىّ، فقال: تكلم بحجّتك ، قال : كلام حىّ أو ميت ؟ قال : بل كلام حىّ ، قال : قد آمنتَنى ، قال : خدعتَنى ، إنّ للمخدوع فى الحرب حُكمه ؛ لا والله لا أؤمّنك حتى تسلِم ، فأيقن أنه القتل أو الإسلام، فأسلم ، ففرض له على ألفين وأنزله المدينة . وقال للمغيرة : ما أراك بها حاذقًا ، ما أحسنها منكم أحد إلا خبّ ، وما خبّ إلا دقّ . إيّاكم وإيّاها ، فإنها تنقض الإعراب . وأقبل زيد فكلّمه ، وأخبر عمر بقوله ، والهُرمزانَ بقول عمر . ١/٢٥٦٠

---

(١) ابن حبيش وابن كثير : « ترعد » . (٢) ابن حبيش : « من أية » .
(٣) أزكدام أرضى ، استفهام بالفارسية ، ومعناه : من أى أرض أنت ؟

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو ، عن الشعبىّ وسفيان ، عن الحسن ، قال : قال عمر للوفد : لعلّ المسلمين يفضُون إلى أهل الذّمة بأذًى وبأمور لها ما ينتقضون بكم ! فقالوا : ما نعلم إلاّ وفاء وحسن ملَكة ، قال : فكيف هذا ؟ فلم يجد عند أحد منهم شيئاً يشفيه ويبصر به مما يقولون ، إلاّ ما كان من الأحنف ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أخبرك أنّك نهيتَنا عن الانسياح فى البلاد ، وأمرتَنا بالاقتصار على ما فى أيدينا[1] ، وإن ملِك فارس حىّ بين أظهرهم[2] ؛ وإنهم لايزالون يساجلوننا[3] مادام ملِكهم فيهم ؛ ولم يجتمع ملِكان فاتفقا حتى يخرِج أحدُهما صاحبَه ؛ وقد رأيتُ أنّا لم نأخذ شيئاً بعد شىء إلاّ بانبعاثهم ، وأنّ ملِكهم هو الذى يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنسِحْ[4] فى بلادهم حتى نزيلَه عن فارس ، ونخرجه من مملكته وعزّ أمته ، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس ويضربون جأشاً[5] . فقال : صدقتَنى والله ، وشرحت لى الأمر عن حقه . ونظر فى حوائجهم وسرّحهم . ٢٥٦١/١

وقدم الكتاب على عمر باجتماع أهل نهاوند وانتهاء أهل مِهْرجا نقذَق وأهل كُوَر الأهواز إلى رأى الهُرمزان ومشيئته ، فذلك كان سبب إذن عمر لهم فى الإنسياح .

* * *

ذكر فتح السُّوس

اختلف أهل السِّيَر فى أمرها ؛ فأمّا المدائنىّ فإنه — فيما حدثنى عنه أبو زيد — قال : لما انتهى فلّ جلولاء إلى يزدجرْد وهو بحُلوان ، دعا بخاصّته والمَوبَذ ، فقال : إنّ القومَ لا يلقَوْن جمعاً إلاّ فلّوه ، فما ترَوْن ؟ فقال المْوبذ : نرى أن تخرج فتنزل إصطخْر ؛ فإنها بيت المملكة ، وتضمّ إليك خزائنك ، وتوجّه الجنود . فأخذ برأيه ، وسار[6] إلى أصبهان دعا سياهَ ، ٢٥٦٢/١

---

(١) ابن حبيش : « ما كان فى أيدينا » . (٢) س : « أظهرنا » .
(٣) ابن حبيش : « يساحلوننا » ، ابن الأثير والنويرى : « يقاتلوننا » .
(٤) ابن حبيش : « فنسيح » . (٥) يضربون جأشاً ، أى يسكنون .
(٦) ابن حبيش : « صار » .

فوجّهه فى ثلاثمائة ، فيهم سبعون رجلا من عُظمائهم ، وأمره أن ينتخب من كلّ بلدة يمرّ بها مَن أحبّ ، فمضى سياه وأتبعه يزدجِرْد ، حتى نزلوا إصطخر وأبو موسى محاصر السُّوس ، فوجّه سياه إلى السُّوس ، والهرمزان إلى تُستَر ، فنزل سياه الكلبانيّة ، وبلغ أهلَ السّوس أمرُ جَلُولاء ونزول يزدَجِرد إصطخر منهزمًا ، فسألوا أبا موسى الأشعرىّ الصلح ، فصالحهم، وسار إلى رامَهُرمز وسياه بالكلبانيّة ، وقد عظُم أمر المسلمين عنده ، فلم يزل مقيمًا حتى صار أبو موسى إلى تُسْتَر ، فتحوّل سياه ، فنزل بين رامهرمز وتُسْتَر ، حتى قدم عمّار بن ياسر ، فدعا سياه الرؤساء الذين كانوا خرجوا معه من أصبَهان ؛ فقال : قد علمتم أنا كنا نتحدّث أنّ هؤلاء القومَ أهلُ الشقاء والبؤس سيغلبون على هذه المملكة ، وتروُث دوابّهم فى إيوانات إصطَخر ومصانع الملوك ، ويشدّون خيولَهم بشجرها ، وقد غلبوا على ما رأيتم ، وليس يلقوْن جندًا إلاّ فلّوه ، ولا ينزلون بحصن إلاّ فتحوه ، فانظروا لأنفسكم . قالوا : رأيُنا رأيك ، قال : فليكْفِنى كلّ رجل منكم حشَمه والمنقطعين إليه ، فإنى أرى أن ندخل فى دينهم . ووجّهوا شيرويه فى عشرة من الأساورة إلى أبى موسى يأخذ شروطًا [(١)] على أن يدخلوا فى الإسلام . فقدم شيرويه على أبى موسى ، فقال : إنّا قد رغِبْنا فى دينكم ، فنُسلِم على أن نُقاتلَ معكم العجم ، ولا نقاتل معكم العرب ؛ وإن قاتلَنا أحدٌ من العرب منعتمونا منه ، وننزل حيث شئنا ، ونكون فيمن شئنا منكم ، وتُلحِقونا بأشراف العطاء [(٢)] ، ويعقد لنا الأمير الذى هو فوقك بذلك . فقال أبو موسى : بل لكم ما لنا، وعليكم ما علينا ، قالوا : لا نرضَى .

١/٢٥٦٣

وكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إلى أبى موسى : أعطِهم ما سألوك . فكتب أبو موسى لهم ، فأسلموا ، وشهدوا معه حصار تُستَر ؛ فلم يكن أبو موسى يرى منهم جِدًّا ولا نِكاية ، فقال لسياه : يا أعور ، ما أنت وأصحابُك كما كنّا نرى ! قال: لسنا مثلكم فى هذا الدّين ولا بصائرنا كبصائركم، وليس لنا فيكم حُرَمٌ نحامِى عنهم ، ولم تُلحقنا بأشراف العطاء

---

(١) س : « فأخذ لهم شروطا » . (٢) ابن حبيش : « بأشرف العطاء » .

ولنا سلاح وكُراع وأنتم حُسّر . فكتب أبو موسى إلى عمر فى ذلك ، فكتب إليه عمر : أن ألحقهم على قَدْر البلاء فى أفضل العطاء وأكثر شىء أخذه أحد من العرب . ففرض لمائة منهم فى ألفين ألفين ، ولستّة منهم فى ألفين، وخمسمائة لسياه وخُسْرَوْ — ولقبه مِقْلاص — وشَهْريار، وشَهْرَوَيْه، وأفروذين. فقال الشاعر :

٢٥٦٤/١

ولمّا رأى الفاروقُ حُسْنَ بلائِهِمْ وكان بما يأتى من الأمر أبْصَرَا[1]
فَسَنَّ لهم ألفيْنِ فَرْضاً وقد رأى ثلاثَمِئِينَ فَرْضَ عَكٍّ وَحِمْيَرَا

قال : فحاصروا حصنًا بفارس ، فانسلّ سياه فى آخر الليل فى زِىّ العجم حتى رمى بنفسه إلى جَنْب الحِصْن ، ونضحَ ثيابه بالدّم ، وأصبح أهلُ الحصن ، فرأوا رجلاً فى زِيّهم صريعًا ، فظنّوا أنه رجل منهم أصيبوا به ، ففتحوا باب الحِصْن ليدخلوه ، فثار وقاتلهم حتى خلّوْا عن باب الحصن وهربوا ، ففتح الحصن وحده ، ودخله المسلمون ، وقوم يقولون : فعلَ هذا الفعل سياه بتُسْتَر ، وحاصروا حصنًا ، فمشى خُسْرَوْ إلى الحصن ، فأشرف عليه رجل منهم يكلّمه ، فرماه خسرَوْ بنشّابة فقتله .

وأما سيف فإنه قال فى روايته ما كتب به إلى السرّى ، عن شعيب ، عنه ، عن محمد وطلحة وعمرو ودِثار أبى عمر ، عن أبى عثمان ، قالوا : لما نزل أبو سَبْرة فى الناس على السُّوس ، وأحاط المسلمون بها ، وعليهم شهريار أخو الهرمزان ، ناوشوهم مرّات ؛ كلّ ذلك يصيبُ أهلُ السُّوس فى المسلمين ، فأشرف عليهم يومًا الرُّهبان والقسّيسون ، فقالوا : يا معشر العرب ، إنّ مما عهد إلينا علماؤنا وأوائلنا ؛ أنه لا يفتح السُّوسَ إلاّ الدّجال أو قوم فيهم الدّجال ، فإن كان الدّجال فيكم فستفتحونها ، وإن لم يكن فيكم فلا تُعْنُوا بحصارنا . وجاء صرْفُ أبى موسى إلى البَصْرة ، وعُمِّل علَى أهل البصرة المقترب مكانَ أبى موسى بالسُّوس ، واجتمع الأعاجم بِنهاوَنْد والنعمان على أهل الكوفة محاصراً لأهل السوس مع أبى سَبْرة ، وزِرّ محاصر أهل نِهاوند من

٢٥٦٥/١

---

(١) كذا فى ابن حبيش وفى ط : « لما » بغير واو .

وجهه ذلك ؛ وضرب على أهل الكوفة البعث مع حُذيفة ، وأمرهم بموافاته بنهاوَنْد ؛ وأقبل النُّعمان على التهيّؤ للسير إلى نهاوند ، ثمّ استقلّ فى نفسه ، فناوشهم قبل مضيّه ، فعاد الرّهبان والقسّيسون ، وأشرفوا على المسلمين ، وقالوا : يا معشرَ العرب ، لا تَعنَوْا فإنه لا يفتحها إلاّ الدّجال أو قوم معهم الدّجال ، وصاحوا بالمسلمين وغاظوهم ، وصافِ بن صيّاد يومئذ مع النعمان فى خيله ، وناهَدهم المسلمون جميعًا ، وقالوا : نقاتلهم قبل أن نفترق ؛ ولمّا يخرج أبو موسى بعدُ . وأتى صافِ بابَ السوس غضبَان ، فدقّه برجله ، وقال : انفتح فطار[1] فتقطّعت السلاسل ، وتكسّرت الأغلاق ، وتفتّحت الأبواب ، ودخل المسلمون ، فألقى المشركون بأيديهم ، وتنادوْا : الصّلح الصلح! وأمسكوا بأيديهم ، فأجابوهم إلى ذلك بعد ما دخلوها عَنْوة ، واقتسموا ما أصابوا قبل الصلح ؛ ثم افترقوا .

١/٢٥٦٦ فخرج النّعمان فى أهل الكوفة من الأهواز حتى نزل على ماه ، وسرّح أبو سَبْرة المقترِبَ حتى ينزل على جنديْ سابور مع زِرّ ، فأقام النعمان بعد دخول ماه ، حتى وافاه أهلُ الكوفة ، ثم نهد بهم إلى أهل نِهَاوند ، فلما كان الفتح رجع صاف إلى المدينة ، فأقام بها ، ومات بالمدينة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطيّة ، عمّن أورد فتح السُّوس ، قال : وقيل لأبى سَبْرة : هذا جسد دانيال فى هذه المدينة ، قال : ومالنا بذلك ! فأقرّه بأيديهم — قال عطيّة بإسناده : إنّ دانيال كان لزم أسيافَ فارس بعد بختنصّر ؛ فلمّا حضرْته الوفاة ، ولم يَرَ أحداً ممن هو بين ظهرَيْهم على الإسلام ؛ أكرم كتاب الله عمّن لم يجبْه ولم يقبل منه ، فأودعه ربّه ، فقال لابنه : ائتِ ساحلَ البحر ، فاقذفْ بهذا الكتاب فيه ، فأخذه الغلام ، وضنّ به ، وغاب مقدارَ ما كان ذاهبًا وجائيًا ؛ وقال : قد فعلت ، قال : فما صنع البحر حين هوى فيه ؟ قال : لم أره يصنع شيئًا ، فغضب وقال : والله ما فعلتَ الذى أمرتُك به . فخرج من عنده ، ففعل مثل فعلته الأولى ، ثم أتاه فقال : قد فعلت ، فقال : كيف رأيت البحر حين

١/٢٥٦٧ هوى فيه ؟ قال : ماج واصطفق ، فغضب أشدّ من غضبه الأوّل ، وقال : والله ما فعلت الذى أمرتُك به بعد ، فعزم ابنه على إلقائه فى البحر الثالثة ،

[1] كذا فى س وفى ط : « بظار » .

فانطلق إلى ساحل البحر ، وألقاه فيه ، فانكشف البحر عن الأرض حتى بدت ، وانفجرت[1] له الأرض عن هواء من نور ، فهوَى فى ذلك النور ، ثم انطبقت عليه الأرض ، واختلَط الماء ، فلما رجع إليه الثالثة سأله فأخبره الخبر ، فقال : الآن صدقت. ومات دانيال بالسُّوس ؛ فكان هنالك يُستَسقى بجسده ، فلما افتتحها المسلمون أتُوا به فأقرُّوه فى أيديهم ، حتى إذا ولّى أبو سَبْرة عنهم إلى جُنْدَىْ سابور أقام أبو موسى بالسُّوس . وكتب إلى عُمَر فيه؛ فكتب إليه يأمره بتوريته ، فكفّنه ودفنه المسلمون . وكتب أبو موسى إلى عمر بأنه كان عليه خاتم وهو عندنا ، فكتب إليه أن تختَّمْه ، وفى فصّه نقش رجل بين أسدين .

* * *

[ذكر مصالحة المسلمين أهل جندىْ سابور]

وفيها – أعنى سنة سبع عشرة – كانت مصالحة المسلمين أهْلَ جُنْدَىْ سابور .

* ذكر الخبر عن أمرهم وأمرها :

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبى عمرو وأبى سفيان والمهلّب ، قالوا : لما فرغ أبو سَبْرة من السُّوس خرج فى جنده حتى نزل على جُنْدَىْ سابور، وزِرّ بن عبد الله بن كليب محاصرهم ؛ فأقاموا عليها يغادونهم ويراوحونهم القتال ؛ فما زالوا مقيمين عليها حتى رُمى إليهم بالأمان من عسكر المسلمين ، وكان فَتْحها وفَتْح نهاوند فى مقدار شهرين[2] ، فلم يفجأ المسلمين إلاّ وأبوابها[3] تفتح ، ثمّ خرج السَّرْح ، وخرجت الأسواق ، وانبثّ أهلها ، فأرسل المسلمون : أن مالكم ؟ قالوا : رميتم إلينا بالأمان فقبلناه ، وأقررنا لكم بالجزاء على أن تمنعونا . فقالوا : ما فعلنا ، فقالوا : ما كذبْنا ، فسأل المسلمون فيما بينهم ؛ فإذا عبد يدعَى مُكْنِفًا كان أصله منها ؛ هو الذى كتب لهم . فقالوا : إنما هو عبد ، فقالوا : إنا لا نعرف حُرّكم من عبدكم ، قد جاء أمان فنحن عليه قد قبلناه ، ١ / ٢٥٦٨

(١) ابن الأثير : « وتفجرت » . (٢) س : « شهر » .
(٣) س : « بأبوابها » .

ولم نبدّل ؛ فإن شئتم فاغدروا . فأمسكوا عنهم ، وكتبوا بذلك إلى عمر ، فكتب إليهم : إنّ الله عظّم الوفاء ، فلا تكونون أوفياء حتى تَفُوا ، مادمتم فى شكّ أجيزوهم، وفُوا لهم . فوَفوْا لهم ، وانصرفوا عنهم .

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب ، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : أذن عمر فى الانسياح سنة سبع عشرة فى بلاد فارس، وانتهى فى ذلك إلى رأى الأحنف بن قيس ، وعرف فضله وصدقه ، وفرّق الأمراء والجنود ، وأمّر على أهل البصرة أمراء، وأمّر على أهل الكوفة أمراء ، وأمّر هؤلاء وهؤلاء بأمره ، وأذِن لهم فى الانسياح سنة سبع عشرة ، فساحوا فى سنة ثمان عشرة، وأمر أبا موسى أن يسير من البصرة إلى منقطَع ذمّة البصرة ؛ فيكون ١/٢٥٦٩ هنالك حتى يحدّث إليه ؛ وبعث بألوية مَنْ ولى مع سهيل بن عدىّ حليف بنى عبد الأشهل ، فقدِم سهيل بالألوية ، ودفع لواء خُراسان إلى الأحنف ابن قيس ، ولواء أردشيرخُرّه وسابور إلى مجاشع بن مسعود السُّلمىّ ، ولواء إصطخر إلى عثمان بن أبى العاص الثقفىّ،ولواء فَسَا ودرابجرد إلى سارية بن زُنَيم الكنانىّ، ولواء كَرْمان مع سهيل بن عدىّ، ولواء سِجِسْتان إلى عاصم ابنِ عمرو — وكان عاصم من الصحابة — ولواء مُكْران إلى الحكَم بن عمير التغلَبىّ . فخرجوا فى سنة سبع عشرة ، فعسكروا ليخرجوا إلى هذه الكُوَر فلم يستَتِبّ مسيرهم ،حتى دخلت سنة ثمان عشرة ، وأمدّهم عمر بأهل الكوفة ؛ فأمدّ سهيل بن عدىّ بعبد الله بن عبد الله بن عِتْبان، وأمدّ الأحنف بعلقمة ابن النّضر ، وبعبد الله بن أبى عَقِيل،وبربْعىّ بن عامر ، وبابن أمّ غزال . وأمدّ عاصم بن عمرو بعبد الله بن عمير الأشجعىّ ، وأمدّ الحكم بن عُمير بشهاب بن المخارق المازنىّ . قال بعضهم : كان فتح السُّوس ورَامهرمز وتوجيه الهرمزان إلى عُمَر من تُسْتَر فى سنة عشرين .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة — أعنى سنة سبع عشرة — عمر بن الخطاب ؛ ١/٢٥٧٠ وكان عامله على مكة عتّاب بن أسِيد ، وعلى اليمن يعلَى بن أميّة ، وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبى العاص وعلى عُمان حذيفة بن مِحْصَن ، وعلى

الشام مَنْ قد ذكرت أسماءهم قبل ، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبى وقّاص ، وعلى قضائها أبو قُرّة ، وعلى البصرة وأرضها أبو موسى الأشعرىّ — وقد ذكرت فيما مضى الوقتَ الذى عزل فيه عنها ، والوقت الذى ردّ فيه إليها أميراً . وعلى القضاء — فيما قيل — أبو مريم الحنفىّ . وقد ذكرت مَنْ كان على الجزيرة والموصل قبلُ .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة

ذكر الأحداث التي كانت فى سنة ثَمان عشرة

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة — أعنى سنة ثمانَ عشرة — أصابت الناسَ مجاعةٌ شديدة ولَزْبة ، وجُدوب وقحوط ؛ وذلك هو العام الذى يسمَّى عام الرّمادة .

[ذكر القحط وعام الرمادة]

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : دخلت سنة ثمان عشرة ، وفيها كان عام الرّمادة وطاعون عَمَواس ، فتفانَى فيها الناس .

وحدّثنى أحمد بن ثابت الرازىّ ، قال : حُدّثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، قال : كانت الرّمادة سنة ثمانَ عشرة . قال : وكان فى ذلك العام طاعون عَمَواس .

١ / ٢٥٧١ كتب إلىّ السرىّ يقول : حدّثنا شعيب ، عن سيف ، عن الرّبيع وأبى المجالد وأبى عثمان وأبى حارثة ، قالوا : وكتب أبو عبيدة إلى عمر : إنّ نفراً من المسلمين أصابوا الشراب ، منهم ضرار ، وأبو جندل ، فسألناهم فتأوّلوا ، وقالوا : خُيِّرنا فاخترنا ، قال : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ! ولم يعزم علينا . فكتب إليه عمر : فذلك بيننا وبينهم ، ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ؛ يعنى « فانتهوا » . وجمع الناس ، فاجتمعوا على أن يضربُوا فيها ثمانين جلدة ، ويضمّنوا الفسق مَن تأوّل عليها بمثل هذا ، فإن أبى قتِل . فكتب عمر إلى أبى عبيدة أن ادعُهم ؛ فإن زعموا أنها حلال فاقتلهم ، وإن زعموا أنها حرام فاجلدهم ثمانين . فبعث إليهم فسألهم على رءوس الناس ، فقالوا : حرام ، فجلدهم ثمانين ثمانين ، وحُدّ القوم ، وندموا على لجاجتهم ،

وقال : ليحدثُنّ فيكم يا أهل الشام حادث ؛ فحدثت الرّمادة .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن شبرمة عن الشعبيّ بمثله .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، قال : لما قدم على عمر كتاب أبى عبيدة فى ضرار وأبى جندل ، كتب إلى أبى عبيدة فى ذلك ، وأمره أن يدعوَ بهم على رءوس الناس فيسألهم : ١/٢٥٧٢ أحرام الخمر أم حلال ؟ فإن قالوا : حرام، فاجلدهم ثمانين جلدة ، واستتِبْهم ، وإن قالوا : حلال ، فاضرب أعناقهم . فدعَا بهم فسألهم ، فقالوا : بل حرام ، فجلدهم ، فاستحيَوا فلزموا البيوت . ووسوس أبو جندل ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر : إنّ أبا جندل قد وسوس ، إلاّ أن يأتيَه الله على يدَيك بفرج ، فاكتب إليه وذكّره ، فكتب إليه عمر وذكّره ، فكتب إليه : من عمر إلى أبى جنْدل ﴿ إنّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء ﴾ ، فتبْ وارفع رأسك ، وابرز ولا تقنَط ، فإنّ الله عزّ وجلّ ، يقول : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم ﴾ . فلما قرأه عليه أبوعبيدة تطلّق وأُسفِر عنه . وكتب إلى الآخرين بمثل ذلك فبرزوا ، وكتب إلى الناس : عليكم أنفسكم ، ومَن استوجب التّغيير فغيّروا عليه ، ولا تعيّروا أحداً فيفشوَ فيكم البلاء .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبدالله ، عن عطاء نحواً منه ، إلاّ أنه لم يذكر أنه كتب إلى الناس ألا يعيّروهم ، وقال : قالوا : جاشت الروم ، دعُونا نغزوهم ، فإن قضى الله لنا الشهادة فذلك ، ١/٢٥٧٣ وإلاّ عمَدتَ للذى يريد . فاستُشهد ضرار بن الأزور فى قوم ، وبقىَ الآخرون فحُدّوا . وقال أبو الزّهراء القُشَيرىّ فى ذلك :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدهرَ يعْثُرُ بالفتى ... ولَيْسَ على صَرْفِ المَنونِ بِقادِرِ

صبَرْتُ ولم أَجْزَعْ وقَدْ ماتَ إخْوَتى ... ولَسْتُ عن الصهْباء يَوْماً بِصَابِرِ
رَماها أمير المؤمنـــين بحَتفِها ... فخُلّانُها يَبْـكونَ حَوْلَ المَعاصِرِ

كتب إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الرّبيع بن النعمان وأبى المجالد جراد بن عمرو وأبى عثمان يزيد بن أسيد الغسّانىّ ، وأبى حارثة مُحرِز العَبْشمىّ بإسنادهم ، ومحمد بن عبد الله، عن كُريب ، قالوا : أصابت الناس فى إمارة عمر رضى الله عنه سَنَةٌ بالمدينة وما حولها ، فكانت تَسْفى إذا رِيحَت[1] ترابًا كالرماد، فسمِّىَ ذلك العامُ عامَ الرّمادة، فآلى عمرألاّ يذوقَ سمنًا ولا لبنًا ولا لحمًا حتى يحيِىَ الناس من أوّل الحيا ، فكان بذلك حتى أحيا الناسُ من أوّل الحيا ،فقدمت السوقَ عُكّة من سمن ووطْب من لبن ، فاشتراهما[2] غلام لعمر بأربعين ، ثم أتى عمر ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قد أبرّ الله يمينك، وعظّم أجرك، قدم السوق وطْب من لبن وعُكّة من سمن، فابتعتهما بأربعين ، فقال عمر : أغليتَ بهما ، فتصدّقْ بهما ، فإنّى أكره أن آكل إسرافًا . وقال عمر : كيف يعنينى شأن الرعيّة إذا لم يمسَسْنِى ما مسّهم! ١/٢٥٧٤

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف السُّلمىّ ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : كانت فى آخر سنة سبع عشرة وأول سنة ثمان عشرة ، وكانت الرّمادة جوعًا أصاب الناس بالمدينة وما حولها فأهلكهم حتّى جعلت الوحشُ تأوِى إلى الإنس ، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قُبحها ، وإنّه لمقفر .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن عبد الرحمن بن كعب ، قال : كان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار ؛ حتى أقبل بلال بن الحارث المزنىّ ، فاستأذن عليه ، فقال : أنا رسولُ رسولِ الله إليك ؛ يقول لك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لقد عهدتُك كيّساً ، وما زلت على رِجْل؛ فما شأنك ! فقال : متى رأيتَ هذا ؟ قال: البارحة ، فخرج فنادى فى الناس: الصلاة جامعة ! فصلّى بهم ركعتين ؛

(١) ريحت : أصابتها الريح .
(٢) س وابن الأثير : « فاشتراها » .

ثم قام فقال : أيُّها الناس ، أنشُدكم الله ، هل تعلمون منّى أمراً غيره خيرٌ منه ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : فإنّ بلال بن الحارث يزعم ذَيّة وذَيّة[1] ؛ فقالوا : صدق بلال ، فاستغث بالله وبالمسلمين ، فبعث إليهم — وكان عمرعن ذلك محصوراً — فقال عمر : الله أكبر ! بلغ البلاءُ مدّته فانكشف ؛ ما أذِن لقوم فى الطلب إلاّ وقد رُفِع عنهم البلاء ؛ فكتب إلى أمراء الأمصار : أغيثوا أهلَ المدينة ومن حولها ، فإنه قد بلغ جَهْدهم ؛ وأخرج الناس إلى الاستسقاء ، فخرج وخرج معه بالعباس ماشياً ، فخطب فأوجز ؛ ثم صلى ، ثم جثا لركبتيه ، وقال : اللهمّ إيّاك نعبد وإياك نستعين ؛ اللهمّ اغفرْ لنا وارحمْنا وارضَ عنّا . ثم انصرف ، فما بلغوا المنزل راجعين حتّى خاضُوا الغُدْران . ٢٥٧٥/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشّر بن الفضيل ، عن جُبير بن صخر ، عن عاصم بن عمر بن الخطاب ، قال : قحط الناس زمانَ عمر عاماً ، فهزِل المال ، فقال أهلُ بيت من مُزينة من أهل البادية لصاحبهم : قد بلغنا ، فاذبح لنا شاة ، قال : ليس فيهنّ شىء ، فلم يزالوا به حتّى ذبح لهم شاة ، فسلخ عن عظم أحمر ، فنادى : يا محمّداه ! فأرِىَ فيما يرى النائم أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتاه ، فقال : أبشِرْ بالحيا[2] ! ائت عمرَ فأقرئه منّى السلام ، وقل له : إنّ عهدى بك وأنت وفىّ العهد ، شديد العقد ، فالكَيْسَ الكَيْسَ يا عمر ! فجاء حتّى أتى باب عمر ؛ فقال لغلامه : استأذِنْ لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى عمر فأخبره ، ففزِع وقال : رأيتَ به مسّاً ! قال : لا ، قال : فأدخله ، فدخل فأخبره الخبر ، فخرج فنادى فى الناس ، وصعد المنبر ، وقال : أنشدكم بالذى هداكم للإسلام ؛ هل رأيتم منى شيئاً تكرهونه ! قالوا : اللهمّ لا ، قالوا : ولم ذاك ؟ فأخبرهم ، ففطِنوا ولم يفْطَن ؛ فقالوا : إنما استبطأك فى الاستسقاء ، فاستسقِ بنا ، فنادى فى الناس ، فقام فخطب فأوجز ، ثم صلى ركعتيْن فأوجز ، ثم قال : اللهمّ عجزتْ عنّا أنصارنا ، وعجز عنا حولُنا وقوّتُنا ، وعجزتْ عنا أنفسُنا ، ٢٥٧٦/١

---

(١) ذية وذية ، كقولهم : كذا وكذا .
(٢) ابن كثير : « بالحياة » . والحيا : المطر .

ولا حولَ ولا قوّة إلا بك ، اللّهمّ فاسقنا ، وأَحْيِ العباد والبلاد !

كتب إليّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الرّبيع بن النعمان وجراد أبي المجالد وأبي عثمان وأبي حارثة ، كلّهم عن رجاء — وزاد أبو عثمان وأبو حارثة : عن عبادة وخالد ، عن عبد الرحمن بن غَنْم — قالوا : كتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومَن حولها ، ويستمدّهم ، فكان أوّل مَن قدِم عليه أبو عبيدة بن الجرّاح فى أربعة آلاف راحلة من طعام ، فولاّه قسمتَها فيمن حول المدينة ؛ فلمّا فرغ ورجع إليه أمر له بأربعة آلاف ١/٢٥٧٧ درهم ، فقال : لا حاجةَ لى فيها يا أمير المؤمنين ؛ إنما أردت الله وما قبَله ، فلا تدخل علىّ الدنيا ، فقال : خذها فلا بأس بذلك إذ لم تطلبه ، فأبى فقال : خُذْها فإنّى قد وليت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ، فقال لى مثل ما قلت لك ، فقلتُ له كما قلتَ لى فأعطانى . فقبل أبو عبيدة وانصرف إلى عمله ، وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز ، وأحْيَوْا مع أوّل الحيا .

وقالوا بإسنادهم : وجاء كتاب عمرو بن العاص جواب كتاب عمر فى الاستغاثة : إن البحر الشامىّ حُفر لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حفيراً ، فصبّ فى بحر العرب ، فسدّه الروم والقِبْط ، فإن أحببتَ أن يقوم سعر الطعام بالمدينة كسعره بمصر ، حفرتُ له نهراً وبنيت له قناطر . فكتب إليه عمر : أن افعل وعجّل ذلك ؛ فقال له أهل مصر : خراجك زاجٍ [1] ، وأميرك راضٍ ؛ وإن تمّ هذا انكسر الخراج . فكتب إلى عمر بذلك ، وذكر أن فيه انكسار خراج مصر وخرابها . فكتب إليه عمر : اعمل فيه وعجّل ، أخرب الله مصر فى عمران المدينة وصلاحها ، فعالجه عمرو وهو بالقُلْزم ، فكان سعر المدينة كسعر مصر ، ولم يزِدْ ذلك مصر إلاّ رخاء ، ولم يرَ أهل المدينة بعد الرّمادة مثلها ، حتى حُبس عنهم البحر مع مقتل عثمان رضى الله عنه . فذلّوا وتقاصروا وخشعوا .

* * *

---

(١) يقال : زجا الخراج زجاء فهو زاج ، إذا تيسرت جبايته .

قال أبو جعفر : وزعم الواقدىّ أن الرّقة والرُّها وحرّان فتحت فى هذه ١/٢٥٧٨ السنة على يدى عياض بن غَنْم ، وأن عين الوَرْدة فتحت فيها على يدى عُمير ابن سعد . وقد ذكرتُ قول مَنْ خالفه فى ذلك فيما مضى ، وزعم أن عمر رضى الله عنه حوّل المقام فى هذه السنة فى ذى الحجّة إلى موضعه اليوم ، وكان مُلْصَقًا بالبيت قبل ذلك . وقال : مات فى طاعون عَمَواس خمسة وعشرون ألفًا .

* * *

قال أبو جعفر : وقال بعضهم : وفى هذه السنة استقضى عمر شُرَيح ابن الحارث الكِندىّ على الكوفة ، وعلى البصرة كعب بن سُور الأزدىّ .

قال : وحجّ بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه .

* * *

وكانت وُلاته فى هذه السنة على الأمصار الوُلاةَ الذين كانوا عليها فى سنة سبع عشرة .

ثم دخلت سنة تسع عشرة

ذكر الأحداث التي كانت في سنة تسع عشرة

قال أبو جعفر : قال أبو معشر — فيما حدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى عنه : إنّ فتح جَلُولاء كان في سنة تسع عشرة على يدىْ سعد ، وكذلك قال الواقديّ .

وقال ابن إسحاق : كان فتح الجزيرة والرُّهاء وحرّان ورأس العيْن ونَصيبينَ في سنة تسع عشرة .

١/٢٥٧٩

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا قولَ من خالفهم في ذلك قبلُ .

وقال أبو معشر : كان فتح قَيْسارِيّة في هذه السنة — أعنى سنة تسع عشرة — وأميرها معاوية بن أبي سفيان؛ حدّثني بذلك أحمد بن ثابت الرازيّ ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وكالذى قال أبو معشر في ذلك قال الواقديّ .

وأما ابنُ إسحاق فإنه قال : كان فتح قيساريّة من فِلسطين وهَربُ هرقل وفتْحُ مصر في سنة عشرين ؛ حدّثنا بذلك ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عنه .

وأما سيف بن عمر فإنه قال : كان فتحُها في سنة ستّ عشرة . قال : وكذلك فتح مصر .

وقد مضى الخبر عن فتح قيساريّة قبل ، وأنا ذاكر خبر مصر وفتحها بعدُ في قول ؛ من قال : فُتِحت سنة عشرين ، وفي قول من خالف ذلك .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة — أعنى سنة تسع عشرة — سالت حَرّة ليلى ناراً — فيما زعم الواقديّ — فأراد عمر الخروج إليها بالرّجال، ثم أمرهم بالصدقة فانطفأت .

وزعم أيضًا الواقدىّ أنّ المدائن وجَلَوُلاء فُتحتا فى هذه السنة، وقد مضى ذكر من خالفه فى ذلك .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه .

وكان عمّاله على الأمصار وقضاته فيها الولاة والقضاة الذين كانوا عليها فى سنة ثمان عشرة .

ثم دخلت سنة عشرين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من مغازى المسلمين وغير ذلك من أمورهم

١/٢٥٨٠ قال أبو جعفر : فى هذه السنة فتِحت مصر فى قول ابن إسحاق .
حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فتِحت[1] مصر سنة عشرين .

وكذلك قال أبو معشر ؛ حدّثنى أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، أنه قال : فتِحت مصر سنة عشرين ، وأميرها عمرو بن العاص .

وحدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، قال : فتحت إسكندريّة سنة خمس وعشرين .

وقال الواقدىّ — فيما حُدّثت عن ابن سعد عنه : فُتِحت مصر والإسكندرية فى سنة عشرين .

وأما سيف فإنه زعم — فيما كتب به إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف — أنها فُتِحت والإسكندرية فى سنة ستّ عشرة .

* * *

ذكر الخبر عن فتحها وفتح الإسكندرية

قال أبو جعفر : قد ذكرنا اختلافَ أهل السِّيَر فى السنة التى كان فيها فتح مصر والإسكندرية ، ونذكر الآن سبب فتحهما ، وعلى يدىْ مَن كان ؛ على ما فى ذلك من اختلاف بينهم أيضًا ؛ فأما ابنُ إسحاق فإنه قال فى ذلك ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة عنه ، أنّ عمر رضى الله عنه حين فرغ من الشأم كلّها كتب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر فى جُنده ، فخرج حتّى فتح باب اليون فى سنة عشرين .

قال : وقد اختُلف فى فتح الإسكندريّة ، فبعض الناس يزعم أنها فتحت

---

(١) س : «كان فتح مصر» .

في سنة خمس وعشرين ، وعلى سنتين من خلافة عثمان بن عفّان رضى الله عنه ، وعليها عمرو بن العاص . ١/٢٥٨١

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى القاسم بن قُزْمان — رجل من أهل مصر — عن زياد بن جَزْء الزُّبيدىّ ، أنه حدّثه أنه كان فى جند عمرو بن العاص حين افتتح مصر والإسكندرية ، قال : افتتحنا الإسكندرية فى خلافة عمر بن الخطاب فى سنة إحدى وعشرين — أو سنة اثنتين وعشرين — قال : لما افتتحنا باب اليُون تدنّينا قُرى الرّيف فيما بيننا وبين الإسكندرية قريةً فقريةً ؛ حتى انتهينا إلى بَلْهيب — قرية من قرى الريف ، يقال لها قرية الريش — وقد بلغت سبايانا المدينة ومكّة واليمن .

قال : فلما انتهينا إلى بَلْهيب أرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو ابن العاص : إنى قد كنت أخرِج الجزية إلى من هو أبغض إلىّ منكم معشر العرب لفارس والروم ، فإن أحببتَ أن أعطيَك الجزية على أن تردّ علىّ ما أصبتم مِن سَبايا أرضِي فعلتُ .

قال : فبعث إليه عمرو بن العاص : إنّ ورائى أميراً لا أستطيع أن أصنع أمراً دونه ، فإن شئتَ أن أمسِك عنك وتُمسِك عنّى حتى أكتب إليه بالذى عرضتَ علىّ ، فإن هو قبِل ذلك منك قبلتُ ، وإن أمرنى بغير ذلك مضيتُ لأمره . قال : فقال : نعم . قال : فكتب عمرو بن العاص إلى عمر ابن الخطاب — قال : وكانوا لا يُخفون علينا كتاباً كتبوا به — يذكر له الذى عرض عليه صاحب الإسكندرية . قال : وفى أيدينا بقايا من سَبْيهم . ثم وقفنا ببَلْهيب ، وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا ؛ فقرأه علينا عمرو وفيه : أما بعد ؛ فإنه جاءنى كتابك تذكر أنّ صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيَك الجزية على أن تردّ عليه ما أصيب من سبايا أرضه ؛ ولعمرى لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحبُّ إلىّ من فىء يقسَم ، ثم كأنه لم يكن ؛ فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيَك الجزْية ، على أن تُخيّروا مَنْ فى أيديكم من سَبْيهم بين الإسلام وبين دين قومه ؛ فمن اختار ١/٢٥٨٢

منهم الإسلام فهو من المسلمين ؛ له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومَن اختار دين قومه ، وضُع عليه من الجزية ما يوضَع على أهل دينه ، فأما مَن تفرّق من سبيِهم بأرض العرب فبلغ مكّة والمدينة واليمن فإنا لا نقدر على ردّهم ، ولا نحبّ أن نصالحه على أمر لا نفِي له به . قال : فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يعلمه الذى كتب به أمير المؤمنين . قال : فقال : قد فعلتُ . قال : فجمعنا ما فى أيدينا[1] من السبايا ، واجتمعت النصارى ، فجعلنا نأتى بالرّجل ممن فى أيدينا ، ثمّ نخيّره بين الإسلام وبين النصرانيّة ؛ فإذا اختار الإسلام كبّرنا تكبيرة هى أشدّ من تكبيرنا حين تُفتح القرية ؛ قال : ثم نحوزه إلينا ، وإذا اختار النصرانيّة نخرت النصارى ، ثم حازوه إليهم ، ووضعنا عليه الجِزْية ، وجزعنا من ذلك جزعًا شديداً ؛ حتّى كأنّه رجل خرج منا إليهم . قال : فكان ذلك الدّأب حتّى فرغنا منهم ، وقد أتِى فيمن أتينا به بأبى مريم عبد الله بن عبد الرحمن — قال القاسم : وقد أدركته وهو عَريف بنى زُبَيد — قال : فوقفناه ، فعرضنا عليه الإسلام والنصرانيّة — وأبوه وأمه وإخوته فى النصارى — فاختار الإسلام ، فحزناه إلينا ، ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا ، حتّى شققوا عليه ثيابه ، ثم هو اليومَ عريفنا كما ترى . ثم فتحت لنا الإسكندرية فدخلناها ، وإنّ هذه الكُناسة التى ترى يابن أبى القاسم لكُناسة بناحية الإسكندرية حولها أحجار كما ترى ، ما زادت ولا نقصت ، فمن زعم غير ذلك أنّ الإسكندرية وما حولها من القرى لم يكن لها جزية ولا لأهلها عهد ؛ فقد والله كذب . قال القاسم : وإنما هاج هذا الحديثَ أن ملوك بنى أميّة كانوا يكتبون إلى أمراء مصر أنّ مصر إنما دخلت عَنْوة ؛ وإنما هم عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا ، ونضع[2] ما شئنا .

١/٢٥٨٣ ١/٢٥٨٤

قال أبو جعفر : وأما سيف ؛ فإنه ذكر فيما كتب به إلىّ السرىّ ، يذكر أن شعيبًا حدّثه عنه ، عن الربيع أبى سعيد ، وعن أبى عثمان وأبى حارثة ، قالوا : أقام عمر بإيلياء بعد ما صالح أهلها ، ودخلها أيامًا ، فأمضى عمرَو ابن العاص إلى مصر وأمّره عليها ، إن فتح الله عليه ، وبعث فى أثره الزّبير

---

(١) س وابن حبيش : « بأيدينا » .

(٢) أى نحط عنهم ماشئنا .

ابن العوّام مدداً له ، وبعث أبا عبيدة إلى الرّمادة ، وأمره إن فتح الله عليه أن يرجع إلى عمله .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، قال : حدثنا أبو عثمان عن خالد وعبادة ، قالا : خرج عمرو بن العاص إلى مصر بعد ما رجع عمر إلى المدينة ؛ حتّى انتهى إلى باب اليون ، وأتبعه الزبير ؛ فاجتمعا ، فلقيهم هنالك أبو مريم جاثليق مصر[١] ومعه الأُسْقُفّ فى أهل النيّات[٢] بعثه المقوقِس لمنع بلادهم . فلما نزل بهم عمرو قاتلوه ، فأرسل إليهم[٣] : لا تعجِّلونا لنُعذِر إليكم ، وترونْ رأيكم بعدُ . فكَفُّوا أصحابهم ، وأرسل إليهم عمرو : إنى بارز فليبرز إلىّ أبو مريم وأبو مريام ، فأجابوه إلى ذلك ، وآمن بعضهم بعضاً ، فقال لهما عمرو : أنتما راهبا هذه البلدة[٤] فاسمعا ، إنّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً صلّى الله عليه وسلم بالحقّ وأمره به ، وأمرنا به محمد صلى الله عليه وسلم ، وأدّى إلينا كلّ الذى أمِر به ، ثم مضى صلوات الله عليه ورحمته وقد قضى الذى عليه ، وتركنا على الواضحة ؛ وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الإسلام ، فمن أجابنا إليه فمثلنا ، ومَنْ لم يجبنا عرَضنا عليه الجزية ، وبذلنا له المنَعة ، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم ، وأوصانا بكم حفظاً لرحِمنا فيكم ، وإنّ لكم إن أجبتمونا بذلك ذمّة إلى ذمّة . ومما عهد إلينا أميرنا : استوصوا بالقِبْطيِّين خيراً ؛ فإنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بالقبطيِّين خيراً ، لأنّ لهم رَحِماً وذِمّة ، فقالوا : قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلاّ الأنبياء ، معروفة شريفة ، كانت ابنة ملكنا ، وكانت من أهل مَنْف والملك فيهم ، فأديل عليهم أهل عين شمس ، فقتلوهم وسُلبوا ملكَهم واغترَبوا ، فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحباً به وأهلا ، آمنّا حتى نرجع إليك . فقال عمرو : إنّ مثلى لا يخدع ، ولكنى أؤجلكما ثلاثاً لتنظرا ولتناظرا قومكما ؛ وإلاّ ناجزتكم ، قالا : زدنا ، فزادهم يوماً ، فقالا : زدْنا ، فزادهم يوماً ، فرجعا إلى المقوقس فهمّ ، فأبى أرطبون أن يجيبهما ، وأمر بمناهدتهم ،

١/٢٥٨٥ ١/٢٥٨٦

---

(١) الجاثليق : رئيس النصارى فى بلاد الإسلام . (٢) ابن كثير : « الثبات » .
(٣) ابن حبيش : « إليهم عمرو » . (٤) ابن حبيش : « راهبا أهل هذه البلدة » .

فقالا لأهل مصر : أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم ، ولا نرجع إليهم ، وقد بقيتْ أربعة أيام ، فلا تصابون فيها بشيء إلاّ رجونا أن يكون له أمان . فلم يفجأ عمراً والزبير إلاّ البيات من فَرْقَب ، وعمرو على عُدّة ، فلقوه فقتل ومن معه ، ثم ركبوا أكساءهم ، وقصد عمرو والزبير لعين شمس ، وبها جمعهم ، وبعث إلى الفرَما أبرهة بن الصباح ، فنزل عليها ، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندريّة ، فنزل عليها ، فقال كلّ واحد منهما لأهل مدينته : إن تنزلوا فلكم الأمان ، فقالوا : نعم ، فراسلوهم ، وتربّص بهم أهل عين شمس ، وسبى المسلمون مَن بين ذلك . وقال عوف بن مالك : ما أحسن مدينتكم يا أهلَ الإسكندرية ! فقالوا : إنّ الإسكندر قال : إنى أبنى مدينة إلى الله فقيرة ، وعن الناس غنيّة — أو لأبنينّ مدينة إلى الله فقيرة ، وعن الناس غنية — فبقيت بهجتها . ١/٢٥٨٧

وقال أبرهة لأهل الفَرَما : ما أخلق مدينتكم يا أهل الفَرما ؟ قالوا : إنّ الفرما قال : إنىّ أبنى مدينة عن الله غنية ، وإلى الناس فقيرة ، فذهبت بهجتها . وكان الإسكندر والفرما أخوين .

قال أبو جعفر : قال الكلبيّ : كان الإسكندر والفَرما أخوين ، ثم حدّث بمثل ذلك ، فنسبتا إليهما ، فالفرَما ينهدم فيها كل يوم شيء ، وخلُقت مرآتها ، وبقيت جِدّة الإسكندرية .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى حارثة وأبى عثمان ، قالا : لما نزل عمرو على القوم بعين شمس ؛ وكان المُلْك بين القِبْط والنّوب ، ونزل معه الزبير عليها . قال أهل مصر لملكهم : ما تريد إلى قوم فلّوا كسرى وقيصر ، وغلبوهم على بلادهم ! صالح القوم واعتقِدْ منهم ، ولا تَعْرض لهم ، ولا تعرّضنا لهم — وذلك فى اليوم الرابع — فأبى ، وناهدوهم فقاتلوهم ، وارتقى الزبير سورها ، فلما أحسّوه فتحوا الباب لعمرو ، وخرجوا إليه مصالحين ؛ فقبل منهم ، ونزل الزُّبير عليهم عَنْوة ؛ حتى خرج [1] على عمرو من الباب ١/٢٥٨٨

(١) س : « يخرج » .

معهم ، فاعتقدوا بعد ما أشرفوا على الهلكة ، فأجرَوْا ما أخِذ عنوة مُجْرى ما صالح عليه ؛ فصاروا ذمّة، وكان صلحُهم :

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهلَ مصر من الأمان على أنفسهم وملّتهم وأموالهم وكنائسهم وصُلُبهم ، وبرّهم وبحرهم ؛ لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا يُنتقص [١] ، ولا يساكنهم النّوب . وعلى أهلِ مصر أن يُعطُوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصُّلْح ، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف ، وعليهم ما جنى لُصوتُهم [٢] ، فإن أبى أحدٌ منهم أن يجيب رُفع عنهم من الجزاء بقدرهم ، وذمّتنا [٣] مِمّن أبى بريئة ، وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رُفع عنهم بقدر ذلك، ومَنْ دخل فى صلحهم من الرّوم والنُّوب فله مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومَنْ أبى واختار الذّهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ، أو يخرج من سلطاننا . عليهم ما عليهم أثلاثاً فى كلّ ثلث جِباية ثلث ما عليهم ، على ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمّته وذمّة رسولِه وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يُعينوا بكذا وكذا رأساً ، وكذا وكذا فرساً [٤] ، على ألاّ يُغْزَوْا ولا يمنَعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه . وكتب وردانُ وحضر .

١ / ٢٥٨٩

فدخل فى ذلك أهلُ مصر كلّهم ، وقبِلوا الصلح ، واجتمعت الخيول فمصّر عمرو الفسطاط ، ونزله المسلمون ، وظهر أبو مريم وأبو مريام ، فكلّما عمراً فى السبايا التى أصيبت بعد المعركة ، فقال : أولَم عَهْد وعقد ؟ ألم نحالفكما ويُغار علينا من يومكما ! وطردهما ، فرجعا وهما يقولان : كلّ شيء أصبتموه إلى أن نرجِعَ إليكم ففى ذمّةٍ منكم ، فقال لهما : أتغيرون علينا وهم فى ذمة ؟ قالا : نعم، وقسم عمرو ذلك السبْىَ على الناس، وتوزّعوه ، ووقع فى بُلدان العرب . وقدم البشير على عمر بعدُ بالأخماس ، وبعث الوفود

(١) س : « ينقض » .
(٢) اللصوت : جمع لصت ؛ وهو اللص .
(٣) ابن كثير : « فيمن أبى » .
(٤) بعدها فى ابن حبيش : « معونة » .

١/٢٥٩٠ فسألهم عمر ، فما زالوا يُخبرونه حتى مرُّوا بحديث الجاثَليق وصاحبه ، فقال : ألا أراهما يبصران وأنتم تُجاهلون ولا تُبصرون ! مَن قاتلكم فلا أمان له ، ومَن لم يقاتلكم فأصابه منكم شيء من أهل القرى فله الأمان فى الأيام الخمسة حتى تنصرم ، وبعث فى الآفاق حتى رُدّ ذلك السَّبي الذى سبُوا ممن لم يقاتل فى الأيام الخمسة إلاّ مَن قاتل بعدُ ، فتراد وهم إلاّ ما كان من ذلك الضَّرب ، وحضرت القِبْط باب عمرو ، وبلغ عمراً أنهم يقولون : ما أرثّ العرب وأهون عليهم أنفسهم ! ما رأينا مثلنا دان لهم ! فخاف أن يستثيرهم ذلك من أمرهم ، فأمر بجُزُر فذبحت ، فطبخت بالماء والملح ، وأمر أمراء الأجناد أن يحضُروا ، وأعلموا أصحابهم ، وجلس وأذّن لأهل مصر ، وجيء باللحم والمرق فطافوا به على المسلمين ، فأكلوا أكلا عربيًّا ، انتشلوا وحَسَوْا وهم فى العَباء ولا سلاح ،

١/٢٥٩١ فافترق أهل مصر وقد ازدادوا طمعًا وجرأة ، وبعث فى أمراء الجنود فى الحضور بأصحابهم من الغد ، وأمرهم أن يجيئوا فى ثياب أهل مصر وأحذيتهم ، وأمرهم أنْ يأخذوا أصحابهم بذلك ففعلوا ، وأذن لأهل مصر ؛ فرأوْا شيئًا غير ما رأوا بالأمس ، وقام عليهم القوّام بألوان مصر ، فأكلوا أكل أهل مصر ، ونحوْا نحوهم ، فافترقوا وقد ارتابوا ، وقالوا : كدنا . وبعث إليهم أن تسلّحوا للعرْض غداً ، وغدا على العَرْض ، وأذن لهم فعرضهم عليهم . ثم قال : إنى قد علمت أنكم رأيتم فى أنفسكم أنكم فى شيء حين رأيتم اقتصاد العرب وهَوْن تزجيتهم ، فخشيت أن تهلِكوا ، فأحببت أن أريَكم حالهم ، وكيف كانت فى أرضهم ، ثم حالهم فى أرضكم ، ثم حالهم فى الحرْب ، فظفروا بكم ، وذلك عيشهم ، وقد

١/٢٥٩٢ كلِبوا على بلادكم قبل أن ينالُوا منها ما رأيتم فى اليوم الثانى ، فأحببت أن تعلَموا أنّ من رأيتم فى اليوم الثالث غيرُ تاركٍ عيشَ اليوم الثانى ، وراجع إلى عيش اليوم الأول . فتفرّقوا وهم يقولون : لقد رمتكم العرب برجلهم .

وبلغ عمر ، فقال لجلسائه : والله إن حربه لَلَيِّنة مالها سَطْوة ولا سَوْرة كسوْرات الحروب من غيره ؛ إنّ عَمْراً لَعِضّ . ثم أمّره عليها وقام بها .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى سعيد الربيع ابن النعمان ، عن عمرو بن شعيب ، قال : لما التقى عمرو والمقوقِس بعين شمس ،

واقتتلت خيلاهما ، جعل المسلمون يجولون بعد البُعد . فذمّرهم عمرو ، فقال رجل من أهل اليمن : إنّا لم نخلَق من حِجارة ولاحديد ! فقال : اسكت ؛ فإنما أنت كَلْب ، قال : فأنت أمير الكلاب ، قال : فلما جعل ذلك يتواصل نادى عمرو : أين أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فحضر مَن شهدها من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : تقدّموا ، فبكم ينصر الله المسلمين . فتقدّموا وفيهم يومئذ أبو بُردة وأبو بَرْزة ، وناهدهم الناس يتبعون الصحابة ، ففتح الله على المسلمين ، وظفِروا أحسن الظّفر .

وافتتحت مصر فى ربيع الأول سنة ستّ عشرة ، وقام فيها مُلك الإسلام على رجُل ، وجعل يفيض على الأمم والملوك ، فكان أهل مصر يتدَفّقون على الأجلّ ، وأهل مُكْران على راسِل وداهر ، وأهل سِجِسْتان على الشاه وَذويه ، وأهل خُراسان والباب على خاقان ، وخاقان ومَن دونهما من الأمم ، فكفكفهم عمر إبقاء على أهل الإسلام ، ولو خلّى سِربهم لبلغوا كلّ مَنْهَل . ٢٥٩٣/١

حدّثنى علىّ بن سهل ، قال : حدّثنا الوليد بن مسلم ، قال : أخبرنى ابن لَهِيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، أنّ المسلمين لما فتحوا مصر غزوا نُوبة مصر ، فقفل المسلمون بالجِراحات ، وذهاب الحدَق من جُودة الرمى ، فسمّوا رماة الحدَق ، فلمّا ولِّىَ عبدالله بن سعد بن أبى سَرْح مصر ، ولاّه إياها عثمان بن عفان رضى الله عنه ، صالحهم على هديّة عدّة رءوس منهم ، يؤدّونهم إلى المسلمين فى كلّ سنة ، ويهدى إليهم المسلمون فى كلّ سنة طعامًا مسمّى وكُسوة من نحو ذلك .

قال علىّ : قال الوليد : قال ابن لَهيعة : وأمضى ذلك الصلح عثمان ومن بعده من الولاة والأمراء ، وأقرّه عمر بن عبد العزيز نظراً منه للمسلمين ، وإبقاء عليهم .

* * *

قال سيف : ولمّا كان ذو القعدة من سنة ستّ عشرة ، وضع عمر رضى الله عنه مسالح مصر على السواحل كلها ، وكان داعية ذلك أنّ هِرَقل أغزى ٢٥٩٤/١

مصر والشأم فى البحر ، وَنَهد لأهل حِمْص بنفسه ، وذلك لثلاث سنين وستة أشهر من إمارة عمر رضى الله عنه .

* * *

قال أبوجعفر : وفى هذه السنة – أعنى سنة عشرين – غزا أرض الرّوم أبو بَحْرِيّة [١] الكِندىّ عبد الله بن قيس ؛ وهو أوّل مَن دخلها – فيما قيل . وقيل : أولُ مَن دخلها ميسرة بن ممروق العبسىّ ، فسلِم [٢] وغنِم .

قال : وقال الواقدىّ : وفى هذه السنة عزَل قُدامةَ بن مظعون عن البحرين ، وحَدّه فى شرب الخمر .

وفيها استعمل عُمر أبا هريرة على البحرين واليمامة .

قال : وفيها تزوّج عمر فاطمةَ بنت الوليد أمّ عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام .

قال : وفيها توفىَ بلال بن رَباح رضى الله عنه ، ودُفِن فى مقبرة دمشق .

وفيها عزل عمرُ سعداً عن [٣] الكوفة لشكايتهم إياه ، وقالوا : لا يحسِنُ يصلّى .

وفيها قسم عمر خيبرَ بين المسلمين ، وأجلَى اليهود منها ؛ وبعث أبا حبِيبة إلى فَدَك فأقام لهم نصف [٤] . . . ، فأعطاهم ؛ ومضى إلى وادى القرى فقسمها . ٢٥٩٥/١

وفيها أجلى يهودَ نَجْران إلى الكُوفة – فيما زعم الواقدىّ .

قال الواقدىّ : وفى هذه السنة – أعنى سنة عشرين – دوّن عمر رضى الله عنه الدواوين . قال أبو جعفر : قد ذكرنا قول من خالفه .

وفيها بعث عمر رضى الله عنه علْقمة بن مجزِّز المُدلجِىّ إلى الحبشة فى البحر ؛ وذلك أنّ الحبشة كانت تطرّفت – فيما ذُكِر – طرَفاً من أطراف الإسلام ؛ فأصيبوا ، فجعل عمر على نفسه ألاّ يحمل فى البحر أحداً أبداً .

---

(١) ابن حبيش : « بحرة » . (٢) ابن الأسير : « فسبى » .
(٣) ابن الأثير وابن كثير : « عنها » . (٤) كذا فى ط.

وأمّا أبو معشر فإنه قال ـ فيما حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه : كانت غزوة الأساودة فى البحر سنة إحدى وثلاثين .

قال الواقدىّ : وفيها مات أسَيْد بن الحُضَير فى شعبان .

وفيها ماتت زينب بنت جحش .

* * *

وحجّ فى هذه السنة عمر رضى الله عنه .

وكانت عمالُه فى هذه السنة على الأمصار عمالَهُ عليها فى السنة التى قبلها ، إلاّ من ذكرتُ أنه عزله واستبدل به غيرَه ، وكذلك قضاته فيها كانوا القضاةَ الذين كانوا فى السنة التى قبلها .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين

قال أبو جعفر : وفيها كانت وقعة نِهاوَنْد فى قول ابن إسحاق ؛ حدّثنا بذلك ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عنه .

وكذلك قال أبو معشر ؛ حدّثنى بذلك أحمدُ بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وكذلك قال الواقدىّ .

وأمّا سيف بن عمر فإنه قال : كانت وقعة نِهاوَنْد فى سنة ثمان عشرة فى سنة ستّ من إمارة عمر ؛ كتب إلىّ بذلك السّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف .

* * *

ذكر الخبر عن وقعة المسلمين والفرس بنِهاوند

وكان ابتداءُ ذلك — فيما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال — كان من حديث نِهاوَنْد أن النعمان بن مقرّن كان عاملاً على كَسْكَر ؛ فكتب إلى عمر رضى الله عنه يخبرُه أنّ سعد ابن أبى وقّاص استعمله على جِباية الخراج ، وقد أحببتُ الجهاد ورغبتُ فيه .

فكتب عمر إلى سعد : إنّ النعمان كتب إلىّ يذكر أنّك استعملتَه على جِباية الخراج ، وأنه قد كره ذلك ، ورغب فى الجهاد ، فابعث به إلى أهمّ وجوهك ؛ إلى نِهاوند .

قال : وقد اجتمعتْ بنِهاوند الأعاجم ، عليهم ذو الحاجب — رجل من الأعاجم — فكتب عمر إلى النّعمان بن مقرّن :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن

مقرّن ، سلامٌ عليك ؛ فإنّى أحمَد إليك الله[1] الذى لا إله إلا هو ؛ أمّا بعد ؛ فإنه قد بلَغنِى أنّ جموعًا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نِهاوند ؛ فإذا أتاك كتابى هذا فسر بأمر الله ، وبعون الله ، وبنصر الله ، بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعراً فتؤذيَهم ، ولا تمنعْهم حقّهم فتكفّرَهم ؛ ولا تدخلنّهم غَيْضة ، فإنّ رجلاً من المسلمين أحبُّ إلىّ من مائة ألف دينار . والسلام عليك . ٢٥٩٧/١

فسار النعمان إليه ومعه وجوه أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ؛ منهم حُذَيفة بن اليمان ، وعبد الله بن عمر بن الخطّاب ، وجرير بن عبد الله البَجَلىّ ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معديكرب الزُّبيدىّ ، وطليحة بن خُويلد الأسدىّ ، وقيس بن مكشوح المُرادىّ . فلما انتهى النعمان بن مقرّن فى جنده إلى نِهاوند ، طرحوا له حَسَك الحديد ، فبعث عيوناً ، فساروا لا يعلمون بالحسَك ، فزجر بعضهم فَرَسه ؛ وقد دخلتْ فى يده حَسَكة ، فلم يبرح ، فنزل ، فنظر فى يده فإذا فى حافره حَسَكة ، فأقبل بها ، وأخبر النعمان الخبَر ، فقال النعمان للناس : ما ترون ؟ فقالوا : انتقِل من منزلك هذا حتى يروْا أنك هارب منهم ، فيخرجوا فى طلبك ؛ فانتقل النعمان من منزله ذلك ، وكنَسَت الأعاجم الحسك ، ثم خرجوا فى طلبه ، وعطف عليهم النُّعمان ، فضرب عسكرَه ، ثم عبَّى كتائبه ، وخطب الناس فقال : إن أُصِبتُ فعليكم حذيفة بن اليَمان ، وإن أُصيب فعليكم جرير بن عبد الله ، وإن أُصيب جرير بن عبد الله فعليكم قيس بن مكشوح ؛ فوجَد المغيرة بن شعبة فى نفسه إذْ لم يستخلفه ، فأتاه ، فقال له : ما تريد أن تصنع ؟ فقال : إذا أظهرتُ[2] قاتلتهُم ، لأنى رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يستحبّ ذلك ؛ فقال المغيرة : لو كنتُ بمنزلتك باكرتُهم القتال ، قال له النعمان : ربما باكرتَ القتال ؛ ثم لم يسوّد الله وجهَك . وذلك يوم الجمعة . فقال النعمان : نصلّى إن شاء الله ، ثم نلقَى عدوّنا دُبُر الصلاة ، فلما تصافُّوا قال النعمان للناس : إنّى مكبّر ثلاثًا ؛ فإذا كبّرت الأولى فشدّ رجل شِسْعه ، وأصلح ٢٥٩٨/١

---

(١) ابن حبيش وابن كثير : « الله إليك » . (٢) أظهرت : أى صليت الظهر.

من شأنه؛ فإذا كبّرت الثانية ، فشدّ رجل إزاره ، وتهيّأ لوجه حملته ؛ فإذا كبّرت الثالثة فاحملوا عليهم ؛ فإنى حامل . وخرجت الأعاجم قد شدّوا أنفسَهم بالسلاسل لئلا يفرّوا ، وحمل عليهم المسلمون فقاتلوهم ، فرُمِىَ النعمان بنشّابة فقتِل رحمه الله ، فلفّه أخوه سُوَيد بن مقرّن فى ثوبه ، وكتم قتلَه حتى فتح الله عليهم ، ثم دفع الرّاية إلى حُذَيفة بن اليمان ، وقتل الله ذا الحاجب ، وافتُتِحت نِهاوند ، فلم يكن للأعاجم بعد ذلك جماعة .

* * *

قال أبو جعفر : وقد كان – فيما ذُكِر لى – بعث عمر بن الخطّاب رضى الله عنه السائبَ بن الأقرع ، مولى ثَقِيف – وكان رجلاً كاتبًا حاسبًا – فقال : الحقْ بهذا الجيش فكن فيهم ؛ فإنْ فتَح الله عليهم فاقسم على المسلمين فيئَهم ، وخذ خمس الله وخمس رسوله ؛ وإنْ هذا الجيش أُصيبَ ، فاذهب فى سواد الأرض ، فبطن الأرض خيرٌ من ظهرها .

قال السائب : فلما فتح الله على المسلمين نِهاوند ، أصابوا غنائم عظامًا ، فوالله إنى لأقسم بين الناس ، إذ جاءنى عِلْج من أهلها فقال : أتُؤْمننى على نفسى وأهلى وأهل بيتى ؛ على أن أدلك على كُنوز النَّخيرجان – وهى كنوز آل كسرى – تكون لك ولصاحبك ، لا يَشرَكك فيها أحد ؟ قال : قلت : نعم ، قال : فابعث معى من أدلّه عليها ، فبعثت معه ، فأتى بسَفَطين عظيمين ليس فيهما إلاّ اللؤلؤ والزَّبَرجد والياقوت ؛ فلما فرغت من قَسْمِى بين الناس احتملتهما معى ؛ ثم قدِمت على عمر بن الخطاب ؛ فقال : ما وراءك ياسائب ؟ فقلت : خير يا أميرَ المؤمنين ؛ فتح الله عليك بأعظم الفتح ، واستُشهد النعمان ابن مقرّن رحمه الله . فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : ثم بكى فنشَج ، حتى إنّى لأنظر إلى فروع مَنكِبيه من فوق كَتَده(١) . قال : فلما رأيتُ ما لقِى قلت : والله يا أميرَ المؤمنين ما أُصيبَ بعده من رجل يُعرف وجهه . فقال المستضعَفون من المسلمين : لكنّ الذى أكرمهم بالشهادة يعرف وجوهَهم وأنسابَهم ، وما يصنعون بمعرفة عمر بن أمّ عمر ! ثم قام ليدخل ، فقلت : إنّ

١/٢٥٩٩

(١) الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان .

معى مالاً عظيماً قد جئت به ، ثم أخبرته خبر السَّفَطَيْن ، قال : أدخِلْهما بيتَ المال حتى ننظر فى شأنهما ، والحق بجندك . قال : فأدخلتُهما بيت المال ، وخرجت سريعاً إلى الكوفة . قال : وبات تلك الليلة التى خرجت فيها ، ١/٢٦٠٠ فلما أصبح بعث فى أثرى رسولاً ، فوالله ما أدركنى حتى دخلتُ الكوفة ، فأنخت بعيرى ، وأناخ بعيره على عُرقوبَىْ بعيرى ، فقال : الحق بأمير المؤمنين ، فقد بعثنى فى طلبك ، فلم أقدر عليك إلا الآن . قال : قلت : ويْلك ! ماذا ولماذا ؟ قال : لا أدرى والله ، قال : فركبتُ معه حتى قدمتُ عليه ، فلما رآنى قال : مالى ولابن أم السائب! بل ما لابن أم السائب ومالى ! قال: قلت: وماذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ويحك ! والله ما هو إلا أن نمت فى الليلة التى خرجتَ فيها ، فباتت ملائكة ربى تسحَبُنى إلى ذينْك السفَطيْن يشتعلان ناراً ، يقولون : لنكويَنّك بهما ، فأقول : إنى سأقسمهما بين المسلمين ؛ فخذهما عنّى لا أبالك والحق بهما ، فبعهما فى أعطية المسلمين وأرزاقهم . قال : فخرجتُ بهما حتى وضعتهما فى مسجد الكوفة ، وغشيَنى التجار ، فابتاعهما منّى عمرو بن حُريث المخزومىّ بألفى ألف ؛ ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم ، فباعهما بأربعة آلاف ألف ؛ فما زال أكثرَ أهل الكوفة مالاً بعد .

حدّثنا الرّبيع بن سليمان ، قال : حدّثنا أسد بن موسى ، قال : حدّثنا المبارك بن فضالة ، عن زياد بن حُدَير [١] ، قال : حدّثنى أبى ؛ أنّ عمرَ ابن الخطاب رضى الله عنه ، قال للهرمزان حين آمنه : لا بأس ، انصح لى ، قال : نعم ، قال : إنّ فارس اليوم رأس وجناحان ؛ قال : وأين الرأس ؟ قال : بنهاوند مع بُنْدار [٢] ؛ فإنّ معه أساورة كسرى وأهل إصبهان ، قال : وأين الجناحان ؟ فذكر مكاناً نسيته ، قال : فاقطع الجناحين يَهِن الرأس. ١/٢٦٠١ فقال عمر : كذبت يا عدوّ الله ! بل أعمد إلى الرأس فأقطعه ، فإذا قطعه الله لم يعصِ عليه الجناحان . قال : فأراد أن يسير إليه بنفسه ، فقالوا : نذكّرك الله يا أمير المؤمنين أن تسيرَ بنفسك إلى حَلْبة العجم ؛ فإن أُصبت لم يكن للمسلمين نظام ؛ ولكن ابعث الجنود ؛ فبعث أهل المدينة فيهم عبد الله بن

---

(١) كذا فى البلاذرى ، وفى ط « جبير » تحريف . (٢) هو مردان شاه ذو الجناحين ؛ وانظر التصويبات.

عمر بن الخطّاب ، وفيهم المهاجرون والأنصار ؛ وكتب إلى أبي موسى الأشعرىّ أن سرْ بأهل البصرة ، وكتب إلى حُذيفة بن اليمان أن سرْ بأهل الكوفة حتّى تجتمعوا جميعًا بنهاوند ؛ وكتب : إذا التقيتم فأميرُكم النُّعمان بنُ مقرّن المزنىّ ؛ فلما اجتمعوا بنهاوند ، أرسل بُنْدار العِلْج إليهم : أن أرسلوا إلينا رجلا نكلّمه ؛ فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبة . قال أبي : كأنى أنظر إليه ؛ رجلا طويلَ الشعر أعورَ ؛ فأرسلوه إليه ، فلمّا جاء سألناه ، فقال : وجدتُه قد استشار أصحابه ؛ فقال : بأىّ شىء نأذن لهذا العربىّ ؟ بشارتنا وبهجتنا

١/٢٦٠٢ ومُلْكنا ، أو نتقشف له فيما قبلَنا حتّى يزهد ؟ فقالوا : لا ، بل بأفضل مايكون من الشارة والعدّة ، فتهيّئوا بها ، فلما أتيناهم كادت الحراب والنيازك يُلْتَمع منها البصر[1] ، فإذا هم على رأسه مثل الشياطين ، وإذا هو على سرير من ذهب على رأسه التاج . قال : فمضيت كما أنا ونكّسْت ، قال : فدفِعت ونُهنهت ، فقلت : الرسل لا يفعل بهم هذا ، فقالوا : إنما أنت كلْب ، فقلت : معاذ الله ! لأنا أشرف فى قومِى من هذا فى قومه ؛ فانتهرونى ، وقالوا : اجلس ؛ فأجلسونى . قال — وتُرجِم له قوله : إنكم معشرَ العرب أبعدُ الناس من كلّ خير ، وأطول الناس جوعًا ، وأشقى الناس شقاء ، وأقذر الناس قَذَراً ، وأبعده داراً ؛ وما منعنى أن آمر هؤلاء الأساورة حولِى أن ينتظموكم بالنشّاب إلاّ تنجّسًا لجيَفكم ؛ فإنكم أرجاس ؛ فإن تذهبوا نُخَلّ عنكم ، وإن تأتُوا نرِكم مصارعَكم ؛ قال : فحمِدْت الله ، وأثنيت عليه ، فقلت : والله ما أخطأتَ من صفتنا شيئًا ، ولا من نعتِنا ، إنْ كنا لأبعدَ الناس داراً ، وأشدّ الناس جوعًا ، وأشقى الناس شقاء ، وأبعد الناس من كلّ خير ، حتى بعث الله عزّ وجلّ إلينا رسولَه صلى الله عليه وسلم ؛ فوعدنا النصر فى الدّنيا ، والجنة فى الآخرة ؛ فوالله ما زلنا نتعرّف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتحَ والنصر ؛

١/٢٦٠٣ حتّى أتيناكم ؛ وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبَكم على ما فى أيديكم ؛ أو نقتل بأرضكم . فقال : أما والله إنّ الأعور قد صَدقكم الذى فى نفسه . قال : فقمتُ وقد والله أرعبتُ العِلج جَهدِى . قال : فأرسل

(١) النيازك : جمع نيزك ، وهو الرمح القصير . ويلتمع البصر : يختلس .

إلينا العِلْج : إمّا أن تعبُروا إلينا بنهاوند ، وإمّا أن نعبُر إليكم. فقال النعمان : اعبروا ، قال أبي[1] : فلم أرَ والله مثلَ ذلك اليوم ، إنهم يجيئون كأنهم جبال حديد ؛ قد تواثقوا ألّا يفِرّوا من العرب ، وقد قرن بعضهم بعضًا ؛ سبعة فى قِران ، وألقوا حسك الحديد خلْفهم ، وقالوا : مَن فرّ منّا عقَره حسَك الحديد . فقال المغيرة حين رأى كثرتَهم : لم أرَ كاليوم فشلاً ، إنّ عدوّنا يُتركون يتأهّبون لا يُعْجلون ، أما والله لو أنّ الأمر لى لقد أعجلتهم — وكان النعمان بن مقرّن رجلاً ليّنًا — فقال له : فالله عزّ وجلّ يُشهِدك[2] أمثالها فلا يُحزننْك ولا يعيبُك موقفك ، إنه والله ما منعنى من أن أناجزهم إلاّ شىء شهدته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إنّ رسولَ الله كان إذا غزا فلم يقاتل أوّل النهار لم يعجِل حتى تحضر الصلاة ، وتهبّ الأرواح ، ويطيب القتال ؛ فما منعنى إلاّ ذلك . اللهمّ إنى أسألُك أن تقِرّ عينى اليوم بفتح يكون فيه عزّ الإسلام ، وذلّ يُذَلّ به الكفّار ، ثم اقبضنى إليك بعد ذلك على الشهادة ، أمّنوا يرحمكم الله ! فأمّنّا وبكينا . ثم قال : إنى هازٌّ لوائى فتيسّروا للسلاح ، ثم هازٌّ الثانية ، فكونوا متأهّبين لقتال عدوّكم ، فإذا هززتُ الثالثة فليحمل كلٌّ قوم على مَنْ يليهم من عدوّهم على بركة الله . ١/٢٦٠٤

قال : وجاءوا بحسَك الحديد . قال : فجعل يلبث حتّى إذا حضرت الصلاة وهبّت الأرواح كبّر وكبّرنا ، ثم قال : أرجو أن يستجيب الله لى ؛ ويفتح علىّ ، ثم هزّ اللواء ، فتيسّرنا للقتال ، ثم هزّه الثانية فكنّا بإزاء العدوّ ، ثم هزّه الثالثة .

قال : فكبّر وكبّر المسلمون ، وقالوا : فتحًا يعزّ الله به الإسلام وأهله ، ثم قال النّعمان : إنْ أُصِبت فعلى الناس حُذَيفة بن اليمان ؛ وإن أصيب حُذَيفة ففلان ؛ وإنْ أصيب فلان ففلان ؛ حتى عدّ سبعة آخرهم المغيرة ، ثم هزّ اللواء الثالثة ، فحمل كلّ إنسان على مَن يليه من العدوّ . قال : فوالله ما علمت من المسلمين أحداً يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله ، حتى يُقتل أو يظفر ، فحملنا حملة واحدة ، وثبتوا لنا ، فما كنّا نسمع إلاّ وقعَ الحديد على الحديد ، حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة ، فلمّا رأوْا صبرنا وأنّا لا نبرح

(١) ابن حبيش : «قال جبير » . (٢) ابن حبيش : «كان الله أشهدك » .

العرْصة انهزموا ، فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة ؛ بعضهم على بعض فى قياد ، فيُقتلون جميعًا ، وجعل يعقِرهم حسك الحديد الذى وضعوا خلفهم . فقال النعمان رضى الله عنه : قدّموا اللواء ، فجعلنا نقدّم اللواء ، ونقتلهم ونهزِمهم. فلما رأى أن الله قد استجاب له ورأى الفتح ، جاءته نُشّابة فأصابت خاصرته، فقتلته . قال : فجاء أخوه معقل فسجّى عليه ثوبًا ، وأخذ اللواء فقاتل ، ثم قال : تقدّموا نقتلهم ونهزمهم ؛ فلما اجتمع الناس قالوا : ٢٦٠٥/١ أين أميرنا ؟ قال معقِل : هذا أميركم ، قد أقرّ الله عينه بالفتح ؛ وختم له بالشهادة . قال : فبايع الناس حُذيفة وعمر بالمدينة يستنصر له[1]، ويدعو له مثل الحبْلى .

قال : وكُتِب إلى عمر بالفتح مع رجل من المسلمين ؛ فلما أتاه قال له: أبشِرْ يا أمير المؤمنين بفتح أعزّ الله به الإسلام وأهله، وأذلّ[2] به الكفر وأهله . قال : فحمِد الله عزّ وجلّ ، ثم قال: آلنّعمان بعثك ؟ قال: احتسِب النّعمان يا أمير المؤمنين ، قال : فبكى عمر واسترجع . قال : ومَن ويحك ! قال : فلان وفلان ؛ حتى عدّ له ناسًا كثيراً ، ثم قال : وآخرين يا أمير المؤمنين لا تعرفهم ، فقال عمر وهو يبكى : لا يضرّهم ألاّ يعرفهم عمر ؛ ولكنّ الله يعرفهم .

وأما سيف ، فإنه قال — فيما كتب إلىّ السرىّ يذكر أن شُعيبًا حدّثه عنه؛ وعن محمّد والمهلّب وطلحة وعمرو وسعيد — إنّ الذى هاج أمر نِهاوند أنّ أهلَ البصرة لما أشجوا الهُرمزان ، وأعجلوا أهلَ فارسَ عن مصاب جند العلاء ، ووطئوا أهل فارس ، كاتبوا ملكهم ؛ وهو يومئذ بمَرْو ، فحرّكوه ، فكاتب الملك أهلَ الجبال من بين الباب والسند وخُراسان وحُلْوان ، فتحرّكوا وتكاتبوا ، وركب بعضهم إلى بعض ، فأجمعوا أن يوافوا نِهاوند، ويُبرموا فيها أمورَهم ، فتوافى إلى نِهاوند أوائلُهم .

وبلغ سعد الخبرعن قُباذ صاحب حُلوان، فكتب إلى عمر بذلك ، فنزا بسعد أقوام، وألّبوا عليه فيما بين تراسل القوم واجتماعهم إلى نهاوند، ولم يشغلْهم ٢٦٠٦/١

(١) ابن حبيش : « يستنصر الله ويدعوه » . (٢) ابن حبيش : « فبه » .

ما دهم المسلمين من ذلك ؛ وكان ممن نهض الجرّاح بن سنان الأسدىّ فى نفر ، فقال عمر : إنّ الدليل على ما عندكم من الشرّ نهوضُكم فى هذا الأمر ، وقد استعدّ لكم من استعدّوا ، وايم الله لا يمنعنى ذلك من النظر فيما لديكم وإن نزلوا بكم . فبعث عمر محمدَ بن مسلمة ، والناس فى الاستعداد للأعاجم ، والأعاجم فى الاجتماع — وكان محمد بن مسلمة هو صاحب العمّال الذى يقتصّ آثار مَنْ شُكِىَ زمان عمر — فقدم محمد على سعد ليطوفَ به فى أهل الكوفة ، والبعوث تضرَب على أهل الأمصار إلى نِهاوند ، فطوّف به على مساجد أهل الكوفة ، لا يتعرّض للمسألة عنه فى السرّ، وليست المسألة فى السرّ من شأنهم إذْ ذاك ؛ وكان لا يقف على مسجد فيسألهم عن سعد إلاّ قالوا : لا نعلم إلاّ خيراً ، ولا نشتهى به بدلاً ، ولا نقول فيه ، ولا نعين عليه ؛ إلاّ مَنْ مالأ الجرّاح بن سنان وأصحابه ؛ فإنهم كانوا يسكتون لا يقولون سوءاً[1] ، ولا يسوغ لهم ، ويتعمّدون ترك الثناء ، حتى انتهوْا إلى بنى عبس ، فقال محمد : أنشد بالله رجلاً يعلم حقًّا إلاّ قال ! قال أسامة بن قتادة : اللهمّ إن نشدتَنا فإنه لا يقسم بالسويّة ، ولا يعدِلُ فى الرعيّة[2]، ولا يغزو فى السريّة . فقال سعد: اللهمّ إن كان قالها كاذباً[3] ورئاءً وسمعة فأعمِ بصرَه ، وأكثر عيالَه ، وعرّضه لمضلاّت الفتن . فعمِىَ، واجتمع عنده عشر بنات، وكان يسمع بخبر المرأة فيأتيها حتى يجسّها؛ فإذا عُثر[4] عليه قال : دعْوةُ سعد الرّجل المبارك . ثم أقبل على الدّعاء على النّفر ، فقال : اللهمّ إن كانوا خرجوا أشَراً وبطراً وكذباً فاجهد بلاءهم؛ فجُهد بلاؤهم، فَقُطِّع الجرّاح بالسيوف يوم ثاورَ الحسنَ بنَ علىّ ليغتالَه بساباط ، وشُدِخ قبيصة بالحجارة، وقُتل أربد بالوَجْء[5] وبنعال السيوف[6]. وقال سعد : إنّى لأوّل رجل أهرق دماً من المشركين ؛ ولقد جمع لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبوَيْه ، وما جمعهما لأحد قبلى ، ولقد رأيتُنى خُمس الإسلام ، وبنو أسد تزعم أنّى لا أحسن

٢٦٠٧/١

---

(١) ابن حبيش « شرا » .
(٢) ابن الأثير : « القضية » .
(٣) ابن الأثير وابن كثير : « كذبا » .
(٤) ابن حبيش وابن كثير : « غير » .
(٥) الوجء : الضرب فى أى موضع كان .
(٦) نعل السيف : ما يكون من أسفل غمده .

أن أصلّى، وأن الصيد يُلهينى . وخرج محمد به وبهم إلى عمر حتى قدموا عليه ، فأخبره الخبر ، فقال : يا سعد ، ويحك ، كيف تُصلّى ! فقال : أطيل الأولَيين ، وأحذف الأُخريين ، فقال : هكذا الظنّ بك ! ثم قال : لولا الاحتياط لكان ١/٢٦٠٨ سبيلُهم بيّنًا . ثمّ قال : مَنْ خليفتُك يا سعد على الكوفة ؟ قال : عبد الله ابن عبد الله بن عِتْبان ، فأقرّه واستعمله ؛ فكان سبب نهاوند وبدء مشورتها وبعوثها فى زمان سعد ؛ وأما الوقعة ففى زمان عبد الله .

قالوا : وكان من حديثهم أنهم نفروا لكتاب يزدَجرِد الملك ، فتوافَوْا إلى نهاوند ، فتوافى إليها من بين خُراسان إلى حُلوان ؛ ومن بين الباب إلى حلوان ، ومن بين سِجستان إلى حُلوان ؛ فاجتمعت حَلْبة فارس والفَهْلوج أهل الجبال من بين الباب إلى حُلوان ثلاثون ألف مقاتل ؛ ومن بين خراسان إلى حُلوان ستون ألف مقاتل ، ومن بين سِجِسْتان إلى فارس وحُلوان ستون ألف مقاتل ؛ واجتمعوا على الفيرُزان ، وإليه كانوا توافَوْا وشاركهم موسى .

عن حمزة بن المغيرة بن شعبة ، عن أبى طعمة الثقفىّ — وكان قد أدرك ذلك — قال : ثم إنهم قالوا : إنّ محمّداً الذى جاء العربَ بالدين لم يغرَضْ غرَضنا ، ثم ملكهم أبو بكر من بعده فلم يغرَض غرَض فارس ؛ إلاّ فى غارة تعرّض لهم فيها ، وإلاّ فيما يلى بلادَهم من السواد . ثم ملك عمر من بعده ، فطال ملكه وعرُض ؛ حتى تناولكم وانتقصكم السواد والأهواز ، وأوطأها ، ثم لم يرضَ حتى أتى أهلَ فارس والمملكة فى عُقْرِ دارهم ، وهو آتيكم إن لم تأتوه ؛ فقد أخرب بيت مملكتكم ، واقتحم بلاد ملككم ، وليس بمنتهٍ حتى ١/٢٦٠٩ تخرجوا مَن فى بلادكم من جنوده ، وتقلعوا هذين المِصْرين ، ثم تشغلوه فى بلاده وقراره . وتعاهدوا وتعاقدوا ، وكتبوا بينهم على ذلك كتابًا ، وتمالئوا عليه .

وبلغ الخبرُ سعداً ، وقد استخلف عبدَ الله بن عبد الله بن عِتْبان . ولمّا شَخَص لقى عمرَ بالخبر مشافهة ، وقد كان كتب إلى عمر بذلك ، وقال : إنّ أهل الكوفة يستأذنونك فى الانسياح قبل[1] أن يبادروهم الشدّة — وقد كان عمر منعَهم من الانسياح فى الجبل .

---

(١) ط : « فى » ، وانظر الصفحة التالية س ٢ .

وكتب إليه أيضًا عبدُالله وغيره بأنه قد تجمّع منهم خمسون ومائة ألف مقاتل ؛ فإن جاءونا قبل أن نبادرهم الشّدّة ازدادوا جرأة وقوّة ؛ وإن نحن عاجلناهم كان لنا ذلكم ؛ وكان الرسول بذلك قَريب بن ظَفَر العبدىّ .

ثم خرج سعد بعدَه فوافَى مشورة عُمر ؛ فلما قدم الرسول بالكتاب إلى عمر بالخبر فرآه قال : ما اسمك ؟ قال : قَريب، قال : ابن مَن ؟ قال : ابن ظَفَر ؛ فتفاءل إلى ذلك ، وقال : ظَفَر قريب إن شاء الله ، ولا قوّة إلاّ بالله ! ونودى فى الناس : الصلاة جامعة ! فاجتمع الناس ، ووافاه سعد ، فتفاءل إلى سعد بن مالك، وقام على المنبر خطيبًا ، فأخبر الناس الخبر ، واستشارهم ، وقال : هذا يوم له ما بعده من الأيام ؛ ألا وإنى قد هممتُ بأمر ١/٢٦١٠ وإنى[1] عارضه عليكم فاسمعوه ، ثم أخبرونى وأوجِزوا ، ولا تَنَازعوا فتفشلوا وتذهب ريحُكم ، ولا تكثروا ولا تطيلوا، فتُفَشْغَ[2] بكم الأمور ، ويلتوى عليكم الرأى ؛ أفمِن الرّأى أن أسيرَ فيمن قبَلى ومَن قدرتُ عليه ، حتى أنزل منزلا واسطا بين هذين المصرين ، فأستنفرَهم ثم أكونَ لهم رِدْءًا حتى يفتح الله عليهم ، ويقضى ما أحبّ ؛ فإنّ فَتَحَ الله عليهم أن أضربهم عليهم فى بلادهم ؛ وليتنازعوا ملكَهم . فقام عثمان بن عفّان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزّبير بن العوّام ، وعبد الرحمن بن عَوْف ؛ فى رجال من أهل الرّأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فتكلموا كلامًا ، فقالوا : لا نرى ذلك ؛ ولكن لايغيبَنّ عنهم رأيُك وأثرك ، وقالوا : بإزائهم وجوه العرب وفرسانهم وأعلامهم ، ومَن قد فضّ جموعهم ، وقتل ملوكهم ، وباشر من حروبهم ما هو أعظمُ من هذه ؛ وإنما استأذنوك ولم يستصرخوك ، فأذَنْ لهم ، واندُب إليهم ، وادعُ لهم . وكان الذى ينتقد له الرأىَ إذا عُرِض عليه العباس رضى الله عنه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حمزة ، عن أبى طُعْمة ، قال : فقام علىّ بن أبى طالب عليه السلام فقال : أصاب القوم يا أميرَ المؤمنين الرّأىَ ، وفهموا ما كُتِب به إليك ؛ وإنّ هذا ١/٢٦١١

(١) ابن حبيش : « وأنا » .

(٢) الفشغ والانفشاغ : اتساع الشىء وانتشاره .

الأمر لم يكن[١] نصره ولا خِذلانه لكثرة ولا قلّة[٢] ؛ هو دينه الذى أظهر ؛ وجنده الذى أعزّ ، وأيّده[٣] بالملائكة ، حتى بلغ ما بلغ ؛ فنحن[٤] على موعود من الله ، والله منجزٌ وعْده ، وناصر جنده ؛ ومكانك منهم مكان النظام[٥] من الخَرَز ، يجمعه ويمسكه ؛ فإن انحلّ تفرّق ما فيه وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً . والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهى[٦] كثير عزيز بالإسلام ؛ فأقم واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم ؛ ومَن لم يحفل بمن هو أجمع[٧] وأحدُّ وأجدُّ من هؤلاء فليأتهم الثلثان وليقم الثلث ؛ واكتب إلى أهل البصرة أن يمدّوهم ببعض مَن عندهم .

فسرّ عمر بحسن رأيهم ، وأعجبه ذلك منهم . وقام سعد فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ خفِّضْ عليك ، فإنهم إنما جمِعوا لِنقْمة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى بكر الهذلىّ ، قال : لما أخبرهم عُمر الخبر واستشارهم ، وقال : أوجِزوا فى القول ، ولا تُطيلوا فتفْشغَ بكم الأمور ، واعلموا أنّ هذا يومٌ له ما بعده من الأيّام ، تكلّموا ، ١/٢٦١٢ فقام طلحة بن عبيد الله — وكان من خُطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — فتشهّد ، ثمّ قال : أما بعد يا أميرَ المؤمنين ، فقد أحكمتْك الأمور ، وعجمتْك البلايا[٨] ، واحتنكتْك التجارب ، وأنت وشأنك ؛ وأنت ورأيك ، لا ننْبو فى يديْك ، ولا نكِلُ عليك ، إليك هذا الأمر ، فمرنا نُطِع ، وادْعُنا نجب ، واحمِلْنا نركب ، ووفِّدْنا نفِد ، وقُدْنا ننقد ؛ فإنّك ولىّ هذا الأمر ، وقد بلوتَ وجرّبت واختبرتَ ؛ فلم ينكشف شىء من عواقب قضاء الله لك إلاّ عن خيار . ثم جلس. فعاد عُمر فقال : إنّ هذا يومٌ له ما بعده من الأيام ، فتكلّموا . فقام عثمان بن عفّان ، فتشهّد ، وقال : أرى يا أميرَ المؤمنين أن تكتبَ إلى أهل الشأم فيسيروا من شأمهم ، وتكتبَ إلى أهل اليمن فيسيروا من يَمَنهم ،

(١) ابن حبيش : « لم يبن » .
(٢) ابن حبيش : « ولقلة » .
(٣) ابن حبيش وابن كثير : « وأمده » .
(٤) ابن حبيش : « ونحن » .
(٥) النظام : الخيط الذى ينظم به الخرز وغيره .
(٦) ابن كثير : « وهم » .
(٧) س : « اجتمع » .
(٨) ابن الأثير : « البلابل » .

ثم تسير أنت بأهل هذين الحرَميْن إلى المصرْين : الكوفة والبصرة ، فتلقَى جمع المشركين بجمع المسلمين ؛ فإنك إذا سرتَ بمَن معك وعندك قلَّ فى نفسك ما قد تكاثَر من عدد القوم ، وكنتَ أعزّ عزًّا وأكثر ؛ يا أمير المؤمنين إنك لا تستبقى من نفسك بعد العرب باقية ، ولا تَمْتَّع من الدنيا بعزيز ، ولا تلوذُ منها بحريز ؛ إنّ هذا اليوم له ما بعده من الأيام ، فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغِب عنه . ثم جلس . ١/٢٦١٣

فعاد[1] عمر ، فقال : إنّ هذا يومٌ[2] له ما بعده من الأيام ، فتكلموا ؛ فقام على بن أبى طالب فقال : أمّا بعد يا أمير المؤمنين ؛ فإنك إن أشخصتَ أهل الشأم من شأمهم سارت الرّوم إلى ذراريّهم ، وإن أشخصتَ أهل اليمن من يمنِهم سارت الحبشَة إلى ذراريّهم ، وإنك إنْ شخَصت من هذه الأرض انتقضتْ عليك الأرضُ[3] من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون ما تَدع وراءك أهمّ إليك[4] مما بين يديك من العَوْرات والعِيالات ؛ أقرر هؤلاء فى أمصارهم ، واكتب إلى أهل البصرة فليتفرّقوا[5] فيها ثلاث فِرَق ، فلتقم فرقة لهم فى حُرَمهم وذراريّهم ، ولتقم فرقة فى أهل عهدهم ، لئلاّ ينتقضوا عليهم ، ولتسِرْ فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم ؛ إنّ الأعاجِم إن ينظروا إليك غداً قالوا : هذا أمير العرب ، وأصل العرب ؛ فكان ذلك أشدّ لكَلَبهم ، وألّبْتَهم على نفسك . وأمّا ما ذكرت من مسير القوم فإنّ الله هو أكرَه لمسيرهم منك ، وهو أقدرُ على تغيير ما يكره ؛ وأمّا ما ذكرتَ من عددهم ؛ فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ؛ ولكنّا كنا نقاتل بالنصر .

فقال عمر : أجل والله ، لئن شخصتُ من البلدة[6] لتنتقضَنّ علىّ الأرض من أطرافها وأكنافها ، ولئن نظرتْ إلىّ الأعاجم لا يفارقُنّ[7] العرْصة ، ولَيُمدّنّهم مَن لم يُمِدّهم ، وليقولُنّ : هذا أصل العرب ؛ فإذا ١/٢٦١٤

---

(١) ابن حبيش : « ثم عاد » . (٢) ابن حبيش : « اليوم » .

(٣) س وابن الأثير والنويرى : « العرب » . (٤) ابن حبيش : « عليك » .

(٥) ابن حبيش : « فليفترقوا » ؛ النويرى : « أن يتفرقوا » .

(٦) ابن حبيش : « البلد » . (٧) ابن حبيش : « لايفارقون » .

اقتطعتموه اقتطعتم أصل العرب ، فأشيروا علىّ برجل أولّه[1] ذلك الثغر غداً .
قالوا : أنتَ أفضلُ رأيًا ، وأحسن مقدرة ، قال : أشيروا علىّ به ، واجعلوه عِراقيًّا . قالوا: يا أميرَ المؤمنين ، أنت أعلمُ بأهل العراق ، وجندك قد وفدُوا عليك ورأيتَهم وكلّمتهم ، فقال: أما والله لأولّينّ أمرَهم رجلاً ليكونَنّ لأوّل الأسنّة إذا لقيَها غداً ، فقيل : مَن يا أمير المؤمنين ؟ فقال : النعمان بن مقرّن المزنىّ . فقالوا: هولها — والنعمان يومئذ بالبصرة معه قوّاد من قوّاد أهل الكوفة أمدّهم بهم عمر عند انتقاض الهرْمزان ؛ فافتتحوا رامَهُرْمُز وإيذَج ، وأعانوهم على تُستَر وجُنْدَىْ سابور والسُّوس . فكتب إليه عمر مع زِرّ بن كُليب والمقترِب الأسود بن رَبيعة بالخبر ، وأنّى قد ولّيتك حربَهم ، فسرْ من وجهِك ذلك حتّى تأتىَ ماه ، فإنى قد كتبتُ إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها ، فإذا اجتمعَ لك جنودُك فسرْ إلى الفَيْرُزان ومَن تجمّع إليه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم ، واستنصروا الله ، وأكثروا من قول: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله .

* * *

١/٢٦١٥ وروى عن أبى وائل فى سبب توجيه عمَر النعمانَ بن مقرّن إلى نِهاوند ، ما حدّثنى به محمد بن عبد الله[2] بن صَفْوان الثَّقَفِىّ، قال: حدّثنا أميّة بن خالد ، قال : حدّثنا أبو عَوانة ، عن حُصين بن عبد الرحمن ، قال : قال أبو وائل : كان النُّعمان بن مقرّن على كَسْكَر ، فكتب إلى عمر : مثَلِى ومثَل كَسْكر كمثل رجل شابّ وإلى جنبه مُومسة تلوّنُ له وتَعطّر ، فأنشُدك الله لما عزلتَنى عن كَسْكر ، وبعثتَنى إلى جيش من جيوش المسلمين!

قال : فكتب إليه عمر : أن ائت الناس بِنهاوند ، فأنت عليهم . قال: فالتقوْا ، فكان أوّلَ قتيل ، وأخذ الراية أخوه سُويد بن مقرّن ، ففتح الله على المسلمين؛ ولم يكن لهم — يعنى للفرس — جماعة بعد يومئذ ؛ فكان أهل كلّ مصر يغزُون عدوّهم فى بلادهم .

* * *

(١) ابن حبيش : « أوليه » .
(٢) ط : « عبيد الله » ، والصواب ما أثبته .

رجع الحديث إلى حديث سيف . وكتب — يعنى عمر — إلى عبد الله بن عبد الله مع رِبْعىّ بن عامر، أن استنفِر من أهل الكُوفة مع النُّعمان كذا وكذا ، فإنى قد كتبتُ إليه بالتوجّه من الأهواز إلى ماه، فلْيوافُوه بها ، وليسر بهم إلى نِهاوند ؛ وقد أمّرت عليهم حُذيفة بن اليَمان ، حتّى ينتهى إلى النعمان بن مقرّن ؛ وقد كتبت إلى النعمان : إن حَدَثَ بك حَدَث فعلَى الناس حُذَيفة بن اليَمان ؛ فإن حَدَثَ بحُذيفة حَدث فعلَى الناس نُعيم بن مقرّن ، وردّ قَريب ابن ظَفَر وردّ معه السائب بن الأقرع أمينًا . وقال : إن فتح الله عليكم فاقسم ما أفاء الله عليهم بينهم ، ولا تخدعنى ولا ترفع إلىّ باطلا ، وإن نُكِب القوم فلا ترانى ولا أراك . فقدما إلى الكوفة بكتاب عمر بالاستحثاث ؛ وكان أسرع أهل الكوفة إلى ذلك الرّوادف ، ليبلُوا فى الدّين ، وليدرِكُوا حظًّا ، وخرج حُذَيفة بن اليَمان بالناس ومعه نُعيم حتّى قدِموا على النّعمان بالطَّزَر ، وجعلوا بمَرْج القلعة خيلاً عليها النُّسَيْر . وقد كتب عمر إلى سُلْمى بن القَيْن وحَرْملة بن مُريطة وزِرّ بن كليب والمقترِب الأسود بن ربيعة ، وقوّاد فارس الذين كانوا بين فارس والأهواز ، أن اشغلوا فارس عن إخوانكم ، وحوطوا بذلك أمّتكم وأرضَكم ، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيَكم أمرى . وبعث مجاشع بن مسعود السُّلَمىّ إلى الأهواز ، وقال له : انصُلْ[1] منها على ماه ؛ فخــرج حتّى إذا كان بغُضَى شجَر ، أمره النعمان أن يقيم مكانه ، فأقام بين غُضَى شجر ومَرْج القلعة ، ونَصَل سُلْمى وحَرْملة وزِرّ والمقترِب ، فكانوا فى تخُوم إصبَهان وفارس ، فقطعوا بذلك عن أهل نِهاوند أمداد فارس .

ولما قدِم أهلُ الكوفة على النعمان بالطَّزَر جاءه كتاب عمر مع قَريب : إنّ معك حدّ العرب ورجالهم فى الجاهليّة ، فأدخِلْهم دون مَن هو دونهم فى العلم بالحرب ، واستعنْ بهم ، واشرب برأيهم ، وسلْ طليحة وعَمْراً وعمرا ولا تُوَلِّهم شيئًا . فبعث من الطَّزَر طليحة وعَمراً وعَمْرًا طليعة ليأتوه بالخبر، وتقدّم

٢٦١٦/١
٢٦١٧/١

---

(١) انصل ، أى أخرج .

إليهم ألا يَغلُوا . فخرج طُليحة بن خويلد وعَمْرو بن أبى سُلْمَى العَنَزىّ ، وعمرو بن معد يكرب الزُّبيدىّ ، فلما ساروا يوماً إلى الليل رجع عمرو بن أبى سُلمَى ، فقالوا : ما رَجعك ؟ قال : كنت فى أرض العجم ؛ وقتلتْ أرضٌ جاهلها ، وقتل أرضًا عالمُها . ومضى طليحة وعمرو حتّى إذا كان من آخر الليل رجع عمرو ، فقالوا : ما رجعك ؟ قال : سرْنا يوماً وليلة ، ولم نَر شيئاً ، وخفت أن يؤخذ علينا الطريق . ونفذ طليحة ولم يحفِل بهما . فقال الناس : ارتد الثانية ، ومضى طُليحة حتّى انتهى إلى نِهاوند ، وبين الطَّزَر ونِهاوند بضعة وعشرون فرسخاً . فعلم علمَ القوم ، واطلع على الأخبار ، ثم رجع حتّى إذا انتهى إلى الجمهور كبّر الناس ، فقال : ما شأنُ الناس ؟ فأخبروه بالذى خافوا عليه ، فقال : والله لولم يكن دينٌ إلا العربية ما كنت لأُجزِر [1] العُجْم الطماطم [2] هذه العرب العاربة . فأتى النعمان فدخل عليه ، فأخبروه الخبر [3] ، وأعلمه أنه ليس بينه وبين نِهاوند شىء يكرهه ، ولا أحد . فنادى عند ذلك النعمان بالرّحيل ، فأمرهم بالتّعبية . وبعث إلى مجاشع بن مسعود أنْ يسوقَ الناس ، وسار النعمان على تعبيته ، وعلى مقدّمته نُعيم بن مقرّن ، وعلى مجنِّبتية حُذيفة بن اليَمان وسويد بن مقرّن ، وعلى المجرَّدة القعقاع ابن عمرو ، وعلى الساقة مجاشع ؛ وقد توافى إليه أمدادُ المدينة ، فيهم المغيرة وعبد الله ، فانتهوْا إلى الإسبيذَهان والقوم وقوف دون واى خُرُد على تعبيتهم وأميرُهم الفيرُزان ، وعلى مجنّبيته الزردُق وبَهْمن جاذَوَيْه الذى جُعل مكان ذى الحاجب ، وقد توافى إليهم بِنهاوند كلّ منْ غاب عن القادسيَّة والأيام من أهل الثغور وأمرائها وأعلامٌ من أعلامهم ليسوا بدون مَن شهد الأيام والقوادس ، وعلى خيولهم أنوشق . فلما رآهم النعمان كبّر وكبّر الناس معه

٢٦١٨/١ ٢٦١٩/١

---

(١) يقال : أجزر فلانا شاة ؛ أى أعطاه إياها ليذبحها ؛ يريد : ما كنت أمكن العجم من العرب . وفى ابن الأثير : « لأحرز » .

(٢) الطماطم : العجم ؛ قال الأفوه :

كالأسودِ الحبشىّ الحمْسِ يَتبعهُ ــــودٌ طماطمُ فى آذانِها النّطَفُ

(٣) ابن حبيش : « بالخبر » .

فتزلزلت[1] الأعاجم ، فأمر النعمان وهو واقف بحطّ الأثقال ، وبضرْب الفُسطاط ، فضرِب وهو واقف ؛ فابتدره أشرافُ أهل الكوفة [وأعيانهم ، فسبق إليه يومئذ عدّة من أشراف أهل الكوفة][2] تسابقوا فبنوْا له فسطاطًا سابقوا أكفاءهم فسبقوهم ؛ وهم أربعة عشر ، منهم حذيفة بن اليمان ، وعُقْبة بن عمرو[3]، والمغيرة بن شعبة ، وبَشير بن الخصاصيّة ، وحَنظلة الكاتب بن الربيع[4]، وابن الهوْبر ، وربعيّ بن عامر ، وعامر بن مَطَر ، وجرير بن عبدالله الحميرىّ ، والأقرع بن عبد الله الحميرىّ ، وجرير بن عبد الله البَجَلىّ ، والأشعث بن قيس الكِندىّ ، وسعيد بن قيس الهمْدانىّ ، ووائل بن حُجْر ، فلم يُرَ بُنَّاءُ فسطاط بالعراق كهؤلاء . وأنشب النعمان بعد ما حطّ الأثقال القتال ؛ فاقتتلوا يومَ الأربعاء ويوم الخميس ، والحرْب بينهم فى ذاك سِجال فى سبع سنين من إمارة عُمر ، فى سنة تسع عشرة ، وإنهم انجحروا فى خنادقهم يومَ الجمعة ، وحصرَهم المسلمون ، فأقاموا عليهم ما شاء الله والأعاجم بالخيار ؛ لا يخرجون إلاّ إذا أرادوا الخروج ، فاشتدّ ذلك على المسلمين ، وخافوا أن يطولَ أمرُهم [وسرّهم أن يناجزهم عدوّهم][5] ؛ حتى إذا كان ذات يوم فى جمعة من الجُمع تجمّع[6] أهل الرأى من المسلمين ، فتكلموا ، وقالوا : نراهم علينا بالخيار . وأتوا النعمان فى ذلك فأخبروه ، فوافقوه[7] وهو يُروِّى فى الذى رَوَّوْا فيه . فقال : على رِسْلكم ، لا تبرحوا ! وبعث[8] إلى مَنْ بقىَ من أهل النجدات والرّأى فى الحروب ، فتوافوْا إليه ، فتكلّم النعمان ، فقال : قد تروْن المشركين واعتصامَهم بالحُصون من الخنادق والمدائن ؛ وأنهم لا يخرجون إلاّ إذا شاءوا ، ولا يقدر المسلمون على إنغاضهم[9] وانبعاثهم قبل مشيئتهم ؛ وقد تَرَوْن الذى فيه المسلمون من التضايق بالذى هم فيه وعليه من الخيار عليهم فى الخروج ؛ فما الرأى الذى به نُحمِشهم ونستخرجهم إلى

١ / ٢٦٢٠

---

(١) ابن حبيش وابن كثير : « فزلزلت » . (٢) من ابن حبيش .
(٣) ابن الأثير : « عامر » . (٤) ابن حبيش : «حنظلة بن الربيع الكاتب » .
(٥) من ابن حبيش . (٦) س : «جمع » .
(٧) ابن الأثير : « فوافوه » . (٨) ابن حبيش: « ثم بعث » .
(٩) ط : « انقاضهم »، ابن الأثير والنويرى : « إخراجهم »، وإنغاضهم، أى تحريكهم .

المنابذة ، وترك التطويل ؟

فتكلم عمرو بن ثُبَيّ — وكان أكبرَ الناس يومئذ سنًّا ، وكانوا إنّما يتكلمون على الأسنان — فقال: التحصّن عليهم أشدّ من المطاولة عليكم، فدعْهم ولا تحرِجْهم[1] وطاولهم ، وقاتلْ مَن أتاك منهم ؛ فردُّوا عليه جميعًا[2] رأيه . وقالوا : إنا على[3] يقين منْ إنجاز ربّنا موعدَه لنا . ١/٢٦٢١

وتكلّم عمرو بن معديكرب ، فقال: ناهدْهم وكاثِرْهم[4] ولا تَخَفْهم . فردُّوا عليه جميعًا رأيه، وقالوا: إنما تناطح بنا الجُدران، والجُدران لهم أعوان علينا .

وتكلّم طُليحة فقال : قد قالا ولم يصيبا ما أرادا ؛ وأمّا أنا فأرى أن تبعث خيلا مؤدِية، فيُحدِقوا بهم ، ثم يرموا ليُنشبوا القتال ، ويحمِشوهم ؛ فإذا استحمَشُوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج أرزوا إلينا استطرادًا ؛ فإنّا لم نستطرِدْ لهم فى طول ما قاتلناهم، وإنّا إذا فعلنا ذلك ورأَوْا ذلك منّا طمِعوا فى هزيمتنا ولم يشكُّوا فيها ، فخرجوا فجادّونا وجاددناهم ؛ حتى يقضيَ الله فيهم وفينا ما أحبّ .

فأمر النعمان القعقاع بن عمرو — وكان على المجرَّدة — ففعل ؛ وأنشب القتال بعد احتجاز من العجم ، فأنغَضَهم فلمّا خرجوا نكَص ، ثم نكص ، ثم نكص ، واغتنمها الأعاجم ، ففعلوا كما ظنّ طُليحة وقالوا : هى هى ؛ فخرجوا فلم يبقَ أحدٌ إلاّ من يقومُ لهم على الأبواب ؛ وجعلوا يركبونهم حتى أرَز القعقاع إلى الناس ، وانقطع القومُ عن حصنهم بعض الانقطاع ؛ والنعمان ابن مقرّن والمسلمون على تعبيتهم فى يوم جُمعة فى صدْر النهار ، وقد عهِد النّعمان إلى الناس عهدَه ، وأمرهم أن يلزموا الأرضَ ولا يقاتلوهم حتى يأذن لهم ؛ ففعلوا واستتروا بالحجَف من الرّمْى ، وأقبل المشركون عليهم يرمُونهم حتى أفشوْا فيهم الجراحات ، وشكا بعضُ الناس ذلك إلى بعض ، ثم قالوا للنعمان : ألاَ ترى ما نحن فيه ! ألا ترى إلى ما لقِيَ الناس، فما تنتظر بهم ! ١/٢٦٢٢

---

(١) س : « لا تخرجهم » .
(٢) ابن حبيش : « جميعاً عليه » .
(٣) ابن حبيش وابن كثير : « لعلى » .
(٤) س : « نناهدهم وتكاثرهم » .

ائذن للناس فى قتالهم ، فقال لهم النعمان : رُوَيداً رُوَيداً ! قالوا له ذلك مراراً ، فأجابهم بمثل ذلك مراراً: رويداً. رويداً، فقال المغيرة: لو أنّ هذا الأمرَ إلىّ علمتُ ما أصنع ! فقال : رويداً ترى أمرَك ؛ وقد كنت تلى الأمر فتُحسِن، فلا يخذلنا الله ولا إيّاك ؛ ونحن نرجو فى المكْث مثلَ الذى ترجو فى الحثّ .

وجعل النعمان ينتظر بالقتال إكمالَ ساعاتٍ كانت أحبّ[1] إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى القتال أن يلقى فيها العدوّ؛ وذلك عندالزّوال وتفيُّؤ الأفياء ومهبّ الرياح[2] . فلما كان قريباً من تلك الساعة تحشْحش[3] النعمان ، وسار فى الناس على بِرذونٍ أحوَى قريب من الأرض ، فجعل يقف على كلّ راية ، ويحمَد الله ويُثنِى عليه ، ويقول : قد علمتم ما أعزّكم الله به من هذا الدين ، وما وعدكم من الظهور ، وقد أنجز لكم هَوادِيَ ما وعدكم وصدورَه ؛ وإنما بقيت أعجازُه وأكارعه ؛ والله منجزٌ وعدَه ، ومتبعٌ آخر ذلك أوّله، واذكروا ما مضى إذ كنتم أذلّة ، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزّة ، فأنتم اليوم عباد الله حقّاً وأولياؤه ، وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة ، والذى لهم فى ظَفَرَكم وعزّكم ؛ والذى عليهم فى هزيمتكم وذلّكم ، وقد ترون مَنْ أنتم بإزائه من عدوّكم ،وما أخطرتم وما أخطروا[4] لكم ؛ فأمّا ما أخطروا لكم فهذه الرِّثّة[5] وما ترون من هذا السواد ، وأمّا ما أخطرتم لهم فدِينكم وبَيْضتكم ، ولا سواءٌ ما أخطرتم وما أخطروا ؛ فلا يكونُنّ على دنياهم أحمَى منكم على دينكم؛ واتّقَى الله عبدٌ صدق الله ، وأبلى نفسه فأحسن البلاء ؛ فإنكم بين خيرَيْن منتظرَيْن؛ إحدى الحسنييْن ؛ من بين شهيد حىّ مرزوق ، أو فتح قريب وظفَر يسير . فكفى كلّ رجل ما يليه ، ولم يكِلْ قِرْنَه إلى أخيه؛ فيجتمع عليه قِرنه وقِرْن نفسه ، وذلك من الملأمة ، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه ؛ فكلّ رجل منكم مسلّط على ما يليه ؛ فإذا قضيت أمرى فاستعدّوا فإنى مكبر ثلاثاً ،فإذا كبّرت التكبيرة الأولى فليتهيأ مَنْ لم يكن تهيأ ؛ فإذا كبّرت الثانية فليشدّ عليه سلاحه ،

١/٢٦٢٣
١/٢٦٢٤

---

(١) النويرى : « أحب الساعات » .

(٢) ابن حبيش : « الأرواح » .

(٣) تحشحش : « تحرك » .

(٤) أخطرتم وأخطروا : تراهنتم وتراهنوا وتسابقوا.

(٥) الرثة : المتاع .

وليتأهب للنهوض ؛ فإذا كبّرت الثالثة ؛ فإنّى حامل إن شاء الله فاحملوا معًا . اللهمّ أعزّ دينَك، وانصر عبادك، واجعل النعمانَ أوّل شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك !

فلما فرغ النعمان من التقدّم إلى أهل المواقف ، وقضى إليهم أمرَه ، رجع إلى موقفه، فكبّر الأولى والثانية والثالثة ؛ والناس سامعون مطيعون مستعدّون للمناهضة ، يُنَحّى بعضُهم بعضاً عن سَنَنِهم ، وحمل النُّعمان وحمل الناس ، وراية النعمان تنقضّ نحوهم انقضاض العُقاب ، والنعمان معلَم ببياض القَباء والقلنسوة[1] ، فاقتتلوا بالسيوف[1] قتالا شديداً لم يسمع السامعون بوقعة يوم قطّ كانت أشدّ [قتالا] منها ، فقتلوا فيها من أهل فارس فيما بين الزوال والإعتام ما طبّق أرض المعركة دمًا يزلَق الناسُ والدوابُّ فيه، وأصيب فُرسان من فرسان المسلمين فى الزّلق فى الدّماء، فزلق فرس النعمان فى الدّماء فصرعه، وأصيب النّعمان حين زلق به فرسه ؛ وصُرِع . وتناولَ الرّاية نُعيم بن مقرّن قبل أن تقع ، وسجّى النعمانَ بثوب ، وأتى حذيفة بالرّاية فدفعها إليه ، وكان اللواء مع حُذيفة ، فجعل حُذيفة نُعيمَ بن مقرّن مكانه ، وأتى المكان الذى كان فيه النعمان فأقام اللواء ، وقال له المغيرة : اكتمُوا مصابَ أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم ؛ لكيلا يَهِنَ الناس ؛ واقتتلوا حتى إذا أظلّهم الليل انكشف المشركون وذهبوا، والمسلمون ملظّون بهم متلبّسون ، فعُمِّىَ عليهم قصدُهم ، فتركوه وأخذوا نحو اللِّهْب الذى كانوا نزلوا دونه بإسبيذهان ، فوقعوا فيه، وجعلوا لا يهوِى منهم أحد إلا قال : «وايه خُرْد»، فسمّى بذلك «وايه خُرْد» إلى اليوم ، فمات فيه منهم مائة ألف أو يزيدون ، سوى مَن قتِل فى المعركة منهم أعدادهم ، لم يفلِت إلاّ الشَّريد ، ونجا الفيرُزان بين الصّرعى فى المعركة ، فهرب نحو هَمَذان فى ذلك الشَّريد ، فأتبعه نُعيم بن مقرّن ، وقدّم القعقاع قدامهُ فأدركه حين[2] انتهى إلى ثَنيّة هَمَذان ، والثنيّة مشحونة من بغال وحمير موقَرة عسلا ، فحبسه[3] الدوابّ

١/٢٦٢٥

١/٢٦٢٦

(١ – ١) ابن حبيش : « فالتقوا بالسيف فاقتتلوا » .

(٢) ابن حبيش : « حتى » .

(٣) ابن حبيش : « فحبسته » .

على أجَلَيه ، فقتله على الثَّنيّة بعد ما امتنع ، وقال المسلمون : إنّ لله جنوداً من عسل ، واستاقوا العسلَ وما خالطه من سائر الأحمال ، فأقبل بها ، وسمّيت الثنيّة بذلك ثَنيّة العَسل ؛ وإنّ الفيرُزان لمّا غشيه القعقاع نزل فتوقّل فى الجبل إذ لم يجد مَساغاً ، وتوقّل القعقاع فى أثره حتى أخذه ، ومضى الفُلاّل حتى انتهوْا إلى مدينة هَمَذان والخيل فى آثارهم ، فدخلوها ، فنزل المسلمون عليهم ، وحوَوْا ما حولها ، فلما رأى ذلك خُسْرَوْشْنُوم استأمنهم ، وقبِل منهم على أن يضمن لهم هَمَذان ودَسْتَبى ، وألاّ يؤتَى المسلمون منهم ؛ فأجابوهم إلى ذلك وآمنوهم ؛ وأمِن الناس ، وأقبل كلّ مَن كان هرب ، ودخل المسلمون بعد هزيمة المشركين يوم نِهاوند مدينة نِهاوند واحتَووْا ما فيها وما حولها ، ١/٢٦٢٧ وجمعوا الأسلاب والرِّثاث إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع .

فبيناهم كذلك[1] على حالهم وفى عسكرهم يتوقّعون ما يأتيهم من إخوانهم بهَمذان ، أقبل الهِرْبذ صاحب بيت النار على أمان ؛ فأبْلغ حذَيفة ، فقال : أتؤمّنني على أن أخبرك بما أعلم ؟ قال : نعم ، قال : إنّ النخيرَجان وضع عندى ذخيرة لكسرى ، فأنا أخرجها لك على أمانِى وأمان مَنْ شئت ، فأعطاه ذلك ، فأخرج له ذخيرة كسرى ؛ جوهراً كان أعدّه لنوائب الزّمان ، فنظروا فى ذلك ، فأجمع رأى المسلمين على رفعه إلى عمر ، فجعلوه له ؛ فأخّروه حتى فرغوا فبعثوا به مع ما يرفع من الأخماس ، وقسم حذيفة بن اليمان بين الناس غنائمهم ، فكان سهم الفارس يوم نِهاوند ستة آلاف ، وسهم الراجل ألفيْن ، وقد نفل حذيفة من الأخماس مَن شاء من أهل البلاء يوم نِهاوند ، ورفع ما بقى من الأخماس إلى السائب بن الأقرع ، فقبض السائب الأخماس ، فخرج بها إلى عمر وبذخيرة كسرى . وأقام حُذيفة بعد الكتاب بفتح نِهاوند بنهاوند ينتظر جواب عمر وأمره ؛ وكان رسولَه بالفتح طريفُ بن سهم ، أخو بنى ربيعة ابن مالك .

فلما بلغ الخبرُ أهلَ الماهيْن بأنّ هَمَذان قد أخِذت ، ونزلها نُعيم ابن مقرّن والقعقاع بن عمرو اقتدوا بخُسْرَوْشْنُوم ، فراسلوا حُذَيفة ، ١/٢٦٢٨

(١) ابن حبيش : « فى ذلك » .

فأجابهم إلى ما طلبوا ، فأجمعوا على القبول ، وعزموا على إتيان حُذيفة ، فخدعهم دينار – وهو دون أولئك الملوك ، وكان ملكًا ، إلاّ أن غيره منهم كان أرفع منه ؛ وكان أشرفَهم قارن – وقال : لا تلقوْهم فى جَمالكم ولكن تَقَهّلوا[1] لهم ؛ ففعلوا ، وخالفهم فأتاهم فى الديباج والحلىّ ، وأعطاهم حاجتهم واحتمل للمسلمين ما أرادوا ، فعاقدوه عليهم ؛ ولم يجد الآخرون بدًّا من متابعته والدخول فى أمره ، فقيل «ماه دينار» لذلك . فذهب حُذيفة بماه دينار ؛ وقد كان النعمان عاقد بَهْراذان على مثل ذلك ، فنُسِبت إلى بَهْراذان ، ووكل النُّسير بن ثَوْر بقلعة قد كان لجأ إليها قوم فجاهدهم ؛ فافتتحها فنُسِبت إلى النُّسير ، وقسم حُذيفة لمن خلّفوا بمرْج القلعة ولمن أقام بغُضَى شَجَر ولأهل المسالح جميعًا فى فىء نِهاوند مثل الذى قسم لأهل المعركة ، لأنهم كانوا ردءاً للمسلمين لئلا يؤتَوْا من وجه من الوجوه . وتململ عمر تلك الليلة التى كان قدّر للقائهم[2] ، وجعل يخرج ويلتمس الخبر ؛ فبينا[3] رجل من المسلمين قد خرج فى بعض حوائجه ، فرجع إلى المدينة ليلا ، فمرّ به راكب فى الليلة الثالثة من يوم نِهاوند يريد المدينة . فقال : يا عَبد الله ، من أين أقبلتَ ؟ قال : من نِهاوند ، قال : ما الخبر ؟ قال : الخبر خير ؛ فتح الله على النعمان ؛ واستُشهد ، واقتسم المسلمون فىء نِهاوند ، فأصاب الفارس ستة آلاف . وطواه الرّاكب حتى انغمس فى المدينة ، فدخل الرجل ، فبات فأصبح فتحدّث بحديثه ، ونمَى الخبرُ حتى بلغ عمَر ؛ وهو فيما هو فيه ، فأرسل إليه ، فسأله فأخبره ، فقال : صدق وصدقت ؛ هذا عُثيم بريد الجنّ ، وقد رأى بريد الإنس ، فقدم عليه طَريف بالفتح بعد ذلك ، فقال : الخبر ! فقال : ما عندى أكثر من الفَتْح ، خرجتُ والمسلمون فى الطلب وهم على رِجْل ؛ وكتمه إلاّ ما سرّه .

١/٢٦٢٩

ثم خرج وخرج معه أصحابه ، فأمعن ؛ فرُفع له راكب ، فقال : قولوا ، فقال عثمان بن عفّان : السائب ، فقال : السائب ، فلما دنا منه قال : ما وراءك ؟

---

(١) يقال : قهل فلان وتقهّل ؛ أى لم يتعهد جسمه بالماء ولم ينظفه .

(٢) ابن حبيش : « لملاقاتهم » . (٣) س وابن الأثير : « فبينما » .

قال : البُشرى والفتح ، قال : ما فعل النعمان ؟ قال : زلِق فرسه فى دماء القوم ، فصرِع فاستُشهد ، فانطلق راجعًا والسائب يسايره ، وسأل عن عدد من قتل من المسلمين ؛ فأخبره بعدد قليل ؛ وأنّ النعمان أوّل مَن استُشهد يوم فتح الفتوح — وكذلك كان يسمّيه أهل الكوفة والمسلمون — فلما دخل المسجد حطّت الأحمال فوضعت فى المسجد ، وأمر نفراً من أصحابه — منهم ٢٦٣٠/١ عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم — بالمبيت فيه ، ودخل منزله ، وأتبعه السائب بن الأقرع بذ ينك السَّفَطَيْن ، وأخبره خبرَهما وخبر الناس ؛ فقال : يابنَ مُلَيكة ؛ والله ما درَوْا هذا ، ولا أنت معهم! فالنَّجاء النَّجاء ، عودَك على بدئك حتى تأتىَ حُذيفة فيقسمهما على مَنْ أفاءهما الله عليه ؛ فأقبل راجعًا بقبَلٍ حتّى انتهى إلى حُذيفة بماه ؛ فأقامهما فباعهما ، فأصاب أربعة آلافِ ألف .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس الأسدىّ ؛ أنّ رجلاً يقال له جعفر بن راشد ، قال لطليحة وهم مقيمون على نِهاوند : لقد أخذتْنا خَلّة ؛ فهل بقِىَ من أعاجيبك شىء تنفعنا به ؟ فقال : كما أنتم حتى أنظر ، فأخذ كساء فتقنّع به غير كثير ، ثم قال : البيان البيان ، غَنَم الدّهقان ، فى بستان ، مكان أرْوَنَان . فدخلوا البستان فوجدوا الغنم مسمّنة. ٢٦٣١/١

كتب إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى معبد العبسىّ وعروة ابن الوليد ، عمّن حدّثهم من قومهم ، قال : بينما نحن محاصرو أهل نِهاوند خرجوا علينا ذات يوم ، فقاتلونا فلم نُلْبِثهم أن هزمهم الله ، فتبع سماك بن عُبَيد العبسىّ — رجلاً منهم — معه نفر ثمانية على أفراس لهم فبارزهم ؛ فلم يبرزْ له أحد إلاّ قتله ، حتى أتى عليهم . ثم حمل على الذى كانوا معه ، فأسره وأخذ سلاحه ، ودعا له رجلا اسمه عبد ، فوكّله به ، فقال : اذهبوا بى إلى أميركم حتى أصالحه على هذه الأرض ، وأؤدّىَ إليه الجزية ، وسلْنى أنت عن إسارك ما شئت ، وقد مننتَ علىّ إذ لم تقتلنى ؛ وإنما أنا عبدك الآن ؛ وإن أدخلتَنى على الملك ، وأصلحتَ مابينى وبينه وجدتَ لى شكراً ، وكنت

لى أخاً . فخلّى سبيله وآمنه ؛ وقال : مَن أنت ؟ قال : أنا دينار — والبيت منهم يومئذ فى آل قارن — فأتى به حذيفة ، فحدّثه دينار عن نجدة سِماك وما قتل ونظرِه للمسلمين ، فصالحه على الخراج ، فنسبت إليه ماه[1] ، وكان يواصل سِماكاً ويُهدى له ، ويوافِى الكوفة كلما كان عملُه إلى عامل الكوفة ، فقدم الكوفة فى إمارة معاوية ، فقام فى الناس بالكوفة ، فقال : يا معشرَ أهل الكوفة ؛ أنتم أوّلَ ما مررتم بنا كنتم[2] خيارَ الناس ، فعمرتم بذلك زمان عمر وعثمان ، ثم تغيّرتم وفشت فيكم خصال أربع : بُخل ، وخِبّ ، وغدر ، وضيق ؛ ولم يكن فيكم واحدة منهنّ ، فرمقتُكم ، فإذا ذلك فى مولَّديكم[3] ، فعلمتُ من أين أتيتم ، فإذا الخبّ من قبَل النَّبَط ، والبخل من قِبَل فارس ، والغدر مِن قبَل خراسان ، والضيق من قبَل الأهواز .

٢٦٣٢/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشَّعبىّ ، قال : لما قُدِم بسَبْى نِهاوند إلى المدينة ؛ جعل أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة لا يلقَى منهم صغيراً إلاّ مسح رأسَه وبكى وقال : أكلَ عمر كبدى — وكان نِهاونديّاً ، فأسرته الرّوم أيام فارس ، وأسره المسلمون بعد ، فنُسِب إلى حيث سُبِىَ .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبىّ ، قال: قُتِل فى اللِّهْب ممن هوى فيه ثمانون ألفاً ، وفى المعركة ثلاثون ألفاً مقترين[4] ، سوى مَنْ قُتِل فى الطلب ؛ وكان المسلمون ثلاثين ألفاً ، وافتُتحت مدينة نِهاوند فى أوّل سنة تسع عشرة ، لسبع سنين من إمارة عمر ، لتمام سنة ثمان عشرة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وطلْحة فى كتاب النُّعمان بن مقرّن وحُذيفة لأهل الماهَيْن :

٢٦٣٣/١

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا ما أعطى النعمان بن مقرّن أهلَ ماه بَهْراذان ؛

---

(١) س : « ماه دينار » .
(٢) س وابن حبيش وابن كثير : « إنكم » .
(٣) ابن الأثير : « مولدتكم » .

أعطاهم الأمانَ على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم(١) ؛ لا يُغيَّرون على ملّة ، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ، ولهم المَنَعَة ما أدّوا الجزية فى كلّ سنة إلى مَنْ وليَهم ؛ على كلّ حالم فى ماله ونفسه على قدر طاقته ؛ وما أرشدوا ابنَ السبيل، وأصلحوا الطرق، وقرَوْا جنودَ المسلمين ممّن مرّ بهم فأوى إليهم يوماً وليلة ،ووفوْا ونصحوا، فإن غشُّوا وبدّلوا ؛ فذمّتُنا منهم بريئة . شهد عبدالله ابن ذى السهمَيْن ، والقعقاع بن عمرو ، وجرير بن عبد الله .

وكُتِب فى المحرّم سنة تسع عشرة :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى حُذَيفة بن اليَمان أهلَ ماه دينار ؛ أعطاهم الأمان علىأنفسهم وأموالهم وأرَاضِيهم ، لايغيَّرون عن ملّة ، ولا يُحال بينهم وبين شرائعهم ؛ ولهم المَنَعَة ما أدّوا الجِزية فى كلّ سنة إلى من وَليهم من المسلمين ؛ على كلّ حالم فى ماله ونفسه على قَدْرِ طاقته ، وما أرشدوا ابن السبيل ، وأصلحوا الطرق ، وقَرَوْا جنود المسلمين، مَن مرّ بهم ؛ فأوى إليهم يوماً وليلة ، ونصحوا ، فإن غَشُّوا وبدّلوا فذمّتنا منهم بريئة . شهد القعقاع بن عمرو ، ونعيم بن مقرّن، وسُويد بن مقرّن . وكتب فى المحرّم .

قالوا : وألحق عُمر مَنْ شهد نِهاوند فأبلَى من الرّوادف بلاءً فاضلا فى ألفين ألفين ، ألحقهم بأهل القادسيّة .

* * *

وفى هذه السنة أمر عمر جيوشَ العراق بطلب جيوش فارس حيث كانت ؛ وأمر بعض مَن كان بالبَصْرة من جنود المسلمين وحواليها بالمسير إلى أرضفارس وكَرْمان وإصبهان، وبعض مَنْ كان منهم بناحية الكوفة وماهاتها إلى أصبهان وأذْرَبيجان والرّىّ ، وكان بعضهم يقول : إنما كان ذلك من فعل عمر فى سنة ثمان عشرة . وهو قول سيف بن عمر . ١/٢٦٣٤

* * *

* ذكرالخبر عمّاكان فى هذه السنة — أعنى سنة إحدى وعشرين — من أمر الجنديْن اللّذين ذكرتُ أن عمر أمرهما بما ذُكر أنه أمرهما به :

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب

---

(١) س : « وأرضهم » .

وعمرو وسعيد ، قالوا : لما رأى عمر أنّ يزدَجِرد يبعث عليه فى كلّ عام حَرْبًا ، وقيل له : لا يزال هذا الدّأب حتى يخرج من مَمْلكتِه ؛ أذِن للناس فى الانسياح فى أرض العجم؛ حتى يغلبوا يزدَجِرْد على ما كان فى يدىْ كسرى ، فوجّه الأمراء من أهل البصرة بعد فَتْح نِهاوند، ووجّه الأمراء من أهل الكوفة بعد فتح نِهاوند ؛ وكان بين عمل سعد بن أبى وقّاص وبين عمل عمّار بن ياسر أميران : أحدُهما عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان — وفى زمانه كانت وقعة نِهاوند — وزياد بن حنظلة حليف بنى عبد بن قصىّ — وفى زمانه أمِر بالانسياح — وعُزِل عبد الله بن عبد الله ، وبُعث فى وجه آخر من الوجوه ، ووُلّى زياد بن حنظلة — وكان من المهاجرين — فعمل قليلاً ، وألحّ فى الاستعفاء، فأعفى ، وولّى عمّار بن ياسر بعد زياد ؛ فكان مكانه، وأمدّ أهلَ البصرة بعبد الله بن عبدالله، وأمدّ أهلَ الكوفة بأبى موسى ؛ وجعل عمر بن سُراقة مكانه ، وقدِمت الألوية من عند عمر إلى نفر بالكوفة زمان زياد بن حنظلة ، فقدم لواء منها على نُعيم بن مقرّن ، وقد كان أهل هَمَذان كفروا بعد الصلح ، فأمره بالسَّيْر نحو هَمَذان ؛ وقال : فإن فتح الله على يديك فإلى ما وراء ذلك، فى وجهك ذلك إلى خُراسان . وبعث عتبة ابن فَرقد وبُكير بن عبد الله وعقد لهما على أذْرَبيجان ، وفرّقها بينهما ، وأمر أحدهما أن يأخذ إليها من حُلْوان إلى ميمنتها ، وأمر الآخر أن يأخذ إليها من الموصل إلى ميسرتها ، فتيامن هذا عن صاحبه ، وتياسر هذا عن صاحبه . وبعث إلى عبد الله بن عبدالله بلواء ؛ وأمره أن يسير إلى إصبَهان ، وكان شجاعًا بطلا من أشراف الصحابة ومن وجوه الأنصار ؛ حليفًا لبنى الحبْلى من بنى أسد ؛ وأمدّه بأبى موسى من البصرة ، وأمّر عمر بن سراقة على البصرة .

١/٢٦٣٥ ، ١/٢٦٣٦

وكان من حديث عبدالله بن عبد الله أنّ عمر حين أتاه فتح نِهاوند بدَا له[1] أن يأذن فى الانسياح فكتب إليه : أن سِر من الكوفة حتى تنزل المدائن ؛ فاندبهم ولا تنتخبهم ، واكتب إلىّ بذلك؛ وعمر يريد توجيهه إلى إصبَهان . فانتدب له فيمن انتدب عبد الله بن ورقاء الرياحىّ ، وعبد الله بن الحارث

(١) ابن حبيش : « وبدا » .

ابن ورقاء الأسدىّ . والذين لا يعلمون يرون أنّ أحدهما عبد الله بن بُدَيل ابن ورقاء الخُزاعىّ ، لذكر ورقاء ، وظنوا أنه نُسِب إلى جدّه ، وكان عبد الله ابن بُديل بن ورقاء يوم قُتِل بصفّين ابن أربع وعشرين سنة ، وهو أيامَ عمر صبىّ .

ولما أتى عمرَ انبعاثُ عبد الله، بعثَ زياد بن حنظلة ، فلما أتاه انبعاث الجنود وانسياحهم أمّر عمّاراً بعدُ ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ ﴾[1] . وقد كان زياد صُرِف فى وَسَطٍ من إمارة سعد إلى قضاء الكوفة بعد إعفاء سلمان ٢٦٣٧/١ وعبد الرحمن ابنى ربيعة، ليقضى إلى أن يقدم عبد الله بن مسعود من حِمْص، وقد كان عمِلَ لعمر على ما سقَى الفُرات ودِجْلة النعمانُ وسُويد ابنا مقرّن، فاستعفيا ، وقالا : أعفِنا من عمل يتَغوّل[2] ويتزيّن لنا بزينة الموسة . فأعفاهما ، وجعل مكانهما حُذَيفة بن أسِيد الغفارىّ وجابر بن عمرو المُزنىّ ، ثم استعفيا فأعفاهما ، وجعل مكانهما حُذَيفة بن اليمان وعثمان بن حُنَيف ؛ حذيفة على ما سقت دِجْلة وما وراءها ، وعثمانَ على ما سَقَى الفرات من السوادين جميعًا ، وكتب إلى أهل الكوفة : إنى بعثتُ إليكم عمّار بن ياسر أميراً ، وجعلت عبد الله بن مسعود معلمًا ووزيراً ، وولّيت حذيفة بن اليمان ما سَقَتْ دِجلة وما وراءها ، ووليت عُثْمان بن حُنَيف الفرات وما سَقَى .

* * *

ذكر الخبر عن إصبهان

قالوا : ولما قدم عَمّار إلى الكوفة أميراً ، وقدم كتاب عمر إلى عبد الله : ٢٦٣٨/١ أن سرْ إلى إصبَهان وزياد على الكوفة ، وعلى مقدّمتك عبد الله بن وَرْقاء الرياحىّ ، وعلى مجنّبتيك عبد الله بن ورقاء الأسدىّ وعصمة بن عبد الله — وهو عصمة بن عبدالله بن عبيدة بن سيف بن عبد الحارث — فسار عبد الله فى الناس حتى قدِم على حُذَيفة ، ورجع حذيفة إلى عمله ، وخرج عبد الله فيمن كان معه ومن انصرف معه من جُنْد النعمان من نِهاوند نحــو جند

(١) سورة القصص ٥ . (٢) يتغول : « يتلون » .

قد اجتمع له من أهل إصبهان عليهم الأُسْتَنْدار ؛ وكان على مقدّمته شَهْر براز جاذَوَيْه ، شيخ كبير فى جمع عظيم ؛ فالتقى المسلمون ومقدّمة المشركين برُسْتاق من رساتيق إصبهان ؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ودعا الشيخ إلى البراز ، فبرز له عبد الله بن وَرْقاء ؛ فقتله وانهزم أهل إصبهان ، وسمّى المسلمون ذلك الرستاق رُسْتاقَ الشيخ ، فهو اسمه إلى اليوم . ودعا عبد الله ابن عبد الله مَنْ يليه ، فسأل[1] الأسْتَنْدار الصّلحَ ، فصالحهم ؛ فهذا أوّل رُسْتاق أخِذ من إصبهان . ثم سار عبد الله من رستاق الشيخ نحو جَىّ حتى انتهى إلى جَىّ والملك بإصبهان يومئذ الفاذوسفان ، ونزل بالناس على جَىّ ؛ ١/٢٦٣٩ فحاصرهم ، فخرجوا إليه بعد ماشاء الله من زحف ؛ فلما التقوْا قال الفاذوسفان لعبد الله : لا تقتل أصحابى ، ولا أقتل أصحابَك ؛ ولكن ابرُز لى ؛ فإن قتلتُك رجع أصحابك وإن قتلتَنى سالمَك أصحابى ؛ وإن كان أصحابى لا يقع لهم نُشّابة . فبرز له عبد الله وقال : إمّا أن تحمِل علىّ ، وإما أن أحمل عليك ؛ فقال : أحمِل عليك ، فوقف له عبد الله ، وحمل عليه الفاذوسفان ، فطعنه ، فأصاب قَرَبُوس سَرْجِه فكسره ، وقطع اللّبَب والحِزام ، وزال اللّبْد والسَّرْج ، وعبد الله على الفرس ؛ فوقع عبد الله قائمًا ، ثم استوَى على الفرس عُرْيا ؛ وقال له : اثبت ، فحاجزه ، وقال : ما أحبّ أن أقاتلك ؛ فإنى قد رأيتك رجلاً كاملاً ولكن أرجعُ معك إلى عسكرك فأصالحك[2] ؛ وأدفع المدينة إليك ؛ على أنّ مَن شاء أقام ودفع الجزية ١/٢٦٤٠ وأقام على ماله ؛ وعلى أن تُجرى مَن أخذتم أرضه عنوةً مجراهم ، ويتراجعون ، ومَن أبَى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء ؛ ولكم أرضه . قال : لكم ذلك .

وقدم عليه أبو موسى الأشعرىّ من ناحية الأهواز ، وقد صالح الفاذوسفان عبد الله فخرج القوم من جَىّ ، ودخلوا فى الذّمة إلاّ ثلاثين رجلا من أهل إصْبَهان خالفوا قومَهم وتجمّعوا فلحقوا بكَرْمان فى حاشيتهم ؛ لجمع كان بها ؛ ودخل عبد الله وأبو موسى جىّ — وجَىّ مدينة إصبهان — وكتب بذلك

(١) ابن حبيش : « فسارع » .
(٢) س : « وأصالحك » .

إلى عمر ، واغتبط مَنْ أقام ، وندم من شخص . فقدم كتاب عمر على عبد الله : أن سرْ حتى تقدم على سُهيل بن عدى فتجامعَه على قتال مَنْ بكَرْمان ، وخلّف فى جَىّ من بقى عن جىّ ، واستخلف على إصبهان السائب بن الأقرع .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن نفر من أصحاب الحسن ؛ منهم المبارك بن فَضالة ، عن الحسن ، عن أسيد بن المتشمّس بن أخى الأحنف ، قال : شهدتُ مع أبى موسى فتح إصبهان ، وإنما شهدَها مدداً .

٢٦٤١/١ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : كتاب صلح إصبهان :

بسم الله الرحمن الرحيم . كتاب من عبد الله للفاذوسفان وأهل إصبَهان وحواليها ؛ إنكم آمنون ما أديتم الجِزية ، وعليكم من الجزية بقدر طاقتكم فى كلّ سنة تؤدّونها إلى الذى يلى بلادَكم عن كلّ حالم ؛ ودِلالةُ المسلم وإصلاح طريقه وقِراه يوماً وليلة ، وحُملان الرّاجل إلى مرحلة ، لا تسلّطوا على مسلم ، وللمسلمين نصحُكم وأداء ما عليكم ، ولكم الأمان ما فعلتم ؛ فإذا غيّرتم شيئاً أو غَيّر مغيّرٌ منكم ولم تُسلموه فلا أمان لكم ؛ ومن سبّ مسلماً بُلِغ منه ؛ فإن ضربه قتلناه . وكتب وشهد عبد الله بن قيس ، وعبد الله بن ورقاء ، وعصمة بن عبد الله .

فلما قدم الكتاب من عمر على عبد الله ، وأمِر فيه باللّحاق بسهيل بن عدِىّ بكَرْمان خرج فى جريدة خيل ، واستخلف السائب ، ولحق بسُهيل قبل أن يصل إلى كَرْمان .

* * *

وقد روى عن معقِل بن يَسَار أنّ الذى كان أميراً على جيش المسلمين حين غزوْا إصبهان النعمان بن مقرّن .

* ذكر الرواية بذلك :

٢٦٤٢/١ حدّثنا يعقوب بن إبراهيم وعمرو بن علىّ ، قالا : حدّثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : حدّثنا حماد بن سلَمة ، عن أبى عمران الجَوْنىّ ، عن علقمة

ابن عبد الله المزنى ، عن معقل بن يسار ، أنّ عُمر بن الخطاب شاور الهُرْمزان، فقال : ما ترى ؟ أبدأ بفارس ، أم بأذْرَبيجان ، أم بإصبهان ؟ فقال : إنّ فارس وأذْرَبيجان الجناحان ، وإصبهان الرّأس . فإن قطعت أحدَ الجناحين قام الجناح الآخر ؛ فإن قطعت الرأس وقع الجناحان ؛ فابدأ بالرأس . فدخل عمر المسجد والنعمان بن مقرّن يصلّى ؛ فقعد إلى جنبه، فلمّا قضى صلاتَه ، قال : إنّى أريد أن أستعملَك ؛ قال : [أمّا] جابيًا فلا؛ ولكن غازيًا ؛ قال: فأنت غاز . فوجهه إلى إصبَهان ، وكتب إلى أهل الكوفة أن يُمِدّوه ، فأتاها وبينه وبينهم النهر ،فأرسل إليهم المغيرة بن شعبة، فأتاهم ؛ فقيل لمَلِكهم – وكان يقال له ذو الحاجبين : إنّ رسولَ العرب على الباب ؛ فشاور أصحابه ، فقال : ما ترون ؟ أقعد له فى بَهْجة الملك ؟ فقالوا : نعم ؛ فقعد على سريره ، ووضع التّاج على رأسه ؛ وقعد أبناء الملوك نحو السّماطين عليهم القِرَطة وأسورة الذهب وثياب الدّيباج . ثم أذن له فدخل ومعه رمحه وتُرْسه ، فجعل يطعن برمحه بُسُطهم ليتطيّروا ، وقد أخذ بضبعُيه رجلان، فقام بين يديه ، فكلمه ملكُهم ، فقال : إنكم يا معشرَ العرب أصابكم جوع شديد فخرجتم؛ فإن شئتم أمِرْناكم ورجعتم إلى بلادكم . فتكلّم المغيرة؛ فحمِد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : إنا معاشر العرب ؛ كنا نأكل الجيفَ والمَيْتة ، ويطؤنا الناس ولا نطؤهم؛ وإنّ الله عزّ وجلّ ابتعث منا نبيًّا،أوسطنا حسبًا ، وأصدقنا حديثًا – فذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم بما هو أهلُه – وإنه وعدنا أشياء فوجدناها كما قال ؛ وإنه وعدنا أنا سنظهر عليكم ، ونغلب على ما ها هنا . وإنّى أرى عليكم بِزّة وهيئة ما أرى مَن خلْفى يذهبون حتى يصيبوها .

١/٢٦٤٣

قال : ثمّ قلت فى نفسى : لو جمعت جراميزى[1] ، فوثبت وثبة، فقعدت مع العِلْج[2] على سريره لعلّه يتطيّر ! قال : فوجدت غفلة ؛ فوثبت ؛ فإذا أنا معه على سريره . قال : فأخذوه يتوجّئونه ويطئونه بأرجلهم. قال: قلت:

---

(١) يقال : ضم فلان جراميزه ؛ إذا رفع ما انتشر من ثيابه .

(٢) العلج : الرجل القوى الضخم من كفار العجم .

هكذا تفعلون بالرسل ! فإنا لا نفعل هكذا ، ولا نفعل برسلكم هذا . فقال الملك : إن شئتم قطعتم إلينا، وإن شئتم قطعنا إليكم . قال: فقلت : بل نقطع إليكم . قال : فقطعنا إليهم فتسلسلوا كلّ عشرة فى سلسلة ، وكلّ خمسة وكلّ ثلاثة . قال : فصاففناهم ، فرشقونا حتى أسرعوا فينا ؛ فقال المغيرة للنعمان : يرحمك الله ! إنه قد أسرع فى الناس فاحمل ، فقال : والله إنك لذو مناقب ؛ لقد شهدتُ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم القتال ؛ فكان إذا لم يقاتِل أوّل النهار أخّر القتال حتى تزول الشمس، وتهبّ الرياح ، وينزل النصر . ٢٦٤٤/١

قال : ثمّ قال : إنى هازّ لوائى ثلاث مرات ؛ فأما الهزّة الأولى فقضى رجل حاجته وتوضأ ، وأما الثانية فنظر رجل فى سلاحه وفى شِسْعه فأصلحه ، وأما الثالثة فاحملوا ، ولا يلوينّ أحدٌ على أحد ؛ وإن قتِل النعمان فلا يَلْوِ عليه أحد ؛ فإنّى أدعو الله عز وجلّ بدعوة ؛ فعزمت على كلّ امرئ منكم لمَا أمّن عليها ! اللهمّ أعطِ اليوم النعمان الشهادة فى نصر المسلمين ، وافتح عليهم ؛ وهزّ لواءه أوّل مرة، ثم هزّ الثانية ، ثم هزّه الثالثة ، ثم شَلّ[1] درعه، ثم حمل فكان أوّل صريع ، فقال معقل : فأتيتُ عليه ؛ فذكرت عزمتَه ، فجعلت عليه علَمًا ، ثمّ ذهبت — وكنا إذا قتلنا رجلاً شُغِل عنا أصحابه — ووقع ذوالحاجبين عن بغلته فانشقّ بطنُه ، فهزمهم الله ؛ ثم جئتُ إلى النعمان ومعى إداوة فيها ماء ، فغسلت عن وجهه التراب ، فقال : مَن أنت ؟ قلت : معقِل بن يسار ، قال : ما فعل الناس ؟ فقلت : فتح الله عليهم ، قال : الحمدُ لله ؛ اكتبوا بذلك إلى عمر ؛ وفاضت نفسه .

واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس ، وفيهم ابن عمر وابن الزّبير ، وعمرو بن معديكرب وحُذيفة ، فبعثوا إلى أمّ ولده ، فقالوا : أما عهدَ إليك عهداً ؟ فقالت : ها هنا سَفَط[2] فيه كتاب ، فأخذوه ، فكان فيه : إنْ قُتل النعمان ففلان ، وإن قتل فلان ففلان . ٢٦٤٥/١

* * *

(١) شل درعه : انتزعها وأخرجها .

(٢) السفط : وعاء كالجوالق .

وقال الواقدىّ : فى هذه السنة — يعنى سنة إحدى وعشرين — مات خالد ابن الوليد بحِمْص ، وأوصى إلى عمر بن الخطاب .

قال : وفيها غزا عبدُ الله وعبد الرحمن ابنا عمرو وأبو سَرْوَعة ، فقدِموا مصر ، فشربَ عبدُ الرحمن وأبو سَرْوَعة الخمر ، وكان من أمرهما ما كان .

قال : وفيها : سار عمرو بن العاص إلى أنطابُلُس — وهى بَرْقة — فافتتحها ، وصالح أهل بَرْقه على ثلاثة عشر ألف دينار ، وأن يبيعوا مِن أبنائهم ما أحبّوا فى جزيتهم .

قال : وفيها ولّى عمر بن الخطاب عمّار بن ياسر على الكوفة ، وابن مَسعود على بيت المال ، وعثمان بن حُنَيف على مساحة الأرض ؛ فشكا أهلُ الكوفة عمّاراً ، فاستعفى عمار عمرَ بن الخطاب ، فأصاب جُبير بن مطعِم خاليًا فولاّه الكوفة ، فقال : لا تذكره لأحد ؛ فبلغ المغيرةَ بن شعبة أنّ عمَرَ خلاَ بجُبير بن مطعِم ، فرجع إلى امرأته ، فقال : اذهبى إلى امرأة جُبَيْر بن مطعِم ، فاعرضى عليها طعام السَّفَر ؛ فأتتها فعرضت عليها ، فاستعجمت عليها ، ثم قالت : نعم ، فجيئيني به ؛ فلما استيقن المغيرة بذلك جاء إلى عمر ، فقال : بارك الله لك فيمن ولّيت ! قال : فمن ولّيت ؟ فأخبره أنه ولّى جُبير ابن مطعِم ، فقال عمر : لا أدرى ما أصنع ! وولى المغيرة بن شعبة الكوفةَ ؛ فلم يزل عليها حتى مات عمر . ١/٢٦٤٦

قال : وفيها بعث عمرو بن العاص عُقْبة بن نافع الفهرىّ ، فافتتح زَوِيلة بصلح[1] وما بين برقة وزَوِيلة سِلْم للمسلمين .

وحدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان بالشأم فى سنة إحدى وعشرين غزوة الأمير معاوية بن أبى سفيان ، وعمير بن سعد الأنصارىّ على دمشق والبثنيّة وحَوْران وحِمص وقنّسرين والجزيرة ، ومعاوية على البلقاء والأردنّ وفلَسطين والسواحل وأنطاكيَةَ ومعرّة

(١) س : « لصلح » ، ابن الأثير : « صلحا » .

مَصْرِين وقِلِقيّة . وعند ذلك صالح أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس على قِلِقيّة وأنطاكيَة ومَعَرّة مَصْرِين .

وقيل : وفيها ولِد الحسن البصرى وعامر الشعبيّ .

قال الواقديّ : وحجّ بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب ، وخلّف على المدينة زيد بن ثابت ؛ وكان عاملَه على مكة والطائف واليمن واليمامة ١/٢٦٤٧ والبحرين والشأم ومصر والبصرة مَنْ كان عليها فى سنة عشرين ، وأما الكوفة[1] فإنّ عامله عليها كان عمّار بن ياسر ، وكان إليه الأحداث ، وإلى عبد الله ابن مسعود بيت المال ، وإلى عثمان بن حُنَيف الخراج ، وإلى شُريح — فيما قيل — القضاء .

(١) س : « وأما أهل الكوفة » .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين

[ذكر فتح هَمَذان]

قال أبو جعفر : ففيها فتِحت أذْرَبيجان، فيما حدّثني أحمد بن ثابت الرازىّ ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، قال : كانت أذْرَبيجان سنة اثنتين وعشرين ، وأميرها المغيرة بن شعبة . وكذلك قال الواقدىّ .

وأما سيف بن عمر ، فإنه قال فيما كتب إلىّ به السرىّ عن شعيب عنه ، قال : كان فتح أذْرَبيجان سنة ثمان عشرة من الهجرة بعد فتح هَمَذان والرّىّ وجُرجان وبعد صلح إصبهْبَذ طَبَرِسْتان المسلمين . قال : وكلّ ذلك كان فى سنة ثمان عشرة .

قال : فكان سبب فتح هَمَذان — فيما زعم — أنّ محمداً والمهلب وطلحة وعمراً وسعيداً أخبروه أنّ النعمان لما صُرِف إلى الماهَيْن لاجتماع الأعاجم إلى نِهاوند، وصُرِف إليه أهلُ الكوفة وافوْه مع حُذَيفة ؛ ولما فصل أهلُ الكوفة من حُلوان وأفضوْا إلى ماه هَجموا على قلعة فى مَرْج فيها مسلَحة ، فاستنزلوهم، وكان أوّل الفتح، وأنزلوا مكانهم خيلاً يمسكون بالقلعة ، فسمَّوْا معسكرهم بالمرْج[1]؛ مرْج القلعة؛ ثم ساروا من مَرْج القلعة نحو نِهاوند ؛ حتى إذا انتهوْا إلى قلْعة-فيها قوم خلّفوا عليها النُّسيرَ بن ثور فى عِجْل وحَنيفة؛ فنُسِبت إليه؛ وافتتحها بعد فتح نِهاوند ولم يشهد نِهاوند عِجْلىّ ولا حَنفِىّ- أقاموا مع النُّسَير على القلعة ، فلما جمعوا فىءَ نهاوند والقلاع أشرِكوا فيها جميعًا ؛ لأنّ بعضهم قوّى بعضًا . ثم وصفوا ما استقروْا فيما بين مَرْج القلعة وبين نِهاوند مما مرّوا به قبل ذلك فيما استقرُّوا من المرْج

١/٢٦٤٨

(٢) س : « بالقلعة » .

إليها بصفاتها ، وازدحمت الرّكاب فى ثَنيّة من ثنايا مَاه ، فسمّيت بالركاب ، فقيل : ثِنيّة الرّكاب . وأتوْا على أخرى تدور طريقها بصخرة ، فسمَّوْها ملْوِيّة ، فدرست أسماؤها الأولى ، وسمّيت بصفاتها ، ومرُّوا بالجبل الطويل المشرف على الجبال ، فقال قائل منهم :كأنه سِنٌّ سُمَيْرة — وسُميرة امرأة من المهاجرات من بنى معاوية ، ضَبّية لها سنّ مشرفة على أسنانها ، فسمّى ذلك الجبل بسنّها — وقد كان حذيفة أتبعَ الفالّةَ — فالّة نِهاوند — نُعيمَ بن مقرّن والقعقاعَ بن عمرو ؛ فبلغا هَمَذان ، فصالحهم خُسْرُوشُنُوم ، فرجعا عنهم ، ثم كفر بعدُ . فلمّا قدم عهدُه فى العهود من عند عمر وَدّع حُذَيفة وودّعه حُذيفة ؛ هذا يريد هَمَذان ، وهذا يريد الكوفة راجعًا . واستخلف على الماهيْن عمرَو بن بلال بن الحارث.

١/٢٦٤٩

وكان كتاب عُمر إلى نُعيم بن مقرّن : أنْ سِرْ حتى تأتى هَمَذان ، وابعث على مقدّمتك سُوَيد بن مقرّن ، وعلى مجنّبتيك رِبعىّ بن عامر ومهلهل ابن زيد ؛ هذا طائىّ ، وذاك تميمىّ . فخرج نُعيم بن مقرّن فى تعبيته حتى نزل ثنيّة العَسَل — وإنما سُمّيت ثنيّة العسل بالعسل الذى أصابوا فيها غبّ وقعة نِهاوند حيث أتبعوا الفالّة — فانتهى الفيرُزان إليها ، وهى غاصّة بحوامل تحمل العَسَل وغير ذلك ؛ فحبست الفيرُزان حتى نزل ؛ فتوقّل فى الجبل وغارَ فرسُه فأدرِك فأصيب . ولما نزلوا كِنْكِوَر سرقتْ دوابّ من دوابّ المسلمين ، فسمّى قصر اللصوص .

ثم انحدر نُعيم من الثّنيّة حتى نزل على مدينة هَمَذان ، وقد تحصّنوا منهم ، فحصرهم فيها ، وأخذ ما بين ذلك وبين جَرْميذان ، واستولَوْا على بلاد هَمَذان كلها . فلما رأى ذلك أهلُ المدينة سألوا الصّلح ، على أن يُجريهم ومن استجاب مُجرًى واحداً ، ففعل ، وقبل منهم الجزاء على المنَعة ، وفرّق دَسْتَبَى بين نفر[1] من أهل الكوفة ، بين عصمة بن عبد الله الضبّىّ ومهلهل[2] بن زيد الطائىّ وسِماك بن عُبَيد العبسىّ وسماك بن مخرمة الأسدىّ ،

١/٢٦٥٠

(١) ابن حبيش : « النفر » .
(٢) ابن حبيش : « وبين مهلهل » .

وسِمَاك بن خرَشة الأنصاريّ ؛ فكان هؤلاء أوّل من وَلِيَ مسالح دَسْتَبى وقاتل الدّيلَم .

* * *

وأما الواقدىّ فإنه قال : كان فتح همَذان والرّى فى سنة ثلاث وعشرين .

قال : ويقال افتتح الرّىّ قَرَظة بن كعب .

وحدّثنى ربيعة بن عثمان أنّ فَتْح همَذان كان فى جُمادى الأولى ، على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب ؛ وكان أميرها المغيرة بن شعبة .

قال : ويقال : كان فتح الرّىّ قبل وفاة عمر بسنتين ، ويقال : قتل عُمر وجيوشه عليها .

* * *

رجع الحديث إلى حديث سيف . قال : فبينما نُعيم فى مدينة همَذان فى توطئتها فى اثنى عشر ألفًا من الجنْد تكاتب الدَّيْلم وأهل الرّى وأهل أذْرَبيجان ، ثم خرج موتا فى الدّيلم حتى ينزل بواج رُوذ ؛ وأقبل الزينبىّ أبو الفَرُّخان فى أهل الرّىّ حتى انضمّ إليه ، وأقبل إسفَنْدياذ أخو رُسْتم فى أهل أذْرَبيجان ؛ حتى انضمّ إليه ، وتحصّن أمراء مسالح دَسْتَبى ، وبعثوا إلى نعيم بالخبر ، فاستخلف يزيد بن قيس ، وخرج إليهم فى الناس حتى نزل عليهم بواج الرّوذ ، فاقتتلوا بها قتالا شديداً ؛ وكانت وقعة عظيمة تعدِل نِهاوند ؛ ولم تكن دونها ، وقتل من القوم مقتلةٌ عظيمة لا يحصَوْن ولا تقصر ملحمتهم من الملاحم الكبار ؛ وقد كانوا كتبوا إلى عمر باجتماعهم ، ففزع منها عمر ، واهتمّ بحربها ، وتوقع ما يأتيه عنهم ، فلم يفجأه إلاّ البريد بالبِشارة ، فقال : أبشير ! فقال : بل عروة ؛ فلما ثنى عليه : أبشير ؟ فطِن ، فقال : بشير ؛ فقال عمر : رسول نُعَيم ؟ قال : رسول نُعَيم ، قال : الخبر ؟ قال : البشرى بالفتح والنصر ؛ وأخبره الخبر ؛ فحمِد الله ، وأمر بالكتاب فقرئ على الناس ؛ فحمِدوا الله . ثم قدم سِماك بن مَخْرمة وسِماك بن عُبيد وسِماك بن خرَشة فى وفود من وفود أهل الكوفة بالأخماس على عمر ، فنسبهم ، فانتسب له سِماك

١/٢٦٥١

وسماك وسماك ، فقال : بارك الله فيكم ؛ اللهمّ اسْمُكْ بهم الإسلام[١] وأيِّدهم بالإسلام . فكانت دَسْتَبى من هَمَذان ومسالحها إلى هَمَذان ، حتى رجع الرّسول إلى نعيم بن مقرّن بجواب عمر بن الخطّاب : أما بعدُ ، فاستخلف على هَمَذان ، وأمدّ بُكَير بن عبد الله بسماك بن خَرَشة ، وسِرْ حتى تقدم الرّيّ ، فتلق جمعهم ، ثم أقِمْ بها ، فإنها أوسطُ تلك البلاد وأجمعها لما تريد . فأقرّ نُعيم يزيد بن قيس الهَمْدانيّ على هَمَذان ، وسار من واج الرُّوذ بالناس إلى الريّ . ١/٢٦٥٢

وقال نعيم فى واج الرّوذ :

لمّا أتانى أن موتا ورَهْطه ... بنى باسِلٍ جَرُّوا جُنودَ الأعاجِمِ[٢]

نَهَضتُ إليهم بالجنود مُسامياً ... لأمْنعَ منهم ذِمَّتى بالقَواصِمِ

فجئنا إليهم بالحديدِ كأننا[٣] ... جِبالٌ تراءى من فُروع القَلاسِمِ

فلما لَقِيناهُمْ بهـا مُسْتفيضَةً ... وقد جعلوا يَسْمون َفِعْلَ المُساهِمِ

صَدَمْناهمُ فى واجِ رُوذَ بجمْعنا ... غداةَ رَمَيْناهمْ بإحدى العظائمِ

فما صبروا فى حَوْمَةِ الموتِ ساعةً ... لحدِّ الرِّماحِ والسيوفِ الصَّوارِمِ

كأنهُمْ عند انبثاثِ جُموعِهِمْ ... جِدارٌ تَشَظَّى لَبْنُهُ لِلهَوادِمِ

أصَبْنا بها موتا ومَنْ لفَّ جَمْعَه ... وفيها نِهابٌ قَسْمُهُ غيرُ عاتِمِ

تَبِعْناهُمُ حتى أوَوْا فى شِعابِهِمْ ... نُقتِّلُهُمْ قَتْلَ الكِلابِ الجَواحِمِ ١/٢٦٥٣

كأنهُمُ فى واجِ رُوذَ وَجَوِّهِ ... ضَئينٌ أصابَتْها فُروجُ المخارِمِ

وسماك بن مَخْرمة هو صاحب مسجد سِماك .

---

(١) س : « أيد بهم الإسلام » . ابن كثير : « أمد بهم الإسلام » .

(٢) ياقوت ٨ : ٣٧٠ ، وروايته :

فلمّا أتانى أن موتا ورهطه ... بنى باسِلٍ جرُّوا خيول الأعاجِمِ

(٣) ابن حبيش : « كأنها » .

وأعاد فيهم نعيم كتاب صلح هَمَذان ، وخلّف عليها يزيد بن قيس الهَمْدانيّ ، وسار بالجنود حتى لحق بالرّيّ ، وكان أوّل نسل الدّيلم من العرب ، وقاولهم فيه نُعيم .

* * *

فتح الرّيّ

قالوا : وخرج نُعَيم بن مقرّن من واج رُوذ فى الناس — وقد أخربها — إلى دَستَبَى ، ففصل منها إلى الرّيّ ، وقد جمعوا له ، وخرج الزينبيّ أبو الفرّخان ، فلقيه الزينبيّ بمكان يقال له قِهَا مسالمًا ومخالفًا لملك الريّ ، وقد رأى من المسلمين ما رأى مع حسد سِياوَخْش وأهل بيته ، فأقبل مع نُعيم والملك يومئذ بالريّ سياوَخْش بن مهران بن بَهْرام شوبين ، فاستمدّ أهل ١/٢٦٥٤ دُنْباوَنْد وَطبرسْتان وقُومِس وجُرْجان . وقال : قد علمتم أنّ هؤلاء قد حلّوا بالرّيّ ، إنه لا مقام لكم ، فاحتشدوا له ، فناهده سِياوَخْش ، فالتقوْا فى سَفْح جبل الرّيّ إلى جنب مدينتها ، فاقتتلوا به ، وقد كان الزينبيّ قال لنُعيم : إنّ القوم كثير ، وأنت فى قلّة ؛ فابعث معى خيلاً أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به ، وناهِدْهم أنت ، فإنهم إذا خرجوا عليهم لم يثبتُوا لك . فبعث معه نُعيم خيلاً من الليل ، عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو ، فأدخلهم الزينبيّ المدينة ، ولا يشعر القوم ، وبيّتهم نُعيم بياتًا فشغلهم عن مدينتهم ، فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعُوا التكبير من ورائهم . ثمّ إنهم انهزموا فقتلوا مقتلةً عُدّوا بالقَصب فيها ، وأفاء الله على المسلمين بالرّىّ نحوًا من فىء المدائن ، وصالحه الزينبيّ على أهل الرّيّ ومَرْزَبه[1] عليهم نُعيم ، فلم ١/٢٦٥٥ يزل شرف الريّ فى أهل الزينبيّ الأكبر ، ومنهم شَهْرام وفَرُّخان ، وسقط آل بهرام ، وأخرب نُعيم مدينتهم ، وهى التى يقال لها العتيقة — يعنى مدينة الرّيّ — وأمر الزينبيّ فبنى مدينة الرّيّ الحُدْثَى . وكتب نُعَيم إلى عمر بالذى فتح الله عليه مع المضارِب العجلىّ ، ووفّد بالأخماس مع عُتيبة بن النّهاس وأبى مفزّر فى وجوه من وجوه أهل الكوفة ، وأمدّ بكير بن عبد الله بسماك بن

(١) مرزبه عليهم ، أى ولاه مرزباناً عليهم . والمرزبان : رئيس الفرس .

خَرَشة الأنصاريّ بعد ما فتح الرّى ، فسار سِماك إلى أذْربيجان مدداً لبكير ، وكتب نُعيم لأهل الرّى كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى نُعيم بن مقرّن الزينبيَّ بن قُوله ، أعطاه الأمان على أهل الرّىّ ومَن كان معهم من غيرهم على الجزاء ، طاقة كلّ حالم فى كلّ سنة ، وعلى أن ينصحوا ويدلُّوا ولا يُغِلُّوا ولا يُسِلُّوا ، وعلى أن يَقْروا المسلمين يوماً وليلة ، وعلى أن يفخّموا المسلم ، فمن سبّ مسلماً أو استخفّ به نُهِك عقوبة ، ومَنْ ضربه قُتِل ، ومَن بدّل منهم فلم يسلَم برُمّته فقد غيّر جماعتكم . وكتب وشهد .

١/٢٦٥٦ وراسله المَصْمُغان فى الصّلح على شىء يفتدى به منهم من غير أن يسأله النصر والمنَعة ، فقبل منه ، وكتب بينه وبينه كتاباً على غير نصر ولا معونة على أحد ، فجرى ذلك لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من نُعَيم بن مقرّن لمَرْدانْشاه مَصْمُغان دُنْباوند وأهل دُنْباوند والخُوار واللارِز والشِّرْز . إنك آمن ومَن دخل معك على الكفّ ، أن تكفّ أهل أرضك ، وتتقى من ولى الفرْج بمائتى ألف درهم وَزْنَ سبعة فى كلّ سنة ، لا يغار عليك ، ولا يدخل عليك إلاّ بإذن ؛ ما أقمت على ذلك حتى تغيِّر ، ومَنْ غيّر فلا عهد له ولا لمن لم يسلمه . وكتب وشهد .

* * *

فتح قومِس

قالوا : ولما كتب نُعيم بفتح الرّىّ مع المُضارب العجلىّ ، ووفّد بالأخماس كتب إليه عُمر : أن قدّم سُويد بن مقرّن إلى قومِس ، وابعث على مقدّمته سماك بن مَخْرَمة وعلى مجنّبتيه عُتَيبة بن النّهاس وهند بن عمرو الجملىّ ، ١/٢٦٥٧ ففصل سُويد بن مقرّن فى تعبيتِه من الرّىّ نحو قُومِس ؛ فلم يقمْ له أحدٌ ؛ فأخذها سِلْماً ، وعسكر بها ، فلمّا شربوا من نَهرِهم يقال له ملاذ ، فشا فيهم القَصَر (١) ؛ فقال لهم سويد : غيِّروا ماءكم حتى تعودوا كأهله ؛ ففعلوا ،

(١) كذا فى ط ، والقصر بالتحريك : يبس فى العنق .

واستمرءوه ، وكاتبه الذين لجئُوا إلى طَبَرِستان منهم ، والذين أخذوا المفاوز ، فدعاهم إلى الصلح والجِزاء ، وكتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سويد بن مقرّن أهلَ قومِس ومن حَشَوْا من الأمان على أنفسهم ومللهم وأموالهم ، على أن يؤدّوا الجزية عن يد ؛ عن كلّ حالم بقدر طاقته ؛ وعلى أن ينصحوا ولا يغشّوا ، وعلى أن يدلّوا ، وعليهم نُزْل مَنْ نزل بهم من المسلمين يومًا وليلة من أوسط طعامهم ، وإن بدّلوا واستخفّوا بعهدهم فالذمّة منهم بريئة . وكتب وشهد .

* * *

فتح جُرْجان

قالوا : وعسكر سُويد بن مقرّن ببِسطام ، وكاتب ملك جرجان رُزْبان صول ثم سار(١) إليها ، وكاتبه رُزْبان صول ، وبادره بالصّلح على أن يؤدّيَ الجِزاء ، ويكفيه حرب جُرجان ، فإن غلب أعانه . فقبل ذلك منه ، وتلقّاه رُزْبان صُول قبل دخول سُوَيد جُرجان ؛ فدخل معه ، وعسكر بها حتى جبىَ إليه الخراج ، وسمى فروجها ، فسدّها بتُرْك دِهِسْتان ، فرفع الجِزاء عمّن أقام يمنعها ، وأخذ الخراج من سائر أهلها ؛ وكتب بينهم وبينه كتابًا : ١/٢٦٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من سُويد بن مقرّن لِرُزْبان صُول ابن رُزْبان وأهل دِهِسْتان وسائر أهل جُرْجان ؛ إنّ لكم الذّمة ، وعلينا المَنْعة ؛ على أنّ عليكم من الجِزاء فى كلّ سنة على قَدْر طاقتكم ؛ على كلّ حالم ؛ ومن استعنّا به منكم فله جزاؤه فى معونته عِوضًا من جزائه ؛ ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ، ولا يغيَّر شيء من ذلك هو إليهم ما أدّوا وأرشدوا ابنَ السبيل ونصحوا وقَرَوا المسلمين ، ولم يبد منهم سَلّ ولا غَلّ ، ومَن أقام فيهم فله مثل ما لهم ، ومَنْ خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنَه ؛ وعلى أنّ من سبّ مسلمًا بُلِغَ جهده ، ومن ضربه حلّ دمه . شهد سواد بن قطبة ، وهند بن عمرو ، وسِماك بن مَخْرمة ، وعتيبة بن النّهاس . وكتب فى سنة ثمان عشرة . ١/٢٦٥٩

(١) ابن حبيش : « صار » .

وأما المدائنىّ ، فإنه قال — فيما حدّثنا أبو زيد ، عنه[1] : فُتِحت جُرجان فى زمن عثمان سنة ثلاثين .

* * *

فتح طَبَرِستان

قالوا : وأرسل الإصبَهبذ سُوَيداً فى الصّلح ، على أن يتوادعا ، ويجعل له شيئًا على غير نصر ولا معونة على أحد ؛ فقبل ذلك منه ، وجرى[2] ذلك لهم ، وكتب له كتابًا :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من سُويد بن مقرّن للفرُّخان إصبَهبذ خُراسان على طَبَرِستان وجيل جيلان من أهل العدوّ ؛ إنك آمن بأمان الله عزّ وجلّ على أن تكفّ لُصُوتَك[3] وأهلَ حواشى أرضك، ولا تُؤْوىَ لنا بُغْية، وتتّقىَ من ولى فَرْج أرضك بخمسمائة ألف درهم من دراهم أرضك، فإذا فعلت ذلك فليس لأحد منا أن يُغير عليك، ولا يتطرّق أرضك، ولا يدخل عليك إلاّ بإذنك ؛ سبيلنا عليكم بالإذن آمنة ؛ وكذلك سبيلكم، ولا تؤوون لنا بغية ، ولا تسلّون لنا إلى عدوّ ، ولا تغلّون ، فإن فعلتم فلا عهد بيننا وبينكم . شهد سواد بن قطبة التميمىّ ، وهند بن عمرو المُرادىّ ، وسماك بن مَخرمة الأسدىّ، وسِماك بن عُبيد العبسىّ ، وعتيبة بن النهّاس البكرىّ . وكتب سنة ثمان عشرة . ١/٢٦٦٠

* * *

فتح أذْرَبيجان

قال : ولما افتتح نُعيم همَذان ثانية ، وسار إلى الرىّ من واج رُوذ ، كتب إليه عمر : أنْ يبعث سماك بن خرَشة الأنصارىّ مُمدًّا لبُكير بن عبد الله بأذْرَبيجان ؛ فأخّر ذلك حتى افتتح الرىّ ، ثم سرّحه من الرّىّ ، فسار سماك نحو بُكير بأذْرَبيجان ؛ وكان سماك بن خرَشة وعُتْبة بن فرْقد

---

(١) زاد فى س : « قال » . (٢) س : « وأجرى » .
(٣) ابن حبيش : « نعرتك » ولصوتك ، يريد : لصوصك .

من أغنياء العرب ؛ وقدما الكوفة بالغنى ؛ وقد كان بكير سار حين بُعِث إليها ؛ حتى إذا طلع بجبال جَرْميذان — طلع عليهم إسْفَنْدياذ بن الفَرُّخْزاذ مهزوماً من واج روذ، فكان أوّل قتال لقيه بأذْرَبيجان ، فاقتتلوا ، فهزم الله جندَه ؛ وأخذ بُكير إسفندِياذ أسيراً ، فقال له إسفندياذ : الصلح أحبُّ إليك أم الحرب ؟ قال : بل الصلح ، قال : فأمسكِني عندك ؛ فإنّ أهل أذربيجان إن لم أصالح عليهم أو أجئ لم يقيموا لك ، وجَلَوْا إلى الجبال التى حَوْلها من القَبْج والروم ومَن كان على التحصّن تحصّن إلى يوم ما ، فأمسكه عنده ، فأقام وهو فى يده ، وصارت البلاد إليه إلاّ ما كان من حصن . وقدم عليه سِماك بن خَرَشة مُمِدًّا [1] وإسفندياذ فى إساره ، وقد افتتح ما يليه، وافتتح عتبة بن فرقد ما يلِيه . وقال بُكير لسِماك مقدَمه عليه، ومازحه : ما الذّى أصنع بك وبعتبة بأغْنَيين ؟ لئن أطعت ما فى نفسى لأمضينّ قُدما ولأخلّفنّكما ، فإن شئت أقمتَ معى ، وإن شئت أتيت عُتْبة فقد أذنت لك ، فإنى لا أرانى إلاّ تارككما وطالبًا وجهاً هو أكره من هذا . فاستعفى عمر ؛ فكتب إليه بالإذن على أن يتقدّم نحو الباب ؛ وأمره أن يستخلف على عمله ، فاستخلف عُتبة على الذى افتتح منها ، ومضى قُدما ، ودفع إسفندياذ إلى عُتبة ، فضمّه عُتبة إليه، وأمّر عُتْبة سِماك بن خَرَشة — وليس بأبى دُجَانة — على عمل بُكير الذى كان افتتح ، وجمع عمر أذْرَبيجان كلّها لعتبة بن فرقد .

٢٦٦١/١

قالوا : وقد كان بَهْرام بن الفرُّخزاذ أخذ بطَرِيق عُتبة بن فرقد ، وأقام له فى عسكره حتى قدم عليه عُتْبة ، فاقتتلوا، فهزمه عُتْبة ، وهرب بَهرام . فلما بلغ الخبر بهزيمة بَهْرام ومهربه إسفندياذ وهو فى الإسار عند بُكير ، قال : الآن تمّ الصّلح ، وطفِئت الحرب، فصالحه ، وأجاب إلى ذلك كلهم، وعادت أذْرَبيجان سِلْماً ، وكتب بذلك بُكير وعُتْبة إلى عُمر ، وبعثوا بما خمّسوا مما أفاء الله عليهم ، ووفّدُوا الوفود بذلك؛ وكان بُكَير قد سبق عُتْبة بفتح ما ولى، وتمّ الصلح بعد ما هزم عتبة بَهْرام . وكتب عُتبة بينه

٢٦٦٢/١

(١) س : « هذا » .

وبين أهل أذْرَبيجان كتاباً حيث جُمع له عمل بكير إلى عمله :

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عُتْبة بن فرقد، عامل عمر بن الخطّاب أمير المؤمنين أهل أذْرَبيجان — سهلها وجبلها وحواشيها وشفارِها وأهل مِلَلها — كلّهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ؛ على أن يؤدّوا الجزية على قَدْر طاقتهم ، ليس على صبيّ ولا امرأة ولا زمِن[1] ليس فى يديه شيء من الدنيا ، ولا متعبّد متخلٍّ ليس فى يديه من الدنيا شيء ، لهم ذلك ولمن سكن معهم ؛ وعليهم قِرى المسلم[2] من جنود المسلمين يوماً وليلة ودلالته ، ومَنْ حُشِر منهم فى سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ، ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك ، ومَنْ خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى حِرْزه . وكتب جندب ، وشهد بكير بن عبد الله الليثى وسماك بن خرشة الأنصاريّ . وكتب فى سنة ثمان عشرة .

* * *

قالوا : وفيها ، قدم عتبة على عمر بالخَبِيص الذى كان أهداه له ، وذلك أنّ عمر كان يأخذ عمّاله بموافاة الموسم فى كلّ سنة يحجُر عليهم بذلك الظلم ، ويحجزهم به عنه[3] .

* * *

فتح الباب

وفى هذه السنة كان فتح الباب فى قول سيف وروايته ، قال : وقالوا ١/٢٦٦٣ — يعنى الذين ذكرت أسماءهم قبل : ردّ عمُر أبا موسى إلى البصرة ، وردّ سرُاقة بن عمرو — وكان يدعَى ذا النور — إلى الباب ، وجعل على مقدّمته عبد الرحمن بن ربيعة — وكان أيضاً يدعى ذا النور[4] — وجعل على إحدى المجنّبتين حُذَيفة بن أسِيد الغفاريّ ، وسمّى للأخرى بكير بن عبد الله الليثيّ — وكان بإزاء الباب قبل قدوم سرُاقة بن عمرو عليه ، وكتب إليه أن يلحق به —

(١) الزمن : الضعيف. وفى س : « ولا من ليس فى يديه » .
(٢) س وابن حبيش : « المسلمين » . (٣) س : « يحجز بذلك عليهم » .
(٤) ابن كثير : « النون » .

وجعل على المقاسِم سَلْمان بن ربيعة . فقدّم سُراقة عبد الرحمن بن ربيعة ، وخرج فى الأثر ، حتى إذا خرج من أذْرَبيجان نحو الباب ، قدم على بُكير فى أدانى الباب ، فاستدفّ ببكير ، ودخل بلاد الباب على ما عبّاه عمر . وأمدّه عمر بحبيب بن مسلمة ، صرفه إليه من الجزيرة ، وبعث زياد بن حنظلة مكانَه على الجزيرة . ولما أطلّ عبد الرحمن بن ربيعة على الملك بالباب — والملك بها يومئذ شهربراز ، رجل من أهل فارس ؛ وكان على ذلك الفرْج ، وكان أصله من أهل شهربراز الملك الذى أفسد بنى إسرائيل ، وأعرَى الشأم منهم — فكاتبه شهربراز ، واستأمنه على أن يأتيَه ، ففعل فأتاه ، فقال : ١/٢٦٦٤ إنّى بإزاء عدوّ كَلِب وأمم مختلفة ، لا يُنْسَبون إلى أحساب ، وليس ينبغى لذى الحسب والعقل أن يُعِين أمثال هؤلاء ، ولايستعين بهم على ذوى الأحساب والأصول ، وذو الحسب قريب ذى الحسب حيث كان ، ولست من القبْج فى شىء ؛ ولا من الأرمن ؛ وإنكم قد غلبتم على بلادى وأمتى ، فأنا اليوم منكم ويدى مع أيديكم ، وصَغْوِى[1] معكم ، وبارك الله لنا ولكم ، وجِزْيتنا إليكم النصر لكم ، والقيام بما تحبّون ، فلا تذلّونا بالجزية فتوهنونا لعدوّكم . فقال عبد الرحمن : فوقى رجلٌ قد أظلك فسرْ إليه ، فجوّزه ، فسار إلى سُراقة فلقيَه بمثل ذلك ، فقال سراقة : قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا ما دام عليه ، ولا بدّ من الجِزاء ممّن يقيم ولا ينهض . فقبل ذلك ، وصار سنّة فيمن كان يحارِب العدوّ من المشركين ، وفيمن لم يكن عنده الجِزاء ، إلّا أن يستنفَروا فتُوضع عنهم جِزاء تلك السنة . وكتب سُراقة إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فأجازه وحسّنه ، وليس لتلك البلاد التى فى ساحة ١/٢٦٦٥ تلك الجبال نَبَك[2] لم يُقِم الأرمن بها إلّا على أوْفاز ؛ وإنما هم سكان ممّن حولها ومن الطرّاء استأصلت الغارات نَبَكها من أهل القرار ، وأرَز أهل الجبال منهم إلى جبالهم ، وجلَوْا عن قرار أرضهم ، فكان لا يقيم بها إلا الجنود ومن أعانهم أو تجر إليهم ؛ واكتتبوا من سُراقة بن عمرو كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين

---

(١) الصغو : الميل . (٢) النبك : المكان المرتفع .

عمر بن الخطاب شهربراز وسكان أرمينية والأرْمن من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وملّتهم ألاّ يضارّوا ولا ينتقَضوا ، وعلى أهل أرمينية والأبواب ؛ الطرّاء منهم والتُّنّاء[1] ومَن حولهم فدخل معهم أن ينفِروا لكلّ غارة ، وينفذُوا لكلّ أمر ناب أو لم ينُبْ رآه الوالى صلاحاً ؛ على أن توضع الجزاء عمّن أجاب إلى ذلك إلاّ الحشْر ، والحشْر عِوَضٌ من جزائهم ومن استُغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذْرَبيجان من الجِزاء والدلالة والنُّزْل يوماً كاملاً ، فإن حُشِروا وضع ذلك عنهم ، وإن تركوا أخِذوا به . شهد عبد الرحمن بن ربيعة ، وسلْمان بن ربيعة ، وبُكير بن عبد الله . وكتب مَرْضِيّ بن مقرّن وشهد . ٢٦٦٦/١

ووجّه سُراقة بعد ذلك بُكير بن عبد الله وحَبيب بن مسلمة وحُذيفة بن أسِيد وسلْمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية ، فوجّه بُكيرًا إلى مُوقان ، ووجه حبيباً إلى تَفْلِيس ، وحُذيفة بن أسِيد إلى مَن بجبال اللاّن ، وسَلْمان بن ربيعة إلى الوجْه الآخر ، وكتب سراقة بالفتح وبالذى وجّه فيه هؤلاء النفر إلى عمر بن الخطاب ، فأتى عمرَ أمرٌ لم يكن يرى أنه يستتمّ له على ما خرج عليه فى سَرِيح بغير مؤونة . وكان فرْجاً عظيماً به جند عظيم ، إنما ينتظر أهل فارس صَنيعهم ، ثم يضعون الحرب أو يبعثونها .

فلما استوسَقوا واستحلْوا عَدْل الإسلام مات سُراقة ، واستخلف عبد الرحمن ابن ربيعة ، وقد مضى أولئك القوّاد الذين بعثهم سراقة ، فلم يفتح أحد منهم ما وجّه له إلاّ بكير فإنه فضّ مُوقان ، ثم تراجعوا على الجِزية ، فكتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى بُكير بن عبد الله أهلَ مُوقان من جبال القَبْج الأمانَ على أموالهم وأنفسهم وملّتهم وشرائعهم على الجِزاء ، دينار على كلّ حالم أو قيمته ، والنصح ، ودِلالة المسلم ونُزْله يومَه وليلتَه ، فلهم الأمان ما أقرّوا ونصحُوا ، وعلينا الوفاء ؛ والله المستعان . فإن تركوا ذلك واستبان منهم غِشّ فلا أمان لهم إلا أن يسلِموا الغَشَشَة برُمّتهم ؛ وإلاّ فهم متمالئون . شهد الشمّاخ بن ضِرار والرُّسارس بن جنادب ، وحمَلة بن جُوَيّة . وكتب سنة إحدى وعشرين . ٢٦٦٧/١

(١) تنأ بالبلد : أقام .

قالوا: ولما بلغ عمرَ موت سُراقة واستخلافُه عبد الرحمن بن ربيعة أقرّ عبد الرحمن على فَرْج الباب، وأمره بغزو التُّرك، فخرج عبدُ الرحمن بالناس حتى قطع الباب، فقال له شهربراز: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد بلَنْجر؛ قال: إنّا لنرضَى منهم أن يَدَعُونا من دون الباب. قال: لكنّا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيَهُم في ديارهم؛ وتالله إنّ معنا لأقوامًا لو يأذن لنا أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الرَّدْم. قال: وما هم؟ قال: أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا في هذا الأمر بنيّة، كانوا أصحاب حياء وتكرّم في الجاهلية، فازداد حياؤهم وتكرّمهم، فلا يزال هذا الأمر دائمًا لهم، ولا يزال النصر معهم حتى يغيّرهم مَن يغلبهم، وحتى يُلْفَتُوا عن حالهم بمن غيّرهم. فغزا بَلَنْجَرَ غزاة في زمن عمر لم تئِمْ فيها امرأة، ولم ييتَم فيها صبيّ، وبلغ خيله في غزاتها[1] البَيْضاء على رأس مائتي فرسخ من بَلَنْجر، ثم غزا فسلِم؛ ثمّ غزا غزوات في زمان عثمان، وأصيب عبدالرحمن حين تبدّل أهل الكوفة في إمارة عثمان لاستعماله مَن كان ارتدّ استصلاحاً لهم، فلم يصلحهم ذلك، وزادهم فساداً أن سادهم من طلب الدنيا، وعَضَّلوا بعثمان حتى جعل يتمثل: ١/٢٦٦٨

وكُنْتُ وعَمْراً كالمُسَمِّن كَلْبَهُ   فخَدَّشَهُ أنيـــابُهُ وأظافِرُهْ

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم، عن رجل، عن سَلمان بن ربيعة، قال: لما دخل عليهم عبد الرحمن بن ربيعة حال الله بين الترك والخُروج عليه، وقالوا: ما اجترأ علينا هذا الرجل إلاّ ومعـــه الملائكة تمنعه من الموت؛ فتحصنوا منه وهربوا، فرجع بالغُنْم والظَّفَر، وذلك في إمارة عمر؛ ثم إنه غزاهم غزوات في زمن عثمان، ظفر كما كان يظفر، حتى إذا تبدّل أهلُ الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتدّ فغزاهم بعد ذلك، تذامرت الترك وقال بعضهم لبعض: إنهم لا يموتون، قال: انظروا، وفعلوا فاختفوْا لهم في الغياض؛ فرمَى رجلٌ منهم رجلا من

(١) س: «غاراتها».

المسلمين على غِرّة فقتله ، وهرب عنه أصحابه ، فخرجوا عليه عند ذلك ، فاقتتلوا فاشتدّ قتالُهم ، ونادى منادٍ من الجوّ : صبراً آل عبد الرحمن وموعدكم الجنّة ! فقاتل عبدُ الرحمن حتى قتِل ، وانكشف الناس ، وأخذ الرّاية سلمان بن ربيعة ، فقاتل بها ، ونادى المنادى من الجوّ : صبراً آل سلمان ابن ربيعة ! فقال سلمان : أوَ ترى جزعًا ! ثمّ خرج بالناس ، وخرج سلمان وأبو هُريرة الدّوْسىّ على جِيلان ، فقطعوها إلى جُرجان ، واجترأ التّرك بعدها ولم يمنعهم ذلك مِن اتخاذ جَسد عبد الرحمن ، فهم يستسقون به حتى الآن . ١/٢٦٦٩

وحدّث عمرو بن معد يكرب عن مطر بن ثَلْج التميمىّ ، قال : دخلت على عبد الرحمن بن ربيعة بالباب وشهربراز عنده ، فأقبل رجل عليه شُحُوبة ؛ حتى دخل على عبد الرحمن ، فجلس إلى شهربَراز ، وعلى مطَرقباء بُرود يمينيّة ، أرضه حمراء ، ووشيه أسود — أو وشيه أحمر — وأرضه سوداء ، فتساءلا .

ثمّ إنّ شهربراز ، قال : أيّها الأمير ، أتدرى مِنْ أين جاء هذا الرجل ؟ هــذا الرجل بعثتُه منذ سنين نحو السُّدّ لينظر ماحاله ومَنْ دونه ، وزوّدتُه مالا عظيمًا ، وكتبت له إلى مَن يلينى ، وأهديت له ، وسألته أن يكتب له إلى مَنْ وراءه ، وزوّدته لكلّ ملك هديّة ؛ ففعل ذلك بكلّ ملِك بينه وبينه ، حتى انتهى إليه ، فانتهى إلى الملك الذى السُّدّ فى ظهر أرضه ، فكتب له إلى عامله على ذلك البلد ، فأتاه فبعث معه بازِيارَه ومعه عُقابه ، فأعطاه حريرة ، قال : فتشكّر لى البازيار ، فلما انتهينا فإذا جبلان بينهما سُدّ مسدود ، حتى ارتفع على الجبلين بعد ما استوى بهما ، وإذا دون السُّد خندق أشدّ سواداً من الليل لبعده ، فنظرت إلى ذلك كله ، وتفرّست فيه ، ثم ذهبت لأنصرف ، فقال لى البازيار : على رِسْلِك أكافئك ! إنه لا يلى ملك بعد ملكٍ إلاّ تقرب إلى الله بأفضل ما عنده من الدنيا ، فيرمى به فى هذا اللِّهْب ، فشرّح بَضعة لحم معه ، فألقاها فى ذلك الهواء ، وانقضّت عليها العُقاب ، وقال : إن أدركتْها قبل أن تقع فلا شىء ؛ وإن لم تُدركها حتى تقع فذلك شىء ؛ فخرجت علينا العُقاب باللحم فى مخالبها ؛ وإذا فيه ياقوته ، فأعطانيها ؛ ١/٢٦٧٠

١/٢٦٧١ وها هى هذه . فتناولها شهر براز حمراء ، فناولها عبدَ الرحمن ، فنظر إليها ، ثم ردّها إلى شهر براز ، وقال شهر براز : لَهذه خير من هذا البلد — يعنى الباب — وايمُ الله لأنتم أحبّ إلىّ ملَكة من آل كسرى ؛ ولو كنت فى سلطانهم ثم بلغهم خبرها لانتزعوها منى ؛ وايمُ الله لا يقوم لكم شىء ما وفيتم ووفى ملكُكم الأكبر .

فأقبل عبدُ الرحمن على الرّسول ، وقال : ما حال هذا الرَّدم وما شبهه ؟ فقال : هذا الثوب الذى على هذا الرّجل ، قال : فنظر إلى ثوبى ، فقال مطر بن ثلج لعبد الرحمن بن ربيعة : صدق والله الرَّجُل ؛ لقد نفذ ورأى ، فقال : أجل ، وصف صفة الحديد والصُّفْر ، وقال : ﴿ آتُونِى زُبُرَ الحَدِيدِ . . . ﴾ إلى آخر الآية .

وقال عبد الرحمن لشهربراز : كم كانت هديَّتُك ؟ قال : قيمة مائة ألف فى بلادى هذه ، وثلاثة آلاف ألف أو أكثر فى تلك البلدان .

وزعم الواقدىّ أنّ معاوية غزا الصائفة فى هذه السّنة ، ودخل بلاد الروم فى عشرة آلاف من المسلمين .

وقال بعضهم : فى هذه السنة كانت وفاة خالد بن الوليد .

وفيها ولِد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مرْوان .

١/٢٦٧٢ وحجّ بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان عامله على مكة عتّاب بن أسِيد ، وعلى اليمن يعلَى بن أميَّة ، وعلى سائر أمصار المسلمين الذين كانوا عمّاله فى السنة التى قبلها ، وقد ذكرناهم قبل .

[ذكر تعديل الفتوح بين أهل الكوفة والبصرة]

وفى هذه السنة عدّل عمر فتوحَ أهل الكوفة والبصرة بينهم .

* ذكر الخبر بذلك :

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، وسعيد ، قالوا : أقام عمّار بن ياسر عاملاً على الكوفة سنةً فى إمارة

عمر وبعض أخرى . وكتب عمر بن سراقة وهو يومئذ على البصرة إلى عمر ابن الخطاب يذكر له كثرة أهل البصرة ، وعجز خراجهم عنهم ؛ ويسأله أن يزيدهم أحد الماهيْن أو ما سبَذان . وبلغ ذلك أهلَ الكوفة ، فقالوا لعمّار : اكتبْ لنا إلى عمر أنّ رامَهُرمز وإيذَج لنا دونهم ، لم يعينونا عليهما بشىء ؛ ولم يلحقوا بنا حتّى افتتحناهما ، فقال عمّار : مالى ولما هاهنا ! فقال له عطارد : فعلامَ تدعُ فيئنا أيها العبد الأجدع ! فقال : لقد سببْتَ أحبّ أذنىّ إلىّ . ولم يكتب فى ذلك فأبغضوه ؛ ولما أبى أهل الكوفة إلاّ الخصومة فيهما لأهل البصرة شهد لهم أقوام على أبى موسى ؛ أنه قد كان آمن أهلَ رَامَهُرمز و إيذَج ؛ وأنّ أهلَ الكوفة والنعمان راسلوهم وهم فى ١/٢٦٧٣ أمان . فأجاز لهم عمر ذلك ، وأجراها لأهل البصرة بشهادة الشهود . وادّعى أهل البصرة فى إصبهان قريات افتتحها أبو موسى دون جىّ ، أيام أمدّهم بهم عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عِتبان ، فقال أهل الكوفة : أتيتمونا مدداً وقد افتتحنا البلاد ، فآسيناكم فى المغانم ، والذّمة ذمتنا ، والأرض أرضُنا ؛ فقال عمر : صدقوا . ثمّ إنّ أهل الأيّام وأهل القادسيّة من أهل البصرة أخذوا فى أمر آخر حتى قالوا : فلْيعطونا نصيبنا مما نحن شركاؤهم فيه من سوادِهم وحواشيه . فقال لهم عمر : أترضوْن بماه ؟ وقال لأهل الكوفة : أترضون أن نعطيَهم من ذلك أحد الماهَيْن ؟ فقالوا : ما رأيتَ أنه ينبغى فاعمل به ، فأعطاهم ماهَ دينار بنصيبهم لمن كان شهد الأيام والقادسيّة منهم إلى سَواد البصرة ومِهرْجَانقَذَق ، وكان ذلك لمن شهد الأيّام والقادسيّة من أهل البصرة . ولما ولىَ معاوية بن أبى سفيان ـ وكان معاوية هو الذى جنّد قنّسرين من رافضة العراقين أيام علىّ ، وإنما كانت قِنَّسْرين رُستاقاً من رَساتيق حِمْص حتّى مصّرها معاوية وجنّدها بمن ترك الكوفة والبصرة فى ذلك الزمان ، وأخذ لهم معاوية بنصيبهم من فتوح العراق أذْرَبيجان والموْصل والباب ، فضمّها فيما ضمّ ، وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقلة[1] رُميتا بكلّ من كان ترك هجرته من أهل البلدين ؛ وكانت الباب وأذرَبيجان والجَزيرة ١/٢٦٧٤

(١) س وابن الأثير : « نافلة » . والناقلة من الناس : خلاف القطان .

والموْصل من فتوح أهل الكوفة — نقل ذلك إلى من انتقل منهم إلى الشام أزمانَ عليّ ؛ وإلى مَن رُميت به الجزيرة والموصل ممن كان ترك هجرته أيام عليّ ، وكفر أهل أرمينيَةَ زمانَ معاوية ؛ وقد أمّر حبيبَ بن مسلمة على الباب — وحبيب يومئذ بجُرزان — وكاتبَ أهل تَفْلِيس وتلك الجبال؛ ثم ناجزهم ؛ حتى استجابوا واعتقدوا من حبيب . وكتب[1] بينه وبينهم كتاباً بعد ما كاتبهم : بسم الله الرحمن الرحيم . من حَبيب بن مسلمة إلى أهل[2] تَفْلِيس من جُرْزَان أرض الهُرْمز . سِلْم[3] أنتم ؛ فإنى أحمَد الله إليكم الذى لا إله إلاّ هو ؛ فإنه قد قدِم علينا رسولكم تفلى ، فبلّغ عنكم ، وأدّى الذى بعثتم . وذكر تفلى عنكم أنّا لم نكن أمّة فيما تحسبون؛ وكذلك كنا حتى هدانا الله عزّ وجلّ بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأعزّنا بالإسلام بعد قلة وذلة وجاهلية . وذكر تفلى أنكم أحببتم[4] سلمنا . فما كرهت والذين آمنوا معى ، وقد بعثتُ إليكم عبدَ الرحمن بن جَزْء السُّلَمىّ ؛ وهو من أعلمنا[5] من أهل العلم بالله وأهل القرآن ؛ وبعثت معه بكتابى بأمانكم ، فإن رضيتم دَفعه[6] إليكم ؛ وإن كرهتم آذنكم[7] بحرب على سواء إنّ الله لا يحبّ الخائنين :

١/٢٦٧٥

بسم الله الرّحمن الرّحيم . هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تَفْلِيس من جُرْزان أرض الهُرْمز ؛ بالأمان على أنفسكم وأموالكم وصوامعكم[8] وبِيَعكم وصلواتِكم؛ على الإقرار بصَغار الجِزْية؛ على كلّ أهِل بيت[9] دينار وافٍ، ولنا نصحُكم ونصركم على عدوّ الله وعدوّنا، وقِرى المجتاز ليلةً من حلال طعام أهل الكتاب وحلال شرابهم ، وهداية الطريق فى غير ما يُضَرّ فيه بأحد منكم . فإن أسلمتم وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ، فإخواننا فى الدّين وموالينا ؛ ومَن تولّى عن الله ورسله وكتبه وحِزْبه فقد آذنّاكم بحرب على سواء؛ إن الله لا يحبّ

---

(١) س : « وكتبوا » .
(٢) ف : « لأهل » .
(٣) س : « سلام » .
(٤) س : « أجبتم » .
(٥) س وابن حبيش : « ما علمنا » .
(٦) ابن حبيش : « دفعته » .
(٧) س : « آذنتكم » .
(٨) ف : « ومواضعكم » .
(٩) ف : « كل بيت » .

الخائنين . شهد عبد الرحمن بن خالد ؛ والحجّاج ، وعياض . وكتب رباح ، وأشهد الله وملائكته والذين آمنوا ، وكفى بالله شهيداً .

* * *

[ذكر عزل عمّار عن الكوفة]

وفى هذه السنة عزَل عمرُ بن الخطاب عمّاراً عن الكوفة ؛ واستعمل أبا موسى فى قول بعضهم ؛ وقد ذكرت ما قال الواقدىّ فى ذلك قبل . ١/٢٦٧٦

* ذكر السبب فى ذلك :

قد تقدّم ذكرِى بعضَ سبب عزله ، ونذكر بقيّته . ذكر السّرىّ — فيما كتب به إلىّ — عن شعيب ، عن سيف ، عمّن تقدم ذكرِى من شيوخه ، قال : قالوا : وكتب أهلُ الكوفة ؛ عطاردٌ ذلك وأناس معه إلى عمر فى عمّار ، وقالوا : إنه ليس بأمير ، ولا يحتمل ما هو فيه ، ونزا به أهلُ الكوفة . فكتب عمر إلى عمّار : أن أقبِل ؛ فخرج بوفد من أهل الكوفة ، ووفّد رجالا ممن يرى أنهم معه ، فكانوا أشدّ عليه ممن تخلّف ، فجزع فقيل له : يا أبا اليَقْظان ، ما هذا الجزع ! فقال : والله ما أحمِد نفسى عليه ؛ ولقد ابتليت به — وكان سعد بن مسعود الثقفىّ عمُّ المختار،وجرير بن عبد الله معه — فسعيا به ، وأخبرا عمر بأشياء يكرهها ، فعزله عمر ولم يولّه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن جميع ، عن أبى الطُّفَيل، قال : قيل لعمّار : أساءك العزل ؟ فقال : والله ما سرّنى حين استعمِلت ، ولقد ساءنى حين عُزِلت .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبى خالد ومجالد، عن الشعبىّ ، قال : قال عمر لأهل الكوفة : أىّ منزليْكم أعجبُ إليكم ؟ — يعنى الكوفة أو المدائن — وقال : إنى لأسألكم وإنى لأعرفُ فضل أحدهما على الآخر فى وجوهكم ، فقال جرير : أما منزلنا هذا الأدنى فإنه أدنَى محِلّةً من السواد من البرّ ، وأما الآخر فوعْك [١] البحر وغمُّه وبَعوضه. ١/٢٦٧٧

(١) الوعك : سكون الريح وشدة الحر .

فقال عمار: كَذَبت ؛ فقال عمر لعمّار : بل أنت أكذب منه ، وقال : ما تعرفون من أميركم عمّار ؟ فقال جرير : هو والله غير كافٍ ولا مجزٍ ولا عالم بالسياسة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن زكرياء بن سياه ، عن هشام بن عبد الرحمن الثقفىّ ، أن سعد بن مسعود ، قال : والله ما يدرى علام استعملته [١] ! فقال عمر : علام استعملتُك يا عمّار ؟ قال : على الحيرة وأرضِها . فقال : قد سمعتُ بالحيرة تجاراً تختلف إليها ، قال : وعلى أىّ شىء ؟ قال : على بابل وأرضها ، قال : قد سمعتَ بذكرها فى القرآن . قال : وعلى أىّ شىء ؟ قال : على المدائن وما حولها ، قال : أمدائن كسرى ؟ قال : نعم . قال : وعلى أىّ شىء ؟ قال : على مهرجـانقذق وأرضها . قالوا : قد أخبرناك أنه لا يدرى علامَ بعثته ! فعزله [٢] عنهم ، ثم دعاه بعد ذلك ، فقال : أساءك حينَ عزلتُك ؟ فقال : والله ما فرحتُ به حين بعثتَنى ، ولقد ساءنى حين عزلتَنى . فقال : لقد علمتُ ما أنت بصاحب عمل ، ولكنى ١/٢٦٧٨ تأوّلت : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الأَرْضِ ونَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ونَجْعَلَهُم الْوَارِثِين ﴾ [٣] .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن خُليد بن ذَفَرة النَّمَرىّ ، عن أبيه بمثله وزيادة ، فقال : أوتُحْمِد [٤] نفسَك بمعرفة من تُعالجه منذ [٥] قدمت ! وقال : والله يا عمّار لا ينتهى بك حدُّك [٦] حتى يلقيَك فى هَنة ، وتالله [٧] لئن أدركك عمر لترقَّنّ ، ولئن رققتَ لتُبتلينّ [٨] ، فسل الله الموت . ثمّ أقبل على أهل الكوفة فقال : مَن تريدون يا أهلَ الكوفة ؟ فقالوا : أبا موسى . فأمّره عليهم بعد عمار ، فأقام عليهم [٩] سنة ، فباع غلامُه

---

(١) كذا فى ابن الأثير ، وفى ط : « استعملت » .
(٢) بعدها فى ف : « عمر رضى الله عنه » .
(٣) سورة القصص ٥ .
(٤) ف : « أفتحمد » .
(٥) ف : « مذ » .
(٦) س : « حسدك » ؛ ف : « جدك » .
(٧) س : « وبالله » .
(٨) ف : « لتبلينّ » .
(٩) س : « عليها » .

العلَفَ . وسمعه الوليد بن عبد شمس ، يقول : ما صحبتُ قومًا قطّ إلا آثرتهم ؛ ووالله[1] ما منعني أن أكذّب شهودَ البصرة إلاّ صحبتهُم ، ولئن صحبتُكم لأمنحنّكم خيراً . فقال الوليد : ما ذهب بأرضنا غيرُك ؛ ولا جرم لا تعمل علينا . فخرج وخرج معه نفر ، فقالوا : لا حاجةَ لنا فى أبى موسى ، قال : ولم ؟ قالوا : غلام له يتّجر فى حَشَرنا[2] . فعزله عنهم وصرفه إلى البصرة ، وصرف عمرَ بن سراقة إلى الجزيرة . وقال لأصحاب أبى موسى الذين شخصوا[3] فى عزله من أهل الكوفة : أقوىٌّ مشدّد أحبّ إليكم أم ضعيف مؤمن ؟ فلم يجد عندهم شيئًا ، فتنحّى ، فخلا فى ناحية المسجد ، فنام فأتاه المغيرة بن شعبة فكلأه حتى استيقظ ، فقال : ما فعلتَ هذا يا أمير المؤمنين إلاّ من عظيم ؛ فهل نابك من نائب ؟ قال : وأىّ نائب أعظم من مائة ألف لا يرضوْن عن أمير ، ولا يرضى عنهم أمير ! وقال فى ذلك ما شاء الله . ١/٢٦٧٩

واختُطّت الكوفة حين اختُطّت على مائة ألف مقاتل ؛ وأتاه أصحابه ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، ما شأنك ؟ قال : شأنى أهل الكوفة قد عَضّلوا[4] بى . وأعاد عليهم عمر المشورة التى استشار فيها ، فأجابه المغيرة فقال : أمّا الضعيف المسلم فضعفه عليك وعلى المسلمين وفضله له ، وأمّا القوىّ المشدّد فقوّته لك وللمسلمين ، وشِداده عليه وله . فبعثه عليهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن سعيد بن عمرو ؛ أنّ عمر قال قبل أن استعمل المغيرة : ما تقولون فى تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوىّ مشدّد ؟ فقال المغيرة : أما الضعيف المسلم فإنّ إسلامَه لنفسه وضعفه عليك ، وأما القوىّ المشدّد فإنّ شِداده لنفسه وقوّته للمسلمين . قال : فإنّا باعثوك يا مغيرة . فكان المغيرة عليها حتى مات عمر رضى الله تعالى عنه وذلك نحو من سنتين وزيادة . فلما ودّعه المغيرة للذهاب إلى الكوفة ، قال له : يا مغيرة . ليأمنك الأبرار ، وليخفك الفجّار . ثم أراد عمر أن يبعثَ سعداً على عَمل المغيرة فقتِل قبل أن يبعثه ، فأوصى به ؛ وكان من سنّة عمر وسيرته أن يأخذ عمّاله بموافاة الحجّ فى كل سنة ١/٢٦٨٠

---

(١) ف : « والله » . (٢) الحشرة بالفتح : كل ما أكل من بقل الأرض وجمعه حشر .
(٣) س : « شخصوا معه » . (٤) عضلوا بى ، أى ضاق بى أمرهم .

للسياسة، وليحجزهم بذلك عن الرعيّة ، وليكون لشكاة الرعيّة وقتاً وغاية ينهونها فيه إليه .

وفى هذه السنة غزا الأحنف بن قيس — فى قول بعضهم خُراسان — وحارب يَزْدَجِرد ؛ وأما فى رواية سيف فإنّ خروجَ الأحنف إلى خراسان كان فى سنة ثمان عشرة من الهجرة .

* * *

ذكر مصير يَزْدَجِرد
إلى خراسان وما كان السبب فى ذلك

اختلف أهل السير فى سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه ؛ فأمّا ما ذكره سيف عن أصحابه فى ذلك ، فإنه فيما كتب به إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : كان يَزْدَجِرد بن شهريار بن كسرى — وهو يومئذ ملك فارس[1] — لما انهزم أهل جَلُولاء خرج يريد الرّىّ ، وقد جعِل له محمل واحد يُطبق ظهر بعيره، فكان إذا سار نام فيه ولم يعرّس بالقوم . فانتهوْا به إلى مخاضة وهو نائم فى محمله، فأنبهوه ليَعلم، ولئلا يفزع إذا خاض البعير إن هو استيقظ ، فعنّفهم وقال : بئسما صنعتم ! والله لو تركتمونى لعلمت ما مدّة هذه الأمة ، إنى رأيتُ أنى ومحمداً تناجينا عند الله، فقال له : أملّكهم مائة سنة ، فقال : زدْنى ، فقال : عشرًا ومائة سنة ، فقال: زدنى ، فقال : عشرين ومائة سنة ، فقال : زدنى ، فقال: لك . وأنبهتمونى ، فلو تركتمونى لعلمت ما مدّة هذه الأمة .

١/٢٦٨١

فلما انتهى الى الرّىّ ، وعليها آبان جاذويْه ، وثب عليه فأخذه، فقال: يا آبان جاذويه ، تغدِر بى ! قال : لا ، ولكن قد تركتَ مُلْكك ، وصار فى يد غيرك ، فأحببت أن أكتتب على ما كان لى من شىء ، وما أردتُ غير ذلك[2] . وأخذ خاتم يَزْدَجِرد ووصل الأدُم ؛ واكتتب الصّكاك وسجّل السجلات بكلّ ما أعجبه، ثم ختم عليها وردّ الخاتم . ثم أتى بعدُ[3] سعداً فردّ عليه كلّ شىء فى كتابه . ولما صنع آبان جاذويه بيزدَجِرْد ما صنع

---

(١) ابن حبيش : « ملك أهل فارس » . (٢) كذا فى ف ، وفى ط : « من غير ذلك »
(٣) س : « به » .

١/٢٦٨٢ خرج يَزْدَجِرد من الرّىّ إلى إصبهان ، وكره[١] آبانَ جاذويه ، فاراً منه ولم يأمنه . ثم عزم على كَرْمان ، فأتاها والنار معه ، فأراد أن يضعها فى كَرْمان ، ثمّ عزم على خراسان ، فأتى مَرْوَ ، فنزلها وقد نقل النار ، فبنى لها بيتاً واتّخذ بستاناً ، وبنى أزَجاً[٢] فرسخين من مَرْو إلى البستان ؛ فكان على رأس فرسخين من مَرْو ، واطمأنّ فى نفسه وأمِن أن يُؤتَى ؛ وكاتب من مَرْوَ مَن بقِىَ من الأعاجم فيما لم يفتتحه المسلمون ، فدانُوا له ، حتى أثار أهلَ فارس والهُرْمزان فنكثوا ، وثار أهل الجبال والفيرُزان فنكثوا ، وصار ذلك داعية إلى إذن عمر للمسلمين فى الانسياح ، فانساح أهل البصرة وأهل الكوفة حتى أثخنوا فى الأرض ؛ فخرج الأحنف إلى خُراسان ، فأخذ على مِهْرَجان قَذَق ، ثم خرج إلى إصبهان — وأهل الكوفة محاصِرو جَىّ — فدخل خراسان من الطَّبَسَيْن ، فافتتح هَراةَ عَنْوةً ، واستخلف عليها صُحار بن فلان العبدىّ . ثم سار نحو مَرْو الشاهجان ، وأرسل إلى نيسابور — وليس دونها قتال — مطرِّفَ بن عبد الله بن الشخّير والحارثَ بن حسان إلى سَرْخس ؛

١/٢٦٨٣ فلما دنا الأحنف من مَرْو الشّاهجان خرج منها يَزْدَجِرد نحو مَرْو الرّوذ حتى نزلها ، ونزل الأحنف مَرْوَ الشاهجان ؛ وكتب يَزْدَجِرد وهو بمَرْو الرّوذ إلى خاقان يستمدّه ؛ وكتب إلى ملك الصُّغْد يستمدّه ؛ فخرج رسولاه نحو خاقان وملك الصُّغْد ، وكتب إلى ملك الصين[٣] يستعينه ، وخرج الأحنف من مَرْو الشاهجان ؛ واستخلف عليها حاتم بن النعمان الباهلىّ بعد ما لحقت به أمداد أهل الكوفة ، على أربعة أمراء : علقمة بن النَّضْر النضرىّ ، وربعىّ بن عامر التميمىّ ، وعبد الله بن أبى عَقيل الثقفىّ ، وابن أمّ غزال الهمْدانىّ ؛ وخرج سائراً نحو مَرْو الرّوذ ؛ حتى إذا بلغ ذلك يَزْدَجِرد خرج إلى بَلْخ ، ونزل الأحنف مَرْوَ الرّوذ ؛ وقدم أهل الكوفة ؛ فساروا إلى بَلْخ ، وأتبعهم الأحنف ، فالتقى أهل الكوفة ويَزْدَجِرد ببلْخ ؛ فهزم الله يزْدَجِرد ، وتوجّه[٤] فى أهل فارس إلى النهر فعبر ، ولحق الأحنف بأهل

---

(١) ف : « وكر » ، وأضاف ابن حبيش : « جوار » .

(٢) الأزج ، محركة : بيت يبنى طولا . (٣) ابن حبيش : « صاحب الصين » .

(٤) س : « ثم توجه » .

الكوفة ؛ وقد فتح الله عليهم ؛ فبلْخُ من فتوح أهل الكوفة . وتتابع أهل خراسان ممن شذّ أو تحصّن على الصلح فيما بين نيسابور إلى طُخَارستان ممّن كان فى مملكة كسرى ؛ وعاد الأحنف إلى مَرْو الرّوذ ، فنزلها واستخلف على طُخَارستان رِبعيّ بن عامر ؛ وهو الذى يقول فيه[1] النجاشيّ — ونسبه إلى أمّه ؛ وكانت من أشراف العرب :

١/٢٦٨٤ ألا رُبَّ مَنْ يُدْعَى فتًى ليس بالفَتى[2] ألَا إنَّ رِبْعِيَّ ابْنَ كَاْسٍ هو الفَتى

طويلٌ قُعودُ القومِ فى قَعْرِ بيتِهِ إذا شَبِعُوا من ثُفْلِ جَفْنَتِهِ سَقى

كتب الأحنف إلى عمر بفتْح خُراسان ، فقال : لودِدت أنى لم أكن بعثتُ إليها جنداً ، ولودِدت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار ؛ فقال علىّ : ولمَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأنّ أهلَها سينفَضّون منها ثلاث مرّات ، فيُجتاحون فى الثالثة ، فكان أن يكون ذلك بأهلها أحبَّ إلىّ من أن يكون بالمسلمين .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عبد الرحمن الفزارىّ ، عن أبى الجَنوب اليشكرىّ ، عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، قال : لما قدِم عمر على فتح خُراسان ، قال : لودِدت أنّ بيننا وبينها بحراً من نار ، فقال علىّ : وما يشتدّ عليك من فتحها ! فإنّ ذلك لموضع سرور ،

١/٢٦٨٥ قال : أجل ولكنى[3] . . . حتى أتى على آخر الحديث .

كتب إلىّ السّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عيسى بن المغيرة ، وعن رجل من بكر بن وائل يدعى الوازِع بن زيد بن خُلَيدة ، قال : لما بلغ عمرَ غلبةُ الأحنف على المرْوَيْن وبلْخ ، قال : وهو الأحنف ، وهو سيّد أهل المشرق المسمّى بغير اسمه . وكتب عمر إلى الأحنف : أما بعد ، فلا تجوزَنّ النّهر واقتصِرْ على ما دونه ، وقد عرفتم بأىّ شىء دخلتم على خراسان ، فداوموا على الذى دخلتم به خراسان يدمْ لكم النصر ؛ وإيّاكم أن تعبروا فتفضّوا .

ولمّا بلغ رسولا يزْدجِرد خاقانَ وغوزك ، لم يستتبّ لهما إنجادُه حتى عبَر

---

(١) س وابن حبيش : « له » .

(٢) س : « ألا ربما » ، وابن حبيش : « يدعى الفتى » . (٣) ف : « ولكن » .

إليهما النهر مهزوماً، وقد استتَبّ فأنجده خاقان – والملوك ترى على أنفسها إنجادَ الملوك – فأقبل فى الترك ، وحشر أهل فَرْغانة والصُّغْد ؛ ثم خرج بهم ، وخرج يَزْدَجِرد راجعاً إلى خُراسان ، حتى عبر إلى بَلْخ ، وعبر معه خاقان ، فأرز أهلُ الكوفة إلى مَرْوالرّوذ إلى الأحنف ، وخرج المشركون من بَلْخ حتى نزلوا على الأحنف بمَرْو الرّوذ . وكان الأحنف حين بلغه عُبور خاقان والصُّغد نهرَ بَلْخ غازياً له[1] ، خرج فى عسكره ليلا يتسمّع : هل يسمع برأى ينتفع به؟ فمرّ برجلين ينقّيان علفاً ، إما تبناً وإما شعيراً ، وأحدهما يقول لصاحبه: لو أنّ الأميرَ أسندَنا إلى هذا الجبل ، فكان النهر بيننا وبين عدوّنا خندقاً ؛ وكان الجبل فى ظهورنا من أن نُؤْتَى من خلفنا ، وكان قتالنا من وجه واحد رجوت أن ينصرنا الله . فرجع واجتزأ بها ، وكان فى ليلة مظلمة ، فلما أصبح جمع الناس، ثم قال : إنكم قليل ، وإنّ عدوكم كثير ، فلا يهولنّكم ؛ فكم مِن فئةٍ قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ؛ ارتحلوا من مكانكم هذا ، فاسندوا إلى هذا الجبل ، فاجعلوه فى ظهوركم ، واجعلوا النهر بينكم وبين عدوّكم ، وقاتلوهم من وجه واحد . ففعلوا ، وقد أعدّوا ما يصلحهم ، وهو فى عشرة آلاف من أهل البصرة وأهل الكوفة نحو منهم . وأقبلت الترك ومَنْ أجلبت حتى نزلوا بهم ، فكانوا يغادونهم ويراوحونهم ويتنحَّوْن عنهم بالليل ما شاء الله . وطلب الأحنف عِلْم مكانهم بالليل ، فخرج ليلة بعد ما علم علمَهم ؛ طليعة لأصحابه حتى كان قريباً من عسكر خاقان فوقف ، فلمّا كان فى وجه الصبح خرج فارس من الترك بطوْقه ، وضرب بطبله ، ثم وقف من العسكر موقفاً يقفه مثله ، فحمل عليه الأحنف ، فاختلفا طعنتيْن ، فطعنه الأحنف فقتله ، وهو يرتجز ويقول :

١/٢٦٨٦

١/٢٦٨٧

إنَّ عَلَى كُلِّ رَئيسٍ حَقَّا أنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أو تَنْدَقَّا
إنَّ لنا شَيْخاً بهـــا مُلَقَّى سَيْفَ أبى حَفْصٍ الذى تَبقَّى

ثم وقف موقف التركىّ وأخذ طوقه ، وخرج[2] آخر من الترك ، ففعل

---

(١) س : « عاديا » .

(٢) ابن حبيش : « ثم خرج » .

فعل صاحبه الأوّل ، ثم وقف دونه فحمل عليه الأحنف ، فاختلفا طعنتين ، فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز :

إنَّ الرَّئيسَ يرتَبِى ويَطْلُعُ   ويَمْنَعُ الخُلاَّءَ إمّا أرْبعُوا[1]

ثم وقف موقف التركيّ الثانى ، وأخذ طوقه ، ثم خرج ثالث[2] من الترك ، ففعل فعل الرّجلين ، ووقف دون الثانى منهما ، فحمل عليه الأحنف ، فاختلفا طعنتيْن ، فطعنه الأحنف ، فقتله وهو يرتجز :

جَرْىَ الشَّموسِ ناجِزاً بِناجِزْ   مُحْتَفِلاً فى جَرْيِهِ مُشـــارِزْ

١/٢٦٨٨ ثم انصرف الأحنف إلى عسكره ؛ ولم[3] يعلم بذلك أحد منهم حتى دخله واستعدّ . وكان من شيمة الترك أنهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم كهؤلاء[4] ؛ كلّهم يضرب بطبله ، ثم يخرجون بعد خروج الثالث ، فخرجت التُّرك ليلتئذ بعد الثالث ، فأتوْا على فرسانهم مقتَّلين ، فتشاءم خاقان وتطيّر ، فقال : قد طال مقامنا ، وقد أصيبَ هؤلاء القوم بمكان لم يُصب بمثله قطّ ؛ ما لنا فى قتال هؤلاء القوم من خير ، فانصرِفوا بنا ؛ فكان وجوههم راجعين ، وارتفع النهار للمسلمين ولا يروْن شيئًا ، وأتاهم الخبر بانصراف خاقان إلى بَلْخ . وقد كان يَزْدَجِرد بن شهريار بن كسرى تَرَكَ خاقان بمَرْو الرّوذ ، وخرج إلى مَرْو الشاهجان؛ فتحصّن منه حاتم[5] بن النعمان ومَن معه ، فحصرهم واستخرج خزائنه من موضعها ؛ وخاقان ببلْخ مقيم له ، فقال المسلمون للأحنف : ما ترى فى اتّباعهم ؟ فقال : أقيموا بمكانكم ودعوهم . ولما جمع يَزْدَجِرد ما كان فى يديه مما وضع بمَرْو ، فأعجِل عنه ؛ وأراد أن يستقلّ به منها ، إذْ هو أمر عظيم من خزائن أهل فارس ، وأراد اللّحاق بخاقان فقال له أهل فارس : أىّ شىء تريد أن تصنع ؟ فقال : أريد اللّحاق بخاقان، فأكون معه أو بالصّين ، فقالوا له: مهلا ؛ فإنّ هذا

١/٢٦٨٩ رأى سوء ، إنّك إنما تأتى قومًا فى مملكتهم وتَدَع أرضك وقومك ؛ ولكن ارجع

---

(١) ف وابن حبيش : « الجلاء » . (٢) ف وابن حبيش وابن الأثير : « الثالث » .
(٣) س وابن كثير : « ولا » . (٤) س : « كهولا » .
(٥) ط : « حارثة » ؛ وانظر التصويبات .

بنا إلى هؤلاء القوم فنصالحهم ؛ فإنهم أوفياء وأهل دين ؛ وهم يلُون بلادنا ، وإنّ عدوًّا يلينا فى بلادنا أحبّ إلينا مملكة من عدوّ يلينا فى بلاده ولا دينَ لهم ؛ ولا ندرى ما وفاؤهم ؛ فأبَى عليهم وأبوْا عليه ؛ فقالوا : فدَعْ خزائننا نردّها إلى بلادنا ومَن يليها، ولا تُخرجها من بلادنا إلى غيرها ، فأبى ؛ فقالوا : فإنّا لا نَدَعك؛ فاعتزلوا وتركوه فى حاشيته ، فاقتتلوا ، فهزموه وأخذوا الخزائن ، واستولوْا عليها ونكبوه ، وكتبوا إلى الأحنف بالخبر ، فاعترضَهم المسلمون والمشركون بمَرْو يثفِنونه[١] ، فقاتلوه وأصابوه فى أُخَر القوم ، وأعجلوه عن الأثقال ؛ ومضى مُوائلا[٢] حتّى قطع النهر إلى فرْغانة والترك ؛ فلم يزل مقيماً زمانَ عمر رضى الله عنه كله يكاتبهم ويكاتبونه ، أو من شاء الله منهم . فكفر أهلُ خراسان زمانَ عثمان . وأقبل أهلُ فارس على الأحنف فصالحوه وعاقدوه ، ودفعوا إليه تلك الخزائن والأموال ، وتراجعوا إلى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا فى زمان الأكاسرة ؛ فكانوا كأنما[٣] هم فى مُلكهم ؛ إلاّ أن المسلمين أوفَى لهم وأعدل عليهم ، فاغتبطوا وغُبِّطوا ؛ وأصاب الفارسَ يوم يزْدَجِرد كسهم الفارس يوم القادسيّة .

١/٢٦٩٠

ولما خلع أهل خراسان زمانَ عثمان أقبل يزْدَجِرد حتى نزل بمَرْو ، فلمّا اختلف هو ومن معه وأهل خراسان. أوَى إلى طاحونة ، فأتوْا عليه يأكُل من كرد حول الرّحا ؛ فقتلوه ثم رموْا به فى النهر .

ولما أصيب يزْدَجِرد بمرْوَ — وهو يومئذ مختبئ فى طاحونة يريد أن يطلب اللحاق بكَرْمان — فاحتوى فيئه المسلمون والمشركون ، وبلغ ذلك الأحنف ، فسار من فَوْره ذلك فى الناس إلى بلْخ يريد خاقان ، ويتبع حاشية يزْدَجِرد وأهله فى المسلمين والمشركين من أهل فارس ، وخاقان والترك ببلْخ . فلما سمع بما ألقى يزْدَجِرد وبخروج المسلمين مع الأحنف من مَرْو الرّوذ نحوه، ترك بلْخ وعبر النهر ؛ وأقبل الأحنف حتى نزلَ بلْخ ؛ ونزل أهل الكوفة فى كُورها الأربع ، ثم رجع إلى مَرْو الرّوذ فنزل بها ؛ وكتب

(١) يثفنونه ، أى يدفعونه .

(٢) فى اللسان : « الموئل : الملجأ ، والعرب تقول : إنه ليوائل إلى موضعه ، يريدون يذهب إلى موضعه وحرزه » .

(٣) ابن حبيش : « كأنهم » ، س : « كانهم إنما هم » .

بفتح خاقان ويزدجرد إلى عمر ، وبعث إليه بالأخماس ، ووفّد إليه الوفود .
قالوا : ولما عبّر خاقان النهر ، وعبرت معه حاشية آل كسرى ، أو من أخذ نحو بلْخ منهم مع يزدجرد ، لقوا رسولَ يزدجرد الذى[1] كان بعث إلى ملك الصين ، وأهدى إليه معه [هدايا] [2]، ومعه جواب كتابه من ملك الصين . فسألوه عمّا وراءه ، فقال : لما قدمت عليه بالكتاب والهدايا كافأنا بما ترون—وأراهم هديّته. وأجاب يزدجرد، فكتب إليه بهذا الكتاب بعد ما كان قال لى: قد عرفت أنّ حقًّا على الملوك إنجاد الملوك على مَنْ غلبهم، فصِفْ لى صفة هؤلاء القوم الّذين أخرجوكم من بلادكم؛ فإنّى أراك تذكر قلّةً منهم وكثرة منكم ؛ ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم إلاّ بخيرٍ[3] عندهم وشرّ فيكم ؛ فقلت : سلنى عما أحببتَ ، فقال : أيوفون بالعهد ؟ قلت : نعم ، قال : وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم ؟ قلت : يدْعوننا إلى واحدة من ثلاث : إمّا دينهم فإن أجبناهم أجرونا مجراهم ، أو الجزية والمنَعة[4] ، أو المنابذة . قال : فكيف طاعتهم أمراءهم ؟ قلت : أطوعُ قوم لمرشدهم ، قال : فما يُحلّون وما يُحرّمون ؟ فأخبرته ، فقال : أيحرّمون ما حُلّل[5] لهم ، أو يحلون ما حرّم عليهم ؟ قلت : لا ، قال: فإنّ هؤلاء القوم لا يهلِكون أبداً حتى يُحلّوا حرامَهم ويحرّموا حلالهم . ثم قال : أخبرنى عن لباسهم ؛ فأخبرته ، وعن مطاياهم ، فقلت : الخيل العِراب[6] — ووصفتها — فقال: نعمت الحصُون هذه ! ووصفتُ له الإبلَ وبروكها وانبعاثها بحملها ، فقال : هذه صفة دوابّ طوال الأعناق .

٢٦٩١/١

وكتب معه إلى يزدجرد [كتابًا][7] : إنه لم يمنعنى أن أبعثَ[8] إليك بجيش أوّله بمَرْو وآخره بالصّين الجهالةُ بما يحقّ علىّ[9] ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصَف لى رسولك صفتَهم لو يحاولون الجبال لهدّوها ، ولو خُلّى سَرْبهم

٢٦٩٢/١

(١) س وابن حبيش : « بالذى » .
(٢) من س .
(٣) س وابن حبيش : « لخير » .
(٤) ساقطة من س والنويرى .
(٥) س : « حلل الله » .
(٦) الخيل العراب : الكرائم السالمة من الهجنة .
(٧) من س .
(٨) س : « من أن أبعث » .
(٩) ابن حبيش : « بما يحق لك على » .

أزالونى ما داموا على ما وصف[١] ؛ فسالمْهم وارضَ منهم بالمساكنة ؛ ولا تُهجْهم ما لم يُهيِجُوك . وأقام يَزْدَجِرد[٢] وآل كسرى بفَرْغانة ، معهم عهد من خاقان . ولمّا وقع الرسول بالفتح والوفد بالخبر ومعهم الغنائم بعمر بن الخطاب من قِبَل الأحنف ، جمع الناس وخطبهم ، وأمر بكتاب الفتح فقرئ عليهم ، فقال فى خطبته : إنّ الله تبارك وتعالى ذكَر رسولَه صلى الله عليه وسلم وما بعثه به من الهدى ، ووعد على اتّباعه من عاجل الثواب وآجله خيرَ الدنيا والآخرة . فقال : ﴿ هُوَ الّذِى أَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[٣] ؛ فالحمد الذى أنجز وعده ، ونصر جنده . ألا إنّ الله قد أهلك ملك المجوسيّة ، وفرّق شملَهم ، فليسُوا يملكون من بلادهم شبراً يضرّ بمسلم . ألاَ وإنّ الله قد أورثكم أرضَهم وديارَهم وأموالَهم وأبناءهم ؛ لينظر كيف تعملون ! ألا وإنّ المصرَيْن من مسالحها اليوم كأنتم والمصرَيْن فيما مضَى من البُعد ، وقد وغلوا فى البلاد ، والله بالغ أمرَه ، ومنجز وعْده ، ومتبع آخر ذلك أوّلَه ، فقوموا فى أمره على رجل يوفّ لكم بعهده ، ويؤتِكم وعدَه ؛ ولا تبدّلوا ولا تغيّروا ، فيستبدل الله بكم غيركم ؛ فإنى لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلاّ من قِبَلكم .

١ / ٢٦٩٣

* * *

قال أبو جعفر : ثمّ إنّ أدانى أهل خراسان وأقاصيه اعترضوا زمانَ عثمان ابن عفان لسنتين خلتا من إمارته ؛ وسنذكر بقيّة خبر انتقاضهم فى موضعه إن شاء الله مع مقتل يَزْدَجِرد .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكانت عمّالُه على الأمصار فيها عمّالَه الذين كانوا عليها فى سنة إحدى وعشرين غير الكوفة والبَصْرة ؛ فإنّ عامله على الكوفة وعلى الأحداث كان المغيرة بن شعبة ، وعلى البصرة أبا موسى الأشعرىّ .

---

(١) س ، ف : « وصفهم » .
(٢) ابن حبيش : « عيال يزدجرد » .
(٣) سورة التوبة ٣٣ .

١/٢٦٩٤

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

فكان فيها فتح إصْطَخْر فى قول أبى مَعْشر ؛ حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت الرازىّ ، قال : حدّثنا محدّث ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، قال : كانت إصْطَخر الأولى وهَمَذان سنة ثلاث وعشرين. وقال الواقدىّ مثل ذلك . وقال سيف : كان فتح إصْطَخر بعد توّج الآخرة .

* * *

ذكر الخبر عن فتح تَوَّج

كتب إلىّ السّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : خرج أهل البصرة الذين وُجّهوا إلى فارس أمراء على فارس ؛ ومعهم سارية بن زُنَيم ومن بُعث معهم إلى ما وراء ذلك ، وأهلُ فارس مجتمعون بتوّج ؛ فلم يصمُدوا لجمعهم بجموعهم ؛ ولكن قصد كلّ أمير كورة منهم قَصْدَ إمارته وكُورته التى أمر بها ؛ وبلغ ذلك أهلَ فارس ؛ فافترقوا إلى بلدانهم [١] ؛ كما افترق المسلمون ليمنعوها ؛ وكانت تلك هزيمتهم وتشتُّت [٢] أمورهم وتفريق جموعهم [٣] ؛ فتطيّر المشركون من ذلك ؛ وكأنما كانوا ينظرون إلى ما صاروا إليه ، فقصد مجاشع بن مسعود لسابور وأردشير خُرّه فيمن معه من المسلمين ، فالتقوْا بتوّج [٤] وأهل فارس ، فاقتتلوا ما شاء الله . ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ هزَم أهل توّج للمسلمين ، وسلّط عليهم المسلمين ، فقتلوهم كلّ قِتلة ، وبلغوا منهم ما شاءوا ، وغنّمهم ما فى عسكرهم فحوَوْه ؛ وهذه توّج الآخرة ؛ ولم يكن لها بعدها شوْكة ، والأولى التى تَنُقّذ فيها جنود العلاء أيّام طاوس ، الوقعة التى اقتتلوا فيها ؛ والوقْعتان الأولى والآخرة كلتاهما متساجلتان . ثم دُعُوا إلى الجِزْية والذّمة ؛ فراجعوا وأقرّوا ، وخَمّس مجاشع الغنائم ، وبعث

١/٢٦٩٥

---

(١) ابن حبيش : « فافترقوا عن تجمعهم » .

(٢) ابن حبيش : « وتشتتت أمورهم » .

(٣) ف : « وتفرق » .

(٤) ابن حبيش : « هو وأهل فارس » .

بها ، ووفّد وفداً ؛ وقد كانت البُشراء والوفود يجازون وتقضى لهم حوائجهم ، لسنّة جرت بذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كتب إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن سوقة ، عن عاصم بن كليب ، عن أبيه ، قال : خرجْنا مع مجاشع بن مسعود غازين توّج ، فحاصرناها ، وقاتلناهم ما شاء الله ، فلمّا افتتحناها وحوْينا نَهْبَها نهبًا كثيراً ، وقتلنا قتلَى عظيمة ؛ وكان علىّ قميصٌ قد تخرّق ؛ فأخذت إبرة وسِلْكًا وجعلت أخيط قميصي بها . ثم إنّى نظرت إلى رجل فى القتْلَى عليه قميص فنزعته ، فأتيت به الماء ، فجعلت أضربه بين حَجَرين حتى ذهب ما فيه ، فلبسته ؛ فلما جمعت الرِّثّة ، قام مجاشع خطيبًا ، فحمِد الله ، وأثنى عليه ، فقال : أيها الناس لا تَغُلّوا ، فإنه من غَلّ جاء بما غَلّ يوم القيامة . رُدّوا ولو المخيَط . فلما سمعتُ ذلك نزعت القَميص فألقيته فى الأخماس . ٢٦٩٦/١

* * *

فتح إصطَخر

قال : وقصد عثمان بن أبى العاص لإصطَخر ؛ فالتقى هو وأهل إصْطَخر بجُور فاقتتلوا ما شاء الله . ثم إنّ الله عزّ وجلّ فتح لهم جُور ؛ وفتح المسلمون إصطَخر ، فقتلوا ما شاء الله ، وأصابوا ما شاءوا ، وفرّ مَن فرّ . ثمّ إنّ عثمان دعا الناس إلى الجِزاء والذّمة ، فراسلوه وراسلهم ، فأجابه الهِرْبِذ وكلّ من هرب أو تنحى ؛ فتراجعوا وباحوا بالجِزاء ، وقد كان عثمان لمّا هزم القوم جمع إليه ما أفاء الله عليهم ، فخمّسه ، وبعث بالخُمس إلى عمر ، وقسّم أربعة أخماس المغنم فى الناس ، وعفّت الجند عن النّهاب ، وأدّوا الأمانة ، واستدقّوا الدنيا . فجمعهم عثمان ؛ ثم قام فيهم ، وقال : إنّ هذا الأمر لا يزال مقبلاً ؛ ولا يزال أهله معافَيْن مما يكرهون ، ما لم يَغُلّوا ، فإذا غَلّوا رأوْا ما ينكرون[1] ولم يسدّ الكثير مسدّ القليل اليوم . ٢٦٩٧/١

(١) س : « يكرهون » .

كتبَ إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى سُفيان ، عن الحسن ، قال : قال عثمان بن أبى العاص يوم إصْطخر : إنّ الله إذا أراد بقوم خيراً كفـّهم ، ووفـّر أمانتهم [١] ، فاحفظوها ؛ فإنّ أوّل ما تفقدون من دينكم الأمانة ؛ فإذا فقدتموها جُدِّد لكم فى كلّ يوم فقدان شىء من أموركم .

ثم إنّ شهرك خلع فى آخر إمارة عمر وأوّل إمارة عثمان ، ونشّط [٢] أهلَ فارس ، ودعاهم إلى النقض ، فوُجِّه إليه عثمان بن أبى العاص ثانيةً ، وبعث معه جنوداً أمِدّ بهم ، عليهم عُبيد الله بن مَعْمر ، وشِبْل بن معبد البَجَلِىّ ، فالتقوْا بفارس ، فقال شهرك لابنه وهو فى المعركة ؛ وبينهم وبين قرية تدعى ريشَهْر [٣] ثلاثة فراسخ ، وكان بينهم وبين قرارهم اثنا عشر فرسخاً : يا بنىّ ، أين يكون غـَدَاؤنا ؟ ها هنا أو ريشهر ؟ فقال : يا أبتِ إن تركونا فلا يكون غداؤنا ها هنا ولا ريشهر ، ولا يكونَنّ إلاّ فى المنزل ، ولكن والله ما أراهم يتركوننا . فما فرغا من كلامهما حتى أنشب المسلمون القتالَ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، قتل فيه [٤] شهرك وابنه ، وقتل الله جلّ وعزّ منهم مقتلة عظيمة وولى قتلَ شَهْرك الحكَم بن أبى العاص بن بشر بن دُهمان ، أخو عثمان .

١/٢٦٩٨

وأما أبو معشر فإنّه قال : كانت فارس الأولى وإصطخر الآخرة فى سنة ثمان وعشرين . قال : وكانت فارس الآخرة وجُور سنة تسع وعشرين ؛ حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت الرازىّ ، قال : حدّثنى من سمع إسحاق بن عيسى ، يذكر ذلك عن أبى معشر . وحدثنى عبد الله بن أحمد بن شبّويه المروزىّ ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنا سليمان بن صالح ، قال : حدّثنى عبيدالله ، قال : أخبرنا عبيدالله بن سليمان ، قال : كان عثمان بن أبى العاص أرسل إلى البَحْرين ، فأرسل أخاه الحكَم بن أبى العاص فى ألفيْن إلى تَوّج ؛ وكان كسرى قد فرّ عن المدائن ، ولحق بجُور من فارس .

قال : فحدّثنى زياد مولَى الحكَم بن أبى العاص ، عن الحكَم بن أبى العاص ، قال : قصد إلى شهرك – قال عبيد : وكان كسرى أرسله – قال الحكم : فصعد إلىّ فى الجنود فهبطوا من عـَقَبة ، عليهم الحديد ، فخشيت

(١) س : « أماناتهم » . (٢) ف : « فبسط » ، س : « فتسلط » .
(٣) ط : « شهرك » ، وانظر التصويبات . (٤) ابن حبيش : « وقتل فيه » .

أن تعشوَ أبصارُ الناس ، فأمرت مناديًا ، فنادى أنّ مَن كان عليه عمامة ١/٢٦٩٩ فلْيلفَّها على عينيه ، ومَنْ لم يكن عليه[١] عمامة فليغمّض بصَره ؛ وناديت أن حُطّوا عن دوابّكم . فلما رأى شهرك ذلك حَطّ أيضًا . ثم ناديت : أن اركبوا ، فصففنا لهم وركبوا ، فجعلتُ الجارودَ العبديّ على الميمنة وأبا صُفْرة على الميسرة – يعني أبا المهلّب – فحملوا على المسلمين فهزموهم ؛ حتى ما أسمع لهم صوتًا ، فقال لى الجارود : أيّها الأمير ؛ ذهب الجند ، فقلت : إنك سترى أمرك ، فما لبثنا أن رجعت خيلُهم ، ليس عليها فرسانها[٢] ، والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم ، فنثرت الرءوس بين يديّ ، ومعى بعض ملوكهم – يقال له المُكَعْبِر ، فارقَ كسرى ولحِق بى – فأُتِيتُ برأس ضخم ، فقال المُكَعْبِر : هذا رأس الازدهاق – يعني شهرك – فحوصروا فى مدينة سابور ، فصالحهم – وملكُهم آذَرْبِيان – فاستعان الحكَم بآذَرْبيان على قتال أهل إصْطَخر ، ومات عُمر رضى الله عنه ؛ فبعث عثمان عُبيدَ الله بن معمر مكانَه ، فبلغ عبيد الله أن آذَرْبيان يريد أن يغدِر بهم ، فقال له : إنىّ أحبّ أن تتخذ لأصحابى طعامًا ، وتذبح لهم بقرة ، وتجعل عظامها فى الجَفْنة التى تلينى ، فإنىّ أحبّ ١/٢٧٠٠ أن أتمشّش[٣] العظام. ففعل ، فجعل يأخذ العظم الذى لا يكسر إلا بالفئوس ، فكسره بيده ، فيتمخّخه[٤] – وكان من أشدّ الناس – فقام الملك ، فأخذ برجله ، وقال : هذا مقام العائذ . فأعطاه عهداً ، فأصابت عبيد الله منجنيفة ، فأوصاهم ، فقال : إنكم ستفتحون هذه المدينة إن شاء الله فاقتلوهم بى فيها ساعة . ففعلوا فقتلوا منهم بشراً كثيراً .

وكان عثمان بن أبى العاص لحق الحكَم ، وقد هزم شهرك ، فكتب إلى عمر : إنّ بينى وبين الكوفة فُرْجة أخاف أن يأتيَنى العدوّ منها . وكتب صاحب الكوفة بمثل ذلك : إنّ بينى وبين كذا فُرجة . فاتفق عنده الكتابان ، فبعث أبا موسى فى سبعمائة ، فأنزلهم البصرة .

• • •

---

(١) ابن حبيش : « له » . (٢) س وابن حبيش : « فرسانهم » .

(٣) تمشش العظم : أكل مشاشه ، والمشاش : رأس العظم اللين .

(٤) تمخخ العظم : أخرج مخه .

ذكر فتح فَساودارا بجِرْدَ

كتبَ إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : وقصد سارية بن زُنَيم ، فَسا[1] وَدارَابجِرْد، حتى انتهى إلى عسكرهم ، فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله . ثم إنهم استمدّوا، فتجمّعوا وتجمّعت إليهم أكراد فارس ، فدَهِم المسلمين أمرٌ عظيم ، وجمع كثير[2]؛ فرأى عمر فى تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم[3] فى ساعة من النهار ، ١/٢٧٠١ فنادى من الغد : الصّلاة جامعة ! حتى إذا كان فى الساعة التى رأى فيها ما رأى خرج إليهم ؛ وكان أُرِيَهم والمسلمون بصحراء ؛ إن أقاموا فيها أحيط بهم ، وإن أرَزُوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتَوا إلاّ من وجه واحد . ثمّ قام فقال : يأيّها الناس، إنى رأيت هذين الجمعيْن — وأخبر بحالهما — ثم قال : يا سارية ، الجبلَ ، الجبلَ ! ثمّ أقبل عليهم ، وقال : إنّ لله جنوداً ، ولعلّ بعضها أن يبلِّغهم ؛ ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على الإسناد إلى الجبل ، ففعلوا وقاتلوا القوم من وجه واحد ؛ فهزمهم الله لهم ؛ وكتبوا بذلك إلى عمر واستيلائهم[4] على البلد ودعاء أهله وتسكينهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عمر دِثار بن أبى شبيب ، عن أبى عثمان وأبى عمرو بن العلاء ، عن رجل من بنى مازن ، قالا : كان عمر قد بعث سارية بن زُنَيم الدؤلىّ إلى فَسا ودارَابِجِرْد ؛ فحاصرهم . ثم إنهم تداعَوْا فأصحرُوا له ، وكَثَرُوه فأتوه من كلّ جانب ، فقال عمر وهو يخطب فى يوم جمعة : يا سارية بن زُنَيم ، الجبل، الجبل ! ولما كان ذلك اليوم وإلى جنب[5] المسلمين جبل، إن لجئوا[6] إليه لم يؤتوا إلاّ من وجه واحد، فلجئوا[6] إلى الجبل، ثم قاتلوهم فهزموهم ، فأصاب مغانمهم، ١/٢٠٠٢ وأصاب فى المغانم سَفَطًا فيه جوهر ، فاستوهبه المسلمين لعمر ، فوهبوه له ،

---

(١) ابن حبيش : « لفسا » .
(٢) س وابن كثير : « كبير » .
(٣) ف النويرى : « وعدوهم » .
(٤) س : « وباستيلائهم » .
(٥) ف : « جانب » .
(٦) ابن حبيش : « فألجئوا » .

فبعث به مع رجل[١] ، وبالفتح . وكان الرّسل والوفد يُجازون وتقضَى لهم حوائجهم ، فقال له سارية : استقرض ما تُبلّغ به وما تُخلّفه لأهلك[٢] على جائزتك . فقدِم الرّجل البَصْرة ، ففعل ، ثمّ خرج فقدِم[٣] على عمر ، فوجده يُطعِم الناس ، ومعه عصاه التى يزجُر بها بعيرَه ، فقصد له ، فأقبل عليه بها ، فقال : اجلس ، فجلَس حتى إذا أكل [القوم][٤] انصرف عمر ، وقام فأتبعه ، فظنّ عمر أنه رجل لم يشبع ، فقال حين انتهى إلى باب داره : ادخُل — وقد أمر الخبّاز أن يذهب بالخِوان إلى مطبخ المسلمين — فلما جلس فى البيت أُتِىَ بغَداثه خبز وزيت وملح جَرِيش ، فوُضع وقال : ألا تخرجين يا هذه فتأكلين ؟ قالت : إنى لأسمع حسّ رجل ، فقال : أجل ، فقالت : لو أردتَ أن أبرز للرجال اشتريتَ لى غير هذه الكسوة ؛ فقال : أوَما ترضَيْن أن يقال : أمّ كلثوم بنت علىّ وامرأة عمر ! فقالت : ما أقلّ غَناء ذلك عنى ! ثم قال للرجل : ادنُ فكلْ ، فلو كانت راضيةً لكان أطيب مما ترى ، فأكلا حتى إذا فرغ قال : رسولُ سارية بن زُنيم يا أمير المؤمنين . فقال : مرحبًا وأهلا ، ثم أدناه حتى مسّت ركبتُه ركبَتَه ، ثم سأله عن المسلمين ، ثم سأله عن سارية بن زُنيم ، فأخبره ، ثم أخبره بقصّة الدُّرْج[٥] ، فنظر إليه ثم صاح به ، ثم قال : لا ولا كرامةَ حتى تقدم على ذلك الجند فتقسمه بينهم . فطرده ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنى قد أنضيتُ إبلى واستقرضت فى جائزتى ، فأعطِنى ما أتبلّغ به ؛ فما زال عنه حتى أبدله بعيرًا ببعيره من إبل الصدقة ، وأخذ بعيرَه فأدخله فى إبل الصدقة ، ورجع الرسول مغضوبًا عليه محرومًا حتى قدم البصرة ، فنفذ لأمر عمر ، وقد كان سأله أهل المدينة عن سارية ، وعن الفتح وهل سمعوا شيئًا يوم الوقعة ؟ فقال : نعم ، سمعنا : «ياسارية ، الجبل» ، وقد كدنا نهلِك ، فلجأنا إليه ، ففتح الله علينا . ١/٢٧٠٣

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبىّ ، مثل حديث عمرو .

* * *

(١) ابن حبيش : « رجلا » .

(٢) ابن حبيش : « إلى أهلك » .

(٣) ف : « حتى قدم » .

(٤) من ف .

(٥) الدرج : سفيط صغير .

ذكر فتح كَرْمان

كتبَ إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ؛ قالوا : وقصد سُهَيل بن عدىّ إلى كَرْمان ، ولحقه عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان ، وعلى مقدّمة سُهيل بن عدىّ النُّسير بن عمرو العِجْلىّ ، وقد حشد له أهل كَرْمان ، واستعانوا بالقُفْس ؛ فاقتتلوا فى أدنى أرضهم ، ففضّهم الله ، فأخذوا عليهم بالطريق ، وقتَل النُّسَيرُ مرزبانَها ، فدخل سهيل من قِبَل طريق القُرَى اليومَ إلى جِيرَفْت ، وعبد الله بن عبد الله من مَفازة شِير ، فأصابوا ما شاءوا من بعير أو شاء ، فقوّموا الإبل والغنم فتحاصُّوها بالأثمان لعظَم البُخْت على العِراب ، وكرهوا أن يزيدوا ، وكتبوا إلى عمر ؛ فكتب إليهم : إنّ البعير العربىّ إنما قُوّم بتعيير[1] اللحم ؛ وذلك مثله ؛ فإذا رأيتم أنّ فى البُخت فضلا فزيدوا فإنما هى من قِيَمه .

١/٢٧٠٤

وأما المدائنىّ ، فإنه ذكر أنّ علىّ بن مجاهد أخبره عن حَنْبل بن أبى حريدة — وكان قاضى قُهِسْتان — عن مَرْزُبان قُهِسْتان ، قال : فتح كَرْمان عبد الله بن بُدَيل بن ورقاء الخُزاعىّ فى خلافة عمر بن الخطاب ، ثم أتى الطَّبَسَيْن من كَرْمان ، ثم قدم على عمر ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنى افتتحت الطَّبَسَيْن فأقطِعْنيهما ، فأراد أن يفعل ، فقيل لعمر : إنهما رُستاقان عظيمان ، فلم يُقطعه إيّاهما ؛ وهما بابا خُراسان .

١/٢٧٠٥

* * *

ذكر فتح سِجِسْتَان

قالوا : وقصد عاصم بن عمرو لسِجِسْتَان ، ولحقه عبد الله بن عمير ، فاستقبلوهم فالتقوْا هم وأهل سجستان فى أدنى أرضهم ، فهزموهم ثم أتبعوهم ، حتى حصروهم بزَرَنْج ، ومخروا أرض سِجِسْتان ما شاءوا . ثمّ إنهم طلبوا الصّلح على زَرَنْج وما احتازوا من الأرَضين ؛ فأُعطوه ، وكانوا قد اشترطوا فى صلحهم أنّ فدا فِدَاها حِمًى ؛ فكان المسلمون إذا خرجوا تناذَرُوا خِشية

(١) ط : « بتعبير » ؛ وأثبت ما فى ابن الأثير ؛ وأصله من تعيير الوزن والكيل ؛ أى تقديرهما .

أن يصيبوا منها شيئًا ، فيُخْفِروا . فتمّ أهلُ سِجِسْتان على الخراج والمسلمون على الإعطاء ؛ فكانت سِجِسْتان أعظمَ من خُراسان ، وأبعد فروجًا ، يقاتلون القُنْدُهار والترك وأممًا كثيرة ، وكانت فيما بين السند إلى نهر بَلْخ بحياله ، فلم تزلْ أعظمَ البلدين ، وأصعب الفَرْجين ، وأكثرهما عددًا وجُندًا ؛ حتّى زمان معاوية ، فهرب الشاه من أخيه — واسم أخي الشاه يومئذ رُتْبِيل — ١/٢٧٠٦ إلى بلد فيها يدعى آمُل ، ودانوا لِسَلْم بن زياد ، وهو يومئذ على سِجستان ، ففرح بذلك وعقد لهم ، وأنزلهم بتلك البلاد ، وكتب إلى معاوية بذلك يُرى أنه قد فُتح عليه . فقال معاوية : إنّ ابن أخي ليفرح بأمر إنه ليَحزُنُني وينبغي له أن يحزنه ، قالوا : ولِمَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأنّ آمُلُ بلدة بينها وبين زَرَنْج صُعوبة وتضايُق ، وهؤلاء قوم نُكُرٌ غُدُر ، فيضطرب الحبل غدًا ، فأهون ما يجيء منهم أن يغلبوا على بلاد آمُل بأسرها . وتمّ لهم على عهد ابن زياد ؛ فلمّا وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه ، وغلَب على آمُل ، وخاف رُتبِيل الشاه فاعتصم منه بمكانه الذى هو به اليوم ، ولم يُرْضِه ذلك حين تشاغل الناس عنه حتى طمع فى زَرَنْج ، فغزاها فحصرهم حتى أتتهم الأمداد من البصرة ، فصار رُتبيل والذين جاءوا معه ؛ فنزلوا تلك البلاد شَجًا[1] لم يُنْتزَعْ إلى اليوم ؛ وقد كانت تلك البلاد مذلّلة إلى أن مات معاوية .

* * *

فتح مُكران

قالوا[2] : وقصد الحكَم بن عمرو التغلبيّ لمُكْران ؛ حتى انتهى إليها ؛ ولحق به شهاب بن المخارق بن شهاب ، فانضمّ إليه ، وأمدّه سهيل بن ١/٢٧٠٧ عديّ ، وعبدالله بن عبدالله بن عِتبان بأنفُسهما ، فانتهوا إلى دُوَين النهر ، وقد انفضّ أهل مُكْران إليه حتى نزلوا على شاطئه ، فعسكروا ، وعبَر إليهم راسل[3] ملكُهم ملكَ السند ، فازدلف[4] بهم مستقبلَ المسلمين . فالتقوْا فاقتتلوا بمكان من مُكْران من النهر على أيام ، بعد ما كان[5]

(١) الشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

(٢) س ، ف : « قال » . (٣) س : « رسل » .

(٤) ازدلف : اقترب . (٥) ابن حبيش : «كانوا » .

قد انتهى إليه أوائلهم ، وعسكروا به[1] ليلحق أخراهم[1] ، [2]فهزم الله راسل وسلَبه[2] ، وأباح المسلمين[3] عسكره ، وقتلوا فى المعركة مقتلة عظيمة ، وأتبعوهم يقتلونهم أيامًا ، حتى انتهوا إلى النهر . ثم رجعوا[4] فأقاموا بمُكْران . وكتب الحكَم إلى عمر بالفتح ، وبعث بالأخماس مع صُحار العبدىّ ، واستأمره فى الفِيَلة ، فقدم صُحار على عمر بالخبر[5] والمغانم ، فسأله عمر عن مُكْران — وكان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذى يجىء منه — فقال : يا أمير المؤمنين ، أرض سهلها جَبَل ، وماؤها وشَل[6] ، وتمرها دَقَل[7] ، وعدوّها بطل ، وخيرها قليل ، وشرّها طويل ، والكثير بها قليل ، والقليلُ بها ضائع ، وما وراءها شرّ منها . فقال[8] : أسَجّاعٌ أنت أم مخبِر ؟ قال : لا بل مخبر ، قال : لا ، والله لايغزوها جيش لى ما أُطِعْتُ ؛ وكتب إلى الحكم بن عمرو وإلى سهيل ألاّ يجوزَنّ مُكْران أحد من جنودكما ، واقتصِرا على ما دون النهر ؛ وأمره ببيع الفِيَلة بأرض الإسلام ، وقَسْم أثمانها على مَنْ أفاءها الله عليه . ١/٢٧٠٨

وقال الحكَم بن عمرو[9] فى ذلك :

لقد شَبِعَ الأراملُ غيرَ فَخْرٍ ... بفَىْءٍ جاءهُمْ من مُكْرانِ[10]

أتاهمْ بعد مَسْغَبَةٍ وجَهْدٍ ... وقد صَفِرَ الشّتاءُ من الدُّخانِ

فإنّى لا يَذُمُّ الجيشُ فِعْلِى ... ولا سَيْفى يُذَمُّ ولا سِنانى[11]

(١-١) س : « ليلحق بهم أخراهم » ، ف : « ليلحق أولهم أخراهم » .

(٢-٢) س : « فهزمهم الله وانهزم راسل وسلب » .

(٣) ابن حبيش : « للمسلمين » . (٤) ف : « زحفوا » .

(٥) س : « بالفتح » . (٦) الوشل ، بالتحريك : الماء القليل .

(٧) الدقل : أردأ التمر ، وفى ط : « وثمرها » .

(٨) ف وابن كثير والنويرى : « فقال عمر » . س : « قال له عمر » .

(٩) زاد ياقوت : « التغلبى » .

(١٠) ياقوت ٨ : ١٣٠ ، وفيه : « مكران بالضم ثم السكون وراء وآخره نون ، أعجمية ، وأكثر ماتجىء فى شعر العرب مشددة الكاف » .

(١١) ابن كثير : « ولا لسانى » .

غَداةَ أُدَفِّعُ الأَوْباشَ دَفْعاً[1] إلى السِّندِ العَرِيضةِ والمَدانى
ومِهْرانٌ لنـــا فيما أرَدْنا مُطيعٌ غَيْرَ مُسْتَرْخى العِنانِ
فلَوْلا ما نهى عنـــه أميرى قَطَعْناه إلى البُدُدِ الزَّوانى

* * *

خبر بَيْرُوذ من الأهواز

قالوا : ولما فَصلت الخيول[2] إلى الكُوَر اجتمع ببَيْرُوذ جمعٌ عظيم من الأكراد وغيرهم ، وكان عمر قد عهد إلى أبى موسى حين سارت الجنود إلى الكُوَر أن يسير حتى ينتهى إلى ذمّة البصرة ، كى لا[3] يؤتَى المسلمون من خلفهم ، وخشِىَ أن يُستَلحَم بعضُ جنوده أو ينقطع منهم طرَف ، أو يخلفوا فى أعقابهم ؛ فكان الذى حذر من اجتماع أهل بيروذ ؛ وقد أبطأ أبو موسى حتى تجمعوا ، فخرج أبو موسى حتى ينزل ببَيْرُوذ على الجمع الذى تجمّعوا بها فى رمضان ؛ فالتقَوْا بين نهر تيرى ومناذر ؛ وقد توافَى إليها أهلُ النَّجدات من أهل فارس والأكراد ، ليكيدوا المسلمين ، وليُصيبوا منهم عَوْرة ؛ ولم يشكّوا فى واحدة من اثنتين . فقام المهاجر بن زياد وقد تحنّط واستقتل ، فقال لأبى موسى : أقسِمْ على كلّ صائم لَمَّا رجع فأفطر . فرجع أخوه فيمن رجع لإبرار القسَم ، وإنما أراد بذلك توجيه أخيه عنه لئلا يمنعه من الاستقتال ؛ وتقدّم فقاتل حتى قتِل ، ووهّن الله المشركين حتى تحصّنوا فى قِلّة وذلّة ؛ وأقبل أخوه الربيع ، فقال : هَيْئَ يا والع[4] الدنيا ؛ واشتدّ جزعُه عليه ؛ فرقّ أبو موسى للربيع للذى رآه دخله من مصاب أخيه ، فخلّفه عليهم فى جُند ؛ وخرج أبو موسى حتى بلَغ إصبهان ، فلقِىَ بها جنودَ أهل الكوفة محاصرى جَىّ ، ثم انصرف إلى البصرة ؛ بعد

١/٢٧٠٩ ١/٢٧١٠

---

(١) ف وابن حبيش وابن كثير و ياقوت : « أرفع الأوباش رفعاً » . والأوباش من الناس : المتفرقون ، مثل الأوشاب .

(٢) س : « الجنود » .

(٣) س : « لكيلا » ، ف وابن الأثير : « حتى لا » .

(٤) ابن حبيش : « والغ » .

ظفر الجنود ، وقد فتح الله على الرّبيع بن زياد أهل بيروذ من نهر تيرى ؛ وأخذ ما كان معهم من السَّبْى ، فتنقّى أبو موسى رجالا منهم ممن كان لهم[١] فداء — وقد كان الفداء أردّ على المسلمين من أعيانهم وقيمتهم فيما بينهم — ووفّد الوفود والأخماس ؛ فقام رجل من عَنَزَة فاستوفده ؛ فأبى ؛ فخرج فسعى به فاستجلبه عمر ، وجمع بينهما فوجد أبا موسى أعذَر إلاّ فى أمر خادمه ، فضعّفه فردّه إلى عمله ، وفجّر الآخر ؛ وتقدّم إليه فى ألاّ يعود لمثلها .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : لما رَجع أبو موسى عن إصبهان بعد دخول الجنود الكُور ، وقد هزم الربيع أهلَ بيروذ ، وجمع السَّبى والأموال ؛ فغدا على ستين غلاماً من أبناء الدّهاقين تنقّاهم[٢] وعزلهم ؛ وبعث بالفتح إلى عمر ، ووفّد وفداً[٣] فجاءه رجلٌ من عَنَزَة ، فقال : اكتبنى فى الوفْد ، فقال : قد كتبنا مَن هو أحقّ منك ؛ فانطلق مغاضباً مراغماً ، وكتب أبو موسى إلى عمر : إنّ رجلا من عَنَزَة يقال له ضبّة بن محْصَن ، كان من أمره ... وقصّ قِصّته . فلما قدِم الكتاب والوفد والفتح[٤] على عمر قدم العَنَزىّ فأتى عمر فسلم عليه ، فقال : مَنْ أنت ؟ فأخبره ، فقال : لا مرحباً ولا أهلا ! فقال[٥] : أما المَرْحب فمن الله ، وأما الأهل فلا أهل ؛ فاختلَف إليه ثلاثاً ، يقول له[٦] هذا ويردّ عليه[٦] هذا ؛ حتى إذا كان فى اليوم الرابع ، دخل عليه ، فقال[٧] : ماذا نقِمْتَ على أميرك ؟ قال : تنقّى[٨] ستين غلاماً من أبناء الدّهاقين لنفسه ؛ وله جارية تدعى عَقيلة ، تُغدّى جَفْنة وتُعشّى جفنة ، وليس منا رجلٌ يقدر على ذلك ؛ وله قفيزان ، وله خاتمان ، وفوّض إلى زياد ابن أبى سفيان — وكان زياد يلِى أمورَ البصرة — وأجاز الحطيئة بألف . فكتب عمر كلّ ما قال .

٢٧١١/١

---

(١) ف : « له » . (٢) ابن حبيش : « انتقاهم » .
(٣) س : « وبعث بوفد » . (٤) ابن حبيش : « بالفتح والوفد » .
(٥) س : « فقال العنزى » .
(٦ — ٦) س : « عمر مثل ذلك فيرد عليه مثل مقالته » .
(٧) س : « فقال عمر » . (٨) ف : « انتقى » .

فبعث إلى أبى موسى ؛ فلما قدم حَجَبه أيامًا ، ثم دعا به ، ودعا ضبّة بن مِحْصن ؛ ودفع إليه الكتاب ، فقال : اقرأ ما كتبت ، فقرأ : أخذ ستين غلامًا لنفسه . فقال أبو موسى : دُلِلتُ عليهم وكان لهم فداء ففديتُهم ، فأخذته فقسمته بين المسلمين ؛ فقال ضبّة : والله ما كذب ولا كذبتُ ، وقال : له قفيزان ؛ فقال أبو موسى : قفيز لأهلى أقوتُهم ، وقفيز للمسلمين فى أيديهم ؛ يأخذون به أرزاقهم ؛ فقال ضَبّة : والله ما كذب ولا كذبتُ ؛ فلما ذكر عَقِيلة سكت أبو موسى ولم يعتذر ؛ وعلم أنّ ضبّة قد صدقه . قال : وزياد يلى أمور الناس ولا يعرف هذا ما يلى ؛ قال : وجدت له نُبْلا ورأيًا ، فأسندت إليه عملى . قال : وأجاز الحطيئة بألف ، قال : سددتُ فَمَه بمالى أن يشتمنى ، فقال : قد فعلت ما فعلتَ(١). فردّه عمر وقال : إذا قدمتَ فأرسل إلىّ زياداً وعَقِيلة ، ففعل ، فقدمت عقيلة قبل زياد ؛ وقدم زياد فقام بالباب ، فخرج عمر وزياد بالباب قائم ، وعليه ثياب بياض كتّان ، فقال [له](٢): ماهذه الثياب ؟ فأخبره، فقال : كم أثمانُها ؟ فأخبره بشىء يسير ، وصدّقه ، فقال له : كم عطاؤك ؟ قال ألفان ، قال : ما صنعت(٣) فى أوّل عطاء خرج لك ؟ قال : اشتريت(٤ والدتى فأعتقتها٤) ، واشتريت فى الثانى رَبيبى عُبَيْداً فأعتقتُه ، فقال : وفِّقْت ، وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن ، فوجده فقيهًا . فردّه ، وأمر أمراء البصرة أن يشربوا برأيه ، وحبس عَقِيلة(٥) بالمدينة . وقال عمر : ألا إنّ ضبّة العَنَزِىّ غضب على أبى موسى فى الحق أن أصابه ، وفارقه مراغمًا أن فاته أمر من أمور الدنيا ، فصدق عليه وكذب ، فأفسد كذبُه صدقَه ؛ فإيّاكم والكذبَ ؛ فإنّ الكذب يهدى إلى النار . وكان الحطيئة قد لقيَه فأجازه فى غَزَاة بيروذ ، وكان أبو موسى قد ابتدأ حصارهم وغزاتهم(٦) حتى فلّهم ، ثم جازهم ووكلّ بهم الربيع ؛ ثم

٢٧١٢/١
٢٧١٣/١

---

(١) بعدها فى س : « فارجع إلى عملك » . (٢) من س .
(٣) ف : « فما صدقت » . (٤-٤) ابن حبيش : « والدى فاعتقتهما » .
(٥) س : « وأمر بحبس عقيلة » . (٦) ابن حبيش: « غزاتهم فحاصرهم » .

رجع إليهم بعد الفتح فولِيَ القَسْمَ .

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبى عمرو[١]، عن الحسن، عن أسيد بن المتشمّس بن أخى الأحنف بن قيس ، قال : شهدتُ مع أبى موسى يوم إصبَهان فتح القُرَى ، وعليها عبد الله بن وَرْقاء الرِّياحىّ وعبد الله بن ورقاء الأسدىّ . ثم إنّ أبا موسى صُرِف إلى الكوفة ، واستُعمل على البَصْرة عمر بن سراقة المخزومىّ ، بدوىّ .

ثم إنّ أبا موسى رُدّ على البصرة ، فمات عمر وأبو موسى على البصرة على[٢] صلاتها، وكان عملها مفترقًا غير مجموع ؛ وكان عمر ربما بعث إليه فأمدّ به بعض الجنود ، فيكون مدّداً لبعض الجيوش .

* * *

ذكر خبر سلمة بن قيس الأشجعىّ والأكراد

حدّثنى عبد الله بن كَثير العبدىّ ، قال : حدّثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا أبو جَناب ، قال : حدّثنا أبو المحجّل الرّدينىّ ، عن مخلَد البكرىّ وعلقمة بن مَرْثَد ، عن سليمان بن بُرَيدة ، أنّ أميرَ المؤمنين[٣] كان إذا اجتمع إليه[٤] جيش من أهل الإيمان أمّر عليهم رجلا من أهل العلم والفقه ؛ فاجتمع إليه جيش ، فبعث عليهم[٥] سلَمة بن قيس الأشجعى فقال : سِرْ باسم الله ، قاتِلْ فى سبيل الله من كفر بالله ؛ فإذا لقيتم عدوّكم من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال : ادعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا فاختاروا دارهم فعليهم فى أموالهم الزكاة ؛ وليس لهم فى فىء المسلمين نصيب ، وإن اختاروا أن يكونوا معكم فلهم مثلُ الذى لكم ، وعليهم مثل الذى عليكم ؛ فإن أبوْا فادعوهم[٦] إلى الخراج ؛ فإن أقرّوا بالخراج[٧] فقاتلوا عدوّهم من ورائهم ؛ وفرّغوهم لخراجهم ؛ ولا تكلّفوهم فوق طاقتهم ؛ فإن

١/٢٧١٤

(١) ط : « عمر » ؛ وهو أبو عمرو مولى إبراهيم بن طلحة ، وانظر التصويبات .
(٢) ف : « وعلى » .
(٣) ابن حبيش : « أن عمر رحمه الله » .
(٤) ابن حبيش : « له » .
(٥) ف : « عليه » .
(٦) ابن حبيش : « فسلوهم » .
(٧) ابن حبيش : « فإن أعطوكم » .

أبوْا فقاتلوهم ؛ فإنّ الله ناصركم عليهم ؛ فإن تحصّنُوا منكم فى حصن فسألوكم أن ينزلوا على حكم الله وحكم رسوله ؛ فلا تنزلوهم على حكم الله ؛ فإنكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم ! وإن سألوكم أن ينزلوا على ذمّة الله وذمّة رسوله فلا تعطُوهم ذمّة الله وذمّة رسوله ؛ وأعطوهم ذمم أنفسكم ، فإن قاتلوكم فلا تغلّوا ولا تغدِروا ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا وليداً . قال سلمة : فسرنا حتى لقينا عدوّنا من المشركين[١] ، فدعوْناهم إلى ما أمر به[٢] أمير المؤمنين ، فأبوْا أن يسلِموا ، فدعوناهم إلى الخراج فأبوْا أن يُقرّوا ، فقاتلناهم فنصرَنا الله عليهم ، فقتلنا المقاتلة ، وسبيْنا الذرّية ، وجمعنا الرِّثّة[٣] ؛ فرأى سلَمة بن قيس شيئاً من حِلْية ، فقال : إنّ هذا لا يبلغ فيكم شيئاً ، فتطيب أنفسكم أن نبعث به إلى أمير المؤمنين ، فإنّ له برُدُا ومؤونة ؟ قالوا : نعم ، قد طابت أنفسنا . قال : فجعل تلك الحِلية فى سَفَط ، ثم بعث برجل من قومه ، فقال : اركب بها ؛ فإذا أتيت البَصْرة فاشترِ على جوائز أمير المؤمنين راحلتين ؛ فأوقِرْهما زاداً لك ولغلامك ، ثم سِرْ إلى أمير المؤمنين . ١/٢٧١٥

قال : ففعلت ، فأتيتُ أمير المؤمنين وهو يغدّى الناسَ متكئاً على عصا كما يصنع الراعى وهو يدور على القِصاع ، يقول : يايرفأ ؛ زدْ هؤلاء لحماً ، زِدْ هؤلاء خبزاً ، زدْ هؤلاء مَرَقة ، فلما دُفعتُ إليه ، قال : اجلس ؛ فجلست فى أدنَى الناس ؛ فإذا طعام فيه خشونة طعامى ، الذى معى أطيبُ منه . فلما فرغ الناس من [قصاعهم][٤] قال : يا يرفأ ، ارفع قِصاعك ثمّ أدْبِر ؛ فاتّبعته فدخل داراً ، ثم دخل حجرة ، فاستأذنت وسلمت ، فأذن لى ، فدخلت عليه فإذا هو جالسٌ على مِسْح[٥] متكئٌ على وسادتين من أدُم محشوّتين ليفاً ؛ فنبذ إلىّ بإحداهما ، فجلست عليها ، وإذا بَهْوٌ فى صُفّة فيها بيت عليه ستَيْر ، فقال : يا أم كلثوم ، غداءنا ! فأخرجت إليه خُبزة بزيت فى عرْضها ملح لم يُدَقّ ، فقال : يا أمّ كلثوم ، ألا تخرجين إلينا تأكلين معنا من هذا ؟ قالت : إنى أسمع عندك حِسّ رجل ، ١/٢٧١٦ ١/٢٧١٧

(١) بعدها فى ابن حبيش : « من الأكراد » . (٢) س : « أمرنابه » .
(٣) الرثة : المتاع . (٤) من ابن حبيش .
(٥) المسح : نسيج من الشعر يتخذ بساطاً يجلس عليه .

قال : نعم[١] ولا أراه من أهل البلد — قال : فذلك حين عرفت أنه لم يعرفنى — قالت : لو أردتَ أنأخرج إلى الرجال لكسوتَـنِى كما كسا ابنُ جعفر امرأته ، وكما كسا الزّبير امرأته ، وكما كَسَا طلحة امرأته ! قال : أوَ مَا يَكفيك أن يقال : أمّ كُلثوم بنت علىّ بن أبى طالب وامرأة أمير المؤمنين عمر ! فقال : كلْ ؛ فلو كانت راضيةً لأطعمتْك أطيبَ من هذا . قال : فأكلتُ قليلا — وطعامى الذى معى أطيب منه — وأكل ، فما رأيت أحداً أحسن أكلا منه مايتلبّس طعامُه بيده ولا فمه ، ثم قال : اسقونا ، فجاءوا بعُسّ من سُلْت[٢] فقال : أعط الرّجل ، قال : فشربت قليلا ، سويقى الذى معى أطيب منه ، ثمّ أخذه فشربه حتى قرَع القدح جبهته ، وقال : الحمد لله الذى أطعمنا فأشبعنا ، وسقانا فأروانا . قال : قلت : قد أكل أمير المؤمنين فشبع ، وشرب فروِىَ ؛ حاجتى يا أمير المؤمنين ! قال : وما حاجتك ؟ قال : قلت : أنا رسول

١/٢٧١٨ سلمة بن قيس ، قال : مرحبًا بسلمةَ بن قيس ورسوله[٣] ، حدّثنى عن المهاجرين كيف هم ؟ قال : قلت : هم يا أميرَ المؤمنين كما تحبّ من السلامة والظّفر على عدوّهم[٤] . قال : كيف أسعارهم ؟ قال : قلت : أرخص أسعار . قال : كيف اللحم فيهم فإنها شجرة العرب ولا تصلح العرب إلا بشجرتها ؟ قال : قلت : البقرة فيهم بكذا ، والشاة فيهم بكذا يا أميرَ المؤمنين ، سرنا حتى لقينا عدونا من المشركين فدعوْناهم إلى ما أمرتَنا به من الإسلام فأبوْا ، فدعوْناهم إلى الخراج فأبوْا ، فقاتلناهم فنصرَنا الله عليهم ، فقتلْنا المقاتلة ، وسبيْنا الذّرّية ، وجمعنا الرِّثّة ؛ فرأى سلمة فى الرِّثّة حِلْيةً ، فقال للناس : إنّ هذا لا يبلغ فيكم شيئًا ، فتطيب أنفسكم أنْ أبعثَ به إلى أمير المؤمنين ؟ فقالوا : نعم . فاستخرجت سَفَطى ، فلما نظر إلى تلك الفصوص من بين أحمر وأصفر وأخضر ، وثب ثمّ جعل يده فى خاصرته ،

١/٢٧١٩ ثم قال : لا أشبع الله إذاً بطن عمر ! قال : فظنّ النساء أنى أريد أن أغتاله ، فجئن إلى الستر ، فقال : كفّ ما جئت به ، يا يرفأ ، جأْ عنقه . قال : فأنا

---

(١) ابن حبيش : « أجل » . (٢) السلت : شراب من سويق الشعير .

(٣) ابن حبيش : « وبرسوله ، وكأنما خرجت من صلبه » .

(٤) ابن حبيش : « العدو » .

أصلح سَفَطى وهو يجأ عنقى ! قلت : يا أميرَ المؤمنين أبْدِعَ[١] بى فاحملنى ، قال : يا يرفأ أعطه راحلتين من الصدقة ، فإذا لقيتَ أفقر إليهما منك فادفعهما إليه . قلت : أفعلُ يا أمير المؤمنين ، فقال : أمَا والله لئن تفرّق المسلمون فى مشاتيهم قبل أن يقسَم هذا فيهم لأفعلنّ بك وبصاحبك الفاقرة[٢].

قال : فارتحلتُ حتى أتيت سلمة ، فقلت : ما بارك الله لى فيما اختصصتنى به ، اقسم هذا فى الناس قبل أن تصيبنى وإيّاك فاقرة، فقسمه فيهم ، والفصّ يباع بخمسة دراهم وستة دراهم ؛ وهو خير من عشرين ألفًا . ١/ ٢٧٢٠

وأما السّرىّ فإنه ذكر — فيما كتب به إلىّ يذكر عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى جناب ، عن سليمان بن بُريدة — قال : لقيت رسولَ سلمة ابن قيس الأشجعىّ ، قال : كان عمر بن الخطاب إذا اجتمعَ إليه جيشٌ من العرب ... ثم ذكر نحو حديث عبد الله بن كثير عن جعفر بن عون ؛ غير أنه قال فى حديثه عن شعيب عن سيف : وأعطوهم ذِمم أنفسكم . قال : فلقينا عدوّنا من الأكراد ، فدعوناهم .

وقال أيضًا : وجمعنا الرِّثّة ، فوجد فيها سلَمة حُقّتين جوهراً ، فجعلها فى سَفَط .

وقال أيضًا : أوَ ما كفاكِ أن يقال: أمّ كُلثوم بنت علىّ بن أبى طالب امرأة عمر بن الخطّاب! قالت : إنّ ذلك عنى لقليل الغَناء ، قال : كل .

وقال أيضًا : فجاءوا بعُسٍّ من سُلْت ، كلّما حرّكوه فارَ فوقه مما فيه ؛ وإذا تركوه سكن . ثم قال : اشرب ، فشربت قليلا ؛ شرابى الذى معى أطيب منه ، فأخذ القَدَح فضرب به جبهته . ثم قال : إنك لضعيفُ الأكل ، ضعيف الشرب . ١/ ٢٧٢١

وقال أيضا : قلت : رسول سلمة ، قال: مرحبًا بسلَمة وبرسوله؛ وكأنما خرجتَ من صلبه ؛ حدّثنى عن المهاجرين .

---

(١) فى اللسان: « يقال : أبدعت به راحلته إذا ظلعت ، وأبدع به : كلت راحلته أو أعطبت به وبقى منقطعاً به » .
(٢) الفاقرة : أى الداهية .

وقال أيضاً : ثم قال : لا أشبع الله إذاً بطن عمر ! قال : وظنّ النساء أنى قد اغتلتُه ، فكشفن السّتر ، وقال : يا يرفأ ، جأ عنقه ، فوجأ عنق وأنا أصيح ، وقال : النّجاء ، وأظنّك ستبطئ . وقال : أما والله الذى لا إله غيره لئن تفرّق الناس إلى مشاتيهم ... وسائر الحديث نحو حديث عبد الله بن كثير .

وحدّثنا الرّبيع بن سليمان ، قال : حدّثنا أسد بن موسى ، قال : حدّثنا شهاب بن خِراش الحوشبىّ ، قال : حدّثنا الحجاج بن دينار ، عن منصور ابن المعتمر ، عن شقيق بن سلمة الأسدىّ ، قال : حدّثنا الذى جرى بين عمر بن الخطاب وسلَمة بن قيس ، قال : ندب عمر بن الخطاب الناس إلى سلمة بن قيس الأشجعىّ بالحيرة ، فقال : انطلقوا باسم الله ... ثم ذكر نحو حديث عبد الله بن كثير ، عن جعفر .

قال أبو جعفر : وحجّ عمر بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه السنة ؛ وهى آخر حَجّة حجّها بالناس ؛ حدّثنى بذلك الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، عن الواقدىّ .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة عمر]

وفى هذه السنة كانت وفاته .

١/٢٧٢٢ * ذكر الخبر عن مقتله :

حدّثنى سلم[١] بن جُنادة ، قال : حدّثنا سُليمان بن عبد العزيز بن أبى ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : حدّثنا أبى ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه ، عن المِسْوَر بن مَخْرمة . — وكانت أمّه عاتكة بنت عوف — قال : خرج عمر بن الخطاب يوماً يطوف فى السوق ، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ؛ وكان نصرانيّاً ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أعدِنى[٢] على المغيرة بن شعبة ؛ فإنّ علىّ خراجاً كثيراً ،

---

(١) ط : « سلمة » ، وانظر ميزان الاعتدال .
(٢) أعدنى ، أى أعنى وانصرنى .

قال : وكم خراجُك ؟ قال : درهمان فى كلّ يوم، قال : وأَيش صناعتك ؟ قال: نجّار ، نقّاش،حدّاد، قال : فما أرى خراجَك بكثير على ما تصنع من الأعمال ، قد بلغنى أنك تقول : لو أردتُ أن أعملَ رحاً تطحن بالريح فعلت ، قال : نعم ؛ قال : فاعمل لى رحاً ، قال : لئن سلمتُ لأعملنّ لك رحًا يتحدّث بها مَنْ بالمشرق والمغرب ، ثم انصرف عنه ؛ فقال عمر رضى الله تعالى عنه : لقد توعّدنى[١] العبد آنفًا ! قال : ثمّ انصرف عمر إلى منزله؛ فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال له : يا أمير المؤمنين، اعهد ، فإنك ميّت فى ثلاثة أيام ؛ قال : وما يُدريك ؟ قال : أجده فى كتاب الله عزّ وجلّ التوراة ، قال عمر : آللهَ إنك لتجد عمر ابن الخطاب فى التوراة ؟ قال : اللهمّ لا ؛ ولكنى أجد صفتَك وحِلْيتك ، وأنه قد فنِىَ أجلُك — قال : وعمر لا يُحسّ وجعًا ولا ألمًا— فلما كان من الغد جاءه كعب ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ذهب يوم وبقى يومان ؛ قال : ثمّ جاءه[٢] من غد الغد ؛ فقال : ذهب يومان وبقىَ يوم وليلة ؛ وهى لك إلى صبيحتها . قال : فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة ؛ وكان يوكّل بالصّفوف رجالا ؛ فإذا استوت جاء هو فكبّر . قال : ودخل أبو لؤلؤة فى الناس ، فى يده خِنجر له رأسان نصابه فى وسطه ، فضرب عمر ستّ ضربات ، إحداهنّ تحت سُرّته ؛ وهى التى قتلته ؛ وقتِل معه كُليب ابن أبى البُكَيْر الليثىّ — وكان خلفه — فلما وجد عمر حرّ السلاح سقط ، وقال : أفى الناس عبد الرحمن بن عوف ؟ قالوا : نعم يا أميرَ المؤمنين ، هو ذا ؛ قال : تقدّم فصلّ بالناس ، قال : فصلى عبدُ الرحمن بن عوف ، وعمر طريح، ثم احتمِل فأدخل داره، فدعا عبد الرحمن بن عوف، فقال : إنى أريد أن أعهدَ إليك ؛ فقال : يا أميرَ المؤمنين نعم ؛ إن أشرت علىّ قبلت منك ؛ قال : وما تريد ؟ قال : أنشدك الله ؛ أتشير علىّ بذلك ؟ قال : اللهم لا ، قال: والله لا أدخل[٣] فيه أبداً، قال : فهبْ[٤] لى صمتًا

١/٢٧٢٣ ١/٢٧٢٤

---

(١) س وابن الأثير والنويرى : « أوعدنى » . (٢) ف : « ثم جاء » .
(٣) س : « ماأدخل » . (٤) س وابن الأثير والنويرى : «فهبنى» .

حتى أعهد إلى النفر الذين تُوفّىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ . ادعُ لى علياً وعثمان والزبير وسعداً . قال : وانتظروا أخاكم طلحة ثلاثاً فإن جاء وإلا فاقضوا(١) أمركم ؛ أنشدك الله يا علىّ إن وَلِيتَ من أمور الناس شيئاً أن تحمل بنى هاشم على رقاب الناس ؛ أنشدك الله يا عثمان إن وَليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل بنى أبى مُعيط على رقاب الناس ؛ أنشدك الله يا سعد إن وَلِيت من أمور الناس شيئاً أن تحمل أقاربك على رقاب الناس ؛ قوموا فتشاوروا ثم اقضوا أمركم ؛ وليصلّ بالناس صُهيب .

ثم دعا أبا طلحة الأنصارىّ ، فقال : قم على بابهم ؛ فلا تدعْ أحداً يدخل إليهم ؛ وأوصِي الخليفة من بعدى بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان، أن يُحسِن إلى محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم ؛ وأوصى الخليفة من بعدى بالعرب ؛ فإنها(٢) مادّة الإسلام ، أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فيوضع فى فقرائهم ، وأوصى الخليفة من بعدى بذمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفىَ لهم بعهدهم ، اللهم هل بلّغت! تركتُ الخليفة من بعدى على أنقَى من الراحة ؛ يا عبد الله بن عمر اخرج فانظر مَنْ قتلنى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، قال : الحمد لله الذى لم يجعل منيّتى بيد رجل سجد لله سجدة واحدة؛ يا عبد الله بن عمر ، اذهب إلى عائشة فسلْها أن تأذن لى أن أدفن مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر(٣)، يا عبدَ الله بن عمر ، إن اختلف القوم فكن مع الأكثر ؛ وإن كانوا ثلاثة وثلاثة فاتّبع الحزب الذى فيه عبد الرحمن ؛ يا عبد الله ائذن للناس ، قال : فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه ، ويقول لهم : أعن ملأ منكم كان هذا ؟ فيقولون : معاذ الله ! قال : ودخل فى الناس كعب ، فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول : ١/٢٧٢٥

فأَوعَدَنِى كعبٌ ثلاثاً أعُــــدُّها ولاشكَّ أن القولَ ماقال لى كعبُ

---

(١) س : « فامضوا » .

(٢) س وابن الأثير والنويرى : « فإنهم » .

(٣) بعدها فى ف : « الصديق رضى الله عنه » .

وما بى حِذارُ الموتِ إنّى لَميّتٌ ولـكنْ حِذارُ الذّنبِ يتْبَعهُ الذّنبُ

قال : فقيل له : يا أميرَ المؤمنين لو دعوتَ الطبيب ! قال : فدعى طبيب من بنى الحارث بن كعب ، فسقاه نبيذاً فخرج النبيذ مشكّلاً ، قال : فاسقوه لبناً ، قال : فخرج اللبن محضًا ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، اعهد ، قال : قد فرغت .

قال : ثمّ توفى ليلة الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذى الحجّة سنة ثلاثٍ وعشرين . قال : فخرجوا به بكْرة يوم الأربعاء ، فدفن فى بيت عائشة مع النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبى بكر . قال : وتقدّم صُهيب فصلّى عليه، وتقدّم ٢٧٢٦/١ قبل ذلك رجُلان من أصحاب رسول[1] الله صلى الله عليه وسلم : علىّ وعثمان، قال : فتقدّم واحد من عند رأسه ، والآخر من عند رجليه ؛ فقال عبد الرحمن : لا إله إلا الله ؛ ما أحرصكما على الإمرة ! أما علمتما أنّ أمير المؤمنين قال : لِيُصَلِّ بالناس صهيب ! فتقدّم صهيب فصلّى عليه . قال : ونزل فى قبره الخمسة .

* * *

قال أبو جعفر : وقد قيل إن وفاته كانت فى غرّة المحرّم سنة أربع وعشرين .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدّثنى أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد ، عن أبيه قال : طُعِن عمر رضى الله تعالى عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجّة سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرّم سنة أربع وعشرين ؛ فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلةً ، من متوفَّى أبى بكر ، على رأس اثنتين وعشرين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً من الهجرة . وبويع لعثمان بن عفان يوم الاثنين لثلاث مضين من المحرّم .

قال : فذكرت ذلك لعثمان الأخنسىّ ، فقال : ما أراك إلا وهِلْتَ[2] ؛ توفّىَ

---

(١) س : « النبى » . (٢) وهلت ووهمت ، كلاهما بمعنى .

عمر رضى الله تعالى عنه لأربع ليال بقين من ذى الحجة ، وبويع لعثمان بن عفّـــان لليلةٍ بقيت من ذى الحجّة ، فاستقبل بخلافته المحرّم سنة أربع وعشرين . ١/٢٧٢٧

وحدّثنى أحمدُ بن ثابت الرازىّ ، قال : حدّثنا محدّث ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبى معشر ، قال : قتِل عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجّة تمام سنة ثلاث وعشرين ، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ؛ ثم بويع عثمان بن عفان .

قال أبو جعفر : وأما المدائنىّ ، فإنه قال فيما حدّثنى عمر عنه ، عن شريك ، عن الأعمش — أو عن جابر الجُعْفىّ — عن عوف بن مالك الأشجعىّ وعامر بن أبى محمد ، عن أشياخ من قومه ؛ وعثمان بن عبد الرحمن ، عن ابنَىْ شهاب الزُّهرىّ ، قالوا : طُعِن عمر يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى الحجة. قال : وقال غيرهم : لستّ بقين من ذى الحجة .

وأما سيف ، فإنه قال فيما كتبَ إلىّ به السرىّ يذكر أن شعيبًا حدّثه عنه ، عن خُليد بن ذفَرة ومجالد ، قال : استُخلف عثمان لثلاث مضين من المحرم سنة أربع وعشرين ، فخرج فصلّى بالناس العصر ؛ وزاد : ووفّد فاستُنّ به .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، قال : اجتمع أهلُ الشورى على عثمان ، لثلاثٍ مضين من المحرّم ؛ وقد دخل وقت العصر ، وقد أذّن مؤذن صهيب ، واجتمعوا بين الأذان والإقامة ، فخرج فصلّى بالناس ، وزاد الناس مائة ؛ ووفّد أهل الأمصار ، وصنع فيهم . وهو أوّل من صنع ذلك . ١/٢٧٢٨

وحُدّثت عن هشام بن محمد ، قال : قتِل عمر لثلاث ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام .

• • •

ذكر نسب عمر رضى الله عنه

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق . وحدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر وهشام ابن محمد . وحدّثنى عُمر ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قالوا جميعاً فى نسب عمر : هو عمرُ بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزاح بن عدىّ بن كعب بن لؤىّ . وكنيته أبو حفص ، وأمّه حَنْتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

* * *

[تسميته بالفاروق]

قال أبو جعفر : وكان يقال له الفاروق .

وقد اختلف السلف فيمن سمّاه بذلك ، فقال بعضهم : سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو حَزْرة يعقوب بن مجاهد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبى عمرو ذكْوان ، قال : قلتُ لعائشة : من سمّى عمر الفاروق ؟ قالت : النبىّ صلى الله عليه وسلم . ٢٧٢٩/١

* * *

وقال بعضهم : أوّل مَنْ سمّاه بهذا الاسم أهل الكتاب .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان ، قال : قال ابن شهاب : بلغنا أنّ أهل الكتاب كانوا أوّلَ مَن قال لعمر : الفاروق ؛ وكان المسلمون

يأثُرون ذلك من قولهم؛ ولم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من ذلك شيئاً .

* * *

ذكر صفته

حدّثنا هنّاد بن السّرىّ ، قال : حدّثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عاصم بن أبى النَّجُود ، عن زِرّ بن حُبيش ، قال : خرج عمر فى يوم عيد — أو فى جنازة زينب — آدم طُوالاً أصلعَ أعسرَ يَسَراً، يمشى كأنه راكب .

حدّثنا هنّاد ؛ قال : حدّثنا شريك ، عن عاصم ، عن زِرّ ، قال : رأيت عمر يأتى العيد ماشياً حافياً أعسَر أيْسَر متلبِّباً بُرْداً قَطَرِيّاً ، مشرفاً على الناس كأنه على دابّة ؛ وهو يقول : أيّها الناس ؛ هاجروا ولا تهجَّروا . ٢٧٣٠/١

وحدثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ؛ قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر ، عن عاصم بن عبيد الله ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، قال : رأيت عمرَ رجلاً أبيض أمْهَق ، تعلُوه حُمرة ، طُوالاً أصلع .

وحدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا شُعيب بن طلحة ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمد ، قال: سمعتُ ابنَ عمر يصفُ عمر يقول: رجل أبيض، تعلوه حُمرة، طُوال، أشيب، أصلع .

وحدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : أخبرنا خالد بن أبى بكر ، قال : كان عُمر يصفّر لحيتَه ، ويرجّل رأسه بالحِنّاء .

* * *

ذكر مولده ومبلغ عمره

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدّه، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب، يقول: وُلِدت قبل الفِجار الأعظم الآخر بأربع سنين.

* * *

قال أبو جعفر: واختلف السلف فى مبلغ سِنِى عمر، فقال بعضهم: كان يوم قتِل ابنَ خمس وخمسين سنة.

• ذكر بعض من قال ذلك:

حدّثني زيد بن أخزم الطائى، قال: حدّثنا أبو قتيبة، عن جرير ابن حازم، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قتل عمر بن الخطّاب وهو ابن خمس وخمسين سنة. ٢٧٢١/١

وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكَم، قال: حدّثنا نُعيم ابن حمّاد، قال: حدّثنا الدراوَرْديّ، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: توفى عمر وهو ابن خمس وخمسين سنة.

وحُدّثت عن عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن ابن شهاب أنّ عمر توفى على رأس خمس وخمسين سنة.

* * *

وقال آخرون: كان يوم توفّى ابن ثلاث وخمسين سنة وأشهر.

• ذكر من قال ذلك:

حدّثت بذلك عن هشام بن محمد بن الكلبىّ.

* * *

وقال آخرون توفّى وهو ابن ثلاث وستين سنة.

• ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا ابنُ أبى عدىّ ، عن داود ، عن عامر ، قال : مات عُمَر وهو ابن ثلاث وستين سنة .

* * *

وقال آخرون : تُوفّى وهو ابن إحدى وستين سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حُدّثت بذلك ، عن أبى سلَمة التَّبُوذَكىّ ، عن أبى هلال ، عن قتَادة .

* * *

١/٢٧٣٢ وقال آخرون : تُوُفّىَ وهو ابن ستّينُ سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : تُوفّىَ عمر وهو ابن ستين سنة .

قال محمد بن عمر : وهذا أثبت الأقاويل عندنا ؛ وذكر عن المدائنىّ أنه قال : توفّىَ عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة .

* * *

ذكر أسماء ولده ونسائه

حدّثنى أبو زيد عمر بن شبّة ، عن علىّ بن محمد والحارث ، عن محمد بن سعد؛ عن محمد بن عمر . وحُدّثت عن هشام بن محمد — اجتمعت معانى أقوالهم ، واختلفت الألفاظ بها — قالوا : تزوّج عُمَر فى الجاهلية زينب ابنة مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة .

وقال علىّ بن محمد: وتزوّج مليكة ابنة جرْوَل الخُزاعىّ فى الجاهليّة، فولدت له عبيد الله بن عمر ، ففارقها فى الهُدْنة ، فخلف عليها بعد عمر أبو الجهم بن حُذيفة .

وأما محمّد بن عمر ، فإنه قال : زيد الأصغر وعبيد الله الذى قتل يوم صِفّين مع معاوية، أمّهما[1] أمّ كلثوم بنت جَرْوَل بن مالك بن المسيّب بن ربيعة بن أصرم بن ضَبيس بن حرَام بن حَبَشيّة بن سَلُول بن كعب ابن عمرو بن خُزاعة ؛ وكان الإسلام فرّق بينها وبين عمر . ٢٧٣٣/١

قال علىّ بن محمد : وتزوّج قُرَيبة ابنة أبى أميّة المخزومىّ فى الجاهليّة، ففارقها أيضاً فى الهُدْنة ، فتزوّجها بعده عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق .

قالوا : وتزوّج أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم فى الإسلام ؛ فولدت له فاطمة فطلّقها . قال المدائنىّ : وقد قيل : لم يطلقها .

وتزوج جميلة أخت عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح — واسمه قيس بن عصمة بن مالك بن ضبيعة بن زيد بن الأوس من الأنصار فى الإسلام — فولدت له عاصماً ، فطلّقها وتزوّج أمّ كلثوم بنت علىّ بن أبى طالب ؛ وأمّها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصدقها — فيما قيل — أربعين ألفاً ، فولدت له زيداً ورقيّة .

وتزوّج لُهيّة ، امرأة من اليمن ، فولدت له عبدالرحمن. قال المدائنىّ: ولدت له عبد الرحمن الأصغر . قال : ويقال كانت أمّ ولد . قال الواقدىّ: لُهيّة هذه أم ولد . وقال أيضًا : ولدت له لهيّة عبد الرحمن الأوسط . وقال: عبد الرّحمن الأصغر أمه أمّ ولد .

وكانت عنده فُكَيْهة ، وهى أمّ ولد وفى أقوالهم فولدت له زينب . وقال الواقدىّ: هى أصغر ولد عمر .

وتزوّج عاتكة ابنة زيد بن عمرو بن نُفَيل ؛ وكانت قبله عند عبد الله ابن أبى بكر ؛ فلمّا مات عمر تزوّجها الزبير بن العوّام . ٢٧٣٤/١

قال المدائنىّ : وخطب أمّ كلثوم بنت أبى بكر وهى صغيرة ، وأرسل فيها إلى عائشة ، فقالت : الأمر إليكِ ، فقالت أمّ كلثوم : لا حاجة لى

---

(١) س : « وأبهما » .

فيه ؛ فقالت لها عائشة : ترغبين عن أميرِ المؤمنين ! قالت : نعم ؛ إنه خشِن العيش ، شديد على النساء ؛ فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته ، فقال : أكفيكِ ؛ فأتى عمرَ فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ بلَغني خبر أعيذك بالله منه ، قال : وما هو ؟ قال : خطبْتَ أمّ كلثوم بنت أبي بكر ! قال : نعم ؛ أفرغبتَ بي عنها ، أم رغبتَ بها عني ؟ قال : لا واحدة ؛ ولكنها حدَثة نشأت تحت كنَف أمّ المؤمنين في لين ورفق ؛ وفيك غلظة ، ونحن نهابك ، وما نقدر أن نردّك عن خلُق من أخلاقك ؛ فكيف بها إن خالفتك في شيء ، فسطوتَ بها ! كنتَ قد خلَفت أبا بكر في ولده بغير ما يحقّ عليك . قال : فكيف بعائشة وقد كلّمتُها ؟ قال : أنا لك بها ؛ وأدلّك على خير منها ، أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب ، تعلَقْ منها بسبَبٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال المدائنيّ : وخطب أمّ أبان بنت عُتبة بن ربيعة ، فكرهتْه ، وقالت : يُغلِق بابه ، ويمنع خيرَه ، ويدخل عابساً ، ويخرج عابساً .

* * *

ذكر وقت إسلامه

١/٢٧٣٥ قال أبو جعفر : ذُكِر أنه أسلم بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى وعشرين امرأة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : ذكرت له حديث عمر ، فقال : أخبرني عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير ، قال : أسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى وعشرين امرأةً .

* * *

ذكر بعض سيَره

حدّثني أبو السائب ، قال : حدّثنا ابنُ فُضَيل ، عن ضرار ، عن

حصين المرّىّ ، قال : قال عمر : إنما مثلُ العرب مثل جمل أنِفٍ اتبع قائدَه ، فلينظرْ قائدُه حيث يقوده ؛ فأمّا أنا فوربِّ الكعبة لأحملنّهم على الطريق .

وحدّثنى يعقوبُ بن إبراهيم ، قال : حدّثنا إسماعيلُ بن إبراهيم ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : قال عمر : إذا كنت فى منزلة تسعُنى وتعجِز عن الناس فوالله ما تلك لى بمنزلة حتّى أكون أسوةً للناس . ١/٢٧٣٦

حدّثنا خلاّد بن أسلم ، قال : حدّثنا النّضْر بن شُمَيل ، قال : أخبرنا قَطَن ، قال : حدّثنا أبو يزيد المدينىّ ، قال : حدّثنا مولًى لعثمان ابن عفان ، قال : كنت رديفًا لعثمان بن عفان ؛ حتّى أتى على حظيرة الصدقة فى يوم شديد الحرّ شديد السَّموم ؛ فإذا رجل عليه إزار ورداء ، قد لفّ رأسَه برداء يطرُد الإبل يُدخلها الحظيرة ؛ حظيرة إبل الصدقة ؛ فقال عثمان : مَنْ ترى هذا ؟ قال : فانتهينا إليه ؛ فإذا هو عمر بن الخطاب ، فقال : هذا والله القوىّ الأمين .

حدّثنى جعفر بن محمد الكوفىّ وعباس بن أبى طالب ؛ قالا : حدّثنا أبو زكرياء يحيى بن مصعب الكلبىّ ، قال : حدّثنا عمر بن نافع ، عن أبى بكر العبسىّ ، قال : دخلت حَيْر(١) الصّدقة مع عمر بن الخطاب وعلىّ بن أبى طالب ، قال : فجلس عثمان فى الظلّ يكتب ، وقام على رأسه يملّ عليه ما يقول عمر ، وعمر فى الشمس قائم فى يوم حارّ شديد الحرّ ، عليه بُرْدان أسودان ؛ متزراً بواحد ، وقد لفّ على رأسه آخر ، يعدّ إبل الصدقة ، يكتب ألوانها وأسنانها ، فقال علىّ لعثمان — وسمعته يقول : نعتَ بنت شعيب فى كتاب الله : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِىُّ الْأَمِينُ ﴾(٢) ، ثم أشار علىّ بيده إلى عمر ، فقال : هذا القوىّ الأمين ! ١/٢٧٣٧

حدّثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا إسماعيل ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : قال عمر : لئن عشت إنْ شاء الله لأسيرنّ فى الرعيّة حَوْلاً ، فإنى أعلمُ أنّ للناس حوائج تقطع دونى ؛ أما عمّالهم فلا يرفعونها إلىّ ؛ وأمّا هم فلا ١/٢٧٣٨

(١) الحير : الحمى ؛ ويراد به هنا الحظيرة . (٢) سورة القصص ٢٦ .

يصلون إلىّ ، فأسير إلى الشأم ، فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين ؛ والله لنعمَ الحوْل هذا !

حدّثني محمد بن عوْف ؛ قال : حدثنا أبو المغيرة عبد القدّوس بن الحجّاج ، قال : حدثّنا صفوان بن عمرو ، قال : حدّثني أبو المخارق زهير ابن سالم ، أنّ كعب الأحبار ، قال : نزلتُ على رجل يقال له مالك — وكان جاراً لعمر بن الخطاب — فقلت له : كيف بالدخول على أمير المؤمنين ؟ فقال : ليس عليه باب ولا حجاب ، يصلّى الصلاة ثم يَقْعُد فيكلّمه مَن شاء .

حدّثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدّثنا سفيان ، عن يحيى ، قال : أخبرني سالم ، عن أسلم ، قال : بعثنى عمر بإبل من إبل الصدقة إلى الحِمَى ، فوضعت جَهازى على ناقة منها ؛ فلما أردت أن أُصدِرها ، قال : اعرِضْها علىّ ، فعرضتُها عليه ، فرأى متاعى على ناقة منها حسناء ، فقال : لا أمّ لك ! عَمَدت إلى ناقة تغنى أهلَ بيت المسلمين ! فهلاّ ابن لَبون بوّالا ، أو ناقةً شَصُوصاً[١] !

١/٢٧٣٩ حدّثني عمر بن إسماعيل بن مجالد الهمْدانىّ ، قال : حدثنا أبو معاوية عن أبي حيان ، عن أبي الزّنباع ، عن أبي الدهقانة ، قال : قيل لعمر بن الخطاب : إن ها هنا رجلاً من أهل الأنبار له بَصر بالديوان ؛ لو اتّخذتَه كاتباً ! فقال عمر : لقد اتّخذتُ إذاً بِطانةً من دون المؤمنين !

حدّثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه ، عن جدّه ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب الناس ، فقال : والذِى بعث محمداً بالحق ؛ لو أنّ جملا هلك

---

(١) ابن اللبون : ولد الناقة إذا كان فى العام الثانى واستكمله . والشصوص : الناقة الغليظة اللبن .

ضياعًا بشطّ الفُرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب . قال أبو زيد : آل الخطاب يعني نفسَه ، ما يعني غيرها .

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة ، عن أبي عمران الجونيّ ، قال : كتب عمر إلى أبي موسى : إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم ؛ فأكرمْ مَن قِبَلك من وجوه الناس ، وبحسْب المسلم الضعيف من العدل ؛ أن يُنْصَف في الحُكْم وفي القَسْم .

وحدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا ابن إدريس ، قال : سمعت مطرّفًا ، عن الشعبيّ ، قال : أتى أعرابيّ عمر ، فقال : إن ببعيري نُقَبًا ودَبَرًا فاحملني ؛ فقال له عمر ؛ ما ببعيرك نُقَب ولا دبَر ، قال : فولّى وهو يقول :

أقسَمَ باللهِ أبو حَفْص عُمَرْ ما مَسَّها مِن نُقَبٍ ولا دَبَرْ
* فاغفِرْ له اللهمّ إن كان فَجَر *

فقال : اللهمّ اغفر لي ! ثم دعا الأعرابيّ فحمله .

٢٧٤٠/١ وحدّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا إسماعيل ، قال : أخبرنا أيّوب ، عن محمد ، قال : نُبِّئتُ أنّ رجلاً كان بينه وبين عمر قَرابة ، فسأله فزَبره ، وأخرجه فكُلِّم فيه ؛ فقيل : يا أميرَ المؤمنين ؛ فلان سألك فزبرتَه وأخرجتَه ، فقال : إنه سألني من مال الله ؛ فما معذرتي إنْ لقيتُه ملكًا خائنًا ! فلولا سألني من مالي ! قال : فأرسل إليه بعشرة آلاف .

وكان عمر رحمه الله إذا بعث عاملا له على عمل يقول — ما حدّثنا به محمد بن المثنّى ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن مهديّ ، قال : حدّثنا شعبة ، عن يحيي بن حصَين ، سمع طارق بن شهاب يقول : قال عمر في عمّاله : اللهمّ إني لم أبعثهم ليأخذوا أموالهم ؛ ولا ليضربوا أبشارهم ؛ مَن ظلَمه أميره فلا إمْرة عليه دوني .

وحدّثنا ابنُ بشّار ، قال : حدّثنا ابنُ أبي عديّ ، عن شعبة ، عن

---

(١) النقب الجرب : والدبر ، بفتحتين جمع دبرة ؛ وهي قرحة في الدابة .

قتادة ، عن سالم بن أبى الجعْد، عن مَعْدان بن أبى طلحة ؛ أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطبَ الناس يوم الجمعة ، فقال : اللهمّ إنى أشهدك على أمراء الأمصار أنى إنما بعثتهم ليعلّموا الناس دينَهم وسنّة نبيّهم ؛ وأن يقسموا فيهم فيئهم، وأن يعدِلوا ؛ فإن أشكل عليهم شىء رفعوه إلىّ .

وحدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عيّاش ، قال : سمعت أبا حصين ، قال : كان عمر إذا استعمل العمّال خرج معهم يشيّعهم ، فيقول : إنّى لم أستعملْكم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أشعارهم ، ولا على أبشارهم ؛ إنما استعملتُكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة ، وتقضُوا بينهم بالحق، وتقسِموا بينهم بالعدل؛ وإنّى لم أسلّطكم على أبشارهم ولا على أشعارهم؛ ولا تجلدوا العربَ فتذِلّوها ، ولا تُجمّروها[1] فتفتِنوها، ولا تغفلوا عنها فتحرِموها ؛ جرّدوا القرآن، وأقلّوا الرواية عن محمّد صلى الله عليه وسلم ؛ وأنا شريككم. وكان يَقتصّ من عمّاله ، وإذا شُكِىَ إليه عامل له جمع بينه وبين مَنْ شكاه ؛ فإن صحّ عليه أمرٌ يجب أخذُه به أخذَه به . ١/٢٧٤١

وحدّثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : أخبرنا سعيد الجُرَيرىّ ، عن أبى نَضْرة ، عن أبى فراس، قال : خطب عمر ابن الخطاب ، فقال : يأيها الناس ؛ إنى والله ما أرسل إليكم عمّالا ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم؛ ولكنى أرسلهم إليكم ليعلّموكم دينكم وسنّتكم ؛ فمن فُعِل به شىء سوى ذلك فليرفعْه إلىّ ؛ فو الذى نفس عمر بيده لأقصّنّه منه . فوثب عمرو بن العاص ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أرأيتُك إنْ كان رجل من أمراء المسلمين على رعيّة ، فأدّب بعض رعيّته ، إنك لتقصّه منه ! قال : إى والذى نفس عمر بيده إذًا لأقصّنّه منه ، وكيف لا أقصّه منه وقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقِص من نفسه ! ألا لا تضربوا المسلمين فتُذِلّوهم ، ولا تجمّروهم فتفتِنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكْفروهم ، ولا تنزِلوهم الغِياض فتضيّعوهم . ١/٢٧٤٢

---

(١) جمر الجنود : حبسهم فى أرض العدو ولم يقفلهم .

وكان عمر رضى الله عنه — فيما ذكر عنه — يعُسّ بنفسه ، ويرتاد منازل المسلمين ، ويتفقّد أحوالهم بيديه .

• ذكر الخبر الوارد عنه بذلك :

حدّثنا ابنُ بشّار ، قال : حدّثنا أبو عامر ، قال : حدّثنا قُرّة بن خالد ، عن بكر بن عبد الله المُزنىّ ، قال : جاء عمر بن الخطاب إلى باب عبد الرحمن بن عوف فضرَبه ، فجاءت المرأة ففتحته ؛ ثم قالت له : لا تدخل حتى أدخل البيت وأجلس مجلسى ، فلم يدخل حتى جلست ، ثم قالت : ادخل ، فدخل ، ثم قال : هل من شىء ؟ فأتته بطعام فأكل ، وعبد الرحمن قائم يصلّى ، فقال له : تَجَوّزْ أيّها الرجل ؛ فسلم عبد الرحمن حينئذ ، ثم أقبل عليه ، فقال : ما جاء بك فى هذه الساعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : رُفقة نزلتْ فى ناحية السوق خشيتُ عليهم سُرّاق المدينة ، فانطلِق فلنحرسهم ؛ فانطلقا فأتيا السوق ، فقعدا على نَشَزٍ من الأرض يتحدّثان ، فرفع لهما مصباح ، فقال عمر : ألم أنْهَ عن المصابيح بعد النوم ! فانطلقا ، فإذا هم قوم على شراب لهم ، فقال : انطلق فقد عرفته ؛ فلما أصبح أرسل إليه فقال : يا فلان ، كنتَ وأصحابك البارحة على شراب ؟ قال : وما علمُك يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : شىء شهدته ؛ فقال : أوَ لم ينهك الله عن التجسّس ! قال : فتجاوز عنه . ٢٧٤٣/١

قال بكر بن عبد الله المُزنىّ : وإنّما نهى عمر عن المصابيح ، لأن الفأرة تأخذ الفتيلة فترمِى بها فى سقف البيت فيحترق ، وكان إذْ ذاك سقف البيت من الجريد .

وحدّثنى أحمد بن حرب ، قال : حدّثنا مصعب بن عبد الله الزبيرىّ ، قال : حدّثنى أبى ، عن ربيعة بن عثمان ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : خرجتُ مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حَرّة واقم ، حتى إذا كنا بصِرار ؛ إذا نار تؤرّث ؛ فقال : يا أسلم ؛ إنى أرى هؤلاء ركبًا قصّر بهم الليل والبرد ؛ انطلق بنا ؛ فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فإذا امرأة معها ٢٧٤٤/١

صِبيان لها ، وقِدْر منصوبة على النار ، وصِبيانها يتضاغوْن[1]؛ فقال عمر : السّلام عليكم يا أصحابَ الضَّوْء — وكره أن يقول : يا أصحاب النار — قالت : وعليك السلام ؛ قال : أأدنو ؟ قالت : ادنُ بخير أو دَعْ ؛ فدنا فقال : ما بالُكم ؟ قالت : قصّر بنا الليل والبرد ، قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغوْن ؟ قالت : الجوع ، قال : وأيّ شىء فى هذه القِدر ؟ قالت : ماء أسكّتهم به حتى يناموا ، اللهُ بيننا وبين عمر ! قال : أىْ رحِمَك الله ، ما يُدرِى عمرَ بكم ! قالت : يتولّى أمرَنا ويغفل عنّا ! فأقبل علىّ ، فقال : انطلق بنا ؛ فخرجنا نهرول ؛ حتى أتينا دارَ الدقيق ؛ فأخرج عِدْلاً فيه كُبّة شحم ؛ فقال : احمله علىّ ، فقلت : أنا أحمله عنك ، قال : احمله علىّ ؛ مرتين أو ثلاثًا ، كلّ ذلك أقول : أنا أحمله عنك ؛ فقال لى فى آخر ذلك : أنت تحمل عنى وزْرى يوم القيامة ، لا أمّ لك ! فحمّلته عليه ؛ فانطلق وانطلقت معه نهروِل ، حتى انتهينا إليها ، فألقى ذلك عندها ، وأخرج من الدقيق شيئًا ، فجعل يقول لها : ذُرّى علىّ ، وأنا أحرِّك لكِ ؛ وجعل ينفخ تحت القِدْر — وكان ذا لحية عظيمة — فجعلتُ أنظر إلى الدخان من ١/٢٧٤٥ خلَل لحيته حتى أنضج وأدُمَ القِدرُ ثم أنزلها ، وقال : ابغِنى شيئًا ، فأتته بصحْفة فأفرغها فيها ، ثمّ جعل يقول : أطعميهم ، وأنا أسطّح لك ؛ فلم يزل حتى شبِعوا ، ثم خلّى عندها فضل ذلك ، وقام وقمت معه ، فجعلتْ تقول : جزاك الله خيراً ! أنت أوْلى بهذا الأمر من أمير المؤمنين ! فيقول : قولى خيراً ، إنك إذا جئتِ أمير المؤمنين وجدتِنى هناك إن شاء الله . ثم تنحى ناحية عنها ؛ ثم استقبلها وربَض مربَض السّبُع ، فجعلت أقول له : إنّ لك شأنًا غير هذا ، وهو لا يكلمنى حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدءوا ، فقام وهو يحمَد الله ، ثم أقبل علىّ فقال : يا أسلَم ؛ إنّ الجوع أسهرهم وأبكاهم ، فأحببت ألاّ أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم .

وكان عمر إذا أراد أن يأمر المسلمين بشىء أو ينهاهم عن شىء مما فيه صلاحهم بدأ بأهله ، وتقدّم إليهم بالوعظ لهم ، والوعيد على خلافهم أمره

(١) تضاغى : أى تضور من الجوع .

كالذى حدّثنا أبو كُرَيب محمد بن العلاء ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عيّاش ، قال : حدّثنا عبيد الله بن عمر بالمدينة ، عن سالم ، قال : كان عمر إذا صعِد المنبر فنهى الناس عن شىء جمع أهله ، فقال : إنى نهيت الناس عن كذا وكذا ، وإنّ الناس ينظرون إليكم نَظرَ الطير — يعنى إلى اللحم — وأقسم بالله لا أجدُ أحداً منكم فعله[1] إلا أضعفت عليه العقوبة . ١/٢٧٤٦

قال أبو جعفر : وكان رضى الله عنه شديداً على أهل الرِّيَب ، وفى حقّ الله صليباً حتى يستخرجه ، وليّناً سهلا فيما يلزمه حتى يؤدّيَه ، وبالضعيف رحيماً رءوفاً . حدّثنى عبيد الله بن سعيد الزُّهرىّ ، قال : حدّثنا عمّى ، قال : حدّثنا أبى ، عن الوليد بن كثير ، عن محمد بن عجلان ، أنّ زيد بن أسلم حدّثه عن أبيه ، أنّ نفراً من المسلمين كلّموا عبد الرحمن بن عوف ، فقالوا : كلّم عمر بن الخطاب ؛ فإنه قد أخشانا[2] حتى والله ما نستطيع أن نديم إليه أبصارنا . قال : فذكر ذلك عبد الرحمن بن عوف لعمر ، فقال : أوَقد قالوا ذلك ! فوالله لقد لِنت لهم حتى تخوّفت الله فى ذلك ؛ ولقد اشتددت عليهم حتى خشيت الله فى ذلك ، وايم الله لأنا أشدّ منهم فَرَقاً منهم منّى !

وحدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا أبو بكر ، عن عاصم ، قال : استعمل عُمَر رجلاً على مصر ، فبينا عمر يوماً مارٌّ فى طريق من طُرق المدينة إذْ سمع رجلا وهو يقول : الله يا عمر ! تستعمل مَن يخون وتقول : ليس علىّ شىء ، وعاملك يفعل كذا ! قال : فأرسل إليه ، فلما جاءه أعطاه عصاً وجُبّة صوف وغنماً ، فقال : ارعها — واسمه عياض بن غَنْم — فإنّ أباك كان راعياً ، قال : ثم دعاه ، فذكر كلاماً ، فقال : إن أنا رددتك ! فردّه إلى عمله ، وقال : لى عليك ألاّ تلبس رقيقاً ، ولا تركب بِرْذَوناً ! ١/٢٧٤٧

حدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا أبو أسامة ، عن عبد الله بن الوليد ، عن عاصم ، عن ابن خزيمة بن ثابت الأنصارىّ ، قال : كان عمر إذا استعمل عاملا كتب له عهداً ، وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار ،

(١) س : « فعل ذلك » . (٢) أخشانا : أخافنا من هيبته .

واشترط عليه ألاّ يركب برذوناً ، ولا يأكلَ نقيّاً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس .

وحدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا مسلم بن إبراهيم ، عن سلاّم بن مسكين ، قال : حدّثنا عمران ، أنّ عمر بن الخطاب كان إذا احتاج أتى صاحب بيت المال ، فاستقرضه ؛ قال : فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه ، فيحتال له عمر ، وربما خرج عطاؤه فقضاه .

١/٢٧٤٨ وعن أبي عامر العَقَدِيّ ، قال : حدّثنا عيسى بن حفص ، قال : حدّثني رجل من بني سلِمة ، عن ابن البرَاء بن معرور أن عمر رضى الله عنه خرج يوماً حتّى أتى المنبر ، وقد كان اشتكى شكوى له ، فنعِت له العسل ، وفى بيت المال عُكّة ، فقال: إن أذنتم لى فيها أخذتها ، وإلاّ فهى علىّ حرام .

• • •

تسمية عمر رضى الله عنه أمير المؤمنين

قال أبو جعفر : أوّلُ مَنْ دُعِىَ أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب ؛ ثم جرت بذلك السنّة ، واستعمله الخلفاء إلى اليوم .

• ذكر الخبر بذلك :

حدّثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاريّ ، قال : حدّثتني أمّ عمرو بنت حسّان الكوفيّة ، عن أبيها ، قال: لما ولى عمر قيل: يا خليفة خليفة رسول الله، فقال عمر رضى الله عنه: هذا أمر يطول ، كلّما جاء خليفة قالوا : ياخليفة خليفة خليفة رسول الله ! بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم ؛ فسمِّىَ أمير المؤمنين .

قال أحمد بن عبد الصمد : سألتها كم أتى عليكِ من السنين ؟ قالت : مائة وثلاث وثلاثون سنة .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا يحيى بن واضح ، قال : حدّثنا

أبو حمزة ، عن جابر ، قال : قال رجل لعمر بن الخطاب : يا خليفة الله، ٢٧٤٩/١ قال : خالف الله بك ! فقال : جعلني الله فداءك ! قال : إذاً يُهينَكَ الله !

* * *

وضعه التأريخ

قال أبو جعفر : وكان أوّل مَن وضع التأريخ وكتبه — فيما حدّثني الحارث، قال : حدّثنا ابنُ سعد، عن محمد بن عمر — فى سنة ستّ عشرة فى شهر ربيع الأول منها ، وقد مضى ذكرى سبب كتابه ذلك ؛ وكيف كان الأمر فيه .

وعمر رضى الله عنه أول مَنْ أرّخ الكتب ، وختَم بالطين . وهو أوّل مَنْ جمع الناس على إمام يصلّى بهم التراويح فى شهر رمضان ، وكتب بذلك إلى البلدان، وأمرهم به، وذلك — فيما حدّثنى به الحارث، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر — فى سنة أربع عشرة ، وجعل للناس قارئيْنِ : قارئًا يصلّى بالرجال وقارئًا يصلّى بالنساء .

* * *

حمله الدِّرّة وتدوينه الدواوين

وهو أوّل مَن حمل الدّرّة ، وضرب بها ؛ وهو أوّل مَن دوّن للناس فى الإسلام الدواوين ، وكتب الناس على قبائلهم ، وفرض لهم العطاء . ٢٧٥٠/١

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى عائذ بن يحيى ، عن أبى الحويرث ، عن جُبَير بن الحُوَيْرث بن نُقَيد ، أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه استشار المسلمين فى تدوين الدواوين ، فقال له علىّ بن أبى طالب : تقسم كلّ سنة ما اجتمع إليك من مال ، فلا تمسك منه شيئًا . وقال عثمان بن عفان : أرى مالا كثيراً يسعُ الناس،وإن لم يُحصَوْا حتى تعرِف مَن أخذ ممن لم يأخذ ، خشيتُ أن ينتشر الأمر . فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : يا أميرَ المؤمنين قد جئت الشأم ، فرأيت ملوكها قد دوّنوا ديوانًا ، وجنّدوا جنداً ، فدوِّن ديوانًا ، وجند جنداً . فأخذ بقوله ، فدعا عَقيل بن أبى طالب ومَخرمة بن نوفل

وجُبَيْر بن مطعِم ، وكانوا من نسّاب قريش — فقال : اكتبوا الناس على منازلهم ؛ فكتبوا فبدءوا ببنى هاشم ؛ ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ، ثم عمر وقومه على الخلافة ؛ فلما نظر فيه عمر قال : لوددت والله أنه هكذا ؛ ولكن ابدءوا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ الأقرب فالأقرب ، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله .

حدّثنى الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى أسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : رأيتُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين عُرِض عليه الكتاب ، وبنو تَيْم على أثر بنى هاشم وبنو عدىّ على أثر بنى تَيْم ، فأسمعُه يقول : ضعوا عمر موضعه ، وابدءوا بالأقرب فالأقرب من رسول الله ، فجاءت بنو عدىّ إلى عمر ، فقالوا : أنت خليفة رسول الله ، قال : أو خليفة أبى بكر ، وأبو بكر خليفة رسول الله ، قالوا : وذاك ، فلو جعلتَ نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم ! قال : بخٍ بخٍ بنى عدىّ ! أردتم الأكْل على ظهرى ، وأن أذهِب حسناتى لكم ! لا والله حتى تأتيَكم الدعوة ، وإن أطبق عليكم الدّفتر ولو أن تُكتَبوا فى آخر الناس ؛ إن لى صاحبين سَلَكا طريقاً ، فإن خالفتهما خولف بى ؛ والله ما أدركْنا الفضل فى الدنيا ، ولا نرجو ما نرجو من الآخرة من ثواب الله على ما عملنا إلاّ بمحمّد صلى الله عليه وسلم ؛ فهو شرفنا ، وقومه أشرف العرب ، ثم الأقرب فالأقرب ؛ إن العرب شَرُفت برسول الله ، ولعلّ بعضها يلقاه إلى آباء كثيرة ، وما بيننا وبين أن نلقاه إلى نسبه ثم لا نفارقه إلى آدم إلا آباء يسيرة ؛ مع ذلك والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال ، وجئنا بغير عمل ، فهم أوْلى بمحمّد منّا يوم القيامة ، فلا ينظر رجل إلى قَرابة ، وليعمل لما عند الله ، فإنّ مَنْ قصّر به عملُه لم يُسرِع به نسبه .

١/٢٧٥١

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنى حزام بن هشام الكعبىّ ، عن أبيه ، قال : رأيتُ عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه يحمل ديوان خُزاعة حتى ينزل قُدَيْدًا ،

١/٢٧٥٢

فنأتيه بقُدَيد ، فلا يغيب عنه امرأة بِكْرولاَ ثيّب ، فيعطيهنّ فى أيديهنّ ، ثم يروح فينزل عُسفان ، فيفعل مثل ذلك أيضًا حتى تُوُفّىَ .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى عبد الله بن جعفر الزهرىّ وعبد الملك بن سليمان ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد ، عن السائب بن يزيد ، قال : سمعتُ عمر ابن الخطاب ، يقول : والله الذى لا إله إلاهو ؛ ثلاثًا ؛ ما من أحد إلاّ له فى هذا المال حقّ أعطيَه أو مُنِعَه ؛ وما أحد أحقّ به من أحد إلا عبد مملوك ؛ وما أنا فيه إلاّ كأحدهم ؛ ولكنّا على منازلنا من كتاب الله، وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرجل وبلاؤه فى الإسلام، والرّجل وقَدَمه فى الإسلام، والرّجل وغَناؤه فى الإسلام ، والرّجل وحاجته؛ والله لئن بقيتُ ليأتينّ الراعى بجبَل صنعاء حظّه من هذا المال وهو مكانه .

قال إسماعيل بن محمد : فذكرت ذلك لأبى ، فعرف الحديث .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى محمد بن عبد الله عن الزهرىّ، عن السائب بن يزيد ، قال : رأيتُ خيلاً عند عمر بن الخطاب موسومة فى أفخاذها : «حبيس فى سبيل الله ». ٢٧٥٣/١

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنى قيس بن الربيع ، عن عطاء بن السائب ؛ عن زاذان ، عن سلمان ؛ أنّ عمر قال له: أملِك أنا أم خليفة ؟ فقال له سلمان : إن أنت جبيت من أرض المسلمين دِرهمًا أو أقلّ أو أكثر ؛ ثمّ وضعتَه فى غير حقه ؛ فأنت ملِك غير خليفة ؛ فاستعبر عمر .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى أسامة بن زيد ، قال : حدّثنى نافع مولى آل الزبير ، قال : سمعتُ أبا هريرة يقول : يرحم الله ابن حَنْتمة ! لقد رأيتُه عام الرّمادة ؛ وإنه ليحمل على ظهره جرابين وعُكّة زيت فى يده ؛ وإنه ليعتقِب هو وأسلم ؛

فلمّا رآنى قال : من أين يا أبا هريرة ؟ قلت : قريبًا؛ فأخذت أعقبه ؛ فحملناه حتّى انتهينا إلى صرار ؛ فإذا صِرْمٌ[1] نحو من عشرين بيتًا من محارب ، فقال عمر : ما أقدمكم ؟ قالوا : الجهد ؛ وأخرجوا لنا جلد الميتة مشويًّا كانوا يأكلونه، ورمّة العظام مسحوقة كانوا يستفّونها ؛ فرأيت عمر طرح رداءه، ثمّ اتّزر ، فما زال يطبخ لهم حتّى شبعوا ، فأرسل أسلم إلى المدينة فجاء بأبعرة فحملهم عليها حتّى أنزلهم الجبّانة ، ثمّ كساهم . وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتّى رفع الله ذلك .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرنى موسى بن يعقوب ، عن عمه ، عن هشام بن خالد ، قال : سمعتُ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول : لا تَذُرَنّ إحداكنّ الدقيق حتّى يسخن الماء ثمّ تذرّه قليلا قليلا ، وتسوطه[2] بمسْوطها ، فإنه أريَع له ؛ وأحْرى ألاّ يتقرّد[3] . ١/٢٧٥٤

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن مصعب القرْقسانىّ ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم ، عن راشد بن سعد ؛ أنّ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أُتِىَ بمال ؛ فجعل يقسمه بين الناس ، فازدحموا عليه ، فأقبل سعد بن أبى وقاص يزاحم الناس ؛ حتّى خلص إليه ، فعلاه عمر بالدِّرّة، وقال : إنّك أقبلت لا تهاب سلطان الله فى الأرض ؛ فأحببتُ أن أعلمك أنّ سلطان الله لن يهابَك .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا عمر بن سليمان بن أبى حَثْمة، عن أبيه ، قال : قالت الشّفا ابنة عبد الله – ورأيت فتيانًا يقصِدون فى المشى ، ويتكلّمون رويداً ، فقالت : ما هذا ؟ قالوا : نُسّاك ، فقالت : كان والله عمر إذا تكلّم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، هو والله النّاسك حقًّا .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : حدّثنا عبد الله ١/٢٧٥٥

---

(١) الصرم : الأبيات المجتمعة المنقطعة من الناس .

(٢) السوط : خلط الشىء بعضه ببعض ؛ والمسوط آلته .

(٣) يتقرد ، أى يركب بعضه بعضاً ؛ كذا فسره صاحب اللسان .

ابن عامر ، قال : أعان عمر رجلا على حَمْل شيء ، فدعا له الرجل ، وقال : نفعك بنوك يا أميرَ المؤمنين ! فقال : بل أغنانى الله عنهم .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، عن عمر بن مجاشع . قال : قال عمر بن الخطاب : القوّة فى العمل ألاّ تؤخّر عمل اليوم لغد ، والأمانة ألاّ تخالف سريرة علانية ؛ واتّقوا الله عزّ وجلّ ، فإنما التقوَى بالتّوقّى ، ومَنْ يتّق الله يقه .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، عن عَوانة ، عن الشعبىّ — وغير عوانة زاد أحدهما على الآخر — أنّ عمر رضى الله تعالى عنه كان يطوف فى الأسواق ، ويقرأ القرآن ، ويقضى بين الناس حيث أدركه الخصوم .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، عن محمد بن صالح ، أنه سمع موسى بن عُقْبة يحدّث أنّ رهطًا أتوا عمر ، فقالوا : كثر العيال ، واشتدّت المؤونة ، فزدنا فى أعطياتنا ، قال : فعلتموها ، جمعتم بين الضرائر ، واتّخذتم الخَدَم فى مال الله عزّ وجلّ ! أما والله لوددت أنى وإيّاكم فى سفينة ٢٧٥٦/١ فى لجّة البحر ، تذهب بنا شرقًا وغربًا ، فلن يُعجز الناس أن يولوا رجلاً منهم ؛ فإن استقام اتّبعوه ، وإن جَنَف قتلوه ، فقال طلحة : وما عليك لو قلت : إن تعوّج عزلُوه ! فقال : لا ، القتل أنْكَلُ لمن بعده ؛ احذروا فتى قريش وابن كريمها الذى لا ينام إلاّ على الرضا ، ويضحك عند الغضب ؛ وهو يتناول مَنْ فوقه ومَنْ تحته .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، عن عبد الله بن داود الواسطىّ ، عن زيد بن أسلم ، قال : قال عمر : كنا نعدّ المقرِض بخيلاً ، إنّما كانت المواساة .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، عن ابن دأب ، عن أبى معبد الأسلمىّ ، عن ابن عباس ، أنّ عمر قال لناس من قريش : بلغنى أنكم تتّخذون مجالس ؛ لا يجلس اثنان معًا حتى يقال : مَن صحابة فلان ؟ مَن

جلساء فلان ؟ حتى تُحوميت المجالس ؛ وايم الله إنّ هذا لمريع فى دينكم، سريع فى شرفكم ، سريع فى ذات بينكم ؛ ولكأنى بمن يأتى بعدكم يقول : هذا رأى فلان، قد قسموا الإسلام أقساماً ؛ أفيضوا مجالسكم بينكم، وتجالسوا معاً ؛ فإنّه أدوم لألفتكم ، وأهيب لكم فى الناس. اللهمّ ملّونى ومللتهم، وأحسست من نفسى وأحسّوا منى ؛ ولا أدرى بأيّنا يكون الكوْن، وقد أعلم أن لهم قبيلاً منهم ؛ فاقبضنى إليك .

حدّثنى عمر ، قال: حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا إبراهيم بن محمد ، عن أبيه ، قال : اتّخذ عبد الله بن أبى ربيعة أفراساً بالمدينة، فمنعه عمر بن الخطاب ، فكلّموه فى أن يأذن له ، قال : لا آذن له ، إلاّ أن يجىء بعلَفها من غير المدينة . فارتبط أفراساً ، وكان يحمل إليها علَفاً من أرض له باليمن . ٢٧٥٧/١

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال: حدّثنا أبو إسماعيل الهمدانىّ ، عن مجالد ، قال : بلغنى أنّ قوماً ذكروا لعمر بن الخطاب رجلا ؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ فاضِل لا يعرف من الشرّ شيئاً ، قال : ذاك أوقعُ له فيه !

* * *

ذكر بعض خطبه رضى الله تعالى عنه

حدّثنى عمر، قال : حدّثنى علىّ، عن أبى معشر، عن ابن المُنْكدر وغيره ، وأبى معاذ الأنصارىّ عن الزّهرىّ ، ويزيد بن عياض عن عبد الله ابن أبى بكر ، وعلىّ بن مجاهد عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن عياض ، عن عبد الله بن أبى إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، أنّ عمر رضى الله تعالى عنه خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكّر الناس بالله عزّ وجلّ واليوم الآخر ، ثم قال : يأيّها الناس؛ إنى قد وُلّيت عليكم ، ولولا رجاءُ أن أكونَ خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدّكم استضلاعاً بما ينوب من مُهِمّ أموركم ،ما تولّيت ذلك منكم ؛ ولكفى عمر

مُهِمًّا محزنًا انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها ، ووضعها أين أضعها ؛ وبالسير فيكم كيف أسير ! فربّى المستعان ؛ فإنّ عمر أصبح ١/٢٧٥٨ لا يثق بقوّة ولا حيلة إن لم يتداركْه الله عزّ وجلّ برحمته وعَوْنه وتأييده .

* * *

ثم خطب فقال :

إن الله عزّ وجلّ قد ولاّنى أمرَكم ، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم ؛ وإنى أسأل الله أن يعيننى عليه ، وأن يحرُسنى عنده ، كما حرسنى عند غيره ، وأن يلهمنى العدل فى قَسْمكم كالذى أمر به ؛ وإنّى امرؤ مسلم وعبد ضعيف ، إلا ما أعان الله عزّ وجلّ ، ولن يغيّر الذى وليتُ من خلافتكم من خُلُقى شيئًا إن شاء الله ؛ إنما العظمة لله عزّ وجلّ ، وليس للعباد منها شىء ، فلا يقولنّ أحد منكم : إنّ عمر تغيّر منذ ولى . أعقِلُ الحقّ من نفسى وأتقدم ؛ وأبيّن لكم أمرى ؛ فأيّما رجل كانت له حاجة أوظلِم مظلمة ، أو عتب علينا فى خلق ؛ فليؤذنّى ، فإنّما أنا رجل منكم ؛ فعليكم بتقوى الله فى سرّكم وعلانيتكم ، وحُرماتكم وأعراضكم ؛ وأعطوا الحقّ من أنفسكم ؛ ولا يحمل بعضكم بعضًا على أن تحاكموا إلىّ ؛ فإنّه ليس بينى وبين أحد من الناس هَوادة ؛ وأنا حبيب إلىّ صلاحكم ، عزيز علىّ عَتَبُكم . وأنتم أناس عامّتكم حضرٌ فى بلاد الله ؛ وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضَرْع إلاّ ما جاء الله به إليه . وإنّ الله عزّ وجلّ قد وعدكم كرامة كثيرة ، وأنا مسئول عن أمانتى وما أنا فيه ؛ ومطّلع على مابحضرتى بنفسى إن شاء الله ؛ لا أكِله إلى أحد ، ولاأستطيع ١/٢٧٥٩ ما بعُد منه إلاّ بالأمناء وأهل النصح منكم للعامّة ، ولست أجعل أمانتى إلى أحد سواهم إن شاء الله .

* * *

وخطب أيضًا ، فقال بعد ماحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبى صلى الله عليه وسلم :

أيها الناس ، إنّ بعض الطمع فقر ، وإن بعض اليأس غنًى ، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون ، وأنتم مؤجّلون فى دار غرور . كنتم على

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تؤخذون بالوحى ، فمن أسرّ شيئاً أخذ بسريرته ، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلانيته ؛ فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم ؛ والله أعلمُ بالسرائر ؛ فإنه مَن أظهر شيئاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدّقه ، ومَنْ أظهر لنا علانية حسنة ظننّا به حسناً . واعلموا أنّ بعض الشحّ شعبة من النفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ومَنْ يوقَ شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون .

أيّها الناس ، أطيبوا مثواكم ، وأصلحوا أموركم ؛ واتّقوا الله ربكم ، ولا تُلبسوا نساءكم القَباطِيّ[1] ؛ فإنه إن لم يشفّ[2] فإنه يصف .

أيها الناس ؛ إنى لوددت أن أنجوَ كَفافاً لا لى ولا علىّ ، وإنى لأرجو إن عُمّرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحقّ فيكم إن شاء الله ، وألاّ يبقى أحد من المسلمين وإن كان فى بيته إلاّ أتاه حقّه ونصيبه من مال الله ، ولا يُعمِل إليه نفسه ؛ ولم ينصُب إليه يوماً . وأصلحوا أموالكم التى رزقكم الله ؛ ولَقليل فى رفق خير من كثير فى عنف ، والقتل حَتْف من الحتوف ، يصيب البرّ والفاجر ، والشهيد مَن احتسب نفسه . وإذا أراد أحدكم بعيراً فليعمِد إلى الطويل العظيم فليضربْه بعصاه ؛ فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره .

١/٢٧٦٠

* * *

قالوا : وخطب أيضاً فقال :

إنّ الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر ، واتّخذ عليكم الحجّ فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا ؛ عن غير مسألة منكم له ، ولا رغبة منكم فيه إليه ، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته ، وكان قادراً أن يجعلكم لأهونِ خلقه عليه ، فجعل لكم عامّة خلقه ، ولم يجعلكم لشىء غيره ، وسخّر لكم ما فى السّموات وما فى الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، وحَمَلكم فى البرّ والبحر ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون .

(١) القباطى : ثياب كتان كانت تعمل فى مصر ، جمع قبطية .

(٢) شف الثوب : رق وحكى ماتحته .

ثم جعل لكم سمعاً وبصراً . ومِن نعَم الله عليكم نعم عمّ بها بنى آدم ؛ ومنها نعَم اختصّ بها أهل دينكم ؛ ثم صارت تلك النعم خواصّها وعوامّها فى دولتكم وزمانكم وطبقتكم ؛ وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلاّ لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها ، وفدحهم حقها ، إلاّ بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله ؛ فأنتم مستخلَفون فى الأرض، قاهرون لأهلها ، قد نصر الله دينَكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلاّ أمّتان ؛ أمّة مستعبدة للإسلام وأهله ، يجزون لكم، يُستصفَوْن[1] معايشهم وكدائحهم ورشْح جباههم؛ عليهم المؤونة ولكم المنفعة ؛ وأمّة تنتظر وقائع الله وسطواته فى كلّ يوم وليلة ، قد ملأ الله قلوبهم رعباً ؛ فليس لهم معقل يلجئون إليه ، ولامهرب يتّقون به ، قد دهمتهم جنود الله عزّوجلّ ونزلت بساحتهم، مع رفاغة[2] العيش ، واستفاضة المال، وتتابع البعوث، وسدّ الثغور بإذن الله ، مع العافية الجليلة العامة التى لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام؛ والله المحمود ، مع الفتوح العظام فى كلّ بلد . فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين ؛ مع هذه النعم التى لايحصى عددها ، ولا يقدَر قدرها ، ولايستطاع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه ! فنسأل الله الذى لا إله إلاهو الذى أبلانا هذا ، أن يرزقنا العمل بطاعته؛ والمسارعة إلى مرضاته .

١/٢٧٦١

واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم ، واستتِمّوا نعمة الله عليكم وفى مجالسكم مثنى وفرادى، فإنّ الله عزّ وجلّ قال لموسى : ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ[3]﴾. وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾[4] فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خيرَ الدنيا على شعبة من الحق ، تؤمنون بها، وتستريحون إليها؛ مع المعرفة بالله ودينه ، وترجون بها الخير فيما بعد الموت ؛ لكان ذلك ؛ ولكنكم كنتم أشدّ الناس معيشة ، وأثبتهم بالله جهالة . فلو كان هذا الذى استشلاكم

١/٢٧٦٢

(١) استصفى الشىء : أخذ صفوه . (٢) رفغ عيشه : اتسع ، الرفاغة والرفاغية : سعة العيش .
(٣) سورة إبراهيم ٥ . (٤) سورة الأنفال ٢٦ .

به لم يكن معه حظّ فى دنياكم ؛ غير أنه ثقة لكم فى آخرتكم التى إليها المعاد والمنقلب ؛ وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرياء أن تشحّوا على نصيبكم منه ، وأن تظهروه على غيره ؛ فبلْهَ ما إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة ، ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم ؛ فأذكّركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حقّ الله فعملتم له ، وقسرتم أنفسكم على طاعته ، وجمعتم مع السرور بالنعم خوفًا لها ولانتقالها ، ووجلاً منها ومن تحويلها ، فإنه لا شىء أسلب للنعمة من كُفرانها ، وإنّ الشكر أمنٌ للغيَر ، ونماء للنعمة ؛ واستيجاب للزيادة ؛ هذا لله علىّ من أمركم ونهيكم واجب .

* * *

مَن ندب عمر ورثاه رضى الله عنه

ذكر بعض ما رُثِى به

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا أبو عبد الله البُرجمىّ ، عن هشام بن عروة ، أنّ باكية بكت على عمر ، فقالت : واحرّى على عمر ! حرّ انتشر ، فملأ البشر . وقالت أخرى : واحرّى على عمر ! حرّ انتشر ، حتى شاع فى البشر . ٢٧٦٣/١

حدثنى عمر ، قال حدثنا علىّ ، قال : حدّثنا ابن دأب وسعيد بن خالد ، عن صالح بن كَيْسان ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : لما مات عمر رضى الله عنه بكتْه ابنة أبى حَثْمة ، فقالت : واعُمَرَاه ! أقام الأَوَد ، وأبرأ العَمَد ، أمات الفتَن ، وأحيا السُّنَن ؛ خرج نقىّ الثوب ، بريئًا من العيب .

قال : وقال المغيرة بن شعبة : لما دفن عمر أتيت عليًّا وأنا أحبّ أن أسمع منه فى عمر شيئًا ، فخرج ينفض رأسَه ولحيته وقد اغتسل ، وهو ملتَحف بثوب ، لا يشكّ أنّ الأمر يصير إليه ، فقال : يرحم الله ابن الخطاب ! لقد صدقت ابنة أبى حَثْمة ؛ لقد ذهب بخيرِها ، ونجا من شرّها ، أما والله ما قالت ، ولكن قُوِّلت .

وقالت عاتكة ابنة زيد بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

فجَّعنى فَيروزُ لا درَّ درُّهُ بأبيضَ تالٍ للكتاب مُنيبِ
رءوفٍ على الأدنَى غليظٍ على العِدَا أخى ثقةٍ فى النائباتِ مُجيبِ (١)
متى ما يقلْ لا يكذبِ القولَ فعلُه سريعٍ إلى الخيراتِ غيرِ قطوبِ

١/٢٧٦٤

وقالت أيضا :

عينِ جُودى بعبْرَةٍ ونحيبِ لا تملّى على الإمام النجيبِ
فجّعتْنى المنونُ بالفارسِ المُعلِمِ يومَ الهياجِ والتّلبيبِ (٢)
عِصمةِ الناس والمُعينِ على الدّهرِ وغيثِ المُنتابِ والمَحْروبِ
قلْ لأهلِ السّرّاءِ والبُؤسِ موتوا قد سقتْهُ المنونُ كأسَ شَعوبِ

وقالت امرأة تبكيه :

سَيَبكيكَ نساءُ الحيِّ يَبكينَ شَجيّاتِ
ويَخمِشْنَ وُجوهاً كالدّنانيرِ نقيّاتِ
ويَلبَسْنَ ثيابَ الحزنِ بعدَ القَصَبيّاتِ

* * *

شىء من سيره مما لم يمض ذكره

حدّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، عن ابن جُعْدُبة ، عن إسماعيل بن أبى حكيم ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : حجّ عمر ، فلما كان بضَجْنانَ قال : لا إله إلا الله العظيم العلىّ ، المعطى ما شاء من شاء ! كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادى فى مِدْرعة صوف ، وكان فظّاً يُتعبنى إذا عملت ، ويضربنى إذا قصّرت ، وقد أمسيتُ وليس بينى وبين الله أحد ؛ ثم تمثل(٣) :

١/٢٧٦٥

لا شىءَ فيما ترى تَبقى بشاشتُهُ يَبقى الإلهُ ويُودى المالُ والولَدُ
لمْ تُغنِ عن هُرْمُزٍ يوماً خزائنُهُ والخُلْدَ قد حاولَتْ عادٌ فما خلدُوا

(١) ابن الأثير : « منيب » .
(٢) ابن كثير : « فجعتنا » .
(٣) ف : « وتمثل » .

ولا سُلَيْمانُ إذ تجرى الرِّياحُ له والإنسُ والجِنُّ فيما بينها تَرِدُ
أين الملوكُ التى كانت نوافِلُها مِن كلِّ أوْبٍ إليها راكِبٌ يَفِدُ
حَوْضاً هُنَالِكَ مَوْروداً بلا كَذِبٍ لا بُدَّ مِنْ وِرْدِهِ يَوْماً كما وَرَدُوا

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدثنا أبو الوليد المكّىّ ، قال : بينما عمر جالس إذ أقبل رجل أعرج يقود ناقة تظلّع ؛ حتّى وقف عليه ، فقال :

إنَّكَ مُسْتَرْعًى وَإنَّا رَعِيَّــةٌ وَإنَّكَ مَدْعُوٌّ بسيماكَ يا عُمَرْ
إذا يَوْمُ شَرٍّ شَرُّهُ لِشِرَارِهِ فَقَدْ حَمَّلَتْكَ اليَوْمَ أَحْسابَها مُضَرْ

فقال : لاحول ولا قوّة إلاّ بالله . وشكا الرجل ظلَع ناقته ، فقبض عمر الناقة وحمله على جمل أحمر وزوّده ؛ وانصرف . ثم خرج عمر فى عقب ذلك حاجًّا ، فبينا هو يسير إذ لحق راكبًا يقول : ١/٢٧٦٦

ما ساسَنا مِثلُك يَا بْنَ الخطَّابْ أبَرُّ بالأقْصَى ولا بالأصْحابْ

* بَعْدَ النبىِّ صاحب الكتاب *

فنخسه عمر بمِخصرة معه ، وقال : فأين أبو بكر !

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، عن محمد بن صالح ، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، قال : استعمل عمر عُتْبة بن أبى سفيان على كنانة ، فقدم معه بمال ، فقال : ما هذا يا عتبة ؟ قال : مال خرجت به معى وتجرت فيه ، قال : ومالَكَ تخرج المال معك فى هذا الوجه ! فصيّره فى بيت المال . فلما قام عثمان قال لأبى سفيان : إن طلبتَ ما أخذ عمر من عُتبة رددته عليه ، فقال أبو سفيان : إنك إن خالفت صاحبك قبلك ساء رأىُ الناس فيك ، إيّاك أن تردّ على من كان قبلك ، فيردّ عليك مَن بعدك .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الربيع بن النعمان

وأبى المجالد جراد بن عمرو وأبى عثمان وأبى حارثة وأبى عمرو مولى إبراهيم بن طلحة ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قالوا : إنّ هند ابنة عُتبة قامت إلى عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فاستقرضته من بيت المال أربعة آلاف تتّجر فيها وتضمَنها ، فأقرضها ، فخرجت فيها إلى بلاد كَلْب ، فاشترت وباعت ؛ فبلغها أنّ أبا سفيان وعمرو بن أبى سفيان قد أتيا معاوية ، فعدلت ١/٢٧٦٧ إليه من بلاد كَلْب ، فأتت معاوية ، وكان أبو سفيان قد طلّقها ، قال : ما أقدَمك أى أمّه ؟ قالت : النّظر إليك أى بنىّ ؛ إنه عمر ، وإنما يعمل لله ، وقد أتاك أبوك فخشيت أن تُخرج إليه من كلّ شىء ؛ وأهل ذلك هو ؛ فلا يعلم الناس من أين أعطيتَه فيؤنّبونك ويؤنّبك عمر ، فلا يستقيلها أبداً ، فبعث إلى أبيه وإلى أخيه بمائة دينار ، وكساهما وحملهما ؛ فتعظّمها عمرو ؛ فقال أبو سفيان : لا تَعظّمها ، فإنّ هذا عطاء لم تَغب عنه هند ، ومشورة قد حضرتها هند ، ورجعوا جميعًا ، فقال أبو سفيان لهند : أربحتِ ؟ فقالت : الله أعلم ، معى تجارة إلى المدينة . فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيعة ، فقال لها عمر : لو كان مالى لتركتُه لك ، ولكنه مال المسلمين ، وهذه مشورة لم يَغب عنها أبو سفيان ، فبعث إليه فحبسه حتى أوفتْه ، وقال لأبى سفيان : بكم أجازك معاوية ؟ فقال : بمائة دينار .

وحدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، عن مسلمة بن محارب ، عن خالد الحذّاء ، عن عبد الله بن أبى صعصعة عن الأحنف ، قال : أتى عبد الله بن عمير عمر ؛ وهو يفرض للناس — واستشهد أبوه يوم حُنين — فقال : يا أمير المؤمنين ، افرض لى ؛ فلم يلتفت إليه ، فنخسه ، فقال عمر : حسّ[1] ! وأقبل عليه فقال : مَن أنت ؟ قال : عبد الله بن عمير ، قال : يا يرفأ ، أعطه ستمائة ، ١/٢٧٦٨ فأعطاه خمسمائة ، فلم يقبلها ، وقال : أمرَ لى أمير المؤمنين بستّمائة ، ورجع إلى عمر فأخبره ، فقال عمر : يا يرفأ ، أعطِه ستّمائة وحُلّة ، فأعطاه فلبس

---

(١) حس ، بالبناء على الكسر : كلمة من يفجؤه ما يمضه و يحرقه كالجمرة .

الحلّة التى كساه عمر ، ورمى بما كان عليه، فقال له عمر : يا بُنىّ ، خذ ثيابك هذه فتكون لمَهنة أهلك، وهذه لزينتك .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا على ، قال حدّثنا: أبو الوليد المكّىّ ، عن رجل من ولد طلحة ، عن ابن عبّاس ، قال : خرجت مع عمر فى بعض أسفاره ، فإنا لنسير ليلة، وقد دنوت منه، إذ ضرب مقدّم رحله بسوطه، وقال:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ يُقْتَلُ أَحْمَدٌ ولمّا نُطاعِن دونَه ونناضلِ[1]

ونُسلِمُه حتى نُصَرَّعَ حوله ونَذْهَلَ عن أبنائِنا والحلائلِ

ثم قال ، أستغفر الله ، ثم سارَ فلم يتكلم قليلا ، ثم قال :

ومَا حَمَلَتْ مِن ناقة فَوْقَ رَحْلِها أَبَرَّ وأَوْفَى ذِمَّةً من مُحَمَّدِ

وأَكْسَى لِبُرْدِ الخالِ قَبْلَ ابْتِذَالِهِ وأَعْطَى لرأسِ السابِقِ المُتَجَرِّدِ

ثم قال : أستغفر الله ، يابن عباس ، ما منع عليًّا من الخروج معنا ؟ قلت : لا أدرى ، قال : يابن عباس ، أبوك عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ابن عمه، فما منع قومكم منكم ؟ قلت : لا أدرى ، قال: لكنى أدرى ؛ يكرهون ولايتكم لهم ! قلت : لم ، ونحن لهم كالخير ؟ قال : اللهمّ غفراً، يكرهون أن تجتمع فيكم النبوّة والخلافة، فيكون بجَحًا بجحًا[2]، لعلكم تقولون : إن أبا بكر فعل ذلك ، لا والله ولكن أبا بكر أتى أحزم ما حضره، ولو جعلها لكم ما نفعكم مع قربكم ، أنشدنى لشاعر الشعراء زهير قوله : ١/٢٧٦٩

إذا ابْتَدَرَتْ قَيْسُ بْنُ عَيْلانَ غايَةً مِنَ المَجْدِ مَنْ يَسْبِقْ إليْها يُسَوَّدُ[3]

فأنشدته وطلع الفجر ، فقال : اقرأ« الواقعة»، فقرأتها ، ثم نزل فصلى ، وقرأ بالواقعة .

حدّثنى ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال بينما عمر بن الخطاب

---

(١) البيتان من قصيدة لأبى طالب ، ديوانه ١١٠ مع اختلاف فى الرواية .

(٢) البجح : التعاظم والفخر .

(٣) ديوانه ٢٣٤ .

رضى الله عنه وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر ، فقال بعضهم : فلان أشعر ؛ وقال بعضهم : بل فلان أشعر ، قال : فأقبلت ، فقال عمر : قد جاءكم أعلم الناس بها ، فقال عمر : مَنْ شاعر الشعراء يابن عباس ؟ قال : فقلت : زهير بن أبى سُلمى ، فقال عمر : هلمّ مِنْ شعره ما نستدلّ به على ماذكرت ؛ فقلت : امتدح قوماً من بنى عبد الله بن غَطَفان ، فقال :

لو كان يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَم قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أو مَجْدِهِمْ قَعَدُوا[1]

قَوْمٌ أبوهُمْ سِنانٌ حين تَنْسُبُهُمْ طابوا وطابَ مِنَ الأَوْلادِ ما وَلَدُوا ٢٧٧٠/١

إنْسٌ إذا أمِنوا ، جِنٌّ إذا فزعوا مُرَزَّءونَ بها ليلٌ إذا حشـدُوا

محسَّدون على ما كانَ من نِعَمٍ لا يَنْزِعُ اللهُ مِنْهُمْ مالَه حُسِدوا

فقال عمر : أحسن ؛ وما أعلم أحداً أولَى بهذا الشعر من هذا الحيّ من بنى هاشم ! لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابتهم منه ، فقلت : وفِّقت يا أميرَ المؤمنين ، ولم تزل موفّقاً ، فقال : يابن عباس ، أتدرى ما منع قومكم منهم بعد محمد ؟ فكرهتُ أن أجيبه ، فقلت : إن لم أكن أدرى فأمير المؤمنين يُدرينى ، فقال عمر : كرهوا أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة ، فتبجحوا[2] على قومكم بَجَحاً بجَحاً ، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووُفِّقتْ . فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، إن تأذن لى فى الكلام ، وتُمِطْ عنى الغضب تكلمتُ . فقال : تكلم يابن عباس ، فقلت : أمّا قولك يا أميرَ المؤمنين : اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت ، فلو أنّ قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزّ وجلّ لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود . وأما قولك : إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوّة والخلافة ، فإنّ الله عزّ وجلّ وصف قوماً بالكراهية فقال : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[3] . ٢٧٧١/١

فقال عمر : هيهات والله يابن عباس ! قد كانت تبلغنى عنك أشياء كنت أكره أن أفُرّك[4] عنها ، فتزيل[5] منزلتك منى ؛ فقلت : وما هى يا أمير المؤمنين ؟

---

(١) ديوانه ٢٨٢

(٢) بجح بالشئ : افتخر به .

(٣) سورة محمد ٩ .

(٤) فى ابن الأثير : « أقرك » .

(٥) ابن الاثير : « لتزيل » .

فإن كانت حقًّا فما ينبغى أن تزيل منزلتى منك ، وإن كانت باطلا فمثلى أماط الباطل عن نفسه ، فقال عمر : بلغنى أنك تقول : إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً ! فقلت : أمّا قولك يا أمير المؤمنين : ظلماً ، فقد تبيّن للجاهل والحليم ، وأما قولك : حسداً ، فإنّ إبليس حسد آدم ؛ فنحن ولده المحسودون ؛ فقال عمر : هيهات ! أبت والله قلوبكم يا بنى هاشم إلاّ حسداً ما يحول ، وضِغْناً وغشًّا ما يزول . فقلت : مهلا يا أمير المؤمنين ؛ لا تصِف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغشّ ، فإنّ قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلوب بنى هاشم . فقال عمر : إليك عنى يابن عباس ، فقلت : أفعل ؛ فلما ذهبت لأقوم استحيا منّى فقال : يابن عباس ، مكانَك ، فوالله إنى لراعٍ لحقّك ، محبّ لما سرّك ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ لى عليك حقًّا وعلى كلّ مسلم ، فمن حفظه فحظّه أصاب ، ومن أضاعه فحظّه أخطأ . ثم قام فمضى .

حدّثنى أحمد بن عمرو ، قال : حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمىّ ، قال : حدّثنا عِكْرمة بن عمّار ، عن إياس بن سلَمة ، عن أبيه ، قال : مرّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى السوق ومعه الدّرّة ، فخفقنى بها خفقة ، فأصاب طرف ثوبى ، فقال : أمِطْ عن الطريق ، فلما كان فى العام المقبل لقيَنى فقال : يا سلمة ، تريد الحجّ ؟ فقلت : نعم ، فأخذ بيدى ، فانطلق بى إلى منزله فأعطانى ستمائة درهم ، وقال : استعن بها على حجّك ، واعلم أنها بالخفقة التى خفقتك ؛ قلت : يا أمير المؤمنين ما ذكرتها ! قال : وأنا ما نسيتُها . ٢٧٧٢/١

حدثنى عبد الحميد بن بيان ، قال أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ابن أبى خالد ، عن سلمة بن كُهَيل ، قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أيّها الرعيّة : إن لنا عليكم حقًّا . النصيحة بالغيب ، والمعاونة على الخير ؛ إنه ليس من حلم أحبّ إلى الله ولا أعمّ نفعاً من حلم إمام ورفقه . أيها الرعيّة ؛ إنه ليس من جهل أبغض إلى الله ولا أعمّ شرًّا من جهل إمام وخُرْقه . أيها الرعيّة ، إنه مَنْ يأخذ بالعافية لمن بين ظهرانَيْه ، يؤتَ الله العافية من فوقه .

حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا يحيى بن مَعين ، قال : حدّثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا عيسى بن يزيد بن دأب ؛ عن عبدالرحمن ابن أبى زيد ، عن عمران بن سوادة ، قال : صليت الصبح مع عمر ، فقرأ: « سبحان » وسورة معها ، ثم انصرف وقمت معه ، فقال : أحاجة ؟ قلت : حاجة ، قال : فالحقْ ، قال : فلحقت ؛ فلما دخل أذن لى ؛ فإذا هو على سرير ليس فوقه شىء ، فقلت : نصيحة ، فقال : مرحبًا بالناصح غدوًّا وعشيًّا ؛ قلت : عابت أمتك منك أربعًا ، قال : فوضع رأس دِرّته فى ذقنه ، ووضع أسفلها على فخِذه ، ثم قال : هاتِ ؛ قلت : ذكروا أنك حرّمت العُمْرة فى أشهر الحجّ ، ولم يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضى الله عنه ؛ وهى حلال ، قال : هى حلال ، لو أنهم اعتمرُوا فى أشهر الحجّ رأوها مجزِيةً من حجّهم ؛ فكانت قائبةَ قُوبٍ عامها ، فقَرِع حجّهم[1] ، وهو بَهاء من بهاء الله ، وقد أصبتَ . قلت : وذكروا أنك حرّمت مُتْعة النساء وقد كانت رُخصة من الله نستمتع بقُبْضة ونفارق عن ثلاث . قال : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أحلّها فى زمان ضرورة ، ثم رجع الناس إلى السَّعة ، ثم لم أعلم أحداً من المسلمين عمل بها ولا عاد إليها ، فالآن مَنْ شاء نكح بقُبضة وفارق عن ثلاث بطلاق ، وقد أصبت . قال : قلت : وأعتقتَ الأَمة أن وضعتْ ذا بطنها بغير عتاقة سيّدها ، قال : ألحقتُ حرمة بحرمة ، وما أردت إلاّ الخير ، وأستغفر الله . قلت : وتشكّوْا منك نَهْر الرعيّة وعُنْف السيَاق . قال : فشرع الدّرّة ، ثم مسحها حتى أتى على آخرها[2] ، ثم قال : أنا زميل محمد — وكان زَامله فى غزوة قرقرة الكُدْر — فوالله إنّى لأرتِع فأشبِع ، وأسقى فأروِى ، وأنهز اللّفوت[3] ، وأزجر[4] العَروض ، وأذبّ

١/٢٧٧٣

(١) قرع ؛ أى خلا من القوام به . قال الزمخشرى : «القائب : البيضة المفرخة ، فاعلة بمعنى مفعولة ، من قبها ، إذا فلقها قوباً . والقوب : الفرخ ؛ ومنه المثل : «تبرأت قائبة من قوب ، يعنى أن مكة تخلو من الحجيج خلو القائبة » .

(٢) الفائق : « فوضع عود الدرة ، ثم ذقن عليها » .

(٣) اللفوت من النوق : الضجور التى تلتفت إلى حالبها لتعضه فينهزها ؛ أى يدفعها ، وفى الفائق : « يرد اللفوت » .

(٤) الفائق : «وأضرب العروض» ، قال : هو الذى يأخذ يميناً وشمالا ؛ حتى يرده إلى الطريق .

١/٢٧٧٤ قدْرِى ، وأسوق خَطْوى ، وأضمّ العَنود[١] ، وألحِق القَطوف[٢] ، وأكثِر الزّجر ، وأقِلّ الضرب ، وأشهِر العصا[٣] ، وأدفع باليد ؛ لولا ذلك لأغدَرت[٤].
قال : فبلغ ذلك معاوية ، فقال : كان والله عالمًا برعيّتهم[٥] .

حدّثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا ابن عُلَيّة ، عن ابن عون ، عن محمد ، قال : نُبِّئت أن عثمان قال : إنّ عمر كان يمنع أهله وأقرباءه ابتغاء وجه الله ، وإنى أعطى أهلى وأقربائى ابتغاء وجه الله ، ولن يُلقَى مثل عمر ثلاثة .

وحدّثنى علىّ بن سهل ، قال : حدّثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن عبد الله ابن أبى سليمان ، عن أبيه ، قال : قدمت المدينة ، فدخلت داراً من دُورِها ، فإذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه عليه إزار قِطْرِىّ ، يدهُن إبلَ الصدقة بالقَطِران .

وحدّثنا ابنُ بشار ، قال : حدّثنا عبد الرحمن ، قال : حدّثنا سُفيان ، عن حبيب ، عن أبى وائل ، قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت ، لأخذت فضولَ أموال الأغنياء ، فقسمتها على فقراء المهاجرين .

١/٢٧٧٥ وحدّثنا ابن بشار ، قال : حدّثنا عبدُ الرحمن بن مهدىّ ، قال : حدّثنا منصور بن أبى الأسود ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود بن يزيد ، قال : كان الوفد إذا قدِموا على عمر رضى الله عنه سألهم عن أميرهم ، فيقولون خيرًا ، فيقول : هل يعود مرضاكم ؟ فيقولون : نعم ؛ فيقول : هل يعود العبد ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : كيف صنيعه بالضّعيف ؟ هل يجلس على بابه ؟ فإن قالوا لِخصلة منها : لا ، عزَله .

---

(١) العنود : المائل عن السنن . (٢) القطوف : الدابة البطيئة السير .
(٣) يشهر العصا : أى يرفعها مرهبًا بها .
(٤) لأغدرت : أى لغادرت الحق والصواب وقصرت فى الإيالة ؛ وفى ط : «لأعذرت» ، تصحيف .
(٥) الخبر فى الفائق ١ : ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، مع اختلاف فى الرواية .

وحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدّثنا عمرو ، قال : كان عمر بن الخطاب يقول : أربع من أمر الإسلام لست مضيّعهنّ ولا تاركهنّ لشيء أبداً: القوّة في مال الله وجمعه حتّى إذا جمعناه وضعناه حيث أمر الله ، وقعدنا آلَ عمر ليس في أيدينا ولا عندنا منه شيء . والمهاجرون الذين تحت ظلال السيوف ؛ ألاّ يحبَسوا ولا يجمَّروا ، وأن يوفَّر فيء الله عليهم وعلى عيالاتهم ، وأكون أنا للعيال حتى يقدَموا . والأنصار الذين أعطوا الله عزّ وجلّ نصيباً ، وقاتلوا الناس كافة ؛ أن يقبَل من محسنهم ، ويُتجاوَز عن مسيئهم ؛ وأن يُشاوروا في الأمر. والأعراب الذين هم أصل العرب ومادة الإسلام ؛ أن تؤخذ منهم صدقتهم على وجهها ، ولا يؤخذ منهم دينار ولا درهم ، وأن يردّ على فقرائهم ومساكينهم . ١/٢٧٧٦

كتب إليّ السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن جُرَيج ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : قال عمر : إنّي لأعلم أنّ الناس لا يعدلون بهذَين الرّجلين اللذَيْن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون نجيًّا بينهما وبين جبريل يتبلَّغ عنه ويُملّ عليهما .

* * *

قصة الشورى

حدّثني عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا عليّ بن محمد ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ومحمد بن عبد الله الأنصاريّ ، عن ابن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن شهر بن حَوْشب وأبي مخنف ، عن يوسف بن يزيد ، عن عباس بن سهل ومبارك بن فَضالة ، عن عبيد الله بن عمر ويونس بن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأوديّ ؛ أنّ عمر بن الخطاب لما طُعِن قيل له : يا أميرَ المؤمنين ؛ لو استخلفت ! قال : مَنْ أستخلف ؟ لو كان أبو عبيدة بن الجرّاح حيًّا استخلفته ؛ فإن سألني ربي قلت : سمعت نبيّك يقول : «إنه أمين هذه الأمّة» ، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًّا استخلفته ، ١/٢٧٧٧ فإن سألني ربيّ قلت : سمعت نبيّك يقول : «إنّ سالمًا شديد الحبّ لله» . فقال

له رجل : أدلُّك عليه ؟ عبد الله بن عمر ، فقال : قاتلك الله ؛ والله ما أردتَ الله بهذا ، ويحك ! كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته ! لا أرَبَ لنا فى أموركم ، ماحمِدتُها فأرغبَ فيها لأحد من أهل بيتى ؛ إن كان خيراً فقد أصبنا منه ، وإن كان شرًّا فشرعنًا آل عمر ؛ بحسب آل عمر أن يحاسَب منهم رجل واحد ؛ ويُسأل عن أمر أمة محمد ؛ أما لقد جهدت نفسى ، وحرمت أهلِى ؛ وإن نجوتُ كَفافا لاوزْر ولا أجر إنى لسعيد ؛ وأنظر فإن استخلفتُ فقد استخلف مَن هو خير منّى ، وإن أترك فقد ترك مَنْ هو خير منى ، ولن يضيّع الله دينه . فخرجوا ثم راحوا ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ؛ لو عهدتَ عهداً ! فقال : قد كنت أجمعت بعد مقالتى لكم أن أنظر فأولِّىَ رجلاً أمرَكم ؛ هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ — وأشار إلى علىّ — ورهِقتْنى غَشْية ، فرأيت رجلاً دخل جنة قد غرسها ، فجعل يقطف كل غضّة ويانعة فيضمّه إليه ويصيّره تحته ؛ فعلمتُ أنّ الله غالب أمره ، ومتوفٍّ عمر ؛ فما أريد أن أتحمّلها حيًّا وميتًا ؛ عليكم هؤلاء الرّهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنهم من أهل الجنة » ؛ سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل منهم ؛ ولست مدخله ؛ ولكن الستّة : علىّ وعثمان ابنا عبد مناف ، وعبدالرحمن وسعد خالا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والزُّبير بن العوّام حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، وطلحة الخير بن عبيد الله ؛ فلْيختاروا منهم رجلاً ؛ فإذا ولَّوا واليًا فأحسِنوا مؤازرته وأعينوه ، إن ائتمن أحداً منكم فليؤدّ إليه أمانته . وخرجوا ، فقال العباس لعلىّ : لا تدخل معهم ، قال[1] : أكره الخلاف ، قال : إذاً ترى ما تكره ! فلما أصبح عمر دعا عليًّا وعثمان وسعداً وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوّام ، فقال : إنّى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ؛ ولا يكون هذا الأمر إلاّ فيكم ؛ وقد قبِض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنكم راضٍ ؛ إنّى لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم ؛ ولكنّى أخافُ عليكم اختلافَكم فيما بينكم ، فيختلف الناس ، فانهضوا إلى حُجْرة عائشة بإذنٍ منها ، فتشاوروا واختاروا رجلا منكم . ثم قال : لا تدخلوا

١/٢٧٧٨

(١) بعدها فى ف : « فإنى » ، وفى ابن الأثير : « إنى » .

حجرة عائشة ؛ ولكن كونوا قريبًا ، ووضع رأسه وقد نزَفه الدم .

فدخلوا فتناجوْا، ثم ارتفعت أصواتهم ، فقال عبد الله بن عمر : سبحان الله ! إنّ أمير المؤمنين لم يمُتْ بعد ؛ فأسمعَه فانتبه فقال : ألا أعرضوا عن هذا أجمعون ؛ فإذا متُّ فتشاوروا ثلاثة أيام، وليصلّ بالناس صهيب ، ولا يأتينّ اليوم الرابع إلاّ وعليكم أمير منكم ؛ ويحضر عبدُ الله بن عمر مشيراً ، ولا شيءَ له من الأمر ؛ وطلحة شريككم فى الأمر ؛ فإن قدم فى الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم ؛ وإن مضت الأيّام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم ؛ ومَن لى بطلحة ؟ فقال سعد بن أبى وقاص : أنا لك به؛ولا يخالف إن شاءالله. فقال عمر : أرجو ألاّ يخالف إن شاء الله ؛ وما أظنّ أن يلىَ إلاّ أحدُ هذين الرجلين : علىّ أو عثمان؛ فإن ولىَ عثمان فرجل فيه لين ، وإن ولى علىّ ففيه دُعابة ، وأحرِ به أن يحملهم على طريق الحقّ ؛ وإن تولوا سعداً فأهلها هو ؛ وإلاّ فليستعن به الوالى ، فإنى لم أعزله عن خيانة ولا ضعف ؛ ونِعْم ذو الرأى عبد الرحمن بن عوف! مسدّد رشيد، له من الله حافظ، فاسمعوا منه .

وقال لأبى طلحة الأنصارىّ : يا أبا طلحة ، إنّ الله عزّ وجلّ طالما أعزّ الإسلام بكم، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار ؛ فاستحِثّ هؤلاء الرّهط حتى يختاروا رجلا منهم . وقال للمقداد بن الأسود : إذا وضعتمونى فى حُفْرتِى فاجمع هؤلاء الرّهط فى بيت حتى يختاروا رجلاً منهم ، وقال لصُهيب : صلّ بالناس ثلاثة أيام ، وأدخل عليًّا وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم ؛ وأحضِر عبد الله بن عمر ولا شىء له من الأمر ؛ وقم على رءوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضُوا رجلا وأبى واحد فاشدَخْ رأسه — أو اضرب رأسه بالسيف — وإن اتّفق أربعة فرضُوا رجلا منهم وأبى اثنان ، فاضرب رءوسهما ، فإن رضىَ ثلاثةٌ رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم ، فحكّموا عبدَ الله ابن عمر ؛ فأىّ الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم ؛ فإن لم يرضَوْا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين إن رغبوا عمّا اجتمع عليه الناس .

فخرجوا ، فقال علىّ لقوم كانوا معه من بنى هاشم : إن أطيع فيكم قومُكم لم تؤمّروا أبداً . وتلقّاه العباس، فقال: عدلَتْ عنّا ! فقال : وما علمك ؟

(margin: ٢٧٧٩/١ ; ٢٧٨٠/١)

قال : قرِن بي عثمان ، وقال : كونوا مع الأكثر ، فإن رضىَ رجلان رجلا ، ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ؛ فسعد لا يخالف ابنَ عمِّه عبد الرحمن ؛ وعبد الرحمن صهر عثمان ؛ لا يختلفون ، فيولّيها عبدُ الرحمن عثمانَ ، أو يوليها عثمانُ عبد الرحمن ؛ فلو كان الآخَران معى لم ينفعانى ؛ بلْه إنى لا أرجو إلاّ أحدهما . فقال له العباس : لم أرفعْك فى شىء إلاّ رجعت إلىّ مستأخراً بما أكره ؛ أشرتُ عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ تسألَه فيمن هذا الأمر ؛ فأبيتَ ، وأشرتُ عليك بعد وفاته أن تعاجلَ الأمر فأبيت ، وأشرتُ عليك حين سمّاك عمر فى الشورى ألاّ تدخل معهم فأبيتَ ؛ احفظ عنِّى واحدة ؛ كلّما عرض عليك القوم ، فقل : لا ، إلاّ أن يولُّوك ؛ واحذر هؤلاء الرّهط ، فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به غيرنا ، وايمُ الله لا يناله[1] إلا بشرّ لا ينفع معه خير . فقال ١/٢٧٨١ علىّ : أما لئن بقى عثمان لأذكّرنه ما أتى ولئن مات لَيتداولنّها بينهم ، ولئن فعلوا ليجدنّى[2] حيث يكرهون ؛ ثم تمثل :

حلَفْتُ بربِّ الراقِصاتِ عشيَّةً ... غدَوْنَ خِفافاً فابْتَدَرْنَ المُحَصَّبا
لَيَختَلِيَنْ رَهْطُ ابْنِ يَعْمَرَ مارِثاً ... نَجِيعاً بنو الشُّدَّاخِ وِرْداً مُصلَّبَا

والتفت فرأى أبا طلحة فكره مكانه ، فقال أبو طلحة : لم تُرَعْ أبا الحسن . فلمّا مات عمر وأخرجت جنازته ، تصدّى علىّ وعثمان : أيُّهما يصلى عليه ، فقال عبد الرحمن : كلاكما يحبُّ الإمْرة ، لستما من هذا فى شىء ، هذا إلى صهيب ، استخلفه عمر ، يصلّى بالناس ثلاثاً حتى يجتمع الناس على إمام . فصلّى عليه صُهيب ، فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشُّورى فى بيت المِسْوَر بن مخرَمة — ويقال فى بيت المال ، ويقال فى حجرة عائشة بإذنها — وهم خمسة ، معهم ابنُ عمر ، وطلحة غائب ؛ وأمروا أبا طلحة أن يحجُبَهم ، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب ، فحصبهما سعد وأقامهما ، وقال : تريدان أن تقولا : حضرنا وكنّا فى أهل الشورى ! ١/٢٧٨٢ فتنافس القوم فى الأمر ؛ وكثر بينهم الكلام ؛ فقال أبو طلحة : أنا كنت

(١) ف : « لا تناله » . (٢) ابن الأثير : « لتجدنى » .

لأنْ تدفعوها أخوفَ منِّى لأن تَنافسوها ! لا والذى ذهب بنفس عمر ؛ لاأزيدكم على الأيّام الثلاثة التى أمِرتم ، ثم أجلس فى بيتى ؛ فأنظر ماتصنعون ! فقال عبد الرحمن: أيُّكم يخرِج منهانفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلَكم؟ فلم يجبه أحد ، فقال : فأنا أنخلع منها ؛ فقال عثمان: أنا أوّل من رضى ، فإنّى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : «أمين فى الأرض أمين فى السماء» ، فقال القوم : قد رضينا — وعلىّ ساكت — فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟ قال : أعطِنى موثِقـًا لتؤثرنّ الحقّ ولا تتّبع الهوى ، ولا تخصّ ذا رحم ، ولا تألوا الأمة ! فقال : أعطونى مواثيقكم على أن تكونوا معى على مَنْ بدّل وغيّر ، وأن ترضوا من اخترت لكم ، علىّ ميثاق الله ألاّ أخصّ ذارحِم لرحمه ، ولا آلو المسلمين .فأخذ منهم ميثاقـًا وأعطاهم مثله ، فقال لعلىّ ، إنك تقول : إنى أحقُّ من حضر بالأمر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك فى الدّين ولم تبعد ؛ ولكن أرأيت لو صرِف هذا الأمر عنك فلم تحضر ، مَن كنت ترى من هؤلاء الرّهط أحقّ بالأمر ؟ قال : عثمان . وخلا بعثمان ؛ فقال : تقول : شيخ من بنى عبد مناف ؛ وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ، لى سابقة وفَضْل — لم تبعد — فلن يصرف هذا الأمرعنى ، ولكن لولم تحضرفأىّ هؤلاء الرهط تراه أحقّ به ؟ قال : علىّ . ثم خلا بالزّبير ، فكلمه بمثل ما كلم به عليـًّا وعثمان؛ فقال: عثمان. ثم خـَلا بسعد، فكلمه ، فقال : عثمان . فلقى علىّ سعداً ، فقال : ﴿ واتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [1] ، أسألك برحِم ابنى هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرحِم عمّى حمزة منك ألاّ تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيراً علىّ ؛ فإنى أدْلى بما لا يُدْلى به عثمان. ودار عبد الرحمن لياليَه يلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَن وافَى المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس ، يشاورهم ، ولا يخلُو برجل إلا أمره بعثمان ؛ حتى إذا كانت الليلة التى يُستكمَل فى صبيحتها الأجلُ ، أتى منزل المِسْوَر بن مخرمة بعد ابهيرار [2] من الليل ؛

١/٢٧٨٣

---

(١) سورة النساء ١

(٢) ابهيرار الليل : طلوع نجومه إذا تتامت واستنارت .

فأيقظه فقال: ألا أراك نائمًا ولم أذق فى هذه الليلة كثير غُمْض[1] ! انطلق فادعُ الزبير وسعداً .

فدعاهما فبدأ بالزبير فى مؤخر المسجد فى الصُّفَّة التى تلِى دارَ مروان ، فقال له : خلِّ ابنىْ عبد مناف وهذا الأمر ، قال : نصيبى لعلىّ ، وقال لسعد : أنا وأنت كلالة ، فاجعل نصيبك لى فأختار ، قال : إن اخترتَ نفسك فنعم ، وإن اخترتَ عثمان فعلىّ أحبّ إلىّ ؛ أيها الرجل بايع لنفسك وأرِحْنا ، وارفع رءوسنا ، قال : يا أبا إسحاق ؛ إنى قد خلعتُ نفسى منها علَى أن أختار ، ولو لم أفعل وجُعل الخيار إلىّ لم أرِدْها ، إنى أرِيت كروضة خضراء كثيرة العُشْب ، فدخل فحلٌ فلم أر فحلا قطّ أكرمَ منه ، فمرّ كأنه سهم لا يلتفت إلى شىء مما فى الرّوْضة حتى قطعها ، لم يعرّج . ودخل بعير يتلوه فاتّبع أثره حتى خرج من الرّوضة ، ثم دخل فحل عبقرىٌّ يجرّ خِطامه ، يلتفت يمينًا وشمالا ويمضى قَصْد الأوليْن حتى خرج ، ثمّ دخل بعير رابع فرتَع فى الرّوْضة ؛ ولا والله لا أكون الرابع ؛ ولا يقوم مقام أبى بكر وعمر بعدهما أحدٌ فيرضى الناس عنه . قال سعد : فإنى أخافُ أن يكون الضّعف قد أدركك ، فامضِ لرأيك ؛ فقد عرفت عهد عمر .

وانصرف الزبير وسعد؛ وأرسل المِسْور بن مخرمة إلى علىّ ، فناجاه طويلا ؛ وهو لا يشكّ أنه صاحب الأمر ، ثم نهض؛ وأرسل المِسوَر إلى عثمان . فكان فى نجيّهما ؛ حتى فرّق بينهما أذان الصبح . فقال عمرو بن ميمون : قال لى عبد الله بن عمر : يا عمرو ، مَنْ أخبرك أنه يعلم ما كلّم به عبد الرحمن بن عوف عليًّا وعثمان فقد قال بغير علم ؛ فوقع قضاء ربّك على عثمان . فلما صلوا الصبح جمع الرهط ، وبعث إلى مَن حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار ، وإلى أمراء الأجناد ، فاجتمعوا حتى التجّ المسجد بأهله، فقال : أيُّها الناس، إنّ الناس قد أحبّوا أن يلحق أهلُ الأمصار بأمصارهم وقد علموا مَن أميرُهم . فقال سعيد بن زيد : إنّا نراك لها أهلا ، فقال : أشيروا علىّ بغير هذا ، فقال عمّار : إن أردت ألاّ يختلف المسلمون فبايع عليًّا . فقال المقداد بن الأسود : صَدق عمّار ؛ إن بايعت عليًّا قلنا : سمعنا

١/٢٧٨٥

(١) ف : « كبير غمض » .

وأطعنا . قال ابنُ أبى سرح : إن أردت ألاّ تختلف قريش فبايع عثمان .
فقال عبد الله بن أبى ربيعة : صَدق ؛ إن بايعتَ عثمان قلنا : سمعنا وأطعنا .
فشتم عمّار ابن أبى سَرْح ، وقال : متى كنت تنصح المسلمين !

فتكلم بنو هاشم وبنو أميّة ، فقال عمار : أيّها الناس ؛ إنّ الله عزّ وجلّ أكرمنا بنبيّه ، وأعزّنا بدينه ، فأنّى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ! فقال رجل من بنى مخزوم : لقد عدوتَ طوركَ يابن سميّة ؛ وما أنت وتأمير قريش لأنفسها ! فقال سعد بن أبى وقاص : يا عبد الرحمن ، افرغ قبل أن يفتتن الناس ، فقال عبد الرحمن : إنى قد نظرت وشاورت ، فلا تجعلُنّ أيها الرهط على أنفسكم سبيلا . ودعا عليًّا ، فقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعمَلنّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده ؟ قال : أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمى وطاقتى ؛ ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلىّ ، قال : نعم ، فبايعه ، فقال علىّ : حبوتَه حَبْوَ دهر ؛ ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا ؛ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ؛ والله ما ولّيتَ عثمان إلا ليردّ الأمر إليك ؛ والله كلّ يوم هو فى شأن ؛ فقال عبد الرحمن : يا علىّ لا تجعل على نفسك سبيلاً ؛ فإنى قد نظرت وشاورتُ الناس ؛ فإذا هم لا يعدلون بعثمان . فخرج علىّ وهو يقول : سيبلغ الكتاب أجله . فقال المقداد : يا عبد الرحمن ، أما والله لقد تركتَه من الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون . فقال : يامقداد ؛ والله لقد اجتهدتُ للمسلمين ؛ قال : إن كنتَ أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين . فقال المقداد : ما رأيتُ مثل ما أوتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم . إنى لأعجب من قريش أنّهم تركوا رجلاً ما أقول إنّ أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل ؛ أما والله لو أجد عليه أعواناً ! فقال عبد الرحمن : يا مقداد ؛ اتّق الله ؛ فإنى خائف عليك الفتنة ، فقال رجل للمقداد : رحمك الله ! مَن أهل هذا البيت ومَن هذا الرجل؟ قال : أهل البيت بنو عبد المطلب ، والرجل علىّ بن أبى طالب . فقال علىّ : إنّ الناس ينظرون إلى قريش ، وقريش تنظر إلى بيتها فتقول : إن وُلّىَ عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً ، وما كانت فى غيرهم من قريش تداولتموها بينكم . وقدم طلحة فى اليوم الذى بويع

١/٢٧٨٦ ١/٢٧٨٧

فيه لعثمان ، فقيل له : بايع عثمان ، فقال : أكلّ قريش راضٍ به ؟ قال : نعم ، فأتى عثمانَ فقال له عثمان : أنت على رأس أمرك ، إن أبيتَ رددتُها ، قال : أتردّها ؟ قال : نعم ؛ قال : أكلّ الناس بايعوك ؟ قال : نعم ، قال : قد رضيتُ ؛ لا أرغب عمّا قد أجمعوا عليه ، وبايعه .

وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن : يا أبا محمد ، قد أصبتَ إذ بايعتَ عثمان! وقال لعثمان : لو بايع عبد الرحمن غيرَك ما رضينا ، فقال عبد الرحمن : كذبت يا أعور ؛ لو بايعتُ غيره لبايعتَه ، ولقلتَ هذه المقالة .

وقال الفرزدق :

صلّى صُهَيْبٌ ثلاثاً ثمّ أرْسَلَها ... على ابنِ عَفّانَ مُلْكاً غير مقصور
خلافةً من أبي بكر لصاحبِهِ ... كانوا أخِلاَّءَ مَهْدِيٍّ ومأمورِ

١/٢٧٨٨ وكان المِسْوَر بن مخرَمَة يقول : ما رأيت رجلاً بذّ قوماً فيما دخلوا فيه بأشدّ مما بذّهم عبد الرحمن بن عوف .

* * *

قال أبو جعفر : وأما المِسْوَر بن مخرمة ، فإنّ الرواية عندنا عنه ما حدّثني سلْم بن جُنادة أبو السائب ، قال : حدّثنا سُليمان بن عبد العزيز ابن أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : حدّثنا أبي ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه ، عن المِسْوَر بن مخرمة — وكانت أمه عاتكة ابنة عوف — في الخبر الذي قد مضى ذكرى أولَه في مقتل عمر بن الخطّاب ؛ قال : ونزل في قبره — يعني في قبر عمر — الخمسة ، يعني أهل الشورى . قال : ثم خرجوا يريدون بيوتهم ؛ فناداهم عبد الرحمن : إلى أين ؟ هلمّوا ! فتبعوه ، وخرج حتى دخل بيت فاطمة ابنة قيس الفهريّة ، أخت الضحّاك بن قيس الفهريّ — قال بعض أهل العلم : بل كانت زوجتَه ، وكانت نَجوداً ، يريد ذات رأي — قال : فبدأ عبد الرحمن بالكلام ، فقال : يا هؤلاء ؛ إنّ عندي رأياً ، وإنّ لكم نظراً ؛ فاسمعوا تعلّموا ، وأجيبوا

تفقهوا ؛ فإنّ حابيًا خير من زاهق[١] ؛ وإن جُرعةً من شَرُوب[٢] بارد أنفع من عذب مُوبٍ[٣] ؛ أنتم أئمة يهتدى بكم ؛ وعلماء يصدَر إليكم ؛ فلا تفلّوا المدَى بالاختلاف بينكم ، ولا تُغمِدوا السيوف عن أعدائكم ؛ فتُوتِروا ثأركم ، وتؤلتوا[٤] أعمالكم ؛ لكلّ أجل كتاب ؛ ولكل بيت إمام بأمره يقومون ، وبنهيه يَرِعون . قلّدوا أمركم واحداً منكم تمشوا الهوينى وتلحقوا الطلب ؛ لولا فتنة عمياء ، وضلالة حيراء ؛ يقول أهلها ما يرون ، وتحلّهم الحَبَوْكَرَى[٥] . ما عدَتْ نيّاتكم معرفتَكم ، ولاأعمالكم نياتِكم . احذروا نصيحة الهوى ، ولسان الفُرْقة ؛ فإنّ الحيلة فى المنطق أبلغُ من السيوف فى الكلْم ؛ علّقُوا أمركم رَحْبَ الذراع فيما حلّ ، مأمونَ الغيب فيما نزل ، رضًا منكم وكلكم رضًا ، ومقترَعًا منكم وكلّكم منتهًى ، لا تطيعوا مفسداً ينتصح ؛ ولا تخالفوا مرشداً ينتصر ؛ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم[٦] .

١/٢٧٨٩

ثم تكلّم عثمان بن عفان ، فقال : الحمدُ لله الذى اتّخذ محمّداً نبيًّا ، وبعثه رسولا ، صدقه وعده ، ووهب له نصره على كلّ مَن بَعُد نسباً ، أوقرب رَحِمًا ؛ صلى الله عليه وسلم ؛ جعلنا الله له تابعين وبأمره مهتدين ؛ فهو لنا نور ؛ ونحن بأمره نقوم ، عند تفرّق الأهواء ؛ ومجادلة الأعداء ؛ جعلنا الله بفضله أئمة وبطاعته أمراء ، لا يخرج أمرنا منّا ، ولا يدخل علينا غيرنا إلا من سفِهَ الحقّ ؛ ونكَل عن القصد ، وأحرِبها يابن عوف أن تترَك ، وأحْذِر[٧] بها أن تكون إن خولف أمرك وترك دعاؤك ؛ فأنا أوّل مجيب لك ، وداعٍ إليك ، وكفيل بما أقول زعيم ؛ وأستغفر الله لى ولكم .

١/٢٧٩٠

ثم تكلّم الزبير بن العوام بعده ، فقال : أمّا بعد ؛ فإنّ داعىَ الله لا يجهل ، ومجيبه لا يخذَل ، عند تفرّق الأهواء ولىّ الأعناق ؛ ولن يقصّر عمّا قلت إلا غوىّ ،

---

(١) قال الزمخشرى : « ضربة الحابى ؛ وهو السهم الذى يزلج على الأرض ، ثم يصيب الهدف . والزاهق هو الذى يجاوزه ؛ من زهق الفرس إذا تقدم الخيل ؛ جعله مثلا لوال ضعيف ينال الحق أو بعضه ، ولآخر يجاوز الحق ويتخطاه » . (٢) الشروب : الماء الملح الذى لا يشرب إلا عند الضرورة .

(٣) العذب الموبى : هو الذى يورث وباء ؛ قال الزمخشرى : «ضرب به مثلا لرجلين ؛ أحدهما أدون وأنفع ، والثانى أرفع وأضر» . (٤) وتؤلتوا أعمالكم ، أى تنقصوها ، وانظر فى اللسان .

(٥) الحبوكرى : الداهية . (٦) الخبر فى الفائق ١ : ٢٣٢ مع اختلاف فى الرواية .

(٧) كذا فى النويرى ، وفى ط : « أحذر » .

ولن يترك ما دعوت إليه إلاّ شقىّ ، لولا حدود لله فرضت ؛ وفرائض لله حُدّت ؛ تراح على أهلها ؛ وتحيا لا تموت ؛ لكان الموت من الإمارة نجاة ، والفرار من الولاية عصمة ؛ ولكن لله علينا إجابة الدعوة ، وإظهار السنّة ؛ لئلا نموت ميتة عِمّيّة ؛ ولا نعمَى عمى جاهليّة ؛ فأنا مجيبك إلى ما دعوت ، ومعينك على ما أمرت ، ولا حوْل ولا قوة إلا بالله ، وأستغفر الله لى ولكم .

ثم تكلّم سعد بن أبى وقّاص ، فقال : الحمد لله بديئاً كان ، وآخراً يعود ، أحمده لما نجّانى من الضلالة ، وبصّرنى من الغواية ، فبهدى الله فاز مَن نجا ، وبرحمته أفلح من زكا ، وبمحمد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلم أنارت الطرق ، واستقامت السبل ، وظهر كلّ حق ، ومات كلّ باطل ؛ إياكم أيها النّفر وقولَ الزور ، وأمنيّة أهل الغرور ، فقد سلبت الأمانىُّ قوماً قبلكم ورثوا ما ورثتم ، ونالوا ما نلتم ؛ فاتّخذهم الله عدوًّا ، ولعنهم لعناً كبيراً . قال الله عزّ وجل : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[1]. إنّى نكبت قَرَنى[2] فأخذت سهمى الفالج ، وأخذتُ لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى ؛ فأنا به كفيل ، وبما أعطيتُ عنه زعيم ، والأمر إليك يابن عوف ؛ بجهد النفس ، وقصد النُّصْح ، وعلى الله قصد السبيل ، وإليه الرّجوع ، وأستغفر الله لى ولكم ؛ وأعوذ بالله مِن مخالفتكم .

١/٢٧٩١

ثم تكلّم علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ؛ فقال : الحمدُ لله الذى بعث محمداً منّا نبيًّا ، وبعثه إلينا رسولا ، فنحن بيت النبوّة ، ومعدِن الحكمة ، وأمان أهل الأرض ، ونجاة لمن طلب ، لنا حقّ إن نعطَه نأخذه ؛ وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل ولو طال السُّرَى ؛ لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً لأنفذنا عهده ؛ ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت . لن يسرع أحد قبلى إلى دعوة حقّ وصِلة رحم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

١/٢٧٩٢

(١) سورة المائدة ٧٨ ، ٧٩ (٢) القرن هنا : الجعبة ، ونكب قرنه ، أى نثر ما فيه من السهام . وانظر اللسان (نكب ، قرن) .

اسمعوا كلامى ، وعوا منطقى ؛ عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا المجمع تُنتضَى فيه السيوف ، وتُخان فيه العهود ؛حتّى تكونوا جماعة ، ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة ، وشيعةً لأهل الجهالة ، ثم أنشأ يقول :

فإن تكُ جاسمٌ هَلَكَتْ فإنّى بمـــا فعلتْ بنو عبدِ بنِ ضخْمِ
مُطيـــعٌ فى الهواجِرِ كلّ عَىٍّ بَصـــيرٌ بالنّوَى من كلّ نَجْم

فقال عبد الرحمن : أيكم يطيب نفساً أن يخرِج نفسه من هذا الأمر ويولّيه غيرَه؟ قال : فأمسكوا عنه ، قال: فإنى أخرج نفسى وابنَ عمّى ، فقلده القوم الأمر ، وأحلفهم عند المنبر ؛ فحلفوا ليبايعُنّ مَن بايع ، وإن بايع بإحدى يديه الأخرى . فأقام ثلاثاً فى داره التى عند المسجد التى يقال لها اليوم رحبة القضاء — وبذلك سمّيت رَحْبة القضاء — فأقام ثلاثاً يصلّى بالناس صهيب .

قال : وبعث عبد الرحمن إلى علىّ ، فقال له : إن لم أبايعك فأشر علىّ ؛ فقال : عثمان ، ثم بعث إلى عثمان ، فقال : إن لم أبايعك ، فمن تشير علىّ ؟ قال : علىّ ، ثم قال لهما : انصرفا. فدعا الزبير ، فقال : إن لم أبايعك ؛ فمن تشير علىّ ، قال : عثمان ، ثم دعا سعداً ، فقال : مَنْ تشير علىّ ؟ فأمّا أنا وأنت فلا نريدها ، فمن تشير علىّ ؟ قال : عثمان . فلمّا كانت الليلة الثالثة ، قال: يا مِسْوَر ، قلت: لبّيك، قال: إنك لنائم؛ والله ما اكتحلت بغَماض منذ ثلاث[1] .اذهب فادعُ لى عليّاً وعثمان؛قال: قلت : ياخال ، بأيّهما أبدأ ؟ قال: بأيّهما شئت ، قال : فخرجت فأتيت عليّاً — وكان هواى فيه — فقلت : أجب خالى ، فقال : بعثك معى إلى غيرى ؟ قلت : نعم ؛ قال: إلى من ؟ قلت : إلى عثمان ، قال : فأيّنا أمرك أن تبدأ به ؟ قلت : قد سألته فقال: بأيّهما شئت ، فبدأت بك ، وكان هواى فيك . قال : فخرج معى حتى أتينا المقاعد ، فجلس عليها علىّ ، ودخلت على عثمان فوجدته يوتر مع الفجر ، فقلت : أجب خالى ، فقال : بعثك معى إلى غيرى ؟ قلت : نعم، إلى علىّ ، قال : بأيّنا أمرك أن تبدأ ؟ قلت : سألته فقال : بأيّهما شئت ؛

١/٢٧٩٣

(١) ف : « ثلاث ليال » .

وهذا علىّ على المقاعد ، فخرج معى حتى دخلنا جميعاً على خالى وهو فى القبلة قائم يصلّى ، فانصرف لمّا رآنا ، ثم التفت إلى علىّ وعثمان ، فقال : إنّى قد سألت عنكما وعن غيركما ، فلم أجد الناس يعدلون بكما ؛ هل أنت يا علىّ مبايعى على كتاب الله وسنّة نبيّه وفعل أبى بكر وعمر ؟ فقال : اللهمّ لا ، ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى . فالتفت إلى عثمان ، فقال : هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنّة نبيّه وفعل أبى بكر وعمر ؟ قال : اللهمّ نعم ، فأشار بيده إلى كتفيه ، وقال : إذا شئتما! فنهضنا حتى دخلنا المسجد ، وصاح صائح : الصلاة جامعة — قال عثمان : فتأخّرت والله حياء لما رأيت من إسراعه إلى علىّ ؛ فكنت فى آخر المسجد — قال : وخرج عبد الرحمن بن عوف وعليه عمامته التى عمّمه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، متقلّداً سيفه ؛ حتى ركب المنبر ، فوقف وقوفاً طويلا ، ثم دعا بما لم يسمعه الناس . ١/٢٧٩٤

ثم تكلّم ، فقال : أيّها الناس ؛ إنى قد سألتكم سرًّا وجهراً عن إمامكم ؛ فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين : إما علىّ وإما عثمان ؛ فقم إلىّ يا علىّ ، فقام إليه علىّ ، فوقف تحت المنبر ؛ فأخذ عبد الرحمن بيده ، فقال : هل أنتَ مبايعى على كتاب الله وسنة نبيّه وفعل أبى بكر وعمر ؟ قال : اللهم لا ؛ ولكن على جَهدى من ذلك وطاقتى ؛ قال : فأرسل يده ثم نادَى : قم إلىّ يا عثمان ؛ فأخذ بيده — وهو فى موقف علىّ الذى كان فيه — فقال : هل أنت مبايعِى على كتاب الله وسنّة نبيّه وفعل أبى بكر وعمر ؟ قال : اللهمّ نعم ؛ قال : فرفع رأسه إلى سقف المسجد ، ويده فى يد عثمان ، ثم قال : اللهمّ اسمع واشهد ؛ اللهمّ إنّى قد جعلت ما فى رقبتى من ذاك فى رقبة عثمان . قال : وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غَشُوه عند المنبر ، فقعد عبد الرحمن مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ، وأقعد عثمان على الدرجة الثانية ، فجعل الناس يبايعونه ، وتلكّأ علىّ ، فقال عبد الرحمن : ١/٢٧٩٥ ﴿فَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[1] ؛ فرجع علىّ يشقّ[2] الناس ؛ حتى بايع وهو يقول :

---

(١) سورة الفتح ١٠ .

(٢) النويرى : « فشق » .

خَدعة وأيّما خَدعة !

قال عبد العزيز : وإنما سبب قول علىّ : « خَدعة » ؛ أن عمرو بن العاص كان قد لقى عليًّا فى ليالى الشورى ، فقال : إنّ عبد الرحمن رجل مجتهد ، وإنّه متى أعطيتَه العزيمة كان أزهدَ له فيك ؛ ولكن الجهد والطاقة ؛ فإنه أرغبُ له فيك . قال: ثم لقى عثمان، فقال: إنّ عبد الرحمن رجل مجتهد ؛ وليس والله يبايعك إلاّ بالعزيمة، فاقبَل ؛ فلذلك قال علىّ : « خَدعة » .

قال: ثم انصرف بعثمان إلى بيت فاطمة ابنة قيس ، فجلس والناس معه ، فقام المغيرة بن شعبة خطيبًا ، فقال : يا أبا محمد ، الحمد لله الذى وفّقك ؛ والله ما كان لها غير عثمان — وعلىّ جالس — فقال عبدالرحمن: يابن الدّباغ ؛ ما أنت وذاك ! والله ما كنت أبايع أحداً إلاّ قلتَ فيه هذه المقالة !

قال : ثم جلس عثمان فى جانب المسجد ؛ ودعا بعبيد الله بن عمر — وكان محبوسًا فى دار سعد بن أبى وقاص، وهو الذى نزع السيف من يده بعد قتله جُفينة والهُرمزان وابنة أبى لؤلؤة ، وكان يقول : والله لأقتلنّ رجالا ممن شرك فى دم أبى — يعرّض بالمهاجرين والأنصار — فقام إليه سعد ، فنزع السيف من يده ؛ وجذب[1] شعره حتى أضجعه إلى الأرض، وحبسه فى داره حتى أخرجه عثمان إليه ؛ فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار : أشيروا علىّ فى هذا الذى فتَق فى الإسلام ما فتَق ، فقال علىّ : أرى أن تقتله ، فقال بعض المهاجرين : قتِل عمر أمس[2] ويقتل ابنه اليوم! فقال عمرو بن العاص: يا أميرَ المؤمنين ؛ إنّ الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدَث كان ولك على المسلمين سلطان ؛ إنما كان هذا الحدَث ولا سلطان لك ؛ قال عثمان : أنا وليّهم ، وقد جعلتها ديةً ، واحتملتها فى مالى .

١/٢٧٩٦

قال : وكان رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد البيّاضىّ إذا رأى عبيد الله بن عمر ، قال :

ألا يا عبيــــدَ الله مالك مهربٌ ... ولا مَلْجأٌ مِنْ ابْنِ أَرْوَى ولا خَفَرْ

---

(١) ف : « جبذ » .
(٢) ف وابن كثير : « بالأمس » .

أصبتَ دماً والله فى غـــير حِلّه حراماً وقتلُ الهُرْمُزانِ له خَطَرْ
على غيرِ شىءٍ غيرَ أن قال قائلٌ أتتهِمُونَ الهُـــرمُزَان على عمرْ
فقال سَفيهٌ — والحوادث جَمّـــة نعم اتَّهِمْه قد أشـــار وقد أمر
وكان سلاحُ العبدِ فى جوف بيتِهِ يُقَلِّبها والأمرُ بالأمرِ يُعتَـــبرْ

قال : فشكا عبيد الله بن عمر إلى عثمان زياد بن لَبيد وشعره ، فدعا عثمان زياد بن لَبيد ، فنهاه . قال : فأنشأ زياد يقول فى عثمان :

أبا عمروٍ عبيـــدُ الله رَهْنٌ فلا تَشْكُكْ بقَتْلِ الهُرمزَان
فإنك إنْ غفرْتَ الجرْمَ عنه وأسبابُ الخَطا فَرَسا رِهانِ
أتَعفُو إذ عَفَوتَ بغـــير حَقّ فما لك بالذى تَحْـكى يدان!

٢٧٩٧/١ فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه وشذّبه .

* * *

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيّب ، أن عبد الرحمن بن أبى بكر قال غداة طُعِن عمر : مررت على أبى لؤلؤة عشىّ أمس ؛ ومعه جُفَينة والهرمزان ، وهم نجىّ ، فلما رهِقْتهم[1] ثاروا ، وسقط منهم خنجر له رأسان ، نصابه فى وسطه ؛ فانظروا بأىّ شىء قتل ؛ وقد تخلّل أهل المسجد ، وخرج فى طلبه رجل من بنى تميم ، فرجع إليهم التميمىّ ، وقد كان ألظّ[2] بأبى لؤلؤة منصرفَه عن عمر ، حتى أخذه فقتله ؛ وجاء بالخنجر الذى وصفه عبد الرحمن بن أبى بكر ، فسمع بذلك عُبيد الله بن عمر ؛ فأمسك حتى مات عمر ؛ ثمّ اشتمل على السيف ؛ فأتى الهرمزان فقتله ؛ فلما عضّه السيف قال : « لا إله إلا الله » . ثمّ مضى حتى أتى جُفينة — وكان نصرانيًّا من أهل الحيرة ظئرًا لسعد بن مالك ، أقدمه إلى المدينة للصلح الذى بينه وبينهم ، وليعلّم بالمدينة الكتابة — فلما علاه بالسيف صلّب بين عينيه . وبلغ ذلك صهيباً ؛ فبعث إليه عمرو بن العاص ، فلم يزل

(١) رهقتهم : ضيقت عليهم . (٢) ألظ به : أمسكه .

به وعنه ، ويقول : السيف بأبى وأمّى ! حتّى ناوله إياه ، وثاوره سعدٌ فأخذ بشعره ، وجاءوا إلى صهيب .

* * *

عمّال عمر رضى الله عنه على الأمصار

٢٧٩٨/١

وكان عامل عمر بن الخطاب رضى الله عنه — فى السنة التى قُتل فيها ؛ وهى سنة ثلاث وعشرين — على مكّة نافع بن عبد الحارث الخُزاعىّ ، وعلى الطائف سُفيان بن عبد الله الثّقفىّ ، وعلى صنعاء يعلَى بن مُنْية ؛ حليف بنى نوفل ابن عبد مناف ، وعلى الجَنَد عبد الله بن أبى ربيعة ، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة ؛ وعلى البصرة أبو موسى الأشعرىّ ، وعلى مصر عمرو بن العاص ؛ وعلى حِمْص عُمير بن سعد ، وعلى دمشق معاوية بن أبى سفيان ؛ وعلى البحرين وما والاهما عثمان بن أبى العاص الثقفىّ .

* * *

وفى هذه السنة — أعنى سنة ثلاث وعشرين — توفى ، فيما زعم الواقدىّ — قتادة ابن النّعمان الظَّفَرِىّ ، وصلى عليه عمر بن الخطّاب .

وفيها غزا معاوية الصائفة حتّى بلغ عمّورية ؛ ومعه من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم عُبادة بن الصامت وأبو أيّوب خالد بن زيد وأبو ذرّ وشدّاد بن أوْس .

وفيها فتح معاوية عَسْقلان على صلح .

وقيل : كان على قضاء الكوفة فى السنة التى توفى فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه شُريح ، وعلى البصرة كعب بن سُور ؛ وأما مصعب بن عبدالله فإنه ذكر أنّ مالك بن أنس روى عن ابن شهاب ؛ أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما لم يكن لهما قاضٍ .

١/٢٧٩٩

ثم دخلت سنة أربع وعشرين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

ففيها بويع لعثمان بن عفان بالخلافة، واختلف فى الوقت الذى بويع له فيه ؛ فقال بعضهم ما حدّثنى به الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد ابن أبى وقّاص ، عن عثمان بن محمّد الأخنسىّ . قال : وأخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن يعقوب بن زيد عن أبيه ، قالا : بويع عثمان بن عفّان يوم الاثنين لليلة بقيت من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، فاستقبل بخلافته المحرّم سنة أربع وعشرين .

وقال آخرون: ما حدّثنى به أحمد بن ثابت الرازىّ ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، قال : بويع لعثمان عام الرُّعاف سنة أربع وعشرين، قيل: إنما قيل لهذه السنة عام الرّعاف ؛ لأنه كثر الرُّعاف فيها فى الناس .

وقال آخرون — فيما كتب به إلىّ السَّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن خُلَيد بن ذَفرة ومجالد ؛ قالا : استُخلف عثمان لثلاث مضيْن من المحرّم سنة أربع وعشرين، فخرج فصلى بالناس العصر ، وزاد: ووفّد فاستُنّ به .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمر ، عن الشعبىّ ، قال : اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث مضيْن من المحرّم ، وقد دخل وقت العصر ، وقد أذّن مؤذّن صُهيب ، واجتمعوا بين الأذان والإقامة ، فخرج فصلى بالناس ، وزاد الناس مائة ، ووفّد أهل الأمصار ؛ وهو أوّل مَن صنع ذلك .

١/٢٨٠٠

وقال آخرون — فيما ذكر ابن سعد ، عن الواقدىّ ، عن ابن جُريج عن ابن مُلَيكة ، قال : بويع لعثمان لعشر مضيْن من المحرّم ، بعد مقتل عمر بثلاث ليال .

خطبة عثمان

رضى الله عنه وقتل عبيدِ الله بن عمر الهرمزان

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن بدر بن عثمان ، عن عمّه ، قال : لما بايع أهلُ الشورى عثمان ، خرج وهو أشدّهم كآبة ، فأتى مِنبر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فخطب الناس ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنكم فى دار قُلْعة [١] ، وفى بقيّة أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ؛ فلقد أُتيتم ، صبّحتم أو مسّيتم ؛ ألا وإن الدنيا طويت على الغرور ، فلا تغرنّكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنّكم بالله الغرور. اعتبروا بمن مضى ، ثم جِدّوا ولا تغفلوا ، فإنه لا يُغْفَل عنكم . أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعَمَرُوها ، ومُتّعوا بها طويلا ؛ ألم تلفِظْهم! ارموا بالدنيا حيث رمَى الله بها ، واطلبوا الآخرة ؛ فإنّ الله قد ضرب لها مثلا ؛ وللّذى هو خير ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ — إلى قوله — ﴿أَمَلاً﴾ [٢] ، وأقبل الناس يبايعونه . ١/٢٨٠١

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبى منصور ، قال : سمعت القماذبان يحدّث عن قتل أبيه ، قال : كانت العجم بالمدينة يستروح بعضُها إلى بعض ، فمرّ فيروز بأبى ، ومعه خنجر له رأسان ، فتناوله منه ، وقال : ما تصنع بهذا فى هذه البلاد ؟ فقال : آنَس [٣] به ؛ فرآه رجل ، فلما أصيب عمر ، قال : رأيتُ هذا مع الهرمزان ، دفعه إلى فيروز . فأقبل عُبيد الله فقتَله ؛ فلما ولى عثمان دعانى فأمكننى منه ، ثم قال : يابنىّ ، هذا قاتل أبيك ؛ وأنت أوْلى به منا ، فاذهب فاقتله ؛ فخرجت به وما فى الأرض أحد إلاّ معى ؛ إلاّ أنهم يطلبون إلىّ فيه . فقلت لهم : ألِى قتلُه ؟ قالوا : نعم — وسبُّوا عبيدَ الله — فقلت : أفلكم أن تمنعوه ؟ قالوا : لا ، وسبُّوه

---

(١) يقال : هم على قلعة ؛ أى على رحلة ؛ وفى حديث على : «احذركم الدنيا ؛ فإنها منزل قلعة» أى تحول وارتحال .

(٢) سورة الكهف ٥٤ . (٣) كذا فى س ، و فى ط : «أبس»

فتركته لله ولهم . فاحتملونى ؛ فوالله ما بلغتُ المنزل إلاّ على رءوس الرّجال وأكفّهم .

ولاية سعد بن أبى وقّاص الكوفة

وفى هذه السنة عزَل عثمانُ المغيرةَ بنشعبة عن الكوفة ، وولاّها سعد بن أبى وقاص – فيما كتب به إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد، عن الشعبىّ ، قال : كان عمر قال : أوصِى الخليفةَ من بعدى أن يستعمل سعد بن أبى وقّاص، فإنّى لم أعزِلْه عن سوء ، وقد خشيتُ أن يلحقه من ذلك . وكان أوّل عامل بعث به عثمان سعد بن أبى وقاص على الكوفة ، وعزل المغيرة بن شعبة ، والمغيرة يومئذ بالمدينة ، فعمِل عليها سعد سنة وبعض أخرى ، وأقرّ أبا موسى سنوات .

١/٢٨٠٢

وأمّا الواقدىّ فإنه ذكر أنّ أسامة بن زيد بن أسلم حدّثه، عن أبيه ؛ أن عمرَ أوصى أن يُقَرّ عمّاله سنة؛ فلما ولى عثمان أقرّ المغيرةَ بن شعبة على الكوفة سنة ، ثم عزله ، واستعمل سعد بن أبى وقاص ثم عزله ، واستعمل الوليد ابن عُقْبة . فإن كان صحيحاً ما رواه الواقدىّ من ذلك ، فولاية سعد الكوفة من قبَل عثمان كانت سنة خمس وعشرين .

* * *

كتب عثمان رضى الله عنه إلى عمّاله وولاته والعامّة

كتب إلىّ السرىّ ، عنشعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة بإسنادهما ، قالا : لما وَلِىَ عثمان بعث عبد الله بن عامر إلى كابُل – وهى عُمالة سجِسْتان – فبلغ كابُل حتى استفرغَها ، فكانت عُمالة سجستان أعظمَ من خُراسان ؛ حتى مات معاوية ، وامتنع أهل كابُل .

قالوا : وكان أوّل كتاب كتبه عثمان إلى عمّاله : أمّا بعدُ ؛ فإن الله أمَر الأئمة أن يكونوا رُعاة، ولم يتقدّم إليهم أن يكونوا جُباةً ؛ وإنّ صدْر هذه

الأمة خُلِقوا رُعاة ، لم يُخلقوا جُباة ، وليَوشِكنّ أئمتكم أن يصيرُوا جُباة ولا يكونوا رعاة ؛ فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء . ألاَ وإنّ ١/٢٨٠٣ أعدل السِّيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين فيما عليهم فتعطوهم ما لهم ، وتأخذوهم بما عليهم ؛ ثم تُثَنُّوا بالذمّة ، فتعطوهم الذى لهم ، وتأخذوهم بالذى عليهم . ثم العدوّ الذى تنتابون ؛ فاستفتحوا عليهم بالوفاء .

قالوا : وكان أوّل كتاب كتبه إلى أمراء الأجناد فى الفروج : أمّا بعد ، فإنكم حُماة المسلمين وذادتهم ؛ وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنّا ، بل كان عن ملإ منّا ، ولا يبلغنّى عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغيِّرَ الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم ؛ فانظروا كيف تكونون ، فإنى أنظر فيما ألزمنى الله النَّظر فيه ، والقيام عليه .

قالوا : وكان أوّل كتاب كتبه إلى عمّال الخراج : أمّا بعد ، فإن الله خلَق الخلْق بالحقّ ؛ فلا يقبل إلا الحقّ ، خذوا الحقّ وأعطوا الحقّ به . والأمانة الأمانة ؛ قوموا عليها ، ولا تكونوا أوّل مَن يسلبها[1] ، فتكونوا شركاء مَن بعدكم إلى ما اكتسبتم . والوفاء الوفاء ؛ لا تظلموا اليتيم ولا المعاهِد ؛ فإن الله خصمٌ لمن ظلمهم .

قالوا : وكان كتابه إلى العامّة : أمّا بعد ، فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتّباع ؛ فلا تَلْفتنّكم الدنيا عن أمركم ؛ فإنّ أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم : تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم من السبايا ، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن ؛ فإنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : ١/٢٨٠٤ « الكفر فى العُجمة » ؛ فإذا استعجم عليهم أمر تكلّفوا وابتدعوا .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عاصم بن سليمان ، عن عامر الشعبىّ ، قال : أوّل خليفة زاد الناس فى أعطياتهم مائة عثمان ؛ فجرت . وكان عمر يجعل لكلّ نفس منفوسة[2] من أهل الفىء فى رمضان درهمًا فى كلّ يوم ، وفرض لأزواج رسولِ الله صلى الله عليه وسلم درهمين درهمين ؛ فقيل له : لو صنعت لهم طعامًا فجمعتَهم عليه ! فقال : أشبِع الناس فى بيوتهم . فأقرّ

(١) س : « سلبها » . (٢) المنفوس : المولود .

عثمان الذى كان صنع عمر ؛ وزاد فوضع طعام رمضان ، فقال : للمتعبد الذى يتخلف فى المسجد وابن السبيل والمعترّين[١] بالناس فى رمضان .

* * *

[غزوة أذربيجان وأرمينية]

وفى هذه السنة ــ أعنى سنة أربع وعشرين ــ غزا الوليد بن عقبة أذْرَبيجان وأرمينيّة ، لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهلَ الإسلام أيّام عمر فى رواية أبى مِخْنف ؛ وأمّا فى رواية غيره فإن ذلك كان فى سنة ستّ وعشرين .

* * *

١/٢٨٠٥ ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمر المسلمين وأمرهم فى هذه الغزوة :

ذكر هشام بن محمد ، أنّ أبا مخنف حدّثه عن فروة بن لقيط الأزدىّ ، ثمّ الغامدىّ ، أنّ مغازىَ أهل الكوفة كانت الرىّ وأذْربيجان ، وكان بالثغرين[٢] عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة ؛ ستة آلاف بأذْربيجان وأربعة آلاف بالرّىّ ، وكان بالكوفة إذ ذاك أربعون ألف مقاتل ؛ وكان يغزو هذين الثغرين منهم عشرة آلاف فى كلّ سنة ؛ فكان[٣] الرجل[٤] يصيبه فى كلّ أربع سنين غزوة[٥] ؛ فغزا الوليد بن عقبة فى إمارته[٦] على الكوفة فى سلطان عثمان أذْرَبيجان وأرمينيّة ، فدعا سلمانَ بن ربيعة الباهلىّ فبعثه أمامه مقدّمة له ، وخرج الوليد فى جماعة الناس ، وهو يريد أن يمعِنَ فى أرض أرمينيَة ، فمضى فى الناس حتى دخل أذْربيجان ، فبعث عبد الله بن شُبيل بن عوف الأحمسىّ فى أربعة آلاف ، فأغار على أهل موقان والبَبْر والطيْلسان ؛ فأصاب من أموالهم وغنِم ، وتحرّز القوم منه ، وسبَى منهم سبياً يسيراً ، فأقبل[٧] إلى الوليد بن عُقْبة .

---

(١) المعترّون : الفقراء .
(٢) ف : « بالثغر » ، ابن حبيش : « بالبحرين » .
(٣) ف : « وكان » .
(٤) ابن حبيش : « الذى » .
(٥) ف : « غزاة » .
(٦) ابن حبيش : « أزمانه » .
(٧) ابن حبيش : « وأقبل » .

ثم إن الوليد صالح أهل أذْرَبيجان على ثمانمائة ألف درهم ؛ وذلك هو الصلح الذى كانوا صالحوا عليه حُذيفة بن اليمان سنة اثنتين وعشرين بعد وقعة نِهاوند بسنة . ثم إنهم حبسوها عند وفاة عمر ، فلما ولى عثمان وولى الوليد ابن عقبة الكوفة ، سار حتّى وطِئهم بالجيش ؛ فلما رأوا ذلك انقادوا له ، وطلبوا إليه أن يتمّ لهم على ذلك الصلح ، ففعل ؛ فقبض منهم المال ، وبثّ فيمن حولهم من أعداء المسلمين الغاراتِ ؛ فلما رجع إليه عبد الله بن شُبيل الأحمسىّ من غارته تلك — وقد سلم وغنم — بعث سلمان بن ربيعة الباهلىّ إلى أرمينِيَة فى اثنى عشر ألفاً ، سنة أربع وعشرين . فسار فى أرض أرمينِيَة فقتل وسبى وغنم . ثم إنه انصرف وقد ملأ يديه حتّى أتى الوليدَ . فانصرف الوليد وقد ظفِر وأصاب حاجته . ١/٢٨٠٦

* * *

إجلاب الروم على المسلمين واستمداد المسلمين من بالكوفة

وفى هذه السنة — فى رواية أبى مِخْنف — جاشت الرُّوم ، حتّى استمدّ مَن بالشأم من جيوش المسلمين من عثمان مدداً .

* ذكر الخبر عن ذلك :

قال هشام : حدّثنى أبو مخْنف ، قال : حدّثنى فروة بن لَقيط الأزدىّ ، قال : لما أصاب الوليد حاجتَه من أرمينيَة فى الغزوة التى ذكرتُها فى سنة أربع وعشرين من تاريخه ، ودخل الموصل[1] فنزل الحَديثة ، أتاه كتاب من عثمان رضى الله عنه : ١/٢٨٠٧

أمّا بعد ؛ فإنّ معاوية بن أبى سفيان كتب إلىّ يخبرنى أنّ الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة[2] ، وقد رأيت أن يمدّهم إخوانهم من أهل الكوفة ؛ فإذا أتاك كتابى هذا فابعث رجلاً ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه

---

(١) ابن الأثير والنويرى : « وجعل طريقه على الموصل » .
(٢) بعدها فى ابن حبيش : « كثيرة » .

فى ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذى يأتيك فيه رسولى ؛ والسلام .

فقام الوليد فى الناس ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد أيّها الناس ؛ فإنّ الله قد أبلَى المسلمين فى هذا الوجه بلاء حسنًا ؛ ردّ عليهم بلادهم التى كفرت ، وفتَح بلاداً لم تكن افتتُحِت ، وردّهم سالمينَ غانمين مأجورين ، فالحمد لله رب العالمين . وقد كتب إلىّ أمير المؤمنين يأمرنى أن أندُب منكم ما بين العشرة الآلاف إلى الثمانية الآلاف ، تُمدّون إخوانكم من أهل الشأم ، فإنهم قد جاشت عليهم الرّوم ؛ وفى ذلك الأجر العظيم ، والفضل المبين ، فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلىّ . قال : فانتدب[1] الناس ، فلم يمضِ ثالثة حتى خرج ثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة ، ١/٢٨٠٨ فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشأم إلى أرض الرّوم ؛ وعلى جند أهل الشأم حبيب بن مسلمة بن خالد الفهرىّ ، وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة [الباهلىّ][2] ؛ فشنّوا الغاراتِ على أرض الروم ، فأصاب الناس ما شاءوا من سبْى ، وملئوا أيديَهم من المغنم ، وافتتحوا بها حصونًا كثيرة .

وزعم الواقدىّ أنّ الذى أمدّ حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص ، وقال : كان سبب ذلك أنّ عثمان كتب إلى معاوية يأمره أن يُغزِىَ حبيبَ بن مسلمة فى أهل الشأم أرمينيَة ، فوجّهه إليها ، فبلغ حبيبًا أن الموريان الرومىّ قد توجّه نحوه فى ثمانين ألفًا من الروم والتُّرك ، فكتب بذلك حبيب إلى معاوية ، فكتب معاوية به إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى سعيد ابن العاص يأمره بإمداد حبيب بن مسلمة ، فأمدّه بسلمان بن ربيعة فى ستة آلاف ، وكان حبيب صاحبَ كَيْد ، فأجمع على أن يبيِّت المَوْريان ، فسمعتْه امرأته أمّ عبد الله بنت يزيد الكلْبيّة يذكر ذلك ، فقالت له : فأين موعدك ؟ قال : سرادق المَوْريان أو الجنّة ، ثم بيّتهم[3] ، فقتل مَن أشرف له ، وأتى السُّرادق فوجد امرأته قد سبقت ؛ وكانت[4] أوّل امرأة من العرب

(١) انتدب الناس : أى خفوا لما دعوا إليه .
(٢) من ف .
(٣) ابن حبيش : « فبيتهم » .
(٤) ابن حبيش : « فكانت » .

ضُرِب عليها سرادق ، ومات[1] عنها حبيب ، فخلفَ عليها الضَّحّاك بن قيس الفهريّ ، فهى أمّ ولده . ٢٨٠٩/١

* * *

واختُلف فيمن حجّ بالناس فى هذه السنة ، فقال بعضهم : حجّ بالناس فى هذه السنة عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان؛ كذلك قال أبو معشر والواقديّ .

وقال آخرون : بل حجّ فى هذه السنة عثمان بن عفان .

* * *

وأما الاختلاف فى الفتوح التى نسبها بعض الناس إلى أنها كانت فى عهد عمر ، وبعضهم إلى أنها كانت فى إمارة عثمان ، فقد ذكرتُ قبلُ فيما مضى من كتابنا هذا ذكر اختلاف المختلفين فى تاريخ كلّ فتح كان من ذلك .

(١) ابن حبيش : « فات » .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها

فقال أبو معشر ، فيما حدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ ، قال : حدّثني محدّث ، عن إسحاق بن عيسى عنه : كان فتح[1] الإسكندريّة سنة خمس وعشرين .

وقال الواقديّ : وفي هذه السنة نقضت الإسكندرية عهدها ، فغزاهم عمرو بن العاص فقتلهم ؛ وقد ذكرنا خبرها قبل فيما مضى ، ومَن خالف أبا معشر والواقديّ في تأريخ ذلك .

• • •

١/٢٨١٠ وفيها كان أيضًا – في قول الواقديّ – توجيهُ عبد الله بن سعد بن أبي سرْح الخيلَ إلى المغرب .

• • •

قال : وكان عمرو بن العاص قد بعث بعثًا قبل ذلك إلى المغرب ، فأصابوا غنائم ، فكتب عبد الله يستأذنه في الغزو إلى إفريقيّة ، فأذن له .

قال : وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان ، واستخلف على المدينة .

قال : وفيها فتح الحصون وأميرهم معاوية بن أبي سفيان .

قال : وفيها وُلد يزيد بن معاوية .

قال : وفيها كانت سابور الأولى [فتِحت][2] .

---

(١) كذا في ف وفي ط : « كانت الإسكندرية » .

(٢) من ف

ثم دخلت سنة ست وعشرين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فكان فيها – فى قول أبى معشر والواقدىّ – فتح سابور ؛ وقد مضى ذكر الخبر عنها فى قول من خالفهما فى ذلك .

وقال الواقدىّ : فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرَم .

وقال : فيها زاد عثمان فى المسجد الحرام ، ووسّعه وابتاع من قوم وأبى ١/٢٨١١ آخرون ؛ فهدم عليهم ؛ ووضع الأثمان فى بيت المال ؛ فصيّحوا بعثمان ، فأمر بهم بالحبس ، وقال : أتدرون ما جرّأكم علىّ ! ما جرّأكم علىّ إلا حلمى ، قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيّحوا به . ثم كلّمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسِيد ، فأخرِجوا .

قال : وحجّ بالناس فى هذه السنة عثمان بن عفان .

وفى هذه السنة عزل عثمان سعداً عن الكوفة ، وولاّها الوليد بن عقبة فى قول الواقدىّ ؛ وأمّا فى قول سيف فإنه عزله عنها فى سنة خمس وعشرين .

وفيها ولى الوليدَ عليها ، وذلك أنه زعم أنه عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة حين مات عمر ، ووجّـه سعدًا إليها عاملاً ، فعمل له عليها سنة وأشهراً .

* * *

ذكر سبب عزل عثمان عن الكوفة سعداً واستعماله عليها الوليد

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، قال : كان أوّل ما نُزِغ به بين أهل الكوفة – وهو أوّل مصرٍ نزغ الشيطان بينهم[1] فى الإسلام – أنّ سعد بن أبى وقاص استقرض من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالاً ، فأقرضه ، فلمّا تقاضاه لم يتيسّر عليه ، فارتفع بينهما الكلام حتى استعان عبد الله بأناس من الناس على استخراج المال ، واستعان

(١) نزغ الشيطان بينهم ؛ أى أفسد .

سعد بأناس من الناس على استنظاره ، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضًا ، يلوم
٢٨١٢/١ هؤلاء سعداً ويلوم هؤلاء عبد الله .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، قال : كنت جالسًا عند سعد ، وعنده ابن أخيه هاشم بن عتبة ، فأتى ابن مسعود سعدًا ، فقال له : أدّ المال الذى قِبَلك ، فقال له سعد : ما أراك إلا ستلقى شرًّا ! هل أنت إلا ابن مسعود ، عبد من هُذَيل ! فقال : أجل ؛ والله إنى لابنُ مسعود ، وإنك لابن حُمَيْنة ، فقال هاشم : أجل والله إنّكما لصاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُنْظَر إليكما . فطرح سعد عوداً كان فى يده — وكان رجلاً فيه حِدّة — ورفع يديه ، وقال : اللهمّ ربّ السموات والأرض ... فقال عبد الله : ويلكَ ! قل خيراً ، ولا تلعنْ ، فقال سعد عند ذلك : أما والله لولا اتّقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخطئك . فولى عبد الله سريعًا حتى خرج .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن الوليد ، عن المسيّب بن عبد خير[1] ، عن عبد الله بن عُكَيم ، قال : لما وقع بين ابن مسعود وسعد الكلام فى قَرْض أقرضه عبد الله إياه ؛ فلم يتيسر على سعد قضاؤه ؛ غضب عليهما عثمان ، وانتزعها من سعد ، وعزله وغضب على عبد الله وأقرّه ، واستعمل الوليد بن عُقْبة — وكان عاملاً لعمر على ربيعة بالجزيرة — فقدم الكوفة فلم يتّخذ لداره بابًا حتى خرج من الكوفة .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا :
٢٨١٣/١ لما بلغ عثمان الذى كان بين عبد الله وسعد فيما كان ، غضب عليهما وهمّ بهما ، ثم ترك ذلك ، وعزل سعداً ، وأخذ ما عليه ، وأقرّ عبد الله ، وتقدّم إليه ، وأمّر مكان سعد الوليد بن عُقْبة — وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطاب — فقدم الوليد فى السنة الثانية من إمارة عثمان ، وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى ، فقدم الكوفة ، وكان أحبّ الناس فى الناس وأرفقهم بهم ؛ فكان كذلك خمس سنين وليس على داره باب .

(١) ط : «عن المسيب عن عبد خير» ، والصواب ما أثبته .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين

ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها

فمما كان فيها من ذلك فتح إفريقيّة على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرْح، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ، قال: حدّثنا محدّث، عن إسحاق ابن عيسى، عن أبي معشر؛ وهو قول الواقديّ أيضاً.

• ذكر الخبر عن فتحها، وعن سبب ولاية عبدالله بن سعد ابن أبي سَرْح مصر، وعزل عثمان عمرو بن العاص عنها:

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة،. قالا: مات عمر وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى قضائها خارجة بن حذافة السهميّ، فولى عثمان، فأقرّهما سنتين من إمارته ثم عزل عمراً، واستعمل عبد الله ابن سعد بن أبي سَرْح. ١/٢٨١٤

وكتب إليّ السريّ، عن شُعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان؛ قالا: لما ولي عثمان أقرّ عمرو بن العاص على عمله، وكان لا يعزل أحداً إلاّ عن شكاة أو استعفاء من غير شكاة؛ وكان عبد الله بن سعد من جُنْد مصر، فأمّر عبد الله بن سعد على جنده، ورماه بالرّجال، وسرّحه إلى إفريقيّة وسرحّ معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الْحصيْن الفهريّين، وقال لعبد الله بن سعد: إنْ فتح الله عزّ وجل عليك غداً إفريقيّة، فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نَفَلا. وأمّر العبديْن على الجند، ورماهما بالرجال، وسرّحهما إلى الأندلس؛ وأمرهما وعبد الله بن سعد بالاجتماع على الأجلّ، ثم يقيم عبد الله بن سعد في عمله ويسيران إلى عملهما.

فخرجوا حتى قطعوا مصر ، فلمّا وغلوا فى أرض إفريقيَة فأمعنوا انتهوا إلى الأجلّ ، ومعه الأفناء ، فاقتتلوا، فقتِل الأجلّ ، قتله عبد الله بن سعد وفتح إفريقيَة سهلَها وجبلها . ثم اجتمعوا على الإسلام ، وحسنت طاعتهم ، وقسم عبد الله ما أفاء الله عليهم على الجند؛ وأخذ خُمس الخمس ، وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع ابن وَثيمة النَّصرىّ، وضرب فسطاطًا فى موضع القيروان ، ووفّد وفداً، فشكوا عبد الله فيما أخذ، فقال لهم: أنا نفّلته — وكذلك كان ١/٢٨١٥ يصنع — وقد أمرتُ له بذلك، وذاك إليكم الآن ؛ فإن رضيتم فقد جاز ، وإن سخِطتم فهو ردّ . قالوا: فإنا نسخطه، قال: فهو ردّ ، وكتب إلى عبد الله بردّ ذلك واستصلاحهم، قالوا: فاعزله عنّا، فإنا لا نريد أن يتأمّر علينا، وقد وقع ما وقع ؛ فكتب إليه أن استخلِف على إفريقيَة رجلاً ممن ترضى ويرضوْن واقسم الخمس الذى كنت نفّلتك فى سبيل الله ؛ فإنهم قد سَخِطوا النَّفل . ففعل ، ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر وقد فتح إفريقيَة ، وقتل الأجلّ . فما زالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك ؛ أحسن أمة سلامًا وطاعةً ؛ حتى دبّ إليهم أهل العراق ، فلما دبّ إليهم دعاة أهل العراق واستثاروهم ، شقّوا عصاهم ، وفرّقوا بينهم إلى اليوم . وكان من سبب تفريقهم أنهم ردّوا على أهل الأهواء ، فقالوا : إنا لا نخالف الأئمة بما تجنى العمّال ، ولا نحمل ذلك عليهم؛ فقالوا لهم : إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك ، فقالوا لهم: لا نقبل ذلك حتى نبورَهم[1] ؛ فخرج ميسرة فى بضعة عشر إنسانًا حتى يقدم على هشام ، فطلبوا الإذن ، فصعب عليهم ، فأتوا الأبرش ، فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أنّ أميرنا يغزو بنا وبجنده ، فإذا أصاب نفّلهم ١/٢٨١٦ دوننا وقال : هم أحقّ به ؛ فقلنا: هو أخلص لجهادنا ، لأنا لا نأخذ منه شيئًا ، إن كان لنا فهم منه فى حلّ ؛ وإن لم يكن لنا لم نُرِده . وقالوا : إذا حاصرنا مدينةً قال : تقدّموا وأخّر جنده، فقلنا : تقدّموا ، فإنه ازدياد فى الجهاد ، ومثلكم كفى إخوانه ، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم . ثمّ إنهم عمَدوا إلى

---

(١) نبورهم : نختبرهم .

ماشيتنا ، فجعلوا يبقرونها على السِّخال يطلبون الفِراء البيض لأمير المؤمنين ، فيقتلون ألف شاة فى جلد ، فقلنا : ما أيسر هذا لأمير المؤمنين ! فاحتملنا ذلك، وخلّيناهم وذلك . ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كلّ جميلة من بناتنا فقلنا : لم نجد هذا فى كتاب ولا سنّة ، ونحن مسلمون ؛ فأحببنا أن نعلم : أعن رأى أمير المؤمنين ذلك أم لا ؟ قال : نفعل ؛ فلما طال عليهم ونفدت نفقاتهم ، كتبوا أسماءهم فى رِقاع ، ورفعوها إلى الوزراء ، وقالوا : هذه أسماؤنا وأنسابنا ؛ فإن سألكم أمير المؤمنين عنّا فأخبروه ، ثم كان وجههم إلى إفريقيّة ؛ فخرجوا على عامل هشام فقتلوه ، واستولوا على إفريقيّة ؛ وبلغ هشامًا الخبر ، وسأل عن النّفر ، فرفعت إليه أسماؤهم ، فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا .

١/٢٨١٧ وكتب إلىّ السَّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : وأرسل عثمان عبدالله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس من فورهما ذلك من إفريقيّة إلى الأندلس، فأتياهما من قِبَل البحر . وكتب عثمان إلى من انتدب من أهل الأندلس : أما بعد ، فإنّ القسطنطينيّة إنما تفتح من قِبَل الأندلس ؛ وإنكم إن افتتحتموها كنتم شركاء مَن يفتحها فى الأجر ، والسلام . وقال كعب الأحبار : يعبُر البحرَ إلى الأندلس أقوام يفتتحونها[1] ، يعرَفون بنورهم يوم القيامة .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : فخرجوا ومعهم البرْبر ؛ فأتوها من برّها ؛ ففتحها الله على المسلمين وإفرنجة ؛ وازدادوا فى سلطان المسلمين مثل إفريقيّة ؛ فلما عزل عثمان عبدَالله ابن سعد بن أبى سَرْح صرف إلى عمله عبد الله بن نافع بن عبد القيس ؛ وكان عليها ، ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر ؛ ولم يزل أمرُ الأندلس كأمر إفريقيّة حتى كان زمان هشام ، فمنع البربر أرضهم ؛ وبقِىَ مَن فى الأندلس على حاله .

---

(١) ابن حبيش : « يفتحونها » .

وأما الواقدىّ فإنه ذكر أنّ ابن أبى سَبْرَة حدّثه عن محمد بن أبى حرْملة ، عن كُريب ، قال : لما نزع عثمان عمرو بن العاص عن مصر غضِب عمرو غضباً شديداً ، وحقَد على عثمان ، فوجّه عبد الله بن سعد، وأمره أن يمضىَ إلى إفريقيَة ؛ وندب عثمان الناس إلى إفريقيَة ؛ فخرج إليها عشرة آلاف من قُريش والأنصار والمهاجرين .

٢٨١٨/١

قال الواقدىّ : وحدّثنى أسامة بن زيد الليثىّ ، عن ابن كعب ، قال : لما وجّه عثمان عبدَالله بن سعد إلى إفريقيَة ، كان الذى صالحهم عليه بِطريق إفريقية جرُجْير ألفى ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، فبعث ملك الروم رسولا ، وأمره أن يأخذ منهم ثلثمائة قنطار ؛ كما أخذ منهم عبد الله بن سعد ؛ فجمع رؤساء إفريقيَة ، فقال : إن الملك قد أمرنى أن آخذ منكم ثلثمائة قنطار ذهب مثل ما أخذ منكم عبد الله بن سعد ؛ فقالوا : ما عندنا مال نعطيه؛فأمّا ما كان بأيدينا فقد افتدينا به أنفسَنا ، وأمّا الملك فإنه سيّدنا فليأخذْ ما كان له عندنا من جائزة كما كنا نعطيه كلّ سنة . فلمّا رأى ذلك أمر بحبسهم ، فبعثوا إلى قوم من أصحابهم ، فقدِموا عليه ، فكسروا السجن فخرجوا ، وكان الذى صالحهم عليه عبد الله بن سعد ثلثمائة قنطار ذهب ؛فأمر بها عثمان لآل الحكَم . قلت : أولمروان ؟ قال:لا أدرى .

قال ابنُ عمر : وحدّثنى أسامة بن زيد ، عن يزيد بن أبى حبيب ، قال : نزع عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر ، واستعمل عبد الله بن سعْد على الخرَاج ، فتباغيا ، فكتَب عبد الله بن سعد إلى عثمان يقول : إنّ عمراً كسر الخراج . وكتب عمرو : إنّ عبد الله كسر علىّ حيلة الحرب ، فكتب عثمان إلى عمرو : انصرف ؛ وولّى عبد الله بن سعد الخراج والجند ، فقدم عمرو مغضَباً ،فدخل على عثمان وعليه جُبّة يمانية محشوّة قطناً، فقال له عثمان : ما حشو جُبّتِك؟ قال : عمرو، قال عثمان: قد علمتُ أن حشوَها عمرو ولم أرد هذا ، إنما سألت : أقطن هو أم غيره ؟

٢٨١٩/١

قال الواقدىّ : وحدّثنى أسامة بن زيد ،عن يزيد بن أبى حَبيب ،

قال : بعث عبد الله بن سعد إلى عثمان بمال من مصر ، قد حشد فيه ، فدخل عمرو على عثمان ، فقال عثمان : يا عمرو ، هل تعلم أنّ تلك اللقاح درّت بعدك ! فقال عمرو : إنّ فصالها هلكت .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

* * *

وقال الواقدىّ : وفى هذه السنة كان فتح إصطَخْر الثانى على يد[1] عثمان ابن أبى العاص .

قال : وفيها غزا معاوية قِنَّسْرِين .

(١) ابن كثير : « على يدى » .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث المشهورة

١/٢٨٢٠ فمما ذُكِر أنه كان فيها فتح قُبْرس ، على يد معاوية ، غزاها بأمر عثمان إيّاه ؛ وذلك في قول الواقديّ .

فأمّا أبو معشر فإنه قال : كانت قُبْرس سنة ثلاث وثلاثين ؛ حدّثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وقال بعضهم : كانت قبرس سنة سبع وعشرين ، غزاها - فيما ذكر - جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم أبو ذرّ وعبادة بن الصامت ؛ ومعه زوجته أمّ حرام والمقداد وأبو الدّرداء ، وشدّاد بن أوس .

* ذكر الخبر عن غزوة معاوية إيّاها :

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الربيع بن النّعمان النّصريّ وأبي المجالد جراد بن عمرو ، عن رجاء بن حَيْوة وأبي حارثة وأبي عثمان ، عن رجاء وعبادة وخالد : قالوا : ألحّ[1] معاوية في زمانه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غزْو البحر وقرْب الروم من حِمْص ؛ وقال : إن قريةً من قُرى حِمص ليسمع أهلها نُباحَ كلابهم وصياح دجاجهم ؛ حتى كاد ذلك يأخذ بقلب عمر ؛ فكتب عمر إلى عمرو بن العاص : صِفْ لي البحر وراكبه ؛ فإنّ نفسي تنازعني إليه .

١/٢٨٢١ وقال عبادة وخالد : لما أخبره ما للمسلمين في ذلك وما على المشركين ، فكتب إليه عمرو : إني رأيت خَلْقًا كبيراً يركبه خلْق صغير ؛ إن رَكُن[2] خرّق القلوب ، وإن تحرّك أزاغ العقول ؛ يزداد فيه اليقين قلّة ، والشكّ كثرة ، هم فيه كدود على عود ؛ إن مال غرِق ، وإن نجا برِق[3] .

---

(١) ابن الأثير : « لج » . (٢) ركن : سكن ، وفي ابن حبيش : « ركد » .

(٣) البرق : الحيرة والدهش ، والخبر في اللسان (برق) .

فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية : لا والذى بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن سعيد ، عن عبادة بن نُسَىّ ، عن جُنادة بن أبى أميّة الأزدىّ ، قال : كان معاوية كتب إلى عمر كتاباً فى غزو البحر يرغّبه فيه ، ويقول : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنّ بالشأم قرية يسمع أهلها نُباحَ كلاب الرّوم وصياح ديوكِهم ؛ وهم تِلْقاء ساحل من سواحل حِمْص ؛ فاتّهمه عمر لأنه المشير ؛ فكتب إلى عمرو : أن صِفْ لى البحر ، ثم اكتب إلىّ بخبره : فكتب إليه : يا أمير المؤمنين ، إنى رأيتُ خلقاً عظيماً ، يركبه خلق صغير ؛ ليس إلا السّماء والماء ، وإنما هم كدودٍ على عود ، إن مال غرِق ، وإن نجا برِق .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان وأبى حارثة ، عن عبادة ، عن جُنادة بن أبى أميّة والربيع وأبى المجالد ، قالوا : ١/٢٨٢٢ كتب[١] عمر إلى معاوية : إنا سمعنا[٢] أن بحر الشأم يشرِف على أطول شىء على[٣] الأرض ؛ يستأذن الله فى كلّ يوم وليلة فى أن يُفيض على الأرض فيغرقها ؛ فكيف أحمل الجنود فى هذا [البحر][٤] الكافر المستصعب ؛ وتالله لمسلمٌ أحبّ إلىّ مما حوت الروم ؛ فإيّاك أن تَعرّض لى ؛ وقد تقدّمت إليك ، وقد علمت ما لقىَ العلاء منّى ، ولم أتقدّم إليه فى مثل ذلك .

وقالوا : ترك ملك الروم الغزو ، وكاتب عمرَ وقاربه ، وسأله عن كلمة يجتمع فيها العلم كله ، فكتب إليه : أحِبّ للناس ما تحبّ لنفسك ، واكره لهم ما تكره لها ، تجتمع لك الحكمة كلّها . واعتبر الناس بما يليك ، تجتمع لك المعرفة كلها .

وكتب اليه ملك الروم ــ وبعث إليه بقارورة : أن املأ لى هذه القارورة من كلّ شىء ، فملأها ماء ، وكتب إليه : إنّ هذا كلّ شىء من الدنيا .

(١) ابن حبيش : « وكتب » . (٢) ابن حبيش : « قد سمعنا » .
(٣) ابن حبيش : « فى » ، وابن الأثير والنويرى : « من » . (٤) من ابن حبيش .

وكتب إليه ملك الروم : ما بين الحق والباطل ؟ فكتب إليه : أربع أصابع الحقّ ، فيما يرى عيانًا ، والباطل كثيراً يستمَع به فيما لم يعايَن .

وكتب إليه ملك الروم يسأله عمّا بين السماء والأرض وبين المشرق والمغرب ، فكتب إليه : مسيرة خمسمائة عام للمسافر ؛ لو كان طريقًا مبسوطًا . ٢٨٢٣/١

قال : وبعثت أم كلثوم بنت على بن أبى طالب إلى ملِكة الروم بطيب ومشارب وأحفاش من أحفاشِ[1] النساء ، ودسّته إلى البريد ، فأبلغه لها ، وأخِذ منه . وجاءت امرأة هرقل ، وجمعت نساءها ، وقالت : هذه هديّة امرأة ملك العرب ، وبنت نبيّهم ، وكاتبتها وكافأتها ،وأهدت لها ؛ وفيما أهدت لها عِقْد فاخر . فلما انتهى به البريد إليه أمره بإمساكه ، ودعا : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ،فصلّى بهم ركعتين ، وقال : إنه لا خير فى أمر أبرِم عن غير شورى من أمورى ؛ قولوا فى هديّة أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم ؛ فأهدت لها امرأة ملك الروم ، فقال قائلون : هو لها بالذى لها ، وليست امرأة الملك بذمّة فتصانِع به ، ولا تحت يدك فتتّقيك .

وقال آخرون : قد كنّا نُهدى الثياب لنستثيب ، ونبعث بها لتباع ، ولنصيب ثمنًا . فقال : ولكنّ الرسول رسول المسلمين ، والبريد بريدهم ، والمسلمون عظّموها فى صدرها . فأمر بردّها إلى بيت المال ، وردّ عليها بقدر نَفَقتها .

كتب إلىّ السّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى حارثة ، عن خالد بن مَعْدان ، قال : أوّل مَن غزا فى البحر معاوية بن أبى سفيان زمانَ عثمان بن عفان ، وقد كان استأذن[2] عمر فيه فلم يأذن له ؛ فلما ولى عثمان لم يزل به معاوية ؛ حتى عزم عثمان على ذلك بأخَرة ، وقال : لا تنتخب الناس ، ولا تُقْرِع بينهم ؛ خيِّرهم ؛ فمن اختار الغزو طائعًا فاحمله وأعِنْه ، ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاسىّ حليف بنى فَزارة ، فغزا خمسين غَزاة من بين شاتية وصائفة فى البحر ، ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب ؛ ٢٨٢٤/١

(١) الأحفاش : أوعية الطيب. (٢) ف : « يستأذن » .

وكان يدعو الله أن يرزقه العافية فى جنده ، وألاّ يبتليَه بمصاب أحد منهم، ففعل، حتى إذا أراد الله أن يصيبَه وحدَه ؛ خرج فى قارب طليعةً ، فانتهى إلى المرْقَى من أرض الروم ؛ وعليه سُؤّال يعترّون بذلك المكان، فتصدّق عليهم ، فرجعت امرأة من السؤّال إلى قريتها ، فقالت للرجال : هل لكم فى عبد الله بن قيس ؟ قالوا : وأين هو ؟ قالت : فى المرقَى، قالوا : أى عدوّة الله ! ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس ؟ فوبّختْهم ، وقالت : أنتم أعجز من أن يخفى عبد الله على أحد . فثاروا[1] إليه ، فهجموا عليه ، فقاتلوه وقاتلهم[2]، ١/٢٨٢٥ فأصيب وحده ؛ وأفلت الملاّح حتى أتى أصحابه ، فجاءوا حتى أرقوا ، والخليفة منهم[3] سفيان بن عوف الأزدىّ[4] ، فخرج فقاتلهم ، فضجِر وجعل يعبث بأصحابه ويشتمهم ، فقالت جارية عبد الله : واعبد الله ، ما هكذا كان يقول حين يقاتل ! فقال سفيان : وكيف كان يقول ؟ قالت :

* الغمَرات ثم ينجلينا *[5]

فترك ما كان يقول ، ولزم: «الغمرات ثم ينجلينا» . وأصيب فى المسلمين يومئذ ، وذلك آخر زمان عبد الله بن قيس الجاسىّ ؛ وقيل لتلك المرأة بعد : بأىّ شىء عرفتيه ؟ قالت : بصدَقته ؛ أعطى كما يُعطى الملوك ؛ ولم يقبِض قبضَ التجّار .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى حارثة وأبى عثمان ، قالا : قيل لتلك المرأة التى استثارت الرّوم على عبد الله بن قيس : كيف عرفتِه ؟ قالت : كان كالتاجر ، فلمّا سألته أعطانى كالملك ؛ فعرفت أنه عبد الله بن قيس .

وكتب إلى معاوية والعمّال : أمّا بعد، فقوموا[6] على ما فارقتم عليه عمر ، ولا تبدّلوا، ومهما أشكل عليكم، فردّوه إلينا[7] نجمع عليه الأمة ، ثمّ نردّه ١/٢٨٢٦

(١) ابن حبيش : « فبادروا » .
(٢) ف : «فقاتلهم وقاتلوه » .
(٣) ابن الأثير : « عليهم »
(٤) ابن حبيش : « الأودى » .
(٥) للأغلب العجلى ، أمثال الميدانى ٢ : ٥٨
(٦) ابن حبيش : « فدوموا » .
(٧) ابن حبيش : « علينا » .

عليكم ، وإيّاكم أن تغيّروا ، فإنّى لست قابلا منكم إلا ما كان عمر يقبل . وقد كانت تنتقض فيما بين صُلح عمر وولاية عثمان تلك الناحية فيبعث إليها الرجل فيفتحها الله على يديه ، فيُحسب له ذلك ؛ وأما الفتوح فلأوّل مَن وليَها .

* * *

قال أبو جعفر : ولما غزا معاوية قبرُس ، صالح أهلها — فيما حدّثنى علىّ بن سهل ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : أخبرنى سُليمان بن أبى كريمة والليث بن سعد وغيرهما من مشيخة ساحل دمشق ، أنّ صلح قبرس وقع على جزية سبعة آلاف دينار يؤدّونها إلى المسلمين فى كلّ سنة ، ويؤدّون إلى الروم مثلها ، ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك ، على ألاّ يغزوهم ولا يقاتلوا مَن وراءهم ممن أرادهم من خلفهم ، وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوّهم من الروم إليهم ؛ وعلى أن يبطرِق إمام المسلمين عليهم منهم .

وقال الواقدىّ : غزا معاوية فى سنة ثمان وعشرين قُبرس ، وغزاها أهل مصر وعليهم عبد الله بن سعد بن أبى سرْح ، حتى لقوا معاوية ، فكان على الناس .

قال : وحدّثنى ثَوْر بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن جُبيَر بن نفير ، قال : لما سبيناهم نظرت إلى أبى الدّرداء يبكى ، فقلت [له][1] : ما يبكيك فى يوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله ، وأذلّ فيه الكفر وأهله ؟ قال : فضرب بيده[2] على منكبى ، وقال : ثكلتْك أمّك يا جبير ! ما أهون الخلق[3] على الله إذا [4] تركوا أمره ! بينا هى أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم المُلك ؛ إذ تركوا أمر الله ، فصاروا إلى ما ترى ، فسلّط عليهم السِّباء ، وإذا سُلّط السِّباء على قوم فليس لله فيهم حاجة .

قال الواقدىّ : وحدّثنى أبو سعيد ، أنّ معاوية بن أبى سفيان صالح

٢٨٢٧/١

(١) من ابن حبيش . (٢) ابن حبيش : « بيديه » .
(٣) ابن كثير : « العباد » . (٤) ف : « سبحانه إذ » .

أهل قبرس فى ولاية عثمان ؛ وهو أوّل مَنْ غزا الروم ؛ وفى العهد الذى بينه وبينهم ألاّ يتزوّجوا فى عدوّنا من الرّوم إلاّ بإذننا .

* * *

قال الواقدىّ : وفى هذه السنة غزا حبيب بن مَسْلمة سوريّة من أرض الرّوم .

وفيها تزوّج عثمان نائلة ابنة الفَرافصة [الكلبيّة][1] وكانت نصرانية ، فتحنّثت[2] قبل أن يدخل بها .

قال : وفيها بنى داره بالمدينة ، الزّوراء[3] ، وفرغ منها .

قال : وفيها كان فتح فارس الأول ، وإصطخر الآخر وأميرها هشام ابن عامر .

قال : وحجّ بالناس عثمان فى هذه السنة . ١/٢٨٢٨

(١) من ابن كثير . (٢) ابن الأثير وابن كثير والنويرى : « فأسلمت » .
(٣) الزوراء ، من وصف الدار ؛ وانظر ياقوت .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

ففيها عزَل عثمان أبا موسى الأشعريّ عن البصرة ، وكان عاملَه عليها ستّ سنين ، وولاّها عبدَ الله بن عامر بن كُريز ، وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة ، فقدِمها . وقد قيل : إنّ أبا موسى إنما عمِل لعثمان على البصرة ثلاث سنين .

وذكر عليّ بن محمد أن محاربيًّا أخبره، عن عوْف الأعرابيّ ، قال : خرج غَيْلان بن خَرَشة الضبيّ إلى عثمان بن عفان، فقال : أما لكم صغير فتستشبّوه فتولّوه البصرة ! حتّى متى يلي هذا الشيخ البصرة ! يعني أبا موسى ؛ وكان وليَها بعد موت عمر ستّ سنين .

قال : فعزله عثمان عنها ، وبعث عبد الله بن عامر بن كُرَيز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس ، وأمه دجَّاجة ابنة أسماء السُّلَميّ ؛ وهو ابن خال عثمان بن عفان . قال مسلمة : فقدم البصرة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، سنة تسع وعشرين .

* * *

ذكر الخبر عن سبب عزل عثمان أبا موسى عن البصرة

كتب إليّ السريّ ، يذكر أنّ شعيبًا حدّثه ، عن سيف،عن محمد وطلحة ، قالا : لما ولى عثمان أقرّ أبا موسى على البصرة ثلاث سنين ، وعزله فى الرابعة ، وأمّر على خراسان عُمير بن عثمان بن سعد ، وعلى سِجِسْتان عبد الله بن عمير الليثيّ — وهو من كنانة — فأثخن فيها إلى كابُل ، وأثخن عمير فى خُراسان حتّى بلغ فَرْغانة ، فلم يدع دُونها كورة إلا أصلحها ؛ وبعث إلى مُكْران عبيد الله بن معمر التيميّ ، فأثخن فيها حتّى بلغ النّهر . ١/٢٨٢٩

وبعث على كَرْمان عبد الرحمن بن غُبَيس، وبعث إلى فارس والأهواز نفرًا، وضمّ سَواد البصرة إلى الحصين بن أبى الحُرّ، ثم عزل عبد الله بن عُمَير، واستعمل عبدَ الله بن عامر فأقرّه عليها سنة ثم عزله، واستعمل عاصم بن عمرو، وعزل عبد الرحمن بن غُبَيس، وأعاد عدىّ بن سُهيل بن عدىّ.

ولما كان فى السنة الثالثة كفر أهل إيذج والأكراد، فنادَى أبو موسى فى الناس، وحضّهم وندَبهم، وذكر من فضل الجهاد فى الرُّجلة[1]؛ حتى حمل نفر على دوابّهم، وأجمعوا على أن يخرجوا رُجّالاً. وقال آخرون: لا والله لا نعجل بشىء حتى ننظر ما صنيعه؟ فان أشبه قولُه فعلَه فعلنا كما فعل أصحابنا.

فلمّا كان يومَ خرج أخرج ثَقَله من قصره على أربعين بغلاً، فتعلقوا بعنانه، وقالوا: احملنا على بعض هذه الفضول، وارغب من الرُّجلة فيما رغبتنا فيه، فقنّع القوم حتى تركوا دابّته ومضى، فأتوا عثمان، فاستعفوْه منه، وقالوا: ما كلّ ما نعلم نحبّ أن نقوله، فأبْدِ لنا به، فقال: مَن تحبّون؟ فقال غَيْلان بن خَرَشة: فى كلّ أحد عوَض من هذا العبد الذى قد أكل أرضنا، وأحيا أمر الجاهلية فينا، فلا ننفك من أشعرىّ كان يعظّم مُلكه عن الأشعرين؛ ويستصغر ملك البصرة، وإذا أمّرت علينا صغيراً كان فيه عِوَض منه، أو مهتَراً كان فيه عوَض منه؛ ومَن بين ذلك من جميع الناس خير منه. ١/٢٨٣٠

فدعا عبدَ الله بن عامر وأمّره على البصرة، وصرف عُبيد الله بن معمر إلى فارس، واستعمل على عمله عُمير بن عثمان بن سعد. فاستعمل على خراسان فى سنة أربع أُمَين بن أحمر اليَشْكرىّ، واستعمل على سِجِسْتان فى سنة أربع عمران بن الفَصيل البرجمىّ، وعلى كَرْمان عاصم بن عمرو، فمات بها. فجاشت فارس، وانتقضت بعُبَيد الله بن معمر، فاجتمعوا له بإصطخر، فالتقوْا على باب إصطخر، فقتِل عبيد الله وهزِم جنده؛ وبلغ الخبر عبد الله ابن عامر، فاستنفر أهلَ البصرة؛ وخرج معه الناس، وعلى مقدّمته عثمان ابن أبى العاص، فالتقوا هم وهم بإصطخر، وقتل منهم مقتلة عظيمة لم يزالوا ١/٢٨٣١

(١) الرجلة، بالضم: أن يسير المرء راجلا غير راكب.

منها فى خلق ؛ وكتب بذلك إلى عثمان ؛ فكتب إليه بإمرة هرم بن حسان اليشكرى ، وهرم بن حيان العبدى من عبد القيس ، والخريت بن راشد من بنى سامة ، والمنجاب بن راشد ، والترجمان الهجيمى ، على كورفارس ؛ وفرق خراسان بين نفر ستة : الأحنف على المروين ، وحبيب بن قرة اليربوعى على بلخ — وكانت مما افتتح أهل الكوفة — وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة ، وأمين بن أحمد اليشكرى على طوس ، وقيس بن الهيثم السلمى على نيسابور — وهو أول من خرج — وعبد الله بن خازم ، وهو ابن عمه . ثم إن عثمان جمعها له قبل موته ، فمات وقيس على خراسان ؛ واستعمل أمين بن أحمر على سجستان ، ثم جعل عليها عبد الرحمن بن سمرة — وهو من آل حبيب ابن عبد شمس ؛ فمات عثمان وهو عليها ؛ ومات وعمران على كرمان — وعمير ابن عثمان بن سعد على فارس ، وابن كندير القشيرى على مكران .

وقال على بن محمد : أخبرنا على بن مجاهد ، عن أشياخه ، قال : قال غيلان بن خرشة لعثمان بن عفان : أما منكم خسيس فترفعوه ! أما منكم فقير فتجبروه ! يا معشر قريش ، حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعرى هذه البلاد ! فانتبه لها الشيخ ، فولاها عبد الله بن عامر .

٢٨٣٢/١

قال على بن محمد : أخبرنا أبو بكر الهذلى ، قال : ولى عثمان ابن عامر البصرة ، فقال الحسن[1] : قال أبو موسى : يأتيكم غلام خراج ولاج كريم الجدات والخالات والعمات ؛ يجمع له الجندان . قال : قال الحسن : فقدم ابن عامر ، فجمع له جند أبى موسى وجند عثمان بن أبى العاص الثقفى ؛ وكان عثمان بن أبى العاص فيمن عبر من عمان والبحرين .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : وفد قيس بن هيثم عبد الله بن خازم إلى عبد الله بن عامر فى زمان عثمان ؛ وكان عبد الله بن خازم على عبد الله بن عامر كريما ، فقال له : اكتب لى على خراسان عهدا إن خرج منها قيس بن الهيثم . ففعل ، فرجع إلى خراسان ؛ فلما قتل عثمان وبلغ الناس الخبر ، وجاش العدو لذلك ، قال قيس : ما ترى يا عبد الله ؟ قال : أرى أن تخلفنى ولا تخلف عن المضى حتى تنظر فيما تنظر فتفعل

---

(١) هو الحسن البصرى ، أخذ عنه أبو بكر الهذلى . لسان الميزان ٣ : ٧١

واستخلفه ، فأخرج عبد الله عهداً لخلافته ، ووثب على خُراسان إلى أن قام علىّ رضى الله تعالى عنه ، وكانت أم عبد الله عَجْلى ، فقال قيس : أنا كنت أحقّ أن أكون ابن عَجْلى من عبد الله ، وغضب مما صنع به الآخر . ١/٢٨٣٣

* * *

وفى هذه السنة افتتح عبد الله بن عامر فارس فى قول الواقدىّ وفى قول أبى معشر ؛ حدّثنى بقول أبى معشر أحمد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق ابن عيسى ، عنه . وأما قول سيف فقد ذكرناه قبل .

* * *

وفى هذه السنة - أعنى سنة تسع وعشرين - زاد عثمان فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ووسّعه ، وابتدأ فى بنائه فى شهر ربيع الأول ، وكانت القَصّة(١) تحمَل إلى عثمان من بطن نَخْل ، وبناه بالحجارة المنقوشة ، وجعل عُمُده من حجارة فيها رصاص ، وسقفه ساجاً ، وجعل طوله ستين ومائة ذراع ، وعرضه مائة وخمسين ذراعاً ، وجعل أبوابه على ما كانت عليه على عهد عمر ستة أبواب .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عثمان ، فضرب بمنًى فسطاطاً ، فكان أوّل فسطاط ضربه عثمان بمنًى ، وأتمّ الصلاة بها وبعرفة .

فذكر الواقدىّ ، عن عمر بن صالح بن نافع ، عن صالح مولى التوءمة ، قال : سمعتُ ابن عباس يقول : إن أوّل ما تكلم الناس فى عثمان ظاهراً أنه صلّى بالناس بمنًى فى ولايته ركعتين ؛ حتى إذا كانت السنة السادسة أتمّها ، فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وتكلم فى ذلك من يريد أن يكثّر عليه ؛ حتى جاءه علىّ فيمن جاءه ، فقال : والله ما حدث أمر ولا قدُم عهد ، ولقد عهدتَ نبيّك صلى الله عليه وسلم يصلّى ركعتين ، ثم أبا بكر ، ثم عمر ، وأنت صدراً من ولايتك ، فما أدرى ما ترجع إليه ! فقال : رأىٌ رأيتُه . ١/٢٨٣٤

---

(١) القصة : الحجارة من الجص .

قال الواقدىّ : وحدّثنى داود بن خالد ، عن عبد الملك بن عمرو بن أبى سفيان الثقفىّ ، عن عمّه ، قال : صلّى عثمان بالناس بمنًى أربعًا ، فأتى آتٍ عبدَ الرحمن بن عوف ، فقال : هل لك فى أخيك ؟ قد صلّى بالناس أربعًا ! فصلّى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين ، ثم خرج حتى دخل على عثمان ، فقال له : ألم تصلّ فى هذا المكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ؟ قال : بلَى ، قال : أفلم تصلّ مع أبى بكر ركعتين ؟ قال : بلى ، قال : أفلم تصلّ مع عمر ركعتين ؟ قال : بلى ، قال : ألم تصلّ صدراً من خلافتك ركعتين ؟ قال : بلى ، قال : فاسمع منّى يا أبا محمد[1] ؛ إنى أخبِرتُ أنّ بعض من حجّ من أهل اليمن وجُفاة الناس قد قالوا فى عامنا الماضى : إنّ الصلاة للمقيم ركعتان ، هذا إمامكم عثمان يصلّى ركعتين ، وقد اتّخذتُ بمكة أهلا ، فرأيت أن أصلّىَ أربعًا لخوفِ ما أخاف على الناس ؛ وأخرى قد اتّخذتُ بها زوجة ، ولِى بالطائف مال ؛ فربما اطّلعتهُ فأقمتُ فيه بعدِ الصَّدَر . فقال عبدالرحمن ابن عوْف : ما من هذا شىء لك فيه عُذْر ؛ أما قولك : اتخذت أهلا ، فزوجتُك بالمدينة تخرج بها إذا شئتَ وتقدم بها إذا شئتَ ؛ إنما تسكن بسكناك . وأما قولك : ولى مال بالطائف ؛ فإن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ليال وأنت لست من أهل الطائف . وأمّا قولك : يرجع من حجّ من أهل اليمن وغيرهم فيقولون : هذا إمامكم عثمان يصلّى ركعتين وهو مقيم ؛ فقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحى والناس يومئذ الإسلامُ فيهم قليل ؛ ثم أبو بكر مثل ذلك ، ثم عمَر ، فضرب الإسلامُ بجِرانه ، فصلّى بهم عمر حتى مات ركعتين ، فقال عثمان : هذا رأىٌ رأيتُه .

١/٢٨٣٥

قال : فخرج عبدُ الرحمن فلقىَ ابنَ مسعود ، فقال : أبا محمّد ، غيرُ ما يُعلم[2] ؟ قال : لا ، قال : فما أصنع ؟ قال : اعمل أنت بما تعلم ؛ فقال ابن مسعود : الخلاف شرّ ؛ قد بلغنى أنه صلّى أربعًا فصلّيت بأصحابى أربعًا ، فقال عبد الرحمن بن عوف : قد بلغنى أنه صلّى أربعًا ، فصلّيت بأصحابى ركعتين ، وأما الآن فسوف يكون الذى تقول — يعنى نصلّى معه أربعاً .

---

(١) أبو محمد ، كنية عبد الرحمن بن عوف .

(٢) ابن الأثير : « غير ما تعلم ؟ » .

ثم دخلت سنة ثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فممّا كان فيها غزوة سعيد بن العاص طَبَرِستان فى قول أبى معشر ، حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه . وفى قول الواقدىّ وقول علىّ بن محمد المدائنىّ : حدّثنى بذلك عمر بن شبّة عنه . ١/٢٨٣٦

وأما سيف بن عمر ، فإنه ذكر أن إصْبَهْبَذها صالَح سويد بن مقرّن على ألاّ يغزوَها ؛ على مال بذله له. قد مضى ذكرى الخبر عن ذلك قبلُ فى أيام عمر رضى الله عنه .

وأما علىّ بن محمد المدائنىّ ، فإنه قال — فيما حدّثنى به عنه عمر : لم يغزُها أحدٌ حتى قام عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فغزاها سعيد بن العاص سنة ثلاثين .

ذكر الخبر عنه عن غزو سعيد بن العاص طَبَرِستان

حدّثنى عمر بن شَبّة ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، عن علىّ بن مجاهد ، عن حنَش بن مالك ، قال : غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ثلاثين يريد خُراسان ، ومعه حُذَيفة بن اليمان وناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير ؛ وخرج عبد الله ابن عامر من البصرة يريد خُراسان ، فسبق سعيداً ونزل أبْرَشَهر ، وبلغ نزوله أبْرَشَهر سعيداً. فنزل سعيد قومِسَ ؛ وهى صلْح ، صالحهم حذيفة بعد نهاوند ؛ فأتى جُرجان ، فصالحوه على مائتى ألف ، ثم أتى طَمِيسة ، وهى كلها من طَبَرِستان (١) جُرجان ، وهى مدينة على ساحل البحر ، وهى فى تُخوم جُرجان ، فقاتَله أهلها حتى صلّى صلاة الخوف ، فقال لحذيفة : كيف صلّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ؟ فأخبره ، فصلّى بها سعيد صلاة ١/٢٨٣٧

(١) ابن حبيش : « من ناحية » .

الخوف ، وهم يقتتلون، وضرب يومئذ سعيد رجلا من المشركين على حبل عاتقه، فخرج السَّيْف من تحت مِرْفقه ؛ وحاصرهم ، فسألوا الأمان؛ فأعطاهم على ألاّ يقتل منهم رجلاً واحداً ، ففتحوا الحصن ، فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً ؛ وحوى ما كان في الحصن ، فأصاب رجل من بني نَهد سَفَطاً عليه قُفل ، فظنّ فيه جوهراً ؛ وبلغ سعيداً ، فبعث إلى النهديّ ، فأتاه بالسَّفَط ، فكسروا قُفله؛ فوجدوا فيه سَفَطاً ، ففتحوه، فإذا فيه خرقة سوداء مُدرجة فنشروها ، فوجدوا خِرقة حمراء فنشروها ، فإذا خرقة صفراء ؛ وفيها أيْران : كُميت ووَرْد ؛ فقال شاعر يهجو بنى نهد :

آبَ الكِرامُ بالسَّبايا غنيمةً وفاز بنو نَهْدٍ بأيْرَيْنِ فى سَفَطْ

كُمَيْتٍ ووَرْدٍ وافرِيْنِ كِلاهُما فظنُّوهُما غُنْماً فناهيك من غَلَطْ !

وفتح سعيد بن العاص نامية ، وليست بمدينة، هى صحارى .

* * *

١/٢٨٣٨ وحدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : أخبرنى علىّ بن مجاهد ، عن حَنَش بن مالك التغلبىّ ، قال : غزا سعيد سنة ثلاثين ، فأتى جُرجان وطَبَرِستان ؛ معه عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر وابن الزّبير وعبد الله بن عمرو بن العاص ؛ فحدّثنى عِلْج كان يخدُمهم قال : كنت أتيتهم بالسُّفْرة(١) ، فإذا أكلوا أمرونى فنفضتها وعلّقتها ، فإذا أمسَوْا أعطونى باقيَه . قال : وهلك مع سعيد بن العاص محمد بن الحكم ابن أبي عَقيل الثقفىّ ، جدّ يوسف بن عمر، فقال يوسف لقحذَم : ياقحذَم ، أتدرى أين مات محمد بن الحكم ؟ قال : نعم، استُشهد مع سعيد بن العاص بطَبَرِستان ، قال : لا، مات بها وهو مع سعيد ، ثم قفل سعيد إلى الكُوفة ، فمدحه كعب بن جُعيل ، فقال :

فنِعْمَ الفتَى إذ جال جِيلانُ دونَه وإذ هَبَطوا من دَسْتَبَى ثم أبْهَرا

تعلّمْ سَعيدَ الخيرِ أنّ مَطيّتى إذا هَبطَتْ أشفقْتُ مِن أنْ تُعقَّرا

كأنّكَ يَوْمَ الشِّعْبِ لَيْثُ خفيّةٍ تَحرّدَ مِن لَيثِ العَرِينِ وأصْحَرا

(١) السفرة : طعام المسافر .

١/٢٨٣٩ تسوس الذي ماسا قبلك واحد ثمانين ألفاً دارعين وحسرا

وحدثني عمر، قال : حدثنا على ، عن كليب بن خلف وغيره ، أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان ، ثم امتنعوا وكفروا ؛ فلم يأت جرجان بعد سعيد أحد ، ومنعوا ذلك الطريق ؛ فلم يكن أحد يسلك طريق خراسان من ناحية قومس إلا على وجل وخوف من أهل جرجان ، وكان[1] الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان ، فأول من صير الطريق من قومس قتيبة ابن مسلم حين ولى خراسان .

وحدثني عمر، قال : حدثنا على ، عن كليب بن خلف العمى ، عن طفيل بن مرداس العمى وإدريس بن حنظلة العمى ، أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان ؛ وكانوا يجبون أحياناً مائة ألف ويقولون : هذا صلحنا ، وأحياناً مائتى ألف ، وأحياناً ثلاثمائة ألف ؛ وكانوا ربما أعطوا ذلك وربما منعوه ؛ ثم امتنعوا وكفروا ، فلم يعطوا خراجاً حتى أتاهم يزيد بن المهلب ، فلم يعازه[2] أحد حين قدمها ؛ فلما صالح صولا وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص .

* * *

١/٢٨٤٠ وفى هذه السنة — أعنى سنة ثلاثين — عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة ، وولاها سعيد بن العاص فى قول سيف بن عمر .

* * *

ذكر السبب فى عزل عثمان الوليد عن الكوفة وتوليته سعيداً عليها

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : لما بلغ عثمان الذى كان بين عبد الله وسعد غضب عليهما وهم بهما ، ثم ترك ذلك وعزل سعداً ، وأخذ ما عليه ، وأقر عبد الله ، وتقدم إليه ، وأمر مكان سعد الوليد بن عقبة — وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطاب — فقدم الوليد فى السنة الثانية من إمارة عثمان ؛ وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى ؛ فقدم الكوفة ، وكان أحب الناس فى الناس وأرفقهم بهم ؛ فكان كذلك خمس سنين ، وليس على داره باب . ثم إن شباباً من شباب أهل الكوفة

---

(١) كذا فى ابن حبيش ، وفى ط : « كان » . (٢) لم يعازه : لم يغلبه .

نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعىّ، وكاثروه ، فنذِر بهم ، فخرج عليهم بالسيف ، فلما رأى كثرتهم استصرخ ، فقالوا له : اسكت ، فإنما هى ضربة حتى نريحك من روعة هذه الليلة — وأبو شُريح الخزاعىّ مشرف عليهم — فصاح بهم وضربوه فقتلوه ، وأحاط الناس بهم فأخذوهم ؛ وفيهم زهير بن جُندب الأزدىّ ومورّع بن أبى مورّع الأسدىّ ، وشُبيل بن أُبىّ الأزدىّ ، فى عدّة . فشهد عليهم أبو شُريح وابنه أنهم دخلوا عليه ، فمنع بعضهم بعضًا من الناس ، فقتله بعضهم ، فكتب فيهم إلى عثمان ، فكتب إليه فى قتلهم ، فقتلهم على باب القصر فى الرَّحَبة ، وقال فى ذلك عمرو بن عاصم التميمىّ : ١/٢٨٤١

لا تأكُلوا أبداً جيرانَكُمْ سَرَفاً أهْلَ الزَّعارةِ فى مُلكِ ابْنِ عفّانِ

[وقال أيضاً] :

إنَّ ابْنَ عَفّانَ الذى جَرَّبْتُمُ فَطَمَ اللصوصَ بمُحْكَمِ الفُرْقانِ

ما زال يَعْمَلُ بالكتابِ مُهَيمِناً فى كُلِّ عُنْقٍ مِنْهُمُ وَبَنانِ

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ، عن أبى سعيد ، قال : كان أبو شُريح الخزاعىّ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فتحوّل من المدينة إلى الكوفة ليدنوَ من الغزو ؛ فبينا هو ليلة على السطح ، إذ استغاث جاره ، فأشرف فإذا هو بشباب من أهل الكوفة قد بيّتوا جاره ؛ وجعلوا يقولون له : لا تصحْ ، فإنما هى ضربة حتى نريحك ؛ فقتلوه . فارتحل إلى عثمان ، ورجع إلى المدينة ونقل أهله ، ولهذا الحديث حين كثُر أحدِثت القسامة ، وأخِذ بقول ولىّ المقتول : ليُفطَم[1] الناس عن القتل عن ملإ من الناس يومئذ . ١/٢٨٤٢

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن كُريب ، عن نافع بن جبير ، قال : قال عثمان : القَسامة على المدّعَى عليه وعلى أوليائه ؛ يحلِف منهم خمسون رجلا إذا لم تكن بيّنة ؛ فإن نقصت قَسامتهم ، أو إن نكَل رجل واحدٌ ردّت قسامتهم ووليَتها المدّعُون ؛ وأحلِفوا ، فإن حلف منهم خمسون استحقّوا .

(١) ابن الأثير : « ليقطع » .

وكتب إلىّ السّرىّ ، عن شعيب، عن سيف ، عن الغُصْن بن القاسم ، عن عَوْن بن عبد الله ، قال : كان مما أحدث عثمان بالكوفة إلى ما كان من الخبر أنه بلغه أنّ أبا سمّال الأسدىّ فى نفر من أهل الكوفة ، ينادى منادٍ لهم إذا قدم المُيّار[١] : مَن كان ها هنا من كلب أو بنى فلان ليس لقومهم بها منزل فمنزله على أبى سمّال[٢]. فاتّخذ موضع دار عَقيل دار الضّيفان ودار ابن هبّار ؛ وكان منزل عبد الله بن مسعود فى هُذيل فى موضع الرّمادة ، فنزل موضع داره ، وترك داره دار الضيافة ، وكان الأضياف ينزلون داره فى هذيل إذا ضاق عليهم ما حول المسجد .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المغيرة بن مقسَم ، عمّن أدرك من علماء أهل الكوفة ، أنّ أبا سمّال كان ينادى مناديه فى السوق والكُناسة : مَن كان ها هنا من بنى فلان وفلان — لمن ليست له بها خُطّة — فمنزله على أبى سمّال ؛ فاتّخذ عثمان للأضياف منازل .

١/٢٨٤٣

وكتب إلىّ السّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مولى لآل طلحة ، عن موسى بن طلحة مثلَه .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : كان عمر بن الخطاب قد استعمل الوليد بن عُقبة على عرب الجزيرة ، فنزل فى بنى تغلِب . وكان أبو زُبَيد فى الجاهليّة والإسلام فى بنى تغلِب حتّى أسلم ؛ وكانت بنو تغلِب أخوالَه ؛ فاضطهده أخواله دينًا له ؛ فأخذ له الوليد بحقّه، فشكرها له أبو زُبيد ، وانقطع إليه، وغشيَه بالمدينة ؛ فلما ولى الوليد الكوفة أتاه مسلّمًا معظّمًا على مثل ما كان يأتيه بالجزيرة والمدينة ، فنزل دار الضّيفان ، وآخر قَدْمة قدِمها أبو زبيد على الوليد؛ وقد كان ينتجعه ويرجع ، وكان نصرانيًّا قبل ذلك ، فلم يزل الوليد به وعنه حتّى أسلم فى آخر إمارة الوليد ، وحسن إسلامه ، فاستدخله الوليد ، وكان عربيًّا شاعراً حين قام على الإسلام ؛ فأتى آتٍ أبا زينب وأبا مورِّع وجُندبًا ، وهم يحقدون[٣]

(١) الميار : جمع مائر وهو جالب الميرة ، والميرة : الطعام .
(٢) ط : « فلان » ، وانظر التصويبات .
(٣) ابن الأثير : « يحقرون » .

له مذ قَتَل أبناءهم ، ويضعُون له العيون[١] ، فقال لهم : هل لكم فى الوليد يشارب أبا زُبَيد ؟ فثاروا فى ذلك ، فقال أبوزينب وأبو مورّع وجندب لأناس من وجوه أهل الكوفة : هذا أميرُكم وأبوزُبَيد خِيَرته ، وهما عاكفان على الخمر ، فقاموا معهم — ومنزل الوليد فى الرّحَبة مع عُمارة بن عقبة ، وليس عليه باب — فاقتحموا عليه من المسجد وبابه إلى المسجد، فلم يُفْجَأ الوليد إلاّ بهم ، فنحّى شيئًا ، فأدخله تحت السرير ، فأدخل بعضهم يده فأخرجه لا يؤامره ؛ فإذا طبق عليه تفاريقُ عنب— وإنما نحّاه استحياء أن يروْا طبقَه ليس عليه إلاّ تفاريق عنب— فقاموا فخرجوا على الناس ، فأقبل بعضهم على بعض يتلاوَمون ، وسمع الناس بذلك ، فأقبل الناس عليهم يسبّونهم ويلعنونهم ؛ ويقولون: أقوام غضب الله لعمله ، وبعضهم أرغمه الكتاب[٢]؛ فدعاهم ذلك إلى التحسّس والبحث ؛ فستّر عليهم الوليد ذلك ، وطواه عن عثمان ، ولم يدخل بين الناس فى ذلك بشىء ، وكره أن يُفسد بينهم ، فسكت عن ذلك وصبر .

١/٢٨٤٤

وكتب إلىّ السّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الفيض بن محمد ، قال : رأيت الشعبىّ جلس إلى محمد بن عمرو بن الوليد — يعنى ابن عقبة — وهو خليفة محمد بن عبد الملك ؛ فذكر محمّد غزوَ مسلمة ، فقال : كيف لو أدركتم الوليد؛ غَزْوَه وإمارته ! إن كان ليغزو فينتهى إلى كذا وكذا ، ما قصّر ولا انتقض عليه أحدٌ حتى عزِل عن عمله ؛ وعلى الباب يومئذ عبدُ الرحمن بن ربيعة الباهلىّ ؛ وإن كان مما زاد عثمان بن عفان الناس على يده أن ردّ على كلّ مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة فى كلّ شهر ؛ يتّسعون بها من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم .

١/٢٨٤٥

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن بن القاسم ، عن عون[٣] بن عبد الله، قال: جاء جندب ورهط معه إلى ابن مسعود، فقالوا : الوليد يعتكف على الخمر ؛ وأذاعوا ذلك حتى طرِح على ألسن الناس ، فقال

---

(١) ف : « العيوب » . (٢) كذا فى أصول ط ، وهو غير واضح .
(٣) ط : « عمرو » ، وانظر ص ٤٢٢ من هذا الجزء .

ابن مسعود: من استتر عنّا بشىء لم نتتبع عورته،ولم نهتك ستره ؛ فأرسل إلى ابن مسعود فأتاه فعاتبه فى ذلك ، وقال : أيُرْضَى[1] من مثلك بأن يجيب قوماً موتورين بما أجبت علىّ ! أىّ شىء أستتر به ! إنما يقال هذا للمريب ، فتلاحيا وافترقا على تغاضُب، لم يكن بينهما أكثر من ذلك .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : وأُتِى الوليد بساحر ؛ فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حدّه ، فقال : وما يُدريك أنه ساحر ! قال : زعم هؤلاء النّفر– لنفر جاءوا به – أنه ساحر ، قال : وما يُدرِيكم أنه ساحر ! قالوا : يزعم ذاك ، قال : أساحر أنت ؟ قال : نعم ، قال : وتدرِى ما السحر ؟ قال : نعم ، وثار إلى حمار ، فجعل يركبه من قِبَل ذَنَبه ، ويُريهم أنه يخرج من فمه واستِه . فقال ابن مسعود : فاقتله . فانطلق الوليد ، فنادوا فى المسجد أنّ رجلاً يلعب بالسحر عند الوليد، ١/٢٨٤٦ فأقبلوا، وأقبل جُندَب – واغتنمها – يقول: أين هو؟ أين هو ؟ حتى أرِيَه ! فضربه ، فاجتمع عبد الله والوليد على حبسِه ؛ حتى كتب إلى عثمان ، فأجابهم عثمان أن استحلفوه بالله ما علم برأيكم فيه . وإنه لصادق بقوله فيما ظنّ من تعطيل حدّه . وعزّروه ، وخلَّوْا سبيله . وتقدم إلى الناس فى ألاّ يعملوا بالظّنون ، وألاّ يقيموا الحدود دون السلطان ، فإنا نقيد المخطئ ، ونؤدّب المصيب. ففعل ذلك به، وتُرِك لأنه أصاب حدًّا ، وغضب لجُندب أصحابُه، فخرجوا إلى المدينة، فيهم أبو خُشَّة الغِفارىّ وجَثّامة بن الصّعب بن جَثّامة ومعهم جُندب ، فاستعفوْه من الوليد ، فقال لهم عثمان : تعملون بالظنون، وتخطئون فى الإسلام ، وتخرجون بغير إذن ؛ ارجعوا . فردّهم ، فلما رجعوا إلى الكوفة ، لم يبق موتورٌ فى نفسه إلاّ أتاهم ، فاجتمعوا على رأى فأصدروه ، ثم تغفّلوا الوليد – وكان ليس عليه حجاب – فدخل عليه أبو زينب الأزدىّ وأبو مورِّع الأسدىّ ، فسلاّ خاتَمه،ثم خرجا إلى عثمان ، فشهدا عليه ؛ ومعهما نفر ممن يعرف من أعوانهم . فبعث إليه عثمان ، فلما قدم أمر به سعيدَ ابن العاص ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أنشدك الله ! فوالله إنهما لخصمان موتوران. ١/٢٨٤٧

(١) ف : « أترضى » .

فقال : لا يضرّك ذلك ؛ إنما نعمل بما ينتهي إلينا ، فمن ظلَم فالله وليّ انتقامه، ومن ظُلِم فالله وليّ جزائه .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي غسّان سكَن ابن عبد الرحمن بن حُبَيْش ، قال : اجتمع نفرٌ من أهل الكوفة ، فعملوا في عزل الوليد ، فانتدب أبو زينب بن عوف وأبو مورّع بن فلان الأسديّ للشهادة عليه، فغشَوا الوليد ، وأكبُّوا عليه ؛ فبينا هم معه يومًا في البيت وله امرأتان في المخدَع ، بينهما وبين القوم سِتر ؛ إحداهما بنت ذي الخِمار والأخرى بنت أبي عَقيل ، فنام الوليد ، وتفرّق القوم عنه ؛ وثبت أبو زينب وأبو مورّع ، فتناول أحدهما خاتمة، ثم خرجا، فاستيقظ الوليد وامرأتاه عند رأسه ؛ فلم ير خاتمه ، فسألهما عنه فلم يجد عندهما منه علمًا ، قال : فأيّ القوم تخلّف عنهم ؟ قالتا : رجلان لا نعرفهما، ما غشِياك إلا منذ قريب . قال : حلّياهما[1] ،فقالتا : على أحدهما خَميصة، وعلى الآخر مُطرَف ، وصاحب المُطْرَف أبعدهما منك ، فقال : الطُّوال ؟ قالتا : نعم ؛ وصاحب الخميصة أقربهما إليك ، فقال : القصير ؟ قالتا : نعم ؛ وقد رأينا يده على يدك . قال : ذاك أبو زينب ، والآخر أبو مورّع ؛ وقد أرادا داهية ، فليت شعري ماذا يريدان ! فطلبهما فلم يقدِرْ عليهما ؛ وكان وجهُهما إلى المدينة ، فقدما على عثمان ؛ ومعهما نفرٌ ممن يعرف عثمان ، ممن قد عزَل الوليد عن الأعمال ، فقالوا له ، فقال : مَنْ يشهد ؟ قالوا : أبو زينب وأبو مورّع ، وكاع الآخران[2] ، فقال : كيف رأيتما ؟ قالا : كنّا من غاشيته ؛ فدخلنا عليه وهو يتقيء الخمر ، فقال: ما يقيء الخمر إلاّ شاربها. فبعث إليه، فلما دخل على عثمان رآهما ، فقال متمثّلا :

١/٢٨٤٨

ما إنْ خشيتُ على أمْرٍ خَلَوْتُ به فلم أَخَفْك على أمثالها حارِ

فحلف له الوليد وأخبره خبرهم ، فقال : نقيم الحدود ويبوء شاهد الزور بالنّار ؛ فاصبر يا أُخيّ ! فأمر سعيد بن العاص فجلده ، فأورث ذلك عداوةً بين ولديهما حتى اليوم ؛ وكانت على الوليد خَميصة يوم أمر به أن يجلد ، فنزعها

(١) حلياهما ، أي صفاهما . (٢) كاع الآخران : جبنا .

عنه عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

كتب إليّ السّريّ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عُبَيد الطنافسيّ، عن أبي عبيدة الإياديّ ، قال : خرج أبو زينب وأبو مورّع حتى دخلا على الوليد بيته ، وعنده امرأتان: بنت ذي الخِمار وبنت أبي عقيل ؛ وهو نائم ، قالت إحداهما : فأكبّ عليه أحدهما فأخذ خاتَمه ، فسألهما حين استيقظ ، فقالتا : ما أخذناه ، قال : مَنْ بقي آخر القوم ؟ قالتا : رجلان ؛ رجل قصير عليه خَميصة ، ورجل طويل عليه مُطْرَف ، ورأينا صاحب الخميصة أكبّ عليك ، قال : ذاك أبو زينب . فخرج يطلبهما ، فإذا هو وجهُهما عن ملإ من أصحاب لهما ؛ ولا يدري الوليد ما أرادا من ذلك . فقدِما على عثمان ، فأخبراه الخبر على رءوس الناس ، فأرسل إلى الوليد ، فقدِم ، فإذا هو بهما. ودعا بهما عثمان ، فقال : بم تشهدان ؟ أتشهدان أنكما رأيتماه يشرب الخمر ؟ فقالا : لا ، وخافا ، قال: فكيف؟ قالا: اعتصرناها من لحيته وهو يقيء الخمر . فأمر سعيدَ بن العاص فجلده ، فأورث ذلك عداوةً بين أهليْهما .

١/٢٨٤٩

وكتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطيّة ، عن أبي العريف ويزيد الفقعسيّ، قالا : كان الناس في الوليد فرْقتين : العامّة معه والخاصّة عليه ؛ فما زال عليهم من ذلك خُشوع حتى كانت صِفّين ، فولي معاوية ، فجعلوا يقولون : عيِّب عثمانُ بالباطل،فقال لهم عليّ عليه السلام : إنكم وما تعيِّرُون به عثمان كالطاعن نفسَه ليقتل رِدْفه ، ما ذنب عثمان في رجل قد ضرب به بفعله[1]، وعزله عن عمله ! وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا !

وكتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن كريب ، عن نافع بن جُبَير ، قال : قال عثمان رضي الله عنه: إذا جُلِد الرّجل الحدّ ثم ظهرت توبتُه جازت شهادته .

١/٢٨٥٠

وكتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي كِبْران ، عن مولاة لهم — وأثنى عليها خيراً — قالت : كان الوليد أدخل على الناس خيراً ،

---

(١) ط : « بقوله » ، وانظر التصويبات .

حتّى جعل يقسِّم للولائد والعبيد ، ولقد تفجّع عليه الأحرار والمماليك ، كان يسمع الولائد وعليهنّ الحداد يقلنَ :

يا وَيْلَتا قد عُزِلَ الوَليدُ وجاءنا مُجوِّعاً سَــعيدُ

يَنْقُصُ فى الصّاع ولا يزيدُ فجُوِّعَ الإماء والعَبيـدُ

وكتب إلىّ السرىّ ،عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن بن القاسم ، قال : كان الناس يقولون حين عزِل الوليد وأمِّر سعيد :

لا يَبْعَدِ المُلكُ إذ وَلَّتْ شمائلهُ ولا الرياسةُ لما رَاسَ كُتَّابُ

وكتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسنادهما، قالا : قدِم سعيد بن العاص فى سنة سبع من إمارة عثمان ، وكان سعيد بن العاص بقيّة العاص بن أميّة، وكان أهله كثيراً تتابعوا، فلما فتح الله الشأم قدِمها ، فأقام مع معاوية، وكان يتيماً نشأ فى حِجْر عثمان ، فتذكّر عمر قريشاً ، وسأل عنه فيما يتفقّد من أمور الناس، فقيل : يا أمير المؤمنين، هو بدمشق ، عهدُ العاهد به وهو مأموم بالموت . فأرسل إلى معاوية : أن ابعث إلىّ سعيد بن العاص فى منقل ، فبعث به إليه وهو دنِف ، فما بلغ المدينة حتى أفاق ، فقال : يابنَ أخى ؛ قد بلغنى عنك بلاء وصلاح ،فازدد يزدْك الله خيراً . وقال : هل لك من زوجة ؟ قال: لا ؛ قال: يا أبا عمرو ،ما منعك من هذا الغلام أن تكون زوّجتَه ؟ قال : قد عرضْتُ عليه فأبى ، فخرج يسير فى البرّ، فانتهى إلى ماء ، فلقىَ عليه أربع نسوة ، فقمنَ له ، فقال : مالكنّ ؟ ومَن أنتنّ ؟ فقلنَ : بنات سفيان بن عويف — ومعهنّ أمهنّ — فقالت : أمّهنّ : هلك رجالنا ، وإذا هلك الرجال ضاع النساء ، فضعهنّ فى أكفائهنّ ، فزوّج سعيداً إحداهنّ وعبد الرحمن بن عوف الأخرى، والوليدَ بن عُقْبة الثالثة ؛ وأتاه بنات مسعود بن نعيم النَّهشلىّ ، فقلن: قد هلك رجالنا ، وبقىَ الصّبيان ، فضعْنا فى أكفائنا ، فزوج سعيداً إحداهنّ ، وجُبير بن مطعِم إحداهنّ ، فشارك سعيد هؤلاء وهؤلاء ، وقد كان عمومته ذوِى بلاء فى الإسلام ، وسابقة حسنة ، وقُدْمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال الناس .

١/٢٨٥١

٢٨٥٢/١ فقدم سعيد الكوفة فى خلافة عثمان أميراً ، وخرج معه من مكة – أو المدينة – الأشتر وأبو خُشّة الغِفارىّ وجندَب بن عبد الله وأبو مُصعب بن جثّامة – وكانوا فيمن شخص مع الوليد يعيبونه[1] ، فرجعوا مع هذا – فصعِد سعيد المنبر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال : والله لقد بُعِثت إليكم وإنى لكاره ؛ ولكنّى لم أجد بدًّا إذ أُمِرت أن أتأمّر. ألا إنّ الفتنة قد أطلعتْ خَطْمها وعينيْها ؛ ووالله لأضربنّ وجهها حتى أقمعها أو تُعييَنِي ؛ وإنى لرائد نفسى اليوم . ونزل . وسأل عن أهل الكوفة ، فأقيم على حال أهلها .

فكتب إلى عثمان بالذى انتهى إليه : إنّ أهلَ الكوفة قد اضطرب أمرُهم ، وغُلب أهل الشرف منهم والبُيُوتات والسابقة والقُدْمة ؛ والغالب على تلك البلاد روادف ردفت ، وأعراب لحقت ؛ حتى ما يُنظَر إلى ذى شرف ولا بلاء مِن نازلتها ولا نابتتها .

فكتب إليه عثمان : أمّا بعد ؛ ففضِّل أهل السابقة والقُدْمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد ، وليكن مَن نزلها بسببهم تبعًا لهم ؛ إلاّ أن يكونوا تثاقلوا عن الحقّ ، وتركوا القيام به وقام به هؤلاء . واحفظ لكلٍّ منزلته ، وأعطهم جميعًا بقسطهم من الحقّ ، فإنّ المعرفة بالناس بها يصاب العدْل .

٢٨٥٣/١ فأرسل سعيد إلى وجوه الناس من أهل الأيّام والقادسيّة ، فقال : أنتم وجوه مَن وراءكم ، والوجه ينبئ عن الجسد ؛ فأبلغونا حاجة ذى الحاجة وخَلّة ذى الخَلّة . وأدخل معهم مَن يحتمل من اللواحق والرّوادف ؛ وخلَص بالقرّاء والمتسمّتين فى سَمَره ، فكأنما كانت الكوفة يبْسًا شملته نار ؛ فانقطع إلى ذلك الضرب ضربُهم ، وفشت القالة والإذاعة .

فكتب سعيد إلى عثمان بذلك ، فنادى منادى عثمان : الصلاة جامعة ! فاجتمعوا ، فأخبرهم بالذى كتب به إلى سعيد ، وبالذى كتب به إليه فيهم ؛ وبالذى جاءه من القالَة والإذاعة ، فقالوا : أصبتَ فلا تُسعفهم فى ذلك ، ولا تُطعمهم فيما ليسوا له بأهل ، فإنه إذا نهض فى الأمور مَن ليس لها بأهل لم يحتملها وأفسدها .

---

(١) ابن الأثير : « يعينونه » .

فقال عثمان : يا أهلَ المدينة استعدّوا واستمسكوا، فقد دبّت إليكم الفتن . ونزل . فأوى إلى منزله، وتمثّل مثلَه ومثلَ هذا الضّرب الذين شرعوا فى الخلاف :

أبنى عُبَيْدٍ قد أتى أشياعَكمْ عنكم مَقالَتُكُمْ وشِعْرُ الشاعِرِ
فإذا أتَتكم هــذه فتلبَّسُوا إنّ الرّماحَ بَصيرةٌ بالحاسِرِ

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، قال : كان عثمان أروَى الناس للبيت والبيتين والثلاثة إلى الخمسة .

١/٢٨٥٤

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن عبد الله الجُمحىّ ، عن عبيد الله بن عمر ، قال : سمعته وهو يقول لأبى : إنّ عثمان جمع أهل المدينة ، فقال : يا أهلَ المدينة ؛ إنّ الناس يتمخّضون بالفتنة ، وإنى والله لأتخلّصنّ لكم الذى لكم حتى أنقله إليكم إن رأيتم ذلك ؛ فهل تروْنه حتى يأتىَ من شهد مع أهل العراق الفتوح فيه ، فيُقيم معه فى بلاده ؟ فقام أولئك، وقالوا: كيف تنقل لنا ما أفاء الله علينا من الأرضين يا أمير المؤمنين؟ فقال : نبيعها ممّن شاء بما كان له بالحجاز . ففرحوا وفتح الله عليهم به أمراً لم يكن فى حسابهم ؛ فافترقوا وقد فرّجها الله عنهم به . وكان طلحة ابن عبيد الله قد استجمع له عامّة سُهمان خيبر إلى ما كان له سوى ذلك، فاشترى طلحة منه مِن نصيب مَنْ شهد القادسيّة والمدائن من أهل المدينة ممن أقام ولم يهاجر إلى العراق النّشاستَج بما كان له بخيبر وغيرها من تلك الأموال ، واشترى منه ببئر أريس شيئاً كان لعثمان بالعراق ، واشترى منه مرْوان بن الحكَم بمال كان له أعطاه إيّاه عثمان نهر مَرْوان — وهو يومئذ أجَمة — واشترى منه رجال من القبائل بالعراق بأموال كانت لهم فى جزيرة العرب من أهل المدينة ومكّة والطائف واليمن وحضرموت ؛ فكان ممّا اشترى منه الأشعث بمال كان له فى حضرموت ما كان له بطيزناباذ . وكتب عثمان إلى أهل الآفاق فى ذلك وبعدّة جُرْبان الفىء، والفىء الذى يتداعاه أهلُ الأمصار ، فهو ما كان للملوك نحو كسرى وقيصر ومَن تابعهم من أهل بلادهم . فأجلى

١/٢٨٥٥

عنه، فأتاهم شيء عرفوه . وأخذ بقدر عدّة من شهدها من أهل المدينة ،وبقدر نصيبهم ، وضمّ ذلك إليهم ، فباعوه بما يليهم من الأموال بالحجاز ومكّة واليمن وحضر موت ، يردّ على أهلها الذين شهدوا الفتوح من بين أهل المدينة .

وكتب إلىّ السَّرىّ، عن شعيب ، عن سيف ،عن محمد وطلحة مثل ذلك ، إلاّ أنهما قالا : اشترى هذا الضَّرْب رجال من كلّ قبيلة ممن كان له هنالك شيء؛ فأراد أن يستبدل به فيما يليه ، فأخذوا، وجازلهم عن تراضٍ منهم ومن الناس وإقرار بالحقوق ؛ إلاّ أنّ الذين لا سابقة لهم ولا قُدمة لايبلغون مبلغَ أهل السابقة والقُدمة فى المجالس والرياسة والحظوة، ثم كانوا يعيبون التفضيل ، ويجعلونه جفوةً ، وهم فى ذلك يختفون به ولا يكادون يظهرونه ؛ لأنه لا حجّة لهم والناس عليهم ، فكان إذا لحق بهم لاحِق من ناشئ أو أعرابىّ أو محرَّر استحلى كلامهم ؛ فكانوا فى زيادة ، وكان الناس فى نقصان حتى غلّب الشرّ . ٢٨٥٦/١

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : صُرف حذيفة عن غزو الرّىّ إلى غزو الباب مَدَداً لعبد الرحمن بن ربيعة ، وخرج معه سعيد بن العاص،فبلغ معه أذْربيجان — وكذلك كانوا يصنعون ، يجعلون للناس ردْءاً — فأقام حتى قفل حذيفة ثم رجعا .

وفى هذه السنة — أعنى سنة ثلاثين — سقط خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من يد عثمان فى بئر أريس وهى على ميلين من المدينة ، وكانت من أقلّ الآبار ماء ، فما أدرِك حتى الساعة قعرها .

* * *

ذكر الخبر عن سبب سقوط الخاتم من يد عثمان فى بئر أريس

حدثنى محمد بن موسى الحرَشىّ ، قال : حدثنا أبو خلف عبد الله بن عَيسى الخزّاز . قال : وكان شريك يونس بن عبيد قال : حدثنا داود ابن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه

وسلم أراد أن يكتب إلى الأعاجم كتباً يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ ؛ فقال له رجل : يا رسولَ الله ؛ إنهم لا يقبلون كتاباً إلا مَختوماً ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعمل له خاتم من حديد ، فجعله فى إصبعه ، فأتاه جبريل ، فقال له : انبذه من إصبعك ، فنبذه رسول الله صلى الله عليه وسلم من إصبعه ، وأمر بخاتم آخر يُعمل له ، فعمل له خاتم من نُحاس ، فجعله فى إصبعه، فقال له جبريل عليه السلام : انبذه من إصبعك ، فنبذه رسول الله الله صلى الله عليه وسلم من إصبعه ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاتم من وَرِق ، فصنع له خاتم من وَرِق فجعله فى إصبعه ، فأقرّه جبريل ، وأمر أن ينقش عليه : «محمد رسول الله» ، فجعل يتختّم به ، ويكتب إلى من أراد أن يكتب إليه من الأعاجم ، وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر . فكتب كتاباً إلى كسرى بن هرمز ؛ فبعثه مع عمر بن الخطاب ، فأتى به عمر كسرى فقرئ الكتاب ، فلم يلتفت إلى كتابه ، فقال عمر : يا رسول الله ، جعلنى الله فداءك ! أنت على سرير مرمول[1] بالليف ، وكسرى بن هرمز على سرير من ذهب ، وعليه الدّيباج ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ! » . فقال : جعلنى الله فداءك ! قد رضيت .

١/٢٨٥٧

وكتب كتاباً آخر ، فبعث به مع دِحْية بن خليفة الكلبيّ إلى هرقل ملك الروم يدعوه إلى الإسلام ، فقرأه وضمّه إليه ، ووضعه عنده ؛ فكان الخاتم فى إصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختّم به حتى قبضه الله عزّ وجلّ ، ثم استخلف أبو بكر فتختّم به حتى قبضه الله عزّ وجلّ ، ثم ولى عمر بن الخطاب بعد فجعل يتختّم به حتى قبضه الله ، ثم ولى من بعده عثمان ابن عفان ، فتختّم به ستّ سنين ، فحفر بئراً بالمدينة شِرْباً للمسلمين ، فقعد على رأس البئر ، فجعل يعبث بالخاتم ، ويُديره بإصبعه ، فانسلّ الخاتم من إصبعه فوقع فى البئر ، فطلبوه فى البئر ، ونزحوا ما فيها من الماء ، فلم يقدروا عليه ، فجعل فيه مالاً عظيماً لمن جاء به ، واغتمّ لذلك غمّاً شديداً ، فلما يئس من الخاتم أمر فصنع له خاتم آخر مثله ، خلْقه من فضّة ، على مثاله

١/٢٨٥٨

---

(١) مرمول ، أى منسوج .

وشبهه ، ونقش عليه : « محمد رسول الله » ؛ فجعله فى إصبعه حتى هلك ؛ فلما قتِل ذهب الخاتم من يده فلم يُدْرَ مَن أخذه .

* * *

أخبار أبى ذرّ رحمه الله تعالى

وفى هذه السنة — أعنى سنة ثلاثين — كان ما ذكر من أمر أبى ذرّ ومعاوية ، وإشخاص معاوية إيّاه من الشأم إلى المدينة ، وقد ذكر فى سبب إشخاصه إيّاه منها إليها أمور كثيرة ، كرهت ذكر أكثرها .

فأما العاذرون معاوية فى ذلك ، فإنهم ذكروا فى ذلك قصّةً كتب إلىّ بها السرىّ، يذكر أن شعيبًا حدّثه عن سيف ، عن عطيّة ، عن يزيد الفقعسىّ ، قال : لما ورد ابنُ السوداء[١] الشأم لقى أبا ذرّ ، فقال : يا أبا ذرّ ، ألا تعجب إلى معاوية ، يقول : المال مال الله ! ألا إنّ كلّ شىء لله كأنه يريد أن يحتجِنه[٢] دون المسلمين ، ويمحو اسم المسلمين . فأتاه أبو ذرّ ، فقال : ما يدعوك إلى أن تسمّى مالَ المسلمين مال الله! قال : يرحمك الله يا أبا ذرّ ؛ ألسنا عبادَ الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره ! قال : فلا تقله ، قال : فإنى لا أقول : إنه ليس لله ، ولكن سأقول : مال المسلمين. ١/٢٨٥٩

قال : وأتى ابن السوداء أبا الدّرداء ، فقال له : مَنْ أنت ؟ أظنّك والله يهوديًّا ! فأتى عُبادةَ بن الصامت فتعلّق به ، فأتى به معاويةَ ، فقال : هذا والله الذى بعث عليك أبا ذرّ ، وقام أبو ذرّ بالشأم وجعل يقول : يا معشرَ الأغنياء ، واسوا الفقراء . بُشّر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاوٍ من نار تكوَى بها جباهم وجنوبهم وظهورهم . فما زال حتى ولِع الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكا الأغنياء ما يلقَوْن من الناس .

فكتب معاوية إلى عثمان : إنّ أبا ذرّ قد أعضَل[٣] بى ، وقد كان من أمره كَيْتَ وكَيْتَ . فكتب إليه عثمان : إن الفتنة قد أخرجت خَطْمها وعينيها ،

---

(١) ابن السوداء ؛ هو عبد الله بن سبأ .

(٢) النويرى : « يحتجبه » .

(٣) يقال : أعضل به الأمر ؛ إذا ضاقت عليه فيه الحيل .

فلم يبقَ إلا أن تثب ، فلا تنكأ القَرْح ، وجهّز أبا ذر إلىّ ، وابعث معه دليلا وزوّده ، وارفق به ، وكفكف الناس ونفسك ما استطعت ؛ فإنما تُمسِك ما استمسكت . فبعث بأبى ذرّ ومعه دليل ؛ فلمّا قدم المدينة ورأى المجالس ٢٨٦٠/١ فى أصل سَلْع ، قال : بشّر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مِذْكار[١] .

ودخل على عثمان فقال : يا أبا ذرّ ، ما لأهل الشام يشكون ذَرَبك ! فأخبره أنه لا ينبغى أن يقال : مال الله ، ولا ينبغى للأغنياء أن يقتنوا مالا . فقال : يا أبا ذرّ ، علىّ أن أقضىَ ما علىّ ، وآخذ ما على الرعيّة ، ولا أجبرهم على الزّهد ، وأن أدعوَهم إلى الاجتهاد والاقتصاد .

قال : فتأذن لى فى الخروج ، فإنّ المدينة ليست لى بدار ؟ فقال : أوَ تستبدل بها إلا شرًّا منها ! قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخرُج منها إذا بلغ البناء سَلْعًا ؛ قال : فانفُذ لما أمرك به . قال : فخرج حتى نزل الربَذة ، فخطّ بها مسجداً ، وأقطعه عثمان صِرْمة[٢] من الإبل وأعطاه مملوكين ، وأرسل إليه : أن تعاهد المدينة حتى لا ترتدّ أعرابيًّا ؛ ففعل.

وكتب إلىّ السّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عون ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان أبو ذرّ يختلف من الربَذة إلى المدينة مخافة الأعرابيّة ، وكان يحِبّ الوحدة والخلْوة . فدخل على عثمان ، وعنده كعب الأحبار ، فقال لعثمان : لا ترضوْا من الناس بكفّ الأذى حتى يبذلوا المعروف ؛ وقد ينبغى للمؤدى الزكاة ألاّ يقتصر عليها حتى يحسن إلى الجيران والإخوان ، ويصل القرابات . فقال كعب : مَنْ أدّى ٢٨٦١/١ الفريضة فقد قضى ما عليه . فرفع أبو ذرّ مِحْجنه فضربه فشجّه ، فاستوهبه عثمان ، فوهبه له ، وقال : يا أبا ذرّ ، اتّق الله واكفف يدك ولسانك ، وقد كان قال له : يابنَ اليهوديّة ، ما أنت وما هاهنا ! والله لتسمعنّ منى أو لأدخلنّ عليك .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأشعث بن سوّار ، عن محمد بن سيرين ، قال : خرج أبو ذرّ إلى الربذة من قِبَل نفسه لما رأى

(١) حرب مذكار : ذات أهوال . (٢) الصرمة من الإبل : ما بين العشرين والثلاثين .

عثمان لا ينزع له ، وأخرج معاوية أهله من بعده ، فخرجوا إليه ومعهم جِراب يثقِل يدَ الرجل، فقال: انظروا إلى هذا الذى يُزهّد فى الدنيا ما عنده! فقالت امرأته: أما والله ما فيه دينار ولا درهم ، ولكنها فلوس كان إذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلوساً لحوائجنا .

ولما نزل أبو ذرّ الربَذة أقيمت الصلاة ، وعليها رجل يلى الصدقة، فقال : تقدّم يا أبا ذرّ، فقال : لا ، تقدّم أنت ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى: « اسمع وأطِع ، وإن كان عليك عبد مجدّع »، فأنت عبد ولست بأجدع — وكان من رقيق الصدقة؛ وكان أسود يقال له مجاشع .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشّر بن الفُضيل ، عن جابر ، قال : أجرى عثمان على أبى ذرّ كلّ يوم عظماً ، وعلى رافع ابن خَديج مثله ، وكانا قد تنحّيا عن المدينة لشىء سمعاه لم يفسَّر لهما ، وأبصرا وقد أخطئا .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن سُوقة ، عن عاصم بن كُلَيب ، عن سلَمة بن نُباتة ، قال : خرجنا معتمرين ، ١/٢٨٦٢ فأتينا الرَّبَذة ، فطلبنا أبا ذرّ فى منزله ، فلم نجده ، وقالوا: ذهب إلى الماء. فتنحّينا ، ونزلنا قريباً من منزله ، فمرّ ومعه عَظْم جزُور يحمله معه غلام، فسلّم ثم مضى حتى أتى منزلَه ، فلم يمكث إلاّ قليلا حتى جاء ، فجلس إلينا وقال : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لى : « اسمع وأطِع وإن كان عليك حبشىّ مجدّع [1] »، فنزلت هذا الماء وعليه رقيق من رقيق مال الله، وعليهم حبشىّ — وليس بأجدع ، وهو ما علمت ، وأثنى عليه — ولهم فى كلّ يوم جزور ؛ ولى منها عظم آكله أنا وعيالى . قلت : مالَكَ من المال ؟ قال : صِرمة من الغنم وقطيع من الإبل ، فى أحدهما غلامى وفى الآخر أمتِى ، وغلامى حُرّ إلى رأس السنة . قال : قلت : إنّ أصحابك قِبَلنا أكثر الناس مالاً ، قال : أمَا إنهم ليس لهم فى مال الله حق إلاّ ولى مثله .

---

(١) فى نهاية ابن الأثير ١ : ١٤٨ : « مجدع الأطراف »، قال: « أى مقطع الأعضاء ؛ والتشديد للتكثير » .

وأمّا الآخرون ، فإنهم روَوْا فى سبب ذلك أشياء كثيرة ، وأموراً شنيعة[١] ، كرهت ذكرها .

* * *

[ذكر هرب يزدجرد إلى خراسان]

وفى هذه السنة ، هرب يَزْدَجِرد بن شهريار فى قول بعضهم من فارس إلى خراسان .

• ذكر من قال ذلك وما قال فيه :

ذكر علىّ بن محمد أنّ مسلمة أخبره عن داود ، قال : قدِم ابنُ عامر البَصرة ، ثمّ خرج إلى فارس فافتتحها ، وهرب يَزْدَجِرد من جُوز — ٢٨٦٣/١ وهى أردشير خُرّه — فى سنة ثلاثين . فوجّه ابنُ عامر فى أثره مجاشعَ بن مسعود السُّلَمى ، فأتبعه إلى كَرْمان ، فنزل مجاشع السِّيرَجان بالعسكرِ ، وهرب يَزْدَجرد إلى خُراسان . قال : وعبدُ القيس تقول : وجّه ابنُ عامر هرِمَ ابن حيّان العبدىّ ، وبكر بن وائل تقول : وجّه ابنَ حسان اليشكرىّ . قال : وأصحّه عندنا مجاشع .

قال علىّ : وأخبرَنا سلَمة بن عثمان — وكان فاضلا — عن شيخ من أهل كَرْمان والفضلِ الكَرمانىّ ، عن أبيه ، قال : اتّبع مجاشع يَزْدَجِردَ فخرج من السِّيرَجان ، فلما كان عند القصر فى بِيمَند[٢] — وهو الذى يقال له قصر مجاشع — أصابهم الثلج والدَّمَق[٣] ، فوقع الثلج ، واشتدّ البرد ، وصار الثلج قامة رُمْح ، فهلك الجند ، وسلم مجاشع ورجل كانت معه جارية ، فشقّ

(١) ف : « شنعة » .

(٢) بيمند بكسر الباء وفتح الميم ؛ ويقال « مينمند » بالميم : رستاق بفارس . وانظر ياقوت .

(٣) الدمق ، بالتحريك : الثلج مع الريح يغشى الإنسان من كل أوب ، حتى يكاد يقتل من يصيبه ، فارسى معرب .

بطن بعير ، فأدخلها فيه وهرب ؛ فلمّا كان من الغد ، جاء فوجدها حيّة فحملها ، فسُمّىَ ذلك القصر قصر مجاشع ؛ لأن جيشه هلكوا فيه ؛ وهو على خمسة فراسخ أو ستّة من السّيرَجان .

١/٢٨٦٤ قال علىّ : أخبرنا أبو المقدام ، عن بعض مشيخته ، قال : خرج مجاشع على وفدِ أهل البصرة من تُستَر — وفيهم الأحنف — وأخذ فى غداة واحدة على لجام واحد خمسين ألفًا ، سبق على الصّفراء ابنة الغرّاء ابنة الغَبْراء ، فأخذها منه عمر حين قاسم عمّاله الأموال .

قال علىّ : فقلت للنضر بن إسحاق : إنّ أبا المقدام ذكر هذا الحديث ! فقال : صدقَ ، سمعته من عدّة من الحىّ وغيرهم ، وفرسُه الصفراء ابنة الغرّاء ابنة الغبراء . وهو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن عائذ بن وهب بن ربيعة بن يَربوع بن سَمّال بن عوف بن امرئ القيس بن بُهْثة بن سُلَيم . ويكنى أبا سليمان .

* * *

قال : وفى هذه السنة زاد عثمان النّداء الثالث على الزّوراء ، وصلّى بمنًى أربعًا .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عثمان رضى الله عنه .

١/٢٨٦٥

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فممّا كان فيها من ذلك غزوة المسلمين الرّوم التى يقال لها :

غزوة الصوارى

فى قول الواقدىّ . فأمّا أبو معشر فإنه قال فيما حدّثنى أحمد بن ثابت الرازىّ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه : كانت غزوة الصّوارى سنة أربع وثلاثين ؛وقال : كانت فى سنة إحدى وثلاثين الأساودة فى البحر ووقائع كسرى .

وقال الواقدىّ : غزوة الصوارى والأساودة كلتاهما كانتا فى سنة إحدى وثلاثين .

* ذكر الخبر عن هاتين الغزوتين :

ذكر الواقدىّ أن محمد بن صالح حدّثه ، عن عاصم بن عمر[1] بن قتادة ، أنّ أهل الشأم خرجوا ؛ عليهم معاوية بن أبى سفيان ، وكانت الشأم قد جُمع جمعها لمعاوية بن أبى سفيان .

* ذكر السبب فى جمعها له :

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك والربيع وأبى مجالد وأبى عثمان وأبى حارثة، قالوا : لما حُضِر[2] أبو عبيدة استخلَف على عَمله عياض بن غَنْم — وهو خاله وابن عمّه — وقد كان ولىَ بالجزيرة عملاً ، فعزله عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ فلحق بأبى عبيدة بالشأم ؛ ١/٢٨٦٦

---

(١) ط : « عمير » ، تحريف .

(٢) يقال : حضر المريض واحتضر ، إذا نزل به الموت .

وكان معه ؛ وكان جواداً مشهوراً بالجود ، لا يَليق[1] شيئاً ، ولا يمنع أحداً . فكلَّم عمر فى ذلك ، فقيل له : عزلت خالداً وعتبتَ عليه العطاء ، وعياض أجود العرب وأعطاهم ؛ لا يمنع شيئاً يُسأله ؛ فقال عمر : متى سِيمتَه عياض فى ماله[2] حتى يخلص إلىِ ما لنا ! وإنى مع ذلك لم أكن مغيِّراً أمراً قضاه أبوعبيدة . ومات عياض بن غَنْم بعد أبى عبيدة ، فأمّر عمر على عمله سعيد بن حِذْيم الجُمَحىّ ، ومات سعيد بعدُ ؛ فأمّر عمر مكانه عُمير بن سعد الأنصارىّ ؛ ومات عمر ومعاوية على دمشق والأُردنّ ، وعمير بن سعد على حِمْص وقنَّسْرين ؛ وإنما مصّر قِنَّسرين معاوية بن أبى سفيان لمن لحق به من أهل العراقين ومات يزيد بن أبى سفيان ، فجعل عمر مكانه معاوية ونعاه لأبى سفيان ، فقال : مَنْ جعلتَ على عمله يا أمير المؤمنين ؟ فقال : معاوية ، فقال : وصلتك رَحِم ؛ فاجتمعت لمعاوية الأردنّ ودمشق ؛ ومات عمر ومعاوية على دمشق والأردنّ وعمير بن سعد على حمْص وقِنَّسرين ، وعلقمة ابن مجزّز على فلسطين وعمرو بن العاص على مصر .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشّر ، عن سالم ، قال : كان أوّل عامل استعمله عثمان بن عفان سعد بن أبى وقّاص عن وصيّة عمر . ثمّ إنّ عمير بن سعد طُعِن فأضنى[3] منها ، فاستعفى عثمان واستأذنه فى الرجوع إلى أهله ؛ فأذن له ؛ وضمّ حِمْص وقنَّسرين إلى معاوية . ٢٨٦٧/١

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى حارثة وأبى عثمان ، عن خالد بن مَعْدان ؛ قال : لمّا ولى عثمان أقرّ عمال عمر على الشام ؛ فلما مات عبد الرحمن بن علقمة الكنانىّ — وكان على فلسطين — ضمّ عمله إلى معاوية ، ومرض عُمَير بن سعد فى إمارة عثمان مرضاً طال به ، فاستعفاه واستأذنه فأذن له ، وضمّ عمله إلى معاوية ؛ فاجتمع الشأم على معاوية لسنتين

(١) يقال : فلان ما يليق درهماً من جوده ؛ أى ما يمسكه .
(٢) كذا ورد فى التعليقات ، وفى ط : « حتى سيمه » ؛ وكلاهما غير واضح .
(٣) أضنى : أصابه الضنى فلزم الفراش .

من إمارة عثمان . وكان عمرو بن العاص على مصر زمانَ عمر ، مجتمعةً له ، فأقرّه عثمان صَدْراً من إمارته .

* * *

* رجع الحديث إلى حديث الواقديّ عن خبر الغزوتين اللّتين ذكرتهما :

إنّ أهل الشام خرجوا ، عليهم[1] معاوية بن أبى سفيان ، وعلى أهل البَحْر عبد الله بن سعد بن أبِى سَرْح . وقال : وخرج عامئذ قسطنطين بن هِرَقل لما أصاب المسلمون منهم بإفريقيَة ، فخرجوا فى جَمْعٍ لم يجتمع للرّوم مثله قطّ منذ كان الإسلام ، فخرجوا فى خمسمائة مركَب ؛ فالتقوْا هم وعبد الله بن سعد ، فأمّن بعضهم بعضاً حتى قرنوا بين سفن المسلمين وأهل الشرك بين صواريها[2] .

قال ابن عمر : حدّثنى عيسى بن علقمة ، عن عبد الله بن أبى سفيان ، عن أبيه ، عن مالك بن أوس بن الحدَثان ، قال : كنت معهم ، فالتقينا فى البحر ، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلَها قطّ ؛ وكانت الريح علينا ، فأرسينا ساعة ، وأرسوْا قريباً منا ؛ وسكنت الرّيح عنّا ، فقلنا : الأمن بيننا وبينكم . قالوا : ذلك لكم ولنا منكم ، ثم قلنا : إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم ؛ وإن شئتم فالبحر . قال : فنخروا نخرة واحدة ، وقالوا : الماء ؛ فدنونا منهم ، فربطنا السفنَ بعضها إلى بعض حتى كنّا يضرب بعضنا بعضاً على سفننا وسفنهم ؛ فقاتلنا أشدّ القتال ، ووثبت الرّجال على الرّجال يضطربون بالسيوف على السفن ، ويتواجئون بالخناجر ، حتى رجعت الدّماء إلى الساحل تضربها الأمواج ، وطرحت الأمواج جثث الرجال رُكاماً .

٢٨٦٨/١

قال ابن عمر : فحدّثنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عمّن حضر ذلك اليوم ، قال : رأيت الساحل حيث تضرب الريح الموج ، وإنّ عليه لمثلَ الظَّرِب[3] العظيم من جثث الرجال ؛ وإنّ الدم لغالب على

(١) ابن حبيش : «وعليهم » .
(٢) الصوارى : جمع صار ؛ وهو الخشبة المعترضة وسط السفينة .
(٣) الظرب : مانتأ من الحجارة وحدد طرفه .

الماء، ولقد قتل يومئذ من المسلمين بشر كثير، وقتل من الكفار ما لا يحصى، وصبروا يومئذ صبراً لم يصبروا فى موطن قطّ [مثله][١] . ثم أنزل الله نصرَه ٢٨٦٩/١ على[٢] أهل الإسلام[٢]، وانهزم القسطنطين مدبراً، فما انكشف إلاّ لما أصابه من القتل والجراح؛ ولقد أصابه يومئذ جراحات مكث منها حيناً جريحاً .

قال ابن عمر : حدّثنى سالم مولى أمّ محمد، عن خالد بن أبى عمران، عن حَنَش بن عبد الله الصنعانىّ، قال : كان أوّل ما سُمع من محمد بن أبى حُذيفة حين ركب الناس البحر سنة إحدى وثلاثين، لمّا صلى عبد الله بن سعد بن أبى سرْح بالناس العصر، كبّر محمد بن أبى حذيفة تكبيراً ورفع صوته حتى فرغ الإمام عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح؛ فلما انصرف سأل : ما هذا؟ فقيل له : هذا محمد بن أبى حذيفة يكبّر، فدعاه عبد الله بن سعد، فقال له : ما هذه البدعة والحدَث؟ فقال له : ما هذه بدعة ولاحدَث؛ وما بالتّكبير بأس، قال : لا تعودنّ .

قال : فأسكَت[٣] محمد بن أبى حذيفة، فلمّا صلّى المغرب عبد الله بن سعد كبّر محمد بن أبى حُذيفة تكبيراً أرفع من الأوّل، فأرسل إليه : إنّك غلام أحمق؛ أما والله لولا أنى لا أدرى ما يُوافق أمير المؤمنين لقاربتُ بين خطْوِك . فقال محمد بن أبى حذيفة : والله مالَكَ إلى ذلك سبيل؛ ولو هممتَ به ما قدرتَ عليه . قال : فكُفّ خيرٌ لك؛ والله لا تركب معنا، قال : ٢٨٧٠/١ فأركبُ مع المسلمين؟ قال: اركبْ حيث شئتَ . قال: فركب فى مركب وحدَه ما معه إلا القِبْط؛ حتى بلغوا ذات الصوارى؛ فلقُوا جموع الرّوم فى خمسمائة مركب أو ستمائة فيها القسطنطين بن هرقل، فقال : أشيروا علىّ، قالوا : ننظر الليلة، فباتوا يضربون بالنّواقيس، وبات المسلمون يصلّون ويدعون الله .

ثم أصبحوا وقد أجمع القسطنطين أن يقاتل، فقرّبوا سفنَهم، وقرّب المسلمون فربطوا بعضها إلى بعض، وصفّ عبد الله بن سعد المسلمين على

---

(١) من ابن حبيش . (٢-٢) ابن الأثير : « المسلمين » .
(٣) أسكت الرجل : انقطع كلامه .

نواحي السفن ، وجعل يأمرهم بقراءة القرآن ، ويأمرهم بالصبر ، ووثبت الرّوم في سفن المسلمين على صفوفهم حتّى نقضوها ؛ فكانوا يقاتلون على غير صفوف. قال : فاقتتلوا قتالا شديداً . ثم إنّ الله نصر المؤمنين ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم ينجُ من الرّوم إلاّ الشريد .

قال: وأقام عبد الله بذات الصوارى أيّامًا بعد هزيمة القوم ؛ ثم أقبل راجعًا ؛ وجعل محمد بن أبى حُذيفة يقول للرجل : أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقًّا ، فيقول الرجل : وأىّ جهاد ؟ فيقول : عثمان بن عفان فعل كذا وكذا ، وفعل كذا وكذا حتى أفسد الناس . فقدموا بلدَهم وقد أفسدهم ، وأظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به .

قال محمد بن عمر : فحدّثنى معمر بن راشد ، عن الزُّهرىّ ، قال : خرج محمد بن أبى حُذيفة ومحمد بن أبى بكر عامَ خرج عبد الله بن سعد ، ١/٢٨٧١ فأظهرا عيب عثمان وما غيّر وما خالف به أبا بكر وعمر ؛ وأنّ دم عثمان حلال. ويقولان : استعملَ عبدَ الله بن سعد ؛ رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أباح دمه ونزل القرآن بكفره ، وأخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قومًا وأدخلهم ، ونزع أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر . فبلغ ذلك عبدَ الله بن سعد ، فقال : لا تركبا معنا ، فركبا فى مركب ما فيه أحد من المسلمين ، ولقُوا العدوّ ؛ وكانا أكلّ المسلمين قتالا ، فقيل لهما فى ذلك ، فقالا : كيف نقاتل مع رجل لا ينبغى لنا أن نحكّمه ! عبد الله بن سعد استعمله عثمان ، وعثمان فعل وفعل ؛ فأفسدا أهلَ تلك الغزاة ، وعابا عثمان أشدّ العيب . فأرسل عبدُ الله بن سعد إليهما ينهاهما أشدّ النّهى ، وقال: والله لولا أنى لا أدرى ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما .

قال الواقدىّ : وفى هذه السنة تُوُفِّىَ أبو سفيان بن حَرْب وهو ابن ثمان وثمانين سنة .

وفى هذه السنة – أعنى سنة إحدى وثلاثين – فتحت فى قول الواقدىّ أرمينيَة على يدىْ حبيب بن مسلمة الفهرىّ .

[ذكر الخبر عن مقتل يزدجرد ملك فارس]

١/٢٨٧٢

وفى هذه السنة قتِل يزدجرد ملك فارس .

• ذكر الخبر عن سبب مقتله :

اختُلف فى سبب مقتله ؛ وكيف كان ذلك ؛ فقال علىّ بن محمد : أخبرنا غياث بن إبراهيم ، عن ابن إسحاق ، قال : هرب يزدَجرد من كَرْمان فى جماعة يسيرة إلى مَرْو ، فسأل مرزبانها مالاً فمنعه، فخافوا على أنفسهم ، فأرسلوا إلى الترك يستنصرونهم عليه ، فأتوه فبيّتوه، فقتلوا أصحابه ، وهرب يزْدَجرد حتى أتى منزلَ رجل ينقر الأرحاء على شطّ المَرْغاب ، فأوى إليه ليلا ، فلما نام قتله .

قال علىّ : وأخبرنا الهذلىّ ، قال : أتى يزْدَجرد مَرْوَ هاربًا من كَرْمان ، فسأل مرزبانها وأهلها مالاً ، فمنعوه وخافوه ، فبيّتوه ولم يستجيشوا عليه الترك ، فقتلوا أصحابَه ، وخرج هاربًا على رجليه ، معه منطقته وسيفه وتاجه؛ حتى انتهى إلى منزل نقّار على شطّ المَرغاب ، فلما غفل يزدجرد قتله النّقار ،وأخذ متاعه وألقى جسده فى المَرْغاب ، وأصبح أهل مَرْو فاتّبعوا أثره، حتى خفِىَ عليهم عند منزل النقّار ، فأخذوه ، فأقرّ لهم بقتله وأخرج متاعه؛ فقتلوا النقّار وأهل بيته ، وأخذوا متاعه ومتاع يزدجرد ، وأخرجوه من المَرْغاب فجعلوه فى تابوت من خشب .

قال : فزعم بعضهم أنهم حملوه إلى إصطَخْر فدفن بها فى أول سنة إحدى وثلاثين ، وسمِّيت مَرْو «خذاه دُشْمَن»،وقد كان يزْدَجرد وطئ امرأة بها فولدت له غلامًا ذاهب الشقّ — وذلك بعد ماقتِل يزْدَجرد — فسمى المُخدَج، فوُلد له أولاد بخراسان ، فوجد قُتيبة حين افتتح الصُّغد أو غيرها جاريتيْن فقيل له : إنّهما من وَلَد المخدَج ، فبعث بهما — أو بإحداهما — إلى الحجاج بن يوسف ، فبعَث بها[1] إلى الوليد بن عبد الملك، فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقصَ .

١/٢٨٧٣

قال علىّ : وأخبرنا رَوْح بن عبد الله ، عن خُرْدَاذبه الرازىّ ؛ أنّ

(١) ابن حبيش : « بهما » .

يَزْدَجرد أتى خُراسان ومعه خُرَّزاذمهر ، أخو رستَم ، فقال لماهويه مرزبان مَرْوَ : إنى قد سلّمت[1] إليك الملك . ثم انصرف إلى العراق وأقام يَزْدَجرد بمَرْو ، وهمّ بعزل ماهويه ، فكتب ماهويه إلى الترك يخبرهم بانهزام يَزْدَجرد وبقدومه عليه ، وعاهدهم على مؤازرتهم عليه ، وخلّى لهم الطريق .

قال : وأقبل الترك إلى مَرْوَ ، وخرج إليهم يَزْدَجرد فيمن معه من أصحابه ، فقاتلهم ومعه ماهويه فى أساورة مَرْو ، فأثخن يَزْدَجرد فى الترك ، فخشى ماهويه أن ينهزم الترك ، فتحوّل إليهم فى أساورة مَرْو ، فانهزم جندُ يَزْدَجرد وقتِلوا ، وعُقِر فرس يَزْدَجرد عند المساء ، فمضى ماشياً هارباً حتى انتهى إلى بيت فيه رحًا على شطّ المَرغاب ، فمكث فيه ليلتين ، فطلبه ماهويه فلم يقدر عليه ، فلما أصبح اليوم الثانى دخل صاحب الرّحا بيتَه ، فلما رأى هيئة يَزْدَجرد قال: ما أنت ؟ إنسىّ أو جنىّ ! قال : إنسىّ ؛ فهل عندك طعام ؟ قال : نعم ، فأتاه به ، فقال : إنى مُزمزِم فأتنى بما أزمزم به ، فذهب الطحان إلى إسوار من الأساورة ، فطلب منه ما يزمزم به ، قال: وما تصنع به ؟ قال : عندى رجل لم أرَ مثله قطّ ، وقد طلب هذا منى . فأدخله على ماهويه ، فقال : هذا يَزْدَجرد ، اذهبوا فجيئُونى برأسه، فقال له الموْبَذ: ليس ذلك لك، قد علمتَ أنّ الدِّين والمُلْك مقترنان لا يستقيم أحدهما إلاّ بالآخر ، ومتى فعلتَ انتهكت الحُرْمة التى لا بعدها . وتكلم الناس وأعظموا ذلك، فشتَمهم ماهويه، وقال للأساورة : مَن تكلم فاقتلوه. وأمر عِدّة فذهبوا مع الطّحان ، وأمرهم أن يقتلوا يَزْدَجرد، فانطلقوا فلما رأوه كرهوا قتْله ، وتدافعوا ذلك وقالوا للطحان : ادخل فاقتله ، فدخل عليه وهو نائم ومعه حجر فشدخ به رأسَه ، ثم احتزّ رأسه ، فدفعه إليهم، وألقى جسده فى المَرْغاب . فخرج قوم من أهل مَرْوَ ، فقتلوا الطّحان ، وهدموا رحاه ، وخرج أسقُفُ مَرْو ، فأخرج جسد يَزْدَجرد من المرغاب ، فجعله فى تابوت ، وحَمله إلى إصطخر ، فوضعه فى ناووس.

(١) ابن حبيش : « أسلمت » .

١/٢٨٧٤

١/٢٨٧٥

وقال آخرون فى ذلك ماذكر هشام بن محمد؛ أنه ذُكِر له أن يَزْدَجِرد هرب بعد وقعة نِهاوند ، وكانت آخر وقعاتهم حتى سقط إلى أرض إصبَهان ، وبها رجل يقال له مطيار من دَهاقينها — وهو المنتدب كان لقتال العرب حين نَكَلَت الأعاجم عنها — فدعاهم إلى نفسه ، فقال: إن ولِّيتُ أمورَكم وسرت بكم إليهم ما تجعلون لى ؟ فقالوا : نُقِرّ لك بفضلك . فسار بهم ، فأصاب من العرب شيئًا يسيراً ، فحظِىَ به عندهم ، ونال به أفضلَ الدرجات فيهم . فلما رأى يَزْدَجِرد أمرَ إصبَهان ونزلها ، أتاه مطيار ذات يوم زائراً ، فحجبه بوابه ، وقال له: قف حتى أستأذن لك عليه، فوثب عليه فشجّه أنَفَةً وحميّة لحجبه إيّاه ، ودخل البواب على يَزْدَجِرد مدمًّى ، فلمّا نظر اليه أفظعه ذلك ، وركب من ساعته مرتحلاً عن إصبهان ، وأشير عليه أن يأتىَ أقصى مملكته فيكون بها ، لاشتغال العرب عنه بما هم فيه إلى يوم . فسار متوجّهًا إلى ناحية الرّىّ ، فلما قدمها خرج إليه صاحب طَبَرِستان ، وعرض عليه بلادَه ، وأخبره بحصانتها ، وقال له : إن أنت لم تجبنى يومَك هذا ثم أتيتنى بعد ذلك لم أقبلك ولم آوِك ؛ فأبى عليه يَزْدَجِرد ، وكتب له بالإصبَهبذيّة ، وكان له فيما خلا عليه درجة أوضع منها .

وقال بعضهم : إنّ يَزْدَجِرد مضى من فوره ذلك إلى سجِسْتان ، ثمّ سار منها إلى مَرْوَ فى ألف رجل من الأساورة . ٢٨٧٦/١

وقال بعضهم: إنّ يَزْدَجِرد وقع إلى أرض فارس، فأقام بها أربع سنين ، ثم أتى أرض كِرْمان ، فأقام بها سنتين أو ثلاث سنين ؛ فطلب إليه دِهقان كَرْمان أن يقيمَ عنده، فلم يفعل ؛ وطلب من الدّهقان أن يعطيَه رهينة ، فلم يعطه دِهقان كَرْمان شيئًا ، فلم يعطه ما طلب ، فأخذ برجله فسحبه وطرده عن بلاده ؛ فوقع منها إلى سجِسْتان ، فأقام بها نحواً من خمس سنين . ثمّ أجمع أن ينزل خُراسان فيجمع الجموع فيها ويسير بهم إلى من غَلَبه على مملكته ، فسار بمَنْ معه إلى مَرْو ، ومعه الرُّهُن من أولاد الدّهاقين ، ومعه من رُؤسائهم فرُّخزاذ ؛ فلما قدم مَرْو استغاث منهم بالملوك ، وكتب إليهم يستمدّهم ، وإلى صاحب الصين وملك فَرْغانة وملك كابُل وملك الخَزَر

والدّهقان يومئذ بمرْو ماهويه بن مافناه بن فيد أبو بـَراز . ووكّل ماهويه ابنه براز مدينة مـَرْو — وكانت إليه — وأراد يـَزْدَجـِرد دخول المدينة لينظر إليها وإلى قُهـَنـْدزها — وكان ماهويه قد تقدّم إلى ابنه ألاّ يفتحها له إن رام دخولها تخوّفـًا لمكره وغدره — فركب يـَزْدَجـِرد فى اليوم الذى أراد دخولها ، فأطاف بالمدينة ، فلما انتهى إلى باب من أبوابها ، وأراد دخولها منه صاح أبو بـَراز ببـَراز : أن افتح — وهو فى ذلك يشدّ مـِنطقته ، ويومـِئ إليه ألاّ يفعل — وفطن لذلك رجل من أصحاب يـَزْدَجـِرد ، فأعلمه ذلك ، واستأذنه فى ضَرْب عنق ماهويه ، وقال : إن فعلت صفتْ لك الأمور بهذه الناحية ؛ فأبى عليه .

١/٢٨٧٧

* * *

وقال بعضهم : بل كان يـَزْدَجـِرد ولـّى مـَرْو فـَرّخزاذ ، وأمر بـَراز أن يدفع القُهـَندز والمدينة إليه ، فأبى أهل المدينة ذلك ؛ لأن ماهويه أبا براز تقدّم إليهم بذلك ، وقال لهم : ليس هذا لكم بملك ، فقد جاءكم مفلولاً مجروحـًا ، ومـَرْو لا تحتمل ما يحتمل غيرها من الكُوَر ، فإذا جئتكم غداً فلا تفتحوا الباب . فلما أتاهم فعلوا ذلك ، وانصرف فرّخزاذ ، فجثا بين يدى يـَزْدَجـِرد ، وقال : استصعبتْ عليكَ مـَرْو ؛ وهذه العرب قد أتتك . قال : فما الرأى ؟ قال : الرأى أن نلحق ببلاد الترك ونقيم بها ، حتى يتبيّن لنا أمر العرب ؛ فإنهم لا يـَدَعون بلدة إلاّ دخلوها . قال : لست أفعل ؛ ولكنى أرجع عـَوْدِى على بدئى ؛ فعصاه ولم يقبل رأيه ، وسار يـَزْدَجـِرد ، فأتى بـَراز دِهقان مـَرْو ، وأجمع على صرف الدّهقنة إلى سِنـْجان ابن أخيه ، فبلغ ذلك ماهويه أبا براز ، فعمـِل فى هلاك يـَزْدَجـِرد وكتب إلى نـَيـْزك طـَرْخان يخبره أنّ يـَزْدَجـِرد وقع إليه مفلولا ، ودعاه إلى القُدوم عليه لتكون أيديهما معـًا فى أخذه ، والاستيثاق منه ، فيقتلوه أو يصالحوا عليه العرب ، وجعل له إن هو أراحه منه أن يفىَ له كلّ يوم بألف درهم ، وسأله أن يكتب إلى يـَزْدَجـِرد مماكراً له لينحـّىَ عنه عامـّة جنده ، ويحصل فى طائفة من عسكره وخواصّه ، فيكون أضعف لرُكنه ، وأهـْون لشوكته ، وقال : تـُعـْلـِمه فى كتابك إليه الذى عزمتَ عليه ؛ من مناصحته ومعونته على عدوّه من العرب ، حتى

١/٢٨٧٨

يقهرهم ، وتطلب إليه أن يشتقّ لك اسمًا من أسماء أهل الدّرجات بكتاب مختوم بالذهب ، وتُعلِمه أنك لستَ قادمًا عليه حتى يُنَحِّيَ عنه فرّخزاذ .

فكتب نَيْزك بذلك إلى يَزْدَجِرد ، فلمّا ورد عليه كتابه بعث إلى عظماء مَرْو فاستشارهم ، فقال له سَنْجان : لست أرى أن تنحّيَ عنك جندك وفرّخزاذ لشيء ، وقال أبو براز : بل أرى أن تتألّف نيزك وتجيبه إلى ما سأل . فقبِل رأيه[1] ، وفرّق عنه جنده ، وأمر فرّخزاذ أن يأتي أجَمة سَرَخْس ، فصاح فرّخزاذ ، وشقّ جيبه ، وتناول عمودًا بين يديه يريد ضرب أبي براز به ، وقال : يا قتلَة الملوك ، قتلتم ملِكَيْن ، وأظنكم قاتلي هذا ! ولم يبرح فرّخزاذ حتى كتب له يَزْدَجِرد بخطّ يده كتابًا : هذا كتاب لفرّخزاذ ؛ إنك قد سلّمتَ يزدجِرْد وأهله وولده وحاشيتَه وما معه إلى ماهويه دِهْقان مَرْو . وأشهد عليه بذلك . ١/٢٨٧٩

فأقبل نيزك إلى موضع بين المرْويْن ، يقال له حلسدان ؛ فلما أجمع يزدجرد على لقائه والمسير إليه ، أشار عليه أبو براز ألاّ يلقاه في السلاح فيرتاب به ، وينفُر عنه ؛ ولكن يلقاه بالمزامير والملاهي ؛ ففعل فسار فيمن أشار عليه ماهويه ، وتمّى له ، وتقاعس عنه أبو براز ، وكَرْدَس نيزك أصحابَه كراديس . فلمّا تدانيا استقبلَه نيزك ماشيًا ، ويَزْدَجِرد على فرس له ، فأمر لنيزك بجنيبة[2] من جنائبه فركبها ؛ فلمّا توسط عسكره تواقفا ، فقال له نيزك فيما يقول : زوّجني إحدى بناتك وأناصحك ، وأقاتل معك عدوّك . فقال له يَزْدَجرد : وعليّ تجترئ أيّها الكلب ! فعلاه نيزك بمخْفقته ، وصاح يَزْدَجرد : غَدَر الغادر ! وركض منهزمًا ، ووضع أصحاب نيزك سيوفهم فيهم ، فأكثروا فيهم القتل .

وانتهى يَزْدَجِرد من هَزيمته إلى مكان من أرض مَرْو ، فنزل عن فرسه ، ودخل بيت طحّان فمكث فيه ثلاثة أيام ؛ فقال له الطحّان : أيّها الشقيّ ، اخرج فاطعَم شيئًا ، فإنك قد جعت منذ ثلاث ، قال : لستُ ١/٢٨٨٠

---

(١) ف : « برأيه » . (٢) الجنيبة : الدابة تقاد .

أصِل إلى ذلك إلا بزمزمة[1] وكان رجل من زمازمة مَرْو أخرج حنطة له ليطحنها ، فكلمه الطّحان أن يزمزم عنده ليأكل، ففعل ذلك ؛ فلما انصرف سمع أبا براز يذكر يَزْدَجِرد ، فسألهم عن حِلْيته ؛ فوصفوه له ، فأخبرهم أنه رآه فى بيت طَحّان، وهو رجل جَعْد مقرون حسن الثنايا ، مقرّط مسوّر. فوجّه إليه عند ذلك رجلا من الأساورة ، وأمره إنْ هو ظفر به أن يخنقه بوتَر ، ثم يطرحه فى نهر مَرْو ؛ فلقوا الطحّان ، فضربوه ليدلّ عليه فلم يفعل ، وجحدهم أن يكون يعرف أين توجّه . فلما أرادوا الانصراف عنه قال لهم رجل منهم : إنّى أجدُ ريح المسك؛ ونظر إلى طرف ثوبه من ديباج فى الماء ، فاجتذبه إليه ؛ فإذا هو يَزْدَجِرد ، فسأله ألاّ يقتله ولا يدلّ عليه ، ويجعل له خاتمه وسواره ومنطقته ؛ قال الآخر : أعطنى أربعة دراهم وأخلّى عنك ؛ قال يَزْدَجِرد: ويحك خاتمى لك، وثمنه لا يحصى ! فأبى عليه؛ قال يَزْدَجِرد : قد كنت أخبِرَ أنى سأحتاج إلى أربعة دراهم ؛ وأضطر إلى أن يكون أكلى أكل الهرّ ، فقد عاينتُ ، وجاءنى بحقيقته ؛ وانتزع أحد قُرْطيه فأعطاه الطحان مكافأة له لكتمانه عليه ، ودنا منه كأنه يكلمه بشىء ، فوصف له موضعه ، وأنذر الرّجل أصحابه ، فأتوْه ، فطلب إليهم يَزْدَجِرد ألاّ يقتلوه وقال : ويحكم ! إنّا نجد فى كتبنا أنّ مَن اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريق فى الدنيا ؛ مع ما هو قادم عليه ، فلا تقتلونى وآتونى الدّهقان أو سرّحونى إلى العرب ؛ فإنهم يستحيون مثلى من الملوك؛ فأخذوا ما كان عليه من الحلْى ، فجعلوه فى جراب ، وختموا عليه ؛ ثم خنقوه بوتَر ، وطرحوه فى نهر مَرْو ، فجرى به الماء حتى انتهى إلى فُوّهة الرّزيق ، فتعلّق بعُود ، فأتاه أسقفّ مَرْو، فحمله ولفّه فى طيلسان ممسّك ، وجعله فى تابوت ، وحمله إلى بابان أسفل ماجان، فوضعه فى عَقْد كان يكون مجلس الأسقفّ فيه وردمه، وسأل أبو براز عن أحد القُرْطين حين افتقده ، فأخذ الذى دلّ عليه فضربه حتى أتى على نفسه ، وبعث بما أصيب له إلى الخليفة يومئذ ، فأغرم الخليفة الدّهقان قيمة القُرْط المفقود .

١/٢٨٨١

(١) الزمزمة : كلام المجوس عند الأكل يقولونه بصوت خفى .

وقال آخرون : بل سار يَزْدَجِرد من كَرْمان قبل ورود العرب إياها ، فأخذ على طريق الطَّبَسَيْنْ وقُهِستان ، حتى شارف مَرْو فى زهاء أربعة آلاف رجل ، ليجمع من أهل خُراسان جموعًا ، ويكرّ إلى العرب ويقاتلهم ، فتلقاه قائدان متباغضان[1] متحاسدان كانا بمَرْو ؛ يقال لأحدهما براز والآخر سَنْجان ؛ ومَنحاه الطاعة ، وأقام بمَرْو ، وخصّ براز فحسده ذلك سَنجان ، وجعل براز يبغى سَنْجان الغوائل ، ويوغِل صدر يَزْدَجِرد عليه ، وسعى بسَنْجان حتى عزم على قتله ؛ وأفشى ما كان عزم عليه من ذلك إلى امرأة من نسائه كان براز واطأها ؛ فأرسلت إلى براز بنسوة زعمت بإجماع يَزْدَجِرد على قتل سَنْجان ، وفشا ما كان عزم عليه يَزْدَجِرد من ذلك . فنذِر[2] سَنْجان ، وأخذ حِذْره ، وجمع جمعًا كنحو أصحاب براز ، ومن كان مع يَزْدَجِرد من الجند ، وتوجّه نحو القصر الذى كان يَزْدَجِرد نازله . وبلغ ذلك براز ، فنكص عن سَنجان لكثرة جُموعه[3] ، ورَعَب[4] جمع سنجان يَزْدَجِرد وأخافه ، فخرج من قصره متنكّراً ، ومضى على وجهه راجلاً لينجوَ بنفسه ، فمشى نحواً من فرسخين حتى وقع إلى رحًا ما ، فدخل بيت الرّحا ، فجلس فيه كالاً لغِبًا ، فرآه صاحب الرّحا ذا هَيْئة وطُرّة وبِزّة كريمة ، ففرش له ، فجلس وأتاه بطعام فطعِم ، ومكث عنده يومًا وليلة ، فسأله صاحب الرّحا أن يأمر له بشىء ، فبذل له منطقة مكلّلة بجوهر كانت عليه ؛ فأبى صاحب الرّحا أن يقبلها ، وقال : إنما كان يرضينى من هذه المنطقة أربعة دراهم كنت أطعم بها وأشرب ، فأخبره أنه لا ورِق معه ، فتملّقه صاحب الرحا ؛ حتى إذا غفا قام إليه بفأس له فضرب بها هامته فقتله ، واحتزّ رأسه ؛ وأخذ ما كان عليه من ثياب ومنطقة ، وألقى جيفته فى النهر الذى كان تدور بمائه رحاه ، وبقَر بطنه ، وأدخل فيه أصولا من أصول طرْفاء كانت نابتة فى ذلك النهر لتحبس جُثّته فى الموضع الذى ألقاه فيه ، فلا يسفل فيعرف ويطلب قاتله وما أخذ من سلَبه ، وهرب على وجهه .

١/٢٨٨٢

١/٢٨٨٣

وبلغ قتلُ يَزْدَجِرد رجلاً من أهل الأهواز كان مُطرانًا على مَرْو ؛

(١) ف : « متباغيان » . (٢) نذر : علم . (٣) س : « جمعه » .
(٤) رعبه : أخافه .

يقال له إيليياء، فجمع مَن كان قِبَله من النصارى ، وقال لهم : إنّ ملِك الفرس قد قتِل ، وهو ابن شهريار بن كسرى ؛ وإنما شهريار ولدُ شيرين المؤمنة التى قد عرفتم حقّها وإحسانها إلى أهل ملّتها من غير وجه ؛ ولهذا الملك عنصر فى النصرانيّة مع ما نال النصارى فى مُلْك جدّه كسرى من الشرَف ؛ وقبل ذلك فى مملكة ملوك من أسلافه من الخير ؛ حتى بَنَى لهم بعض البِيَع ، وسدّد لهم بعض مِلّتهم ؛ فينبغى لنا أن نحزَن لقتل هذا الملك من كرامته بقدر إحسان أسلافه وجَدّته شيرين،كان إلى النصارى ؛ وقد رأيت أنّ أبنِيَ له ناوُوسًا ، وأحمل جُثّته فى كرامة حتى أواريَهَا فيه .

فقال النصارى : أمْرنا لأمرك أيّها المطران تَبع ؛ ونحن لك على رأيك هذا مواطئون . فأمر المطران فبنِى فى جوف بستان المطارنة بمَرْو ناووسًا ؛ ومضى بنفسه ومعه نصارى مَرْو حتى استخرج جُثّة يَزْدَجِرد من النهر وكَفّنها ، وجعلها فى تابوت ، وحمله مَن كان معه من النصارى على عواتقهم حتى أتوْا به الناووس الذى أمر ببنائه له وواروه فيه، وردموا بابه؛ فكان مُلْك يَزْدَجِرد عشرين سنة، منها أربع سنين فى دَعَة وستّ عشرة سنة فى تعب من محاربة العرب إيّاه وغلظتهم عليه . ٢٨٨٤/١

وكان آخر ملِك مَلَك من آل أردشير بن بابك ؛ وصفا الملك بعده للعرب .

* * *

[شخوص عبد الله بن عامر إلى خراسان وما قام به من فتوح]

وفى هذه السنة ـ أعنى سنة إحدى وثلاثين ـ شخص عبد الله بن عامر إلى خَراسان ففتح أبْرَشهر وطوس وبِيورد ونَسا حتى بلغ سَرَخْس،وصالح فيها أهل مَرْو .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذُكر أن ابن عامر لما فتح فارس قام اليه أوس بن حبيب التميمىّ ، فقال : أصلح الله الأمير ! إنّ الأرض بين يديك ، ولم تفتتح من ذلك إلاّ القليل ، فسرْ فإنّ الله ناصرُك ؛ قال : أوَلم نأمر بالمسير ! وكره أنَ يُظهر أنه قبِل

رأيه ؛ فذكر علىّ بن محمد أن مَسلمة بن مُحارب أخبره عن السَّكن بن قتادة العُرَيْنىّ ، قال : فتح ابن عامر فارسَ ورجع إلى البصرة ، واستعمل على إصطخر شريكَ بن الأعور الحارثىّ ، فبنى شريك مسجد إصطخر ، فدخل على ابنِ عامر رجل من بنى تميم ، قال : كنّا نقول : إنه الأحنف — ويقال : أوْس بن جابر الجُشمىّ جُشَم تميم — فقال له : إنّ عدوّك منك هارب ، وهو لك هائب ، والبلاد واسعة ، فسرْ فإنّ الله ناصرك ، ومعزّ دينه . ١/٢٨٨٥

فتجهّز ابن عامر ، وأمر الناس بالجَهاز للمسير ، واستخلف على البصرة زياداً ، وسار إلى كَرْمان ؛ ثم أخذ إلى خراسان ، فقوم يقولون : أخذ طريق إصبَهان ؛ ثم سار إلى خُراسان .

قال علىّ : أخبرنا المفضّل الكَرْمانىّ ، عن أبيه ، قال : كان أشياخ كَرْمان يذكرون أنّ ابن عامر نزل المعسكر بالسِّيرجان ، ثمّ سار إلى خراسان ، واستعمل على كَرْمان مجاشع بن مسعود السُّلَمىّ ، وأخذ ابن عامر على مفازة رابَر ، وهى ثمانون فرسخاً ، ثم سار إلى الطَّبَسَين يريد أبْرَشهر ؛ وهى مدينة نيسابور ، وعلى مقدّمته الأحنف بن قيس ، فأخذ إلى قُهِستان ، وخرج إلى أبْرَشهر فلقيه الهياطلة ؛ وهم أهلُ هَراة ؛ فقاتلهم الأحنف فهزمهم ؛ ثم أتى ابن عامر نيسابور .

قال علىّ : وأخبرنا أبو مخنف ، عن نُمَير بن وَعْلة ، عن الشعبىّ ، قال : أخذ ابن عامر على مَفازة خَبيص ؛ ثم على خُواست — ويقال : على يَزْد — ثمّ على قُهِستان ؛ فقدّم الأحنف فلقيه الهياطلة ، فقاتلهم فهزمهم ؛ ثم أتى أبْرَشهر ، فنزلها ابنُ عامر ؛ وكان سعيد بن العاص فى جُند أهل الكوفة ، فأتى جُرجان وهو يريد خراسان ؛ فلمّا بلغه نزول ابن عامر أبْرَشهر ، رجع إلى الكوفة . ١/٢٨٨٦

قال علىّ : أخبرنا علىّ بن مجاهد ، قال : نزل ابن عامر على أبْرَشهر فغلب على نصفها عَنْوة ، وكان النّصف الآخر فى يد كنارَى ، ونصف نَساوطوس ؛ فلم يقدر ابنُ عامر أن يجوزَ إلى مَرْو ، فصالح كنارَى ، فأعطاه ابنه أبا الصلت ابن كنارى وابن أخيه سليماً رَهْنًا ، ووجّه عبد الله بن خازم إلى هَراة

وحاتم بن النعمان إلى مَرْو ، فأخذ ابن عامر ابنَىْ كنارى ، فصارا إلى النعمان ابن الأفقم النَّصْرىّ فأعتقهما . ٢٨٨٧/١

قال علىّ : وأخبرنا أبو حفص الأزدىّ ، عن إدريس بن حنظلة العَمّىّ ، قال : فتح ابن عامر مدينة أبْرَشهر عَنْوة ؛ وفتح ما حولها طوس وبِيوَرْد ونَسا وحُمْران ، وذلك سنة إحدى وثلاثين .

قال علىّ : أخبرنا أبو السّرىّ المروزىّ ، عن أبيه ، قال : سمعتُ موسى بن عبد الله بن خازم يقول : أبى صالح أهلَ سَرَخْس ، بعثه إليهم عبدالله بن عامر من أبْرشهر وصالح ابن عامر أهل أبْرشهر صلْحًا ، فأعطوْه جاريتين من آل كسرى بابونج وطهميج — أو طمهبج — فأقبل بهما معه ، وبعث أُمَيْن ابن أحمر اليَشكرىّ ، ففتح ما حول أبرْشهر : طُوس وبِيوَرْد ونَسا وحُمران ، حتّى انتهى إلى سَرَخْس .

قال علىّ : وأخبرنا الصلت بن دينار ، عن ابن سيرين ، قال : بعث ابن عامر عبدَ الله بن خازم إلى سَرَخْس ؛ ففتحها وأصاب ابن عامر جاريتيْن من آل كسرى ، فأعطى إحداهما النّوشجان ؛ وماتت بابونج .

قال علىّ : وأخبرنا أبو الذّيال زُهير بن هُنَيد العَدَوِىّ ، عن أشياخ من أهل خُراسان ، أنّ ابن عامر سرّح الأسودَ بن كُلْثوم العَدَوِىّ — عدىّ الرِّباب — إلى بَيْهق ؛ وهو من أبرشهر ، بينها وبين مدينة أبرشهر ستة عشر فرسخًا ، ففتحها وقتِل الأسود بن كلثوم . قال : وكان فاضلا فى دينه ، كان من أصحاب عامر بن عبد الله العنبرىّ وكان عامر يقول بعد ما أخرج من البصرة : ما آسى من العراق على شىء إلاّ على ممأ الهَواجر ، وتجاوب المؤذّنين ، وإخوان مثل الأسود بن كلثوم. ٢٨٨٨/١

قال علىّ : وأخبرنا زهير بن هُنَيد ، عن بعض عمومته ، قال : غلب ابن عامر على نيسابور ، وخرج إلى سَرَخْس ، فأرسل إلى أهل مَرْو يَطلب

الصّلح ؛ فبعث إليهم ابن عامر حاتم بن النّعمان الباهلىّ ، فصالح براز مرزبان مَرْو على ألفَىْ ألف ومائتى ألف .

قال : فأخبرنا مصعب بن حيّان عن أخيه مقاتل بن حيّان ، قال : صالحهم على ستة آلاف ألف ومائتى ألف .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عثمان رضى الله عنه .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المذكورة

١/٢٨٨٩ فمن ذلك غزوة معاوية بن أبى سفيان المَضيق، مضيق القسطنطينيّة، ومعه زوجته عاتكة ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوْفل بن عبد مناف.

وقيل: فاختة، حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق، عن أبى معشر، وهو قول الواقدىّ.

وفى هذه السنة استعمل سعيد بن العاص سلمانَ بن ربيعة على فَرْج بَلَنْجَر، وأمدّ الجيش الذى كان به مقيمًا مع حُذَيفة بأهل الشأم؛ عليهم حبيب بن مسلَمة الفهرىّ — فى قول سيف — فوقع فيها الاختلاف بين سلْمان وحبيب فى الأمر، وتنازع فى ذلك أهل الشأم وأهل الكوفة.

• ذكر الخبر بذلك:

فممّا كتب به إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: كتب عثمان إلى سعيد: أن أغزِ سلمان الباب؛ وكتب إلى عبد الرحمن ابن ربيعة وهو على الباب: إنّ الرعيّة قد أبطر كثيراً منهم البِطنة، فقصِّر، ولا تقتحم بالمسلمين؛ فإنى خاشٍ أن يُبتَلوا، فلم يزجر ذلك عبد الرحمن عن غايته، وكان لا يقصِّر عن بَلَنْجر، فغزا سنة تسع من إمارة عثمان حتى إذا بلغ بلنْجر؛ حصروها ونصبوا عليها المجانيق والعرّادات[1]، فجعل لا يدنو ١/٢٨٩٠ منها أحد إلا أعنتُوه أو قتلوه؛ فأسرعوا فى الناس؛ وقتِل مِعْضَد فى تلك الأيام.

ثم إنّ الترك اتّعدوا يومًا، فخرج أهلُ بَلَنْجَر؛ وتوافت إليهم الترك فاقتتلوا؛ فأصيب عبد الرحمن بن ربيعة — وكان يقال له ذو النور — وانهزم المسلمون فتفرّقوا، فأمّا من أخذ طريق سلمان بن ربيعة فحماه حتى خرج

(١) العرادة: من آلات الحرب، ترمى بالحجارة المرمى البعيد.

من الباب ، وأمّا مَن أخذ طريق الخَزَر وبلادها ، فإنه خرج على جِيلان وجُرجان وفيهم سلْمان الفارسيّ وأبو هريرة ، وأخذ القوم جسد عبد الرحمن فجعلوه في سَفَط ، فبَقِيَ في أيديهم ، فهم يستسقون به إلى اليوم ويستنصرون به .

كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن داود بن يزيد ، عن الشعبيّ ، قال : والله لَسلمانُ بن ربيعة كان أبصرَ بالمضارب من الجازر بمفاصل الجَزور .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن بن القاسم ، عن رجل من بني كنانة ، قال : لما تتابعت الغزوات على الخزَر ، وتذامروا وتعايروا وقالوا : كنّا أمة لا يُقرن[1] لنا أحد حتّى جاءت هذه الأمة القليلة ، فصرنا لا نقوم لها . فقال بعضهم لبعض : إنّ هؤلاء لا يموتون ؛ ولو كانوا يموتون لما اقتحموا علينا . وما أصيب في غزواتها أحد إلاّ في آخر غزوة عبد الرحمن ، فقالوا : أفلا تجرّبون ! فكمنوا في الغياض ، فمرّ بأولئك الكمين مُرّار من الجند ، فرموهم منها ، فقتلوهم ، فواعدوا رءوسهم ، ثمّ تداعَوْا إلى حربهم ، ثم اتّعدوا يومًا ؛ فاقتتلوا ، فقتِل عبد الرحمن ، وأسرِع في الناس فافترقوا فِرْقين ؛ فِرْق نحو الباب فحماهم سلمان حتّى أخرجهم ، وفِرْق أخذوا نحو الخزر ؛ فطلعوا على جِيلان وجرجان ، فيهم سلمان الفارسيّ وأبو هريرة .

١/٢٨٩١

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عن أخيه قيس ، عن أبيه : قال كان يزيد بن معاوية وعَلقمة بن قيس ومِعْضَد الشيبانيّ وأبو مفزّر التميميّ في خِباء ، وعمرو بن عتبة وخالد بن ربيعة والحَلحال بن ذُرِّيّ والقَرْثَع في خِباء ، وكانوا متجاورين في عسكر بَلَنْجَر ؛ وكان القَرْثَع يقول : ما أحسن لمْع الدماء على الثياب ! وكان عمرو بن عتبة يقول لقَباء عليه أبيض : ما أحسن حُمرة الدماء في بياضك !

وغزا أهل الكوفة بَلَنْجر سنين من إمارة عثمان لم تئِمْ فيهنّ امرأة ، ولم يَيْتَم فيهنّ صبيّ من قَتْلٍ ، حتّى كان سنة تسع ؛ فلمّا كان سنة تسع قبل

١/٢٨٩٢

(١) ابن حبيش : « لا يقوم » .

المزاحفة بيومين رأى يزيد بن معاوية أنّ غزالا جيء به إلى خِبائه، لم ير غزالا أحسن منه حتى لُفّ فى ملحفته، ثم أتِيَ به قبر عليه أربعة نفر لم ير قبراً أشدّ استواء منه ولا أحسن منه ، حتى دفن فيه ؛ فلمّا تغادى الناس على الترك رُمى يزيد بحجر ، فهشم رأسه، فكأنما زُيِّن ثوبه بالدماء زينة ، وليس يتلطّخ ؛ فكان ذلك الغزال الذى رأى ، وكان بذلك الدم على ذلك القَباء الحسن ، فلما كان قبل المزاحفة بيوم تَغادَوْا، فقال معْضَد لعلقمة: أعِرْنى بُرْدَك أعصِّب به رأسى ؛ ففعل، فأتى البُرْج الذى أصيب فيه يزيد ؛ فرماهم فقتل منهم ، ورُمى بحجر فى عرّادة ، ففضخ هامته ، واجترّه أصحابُه فدفنوه إلى جنب يزيد، وأصاب عمرو بن عتبة جِراحة ؛ فرأى قباءه كما اشتهى . وقتل ؛ فلما كان يوم المزاحفة قاتل القَرْثَع حتى خُرِّق بالحراب ، فكأنما كان قباؤه ثوباً أرضُه بيضاء ووشيُه أحمر، وما زال الناس ثبوتًا حتى أصيب ، وكانت هزيمة الناس مع مقتله .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن داود بن يزيد ، قال : كان يزيد بن معاوية النَّخعىّ رضى الله عنه وعمرو بن عتبة ومِعْضد أصيبوا يوم بَلَنجَر ؛ فأمّا معْضد فإنه اعتجر ببُرد لعلقمة، فأتاه شَظيّة من حجر منجنيق فأمّه ، فاستصغره ، ووضع يده عليه فمات فغسل دمه علقمة، فلم يخرج ؛ وكان يحضر فيه الجمعة، وقال يحرّضنى عليه : إنّ فيه دمَ مِعضد . فأما عمرو فلبس قباء أبيض، وقال : ما أحسن الدم على هذا ! فأتاه حجر فقتله ، وملأه دمًا ، وأما يزيد فدلِّىَ عليه شىء فقتله ، وقد كانوا حفروا قبراً فأعدّوه ؛ فنظر إليه يزيد ، فقال : ما أحسنه ! وأرِىَ فيما يرى النائم أنّ غزالاً لم يُر غزالٌ أحسنُ منه ، جىء به حتى دفن فيه ؛ فكان هو ذلك الغزال . وكان يزيد رقيقًا جميلاً رحمه الله ؛ وبلغ ذلك عثمان ، فقال : إنّا لله وإنا إليه راجعون! انتكث أهل الكوفة . اللهمّ تُبْ عليهم وأقْبِلْ بهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : استعمل سعيد على ذلك الفَرْج سلمان بن ربيعة ، واستعمل على الغزْو

٢٨٩٢/١

بأهل الكوفة حُذيفة بن اليَمان ؛ وكان على ذلك الفَرْج قبل ذلك عبدالرحمن ابن ربيعة ؛ وأمدّهم عثمان فى سنة عشر بأهل الشأم ؛ عليهم حبيب بن مسلمة القرشىّ ، فتأمّر عليه سلمان ، وأبى عليه حبيب ؛ حتى قال أهل الشأم : لقد همَمنا بضرب سلمان ، فقال فى ذلك الناس : إذاً والله نضرب حبيبًا ونحبسه ؛ وإن أبيتم كثُرت القتلى فيكم وفينا .

وقال أوس بن مغراء فى ذلك :

إن تَضْرِبوا سَلْمانَ نَضْرِبْ حَبيبَكُمْ[1] ... وإن تَرْحَلوا نَحْوَ ابْنِ عَفَّانَ نَرْحَلِ

وإن تُقْسِطوا فالثّغْرُ ثَغْرُ أميرنا ... وهذا أميرٌ فى الكَتائِب مقْبِلُ ١/٢٨٩٤

ونَحْنُ وُلاةُ الثَّغْرِ كُنَّا حُماتَه[2] ... لَيالِىَ نَرْمى كُلَّ ثَغْرٍ ونُنْكِلُ

فأراد حبيب أن يتأمّر على صاحب الباب كما كان يتأمّر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة ؛ فلمّا أحسّ حذيفة أقرّ وأقرّوا ؛ فغزاها حذيفة ابن اليَمان ثلاث غزوات ؛ فقتل عثمان فى الثالثة ؛ ولقيَهم مقتل عثمان ، فقال : اللهمّ العن قتلةَ عثمان وغُزاة عثمان وشنَأة عثمان . اللهمّ إنا كنّا نعاتبه ويعاتبنا ، متى ما كان مَن قبله يعاتبنا ونعاتبه ! فاتّخذوا ذلك سُلّمًا إلى الفتنة ؛ اللهم لا تُمِتْهم إلّا بالسيوف .

* * *

وفى هذه السنة ماتَ عبدُالرحمن بن عوف رضى الله عنه ؛ زعم الواقدىّ أنّ عبد الله بن جعفر حدّثه بذلك عن يعقوب بن عُتْبة ؛ وأنه يوم مات كان ابنَ خمسٍ وسبعين سنة .

قال : وفيها مات العبّاس بن عبد المطلب ؛ وهو يومئذ ابن ثمان وثمانين سنة ؛ وكان أسنّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين .

قال : وفيها مات عبد الله بن زيد بن عبد ربه رحمه الله ؛ الذى أُرِىَ الأذان .

---

(١) ابن كثير : « وإن تضربوا » . (٢) ابن الأثير : « ونحن ولاة الأمر » .

قال : وفيها توفّىَ عبد الله بن مسعود بالمدينة ، فدفن بالبَقيع رحمه الله فقال قائل : صلّى عليه عمّار ، وقال قائل : صلّى عليه عثمان .

١/٢٨٩٥ وفيها مات أبو طلحة رحمه الله .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة أبى ذرّ]

قال : وفيها مات أبو ذَرّ رضى الله عنه فى رواية سيف .

• ذكر الخبر عن وفاته :

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطيّة عن يزيد الفقعسىّ ، قال : لما حضرت أبا ذرّ الوفاة ؛ وذلك فى سنة ثمان فى ذى الحِجة من إمارة عثمان ، نزل بأبى ذَرّ ؛ فلما أشرف قال لابنته : استشرِفى يابنيّة فانظرِى هل ترَيْن أحداً ! قالت : لا ، قال : فما جاءت ساعتى بعدُ ؛ ثم أمرها فذبحت شاة ، ثم طبختها ، ثم قال : إذا جاءك الذين يدفنوننى فقولى لهم : إنّ أبا ذرّ يقسم عليكم ألاّ تركبوا حتى تأكلوا ؛ فلمّا نضِجت قدرُها قال لها : انظرى هل ترين أحداً ؟ قالت : نعم ؛ هؤلاء ركْب مقبلون ، قال : استقبلى بى الكعبة . ففعلت ، وقال : بسم الله ، وبالله ، وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرجت ابنته فتلقّتهم وقالت : رحمكم الله ! اشهدوا أبا ذرّ — قالوا : وأين هو ؟ فأشارت لهم إليه وقد مات — فادفنوه ، قالوا : نعم ونعمةَ عيْن ! لقد أكرمَنا الله بذلك ؛ وإذا ركبٌ من أهل الكوفة فيهم ابن مسعود ، فمالوا إليه وابن مسعود يبكى ويقول : صدق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «يموت وحدَه، ويُبعث وحده» ؛ فغسلوه وكفّنوه وصلّوا عليه ودفنوه ، فلما أرادوا أن يرتحلوا قالت لهم : إنّ أبا ذرّ يقرأ عليكم السلام ، وأقسم عليكم ألاّ تركبوا حتّى تأكلوا ، ففعلوا ، وحملوهم[1] حتى أقدموهم مكّة ، ونعوْه إلى عثمان ، فضمّ ابنته إلى عياله ، وقال : يرحمُ الله أبا ذرّ ، ويغفر لرافع ابن خَديج سكونَه . ١/٢٨٩٦

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القعقاع بن الصلت ،

---

(١) ابن الأثير والنويرى : « وحملوا أهله معهم ».

عن رجل ، عن كُليب بن الحَلْحال ، عن الحلحال بن ذُرّيّ ، قال : خرجنا مع ابن مسعود سنة إحدى وثلاثين ونحن أربعة عشر راكبًا حتى أتينا على الرَّبَذة فإذا امرأة قد تلقّتنا ، فقالت : اشهدوا أبا ذرّ — وما شعرنا بأمره ولا بلغنا — فقلنا : وأين أبو ذرّ ؟ فأشارت إلى خِباء ، فقلنا : مَالَه ؟ قالت : فارق المدينة لأمر قد بلغه فيها ، ففارقها . قال ابن مسعود : ما دعاه إلى الإعراب ؟ فقالت : أما إن أمير المؤمنين قد كره ذلك ؛ ولكنه كان يقول : هي بَعَدٌ ، وهي مدينة . قال ابن مسعود إليه وهو يبكي ، فغسلناه وكفّنّاه ؛ وإذا خباء منضوخ بمسْك ، فقلنا للمرأة : ما هذا ؟ فقالت : كانت مِسْكة ، فلما حُضِر قال : إن الميّت يَحضُره شهود يجدون الرِّيح ؛ ولا يأكلون ، فَدُوفِى[1] تلك المسكة بماء ، ثم رشّي بها الخِباء فاقريهم ريحها ، واطبخي هذا اللحم ؛ فإنه سيشهدني قوم صالحون يلون دفْني ، فاقْريهم ؛ فلما دفنّاه دعتنا إلى الطعام فأكلنا ، وأردنا احتمالها ، فقال ابن مسعود : أمير المؤمنين قريب ، نستأمره ؛ فقدمنا مكة فأخبرناه الخبر ، فقال : يرحم الله أبا ذرّ ، ويغفر له نزولَه الرَّبذة !

ولما صدَر خرج فأخذ طريق الرَّبَذة ، فضمّ عياله إلى عياله ، وتوجّه نحو المدينة ، وتوجّهنا نحو العراق ؛ وعِدّتنا : ابن مسعود وأبو مفزر التميميّ ، وبكر بن عبد الله التميميّ ، والأسود بن يزيد النَّخعيّ وعلقمة بن قيس النَّخعيّ ، والحلحال ١/٢٨٩٧ ابن ذرى الضبيّ والحارث بن سويد التميميّ ، وعمرو بن عتبة بن فرقد السُّلَميّ ، وابن ربيعة السلَميّ ، وأبو رافع المُزَنيّ ، وسويد بن مثعبة التميميّ ، وزياد بن معاوية النخعيّ ، وأخو القَرَثع الضبيّ ؛ وأخو مِعْضد الشيبانيّ .

[فتح مرروذ والطالقان والفارياب والجوزجان وطخارستان]

وفي سنة اثنتين وثلاثين فتح ابن عامر مَرْوروذ والطالَقان والفارِياب والجُوزَجان وطُخَارِستان .

• ذكر الخبر عن ذلك :

قال عليّ : أخبرَنا سلمة بن عثمان وغيره ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن

---

(١) دوفي : اخلطي .

ابن سيرين ، قال : بعث ابنُ عامر الأحنفَ بن قيس إلى مَرْوروذ ، فحصر أهلَها ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم ، فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حصنهم[١] ، فأشرفوا عليهم ، فقالوا : يا معشرَ العرب ، ما كنتم عندنا كما نرى ؛ ولو علمنا أنكم كما نرى لكانت لنا ولكم حال غير هذه ؛ فأمهلونا ننظرْ يومنا[٢] ، وارجعوا إلى عسكركم[٣] . فرجع الأحنف ، فلما أصبح غاداهم[٤] وقد أعدّوا له الحرب ؛ فخرج رجلٌ من العجم معه كتاب من المدينة ، فقال : إنى رسول فأمّنونى ، فأمّنوه ، فإذا رسول من مرزبان مَرْو ابن أخيه وترجمانه ، وإذا كتاب المرزُبان إلى الأحنف ، فقرأ الكتاب ؛ قال : فإذا هو : إلى أمير الجيش ؛ إنا نحمَد الله الذى بيده الدّوَل ، يغيّر ما شاء من الملك ، ويرفع من شاء بعد الذّلّة ، ويضع مَنْ شاء بعد الرفعة . إنه دعانى إلى مصالحتك وموادعتك ما كان من إسلام جدّى ، وما كان رأى مَنْ صاحبَكم من الكرامة والمنزلة ؛ فمرحبًا بكم وأبشروا ؛ وأنا أدعوكم إلى الصّلح فيما بينكم وبيننا ؛ على أن أؤدّىَ إليكم خَراجا[٥] ستين ألف درهم ؛ وأن تُقرّوا بيدى ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جدّ أبى[٦] حيث قتل الحيّة التى أكلت الناس ، وقطعت السُّبل من الأرَضين[٧] والقُرى بما فيها من الرّجال ، ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتى شيئًا من الخراج ، ولا تخرج المرْزبة[٨] من أهل بيتى إلى غيركم ، فإن جعلتَ ذلك لى خرجتُ إليك ؛ وقد بعثت إليك ابنَ أخى ماهَك ليستوثق منك بما سألت[٩] .

١/٢٨٩٨

قال : فكتب إليه الأحنف : بسم الله الرحمن الرحيم ، من صَخْر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مَرْوروذ ومَن معه من الأساورة والأعاجم[١٠] . سلام على من اتّبع الهدى ، وآمن واتّقى . أما بعد ؛ فإن ابن أخيك ماهَك

(١) ابن حبيش : « حصونهم » . (٢) ابن حبيش : « فى أمرنا » .
(٣) ف : « عساكركم » . (٤) ب : « عاد لهم » .
(٥) ابن حبيش : « خراجنا » . (٦) ف : «جدى»
(٧) ابن حبيش : «الأرض » .
(٨) ب ، ف : « المرازبة » ، والمرزبة : الرياسة فى العجم ، والمرزبان : الرئيس المقدم فيهم.
(٩) ب : « سألتك » . (١٠) ب : « والعجم » .

قدم علىّ ، فنصح لك جهده ، وأبلغ عنك ؛ وقد عرضت ذلك على مَن معي من المسلمين ، وأنا وهم فيما عليك سواء ؛ وقد أجبناك إلى ما سألتَ وعرضت على أن تؤدّى عن أكَرتِك وفلاّحيك والأرضين ستّين ألف[1] درْهم إلىّ وإلى الوالى من بعدى من أمراء المسلمين ؛ إلاّ ما كان من الأرَضين التى ذكرتَ أنّ كسرى الظالم لنفسه أقطع جدّ أبيك لِمَا كان من قتله الحيّة التى أفسدت الأرض وقطعت السُّبل . والأرضُ لله ولرسوله يُورثها مَنْ يشاء مِنْ عباده ، وإنّ عليك نُصرة المسلمين وقتال عدوّهم بمن معك من الأساورة ؛ إنْ أحبَّ المسلمون ذلك وأرادوه ؛ وإنّ لك على ذلك نصرة[2] المسلمين على مَن يقاتل من وراءك من أهل ملّتك ، جارٍ لك بذلك منّى كتاب يكون لك بعدى ، ولا خراجَ عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوى الأرحام ؛ وإن أنت أسلمت واتبعت الرسول كان لك من المسلمين العطاء والمنزلة والرزق وأنت أخوهم ؛ ولك بذلك ذمتى وذمة أبى وذمم المسلمين وذمم آبائهم . شهد على ما فى هذا الكتاب جَزْء ابن معاوية — أو معاوية بن جزء السعدىّ — وحمزة بن الهِرْماس وحُميد بن الخيار المازنيّان ، وعياض بن ورقاء الأسيدىّ . وكتب كَيْسان مولى بنى ثعلبة يوم الأحد من شهر الله المحرّم . وختم أمير الجيش الأحنف بن قيس . ونقش خاتم الأحنف : « نعبد الله » .

١/٢٨٩٩ ١/٢٩٠٠

قال علىّ : أخبرنا مصعَب بن حيّان ، عن أخيه مقاتل بن حيّان ، قال : صالح ابنُ عامر أهلَ مَرْو ، وبعث الأحنف فى أربعة آلاف إلى طُخارِستان فأقبل حتى نزل موضع قصر الأحنف من مَرْو روذ ، وجمع له أهل طُخَارِستان ، وأهل الجوزَجان والطالَقان والفارِياب ؛ فكانوا ثلاثة زحوف ، ثلاثين ألفًا . وأتى الأحنفَ خبرُهم وما جمعوا له ، فاستشار الناس فاختلفوا ؛ فبين قائل : نرجع إلى مرْو ، وقائل : نرجع إلى أبْرَشهر ، وقائلٍ : نقيم نستمدّ ، وقائل : نلقاهم فنناجزهم .

قال : فلما أمسى الأحنف خرج يمشى فى العسكر ، ويستمع حديثَ الناس ، فمرّ بأهل خِباء رجل يوقد تحت خزيرة أو يعجن ؛ وهم يتحدّثون ويذكرون العدوّ ؛ فقال بعضهم : الرأى للأمير[3] أن يسير إذا أصبح[3] ، حتى

---

(١) ف : « ستين ألفًا » . (٢) ف وابن حبيش : « نصر » .
(٣-٣) ابن حبيش : « إذا أصبح أن يسير » .

يلقى القوم حيث لقيَهم (١) — فإنه أرعب لهم — فيناجزهم. فقال صاحبُ الخزيرة (٢) أو العجين : إن فعل ذلك فقد أخطأ وأخطأتم ؛ أتأمرونه أن يلقى حدّ (٣) العدوّ مصحراً فى بلادهم، فيلقى جمعاً كثيراً بعدد قليل، فإن جالوا جولة اصطلمونا ! ولكنّ الرأى له أن ينزل بين المَرغاب والجبل ، فيجعل المَرغاب عن يمينه والجبل عن يساره ، فلا يلقاه من عدوّه وإن كثروا إلا عدد أصحابه . فرجع الأحنف وقد اعتقد ما قال ؛ فضرب عسكره ، وأقام فأرسل إليه أهل مَرْو يعرضون عليه أن يقاتلوا معه؛ فقال : إنّى أكره أن أستنصر بالمشركين ؛ فأقيموا على ما أعطيناكم ؛ وجعلنا بيننا وبينكم ؛ فإن ظفرنا فنحن على ما جعلنا لكم ؛ وإن ظفروا بنا وقاتلوكم فقاتلوا عن أنفسكم .

١/٢٩٠١

قال : فوافق المسلمين صلاةُ العصر ؛ فعاجلهم المشركون فناهضوهم فقاتلوهم ؛ وصبر الفريقان حتى أمسَوْا والأحنف يتمثّل بشعر ابن جُؤيّة الأعرجىّ :

أحَقٌّ من لم يَكرَهِ المَنيَّهْ حَزوَّرٌ ليست له ذُرِّيّهْ

قال علىّ : أخبرنا أبو الأشهب السعدىّ ، عن أبيه ، قال : لقى الأحنفُ أهلَ مَرْوروذ والطالَقان والفارياب والجوزَجان فى المسلمين ليلاً ، فقاتلهم حتى ذهب عامّة الليل ، ثم هزمهم الله، فقتلهم المسلمون حتى انتهوا إلى رَسْكن—وهى على اثنى عشر فرسخاً من قصر الأحنف— وكان مرزُبان مَرْوروذ، قد تربّص بحمل ما كانوا صالحوه عليه ؛ لينظر ما يكون من أمرهم .

١/٢٩٠٢

قال : فلمّا ظفر الأحنف سرّح رجُلين إلى المرزُبان، وأمرهما ألاّ يكلّماه حتى يقبضاه (٤) . ففعلا . فعلم أنهم لم يصنعوا ذاك به إلاّ وقد ظفروا ، فحمل ما كان عليه .

قال علىّ : وأخبرنا المفضّل الضبىّ ، عن أبيه ، قال : سار الأقرع بن حابس إلى الجوزَجان ؛ بعثه الأحنف فى جَريدة خيل إلى بقيّة كانت بقيت

(١) ابن حبيش: « حيث لاقيناهم » . (٢) الخزيرة : شبه عصيدة بلحم و بلا لحم .
(٣) ف : « جند » . (٤) ف : « يعنفاه » ، ابن حبيش : « يقنعاه ».

من الزّحوف الذين هزمهم الأحنف ، فقاتلهم ، فجال المسلمون جَوْلة ، فقُتل فرسان من فرسانهم ؛ ثم أظفر الله المسلمين بهم فهزموهم وقتلوهم ، فقال كُثَيِّرٌ النهشليّ :

سَقَى مُزْنُ السحابِ إذا استَهَلّتْ مَصارعَ فِتيَةٍ بالجُوزَجانِ(١)
إلى القَصْرين من رُسْتاقِ خُوطٍ أقادَهُمُ هُنــاكَ الأقرعانِ

وهى طويلة

* * *

[ذكر صلح الأحنف مع أهل بَلْخ]

وفى هذه السنة ، جرى صلح بين الأحنف وبين أهل بلخ .

* ذكر الخبر بذلك : ٢٩٠٣/١

قال علىّ : أخبرنا زُهير بن الهُنَيد، عن إياس بن المهلّب ، قال : سار الأحنف من مَرْوالرّوذ إلى بلْخ فحاصرهم ، فصالحه أهلها على أربعمائة ألف ، فرضىَ منهم بذلك(٢)، واستعمل ابن عمّه، وهو أسَيد بن المتَشمّس ليأخذ منهم ما صالحوه عليه(٣)،ومضى إلى خارِزْم (٤)، فأقام حتى هجم عليه الشتاء ، فقال لأصحابه : ما ترون ؟ قال له حصين : قد قال لك عمرو بن معد يكرب ، قال : وما قال ؟ قال : قال :

إذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أمرًا فَدَعْه(٥) وجاوِزْهُ إلى ما تَستطيعُ

قال : فأمر الأحنف بالرّحيل ، ثمّ انصرف إلى بَلْخ ، وقد قبض ابن عمّه ما صالحهم عليه ؛ وكان وافق وهو يجبيهم المِهْرجان، فأهدوا إليه هدايا من آنيةِ الذهب والفضّة ودنانير ودراهم ومتاع وثياب ، فقال ابنُ عمّ الأحنف : هذا ما صالحناكم عليه ؟ قالوا : لا ؛ ولكنّ هذا شىء نصنعه فى هذا اليوم بمَن وليَنا نستعطفه به ، قال : وما هذا اليوم ؟ قالوا : المِهْرجان ، قال : ما أدرى ما هذا ؟ وإنّى لأكره أن أردّه ؛ ولعله من حقّى ؛ ولكن(٦) أقبضه وأعزله

(١) ياقوت ٣ : ١٦٧.
(٢) ابن حبيش : « بذلك منهم » .
(٣) ابن حبيش : « صالحوا عليه » .
(٤) ابن حبيش وابن الأثير : « خوارزم » .
(٥) ف وابن كثير : « شيئاً » .
(٦) ف وابن حبيش : « ولكنى » .

١/٢٩٠٤ حتى أنظر [فيه][1] ؛ فقبضه، وقدم الأحنف فأخبره، فسألهم عنه، فقالوا [له][1] مثل ما قالوا لابن عمّه، فقال: آتِي به الأمير؛ فحمله إلى ابن عامر، فأخبره عنه، فقال: اقبِضه يا أبا بحر؛ فهو لك؟ قال: لا حاجة لى فيه، فقال ابنُ عامر: ضمّه إليك يامسمار، قال: قال الحسن: فضمّه القرشىّ وكان مِضَمًّا.

قال علىّ: وأخبرنا عمرو بن محمد المرّىّ، عن أشياخ من بنى مرّة، أنّ الأحنف استعمل علَى بلْخ بشرَ بن المتشمّس.

قال علىّ: وأخبرنا صدَقة بن حُميد، عن أبيه، قال: بعث ابنُ عامر – حين صالح أهلَ مَرْو، وصالح الأحنفُ أهلَ بلْخ – خُلَيْدَ بن عبد الله الحنفىّ إلى هَراة وباذَغيس؛ فافتتحهما، ثم كفروا بعدُ فكانوا مع قارِن.

قال علىّ: وأخبرنا مَسلمة، عن داود، قال: ولما رجع الأحنفُ إلى ابنِ عامر قال الناسُ لابن عامر: ما فتِح على أحد ما قد فتِح عليك؛ فارس وكَرمان وسِجسْتان وعامّة خُراسان! قال: لا جَرَم، لأجعلنّ شكرى لله على ذلك أن أخرج محرِمًا معتمراً من موقفى هذا. فأحرَم بعُمْرة من نيسابور؛ فلما قدِم على عثمان لامه على إحرامه من خُراسان، وقال: ليتك تضبط ذلك من الوقت الذى يحرِم منه الناس!

قال علىّ: أخبرنا مسلَمة، عن السَّكن بن قَتادة العُرينىّ، قال: استخلف ١/٢٩٠٥ ابنُ عامر على خُراسان قيسَ بن الهيثم، وخرج ابنُ عامر منها فى سنة اثنتين وثلاثين. قال: فجمع قارن جمعًا كثيراً من ناحية الطَّبَسين وأهل باذَغيس وهَراة وقُهستان، فأقبل فى أربعين ألفًا، فقال لعبد الله بن خازم: ما ترى؟ قال: أرَى أن تُخلىَ البلاد فإنى أميرها؛ ومعى عهدٌ من ابن عامر؛ إذا كانت حرب بخُراسان فأنا أميرها – وأخرج كتابًا قد افتعله عمداً – فكره قيس مشاغبَته، وخلاّه والبلاد؛ وأقبل إلى ابن عامر، فلامه ابن عامر،

(١) من ف.

وقال : تركتَ البلاد حربًا[1] وأقبلت ! قال : جاءنى بعهد منك . فقالت له أمّه : قد نهيتك أن تَدَعهما فى بلد ، فإنه يشغَب عليه[2] .

قال : فسار ابنُ خازم إلى قارنٍ فى أربعة آلاف ، وأمر الناس فحملوا الودَك ؛ فلما قرب من عسكره أمرَ الناس ، فقال : ليدرِجْ كلُّ رجل منكم على زُجّ رمحه ما كان معه من خِرْقة أو قطن أو صوف ؛ ثم أوسِعوه من الوَدَك من سمن أودهن أوزيت أوإهالة . ثم سار حتى إذا أمسى قدّم[3] مقدّمته ستمائة ، ثم اتّبعهم ،وأمر الناس فأشعلوا النيران فى أطراف الرّماح ؛ وجعل يقتبس بعضهم من بعض . قال : وانتهت مقدّمته إلى عسكر قارن ، فأتوْهم نصفَ الليل ؛ ولهم حرس ، فناوشوهم ، وهاج الناس على دَهش ، وكانوا آمنين فى أنفسهم من البيات ، ودنا ابنُ خازم منهم ، فرأوا النيران يَمنة ويَسرة ، وتتقدّم وتتأخرّ ، وتتخفض[4] وترتفع ؛ فلا يروْن أحداً . فهالهم ذلك ، ومقدّمة ابن خازم يقاتلونهم ؛ ثم غشيَهم ابنُ خازم بالمسلمين ، فقتِل قارن ، وانهزم العدوّ فأتبعوهم يقتلونهم كيف شاءوا ، وأصابوا سبيًا كثيراً ؛ فزعم شيخ من بنى تميم ، قال : كانت أمّ الصلت بن حُريث من سَبْى قَارن ، وأمّ زياد بن الربيع منهم ، وأمّ عون أبى عبد الله بن عون الفقيه منهم . ١/٢٩٠٦

قال علىّ : حدّثنا مسلمة ، قال : أخذ ابن خازم عسكر قارن بما كان فيه ، وكتب بالفتح إلى ابن عامر ؛ فرضىَ وأقرّه على خراسان ، فلَبث عليها حتى انقضى أمرُ الجمل ، فأقبل إلى البَصْرة ، فشهد وقعةَ ابن الحضرمىّ ، وكان معه فى دارسبيل .

قال علىّ :وأخبرنا الحسن بن رشيد،عن سليمان بن كثير [العمىّ] الخزاعىّ، قال : جمع قارنللمسلمين جمعًا كثيراً[5] ، فضاق المسلمون بأمرهم ، فقال قيس

---

(١) ف وابن الأثير والنويرى : « خرابًا » .
(٢) ابن حبيش : « عليك » .
(٣) ب : « أمسى وقدم » ، ابن الأثير والنويرى : « أمسى فقدم » .
(٤) ابن حبيش والنويرى : « وتنخفض » .
(٥) ب : « كبيراً » .

ابن الهيثم لعبد الله بن خازم : ما ترى ؟ قال : أرى أنك لا تطيق كثرة مَن قد أتانا ، فاخرج بنفسك إلى ابن عامر فتخبره[1] بكثرة مَن قد جمعوا لنا ، ونقيم نحن فى هذه الحصون ونطاولهم حتّى تقدم ويأتينا مددكم .

قال : فخرج قيس بن الهيثم ، فلما أمعن أظهر ابن خازم عهداً ، وقال : قد ولاّنى ابنُ عامرخراسان ؛ فسار إلى قارن ، فظفر به ، وكتب بالفتح إلى ابن عامر ، فأقرّه ابنُ عامر على خُراسان ؛ فلم يزل أهل البصرة يغزُون مَن لم يكن صالح من أهل خراسان ، فإذا رجعوا خلّفوا أربعة آلاف للعقَبة ، فكانوا على ذلك حتّى كانت الفتنة .

---

(١) ب : « فأخبره » .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

ففيها كانت غزوة معاوية حِصْن المرأة من أرض الرّوم من ناحية مَلَطْيَة في قول الواقديّ . ١/٢٩٠٧

وفيها كانت غزوة عبد الله بن سعد بن أبي سرْح إفريقيَة [١] الثانية [٢] حين نقض أهلها العهد .

وفيها قدّم عبد الله بن عامر الأحنف بن قيس إلى خراسان وقد انتقض أهلُها ، ففتح المَرْوَيْن : مَرْوالشاهجان صلحًا ، ومَرْوالرّوذ بعد قتال شديد ، وتبِعه عبد الله بن عامر ، فنزل أبْرشَهْر ، ففتحها صلحًا في قول الواقديّ .

وأمّا أبو معشر فإنه قال — فيما حدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه ، قال : كانت قبرُس سنة ثلاث وثلاثين ، وقد ذكرنا قول مَنْ خالفه في ذلك ، والخبرَ عن قُبْرس .

وفيها : كان تسيير عثمان بن عفان مَنْ سيّر من أهل العراق إلى الشأم .

* * *

ذكر تسيير مَن سيّر من أهل الكوفة إليها

اختلف أهلُ السير في ذلك ، فأما سيف فإنّه ذكر فيما كتب به إليّ السريّ عن شعيب عنه ، عن محمد وطلحة ، قالا : كان سعيد بن العاص لا يغشاه إلاّ نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام وأهل القادسيّة وقرّاء أهل البصرة [٣] والمتسمّتُون، وكان هؤلاء دَخْلته إذا خلا ، فأما إذا جلس للناس ١/٢٩٠٨

(١) ف : « إلى افريقية » . (٢) ف : « المرة الثانية » .
(٣) ابن الأثير : « الكوفة » .

فإنه يدخل عليه كلّ أحد ، فجلس للناس يومًا ، فدخلوا عليه ؛ فبيناهم[١] جلوس يتحدّثون قال خُنَيس بن فلان[٢]: ما أجود طَلحة بن عبيد الله ! فقال سعيد ابن العاص: إنّ من له مثل النَّشاستَج[٣] لحقيق أن يكون جواداً ؛ والله لو أنّ لى مثله لأعاشكم الله عيشًا رغداً. فقال عبد الرحمن بن خُنَيس — وهو حَدَث : والله لوددتُ أنّ هذا المِلْطاط لك — يعنى ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذى يلِى الكوفة — قالوا : فضّ الله فاك ! والله لقد هممنا بك ، فقال: خُنيس غلام فلا تجازوه[٤] ، فقالوا: يتمنى له من سوادنا ! قال : ويتمنّى لكم أضعافه ، قالوا : لا يتمنى لنا ولا له، قال : ما هذا بكم ! قالوا : أنت والله أمرتَه بها ، فثار إليه الأشتر وابن ذى الحبَكة وجندَب وصَعْصعة وابن الكوّاء وكُمَيل بن زياد وعُمير بن ضابئ ؛ فأخذوه فذهب أبوه ليمنع منه فضربوهما حتى غُشِي عليهما ، وجعل سعيد يناشدهم ويأبوْن ، حتى قضوا منهما وطَرًا ، فسمعت بذلك بنو أسد ، فجاءوا وفيهم طليحة فأحاطوا بالقَصْر ، وركبت القبائل ، فعاذوا بسعيد ، وقالوا : أفلِتنا وخلِّصنا .

فخرج سعيد إلى الناس، فقال: أيّها الناس ، قوم تنازعوا وتهاوَوا ، وقد رزق الله العافية . ثم قعدوا وعادوا فى حديثهم، وتراجعوا فساءهم وردّهم، وأفاق الرّجلان ؛ فقال : أبكما حياة ؟ قالا : قتلتْنا غاشيتك، قال : لا يغشونى والله أبداً ، فاحفظا علىّ ألسنتكما ولا تجرّئا علىّ الناس . ففعلا. ولما انقطع رجاء أولئك النفر من ذلك قعدوا فى بيوتهم، وأقبلوا على الإذاعة حتّى لامه أهل الكوفة فى أمرهم ؛ فقال : هذا أميركم وقد نهانى أن أحرّك شيئًا ، فمن أراد منكم أن يحرّك شيئًا فليحرّكه .

١/٢٩٠٩

فكتب أشراف أهل الكوفة وصلحاؤهم إلى عثمان فى إخراجهم ، فكتب : إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية . فأخرَجوهم، فذلّوا وانقادوا حتى أتوْه — وهم بضعةَ عشر — فكتبوا بذلك إلى عثمان، وكتب عثمان إلى معاوية: إنّ أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرًا خُلِقوا للفتنة، فرُعْهم وقُمْ عليهم ؛

(١) ف والنويرى : « فبينما » . (٢) هو خنيس بن حبيش .
(٣) النشاستج : ضيعة بالكوفة كانت لطلحة بن عبيد الله التيمى ؛ وكانت عظيمة الدخل، اشتراها من أهل الكوفة المقيمين بالحجاز بمال كان له بخيبر ، وعمرها ، فعظم دخلها . ياقوت ٨ : ٢٨٨.
(٤) ف : « تحاوروه » .

فإن آنست منهم رَشَداً فاقبل منهم ؛ وإن أعيَوْك فارددْهم عليهم. فلما قدموا على معاوية رَحّب بهم وأنزلهم كنيسة تسمّى مريم ، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق ، وجعل لا يزال يتغدّى ويتعشّى معهم ، فقال لهم يومًا : إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة ، وقد أدركتم بالإسلام شرفًا وغلبتم الأمم وحويتم مراتبهم ومواريثهم (١) ، وقد بلغني أنكم نقمتم قريشًا ؛ ١/٢٩١٠ وإن قريشًا لو لم تكن عدتم أذلّة كما كنتم ، إنّ أئمتكم لكم إلى اليوم جُنّة فلا تَشِذُّوا (٢) عن جُنّتكم ؛ وإنّ أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجَوْر (٣) ، ويحتملون منكم المؤونة ؛ والله لتنتهُنّ أو ليبتلينّكم الله بمن يسومكم ؛ ثم لا يحمدكم على الصبر ، ثمّ تكونون شركاء لهم فيما جررتم على الرعيّة فى حياتكم وبعد موتكم .

فقال رجل من القوم : أمّا ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثرَ العرب ولا أمنعها فى الجاهلية فتُخوّفَنا ؛ وأما ما ذكرت من الجُنّة فإنّ الجُنّة إذا اخترِقتْ (٤) خُلِص إلينا .

فقال معاوية : عرفتكم الآن ، علمتُ أنّ الذى أغراكم على هذا قِلّة العقول ، وأنت خطيب القوم ، ولا أرى لك عقلاً ، أُعْظِم عليك أمر الإسلام ، وأذكرك به ، وتذكّرنى الجاهلية ! وقد وعظتُك . وتزعم لما يجنُّك أنه يُخترق ، ولا ينسب ما يخترَق إلى الجُنّة ؛ أخزى الله أقوامًا أعظموا أمركم ، ورفعوا إلى خليفتكم ! افقهوا — ولا أظنكم تفقهون — أنّ قريشًا لم تَعِزّ فى جاهلية ولا إسلام إلاّ بالله عزّ وجلّ ، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدّهم ؛ ولكنهم كانوا أكرمَهم أحسابًا ، وأمحضهم أنسابًا ، وأعظمهم أخطاراً ؛ وأكملهم مروءة ، ولم يمتنعوا فى الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضًا إلاّ بالله الذى لا يُستذَل مَنْ أعزّ ، ولا يوضَع ١/٢٩١١ مَنْ رفع ؛ فبوّأهم حرمًا آمنا يُتَخطّف الناس من حَوْلهم ! هل تعرفون عربًا أو عجمًا أو سوداً أو حمراً إلاّ قد أصابه الدهر فى بلده وحرمته بدَوْلة ؛ إلاّ ما كان من قريش ؛ فإنه لم يردْهم أحدٌ من الناس بكيد إلاّ جعل الله

(١) ف : « وحزتم مواريثهم » .
(٢) ط : « تسدوا » .
(٣) ف : « الحق » .
(٤) ب : « احترقت » .

خدّه (١) الأسفل ، حتى أراد الله أن يتنقّذ (٢) مَن أكرم واتّبع دينه من هوانِ الدّنيا (٣) وسوء مَردّ الآخرة، فارتضى لذلك خيرَ خلقه ، ثم ارتضى له أصحابًا فكان خيارُهم قريشًا ، ثم بنى هذا الملْك عليهم ، وجعل هذه الخلافة فيهم ؛ ولا يصلح ذلك إلاّ عليهم ؛ فكان الله يحوطهم فى الجاهليّة وهم على كفرهم بالله ؛ أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه وقد حاطهم فى الجاهلية من الملوك الذين كانوا يَدينونكم ! أفٍّ لك ولأصحابك ! ولو أنّ متكلمًا غيرَك تكلّم؛ ولكنك ابتدأت . فأمّا أنت يا صعصعة فإن قرْيتك شرّ قُرَى عربيّة؛ أنتنُها نبتًا ، وأعمقها واديًا ، وأعرفها بالشرّ ، وألأمها جيرانًا ، لم يسكنها شريف قطّ ولا وضيع إلاّ سُبَّ بها ؛ وكانت عليه هُجنة ، ثم كانوا أقبح العرب ألقابًا، وألأمه أصهاراً ، نزّاع الأمم (٤) ؛ وأنتم جيران الخطّ وفَعَلة فارس ، حتى أصابتكم دعوة النبيّ صلّى الله عليه وسلم ونكبتْك دعوته ؛ وأنت نزيع شَطِير (٥) فى عُمان ، لم تسكن البَحْرين فتشركَهم فى دعوة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأنت شرّ قومك ، حتى إذا أبرزك الإسلام ، وخلَطك بالناس ، وحملك على الأمم التى كانت عليك ؛ أقبلتَ تبغى دينَ الله عِوَجا ؛ وتنزِع إلى اللآمة (٦) والذلّة . ولا يضع ذلك قريشًا، ولن يضرّهم، ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم ؛ إنّ الشيطان عنكم غير غافل ، قد عرفكم بالشرّ من بين أمّتكم ، فأغرى بكم الناس ؛ وهو صارعكم (٧) . لقد علم أنه لا يستطيع أن يردّ بكم قضاءً قضاه الله ، ولا أمرًا أراده الله ، ولا تدركون بالشرّ أمراً أبداً إلا فتح الله عليكم شرًّا منه وأخزى .

١/٢٩١٢

ثم قام وتركهم ؛ فتذامروا . فتقاصرت إليهم أنفسهم ، فلمّا كان بعد ذلك أتاهم فقال : إنى قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم ؛ لا والله لا ينفع الله بكم أحداً ولا يضرّه ؛ ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرّة ؛ ولكنكم رجال نكير . وبعد ، فإنْ أردتم النجاة فالزموا جماعتكم؛ وليسعكم ماوسع الدّهْماء، ولا يبطرنّكم الإنعام ؛ فإن البَطر لا يعترى الخيار؛ اذهبوا حيث شئتم ، فإنى كاتب إلى أمير المؤمنين فيكم .

---

(١) ف : «كيده» . (٢) ابن الأثير : «يستنقذ» .
(٣) ف : «الناس» . (٤) النزاع : جمع نزيع ؛ وهو الغريب .
(٥) الشطير : الغريب أيضاً . (٦) اللآمة : مصدر لؤم . (٧) ف : «صادعكم» .

١/٢٩١٣ فلمّا خرجوا دعاهم فقال : إنى معيد عليكم. إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصومًا فولاّنى ، وأدخلنى فى أمره ، ثم استُخلف أبو بكر رضى الله عنه فولاّنى ؛ ثمّ استُخلف عمر فولاّنى ، ثم استُخلِف عثمان فولاّنى ، فلم آلُ لأحد منهم ولم يولِّنى إلا وهو راضٍ عنى ؛ وإنما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعمال أهلَ الجزاء عن المسلمين والغَناء ؛ ولم يطلب لها أهل الاجتهاد والجهل بها والضعف عنها ؛ وإن الله ذو سطَوات ونِقمات يمكر بمن مكر به ، فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون ؛ فإنّ الله غير تارككم حتى يختبرَكم ويبدىَ للناس سرائركم ؛ وقد قال عزّ وجل : ﴿ الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[1] .

وكتب معاوية إلى عثمان : إنه قدم علىّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان ، أثقلهم الإسلام ، وأضجرهم العدْل ؛ لا يريدون الله بشىء ، ولا يتكلّمون بحجّة ؛ إنما همّهم الفتنة وأموال أهل الذّمة ؛ والله مبتليهم ومختبرهم ، ثم فاضحهم ومخزِيهم[2] ؛ وليسوا بالذين ينكون أحداً إلا مع غيرهم ، فانهَ سعيداً ومَن قِبلَه عنهم ؛ فإنهم ليسوا لأكثر من شغَب أو نكير .

وخرج القوم من دمشق فقالوا : لا ترجعوا إلى الكوفة ، فإنهم يشمَتون بكم ، وميلوا بنا إلى الجزيرة ، ودعوا العراق والشام . فأووا[3] إلى الجزيرة ، وسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد — وكان معاوية ١/٢٩١٤ قد ولاّه حِمْص وولى عامل الجزيرة حَرّان والرّقة — فدعا بهم ، فقال : يا آلة الشيطان ، لا مرحبًا بكم ولا أهلا ! قد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعدُ نِشاط ؛ خسّر الله عبد الرحمن إن لم يؤدّبكم حتى يحسركم . يا معشر مَن لا أدرى أعرب أم عجم ، لكى لا تقولوا لى ما يبلغنى أنكم تقولون لمعاوية ؛ أنا ابن خالد بن الوليد ، أنا ابن من قد عجمته العاجِمات ، أنا ابن فاقئ الرّدّة ، والله لئن بلغنى يا صعصعة ابن ذل أنّ أحداً ممن معى دقّ أنفك ثم أمصّك[4]

(١) سورة العنكبوت ١ ، ٢ (٢) ف : « ومحرمهم » .
(٣) ف : « فأتوا » .
(٤) ابن الأثير « عمصك » ، وأمصك ، أى قال له : مص هن أبيك .

لأطيرنّ بلك طيْرة بعيدة المهوَى . فأقامهم أشهر آكلّما ركب أمشاهم ، فإذا مرّ به [صعصعة] [١] قال : يابن الحطيئة [٢] ، أعلمت أنّ من لم يصلحه الخير أصلحه الشرّ ! مالك لا تقول كما كان يبلغنى أنك تقول لسعيد ومعاوية ! فيقول ويقولون : نتوب إلى الله ، أقلنا أقالك الله ! فما زالوا به حتى قال : تاب الله عليكم .

وسرّح الأشترَ إلى عثمان ، وقال لهم : ما شئتم ، إن شئتم فاخرجوا ، وإن شئتم فأقيموا . وخرج الأشتر ، فأتى عثمانَ بالتوبة والندم والنزوع عنه وعن أصحابه ، فقال : سلّمكم الله . وقدم سعيد بن العاص ، فقال عثمان للأشتر : احلل حيث شئت ، فقال : مع عبد الرحمن بن خالد ؟ وذكر من فضله ، فقال : ذاك إليكم ، فرجع إلى عبد الرحمن .

١/٢٩١٥ وأمّا محمد بن عمر ؛ فإنه ذكر أنّ أبا بكر بن إسماعيل حدّثه عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، أنّ عثمان بعث سعيد بن العاص إلى الكوفة أميراً عليها ، حين شهد على الوليد بن عُقبة بشرب الخمر من شهد عليه ، وأمره أن يبعث إليه الوليد بن عقبة . قال : قَدِم سعيد بن العاص الكوفَة ، فأرسل إلى الوليد : إنّ أمير المؤمنين يأمرك أن تلحق به . قال : فتضجّع [٣] أياماً ، فقال له : انطلق إلى أخيك ؛ فإنه قد أمرنى أن أبعثَك إليه ، قال : وما صعد منبرَ الكوفة حتى أمر به أن يُغْسَل [٤] ، فناشده رجال من قريش كانوا قد خرجوا معه من بنى أميّة ، وقالوا : إنّ هذا قبيح ؛ والله لو أراد هذا غيرُك لكان حقّاً أن تذبّ عنه ؛ يلزمه عارُ هذا أبداً . قال : فأبى إلاّ أن يفعل ، فغسله وأرسل إلى الوليد أن يتحوّل من دار الإمارة ، فتحوّل منها ، ونزل دار عُمارة بن عُقْبة ، فقدم الوليد على عثمان ، فجمع بينه وبين خصمائه ، فرأى أن يجلده ، فجلده الحدّ .

قال محمّد بن عمر : حدثنى شيبان ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : قدِم سعيد بن العاص الكوفَة ، فجعل يختار وجوهَ الناس يدخلون عليه

---

(١) من ابن الأثير . (٢) ابن الأثير : « الحطيئة » .

(٣) يقال : تضجع فى الأمر ؛ تقعد فيه ولم يقم به .

(٤) الغسل هنا : الضرب بالسوط .

ويسمُرون عنده ؛ وإنه سمر عنده ليلةً وجوه أهل الكوفة، منهم مالك بن كعب الأرحبيّ، والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النّخَعيّان، وفيهم مالك الأشتر فى رجال ، فقال سعيد : إنما هذا السواد بستان لقريش ؛ فقال الأشتر : أتزعم أنّ السّواد الذى أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك! والله ُ ما يزيد أوفاكم فيه نصيباً إلا أن يكون كأحدنا ، وتكلم معه القوم . ٢٩١٦/١

قال : فقال عبد الرحمن الأسدىّ — وكان على شُرْطة سعيد : أتردّون على الأمير مقالَته ! وأغلظ لهم ، فقال الأشتر : مَن ها هنا ! لا يفوتنّكم الرجل ؛ فوثبوا عليه فوطئوه وطأً شديداً ، حتى غُشى عليه ، ثم جُرّ برجله فألقِىَ ، فنضِح بماء فأفاق، فقال له سعيد: أبك حياة ؟ فقال : قتلنى مَن انتخبت — زعمت — للإسلام ، فقال : والله لا يسمُر منهم عندى أحد أبداً ، فجعلوا يجلسون فى مجالسهم وبيوتهم يشتمون عثمان وسعيداً ؛ واجتمع الناس إليهم ؛ حتى كثر من يختلف إليهم . فكتب سعيد إلى عثمان يخبره بذلك ، ويقول : إنّ رهطاً من أهل الكوفة — سمّاهم له عشرة — يؤلّبون ويجتمعون على عيبك وعيبي والطعن فى ديننا، وقد خشيت إن ثبت أمرهم أن يكثروا ؛ فكتب عثمان إلى سعيد: أن سيّرهم إلى معاوية — ومعاوية يومئذ على الشأم — فسيرّهم— وهم تسعة نفر — إلى معاوية؛فيهم مالك الأشتر، وثابت بن قيس بن مُنْقِع ، وكُمَيل بن زياد النخعىّ ، وصعصعة بن صُوحان . ٢٩١٧/١

ثم ذكر نحو حديث السرىّ، عن شعيب ؛ إلاّ أنه قال: فقال صعصعة: فإن اختُرقت الجُنّة ،أفليس يُخْلَص إلينا ؟فقال معاوية: إنّ الجُنة لا تختَرَق، فضعْ أمر قريش على أحسن ما يحضرك .

وزاد فيه أيضاً : إنّ معاوية لما عاد إليهم من القابلة وذكّرهم، قال فيما يقول : وإنى والله ما آمركم بشىء إلاّ قد بدأتُ فيه بنفسى وأهل بيتى وخاصّتى ؛ وقد عرفتْ قريش أن أبا سفيان كان أكرمَها وابن أكرمِها ، إلاّ ما جعل الله لنبيّه نبيّ الرحمة صلى الله عليه وسلم؛ فإن الله انتخبه وأكرمه ، فلم يخلق فى أحد من الأخلاق الصالحة شيئاً إلا أصفاه الله بأكرمها وأحسنها ؛ ولم يخلق من الأخلاق السيّئة شيئاً فى أحد إلا أكرمه الله عنها ونزّهه؛ وإنى لأظن أنّ ٢٩١٨/١

أبا سفيان لو ولد الناسَ لم يلد إلا حازمًا . قال صعصعة : كذبت ! قد ولدَهم خير من أبى سفيان ؛ مَن خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فكان فيهم البرّ والفاجر ، والأحمق والكيّس . فخرج تلك الليلة من عندهم ، ثم أتاهم القابلة ، فتحدّث عندهم طويلا ، ثم قال : أيها القوم ، ردّوا علىّ خيرًا أو اسكتوا وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهليكم ، وينفع عشائركم ، وينفع جماعة المسلمين ؛ فاطلبوه [1] تعيشوا ونعِش بكم . فقال صعصعة : لستَ بأهلِ ذلك ، ولا كرامة لك أن تطاع فى معصية الله . فقال : أوَ ليس ما ابتدأتُكم به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن تعتصموا بحبله جميعًا ولا تفرّقوا ! قالوا : بل أمرتَ بالفرقة وخلاف ما جاء به النبىّ صلى الله عليه وسلم . قال : فإنى آمركم الآن ، إن كنت فعلتُ فأتوب إلى الله ، وآمركم بتقواه [2] وطاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ولزوم الجماعة ، وكراهة الفُرقة ، وأن توقّروا أئمّتكم وتدلّوهم على كلّ حسن ما قدرتم ، وتعِظوهم فى لين ولطف فى شىء إن كان منهم .

٢٩١٩/١ فقال صعصعة : فإنّا نأمرك أن تعتزل عملك ؛ فإنّ فى المسلمين من هو أحقّ به منك ، قال : مَن هو ؟ قال : مَن كان أبوه أحسن قدمًا من أبيك ، وهو بنفسه أحسنُ قدمًا منك فى الإسلام ، فقال : والله إنّ لى فى الإسلام قَدَمًا ، ولغَيرى كان أحسنُ قدمًا منى ؛ ولكنه ليس فى زمانى أحدٌ أقوى على ما أنا فيه منّى ؛ ولقد رأى ذلك [3] عمر بن الخطاب ، فلو كان غيرى أقوَى منى لم يكن لى عند عمر هَوادة ولا لغيرى ، ولم أحدِث من الحدث ما ينبغى لى أن أعتزِل عملى ؛ ولو رأى ذلك أمير المؤمنين وجماعة المسلمين لكتب إلىّ بخطّ يده فاعتزلت عملَه ؛ ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوتُ ألا يعزم له على ذلك إلا وهو خير ؛ فمهلا فإنّ فى ذلك وأشباهه ما يتمنّى الشيطان ويأمر ؛ ولَعمرى لو كانت الأمور تقضَى على رأيكم وأمانيّكم

---

(١) ب : « واطلبوه » . (٢) ف : « بتقوى الله » .
(٣) ب : « رآنى » .

ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يوماً ولا ليلة، ولكن الله يقضيها ويدبّرها؛ وهو بالغ أمره؛ فعاودوا الخبر وقوله.

فقالوا: لستَ لذلك أهلاً، فقال: أما والله إنّ لله لسطَوات ونِقمات، وإنى لخائف عليكم أن تتايعوا[1] فى مطاوعة الشيطان حتى تُحِلّكم مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن دارَ الهوان من نَقْم الله فى عاجل الأمر، والخزى[2] الدائم فى الآجل.

١/٢٩٢٠

فوثبوا عليه؛ فأخذوا[3] برأسه ولحيته، فقال: مَهْ؛ إنّ هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشأم ما صنعتم بى وأنا أمامهم ما ملكتُ أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم. فلعَمرِى إنّ صنيعكم ليشبه بعضه بعضاً، ثمّ أقام من عندهم، فقال: والله لا أدخل عليكم مدخلا ما بقيت.

ثم كتب إلى عثمان: بسم الله الرحمن الرحيم؛ لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبى سفيان، أمّا بعد يا أميرَ المؤمنين، فإنك بعثت إلىّ أقواماً يتكلّمون بألسنة الشياطين وما يُمْلون عليهم، ويأتون الناس ــ زعموا ــ من قِبَل القرآن، فيشبّهون على الناس، وليس كلّ الناس يعلم ما يريدون؛ وإنما يريدون فُرْقة، ويقرّبون فتنة؛ قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم، وتمكّنت رُقَى الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيراً من الناس ممن كانوا بين ظهرانَيْهم من أهل الكوفة؛ ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشأم أن يغرّوهم بسحْرهم وفجورهم؛ فارْدُدهم إلى مصرهم؛ فلتكنْ دارهم فى مصرهم الذى نجم فيه نفاقهم؛ والسلام.

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردّهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردّهم إليه، فلم يكونوا إلاّ أطلق ألسنَةً منهم حين رجعوا.

١/٢٩٢١

وكتب سعيد إلى عثمان يضجّ منهم؛ فكتب عثمان إلى سعيد أن سيّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان أميراً على حمص.

---

(١) النويرى: «تتابعوا». (٢) ف: «والحزن».
(٣) ف وابن الأثير والنويرى: «وأخذوا».

وكتب إلى الأشتر وأصحابه : أمّا بعد ، فإني قد سيّرتكم إلى حِمْص ، فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها ، فإنكم لستم تألون الإسلام وأهله شرًّا . والسلام .

فلما قرأ الأشتر الكتاب ، قال : اللهمّ أسوأنا نظراً للرعيّة وأعملنا فيهم بالمعصية ، فعجِّل له النقمة .

فكتب بذلك سعيد إلى عثمان ، وسار الأشتر وأصحابه إلى حِمْص ، فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل ، وأجرى عليهم رزقًا .

قال محمد بن عمر : حدّثني عيسى بن عبد الرحمن ، عن أبي إسحاق الهمْدانيّ ، قال : اجتمع نفر بالكوفة — يطعَنون على عثمان — من أشراف أهل العراق : مالك بن الحارث الأشتر ، وثابت بن قيس النَّخَعيّ ، وكُميل بن زياد النَّخَعيّ ، وزيد بن صُوحان العبديّ ، وجندَب بن زهير الغامديّ ، وجندَب بن كعب الأزديّ ، وعُروة بن الجَعْد ، وعمرو بن الحَمِق الخُزاعيّ .

فكتب سعيد بن العاص إلى عثمان يخبره بأمرهم ، فكتب إليه أن سيِّرهم إلى الشأم وألزمهم الدّروب .

* * *

١/٢٩٢٢

ذكر الخبر
عن تسيير عثمان مَنْ سيَّر من أهل البصرة إلى الشام

مما كتب به إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطيّة ، عن يزيد الفقْعسيّ ، قال : لما مضى من إمارة ابن عامر ثلاثُ سنين ، بلغه أن في عبد القيس رجلاً نازلاً على حُكَيم بن جَبَلة ، وكان حُكيم بن جبلة رجلاً لصًّا ، إذا قفل الجيوش خنَس عنهم ، فسعى في أرض فارس ، فيُغير على أهل الذّمة ، ويتنكّر لهم ، ويفسد في الأرض ، ويصيب ما شاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمّة وأهل القِبْلة إلى عثمان . فكتب إلى عبد الله بن عامر : أن احبسه ، ومَن كان مثله فلا يخرجنّ من البصرة حتى تأنسوا منه رُشْدًا ؛ فحبسه فكان لا يستطيع أن يخرُج منها . فلما قدم ابنُ السوداء نزل عليه واجتمع إليه نفر فطرَح لهم ابنُ السوداء ولم يصرّح ، فقبلوا منه ، واستعظموه ، وأرسل إليه ابنُ عامر ، فسأله : ما أنت ؟ فأخبره أنه رجل من

أهل الكتاب ، رغِب فى الإسلام ، ورغِب فى جوارك ؛ فقال : ما يبلغنى ذلك ، اخرج عنى . فخرج حتى أتى الكوفة فأخرِج منها فاستقرّ بمصر ، وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ، ويختلف[1] الرجال بينهم . ١/٢٩٢٣

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : إن حُمران بن أبان تزوّج امرأة فى عِدّتها ، فنكّل به عثمان ، وفرّق بينهما ، وسيّره إلى البصرة ، فلزم ابنَ عامر ؛ فتذاكروا يومًا الركوب والمرور بعامر ابن عبد قيس — وكان منقبضًا عن الناس — فقال حُمران : ألا أسبقكم فأخبره ! فخرج فدخل عليه وهو يقرأ فى المصحف ، فقال : الأمير أراد أن يمرّ بك فأحببت أن أخبرك ، فلم يقطع قراءته ولم يُقبل عليه ، فقام من عنده خارجًا. فلما انتهى إلى الباب لقيه ابنُ عامر ، فقال : جئتك من عند امرئ لا يرى لآل إبراهيم عليه فضلا ؛ واستأذن ابن عامر ، فدخل عليه ، وجلس إليه ، فأطبق عامرٌ المصحف ، وحدّثه ساعة ، فقال له ابنُ عامر : ألا تغشانا ؟ فقال : سعد بن أبى العرجاء يحبّ الشرف ، فقال : ألا نستعملك ؟ فقال : حصين ابن أبى الحرّ يحب العمل ، فقال : ألا نزوّجك ! فقال : ربيعة بن عِسْل يعجبه النساء ، قال : إن هذا يزعم أنك لا ترى لآل إبراهيم عليك فضلا ، فتصفّح المصحف ، فكان أوّل ما وقع عليه وافتتح منه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[2] ، فلما رُدّ حُمران تتبّع ذلك منه ، فسعى به ، وشهد له أقوام فسيّره إلى الشام ، فلما علموا علمه أذنوا له فأبى ولزم الشام . ١/٢٩٢٤

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، أنّ عثمان سيّر حُمران بن أبان ؛ أن تزوّج امرأة فى عِدّتها ، وفرق بينهما ، وضربه وسيّره إلى البصرة ؛ فلما أتى عليه ما شاء الله ، وأتاه عنه الذى يحبّ ، أذن له . فقدِم عليه المدينة ، وقدم معه قوم سعَوْا بعامر بن عبد قيس ؛ أنه لا يرى التزويج ، ولا يأكل اللحم ، ولا يشهد الجمعة — وكان مع عامر انقباض ؛

(١) ابن الأثير : « وتختلف » . (٢) سورة آل عمران ٣٣

وكان عمله كله خُفية — فكتب إلى عبد الله بن عامر بذلك ، فألحقه بمعاوية ؛ فلما قدِم عليه وافقه وعنده ثَريدة [1] فأكل أكلاً غريبًا ؛ فعرف أنّ الرجل مكذوب عليه ، فقال : ياهذا ، هل تدرى فيمَ أخرجت ؟ قال : لا ، قال : أبلغَ الخليفة أنك لا تأكل اللحم ، ورأيتُك وعرفت أن قد كُذب عليك ، وأنك لا ترى التزويج ، ولا تشهد الجمعة ، قال : أمّا الجمعة فإنى أشهدها فى مؤخّر المسجد ثم أرجع فى أوائل الناس ؛ وأمّا التزويج فإنى خرجت وأنا يُخْطَب علىّ ؛ وأما اللحم فقد رأيتَ، ولكنى كنت امرأً لا آكل ذبائح القصّابين منذ رأيت قَصّابًا يجرّ شاةً إلى مذبحها ، ثم وضع السكين على مذبحها ، فما زال يقول : النَّفاق النَّفاق ، حتى وجبت [2] . قال : فارجع ، قال : لا أرجع إلى بلد استحلّ أهله منّى ما استحلوا ولكنّى أقيم بهذا البلد الذى اختاره الله لى . وكان يكون فى السواحل ؛ وكان يلقى معاوية ، فيُكثر معاويةُ أن يقول : حاجتك ؟ فيقول : لا حاجة لى ؛ فلما أكثر عليه ، قال : تردّ علىّ من حرّ البصرة لعلّ الصوم أن يشتدّ علىّ شيئًا ، فإنه يخِفّ علىّ فى بلادكم .

١/٢٩٢٥

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى حارثة وأبى عثمان ، قالا : لما قدم مسيَّرة أهل الكوفة على معاوية ، أنزلهم دارًا ، ثم خلا بهم ، فقال لهم وقالوا له ، فلما فرغوا قال :لم تُؤْتَوْا إلا من الحمق ، والله ما أرى منطقًا سديداً ، ولا عذراً مبينًا ،ولا حلمًا ولا قوّة ؛ وإنّك يا صعصعة لأحمقهم ؛ اصنعوا وقولوا ما شئتم ما لم تَدَعوا شيئًا من أمر الله ؛ فإنّ كلّ شىء يحتمَل لكم إلا معصيته ، فأما فيما بيننا وبينكم فأنتم أمراء أنفسكم . فرآهم بعدُ وهم يشهدون الصلاة ، ويقفون مع قاصّ الجماعة ، فدخل عليهم يومًا وبعضهم يقرئْ بعضًا ، فقال : إنّ فى هذا لَخلفًا مما قدِمتم به علىّ من النّزاع إلى أمر الجاهلية ؛ اذهبوا حيث شئتم ، واعلموا أنكم إن لزمتم جماعتكم سعدتم بذلك دونهم ؛ وإن لم تلزموها شقيتم بذلك دونهم ؛ ولم تضرُّوا أحداً ، فجزَوْه خيراً ،

١/٢٩٢٦

(١) الثريدة : كسر الخبز المبلول بالماء. (٢) وجبت ، أى تم بيعها ونفد .

وأثنوا عليه ، فقال : يابن الكوّاء ، أىّ رجل أنا ؟ قال : بعيد الثرى ، كثير المرعى ، طيّب البديهة ، بعيد الغَوْر ، الغالب عليك الحلم ، ركن من أركان الإسلام ، سُدّت بك فُرجة مخوفة. قال : فأخبِرنى عن أهل الإحداث من أهل الأمصار فإنك أعقل أصحابك ؛ قال : كاتبتهُم وكاتبونى ، وأنكرونى وعرفتهم ؛ فأما أهلُ الإحداث من أهل المدينة فهم أحرصُ الأمّة على الشرّ ، وأعجزه عنه . وأما أهلُ الإحداث من أهل الكوفة فإنّهم أنظر الناس فى صغير، وأركبه لكبير . وأمّا أهلُ الإحداث من أهل البصرة، فإنهم يَرِدُون جميعًا ، ويصدرُون شتّى ، وأما أهل الإحداث من أهل مصر فهم أوْفَى الناس بشرّ ، وأسرعه ندامة ؛ وأما أهل الإحداث من أهل الشأم فأطوع الناس لمرشدهم ، وأعصاه لمغويهم .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عثمان .

وزعم أبو معشر أنّ فتح قُبرس كان فى هذه السنة ، وقد ذكرت مَن خالفه فى ذلك .

١/٢٩٢٧

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المذكورة

فزعم أبو معشر أن غزوة الصوارى كانت فيها ؛ حدّثنى بذلك أحمد ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق ، عنه . وقد مضى الخبر عن هذه الغزوة وذكر من خالف أبا معشر فى وقتها .

وفيها كان ردّ أهل الكوفة سعيدَ بن العاص عن الكوفة .

* * *

[ذكر خبر اجتماع المنحرفين على عثمان]

وفى هذه السنة تكاتب المنحرفون عن عثمان بن عفان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون أنهم نقموا عليه .

* ذكر الخبر عن صفة اجتماعهم لذلك وخبر الجرَعة :

مما كتب إلىّ به السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عن قيس بن يزيد النَّخَعِىّ ، قال : لما رجع معاوية المسيَّرين ، قالوا : إنّ العراق والشأم ليسا لنا بدار ؛ فعليكم بالجزيرة . فأتوْها اختياراً . فغدا عليهم عبد الرحمن بن خالد ، فسامهم الشدّة ، فضرِعوا له وتابعوه . وسرّح الأشتر إلى عثمان ، فدعا به ، وقال : اذهب حيث شئت ، فقال : أرجعُ إلى عبد الرحمن ، فرجع . ووفَد سعيدُ بن العاص إلى عثمان فى سنة إحدى عشرة من إمارة عثمان . وقبْل مخرج سعيد بن العاص من الكوفة بسنة وبعض أخرى بعث الأشعثَ بن قيس على أذْرَبيجان ، وسعيدَ بن قيس على الرّىّ ؛ وكان سعيد بن قيس على هَمَذان ، فعزُل وجعل عليها النُّسَيْر العجلىّ ، وعلى إصبهان السائب بن الأقرع ، وعلى ماهَ مالك بن حَبيب اليربوعىّ ، وعلى الموصِل حكيم بن سلامة الحِزامىّ ، وجرير بن عبد الله على قَرْقِيسياء ، وسلْمان ١/٢٩٢٨

ابن ربيعة على الباب ، وعلى الحرب القعقاع بن عمرو ، وعلى حُلوان عُتَيبة ابن النّهاس ، وخلت الكوفة من الرؤساء إلاّ منزوعًا أو مفتونًا .

فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خَلْع عثمان ، فدخل المسجد ، فجلس فيه ، وثاب إليه الذين كان فيه ابن السوداء يكاتبهم ، فانقضّ عليه القعقاع ، فأخذ يزيدَ بن قيس ، فقال : إنما نستعفى من سعيد ، قال : هذا ما لا يعرَض لكم فيه ، لا تجلس لهذا ولا يجتمعُنّ إليك ، واطلب حاجتك ، فلعمرى لتُعطَيَنّها .فرجع إلى بيته واستأجر رجلاً ، وأعطاه دراهم وبغلاً على أن يأتى المسيَّرين . وكتب إليهم : لا تضعوا كتابى من أيديكم حتى تجيئوا ، فإنّ أهل المصر قد جامعونا . فانطلق الرّجل ، فأتى عليهم وقد رجع الأشتر ، فدفع إليهم الكتاب ، فقالوا : ما اسمك ؟ قال : بُغْثُر ، قالوا : ممن ؟ قال : من كَلْب ، قالوا : سبُع ذليل يبغثِر النفوس ، لا حاجة لنا بك . وخالفهم الأشتر ، ورجع عاصيًا ، فلما خرج قال أصحابه : أخرَجنا أخرجه الله ، لانجد بدًّا مما صنع ، إن عِلم بنا عبد الرحمن لم يصدّقنا ولم يستقلْنها ، فاتْبعوه فلم يلحقوه ، وبلغ عبد الرحمن أنّهم قد رحلوا فطلبهم فى السواد ، فسار الأشتر سبعًا والقوم عشراً ، فلم يفجإ الناس فى يوم جمعة إلاّ والأشتر على باب المسجد يقول : أيّها الناس ، إنى قد جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان ، وتركت سعيداً يريده على نقصان نسائكم إلى[1] مائة درهم . وردّ أهل البلاء منكم إلى ألفين ، ويقول : ما بالُ أشراف النساء ، وهذه العِلاوة بين هذين العِدْلين ! ويزعم أنّ فيئكم بستان قريش ، وقد سايرته مرحلةً ، فما زال يرجز بذلك حتى فارقته ، يقول :

> ويْلٌ لأشْرافِ النِّساء مِنِّى صَمَحْمَحٌ[2] كأنّنى مِن جِنّ

فاستخفّ الناسَ ، وجعل أهلُ الحِجى ينهوْنه فلا يُسمع منهم ، وكانت نفْجة[3] ، فخرج يزيد ، وأمر مناديًا ينادى : مَن شاء أن يلحق بيزيدَ

٢٩٢٩/١

---

(١) ابن الأثير والنويرى : « على » .
(٢) الصمحمح من الرجال : الشديد المجتمع .
(٣) يريد بالنفجه هنا الضجّة ، انظر الفائق ٣ : ١٢٠ .

ابن قيس لردَّ سعيد وطلبِ أمير غيره فليفعل . وبقىَ حُلماء الناس وأشرافُهم ووجوهُهم فى المسجد ، وذهب مَن سواهم ، وعَمرو بن حُرَيث يومئذ الخليفة ، فصعِد المنبرَ فحمِد اللهَ وأثنى عليه ، وقال : اذكروا نعمةَ الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا ، بعد أن كنتم على شَفَا حُفرة من النار فأنقذكم منها ، فلا تعودوا فى شرّ قد استنقذكم الله عزّ وجلّ منه . أبَعْد الإسلامِ وهَدْيه وسنّته لا تَعرفون حقًّا، ولا تصيبون بابَه ! فقال القَعقاع بنُ عمرو : أتردّ السيلَ عن عُبابه ! فارْدُدِ الفراتَ عن أدراجه ، هيهات! لا والله لا تُسكّن الغَوغاءَ إلاّ المَشرَفيّة[1] ويوشك أن تُنتضَى ، ثم يَعِجّون عجيجَ العِتْدان[2] ويتمنّون ما هم فيه فلا يردّه الله عليهم أبداً . فاصبر ؛ فقال : أصبر ، وتحوّل إلى منزله ، وخرج يزيد ابن قيس حتى نزل الجرَعة ، ومعه الأشتر ، وقد كان سعيد تَلبّث فى الطريق ، فطلع عليهم سعيد وهم مقيمون له معسكرون ، فقالوا : لا حاجة لنا بك . فقال : فما اختلفتم الآن ؛ إنما كان يكفيكم أن تَبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلا وتضعوا إلىّ رجلا . وهل يخرج الألف لهم عقولٌ إلى رجل ! ثم انصرَف عنهم وتحسّوْا بمولًى له على بعير قد حُسِر ، فقال : والله ما كان ينبغى لسعيد أن يَرجع . فضرب الأشترُ عنقَه ، ومضى سعيد حتى قَدِم على عثمانَ ، فأخبَره الخبر ، فقال : ما يريدون ؟ أخلَعوا يداً من طاعة ؟ قال : أظهَروا أنهم يريدون البدَل . قال : فمن يريدون ؟ قال : أبا موسى ؛ قال : قد أثبتْنا أبا موسى عليهم ، ووالله لا نجعل لأحد عُذراً ، ولا نترك لهم حجّة ، ولنَصبرنّ كما أمِرنا حتى نَبلغ ما يريدون . ورجع مَن قرب عملُه من الكوفة ، ورجع جرير من قَرْقيسياء وعُتيبة من حُلْوان . وقام أبو موسى فتكلّم بالكوفة فقال : أيّها الناس ، لاتنفِروا فى مثل هذا ، ولاتعودوا لمثله ، الزَموا جماعتكم والطاعة ؛ وإيّاكم والعجلة ، اصبروا ، فكأنكم بأمير . قالوا : فصلّ بنا ، قال لا ، إلا على السمع والطاعة لعثمانَ بن عفان ؛ قالوا : على السمع والطاعة لعثمان .

١/٢٩٣٠ ١/٢٩٣١

(١) المشرفية : ضرب من السيوف منسوب إلى مشارف ، قرى قرب حوران من بلاد الشام .

(٢) العتود : الجدى الذى استكرش ، وقيل : الحول من أولاد المعز ، وجمعه عتدان .

حدّثني جعفر بنُ عبد الله المحمديّ ، قال : حدّثنا عمرو بن حمّاد بن طلحة وعليّ بن حسين بن عيسى ، قالا : حدّثنا حسين بن عيسى ، عن أبيه ، عن هارون بن سعد ، عن العلاء بن عبد الله بن زيد العنبريّ ، أنّه قال : اجتمع ناسٌ من المسلمين ، فتذاكروا أعمالَ عثمان وما صنع ، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلاً يكلّمه ، ويخبره بإحداثه ، فأرسلوا إليه عامرَ ابن عبد الله التميميّ ثم العنبريّ — وهو الذى يُدعى عامرَ بنَ عبد قيس — فأتاه ، فدخل عليه ، فقال له : إنّ ناسًا من المسلمين اجتمعوا فنظروا فى أعمالك ، فوجدوك قد ركبتَ أموراً عظامًا ، فاتّق الله عزّ وجلّ وتُب إليه ، وانزع عنها . قال له عثمان : انظر إلى هذا ، فإنّ الناس يزعمون أنه قارئ ، ثم هو يجيء فيكلّمنى فى المحقَّرات ، فوالله ما يدرى أين الله ! قال عامر : أنا لا أدرى أين الله ! قال : نعم ، والله ما تدرى أين الله ؛ قال عامر : بلى والله إنّى لأدرِى أنّ اللهَ بالمرصاد لك .

فأرسل عثمان إلى معاويةَ بن أبى سُفيان ، وإلى عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح ، وإلى سعيد بن العاص ، وإلى عمرو بن العاص بن وائل السهميّ ، وإلى عبدِ الله بنِ عامر ؛ فجمَعهم ليشاورَهم فى أمره وما طُلِب إليه ، وما بلغه عنهم ، فلما اجتمعوا عنده قال لهم : إنّ لكلّ امرئ وزراءَ ونُصَحاء ، وإنّكم وزرائى ونُصَحائى وأهل ثقتى ، وقد صنع الناسُ ما قد رأيتم ، وطلبوا إلىّ أن أعزل عمّالى ، وأن أرجعَ عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبّون ، فاجتهدوا رأيكم ، وأشيروا علىّ .

فقال له عبدُالله بنُ عامر : رأيى لك يا أمير المؤمنين أن تأمرَهم بجهاد يَشغَلهم عنك ، وأن تُجمّرهم[١] فى المغازى حتى يذِلّوا لك فلا يكونَ همّة أحدهم إلاّ نفسَه ، وما هو فيه من دَبَرة دابته ، وقَمْل فَرْوه . ثم أقبل عثمانُ على سعيد بنِ العاص فقال له : ما رأيك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن كنتَ ترى رأينا فاحسم عنك الداء ، واقطَعْ عنك الذى تَخاف ، واعمل برأيى تُصِب ؛ قال : وما هو ؟ قال : إنّ لكلّ قوم قادةً متى تَهلِكْ يتفرّقوا ،

---

(١) يقال : جمر الجيش ، إذا حبسه فى أرض العدو ولم يقفله من الثغر .

ولا يجتمعْ لهم أمر ، فقال عثمان : إنّ هذا الرأىُ لولا ما فيه . ثم أقبل معاوية فقال : ما رأيُك ؟ قال : أرى لك يا أميرَ المؤمنين أن تردّ عمّالك على الكفاية لما قِبَلهم ، وأنا ضامن لك قِبَلى .

ثم أقبل على عبدِ الله بن سعد، فقال: ما رأيُك؟ قال: أرى يا أميرَ المؤمنين أنّ الناسَ أهل طَمَع ، فأعطهم من هذا المال تَعطفْ عليك قلوبهم . ثم أقبل على عمرو بن العاص فقال له : ما رأيُك ؟ قال : أرى ١/٢٩٣٣ أنك قد ركبتَ الناس بما يكرهون ؛ فاعتزِم أن تعتدل ، فإن أبيتَ فاعتزمْ أن تعتزل ، فإن أبيْتَ فاعتزِمْ عزمًا ، وامضِ قُدُمًا ؛ فقال عثمان : مالَكَ قَمِلَ فَرْوُك ؟ أهذا الجِدّ منك ! فأسكتَ عنه دهراً ، حتى إذا تفرّق القوم قال عَمرو : لا واللهِ يا أمير المؤمنين ، لأنت أعزّ علىّ من ذلك ، ولكن قد علمتُ أن سيبلغ الناسَ قولُ كلّ رجل منا ، فأردتُ أن يبلغهم قولى فيَثقوا بى ، فأقودَ إليك خيراً ، أو أدفعَ عنك شرًّا .

حدّثنى جعفر ، قال : حدّثنا عمرو بن حمّاد وعلىّ بنُ حسين ، قالا : حدّثنا حسين ، عن أبيه ، عن عمرو بن أبى المِقْدام ، عن عبدالملك ابن عُمير الزُّهرىّ ، أنه قال : جمع عثمانُ أمراءَ الأجناد : معاويةَ بن أبى سُفيان، وسعيدَ بن العاص، وعبدَالله بن عامر ، وعبدَالله بن سعد بن أبى سَرْح ، وعمرَو بن العاص ، فقال : أشيروا علىّ ، فإنّ الناس قد تنمّروا لى ، فقال له معاوية : أشيرُ عليك أن تأمر أمراءَ أجنادِك فيكفيَك كلّ رجل منهم ما قِبَله ، وأكفيك أنا أهلَ الشأم ؛ فقال له عبد الله بنُ عامر : أرى لك أن تجمّرهم فى هذه البعوث حتى يهمّ كلّ رجل منهم دَبَرُ دابّته ، وتشغلهم عن الإرجاف بك ، فقال عبد الله بنُ سعد : أشير عليك أن تنظر ما أسخَطهم فترُضيَهم ، ثم تُخرج لهم هذا المال فيُقسَم بينهم .

ثم قام عمرو بن العاص فقال : يا عثمان ؛ إنك قد ركبتَ الناس بمثل بنى أميّة ، فقلتَ وقالوا ، وزِغْتَ وزاغوا ، فاعتدلْ أو اعتزِلْ ، فإن أبَيْتَ فاعتزم عزْمًا ، وامضِ قُدُمًا ؛ فقال له عثمان : مالَكَ قَمِلَ فَرْوُك ! ١/٢٩٣٤ أهذا الجِدّ منك! فأسكَتَ عمرو حتى إذا تفرّقوا قال: لا واللهِ يا أميرَ المؤمنين،

لأنت أكرمُ عليّ من ذلك ، ولكنى قد علمتُ أنّ بالباب قوماً قد علموا أنك جمعتنا لنُشير عليك ، فأحببتُ أن يبلغهم قولى ، فأقودَ لك خيراً ، أو أدفعَ عنك شرًّا .فردّ عثمانُ عمّالَه على أعمالهم ، وأمَرَهم بالتضييق على مَن قِبلَهم ، وأمرهم بتجمير الناس فى البُعوث ، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ، ويحتاجوا إليه ، وردّ سعيدَ بن العاص أميراً على الكُوفة ، فخرج أهلُ الكوفة عليه بالسلاح ، فتلقَّوْه فردّوه ، وقالوا : لا والله لا يلى علينا حُكْماً ما حملْنا سيوفَنا .

حدّثنى جعفر ، قال : حدّثنا عمرو وعلىّ بنُ حسين ، عن أبيه ، عن هارونَ بن سعد ، عن أبى يحيى عمير بن سعد النخَعىّ ، أنه قال : كأنّى أنظر إلى الأشتر مالك بن الحارث النَّخَعىّ على وجهه الغبار ، وهو متقلد السيف ، وهو يقول : والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيوفَنا — يعنى سعيداً ، وذلك يوم الجَرَعة ، والجَرَعة مكانٌ مُشرف قُرْبَ القادسيّة — وهناك تلقاه أهلُ الكوفة .

حدّثنى جعفر ، قال : حدّثنا عمرو وعلىّ ، قالا : حدّثنا حسين ، عن أبيه ، عن هارون بن سعد ، عن عمرو بن مرّة الجَمَلىّ ، عن أبى البَخْتَرىّ الطائىّ ، عن أبى ثَوْر الحدانى[1] — وحَداء حىٌّ من مُراد — أنه قال : دفعتُ إلى حذيفةَ بنِ اليَمان وأبى مسعود عُقْبة بن عمرو الأنصارىّ وهما فى مسجد الكوفة يومَ الجَرَعة ، حيث صَنَع الناسُ بسعيد بن العاص ما صنعوا، وأبو مسعود يُعظِم ذلك ، ويقول : ما أرى أن تُرَدّ على عَقِبيها حتّى يكونَ فيها دماء ، فقال حذيفة : والله لتُرَدّنّ على عَقبيها ، ولا يكون فيها مِحْجَمة من دم ، وما أعلم منها اليوم شيئاً إلاّ وقد علمتُه ومحمد صلى الله عليه وسلم حىّ ؛ وإنّ الرجل ليُصبح على الإسلام ثم يُمْسى وما معه منه شىء ، ثم يقاتل أهل القِبْلة ويقتله الله غداً ، فينكص قلبُه ، فتعلوه استُه . فقلت لأبى ثَوْر : فلعلّه قد كان ، قال : لا والله ما كان . فلما رجع

١/٢٩٣٥

(١) ابن الأثير : « الحدانى » .

سعيد بن العاص إلى عثمانَ مطروداً ، أرسل أبا موسى أميراً على الكُوفة ، فأقرُّوه عليها .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن يحيى بن مسلم ، عن واقد بن عبد الله ، عن عبد الله بن عُمير الأشجعىّ ، قال : قام فى المسجد فى الفتنة فقال : أيّها الناس ، اسكتُوا ، فإنّى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من خرج وعلى الناس إمام – والله ما قال : عادل – ليَشُقّ عصاهم ، ويفرّق جماعتَهم ، فاقتلوه كائناً مَن كان » .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : لما استَغْوى[1] يزيدبن قيس الناسَ على سعيد بن العاص ، خرج منه ذِكْرٌ لعثمان ، فأقبَلَ إليه القَعْقاع بنُ عمرو حتى أخذه ، فقال : ما تُريد ؟ ألك علينا فى أن نَستعفىَ سبيل ؟ قال : لا ، فهل إلاّ ذلك ؟ قال : لا ، قال : فاستعفِ . واستَجلَبَ يزيد أصحابَه من حيث كانوا ، فردّوا سعيداً ، وطلبوا أبا موسى ، فكتب إليهم عثمان : ٢٩٣٦/١

بسم الله الرّحمن الرحيم . أمّا بعد ، فقد أمّرتُ عليكم من اخترتم ، وأعفَيْتُكم من سعيد ، والله لأفْرُشنّكم[2] عِرْضى ، ولأبذُلنّ لكم صبرى ، ولأستصلحنّكم بجهدى ، فلا تَدَعوا شيئاً أحببتموه لا يُعصَى الله فيه إلاّ سألتموه ، ولا شيئاً كرهتموه لا يُعصَى الله فيه إلاّ استعفيتم منه ؛ أنزل فيه عند ما أحببتم ، حتى لا يكون لكم علىّ حجّة .

وكتب بمثل ذلك فى الأمصار ، فقدمت إمارة أبى موسى وغزو حُذيفة وتأمّر أبو موسى ، ورجع العمّال إلى أعمالهم ، ومضى حُذيفة إلى الباب .

وأما الواقدىّ فإنه زعم أن عبدَالله بن محمد حدّثه ، عن أبيه ، قال : لما كانت سنة أربع وثلاثين كتب أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضُهم إلى بعض : أنِ اقدموا ، فإن كنتم تريدون الجهادَ فعندنا الجهاد . وكثّر[3] الناسُ على عثمان ، ونالوا منه أقبحَ ما نِيلَ من أحَد ، وأصحابُ رسول ٢٩٣٧/١

(١) استغواهم : دعاهم إلى الفتنة . (٢) ابن الأثير والنويرى : « لأقرضنكم » .

(٣) ابن الأثير والنويرى : « وعظم » .

الله صلّى الله عليه وسلّم يَرون ويَسمعون ؛ ليس فيهم أحد ينهى ولا يذبّ إلاّ نُفَير ؛ [منهم] (١) زيد بن ثابت ،وأبو أسَيْد الساعدىّ ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت . فاجتمع الناس ، وكلّموا علىّ بنَ أبي طالب . فدخل علىّ عثمان ، فقال : الناس ورائى ، وقد كلّمونى فيك ، والله ما أدرى ما أقولُ لك ، وما أعرف شيئًا تجهلُه ، ولا أدلّك على أمر لا تعرفه ؛ إنك لتَعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنُخبرَك عنه ، ولا خلوْنا بشيء فنُبلغَكَه ، وما خُصِصنا بأمر دونك (٢) ، وقد رأيتَ وسمعتَ ، وصحبتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ونلتَ صهرَه ، وما ابن أبي قُحافة بأوْلى بعمل الحقّ منك ، ولا ابنُ الخطاب بأوْلى بشيء من الخير منك ، وإنك أقربُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رَحِمًا ، ولقد نلتَ من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم ينالاَ ، ولا سبَقاك إلى شيء . فاللهَ اللهَ فى نفسك، فإنك والله ما تُبصَّر من عمًى ، ولا تُعلَّم من جهْل ، وإنّ الطريق لواضح بيّن، وإنّ أعلامَ الدّين لقائمة . تعلّمْ يا عثمانُ أنّ أفضل عبادِ الله عند الله إمامٌ عادل ، هُدِىَ وهَدَى ، فأقام سنّةً معلومة، وأمات بدْعةً متروكة (٣)، فوالله إنّ كُلاًّ لَبَيِّن، وإن السُّنَن لقائمة لها أعلام، وإن البدَع لقائمةٌ لها أعلام ، وإن شرّ الناس عند الله إمامٌ جائر ، ضَلّ وضُلّ به ، فأماتَ سنّة معلومة، وأحيا بدعةً متروكة ،وإنّى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: « يؤتَى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصيرٌ ولا عاذر (٤) ، فيُلْقَى فى جهنم ، فيدور فى جهنم كما تدور الرّحَا ، ثم يَرتطم فى غَمرةِ جهنم » . وإنى أحذّرك الله ، وأحذّرك سطوتَه ونِقماته (٥) ؛ فإنّ عذابَه شديد أليم . وأحذّرك أن تكون إمامَ هذه الأمة المقتول ، فإنه يقال : يُقتَل فى هذه الأمة إمام ، فيُفتَح عليها القتلُ والقتالُ إلى يوم القيامة، وتُلبَّس أمورُها عليها، ويتركهم شِيَعًا ، فلا يُبصرون الحقّ لعلوّ الباطل ؛ يموجون فيها موْجًا ، ويَمْرَجون فيها مَرَجًا .

١/٢٩٣٨

---

(١) من ابن الأثير والنويرى .

(٢) ابن كثير : « بأمور عنك » .

(٣) ابن كثير : « معلومة » .

(٤) ابن كثير : « حميم »

(٥) ابن كثير : « ونقمته » .

فقال عثمان : قد واللهِ علمت ، ليَقولُنّ الذى قلتَ ، أما والله لو كنتَ مكانى ما عنّفتك، ولا أسلمْتك ، ولا عبتُ عليك ، ولا جئتُ مُنْكَراً أن وصلتَ رَحماً ، وسددْتَ خَلّة ، وآويتَ ضائعاً، ووليْتَ شبيهاً بمن كان عُمر يولّى . أنشُدكَ اللهَ يا علىّ ، هل تَعلم أنّ المغيرة بنَ شُعْبة ليس هناك ! قال : نعم ؛ قال : فتعلم أنّ عمر ولاّه ؟ قال : نعم ، قال : فلمَ تلومُنى أن ولّيتُ ابنَ عامر فى رَحِمه وقَرابته ؟ قال علىّ : سأخبرك ، إنّ عمر ابنَ الخطاب كان كلُّ مَن ولّى فإنما يطأ على صِماخه[1] ، إنْ بَلَغه عنه حرفٌ جلبه ثم بلغ به أقصى الغاية؛ وأنت لا تفعل، ضعفتَ ورفقتَ[2] على أقربائك . قال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً . فقال علىّ : لَعَمرى إنّ رَحِمهم منّى لقريبة ، ولكنّ الفضلَ فى غيرهم ؛ قال عثمان : هل تعلم أنّ عمرَ ولّى معاويةَ خلافتَه كلَّها ؟ فقد ولّيتُه . فقال علىّ : أنشُدك الله هل تعلم أنّ معاوية كان أخوَفَ من عمرَ من يَرْفأَ غلام عمر منه ؟ قال : نعم . قال علىّ : فإنّ معاوية يقتطع الأمورَ دونَك وأنت تعلمها ، فيقول للناس: هذا أمر عثمان ، فيبلغك ولا تغيّر على معاوية . ثم خرج علىّ من عنده ، وخرج عثمانُ على أثره ، فجلس على المنبر ، فقال : أمّا بعد ، فإنّ لكلّ شىء آفة ، ولكلّ أمر عاهة ، وإنّ آفة هذه الأمة ، وعاهةَ هذه النعمة ، عَيّابون طعّانون ، يُرونكم ما تحبّون ويُسرّون ما تَكرهون ؛ يقولون لكم وتقولون ، أمثالُ النعام يتبعون أوّل ناعق ؛ أحبُّ مواردها إليها البعيد ، لا يشربون إلاّ نَغَصاً ولا يَرِدون إلاّ عَكَراً ، لا يقوم لهم رائد ، وقد أعيتْهم الأمور ، وتعذّرت عليهم المكاسب . ألا فقد والله عبتم علىّ بما أقررتم لابن الخطاب بمثله ، ولكنّه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم[3] بلسانه ، فدِنتم له على ما أحببتم أو كرهتم ، ولنت لكم ، وأوطأت لكم كتفى ، وكففت يدى ولسانى عنكم ، فاجترأتم علىّ . أمَا والله لأنا أعزّ نفراً ، وأقربُ ناصراً

١/٢٩٣٩ ١/٢٩٤٠

---

(١) ابن كثير : «صماخيه» . (٢) النويرى : «ورققت» .
(٣) ابن الأثير : «وقهركم» .

وأكثرُ عدداً ، وأقمن إن قلتُ هلمّ أُتِيَ إلىّ ؛ ولقد أعددتُ لكم أقرانكم ، وأفضلتُ عليكم فضولا ، وكشَرتُ لكم عن نابى ، وأخرجتم منى خُلُقًا لم أكن أحسنه ، ومَنطقًا لم أنطقْ به ، فكُفّوا عليكم ألسنَتكم ، وطَعْنَكم وعيبكم على وُلاتكم ، فإنّى قد كففت عنكم مَنْ لوكان هو الذى يكلمكم لرضيتم منه بدون منطِقى هذا . ألا فما تفقِدون مِن حقكم ؟ واللهِ ما قصّرت فى بلوغ ما كان يبلغ مَن كان قبلى ، ومَن لم تكونوا تختلفون عليه . فَضَل فَضْلٌ من مال ؛ فما لى لا أصنع فى الفَضْل ما أريد ! فلمَ كنتُ إمامًا !

فقام مروان ابن الحكَم، فقال : إن شئتم حكّمنا واللهِ بيننا وبينكم السيفَ ، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر :

فَرَشْنا لَكُمْ أعْراضَنا فَنبَتْ بكُمْ   مَعارِسُكُم تَبْنونَ فى دِمَنِ الثَّرَى

فقال عثمان : اسكت لاسكتَّ ، دعنى وأصحابى ، ما منطقُك فى هذا ! ١/ ٢٩٤١ ألم أتقدّم إليك ألاّ تنطق ! فسكَت مرْوان ، ونزل عثمان .

* * *

وفى هذه السنة مات أبو عَبْس بن جَبْر بالمدينة ، وهو بدرىّ . ومات أيضًا مِسْطح بن أثاثة ، وعاقل بن أبى البُكَير من بنى سعد بن ليث ، حليف لبنى عدىّ ، وهما بدريّان .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عثمانُ بن عفان رضى الله عنه .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك نزول أهل مصرَ ذا خُشُب ، حدّثني بذلك أحمد بنُ ثابت ، عمن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : كان ذو خُشُب سنةَ خمس وثلاثين ، وكذلك قال الواقديّ .

* * *

ذكر مسير من سار إلى ذي خُشُب من أهل مصرَ وسبب مسير مَنْ سار إلى ذي المرْوة من أهل العراق

٢٩٤٢/١ فيما كتب به إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن يزيدَ الفقْعَسيّ ، قال : كان عبد الله بن سبَأ يهوديًّا من أهل صَنْعاء ، أمّه سوداء ، فأسلم زمانَ عثمان ، ثم تنقّل في بُلدان المسلمين ، يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ، ثم البَصرة ، ثم الكوفة ، ثم الشأم ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشأم ، فأخرجوه حتى أتى مصرَ ، فاعتَمر فيهم ، فقال لهم فيما يقول : لَعَجبٌ[1] ممن يزعم أنّ عيسى يرجع ، ويكذّب بأنّ محمداً يرجع ، وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[2] . فمحمد أحقّ بالرجوع من عيسى . قال : فقبِل ذلك عنه ، ووضع لهم الرّجعة ، فتكلموا فيها . ثم قال لهم بعد ذلك : إنه كان ألف نبيّ ، ولكلّ نبيّ وصيّ ، وكان عليّ وصيَّ محمد ؛ ثم قال : محمد خاتم الأنبياء ، وعليّ خاتمُ الأوصياء ، ثم قال بعد ذلك : مَن أظلمُ ممن لم يُجِز وصيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووثب على وصيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتناول أمرَ الأمّة ! ثم قال لهم بعد ذلك : إنّ عثمان أخذها بغير حقّ ، وهذا وصيّ رسولِ الله صلى الله

(١) ب : « تعجبت » ، ابن الأثير والنويري : « العجب » . (٢) سورة القصص ٨٥ .

عليه وسلم، فانهضوا فى هذا الأمر فحرّكوه ، وابدءوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف ، والنهىَ عن المنكر ؛ تستميلوا الناس ، وادعوهم إلى هذا الأمر .

فبثّ دعاته ، وكاتَب من كان استَفسَد فى الأمصار وكاتَبوه ، ودعَوا فى السرّ إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمرَ بالمعروف والنهىَ عن المنكر ، ٢٩٤٣/١ وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب[1] يضعونها فى عيُوب وُلاتِهم، ويكاتبهم إخوانُهم بمثِل ذلك ، ويكتب أهلُ كلّ مصرٍ منهم إلى مصرٍ آخَر بما يصنعون ؛ فيقرؤه أولئك فى أمصارهم وهؤلاء فى أمصارهم ، حتّى تناولوا بذلك المدينة ، وأوسَعُوا الأرض إذاعة ، وهم يريدون غيرَ ما يُظهرون ، ويُسرّون غيرَ ما يُبدون ، فيقول أهلُ كلّ مصر : إنّا لفى عافية مما ابتُلِىَ به هؤلاء ، إلاّ أهلَ المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار ، فقالوا: إنا لفى عافية مما فيه الناس ، وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان ، قالوا : فأتوْا عثمان، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، أيأتيك عن الناس الذى يأتينا ؟ قال: لا والله ، ما جاءنى إلاّ السلامة ، قالوا : فإنا قد أتانا . . وأخبَروه بالذى أسقطوا إليهم ؛ قال : فأنتم شركائى وشهود المؤمنين ، فأشيروا علىّ ؛ قالوا : نُشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم. فدعا محمّد بنَ مسْلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البَصرة ، وأرسل عمّار بن ياسر إلى مصرَ ، وأرسل عبدَالله بنَ عمر إلى الشأم ، وفرّق رجالاً سواهم، فرجعوا جميعًا قبل عمّار، فقالوا : أيّها الناس ، ما أنكرنا شيئًا ، ولا أنكره أعلامُ المسلمين ولا عوامُّهم ؛ وقالوا جميعًا : الأمر أمر المسلمين ، إلاّ أنّ أمراءهم يُقسِطون بينهم ، ويقومون[2] عليهم . واستبطأ الناس عَمّارا حتى ظنوا أنه قد اغتيل ، فلم يَفجأهم إلاّ كتابٌ من عبد الله ابن سعد بن أبى سَرْح يخبِرهم أنّ عمّاراً قد استماله قومٌ[3] بمصر ، وقد ٢٩٤٤/١ انقطعوا إليه ؛ منهم عبدُ الله بن السوداء ، وخالد بن مُلجَم، وسُودان بن حُمْران ، وكنانة بن بِشْر .

---

(١) ف : «كتباً» . (٢) ف : «ويقيمون» . (٣) ف : «استمال قوماً»

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعطيّة ، قالوا : كتب عثمانُ إلى أهل الأمصار : أمّا بعد ، فإنى آخُذ العمال بموافاتى فى كلّ موسم ، وقد سلّطت الأمة منذ وَليتُ على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فلا يُرفع علىّ شىء ولا على أحد من عمالى إلاّ أعطيتُه ، وليس لى ولعيالى حقّ قِبَل الرعيّة إلاّ متروك لهم ،وقد رفع إلىّ أهلُ المدينة أنّ أقوامًا يُشتَمون ، وآخرون يُضرَبون ، فيامن ضُرب سِرًّا ، وشتم سرًّا ، من ادّعى شيئًا من ذلك فليواف الموسمَ فليأخذْ بحقّه حيث كان ؛ منّى أو من عمالى ، أو تصدّقوا فإن الله يَجزِى المتصدّقين . فلما قرئ فى الأمصار أبكَى الناس ، ودعَوا لعثمان وقالوا : إنّ الأمة لتَمخَّضُ بشرّ . وبعث إلى عمال الأمصار فقَدِموا عليه[1] : عبد الله بن عامر ، ومعاوية ، وعبد الله بن سعد ؛ وأدخل معهم فى المَشورة سعيداً وعَمْرًا ، فقال : ويْحكم ! ما هذه الشكاية ؟ وما هذه الإذاعة ؟ إنى والله لخائف أن تكونوا مصدوقًا عليكم ، وما يُعصَب[2] هذا إلاّ بى ؛ فقالوا له : ألم تبعث ! ألم نرجع إليك الخبرَ عن القوم[3] ! ألم يرجعوا ولم يشافههم أحدٌ بشىء ! لا والله ما صَدَقوا ولا برّوا ، ولا نعلم لهذا الأمر أصلا ، وما كنتَ لتأخذ به أحداً فيقيمك على شىء ؛ وما هى إلا إذاعة لا يحلّ الأخذُ بها ، ولا الانتهاء إليها . ١/٢٩٤٥

قال : فأشيروا علىّ ؛ فقال سعيد بن العاص : هذا أمر مصنوع يُصنع فى السرّ ، فيُلْقَى به غير ذى المعرفة ، فيُخبَر به ، فيُتحدَّث به فى مجالسهم ، قال : فما دواءُ ذلك ؟ قال : طلبُ هؤلاء القوم ، ثم قتلُ هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم .

وقال عبد الله بنُ سعد : خذ من الناس الذى عليهم إذا أعطيتَهم الذى لهم ؛ فإنه خير من أن تدَعَهم . قال معاوية : قد ولّيتنى فوليتُ قومًا لا يأتيك عنهم إلا الخير ، والرّجلان أعلَم بناحيتيهما ؛ قال : فما الرأى ؟ قال : حسنُ الأدب ، قال : فما ترى يا عَمرو ؟ قال : أرى أنك قد لِنتَ لهم ، وتراخَيت

---

(١) بعدها فى ابن الأثير : « فى الموسم » . وفى النويرى : « ليأخذ بحقه » .

(٢) يعصب بى ، أى يناط . (٣) ابن الأثير والنويرى : « العوام » .

عنهم ، وزدتهم على ما كان يصنع عمر ، فأرى أن تلزم طريقة صاحبيْك ، فتشتدّ فى موضع الشدّة ، وتلينَ فى موضع اللين . إن الشدّة تنبغى لمن لا يألو الناس شرًّا ، واللين لمن يخلف الناسَ بالنصح ، وقد فرشتَهما جميعًا اللين .

وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال : كلّ ما أشرتم به علىّ قد سمعتُ ، ولكلّ أمر بابٌ يؤتَى منه ؛ إنّ هذا الأمر الذى يُخاف على هذه الأمة كائن ، وإنّ بابه الذى يُغلَق عليه فيُكفكَف به اللين والمؤاتاة والمتابعَة ، إلاّ فى حدود الله تعالى ذكرُه ، التى لا يستطيع أحد أن يبادىَ بعيب أحدها ، ١/٢٩٤٦ فإن سدّه شىء فرفْق ، فذاك والله ليُفتَحنّ ، وليست لأحد علىّ حجة حقّ ، وقد علم الله أنّى لم آلُ الناس خيراً ، ولا نفسى . ووالله إن رَحا الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحرّكْها . كفكفوا الناس ، وهبُوا لهم حقوقَهم ، واغتفروا لهم ، وإذا تُعوطيتْ حقوق الله فلا تُدْهِنوا فيها .

فلما نفر عثمان أشخص معاوية وعبد الله بن سعد إلى المدينة ، ورجع ابن عامر وسعيد معه . ولما استقلّ عثمان رَجَزَ الحادى :

قد عَلِمتْ ضَوامرُ المَطِىِّ وضَامِراتُ عَوَجِ القِسِىِّ
أنّ الأميرَ بعدَه عَلِىُّ وفى الزُّبَيْرْ خَلَفٌ رَضِىُّ
* وطلحةُ الحامى لَها وَلِىُّ *

فقال كعب وهو يسير خلفَ عثمان : الأميرُ والله بعدَه صاحبُ البغلة — وأشار إلى معاوية .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن بدر بن الخليل بن عثمان بن قطبة الأسَدىّ ، عن رجل من بنى أسد ، قال : ما زال معاويةُ يطمع فيها بعد مَقدَمه على عثمان حين جمعهم ، فاجتمَعوا إليه بالموسم ، ثم ارتحل ، فحدَا به الرّاجز :

١/٢٩٤٧ إن الأميرَ بعده علِىُّ وفى الزبير خَلَفٌ رضىُّ

قال كعب : كذَبتَ ! صاحب الشَّهْباء بعده — يعنى معاوية — فأخبر معاوية ، فسأله عن الذى بلغه ، قال : نعم ، أنت الأمير بعده ، ولكنّها والله لا تصل إليك حتى تُكذِّب بحديثى هذا . فوقعتْ فى نفس معاوية .

وشاركَهم فى هذا المكان أبو حارثة وأبو عثمان ، عن رَجاء بن حَيْوة

وغيره . قالوا : فلما وردَ عثمانُ المدينة ردّ الأمراءَ إلى أعمالهم ، فمضَوا جميعًا ، وأقام سعيد بعدَهم ، فلما ودّع معاويةُ عثمانَ خرج من عنده وعليه ثياب السفر متقلداً سيفَه ، متنكّبًا قوسَه ، فإذا هو بنفر من المهاجرين ، فيهم طلحة والزبير وعليّ ، فقام عليهم ، فتوكّأ على قوسه بعد ما سلّم عليهم ، ثم قال : إنّكم قد علمتم أنّ هذا الأمر كان إذ الناس يتغالبون إلى رجال ، فلم يكن منكم أحد إلاّ وفى فصيلته من يَرْئِسه ، ويستبدّ عليه ، ويَقطع الأمرَ دونَه ، ولا يُشهِده ، ولا يؤامِرُه ، حتى بعث الله جلّ وعزّ نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، وأكرَم به من اتبعه ؛ فكانوا يُرَئّسون من جاء من بعده ، وأمرهم شُورَى بينهم ، يتفاضلون بالسابقة والقُدْمة والاجتهاد ؛ فإن أخذوا بذلك وقاموا عليه كان الأمر أمرهم ، والناس تبعٌ لهم ، وإن أصغَوا إلى الدّنيا وطلبوها بالتغالُب سُلِبوا ذلك ، وردّه الله إلى من كان يرئّسُهم . وإلاّ فليَحذروا الغِيَرَ ، فإنّ الله على البَدَل قادر ، وله المشيئة فى ملكه وأمره . إنّى قد خلّفت فيكم شيخًا فاستوصُوا به خيراً ، وكانفوه تكونوا أسعدَ منه بذلك . ثم ودّعهم ومضى ؛ ١/٢٩٤٨ فقال عليّ : ما كنتُ أرى أنّ فى هذا خيراً ؛ فقال الزبير : لا والله ، ما كان قطّ أعظمَ فى صدرك وصدورنا منه الغَداة .

* * *

حدّثنى عبد الله بن أحمد بن شَبّوَيْه ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن إسحاق بن يحيى ، عن موسى بن طلحة ، قال : أرسل عثمان إلى طلحة يدعوه ؛ فخرجتُ معه حتى دخل على عثمان ، وإذ عليّ وسعد والزبير وعثمان ومعاوية ، فحمِد الله معاويةُ وأثنَى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أنتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخيرتُه فى الأرض ، وولاة أمر هذه الأمة ، لا يطمع فى ذلك أحد غيركم ، اخترتم صاحبَكم عن غير غلَبة ولا طمع ، وقد كبِرتْ سنّه ، وولّى عمرُه ، ولو انتظرتم به الهرَم كان قريبًا ؛ مع أنى أرجو أن يكون أكرَم على الله أن يبلغ به ذلك ، وقد فشتْ قالةٌ خفتُها عليكم ، فما عتبتم فيه من شىء فهذه يدى لكم به ، ولا تُطمعوا الناس فى أمرِكم ، فوالله لئن طمعوا فى ذلك لا رأيتم فيها أبداً إلا إدباراً . قال عليّ : ومالَك وذلك ! وما أدراك لا أمّ لك ! قال : دع أمّى مكانَها ، ليست بشرّ أمّهاتِكم ، قد أسلمتْ وبايَعت النبيّ صلى الله عليه

وسلم ، وأجِبْنى فيما أقول لك . فقال عثمان : صدق ابن أخى ، إنّى أخبركم عنّى وعمّا وليتُ ، إنّ صاحِبَىّ اللذين كانا قبلى ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل احتسابًا ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى قرابته ، ١/٢٩٤٩ وأنا فى رهط أهل عَيْلة ، وقلّة معَاش ، فبسطت يدى فى شىء من ذلك المال ، لمكانِ ما أقوم به فيه ، ورأيت أنّ ذلك لى ، فإن رأيتم ذلك خطأ فردّوه ، فأمرى لأمركم تَبَع . قالوا : أصبتَ وأحسنتَ ؛ قالوا : أعطيتَ عبد الله بن خالد بن أسِيد ومروان — وكانوا يزعمون أنه أعطى مروان خمسة عشر ألفًا ، وابن أسِيد خمسين ألفًا — فرُدّوا منهما ذلك ، فرضُوا وقَبِلوا ، وخرجوا راضِين .

* * *

• رجع الحديث إلى حديث سيف ، عن شيوخه :

وكان معاوية قد قال لعثمان غداة ودّعه وخرج : يا أميرَ المؤمنين ، انطلق معى إلى الشأم قبل أن يَهجم عليك مَن لا قِبَل لك به ، فإنّ أهل الشأم على الأمر لم يزالوا . فقال : أنا لا أبيع جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء ، وإن كان فيه قَطع خَيْطِ عنقى . قال : فأبعثُ إليك جندًا منهم يقيم بين ظَهرانَىْ أهل المدينة لنائبة إن نابت المدينةَ أو إياك . قال : أنا أقتّر على جيران رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الأرزاق بجندٍ تساكنهم ، وأضيّق على أهل دار الهجرة والنصرة ! قال : والله يا أميرَ المؤمنين ، لتُغتالَنّ أو لَتغزَيَنّ ؛ قال : حسبىَ الله ونعم الوكيل . وقال معاوية : يا أيسار الجَزُور ، وأين أيسار الجَزور ! ثم خرج حتى وقف على النفر ، ثم مضى . وقد كان أهل مصر كاتبوا أشياعَهم من أهل الكوفة وأهل البصرة وجميعَ من أجابهم أن يثوروا خلاف أمرائهم . واتّعدوا يومًا حيث شخص أمراؤهم ، فلم يستقم ذلك لأحدمنهم ، ١/٢٩٥٠ ولم ينهض إلا أهل الكوفة ، فإنّ يزيد بن قيس الأرحبىّ ثار فيها ، واجتمع إليه أصحابُه ، وعلى الحرب يومئذ القَعقاع بنُ عمرو . فأتاه فأحاط النّاس بهم وناشَدوهم ؛ فقال يزيد للقَعقاع : ما سبيلك علىّ وعلى هؤلاء ! فوالله إنى لسامع مطيع ، وإنى للازم لجماعتى إلا أنّى أستعفى ومَن ترى من إمارة سعيد ، فقال : استعفَى الخاصةُ من أمر قد رضيَتْه العامة ؟ قال :

فذاك إلى أمير المؤمنين . فتركهم والاستعفاء ، ولم يستطيعوا أن يُظهروا غيرَ ذلك ، فاستقبلوا سعيداً ، فردّوه من الجَرَعة ، واجتمع الناسُ على أبى موسى ، وأقرّه عثمان رضى الله تعالى عنه . ولما رجع الأمراء لم يكن للسَّبَئيّة سبيل إلى الخروج إلى الأمصار ، وكاتبوا أشياعَهم من أهل الأمصار أن يتوافَوْا بالمدينة لينظروا فيما يريدون ، وأظهَروا أنهم يأمرون بالمعروف ، ويسألون عثمان عن أشياءَ لتطير فى الناس ، ولتَحقّق عليه ؛ فتوافَوا بالمدينة ، وأرسل عثمان رجلين : مخزوميّاً وزُهْريّاً ، فقال : انظُرا ما يريدون ، واعلمَا علمَهم — وكانا ممن قد ناله من عثمان أدب ، فاصطَبَرا للحقّ ، ولم يضطغنا — فلما رأوهما باثّوهما وأخبَروهما بما يريدون ، فقالا : مَن معكم على هذا من أهل المدينة ؟ قالوا : ثلاثة نَفَر ، فقالا : هل إلاّ ؟ قالوا لا ! قالا : فكيف تريدون أن تصنعوا ؟ قالوا : نريد أن نذكر له أشياء قد زرعْناها فى قلوب الناس ، ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أنا قرّرناه بها ، فلم يخرج منها ولم يتب ، ثم نخرج كأنا حجّاج حتى نقدم فنحيطَ به فنخلَعه ، فإنْ أبى قتلناه . وكانت إيّاها ، فرجعا إلى عثمان بالخبر ، فضحك وقال : اللهمّ سلِّم هؤلاء ، فإنك إن لم تُسلّمهم شقُوا .

١/٢٩٥١

أمّا عمار فحَمل على عباس بن عتبة بن أبى لهب وعَرَكه . وأما محمّد ابن أبى بكر فانه أُعجِب حتى رأى أنّ الحقوق لا تلزمه ، وأمّا ابن سهلة فإنه يتعرّض للبلاء . فأرسل إلى الكوفيين والبصريّين ، ونادى : الصلاة جامعة ! وهم عنده فى أصل المنبر ، فأقبلَ أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى أحاطوا بهم ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وأخبرَهم خبرَ القوم ، وقام الرجلان ، فقالوا جميعاً : اقتُلهم ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام فعليه لعنةُ الله فاقتلوه » . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا أحِلّ لكم إلاّ ما قتلتموه وأنا شريكُكم .

فقال عثمان : بل نعفو ونقبل ونبصِّرهم بجهدنا ، ولا نُحادّ أحداً حتى يركب حدّاً ، أو يبدىَ كُفراً . إنّ هؤلاء ذَكروا أموراً قد علموا منها مثلَ الذى علمتم ، إلاّ أنهم زعموا أنهم يذاكرونيها ليُوجبوها علىّ عند مَن لا يعلم .

وقالوا : أتمّ الصلاة فى السفر ، وكانت لا تُتَمّ ، ألا وإنّى قدمت بلداً

١/٢٩٥٢

فيه أهلى ، فأتممت لهذين الأمرين ؛ أوَ كذلك ؟ قالوا : اللهمّ نعم .
وقالوا : وحميتَ حمًى ؛ وإنى والله ما حميتُ ، حُمِىَ قبلى ، والله ما حموا شيئًا لأحد ما حموا إلاّ غلب عليه أهل المدينة ، ثم لم يمنعوا من رِعْية أحداً ، واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازُع ، ثم ما منعوا ولا نحوْا منها أحداً إلاّ من ساق درهماً ؛ ومَالِى مِن بعير غيرُ راحلتين ، ومَالِى ثاغية ولا راغية ، وإنّى قد وُلّيتُ ، وإنّى أكثر العرب بعيراً وشاءً ، فمالى اليوم شاة ولا بعير غير بعيرَين لحجّى ، أكذلك ؟ قالوا : اللهمّ نعم .
وقالوا : كان القرآن كُتُبًا ، فتركتَها إلاّ واحداً . ألا وإنّ القرآن واحد ، جاء من عندِ واحد ؛ وإنما أنا فى ذلك تابع لهؤلاء ؛ أكذلك ؟ قالوا : نعم ، وسألوه أن يقيلهم[1] .
وقالوا : إنّى رددتُ الحكَم وقد سيّره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . والحكَم مكّىّ ، سيّره رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الطائف ، ثم ردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم سيّره ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ردّه ؛ أكذلك ؟ قالوا : اللهمّ نعم .
وقالوا : استعملتَ الأحداث . ولم أستعمل إلاّ مجتمِعًا محتمِلاً مرضيًّا ، وهؤلاء أهلُ عملهم ، فسَلوهم عنه ، وهؤلاء أهل بلده ، ولقد ولّى مَن قبلى أحدثَ منهم ، وقيل فى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشدّ مما قيل لى فى استعماله أسامة ؛ أكذاك ؟ قالوا : اللهمّ نعم ، يعيبون للناس ما لا يفسّرون .
١/٢٩٥٣ وقالوا : إنّى أعطيتُ ابن أبى سَرْح ما أفاء الله عليه . وإنى إنما نفّلتُه خُمسَ ما أفاء الله عليه من الخمس ، فكان مائة ألف ، وقد أنفذ مثلَ ذلك أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فزعم الجُند أنهم يكرهون ذلك ، فرددتُه عليهم وليس ذاك لهم ، أكذاك ؟ قالوا : نعم .
وقالوا : إنى أحبّ أهل بيتى وأعطيهم ؛ فأما حبّى فإنه لم يمِلْ معهم على جوْر ، بل أحمل الحقوق عليهم ، وأمّا إعطاؤهم فإنى ما أعطيهم من مالى ، ولا أستحلّ أموال المسلمين لنفسى ؛ ولا لأحد من الناس ؛ ولقد كنت

---
(١) ط : « يقتلهم » .

أعطى العطيّة الكبيرة الرغيبة من صُلْب مالى أزمانَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ؛ وأنا يومئذ شحيح حريص ، أفحينَ أتيتُ على أسنان أهل بيتى ، وفَنىَ عمرى ، وودّعت الذى لى فى أهلى ، قال الملحدون ما قالوا ! وإنى والله ما حملت على مصْرٍ من الأمصار فضلاً فيجوزَ ذلك لمن قاله ؛ ولقد رددتُه عليهم ، وما قدم علىّ إلا الأخماس ، ولا يحلّ لى منها شىء ؛ فولِىَ المسلمون وضْعها فى أهلها دونى ؛ ولا يُتَكلَّفَت من مال الله بفلْس فما فوقه ؛ وما أتبلّغ منه ما آكل إلاّ مالى .

وقالوا : أعطيت الأرض رجالاً ؛ وإنّ هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتُتِحت ؛ فمَن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله ، ومَن رجع إلى أهله لم يُذْهِب ذلك ما حوى الله له ؛ فنظرت فى الذى يُصيبهم مما أفاء الله عليهم فبعتُه لهم بأمرهم من رجال أهل عقارٍ ببلاد العرب فنقلتُ إليهم نصيبهم ، فهو فى أيديهم دونى .

١/٢٩٥٤ وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه فى بنى أميّة ، وجعل ولده كبعض مَن يعطى ، فبدأ ببنى أبى العاص ، فأعطى آل الحكَم رجالَهم عشرة آلاف ، عشرة آلاف ، فأخذوا مائة ألف ، وأعطى بنى عثمان مثلَ ذلك ، وقسم فى بنى العاص وفى بنى العيص وفى بنى حرب ، ولانتْ حاشية عثمان لأولئك الطوائف ، وأبى المسلمون إلاّ قتلَهم ، وأبَى إلاّ تركهم ؛ فذهبوا ورجعوا إلى بلادهم على أن يغزوه مع الحجّاج كالحجّاج ؛ فتكاتبوا وقالوا : موعدُكم ضواحى المدينة فى شوّال ؛ حتى إذا دخل شوّال من سنة اثنتى عشرة ، ضربوا كالحُجّاج فنزلوا قرب المدينة .

* * *

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبى حارثة وأبى عثمان ، قالوا : لما كان فى شوال سنة خمس وثلاثين خرج أهلُ مصر فى أربع رِفاق على أربعة أمراء ؛ المقلّل يقول : ستّمائة ، والمكثّر يقول : ألف . على الرّفاق عبد الرحمن بن عُدَيس البلَوىّ ، وكنانة بن بشر التُّجيبىّ ، وعروة بن شيبم الليثىّ ، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعىّ وسواد بن رومان الأصبحىّ ، وزرع بن يشكر اليافعىّ ، وسودان ابن حُمران السَّكونىّ ، وقُتيرة بن فلان السَّكُونىّ ، وعلى القوم جميعاً

الغافقى بن حرب العكّىّ، ولم يجترئوا أن يُعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب؛ وإنما أخرجوا كالحجّاج ، ومعهم ابن السوداء . وخرج أهل الكوفة فى أربع رفاق ، وعلى الرّفاق زيد بن صُوحان العبْدىّ ، والأشتر النخعىّ ، وزياد بن النضْر الحارثىّ ، وعبد الله بن الأصمّ ، أحد بنى عامر بن صعصعة ؛ وعددهم كعدد أهل مصر ؛ وعليهم جميعًا عمرو[1] بن الأصمّ . وخرج أهلُ البصرة فى أربع رفاق ، وعلى الرّفاق حُكَيْم بن جبلة العبدىّ ، وذَريح ابن عبّاد العبدىّ ، وبشر بن شُرَيح الحُطَم بن ضُبيعة القيسىّ وابن المحرِّش ابن عبد بن عمرو الحنفىّ وعددهم كعدد أهل مصر ، وأميرهم جميعًا حُرقوص ابن زهير السعدىّ، سوى مَن تلاحق بهم من الناس . فأمّا أهلُ مصر فإنهم كانوا يشتهون عليًّا ، وأمّا أهلُ البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة ، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير .

٢٩٥٥/١

فخرجوا وهم على الخروج جميع . وفى الناس شتّى ؛ لا تشكّ[2] كلّ فرقة إلاّ أنّ الفَلْج[3] معها، وأنّ أمرَها سيتمّ دون الأخْرَيَيْن[4] ؛ فخرجوا حتّى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدّم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشُب ، وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوَص ، وجاءهم ناس من أهل مصر، وتركوا[5] عامّتهم بذى المرْوَة . ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النّضْر وعبد الله بن الأصمّ، وقالا : لا تَعجلوا ولا تُعجِلونا حتى ندخل لكم المدينة ونرتاد ؛ فإنه بلغنا أنهم قد عسكروا لنا ؛ فوالله إن كان أهلُ المدينة قد خافونا واستحلّوا قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشدّ ؛ وإنّ أمرنا هذا لَباطل ؛ وإن لم يستحلّوا قتالنا ووجدنا الذى بلغنا باطلاً لَنرجعنّ إليكم بالخبر .

٢٩٥٦/١

قالوا : اذهبا ، فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وعليًّا وطلحة والزبير ، وقالا : إنما نأتمّ هذا البيت ، ونستعفى هذا الوالىَ من بعض

---

(١) ف : « عمر » . (٢) كذا فى ابن كثير ، وفى ط : « لا يشك » .
(٣) الفلج : الظفر والفوز . (٤) ب : « الآخرين» .
(٥) النويرى : « وترك » .

عمّالنا ، ما جئنا إلاّ لذلك ، واستأذناهم للناس بالدخول ، فكلّهم أبَى ، ونهى وقال : بَيْض ما يُفْرِخَن ؛ فرجعا إليهم فاجتمع من أهل مصر نفرٌ فأتوْا عليًّا ومن أهل البصرة نفرٌ فأتوا طلحة ، ومن أهل الكوفة نفر فأتوْا الزبير ؛ وقال كلّ فريق منهم : إن بايعوا صاحبنا وإلا كدناهم وفرّقنا جماعتهم ؛ ثم كررنا حتى نبغتهم ؛ فأتى المصريون عليًّا وهو فى عسكر عند أحجار الزّيت ؛ عليه حلّة أفواف[1] معتمّ بشقيقة حمراء يمانية ، متقلّد السيف ، ليس[2] عليه قميص ، وقد سرّح الحسن[3] إلى عثمان فيمن اجتمع إليه . فالحسنُ جالس عند عثمان ، وعلىّ عند أحجار الزيت ، فسلم عليه المصريون وعرّضوا له ؛ فصاح بهم واطّردهم ، وقال : لقد علم الصالحون أن جَيْش ذى المرْوة وذى خُشُب[4] ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، فارجعوا لا صحبكم[5] الله ! قالوا : نعم ، فانصرفوا[6] من عنده على ذلك . ١/٢٩٥٧

وأتى البصريون طلحة وهو فى جماعة أخرى إلى جنب علىّ ؛ وقد أرسل ابنيه إلى عثمان، فسلّم البصريّون عليه وعرّضوا له ، فصاح بهم واطّردهم ، وقال: لقد علم المؤمنون أن جيش ذى المرْوة وذى خُشُب[7] والأعوَص ملعونون على لسان محمّد صلى الله عليه وسلم .

وأتى الكوفيون الزبير وهو فى جماعة أخرى ؛ وقد سرّح ابنه عبد الله إلى عثمان ، فسلموا عليه وعرّضوا له ، فصاح بهم واطّردهم ، وقال : لقد علم المسلمون أن جَيْش ذى المَروة وذى خُشُب والأعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، فخرج القوم وأرَوْهم أنهم يرجعون؛ فانفشّوا عن ذى خشُب والأعوص ، حتى انتهوا إلى عساكرهم ؛ وهى ثلاث مراحل ؛ كى يفترق أهلُ المدينة ، ثم يكرّوا راجعين . فافترق أهل المدينة لخروجهم .

فلما بلغ القوم عساكرَهم كرّوا بهم، فبغتوهم، فلم يفجأ أهلَ المدينة

(١) فى اللسان : « الفوف : ضرب من برود اليمن. وفى حديث عثمان : خرج وعليه حلة أفواف ، الأفواف : جمع فوف ، وهو القطن ؛ وواحدة الفوف فوفة، يقال : برد أفواف وحلة أفواف بالإضافة» .
(٢) ابن كثير : « وليس » . (٣) ابن كثير : « ابنه الحسن » .
(٤) ف : ذى خشب « وذى المروة » ؛ وأضاف ابن الأثير : « والأعوص » .
(٥) ب : « صبحكم » . (٦) ابن كثير « وانصرفوا » .
(٧) ب : « وجيش ذى المروة » .

إلا والتكبير فى نواحى المدينة ، فنزلوا فى مواضع عساكرهم ، وأحاطوا بعثمان ، وقالوا : مَن كفّ يده فهو آمن .

١/٢٩٥٨ وصلّى عثمان بالناس أياماً ؛ ولزم الناس بيوتهم ، ولم يمنعوا أحداً من كلام ، فأتاهم الناس فكلّموهم ، وفيهم علىّ ، فقال : ماردّكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم ؟ قالوا : أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا ؛ وأتاهم طلحة فقال البصريون مثل ذلك ، وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك ، وقال الكوفيون والبصريون : فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً ؛ كأنما كانوا على ميعاد . فقال لهم علىّ : كيف علمتم يا أهلَ الكوفة ويا أهل البصرة بما لقىَ أهل مصر ؛ وقد سرتم مراحل ؛ ثم طويتم نحونا ؟ هذا والله أمرٌ أبرِم بالمدينة ! قالوا : فضعوه على ما شئتم ، لاحاجة لنا فى هذا الرّجل، ليعتزلنا . وهو فى ذلك يصلى بهم ، وهم يصلّون خلفه ، ويغشى من شاء عثمان وهم فى عينه أدقّ من التّراب ؛ وكانوا لا يمنعون أحداً من الكلام ، وكانوا زُمَراً بالمدينة ، يمنعون الناس من الاجتماع .

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدّهم : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أمّا بعدُ ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً ، فبلّغَ عن الله ما أمره به ، ثم مضى وقد قضى الذى عليه ؛ وخلّف فينا كتابه ، فيه حلالُه وحرامه ، وبيان الأمور التى قدّر ، فأمضاها على ما أحبّ العباد وكرهوا ، فكان الخليفةُ أبو بكر رضى الله عنه وعمرُ رضى الله عنه ، ثم أدخِلتُ فى

١/٢٩٥٩ الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملإٍ من الأمة ، ثم أجمع[١] أهل الشورى عن ملإ منهم ومن الناس علىّ ، على غير طلَب منى ولا محبّة ؛ فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون ، تابعاً غير مستتبع ، متّبعاً غير مبتدِع[٢] ، مقتدياً غير متكلف . فلما انتهت الأمورُ ، وانتكث الشرُّ بأهله ؛ بدت ضغائن وأهواء على غير إجرام ولا تِرةٍ فيما مضى إلاّ إمضاء الكتاب ؛ فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجّة ولا عذر ، فعابوا علىّ أشياء مما كانوا يرضوْن ، وأشياء عن ملإ من أهل المدينة لا يصلح غيرها ؛ فصبرتُ لهم نفسى وكففْتها عنهم منذ سنين[٣]

---

(١) ف : « اجتمع » . (٢) ف : « متبدع » . (٣) ف : « ستين » .

وأنا أرى وأسمع ؛ فازدادوا على الله عزّ وجلّ جرْأة ، حتى أغاروا علينا فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَرَمه وأرض الهجرة ، وثابت إليهم الأعراب[١] ؛ فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو مَنْ غزانا بأُحُد إلاّ ما يُظهرون ؛ فمن قدر على اللحاق بنا فليلْحق .

فأتى الكتاب أهلَ الأمصار ، فخرجوا على الصّعبة[٢] والذّلول ؛ فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهرىّ ، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حُديج السَّكونىّ ، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو .

١/٢٩٦٠ وكان المحضّضين بالكوفة على إعانة أهل المدينة عُقْبةُ بن عمرو وعبدالله ابن أبى أوفَى وحنظلة بن الربيع التميمىّ ، فى أمثالهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وكان المحضّضين بالكوفة من التابعين أصحابُ عبد الله مسروق بن الأجدع ، والأسود بن يزيد ، وشُريح بن الحارث ، وعبد الله بن عُكَيم[٣] ؛ فى أمثالهم ؛ يسيرون فيها ، ويطوفون على مجالسها ؛ يقولون : يأيها الناس ؛ إنّ الكلام اليوم وليس به غداً ؛ وإنّ النظر يحسن اليوم ويقبح غداً ، وإنّ القتال يحلّ اليوم ويحرُم غداً ، انهضوا إلى خليفتكم ، وعصْمة أمرِكم .

وقام بالبصرة عمران بن حصين وأنس بن مالك ، وهشام بن عامر فى أمثالهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون مثل ذلك ، ومن التابعين كعب بن سُور وهرِم بن حيّان العبدىّ ، وأشباه لهما يقولون ذلك ! وقام بالشأم عبادة بن الصامت وأبو الدرداء وأبو أمامة فى أمثالهم من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم يقولون مثل ذلك ؛ ومن التابعين شريك بن خُباشة النُّميرىّ ، وأبو مسلم الخولانىّ ، وعبد الرحمن بن غَنْم بمثل ذلك ، وقام بمصر خارجة فى أشباه له ؛ وقد كان بعض المحضّضين قد شهد قدومهم ، فلمّا رأوا حالهم انصرفوا إلى أمصارهم بذلك وقاموا فيهم .

ولما جاءت الجمعة التى على أثر نزول المصريين مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عثمان فصلّى بالناس ثم قام على المنبر فقال : يا هؤلاء

(١) ف : « العرب » . (٢) ف : ابن الأثير : « الصعب » .
(٣) ابن الأثير : « حكيم » .

العدَى، اللهَ اللهَ! فوالله ؛ إنّ أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ١/٢٩٦١
صلى الله عليه وسلم ؛ فامحوا الخطايا بالصواب ؛ فإن الله عزّ وجلّ لا يمحو السيّئ إلاّ بالحسن .

فقام محمد بن مسلمة ، فقال : أنا أشهدُ بذلك، فأخذه حُكَيم بن جبلة فأقعده ، فقام زيد بن ثابت فقال : ابغِنى[1] الكتاب ، فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبى قُتَيرة فأقعده ؛ وقال فأفظَع ؛ وثار القوم بأجمعهم ، فحصَبُوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد ، وحصبوا عثمان حتى صُرِع عن المنبر مغشيًّا عليه ، فاحتُمِل فأدخل داره ، وكان المصريون لا يطمعون فى أحد من أهل المدينة أن يساعدَهم إلاّ فى ثلاثة نفر ؛ فإنهم كانوا يراسلونهم : محمد بن أبى بكر ، ومحمد بن أبى حُذيفة ، وعمّار بن ياسر ؛ وشمّر أناس من الناس فاستقتلوا ؛ منهم سعد بن مالك ، وأبو هريرة ، وزيد بن ثابت ، والحسن بن علىّ ؛ فبعث إليهم عثمان بعزْمه لَمَا انصرفوا. فانصرفوا ، وأقبل علىٌّ عليه السلام حتى دخل على عثمان ، وأقبل طلحة حتى دخل عليه ، وأقبل الزّبير حتى دخل عليه؛ يعودُونه من صرعته؛ ويشكُون بثّهم، ثم رجعوا إلى منازلهم.

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عمرو ، عن الحسن ، قال : قلت له: [2]هل شهدت حَصْر عثمان[2] ؟ قال : نعم ؛ وأنا يومئذ غلام فى أتراب لى فى المسجد ، فإذا كثُر اللغط جثوتُ على ركبتىّ أو قمت ؛ فأقبل القوم حين أقبلوا حتى نزلوا المسجد وما حوله ؛ فاجتمع إليهم أناس من أهل المدينة، يُعظِمون ما صنعوا . وأقبلوا على أهل المدينة يتوعّدونهم؛ فبينا هم كذلك فى لَغطهم حَوْل الباب ، فطلع عثمان ؛ فكأنما كانت نارٌ طَفِئت، فعمَد إلى المنبر فصعده فحمد الله وأثنى عليه، فثار رجل ، فأقعده رجل ، وقام آخر فأقعده آخر ، ثم ثار القوم فحصبوا عثمان حتى صُرع ، فاحتُمِل فأُدخِل ، فصلى بهم عشرين يومًا ، ثم منعوه من الصلاة . ١/٢٩٦٢

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة

---

(١) ابغنى ، أى أحضر لى .
(٢-٢) ف : « وهل شهدت عثمان محصوراً » .

وأبى حارثة وأبى عثمان، قالوا : صلّى عثمان بالناس بعد ما نزلوا به فى المسجد ثلاثين يومًا ، ثم إنهم منعوه الصلاة ، فصلّى بالناس أميرهم الغافقىّ ، دان له المصريون والكوفيّون والبصريون ، وتفرّق أهلُ المدينة فى حيطانهم ، ولزموا بيوتهم ، لا يخرج أحدٌ ولا يجلس إلاّ وعليه سيفه يمتنع به من رَهق القوم[١] وكان الحصار أربعين يومًا ، وفيهنّ كان القتل ، ومنْ تعرّض لهم وضعوا فيه السلاح، وكانوا قبل ذلك ثلاثين يومًا يكفّون .

* * *

١/٢٩٦٣ وأما غيرُ سيف فإنّ منهم من قال : كانت مناظرة القوم عثمان وسبب حصارهم[٢] إيّاه ما حدّثنى به يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا معتمر بن سليمان التيمىّ ، قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنا أبو نَضْرة ، عن أبى سعيد مولى أبى أسَيد الأنصارىّ . قال : سمع عثمان أنّ وفد أهل مصر قد أقبلوا ، قال : فاستقبلهم ، وكان فى قرية له خارجة من المدينة — أو كما قال — فلمّا سمعوا به ، أقبلوا نحوه إلى المكان الذى هو فيه — قال : وكره أن يقدموا عليه المدينة أو نحواً من ذلك — قال : فأتوْه ، فقالوا له : ادعُ بالمصحف ، قال : فدعا بالمصحف ، قال : فقالوا له : افتح التاسعة — قال : وكانوا يسمون سورة يونس التاسعة — قال : فقرأها حتى أتى على هذه الآية : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ ﴾[٣]. قال : قالوا له : قف ، فقالوا له : أرأيت ما حَمَيْتَ من الحمى ؟ آلله أذن لك أم على الله تفترى ! قال : فقال : امضِه ؛ نزلت فى كذا وكذا . قال : وأما الحِمَى فإنّ عمر حَمَى الحمى قبلى لإبل الصّدَقة ، فلما وليت زادت إبلُ الصدقة فزدت فى الحِمَى لما زاد فى إبل الصدقة ، امضِه . قال : فجعلوا يأخذونه بالآية ، فيقول : امضِه ، نزلت فى كذا وكذا — قال : والذى يتولى كلام عثمان يومئذ فى سنّك، قال:

١/٢٩٦٤ يقول أبو نضرة ، يقول ذاك[٤] لى أبو سعيد ، قال أبو نُضْرة: وأنا فى سنك

(١) ف : « الفتنة » . (٢) ف : « حصار القوم » .
(٣) سورة يونس ٥٩ (٤) ف : « ذلك » .

يومئذ، قال : ولم يخرج وجهى يومئذ، لا أدرى ، ولعله قد قال مرة أخرى : وأنا يومئذ ابن ثلاثين سنة — ثم أخذوه بأشياء لم يكن عنده منها مخرَج . قال : فعرفها ، فقال : أستغفر الله وأتوب إليه . قال : فقال لهم : ما تريدون ؟ قال : فأخذوا ميثاقه — قال : وأحسبه قال : وكتبوا عليه شرطاً — قال : وأخذ عليهم ألاّ يشقوا عصًا ، ولا يفارقوا جماعة ما قام لهم بشرطهم — أو كما أخذوا عليه — قال : فقال لهم : ما تريدون ؟ قالوا : نريد ألاّ يأخذ أهل المدينة[1] عطاء ، فإنما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فرضوا بذلك ، وأقبلوا معه إلى المدينة راضين .

قال : فقام فخطب ، فقال : إنّى ما رأيت[2] والله وفداً فى الأرض هم خير لحوْباتِى من هذا الوفد الذين قدموا علىّ . وقد قال مرّة أخرى : خشيت من هذا الوفد من أهل مصر ، ألاَ من كان له زرع فليلحق بزرعه ، ومن كان له ضَرْع فليحتلب ؛ ألاَ إنه لا مال لكم عندنا ، إنما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فغضِب الناس ، وقالوا : هذا مكر بنى أميّة .

قال : ثم رجع الوفد المصريون راضين ؛ فبينا هم فى الطريق إذا هم براكب يتعرّض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع إليهم ، ثمّ يفارقهم ويتبيّنهم . قال : قالوا له : مالك ؟ إن لك لأمراً ! ما شأنك ؟ قال : فقال : أنا رسول أمير المؤمنين ٢٩٦٥/١ إلى عامله بمصر ؛ ففتّشوه ؛ فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان ، عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلّبهم أو يقتلهم أو يقطّع أيديهم وأرجلَهم من خلاف . قال : فأقبلوا حتى قدِموا المدينة ، قال : فأتوْا عليًّا ، فقالوا : ألم تر إلى عدوّ الله ! إنه كتب فينا بكذا وكذا ؛ وإنّ الله قد أحلّ دمه ، قم معنا إليه ، قال : والله لا أقوم معكم ؛ إلى أن قالوا : فلمَ كتبتَ إلينا ؟ فقال : والله ما كتبتُ إليكم كتاباً قطّ ؛ قال : فنظر بعضُهم إلى بعض ، ثم قال بعضهم لبعض : ألهذا تقاتلون ، أو لهذا تغضبون !

قال : فانطلق علىّ ، فخرج من المدينة إلى قرية . قال : فانطلقوا حتى

---

(١) ف : « الذمة » . (٢) ف : « والله مارأيت » .

دخلوا على عثمان ، فقالوا : كتبت فينا بكذا وكذا ! قال : فقال : إنما هما اثنتان : أن تقيموا علىّ رجلين من المسلمين ، أو يمينى بالله الذى لا إله إلاّ هو ما كتبتُ ولا أملَلْت ولا علمت . قال : وقد تعلمون أنّ الكتاب يكتَب على لسان الرّجل ، وقد ينقَش الخاتم على الخاتم . قال : فقالوا : فقد والله أحلّ الله دَمك ، ونقضت العهد والميثاق . قال : فحاصروه .

* * *

وأمّا الواقدىّ فإنه ذكر فى سبب مسيرِ المصريين إلى عثمان ونزولهم ذا خشُب أموراً كثيرة ، منها ما قد تقدّم ذِكْرِيه ؛ ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة منى لبشاعته[1] . ومنها ما ذكر أنّ عبد الله بن جعفر حدّثه عن أبى عون مولى المِسْور ، قال : كان عمرو بن العاص على مصر عاملاً لعثمان ؛ فعزله عن الخراج ، واستعمله على الصّلاة ، واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج ؛ ثم جمعهما لعبد الله بن سعد ، فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان ، فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به ، فقال : يابن النابغة ، ما أسرع ما قمِل جرُبّان جُبّتك ! إنما عهدك بالعمل عاماً أوّل . أتطعن علىّ وتأتينى بوجه وتذهب عنّى بآخر ! والله لولا أُكْلَة ما فعلتَ ذلك . قال : فقال عمرو : إنّ كثيراً مما يقول الناس وينقلون إلى ولاتهم باطل ؛ فاتّق الله يا أميرَ المؤمنين فى رعيتك ! فقال عثمان : والله لقد استعملتك على ظلَعِك ، وكثرة القالة فيك . فقال عمرو : قد كنتُ عاملاً لعمر بن الخطاب ، ففارقنى وهو عنّى راض . قال : فقال عثمان : وأنا والله لو آخذتك بما آخذك به عمر لاستقمتَ ؛ ولكنّى لنت عليك فاجترأتَ علىّ ، أما والله لأنا أعزّ منك نفراً فى الجاهليّة ؛ وقبل أن ألىَ هذا السلطان . فقال عمرو : دع عنك هذا ، فالحمد لله الذى أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهدانا به ؛ قد رأيت العاصيَ بن وائل ورأيت أباك عفان ، فوالله للعاصُ كانَ أشرفَ من أبيك . قال : فانكسر عثمان ، وقال : ما لنا ولذكر الجاهليّة !

١/٢٩٦٦

قال : وخرج عمرو ودخل مرْوان ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ وقد بلغتَ مبلغاً يذكر عمرو بن العاص أباك ! فقال عثمان : دَعْ هذا عنك ، مَن ذكر آباء الرجال ذكروا أباه .

١/٢٩٦٧

---

(١) ف « لشناعته » .

قال : فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقِد عليه، يأتى عليًّا مرّة فيؤلِّبه على عثمان، ويأتى الزّبير مرة فيؤلِّبه على عثمان، ويأتى طلحة مرة فيؤلِّبه على عثمان، ويعترض الحاجّ فيخبرهم بما أحدث عثمان ، فلمَّا كان حَصْر عثمان الأوّل؛ خرج من المدينة ، حتّى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبْع ؛ فنزل فى قصر له يقال له العجلان ؛ وهو يقول : العجب ما يأتينا عن ابن عفان !

قال: فبينا هو جالس فى قَصْره ذلك، ومعه ابناه محمد وعبد الله؛ وسلامة ابن رَوْح الجُذامىّ ، إذْ مرّ بهم راكب ، فناداه عمرو: من أين قدم الرجل ؟ فقال : من المدينة ، قال : ما فعل الرجل ؟ يعنى عثمان ، قال : تركتُه محصوراً شديد الحصار . قال عمرو : أنا أبو عبد الله ؛ قد يضرط العَيْر والمِكواة فى النار[1]. فلم يبرح مجلسه ذلك حتّى مرّ به راكب آخر ، فناداه عمرو : ما فعل الرجل ؟ يعنى عثمان ، قال: قتِل ، قال: أنا أبو عبد الله ؛ إذا حكَكْتُ قَرْحةً نكأتها ، إن كُنت لأحرّض عليه ؛ حتّى إنى لأحرّض عليه الراعى فى غنمه فى رأس الجبل . فقال له سلامة بن روح : يا معشرَ قريش ؛ إنه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتموه ، فما حملكم على ذلك ؟ فقال : أردنا أن نُخرج الحقّ من حافرة الباطل ، وأن يكون الناس فى الحقّ شَرَعًا سواء . وكانت عند عمرو أخت عثمان لأمّه أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ، ففارقها حين عزله .

١/٢٩٦٨

قال محمد بن عمر : وحدّثنى عبد الله بن محمد ، عن أبيه ، قال : كان محمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفة بمصر يحرّضان على عثمان ، فقدم محمد بن أبى بكر وأقام محمد بن أبى حُذَيفة بمصر ؛ فلما خرج المصريون خرج عبد الرحمن بن عُدَيس البلَوىّ فى خمسمائة ، وأظهروا أنهم يريدون العُمْرة، وخرجوا فى رَجَب ، وبعث عبد الله بن سعد رسولاً سار إحدى عشرة ليلة يخبر عثمان أنّ ابن عُدَيس وأصحابه قد وُجّهوا نحوه ، وأنّ محمد بن أبى حذيفة شيّعهم إلى عجرود ، ثم رجع وأظهر محمدٌ أن قال : خرج القوم عُمّاراً ، وقال فى السرّ : خرج القوم إلى إمامهم فإن نزع وإلاّ قتلوه ؛ وسار

---

(١) مثل يضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه . مجمع الأمثال ٢ : ٩٥

القوم المنازل لم يعدوها حتى نزلوا ذا خُشُب . وقال عثمان قبل قدومهم حين جاءه رسول عبد الله بن سعد: هؤلاء قوم من أهل مصر يريدون — بزعمهم — العُمْرة ، والله ما أراهم يريدونها ؛ ولكن الناس قد دُخل بهم ؛ وأسرعوا إلى الفتنة ، وطال عليهم عمرى؛ أما والله لئن فارقتُهم ليتمنَّوْن أنّ عمرى كان طال عليهم مكان كلّ يوم بسنة مما يرون[1] من الدماء المسفوكة ، والإحَن والأثَرة الظاهرة ، والأحكام المغيَّرة . ٢٩٦٩/١

قال: فلما نزلَ القوم ذا خُشب جاء الخبر أنّ القوم يريدون قتل عثمانَ إن لم ينزع ، وأتى رسولهم إلى علىّ ليلاً ، وإلى طلحة ، وإلى عمّار بن ياسر . وكتب محمد بن أبى حذيفة معهم إلى علىّ كتابًا ، فجاءوا بالكتاب إلى علىّ ، فلم يَظْهَرْ على مافيه ، فلما رأى عثمان مارأى جاء عليًّا فدخل عليه بيته ، فقال : يابنَ عمّ ، إنه ليس لى متَّرك ؛ وإن قرابتى قريبة ؛ ولى حقّ عظيم عليك ، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم ، وهم مصبِّحىّ ؛ وأنا أعلم أنّ لك عند الناس قدرًا ، وأنهم يسمعون منك ، فأنا أحبّ أن تركب إليهم فتردّهم عنىّ ، فإنى لا أحبّ أن يدخلوا علىّ ؛ فإن ذلك جراْة منهم علىّ ، وليسمع بذلك غيرُهم . فقال علىّ : عَلامَ أردّهم ؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرتَ به علىّ ورأيتَه لى ؛ ولست أخرج من يديك ؛ فقال علىّ : إنى قد كنت كلمتك مرّة بعد مرّة ، فكلّ ذلك نخرج فتكلَّم ، ونقول وتقول ؛ وذلك كله فعل مرْوان بن الحكم وسعيد بن العاص وابن عامر ومعاوية ؛ أطعتَهم وعصيتَنى . قال عثمان : فإنى أعصيهم وأطيعك

قال : فأمر[2] الناس ، فركبوا معه : المهاجرون والأنصار . قال: وأرسل عثمان إلى عمّار بن ياسر ، يُكلمه أن يركب مع علىّ فأبى ، فأرسل عثمان إلى سعد بن أبى وقاص ، فكلّمه[3] أن يأتىَ عمّاراً فيكلمه أن يركب مع علىّ ؛ قال : فخرج سعد حتى دخل على عمّار ، فقال : يا أبا اليقظان ، ألا تخرج فيمن يخرج! وهذا[4] علىّ يخرج فاخرج معه ، واردد هؤلاء القوم عن إمامك ، فإنى ٢٩٧٠/١

---

(١) ف : « فايريدون » .
(٢) ب : « وأمر » .
(٣) ف : « يكلمه » .
(٤) ف : « فهذا » .

لأحسب أنك لم تركب مركباً هو خيرٌ لك منه .

قال : وأرسل عثمان إلى كَثير بن الصَّلْت الكِندىّ — وكان من أعوان عثمان — فقال : انطلق فى إثر سعد فاسمع ما يقول سعد لعمّار ، وما يردّ عمّار على سعد ، ثم ائتنى سريعاً .

قال : فخرج كَثير حتى يجد سعداً عند عمّار مُخلِياً به ، فألقم عينَه جُحْر الباب ، فقام إليه عمّار ولا يعرفه ، وفى يده قضيب ، فأدخل القضيب الجُحْر الذى ألقمه كَثير عينَه ، فأخرج كثير عينه من الجُحْر ، وولّى مدبراً متقنّعاً . فخرج عمار فعرف أثره ، ونادى : يا قليل ابن أمّ قليل ! أعلىّ تطّلع وتستمع حديثى ! والله لو دريتُ أنّك هو لفقأتُ عينك بالقضيب ؛ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحلّ ذلك . ثم رجع عمار إلى سعد ، فكلمه سعد وجعل يفتله بكلّ وجه ؛ فكان آخر ذلك أن قال عمّار : والله لا أردّهم عنه أبداً . فرجع سعد إلى عثمان ، فأخبره بقول عمار ، فاتّهم عثمان سعداً أن يكون لم يناصحه ، فأقسم له سعد بالله ؛ لقد حرّض . فقبل منه عثمان . قال : وركب علىّ عليه السلام إلى أهل مصر ، فردّهم عنه ، فانصرفوا راجعين .

قال محمد بن عمر : حدّثنى محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر ، عن محمود بن لَبيد ، قال : لما نزلوا ذا خُشُب ، كلم عثمان عليّاً وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردّوهم عنه ، فركب علىّ وركب معه نفر من المهاجرين ، فيهم سعيد بن زيد ، وأبو جَهْم العدوىّ ، وجُبير بن مُطعِم ، وحكيم بن حِزام ، ومَرْوان بن الحكَم ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن عتَّاب بن أسيد ؛ وخرج من الأنصار أبو أسَيْد الساعدىّ وأبو حُمَيد الساعدىّ ، وزيد بن ثابت ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومعهم من العرب نِيار بن مِكْرم وغيرهم ثلاثون رجلاً ؛ وكلّمهم علىّ ومحمد بن مسلمة — وهما اللذان قدِما — فسمعوا مقالتهما ، ورجعوا . قال محمود : فأخبرنى محمد بن مسلمة ، قال : ما برِحنا من ذى خُشُب حتى رحلوا راجعين إلى مصر ، وجعلوا يسلّمون علىّ ، فما أنسى قول عبد الرحمن بن عُدَيس : أتوصينا يا أبا عبد الرحمن بحاجة ؟ قال : قلت : تتّقى الله وحدَه لا شريك له ، ٢٩٧١/١

وتردّ مَن قِبَلك عن إمامه ، فإنه قد وَعَدنا أن يرجع وينزع . قال ابنُ عُديس : أفعلُ إن شاء الله . قال : فرجع القوم إلى المدينة .

قال محمّد بن عمر : فحدّثني عبد الله بن محمد ، عن أبيه ، قال : لما رجع عليّ عليه السلام إلى عثمان رضى الله عنه ، أخبره أنهم قد رجعوا ، وكلّمه عليّ كلامًا في نفسه ، قال له: اعلم أني قائل فيك أكثر مما قلت . ٢٩٧٢/١ قال : ثمّ خرج إلى بيته ، قال : فمكث عثمان ذلك اليوم ؛ حتى إذا كان الغد جاءه مَرْوان ، فقال له : تكلّم وأعلِم الناس أنّ أهل مصر قد رجعوا ، وأنّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلا، فإنّ خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلّب الناس عليك[١] من أمصارهم ؛ فيأتيك مَن لا تستطيع دفعه . قال : فأبى عثمان أن يخرج . قال : فلم يزل به مروان حتى خرج فجلس على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعدُ ، فإن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر ؛ فلما تيقنوا أنه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم . قال : فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد : اتّق الله يا عثمان ؛ فإنك قد ركبت نهابير[٢] وركبناها معك؛ فتب إلى الله نتب . قال : فناداه عثمان ؛ وإنك هناك يا بن النابغة ! قمِلَتْ والله جُبّتك منذ تركتُك من العمل . قال : فنودى من ناحية أخرى : تب إلى الله وأظهر التوبة يكفّ الناس عنك . قال : فرفع عثمان يديه مدًّا واستقبل القبلة ، فقال : اللهمّ إني أوّل تائب تاب إليك . ورجع إلى منزله ، وخرج عمرو بن العاص حتى نزل منزله بفلسطين ، فكان يقول : والله إن كنت لألقى الراعيَ فأحرّضه عليه .

قال محمد بن عمر : فحدّثني عليّ بن عمر ، عن أبيه ، قال : ثمّ إن عليًّا جاء عثمان بعد انصراف المصريين ، فقال له : تكلم كلامًا يسمعه الناس منك ويشهدون عليه[٣] ، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة ؛ ٢٩٧٣/١

---

(١) ف : « عنك » . (٢) النهابير : المهالك .

(٣) ابن كثير وابن الأثير والنويري : « عليك » .

فإن البلاد قد تمخّضتْ عليك؛ فلا آمنُ ركباً آخرين يقدمون من الكوفة ، فتقول : يا علىّ ، اركب إليهم ؛ ولا أقدر أن أركب إليهم ؛ ولا أسمع عذراً . ويقدم ركب آخرون من البصرة ، فتقول : يا علىّ اركبْ إليهم ؛ فإن لم أفعل رأيتَنى قد قطعت رحِمك ، واستخففتُ بحقك .

قال : فخرج عثمان فخطب الخُطبة التى نزع فيها ، وأعطى الناس من نفسه التوبة ، فقام فحمِد الله ، وأثنى عليه بما هو أهلُه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ؛ فوالله ما عابَ مَن عابَ منكم شيئاً أجهلُه ، وما جئت شيئاً إلاّ وأنا أعرفه ؛ ولكنّى مَنّتْنى نفسى وكذبتنِى ، وضلّ عنّى رشدى ؛ ولقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَن زلّ فليتب ، ومَن أخطأ فليتب ؛ ولا يتماد فى الهلكة ؛ إنّ مَن تمادى فى الجوْر كان أبعد من الطريق » ، فأنا أوّل من اتّعظ ؛ أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه ، فمثلى نَزَع وتاب ؛ فإذا نزلت فليأتنى أشرافُكم فليُرونى رأيهم ؛ فوالله لئن ردّنى الحق عبداً لأستنّ بسنّة العبد ، ولأذِلّنّ ذلّ العبد ، ولأكوننّ كالمرقوق ؛ إن مُلِك صبر ، وإن عتِق شكر ؛ وما عن الله مذهَب إلاّ إليه ، فلا يعجزنّ عنكم خياركم أن يدنوا إلىّ ، لئن أبت يمينى لتتابعنّى[1] شمالى . ٢٩٧٤/١

قال : فرقّ الناس له يومئذ ، وبكى مَن بكى منهم ، وقام إليه سعيد ابن زيد ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ليس بواصل لك مَن ليس معك ، اللهَ اللهَ فى نفسك! فأتمم علىَ ما قلتَ . فلما نزل عثمان وجد فى منزله مرْوان وسعيداً ونفراً من بنى أميّة ؛ ولم يكونوا شهدوا الخطبة ؛ فلما جلس قال مروان : يا أمير المؤمنين ، أتكلّم أم أصمت ؟ فقالت نائلة ابنة الفَرافصة ، امرأة عثمان الكلبيّة : لا بل اصمت ، فإنهم والله قاتلوه ومؤثّموه ؛ إنه قد قال مقالة لا ينبغى له أن ينزع عنها . فأقبل عليها مروان ، فقال : ما أنت وذاك ! فوالله لقد مات أبوك وما يُحسن يتوضأ ، فقالت له : مهلاً يا مروان عن ذكر الآباء ، تُخبر عن أبى وهو غائب تكذب عليه ! وإن أباك لا يستطيع أن يدفع عنه ؛ أما والله لولا أنه عمّه ، وأنه يناله غمّه ، أخبرتُك عنه ما لن أكذب عليه .

---
(١) ب : « لتبايعنى » .

قال : فأعرض عنها مروان، ثم قال: يا أميرَ المؤمنين ،أتكلّم أم أصمت ؟ قال : بل تكلّمْ، فقال مروان : بأبى أنت وأمّ ! والله لوددتُ أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع فكنت أوّلَ من رضى بها ، وأعان عليها ؛ ولكنك قلت ما قلتَ حين بلغ الحزام الطُّبْيَيْن، وخلف السَّيْلُ الزُّبى ، وحين أعطى الخطّة الذليلةَ الذليلُ ؛ والله لإقامةٌ على خطيئة تستغفر الله منها أجملُ من توبة تُخوّف عليها ؛ وإنك إن شئت تقرّبت بالتوبة ولم تقرر بالخطيئة ؛ وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس . فقال عثمان : فاخرج إليهم فكلّمهم ، فإنى أستحيى أن أكلمهم . قال : فخرج مروان إلى الباب والناسُ يركب بعضهم بعضًا ، فقال : ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهبٍ ! شاهت الوجوه ! كلّ إنسان آخذ بأذُن صاحبه . ألا من أريدَ ! جئتم تريدون أن تنزعوا مُلكنا من أيدينا ! اخرجوا عنا ، أما والله لئن رمتمونا ليمرّن عليكم منّا أمر(١) لا يسرّكم ؛ ولا تحمدوا غبّ رأيكم . ارجعوا إلى منازلكم ؛ فإنا والله ما نحن مغلوبين على ما فى أيدينا .

١/٢٩٧٥

قال : فرجع الناس وخرج بعضهم حتى أتى عليًّا فأخبره الخبر ، فجاء علىّ عليه السلام مغضبًا ، حتى دخل على عثمان ، فقال : أما رضيتَ من مروان ولا رضى منك إلا بتحرّفك عن دينك وعن عقلك ، مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به ؛ والله ما مروان بذى رأى فى دينه ولا نفسه ؛ وايم الله إنى لأراه سيوردك ثم لا يصدرك ؛ وما أنا بعائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك ، أذهبتَ شرفك، وغلبت على أمرك. فلما خرج علىّ دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته ، فقالت : أتكلّم أو أسكت؟ فقال : تكلمى ؛ فقالت : قد سمعت قول علىّ لك ؛ وإنه ليس يعاودك، وقد أطعتَ مروان يقودك حيث شاء. قال : فما أصنع ؟ قالت: تتّقى الله وحدَه لا شريك له، وتتّبع سنة صاحبيك من قبْلك، فإنك متى أطعت مرْوان قتلك؛ ومروان ليس له عند الناس قدْر ولا هيبة ولا محبّة ؛ وإنما تركك الناس لمكان مروان ؛ فأرسِل إلى علىّ فاستصلحه ،

١/٢٩٧٦

(١) ابن كثير : « أمير » .

فإن له قرابةً منك ، وهو لا يُعصَى . قال : فأرسل عثمان إلى علىّ ، فأبى أن يأتيَه ، وقال : قد أعلمتُه أنّى لست بعائد .

٢٩٧٧/١ قال: فبلغ مروان مقالةَ نائلة فيه ، قال: فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه، فقال : أتكلم أو أسكت[1] ؟ فقال: تكلم، فقال: إن بنت الفَرافصة... فقال عثمان: لا تذكُرنّها بحرْف فأسوّئ لك وجهك ، فهى والله أنصح لى منك . قال : فكفّ مروان .

قال محمد بن عمر : وحدّثنى شُرحبيل بن أبى عون ، عن أبيه ، قال : سمعتُ عبدَ الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم ، قال : قبّح الله مروان ! خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرّضا ، وبكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت إلى لحية عثمان مُخْضَلّة من الدّموع ، وهو يقول: اللهمّ إنّى أتوب إليك ؛ اللهم إنى أتوب إليك ، اللهم إنّى أتوب إليك ! والله لئن ردّنى الحق إلى أن أكون عبداً قِنّاً لأرضينّ به؛ إذا دخلتُ منزلى فادخلوا علىّ ؛ فوالله لا أحتجب منكم ، ولأعطينّكم الرضا ، ولأزيدنّكم على الرّضا ، ولأنحّينّ مروان وذويه . قال : فلما دخل أمر بالباب ففتِح ، ودخل بيته ، ودخل عليه مَرْوان ، فلم يزل يفتِله فى الذّرْوة والغارِب حتى فتَله عن رأيه ؛ وأزاله عمّا كان يريد؛ فلقد مكث عثمان ثلاثة أيام ما خرج استحياءً من الناس ؛ وخرج مروان إلى الناس ، فقال : شاهت الوجوه ! ألا من أريد ! ارجعوا إلى منازلكم ؛ فإن يكن لأمير المؤمنين حاجة بأحد منكم يرسل إليه، وإلاّ قرّ فى بيته . قال عبد الرحمن : فجئت إلى علىّ فأجده بين القبر والمنبر ، وأجد عنده عمّار[2] بن ياسر ومحمد بن أبى بكر وهما يقولان : ٢٩٧٨/١ صنَع مروان بالناس وصَنع . قال : فأقبل علىّ علىّ ، فقال: أحضرت خطبة عثمان ؟ قلت : نعم ، قال : أفحضرت مقالة مروان للناس ؟ قلت : نعم ، قال علىّ: عياذ الله، ياللمسلمين[3] ! إنّى إن قعدت فى بيتى قال لى: تركتَنى

---

(١) ب : « أم أسكت ؟ » .
(٢) ف : « عماراً » .
(٣) ب : « بالمسلمين » .

وقرابتي وحقي ؛ وإني إن تكلمت فجاء ما يريد يلعبْ به مرْوان ، فصار سيّقة[١] له يسوقه حيث شاء بعد كبَر السن ّ وصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عبد الرحمن بن الأسود: فلم يزُل حتى جاء رسول عثمان: ائتني ، فقال عليّ بصوت مرتفع عالٍ مغضَب : قل له : ما أنا بداخل عليك ولا عائد . قال: فانصرف الرسول . قال : فلقيتُ عثمان بعد ذلك بليلتين خائبًا ، فسألت ناتلا غلامه : من أين جاء أمير المؤمنين ؟ فقال : كان عند عليّ ، فقال عبد الرحمن بن الأسود : فغدوتُ فجلست مع عليّ عليه السلام ، فقال لي : جاءني عثمان البارحة ، فجعل يقول: إني غير عائد؛ وإني فاعل؛ قال : فقلت له: بعد ما تكلّمت به على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعطيتَ من نفسك ، ثم دخلتَ بيتك، وخرج مروان إلى الناس فشتمهم على بابك ويؤذيهم ! قال : فرجع وهو يقول : قطعتَ رحِمي وخذلتَني ، وجرّأت الناس عليّ . فقلت : والله إني لأذبّ الناس عنك ؛ ولكني كلّما جئتك بهنَة أظنّها لك رضًا جاء بأخرى ؛ فسمعتَ قولَ مروان عليّ ، واستدخلت مروان . قال : ثمّ انصرف إلى بيته . قال عبد الرحمن بن الأسود : فلم أزل أرى عليًّا منكبًّا عنه لا يفعل ما كان يفعل؛ إلاّ أني أعلم أنه قد كلم طلحة حين حصِر في أن يُدخَل عليه الرّوايا، وغضب في ذلك غضبًا شديداً، حتى دخلت الرّوايا على عثمان .

١/٢٩٧٩

قال محمد بن عمر : وحدّثني عبد الله بن جعفر ، عن إسماعيل بن محمد ، أنّ عثمان صعد يوم الجمعة المنبر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، فقام رجل ، فقال : أقِمْ كتاب الله ، فقال عثمان : اجلس ، فجلس حتى قام ثلاثًا ، فأمر به عثمان فجلس ، فتحاثَوْا بالحصباء حتى ما تُرى السماء ؛ وسقط عن المنبر ، وحُمِل فأدخل داره مغشيًّا عليه، فخرج رجل من حجّاب عثمان ، ومعه مصحف في يده وهو ينادي : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ﴾[٢] ودخل عليّ بن

---

(١) السيقة : ما يساق من الدواب.

(٢) سورة الأنعام ١٥٩

أبى طالب على عثمان رضى الله عنهما وهو مغشىٌّ عليه ، وبنو أميَّة حوله ، فقال : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فأقبلتْ بنو أميَّة بمنطق واحد، فقالوا : يا علىُّ أهلكتَنا وصنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين! أما والله لئن بلغتَ الذى تريد لتُمَرَّنَّ عليك الدّنيا . فقام علىّ مغضباً . ١/٢٩٨٠

* * *

[ذكر الخبر عن قتل عثمان رضى الله عنه]

وفى هذه السنة قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه .

* ذكر الخبر عن قتله وكيف قتل :

قال أبو جعفر رحمه الله : قد ذكرنا كثيراً من الأسباب التى ذكر قاتلوه أنهم جعلوها ذريعةً إلى قتله ، فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعللٍ دعت إلى الإعراض عنها ؛ ونذكر الآن كيف قُتِل ، وما كان بدء ذلك وافتتاحه ، ومَن كان المبتدئ به والمفتتحَ للجرأة عليه قبل قتله .

ذكر محمد بن عمر أنّ عبد الله بن جعفر حدّثه عن أم بكر بنت المسْوَر بن مخرَمة، عن أبيها، قال: قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان، فوهبها لبعض بنى الحكَم، فبلغ ذلك عبدَ الرحمن بن عوف، فأرسل إلى المسوَر ابن مخرَمة وإلى عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فأخذاها ، فقسَمها عبد الرحمن فى الناس وعثمان فى الدار .

قال محمد بن عمر : وحدّثنى محمد بن صالح ، عن عبيد الله بن رافع ابن نقاخة ، عن عثمان بن الشَّريد ، قال : مرّ عثمان على جَبلة بن عمرو الساعدىّ وهو بفناء داره، ومعه جامعة[1]، فقال: يا نعثل[2]؛ والله لأقتلنّك؛ ولأحملنّك على قَلوص جرباء ، ولأخرجنّك إلى حَرّة النار. ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه . ١/٢٩٨١

حدثنى محمد ، قال : حدّثنى أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، قال : كان أوّل من اجترأ على عثمان بالمنطق السيِّئ جبَلة

(١) الجامعة : الغل يوضع فى العنق. (٢) فى اللسان : « نعثل رجل من أهل مصر ؛ كان طويل اللحية ، قيل إنه كان يشبه عثمان رضى الله عنه » .

ابن عمرو الساعدىّ ، مرّ به عثمان وهو جالس فى ندىّ قومه ، وفى يد جبلة بن عمرو جامعة، فلما مرّ عثمان سلَّم، فردّ القوم، فقال جبلة : لم تردون على رجل فعل كذا وكذا ! قال: ثم أقبل علىّ عثمان، فقال: والله لأطرحنّ هذه الجامعة فى عُنقك أو لتتركنّ بطانتك هذه . قال عثمان: أىّ بطانة ! فوالله إنى لأتخيّر الناس ؛ فقال : مروان تخيّرته ! ومعاوية تخيّرتَه ! وعبد الله بن عامر بن كُرَيز تَخيرتَه ! وعبد الله بن سعد تخيّرتَه ! منهم من نزل القرآن بدمِه ، وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمَه .

قال : فانصرف عثمان ، فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم .

قال محمد بن عمر : وحدّثنى ابن أبى الزّناد ، عن موسى بن عُقْبة ، عن أبى حَبيبة ، قال : خطب عثمان الناس فى بعض أيامه ، فقال عمرو بن العاص : يا أميرَ المؤمنين ، إنك قد ركبت نَهابير وركبناها معك ، فتب نتب . فاستقبل عثمان القبلة وشهرَ يديه — قال أبو حبيبة: فلم أرَ يومًا أكثر باكيًا ولا باكية من يومئذ — ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس ، فقام إليه جَهْجَاهٌ الغِفارىّ ؛ فصاح : يا عثمان ، ألا إن هذه شارف[1] قد جئنا بها ، عليها عباءة وجامعة؛ فانزل فلندرّعك العَباءة، ولنطرحك فى الجامعة ؛ ولنحملك على الشارِف؛ ثم نطرحك فى جبل الدخان. فقال عثمان: قبحك الله وقبح ما جئت به ! قال أبو حبيبة : ولم يكن ذلك منه إلاّ عن ملإ من الناس ؛ وقام إلى عثمان خيرته وشيعته من بنى أميّة فحملوه فأدخلوه الدار .

١/٢٩٨٢

قال أبو حبيبة : فكان آخر ما رأيته فيه .

قال محمد : وحدّثنى أسامة بن زيد الليثىّ ، عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، عن أبيه ، قال : أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصَا النبىّ صلى الله عليه وسلم التى كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فقال له جَهْجاه : قم يا نعثَل؛ فانزل عن هذا المنبر ، وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى ، فدخلت شظيَّة منها فيها؛ فبقى الجرح حتى أصابته الأكلَة،

١/٢٩٨٣

(١) الشارف من النوق : المسنة الهرمة .

فرأيتها تدود، فنزل عثمان وحملوه وأمر بالعصا فشدّوها ، فكانت مضبّبة ، فما خرج بعد ذلك اليوم إلاّ خَرْجة أو خرجتيْن حتى حُصِر فقتل .

حدثنى أحمد بن إبراهيم ؛ قال : حدّثنا عبد الله بن إدريس ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، أنّ جَهْجاهًا الغِفاريّ، أخذ عصًا كانت فى يد عثمان ، فكسرها على ركبته ، فرمى فى ذلك المكان بأكله .

حدّثنى جعفر بن عبد الله المحمدىّ ، قال : حدّثنا عمرو ، عن محمد ابن إسحاق بن يسار المدنىّ ، عن عمّه عبد الرحمن بن يسار ، أنه قال : لمّا رأى الناس ما صنع عثمان كتب مَن بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى مَن بالآفاق منهم — وكانوا قد تفرّقوا فى الثغور : إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا فى سبيل الله عزّ وجلّ ، تطلبون دينَ محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فإنّ دين محمد قد أُفسِد من خلفكم وتُرِك ، فهلمّوا فأقيموا دينَ محمد صلى الله عليه وسلم . فأقبلوا مِن كلّ أفق حتى قتلوه . وكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرْح عامله على مصر — حين تراجع الناس عنه ، وزعم أنه تائب — بكتاب فى الذين شخصوا من مصر ، وكانوا أشدّ أهل الأمصار عليه : أمّا بعد ؛ فانظر فلانًا وفلانًا فاضرب أعناقَهم إذا قدموا عليك ؛ فانظر فلانا وفلانًا فعاقبهم بكذا وكذا — منهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم قوم من التّابعين — فكان رسوله فى ذلك أبو الأعور بن سفيان السُّلَمىّ ، حمله عثمان على جَمل له ، ثم أمره أن يقبِل حتى يدخل مصر قبل أن يدخلها القوم ، فلحقهم أبو الأعور ببعض الطريق ، فسألوه : أين يريد ؟ قال : أريد مصر ؛ ومعه رجل من أهل الشأم من خَوْلان ؛ فلما رأوه على جمل عثمان ، قالوا له : هل معك كتاب ؟ قال : لا ، قالوا : فيمَ أُرسِلتَ ؟ قال : لا علم لى، قالوا : ليس معك كتاب ولا علم لك بما أرسِلت ! إن أمرَك لمريب ! ففتّشوه ، فوجدوا معه كتابًا فى إداوة يابسة ، فنظروا فى الكتاب ، فإذا فيه قتْل بعضهم وعقوبة بعضهم فى أنفسهم وأموالهم . فلما رأوا ذلك رجعوا إلى المدينة ، فبلغ الناسَ رجوعُهم ، والذى كان من أمرهم فتراجعوا من الآفاق كلها ، وثار أهل المدينة .

١/٢٩٨٤

حدّثني جعفر ، قال : حدّثنا عمرو وعلىّ ، قالا : حدّثنا حسين ، عن أبيه ، عن محمد بن السائب الكلبىّ، قال : إنما ردّ أهلَ مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه أنه أدركهم غلام لعثمان على جَمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم ، وأن يصلب بعضهم . فلما أتوا عثمان ، قالوا : هذا غلامك ، قال : غلامى انطلق بغير علمى ، قالوا : جملك ، قال : أخذه من الدار بغير أمرى ، قالوا: خاتَمك ، قال :نقش عليه، فقال عبد الرحمن ابن عُدَيْس التُّجيبىّ حين أقبل أهل مصر :

أقْبلْنَ مِنْ بِلْبيسَ والصَّعيدِ   خُوصاً كأمثال القسِىّ قودِ
مسْتحْقبات حَلَقَ الحديدِ   يطْلُبْنَ حَقّ اللهِ فى الوَليدِ
وعِندَ عثمانَ وَفى سَعيد   يا رَبٌّ فارْجِعنا بمـا نريدُ

٢٩٨٥/١

فلما رأى عثمان ما قد نزل به،وما قد انبعث عليه من النّاس، كتب إلى معاوية بن أبى سفيان وهو بالشأم : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد ؛ فإنّ أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ، ونكثوا البيعة ، فابعث إلىّ مَن قِبَلَك من مقاتِلة أهل الشأم على كلّ صعب وَذلول .

فلما جاء معاويةَ الكتاب تربّص به ، وكره إظهارَ مخالفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد علم اجتماعهم ؛ فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كُرْز ، وإلى أهل الشأم يستنفرهم ويُعظّم حقّه عليهم ، ويذكر الخلفاء وما أمر الله عزّ وجلّ به من طاعتهم ومناصحتهم ، ووعدِهم أن ينجدَهم جندٌ أو بطانةٌ دون الناس ، وذكّرهم بلاءه عندهم ، وصنيعه إليهم ، فإن كان عندكم غياث فالعجَل العجَل ؛ فإن القوم مُعاجلىّ .

فلما قرئ كتابه عليهم قام يزيد بن أسد بن كُرْز البَجَلِىّ ثم القسْرِىّ؛ فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر عثمان ، فعظّم حقه ، وحضّهم على نصره ، وأمرهم بالمسير إليه . فتابعه ناس كثير ، وساروا معه حتى إذا كانوا بوادِى القُرى ، بلغهم قتلُ عثمان رضى الله عنه ، فرجعوا .

وكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر ؛ أن اندُب إلىّ أهلَ البصرة ؛ نسخة كتابه إلى أهل الشأم .

فجمع عبد الله بن عامر الناس ؛ فقرأ كتابه عليهم ؛ فقامت خطباء من أهل البصرة يحضّونه على نصر عثمان والمسير إليه ؛ فيهم مجاشع بن مسعود السُّلَمىّ ؛ وكان أوّلَ مَن تكلّم ؛ وهو يومئذ سيّد قيس بالبصرة . وقام أيضًا قيس ابن الهيثم السُّلَمىّ ، فخطب وحضّ الناس على نصر عثمان ؛ فسارع الناس إلى ذلك ؛ فاستعمل عليهم عبدُ الله بن عامر مجاشعَ بن مسعود فسار بهم ؛ حتى إذا نزل الناس الرَّبَذة ، ونزلت مقدّمته عند صِرار — ناحية من المدينة — أتاهم قتلُ عثمان . ١/٢٩٨٦

حدّثنى جعفر ، قال : حدّثنا عمرو وعلىّ ، قالا : حدّثنا حسين ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق بن يسار المدنىّ ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كتب أهلُ مصر بالسُّقيا — أو بذى خُشُب — إلى عثمان بكتاب ؛ فجاء به رجل منهم حتى دخل به عليه ، فلم يردّ عليه شيئًا ، فأمر به فأخرِج من الدار ؛ وكان أهلُ مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة ألوية لها رءوس أربعة ، مع كلّ رجل منهم لواء ؛ وكان جِماع أمرهم جميعًا إلى عمرو بن بُدَيل بن ورقاء الخُزاعىّ — وكان من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم — وإلى عبد الرحمن بن عُدَيس التُّجيبىّ ؛ فكان فيما كتبوا إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أمّا بعد ، فاعلم أنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ؛ فالله الله ! ثم الله الله ! فإنك على دُنيا فاستتِمّ إليها معها آخرة ، ولا تلبِس نصيبك من الآخرة ؛ فلا تسوغ لك الدنيا . ١/٢٩٨٧ واعلم أنّا والله لله نغضب ، وفى الله نرضَى ؛ وإنا لن نضع سيوفَنا عن عواتقنا حتى تأتينَا منك توْبة مصرّحة ، أو ضلالة مجلّحة مُبْلِجة ؛ فهذه مقالتنا لك ، وقضيّتنا إليك ، والله عذيرنا منك . والسلام .

وكتب أهلُ المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ، ويحتجّون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه ، أو يعطيهم ما يلزمه من حقّ الله .

فلما خاف القتلَ شاور نصحاءه وأهل بيته ، فقال لهم : قد صنع القوم ما قد رأيتم ، فما المخرَج ؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى علىّ بن أبى طالب فيطلب إليه أن يردّهم عنه ، ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولَهم حتى يأتيه

أمداد ؛ فقال : إنّ القوم لن يقبلوا التعليل ، وهم محمِّلىّ عهداً ؛ وقد كان منّى فى قَدْمتهم الأولى ما كان ؛ فمتى أعطِهم ذلك يسألونى الوفاء به ! فقال مروان بن الحكم : يا أميرَ المؤمنين ، مقاربتَهم حتى تقوى أمثلُ من مكاثرتهم على القُرْب ، فأعطهم ما سألوك ، وطاوِلْهم ماطاولوك ؛ فإنما هم بغوْا عليك ، فلا عهد لهم .

فأرسل إلى علىّ فدعاه ، فلما جاءه قال : يا أبا حسن ؛ إنه قد كان من الناس ما قد رأيت ، وكان منى ما قد علمت ؛ ولست آمنهُم على قتلى ، فارددْهم عنى ؛ فإن لهم الله عزّ وجلّ أن أعتبَهم[1] من كل مايكرهون ؛ وأن أعطيَهم الحقّ من نفسى ومن غيرى ؛ وإن كان فى ذلك سفكُ دمى . فقال له علىٌّ : الناس إلى عدلك أحوجُ منهم إلى قتلك ؛ وإنى لأرى قوماً لا يرضوْن إلا بالرضا ، وقد كنتَ أعطيتَهم فى قَدْمتهم الأولى عهداً من الله : لترجعنّ عن جميع ما نقَموا ؛ فرددتُهم عنك ، ثم لم تف لهم بشىء من ذلك ، فلا تغرّنى هذه المرة من شىء فإنى معطيهم عليك الحقّ . قال : نعم ، فأعطهم ، فوالله لأفينّ لهم . فخرج علىٌّ إلى الناس ، فقال : أيّها الناس ؛ إنكم إنما طلبتم الحقّ فقد أعطِيتموه ؛ إنّ عثمان قد زعم أنه منصفُكم من نفسه ومن غيره ؛ وراجع عن جميع ما تكرهون ، فاقبلوا منه ووكّدوا عليه . قال الناس : قد قبلنا فاستوثق منه لنا ، فإنا والله لا نرضى بقولٍ دون فعل . فقال لهم علىّ : ذلك لكم . ثم دخل عليه فأخبره الخبرَ ، فقال عثمان : اضرب بينى وبينهم أجلاً يكون لى فيه مهلة ، فإنى لا أقدر على ردّ ما كرهوا فى يوم واحد ، قال له علىّ : ما حضر بالمدينة فلا أجلَ فيه ، وما غاب فأجلُه وصول أمرك ، قال : نعم ؛ ولكن أجّلْنى فيما بالمدينة ثلاثة أيام . قال علىٌّ : نعم ، فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك ، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجّله فيه ثلاثاً ، علَى أن يَرُدَّ كلَّ مَظلمة ، ويعزل كلّ عامل كرهوه ؛ ثم أخذ عليه فى الكتاب أعظمَ ما أخذ الله علَى أحدٍ من خلقه من عهد وميثاق ، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار ، فكفّ المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يفِىَ لهم بما أعطاهم من نفسه ؛ فجعل يتأهّب للقتال ، ويستعدّ بالسلاح — وقد كان اتّخذ جنداً عظيماً من

١/٢٩٨٨

(١) أعتبهم : أعطاهم العتبى وأرضاهم ، وترك ما كانوا يغضبون من أجله .

رقيق الخُمْس — فلما مضت الأيام الثلاثة — وهو على حاله لم يغيّر شيئاً مما كرهوه، ولم يعزل عاملاً — ثار به الناس. وخرج عمرو بن حزم الأنصاريّ حتى أتى المصريين وهم بذى خُشُب، فأخبرهم الخبر، وسار معهم حتى قدِموا المدينة، فأرسلوا إلى عثمان: ألم نفارِقْك على أنك زعمت أنك تائب من إحداثك، وراجعٌ عما كرهنا منك؛ وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه! قال: بلى؛ أنا على ذلك. قالوا: فما هذا الكتاب الذى وجدنا مع رسولك؛ وكتبت به إلى عاملك؟ قال: ما فعلتُ ولا لى علم بما تقولون. قالوا: بَريدك على جملك، وكتاب كاتبك عليه خاتَمُك؛ قال: أمّا الجمل فمسروق، وقد يشبه الخطّ الخطّ؛ وأما الخاتم فانتُقِش عليه، قالوا: فإنا لا نعجّل عليك؛ وإن كنا قد اتّهمناك، اعزل عنّا عمّالك الفسّاق، واستعمل علينا من لا يُتّهم على دمائنا وأموالنا، واردد علينا مظالمنا. قال عثمان: ما أرانى إذاً فى شىء إن كنت أستعمل مَن هويتم، وأعزل مَن كرهتم، الأمر إذاً أمركم! قالوا: والله لتفعلنّ أو لتُعزَلَنّ أو لتُقتَلَنّ، فانظر لنفسك أودَعْ. فأبى عليهم وقال: لم أكن لأخلعَ سربالاً سَرْبَلَنيهِ الله، فحصروه أربعين ليلة، وطَلْحة يصلّى بالناس.

١/٢٩٨٩

حدّثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن عون، قال: حدّثنا الحسن، قال: أنبأنى وثّاب — قال: وكان فيمن أدركه عِتْقُ أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه، قال: ورأيت بحلْقه أثَر طعنتيْن، كأنهما كتبان[1] طُعِنهما يومئذ يوم الدار — قال: بعثنى عثمان، فدعوت له الأشتر، فجاء — قال ابن عون: فأظنّه قال: فطرحت لأمير المؤمنين وسادة وله وسادة — فقال: يا أشتر؛ ما يريد الناس منى؟ قال: ثلاثاً ليس من إحداهن بدٌّ؛ قال: ما هنّ؟ قال: يخيّرونك بين أن تخلع لهم أمرَهم فتقول: هذا أمرُكم فاختاروا له مَنْ شئتم، وبين أن تُقِصّ من نفسك؛ فإن أبيت هاتيْن فإنّ القوم قاتلوك. فقال: أما من إحداهن بدٌّ! قال: ما مِن إحداهنّ بدٌّ، فقال: أمّا أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالا سربلَنيه الله عزّ وجلّ — قال: وقال غيرُه: والله لأن أقدَّم فتضرَب عنقى أحبُّ إلىّ من

١/٢٩٩٠

(١) الكتبة، بالضم: الثقبة وخيطها فى الجلد.

أن أخلع قميصاً قمّصنيه الله وأترك أمّة محمد صلى الله عليه وسلم يعدو بعضها على بعض. قال ابن عون: وهذا أشبه بكلامه — وأمّا أن أقِص من نفسي؛ فوالله لقد علمت أن صاحبيّ بين يديّ قد كانا يعاقِبان وما يقوم بدني بالقِصاص، وأما أن تقتلوني، فوالله لئن قتلتموني لا تتحابّون بعدي أبداً، ولا تصلّون جميعاً بعدي أبداً، ولا تقاتلون بعدي عدوًّا جميعاً أبداً. قال: فقام الأشتر فانطلق؛ فمكثنا أياماً. قال: ثم جاء رُوَيجل كأنه ذئب، فاطّلع من باب، ثم رجع وجاء محمد بن أبي بكر وثلاثة عشر حتى انتهى إلى عثمان، فأخذ بلحيته، فقال بها حتى سمعت وَقْع أضراسه، وقال: ما أغنى عنك معاوية، ما أغنى عنك ابن عامر، ما أغنت عنك كتبك! قال: أرسِل لحيتي يابنَ أخي، أرسل لحيتي. قال: وأنا رأيتُه استعدى رجلا من القوم بعينه، فقام إليه بمِشْقَص حتى وجأ به في رأسه. قلت: ثم مه؛ قال: تغاووْا عليه حتى قتلوه.

١/٢٩٩١

وذكر الواقديّ أنّ يحيى بن عبد العزيز حدّثه عن جعفر بن محمود، عن محمد بن مسلمة، قال: خرجتُ في نفر من قومي إلى المصريين وكان رؤساؤهم أربعة: عبد الرحمن بن عُدَيس البلَويّ، وسودان بن حُمران المراديّ، وعمرو بن الحَمِق الخزاعيّ — وقد كان هذا الاسم غلَب حتى كان يقال: حبيس بن الحمِق — وابن النِّباع. قال: فدخلت عليهم وهم في خِباء لهم أربعتهم، ورأيت الناس لهم تبعاً، قال: فعظّمت حقّ عثمان وما في رقابهم من البيعة، وخوّفتهم بالفتنة، وأعلمتهم أنّ في قتله اختلافاً وأمراً عظيماً؛ فلا تكونوا أوّل من فتحه، وأنه ينزع عن هذه الخصال التي نَقمتم منها عليه، وأنا ضامن لذلك. قال القوم: فإنْ لم ينزع؟ قال: قلت: فأمركم إليكم. قال: فانصرف القوم وهم راضون، فرجعت إلى عثمان، فقلت: أخلِني فأخلاني، فقلت: الله الله يا عثمان في نفسك! إنّ هؤلاء القوم إنما قدموا يريدون دَمك، وأنت ترى خذلان أصحابك لك؛ لا بل هم يقوّون عدوّك عليك. قال: فأعطاني الرّضا، وجزاني خيراً. قال: ثمّ خرجتُ من عنده، فأقمت ما شاء الله أن أقيم.

قال : وقد تكلّم عثمان برجوع المصريين ، وذكر أنهم جاءوا لأمر ، فبلغهم غيرُه فانصرفوا ، فأردت أن آتيَه فأعنّفَه بهما ، ثم سكتّ فإذا قائل يقول : قد قدم المصريون وهم بالسُّويداء ، قال : قلت : أحقٌّ ما تقول ؟ قال : نعم ، قال : فأرسل إلىّ عثمان . ٢٩٩٢/١

قال : وإذا الخبر قد جاءه ، وقد نزل القوم من ساعتهم ذا خُشُب ، فقال : يا أبا عبد الرّحمن ، هؤلاء القوم قد رجعوا ، فما الرأى فيهم ؟ قال : قلت : والله ما أدرِى ؛ إلاّ أنى أظن أنهم لم يرجعوا لخير . قال : فارجع إليهم فارددهم ، قال : قلت : لا والله ما أنا بفاعل ، قال : ولم ؟ قال : لأنّى ضمنتُ لهم أموراً تنزع عنها فلم تنزع عن حرف واحد منها . قال : فقال : الله المستعان .

قال : وخرجتُ وقدم القوم وحلّوا بالأسواف ، وحصروا عثمان .

قال : وجاءنى عبدُ الرحمن بن عُدَيس ومعه سُودان بن حُمران وصاحباه ، فقالوا : يا أبا عبد الرّحمن ، ألم تعلْم أنّك كلّمتَنا ورددتنا وزعمت أنّ صاحبنا نازعٌ عمّا نكره ؟ فقلت : بلى ، قال : فإذا هم يُخرِجون إلىّ صحيفة صغيرة . قال : وإذا قصبة من رصاص ؛ فإذا هم يقولون : وجدنا جملاً من إبل الصدقة عليه غلام عثمان ، فأخذنا متاعه ففتّشناه ، فوجدنا فيه هذا الكتاب ؛ فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أما بعد ؛ فإذا قدم عليك عبدُ الرحمن ابن عُدَيس فاجْلِدْه مائة جلدة ، واحلِق رأسه ولحيته ، وأطِلْ حبْسَه حتى يأتيَك أمرى ؛ وعمرو بن الحمِق فافعل به مثلَ ذلك ، وسُودان بن حمران مثلَ ذلك ؛ وعروة بن النِّباع الليثىّ مثلَ ذلك . قال : فقلت : وما يدريكم أنّ عثمان كتب بهذا ؟ قالوا : فيفتات مروان على عثمان بهذا ! فهذا شرّ ؛ فيخرج نفسه من هذا الأمر . ثم قالوا : انطلق معنا إليه ، فقد كلمنا عليًّا ، ووعدنا أن يكلّمه إذا صلى الظهر . وجئنا سعد بن أبى وقّاص ، فقال : لا أدخل فى أمركم . وجئنا سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل فقال مثل هذا ؛ فقال محمد : فأين وَعَدكم علىّ ؟ قالوا : وعَدنا إذا صلى الظهر أن يدخل عليه . ٢٩٩٣/١

قال محمد : فصليت مع علىّ ، قال : ثم دخلت أنا وعلىّ عليه ، فقلنا :

إن هؤلاء المصريين بالباب ، فأذن لهم — قال : ومروان عنده جالس — قال : فقال مروان : دعنى جعلت فداك أكلّمهم ! قال: فقال عثمان : فضّ الله فاك ! اخرج عنى ؛ وما كلامك فى هذا الأمر ! قال : فخرج مروان ، قال : وأقبل علىّ عليه— قال :وقد أنهى المصريّون إليه مثل الذى أنهوْا إلىّ— قال : فجعل علىّ يخبره ما وجدوا فى كتابهم . قال : فجعل يقسم بالله ما كتب ولا علم ولا شُوور فيه . قال : فقال محمد بن مسلمة : والله إنه لصادق ؛ ولكن هذا عمل مرْوان ، فقال علىّ : فأدخلهم عليك ؛ فليسمعوا عذرك ، قال : ثم أقبل عثمان على علىّ ، فقال : إنّ لى قرابة ورحِمًا ؛ والله لو كنتَ فى هذه الحلْقة لحللتها عنك ؛ فاخرج إليهم ، فكلّمهم ؛ فإنهم يسمعون منك . قال علىّ : والله ما أنا بفاعل ؛ ولكن أدخِلْهم حتى تعتذرَ إليهم ؛ قال : فادخلوا .

قال محمد بن مسلمة : فدخلوا يومئذ ، فما سلّموا عليه بالخلافة ، فعرفتُ أنه الشرّ بعينه ؛ قالوا : سلام عليكم ، فقلنا : وعليكم السلام ، قال : فتكلّم القوم وقد قدّموا فى كلامهم ابنَ عُديس ، فذكر ما صنع ابنُ سعد بمصر ، وذكر تحاملاً منه على المسلمين وأهل الذّمة ، وذكر استئثاراً منه فى غنائم المسلمين ؛ فإذا قيل له فى ذلك ، قال : هذا كتاب أمير المؤمنين إلىّ ، ثم ذكروا أشياء مما أحدث بالمدينة ، وما خالف به صاحبيه . قال : فرحلنا من مصر ونحن لا نريد إلا دمَك أو تنزعَ ؛ فردّنا علىّ ومحمد بن مسلمة ، وضمِن لنا محمد النزوع عن كلّ ما تكلمنا فيه — ثم أقبلوا على محمد بن مسلمة ، فقالوا : هل قلت ذاك لنا ؟ قال محمد : فقلت : نعم — ثم رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عزّ وجلّ عليك ويكون حجة لنا بعد حجّة حتى إذا كنا بالبُوَيْب أخذنا غلامك فأخذنا كتابَك وخاتمَك إلى عبد الله بن سعد، تأمره فيه بجلد ظهورنا ، والمَثْل بنا فى أشعارنا ، وطولَ الحبس لنا ؛ وهذا كتابك .

١/٢٩٩٤

قال : فحمد الله عثمانُ وأثنى عليه ، ثم قال : والله ما كتبتُ ولا أمرتُ ، ولا شوورت ولا علمتُ . قال : فقلت وعلىّ جميعًا : قد صدق . قال: فاستراح

إليها عثمان، فقال المصريون : فمن كتبه ؟ قال : لا أدرى ، قال : أفيجترَأ عليك فيُبعثَ غلامُك وجملٌ من صدقات المسلمين، وينقَش على خاتمك، ويكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظام وأنت لا تعلم ! قال : نعم ، قالوا : فليس مثلك يلِى ، اخلَعْ نفسك من هذا الأمر كما خلَعك الله منه. قال : لا أنزع قميصًا ألبسنيه الله عزّ وجلّ . قال : وكثرت الأصوات واللغط ، فما كنتُ أظنّ أنهم يخرجون حتى يواثبوه . قال : وقام علىّ فخرج ، قال : فلمّا قام علىّ قمت ، قال : وقال للمصريين : اخرجوا ، فخرجوا . قال : ورجعت إلى منزلى ورجع علىّ إلى منزله ، فما برحوا محاصريه حتى قتلوه . ١/٢٩٩٥

قال محمّد بن عمر : وحدّثنى عبد الله بن الحارث بن الفُضيل، عن أبيه، عن سفيان بن أبى العوْجاء ، قال : قدم المصريّون القَدْمة الأولى ، فكلّم عثمانُ محمد بنَ مسلمة ، فخرج فى خمسين راكبًا من الأنصار ، فأتوهم بذى خُشُب فردّهم ، ورجع القوم حتى إذا كانوا بالبُويب ، وجدوا غلامًا لعثمان معه كتاب إلى عبد الله بن سعد ، فكرّوا ، فانتهوْا إلى المدينة ، وقد تخلّف بها من الناس الأشتر وحُكَيم بن جَبَلة ، فأتوا بالكتاب ، فأنكر عثمان أن يكون كتبه، وقال : هذا مفتعَل ، قالوا : فالكتاب كتابُ كاتبِك ! قال : أجل ؛ ولكنّه كتبه بغير أمرى ، قالوا : فإنّ الرسول الذى وجدنا معه الكتابَ غلامُك ؛ قال : أجل ؛ ولكنه خرج بغير إذنى ، قالوا : فالجمل جملُك ، قال : أجل ؛ ولكنه أخِذ بغير علمى ، قالوا : ما أنت إلاّ صادق أو كاذب ؛ فإن كنت كاذبًا فقد استحققتَ الخلع لمَا أمرت به من سفك دمائنا بغير حقها ، وإن كنت صادقًا فقد استحققت أن تخلَع لضعفِك[1] وغفلتِك وخبثِ بطانتك ؛ لأنه لا ينبغى لنا أن نترك على رقابنا مَنْ يُقتطع[2] مثل هذا الأمر دونه[2] لضعفه وغفلته. وقالوا له: إنّك ضربت رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجعة الحقّ عندما

---

(١) ابن الأثير : «أن تخلع نفسك».

(٢ – ٢) ابن الأثير : «تقطع الأمور دونه».

يستنكرون من أعمالك ؛ فأقِدْنِ نفسك مَن ضربته وأنت له ظالم ، فقال : الإمام يخطئ ويصيب ؛ فلا أُقيد من نفسى ؛ لأنى لو أقدت كلّ من أصبته بخطإ آتى على نفسى ؛ قالوا : إنك قد أحدثت أحداثًا عظامًا ١/٢٩٩٦ فاستحققت بها الخلْع ؛ فإذا كُلّمتَ فيها أعطيتَ التوبة ثم عدت إليها وإلى مثلها ، ثم قدمنا عليك فأعطيتَنا التوبة والرجوع إلى الحق ؛ ولامنا فيك محمد ابن مسلمة ، وضمِن لنا ما حدث من أمر ، فأخفرته فتبرّأ منك ، وقال : لا أدخل فى أمره ؛ فرجعنا أوّل مرة لنقطع حجّتك ونبلغ أقصى الإعذار إليك ؛ نستظهر بالله عزّ وجلّ عليك ؛ فلحقَنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب . وزعمتَ أنه كُتِب بغير علمك وهو مع غلامك وعلى جملِك وبخطّ كاتبك وعليه خاتَمُك ، فقد وقعتْ عليك بذلك التُّهمة القبيحة ، مع ما بلوْنا منك قبل ذلك من الجوْر فى الحُكْم والأثَرة فى القَسْم والعقوبة للأمر بالتبسُّط من الناس ، والإظهار للتوبة ، ثمّ الرجوع إلى الخطيئة ، ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجِع حتى نخلعَك ونستبدلَ بك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يُحدِث مثل ما جرّبنا منك ، ولم يقع عليه من التُّهمة ما وقع عليك ؛ فاردد خلافتَنا ؛ واعتزل أمرنا ، فإنّ ذلك أسلم لنا منك ، وأسلم لك منا .

فقال عثمان : فرغتم من جميع ما تريدون ؟ قالوا : نعم ، قال : الحمد لله ، أحمَده وأستعينُه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ؛ أرسله بالهدى ودين الحق ليظهرَه على الدّين كلّه ولو كره المشركون . أمّا بعد ، فإنكم لم تعدِلوا فى المنطق ، ولم تنصِفوا فى القضاء ؛ أما قولكم : تخلع نفسك ، فلا أنزع قميصًا قمّصنيه ١/٢٩٩٧ الله عزّ وجلّ وأكرمنى به ، وخصّنى به على غيرى ؛ ولكنى أتوب وأنزع ولا أعود لشىء عابه المسلمون ؛ فإنى والله الفقير إلى الله الخائف منه . قالوا : إنّ هذا لو كان أوّل حدَث أحدثتَه ثم تبت منه ولم تقم عليه ؛ لكان علينا أن نقبل منك ، وأن ننصرف عنك ؛ ولكنه قد كان منك من الإحداث قبل هذا ما قد علمت ، ولقد انصرفنا عنك فى المرة الأولى ، وما نخشى أن تكتب فينا ،

ولا من اعتللت به بما وجدنا فى كتابك مع غلامك . وكيف نقبل توْبتَك وقد بلونا منك أنك لا تعطى من نفسك التوبة من ذنب إلاّ عدتَ إليه ؛ فلسنا منصرفِين حتّى نعزلَك ونستبدلَ بك ، فإن حالَ مَن معك من قومك وذوِى رحِمِك وأهل الانقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم ؛ حتّى نخلص إليك فنقتلك أو تلحق أرواحُنا بالله . فقال عثمان : أمّا أن أتبرّأ من الإمارة ؛ فإن تصلبونى أحبّ إلىّ من أن أتبرّأ من أمر الله عزّ وجلّ وخلافته . وأما قولكم : تقاتلون مَن قاتل دونى ؛ فإنّى لا آمر أحداً بقتالكم ؛ فمن قاتل دونى فإنما قاتل بغير أمرى ؛ ولعمرى لو كنتُ أريد قتالكم ، لقد كنت كتبتُ إلى الأجناد فقادوا الجنود ، وبعثوا الرّجال ، أو لحقت ببعض أطرافى بمصر أو عراق ؛ فاللهَ اللهَ فى أنفسكم فأبقوا عليها إن لم تُبقوا علىّ ؛ فإنكم مجتلبون بهذا الأمر — إن قتلتمونى — دمًا . قال : ثمّ انصرفوا عنه وآذنوه بالحرب ، وأرسل إلى محمد بن مسلمة فكلّمه أن يردّهم ، فقال : والله لا أكذب الله فى سنة مرتين .

٢٩٩٨/١ قال محمد بن عمر : حدّثنى محمد بن مسلم ، عن موسى بن عُقْبة ، عن أبى حبيبة ، قال : نظرت إلى سعد بن أبى وقاص يوم قُتل عثمان ؛ دخل عليه ثم خرج من عنده وهو يسترجع مما يرى على الباب ؛ فقال له مرْوان : الآن تندم ! أنت أشعرته(١) . فأسمع سعداً يقول : أستغفر الله ، لم أكن أظنّ الناس يجترّئون هذه الجرأة ، ولا يطلبون دمه ، وقد دخلت عليه الآن فتكلم بكلام لم تحضره أنت ولا أصحابك ، فنزع عن كلّ ما كُرِه منه ، وأعطى التوبة ، وقال : لا أتمادى فى الهلكة ؛ إنّ مَن تمادَى فى الجوْر كان أبعد من الطريق ؛ فأنا أتوب وأنزع . فقال مروان : إن كنتَ تريد أن تذبّ عنه ؛ فعليك بابن أبى طالب ، فإنه متستّر ، وهو لا يُجبَه ؛ فخرج سعد حتى أتى عليًّا وهو بين القبر والمنبر ، فقال : يا أبا حسَن ؛ قم فِداك أبى وأمّى ! جئتك والله بخير ما جاء به أحد قطّ إلى أحد ، تصل رحِمَ ابن عمّك ، وتأخذ بالفضل عليه ، وتحقِن دمه ، ويرجع الأمر على ما نحبّ ، قد أعطى خليفتُك

---

(١) أشعره ، أى شهره بالقول ، فصار له كالطعنة فى البدن .

من نفسه الرّضا . فقال عليّ : تقبّل الله منه يا أبا إسحاق ! والله ما زلتُ أذبّ عنه حتّى إنى لأستحى ؛ ولكن مروان ومعاوية وعبد الله بن عامر وسعيد ابن العاص هم صنعوا به ما ترى ؛ فإذا نصحتُه وأمرته أن ينحّيَهم استغشّنى حتّى جاء ماترى . قال: فبينا هم كذلك جاء محمد بن أبى بكر ، فسارّ عليًّا ؛ فأخذ علىّ بيدى ، ونهض علىّ وهو يقول : وأىّ خير توبتُه هذه ! فوالله مابلغت دارى حتى سمعت الهائعة(١) ؛ أن عثمان قد قتل ؛ فلم نزل والله فى شرّ إلى يومنا هذا .

١/٢٩٩٩

قال محمد بن عمر : وحدّثنى شُرحبيل بن أبى عوْن ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الخير(٢) ، قال : لما خرج المصريّون إلى عثمان رضى الله عنه ، بعث عبد الله بن سعد رسولاً أسرع السير يعلِم عثمان بمخرجهم ، ويخبره أنهم يُظهرون أنهم يريدون العمرة . فقدِم الرّسول على عثمان بن عفان ، يخبرهم فتكلم عثمان ، وبعث إلى أهل مكة يحذّر مَن هناك هؤلاء المصريين ، ويخبّرهم أنهم قد طعنوا على إمامهم . ثمّ إن عبد الله بن سعد خرج إلى عثمان فى آثار المصريين — وقد كان كتب إليه يستأذنه فى القدوم عليه ، فأذن له — فقدم ابن سعد ؛ حتى إذا كان بأيْلة بلغه أنّ المصريين قد رجعوا إلى عثمان ، وأنهم قد حصروه ، ومحمد بن أبى حُذيفة بمصر ؛ فلما بلغ محمداً حَصْرُ عثمان وخروجُ عبد الله بن سعد عنه غلب على مصر ، فاستجابوا له ، فأقبل عبد الله بن سعد يريد مصر ، فمنعه ابنُ أبى حُذيفة ، فوجّه إلى فلسطين ، فأقام بها حتى قُتِل عثمان رضى الله عنه ، وأقبل المصريون حتى نزلوا بالأسواف ، فحصروا عثمان ، وقدم حُكَيم بن جبلة من البصرة فى ركب ، وقدم الأشتر فى أهل الكوفة ، فتوافَوْا بالمدينة ، فاعتزل الأشتر ؛ فاعتزل حُكَيم بن جبلة ، وكان ابن عُديس وأصحابه هم الذين يحصرون عثمانَ ، فكانوا خمسمائة ، فأقاموا على حصاره تسعة وأربعين يوماً ، حتى قُتِل يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة مضت من ذى الحجّة سنة خمس وثلاثين .

١/٣٠٠٠

قال محمد : وحدّثنى إبراهيم بن سالم ، عن أبيه ، عن بُسر بن سعيد ، قال : وحدّثنى عبد الله بن عيّاش بن أبى ربيعة ، قال : دخلتُ على عثمان

(١) الهائعة : الصوت المفزع . (٢) هو مرثد بن عبد الله اليزنى .

رضى الله عنه ، فتحدّثت عنده ساعة ، فقال : يابنَ عياش[١] ، تعالَ . فأخذ بيدى ، فأسمعنى كلام من على باب عثمان ، فسمعنا كلامًا ؛ منهم من يقول : ما تنتظرون به ؟ ومنهم من يقول : انظروا عسى أن يراجع ، فبينا أنا وهو واقفان إذ مرّ طلحة بن عبيد الله ؛ فوقف فقال : أين ابن عُديس ؟ فقيل : ها هو ذا ، قال : فجاءه ابن عُدَيس ، فناجاه بشىء ، ثم رجع ابن عُدَيس فقال لأصحابه : لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل ؛ ولا يخرج من عنده . قال : فقال لى عثمان : هذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله . ثم قال عثمان : اللهمّ اكفِنى طلحةَ بن عبيد الله ، فإنه حمل علىّ هؤلاء وألّبهم ؛ والله إنى لأرجو أن يكون منها صفرًا ، وأن يُسفَك دمه ، إنه انتهك منى ما لا يحلّ له ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لا يحلّ دم امرئ مسلم إلا فى إحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه فيقتل ، أو رجل زنى بعد إحصانه فيرجَم ، أو رجل قتل نفسًا بغير نفس» ، ففيم أقتل ! قال : ثم رجع عثمان . قال ابن عياش : فأردت أن أخرج فمنعونى حتى مرّ بى محمد بن أبى بكر فقال : خلّوه ، فخلّونى .

قال محمد : حدثنى يعقوب بن عبد الله الأشعرىّ ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزَى ، عن أبيه ، قال : رأيتُ اليوم الذى دُخل فيه على عثمان ، فدخلوا من دار عمرو بن حزم خَوخة هناك حتى دخلوا الدار ، فناوشوهم شيئًا من مناوشة ودخلوا ، فوالله ما نسينا أن خرج سُودان بن حمران ، فأسمعه يقول : أين طلحة بن عبيد الله ؟ قد قتلْنا ابن عفان ! ١/٣٠٠١

قال محمد بن عمر : وحدّثنى شُرَحبيل بن أبى عون ، عن أبيه ، عن أبى حفصة اليمانىّ ، قال : كنت لرجل من أهل البادية من العرب ، فأعجبته — يعنى مروان — فاشترانى واشترى امرأتى وولدى فأعتقنا جميعًا ؛ وكنت أكون معه ، فلما حُصِر عثمان رضى الله عنه ، شمّرتْ معه بنو أمية ، ودخل معه مرْوان الدار . قال : فكنتُ معه فى الدار ، قال : فأنا والله أنشبت القتال بين

(١) ط : «عباس» ، تصحيف .

الناس ؛ رميت من فوق الدار رجلا من أسلَم فقتلته ؛ وهو نِيار الأسلمىّ ، فنشِب القتال ، ثم نزلت، فاقتتل الناس على الباب، وقاتل مروان حتى سقط فاحتملته ، فأدخلته بيت عجوز ، وأغلقت عليه ، وألقى الناس النيران فى أبواب دار عثمان ، فاحترق بعضها، فقال عثمان: ما احترق الباب إلاّ لما هو أعظم منه ، لا يحرّكنّ رجل منكم يده ؛ فوالله لو كنت أقصاكم لتخطّوكم حتى يقتلونى ، ولو كنت أدناكم ما جاوزونى إلى غيرى ، وإنى لصابر كما عهد إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ،لأُصرَعنّ مصرعى الذى كتب الله عزّ وجلّ . فقال مروان : والله لا تقتَل وأنا أسمع الصوت ، ثم خرج بالسيف على الباب يتمثّل بهذا الشعر :

قد عَلِمَتْ ذاتُ القُرونِ المِيلِ والكَفِّ والأناملِ الطُّفولِ
أَنِّى أَرُوعُ أَوَّلَ الرَّعيلِ[1] بفارِهٍ مِثْلِ قَطَا الشَّليلِ ١/٣٠٠٢

قال محمد : وحدّثنى عبد الله بن الحارث بن الفضيل ، عن أبيه ، عن أبى حفصة ، قال: لما كان يوم الخميس دلّيت حجراً من فوق الدار ، فقتلت رجلا من أسلم يقال له نِيار ،فأرسلوا إلى عثمان: أن أمكِنّا من قاتله . قال: والله ما أعرف له قاتلا، فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران، فلما أصبحوا غدوْا ،فأوّل مَن طلع علينا كنانة بن عتّاب ،فى يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا ، قد فتح له من دار آل حزم، ثم دخليت الشُّعَل على أثره تُنضَح بالنِّفْط ؛ فقاتلناهم ساعة على الخشب ، وقد اضطرم الخشب ، فأسمع عثمان يقول لأصحابه : ما بعد الحريق شىء ! قد احترق الخشب ، واحترقت الأبواب ، ومَن كانت لى عليه طاعة فليمسك دارَه؛فإنما يريدنى القوم، وسيندمون على قتلى ؛ والله لو تركونى لظننت أنى لا أحبّ الحياة ؛ ولقد تغيّرت حالى ، وسقط أسنانى ، ورقّ عظمِى .

قال : ثم قال لمروان : اجلس فلا تخرج ، فعصاه مروان ، فقال : والله لا تُقتل،ولا يُخلص إليك ، وأنا أسمع الصوت ، ثم خرج إلى الناس . فقلت : ما لمولاى مُتّرك ! فخرجت معه أذبّ عنه ،ونحن قليل، فأسمع مروان يتمثّل :

---

(١) فى تعليقات ط : « أزوع » ؛ أى أحث الرعيل ليزيد فى السير ، وهو وجه .

قد علمتْ ذاتُ القرون المِيلِ والكفُّ والأنامِل الطُّفُولِ

ثم صاح : مَنْ يبارز ؟ وقد رفع أسفل درعه ؛ فجعله فى منطقته . قال : ٣٠٠٣/١
فيثب إليه ابن النبّاع فضربه ضربة على رقبته من خلفه فأثبته ؛ حتى سقط ،
فما ينبض منه عرق ، فأدخلتْه بيتَ فاطمة ابنة أوْس جدّة إبراهيم بن العدِىّ .
قال : فكان عبد الملك وبنو أميّة يعرفون ذلك لآل العَدىّ .

حدّثنى أحمد بن عثمان بن حكيم ، قال : حدّثنا عبدُ الرحمن بن شريك ،
قال : حدّثنى أبى ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن الأخنس ،
عن ابن الحارث بن أبى بكر ، عن أبيه أبى بكر بن الحارث بن هشام ، قال :
كأنى أنظر إلى عبد الرحمن بن عُدَيس البلَوىّ وهو مسنِد ظهره إلى مسجد
نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وعثمان بن عفان رضى الله عنه محصور ، فخرج
مرْوان بن الحكم ، فقال : مَن يبارز ؟ فقال عبد الرحمن بن عُدَيس لفلان
ابن عُروة : قم إلى هذا الرّجل ، فقام إليه غلام شابّ طُوال ؛ فأخذ رَفرف[1]
الدرع فغرزه فى منطقته ، فأعور له عن ساقه ، فأهوى له مروان وضربه
ابن عروة على عُنقه ، فكأنى أنظر إليه حين استدار . وقام إليه عبيد بن رفاعة
الزُّرَقىّ ليدفّف[2] عليه ، قال : فوثبت عليه فاطمة ابنة أوس جدّة إبراهيم
ابن عدىّ — قال : وكانت أرضعت مروان وأرضعت له — فقالت : إن كنت
إنما تريد قتل الرجل فقد قتِل ؛ وإن كنت تريد أن تلعب بلحمه فهذا قبيح . ٣٠٠٤/١
قال : فكفّ عنه ، فما زالوا يشكرونها لها ، فاستعملوا ابنها إبراهيم بعد .

وقال ابن إسحاق : قال عبد الرحمن بن عُدَيس البلَوىّ حين سار
إلى المدينة من مصر :

أقبلْنَ مِنْ بِلْبيسَ والصَّعيدِ مُسْتَحْقباتٍ حَلَقَ الحديدِ
يَطْلُبْنَ حَقَّ الله فى سَعيدِ حتى رَجَعْنَ بالذى نريدُ

حدّثنى جعفر بن عبد الله المحمدىّ ، قال : حدّثنا عمرو بن حماد وعلىّ

---

(١) رفرف الدرع : زرديشد بالبيضة ويطرحه الرجل على ظهره ؛ وفى ط : « رفيف » تحريف.
(٢) دفف على الجريح ، مثل ذفف : أجهز عليه .

ابن حسين ، قالا : حدّثنا حسين بن عيسى ، عن أبيه ، قال : لما مضت أيام التشريق أطافوا بدار عثمان رضى الله عنه ، وأبى إلاّ الإقامة على أمره ، وأرسل إلى حشمه وخاصّته فجمعهم ، فقام رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يقال له نِيار بن عياض — وكان شيخًا كبيراً — فنادى : ياعثمان ؛ فأشرف عليه من أعلى داره ؛ فناشده الله ، وذكّره الله لـمَّا اعتزلهم ! فبينا هو يراجعه الكلام إذ رَماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم ، وزعموا أنّ الذى رماه كَثير بن الصَّلْت الكِندىّ ؛ فقالوا لعثمان عند ذلك : ادفع إلينا قاتل نِيار بن عياض فلنقتله به ، فقال : لم أكن لأقتل رجلا نصرنى وأنتم تريدون قتلى ؛ فلمَّا رأوا ذلك ثاروا إلى بابه فأحرقوه ؛ وخرج عليهم مرْوان بن الحكم من دار عثمان فى عصابة ، وخرج سعيد بن العاص فى عِصابة ، وخرج المغيرة بن الأخنس بن شَرِيق الثقفىّ حليف بنى زُهرة فى عصابة ؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ؛ وكان الذى حدَاهم على القتال أنه بلغهم أن مَدداً من أهل البصرة قد نزلوا صِراراً — وهى من المدينة على ليلة — وأن أهل الشام قد توجّهوا مقبلين ، فقاتلوهم قتالا شديداً على باب الدّار ، فحمل المغيرة بن الأخنس الثقفىّ على القوم وهو يقول مرتجزاً : ٣٠٠٥/١

قدْ عَلِمَتْ جارِيَةٌ عُطْبولُ لها وِشاحٌ وَلها حُجول
أنّى بنَصْلِ السَّيْفِ خَنشَلِيلُ[(1)]

فحمل عليه عبد الله بن بُدَيل بن ورقاء الخُزاعىّ ، وهو يقول :

إنْ تَكُ بالسّيْفِ كما تَقُولُ فاثْبتْ لِقِرْنٍ ماجدٍ يَصولُ
* بمشْرَفِيٍّ حدُّهُ مَصْقولُ *

فضربه عبد الله فقتله ، وحمل رفاعة بن رافع الأنصارىّ ثم الزُّرَقىّ على مروان بن الحكم ، فضربه فصرعه ، فنزل عنه وهو يرى أنه قتله ؛ وجرح عبد الله بن الزبير جراحات ، وانهزم القوم حتّى لجئوا إلى القصر ، فاعتصموا

(١) الرجز فى اللسان ١٣ : ٢٣٦ . قال : خنشليل ، أى عمول به .

ببابه ، فاقتتلوا عليه قتالا شديداً، فقتِل في المعركة على الباب زياد بن نُعَيْم الفِهريّ في ناس من أصحاب عثمان ، فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو ابن حزم الأنصاريّ باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان ، ثمّ نادى الناس فأقبلوا عليه من داره، فقاتلوهم في جوْف الدار حتى انهزموا، وخلّى لهم عن باب الدار ؛ فخرجوا هُرّاباً في طرق المدينة ؛ وبقى عثمان في أناس من أهل بيته وأصحابه فقتِلوا معه ؛ وقُتِل عثمان رضى الله عنه . ٣٠٠٦/١

حدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال : حدّثنا معتمِر بن سليمان التيميّ ، قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنا أبو نَضْرة ، عن أبى سعيد مولى أبى أسَيْد الأنصاريّ ، قال : أشرف عليهم عثمان رضى الله عنه ذات يوم ، فقال : السلام عليكم ، قال . فما سمع أحداً من الناس ردّ عليه إلاّ أن يردّ رجل فى نفسه، فقال: أنشدُكم بالله هل علمتم أنى اشتريت رومة من مالِى يستعذَب بها ، فجعلت رِشائى منها كرِشاء رجل من المسلمين ! قال : قيل: نعم . قال : فما يمنعنى أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر ! قال : أنشدكم الله هل علمتم أنّى اشتريت كذا وكذا من الأرض فزدته فى المسجد ؟ قيل : نعم ، قال : فهل علمتم أحداً من الناس مُنِع أن يصلّى فيه قبلى ! قال : أنشدكم الله، هل سمعتم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يذكر كذا وكذا ؛ أشياء فى شأنه ، وذكرَ الله إياه أيضاً فى كتابه المفصّل . قال : ففشا النهى .

قال : فجعل الناس يقولون : مهلا عن أمير المؤمنين ، قال : وفشا النهى . قال : وقام الأشتر — قال : ولا أدرى يومئذ أو فى يوم آخر — فقال: لعله قد مكر به وبكم ! قال : فوطئه الناس ، حتى لقِى كذا وكذا ، قال : فرأيته أشرف عليهم مرّة أخرى ، فوعظهم وذكّرهم ، فلم تأخذ فيهم الموعظة . وكان الناس تأخذ فيهم الموعظة أوّلَ ما يسمعونها؛ فإذا أعيدت عليهم لم تأخذ فيهم . قال : ثم إنه فتح الباب ووضع المصحف بين يديه . قال : وذاك أنه رأى من الليل أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أفطر عندنا الليلة » .

قال أبو المعتمر : فحدّثنا الحسن : أنّ محمد بن أبى بكر دخل عليه ٣٠٠٧/١

فأخذ بلحيته . قال : فقال له : قد أخذت منّا مأخذاً ، وقعدتَ منى مقعداً ما كان أبو بكر ليقعده أو ليأخذه . قال : فخرج وتركه . قال : ودخل عليه رجل يقال له الموت الأسود . قال : فخنقه ثم خفَقه . قال : ثم خرج فقال : والله ما رأيت شيئًا قطّ ألينَ من حلقه ؛ والله لقد خنقته حتى رأيت نَفَسه يتردّد فى جسده كنفس الجانّ . قال : فخرج .

قال فى حديث أبى سعيد : دخل على عثمان رجل ، فقال : بينى وبينك كتاب الله — قال : والمصحف بين يديه — قال : فيهُوى له بالسيف ، فاتّقاه بيده ، فقطعها ، فقال : لا أدرى أبانها أم قطعها ولم يُبنها . قال : فقال : أما والله إنها لأوّل كفّ خطّت المفصّل . وقال فى غير حديث أبى سعيد : فدخل عليه التُّجيبىّ ، فأشعرهَ مِشْقَصاً[1] فانتضح الدّم على هذه الآية : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[2] . قال : فإنها فى المصحف ما حُكّت .

قال وأخذت ابنة الفَرافصة — فى حديث أبى سعيد — حَلْيَها فوضعته فى حجرها ، وذلك قبل أن يقتَل ، قال : فلما أُشْعِرَ — أو قال : قتل — ناحت عليه . قال : فقال بعضهم : قاتلها الله ! ما أعظم عجيزتها ! قال : فعلمت أن عدوّ الله لم يرد إلّا الدنيا .

١/٣٠٠٨ وأما سيف ، فإنه قال — فيما كتب إلى السرىّ ، عن شعيب ، عنه : ذُكِر عن بدر بن عثمان ، عن عمّه ، قال : آخر خطبة خطبها عثمان رضى الله عنه فى جماعة : إنّ الله عزّ وجلّ إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها ، إنّ الدنيا تفنَى ، والآخرة تبقى ؛ فلا تبطرنّكم الفانية ، ولا تشغلنّكم عن الباقية ؛ فآثروا ما يبقَى على ما يفنى ؛ فإن الدنيا منقطعة ؛ وإنّ المصير إلى الله . اتقوا الله جلّ وعزّ ، فإنّ تقواه جُنّة من بأسه ، ووسيلة عنده ؛ واحذَروا من الله الغِيَرَ ، والزموا جماعتكم ، لا تصيروا أحزابًا ، ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[3] .

---

(١) أشعره مشقصاً : رماه به ، كذا فسره صاحب اللسان فى (شعر) ، وذكر الخبر .

(٢) سورة البقرة ١٣٧ . (٣) سورة آل عمران ١٠٣ .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبى حارثة وأبى عثمان ، قالوا : لما قضى عثمان فى ذلك المجلس حاجاتِه وعزم وعزم له المسلمون على الصبر والامتناع عليهم بسلطان الله ، قال : اخرجوا رحِمكم الله فكونوا بالباب ، وليجامعكم هؤلاء الذين حُبِسوا عنى . وأرسل إلى طلحة والزبير وعلىّ وعدّة : أن ادنُوا . فاجتمعوا فأشرف عليهم ، فقال : يأيّها الناس ، اجلسوا ، فجلسوا جميعًا ؛ المحارب الطارئ ، والمسالم المقيم ، فقال : يا أهلَ المدينة ؛ إنّى أستودعكم الله ، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدى ؛ وإنّى والله لا أدخل على أحدٍ بعد يومى هذا حتى يقضىَ الله فىّ قضاءه ؛ ولأدعَنّ هؤلاء وما وراء بابى غيرَ معطيهم شيئًا يتّخذونه عليكم دَخَلًا فى دين الله أو دنيا حتى يكون الله عزّ وجلّ الصانع فى ذلك ما أحبّ. وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم ، فرجعوا إلاّ الحسن ومحمداً وابن الزبير وأشباهًا لهم ؛ فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم ؛ وثاب إليهم ناس كثير ، ولزم عثمان الدار . ١/٣٠٠٩

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى حارثة وأبى عثمان ومحمد وطلحة ، قالوا : كان الحصر أربعين ليلة والنزول سبعين ، فلما مضت من الأربعين ثمان عشرة ، قدِم ركبان من الوجوه فأخبروا خبر من قد تهيّأ إليهم من الآفاق : حبيب من الشأم ، ومعاوية من مصر ، والقعقاع من الكوفة ، ومجاشع من البصرة ؛ فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ؛ ومنعوه كلّ شىء حتى الماء ؛ وقد كان يدخل علىّ بالشىء مما يريد . وطلبوا العلل فلم تطلع عليهم علّة ، فعثروا فى داره بالحجارة ليُرْمَوْا ؛ فيقولوا : قوتلنا — وذلك ليلا — فناداهم : ألا تتّقون الله ! ألا تعلمون أنّ فى الدار غيرى ! قالوا : لا والله ما رميناك . قال : فمن رمانا ؟ قالوا : الله ، قال : كذبتم ؛ إنّ الله عزّ وجلّ لو رمانا لم يخطئنا وأنتم تخطئوننا . وأشرف عثمان على آل حَزْم وهم جيرانه ؛ فسرّح ابنًا لعمرو إلى علىّ بأنهم قد منعونا الماء ، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئًا من الماء فافعلوا . وإلى طلحة وإلى الزبير ، وإلى عائشة رضى الله عنها وأزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ فكان أوّلهم إنجاداً له علىّ وأمّ حبيبة ؛ جاء علىّ ١/٣٠١٠

فى الغلس، فقال : يأيها الناس ؛ إنّ الذى تصنعون لا يشبه أمرَ المؤمنين ولا أمر الكافرين ؛ لا تقطعوا عن هذا الرجل المادّة ؛ فإن الرّوم وفارس لتأسِرُ فتطعِم وتسقِى ؛ وما تعرّض لكم هذا الرّجل ؛ فبم تستحلّون حصره وقتله ! قالوا : لا والله ولا نعمة عين ؛ لا نتركه يأكل ولا يشرب ؛ فرمى بعمامته فى الدار بأنّى قد نهضت فيما أنهضتنى[1] ؛ فرجع . وجاءت أم حبيبة على بغلة لها برِحالة[2] مشتملةً على إداوة ، فقيل : أم المؤمنين أم حبيبة ، فضربوا وجه بغلتها ، فقالت : إنّ وصايا بنى أميّة إلى هذا الرجل ، فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلِك أموال أيتام وأرامل[3] . قالوا : كاذبة ، وأهوْوا لها وقطعوا حبل البغلة بالسيف ، فندّت بأمّ حبيبة ، فتلقّاها الناس ، وقد مالت رِحالتها ، فتعلّقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل ، فذهبوا بها إلى بيتها . وتجهزّت عائشة خارجة إلى الحجّ هاربة ، واستتبعت أخاها ، فأبَى ؛ فقالت : أما والله لئن استطعتُ أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلنّ .

وجاء حنظلة الكاتب حتّى قام على محمد بن أبى بكر ، فقال : يا محمد ، تستتبعك أم المؤمنين فلا تتبعُها ، وتدعوك ذؤبان العرب إلى ما لا يحلّ فتتبعهم ! فقال : ما أنت وذاك يابن التميميّة ! فقال : يابن الخثعميّة ؛ إن هذا الأمر إن صار إلى التغالُب غلبتْك عليه بنو عبد مناف ، وانصرف وهو يقول :

١/٣٠١١

عَجِبْتُ لِما يَخوضُ الناسُ فيهِ ... يرُومونَ الخِلافَةَ أن تزولا
ولَوْ زالَتْ لزال الخَيْرُ عَنْهُمْ ... ولاقَوْا بَعْدَها ذُلاً ذَليلا
وكانوا كاليَهودِ أو النَّصارَى ... سَواءً كُلُّهُمْ ضَلُّوا السبيلا

ولحق بالكوفة . وخرجت عائشة وهى ممتلئة غيظًا على أهل مصر ، وجاءها مَرْوان بن الحكم فقال : يا أمَّ المؤمنين ؛ لو أقمتِ كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجلَ ، فقالت : أتريد أن يُصنع بى كما صُنع بأمّ حبيبة ، ثم لا أجد مَن يمنعنى ! لا والله ولا أعيَّر ولا أدرى إلام يسْلم أمر هؤلاء ! وبلغ طلحةَ

(١) كذا فى أصول ط وفى العبارة غموض .
(٢) الرحالة : السرج من جلود ؛ يتخذ للركض الشديد .
(٣) ابن الأثير والنويرى : « الأيتام والأرامل » .

والزبيرَ ما لقى علىّ وأم حبيبة ، فلزِموا بيوتهم ، وبقىَ عثمان يسقيه آل حزم فى الغَـفَـلات ، عليهم الرّقباء ، فأشرف عثمان على الناس ، فقال : يا عبدالله ابن عباس — فدعى له — فقال : اذهب فأنت على الموسم— وكان ممّن لزم الباب — فقال : والله يا أميرَ المؤمنين لجهاد هؤلاء أحبّ إلىّ من الحج ؛ فأقسم عليه لينطلقنّ . فانطلق ابنُ عباس على الموسم تلك السنة ؛ ورمى عثمان إلى الزبير بوصيّته ، فانصرف بها— وفى الزبير اختلاف :أأدرك مقتله أوخرج قبله— وقال عثمان : ﴿يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّـكُمْ شِقَاقِى أَنْ يُصِيبَـكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ ...﴾[1] الآية ، اللهم حُل بين الأحزاب وبين ما يأملون كما فُعل بأشياعهم من قبل . ٣٠١٢/١

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، قال : بعثتْ ليلى ابنة عُمَيس إلى محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر ، فقالت : إنّ المصباح يأكلُ نفسه ، ويضىء للناس ؛ فلا تأثما فى أمرٍ تسوقانه إلى مَن لا يأثـم فيكما ؛ فإنّ هذا الأمر الذى تحاولون اليوم لغيركم غداً ، فاتّقوا أن يكون عملكم اليوم حسرة عليكم ؛ فلجّا وخرجا مغضَبين يقولان : لا ننسى ما صنع بنا عثمان؛ وتقول : ما صنع بكما ! ألاّ ألزمكما الله ! فلقيهما سعيد ابن العاص، وقد كان بين محمد بن أبى بكر وبينه شىء ، فأنكره حين لقيه خارجًا من عند ليلى ، فتمثل له فى تلك الحال بيتًا :

اسْتَبْقِ وُدَّكَ للصَّديق ولا تَـكُنْ ... قَيْئًا يَعَضُّ بخاذِلٍ مِلْجاجا

فأجابه سعيد متمثلا :

تَرَوْنَ إذاً ضَرْبًا صميماً مِنَ الذى ... له جانبٌ ناء عَن الُجرْمِ مُعْوِرُ

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبى حارثة وأبى عثمان ، قالوا : فلمّا بويع الناس جاء السابق فقَدِم بالسلامة ، فأخبرهم من الموسم[2] أنهم يريدون جميعًا المصريين وأشياعهم ، وأنهم يريدون أن يجمعوا ذلك إلى حجّهم ؛ فلمّا أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار ؛ ٣٠١٣/١

(١) سورة هود ٨٩ . (٢) أى من أمر أهل الموسم .

أعلقهم الشيطان ، وقالوا : لا يخرِجُنا مما وقعنا فيه إلاّ قتلُ هذا الرجل ؛ فيشتغل بذلك الناس عنّا ، ولم يبق خَصْلة يرجون بها النجاة إلا قتلُه . فراموا الباب ؛ فمنعهم من ذلك الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد ابن العاص ومَن كان من أبناء الصحابة أقام معهم ، واجتلدوا ، فناداهم عثمان : اللهَ اللهَ ! أنتم فى حِلٍّ من نصرتى فأبوا ، ففتح الباب ، وخرج ومعه التّرس والسيف لينهنهَهُم ؛ فلما رأوْه أدبر المصريون ، وركبهم هؤلاء ، ونهنههُم فتراجعوا وعظم على الفريقين ، وأقسم على الصحابة ليدخلُنّ ، فأبوا أن ينصرفوا ، فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين — وقد كان المغيرة بن الأخنس بن شريق فيمن حجّ ، ثم تعجّل فى نفر حجّوا معه ، فأدرك عثمان قبل أن يقتَل وشهد المناوشة ، ودخل الدار فيمن دخل وجلس على الباب من داخل ؛ وقال : ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألاّ ندعهم حتى نموت ! فاتّخذ عثمان تلك الأيام القرآن نَحْبًا[1] ، يصلّى وعنده المصحف ؛ فإذا أعيا جلس فقرأ فيه — وكانوا يروْن القراءة فى المصحف من العبادة — وكان القوم الذين كفكفهم بينه وبين الباب ؛ فلما بقى المصريون لا يمنعهم أحد من الباب ولا يقدرون على الدخول جاءوا بنار ، فأحرقوا الباب والسقيفة ، فتأجّجَ الباب والسقيفة ؛ حتى إذا احترق الخشب خرّت السقيفة على الباب ، فثار أهل الدار وعثمان يصلّى ؛ حتى منعوهم الدخول ؛ وكان أول مَنْ برز لهم المغيرة بن الأخنس ، وهو يرتجز : ١/٣٠١٤

قد عَلِمَتْ جارِيَةٌ عُطبولُ ذاتُ وِشاحٍ وَلها جديلُ

أنّى بِنَصْلِ السّيْفِ خَنْشَليلُ لأمْنَعَنَّ مِنْكُمُ خَليلى

* بصارِمٍ ليس بذى فُلولِ *

وخرج الحسن بن علىّ وهو يقول :

لا دينُهُمْ دِينى ولا أنا مِنهُمُ حتى أسيرَ إلى طَمَارِ شَمامِ

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول :

أنا ابنُ مَن حامى عليه بأُحُدْ ورَدّ أحْزَابًا على رغْمِ مَعَدّْ

---

(١) نحباً : أى هماً وعادة .

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول :

صَبَرْنا غَداةَ الدارِ والمَوْتُ واقِبُ بأسْيافنا دون ابْنِ أرْوَى نُضارِبُ
وكنّا غَداةَ الرَّوْعِ فى الدار نُصْرَةً نُشافِهُهُمْ بالضَّرْبِ والموْتُ ثاقِبُ

فكان آخر مَن خرج عبد الله بن الزبير ؛ وأمره عثمان أن يصير إلى أبيه فى وصيّة بما أراد ، وأمره أن يأتىَ أهل الدار فيأمرهم بالانصراف إلى منازلهم ؛ فخرج عبد الله بن الزبير آخرَهم ؛ فما زال يدّعى بها ، ويحدّث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبى حارثة وأبى عثمان ، قالوا : وأحرقوا الباب وعثمان فى الصّلاة ، وقد افتتح ﴿ طٰهَ * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾[1] — وكان سريع القراءة ، فما كرثه ما سمع ، وما يخطئ وما يتتعتع حتى أتى عليها قبل أن يصلوا إليه — ثم عاد فجلس إلى عند المصحف وقرأ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[2] . ١/٣٠١٥

وارتجز المغيرة بن الأخنس وهو دون الدار فى أصحابه :

قد عَلِمَتْ ذاتُ القرونِ الميلِ والحَلْى والأناملِ الطُّفولِ
لتصْدُقَنّ بَيْعَتى خليلى بصارمٍ ذى رَوْنَقٍ مَصْقولِ
لا أسْتَقيلُ إنْ أقلْتُ قيلى

وأقبل أبو هريرة ، والناس محجمون عن الدّار إلا أولئك العُصبة ، فدسروا[3] فاستقتلوا ، فقام معهم ، وقال : أنا إسوتكم ؛ وقال هذا يوم طابَ امْضَرْب — يعنى أنه حلّ القتال ، وطاب وهذه لغة حمير[4] — ونادى : يا قوم ، مَالِى أدعُوكُم إلى النَّجاةِ وتدعُونَنِى إلى النَّارِ ! وبادر مروان يومئذ ونادى : رجل رجل ، فبرز له رجل من بنى لَيْث يدعَى النِّبَّاع ؛ فاختلفا ، فضربه

(١) سورة طه ١ ، ٢ . (٢) سورة آل عمران ١٧٣ .
(٣) دسروا : دفعوا . (٤) انظر اللسان (طيب) .

مروان أسفل رجليه ، وضربه الآخر على أصل العُنق فقلبه ، فانكبّ مروان ، واستلقى ، فاجترّ هذا أصحابه ، واجترّ الآخر أصحابه ؛ فقال المصريون : أما والله لولا أن تكونوا[1] حجة علينا فى الأمة لقد قتلناكم بعد تحذير[2] ، فقال المغيرة : مَن يبارز ؟ فبرز له رجل فاجتلد ، وهو يقول : ٣٠١٦/١

أَضْرِبُهُمْ باليـابِس ضَرْبَ غُلامٍ بائس
* من الحيـاةِ آيِسِ *

فأجابه صاحبه...[3] . وقال الناس : قتل المغيرة بن الأخنس، فقال الذى قتله : إنا لله ! فقال له عبد الرحمن بن عُديس : مالَك ؟ قال : إنى أُتيت فيما يرى النائم ، فقيل لى : بشّر قاتلَ المغيرة بن الأخنس بالنار ؛ فابتُليت به ، وقَتَل قَباث الكِنانىّ نِيار بن عبد الله الأسلمىّ ، واقتحم الناس الدار من الدور التى حولها حتّى ملئوها ولا يشعر الذين بالباب ، وأقبلت القبائل على أبنائهم ؛ فذهبوا بهم إذ غُلبوا على أميرهم ، وندبوا رجلا لقتله، فانتدَب له رجل ، فدخل عليه البيت ، فقال : اخلعها وندَعك ، فقال : ويحك ! والله ما كشفتُ امرأةً فى جاهليّة ولا إسلام، ولا تغنّيت ولا تمنّيت ، ولا وضعت يمينى على عورتى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولست خالعًا قميصًا كسانيه الله عزّ وجلّ ، وأنا على مكانى حتّى يكرم الله أهل السعادة ، ويهين أهل الشقاء[4] .

فخرج وقالوا : ما صنعت ؟ فقال : علِقنا والله ؛ والله ما ينجينا من الناس إلا قتله ، وما يحلّ لنا قتله ؛ فأدخَلوا عليه رجلاً من بنى ليث ، فقال : ممن الرجل ؟ فقال : ليثىّ ؛ فقال : لستَ بصاحبى ، قال : وكيف ؟ فقال : ألست الذى دعا لك النبىّ صلى الله عليه وسلم فى نفر أن تُحفَظوا يوم كذا وكذا ؟ قال : بلى ، قال : فلن تضيع ؛ فرجع وفارق القوم ، فأدخلوا عليه رجلاً من قريش ، فقال : يا عثمان ؛ إنى قاتلُك ، قال : كلاّ يا فلان ، لا تقتلنى ، قال : وكيف ؟ قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لك يوم كذا وكذا ؛ فلن تقارف دمًا حرامًا . فاستغفر ورجع ، وفارق أصحابه ٣٠١٧/١

(١) ط : « لا أن تكونوا » (٢) فى الأصول من غير نقط ، والمثبت أقرب الكلمات فى هذا المقام .
(٣) هنا نقص فى أصول ط . (٤) ابن الأثير والنويرى : « الشقاوة » .

فأقبل عبد الله بن سلاَم حتى قام على باب الدار ينهاهم عن قتله ، وقال : يا قومِ لا تسلّوا سيفَ الله عليكم ؛ فوالله إن سللتموه لا تغمدوه ، ويلكم ! إنّ سلطانكم اليوم يقوم بالدِّرّة ؛ فإن قتلتموه لا يقوم[1] إلا بالسيف. ويلكم ! إنّ مدينتكم محفوفة بملائكة الله ؛ والله لئن قتلتموه لتتركنّها ؛ فقالوا: يا بنَ اليهودية ، وما أنت وهذا ! فرجع عنهم .

قالوا : وكان آخر مَن دخل عليه ممن رجع إلى القوم محمد بن أبي بكر ، فقال له عثمان : ويلك ! أعلى الله تغضب ! هل لي إليك جُرْم إلاّ حقّه[2] أخذته منك ! فنكل ورجع .

قالوا : فلما خرج محمد بن أبي بكر وعرفوا انكساره ، ثار قُتَيْرة وسُودان ابن حمران السَّكونيّان والغافقيّ ؛ فضربه الغافقيّ بحديدة معه ، وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف ، فاستقرّ بين يديه ؛ وسالت عليه الدماء ؛ وجاء سُودان بن حمران ليضربه ، فانكبّت عليه نائلة ابنة الفَرافصة ، واتّقت السيف بيدها ، فتعمّدها ، ونفح أصابعها ، فأطنّ أصابع يدِها وولّت ؛ فغمز أوراكها ، وقال : إنها لكبيرة العجيزة ، وضرب عثمان فقتله ، ودخل غِلمة لعثمان مع القوم لينصروه — وقد كان عثمان أعتق مَن كَفّ منهم — فلمّا رأوا سودان قد ضربه ، أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله ، ووثب قتيرة على الغلام فقتله ، وانتهبوا ما في البيت ؛ وأخرجوا مَن فيه ، ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى . فلما خرجوا إلى الدار ، وثبَ غلام لعثمان آخر على قُتيرة فقتله ، ودار القوم فأخذوا ما وجدوا ؛ حتى تناولوا ما على النساء ، وأخذ رجل ملاءة نائلة — والرجل يدعى كلثوم بن تُجِيب — فتنحّت نائلة ، فقال : ويح أمّك مِن عَجِيزة ما أتمّكِ ! وبصُر به غلام لعثمان فقتله وقتِل ، وتنادَى القوم : أبصر رجل مَنْ صاحبه ، وتنادَوْا في الدار : أدركوا بيت المال لا تُسبَقوا[3] إليه ؛ وسمع أصحاب بيت المال أصواتهم ؛ وليس فيه إلاّ غِرارتان ، فقالوا : النَّجاء ؛ فإن القوم إنّما يحاولون الدنيا ، فهربوا وأتوْا بيت المال فانتهبوه ، وماج

(١) النويري : « لا يقم » . (٢) كذا في ط ؛ ولعله : « لا أحقه » ، أي لا أذكره .
(٣) ابن الأثير : « ولا تسبقوا » . ابن كثير : « ولا يستقروا إليه » .

٣٠١٨/١
٣٠١٩/١

الناس فيه ، فالتّانئ[١] يسترجع ويبكى ، والطارئ يفرح . وندم القوم ، وكان الزبير قد خرج من المدينة ، فأقام على طريق مكة لئلاّ يشهد مقتله ، فلما أتاه الخبر بمقتل عثمان وهو بحيث هو ، قال : إنا لله وإنا اليه راجعون ! رحم الله عثمان . وانتصر له ؛ وقيل : إنّ القوم نادمون؛ فقال : دبّروا دبّروا ، ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ . . ﴾[٢] الآية . وأتى الخبرُ طلحةَ ، فقال : رحم الله عثمان ! وانتصر له وللإسلام ؛ وقيل له : إن القوم نادمون ، فقال تبًّا لهم ! وقرأ : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ولَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٣] . وأتى علىٌّ فقيل : قُتِل عثمان ، فقال رحم الله عثمان ، وخلَف علينا بخير ! وقيل : ندم القوم ، فقرأ :﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ... ﴾[٤] ، الآية . وطُلِب سعد ، فإذا هو فى حائطه ، وقد قال : لا أشهد قتلَه ، فلما جاءه قتلُه قال : فررنا إلى المُدْنية تُدْنينا ؛ وقرأ : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾[٥]. اللهمّ أندِمْهم ثم خذهم .

كتب إلىّ السَّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبىّ ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : قلت لعلىّ : إنّ هذا الرجل مقتول ؛ وإنّه إن قتِل وأنت بالمدينة اتّخذوا فيك ، فاخرج فكن بمكان كذا وكذا ؛ فإنك إن فعلت وكنت فى غارٍ باليمن طلبك الناس ؛ فأبى وحُصِر عثمان اثنين وعشرين يومًا ؛ ثم أحرقوا الباب ؛ وفى الدار أناس كثير ؛ فيهم عبدُالله بن الزُّبير ومروان ، فقالوا : ائذن لنا ؛ فقال : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عهِد إلىّ عهداً ، فأنا صابر عليه ؛ وإنّ القوم لم يحرقوا باب الدّار إلا وهم يطلبون ما هو أعظم منه ؛ فأحرّجُ على رجل[٦] يستقتِل ويقاتل[٦] ؛ وخرج الناس كلهم ؛ ودعا بالمصحف يقرأ فيه والحسن عنده ، فقال : إنّ أباك الآن لفى أمر عظيم ؛ فأقسمتُ عليك لما خرجت ! وأمر عثمان أبا كَرِب — رجلا من هَمْدان — ١/٣٠٢٠

(١) التانئ : المقيم .
(٢) سورة سبأ ٥٤ .
(٣) سورة يس ٥٠ .
(٤) سورة الحشر ١٦ .
(٥) سورة الكهف ١٠٤ .
(٦ — ٦) ابن الأثير : « أن يستقتل أو يقاتل » .

وآخر من الأنصار أن يقوما على باب بيت المال ؛ وليس فيه إلا غِرارتان من ورِق؛ فلما أطفِئت النار بعد ما ناوشهم ابنُ الزبير ومروان، وتوعّد محمد بن أبى بكر ابنَ الزبير ومروان ؛ فلما دخل على عثمان هربا . ودخل محمد بن أبى بكر على عثمان ؛ فأخذ بلحيته ، فقال : أرسِل لحيتى ؛ فلم يكن أبوك ليتناولها . فأرسلها؛ ودخلوا عليه؛ فمنهم من يَجَؤُه بنعل سيفه ، وآخر يلكُزه ؛ وجاءه رجل بمشاقِص معه ، فوجأه فى تَرْقُوَته ، فسال الدّم على المصحف وهم فى ذلك يهابون فى قتله ؛ وكان كبيراً ؛ وغُشى عليه . ودخل آخرون فلما رأوه مغشيًّا عليه جرُّوا برجله؛ فصاحت نائلة وبناته ؛ وجاء التُّجيبىّ مخترطًا سيفه ليضعه فى بطنه ، فوقَتْه نائلة ، فقطع يدها ، واتّكأ بالسيف عليه فى صدره . وقتِل عثمان رضى الله عنه قبل غروب الشمس ، ونادى مناد: ما يحلّ دمُه ويحرَمُ ماله ؛ فانتهبوا كلّ شىء ، ثم تبادروا بيت المال، فألقى الرّجلان المفاتيح ونجوْا ، وقالوا : الهرب الهرب ! هذا ما طلب القوم .

١/٣٠٢١ وذكر محمد بن عمر ، أنّ عبد الرحمن بن عبد العزيز حدّثه عن عبدالرحمن ابن محمد ، أنّ محمد بن أبى بكر تسوّر على عثمان من دار عمرو بن حزم ؛ ومعه كنانة بن بِشْر بن عتّاب ، وسُودان بن حُمران، وعمرو بن الحمِق ؛ فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ فى المصحف فى سورة البقرة ، فتقدّمهم محمد بن أبى بكر ؛ فأخذ بلحية عثمان ، فقال : قد أخزاك الله يا نعثل ! فقال عثمان : لستُ بنعثل ؛ ولكنى عبدُ الله وأمير المؤمنين . قال محمد : ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان ! فقال عثمان : يابن أخى ، دَعْ عنك لحيتى ؛ فما كان أبوك ليقبِض على ما قبضتَ عليه . فقال محمد : لو رآك أبى تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك ؛ وما أريد بك أشدّ من قبضى على لحيتك ؛ قال عثمان : أستنصر الله عليك وأستعين به . ثم طعن جبينه بمشْقَص فى يده . ورفع كنانة بن بشر مشاقصَ كانت فى يده ، فوجأ بها فى أصْلِ أذُن عثمان ، فمضت حتى دخلت فى حلْقه ، ثمّ علاه بالسيف حتى قتله ؛ فقال عبد الرحمن : سمعت أبا عون يقول : ضَرب كنانة بن بشر جَبِينَه

ومقدَّم رأسه بعمود حديد ، فخرّ لجبينه ، فضرَبه سودان بن حُمران المراديّ بعد ما خرّ لجبينه فقتله .

قال محمد بن عمر : حدّثنى عبد الرحمن بن أبى الزّناد ، عن عبد الرّحمن ابن الحارث ، قال : الذى قتَله كنانة بن بشر بن عتّاب التُّجِيبيّ . وكانت امرأة منظور بن سيار الفزاريّ تقول : خرجنا إلى الحجّ ؛ وما علمنا لعثمان بقتل ؛ حتى إذا كنّا بالعَرْج سمعنا رجلاً يتغنّى تحت الليل : ١/٣٠٢٢

ألا إنّ خيْرَ الناسِ بعد ثلاثةٍ   قَتيلُ التُّجيبيّ الذى جاء من مِصْرِ

قال : وأما عمرو بن الحمِق فوثب على عثمان ، فجلس على صدره وبه رمَق ، فطعنه تسعَ طعنات . قال عمرو : فأما ثلاث منهنّ فإنى طعنتهنّ إيّاه لله ؛ وأما ستّ فإنى طعنتهن إيّاه لما كان فى صدرى عليه .

قال محمد: وحدّثنى إسحاق بن يحيى ، عن موسى بن طلحة ، قال : رأيت عُروة بن شُيَيْم ضرب مروان يوم الدّار بالسيف على رقبتِه، فقطع إحدَى عِلْباويه[١] ، فعاش مروان أوْقصَ[٢] ؛ ومروان الذى يقول :

ما قُلتُ يومَ الدارِ للقوْمِ حاجِزوا   رُوَيْدًا ولا استْبْقوا الحياةَ على القَتلِ
ولكنّنى قد قلتُ للقوم ماصِعُوا   بأسيافِكُمْ كَيْمَا يَصِلْنَ إلى الكَهْلِ[٣]

قال محمد الواقديّ : وحدّثنى يوسف بن يعقوب ، عن عثمان بن محمد الأخنسيّ ، قال : كان حصر عثمان قبل قدوم أهل مصر ، فقدم أهل مصر يوم الجمعة ، وقتلوه فى الجمعة الأخرى . ١/٣٠٢٣

وحدّثنى عبد الله بن أحمد المروزىّ ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن حَرْملة بن عمران ، قال : حدّثنى يزيد بن أبى حبيب ، قال: ولِيَ قتلَ عثمان نهران الأصبَحيّ ، وكان قاتِلَ عبد الله بن بُسرة ؛ وهو رجل من بنى عبد الدّار .

قال محمد بن عمر : وحدّثنى الحكم بن القاسم ، عن أبى عَوْن مولى

(١) العلباء : عصبة صفراء فى صفحة العنق .   (٢) الأوقص : قصير العنق .
(٣) ما صعوا : قاتلوا وجالدوا .

المِسْوَر بن مخرمة ، قال : ما زال المصريّون كافّين عن دمه وعن القتال ؛ حتى قدمت أمدادُ العِراق من البصرة ومن الكوفة ومن الشأم ؛ فلما جاءوا شجعوا القوم ؛ وبلغهم أنّ البعوث قد فصلت من العراق ومن مصر من عند ابن سعد ؛ ولم يكن ابن سعد بمصر قبل ذلك ؛ كان هاربًا قد خرج إلى الشأم ، فقالوا : نعاجله قبل أن تقدم الأمداد .

قال محمد : وحدّثني الزّبير بن عبد الله ، عن يوسف بن عبد الله بن سلام ، قال : أشرف عثمان عليهم وهو محصور ؛ وقد أحاطوا بالدّار من كلّ ناحية ، فقال : أنشدكم بالله جلّ وعزّ ؛ هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يخيرَ لكم ، وأن يجمَعكم على خيركم ! فما ظنُّكُم بالله ! أتقولونه : لم يستجب لكم ، وهُنْتم على الله سبحانه ، وأنتم يومئذ أهل حقّه من خلقه ، وجميع أموركم لم تتفرق ! أم تقولون : هان على الله دينُه فلم يبال مَنْ ولاّه ، والدّين يومئذ يُعبد به الله ولم يتفرّق أهله ؛ فتوكّلوا أو تخْذلُوا ، وتُعاقَبوا ! أم تقولون : لم يكن أخذٌ عن مشورة ؛ وإنما كابرتم مكابرة ، فوكّل الله الأمة إذا عصته لم تشاوروا فى الإمام ، ولم تجتهدوا فى موضع كراهته ! أم تقولون : لم يَدْرِ الله ما عاقبة أمرِى ؛ فكنتُ فى بعض أمرى محسنًا ، ولأهل الدين رضًا ، فما أحدثتُ بعدُ فى أمرى ما يسْخَطُ الله ، وتَسْخَطون مما لم يعلم الله سبحانه يومَ اختارنى وسربلنى سربال كرامته ! وأنشدكم بالله ، هل تعلمون لى مِن سابقة خير وسلف خير قدّمه الله لى ، وأشهدنيه من حقه ! وجهادُ عدوّه حقٌّ على كلّ مَن جاء بعدى أن يعرفوا لى فضلَها . فمَهلاً ، لا تقتلونى ؛ فإنه لا يحلّ إلا قتل ثلاثة : رجل زنى بعد إحصانه ، أو كَفَر بعد إسلامه ، أو قتل نفسًا بغير نفس فيقتل بها ؛ فإنكم إن قتلتمونى وضعتم السيف على رقابكم ؛ ثم لم يرفعه الله عزّ وجلّ عنكم إلى يوم القيامة . ولا تقتلونى فإنكم إن قتلتمونى لم تُصلُّوا من بعدى جميعًا أبداً ، ولم تقتسموا بعدى فيئًا جميعًا أبداً ، ولن يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً .

١ / ٣٠٢٤

قالوا له : أمّا ما ذكرت من استخارةِ الله عزّ وجلّ الناس بعد عمر رضى

الله عنه فيمن يولّون عليهم ، ثم ولّوك بعد استخارة الله ؛ فإنّ كلّ ما صنع الله الخيرة ؛ ولكن الله سبحانه جعل أمرك بليّة ابتلى بها عباده . وأما ما ذكرت من قِدَمك وسبْقك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك قد كنت ذا قِدَم وسلَف ، وكنت أهلا للولاية ؛ ولكن بدّلْت بعد ذلك ، وأحدثت ما قد علمتَ . وأما ما ذكرت مما يصيبنا إن نحن قتلناك من البلاء ؛ فإنه لا ينبغى ١/٣٠٢٥ تركُ إقامة الحقّ عليك مخافة الفتنة عاماً قابلا . وأما قولك : إنه لا يحلّ إلاّ قتل ثلاثة ؛ فإنا نجد فى كتاب الله قتلَ غير الثلاثة الذين سمّيتَ ؛ قَتْل مَن سعى فى الأرض فساداً ، وقَتْل مَنْ بغَى ثم قاتل على بغيه ، وقتل مَن حال دون شىء من الحق ومنعه ثم قاتل دونه وكابر عليه ؛ وقد بغيتَ ، ومنعتَ الحقّ ، وحُلت دونه ؛ وكابرتَ عليه ؛ تأبى أن تُقيدَ من نفسك مَن ظلمت عمداً ، وتمسّكت بالإمارة علينا وقد جُرْت فى حكمك وقَسْمك ! فإن زعمت أنك لم تكابرنا عليه ، وأنّ الذين قاموا دونك ومنعوك منّا إنما يقاتلون بغير أمرك ؛ فإنما يقاتلون لتمسّكك بالإمارة ؛ فلو أنّك خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال دونك .

* * *

ذكر بعض سِيَر عثمان بن عفان رضى الله عنه

حدّثنى زياد بن أيوّب ، قال : حدّثنا هُشيم ، قال : زعم أبو المقدام ، عن الحسن بن أبى الحسن ، قال : دخلت المسجد ؛ فإذا أنا بعثمان بن عفان متّكِئاً على ردائه ، فأتاه سقّاءان يختصمان[1] ، فقضى بينهما .

وفيما كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمارة بن القعقاع ، عن الحسن البصرىّ ، قال : كان عمرُ بن الخطاب قد حجَر على أعلام قُريش من المهاجرين الخروج فى البلدان إلاّ بإذن وأجل ، فشكوه فبلغه ، فقام فقال : ألا إنّى قد سننت الإسلام سَنّ البعير ؛ يبدأ فيكون جَذَعاً ، ثم ثَنِياً ، ثم رَباعِياً ، ثم سَدِيساً ، ثم بازِلا[2] ، ألا فهل يُنتظر بالبازل

(١) ابن الأثير : « يختصمان إليه » . (٢) الثنى : الذى يلقى ثنيته ، ويكون ذلك فى ذى الظلف والحافر فى السنة الثالثة ، والجذع قبله ، والرباعى : الذى ألقى رباعيته ؛ وهو ما كان بعد الثنى ، والسديس : ما أتت عليه السادسة ، والبازل : الذى انشق نابه بدخوله فى السنة التاسعة .

١/٣٠٢٦ إلا النقصان ! ألا فإنّ الإسلام قد بَزَل . ألا وإنّ قريشًا يريدون أن يتّخذوا مال الله معونات دون عباده ، ألا فأما وابنُ الخطاب حىّ فلا ؛ إنى قائم دون شِعب الحرّة ، آخذ بحلاقيم قريش وحُجَزها أن يتهافتوا فى النار .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : فلما ولىَ عثمان لم يأخذهم بالذى كان يأخذهم به عمر ، فانساحوا فى البلاد ، فلما رأوها ورأوا الدنيا ، ورآهم الناس ، انقطعَ إليهم من لم يكن له طَوْل ولا مَزيّة فى الإسلام ؛ فكان مغمومًا(١) فى الناس ، وصاروا أوزاعًا إليهم وأمّلوهم ، وتقدّموا فى ذلك فقالوا : يملكون فنكون قد عرفناهم ، وتقدّمنا فى التقرّب والانقطاع إليهم ، فكان ذلك أوّل وهَنٍ دخل على الإسلام ؛ وأوّل فتنة كانت فى العامّة ، ليس إلاّ ذلك .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، قال : لم يمت عُمر رضى الله عنه حتى ملّتْه قريش ، وقد كان حصرهم بالمدينة ، فامتنع عليهم ، وقال : إنّ أخوفَ ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم فى البلاد ؛ فإن كان الرجل ليَستأذنه فى الغزو — وهو ممن حبس بالمدينة من المهاجرين ؛ ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة — فيقول : قد كان فى غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبلّغك ؛ وخير لك من الغزو اليوم ألاّ ترى الدنيا ولا تراك ، فلما ولى عثمان خلّى عنهم ، فاضطربوا فى البلاد ، وانقطع إليهم الناس ، فكان أحبّ إليهم من عمر .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر بن الفُضَيل ، عن سالم بن عبد الله ، قال : لما ولى عثمان حجّ سنواته كلها إلا آخر حجّة ، وحجّ بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يصنع عمر ؛ فكان عبدالرحمن ١/٣٠٢٧ ابن عوف فى موضعه ؛ وجعل فى موضع نفسه سعيد بن زيد ؛ هذا فى مؤخّر القطار ، وهذا فى مقدّمه ، وأمِن الناس ؛ وكتب فى الأمصار أن يوافيَه العمّال فى كلّ موسِم ومَن يشكوهم . وكتب إلى الناس إلى الأمصار ؛ أن ائتمروا بالمعروف ، وتناهَوا عن المنكر ، ولا يُذِلّ المؤمن نفسه ، فإنى مع الضعيف على القوىّ ما دام مظلومًا إن شاء الله . فكان الناس بذلك ، فجرى ذلك إلى

(١) مغموماً ، أى مغطى ، وهو استعمال قديم لأهل المدينة . وانظر شفاء الغليل ١٩٣ .

أن اتّخذه أقوامٌ وسيلةً إلى تفريق الأمة .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : لم تمضِ سنة من إمارة عثمان حتى اتّخذ رجال من قريش أموالاً فى الأمصار ، وانقطع إليهم الناس، وثبتوا سبع سنين ، كلّ قوم يحبّون أن يَلىَ صاحبهم . ثم إنّ ابن السوداء أسلم ، وتكلّم وقد فاضت الدنيا ، وطلعت الأحداث على يديه ، فاستطالوا عُمُرَ عثمانَ رضى الله عنه .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عثمان بن حكيم ابن عبّاد بن حُنَيف ، عن أبيه ، قال : أوّل منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدّنيا ، وانتهى وُسْعُ الناس طيَران الحمام والرّمى على الجُلاهقات[1] ، فاستعمل عليها عثمان رجلا من بنى ليث سنة ثمانٍ ، فقصّها وكسر الجُلاهقات .

١/٣٠٢٨ وكتب إلىّ السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن عمرو بن شعيب ، قال : أوّل مَن منع الحمام الطيّارة والجُلاهقات عثمان ؛ ظهرت بالمدينة فأمرّ عليها رجلا ، فمنعهم منها .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، عن أبيه نحواً منه ؛ وزاد : وحدث بين الناس النّشْو . قال : فأرسل عثمان طائفًا يطوف عليهم بالعصا ، فمنعهم من ذلك ، ثم اشتدّ ذلك فأفشى الحدود ، ونبّأ ذلك عثمان، وشكاه إلى الناس، فاجتمعوا على أن يجلّدوا فى النبيذ ، فأخِذ نفرٌ منهم فجلِدوا .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشّر بن الفضيل ، عن سالم بن عبد الله ، قال : لما حَدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجال إلى الأمصار مجاهدين ، وليدنوا من العرب ؛ فمنهم مَن أتى البصرة ، ومنهم مَنْ أتى الكوفة ، ومنهم مَن أتى الشام، فهجموا جميعًا من أبناء المهاجرين بالأمصار على مثل ما حدث فى أبناء المدينة إلاّ ما كان من أبناء الشام ، فرجعوا جميعًا إلى المدينة إلاّ مَن كان بالشام ، فأخبروا عثمان بخبرهم ؛ فقام

(١) الجلاهق كعلابط : قوس البندق الذى يرمى به .

(٢) ابن الأثير : « فقص الطيور وكسر الجلاهقات » .

عثمان فى الناس خطيبًا ، فقال : يا أهلَ المدينة ؛ أنتم أصلُ الإسلام ؛ وإنّما يفسُد الناس بفسادكم ، ويصلحون بصلاحكم ؛ والله والله لا يبلغنى عن أحد منكم حدث أحدثه إلاّ سيّرته ؛ ألا فلا أعرفنّ أحداً عرض دون أولئك بكلام ولا طلب ، فإنّ من كان قبلكم كانت تقطَّع أعضاؤهم دونَ أن يتكلم أحدٌ منهم بما عليه ولا له .وجعل عثمان لا يأخذ أحداً منهم على شرّ أو شَهْر سلاح : عصًا فما فوقها إلاّ سيّره ؛ فضجّ آباؤهم من ذلك حتى بلغه أنهم يقولون : ما أحدث التسيير إلاّ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سيّر الحكَم بن أبى العاص ، فقال : إنّ الحكَم كان مكّيًّا ، فسيّره رسول الله صلى الله عليه وسلم منها إلى الطائف ، ثم ردّه إلى بلده ؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم سيّره بذنبه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ردّه بعفوه . وقد سيّر الخليفة من بعده ؛ وعمر رضى الله عنه من بعد الخليفة ، وايمُ الله لآخذنّ العفو من أخلاقكم ، ولأبذلنّه لكم من خلقى ؛ وقد دنتْ أمور ، ولا أحبّ أن تحلّ بنا وبكم ؛ وأنا على وجَلٍ وحذَر ، فاحذروا واعتبروا . ١/٣٠٢٩

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ابن ثابت ويحيى بن سعيد، قالا : سأل سائل سعيد بن المسيّب عن محمد بن أبى حُذيفة : ما دعاه إلى الخروج على عثمان ؟ فقال : كان يتيمًا فى حِجْر عثمان ، فكان عثمان والىَ أيتام أهل بيته ؛ ومحتمِل كَلّهم ؛ فسأل عثمانَ العملَ حين وُلِّىَ ، فقال : يا بنىّ ، لو كنت رضًا ثم سألتَنى العمل لاستعملتُك ، ولكن لستَ هناك ! قال : فأذن لى فلأخرجْ فلأطلبْ ما يقوتنى ، قال : اذهب حيث شئتَ ؛ وجهّزه من عنده ، وحمله وأعطاه ، فلما وقع إلى مصر كان فيمن تغيّر عليه أن منعه الولاية . قيل : فعمّار بن ياسر ؟ قال : كان بينه وبين عباس بن عُتبة بن أبى لَهب كلامٌ ، فضربهما عثمان ، فأورث ذاك بين آل عمّار وآل عُتبة شرًّا حتى اليوم ، وكَنَى عمّا ضُربا عليه وفيه . ١/٣٠٣٠

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ابن ثابت ، قال : فسألت ابن سليمان بن أبى حَثْمة ، فأخبرنى أنه تقاذُف .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشّر ، قال : سألت

سالم بن عبد الله عن محمد بن أبى بكر: ما دعاه إلى ركوب عثمان؟ فقال: الغضب والطمع، قلت: ما الغضب والطمع؟ قال: كان من الإسلام بالمكان الذى هو به، وغرّه أقوام فطمع. وكانت له دالّة فلزمه حقّ، فأخذه عثمان من ظهره، ولم يُدهن؛ فاجتمع هذا إلى هذا، فصار مذمّما بعد أن كان محمّدا.

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن مبشّر، عن سالم ابن عبد الله، قال: لما وُلِّىَ عثمان لان لهم، فانتزع الحقوق انتزاعًا، ولم يعطّل حقًّا، فأحبّوه على لينه، فأسلمهم ذلك إلى أمر الله عزّ وجلّ.

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن سهل، عن القاسم، قال: كان مما أحدث عثمان فرُضِىَ به منه أنه ضرب رجلاً فى منازعة استخفّ فيها بالعباس بن عبد المطلب، فقيل له، فقال: نعم، أيفخّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمّه، وأرخّص فى الاستخفاف به! لقد خالف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مَن فعل ذلك، ومَن رضىَ به منه.

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن رُزيق بن عبد الله الرازىّ، عن علْقمة بن مرثَد، عن حُمران بن أبان؛ قال: أرسلنى عثمان إلى العباس بعد ما بويع، فدعوته إليه، فقال: مالك تعبّدتَنى! قال: لم أكن قطّ أحوجَ إليك منى اليوم، قال: الزم خمسًا؛ لا تنازعك الأمة خزائمهَا ما لزمتَها، قال: وما هنّ؟ قال: الصبر عن القتل، والتحبّب، والصفح، والمداراة، وكتمان السرّ.

١/٣٠٣١

وذكر محمد بن عمر، قال: حدّثنى ابنُ أبى سبرة، عن عمرو بن أميّة الضّمرىّ، قال: إن قريشًا كان مَن أسنّ منهم مولعًا بأكل الخزيرة؛ وإنى كنت أتعشّى مع عثمان خَزِيرًا من طبْخ من أجود ما رأيت قطّ، فيها بطون الغنم، وأدُمها اللبن والسمن، فقال عثمان: كيف ترى هذا الطعام؟ فقلت: هذا أطيب ما أكلتُ قطّ، فقال: يرحم الله ابنَ الخطّاب! أكلتَ

معه هذه الخزيرة قطّ ؟ قلت : نعم ؛ فكادت اللقمة تَفرَثُ[١] فى يدى حين أهوِى بها إلى فمِى ؛ وليس فيها لحم ؛ وكان أدْمها السمن ولا لبنَ فيها . فقال عثمان : صدقت، إنّ عمرَ رضى الله عنه أتعب والله مَن تبع أثره ؛ وإنه كان يطلب بثَنْيِه عن هذه الأمور ظَلَفًا[٢] . أما والله ما آكله من مال المسلمين ؛ ولكنى آكلُه من مالى ؛ أنت تعلم أنى كنت أكثرَ قريش مالا ، وأجدّهم فى التجارة ؛ ولم أزل آكل من الطعام ما لان منه ؛ وقد بلغت سنًّا فأحبُّ الطعام إلىّ ألينُه ؛ ولا أعلم لأحد علىّ فى ذلك تَبِعةً .

قال محمد: وحدّثنى ابنُ أبى سَبْرة ، عن عاصم بن عبيد الله ، عن عبد الله ابن عامر ، قال : كنت أفطِر مع عثمان فى شهر رمضان ؛ فكان يأتينا بطعام هو أليَن من طعام عمر ، قد رأيت على مائدة عثمان الدَّرْمَك الجيّد وصغار الضأن كلّ ليلة ؛ وما رأيت عمر قطّ أكل من الدقيق منخولا ، ولا أكل من الغنم إلاّ مَسانّها ، فقلت لعثمان فى ذلك، فقال : يرحم الله عمر ! ومن يُطيق ما كان عمر يطيق ! ٣٠٣٢/١

قال محمد : وحدّثنى عبدُ الملك بن يزيد بن السائب ، عن عبد الله بن السائب ، قال : أخبرنى أبى ، قال : أوّل فسطاط رأيته بمنًى فسطاط لعثمان ، وآخر لعبد الله بن عامر بن كُرَيز ، وأوّل مَن زاد النداء الثالث يوم الجمعة على الزَّوراء عثمان ، وأوّل مَنْ نُخل له الدقيق من الولاة عثمان رضى الله عنه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : بلغ عثمان أنّ ابن ذِى الحبَكة النَّهدىّ يعالج نيرنْجًا — قال محمد بن سلمة : إنما هو نيرج[٣] — فأرسل إلى الوليد بن عُقبة ليسأله عن ذلك ؛ فإن أقرّ به فأوجِعْه ، فدعا به فسأله ، فقال : إنما هو رِفْق وأمرٌ يعجَب منه ؛ فأمر به فعزِّر ، وأخبر الناسَ خبره، وقرأ عليهم كتاب عثمان: إنه قد جُدّ بكم ، فعليكم بالجِدّ ؛ وإياكم والهُزّال ؛ فكان الناس عليه ؛ وتعجّبوا من وقوف عثمان

(١) تفرث ؛ أى تنشق وتتناثر .

(٢) ظلف نفسه عن الشىء يظلفها ظلفاً ؛ أى منعها من أن تفعله .

(٣) النيرج : أخذ كالسحر وليس به .

١/٣٠٣٣ على مثل خبره ، فغضب ، فنفر في الذين نفروا ، فضرب معهم ، فكتب إلى عثمان فيه ، فلما سيّر إلى الشأم مَنْ سيّر ، سيّر كعب بن ذى الحبكة ومالك ابن عبد الله — وكان دينه كدينه — إلى دُنباوَند؛ لأنها أرضٌ سَحِرة، فقال فى ذلك كعب بن ذى الحبكة للوليد :

لَعَمْرى لئن طردتَنى ما إلى التى طمِعْتَ بها من سَقْطَتِى لَسَبِيلُ
رَجَوْتَ رُجوعى يابنَ أروَى وَرجْعَتى إلى الحقّ دَهْراً غال ذلك غُولُ
وإنّ اغترابى فى البلاد وجَفوَتى وشَتمِىَ فى ذات الإله قليلُ
وإنّ دُعائى كلَّ يومٍ وليلةٍ عليك بِدُنْباوَنْدِكُمْ لَطَوِيلُ

فلما ولِىَ سعيد أقفَله ، وأحسن إليه واستصلحه ، فكفره ، فلم يزدد إلا فساداً . واستعار ضابئ بن الحارث البرجمىّ فى زمان الوليد بن عقبة من قوم من الأنصار كلبًا يدعى قَرْحان ، يصيد الظباء ، فحبسه عنهم ، فنافره الأنصاريون ، واستغاثوا عليه بقومه فكاثروه ، فانتزعوه منه وردّوه على الأنصار ، فهجاهم وقال فى ذلك :

تَجَشَّمَ دونى وَفدُ قرحانَ خطةً تَضلُّ لها الوَجْناء وهْىَ حَسيرُ(١)
فباتوا شِباعاً ناعِمين كأنما حَباهُمْ بِبَيتِ المَرزُبان أمير
فكلبُكُمُ لا تترُكوا فهوَ أُمُّكُمْ فإنّ عقوقَ الأُمَّهاتِ كبيرُ

١/٣٠٣٤ فاستعدَوْا عليه عثمان ، فأرسل إليه ، فعزّره وحبسه كما كان يصنع بالمسلمين ، فاستثقل ذلك ، فما زال فى الحبس حتى مات فيه . وقال فى الفتك يعتذر إلى أصحابه :

هَمَمتُ ولم أَفعَلْ وكدتُ وليتَنى فَعلتُ ووَلَّيتُ البُكاء حلائلُه(٢)
وقائلةٍ قد ماتَ فى السجنِ ضابئٌ ألا مَن لخصمٍ لم يَجِد مَن يُجادِلُه !

(١) خزانة الأدب ٤ : ٨٠ ، وفيها : « تظل به » .
(٢) خزانة الأدب ٤ : ٧٩ .

وقائلةٍ لا يُبعِدِ اللهُ ضابئاً فنعمَ الفتى تخلُو به وتُحاوِلُه

فلذلك صار عمير بن ضابئ سَبَئيًّا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير ، عن أخيه ، قال : والله ما علمت ولا سمعتُ بأحد غزا عثمانَ رضى الله عنه ، ولا ركب إليه إلاّ قتِل ؛ لقد اجتمع بالكوفة نفرٌ ، فيهم الأشتر وزيد بن صُوحان وكعب ابن ذى الحبَكة وأبو زينب وأبو مورِّع وكُمَيل بن زياد وعمير بن ضابئ ؛ فقالوا : لا والله لا يُرفَع رأسٌ ما دام عثمان على الناس ؛ فقال عمير بن ضابئ وكُمَيل بن زياد : نحن نقتله . فركبا إلى المدينة ؛ فأما عمير فإنه نكل عنه، وأما كُمَيل بن زياد فإنه جسر وثاوره ؛ وكان جالساً يرصده حتى أتى عليه ١/٣٠٣٥ عثمان ، فوجأ عثمان وجهه ، فوقع على استه ، وقال : أوجعتَنِى يا أمير المؤمنين ! قال : أوَ لستَ بفاتك ! قال : لا والله الذى لا إله إلاّ هو ؛ فحلف وقد اجتمع عليه الناس، فقالوا : نفتّشه يا أميرَ المؤمنين ، فقال : لا ، قد رزق الله العافية ، ولا أشتهى أن أطّلع منه على غير ما قال . وقال : إن كان كما قلتَ يا كميل فاقتدْ منّى — وجثا — فوالله ما حسبتك إلاّ تريدنى ، وقال : إن كنتَ صادقاً فأجزل الله ، وإن كنتَ كاذباً فأذلّ الله . وقعد له على قدميه وقال : دونك! قال : قد تركتُ . فبقيا حتى أكثر الناس فى نجائهما ، فلمّا قدم الحجّاج قال : مَن كان من بعْث المهلّب فليوافِ مكتبه ؛ ولا يجعل على نفسه سبيلا . فقام إليه عمير ، وقال : إنى شيخ ضعيف ، ولى ابنان قويّان ؛ فأخرِجْ أحدهما مكانى أو كليهما ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا عمير بن ضابئ ، فقال : والله لقد عصيتَ الله عزّ وجلّ منذ أربعين سنة ؛ ووالله لأنكّلنّ بك المسلمين ، غضبْت لسارق الكلب ظالماً ، إنّ أباك إذْ غُل لهمّ ؛ وإنّك هممت ونكلت ، وإنى أهُمّ ثم لا أنكل . فضربت عنقه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، قال : حدّثنا رجل من بنى أسد ، قال : كان من حديثه أنه كان قد غزا عثمان رضى الله عنه فيمن غزاه ؛ فلما قدم الحجّاج ونادى بما نادى به ، عرض رجل عليه ما عوَض

٣٠٣٦/١ نفسه ، فقبل منه ، فلما ولّى قال أسماء بن خارجة : لقد كان شأن عمير مما يهمّنى ، قال : ومَن عمير ؟ قال : هذا الشيخ ، قال :

* ذكّرتنى الطعن وكنت ناسيًا[١] *

أليس فيمن خرج إلى عثمان ؟ قال : بلى ، قال : فهل بالكوفة أحد غيره؟ قال : نعم، كُمَيل ، قال : علىّ بعمير ، فضرب عنقه، ودعا بكُميل فهرب ؛ فأخذ النّخَع به ، فقال له الأسود بن الهيثم : ما تريد من شيخ قد كفاكه الكِبَر ! فقال : أما والله لتحبسنّ عنى لسانك أو لأحُسَّنّ رأسك بالسيف . قال : أفعل . فلما رأى كُميل ما لقىَ قومه من الخوف وهم ألفا مقاتل ، قال : الموت خير من الخوف إذا أُخيف ألفان من سبَبِى وحرِموا . فخرج حتى أتى الحجّاج ، فقال له الحجّاج : أنت الذى أردت ثم لم يكشفك أمير المؤمنين ، ولم ترضَ حتى أقعدته للقصاص إذْ دفعك عن نفسه ؟ فقال : على أىّ ذلك تقتلنى ! تقتلنى على عفوه أو على عافيتى ؟ قال : يا أدهم بن المحرز ، اقتله ؛ قال : والأجر بينى وبينك ؟ قال : نعم ، قال أدهم : بل الأجر لك ؛ وما كان من إثْم فعلىّ . وقال مالك بن عبد الله — وكان من المسيّرين :

مَضَتْ لابنِ أروَى فى كُمَيلٍ ظُلامَةٌ ... عفاها له والمُستقِيدُ يُلامُ
وقال له لا أقبِحُ اليومَ مُثْلَةً ... عَلَيكَ أبا عَمرٍو وأنت إمامُ
٣٠٣٧/١ رُوَيدَكَ رأسى والذى نَسَكَتْ له ... قُرَيشٌ بِنا على الكبير حرامُ
ولِلعَفْوِ أمنٌ يَعرِفُ الناسُ فَضلَهُ ... ولَيسَ عَلَينا فى القصاصِ أثامُ
ولو عِلِمَ الفاروق ما أنت صانِعٌ ... نَهى عَنكَ نَهيًا ليس فيه كلامُ

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، عن سُحَيم بن حفْص ، قال : كان ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب شريكَ عثمان فى الجاهليّة ، فقال العباس بن ربيعة لعثمان : اكتب لى إلى ابن عامر يُسلِفنى مائة ألف ؛ فكتب ، فأعطاه مائة ألف وصلَه بها ، وأقطعه دارَه ؛ دار العباس ابن ربيعة اليوم .

وحدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، عن إسحاق بن يحيى ، عن موسى

---

(١) مثل ، أول من قاله رهيم بن حزن الهلالى . الميدانى ١ : ١٨٨ .

ابن طلحة ، قال : كان لعثمان علي طلحة خمسون ألفاً ، فخرج عثمان يوماً إلى المسجد ، فقال له طلحة : قد تهيأ مالُكَ فاقبضه ، قال : هو لك يا أبا محمد معونةً لك على مروءتك .

وحدثني عمر ، قال : حدثنا علي ، عن عبد ربّه ، عن نافع ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن حكيم بن جابر ، قال : قال عليّ لطلحة : أنشدك الله إلا رددتَ الناس عن عثمان ! قال : لا والله حتى تُعْطِيَ بنو أمية الحقّ من أنفسها .

وحدثني عمر ، قال : حدثنا علي ، قال : حدثنا أبو بكر البكريّ ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ؛ أنّ طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له من عثمان بسبعمائة ألف ، فحملها إليه ، فقال طلحة : إنّ رجلا تتّسق[١] هذه عندة وفى بيته لايدرى ما يطرُقه من أمر الله عزّ وجلّ لغريرٌ بالله سبحانه ! فبات ورسوله يختلف[٢] بها فى سِكك المدينة يقسمها حتى أصبح ، فأصبح وما عنده منها درهم . قال الحسن : وجاء هاهنا يطلب الدينار والدرهم — أو قال : الصفراء والبيضاء .

١/٣٠٣٨

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة — أعنى سنة خمس وثلاثين — عبد الله بن عباس بأمر عثمان إياه بذلك ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازيّ ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

* * *

ذكر الخبر عن السبب الذى من أجله أمر عثمان رضى الله عنه عبد الله ابن عباس رضى الله عنه أن يحجّ بالناس فى هذه السنة

ذكر محمد بن عمر الواقديّ أنّ أسامة بن زيد حدّثه عن داود بن الحصين ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما حُصِر عثمان الحصْرَ الآخِر قال

(١) ابن أبي الحديد : ١٠ : ٥ ، فيما نقل عن الطبرى : « يبيت وهذه عنده » .
(٢) ابن أبي الحديد : « رسله تختلف » .

عكرمة : فقلت لابن عبّاس : أوَ كانا حَصْرين ؟ فقال ابن عباس : نعم ، الحصْر الأوّل ، حُصر اثنتى عشرة — وقدم المصريون فلقيَهم علىٌّ بذى خُشب ؛ فردّهم عنه ؛ وقد كان والله علىّ له صاحبَ صدق ، حتى أوغَر نفسَ علىّ عليه ؛ جعل مروان وسعيد وذووهما يحملونه على علىّ فيتحمّل ؛ ويقولون : لو شاء ما كلّمك أحد ؛ وذلك أن عليًّا كان يكلمه وينصحه ويُغلِظ عليه فى المنطق فى مرْوان وذويه ، فيقولون لعثمان: هكذا يستقبلك وأنت إمامه وسلْفه وابن عمّه وابن عمته ؛ فما ظنّك بما غاب عنك منه ! فلم يزالوا بعلىّ حتى أجمع ألاّ يقوم دونه ؛ فدخلتُ عليه اليوم الذى خرجتُ فيه إلى مكة ، فذكرتُ له أنّ عثمان دعانى إلى الخروج فقال لى : ما يريد عثمان أن ينصحه أحدٌ ؛ اتّخذ بطانة أهل غِشّ ليس منهم أحد إلاّ قد تسبّب بطائفة من الأرض يأكل خراجها ويستذلّ أهلها ؛ فقلت له : إنّ له رحِمًا وحقًّا ؛ فإن رأيت أن تقوم دونه فعلتَ ؛ فإنك لا تُعذِر إلا بذلك . ٣٠٣٩/١

قال ابن عباس : فالله يعلم أنّى رأيت فيه الانكسار والرّقة لعثمان ؛ ثم إنى لأراه يؤتَى إليه عظيم . ثم قال عكرمة : وسمعت ابنَ عباس يقول : قال لى عثمان : يابنَ عباس ، اذهب إلى خالد بن العاص وهو بمكة ، فقل له : يقرأ عليك أمير المؤمنين السلام ، ويقول لك : إنى محصور منذ كذا وكذا يومًا ، لا أشرب إلاّ من الأُجاج من دارِى ، وقد مُنعتُ بئرًا اشتريتها من صُلْب مالى ، رُومةَ ؛ فإنما يشربها الناس ولا أشرب منها شيئًا ، ولا آكل إلاّ مما فى بيتى ، منِعت أن آكل مما فى السوق شيئًا وأنا محصور كما ترى ؛ فأْمُرْه وقل له : فليحجّ بالناس ؛ وليس بفاعِل ؛ فإنْ أبى فاحجُج أنت بالناس .

فقدمت الحجّ فى العَشْر ، فجئت خالد بن العاص ، فقلت له ما قال لى عثمان ، فقال لى : هل طاقة بعداوة مَن ترى ؟ فأبى أن يحجّ وقال : فحُجّ أنت بالناس : فأنت ابن عمّ الرجل ؛ وهذا الأمر لا يُفضِى إلاّ إليه — يعنى عليًّا — وأنت أحقّ أن تحمل له ذلك ، فحججت بالناس ، ثم قفلت فى آخر الشهر ، فقدمت المدينة وإذا عثمان قد قتل ؛ وإذا الناس يتواثبون

على رَقَبة على بن أبى طالب . فلما رآنى علىّ ترك الناس ، وأقبل علىّ فانتجانى ، فقال : ما ترى فيما وقع ؟ فإنه قد وقع أمر عظيم كما ترى لا طاقة لأحد به ؛ فقلت : أرى أنه لا بدّ للناس منك اليوم ؛ فأرى أنه لا يبايَع اليوم أحدٌ إلاّ اتُّهم بدم هذا الرجل ، فأبى إلاّ أن يبايَع فاتُّهِم بدمه . ٣٠٤٠/١

قال محمد : فحدّثنى ابنُ أبى سَبْرة ، عن عبد المجيد بن سهيل ، عن عكرمة ، قال : قال ابنُ عباس : قال لى عثمان رضى الله عنه : إنى قد استعملتُ خالد بن العاص بن هشام على مكة ؛ وقد بلغ أهلَ مكة ما صنع الناس ؛ فأنا خائف أن يمنعوه الموقف فيأبى ، فيقاتلهم فى حرَم الله جلّ وعزّ وأمنه . وإن قومًا جاءوا من كلّ فجّ عميق ، ليشهدوا منافع لهم ؛ فرأيت أن أولّيَك أمر الموسم . وكتب معه إلى أهلِ الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحقّ ممن حصره . فخرج ابنُ عباس ، فمرّ بعائشة فى الصُّلصُل ؛ فقالت : يابنَ عباس ؛ أنشدك الله — فإنك قد أعطِيت لسانًا إزعيلا[1] — أن تخذّل عن هذا الرجل ، وأن تشكّك فيه الناس ؛ فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت[2] ، ورفعت لهم المنار ، وتحلّبوا من البلدان لأمر قد حُمّ[3] ؛ وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتّخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيحَ ، فإن يَلِ يَسِرْ بسيرة ابن عمه أبى بكر ، قال : قلتُ يا أمّهْ لو حدث بالرّجل حدث ما فزع الناس إلاّ إلى صاحبنا . فقالت : إيهًا عنك ! إنى لست أريدُ مكابرتك ولا مجادلتك .

قال ابن أبى سَبْرة : فأخبرنى عبد المجيد بن سهيل ؛ أنه انتسخ رسالة عثمان التى كتب بها من عكرمة ، فإذا فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين ؛ سلام عليكم ، فإنى أحمَد الله إليكم الذى لا إله إلا هو ؛ أمّا بعد ؛ فإنى أذكّركم بالله جلّ وعزّ الذى أنعم عليكم وعلّمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، وأراكم البيّنات ، وأوسع عليكم من ٣٠٤١/١

---

(١) الإزعيل : الذلق .

(٢) أنهج الطريق : وضح .

(٣) ط : « جم » ، وانظر ابن أبى الحديد ١٠ : ٦ .

الرزق ، ونصركم على العدوّ ، وأسبغ عليكم نعمته ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول وقوله الحق: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(١). وقال عزّ وجلّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ إلى قوله : ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٢) . وقال وقوله الحقّ : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾(٣) . وقال وقوله الحقّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٤) . وقوله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ إلى ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٥) . وقال وقوله الحق : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ إلى ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٦) . وقال وقوله الحقّ : ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٧) . وقال وقوله الحق : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ إلى ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(٨) . وقال وقوله الحق : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٩) . وقال وقوله الحق : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ إلى ﴿ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١٠) .

٣٠٤٢/١

(١) سورة إبراهيم ٣٤ .
(٢) سورة آل عمران ١٠٢ — ١٠٥ .
(٣) سورة المائدة ٧ .
(٤) سورة الحجرات ٦ — ٨ .
(٥) سورة آل عمران ٧٧ .
(٦) سورة التغابن ١٦ .
(٧) سورة النحل ٩١ — ٩٦ .
(٨) سورة النساء ٥٩ .
(٩) سورة النور ٥٥ .
(١٠) سورة الفتح ١ .

أما بعد ، فإنّ الله عزّ وجلّ رضى لكم السمع والطاعة والجماعة ، وحذّركم المعصية والفُرقة والاختلاف ، ونبّأكم ما قد فعله الذين من قبلكم ، وتقدّم إليكم فيه ليكون له الحجّةُ عليكم إن عصيتموه ، فاقبلوا نصيحة الله عزّ وجلّ واحذروا عذابه ؛ فإنكم لن تجدوا أمةً هلكت إلاّ من بعد أن تختلف ؛ إلا أن يكون لها رأس يجمعها ، ومتى ما تفعلوا ذلك لاتقيموا الصلاة جميعًا ، وسُلِّط عليكم عدوّكم ، ويستحلّ بعضكم حَرَم بعض ؛ ومتى يفعل ذلك لايقم لله سبحانه دين ، وتكونوا شيَعًا ، وقد قال الله جلّ وعزّ لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١) . وإنى أوصيكم بما أوصاكم الله ، وأحذّركم عذابه ؛ فإن شعيبًا صلى الله عليه وسلم قال لقومه : ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ إلى قوله : ﴿رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (٢) .

أما بعد ؛ فإنّ أقوامًا ممن كان يقول فى هذا الحديث ، أظهروا للناس أنّما يدعون إلى كتاب الله عزّ وجلّ والحقّ ، ولا يُريدون الدّنيا ولا منازعةً فيها ؛ فلما عرِض عليهم الحقّ إذا الناس فى ذلك شتّى ؛ منهم آخذ للحقّ ، ونازع (٣) عنه حين يعطاه ؛ ومنهم تارك للحقّ ونازلٌ عنه فى الأمر ، يريد أن يبتزّه بغير الحقّ ؛ طال عليهم عمرى ، وراثَ عليهم (٤) . أمَلُهم الإمْرة ؛ فاستعجلوا القَدَر ؛ وقد كتبوا إليكم أنهم قد رجعوا بالذى أعطيتهم ؛ ولا أعلم أنّى تركت من الذى عاهدتهم عليه شيئًا ؛ كانوا زعموا أنهم يطلبون الحُدود ، فقلت : أقيموها على مَن علمتم تعدّاها فى أحَد ، أقيموها على مَن ظلمكم من قريب أو بعيد . قالوا : كتاب الله يُتْلَى ، فقلت : فَلْيَتْلُه مَنْ تلاه غير غال فيه بغير ما أنزل الله فى الكتاب . وقالوا : المحروم يرزق ، والمال يوفَّى ليُسْتَنّ فيه السنّة الحسنة ، ولا يُعتدى فى الخُمس ولا فى الصدقة ، ويؤمَّر ذو القوّة والأمانة ، ٣٠٤٢/١

(١) سورة الأنعام ١٥٩ . (٢) سورة هود ٨٩ ، ٩٠
(٣) نزع عن الأمر : كف وأبى . (٤) راث : أبطأ .

وتردُّ مظالم الناس إلى أهلها ؛ فرضيت بذلك واصطبرت له ؛ وجئت نسوة النبىّ صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كلّمتهنّ ، فقلت : ما تأمرننى ؟ فقلن : تُؤَمِّر عمرو بن العاص وعبد الله بن قَيْس وتَدَع معاوية ؛ فإنما أمّره أمير قبلك ؛ فإنه مصلح لأرضه ، راضٍ به جنده ؛ واردد عمرًا ؛ فإنّ جنده راضون به ، وأمِّرْه فليصلح أرضه ؛ فكلّ ذلك فعلت . وإنه اعتُدىَ علىّ بعد ذلك ، وعُدِى(١) على الحقّ .

كتبت إليكم وأصحابى الذين زعموا فى الأمر ؛ استعجلوا القَدَر ، ومنعوا منى الصلاة ، وحالوا بينى وبين المسجد ، وابتزُّوا ما قدروا عليه بالمدينة .

كتبت إليكم كتابى هذا ؛ وهم يخيّروننى إحدى ثلاث : إمّا يُقيدوننى بكلّ رجل أصبته خطأ أو صوابًا ، غير متروكٍ منه شىء ؛ وإمّا أعتزل الأمر فيؤمّرون آخرَ غيرى ، وإمّا يُرسلون إلى من أطاعهم من الأجناد وأهل المدينة فيتبرّءون من الذى جعل الله سبحانه لى عليهم من السمع والطاعة . فقلت لهم : أمّا إقادتى من نفسى فقد كان من قبلى خلفاء تخطئ وتصيب ؛ فلم يُستَقد(٢) من أحد منهم ؛ وقد علمت أنما يريدون نفسى ؛ وأمّا أن أتبرأ من الإمارة فأنْ يكْلُبونى(٣) أحبّ إلى من أن أتبرّأ من عمل الله عز وجل وخلافته . وأما قولكم : يرسلون إلى الأجناد وأهل المدينة فيتبرءون من طاعتى ؛ فلست عليكم بوكيل ؛ ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ؛ ولكن أتوها طائعين ، يبتغون مرضاةِ الله عزّ وجلّ وإصلاح ذات البين ؛ ومن يكن منكم إنما يبتغى الدنيا فليس بنائل منها إلاّ ما كتب الله عزّ وجلّ له ، ومن يكن إنما يريد وجه الله والدار الآخرة وصلاح الأمة وابتغاء مرضاة الله عزّ وجلّ والسنّة الحسنة التى استنّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتان من بعده رضى الله عنهما ؛ فإنما يجْزِى بذلكم الله ؛ وليس بيدِى جزاؤكم ؛ ولو أعطيتكم الدنيا كلها

١/٣٠٤٤

(١) ط : « عدا » ، والصواب ما فى الأصول .

(٢) استقاد الحاكم : سأله أن يقيد القاتل بالقتيل .

(٣) كلبه : ضربه بالكلاب ، والكلاب : الحديدة التى على خف الراكض .

لم يكن فى ذلك ثمن لدينكم ؛ ولم يُغْنِ عنكم شيئاً ، فاتقوا الله واحتسبوا ما عنده؛ فمن يرضَ بالنَّكْث منكم فإنى لا أرضاه له ، ولا يرضى الله سبحانه أن تنكثوا عهده . وأما الذى يخيّرونى فإنما كله النزع والتأمير . فملَكْت نفسى ومَنْ معى ؛ ونظرت حكم الله وتغيير النعمة من الله سبحانه ، وكرهت سنَّة السوء وشِقاق الأمّة وسفك الدماء ؛ فإنى أنشدكم بالله والإسلام ألاّ تأخذوا إلاّ الحق وتعطُوه منى وترْكَ البغى على أهله ، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عزّ وجلّ ، فإنى أنشدكم الله سبحانه الذى جعل عليكم العهد والموازرة فى أمر الله ؛ فإنّ الله سبحانه قال وقوله الحق : ﴿وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾[1] ، فإنّ هذه معذرة إلى الله ولعلكم تذكّرون . ٣٠٤٥/١

أما بعد ، فإنى لا أبرئ نفسى ، ﴿إنَّ النَّفْسَ لأمَّارَةٌ بالسُّوءِ إلَّا مَا رَحِمَ رَبِّى إنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2] ، وإن عاقبت أقواماً فما أبتغى بذلك إلاّ الخير ، وإنى أتوب إلى الله عزّ وجلّ من كلّ عمل عملته ، وأستغفره إنه لا يغفر الذنوب إلاّ هو ، إنّ رحمة ربى وسعت كلّ شىء ، إنه لا يقنط من رحمة الله إلاّ القومُ الضَّالونَ ، وإنه يقبلُ التَّوبةَ عَنْ عباده ويعفو عن السيّئات ويعلم ما يفعَلُون . وأنا أسأل الله عزّ وجلّ أن يغفر لى ولكم ، وأن يؤلّفَ قلوبَ هذه الأمة على الخير ، ويكرّه إليها الفسق . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أيها المؤمنون والمسلمون .

قال ابن عباس : فقرأت هذا الكتاب عليهم قبل التَّروية[3] بمكة بيوم .

قال : وحدّثنى ابن أبى سَبْرة ، عن عبد المجيد بن سهيل ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عباس ، قال : دعانى عثمان ، فاستعملنى على الحجّ . قال : فخرجت إلى مكة ، فأقمتُ للنّاس الحجّ ، وقرأت عليهم كتاب عثمان إليهم ؛ ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلىّ .

---

(١) سورة الإسراء ٣٤ .

(٢) سورة يوسف ٥٣ .

(٣) يوم التروية : ثامن ذى الحجة .

ذكر الخبر عن الموضع الذى دفن فيه عثمان رضى الله عنه ومن صلّى عليه وولى أمره بعد ما قتل إلى أن فُرِغ من أمره ودفنِه

١/٣٠٤٦ حدّثنى جعفر بن عبد الله المحمّدىّ ، قال : حدّثنا عمرو بن حمّاد وعلى ابن حسين ، قالا : حدّثنا حسين بن عيسى ، عن أبيه ، عن أبى ميمونة ، عن أبى بشير العابدىّ، قال : نبِذ عثمان رضى الله عنه ثلاثة أيام لا يُدفن؛ ثم إن حكيم بن حزام القرشىّ ثم أحد بنى أسد بن عبد العزّى ، وجُبير بن مطعِم بن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف ، كلّما عليًّا فى دفنه ، وطلبا إليه أن يأذن لأهله فى ذلك، ففعل، وأذِن لهم علىّ ، فلما سُمِع بذلك قعدوا له فى الطريق بالحجارة ، وخرج به ناس يسيرٌ من أهله ؛ وهم يريدون به حائطًا بالمدينة ، يقال له : حَش كَوْكب[1] ، كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ؛ فلما خرج به على الناس رجموا سريرَه ، وهمّوا بطرحه ، فبلغ ذلك عليًّا ، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليَكفُّنّ عنه ، ففعلوا ، فانطلق حتى دفن رضى الله عنه فى حَشّ كوكب ؛ فلما ظهر معاوية بن أبى سفيان على الناس أمر بهدْم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البَقيع ؛ فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوْل قبره حتى اتّصل ذلك بمقابر المسلمين .

وحدّثنى جعفر ، قال : حدّثنا عمرو وعلىّ قالا : حدثنا حُسَين[2] ، عن أبيه ، عن المجالد بن سعيد الهمْدانىّ ، عن يسار بن أبى كرِب ، عن أبيه . — وكان أبو كَرِب عاملاً على بيت مال عثمان — قال : دفن عثمان رضى الله عنه بين المغرب والعتَمة ؛ ولم يشهد جنازته إلاّ مرْوان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة ، فناحت ابنته ورفعت صوتها تندبه ، وأخذ الناس الحجارة وقالوا : نعثَل نعثل ! وكادت ترجَم ؛ فقالوا : الحائط الحائط ؛ فدفن فى حائط خارجًا . ١/٣٠٤٧

---

(١) حش كوكب : موضع عند بقيع الغرقد ، قال ياقوت : «اشتراه عثمان بن عفان وزاده فى البقيع ، ولما قتل ألقى فيه ثم دفن إلى جنبه» .

(٢) ط : « حسن » ؛ وهو حسين بن عيسى ، وانظر السند السابق .

وأما الواقدىّ فإنه ذكر أنّ سعد بن راشد حدّثه عن صالح بن كيسان ، أنه قال : لما قتل عثمان رضى الله عنه قال رجل : يدفن بدير سَلْع مقبرة اليهود ، فقال حَكيم بن حزام : والله لا يكونُ هذا أبداً وأحدٌ من ولد قصىّ حىٌّ ؛ حتى كاد الشرّ يلتحم ، فقال ابنُ عُديس البَلَوىّ : أيّها الشيخ ، وما يضرّك أين يدفن ! فقال حكيم بن حزام : لايدفن إلا ببقيع الغَرْقَد حيث دفن سَلَفُه وفَرَطُه ؛ فخرج به حكيم بن حزام فى اثنى عشر رجلاً ، وفيهم الزّبير ، فصلّى عليه حكيم بن حزام. قال الواقدىّ : الثَّبَت عندنا أنه صلّى عليه جُبير بن مطعِم.

قال محمد بن عمر : وحدّثنى الضّحّاك بن عثمان ، عن مخرَمة بن سليمان الوالبىّ ، قال : قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة ضَحْوةً ، فلم يقدروا على دفنه ، وأرسلت نائلة ابنة الفَرافِصة إلى حُوَيطب بن عبد العُزَّى وجُبير بن مطعِم وأبى جهم بن حُذَيفة وحكيم بن حزام ونِيار الأسلمىّ ، فقالوا : إنّا لا نقدر أن نخرج به نهاراً ، وهؤلاء المصريّون على الباب ، فأمهلوا حتى كان بين المغرب والعشاء ، فدخل القوم ، فحِيل بينهم وبينه ، فقال أبو جهم : والله لا يحولُ بينى وبينه أحد إلا مِتّ دونه ؛ احملوه ، فحمِل إلى البقيع ؛ قال : وتبعتهم نائلة بسراج استسرجته بالبَقيع وغلام لعثمان ، حتى انتهوْا إلى نَخَلات عليها حائط ؛ فدقّوا الجدار ، ثم قبروه فى تلك النَّخَلات ، وصلّى عليه جبير ابن مطعِم ، فذهبت نائلة تريد أن تتكلم ، فزبرها القوم ، وقالوا : إنا نخاف عليه من هؤلاء الغوغاء أن يَنْبِشوه ، فرجعت نائلة إلى منزلها . ٣٠٤٨/١

قال محمد : وحدّثنى عبد الله بن يزيد الهذلىّ ، عن عبد الله بن ساعدة ، قال : لبِث عثمان بعد ما قتل ليلتين لا يستطيعون دفنَه ، ثم حمله أربعة : حكِيم بن حزام ، وجُبير بن مطعِم ، ونِيار بن مكرم ، وأبو جهم بن حذيفة ؛ فلما وُضِع ليصلّى عليه ، جاء نفر من الأنصار يمنعونهم الصلاة عليه ، فيهم أسلم بن أوس بن بجرة الساعدىّ ، وأبو حيّة المازنىّ ، فى عدّة ؛ ومنعوهم أن يدفن بالبقيع ؛ فقال أبو جهم : ادفنوه ، فقد صلى الله عليه وملائكته ، فقالوا : لا والله ، لا يدفن فى مقابر المسلمين أبداً ، فدفنوه فى حَشّ كوكب . فلما ملَكت بنو أميّة أدخلوا ذلك الحَشّ فى البَقيع ؛ فهو اليوم مقبرة بنى أميّة .

قال محمد : وحدّثنى عبد الله بن موسى المخزومىّ ، قال : لما قتِل عثمان رضى الله عنه أرادوا حزّ رأسه ، فوقعت عليه نائلة وأمّ البنين ، فمنعتهم ، وصِحْنَ وضربن الوجوه ، وخرقن ثيابهنّ ، فقال ابن عُدَيس : اتركوه؛ فأخْرِج عثمان ولم يُغسل إلى البقيع ، وأرادُوا أن يصلّوا عليه فى موضع الجنائز ؛ فأبت الأنصار ، وأقبل عُمير بن ضابئ وعثمانُ موضوعٌ على باب ، فنَزَا عليه ، فكسر ضِلعاً من أضلاعه ، وقال : سجنتَ ضابئًا حتى مات فى السجن .

وحدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنا أبو بكر ابن عبد الله بن أبى أويس ، قال : حدّثنى عمّ جدّى الرّبيع بن مالك بن أبى عامر ، عن أبيه ، قال : كنت أحد حَملة عثمان رضى الله عنه حين قتِل : حملناه على باب ، وإن رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به ؛ وإنّ بنا من الخوف لأمراً عظيماً حتى واريناه فى قبره فى حَشّ كَوكب . ٣٠٤٩/١

* * *

وأما سيف ، فإنه روى فيما كتب به إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عنه ، عن أبى حارثة وأبى عثمان ومحمد وطلحة ؛ أنّ عثمان لما قتِل أرسلت نائلة إلى عبدالرحمن ابن عُدَيس ، فقالت له : إنك أمسّ القوم رَحِماً ، وأولاهم بأن تقوم بأمرى ؛ أغرِبْ عنّى هؤلاء الأموات . قال : فشتمها وزجرها ؛ حتى إذا كان فى جوف الليل خرج مروان حتى أتى دار عثمان ، فأتاه زيد بن ثابت وطلحة بن عبيد الله وعلىّ والحسن وكعب بن مالك وعامّة مَن ثَمّ من صحابه ، فتوافَى إلى موضع الجنائز صبيان ونساء ؛ فأخرجوا عثمان فصلّى عليه مروان ، ثمّ خرجوا به حتى انتهوْا إلى البقيع ، فدفنوه فيه مما يلِى حَشّ كوكب ؛ حتى إذا أصبحوا أتوا أعبُد عثمان الذين قتلوا معه فأخرجوهم فرأوْهم فمنعوهم من أن يدفنوا ، فأدخلوهم حَشّ كَوكب ؛ فلما أمسوْا خرجوا بعبدين منهم فدفنوهما إلى جنب عثمان ، ومع كلّ واحد منهما خمسة نفر وامرأة ؛ فاطمة أم إبراهيم بن عدىّ ، ثم رجعوا فأتوا كنانة بن بشر ، فقالوا : إنك أمسّ القوم بنا رَحِماً ، فأمُرْ بهاتين الجيفتين اللّتين فى الدار أن تُخرَجا ، فكلّمهم فى ذلك ، فأبوْا ، فقال : أنا جار لآل عثمان من أهل مصر ومَن لفّ لَفّهم ، فأخرِجوهما فارموا بهما ؛ فجُرّا بأرجلهما

فرمى بهما على البلاط ، فأكلتهما الكلاب ؛ وكان العبدان اللذان قتلا يوم الدار ٣٠٠٠/١
يقال لهما نُجيح وصُبيح ؛ فكان اسماهما الغالب على الرقيق لفضلهما وبلائهما ؛
ولم يحفظ الناس اسم الثالث ، ولم يغسّل عثمان ، وكُفّن فى ثيابه ودمائه ولا
غُسِل غلاماه .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ
قال : دفن عثمان رضى الله عنه من الليل ، وصلّى عليه مَرْوان بن الحكم ، وخرجت
ابنتُه تبكى فى أثره ، ونائلة ابنة الفَرافصة ، رحمهم الله .

* * *

ذكر الخبر عن الوقت الذى قتل فيه عثمان رضى الله عنه

اختُلف فى ذلك بعد إجماع جميعهم على أنه قتل فى ذى الحجّة ، فقال
بعضهم : قتل لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين من
الهجرة ، فقال الجمهور منهم : قتل لثمانى عشرة ليلة مضت من ذى الحجّة
سنة خمس وثلاثين .

* ذكر الرواية بذلك عن بعض من قال إنه قتل فى سنة ست وثلاثين :

حدّثنى الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد
ابن عمر ، قال : حدّثنى أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص ،
عن عثمان بن محمد الأخنسىّ ، قال الحارث : وحدّثنا ابنُ سعد ، قال :
أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ،
عن يعقوب بن زيد ، عن أبيه ، قال : قتِل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة
لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين بعد العصر ، وكانت
خلافته اثنتى عشرة سنة غير اثنى عشر يوماً ؛ وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

وقال أبو بكر : أخبرنا مُصعب بن عبد الله ، قال : قتل عثمان رضى الله ٣٠٥١/١
عنه يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين بعد
العصر .

* * *

وقال آخرون : قتل فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين لثمانى عشرة ليلة خلت منه .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى جعفر بن عبد الله ، قال : حدّثنا عمرو بن حماد وعلى ، قالا : حدّثنا حسين[1] ، عن أبيه ، عن المجالد بن سعيد الهمْدانىّ ، عن عامر الشعبىّ ، أنه قال : حُصِر عثمان بن عفان رضى الله عنه فى الدّار اثنتين وعشرين ليلة ، وقتِل صُبْحَةَ ثمانى عشرة ليلة مضت من ذى الحجّة سنة خمس وعشرين من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحدّثنى أحمد بن ثابت الرازىّ ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، قال : قتِل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة لثمانىَ عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة إلاّ اثنى عشر يومـًا .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبى حارثة وأبى عثمان ، قالوا : قتِل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعه لثمانى عشرة ليلة مضتْ من ذى الحجّة سنة خمس وثلاثين على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يومـًا من مقتل عمر رضى الله عنه .

وحُدّثت عن زكرياء بن عدىّ ، قال : حدّثنا عبيد الله بن عمرو ، عن ابن عَقِيل ، قال : قتل عثمان رضى الله عنه سنة خمس وثلاثين .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى حارثة وأبى عثمان ومحمد وطلحة ، قالوا : قتِل عثمان رضى الله عنه لثمانىَ عشرة ليلة خلَتْ من ذى الحجّة يوم الجمعة فى آخر ساعة . ٣٠٥٢/١

* * *

وقال آخرون : قتل يوم الجمعة ضحوةً .

---

[1] ط : « حسن » ؛ وهو حسين بن عيسى ؛ وانظر ص ٣٨٢ ص ١ من هذا الجزء .

* ذكر من قال ذلك :

ذُكر عن هشام بن الكلبىّ ، أنه قال : قتل عثمان رضى الله عنه صبيحةَ الجمعة لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، فكانت خلافته اثنتى عشرة سنة إلا ثمانية أيام .

حدّثنا الحارث ، عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : حدّثنى الضّحاك بن عثمان ، عن مخرمة بن سليمان الوالبىّ ، قال : قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة ضحوةً لثمانى عشرة ليلة مضت من ذى الحجّة سنة خمس وثلاثين .

* * *

وقال آخرون : قتِل فى أيام التّشريق

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا أبى أبو خيثمة ، قال : حدّثنا وهب بن جرير ، قال : سمعت أبى قال : سمِعت يونس بن يزيد الأيلىّ ، عن الزّهرىّ ، قال : قتِل عثمان رضى الله عنه ، فزعم بعض الناس أنه قتل فى أيام التّشريق .

وقال بعضهم : قتِل يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة .

* * *

ذكر الخبر عن قدر مدّة حياته

اختلف السلف قبلنا فى ذلك ، فقال بعضهم : كانت مدّة ذلك اثنتين وثمانين سنة .

* ذكر من قال ذلك : ٣٠٥٣/١

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ؛ أنّ عثمان رضى الله عنه قتِل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

قال محمد بن عمر : وحدثنى الضحاك بن عثمان ، عن مخرمة بن سليمان الوالبىّ ، قال : قتِل عثمان رضى الله عنه وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

قال محمد : وحدثني سعد بن راشد عن صالح بن كيسان ، قال : قتِل عثمان رضى الله عنه وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وأشهر .

* * *

وقال آخرون : قتِل وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين .

* ذكر من قال ذلك :

حُدّثت عن الحسن بن موسى الأشيب ، قال : حدّثنا أبو هلال ؛ عن قتادة : أنّ عثمان رضى الله عنه قتِل وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين سنة .

وقال آخرون : قتل وهو ابن خمس وسبعين سنة ؛ وذلك قولٌ ذكر عن هشام بن محمد .

وقال بعضهم : قتل وهو ابن ثلاث وستين ، وهذا قول نسبه سيف بن عمر إلى جماعة . كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ؛ أن أبا حارثة وأبا عثمان ومحمداً وطلحة ، قالوا : قُتِل عثمان رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة .

* * *

وقال آخرون : قتِل وهو ابن ستّ وثمانين .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثني محمد بن موسى الحَرَشىّ ، قال : حدّثنا معاذ بن هشام ، قال : حدّثني أبى ، عن قتادة ، قال : قتِل عثمان رضى الله عنه وهو ابن ستّ وثمانين . ٣٠٥٤/١

* * *

ذكر الخبر عن صفة عثمان

حدّثني زياد بن أيُّوب ، قال : حدّثنا هُشيم ، قال : زعم أبو المقدام ، عن الحسن بن أبى الحسن ، قال : دخلت المسجد ؛ فإذا أنا بعثمان رضى الله عنه متّكِئاً على ردائه ، فنظرت إليه ؛ فإذا رجلٌ حسن الوجه ؛ وإذا بوجهه نُكُتَات من جُدَرِىّ ؛ وإذا شعره قد كسا ذراعيْه .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : سألت عمرو بن عبد الله بن عَنْبسة وعروة بن خالد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن أبى الزّناد عن صفة عثمان ، فلم أرَ بينهم اختلافًا ، قالوا : كان رجلا ليس بالقصير ولا بالطويل ، حسنَ الوجه ، رقيق البشرَة ، كثّ اللحية عظيمها ؛ أسمر اللون، عظيم الكراديس[1] ؛ عظيمَ ما بين المنكِبين ، كثير شعر الرأس، يصفّر لحيته .

وحدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنا وهب بن جرير بن حازم ، قال : سمعت أبى يقول : سمعت يونس بن يزيد الأيْلىّ ، عن الزّهرىّ ، قال : كان عثمان رجلاً مربوعًا ، حسن الشعر ، حسن الوجه ، أصلع ، أرْوَح[2] الرّجلين .

* * *

ذكر الخبر عن وقت إسلامه وهجرته

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : كان إسلام عثمان قديمًا قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم . قال : وكان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية ، ومعه فيهما جميعًا امرأته رُقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم . ٣٠٥٥/١

* * *

ذكر الخبر عما كان يكنى به عثمان بن عفان رضى الله عنه

حدّثنى الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر أنّ عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يُكنى فى الجاهلية أبا عمرو ، فلما كان فى الإسلام ولد له من رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم غلامٌ فسمّاه عبد الله ، واكتنى به ، فكناه المسلمون أبا عبد الله ؛ فبلغ عبد الله ستّ سنين ، فنقره ديكٌ على عينه، فمرض فمات فى جمادى الأولى سنة أربع من

---

(١) الكراديس : جمع كردوس ، وهو كل عظمين التقيا فى مفصل .

(٢) أروح الرجلين ؛ أى منفرج ما بينهما .

الهجرة ، فصلّى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل فى حُفرته عثمان رضى الله عنه .

وقال هشام بن محمد : كان يكنى أبا عمرو .

* * *

ذكر نسبه

هو عثمان بن عفّان بن العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصىّ . وأمه أرْوَى ابنة كُريز بن ربيعة بن حَبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصىّ ، وأمّها أم حَكِيم بنت عبد المطّلب .

* * *

ذكر أولاده وأزواجه

٣٠٥٦/١ رقيّة وأم كلثوم ابنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولدت له رقيّة عبدَ الله .

وفاختة ابنة غَزْوان بن جابر بن نُسَيب بن وُهَيب بن زيد بن مالك ابن عبد بن عوف بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قيْس بن عَيْلان بن مُضَر . ولدت له ابنًا فسماه عبد الله ؛ وهو عبد الله الأصغر ، هَلَك .

وأمّ عمرو بنت جُنْدب بن عمرو بن حُمَمة بن الحارث بن رفاعة بن سَعْد بن ثعلبة بن لؤىّ بن عامر بن غَنْم بن دُهْمان بن مُنْهِب بن دَوْس ، من الأزد ؛ ولدت له عمراً وخالداً وأباناً وعمر ومريم .

وفاطمة ابنة الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ولدت له الوليد وسعيداً وأمّ سعيد ، بنى عثمان .

وأمّ البنين بنت عُيينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر الفزارىّ ؛ ولدت له عبد الملك بن عثمان ، هلك .

ورملة ابنة شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصىّ ؛ ولدت له عائشة وأمّ أبان وأمّ عمرو ، بنات عثمان .

ونائلة ابنة الفَرافصة بن الأحْوَص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن

حِصْن بن ضَمْضَم بن عدىّ بن جناب بن كلب ؛ ولدت له مريم ابنة عثمان .

وقال هشام بن الكلبىّ : ولدت أمّ البنين بنت عيَينة بن حصن لعثمان عبد الملك وعتبة . وقال أيضًا : ولدت نائلة عنبسةَ .

وزعم الواقدىّ أن لعثمان ابنة تدعَى أمّ البنين بنت عثمان من نائلة ، قال : وهى التى كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبى سفيان . ٢٠٥٧/١

وقتل عثمان رضى الله عنه وعنده رملة ابنة شيبة ونائلة وأمّ البنين بنت عيينة وفاختة ابنة غَزْوان؛ غير أنه — فيما زعم علىّ بن محمد — طلّق أمّ البنين وهو محصور .

فهؤلاء أزواجه اللّواتى كنّ له فى الجاهليّة والإسلام، وأولاده : رجالهم ونساؤهم.

* * *

ذكر أسماء عمّال عثمان رضى الله عنه فى هذه السنة على البلدان

قال محمد بن عمر : قتِل عثمان رضى الله عنه وعمّاله على الأمصار — فيما حدّثنى عبد الرحمن بن أبى الزّناد — على مكة عبد الله بن الحضرمىّ ، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثّقفىّ ، وعلى صنعاء يعلَى بن مُنْية ، وعلى الجَنَد عبدالله بن أبى ربيعة، وعلى البصرة عبد الله بن عامر بن كُريز — خرج منها فلم يولّ عليها عثمان أحدًا — وعلى الكوفة سعيد بن العاص — أخرج منها فلم يُترك يدخلها — وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرْح — قدم على عثمان ، وغلب محمد بن أبى حذيفة عليها . وكان عبد الله بن سعد استخلف على مصر السائب ابن هشام بن عمرو العامرىّ ، فأخرجه محمد بن أبى حذيفة — وعلى الشأم معاوية ابن أبى سفيان .

وفيما كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى حارثة وأبى عثمان، قالا : مات عثمان رضى الله عنه وعلى الشأم معاوية، وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى قِنّسرين حبيب بن مسلمة، وعلى الأردنّ أبو الأعور بن سفيان، وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكنانىّ، وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزارىّ . وعلى القضاء أبو الدّرداء . ٢٠٥٨/١

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطيّة ، قال : مات عثمان رضى الله عنه وعلى الكوفة ، على صلاتها أبو موسى ، وعلى خراج السَّواد جابر بن عمرو[1] المزنىّ — وهو صاحب المسنّاة إلى جانب الكوفة — وسماك الأنصارىّ . وعلى حربها القعقاع بن عمرو ، وعلى قَرْقِيسياء جرير بن عبد الله ، وعلى أذْرَبِيجان الأشعث بن قيس ، وعلى حُلْوان عُتَيبة بن النَّهّاس ، وعلى ماه مالك بن حبيب ، وعلى هَمَذان النُّسَير ، وعلى الرّىّ سعيد بن قيس ، وعلى إصبَهان السائب بن الأقرع ، وعلى ماسَبَذان حُبَيش ، وعلى بيت المال عُقبة ابن عمرو . وكان على قضاء عثمان يومئذ زيد بن ثابت .

* * *

ذكر بعض خطب عثمان رضى الله عنه

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن محمد ، عن عون بن عبد الله بن عُتبة ، قال : خطب عثمان الناس بعد ما بويع ، فقال :

أمّا بعد ، فإنى قد حُمِّلت وقد قبلت ؛ ألا وإنى متّبع ولست بمبتدع ؛ ألا وإنّ لكم علىّ بعد كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثًا : اتّباع مَن كان قبلى فيما اجتمعتم عليه وسننتم ، وسنّ سنة أهل الخير فيما لم تسنُّوا عن ملإ ، والكفّ عنكم إلّا فيما استوجبتم . ألا وإن الدنيا خَضِرة قد شُهِّيَتْ إلى الناس ، ومال إليها كثير منهم ، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها ، فإنها ليست بثقة ، واعلموا أنها غير تاركة إلا مَن تركها . ٣٠٥٩/١

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن بدر بن عثمان ، عن عمّه ، قال : آخر خطبة خطبها عثمان رضى الله عنه فى جماعة :

إن الله عزّ وجلّ إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها ؛ إن الدنيا تفنَى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنّكم الفانية ، ولا تشغلنّكم عن الباقية ، فآثروا ما يبقى على ما يفنَى ؛ فإنّ الدنيا منقطعة ؛ وإنّ المصير إلى الله . اتّقوا الله جلّ وعزّ ؛ فإن تقواه جُنّةٌ من بأسه ، ووسيلة عنده ؛ واحذروا

---

(١) ط : « فلان » ، وانظر ص ١٣٩ من هذا الجزء .

من الله الغِيَر، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزابًا، ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[1].

إلى آخر القصّة .

* * *

ذكر الخبر عمّن كان يصلّى بالناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حصِر عثمان

قال محمد بن عمر : حدّثنى ربيعة بن عثمان : جاء المؤذن، سعدُ القَرَظ إلى علىّ بن أبى طالب فى ذلك اليوم ، فقال : مَن يصلّى بالناس ؟ فقال علىّ : ناد خالد بن زيد ، فنادَى خالد بن زيد، فصلّى بالناس — فإنه لأوّل يوم عرِف أن أبا أيُّوب خالد بن زيد — فكان يصلّى بهم أيامًا ، ثم صلى علىّ بعد ذلك بالناس .

قال محمد : وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم، قال : جاء المؤذّن إلى عثمان فآذنه بالصّلاة ، فقال : لا أنزل أصلّى ؛ اذهب إلى مَنْ يصلى. فجاء المؤذن إلى علىّ ، فأمر سهل بن حُنَيف، فصلّى اليوم الذى حُصِر فيه عثمان الحصْر الآخِر ؛ وهو ليلةَ رُئِىَ هلال ذى الحجّة ، فصلى بهم ؛ حتى إذا كان يوم العيد صلى علىّ العيد، ثم صلى بهم حتّى قتل رضى الله عنه . ٣٠٦٠/١

قال : وحدّثنى عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال : لما حُصِر عثمان صلى بالناس أبو أيُّوب أيامًا ، ثم صلى بهم علىّ الجمعة والعيد ، حتّى قتل رضى الله عنه .

* * *

ذكر ما رُثى به من الأشعار

وتقاول الشعراء بعد مقتله فيه ؛ فمن مادح وهاجٍ ، ومن نائح باكٍ ، ومن سارّ فَرِح ؛ فكان ممّن يمدحه حسّان بن ثابت وكعب بن مالك الأنصاريّان

---

(١) سورة آل عمران ١٠٣ .

وتميم بن أبيّ بن مقبل فى آخرين غيرهم . مما مدحه به وبكاه حسان وهجا به قاتله :

أتركتُمُ غَزْوَ الدُّروبِ وراءكُمْ ... وغَزَوْتُمونا عند قبرِ محمَّدِ ! (١)

١/٣٠٦١ فلبئسَ هَدْىُ المسلمين هَدَيْتمُ ... ولبِئسَ أمرُ الفاجر المُتَعَمِّدِ !

إنْ تُقْدِموا نجعلْ قِرَى سَرَواتِكمْ ... حَوْلَ المدينةِ كلَّ لينٍ مِذْوَدِ (٢)

أو تُدْبِروا فلبئسَ ما سافرتمُ ... وَلَمِثْلُ أمْرِ أميرِكم لم يَرْشَدِ

وكأنَّ أصحابَ النَّبيِّ عَشيَّةً ... بُدْنٌ تُذَبَّحُ عِندَ بابِ المسجدِ (٣)

أبكى أبا عَمْرٍو لحُسْنِ بلائِه ... أمْسَى مُقيماً فى بَقيعِ الغرْقَدِ

وقال أيضًا :

إنْ تُمْسِ دارُ ابنِ أرْوَى مِنه خاويةً ... بابٌ صَريعٌ وبابٌ مُحْرَقٌ خرِبُ (٤)

فقد يُصادِفُ باغى الخَيْرِ حاجتَهُ ... فيها ويهوِى إليها الذِّكْرُ والحَسَبُ

يأيُّها الناسُ أبْدوا ذاتَ أنفُسِكمْ ... لا يَسْتَوِى الصِّدْقُ عندالله والكَذِبُ

١/٣٠٦٢ قوموا بِحَقِّ مَليكِ الناسِ تَعْتَرِفوا ... بِغارةٍ عُصَبٍ مِنْ خَلفها عُصَبُ

فيهم حبيبٌ شِهابُ المَوْتِ يَقْدُمُهُمْ (٥) ... مُسْتَلْئِماً قد بدَا فى وَجْهِه الغَضَبُ

وله فيه أشعار كثيرة . وقال كعب بن مالك الأنصاريّ :

يا للرِّجالِ لِلُبِّكَ المخْطوفِ ... ولِدمْعِك المُتَرَقْرِقِ المنزوفِ

وَيْحٌ لأمْرٍ قد أتانى رائعٍ ... هَدَّ الجبالَ فأنقضَتْ برُجوفِ

قَتْلُ الخليفةِ كان أمراً مُفْظِعاً ... قامَتْ لِذاكَ بَليَّةُ التخْويفِ

قَتْلُ الإمامِ له النجومُ خَواضِعٌ ... والشمسُ بازغةٌ له بكُسوفِ

يالَهْفَ نفسى إذ توَلَّوْا غُدْوَةً ... بالنعش فوقَ عَواتقٍ وكُتوفِ !

---

(١) ديوانه ١٠١ (٢) الديوان : « كلّ لَدْنٍ » . (٣) الديوان : « تنحر » .
(٤) ديوانه ٢٢ . (٥) كذا فى الديوان ؛ وهو حبيب بن مسلمة الفهرى ؛ كان وجهه معاوية لنصرة عثمان . وفى ط : « خبيث » .

وَلَّوْا ودَلَّوْا فى الضَّريحِ أخاهُمُ ماذا أَجنَّ ضريحُهُ المَسْقوفُ!
مِن نائلٍ أو سُودَدٍ وحَمالَةٍ سَبَقَتْ له فى الناس أو معروفِ
كم مِنْ يَتِيمٍ كانَ يَجْبُرُ عَظمَهُ أمسى بمنزِلهِ الضَّياع يطوف
مازال يَقْبَلُهُمْ ويَرْأَبُ ظُلمَهمْ حتى سمعْتُ بِرَنَّةِ التَّلهيف
أَمْسَى مُقيماً بالبَقيعِ وأصبحوا مُتَفرِّقين قَد أُجمعوا بخفوفِ
النارُ موعِدُهُمْ بقتل إمامِهِمْ عثمانَ ظَهْرًا فى البلادِ، عَفيفُ(١)
جَمَعَ الحمالةَ بعدَ حِلْمٍ راجحٍ والخيرُ فيه مُبَيَّنٌ معروف
يا كَعبُ لا تَنفكُّ تَبْكى مالِكاً ما دُمْتَ حيًّا فى البلاد تطوف ٣٠٦٣/١
فأَبكى أبا عمرو عَتيقاً واصلاً ولِواءهم إذ كان غيْرَ سَخيفِ
وليَبْكِهِ عِنْدَ الحفاظِ لمُعْظِمٍ والخيْلُ بين مَقانبٍ وصُفوف
قَتلوكَ يا عثمانُ غيْرَ مُدنَّسٍ قَتْلاً لَعَمْرُكَ واقِفاً بسَقيف

وقال حسّان :

من سَرَّهُ الموتُ صِرْفاً لا مِزاجَ له فليأتِ مأسَدَةً فى دارِ عُثمانا(٢)
مُستشعِرِى حَلَقِ الماذِىِّ قد شُفِعَتْ قبلَ المخاطِمِ بَيْضٌ زانَ أبْدانا(٣)
صبْراً فِدًى لكُمُ أمِّى وما وَلَدتْ قدينفعُ الصَّبْرُ فى المَكْروهِ أحيانا
فقد رَضينا بأهل الشأم نافِرَةً وبالأمير وبالإخْوانِ إخْوانا
إنِّى لَمِنْهُمْ وإن غابوا وإن شَهِدُوا ما دُمْتُ حيًّا وما سُمِّيتُ حسَّانا
لَتَسْمَعَنَّ وشيكًا فى دِيارِهِمُ اللهُ أكبرُ يا ثاراتِ عثمانا ٣٠٦٤/١
يا ليتَ شعرى وليتَ الطيْرَ تُخبرُنى ما كان شأنُ علىٍّ وابْنِ عَفّانا!

وقال الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط يُحرِّض عُمارة بن عُقْبة :

---

(١) قتل ظهراً ؛ أى غيلة (٢) ديوانه ٤٠٩ ، ٤١٠ . (٣) استحقب السلاح : حمله ، والماذى : خالص الحديد . المخاطم : الأنوف .

أَلا إنَّ خيرَ الناسِ بعـــد ثلاثةٍ   قتيلُ التُّجيبيّ الذى جاء من مِصْرِ
فإن يكُ ظَنِّى بابْنِ أَمِّىَ صادقًا   عُمارةَ لا يَطْلُبْ بِذَحْلٍ ولا وِتْرِ
يَبيتُ وأَوتارُ ابْنِ عفّانَ عِنْدَهُ   مخيّمهُ بين الخوَرْنَقِ والقَصْرِ

٣٠٦٥/١١ فأجابه الفضل بن عباس[1]:

أتطلُبُ ثأراً لستَ مِنْـــهُ ولا لَهُ   وأَيْنَ ابْنُ ذَكوانَ الصَّفوريّ من عمرِو
كما اتَّصلَتْ بِنْتُ الحِمَارِ بأُمِّهـــا   وتَنسَى أباها إذ تُسامى أُولى الفَخْرِ
ألا إنَّ خيْرَ الناسِ بعـــد محمَّدٍ   وصىّ النّبىّ المصطفى عِنْدَ ذى الذِّكْرِ
وأوَّلُ مَنْ صـــلّى وصِنْوُ نَبيِّه   وأوّلُ من أردَى الغُواةَ لَدَى بَدْرِ
فلوْ رَأَتِ الأنصارُ ظُلْمَ ابنِ عمِّكُمْ   لَـكانوا له من ظلمِهِ حاضرى النَّصْرِ
كفَى ذاكَ عَيْباً أن يشيروا بقتْلِهِ   وأن يُسْلِمُوهُ للأَحابيشِ من مِصرِ

وقال الحُباب بن يزيد المجاشعيّ، عمّ الفرزدق :

لَعَمْرُ أبيـــكَ فلا تَجْزَعَنْ   لقد ذهبَ الخـــيْرُ إلاّ قليلا
لقد سَـفِهَ الناسُ فى دينهم   وخَلّى ابنُ عَفّانَ شَرًّا طويلا
أعاذِلَ كُلُّ امرئٍ هالكٌ   فسِيرى إلى اللهِ سيْرًا جميلا

(١) هو الفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب وانظر الأغانى ٤ : ١٧٤ ساسى .

٣٠٦٦/١

خلافة أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب

وفى هذه السنة بويع لعلىّ بن أبى طالب بالمدينة بالخلافة .

ذكرُ الخبر عن بيعة من بايعه ، والوقت الذى بويع فيه

اختلف السلف من أهل السِّيَر فى ذلك ، فقال بعضُهم : سأل عليًّا أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتقلّد لهم وللمسلمين ، فأبى عليهم ؛ فلما أبَوْا عليه ، وطلبوا إليه ، تقلد ذلك لهم .

* ذكر الرواية بذلك عمن رواه :

حدّثنى جعفر بن عبد الله المحمّدىّ ، قال : حدّثنا عمرو بن حمّاد وعلىّ ابن حسين ، قالا : حدّثنا حسين عن أبيه ، عن عبد الملك بن أبى سليمان الفَزارىّ ، عن سالم بن أبى الجعْد الأشجعىّ ، عن محمّد بن الحنفيّة ، قال : كنتُ مع أبى حين قُتل عثمان رضى الله عنه ، فقام فدخل منزلَه ، فأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنّ هذا الرّجل قد قُتل ، ولا بدّ للناس من إمام ، ولا نجد اليومَ أحداً أحقّ بهذا الأمر منك ، لا أقدمَ سابقةً ، ولا أقربَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : لا تفعلوا ، فإنى أكون وزيراً خيرٌ من أن أكون أميراً ؛ فقالوا : لا ، والله ما نحن بفاعلين حتى نُبايعَك ؛ قال : ففى المسجد ، فإنّ بيعتى لا تكون خَفيًّا[1] ، ولا تكون إلاّ عن رضا المسلمين . قال سالم بن أبى الجعْد : فقال عبد الله بن عباس : فلقد كرهت أن يأتىَ المسجد مخافة أن يُشْغَب عليه ؛ وأبى هو إلا المسجد ، فلمّا دخل دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ، ثم بايعه الناس .

٣٠٦٧/١

وحدّثنى جعفر ، قال : حدّثنا عمرو وعلىّ ، قالا : حدّثنا حسين ، عن أبيه ، عن أبى ميمونة ، عن أبى بشير العابدىّ ، قال : كنت بالمدينة حين قتِل عثمان رضى الله عنه ، واجتمع المهاجرون والأنصار ، فيهم طلحة والزّبير ، فأتوا عليًّا فقالوا : يا أبا حسن ، هلمّ نبايعك ، فقال : لا حاجة لى فى أمْركم ، أنا معكم فمن اخترْتم فقد رضيتُ به ، فاختاروا والله فقالوا : ما نَختار

(١) ابن الأثير : « خفية » .

غيرَك ؛ قال : فاختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان رضى الله عنه مِرارًا ، ثمّ أتوْه فى آخر ذلك ، فقالوا له : إنه لا يَصلُح الناس إلاّ بإمْرة ، وقد طال الأمر ، فقال لهم : إنكم قد اختلفتم إلىّ وأتيتم ، وإنّى قائل لكم قولا إن قبِلتموه قبلت أمْرَكم ، وإلاّ فلا حاجة لى فيه . قالوا : ما قلتَ من شىء قبلناه إن شاء الله . فجاء فصعد المنبرَ ، فاجتمع الناس إليه ، فقال : إنى قد كنت كارِهًا لأمركم ، فأبيتم إلاّ أن أكون عليكم ؛ ألا وإنه ليس لى أمرٌ دونكم ، إلاّ أنّ مفاتيح مالكم معى ، ألا وإنه ليس لى أن آخذَ منه درهمًا دونكم ، رضيتم ؟ قالوا : نعم ؛ قال : اللهمّ اشهد عليهم ، ثمّ بايعهم على ذلك .

قال أبو بشير : وأنا يومئذ عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم أسمع ما يقول .

٣٠٦٨/١ وحدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : أخبرنا أبو بكر الهُذَلِىّ ، عن أبى المَلِيح ، قال : لما قتِل عثمان رضى الله عنه ، خرج علىّ إلى السوق ، وذلك يوم السبت لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ، فاتّبعه الناس وبهَشوا[١] فى وجهه ، فدخل حائطَ بنى عمرو بن مبذول ، وقال لأبى عمرة بن عمرو بن مِحْصَن : أغلق الباب ، فجاء الناس فقرعوا الباب ، فدخلوا ، فيهم طلحة والزّبير ، فقالا : يا علىّ ابسُط يَدك . فبايعه طلحة والزّبير ، فنظر حبيب بن ذُؤَيْب إلى طلحة حين بايع ، فقال : أوّل من بدأ بالبَيْعة يدٌ شلاّء ؛ لا يتمّ هذا الأمر ! وخرج علىٌّ إلى المسجد فصعِد المنبر وعليه إزارٌ وطاقٌ[٢] وعمامة خزّ ، ونعلاه فى يده ، متوكئًا على قوس ؛ فبايعه الناس . وجاءوا بسَعْد ، فقال علىّ : بايِع ، قال : لا أبايعُ حتى يبايع الناس ، والله ما عليك منى بأس ؛ قال : خلّوا سبيله . وجاءوا بابن عمر ، فقال : بايع ، قال : لا أبايع حتى يبايِع الناس ، قال : ائتنى بحمِيل[٣] ، قال : لا أرَى حميلاً ، قال الأشتر : خلِّ عنّى أضربْ عنقه ، قال علىّ : دعوه ، أنا حميلُه ، إنك — ما علمت — لسيِّئ الخلق صغيراً وكبيراً .

---

(١) بهشوا فى وجهه ، أى ارتاحوا إليه . (٢) الطاق : الطيلسان .
(٣) الحميل هنا : الكفيل .

وحدّثني محمد بن سنان القزّاز ، قال : حدّثنا إسحاق بن إدريس ، قال : حدّثنا هشيم ، قال : أخبرنا حميد ، عن الحسن ، قال : رأيت الزبير ابن العوّام بايع عليا فى حَشّ من حِشّان[1] المدينة .

وحدّثني أحمد بن زُهير ، قال : حدّثني أبى ، قال : حدّثنا وهب ابن جرير ، قال : سمعتُ أبى ، قال : سمعت يونس بن يزيد الأيْليّ ، عن الزُّهريّ ، قال : بايع الناس علىّ بن أبى طالب ، فأرسل إلى الزّبير وطلحة فدعاهما إلى البيعة ، فتلكأ طلحة ، فقام مالك الأشتر وسلّ سيفه وقال : والله لتبايعنّ أو لأضربنّ به ما بين عينيك ، فقال طلحة : وأين المهرب عنه ! فبايعه ، وبايعه الزّبير والناس . وسأل طلحة والزّبير أن يؤمّرهما على الكوفة والبصرة ، فقال : تكونان عندى فأتحمّل بكما ، فإني وَحْشٌ[2] لفراقكما . قال الزّهريّ : وقد بلغنا أنه قال لهما : إنْ أحببتما أن تُبايعا لى وإن أحببتما بايعتكما ، فقالا : بل نبايعك ؛ وقالا بعد ذلك : إنما صنعنا ذلك خشيةً على أنفسنا ، وقد عرفنا أنه لم يكن ليُبايعنا . فظهرا إلى مكة بعد قَتْل عثمان بأربعة أشهر . ٣٠٦٩/١

وحدّثني عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا أبو مِخْنف ، عن عبد الملك بن أبى سُليمان ، عن سالم بن أبى الجَعْد ، عن محمد بن الحنفيّة ، قال : كنت أمْشِي مع أبى حين قُتِل عثمان رضى الله عنه حتى دخل بيتَه ، فأتاه ناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنّ هذا الرجل قد قُتِل ، ولا بدّ من إمام للناس ، قال : أوَ تكون شورى ؟ قالوا : أنت لنا رضًا ، قال : فالمسجد إذاً يكون عن رضًا من الناس . فخرج إلى المسجد فبايعه مَن بايعه ؛ وبايعت الأنصار عليًّا إلاّ نُفَيراً يسيراً ، فقال طلحة : ما لنا من هذا الأمر إلا كحِسَّة أنف الكلب .

وحدّثني عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : أخبرنا شيخٌ من بنى هاشم ، عن عبد الله بن الحسن ، قال : لما قتِل عثمان رضى الله عنه بايعت الأنصار عليًّا إلاّ نُفَيرًا يسيرًا ، منهم حسّان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ٣٠٧٠/١

---

(١) الحش : البستان أو مجمع النخل . (٢) وحش لفراقكما ، أى متألم لذهابكما عنى .

ومسلمة بن مخلّد، وأبوسعيد الخُدْرىّ ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن ثابت ، ورافع بن خَديج ، وفَضالة بن عُبَيد ، وكعب بن عُجْرة، كانوا عثمانيّة . فقال رجل لعبد الله بن حسن : كيف أبَى هؤلاء بيعة علىّ! وكانوا عثمانية . قال : أما حسّان فكان شاعراً لا يُبالى ما يصنع ؛ وأما زيد ابن ثابت فولاّه عثمان الديوانَ وبيتَ المال ، فلما حُصِر عثمان ، قال : يا معشر الأنصار، كونوا أنصاراً لله ... مرّتين ، فقال أبو أيُّوب : ما تنصره إلا أنه أكثر لك من العِضْدان[1] . فأما كعب بن مالك فاستعمله على صَدَقة مُزَيْنة وترك ما أخذ منهم له .

قال : وحدّثنى مَنْ سمع الزّهرىّ يقول : هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا عليًّا ، ولم يبايعه قُدامة بن مظعون، وعبد الله بن سلاَم ، والمغيرة ابن شعبة . وقال آخرون : إنما بايع طلحة والزبير عليًّا كَرهًا .

وقال بعضهم : لم يُبايِعْه الزّبير .

* * *

* ذِكْرُ من قال ذلك :

حدّثنى عبد الله بن أحمد المروزىّ ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله، عن جرير بن حَازم ، قال: حدّثنى هشام ابن أبى هشام مولى عثمان بن عفان ، عن شيخ من أهل الكوفة ، يحدّثه عن شيخ آخر، قال : حُصِر عثمان وعلىّ بخَيْبَر ، فلما قدِم أرسل إليه عثمان يدعوه ، فانطلق ، فقلت : لأنطلقنّ معه ولأسمعنّ مقالتهما ، فلما دخل عليه كلّمه عثمان ، فحمِد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّ لى عليك حقوقًا ؛ حقّ الإسلام ، وحقّ الإخاء ــ وقد علمتَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين آخَى بين الصّحابة آخى بينى وبينك ــ وحقّ القرابة والصِّهْر ، وما جعلتَ لى فى عنقك من العهد والميثاق ، فوالله لو لم يكن من هذا شىء ثم كنّا إنما نحن فى جاهليّة، لكان مُبَطّأً على بنى عبد مناف أن يبتزّهم أخو بنى تَيْم مُلْكَهم .

١/٣٠٧١

(١) العضدان : جمع عضيد ؛ وهى النخلة لها جذع يتناول منه المتناول .

فتكلم عليّ ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : أما بعد، فكلّ ما ذكرتَ من حقّك عليّ على ما ذكرتَ، أمّا قولك: لو كنا فى جاهليّة لكان مبطّأً على بنى عبد مناف أن يبتزّهم أخو بنى تَيْم ملكَهم فصدقتَ ، وسيأتيك الخبر . ثمّ خرج فدخل المسجدَ فرأى أسامَة جالسًا ، فدعاه، فاعتمد على يده ، فخرج يمشى إلى طلحة وتبعتُه، فدخلنا دار طلحة بن عبيد الله وهى دِحَاس[1] من الناس ، فقام إليه، فقال : يا طلحة ، ما هذا الأمر الّذى وقعتَ فيه ؟ فقال : يا أبا حسن، بعد ما مسّ الحزام الطُّبيين ! فانصرف عليّ ولم يُحِرْ إليه شيئًا حتى أتى بيتَ المال ، فقال : افتحوا هذا الباب ، فلم يقدر على المفاتيح ، فقال : اكسروه ؛ فكُسرباب بيت المال ، فقال : أخرجوا المال ، فجعل يُعْطى الناس فبلغ الذين فى دار طلحة الذى صنع عليّ ، فجعلوا يتسلّلون إليه حتى تُرِك طلحة وحده . وبلغ الخبرُ عثمانَ، فسُرّ بذلك، ثمّ أقبل طلحة يمشى عائداً إلى دار عثمان ، فقلت : والله لأنظرنّ ما يقول هذا ؛ فتبعتُه، فاستأذن على عثمان ، فلمّا دخل عليه قال: يا أميرَ المؤمنين ، أستغفر الله وأتوب إليه ، أردتُ أمرًا فحال الله بينى وبينه ، فقال عثمان : إنك والله ما جئت تائبًا ، ولكنك جئت مغلوبًا ، الله حسيبك يا طلحة !

١/٣٠٧٢

وحدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقّاص ، عن أبيه ، عن سعد ، قال : قال طلحة : بايعتُ والسيف فوق رأسى — فقال سعد : لا أدرى والسيف على رأسه أم لا ، إلاّ أنى أعلم أنه بايع كارهًا — قال : وبايع الناس عليًّا بالمدينة ، وتربّص سبعة نفر فلم يبايعوه ؛ منهم : سعد بن أبى وقّاص ، ومنهم ابن عمر ، وصهيب ، وزيد بن ثابت ، ومحمد ابن مسلمة، وسلَمة بن وقْش، وأسامة بن زيد ، ولم يتخلّف أحدٌ من الأنصار إلاّ بايع فيما نعلم .

وحدّثنا الزّبير بن بكّار ، قال : حدّثنى عمى مصعب بن عبد الله ،

---

(١) ط : « رجاس » . ودحاس من الناس ؛ أى ممتلئة ؛ وانظر ابن أبى الحديد ١٠ : ٨ .

٣٠٧٣/١ قال : حدّثنى أبى عبد الله بن مصعب ، عن موسى بن عقبة ، عن أبى حبيبة مولى الزّبير ، قال : لما قَتل الناس عثمانَ رضى الله عنه وبايعوا عليًّا ، جاء علىٌّ إلى الزّبير فاستأذن عليه، فأعلمته به، فسلّ السيفَ وضعه تحت فراشه، ثم قال : ائذن له ، فأذنت له ، فدخل فسلّم على الزّبير وهو واقفٌ بنحره ، ثمّ خرج. فقال الزبير : لقد دخلَ المرءَ ما أقْصاه ، قُمْ فى مقامه فانظر هل ترى من السيف شيئًا ؟ فقمتُ فى مقامه فرأيت ذُباب السيف ، فأخبرته فقال : ذاك أعجلَ الرّجلَ . فلما خرج علىّ سأله الناس ، فقال : وجدتُ أبرَّ ابن أختٍ وأوصلَه . فظنّ الناس خيراً ، فقال على : إنه بايعه .

ومما كتب به إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سَيْف بن عمر ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الله بن سواد بن نُوَيرة ، وطلحة بن الأعلم ، وأبو حارثة ، وأبو عثمان ، قالوا: بقيَت المدينة بعد قَتْل عثمان رضى الله عنه خمسةَ أيام، وأميرها الغافقىّ بن حرب يلتمسون من يُجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه ، يأتى المصريّون عليًّا فيختبئُ منهم ويلوذُ بحيطان المدينة ، فإذا لَقوْه باعدهم وتبرّأ منهم ومن مقالتهم مرّة بعد مرّة ؛ ويطلب الكوفيون الزّبير فلا يجدونه ، فأرسلوا إليه حيث هو رسُلاً ، فباعدهم وتبرّأ من مقالتهم؛ ويطلب البصريّون طلحةَ فإذا لقيهم باعَدهم وتبرّأ من مقالتهم مرّة بعد مرّة ؛ وكانوا مجتمعين على قَتْل عثمان مختلفين فيمن يهوَوْن ، فلما لم يجدوا ممالِئًا ولا مُجيبًا جمعهم الشرّ على أوّل من أجابهم ، وقالوا : لا نولّى أحداً من هؤلاء الثلاثة ، فبعثوا

٣٠٧٤/١ إلى سعد بن أبى وقّاص وقالوا : إنك من أهل الشورى فرَأْيُنا فيك مجتمع ، فاقدَم نبايعك ، فبعث إليهم : إنى وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لى فيها على حال ؛ وتمثّل:

لا تَخلِطَنَّ خبيثاتٍ بطَيِّبَةٍ واخلع ثيابَك منها وانجُ عُريانا

ثمّ إنهم أتوْا ابنَ عمر عبد الله ، فقالوا : أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر ، فقال : إنّ لهذا الأمر انتقامًا والله لا أتعرّض له، فالتمسوا غيرى . فبقُوا حيارَى لا يدرون ما يصنعون والأمر أمرهم .

وكتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: كانوا إذا لقوا طلحةَ أبَى وقال:

ومن عَجَبِ الأيامِ والدّهرِ أننى … بقيتُ وحيدًا لا أمِرُّ ولا أُحلِى

فيقولون: إنّك لتوعدنا. فيقومون فيتركونه، فإذا لقُوا الزّبير وأرادوه أبى وقال:

متى أنت عن دارٍ بفَيْحان راحلٌ … وباحتها تَخْنُو عليك الكتائبُ

فيقولون: إنك لتوعدنا! فإذا لقوا عليًّا وأرادوه أبى، وقال:

لو أنّ قومى طاوَعَتنى سَراتُهُمْ … أمَرْتُهُمُ أمرًا يُديخ الأعاديا

فيقولون: إنك لتوعدنا! فيقومون ويتركونه.

وحدّثنى عمر بن شبّة، قال: حدّثنا أبو الحسن المدائنىّ، قال: أخبرنا مسلمة بن محارب، عن داود بن أبى هند، عن الشعبىّ، قال: لما قتِل عثمان رضى الله عنه أتى الناسُ عليًّا وهو فى سوق المدينة، وقالوا له: ابسُط يدك نبايعكْ، قال: لا تعجلوا فإنّ عمر كان رجلاً مباركًا، وقد أوصى بها شورى، فأمهِلوا يجتمع الناس ويتشاورون. فارتدّ الناس عن علىّ؛ ثم قال بعضهم: إن رجع الناس إلى أمصارهم بقَتْل عثمان ولم يَقُم بعده قائمٌ بهذا الأمر لم نأمن اختلافَ الناس وفساد الأمة، فعادوا إلى علىّ، فأخذ الأشْتَرُ بيده فقبضها علىّ، فقال: أبعد ثلاثة! أمَا والله لئن تركتَها لتقصرنّ عَنَيْتَكَ[1] عليها حينًا، فبايعته العامّة. وأهل الكوفة يقولون: إنّ أوّل من بايعه الأشتر. ١/٣٠٧٥

وكتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبى حارثة وأبى عثمان، قالا: لما كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان رضى الله عنه، جمعوا أهل المدينة فوجدوا سعداً والزّبير خارجيْن، ووجدوا طلحة فى حائط له، ووجدوا بنى أميّة قد هربوا إلاّ من لم يُطِق الهرب، وهرب الوليد وسعيد إلى مكة فى أوّل من خرج، وتبعهم مروان، وتتابع على ذلك مَنْ تتابع،

(١) عنيتك، أى عناءك، وفى ط: «عينيك».

١/٣٠٧٦ فلما اجتمع لهم أهلُ المدينة قال لهم أهل مصر : أنتم أهل الشورى، وأنتم تعقدون الإمامةَ ، وأمركم عابر[١] على الأمة ، فانظروا رجلاً تنصّبونه ، ونحن لكم تبَع . فقال الجمهور : علىّ بن أبى طالب نحن به راضون .

وأخبرنا علىّ بن مسلم ، قال : حدّثنا حبّان بن هلال، قال : حدّثنا جعفر بن سليمان ، عن عوف ، قال : أما أنا فأشهد أنى سمعتُ محمد بن سيرين يقول : إنّ عليًّا جاء فقال لطلحة : ابسط يدك يا طلحة لأبايعك، فقال طلحة : أنت أحقّ، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدَك ، قال : فبسط علىّ يده فبايَعه .

وكتب إلىّ السرىّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : فقالوا لهم : دونكم يا أهل المدينة فقد أجّلناكم يومين[٢] ، فوالله لئن لم تفرُغوا لنقتلنّ غداً عليًّا وطلحة والزّبير وأناسًا كثيراً . فغشى الناس عليًّا فقالوا : نُبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام؛ وما ابتُلينا به من ذوى القُربى[٣] ، فقال علىّ : دعونى والتَمِسوا غيرى فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان، لاتقوم له القلوب، ولاتثبت عليه العقول. فقالوا : ننشدُك الله ألا ترى ما نرى ! ألا ترى الإسلام ! ألا ترى الفتنة ! ألا تخاف الله ! فقال : قد أجبتكم لما أرى ، واعلموا إن أجبتكم ركبتُ بكم ما أعلم ، وإن تركتمونى فإنما أنا كأحدكم، إلاّ أنى أسمعكم وأطوَعكم لمن ولّيتموه أمركم . ثمّ افترقوا على ذلك واتّعدوا الغد . وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا : إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت . فبعث البصريّون إلى الزّبير بصريًّا ، وقالوا : احذر لاتحادّه — وكان رسولهم حُكَيم بن جبَلة العبدىّ فى نفر — فجاءوا به يحدّونه بالسيف . وإلى طلحة كوفيًّا وقالوا له : احذر لا تحادّه ، فبعثوا الأشتر فى نَفَر فجاءوا به يحدّونه بالسيف . وأهلُ الكوفة وأهل البصرة شامتون بصاحبهم ، وأهل مصر فرحون بما[٤] اجتمع عليه أهلُ المدينة، وقد خشَع أهلَ الكوفة وأهل البصرة أن صاروا أتباعًا لأهل مصر ١/٣٠٧٧ وحِشْوة فيهم ، وازدادوا بذلك على طلحة والزّبير غيظًا ، فلما أصبحوا من

---

(١) ابن الأثير والنويرى « جائز » . (٢) ابن الأثير والنويرى : « يومكم » .

(٣) ابن الأثير والنويرى : « بين القرى » . (٤) النويرى : « لما » .

يوم الجمعة حضر الناس المسجد ، وجاء عليّ حتّى صعد المنبر ، فقال : يأيّها الناس — عن ملإ وإذن — إنّ هذا أمرُكم ليس لأحد فيه حقّ إلاّ من أمرتم ، وقد افترقنا بالأمس على أمر ، فإن شئتم قعدت لكم ، وإلاّ فلا أجِد على أحد . فقالوا : نحن على ما فارقناك عليه بالأمس . وجاء القوم بطلحة فقالوا : بايع ، فقال : إنى إنّما أبايع كرهًا ، فبايع — وكان به شلل — أوّل الناس ، وفى الناس رجل يعتاف ، فنظر من بعيد ، فلما رأى طلحة أوّل من بايع قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أوّل يد بايعت أمير المؤمنين يدٌ شلاّء ، لا يتمّ هذا الأمر ! ثمّ جىء بالزّبير فقال مثل ذلك وبايع — وفى الزّبير اختلاف — ثمّ جِىء بقوم كانوا قد تخلّفوا فقالوا : نُبايع على إقامة كتاب الله فى القريب والبعيد ، والعزيز والذّليل ، فبايعهم ؛ ثمّ قام العامّة فبايعوا .

كتب إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى زُهير الأزدىّ ، عن عبد الرحمن بن جندَب ، عن أبيه ، قال : لما قتل عثمان رضى الله عنه واجتمع الناس على علىّ ، ذهب الأشْتَر فجاء بطلحة ، فقال له : دعنى أنظر ما يصنع الناس ، فلم يَدَعه وجاء به يتُلُّه تَلاًّ عنيفًا[1] ، وصعد المنبر فبايع .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن الحارث الوالبىّ ، قال : جاء حُكَيم بن جبلة بالزّبير حتّى بايع ؛ فكان الزّبير يقول : جاءنى لصٌّ من لُصوص عبد القيس فبايعت واللُّجّ[2] على عنقى . ٣٠٧٨/١

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : وبايع النّاس كلهم .

قال أبو جعفر : وسمح بعد هؤلاء الذين اشترطوا الذين جىء بهم ، وصار لأمر أمر أهل المدينة ، وكانوا كما كانوا فيه ، وتفرّقوا إلى منازلهم لولا مكان النُّزّاع والغوغاء فيهم .

* * *

(١) يتله تلا عنيفاً ، أى يدفعه دفعاً شديداً .

(٢) اللج : السيف ؛ تشبيهاً بلج الماء .

اتّساق الأمر فى البيعة لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام

وبويع علىّ يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجّة — والناس يحسُبون من يوم قتِل عثمان رضى الله عنه — فأوّل خطبة خطبها علىّ حين استُخلف — فيما كتب به إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن سليمان بن أبى المغيرة، عن علىّ بن الحسين — حمِد الله وأثنى عليه، فقال:

إنّ الله عزّ وجلّ أنزل كتابًا هاديًا بيّن فيه الخير والشرّ، فخذوا بالخير ودعوا الشرّ. الفرائضَ أدّوها إلى الله سبحانه يؤدّكم إلى الجنّة. إنّ الله حرّم حُرَمًا غير مجهولة، وفضّل حُرْمة المسلم على الحُرَم كلّها، وشدّ بالإخلاص والتوحيد المسلمين. والمسلم مَن سلم النّاس من لسانه ويده إلا بالحقّ، لا يحلّ أذى المسلم إلاّ بما يجب. بادروا أمر العامة، وخاصّة أحدكم الموتُ، فإنّ الناس أمامكم، وإنّ ما من خلفكم الساعةُ تحدوكم. تخفّفوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم. اتّقوا الله عبادَه فى عباده وبلاده، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عزّ وجلّ ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشرّ فدعوه، ﴿ واذْكُرُوا إذْ أنْتُمْ قَليلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِى الأرْضِ ﴾[1]. ١/٣٠٧٩

ولما فرغ علىّ من خطبته وهو على المنبر قال المصريون:

خُذْها ... وَاحْذَرًا أبا حَسَنْ[2] إنَّا نمِرُّ الأمْرَ إمْرارَ الرَّسَنْ

وإنما الشعر:

* خذها إليكَ واحذرًا أبا حَسَنْ *

فقال علىّ مجيبًا:

إنى عَجَزْتُ عَجزةً ما أعْتَذرْ سَوْفَ أكيسُ بعْدَها وأسْتَمِرّ

وكتب إلىّ السرىّ عن شعيب، عن سيف؛ عن محمد وطلحة، قالا: ولما أراد علىّ الذّهاب إلى بيته قالت السّبئيّة:

---

(١) سورة الأنفال ٤١ (٢) هكذا غير موزون.

خذها إليك واحذراً أبا حسنْ إنّا نُمِرُّ الأمرَ إمرارَ الرَّسَنْ
صَوْلَةَ أقوامٍ كأسْدادِ السُّفُنْ بِمَشْرَفِيّاتٍ كَغُدْرانِ اللَّبَنْ
ونَطْعن المُلكَ بِلَيْنٍ كالشَّطَنْ حتى يُمَرَّنَّ على غيرِ عَنَنْ

فقال علىّ وذكر تركهم العسكر والكينونة على عِدَّة ما منُّوا حين غمزوهم ورجعوا إليهم ، فلم يستطيعوا أن يمتنعوا حتى ...[1]

إنِّى عجزتُ عجزةً لا أعتذِرْ سوف أَكيسُ بعدها وأستمرّْ ١/٣٠٨٠
أرْفعُ مِنْ ذَيْلِىَ ما كنْتُ أجرّْ وأجْمعُ الأمْرَ الشَّتيتَ المُنْتَشِرْ
إن لم يُشاغِبْنى العَجُولُ المُنْتَصِرْ أو يَتْرُكونى والسِّلاحُ يُبْتَدَرْ

واجتمع إلى علىّ بعد ما دخل طلحة والزّبير فى عدّة من الصّحابة ، فقالوا : يا علىّ ، إنّا قد اشترطنا إقامةَ الحدُود ، وإنّ هؤلاء القوم قد اشتركوا فى دم هذا الرّجل وأحلّوا بأنفسهم . فقال لهم : يا إخوتاه ، إنى لست أجهل ما تعلمون ، ولكنى كيف أصنع بقوم يملكوننا[2] ولا نملكهم ! ها هُمْ هؤلاء قد ثارت معهم عُبدانُكم ، وثابت إليهم أعرابُكم ، وهم خِلالكم يسومونكم ماشاءوا ، فهل ترْون موضعاً لقُدْرة على شىء مما تريدون ؟ قالوا : لا ، قال : فلا والله لا أرى إلاّ رأيًا ترونه إن شاء الله ؛ إنّ هذا الأمر أمرُ جاهليّة ، وإنّ لهؤلاء القوم مادّة ؛ وذلك أن الشيطان لم يشرَع شريعة قطّ فيبرح الأرضَ من أخذ بها أبداً . إنّ الناس من هذا الأمر إن حُرِّك على أمور : فرْقة ترى ما ترْون ، وفرْقة ترى مَالاَ تَرون ، وفِرْقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوبُ مواقعهَا وتُؤخَذ الحقوق ، فاهدءوا عنى وانظروا ماذا يأتيكم ، ثمّ عودوا .

واشتدّ على قريش ، وحالَ بينهم وبين الخروج على حال ، وإنما هيّجه على ذلك هربُ بنى أميّة . وتفرّق القوم ؛ وبعضهم يقول : والله لئن ازداد الأمرُ لا قدرنا على انتصارٍ من هؤلاء الأشرار ؛ لتَرْكُ هذا إلى ما قال علىّ أمثل . وبعضهم يقول : نقضى الّذى علينا ولا نؤخّره ، ووالله إنّ عليّا لمستغنٍ برأيه وأمره عنا ، ولا نراه إلاّ سيكون على قُريش أشدّ من غيره . فذُكر ذلك لعلىّ ١/٣٠٨١

(١) هنا نقص فى أصول ط .
(٢) كذا فى ابن الأثير ، وفى الطبرى : « يملكونها » .

فقام فحمد الله وأثنى عليه وذكر فَضْلهم وحاجته إليهم ونظرَه لهم وقيامه دونهم، وأنه ليس له من سلطانهم إلاّ ذلك، والأجر من الله عزّ وجلّ عليه، ونادى: برئت الذّمة من عبد لم يرجع إلى مواليه. فتذامَرت السَّبئيّة والأعْراب، وقالوا: لنا غداً مثلها، ولا نستطيع نحتجّ فيهم بشيء.

وكتب إلىّ السرىّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: خرج علىٌّ فى اليوم الثالث على الناس، فقال: يأيُّها الناس، أخرجوا عنكم الأعْراب. وقال: يا معشر الأعراب، الحقوا بمياهكم. فأبت السَّبئيّة وأطاعهم الأعراب. ودخل علىٌّ بيته ودخل عليه طلحة والزّبير وعدّة من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم، فقال: دونكم ثأركم فاقتلوه؛ فقالوا: عَشوْا[1] عن ذلك، قال: هم والله بعد اليوم أعْشَى وآبى. وقال:

١/٣٠٨٢

لو أنّ قومى طاوعَتْنى سَرَاتُهُمْ أمرْتُهُمْ أمرًا يُديخُ الأعاديا[2]

وقال طلحة: دعنى فلآتِ البصرة فلا يفْجؤك إلاّ وأنا فى خيل، فقال: حتّى أنظر فى ذلك. وقال الزّبير: دعنى آتِ الكوفة فلا يفجؤك إلاّ وأنا فى خيل، فقال: حتّى أنظر فى ذلك؛ وسمع المغيرة بذلك المجلس فجاء حتّى دخل عليه، فقال: إنّ لك حقّ الطاعة والنصيحة، وإنّ الرّأى اليوم تُحرز به ما فى غد، وإنّ الضَّيَاع اليومَ تضيّع به ما فى غد؛ أقْرِرْ معاويةَ على عَمله، وأقرر ابنَ عامر على عمله، وأقرر العمّال على أعمالهم، حتّى إذا أتتك طاعتهم وبيعةُ الجنود استبْدَلْتَ أو تركت. قال: حتّى أنظر.

فخرج من عنده وعاد إليه من الغد، فقال: إنى أشرت عليك بالأمس برَأى، وإنّ الرأى أن تعاجلهم بالنزوع، فيعرف السامع من غيره ويستقبل أمرك؛ ثمّ خرج وتلقّاه ابن عباس خارجًا وهو داخل، فلما انتهى إلى علىّ قال: رأيت المغيرَة خرج من عندك ففيم جاءك؟ قال: جاءنى أمس بذَيّةَ وَذيّةَ، وجاءنى اليوم بذَيّة وذيّة، فقال: أمّا أمس فقد نَصَحك، وأما اليوم فقد غشّك. قال: فما الرّأى؟ قال: كان الرّأى أن تخرج حين قُتِل الرّجل أو قبل ذلك، فتأتىَ مكة فتدخل دارك وتغلق عليك بابَك، فإن كانت العربُ جائلة مضطربة

(١) يقال: عشوت عن الشىء، أعرضت عنه

(٢) ابن الأثير: «ولو أن».

فى أثرك لا تجد غيرك؛ فأمّا اليوم فإنّ فى بنى أميّة من يستحسنون الطلب بأن يلزموك شعبةً من هذا الأمر ، ويشبّهون على الناس، ويطلبون مثل ما طلب أهلُ ١/٣٠٨٣ المدينة، ولا تقدر على ما يريدون ولا يقدرون عليه ، ولو صارت الأمور إليهم حتى يصيروا فى ذلك أموَت لحقوقهم ؛ وأترك لها إلا مايعجّلون من الشبهة . وقال المغيرة : نصحته والله ، فلما لم يقبل غششته . وخرج المغيرة حتى لحق بمكة .

حدّثنى الحارث ، عن ابن سعد ، عن الواقدىّ ، قال : حدّثنى ابن أبى سبْرة ، عن عبد المجيد بن سهيل، عن عبيد الله بن عبدالله بن عتْبة ، عن ابن عباس ، قال : دعانى عثمان فاستعملنى على الحجّ ، فخرجت إلى مكة فأقمت للناس الحجّ، وقرأتُ عليهم كتابَ عثمان إليهم ، ثمّ قدمْت المدينة وقد بويع لعلىّ ؛ فأتيته فى داره فوجدتُ المغيرة بن شُعْبة مستخْلياً به ، فحبسنى حتى خرج من عنده ، فقلت : ماذا قال لك هذا ؟ فقال : قال لى قبل مرّته هذه: أرْسِلْ إلى عبدالله بن عامر وإلى معاوية وإلى عمّال عثمان بعهودهم تُقرّهم على أعمالهم ويبايعون لك الناس، فإنّهم يهدّئون البلاد ويسكّنون الناس ؛ فأبيتُ ذلك عليه يومئذ وقلتُ : والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدتُ فيها رأيى ، ولا وليتُ هؤلاء ولا مثلُهم يُولَّى .

قال : ثمّ انصرف من عندى وأنا أعرفُ فيه أنه يرى[1] أنى مخطئٌ ؛ ثمّ عاد إلىّ الآن فقال : إنّى أشرتُ عليك أوّل مرّة بالذى أشرتُ عليك وخالفتنى فيه ، ثمّ رأيتُ بعد ذلك رأياً ، وأنا أرى أن تصنع الذى رأيتَ فتنزعهم وتستعين بمن تَثِق به ، فقد كفى الله، وهم أهوَنُ شوكةً مما كان . قال ابن عباس: ١/٣٠٨٤ فقلتُ لعلىّ : أما المرّة الأولى فقد نصحك، وأما المرّة الآخرة فقد غشّك ؛ قال له علىّ : ولِمَ نصحنى ؟ قال ابن عباس: لأنّك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا ، فمتى تثبّتهم لا يبالوا[2] بمن ولى هذا الأمر ، ومتى تعزلْهم يقولوا: أخذ هذا الأمرَ بغير شورى، وهو قتلَ صاحبَنا ؛ ويؤلّبون عليك فينتقض عليك أهلُ الشأم وأهلُ العراق ، مع أنى لا آمن طلحة والزّبير أن يكرّا عليك .

---

(١) ابن الأثير : « يود » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « فمتى ثبتّهم لا يبالون » .

فقال علىّ: أمّا ما ذكرت من إقرارهم فوالله ما أشكّ أنّ ذلك خيرٌ فى عاجل الدّنيا لإصلاحها ، وأما الذى يلزمنى من الحقّ والمعرفة بعمّال عثمان فوالله لا أولّى منهم أحداً أبداً ؛ فإن أقبلوا فذلك خيرٌ لهم : وإن أدْبروا بذلت لهم السيف. قال ابن عباس : فأطِعْنى وادخل دارَك ، والحق بمالِك بيَنْبُع ، وأغلق بابك عليك ، فإنّ العرب تجول جولةً وتضطربُ ولا تجد غيرَك ، فإنك والله لئن نهَضْت مع هؤلاء اليوم ليُحمّلنّك الناس دمَ عثمان غداً . فأبى علىّ ، فقال لابن عباس: سر إلى الشأم فقد ولّيتُكَها ؛ فقال ابن عباس: ما هذا برأى ؛ معاويةُ رجلٌ من بنى أميّة وهو ابنُ عمّ عثمان وعامله على الشأم ، ولست آمن أن يضرب عُنُقى لعثمان، أو أدْنى ماهو صانِعٌ أن يحبسنى فيتحكّم علىّ . فقال له علىّ: ولم ؟ قال : لقرابة ما بينى وبينك، وإنّ كلّ ما حمِل عليك حمِل علىّ ، ولكن اكتب إلى معاوية فمنّه وعِده . فأبى علىّ وقال : والله لا كان هذا أبداً .

١/٣٠٨٥

قال محمّد : وحدّثنى هشام بن سعد ، عن أبى هلال ، قال : قال ابن عبّاس : قدمْت المدينة من مكة بعد قتل عثمان رضى الله عنه بخمسة أيام ، فجئْتُ عليّاً أدخل عليه ، فقيل لى : عنده المغيرةُ بن شعبة ؛ فجلستُ بالباب ساعةً، فخرج المغيرة فسلّم علىّ فقال: متَى قدِمت ؟ فقلت : الساعةَ . فدخلتُ على علىّ فسلّمتُ عليه، فقال لى: لقيتَ الزّبير وطلحة؟ قال: قلت : لقيتهما بالنّواصف . قال : مَن معهما ؟ قلت : أبو سعيد بن الحارث بن هشام فى فِئة من قُريش. فقال علىّ: أما إنهم لن يدَعوا أن يخرجوا يقولون: نطلب بدم عثمان ؛ والله نعلم أنهم قتلة عثمان . قال ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، أخبِرْنى عن شأن المغيرة، ولمَ خلا بك ؟ قال : جاءنى بعد مَقْتل عثمان بيومين ، فقال لى : أخْلِنى ، ففعلت ؛ فقال : إنّ النّصح رخيص وأنت بقيّة الناس ، وإنى لك ناصح ، وإنى أشير عليك بردّ عمال عثمان عامَك هذا ؛ فاكتب إليهم بإثْباتهم على أعمالهم ، فإذا بايَعوا لك واطمأنّ الأمْرُ لك عزَلْت من أحْببت وأقرَرْت من أحببْت . فقلتُ : والله لا أدهِن[١] فى دينى ولا أعطى

---

(١) ابن الأثير « أداهن » .

الدّنىّ فى أمرى . قال : فإن كنت قد أبَيْتَ علىّ فانزعْ من شئت واترك معاوية ، فإنّ لمعاوية جُرْأة ، وهو فى أهل الشأم يُسمع منه، ولك حُجّة فى إثباته ؛ كان عمر بن الخطاب قد ولاّه الشأم كلها ، فقلتُ : لا والله ، لا أستعمل معاويةَ يومين أبداً. فخرج من عندى على ما أشار به ، ثمّ عاد فقال لى : إنى أشرتُ عليك بما أشرتُ به فأبيتَ علَىّ ، ثمّ نظرتُ فى الأمر فإذا أنتَ مصيبٌ، لا ينبغى لك أن تأخُذَ أمركَ بخَدْعة ، ولا يكون فى أمرك دُلْسة. ٣٠٨٦/١

قال : فقال ابن عباس: فقلت لعلىّ : أمّا أوّل ما أشار به عليك فقد نصَحك، وأما الآخِر فغشّك؛ وأنا أشيرُ عليك بأن تُثْبِت معاوية، فإن بايع لك فعلىّ أن أقلعَهُ من منزله . قال علىٌّ : لا والله ، لا أعطيه إلاّ السيف . قال : ثم تمثّل بهذا البيت :

ما ميتة إن مُتُّها غيرَ عاجزٍ بِعارٍ إذا ما غالَتِ النفسَ غولُها

فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، أنت رجلٌ شجاع لست بأرِب بالحرْب ، أمَا سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الحرب خُدعة» ! فقال علىّ : بلى ، فقال ابن عباس : أما والله لئن أطعْتَنى لأصدُرَنّ بهم بعد وِرْد، ولأتركنّهم ينظرون فى دُبُر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها، فى غير نُقصانٍ عليك ولا إثم لك . فقال: يا بن عباس ، لستُ من هنُيْتا تك وهنيات معاوية فى شىء ، تُشير علىّ وأرى ، فإذا عصيتُك فأطعنى . قال : فقلت : أفْعل ، إنّ أيسر مَالَكَ عندى الطاعة .

* * *

مسيرُ قُسطنطين ملك الرّوم يُريد المسلمين

وفى هذه السنة — أعنى سنة خمس وثلاثين — سار قسطنطين بن هرَقل — فيما ذكر محمد بن عمر الواقدىّ عن هشام بن الغاز ، عن عبادة بن نُسىّ — فى ألف مَركب يُريد أرضَ المسلمين ، فسلّط الله عليهم قاصِفاً من الرّيح فغرّقهم ، ونجا قسطنطين بن هرَقل، فأتى صِقِلّيّة، فصنعوا له حمّاماً فدخله فقتلوه فيه ؛ وقالوا : قتلتَ رجالَنا . ٣٠٨٧/١

ثم دخلت سنة ستّ وثلاثين

تفريق علىّ عمّاله على الأمصار

ولمّا دخلت سنة ستّ وثلاثين فرّق علىٌّ عمّالَه ؛ فممّا كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : بعث علىٌّ عماله على الأمصار ، فبعث عثمان بن حُنَيف على البصْرة ، وعُمارة بن شهاب على الكوفة ، وكانت له هجرة ؛ وعبيدَ الله بن عباس على اليَمن ، وقيسَ بن سعد على مصر ، وسهل بن حُنَيف على الشأم ؛ فأمّا سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتَبوك لقيَتْه خيلٌ ، فقالوا : مَنْ أنت ؟ قال : أمير ، قالوا : على أىّ شىء ؟ قال : على الشأم ، قالوا : إن كان عثمان بعثَك فحيَّهلاً بك ، وإن كان بعثك غيرُه فارجع ! قال : أوَما سمعتم بالذى كان ؟ قالوا : بلَى ؛ فرجع إلى علىّ . وأما قيس بن سعد فإنه لما انتهى إلى أيلَة لقِيَتْهُ خيلٌ ، فقالوا : مَنْ أنت ؟ قال : من فالّة عثمان ، فأنا أطلبُ من آوى إليه وأنتصر به ، قالوا : من أنت ؟ قال : قيس ابن سعد ، قالوا : امضِ ؛ فمضَى حتى دخل مصرَ ، فافترق أهلُ مصر فِرَقًا ؛ فرقةٌ دخلت فى الجمَاعة وكانوا معه ، وفِرْقة وقَفَت واعتزلت إلى خَرْبِتَا وقالوا : إن قُتِل قتَلةُ عثمان فنحن معكم ، وإلاّ فنحن على جدِيلتنا حتى نحرّك أو نصيب حاجتنا ؛ وفرقةٌ قالوا : نحن مع علىّ ما لم يُقِدْ إخوانَنا ، وهم فى ذلك مع الجماعة ؛ وكتب قَيْس إلى أمير المؤمنين بذلك . وأمّا عثمان بن حُنَيف فسار فلم يردّه أحدٌ عن دُخول البصرة ولم يوجد فى ذلك لابن عامر رأىٌ ولا حزم ولا استقلال بحرب . وافترق الناس بها ، فاتّبعت فرقةٌ القومَ ، ودخلت فرقةٌ فى الجماعة ، وفرقةٌ قالت : ننظرُ ما يصنع أهلُ المدينة فنصنع كما صنعوا. وأمّا عُمارة فأقبل حتى إذا كان بزُبالة لقيه طليحة بن خُويلد ؛ وقد كان حين بلغهم خبرُ عثمان خرج يدعو إلى الطلب بدمه ويقول : لهفِى على أمْرٍ لم يسبقنى ولم أدْرِكْه !

١/٣٠٨٨

يا لَيتَنى فيها جَــذَعْ أكرُّ فيهــا وأضَعْ

فخرج حين رجع القعقاعُ من إغاثة عثمان فيمن أجابه حتى دخل الكوفة ، فطلع عليه عُمارة قادِماً على الكوفة ، فقال له : ارجع فإنّ القومَ لا يريدون بأميرهم بدلاً ، وإن أبيت ضربتُ عنقَك . فرجعَ عُمارة وهو يقول : احذرِ الخطرَ ما يماسُّكَ ، الشرُّ خير من شرّ منه .

٣٠٨٩/١

فرجع إلى عليّ بالخبر . وغلب على عُمارة بن شهاب هذا المثلُ من لدُنْ اعتاصَت عليه الأمور إلى أن مات . وانطلق عبيدُ الله بن عباس إلى اليَمن ، فجمع يَعْلَى بن أميّة كلّ شىء من الجِباية وتركه وخرج بذلك وهو سائرٌ على حاميته إلى مكة فقَدِمَها بالمال . ولما رجع سهلُ بن حُنَيف من طريق الشأم وأتتْه الأخبار ورجع من رجع ، دعا علىٌّ طلحةَ والزُّبير ، فقال : إنّ الذّى كنت أحذّركم قد وَقَع يا قوم ، وإنّ الأمر الذى وقع لا يُدرَك إلا بإمَاتَتِه ، وإنها فِتنة كالنار ؛ كلّما سُعّرَت ازدادت واستنارت . فقالا له : فَأذنْ لنا أن نخرج من المدينة ، فإمّا أن نُكابر وإما أن تَدَعنا ، فقال : سأمسِك الأمر ما استَمْسك ؛ فإذا لم أجد بُدّاً فآخِر الدواء الكىّ .

وكتب إلى معاوية وإلى أبى موسى . وكتب إليه أبو موسى بطاعة أهْل الكوفة وَبيْعتهم ، وَبيّنَ الكاره منهم للّذى كانَ ، والرّاضىَ بالذى قد كانَ ، ومن بَيْن ذَلِك حتى كأن علياً علَى المُواجَهَة من أمْر أهل الكوفة . وكان رسول علىّ إلى أبى موسى مَعْبَد الأسلمىّ ؛ وكان رسول أمير المؤمنين إلى مُعاوية سَبْرة الجُهَنِىّ ، فقدم عليه فلم يكتب معاوية بشىء ولم يُجبْه وردّ رسولَه ، وجعل كلما تنجزّ(١) جوابَه لم يزد على قوله :

٣٠٩٠/١

أدِمْ إدامَةَ حِصن أو خُذًا بِيَدى حَرْباً ضَروساً تَشُبُّ الجزْلَ والضّرَمَا
فى جارِكُم وابنِكُمْ إذ كان مَقْتَلهُ شَنعاءَ شيّبَتِ الأصداغَ واللِّمَما
أعْيا المَسودُ بهــا والسّيِّدون فلَم يوجَدْ لها غيرُنا مولًى ولا حَكَما

وجعل الجُهنىُّ كلما تنجزّ الكتاب لم يزِدْه على هذه الأبيات ؛ حتى إذا

(١) ابن الأثير : « يتجز » .

كان الشّهر الثالث من مَقتل عثمان فى صفر ، دعا معاويةُ برجُل من بنى عبْس ، ثم أحد بنى رواحة يُدْعى قبيصة ، فدفع إليه طُوماراً مَختوماً ، عنوانهُ : من معاوية إلى علىّ . فقال : إذا دخلتَ المدينة فاقبض على أسفل الطّومار ، ثمّ أوصاه بما يقولُ وسَرّح رسولَ علىّ . وخرجا فقدِما المدينة فى ربيع الأوّل لغُرّته ، فلما دخلا المدينة رفع العبسىّ الطُّومار كما أمره ، وخرج الناس ينظُرون إليه ؛ فتفرّقوا إلى منازلهم وقد علموا أنّ معاوية معترض ، ومضى حتى يدخل على علىّ ، فدفع إليه الطُّومار ، ففضّ خاتمه فلم يجد فى جوْفه كتابةً ، فقال للرّسول : ما وراءك ؟ قال : آمنٌ أنا ؟ قال : نعم ، إنّ الرّسل آمنة لا تُقتل ؛ قال : ورائى أنى تركتُ قوماً لا يرضْون إلا بالقوَد ، قال : ممن ؟ قال : من خَيْط نفسك[1] ، وتركتُ ستين ألف شَيْخ يبكى تحت قَميص عُثمان وهو منصوب لهم ، قد ألبسوه منبَر دمشق . فقال : منّى[2] يطلبون دمَ عثمان ! ألستُ موتوراً كِترَة عثمان ! اللهمّ إنى أبرأ إليك من دم عثمان ؛ نجا والله قتلةُ عثمان إلاّ أن يشاء الله ، فإنّه إذا أراد أمرًا أصابه ؛ اخرج ؛ قال : وأنا آمنٌ ؟ قال : وأنت آمن . فخرج العبسىّ وصاحت السّبئيّة قالوا : هذا الكلبُ ، هذا وافد الكلاب ، اقتلوه ! فنادى : يا آل مُضر ، يا آل قَيس ، الخيل والنَّبل ، إنى أحلف بالله جلّ اسمُه ليرُدّنّها عليكم أربعة آلاف خَصىّ ، فانظروا كم الفحولة والرّكاب ! وتعاوَوْا عليه ومنَعته مُضَر ، وجعلوا يقولون له : اسكُت ، فيقول : لا والله ، لا يفلح هؤلاء أبداً ، فلقد أتاهم ما يوعَدُون . فيقولون له : اسكت ، فيقول : لقد حلّ بهم ما يحذَرون ، انتهت والله أعمالُهم ، وذهبَتْ ريحُهم ، فوالله ما أمسوا حتى عرف الذلّ فيهم .

١/٣٠٩١

* * *

استئذان طلحة والزبير عليًّا

كتب إلىّ السَّرىّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : استأذن طلحةُ والزّبير عليًّا فى العُمرة ، فأذن لهما ، فلحقا بمكة ؛ وأحبّ أهلُ

(١) ابن الأثير والنويرى : « رقبتك » . (٢) ابن الأثير والنويرى : « أمنى » .

المدينة أن يعلموا ما رَأىُ علىّ فىمعاوية وانتقاضه، ليعرفوا بذلك رأيَه فى قتال أهل القبلة ؛ أيجسُرعليه أو ينكُلُ عنه ! وقد بلغَهم أنّ الحسن بن علىّ دخل عليه ودعاه إلى القُعودوترْك النّاس، فدسّوا إليه زيادَ بن حنظلة التميمىّ ـ وكان مُنقطعًا إلى علىّ ـ فدخل عليه فجلس إليه ساعةً ثمّ قال له علىّ : يا زياد، تيسّر ؛ فقال : لأىّ شىء ؟ فقال : تغزو الشأم ، فقال زياد : الأناةُ والرفق أمْثل ، فقال : ٣٠٩٢/١

ومَنْ لا يُصانِعْ فى أمور كثيرةٍ يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويوطأْ بمَنْسِمِ [١]

فتمثّل علىٌّ وكأنه لا يريده :

متى تَجمَعِ القلبَ الذّكىَّ وصارِماً وأَنفاً حَمِيًا تَجْتَنِبْكَ المظَالِمُ [٢]

فخرج زياد على النّاس والناس ينتظرونه ، فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : السّيف يا قوم ، فعرفوا ما هو فاعِل . ودعا علىٌّ محمد بن الحنفيّة فدفَعَ إليه اللواء ، وولّى عبد الله بن عباس ميمنَتَه، وعمر بن أبىسَلَمةَ ـ أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ـ ولاّه ميسرته،ودعا أبا ليلى بن عمربن الجرّاح ؛ابن أخى أبى عُبيدة بن الجرّاح ، فجعله على مقدّمته ، واستخلف على المدينة قُثَم بن عبّاس ، ولم يولّ ممن خرج على عثمان أحداً ، وكتب إلى قيس بن سعد أن يندب الناس إلى الشأم ، وإلى عثمان بن حُنَيف وإلى أبى موسى مثلَ ذلك ، وأقبل على التهيُّؤ والتجهّز ، وخطب أهلَ المدينة فدعاهم إلىالنهوض فى قتال أهل الفُرْقة ، وقال : إنّ الله عزّ وجلّ بعث رسولاً هادياً مهديًّا بكتاب ناطِق وأمْر قائم واضح ؛ لا يهلك عنه إلا هالك ، وإنّ المبتدَعات والشبهات هنّ المهلكات إلاّ من حفظ الله، وإنّ فىسُلْطان الله عصمة أمركم، فأعطوه طاعتَكم غيرَ ملْويَّة ولا مستكرَه بها ، والله لتفعلُنّ أو ليَنقُلنّ الله عنكم سلطانَ الإسلام ثمّ لا ينقلُه إليكم أبداً حتى يأرِزَ الأمر إليها [٣] ، انهضوا إلى ٣٠٩٣/١

---

(١) لزهير ، ديوانه ٢٩ .

(٢) لابن براقة الهمذانى ، الكامل ١ : ٢٧ ، وقبله :

وكُنتُ إذَا قَوْمٌ رَمَوْنِى رَمَيْتَهُمْ فَهَلْ أَنَا فِى ذَا يالَ هَمْدَانَ ظَالِمُ

(٣) أى إلى المدينة .

هؤلاء القوم الذين يريدون يفرّقون جماعتكم ، لعلّ الله يصلح بكم ما أفسد أهلُ الآفاق ، وتقضُون الذى عليكم . فبينا هم كذلك إذ جاءَ الخبرُ عن أهل مكة بنحو آخر وتمامٍ على خلاف ، فقام فيهم بذلك ؛ فقال : إنّ الله عزّ وجلّ جعل لظالم هذه الأمة العفو والمغفرة ، وجعل لمن لزم الأمْر واستقام الفوزَ والنّجاةَ ، فمن لم يسعه الحقّ أخذ بالباطل . ألاَ وإنّ طلحة والزّبير وأمّ المؤمنين قد تمالئوا على سخط إمارتى ، ودَعوا النّاس إلى الإصلاح ، وسأصبر ما لم أخَفْ على جماعتكم ، وأكفّ إن كفّوا ، وأقتصر على ما بلغنى عنهم .

ثمّ أتاه أنهم يريدون البصرة لمشاهدة النّاس والإصلاح ، فتعبّى للخروج إليهم ، وقال : إن فعلوا هذا فقد انقطع نظامُ المسلمين وما كان عليهم فى المقام فينا مؤُونة ولا إكْراه . فاشتدّ على أهل المدينة الأمرُ ، فتثاقلُوا ، فبعث إلى عبد الله بن عمر كُميْلا النّخَعِيّ ، فجاء به فقال : انهض معى ، فقال : أنا مع أهل المدينة ، إنما أنا رجل منهم وقد دخلوا فى هذا الأمر فدخلت معهم لا أفارقهم ، فإن يخرجوا أخرجْ وإن يقعدوا أقعد . قال : فأعطنى زعيماً بألاّ تخرج ، قال : ولا أعطيك زعيماً ، قال : لولا ما أعرف من سوء خُلقك صغيراً وكبيراً لأنكرْتنى ، دعوه فأنا به زعيم . فرجع عبد الله بن عمر إلى المدينة وهم يقولون : لا والله ما ندرى كيف نصنع ، فإنّ هذا الأمر لمشتَبه علينا ، ونحن مُقيمون حتى يُضىء لنا ويسفِر .

١/٣٠٩٤

فخرج من تحت ليلته وأخبر أمّ كلثوم بنت علىّ بالذى سمع من أهل المدينة ، وأنه يخرج معتمراً مقيماً على طاعة علىّ ما خلا النهوض ؛ وكان صدوقاً فاستقرّ عندها ؛ وأصبح علىّ فقيل له : حدث البارحةَ حدَثٌ هو أشدّ عليك من طلحة والزبير وأمّ المؤمنين ومعاوية . قال : وما ذلك ؟ قال : خرج ابن عُمر إلى الشّأم ؛ فأتى علىّ السوق ودعا بالظّهر فحمل الرّجال وأعدّ لكل طَريق طُلاّباً . وماج أهل المدينة ، وسمعت أمّ كلثوم بالذى هو فيه ، فدعت ببَغْلتها فركبتْها فى رَحْل ثمّ أتت علياً وهو واقفٌ فى السوق يفرّق الرّجالَ فى طلبه ، فقالت : مَالك لا تزَنّد[1] من هذا الرّجل ؟ إنّ الأمر

(١) يقال : تزند فلان إذا ضاق صدره ؛ ورجل مزنّد أى سريع الغضب .

على خلاف ما بُلِّغتَه وحُدِّثته . قالت : أنا ضامِنَة له ، فطابت نفسُه وقال : انصرفوا ، لا والله ما كذبَتْ ولا كذَب ، وإنه عندى ثِقة فانصرفوا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : ولما رأى علىّ من أهل المدينة ما رأى لم يَرْضَ طاعتَهم حتى يكون معها نُصرته ، قام فيهم وجمع إليه وجُوهَ أهلِ المدينة ، وقال : إنّ آخر هذا الأمر لا يَصْلُح إلاّ بما صلَح أوّلُه ، فقد رأيتم عواقبَ قضاء الله عزّ وجلّ على من مضى منكم ، فانصروا الله يَنْصرْكم ويصلح لكم أمركم . فأجابه رجلان من أعلام الأنصار ؛ أبو الهيثم بن التَّيِّهان — وهو بدرىّ — وخزيمة بن ثابت ؛ وليس بذى الشهادتين ؛ مات ذو الشهادتين فى زمن عثمان رضى الله عنه . ١/٣٠٩٥

كتب إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله ، عن الحَكم ، قال : قيل له : أشَهِد خُزَيمة بن ثابت ذو الشَّهادتين الجَمَل ؟ فقال : ليس به ، ولكنّه غيره من الأنصار ؛ مات ذو الشهادتين فى زمان عثمان ابن عفان رضى الله عنه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن مجالد ، عن الشعّبى ، قال : بالله الذّى لا إله إلاّ هو ؛ مانهض فى تلك الفتنة إلاّ ستّة بدريِّين ما لهم سابع ، أو سَبْعة ما لهم ثامن .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبىّ ، قال : بالله الذّى لا إله إلاّ هو ما نهض فى ذلك الأمر إلاّ ستة بدريّين ما لهم سابع . فقلتُ : اختلفتما . قال : لم نختلف ، إنّ الشّعبِىَّ شكّ فى أبى أيوب : أخرَج حيثُ أرسلتْه أمّ سلَمة إلى علىّ بعد صِفين ، أم لم يخرج ! إلاّ أنه قدِم عليه فمضى إليه ، وعلىٌّ يومَئِذ بالنَّهروان .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ابن ثابت ، عن رجل ، عن سعيد بن زيد ، قال : ما اجتمع أربعةٌ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ففَازوا على الناس بخَيْر يحوزونَه إلاّ ١/٣٠٩٦

وعلىّ بن أبى طالب أحدهم .

ثم إنّ زياد بن حنظلة لما رأى تثاقُل الناس عن علىّ ابتدر إليه وقال : مَن تثاقل عنك فإنا نخفّ معك ونقاتل دونك . وبينما علىٌّ يمشى فى المدينة إذ سمع زينب ابنة أبى سُفيان وهى تقول : ظلامتنا عند مُذَمَّم وعند مكحلة[١] ، فقال : إنها لتعلم ما همّا لها بثأر .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ؛ أن عثمان قُتِل فى ذى الحجة لثمان عشرة خلَتْ منه ، وكان علَى مكة عبدُالله بن عامر الحضرمىّ ، وعلى الموسم يومئذ عبد الله بن عباس ، بعثه عثمان وهو مَحْصور ، فتعجّل أناسٌ فى يومين فأدركوا مع ابن عباس ، فقدموا المدينة بعد ماقُتِل وقبل أن يُبايَع علىّ ، وهرب بنو أميّة فلحقوا بمكة ، وبويع علىّ لخمس بقين من ذى الحجّة يوم الجمعة ؛ وتساقط الهرّاب إلى مكة ، وعائشة مقيمة بمكّة تريد عُمرة المحرّم ، فلما تساقط إليها الهرّاب استخْبرتهم فأخبروها أنْ قد قُتِل عثمان رضى الله عنه ولم يُجِبْهم إلى التأمير أحَدٌ ؛ فقالت عائشة رضى الله عنها : ولكن أكياس ، هذا غِبَّ ما كان يدور بينكم من عتاب الاستصلاح ؛ حتى إذا قضَتْ عمرتَها وخرجت فانتهت إلى سَرِف لقيها رجلٌ من أخوالها من بنى لَيْث — وكانت واصلة لهم ، رفيقة عليهم — يُقال له عبيدبن أبى سلمة يعرف بأمّه أمّ كلاب ، فقالت : مَهْيم ! فأصمّ ودمدم ، فقالت : ويحك ! علينا أو لنا ؟ فقال : لا تدرى ، قُتل عثمان وبقوا ثمانياً ، قالت : ثمّ صنعوا ماذا ؟ فقال : أخذوا أهلَ المدينة بالاجتماع على علىّ ، والقومُ الغالبون على المدينة . فرجعت إلى مكة وهى لا تقول شيئًا ولا يخرج منها شىء ، حتى نزلت على باب المَسْجد وقصدت للحِجْر فستَّرَتْ فيه ، واجتمع الناس إليها فقالت : يأيّها الناس ، إنّ الغوْغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعُوا أن عاب الغوغاءُ على هذا المقتولِ بالأمْس الإرْب واستعمال مَنْ حدثت سنّه ، وقد استُعمل أسنانهم قبله ، ومواضع من مواضع الحِمَى حماها لهم ، وهى أمورٌ قد سُبق بها لا يصلح غيرها ، فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحًا

١ / ٣٠٩٧

(١) هما محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر ؛ وهذا نبز لهما .

لهم ، فلما لم يجدوا حجّةً ولا عذرًا خلجوا وبادوْا بالعدْوان ونبَا فعلُهم عن قوْلهم ؛ فسفكوا الدَّمَ الحرامَ واستحلّوا البلدَ الحرام وأخذوا المالَ الحرامَ ، واستحلّوا الشهر الحرام . والله لإصبعَ عثمان خيرٌ من طِباق الأرْض أمثالهم . فنجاة من اجتماعكم عليهم حتى ينْكل بهم غيرهم ويشرِّد مَنْ بعدهم ، والله لو أن الّذى اعتدّوا به عليه كان ذنبًا لُخلّص منه كما يخلّص الذّهب من خبَثِه أو الثّوب من دَرَنه إذ ماصُوه[1] كما يماصُ الثوب بالماء . فقال عبد الله ابن عامر الحضرمىّ : هأنذا لها أوّل طالب — وكان أوّلَ مُجيب ومنتدِب .

١/٣٠٩٨

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن المدائنىّ ، قال : حدّثنا سُحيم مولى وبرة التميمىّ ، عن عبيد بن عمرو القُرشىّ ، قال : خرجتْ عائشة رضى الله عنها وعثمان محصورٌ ، فقدم عليها مكّة رجلٌ يقال له أخضر ، فقالت : ما صنع الناس ؟ : فقال : قتَلَ عثمانُ المصريين ، قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أيَقتلُ قومًا جاءوا يطلبون الحقّ وينكرون الظلم ! والله لا نرْضَى بهذا . ثمّ قدِم آخرُ فقالت : ما صنع الناس ؟ قال : قتَل المصريّون عثمانَ ، قالت : العجبُ لأخضر ، زَعم أنّ المقتول هو القاتل! . فكان يُضْرب به المثلُ : « أكْذبُ من أخْضر » .

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبىّ ، قال : خرجَتْ عائشةُ رضى الله عنها نحو المدينة من مكّة بعد مقتل عثمان ، فلقِيَها رجلٌ من أخوالها ، فقالت : ما وراءَك ؟ قال : قُتِل عثمان واجتمع الناس على علىّ ، والأمرُ أمرُ الغوْغاء . فقالت : ما أظنّ ذلك تامًّا ، رُدُّونِى . فانصرفَتْ راجعة إلى مكة ، حتى إذ دخلَتْها أتاها عبد الله ابن عامر الحضرمىّ — وكان أميرَ عثمان عليها — فقال : ما ردَّك يا أمّ المؤمنين ؟ قالت : ردّنى أنّ عثمانَ قُتِل مظلومًا ، وأنّ الأمرَ لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمرٌ ، فاطلبوا بدَم عثمان تُعِزّوا الإسلامَ . فكان أوّل من أجابَها عبدالله بن عامر

(١) فى نهاية ابن الأثير : « فى حديث عائشة قالت عن عثمان : مصتموه كما يماص الثوب ثم عدوتم عليه فقتلتموه. الموص : الغسل بالأصابع ؛ يقال : مصته أموصه موصاً ؛ أرادت أنهم استتابوه عما نقموا منه ؛ فلما أعطاهم ما طلبوه قتلوه » .

الحضرمىّ ، وذلك أوّل ما تكلمت بنو أميّة بالحجاز ورفعوا رءوسهم ، وقام

١/٣٠٩٩ معهم سعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة ، وسائرُ بنى أميّة . وقد قدِم عليهم عبد الله بن عامر من البصْرة[١] ؛ ويَعْلَى بن أميّة من اليَمن ، وطلحة والزّبير من المدينة ، واجتَمَع ملؤهم بعد نظر طويل فى أمرهم على البصرة ، وقالت : أيُّها الناس ، إنّ هذا حدَث عظيمٌ وأمْرٌ منكر، فانهضوا فيه إلى إخوانِكم من أهْل البصرة فأنكِروه، فقد كفاكم أهل الشأم ما عندهم، لعلّ الله عزّ وجلّ يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم .

كتب إلىّ السرىّ عن شُعَيْب ، عن سَيْف ، عن محمد وطلحة ، قالا : كان أوّل من أجاب إلى ذلك عبد الله بن عامر وبنو أميّة ؛ وقد كانوا سقَطوا إليها بعد مَقْتل عثمان ، ثم قدِم عبد الله بن عامِر ، ثمّ قدِم يَعْلَى ابن أميّة ، فاتَّفَقَا بمكة ، ومع يَعْلَى ستمائة بَعير وستمائة ألف ، فأناخ بالأبْطح معسكراً ؛ وقدِم مَعهُما طلحةُ والزّبير ، فلقِيا عائشةَ رضى الله عنها ، فقالت : ما وراءَكُما ؟ فقالا : وراءَنا أنا تحملنا بقلَيّتنا[٢] هُرّابًا من المدينة من غوغاء وأعْراب ، وفارَقْنا قومًا حيارَى لا يعرفون حقًّا ولا ينكرون باطِلاً ولا يمنعون أنفسَهم . قالت : فائْتمِرُوا أمراً ؛ ثمّ انهضوا إلى هذه الغوغاء . وتمثّلت :

ولو أنّ قومى طاوَعتنى سَراتُهمْ   لأنقَذْتُهُمْ من الحِبالِ أو الخَبْلِ

وقال القومُ فيما ائتمروا به : الشأم . فقال عبد الله بن عامر : قد كفاكم

١/٣١٠٠ الشأمَ من يستمرّ فى حَوْزَته ، فقال له طلحة والزّبير : فأين ؟ قال : البصرة ، فإنّ لى بها صنائعَ ولهم فى طَلْحة هوًى ، قالوا : قبحك الله ! فوالله ما كُنْت بالمسالم ولا بالمحارب ، فهلاّ أقمتَ كما أقام مُعاوية فنَكتَفى بك، ونأتى الكوفةَ فنسدّ على هؤلاء القوم المذاهبَ ! فلم يجِدُوا عنده جوابًا مقبولاً ، حتى إذا استقام لهم الرّأىُ على البصرة قالوا : يا أمّ المؤمنين ، دعى المدينةَ فإنّ مَن معنا لا يُقرنون لتلك الغوغاء التى بها ، واشْخصى مَعنا إلى البصرة ، فإنّا نأتى بلداً

---

(١) بعدها فى ابن الأثير والنويرى : « بمال كثير » .

(٢) ارتحل القوم بقليتهم ، أى لم يدعوا وراءهم شيئاً .

مضيَّعًا، وَسَيَحْتَجّون علينا فيه ببيعة عليّ بن أبى طالب فتُنهضينهم كما أنْهَضْتِ أهلَ مكّة ثم تقعدين، فإن أصْلَح الله الأمْرَ كان الذى تُريدين، وإلاّ احتسبنا ودَفَعْنا عن هذا الأمر بجَهْدنا حتى يَقْضىَ الله ما أراد .

فلما قالوا ذلك لها —ولم يكن ذلك مستقيمًا إلاّ بها — قالت : نعم؛ وقد كان أزواج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم معها على قَصْد المدينة، فلمّا تحوّل رأيها إلى البصرة تركنَ ذلك ؛ وانطلق القومُ بعدها إلى حَفْصَة ، فقالت : رأيى تَبَعٌ لرأى عائشة ؛ حتى إذا لم يبق إلاّ الخروج قالوا : كيف نستقلّ وليس معنا مالٌ نجهّز به الناس ! فقال يَعْلَى بن أميّة : معى ستّمائة ألف وستّمائة بَعير فاركبوها ؛ وقال ابن عامر : معى كذا وكذا فتجهّزوا به . فنادى المنادى : إنّ أمّ المؤمنين وطلحة والزّبير شاخِصون إلى البصرة ، فمن كان يُريد إعْزاز الإسْلام وقِتال المحلّين والطلب بثأر عثمان ومن لم يكن عِنْده مَرْكَب ولم يكن له جِهاز فهذا جِهازٌ وهذه نفقةٌ ، فحملوا ستّمائة رجُل على ستّمائة ناقَة سِوى مَن كان له مَرْكب—وكانوا جميعًا ألفا—وتجهّزوا بالمال، ونادَوْا بالرّحيل واستقلّوا ذاهبين . وأرادت حَفْصة الخروجَ فأتاها عبد الله بن عمر فطلب إليها أن تقعد، فقَعدت وبعثت إلى عائشة : أنّ عبد الله حال بيني وبَيْن الخروج ، فقالت : يغفر الله لعبد الله ! وبعثَتْ أمّ الفَضْل بنت الحارث رجلاً من جُهَيْنة يُدْعَى ظفرًا ، فاستأجَرَتْه على أن يطوىَ ويأتى عليًّا بكِتابها ، فقدِم على عليّ بكتاب أمّ الفضل بالخبر .

٣١٠١/١

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا عليّ ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنا عبد الله بن عبد الرّحمن بن أبى عمرة ، عن أبيه ، قال : قال أبو قَتادة لعليّ : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قلّدنى هذا السيف وقد شِمْته[1] فطال شَيْمه، وقد أنَى تَجْريدُه على هؤلاء القوم الظالمين الذين لم يألُوا الأمّة غشًّا، فإن أحببتَ أن تُقَدّمنى، فقدّمنِى. وقامت أمّ سلمة فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، لولا أنْ أعصىَ الله عزّ وجلّ وأنك لا تقبله منّى لخرجتُ معك ؛ وهذا ابنى عُمر— والله لهو أعزّ عليّ من نَفْسى— يَخْرج معك فيشهد

(١) شمته ، أى أغمدته .

مشاهدَك . فخرج فلم يَزَل معه ، واستَعْمَله على البَحْرين ثم عزَله ، واستعمل النُّعمان بن عَجْلان الزُّرَقى . ١/٣١٠٢

حدّثنى عُمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا مسلمة ، عن عوف ، قال : أعانَ يَعْلَى بن أميّة الزُّبير بأربعمائة ألف ، وحمل سبعين رجلا من قُريش ، وحمَل عائشة رضى الله عنها على جمَل يقال له عسكر ، أخذه بثمانين ديناراً ، وخرجوا . فنظر عبد الله بن الزّبير إلى البَيْت ، فقال : ما رأيتُ مثلك بركةَ طالب خير ، ولا هاربٍ من شرّ .

كتب إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سَيْف ، عن محمّد وطلحة ، قالا : خرج المغيرة وسعيد بن العاص معهم مرحلةً من مكّة ، فقال سعيد للمغيرة : ما الرّأى ؟ قال : الرّأى والله الاعتزال ، فإنّهم ما يفلح أمرهم ، فإن أظفره الله أتيْناه ، فقلنا : كان هوَانا وصَغْوُنا(١) معك ؛ فاعتزَلاَ فجلسا ، فجاء سعيدٌ مكة فأقامَ بها ، ورجع معهما عبد الله بن خالد بن أسِيد .

حدّثنى أحمد بن زُهَيْر ، قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنا وَهبْ بن جَرير بن حازم ، قال : سمعْتُ أبى ، قال : سمعتُ يونس بن يزيد الأيْلى ، عن الزّهرىّ ، قال : ثمّ ظهرا — يعنى طلحة والزّبير — إلى مكة بعد قتل عثمان رضى الله عنه بأربعة أشْهر وابن عامر بها يجرُّ الدّنيا ، وقدِم يَعْلى بن أميّة معه بمال كثير ، وزيادة على أربعمائة بَعير ، فاجتمعوا فى بَيْت عائشة رضى الله عنها فأرادوا الرّأى ، فقالوا : نسيرُ إلى علىّ فنُقاتله ، فقال بعضُهم : ليس لكم طاقة بأهْل المدينة ، ولكنّا نَسيرُ حتى نَدْخل البصرة والكوفةَ ، ولطلحة بالكوفة شيعةٌ وهوًى ، وللزّبير بالبصرة هوًى ومعونة . فاجتمع رأيُهم على أن يسيروا إلى البصرة وإلى الكوفة ، فأعطاهم عبد الله بن عامر مالاً كثيراً وإبلا ، فخرجوا فى سبعمائة رَجُلٍ من أهل المدينة ومكة ، ولحقَهم الناس حتى كانوا ثلاثةَ آلاف رَجُل ، فبلغ علياً مسيرهم ، فأمّر على المدينة سَهْل ١/٣١٠٣

(١) صغونا ، أى ميلنا .

ابن حُنَيف الأنصاريّ ، وخرَجَ فسار حتى نزل ذَاقَارٍ ، وكان مسيره إليها ثمان ليال ، ومعه جماعةٌ من أهل المدينة .

حدّثني أحمد بن مَنْصور ، قال : حدّثني يَحْيَى بن مَعين ، قال : حدّثنا هِشام بن يوسف قاضي صَنْعاء ، عن عبد الله بن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزّبير ، عن موسى بن عُقْبة ، عن علقمة بن وقّاص الليثيّ ، قال : لما خرج طَلْحةُ والزّبير وعائشة رضي الله عنهم عرضوا الناس بذَاتِ عِرْق ، واستَصْغَروا عروة بن الزّبير وأبا بكر بن عبد الرّحمن بن الحارث ابن هِشام فرَدّهما .

حدّثني عُمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن، قال : أخبرنا أبو عمرو ، عن عتبة بن المغيرة بن الأخنَس ، قال : لَقِيَ سعيد بن العاص مَرْوان بن الحكم وأصحابه بذَاتِ عِرْق ، فقال : أيْن تَذْهبون وثأركم على أعجاز الإبل ! اقتلوهم ثمّ ارجعوا إلى مَنازلكم لا تقتلوا أنفسكم ؛ قالوا : بل نسير فلَعلّنا نقتل قتلَةَ عثمان جميعًا . فخلا سعيدٌ بطلحة والزّبير ، فقال : إنْ ظفِرْتُما لمن تَجْعلان الأمْر؟ أصْدِقاني ؛قالا : لأحَدِنا أيّنَا اختارَه الناس . قال : بل اجعلوه لوَلَد عثمان فإنكم خرَجتم تَطْلبون بدَمِه ، قالا : نَدَع شيوخَ المُهاجرين ونَجْعلُها لأبنائهم ! قال : أفلا أرانى أسْعى لأخرِجَها من بني عَبد مناف . فرجَع ورجع عبدُ الله بن خالد بن أسِيد، فقال المغيرة ابن شعبة : الرّأى ما رأى سعيد ، مَن كان ها هنا من ثَقيف فلْيرجع ؛ فرجَع ومضى القومُ ، معهم[1] أبَان بن عثمان والوليد بن عثمان ، فاختلفوا في الطريق فقالوا : من ندعو لهذا الأمْر ؟ فخلا الزّبير بابنه عبد الله ، وخلا طلحةُ بعَلْقمة بن وقّاص الليثيّ — وكان يُؤثِره على ولَده — فقال أحدهما : ائت الشأم ، وقال الآخر : ائت العِراق ، وحَاورَ كلٌّ واحد منهما صاحبَه ثم اتّفقا على البصرة .

١ / ٣١٠٤

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ،

---

(١) ابن الأثير والنويري : « ومعهم » .

عن الأغرّ ، قال: لما اجتمع إلى مكّة بنو أميّة ويَعْلَى بن مُنْية وطلحةُ والزّبير ، ائتمَرُوا أمرَهم ، وأجمعَ ملؤهم على الطلب بدَم عُثمانوقِتال السبئيّة حتى يثأروا ويَنْتقموا ؛ فأمَرَتهم عائشةُ رضى الله عنها بالخُروج إلى المدينة ، واجتَمع القومُ على البصرة وردّوها عن رأيها ، وقال لها طلحة والزّبير : إنا نأتى أرضًا قد أضيعت وصارت إلى علىّ ، وقد أجبرنا علىّ على بيْعته ، وهم محتجّون علَيْنا بذلك وتاركو أمْرنا إلاّ أن تَخْرجى فتأمُرى بمثل ما أمرت بمكة ، ثمّ ترجعى .فنادى المنادِى: إنعائشة تريدالبصرة وليس فى سمائة بعير ما تُغْنُون[١] به غوغاء وجَلَبة[٢] الأعراب وعبيداً قد انتشروا وافترشوا أذرعهم مسعدِ ين لأوّل ۳۱۰۰/۱ واعية . وبعثَتْ إلى حَفْصة ، فأرادت الخُروج ، فعزم عليها ابن عمر فأقامَتْ ؛ فخرجت عائشةُ ومعها طلحةُ والزّبير ، وأمّرَت على الصّلاة عبدَ الرّحمن ابن عتّاب بن أسيد ، فكان يُصلّى بهم فى الطريق وبالبصرة حتى قُتِل ، وخرج معها مروانُ وسائر بنى أميّة إلاّ من خَشَع ، وتَيامنت عن أوطاس ؛ وهم ستمائة راكب سوى من كانت له مطيّة ، فتركت الطّريق ليلةً وتيامنت عنها كأنهم سيّارة ونَجعَة ، مساحِلين لم يَدْنُ من المنكدر ولا واسط ولا فلْج منهم أحَدٌ ، حتّى أتوا البصرة فى عام خصيب . وتمثّلت :

دَعى بلادَ جُموع الظُّلْم إذ صلُحَت ... فيها المياهُ وسِيرى سيْرَ مذْعور
تَخَيَّرِى النَّبتَ فارْعىْ ثمَّ ظَاهِرَةً ... وبطْنَ وَادٍ من الضِّمَارِ مَمْطُورِ

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن عمر بن راشد اليمامىّ ، عن أبى كثير السُّحَيمىّ ، عن ابن عباس ، قال : خرج أصحابُ الجمل فى ستمائة ، معهم عبد الرّحمن بن أبى بَكْرة وعبد الله بن صَفْوان الجُمَحِىّ ، فلما جاوزا بِئْر مَيمون إذا هم بجَزُور قد نُحِرت ونَحْرُها ينثعب ، فتطيّروا . وأذّن مَروانُ حين فصل من مكة ثمّ جاء حتى وقف عليهما ، فقال : ۳۱۰٦/۱ أيُّكما أسلّم بالإمرة وأؤذّن بالصّلاة ؟ فقال عبد الله بن الزّبير : عَلَى أبى عبد الله ، وقال محمد بن طلحة : على أبى محمد. فأرْسلَتْ عائشةُ رضى الله

(١) ط : « تعنون » تصحيف . (٢) ط : « وجالبة » تصحيف .

عنها إلى مروان فقالت : مالَك ؟ أتريد أن تفرّق أمرَنا ! ليُصَلّ ابنُ أختى، فكان يصلّى بهم عبد الله بن الزّبير حتّى قدِم البصرة ، فكان معاذ بن عبيد الله يقول : والله لو ظفرنا لافتتَنّا ما خلّى الزّبير بين طلحة والأمر ، ولا خلّى طلحة بين الزّبير والأمر .

* * *

خروج علىّ إلى الرَّبَذَة يُريد البصرة

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : جاء عليًّا الخبرُ عن طلحة والزّبير وأمّ المؤمنين ، فأمّر على المدينة تمّام بن العباس ، وبعث إلى مكّة قُثَم بن العباس ، وخرج وهو يَرْجو أن يأخذهم بالطريق ، وأراد أن يَعْترضهم ، فاستَبان له بالرَّبَذَة أن قد فاتُوه ، وجاءه بالخَبَر عطاءُ بن رئاب مولى الحارث بن حَزْن .

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : بلغ عليًّا الخبرُ — وهو بالمدينة — باجتماعهم على الخروج إلى البصرة وبالّذى اجتمع عليه ملؤهم ؛ طلحةُ والزّبيرُ وعائشةُ ومَنْ تَبعهم ، وبلغه قولُ عائشة ، وخرَج علىٌّ يبادِرُهم فى تعبِيته الّتى كان تعبَّى بها إلى الشام ، وخرج معه من نشط من الكوفيّين والبصريّين متخفّفين فى سبعمائة رجُل ، وهو يرجو أن يُدْرِكَهم فيَحُول بينهم وبين الخروج ، فلقيَه عبد الله بن سَلام فأخذ بعِنانه ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، لا تَخْرج منها ؛ فوالله لئن خرَجْتَ منها لا ترجع إليْها ولا يعود إليها سُلطان المسلمين أبداً . فسبُّوه، فقال : دَعُوا الرّجل ؛ فنعم الرّجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ! وسار حتّى انتهى إلى الرَّبَذَة فبلغه ممَرُّهم ، فأقام حين فاتُوه يأتمر بالرَّبَذَة . ٣١٠٧/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن خالد بن مِهران البَجَلىّ ، عن مرْوان بن عبد الرحمن الحُميسىّ ، عن طارق بن شهاب ، قال : خرَجْنا من الكوفة معتمِرين حين أتانا قَتْلُ عثمانَ رضى الله عنه ، فلما انتهَيْنا إلى الرَّبَذَة — وذلك فى وجه الصّبح — إذا الرّفاق وإذا بعضهم يحدو[1]

---

(١) ط : «يلو» .

بعضًا ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : أمير المؤمنين ، فقلتُ : ما لَه ؟ قالوا : غَلَبَهُ طلحة والزّبير ، فخرج يعترض لهما ليردّهما ، فبلغَهُ أنهما قد فاتاه ، فهو يُريد أن يخرج فى آثارِهما ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! آتى عليًّا فأقاتل معه هذين الرّجلين وأمّ المؤمنين أو أخالفه ! إنّ هذا لشديد . فخرجتُ فأتَيْتُه ، فأقيمت الصّلاة بغَلَس ، فتقدّم فصلّى ، فلما انصرَفَ أتاه ابنه الحسن فجلس فقال : قد أمرتك فعصيتَنى ، فتقتل غداً بمَضيعَة[1] لا ناصر لك ، فقال علىّ : إنك لا تزال تخِنّ خنين الجارية ! وما الّذى أمرتَنى فعصيتك ؟ قال : أمَرْتُك يوم أُحيطَ بعثمان رضى الله عنه أن تَخرُج من المدينة فيُقتَل ولست بها ، ثمّ أمَرْتُك يوم قُتِل ألاّ تُبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيْعةُ كلّ مصر ، ثمّ أمرتك حين فعل هذان الرّجلان ما فعلا أن تَجلِس فى بيتك حتى يَصطَلِحوا ، فإن كان الفساد كان على يدىْ غيْرك ؛ فعصيْتَنى فى ذلك كله . قال : أىْ بُنَىّ ، أمّا قولُك : لو خرجتَ من المدينة حين أحيط بعثمان ؛ فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به . وأما قولُك : لا تُبايع حتى تأتى بَيْعةُ الأمصار ، فإنّ الأمْر أمرُ أهل المدينة ، وكَرِهْنا أن يضيع هذا الأمر . وأما قولُك حين خرج طلحةُ والزّبير ، فإنّ ذلك كان وهْنًا على أهل الإسلام ، ووَالله ما زلتُ مقهوراً مذ وليتُ ، منقوصًا لا أصِل إلى شىء مما ينبغى . وأما قولك : اجلسْ فى بيتك ، فكيف لى بما قد لزمنى ! أوَ مَن تُريدنى ؟ أتريد أن أكون مثل الضبُع التى يُحاط بها ويقال : دَبابِ دبابِ[2] ! ليست ها هنا حتى يحلّ عُرْقوباها ثم تُخرَج ؛ وإذا لم أنظرْ فيما لزمنى من هذا الأمر ويعنينى فمن ينْظر فيه ! فكفّ عنك أى بُنَىّ .

١/٣١٠٨

* * *

شراء الجمل لعائشة رضى الله عنها ، وخبرُ كلاب الحوْءب

حدّثنى إسماعيلُ بن موسى الفزارىّ ، قال : أخبرنا علىّ بن عابس الأزْرَق ، قال : حدّثنا أبو الخطّاب الهجَرىّ ، عن صفْوان بن قبيصة الأحمسىّ ، قال : حدّثنى العُرَنىّ صاحب الجَمَل ، قال : بينما أنا أسيرُ

---

(١) ط : « بمصعبة » ، وفى ابن الأثير : « بمعصية » .

(٢) دباب كقطام : دعاء الضبع للضبع ، أى دبى .

على جَمَل إذ عَرَض لى راكبٌ فقال : يا صاحبَ الجمل ، تبيعُ جملَك ؟ ١/٣١٠٩
قلت : نعم ، قال : بكم ؟ قلتُ : بألف درهم ، قال : مَجنون أنت ! جَمَلٌ
يُباع بألف درهم ! قال : قلت : نعم ، جملى هذا ، قال : ومِمّ ذلك ؟
قلت : ما طلبتُ عليه أحدا قَطّ إلاّ أدركته ، ولا طَلَبنى وأنا عليه أحدٌ إلا
فُتّه . قال : لو تَعلم لمن نُريده لأحْسَنْتَ بيعنا ، قال : قلت : ولمن
تريده ؟ قال : لأمّك ، قلتُ : لقد تركتُ أمى فى بيتها قاعِدةً ما تريد بَراحا ،
قال : إنما أريدُه لأمّ المؤمنين عائشة ، قلت : فهو لك ، فخُذْه بغَيْر ثمن ،
قال : لا ، ولكن ارجع معنا إلى الرّحل فَلْنُعْطِك ناقةً مَهريّة ونزيدُك
دراهِمَ ، قال : فرجعْتُ فأعطونى ناقةً لها مَهرِيّة ، وزادونى أربعمائة أو ستمائة
درهم ، فقال لى : يا أخا عُرَيْنة ، هل لك دَلالة بالطريق ؟ قال : قلت :
نعم ، أنا من أدْرك الناس ، قال : فسِرْ معنا ، فسِرْتُ معهم فلا أمرّ على
واد ولا ماء إلاّ سألونى عنه ؛ حتى طرقْنا ماء الحَوْءب فنبحتْنا كلابُها ،
قالوا : أىّ ماء هذا ؟ قلتُ : ماء الحوْءب ، قال : فصرخت عائشةُ بأعلَى
صوتها ، ثم ضربت عَضُد بعيرها فأناخَتْه ، ثم قالت : أنا والله صاحِبةُ كلاب
الحوْءب طرُوقاً ، رُدُّونى ! تقول ذلك ثلاثًا . فأناخَتْ وأناخوا حَوْلَها وهم
على ذلك ، وهى تأبى حتى كانت الساعة التى أناخوا فيها من الغَد . قال : فجاءها
ابن الزّبير فقال : النّجاء النّجاء ، فقد أدْركَكُم والله علىّ بن أبى طالب ! قال :
فارتَحلوا وشَتَمونى ، فانصرفْتُ ، فما سِرْت إلاّ قليلاً وإذا أنا بعلىّ ورَكْب
معه نحو من ثلثمائة ، فقال لى علىّ : يأيُّها الراكب ! فأتيْتُه فقال : أين أتيت ١/٣١١٠
الظّعينة ؟ قلت : فى مكان كذا وكذا ، وهذه ناقتها ، وبعتُهم جَمَلى ،
قال : وقد رَكِبَتْه ؟ قلت : نعم ؛ وسِرْتُ معهم حتى أتينا ماء الحَوْءب
فنبحَتْ عليها كلابها ، فقالت كذا وكذا ، فلما رأيتُ اختلاط أمْرِهم انفتلْتُ
وارتَحلُوا ؛ فقال علىّ : هل لك دلالة بذى قار ؟ قلت : لَعلّى أدَلّ الناس ،
قال : فَسِر معنا ؛ فسِرْنا حتى نزلنا ذا قار ، فأمر علىّ بن أبى طالب
بجُوالقين فضمّ أحدَهما إلى صاحبه ، ثم جىء برحْل فوضع عليهما ، ثم جاء
يمشى حتى صعد عليه ، وسدَل رجليه من جانبٍ واحدٍ ، ثمّ حمِد الله وأثنى

عليه، وصلّى على محمّد صلى الله عليه وسلم، ثم قال: قد رأيتم ما صنع هؤلاء القَوْمُ وهذه المرأة. فقام إليه الحسنُ فبكى، فقال له عليٌّ: قد جئتَ تخنٌّ خنين الجارية! فقال: أجَلْ، أمرتُك فعصيتَنى، فأنت اليوم تقتل بمضيعة[1] لا ناصِرَ لك، قال: حَدِّث القوْم بما أمرتَنى به، قال: أمرتُك حينَ سار الناس إلى عثمان ألاّ تبسط يدك ببَيْعة حتى تجول جائلةُ العرب، فإنهم لن يقطعوا أمراً دونك، فأبيتَ علَىّ، وأمرتُك حين سارت هذه المرأة وصَنَع هؤلاء القَوْم ماصنَعُوا أن تلزم المدينةَ وترسل إلى من استَجاب لك من شيعتك، قال عليٌّ: صدق والله، ولكنْ والله يا بنيّ ما كنتُ لأكون كالضّبُع تستمع لِلّدْم، إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قُبِض وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منى، فبايع الناس أبا بكر، فبايَعْتُ كما بايعوا، ثم إن أبا بكر رضى الله عنه هلك وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منى، فبايع الناس عُمرَ بن الخطاب، فبايَعْتُ كما بايعوا، ثمّ إنّ عمر رضى الله عنه هلك وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّى، فجعلنى سهماً من ستّة أسهم، فبايع الناس عثمانَ فبايعتُ كما بايعوا، ثم سار الناس إلى عثمان رضى الله عنه فقتَلُوه، ثم أتونى فبايعونى طائعين غير مكرَهين، فأنا مُقاتِلٌ مَن خالَفنى بمن اتّبعنى حتى يحكم الله بينى وبينهم وهو خيْر الحاكمين.

٣١١١/١

* * *

قَوْلُ عائشة رضى الله عنها: والله لأطلبنّ
بدم عُثمان وخروجُها وطلحة والزّبير فيمن تبعهم إلى البصرة

كتب إلىّ علىّ بن أحمد بن الحسن العجلىّ أن الحسين بن نصر العطار، قال: حدّثنا أبى نصر بن مُزاحم العطار، قال: حدّثنا سيف بن عمر، عن محمد بن نُويرة وطلحة بن الأعلم الحنفىّ. قال: وحدّثنا عمر بن سعد، عن أسد بن عبد الله، عمّن أدرك من أهل العِلْم؛ أنّ عائشة رضى الله عنها لما انتَهتْ إلى سَرِف راجعة فى طريقها إلى مكة، لقيها عبد بن أمّ كلاب — وهو

---

(١) مضيعة، أى بدار ضياع.

عبد بن أبي سلمة ، ينسب إلى أمه — فقالت له : مَهْيَم ؟ قال : قتلوا عثمان رضى الله عنه ، فمكثوا ثمانياً ؛ قالت : ثم صنعوا ماذا ؟ قال : أخذَها أهل المدينة بالاجتماع ، فجازت بهم الأمور إلى خيْر مجاز ؛ اجتمعوا على علىّ بن أبي طالب . فقالت : والله ليت أنّ هذه انطبقت على هذه إن تمّ الأمرُ لصاحبك ! رُدّونى ردّونى ، فانصرَفتْ إلى مكّة وهى تقول: قُتِل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبنّ بدَمه ، فقال لها ابن أمّ كلاب : ولِمَ ؟ فوالله إنّ أوّل من أمالَ حرفه لأنت ! ولقد كُنْتِ تقولين : اقتلوا نعْثلا فقد كفر ؛ قالت: إنهم استتَابوه ثم قتَلُوه، وقد قلت وقالوا، وقولى الأخير خيرٌ من قولى الأوّل ؛ فقال لها ابن أمّ كلاب :

٣١١٢/١

فَمِنكِ البَداء ومِنكِ الغِيَرْ ... ومنكِ الرِّياحُ ومنكِ المَطَرْ
وأنْتِ أمَرْتِ بقَتْل الإمام ... وقُلْتِ لنا إنّه قد كفَرْ
فَهبْنا أطَعناكِ فى قَتْلِه ... وقاتِلُهُ عِندنا مَن أمَرْ
ولَمْ يَسْقُطِ السقْفُ مِن فَوْقِنا ... ولَمْ تَنْكَسِفْ شَمْسُنَا والقمَرْ
وقَدْ بايَعَ النَّاسُ ذا تُدْرَإ[1] ... يُزِيلُ الشَّبا ويُقيمُ الصَّعَرْ
ويَلْبَسُ للحَرْبِ أثوابَها ... وما مَنْ وَفى مِثْلُ مَنْ قد غدَرْ

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحِجْر ، فستّرت واجتمع إليها الناس ، فقالت: يأيّها الناس ، إنّ عثمان قُتِل مظلوماً ، والله لأطلبنّ بدَمه .

كتب إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : كان علىٌّ فى همّ مَنْ توجه القوم لا يدرى إلى أين يأخذون! وكان أن يأتوا البصرةَ أحبَّ إليه . فلما تيقّن أنّ القوم يعارِضون طريقَ البصرة سُرّ بذلك ، وقال : الكوفة فيها رجالُ العرب وبُيوتاتهم ، فقال له ابن عباس : إنّ الذى يسرّك[2] من ذلك ليسوؤنى ، إنّ الكوفة فُسْطاطٌ فيه أعلام من أعلام العرب ، ولا يحملهم

٣١١٣/١

(١) ذو تدرأ ؛ أى ذوعدة وقوة .
(٢) ابن الأثير والنويرى : « سرك » .

عِدّة القوم، ولا يزال فيهم من يسمو إلى أمرٍ لا ينالُه؛ فإذا كان كذلك شغب عليّ الذى قد نال حتى يفثأه فيفسد بعضهم على بعض. فقال عليّ: إن الأمر ليشبه ما تقول، ولكنّ الأُثْرة لأهْل الطاعة والْحقُ بأحسنهم سابقةً وقُدْمة، فإن استووا أعفيناهم واجتبرناهم، فإن أقْنعهم ذلك كان خيراً لهم، وإن لم يقنعهم كلّفونا إقامتهم وكان شرًّا على من هو شرّ له. فقال ابن عباس: إن ذلك لأمرٌ لا يدرك إلّا بالقنوع.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: لمّا اجتمع الرّأى من طلحة والزّبير وأمّ المؤمنين ومَن بمكة من المسلمين على السّير إلى البصرة والانتصار من قَتَلَة عثمان رضى الله عنه، خرج الزّبير وطلحة حتى لقيا ابن عمر ودعَوَاه إلى الخفُوف(١)، فقال: إنى امرؤٌ من أهل المدينة، فإن يجتمعوا على النهوض أنهض، وإن يجتمعوا على القُعود أقعد، فتركاه ورجعا.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سَيْف، عن سعيد بن عبد الله، عن ابن أبى مُلَيكة، قال: جمع الزّبير بَنيه حين أراد الرّحيل، فودّع بعضَهم وأخرج بَعْضَهم، وأخرج ابنَىْ أسماء جميعًا، فقال: يا فلان أقِمْ، ياعمرو أقم. فلما رأى ذلك عبد الله بن الزّبير، قال: يا عُرْوة أقم، ويامُنْذر أقِمْ، فقال الزّبير: وَيْحك! أستصحب ابنيّ وأستمتع منهما، فقال: إن خرجتَ بهم جميعًا فاخرجْ، وإن خلّفت منهم أحداً فخلّفهْما ولا تُعرّض أسماء للثُّكْل من بين نسائك. فبكَى وتركَهُما، فخرجُوا حتى إذا انتهوا إلى جِبال أوطاس تيامَنُوا وسلكوا طريقًا نحو البصرة، وتركوا طريقها يساراً، حتى إذا دنَوْا منها فدخلوها ركبوا المنكدِر. ١/٣١١٤

كتب إليّ السريّ، عن شُعيب، عن سَيْف، عن ابن الشّهيد، عن ابن أبى مُلَيكة، قال: خرجَ الزّبير وطلحة ففصَلا، ثمّ خرجَتْ عائشةُ فتَبِعها أمّهاتُ المؤمنين إلى ذات عِرْق، فلم يُرَ يومٌ كان أكثر باكيًا على الإسلام أو باكيًا له من ذلك اليوم، كان يُسَمّى يوم النَّحيب. وأمَّرَتْ

---

(١) الخفوف: الخفة معهم وإعانتهم على ما يريدون.

عبدَ الرحمن بن عتّاب ، فكان يصلّى بالناس ، وكان عَدْلاً بينهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن يزيد بن معن السُّلَمىّ ، قال : لما تيامَنَ عسكرها عن أوطاس أتَوْا على مُليح بن عوف السّلمىّ ، وهو مطّلع ما له ، فسلّم على الزبير ، وقال : يا أبا عبد الله ، ما هذا ؟ قال : عُدِىَ على أمير المؤمنين رضى الله عنه فقُتل بلا تِرَة ولا عذر ، قال : ومَن ؟ قال : الغوغاءُ من الأمصار ونزّاع القبائل ، وظاهَرَهم الأعراب والعبيد ، قال : فتُريدون ماذا ؟ قال : نُنْهِض الناس فيدرَك بهذا الدّم لئلاّ يُبْطَل ، فإن فى إبطاله توهينَ سُلطان الله بَيْنَنا أبداً ؛ إذا لم يُفطَم الناس عن أمثالها لم يبق إمامٌ إلاّ قتله هذا الضّرب ، قال : والله إنّ تَرْك هذا لَشديد ، ولا تدرون إلى أين ذلك يسير ! فودّع كلّ واحد منهما صاحبَه ، وافترقا ومضى الناس . ٣١١٥/١

* * *

دخولهم البصرة والحربُ بينهم و بين عثمان بن حُنَيف

كتب إلىّ السرىّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : ومضى الناس حتى إذا عاجوا عن الطريق وكانوا بفناء البصرة ، لقيَهم عُمَير ابن عبد الله التميمىّ ، فقال : يا أمّ المؤمنين ، أنشدك بالله أن تقدَمى اليوم على قوم تُراسلى منهم أحداً فيكفيكَهم ! فقالت : جئتَنى بالرأى ، امرؤٌ صالح ، قال : فعجّلى ابن عامر فليدخل ، فإنّ له صنائع فَلْيذهب إلى صنائعه فليَلْقَوا الناس حتى تقدمى ويسمعوا ما جئتم فيه . فأرسلَتْه فاندَسّ إلى البصرة ، فأتى القومَ . وكتبَتْ عائشة رضى الله عنها إلى رجال من أهل البصرة ، وكتبت إلى الأحنف بن قيس وصَبْرة بن شَيْمان وأمثالهم من الوُجوه ، ومضت حتى إذا كانت بالحُفَيْر انتظرت الجوابَ بالخبر ؛ ولما بلغ ذلك أهلَ البصرة دعا عثمان بن حُنَيف عمران بن حُصَيْن — وكان رجلَ عامّة — وألزّه[1] بأبى الأسود الدؤلىّ — وكان رجل خاصّة — فقال : انطلقا إلى هذه المرأة فاعلَما علمها وعلم من معها ، فخرجا فانتهيا إليها وإلى الناس وهم بالحُفَير ، فاستأذَنا

---

(١) ألزّه : ألصقه .

١/٣١١٦ فأذنتْ لهما، فسلّما وقالا : إنّ أميرَنا بعثنا إليك نسألك عن مَسيرك، فهل أنت مخبرتنا ؟ فقالت : والله ما مثلى يَسير بالأمْر المكتوم ولا يغطّى لبنيه الخبر . إنّ الغوغاءَ من أهل الأمصار ونزّاع القبائل غزوْا حرَم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدَثوا فيه الأحْداث، وآوَوْا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لَعْنة الله ولعنة رسوله، مع ما نالوا من قَتْل إمام المسلمين بلا تِرَة ولا عُذْر، فاستحلّوا الدّمَ الحرام فسفكوه، وانتهبوا المالَ الحرام، وأحلّوا البلدَ الحرام، والشهر الحرام، ومزّقوا الأعْراض والجلُود، وأقاموا فى دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارِّين مضِرِّين، غير نافِعين ولا متّقين ؛ لا يقدرون على امتناع ولا يأمَنون، فخرجْتُ فى المسلمين أعْلمهم ما أتى هؤلاء القَوْمُ وما فيه الناس وراءَنا، وما ينبغى لهم أن يأتوا فى إصلاح هذا . وقرأتْ : ﴿ لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ . ننهض فى الإصلاح ممن أمر الله عزّ وجلّ وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ الصغير والكبير والذّكر والأنثى ، فهذا شأننا إلى معروفٍ نأمركم به، ونحضّكم عليه، ومنكر ننْهاكم عنه، ونحثّكم على تغييره .

كتب إلىّ السّرىّ عن شُعيب، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : فخرج أبو الأسود وعمران من عندها فأتيا طَلْحة فقالا : ما أقْدَمك ؟ قال : الطلب بدم عثمان ، قالا : ألم تُبايِعْ عليًّا ؟ قال : بلى ، واللُّجّ على عنقى ، وما أستقيل عليًّا إن هو لم يحُلْ بيننا وبين قَتَلَة عثمان ، ثمّ أتيا ١/٣١١٧ الزّبير فقالا : ما أقدمك ؟ قال : الطلب بدَم عثْمان ، قالا : ألم تُبايِعْ عليًّا ؟ قال : بلى ، واللجّ على عُنُقى ، وما أستقيل عليًّا إن هو لم يحل بيننا وبين قَتلة عثمان . فرجَعا إلى أمّ المؤمنين فودّعاها فودّعت عمران، وقالت : يا أبا الأسود إيّاك أن يقودَك الهوى إلى النار، ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ... ﴾ الآية . فسرّحَتْهما ؛ ونادى مُناديها بالرّحيل ، ومضى الرجلان حتى دَخلا على عثمان بن حُنَيْف ، فبدر أبو الأسود عمران فقال :

يَا بْنَ حُنَيْفٍ قد أتيتَ فانفِرِ وطاعِنِ القَوْمَ وجالدْ واصْبِرِ
* وابْرُزْ لَهَمْ مُسْتَلئماً وشَمِّرِ *

فقال عثمان : إنا لله وإنا إليه راجعون ! دارت رَحا الإسلام وربِّ الكعبة ، فانظروا بأىّ زَيَفان تزيف! فقال عمران : إى والله لتعرُكنّكم عركًا طويلاً ثم لا يساوى ما بقِىَ منكم كثير شىء ؛ قال : فأشرْ علىّ يا عمران، قال : إنى قاعد فاقعد، فقال عثمان : بل أمنعُهم حتى يأتىَ أمير المؤمنين علىّ ، قال عمران : بل يحكم الله ما يريد ، فانصرف إلى بيته، وقام عثمان فى أمْره، فأتاه هِشام بن عامر فقال : يا عثمان، إنّ هذا الأمر الذى تروم يُسلم إلى شرٍّ مما تكره ، إنّ هذا فَتْقٌ لا يُرتَق ، وصَدْع لا يُجبر ، فسامحْهم حتى يأتىَ أمرُ علىّ ولا تحادّهم ، فأبَى ونادى عثمان فى الناس وأمَرهم بالتّهيُّؤ، ولبسوا السِّلاح ،واجتمعوا إلى المسجد الجامع ، وأقبلَ عُثمان على الكَيْد فكاد الناسَ لينظر ما عندهم ، وأمرهم بالتهيُّؤ ، وأمر رجلاً ودسَّه إلى الناس خَدِعًا كوفيًّا قيسيًّا ، فقام فقال: يأيّها الناس، أنا قيس بن العَقَدِيّة الحُمَيْسِىّ ، إنّ هؤلاء القوم الذين جاءوكم إن كانوا جاءوكم خائِفين فقد جاءوا من المكان الذى يأمَن فيه الطير ، وإن كانوا جاءوا يطلبون بدَم عثمان رضى الله عنه فما نحن بقَتَلَة عثمان . أطيعونى فى هؤلاء القَوْم فردّوهم من حيث جاءوا . فقام الأسود ابن سريع السعدىّ ، فقال : أوَ زعموا أنّا قتلة عثمان رضى الله عنه ! فإنما فزعوا إلينا يَسْتعينون بنا على قَتَلة عثمان منا ومن غيرنا ، فإن كان القوم أخرِجوا من ديارهم كما زعمت ، فمن يمنعهم من إخراجهم الرجال أو البُلْدان ! فحصبه الناس ، فعرف عثمان أنّ لهم بالبصرة ناصراً ممن يقوم معهم، فكسره ذلك. وأقبلت عائشة رضى الله عنها فيمن معَها ، حتى إذا انتهوا إلى المِرْبد ودخلوا من أعْلاه أمسكوا ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه ، وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يخرج إليها ويكونُ معَها ، فاجتمعوا بالمِرْبد وجعلوا يثوبون حتى غصّ بالناس .

١/٣١١٨

فتكلّم طلحةُ وهو فى ميمنة المربد ومعه الزّبير وعثمان فى ميسرته، فأنصتوا

له ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر عثمان رضى الله عنه وفضله والبلدَ وما استحلّ
٣١١٩/١ منه ، وعظّم ما أُتِيَ إليه ، ودعا إلى الطلب بدَمه ، وقال : إنّ فى ذلك إعزازَ دين الله عزّ وجلّ وسلطانه ، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم فإنه حدٌّ من حُدود الله ، وإنكم إن فعلتم أصبتم وعادَ أمركم إليكم ، وإن تركتُم لم يقُم لكم سلطانٌ ، ولم يكن لكم نظام .

فتكلم الزّبير بمثل ذلك . فقال مَن فى ميمنة المِرْبد : صَدَقا وبرّا ، وقالا الحق ، وأمرَا بالحقّ . وقال مَن فى ميسرته : فَجَرَا وغَدَرا ، وقالا الباطل ، وأمرا به ، قد بايعا ثم جاءا يقولان ما يقولان ! وتحاثَى[1] الناس وتحاصَبُوا وأرهجوا . فتكلّمت عائشةُ — وكانت جهوريّة يعلو صوتها كثرة كأنّه صوت امرأة جليلة — فحمِدت الله جلّ وعزّ وأثنت عليه ، وقالت : كان الناس يتجنّوْن على عثمان رضى الله عنه ويُزْرُون على عمّاله ويأتونَنا بالمدينة فيَستَشيرونَنا فيما يخبروننا عنهم ، ويروْن حسنًا من كلامنا فى صلاح بينهم ، فننظر فى ذلك فنَجده بريًّا تقيًّا وفيًّا ونجدهم فجرَةً كذبَةً يحاولون غير ما يظهرون . فلما قوُوا على المُكاثرة كاثروه فاقتحموا عليه دارَه ، واستحلوا الدّمَ الحرامَ ، والمال الحرامَ ، والبلد الحرامَ ، بلا تِرةٍ ولا عُذْر ، ألا إن مما ينبغى لا ينبغى لكم غيره ، أخْذ قتلة عثمان رضى الله عنه وإقامة كتاب الله عزّ وجلّ :
٣١٢٠/١ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾[2] .

فافترق أصحابُ عثمان ابن حنيف فِرْقتَيْن ، فقالت فرقة : صدَقَتْ والله وبرّت ؛ وجاءت والله بالمعروف ؛ وقال الآخرون : كذبتم والله ما نعرف ما تقولون ، فتحاثَوْا وتحاصَبوا وأرْهجوا ، فلما رأت ذلك عائشةُ انحدرت وانحدر أهل المَيْمنَة مفارقين لعثمان حتى وقفوا فى المِرْبد فى موضع الدّباغين ، وبقىَ أصحابُ عثمان على حالهم يتدافعون حتى تحاجزوا ، ومال بعضُهم إلى عائشة ، وبقى بعضُهم مع عثمان على فم السكة . وأتى عثمانُ

(١) النويرى : « وتحاثا » . والحثى كالرمى : ما رفعت به يدك . (٢) سورة آل عمران ٢٣ .

ابن حُنَيف فيمن معه، حتى إذا كانوا على فَم السكة، سكة المسجد عن يمين الدّباغين استقبلوا الناس فأخذوا عليهم بفمها .

* * *

وفيما ذكر نَصْر بن مُزاحم، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم ابن محمد، قال : وأقبل جارية بن قُدامة السّعدىّ، فقال: يا أمّ المؤمنين؛ والله لَقتلُ عثمان بن عفان أهونُ من خُروجكِ من بيتكِ على هذا الجَمل الملعون عُرْضةً للسلاح ! إنه قد كان لك من الله سِتْرٌ وحرمة، فهتكْتِ سِتْرَك وأبحتِ حُرْمتَك، إنه مَن رأى قتالك فإنه يرى قَتْلَكِ، وإن كنتِ أتَيْتِنا طائعةً فارجعى إلى منزلك، وإن كنت أتيتِنا مستكرهةً فاستعينى بالناس . قال : فخرج غلامٌ شابٌّ من بنى سعد إلى طلحة والزّبير، فقال : أمّا أنت يا زُبير فحوارىُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمّا أنت يا طلحة فوقَيْت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدك، وأرى أمّكما معكما فهل جئتما بنسائكما ؟ قالا : لا، قال : فما أنا منكما فى شىء، واعتزل . وقال السعدىّ فى ذلك : ٣١٢١/١

صُنْتم حلائلَكُمْ وقُدْتُمْ أمّكُمْ هذا لَعَمرُكَ قِلَّةُ الإنْصافِ
أُمِرَتْ بجَرِّ ذيولها فى بيتها فَهَوَتْ تشُقُّ البِيدَ بالإيجاف
غَرَضاً يُقاتلُ دونَها أبْناؤُها بالنَّبْلِ والخَطّىِّ والأسياف
هُتِكَتْ بطَلْحَةَ والزُّبَيْرِ سُتورُها هذا المُخْبِرُ عنْهمُ والكافى

وأقبل غلامٌ من جُهينة على محمد بن طلحة — وكان محمد رجلا عابداً — فقال : أخبِرْنى عن قَتَلَة عثمان ! فقال: نعم، دمُ عثمان ثلاثة أثلاث، ثلثٌ على صاحبة الهوْدَج — يعنى عائشة — وثلثٌ على صاحب الجمل الأحمر — يعنى طلحة — وثلثٌ على علىّ بن أبى طالب ؛ وضحك الغلام وقال : ألا أرانى على ضلال ! ولحق بعلىّ، وقال فى ذلك شعراً :

سَألْتُ ابْنَ طَلْحةَ عنْ هالِكٍ بجوْفِ المَدِينةِ لَمْ يُقبَرِ
فقال ثلاثة رَهْطٍ هُمُ أماتوا ابنَ عفَّان واسْتُعْبِرِ
فثلْثٌ على تلكَ فى خِدْرِها وثلْثٌ على راكبِ الأحْمَرِ

وثُلْثٌ على ابنِ أبى طالبٍ ونَحْـــــنُ بدَوِّيَّةٍ قَرْقَرِ
فقلْتُ صَدَقْتَ على الأوَّلَيْنِ وأخْطَأْتَ فى الثالثِ الأزْهرِ

* * *

٣١٢٢/١ رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة . قال : فخرج أبو الأسود وعمران وأقبلَ حُكَيْم بن جَبَلَة ؛ وقد خرج وهو على الخيل ، فأنشب القتال ، وأشرع أصحابُ عائشة رضى الله عنها رماحَهم وأمسكوا ليُمسكوا فلم يَنْتَهِ ولم يُثْنَ ، فقاتلهم وأصحاب عائشة كافّون إلاّ ما دافَعُوا عن أنفسهم ، وحُكَيْم يذمُر خيله ويركبهم بها ، ويقول : إنها قريش ليُرْدِيَنَّها جُبْنُها والطَّيش ، واقتتلوا على فم السكة ، وأشرفَ أهل الدور ممن كان له فى واحد من الفريقين هوًى ، فرموا باقى الآخرين بالحجارة ، وأمرت عائشةُ أصحابها فتيامنوا حتى انتهوْا إلى مقبرة بنى مازن ، فوقفوا بها مليًّا ، وثار إليهم الناس ، فحجز الليل بينهم . فرجع عثمان إلى القصر ، ورجع الناس إلى قبائلهم ، وجاء أبو الجَرْباء ؛ أحدُ بنى عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم إلى عائشة وطلحة والزّبير ، فأشار عليهم بأمثل من مكانهم فاستنصحوه وتابعوا رَأيْه ، فساروا من مقبرة بنى مازن فأخذوا على مُسَنَّاة البصرة من قِبَل الجبَّانة حتى

٣١٢٣/١ انتهوْا إلى الزّابوقة ، ثم أتوا مقبرة بنى حِصْن وهى متنحّية إلى دار الرّزق ، فباتوا يتأهّبون ، وبات الناس يسيرون إليهم ، وأصبحوا وهم على رِجْل فى ساحةِ دار الرّق ، وأصبح عثمان بن حُنَيف فغاداهم ، وغدا حُكَيْم بن جَبَلة وهو يُبَرْبر وفى يده الرّمح ، فقال له رجل من عبد القيس : مَن هذا الذى تسبّ وتقول له ما أسمع ؟ قال : عائشة ، قال : يابن الخبيثة ، ألأمّ المؤمنين تقول هذا ! فوضع حُكَيم السِّنان بين ثدييه فقتله . ثمّ مرّ بامرأة وهو يسبُّها — يعنى عائشة — فقالت : مَنْ هذا الذّى ألجأك إلى هذا ؟ قال : عائشة ، قالت : يابن الخبيثة ، ألأمّ المؤمنين تقول هذا ! فطعنها بين ثدييها فقتلها . ثمّ سار ، فلما اجتمعوا واقفوهم ، فاقتتلوا بدار الرّزق قتالاً شديداً من حين بزغت الشمس إلى أن زال النهار وقد كثُر القَتْلى فى أصحاب ابن حُنَيف وفشت الجراحة فى الفريقين ، ومنادى عائشة يُناشدهم ويدعوهم

إلى الكفّ فيأبوْن ، حتى إذا مسّهم الشرّ وعضّهم[١] نادوْا أصحابَ عائشة إلى الصّلح والمتّات[٢] . فأجابوهم وتواعدوا[٣] ، وكتبوا بينهم كتابًا على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة ؛ وحتّى يرجع الرّسول من المدينة ، فإن كانا أكْرِها خرج عثمان عنهما وأخلى لهما البصرة ، وإن لم يكونا أكْرِها خرج طلحة والزّبير :

١/٣١٢٤ بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اصطلح عليه طلحة والزّبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين ، وعثمان بن حُنَيف ومَنْ معه من المؤمنين والمسلمين . إنّ عثمان يقيم حيث أدركه الصّلح على ما فى يده ، وإنّ طلحة والزّبير يُقيمان حيث أدركهما الصّلح على ما فى أيديهما ، حتّى يرجع أمينُ الفريقين ورسولُهم كعب بن سُور من المدينة . ولا يضارّ واحدٌ من الفريقين الآخرَ فى مسجد ولا سوق ولا طريق ولا فُرْضة، بينهم عيْبة مفتوحة حتّى يرجع كعب بالخبر ؛ فإن رجع بأنّ القوم أكرهوا طلحةَ والزّبير فالأمر أمرُهما ، وإن شاء عثمان خرج حتّى يلحق بطيّته، وإن شاء دخل معهما ؛ وإن رجع بأنّهما لم يكرَها فالأمرُ أمر عثمان، فإن شاء طلحة والزّبير أقاما على طاعة علىّ وإن شاءا خرجا حتّى يلحقا بطيّتهما ؛ والمؤمنون أعوانُ الفالح منهما .

فخرَجَ كعبٌ حتّى يقدَم المدينةَ ، فاجتمع الناس لقدومه، وكان قدومه يوم جمعة ، فقام كعب فقال: يا أهلَ المدينة، إنى رسول أهل البصرة إليكم؛ أأكرَهَ هؤلاء القومُ هذين الرّجلين على بيعة علىّ، أم أتياها طائعيْن؟ فلم يجبْه أحدٌ من القوم إلاّ ما كان من أسامة بن زَيْد، فإنه قام فقال: اللهم إنهما[٤] لم يُبايعا إلاّ وهما كارِهان. فأمر به تمّام، فواثبه سهل بن حُنَيف والناس، وثار صُهيب بن سِنان وأبو أيّوب بن زيد ، فى عدّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيهم محمد بن مسلمة، حين خافوا أن يُقتَل أسامة، فقال:

١/٣١٢٥ اللهم نعم ؛ فانفرِجُوا عن الرّجل ؛ فانفرجوا عنه ، وأخذ صهيب بيده حتى أخرجه فأدخله منزلَه ، وقال : قد علمت أن أمّ عامر حامِقة، أما وَسعك

---

(١) ابن الأثير : « وعضتهم الحرب » . (٢) المتات : التوصل بالقربى .
(٣) ابن الأثير : « وتوادعوا » ، النويرى : « وتداعوا » .
(٤) ط : « إنهم » .

ما وسعنا من السكوت ! قال : لاَ والله ، ما كنت أرى أن الأمر يترامى إلى ما رأيت ، وقد أبسلَنا[1] لعظيم . فرجع كعبٌ وقد اعتدّ طلحة والزّبير فيما بين ذلك بأشياء كلها كانت مما يعتدّ به ، منها أنّ محمد بن طلحة — وكان صاحب صلاة — قام مقامًا قريبًا من عثمان بن حُنَيْف ، فخشي بعضُ الزُّطّ والسيابجة أن يكون جاء لغير ما جاء له ، فنحّياه ، فبعثا إلى عثمان ، هذه واحدةٌ . وبلغ عليًّا الخبرُ الذى كان بالمدينة من ذلك ، فبادر بالكتاب إلى عثمان يعجّزه ويقول : والله ما أكرِها إلا كرْهًا على فرقة ، ولقد أكرِها على جماعة وفضل ، فإن كانا يريدان الخلع فلا عذرَ لهما ، وإن كانا يريدان غير ذلك نظَرْنا ونظرا . فقدِم الكتابُ على عثمان بن حُنيف ، وقدم كعبٌ فأرسلوا إلى عثمان أن اخرج عنا ، فاحتجّ عثمان بالكتاب وقال : هذا أمرٌ آخر غير ما كنا فيه ؛ فجمع طلحة والزّبير الرّجالَ فى ليلة مظلمة باردة ذات رياح وندًى ، ثمّ قصدا المسجدَ فوافقا صلاةَ العشاء — وكانوا يؤخّرونها — فأبطأ عثمانُ بن حُنيف فقدّما عبد الرّحمن بن عتاب ، فشهر الزُّطُّ والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم ، ٣١٢٦/١ فأقبلوا عليهم فاقتتلوا فى المسجد وصبروا لهم ، فأناموهم وهم أربعون ، وأدخلوا الرّجال على عثمان ليخرجوه إليهما ، فلما وصل إليهما توطّؤوه وما بقيت فى وجهه شعرة ، فاستعظما ذلك ، وأرسلا إلى عائشة بالذى كان ، واستطلعا رأيها ، فأرسلت إليهما أن خلّوا سبيلَه فليذهب حيث شاءَ ولا تحبسوه ، فأخرجوا الحرَس الذين كانوا مع عثمان فى القصر ودخلوه ، وقد كانوا يعتقبون حرسَ عثمان فى كلّ يوم وفى كلّ ليلة أربعون ، فصلّى عبد الرحمن بن عتاب بالناس العشاءَ والفجرَ ، وكان الرّسول فيما بين عائشة وطلحة والزّبير هو ، أتاها بالخبر ، وهو رجع إليهما بالجواب ، فكان رسول القوم .

حدّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن عن أبى مِخنف ، عن يوسف بن يزيد ، عن سهل بن سعد ، قال : لما أخذوا عثمان بن حُنيف أرسلوا أبانَ بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها فى أمره ، قالت : اقتلوه ، فقالت لها امرأة : نشدتُك بالله يا أمّ المؤمنين فى عثمان وصحبته لرسول الله صلى الله

(١) يقال : أبسلت فلانًا ؛ إذا أسلمته للهلكة .

عليه وسلم ! قالت : ردّوا أباناً ، فردّوه ، فقالت : احبسوه ولا تقتلوه ، قال : لو علمتُ أنّكِ تدعينى لهذا لم أرجع ، فقال لهم مجاشع بن مسعود : اضربوه وانتفوا شعرَ لحيته ، فضربوه أربعينَ سوطًا، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه .

* * *

حدّثنى أحمد بن زُهير ، قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنى وهب بن جرير بن حازم ، قال: سمعتُ يونس بن يزيد الأيْلىّ ، عن الزهرىّ ، قال : بلغنى أنه لما بلغ طلحة والزّبير منزل علىّ بذى قار انصرفوا إلى البصرة ، فأخذوا على المنْكَدِر ، فسمعَتْ عائشة رضى الله عنها نُباح الكلاب ، فقالت: أىّ ماء هذا ؟ فقالوا : الحَوْءب ، فقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! إنى لهيَهْ ، قد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ وعنده نساؤه : «ليتَ شِعْرى أيّتكنّ تنبحها كلاب الحوْءب! ». فأرادت الرّجوعَ ، فأتاها عبد الله بن الزّبير فزعم أنه قال: كَذَب من قال إنّ هذا الحوءب . ولم يزل حتى مضت ، فقدِموا البصرة وعليها عثمان بن حُنيف ، فقال لهم عثمان : ما نقَمتم على صاحبكم ؟ فقالوا : لم نرَه أوْلى بها منّا ، وقد صنع ما صنع ، قال : فإنّ الرجل أمّرنى فأكتب إليه فأعلمه ما جئتم له، على أن أصلّىَ بالناس حتى يأتيَنا كتابُه ، فوقفُوا عليه وكتب ، فلم يلبث إلاّ يومين حتى وثبوا عليه فقاتلوه بالزّابوقة عند مدينة الرِّزق، فظهروا، وأخذوا عثمان فأرادوا قتْله، ثم خشُوا غضب الأنصار ، فنالوه فى شعره وجَسده . فقام طلحةُ والزّبير خطيبين فقالا : يا أهل البصرة ، توبة بحوْبة ، إنما أردنا أن يستعتب أميرُ المؤمنين عثمانَ ولم نرد قتله ، فغلب سُفهاء الناس الحلماءَ حتى قتلوه . فقال الناس لطلحة: يا أبا محمد، قد كانت كُتبك تأتينا بغير هذا ، فقال الزبير : فهل جاءكم منى كتاب فى شأنه ؟ ثمّ ذكر قتلَ عثمان رضى الله عنه وما أتى إليه ، وأظهر عيب علىّ . فقام إليه رجلٌ من عبد القيس فقال: أيّها الرّجل، أنصت حتى نتكلّم، فقال عبد الله بن الزبير : ومَالك وللكلام ! فقال العبدىّ : يا معشر المهاجرين ، أنتم أوّل من أجاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فكان لكم بذلك فضل، ثم دخل الناس فى الإسلام كما دخلتم، فلما توفّىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعتم رجلاً منكم،

٣١٢٧/١
٣١٢٨/١

والله ما استأمرتمونا فى شىء من ذلك فرضينا واتّبعناكم ، فجعل الله عزّ وجلّ للمسلمين فى إمارته بركة ، ثمّ مات رضى الله عنه واستخلف عليكم رجلاً منكم ، فلم تشاورونا فى ذلك ، فرضينا وسلّمنا ، فلمّا توُفّىَ الأمير جعل الأمر إلى ستّة نفر ، فاخترتمْ عثمان وبايعتموه عن غير مشورة منا ، ثمّ أنكرتم من ذلك الرّجل شيئاً ، فقتلتموه عن غير مشورة منا ، ثمّ بايعتم عليّاً عن غير مشورة منا ، فما الذى نقَمتم عليه فنقاتله ؟ هل استأثر بفىْء ، أو عمل بغير الحقّ ؟ أو عمل شيئاً تنكرونه فنكون معكم عليه ! وإلاّ فما هذا ! فهمّوا بقتل ذلك الرّجل ، فقام من دونه عشيرتُه ؛ فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى مَن كان معه ، فقتلوا سبعين رجلاً .

* * *

رجع الحديث إلى حديث سيف ، عن محمد وطلحة . قالا : فأصبح طلحة والزّبير وبيتُ المال والحرسُ فى أيديهما ، والناس معهما ، ومن لم يكن معهما مغمور مستسرّ ، وبعثا حين أصبَحا بأن حكَيماً فى الجمع ، فبعث : لا تحبسا عثمان وَدَعاه . ففعلا ، فخرج عثمان فمضى لطلبته ، وأصبح حكَيم بن جبَلَة فى خيله على رجل فيمن تبعه من عبد القيس ومَنْ نزع إليهم من أفناء ربيعة ، ثمّ وجّهوا نحو دار الرّزق وهو يقولُ : لستُ بأخيه إن لم أنصره ، وجعل يشتم عائشة رضى الله عنها ، فسمعته امرأةٌ من قومه فقالت : يابنَ الخبيثة ، أنت أوْلى بذلك ! فطعنها فقتلَها ، فغضبت عبد القيس إلاّ من كان اغتُمِر منهم ، فقالوا : فعلتَ بالأمس وعُدتَ لمثل ذلك اليوم ! والله لندعنّك حتى يُقيدك الله . فرجعوا وتركوه ، ومضى حُكيم بن جبَلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان وحصره من نزّاع القبائل كلها ، وعرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة ، فاجتمعوا إليه ، فانتهى بهم إلى الزّابوقة عند دار الرّزق ، وقالت عائشة : لا تقتلوا إلاّ من قاتلكم ، ونادوا من لم يكن من قتَلة عثمان رضى الله عنه فليكفف عنا ، فإنا لا نريد إلا قتلة عثمان ولا نبدأ أحداً ، فأنشب حكَيمٌ القتال ولم يُرَعْ للمنادى ، فقال طلحة والزّبير : الحمد لله الذى جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة ، اللهمّ لا تُبْقِ منهم أحداً ، وأقِدْ منهم اليوم فاقتلهم . فجادّوهم القتالَ فاقتتلوا أشدّ

٣١٢٩/١

قتال ومعه أربعةُ قوّاد ، فكان حكَيم بحيال طلحة ، وذَريح بحيال الزّبير ، وابن المحرِّش بحيال عبد الرحمن بن عتّابٍ ، وحُرْقوص بن زُهير بحيال عبد ٣١٣٠/١ الرحمن بن الحارث بن هشام ، فزحف طلحة لحكيم وهو فى ثلثمائه رجل ، وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول :

أَضْرِبُهُمْ باليابسِ ضَرْبَ غُلامٍ عابسِ
من الحيـاةِ آيسٍ فى الغرفات نافسٍ

فضرب رجل رِجْله فقطعها، فحبا حتى أخذها فرمى بها صاحبه، فأصاب جسده فصرعه ، فأتاه حتى قتله، ثم اتكأ عليه وقال :

يا فخذِ لن تراعى إنّ مَعى ذراعى
* أحمى بها كُراعى *

وقال وهو يرتجز :

ليس علىّ أنْ أموتَ عارُ والعارُ فى الناس هو الفِرارُ
* والمَجْدُ لا يَفْضَحُهُ الدّمارُ *

فأتى عليه رجلٌ وهو رثيث[1] ، رأسه على الآخر ، فقال : مَالَكَ يا حكيم ؟ قال : قُتلتُ ، قال: مَن قتلك ؟ قال: وِسادتى ؛ فاحتمله فضمّه فى سبعين من أصحابه، فتكلم يومئذ حكيم وإنه لقائم على رِجل، وإن السيوف لتأخذهم فما يُتَعتَع ،ويقول : إنا خلّفنا هذيْن وقد بايعا عليّاً وأعطياه الطاعة ، ثم أقبلا مخالفين محاربين يطلبان بدم عثمان بن عفان ، ففرّقا بيننا، ونحن أهلُ دار وجوار. اللهمّ إنهما لم يريدا عثمان . فنادى منادٍ : يا خبيث ، جزعت حين عضّك نكال الله عزّ وجلّ إلى كلامٍ من نَصَبك وأصحابك بما ركبتم من ٣١٣١/١ الإمام المظلوم ، وفرّقتم من الجماعة ، وأصبتم من الدّماء ، ونلتم من الدّنيا ! فذُق وبالَ الله عزّ وجلّ وانتقامه ، وأقيموا فيمن أنتم .

وقتِل ذَرِيح ومن معه،وأفلت حُرْقوص بن زهير فى نَفَر من أصحابه فلجئوا

---

(١) الرثيث : الجريح وبه رمق .

إلى قومهم ، ونادى مُنادى الزّبير وطلحة بالبصرة : ألاَ من كان فيهم من قبائلكم أحدٌ ممن غزا المدينة فليأتِنا بهم . فجيء بهم كما يُجاءُ بالكلاب ، فقُتِلوا فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعًا إلاّ حرقوص بن زُهير ؛ فإنّ بنى سعد منعوه ، وكان من بنى سعد ، فمسَّهم فى ذلك أمرٌ شديد ، وضربوا لهم فيه أجلاً وخَشَّنوا صدورَ بنى سعد وإنَّهم لعُثْمانية حتى قالوا : نَعتَزِل ؛ وغضبت عبدُ القَيْس حين غضبت سعد لمن قتل منهم بعد الوقعة ومَن كان هرب إليهم إلى ما هم عليه من لزوم طاعةِ علىّ ، فأمرا للنّاس بأعطياتهم وأرزاقهم وحُقوقهم ، وفضّلا بالفضل أهل السمع والطاعة . فخرجت عبدُ القيس وكثيرٌ من بَكْر بن وائل حين زَوَوْا عنهم الفضول ، فبادروا إلى بيت المال ، وأكبّ عليهم الناس فأصابوا منهم ، وخرج القوم حتى نزلوا على طريق علىّ ، وأقام طلحة والزّبير ليس معهما بالبصرة ثأر إلاّ حُرْقوص ، وكتبوا إلى أهل الشأم بما صنعوا وصاروا إليه : إنا خرجنا لوضْع الحرب ، وإقامة كتاب الله عزّ وجلّ بإقامة حُدوده فى الشريف والوضيع والكثير والقليل ، حتى يكون الله عزّ وجلّ هو الذى يردّنا عن ذلك ، فبايَعَنا خيارُ أهل البصرة ونجباؤهم ؛ وخالَفَنا شرارهم ونزّاعهم ، فرَدّونا بالسلاح وقالوا فيما قالوا : نأخذُ أمَّ المؤمنين رهينة ؛ أن أمَرتْهم بالحقّ وحثّتْهم عليه . فأعطاهم الله عزّ وجلّ سُنّة المسلمين مرّة بعد مرّة ، حتى إذا لم يبقَ حجّة ولا عذر استبسل قتلةُ أمير المؤمنين فخرجوا إلى مضاجعهم فلم يُفلت منهم مخبر إلاّ حرقُوص بن زُهير ، والله سبحانه مُقيده إن شاء الله . وكانوا كما وصف الله عزّ وجلّ ؛ وإنا نناشدكم الله فى أنفسكم إلاّ نهضتم بمثل ما نهضنا به ؛ فنلقى الله عزّ وجلّ وتلقوْنه وقد أعذرنا وقضيْنا الذى علينا .

١/٣١٣٢

وبعثوا به مع سيَّار العجلىّ ، وكتبوا إلى أهل الكوفة بمثله مع رجُل من بنى عمرو بن أسد يدعَى مظفّر بن معرّض . وكتبوا إلى أهل اليمامة وعليها سَبْرة ابن عمرو العنبرىّ مع الحارث السَّدوسىّ . وكتبوا إلى أهل المدينة مع ابن قُدامة القُشيرىّ ، فدسّه إلى أهل المدينة .

وكتبت عائشةُ رضى الله عنها إلى أهل الكوفة مع رسولهم : أمّا بعد فإنى أذكّركم الله عزّ وجلّ والإسلام ، أقيموا كتاب الله بإقامة ما فيه ، اتقوا الله

واعتصموا بحبله، وكونوا مع كتابه؛ فإنا قدمنا البصرة فدعوناهم إلى إقامة كتاب الله بإقامة حُدوده ، فأجابَنا الصالحون إلى ذلك ؛ واستقبلَنا من لا خير فيه بالسلاح ،وقالوا: لنُتبعنّكم عثمانَ، ليَزِيدوا الحدود تعطيلاً ،فعاندوا فشهدوا علينا ١/٣١٢٣ بالكفر وقالوا لنا المنكر ، فقرأنا عليهم : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ[1]﴾ . فأذعن لى بعضهم، واختلفوا بينهم، فتركناهم وذلك،فلم يمنع ذلك مَن كان منهم على رأيه الأوّل من وضع السلاح فى أصحابى ، وعزم عليهم عثمان بن حُنيف إلاّ قاتلونى حتى منعنى الله عزّ وجلّ بالصّالحين ، فردّ كيدهم فى نحورهم ، فمكثنا ستًّا وعشرين ليلة ندعوهم إلى كتاب الله وإقامة حُدوده — وهو حقْنُ الدّماء أن تُهراق دون من قد حلّ دمُه — فأبَوْا واحتجّوا بأشياء، فاصطلحْنا عليها، فخافوا وغدروا وخانُوا ، فجمع الله عزّ وجلّ لعثمان رضى الله عنه ثأرهم، فأقادهم فلم يُفلِت منهم إلاّ رجلٌ، وأرْدَأنا الله، ومنعَنا منهم بعُمير ابن مرثَد ومرثد بن قيس ، ونفر من قيس ، ونفر من الرِّباب والأزْد . فالزموا الرضا إلاّ عن قتلة عثمان بن عفان حتى يأخذ الله حقّه ، ولا تخاصموا الخائنين ولا تمنعوهم ، ولا ترضَوْا بِذَوِىّ حدود الله فتكونوا من الظالمين .

فكتبتُ إلى رجال بأسمائهم . فثبِّطوا الناس عن منع هؤلاء القوم ونُصْرتهم واجلسوا فى بيوتكم؛ فإنّ هؤلاء القوم لم يرضوا بما صنعوا بعثمان بن عفان رضى الله عنه ، وفرّقوا بين جماعة الأمة ، وخالفوا الكتاب والسنّة ، حتى شهدوا علينا فيما أمرناهم به ، وحثثناهم عليه من إقامة كتاب الله وإقامة حدوده بالكفر ، وقالوا لنا المنكر ، فأنكر ذلك الصّالحون وعظّموا ما قالوا ، وقالوا : مارضيتم أن قتلتم الإمام حتى خرجتم على زوجة نبيكم صلىَ الله عليه وسلم؛ أن أمرَتكم بالحقّ لتقتلوها وأصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة المسلمين ! فعزموا وعثمان بن حُنيف ١/٣١٢٤ معهم على من أطاعهم من جهّال الناس وغوغائهم على زُطّهم وسيابجهم، فلُذنا منهم بطائفة من الفُسْطاط ؛ فكان ذلك الدّأب ستة وعشرين يوماً

---

(١) سورة آل عمران ٢٣ .

ندعوهم إلى الحقّ وألاّ يحولوا بيننا وبين الحقّ فغدَرُوا وخانوا فلم نُقايِسْهم[١]، واحتجّوا ببيعة طلحة والزّبير ؛ فأبردُوا بريداً فجاءهم بالحجّة فلم يعرفوا الحقّ، ولم يصبروا عليه؛ فغادَوْني في الغَلَس ليقتلوني ؛ والذي يحاربهم غيري ، فلم يبرحوا حتى بلغوا سدّةَ بيتي ومعهم هادٍ يهديهم إليّ ، فوجدوا نفراً على باب بيتي ؛ منهم عُمير بن مرثَد، ومرثَد بن قيس، ويزيد بن عبد الله بن مَرْثَد؛ ونفر من قيس ، ونفر من الرِّباب والأزْد، فدارت عليهم الرّحا ، فأطاف بهم المسلمون فقتلوهم ، وجمع الله عزّ وجلّ كلمة أهل البصرة على ما أجمع عليه الزّبير وطلحة ؛ فإذا قتلنا بثأرنا وسعنا العذر . وكانت الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين. وكتب عبيد بن كعب في جُمادى .

حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدثنا أبو الحسن، عن عامر بن حفص، عن أشياخه، قال: ضَرب عنقَ حُكَيم بن جبلة رجلٌ من الحُدّان يقال له ضُخَيم، فمال رأسهُ، فتعلّق بجلده، فصار وجهُه في قفاه . قال ابن المثنّى الحُدّانى: الذى قتل حُكَيْماً يزيدُ بن الأسحم الحُدانيّ، وجُد حُكَيم قتيلاً بين يزيد بن الأسحم وكعب بن الأسحم، وهما مقتولان .

١/٣١٢٥

حدثني عمر، قال : حدثني أبو الحسن، قال : حدثنا أبو بكر الهُذليّ، عن أبي المليح ، قال: لما قتل حُكَيم بن جبلة أرادوا أن يقتلوا عثمان بن حُنيف ، فقال : ما شئتم، أمَا إن سهل بن حُنيف والٍ على المدينة، وإن قتلتموني انتصر . فخلّوْا سبيله. واختلفوا في الصّلاة، فأمَرت عائشة رضي الله عنها عبد الله ابن الزبير فصلّى بالناس ، وأراد الزّبير أن يعطيَ الناس أرزاقَهم ويقسم ما في بيت المال ، فقال عبد الله ابنه: إن ارتزق الناس تفرّقوا . واصطلحوا على عبد الرحمن بن أبي بكر، فصيّروه على بيت المال .

حدّثني عمر، قال: حدّثنا أبو الحسن عليّ، عن أبي بكر الهُذَليّ ، عن الجارود بن أبي سَبْرة، قال : لمّا كانت الليلة التي أخذ فيها عثمان بن حُنيف، وفي رَحَبَة مدينة الرّزق طعامٌ يرتزقه الناس ، فأراد عبد الله أن يرزقه أصحابه وبلغ حُكَيم بن جبلة ما صنع بعثمان ، فقال: لستُ أخاف الله إن لم أنصره ،

(١) لم نقايسهم : لم نجازهم ونقابل المثل بالمثل .

فجاء فى جماعة من عبد القيس وبكر بن وائل وأكثرهم عبد القيس ، فأتى ابن الزّبير مدينة الرزق ،فقال: مَالكَ يا حُكَيم ؟ قال : نريد أن نرتزق من هذا الطعام ، وأن تخلّوا عثمان فيقيم فى دار الإمارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدَم علىّ ، والله لو أجد أعوانًا عليكم أخبِطكم بهم ما رضيت بهذه منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم، ولقد أصبحتم وإنّ دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم من إخواننا ، أما تخافون الله عزّ وجلّ ! بم تستحلّون سَفْك الدّماء !قال : بدم عثمان ابن عفان ، قال : فالّذين قتلتموهم قتلوا عثمان ! أما تخافون مقتَ الله ؟ فقال له عبد الله بن الزبير : لا نرزقكم من هذا الطعام ، ولا نخلّى سبيل عثمان ابن حُنيف حتى يخلع عليًّا ، قال حُكيم : اللهمّ إنك حكَم عَدْل فاشهد . وقال لأصحابه : إنّى لست فى شكّ من قتال هؤلاء ، فمن كان فى شكّ فلينصرف . وقاتَلَهم فاقتتلوا قتالاً شديداً، وضرب رجل ساق حُكَيم فأخذحكيمٌ ساقَه فرماه بها ، فأصاب عنقه فصرعه ووقَذَه ثم حبا إليه فقتله واتّكأ عليه ، فمرّ به رجلٌ فقال : من قتلك ؟قال: وسادتى ،وقتل سبعون رجلا من عبد القيس . قال الهذلىّ : قال حكيم حين قطعت رجله : ١/٣١٣٦

أقولُ لمَا جدَّ بى زَماعى للرِّجْل يا رجلِىَ لن تراعى
* إنَّ مَعى مِنْ نجْدَةٍ ذراعى *

قال عامر ومسلمة :قتل مع حُكيم ابنهُ الأشرف وأخوه الرّعِل بن جبَلة .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال: حدّثنا المثنّى بن عبد الله ، عن عوف الأعرابىّ ، قال : جاء رجلٌ إلى طلحة والزّبير وهما فى المسجد بالبصرة ، فقال : نشدتكما بالله فى مسيركما ! أعهِد إليكما فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا ! فقام طلحة ولم يجبْه ، فناشد الزّبير فقال : لا ، ولكن بلغنا أنّ عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها .

حدثنى عمر ،قال : حدّثنا أبو الحسن ،قال :حدّثنا سُليمان بن أرقم ، عن قتادة ، عن أبى عمرة مولى الزّبير ، قال : لما بايع أهل البصرة الزّبيرَ وطلحة، قال الزّبير : ألا ألف فارس أسيرُ بهم إلى علىّ ، فإما بيّتُّه وإما صبّحته، لعلّى ١/٣١٣٧

أقتله قبل أن يصل إلينا ! فلم يُجبه أحدٌ ، فقال : إنّ هذه لهى الفتنة التى كنا نحدّث عنها ؛ فقال له مولاه : أتُسمّيها فتنة وتُقاتل فيها ! قال : ويحك! إنا نُبصّر ولا نَبصُر ، ما كان أمر قطّ إلاّ علمتُ موضع قدمى فيه ، غير هذا الأمر فإنى لا أدرى أمُقْبل أنا فيه أم مُدبر !

حدّثنى أحمد بن منصور ، قال : حدّثنى يحيى بن معين ، قال : حدّثنا هشام بن يوسف ،قاضى صَنْعاء ، عن عبد الله بن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزّبير ، عن موسى بن عقبة ، عن علقمة بن وقّاص الليثىّ ، قال : لما خرج طلحة والزّبير وعائشة رضى الله عنهم رأيتُ طلحة وأحبّ المجالس إليه أخلاها ، وهو ضاربٌ بلحيته على زَوْرِه ، فقلت : يا أبا محمد ، أرى أحبّ المجالس إليك أخلاها ، وأنت ضارب بلحيتك على زَوْرك ؛ إن كرهتَ شيئاً فاجلس . قال : فقال لى : يا علقمة بن وقّاص ، بينا نحن يدٌ واحدة على مَن سوانا ، إذ صرنا جبلين من حديد يَطلبُ بعضنا بعضاً ، إنه كان منّى فى عثمان شىءٌ ليس توبتى إلاّ أن يُسفَك دمى فى طلب دمه .قال : قلت : فرُدّ محمد ابن طلحة فإنّ لك ضيعة وعيالاً ؛ فإن يك شىء يخلفك ؛ فقال : ما أحبّ أن أرى أحداً يخِفّ فى هذا الأمر فأمنعه . قال : فأتيت محمد بن طلحة فقلت له : لو أقمتَ ، فإن حدث به حدَثٌ كنتَ تخلفه فى عياله وضيعته ، قال : ما أُحبّ أن أسأل الرجال[1] عن أمره .

١/٣١٣٨ حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا أبو مخنف ، عن مجالد بن سعيد ، قال : لما قدمت عائشةُ رضى الله عنها البصْرة كتبتْ إلى زيد بن صُوحان : من عائشة ابنة أبى بكر أمّ المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابنها الخالص زيد بن صُوحان ، أمّا بعد : فإذا أتاك كتابى هذا فاقدم ؛ فانصرنا على أمرنا هذا ، فإن لم تفعل فخذّل الناس عن علىّ .

فكتب إليها : من زيد بن صُوحان إلى عائشة ابنة أبى بكر الصدّيق

(١) ابن الأثير : « الركبان » .

حبيبةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمّا بعد : فأنا ابنك الخالص إن اعتزلتِ هذا الأمر ورجعتِ إلى بيتك، وإلاّ فأنا أوّل من نابَذَكِ . قال زيد ابن صُوحان : رحم الله أمّ المؤمنين ! أمِرت أن تلزم بيتها وأمِرنا أن نُقاتل، فتركتْ ما أمِرَتْ به وأمَرَتْنا به، وصنعت ما أمِرْنا به ونَهَتْنا عنه !

* * *

ذكر الخبر عن مسير عليّ بن أبي طالب نحو البصرة

مما كتب به إليّ السريّ ، أن شعيبًا حدّثه، قال: حدّثنا سيفٌ ، عن عُبيدة بن معتِّب ، عن يزيد الضّخم ، قال : لما أتى عليًّا الخبرُ وهو بالمدينة بأمر عائشة وطلحة والزّبير أنهم قد توَجّهوا نحو العراق ، خرج يُبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردّهم ، فلما انتهى إلى الرَّبَذَة أتاه عنهم أنهم قد أمعنوا ، فأقام بالرَّبَذة أيامًا ، وأتاه عن القوم أنهم يُريدون البصرة ، فسرّيَ بذلك عنه، وقال: إنّ أهلَ الكوفة أشدُّ إليّ حبًّا، وفيهم رءوس العرب وأعلامهم. فكتب إليهم : إنّى قد اخترتكم على الأمصار وإنّى بالأُثْرة .

حدّثنى عُمر ، قال: حدّثنا أبو الحسن، عن بشير بن عاصم ، عن محمد ابن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن أبيه ، قال : كتب عليّ إلى أهل الكوفة : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإنى اخترتُكم والنزول بين أظهركم لما أعرف من مودّتكم وحبكم لله عزّ وجلّ ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن جاءنى ونصرنى فقد أجاب الحقّ وقضى الذى عليه . ٣١٣٩/١

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن . قال : حدّثنا حبّان بن موسى ، عن طلحة بن الأعلم وبشر بن عاصم ، عن ابن أبى ليلَى ، عن أبيه ، قال : بُعِث محمد بن أبى بكر إلى الكوفة ومحمّدُ بن عون، فجاء الناس إلى أبى موسى يستشيرونه فى الخروج، فقال أبو موسى: أمّا سبيلُ الآخرة فأنْ تقيموا، وأمّا سبيل الدّنيا فأن تخرجوا ،وأنتم أعلم. وبلغ المحمّدَيْن قولُ أبى موسى، فبايناه وأغلظا له ، فقال : أما والله إنّ بيعة عثمان فى عُنقى وعُنق صاحبكما الذى أرسلكما ، إن أردْنا أن نُقاتِل لا نقاتل حتى لا يبقى أحد من قَتَلة

عثمان إلا قُتل حيث كان . وخرج علىّ من المدينة فى آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، فقالت أخت علىّ بن عدىّ من بنى عبدالعزّى ابن عبد شمس :

لاهُمَّ فاعْقِرْ بِعَلِىّ جَملَهْ ولا تُبَارِكْ فى بعيرٍ حَمَلَهْ
* ألَا علىَّ بنُ عَدِىٍّ ليس لَهْ *

١/٣١٤٠ حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن أبى مخنف ، عن نُمَيْر ابن وعْلة، عن الشعبىّ؛ قال : لمّا نزل علىٌّ بالرَّبَذَة أتته جماعة من طيِّئ ، فقيل لعلىّ : هذه جماعة من طيِّئ قد أتتك ، منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك؛ قال : جزَى الله كلاًّ خيراً وفَضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيمًا . ثمّ دخلوا عليه فقال علىّ : ما شهدتمونا به ؟ قالوا : شهدناك بكلّ ما تحبّ ، قال : جزاكم الله خيراً ! فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدّين ووافيتم بصدقاتكم المسلمين . فنهض سعيد بن عبيد الطائىّ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ من الناس من يعبّر لسانه عما فى قلبه ، وإنى والله ما كلّ ما أجد فى قلبى يعبّر عنه لسانى وسأجهد وبالله التوفيق ، أمّا أنا فسأنصح لك فى السرّ والعلانية وأقاتل عدوّك فى كلّ موطن وأرى لك من الحقّ ما لا أراه لأحَد من أهل زمانك لفضلك وقرابتك . قال : رحمك الله ! قد أدّى لسانُك عما يجنّ ضميرك . فقُتِل معه بصفّين رحمه الله .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : لما قدم علىّ الرَّبَذَة أقام بها وسرّح منها إلى الكوفة محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر ؛ وكتب إليهم : إنى اخترتكم على الأمصار وفزعت إليكم لما حدث، فكونوا لدين الله أعوانًا وأنصاراً، وأيّدونا وانهضوا إلينا فالإصلاح ما نُريد، لتعود الأمة إخوانًا، ومن أحبّ ذلك وآثره فقد أحبّ الحقّ وآثره، ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحقّ وغمصه[1] . ١/٣١٤١

فمضى الرّجلان وبقى علىّ بالرَّبَذة يتهيأ ، وأرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد

(١) غمصه : تهون به .

من دابّة وسِلاح ، وأمِر أمرُه[1] وقام فى الناس فخطبهم ؛ وقال : إنّ الله عزّ وجلّ أعزّنا بالإسلام ورفَعَنا به وجعلنا به إخوانًا بعد ذلّة وقلّة وتباغُضٍ وتباعد ؛ فجرى الناس على ذلك ما شاء الله ؛ الإسلام دينهم والحقّ فيهم والكتاب إمامهم ، حتى أصيب هذا الرّجل بأيدى هؤلاء القوم الذّين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة ، ألا إنّ هذه الأمّة لا بُدّ مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم ، فنعوذ بالله مِن شرّ ما هو كائن . ثمّ عاد ثانية ، فقال : إنه لا بدّ مما هو كائن أن يكون ، ألا وإنّ هذه الأمة ستَفْتَرِقُ على ثلاث وسبعين فرقة ؛ شرّها فرقة تنتحلنى ولا تعمل بعَمَلِى ، فقد أدركتم ورأيتم[2] فالزموا دينكم واهدوا بهدى[3] نبيّكم صلى الله عليه وسلم ، واتّبعوا سنته ، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن ، فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردّوه ، وارضُوا بالله جلّ وعزّ ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمّد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ، وبالقرآن حكمًا وإمامًا .

كتب إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : لما أراد علىّ الخروجَ من الرَّبَذَة إلى البصرة قام إليه ابنٌ لرفاعة بن رافع ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أىّ شىء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا ؟ فقال : أمّا الذى نُريد وننوى فالإصلاح ؛ إن قبلوا منّا وأجابونا إليه ، قال : فإن لم يجيبوا إليه ؟ قال : ندَعُهم بعذرهم ونعطيهم الحقّ ونصبر ؛ قال : فإن لم يرضَوْا ؟ قال : ندَعهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : امتنعنا منهم ، قال : فنعم إذاً . وقام الحجّاج بن غزّية الأنصارىّ فقال : لأرضينّك بالفعل كما أرضيتنى بالقول . وقال : ٣١٤٢/١

دَرَاكِها دَراكِها قَبْلَ الفَوْتْ وانفِرْ بنا واسْمُ بنا نحْوَ الصَّوْتْ
لا وَأَلَتْ نَفْسىَ إنْ هِبْتُ المَوْتْ

والله لأنصرنّ الله عزّ وجلّ كما سمّانا أنصاراً . فخرج أمير المؤمنين وعلى

(١) أمر أمره : اشتد .
(٢) ابن الأثير : «أدركتهم ورأيتهم» .
(٣) ابن الأثير والنويرى : «بهديه فإنه» .

مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجرّاح، والرّاية مع محمّد بن الحنفيّة، وعلى الميمنة عبد الله بن عباس، وعلى الميسرة عمر بن أبى سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد، وخرَجَ علىّ وهو فى سبعمائة وستين؛ وراجزُ علىّ يرجز به:

سيروا أبابيلَ وحُثُّوا السَّيْرَا إذْ عَزَمَ السَّيْرَ وقولوا خَيْرا
حتَّى يُلاقوا وتُلاقوا خَيْرًا نغزو بها طَلْحَةَ والزُّبَيرا

١/٣١٤٣ وهو أمام أمير المؤمنين، وأميرُ المؤمنين علىّ على ناقة له حمراء يقود فرسًا كُميتًا. فتلقّاهم بفَيْدَ غلامٌ من بنى سعد بن ثعلبة بن عامر يدعى مُرّة، فقال: من هؤلاء؟ فقيل: أمير المؤمنين، فقال: سفرة فانية فيها دماء من نفوس فانية؛ فسمعها علىّ فدعاه، فقال: ما اسمك؟ قال: مُرّة، قال: أمَرَّ الله عيشَك، كاهن سائرِ اليوم؟ قال: بل عائف؛ فلما نزل بفَيْد أتته أسد وطيِّئ فعرضوا عليه أنفسهم، فقال: الزموا قراركم، فى المهاجرين كفاية. وقَدِم رجلٌ من أهل الكوفة فيْد قبل خروج علىّ فقال: مَن الرجل؟ قال: عامر بن مطر، قال: الليثىّ؟ قال الشيبانىّ: قال: أخبرنى عما وراءك، قال: فأخبره حتى سأله عن أبى موسى، فقال: إن أردت الصّلح فأبو موسى صاحبُ ذلك، وإن أردت القتال فأبو موسى ليس بصاحب ذلك، قال: والله ما أريدُ إلا الإصلاح حتى يُردّ علينا، قال: قد أخبرتك الخبر، وسكت وسكت علىّ.

حدّثنى عمر، قال: حدّثنا أبو الحسن، عن أبى محمد، عن عبد الله بن عمير، عن محمد بن الحنفيّة، قال: قدِم عثْمان بن حُنيف على علىّ بالرَّبَذَة وقد نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، بعثتَنى ذا لحية وجئتك أمرَد، قال: أصبت أجرًا وخيراً، إنّ الناس ولِيَهم قبلى رجلان، فعمِلا بالكتاب، ثمّ وليهم ثالث، فقالوا وفعلوا، ثم بايعونى، وبايعنى طلحةُ والزّبير، ثمّ نكثا بيعتى، وألّبا الناس علىّ، ومن العجب انقيادهما لأبى بكر وعُمر وخلافهما علىّ، والله إنهما ليعلمان أنى لستُ بدون رجل ممن قد مضى،

١/٣١٤٤ اللهم فاحلل ما عقدا، ولا تبرم ما قد أحكما فى أنفسهما وأرِهما المساءة فيما قد عملا.

كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : ولمّا نزل عليّ الثعلبيَّة أتاه الّذى لقي عثمانُ بن حُنَيف وحرسُه ، فقام وأخبر القوم الخبر ، وقال : اللهمّ عافني مما ابتليتَ به طلحة والزّبير من قتْل المسلمين ، وسلّمنا منهم أجمعين . ولما انتهى إلى الإساد أتاه ما لقي حُكَيمُ بن جبَلة وقتلةُ عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقال : الله أكبر ، ما[1] ينجيني من طلحة والزّبير إذ أصابا ثأرهما أو ينجيهما! وقرأ : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾[2]. وقال :

دَعا حُكَيْمٌ دَعوَةَ الزِّماع حَلَّ بها مَنزلَةَ النِّزاع

ولما انتهوْا إلى ذى قار انتهى إليه فيها عثمان بن حُنَيف ، وليس في وجهه شعر ، فلما رآه عليّ نظر إلى أصحابه فقال : انطلق هذا من عندنا وهو شيخٌ ، فرجع إلينا وهو شابّ . فلم يزل بذى قار يتلوّم محمداً ومحمداً ، وأتاه الخبر بما لقيَتْ ربيعة وخروجِ عبد القيس ونزولِهم بالطريق ، فقال : عبد القيس خيرُ ربيعة ، في كلّ ربيعة خير . وقال :

يا لهفَ نفسي على ربيعَهْ ربيعَةَ السامِعَةِ المُطيعَهْ
قد سَبَقَتْني فيهِمُ الوَقيعَهْ دَعا عَليٌّ دَعوةً سَميعَهْ
* حَلُّوا بها المَنْزِلَةَ الرَّفيعَهْ *

١/٣١٤٥

قال : وعرضَتْ عليه بكر بن وائل ، فقال لهمْ مثل ما قال لطيّئٍ وأسد .

ولما قدم محمد ومحمد على الكوفة وأتيا أبا موسى بكتاب أمير المؤمنين ، وقاما في الناس بأمره ، لم يجابا إلى شيء ، فلما أمسوا دخل ناسٌ من أهل الحِجَى على أبي موسى ، فقالوا : ما ترى في الخروج ؟ فقال : كان الرّأى بالأمس ليس باليوم ، إنّ الّذى تهاونتم به فيما مضى هو الذى جرّ عليكم ما ترَوْن ؛ وما بقِيَ إنما هما أمران : القُعود سبيل الآخرة والخُروج سبيل الدّنيا ، فاختاروا . فلم ينفِر إليه أحدٌ ، فغضِب الرّجلان وأغلظا لأبي موسى ، فقال

(١) ابن الأثير : « وأما » .
(٢) سورة الحديد ٢٢ .

أبو موسى : والله إنّ بيعة عثمان رضى الله عنه لفى عُنُقى وعنق صاحبكما ، فإن لم يكن بُدٌّ من قتال لا نقاتل أحداً حتى يُفرَغ(١) من قَتَلَة عثمان حيث كانوا . فانطلقا إلى علىّ فوافياه بذى قار وأخبراه الخبر ، وقد خرج مع الأشتر وقد كان يعجِل إلى الكوفة ، فقال علىّ : يا أشتر ، أنت صاحبنا فى أبى موسى والمعترِض فى كلّ شىء ، اذهب أنت وعبد الله بن عبّاس فأصلِحْ ما أفسدْتَ.

فخرج عبد الله بن عباس ومعه الأشتر ، فقدما الكوفة وكلّما أبا موسى واستعانا عليه بأناس من الكوفة ، فقال للكوفيين : أنا صاحبكم يوم الجَرَعة وأنا صاحبكم اليوم؛ فجمع الناس فخطبهم وقال: يأيّها الناس، إنّ أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم الّذين صحبوه فى المواطن أعلم بالله جلّ وعزّ وبرسُوله صلى الله عليه وسلم ممّن لم يصحبه ، وإنّ لكم علينا حقًّا فأنا مؤدّيه إليكم . ١/٣١٤٦ كان الرّأى ألاّ تستخفّوا بسلطان الله عزّ وجلّ ،ولا تجترئوا على الله عزّ وجلّ ، وكان الرّأى الثانى أن تأخذوا من قَدِم عليكم من المدينة فتردّوهم إليها حتّى يجتمعوا ، وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم ،ولا تَكلّفوا الدّخول فى هذا ، فأمّا إذ كان ما كان فإنها فتنة صمّاء ، النائم فيها خيرٌ من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خيرٌ من الرّاكب ، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، فاغمدوا السيوف ،وأنصِلوا الأسنّة ،واقطعوا الأوتار ،وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر، وتنجلىَ هذه الفِتْنة.

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : ولما رجع ابن عباس إلى علىّ بالخبر دعا الحسنَ بن علىّ فأرسله، فأرسل معه عمّار بن ياسر ، فقال له : انطلق فأصلح ما أفسدتَ ؛ فأقبلا حتى دخلا المسجد، فكان أوّل من أتاهما مسروق بن الأجْدع ، فسلّم عليهما، وأقبل على عمّار فقال: يا أبا اليقظان ، عَلام قتلتم عثمان رضى الله عنه ؟ قال : عَلَى شَتْم أعراضنا وضرب أبشارنا !فقال: والله ما عاقَبْتُمْ بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين. فخرج أبو موسى، فلقى الحسَن فضمّه إليه، وأقبل ١/٣١٤٧ على عمّار فقال : يا أبا اليقظان، أعَدَوْت فيمن عدا على أمير المؤمنين ، فأحللت

(١) ابن الأثير والنويرى : « نفرغ » .

نفسَك مع الفجّار ! فقال : لم أفعل ، ولِمَ تسوؤنى ؟ وقطع عليهما الحسن ، فأقبل علَى أبى موسى ، فقال : يا أبا موسى ، لِمَ تثبِّط النّاس عنا ! فوالله ما أردنا إلاّ الإصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يُخاف على شىء . فقال : صدقْتَ بأبى أنت وأمىّ ! ولكنّ المستشار مؤْتمن ، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنها ستكون فتنةٌ ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى خيرٌ من الراكب » ؛ قد جعلنا الله عزّ وجلّ إخوانًا ، وحرّم علينا أموالنا ودماءَنا ، وقال : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بالْبَاطِلِ ﴾[١] ، ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾[١] . وقال جلّ وعزّ : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مؤمِناً مُتَعَمِّدًا فَجزاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾[٢] . فغضب عمارٌ وساءَه وقام وقال : يأيّها الناس ، إنما قال له خاصّةً : أنت فيها قاعداً خيرٌ منك قائمًا . وقام رجلٌ من بنى تميم ، فقال لعمّار : اسكت أيُّها العبد ، أنت أمس مع الغوغاء واليوم تُسافه أميرَنا ؛ وثار زَيْدُ بن صُوحان وطبقتُه وثار الناس ، وجعل أبو موسى يُكفْكِفُ الناس ، ثمّ انطلق حتى أتى المنبر ، وسكن الناس ، وأقبل زيد على حمار حتّى وقف بباب المسجد ومعه الكتابان من عائشة رضى الله عنها إليه وإلى أهل الكوفة ، وقد كان طلب كتاب العامّة فضمّه إلى كتابه ، فأقبل بهما ومعه كتاب الخاصة وكتاب العامّة : أمّا بعد ، فثبّطوا أيّها الناس واجلسوا فى بيوتكم إلاّ عن قَتَلَة عثمان بن عفان رضى الله عنه . ١/٣١٤٨

فلما فرغ من الكتاب قال : أمِرتْ بأمر وأمِرْنا بأمر ؛ أمِرَت أن تقرّ فى بيتها ، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ، فأمرتْنا بما أمِرَت به ورَكبتْ ما أمِرنا به . فقام إليه شبَث بن رِبْعىّ فقال : يا عُمَانىّ — وزيد من عبدالقيس عُمان وليس من أهل البَحْرَيْن — سرقتَ بجَلُولاء فقطعك الله ، وعصيتَ أم المؤمنين فقتلك الله ! ما أمرتْ إلا بما أمر الله عزّ وجلّ به بالإصلاح بين الناس ؛ فقلت : وربّ الكعبة ؛ وتهاوى الناس[٣] . وقام أبو موسى فقال : أيّها الناس ، أطيعونى تكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوِى إليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف ، إنّا أصحابَ محمد صلّى الله عليه وسلّم أعلم بما سمعنا ، إن الفتنة

---

(١) سورة النساء ٢٩ . (٢) سورة النساء ٩٣ .

(٣) كذا فى أصول ط ، وفى العبارة غموض .

إذا أقبلت شبَّهت وإذا أدبرت بيَّنت ، وإنّ هذه الفتنة باقِرة كدَاء البطن تجرى بها الشَّمال والجنوب والصَّبا والدَّبور ، فتسكن أحيانًا فلا يُدْرَى من أين تؤتَى ، تذَر الحليم كابن أمس ، شيموا سيوفكم وقصّدوا[١] رماحكم ، وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزموا بيوتكم . خلّوا قريشًا — إذ أبوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالإمرة — ترتُق فتقَها ، وتشعَب صدعَها ، فإن فعلت فلأنفسها سعَت ، وإن أبَتْ فعلَى أنفسها منَتْ[٢] سمْنها تُهريق فى أديمها ؛ استنصحونى ولا تستغشُّونى ، وأطيعونى يسلم لكم دينُكم ودنياكم ، ويشقى بحرّ هذه الفتنة مَنْ جَناها .

١/٣١٤٩

فقام زيد فشال يدَه المقطوعة فقال : يا عبدَ الله بن قيس ؛ ردّ الفرات عن دِراجه[٣] ، اردده من حيث يجىء حتى يعود كما بدأ ، فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تُريد ، فدعْ عنك ما لست مدركه . ثمّ قرأ : ﴿ الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا ﴾[٤] إلى آخر الآيتين ؛ سيروا إلى أمير المؤمنين وسيّد المسلمين ، وانفِروا إليه أجمعين تصيبوا الحقّ .

فقام القعقاع بن عَمرو فقال : إنى لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، أحبّ أن ترشُدوا ، ولأقولنّ لكم قولاً هو الحقّ ، أمّا ما قال الأمير فهو الأمر لو أنّ إليه سبيلاً ، وأمّا ما قال زيد فزيدٌ فى الأمر فلا تستَنْصحوه فإنّه لا ينتزع أحد من الفتنةِ طعَن فيها وجرى إليها ؛ والقول الذى هو القول[٥] إنه لا بدّ من إمارةٍ تنظم الناس وتزَع الظالم وتُعزّ المظلوم ، وهذا علىّ يلِى بما ولى ، وقد أنصف فى الدّعاء وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فانفِروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع .

١/٣١٥٠

وقال سَيْحان : أيّها الناس ، إنه لا بدّ لهذا الأمر وهؤلاء الناس من والٍ يدفع الظالم ويُعزّ المظلوم ويجمع الناس ، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه ، وهو المأمون على الأمّة ، الفقيه فى الدّين ، فمن نهض إليه فإنا سائرون معه . ولانَ عمّار بعد نزْوته الأولى . فلما فرغ سَيْحان من خطبته ، تكلم عمار فقال : هذا ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنفركم

(١) قصدوا : اجعلوها قصداً ، أى قطعاً .
(٢) منت ، أى جلبت لنفسها المنية .
(٣) درج السيل ومدرجه : منحدره وطريقه .
(٤) سورة العنكبوت ١ ، ٢ .
(٥) النويرى وابن الأثير : « الحق » .

إلى زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى طلحة والزّبير ، وإنى أشهد أنّها زوجته فى الدنيا والآخرة ، فانظروا ثمّ انظروا فى الحق فقاتلوا معه ؛ فقال رجل : يا أبا اليقظان ، لَـهو مع مَن شهدتَ له بالجنّة على من لم تشهد له . فقال الحسن : اكفف عنّا يا عمار ، فإنّ للإصلاح أهلاً .

وقام الحسن بن علىّ ، فقال : يأيّها الناس ؛ أجيبوا دعْوة أميركم ؛ وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر مَن ينفر إليه ، والله لأنْ يليَه أولو النهى أمثلُ فى العاجلة وخير فى العاقبة ، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم . ١/٣١٥١ فسامح الناس وأجابوا ورضوا به . وأتى قومٌ من طيِّئ عديًّا فقالوا : ماذا ترى وماذا تأمر ؟ فقال : ننتظر ما يصنع الناس ، فأخبِر بقيام الحسن وكلام من تكلم ، فقال : قد بايعنا هذا الرّجل ، وقد دعانا إلى جميل ، وإلى هذا الحدَث العظيم لننظر فيه ، ونحن سائرون وناظرون .

وقام هند بن عمرو ، فقال : إنّ أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل إلينا رسلَه حتى جاءنا ابنه ، فاسمعوا إلى قوله ، وانتهوا إلى أمره ، وانفروا إلى أميركم فانظروا معه فى هذا الأمر وأعينوه برأيكم .

وقام حُجْر بن عدىّ ، فقال : أيّها الناس أجيبوا أميرَ المؤمنين وانفِروا خِفافًا وثِقالاً مُرُوا ، أنا أولكم . وقام الأشتر فذكر الجاهليّة وشدّتها ، والإسلام ورخاءَه ، وذكر عثمان رضى الله عنه . فقام إليه المقطّع بن الهيثم بن فجيع العامرىّ ثم البُكائىّ ، فقال : اسكت قبحك الله ! كلْبٌ خُلَّىَ والنُّباح ؛ فثار الناس فأجلسوه .

وقام المقطّع ، فقال : إنا والله لا نحتمل بعدها أن يبوء أحدٌ بذكر أحد من أئمتنا ، وإنّ عليًّا عندنا لمَقْنع ، والله لئن يكن هذا الضَّرب لا يرضى بعلىّ ، فعضّ امرؤ على لسانه فى مشاهدنا ؛ فأقبلوا على ما أحثّاكم .

١/٣١٥٢ فقال الحسن : صدق الشيخ ، وقال الحسن : أيّها الناس ، إنّى غادٍ فمن شاء منكم أن يخرج معى على الظَّهْر ، ومن شاء فليخرج فى الماء فنفرَ معه تسعة آلاف ، فأخذ بعضهم البرّ ، وأخذ بعضهم الماءَ وعلى كل سُبْع رجُلٌ ؛ أخذ البرّ ستة آلاف ومائتان ، وأخذ الماء ألفان وثمانمائة .

وفيما ذكر نصرُ بن مزاحم العطار ، عن عمر بن سعيد ، عن أسد بن

عبد الله ، عمّن أدرك من أهل العلم : أن عبد خير الخَيْوانىّ قام إلى أبى موسى فقال : يا أبا موسى ، هل كان هذان الرّجلان — يعنى طلحة والزبير — ممن بايع عليّاً ؟ قال : نعم ، قال : هل أحدث حدَثاً يحِلّ به نقضُ بيعتِه ؟ قال : لا أدرى ، قال : لا دريتَ ، فإنا تاركوك حتّى تدرى ! يا أبا موسى هل تعلم أحداً خارجاً من هذه الفتنة التى تزعم أنها هى فتنة ؟ إنما بقى أربع فِرَق [(١)] : علىٌّ بظهر الكوفة ، وطلحة والزبير بالبصرة ، ومعاوية بالشأم ، وفرقة أخرى بالحجاز ؛ لا يجبَى بها فىء ، ولا يقاتَل بها عدوّ ؛ فقال له أبو موسى : أولئك خيرُ الناس ، وهى فتنة ؛ فقال له عبد خير : يا أبا موسى ، غلب عليك غِشُّك .

قال : وقد كان الأشتر قام إلى علىّ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنى قد بعثت إلى أهل الكوفة رجلاً قبل هذين فلم أره أحكم شيئاً ولا قدر عليه ، وهذان أخلَقُ من بعثت أن يَنْشَبَ بهم الأمر على ما تحبّ ، ولستُ أدرى ما يكون ، فإن رأيتَ — أكرمك الله — يا أمير المؤمنين أن تبعثنى فى أثرهم ، فإنّ أهل المصر أحسن شىء لى طاعةً ، وإن قدمتُ عليهم رجوت ألاّ يُخالفنى منهم أحدٌ . فقال له علىّ : الحقْ بهم ؛ فأقبل الأشترُ حتى دخل الكوفةَ وقد اجتمع الناس فى المسجد الأعظم ، فجعل لا يمرُّ بقبيلة يرى فيها جماعةً فى مجلس أو مسجد إلاّ دعاهم ويقول : اتّبعونى إلى القصر ، فانتهى إلى القصر فى جماعة من الناس ، فاقتحم القصر فدخله وأبو موسى قائمٌ فى المسجد يخطب النّاس ويثبّطهم ، يقول : أيُّها الناس ، إنّ هذه فتنة عمياء صماء تطأُ خِطامها ، النائم فيها خير من القاعد ، والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، والساعى فيها خير من الرّاكب ؛ إنها فتنة باقرة كداء البطن ، أتتكم من قِبَل مأمنكم ، تَدَعُ الحليم فيها حيرانَ كابن أمس . إنا معاشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بالفتنة ، إنها إذا أقبلت شبّهت وإذا أدبرت أسفرت . وعمّارٌ يُخاطبه والحسن يقول له : اعتزل عَمَلَنا لا أمّ لك ! وتنحّ عن منبرنا . وقال له عمار : أنت سمعتَ هذا من رسول الله صلى الله

١٥٣/١ ٣

(١) ط : « قرون » ؛ والصواب ما أثبته .

عليه وسلم ؟ فقال أبو موسى : هذه يدى بما قلت ، فقال له عمّار : إنما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خاصةً ، فقال : « أنتَ فيها قاعداً خيرٌ منك قائمًا» ، ثمّ قال عمّار : غلب الله مَنْ غالبَه وجاحَده . ١/٣١٥٤

قال نصر بن مزاحم : حدّثنا عمر بن سعيد ، قال : حدّثنى رجل ، عن نُعَيم ، عن أبى مريم الثقفىّ ، قال : والله إنى لفى المسجد يومئذ وعمّار يخاطبُ أبا موسى ويقول له ذلك القولَ ، إذْ خرج علينا غلمان لأبى موسى يشتدّون ينادون : يا أبا موسى ، هذا الأشتر قد دخل القصر فضرَبَنا وأخرجنا ؛ فنزل أبو موسى ، فدخل القصرَ ، فصاح به الأشتر : اخرج من قَصْرِنا لا أمّ لك ! أخرج الله نفسَك ، فوالله إنك لمن المنافقين قديمًا ، قال : أجّلنى هذه العشيّة ، فقال : هى لك ، ولا تبيتَنّ فى القصر الليلة . ودخل الناس ينتهبون متاع أبى موسى ؛ فمنعهم الأشتر وأخرجهم من القصر ، وقال : إنى قد أخرجته ، فكفّ الناس عنه .

* * *

نزول أمير المؤمنين ذا قار

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، قال : لما التقوا بذى قار تلقّاهم علىّ فى أناس ، فيهم ابن عباس فرحّب بهم ، وقال : يا أهلَ الكوفة ، أنتم وليتم شوكة العَجَم وملوكهم ، وفضضتم جموعهم ؛ حتى صارت إليكم مواريثُهم ، فأغنيتم حَوْزَتكم ، وأعنتم الناس على عدوّهم ، وقد دعوتُكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ؛ فإن يرجعوا فذاك ما نُريد وإن يلجّوا داويناهم بالرفق ، وبايَنّاهم حتى يبدءونا بظلم ، ولن ندع أمرًا فيه صلاحٌ إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ، ولا قوّة إلا بالله . ١/٣١٥٥

فاجتمع بذى قار سبعة آلاف ومائتان ، وعبد القيس بأسرها فى الطريق بين علىّ وأهل البصرة ينتظرون مرور علىّ بهم ، وهم آلاف — وفى الماء ألفان وأربعمائة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة بإسنادهما ، قالا : لما نزل علىٌّ ذا قار أرسل ابن عباس والأشتر بعد محمد بن أبى بكر ومحمد

ابن جعفر ، وأرسل الحسنَ بن علىّ وعمارًا بعد ابن عباس والأشتر ، فخفّ فى ذلك الأمر جميعُ من كان نَفَر فيه ، ولم يقدُم فيه الوجوه أتباعَهم فكانوا خمسة آلاف أخذ نصفهم فى البرّ ونصفهم فى البحر ، وخفّ مَن لم ينفر فيها ولم يعمل لها . وكان على طاعته(١) ملازمًا للجماعة فكانوا أربعة آلاف ، فكان رؤساء الجماعة : القعقاع بن عمرو وسعْر(٢) بن مالك وهند بن عمرو والهيثم ابن شهاب ؛ وكان رؤساء النفّار : زيد بن صُوحان ، والأشتر مالك بن الحارث ، وعدىّ بن حاتم ، والمسيّب بن نَجَبَة ، ويزيد بن قيس ومعهم أتباعهم وأمثال لهم ليسوا دونهم إلاّ أنهم لم يؤمّروا ؛ منهم حُجْر بن عدىّ وابن مَحْدُوج البكرىّ ؛ وأشباه لهما لم يكن فى أهل الكوفة أحد على ذلك الرأى غيرهم . فبادروا فى الوقعة إلا قليلاً ، فلما نزلوا على ذى قار دعا القعقاعَ بن عمرو فأرسله إلى أهل البصرة وقال له : الق هذين الرجلين يا بن الحنظليّة — وكان القعقاع من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم — فادعُهما إلى الألْفة والجماعة ، وعظّم عليهما الفُرْقَة ، وقال له : كيف أنت صانع فيما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة منّى ؟ فقال : نلقاهم بالّذى أمرتَ به ، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأىٌ اجتهدنا الرّأى وكلّمناهم على قدر ما نَسْمع ونرى أنه ينبغى . قال : أنت لها . فخرج القعقاعُ حتى قدم البصرة ، فبدأ بعائشة رضى الله عنها فسلّم عليها ، وقال : أىْ أمَّهْ ، ما أشخصكِ وما أقدمكِ هذه البلدة ؟ قالت : أىْ بنىّ ، إصلاح بين الناس ، قال : فابعثى إلى طلحة والزّبير حتى تسمعى كلامى وكلامهما ، فبعثت إليهما فجاءا ، فقال : إنى سألت أمّ المؤمنين : ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد ؟ فقالت : إصلاح بين الناس ، فما تقولان أنتما ؟ أمتابعان أم مخالفان ؟ قالا : مُتابعان ، قال : فأخبرانى ما وَجْهُ هذا الإصلاح ؟ فوالله لئن عرفنا لنُصلحنّ ، ولئن أنكرناه لا نُصلح . قالا : قتلة عثمان رضى الله عنه ، فإنّ هذا إن تُرك كان تَرْكًا للقرآن ؛ وإن عمِل به كان إحياء للقرآن . فقال : قد قَتَلْتُما قتلةَ عثمان من أهل البصرة ، وأنتم قبل قَتْلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليومَ ، قتلتم ستمائة إلا رجلاً ، فغضب لهم ستة آلاف ، واعتزلوكم

١/٣١٥٦

(١) ط : « وكان على ظاعنا » . وانظر التصويبات . (٢) ط : « سعد » ؛ وانظر الفهرس .

وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم ذلك الذى أفلتَ – يعنى حرقوص بن زُهير – ١/٣١٥٧
فمنعه ستة آلاف وهم على رِجْل ، فإن تركتموه[1] كنتم تاركين لما تقولون ؛
وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأُديلوا عليكم فالذى حذِرتم وقرِبتم[2] به هذا الأمر
أعظم ممّا أراكم تكرهون ؛ وأنتم أحميتم مُضَر وربيعة من هذه البلاد، فاجتمعوا
على حربكم وخذلانكم نُصرةً لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدَث العظيم
والذنب الكبير . فقالت أمّ المؤمنين : فتقول أنت ماذا ؟ قال : أقول هذا
الأمر دواؤه التسكين ، وإذا سكن اختُلِجُوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلامةُ خير
وتباشير رَحْمة ودركٌ بثأر هذا الرّجل، وعافية وسلامة لهذه الأمة، وإن أنتم
أبيتم إلاّ مكابرَةَ هذا الأمر واعتسافه، كانت علامة شرّ، وذهاب هذا الثأر،
وبعثة الله فى هذه الأمة هزَاهِزَها ،فآثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مَفاتيح
الخير كما كنتم تكونون ، ولا تعرضونا للبلاء ولا تعرّضوا له فيصرعنا وإياكم .
وأيم الله إنّى لأقول هذا وأدعوكم إليه وإنى لخائفٌ ألاّ يتمّ حتى يأخذ الله عزّ
وجلّ حاجتَه من هذه الأمة التى قلّ متاعُها ونزل بها ما نزل ، فإنّ هذا الأمر
الّذى حدَث أمرٌ ليس يقدّر ، وليس كالأمور، ولا كقتل الرّجل الرّجل، ولا
النّفر الرجلَ ، ولا القبيلة الرجلَ . ١/٣١٥٨

فقالوا : نعم ، إذاً قد أحسنت وأصبت المقالةَ ؛ فارجع فإن قَدِم علىٌّ
وهو على مثل رأيك صلَح هذا الأمر . فرجع إلى علىّ فأخبره فأعجبه ذلك ،
وأشرف القوم على الصّلح ؛ كَرِه ذلك مَن كرهه ، ورضيَه مَنْ رضيه .

وأقبلت وُفود البصرة نحو علىّ حين نزل بذى قار ، فجاءت وفود تميم
وبكْر قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأى إخوانهم من أهل الكوفة ، وعلى أىّ
حال نهضوا إليهم، وليعلموهم أنّ الذى عليه رأيُهم الإصلاح. ولا يخطر لهم
قتالٌ علىَ بال . فلمّا لقُوا عشائرَهم من أهل الكوفة بالذى بعثهم فيه
عشائرُهم من أهل البصرة وقال لهم الكوفيون مثلَ مقالتهم، وأدخلوهم على علىّ
فأخبروه خبرَهم ؛ سأل علىٌّ جرير بن شرِس عن طلحة والزّبير، فأخبره عن

---

(١) ابن الأثير والنويرى : « وإن تركتموه » . (٢) ابن الأثير والنويرى : « وقويتم » .

دقيق أمرهما وجليله حتّى تمثّل له :

أَلا أَبْلِغْ بَنِى بَكْرٍ رَسولا فَلَيْسَ إِلى بَنِى كَعْبٍ سَبيلُ
سَيَرْجِعُ ظُلْمُكُمْ مِنكُمْ عَلَيْكُم طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ له فُضولُ

وتمثّل علىٌّ عندها :

أَلَمْ تَعْلَمْ أَبا سِمْعانَ أَنَّا نَرُدُّ الشَّيْخَ مِثْلَكَ ذا الصُّداعِ !
ويَذْهَلُ عَقْلُهُ بالحَرْبِ حَتّى يَقومَ فَيَسْتَجيبَ لِغَيْرِ داعِ
فدافَعَ عن خُزاعَةَ جَمْعُ بَكْرٍ وما بك يا سُراقَةُ مِنْ دِفاعِ

* * *

١/٣١٥٩ قال أبو جعفر : أخرج إلىّ زيادُ بن أيوب كتاباً فيه أحاديث عن شيوخ ذكر أنه سمعها منهم ؛ قرأ علىّ بعضَها ولم يقرأ علىّ بعضها، فممّا لم يقرأ علىّ من ذلك فكتبتُه منه ؛ قال : حدّثنا مُصعب بن سلام التميمىّ ، قال : حدّثنا محمد بن سُوقة ، عن عاصم بن كُليب الجرمىّ ، عن أبيه ، قال : رأيتُ فيما يرى النائم فى زمان عثمان بن عفان أنّ رجلا يلى أمورَ الناس مريضاً على فراشه وعند رأسه امرأةٌ ، والناس يريدونه ويَبْهَشُون(١) إليه ، فلو نهتهم المرأة لانتهوا ، ولكنها لم تفعل ، فأخذوه فقتلوه. فكنتُ أقصّ رؤيايَ على الناس فى الحضَر والسفر ، فيعجبون ولا يدرون ما تأويلها ! فلما قتل عثمان رضى الله عنه أتانا الخبرُ ونحن راجعون من غَزاتنا ؛ فقال أصحابنا : رؤياكَ يا كُليب . فانتهينا إلى البصرة فلم نلبث إلاّ قليلاً حتّى قيل : هذا طلحة والزّبير معهما أمّ المؤمنين ؛ فراعَ ذلك الناسَ وتعجّبوا ، فإذا هم يزعمون للناس أنهم إنما خرجوا غضباً لعثمان وتوبةً مما صنعوا من خذلانه ، وإنّ أمّ المؤمنين تقول : غضبنا لكم على عثمان فى ثلاث : إمارة الفتَىّ ، وموقع الغمامة ، وضربة السوط والعصا ، فما أنصفنا إن لم نغضب له عليكم فى ثلاث جررتموها إليه : حرمة الشهر ، والبلد ، والدم . فقال الناس : أفلم تُبايعوا عليّاً وتدخلوا فى أمره ! فقالوا : دخلنا

(١) يبهشون إليه : يخفون .

واللُّجّ(١) على أعناقنا . وقيل هذا علىّ قد أظلّكم ، فقال قومُنا لى ولرجلين معى : انطلقوا حتّى تأتوا عليًّا وأصحابه فسلوهم عن هذا الأمر الّذى قد اختلط علينا ؛ فخرجنا حتّى إذا دنونا من العسكر طلع علينا رجل جميل على بغلة ، فقلت لصاحبىّ : أرأيتم المرأةَ التى كنت أحدّثكم عنها أنها كانت عند رأس الوالى ؟ فإنها أشبه الناس بهذا ،ففطن أنّا نخوضُ فيه، فلما انتهى إلينا قال : قفوا ، ما الّذى قلتم حين رأيتمونى ؟ فأبينا عليه ، فصاح بنا وقال : والله لاتبرحون حتّى تخبرونى ، فدخلتنا منه هيبةٌ ،فأخبرناه فجاوزَنا وهو يقول : والله لقد رأيت عجبًا ، فقلنا لأدنى أهل العسكر إلينا : مَن هذا ؟ فقال : محمّد بن أبى بكر ، فعرفنا أن تلك المرأة عائشة رضى الله عنها ، فازددنا لأمرها كراهيةً ، وانتهينا إلى علىّ فسلمنا عليه ، ثم سألناه عن هذا الأمر ، فقال : عَدا الناس على هذا الرّجل وأنا مُعتزل فقتلوه ، ثمّ ولّونى وأنا كارهٌ ولولا خشية على الدّين لم أجبهم ، ثمّ طفق هذان فى النّكث فأخذت عليهما وأخذتُ عهودهما عند ذلك ،وأذنتُ لهما فى العُمْرة ، فقدما على أمّهما حليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيا لها ما رغبا لنسائهما عنه ، وعرّضاها لما لا يحلّ لهما ولايصلح ؛ فاتّبعتُهما لكيلا يفتقوا فى الإسلام فتقًا ،ولا يخرِقوا جماعة .

ثم قال أصحابه : والله ما نُريد قتالهم إلاّ أن يقاتلوا وما خرجنا إلاّ لإصلاح . فصاح بنا أصحابُ علىّ : بايعوا بايعوا ، فبايع صاحبىَّ ، وأمّا أنا فأمسكتُ وقلت : بعثنى قومى لأمرٍ ،فلا أحدِث شيئًا حتى أرجع إليهم . فقال علىّ : فإن لم يفعلوا ؟ فقلتُ: لم أفعل ، فقال : أرأيتَ لو أنهم بعثوك رائداً فرجعت إليهم ،فأخبرتَهم عن الكلإ والماء فحالوا إلى المعاطش والجُدوبة ما كنت صانعًا ؟ قال : قلتُ : كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلإ والماء ، قال : فمدّ يدك ، فوالله ما استطعتُ أن أمتَنع ، فبسطتُ يدى فبايعتُه . وكان يقول : علىٌّ من أدْهَى العرب . وقال : ما سمعتَ من طلحة والزّبير ؟ فقلتُ : أما الزّبير فإنه يقول : بايعنا كرهًا، وأمّا طلحة فقبل على أن يتمثّل الأشعارَ ، ويقول :

---

(١) اللج : السيف .

ألاَ أَبلِـغ بنى بكرٍ رسولاً   فليسَ إلى بنى كَعبٍ سبيلُ
سيَرجِع ظُلمَـكُم منكُم عليكُم   طويلُ السَّاعدين له فضُول

فقال : ليس كذلك، ولكن :

ألمْ تعْـلَمْ أبا سِمْعانَ أنَّا   نُصِمّ الشَّيخ مثلك ذَا الصُّداعِ
ويذْهَلُ عقلُه بالحرب حتَّى   يقومَ فَيستجيب لغير داعِ

ثم سار حتى نزل إلى جانب البصرة ؛ وقد خَنْدق طليحة والزّبير ، فقال لنا أصحابنا من أهل البصرة : ما سمعتم إخواننا من أهل الكوفة يريدون ويقولون ؟ فقلنا : يقولون خرجنا للصّلح وما نريد قتالاً ؛ فبينا هم على ذلك لا يحدّثون أنفسهم بغيره، إذْ خرَج صبيان العسكرين فتسابّوا ثم تراموْا، ثم تتابع عبيدُ العسكرين، ثم ثلّث السفهاء، ونشبت الحرب، وألجأتهم إلى الخندق، فاقتتلوا عليه حتى أجلَوْا إلى موضع القتال ؛ فدخل منه أصحاب عليّ وخرج الآخرون.

ونادى عليّ : ألا لا تتبعوا مُدبرا، ولا تُجهِزوا على جريح، ولا تدخلوا الدّور، ونهَى الناسَ، ثم بعث إليهم أن اخرجوا للبيعة، فبايعهم على الرّايات وقال : من عرف شيئًا فليأخذْه، حتى ما بقى فى العسكرين شىء إلاّ قبض ، فانتهى إليه قوم من قيس شباب، فخطب خطيبُهم، فقال: أين أمراؤكم؟ فقال الخطيب : أصيبوا تحت نُظّار الجمل ؛ ثمّ أخذ فى خطبته، فقال عليّ : أما إنّ هذا لهو الخطيب السحْسَح . وفرغ من البيعة ؛ واستعمل عبد الله ابن عباس وهو يُريد أن يقيم حتى يحكم أمرها ، فأمرنى الأشتر أن أشترىَ له أثمنَ بعير بالبصرة ففعلتُ ، فقال : ائت به عائشة، وأقرئها منى السلام، ففعلتُ ، فدعتْ عليه وقالت : اردُدْه عليه ؛ فأبلغته ، فقال : تلومُنى عائشة أن أفلتَ ابنَ أختها ! ١/٣١٦٢

وأتاه الخبر باستعمال عليّ ابنَ عباس فغضب وقال : علامَ قتلنا الشيخ ! إذ اليمَنُ لعبيد الله ، والحجاز لقُثَم ، والبصرة لعبد الله ، والكوفة لعليّ . ثم دعا بدابّته فركب راجعًا . وبلغ ذلك عليًّا فنادى : الرّحيل ،

ثمّ أجدّ السّير فلحق به فلم يُره أنه قد بلغه عنه وقال : ما هذا السير ؟ سبقتَنا ! وخشيَ إن تُرِكَ والخروج أن يُوقع فى أنفس الناس شرًّا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : لماجاءت وفودُ أهل البصرة إلى أهل الكوفة ورجع القعقاع من عند أمّ المؤمنين وطلحة والزّبير بمثل رأيهم ، جمع علىّ الناس ، ثمّ قام على الغرائر ، فحمِد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه وصلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم . وذكر الجاهليّة وشقاءَها والإسلامَ والسعادة وإنعامَ الله على الأمّة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثمّ الذى يليه ، ثمّ حدَث هذا الحدث الّذى جرّه على هذه الأمّة أقوامٌ طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة ، وأرادوا ردّ الأشياء على أدبارها ، والله بالغٌ أمره ، ومصيبٌ ما أراد . ألا وإنّى راحلٌ غداً فارتحلوا ، ألاَ ولا يرتحلنّ غداً أحدٌ أعان على عثْمان بشىء فى شىء من أمور الناس ، وليُغْنِ السفَهاء عنى أنفسَهم . ٣١٦٣/١

فاجتمع نفرٌ ، منهم علِباء بن الهيثم ، وعدىّ بن حاتم ، وسالم بن ثعلبة العبسىّ ، وشُرَيح بن أوفى بن ضُبَيعة ، والأشتر ؛ فى عدّة ممن سار إلى عثمان ، ورضىَ بسيْر مَن سار ، وجاءمعهم[١] المصريّون : ابن السوداء وخالد بن ملجم وتشاوروا ، فقالوا : ما الرّأى ؟ وهذا والله علىّ ، وهو أبصر النّاس بكتاب الله وأقرب ممّن يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلى العمل بذلك ، وهو يقول ما يقول ، ولم ينفر إليه إلاّ هم والقليلُ من غيرهم ، فكيف به إذا شامّ القوم وشامّوه ، وإذا رأوا قلّتنا فى كثرتهم ! أنتم[٢] والله ترادُون ، وما أنتم بأنْجىَ من شىْء . فقال الأشتر : أمّا طلحة والزّبير فقد عرفنا أمرَهما ، وأمّا علىّ فلم نعرف أمره حتى كان اليوم ، ورأىُ الناس فينا والله واحد ، وإن يصطلحوا وعلىّ[٣] فعلَى دمائنا ؛ فهلمّوا فلنتواثبْ على علىّ فنلحِقه بعثمان ؛ فتعود فتنة يُرضَى منّا فيها بالسّكون . ٣١٦٤/١

---

(١) ابن الأثير : « وجامعهم » .
(٢) ابن الأثير والنويرى : « وأنتم » .
(٣) ابن الأثير والنويرى : « مع على » .

فقال عبد الله بن السوداء: بئس الرّأى رأيت ! أنتم يا قتلة عثمان من أهل الكوفة بذى قار ألفان وخمسمائة أو نحو من ستمائة، وهذا ابن الحنظليّة وأصحابه فى خمسة آلاف بالأشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلاً، فارقأ على ظَلْعك[1] .

وقال عِلباء بن الهيثم : انصرفوا بنا عنهم ودعوهم، فإن قلّوا كان أقوى لعدوّهم عليهم، وإن كثروا كان أحرى أن يصطلحوا عليكم؛ دعوهم وارجعوا فتعلّقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تتّقون به، وامتنعوا من الناس. فقال ابن السوداء : بئس ما رأيت ! ودّ والله الناس أنكم على جَديلة[2] ، ولم تكونوا مع أقوام برآء، ولو كان ذلك الذى تقول لتخطّفكم كلّ شىء. فقال عدىّ بن حاتم : والله ما رضيتُ ولا كرهت ، ولقد عجبت من تردّد من تردّد عن قتله فى خوض الحديث، فأمّا إذ وقع ما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة، فإنّ لنا عتاداً من خيول وسلاح محموداً، فإن أقدمتم أقدمنا وإن أمسكتم أحجمنا. فقال ابن السّوداء : أحسنت !

وقال سالم بن ثعلبة : مَنْ كان أراد بما أتى الدّنيا فإنّى لم أرِدْ ذلك، والله لئن لقيتُهم غداً لا أرجع إلى بيتى، ولئن طال بقائى إذا أنا لاقيتُهم لا يزد على جَزْر جزور. وأحلف بالله إنكم لتفرّقون السيوف فرَق قوم لا تصير أمورُهم إلاّ إلى السّيف. فقال ابن السوداء : قد قال قولا.

وقال شريح بن أوفى : أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا، ولا تؤخّروا أمرًا ينبغى لكم تعجيلُه؛ ولا تعجّلوا أمرًا ينبغى لكم تأخيره؛ فإنّا عند الناس بشرّ المنازل، فلا أدرى ما الناس صانعون غداً إذا ما هم التقوا !

وتكلّم ابن السوداء فقال : ياقوم، إنّ عزّكم فى خُلْطة الناس، فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال، ولا تفرّغوهم للنظر، فإذا مَن أنتم معه لا يجد بدًّا من أن يمتنع؛ ويشغل الله عليًّا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عمّا تكرهون. فأبصَروا الرّأى، وتفرّقوا عليه والناس لا يشعرون.

وأصبح علىّ على ظهر، فمضى ومضى الناس حتى إذا انتهى إلى عَبْد القيس نزل بهم وبمن خرج من أهل الكوفة وهم أمام ذلك، ثم ارتحل

١/٣١٦٥

(١) يقال : ارقأ على ظلعك ، أى أصلح أمرك أولا . (٢) على جديلة ، أى على رأى واحد .

حتى نزل على أهل الكوفة وهم أمام ذلك ، والناس متلاحِقون به وقد قطعهم ، ولما بلغ أهلَ البصرة رأيُهم ونزل علىّ بحيث نزل ، قام أبو الجرباء إلى الزّبير ابن العوّام فقال : إنّ الرّأى أن تبعث الآن ألف فارس فيمسّوا هذا الرّجل ويصبّحوه قبل أن يوافى أصحابه ؛ فقال الزّبير : يا أبا الجرباء ، إنا لنعرف ٣١٦٦/١ أمور الحرب ؛ ولكنهم أهل دعوتنا ؛ وهذا أمر حدث فى أشياء لم تكن قبل اليوم ، هذا أمرٌ مَنْ لم يلق الله عزّ وجلّ فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامة ؛ ومع ذلك إنه قد فارقَنا وافدُهم على أمرٍ ، وأنا أرجو أن يتمّ لنا الصّلح ؛ فأبشروا واصبروا . وأقبل صَبْرة بن شَيْمان فقال : ياطلحة ، يازبير ، انتهزابنا هذا الرّجل فإنّ الرّأى فى الحرب خيرٌ من الشدّة . فقالا : يا صَبْرة إنا وهم مسلمون ، وهذا أمرٌ لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن ، أو يكون فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سُنّة ، إنما هو حدَث . وقد زعم قوم أنه لا ينبغى تحريكه اليوم . وهمّ علىّ ومَنْ معه ، فقلنا : نحن لا ينبغى لنا أن نتركه اليوم ولا نؤخّره . فقال علىّ : هذا الّذى ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم شرّ وهو خير من شرّ منه ، وهو كأمر لا يدرك ، وقد كاد أن يبين لنا ، وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بإيثار أعمّها منفعةً وأحوَطِها . وأقبل كعب بن سُور فقال : ما تنتظرون يا قوم بعد تورّدكم أوائلهم ! اقطعوا هذا العُنق من هؤلاء . فقالوا : يا كعب ، إنّ هذا أمر بيننا وبين إخواننا ، وهو أمرٌ ملتبس ، لا والله ما أخذ أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم مذ بعث الله عزّ وجلّ نبيّه طريقًا إلاّ علموا أين مواقع أقدامهم ؛ حتى حدث هذا فإنهم لا يدرون أمُقبلون هم أم مدبرون ! إن الشىء يحسن عندنا اليوم ويقبحُ عند إخواننا ؛ فإذا كان من الغد قَبُحَ عندنا وحسن عندهم ؛ وإنا لنحتجّ عليهم بالحجّة فلا يرونها حجّة ، ثم يحتجّون بها على أمثالها ، ونحن نرجو الصّلح إن أجابوا إليه وتمّوا ، وإلاّ فإن آخر الدواء الكىّ .

وقام إلى علىّ بن أبى طالب أقوامٌ من أهل الكوفة يسألونه عن إقدامهم ٣١٦٧/١ على القوم ، فقام إليه فيمن قام الأعور بن بُنان المِنْقرىّ ؛ فقال له علىّ : على الإصلاح وإطفاء النائرة ، لعلّ الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حَرْبَهم ؛ وقد أجابونى ، قال : فإن لم يجيبونا ؟ قال : تركناهم ما تركونا ، قال : فإن

لم يتركونا ؟ قال : دفعناهم عن أنفسنا ، قال : فهل لهم مثل ما عليهم من هذا ؟ قال : نعم .

وقام إليه أبو سلامة الدّألانىّ فقال : أترى لهؤلاء القوم حجّة فيما طلبوا من هذا الدم ، إن كانوا أرادوا الله عزّ وجل بذلك ؟ قال: نعم ، قال : فترى لك حجّة بتأخيرك[1] ذلك ؟ قال : نعم ، إنّ الشىء إذا كان لا يُدرك فالحكم فيه أحوطُه وأعمُّه نفعًا ، قال : فما حالنا وحالكم إن ابتلينا غدًا ؟ قال : إنّى لأرجو ألاّ يُقتَل أحدٌ نَقَّى قلبه لله منّا ومنهم إلا أدخله الله الجنّة .

وقام إليه مالك بن حبيب ، فقال : ما أنت صانع إذا لقيتَ هؤلاء القوم ؟ قال : قد بان لنا ولهم أنّ الإصلاح الكفّ عن هذا الأمر ، فإنْ بايعونا فذلك ، فإن أبَوا وأبينا إلاّ القتال فصَدْعٌ لا يلتئم ؛ قال : فإن ابتلينا فما بال قتلانا ؟ قال : من أراد اللهَ عزّ وجلّ نفعه ذلك وكان نجاءه . ١/٣١٦٨

وقام علىّ ،فخطب الناس فحمِد الله وأثنى عليه وقال : يأيُّها الناس، املِكوا أنفسكم ،كفُّوا أيديكم وألسنتكم عن هؤلاء القوم ،فإنهم إخوانكم ، واصبروا على ما يأتيكم ، وإياكم أن تسبقونا فإنّ المخصوم غداً من خصَم اليوم .

ثم ارتحل وأقدم ودفع تعبيته التى قدم فيها حتى إذا أطلّ على القوم بعث إليهم حكيم بن سلامة ومالك بن حبيب : إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع ابن عمرو فكفّوا وأقِرّونا ننزل وننظر فى هذا الأمر .

فخرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشمّرين ؛ قد منعوا حرقوص ابن زهير ، ولا يرون القِتال مع علىّ بن أبى طالب . فقال : يا علىّ ، إنّ قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً أنك تقتل رجالهم وتسبى نساءَهم . فقال: ما مثلى يُخاف هذا منه ، وهل يحلّ هذا إلاّ ممّن[2] تولّى وكفرَ ، ألم تسمع إلى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾[3] ، وهم قوم مسلمون ! هل أنت مُغنٍ عنى قومك ؟ قال : نعم،

---

(١) ابن الأثير : « بتأخير ذلك ». النويرى : « بتأخير ذلك اليوم » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « لمن » .

(٣) سورة الغاشية ٢٢ ، ٢٣ .

واختَر منى واحدةً من ثنتين، إمّا أن أكون آتيك فأكون معك بنفسى، وإمّا أن أكفّ عنك عشرة آلاف سيف. فرجع إلى الناس فدعاهم إلى القعود وقد بدأ فقال: يالَ خندف، فأجابه ناسٌ، ثمّ نادى يالَ تميم! فأجابه ناسٌ، ثم نادى: يالَ سعد؛ فلم يبق سعدىّ إلاَّ أجابه، فاعتزل بهم، ثم نظرَ ما يصنع الناس، فلما وقع القتال وظفر علىّ جاءوا وافرين، فدخلوا فيما دخل فيه الناس. ٣١٦٩/١

وأما الذّى يرويه المحدّثون من أمر الأحنف، فغير ما رواهُ سيفٌ عمن ذكر من شيوخه. والذى يرويه المحدّثون من ذلك ما حدّثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا ابن إدريس، قال: سمعت حُصينًا يذكر عن عمرو بن جاوان، عن الأحنف بن قيس، قال: قدمنا المدينةَ ونحن نريد الحجّ، فإنا لبمنازلنا نضع رحالَنا إذ أتانا آتٍ فقال: قد فزعوا وقد اجتمعوا فى المسجد، فانطلقنا فإذا الناس مجتمعون على نَفَر فى وسط المسجد، وإذا علىّ والزّبير وطلحة وسعد بن أبى وقّاص، وإنا لكذلك إذ جاء عثمان بن عفان؛ فقيل: هذا عثمان قد جاء وعليه مُلَيّئة له صفراء قد قنّع بها رأسه، فقال: أهاهنا علىّ؟ قالوا: نعم، قال: أهاهنا الزّبير؟ قالوا: نعم، قال: أهاهنا طلحة؟ قالوا: نعم، قال أنشدكم بالله الذى لا إله إلاّ هو؛ أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من يبتَعْ مِرْبد بنى فلان غفر الله له؛ فابتعتُه بعشرين أو بخمسة وعشرين ألفًا، فأتيتُ النبىّ صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسولَ الله، قد ابتعته، قال: « اجعله فى مسجدنا وأجرُهُ لك »! ٣١٧٠/١ قالوا: اللهمّ نعم، وذكر أشياء من هذا النوّع. قال الأحنف: فلقيتُ طلحةَ والزّبير فقلتُ: من تأمُرانى به وترضيانه لى؟ فإنى لا أرى هذا الرّجل إلاّ مقتولا، قالا: علىّ؟ قلتُ: أتأمرانى به وترضيانه لى؟ قالا: نعم، فانطلقتُ حتى قدمت مكة، فبينا نحن بها إذ أتانا قتلُ عثمان رضى الله عنه وبها عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها، فلقيتُها فقلت: من تأمرينى أن أبايع؟ قالت: علىّ، قلتُ: تأمرينى به وترضينه

لى ؟ قالت : نعم ؛ فمررتُ على علىّ بالمدينة فبايعتُه ، ثمّ رجعت إلى أهلى بالبصرة ولا أرى الأمر إلاّ قد استقامَ ، قال : فبينا أنا كذلك ؛ إذ آتانى آتٍ فقال : هذه عائشة وطلحة والزّبير قد نزلوا جانب الخُرَيْبة ، فقلت : ما جاء بهم ؟ قالوا : أرسلوا إليك يدعونك يستنصرون بك على دَم عثمان رضى الله عنه ، فأتانى أفظعُ أمر أتانى قطّ ! فقلت : إنّ خِذْلانى هؤلاء ومعهم أمّ المؤمنين وحوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لَشديد ، وإنّ قتالى رجلاً ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرونى ببيعته لشديد . فلما أتيتهم قالوا : جئنا لنستنصر على دم عثمان رضى الله عنه ، قُتل مظلوماً ؛ فقلت : يا أمّ المؤمنين ، أنشدك بالله أقلتُ لك : مَن تأمرينى به ؟ فقلت : علىّ ؟ فقلتُ : أتأمرينني به وترضيْنه لى؟ قلتِ نعم ! قالت : نعم ، ولكنه بدّل . فقلت : يا زُبير يا حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ياطلحة ، أنشدكما الله ، أقلتُ لكما : ما تأمرانى فقلتما : علىّ ؟ فقلت : أتأمرانى به وترضيانه لى؟ فقلتما نعم ! قالا : نعم ، ولكنه بدّل ، فقلتُ : والله لا أقاتِلُكم ومعكم أمّ المؤمنين وحوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أقاتِل رجلاً ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمرتمونى ببيعته ؛ اختاروا منى واحدةً من ثلاث خِصال : إما أن تفتحوا لى الجسر فألحق بأرض الأعاجِم حتى يقضىَ الله عزّ وجلّ مِن أمره ما قَضى ، أو ألحق بمكّة فأكون فيها حتّى يقضى الله عزّ وجلّ من أمره ما قضى ، أو أعتزل فأكونُ قريباً . قالوا : إنا نأتمر ، ثم نرسل إليك . فائتمروا فقالوا : نفتح له الجسرَ ويخبرهم بأخباركم ! ليس ذاكم برأى ، اجعلوه ها هنا قريباً حيث تطئون على صِماخه وتنظرون إليه . فاعتزل بالجلحاء من البصرة على فرسخين ، فاعتزل معه زُهاءٌ على ستة آلاف . ٣١٧١/١

ثم التقى القوم فكان أوّل قتيل طلحة رضى الله عنه ، وكعب بن سُور معه المصحف يذكّر هؤلاء وهؤلاء ؛ حتى قتل مَنْ قتل منهم ، ولحق الزبير بسَفَوان ، من البصرة كمكان القادسيّة منكم ، فلقيه النَّعِر ؛ رجلٌ من مجاشع ، فقال : أين تذهب يا حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ إلىّ فأنت فى ذمتى لا يوصَل إليك ؛ فأقبل معه ؛ فأتى الأحنف خبرُه فقيل : ذاك الزّبير قد لَقِى

بِسَفَوان فما تأمر؟ قال: جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضُهم حواجب بعض بالسيوف ثم يلحق ببيته ، فسمعه عمير بن جُرموز وفضالة بن حابس ، ونُفيعٌ ؛ فركبوا فى طلبه، فلقوه مع النَّعِر ، فأتاه عمير بن جرموز من خلفه وهو ٣١٧٢/١ على فرس له ضعيفة، فطعنه طعنةً خفيفة، وحمل عليه الزّبير وهو على فرس له يقال له ذو الخِمار ، حتى إذا ظنّ أنه قاتِله نادى عمير بن جُرموز : يا نافع ، يافضالة ، فحملوا عليه فقتلوه .

حدّثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : معتمِر بن سليمان ، قال : نبّأنى أبى ، عن حصين ، قال : حدّثنا عمرو بن جاوان؛ رجل من بنى تميم، وذاك أنى قلت له : أرأيتَ اعتزال الأحنف ما كان ؟ فقال : سمعت الأحنفَ يقول : أتيتُ المدينةَ وأنا حاجٌ ؛ فذكر نحوه . الحمد لله على ما قضى وحكَم .

* * *

بعثة علىّ بن أبى طالب من ذى قار ابنه الحسن وعمّار بن ياسِر ليستنفرا له أهل الكوفة

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا بشير ابن عاصم ، عن ابن أبى ليلى، عن أبيه ، قال : خرج هاشم بن عتبة إلى علىّ بالرّبذَة؛ فأخبره بقُدوم محمد بن أبى بكر وقول أبى موسى ، فقال : لقد أردْتُ عزله، وسألنى الأشترُ أن أقِرّه فردّ علىّ هاشماً إلى الكوفة وكتب إلى أبى موسى : إنّى وَجّهْت هاشم بن عتبة ليُنهض مَنْ قبلك من المسلمين إلىّ، فأشخِص الناس فإنّى لم أولّك الذى أنت به إلاّ لتكون من أعوانى على الحقّ . فدعا أبو موسى السائب بن مالك الأشعرىّ، فقال له : ما ترى ؟ قال : أرى أن تتبع ما كتب به إليك ، قال : لكنى لا أرى ذلك . فكتب هاشم إلى علىّ : ٣١٧٣/١ إنى قد قدِمْتُ على رجُل غالٍ مشاقٍّ ظاهر الغلّ والشنآن . وبعث بالكتاب مع المُحلّ بن خليفة الطائىّ . فبعث علىّ الحسن بن علىّ وعمّار بن ياسر يستنفران له الناس ، وبعث قرظَة بن كعب الأنصارىّ أميراً على الكوفة ،

وكتب معه : إلى أبي موسى : أما بعد ، فقد كنت أرى أن بعدك [1] من هذا الأمر الّذى لم يجعل الله عزّ وجلّ لك منه نصيباً سيمنعك من ردّ أمرى ، وقد بعثتُ الحسنَ بن علىّ وعمّار بن ياسر يستنفران الناس ، وبعثتُ قرَظة بن كعب والياً على المصر ، فاعتزل عمَلَنا مذموماً مدحوراً ، فإن لم تفعل فإنّى قد أمرته أن ينابذك ، فإن نابذته فظفر بك أن يقطّعك آراباً .

فلما قدِم الكتابُ على أبى موسى اعتزل ، ودخل الحسن وعمار المسجد فقالا : أيّها الناس ، إنّ أمير المؤمنين يقول : إنى خرجتُ مخرَجى هذا ظالماً أو مظلوماً ؛ وإنى أذكّر الله عزّ وجلّ رجلاً رعى لله حقّاً إلا نفر ، فإن كنتُ مظلوماً أعانني ، وإن كنت ظالماً أخذ منى ، والله إنّ طلحة والزّبير لأوّلُ من بايعنى ، وأوّلُ من غدر ، فهل استأثرتُ بمال ، أو بدّلت حُكماً ! فانفِروا ، فمُروا بمعروف وانهَوْا عن منكر .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا أبو مِخنف ، عن جابر ، عن الشعبىّ ، عن أبى الطُّفَيْل ، قال : قال علىّ : يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألفَ رجل ورجل ، فقعدت على نَجَفة ذى قار ، فأحصيتهم فما زادوا رجلا ، ولا نقصوا رجلاً . ١/٣١٧٤

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن بشير بن عاصم ، عن ابن أبى ليلى ، عن أبيه ، قال : خرج إلى علىّ اثنا عشر ألف رجل ، وهم أسباع : على قريش وكنانة وأسَد وتميم والرِّباب ومُزينة معقل بن يسار الرّياحىّ ، وسُبْع قيس عليهم سعد بن مسعود الثقفىّ ، وسُبْع بكر بن وائل وتغلِب عليهم وَعْلة بن مخدوج الذّهلى ، وسُبْع مَذحِج والأشعَرِين عليهم حُجْر ابن عدىّ ، وسُبْع بُجيلة وأنمار وخَثْعم والأزْد عليهم مِخنف بن سُلَيم الأزدىّ .

* * *

نزول علىّ الزاويةَ من البصرة

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن مسلمة بن محارب ، عن قتادة ، قال : نزل علىّ الزاويةَ وأقام أياماً ، فأرسل إليه الأحنف : إن

(١) ط : « أرى أن تمذب » ، وأثبت ما فى التصويبات .

شئتَ أتيتُك ، وإن شئتَ كففتُ عنك أربعة آلاف سيف ، فأرسل إليه عليٌّ : كيف بما أعطيت أصحابَك من الاعتزال ! قال : إنّ من الوفاء لله عزّ وجلّ قتالَهم ، فأرسل إليه : كُفَّ مَن قدرتَ على كفّه . ثم سار عليٌّ من الزّاوية ، وسار طلحة والزبير وعائشة من الفُرْضَة ، فالتَقَوْا عند موضع قصر عُبيد الله — أو عبد الله — بن زياد ، فلما نزل الناسُ أرسل شقيق بن ثور إلى عمرو بن مرحوم العبدىّ : أن اخرج ، فإذا خرجتَ فمِلْ بنا إلى عسكر علىّ . فخرجا فى عبد القيْس وبكر بن وائل ، فعدَلوا إلى عسكر أمير المؤمنين ، فقال الناس : مَن كان هؤلاء معه غَلَب ، ودفع شَقيق بن ثور رايتهم إلى مولًى له يقال له : رَشْراشة ، فأرسل إليه وَعْلة بن محدوج الذُّهْلى : ضاعت الأحساب ، دفعتَ مكرُمة قومك إلى رَشراشة ، فأرسل شقيق : أن أغنِ شأنَك ؛ فإنا نُغنى شأننا . فأقاموا ثلاثةَ أيام لم يكن بينهم قتال ، يرسل إليهم علىّ ، ويكلّمهم ويردَعهم .

١/٣١٧٥

حدّثنا عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر الهُذَلىّ ، عن قتادة ، قال : سار عليٌّ من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة ، وساروا من الفُرْضة يريدون عليًّا ، فالتقَوْا عند موضع قصرِ عُبيد الله بن زياد فى النصف من جمادى الآخرة سنة ستٍّ وثلاثين يوم الخميس ، فلما تراءى الجَمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح ، فقيل لعلىّ : هذا الزبير ؛ قال : أما إنه أحرى الرّجلين إن ذُكّر بالله أن يذكره ، وخرج طلحة ، فخرج إليهما علىّ ، فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابّهم ، فقال علىّ : لعَمرى لقد أعددتُما سلاحًا وخيلاً ورجالاً ، إن كنتما أعددتُما عند الله عذراً فاتّقيا الله سبحانه ، ولا تكونا كالتى نَقضتْ غزلَها من بعد قوّة أنكاثاً . ألم أكن أخاكما فى دينكما ، تحرّمان دمى وأحرّم دماءكما ! فهل من حدَث أحلّ لكما دمى ؟ قال طلحة : ألّبْتَ الناسَ على عثمان رضى الله عنه ، قال علىّ : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾[1] ؛ يا طلحة ، تطلب

---

(١) سورة النور ٢٥ .

بدم عثمان رضى الله عنه ! فلعن الله قَتَلَةَ عثمانَ . يا زبير ، أتذكر يوم
٣١٧٦/١ مررتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى غَنْم ، فنظر إلىّ فضحك
وضحكت إليه ، فقلتَ [١] : لا يَدَع ابن أبى طالب زَهوَه ، فقال لك رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم : «صَه، إنه ليس به زهو، ولتقاتلَنه وأنت له ظالم» ؟
فقال : اللهمّ نعم ، ولو ذكرتُ ما سرتُ مسيرى هذا ، والله لا أقاتلك أبداً .

فانصرف علىّ إلى أصحابه ، فقال : أمّا الزّبير فقد أعطى الله عهداً
ألاّ يقاتلكم ، ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها : ما كنت فى موطن منذ عقلت
إلاّ وأنا أعرف فيه أمرى غير مَوطِنى هذا ، قالت : فما تريد أن تصنع ؟
قال : أريد أن أدعَهم وأذهب ؛ فقال له ابنه عبد الله : جمعتَ بين هذين
الغارَيْن [٢] ، حتى إذا حدّد بعضهم لبعض أردتَ أن تتركهم وتذهب ! أحسست
رايات ابن أبى طالب ، وعلمتَ أنها تحملها فتيةٌ أنجاد ؛ قال : إنى قد
حلفتُ ألاّ أقاتله ، وأحفَظَه ما قال له ، فقال : كفّرعن يمينك ، وقاتلْه ،
فدعا بغلام له يقال له مكحول ، فأعتقه ، فقال عبد الرحمن بن سليمان
التيمىّ :

لم أرَ كاليَوم أخا إخوانِ أعْجَبُ مِنْ مُكَفِّرِ الأيمانِ
بالعِتقِ فى مَعْصِيَةِ الرَّحْمَنْ

وقال رجل من شعرائهم :

يُعْتِقُ مَكْحولا لصَونِ دينِهْ كفّارةً لله عن يَمِينِهْ
والنَّكْثُ قد لاحَ على جَبِينِهْ

* * *

٣١٧٧/١ رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة : فأرسل عمران
ابن حُصين فى النـاس يخذّل من الفريقين جميعًا ، كما صنع

(١) ابن الأثير : « فقلت له » .
(٢) الغاران هنا : الجيشان .

الأحنف ، وأرسل إلى بنى عدىّ فيمن أرسل ، فأقبل رسولُه حتى نادى على باب مسجدهم : ألاَ إنّ أبا نُجَيْد عمران بن الحُصين يقرئكم السلام ، ويقول لكم : والله لأن أكون فى جبل حَضَن(١) مع أعنُز خضْر وضأن ، أجزّ أصوافها ، وأشرَب ألبانَها ، أحبّ إلىّ من أن أرمىَ فى شىء من هذين الصفين بسهم ، فقالت بنو عدىّ جميعًا بصوت واحد : إنا والله لا نَدَع ثقلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لشىء — يَعنُون أمّ المؤمنين .

* * *

حدّثنا عمرو بن علىّ ، قال : حدّثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : حدّثنا أبو نعامة العدوىّ ، عن حُجَير بن الربيع ، قال : قال لى عمران بن حصين : سرْ إلى قومك أجمعَ ما يكونون ، فقم فيهم قائمًا ، فقل : أرسلَنى إليكم عمران ابن حصين صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقرأ عليكم السلام ورحمةَ الله ، ويحلف بالله الذى لا إله إلاّ هو ، لأن يكون عبداً حبشيًّا مجدّعًا يرعى أعنزاً حضنيّات(٢) فى رأس جبل حتى يدركَه الموت ، أحبّ إلىّ من أن يرمى بسهم واحد بين الفريقين ؛ قال : فرفع شيوخُ الحىّ رءوسهم إليه ، فقالوا : إنا لا نَدَع ثقلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لشىء أبداً .

* * *

٣١٧٨/١ رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة : وأهل البصرة فِرَق : فرقة مع طلحة والزبير ، وفرقة مع علىّ ، وفرقة لا ترى القتال مع أحد من الفريقين ، وجاءت عائشةُ رضى الله عنها من منزلها الذى كانت فيه حتى نزلت فى مسجد الحُدّان فى الأزْد ، وكان القتال فى ساحتهم ، ورأس الأزد يومئذ صبْرة بن شَيْمان ، فقال له كعب بن سور : إنّ الجموع إذا تراءَوا لم تستطع ، وإنما هى بحور تَدفّق ، فأطِعنى ولا تشهدهم ، واعتزل بقومك ، فإنى أخاف ألاّ يكون صُلح ، وكن وراءَ هذه النطفة ، ودع هذين الغاريَيْن من مُضَر وربيعة ، فهما أخوان ، فإن

(١) ط : « حصين » ، وانظر اللسان (حصن) .

(٢) ط : « حصينات » .

اصطلحا فالصّلح ما أردنا ، وإن اقتتلا كنا حكّامًا عليهم غداً — وكان كعبٌ في الجاهليّة نصرانيًّا — فقال صبرة : أخشى أن يكون فيك شيء من النصرانيّة ؛ أتأمرني أن أغيبَ عن إصلاح بين الناس ، وأن أخذُل أم المؤمنين وطلحة والزبير إن ردّوا عليهم الصلح ، وأدَع الطلبَ بدم عثمانَ ! لا والله لا أفعلُ ذلك أبداً ، فأطبَق أهلُ اليمن على الحضور .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضُّرَيس البَجَليّ ، عن ابن يعمَر ، قال : لما رجع الأحنف بنُ قيس من عند عليّ لقيه هلالُ ابن وكيع بن مالِك بن عمرو ، فقال : ما رأيك ؟ قال : الاعتزال ، فما رأيُك ؟ قال : مكانفة أمّ المؤمنين ، أفتدَعنا وأنت سيّد نا ! قال : إنما أكون سيّدكم غداً إذا قتِلتَ وبقيتُ ؛ فقال هلال : هذا وأنت شيخُنا ! فقال : أنا الشيخ المعْصيّ ، وأنت الشابّ المطاع . فاتّبعتْ بنو سعد الأحنف ، فاعتزل بهم إلى وادى السباع ، واتّبعت بنو حنظلة هلالا ، وتابعت بنو عمرو أبا الجرباء فقاتلوا .

٣١٧٩/١

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن أبي عثمان ، قال : لما أقبل الأحنف نادى : يا لَأُدّ[1] ، اعتزلوا هذا الأمر ، وولّوا هذين الفريقين كَيْسَه وعَجْزَه ، فقام المنجاب بن راشد فقال : يالَ الرّباب ! لا تعتزلوا ، واشهدوا هذا الأمَر ، وتولوا كَيْسَه ، ففارقوا . فلما قال : يا آل تميم ؛ اعتزِلوا هذا الأمر وولوا هذين الفريقين كيسَه وعجْزه ، قام أبو الجرباء — وهو من بني عثمانَ بن مالك بن عمرو بن تميم — فقال : يالَ عمرو ، لا تعتزِلوا هذا الأمر وتولّوا كيسَه . فكان أبو الجرباء على بني عمرو بن تميم ، والمنجاب بن راشد على بني ضبّة ، فلما قال : يالَ زيد مَناة ، اعتزلوا هذا الأمر ، وولّوا هذين الفريقين كَيْسَه وعَجْزه قال هلال بن وَكيع : لا تعتزِلوا هذا الأمر ؛ ونادى : يالَ حنظلة تولّوْا كَيْسَه ؛ فكان هلالٌ على حنظلة ، وطاوعتْ سعدٌ الأحنف ، واعتزلوا إلى وادى السباع .

---

(١) ط : « يالزيد » ، وهو أد بن طابخة ، أصل تميم . وانظر التصويبات .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا :
كان على هـَوازن وعلى بنى سُلـَيم والأعجاز مجاشع بنُ مسعود السُّلـَمىّ ، وعلى
عامر زُفـَر بن الحارث ، وعلى غـَطفـَان أعصُر بن النعمان الباهلىّ ، وعلى بكر
ابن وائل مالكُ بن مِسمـَع ، واعتزلت عبد القيس إلى علىّ إلاّ رجلاً فإنه
أقام ، ومن بكر بن وائل قـُبيَّام ، واعتزل منهم مثل مـَن بقى منهم ، عليهم
سِنان ، وكانت الأزد على ثلاثة رؤساء : صَبْرة بن شَيْمان ، ومسعود ، وزياد ١/ ٣١٨٠
ابن عمرو ، والشواذب عليهم رجلان : على مضرَ الخِرِّيت بن راشد ،
وعلى قضاعة والتوابع الرِّعبى الجـَرْمى — وهو لقب — وعلى سائر اليمن ذو الآجرة
الحِمْيـَرىّ .

فخرج طلحة والزبير فنزلا بالناس من الزّابوقة ، فى موضع قريةِ الأرزاق ،
فنزلتْ مضر جميعـًا وهم لا يشكّون فى الصلح ، ونزلتْ ربيعة فوقـَهم جميعـًا
وهم لا يشكّون فى الصّلح ، ونزلت اليمن جميعـًا أسفل منهم ، وهم لا يشكّون
فى الصلح ، وعائشة فى الحدّان ، والناس فى الزّابوقة ، على رؤسائهم هؤلاء
وهم ثلاثون ألفـًا ، وردّوا حـَكيماً ومالكاً إلى علىّ ؛ بأنّا علَى ما فارقـْنا عليه القعقاع
فاقدَم . فخرجا حتّى قدما عليه بذلك ، فارتحل حتّى نزل عليهم بحيالهم ،
فنزلتِ القبائل إلى قبائلهم ؛ مضر إلى مضر ، وربيعة إلى ربيعة ، واليمن إلى
اليمن ، وهم لا يشكّون فى الصّلح ، فكان بعضهم بحيال بعض ، وبعضهم
يخرج إلى بعض ، ولا يذكرون ولا ينوون إلاّ الصّلح ، وخرج أمير المؤمنين
فيمن معه ، وهم عشرون ألفـًا ، وأهل الكوفة على رؤسائهم الّذين قدموا معهم
ذا قار ، وعبد القيس على ثلاثة رؤساء : جـَذيمة وبكرٌ على ابن الجارود ، والعمور
على عبد الله بن السّوداء ، وأهل هـَجـَر على ابن الأشجّ ، وبكر بن وائل من
أهل البصرة على ابن الحارث بن نهار ، وعلى دنور بن علىّ الزّط والسيابجة ، ١/ ٣١٨١
وقدِم علىّ ذا قار فى عشرة آلاف ، وانضمّ إليه عشرة آلاف .

* * *

حدّثنى عمر بن شبـّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن بشير بن عاصم ،

عن فِطْر بن خليفة ، عن منذر الثورىّ ، عن محمد بن الحنفيّة ، قال : أقبلْنا من المدينة بسبعمائة رجل ، وخرج إلينا من الكوفة سبعة آلاف ، وانضمّ إلينا مَن حولنا ألفان ، أكثرهم بكر بن وائل ، ويقال : ستة آلاف .

* * *

رجع الحديث إلى حديث محمد وطلحة : قالا : فلما نزل الناس واطمأنوا ، خرج علىّ وخرج طلحةَ والزبير ، فتواقَفوا ، وتكلموا فيما اختلفوا فيه ، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصّلح ووضع الحرب حين رأوا الأمرَ قد أخذ فى الانقِشاع ، وأنه لا يُدرَك ، فافترقوا عن موقفهم على ذلك ، ورجع علىّ إلى عسكره ، وطلحة والزبير إلى عسكرهما .

* * *

أمر القتال

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : وبعث علىّ من العشىّ عبدَ الله بن عبّاس إلى طلحة والزبير ، وبعثا هما من العشىّ محمد بن طلحة إلى علىّ ، وأن يكلم كل واحد منهما أصحابَه ، فقالوا : نعمْ ، فلما أمسَوْا — وذلك فى جُمادى الآخرة — أرسل طلحةُ والزُّبيرُ إلى رؤساء أصحابهما ، وأرسل علىّ إلى رؤساء أصحابه ، ما خلا أولئك الّذين هَضُّوا عثمان ، فباتوا على الصّلح ، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذى أشرفوا عليه ، والنُّزوع عمَّا اشتهى الذين اشتهوا ، وركبوا ما ركبوا ، وبات الذين أثاروا أمرَ عثمان بشرّ ليلة باتوها قطّ ، قد أشرَفوا على الهَلَكة ، وجعلوا يتشاورون ليلتَهم كلّها ، حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب فى السرّ ، واستسرّوا بذلك خشية أن يُفطَن بما حاولوا من الشرّ ، فغدَوا مع الغَلَس ، وما يَشعُر بهم جيرانهُم ، انسلُّوا إلى ذلك الأمر انسلالا ، وعليهم ظلمة ، فخرج مُضَريُّهم إلى مضريِّهم ، ورَبعيُّهم إلى ربَعيِّهم ، ويمانيُّهم إلى يمانيِّهم ، فوضعوا فيهم السلاح ، فثار أهل البصرَة ، وثار كلّ قوم فى وجوه أصحابهم الذين بَهتَوهم[1] ، ١/٣١٨٢

(١) ابن الأثير والنويرى : « أتوهم » . وبهتوهم : كذبوهم .

وخرج الزبير وطلحة فى وجوه الناس من مضرَ فبعثا إلى الميمنة ، وهم ربيعة يعبؤها[١] عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب ابن أسيِّد، وثبتا فى القلب ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : طرقنا أهل الكُوفة ليلا ، فقالا: قد علمنا أنّ عليًّا غير منتهٍ حتى يسفك الدماء ، ويستحلّ الحرْمة ، وأنه لن يطاوعَنا، ثم رجعا بأهل البصرة ، وقَصف أهل البصرة ، أولئك[٢] حتى ردّوهم إلى عسكرهم ، فسمع علىّ وأهلُ الكوفة الصوتَ ، وقد وضعوا رجلا قريبًا من علىّ ليخبره بما يريدون ، فلما قال : ما هذا؟ قال: ذاك الرّجل ما فجئنَا إلاّ وقوم منهم بيّتونا ، فرددْناهم من حيث جاءوا ، فوجدْنا القوم على رِجْل فركبونا، وثارَ الناس، وقال علىّ لصاحب ميمنته : ائتِ الميمنة ، وقال لصاحب ميسرته : ائت الميسرةَ ، ولقد علمتَ أنّ طلحة والزّبير غير منتهيين حتى يَسفِكا الدّماء ، ويستحلاّ الحرمة ، وأنهما لن يطاوِعانا ، والسّبئيّة لا تفترُ إنشابًا. ونادى علىّ فى الناس : أيها الناس ، كفّوا فلا شىء ، فكان من رأيهم جميعًا فى تلك الفتنة ألاّ يقتتلوا حتى يُبدءوا ؛ يطلبون بذلك الحُجّة ، ويستحقون[٣] على الآخرين،ولاّ يقتُلوا مدبرًا ، ولايُجهزوا على جريح ، ولا يُتبعوا . فكان مما اجتمع عليه الفريقان ونادَوا فيما بينهما . ٣١٨٣/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبى عمرو ، قالوا : وأقبل كعب بن سور حتى أتى عائشة رضى الله عنها ، فقال: أدْركى فقد أبى القومُ إلاّ القتال ، لعلّ اللهَ يُصلح بكِ. فركبتْ ، وألبسوا هودَجها الأدراع ، ثم بعثوا جملَها ، وكان جَملُها يدعى عسكرًا ، حملَها عليه يَعلَى بن أميّة، اشتراه بمائتى دينار ، فلما برزتْ من البيوت ــ وكانت بحيثُ تَسمعَ الغوغاء ــ وقفتْ ، فلم تلبث أن سمعتْ غوغاء شديدة ، فقالت : ما هذا ؟ قالوا: ضجّة العسكر ؛ قالت : بخير أو بشرّ؟ قالوا : بشرّ . قالت: فأىّ الفريقين كانت منهم هذه الضجّة فهم المهزومون. وهى واقفة ، فوالله ما فَجِئَها إلاّ الهزيمة ، فمضى الزبير من سننِه فى وجهه ، فسلَك وادى ٣١٨٤/١

(١) يعبؤها : يرتّبها . (٢) ابن الأثير : « أولئك الكوفيين » .
(٣) يستحقون : يطلبون الحق .

السباع ، وجاء طلحة سَهْم غَرْب[1] يخُلّ ركبتَه بصفحة الفرس ، فلما امتلأ مَوْزَجه دمًا وثَقُل قال لغلامه : ارد فى وأمْسكنى ، وابغنى[2] مكاناً أنزل فيه ، فدخل البصرة وهو يتمثّل مثَله ومثَل الزبير :

فإن تكُنِ الحوادِثُ أقصَدَتْنى وأخْطَأهُنّ سَهْمى حين أرْمى
فقد ضُيِّعتُ حين تَبِعتُ سَهْماً سَفاهاً مّا سَفِهْتُ وضَلّ حِلْمى
ندِمْتُ ندَامةَ الكُسَعِىّ لمّا شَرَيْتُ رِضَا بنى سَهْمٍ برَغْمِى
أطَعْتُهُمْ بفُرْقةِ آل لأْىٍ فألقَوْا للسِّباع دَمى ولَحْمِى

* * *

خبر وقعة الجمل من رواية أخرى

قال أبو جعفر : وأما غير سيف فإنه ذكر من خبر هذه الوقعة وأمرِ الزبير وانصرافه عن الموقف الذى كان فيه ذلك اليوم غيرَ الذى ذكر سيف عن صاحبيه ، والذى ذكر من ذلك بعضُهم ما حدّثنيه أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا أبى أبو خيْثمة ، قال : حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، قال : سمعتُ أبى قال : سمعتُ يونس بنَ يزيد الأيْلىّ ، عن الزّهرىّ ، فى قصة ذكرها من خبر علىّ وطلحة والزبير وعائشة فى مسيرهم الذى نحن فى ذكره فى هذا الموضع . قال : وبلغ الخبرُ عليًّا — يعنى خبرَ السَّبْعين الذين قُتلوا مع العبدىّ بالبصْرة — فأقبل — يعنى عليًّا — فى اثنى عشر ألفًا ، فقدِم البصرة ، وجعل يقول : ٣١٨٥/١

يالَهْفَ نفسىَ على رَبيعَهْ رَبيعَةَ السامعَةَ المُطيعَهْ
سُنّتُها كانت بها الوَقيعَهْ

فلما تواقفوا خرج علىّ على فرسه ، فدعا الزبيرَ ، فتواقفا ، فقال علىّ للزبير : ما جاء بك ؟ قال : أنت ، ولا أراك لهذا الأمر أهلا ، ولا أولى به

(١) سهم غرب : لايدرى راميه .
(٢) ابغنى مكاناً ؛ أى التمس لى مكاناً .

منّا ؛ فقال عليّ : لستَ له أهلاً بعد عثمانَ ! قد كنا نَعدُّك من بنى عبدالمطلب حتى بلغ ابنُك ابنُ السوء ففرّق بيننا وبينك ؛ وعظّم عليه أشياء ، فذكَر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم مرّ عليهما فقال لعليّ : « ما يقول ابن عمتك ؟ ليُقاتِلنّك وهو لك ظالم » . فانصرَف عنه الزبير ، وقال : فإنى لا أقاتلُك . فرجع إلى ابنه عبدِ الله فقال : مَالِي فى هذه الحرب بصيرة ، فقال له ابنه : إنك قد خرجت على بصيرة ، ولكنك رأيتَ رايات ابن أبى طالب ، وعرفت أن تحتها الموت[1] ، فجبُنت . فأحفَظَه حتى أُرعد وغضِب ، وقال : ويحك ! إنى قد حلفت له ألاّ أقاتله ، فقال له ابنه : كفِّر عن يمينك بعتْق غلامك سَرْجس ، فأعتقه ، وقام فى الصّفّ معهم ، وكان عليّ قال للزّبير : أتطلب منى دمَ عثمان وأنت قتلتَه ! سلّط الله على أشدّنا عليه اليومَ ما يكره . وقال عليّ : يا طلحة ، جئت بعِرْسِ رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتل بها وخبّأتَ عِرْسَك فى البيت ! أما بايعتنى ! قال : بايعتُك وعلى عُنُقى اللجّ ، فقال عليّ لأصحابه : أيّكم يعرض عليهم هذا المصحف وما فيه ، فإن قطعت يدُه أخذَه بيده الأخرى ، وإن قطعتْ أخذَه بأسنانه ؟ قال فتًى شابٌّ : أنا ، فطاف عليٌّ على أصحابه يعرض ذلك عليهم ، فلم يقبله إلاّ ذلك الفتى ، فقال له عليٌّ : اعرضْ عليهم هذا ، وقل : هو بيننا وبينكم من أوّله إلى آخره ، واللهَ فى دمائنا ودمائكم . فحُمل على الفتى وفى يده المصحف ، فقُطعت يداه ، فأخذه بأسنانه حتى قُتل ، فقال عليّ : قد طاب لكم الضِّراب فقاتلوهم ، فقتِل يومئذ سبعون رجلا ، كلهم يأخذ بِخطام الجمل ، فلما عُقر الجمل وهُزِم الناس ، أصابت طلحة رَمية فقتلْته ، فيزعمون أن مروان بنَ الحكَم رماه ، وقد كان ابن الزبير أخذ بخِطام جمل عائشة ، فقالت : من هذا ؟ فأخبرها ؛ فقالت : واثُكْل أسماء ! فجُرِح ، فألقى نفسَه فى الجَرْحَى ، فاستُخرِج فبرأ من جراحته ، واحتمل محمد بنُ أبى بكر عائشة ، فضُرب عليها فُسطاط ، فوقف عليٌّ عليها فقال : استفززتِ الناس وقد فزّوا ، فألّبتِ بينهم ، حتى قَتل بعضُهم بعضا ... فى كلام كثير . فقالت عائشة : يابنَ أبى طالب ،

١/٣١٨٦

---

(١) ابن الأثير : « الموت الأحمر » .

ملكتَ فأسجح ، نعمْ ما أبليت[١] قومكَ اليوم ! فسرّحها عليّ ، وأرسل معها جماعةً من رجال ونساء ، وجهّزها ، وأمر لها باثنى عشر ألفًا من المال ؛ فاستقلّ ذلك عبدُالله بن جعفر ، فأخرج لها مالا عظيمًا ، وقال : إن لم يُجزه أمير المؤمنين فهو عليّ . وقتِل الزبير ، فزعموا أن ابن جُرموز لهو الذى قتله ، وأنه وقف بباب أمير المؤمنين ؛ فقال لحاجبه : استأذن لقاتل الزّبير ؛ فقال عليّ : ائذن له ، وبشّره بالنار . ٣١٨٧/١

حدّثنى محمد بن عُمارة ، قال : حدّثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا فُضيل ، عن سفيان بن عقبة ، عن قرّة بن الحارث ، عن جوْن بن قتادة . قال قرّة بن الحارث : كنتُ مع الأحنف بن قيس ، وكان جوْن ابن قتادة ابن عمّى مع الزبير بن العوام ، فحدّثنى جوْن بن قتادة ، قال : كنتُ مع الزّبير رضى الله عنه ، فجاء فارسٌ يسير — وكانوا يسلّمون على الزّبير بالإمْرة — فقال : السلام عليك أيّها الأمير ؛ قال : وعليك السلام ؛ قال : هؤلاء القوم قد أتَوْا مكان كذا وكذا ، فلم أرَ قومًا أرثّ سلاحًا ، ولا أقلّ عدداً ، ولا أرعب قلوبًا من قوْم أتوْك ، ثمّ انصرَف عنه . قال : ثمّ جاء فارسٌ فقال : السّلام عليك أيّها الأمير ؛ فقال : وعليك السلام ، قال : جاء القوم حتى أتَوا مكانَ كذا وكذا ، فسمعوا بما جمع الله عزّ وجلّ لكم من العدَد والعُدّة والحدّ ، فقذف اللهُ فى قلوبهم الرعب ، فولّوْا مدبرين ؛ قال الزّبير : إيهًا عنك الآن ؛ فوالله لو لم يجد ابن أبى طالب إلا العرْفج لدبّ إلينا فيه ؛ ثم انصرف . ثم جاء فارس وقد كادت الخيول أن تخرج من الرّهَج[٢] فقال : السلام عليك أيّها الأمير ، قال : وعليك السلام ، قال : هؤلاء القوم قد أتوْك ، فلقيت عمّارًا فقلتُ له وقال لى ؛ فقال الزبير : إنه ليس فيهم ، فقال : بلى والله إنه لَفيهم ؛ قال : والله ما جعله الله فيهم ، فقال : والله لقد جعله الله فيهم . قال : والله ما جعله الله فيهم ؛ فلمّا رأى الرجلَ يخالفه ٣١٨٨/١

---

(١) ابن الأثير : « ابتليت » .

(٢) الرهج : الغبار .

قال لبعض أهله : اركب فانظر : أحقٌّ ما يقول ! فركب معه ، فانطلقا وأنا أنظر إليهما حتى وقفا فى جانب الخيل قليلا ، ثم رجعا إلينا ، فقال الزبير لصاحبه : ما عندك ؟ قال : صدق الرجل ؛ قال الزبير : يا جدْع أنفاه — أو يا قَطْع ظَهْراه ؟ — قال محمد بن عُمارة : قال عبيد الله : قال فضيل : لا أدرى أيّهما قال — ثم أخذه أفكَل(١) ، فجعل السلاح ينتفض ، فقال جون: ثكلتنى أمى ، هذا الذى كنت أريد أن أموت معه ، أو أعيشَ معه ، والذى نفسى بيده ما أخذ هذا ما أرى إلاّ لشىء قد سمعه أو رآه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلمّا تشاغل الناسُ انصرف فجلس على دابته ، ثم ذهب ، فانصرف جون فجلس على دابّته ، فلحق بالأحنف ، ثم جاء فارسان حتى أتيَا الأحنف وأصحابه ، فنزلا ، فأتيا فأكبّا عليه ، فناجيَاه ساعة ، ثم انصرَفا . ثم جاء عمرو بن جُرموز(٢) إلى الأحنف ، فقال : أدركتُه فى وادى السباع فقتلتُه ، فكان يقول : والذى نفسى بيَدِه إن صاحب الزبير الأحنف .

حدثنى عمر بن شبة ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا بشير ابن عاصم ، عن الحجّاج بن أرطاة ، عن عمار بن معاوية الدُّهنى — حىّ من أحمَس بَجيلة — قال : أخذ علىٌّ مصحفًا يوم الجَمَل ، فطاف به فى أصحابه ، وقال : مَنْ يأخذ هذا المصحف ، يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول ؟ فقام إليه فتًى من أهل الكوفة عليه قَباء أبيَض محشوّ ، فقال : أنا ، فأعرَض عنه ، ثم قال : مَنْ يأخذ هذا المصحفَ يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول ؟ فقال الفتى : أنا ، فأعرَض عنه ، ثم قال : مَنْ يأخذ هذا المصحفَ يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول ؟ فقال الفتى : أنا ؛ فدفعه إليه ، فدعاهم فقطعوا يَده اليمنى ، فأخذه بيده اليسرى ، فدعاهم فقطعوا يدَه اليسرى ، فأخذه بصَدره والدّماء تسيل على قَبائه، فقتِل رضى الله عنه ، فقال علىّ : الآن حلّ قتالُهم ، فقالت أمّ الفتى بعد ذلك فيما ترثى :

١/٣١٨٩

لاهُمَّ إنَّ مُسْلِماً دَعاهُمُ ... يَتْلُو كتابَ الله لا يخشاهُمُ

(١) الأفكل : الرعدة . (٢) هو عمير وانظر ص ٤٩٩ .

وأمُّهُمْ قائمـــة تراهُمُ يأتمرون الغَىَّ لا تَنْهاهُمُ
* قد خُضِبَتْ مِنْ علَقٍ لِحاهُمُ *

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا أبو مخنف ، عن جابر ، عن الشعبىّ ، قال : حملت ميمنةُ أمير المؤمنين على ميسرةِ أهلِ البصرة ، فاقتتلوا ، ولاذَ الناس بعائشةَ رضى الله عنها ، أكثرهم[1] ضَبّة والأزْد ، وكان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريبٍ من العصر ؛ ويقال : إلى أن زالت الشمس ، ثم انهزموا ، فنادى رجل من الأزد : كرّوا ، فضربه محمد ابن علىّ فقطع يده ، فنادى : يا معشر الأزد فرّوا ، واستحرّ القتل بالأزد[2] ، فنادَوا : نحن على دين علىّ بن أبى طالب ؛ فقال رجل من بنى ليث بعد ذلك :

٣١٩٠/١

سائلْ بنا يَوْمَ لقينا الأزْدا والخَيْلُ تَعْدو أشْقَراً ووَرْدَا
لمّا قَطَعْنا كِبْدَهُمْ والزَّندَا سُحْقاً لَهُمْ فى رَأْيِهِمْ وبُعْدَا !

حدّثنى عمر بن شبّة، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا جعفر ابنُ سليمان، عن مالك بن دينار ، قال : حمل عمّار على الزبير يومَ الجمل ، فجعل يحُوزه بالرُّمح ، فقال : أتريد أن تقتلنى ؟ قال : لا ، انصرفْ؛ وقال عامر بن حفص : أقبل عمّارٌ حتى حاز الزبير يومَ الجمل بالرمح ، فقال : أتقتلنى يا أبا اليقظان ! قال : لا يا أبا عبد الله .

* * *

رجع الحديث إلى حديث سيف ، عن محمد وطلحة : قالا : ولما انهزم الناس فى صدر النهار ، نادى الزبير : أنا الزّبير ، هلُمّوا إلىَّ أيُّها الناس ، ومعه مولًى له ينادى : أعن حوارىّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تنهزمون ! وانصرف الزبير نحو وادى السباع ، واتّبعه فُرسان ، وتشاغلَ الناسُ عنه بالناس ، فلمارأى الفُرسان تُتبِعه عطَف عليهم ، ففرّق بينهم ،

---

(١) ابن الأثير : « وكان من أكثرهم » .

(٢) ابن الأثير : « فى الأزد » .

فكرُّوا عليه ، فلمّا عرفوه قالوا : الزّبير ! فدعوه(١) ، فلما نفر فيهم علباء بن الهيثم؛ ومرّ القعقاع فى نفر بطلحة وهو يقول : إلىّ عباد الله ، الصبرَ الصبر ! قال له : يا أبا محمد ؛ إنك لجريح ، وإنك عمّا تريد لعليل؛ فادخل الأبياتَ ، فقال : يا غلام ، أدخِلنى وابغنى مكانًا . فأدخِل البصرة ومعه غلام ورجلان، فاقتتل الناس بعْده ، فأقبل الناس فى هزيمتهم تلك وهم يريدون البَصرة . فلمّا رأوا الجمل أطافت به مضر عادوا قَلْبًا كما كانوا حيث التقَوا ، وعادوا إلى أمر(٢) جديد ، ووقفتْ ربيعة البصرة ، منهم ميمنة ومنهم ميسرة ، وقالت عائشة : خلّ يا كعب عن البعير ؛ وتقدّم بكتاب الله عزّ وجلّ فادعُهم إليه ، ودفعت إليه مصحفًا . وأقبل القوم وأمامهم السبئيّة يخافون أن يجرى الصّلح ، فاستقبلهم كعب بالمصحف ، وعلىٌّ من خلفهم يزَعُهم ويأبَوْن إلاّ إقداماً ، فلما دعاهم كعب رشقوه رِشْقًا(٣) واحداً ، فقتلوه ، ورمَوا عائشةَ فى هَودجها ، فجعلت تنادى : يا بَنىّ ، البقيّة البقيّة — ويعلو صوتُها كثرةً — الله الله ، اذكروا اللهَ عزّ وجلّ والحساب ، فيأبوْن إلاّ إقدامًا ، فكان أوّل شىء أحدثتْه حين أبوْا أن قالت : أيُّها الناس ، العنوا قتلةَ عثمان وأشياعَهم ، وأقبلتْ تدعو .

٣١٩١/١

وضجّ أهل البصرة بالدعاء ، وسمع علىٌّ بن أبى طالب الدعاءَ فقال : ما هذه الضجّة ؟ فقالوا : عائشة تدعو ويدعون معها على قتَلة عثمان وأشياعهم ، فأقبل يدعو ويقول : اللهم العنْ قتلةَ عثمان وأشياعَهم . وأرسلتْ إلى عبدالرحمن ابن عتّاب وعبد الرحمن بن الحارث : اثبُتا مكانكما ، وذمرتْ الناسَ حين رأت أنّ القوم لا يريدون غيرَها ، ولا يكفّون عن الناس ، فازدلفت مُضَر البصرة ، فقصفت مضرَ الكوفة حتى زُوحم علىّ ، فنخس علىٌّ قفا محمد ، وقال : احمِل ، فنكَل ، فأهوى علىٌّ إلى الرّاية ليأخذَها منه ، فحمل ، فترك الراية فى يده ، وحملت مضر الكوفة ، فاجتلَدوا قدّام الجمل حتى

---

(١) هنا نقص فى أصول ط .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « فى أمر » .

(٣) الرشق ، بالكسر : الوجه من الرمى .

٣١٩٢/١ ضرِسوا ، والمجنَّبات على حالها(١) ، لا تصنع شيئًا ، ومع علىّ أقوام(٢) غير مُضَر ، فنهم زيد بن صُوحَان ، فقال له رجل من قومه : تنحّ إلى قومك ، مالك ولهذا الموقف ! ألستَ تعلم أن مضرَ بحيالك ، وأنّ الجمل بين يديك ، وأن الموتَ دونه ! فقال : الموت خير من الحياة ، الموت ما أريد؛ فأصيب وأخوه سَيْحان ، وارْتُثّ صعصعة ، واشتدّت الحرب . فلما رأى ذلك علىّ بعث إلى اليمن وإلى ربيعة : أن اجتمعوا على مَن يليكم ، فقام رجلٌ من عبد القيس فقال : ندعوكم إلى كتاب الله عزّ وجلّ ؛ قالوا : وكيف يدعونا إلى كتاب الله مَن لا يقيم حدودَ الله سبحانه ، ومن قتل داعيَ الله كعب بن سُور ! فرمَتْه رَبيعة رِشْقًا واحداً فقتلوه ، وقام مسلم بن عبد الله العجلىّ مَقامه ، فرشقوه رِشقًا واحداً ، فقتلوه ، ودعت يَمَنُ الكوفة يَمن البَصْرة فرشَقوهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : كان القتال الأوّل يستحرّ إلى انتصاف النهار ، وأصيب فيه طلحة رضى الله عنه ، وذهب فيه الزّبير ، فلما أوَوْا إلى عائشةَ وأبَى أهل الكوفة إلاّ القتال ، ولم يريدوا إلاّ عائشة ، ذمرتْهم عائشة ، فاقتتلوا حتى تنادَوْا فتحاجزوا ، فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا ، وذلك يومَ الخميس فى جُمادى ٣١٩٣/١ الآخرة ، فاقتتلوا صدْرَ النهار مع طلحة والزبير ، وفى وسطه مع عائشةَ ، وتزاحف الناس ، فهزمت يَمنُ البصرة يمنَ الكوفة ، وربيعةُ البصرة ربيعةَ الكوفة ، ونهد علىٌّ بمضر الكوفة إلى مضر البصرة ، وقال : إن الموت ليس منه فَوْت ، يُدرِك الهارب ، ولا يَترك المُقيم .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا أبو عبد الله القرشىّ ، عن يونس بن أرقم ، عن علىّ بن عمرو الكنْدىّ ، عن زيد بن حساس ، قال : سمعتُ محمد بن الحنفيّة يقول : دفع إلىّ أبى الرايةَ يومَ الجمل ، وقال : تقدّم ؛ فتقدّمتُ حتى لم أجد متقدّمًا إلاّ على رمح ؛ قال : تقدّم لا أمّ لك ! فتكأكأتُ وقلتُ : لا أجد متقدّمًا إلاّ على سنان رُمْح ،

---

(١) ابن الأثير والنويرى : « والمجنبتان على حالهما » .

(٢) ابن الأثير : « قوم من غير مضر » .

فتناوَل الرّايةَ من يدى متناوِلٌ لا أدرى مَن هو ! فنظرتُ فإذا أبى بين يدىّ وهو يقول :

أنتِ الّتى غرَّكِ مِنِّى الحُسْنَى يا عَيْشَ إنَّ القَوْمَ قَوْمٌ أَعْدَا
* الخَفْضُ خَيْرٌ مِن قِتالِ الأَبْنا *

كتبَ إلىّ السَّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : اقتتلتِ المجنّبتان حين تزاحفتا قتالاً شديداً ، يشبه ما فيه القَلْبان ، واقتتل أهلُ اليمن ، فقتِل على راية أمير المؤمنين من أهل الكوفة عشرة ، كلما أخذها رجلٌ قتل خمسة من هَمْدان وخمسة من سائر اليمن ، فلما رأى ذلك يزيد بن قيس أخذها ، فثبتتْ فى يده وهو يقول :

١/٣١٩٤

قد عِشْتِ يا نَفْس وقد غَنِيتِ دَهْراً فقَطْكِ اليومَ ما بَقِيتِ
* أَطْلُبُ طولَ العُمْر ما حَيِيتِ *

وإنما تمثّلها وهو قول الشاعر قبله . وقال نِمْران بن أبى نِمْران الهَمْدانىّ :

جَرَّدتُ سَيْفى فى رِجال الأزْدِ أَضْرِبُ فى كُهولِهِمْ والمُرْدِ
* كلَّ طويلِ الساعِدَيْنِ نَهْدِ *

وأقبلتْ ربيعة ، فقتِل على راية الميسرة من أهل الكوفة زيد ، وصرِع صعصعة ، ثم سَيْحان ، ثم عبد الله بن رَقَبة بن المغيرة ، ثم أبو عُبيدة بن راشد ابن سُلمىَ وهو يقول : اللهمّ أنت هدَيتَنا من الضّلالة ، واستنقذْتَنا من الجهالة ، وابتليتَنا بالفتنة ، فكنّا فى شُبهة وعلى ريبة ؛ حتى قتل ، ثمّ الحصين ابن معبد بن النُّعمان ، فأعطاها ابنه معبداً ، وجعل يقول : يا معبد ، قرِّب لها بَوَّها تحدَب ، فثبتتْ فى يده .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : لما رأت الكُماة من مضر الكوفة ومضر البصرة الصبر تنادَوا فى عسكر عائشة وعسكر علىّ : يأيُّها الناس ، طرِّفوا إذا فرِغ الصبر ، ونزِع النصر . فجعلوا

١/٣١٩٥ يتوجّنون(١) الأطراف : الأيدى والأرجُل، فما رُئيت وقعة قطّ قبلَها ولا بعدَها، ولا يسمع بها أكثر يداً مقطوعة ورجلا مقطوعة منها ، لا يُدرَى مَن صاحبها . وأصيبت يدُ عبد الرحمن بن عتّاب يومئذ قبل قتله ، وكان الرجل من هؤلاء وهؤلاء إذا أصيب شيء من أطرافه استَقْتَل إلى أن يُقتَل .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصعب بن عطيّة ابن بلال، عن أبيه، قال : اشتدّ الأمر حتى أرزت ميمنة الكوفة إلى القلب ، حتى لزِقت به ، ولزِقت ميسرة البصرة بقلْبهم ، ومنعوا ميمنةَ أهلِ الكوفة أن يختلطوا بقلبهم، وإن كانوا إلى جنبهم ، وفعلَ مثل ذلك ميسرة الكوفة وميمنة البصرة ، فقالت عائشة — رضى الله عنها — لمن عن يسارها : مَن القوم ؟ قال صَبْرة بن شيمان: بَنُوكِ الأزْد، قالت: يآل غَسّان ! حافِظوا اليومَ جلادكم الذى كنا نسمع به ، وتمثّلتْ :

وجالَدَ مِنْ غَسَّانَ أهْلُ حِفاظِها وهِنْبٌ وأَوْسٌ جالَدَتْ وشَبيبُ

وقالت لمن عن يمينها : مَن القوم ؟ قالوا: بكر بن وائل ؛ قالت : لكم يقول القائل :

وجاءوا إلَينا فى الحَديدِ كأنَّهُمْ مِنَ العِزّةِ القَعْساءِ بكْرُ بنُ وائلِ

إنما بإزائكم عبدُ القيس . فاقتتلوا أشدّ القتال مِن قتالهم قبل ذلك ، وأقبلتْ على كتيبة بين يديها ، فقالت : مَن القوم ؟ قالوا : بنو ناجية ، قالت : بَخٍ بَخٍ ! سيوفٌ أبطحيّة، وسيوف قرشيّة، فجالدوا جلاداً يُتفادى منه . ثمّ أطافت بها بنو ضبّة ، فقالت : ويهاً جمْرةَ الجمرات ! حتى إذا

١/٣١٩٦ رقّوا خالَطَهم بنو عدىّ ، وكثروا حولَها، فقالت : مَن أنتم ؟ قالوا : بنو عدىّ(٢) ، خالطنا إخواننا ، فقالت : ما زال رأس الجمل معتدلا حتى قتِلت بنو ضبّة حولى، فأقاموا رأسَ الجمل، ثم ضربوا ضرباً ليس بالتعذير ،

(١) يتوجّنون الأطراف : يضربونهم فى أيديهم وأرجلهم .

(٢) النويرى : « من بنى » .

ولا يعدِلون بالتطريف ؛ حتى إذا كثر ذلك وظهر فى العسكريْن جميعًا . رامُوا الجمل وقالوا : لا يزال القومُ أو يصرع ، وأرزتْ مجنّبتا علىّ فصارتا فى القلب ، وفعل ذلك أهلُ البصرة ، وكره القومُ بعضهم بعضًا ، وتلاقَوا جميعًا بقلبيهم ، وأخذ ابن يثربىّ برأس الجمل وهو يرتجز ، وادّعى قتل علباء ابن الهيثم وزيد بن صُوحان وهند بن عمرو ، فقال :

أنا لِمنْ يُنكِرُنى ابنُ يَثْربى ... قاتلُ عِلْبــاء وهِنْدِ الجملى

* وابْنٍ لِصُوحانَ عَلَى دينِ علِي *

فناداه عمّار : لقد لعمرى لذتَ[١] بحريز ، وما إليك سبيل[٢] ، فإن كنتَ صادقًا فاخرج من هذه الكتيبة إلىّ ؛ فترك الزمام فى يد رجل من بنى عدىّ حتى كان بين أصحاب عائشة وأصحاب علىّ ، فزحم الناس عمّارًا حتى أقبل إليه ، فاتّقاه عمار بدَرَقته ، فضربه فانتشب سيفه فيها ، فعالجه فلم يخرج ، فخرج عمّار إليه لا يَملِك من نفسه شيئًا ، فأسفّ عمار لرجليه فقطعهما ، فوقع على استه ، وحمله أصحابه ، فارتُثَّ بعدُ ، فأتِى به علىّ ، فأمَر بضرب عنقه. ولما أصيب ابن يثربىّ ترك ذلك العدَوىُّ الزِّمام ، ثم خرج فنادى : مَن يبارز ؟ فخنَس عمّار ، وبرز إليه ربيعة العُقَيلىّ — والعدوىّ يدعى عمرة بن يَجْرة ، أشدّ الناس صوتًا ، وهو يقول : ٣١٩٧/١

يا أمّنــا أعقّ أمٍ نعلَمُ ... والأُمُّ تَغْذو ولَدًا وتَرْحَمُ

ألا تَرَيْنَ كَمْ شجَاعٍ يُكلَمُ ... وتُختَلَى مِنــهُ يَدٌ ومِعْصَمُ[٣]!

ثم اضطَرَبا ، فأثْخنَ كلّ واحد منهما صاحبَه ، فماتا .

وقال عطيّة بن بلال : ولحق بنا من آخر النهار رجل يدعى الحارث ، من بنى ضبّة ، فقام مقام العدَوىّ ، فما رأيْنا رجلا قطّ أشدّ منه ، وجعل يقول :

---

(١) ابن الأثير : « عذت » .

(٢) ابن الأثير : « من سبيل » .

(٣) تختلى : تقطع .

نحن بنى ضَبَّةَ أصحابُ الجمل(١) نَنعَى أبن عفانَ بأطرافِ الأَسَلْ
٣١٩٨/١ الموتُ أحلَى عندنا من العسلْ رُدُّوا علينا شيخَنا ثمَّ بَجَلْ(٢)

حدّثنى عمرُ بن شبَّة، قال: حدّثنا أبوالحسن ، عن المفضّل بن محمد، عن عدىّ بن أبى عدىّ ، عن أبى رجاء العطاردىّ ، قال : إنى لأنظر إلى رجل يومَ الجمل وهو يقلّب سيفًا بيده كأنه مِخراق ، وهو يقول :

نحن بنى ضبّة أصحابُ الجملْ ننازِلُ الموتَ إذا الموتُ نزَلْ
والموتُ أشهى عندَنا من العَسَلْ نَنعى ابنَ عفَّانَ بأطراف الأَسَلْ
* رُدُّوا علينا شيخَنَا ثمَّ بَجَلْ *

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن المفضّل الضبّىّ ، قال : كان الرجل وسيمَ بن عمرو بن ضِرار الضبّى.

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن الهُذَلى ، قال : كان عمرو بن يثربىّ يحضّض قومَه يوم الجمل ، وقد تعاوروا الخِطام يرتجزون :

نحن بنى ضَبَّةَ لا نَفِرُّ حتى نَرَى جماجماً تَخِرُّ
يَخِرُّ منها العَلَقُ المُحْمَرُّ

* * *

يا أُمّنـــا يا عيْشُ لن تُراعى كلّ بنِيــــكِ بطَلٌ شُجاعُ
يا أُمّنــــا يا زوجَةَ النبىّ يا زوجة المبـــاركِ المَهْدِىّ

حتّى قُتل على الخِطام أربعون رجلا ، وقالت عائشة رَضى الله عنها : ٣١٩٩/١ ما زال جَمَلى معتدلا حتّى فقدت أصواتَ بنى ضَبّة . وقتل يومئذ عمرو بن يثربىّ علباءَ بن الهيثم السَّدوسىّ ، وهندَ بن عمرو الجَمَلىّ ، وزيد بن صوحان وهو يرتجز ويقول :

---

(١) كذا فى الكامل ١ : ١١٢ ، قال: ونصب «بنى» على الاختصاص، وفى ط: «نحن بنو».
(٢) بجل ، أى حسب، والبيت فى اللسان ١٤ : ٧٠ .

أَضرِبُهُمْ ولا أرى أبا حَسَنْ كَفى بهذا حَزَنًا من الحزنْ

* إنا نُمِرُّ الأمرَ إمرارَ الرَّسَنْ *

فزعم الهُذَلىّ أنّ هذا الشعر تُمثِّل به يومَ صِفّين . وعرض عمار لعمرو ابن يثربىّ — وعمار يومئذ ابن تسعين سنة، عليه فَرْوٌ قد شَدّ وسَطه بحَبل من ليف — فبَدرَه عَمرو بن يثربىّ فنحّى له دَرَقته فنشب سيفه فيها ، ورماه الناس حتى صُرِع وهو يقول :

إن تقتلونى فأنا ابنُ يثْرِبى قاتلُ عِلباءَ وهنْـــد الجملى

* ثمّ ابنِ صُوحانَ على دينِ علِي *

وأخذ أسيراً حتى انتُهِيَ به إلى علىّ ، فقال : استبْقنى . فقال : أبعد ثلاثة تُقبل عليهم بسَيفك تضربُ به وجوههم ! فأمر به فقُتل .

وحدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا أبو مخنف ، عن إسحاق بن راشد، عن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه، قال : مشيت يوم الجمل وبى سبع وثلاثون جراحة من ضربةٍ وطَعنةٍ ، وما رأيتُ مثلَ يوم الجمل قطّ، ما ينهزم منا أحد ، وما نحن إلاّ كالجبل الأسود ، وما يأخذ بخِطام الجمل أحد إلاّ قُتل ، فأخذه عبدُالرحمن بن عتاب فقُتل ، فأخذه الأسوَد بن أبى البَختَرىّ فصُرِع ، وجئتُ فأخذتُ بالخِطام ، فقالت عائشة : مَن أنت ؟ قلت : عبد الله بن الزّبير . قالت : واثُكلَ أسماء ! ومرّ بى الأشتَر ، فعرفتُه فعانقتُه، فسقطنا جميعًا ، وناديت : « اقتلُونى ومالِكًا» ؛ ١ / ٣٢٠٠ فجاء ناسٌ منا ومنهم ، فقاتلوا عنا حتّى تحاجزْنا ، وضاع الخِطام ، ونادى علىّ : اعقِروا الجمل ، فإنه إن عُقر تفرّقوا ؛ فضرَبه رجلٌ فسقط ، فما سمعتُ صوتًا قطّ أشدّ من عَجيج الجمل .

وأمر علىّ محمدَ بن أبى بكر فضرب عليها قبّة ، وقال : انظر ، هل وصل إليها شىء ؟ فأدخل رأسَه، فقالت : من أنتَ ؟ وَيلَك ! فقال : أبغضُ أهلِك إليكِ ، قالت : ابن الخَثعميّة ؟ قال : نعم ؛ قالت : بأبى أنت وأمىّ ! الحمد لله الذى عافاك .

حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشّهيد ، قال : سمعتُ أبا بكر ابن عيّاش يقول : قال علقمة : قلت للأشتَر : قد كنتَ كارهًا لقتل عثمان رضى الله عنه ، فما أخرجكَ بالبصرة ؟

قال : إنّ هؤلاء بايعوه ، ثم نكثوا — وكان ابن الزبير هو الذى أكره عائشةَ على الخروج — فكنت أدعو الله عزّ وجلّ أن يلقّيَنيه ، فلقينى كفّةً لكفّة ، فما رضيت بشدّة ساعدى أن قمت فى الركاب فضربته على رأسه فصرعتُه .

قلنا فهو القائل : « اقتلونى ومالِكًا » ؟ قال : لا ، ما تركته وفى نفسى منه شىء ، ذاك عبدُ الرحمن بن عتّاب بن أسيد ، لقينى فاختلفنا ضربتين ، فصرَعَنى وصرعْتُه ، فجعل يقول . « اقتلُونى ومالِكًا » ، ولا يَعلَمون مَن مالِك ، فلو يعلمون لقتلونى .

ثم قال أبو بكر بن عياش : هذا كتابك شاهده .

حدّثنى به المغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال : قلت للأشتر :

حدّثنى عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن طلحة بن النضر ، عن عثمان بن سليمان ، عن عبدِ الله بن الزبير ، قال : وقف علينا شابّ ، فقال : احذَروا هذين الرّجلين ؛ فذكره — وعلامة الأشتر أنّ إحدى قدميه بادية من شىء يجدُ بها — قال: لما التقينا قال الأشتر : لما قصد لى سوّى رمحه لرِجلى ، قلت : هذا أحمَق ، وما عسى أن يدرك منى لو قطعها ! ألستُ قاتلَه !

١/٣٢٠١

فلما دنا منى جمع يديه فى الرمح ، ثم التمس به وجهى ، قلتُ : أحدُ الأقران .

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن أبى مخنف ، عن ابن عبد الرحمن بن جُندَب ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كان عمرو ابن الأشرف أخذ بخِطام الجمل ، لا يدنو منه أحدٌ إلا خبَطَه بسيفه ، إذْ أقبل الحارث بن زُهَير الأزدىّ وهو يقول :

يا أُمَّنــــا يا خيرَ أُمٍّ نعلَمُ أما ترَيْنَ كَمْ شُجاعٍ يُكلَمُ!

* وتُختلَى هامَتُهُ والمِعْصَمُ! *

فاختلَفا ضربتين ، فرأيتهما يفحَصان الأرض بأرجُلهما حتى ماتا . فدخلتُ على عائشة رضى الله عنها بالمدينة ، فقالت : مَن أنت ؟ قلت : رجل من الأزْد ، أسكُن الكوفة ؛ قالت : أشهِدْتنا يومَ الجمل ؟ قلت : نعم ؛ قالت : ألنا أمْ علينا ؟ قلتُ : عليكم ؛ قالت : أفتعرف الذى يقول :

* يا أمَّنا يا خيرَ أمٍّ نعلمُ *

قلت : نعم ، ذاك ابنُ عمّى ، فبكتْ حتى ظننتُ أنها لا تسكت .

حدثنى عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن أبى ليلى ، عن دينار بن العَيْزار ، قال : سمعت الأشتر يقول : لقيتُ عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد ، فلقيت أشدَّ الناس وأروغَه ، فعانقتُه ، فسقطْنا إلى الأرض جميعًا ، ٣٢٠٢/١ فنادى : « اقتلُونى ومالِكًا » .

حدّثنى عمر قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن ابن أبى ليلى ، عن دينار ابن العيزار ، قال: سمعت الأشتر يقول : رأيت عبدَالله بن حكيم بن حزام معه رايةُ قريش ؛ وعدىَّ بن حاتم الطائىّ[1] وهما يتصاولان كالفَحلين ، فتعاوَرْناه فقتلناه — يعنى عبدَالله — فطعن عبد الله عديًّا ففقأ عينَه .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن أبى مخنف ، عن عمّه محمّد بن مخنف ، قال : حدّثنى عدّةٌ من أشياخ الحىّ كلّهم شهد الجَمَل ، قالوا : كانت راية الأزد من أهل الكوفة مع مِخْنف بن سُلَيم، فقتل يومئذ ، فتناول الرايةَ من أهل بيته الصَّقْعب وأخوه عبد الله بن سُلَيم ، فقتلوه ، فأخذها العلاء بن عروة ، فكان الفتح ، وهى فى يده ، وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع القاسم بن مسلم ، فقتِل وقتل معه زيد بن صُوحان وسَيْحان ابن صُوحان ؛ وأخذ الراية عدّة منهم فقتِلوا ؛ منهم عبد الله بن رقبة[2] ،

---

(١) ابن الأثير : « وهو يقاتل عديا » .

(٢) ط : « رقية » تحريف ، وانظر ص ٥١٥ من هذا الجزء .

وراشد. ثم أخذها مُنْقذ بن النُّعمان ، فدفعها إلى ابنه مُرّة بن منقذ ، فانقضى الأمر وهي في يده ، وكانت راية بكْر بن وائل من أهل الكُوفة في بني ذُهْل ، كانت مع الحارث بن حسَّان بن خُوط الذُّهليّ ، فقال أبو العَرْفاء الرقاشيّ : أبقِ على نفسك وقومك ، فأقدمَ وقال : يا معشرَ بكر بن وائل ، إنّه لم يكن أحدٌ له من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل منزلةِ صاحبكم ، فانصروه ، فأقدمَ ، فقُتل وقُتل ابنه وقُتِل خمسة إخوة له ، فقال له يومئذ بِشْر بن خُوط وهو يقاتل : ١/٣٢٠٣

أنا ابنُ حَسَّانَ بنِ خُوطٍ وأبِي رسولُ بَكْرٍ كلّها إلى النَّبِي

وقال ابنه :

أنعَى الرئيسَ الحارثَ بنَ حسَّانْ لِآلِ ذُهْلٍ ولآلِ شَيْبانْ

وقال رجل من ذُهْل :

تَنعَى لنا خيرَ امرِئٍ مِنْ عَدْنانْ عند الطِّعانِ ونِزالِ الأقرانْ

وقُتل رجال من بني محدوج ، وكانت الرِّياسة لهم من أهل الكوفة ، وقُتل من بني ذُهْل خمسةٌ وثلاثون رجلا ، فقال رجل لأخيه وهو يقاتل : يا أخي ، ما أحسنَ قتالَنا إنْ كنَّا على حقّ ! قال : فإنا على الحقّ ، إن الناسَ أخذوا يمينًا وشمالا ، وإنما تمسَّكنا بأهل بيت نبيّنا ؛ فقاتَلاَ حتى قُتلا . وكانت رياسة عبدِ القيس من أهل البصرة — وكانوا مع عليّ — لعمرو بن مرحوم ، ورياسة بكر بن وائل لشَقيق بن ثَوْر ، والرّاية مع رَشراشة مولاه ، ورياسة الأزْد من أهل البصرة — وكانوا مع عائشة — لعبد الرحمن بن جُشَم بن أبي حُنَيْن الحمّاميّ — فيما حدّثني عامر بن حفص ، ويقال لصبرة بن شيْمان الحُدّانيّ — والراية مع عمرو بن الأشرف العتَكيّ ، فقُتل وقتل معه ثلاثة عشر رجلا من أهل بيته . ١/٣٢٠٤

حدّثني عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا أبو ليلى ، عن أبي عُكّاشة الهَمْدانيّ ، عن رفاعة البَجَليّ ، عن أبي البَخْتَريّ الطائيّ ، قال :

أطافت ضبّة والأزد بعائشة يومَ الجمل، وإذا رجالٌ من الأزد يأخذون بعْرَ الجمل فيفتّونه ويشمّونه، ويقولون: بعرُ جمل أمّنا ريحُه ريحُ المسك؛ ورجل من أصحاب عليّ يقاتل ويقول:

جرّدتُ سيفى فى رجال الأزْدِ أضْرِبُ فى كُهولِهِمْ والمُرْدِ
* كلّ طويل الساعِدَيْنِ نَهْدِ *

وماج الناس بعضُهم فى بعض، فصرخ صارخ: اعقروا الجمل؛ فضَربه بُجَير بن دُلْجة الضّبّىّ من أهل الكوفة، فقيل له: لِمَ عقرتَه؟ فقال: رأيتُ قومى يقتَلون، فخفت أن يفنَوا، ورجوت إن عقرته أن يبقَى لهم بقيّة.

حدّثنى عمر، قال: حدّثنا أبو الحسن، قال: حدّثنا الصّلْت بن دينار، قال: انتهى رجلٌ من بنى عُقَيْل إلى كعب بن سُور — رحمه الله — وهو مقتول، فوضع زُجّ رمحه فى عينيه، ثم خضخضه، وقال: ما رأيت مالاً قطّ أحكم نَقْداً منك.

حدّثنى عمر، قال: حدّثنا أبو الحسن، قال: حدّثنا عوانة، قال: اقتتلُوا يومَ الجمل يوماً إلى الليل، فقال بعضهم:

شَفَى السَّيْفُ من زَيدٍ وهِندٍ نفوسَنا شِفاءً ومن عيْنَىْ عَدِىِّ بن حاتِمِ
صبرْنا لهم يوماً إلى الليلِ كلَّه بصُمِّ القَنا والمُرْهَفاتِ الصَّوارِمِ

وقال ابن صامت:

١/٣٢٠٥

يا ضَبَّ سِيرى فإنّ الأرضَ واسعةٌ على شِمالِكِ إن الموتَ بالقاعِ
كَتيبةٌ كشعاعِ الشّمسِ إذ طلعتْ لها أَتِىٌّ إذا ما سالَ دُفّاعُ
إذًا نُقيم لكمْ فى كلّ مُعترَكٍ بالمَشْرَفيّةِ ضَرباً غيرَ إبْداعِ

حدّثنا العباس بن محمد، قال: حدّثنا رَوْح بن عُبادة، قال: حدّثنا رَوْح، عن أبى رَجاء، قال: رأيت رجلا قد اصطُلِمت أذُنه، قلت:

أخِلْقة ، أم شيء أصابك ؟ قال : أحدّثك ؛ بينا أنا أمشي بين القتلَى يومَ الجمل ، فإذا رجل يَفحَص برِجله (١) ، وهو يقول :

لقد أوْرَدَتْنا حَوْمَةَ الموتِ أُمُّنا فلم ننصرفْ إلّا ونحن رِواءُ

أطَعْنا قريشاً ضَلّةً من حُلومِنا ونُصرَتَنا أهلَ الحجازِ عَنَاءُ

قلت : يا عبد الله ، قل لا إله إلاّ الله ، قال : ادنُ منى ، ولقّنّى فإنّ فى أذنى وَقراً ، فدنَوت منه ، فقال لى : ممن أنت ؟ قُلت : رجل من الكوفة ؛ فوثب علىّ ، فاصطَلَم أذنى كما ترى ، ثمّ قال : إذا لقيت أمّك فأخبرها أن عُمير بن الأهلب الضبىّ فَعَل بك هذا .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا المفضَّل الراوية وعامر بن حفص وعبد المجيد الأسدىّ ، قالوا : جُرِح يوم الجمل عُمير بن الأهلب الضّبىّ ، فمرّ به رجلٌ من أصحاب علىّ وهو فى الجرحى ، فقال له عُمير : ادْنُ منّى ، فدنا منه ، فقطع أذنه ، وقال عُمير بن الأهلب :

لقد أوردتْنا حومةَ الموت أمُّنا فلَم ننصرف إلا ونحن رِواءُ

لقد كان عن نَصرِ ابن ضَبّةَ أمّهُ وشيعتَها مَندوحةٌ وغَناءُ

أطعنا بنى تَيمِ بن مُرّةَ شَقْوَةً وهل تَيْمٌ إلّا أعْبُدٌ وإماءُ !

٣٢٠٦/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المقدام الحارثىّ ، قال : كان منّا رجل يدعى هانئ بن خطّاب ، وكان ممن غزا عثمان ، ولم يشهد الجمل ، فلمّا سمع بهذا الرجز — يعنى رجزَ القائل :

* نحنُ بنى (٢) ضَبّة أصحابُ الجملْ *

فى حديث الناس ، نقض عليه وهو بالكوفة :

أبَتْ شيوخُ مَذْحِجٍ وهَمْدانْ ألّا يَرُدُّوا نَعْثَلاً كما كانْ

* خلقاً جَديدًا بعد خَلق الرّحمنْ *

---

(١) ابن الأثير : « برجليه » .

(٢) ط : « نحن بنو » ، وانظر ص ٥١٨ من هذا الجزء .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصّعب بن عطيّة ، عن أبيه ، قال : جعل أبو الجرباء يومئذ يرتجز ويقول :

أسامعٌ أنتَ مطيــــعٌ لعَلِى   من قَبْلِ أن تَذوقَ حَدَّ المَشْرَفِى
وخاذِلٌ فى الحقِّ أزواجَ النّبى   أعْرِفُ قوماً لستُ فيه بِعَنى

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : كانت أمّ المؤمنين فى حَلْقة من أهل النَّجَدات والبصائر من أفناء مُضَر ، فكان لا يأخذ أحد بالزمام إلاّ كان يحمل الرّاية واللواء لا يحسِّن تركها ، وكان لا يأخذه إلاّ معروف عند المُطيفين بالجمل فينتسب لها : أنا فلان بن فلان ، فوالله إن كانوا لَيقاتلون عليه ؛ وإنه للموتُ لا يوصل إليه إلا بطِلبَة وعَنت ، وما رامه أحد من أصحاب علىّ إلاّ قُتل أو أفلت ، ثم لم يَعُد . ولمّا اختلط الناس بالقلب جاء عدىّ بن حاتم فحمل عليه ، ففُقِئتْ عينه ونكل ، فجاء الأشتر فحامله عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد وإنه لأقطع مَنْزوف ، فاعتنقه ، ثم جلد به الأرض عن دابّته ، فاضطرب تحته ، فأفلت وهو جريض . ٣٢٠٧/١

كتب إلىّ السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : كان لا يجىء رجل فيأخذ بالزّمام حتى يقول : أنا فلان بن فلان يا أمّ المؤمنين ، فجاء عبدُ الله بنُ الزّبير ، فقالت حين لم يتكلم : مَن أنت ؟ فقال : أنا عبد الله ، أنا ابن أختك ، قالت : واثُكْل أسماء ! — تعنى أختها — وانتهى إلى الجمل الأشتر وعدىّ بن حاتم ، فخرج عبد الله ابن حكيم بن حزام إلى الأشتر ، فمشى إليه الأشتر ، فاختلفا ضربتين ، فقتله الأشتر ، ومشى إليه عبد الله بن الزبير ، فضربه الأشتر على رأسه ، فجرحه جرحاً شديداً ، وضرب عبد الله الأشتر ضربةً خفيفة ، واعتنق كلّ واحد منهما صاحبَه ، وخرّا إلى الأرض يعتركان ، فقال عبد الله بن الزبير : « اقتلونى ومالكاً » .

وكان مالك يقول : ما أحبّ أن يكون قال : « والأشتر » وأنّ لى حُمْر

النَّعَم . وشدّ أناس من أصحاب علىّ وأصحاب عائشة فافترقا ، وتنقّذ كلّ واحد من الفريقين صاحبَه .

كتب إلىّ السّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصَّعْب بن عَطيّة ، عن أبيه ، قال : وجاء محمد بن طلحة فأخذ بزمام الجمل ، فقال : يا أمّتاه ، مُرِينى بأمرِك . قالت : آمرُك أن تكون كخير[1] بنى آدم إن تُرِكتَ . قال : فحمل فجعل لا يَحمِل عليه أحد إلاّ حمل عليه ويقول[2] : «حَم لا يُنصَرون» ، واجتمع عليه نفر ، فكلّهم ادّعى قتلَه : المكعْبر الأسدىّ ، والمكعبر الضّبىّ ، ومعاوية بن شدّاد العَبْسى ، وعفّان بن الأشقر النصرىّ ، فأنفذه بعضهم بالرّمح ، ففى ذلك يقول قاتلُه منهم : ٣٢٠٨/١

وأشْعَثَ قوّامٍ بآياتِ ربّهِ قليلِ الأذى فيما ترى العينُ مُسْلِمِ
هَتَكتُ له بالرمح جَيْبَ قميصِه فخرَّ صريعاً لليدين ولِلفَمِ
يُذَكِّرُنى حَم والرمحُ شاجِرٌ فهلا تَلا حَم قبلَ التّقدُّمِ!
على غيرِ شىءٍ غيرَ أن ليس تابِعًا عَلِيًّا ومن لا يَتبع الحقَّ يَندَمِ

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصّعب بن عطيّة ، عن أبيه ، قال : قال القعقاع بن عمرو للأشتر يؤلّبه يومئذ : هل لك فى العَود ؟ فلم يجبه . فقال : يا أشتر ، بعضنا أعلَم بقتالِ بعض منك . فحمل القعقاع ، وإنّ الزمام مع زُفَر بن الحارث ، وكان آخر مَنْ أعقب فى الزّمام ، فلا والله ما بقى من بنى عامر يومئذ شيخٌ إلاّ أصيب قدّام الجمل ، فقتِل فيمن قُتِل يومئذ ربيعة جدّ إسحاق بن مسلم ، وزفر يرتجز ويقول :

٣٢٠٩/١ يا أُمّنا يا عَيْش لن تُراعِى كلُّ بَنيكِ بَطَلٌ شجاعُ
* ليس بوَهّامٍ[3] ولا بِراعى *

---

(١) ابن الأثير : «خير» .
(٢) ابن الأثير : «وقال» .
(٣) ابن الأثير : «بوهواه» .

وقام القعقاع يرتجز ويقول :

إذا وَرَدْنا آجِنًا جَهَرْناهْ ولا يُطاقُ وِرْدُ ما منعناهْ

تمثّلها تمثُّلا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : كان من آخر مَنْ قاتل ذلك اليوم زُفَر بن الحارث ، فزحف إليه القعقاع ، فلم يبق حول الجمل عامرىّ مكتهِل إلاّ أصيب ، يتسرّعون إلى الموت ، وقال القعقاع : يا بُجير بن دُلجة ، صِحْ بقومك فليَعقروا الجمل قبل أن يصابوا[1] وتصاب أمّ المؤمنين ؛ فقال : يالَ ضَبّة ، يا عمرو بنَ دُلْجة ، ادعُ بى إليك ؛ فدعا به ، فقال : أنا آمن حتى أرجع ؟ قال : نعم . قال : فاجتثّ ساق البعير ، فرمى بنفسه على شِقّه وجرجر البعير . وقال القعقاع لمن يليه : أنتم آمنون . واجتمع هو وزُفَر على قَطْع بِطان البعير ، وحمَلا الهودج فوضَعاه ، ثم أطافا به ، وتفارّ مَن وراء ذلك من الناس .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصعب بن عطيّة ، عن أبيه ، قال : لما أمسى الناس وتقدّم علىّ وأحيط بالجمل ومَن حولَه ، وعقَره بُجَير بن دُلْجة ، وقال : إنكم آمنون ؛ كفَّ بعضُ الناس عن بعض . وقال علىّ فى ذلك حين أمسى وانخَنَس عنهم القتال :

١/٣٢١٠

إليكَ أشكو عُجَرِى وبُجَرِى ومَعْشَرًا غَشَّوْا علىَّ بَصَرِى
قَتلتُ منهمْ مُضَرًا بِمُضَرِى شفَيْتُ نفسى وقتلتُ مَعْشَرِى

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن حكيم بن جابر ، قال : قال طلحة يومئذ : اللهمّ أعطِ عثمانَ منّى حتى يَرضَى ؛ فجاء سهم غَرْبٍ وهو واقف ، فخلّ ركبتَه بالسرج ، وثبت حتى امتلأ مَوْزجُه[2] دمًا ، فلما ثَقُل قال لمولاه : اردِفْنى وابغنى مكانًا

(١) ابن الأثير : « تصابوا » .
(٢) الموزج : الخف ، فارسى معرب .

لا أعرَف فيه، فلم أر كاليوم شيخًا أضيعَ دمًا [منى] [١]. فركب مولاه وأمسكه وجعل يقول : قد لحقَنا القوم، حتى انتهى به إلى دار من دُور البصرة خَرِبة ، وأنزله فى فيئها ، فمات فى تلك الخَرِبة ، ودفن رضى الله عنه فى بنى سعد .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن البَخْترىّ العبدىّ ، عن أبيه ، قال : كانت ربيعة مع علىّ يوم الجمل ثُلث أهل الكوفة ، ونصف الناس يوم الوقعة ، وكانت تعبيتهم مُضَر ومضر ، وربيعة وربيعة ، واليمن واليمن ؛ فقال بنو صُوحان : يا أميرَ المؤمنين ، ائذن لنا نقف عن مُضر ؛ ففعل ، فأتى زيد فقيل له : ما يوقفك حيال الجمل وبحيال مضر ! الموت معك وبإزائك ، فاعتزِل إلينا ؛ فقال : الموتَ نريد . فأصيبوا يومئذ ، وأفلت صَعْصعة من بينهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصّعب بن عطية ، قال : كان رجل منا يدعَى الحارث ، فقال يومئذ : يَال مُضَر ؛ علامَ يقتل بعضكم بعضًا ! تَبادرون لاندرى إلاّ أنّا إلى قضاء ، وما تُكْفَوْن فى ذلك .

١/٣٢١١ حدّثنى عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنى أبى، قال: حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله بن المبارك، عن جرير، قال : حدّثنى الزبير بن الخرّيت ، قال : حدّثنى شيخٌ من الحرَاميْن يقال له أبو جُبير ،قال : مررتُ بكعب بن سُور وهو آخذ بخِطام جملِ عائشة رضى الله عنها يومَ الجمل ، فقال : يا أبا جُبير ، أنا والله كما قالت القائلة :

* بُنَىَّ لا تبنْ ولا تُقاتِلْ *

فحدّثنى الزبير بن الخرّيت ، قال: مرّ به علىّ وهو قتيل ، فقام عليه فقال : واللهِ إنك ــ ما علمتُ ــ كنتَ لصليبًا فى الحقّ، قاضيًا بالعدل ، وكيتَ وكيتَ ؛ فأثنى عليه .

---

(١) من ابن الأثير .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن صعصعة المُزنىّ — أو عن صعصعة — عن عمرو بن جأوان، عن جرير بن أشرس ، قال : كان القتال يومئذ فى صدْر النهار مع طلحة والزبير ، فانهزم الناس وعائشة تَوَقّع الصّلح ، فلم يَفْجأها إلاّ الناس، فأحاطت بها مُضَر ، ووقف الناس للقتال، فكان القتال نصفَ النهار مع عائشة . وعلىّ . . . [١] كعب بن سُور أخذ مصحفَ عائشة وعلىّ فبدر بين الصّفين يناشدهم الله عزّ وجلّ فى دمائهم، وأعطِىَ دِرعَه فرمى بها تحته ، وأتىَ بتُرْسه فتنكّبه ، فرشقوه رِشْقا[٢] واحداً ، فقتلوه رضى الله عنه ، ولم يُمسهلوهم أن شدّوا عليهم ، والتَحم القتال ، فكان أول مقتول بين يدى عائشة من أهل الكوفة . ٣٢١٢/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مخلّد بن كثير ، عن أبيه ، قال : أرسلْنا مسلم بن عبد الله يدعو بنى أبينا ، فرَشَقوه —كما صنع القلب بكعب — رِشْقًا واحداً ، فقتلوه ، فكان أوّلَ من قتل بين يدىْ أمير المؤمنين وعائشة رضى الله عنها ، فقالت أمّ مسلم ترثيه :

لاهُمَّ إنّ مسلماً أتاهمُ مُسْتسْلِماً للموتِ إذ دَعاهُمُ
إلى كتابِ اللهِ لا يخشاهمُ فرمّلوهُ من دَمٍ إذ جاهُمُ[٣]
وأُمّهم قائمـــةٌ تراهُمُ يأتمرون الغَىَّ لا تنهاهُمُ

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصّعب بن حكيم ابن شريك، عن أبيه، عن جدّه ، قال : لما انهزمت مجنّبتا الكوفة عشيّة الجمل، صاروا إلى القلب — وكان ابن يثربىّ قاضىَ البصرة قبل كعب بن سُور ، فشهدهم هو وأخوه يوم الجمل ، وهما عبد الله وعمرو ، فكان واقفًا أمامَ الجمل على فرس — فقال علىّ : مَن رجل يحمل على الجمل ؟ فانتدب له هند بن عمرو المرادىّ ، فاعترضَه ابن يثربىّ ، فاختلفا ضربتين ، فقتله ابن يثربىّ ،

---

(١) نقص فى أصول ط .
(٢) رشقا واحداً ، أى وجهاً واحداً .
(٣) رملوه : لطخوه .

ثم حمل سَيْحان بن صُوحان ، فاعترضه ابن يثربىّ ، فاختلفا ضربتين فقتله ابن يثربىّ ، ثم حمل علباء بن الهيثم ، فاعترضه ابن يثربىّ ، فقتله ، ثم حمل صعصعة فضربه، فقتل ثلاثة أجهزَ عليهم فى المعركة : علباء ، وهند ، وسَيْحان ، وارتُثَّ[1] صعصعة وزيد ،فمات أحدهما ، وبقى الآخر . ١/٣٢١٣

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبىّ ، قال : أخذ الخِطامَ يومَ الجمل سبعون رجلا من قريش ، كلُّهم يُقتل وهو آخذ بالخِطام ، وحمل الأشتر فاعترضه عبد الله بن الزبير ، فاختلفا ضربتين ،ضربه الأشتر فأمّه ،وواثبَه عبد الله، فاعتنقه فخرّ بـه ، وجعل يقول : « اقتلُونى ومالكًا » ـــ وكان الناس لايعرفونه بمالك، ولو قال : « والأشتر » ، وكانت له ألف نفس ما نجا منها شىء ـــ وما زال يضطرب فى يدىْ عبدِ الله حتى أفلَت ، وكان الرجل إذا حمل على الجمل ثم نجا لم يَعُد . وجرِح يومئذ مَرْوان وعبدُالله بن الزبير .

حدّثنى عبدُالله بنُ أحمد ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن جرير بن حازم ، قال : حدّثنى محمد بن أبى يعقوب وابن عون ، عن أبى رَجاء ، قال: قال يومئذ عمرو بن يثربىّ الضّبىّ؛ وهو أخو عميرة القاضى :

نحن بنِى ضَبَّة أصحابُ الجمل[2] نَنْزِلُ بالموتِ إذا الموتُ نَزَلْ

وزاد ابن عون ـــ وليس فى حديث ابن أبى يعقوب :

القَتْلُ أحْلَى عِندنا من العَسَلْ نَنْعَى ابنَ عفّانَ بأطراف الأسَلْ

* رُدُّوا علينا شَيْخَنا ثمّ بَجَلْ *

١/٣٢١٤ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن داود بن أبى هند ، عن شيخ من بنى ضَبّة ، قال : ارتجز يومئذ ابن يثربىّ :

أنا لمن أنكرَنى ابنُ يثْرَبى قاتلُ عِلْباء وهِنْـــدِ الجَمَلِى

(١) ارتث ، أى حمل جريحاً .

(٢) ط : « بنو » ، وانظر ص ٥١٨ .

* وأُبنٍ لِصُوحانَ عَلى دينِ عَلِي *

وقال : مَن يُبارز ؟ فبَرَز له رجل ، فقتله ، ثم برز له آخر فقَتَلَه ، وارتجز وقال :

أقْتُلُهُمْ وقد أرى عليًّا ولو أشا أوْجَرْتُه عَمْريّا

فبرز له عمّار بن ياسر ؛ وإنه لأضعفُ مَن بارَزَه ، وإنّ الناس ليسترجعون حين قام عمار ، وأنا أقول لعمار من ضعفه : هذا والله لاحقٌ بأصحابه ، وكان قضيفاً[1] ، حَمْشَ الساقين[2] ، وعليه سيفٌ حمائلُه تشفّ عنه[3] قريب من إبطه ، فيضربه ابن يثربيّ بسيفه ، فنشِب فى حَجَفته[4] ، وضَرَبه عمار وأوهطه ، ورَمى أصحابُ علىّ ابنَ يَثربى بالحجارة حتى أثخنوه وارتَثُّوه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حمّاد البُرجُمىّ ، عن خارجة بن الصلت ، قال : لما قال الضبىّ يومَ الجمل :

نحن بنى ضَبّة أصحابُ الجَمَلْ[5] ننعَى ابنَ عفّانَ بأطراف الأسَلْ

* رُدُّوا علينا شيخَنا ثمَّ بَجَلْ *

قال عُمير بنُ أبى الحارث :

كيف نَرُدُّ شيخَكم وقد قَحَلْ[6] نحن ضَرَبنا صدرَه حتّى انجفَلْ![7]

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصَّعب بن حكيم ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : عقَر الجملَ رجلٌ من بنى ضَبّة يقال له : ابن دُلْجة — عمرو أو بُجير — وقال فى ذلك الحارث بن قيس — وكان من أصحاب عائشة : ٣٢١٥/١

---

(١) القضيف : الدقيق العظيم ، القليل اللحم .

(٢) حمش الساقين : دقيقهما .

(٣) ط : « بشقة قائمة » ، وانظر التصويبات .

(٤) الحجفة : الترس ؛ قيل : هو ما كان من الجلود خاصة .

(٥) ط « نحن بنو » ، وانظر ص ٥١٨ .

(٦) قحل ؛ فسره صاحب اللسان وقال : « أى مات وجف جلده » .

(٧) انجفل ، أى سقط .

نحن ضربنا ساقَهُ فانجدلا من ضربةٍ بالنَّفْرِ كانت فَيْصَلاَ[1]
لو لم نكوّنْ للرسول ثَقَلا وحُرْمَةً لاقْتَسَمونا عُجَّلا

وقد نُحِل ذلك المثنّى بن مخرمة من أصحاب علىّ .

* * *

شدّة القتال يوم الجمل وخبر أعيَن بن ضُبيعة واطلاعه فى الهودج

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن نُوَيرة ، عن أبى عثمان ، قال : قال القعقاع : ما رأيتُ شيئاً أشبَه بشىء من قتال القلب يومَ الجَمَل بقتال صِفّين ، لقد رأيتُنا ندافعهم بأسنّتنا ونتّكئُ على أزِجّتنا ، وهم مثل ذلك حتى لو أنّ الرجال مشت عليها لاستقلّت بهم .

حدّثنى عيسى بن عبد الرّحمن المَروزِىّ ، قال : حدّثنا الحسن بن الحسين العُرَنىّ ، قال: حدّثنا يحيى بن يعلى الأسلمىّ ، عن سليمان بن قَرْم ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن سنان الكاهلىّ ، قال : لما كان يوم الجمل ترامَينا بالنَّبل حتى فَنيتْ ، وتَطاعنّا بالرّماح حتى تشبّكت فى صدورنا وصدورهم ، حتّى لو سُيِّرت عليها الخيل لسارت ، ثم قال علىّ : السيوفَ يا أبناءَ المهاجرين . قال الشيخ : فما دخلتُ دارَ الوليد إلا ذكرتُ ذلك اليوم .

٣٢١٦/١ حدّثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : حدّثنا أبو نُعَيم ، قال : حدّثنا فِطْر ، قال : سمعت أبا بشير قال : كنتُ مع مولاى زمنَ الجمل ، فما مررتُ بدار الوليد قَطّ ، فسمعت أصواتَ القَصّارين يَضرِبون إلاّ ذكرت قتالهم .

حدّثنى عيسى بن عبد الرحمن المروزىّ ، قال : حدّثنا الحسن بن الحسين ، قال : حدّثنا يحيى بن يعلَى ، عن عبد الملك بن مسلم ، عن عيسى ابن حطّان قال : حاصَ الناس حَيْصة[2] ، ثم رجعنا وعائشة على جمل

---

(١) انجدل : خر إلى الأرض صريعاً .

(٢) فى اللسان : « فى حديث يرويه ابن عمر أنه ذكر قتالا وأمراً فحاص المسلمون حيصة – ويروى : فجاض جيضة – معناهما واحد – أى جالوا جولة يطلبون الفرار » .

أحمر ، فى هـَوْدج أحمر ، ما شبّهته إلا بالقنفذ من النَّبل .

حدّثنى عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنى أبى ؛ قال: حدّثنى سليمان، قال : حدّثنى عبد الله ، قال : حدّثنى ابن عون ، عن أبى رَجاء ، قال : ذكروا يومَ الجمل فقلتُ :كأنّى أنظر إلى خِدْر عائشةَ كأنه قنفذ مما رُمِيَ فيه من النّبل ، فقلت لأبى رجاء : أقاتلتَ يومئذ ؟ قال : والله لقد رميتُ بأسهم فما أدرى ما صنعْن .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن راشد السُّلَمىّ ، عن ميسرة أبى جميلة ، أنّ محمد بن أبى بكر وعمّار بن ياسر أتيَا عائشة وقد عقِر الجمل ، فقطعا غُرْضة[1] الرَّحْل ، واحتمَلا الهودج ، فنحَّياه حتى أمرهما علىّ فيه أمرَه بعد ؛ قال : أدخِلاها البصرة، فأدخلاها دارَ عبد الله بنِ خلف الخُزاعىّ .

كتب إلىّ السرّىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : أمر علىّ نفرًا بحَمل الهَوْدج من بين القتلى، وقد كان القعقاع وزُفَر بن الحارث أنزَلاه عن ظهر البعير ، فوَضَعاه إلى جَنْبْ البعير ، فأقبل محمد ابن أبى بكر إليه ومعه نفر ، فأدخل يدَه فيه ، فقالت : مَن هذا ؟ قال: أخوكِ البَرّ ، قالت : عَقوق . قال : عمّار بن ياسر : كيف رأيت ضرْب بنيكِ اليوم يا أمّهْ ؟ قالت: مَن أنت ؟ قال : أنا ابنك البارّ عمّار ؛ قالت : لستُ لك بأمّ ؛ قال : بلى ، وإن كرهْتِ . قالت : فخرتم أن ظفرتم ، وأتيتم مثل ما نقَمتم ، هيهات ؛ والله لن يظفر مَن كان هذا دأبَه . وأبرزوها بهَوْدجها من القتلى ، ووَضَعوها ليس قربها أحد ، وكأنّ هودجَها فرخ مقصّب[2] مما فيه من النَّبل ، وجاء أعين بن ضُبيعة المجاشعىّ حتى اطّلع فى الهَوْدج ، فقالت : إليكَ لعنك الله ! فقال : والله ما أرى إلاّ حُمَيْراء ؛ قالت : هتَك الله سترَك، وقطع يَدَك ، وأبدى عورَتك ! فقُتل بالبصرة

١/٣٢١٧

---

(١) الغرضة : التصدير ، وهو للرحل كالحزام للسرج .
(٢) ط : « معضب » ، والفرخ : الزرع إذا تهيأ للانشقاق بعد ما يطلع ، ومقصب ؛ أى ذو أنابيب .

وسُلب ، وقطعتْ يده، ورُمى به عريانًا فى خَرِبة من خَرِبات الأزْد ، فانتهى إليها علىّ ، فقال : أىْ أمّه ، يغفر الله لنا ولكم ؛ قالت : غفر الله لنا ولكم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف، عن الصعب بن حكيم ابن شريك ، عن أبيه ، عن جده ، قال : انتهى محمد بن أبى بكر ومعه عمّار ، فقطع الأنساع عن الهودج، واحتملاه ، فلما وضعاه أدخل محمد يده وقال : أخوك محمد ، فقالت : مذمّم ، قال : يا أُخيَّة ، هل أصابَكِ شىء ؟ قالت : ما أنت من ذاك[1] ؟ قال : فَمَن إذاً ! ألضُّلاّل ؟ قالت : بل الهُداة ، وانتهى إليها علىّ ، فقال : كيف أنتِ يا أمّه ؟ قالت : بخير ، قال : يغفر الله لكِ . قالت : ولكّ .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : ولما كان من آخر الليل خرج محمد بعائشة حتّى أدخلها البصرة ، فأنزلها فى دارِ عبد الله بن خلف الخُزاعىّ على صفيَّة ابنة الحارث بن طلحة بن أبى طلحة ابن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبدالدّار ، وهى أمّ طلحة الطَّلَحات بن عبد الله ابن خلَف . ١/٣٢١٨

وكانت الوقعة يومَ الخميس لعشرٍ خلوْن من جُمادى الآخرة سنة ستّ وثلاثين ، فى قول الواقدىّ .

* * *

مقتل الزبير بن العوّام رضى الله عنه

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : لما انهزم الناس يومَ الجمل عن طلحة والزّبير ، ومضى الزّبير رضى الله عنه حتّى مرّ بعسكر الأحنف ، فلما رآه وأخبِر به قال : والله ما هذا بخيار[2] ، وقال للناس : مَن يأتينا بخبره ؟ فقال عمرو بن جُرموز لأصحابه :

---

(١) ابن الأثير : « وذاك ».

(٢) أى باختيار له إنما اضطر إلى ذلك . والكلمة فى أصول ط غير واضحة .

أنا ، فأتبعه ، فلما لحقه نظر إليه الزبير — وكان شديدَ الغضب — قال : ما وراءك ؟ قال : إنما أردتُ أن أسألك ؛ فقال غلام للزّبير يُدعَى عطية كان معه : إنه مُعِدٌّ ؛ فقال : ما يَهولك من رجل ! وحضرت الصّلاة ، فقال ابن جُرموز : الصلاة ؛ فقال الزبير : الصلاة ، فنزلا ، واستدبره ابن جُرموز فطعنه من خلفه فى جُرُبّان[1] دِرعه ، فقتله ، وأخذ فرسَه وخاتمَه وسلاحه ، وخلّى عن الغلام ، فدفنه بوادى السباع ؛ ورجع إلى الناس بالخبر. فأما الأحنف فقال : والله ما أدرى أحسنت أم أسأت ! ثمّ انحدر إلى علىّ وابن جُرموز معه ، فدخل عليه ، فأخبره ، فدعا بالسيف ، فقال : سيف طالمَا جلَّى الكُرَب عن وجه رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ! وبعث بذلك إلى عائشة ، ثم أقبل على الأحنف فقال : تربّصتَ ؛ فقال : ما كنتُ أرانى إلاّ قد أحسنتُ ، وبأمرك كان ما كان يا أميرَ المؤمنين ، فارفُق فإنّ طريقك الذى سلكتَ بعيد ، وأنت إلىَّ غداً أحوَج منك أمسِ ، فاعرف إحسانى ، واستصفِ مودّتى لغَدٍ ، ولا تقولَنَّ مثلَ هذا ، فإنى لم أزل لك ناصحًا . ١/٣٢١٩

* *

من انهزم يوم الجمل فاختفى ومضى فى البلاد

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : ومضى الزبير فى صدر يوم الهزيمة راجلاً نحو المدينة ، فقتله ابن جُرموز ، قالا : وخرج عُتْبة بن أبى سفُيان وعبدُ الرحمن ويحيى ابنا الحكم يوم الهزيمة ، قد شُجِّجوا[2] فى البلاد ، فلقوا عصمة بن أبَير التيمىّ ، فقال : هل لكم فى الجوار ؟ قالوا : مَن أنت ؟ قال : عصمة بن أبيَر . قالوا : نعم ، قال : فأنتم فى جِوارى إلى الحوْل ؛ فمضى بهم ، ثم حَماهم وأقام عليهم حتى برَءوا ، ثم قال : اختاروا أحبَّ بلد إليكم أبلِغكُموه ، قالوا : الشأم ، فخرج بهم فى أربعمائة راكب من تَيْم الرِّباب ، حتى إذا وغلوا[3] فى بلاد كلب بدُومة

(١) الجربان : الجيب .
(٢) يقال : شج المفازة يشجها أى قطعها .
(٣) وغل فى البلاد : ذهب وأبعد ؛ ومثلها أوغل .

قالوا : قد وفّيتَ ذمّتك وذِمَمَهم ، وقضيتَ الذى عليك فارجع ، فرجع .
وفى ذلك يقول الشاعر :

١/٣٢٢٠ وَفَى ابنُ أبَيْرٍ والرّماح شوارعٌ بآل أبى العاصى وفاءً مُذَكَّرَا

وأما ابن عامر فإنه خرج أيضًا مشجّجًا ، فتلقاه رجل من بنى حُرْقوص يُدعَى مُرَيًّا ، فدعاه للجِوار ، فقال : نعم، فأجاره وأقام عليه ، وقال : أىّ البلدان أحبّ إليك ؟ قال : دمَشق ، فخرج به فى ركب من بنى حُرْقوص حتى بلغوا به دمشق . وقال حارثةُ بن بدر – وكان مع عائشة ، وأصيب فى الوقعة ابنه أو أخوه زراع [١] :

أتانى من الأنباء أنّ ابْنَ عامرٍ أناخَ وألقَى فى دِمَشْقَ المَراسيَا

وأوَى مَرْوان بن الحكَم إلى أهل بيت من عنَزة يومَ الهزيمة ، فقال لهم : أعلِموا مالكَ بنَ مِسمع بمكانى ، فأتَوْا مالكًا فأخبروه بمكانه، فقال لأخيه مقاتل : كيف نصنع بهذا الرجل الذى قد بعث إلينا يُعلِمنا بمكانه ؟ قال : ابعث ابن أخى فأجِرْه ، والتمسوا له الأمان من علىّ ، فإن آمنه فذاك الذى نحبّ وإن لم يؤمنه خرجْنا به وبأسيافنا ؛ فإن عرض له جالدْنا دونَه بأسيافنا ، فإمّا أن نسلم ، وإمّا أن نَهلك كرامًا . وقد استشار غيره من أهله من قَبْل
١/٣٢٢١ فى الذى استشار فيه مقاتلاً ، فنهاه ، فأخذ برأى أخيه ، وترك رأيهَم ، فأرسل إليه فأنزله داره ، وعزم على منعه إن اضطر إلى ذلك ، وقال : الموت دون الجوار وفاءٌ ، وحفظ لهم بنو مَرْوانَ ذلك بعد ، وانتفَعوا به عندهم ، وشرّفوهم بذلك، وأوى عبد الله بن الزبير إلى دار رجل من الأزْد يُدعَى وزيرًا؛ وقال : ائتِ أمَّ المؤمنين فأعلِمْها بمكانى، وإيّاك أن يطّلع على هذا محمد بن أبى بكر ، فأتَى عائشةَ رضى الله عنها فأخبرَها ، فقالت : علىَّ بمحمد ، فقال : يا أمّ المؤمنين ، إنه قد نهانى أن يعلم به محمد ، فأرسلت إليه فقالت : اذهب مع هذا الرجل حتى تجيئَنى بابن أختك ؛ فانطلَق معه فدخل بالأزدىّ

---

(١) ط : « وفى نسخة أخرى دراع » . وفى الحواشى: ربما كانت « ذراع » . وانظر المشتبه للذهبى .

على ابن الزبير ، قال : جئتك والله بما كرهتَ ، وأبتْ أمّ المؤمنين إلاّ ذلك ، فخرج عبدُالله ومحمد وهما يتشاتمان ، فذكر محمد عثمان فشتمه وشتم عبد الله محمداً حتى انتهى إلى عائشة فى دار عبد الله بن خلف — وكان عبد الله ابن خلف قبل يوم الجمل مع عائشة ، وقُتل عثمانُ أخوه مع علىّ — وأرسلت عائشةُ فى طلب من كان جريحًا فضمّت منهم ناسًا ، وضمّت مروان فيمن ضمّت ، فكانوا فى بيوت الدار .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : وغشِيَ الوجوهُ عائشة وعلىٌّ فى عسكره ، ودخل القعقاع بن عمرو على عائشة فى أوّل من دخل ، فسلّم عليها ، فقالت : إنى رأيت رجلين بالأمس اجتلَدا بين يدىّ وارتَجَزا بكذا ، فهل تَعرف كُوفيَّك منهما ؟ قال : نعم ، ذاك الذى قال : «أعقٌ أمٌّ نَعْلم» ، وكذَب والله ، إنكِ لأبرّ أمّ نَعلم ، ولكن لم تطاعى . فقالت : والله لوددت أنى متٌّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة . وخرج فأتى عليًّا فأخبره أنّ عائشة سألتْه ، فقال : وَيْحكَ! مَن الرجلان ؟ قال : ذلك أبو هالة الذى يقول : ١/٣٢٢٢

* كما أرى صاحبه عليًا *

فقال : والله لوددتُ أنى متّ قبلَ هذا اليومِ بعشرين سنة ، فكان قولُهما واحداً .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : وتسلّل الجرحى فى جوف الليل ، ودخلَ البَصْرة مَن كان يطيق الانبعاث منهم ، وسألتْ عائشةُ يومئذٍ عن عِدّة من الناس ، منهم من كان معها ، ومنهم من كان عليها ، وقد غشيَها الناس ، وهى فى دار عبدِ الله بن خلَف ، فكلما نُعيَ لها منهم واحد قالت : يرحمُه الله ، فقال لها رجل من أصحابها : كيف ذلك ؟ قالت : كذلك قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فلانٌ فى الجنة ، وفلانٌ فى الجنة . وقال علىّ بن أبى طالب يومئذ : إنى لأرجو ألاّ يكون أحد من هؤلاء نقّى قلبَه إلاّ أدخله الله الجنّة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطيّة ، عن أبى أيّوب ، عن علىّ ، قال : ما نزَّل على النبىّ صلى الله عليه وسلّم آية أفرَح له من

قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾[1] ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما أصاب المسلمَ فى الدّنيا من مصيبة فى نفسه فبذَنْب ، وما يعفو الله عزّ وجلّ عنه أكثر ، وما أصابه فى الدّنيا فهو كفّارة له وعفوٌ منه لا يُعتدّ عليه فيه عقوبة يوم القيامة ، وما عفا الله عزّ وجلّ عنه فى الدنيا فقد عفا عنه ، واللهُ أعظم من أن يعودَ فى عفوه » . ١/٣٢٢٣

* * *

توجّع علىّ على قتلى الجمل ودفنُهم وجمعه ما كان فى العسكر والبعثُ به إلى البصرة

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : وأقام علىّ بن أبى طالب فى عسكره ثلاثةَ أيام لا يدخل البصرة ، ونُدب الناس إلى موتاهم ، فخرجوا إليهم فدفنوهم ، فطاف علىٌّ معهم فى القتْلى ، فلما أُتِيَ بكَعْب بن سُور قال : زعمتم[2] أنما خرج معهم السفهاء ، وهذا الحَبْر قد ترونْ . وأتى علىّ عبد الرحمن بن عتّاب فقال : هذا يَعْسوب القوم — يقول الذى كانوا يُطيفون به — يعنى أنهم قد كانوا اجتمعوا عليه ، ورضُوا به لصلاتهم . وجعل علىّ كلما مرّ برجل فيه خير قال : زعَم مَن زعم أنه لم يخرج إلينا إلاّ الغوغاء ، هذا العابد المجتهِد . وصلّىَ على قتلاهم من أهل البصرة ، وعلى قتلاهم من أهل الكوفة ؛ وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء ، فكانوا مدَنيِّين ومكّيِّين ، ودَفن علىٌّ الأطرافَ فى قبر عظيم ، وجمع ما كان فى العسكر من شىء ، ثم بعث به إلى مسجد البصرة ؛ أنْ من عرف شيئاً فليأخذه ، إلاّ سلاحاً كان فى الخزائن عليه سِمةَ السلطان ، فإنه لمّا بقى لم يعرف ، خذُوا ما أجلَبوا به عليكم من مال الله عزّ وجلّ ، لا يحلّ لمسلم ١/٣٢٢٤

(١) سورة الشورى ٣٠ .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « أزعمتم » .

من مال المسلم المتوفَّى شيء ، وإنما كان ذلك السلاح فى أيديهم من غير تنفيل[١] من السلطان .

* * *

عدد قتلَى الجمل

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : كان قتلَى الجمل حول الجمل عشرة آلاف ؛ نصفهُم من أصحاب علىّ ، ونصفهم من أصحاب عائشة ؛ من الأزد ألفان ، ومن سائر اليمن خمسمائة ، ومن مضرَ ألفان ، وخمسمائة من قيس ، وخمسمائة من تميم ، وألف من بنى ضبّة ، وخمسمائة من بكر بن وائل . وقيل : قتِل من أهل البصرة فى المعركة الأولى خمسة آلاف ، وقتل من أهل البصرة فى المعركة الثانية خمسة آلاف ، فذلك عشرة آلاف قتيل من أهل البصرة ، ومن أهل الكوفة خمسة آلاف . قالا : وقُتل من بنى عدىّ يومئذ سبعون شيخًا ، كلهم قد قرأ القرآن ، سوى الشّباب ومن لم يقرأ القرآن .

وقالت عائشة رضى الله عنها : ما زلتُ أرجو النصرَ حتى خفيتْ أصواتُ بنى عدىّ .

* * *

دخول علىّ على عائشة وما أمر به من العقوبة فيمن تناولها

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : ودخل علىّ البصرة يومَ الاثنين ، فانتهى إلى المسجد ، فصلى فيه ، ثم دخل البصرة ، فأتاه الناس ، ثم راح إلى عائشة على بغلته ، فلما انتهى إلى دار عبدِ الله بن خلف وهى أعظم دار بالبصرة ، وجد النِّساءَ يبكين على عبد الله وعثمان ابنى خلَف مع عائشةَ ، وصفيّةُ ابنة الحارث مختمِرة[٢] تبكى ، فلما ١/٣٢٢٥

(١) ط : « تنفل » . (٢) مختمرة ، أى وضعت الخمار على وجهها .

رأته قالت: يا عليّ، يا قاتلَ الأحبّة، يا مفرّق الجمع، أيتمَ اللهُ بَنيك منك كما أيتمتَ ولَد عبد الله منه! فلم يردّ عليها شيئًا، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة، فسلَّم عليها، وقعد عندَها، وقال لها: جَبَهَتْنا صفيّة، أما إني لم أرها منذ كانت جاريةً حتى اليوم، فلما خرج عليّ أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام، فكفَّ بغلته وقال: أمَا لهمَمْتُ — وأشار إلى الأبواب من الدار — أن أفتح هذا الباب واقتلَ من فيه، ثم هذا فأقتل مَن فيه، ثم هذا فأقتل من فيه — وكان أناس من الجرحَى قد لجئوا إلى عائشة، فأخبر عليّ بمكانهم عندها، فتغافل عنهم — فسكتت. فخرج عليّ، فقال رجل من الأزد: والله لا تُفلتنا هذه المرأة. فغضب وقال: صَه[1]! لا تَهتِكُنّ سترًا، ولا تَدخُلنّ دارًا، ولا تَهيِّجُنّ امرأةً بأذًى، وإن شتَمن أعراضكم، وسفَّهن أمراءَكم وصُلَحاءكم، فإنهنّ ضعاف؛ ولقد كنا نؤمر بالكفّ عنهنّ، وإنهنّ لمشركات، وإن الرجل ليكافئُ المرأة ويتناولها بالضّرب فيُعيَّر بها عَقِبه من بعده، فلا يبلغنّي عن أحد عرض لامرأة فأنكّل به شرار الناس. ومضى عليّ، فلَحِق به رجل، فقال: يا أميرَ المؤمنين، قام رجلان ممن لقيتُ على الباب، فتناولا مَنْ هو أمضُّ لك شتيمة من صفيّة. قال: ويحك! لعلها عائشة. قال: نعم، قام رجلان منهم على باب الدار فقال أحدهما: ١/٣٢٢٦

* جُزيتِ عنّا أمَّنا عُقوقا *

وقال الآخر:

* يا أمَّنا تُوبي فقد خَطِيتِ *

فبعث القعقاعَ بن عمرو إلى الباب، فأقبل بمن كان عليه، فأحالوا على رجلين، فقال: أضربُ أعناقهما، ثم قال: لأنهكنّهما عقوبة. فضربَهما مائةً مائة، وأخرجَهما من ثيابهما.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الحارث بن حَصيرة، عن أبي الكنود، قال: هما رجلان من أزْد الكوفة يقال لهما عِجْل وسعد ابنا عبد الله.

---

(١) ابن الأثير والنويري: «مه».

بيعة أهل البصرة عليًّا وقسمُه ما فى بيت المال عليهم

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : بايع الأحنف من العشىّ لأنه كان خارجًا هو وبنو سَعد ، ثم دخلوا جميعًا البصرة ، فبايع أهل البصرة على راياتهم ، وبايع علىّ أهل البصرة حتى الجرحى والمستأمِنة ، فلما رجع مروان لحق بمعاوية . وقال قائلون : لم يبرح المدينة حتى فُرِغ من صِفين . ٣٢٢٧/١

قالا : ولما فرغ علىّ من بيعة أهل البصرة نظر فى بيت المال فإذا فيه ستمائة ألف وزيادة ، فقسمها على من شهد معه [الوقعة] ، فأصاب كلّ رجل منهم خمسمائة خمسمائة ، وقال : لكم إن أظفركم الله عزّ وجلّ بالشأم مِثلُها إلى أعطياتكم . وخاض فى ذلك السبَئية ، وطعَنوا على علىّ من وراء وراء .

* * *

سيرة علىّ فيمن قاتل يوم الجمل

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن راشد ، عن أبيه ، قال : كان من سيرة علىّ ألاّ يَقتل مدبراً ولا يذفّف[1] على جريح ، ولا يكشف ستراً ، ولا يأخذ مالا ؛ فقال قوم يومئذ : ما يُحلّ لنا دماءهم ، ويُحرّم علينا أموالهم ؟ فقال علىّ : القومُ أمثالكم ، من صفح عنّا فهو منّا ، ونحن منه ، ومن لجّ حتى يصاب فقتاله منّى على الصّدر والنّحر ، وإنّ لكم فى خُمْسِه لغنًى ، فيومئذ تكلّمت الخوارج .

* * *

بعثة الأشتر إلى عائشة بجَمل اشتراه لها وخروجها من البَصرة إلى مكّة

حدّثنا أبو كريب محمد بن العلاء ، قال : حدّثنا يحيى بن آدم ، عن أبى بكر بن عيّاش ، عن عاصم بن كُليب ، عن أبيه ، قال : لما فرغوا يوم

(١) لا يذفف : لا يجهز .

الجمل أمرنى الأشتر فانطلقت فاشتريتُ له جملا بسبعمائة درهم من رجل من مَهْرة ، فقال : انطلِق به إلى عائشة فقل لها : بعث به إليكِ الأشتر مالكُ ابن الحارث ، وقال : هذا عِوَض من بعيرك ، فانطلقْتُ به إليها ، فقلت : مالكٌ يقرئكِ السلام ويقول : إنّ هذا البعير مكان بعيرك ؛ قالت : لا سَلَّم الله عليه؛ إذ قتل يَعسوبَ العرب — تَعْنى ابن طلحة — وصنع بابن أختى ما صنع ! قال : فرددته إلى الأشتر ، وأعلمتُه ، قال : فأخرَج ذراعين شعراوين ؛ وقال : أرادوا قتلى فما أصنع ! ٣٢٢٨/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : قصدتْ عائشة مكة فكان وجهها من البصرة ، وانصرف مروان والأسوَد بن أبى البَخْتَرِىّ إلى المدينة من الطريق ، وأقامت عائشة بمكّة إلى الحجّ ، ثم رجعت إلى المدينة .

* * *

ما كتب به علىّ بن أبى طالب من الفتح إلى عامله بالكوفة

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : وكتب علىّ بالفتح إلى عامله بالكوفة حين كتب فى أمرها وهو يومئذ بمكة:

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين . أمّا بعد ، فإنا التقينا فى النصف من جمادى الآخرة بالخُرَيبة - فِناءٌ من أفنية البصرة - فأعطاهم الله عزّ وجلّ سُنّة المسلمين ، وقُتل منّا ومنهم قتلَى كثيرة ، وأصيب ممّن أصيب منا ثُمامَة بن المثنّى ، وهند بن عمرو ، وعِلباء بن الهيثم ، وسَيْحَان وزيد ابنا صُوحان ، ومحدوج .

وكتب عبيد[1] الله بن رافع . وكان الرسول زُفَر بن قيس إلى الكوفة بالبشارة فى جمادَى الآخرة .

---

(١) ط : « عبد الله » ؛ والصواب ما أثبته .

أخذ عليّ البيعة على الناس
وخبر زياد بن أبى سفيان وعبد الرحمن بن أبى بَكْرة

١/٣٢٢٩

وكان فى البيعة : عليك عهدُ الله وميثاقُه بالوَفاء لتكونن لسِلْمِنا سِلْما ، ولحربنا حربًا ، ولتكفّنّ عنّا لسانك ويدَك . وكان زياد بن أبى سفيان ممن اعتزل ولم يشهد المعركة ، قعد. وكان فى بيت نافع بن الحارث ، وجاء عبدالرحمن ابن أبى بَكْرة فى المستأمنين مسلّمًا بعد ما فرغ علىّ من البيعة ، فقال له علىّ : وعمُّك المتربّص المقاعد بى ! فقال : والله يا أمير المؤمنين ، إنه لك لوَادّ ، وإنه على مسرّتك لحريص ، ولكنه بلغنى أنه يشتكى ، فأعلم لك علمَه ثم آتيك . وكتم عليًّا مكانه حتى استأمره ، فأمره أن يُعلمه فأعلمه ، فقال علىّ : امشِ أمامى فاهدنى إليه ، ففعل ؛ فلما دخل عليه قال : تقاعدتَ عنّى ، وتربّصْت — ووضع يده على صدره ، وقال : هذا وجع بيّن — فاعتذر إليه زياد ، فقبل عذره واستشاره . وأراده علىّ على البصرة ، فقال : رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس ؛ فإنه أجدر أن يطمئنّوا أو ينقادوا ، وسأكفيكه وأشيرُ عليه . فافترقا على ابن عباس ، ورجع علىّ إلى منزله .

* * *

تأمير ابن عبّاس على البصرة وتولية زياد الخراج

١/٣٢٣٠

وأمّر ابنَ عبّاس على البصرة ، وولّى زيادًا الخراج وبيت المال ، وأمر ابن عباس أن يسمع منه ، فكان ابن عباس يقول : استشرته عند هَنَة كانت من الناس ، فقال : إن كنتَ تعلم أنك على الحقّ ، وأنّ مَنْ خالفك على الباطل ، أشرتُ عليك بما ينبغى ، وإن كنتَ لا تدرى ، أشرتُ عليك بما ينبغى كذلك. فقلت : إنّى على الحقّ ، وإنهم على الباطل ، فقال : اضرب بمن أطاعك مَنْ عصاك ومن ترك أمرَك ، فإن كان أعزّ للإسلام وأصلح له أن يُضرب عنقُه فاضرب عنقه . فاستكتبتُه ، فلما ولّى رأيتُ ما صنع ، وعلمتُ أنه قد اجتهد لى رأيَه ، وأعجلت السَّبَئيّةُ عليًّا عن المقام ، وارتحلوا بغير إذنه ،

فارتحل فى آثارهم ليقطع عليهم أمراً إن كانوا أرادوه ، وقد كان له فيها مقـــام .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : علِم أهلُ المدينة بيوم الجمل يومَ الخميس قبل أن تغرب الشمس من نَسْر مرّ بما حول المدينة ، معه شىء متعلّقه ، فتأمّله الناس فوقع ، فإذا كفٌّ فيها خاتم ، نقشه « عبد الرحمن بن عتّاب » ، وجفل مَن بين مكة والمدينة من أهل البصرة، مَنْ قرُب من البصرة أو بعُد، وقد علموا بالوقعة مما ينقل إليهم النُّسور من الأيدى والأقدام .

* * *

٢٢٣١/١ تجهيز علىّ عليه السلام عائشةَ رضى الله عنها من البصرة

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : وجهّزعلىّ عائشة بكلّ شىءينبغى لها من مركَب أو زاد أو متاع ، وأخرج معها كلَّ مَن نجا ممّن خرج معها إلاّ من أحبّ المقام،واختار لها أربعين امرأةً من نساء أهل البصرة المعروفات ، وقال : تجهّز يا محمّد،فبلّغها ، فلما كان اليوم الذى ترتحل فيه ، جاءها حتى وقف لها ، وحضرالناس ، فخرجتْ على الناس وودّعوها وودّعتهم،وقالت: يا بَنىّ ، تَعتَّب بعضُنا على بعض استبطاءً واستزادة ، فلايعتدّنّ أحدٌ منكم على أحد بشىء بلغه من ذلك؛ إنه والله ما كان بينى وبين علىّ فى القديم إلاّ ما يكون بين المرأة وأحمائها ؛ وإنه عندى على معتبتى من الأخيار. وقال علىٌّ : يأيها الناس، صدقتْ والله وبرّت ، ما كان بينى وبينها إلاّ ذلك ،وإنها لزوجة نبيّكم صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة .

وخرجت يوم السبت لغرّة رجب سنة ست وثلاثين ، وشيّعها علىٌّ أميالا ، وسرّح بنيه معها يومًا .

* * *

ما رُوى من كثرة القتلى يوم الجمل

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا محمد ابن الفضل بن عطيّة الخُراسانىّ ، عن سعيد القُطَعِىّ ، قال : كنّا نتحدّث أنّ قتلى الجمل يزيدون على ستّة آلاف .

حدّثنى عبدُالله بن أحمد بن شبّوَيْه ، قال : حدّثنى أبى ، قال : ٣٢٣٢/١ حدّثنا سليمان بن صالح ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن جرير بن حازم ، قال : حدّثنى الزبير بن الخِرّيت ، عن أبى لبيد لمازة بن زياد ، قال : قلت له : لِمَ تسبّ عليّاً ؟ قال : ألا أسبّ رجلا قتل منا ألفين وخمسمائة ، والشمس ها هنا ! قال جرير بن حازم : وسمعتُ ابن أبى يعقوب يقول : قَتَل علىّ بن أبى طالب يومَ الجمل ألفين وخمسمائة؛ألف وثلثمائة وخمسون من الأزْد وثمانمائة من بنى ضبّة ، وثلثمائة وخمسون من سائر الناس .

وحدّثنى أبى ، عن سليمان ، عن عبد الله ، عن جَرير ، قال : قتِل المعرِّض بن عِلاط يوم الجمل ، فقال أخوه الحجّاج :

لم أر يَوْماً كان أكثرَ ساعِياً بِكفّ شِمالٍ فارقتْها يمينُها

قال معاذ : وحدّثنى عبد الله ، قال : قال جرير : قتل المعرِّض بن عِلاط يوم الجمل ، فقال أخوه الحجّاج :

لم أرَ يوماً كان أكثرَ ساعِياً بِكفّ شِمالٍ فارَقَتْها يَمينُها

* * *

ما قال عمّار بن ياسر لعائشة حين فرغ من الجمل

حدّثنى عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنى أبى ، عن سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن جرير بن حازم ، قال : سمعت أبا يزيد المدينىّ يقول : قال عمّار بن ياسر لعائشة — رضى الله عنها — حين فرغ القوم : يا أمّ المؤمنين ، ٣٢٣٣/١ ما أبعد هذا المسير من العهد الذى عُهد إليك ! قالت : أبو اليَقْظان ! قال :

نعم ، قالت : والله إنّك – ما علمتُ – قوّال بالحق ؛ قال : الحمد لله الذى قضى لِي على لسانك .

* * *

آخر حديث الجمل

بعثة علىّ بن أبى طالب قيس بن سعد بن عبادة أميرًا على مصر

وفى هذه السنة – أعنى سنة ستّ وثلاثين – قُتِل محمد بن أبى حذيفة ، وكان سبب قتله أنه لما خرج المصريّون إلى عثمان مع محمد بن أبى بكر ، أقام بمصر ، وأخرج عنها عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح ، وضبطها ، فلم يزل بها مقيماً حتى قتِل عثمان رضى الله عنه ، وبويع لعلىّ ، وأظهر معاوية الخلاف ، وبايعه على ذلك عمرو بن العاص ، فسار معاوية وعمرو إلى محمد بن أبى حُذيفة قبل قدوم قيس بن سعد مصر ، فعالجا دخولَ مصر ، فلم يقدرا على ذلك ، فلم يزالا يخدعان محمد بن أبى حذيفة حتى خرج إلى عَرِيش مصر فى ألف رجل ، فتحصّن بها ، وجاءه عمرو فنصب المنجنيق عليه حتى نزل فى ثلاثين من أصحابه وأخِذوا وقُتلوا رحمهم الله .

وأما هشام بن محمد فإنه ذكر أن أبا مِخنف لوط بن يحيى بن سعيد ابن مِخنف بن سُليم ، حدّثه عن محمد بن يوسف الأنصارىّ من بنى الحارث بن الخزرج ، عن عبّاس بن سهل الساعدىّ أنّ محمد بن أبى حُذَيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف هو الذى كان سَرّب المصريّين إلى عثمان بن عفان ، وإنهم لما ساروا إلى عثمان فحصروه وثب هو بمصر على عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح أحد بنى عامر بن لؤىّ القرشىّ ، وهو عامل عثمانَ يومئذ على مصر ، فطرده منها ، وصلّى بالناس ، فخرج عبدالله ابن سعد من مصر فنزل على تُخوم أرضِ مصر مما يلى فِلَسطين ، فانتظر ما يكون من أمر عثمان ، فطلع راكبٌ فقال : يا عبد الله ، ما وراءك ؟ خبِّرنا بخبر الناس خلفك ؛ قال : أفعل ، قتل المسلمون عثمانَ رضى الله عنه ، فقال عبد الله بن سعد : ﴿ إنّا لله وإنّا إليه رَاجِعونَ ! ﴾ ، يا عبد الله ، ثم صنعوا

١/٣٢٢٤

ماذا ؟ قال : ثم بايعوا ابنَ عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبى طالب ، قال عبد الله بن سعد : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [1] ، قال له الرجل : كأنّ ولاية عليّ بن أبى طالب عدلتْ عندك قتلَ عثمان ! قال : أجل . قال : فنظر إليه الرّجل ، فتأمّله فعرفه وقال : كأنّك عبد الله بن أبى سرْح أمير مصر ! قال : أجلْ ؛ قال له الرجل : فإن كان لك فى نفسك حاجة فالنَّجاء النّجاء ، فإنّ رأيَ أمير المؤمنين فيك وفى أصحابك سَيِّئٌ ، إن ظفر بكم قتلَكم أو نفاكم عن بلاد المسلمين ، وهذا بعدى أمير يقدم عليك . قال له عبد الله : ومن هذا الأمير ؟ قال : قيس بن سعد بن عُبادة الأنصاريّ ؛ قال عبد الله بن سعد : أبْعَدَ الله محمدَ بن أبى حذيفة ! فإنه بغى على ابن عمّه ، وسعى عليه ، وقد كان كفله وربّاه وأحسن إليه ، فأساء جوارَه ، ووثب على عمّاله ، وجهز الرجال إليه حتّى قتل ، ثم ولى عليه من هو أبعد منه ومن عثمان ، لم يمتّعه بسلطان بلاده حولا ولا شهراً ، ولم يره لذلك أهلا ، فقال له الرجل : انجُ بنفسك ، لا تُقتَل . فخرج عبد الله بن سعد هارباً حتّى قدم على معاوية ابن أبى سُفيان ِدمَشق . ١/٣٢٣٥

قال أبو جعفر : فخبرُ هشامٍ هذا يدلّ على أن قيس بن سعد ولى مصر ومحمد بن أبى حذيفة حيّ .

* * *

وفى هذه السنة بعث عليّ بن أبى طالب على مصر قيس بن سعد بن عبادة الأنصاريّ ، فكان من أمره ما ذكر هشام بن محمد الكلبيّ ، قال : حدّثنى أبو مِخنف ، عن محمد بن يوسف بن ثابت ، عن سهل بن سعد ، قال : لما قُتِل عثمان رضى الله عنه وولى عليّ بن أبى طالب الأمر ، دعا قيس ابن سعد الأنصاريّ فقال له : سر إلى مصرَ فقد ولّيتُكَها ، واخرج إلى

(١) سورة البقرة ١٥٦

رحلك ، واجمع إليك[١] ثقاتك ومَن أحببت أن يصحبك حتى تأتيَها ومعك جند ، فإن ذلك أرعب لعدوّك وأعزّ لوليّك ، فإذا أنت قد متهما إن شاء الله فأحسن إلى المحسن ، واشتدّ[٢] على المريب ، وارفُق بالعامة والخاصّة ، فإنّ الرفق يُمن .

فقال له قيس بن سعد : رحمك الله يا أميرَ المؤمنين! فقد فهمتُ ما قلتَ ، أمّا قولك : اخرج إليها بجند ، فوالله لئن لم أدخلها إلاّ بجند آتيها به من المدينة لا أدخلها أبداً ، فأنا أدَعُ ذلك الجند لك ، فإن أنت احتجت إليهم كانوا منك قريبًا ، وإن أردت أن تبعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عُدّة لك ، وأنا أصير إليها بنفسي وأهل بيتى . وأمّا ما أوصيتَنى به من الرفق والإحسان ، فإنّ الله عزّ وجلّ هو المستعان على ذلك .

١/٣٢٣٦

قال : فخرج قيس بن سعد فى سبعة نفر من أصحابه حتى دخل مصر ، فصعِد المنبر ، فجلس عليه ، وأمرَ بكتابٍ معه من أمير المؤمنين فقرئ على أهل مصر :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى مَن بلغه كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين . سلامٌ عليكم ، فإنى أحمَد إليكم اللهَ الذى لا إله إلا هو . أمّا بعد ، فإنّ الله عزّ وجلّ بحسن صنعِه وتقديره وتدبيره ، اختار الإسلام دينًا لنفسه وملائكته ورسله ، وبعث به الرّسل عليهم السلام إلى عباده ، وخصّ به مَن انتخب من خلقه ، فكان مما أكرم الله عزّ وجلّ به هذه الأمّة ، وخصّهم به من الفضيلة أن بعث إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، فعلّمهم الكتاب والحكمة والفرائضَ والسنّة ، لكيما يهتدوا ، وجمعهم لكيما لا يتفرّقوا ، وزكّاهم لكيما يتطهّروا ، ورفّههم لكيما لا يجوروا ، فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله عزّ وجلّ صلوات الله عليه ورحمته وبركاته . ثم إنّ المسلمين استخلفوا به أميريْن صالحين ، عَمِلاَ بالكتاب والسنّة ، وأحسنَا السيرة ، ولم يَعدُوَا السنّة ، ثم توفّاهما الله عزّ وجلّ ، رضى الله عنهما . ثم ولىَ

---

(١) كذا فى ابن الأثير والنويرى ، وفى ط : « إليه » .

(٢) النويرى : « واشدد » .

بعدهما والٍ فأحدث أحداثًا ، فوجدت الأمة عليه مقالا فقالوا ، ثم نقَموا عليه فغيَّروا ، ثم جاءونى فبايعونى ، فأستهدِى الله عزّ وجلّ بالهُدى ، وأستعينه على التقوى . ألاَ وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنّة رسولِه صلى الله عليه وسلم، والقيام عليكم بحقه والتنفيذ لسنّته ، والنّصح لكم بالغيب، والله المستعان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وقد بعثت إليكم قيسَ بن سعد بن عبادة أميراً ، فوازِروه وكانِفوه ، وأعينوه على الحقّ ، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم ، والشدّة على مُريبكم ، والرّفق بعوامّكم وخواصّكم ، وهو ممّن أرضَى هديَه ، وأرجو صلاحَه ونصيحته . أسأل الله عزّ وجلّ لنا ولكم عملاً زاكيًا ، وثوابًا جزيلاً ، ورحمةً واسعة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ١/٣٢٣٧

وكتب عبيد الله بن أبى رافع فى صفر سنة ست وثلاثين .

قال : ثمّ إنّ قيس بن سعد قام خطيبًا ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال : الحمد لله الذى جاء بالحقّ ، وأمات الباطل ، وكبت الظالمين. أيّها الناس ، إنا قد بايعْنا خير من نعلم بعد محمد نبينا صلى الله عليه وسلم، فقوموا أيّها الناس فبايِعوا [١] على كتاب الله عزّ وجلّ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعةَ لنا عليكم .

فقام الناس فبايَعوا ، واستقامت له مصر ، وبعث عليها عمّاله ، إلاّ أن قريةً منها يقال لها : «خِرِبْتَا» فيها أناس قد أعظموا قتلَ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وبها [٢] رجل من كنانة ثم من بنى مُدْلِج يقال له يزيد بن الحارث من بنى الحارث بن مُدْلج . فبعث هؤلاء إلى قيس بن سعد : إنّا لا نقاتلك فابعث عمّالك ، فالأرضُ أرضكَ ، ولكن أقِرّنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس . ١/٣٢٣٨

قال : ووثب مسلمة بن مخلَّد الأنصاريّ، ثمّ مَنْ ساعده من رهط قيس ابن سعد، فنعى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ودعا إلى الطلب بدمه ، فأرسل

---

(١) ابن الأثير والنويرى : « فبايعوه » .
(٢) ابن الأثير والنويرى : « عليهم » .

إليه قيس بن سعد : ويحك ، عليّ[١] تَثِب ! فوالله ما أحبّ أنّ لى ملك الشأم إلى مصرَ وأنى قتلتك . فبعث إليه مسلمة : إنى كافٌّ عنك ما دمت أنت والىَ مصر .

قال : وكان قيس بن سعد له حزم ورأى ، فبعث إلى الذين بِخِرِبْتَا : إنىّ لا أكرِهكم على البيعة ، وأنا أدَعُكم وأكفّ عنكم . فهادَنَهم وهادَن مسلمة بن مخلَّد ، وجَبَى الخراجَ ، ليس أحد من الناس ينازعه .

قال : وخرج أمير المؤمنين إلى أهل الجمل وهو على مصر ، ورجع إلى الكُوفة من البصرة وهو بمكانه ، فكان أثقلَ خلق الله على معاوية بن أبى سفيان لقربه من الشأم، مخافة أن يُقبِل إليه علىٌّ فى أهل العراق، ويُقبل إليه قيس بن سعد فى أهل مصر ، فيقع معاوية بينهما .

وكتب معاوية بن أبى سفيان إلى قيس بن سعد — وعلىّ بن أبى طالب يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صِفّين :

من معاوية بن أبى سفيان إلى قيس بن سعد . سلام عليك ، أمّا بعد ، فإنكم إن كنتم نقَمتم على عثمانَ بن عفان رضى الله عنه فى أُثْرة رأيتموها ، أو ضربةِ سوط ضربها ، أوشتيمةِ رجل ، أو فى تسييره آخرَ، أو فى استعماله الفَتِىّ ، فإنكم قد علمتم — إن كنتم تعلمون — أنّ دمه لم يكن يحلّ لكم ، فقد ركبتم عظيمًا من الأمر ، وجئتم شيئًا إدًّا[٢] ، فتبْ إلى الله عزّ وجلّ يا قيس ابن سعد . فإنك كنت فى المجلِبين على عثمان بن عفان — إن كانت التوبة من قتل المؤمن تُغنى شيئًا — فأمّا صاحبك فإنا استيقنّا أنّه الذى أغرَى به الناس، وحَملَهم على قتله حتّى قتلوه ، وأنه لم يسلم من دمه عُظْم قومك ، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممّن يطلب بدم عثمانَ فافعل . تابِعْنا على أمرنا ، ولك سلطانُ العِراقَين إذا ظهرتُ ما بقيت ، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لى سلطان ، وسلْنى غير هذا مما تحبّ ، فإنّك لا تسألنى

١/٣٢٣٩

(١) ابن الأثير والنويرى : « أعلى ! » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « إمرا » .

شيئًا إلا أوتيتَه ، واكتب إلىّ برأيك فيما كتبت به إليك . والسلام .

فلما جاءه كتاب معاوية أحبّ أن يدافعه ولا يبدى له أمره ، ولا يتعجّل له حربه ، فكتب إليه :

أمّا بعد ، فقد بلغنى كتابُك ، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه من قتل عثمانَ ، وذلك أمر لم أقارفه ، ولم أطِفْ به . وذكرتَ أنّ صاحبي هو أغرى الناسَ بعثمان ، ودسَّهم إليه حتى قتلوه ، وهذا ما لم أطّلع عليه ، وذكرت أن عُظْم عشيرتى لم تَسلَم من دم عثمان ، فأوّل الناس كان فيه قيامًا عشيرتى . وأمّا ما سألتَنى من متابعتك ، وعرضتَ علىّ من الجزاء به ، فقد فهمتُه ، وهذا أمر لى فيه نظر وفكرة ، وليس هذا مما يسرَع إليه ، وأنا كافّ عنك ، ولن يأتيَك مِن قِبَلى شىء تكرهه حتى تَرَى ونرى إن شاء الله ، والمستجارُ الله عزّ وجلّ ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . ٣٢٤٠/١

قالَ : فلما قرأ معاوية كتابَه ، لم يره إلاّ مقاربًا مباعِداً ، ولم يأمن أن يكون له فى ذلك مباعداً مكايداً ، فكتب إليه معاوية أيضًا :

أمّا بعدُ ، فقد قرأتُ كتابك ، فلم أرك تدنو فأعُدّك سِلْمًا ، ولم أرك تباعِد فأعُدّك حربًا ، أنت فيما هاهنا كحنَك الجَزور ، وليس مِثلى يصانع المخادِع ، ولا يَنْتزع للمكايد ، ومعه عدد الرّجال ، وبيده أعنّةُ الخيل ؛ والسلام عليك .

فلما قرأ قيس بن سعد كتاب معاوية ، ورأى أنه لا يقبل معه المدافعة والمماطلة ، أظهر له ذاتَ نفسه ، فكتب إليه :

بسم الله الرّحمن الرّحيم . من قيس بن سعد ، إلى معاوية بن أبى سُفيان .

أما بعد ، فإنّ العجَب من اغترارك بى ، وطمعِك فىّ ، واستسقاطك رأيى . أتسومنى الخروج من طاعة أوْلى الناس بالإمْرة ، وأقولِهم للحق ، وأهداهم سبيلاً ، وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلةً ، وتأمرنى بالدّخول فى طاعتك ، طاعةِ أبعد الناس من هذا الأمر ، وأقوَلِهم للزّور ، وأضلّهم سبيلا ، وأبعدِهم من الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وسلم وسيلة ، ولدِ ضالّين مُضلّين ، طاغوتٍ من طواغيت إبليس ! وأمّا قولك إنى مالىء عليك مصر خيلاً ورَجْلا[١] ٣٢٤١/١

(١) ابن الأثير : « ورجالا » .

فوالله إن لم أشغَلك بنفسك حتى تكون نفسك أهمّ إليك ؛ إنك لذو جَدّ ، والسلام . فلما بلغ معاوية كتاب قيس أيس منه ، وثقل عليه مكانُه .

* * *

حدثني عبد الله بن أحمد المروزيّ، [1]قال: حدثني أبي[1] قال: حدّثني سليمان، قال : حدّثني عبدالله ، عن يونس، عن الزّهريّ، قال: كانت مصر من حين عليّ، عليها قيس بن سعد بن عبادة ، وكان صاحبَ راية الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من ذوِي الرأى والبأس، وكان معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص جاهدَيْن على أن يُخرجاه من مصر ليَغلبا عليها، فكان قد امتنع فيها بالدّهاء والمكايدة ، فلم يقدرا عليه ، ولا على أن يفتتحا مصر ؛ حتى كاد معاوية قيسَ بن سعد من قِبَل عليّ ، وكان معاوية يحدّث رجالا من ذوِي الرأى من قريش يقول : ما ابتدعتُ مكايدةً قطّ كانت أعجبَ عندى من مكايدةٍ كدتُ بها قيساً من قبَل عليّ وهو بالعراق حين امتنع منّى قيس . قلت لأهل الشأم: لا تسبّوا قيسَ بن سعد، ولاتدْعوا إلى غزوه ، فإنه لنا شيعة، يأتينا [2] كيِّس نصيحته [2] سرًّا . ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذين عنده من أهل خِرِبْتَا، يُجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم، ويؤمّن سِرْبَهم؛ ويُحسن إلى كلّ راكبٍ قدم عليه منكم ، لا يستنكرونه فى شىء !

٣٢٤٢/١ قال معاوية : وهممتُ أن أكتب بذلك إلى شيعتى من أهل العراق ، فيسمع بذلك جواسيس عليّ عندى وبالعراق . فبلغ ذلك عليًّا ، ونماه إليه محمد بن أبي بكر ومحمّد بن جعفر بن أبي طالب. فلما بلغ ذلك عليًّا اتّهم قيساً ، وكتب إليه يأمره بقتال أهل خِرِبْتَا — وأهل خَرَبْتا يومئذ عشرة آلاف — فأبى قيس بن سعد أن يقاتلهم ، وكتب إلى عليّ : إنهم وجوه أهل مصر وأشرافُهم ، وأهلُ الحفاظ منهم، وقد رَضُوا منّى أن أؤمّن سِرْبَهم ، وأُجرِيَ عليهم أعطياتِهم وأرزاقَهم ، وقد علمت أنّ هواهم مع معاوية ، فلست مكايدهم بأمر أهوَن عليّ وعليك من الذى أفعل بهم ، ولو أنى غزوتُهم

(١ — ١) ساقط من ط ، وانظر ص ٥٥٥ .

(٢ — ٢) ابن الأثير : « قد تأتينا كتبه ونصيحته » .

كانوا لى قِرْنا ، وهم أُسود العرب ، ومنهم بُسْر بن أبى[1] أرطاة ، ومسلمة بن مخلَّد ، ومعاوية بن حُديج ، فذَرْنى فأنا أعلم بما أدارى منهم . فأبى علىّ إلاّ قتالَهم ، وأبى قيس أن يقاتلهم .

فكتب قيس إلى علىّ : إن كنت تتّهمنى فاعزلنى عن عملك ، وابعث إليه غيرى . فبعث علىٌّ الأشتر أميراً إلى مصر ، حتى إذا صار بالقازُم شربَ شربَة عسل كان فيها حتفُه . فبلغ حديثهم معاوية وعمرا ، فقال عمرو : إن لله جُنداً من عَسَل .

فلما بلغ عليًّا وفاة الأشتر بالقُلْزَم بعث محمد بن أبى بكر أميراً على مصر . فالزُّهرىّ يذكر أنّ عليًّا بعث محمد بن أبى بكر أميراً على مصر بعد مَهلِك الأشتر بقلزم ، وأما هشام بن محمد ، فإنه ذكر فى خبره أنّ عليًّا بعث بالأشتر أميراً على مصر بعد مَهلِك محمد بن أبى بكر .

* * *

رجع الحديث إلى حديث هشام عن أبى مخنف : ولما أيس معاوية من قيس أن يتابعه على أمره ، شقّ عليه ذلك ، لما يعرف من حزمه وبأسه ، وأظهر للناس قِبلَه ؛ أنّ قيس بن سعد قد تابعكم ، فادعوا الله له ، وقرأ عليهم كتابه الذى لان له فيه وقاربه . قال : واختلَق معاوية كتاباً من قيس بن سعد ، فقرأه على أهل الشام : ١/٣٢٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم ، للأمير معاوية بن أبى سفيان من قيس بن سعد ، سلامٌ عليك ، فإنّى أحمد إليكم اللهَ الذى لا إله إلاّ هو ، أمّا بعد ، فإنّى لمّا نظرت رأيت أنه لا يسعنى مظاهرة قوم قتَلوا إمامَهم مُسلِماً مُحرِّماً برًّا تقيًّا ، فنستغفر الله عزّ وجلّ لذنوبنا ، ونسأله العصمةَ لديننا . ألاَ وإنّى قد ألقيت إليكم بالسِّلم ، وإنى أجبتك إلى قتال قَتَلة عثمانَ ، إمام الهدى المظلوم ، فعوِّل علىّ فيما أحببت من الأموال والرجال أعجّل عليك ، والسلام .

فشاع فى أهل الشام أنّ قيس بن سعد قد بايع معاوية بن أبى سُفيان ، فسرّحتْ عيون علىّ بن أبى طالب إليه بذلك ؛ فلما أتاه ذلك أعظمه وأكبره ،

---

(١) ساقطة من ط .

وتعجّب له ، ودعا بنيه ، ودعا عبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك ، فقال : ما رأيكم ؟ فقال عبد الله بن جعفر : يا أميرَ المؤمنين ، دَعْ ما يَريبُك إلى ما لا يريبُك ، اعزِل قيساً عن مصر . قال لهم عليّ : إنى والله ما أصدّق بهذا على قيس[1] ؛ فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ، اعزِله ، فوالله لئن كان هذا حقًّا لا يعتزل لك إن عزلتَه . ١/٣٢٤٤

فانهم كذلك إذ جاء[2] كتابٌ من قيس بن سعد فيه :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، أما بعد ، فإنى أخبر أميرَ المؤمنين أكرمه الله أنّ قِبَلى رجالا معتزلين قد سألونى أن أكفّ عنهم ، وأن أدَعَهم على حالهم حتى يستقيمَ أمرُ الناس ، فنرى ويَرَوْا رأيَهم ، فقد رأيتُ أن أكفّ عنهم ، وألاّ أتعجّل حربَهم ، وأن أتألّفهم فيما بين ذلك لعلّ الله عزّ وجلّ أن يُقبل بقلوبهم ، ويفرّقهم عن ضلالتهم ، إن شاء الله .

فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، ما أخوَفَنى أن يكون هذا ممالأة لهم منه ، فمُرْه يا أمير المؤمنين بقتالهم ، فكتب إليه عليّ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فسِرْ إلى القوم الّذين ذكرت ، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون وإلاّ فناجزْهم إن شاء الله .

فلما أتى قيسَ بن سعد الكتابُ فقرأه ، لم يتمالك أن كتب إلى أمير المؤمنين :

أما بعد يا أمير المؤمنين ، فقد عجبتُ لأمرك ، أتأمرنى بقتال قوم كافّين عنك ، مُفرّغيك لقتال عدوّك ! وإنّك متى حاربتَهم ساعدوا عليك عدوّك ، فأطعنى يا أمير المؤمنين ، واكفُف عنهم ، فإنّ الرأى تركهم ، والسلام .

فلما أتاه هذا الكتاب قال له عبد الله بن جعفر : يا أميرَ المؤمنين ، ابعثْ محمد بن أبى بكر على مصر يَكفِك أمرَها ، واعزِل قيساً ، والله لقد بلغنى أن قيساً يقول : والله إنّ سلطاناً لا يتمّ إلاّ بقتل مسلمة بن مخلّد لسلطان سَوْء ؛ والله ما أحبّ أنّ لى ملك الشأم إلى مصر وأنى قتلت ابن المخلّد . قال : ١/٣٢٤٥

---

(١) ابن الأثير والنويرى : « عنه » .

(٢) ابن الأثير : « جاءهم » .

وكان عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبى بكر لأمّه ، فبعث علىّ محمد بن أبى بكر على مصر ، وعزل عنها قيساً .

* * *

ولاية محمد بن أبى بكر مصر

قال هشام ، عن ابن مخنف : فحدّثنى الحارث بن كعب الوالبىّ — من والبة الأزْد — عن أبيه ، أنّ عليًّا كتب معه إلى أهل مصر كتاباً ، فلما قدم به على قيس قال له قيس : ما بال أميرِ المؤمنين ! ما غيَّره ؟ أدَخَل أحدٌ بينى وبينه ؟ قال له : لا ، وهذا السلطان سلطانك ؟! قال : لا ، والله لا أقيم معك ساعة واحدة . وغضب حين عزله ، فخرج منها مقبلا إلى المدينة ، فقدِمها ، فجاءه حسان بن ثابت شامتاً به — وكان حسان عثمانيًّا — فقال له : نزَعك علىّ بن أبى طالب ، وقد قتلت عثمان فبقىَ عليك الإثم ، ولم يحسن لك الشكر ! فقال له قيس بن سعد : يا أعمَى القلب والبصر ، والله لولا أن ألقِىَ بين رهطى ورهطك حرباً لضربتُ عنقك ؛ اخرُج عنّى .

ثم إن قيساً خرج هو وسهل بن حُنَيف حتى قدما على علىّ ، فخبّره قيس ؛ فصدّقه علىّ . ثم إن قيساً وسهلا شهدا مع علىّ صِفّين .

وأما الزّهرىّ ، فإنه قال فيما حدّثنى به عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال ، حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن يونس ، عن الزُّهرىّ ، أنّ محمد بن أبى بكر قدم مصر وخرج قيس فلَحِق بالمدينة ، فأخافه مروان والأسوَد بن أبى البَخْتَرِىّ ، حتى إذا خاف أن يؤخذ أو يُقتل ، ركب راحلته ، فظهر إلى علىّ . فبعث معاوية إلى مروان والأسود يتغيّظ عليهما ، ويقول : أمَددتما عليًّا بقيس بن سعد ورأيه ومكانه ، فوالله لو أنكما أمددتُماه بمائة ألف مقاتل ما كان ذلك بأغيظَ لى من إخراجكما قيس بن سعد إلى علىّ . فقدم قيس بن سعد على علىّ ، فلما باثّه الحديث وجاءهم قتل محمد ابن أبى بكر ، عرف أنّ قيس بن سعد كان يقاسى أموراً عظاماً من المكايدة ، وأنّ من كان يهزُه[1] على عزل قيس بن سعد لم ينصح له ، فأطاع علىٌّ قيسَ ابن سعد فى الأمر كلّه .

١/٣٢٤٦

(١) يهزه ، أى يحثه ويدفعه .

قال هشام : عن أبي مِخْنَف ، قال : حدّثني الحارث بن كعب الوالبيّ ، عن أبيه ، قال : كنت مع محمد بن أبي بكر حين قدم مصر ، فلمّا قدم قرأ عليهم عهدَه :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، هذا ما عهِد عبد الله عليّ أمير المؤمنين ، إلى محمد بن أبي بكر حين ولاّه مصر ، وأمره بتقوى الله والطاعة فى السرّ والعلانية ، وخوفِ الله عزّ وجلّ فى الغيب والمشهد ، وباللين على المسلمين ، وبالغِلْظة على الفاجر ، وبالعدل على أهل الذمّة ، وبإنصاف المظلوم ، وبالشدّة على الظالم ، وبالعفو عن الناس ، وبالإحسان ما استطاع ، والله يجزى المحسنين ، ويعذّب المجرمين . وأمره أن يدعوَ منْ قبَله إلى الطاعة والجماعة ، فإنّ لهم فى ذلك من العاقبة وعظيم المثوبة مالا يَقدُرون قدره ، ولا يَعرِفون كُنهه ، وأمره أن يَجبيَ خراج الأرض على ما كانت تُجبَى عليه من قبل ، لا يُنتقص منه ولا يُبتدع فيه ، ثمّ يقسمَه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل ، وأن يُلين لهم جناحَه ، وأن يواسيَ بينهم فى مجلسه ووجهه ، وليْكن القريبُ والبعيدُ فى الحقّ سواء . وأمره أن يحكم بين الناس بالحقّ ، وأن يقوم بالقسط ، ولا يتّبع الهوى ، ولا يَخَفْ فى الله عزّ وجلّ لومة لائم ، فإنّ الله جلّ ثناؤه مع من اتقى وآثر طاعته وأمرَه على ما سواه .

٣٢٤٧/١

وكتب عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لغرّة شهر رمضان .

قال : ثمّ إن محمد بن أبي بكر قام خطيبًا ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : الحمد لله الذى هدانا وإيّاكم لما اختُلِف فيه من الحقّ ، وبصّرنا وإيّاكم كثيراً مما عمِيَ[1] عنه الجاهلون . ألا إنّ أمير المؤمنين ولاّنى أموركم ، وعهد إلىّ ما قد سمعتم ، وأوصانى بكثير منه مشافهةً ، ولن آلوكم خيراً ما استطعت ، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ؛ فإن يكن ماترون من إمارتى[2] وأعمالى طاعة لله وتقوى ؛ فاحمَدوا الله عزّ وجلّ على ما كان

(١) ابن الأثير والنويرى : « مما كان عمى » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « من إمارتى له » .

٣٢٤٨/١ من ذلك ، فإنه هو الهادى ، وإن رأيتم عاملا عمل غير[1] الحقّ زائغًا ، فارفعوه إلىّ ، وعاتبونى فيه ، فإنى بذلك أسعَد ، وأنتم بذلك جديرون. وفقّنا الله وإيّاكم لصالح الأعمال برحمته ، ثمّ نزل .

وذكر هشام، عن أبى مخنف، قال : وحدّثنى يزيد بن ظَبيْان الهمْدانىّ، أنّ محمد بن أبى بكر كتب إلى معاوية بن أبى سفيان لمّا وُلِّىَ؛ فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهتُ ذكرها لما فيه ممّا لا يحتمل سماعَها العامّة . قال: ولم يلبث محمد بن أبى بكر شهراً كاملا حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادَعَهم . فقال : يا هؤلاء ، إمّا أن تدخلوا فى طاعتنا ،وإمّا أن تخرجوا من بلادنا ، فبعثوا إليه : إنا لا نفعل ، دعْنا حتى ننظرَ إلى ما تصيرِ إليه أمورنا ، ولا تعجل بحرْبنا . فأبى عليهم ، فامتنعوا منه ، وأخذوا حِذْرهم ، فكانت وقعة صفّين ، وهم لمحمّد هائبون ، فلما أتاهم صبرُ معاوية وأهل الشأم لعلىّ ، وأنّ عليًّا وأهل العراق قد رجعوا عن معاوية وأهل الشأم ، وصار أمرُهم إلى الحكومة ، اجترءوا على محمد بن أبى بكر ، وأظهروا له المبارزة ، فلما رأى ذلك محمد بعث الحارث بن جُمْهان الجعفىّ إلى أهل خِرِبْتَا ،وفيها يزيد بنُ الحارث من بني كنانة ، فقاتلهم ، فقتلوه . ثم بعث إليهم رجلا من كلب يُدعَى ابن مُضاهم ، فقتلوه .

* * *

٣٢٤٩/١ قال أبو جعفر :وفى هذه السنة فيما قيل: قدم ماهَوَيْهِ مَرْزبان مَرْو مقرًّا بالصلح الذى كان جرى بينه وبين ابن عامر على علىّ .

* ذكر من قال ذلك :

قال علىّ بن محمد المدائنىّ، عن أبى زكرياء العجْلانىّ، عن ابن إسحاق، عن أشياخه ، قال : قدم ماهوْيه أبراز مَرْزُبان مرْو على علىّ بن أبى طالب بعد الجمل مقرًّا بالصلح ، فكتب له علىٌّ كتابًا إلى دَهاقِين مرْو والأساورة والجند سلارين ومن كان فى مَرْو :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن ماهويه أبراز مَرْزبان مَرْو جاءنى ، وإنّى رضيتُ .

---

(١) ابن الأثير والنويرى : « بغير » .

عنه . وكتب سنة ست وثلاثين . ثم إنهم كفروا وأغلقوا أبرَشَهر .

* * *

توجيه عليّ خُليد بن طَريف إلى خراسان

قال عليّ بن محمد المدائنيّ : أخبرنا أبو مخنف ، عن حنظلة بن الأعلم ، عن ماهان الحنفيّ ، عن الأصبغ بن نُباتة المُجاشعيّ ، قال : بعث عليّ خُلَيد بن قرّة اليَربوعيّ — ويقال خُلَيد بن طريف — إلى خُراسان .

* * *

ذكر خبر عمرو بن العاص ومبايعته معاوية

وفى هذه السنة — أعنى سنة ستّ وثلاثين — بايع عمرو بن العاص معاوية، ووافقه على محاربة عليّ ، وكان السبب فى ذلك ما كتب به إلىّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبى حارثة وأبى عثمان ، قالوا : ١/٣٢٥٠ لما أحيط بعثمانَ — رضى الله عنه — خرج عَمرو بن العاص من المدينة متوجّهاً نحو الشأم ، وقال : والله يا أهل المدينة ، ما يقيم بها أحد فيدركَه قتلُ هذا الرجل إلاّ ضربه الله عزّ وجلّ بذلّ ؛ من لم يستطع نصرَه فليهرُب . فسار وسار معه ابناه عبد الله ومحمد ، وخرج بعدَه حسّان بن ثابت ، وتتابع على ذلك ما شاء الله .

قال سيف ، عن أبى حارثة وأبى عثمان ، قالا : بينا عمرو بن العاص جالس بعَجْلان ومعه ابناه، إذْ مرّ بهم راكب فقالوا : من أين ؟ قال : من المدينة ، فقال عمرو : ما اسمك ؟ قال : حَصِيرة . قال عمرو : حُصِر الرجل، قال : فما الخبر ؟ قال : تركت الرجل محصوراً ؛ قال عمرو : يُقتَل . ثم مكثوا أياماً ، فمرّ بهم راكب ، فقالوا : من أين ؟ قال : من المدينة ؛ قال عمرو : ما اسمُك ؟ قال : قَتّال ؛ قال عمرو : قُتِل الرجل ، فما الخبرُ ؟ قال : قُتِل الرجل . قال : ثم لم يكن إلاّ ذلك إلى أن خرجتُ ، ثم مكثوا أيّاماً ، فمرّ بهم راكب ، فقالوا : من أين ؟ قال : من المدينة ؛ قال عمرو : ما اسمُك ؟ قال : حرب ، قال عمرو : يكون حرب ؛ فما الخبر ؟ قال : قُتِل

عثمانُ بنُ عفّان رضى الله عنه ، وبويع لعلىّ بن أبى طالب ، قال عمرو : أنا أبو عبد الله ؛ تكون حربٌ من حكّ فيها قرحة نكأها ، رحم الله عثمان ورضىَ الله عنه ، وغفَر له ! فقال سلامة بن زِنْباع الجُذامىّ : يا معشر قريش ، إنه والله قد كان بينكم وبين العرب باب ، فاتخذوا بابًا إذ كُسر الباب . ٣٢٥١/١
فقال عمرو : وذاك الّذى نريد . ولا يُصلح البابَ إلا أشاف(١) تُخرِج الحقّ من حافرة البأس ، ويكون الناس فى العدل سواء ، ثم تمثّل عمرو فى بعض ذلك :

يا لَهْفَ نفسى على مالكٍ وهل يَصْرِفُ اللهفُ حِفْظَ القَدَر !
أَنزْعُ من الحرِّ أودَى بهمْ فأعذِرَهم أم بقومى سَكَرْ !

ثم ارتحل راجلا يبكى كما تبكى المرأة ، ويقول : واعُثْماناه ! أنعى الحياءَ والدين! حتى قدم دمشق ، وقد كان سقط إليه من الذى يكون عِلْمٌ ، فعمل عليه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن أبى عثمان ، قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم قد بعث عمراً إلى عُمان ، فسمع هنالك من حَبْرٍ شيئًا ، فلما رأى مِصداقَه وهو هناك أرسل إلى ذلك الحبْر ، فقال : حدِّثنى بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبِرنى من يكون بعدَه ؟ قال : الذى كتب إليك يكون بعدَه ، ومدّته قصيرة ، قال : ثمّ من ؟ قال : رجل من قومه مثله فى المنزلة ؛ قال : فما مدّته ؟ قال : طويلة ؛ ثم يقتل . قال : غِيلةً أم عن ملإ ؟ قال : غِيلة ؛ قال : فمن يلى بعدَه ؟ قال : رجل من قومه مثله فى المنزلة ، قال : فما مدّته ؟ قال : طويلة ، ثم يُقتل ، قال : أغيلة أم عن ملإ ؟ قال : عن ملإ . قال : ذلك أشدّ ؛ فمن يلى بعده ؟ قال : رجل من قومه ينتشر عليه الناس ، وتكون على رأسه ٣٢٥٢/١
حرب شديدة بين الناس ، ثمّ يُقتل قبل أن يجتمعوا عليه ، قال : أغيلة أم عن ملإ ؟ قال : غيلة ، ثم لا يروْن مثلَه . قال : فمن يلى بعدَه ؟ قال :

(١) الأشافى : جمع إشفى ؛ وهو المثقب .

أمير الأرض المقدّسة ، فيطول ملكه ، فيجتمع أهل تلك الفرقة وذلك الانتشار عليه ، ثم يموت .

وأما الواقدىّ ، فإنه فيما حدّثنى موسى بن يعقوب ، عن عمّه ، قال : لما بلغ عَمراً قتلُ عثمانَ رضى الله عنه ، قال : أنا عبد الله ، قتلتُه وأنا بوادى السِّباع ، مَن يلى هذا الأمر من بعده ! إن يَلِه طلحة فهو فتى العرب سَيْباً ، وإن يَلِه ابن أبى طالب فلا أراه إلاّ سيستنظِف الحقّ ، وهو أكره مَن يليه إلىّ . قال : فبلغه أنّ عليًّا قد بويع له ، فاشتدّ عليه ، وتربّص أياماً ينظر ما يَصنع الناس ، فبلغه مسير طلحة والزبير وعائشة وقال : أستأنِى وأنظر ما يصنعون ، فأتاه الخبر أنّ طلحة والزبير قد قُتِلا ، فأُرتِج عليه أمرُه ، فقال له قائل : إن معاوية بالشأم لا يريد أن يبايع لعلىّ ، فلو قاربت معاوية! فكان معاوية أحبّ إليه من علىّ بن أبى طالب . وقيل له : إنّ معاوية يُعظِم شأنَ قتل عثمان بن عفان ، ويحرّض على الطلب بدمه ؛ فقال عمرو : ادعوا لى محمداً وعبدَالله ، فدُعِيا له ، فقال : قد كان ما قد بلغكما من قتل عثمانَ رضى الله عنه ، وبيعة الناس لعلىّ ، وما يُرصِد معاوية من مخالَفة علىّ ، وقال : ما تَريان ؟ أمّا علىٌّ فلا خيرَ عنده ، وهو رجل يُدِلّ بسابقته ، وهو غير مُشرِكِى فى شىء من أمره . فقال عبد الله بن عمرو : توفّى النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو عنك راضٍ ، وتوفّى أبو بكر رضى الله عنه وهو عنك راضٍ ، وتوفّى عمرُ رضى الله عنه وهو عنك راضٍ ، أرى أن تكفّ يدك ، وتجلسَ فى بيتك ، حتى يجتمع الناس على إمام فتبايعَه . وقال محمد بن عمرو : أنت نابٌ من أنياب العرب ، فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صوت ولا ذِكر . قال عمرو : أمّا أنت يا عبدَالله فأمرْتَنى بالذى هو خير لى فى آخرتى ، وأسلَم فى دِينى ، وأما أنت يا محمد فأمرتَنى بالّذى أنبه لى فى دنياى ، وشرٌّ[1] لى فى آخرتى . ثم خرج عمرو بن العاص ومعه ابناه حتى قدم على معاوية ، فوجد أهلَ الشأم يحضّون معاوية على الطلب بدم عثمان ، فقال عمرو بن العاص : أنتم على الحقّ ، اطلبوا بدمِ الخليفة المظلوم — ومعاوية

٣٢٥٣/١

(١) كذا فى ابن الأثير والنويرى ، وفى ط : « أشر » .

لا يلتفت إلى قول عمرو — فقال ابنا عمرو لعمرو : ألا ترى إلى معاوية لا يَلتفت إلى قولك ! انصرِف إلى غيره . فدخل عمرو على معاوية فقال : والله لَعَجَب لك ! إنى أرفِدك بما أرفِدك وأنت مُعرِض عنى ! أما والله إن قاتلْنا معك نَطلب بدم الخليفة إنّ فى النفس من ذلك ما فيها ، حيث نقاتل[1] ٣٢٥٤/١ من تعلم سابقتَه وفضلَه وقرابتَه ؛ ولكنا إنما أردنا هذه الدنيا . فصالحه معاويةُ وعطَفَ عليه .

* * *

توجيه علىّ بن أبى طالب جرير بن عبد الله البَجَلىّ إلى معاوية يدعوه إلى الدخول فى طاعته

وفى هذه السنة وجّه علىّ عند منصرَفه من البصرة إلى الكوفة وفراغه من الجمل جريرَ بنَ عبد الله البَجَلىّ إلى معاوية يدعوه إلى بَيعته ، وكان جرير حين خرج علىّ إلى البصرة لقتال مَنْ قاتله بها بهمَذان عاملا عليها ، كان عثمان استعمله عليها ، وكان الأشعث بن قيس على أذْربيجانَ عاملا عليها ، كان عثمان استعمله عليها ، فلما قدم علىّ الكوفة منصرفًا إليها من البصرة ، كتب إليهما يأمرهما بأخذ البَيْعة له على مَن قِبَلهما من الناس ، والانصراف إليه . ففعلا ذلك ، وانصرفا إليه .

فلما أراد علىّ توجيهَ الرسول إلى معاوية ، قال جرير بن عبد الله — فيما حدّثنى عمرُ بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن عوانة — : ابعثْنى إليه ، فإنه لى وِدّ[2] حتى آتيه فأدعوَه إلى الدخول فى طاعتك ، فقال الأشتر لعلىّ : لا تبعثه ، فوالله إنّى لأظنّ هواه معه ؛ فقال علىّ : دعْه حتى ننظرَ ما الذى يرجع به إلينا ؛ فبعثه إليه ، وكتب معه كتابًا يُعلِمه فيه باجتماع المهاجرين والأنصار على بَيْعته ، ونكث طلحة والزبير ، وما كان من حربِه إياهما ، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته ، فشَخَص إليه جرير ، فلمّا قدم عليه ماطله واستنظره ، ودعا عمرًا فاستشاره فيما كتب ٣٢٥٥/١ به إليه ، فأشار عليه أن يرسل إلى وجوه الشأم ، ويُلزِم عليًّا دم عثمان ، ويقاتله

---

(١) ابن الأثير : « تقاتل » .

(٢) يقال : هو ودك ، أى حبيبك .

بهم ، ففعل ذلك معاوية ، وكان أهل الشأم — فيما كتب إلىّ السرىّ يذكر أن شعيبًا حدّثه عن سيف ، عن محمد وطلحة — لما قدم عليهم النّعمان بن بشير بقميص عثمانَ رضى الله عنه —الذى قتل فيه مخضّبًا بدمه وبأصابع نائلةَ زوجته مقطوعة بالبَراجم ؛ إصبعان منها وشىء من الكفّ ، وإصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الإبهام — وضع معاوية القميصَ على المنبر ، وكتب بالخبر إلى الأجناد ، وثابَ إليه الناس ، وبكوْا سنة[1] وهو على المنبر والأصابع معلّقة فيه ، وآلى الرجال من أهل الشأم ألاّ يأتوا النساءَ ، ولا يمسّهم الماء للغسل إلاّ من احتلام ، ولا يناموا على الفُرُش حتّى يقتلوا قتلَة عثمان ، ومَن عرض دونهم بشىء أو تفنى أرواحُهم . فكثوا حول القميص سنة ، والقميص يوضع كلّ يوم على المنبر ويجلّلُه أحيانًا فيلبَسه . وعلّق فى أردانه أصابع نائلة رضى الله عنها .

فلما قدم جرير بن عبد الله على علىّ — فيما حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن عوانة — فأخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشأم معه على قتاله ، وأنّهم يبكون على عثمان ، ويقولون : إنّ عليًّا قتله ، وآوى قتلَتَه ، وإنّهم لا ينتهون عنه حتّى يقتلهم أو يقتلوه . فقال الأشتر لعلىّ : قد كنت نهيتُك أن تبعث جريراً ، وأخبرتُك بعداوته وغشّه ، ولو كنتَ بعثتَنى كان خيراً من هذا الذى أقام عنده حتّى لم يدَع بابًا يرجو فتحَه إلاّ فتحَه ، ولا بابًا يخاف منه إلاّ أغلقَه . فقال جرير : لو كنتَ ثَمّ لقتلوك ؛ لقد ذكروا أنّك من قتلَة عثمان رضى الله عنه ، فقال الأشتر : لو أتيتُهم والله يا جرير لم يُعيِنى جوابُهم ، ولحملتُ معاوية على خُطّة أعجله فيها عن الفكر ، ولو أطاعنى فيك أميرُ المؤمنين لحبَسَك وأشباهَك فى محبس لا تخرجون منه حتّى تستقيم هذه الأمور .

١/٣٢٥٦

فخرج جرير بن عبد الله إلى قَرْقيسياءَ ، وكتب إلى معاوية ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه . وخرج أميرُ المؤمنين فعسكر بالنُّخَيلة ، وقدم عليه عبدُ الله بنُ عباس بمن نهض معه من أهل البصرة .

---

(١) ابن الأثير : « على القميص مدة » .

خروج على بن أبى طالب إلى صِفِّين

حدّثنى عبد الله بن أحمد المروزىّ ، قال : حدّثنى أبى ، عن سليمان ، عن عبد الله ، عن معاوية بن عبد الرحمن ، عن أبى بكر الهُذَلىّ ، أن عليًّا لما استَخلف عبدَ الله بن عبّاس على البصرة سار منها إلى الكوفة ، فتهيّأ فيها إلى صِفّين ، فاستشار الناسَ فى ذلك ، فأشار عليه قوم أن يبعث الجنود ويقيم ؛ وأشار آخرون بالمسير . فأبَى إلاّ المباشرة ؛ فجهّز الناس . فبلغ ذلك معاوية ، فدعا عمرو بن العاص فاستشاره . فقال : أمّا إذ بلغك أنه يسير فسِرْ بنفسك ، ولا تغبْ عنه برأيك ومَكيدتك . قال : أمّا إذاً يا أبا عبد الله فجهّز الناس . فجاء عمرو فحضّض الناسَ ، وضعّف عليًّا وأصحابَه ، وقال : إنّ أهل العراق قد فرّقوا جمعَهم ، وأوهَنُوا شوكتَهم ، وفلّوا حدّهم . ثم إنّ أهل البصرة مخالفون لعلىّ ، قد وتَرهم وقتلهم ، وقد تفانت صَناديدُهم وصناديدُ أهل الكوفة يومَ الجمل ، وإنما سار فى شِرذِمة قليلة ، ومنهم مَن قد قتل خليفتَكم ؛ فاللهَ اللهَ فى حقّكم أن تضيّعوه ، وفى دمكم أن تُبطِلوه ! ١/٣٢٥٧

وكتب فى أجناد أهل الشأم ، وعقد لواءه لعمرو ، فعقد لوَرْدان غلامِه فيمن عقد ، ولابنيه عبدِ الله ومحمد ، وعقد علىٌّ لغلامه قَنْبَر ، ثم قال عمرو :

هل يُغنِيَنْ وَرْدانُ عَنّى قَنبَرَا ... وتُغنِيَ السَّكونُ عَنّى حِمْيَرَا

إذا الكُماةُ لَبِسُوا السَّنَوَّرَا

فبلغ ذلك عليًّا فقال :

لأُصْبِحَنَّ العاصِيَ ابنَ العاصِى ... سبعين ألفاً عاقِدِى النَّواصِى

مُجَنِّبِينَ الخيـلَ بالقِلاصِ ... مُسْتَحْقِبينَ حَلَقَ الدِّلاصِ [1]

فلما سمع ذلك معاوية قال : ما أرى ابنَ أبى طالب إلاّ قد وفَى لك ؛ فجاء معاوية يتأنّى فى مسيره . وكتب إلى كلّ من كان يرى أنه يخاف عليًّا ١/٣٢٥٨

---

(١) الدلاص : الدروع .

أو طعن عليه ومَن أعظم دمَ عثمان واستعواهم إليه. فلما رأى ذلك الوليد بعث إليه يقول :

ألا أَبْلِـغْ مُعاوية بنَ حرْبٍ فإنَّكَ من أخى ثِقَةٍ مُليمُ (١)
قَطَعْتَ الدهْرَ كالسَّدِمِ المُعَنَّى تُهدِّرُ فى دِمَشْقَ فما تَريمُ (٢)
وإنَّك والـكتابَ إلى علىٍّ كدابِغَةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ (٣)
يُمَنّيكَ الإمارةَ كلُّ رَكْبٍ لأنْقاضِ العراقِ بها رَسيم
وليس أخو التِّرات بمن توانَى ولـكنْ طالِبُ التِّرَةِ الغَشومُ
ولو كنتَ القتيلَ وكان حيًّا لَجَـرَّدَ ؛ لاأَلَفُّ ولا سَئُومُ (٤)
ولا نَـكِلٌ عن الأوتارِ حتّى يُبِيءَ بها ، ولا بَرِمٌ جَثومُ (٥)
وقومُكَ بالمدينة قد أُبِيروا (٦) فهُمْ صَرْعَى كأنَّهُمُ الهَشيمُ

وقال غيرُ أبي بكر : فدعا معاوية شدّاد بنَ قيس كاتبَه وقال : ابغنى طُوماراً ، فأتاه بطُومار ، فأخذ القلم فكتب ، فقال : لا تَعجَل ، اكتب :

ومُستَعْجِبٍ مِما يرَى من أناتِنا ولو زَبَنَتْه الحربُ لم يترمرَمِ (٧)

ثم قال : اطوِ الطّومار ، فأرسل به إلى الوليد ، فلما فتحه لم يجد فيه غير هذا البيت .

قال أبو بكر الهذلىّ : وكتب رجل من أهل العراق حيث سار علىّ بن

(١) المليم : من أتى من الأمر ما يلام عليه .

(٢) قال فى اللسان : «السدم : الذى يرغب عن فحلته فيحال بينه وبين الآفة ؛ ويقيد إذا هاج فيرعى حوالى الدار ، وإن صال جعل له حجام يمنعه عن فتح فه » ، واستشهد بالبيت .

(٣) فى اللسان : « قال الوليد بن عقبة بن أبى عقبة من أبيات يحض فيها معاوية على قتال على عليه السلام ، ويقول له : أنت تسعى فى إصلاح أمر قد تم فساده كهذه المرأة التى تدبغ الأديم الحلم الذى وقعت فيه الحلمة فنقبته وأفسدته فلا ينتفع به » ، وأورد الأبيات برواية مخالفة . والحلمة : دودة تقع فى الجلد فتأكله فإذا دبغ وهى موضع الأكل فبقى رقيقاً . (٤) اللسان : « ولو كان القتيل » .

(٥) لم يرد فى رواية اللسان . (٦) اللسان : « قد تردوا » . (٧) لم يترمرم : لم يتحرك .

أبي طالب إلى معاوية بيتين :

أبْلِغْ أمِيرَ المؤمني ن أخا العِراق إذا أتَيْتَا ٣٢٥٩/١

أنَّ العِراقَ وأهلَها عُنُقٌ إليك فَهَيْتَ هَيْتَا

* * *

عاد الحديث إلى حديث عوانة . فبعث علىٌّ زيادَ بن النَّضر الحارثىّ طليعةً فى ثمانيةِ آلاف ، وبعث معه شُريح بن هانئ فى أربعة آلاف ، وخرج علىٌّ من النُّخَيلة بمن معه ، فلمّا دخل المدائنَ شَخصَ معه مَن فيها من المقاتِلة ، وولّى على المدائن سعدَ بن مسعود الثقفىّ عمّ المختار بن أبى عُبيد ، ووجّه علىٌّ من المدائن معقلَ بنَ قيس فى ثلاثة آلاف ، وأمره أن يأخذ على الموصل حتى يوافيَه .

* * *

ما أمر به علىّ بن أبى طالب من عمل الجسر على الفرات

فلما انتهى علىٌّ إلى الرّقة قال فيما حُدِّثت عن هشام بن محمد ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى الحجّاج بن علىّ ، عن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث البارقىّ ـ لأهل الرّقة : اجسُروا لى جسْراً حتى أعبر من هذا المكان إلى الشأم ، فأبوا . وقد كانوا ضمّوا إليهم السفن ، فنهض من عندهم ليعبر من جسر مَنبِج ، وخلّف عليهم الأشتر ، وذهب ليمضىَ بالناس كيما يعبرَ بهم على جسر مَنْبِج ، فناداهم الأشتر ، فقال : يا أهل هذا الحصن ، ألا إنى أقسم لكم بالله عزّ وجلّ ؛ لئن مضى أمير المؤمنين ولم تُجسِّروا له عند مدينتكم جِسْراً حتى يَعبُر لأجرّدنّ فيكم السيف ، ثم لأقتلنّ الرجال ولأخرّبنّ الأرض ، ولآخذنّ الأموال . قال : فلقىَ بعضهم بعضًا ، فقالوا : أليس الأشتر يفى بما حلف عليه ، أو يأتى بشرٍّ منه ؟ قالوا : نعم ، فبعثوا إليه : إنّا ناصبون لكم جسراً ، فأقبلوا ، وجاء علىٌّ فنصبوا له الجسر ، فعبر عليه بالأثقال والرجال . ثم أمر علىٌّ الأشترَ فوقف فى ثلاثة آلافِ فارس ، حتى ٣٢٦٠/١

لم يبق من الناس أحد إلاّ عبر ، ثم إنه عبر آخر الناس رجلا .

قال أبو مخنف : وحدّثنى الحجّاج بن علىّ ، عن عبد الله بن عمّار بن عبد يغوث ، أنّ الخيل حين عبرت زَحمَ بعضُها بعضًا ، فسقطت قَلَنْسُوَةَ عبد الله بن أبى الحصين الأزدىّ ، فنزل فأخذها ثم ركب ، وسقطتْ قلنسوةُ عبدِ الله بن الحجّاج الأزدىّ ، فنزل فأخذها ، ثم ركب ، وقال لصاحبه :

فإن يكُ ظَنُّ الزاجرِي الطَّيْرِ صادقًا كما زعموا أُقْتَلْ وَشيكًا وتُقْتَلُ

فقال له عبد الله بن أبى الحصين : ما شىء أُوتاه أحبّ إلىّ مما ذكرت ؛ فقُتِلا جميعًا يومَ صِفّين .

قال أبو مخنف : فحدّثنى خالد بن قطَن الحارثىّ ، أنّ عليًّا لما قطع الفرات دعا زياد بن النَّضْر ، وشُرَيح بن هانئ ، فسرّحهما أمامَه نحو معاوية على حالهما التى كانا خرجا عليها من الكُوفة . قال : وقد كانا حيث سرّحهما من الكُوفة أخذَا على شاطئ الفرات من قِبَل البرّ مما يلى الكوفة حتى بلغا عانات ، فبلغهما أخذُ علىّ على طريق الجزيرة ، وبلغهما أنّ معاوية قد أقبل من دمشق فى جنود أهل الشأم لاستقبال علىّ ، فقالا : لا والله ما هذا لنا برأى ؛ أن نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر! وما لنا خير فى أن نلقَى جنود أهل الشأم بقلّة مَن معنا منقطعين من العدد والمدد . فذهبوا ليَعبُروا من عانات ، فمنَعَهم أهلُ عانات ، وحبسوا عنهم السُّفُن ، فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هِيت ، ثم لحقوا عليًّا بقرية دون قَرْقِيسياء ؛ وقد أرادوا أهلَ عانات ، فتحصّنوا وفرّوا ، ولما لحقت المقدّمة عليًّا قال : مقدّمتى تأتينى من ورائى . فتقدّم إليه زياد بن النَّضر الحارثىّ وشريح بن هانئ ؛ فأخبراه بالذى رأيا حين بلغهما من الأمر ما بلغهما ، فقال : سددتما . ثم مضى علىّ ، فلما عبر الفرات قدّمهما أمامه نحوَ معاوية ؛ فلما انتهيا إلى سور الرّوم لقيهما أبو الأعور السُّلَمىّ عمرو بن سفيان فى جند من أهل الشأم ؛ فأرسلا إلى علىّ : إنّا قد لقينا أبا الأعور السُّلَمىّ فى جند من

١/٣٢٦١

أهل الشأم ، وقد دعوناهم فلَم يُجبنا منهم أحد ، فمُرْنا بأمرك . فأرسل علىّ إلى الأشتر ؛ فقال : يا مالك ، إنّ زياداً وشريحًا أرسلا إلىّ يعلِمانى أنهما لقيا أبا الأعور السلمىّ فى جمع من أهل الشأم ، وأنبأنى الرسول أنه تركهم متواقفين ، فالنَّجاء إلى أصحابك النّجاء ، فإذا قدمتَ عليهم فأنت عليهم. وإيّاك أن تبدأ القوم بقتال إلاّ أن يبدءوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع ، ولا يَجرِمَنّك شنآنُهم على قتالهم قبل دعائهم ، والإعذار إليهم مرة بعد مرّة ، واجعل على ميمنتك زياداً ، وعلى ميسرتك شُريحًا ، وقف من أصحابك وسطًا ، ولا تدنُ منهم دنوّ من يريد أن يُنشب الحرب ، ولا تَباعد منهم بُعد من يهاب البأس حتى أقدم عليك ، فإنّى حثيث السير فى أثرك إن شاء الله . قال: وكان الرّسول الحارث بن جُمهان الجُعفىّ ، فكتب علىٌّ إلى زياد وشريح : ١/٣٢٦٢

أمّا بعد ، فإنى قد أمّرتُ عليكما مالكًا ، فاسمعا له وأطيعا ، فإنه ممن لا يخاف رهقُه ولا سِقاطُه ولا بطؤُه عمّا الإسراع إليه أحزَم ، ولا الإسراع إلى ما الإبطاء عنه أمثَل ، وقد أمرْته بمثل الذى كنتُ أمرتكما به ألاّ يبدأ القوم حتى يلقاهم فيدعوَهم ويُعذرَ إليهم .

وخرج الأشتر حتى قدم على القوم ، فاتّبع ما أمره علىّ وكفّ عن القتال فلم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور السُّلَمىّ ، فثبتوا له ، واضطربوا ساعة . ثم إنّ أهل الشأم انصرفوا ، ثم خرج إليهم من الغد هاشمُ بن عُتبة الزّهرىّ فى خيل ورجال حسن عَددها وعُدّتها ، وخرج إليه أبو الأعور فاقتتلوا يومَهم ذلك، تَحمِل الخيلُ على الخيل والرجالُ على الرجال ، وصبر القوم بعضهم لبعض، ثم انصرَفوا ، وحمل عليهم الأشتر ، فقُتل عبد الله بن المنذر التّنوخىّ ، قتله يومئذ ظَبيان بن عمّار التميمىّ، وما هو إلاّ فتًى حدث ، وإن كان التنوخىّ لفارس أهل الشأم ، وأخذ الأشتر يقول : وَيْحَكم ! أرونى أبا الأعور . ١/٣٢٦٣

ثم إن أبا الأعور دعا الناس ، فرجعوا نحوَه ، فوقف من وراء المكان الذى كان فيه أوّل مرّة ، وجاء الأشتر حتى صفّ أصحابه فى المكان الذى كان فيه أبو الأعور، فقال الأشتر لسنان بن مالك النّخَعِىّ : انطلق إلى أبى الأعور

فادعه إلى المبارزة ، فقال : إلى مبارزتى أو مبارزتك ؟ فقال له الأشتر : لو أمرتُك بمبارزته فعلتَ؟ قال : نعم ، والله لو أمرتنى أن أعترض صفّهم بسيفى ما رجعتُ أبداً حتى أضرب بسيفى فى صفّهم ، قال له الأشتر : يابن أخى ، أطال الله بقاءك ! قد والله ازددتُ رغبةً فيك ، لاأمرتك بمبارزته ، إنما أمرتُك أن تدعوَه إلى مبارزتى ؛ إنه لا يبرُز إن كان ذلك من شأنه إلاّ لذوى الأسنان والكفاءة والشرف ، وأنت — لربّك الحمد — من أهل الكفاءة والشرف ، غير أنّك فتًى حدَث السنّ ، فليس بمبارز الأحداث ، ولكن ادعه إلى مبارزتى. فأتاه فنادى : آمنونى فإنّى رسول . فأومن ، فجاء حتى انتهى إلى أبى الأعور .
قال أبو مخنف : فحدّثنى النضر بن صالح أبو زهير العبسىّ ، قال : حدّثنى سنان ، قال : فدنوت منه فقلت : إنّ الأشتر يدعوك إلى مبارزته . قال : فسكت عنى طويلا ثم قال : إنّ خفّة الأشتر وسوءَ رأيه هو حمله على إجلاء عمّال ابن عفان رضى الله عنه من العراق ، وانتزاؤه عليه يقبّح محاسنه ، ومن خِفّة الأشتر وسوءِ رأيه أن سار إلى ابن عفان رضى الله عنه فى داره وقراره حتى قتله فيمن قتله ، فأصبح متّبعًا بدمه ؛ ألا لا حاجة لى فى مبارزته . قال : قلتُ : إنك قد تكلمت ، فاسمع حتى أجيبَك ، فقال : لا ، لاحاجة لى فى الاستماع منك ولا فى جوابك ، اذهب عنى . فصاح بى أصحابه فانصرفتُ عنه ، ولو سمع إلىّ لأخبرته بعذر صاحبى وحجّته . فرجعت إلى الأشتر ، فأخبرتُه أنه قد أبَى المبارزة ، فقال : لنفسه نظر ، فوَاقفناهم حتى حجز الليلُ بيننا وبينهم ، وبتنا متحارِسين ، فلما أصبحنا نظرنا فإذا القوم قد انصرفوا من تحت ليلتهم ، ويصبّحنا علىّ بن أبى طالب غُدوة . فقدم الأشتر فيمن كان معه فى تلك المقدّمة حتى انتهى إلى معاوية ، فواقفه ، وجاء علىٌّ فى أثره فلحق بالأشتر سريعًا ، فوقف وتواقفوا طويلا .

٣٢٦٤/١

ثمّ إنّ عليًّا طلب موضِعًا لعسكره ، فلما وجده أمر الناسَ فوضعوا الأثقال ، فلما فعلوا ذهب شبابُ الناس وغِلمتُهم يستقون، فمنعهم أهلُ الشأم . فاقتتل الناس على الماء ، وقد كان الأشتر قال له قبل ذلك : إنّ القوم قد سبقوا إلى الشريعة وإلى سهولةِ الأرض وسعةِ المنزل ، فإن رأيتَ سرنا نجوزُهم

إلى القرية التى خرجوا منها ، فإنهم يشخصون فى أثرنا ، فاذا هم لحقونا نزلْنا فكنّا نحن وهم على السواء ، فكرِه ذلك علىٌّ ،وقال : ليس كلّ الناس يقوَى على المسير ، فنزَل بهم .

* * *

القتال على الماء

قال أبو مِخْنَف : وحدّثنى تميم بن الحارث الأزدىّ ، عن جندَب بن عبد الله ، قال : إنّا لما انتهينا إلى معاوية وجدناه قد عسكر فى موضع سهل أفْيَح(١) قد اختاره قبل قدومنا إلى جانب شريعة فى الفُرات ، ليس فى ذلك الصُّقع شريعة غيرها ، وجعلها فى حيِّزِه ، وبعث عليها أبا الأعور يمنعها ويحميها ، فارتفَعنا على الفرات رجاءَ أن نجد شريعةً غيرَها نستغنى بها عن شريعتهم فلم نجدها ، فأتينا عليًّا فأخبرناه بعطش الناس ، وأنا لانجد غيرَ شريعة القوم . قال : فقاتِلوهم عليها . فجاءه الأشعث بن قيس الكندىّ فقال : أنا أسير إليهم ، فقال له علىّ : فسر إليهم . فسار وسرنا معه ، حتى إذا دنونا من الماء ثاروا فى وجوهنا ينضِحوننا بالنَّبل ، ورشَقْناهم والله بالنّبل ساعة ، ثم اطَّعَنّا والله بالرماح طويلا ، ثم صرنا آخر ذلك نحن والقوم إلى السيوف ، فاجتلَدْنا بها ساعة . ثم إنّ القوم أتاهم يزيد بن أسد البَجَلىّ مُمِدًّا فى الخيل والرجال ، فأقبلوا نحونا ، فقلت فى نفسى : فأمير المؤمنين لا يبعث إلينا بمن يغنى عنا هؤلاء ، فذهبتُ فالتفتّ فإذا عدّة القوم أو أكثر ، قد سرّحهم الينا ليغنُوا عنّا يزيدَ بن أسد وأصحابه ، عليهم شَبَث بن رِبْعىّ الرّياحىّ ، فوالله ما ازداد القتال إلاّ شدّة . وخرج إلينا عمرو بن العاص من عسكر معاوية فى جند كثير ، فأخذ يُمدّ أبا الأعور ويزيدَ بن أسد، وخرج الأشتر من قبَل علىّ فى بجمع عظيم . فلمّا رأى الأشتر عمرو بن العاص

١/٣٢٦٥

(١) أفيح : فسيح .

يُمِدّ أبا الأعور ويزيد بن أسد، أمَدّ الأشعثَ بن قيس وشَبَث بن ربعيّ، فاشتدّ قتالنا وقتالهم، فما أنسى قولَ عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزديّ :

١/٣٢٦٦ خَلُّوا لنا ماءَ الفُراتِ الجارى أو أثبُتوا لجحْفَلٍ جَرّارِ
لِكلِّ قَرْمٍ مُسْتميتٍ شارِى مُطاعنٍ برُمْحِه كَرّارِ
* ضَرّابِ هاماتِ العِدَا مِغوارِ *

قال أبو مخنف : وحدّثنى رجل من آل خارجة بن التميميّ أن ظَبْيان ابن عُمارة جعل يومئذ يقاتل وهو يقول :

هل لك يا ظَبْيانُ مِن بقاءِ في ساكنِ الأرْضِ بِغَيْرِ ماءْ
لا وإلٰهِ الأرضِ والسَّماءْ فاضْرِبْ وجوهَ الغُدُرِ الأعْداءْ
بالسَّيفِ عند حَمَسِ الوغاءْ حتّى يُجيبوك إلى السَّواءْ

قال ظَبْيان : فضربناهم والله حتى خلّونا وإيّاه .

قال أبو مخنف : وحدّثنى أبي يحيى بن سعيد، عن عمّه محمد بن مِخْنَف، قال : كنت مع أبي مِخْنف بن سُلَيم يومئذ، وأنا ابن سبع عشرة سنة، ولست في عطاء، فلما مُنع الناس الماءَ قال لى أبي : لا تبرحنّ الرّحْل، فلما رأيت المسلمين يذهبون نحو الماء لم أصبر، فأخذتُ سيفى، وخرجتُ مع الناس فقاتلت، قال : وإذا أنا بغلام مملوك لبعض أهل العراق ومعه قِرْبة، فلما رأى أهل الشأم قد أفرجوا عن الشريعة اشتدّ حتى ملأ قِرْبته، ثم أقبل، ويَشُدّ عليه رجل من أهل الشأم فيضربه فيَصرعه، وسقطت القِربة منه. قال : ١/٣٢٦٧ وأشدّ على الشاميّ فأضربه فأصرَعه، واشتدّ أصحابُه فاستنقذوه، فسمعتُهم وهم يقولون : لا نأمن عليك. ورجعتُ إلى المملوك فاحتملتُه، فإذا هو يكلّمنى وبه جرح رَغيب[1]، فما كان أسرع من أن جاءه مولاه، فذهب به، وأخذتُ قربته وهي مملوءة، وآتى بها أبي مخنفًا، فقال : من أين جئت بها؟ فقلت : اشتريتها

---

(١) رغيب، أي واسع.

وكرهت أن أخبره الخبر ، فيَجِدَ عليّ — فقال : اسقِ القومَ ، فسقيتُهم ، ثم شرب آخرهم ، ونازعتْني نفسي والله إلى القتال ، فأنطلق فأتقدّم فيمن يقاتل ، فقاتلناهم ساعة ، ثم أَشهدُ أنهم خلّوا لنا عن الماء ، فما أمسينا حتى رأينا سُقاتنا وسُقاتهم يزدحمون على الشريعة ، وما يؤذي إنسانٌ إنسانًا ، فأقبلت راجعًا ، فإذا أنا بمولىً صاحب القربة ، فقلت : هذه قِربتك عندنا ، فأرسِل من يأخذها ، أو أعلِمني مكانَك حتى أبعث بها إليك ، فقال : رحمك الله ! عندنا ما نكتفي به ؛ فانْصرفت وذهب ، فلما كان من الغد مرّ على أبي ، فوقف فسلّم عليه ، ورآني إلى جَنْبتِه ، فقال : ما هذا الفتى منك ؟ قال : ابني ؛ قال : أراك الله فيه السرور ، أنقذ الله عزّ وجلّ أمسِ غلامي به من القتل ، حدّثني شباب الحيّ أنه كان أمس أشجعَ الناس ، فنظر إليّ أبي نظرةً عرفتُ منها في وجهه الغضب ، فسكتّ حتى إذا مضى الرجل قال : هذا ما تقدّمت إليك فيه ! فحلّفني ألاّ أخرج إلى قتال إلاّ بإذنه ، فما شهدت من قتالهم إلاّ ذلك اليوم حتى كان يوم من أيامهم .

قال أبو مِخْنف : وحدّثني يونس بن أبي إسحاق السَّبِيعيّ ، عن مِهران مولى يزيد بن هانئ ، قال : والله إنّ مولاي يزيد بن هانئ ليُقاتل على الماء ، وإنّ القربة لفي يده ، فلما انكشف أهل الشأم انكشافةً عن الماء ، استدْرتُ حتى أسقي ، وإنّي فيما بين ذلك لأقاتل وأرامي . ٣٢٦٨/١

قال أبو مِخْنف : وحدّثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، قال : لما قدمنا على معاوية وأهل الشأم بصِفّين ، وجدناهم قد نزلوا منزلا اختاروه مستويًا بِساطا واسعًا ، أخذوا الشريعة ، فهي في أيديهم ، وقد صفّ أبو الأعور السُّلَميّ عليها الخيل والرجال ، وقد قدّم المُرامية أمام من معه ، وصفّ صفًّا معهم من الرماح والدّرَق ، وعلى رءوسهم البَيْض ، وقد أجمعوا على أن يمنعونا الماءَ ، ففزعنا إلى أمير المؤمنين ، فخبّرناه بذلك ، فدعا صعصعة ابن صُوحان فقال له : ائت معاوية وقل له : إنّا سِرْنا مسيرنا هذا إليكم ، ونحن نكرَه قتالكم قبل الإعذار إليكم ، وإنك قدّمت إلينا خيلَك ورجالك فقاتلتَنا قبل أن نقاتِلَك ، وبدأتَنا بالقتال ، ونحن من رأينا الكفّ عنك حتى ندعوك

ونحتجّ عليك ، وهذه أخرى قد فعلتموها ، قد حُلتم بين الناس وبين الماء ، والناس غير منتهين أو يشربوا ، فابعث إلى أصحابك فليخلّوا بين الناس وبين الماء ، ويكفّوا حتى ننظر فيما بيننا وبينكم ،وفيما قدِمنا له وقدمتم له ، وإن كان أعجبَ إليك أن نترك ما جئنا له ، ونترك الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب . فعلْنا . فقال معاوية لأصحابه : ما ترون ؟ فقال الوليد ابن عقبة : امنعهم الماء كما منعوه عثمان بن عفّان رضى الله عنه ، حصروه أربعين صباحاً يمنعونه بَرْدَ الماء ، ولينَ الطعام، اقتُلهم عطشاً ، قتلَهم الله عطشاً ! فقال له عمرو بن العاص : خلّ بينهم وبين الماء ، فإنّ القوم لن يَعطَشوا وأنت ريّان ؛ ولكن بغير الماء، فانظر ما[1] بينك وبينهم[2]. فأعاد الوليد بن عقبة مقالته ؛ وقال عبد الله بن أبى سَرْح : امنعهم الماء إلى الليل، فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا ،ولو قد رجعوا كان رجوعهم فَلاًّ ، امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة ! فقال صعصعة : إنما يمنعه الله عزّ وجلّ يوم القيامة الكفَرة الفسَقة وشَرَبة الخمر ؛ ضَرْبك وضَرْب هذا الفاسقَ — يعنى الوليد بن عقبة — قال : فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه ، فقال معاوية: كُفّوا عن الرجل فإنه رسول .

٣٢٦٩/١

قال أبو مِخْنف : وحدّثنى يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، أنّ صعصعة رجع إلينا فحدّثنا عمّا قال لمعاوية ، وما كان منه وما ردّ ، فقلنا: فما ردّ عليك ؟ فقال: لما أردت الانصرافَ من عنده قلت : ما ترد عليّ ؟ قال معاوية : سيأتيكم رأيى ؛ فوالله ما راعنا إلا تسرّيتُه الخيل إلى أبى الأعور ليكفّهم عن الماء . قال : فأبرزَنا عليّ إليهم ، فارتمينا ثم اطّعنّا ، ثم اضطربنا بالسيوف ، فنُصِرنا عليهم، فصار الماء فى أيدينا ، فقلنا لا والله لا نسقيهمُوه ، فأرسل إلينا عليّ : أن خذوا من الماء حاجتكم ، وارجعوا إلى عسكركم ، وخلّوا عنهم؛ فإنّ الله عزّ وجلّ قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم .

---

(١) ابن الأثير « فيما » .

(٢) ابن الأثير : « وبين الله » .

* * *

دعاء علىّ معاوية إلى الطاعة والجماعة

٣٢٧٠/١

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الملك بن أبى حرّة الحنفىّ ، أنّ عليًّا قال : هذا يومٌ نُصِرتم فيه بالحميّة ، وجاء الناس حتى أتوا عسكرهم ، فمكث علىٌّ يومين لا يُرسل إلى معاوية أحداً ، ولا يرسل إليه معاوية . ثم إن عليًّا دعا بشير بن عمرو بن مِحْصَن الأنصارىّ، وسعيد بن قيس الهمدانىّ ، وشَبَث بن ربعىّ التميمىّ ، فقال : ائتوا هذا الرّجل فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة ، فقال له شَبَث بن رِبعىّ : يا أمير المؤمنين ،ألا تُطمِعه فى سلطان تولّيه إياه ، ومنزلة يكون له بها أُثرة عندك إن هو بايعك ؟ فقال علىّ : ائتوه فالقوه واحتجُّوا عليه ، وانظروا ما رأيُه — وهذا فى أول ذى الحجّة — فأتَوْه ، ودخلوا عليه ، فحمِد الله وأثنى عليه أبو عَمرة بشير بن عمرو ، وقال : يا معاوية ، إنّ الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإنّ الله عزّ وجلّ محاسبك بعملك ، وجازيك بما قدّمتْ يداك ، وإنى أنشُدك الله عزّ وجلّ أن تفرّق جماعةَ هذه الأمة ، وأن تَسفِك دماءها بينها ! فقطع عليه الكلام ، وقال : هلاّ أوصيت بذلك صاحبَك ؟ فقال أبو عَمرة : إنّ صاحبى ليس مثلك ، صاحبى أحقّ البريّة كلّها بهذا الأمر فى الفضل والدّين والسابقة فى الإسلام ، والقرابةِ من الرسول صلى الله عليه وسلم . قال : فيقول ماذا ؟ قال : يأمرك بتقوى الله عزّ وجلّ ، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحقّ ، فإنّه أسلم لك فى دنياك ، وخيرٌ لك فى عاقبة أمرك . قال معاوية : ونُطلّ[1] دمَ عثمان رضى الله عنه ! لا والله لا أفعل ذلك أبداً . فذهب سعيد بن قيس يتكلّم ، فبادره شَبَث بن رِبْعىّ ، فتكلّم فحمِد الله وأثنىَ عليه ، وقال : يا معاوية ، إنى قد فهمت ما رددت على ابن محصَن ، إنه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب ؛ إنك لم تجد شيئًا تَستغوِى به الناسَ وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به طاعتهم ، إلاّ قولك : «قتل إمامكم مظلومًا ، فنحن نطلب بدمه » ، فاستجاب

٣٢٧١/١

(١) ابن الأثير والنويرى : « ونترك » .

له سفهاء طَغام ، وقد علمْنا أن قد أبطأتَ عنه بالنصر ،وأحببتَ له القتل ، لهذه المنزلة التى أصبحت تطلب ، ورُبَّ متمنٍّى أمر وطالبه ، اللهُ عزّ وجلّ يحول دونَه بقدرته ، وربما أوتى المتمنّى أمنيّتَه وفوق أمنيّته ، وواللهِ ما لك فى واحدة منهما خير ، لئن أخطأتَ ما ترجو إنك لشرّ العرب حالا فى ذلك ، ولئن أصبت ما تَمَنّى لاتصيبه حتى تستحقّ من ربّك صُلِيّ النار ، فاتّق الله يا معاوية ، ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهلَه .

فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فان أوّل ما عرفت فيه[1] سَفَهَك وخفّة حلمك ، قطعُك على هذا الحسيب الشريف سيّد قومه منطقَه ، ثم عنيت بعد فيما لا علم لك به ، فقد كذبتَ ، ولؤُمتَ أيها الأعرابى الجِلْف الجافى فى كلّ ما ذكرت ووصفت . انصرِفوا من عندى ، فإنه ليس بينى وبينكم إلاّ السيف . وغضب ، وخرج القوم وشَبَث يقول : أفَعلينْا تهوّل بالسيف ! أقسم بالله ليُعجِلَنّ[2] بها إليك . فأتوا عليًّا وأخبروه بالذى كان من قوله ، وذلك فى ذى الحجة ، فأخذ علىّ يأمر الرجل ذا الشرف ، فيخرج معه جماعة ، ويخرج إليه من أصحاب معاوية آخر معه جماعة ، فيقتتلان فى خيلهما ورجالهما ثم ينصرفان ، وأخذوا يكرهون أن يلقَوا بجمع أهل العراق أهلِ الشأم لما يتخوّفون أن يكون فى ذلك من الاستئصال والهلاك ، فكان علىّ يخرج مرّة الأشتر ، ومرّة حُجْر بن عدىّ الكندىّ ، ومرّة شَبَثَ بن رِبْعىّ ، ومرّة خالد بن المعمَّر ، ومرّة زياد بن النضر الحارثىّ ، ومرّة زياد بن خَصَفَة التيمىّ ، ومرّة سعيد بن قيس ، ومرّة معقل بن قيس الرّياحىّ ، ومرّة قيس بن سعد . وكان أكثر القوم خروجًا إليهم الأشتر ، وكان معاوية يُخرج إليهم عبدَ الرحمن بن خالد المخزومى ، وأبا الأعور السُّلَمىّ ، ومرّة حبيب ابن مسلمة الفهرىّ ، ومرّة ابن ذى الكَلاع الحِمْيرىّ ، ومرة عبيد الله بن عمر ابن الخطّاب ، ومرّة شُرحبيل بن السِّمْط الكندىّ ، ومرّة حمزة بن مالك الهمدانىّ ، فاقتَتَلوا من ذى الحجة كلها ، وربما اقتتلوا فى اليوم الواحد مرّتين أوّله وآخره .

٣٢٧٢/١

---

(١) ابن الأثير والنويرى : « به » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « لنجعلنها » .

١/٣٢٧٣

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الله بن عاصم[1] الفائشىّ ، قال : حدّثنى رجل من قومى أنّ الأشتر خرج يومًا يقاتل بصفّين فى رجال من القرّاء ، ورجال من فُرسان العرب ، فاشتدّ قتالهم ، فخرج علينا رجل والله لقَلّما رأيتُ رجلا قطّ هو أطول ولا أعظم منه . فدعا إلى المبارزة ، فلم يخرج إليه أحد إلاّ الأشتر ، فاختلفا ضربتين ، فضربه الأشتر ، فقتله ، وايمُ الله لقد كنا أشفقْنا عليه ، وسألناه ألاّ يخرج إليه ، فلما قتله الأشتر نادى مناد من أصحابه :

يا سَهْمُ سَهْمَ ابن أبِي العَيْزَارِ يا خَيْرَ مَنْ نَعْلَمُهُ من زارِ

وزارة : حىٌّ من الأزد ، وقال : أقسم بالله لأقتلنّ قاتلك أو ليقتلنّى ، فخرج فحمل على الأشتر ، وعطف عليه الأشتر فضربَه ، فإذا هو بين يدىْ فرسه ، وحمل عليه أصحابُه فاستنقذوه جريحًا ، فقال أبو رُفَيْقة الفهمىّ : هذا كان نارًا ، فصادَف إعصارًا ، واقتتل الناس ذا الحجّة كلّه ، فلما انقضى ذو الحِجّة تداعى الناس إلى أن يكفّ بعضهم عن بعضٍ المحرّم ، لعلّ الله أن يُجرى صلحًا أو اجتماعًا ، فكفّ بعضُهم عن بعض .

* * *

(١) ط : « عامر » ، والصواب ما أثبته .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبدُالله بن العباس بن عبد المطلب بأمر علىٍّ إيّاه بذلك ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت الرازىّ ، عمّن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبى معشر .

* * *

١/٣٢٧٤ وفى هذه السنة مات قُدَامة بن مظعون ، فيما زعم الواقدىّ .

تم الجزء الرابع من تاريخ الطبرى

ويليه الجزء الخامس وأوله : ذكر حوادث سنة سبع وثلاثين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

١/٣٢٧٤

ذكر ما كان فيها من الأحداث وموادعة الحرب بين علىّ ومعاوية

فكان فى أوّل شهر منها — وهو المحرّم — موادَعة الحرب بين علىّ ومعاوية، قد توادعا على ترْك الحرب فيه إلى انقضائه طمعًا فى الصلح؛ فذكر هشام ابن محمد، عن أبى مِخْنَف الأزدىّ، قال: حدّثنى سعد أبو المجاهد الطائىّ، عن المُحِلّ بن خليفة الطائىّ، قال: لما توادَع علىّ ومعاوية يوم صِفّين، اختلف فيما بينهما الرُّسل رجاء الصُّلْح، فبعث علىّ عدىَّ بنَ حاتم ويزيدَ ابنَ قيس الأرحبىّ وشَبَث بن رِبْعىّ وزياد بن خَصَفة إلى معاوية، فلمّا دخلوا حمِد اللهَ عدىّ بن حاتم، ثم قال: أمّا بعد، فإنّا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله عزّ وجلّ به كلمتنا وأمّتنا، ويحقن به الدماء، ويؤمّن به السُّبل، ويصلح به ذاتَ البين. إنّ ابن عمك سيّد المسلمين أفضلها سابقة، وأحسنها فى الإسلام أثراً، وقد استجمع له الناس، وقد أرشدهم الله عزّ وجلّ بالذى رأوْا، فلم يبق أحد غيرك وغير مَن معك، فانته يا معاوية لا يصبْك الله وأصحابك بيوم مثل يوم الجمل. فقال معاوية: كأنك إنما جئت متهدّداً، لم تأت مصلحًا! هيهات يا عدىّ، كلاّ والله إنى لابنُ حرب، ما يُقعقَع لى بالشّنان، أما والله إنك لمن المجلِبين على ابن عفّان رضى الله عنه، وإنك لمن قَتَلَته، وإنّى لأرجو أن تكون ممن يقتل اللهُ عزّ وجلّ به. هيهات يا عدىّ ابن حاتم! قد حلبتَ بالساعد الأشدّ. فقال له شَبَث بن رِبعىّ وزياد بن خَصَفة — وتنازَعا جوابًا واحداً: أتيناك فيما يصلحنا وإيّاك، فأقبلتَ تضرب لنا الأمثال! دَعْ ما لا يُنتفع به من القول والفعل، وأجبنا فيما يعمّنا وإياك نفعُه. وتكلم يزيد بن قيس، فقال: إنا لم نأتك إلاّ لنبلّغك ما بُعثنا به إليك، ولنؤدّىَ عنك ما سمعنا منك، ونحن على ذلك لم نَدَع أن ننصحَ لك، وأن نذكر ما ظننّا أن لنا عليك به حجّة، وأنّك راجع به إلى الألفة والجماعة.

١/٣٢٧٥

إنّ صاحبنا من قد عرفتَ وعرفَ المسلمون فضلَه ، ولا أظنّه يخفى عليك ؛ إنّ أهل الدين والفضل لن يعدلوا بعلىّ ، ولن يميّلوا بينك وبينه ، فاتّق الله يا معاوية ، ولا تخالف عليًّا ، فإنّا والله ما رأينا رجلا قطّ أعملَ بالتقوى ، ولا أزهدَ فى الدنيا ، ولا أجمعَ لخصال الخير كلّها منه .

فحمِد اللهَ معاويةُ وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة ، فأمّا الجماعة التى دعوتم إليها فمعنا هى ، وأمّا الطاعة لصاحبكم فإنا لا نراها ؛ إنّ[1] صاحبكم قتل خليفتَنا ، وفرّق جماعتَنا ، وآوى ثأرنا وقتلتَنا ، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتلْه ، فنحن لا نردّ ذلك عليه ، أرأيتم قتَلة صاحبنا ؟ ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم ؟ فليدفعْهم إلينا فلنقتلْهم[2] به ، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة . ١/٣٢٧٦

فقال له شَبَث : أيسرّك يا معاوية أنك أُمكِنْت من عمّار تقتله ! فقال معاوية : وما يمنعنى من ذلك ! والله لو أمكِنْتُ من ابن سُميّة ما قتلتُه بعثمانَ ، ولكن كنتُ قاتلَه بناتل مولَى عثمان . فقال له شَبَث : وإله الأرض وإله السماء ، ما[3] عدلتَ معتدلا ، لا والذى لا إله إلاّ هو لا تصل إلى عمّار حتى تندُر الهام عن كواهل الأقوام ، وتضيق الأرض الفضاء[4] عليك برُحْبها . فقال له معاوية : إنه لو قد كان ذلك كانت الأرض عليك أضيَق .

وتفرّق القوم عن معاوية ، فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد بن خَصَفة التيمىّ ، فخلا به ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال : أمّا بعد يا أخا ربيعة ، فإن عليًّا قطّع أرحامنا ، وآوى قَتلَة صاحبنا ، وإنى أسألك النصر عليه بأسرَتك وعشيرتك ، ثم لك عهدُ الله جلّ وعزّ وميثاقُه أن أولّيَك إذا ظهرتُ أىّ المِصْرَيْن أحببت .

قال أبو مخنف : فحدّثنى سعد أبو المجاهد ، عن المحِلّ بن خليفة ، قال : سمعت زياد بن خَصَفة يحدّث بهذا الحديث ، قال : فلما قضى

---

(١) ابن الأثير والنويرى : « لأن » .
(٢) ابن الأثير والنويرى : « ولنقتلهم » .
(٣) ط : « أما » ؛ والوجه ما أثبت .
(٤) ابن الأثير : « والفضاء » .

معاوية كلامَه حمدتُ الله عزّ وجل وأثنيتُ عليه، ثم قلت: أما بعد، فإنى على بيِّنة من ربّى وبما أنعم علىّ، فلن أكون ظَهيرًا للمجرمين، ثم قمت. ١/٣٢٧٧
فقال معاوية لعمرو بن العاص — وكان إلى جنبه جالسًا: ليس يكلّم رجل منا رجلا منهم فيُجيب إلى خير. ما لهم عَضبهم[1] الله بشرّ! ما قلوبهم إلا كقلب رجل واحد.

قال أبو مِخْنف: فحدّثنى سليمان بن أبى[2] راشد الأزدىّ، عن عبد الرحمن ابن عبيد أبى الكَنُود، أنّ معاوية بعث إلى علىّ حبيبَ بن مسلمة الفهرىّ وشُرَحبيل بن السِّمْط ومعن بن يزيد بن الأخنس، فدخلوا عليه وأنا عنده، فحمِد الله حبيب وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنّ عثمان بنَ عفّان رضى الله عنه كان خليفةً مهديًّا، يعمل بكتاب الله عزّ وجلّ، ويُنيب إلى أمر الله تعالى، فاستثقلتم حياته، واستبطأتم وفاتَه، فعدوْتم عليه فقتلتموه؛ فادفع إلينا قتلةَ عثمان — إنْ زعمت أنك لم تقتله — نقتلهم به، ثم اعتزِل أمرَ الناس فيكونَ أمرُهم شورى بينهم، يولّى الناس أمرَهم مَن أجمع عليه رأيهم. فقال له علىّ بن أبى طالب: وما أنت لا أمَّ لك والعزل وهذا الأمر! اسكُت فإنك لستَ هناك ولا بأهل له! فقام وقال له: والله لترَينّى بحيث تكره. فقال علىّ: وما أنت ولو أجلبتَ بخَيْلك ورَجِلك! لا أبقى الله عليك إن أبقيت علىّ؛ أحُقْرَةً وسوءاً! اذهب فصوِّب وصعِّد ما بدا لك.

وقال شُرحبيل بن السِّمط: إنىّ إن كلمتك فلعَمْرِى ما كلامى إلاّ مثل كلام صاحبى قبلُ، فهل عندك جواب غير الذى أجبتَه به؟ فقال علىّ: نعم لك ولصاحبك جواب غير الذى أجبتُه به. فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال: ١/٣٢٧٨
أما بعد، فإنّ الله جلّ ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق، فأنقَذ به من الضلالة، وانتاش به من الهَلَكة[3]، وجمع به من الفُرْقة، ثمّ قبَضه الله إليه وقد أدّى ما عليه صلى الله عليه وسلم، ثم استَخلف الناسُ أبا بكر

---

(١) فى اللسان: «العضب: القطع، وتدعو العرب على الرجل فتقول: ما له عضبه الله! يدعون عليه بقطع يده ورجله».

(٢) ساقطة من ط.

(٣) انتاش به من الهلكة، أى أنقذ.

رضى الله عنه ، واستخلف أبو بكر عمرَ رضى الله عنه ، فأحسَنَا السِّيرة ، وعدَلا َ فى الأمّة ، وقد وَجَدنا عليهما أن تَولَّيا علينا — ونحن آل رسول الله صلّى الله عليه وسلم — فغفرنا ذلك لهما ، وولى عثمان رضى الله عنه فعمِل بأشياءَ عابها النّاس عليه ، فساروا إليه فقتلوه ، ثم أتانى الناس وأنا معتزل أمورَهم ، فقالوا لى : بايع ، فأبَيتُ عليهم ، فقالوا لى : بايعْ ، فإنّ الأمة لا ترضى إلا بك! ، وإنّا نخاف إن لم تفعل أن يفترق[1] الناس ؛ فبايعتُهم ، فلم يَرعْنى إلاّ شقاق رجُلين قد بايَعانى ، وخلاف معاوية الذى لم يجعل الله عزّ وجلّ له سابقةً فى الدين ، ولا سلفَ صِدْق فى الإسلام ، طليق ابن طَلِيق ، حِزْب من هذه الأحزاب ، لم يزل لله عزّ وجلّ ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين عدوًّا هو وأبوه حتى دخلا فى الإسلام كارهين ، فلا غَرْوَ[2] إلاّ خلافكم معه ، وانقيادُكم له ، وتدَعون آلَ نبيكم صلى الله عليه وسلم الذين لا ينبغى لكم شقاقُهم ولا خلافُهم ، ولا أن تَعدِلوا بهم من الناس أحداً . ألا إنى أدعوكم إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم وإماتة الباطل ، وإحياء معالم الدين[3] ؛ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، ولكلّ مؤمن ومؤمنة ، ومسلم ومسلمة .

١/٣٢٧٩

فقالا : اشهَدْ أنّ عثمانَ رضى الله عنه قُتل مظلومًا ، فقال لهما : لا أقول إنه قُتل مظلومًا ، ولا إنه قتل ظالمًا ، قالا : فمَنْ لم يزعم أنّ عثمان قتل مظلومًا فنحن منه برآء ، ثم قاما فانصرفا . فقال علىّ : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[4] ثم أقبل علىٌّ على أصحابه فقال : لا يكن هؤلاء أوْلى بالجِدّ فى ضلالهم منكم بالجِدّ فى حقّكم وطاعة ربّكم .

قال أبو مِخْنَف : حدّثنى جعفر بن حُذَيفة ، من آل عامر بن جُوَين ،

---

(١) ابن الأثير والنويرى : « يتفرق » . (٢) لا غرو : لا عجب .

(٣) ابن الأثير والنويرى : « وإحياء الحق ومعالم الدين » .

(٤) سورة النمل : ٨٠ ، ٨١ .

أنّ عائذ بن قيس الحِزمرىّ[١] واثبَ عدىَّ بن حاتم فى الرّاية بصِفّين — وكانت حِزْمر أكثر من بنى عدىّ رهط حاتم — فوثب عليهم عبد الله بن خليفة الطائىّ البَوْلانىّ عند علىّ، فقال: يا بنى حِزْمر، على[٢] عدىّ تتوثّبون! وهل فيكم مثل عَدِىّ أو فى آبائكم مثل أبى عَدِىّ! أليس بحامى القربة[٣] ومانع الماء يوم رَوِيّة؟ أليس بابن ذى المِرباع[٤] وابن جواد العرب؟! أليس بابن المُنْهِب ماله، ومانع جاره؟! أليس مَن لم يغدر ولم يفجُر، ولم يجهل ولم يبخَل، ولم يمنُن ولم يجبن؟! هاتوا فى آبائكم مثلَ أبيه، أو هاتوا فيكم مِثلَه. أوَليس أفضلكم فى الإسلام! أوَليس وافدَكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم! أليس برأسكم يوم النُّخَيلة ويوم القادسيّة ويوم المدائن ويوم جَلُولاء الوقيعة ويوم نِهاوَند ويوم تُسْتَر؟! فما لكم وله! والله ما من قومكم أحد يطلب مثلَ الذى تطلبون. فقال له علىّ بن أبى طالب: حسبُك يابن خليفة، هَلُمّ أيّها القوم إلىّ، وعلىّ بجماعة طيّئ، فأتوْه جميعاً، فقال علىّ: من كان رأسكم فى هذه المواطن؟ قالت له طيّئ: عدىّ. فقال له ابن خليفة: فسلْهم[٥] يا أمير المؤمنين، أليسوا راضين مسلّمين لعدىّ الرياسة؟ ففعل، فقالوا: نعم، فقال لهم: عدىّ أحقّكم بالراية. فسلّموها له، فقال علىّ — وضجّت بنو الحِزْمِر —: إنّى أراه رأسَكم قبل اليوم، ولا أرى قومه كلهم إلا مسلّمين له غيرَكم؛ فأتبع فى ذلك الكثرة. فأخذها عدىّ، فلما كان أزمان حُجْر بن عدىّ طُلِب عبدُ الله بن خليفة ليُبْعَثَ به مع حُجر[٦] — وكان من أصحابه — فسيِّر إلى الجبلين؛ وكان عدىّ قد منّاه أن يردّه، وأن يطلب فيه، فطال عليه ذلك، فقال:

٣٢٨٠/١

وتَنْسَوْنَنى يَوْمَ الشَّريعةِ والقنَا ... بصِفِّينَ فى أكتافِهمْ قد تكسَّرَا

---

(١) ابن الأثير: «الحذمرى».

(٢) ابن الأثير: «أعلى».

(٣) ابن الأثير: «القرية».

(٤) المرباع: ربع الغنيمة وهو الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية.

(٥) ابن الأثير: «سلهم».

(٦) ابن الأثير: «طلب زياد عبد الله بن خليفة ليبعثه مع حجر».

١/٣٢٨١

جَزَى رَبُّهُ عَنِّى عَدِيَّ بنَ حاتِمٍ برَفْضى وخِذلانى جَزاءً مُوَفَّرا
أتنْسَى بَلائى سادرًا يابْنَ حاتِمٍ عَشِيَّةَ ما أغْنَتْ عَدِيُّكَ حِزْمِرا
فدَافَعْت عنك القَوْمَ حتى تخاذَلوا وكُنتُ أنا الخصْمَ الألَدَّ العَذَوَّرا[١]
فوَلَّوا وما قاموا مقامى كأنَّما رأوْنِىَ لَيْثًا بالأباءَة مُخْدِرا[٢]
نَصَرْتُكَ إذ خامَ القَرِيبُ وأبْعطَ الـ بَعيدُ وقد أفرَدْتُ نَصْرًا مُؤزَّرا[٣]
فكان جزائى أن أجَرَّدَ بينكم[٤] سَجينًا ، وأنْ أُولَى الهَوانَ وأوسَرا
وكم عِدَةٍ لى مِنكَ أنكَ راجِعِي فَلَمْ تُغْنِ بالميعادِ عَنّىَ حَبْتَرا

* * *

تكتيب الكتائب وتعبئة الناس للقتال

قال : ومكث الناس حتى إذا دنا انسلاخ المحرَّم أمر علىّ مَرْثَد بن الحارث الجُشَمىّ فنادى أهل الشأم عند غروب الشمس : ألَا إنّ أمير المؤمنين يقول لكم : إنّى قد استدمتكم لتراجعوا الحقّ وتُنيبوا إليه ، واحتججت عليكم بكتاب الله عزّ وجلّ ، فدعوْتكم إليه ، فلم تَنَاهَوْا عن طغيان[٥] ، ولم تجيبوا إلى حقّ[٦] ، وإنّى قد نبذت إليكم على سواء ، إنّ الله لا يحبّ الخائنين . ففزع أهل الشأم إلى أمرائهم ورؤسائهم ، وخرج معاوية وعمرو بن العاص فى الناس يكتّبان الكتائب ويعبّيان الناس ، وأوقدوا النيران ، وبات علىّ ليلتَه كلَّها يعبِّى الناس ، ويكتِّب الكتائب ، ويدور فى الناس يحرِّضهم .

١/٣٢٨٢

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الرحمن بن جندب الأزدىّ ، عن أبيه ، أنّ عليًّا كان يأمرنا فى كلّ موطن لقينا فيه معه عدوًّا فيقول : لا تقاتلوا القوم

---

(١) العذوّر : الصعب الخلق الشديد النفس .
(٢) الأباءة : الأجمة . والأسد المخدر والخادر أيضاً : المقيم فى الأجمة أو العرين .
(٣) خام : نكص وجبن . وأبعط ، أى أبعد .
(٤) ابن الأثير : « أجرر بينكم » .
(٥) ابن الأثير : « طغيانكم » . النويرى : « الطغيان » .
(٦) ابن الأثير والنويرى : « الحق » .

حتى يبدءوكم ، فأنتم بحمد الله عزّ وجلّ على حجّة ، وتركُكم إيّاهم حتى يبدءوكم حجّة أخرى لكم ، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبِرًا ، ولا تُجهِزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورةً ، ولا تمثّلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتِكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً إلا بإذن ، ولا تأخذوا شيئًا من أموالهم إلا ما وجدتم فى عسكرهم ، ولا تُهيِّجوا امرأةً بأذًى ، وإن شتمن أعراضَكم ، وسبَبْن أمراءكم وصلحاءَكم ، فإنهنّ ضعاف القُوَى والأنفس .

قال أبو مِخْنف : وحدّثنى إسماعيل بن يزيد ، عن أبى صادق ، عن الحضرمىّ ، قال : سمعت عليًّا يحرّض الناس فى ثلاثة مواطن : يحرّض الناس يومَ صِفّين ، ويومَ الجمل ، ويوم النَّهر ، يقول : عباد الله ، اتقوا الله ، وغُضّوا الأبصار ، واخفضوا الأصوات ، وأقِلّوا الكلام ، ووطِّنوا أنفسكم على المنازلة والمجاوَلة والمبارَزة[1] والمناضَلة والمُجالَدة[2] والمعانَقة والمكادَمة والملازمة ، فاثبُتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصابرين . اللهم ألهمهم الصبر ، وأنزل عليهم النصر ، وأعظِم لهم الأجر . ٣٢٨٣/١

فأصبح علىّ من الغد ، فبعث على الميمنة والميسرة والرجّالة والخيل . قال أبو مخنف : فحدّثنى فضيل بن خَديج الكِندىّ أن عليًّا بعث على خيل أهل الكوفة الأشتر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حُنَيف ، وعلى رجّالة أهل الكوفة عمّار بن ياسر ، وعلى رجّالة أهل البصرة قيس بن سعد وهاشم ابن عُتبة ومعه رايته ، ومِسعر بن فَدَكىّ التميمىّ على قرّاء أهل البصرة ، وصار أهل الكوفة إلى عبد الله بن بُدَيل وعمّار بن ياسر .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الله بن يزيد بن جابر الأزدىّ ، عن القاسم مولى يزيد بن معاوية ، أنّ معاوية بعث على ميمنته ابن ذى الكَلاع الحِمْيَرىّ ، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهرىّ ، وعلى مقدّمته يوم أقبل من دمشق

---

(١) ابن الأثير : « المزاولة » . (٢) ط : « والمبالدة » .

أبا الأعور السُّلَمىّ — وكان على خيل أهلِ دمشق — وعمرو بن العاص على خيول أهل الشأم كلها ، ومسلم بن عقبة المرّىّ على رجّالة أهل دمشق ، والضحّاك بن قيس على رجّالة الناس كلها . وبايع رجال من أهل الشأم على

١/٣٢٨٤ الموت ، فعقّلوا أنفسهم بالعمائم ، فكان المعقّلون خمسة صفوف ، وكانوا يخرجون ويُصفّون عشرة صفوف ، ويخرج أهل العراق أحد عشر صفًّا ، فخرجوا أوّل يوم من صِفّين فاقتتلوا . وعلى مَن خرج يومئذ من أهل الكوفة الأشتر ، وعلى أهل الشأم حبيبُ بن مسلمة ، وذلك يوم الأربعاء ، فاقتتلوا قتالا شديداً جُلّ النهار ، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ، ثم خرج هاشم بن عُتبة فى خيل ورجال حَسَنٍ عددُها وعُدّتها ، وخرج إليه أبو الأعور ، فاقتتلوا يومَهم ذلك ، يحمل الخيل على الخيل ، والرجال على الرجال ، ثمّ انصرفوا وقد كان القوم صَبَر بعضُهم لبعض . وخرج اليومَ الثالث عمّارُ بن ياسر ، وخرج إليه عمرو بن العاص ، فاقتتل الناس كأشدّ القتال ، وأخذ عمّار يقول : يا أهلَ العراق ، أتريدون أن تنظروا إلى من عادَى الله ورسوله وجاهدَهما ، وبغى على المسلمين ، وظاهَرَ المشركين ، فلما رأى الله عزّ وجلّ يعزّ دينَه ويُظهر رسوله أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلّم فأسلم ، وهو فيما نرَى راهب غير راغب ؛ ثم قبض الله عزّ وجلّ رسوله صلى الله عليه وسلم ! فوالله إنْ زال بعدَه معروفًا بعداوة المسلم ، وهَوادة المجرم . فاثبُتوا له وقاتِلوه فإنه يطفِئ نورَ الله ، ويظاهر أعداءَ الله عزّ وجلّ .

فكان مع عمّار زياد بن النَّضْر على الخيل ، فأمره أن يحمل فى الخيل ، فحمل ، وقاتله الناس وصبروا له ، وشدّ عمّار فى الرجال ، فأزال عمرو بن العاص عن موقفه . وبارز يومئذ زياد بن النّضر أخًا له لأمّه

١/٣٢٨٥ يقال له عمرو بن معاوية بن المنتفِق بن عامر بن عُقَيل — وكانت أمّهما امرأة من بنى يزيد[1] — فلما التقيا تعارَفا فتواقفا ، ثم انصرف كلّ واحد منهما عن صاحبه ، وتراجع الناس .

فلمّا كان من الغد خرج محمد بن علىّ وعبيد الله بن عمر فى جمعيْن عظيمين ، فاقتتلوا كأشدّ القتال . ثم إن عبيد الله بن عمرَ أرسل إلى ابن الحنفيّة :

(١) هى أمامة — أو أميمة — بنت يزيد بن عبد المدان — (الإصابة رقم ٦٥١٤) .

أن اخرج إليّ ؛ فقال : نعم، ثم خرج يمشى ، فبصُربه أمير المؤمنين فقال : مَنْ هذان المتبارِزان ؟ فقيل : ابن الحنفيّة وعُبيد الله بن عمر ؛ فحرّك دابّته ثم نادى محمّداً ، فوقف له ، فقال : أمسِكْ دابّتى ، فأمسكَها ، ثم مشى إليه علىّ فقال : أبرز لك ، هلمّ إلىّ ؛ فقال : ليست لى فى مبارزتك حاجة ، فقال : بلى ، فقال : لا ، فرجع ابن عمر . فأخذ ابن الحنفيّة يقول لأبيه : يا أبتِ ، لم منعتَنِى من مبارزته ؟ فوالله لو تركتَنى لرجوتُ أن أقتلَه ، فقال : لو بارزتَه لرجوتُ أن تقتله ، وما كنتُ آمن أن يقتلَك ، فقال : يا أبتِ أوَتبرز لهذا الفاسق ! والله لو أبوه سألك المبارزة لرغبتُ بك عنه ؛ فقال علىّ : يا بُنَىّ ، لا تَقُلْ فى أبيه إلا خيراً . ثم إنّ الناس تحاجزوا وتراجعوا .

قال : فلما كان اليوم الخامس خرج عبد الله بن عباس والوليد بن عُقْبة فاقتتلوا قتالا شديداً ، ودنا ابن عبّاس من الوليد بن عقبة ، فأخذ الوليد يسبّ بنى عبد المطّلب ، وأخذ يقول : يابن عباس ، قطّعتم أرحامَكم ، وقتلتم إمامَكم ، فكيف رأيتم الله صنع بكم ؟! لم تُعطَوْا ما طلبتم ، ولم تُدركوا ما أمّلتم ، واللهُ إن شاء مُهلِككم وناصرٌ عليكم . فأرسل إليه ابن عباس : أن ابرز لى ؛ فأبى . وقاتل ابن عباس يومئذ قتالاً شديداً ، وغشىَ الناس بنفسه . ١/٣٢٨٦

ثم خرج قيس بن سعد الأنصارىّ وابن ذى الكَلاع الحِميَرىّ فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم انصرَفا ، وذلك فى اليوم السادس .

ثمّ خرج الأشتر ، وعاد إليه حبيب بن مَسلمة اليوم السابع ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، ثم انصرفا عند الظهر ، وكلٌّ غير غالب ، وذلك يومَ الثلاثاء .

قال أبو مِخْنف : حدّثنى مالك بن أعيَن الجُهَنىّ ، عن زيد بن وهب ، أن عليّاً قال : حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا ! فقام فى النّاس عشيّة الثلاثاء ، ليلة الأربعاء بعد العصر ، فقال : الحمد لله الذى لا يُبرَم ما نقَض ، وما أبرَم لاينقضُه الناقضون ، لو شاء ما اختلف اثنان من خلْقه ، ولا تنازعت الأمة فى شىء من أمره ، ولا جحد المفضولُ ذا الفضل فضلَه ، وقد ساقتْنا وهؤلاء القوم الأقدار ، فلفّت بيننا فى هذا المكان ، فنحن من ربّنا بمرأى ومسمع ، فلو شاء عجّل النِّقمة ، وكان منه التغيير ، حتى

يكذّب الله الظالم، ويَعلم الحقُّ أين مصيره؛ ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرة عنده هى دار القرار ، ليجزىَ الذين أساءوا بما عملوا ويجزىَ الذين أحسنوا بالحسنى . ألا إنكم لاقُو القومِ غداً ، فأطيلوا الليلة القيامَ، وأكثروا تلاوة القرآن ، وسلُوا الله عزّ وجلّ النّصر والصبر ، والقَوْهم بالجدّ والحزم ، وكونوا صادقين . ثم انصرف ، ووثب الناسُ إلى سيوفهم ورماحِهم ونبالهِم يصلحونها ، ومرّ بهم كعب بن جُعَيل التغلبىّ وهو يقول : ١/٣٢٨٧

أصْبَحَتِ الأمّةُ فى أمْرٍ عَجَبْ والمُلك مجْموعٌ غداً لمن غَلَبْ
فقلتُ قولا صادقاً غيرَ كَذِبْ إنّ غداً تَهلكُ أعلامُ العربْ

قال : فلما كان من الليل خرج علىّ فعبّى الناس ليلته كلها ، حتى إذا أصبح زحف بالناس ، وخرج إليه معاوية فى أهل الشأم ، فأخذ علىّ يقول : مَن هذه القبيلة ؟ ومَن هذه القبيلة ؟ فنُسبت له قبائل أهل الشأم ، حتى إذا عرفهم ورأى مراكزَهم قال للأزد : اكفُونى الأزد ، وقال لخثْعم : اكفونى خثْعم . وأمر كلّ قبيلة من أهل العراق أن تكفيَه أختها من أهل الشأم إلاّ أن تكون قبيلة ليس منها بالشأم أحد فيصرفها إلى قبيلة أخرى تكون بالشأم ، ليس منهم بالعراق واحد ، مثل بَجيلة لم يكن منهم بالشأم إلا عدد قليل، فصرفهم إلى لخثْم . ثم تناهض الناس يومَ الأربعاء فاقتتلوا قتالاً شديداً نهارهم كلّه ، ثم انصرفوا عند المساء وكلٌّ غير غالب ، حتى إذا كان غداة الخميس صلى علىّ بغَلَس . ١/٣٢٨٨

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الرحمن بن جندب الأزدىّ ، عن أبيه ، قال: ما رأيت عليًّا غلّس بالصلاة أشدّ من تغْليسه يومئذ ، ثم خرج بالناس إلى أهل الشأم فزحف إليهم ، فكان يبدؤهم فيسير إليهم ، فإذا رأوه قد زحف إليهم استقبلوه بوجوههم .

قال أبو مخنف : حدّثنى مالك بن أعيَن ، عن زيد بن وهب الجُهَنىّ ، أنّ عليًّا خرج إليهم غَدَاة الأربعاء فاستقبلهم فقال : اللهمّ ربَّ السقف المرفوع ، المحفوظ المكفوف ، الذى جعلته مَغيضًا لليل والنهار ، وجعلتَ

فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم، وجعلت سكّانه سِبْطًا[1] من الملائكة، لا يسأمون العبادة. وربّ هذه الأرض التى جعلتَها قراراً للأنام، والهوامّ والأنعام، وما لا يُحصى مما لا يُرَى ومما يُرَى من خَلْقك العظيم. وربّ الفلْك التى تجرى فى البحر بما يَنفع الناس، وربّ السحاب المسخَّر بين السماء والأرض، وربّ البحر المسجور المحيط بالعالم، وربّ الجبال الرّواسى التى جعلتَها للأرض أوتاداً، وللخلق متاعًا؛ إن أظهرتَنا على عدوّنا فجنِّبنا البغىَ، وسدِّدنا للحقّ، وإن أظهرتَهم علينا فارزقنى الشهادة، واعصم بقيَّة أصحابى من الفتنة.

قال: وازدلف الناس يومَ الأربعاء فاقتتلوا كأشدّ القتال يومَهم حتى الليل، لا ينصرف بعضهم عن بعض إلا للصّلاة، وكثُرت القتلَى بينهم، وتحاجزوا عند الليل وكلٌّ غيرُ غالب، فأصبحوا من الغد، فصلّى بهم علىٌّ غداة الخميس، فغلّس بالصّلاة أشدّ التّغليس، ثم بدأ أهل الشأم بالخروج، فلما رأوه قد أقبل إليهم خرجوا إليه بوجوههم، وعلى ميمنته عبد الله بن بُديل، وعلى ميسرته عبد الله بن عبَّاس، وقرّاء أهل العراق مع ثلاثة نفر: مع عمَّار ابن ياسر، ومع قيس بن سعد، ومع عبد الله بن بُدَيل؛ والناس على راياتهم ومراكزهم، وعلىٌّ فى القلْب فى أهل المدينة بين أهل الكوفة وأهل البصرة، وعُظْم مَن معه من أهل المدينة الأنصارُ، ومعه من خُزاعة عدد حسَن، ومن كنانةَ وغيرهم من أهل المدينة. ١/٣٢٨٩

ثم زحف إليهم بالناس، ورفع معاوية قبّةً عظيمة قد ألقى عليها الكرابيس[2] وبايعه عُظْم الناس من أهل الشأم على الموت، وبعث خيلَ أهل دمشق فاحتاطت بقبّته، وزحف عبد الله بن بُدَيل فى الميمنة نحو حبيب بن مسلمة، فلم يزل يحوزه[3]، ويكشف خيلَه من الميسرة حتى اضطرهم إلى قبّة معاوية عند الظهر[4].

---

(١) السبط هنا: الأمة.

(٢) الكرابيس: ضرب من الثياب؛ فارسىّ معرّب.

(٣) يحوزه، أى يبعده وينحيه.

(٤) الخبر فى كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٦١ – ٢٦٣.

قال أبو مِخْنف : حدّثنى مالك بن أعيَن، عن زيد بن وهب الجُهنىّ ، أنّ ابن بُدَيل قام فى أصحابه فقال : ألَا إنّ معاوية ادّعى ما ليس أهلَه ، ونازع هذا الأمرَ من ليس مثلَه ، وجادل بالباطل ليُدحِض به الحقّ ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب ، قد زيّن لهم الضلالة ، وزرع فى قلوبهم حبّ الفتنة ، ولبّس عليهم الأمر ، وزادهم رِجْساً إلى رجسهم ، وأنتم على نور من ربّكم ، وبرهان مبين . فقاتلوا الطغاة الجفاة ، ولا تخشَوهم ، فكيف تخشَونهم وفى أيديكم كتاب الله عزّ وجلّ طاهراً مبروراً[١] ! ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾[٢] ، وقد قاتلناهم مع النبىّ صلى الله عليه وسلم[٣] مرّة ، وهذه ثانية ، والله ما هم فى هذه بأتقى ولا أزكى ولا أرشد ، قوموا إلى عدوّكم بارك الله عليكم ! فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه[٤] .

١/٣٢٩٠

قال أبو مِخْنف : حدّثنى عبد الرحمن بن أبى عَمْرة الأنصارىّ، عن أبيه ومولًى له ، أنّ عليًّا حرّض الناس يومَ صِفّين ، فقال :

إنّ الله عزّ وجلّ قد دلّكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم[٥] ، تُشفى[٦] بكم على الخير : الإيمان بالله عزّ وجلّ وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، والجهاد فى سبيل الله تعالى ذكره ، وجعل ثوابه مغفرة الذنب ، ومساكنَ طيّبة فى جناتِ عدن . ثم أخبركم أنه يحبّ الذين يقاتلون فى سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص ؛ فسوُّوا صفوفَكم كالبنيان المرصوص ، وقدّموا الدّارع ، وأخّروا الحاسر ، وعَضّوا على الأضراس ، فإنه أنبَى للسيوف عن الهام[٧] ، والتَوُوا

(١) صفين : « ظاهر مبرور » .

(٢) سورة التوبة: ١٣ ، ١٤ .

(٣) صفين : « وقد قاتلتهم مع النبى صلى الله عليه » .

(٤) الخبر فى صفين: ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٥) صفين : «من العذاب» .

(٦) تشفى ، أى تشرف .

(٧) أنبى : أبعد . والهام : الرءوس .

فى أطراف الرماح، فإنّه أصوَن[١] للأسنّة. وغُضّوا الأبصار فإنه أربَط للجأش، وأسكَن للقلوب، وأميتوا الأصوات فإنه أطرَد للفشل، وأولى بالوقار. راياتِكم[٢] ٣٢٩١/١ فلا تُميلوها ولا تزيلوها، ولا تجعلوها إلاّ بأيدى شجعانكم، فإن المانع للذّمار، والصابر عند نزول الحقائق، هم أهل الحفاظ الذين يحفّون براياتهم ويكنفونها[٣]؛ يضربون حِفافيها خلَفها وأمامها، ولا يضعونها. أجزأ امرؤٌ وقذ قِرْنه[٤] — رحمكم الله[٥] — وآسى أخاه بنفسه، ولم يَكِل قِرنَه إلى أخيه، فيكسب بذلك لائمةً، ويأتِيَ به دناءة. وأنّى لا يكون هذا هكذا! وهذا يقاتل اثنين، وهذا ممسك بيده يُدخل قرنه على أخيه هاربًا منه، أو قائمًا ينظر إليه! من يفعل هذا يمقتْه الله عزّ وجلّ، فلا تعرّضوا لمقتِ الله سبحانه فإنما مردّكم إلى الله، قال الله عزّ من قائل لقوم: ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إن فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أوِ القَتْلِ وَإذاً لَا تُمَتَّعونَ إلَّا قَلِيلاً﴾[٦]. وايمُ الله لئن سلمتم من سيف العاجلة لا تَسلمون من سيف الآخرةِ. واستعِينوا بالصّدق والصبر، فإنّ بعد الصبر يُنزل الله النصر[٧].

* * *

الجدّ فى الحرب والقتال

قال أبو مخنف: حدّثنى أبو رَوْق الهمْدانىّ، أن يزيد بن قيس الأرحبيّ حرّض الناس فقال: إنّ المسلم السليمَ من سَلِم دينُه ورأيُه، وإنّ هؤلاء القوم والله إن يقاتلوننا[٨]

(١) صفين: «فإنه أمور للأسنة»، وأمور، تفضيل من المور وهو الاضطراب والمجىء والذهاب.

(٢) صفين: «وراياتكم».

(٣) صفين: «ويكتنفونها».

(٤) وقذ قرنه: ضربه ضرباً شديداً.

(٥) صفين: «رحمه الله».

(٦) سورة الأحزاب: ١٦.

(٧) الخبر فى صفين: ٢٦٤، ٢٦٥ بروايته عن عمر بن سعد، عن عبد الرحيم بن عبد الرحمن، عن أبيه.

(٨) إن هنا بمعنى النفى، وفى صفين: «ما إن يقاتلوننا».

٣٢٩٢/١ على إقامة دين رأونا ضيّعناه، وإحياءِ حقّ رأونا أمتّناه، وإن يقاتلوننا إلاّ على هذه الدنيا ليكونوا جبابرةً فيها ملوكًا، فلو ظهروا عليكم — لاأراهم الله ظهوراً ولا سروراً — لزموكم[١] بمثل سعيد والوليد[٢] وعبد الله[٣] بن عامر السفيه الضالّ، يخبر[٤] أحدهم فى مجلسه بمثل ديتَه ودِيَة أبيه وجَدّه[٤]، يقول: هذا لى ولا إثمَ علىّ، كأنما أعطى تراثه عن أبيه وأمه، وإنما هو مال الله عزّ وجلّ، أفاءه علينا بأسيافنا وأرماحنا، فقاتِلوا عباد الله القومَ الظالمين، الحاكمين بغير ما أنزل الله، ولا يأخذكم فى جهادهم لومُ لائم[٥]، فإنهم إن يظهروا عليكم يُفسِدوا عليكم دينَكم ودنياكم؛ وهم مَن قد عرفتم وخبرْتم؛ وايمُ الله ما ازدادوا إلى يومهم هذا إلا شرًّا.

وقاتلهم عبد الله بن بُدَيل فى الميمنة قتالا شديداً حتى انتهى إلى قبّة معاوية. ثم إنّ الذين تبايعوا على الموت أقبلوا إلى معاوية، فأمرهم أن يصمُدوا لابن بديل فى الميمنة، وبعث إلى حبيب بن مسلمة فى الميسرة، فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم، وانكشف أهلُ العراق من قِبَل الميمنة حتى لم يبقَ منهم إلاّ ابن بُديل فى مائتين أو ثلثمائة من القرّاء، قد أسند بعضهم ظهره إلى بعض، وانجفل[٦] الناس، فأمر علىٌّ سهلَ بن حُنيف فاستقدم فيمن كان معه من أهل المدينة، فاستقبلتْهم جموعٌ لأهل الشأم عظيمة، فاحتملتهم حتى ألحقتْهم بالميمنة، وكان فى الميمنة إلى موقف علىٍّ

٣٢٩٣/١ فى القلب أهل اليمن، فلما كَشَفوا[٧] انتهت الهزيمة إلى علىّ، فانصرف يتمشّى نحو الميسرة، فانكشفت عنه مُضَر من الميسرة، وثبتت ربيعة[٨].

قال أبو مِخنْف: حدّثنى مالك بن أعيَن الجُهَنىّ، عن زيد بن وهب

---

(١) صفين: «ألزموكم». (٢) يعنى سعيد بن العاص والوليد بن عقبة.
(٣) صفين: «عبيد الله».
(٤ — ٤) صفين: «يحدث أحدهم فى مجلسه بذيت وذيت».
(٥) صفين: «لومة لائم».
(٦) انجفلوا: ذهبوا مسرعين نحوهم.
(٧) يقال: كشف القوم؛ أى انهزموا. وفى صفّين: «انكشفوا».
(٨) صفين: ٢٧٩، ٢٨٠، بروايته عن عمرو، عن أبى روق الهمدانى.

الجُهَنى ، قال : مرّ علىّ معه بنوه نحو الميسَرة ، [ومعه ربيعة وحدها] [(١)] ، وإنّى لأرى النَّبل يمرّ بين عاتقه ومنكبه[(٢)] ، وما من بنيه أحد إلاّ يقيه بنفسه ، [فيكره علىٌّ ذلك][(١)] ، فيتقدّم [عليه] [(١)] ، فيحول بين أهل الشأم وبينه ، فيأخذه بيده إذا فعل ذلك فيلْقيه بين يديه أو من ورائه ، فبصُر به أحمر — مولى أبى سفيان ، أو عثمان ، أو بعض بنى أميّة — فقال [علىّ] [(١)] : وربّ الكعبة ؛ قتلنى الله إن لم أقتلك أو تقتلنى ! فأقبل نحوه ، فخرج إليه كيْسانُ مولى علىّ ، فاختلفا ضربتين ، فقتله مولى بنى أمية ، [(٣)] وينتهزه علىٌّ ، فيقع بيده فى جيب درعه ، فيجبِذه ، ثم حمله على عاتقه[(٣)] ؛ فكأنّى أنظر إلى رُجَيْلَتَيْه ، تختلفان على عنق على[(٣)] ، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه[(٤)] وعَضُديه ، وشدّ ابنا علىّ عليه : حسين ومحمد ، فضرباه بأسيافهما ، [حتى بَرَد[(١)]] ؛ فكأنى أنظر إلى علىّ قائمًا وإلى شِبليْه يضربان الرجلَ ، حتى إذا قتلاه وأقبلا إلى أبيهما ، والحسن قائمًا قال له : يا بنىّ ، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك ؟ قال : كفَيانى يا أميرَ المؤمنين . ثمّ إن أهل الشأم دنَوا منه ووالله ما يزيده قربهم منه سرعةً فى مشيه ، فقال له الحسن : ما ضرّك لو سعيتَ حتى تنتهى إلى هؤلاء الذين قد صبروا لعدّوك من أصحابك ؟ فقال : يا بنىّ ، إن لأبيك يومـًا لن يَعدُوَه ولا يبطِّئُ به عند السعى ، ولا يعجّل به إليه المشى ، إنّ أباك والله ما يبالى أوَقَع على الموت ، أو وَقَع الموتُ عليه[(٥)] . ٣٢٩٤/١

قال أبو مخنف : حدّثنى فُضَيل بن خَدَيج الكِنْدىّ ، عن مولًى للأشتر ، قال : لما انهزمتْ ميمنة العراق وأقبل علىٌّ نحو الميسرة ، مرّ به الأشتر يركض نحو الفَزَع قبَل الميمنة ، فقال له علىّ : يا مالك ، قال : لبّيك ؛

---

(١) من صفين .

(٢) صفين : « منكبيه » .

(٣ — ٣) صفين : « وخالط عليا ليضربه بالسيف ، فانتهره علىّ ، فتقع يده فى جيب درعه ، فجذبه ثم حمله على عاتقه ، فكأنى أنظر إلى رجليه تختلفان على عنق علىّ » .

(٤) ابن الأثير والنويرى : « منكبيه » .

(٥) صفين : ٢٨٠ — ٢٨٣ .

قال : ائت هؤلاءِ القومَ فقل لهم : أين فراركم من الموت الذى لن تُعجزوه ، إلى الحياة التى لن تبقى لكم ! فمضى فاستقبل الناسَ منهزمين ، فقال لهم هذه الكلمات التى قالها له علىٌّ[١] . وقال : إلىَّ أيّها الناس ، أنا مالك بن الحارث ، أنا مالك بن الحارث ، ثم ظنّ أنه بالأشتر أعرف فى الناس ، فقال : أنا الأشتر ، إلىّ أيُّها الناس . فأقبلت إليه طائفة ، وذهبت عنه طائفة ، فنادى : أيُّها الناس ، عضِضتم بهَنِ آبائكم ! ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم ! أيّها الناس ، أخلِصوا إلىّ مذحِجًا ، فأقبلت إليه مذحِج ، فقال : عضِضتم بصمّ الجندل ! ما أرضَيتُم ربّكم ، ولانصحتُم له فى عدوّكم ، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحروب ، وأصحاب الغارات ، وفِتيان الصباح ، وفرسان الطِّراد ، وحتوف الأقران ، ومذحِج الطّعان ؛ الذين لم يكونوا يُسبقَون بثأرهم ، ولا تُطلّ دماؤهم ، ولا يُعرفون فى موطن بخسفٍ ، وأنتم حَدّ[٢] أهل مصركم ، وأعدّ[٣] حىٍّ فى قومكم ، وما تفعلوا فى هذا اليوم ، فإنه مأثور بعد اليوم ؛ فاتقوا مأثور الأحاديث فى غد[٤] ، واصدقوا عدوّكم اللقاء فإن الله مع الصادقين . والذى نفسُ مالك بيَده ما من هؤلاء — وأشار بيَده إلى أهل الشام — رجلٌ على مثال جناح بعوضة من محمد صلى الله عليه وسلم . أنتم ما أحسنتم القِراع[٥] ، اجلُوا سواد وجهى يرجعْ فى وجهى دمى . عليكم بهذا السواد الأعظم ، فإنّ الله عزّ وجلّ لو قد فضّه تبعه مَن بجانبيه كما يتبع مؤخّر السيل مقدّمه .

قالوا : خذ بنا حيث أحببت . وصمد نحو عُظْمهم فيما يلى الميمنة ، فأخذ يزحف إليهم ، ويردّهم ، ويستقبله شبابٌ من همْدان — وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ — وقد انهزموا آخرَ الناس ، وكانوا قد صبروا فى الميمنة حتى أصيب منهم ثمانون ومائة رجل ، وقتل منهم أحد عشر رئيسًا ، كلّما قُتل منهم رجل أخذ الراية آخرُ ، فكان الأوّل كُريب بن شُريح ، ثم شُرحبيل ابن شريح ، ثم مرثَد بن شُريح ، ثم هُبيرة بن شريح ، ثم يريم بن شُريح ،

١/٣٢٩٥ ١/٣٢٩٦

(١) صفين : « التى أمره علىّ بهن » .
(٢) صفين : « أحد » . (٣) أعد ، أى أكثر عدداً .
(٤) مأثور الحديث : ما يؤثر ويروى ويخبر الناس به بعضهم بعضاً .
(٥) صفين : « ما أحسنتم اليوم » .

ثم سُمَيْر بن شريح[١] ، فقتل هؤلاء الإخوة الستّة جميعًا . ثم أخذ الراية سُفيان ابن زيد، ثم عبد بن زيد ، ثم كُرَيب بن زيد، فقتل هؤلاء الإخوة الثلاثة جميعًا ، ثم أخذ الراية عميرة بن بشير[٢] ، ثم الحارث بن بشير[٢] ، فقتلا ، ثم أخذ الراية وهب بن كُرَيب أخو القَلوص[٣] ، فأراد أن يستقبل، فقال له رجل من قومه : انصرف بهذه الراية — رحمك الله — فقد قُتِل أشرافُ قومك حولَها ، فلا تقتل نفسك ولا من بقيَ من قومك ؛ فانصرفوا وهم يقولون : ليت لنا عِدّتَنا من العرب يحالفوننا على الموت ، ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نقتَل أو نظفر[٤] . فمرّوا بالأشتر وهم يقولون هذا القول ، فقال لهم الأشتر : إليّ أنا أحالفكم وأعاقدكم على ألا نرجع أبداً حتى نَظفَر أو نَهلِك . فأتوه فوقفوا معه ، ففي هذا القول قال كعب بن جُعَيل التغلبيّ :

* وهَمدانُ زُرْقٌ تبتَغى مَن تُحالِفُ[٥] *

وزحف الأشتر نحو الميمنة ، وثاب إليه ناس تراجعوا من أهل الصبر والحياء والوفاء ، فأخذ لا يصمُد لكتيبة إلا كَشَفها ، ولا لجمع إلا حازه وردّه ؛ فإنه لكذلك إذ مرّ بزياد بن النَّضْر يحمَل إلى العسكر ، فقال : مَن هذا ؟ فقيل : زياد بن النَّضر ، استُلحِم[٦] عبد الله بن بديل وأصحابه فى الميمنة ، فتقدّم زياد فرفع لأهل الميمنة رايته ، فصبروا ، وقاتل حتى صُرِع ، ثم لم يمكثوا إلا كَلا شيء حتى مُرّ بيزيد بن قيس الأرحبيّ محمولاً نحو العسكر ، فقال الأشتر : مَن هذا ؟ فقالوا : يزيد بن قيس ، لما صُرِع زياد ابن النّضر رفع لأهل الميمنة رايتَه ، فقاتل حتى صُرِع ، فقال الأشتر : هذا واللهِ الصبرُ الجميل ، والفعل الكريم ، ألا يستحى الرّجلُ أن ينصرف لا يقتُل

١/٣٢٩٧

---

(١) صفين : « شمر بن شريح » .

(٢) صفين : « بشر » .

(٣) صفين : « أبو القلوص » .

(٤) صفين : « نظهر » ؛ من الظهور ؛ وهو الظفر .

(٥) أى زرق العيون ؛ وهو عندهم كناية عن اللؤم .

(٦) استلحم ، أى احتوشه العدو فى القتال .

ولا يُقتَل ، أو يُشفَى به على القتل[١] !

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو جَنَاب الكلبىّ ، عن الحرّ بن الصّيّاح النَّخَعىّ ، أن الأشتر يومئذ كان يقاتل على فرس له فى يده صفيحة يمانية ، إذا طأطأها خِلْتَ فيها ماء منصبًّا ، وإذا رفعها كاد يُعْشِى[٢] البصرَ شعاعُها ، وجعل يضرب بسيفه ويقول :

* الغَمَرَاتِ ثمَّ يَنجَلِينا[٣] *

قال : فبصُر به الحارث بن جُمهان الجُعفىّ والأشتر متقنّع فى الحديد ، فلم يعرفه ، فدنا منه فقال له : جزاك الله خيراً منذ اليوم عن أمير المؤمنين ، وجماعةِ المسلمين ! فعرفه الأشتر ، فقال [يا][٤] بن جمهان ، مثلُك[٥] يتخلّف عن مثل موطنى هذا الّذى أنا فيه ! فنظر إليه ابن جُمهان فعرفه ، فكان من أعظم الرجال وأطوَله[٦] — وكان فى لحيته خِفّةٌ قليلة[٧] — فقال : جُعلت فداك ! لا والله ما علمت بمكانك إلا الساعة ، ولا أفارقك حتّى أموت . قال : ورآه منقذٌ وحِمْير ابنا قيس الناعِطيّان ، فقال منقذ لحميَر : ما فى العرب مثل هذا ، إن كان ما أرى من قتاله [على نيّته][٨] ، فقال له حمير : وهل النيّة إلا ما تراه يصنع ! قال : إنى أخاف أن يكون يحاول مُلْكاً[٩] ١/٣٢٩٨

* * *

قال أبو مخنف : حدّثنى فُضيل بن خَدِيج ، عن مولًى للأشتر ، أنه

---

(١) الخبر فى صفين: ٢٨٢ — ٢٨٦ .

(٢) كذا فى أصول الطبرىّ ، والعشا : ضعف الإبصار ؛ وفى صفين : «يغشى البصر» بالغين ، أى يذهب به .

(٣) من رجز للأغلب العجلى ؛ وروايته فى الميدانى ٢ : ٥٨ «الغمرات ثم ينجلين» ؛ قال فى شرح المثل : «يضرب فى احتمال الأمور العظام» .

(٤) من صفين .

(٥) صفين : «أمثلك» .

(٦) وأطوله ؛ أى من أطول من وجد من الرجال ، وحد الضمير ذهاباً إلى المعنى . قال ابن الأثير فى النهاية ١ : ٢٦٧ : «وهو كثير فى العربية من أفصح الكلام» .

(٧) صفين : «إلا أن فى لحمه خفة قليلة» .

(٨) من صفين .

(٩) صفين: ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

لما اجتمع إليه عُظْم من كان انهزم عن الميمنة حرّضهم ، ثم قال : عَضّوا على النّواجذ من الأضراس ، واستقبِلوا القوم بهامِكم ، وشُدّوا شدّةَ قوم موتورين ثأراً بآبائهم وإخوانهم ، حِناقًا على عدوِّهم ، قد وطّنوا على الموت أنفسَهم كيلا يُسبَقوا بوَتر ، ولا يلحقوا فى الدنيا عاراً ، وايمُ الله ما وُتِر قوم قطّ بشيء أشدّ عليهم من أن يوتَروا دينَهم ، وإنّ هؤلاء القوم لا يقاتلونكم إلا عن دينكم ليُميتوا السنّة ، ويُحيُوا البدعة ، ويعيدوكم فى ضلالة قد أخرجكم الله عزّ وجلّ منها بحسن البصيرة . فطِيبوا عبادَ الله أنفسًا بدمائكم دون دينكم ، فإن ثوابكم على الله ، والله عنده جنّات النعيم . وإنّ الفِرار من الزّحف فيه السلب للعزّ ، والغلَبة على الفيء ، وذلّ المحيَا والممات ، وعارُ الدنيا والآخرة .

وحَمَلَ عليهم حتى كشفهم ، فألحقهم بصفوف معاويةَ بين صلاة العصر والمغرب ، وانتهى إلى عبد الله بن بُديل وهو فى عُصْبة من القرّاء بين المائتين والثلثمائة ، وقد لصِقوا بالأرض كأنّهم جُثًا[1] فكشف عنهم أهلَ الشأم ، فأبصروا إخوانَهم قد دنَوا منهم ، فقالوا : ما فعل أميرُ المؤمنين ؟ قالوا : حيٌّ صالح فى الميسرة ، يقاتل الناس أمامه ، فقالوا : الحمد لله ، قد كنا ظننّا أن قد هلك[2] وهلكتم . وقال عبد الله بن بُديل لأصحابه : استقدِموا بنا ؛ فأرسل الأشتر إليه : ألَّا تفعل ، اثبتْ مع الناس فقاتِل ، فإنّه خيرٌ لهم وأبقَى لك ولأصحابك . فأبى ، فمضى كما هو نحو معاوية ، وحوله كأمثال الجبال ، وفى يده سيْفان ، وقد خرج فهو أمامَ أصحابه ، فأخذ كلّما دنا منه رجلٌ ضربه فقتله ، حتى قتل سبعة ، ودنا من معاوية فنهض إليه الناس من كل جانب ، وأحيط به وبطائفة من أصحابه ، فقاتَلَ حتى قُتِل ، وقُتِل ناس من أصحابه ، ورجعتْ طائفة قد جرحوا منهزمين[3] ، فبعث الأشتر ابنَ جُمهان الجعفيّ فحمل على أهل الشأم الذين يَتبعون مَن نجا من أصحاب ابن بُديل حتى نفّسوا عنهم ، وانتهوْا إلى الأشتر ، فقال لهم : ألم يكن رأيى لكم خيراً من رأيكم لأنفسكم ! ألم آمرْكم أن تثبتُوا مع الناس ! وكان معاوية قال لابن بُديل وهو

١ / ٣٢٩٩

(١) الجثا : جمع جثوة ، وهى الكومة من التراب .
(٢) النويرى وابن الأثير : « ظننا أنه قد هلك » .
(٣) ابن الأثير : « ورجعت طائفة منهم مجرحين » .

يضرب قُدُماً : أتَرونه كبش القوم ! فلما قُتِل أرسل إليه ، فقال : انظروا مَنْ هو ؟ فنظر إليه ناس من أهل الشأم فقالوا : لا نعرفه ، فأقبل إليه حتى وقف عليه ، فقال : بلى ، هذا عبد الله بن بُدَيل ، والله لو استطاعت نساءُ خُزاعة أن تقاتِلَنا فضلا على رجالها[1] لفعلتْ ، مُدّوه ، فمدّوه ، فقال : هذا والله كما قال الشاعر :

أخو الحرْب إنْ عَضّتْ به الحرب عَضّها وإن شَمَّرَتْ يوماً به الحرب شَمَّرا[2]

١/٣٣٠٠ والبيت لحاتم طيّئ . وإن الأشتر زحف إليهم فاستقبله معاوية بعكّ والأشعَرِين ، فقال الأشتر لمذحِج : اكفونا عكّا ، ووقف فى هَمْدان وقال لِكنْدة : اكفونا الأشعرين ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وأخذ يخرج إلى قومه فيقول : إنما هم عكّ ، فاحمِلوا عليهم ، فيجثُون على الرُّكب ويرتجزون :

يا وَيلَ أمِّ مَذْحِجٍ من عَكٍّ هاتيكَ أمُّ مَذْحِجٍ تُبَكّى[3]

فقاتلوهم حتى المساء . ثم إنه قاتلهم فى هَمْدانَ وناس من طوائف الناس ، فحمل عليهم فأزالهم عن مواقفهم حتى ألحَقَهم بالصفوف الخمسة المعقَّلة بالعمائم حول معاوية ، ثم شدّ عليهم شَدّة أخرى فصرع الصفوف الأربعة ، — وكانوا معقَّلين بالعمائم — حتى انتهوا إلى الخامس الذى حول معاوية ، ودعا معاوية بفرس فركب — وكان يقول : أردت أن أنهزم فذكرتُ قولَ ابنِ الإطنابة من الأنصار — كان جاهليًّا ، والإطنابة امرأة من بلْقَيْن :

أبتْ لى عِفّتى وحَيــاءُ نَفْسى وإقدامى على البَطَلِ المُشيحِ[4]

وإعطائى على المَكْروهِ مالى وأخذى الحَمْدَ بالثّمَنِ الرَّبيح

وقَوْلى كُلَّمَا جَشَأتْ وجاشَتْ مَكانَكِ تُحْمَدى أو تَستَريحى

فمنعنى هذا القولُ من الفرار .

---

(١) ابن الأثير : « عن رجالها » . (٢) ديوانه : ١٢١ . (٣) صفين : ٢٥٦ ، وبعده :

نصُكّهُمْ بالسَّيفِ أىّ صَكٍّ فلاَ رجالَ كَرجَالِ عَكٍّ

(٤) صفين ٤٤٩ والكامل ٤ : ٦٨ مع اختلاف فى الرواية . والمشيح : المجدّ .

قال أبو مِخْنف: حدّثني مالك بن أعين الجُهَنيّ، عن زيد بن وهْب، أنّ عليًّا لما رأى ميمنته قد عادت إلى مواقعها ومصافّها وكشفت مَن بإزائها من عدوّها حتى ضاربوهم فى مواقفِهم ومراكزهم، أقبل حتى انتهى إليهم فقال: إنى قد رأيت جَوْلتكم وانحيازَكم عن صفوفكم، يحوزكم[١] الطغاة الجفاة وأعراب أهل الشأم، وأنتم لَهاميمُ العرب، والسَّنام الأعظم، وعُمّار الليل بتلاوة القرآن، وأهلُ دعوة الحق إذْ ضلّ الخاطئون؛ فلولا إقبالكم بعد إدباركم، وكرُّكم بعد انحيازكم، وجب عليكم ما وجب على المولِّى يوم الزّحف دبرَه، وكنتم من الهالكين؛ ولكنْ هوّن وَجدى، وشفَى بعضَ أُحاحِ نفسى[٢]، أنى رأيتكم بأَخَرة حُزْتموهم كما حازوكم، وأزلتموهم عن مصافّهم كما أزالوكم، تحسُّونهم بالسيوف، تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطرَّدة [الِهيم][٣]؛ فالآن فاصبروا، نزلت عليكم السكينة، وثبّتكم الله عز وجل باليقين، ليعلم المنهزم أنه مسخِط ربّه، وموبِق نفسَه؛ إن فى الفرار موجِدةَ الله عزّ وجلّ عليه، والذلّ اللازم، والعارَ الباقى، واعتصار الفَىْء من يده، وفساد العيش عليه. وإنّ الفارّ منه لا يزيد فى عُمره، ولا يُرضِى ربّه، فموت المرء مُحِقًّا قبل إتيان هذه الخصال، خير من الرضا بالتأنيس لها[٤]، والإقرار عليهـا[٥].

قال أبو مخنف: حدّثنا عبد السلام بن عبد الله بن جابر الأحمسىّ، أن رايةَ بَجِيلة بصِفِّين كانت فى أحْمس بن الغوث بن أنْمار مع أبى شدّاد — وهو قيس بن مَكْشوح بن هلال بن الحارث بن عمرو بن جابر بن علىّ ابن أسلم بن أحْمَس بن الغوث — وقالت له بجِيلة: خذ رايتَنا؛ فقال: غيرى خيرٌ لكم منّى، قالوا: ما نريد غيرَك، قال: والله لئن أعطيتُمونِيها لا أنتهى بكم دون صاحب التُّرْس المُذهَب[٦] قالوا: اصنَع ما شئتَ،

١/٣٣٠١ ١/٣٣٠٢

---

(١) يحوزكم: ينحيكم.

(٢) الأحاح: اشتداد الحزن والغيظ. (٣) من صفين، والهيم: العطاش.

(٤) صفين: «بالتلبس بها». (٥) صفين: ٢٨٩، ٢٩٠.

(٦) بعدها فى صفين: «وعلى رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستره من الشمس».

فأخذها ثم زحف ، حتى انتهى بهم إلى صاحب التُّرْس المُذهَب — وكان فى جماعة عظيمة من أصحاب معاوية ، وذكروا أنّه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومىّ — فاقتتل الناسُ هنالك قتالا شديداً ، فشدّ بسيفه نحو صاحب التُّرس ،فتعرّض له رومىّ، مولًى[1] لمعاوية فيضرب قَدَم أبى شدّاد فيقطعها ، ويضربه أبو شدّاد فيقتله ، وأشرِعت إليه الأسنَّة فقتِل ، وأخذ الرَّاية عبد الله ابن قِلْع الأحمسىّ وهو يقول :

لا يُبْعِدِ اللهُ أبا شَدَّادِ حَيْثُ أجاب دَعْوَةَ المنادِى
وشَدَّ بالسيف على الأعادى نِعْمَ الفَتى كان لَدَى الطِّرادِ
وفى طِعانِ الرَّجْل والجِلادِ

فقاتل حتى قُتِل ؛ فأخذ الرَّاية أخوه عبد الرحمن بن قِلْع ،فقاتل حتى قُتِل ، ثم أخذها عَفيف بن إياس ، فلم تزل فى يده حتى تحاجزَ الناس ، وقتِل حازم بن أبى حازم الأحمسىّ — أخو قيس بن أبى حازم — يومئذ ،وقتِل نُعيم بن صُهيب بن العُليّة البَجَلىّ يومئذ ،فأتى ابنُ عمّه وسميّه نُعيم بن الحارث ابن العُليّة معاويةَ — وكان معه — فقال : إن هذا القتيل ابنُ عمّى ،فهبه لى أدفنه ، فقال : لا تدفنه فليس لذلك أهلا ، والله ما قدرنا على دفن ابن عفّان رضى الله عنه إلا سرًّا . قال : والله لتأذننّ فى دفنه أو لألحقنّ بهم ولأدَعنّك . قال معاوية : أترى أشياخ العرب [2]قد أحالتهم أمورُهم[2] ، فأنت تسألنى فى دفن ابنِ عمك ! ادفنه إن شئتَ أو دَعْ . فدَفَنه[3] .

١/٣٣٠٣

قال أبو مخنف : حدثنى الحارث بن حَصيرة الأزدىّ ، عن أشياخ من النَّمِر من الأزد ، أن مِخْنَف بن سُليم لما نُدبت الأزْد للأزْد ، حمِد الله وأثنى عليه ثم قال : إنّ من الخطإ الجليل ، والبلاءِ العظيم ، أنّا صُرفنا إلى قومنا وصُرفوا إلينا ، والله ما هى إلا أيدينا نقطّعها بأيدينا ، وما هى إلا أجنحتنا نجدّها بأسيافنا ، فإن نحن لم نؤاسِ جماعتَنا ، ولم نناصحْ صاحبنا كفرْنا ، وإن

(١) صفين : « من دونه » . (٢ – ٢) صفين : « لا نواريهم » .
(٣) صفين ٢٩١ ، ٢٩٢ .

نحن فعلْنا فعزَّنا أبحْنا ، ونارنا أخمَدْنا ؛ فقال له جُندَب بن زهير : والله لو كنّا آباءهم وولدناهم — أو كنّا أبناءهم ووَلَدونا — ثم خرجوا من جماعتنا ، وطعنوا على إمامنا ، وإذًا هم الحاكمون بالجوْر على أهل ملّتنا وذمّتنا ، ما افترقنا بعد أن اجتمعنا حتى يرجعوا عمّا هم عليه ، ويدخلوا فيما ندعوهم إليه ، أو تكثر القتلى بيننا وبينهم .

فقال له مخنف — وكان ابن خالته : أعزّ الله بك النيّة[1] ؛ والله ما عُلمت صغيراً وكبيراً إلاّ مشؤوماً ، والله ما ميّلْنا[2] الرأىَ قطّ أيّهما نأتى أو أيّهما نَدَع — فى الجاهلية ولا بعد أن أسلمنا — إلاّ اخترتَ أعسرهما وأنكدَهما ، اللهمّ إن تُعافِيَ أحبّ إلينا من أن تَبتلِيَ ، فأعطِ كلّ امرئ منّا ما يسألك . ٣٣٠٤/١

وقال أبو بُريدة بن عوف : اللهمّ احكم بيننا بما هو أرضَى لك . يا قوم إنكم تبصرون ما يصنع الناس ، وإنّ لنا الأسوة بما عليه الجماعة إن كنا على حقّ ، وإن يكونوا صادقين فإنّ أُسْوةٌ فى الشرّ — والله ما علمنا — ضَرَرٌ فى المحيا والممات .

وتقدّم جندَب بن زهير ، فبارز رأسَ أزْد الشأم ، فقتله الشامىّ ، وقُتل من رهطه عِجْل وسَعْد ابنا عبد الله من بنى ثعلبة ، وقُتِل مع مِخْنف من رهطه عبد الله وخالد ابنا ناجد ، وعمرو وعامر ابنا عُوَيف ، وعبد الله بن الحجاج وجُندَب بن زهير ، وأبو زينب بن عوف بن الحارث ، وخرج عبد الله بن أبى الحصين الأزدىّ فى القرّاء الذين مع عمّار بن ياسر فأصيب معه[3] .

قال أبو مخنف : وحدّثنى الحارث بن حَصِيرة ، عن أشياخ النَّمِر ، أنّ عقبة بن حديد النمرىّ قال يوم صِفّين : ألا إنّ مرعَى الدنيا [قد][4] أصبح هشيماً ، وأصبح شجرُها خضيداً ، وجديدها سَمَلاً ، وحلوها مرّ المذاق . ألا وإنّى أنبئكم نبأ امرئ صادق : إنى قد سئمتُ الدنيا وعزفتْ نفسى عنها ،

---

(١) صفين : « أعز بك الله فى التيه » .
(٢) التمييل : الترجيح .
(٣) صفين: ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
(٤) من صفين .

وقد كنت أتمنّى الشهادة ، وأتعرّض لها فى كلّ جيش[١] وغارة ؛ فأبى الله عزّ وجلّ إلا أن يبلّغنى هذا اليوم . ألا وإنى متعرّض لها من ساعتى هذه ، قد طمعت ألا أحرَمها ، فما تنتظرون عبادَ الله بجهاد مَنْ عادى الله ؟ خوفاً[٢] من الموت القادم عليكم ، الذاهب بأنفسكم لا محالة ، أو من ضربة كفٍّ بالسيف! تستبدلون الدنيا بالنظر فى وجه الله عزّ وجلّ وموافقة النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين فى دار القرار ! ما هذا بالرأى السديد . ثم مضى فقال : يا إخوتى ، قد بعتُ هذه الدار بالتى أمامها ، وهذا وجهى إليها لا يبرح وجوهكم ، ولا يقطع الله عزّ وجلّ رجاءكم . فتبعه إخوته : عبيد الله وعوف ومالك ، وقالوا : لا نطلب رزقَ الدنيا بعدك ، فقبّح الله العيشَ بعدك! اللهمّ إنا نحتسب أنفسنا عندك ! فاستقدموا فقاتلوا حتى قُتِلوا[٣] .

١/٣٣٠٠

قال أبو مخنف : حدّثنى صلة[٤] بن زهير النهدىّ ، عن مسلم[٥] بن عبد الله الضّبابىّ ، قال : شهدت صِفّين مع الحىّ ومعنا شَمر بن ذى الجوشن الضبابىّ ، فبارزه أدهم بن محرز الباهلىّ ، فضرب أدهم وجه شَمِر بالسيف ، وضربه شَمِر ضربةً لم تضرْه ، فرجع شَمِر إلى رَحْله فشرب شربةً — وكان قد ظمئ — ثم أخذ الرمح ، فأقبل وهو يقول :

إنّى زَعيمٌ لِأَخى باهِلَهْ ... بِطَعْنَةٍ إنْ لم أُصبْ عاجِلَهْ
أوضَرْبَةٍ تَحْتَ القَنا والوَغَى[٦] ... شَبيهَةٍ بالقَتْلِ أو قاتِلَهْ

ثم حمل على أدهم فصرعه ، ثم قال : هذه بتلك[٧] .

قال أبو مخنف : حدّثنى عمرو بن عمرو بن عوف بن مالك الجُشَمىّ أن بشر بن عِصْمة المُزَنىّ كان لحق بمعاوية ، فلما اقتتل الناس بصِفّين بَصُر

---

(١) صفين : « حين » . (٢) صفين : « أخوف الموت القادم عليكم ! » .
(٣) صفين: ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
(٤) ط : « ملة » ، وفى صفين : « الصلت » ، وانظر الطبرى ٢ : ٦٣٥ (طبع ليدن) .
(٥) ط : « عن أبى مسلم » ، وانظر الفهرس .
(٦) صفين : « وضربة تحت الوغى فاصله » .
(٧) صفين: ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

بشر بن عِصْمة بمالك بن العَقَدِيّة — وهو مالك بن الجُلاح الجُشَمِىّ، ولكنّ العَقَدِيّة غلبتْ عليه — فرآه بِشْر وهو يَفرِى فى أهل الشأم فَرْيًا عجيبًا، وكان رجلا مسلمًا شجاعًا، فغاظ بشراً ما رأى منه، فحمل عليه فطعنه فصرعه، ثم انصرف، فندم لطعنته إيّاه جبّاراً، فقال: ١/٣٣٠٦

وإنى لأرْجو مِنْ مَليكى تَجاوُزًا ... ومنْ صاحِبِ الموسومِ فى الصَّدْرِ هاجسُ[1]

دَلَفْتُ له تحْتَ الغُبارِ بِطَعْنَةٍ ... على ساعَةٍ فيها الطِّعان تخَالُسُ

فبلغتْ مقالتُه ابنَ العَقَدِيّة، فقال:

ألا أَبْلِغَا بِشْرَ بنَ عِصْمَةَ أَنَّنِي ... شُغِلْتُ وأَلْهانى الّذين أمارِسُ

فصادَفْتَ مِنّى غِرَّةً وأصَبْتَها ... كذَلكَ والأبْطالُ ماضٍ وخالِسُ

ثم حمل عبد الله بن الطُّفَيْل البَكّائىّ على جمع لأهل الشأم، فلمّا انصرف حمل عليه رجل من بنى تَميم — يقال له قيس بن قُرّة، ممّن لحق بمعاوية من أهل العراق — فيضع الرُّمح بين كتفى عبد الله بن الطُّفيل، ويعترضه يزيد ابن معاوية، ابن عم عبد الله بن الطُّفيل، فيضع الرمح بين كتفى التميمىّ، فقال: والله لئن طعنتَه لأطعننّك، فقال: عليك عهد الله وميثاقُه لئن رفعتُ السنان على ظهر صاحبك لترفعنّ سنانَك عنّى! فقال له: نعم، لك بذلك عهدُ الله؛ فرفع السّنان عن ابن الطُّفيل، ورفع يزيد السنانَ عن التَّميمىِّ، فقال: ممنّ أنت؟ قال: من بنى عامر؛ فقال له: جعلنى الله فداكم! أينما[2] أُلفِكم أُلفِكم كرامًا، وإنى لحادى عَشَرَ رجلاً من أهل بيتى ورهطى قتلتموهم اليوم، وأنا كنت آخرَهم. فلما رجع الناس إلى الكوفة عتب على يزيد بن الطُّفَيل فى بعض مايعتب فيه الرجل على ابن عمّه، فقال له: ١/٣٣٠٧

ألم تَرَنى حامَيْتُ عنك مُناصِحًا ... بِصفّينَ إذْ خَلاَّكَ كلُّ حَميمِ

ونَهْنَهْتُ عنك الحنظَلىَّ وقدْ أتَى ... على سابحٍ ذى مَيْعَةٍ وهَزيمِ![3]

---

(١) الموسوم: اسم فرس. (٢) ط: «أبتا»؛ وفى الأصول: «أنتا»، وكلاهما تصحيف.

(٣) صفين: ٣٠٥، ٣٠٦ مع تصرف وزيادة واختصار.

قال أبو مخنف : حدّثنى فُضَيل بن خَدِيج ، قال : خرج رجل من أهل الشأم يدعو إلى المبارزة ، فخرج إليه عبد الرحمن بن محرز الكندىّ ، ثم الطمَحِىّ[١] ، فتجاولا ساعة . ثم إن عبد الرحمن حمل على الشأمىّ فطعنه فى ثُغرة[٢] نحره فصرعه ، ثم نزل إليه فسلبه درعه وسلاحَه ، فإذا هو حبشىّ[٣] ، فقال : إنّا لله! لِمَنْ أخطرت نفسى ! لعبد أسود[٤] ! وخرج رجل من عكّ يسأل المبارزة ، فخرج إليه قيس بن فَهْدان الكِنانىّ ، ثم البَدَنِىّ ، فحمل عليه العكّىّ فضربه ، واحتمله أصحابُه فقال قيس بن فَهْدان :

لَقَدْ عَلِمَتْ عَكٌّ بصِفِّينَ أننا إذا التَقَتِ الخيلان نَطْعنُها شَزْرَا
ونَحْمِلُ راياتِ الطِّعانِ بِحَقِّها فنُورِدُها بيضاً ونُصْدِرُها حُمْرَا[٥]

١/٣٣٠٨ قال أبو مخنف : وحدّثنى فُضَيل بن خَدِيج أن قيس بن فهدان كان يحرّض أصحابه فيقول : شدّوا إذا شددتم جميعًا ، وإذا انصرفتم فأقبلوا معًا ، وغُضّوا الأبصار ، وأقلّوا اللفظ ، واعتوِروا الأقران ، ولا يؤتيَنّ مِن قِبَلكم العرب . قال : وقتِل نُهَيك بن عُزَير — من بنى الحارث بن عدىّ وعمرو بن يزيد من بنى ذُهل ، وسعيد بن عمرو — وخرج قيس بن يزيد وهو ممن فرّ إلى معاوية من علىّ ، فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه أخوه أبو العَمَرّطة بن يزيد ، فتعارفا ، فتواقفا وانصرفا إلى الناس ، فأخبر كلّ واحد منهما أنه لقى أخاه .

قال أبو مِخْنف : حدّثنى جعفر بن حذيفة من آل عامر بن جوَين الطائىّ ، أن طيّئًا يوم صِفّين قاتلت قتالا شديداً ، فعبّيَت لهم جموع كثيرة ، فجاءهم حمزة بن مالك الهمْدانىّ ، فقال : ممّن أنتم ، لله أنتم ! فقال عبد الله ابن خليفة البَوْلانىّ[٦] — وكان شيعيًّا شاعراً خطيبًا : نحن طيِّئ السهل ، وطيِّئ

(١) ط : « الطحمى » تحريف ، وطمح : بطن من كندة ، وانظر القاموس والاشتقاق .
(٢) ثغرةالنحر : نقرته .
(٣) صفين : « أسود » .
(٤) صفين : « فقال : ياالله ! لقد أخطرت نفسى لعبد أسود » .
(٥) صفين ٣١٣ ، ٣١٤ .
(٦) صفين : « الطائى » ، وبولان : إحدى قبائل طيِّئ .

الرمل ، وطيّئ الجبل ، الممنوع ذى النخل ؛ نحن حُماة الجبلين ، إلى ما بين العُذَيب والعيَيْن ، نحن طيّئ الرماح ، وطيّئ النِّطاح[1] ، وفُرسان الصّباح.

فقال حمزة بن مالك : بخٍ بخٍ ! إنك لحسن الثناء على قومك ؛ فقال :

إنْ كُنْتَ لم تَشْعُر بنجدَةِ مَعْشَرٍ فأَقدِمْ عَلَيْنا وَيْبَ غَيْرِكَ تَشعُرِ[2]

ثم اقتتل الناس أشدّ القتال ، فأخذ يناديهم ويقول : يا معشر طيّئ ، فِدًى لكم طارِفى وتالِدى ! قاتِلوا على الأحساب ، وأخذ يقول :

٢٣٠٩/١

أنا الذى كنْت إذا الدّاعى دَعا مُصَمِّماً بالسَّيْفِ نَدْباً أرْوَعَا[3]

فأُنْزِل المُسْتَلئِمَ المُقَنَّعا وأَقتلُ المُبالِطَ السَّمَيْدَعا

وقال بشر بن العَسوس الطائىّ ثم المِلْقطىّ :

يَا طَيِّءَ السُّهولِ والأجبالِ ألا انهَدُوا بالبيضِ والعَوالى

وبالْكُماةِ مِنْكُمُ الأبطالِ فقارِعوا أَئمَّةَ الجُهَّالِ

* السّالِكينَ سُبُلَ الضَّلالِ[4] *

ففُقِئتْ يومئذ عينُ ابن العَسوس ، فقال فى ذلك :

ألا لَيْتَ عَيِنى هذهِ مِثلُ هذهِ فلَم أمشِ فى الآناسِ إلاّ بقائِدِ[5]

ويالَيْتَنِى لم أبْقَ بعد مُطَرِّفٍ وسَعدٍ وبعد المُسْتَنِيرِ بن خالِدِ

فوارِسَ لم تَغْذُ الحواضِنُ مِثْلَهُمْ إذا الحَربُ أَبدَتْ عن خدامِ الخرائِدِ[6]

---

(١) صفين وابن الأثير : « البطاح ».

(٢) صفين : « ويل غيرك ».

(٣) رواية الرجز فى صفين :

يا طيِّئُ الجبالِ والسَّهل معا إنا إذا دَاعٍ دَعا مضطجعا

نَدِبٌ بالسَّيْفِ دبيباً أرْوَعا فننزِل المستلئمَ المقنَّعَا

* ونقْتُل المُنَازلَ السَّمَيْدَعا *

(٤) صفين : « الجهال ».

(٥) صفين : « ولم أمش بين الناس ».

(٦) الحواضن : الأمهات . والخدام : السيقان ، واحدتها خدمة .

ويا ليت رِجلى ثَمَّ طُنَّتْ بنِصْفِها[١] ويا ليت كفِّى ثَمَّ طاحَتْ بِساعدى[٢]

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو الصّلت التيمىّ ، قال : حدّثنى أشياخ محارب ، أنّه كان منهم رجل يقال له خنثر بن عبيدة بن خالد[٣] ، وكان من أشجع الناس ، فلما اقتتل الناس يومَ صِفِّين ، جعل يرى أصحابه منهزِمين ، فأخذ ينادى : يا معشر قيْس ، أطاعةُ الشيطان آثرُ عندكم من طاعة الرحمن ! الفِرار فيه معصية الله سبحانه وسخطُه ، والصبر فيه طاعة الله عزّ وجلّ ورضوانُه ، فتختارون سخطَ الله تعالى على رضوانِه ، ومعصيتَه على طاعته ! فإنما الراحة بعد الموت لمن مات محاسبًا لنفسه . وقال :

١/٣٣١٠

لا وَأَلَتْ نَفْسُ امْرِئٍ وَلَّى الدُّبُرْ[٤] أنا الَّذِى لا يَنثنى ولا يَفِرّْ

* ولا يُرَى مع المعازِيل الغُدُرْ[٥] *

فقاتَل حتى ارتُثّ . ثم إنه خرج مع الخمسمائة الذين كانوا اعتزلوا مع فَرْوَة بن نَوْفل الأشجعىّ ، فنزلوا بالدّسكرة والبَنْدنيجَيْن ، فقاتلت النَّخَع يومئذ قتالاً شديداً ، فأصيب منهم يومئذ بكْر بن هوْذة وحيّان بن هَوذة وشُعيب بن نُعيم من بنى بكْر النَّخع ، وربيعة بن مالك بن وَهْبيل ، وأبىّ بن قَيْس أخو علقمة بن قيس الفقيه ، وقُطِعت رِجل علقمة يومئذ ، فكان يقول : ما أحِبّ أنّ رجلى أصحّ ما كانت ، وإنها لمما أرجو به حسنَ الثواب من ربى عزّ وجلّ . وقال : لقد كنت أحبّ أن أرى فى نومى أخى أو بعض إخوانى ، فرأيتُ أخى فى النوم فقلت : يا أخى ، ماذا قَدمتم عليه ؟ فقال لى : إنا التقينا نحن والقوم ، فاحتججْنا عند الله عزّ وجلّ ، فحججْناهم ، فما سُررت منذ عقلتُ سرورى بتلك الرؤيا[٦] .

---

(١) طنت : قطعت وسقطت .
(٢) صفين: ٣١٦ ، ٣١٧ .
(٣) صفين : « عنتر بن عبيد بن خالد » .
(٤) وألت : نجت ، وفى صفين : « ولت دبر » .
(٥) المعازيل : جمع معزال ؛ وهو الذى لا سلاح معه .
(٦) صفين: ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

قال أبو مِخْنَف : حدّثني سُوَيد بن حيّة الأسدىّ، عن الحُضَين ابن المنذر ، أنّ أناسًا كانوا أتَوْا عليًّا قبل الوَقْعة فقالوا له : إنا لا نرى خالد بن المعمَّر إلاّ قد كاتب معاوية ، وقد خشينا أن يتابعَه . فبعَث إليه علىّ وإلى رجال من أشرافنا ، فحمِد الله وأثنى عليه . ثم قال : أما بعدُ يا معشر ربيعة ، فأنتم أنصارِى ومجيبو دَعْوَتى ومِن أوثقِ حىٍّ فى العرب فى نفسي ، وقد بلَغنى أنّ معاوية قد كاتب صاحبَكم خالد بن المعمَّر ، وقد أتيتُ به ، وجمعتُكم لأشهِدَكم عليه ولتسمعوا أيضاً ما أقوله . ثمّ أقبل عليه ، فقال : ياخالد بن المعمر ، إن كان ما بلغنى حقًّا فإنى أُشهِد الله ومَن حَضرنِى من المسلمين أنّك آمِنٌ حتى تلحق بأرض العراق أو الحجاز أو أرضٍ لا سلطان لمعاوية فيها ، وإن كنتَ مكذوبًا عليك ، فإنّ صدورنا تطمئنّ إليك . فحلف بالله ما فعل ، وقال رجال منّا كثير : لو كنا نعلم أنه فعل أمثلناه[1] ، فقال شقيق بن ثوْر السَّدوسىّ : ما وُفّق خالد بن المعمّر أنْ نصر[2] معاوية وأهل الشأم على علىّ وربيعة ؛ فقال زياد بن خَصَفة التّيمىّ : يا أمير المؤمنين ، استوثِق من ابن المعمَّر بالأيمان لا يغدرنّك . فاستوثق منه ، ثم انصرفنا . فلما كان يوم الخميس انهزم الناس من قِبَل الميمنة ، فجاءنا علىّ حتى انتهى إلينا ومعه بنوه ، فنادى بصوت عالٍ جهير ، كغير المكترِث لما فيه الناس : لمن هذه الرايات ؟ قلنا : رايات ربيعة ، فقال : بل هى رايات الله عزّ وجلّ ، عصم الله أهلها ، فصبّرهم ، وثبّت أقدامهم . ثم قال لى : يا فتى ، ألا تُدْنِى رايتَك هذه ذراعًا ؟ قلت : نعم والله وعشرةَ أذرُع ؛ فقمت بها فأدنيتُها ، حتى قال : إنّ حسبَك مكانك ، فثبتُّ حيث أمرنى ، واجتمع أصحابى[3] .

١ / ٣٣١١ — ١ / ٣٣١٢

* * *

قال أبو مخنف : حدّثنا أبو الصّلت التيمىّ ، قال : سمعتُ أشياخَ الحىَ

---

(١) صفين وابن الأثير : « لقتلناه » .

(٢) صفين : « حين نصر » .

(٣) صفين:٣٢٣ ، ٣٢٤ .

من تيم الله بن ثعلبة يقولون : (١ إنّ راية ربيعة؛ أهل كوفتها وبصرتها، كانت مع خالد بن المعمّر١) من أهل البصرة . قال : وسمعتُهم يقولون : إنّ خالد ابن المعمّر وسُفيان بن ثور [السَّدوسىّ](٢) اصطلحا على أن وليا راية بكر بن وائل من أهل البصرة الحُضيْن بن المنذر الذُّهلىّ، وتنافسا فى الرّاية، وقالا : هذا فتًى منّا له حَسَب ، نجعلها له حتى نرى من رأينا .

ثم إنّ عليًّا ولّى خالد بن المعمّر بعدُ راية ربيعة كلّها . قال : وضرب معاوية لحميَر بسهمهم على ثلاث قبائل ، لم تكن لأهل العراق قبائل أكثر عدداً منها يومئذ : على ربيعة وهَمْدان ومذحِج ، فوقع سهم حِمْير على ربيعة ، فقال ذو الكَلاع : قبّحك الله من سهم! كرهتَ الضِّراب ! فأقبل ذو الكَلاع فى حميَر ومَن تعلّقها ، ومعهم عبيد الله بن عمرَ بن الخطّاب فى أربعة آلاف من قرّاء أهل الشأم ، وعلى ميمنتهم ذو الكَلاع ، فحملوا على ربيعة ، وهم ميسرة أهلِ العراق ، وفيهم ابنُ عبّاس ، وهو على الميسرة ، فحمل عليهم ذو الكَلاع وعبيد الله بن عمر حَمْلةً شديدة بخيلهم ورجلهم ، فتضعضعتْ رايات ربيعة إلاّ قليلا من الأخيار والأبدال(٣) . قال : ثمّ إن أهل الشأم انصرفوا ، فلم يمكثوا إلاّ قليلا حتى كرّوا ، وعبيد الله بن عمر يقول : يا أهل الشأم ، إنّ هذا الحىَّ من أهل العراق قتلة عثمان بن عفّان رضى الله عنه ، وأنصار علىّ بن أبى طالب ، وإن هزمتم هذه القبيلة أدركتم ثأركم فى عثمان وهلك علىّ بن أبى طالب وأهل العراق ، فشدّوا على الناس شدّة(٤) ، فثبتتْ لهم ربيعة ، وصبروا صبراً حسناً إلا قليلا من الضعفاء والفَشَلة ، وثبت أهل الرايات وأهلُ الصَّبر منهم والحِفاظ ، فلم يزولوا ، وقاتلوا قتالا شديداً .

١/٣٣١٣

فلما رأى خالد بن المعمّر ناساً من قومه انصرفوا انصرف ، ولمّا رأى أصحاب الرايات قد ثبتوا ورأى قومه قد صبروا رجع وصاح بمن انهزم ، وأمرهم بالرّجوع ،

(١ – ١) صفين : « كانت راية ربيعة كوفيّها وبصريّها مع خالد بن المعمر » .

(٢) من صفين .

(٣) صفين : من الأحشام والأبدال » . والأحشام : الأتباع .

(٤) بعدها فى ابن الأثير والنويرى : « عظيمة » .

فقال: مَنْ أراد من قومه أن يتّهمه؛ أراد الانصراف. فلمّا رآنا قد ثبتنا رجع إلينا وقال هو: لما رأيت رجالاً منا انهزموا رأيتُ أن أستقبلهم وأردّهم إليكم، وأقبلت إليكم فيمن أطاعنى منهم، فجاء بأمر مشبّه[١].

قال أبو مخنف: حدّثنى رجل من بكر بن وائل، عن محرز بن عبد الرحمن العجْلىّ، أنّ خالداً[٢] قال يومئذ: يا معشرَ ربيعة، إنّ الله عزّ وجلّ قد أتى بكلّ رجل منكم من منبِته ومسقِط رأسه، فجمعكم فى هذا المكان جمعًا لم يجمعكم مِثله منذ نشرَكم فى الأرض، فإنْ تمسِكوا بأيديكم[٣]، وتنكُلوا عن عدوّكم، وتزولوا عن مصافّكم[٤] [٥]لا يرض الله فعلَكم، ولا تقدّموا من الناس صغيراً أو كبيراً إلاّ يقول: فضحتْ ربيعة الذّمار، وحاصَت عن القتال[٥]، وأتيتْ من قِبَلها العرب، فإيّاكم أن يتشاءم بكم العرب والمسلمون اليوم. وإنكم إن تمضُوا مقبلين مقدِمين، وتصبروا محتسبين فإنّ الإقدام لكم عادة، والصبر منكم سجيّة، واصبروا ونيّتكم [صادقة][٦] أن تؤجَروا، فإنّ ثواب مَن نَوَى ما عند الله شرفُ الدنيا وكرامةُ الآخرة، ولن يُضِيع اللهُ أجرَ من أحسن عملاً.

٣٣١٤/١

فقام رجل [من ربيعة][٦] فقال: ضاع والله أمرُ ربيعةِ حين جعلتْ إليك أمورَها! تأمرنا ألاّ نزول ولا نحُول حتى تَقتل أنفسَنا، وتَسفِك دماءنا! ألا ترى الناس قد انصرف جُلُّهم! فقام إليه رجال من قومه فنهروه وتناولوه بألسنتهم[٧]. فقال لهم خالد: أخرِجوا هذا من بينكم، فإنّ هذا إن بقِىَ فيكم

---

(١) صفين: ٣٢٦، ٣٢٨، وفيها: «فجاء بأمر مشتبه».

(٢) صفين: «خالد بن المعمر». (٣) صفين: «أيديكم».

(٤) صفين: «وتحولوا عن مصافكم».

(٥ — ٥) صفين: «لا يرض الرب فعلكم، ولا تعدموا معيراً، يقول: فضحت ربيعة الذمار وخامت عن القتال».

(٦) من صفين.

(٧) صفين: «فتناولوه بقسيهم ولكزوه بأيديهم».

ضرّكم[١] ، وإن خرج منكم لم ينْقُصكم ، هذا الذى لاينقص العدَد ، ولا يَملأُ البلد ، برّحك[٢] الله منخطيب قوم كرام ! كيف جُنِّبتَ السداد !
واشتدّ قتال ربيعة وحمير وعُبيد الله بن عمر حتى كثرتْ بينهم القتلى[٣] ، فقتِل سُمَيَر بن الرّيان بن الحارث العجلىّ[٤] ، وكان من أشدّ الناس بأساً[٥].

قال أبو مخنف : حدّثنى جيفر بن أبى القاسم العبدىّ ، عن يزيد بن علقمة ، عن زيد بن بدر العَبْدىّ ، أن زياد بن خَصَفَة أتى عبدَ القيس يومَ صِفّين وقد عُبّيتْ قبائلُ حميَر مع ذى الكَلاع — وفيهم عُبيد الله بن عمرَ بن الخطاب — لبكر بن وائل ، فقوتلوا[٦] قتالاً شديداً، خافوا فيه الهلاك . فقال زياد بن خَصَفَة : يا عبدَ القيس ، لا بَكْر بعد اليوم[٧] . فركبنا الخيولَ ، ثم مضينا فواقفناهم ، فما لبثنا إلاّ قليلا حتى أصيب ذو الكَلاع ، وقُتل عبيد الله بن عمرَ رضى الله عنه ، فقالت هَمْدان : قتله هانئ بن خطّاب الأرحبىّ ؛ وقالت حَضْرَمَوْت : قتله مالك بنُ عمرو التَّنْعىّ[٨] ، وقالت بكر ابن وائل : قتله مُحرِز بن الصَّحصح من بنى عائش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ، وأخذ سيفه ذا الوشاح ، فأخذ به معاوية بالكُوفة بكرَ بن وائل ، فقالوا : إنما قتله رجل منا من أهل البصرة ، يقال له : محرز بن الصَّحْصَح ، فبعث إليه بالبصرة فأخذ منه السيف ، وكان رأسَ النَّمِر بن قاسط عبدُ الله بن عمرو من بنى تيم الله بن النّمِر[٩] .

١/٣٣١٥

(١) صفين : « أضرّبكم » . (٢) برحك الله ؛ أى عذبك . (٣) بعدها فى صفين : « وحمل عبيد الله بن عمر ، فقال : أنا الطيب ابن الطيب ، قالوا : أنت الخبيث ابن الخبيث » .
(٤) صفين : « شمر بن الريان بن الحارث » .
(٥) صفين: ٣٢٨ — ٣٣٠ ؛ وزاد فيه: « ثم خرج نحو من خمسمائة فارس أو أكثر من أصحاب علىّ ، على رءوسهم البيض وهم غائصون فى الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ، وخرج إليهم من أهل الشام نحوهم فى العدد ، فاقتتلوا بين الصفين والناس تحت راياتهم ، فلم يرجع من هؤلاء وهؤلاء مخبر ، لا عراقى ولا شامى ، قتلوا جميعا بين الصفين » .
(٦) صفين : « فقاتلوا » .
(٧) بعدها فى صفين : « إن ذا الكلاع وعبيد الله أبادا ربيعة ، فانهضوا معهم وإلا هلكوا » .
(٨) صفين : « السبيعى » .
(٩) صفين: ٣٣٤ — ٣٣٦ ؛ بتفصيل أكثر .

قال هشام بن محمد : الذى قتل عُبَيد الله بن عمرَ رضى الله عنه محرزُ بن الصّحصح ، وأخذ سيفه ذا الوشاح ، سيفَ عمر ، وفى ذلك قول كعب بن جُعيل التغلبىّ :

ألا إنّما تبكي العيونُ لفارسٍ ... بصِفّينَ أجلَتْ خَيْلُهُ وَهْوَ واقِفُ

يُبَدِّلُ مِنْ أسْماءِ أسيافَ وائلٍ ... وكان فتًى لو أخْطأتْهُ المتالفُ

تركْنَ عُبَيْدَ الله بالقاعِ مُسْنَدًا[1] ... تَمُجُّ دَمَ الخِرْقِ العُرُوقُ الذَّوارِفُ

وهى أكثر من هذا[2] . وقُتل منهم يومئذ بِشر بن مرّة بن شُرَحبيل ، والحارث بن شرَحبيل ، وكانت أسماء ابنة عطارد بن حاجب التميمىّ تحت عبيد الله بن عمر ، ثمّ خلَف عليها الحسن بن علىّ .

١/٣٣١٦ قال أبو مخنف : حدّثنى ابن أخى غياث بن لَقيط البكرىّ أن عليًّا حيث انتهى إلى ربيعة ، تبارتْ ربيعة بينها ، فقالوا : إن أصيب علىّ فيكم وقد لجأ إلى رايتكم افتضحتم . وقال لهم شقيق بن ثور : يا معشر ربيعة ، لا عذرَ لكم فى العرب إن وُصِل إلى علىّ فيكم وفيكم رجلٌ حىّ ، وإن منعتموه فمجدُ الحياة اكتسبتموه . فقاتَلوا قتالاً شديداً حين جاءهم علىّ لم يكونوا قاتَلوا مثلَه ، ففى ذلك قال علىّ :

لِمَنْ رَايَةٌ سوْداء يَخفِقُ ظِلُّها ... إذا قيل قَدِّمها حُضَيْنُ تقدَّما[3]

يُقدِّمُها فى المَوْتِ حتى يُزيرها ... حِياضَ المَنايا تَقْطُرُ الموتَ والدَّما[4]

أذَقْنا ابنَ حَربٍ طَعنَنا وضِرابَنا ... بأَسيافنا حتى تولّى وأحجَما

جَزَى اللهُ قَوماً صابَروا فى لقائهمْ ... لدى الموتِ قوماً ما أعفَّ وأكْرَما![5]

---

(١) صفين : « مسلماً » ، أى متروكاً .

(٢) تسعة أبيات ؛ أوردها نصر فى صفين: ٣٣٦ .

(٣) الأبيات لحضين بن المنذر ؛ وفى رواية صفين : « أقبل الحضين بن المنذر — وهو يومئذ غلام — يزحف برايته ؛ وكانت حمراء ، فأعجب عليا زحفه وثباته فقال . . . » . وأورد الأبيات .

(٤) صفين : « حتى يديرها . . . حمام المنايا » .

(٥) صفين : « لدى البأس حراً » .

وأطيَبَ أخْباراً وأكْرَمَ شيمَةً إذا كان أصواتُ الرِّجال تَغمغُما(١)
رَبيعَةَ أعنِي أنَّهُمْ أهلُ نَجْدَة وَ بأسٍ إذا لاقوْا جَسيماً عَرَمرَما (٢)

* * *

مقتل عمّار بن ياسر

١/٣٣١٧ قال أبو مخنف : حدّثني عبد الملك بن أبي حرّة الحنفيّ ، أنّ عمّار بن ياسر خرج إلى الناس، فقال : اللهمّ إنك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك فى أن أقذفَ بنفسي فى هذا البحر لفعلتُه ، اللهمّ إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك فى أن أضع ظُبَةَ سيفي فى صدري ثم أنحني عليها حتى تَخرُج من ظهري لفعلتُ ، وإنّي لا أعلم اليومَ عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو أعلم أنّ عملا من الأعمال هو أرضَى لك منه لفعلته .

قال أبو مخنف: حدّثني الصّقْعب بن زُهير الأزديّ ، قال : سمعتُ عمّاراً يقول : والله إنى لأرى قومًا ليضربُنّكم ضربًا يرتاب منه المبطِلون ، وايم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفات(٣) هَجَر لعلمنا أنّا على الحقّ ، وأنّهم على الباطل(٤) .

حدّثنا محمد بن عباد بن موسى ، قال : حدّثنا محمد بن فُضَيل ، قال : حدّثنا مسلم الأعور ، عن حبّة بن جُوَين العرَنيّ ، قال : انطلقتُ أنا وأبومسعود إلى حُذَيفة بالمدائن ، فدخلنا عليه ، فقال : مرحبًا بكما ، ما خلّفتما من قبائل العرب أحداً أحبّ إليّ منكما . فأسندته إلى أبي مسعود ، فقلنا : يا أبا عبد الله ، حدّثنا فإنا نخاف الفِتَن ؛ فقال : عليكما بالفئة التى فيها

---

(١) رواية صفين :

وأحزَم صبراً حين تدعى إلى الوغَى إذا كان أصوات الكماة تَغَمغُما

(٢) الخبر والشعر فى صفين: ٣٢٥ ، ٣٢٦ ؛ بزيادة فى رواية الأبيات .

(٣) السعف : ورق جريد النخل ؛ قال فى اللسان ١١ : ٥٢ : « وإنما خص هجر للمباعدة فى المسافة ؛ ولأنها موصوفة بكثرة النخيل » .

(٤) صفين: ٣٦٣ — ٣٦٥ .

ابن سميّة ، إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : «تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق ، وإنّ آخر رزقه ضَياح[1] من لبن» . قال حبّة : فشهدتُه يومَ صِفّين وهو يقول : ائتونى بآخر رزق لى من الدنيا ، فأتِى بضَياح من لبن فى قدَح أرْوح[2] له حلقة حمراء ، فما أخطأ حُذَيفة مقياسَ شعرة ، فقال : ١/٣٣١٨

اليوم ألقى الأحبّهْ محمّداً وحزبَهْ

والله لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا سَعَفات هَجَر لعلِمنا أنا على الحقّ وأنهم على الباطل ، وجعل يقول : الموت تحت الأسَل ، والجنة تحت البارقة[3] .

حدّثنى محمد ، عن خلف ، قال : حدّثنا منصور بن أبى نويرة ، عن أبى مِخْنف . وحُدّثت عن هشام بن الكلبىّ ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى مالك بن أعينَ الجُهَنىّ ، عن زيد بن وهب الجُهَنىّ ، أنّ عمّار بن ياسر رحمه الله قال يومئذ : أين مَن يبتغى رضوانَ الله عليه ، ولا يئوب إلى مال ولا ولد ! فأتتْه عصابة من الناس ، فقال : أيّها الناس ، اقصدوا بنا نحوَ هؤلاء الذين يبغون دمَ ابن عفان ، ويزعمون أنه قتِل مظلوماً ، والله ما طلبتهُم بدمه ، ولكنّ القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبّوها واستمرءوها وعلموا أن الحقّ إذا لزمهم حالَ بينهم وبين ما يتمرّغون فيه من دنياهم ، ولم يكن للقوم سابقة فى الإسلام يستحقّون بها طاعةَ الناس والولايةَ عليهم ، فخدعوا أتباعَهم أن قالوا : إمامُنا قتِل مظلوماً ، ليكونوا بذلك جبابرةً ملوكاً ، وتلك مكيدة بلغوا بها ما تَرَوْن ، ولولا هى ما تبعهم من الناس رجلان . اللهمّ إنْ تنصرْنا فطالما نصرت ، وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا فى عبادك العذابَ الأليم . ثم مضى ، ومضت تلك العصابة التى أجابته حتّى دنا من عَمرو فقال : ياعَمرو ، بعتَ دينك بمصر ، تبّاً لك تبّاً ! طالمَا بغيت فى الإسلام عِوَجاً . وقال لعُبيد الله ابنِ عمرَ بن الخطاب : صرَعك الله ! بعتَ دينَك من عدوّ الإسلام وابن عدوّه ، ١/٣٣١٩

---

(١) الضياح بالفتح : اللبن الرقيق الكثير الماء .
(٢) أروح ، أى فيه سعة .
(٣) صفين : ٣٨٦ – ٣٨٨ مع اختلاف فى الرواية .

قال : لا ، ولكن أطلب بدم عثمانَ بن عفّان رضى الله عنه ؛ قال له : أشهد على علمى فيك أنك لا تطلب بشىء من فعلك وجْهَ الله عزّ وجلّ ؛ وإنّك إن لم تُقتل اليوم تمتْ غداً ، فانظر إذا أعطِىَ الناسُ على قدر نيّاتهم ما نيّتك .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : أخبرنا عبيد بن الصبّاح ، عن عطاء بن مسلم ، عن الأعمش ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ، قال : سمعت عمّار بن ياسر بصِفّين وهو يقول لعَمرو بن العاص : لقد قاتلتُ صاحبَ هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الرابعة ما هى بأبرّ ولا أتقى .

حدّثنا أحمد بن محمد ، قال : حدّثنا الوليد بن صالح ، قال : حدّثنا عطاء بن مسلم ، عن الأعمش ، قال : قال أبو عبد الرحمن السُّلمىّ : كنا مع علىّ بصِفّين ، فكنا قد وكّلْنا بفرسه رجلين يحفظانه ويمنعانه من أن يحمل ، فكان إذا حانت منهما غفلةٌ يحمِل فلا يرجع حتى يخضِب سيفَه ، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفُه ، فألقاه إليهم ، وقال : لولا أنه انثنى ما رجعتُ — فقال الأعمش : هذا والله ضربُ غير مرتاب ، فقال أبو عبد الرحمن : سمع القوم شيئاً فأدّوه وما كانوا بكذّابين[1] — قال : ورأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صِفّين إلا تبعه مَن كان هناك من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ورأيته جاء إلى المِرقال هاشم بن عتبة وهو صاحب راية علىّ ، فقال : ١/٣٣٢٠ يا هاشم ، أعوراً وجبناً ! لا خير فى أعوَر لا يغشى البأس ، فإذا رجلٌ بين الصفّين قال : هذا والله ليخلُفَنّ إمامه ، وليخذلَنّ جنده ، وليَصْبِرَنّ جهده ، اركب يا هاشم ؛ فركب ، ومضى هاشم يقول :

أعْوَرُ يَبْغى أهلَهُ مَحَلاً قد عالَجَ الحياةَ حتى مَلاً

* لا بدّ أن يَفُلّ أو يُفَلاّ *[2]

---

(١) ابن الأثير : « بكاذبين » .

(٢) يفل ، أى يغلب .

وعمّار يقول : تقدّم يا هاشم ، الجنّة تحت ظلال السيوف ، والموتُ فى أطراف الأسَل ، وقد فُتِحت أبواب السماء ، وتزينت الحور العين .

اليوم ألقى الأحبّهْ محمّداً وحزبَهْ

فلم يرجعا وقُتلا — قال : يفيد لك علمهما مَنْ كان هناك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنّهما كانا عَلَما — فلما كان الليل قلت : لأدخلنّ إليهم حتى أعلم : هل بلغ منهم قتل عمّار ما بلغ منّا ! وكنا إذا توادعنا من القتال تحدّثوا إلينا وتحدّثنا إليهم ، فركبت فرسى وقد هدأت الرِّجل ، ثم دخلت فإذا أنا بأربعة يتسايرون : معاوية ، وأبو الأعور السُّلَمىّ ، وعمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمرو — وهو خير الأربعة — فأدخلت فرسى بينهم مخافة أن يفوتنى ما يقول أحد الشِّقَّيْن ، فقال عبد الله لأبيه : يا أبت ، قتلتم هذا الرجلَ فى يومكم هذا ، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ! قال : وما قال ؟ قال : ألم تكن معنا ونحن نبنى المسجد ، والناس يَنقلون حجراً حجراً ولَبِنة لَبِنة ، ٣٣٢١/١ وعمّار ينقل حجريْن حَجريْن ولبِنتين لبِنتين ، فغُشى عليه ، فأتاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : « ويحك يابن سُميّة ! الناس ينقلون حجراً حجراً ، ولَبِنة لبِنة ، وأنت تنقل حجرين حجرين ولِبنتين لبنتين رغبةً منك فى الأجر ! وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية ! » . فدفع عمرو صدرَ فرسه ، ثم جذب معاوية إليه ، فقال : يا معاوية ، أما تسمع ما يقول عبد الله ! قال : وما يقول ؟ فأخبره الخبر ، فقال معاوية : إنك شيخ أخرق ، ولا تزال تحدّث بالحديث وأنت تدحَض فى بَوْلك[1] ! أوَ نحن قتلنا عمّاراً ! إنما قتل عمّاراً مَن جاء به . فخرج الناس من فَساطيطهم وأخبيتهم يقولون : إنما قتل عمّاراً من جاء به ، فلا أدرى مَن كان أعجب ؟ هو أو هم !

قال أبو جعفر : وقد ذكر أن عماراً لما قتِل قال علىّ لربيعة وهَمْدان : أنتم دِرعى ورُمحى ، فانتدب له نحو من اثنى عشر ألفًا ، وتقدّمهم علىٌّ على بغلته فحمل وحملوا معه حملةَ رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشأم صفّ

(١) فى اللسان : «وفى حديث معاوية ، قال لابن عمرو : لا تزال تأتينا بهنة تدحض بها فى بولك ، أى تزلق » .

إلاّ انتقض ، وقتلوا كلّ من انتهوا إليه ، حتّى بلغوا معاوية ، وعلىٌّ يقول :

أَضْرِبُهُمْ ولا أرى معاويَهْ الجاحِظَ العَيْنِ العظيمَ الحاوِيَهْ(١)

١ / ٣٣٢٢ ثم نادى معاوية، فقال علىٌّ : علامَ يُقتَّل(٢) الناس بيننا ! هلمّ أحاكمك إلى الله ، فأيّنا قتل صاحبَه استقامت له الأمور ، فقال له عمرو : أنصَفك الرجل ، فقال معاوية : ما أنْصَفَ ، وإنك لتعلم أنه لم يبارزْه رجل قطّ إلا قتله ، قال له عمرو : وما يجمُل بك إلاّ مبارزته ، فقال معاوية : طمعت فيها بعدى .

قال هشام، عن أبي مخنف : قال : حدّثنى عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي عَمْرة ، عن سليمان الحضرمىّ ،قال: قلت لأبي عَمرة : ألا تراهم، ما أحسن هيئتَهم ! يعنى أهلَ الشأم ، ولا ترانا ما أقبح رعيّتنا ! فقال: عليك نفسَك فأصلِحها ، ودَع الناسَ فإنّ فيهم ما فيهم .

* * *

خبر هاشم بن عُتْبة المرقال وذكر ليلة الهَرير

قال أبو مخنف :وحدّثنى أبو سلمة ؛ أنّ هاشمبنعتبة الزُّهرىّ دعا الناسَ عند المساء : ألا مَن كان يريدُ الله والدار الآخرة فإلىّ ، فأقبل إليه ناسٌ كثير ، فشدّ فى عصابة من أصحابه على أهل الشأم مراراً ، فليس (٣)من وجه يحمل عليه إلاّ صبَر له وقاتَلَ فيه قتالا شديداً(٣) ، فقال لأصحابه :

---

(١) نسبه فى صفين: ٤٥٤ إلى الأشتر فى هذه الرواية :

أضربُهُم ولا أَرَى معاويهْ الأَخْزَرَ العَيْنِ العَظيمَ الحاويهْ
هوَتْ بهِ في النّار أمٌّ هَاوِيهْ جاوَرَه فيها كلابٌ عَاوِيَهْ
* أغْوَى طغاماً لاهدَتْهُ هادِيَهْ *

(٢) النويرى : « نقتل » .

(٣ – ٣) صفين : « فليس من وجه يحمل عليه إلا صبروا له وقوتل فيه قتالا شديداً » .

لا يهولنّكم ما ترونَ من صبرهم، فوالله ما ترونَ فيهم إلاّ حميّة العرب وصبْراً تحت راياتها ، وعند مراكزها ، وإنهم لعلى الضّلال ، وإنكم لعلى الحقّ . ياقوم اصبروا وصابِروا واجتمعوا ، وامشوا بنا إلى عدوّنا على تؤدة رويداً ، ثم اثبتوا وتناصَروا ، واذكروا الله ، ولا يَسأل[1] رجلٌ أخاه ، ولا تُكثروا الالتفات ، واصمدوا صمدَهم ، وجاهدوهم محتسبين ، حتى يحكمَ الله بيننا وبينهم وهو خيرُ الحاكمين . ١/٣٣٢٣

ثم إنه مضى فى عصابة معه من القرّاء، فقاتل قتالا شديداً هو وأصحابُه عند المساء حتى رأوْا بعض ما يُسرّون به ، قال : فإنهم لكذلك إذ خرج عليهم فتًى شابٌّ وهو يقول :

أنا ابنُ أربابِ الملوكِ غَسّانْ والدّائنُ اليومَ بدِينِ عثمانْ
إنّى أتانى خبرٌ فأشجانْ[2] أنّ عليًّا قتَلَ ابنَ عفّانْ

ثم يشدّ فلا ينثنى حتى يضرب بسيفه ، ثم يشتم ويلعن ويُكثر الكلام ، فقال له هاشم بن عتبة: يا عبدَ الله ، إن هذا الكلام ، بعده الخِصام، وإنّ هذا القتال ، بعده الحساب ، فاتّق الله فإنك راجع إلى الله فسائلك عن هذا الموقف وما أردتَ به . قال : فإنى أقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّى كما ذكر لى ، وأنتم لا تصلّون أيضًا، وأقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليفتنا ، وأنتم أردتموه على قتله . فقال له هاشم : وما أنت وابن عفان ! إنما قتله أصحابُ محمد وأبناء أصحابه وقرّاء الناس، حين أحدث الأحداث ، وخالف حكم الكتاب ؛ وهم أهل الدّين ، وأوْلى بالنّظر فى أمور الناس منك ومن أصحابك ، وما أظنّ أمر هذه الأمة وأمرَ هذا الدين [3]أهمِل طرفة عين[3]. فقال له : أجَلْ، والله لا أكذب، فإنّ الكذب يضرّ ولا ينفع . قال[4] : فإنّ أهل هذا الأمر أعلم به ؛ فخلّه وأهل العلم به . قال : ما أظنك والله إلاّ نصحت لى ؛ قال[5] : وأمّا

(١) صفين : « ولا يسلم رجل أخاه » .
(٢) صفين : « أنبأنا أقوامنا بما كان » .
(٣-٣) صفين : « عناك طرفة عين قط » .
(٤) صفين : « فقال له هاشم » .
(٥) صفين : « وقال له هاشم » .

١/٣٣٢٤ قولك : إنّ صاحبنا لا يصلّى ، فهو أوّل من صلّى ، [مع رسول الله][١] وأفقه خلق الله فى دين الله ، وأولى بالرسول . وأما كلّ مَنْ ترى معى فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجّداً ، فلا يغوينّك عن دينك هؤلاء الأشقياء المغرورون. فقال الفتى : يا عبدَ الله ، إنّى أظنك امرأً صالحًا ؛ فتخبرَنى : هل تجد لى من توبة ؟ فقال : نعم يا عبد الله ؛ تُبْ إلى الله يتب عليك ، فإنه يقبل التوبةَ عن عباده ويعفو عن السيئات ويحبّ المتطهرين . قال : فجشر[٢] والله الفتى الناس راجعًا ، فقال له رجل من أهل الشأم : خدعَك العراقىّ ، خدعك العراقىّ ، قال : لا ، ولكن نصحَ لى . وقاتل هاشمٌ قتالا شديداً هو وأصحابه ، وكان هاشم يُدعَى المِرْقال ، لأنه كان يُرْقِل فى الحرب ، فقاتل هو وأصحابه حتى أبرّوا على من يليهم ، وحتى رأوا الظفر ، وأقبلتْ إليهم[٣] عند المغرب كتيبةٌ لتَنوخ فشدّوا على الناس ، فقاتلهم وهو يقول :

أعور يبغِى أهــــلَه محلاّ[٤] قد عالج الحياةَ حتّى مَلاّ

* يَتُلُّهُم بذى الـكُعوبِ تَلاّ *

فزعموا أنه قتل يومئذ تسعةً أو عشرة . وحمل عليه الحارث بن المنذر التّنوخىّ فطعنه فسقط ، وأرسل إليه علىٌّ : أن قدّم لواءك ، فقال لرسوله : انظر إلى بطنى ، فإذا هو قد شُقّ ، فقال الأنصــارىّ الحجّاج بن غزِيّة :

فإن تَفْخروا بابن البُدَيل وهاشِمٍ فنحن قَتَلْنا ذا الـكَلاعِ وحَوْشَبا[٥]

١/٣٣٢٥ ونحن تَرَكْنا بَعدَ مُعترَكِ اللِّقا أخاكم عبيــــد الله لَحْماً مُلَحّبا

---

(١) من صفين .

(٢) جشر الناس ، أى تركهم وتباعد عنهم ، وفى ابن الأثير : « فرجع الفتى » .

(٣) ابن الأثير : « عليهم » .

(٤) بعده فى ابن الأثير : « لا بد أن يفل أو يفلا » .

(٥) من قصيدة طويلة أوردها صاحب صفين مع الخبر فى ٤٠٢ — ٤٠٧ .

ونحن أحطْنا بالبعـــيرِ وأهلِه ونحن سـقيناكمْ سِماماً مُقَشَّبا

هشام، عن أبي مخنف، قال : حدّثني مالك بن أعيَن الجُهنيّ، عن زيد ابن وهب الجهنيّ ، أنّ عليًّا مرّ على جماعة من أهل الشأم فيها الوليد بن عقبة ، وهم يشتمونه ، فخبِّر بذلك ، فوقف فيمن يليهم من أصحابه فقال : انهَدوا إليهم ، عليكم السكينة والوقار ، وقار الإسلام ، وسيما الصالحين ، فوالله لأقربُ قوم من الجهل قائدهم ومؤذِنهم[1] معاوية وابن النابغة[2] ، وأبو الأعور السلميّ وابن أبي مُعيط شارب الخمر المجلود حدًّا في الإسلام ، وهم أولى من يقومون فينقصونني ويجدبونني[3] ، وقبل اليوم ما قاتَلوني ، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام ، وهم يَدْعُونني إلى عبادة الأصنام ، الحمدُ لله ، قديمًا عاداني الفاسقون فعبدهم الله ألم يُقْبَحوا[4] ! إنّ هذا لهو الخَطب الجليل ؛ إن فسّاقاً كانوا غير مرضيّين ، وعلى الإسلام وأهله متخوِّفين ، خدعوا شطر هذه الأمّة ، وأشرَبوا قلوبهم حبّ الفتنة ، واستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان ، قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عزّ وجلّ ، اللهمّ فافضض خدَمتهم[5] ، وشتِّت كلمتهم ، وأبسلهم بخطاياهم[6] فإنه لا يذلّ من والَيت ، ولا يعزّ من عاديت[7] .

قال أبو مخنف : حدّثني نمير بن وَعْلة ، عن الشعبيّ ، أنّ عليًّا مرّ بأهل راية فرآهم لا يزولون عن موقفهم ، فحرّض عليهم الناس ، وذُكر أنهم غسّان ، فقال : إنّ هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دَرَّاك يخرج منهم النَّسم ، وضرب يفلِق منه الهام ، ويُطيح بالعِظام ، وتسقط منه المعاصم والأكفّ ، وحتى تُصدع جباههم بعُمُد الحديد ، وتنتشر حواجبهم على الصدور والأذقان . أين أهل الصبر ، وطلاّب الأجر ! فثاب إليه عصابة من ٣٣٢٦/١

(١) صفين : « ومؤذبهم » .

(٢) ابن النابغة عمرو بن العاص ، وأمه النابغة ، امرأة من عنزة .

(٣) يجدبونني ، أي يعيبونني ، وفي ط « يجذبونني » تحريف .

(٤) ألم يقبحوا ؛ أي ألم يبعدوا ! وفي القرآن الكريم : « وكانوا من المقبوحين » .

(٥) فض الله خدمتهم ، أي فرقها بعد اجتماعها ، وأصل الخدمة سير غليظ مثل الحلقة .

(٦) أبسلهم : أهلكهم .

(٧) صفين: ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

المسلمين ، فدعا ابنه محمداً ، فقال : امش نحوَ أهل هذه الراية مشياً رُويداً على هِينتك ، حتّى إذا أشرعتْ فى صدورهم الرماح ، فأمسِك حتى يأتيك رأيى . ففعل ، وأعدّ علىٌّ مثلهم ، فلمّا دنا منهم فأشرِع بالرماح فى صدورهم أمر على الذين أعدّ فشدّوا عليهم ، وأنهض محمداً بمن معه فى وجوههم ، فزالوا عن مواقفهم ، وأصابوا منهم رجالا ، ثم اقتتل الناس بعد المغرب قتالا شديداً ، فما صلّى أكثر الناس إلاّ إيماء[١] .

قال أبو مِخنف : حدّثنى أبو بكر الكندىّ ، أن عبد الله بن كعب المرادىّ قتِل يومَ صِفّينَ ، فمرّ به الأسوَدُ بن قيس المرادىّ ، فقال : يا أسوَد ، قال : لبّيك ! وعرفه وهو بآخر رَمَق ، فقال : عزّ والله علىّ مصرَعُك[٢] ، أما والله لو شهدتك لآسيتك ، ولدافعتُ عنك ، ولو عرفت الذى أشعرك[٣] لأحببتُ ألّا يتزايل[٤] حتى أقتله أو ألحق بك . ثم نزل إليه فقال : أما والله إن كان جارُك ليأمن بوائقَك ، وإن كنتَ لَمِنَ الذاكرين اللهَ كثيراً ، أوصِنى رحمك الله ! فقال : أوصيك بتقوى الله عزّ وجلّ ، وأن تُناصحَ أمير المؤمنين ، وتقاتل معه المحِلّين حتى يظهر أو تلحق بالله . قال : وأبلغه عنّى السلام ، وقل له : قاتِل عن المعركة حتى تجعلَها خلْفَ ظهرك ، فإنه من أصبح غداً والمعركة خلف ظهره كان العالىَ ، ثمّ لم يلبث أن مات ، فأقبل الأسوَد إلى علىّ فأخبره ، فقال رحمه الله ! جاهد فينا عدوّنا فى الحياة ، ونصح لنا فى الوفاة[٥] .

١/٣٣٢٧

قال أبو مخنف : حدّثنى محمد بن إسحاق مولى بنى المطّلب ، أنّ عبد الرحمن ابن حنبل الجُمحىّ ، هو الذى أشار على علىّ بهذا الرأى يوم صِفّين .

* * *

قال هشام : حدّثنى عَوانة ، قال : جعل ابن حَنْبل يقول يومئذ :

إنْ تَقتلونى فأنا ابْنُ حنبَلْ أنا الذى قدْ قلتُ فيكم نعثَلْ

* * *

(١) صفين : ٤٤٥ ، ٤٤٦ . (٢) كذا فى صفين ، وفى ط : « لمصرعك » .
(٣) أشعرك : أى خالطك بسنانه .
(٤) صفين : « ألا يزايلنى » . (٥) صفين : ٥٢٠ .

رجع الحديث إلى حديث أبى مِخْنف : قال أبو مخنف . فاقتتل الناس تلك الليلة كلّها حتى الصباح ؛ وهى ليلة الهَرير ، حتى تقصّفت الرّماح ونفد النَّبْل ، وصارَ الناس إلى السيوف ، وأخذ علىّ يسير فيما بين الميمنة والميسرة ، ويأمر كلَّ كتيبة من القرّاء أن تقدم على التى تليها ، فلم يزل يفعل ذلك بالناس ويقوم بهم حتى أصبح والمعركة كلّها خَلْف ظهره ، والأشتر فى ميمنة الناس ، وابن عبّاس فى الميسرة ، وعلىّ فى القلْب ، والناس يقتتلون من كلّ جانب ، وذلك يومَ الجمعة ، وأخذ الأشتر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها ، وكان قد تولّاها عشيَّة الخميس وليلة الجمعة إلى ارتفاع الضحى ، وأخذ يقول لأصحابه : ازحفوا قِيد هذا الرّمح ، وهو يزحف بهم نحو أهل الشام ، فإذا فعلوا قال : ازحفوا قادَ[1] هذا القوس ، فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك ، حتى ملّ أكثر الناس الإقدام ، فلمَّا رأى ذلك الأشتر قال : أعيذكم بالله أن ترضعوا الغنم سائرَ اليوم ، ثم دعا بفرسه ، وترك رايتَه مع حيَّان بن هوذة النخعىّ ، وخرج يسير فى الكتائب ويقول : من يشترى نفسَه من الله عزّ وجلّ ، ويقاتل مع الأشتر ، حتى يظهر أو يلحق بالله ! فلا يزال رجل من الناس قد خرج إليه ، وحيّان بن هوذة .

١/٣٣٢٨

قال أبو مخنف : عن أبى جناب الكلبىّ ، عن عُمارة بن ربيعة الجَرْمىّ ، قال : مرّ بى واللهِ الأشترُ فأقبلتُ معه ، واجتمع إليه ناسٌ كثير ، فأقبل حتى رجع إلى المكان الذى كان به الميمنة ، فقام بأصحابه ، فقال : شدّوا شَدّة ، فِدًى لكم عمّى وخالى — تُرضُون بها الربّ ، وتُعِزّون بها الدّين ، إذا شَددتُ فشُدّوا ، ثم نزل فضرب وجهَ دابّته ، ثم قال لصاحب رايته : قدّم بها ، ثم شَدّ على القوم ، وشَدّ معه أصحابُه ، فضرب أهل الشأم حتى انتهى بهم إلى عسكرهم ؛ ثم إنهم قاتلوه عند العسكر قتالا شديداً ، فقتل صاحب رايته ، وأخَذ علىّ — لمّا رأى من الظفر من قِبَله — يَمُدّه بالرّجال[2] .

* * *

حدّثنى عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان

---

(١) النويرى : « قيد قوس » ، وقاد وقيد ، معناهما قدر .

(٢) صفين : ٥٤٤ .

قال حدّثنى عبد الله ، عن جويرية ، قال : قال عمرو بن العاص يومَ صفين لورْدان : (١ تدرى ما مَثلى ومَثلك ! مثل الأشقر١) إنْ تقدّم عُقِر ، وان تأخّر نُحِر ، لئن تأخّرتَ لأضربنّ عنقك، ائتونى بقيد ، فوضعه فى رجليه فقال : أما والله يا أبا عبدِ الله لأوردِنّك حياضَ الموت ، ضع يدك على عاتقى ، ثم جعل يتقدم وينظر إليه أحيانًا ، ويقول : لأوردِنّك : حياضَ الموت . ١/٣٣٢٩

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبى مخنف . فلما رأى عمرو بن العاص أنّ أمر أهل العراق قد اشتدّ ، وخاف فى ذلك الهلاك ، قال لمعاوية : هل لك فى أمر أعرضه عليك لا يزيدنا اجتماعًا ، ولا يزيدهم إلاّ فُرقة ؟ قال : نعم ؛ قال : نرفع المصاحف ثم نقول : ما فيها حَكَمٌ بيننا وبينكم ، فإن أبى بعضُهم أن يقبلها وجدت فيهم مَن يقول : بلى ، ينبغى أن نقبل ، فتكون فرقة تقع بينهم ، وإن قالوا : بلى ، نقبل ما فيها ، رفعنا هذا القتال عنّا وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين . فرفعوا المصاحفَ بالرّماح وقالوا : هذا كتاب الله عزّ وجلّ بيننا وبينكم ، مَن لثغور أهل الشام بعد أهل الشام! ومَن لثغور أهلِ العراق بعدَ أهل العراق! فلما رأى الناس المصاحفَ قد رفعتْ ، قالوا : نجيب إلى كتاب الله عزّ وجلّ وننيب إليه .

* * *

ما روى من رفعهم المصاحف ودعائهم إلى الحكومة

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الرحمن بن جُندَب الأزدىّ ، عن أبيه أنّ عليًّا قال : عبادَ الله ، امضُوا على حقكم وصِدقكم قتالَ(٢) عدوّكم ، فإنّ معاوية وعمرَو بن العاص وابنَ أبى مُعيط وحبيب بن مَسلمة وابن أبى سرْح

(١ – ١) ابن الأثير والنويرى : « تدرى ما مثله ومثلك ومثل الأشتر ؟ قال : لا ، قال : كالأشقر » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « وقتال » .

والضحّاك بن قيس، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرَف بهم منكم ، قد صحبتُهم أطفالا ، وصحبتهم رجالا ، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال ، ويْحكم! (١إنهم ما رفعوها، ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها١)، وما رفعوها لكم إلا خديعةً ودَهْنًا(٢) ومَكيدة ، فقالوا له : ما يسعنا أن نُدْعَى إلى كتاب الله عزّ وجلّ فنأبى أن نَقبله؛ فقال لهم: فإنِّى إنما قاتلتُهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب ، فإنّهم قد عصَوا الله عز وجلّ فيما أمَرَهم ونسُوا عهدَه ، ونبذُوا كتابه . فقال له مِسْعر بن فَدَكيّ التميميّ وزيد بن حصين الطائىّ ثم السِّنْبِسىّ، فى عصابة معهما من القرّاء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علىّ، أجِب إلى كتاب الله عزّ وجلّ إذْ دعيتَ إليه ، وإلاّ ندفعك برُمّتك إلى القوم، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان(٣)؛ إنه علينا أن نعمل بما فى كتاب الله عزّ وجلّ فقبلناه؛ والله لتفعلنّها أو لنفعلنّها بك. قال : فاحفظوا عنّى نهيى إياكم ، واحفظوا مقالتكم لى ، أمّا أنا فإن تطيعونى تقاتلوا ، وإن تعصونى فاصنعوا ما بدا لكم! قالوا له : إمّا لاَ فابعث إلى الأشتر فليأتك(٤) .

١/٣٣٣٠

قال أبو مخنف : حدّثنى فضَيل بن خَديج الكندىّ ، عن رجل من النَّخَع ، أنه رأى إبراهيم بن الأشتر دخل على مصعب بن الزبير ، قال : كنت عند علىّ حين أكرَهه الناس على الحكومة، وقالوا : ابعث إلى الأشتر فليأتك ، قال : فأرسل علىّ إلى الأشتر يزيدَ بن هانئ السَّبيعىّ: أن ائتنى ؛ فأتاه فبلّغه ، فقال : قل له ليس هذه الساعة التى ينبغى لك أن تُزيلنى فيها عن موقفى ، إنى قد رجوت أن يُفتَح لى ، فلا تعجلنى . فرجع يزيد بن هانئ إلى علىّ فأخبره ، فما هو إلا أن انتهى إلينا ، فارتفع الرَّهَج ، وعلَت الأصوات من قِبَل الأشتر ، فقال له القوم : والله ما نراك إلا أمرتَه أن يقاتل ؛ قال : من أين ينبغى أن ترَوا ذلك! رأيتمونى سارَرْته ؟ أليس إنما كلمته على رءوسكم

١/٣٣٣١

(١-١) كذا وردت العبارة فى ط، وفى صفين: «إنهم والله ما رفعوها ، إنهم يعرفونها ويعلمون بها» .
(٢) يقال : دهن الرجل ؛ إذا نافق . فى ابن الأثير : «ووهنا» .
(٣) صفين : «وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان» .
(٤) صفين: ٥٦٠ ، ٥٦١ مع تصرف واختصار .

علانية ، وأنتم تسمعوننى ! قالوا : فابعث إليه فليأتك ، وإلا والله[1] اعتزلناك. قال له : ويحك يا يزيد ! قل له : أقبل إلىّ فإنّ الفتنة قد وقعت ، فأبلغه ذلك ، فقال له : ألرفع المصاحف ؟ قال : نعم ؛ قال : أما والله لقد ظننت حين رُفعت أنها ستوقع اختلافًا وفرقة ، إنها مشورة ابن العاهرة[2] ، ألا ترى ماصنع الله لنا ! أينبغى أن أدعَ هؤلاء وأنصرفَ عنهم ! وقال يزيد بن هانئ : فقلت له : أتحب أنك ظفرتَ ها هنا ، وأنّ أمير المؤمنين بمكانه الذى هو به يُفرج عنه أو يُسْلَم ؟ قال : لا والله ، سبحان الله ! قال : فإنهم قد قالوا : لَتُرسلنّ إلى الأشتر فليأتينّك أو لنقتلنّك كما قتلْنا ابن عفّان . فأقبل حتى انتهى إليهم فقال : يا أهلَ العراق ، يا أهل الذّلّ والوَهَن ، أحين علوتم القوم ظهرًا ، وظنّوا أنكم لهم قاهرون ، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ! وقد والله تركوا ما أمر الله عزّ وجلّ به فيها ، وسنّةَ من أنزلتْ عليه صلى الله عليه وسلم ، فلا تجيبوهم ، أمهلونى[3] عَدْوَ الفرس ، فإنى قد طمعت فى النصر[3] ؛ قالوا : إذاً ندخل معك فى خطيئتك ؛ قال : فحدّثونى عنكم ، وقد قُتل أماثلُكم ، وبقىَ أراذلكم ، متى كنتم محقّين ! أحين كنتم تقاتلون وخياركم يُقتلون ! فأنتم الآن إذ أمسكتم عن القتال مبطلون ، أم الآن أنتم محقّون ، فقتلاكم الذين لاتنكرون فضلَهم فكانوا خيرًا منكم فى النار إذاً ! قالوا : دعنا منك يا أشتر ، قاتلْناهم فى الله عزّ وجلّ ، ونَدَع قتالهم لله سبحانه ، إنا لسنا مُطيعيك ولا صاحبيك ، فاجتنِبْنا ، فقال : خُدِعتم والله فانخدعتم ، ودُعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم . يا أصحابَ الجباه السود ، كنا نظنّ صلواتكم زَهادةً فى الدنيا وشوقًا إلى لقاء الله عزّ وجلّ ، فلا أرى فِراركم إلاّ إلى الدنيا من الموت ، ألا قبحًا يا أشباهَ النِّيب الجلاّلة ! وما أنتم برائين بعدَها عزًّا أبداً ، فابعَدُوا كما بَعِدَ القوم الظالمون ! فسبّوه ، فسبّهم ، فضربوا وجه دابّته بسياطهم ، وأقبل يضرب بسوطه وجوهَ دوابّهم ، وصاح بهم علىّ

١/٣٣٣٢

(١) صفين : « فوالله » .

(٢) صفين : « إنها من مشورة ابن النابغة – يعنى عمرو بن العاص » .

(٣–٣) صفين : « أمهلونى فواقاً فإنى قد أحسست بالفتح » . « والفواق : ما بين الحلبتين .

فكَفّوا ؛ وقال للناس : قد قبِلنا أن نجعلَ القرآن بيننا وبينهم حكَما ، فجاء الأشعث بن قيس إلى علىّ فقال له : ما أرى الناسَ إلا قد رضُوا ، وسرّهم أن يجيبوا القومَ إلى ما دعَوْهم إليه من حكم القرآن، فإن شئتَ أتيتُ معاوية فسألتُه ما يريد، فنظرتَ ما يسأل ؛ قال : ائته إن شئتَ فسَلْه ، فأتاه ١/٣٣٣٣ فقال : يا معاوية ، لأىّ شىء رفعتم هذه المصاحف ؟ قال : لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عزّ وجلّ به فى كتابه ، تبعثون منكم رجلا ترضَوْن به ، ونبعث منّا رجلا ، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله لا يعدُوانه ، ثم نتبع ما اتّفقا عليه ، فقال له الأشعث بنُ قيس : هذا الحقّ ، فانصرف إلى علىّ فأخبرَه بالذى قال معاوية ؛ فقال الناس : فإنا قد رضينا وقبِلنا ، فقال أهل الشأم : فإنا قد اخترنا عمرَو بن العاص ؛ فقال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارجَ بعد : فإنا قد رضينا بأبى موسى الأشعرىّ ، قال علىّ : فإنكم قد عصيتمونى فى أول الأمر ، فلا تعصُونى الآن، إنى لا أرى أن أولّيَ أبا موسى . فقال الأشعث وزيد بن حُصين الطائىّ ومسعر بن فدكىّ : لا نرضى إلاّ به ، فإنه ما كان يحذّرنا منه وقعنا فيه ؛ قال علىّ : فإنه ليس لى بثقة، قد فارقنى ، وخذّل الناسَ عنى ثم هرب منى حتى آمنتُه بعد أشهر ، ولكن هذا ابن عباس نولّيه ذلك، قالوا : ما نبالى أنت كنت أم ابن عباس! لا نريد إلاّ رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ، ليس إلى واحد منكما بأدنى منه إلى الآخر ، فقال علىّ : فإنّى أجعل الأشتر [1] .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو جناب الكلبىّ ، أن الأشعث قال : وهل سعّر الأرضَ غيرُ الأشتر ؟!

* * *

قال أبو مخنف ؛ عن عبد الرحمن بن جُندَب ، عن أبيه : إنّ الأشعث قال : وهل نحن إلا فى حكم الأشتر ! قال علىّ : وما حُكمُه ؟ قال : ١/٣٣٣٤ حكمه أن يَضرب بعضُنا بعضًا بالسيوف حتى يكون ما أردتَ وما أراد ؛ قال : فقد أبيتم إلا أبا موسى ! قالوا : نعم ؛ قال : فاصنعوا ما أردتم ؛ فبعثوا إليه

(١) صفين: ٥٦١ – ٥٦٣ .

وقد اعتزل القتال، وهو بعُرْض، فأتاه مولّى له؛ فقال: إنّ الناس قد اصطلحوا؛ فقال: الحمد لله ربّ العالمين! قال: قد جعلوك حَكَما؟ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر، وجاء الأشتر حتى أتى عليًّا فقال: ألزّنى بعمرو بن العاص، فوالله الذى لا إله إلا هو، لئن ملأتُ عينى منه لأقتلنّه؛ وجاء الأحنف فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنك قد رُميتَ بحجَر الأرض، وبمَنْ حارب اللهَ ورسوله أنفَ الإسلام، وإنّى قد عجمتُ هذا الرجلَ وحلبتُ أشطُرَه فوجدتُه كَليلَ الشَّفرة، قريبَ القعر، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلاّ رجل يدنو منهم حتى يصير فى أكفّهم، ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم، فإن أبيتَ أن تجعلَنى حَكَماً، فاجعلنى ثانيًا أو ثالثًا، فإنه لن يعقد عقدةً إلا حللتُها، ولن يحلّ عقدة أعقدها إلا عقدت لك أخرى أحكَم منها. فأبى الناسُ إلاّ أبا موسى والرِّضا بالكتاب؛ فقال الأحنف: فإنْ أبيتم إلا أبا موسى فأدفئِوا ظهرَه بالرجال. فكتبوا: بسم الله الرحمن الرّحيم؛ هذا ما تَقاضَى عليه علىٌّ أميرُ المؤمنين.... فقال عمرو: اكتب اسمه واسم أبيه، هو أميرُكم فأما أميرُنا فلا، وقال له الأحنف: لا تمح اسم «إمارة المؤمنين»، فإنى أتخوّف إنْ محوتَها ألّا ترجع إليك أبداً، لا تَمحُها وإن قتل الناسُ بعضهم بعضًا؛ فأبى ذلك علىّ مليًّا من النهار، ثم إنّ الأشعث بنَ قيس قال: امحُ هذا الاسم برّحه الله! فمُحِىَ وقال علىّ: الله أكبر، سنّة بسنّة، ومثَل بمثَل، والله إنى لكاتب بين يدىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الحُدَيبية إذ قالوا: لستَ رسول الله، ولا نشهد لك به، ولكن اكتب اسمك واسمَ أبيك، فكتبه، فقال عمرو بن العاص: سبحان الله! ومَثَلُ هذا أن نشبّه بالكفّار ونحن مؤمنون! فقال علىّ: يابن النابغة، ومتى لم تكن للفاسقين وليًّا، وللمسلمين عدوًّا! وهل تشبه إلا أمك التى وضعت بك! فقام فقال: لا يجمع بينى وبينَك مجلسٌ أبداً بعد هذا اليوم؛ فقال له علىّ: وإنى لأرجو أن يطهّر الله عزّ وجلّ مجلسى منك ومن أشباهِك. وكتب الكتاب[1].

١/٣٣٣٥

---

(١) صفين من ٥٨١ — ٥٨٣ مع تصرف واختصار.

حدثني عليّ بن مسلم الطوسيّ ، قال : حدّثنا حبّان ، قال : حدّثنا مُبارك ، عن الحسن ، قال : أخبرني الأحنف ، أنّ معاوية كتب إلى عليّ أن امحُ هذا الاسمَ إن أردتَ أن يكون صلح ؛ فاستشار — وكانت له قبّة يأذن لبني هاشم فيها ، ويأذن لي معهم — قال : ما ترونْ فيما كتب به معاوية أن امح هذا الاسم ؟— قال مبارك: يعني أميرَ المؤمنين — قال: برّحه الله ! فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وادع أهلَ مكة كتب : «محمّد رسول الله» ، فأبوا ذلك حتى كتب: هذا ما قاضى عليه محمد بنُ عبد الله ؛ فقلت له: أيّها الرجل مالَك وما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ! إنا والله ما حابَيْناك ببيعتِنا ، وإنا لو علمنا أحداً من الناس أحقّ بهذا الأمر منك لبايعناه ، ثم قاتلناك ، وإني أقسم بالله لئن محوتَ هذا الاسم الذي بايعتَ عليه وقاتلتهم لا يعود إليك أبداً . ١/٣٣٣٦

قال: وكان واللهِ كما قال . قال: قلّما وُزِن رأيه برأيِ رجل إلا رَجَح عليه .

* * *

* رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . وكتب الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سُفيان ، قاضَى عليّ على أهل الكوفة[١] ومَنْ معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ، وقاضَى معاوية على أهل الشأم ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين ، إنا ننزل عند حُكم الله عزّ وجلّ وكتابه ، ولا يجمع[٢] بيننا غيره ، وإن كتاب الله عزّ وجلّ بيننا مِن فاتحتِه إلى خاتمته ، نُحيي ما أحيا ، ونُميت ما أمات ، فما وجد الحكَمَان في كتاب الله عزّ وجلّ — وهما أبو موسى الأشعريّ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص القرشي — عَمِلاَ به ، وما لم يَجِدا في كتاب الله عزّ وجلّ فالسنة العادلة الجامعة غير المفرّقة . وأخذ الحكَمَان من عليّ ومعاوية ومِن الجندين من العهود والميثاق[٣] والثقة من الناس ، أنهما آمِنان على أنفسهما وأهلِهما ، والأمّة لهما أنصار على الذي يتقاضَيَان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهدُ الله وميثاقُه أنّا على

(١) صفين : « العراق » .
(٢) ابن الأثير والنويري : « وألا يجمع » .
(٣) ابن الأثير والنويري : « والمواثيق » .

١/٣٣٣٧ ما فى هذه الصحيفة ، وأن قدوجبت قضيّتهما على المؤمنين ، فإنّ الأمن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، وشاهدهم وغائبهم ، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهدُ الله وميثاقُه أن يحكُما بين هذه الأمة ، ولا يَرُدّاها فى حرب ولا فُرقة حتى يُعصيا ، وأجَلُ القضَاء إلى رَمضان. وإن أحبّا أن يؤخّرا ذلك أخّراه على تراضٍ منهما، وإن تُوفّى أحد الحكَمين فإنّ أمير الشيعة يختار مكانه ، ولا يألو من أهل المَعدلة والقِسط ، وإنّ مكان قضيّتهما الذى يقضيان فيه مكان عدلٌ بين أهل الكوفة وأهل الشأم ؛ وإن رضيا وأحبّا فلا يَحضرهما فيه إلا من أرادا ، ويأخذ الحكَمان من أرادا من الشهود ، ثم يكتبان شهادتهما على ما فى هذه الصحيفة ، وهم أنصارٌ على مَن ترك ما فى هذه الصحيفة ، وأراد فيه إلحاداً وظُلماً . اللهم إنا نستنصرك على من ترَك ما فى هذه الصحيفة[1] .

شَهِد من أصحاب علىّ الأشعثُ بن قُيس الكندىّ ، وعبدُ الله بن عباس ، وسعيد بن قيس الهمدانىّ ، وورقاء بن سُمَىّ البَجَلىّ ، وعبد الله بن مُحِلّ العِجلىّ ، وحُجْر بن عدىّ الكِندىّ ، وعبد الله بن الطفيل العامرىّ ، وعقبة ابن زياد الحَضْرمىّ ، ويزيد بن حجيّة التيمىّ ، ومالك بن كعب الهمدانىّ . ومن أصحاب معاوية أبو الأعور السلمىّ عمرو بن سفيان ، وحبيب مسلمة الفِهرىّ ، والمخارق بن الحارث الزُّبيدىّ ، وزِمْل بن عمرو العذرِىّ ، وحمزة بن مالك الهمْدانىّ ، وعبد الرحمن بن خالد المخزومىّ ، وسُبيع بن يزيد الأنصارىّ ، وعلقمة بن يزيد الأنصارىّ ، وعُتبة بن أبى سُفيان ، ويزيد بن الحرّ العبسىّ[2] . ١/٣٣٣٨

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو جناب الكلبىّ ، عن عُمارة بن ربيعة الجَرْمىّ ، قال : لما كُتبت الصحيفة دُعِىَ لها الأشتر فقال : لا صحِبتْنِى يمينى ، ولا نفعتْنى بعدَها شمالى[3] ، إن خُطّ لى فى هذه الصحيفة اسم على صلح

---

(١) بعدها فى صفين : « وأراد فيها إلحاداً وظلماً » .

(٢) صفين: ٥٨٤ — ٥٨٦ .

(٣) صفين : « الشمال » .

ولا موادَعة. أوَلستُ على بيّنة من ربّى، ومن ضلال عدوّى[١]! أوَ لستم قد رأيتم الظَّفَر لو لم تُجمِعوا على الجَوْر[٢]! فقال له الأشعث بن قيس: إنك والله ما رأيت ظَفَرا ولا جَوْرًا[٣]، هلمّ إلينا فإنه لا رغبة بك عنّا؛ فقال: بلى والله لرغبة بى عنك فى الدّنيا للدّنيا والآخرة للآخرة، ولقد سفَكَ الله عزّ وجلّ بسيفى هذا دماءَ رجال ما أنت عندى خيرٌ منهم، ولا أحرَم دماً؛ قال عُمارة: فنظرتُ إلى ذلك الرجل وكأنما قُصع على أنفه الحُمم[٤] — يعنى الأشعث[٥].

قال أبو مخنف، عن أبى جَنَاب، قال: خرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس، ويَعرِضه عليهم، فيقرءونه، حتى مرّ به على طائفة من بنى تميم فيهم عروة بن أدَيّة، وهو أخو أبى بلال، فقرأه عليهم، فقال عروة ابن أدَيّة: تحكّمون فى أمر الله عزّ وجلّ الرجال! لا حكم إلا لله؛ ثم شدّ بسيفه فضرب به عجزُ دابته ضربةً خفيفة، واندفعت الدّابة، وصاح به أصحابه، أن املك يدَك، فرجع، فغضب للأشعث قومُه وناس كثير من أهل اليمن، فمشى الأحنف بنُ قيس السعدىّ ومعقِل بن قيس الرّياحىّ، ومِسْعر بن فَدَكِى، وناس كثيرٌ من بنى تميم، فتنصّلوا إليه واعتذروا؛ فقَبِل وصَفَح. ١/٣٣٣٩

قال أبو مخنف: حدّثنى أبو زيد عبدالله الأودىّ، أن رجلاً من أوْد كان يقال له عمرو بن أوس، قاتَلَ مع علىّ يومَ صِفين، فأسره معاوية فى أسارَى كثيرين، فقال له عمرو بن العاص: اقتلهم، فقال له عمرو بن أوس: إنك خالى، فلا تقتلْنى، وقامت إليه بنو أوْد فقالوا: هب لنا أخانا؛ فقال: دعوه، لعمرى لئن كان صادقًا فلنستغنينّ عن شفاعتكم، ولئن كان كاذبًا لتأتينّ

---

(١) صفين: «ويقين من ضلال عدوّى».
(٢) صفين: «الخور».
(٣) صفين: «خوراً».
(٤) القصع: الضرب الدلك، والحمم: الرماد والفحم وكل ما احترق؛ واحدته حممة.
(٥) صفين: ٥٨٧.

شفاعتكم من ورائه ، فقال له : من أين أنا خالك ! فوالله ما كان بيننا وبين أوْدٍ مصاهَرَة ؛ قال : فإن أخبرتُكَ فعرفتَه فهو أماني عندَك ؟ قال : نعم ؛ قال : ألستَ تعلم أن أمّ حبيبة ابنة أبي سُفيان زوجُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بلى ، قال : فإنّي ابنُها ، وأنتَ أخوها ، فأنت خالي ؛ فقال معاوية : لله أبوك ! ما كان في هؤلاء واحد يفطُن لها غيره . ثم قال للأوْدِيّين : أيستغني عن شفاعتكم ! خَلُّوا سبيله(١) .

قال أبو مخنف : حدّثني نُمَير بن وَعْلَة الهمْدانيّ ، عن الشعبيّ ، أن أسارى كان أسرهم عليٌّ يومَ صِفّين كثير ، فخلّى سبيلهم ، فأتوْا معاوية ، وإنّ عمرًا ليقول — وقد أسر أيضًا أسارى كثيرة : اقتلهم ، فما شعروا إلا بأسَرائهم قد خُلِّيَ سبيلهم ، فقال معاوية : يا عمرو ، لو أطعناك في هؤلاء الأسرى وقعْنا في قبيح من الأمر ؛ ألا ترى قد خُلِّيَ سبيل أسارانا ! وأمر بتخلية سبيل من في يديه من الأسارى(٢) .

١/٣٣٤٠

قال أبو مِخنف : حدّثني إسماعيل بن يزيد ، عن حُميد بن مسلم ، عن جندب بن عبد الله ، أن عليًّا قال للناس يومَ صِفّين : لقد فعلتم فَعلةً ضَعضعتْ قوّة ، وأسقطتْ مُنّة ، وأوهنت وأورثت وَهْناً وذلّة ، ولمّا كنتم الأعْلَيْن ، وخاف عدوّكم الاجتياح ، واستحرّ بهم القتل ووجدوا ألم الجراح ، رفعوا المصاحف ، ودَعوْكم إلى ما فيها ليفثَئوكم عنهم ، ويقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم ، ويتربّصوا [بكم](٣) ريبَ المنون خديعة ومكيدة ، فأعطيتموهم ما سألوا ، وأبيتم إلا أن تُدْهِنوا وتجوّزوا(٤) ! وايم اللهِ ما أظنّكم بعدها توافقون رَشَداً ، ولا تصيبون بابَ حزم .

* * *

قال أبو جعفر : فكُتِب كتاب القضيّة بين عليّ ومعاوية — فيما قيل — يوم

(١) صفين: ٥٩٤ — ، ٥٩٥ .

(٢) صفين: ٥٩٥

(٣) من ابن الأثير .

(٤) ابن الأثير : « تدهنوا وتجيروا » .

الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة ، على أن يوافى علىّ ومعاوية موضع الحكمين بدُومة الجندل فى شهر رمضان ، مع كلّ واحد منهما أربعمائة من أصحابه وأتباعه .

١/٣٣٤١ فحدّثنى عبد الله بن أحمد، قال : حدّثنى أبى ، قال: حدّثنى سليمان بن يونس بن يزيدَ ، عن الزّهرىّ، قال : قال صعصعة بن صُوحان يومَ صِفّين حين رأى الناس يتبارون: ألا اسمعوا واعقلوا، تعلمُنّ والله لئن ظهر علىّ ليكوننّ مثلَ أبى بكر وعمرَ رضى الله عنهما، وإن ظهر معاوية لايُقِرّ لقائل بقول حقّ .

قال الزّهرىّ : فأصبح أهل الشأم قد نشروا مصاحفَهم ، ودَعَوا إلى ما فيها ، فهاب أهل العراقين ، فعند ذلك حكّموا الحكَمين ، فاختار أهلُ العراق أبا موسى الأشعرىّ ، واختار أهلُ الشأم عمرَو بن العاص ، فتفرّق أهلُ صِفّين حين حُكّمَ الحكَمان ، فاشترطا أن يرفعا ما رفع القرآن ، ويخفِضا ما خفض القرآن، وأن يختارا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ،(١)وأنّهما يجتمعان بدُومة الجندل ، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرُح(١) .

فلما انصرف علىّ خالفت الحَرورية وخرجت — وكان ذلك أول ماظهرت — فآذنوه بالحرب، وردّوا عليه : إنّ حكّم بنى آدم فى حكم الله عزّ وجلّ، وقالوا : لا حكمَ إلا لله سبحانه ! وقاتلوا ، فلما اجتمع الحكمان بأذرُح ، وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس ، فأرسل الحكَمان إلى عبد الله بن عمرَ ابن الخطاب وعبد الله بن الزّبير فى إقبالهم فى رجال كثير ، ووافى معاويةُ بأهل الشأم ،وأبى علىّ وأهل العراق أن يوافُوا؛ فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوى الرأى من قريش : أترَوْن أحداً من الناس برأى يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكَمان أم يتفرّقان ؟ قالوا : لا نرى أحداً يعلم ذلك ، قال: فوالله إنّى لأظنّ ١/٣٣٤٢ أنّى سأعلمه منهما حين أخلُو بهما وأراجعهما . فدخل على عمرو بن العاص وبدأ به فقال : يا أبا عبد الله ، أخبرنى عمّا أسألك عنه ، كيف ترانا معشر المعتزِلة ، فإنا قد شككْنا فى الأمر الذى تبيّن لكم من هذا القتال ، ورأيْنا

(١ – ١) ابن الأثير : « واتفقوا على أن يوافى أمير المؤمنين على موضع الحكمين بدومة جندل أو بأذرح فى شهر رمضان » .

أن نستأنىَ ونتثبّت حتى تجتمع الأمة ! قال : أراكم معشرَ المعتزِلة خلْفَ الأبرار ، وأمامَ الفُجّار ! فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، حتى دخل على أبي موسى فقال له مثلَ ما قال لعمرو ، فقال أبو موسى : أراكم أثبتَ الناس رأيًا ، فيكم بقيّة المسلمين ، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك ، فلقى الذين قال لهم ما قال من ذوى الرّأى من قريش ، فقال : لا يجتمع هذان على أمر واحد ، فلما اجتمع الحكَمان وتكلّما قال عمرو بن العاص : يا أبا موسى ، رأيت أوّل ما تقضى به من الحقّ أن تقضىَ لأهل الوفاء بوفائهم ، وعلى أهل الغدر بغَدرهم ؛ قال أبو موسى : وما ذاك ؟ قال : ألستَ تعلم أنّ معاوية وأهل الشأم قد وَفَوا ، وقَدِموا للموعد الذى واعدْناهم إيّاه ؟ قال : بلى ، قال عمرو : اكتُبها ؛ فكتَبها أبو موسى ؛ قال عمرو : يا أبا موسى ، أأنتَ على أن نسمّىَ رجلاً يلِى أمرَ هذه الأمة ؟ فسمّه لى ، فإن أقدر على أن أتابعَك فلك علىّ أن أتابعك ، وإلا فلِى عليك أن تتابعنى ! قال أبو موسى : أسمّى لك عبدَالله بنَ عمر ، وكان ابن عمر فيمن اعتزل ؛ قال عمرو : إنى اسمّى لك معاويةَ بن أبى سُفيان ، فلم يَبرحا مجلسهما حتى استبّا ، ثم خرجا إلى الناس ، فقال أبو موسى : إنّى وجدت مَثلَ عمرو مَثل الّذين قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَاتلُ عَلَيْهِمْ نَبأَ الَّذى آتيناهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخ مِنْهَا ﴾،[1] فلمّا سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال : أيّها الناس وجدت مَثلَ أبى موسى كمَثل الذى قال عزّ وجلّ : ﴿ مَثَلُ الذِين حُمِّلوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلوها كَمَثَلِ الحمَارِ يَحْمِلُ أسْفاراً ﴾،[2] وكتب كلٌّ واحد منهما مثَلَه الذى ضرب لصاحبه إلى الأمصار .

قال ابن شهاب : فقام معاوية عشيّةً فى الناس ، فأثنى على الله جلّ ثناؤه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد، فمن كان متكلّمًا فى الأمر فليطلِع لنا قَرْنَه ، قال ابن عمر : فأطلقتَ حُبْوَتى ، فأردت أن أقول قولا يتكلّم فيه رجالٌ قاتلوا أباك على الإسلام ، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرِّق الجماعة ، أو يُسفك فيها دم ، أو أحمَل فيها على غير رأى ، فكان ما وعد الله عزّ وجلّ

١/٣٣٤٣

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٥ . (٢) سورة الجمعة: ٥ .

فى الجنان أحبَّ إلىّ من ذلك . فلما انصرف[١] إلى المنزل جاءنى حبيب بن مَسْلمة فقال: ما منعك أن تتكلم حين سمعت الرجل يتكلّم ؟ قلت : أردت ذلك ، ثم خشيت أن أقول كلمةً تُفرّق بين جميع ، أو يُسفَك فيها دم ، أو أحمَل فيها على غير رأى ، فكان ما وعد الله عزّ وجلّ من الجنان أحبّ إلىّ من ذلك . قال : قال حبيب : فقد عُصِمْتَ .

* * *

١/٣٣٤٤ * رجع الحديث إلى حديث أبى مِخْنف : قال أبو مخنف : حدثنى فُضيل بن خَديج الكندىّ ، قال : قيل لعلىّ بعد ما كُتبت الصحيفة: إن الأشتر لا يُقرّ بما فى الصحيفة، ولا يرى إلا قتال القوم؛ قال علىّ : وأنا والله ما رضيتُ ولا أحببتُ أن ترضَوْا ، فإذْ أبيتم إلا أن ترضَوا فقد رضيتُ ، فإذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرّضا ، ولا التبديل بعد الإقرار ، إلا أن يُعصَى الله عزّ وجلّ ويُتعدّى كتابُه ، فقاتِلوا مَن ترَك أمرَ الله عزّ وجلّ . وأمّا الذى ذكرتم من تركه أمرِى وما أنا عليه فليس من أولئك ، ولستُ أخافه على ذلك ، ياليت فيكم مثله اثنين ! ياليت فيكم مثله واحداً يرى فى عدوّى ما أرَى ، إذاً لخفّتْ علىّ مئونتكم،ورجوتُ أن يستقيم لى بعض أوَدكم؛ وقد نهيتكم عما أتيتم فعصيتمونى ، وكنت أنا وأنتم كما قال أخو هَوازن[٢] :

وهل أنا إلاَّ مِنْ غَزِيَّة إن غَوَتْ غَوَيتُ وإن تَرْشُدْ غزيّةُ أَرْشُدِ

فقالت طائفة ممّن معه : ونحن مافعلْنا يا أمير المؤمنين إلا ما فعلت ؛ قال : نعم ، فلِمَ كانت إجابتكم إياهم إلى وضع الحرب عنّا ! وأما القضيّة فقد استوثقنا لكم فيها ، وقد طمعت ألّا تَضلّوا إن شاء الله ربّ العالمين .

فكان الكتاب فى صفَر والأجل رمضان إلى ثمانية أشهر ، إلى أن يلتقى الحَكَمان . ثم إنّ الناس دفنوا قتلاهم ، وأمر علىّ الأعورَ فنادى فى الناس بالرّحيل .

---

(١) ابن الأثير : « انصرفت » . (٢) هو دريد بن الصمّة ؛ من أبيات أوردها صاحب الحماسة — ٢ : ٣٠٤ — ٣٠٩ بشرح التبريزى .

١/٣٣٤٥ قال أبو مِخْنَف: حدّثني عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه، قال: لما انصرفنا من صفّين أخذنا غير طريقنا الذى أقبلْنا فيه؛ أخذنا على طريق البرّ على شاطئ الفرات، حتى انتهينا إلى هِيتَ، ثم أخذْنا على صَنْدودَاء، فخرج الأنصاريّون بنو سعد بن حرام، فاستقبلوا عليًّا، فعرضوا عليه النزول، فبات فيهم ثم غدا، وأقبلْنا معه، حتى إذا جُزْنا النُّخَيلة، ورأينا بيوت الكوفة، إذا نحن بشيخ جالس فى ظلّ بيت على وجهه أثر المرض، فأقبل إليه علىّ ونحن معه حتى سلم عليه وسلمنا معه، فردّ ردًّا حسنًا ظننا أن قد عرفه، قال له علىّ: أرى وجهك منكفئًا فمِنْ مَهْ؟ أمِن مرض؟ قال: نعم؛ قال: فلعلّك كرهتَه، قال: ما أحبّ أنه بغيرى، قال: أليس احتسابًا للخير فيما أصابك منه؟ قال: بلى، قال: فأبشر برحمةِ ربّك وغفرانِ ذنبك. مَن أنت يا عبدَ الله؟ قال: أنا صالح بن سُلَيم، قال: ممّن؟ قال: أمّا الأصل فمِن سَلَامَان طيِّئ، وأما الجوار والدّعوة ففى بنى سُليم بن منصور؛ فقال: سبحان الله! ما أحسَن اسمَك واسمَ أبيك واسمَ أدْعِيائك واسمَ من اعتزيتَ إليه! هل شهدتَ معنا غَزاتنا هذه؟ قال: لا، والله ما شهدتُها، ولقد أردتها ولكن ما ترى من أثر لحَبِ[1] الحمَّى خزَلنى عنها؛ فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

١/٣٣٤٦ خبِّرنى ما تقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام؟ قال: فيهم المسرور فيما كان بينك وبينهم — وأولئك أغشّاء الناس — وفيهم المكبوت الآسف بما كان من ذلك — وأولئك نُصحاء الناس لك — فذهب لينصرف فقال: قد صدقت، جعل الله ما كان من شكواك حطًّا لسيّئاتك، فإنّ المرض لا أجرَ فيه، ولكنه لا يَدَع على العبد ذنبًا إلا حطّه، وإنما أجرٌ فى القول باللسان والعمل باليد والرِّجل، وإنّ الله جلّ ثناؤه ليُدخل بصدق النيّة والسريرة الصالحة عالَمًا جمًّا من عباده الجنة. قال: ثم

(١) لحب الحمى: هزالها.
(٢) سورة التوبة: ٩١.

مضى علىٌّ غير بعيد ، فلقيه عبد الله بن وَديعة الأنصارىّ ، فدنا منه ، وسلّم عليه وسايره ، فقال له : ما سمعتَ الناس يقولون فى أمرنا ؟ قال : منهم المعجَب به ، ومنهم الكاره له ، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾[1] . فقال له : فما قول ذَوى الرّأى فيه ؟ قال : أما قولهم فيه فيقولون إنّ عليًّا كان له جمع عظيم ففرّقه ، وكان له حِصن حَصين فهدّمه ، فحتى متى يبنى ما هدم ، وحتّى متى يجمع مافرّق ! فلو أنه كان مضى بمن أطاعه – إذ عصاه من عصاه – فقاتل حتّى يظفر أو يهلك إذاً كان ذلك الحزم . فقال علىٌّ : أنا هدمت أم هم هدموا ! أنا فرّقت أم هم فرّقوا ! أما قولهم : إنه لو كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتّى يَظفرَ أو يهلك ، إذاً كان ذلك الحزم ، فوالله ما غَبِيَ عن رأيى[2] ذلك ، وإن كنتُ لسخيًّا بنفسى عن الدنيا ، طيّبَ النفس بالموت ، ولقد هممتُ بالإقدام على القوم ، فنظرت إلى هذين قد ابتدَرانى – يعنى الحسن والحسين – ونظرتُ إلى هذين قد استقدمانى – يعنى عبدَالله بنَ جعفر ومحمد بنَ علىّ – فعلمت أن هذين إنْ هلكا انقطع نسْلُ محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الأمّة ، فكرهت ذلك ، وأشفقتُ على هذين أن يَهلِكا ، وقد علمتُ أن لولا مكانى لم يستقدما – يعنى محمد بن على وعبدَالله بن جعفر – وايمُ الله لئن لقيتُهم بعد يومى هذا لألقينّهم وليسوا معى فى عسكر ولا دار . ثم مضى حتى إذا جُزْنا بنى عوف إذا نحن عن أيماننا بقبور سبعة أو ثمانية ، فقال علىٌّ : ما هذه القبور ؟ فقال قُدامة بن العجلان الأزدىّ : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ خبّاب ابن الأرتّ توفّى بعد مخرجك ، فأوصَى بأن يُدفَن فى الظَّهر ، وكان الناس إنما يُدفنون فى دُورهم وأفنِيَتهم ، فدفن بالظَّهر رحمه الله ، ودفَن الناس إلى جنبه ، فقال علىٌّ : رحم الله خبّاباً ، فقد[3] أسلم راغبًا ، وهاجر طائعًا ، وعاش مجاهداً ، وابتُلِىَ فى جسمه أحوالا ! وإنّ الله لا يُضيع أجرَ من أحسن

١ / ٣٣٤٧

(١) سورة هود: ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) ابن الأثير : « ما خفى عنى هذا » .

(٣) ابن الأثير « فلقد » .

عملاً . ثم جاء حتى وقف عليهم فقال : السّلام عليكم يا أهلَ الدّيار الموحِشة ، والمحالّ المقفِرة ، من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات . أنتم لنا سلَف فارط ، ونحن لكم تَبَعٌ ، بكم عمّا قليل لاحقون. اللهمّ اغفر لنا ولهم ، وتجاوَز بعفوك عنّا وعنهم ! وقال : الحمد لله الذى جعل منها خلقَكم ، وفيها معادَكم ، منها يبعثكم ، وعليها يحشركم ، طوبَى لمن ذكر المَعاد ، وعمل للحساب ، وقنع بالكَفاف ، ورضىَ عن الله عزّ وجلّ ! ثم أقبل حتى حاذَى سكّة الثوريّين ، ثم قال : خُشّوا ، ادخُلوا بين هذه الأبيات[1] . ٣٣٤٨/١

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الله بن عاصم الفائشىّ ، قال : مرّ علىٌّ بالثوريّين[2] ، فسمع البكاء ، فقال : ما هذه الأصوات ؟ فقيل له : هذا البكاء على قتلَى صِفّين ، فقال : أما إنّى أشهد لمن قُتل منهم صابراً محتسِباً بالشهادة . ثم مرّ بالفائشيّين ، فسمع الأصوات ، فقال مِثلَ ذلك ، ثم مضى حتى مرّ بالشِّباميّين ، فسمعَ رجّة شديدة[3] ، فوقف ، فخرج إليه حرب بن شُرحبيل الشِّبامىّ ، فقال علىٌّ : أيغلبكم نساؤكم ! ألا تنهونهنّ عن هذا الرَّنين ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثاً قدَرنا على ذلك ، ولكن قُتِل من هذا الحىّ ثمانون ومائة قتيل ، فليس دار إلا وفيها بكاء ، فأمّا نحن معشرَ الرجال فإنا لا نبكى ، ولكن نفرح لهم ، ألا نفرح لهم بالشهادة ! قال علىٌّ : رحم الله قَتلاكم وموتاكم ! وأقبل يمشى معه وعلىٌّ راكب ، فقال له علىّ : ارجع ، ووقف ثم قال له : ارجع ، فإن مَشْىَ مِثلِك مع مثلى فتنةٌ للوالى ، ومذَلّة للمؤمن . ثم مضى حتى مرّ بالناعطيّين — وكان جُلُّهم عثمانية — فسمع رجلاً منهم يقال له عبد الرحمن بن يزيد ، من بنى عُبيد من الناعِطِيّين يقول : والله ما صنع علىّ شيئاً ، ذهب ثم انصرف فى غير شىء ! فلما نظروا إلى علىّ أبلَسوا[4] ، فقال : وجوه قومٍ ما رأوا الشأمَ ٣٣٤٩/١

---

(١) صفين: ٦١٠ ، ٦١١ .

(٢) بعدها فى صفين : « يعنى ثور همدان » .

(٣) صفين : « ثم مر بالشباميين فسمع رنة شديدة » .

(٤) أبلسوا : انقطعت حجتهم وسكتوا . وفى صفين : « فلما نظر أمير المؤمنين أبلس » .

العامَ . ثم قال لأصحابه : قومٌ فارقْناهم آنفًا خير من هؤلاء ، ثم أنشأ يقول :

أخوك الذى إنْ أجْرَضَتْكَ مُلِمَّةٌ   مِنَ الدَّهْرِ لمِيَبْرَحْ لِبَثِّكَ واجِمَا[1]

وليس أخوك بالّذى إنْ تَشَعَّبَتْ[2]   عليكَ الأُمورُ ظَلَّ يلحَاكَ لائما

ثم مضى ، فلم يزل يذكر الله عزّ وجلّ حتى دخل القصر[3] .

* * *

قال أبو مخنف : حدّثنا أبو جَنّاب الكلبيّ ، عن عُمارة بن ربيعة ، قال : خرجوا مع عليّ إلى صفّين وهم متوادّون أحبّاء ، فرجعوا متباغضين أعداء ، ما برِحوا من عسكرهم بصِفّين حتى فشا فيهم التحكيم ، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريقَ كله ويتشاتمون ويضطَرِبون بالسياط ، يقول الخوارج : يا أعداء الله ، أدهنتم فى أمر الله عزّ وجلّ وحكّمتم ! وقال الآخرون : فارقتم إمامَنا . وفرّقتم جماعتَنا . فلمّا دخل عليّ الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوْا حَرُوراء ، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفًا ، ونادى مناديهم : إنّ أمير القتال شَبَث بن رِبعيّ التميميّ . وأمير الصلاة عبد الله بن الكوّاء اليَشْكُريّ ، والأمر شُورَى بعد الفتح ، والبيعة لله عزّ وجلّ ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

* * *

بعثة عليّ جعدةَ بن هُبيرة إلى خراسان

وفى هذه السنة بعث عليٌّ جَعدة بن هبيرةَ فيما قيلَ إلى خُراسان .

* ذكر الخبر عن ذلك :

١/٣٣٥٠

ذكر عليُّ بن محمد ، قال : أخبرنا عبد الله بن ميمون ، عن عمرو بن شُجَيرة ، عن جابر ، عن الشعبيّ ، قال : بعث عليٌّ بعد ما رجع من صِفّين

(١) أجرضتك : أغصّتك ، وفى صفّين : « أحرضتك » ؛ أى أشفت بك على الهلاك .
(٢) صفين : « إن تمنّعت » .
(٣) صفين: ٦١١ ، ٦١٢ .

جَعْدة بن هُبَيرة المخزوميّ إلى خُراسان، فانتهى إلى أبْرَشَهْر ، وقد كفروا وامتنعوا ، فقدم على علىّ . فبعث خُليد بن قُرّة اليربوعىّ ، فحاصر أهلَ نيسابور حتّى صالحوه ، وصالحه أهلُ مَرْو ، وأصاب جاريتين من أبناء الملوك نزلتا بأمان ، فبعث بهما إلى علىّ ، فعرض عليهما الإسلام وأن يزوّجهما ، قالتا : زوّجْنا ابنيك ، فأبى ، فقال له بعض الدّهاقين : ادفعهما إلىّ ، فإنه كرامة تُكرِمُنِى بها ، فدفعهما إليه ، فكانتا عنده ، يفرش لهما الديباج ، ويُطعِمهما فى آنية الذهب ، ثمّ رجعتا إلى خُراسان .

* * *

اعتزال الخوارج عليّاً وأصحابه ورجوعهم بعد ذلك

وفى هذه السنة اعتزل الخوارج عليّاً وأصحابه، وحكّموا، ثم كلّمهم علىّ فرجعوا ودخلوا الكوفة .

* ذكر الخبر عن اعتزالهم عليّاً :

قال أبو مخنف فى حديثه عن أبى جَنَاب ، عن عُمارة بن ربيعة ، قال : ولما قدم علىّ الكوفة وفارقتْه الخوارج ، وثبتْ إليه الشيعة فقالوا : فى أعناقنا بَيعة ثانية ، نحن أولياء من والَيت ، وأعداءُ من عادَيت ؛ فقالت الخوارج : استبقتم أنتم وأهلُ الشأم إلى الكُفْر كفَرَسَىْ رِهان، بايع أهلُ الشأم معاوية على ما أحبّوا وكرهوا ، وبايعتم أنتم عليّاً على أنكم أولياء مَن والى وأعداءُ مَن عادَى ؛ فقال لهم زياد بن النَّضْر : والله ما بسط علىّ يدَه فبايعناه قطّ إلا على كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعتُه ، فقالوا[1] : نحن أولياء مَن والَيت ، وأعداءُ مَن عاديت ؛ ونحن كذلك ، وهو على الحقّ والهدى ، ومن خالفه ضالّ مُضِلّ . وبعث علىّ ابن عبّاس إليهم ، فقال : لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك . فخرج إليهم حتى أتاهم ، فأقبلوا يكلّمونه ، فلم يصبر حتى راجعهم ، فقال : ما نقَمتم من الحَكَمين ، وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إنْ يُرِيدَا إصْلَاحًا يُوَفِّقِ

٣٣٥١/١

---

(١) ابن الأثير : « فقالوا له » .

اللهُ بَيْنَهُمَا﴾[١]! فكيف بأمّة محمد صلى الله عليه وسلم! فقالت الخوارج : قلنا : أمّا ما جعل حكمه إلى الناس، وأمر بالنّظر فيه والإصلاح له فهو إليهم كما أمر به ، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه؛ حكم فى الزانى مائة جلدة ، وفى السارق بقطع يده ، فليس للعباد أن ينظروا فى هذا . قال ابن عبّاس : فإن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[٢] ، فقالوا : أوَ تجعل الحكم فى الصّيْد، والحدَث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم فى دماء المسلمين ! وقالت الخوارج : قلنا له : فهذه الآية بيننا وبينك ، أعدْلٌ عندك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ويَسفِك دماءنا ! فإن كان عدْلاً فلسنا بعدُول ونحن أهلُ حربه . وقد حكّمتم فى أمر الله الرّجال ، وقد أمضى الله عزّ وجلّ حكمه فى معاوية وحزبه أن يُقتَلوا أو يرجعوا ، وقبل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عزّ وجلّ فأبوْه، ثم كتبتم بينكم وبينه[٣] كتاباً ، وجعلتم بينكم وبينه الموادَعة والاستفاضة ، وقد قطع عزّ وجلّ الاستفاضة والموادَعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلتْ براءة، إلا من أقرّ بالجزية . ١/٣٣٥٢

وبعث علىّ زياد بن النّضر إليهم فقال : انظر بأىّ رءوسهم هم أشدّ إطافة، فنظر فأخبره أنه لم يرهم عند رجل أكثر منهم عند يزيدَ بن قيس . فخرج علىّ فى الناس حتى دخل إليهم ، فأتى فُسطاط يزيد بن قيس ، فدخله فتوضّأ فيه وصلى ركعتين ، وأمّره على إصبهان والرّىّ ، ثم خرج حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابنَ عبّاس، فقال : انتهِ عن كلامهم ، ألم أنْهَكَ رحمك الله ! ثم تكلّم فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه ثم قال : اللهمّ إنّ هذا مقامٌ مَنْ أفلجَ فيه كان أولَى بالفَلْج يوم القيامة ، ومن نطق فيه وأوعث فهوَ فى الآخرة أعمَى وأضلّ سبيلاً . ثم قال لهم : مَن زعيمُكم ؟ قالوا : ابن الكوّاء . قال علىّ : فما أخرجكم علينا ؟ قالوا : حكومَتُكم يومَ صِفّين . قال : أنشُدُكم بالله ، أتعلمون أنهم حيث رفعُوا المصاحف فقلتم : نجيبهم إلى كتاب الله قلت لكم : إنى أعلم بالقوم منكم ؛ إنهم ليسوا بأصحاب دِين

---

(١) سورة النساء: ٣٥ . (٢) سورة المائدة: ٩٥ .

(٣) ابن الأثير والنويرى : « وبينهم » .

ولا قرآن ، إني صحبتهم وعرفتهم أطفالا ورجالاً ، فكانوا شرَّ أطفال وشرَّ رجال . امضوا على حقكم وصدقكم ، فإنما رفع القوم هذه المصاحفَ خديعةً ودهنًا ومكيدة . فرددتم عليَّ رأيي ، وقلتم : لا ، بل نقبل منهم . فقلت لكم : اذكروا قولي لكم ، ومعصيتكم إيّاى ، فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطتُ على الحكَمين أن يُحييا ما أحيا القرآن ، وأن يُميتا ما أماتَ القرآن ، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكمًا يحكم بما في القرآن ، وإن أبيا فنحن من حكمهما برآء . قالوا له : فخبِّرنا أتراه عدلا تحكيم الرّجال في الدماء ؟ فقال : إنا لسنا حكّمنا الرجال ، إنما حكّمنا القرآن ، وهذا القرآن إنما هو خطّ مسطور بين دفّتين ، لا ينطق ، إنما يتكلّم به الرجال ، قالوا : فخبّرنا عن الأجل ، لم جعلته فيما بينك وبينهم ؟ قال : ليعلم الجاهل ، ويتثبّت العالم ، ولعل الله عزّ وجلّ يصلح في هذه الهدنة هذه الأمّة . ادخلوا مصركم رحمكم الله ! فدخلوا من عند آخرهم .

١/٣٣٥٣

قال أبو مخنف : حدّثني عبد الرحمن بن جُندب الأزديّ ، عن أبيه بمثل هذا .

وأما الخوارج فيقولون : قلنا : صدقتَ ، قد كنا كما ذكرت ، وفعلنا ما وصفْت ، ولكنّ ذلك كان منّا كفراً ، فقد تُبْنا إلى الله عزّ وجلّ منه ، فتبْ كما تُبْنا نبايعْك ، وإلا فنحن مخالفون . فبايعَنا عليّ وقال : ادخلوا فلنمكث ستّة أشهر حتى يجبَى المال ، ويَسمَن الكُراع ، ثم نخرج إلى عدوّنا . ولسنا نأخذ بقولهم ؛ وقد كذبوا[1] .

وقدم معن بن يزيد بن الأخنس السلَميّ في استبطاء إمضاء الحكومة وقال لعليّ : إنّ معاوية قد وفَى ، فَف أنت لا يلفتنّك عن رأيك أعاريبُ بكر وتميم . فأمر عليّ بإمضاء الحكومة ، وقد كانوا افترقوا من صفّين على أن يقدم الحكَمان في أربعمائة أربعمائة إلى دومة الجندل .

١/٣٣٥٤

وزعم الواقديّ أنّ سعداً قد شهد مع من شهد الحكمين ، وأن ابنه عمر لم يدَعْه حتى أحضره أذرحَ ، فندم ، فأحرم من بيت المقدس بعُمرة .

(١) ابن الأثير : « وقد كذب الخوارج فيما زعموا » .

اجتماع الحكَمين بدُومة الجنْدَل

وفى هذه السنة كان اجتماع الحكَمين .

* ذكر الخبر عن اجتماعهما :

قال أبو مخنف : حدّثنى المجالد بن سعيد ، عن الشعبىّ ، عن زياد بن النَّضر الحارثىّ ، أنّ عليًّا بعث أربعمائة رجل ، عليهم[1] شريح بن هانئ الحارثىّ ، وبعث معهم عبد الله بن عباس ، وهو يصلّى بهم ، ويلِى أمورَهم ، وأبو موسى الأشعرىّ معهم . وبعث معاوية عمرَو بن العاص فى أربعمائة من أهل الشأم ، حتى توافَوْا بدُومة الجندل بأذْرح ، قال : فكان معاوية إذا كتب إلى عمرو جاء الرسول وذهب لا يدرى بما جاء به ، ولا بما رجع به ، ولا يسأله أهلُ الشأم عن شىء ؛ وإذا جاء رسول علىّ جاءوا إلى ابن عبَّاس فسألوه: ما كتب به إليك أمير المؤمنين ؟ فإن كتَمهم ظنوا به الظنون فقالوا : ما نُراه كتب إلا بكذا وكذا . فقال ابن عباس : أما تعقلون ! أما ترَوْن رسولَ معاوية يجىء لا يعلم بما جاء به ، ويرجع لا يعلم ما رجع به ، ولا يُسمع لهم صياح ولا لفظ ، وأنتم عندى كلّ يوم تظنُّون الظنون !

قال : وشهد جماعتَهم تلك عبدُ الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرّحمن بن الحارث بن هشام المخزومىّ وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزُّهرىّ وأبوجَهْم بن حُذَيفة العدوىّ والمغيرة بن شُعبة الثَّقَفِىّ ؛ وخرج عمر بن سعد حتى أتى أباه على ماء لبنى سُليم بالبادية ، فقال : يا أبتِ ، قد بلغك ما كان بين الناس بصِفّين ، وقد حكَّم الناسُ أبا موسى الأشعرىّ وعمرَو بنَ العاص ، وقد شهدهم نفر من قريش ؛ فاشهدهم فإنك صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الشورى ، ولم تدخل فى شىء كرهتْه هذه الأمة ، فاحضُر فإنك أحقّ الناس بالخلافة . فقال : لا أفعل ، إنى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه تكون فتنةٌ ؛ خيرُ الناس فيها الخفىّ التقىّ » ،[2] والله لا أشهد شيئًا من هذا الأمر أبدًا[2] .

١/٢٣٥٥

---

(١) صفّين : « وبعث عليهم » .

(٢ – ٢) صفين : « وهذا أمر لم أشهد أوّله فلا أشهد آخره » .

والتقى الحكمان ، فقال عمرو بن العاص: يا أبا موسى ، ألستَ تعلم أنّ عثمانَ رضى الله عنه قتل مظلومًا ؟ قال : أشهد ، قال : ألستَ تعلم أنّ معاوية وآل معاوية أولياؤه ؟ قال : بلى ؛ قال : فإن الله عزّ وجلّ قال : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفْ فِى الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ [1]، فما يمنعك من معاوية ولِىِّ عثمانَ يا أبا موسى ، وبيتُه فى قريش كما قد علمت؟ فإن تخوّفت أن يقول الناس : ولِىَ معاوية وليست له سابقة ؛ فإن لك بذلك حُجّة ؛ تقول : إنى وجدته ولىّ عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه، الحسن السياسة ، الحسن التدبير ، وهو أخو أمّ حبيبة زوجة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقد صحبه ، فهو أحد الصحابة . ثم عرّض له بالسلطان، فقال : إن وَلِىَ أكرمك كرامةً لم يُكرمها خليفة. فقال أبو موسى : يا عمرو ، اتّق الله عزّ وجلّ ! فأما ما ذكرت من شرَف معاوية فإنّ هذا ليس على الشرف يولّاه أهلُه ، ولو كان على الشرف لكان هذا الأمر لآل أبْرَهة بن الصبّاح ، إنما هو لأهل الدين والفضل ، مع أنى لو كنت معطيَه أفضلَ قريش شرفًا أعطيتُه علىَّ بنَ أبى طالب . وأما قولك: إنّ معاوية ولىّ دم عثمان فولّه هذا الأمر ، فإنى لم أكن لأولّيَه معاوية وأدَعَ المهاجرين الأوّلين . وأما تعريضُك لى بالسلطان ، فوالله لو خرج لى من سلطانه كلّه ما ولّيتُه، وما كنت لأرتشىَ فى حكم الله عزّ وجلّ ، ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطّاب [2] .

١/٣٣٥٦

قال أبو مِخْنَف : حدّثنى أبو جَنَاب الكلبىّ ، أنه كان يقول : قال أبو موسى : أما والله لئن استطعتُ لأحيينّ اسمَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فقال له عمرو : إن كنت تحبّ بَيعة ابن عمر فما يمنعك من ابنى وأنت تعرف فضلَه وصلاحَه ! فقال : إنّ ابنك رجل صِدْق ، ولكنّك قد غمستَه فى هذه الفتنة [3] .

---

(١) سورة الإسراء:٣٣ .
(٢) صفين:٦١٣ — ٦٢٣ مع تصرف واختصار .
(٣) صفين:٦٢٣ .

قال أبو مخنف : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن نافع مولى ابن عمر ، قال : قال عمرو بن العاص : إنّ هذا الأمر لا يُصلحه إلاّ رجل له ضِرْس[(١)] يأكل ويطعم ، وكانت فى ابن عمرَ غفلة ، فقال له عبد الله بن الزبير : افطن ، فانتبه ، فقال عبد الله بن عمر : لا والله لا أرشو عليها شيئًا أبداً ، وقال : يابن العاص ، إنّ العرب أسندتْ إليك أمرَها بعد ما تقارعتْ بالسيوف ، وتناجزتْ بالرّماح ، فلا تُردّنّهم فى فتنة[(٢)] .

٣٣٥٧/١

قال أبو مخنف : حدّثنى النّضر بن صالح العبسىّ ، قال : كنت مع شريح بن هانئ فى غزوة سِجِسْتان ، فحدّثنى أنّ عليًّا أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص ، قال : قل له إذا أنت لقيتَه : إنّ عليًّا يقول لك : [(٣)] إنّ أفضلَ الناس عند الله عزّ وجلّ من كان العمل بالحقّ أحبَّ إليه وإن نقصَه وكرثه ، من الباطل وإن حنّ إليه وزاده[(٣)] ، يا عمرو ، والله إنك لتعلم أينَ موضع الحقّ ، فلم تَجاهل[(٤)] ؟ إن أوتيت طمعًا يسيراً كنتَ به لله وأوليائه عدوًّا ، فكأنْ والله ما أوتيتَ قد زال عنك ؛ وَيْحك ! فلا تكن للخائنين خصيماً ، ولا للظالمين ظهيراً . أمَا إنى أعلم بيومك الذى أنت فيه نادم ، وهو يوم وَفاتك ، تَمنَّى أنك لم تُظهِرْ لمسلم عداوةً ، ولم تأخذ على حُكم رِشْوة . قال : فبلغتُه ذلك ، فتمعّرَ وجهه[(٥)] ، ثم قال : متى كنت أقبل مشورة علىّ أو أنتهى إلى أمره ، أو أعتدّ برأيه ! فقلت له : وما يمنعك يابن النابغة أن

---

(١) الضرس : الرجل المجرب ؛ مثل المضرس .

(٢) كذا ورد الخبر هنا مبتوراً ؛ وفى صفين:٦٢٣ بروايته عن نافع عن ابن عمر ، قال : « قال أبو موسى لعمرو : إن شئنا ولينا هذا الأمر الطيب ابن الطيب عبد الله بن عمر ، فقال عمرو : إن هذا الأمر لا يصلح له إلا رجل له ضرس ، يأكل ويطعم ؛ وإن عبد الله ليس هناك – وكانت فى أبى موسى غفلة . فقال ابن الزبير لعبد الله بن عمر : اذهب إلى عمرو بن العاص فارشه ، فقال عبد الله بن عمر : لا والله ما أرشو عليها أبداً ما عشت ؛ ولكنه قال له : ويلك يابن العاص ! إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ما تضاربت بالسيوف ، وتشاجرت بالرماح ؛ فلا تردهم فى فتنة واتق الله» .

(٣ – ٣) صفين : « إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه ، وإن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده » .

(٤) صفين : « تتجاهل » .

(٥) صفّين : « قال شريح : فأبلغته ذلك فتمعر وجه عمرو » ؛ وتمعر وجهه ، أى تغير .

تقبل من مولاك وسيّد المسلمين بعد نبيّهم مشورته ! فقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمَر يستشيرانه ، ويعمَلان برأيه ، فقال : إنّ مِثلى لا يكلّم مثلك ، فقلت له : وبأىّ أبويك ترغب عنّى ! بأبيك الوَشِيظ أم بأمّك النابغة[١] !

١/٣٣٥٨ قال : فقام عن مكانه وقمت معه[٢] .

قال أبو مِخْنف: حدّثنى أبو جَناب الكلبىّ أنّ عَمراً وأبا موسى حيث التقيا بدُومة الجندل ، أخذ عَمرو يقدّم أبا موسى فى الكلام ، يقول : إنك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت أسنّ منى ، فتكلّم وأتكلّم . فكان عمرو قد عوّد أبا موسى أن يقدّمه فى كلّ شىء ، اغتزى[٣] بذلك كله أن يقدّمه فيبدأ بخلع علىّ . قال : فنظر فى أمرهما وما اجتَمَعا عليه ، فأراده عمرو على معاوية فأبى ، وأراده على ابنه فأبى ، وأراد أبو موسى عمرًا على عبد الله ابن عمر فأبى عليه ، فقال له عمرو : خبّرْنى ما رأيك ؟ قال : رأيى أن نخلع هٰذين الرّجلين ، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين ، فيختار المسلمون لأنفسهم مَن أحبّوا . فقال له عمرو : فإنّ الرأى ما رأيتَ ، فأقبَلا إلى الناس وهم مجتمعون ، فقال: يا أبا موسى ، أعلِمْهم بأنّ رأينا قد اجتمع واتّفق ، فتكلم أبو موسى فقال: إنّ رأيى ورأى عَمرو قد اتّفق على أمر نرجو أن يُصلِح الله عزّ وجلّ به أمرَ هذه الأمة . فقال عمرو : صدق وبرّ ، يا أبا موسى ، تقدّم فتكلّم . فتقدّم أبو موسى ليتكلم، فقال له ابنُ عباس: وَيْحك ! والله إنى لأظنّه قد خدعك. إن كنتما قد اتّفقتما على أمر ، فقدّمه فليتكلمْ بذلك الأمر قبلك ، ثم تكلّمْ أنتَ بعده ، فإنّ عمراً رجل غادر ، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرّضا فيما بينك وبينه، فإذا قمتَ فى الناس خالفَك — وكان أبو موسى مغفّلاً — فقال له : إنّا قد اتفقنا . فتقدّم أبو موسى فحمِد الله عزّ وجلّ

١/٣٣٥٩ وأثنى عليه ثم قال : أيّها الناس، إنّا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة فلم نرَ أصلح

---

(١) الوشيظ : الخسيس والتابع . والنابغة لقب أم عمرو بن العاص ؛ واسمها سلمى بنت حرملة سبية من بنى جلان بن عنزة .

(٢) صفين: ٦٢٣ ، ٦٢٤ .

(٣) اغتزى : قصد ؛ وفى صفين : « وإنما اغترّه بذلك ليقدمه » ، وفى ابن الأثير : « أراد ».

لأمرها ، ولا ألمّ لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه ؛ وهو أن نخلع عليًّا ومعاوية ، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولّوا منهم مَن أحبوا عليهم ، وإنى قد خلعت عليًّا ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم ، وولّوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ؛ ثم تنحّى . وأقبل عَمرو بن العاص فقام مقامه ، فحمد اللهَ وأثنى عليه وقال : إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبَه ، وأنا أخلع صاحبَه كما خلعه ، وأثبتُ صاحبى معاوية ، فإنّه ولىّ عثمان بن عفان والطالب بدمه ، وأحقّ الناس بمقامه . فقال أبو موسى : ما لك لا وفّقك الله ، غدرتَ وفجرتَ ! إنما مَثَلك كمثل الكلب إن تَحمِل عليه يَلْهَثْ أو تتركْه يَلْهثْ . قال عمرو : إنما مَثَلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا . وحَمَل شُرَيح بن هانئ على عَمرو فقنّعه بالسوط ، وحَمَل على شُرَيح ابنٌ لعَمرو فضربه بالسوط ، وقام الناس فحجزوا بينهم . وكان شُرَيح بعد ذلك يقول : ما ندمتُ على شيء ندامتى على ضرب عَمرو بالسوط ألّا أكون ضربته بالسيف آتيًا به الدّهرُ ما أتى . والتمس أهلُ الشأم أبا موسى ، فركب راحلتَه ولحق بمكّة .

قال ابن عباس : قبّح الله رأيَ أبى موسى ! حذّرته وأمرْته بالرأى فما عقَل . فكان أبو موسى يقول : حذّرنى ابنُ عباس غَدْرة الفاسق ، ولكنى اطمأننت إليه ، وظننت أنه لن يؤثِر شيئًا على نصيحة الأمة . ثم انصرف عمرو وأهل الشأم إلى معاوية ، وسلموا عليه بالخلافة ، ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى علىّ ، وكان إذا صلى الغداة يَقنُت فيقول : اللهمّ العن معاويةَ وعَمراً وأبا الأعوَر السُّلَمىّ وحبيبًا وعبد الرحمن بن خالد والضحّاك بن قيس والوليد . فبلغ ذلك معاوية ، فكان إذا قَنَت لعَنَ عليًّا وابن عباس والأشتر وحَسَنًا وحُسينًا [1] . ١/٣٣٦٠

وزعم الواقدىّ أن اجتماع الحَكَمين كان فى شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة .

* * *

(١) صفين : ٦٢٥ – ٦٢٨ .

ذكر ما كان من خبر الخوارج عند توجيه على الحَكَم للحكومة وخبر يوم النَّهر

قال أبو مخنف: عن أبي المغفّل، عن عون بن أبي جُحَيفة، أنّ عليّاً لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة، أتاه رجلان من الخوارج: زُرْعة بن البُرْج الطائيّ وحُرْقوص بن زُهير السعديّ، فدخلا عليه، فقالا له: لا حكمَ إلا لله، فقال عليّ: لا حكم إلا لله، فقال له حُرْقوص: تُبْ من خطيئتك، وارجع عن قضيّتك، واخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتّى نلقى ربّنا. فقال لهم عليّ: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً، وشرطنا شروطاً، وأعطينا عليها عهودَنا ومواثيقنا، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1]. فقال له حُرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه؛ فقال عليّ: ما هو ذنب، ولكنه عَجْز من الرأي، وضعفٌ من الفعل، وقد تقدّمت إليكم فيما كان منه، ونهيتُكم عنه. فقال له زُرعة بن البُرْج: أما والله يا عليّ، لئن لم تَدَع تحكيمَ الرجال في كتاب الله عزّ وجل قاتلتُك؛ أطلبُ بذلك وجهَ الله ورضوانَه، فقال له عليّ: بؤساً لك، ما أشقاك! كأني بك قتيلاً تَسفِي عليك الريح؛ قال: وددتُ أن قد كان ذلك؛ فقال له عليّ: لو كنت محقّاً كان في الموت على الحقّ تعزية عن الدنيا، إنّ الشيطان قد استهواكم، فاتّقوا الله عزّ وجلّ؛ إنه لا خيرَ لكم في دُنيا تقاتِلون عليها؛ فخرجا من عنده يحكّمان.

١/٣٣٦١

قال أبو مخنف: فحدّثني عبد الملك بن أبي حُرّة الحنفيّ، أنّ عليّاً خرج ذات يوم يخطب، فإنه لفِي خطبته إذْ حكّمت المحكّمة في جوانب المسجد، فقال عليّ: الله أكبر! كلمةُ حقّ يراد بها باطل! إن سكتوا عممناهم، وإن تكلّموا حَجَجْناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم. فوثب يزيد بن عاصم

(١) سورة النحل: ٩١.

المحاربىّ، فقال: الحمد لله غير مودّع ربّنا ولا مستغنًى عنه . اللهمّ إنا نعوذ بك من إعطاء الدنيّة في ديننا ، فإنّ إعطاء الدنيّة فى الدّين إدْهانٌ فى أمرِ الله عزّ وجلّ ، وذلّ راجع بأهله إلى سخط الله . يا علىّ ، أبالقتل تخوّفنا ! ١/٣٣٦٢ أما والله إنى لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفَّحات ، ثم لتعلمُنّ أيّنا أولَى بها صِلِيًّا . ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم، فأصيبوا مع الخوارج بالنّهر ، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنُّخَيْلة .

قال أبو مخنف : حدثنى الأجلح بن عبد الله ، عن سلمَة بن كُهَيل ، عن كثير بن بَهْز الحضرمىّ ، قال : قام علىّ فى الناس يخطبهم ذات يوم ، فقال رجلٌ من جانب المسجد : لا حكمَ إلا لله ، فقام آخرُ فقال مِثلَ ذلك ، ثم توالَى عدّة رجال يحكّمون ، فقال علىّ : الله أكبر ،كلمة حقّ يلتمس بها باطل ! أما إنّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا : لا نمنعكم مساجدَ الله أن تذكروا فيها اسمَه ، ولا نمنعكم الفىءَ ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدءونا ؛ ثم رجع إلى مكانه الذى كان فيه من خطبته .

قال أبو مخنف :وحُدّثنا عن القاسم بن الوليد، أن حكيم بن عبد الرحمن بن سعيد البَكائىّ كان يرى رأىَ الخوارج ،فأتى عليًّا ذات يوم وهو يخطب، فقال: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1]، فقال على : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[2] .

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا ابن إدريس، قال : سمعت إسماعيل ابن سَميع الحنفىّ ؛ عن أبى رَزين ، قال : لما وقع التحكيم ورجع علىّ من صِفّين رجعوا مُباينين له، فلمّا انتهوْا إلى النّهر أقاموا به ، فدخل علىّ فى الناس الكوفة ، ونزلوا بحَرُوراء ، فبعث إليهم عبدَالله بن عباس ، فرجع ولم ١/٣٣٦٣ يصنع شيئًا ، فخرج إليهم علىّ فكلّمهم حتى وقع الرِّضا بينه وبينهم ، فدخلوا

(١) سورة الزمر: ٦٥ .

(٢) سورة الروم: ٦٠ .

الكوفة ، فأتاه رجل فقال : إنّ الناس قد تحدّثوا أنك رجعتَ لهم عن كُفرك . فخطب النّاس فى صلاة الظهر ، فذكر أمرَهم فعابه ؛ فوثبوا من نواحِي المسجد يقولون : لا حُكمَ إلا لله . واستقبله رجل منهم واضع إصبعيه فِى أذنيه ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، فقال علىّ : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ .

حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثَ بن أبى سُليم يذكر عن أصحابه ، قال : جعل علىّ يقلّب يديه يقول يديه هكذا وهو على المنبر ، فقال : حُكمُ الله عزّ وجلّ يُنتَظر فيكم مرّتين ، إنّ لكم عندنا ثلاثًا : لا نمنعكم صلاةً فى هذا المسجد ، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفَىْء ما كانت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقاتِلونا .

قال أبو مِخْنف عن عبد الملك بن أبى حُرّة : إنّ عليًّا لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضُها بعضًا ، فاجتمعوا فى منزل عبد الله بن وهب الرّاسبىّ ، فحمِد الله عبدُ الله بن وهب وأثنى عليه ثم قال : أمَّا بعد ، فوالله ما ينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن ، وينيبون إلى حُكم القرآن ، أن تكون هذه الدنيا ، التى الرّضا بها والرّكون بها والإيثار إياها عناء وتَبار ، آثرَ عندهم من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحقّ ، وإنْ مُنَّ وضُرَّ فإنه مَن يُمنّ ويُضرّ فى هذه الدنيا فإنّ ثوابه يوم القيامة رضوان الله عزّ وجلّ والخلود فى جنّاته . فاخرجوا بنا إخوانَنا من هذه القرية الظالِم أهلُها إلى بعض كُوَر الجبال أو إلى بعض هذه المدائن ، منكِرين لهذه البدع المضلّة . فقال له حُرْقوص بن زهير : إنّ المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإنّ الفراق لها وشيك ، فلا تدعوَنّكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تلفتنّكم عن طلب الحقّ ، وإنكار الظلم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . فقال حمزة

١/٣٣٦٤

ابن سنان الأسدِىّ : يا قوم، إنّ الرأى ما رأيتم ، فولّوا أمرَكم رجلاً منكم ، فإنه لا بدّ لكم من عماد وسِناد وراية تحفّون بها ، وترجعون إليها . فعرضوها على زيد بن حصين الطائىّ فأبَى ، وعرضوها على حُرقوص بن زهير فأبى ، وعلى حمزة بن سنان وشُريح بن أوفَى العبسىّ فأبَيَا ، وعرضوها على عبد الله ابن وهب، فقال: هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبةً فى الدنيا، ولا أدَعها فرَقاً من الموت . فبايعوه لعشر خلوْن من شوال — وكان يقال له ذو الثَّفِنات[1] — ثم اجتمعوا فى منزل شُريح بن أوفى العبسىّ ، فقال ابن وهب : اشخَصُوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكمِ الله ، فإنكم أهل الحق . قال شريح : نخرج إلى المدائن فننزلها ، ونأخذ بأبوابها ، ونخرِج منها سكّانها، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا . فقال زيد بن حصين : إنكم إن خرجتم مجتمعين اتُّبِعْتُم،ولكن اخرجوا وُحْداناً مستَخْفِين ، فأمّا المدائن فإنّ بها مَنْ يمنعكم، ولكن سِيروا حتى تنزلوا جسرَ النَّهروان ، وتكاتِبوا إخوانكم من أهل البصرة . قالوا : هذا الرّأى .

١/٣٣٦٥

وكتب عبد الله بن وهب إلى مَن بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه ، ويحثّهم على اللحاق بهم، وسيّر الكتاب إليهم ، فأجابوه أنهم على اللحاق به . فلما عزموا على المسيرِ تعبّدوا ليلتَهم — وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة — وساروا يومَ السبت ، فخرج شُريح بن أوَفى العبسىّ وهو يتلو قول الله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[2] .

١/٣٣٦٦

وخرج معهم طَرفة بن عدىّ بن حاتم الطائىّ، فاتّبعه أبوه فلم يقدر عليه، فانتهى إلى المدائن ثم رجع ، فلما بلغ ساباطَ لقيَه عبدُ الله بن وهب الراسبى فى نحو عشرين فارساً ، فأراد عبد الله قتلَه، فمنعه عمرو بن مالك النَّبْهانىّ وبشر بن زيد البَوْلانىّ . وأرسل عدىّ إلى سعد بن مسعود عامل علىّ على المدائن يحذّره

---

(١) فى اللسان : « الثفنة ركبة البعير ؛ وقيل لعبد الله بن وهب الراسبي رئيس الخوارج : ذو الثفنات ؛ لأن طول السجود كان أثر فى ثفناته-١١.

(٢) سورة القصص:٢١ ، ٢٢ .

أمرَهم ، فحذِر ، وأخذ أبوابَ المدائن ، وخرج فى الخيل واستخلف بها ابن أخيه المختار بن أبى عبيد ، وسار فى طلبهم ، فأخبر عبد الله بن وهب خبرَه فرابأ طريقه[1] ، وسار على بغداذ ، ولحقهم سعد بن مسعود بالكَرْخ فى خمسمائة فارس عند المساء ، فانصرف إليهم عبدُ الله فى ثلاثين فارسًا ، فاقتتلوا ساعة ، وامتنع القومُ منهم ؛ وقال أصحاب سعد لسعد : ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر ! خلّهم فليذهبوا ، واكتب إلى أمير المؤمنين ، فإنْ أمرَك باتّباعهم اتّبعتَهم ، وإن كفاكَهُم غيرُك كان فى ذلك عافية لك . فأبى عليهم ، فلما جَنّ عليهم الليلُ خرج عبد الله بن وهب فعَبَر دِجلة إلى أرض جُوخَى ، وسار إلى النّهروان ، فوصل إلى أصحابه وقد أيِسُوا منه ، وقالوا : إن كان هلك ولّيْنا الأمرَ زَيدَ بن حصين أو حُرقوص بن زهير ، وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم ، فردّهم أهلوهم كَرْهاً ؛ منهم القعقاع بن قيس الطائىّ عمّ الطِّرِمّاح بن حكيم ، وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكّائىّ ، وبلغ عليًّا أن سالم بن ربيعة العبسىّ يريد الخروج ، فأحضره عنده ، ونهاه فانتهى . ٣٣٦٧/١

ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليًّا أصحابُه وشيعتُه فبايعوه وقالوا : نحن أولياء مَن واليتَ ، وأعداءُ مَن عادَيْت ، فشرط لهم فيه سنّة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه ربيعة بن أبى شدّاد الخثعمى — وكان شهد معه الجمل وصِفّين ، ومعه راية خَثْعَم — فقال له : بايِع على كتاب الله وسنّةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال ربيعة : على سُنّة أبى بكر وعمر ؛ قال له علىّ : ويلك! لو أن أبا بكر وعمَر عَمِلا بغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونا على شىء من الحقّ ، فبايعه ، فنظر إليه علىّ وقال : أما والله لكأنى بك وقد نفرتَ مع هذه الخوارج فقُتلتَ ، وكأنى بك وقد وطئتْك الخيل بحوافرها ، فقُتِل يوم النّهر مع خَوارج البصرة .

وأما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا فى خمسمائة رجل ، وجعلوا عليهم مِسعر ابن فَدَكىّ التميمىّ ، فعلم بهم ابن عباس ، فأتبعهم أبا الأسود الدُّؤلىّ ،

---

(١) يقال : رابأت فلاناً ؛ حذرته واتقيته .

فلحقهم بالجسر الأكبر ، فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل ، وأدلجَ مِسعر بأصحابه ، وأقبل يعترِض الناس وعلى مقدّمته الأشرسُ بنُ عوف الشيبانىّ ، وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنّهر . فلما خرجت الخوارجُ وهرَب أبو موسى إلى مكة ، وردَّ علىٌّ ابنَ عباس إلى البصرة ، قام فى الكوفة فخطبهم فقال : الحمد لله وإن أتى الدّهرُ بالخَطْب الفادح ، والحدَثان الجليل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ؛ أما بعد ، فإن المعصية تورِث الحسرة ، وتُعقِب الندم ، وقد كنت أمرتُكم فى هذين الرّجلين وفى هذه الحكومة أمرى ، ونَحلْتكم رأيى ، لو كان لقصيرٍ أمر ! ولكن أبيتم إلا ما أردتم ، فكنتُ أنا وأنتم كما قال أخو هوازن : ١/٣٣٦٨

أمَرْتُهُمُ أمرى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى فلم يَسْتَبينوا الرُّشْدَ إلاَّ ضُحَى الغَدِ[1]

ألا إنّ هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكَمين قد نَبذَا حكمَ القرآن وراء ظهورهما ، وأحييَا ما أماتَ القرآن ، واتّبع كل واحد منهما هَواه بغير هدًى من الله ، فحكَما بغير حجّة بيّنة ، ولا سُنّة ماضية ، واختلَفا فى حكمهما ، وكلاهما لم يرشد ، فبرئَ اللهُ منهما ورسولُه وصالحُ[2] المؤمنين . استعِدّوا وتأهّبوا للمسير إلى الشأم ، وأصبِحوا فى معسكركم إن شاء الله يوم الاثنين . ثم نزل .

وكتب إلى الخوارج بالنهر : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله علىّ أمير المؤمنين ، إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس . أمّا بعد ، فإن هذين الرجلين اللذَين ارتضْينا حكمَهما قد خالفا كتابَ الله ، واتّبعا أهواءهما بغير هدًى من الله ، فلم يَعمَلا بالسنّة ، ولم ينفّذا للقرآن حُكماً ، فبرئ الله ورسولُه منهما والمؤمنون ! فإذا بلغكم كتابى هذا فأقبلوا فإنا سائرون إلى عدوّنا وعدوّكم ، ونحن على الأمر الأوّل الذى كنا عليه . والسلام . ١/٣٣٦٩

---

(١) لدريد بن الصمة ؛ وبعده :

فلمّا عَصوْنى كنت منهمْ وقد أرى غَوايتهُمْ وأنّنِى غيرُ مُهْتَدِ
وَمَا أنَا إلاَّ من غَزِيّة إنْ غوَتْ غَوَيتُ وإن تَرْشُدْ غزيّةُ أَرْشُد

(٢) النويرى : « وصالحو المؤمنين » .

وكتبوا إليه : أمّا بعد، فإنّك لم تغضب لربّك، إنما غضبتَ لنفسك ، فإن شهدتَ على نفسك بالكفر ، واستقبلتَ التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابذْناك على سواء إنّ الله لا يحبّ الخائنين . فلما قرأ كتابهم أيس منهم ، فرأى أن يدَعَهم ويمضيَ بالناس إلى أهل الشأم حتّى يلقاهم فيناجزهم .

قال أبو مخنف ، عن المعلّى بن كُليب الهمْدانىّ ، عن جبر بن نَوْف أبى الودّاك الهمْدانىّ : إنّ عليًّا لما نزل بالنُّخَيلة وأيِس من الخوارج ، قام فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنه من ترك الجهاد فى الله وأدْهن فى أمره كان على شَفَا هُلْكه[1] إلا أن يتداركَه الله بنعمة ؛ فاتقوا الله، وقاتِلوا من حادّ الله ، وحاولَ أن يطفِئ نورَ الله ، قاتلوا الخاطئين الضالين ، القاسطين المجرمين ،الذين ليسوا بقرّاء للقرآن[2] ، ولا فقهاءَ فى الدين ، ولا علماءَ فى التأويل، ولا لهذا الأمر بأهل سابقة فى الإسلام ، والله لو ولُوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كِسْرى وهِرَقل ، تيسّروا وتهيّؤا للمسير إلى عدوّكم من أهل المغرب ، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم ، فإذا قَدِموا فاجتمعتم شخصْنا إن شاء الله ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

٣٣٧٠/١

وكتب علىّ إلى عبد الله بن عباس مع عتبة بن الأخنس بن قيس، من بنى سعد بن بكر: أمّا بعد ، فإنا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنُّخيلة ، وقد أجمعْنا على المسير إلى عدوّنا من أهل المغرب ، فاشخص بالناس حتّى يأتيَك رسولى ، وأقم حتّى يأتيك أمرِى . والسلام .

فلما قدم عليه الكتاب قرأه على الناس ، وأمرهم بالشخوص مع الأحنف ابن قيس ، فشخص معه منهم ألفٌ وخمسمائة رجل ، فاستقلّهم عبد الله بن عبّاس ، فقام فى الناس ، فحمِد الله وأثْنَى عليه ثم قال : أما بعد يا أهل البصرة ، فإنه جاءنى أمرُ أميرِ المؤمنين يأمرنى بإشخاصكم ، فأمرتُكم بالنَّفير إليه مع الأحنف بن قيس ، ولم يَشخَص معه منكم إلا ألف وخمسمائة ،

---

(١) ابن الأثير : « هلكة » .

(٢) النويرى وابن الأثير : « القرآن » .

وأنتم ستون ألفًا سوى أبنائكم وعبدانكم ومواليكم ! ألا انفروا مع جارية بن قدامة السعدىّ ، ولا يجعلَنّ رجلٌ على نفسه سبيلا ، فإنى مُوقِع بكلّ من وجدتُه متخلِّفًا عن مكتبه ، عاصيًا لإمامه ، وقد أمرت أبا الأسود الدُّؤَلىّ بحشْرِكم ، فلا يَلُمْ رجل جعل السبيل على نفسه إلا نفسَه .

فخرج جارية فعسكر ، وخرج أبو الأسود فحشر الناس ، فاجتمع إلى جارية ألف وسبعمائة ، ثم أقبل حتى وافاه علىٌّ بالنُّخَيلة ، فلم يزل بالنُّخَيلة حتى وافاه هذان الجيشان من البَصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فجمع إليه رءوس أهل الكوفة ، ورءوس الأسباع ، ورءوس القبائل ، ووجوه الناس . فحمِد الله وأثْنَى عليه ثم قال : يا أهلَ الكوفة ، أنتم إخوانى وأنصارى ، وأعوانى على الحق ، وصَحَابتِى على جهاد عدوّى المحلّين بكم ، أضرب المدْبِر ، وأرجو تمام طاعة المقْبِل ، وقد بعثتُ إلى أهل البصرة فاستنفرتُهم إليكم ، فلم يأتنى منهم إلا ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فأعينونى بمناصحة جليّة خليّة من الغشّ ، إنكم . . . . . مَخرَجنا إلى صفّين ، بل استجمعوا بأجمعكم ، وإنى أسألكم أن يكتب لى رئيس كلّ قوم ما فى عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتِلة الذين أدركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم ، ثم يرفع ذلك إلينا .[1]

١/٣٣٧١

فقام سعيد بن قيس الهمْدانىّ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، سمعًا وطاعة ، وودًّا ونصيحة ، أنا أوّل الناس جاء بما سألت ، وبما طلبت . وقام معقل بن قيس الرّياحىّ فقال له نحواً من ذلك ، وقام عدىّ بن حاتم وزياد بن خَصَفَة وحُجْر بن عدىّ وأشراف الناس والقبائل فقالوا مِثلَ ذلك .

ثمّ إن الرءوس كَتبوا مَن فيهم ، ثم رفعوهم إليه ، وأمروا أبناءهم وعبيدهم ومواليَهم أن يخرجوا معهم ، وألّا يتخلّف منهم عنهم أحد ، فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل ، وسبعة عشر ألفًا من الأبناء ممن أدرك ، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم ، وقالوا : يا أمير المؤمنين ، أمّا مَن عندنا من المقاتِلة وأبناء المقاتلة ممّن قد بلغ الحُلُم ، وأطاق القتال ، فقد رفعنا إليك منهم ذوِى القوّة والجَلَد ، وأمرْناهم بالشّخوص معنا ، ومنهم ضعفاء ، وهم فى ضِياعنا وأشياءَ مما يُصلحنا .

١/٣٣٧٢

---

(١) هنا سقطت كلمات من أصول ط ، وأغفلها ابن الأثير والنويرى .

وكانت العرب سبعةً وخمسين ألفًا من أهل الكوفة ، ومن مواليهم ومماليكهم ثمانية آلاف، وكان جميع أهل الكوفة خمسةً وستين ألفًا، وثلاثة آلاف ومائتى رجل من أهل البصرة ، وكان جميع من معه ثمانيةً وستّين ألفًا ومائتى رجل .

قال أبو مِخْنَف ، عن أبى الصَّلْت التيمىّ : إن عليًّا كتب إلى سعد ابن مسعود الثَّقَفِي—وهو عامله على المدائن: أما بعد، فإنى قد بعثتُ إليك زيادَ ابنَ خَصَفة فأشخِص معه مَن قِبَلَك من مقاتِلة أهل الكوفة ، وعجّل ذلك إن شاء الله ولا قوّة إلا بالله .

قال : وبلغ عليًّا أنّ الناس يقولون : لو سارَ بنا إلى هذه الحروريّة[1] فبدأنا بهم، فإذا فرغنا منهم وجّهنا من وجّهنا ذلك إلى المُحلّين[2]! فقام فى الناس فحمِد الله وأثْنَى عليه ثم قال: أما بعد ، فإنه قد بلغنى قولُكم :لو أنّ أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التى خرجتْ عليه فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى المحلّين؛ وإن غير هذه الخارجة أهمّ إلينا منهم ، فدعوا ذكرَهم، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبّارين ملوكًا ، ويتّخذوا عباد الله خوَلا .

فتنادَى الناسُ من كلّ جانب : سرْ بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت .

٣٣٧٣/١ قال : فقام إليه صيفىّ بن فَسيل[3] الشيبانىّ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، نحن حِزبُك وأنصارُك ، نعادى من عاديت[4] ، ونشايع من أناب إلى طاعتك ، فسِر بنا إلى عدوّك ؛ من كانوا وأينما كانوا ؛ فإنك إن شاء الله لن تُؤتَى من قلّة عدَد ، ولا ضعف نيّةِ أتباع . وقام إليه مُحرِز بن شهاب التميمىّ من بنى سعد فقال : يا أميرَ المؤمنين ، شيعتك كقلْبِ رجل واحد فى الإجماع[5]

---

(١) الحرورية من الخوارج ، منسوبون إلى حروراء : موضع بظاهر الكوفة ؛ نسبوا إليه لأنه كان أول اجتماعهم به .

(٢) المحل : الذى نقض عهده . وفى ابن الأثير والنويرى : « إلى قتال المحلين »

(٣) ابن الأثير : « قسيل » ، النويرى : « نشيل » .

(٤) ابن الأثير والنويرى : « عاداك » .

(٥) النويرى : « الاجتماع » .

على نُصْرتك ، والجدّ فى جهاد عدوّك ، فأبْشِر بالنصر ،وسِرْ بنا إلى أىّ الفريقين أحببت ، فإنّا شيعتك الذين نرجو فى طاعتك وجهاد من خالَفَك صالحَ الثواب ، ونَخاف فى خذلانك والتخلّف عنك شدّةَ الوبال .

حدّثنى يعقوب ، قال : حدّثنى إسماعيل ، قال : أخبرَنا أيّوب ، عن حُميد بن هلال ، عن رجل من عبد القيس كان من الخوارج ثم فارقهم ، قال : دخلوا قريةً ، فخرج عبدالله بن خبّاب صاحب رسول الله ذَعِراً يجرّ رداءه ، فقالوا : لمَ تُرَعْ ؟ فقال : والله لقد ذَعَرْتمونى! قالوا : أ أنت عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ؛ قالوا : فهل سمعتَ من أبيك حديثًا يحدّث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر فتنةً ،القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ،والقائمُ فيها خيرٌ من الماشى ،والماشى فيها خير من الساعى ؟ قال: فإن أدركتم ذلك فكن يا عبدَالله المقتول — قال أيوّب :ولا أعلمه إلا قال : « ولا تكن يا عبد الله القاتل» — قال: نعم ؛ قال : فقدّموه على ضِفّة النهر ،فضربوا عنقَه ،فسال دمُه كأنه شِراكُ نعل، وبَقَروا بطنَ أمّ ولده عمّا فى بطنها . ٣٣٧٤/١

قال أبو مخنف عن عطاء بن عجلان ، عن حُميد بن هلال : إنّ الخارجة التى أقبلتْ من البصرة جاءت حتى دنتْ من إخوانها بالنَّهر ، فخرجتْ عِصابة منهم ، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار ، فعبروا إليه ، فدعوه فتهدّدوه وأفزعوه ، وقالوا له : مَن أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خبّاب صاحبُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أهوَى إلى ثوبه يتناوله من الأرض — وكان سقط عنه لما أفزعوه — فقالوا له : أفزعناك ؟ قال : نعم ؛ قالوا له : لا رَوْعَ عليك ! فحدّثنا عن أبيك بحديث سمعَه من النبيّ صلى الله عليه وسلم ، لعلّ الله ينفعنا به! قال : حدّثنى أبى،عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،«أنّ فتنةً تكون ، يموت فيها قلبُ الرجل كما يموتُ فيها بدنُه ، يمسِى فيها مؤمنًا ويصبحُ فيها كافراً ، ويصبح فيها كافراً ويمسِى فيها مؤمنًا »،فقالوا : لهذا الحديث سألناك ، [فما تقول فى أبى بكر وعمر ؟ فأثنَى عليهما خيراً، قالوا : ما تقول

فى عثمانَ فى أوّل خلافتِـه وفى آخرِها ؟ قال : إنه كان محقًّا فى أوّلها وفى آخرها ؛ قالوا : فما تقول فى علىّ قبل التحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بالله منكم ، وأشدّ تـوقِّيًا على دينه ، وأنفَـذُ بصيرةً .فقالوا : إنك تتّبع الهوى ،وتُوالِي الرّجال على أسمائها لا على أفعالها](١) ، والله لنقتلنّك قِتلة ما قتلناها أحداً ، فأخذوه فكتَفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهى حُبلى مُتِمٌّ(٢) حتى نزلوا تحت نخلٍ مَواقر(٣) ، فسقطتْ منه رطبةٌ ، فأخذها أحدهم فقذف بها فى فمه ، فقال أحدهم : بغير حِلِّها ، وبغير ثمن ! فلَفَظها وألقاها من فمه ، ثم أخذ سيفه فأخذ يمينه ، فمرّ به خنزير لأهل الذمّة فضربَه بسيفه ، فقالوا : هذا فسادٌ فى الأرض ، فأتى صاحبَ الخنزير فأرضاه من خنزيره ، فلما رأى ذلك منهم ابن خبّاب قال : لئن كنتم صادقين فيما أرى فما علىّ منكم بأس ، إنى لَمُسلِم ؛ ما أحدثتُ فى الإسلام حدَثًا ، ولقد أمّنتمونى ، قلتم : لا روْعَ عليك ! فجاءوا به فأضجعوه فذبحوه ، وسالَ دمه فى الماء ، وأقبلوا إلى المرأة ، فقالت : إنى إنما أنا امرأة ، ألّا تتقون الله ! فبقَروا بطنَها ، وقتلوا ثلاثَ نسوةٍ من طيّئ ، وقتلوا أمَّ سِنان الصّيداويّة ، فبلغ ذلك عليًّا ومن معه من المسلمين مِن قتلهم عبد الله بن خبّاب ، واعتراضهم الناس ، فبعث إليهم الحارثَ بن مرّة العبدىّ ليأتيَهم فينظر فيما بلغه عنهم ، ويكتبَ به إليه على وجهه ، ولا يكتمه . فخرج حتى انتهى إلى النهر ليُسائلهم ، فخرج القومُ إليه فقتلوه ، وأتى الخبرُ أميرَ المؤمنين والناس ، فقام إليه الناس ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، علامَ تدَع هؤلاء وراءنا يخلفوننا فى أموالنا وعيالِنا ! سِرْ بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سِرْنا إلى عدوّنا من أهل الشأم . وقام إليه الأشعث بن قيس الكِنْدىّ فكلّمه بمثل ذلك . وكان الناس يرَوْن أن الأشعث يرَى رأيَهم لأنه كان يقول يومَ صِفّين : أنصفَنا قوم يدعون إلى كتاب الله ، فلما أمر عليًّا بالمسير إليهم علم الناس أنه لم يكن يرَى رأيهم . فأجمع على ذلك ، فنادى بالرحيل ،

١/٣٣٧٥ ، ١/٣٣٧٦

(١) ما بين العلامتين زيادة من ابن الأثير والنويرى .

(٢) يقال : امرأة متم ، الحامل إذا شارفت الوضع .

(٣) أوقرت النخلة ؛ إذا كثر حملها ، ونخلة موقر والجمع مواقر .

وخرج فعَبَر الجسر فصلّى ركعتين بالقنطرة ، ثم نزل ديرَ عبدِ الرحمن ، ثم دير أبى موسى ، ثم أخذ على قرية شاهى ، ثم على دَباها ، ثم على شاطئ الفرات ، فلقيَه فى مسيره ذلك منجّم ، أشار عليه بسير[1] وقتٍ من النهار ، وقال له : إن سرتَ فى غير ذلك الوقت لقيت أنت وأصحابك ضرًّا شديداً . فخالفه ، وسار فى الوقت الذى نهاه عن السير فيه ، فلما فرغ من النهر حمد الله وأثنَى عليه ثم قال : لو سرنا فى الساعة التى أمرنا بها المنجّم لقال الجهّال الذين لا يعلمون : سار فى الساعة التى أمره بها المنجّم فظفر .

قال أبو مخنف : حدّثنى يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف ، قال : لما أراد علىّ المسيرَ إلى أهل النهر من الأنبار ، قدّم قيس بن سعد بن عُبادة وأمره أن يأتىَ المدائنَ فينزلَها حتى يأمرَه بأمره ، ثم جاء مقبِلا إليهم ، ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفىّ بالنّهر ، وبعث إلى أهل النّهر : ادفعوا إلينا قتَلَة إخواننا منكم نقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكافٌّ عنكم حتى ألقَى أهلَ الشأم ؛ فلعلّ الله يقلّب قلوبَكم ، ويردّكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم . فبعثوا إليه ، فقالوا : كلنا قَتَلَتُهُم ، وكلنا نستحلّ دماءهم ودماءَكم .

١/٣٣٧٧ قال أبو مِخْنف : فحدّثنى الحارث بن حَصِيرة ، عن عبدالرحمن بن عبيد[2] أبى الكنود ، أن قيس بن سعد بن عبادة قال لهم : عباد الله ، أخرِجوا إلينا طَلِبتَنا منكم ، وادخلوا فى هذا الأمر الذى منه خرجتم ، وعودوا بنا إلى قتال عدوّنا وعدوّكم ، فإنكم ركبتُم عظيماً من الأمر ، تشهدون علينا بالشِّرْك ، والشِّرْك ظلمٌ عظيم ، وتسفكون دماءَ المسلمين ، وتعدّونهم مشركين ! فقال عبد الله بن شجرة السُّلَمىّ : إنّ الحقّ قد أضاء لنا ، فلسنا نتابعكم[3] أو تأتونا بمثلِ عمر ، فقال : ما نعلمه فينا غير صاحبنا ، فهل تعلمونه فيكم ؟ وقال : نشدتكم بالله فى أنفسكم أن تُهلكوها ، فإنى لأرى الفتنةَ قد غلبتْ عليكم !

(١) ابن الأثير : « أن يسير » .
(٢) ساقطة من ط . (٣) ابن الأثير : « متابعيكم » .

وخطبَهم أبو أيُّوب خالد بن زيد الأنصاريّ؛ فقال: عبادَ الله، إنّا وإيّاكم على الحال الأولى التي كنا عليها ، ليست بيننا وبينكم فُرْقة ، فعلامَ تقاتلوننا ؟ فقالوا : إنا لو بايعناكم اليوم حكّمتم غداً . قال: فإنّي أنشُدكم الله أن تعجّلوا فتنة العام مخافةَ ما يأتي في قابل .

قال أبو مِخنف : حدّثني مالك بن أعيَن ، عن زيد بن وهب ، أن عليًّا أتى أهلَ النّهر فوقف عليهم فقال: أيّتها العصابة التي أخرجتْها عداوةُ المِراء واللَّجاجة ، وصدّها عن الحقّ الهَوَى ، وطمح بها النَّزَق ، وأصبحتْ في اللّبس والخَطب العظيم، إني نذيرٌ لكم أن تُصبِحوا تُلفيكم الأمّة غداً صَرْعَى بأثناء هذا النّهر ، وبأهضام هذا الغائط ، بغير بيِّنة من ربّكم، ولا برهان بيِّن . ألم تعلموا أنيّ نهيتُكم عن الحكومة ، وأخبرتكم أنّ طلب القوم إيّاها منكم دَهْن ومكيدة لكم! ونبّأتكم أن القوم ليسوا بأصحابِ دين ولا قرآن ، وأني أعرَفُ بهم منكم ، عرفتُهم أطفالا ورجالا ، فهم أهلُ المكر والغَدْر ، وأنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم ! فعصيتموني، حتى أقررت بأن حكّمْتُ، فلما فعلت شرطت واستوثقت ، فأخذت على الحكَمين أن يُحيِيا ما أحيَا القرآن ، وأن يُميتَا ما أماتَ القرآن ، فاختلَفا وخالَفا حكم الكتاب والسنة ، فنبذنا أمرَهما ، ونحن على أمرنا الأوّل ، فما الذي بكم ؟ ومن أين أتيتم ! قالوا : إنا حكّمنا، فلمَّا حكّمنا أثِمنا، وكنا بذلك كافرين ، وقد تُبْنا فإن تبتَ كما تبنا فنحنُ منك ومعك ، وإن أبيتَ فاعتزِلْنا فإنا منابِذُوك على سَواء إن الله لا يحبّ الخائنين . فقال عليّ: أصابكم حاصب، ولا بقِيَ منكم وابر[1]! أبعدَ إيماني برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتي معه ، وجهادي في سبيل الله ، أشهد على نفسي بالكُفر ! لقد ضللتُ إذًا وما أنا من المهتدين . ثم انصرف عنهم .

٣٣٧٨/١

قال أبو مِخنف: حدّثني أبو سَلَمة الزُّهريّ — وكانت أمّه بنت أنَس ابن مالك — أنّ عليًّا قال لأهل النّهر : يا هؤلاء ، إنّ أنفسكم قد سوّلت

---

(١) يقال : ما بالدار وابر ؛ أي ما بها أحد .

لكم فراقَ هذه الحكومة التى أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كارهٌ ، وأنبأتكم أنّ القوم سألوكُمُوها مكيدةً ودَهنًا[١] ، فأبيتم علىّ إباءَ المخالفين ، وعدلتم ١/٣٣٧٩ عنّى عدولَ النّكَداء العاصين ،حتى صرفت رأيى إلى رأيكم ؛ وأنتم والله معاشر أخفّاء الهام ،سُفَهاء الأحلام،فلم آتِ ـ لا أبا لكم ـ حرامًا.والله ما خبلتُكم عن أموركم ، ولا أخفيتُ شيئًا من هذا الأمر عنكم ، ولا أوطأتكم عَشْوة ، ولا دَنّيتُ لكم الضّرّاء ، وإن كان أمرُنا لأمرِ المسلمين ظاهراً ؛ فأجمعَ رأىُ مَلَئكم على أن اختاروا رجلين ، فأخذْنا عليهما أن يَحكما بما فى القرآن ولا يَعدُواه ، فتَاها وتركا الحقّ وهما يُبصِرانه ، وكان الجوْر هَواهما ، وقد سبق استيثاقُنا عليهما فى الحكم بالعدل ،والصدّ للحق سوءَ[٢] رأيهما ، وجَوْر حكمهما . والثقة فى أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيلَ الحق ، وأتيا بما لا يعرف ؛ فبيّنوا لنا بماذا تستحلّون قتالنا ،والخروجَ من[٣] جماعتنا ؛ إن اختار الناس رجلين أن تضعوا أسيافَكم على عواتقكم ، ثم تَستعرضوا الناس ، تضربون رقابَهم ، وتَسفِكون دماءهم ! إنّ هذا لهو الخسران المبين . والله لو قتلتم على هذا دجاجة لَعَظُم عند الله قتلها ، فكيف بالنفس التى قتلُها عند الله حرامٌ !

فتنادَوا : لا تُخاطبوهم ، ولا تكلّموهم ، وتهيئوا للقاء الربّ ، الرّواحَ الرّواحَ ١/٣٣٨٠ إلى الجنّة ! فخرج علىٌّ فعبّأ الناس ، فجعل على ميمنته حُجْر بن عدىّ ، وعلى ميسرته شَبَث بن رِبْعىّ ـ أو معقِل بن قيس الرّياحىّ ـ وعلى الخيل أبا أيوب الأنصارىّ ،وعلى الرّجالة أبا قَتادة الأنصارىّ ، وعلى أهل المدينة ـ وهم سبعمائة أو ثمانمائة رجل ـ قيس بن سعد بن عُبادة .

قال : وعبّأت الخوارج ، فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حُصَين الطائىّ ، وعلى الميسرة شُريح بن أوفَى العبسىّ ،وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسَدىّ ، وعلى الرّجالة حُرقوص بن زُهير السعدىّ .

---

(١) دهنًا : خداعًا ، وفى ابن الأثير : « ووهنًا » .

(٢) ط : « بسوء » ، والصواب ما أثبته من نهج البلاغة ١ : ٤٢٢ .

(٣) ابن الأثير : « عن جماعتنا » .

قال : وبعث علىّ الأسود بن يزيد المُرادىّ فى ألفى فارس ، حتى أتى حمزة بن سنان وهو فى ثلثمائة فارس من خيلهم ، ورفع علىٌّ رايةَ أمان مع أبى أيوب ، فناداهم أبو أيوب : مَن جاء هذه الرّاية منكم ممّن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمِن ؛ ومَن انصرف منكم إلى الكُوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمِن ؛ إنّه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قَتلةَ إخواننا منكم فى سفك دمائكم . فقال فَرْوة بن نوفل الأشجعىّ : والله ما أدرى على أىّ شىء نقاتل عليًّا ! لا أرى إلا أن أنْصرف حتى تنفذ لى بصيرتى فى قتاله أو اتّباعه. وانصرف فى خمسمائة فارس ، حتى نزل البَنْدَنيجَيْن والدَّسْكرة، وخرجت طائفةٌ أخرى متفرّقين فنزلت الكوفة ، وخرج إلى علىّ منهم نحو من مائة ، وكانوا أربعة آلاف ، فكان الذين بقُوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين وثمانمائة ، وزحفوا إلى علىّ ، وقدّم علىّ الخيلَ دون الرجال ، وصفّ الناس وراء الخيل صَفّين ، وصَفّ المرامية أمامَ الصفّ الأوّل ، وقال لأصحابه : كفّوا عنهم حتى يبدءوكم ، فإنهم لو قد شدّوا عليكم ـ وجُلّهم رجال ـ لم ينتهوا إليكم إلا لاغِبين وأنتم رادّون حامُون . وأقبلت الخوارج ، فلما أن دنَوا من الناس نادَوا يزيد بن قيس ، فكان يزيد بن قيس على إصبهان . فقالوا : يا يزيد بن قيس ، لا حُكْمَ إلاّ لله ، وإن كرهتْ إصبهان ! فناداهم عباس ابن شريك وقَبِيصة بن ضُبَيعة العبسيّان : يا أعداء الله، أليس فيكم شُرَيح ابن أوفى المسرِف على نفسه ؟ هل أنتم إلا أشباهه ! قالوا : وما حجّتكم على رجل كانت فيه فتنة ، وفينا توبة ! ثمّ تنادَوا : الرّواحَ الرّواحَ إلى الجنّة ! فشَدّوا على الناس والخيل أمام الرجال ، فلم تثبت خيل المسلمين لشدّتهم ، وافترقتْ الخيل فرقتين : فِرقة نحو الميمنة ، وأخرى نحو الميسرة ، وأقبلوا نحو الرجال ، فاستقبلتْ المرامية وجوهَهم بالنَّبْل ، وعطفتْ عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ، ونهض إليهم الرّجال بالرّماح والسيوف ، فوالله ما لَبِثّوهم أن أناموهم .

١/٣٣٨١

ثم إنّ حمزة بن سنان صاحبَ خيلهم لما رأى الهلاك نادى أصحابه أن انزِلوا ، فذهبوا لينزِلوا فلم يتقارّوا حتى حمل عليهم الأسود بن قيس المرادىّ ، وجاءتهم الخيل من نحو علىّ ، فأهمِدوا فى الساعة .

قال أبو مخنف : فحدّثنى عبد الملك بن مسلم بن سلام بن ثُمامة الحنفىّ ، عن حكيم بن سعد ، قال : ما هو إلاّ أنْ لقينا أهلَ البصرة ، فما لبّثناهم ، فكأنما قيل لهم : موتوا ؛ فماتوا قبل أن تشتدّ شوكتهم ، وتعظمَ نكايتُهم . ١/٣٣٨٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو جنَاب ؛ أنأبا أيّوبَ أتى عليًّا ، فقال : يا أميرالمؤمنين ، قتلتُ زيدَ بن حُصين ، قال : فما قلتَ له وما قال لك ؟ قال : طعنتُه بالرّمح فى صدره حتى نجمَ من ظهره ؛ قال : وقلتُ له : أبشر يا عدوّ الله بالنار ! قال : ستعلم أيُّنا أولَى بِها صِليًّا ؛ فسكت علىٌّ عليها .

قال أبو مِخنف ، عن أبى جنَاب : إنّ عليًّا قال له : هو أوْلى لها صِليًّا . قال : وجاء عائذ بن حمـلة التميمىّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قتلتُ كلابًا ، قال : أحسنت ! أنت محِقّ قتلتَ مُبطِلا . وجاء هانئ بن خطاب الأرْحَبىّ وزياد بن خَصَفَة يحتجّان فى قتل عبدِ الله بن وهب الراسبىّ ، فقال لهما : كيف صنعتما ؟ فقالا : يا أمير المؤمنين ، لما رأيناه عرفناه ، وابتدرناه فطعنّاه برمْحَيْنا ، فقال علىّ : لا تختلفا ، كلاكُما قاتِل . وشدّ جيش بن ربيعة أبو المعتمر الكنانىّ على حُرقوص بن زهير فقَتَلَه ، وشدّ عبد الله بن زَحْر الخَوْلانىّ على عبدِ الله بن شَجرَة السُّلمِىّ فقتله ، ووقع شُريح بن أوفَى إلى جانب جدار ، فقاتل على ثُلْمة فيه طويلا من نَهار ، وكان قَتَل ثلاثةً من هَمْدان ، فأخذ يرتجِز ويقول :

قد عَلِمَتْ جارِيَةٌ عَبْسِيَّهْ ناعِمَةٌ فى أَهلِها مَكْفِيَّهْ
* أَنِّى سَأَحْمِى ثُلْمَتِى العَشِيَّهْ * ١/٣٣٨٣

فشدّ عليه قيسُ بن معاوية الدُّهنِىّ فقطع رجلَه ، فجعل يقاتلهم ، ويقول :

* القَرْمُ يَحْمِى شَوْلَهُ مَعْقولَا *

ثم شدّ عليه قيس بن معاوية فقتله ، فقال الناس :

اقتَتَلَتْ هَمْدانُ يَوْمًا ورَجُلْ اقتَتَلوا مِنْ غُدْوة حتى الأُصُلْ

* فَفتحَ اللهُ لَهمْدانَ الرَّجُلْ

وقال شُرَيح :

أَضْرِبُهُمْ وَلَوْ أَرَى أَبا حَسَنْ ضَرَبْتُهُ بالسيفِ حتى يَطْمَئِنّْ

وقال :

أَضْرِبُهُمْ ولو أَرَى عَلِيًّا أَلْبَسْتُهُ أَبْيَضَ مَشْرَفِيًّا

قال أبو مخنف : حدّثني عبد الملك بن أبي حرّة ، أنّ عليًّا خرج فى طلب ذى الثُّدَيّة ومعه سليمان[١] بن ثُمامة الحنفىّ أبو جُبَيْرة ، والرّيان بن صبرة ابن هَوْذة ، فوجده الرّيان بن صبرة بن هَوْذة فى حُفْرة على شاطئ النهر فى أربعين أو خمسين قتيلاً . قال : فلما استُخرِج نظر إلى عَضُدِه ، فإذا لحم مجتمع على منكبه كثَدْى المرأة ، له حَلَمة عليها شَعَرات سُود ، فإذا مُدّت امتدّت حتى تحاذى طول يده الأخرى ، ثم تُترك فتعود إلى منكبه كثدى المرأة ، فلما استُخرِج قال علىّ : الله أكبر ! والله ما كَذَبتُ ولا كُذِبت ، أما والله لولا أن تنكلوا عن العمل ، لأخبرتُكم بما قضى الله على لسان نبيّه صلى الله عليه وسلم لمن قاتلهم مستبصراً فى قتالهم ، عارفًا للحقّ الذى نحن عليه . قال : ثم مرّ وهم صرعَى فقال : بؤسًا لكم ! لقد ضرّكم مَن غرّكم ؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين ، مَن غرّهم ؟ قال : الشيطان ، وأنفسٌ بالسوء أمّارة ، غرّتهم بالأمانىّ ، وزيّنتْ لهم المعاصى ، ونبّأتهم أنهم ظاهرون . قال : وطلب مَن به رَمَق منهم فوجدناهم أربعمائة رجل ، فأمر بهم علىّ فدُفِعوا إلى عشائرهم ، وقال : احملوهم معكم فداوُوهم ، فإذا بَرِئوا فوافُوا بهم الكوفة ، وخذوا ما فى عسكرهم من شىء . ١/٣٣٨٤

قال : وأما السلاح والدّوابّ وما شهدوا به عليه الحرب فقسّمه بين المسلمين ، وأما المتاع والعبيد والإماء فإنه حين قدم ردّه على أهله . وطلب عدىّ بن حاتم ابنه طَرَفة فوجده ، فدَفَنه ، ثم قال : الحمد لله الذى ابتلانى بيومك على حاجتى إليك . ودَفَن رجالٌ من الناس قتْلاهم ،

---

(١) ابن الأثير : « سليم » .

فقال أمير المؤمنين حين بلغه ذلك : ارتحلوا إذاً ، أتقتلونهم ثم تدفنونهم! فارتحل الناس .

قال أبو مِخنف عن مجاهد ، عن المحِلّ بن خليفة : أنّ رجلا منهم من بني سَدوس يقال له العَيْزار بن الأخنس كان يرى رأيَ الخوارج، خرج إليهم ، فاستقبل وراء المدائن عديّ بن حاتم ومعه الأسود بن قيس والأسود بن يزيد المُراديّان ، فقال له العيزار حين استقبلَه : أسالمٌ غانم ، أم ظالمٌ آثم؟ فقال عديّ : لا ، بل سالمٌ غانم ، فقال له المراديّان : ما قلت هذا إلا لشرّ في نفسك ، وإنك لنعرفك يا عَيزار برأى القوم، فلا تفارِقنا حتى نذهب بك إلى أمير المؤمنين فنخبرَه خبرَك . فلم يكن بأوشَكَ أن جاء عليّ فأخبَراه خبَره، وقالا : يا أميرَ المؤمنين، إنه يرى رأيَ القوم، قد عرفْناه بذلك، فقال : ما يحِلّ لنا دمه ، ولكنا نحبسه ، فقال عديّ بن حاتم : يا أميرَ المؤمنين ، ادفَعْه إليّ وأنا أضمن ألّا يأتيَك مِن قبَله مكروه. فدَفَعه إليه . ١/٣٣٨٥

قال أبو مخنف : حدّثني عمران بن حُدير ، عن أبي مِجْلز ، عن عبد الرحمن بن جندب بن عبد الله، أنه لم يقتَل من أصحاب عليّ إلا سبعة .

قال أبو مخنف، عن نُمَير بن وَعْلة اليناعيّ[1]، عن أبي دَرْداء، قال : كان عليّ لما فرغ من أهل النهروان حَمِد الله وأثنىَ عليه ثم قال : إنّ الله قد أحسَن بكم ، وأعزّ نصركم، فتوجّهوا من فَوْركم هذا إلى عدوّكم . قالوا : يا أمير المؤمنين ، نفدَتْ نبالُنا ، وكَلّت سيوفُنا، ونصَلَتْ أسنّة رماحِنا ، وعاد أكثرها قِصَداً[2] ، فارجع إلى مِصرنا ، فلنستَعدّ بأحسن عدّتنا ، ولعلّ أمير المؤمنين يزيد في عُدّتنا عُدّة من هلك منا، فإنه أوفى[3] لنا على عدوّنا . وكان الذى تولى ذلك الكلام الأشعث بن قيس ، فأقبل حتى نزل النُّخَيلة، فأمر الناسَ أن يلزموا عسكرَهم، ويوطّنوا على الجهاد أنفسَهم، وأن يُقلّوا زيارةَ نسائهم وأبنائهم حتّى يسيروا إلى عدوّهم، فأقاموا فيه أيامًا ، ثم

---

(١) ط : « الساعى » ، وانظر المشتبه: ١٠٥

(٢) قصداً ؛ أى قطعاً منكسرة ؛ الواحدة قصدة . (٣) ابن الأثير والنويرى : « أقوى ».

تسلّلوا من معسكرهم ، فدخلوا إلا رجالا من وجوه الناس قليلاً ، وتُرِك العسكر خاليًا ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة ، وانكسر عليه رأيُه فى المسير . ٣٣٨٦/١

قال أبو مخنف عمّن ذكره ، عن زيد بن وهب : إنّ عليًّا قال للناس — وهو أوّل كلام قاله لهم بعد النّهر :

أيّها الناس، استعدّوا للمسير إلى عدوّ[1] فى جهاده القُربة إلى الله ودرَك الوسيلة عنده . حيارَى فى الحقّ ، جُفاة عن الكتاب ، نُكُبٌ عن الدّين ، يَعمَهون فى الطّغيان، ويُعكَسون فى غَمْرة الضلال ، فأعِدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ، وتوكّلوا على الله ، وكفى بالله وكيلا ، وكفى بالله نصيراً !

قال : فلا هم نفروا ولا تيسّروا ، فتركهم أيامًا حتى إذا أيس من أن يفعلوا ، دعا رؤساءهم ووجوهَهم ، فسألهم عن رأيهم ، وما الذى يُنظرهم[2] ، فنهم المعتلّ ، ومنهم المكرَه ، وأقلّهم من نَشِط . فقام فيهم خطيبًا ، فقال :

عبادَ الله ، ما لكم إذا أمرتُكم أن تنفِروا اثّاقلتم إلى الأرض ! أرَضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، وبالذّل والهوان من العِزّ ! أوَ كلّما ندبتُكم إلى الجهاد دارت أعينُكم كأنكم من الموت فى سَكْرة ، وكأنّ قلوبكم مألوسة[3] فأنتم لا تعقلون ! وكأن أبصاركم كُمْه فأنتم لا تُبصِرون . لله أنتم ! ما أنتم إلا أسُود الشرَى فى الدّعة ، وثعالبُ روّاغة حين تُدْعَوْن إلى البأس . ما أنتم لِى بثقة سَجيسَ الليالى[4] ، ما أنتم بركْب يُصالُ بكم ، ولا ذى عِزّ يُعتصَم إليه . لَعمرُ الله ، لبئس حُشّاش الحرب أنتم[5] ! إنكم تُكادون ولا تَكيدون ، ويتنقّص أطرافكم ولا تتحاشوْن ، ولا يُنام عنكم وأنتم فى غفلة ساهون ؛ إن أخا الحرب اليَقْظان ذو عقل ، وبات لذلّ مَن وادَع ، وغلبَ المتجادلون ، والمغلوب مقهور ومسلوب . ثم قال : أما بعد ، فإنّ لى عليكم ٣٣٨٧/١

---

(١) ابن الأثير : « عدوكم » . (٢) ابن الأثير : « يبطىء بهم » .

(٣) مألوسة ؛ من الألس وهو ذهاب العقل . (٤) سجيس الليالى ؛ أى الدهر كلّه .

(٥) حشاش حرب ، من حش النار ، إذا أشعلها .

حقًّا ، وإن لكم علىّ حقًّا ، فأمّا حقكم علىّ فالنّصيحة لكم ما صحبتُكم ، وتوفيرُ فيْئكم عليكم ، وتعليمُكم كيما لا تجهلوا ، وتأديبُكم كى تعلّموا ؛ وأما حقى عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصح لى فى الغيب والمشهد ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم ، فإن يُرِد اللهُ بكم خيراً انتزعتم عما أكره ، وتراجعوا إلى ما أحِبّ ، تنالوا ما تطلُبون ، وتُدرِكوا ما تأمُلون .

وكان غير أبى مخنف يقول : كانت الوقعة بين علىّ وأهل النّهر سنة ثمان وثلاثين ، وهذا القول عليه أكثرُ أهل السِّيَر .

وممّا يصحّحه أيضًا ما حدّثنى به عُمارة الأسدىّ ، قال : حدّثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا نعيم ، قال : حدّثنى أبو مريم أن شَبَث بن رِبْعىّ وابن الكوّاء خرجا من الكُوفة إلى حَروراء ، فأمر علىّ الناسَ أن يخرجوا بسلاحهم ، فخرجوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم ، فأرسل إليهم : بئسَ ما صنعتمْ حين تدخلون المسجدَ بسلاحكم ! اذهبوا إلى جبّانة مُراد حتى يأتيكم أمرى . ١/٣٣٨٨

قال أبو مريم : فانطلقْنا إلى جبانة مُراد فكنّا بها ساعة من نهار ، ثم بلغنا أن القوم قد رجعوا وهم زاحفون . قال : فقلت : أنطلق أنا حتى أنظرَ إليهم ، فانطلقت حتى أتخلّل صفوفهم ، حتى انتهيت إلى شَبَث بن رِبعىّ وابن الكوّاء وهما واقفان متوركان على دابّتيهما ، وعندهما رسل علىّ وهم يناشدونهما الله لمّا رجعا بالناس ! ويقولون لهم : نعيذكم بالله أن تعجلوا بفتنة العام خشية عام قابل . فقام رجل إلى بعض رسل علىّ فعقر دابته ، فنزل الرجل وهو يسترجع ، فحمل سرجه ، فانطلق به وهم يقولون : ما طلبُنا إلا منابذتهم ، وهم يناشدونهم الله ، فمكثْنا ساعة ، ثم انصرفوا إلى الكُوفة كأنه يوم فِطْر أو أضحَى .

قال : وكان علىّ يحدّثنا قبل ذلك أنّ قومًا يَخرُجون من الإسلام يَمرُقون من الدين كما يَمرُق السهم من الرميّة ، علامتهم رجل مخدَج اليد . قال : وسمعتُ ذلك منه مرارًا كثيرة ، قال : وسمعه نافع « المخدج » أيضًا — حتى رأيته يتكرّه طعامه من كثرة ما سمعه ، يقول : وكان نافع معنا يصلى فى المسجد بالنهار ويبيت فيه بالليل ، وقد كنت كسوته بُرْنُسًا ، فلقيته من الغد ، فسألتُه : هل كان

خرج مع الناس الذين خرجوا إلى حَرُوراء ؟ فقال : خرجت أريدُهم حتى إذا بلغت إلى بنى سعد ، لقيَنى صِبيان فنزَعوا سلاحِى ، وتلعّبوا بى ، فرجعت حتى إذا كان الحوْل أو نحوه خرج أهل النّهر ، وسار علىّ إليهم، فلم أخرج معه وخرج أخى أبو عبد الله . قال : فأخبرنى أبو عبد الله أنّ عليّاً سار إليهم حتى إذا كان حذاءَهم على شطّ النّهروان أرسل إليهم يناشدُهم اللهَ ويأمرهم أن يرجعوا ، فلم تزل رسُلُه تختلف إليهم، حتى قَتَلوا رسولَه ، فلما رأى ذلك نهض إليهم فقاتَلَهم حتى فرغ منهم ، ثم أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدَج ، فالتمَسوه، فقال بعضهم: ما نجدُه، حتى قال بعضهم : لا ، ما هو فيهم . ثم إنه جاء رجل فبشّره وقال : يا أمير المؤمنين ، قد وجدناه تحت قَتيلين فى ساقِيَة . فقال : اقطَعوا يدَه المخدَجة ، وأتونى بها ، فلما أُتِى بها أخذها ثم رفَعها، وقال : والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبتُ . ١/٣٣٨٩

قال أبو جعفر : فقد أنبأ أبو مريم بقوله: « فرجعت حتى إذا كان الحول أو نحوه ، خرج أهل النهر »، أنّ الحرب التى كانت بين علىّ وأهل حَرُوراء كانت فى السنة التى بعد السنة التى كان فيها إنكار أهل حَروراءَ على علىّ التحكيم ، وكان ابتداء ذلك فى سنة سبع وثلاثين على ما قد ثبت قبلُ ، وإذا كان كذلك، وكان الأمر على ما روينا من الخبر عن أبى مريم ، كان معلوماً أنّ الوقعة كانت بينه وبينهم فى سنة ثمان وثلاثين .

وذكر علىّ بن محمد ، عن عبد الله بن ميمون ، عن عمرو بن شُجَيرة ، عن جابر ، عن الشعبىّ ، قال : بعث علىٌّ بعد ما رجع من صِفّين جَعْدة ابن هبيرة المخزومىّ ، وأمّ جعدة أمّ هانئ بنت أبى طالب — إلى خُراسان ، فانتهى إلى أبْرشهر وقد كَفَروا وامتنعوا ، فقدم على علىّ ،فبعث خُليد بن قرّة اليربوعىّ فحاصر أهل نَيْسابور حتى صالحوه ، وصالحه أهلُ مرْو . ١/٣٣٩٠

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة — أعنى سنة سبع وثلاثين — عبيد الله بن عبّاس ، وكان عامل علىٍّ على اليَمَن ومخاليفِها . وكان على مكة والطائف قُثَم بن

العبّاس ، وعلى المدينة سهل بن حُنَيف الأنصاريّ ، وقيل: كان عليها تمّام ابن العباس . وكان على البصرة عبد الله بن العباس ، وعلى قضائها أبو الأسود الدُّؤَليّ ، وعلى مصر محمد بن أبي بكر ، وعلى خُراسانَ خليد بن قرّة اليربوعيّ.

وقيل: إن عليًّا لما شخص إلى صِفّين استَخلَف على الكوفة أبا مسعود الأنصاريّ ؛ حدّثني أحمد بن إبراهيم الدّوْرَقيّ ، قال : حدّثنا عبدُ الله بن إدريس ، قال : سمعتُ ليثًا ذكر عن عبد العزيز بن رُفَيع ، أنه لما خرج عليّ إلى صِفّين استخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاريّ عقبة بن عمرو . وأمّا الشام فكان بها معاوية بن أبي سُفْيان .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها مَقتَل محمّد بن أبى بكر بمصر، وهو عاملٌ عليها، وقد ذكرنا سببَ تولية علىّ إياه مصر، وعزل قيس بن سعد عنها، ونذكر الآن سببَ قتله، وأين قتل؟ وكيف كان أمره؟ ونبدأ بذكرِ من تتمّة حديث الزّهرىّ الذى قد ذكرنا أوّله قبلُ، وذلك ما حدّثنا عبد الله، عن يونس، عن الزّهرىّ، قال: لما حُدّث قيس بن سعد بمجىء محمد بن أبى بكر، وأنه قادم عليه أميراً، تلقّاه وخلاَ به وناجاه، فقال: إنك جئتَ من عند امرئ لا رأىَ له، وليس عزْلُكم إيّاىَ بمانعى أن أنصح لكم، وأنا مِن أمرِكم هذا على بصيرة، وإنى فى ذلك على الذى كنت أكايد به معاوية وعمراً وأهل خِرِبْتا، فكايِدْهم به، فإنك إن تكايدْهم بغيره تَهلِك. ووصف قيس ابن سعد المكايدة التى كان يكايدهم بها، واغتشّه محمد بن أبى بكر، وخالف كلّ شىء أمره به. فلما قدم محمد بن أبى بكر وخرج قيس قِبَل المدينة بعث محمد أهلَ مصر إلى خِرِبْتا، فاقتتلوا، فهزِم محمد بن أبى بكر، فبلغ ذلك معاوية وعمراً، فسارا بأهل الشام حتى افتتحا مصر، وقتَلا محمد بن أبى بكر، ولم تزل فى حيّز معاوية، حتى ظهر. وقدم قيس بن سعد المدينة، فأخافه مروان والأسود بن أبى البَخْترىّ، حتى إذا خاف أن يؤخذ أو يُقتَل ركب راحلته، وظهر إلى علىّ. فكتب معاوية إلى مرْوان والأسود يتغيّظ عليهما ويقول: أمددتُما عليّاً بقيس بن سعد ورأيه ومكايَدته، فوالله لو أنّكما أمددتُماه بمائة ألفِ مقاتل ما كان بأغيظَ إلىّ من إخراجِكما قيسَ بن سعد إلى علىّ. فقدم قيس بن سعد على علىّ، فلما باثّه الحديثَ، وجاءهم قتلُ محمد بن أبى بكر، عرف أنّ قيس بن سعد كان يوازى أموراً عظاماً من المكايدة، وأنّ مَن كان يشير عليه بعزل قيس بن سعد لم يَنصَح له.

وأمّا ما قال فى ابتداء أمرِ محمد بن أبى بكر فى مصيرِه إلى مصر وولايته

إياها أبو مخنف ، فقد تقدّم ذكرُنا له ، ونذكر الآن بقيّة خبره فى روايته ما روى من ذلك عن يزيد بن ظَبْيان الهَمْدانىّ، قال: ولما قتل أهل خِرِبْتا ابنَ مضاهم الكلبىّ الذى وجّهه إليهم محمد بن أبى بكر، خرج معاوية بن حُديج الكندىّ ثم السَّكُونىّ ، فدعا إلى الطلب بدم عثمانَ ، فأجابه ناس آخَرون ، وفسدتْ مصر على محمد بن أبى بكر ، فبلغ عليًّا وثوبُ أهل مصرَ على محمد بن أبى بكر ، واعتمادُهم إياه ، فقال : ما لمصرَ إلا أحد الرَّجُلين ! صاحبنا الَّذى عزَلْناه عنها — يعنى قيسًا — أو مالك بن الحارث — يعنى الأشتر . قال : وكان علىّ حين انصرف من صِفِّين ردّ الأشترَ على عمله بالجزيرة ، وقد كان قال لقيس بن سعد : أقم معى على شُرَطِى حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة، ثم اخرج إلى أذْرَبيجان؛ فإنّ قيسًا مقيم مع علىّ على شُرْطته . فلما انقضى أمرُ الحكومة كتب علىّ إلى مالك بن الحارث الأشتر ، وهو يومئذ بنَصيبين: أمّا بعد، فإنك ممّن استظهرتُه على إقامة الدين، وأقمعُ به نخوةَ الأثيم ، وأشُدّ به الثّغر المَخُوف. وكنت ولّيت محمد بن أبى بكر مصر ، فخرجتْ عليه بها خوارج، وهو غلامٌ حَدَث ليس بذى تجربة للحَرْب ، ولا بمجرّب للأشياء ، فاقدم علىّ لننظر فى ذلك فيا ينبغى ، واستخلِفْ على عَملك أهلَ الثقة والنصيحة من أصحابك . والسلام . ٣٣٩٣/١

فأقبَل مالكٌ إلى علىٍّ حتى دخل عليه ، فحدّثه حديثَ أهل مصرَ، وخبّره خبرَ أهلها ، وقال : ليس لها غيرك ، اخرج رحِمَك الله ! فإنى إن لم أوصِك اكتفيتُ برأيك. واستعِن بالله على ما أهمّك، فاخلِط الشدّة باللّين، وارفق ما كان الرفق أبلَغ ، واعتزِم بالشدّة حين لا يغنى عنك إلا الشدّة .

قال : فخرج الأشتر من عند علىّ فأتى رحله ، فتهيّأ للخروج إلى مصر ، وأتت معاويةَ عيونُه ، فأخبروه بولاية علىّ الأشتر ، فعظُم ذلك عليه ، وقد كان طمع فى مصر ، فعلم أن الأشتر إنْ قدمها كان أشدّ عليه من محمد ابن أبى بكر ، فبعث معاوية إلى الجايستار — رجل من أهل الخراج — فقال له : إنّ الأشتر قد وُلّىَ مصر ، فإن أنت كَفَيْتَنيه لم آخذْ منك خراجًا ما بقيتَ ، فاحتلْ له بما قدرتَ عليه . فخرج الجايستار حتى أتى القُلْزم

وأقام به ، وخرج الأشتر من العراق إلى مصرَ ، فلما انتهى إلى القلزُم استقبله الجايستار، فقال: هذا مَنزِل، وهذا طعامٌ وعَلَف، وأنا رجلٌ من أهل الخراج، فنزل به الأشتر ، فأتاه الدِّهقان بعَلَف وطعام ، حتى إذا طَعِم أتاه بشربة من عَسَل قد جعل فيها سُمًّا فسقاه إيّاه ، فلما شربها مات . وأقبل معاوية يقول لأهل الشأم : إنّ عليًّا وجّه الأشتر إلى مصرَ ، فادعوا اللهَ أن يَكفيَكُموه . قال : فكانوا كلّ يوم يَدْعون الله على الأشتر ، وأقبل الذى سقاه إلى معاوية فأخبَرَه بمَهلِك الأشتر ، فقام معاوية فى الناس خطيبًا ، فحَمِد اللهَ وأثنى عليه وقال : أمّا بعد ، فإنه كانت لعلىّ بن أبى طالب يدان يمينان، قُطعتْ إحداهما يومَ صِفّين — يعنى عمّار بن ياسر— وقُطِعت الأخرى اليوم — يعنى الأشتر .

١/٣٣٩٤

قال أبو مخنف: حدّثنى فُضَيل بن خَدِيج، عن مولًى للأشتر، قال: لما هلك الأشتر وجدْنا فى ثَقَله رسالة علىّ إلى أهل مصر :

بسم الله الرّحمن الرّحيم . من عبدِ الله علىّ أمير المؤمنين إلىّ أمّة المسلمين الذين غَضِبوا لله حين عُصِيَ فى الأرض، وضَرَب الجورُ بأرواقه على البَرّ والفاجر ، فلا حقّ يُستَراح إليه ، ولا منكَر يُتناهَى عنه . سلام عليكم ، فإنى أحمَد اللهَ إليكم الذى لا إله إلا هو . أما بعد فقد بعثتُ إليكم عبدًا من عبيد الله لا ينام أيام الخوف ، ولا يَنكل عن الأعادى حِذارَ الدّوائر، أشدّ على الكفّار من حريقِ النار، وهو مالك بن الحارث أخو مَذحِج ، فاسمَعوا له وأطيعوا ، فإنه سيفٌ من سيوف الله ، لا نابى الضّريبة ، ولا كَليل الحدّ ، فإن أمَرَكم أن تُقدموا فأقدموا، وإن أمَرَكم أن تَنفِروا فانفروا ، فإنه لا يُقدم ولا يُحجم إلا بأمرى ، وقد آثرتكم به على نفسى لنُصحِه لكم، وشدّة شَكيمته على عدوّكم، عصَمَكم الله بالهدى، وثبّتكم على اليقين. والسلام .

١/٣٣٩٥

قال : ولما بلغ محمّد بن أبى بكر أنّ عليًّا قد بعث الأشتر شقّ عليه ، فكتب علىّ إلى محمد بن أبى بكر عند مَهلِك الأشتر ، وذلك حين بلغه مَوْجِدةُ محمد بن أبى بكر لقُدوم الأشتر عليه : بسم الله الرحمن الرّحيم ،

من عبد الله علىّ أميرِ المؤمنين إلى محمد بن أبى بكر ، سلامٌ عليك ، أما بعد ؛ فقد بلغنى موجِدَتُك من تسريحى الأشترَ إلى عمَلِك ، وإنى لم أفعل ذلك استبطاءً لك فى الجهاد ، ولا ازدياداً منى لكَ فى الجدّ ، ولو نزعتُ ما تحتَ يدك من سلطانك لولّيتُك ما هو أيسرُ عليكَ فى المئونة ، وأعجب إليك ولايةً منه . إنّ الرجل الذى كنتُ وليته مصرَ كان لنا نصيحًا ، وعلى عدوّنا شديداً ، وقد استكمَل أيّامَه ، ولاقَى حِمامَه ، ونحن عنه راضُون ، فرضِى الله عنه ، وضاعَفَ له الثواب ، وأحسَنَ له المآب . اصبر لعدوّك ، وشمِّر للحرب ، وادعُ إلى سبيلِ ربّك بالحكمة والموعظة الحسنةِ ، وأكثِرْ ذكرَ الله ، والاستعانةَ به ، والخوفَ منه ، يَكفِك ما أهمّك ، ويُعِنْك على ما ولّاك ، أعاننا الله وإيّاك على ما لا يُنال إلا برحمته . والسلام عليك .

فكتب إليه محمد بن أبى بكر جوابَ كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله علىٍّ أمير المؤمنين من محمد بن أبى بكر ، سلامٌ عليك ، فإنّى أحمد الله إليك الذى لا إلهَ غيره ، أما بعد ، فإنّى قد انتهى إلىّ كتابُ أمير المؤمنين ، ففهِمْته وعرفتُ ما فيه ، وليس أحد من الناس بأرضَى منى برأى أميرِ المؤمنين ، ولا أجهَد على عدوّه ، ولا أرأف بوليّه منى ، وقد خرجتُ فعسكرتُ ، وأمّنتُ الناس إلا من نَصَب لنا حربًا ، وأظهَر لنا خلافًا ، وأنا متّبع أمرَ أمير المؤمنين وحافظُه ، وملتجِئ إليه ، وقائمٌ به ، والله المستعان على كلّ حال ؛ والسلام عليك .

١/٣٣٩٦

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو جَهضم الأزدىّ — رجل من أهل الشأم — عن عبد الله بن حَوالة الأزدىّ ، أنّ أهل الشأم لما انصرفوا من صِفّين كانوا ينتظرون ما يأتى به الحكَمان ، فلما انصرفا وتفرّقا بايع أهلُ الشأم معاويةَ بالخلافة ، ولم يزدد إلا قوّة ، واختلف الناسُ بالعراق على علىّ ، فما كان لمعاوية همٌّ إلا مصر ، وكان لأهلها هائبًا خائفًا ، لقربهم منه ، وشدّتهم على من كان على رأىِ عثمان ، وقد كان عَلَى ذلك علِم أن بها قومًا قد ساءهم قتلُ عثمانَ ، وخالفوا عليًّا ، وكان معاوية يرجو أن يكون إذا ظهر عليها ظهر على حرب علىّ ، لعظم خَراجها . قال : فدعا معاوية من كان معه من قريش :

عمرَو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبُسْرَ بن أبى أرطاة والضحّاك بن قيس وعبدَ الرحمن بن خالد بن الوليد ؛ ومن غيرهم أبا الأعور عَمرَو بن سُفيان السُّلَمىّ وحمزةَ بن مالك الهَمْدانىّ ، وشُرَحبيل بن السِّمْط الكِندىّ فقال لهم : أتدرون لِمَ دعوتكم ؟ إنّى قد دعوتُكم لأمر مُهِمّ أحبّ أن يكون اللهُ قد أعانَ عليه ، فقال القوم كلهم — أو من قال منهم : إنّ الله لم يُطلِع على الغيب أحداً ، وما يُدرِينا ما تُريد ! فقال عمرو بن العاص :

١/٣٣٩٧ أرى واللهِ أمرَ هذه البلاد الكثير خراجُها ، والكثير عَدَدُها وعدد أهلها ، أهمّكَ أمرُها ، فدعوتَنا إذاً لتسألَنا عن رأينا فى ذلك ، فإن كنتَ لذلك دعوتَنا ، وله جمعتَنا ، فاعزم وأقدِم ، ونِعمَ الرأى رأيتَ ! ففى افتتاحها عِزُّك وعزّ أصحابك ، وكَبْتُ عدوّك ، وذلّ أهل الخلاف عليك. قال له معاوية مجيباً : أهمّك يا بن العاصِ ما أهمّك — وذلك لأنّ عمرو بنَ العاص كان صالَح معاويةَ حين بايعه على قتال علىّ بن أبى طالب ، على أنّ له مصرَ طُعْمةً ما بقىَ — فأقبل معاوية على أصحابه فقال : إنّ هذا — يعنى عَمراً — قد ظنّ ثم حقّق ظنّه ، قالوا له : لكنا لا ندرى ؛ قال معاوية : فإنّ أبا عبد الله قد أصاب ، قال عمرو : وأنا أبو عبد الله ؛ قال : إنّ أفضل الظُّنون ما أشبه اليقين .

ثمّ إنّ معاوية حمِد الله وأثنَى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فقد رأيتم كيف صنع اللهُ بكم فى حربكم عدوّكم ، جاءوكم وهم لا يَروْن إلّا أنهم سيقيضون بَيضتَكم ، ويُخربون بلادَكم ، ما كانوا يرَون إلّا أنكم فى أيديهم ، فردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً مما أحبّوا ، وحاكَمْناهم إلى الله ، فحكَم لنا عليهم . ثم جمع لنا كلمتَنا ، وأصلح ذاتَ بينِنا ، وجعلهم أعداء متفرّقين يشهدُ بعضُهم على بعض بالكُفْر ، ويسفِك بعضهم دَم بعض . واللهِ إنّى لأرجو أن يتمّ لنا هذا الأمر ، وقد رأيت أن نُحاول أهلَ مصرَ ، فكيف ترَوْن ارتئاءنا لها ! فقال عمرو : قد أخبرتُك عمّا سألتَنى عنه ، وقد أشرتُ عليك بما سمعت ؛ فقال معاوية : إنّ عَمراً قد عزم وصرَم ، ولم يفسّر ، فكيف لى

١/٣٣٩٨ أن أصنع ! قال له عمرو : فإنّى أشير عليك كيف تصنع ، أرى أن تبعث

جيشًا كثيفًا ، عليهم رجلٌ حازم صارم تأمَنُه وتثق به ، فيأتى مصرَ حتى يدخلَها ، فإنه سيأتيه مَن كان من أهلها على رأينا فيظاهرُه على مَن بها من عدوّنا ، فإذا اجتمع بها جندُك ومَن بها من شيعتك على مَن بها من أهل حربك، رجوتُ أن يعين الله بنصرك ، ويُظهِر فَلْجَك . قال له معاوية: هل عندك شيء دون هذا يُعمَل به فيما بيننا وبينهم ؟ قال : ما أعلَمه ، قال : بلى ، فإنّ غير هذا عندى، أرى أن نكاتب مَن بها من شيعتنا ، ومَن بها من أهل عدوّنا ، فأمّا شيعتنا فآمُرُهم بالثبات على أمرهم، ثم أمنّيهم قُدومَنا عليهم ، وأما مَن بها من عدوّنا فندعوهم إلى صُلْحنا، ونمنّيهم شكرَنا ، ونخوّفهم حرْبنا ، فإن صلَح لنا ما قبَلهم بغير قتال فذاك ما أحببنا ، وإلا كان حربُهم من وراء ذلك كلّه . إنك يابن العاص امرؤ بُورِك لك فى العَجَلة ، وأنا امرؤٌ بورك لى فى التُّؤَدة ؛ قال : فاعمل بما أراك الله ، فوالله ما أرى أمرَك وأمرَهم يصيرُ إلّا إلى الحرب العَوان . قال : فكتب معاوية عند ذلك إلى مسلمة بن مخلّد الأنصاريّ وإلى معاوية بن حُدَيج الكِنديّ — وكانا قد خالفا عليًّا : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، أمّا بعد، فإنّ الله قد ابتعثكما لأمر عظيم أعظمَ به أجرَكما ، ورفع به ذِكرَكما ، وزيّنكُما به فى المسلمين ؛ طَلَبكما بدم الخليفةِ المظلوم، وغضبكما لله إذ تُرِك حكم الكتاب، وجاهدتما أهلَ البغى والعُدوان ، فأبشروا برِضوان الله ، وعاجِل نصرِ أولياءِ الله، والمواساة لكما فى الدنيا وسلطاننا حتى يُنْتَهَى فى ذلك ما يرُضيكما، ونؤدّى به حقّكما إلى ما يصير أمرُكما إليه. فاصبروا وصابروا عدوَّكما ، وادعوا المدبِر إلى هُداكما وحفظِكما ، فإنّ الجيش قد أظلّ عليكما ، فانقشع كلّ ما تكرهان ، وكان كلّ ما تَهوَيان ؛ والسلام عليكما . ١/٣٣٩٩

وكَتَب هذا الكتابَ وبَعَث به مع مولًى له يقال له سُبَيع .

فخرج الرسول بكتابه حتى قدم عليهما مصر ومحمد بن أبى بكر أميرها ، وقد ناصَب هؤلاء الحربَ بها ، وهو غير متخوّن بها يوم الإقدام عليه . فدفع كتابَه إلى مسلمة بن مخلّد وكتابَ معاوية بن حُدَيج ، فقال مسلمة : امضِ بكتاب معاوية إليه حتى يقرأه ، ثم القنى به حتى أجيبه عنى وعنه ، فانطلق

الرسول بكتاب معاوية بن حُديج إليه، فأقرأه إيّاه، فلما قرأه قال: إنّ مسلمة ابن مخلّد قد أمرني أن أردّ إليه الكتاب إذا قرأتَه لكي يجيب معاوية عنك وعنه. قال: قل له فليفعل؛ ودفع إليه الكتاب، فأتاه. ثم كتب مسلمة عن نفسه وعن معاوية بن حُديج: أما بعد، فإنّ هذا الأمر الذي بذلنا له نفسنا، واتّبعنا أمرَ الله فيه، أمرٌ نرجو به ثوابَ ربّنا، والنصرَ ممن خالفنا، وتعجيلَ النّقمة لمن سعَى على إمامنا، وطأطأ الرّكض في جهادنا، ونحن بهذا الحيّز من الأرض قد نفَينا مَن كان به من أهل البغي، وأنهضْنا من كان به من أهل القسْط والعدل، وقد ذكرتَ المواساة في سلطانك ودنياك، وبالله إنّ ذلك لأمرٌ ما لَه نهضْنا، ولا إيّاه أردْنا، فإنْ يجمع الله لنا ما نطلب، ويؤتنا ما تمنّينا، فإنّ الدنيا والآخرةَ لله ربِّ العالمين، وقد يؤتيهما الله معًا عالمًا من خلقه، كما قال في كتابه، ولا خلفَ لموعوده، قال: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، عجّل علينا خيلَك ورجْلك، فإنّ عدوّنا قد كان علينا حربًا، وكنا فيهم قليلا، فقد أصبحوا لنا هائبين، وأصبحْنا لهم مقرنين، فإن يأتنا الله بمدَد من قبلَك يفتح الله عليكم، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل؛ والسلام عليك.

١/٣٤٠٠

قال: فجاءه هذا الكتاب وهو يومئذ بفلَسطين، فدعا النّفرَ الذين سمّاهم في الكتاب فقال: ماذا ترون؟ قالوا: الرّأى أن تبعث جُنداً من قبلَك، فإنك تفتتحها بإذن الله. قال معاوية: فتجهّز يا أبا عبد الله إليها — يعنى عمرَو بنَ العاص — قال: فبعثه في ستة آلاف رجل، وخرج معاوية وودّعه وقال له عند وداعه إيّاه: أوصيك يا عَمرو بتقوَى الله والرفق فإنه يُمْن، وبالمهَل والتُّؤدَة، فإنّ العَجَلة من الشيطان، وبأن تقبلَ ممن أقبَل، وأن تعفوَ عمّن أدبرَ، فإن قَبل فبها ونعمتْ، وإن أبَى فإنّ السطوة بعد المعذرة أبلَغ في الحجّة، وأحسَن في العاقبة، وادعُ الناسَ إلى الصلح والجماعة،

(١) سورة آل عمران: ١٤٨.

فإذا أنت ظهرتَ فليكن أنصارُك آثرَ الناس عندَك، وكلٌّ الناس فأولِ حُسْناً. قال: فخرج عَمرٌو يسير حتى نزل أدانىَ أرض مصرَ، فاجتمعت العثمانية إليه، فأقام بهم، وكتب إلى محمد بن أبى بكر: ٣٤٠١/١

- أما بعد، فتنحَّ عنى بدمك يابن أبى بكر، فإنّى لا أحبّ أن يصيبَك منى ظَفَر، إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك، ورفضِ أمرِك، وندِموا على اتّباعك، فهم مُسلِموك لو قد التقت حلْقتا البِطان، فاخرج منها، فإنى لك من الناصحين؛ والسلام.

وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه:

أما بعد، فإنّ غبَّ البغى والظلمِ عظيم الوَبال، وإنّ سَفْكَ الدم الحرام لا يَسلَم صاحبه من النّقمة فى الدنيا، ومن التَّبِعة الموبِقة فى الآخرة، وإنا لا نعلم أحداً كان أعظم على عثمانَ بغياً، ولا أسوأ له عيباً، ولا أشدّ عليه خلافاً منك؛ سعيتَ عليه فى الساعين، وسفكتَ دَمه فى السافكين، ثم أنت تظنّ أنى عنك نائمٌ أو ناسٍ لك، حتى تأتى فتأمّر على بلاد أنتَ فيها جارى، وجُلّ أهلِها أنصارى، يرَون رأيى، ويَرْقُبون قولى، ويَستصرخونى عليك. وقد بعثتُ إليك قوماً حِناقاً عليك، يستسقون دمَك، ويتقرّبون إلى الله بجهادك، وقد أعطَوا الله عهداً ليمثّلُنّ بك، ولو لم يكن منهم إليك ما عدا قتلك ما حذّرتك ولا أنذرتك، ولأحببتُ أن يقتلوك بظُلمك وقطيعتك وعَدْوك على عثمان يوم يُطعن بمشَاقِصك بين خُشَشائه وأوداجه[1]، ولكن أكرَه أن أمثّل بقرَشىّ، ولن يُسلِمك الله من القصاص أبداً أينما كنت. والسلام.

قال: فطوى محمد كتابيْهما، وبعث بهما إلى علىّ، وكتب معهما: ٣٤٠٢/١

أما بعد، فإنّ ابن العاص قد نزل أدانىَ أرضِ مصرَ، واجتمع إليه أهلُ البلد جلُّهم ممن كان يَرى رأيَهم، وقد جاء فى جيش لجِب خرّاب، وقد رأيت ممن قِبَلى بعضَ الفشل، فإن كان لك فى أرض مصرَ حاجة فأمدّنى بالرجال والأموال؛ والسّلام عليك.

فكتب إليه علىّ:

---

(١) المشقص: نصل عريض. والخشاء: العظم الناتئ خلف الأذن. والأوداج: عروق العنق.

أمّا بعد ، فقد جاءني كتابُك تذكُر أنّ ابن العاص قد نزل بأداني أرض مصرَ في لجِبٍ من جيشه خَرّاب ، وإنّ مَن كان بها على مِثل رأيه قد خرج إليه ، وخروجُ مَن يرى رأيه إليه خيرٌ لك من إقامتهم عندك . وذكرتَ أنك قد رأيتَ في بعض مَنْ قبلَك فشَلا ، فلا تفشَل ، وإن فشلوا فحصِّنْ قريتَك ، واضممْ إليك شيعتَك ، واندُب إلى القوم كنانةَ بنَ بِشر المعروفَ بالنصيحة والنّجدة والبأس ، فإني نادبٌ إليك الناسَ على الصَّعب والذّلول ، فاصبر لعدوّك ، وامض على بصيرتك ، وقاتلْهم على نيّتك ، وجاهِدْهم صابراً محتسباً ، وإن كانت فئتُك أقلّ الفئتين ؛ فإنّ الله قد يُعزّ القليل ، ويَخذُل الكثير . وقد قرأتُ كتابَ الفاجر ابن الفاجر معاوية ، والفاجر ابن الكافر عَمرو ، المتحابَّيْن في عمل المعصية ، والمتوافقَين المرتَشِيَيْن في الحكومة ، المنكَرَين في الدنيا ، قد استَمتَعوا بخَلاقهم كما استمتَع الذين من قبلهم بخَلاقهم ، فلا يَهُلْنْك إرعادُهما وإبراقُهما ، وأجبْهما إن كنتَ لم تجبْهما بما هما أهله ، فإنك تجد مقالا ما شئت ؛ والسلام .

١/٣٤٠٣ قال أبو مخنف : فحدّثني محمد بن يوسف بن ثابت الأنصاريّ ، عن شيخ من أهل المدينة ، قال : كتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية بن أبي سُفيان جوابَ كتابه :

أما بعد ، فقد أتاني كتابُك تذكّرني من أمرِ عثمانَ أمراً لا أعتذِر إليك منه ، وتأمُرني بالتنحّي عنك كأنك لي ناصح ، وتُخوّفني المُثْلَة كأنك شفيق ، وأنا أرجو أن تكون ليَ الدائرةُ عليكم ، فأجتاحَكم في الوقعة ، وإن تُؤتَوا النصرَ ويكن لكم الأمر في الدّنيا ، فكَم لَعمري من ظالم قد نَصرْتم ، وكم من مؤمن قَتَلتم ومثّلتم به ! وإلى الله مصيرُكم ومصيرُهم ، وإلى الله مَرَدّ الأمور ، وهو أرحم الراحمين ، والله المستعان على ما تصفون . والسلام .

وكتب محمد إلى عَمرو بن العاص :

أمّا بعد ، فقد فهمتُ ما ذكرتَ في كتابك يابنَ العاص ، زعمتَ أنك تكره أن يصيبَني منك ظَفَر ، وأشهدُ أنك من المبطِلين . وتَزعم أنك لي

نصيح، وأقسم أنك عندى ظَنِين، وتزعم أنّ أهل البلد قد رفضوا رأيى وأمرى، ونَدِموا على اتّباعى، فأولئك لك وللشيطان الرجيم أولياء، فحسبُنا الله ربّ العالمين، وتوكّلنا على الله ربّ العرش العظيم؛ والسلام.

قال: أقبل عَمرو بن العاص حتى قصد مصرَ، فقام محمد بن أبى بكر فى الناس، فحمِد الله وأثنَى عليه وصلى على رسوله، ثم قال: أمّا بعد معاشرَ المسلمين والمؤمنين، فإنّ القوم الذين كانوا ينتهكون الُحرمة، ويَنعَشُون الضّلال، ويَشُبّون نارَ الفتنة، ويتسلّطون بالجبَريّة، قد نصبوا لكم العداوة، وساروا إليكم بالجنود. عبادَ الله! فمن أراد الجنّة والمغفرة فلْيخرج إلى هؤلاء القوم فلْيجاهدْهم فى الله؛ انتدِبوا إلى هؤلاء القوم رحمكم الله مع كنانة ابن بشر.

١/٣٤٠٤

قال: فانتدب معه نحو من ألفَى رجل، وخرج محمد فى ألفَىْ رجل، واستقبل عمرو بن العاص كنانةَ وهو على مقدِّمة محمد، فأقبل عَمرو نحو كنانةَ، فلما دنا من كنانةسرّح الكتائبَ كتيبةً بعد كتيبة، فجعل كنانةُ لاتأتيه كتيبةٌ من كتائب أهلِ الشام إلا شدّ عليها بمن معه، فيضربها حتّى يقرّبها لعمرو بن العاص. ففعل ذلك مراراً؛ فلما رأى ذلك عمرو بعث إلى معاوية بن حُدَيج السَّكونىّ، فأتاه فى مثل الدّهْم، فأحاط بكنانةَ وأصحابه، واجتمع أهلُ الشأم عليهم من كلّ جانب، فلما رأى ذلك كنانةُ بن بشر نزل عن فرسه، ونزل أصحابُه وكنانة يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[1]. فضاربَهم بسيفه حتى استُشهد رحمه الله.

وأقبل عمرو بن العاص نحوَ محمد بن أبى بكر، وقد تفرّق عنه أصحابُه لمّا بلغهم قتل كنانة، حتى بقِى وما معه أحد من أصحابه. فلما رأى ذلك محمد خرج يمشى فى الطريق حتّى انتهى إلى خَرِبة فى ناحية الطريق، فأوَى إليها، وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفُسطاط، وخرج معاوية بن حُدَيج فى

(١) سورة آل عمران: ١٤٥.

طلب محمّد حتى انتهى إلى عُلوج فى قارعة الطريق ، فسألهم: هل مرَّ بكم
أحد تنكرونه ؟ فقال أحدهم: لا والله ، إلا أنى دخلت تلك الخربة ، فإذا ١/٣٤٠٥
أنا برجل فيها جالس، فقال ابن حُدَيج : هو هو وربِّ الكعبة ؛ فانطلقوا
يركُضون حتى دخلوا عليه ، فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشًا ؛ فأقبلوا به
نحو فسطاط مصرَ . قال : ووثب أخوه عبدُالرحمن بن أبى بكر إلى عَمرو بن
العاص – وكان فى جنده فقال : أتقتل أخى صبرًا! ابعث إلى معاويةَ بن حُدَيْج
فانهَه ، فبعث إليه عَمرو بن العاص يأمره أن يأتيَه بمحمد بن أبى بكر ،
فقال معاوية : أكذاك! قتلتم كنانةَ بنَ بشر وأخلّى أنا عن محمد بن أبى بكر !
هيهات، ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾[1].
فقال لهم محمد : اسقُونى من الماء، قال له معاوية بن حُدَيج : لاسقاه الله إن
سقاك قطرةً أبدًا ! إنكم منعتمْ عثمانَ أن يشرب الماءَ حتى قتلتموه صائمًا مُحرِمًا ،
فتلقّاه الله بالرّحيق المختوم ، والله لأقتلنّك يابن أبى بكر فيسقيك الله الحميمَ والغسّاق!
قال له محمد : يابن اليهوديّة النسّاجة ، ليس ذلك إليك وإلى من ذكرت ،
إنما ذلك إلى الله عزّ وجلّ يسقى أولياءَه ، ويظمِئ أعداءَه ؛ أنتَ وضُرَباؤُك
ومَن تولّاه ، أما والله لو كان سيفى فى يدى ما بلغتم منى هذا ؛ قال له معاوية :
أتدرى ما أصنعُ بك ؟ أدخِلك فى جوفِ حمار ، ثم أحرِقُه عليك بالنار ؛
فقال له محمد : إن فعلتم بى ذلك ، فطالما فُعِل ذلك بأولياء الله ! وإنى لأرجو
هذه النارَ التى تُحرِقنى بها أن يَجعلها الله علىّ بردًا وسلامًا كما جعلها على ١/٣٤٠٦
خليلِه إبراهيمَ ، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمروذَ وأوليائه ،
إنّ الله يحرقك ومن ذكرته قبل وإمامكَ – يعنى معاوية ، وهذا – وأشار إلى
عمرو بن العاص – بنار تلظّى عليكم ؛ كلّما خبَتْ زادها الله سعيراً . قال له
معاوية : إنى إنما أقتلك بعثمان ؛ قال له محمد : وما أنتَ وعثمان ! إنّ عثمانَ
عَمِل بالجور ، ونبذ حكمَ القرآن ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[2] ، فنقمنا ذلك عليه فقتلناه، وحسّنت

(١) سورة القمر: ٤٣ .
(٢) سورة المائدة: ٤٧ .

أنت له ذلك ونظراؤك ، فقد برّأنا الله إن شاء الله من ذنبه ، وأنت شريكُه فى إثمه وعظم ذنبه ، وجاعِلك على مثاله . قال : فغضب معاوية فقدّمه فقتله ، ثم ألقاه فى جيفة حمار ، ثم أحرقه بالنار ؛ فلما بلغ ذلك عائشةَ جزِعت عليه جزعًا شديداً ، وقَنَتت عليه فى دُبُر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو ، ثم قبضتْ عيالَ محمّد إليها ، فكان القاسم بن محمد بن أبى بكر فى عيالها .

وأما الواقدىّ فإنه ذكر لى أنّ سُوَيد بن عبد العزيز حدّثه عن ثابت ابن عجلان ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، أنّ عمرو بن العاص خرج فى أربعةِ آلاف ، فيهم معاوية بن حُدَيج ، وأبو الأعور السلَمىّ ، فالتقوا بالمسنّاة ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، حتى قتِل كنانة بن بشر بن عتّاب التُّجِيبىّ ، ولم يجد محمد بن أبى بكر مقاتلا ، فانهزم ، فاختبأ عند جَبَلة بن مسروق ، فدلّ عليه معاوية بن حُدَيج ، فأحاط به ، فخرج محمد فقاتل حتى قُتِل . ١/٣٤٠٧

قال الواقدىّ : وكانت المسنّاة فى صفرَ سنة ثمان وثلاثين ، وأذْرُح فى شعبانَ منها فى عام واحد .

رجع الحديث إلى حديث أبى مخنف . وكتب عَمرو بنُ العاص إلى معاوية عند قتله محمد بن أبى بكر وكنانة بن بشر :

أما بعد ، فإنا لقينا محمد بن أبى بكر وكنانةَ بن بشر فى جموع جَمّة من أهلِ مصرَ ، فدعوْناهم إلى الهدى والسنّة وحكمِ الكتاب ، فرفضوا الحقّ ، وتورّكوا فى الضلال ، فجاهَدْناهم ، واستنصرْنا اللهَ عليهم ، فضرب الله وجوهَهم وأدبارَهم ، ومنحونا أكتافهم ، فقتل الله محمد بن أبى بكر وكنانةَ ابن بشر وأماثلَ القوم ، والحمد لله رب العالمين ، والسّلام عليك .

* * *

وفيها قُتِل محمد بن أبى حُذَيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

* ذكر الخبر عن مقتله :

اختلَف أهلُ السيَر فى وقت مَقتلِه ؛ فقال الواقدىّ : قُتل فى سنة

ست وثلاثين . قال : وكان سبب قتله أنّ معاوية وعَمرًا سارا إليه وهو بمصر قد ضبطها ، فنزلا بعَيْن شمس ، فعالجا الدّخول ، فلم يقدرا عليه ، فخدعا محمد بن أبى حُذَيفة على أن يخرج فى ألف رجل إلى العَريش ، فخرج وخلّف الحكَم بن الصلت على مصرَ ، فلما خرج محمد بن أبى حُذَيفة إلى العريش تحصّن ، وجاء عمرو فنصب المجانيقَ حتى نزل فى ثلاثينَ من أصحابه ، فأخِذوا فقُتلوا . قال : وذاك قبل أن يَبعث علىٌّ إلى مصرَ قيسَ بنَ سعد . ٣٤٠٨/١

وأما هشام بن محمد الكلبىّ فإنه ذكر أنّ محمد بن أبى حُذَيفة إنما أخِذ بعد أن قتِل محمد بن أبى بكر ودخل عَمرو بن العاص مصرَ وغلَب عليها ، وزعم أنّ عمراً لما دخل هو وأصحابه مصرَ أصابوا محمد بن أبى حُذَيفة ، فبعثوا به إلى معاوية وهو بفِلسطين ، فحبسه فى سجن له ، فمكث فيه غيرَ كثير ، ثم إنه هرب من السجن — وكان ابنَ خال معاوية — فأرَى معاويةُ الناسَ أنه قد كره انفلاته ، فقال لأهل الشأم : مَنْ يطلبه ؟ قال : وقد كان معاوية يحبّ فيما يرون أن ينجوَ ، فقال رجل من خَثْعم — يقال له عبدُالله ابن عمرو بن ظلام ، وكان رجلاً شجاعًا ، وكان عثمانيًّا : أنا أطلبه ، فخرج فى حاله حتى لحقه بأرض البَلْقاء بحَوْران وقد دخل فى غارٍ هناك ، فجاءت حُمُرٌ تدخله ، وقد أصابها المطر ، فلما رأت الحمُر الرجلَ فى الغار فزِعت ، فنفرتْ ، فقالَ حصّادُون كانوا قريبًا من الغار : واللهِ إنّ لنَفْرِ هذه الحمُرِ من الغار لشأنًا . فذهبوا لينظروا ، فإذا هم به ، فخرجوا ، ويوافِقهم عبدُالله بن عمرو بن ظلام الخَثْعمِىّ ، فسألهم عنه ، ووصفَه لهم ، فقالوا له : ها هو ذا فى الغار ؛ قال : فجاء حتى استخرجه ، وكره أن يُرجعه إلى معاوية فيخلّىَ سبيله . فضرب عنقه .

قال هشام ، عن أبى مخنف : قال : وحدّثنى الحارث بن كعب بن فُقَيم ، عن جُندَب ، عن عبد الله بن فقيم ، عمّ الحارث بن كعب . . . [1] يستصرِخ من قبَل محمد بن أبى بكر إلى علىّ — ومحمّد يومئذ أميرُهم — فقام علىّ فى ٣٤٠٩/١

(١) سقط فى أصول ط .

الناس وقد أمر فنُودىَ : الصّلاةَ جامعة ! فاجتمع الناس ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمدصلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أمّا بعد، فإنّ هذا صريخُ محمد بن أبى بكر وإخوانكم من أهلِ مصر ، قد سار إليهم ابن النّابغة عدوّ الله ، وولىّ من عادىَ الله، فلا يكوننّ أهل الضّلال إلى باطلهم والرّكون إلى سبيل الطاغوت أشدّ اجتماعًا منكم على حقّكم هذا ، فإنهم قد بدءوكم وإخوانكم بالغَزْو ، فاعجلوا إليهم بالمؤاساة والنصر . عباد الله ، إنّ مصرَ أعظم من الشأم ، أكثر خيراً ، وخيرٌ أهلاً ، فلا تغلَبوا على مصر ، فإنّ بقاءَ مصر فى أيديكم عزٌّ لكم ، وكَبْتٌ لعدوّكم ، اخرجوا إلى الجَرَعة بين الِحيرة والكُوفة ، فوافُونى بها هناك غداً إن شاء الله . قال : فلمّا كان من الغد خرج يمشى ، فنزلها بُكرَةً ، فأقام بها حتى انتصف النهار يومه ذلك ، فلم يوافِه منهم رجل واحد ؛ فرجع . فلما كان من العشىّ بعث إلى أشراف الناس ، فدخلوا عليه القصر وهو حزين كئيب ، فقال : الحمد لله على ما قضَى من أمرى ، وقدّر مِن فعلى ، وابتلانى بكم أيتُّها الفرقة ممن لا يطيع إذا أمرتُ ، ولا يُجيب إذا دَعوتُ ، لا أبا لغيركم ! ما تنتظرون بصبركم ، والجهاد على حقكم ! الموت والذلّ لكم فى هذه الدنيا على غير الحقّ ، فوالله لئن جاء الموت — وليأتينّ (١) — ليفرّقنّ بينى وبينكم ، وأنا لصحبتكم قالٍ ؛ وبكم غيرُ ضَنين ، لله أنتم ! لا دينَ يجمعكم ، ولا حميّة تحميكم ، إذا أنتم سمعتم بعدوّكم يَرِدُ بلادَكم ، ويَشنّ الغارة عليكم . أوَ ليس عجبًا أنّ معاوية يدعو الجفاةَ الطّغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة ! ويجيبونه فى السنة المرّتين والثلاث إلى أىّ وجه شاء ، وأنا أدعوكم — وأنتم أولو النّهىَ وبقيّة الناس — على المعونة وطائفةٌ منكم على العطاء ، فتقومون عنّى وتعصَوْنى ، وتختلفون علىّ ! فقام إليه مالكُ بن كعب الهمْدانىّ ثم الأرحبىّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، اندب الناسَ فإنه لا عطرَ بعد عروس ؛ لمِثلِ هذا اليوم كنتُ أدّخر نفسى ، والأجر لا يأتى إلا بالكرّة . اتقوا الله وأجيبوا إمامكم ، وانصروا دعوتَه ، ٣٤١٠/١

(١) ابن الأثير : « وليأتينى » .

وقاتلوا عدوَّه ، أنا أسير إليها يا أميرَ المؤمنين ؛ قال : فأمر علىٌّ مناديَه سعداً، فنادى فى الناس: ألا انتدبوا إلى مصرَ مع مالك بن كعب .

ثمّ إنه خرج وخرج معه علىّ ، فنظر فإذا جميعُ من خرج نحو ألفى رجل ، فقال : سِرْ فوالله ما إخالك تُدرِك القوم حتى ينقضىَ أمرهم ؛ قال : فخرج بهم ، فسار خمساً . ثمّ إن الحجاج بن غَزِيّة الأنصارىّ ، ثم النّجارىّ قَدِم على علىّ من مصر ، وقَدِم عبدُ الرحمن بن شَبيب الفَزارىّ ، ٣٤١١/١ فأمّا الفَزارىّ فكان عينَه بالشأم ، وأما الأنصارىّ فكان مع محمد بن أبى بكر ، فحدّثه الأنصارىّ بما رأى وعايَن وبهلاك محمد ، وحدّثه الفزارىّ أنه لم يخرج من الشأم حتى قَدِمت البُشَراء من قِبَل عمرو بن العاص تَتْرى ، يَتبعُ بعضُها بعضًا بفتح مصر وقَتْل محمد بن أبى بكر ، وحتى أذّنَ بقتله على المنبر ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، قلّما رأيت قومًا قطّ أسرّ ، ولا سروراً قطّ أظهرَ من سرور رأيته بالشأم حين أتاهم هلاكُ محمد بن أبى بكر . فقال علىّ : أما إنّ حُزْننا عليه على قدر سرورهم به ، لا بل يزيد أضعافًا . قال : وسرّح علىٌّ عبدَ الرحمن بن شُريح الشِّبامىّ[1] إلى مالك بن كعب ، فردّه من الطريق . قال : وحَزِن علىّ على محمد بن أبى بكر حتى رُئِىَ ذلك فى وجهه ، وتبيّن فيه ، وقام فى الناس خطيبًا ، فحمِد الله وأثنَى عليه ، وصلّى على رسولِه صلى الله عليه وسلم ، وقال : ألا إنّ مصر قد افتتحها الفَجَرة أولو الجَوْر والظلم الذين صدّوا عن سبيل الله ، وبغَوا الإسلام عِوَجا . ألا وإنّ محمد بن أبى بكر قد استُشهد رحمه الله ، فعند الله نَحتسبه . أما والله إنْ كان ما علمت لممّن ينتظر القضاء ، ويعمل للجزاء ، ويُبغض شكل الفاجر ، ويحبّ هدى المؤمن ؛ إنى والله ما ألوم نفسى على التقصير ، وإنى لمُقاساة الحرب لجدّ خبير ، وإنّى لأقدِم على الأمر وأعرِف وجهَ الحزم ، وأقومُ فيكم بالرأى المصيب ، ٣٤١٢/١ فأستصرخكم معلنًا ، وأناديكم نداءَ المستغيث مُعرِبًا ، فلا تسمعون لى قولا ، ولا تطيعون لى أمراً ، حتى تصير بِىَ الأمور إلى عواقب المساءة ، فأنتم القومُ لا يُدرَك بكم الثأر ، ولا تُنقَض بكم الأوتار ؛ دعوتُكم إلى غِياث إخوانكم

(١) ط : « اليامىّ » ، وانظر الفهرس .

منذ بضع وخمسين ليلةً فتجرجرتم جَرجرةَ الجَمَلِ الأشدق[1] ، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقُلَ من ليس له نيّة فى جهاد العدوّ ، ولا اكتساب الأجر ، ثم خرج إلىّ منكم جُنيْد متذانب كأنّما[2] يُساقون إلى الموت وهم ينظرون . فأفٍّ لكم ! ثم نزل . وكتب إلى عبد الله بن عباس وهو بالبَصرة :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، من عبد الله علىّ أميرِ المؤمنين إلى عبد الله بن عبّاس ، سلامٌ عليك ، فإنّى أحمد اللهَ إليك الذى لا إله إلا هو ، أمّا بعد ، فإنّ مصر قد افتتِحت ، ومحمد بن أبى بكر قد استُشهد ، فعند الله نَحتسبه وندّخره ، وقد كنت قمتُ فى الناس فى بدئه ، وأمرْتهم بغياثه قبل الوقعة ، ودعوتهم سرًّا وجهراً ، وعَوداً وبدءًا ، فمنهم من أتى كارهًا ، ومنهم من اعتلّ كاذبًا ، ومنهم القاعد حالا ، أسأل الله أن يجعل لى منهم فَرَجا ومَخرَجا ، وأن يُريحَنى منهم عاجلاً . والله لولا طمعى عند لقاء عدوّى فى الشهادة لأحببتُ ألّا أبقى مع هؤلاء يومًا واحداً . عَزَمَ الله لنا ولك على الرُّشد ، وعلى تقواه وهداه ، إنه على كلّ شىء قدير . والسلام . ١/٣٤١٣

فكتب إليه ابنُ عبّاس :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ لعبد الله على بن أبى طالب أمير المؤمنين ، من عبدِ الله بنِ عباس . سلامٌ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ، فقد بلغنى كتابك تذكر فيه افتتاحَ مصر ، وهلاكَ محمد بن أبى بكر ، فالله المستعان على كلّ حال ، ورحم الله محمد بن أبى بكر وآجرَك يا أميرَ المؤمنين ! وقد سألت الله أن يجعل لك من رعيّتك التى ابتليت بها فرَجاً ومخرجًا ، وأن يُعزّك بالملائكة عاجلاً بالنصرة ، فإنّ الله صانعٌ لك ذلك ، ومعزّك ومجيب دعوتك ، وكابتٌ عدوّك . أخبرك يا أميرَ المؤمنين أنّ الناس ربما تثاقلوا ثم ينشَطون ، فارفق بهم يا أميرَ المؤمنين ، وداجِنْهم ومَنِّهم ، واستعِن بالله عليهم ، كفاك الله ألَمَهم . والسلام .

قال أبو مخنف : حدّثنى فُضَيل بن خَدِيج ، عن مالك بن الحور ،

---

(١) الأشدق : الواسع الشدق . (٢) كذا فى ابن الأثير والنويرى وفى ط : « كثيرة »

أنّ عليًّا قال : رحِم الله محمداً ! كان غلامًا حَدَثًا ، أما والله لقد كنتُ على أن أولّيَ المِرْقال هاشم بن عُتْبة مصرَ ، أما والله لو أنه وليَها ما خلّى لعمرو بن العاص وأعوانه الفَجَرة العَرْصةَ ، ولمّا قُتِل إلا وسيفه فى يده ، لا بلا دمٍ كمحمد . فرحم الله محمداً ، فقد اجتهد نفسَه ، وقَضَى ما عليه .

* * *

وفى هذه السنة وجّه معاوية بعد مَقتل محمد بن أبى بكرعبدَالله بن عمرو ابن الحضرمىّ إلى البصرة للدعاء إلى الإقرار بحُكم عَمرو بن العاص فيه . ٣٤١٤/١

وفيها قُتل أعيَن بن ضبيعة المُجاشعىّ ، وكان علىٌّ وجّهه لإخراج ابن الحضرمىّ من البَصرة .

* * *

ذكر الخبر عن أمر ابن الحضرمىّ وزياد وأعين وسبب قتل من قتل منهم

حدّثنى عمرُ بن شبّة ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : حدّثنا أبو الذّيال ، عن أبى نَعامة ، قال : لما قُتِل محمد بن أبى بكر بمصرَ ، خرج ابنُ عباس من البَصرة إلى علىٍّ بالكوفة ، واستَخلف زياداً ، وقدم ابنُ الحضرمىّ من قِبَل معاوية ، فنزل فى بنى تميم ، فأرسل زياد إلى حُضَين بن المنذر ومالك بن مِسمَع ، فقال : أنتم يا معشر بَكْر بن وائل من أنصار أمير المؤمنين وثِقاته ، وقد نزل ابن الحضْرمىّ حيث ترون ، وأتاه مَنْ أتاه ، فامنعونى حتى يأتيَنى رأىُ أميرِ المؤمنين . فقال حُضَين : نعم ، وقال مالك — وكان رأيه مائلاً إلى بنى أميّة ، وكان مروانُ لجأ إليه يومَ الجمل : هذا أمرٌ لى فيه شركاء ، أستشير وأنظر . فلما رأى زياد تَثاقُلَ مالك خاف أن تختلف ربيعة ، فأرسل إلى نافع أن أشِرْ علىّ ، فأشار عليه نافع بصَبِرة بن شَيْمان الحُدّانىّ ، فأرسل إليه زياد ، فقال : ألاّ تجيرنى ! وبيت مالِ المسلمين فإنه فَيئُكم ، وأنا أمينُ أمير المؤمنين . قال : بلى إن حملتَه إلىّ ونزلتَ دارى . قال : فإنى حامله ، فحمَله ، وخرج زياد حتى أتى الحُدّان ، ونزل فى دار

صَبِرة بن شَيْمان ، وحوّل بيت المال والمنبر ، فوضعه فى مسجد الحُدّان ، ١ /٣٤١٥
وتحوّل مع زياد خمسون رجلاً ، منهم أبو أبى حاضر — وكان زياد يصلى الجمعة فى مسجد الحُدّان ، ويطعم الطعام — فقال زياد لجابر بن وهب الرّاسبىّ : يا أبا محمد ، إنى لا أرى ابنَ الحضرمىّ يكفّ ، لا أراه إلا سيقاتلكم ، ولا أدرى ما عند أصحابك فآمِرْهم ، وانظر ما عندهم . فلما صلى زياد جلس فى المسجد ، واجتمع الناس إليه ، فقال جابر : يا معشرَ الأزد ، تميم تزعم أنهم هم الناس ، وأنهم أصبرُ منكم عند البأس ، وقد بلغنى أنهم يريدون أن يسيروا إليكم حتى يأخذوا جاركم ، ويخرجوه من المِصر قسْراً ، فكيف أنتم إذا فعلوا ذلك وقد أجَرْتموه وبيت مال المسلمين ! فقال صَبِرة بن شَيْمان — وكان مفخّماً : إن جاء الأحنف جئت ، وإن جاء الحُتات جئت ، وإن جاء شُبّان ففينا شُبّان . فكان زياد يقول : إننى استضحكت ونهضت ، وما كدتُ مكيدةً قطّ كنتُ إلى الفضيحة بها أقربَ منى للفضيحة يومئذ ؛ لِما غلبنى من الضّحك . قال : ثمّ كتب زياد إلى علىّ : إنّ ابن الحضرمىّ أقبل من الشأم فنزل فى دار بنى تميم ، ونَعَى عثمان ، ودعا إلى الحرب ، وبايعتْه تميم وجُلُّ أهل البصرة ، ولم يبقَ معى مَن أمتنِع به ، فاستجرت لنفسى ولبيت المال صَبِرة بن شَيْمان ، وتحوّلت فنزلت معهم ، فشيعةُ عثمان يختلفون إلى ابن ١ /٣٤١٦
الحضرمىّ ، فوجّه علىّ أعين بن ضُبَيعة المجاشعىّ ليفرّق قوْمَه عن ابن الحضْرمىّ ، فانظر ما يكون منه ، فإن فُرّق جمعُ ابن الحضرمىّ فذلك ما تُريد ، وإن ترقّت بهم الأمور إلى التمادى فى العصيان فانهض إليهم فجاهدْهم ، فإنْ رأيتَ ممن قِبَلَك تثاقلاً ، وخِفتَ ألّا تبلغ ما تريد ، فدارِهمْ وطاوِلهم ، ثم تسمّع وأبصر ، فكأنّ جنود الله قد أظلّتك ، تقتل الظالمين . فقَدِم أعيَن فأتى زياداً ، فنزل عنده ، ثم أتى قومَه ، وجمع رجالا ونهض إلى ابن الحضرمىّ ، فدعاهم ، فشتموه وناوشوه ، فانصرف عنهم ، ودخل عليه قوم فقتلوه ، فلما قتِل أعيَن ابن ضُبَيعة ، أراد زياد قتالَهم ، فأرسلتْ بنو تميم إلى الأزْد : إنّا لم نَعرِض لجاركم ، ولا لأحد من أصحابه ، فماذا تريدون إلى جارنا وحربنا ! فكرِهَت الأزد القتالَ ، وقالوا : إن عَرَضوا لجارنا منعناهم ، وإن يكفّوا عن جارنا كففْنا عن جارهم . فأمسكوا . وكتب زيادٌ إلى علىّ : أن أعيَن بن ضُبَيعة

قَدِم فجمعَ مَن أطاعه من عشيرته ، ثم نهض بهم بجدّ وصدق نيّة إلى ابن الحضرمىّ ، فحثّهم على الطاعة ، ودعاهم إلى الكفّ والرجوع عن شِقاقهم ، ووافقتْهم عامّة[1] قوم ، فهالَهم ذلك ، وتصدّع عنهم كثير ممن كان معهم ، يمنّيهم نُصرَته ، وكانت بينهم مناوَشة. ثم انصرف إلى أهله ، فدخلوا عليه فاغتالوه فأصيب ، رحم الله أعيَن ! فأردت قتالَهم عند ذلك ، فلم يخفّ معى مَن أقوَى به عليهم ، وتَراسَل الحيّان ، فأمسك بعضُهم عن بعض .

١/٣٤١٧ فلما قرأ علىّ كتابَه دعا جارية بن قدامة السعدىّ ، فوجّهه فى خمسين رجلا من بنى تميم ، وبعث معه شريك بن الأعور — ويقال بعث جارية خمسمائة رجل — وكتَب إلى زياد كتابًا يصوّب رأيه فيما صنع ، وأمَرَه بمعونة جارية ابن قُدامة والإشارةِ عليه ، فقدِم جارية البصرة ، فأتى زيادًا فقال له : احتفِزْ[2] واحذر أن يصيبَك ما أصاب صاحبَك ، ولا تثِقنّ بأحد من القوم . فسار جارية إلى قومه فقرأ عليهم كتابَ علىّ ، ووعدهم ، فأجابه أكثرُهم ، فسار إلى ابن الحضرمىّ فحصره فى دار سُنْبيل ، ثم أحرَق عليه الدار وعلى من معه ، وكان معه سبعون رجلاً — ويقال أربعون — وتفرّق الناس ، ورجع زياد إلى دار الإمارة ، وكتب إلى علىّ مع ظَبْيان بن عُمارة ، وكان ممن قَدِم مع جارية ......[3] وأنّ جارية قَدِم علينا فسار إلى ابن الحضرمىّ فقَتله حتى اضطرّه إلى دار من دُور بنى تميم ، فى عدّة رجال من أصحابه بعد الإعذار والإنذار ، والدعاء إلى الطاعة ، فلم يُنيبوا ولم يَرجِعوا ، فأضرَم عليهم الدّار فأحرَقَهم فيها ، وهُدّمتْ عليهم ، فبعُداً لمن طغى وعَصَى ! فقال عمرو بن العَرَنْدَس العَوْدىّ :

رَدَدْنا زِيادًا إلى دارِهِ ... وجارُ تَميمٍ دخاناً ذَهَبْ

لحَى ٱللهُ قَوْمًا شَوَوْا جارَهُمْ ... ولِلشّاءِ بالدِّرْهَمَيْن الشَّصَبْ

---

(١) ابن الأثير : « ووافقهم نهاره » .

(٢) احتفز ، أى تهيأ .

(٣) سقط فى أصول ط .

يُنادى الخِناقُ وخُمّانُها وقد سَمَطوا رأْسَهُ باللَّهَبْ ٣٤١٨/١

ونحْنُ أُناسٌ لنا عادَةٌ نحامِى عَن الجارِ أَنْ يُغْتَصبْ

حمَيْناهُ إِذْ حَلَّ أَبياتَنا ولا يَمْنَعُ الجارَ إلا الحَسَبْ

ولَمْ يَعْرِفوا حُرْمَةً لِلْجوا رِإذْ أَعْظَم الجارَ قَوْمٌ نُجُبْ

كفِعْلِهِمُ قَبلَنا بالزُّبَيْر عَشِيَّةَ إِذْ بَزُّهُ يُسْتَلَبْ

وقال جرير بن عطيّة بن الخَطَفَى:

غَدَرْتم بالزُّبَيْرِ فما وَفَيْتمْ وَفاءَ الأَزدِ إذ مَنَعوا زِيادًا[١]

فأَصْبَح جارهُمْ بنجاةِ عِزٍّ وجارُ مُجاشعٍ أَمسَى رَمادا

فلوْ عاقَدتَ حَبْلَ أَبى سعيدٍ لذادَ القَوْمَ ماحَمَلَ النِّجادا[٢]

وأَدْنى الخَيْلَ مِنْ رَهَجِ المنايا وأَغْشاها الأَسِنّةَ والصِّعادا

* * *

[الخرِّيت بن راشد و إظهاره الخلاف على علىّ[٣]]

ومما كان فى هذه السنة — أعنى سنة ثمان وثلاثين — إظهار الخِرّيت بن راشد فى بنى ناجية الخلاف على علىّ وفراقُه إياه ؛ كالذى ذكر هشام بن محمد ، عن أبى مخنف ، عن الحارث الأزدىّ، عن عمّه عبد الله بن فُقَيم ، قال : جاء الخِرِّيت بن راشد إلى علىّ — وكان مع الخِرّيت ثلثمائة رجل من بنى ناجية مقيمين مع علىّ بالكوفة ، قدِموا معه من البصرة ، وكانوا قد خرجوا إليه يومَ الجمل ، وشهِدوا معه صِفّينَ والنّهروان — فجاء إلى علىّ فى ثلاثين راكبًا من أصحابه يسير بينهم حتى قام بين يدَىْ علىّ ، فقال له : والله يا علىّ لا أطيع أمرَك، ولا أصلّى خلفَك ، وإنّى غداً لمُفارِقك . وذلك بعد ٣٤١٩/١

(١) ديوانه:١٤٢ .

(٢) الديوان : « ولو عاقدت » ؛ وهو أبو سعيد المهلب بن أبى صفرة .

(٣) انظر قصة الخريت بن راشد فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد فى ٣ : ١٢٨–١٤٨ .

تحكيم الحكمين. فقال له علىّ: ثكلتك أمك! إذًا تعصى ربك، وتنكث عهدك، ولا تضر إلا نفسك. خبّرنى لِمَ تفعل ذلك؟ قال: لأنك حكّمت فى الكتاب[١]، وضعُفتَ عن الحق إذ جدّ الجدّ، وركنتَ إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم، فأنا عليك زارٍ، وعليهم ناقِم، ولكم جميعًا مُبايِن. فقال له علىّ: هلمّ أدارِسْك الكتاب، وأناظِرْك فى السنن، وأفاتحْك أمورًا من الحق أنا أعلم بها منك، فلعلك تعرف ما أنت له الآن مُنكِر، وتستبصِر ما أنت عنه الآن جاهل. قال: فإنى عائد إليك؛ قال: لا يستهوينّك الشيطان، ولا يستخفنّك الجهل، وواللهِ لئن استرشدْتنى واستنصحتنى وقبلتَ منّى لأهدينّك سبيلَ الرشاد.

فخرج من عنده منصرفًا إلى أهله، فعجِلْت فى أثره مسرِعًا. وكان لى من بنى عمه صديق، فأردت أن ألقى ابنَ عمه ذلك فأعلمه بشأنه، ويأمره بطاعة أميرِ المؤمنين ومناصحته، ويخبره أنّ ذلك خير له فى عاجل الدنيا وآجلِ الآخرة. فخرجت حتى انتهيت إلى منزله وقد سبقنى، فقمت عند باب داره، وفى داره رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على علىّ. قال: فوالله ما جزم شيئًا مما قال، ومما ردّ عليه، ثم قال لهم: يا هؤلاء، إنى قد رأيت أن أفارقَ هذا الرجل، وقد فارقتُه على أن أرجعَ إليه من غد، ولا أرانى إلا مُفارقه من غد. فقال له أكثر أصحابه: لا تفعل حتى تأتيه، فإنْ أتاك بأمرٍ تعرفه قبلتَ منه، وإن كانت الأخرى فما أقدرَك على فراقه. فقال لهم: فنِعم ما رأيتم. قال: ثم إنى استأذنت عليه، فأذنوا لى، فدخلتُ فقلت: أنشُدك اللهَ أن تفارق أمير المؤمنين، وجماعةَ المسلمين، وأن تجعل على نفسك سبيلا، وأن تقتل مَنْ أرى من عشيرتك! إنّ عليًّا لعلى الحقّ. قال: فأنا أغدو إليه فأسمع منه حجته، وأنظر ما يعرض علىّ به ويذكر، فإن رأيتُ حقًّا ورُشْدًا قبلتُ، وإن رأيتُ غيًّا وجورًا تركتُ. قال: فخلوت بابن عمه ذلك — قال: وكان أحد نفره الأدنين، وهو مدرك بن الريان، وكان من رجال العرب — فقلت له: إنّ لك علىّ حقًّا لإخائك وودّك ذلك علىّ

١/٣٤٢٠

---

(١) النويرى: «حكّمت الرجال».

بعد حقّ المسلم على المسلم . إنّ ابنَ عمّك كان منه ما قد ذكر لك، فأجِدَّ به، فاردد عليه رأيَه ، وعظّم عليه ما أتى ، فإنى خائف إن فارق أمير المؤمنين أن يقتله نفسه وعشيرته . فقال : جزاك الله خيراً من أخ ! فقد نصحتَ وأشفقتَ ، إن أراد صاحبي فراقَ أمير المؤمنين فارقتُه وخالفته ، وكنتُ أشدّ الناس عليه . وأنا بعدُ فإنى خالٍ به ، ومشيرٌ عليه بطاعة أمير المؤمنين ومناصحتِه والإقامةِ معه ، وفى ذلك حظّه ورشْدُه .

فقمت من عنده ، وأردتُ الرُّجوعَ إلى أمير المؤمنين لأعلِمَه بالذى كان، ثم اطمأننت إلى قولِ صاحبي ، فرجعتُ إلى منزلى فبتّ به ثم أصبحت ، فلما ارتفع الضحى أتيتُ أميرَ المؤمنين ، فجلستُ عنده ساعةً وأنا أريد أن أحدّثه بالذى كان من قوله لى على خَلوة ، فأطلت الجلوس ، فلم يزدد الناسُ إلا كثرةً ، فدنوت منه ، فجلستُ وراءه ، فأصغى إلىّ بأذنيه ، فخبَّرته بما سمعتُ من الخِرّيت بن راشد ، وبما قلتُ له ، وبما ردّ على ، وبما كان من مقالتى لابن عمّه، وبما ردّ علىّ ، فقال : دَعْه ، فإن عَرَف الحقّ وأقبلَ إليه عرفْنا ذلك وقَبِلْنا منه ، وإن أبى طلبناه . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ولِمَ لا تأخذه الآن وتستوثقُ منه وتحبسه ؟ فقال : إنا لو فعلنا هذا بكلّ مَنْ نتّهمه من الناس ملأنا سجننَا منهم ، ولا أراه — يعنى الوثوبَ على الناس والحبس والعقوبة — حتى يُظهروا لنا الخلاف . قال : فسكتّ عنه ، وتنحّيت ، فجلست مع القوم . ٣٤٢١/١

ثم مكث ما شاء الله . ثم إنه قال : ادنُ منّى ؛ فدنوتُ منه ، فقال لى مسرًّا : اذهب إلى منزل الرجل فاعلَم لى ما فعل ، فإنه كلّ يوم لم يكن يأتيني فيه إلا قبل هذه الساعة . فأتيتُ منزلَه ، فإذا ليس فى منزله منهم دَيّار ، فدعوتُ على أبواب دور أخرى كان فيها طائفة من أصحابه ، فإذا ليس فيها داعٍ ولا مجيب ، فرجعت. فقال لى حين رآنى : وطنوا[1] فأمِنوا ، أم جنبوا فظَعَنوا ! فقلت : بل ظعنوا فأعلنوا ، فقال : قد فعلوها ! بُعداً لهم كما بَعِدتْ ثمود! أما لو قد أشرِعَتْ لهم الأسنّة وصبّبَتْ على هامهم السيوف،

(١) وطن بالمكان : أقام .

لقد ندموا . إنّ الشيطان اليومَ قد استهواهم وأضلّهم ، وهو غداً متبرّئ منهم ، ومخلٍّ عنهم .

فقام إليه زياد بن خَصَفة، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه لو لم يكن من مضرّة هؤلاء إلا فراقهم إيّانا لم يعظم فقدُهم فنأسَى عليهم ، فإنّهم قلّما يزيدون فى عددنا لو أقاموا معنا ، وقلّما ينقصون من عددنا بخروجهم عنّا ، ولكنا نخاف أن يفسدوا علينا جماعةً كثيرة ممن يقدمون عليه [1] من أهل طاعتك ، فأذَنْ لى فى اتّباعهم حتى أردّهم عليك إن شاء الله . فقال له علىّ : وهل تدرى أين توجّه القوم ؟ فقال : لا ، ولكنى أخرج فأسأل وأتبع الأثر . فقال له : اخرُج رحمك الله حتى تنزل ديرَ أبى موسى ، ثم لا تتوجّه حتى يأتيَك أمرى ، فإنهم إن كانوا خرجوا ظاهرين للناس فى جماعة، فإنّ عمّالى ستكتب إلىّ بذلك ، وإن كانوا متفرّقين مستخفين فذلك أخفَى لهم ، وسأكتب إلى عمّالى فيهم . فكتب نسخةً واحدةً فأخرجها إلى العمّال : ٣٤٢٢/١

أما بعد ، فإنّ رجالاً خرجوا هُرّاباً ونظنّهم وجّهوا نحوَ بلاد البَصرة ، فسلْ عنهم أهلَ بلادِك ، واجعل عليهم العيونَ فى كلّ ناحية من أرضك ، واكتب إلىّ بما ينتهى إليك عنهم ؛ والسلام .

فخرج زياد بن خَصَفة حتى أتى دارَه ، وجمع أصحابه ، فحمِد الله وأثنى عليه، ثمّ قال : أمّا بعدُ يا معشرَ بكر بن وائل ، فإنّ أمير المؤمنين ندَبنى لأمر من أمره مُهِمّ له ، وأمرنى بالانكماش [2] فيه، وأنتم شيعتُه وأنصارُه، وأوثقُ حىٍّ من الأحياء فى نفسه، فانتدِبوا معى الساعة ، واعجلوا . قال : فوالله ما كان إلا ساعةً حتى اجتمع له منهم مائة وعشرون رجلاً أو ثلاثون ؛ فقال : اكتفينا ، لا نريد أكثرَ من هذا ، فخرجوا حتى قطعوا الجسر ، ثم دير أبى موسى ، فنزله ، فأقام فيه بقيّة يومه ذلك ينتظر أمرَ أمير المؤمنين .

---

(١) ابن الأثير : « عليك » .
(٢) الانكماش فى الأمر : الجدّ فيه .

قال أبو مخنف : فحدّثني أبو الصَّلْت الأعوَر التيميّ ، عن أبي سعيد العُقَيلي ، عن عبد الله بن وأل التيميّ ، قال : والله إني لعَندَ أمير المؤمنين إذ جاءه فَيْج[1] ، كتابٌ بيديه ، من قِبَل قَرَظة بن كعب الأنصاريّ : ١/٣٤٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد فإنّي أخبر أميرَ المؤمنين أنّ خيلاً مرّت بنا من قِبَل الكوفة متوجِّهةً نحوَ نِفَّر ، وإنّ رجلا من دَهاقِين أسفل الفرات قد صلّى يقال له : زاذان فرّوخ ، أقبل من قِبَل أخواله بناحية نِفَّر ، فعرَضوا له ، فقالوا : أمسلِم أنت أم كافر ؟ فقال : بل أنا مسلم ، قالوا : فما قولُك في عليّ ؟ قال : أقول فيه خيراً ، أقول : إنه أميرُ المؤمنين ، وسيّد البَشَر ، فقالوا له : كفرت يا عدوّ الله ! ثم حَملتْ عليه عصابةٌ منهم فقطّعوه ، ووجدوا معه رجلاً من أهل الذمّة ، فقالوا : ما أنت ؟ قال : رجل من أهل الذّمة ، قالوا : أمّا هذا فلا سبيلَ عليه ، فأقبل إلينا ذلك الذّمّيّ فأخبرَنا هذا الخبر ، وقد سألتُ عنهم فلم يخبرْني أحدٌ عنهم بشيء ، فليكتب إليّ أميرُ المؤمنين برأيه فيهم أنْتَهِ إليه . والسّلام .

فكتب إليه :

أما بعد ، فقد فهمتُ ما ذكرتَ من العصابة التي مرّت بك فقتلت البَرّ المُسلِم ، وأمِن عندهم المخالِف الكافر ، وإنّ أولئك قومٌ استهواهم الشيطان فضلّوا وكانوا كالذين حسبوا ألّا تكونَ فتنةٌ فعَموا وصَمّوا ، فأسمِع بهم وأبصِر يوم تُخبَر أعمالهم . والزم عملَك ، وأقبِل على خَراجِك فإنك كما ذكرتَ في طاعتك ونصيحتك ؛ والسلام .

قال أبو مخنف : وحدّثني أبو الصّلت الأعوَر التيْميّ عن أبي سَعيد العُقَيْليّ ، عن عبد الله بن وأل ، قال : كتب عليٌّ عليه السلام معي كتاباً إلى زياد بن خَصَفة ، وأنا يومئذ شابٌّ حَدَث : ١/٣٤٢٤

أما بعد ، فإنّي كنت أمرتك أن تنزل ديرَ أبي موسى حتى يأتيَك أمري وذلك لأنني لم أكن علمت إلى أيّ وجه توجّه القوم ، وقد بلغني أنهم أخذوا نحو قرية يقال لها نِفّر ، فاتّبع آثارَهم ، وسلْ عنهم ، فإنهم قد قتلوا رجلاً من أهل

(١) الفيج : رسول السلطان على رجله ، فارسي معرّب .

السواد مصلّيًا ، فإذا أنت لحقتَهم فارددْهم إلىّ ، فإن أبوْا فناجِزْهم ، واستعِن بالله عليهم، فإنهم قد فارقوا الحقّ ، وسَفَكوا الدم الحرام ، وأخافوا السبيل . والسلام .

قال : فأخذتُ الكتاب منه ، فمضيتُ به غيرَ بعيد ، ثم رجعتُ به ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، ألا أمضى مع زياد بن خَصَفَة إذا دفعتُ إليه كتابك إلى عدوّك ؟ فقال : يابنَ أخى ، افعل ، فوالله إنى أرجو أن تكون من أعوانى على الحقّ ، وأنصارى على القوم الظالمين ؛ فقلت له : أنا والله يا أميرَ المؤمنين كذلك ومن أولئك ، وإنا حيث تحبّ .

قال ابن وأل : فوالله ما أحبّ أنّ لى بمقالة علىّ تلك حُمْر النَّعَم .

قال : ثمّ مضيت إلى زياد بن خَصَفَة بكتاب علىّ وأنا على فرس لى رائع كريم ، وعلىّ السلاح ، فقال لى زياد : يابن أخى ، والله ما لى عنك من غَناء ، وإنّى لأحبّ أن تكون معى فى وجهى هذا ؛ فقلت له : قد استأذنتُ فى ذلك أميرَ المؤمنين فأذِن لى ، فسرّ بذلك .

قال : ثمّ خرجنا حتى أتينا نِفّر ، فسألنا عنهم ، فقيل لنا : قد ارتفعوا نحو جَرْجَرايا ، فاتّبعناهم ، فقيل لنا : قد أخذوا نحو المذار ، فلحِقناهم وهم نزول بالمذار ، وقد أقاموا به يومًا وليلة ، وقد استراحوا وأعلفوا وهم جامّون، فأتيناهم وقد تقطّعنا ولَغِبنا وشَقِينا ونَصِبنا ، فلما رأوْنا وثبوا على خيولهم فاستووْا عليها ، وجئنا حتى انتهينا إليهم ، فواقَفْناهم ، ونادانا صاحبهم الخِرّيتُ بن راشد : يا عميانَ القلوب والأبصار ، أمع اللهِ أنتم وكتابه وسنّة نبيه، أم مع الظالمين ؟ فقال له زياد بن خَصَفَة: بل نحن مع الله ومَن اللهُ وكتابه ورسوله آثرُ عندَه ثوابًا من الدّنيا منذ خلقت إلى يوم تفنى ، أيُّها العُمْى الأبصار ، الصمُّ القلوب والأسماع . فقال لنا : أخبرونى ما تريدون؟ فقال له زياد — وكان مجرّبًا رفيقًا : قد ترى ما بنا من اللُّغوب والسغوب[1]، والذى جئنا له لا يُصلِحه الكلامُ علانيةً على رءوس أصحابى وأصحابك ، ولكن أنزل وتنزل ، ثم نخلو جميعًا فنتذاكر أمرَنا هذا جميعًا وننظر ، فإن

١/٣٤٢٥

(١) السغوب : الجوع ، مثل السغب .

رأيتَ ما جئناك فيه حظًّا لنفسك قبِلتَه، وإن رأيتَ فيما أسمعه منك أمراً أرجو فيه العافية لنا ولك لم أردُدْه عليك . قال : فانزل بنا ؛ قال : فأقبل إلينا زياد فقال : انزلوا بنا على هذا الماء ؛ قال : فأقبلْنا حتى إذا انتهينا إلى الماء ، نزلناه فما هو إلا أن نزلْنا فتفرّقنا، ثم تحلّقنا من عشرة وتسعة وثمانية وسبعة، يضعون طعامَهم بين أيديهم فيأكلون ، ثم يقومون إلى ذلك الماء فيشربون . وقال لنا زياد : علّقوا على خيولكم ، فعلّقنا عليها مَخاليَها، ووقف زياد بيننا وبين القوم ، وانطلق القوم فتنحّوا ناحية ، ثم نزلوا ، وأقبل إلينا زياد ، فلما رأى تفرّقنا وتحلُّقَنا قال: سُبحان الله، أنتم أهلُ حرب؟ والله لو أنّ هؤلاء جاءوكم الساعةَ على هذه الحال ما أرادوا من غيركم أفضل من حالكم التى أنتم عليها . ٣٤٢٦/١ اعجَلوا ، قوموا إلى خيلكم، فأسرعْنا، فتحشحشْنا[1] فمنّا من يتنفّض ، ثم يتوضأ ، ومنّا من يشرب ، ومنا من يسقى فرسَه، حتى إذا فرغنا من ذلك كله، أتانا زياد وفى يده عرق ينهشه، فنهش منه نهشتيْن أو ثلاثًا، وأتى بأداوة فيها ماءٌ ، فشرب منه ، ثم ألقى العَرْق[2] من يده . ثم قال : يا هؤلاء ، إنا قد لقينا القومَ ، ووالله إن عدّتكم كعدّتهم ، ولقد حَزَرْتكم وإيّاهم فما أظنّ أحدَ الفريقين يزيدُ على الآخر بخمسة نفر ، وإنّى والله ما أرى أمرَهم وأمرَكم إلا يرجع إلى القتال ، فإن كان إلى ذلك ما يصيرُّ بكم وبهم الأمور فلا تكونوا أعجزَ الفريقين . ثم قال لنا : ليأخذْ كلّ امرئٍ منكم بعِنان فرسِه حتى أدنوَ منهم ، وادعوا إلىّ صاحبَهم فأكلّمه، فإن بايعَنى على ما أريد وإلا فإذا دعوتكم فاستَوُوا على متون الخيل، ثم أقبِلوا إلىّ معًا غيرَ متفرِّقين .

قال : فاستقدم أمامنا وأنا معه ، فأسمع رجلا من القوم يقول : جاءكم القوم وهم كالُّون معيُون ، وأنتم جامُّون مستريحون ، فتركتموهم حتى نزلوا وأكلوا وشربوا واستراحوا ؛ هذا والله سوءُ الرأى ! والله لا يرجع الأمرُ بكم وبهمْ إلا إلى القتال . فسكتوا ، وانتهينا إليهم ، فدعا زياد بن خَصَفة صاحبهم، فقال: اعتزل بنا فلننظرْ فى أمرنا هذا ، فوالله لقد أقبل إلىّ زياد فى خمسة ، فقلت لزياد : ادع ثلاثةً من أصحابنا حتى نلقاهم فى عدّتهم ؛ فقال لى: اُدع مَن

(١) التحشحش : التحرك . (٢) العَرْق ، بفتح فسكون : العظم بلحمه .

أحببت منهم ، فدعوت من أصحابنا ثلاثاً ، فكنّا خمسةً وخمسةً . فقال له

١/٣٤٢٧ زياد : ما الذى نقمْتَ على أمير المؤمنين وعلينا إذ فارقْتَنا ؟ فقال : لم أرضَ صاحبكم إماماً ، ولم أرضَ سيرتَكم سيرة ، فرأيتُ أن أعتزل وأكونَ مع مَن يدعو إلى الشورى من الناس ، فإذا اجتمع الناسُ على رجل لجميع الأمة رضًا كنت مع الناس . فقال له زياد : وَيْحك ! وهل يجتمع الناسُ على رجلٍ منهم يدانى صاحبَك الذى فارقته علماً بالله وبسُنن الله وكتابه ، مع قرابته من الرّسول صلى الله عليه وسلم وسابقته فى الإسلام ! فقال له : ذلك ما أقول لك ؛ فقال له زياد: ففيم قتلتَ ذلك الرجل المسلم ؟ قال : ما أنا قتلتُه ، إنما قتلتْه طائفةٌ من أصحابى ، قال : فادفعهم إلينا ؛ قال : ما إلى ذلك سبيل ؛ قال : كذلك أنت فاعل ؟ قال : هو ما تسمع ؛ قال : فدعَوْنا أصحابَنا ودعا أصحابه ، ثم أقبلنا ؛ فوالله ما رأينا قتالاً مثلَه منذ خلقنى ربّى ، قال: اطّعنّا والله بالرماح حتى لم يبقَ فى أيدينا رُمح ، ثم اضطربنا بالسيوف حتى انحنتْ وعقِر عامّة خيلِنا وخيلهم ، وكثرت الجراح فيما بيننا وبينهم ، وقُتِل منّا رجلان : مولَيَى زياد كانت معه رايتُه يدعى سُوَيداً ، ورجلٌ من الأبناء يدعَى وافد بن بكر ، وصرَعْنا منهم خمسةً ، وجاء الليل يحجز بيننا وبينهم ، وقد والله كرهونا وكرِهناهم ، وقد جرح زياد وجرحت.

قال : ثمّ إنّ القوم تنحّوا وبتْنا فى جانب ، فمكثوا ساعةً من الليل، ثم إنهم ذهبوا واتّبعناهم حتى أتينا البصرة ، وبلَغَنا أنهم أتوا الأهواز ، فنزلوا بجانب منها ، وتلاحق بهم أناس من أصحابهم نحو من مائتين كانوا معهم

١/٣٤٢٨ بالكوفة ، ولم يكن لهم من القوّة ما يُنهضهم معهم حتى نهضوا فاتبعوهم فلحقوهم بأرض الأهواز ، فأقاموا معهم .وكتب زياد بن خَصَفة إلى على :

أمّا بعد ، فإنا لقينا عدوّ الله الناجىّ بالمذار ، فدعَوْناهم إلى الهدى والحقّ وإلى كلمة السَّواء ، فلم ينزلوا على الحقّ ، وأخذتْهم العزّة بالإثم ، وزَيّن لهم الشيطان أعمالَهم فصدّهم عن السبيل ، فقَصَدوا لنا ، وصَمدْنا صمدَهم ، فاقتتلْنا قتالاً شديداً ما بين قائم الظّهيرة إلى دُلُوك الشمس ، فاستشهِد منّا رجلان صالحان ، وأصيب منهم خمسةُ نفَر ، وخلّوا لنا المعركة ،

وقد فشت فينا وفيهم الجراح . ثم إنّ القوم لما لبسهم الليل خرجوا من تحته متنكّبين إلى أرض الأهواز ، فبلَغَنا أنهم نزلوا منها جانبًا وَنحن بالبصرة نُداوِى جراحَنا ، ونَنتظِر أمرَك رحمك الله ؛ والسّلام عليك .

فلما أتيتُه بكتابه قرأه على الناس ، فقام إليه معقِل بن قيس ، فقال : أصلَحك الله يا أميرَ المؤمنين ! إنما كان ينبغى أن يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كلّ رجل منهم عشرة من المسلمين ، فإذا لَحِقوهم استأصلوهم وقطعوا دابرَهم ، فأمّا أن يلقاهم أعدادُهم فلعَمرى ليصبرُنّ لهم ، هم قوم عرب ، والعدّة تصبر للعدّة ، وتنتصف منها . فقال : تجهّز يا معقلَ بنَ قيس إليهم . وندب معه ألفين من أهل الكُوفة منهم يزيد بن المغفّل[1] الأزدىّ . وكتب إلى ابن عباس :

أما بعد ، فابعث رجلاً من قِبَلك صليبًا شجاعًا معروفًا بالصّلاح فى ألفى رجل ، فليتبع معقِلاً ، فإذا مرّ ببلاد البصرة فهو أمير أصحابه حتى يلقى معقِلا ، فإذا لقى معقلا فمعقلٌ أميرُ الفريقين ، وليسمع من معقل وليُطِعه ، ولا يخالفه ، ومُر زيادَ بن خَصَفة فليُقبل ، فنعم المرءُ زياد ، ونعم القبيل قبيله ! ١/٣٤٣٩

قال أبو مخنف : وحدّثنى أبو الصّلت الأعور ، عن أبى سعيد العُقيلىّ ، قال : كتب علىّ إلى زياد بن خَصَفة :

أما بعد ، فقد بلغنى كتابك ، وفهمتُ ما ذكرت من أمر الناجىّ وإخوانه الذين طبع الله على قلوبهم ، وزيّن لهم الشيطانُ أعمالَهم فهم يعمَهون ، ويَحسَبون أنهم يُحسِنون صُنْعًا ، ووصفتَ ما بلغ بك وبهم الأمر ، فأمّا أنت وأصحابك فلله سعيُكم ، وعلى الله تعالى جزاؤكم ! فأبشرْ بثواب الله خيرٌ من الدنيا التى يقتل الجهّال أنفسَهم عليها ، فإنّ ما عندكم يَنفَد وما عندَ الله باقٍ ولنجزينّ الذين صبروا أجرَهم بأحسن ما كانوا يعملون . وأما عدوّكم الذين لقِيتموهم فحسْبهم بخروجهم من الهدى إلى الضّلال ، وارتكابهم فيه ، وردّهم الحق ، وجِماحهم فى الفتنة ، فذرْهم وما يفترَون ، ودَعْهم فى طغيانهم يَعمَهون ، فتسمّع وتبصّر ، كأنك

(١) ابن الأثير : « المعقل » .

بهم عن قليل بين أسير وقتيل . أقبِل إلينا أنت وأصحابك مأجورين ، فقد أطعتم وسمعتم ، وأحسنتم البلاء ؛ والسلام .

ونزل الناجيّ جانبًا من الأهواز ، واجتمع إليه عُلوجٌ من أهلها كثير أرادوا كسر الخَرَاج ، ولصوصٌ كثيرة ،وطائفة أخرى من العرب تَرَى رأيَه .

* * *

١/٣٤٣٠ حدّثنى عمر بن شبّة، قال : حدّثنا أبو الحسن، عن علىّ بن مجاهد ، قال : قال الشعبىّ : لما قتل علىٌّ عليه السلام أهلَ النّهروأن، خالَفَه قوم كثير ، وانتقضت عليه أطرافه ، وخالَفَه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمىّ البصرة ، وانتقض أهلُ الأهواز ، وطَمِع أهلُ الخراج فى كسرِه ، ثم أخرجوا سهل بن حُنَيف من فارس ، وكان عامل علىٍّ عليها ، فقال ابن عبّاس لعلىّ : أكفيك فارسَ بزياد، فأمره علىٌّ أن يوجّهه إليها، فقدِم ابن عباس البَصرةَ ، ووجّهه إلى فارسَ فى جمع كثير ، فوطئ بهم أهل فارس ، فأدّوا الخراج .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبى مِخْنف . قال أبو مخنف : وحدّثنى الحارث بن كعب ، عن عبد الله بن فُقَيم الأزدىّ ، قال : كنت أنا وأخى كعب فى ذلك الجيش مع مَعْقل بن قيس ، فلما أراد الخروج أقبل إلى علىّ فودّعه فقال : يا معقِل ، اتّق الله ما استطعت ، فإنّها وصية الله للمؤمنين ، لاتَبغِ على أهل القبلة ، ولا تظلم أهلَ الذّمّة ، ولاتتكبّر فإن الله لا يحبّ المتكبّرين . فقال : الله المستعان ؛ فقال له علىّ : خيرُ مستعان ؛ قال : فخرج وخرجنا معه حتى نزلنا الأهواز ، فأقمنا ننتظر أهلَ البصرة ، وقد أبطئوا علينا ، فقام فينا معقلُ بن قيس فقال : يأيّها الناس ، إنا قد انتظرنا أهلَ البصرة ، وقد أبطئوا علينا ، وليس بحمد الله بنا قِلّةٌ ولا وَحْشة إلى الناس، فسيروا بنا إلى هذا العدوّ القليل الذّليل، فإنى أرجو أن ينصركم الله وأن يهلِكهم .

قال : فقام إليه أخى كعب بن فُقَيم، فقال : أصبتَ ــ أرشدَك اللهــ رأيَك! فوالله إنى لأرجو أن يَنصرَنا الله عليهم ، وإن كانت الأخرى فإنّ فى الموت على الحقّ تعزيةً عن الدنيا . فقال : سيروا على بَركة الله؛ قال : فسِرْنا والله ما زال معقِل لى مُكرمًا وَادًّا ، ما يَعدِل بى من الجند أحداً ؛ قال ولا يزال يقول : وكيف قلت : إنّ فى الموت على الحقّ تعزية عن الدّنيا ؟ صدقت واللهِ وأحسنت ووُفِّقت ! فوالله ما سِرْنا يومًا حتى أدركَنا فيْج يشتدّ بصحيفة فى يده من عند عبد الله بن عباس : أما بعد ، فإن أدركك ١/٣٤٣١ رسولى بالمكان الذى كنت فيه مقيماً ، أو أدركك وقد شخصْتَ منه ، فلا تبرحْ المكانَ الذى ينتهى فيه إليك رسولى ، واثبتْ فيه حتى يقدم عليك بعثُنا الذى وجّهناه إليك ، فإنى قد بعثتُ إليك خالدَ بن معدان الطائىّ ، وهو من أهل الإصلاح والدِّين والبأس والنجدة، فاسمع منه ، واعرف ذلك له ؛ والسلام .

فقرأ معقل الكتابَ على الناس، وحَمِد الله، وقد كان ذلك الوجه هالهم . قال : فأقمنا حتى قدم الطائىّ علينا ، وجاء حتى دخل على صاحبنا ، فسلّم عليه بالإمْرة ، واجتمعا جميعاً فى عسكر واحد . قال : ثم إنا خرجْنا فسرنا إليهم ، فأخذوا يرتفعون نحو جبال رامَهُرْمُز يريدون قَلعةً بها حصينة وجاءنا أهلُ البلد فأخبرونا بذلك ، فخرجْنا فى آثارهم نُتبعهم ، فلحقناهم وقد دنَوا من الجبل ، فصففْنا لهم ، ثم أقبلْنا إليهم ، فجعل معقِل على ميمنته يزيدَ بن المغْفِل ، وعلى ميسرته مِنجاب بن راشد الضبّىّ من أهل البَصرة ، وصَفّ الخِرّيت بن راشد الناجىّ مَنْ معه من العرب، فكانوا ميمنةً ، ١/٣٤٣٢ وجعل أهل البلد والعُلوج ومَنْ أراد كسرَ الخراج وأتباعهم من الأكراد ميسَرة . قال : وسار فينا مَعْقِل بن قيس يحرّضنا ويقول لنا: عبادَ الله ! لا تَعدِلوا القومَ بأبصاركم ، غُضّوا الأبصار ، وأقلّوا الكلام ، ووطّنوا أنفسكم على الطعن والضرب ، وأبشِروا فى قتالهم بالأجر العظيم ، إنما تقاتلون مارقةً مرقتْ من الدين ، وعُلوجًا منَعوا الخَراج وأكراداً ، انظرونى فإذا حملتُ فشدّوا شَدّة رجل واحد . فمرّ فى الصفّ كله يقول لهم هذه المقالة ، حتى إذا مرّ بالناس كلّهم أقبل حتى وقف وسط الصفّ فى القلب ، ونظرنا إليه ما يصنع !

فحرّك رايته تحريكتين ، فوالله ما صبروا لنا ساعةً حتى ولّوا ، وشدَخْنا منهم سبعين عربيًّا من بنى ناجية ، ومن بعض من اتّبعهم من العرب ، وقتلْنا نحواً من ثلثمائة من العُلوج والأكراد . قال كعب بن فُقَيم: ونظرتُ فيمن قُتِل من العرب ، فإذا أنا بصديقى مدرك بن الرّيان قتيلاً ، وخرج الخِرّيت ابن راشد وهو منهزِم حتى لحق بأسياف البحر ، وبها جماعة من قومه كثير ، فما زال بهم يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف علىّ ، ويبيّن لهم فراقَه ، ويخبرهم أنّ الهدى فى حربه ، حتى اتبعه منهم ناس كثير ، وأقام معقل بن قيس بأرض الأهواز ، وكتب إلى علىّ معى بالفتح ، وكنت أنا الذى قدمتُ عليه ، فكتب إليـــه :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، لعبد الله علىّ أمير المؤمنين ، من معقِل بن قيس . سلامٌ عليك ، فإنى أحمد إليكَ اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنا لقِينا المارقين ، وقد استظهَروا علينا بالمشركين ، فقتَلْناهم قتلَ عاد وإرَم ، مع أنا لم نَعْدُ فيهم سيرتَك ، ولم نقتل من المارقين مدبراً ولا أسيراً ، ولم نذفّف منهم على جريح ، وقد نصرك الله والمسلمين ، والحمد لله رب العالمين.

١/٣٤٣٣

قال : فقدمتُ عليه بهذا الكتاب ، فقرأه على أصحابه ، واستشارهم فى الرأى ، فاجتمع رأىُ عامّتهم على قول واحد ، فقالوا له : نرى أن تكتب إلى معقل ابن قيس فيتبع أثرَ الفاسق ، فلا يزال فى طلبه حتى يَقتلَه أو ينفيَه ، فإنا لا نأمن أن يُفسد عليك الناس . قال : فردّنى إليه ، وكتب معى :

أمّا بعد ، فالحمد لله على تأييد أوليائه ، وخِذلانِ أعدائه ، جزاك الله والمسلمين خيراً ، فقد أحسنتم البلاء ، وقضيتم ما عليكم ، وسَلْ عن أخى بنى ناجية ، فإنْ بلغك أنه قد استقرّ ببلد من البُلدان فسرْ إليه حتى تَقتلَه أو تنفيَه ، فإنه لن يزال للمسلمين عدوًّا ، وللقاسِطِين وليًّا ، ما بقى ؛ والسلام عليك .

فسأل معقِل عن مستقرّه ، والمكان الذى انتهَى اليه ، فنبِّئَ بمكانه بالأسياف ، وأنّه قد ردّ قومه عن طاعة علىّ ، وأفسد مَنْ قِبَله من عبد القيس ومَن والاهم من سائر العرب ، وكان قومُه قد منعوا الصَّدَقة عام صِفّين ومنعوها

فى ذلك العام أيضًا ، فكان عليهم عِقالان ، فسار إليهم معقِل بن قيس فى ذلك الجيش من أهل الكوفة وأهل البصرة ، فأخذ على فارسَ حتى انتهى إلى أسْياف البحر ، فلما سمع الخِرّيت بن راشد بمسيره إليه أقبل على مَنْ كان معه من أصحابه ممن يرَى رأىَ الخوارج ، فأسرّ لهم : إنى أرى رأيَكم ، فإنّ عليًّا لن ينبغى له أن يُحكِّم الرجالَ فى أمر الله، وقال للآخرين مندّداً لهم : إنّ عليًّا حكّم حَكَمًا ورَضِيَ به، فخلَعه حكَمُه الذى ارتضاه لنفسه، فقد رضيتُ أنا من قضائه وحكمه ما ارتضاه لنفسه ، وهذا كان الرأى الذى خرج عليه من الكوفة . وقال سرًّا لمن يرى رأىَ عثمان : أنا والله على رأيكم ، قد والله قُتِل عثمان مظلومًا ، فأرضى كلّ صنف منهم ، وأراهم أنه معهم ، وقال لمن منع الصدقة : شدّوا أيديَكم على صدقاتكم ، وصِلُوا بها أرحامَكم ، وعودوا بها إن شئتم على فقرائكم ، وقد كان فيهم نصارى كثير قد أسلموا ، فلمّا اختلف الناسُ بينهم قالوا : والله لَدينُنا الذى خرجْنا منه خيرٌ وأهدى من دين هؤلاء الذى هم عليه ؛ ما ينهاهم دينهُم عن سفك الدماء ، وإخافةِ السبيل ، وأخذِ الأموال . فرجعوا إلى دينهم ، فلقِىَ الخِرّيت أولئك ، فقال لهم : وَيْحَكم ! أتدرون حُكمَ علىّ فيمن أسلم من النصارى ، ثم رجع إلى نصرانيّته؟ لا والله ما يسمع لهم قولاً ، ولا يرى لهم عذراً ، ولا يقبل منهم توبة ولا يدعوهم إليها ، وإنّ حكمه فيهم لضربُ العنق ساعةَ يستمكِن منهم . ١/٣٤٣٤

فما زال حتى جمعهم وخدَعَهم ، وجاء من كان من بنى ناجية ومن كان فى تلك الناحية من غيرهم ، واجتمع إليهم ناسٌ كثير .

* * *

فحدّثنى علىّ بن الحسن الأزدىّ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن سليمان ، عن عبد الملك بن سعيد بن حاب ، عن الحرّ ، عن عمار الدّهنىّ ، قال : حدّثنى أبو الطُّفَيل ، قال : كنت فى الجيش الذين بعثهم علىّ بن أبى طالب إلى بنى نَاجِية ، فقال : فانتهينا إليهم ، فوجدناهم على ثلاثِ فِرَق ، فقال أميرنا لفرقة منهم : ما أنتم ؟ قالوا : نحن قومٌ نصارى ، لم نر دينًا أفضلَ ١/٣٤٣٥

من ديننا ، فثبتْنا عليه ، فقال لهم : اعتزِلوا ، وقال للفرقة الأخرى : ما أنتم ؟ قالوا : نحن كنّا نصارى فأسلَمْنا ، فثبتْنا على إسلامنا ، فقال لهم : اعتزِلوا؛ ثم قال للفرقة الأخرى الثالثة : ما أنتم ؟ قالوا : نحن قومٌ كنّا نصارى ، فأسلَمْنا ، فلم نرَ دينًا هو أفضلُ من ديننا الأوّل ؛ فقال لهم : أسلِموا ، فأبَوا؛ فقال لأصحابه: إذا مسحتُ رأسي ثلاثَ مرّات فشدّوا عليهم، فاقتلوا المُقاتِلة ، واسبُوا الذرّية . فجيء بالذرّية إلى عليّ ، فجاء مَصقَلة بن هُبيرة، فاشتراهم بمائتي ألف ، فجاء بمائةِ ألف فلم يقبلها عليّ ، فانطلق بالدراهم، وعمَد إليهم مصقلة فأعتقَهم ولحق بمعاوية ، فقيل لعليّ : ألا تأخذ الذرّية ؟ فقال : لا ، فلم يَعرِض لهم .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . قال أبو مِخْنف : وحدّثني الحارث ابن كعب، قال : لما رجع إلينا معقل بن قيس قرأ علينا كتابًا من عليّ :

بسمِ الله الرّحمن الرّحيم . من عبد الله عليّ أميرِ المؤمنين إلى من يُقرَأ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين ، والنّصارى والمرتدّين . سلامٌ عليكم وعلى من اتّبع الهدى وآمَن بالله ورسوله وكتابه والبعثِ بعد الموت وأوفى بعهد الله ولم يكن من الخائنين. أمّا بعد ، فإني أدعوكم إلى كتاب الله ، وسنّة نبيّه ، والعملِ بالحقّ ، وبما أمر الله في الكتاب ، فمن رجع إلى أهله منكم وكفّ يَده واعتزَل هذا الهالكَ الحاربَ الذي جاء يحارب الله ورسولَه والمسلمين ، وسعَى في الأرض فسادًا ، فله الأمان على مالِه ودمه ، ومَن تابعَه على حربنا والخروج من طاعتنا ، استعنّا بالله عليه ، وجعلْنا اللهَ بيننا وبينه ، وكفى بالله نصيرًا ! ١/٣٤٣٦

وأخرج معقل رايةَ أمانٍ فنصبَها، وقال : مَن أتاها من الناس فهو آمن، إلا الخِرّيت وأصحابه الذين حاربونا وبدءونا أوّل مرّة . فتفرّق عن الخِرّيت جُلّ مَن كان معه من غير قومه ، وعبّأ معقِل بن قيس أصحابَه ، فجعل

على ميمنته يزيد بن المُغْفِل الأزديّ، وعلى ميسرته المِنْجاب بن راشد الضبيّ، ثم زحف بهم نحو الخِرّيت ، وحضر معه قومُه مسلموهم ونصاراهم ومانعةُ الصدقة منهم .

قال أبو مخنف : وحدّثني الحارث بن كعب ، عن أبي الصّدّيق النّاجيّ ، أنّ الخِرّيت يومئذ كان يقول لقومه : امنعوا حريمَكم، وقاتِلوا عن نسائكم وأولادكم ، فوالله لئن ظهروا عليكم ليقتلُنّكم وليسبُنّكم .

فقال له رجل من قومه : هذا والله ما جَنَتْه علينا يَداك ولسانُك .

فقال : قاتِلوا لله أنتم ! سَبَق السيفُ العَذَل ، إيهًا والله لقد أصابت قومي داهية !

قال أبو مخنف : وحدّثني الحارث بن كعب ، عن عبد الله بن فُقَيْم ، قال : سار فينا معقِل فحرّض الناسَ فيما بين الميمنة والميسرة يقول : أيُّها الناس المسلمون ، ما تزيدون أفضلَ مما سيق لكم في هذا الموقف من الأجر العظيم ؛ إنّ الله ساقكم إلى قوم منعوا الصدقة ، وارتدّوا عن الإسلام، ونكَثوا البيعة ظُلمًا وعدوانًا ، فأشهد لمن قُتل منكم بالجنة ، ومَنْ عاش فإنّ الله مُقِرٌّ عينَه بالفتح والغنيمة . ففعل ذلك حتى مرّ بالناس كلِّهم . ثم إنه جاء حتى وقف في القلْب برايته، ثم إنه بعث إلى يزيد بن المغفِل وهو في الميمنة : أنِ احملْ عليهم ، فَحمَل عليهم ، فثبَتوا وقاتلوا قتالاً شديداً . ثمّ إنه انصرف حتى وقف موقِفه الذي كان به في الميمنة ، ثم إنه بعث إلى مِنْجاب ابن راشد الضّبيّ وهو في الميسرة. ثم إنّ مِنجاباً حَمَل عليهم فثَبَتُوا وقاتَلوا قتالاً شديداً طويلاً ، ثم إنه رجع حتى وقف في الميسرة ، ثم إنّ معقلا بعث إلى الميمنة والميسرة : إذا حملتُ فاحملوا بأجمعكم. فحرّك رايتَه وهَزّها ، ثم إنه حمل وحمل أصحابُه جميعًا ، فصبروا ساعةً لهم . ثم إنّ النعمان بن صُهْبان الراسبيّ من جَرْم بصُرَ بالخِرّيت بن راشد فحَمَل عليه ، فطَعَنه فصرعه عن دابّته، ثم نزل وقد جَرَحه فأثْخنه ، فاختَلَفا ضربتين ، فقتله النعمان بن صُهْبان ، وقُتِل معه في المعركة سبعون ومائة ، وذهبوا يمينًا وشمالاً ، وبعث معقل بن قيس الخيلَ إلى رحالهم ، فسبَى مَن أدرك منهم ، فسبي رجالا

٣٤٣٧/١

كثيراً ونساءً وصبياناً . ثم نظر فيهم ؛ فأمّا من كان مسلمًا فخلاّه وأخذ بيعته وترك له عيالَه ، وأما من كان ارتدّ فعرض عليهم الإسلام . فرجعوا وخلّى سبيلهم وسبيلَ عيالهم إلاّ شيخًا منهم نصرانيًّا يقال له: الرُّمَاحس[1] بن منصور ؛ قال : والله ما زَلَلْتُ منذ عقلتُ إلا فى خروجى من دينى ، دينِ الصّدق إلى دينكم دينِ السوء ، لا والله لا أدع دِينى ، ولا أقرب دينَكم ما حييت . فقدّمه فضرَب عنقَه ، وجمع معقل الناسَ فقال : أدُّوا ما عليكم فى هذه السنين من الصدقة . فأخذ من المسلمين عِقالَين ، وعمَد إلى النصارى وعيالِهم فاحتملهم مقبلا بهم ، وأقبل المسلمون معهم يشيّعونهم ، فأمر معقل بردّهم ، فلما انصرفوا تصافحوا فبكوا ، وبكى الرجالُ والنساء بعضهم إلى بعض . قال : فأشهد أنّى رحِمتُهم رحمةً ما رحمتُها أحداً قبلَهم ولا بعدَهم .

١/٣٤٣٨

قال : وكتب معقل بن قيس إلى علىّ : أما بعد ، فإنّى أخبر أميرَ المؤمنين عن جُنْده وعدوّه ؛ إنا دفعنا إلى عدونا بالأسياف فوجدنا بها قبائلَ ذات عِدّة وحِدّة وجِدّ ، وقد جُمعت لنا ، وتحزّبتْ علينا ، فدعَوْناهم إلى الطاعة والجماعة ، وإلى حُكم الكتاب والسنة ، وقرأنا عليهم كتابَ أمير المؤمنين ، ورفعنا لهم رايةَ أمان ، فمالَتْ إلينا منهم طائفة ، وبقيتْ طائفةٌ أخرى مُنابِذة ، فقبلنا من التى أقبلت ، وصَمدْنا صَمْداً للتى أدبرتْ ، فضرب الله وجوهَهم ونُصِرنا عليهم ؛ فأمّا من كان مسلمًا فإنا مننّا عليه وأخذنا بيعتَه لأمير المؤمنين ، وأخذنا منهم الصدقة التى كانت عليهم ، وأما من ارتدّ فإنا عرضنا عليه الرجوع إلى الإسلام وإلا قتلناه . فرجعوا غير رجل واحد ، فقتلناه ؛ وأما النصارى فإنا سبيْناهم ، وقد أقبلْنا بهم ليكونوا نَكالا لمن بعدهم من أهل الذمة ، لكيلا يمنعوا الجزية ، ولكيلا يجترئوا على قتال أهلِ القبلة ، وهم أهل الصّغار والذلّ ، رحمك الله يا أميرَ المؤمنين ، وأوجَبَ لك جنّات النعيم ؛ والسلام عليك !

١/٣٤٣٩

ثم أقبل بهم حتى مرّ بهم على مصقلة بن هبيرة الشيبانىّ ، وهو عاملُ علىّ على أردَشِير خُرّه ، وهم خمسمائة إنسان ، فبكى النساء والصبيانُ ، وصاحَ

(١) النويرى : « الرماص » .

الرجال : يا أبا الفضل ، يا حامىَ الرجال[1]، وفكّاك العُناة ، امنن علينا فاشترِنا وأعتِقنا؛ فقال مصقلة: أقسم بالله لأتصدّقنّ عليهم، إنّ الله يَجزِى المتصدّقين . فبُلِّغها عنه معقِل ، فقال: والله لو أعلم أنه قاله توجُّعًا لهم، وزراءً عليكم ، لضربتُ عنقَه ، ولو كان فى ذلك تفانِى تميم وبكْر بن وائل . ثم إن مصقلة بعث ذُهل بن الحارث الذّهلىّ إلى معقِل بن قيس فقال له : بِعْنى بنى ناجية ؛ فقال: نعم ، أبيعكم بألف ألف ، ودفعَهم إليه ، وقال له : عجّل بالمال إلى أمير المؤمنين ؛ فقال:أنا باعث الآن بصدْر ، ثم أبعثُ بصَدْر آخر كذلك؛ حتى لا يبقى منه شىء إن شاء الله تعالى . وأقبل معقِل بن قيس إلى أمير المؤمنين ، وأخبره بما كان منه فى ذلك ، فقال له : أحسنتَ وأصبتَ ، وانتظَرَ علىّ مصقلة أن يبعث إليه بالمال ، وبلغ عليًّا أنّ مصقلةخلَّى سبيلَ الأسارى ولم يسألهم أن يُعينوه فى فكاك أنفسِهم بشىء، فقال : ما أظنّ مصقلة إلا قد تحمّل حَمالةً؛ ألا أراكم ستروْنه عن قريب ملبّداً . ثم إنه كتب إليه : أمّا بعد ، فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة ، وأعظم الغِشّ على أهل المصر غشّ الإمام ، وعندك من حق المسلمين خمسمائة ألف ، فابعث بها إلىّ ساعةَ يأتيك رسولى ، وإلا فأقبِل حين تنظرُ فى كتابى ، فإنى قد تقدّمت إلى رسولى إليكألّا يَدَعك أن تقيمَ ساعة واحدة بعدقدومه عليك إلا أن تبعث بالمال ؛ والسلام عليك . ١/٣٤٤٠

وكان الرسول أبو جُرّة الحنفىّ ، فقال له أبوجُرّة: إن يبعث بالمال الساعة وإلا فاشْخَصْ إلى أمير المؤمنين . فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البَصرة ، فمكث بها أيامًا . ثم إنّ ابنَ عباس سأله المال ، وكان عمّال البصرة يُحمَلون من كُوَر البصرة إلى ابن عباس، ويكون ابنُ عباس هوالذى يبعث به إلى علىّ؛ فقال له :نعم ، أنظِرنى أياماً ، ثم أقبل حتى أتى عليًّا فأقرّه أيامًا ، ثم سأله المال ، فأدّى إليه مائتى ألف ، ثم إنه عجز فلم يَقدِر عليه .

قال أبو مخنف : وحدّثنى أبو الصّلت الأعور ، عن ذُهل بن الحارث ،

---

(١) بعدها فى ابن الأثير : « ومأوى المغضب » .

قال : دعانى مَصْقلة إلى رَحْلِه فقُدّم عشاؤه ، فطَعِمْنا منه، ثم قال : والله إن أميرَ المؤمنين يسألنى هذا المال ، ولا أقدِر عليه ، فقلت : والله لو شئتَ ما مضت عليك جمعة حتى تجمع جميعَ المال ؛ فقال : والله ما كنت لأحمّلها قومى ، ولا أطلب فيها إلى أحد . ثم قال : أما والله لو أن ابنَ هند هو طالبنى بها أو ابن عفان لتركها لى ؛ ألم تر إلى ابن عفان حيث أطعمَ الأشعثَ من خراج أذْرَبيجانَ مائة ألف فى كلّ سنة ! فقلت له : إنّ هذا لا يرى هذا الرأى ، لا والله ما هو بباذل شيئًا كنتَ أخذته ، فسكت ساعةً ، وسكت عنه ، فلا والله ما مكث إلا ليلةً واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية . ١/٣٤٤١

وبلغ ذلك عليًّا فقال : ما له برّحه اللهَ ؛ فعَل فِعلَ السيِّد، وفرّ فِرارَ العبد ، وخان خيانة الفاجر ! أما والله لو أنه أقام فعجز ما زدنا على حبسه ، فإن وجدْنا له شيئًا أخذناه ، وإن لم نقدر على مال تركناه . ثم سار إلى داره فنقضها وهدّمها ، وكان أخوه نعيم بن هبيرة شِيعيًّا ، ولعلىٍّ مناصحًا، فكتب إليه مصقلة من الشأم مع رجل من النصارى من بنى تَغلِب يقال له حُلْوان :

أما بعد ، فإنى كلّمتُ معاويةَ فيك، فوعَدَك الإمارة، ومنّاك الكرامة، فأقبِل إلىّ ساعةَ يلقاك رسولى إن شاء الله ؛ والسلام .

فأخذه مالك بن كعب الأرحبىّ ، فسرّح به إلى علىّ ، فأخذ كتابه فقرأه ، فقطع يَد النصرانىّ، فمات ، وكتب نُعيم إلى أخيه مَصْقَلة :

لا ترْمِيَنَّ هَداكَ اللهُ مُعْتَرِضاً ... بالظَّنّ مِنْك فما بالى وحُلوانا!

ذاك الحَرِيصُ على ما نالَ مِن طَمَعٍ ... وَهْوَ البَعيدُ فلا يُحْزِنْكَ إذْ خانا

ماذا أَردْتَ إلى إرْسالِهِ سَفَهاً ... تَرْجوسِقَاطَ امْرِئٍ لم يُلْفَ وَسْنانا

عَرَّضْتَهُ لِعَلِىٍّ إنَّهُ أَسَدٌ ... يمشى العِرَضْنَةَ مِنْ آسادِ خَفّانا[1]

قد كُنْتَ فى مَنْظَرٍ عن ذا ومُسْتَمَعٍ ... تحْمِى العراقَ وتُدْعى خَيْرَ شيْبانا ١/٣٤٤٢

(١) يمشى العرضنة : يعدو ليسبق غيره .

حَتَّى تَقَحَّمْتَ أَمْرًا كنْتَ تَكْرَهُهُ ... لِلرّاكبين لَهُ سِرًّا وإعلانا
لوكنْتَ أَدَّيْتَ ما للقَوْم مُصْطَبِرًا ... لِلْحَقّ أَحْيَيْتَ أَحيانَا ومَوْتانا [1]
لكن لَحِقْتَ بأَهْلِ الشأم مُلْتمِساً ... فَضل ابن هِنْدٍ وذاك الرأىُ أشجانا
فاليَوْمَ تَقْرَعُ سِنَّ الغُرْمِ من ندَمٍ [2] ... ماذا تَقولُ وقَدْ كان الذى كانا !
أَصْبحْتَ تُبْغِضُكَ الأَحياءُ قاطِبةً ... لم يَرْفَعِ ٱللهُ بالبَغْضاء إنسانا

فلما وَقَع الكتاب إليه عَلِم أنّ رسوله قد هلك ، ولم يلبث التغلبيّون إلا قليلاً حتى بلغهم هلاكُ صاحبهم حُلوان ، فأتوا مصقلةَ فقالوا : إنك بعثتَ صاحبَنا فأهلَكتَه ، فإما أن تُحييَه وإما أن تَدِيَه ، فقال : أمّا أن أحيِيَه فلا أستطيع ، ولكنّى سأدِيه ؛ فوَاداه .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الرحمن بن جندَب ، قال : حدّثنى أبى ، قال : لما بلغ عليًّا مصابُ بنى ناجية وقتلُ صاحبهم قال : هوتْ أمّه! ما كان أنقصَ عقلَه ، وأجرأه على ربّه ! فإنّ جائيًا جاءنى مرّة فقال لى : فى أصحابك رجالٌ قد خشيتُ أن يفارقوك ، فما ترى فيهم ؟ فقلت له : إنّى لا آخذ على التهمة ، ولا أعاقب على الظنّ ، ولا أقاتل إلا من خالفَنى وناصبَنى وأظهر لى العداوة ، ولست مُقاتِلَه حتى أدعوَه وأعذرَ إليه ، فإن تاب ورجع إلينا قبلْنا منه ، وهو أخونا ، وإن أبى إلا الاعتزامَ على حربنا استعنّا عليه اللهَ ، وناجزْناه . فكفّ عنى ما شاء الله . ثم جاءنى مرّة أخرى فقال لى : قد خشيت أن يَفسد عليك عبدُ الله بنُ وهب الراسبيّ وزيدُ بن حصين ، إنى سمعتُهما يذكرانك بأشياء لو سمعتَها لم تُفارِقْهما عليها حتى تقتلهما أو توبِقهما ، فلا تفارقْهما من حبسِك أبداً ، فقلت : إنّى مستشيرك فيهما ، فماذا تأمرنى به؟ قال : فإنّى آمرك أن تدعوَ بهما ، فتضربَ رِقابهما ، فعلمت أنه لاَ ورِعٌ ولا عاقل ، فقلت : واللهِ ما أظنّك وَرِعًا ولا عاقِلاً (٣٤٤٣/١)

(١) ابن الأثير : « مال القوم » ، بإضافة « مال » إلى ما بعده . وخفّف «أحيانا» للشعر ، والأصل فيه « أحياءنا » بالهمز .
(٢) ابن الأثير : « سنّ العجز » .

نافعًا ، واللهِ لقد كان ينبغى لك لو أردتَ قتلَهم أن تقول : اتّقِ اللهَ ، لِمَ تستحلّ قتلَهم ولم يقتلوا أحداً ، ولم ينابذوك ، ولم يخرجوا من طاعتك !

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة قُثَم بن العبّاس من قِبَل علىّ عليه السلام. حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكان قُثَم يومئذ عامِلَ علىّ على مكة ، وكان على اليمن عبيد الله بن العباس ، وعلى البصرة عبد الله بن العباس .

واختُلف فى عامله على خُراسان فقيل : كان خليد بن قرّة اليربوعىّ ، وقيل : كان ابن أبزَى ؛ وأما الشأم ومصرَ فإنه كان بهما معاوية وعمّاله .

١/٣٤٤٤

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

[ذكر ما كان فيها من الأحداث]

فمما كان فيها من الأحداث المذكورة :

تفريق معاوية جيوشه فى أطراف علىّ

فوجّه النعمانَ بن بشير — فيما ذكر على بن محمد بن عوانة — فى ألفى[1] رجل إلى عين التّمْر ، وبها مالك بن كعب مَسلَحةً لعلىّ فى ألف رجل ، فأذن لهم ، فأتَوا الكوفة ، وأتاه النعمان ، ولم يبق معه إلاّ مائة رجل ، فكتب مالكٌ إلى علىّ يخبرُه بأمرِ النعمان ومن معه ، فخطب علىٌّ النّاس ، وأمَرَهم بالخُروج ، فتثاقلُوا ، وواقع مالك النعمان ، والنّعمان فى ألفىْ رجل ومالك فى مائة رجل ، وأمر مالك أصحابَه أن يجعلوا جَدْرَ[2] القرية فى ظهورهم ، واقتتلوا . وكتب إلى مِخْنف بن سُلَيْم يسأله أن يُمدّه وهو قريب منه ، فقاتلهم مالك ابن كعب فى العِصابة التى معه كأشدّ القتال ، ووجّه إليه مخنَف ابنَه عبد الرحمن فى خمسين رجلاً ، فانتهوْا إلى مالك وأصحابه ، وقد كسروا جفونَ سيوفهم ، واستقتَلوا ، فلما رآهم أهلُ الشأم وذلك عند المساء ، ظنّوا أنّ لهم مدداً وانهزموا ، وتبِعهم مالك ، فقتل منهم ثلاثة نفر ، ومضَوْا على وجوههم .

* * *

حدّثنى عبدُالله بن أحمدَ بن شبّوَيه المروزىّ ، قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، عن عبد الله ، قال : حدّثنى عبد الله بن أبى معاوية ، عن عمرو بن حسّان ، عن شيخ من بنى فَزارة ، قال : بعث معاوية النعمانَ بن بشير فى ألفين ، فأتوا عينَ التّمْر ، فأغاروا عليها ، وبها عامل لعلىّ يقال له ابن فلان الأرحبىّ فى ثلثمائة ، فكتب إلى علىّ يستمِدّه ، فأمر الناسَ أن ينهضوا إليه ، فتثاقلوا ، فصعِد المنبر ، فانتهيت إليه وقد سبقَنى بالتشهّد وهو يقول : ١/٣٤٤٥

(١) ابن الأثير والنويرى : « ألف » . (٢) الجدر : الحائط .

يا أهلَ الكوفة ، كلّما سمعتم بمنسر من مناسر[١] أهل الشأم أظلّكم وأغلقَ بابَه انجحَر كلّ امرئ منكم فى بيته انجحارَ الضبّ فى جُحْره والضّبع فى وجارِها؛ المغرورُ من غررتموه، ولمَن فازَ بكم فاز بالسهم الأخيب. لا أحرارٌ عند النداء، ولا إخوانُ ثقة عند النّجاء ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! ماذا مُنيتُ به منكم ! عميٌ لا تُبصِرون ، وبُكْمٌ لا تنطقون ، وصُمٌّ لا تَستَمعون[٢] إنا لله وإنا إليه راجعون .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عوانة . قال: ووجّه معاوية فى هذه السنة سُفيانَ بن عوف فى ستة آلاف رجل، وأمره أن يأتىَ هِيت فيقطعها، وأن يُغيرَ عليها ، ثم يمضى حتى يأتى الأنبار والمدائن فيوقعَ بأهلها ، فسار حتى أتى هِيت فلم يَجِد بها أحداً، ثم أتى الأنبارَ وبها مَسلَحة لعلىّ تكون خمسمائة رجل، وقد تفرّقوا فلم يبقَ منهم إلا مائة رجل ، فقاتَلَهم ، فصبر لهم أصحابُ علىّ مع قلّتهم ، ثم حملت عليهم الخيلُ والرَّجالة ، فقتلوا صاحبَ المسلحة ، وهو أشرَس بن حسّان البكرِىّ فى ثلاثين رجلا ، واحتملوا ما كان فى الأنبار من الأموال وأموالِ أهلها ، ورجعوا إلى معاوية. وبلغ الخبر عليًّا ، فخرج حتى أتى النُّخَيلة ، فقال له الناس : نحن نكفيك ؛ قال : ما تكفوننى ولا أنفسكم ؛ وسرّح سعيد ابن قيس فى أثر القوم ، فخرج فى طلبهم حتى جاز هِيت ، فلم يلحقهم فرجع .

١/٣٤٤٦

* * *

قال : وفيها وجّه معاوية أيضًا عبدَالله بن مسعدة الفزَارىّ فى ألف وسبعمائة رجل إلى تَيْماء ، وأمره أن يُصَدّق[٣] مَن مرّ به من أهل البوادى، وأن يقتل مَن امتنع من عطائه صدقة ماله ، ثم يأتى مكة والمدينة والحجاز ،

---

(١) المنسر : قطعة من الجيش تكون قدام الجيش الكبير .

(٢) ابن الأثير : « يبصرون . ينطقون . يسمعون »

(٣) المصدق : هو الذى يجمع الصدقات .

يفعل ذلك ، واجتمع إليه بشرٌ كثير من قومه، فلما بلغ ذلك عليًّا وجه المسيَّب ابن نَجَبَة الفَزَارىّ(١) ، فسار حتى لحق ابن مسعدة بتَيْماء ، فاقتتلوا ذلك اليوم حتى زالت الشمس قتالاً شديداً ، وحمل المسيَّب على ابن مسعدة فضربه ثلاثَ ضَرَبات ، كلّ ذلك لا يلتمس قتله ويقول له : النَّجاء النَّجاء ! فدخل ابن مسعدة وعامة مَن معه الحصن ، وهرَب الباقون نحو الشأم ، وانتهب الأعراب إبلَ الصَّدقة التى كانت مع ابن مسعدة ، وحَصَره ومَن كان معه المسيَّب ثلاثة أيام ، ثم ألقَى الحطَب على الباب، وألقى النيرانَ فيه ، حتى احترق ، فلما أحسوا بالهلاك أشرَفوا على المسيّب فقالوا : يا مسيّب، قومك ! فرقّ لهم ، وكرِه هلاكَهم ، فأمر بالنار فأطفئتْ ، وقال لأصحابه : قد جاءتنى عيون فأخبرُونى أنّ جنداً قد أقبل إليكم من الشأم ، فانضمّوا فى مكان واحد . فخرج ابنُ مسعدة فى أصحابه ليلاً حتى لحقوا بالشأم ، فقال له عبد الرحمن بن شبيب : سِرْ بنا فى طلبِهم ، فأبى ذلك عليه ، فقال له : غششتَ أميرَ المؤمنين وداهنتَ فى أمرهم . ١/٣٤٤٧

* * *

وفيها أيضًا وجّه معاويةُ الضحّاكَ بنَ قيس، وأمره أن يمرّ بأسفل واقِصة، وأن يُغير على كلّ مَن مرّ به ممن هو فى طاعة علىّ من الأعراب ، ووَجّه معه ثلاثة آلاف رجل، فسار فأخذ أموالَ الناس، وقتل من لقىَ من الأعراب، ومرّ بالثّعلبيّة فأغار على مسالح علىّ ، وأخذ أمتِعتهم، ومضى حتى انتهى إلى القُطْقُطانة ، فأتى عَمرو بن عميس بن مسعود ، وكان فى خيل لعلىّ وأمامه أهله ، وهو يريد الحجّ ، فأغار على من كان معه ، وحبسه عن المسير ، فلما بلغ ذلك عليًّا سرّح حُجْر بن عدىّ الكندىّ فى أربعة آلاف ، وأعطاهم خمسين خمسين ، فلحق الضحّاك بتَدْمُر فقتل منهم تسعةَ عشرَ رجلاً ، وقتِل من أصحابه رجلان ، وحال بينهم الليل ، فهرب الضحاك وأصحابه ، ورجع حُجْر ومن معه .

* * *

(١) بعدها فى ابن الأثير والنويرى : « فى ألف رجل » .

وفيها سار معاوية بنفسه إلى دِجْلة حتى شارَفَها ، ثم نكص راجعاً ، ذكر ذلك ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : حدّثني ابن جريج ، عن ابن أبي مُلَيكة قال : لما كانت سنة تسع وثلاثين أشرَف عليها معاوية .

وحدّثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر مثله .

* * *

١/٣٤٤٨ واختلف فيمن حجّ بالناس في هذه السنة ، فقال بعضهم : حجّ بالناس فيها عبيد الله بن عبّاس من قبَل عليّ . وقال بعضُهم : حجّ بهم عبد الله ابن عباس ؛ فحدّثني أبو زيد عمر بن شبّة ، قال : يقال إنّ عليّاً وجّه ابنَ عباس ليشهد الموسم ويصلي بالناس في سنة تسع وثلاثين ، وبعث معاوية يزيد ابن شجرة الرّهاويّ .

قال : وزعم أبو الحسن أن ذلك باطل ، وأن ابنَ عباس لم يشهد المَوْسِم في عمل حتى قُتِل عليّ عليه السلام ؛ قال : والذي نازعه يزيد بن شجرة قُثَم ابن العباس ، حتى إنهما اصطلحا على شيبة بن عثمان ، فصلى بالناس سنة تسع وثلاثين .

وكالذي حكيت عن أبي زيد عن أبي الحسن ، قال أبو معشر في ذلك : حدّثني بذلك أحمد بن ثابت الرازيّ ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى عنه .

وقال الواقديّ : بعث عليّ على الموسم في سنة تسع وثلاثين عُبيد الله بن عباس ، وبعث معاوية يزيدَ بن شجرة الرهاويّ ليقيمَ للناس الحجّ ، فلما اجتمعا بمكّة تَنازَعا ، وأبَى كلٌّ واحد منهما أن يسلّم لصاحبه ، فاصطلَحا على شيبة بن عثمانَ بن أبي طلحة .

* * *

وكانت عمّال عليٍّ في هذه السنة على الأمصار الذين ذكرْنا أنهم كانوا عمّالَه في سنة ثمان وثلاثين غير ابن عباس ، كان شَخَصَ في هذه السنة عن عمله بالبَصرة ، واستخلف زياداً — الذي كان يقال له : زياد بنُ أبيه — على الخَرَاج ، وأبا الأسوَد الدُّؤَليّ على القضاء .

[ذكر توجيه ابن عباس زيادًا إلى فارس وكرمان]

وفى هذه السنة وجّه ابنُ عباس زياداً عن أمر علىّ إلى فارسَ وكِرْمان عند منصرَفه من عند علىّ من الكُوفة إلى البَصرة .

ذكر سبب توجيهه إياه إلى فارس : ١/٣٤٤٩

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ؛ قال : لما قتل ابن الحَضْرمىّ واختلف الناسُ على علىّ ، طَمِع أهلُ فارسَ وأهلُ كَرمانَ فى كسْر الخراج ، فغلب أهلُ كل ناحية على ما يليهم ، وأخرجوا عمّالَهم .

حدّثنى عمر ، قال : حدثنا أبو القاسم ، عن سَلَمة بن عثمان ، عن علىّ بن كثير ، أنّ عليًّا استشار الناسَ فى رجُل يولّيه فارسَ حين امتنعوا من أداء الخراج ، فقال له جارية بن قدامة : ألا أدلّك يا أميرَ المؤمنين على رجل صليبِ الرأى ، عالم بالسياسة ، كاف لِمَا ولِىَ ؟ قال : مَن هو ؟ قال : زياد ؛ قال : هو لها ؛ فولّاه فارسَ وكِرْمان ، ووجّهه فى أربعة آلاف ، فدوّخ تلك البلادَ حتى استقاموا .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن علىّ بن مجاهد ، قال : قال الشعبىّ : لما انتقَض أهلُ الجبال وطمع أهلُ الخراج فى كسره ، وأخرَجوا سهلَ بن حنيف من فارسَ — وكان عاملا عليها لعلىّ — قال ابن عباس لعلىّ : أكفيكَ فارسَ ؛ فقدِم ابنُ عباس البَصرة ، ووجّه زياداً إلى فارسَ فى جمع كثير ، فوطِئ بهم أهلَ فارس ، فأدَّوا الخَراج .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى أبو الحسن ، عن أيّوب بن موسى ، قال : حدّثنى شيخٌ من أهل إصْطَخْر قال : سمعتُ أبى يقول : أدركتُ زياداً وهو أميرٌ على فارسَ وهى تَضرَم ناراً ، فلم يزل بالمُداراة حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من الطّاعة والاستقامة ، لم يقفْ موقفًا للحرب ، وكان أهل فارسَ يقولون : ما رأينا سيرةً أشبه بسيرة كِسرَى أنو شِرْوان من سيرة هذا العربىّ فى اللين والمُداراة والعلم بما يأتى .

١/٣٤٥٠ قال : ولما قدِم زياد فارسَ بعث إلى رؤسائها، فوعد مَن نَصرَه ومنّاه ، وخوّفَ قومًا وتوعّدهم ، وضرب بعضَهم ببعض ، ودلّ بعضَهم على عورةِ بعض ، وهربتْ طائفة ، وأقامت طائفة ، فقتل بعضُهم بعضًا ، وصفَتْ له فارس ، فلم يَلْقَ فيها جمعًا ولا حَرْبًا ، وفعل مثلَ ذلك بكَرْمان ، ثم رجع إلى فارسَ ، فسار فى كُوَرها ومنّاهم ، فسكنَ الناسُ إلى ذلك ، فاستقامت له البلاد ، وأتى إصْطَخْرَ فنزلها وحصّن قلعةً بها ما بين بيضاء إِصْطَخْر وإصْطَخْر ، فكانت تسمّى قلعةَ زياد ، فحمل إليها الأموال ، ثم تحصّن فيها بعد ذلك منصور اليشكريّ ، فهى اليومَ تُسمّى قلعةَ منصور.

ثم دخلت سنة أربعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك توجيه معاوية بُسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز .

فذُكر عن زياد بن عبد الله البكّائيّ ، عن عوانة ، قال : أرسل معاويةُ ابنُ أبي سفيان بعد تحكيم الحكمين بُسرَ بنَ أبي أرطاة — وهو رجلٌ من بني عامر بن لؤيّ في جيش — فساروا من الشأم حتى قدموا المدينة ، وعاملُ ١/٣٤٥١ عليّ على المدينة يومئذ أبو أيوبَ الأنصاريّ ، ففرّ منهم أبو أيوب ، فأتى عليًّا بالكوفة ، ودخل بُسر المدينة ؛ قال : فصَعِد منبرَها ولم يقاتلْه بها أحد ، فنادى على المنبر : يا دينار ، ويا نجّار ، ويا زُريق ، شَيْخي شَيْخي ! عهدي به بالأمس ، فأين هو ! يعني عثمانَ ، ثمّ قال : يا أهل المدينة ، والله لولا ما عهد إليّ معاويةُ ما تركتُ بها محتلِماً إلاّ قتلته . ثم بايَعَ أهل المدينة ، وأرسل إلى بني سلِمة ، فقال : والله ما لكم عندي من أمان ولا مبايَعة حتى تأتوني بجابر بنِ عبد الله ، فانطلق جابر إلى أمّ سلَمة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال لها : ماذا تريْن ؟ إنّي قد خشيتُ أن أقتل ، وهذه بَيْعة ضلالة ، قالت : أرى أن تبايعَ ، فإنّي قد أمرت ابني عمر بن أبي سلَمة أن يبايِع ، وأمرتُ ختَني عبد الله بن زَمْعة — وكانت ابنتها زينب ابنة أبي سلَمة عند عبدالله بن زمعة — فأتاه جابرٌ فبايعه ، وهدّم بُسْر دُورًا بالمدينة ، ثم مضى حتى أتى مكة ، فخافه أبو موسى أن يقتلَه ، فقال له بُسر : ما كنتُ لأفعلَ بصاحب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ذلك ؛ فخلّى عنه ، وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى اليَمن : إنّ خيلاً مبعوثةً من عند معاوية تَقتُل الناس ، تَقتُل مَن أبَى أن يقرّ بالحكومة . ثم مضى بُسر إلى اليَمَن ، وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملاً لعليّ ، فلما بلغه مسيرُه فرّ إلى الكوفة حتى ١/٣٤٥٢ أتى عليًّا ، واستخلف عبدَالله بن عبد المَدان الحارثيّ على اليَمَن ، فأتاه بُسر

فقتله وقتل ابنَه ، ولقى بُسر ثَقَل عبيد الله بن عباس . وفيه ابنان له صغيران، فذبَحهما . وقد قال بعض الناس : إنه وجد ابنى عبيد الله بن عباس عند رجل من بنى كنانةَ من أهل البادية ، فلما أراد قتلَهما قال الكنانىّ : علامَ تَقتُل هذين ولا ذنب لهما ! فإن كنتَ قاتِلَهما فاقتلنى ، قال: أفعل ؛ فبدأ بالكنانىّ فقتله، ثم قتلَهما ثمّ رجع بُسْر إلى الشأم . وقد قيل : إنّ الكنانىّ قاتل عن الطفلين حتى قُتِل ، وكان اسمُ أحدِ الطفلين اللذَين قتلَهما بُسْر : عبد الرحمن ، والآخر قُثَم . وقَتل بُسر فى مسيره ذلك جماعةً كثيرةً من شيعة علىّ باليمن . وبلغ عليًّا خبرُ بُسر ، فوجّه جارية بن قُدامة فى ألفين ، ووهْب بن مسعود فى ألفين ، فسار جارية حتى أتى نَجْرانَ فحرّق بها ، وأخذ ناسًا من شيعة عثمانَ فقتلهم ، وهَرَب بُسْر وأصحابُه منه ، وأتبعهم حتى بلغ مكة ، فقال لهم جارية : بايعونا ؛ فقالوا : قد هلك أميرُ المؤمنين ، فلِمَن نبايع ؟ قال : لمن بايَعَ له أصحابُ علىّ ، فتثاقلوا ، ثمّ بايعوا . ثمّ سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلّى بهم ، فهرب منه ، فقال جارية : واللهِ لو أخذتُ أبا سِنَّوْر لضربتُ عنقَه ، ثم قال لأهل المدينة : بايِعوا الحسنَ بن علىّ ؛ فبايَعوه وأقام يومَه ، ثم خرج منصرِفًا إلى الكوفة ، وعاد أبو هريرة فصلّى بهم .

* * *

٣٤٥٣/١

وفى هذه السنة – فيما ذكر – جرتْ بين علىّ وبين معاويةَ المهادنة – بعد مكاتبات جرتْ بينهما يطول بذكرها الكتاب – على وَضْعِ الحرب بينهما ، ويكون لعلىّ العراق ولمعاويةَ الشأم ، فلا يدخل أحدُهما على صاحبه فى عمله بجيش ولا غارة ولا غزْو .

قال زياد بنُ عبد الله ، عن أبى إسحاق : لما لم يعطِ أحدُ الفريقين صاحبَه الطاعةَ كتب معاويةُ إلى علىّ : أما إذا شئتَ فلك العراق ولىَ الشأم، وتكفّ السيف عن هذه الأمة ، ولا تُهَرِيق دماءَ المسلمين ؛ ففعل ذلك ، وتراضَيَا على ذلك، فأقام معاوية بالشأم بجنوده يَجْبيها وما حولها، وعلىّ بالعراق يَجبيها ويقسمها بين جنوده .

* * *

[خروج ابن عباس من البصرة إلى مكة]

وفيها خرج عبدُالله بن العباس من البَصرة ولحق مكة فى قول علامة أهلِ السِّيَر ، وقد أنكر ذلك بعضُهم ، وزعَم أنه لم يَزَلْ بالبصرة عاملاً عليها من قِبَل أمير المؤمنين علىّ عليه السلام حتى قُتِل ، وبعد مَقتَل علىّ حتى صالح الحسن معاوية ، ثمّ خرج حينئذ إلى مكة .

* ذكر الخبر عن سبب شخوصه إلى مكة وتركه العراق :

حدّثنى عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدّثنى جماعة عن أبى مخنف ، عن سليمان ابن أُبى[1] راشد ، عن عبدالرحمن بن عُبيد أبى الكَنود ، قال : مرّ عبدُالله بنُ عباس على أبى الأسود الدّؤلىّ ، فقال : لو كنتَ من البهائم كنتَ جمَلا ، ولو كنتَ راعيًا ما بلغتَ من المرعى ، ولا أحسنتَ مهنته فى المشْى . قال : فكتب أبو الأسود إلى علىّ :

أما بعد ، فإنّ الله جلّ وعلا جعلك واليًا مؤتمنًا ، وراعيًا مستولياً ، وقد بلوناك فوجدْناك عظيمَ الأمانة ، ناصحًا للرعية ، توفر لهم فَيْئهُم ، وتَظْلَف[2] نفسَك عن دنياهم ، فلا تأكل أموالَهم ، ولا ترتشى فى أحكامهم . وإنّ ابنَ عمّك قد أكل ما تحت يديه بغير عِلمك ، فلمْ يَسعْنى كتمانُك ذلك ، فانظر رحمك الله فيما هناك ، واكتب إلىّ برأيك فيما أحببتَ أنتهِ إليك . والسلام .

١/٣٤٥٤

فكتب إليه علىّ : أما بعْد ، فمِثلك نصح الإمامَ والأمة ، وأدّى الأمانة ، ودلّ على الحقّ ، وقد كتبتُ إلى صاحبك فيما كتبتَ إلىّ فيه من أمرِه ، ولم أعلِمه أنك كتبتَ ، فلا تَدَع إعلامى بما يكون بحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاحٌ ، فإنك بذلك جدير ، وهو حقّ واجب عليك ؛ والسلام[3] .

وكتبَ إلى ابن عباس فى ذلك ، فكتب إليه ابنُ عباس : أما بعد ، فإن الذى بلغك باطل ، وإنى لِمَا تحت يدى ضابط قائم له وله حافظ ، فلا تصدّق الظّنون ؛ والسلام .

قال : فكتب إليه علىّ : أما بعد ، فأعلِمنى ما أخذتَ من الجزية ،

---

(١) ساقطة من ط . (٢) ابن الأثير : « وتكف » ، وتظلف : تمنع .

(٣) الخبر فى طبقات النحويين واللغويين للزبيدى : ١٦ .

ومِن أين أخذت ؟ وفيم وضعت ؟

قال : فكتب إليه ابنُ عباس : أما بعد ، فقد فهمتُ تعظيمَك مَرْزَأة ما بلغك أنّى رَزَأتُه[1] من مال أهلِ هذا البلد، فابعث إلى عملك مَنْ أحببت ، فإنّى ظاعنٌ عنه . والسلام .

ثم دعا ابن عباس أخوالَه بنى هلال بن عامر ، فجاءه الضحّاك بن عبد الله وعبد الله بن رَزِين بن أبى عمرو الهلاليّان ، ثم اجتمعت معه قيس كلُّها فحمل مالا.

١/٣٤٥٥ قال أبو زيد : قال أبو عبيدة : كانت أرزاقًا قد اجتمعتْ ، فحمل معه مقدار ما اجتمع له ، فبعث الأخماس كلها ، فلحقوه بالطَّفّ ، فتواقَفوا يريدون أخذَ المال ، فقالت قيس : والله لا يُوصَل إلى ذلك وفينا عينٌ تَطرِف. وقال صبرة بن شيمان الحُدّانىّ : يا معشرَ الأَزْد ، والله إنّ قيسًا لإخوانُنا فى الإسلام ، وجيرانُنا فى الدار ، وأعوانُنا على العدوّ ، وإنّ الذى يصيبكم من هذا المال لو رُدّ عليكم لقليل ، وهم غداً خيرٌ لكم من المال . قالوا : فما ترى ؟ قال : انصرِفوا عنهم ودَعُوهم ، فأطاعوه فانصرفوا ؛ فقالت بكر وعبد القيس : نعم الرأىُ رأىُ صَبِرة لقومه ، فاعتزَلوا أيضًا ، فقالت بنو تميم : والله لا نفارقهم ؛ نقاتلهم عليه . فقال الأحنف : قد ترك قتالَهم من هو أبعدُ منكم رَحِما ؛ فقالوا : والله لنقاتلنّهم ؛ فقال : إذاً لا أساعدكم عليهم ، فاعتزلَهم ؛ قال : فرأّسوا عليهم ابن المُجّاعة من بنى تميم ، فقاتَلوهم ، وحمل الضحّاك على ابن المُجّاعة فطعنه ، واعتَنَقه عبد الله بن رَزِين ، فسَقَطا إلى الأرض يعتَرِكان ، وكثرت الجراح فيهم ، ولم يكن بينهم قتيل ؛ فقالت الأخماس : ما صنعْنا شيئًا ، اعتزلْناهم وتركْناهم يتحاربون ، فضربوا وجوهَ بعضِهم عن بعض ، وقالوا لبنى تميم : لنحن أسخَى منكم أنفسًا حين تركْنا هذا المال لبنى عمّكم ، وأنتم تقاتلونهم عليه ، إنِ القومَ قد حَملَوا وحُموا ، فخَلّوهم ، وإنْ أحببتم فانصرِفوا . ومضى ابنُ عباس ومعه نحو من عشرين رجلاً حتى قدِم مكّة .

---

(١) رزأت المال : أصبته .

وحدّثنى أبو زيد، قال : زعم أبو عبيدةَ — ولم أسمعه منه — أنّ ابن عباس لم يبرحْ من البَصرة حتى قُتل علىّ عليه السلام ، فشخص إلى الحسن ، فشهد الصّلحَ بينه وبين معاوية ، ثم رجع إلى البصرة وثَقَلُه بها ، فحمَله ومالاً من بيت المال قليلا ؛ وقال : هى أرزاقى . ١/٣٤٥٦

قال أبو زيد : ذكرتُ ذلك لأبى الحسن فأنكَره، وزعَم أنّ عليًّا قُتل وابن عباس بمكة ، وأنّ الذى شهد الصلح بين الحسن ومعاوية عبيدُ الله بن عباس .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل علىّ بن أبى طالب]

وفى هذه السنة قُتِل علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، واختُلف فى وقت قتلِه ، فقال أبو معشر ما حدّثنى به أحمد بن ثابت، قال: حُدّثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، قال : قُتل علىّ فى شهر رمضانَ يوم الجمعة لسبعِ عشرة خلتْ منه سنة أربعين ،

وكذلك قال الواقدىّ ، حدّثنى بذلك الحارث ، عن ابن سعد عنه ، وأما أبو زيد فحدّثنى عن علىّ بن محمد أنه قال: قُتِل علىٌّ بنُ أبى طالب بالكُوفة يومَ الجمعة لإحدى عشرة . قال : ويقال : لثلاث عشرة بقيتْ من شهر رمضان سنة أربعين. قال : وقد قيل فى شهر ربيع الآخر سنة أربعين .

* ذكر الخبر عن سبب قتله ومقتله :

حدّثنى موسى بن عثمان[1] بن عبدالرحمن المسروقىّ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن الحرّانىّ أبو عبد الرحمن ، قال: أخبرَنا إسماعيل بن راشد ، قال: كان من حديث ابن مُلجَم وأصحابه أنّ ابن ملجم والبُرَك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمىّ اجتمعوا ، فتذاكَروا أمرَ الناس ، وعابوا على وُلاتهم[2] ، ثم ذكروا أهلَ النّهر ، فترحّموا عليهم ، وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدَهم شيئًا ! إخوانُنا الذين كانوا دُعاةَ الناس لعبادة ربّهم ، والذين كانوا لا يخافون فى الله لومةَ لائم ، فلو شَرَيْنا أنفسَنا فأتينا أئمّة الضلالة فالتمسْنا قتلَهم ، فأرحْنا منهم ١/٣٤٥٧

(١) ساقط من ط . (٢) ابن الأثير : « عمل ولاتهم » .

البلاد ، وثأرْنا بهم إخوانَنا ! فقال ابن مُلجَم : أنا أكفيكم علىَّ بنَ أبى طالب — وكان من أهل مصرَ — وقال البُرَكُ بن عبد الله: أنا أكفيكم معاويةَ بنَ أبى سُفْيان ؛ وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عَمرَو بنَ العاص . فتعاهَدوا وتواثَقوا بالله لا يَنكُص رجل منّا عن صاحبه الذى توجّه إليه حتى يَقتلَه أو يموت دونَه . فأخذوا أسيافَهم ، فسمُّوها ، واتّعَدوا لسبع عشرة تخلو من رمضانَ أن يثبَ كلُّ واحد منهم على صاحبه الذى توجّه إليه ، وأقبل كلّ رجل منهم إلى المِصْرِ الذى فيه صاحبُه الذى يَطلب .

فأما ابنُ ملجَم المُرادىّ فكان عِداده فى كِنْدة ، فخرج فلقِىَ أصحابَه بالكوفة ، وكاتَمهم أمرَه كراهة أن يُظهروا شيئًا من أمره ، فإنه رأى ذاتَ يوم أصحابًا من تَيْم الرِّباب — وكان علىٌّ قتَل منهم يوم النهر عشرةً — فذكروا قتْلاهم ، ولقِىَ من يومه ذلك امرأةً من تيم الرِّباب يقال لها : قَطَام ابنة الشِّجْنَة — وقد قتَل أباها وأخاها يوم النهر ، وكانت فائقةَ الجمال — فلما رآها التبستْ بعَقله ، ونسى حاجتَه التى جاء لها ؛ ثم خطبها ، فقالت : لا أتزوّجك حتى تَشفى لى قال : وما يشفيك ؟ قالت : ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علىّ بن أبى طالب ، قال : هو مهرٌ لك ، فأمّا قتل علىّ فلا أراكِ ذكرتِه لى وأنت تريدينى[1] ! قالت : بلَى ، التمس غرّته ، فإن أصبت شفيتَ نفسك ونفسِى ، ويَهنِئك العيشُ معى ، وإن قُتِلت فما عندَ الله خيرٌ من الدنيا وزينتها وزينة أهلها ؛ قال : فوالله ما جاء بى إلى هذا المِصْر إلا قتلُ علىّ ، فلكِ ما سألتِ . قالت : إنّى أطلب لك من يُسند ظهرَك ، ويساعدُك على أمرك ، فبعثتْ إلى رجل من قومها من تَيْم الرِّباب يقال له : وَرْدان فكلّمته فأجابها ، وأتى ابن ملجم رجلا من أشجع يقال له شبيب بن بَجَرة فقال له : هل لك فى شرف الدنيا والآخرة ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : قتلُ علىّ بن أبى طالب ؛ قال : ثكلتْك أمُّك ! لقد جئتَ شيئًا إدًّا ، كيف تقدر على علىّ ! قال : أكمُن له فى المسجد ، فإذا خرج لصلاة الغداة شدَدْنا عليه فقتلْناه ، فإن نجوْنا شفَيْنا أنفسَنا ، وأدركْنا ثأرَنا ، وإن قُتِلنا فما

١/٣٤٥٨

(١) ابن الأثير : « تريدينى » .

عند الله خيرٌ من الدنيا وما فيها . قال : وَيحك ! لو كان غير علىٍّ لكان أهوَن علىّ ، قد عرفتَ بلاءَه فى الإسلام ، وسابقتَه مع النبىّ صلى الله عليه وسلم وما أجدنى أنشرِح لقتله . قال : أما تعلم أنه قتل أهلَ النهر العبّاد الصالحين ! قال : بلى ، قال : فنقتله بمن قَتل من إخواننا ، فأجابه ــ فجاءوا قَطام ــ وهى فى المسجد الأعظم معتكِفة ــ فقالوا لها : قد أجمع رأينا على قتل علىّ ؛ قالت : فإذا أردتم ذلك فأتونى ، ثم عاد إليها ابن ملجَم فى ليلة الجمعة التى قُتل فى صبيحتها علىّ سنة أربعين ــ فقال : هذه الليلة التى واعدتُ فيها صاحبىّ أن يقتل كلّ منا صاحبه ، فدعت لهم بالحرير فعصبَتْهم به ، وأخذوا أسيافَهم وجلسوا مقابل السدّة التى يَخرج منها علىّ ، فلما خرج ضربه شبيبٌ بالسيف. فوقع سيفُه بعِضادة[1] الباب أو الطّاق ، وضَرَبه ابنُ ملجَم فى قَرْنه بالسيف ، وَهرَب وَرْدان حتى دخل منزلَه ، فدخل عليه رجل من بنى أبيه[2] وهو ينزع الحريرَ عن صدره ، فقال : ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره بما كان وانصرف فجاء بسيفه فعلا به وَرْدانَ حتى قتَله ، وخرج شبيب نحو أبواب كِنْدة فى الغَلَس ، وصاح الناس ، فلحقه رجل من حضرموتَ يقال له عُوَيْمر ، وفى يد شبيب السيف ، فأخذه ، وجثَم عليه الحضرمىّ ، فلما رأى الناسَ قد أقبلوا فى طلبه ، وسيفُ شبيب فى يده ، خشىَ على نفسه ، فتركه ، ونجا شبيب فى غُمار الناس ، فشدّوا على ابن ملجم فأخذوه ، إلاّ أنّ رجلاً من هَمْدان يُكنَى أبا أدْماء أخذَ سيفه فضرب رجله ، فصرَعه ، وتأخّر علىّ ، ورفع فى ظهره جَعْدة بن هبيرة بن أبى وَهْب ، فصلّى بالناس الغَدَاة ، ثم قال علىّ : علىّ بالرجل ، فأُدْخِل عليه ، ثم قال : أى عدوّ الله ، ألم أحسِن إليك ! قال : بلى ، قال : فما حملك على هذا ؟ قال : شحذتُه أربعين صباحًا ، وسألتُ الله أن يقتل به شرّ خلقه ؛ فقال عليه السلام : لا أراك إلا مقتولا به ، ولا أراك إلا مِن شرّ خلقه .

١/٣٤٥٩

وذكروا أن ابن مُلجَم قال قبل أن يَضرِب عليًّا ــ وكان جالسًا فى بنى بَكْر ابن وائل إذ مُرّ عليه بجنازة أبجر بن جابر العجلىّ أبى حجّار ، وكان نصرانيًّا ،

١/٣٤٦٠

(١) عضادة الباب : الخشبة المنصوبة عن يمين الداخل أو شماله .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « من أهله » .

والنصارى حولَه ، وأناس مع حجّار لمنزلته فيهم يمشون فى جانب وفيهم شقيق ابن ثور — فقال ابن ملجم : ما هؤلاء ؟ فأُخبِر الخبر ، فأنشأ يقول :

لئن كان حَجّارُ بنُ أَبْجَرَ مُسْلِمًا لقد بُوعِدَتْ منه جنازةُ أَبْجَرِ

وإن كان حجّارُ بنُ أبجرَ كافرًا فما مِثْلُ هذا من كَفُورٍ بمُنْكَرِ

أَتَرْضَوْنَ هذا أنَّ قَيْسًا ومُسلِمًا جميعاً لدى نَعشٍ ،فياقُبْحَ مَنْظَرِ !

فلولا الَّذى أنوِى لَفَرَّقْتُ جَمْعَهمْ بأَبْيَضَ مَصْقولِ الدِّياسِ مُشَهَّرِ

ولكنّى أنوِى بِذاك وسيلَةً إلى الله أو هذا فخُذ ذاك أو ذَرِ

وذكر أنّ محمد بن الحنفيَّة، قال : كنتُ والله إنى لأصلّى تلك الليلةَ التى ضُرب فيها علىّ فى المسجد الأعظم ، فى رجال كثير من أهل المِصْر ، يصلون قريبًا من السدّة ، ما هم إلاّ قيام وركوعٌ وسجود ، وما يسأمون من أوّل الليل إلى آخره ، إذ خرج علىّ لصلاة الغَداة ، فجعل ينادى : أيُّها الناس ، الصلاةَ الصلاة ! فما أدرى أخرج من السُّدّة فتكلّم بهذه الكلمات أم لا ! فنظرتُ إلى بريق ، وسمعتُ : الحكْم لله يا علىّ لا لك ولا لأصحابك ، فرأيت سيفًا ، ثم رأيت ثانيًا ، ثم سمعتُ عليًّا يقول : لا يفوتنّكم الرجل ، وشدّ الناس عليه من كلّ جانب . قال : فلم أبرح حتى أُخذ ابنُ مُلجَم وأدخِل على علىّ ، فدخلت فيمن دخل من الناس ، فسمعتُ عليًّا يقول : النَّفْس بالنفس ، إن أنا مِتّ فاقتلوه كما قتلَنى ، وإن بقيتُ رأيت فيه رأيى . ٣٤٦١/١

وذكر أنّ الناس دخلوا على الحسن فَزِعين لِما حدث من أمر علىّ ، فبينما هم عنده وابن ملجَم مكتوفٌ بين يديه ، إذ نادته أمُّ كُلثوم بنت علىّ وهى تبكى : أى عدوّ الله ، لا بأسَ على أبى ، والله مخزِيك ! قال : فعلى مَن تبكين ؟ والله لقد اشتريتُه بألف ، وسَمَمْته بألف ، ولو كانت هذه الضَّربة على جميع أهلِ المِصْر ما بقىَ منهم أحد .

وذكر أن جُندَب بن عبد الله دخل على علىّ فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنْ فَقَدناك — ولا نَفْقِدك — فنُبايع الحسن ؟ فقال : ما آمركم

ولا أنهاكم ، أنتمْ أبصر . فردّ عليه مثلها ، فدعا حسناً وحسيناً ، فقال : أوصيكما بتقوى الله ، وألّا تبغيا الدنيا وإن بغتْكما ، ولا تبكيا على شيء زُوِى عنكما ، وقُولَا الحقّ ، وارحما اليتيم ، وأغيثا الملهوف ، واصنَعا للآخرة ، وكونا للظالم خصْماً ، وللمظلوم ناصراً ، واعْملا بما فى الكتاب[1] ، ولا تأخذْكما فى الله لومةُ لائم . ثم نظر إلى محمد بن الحنفيّة ، فقال : هل حفظتَ ما أوصيتُ به أخويْك ؟ قال : نعم ، قال : فإنى أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويْك ، لعظيم حقّهما عليك ، فاتبع أمرَهما ، ولا تقطع أمراً دونَهما. ثم قال : أوصيكُما به ، فإنه شقيقكما ، وابنُ أبيكما ، وقد علمتما أن أبا كما كان يحبّه . وقال للحسن : أوصيك أى بُنَىَّ بتقوى الله ، وإقامِ الصلاة لوقتها ، ١/٣٤٦٢ وإيتاء الزكاة عند محلّها ، وحسنِ الوضوء ، فإنه لاصلاة إلا بطَهور ، ولا تُقبل صلاة من مانع زكاة ، وأوصيكَ بغفْر الذنب ، وكَظْم الغيظ ، وصلة الرَّحِم ، والحلم عند الجهل ، والتفقّه فى الدين ، والتثبّت فى الأمر ، والتعاهُد للقرآن ، وحسن الجِوار ، والأمرِ بالمعروف ، والنهيِ عن المنكر ، واجتناب الفواحش .

فلما حضرتْه الوفاة أوصَى ، فكانت وصيَّته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصَى به علىّ بن أبى طالب ، أوصَى أنه يَشْهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لاشريك له ، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، أرسلَه بالهدى ودينِ الحق ليظهرَه على الدّين كله ولو كره المشركون . ثم إنّ صلاتى ونُسُكى ومَحياىَ ومماتى لله رب العالمين ، لا شريكَ له وبذلك أمِرت وأنا من المسلمين ؛ ثمّ أوصيك يا حسن وجميعَ ولدى وأهلى بتقوى الله ربّكم ، ولا تموتُنّ إلاّ وأنتم مسلمون ، واعتَصِموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ، فإنّى سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « إن صلاحَ ذات البين أفضلُ من عامّة الصلاةِ والصيام » ! انظروا إلى ذوى أرحامِكم فصِلُوهم يهوّن الله عليكم الحساب ، اللهَ اللهَ فى الأيتام ، فلا تُعنوا أفواهَهم ، ولا يضيعُنّ بحضرتكم . واللهَ اللهَ فى جيرانكم ، فإنّهم وصية نبيِّكم صلى الله عليه وسلم ، ما زال يُوصِى

(١) ابن الأثير : « كتاب الله » .

١/٣٤٦٣ به حتى ظننّا أنه سيورّثه . واللهَ اللهَ فى القرآن ؛ فلا يسبقنَّكم إلى العمل به غيرُكم ، واللهَ الله فى الصّلاة ، فإنّها عمود دينكم . واللهَ الله فى بيت ربّكم فلا تُخلّوه ما بقيتم ، فإنه إن تُرِك لم يناظر ، واللهَ الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، والله الله فى الزّكاة ، فإنها تطفئ غضبَ الربّ ، واللهَ الله فى ذمّة نبيكم ، فلا يُظْلَمُنّ بين أظهركم ، واللهَ الله فى أصحاب نبيّكم ، فإنّ رسول الله أوصَى بهم ، واللهَ الله فى الفقراء والمساكين فأشرِكوهم فى معايشكم ، واللهَ الله فيما ملكتْ أيمانكم . الصلاةَ الصلاةَ لا تخافُنّ فى الله لومة لائم ، يكفيكم من أرادكم وبَغَى عليكم . وقولُوا للنّاس حُسْناً كما أمركم الله ، ولا تتركُوا الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر فيولّى الأمر شِراركم ، ثم تدْعُون فلا يُستجاب لكم . وعليكم بالتواصل والتباذُل ، وإيّاكم والتدابر والتقاطُع والتفرّق ، وتعاوَنوا على البِرّ والتقوى ، ولا تَعاوَنوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب . حفظكم الله من أهلِ بيت ، وحفظ فيكم نبيّكم . أستودِعكم الله ، وأقرأ عليكم السلامَ ورحمةَ الله .

ثم لم ينطق إلا «بلا إله إلا الله» حتى قُبِض رضيَ الله عنه ، وذلك فى شهر رمضانَ سنة أربعين ، وغسّله ابناه الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ، وكُفّن

١/٣٤٦٤ فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ، وكبّر عليه الحسن تسع تكبيرات[1] ، ثم ولِيَ الحسن ستة أشهر .

وقد كان علىّ نهى الحسَن عن المُثْلة ، وقال : يابنى عبدالمطلب ، لاألفينّكم تخوضون دماءَ المسلمين ، تقولون : قُتِل أميرالمؤمنين ، قُتِل أمير المؤمنين ! ألا لا يقتلنّ إلا قاتلى . انظر ياحسن ، إنْ أنامِتّ من ضربته هذه فاضربه ضربةً بضربة ، ولا تمثّل بالرّجل ، فإنى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إياكم والمُثْلة ، ولو أنها بالكلب العقور » . فلمّا قُبض عليه السلام بعث الحسن إلى ابن ملجم ، فقال للحسن : هل لك فى خصلة؟ إنى والله ما أعطيتُ الله عهداً إلا وفيتُ به ، إنى كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم أن أقتل عليّاً ومعاويةَ أو أموتَ دونهما ، فإن شئتَ خلّيتَ بينى وبينه ، ولك الله علىّ إن لم أقتله — أو قتلته ثم بقيت — أن آتيك

(١) ابن الأثير والنويرى : « سبع » .

حتى أضعَ يدى فى يدك . فقال له الحسن : أما والله حتى تعاين النارَ فلا . ثم قدّمه فقَتَلَه ، ثم أخذه الناسُ فأدرجوه فى بوارىّ ، ثم أحرَقوه بالنار .

وأما البُرَك بن عبد الله فإنه فى تلك الليلة التى ضرِب فيها علىٌّ قعد لمعاوية ، فلما خرج ليصلّى الغداةَ شدّ عليه بسيفه ، فوقع السيف فى أَلْيَته، فأخِذ ، فقال : إنّ عندى خيراً أسرّك به ، فإن أخبرتُك فنافعى ذلك عندك ؟ قال : نعم ؛ قال : إنّ أخاً لى قتَل عليًّا فى مثل هذه الليلة ، قال : فلعله لم يقدر على ذلك ! قال: بلى، إنّ عليًّا يخرج ليس[1] معه من يَحرُسه؛ فأمر به معاوية فقُتِل . وبعث معاويةُ إلى الساعدىّ — وكان طبيبًا — فلما نظر إليه قال : اختْر إحدى خَصلتين : إما أن أحمِىَ حديدةً فأضعَها موضعَ السيف ، وإمّا أن أسقيَك شربةً تَقطَع منك الولَد، وتبرأ منها ، فإنّ ضرْبتك مسمومة ، فقال معاوية : أمّا النار فلا صبرَ لى عليها ، وأما انقطاع الولد فإنّ فى يزيد وعبد الله ما تَقَرّ به عينى . فسقاه تلك الشربة فبرأ ، ولم يولَد له بعدها ، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحَرَس الليل وقيام الشُّرْطة على رأسه إذا سَجَد .

١/٣٤٦٥

وأما عمرو بن بكر فجلس لعَمرو بن العاص تلك الليلة ، فلم يَخرج ، وكان اشتكى بطنَه ، فأمر خارجة بن حُذافة ، وكان صاحب شُرطَته ، وكان من بنى عامر بن لؤىّ ، فخرج ليصلّى ،فشدّ عليه وهو يرى أنه عمرو ، فضرَبه فقتله ، فأخذه الناس ، فانطلَقوا به إلى عَمرو يسلّمون عليه بالإمْرة ، فقال : مَن هذا ؟ قالوا : عمرو ؛ قال : فمن قتلتُ ؟ قالوا : خارجة بن حُذافة ، قال : أمَا والله يا فاسق ما ظننتُه غيرَك ، فقال عَمرو : أردتَنى وأراد الله خارجة ، فقدّمه عمرو فقَتَلَه ، فبلغ ذلك معاوية ، فكتب إليه :

١/٣٤٦٦

وقَتْلٌ وأسبابُ المَنايا كثيرةٌ	مَنيَّةُ شيخٍ من لؤىٍّ بنِ غالِبِ
فيا عمرُو مَهلاً إنما أنت عَمُّهُ	وصاحبُهُ دون الرجالِ الأقارِبِ
نجَوْتَ وقد بَلَّ المُرادىُّ سَيْفَهُ	مِنِ ابن أبى شيخِ الأَباطِح طالِبِ

---

(١) ف : « وليس » .

ويضرِبُنى بالسيفِ آخَرُ مِثْلهُ فكانَتْ علينا تلك ضربَةَ لازِبِ
وأَنتَ تُناغى كلَّ يوم وليلةٍ بمِصْرِكَ بيضاً كالظِّباء السَّوارِبِ

ولما انتهى إلى عائشةَ قتلُ علىّ — رضى الله عنه — قالت :

فألْقتْ عَصاهَا واستقرَّتْ بها النَّوَى كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المُسافِرُ[1]

فمن قتله ؟ فقيل : رجل من مُراد ؛ فقالت :

فإن يَكُ نائياً فلقد نَعاهُ غُلامٌ ليس فى فيهِ التُّرابُ

فقالت زينب ابنة أبى سلَمة : ألِعلىّ تقولين هذا ؟ فقالت : إنى أنسَى ، فإذا نسيتُ فذكّرونى . وكان الذى ذهب بنعيه سُفيان بنُ عبدِ شمس بن أبى وقّاص الزُّهرىّ . وقال ابن أبى ميّاس المرادىّ فى قتل علىّ :

ونحن ضربْنا يا لكَ الخيْرُ حَيْدَرًا أبا حَسَنٍ مأْمومَةً فتَفَطَّرَا[2]
ونحن خلعْنا مُلكَهُ من نِظامِهِ بضربةِ سيفٍ إذْ عَلاَ وتَجبَّرَا
ونحن كِرامٌ فى الصَّباح أَعِزَّةٌ إذا الموتُ بالموتِ ارْتَدَى وتأزَّرا

٣٤٦٧/١ وقال أيضًا :

ولم أرَ مَهْرًا ساقَهُ ذو سَماحَةٍ كمْهرِ قَطامٍ من فصيحٍ وأعجَم
ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقَيْنَةٌ وضرْبُ علىّ بالحُسام المُصَمّم
فلا مَهْرَ أغلَى من علىٍّ وإن غَلاَ ولا قَتْلَ إلاَّ دون قَتْلِ ابْنِ مُلْجَمِ

وقال أبو الأسوَد الدّؤلىّ :

ألا أَبْلِغْ معاويَةَ بنَ حَرْبٍ فلا قَرَّتْ عيونُ الشامِتِينا[3]
أفى شهرِ الصِّيامِ فَجَعْتُمُونا بخيْرِ الناس طُرًّا أجْمَعينا!

---

(١) اللسان (عصا) ، ونسب لعبد ربه السلمى ؛ ويقال لسليم بن ثمامة الحنفى ، أو معقر بن حمار البارقى . (٢) المأمومة : الشجة التى تبلغ أم الرأس . (٣) ديوانه ٣٢ .

قَتلتُمْ خيرَ مَن رَكِبَ المَطايا ورحَّلَها ومن ركب السَّفينا[١]
ومن لبِسَ النِّعالَ ومن حَذاها ومن قرأَ المَثانِىَ والمُبينا[٢]
إذا اسْتقْبلْتَ وجْهَ أَبى حُسينٍ رأيتَ البـــدرَ راعَ الناظِرينا
لقد علِمَتْ قريشٌ حيثُ كانَتْ بأَنَّكَ خيْرُها حَسَباً ودِينا[٣]

واختُلِف فى سنّه يومَ قُتل ، فقال بعضهم : قُتل وهو ابن تسع وخمسين سنة .

١/٣٤٦٨

وحدّثت عن مصعب بن عبد الله، قال : كان الحسن بن علىّ يقول : قُتل أبى وهو ابن ثمان وخمسين سنة .

وحدّثنا عن بعضهم، قال : قُتل وهو ابن خمس وستين سنة .

وحدّثنى أبو زيد، قال : حدّثنى أبو الحسن، قال : حدّثنى أيوب بن عمر بن أبى عمرو[٤] ، عن جعفر بن محمد، قال : قُتل علىٌّ وهو ابنُ ثلاث وستين سنة . قال : وذلك أصحّ ما قيل فيه.

حدّثنى عمر، قال: حدّثنا يحيى بن عبد الحميد الحِمّانىّ، قال :حدّثنا شريك، عن أبى إسحاق، قال: قتل على عليه السلام وهو ابنُ ثلاث وستين سنة.
وقال هشام : ولِىَ علىٌّ وهو ابنُ ثمان وخمسين سنة وأشهر ؛ وكانت خلافتُه خمسَ سنين إلا ثلاثة أشهر، ثم قتَلَه ابنُ ملجَم — واسمُه عبدالرحمن ابن عمرو — فى رمضانَ لسبع عشرة مضتْ منه، وكانت ولايتُه أربعَ سنين وتسعة أشهر ، وقُتل سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستّين سنة .

وحدّثنى الحارث، قال : حدّثنى ابن سعد، عن محمّد بن عمر ، قال : قُتل علىّ عليه السلام وهو ابن ثلاث وستين سنة صبيحةَ ليلة الجمعة لسبع

(١) الديوان : « وخيّسها » ؛ أى ذللها وراضها . (٢) الديوان : « والمثينا » .
(٣) الديوان : « خيرهم » .
(٤) ط : « عمر » ، وانظر التصويبات.

١/٣٤٦٩ عشرة ليلة خلتْ من شهر رمضانَ سنة أربعين ، ودُفن عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة[١] .

حدّثني الحارث، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال: ضُرِب عليّ عليه السلام ليلة[٢] الجمعة ، فمكث يومَ الجمعة وليلةَ السبت ، وتوفّى ليلةَ الأحد لإحدَى عشرةَ ليلة بقيتْ من شهر رمضانَ سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وحدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد، قال : أخبرَنا محمد بن عمرَ ، قال: حدّثنا عليّ بن عمر وأبو بكر السَّبْرىّ ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعتُ محمد بنَ الحنفيّة يقول سنة الجحاف [حين] [٣] دخلت سنة إحدى وثمانين هذه ولي خمسٌ وستون سنة ، قد جاوزتُ سنّ أبي ؛ قيل : وكم كانت سنُّه يوم قُتِل ؟ قال: قُتِل وهو ابن ثلاث وستين سنة [٤] .

وقال الحارث : قال ابن سعد : قال محمد بن عمر كذلك ، وهو الثَّبَت عندنا[٤] .

* * *

ذكر الخبر عن قدر مدّة خلافته

حدّثني أحمد بن ثابت، قال : حُدثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي مَعْشر، قال : كانت خلافةُ عليّ خمسَ سنين إلا ثلاثة أشهر .

١/٣٤٧٠ وحدّثني الحارث ، قال :حدّثني ابن سعد قال : قال محمّد بن عمر : كانت خلافة عليّ خمسَ سنين إلا ثلاثة أشهر [٥] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٦ : ١٢ .
(٢) ف : « يوم » .
(٣) من طبقات ابن سعد .
(٤) طبقات ابن سعد ٣ : ٣٨ .
(٥) ف : « خلافته أربع سنين وتسعة أشهر » .

حدّثني أبو زيد، قال : قال أبو الحسن : كانت ولايةُ على أربعَ سنين وتسعة أشهر ، ويوماً أو غيرَ يوم .

* * *

ذكر الخبر عن صفته

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال : أخبَرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبى فَرْوة ، قال : سألت أبا جعفر محمد بن علىّ، قلت : ما كانت صفة علىّ عليه السلام ؟ قال : رجلٌ آدَم شديد الأُدْمة ثقيلُ العيْنين عظيمُهما ، ذو بطن ، أصلَع ، هو إلى القِصَر أقرَب[1] .

* * *

ذكر نسبه عليه السلام

هو علىٌّ بنُ أبى طالب ، واسم أبى طالب عبدُ مناف بن عبدِ المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، وأمه فاطمة بنت أسد بنِ هاشم بن عبدِ مناف .

* * *

ذكر الخبر عن أزواجه وأولاده

فأوّل زوجة تزوّجها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتزوّج عليها حتّى توفِّيتْ عنده ، وكان لها منه من الولد: الحسنُ والحسين ، ويُذْكر أنه كان لها منه ابنٌ آخر يسمى مُحْسِنا توفى صغيراً ، وزينب الكبرى ، وأم كلثوم الكبرى .

ثم تزوّج بعدُ أمَّ البنين بنت حزام — وهو أبو المجْل بن خالد بن ربيعة ابن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب — فولد لها منه العباس ، وجعفر ، وعبد الله ، وعثمان ، قُتِلوا مع الحسين عليه السلام بكَرْبَلاء ، ولا بقيّة لهم غير العباس . ٣٤٧١/١

وتزوّج ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن رِبعىّ بن سَلْمى بن جَنْدل

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٧ .

ابن نَهشَل بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، فولدتْ له عُبَيد الله وأبا بكر . فزعم هشام بنُ محمد أنهما قُتِلا مع الحسين بالطَّفّ . وأما محمد بن عمرَ فإنه زعم أن عبيد الله بن عليّ قتله المختار بن أبي عُبيد بالمذار ، وزعم أنه لا بقيّة لعبيد الله ولا لأبي بكر ابني عليّ عليه السلام .

وتزوّج أسماءَ ابنة عُميس الخثعميَّة ، فولدتْ له — فيما حُدّثت عن هشام بن محمد — يحيى ومحمداً الأصغر ، وقال : لا عَقِبَ لهما .

وأما الواقديّ فإنه قال فيما حدّثني الحارث، قال : حدّثنا ابن سعد، قال : أخبَرنا الواقديّ أن أسماء ولدتْ لعليّ يحيى وعوناً ابني عليّ . ويقول بعضهم : محمّد الأصغر لأمّ ولد ، وكذلك قال الواقديّ في ذلك ؛ وقال : قتل محمد الأصغر مع الحسين .

١/٣٤٧٢ وله من الصّهباء — وهي أمّ حبيب بنت ربيعة بن بُجَير بن العبد بن علقمة ابن الحارث بن عُتْبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غَنْم بن تغلب بن وائل ؛ وهي أمّ ولد من السبي الذين أصابهم خالدُ ابن الوليد حين أغار على عين التَّمْر على بني تغلب بها — عمر بن عليّ ، ورقية ابنة عليّ ، فعُمِّر عمر بن عليّ حتى بلغ خمساً وثمانين سنة، فحاز نصفَ ميراث عليّ عليه السلام ، ومات بيَنْبُع .

وتزوّج أمامة بنت أبي العاصي بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس ابن عبد مناف ، وأمها زينب بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فولدت له محمداً الأوسط .

وله محمد بن علي الأكبر ، الذي يقال له : محمد بن الحنفيّة ، أمه خَوْلة ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يَربوع بن ثعلبة بن الدُّول ابن حَنيفة بن لُجيم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل ، توفّيَ بالطائف فصلّى عليه ابنُ عبّاس .

وتزوّج أمّ سعيد بنت عروة بن مسعود بن معتّب بن مالك الثّقفيّ ، فولدت له أمّ الحسن ورملة الكبرى .

وكان له بنات من أمهات شتّى لم يسمّ لنا أسماء أمهاتهن ؛ منهن أم هانئ ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورملة الصغرى ، وأمّ كلثوم الصغرى وفاطمة ، وأمامة ، وخديجة ، وأمّ الكرام ، وأمّ سلمة ، وأمّ جعفر ، وجُمانة ، ونفيسة بنات علىّ عليه السلام ؛ أمهاتهن أمهات أولادٍ شتى . ٣٤٧٣/١

وتزوّج محيّاة ابنة امرئ القيس بن عدىّ بن أوس بن جابر بن كعب ابن عُلَيم من كلب ، فولدتْ له جارية ، هلكتْ وهى صغيرة . قال الواقدىّ: كانت تخرج إلى المسجد وهى جارية فيقال لها : مَن أخوالُكِ ؟ فتقول وه ، وه — تعنى كَلْبًا .

فجميع ولدِ علىّ لصلبه أربعة عشر ذكرًا ، وسبعَ عشرةَ امرأة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد عن الواقدىّ ، قال : كان النسل من ولد علىّ لخمسة : الحسَن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفيّة ، والعباس بن الكلابيّة ، وعمر بن التغلبيّة .

* * *

ذكر وُلاته

وكان واليه على البَصرة فى هذه السنة عبدُالله بن العباس ، وقد ذكرْنا اختلافَ المختلفين فى ذلك[1] ، وإليه كانت الصّدَقات والجند والمعاون أيّام ولايته كلّها ، وكان يستخلف بها إذا شخص عنها على ما قد بيّنْتُ قبلُ .

وكان على قضائها من قِبَل علىّ أبو الأسود الدّؤلىّ ، وقد ذكرت ما كان من توليته زيادًا عليها ، ثم إشخاصه إياه إلى فارسَ لحربها وخَراجِها ، فقتل وهو بفارسَ ، وعلى ما كان وجّهه عليه . ٣٤٧٤/١

وكان عامله على البحرين ومايليها واليَمَن ومخاليفِها عُبيد الله بن العباس ، حتّى كان من أمره وأمر بُسر بن أبى أرطاةَ ما قد مضى ذكرُه .

وكان عامله على الطائف ومكّة وما اتصل بذلك قُثَم بن العباس .

---

(١) ف « فى أمره » .

وكان عامله على المدينة أبو أيّوب الأنصاريّ ، وقيل : سهل بن حُنيف ، حتّى كان من أمره عند قدوم بُسْر ما قد ذُكِر قبل .

* * *

ذكر بعض سيَره عليه السلام

حدّثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرَنا وَهْب ، قال : أخبرنى ابن أبى ذِئْب ، عن عباس بن الفَضْل مولَى بنى هاشم ، عن أبيه ، عن جدّه ابن أبى رافع ، أنه كان خازنًا لعلىّ عليه السلام على بيت المال ، قال : فدخل يومًا وقد زُيِّنت ابنته ، فرأى عليها لؤلؤةً من بيت المال قد كان عرفها ، فقال : من أين لها هذه ؟ لله علىّ أن أقطع يدَها ؛ قال : فلما رأيتُ جِدّه فى ذلك قلتُ : أنا واللهِ يا أميرَ المؤمنين زَيّنتُ بها ابنةَ أخى ، ومن أين كانت تَقدر عليها لو لم أعطِها ! فسكَت . ٣٤٧٥/١

حدّثنى إسماعيل بن موسى الفَزارىّ ، قال : حدّثنا عبد السلام بن حرب ، عن ناجية القرشىّ ، عن عمّه يزيد بن عدىّ بن عثمان ، قال : رأيت عليًّا عليه السلام خارجًا من هَمْدان ، فرأى فئتين[١] يقتتلان ، ففرّق بينهما ، ثم مضى فسمع صوتًا . ياغوثا بالله[٢]! فخرج يُحضِر[٣] نحوَه حتى سمعتُ خَفْقَ نعلِه وهو يقول : أتاك الغَوْث ؛ فإذا رجل يلازم رجلا ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، بعتُ[٤] هذا ثوبًا بتسعة[٥] دراهم ، وشرطتُ عليه ألّا يعطيَنى مغموزًا ولا مقطوعًا — وكان شرطهم يومئذ — فأتيتُه بهذه الدراهم ليبدّلها[٦] لى فأبَى ، فلزِمته فلَطَمنى ، فقال : أبدِلْه ؛ فقال : بيِّنتَك على اللّطمة ؛ فأتاه بالبينة ، فأقعده ثم قال : دونَك فاقتصّ ؛ فقال : إنّى

---

(١) ف : « قينتين » ؛ ابن الأثير : « رجلين » .
(٢) ف : « ياغوثاه ياغوثاه » .
(٣) يحضر : يسرع .
(٤) ف : « بعت من هذا » .
(٥) ف وابن الأثير : « بسبعة » .
(٦) ف : « ليبدل لى » .

قد عفوتُ يا أميرَ المؤمنين ، قال : إنما أردتُ أن أحتاط فى حقّك ، ثم ضرب الرجلَ تسعَ دِرّات ، وقال : هذا حقّ السلطان .

حدّثنى محمد بن عمارة الأسدىّ ، قال : حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن الأصْبهانىّ ، قال : حدّثنا المسعودىّ ، عن ناجية ، عن أبيه ، قال : كنا قياماً على باب القصر ، إذ خرج علىٌّ علينا ، فلما رأيناه تنحّينا عن وجهه هيبةً له ، فلما جاز صرْنا خلفَه ، فبينا هو كذلك إذ نادى رجل ياغوثا بالله ! فإذا رجلان يقتتِلان[1] ، فلكزَ صدرَ هذا وصدرَ هذا ، ثم قال لهما : تنحّيا ، فقال أحدهما : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ هذا اشترى منى شاةً ، وقد شرطتُ عليه ألّا يعطيَنى مغموزاً ولا محذّفاً ، فأعطانى دِرْهماً مغموزاً ، فرددتُه عليه فلطَمنى ؛ فقال للآخر : ما تقول ؟ قال : صَدَقَ يا أميرَ المؤمنين ، قال : فأعطه شرطَه ، ثم قال لِلّاطِم : اجلِس ، وقال لِلملْطوم : اقتصّ . قال : أوَ أعفو يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : ذاك إليك ؛ قال : فلما جاز الرجل قال علىّ : يا معشر المسلمين ، خذوه ؛ قال : فأخذوه ، فحُمِل على ظهرِ رجل كما يُحمَل صبيان الكتّاب ، ثم ضربه خمسَ عشرةَ دِرّة ، ثم قال : هذا نَكالٌ لِما انتهكتَ من حرمتِه .

١ / ٣٤٧٦

حدّثنى ابن سنان القزّاز ، قال : حدّثنا أبو عاصم ، قال : حدّثنا سُكَين ابن عبد العزيز ، قال : أخبرَنا حفص بن خالد ، قال : حدّثنى أبى خالد بن جابر قال : سمعتُ الحسن يقول : لما قُتِل علىّ عليه السلام وقد قام خطيباً ، فقال : لقد قتلتم الليلةَ رجلا فى ليلة فيها نزل القرآن ، وفيها رُفع عيسى بن مريمَ عليه السلام ، وفيها قُتل يوشع بن نون فتَى موسى عليهما السلام . والله ماسبقَه أحد كان قبله ، ولا يدركُه أحد يكون بعدَه ، والله إن كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليبعثه فى السرّية وجبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، واللهِ ما ترك صَفراءَ ولا بيضاءَ إلا ثمانمائة — أو سبعمائة — أرصَدَها لخادمه .

---

(١) ف : « مثل المرتين يلكز ذا صدر ذا وذا صدر ذا » .

ذكر بيعة الحسن بن علىّ

وفى هذه السنة — أعنى سنة أربعين — بويع للحسن بن علىّ عليه السلام بالخلافة ؛ وقيل : إنّ أوّل مَن بايعه قيس بن سعد ، قال له : ابسُط يَدك أبايعْك على كتاب الله عزّ وجلّ ، وسنّة نبيّه ، وقتال [١] المُحِلّين ؛ فقال له الحسن رضى الله عنه : على كتاب الله وسنّة نبيّه ؛ فإنّ [٢] ذلك يأتى من وراء كلّ شَرْط [٢] ؛ فبايَعَه وسَكَت ، وبايَعَه الناس .

وحدّثنى عبد الله بن أحمد بن شبّويه المروزىّ ، قال : حدّثنا أبى قال : حدّثنا سليمان ، قال : حدّثنا عبد الله ، عن يونس ، عن الزُّهرىّ ، قال : جعل علىّ عليه السلام قيس بن سعد على مقدّمته من أهلِ العراق إلى قِبَل أذْرَبيجان ، وعلى أرضها وشُرْطة الخميس [٣] الذى ابتدعه من [٤] العرب ، وكانوا أربعين ألفًا ، بايعوا عليًّا عليه السلام على الموت ، ولم يزل قيس يدارِئ [٥] ذلك البعثَ حتى قُتل علىّ عليه السلام ؛ واستَخلَف أهل العراق الحسنَ بن علىّ عليه السلام على الخلافة ، وكان الحسن لا يرى [٦] القتال ، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ، ثمّ يدخل فى الجماعة ، وعرف الحسن أنّ قيس بن سعد لا يوافقه على رأيه ، فنزعه وأمّر عبيد الله [٧] بنَ عبّاس ، فلما علم عبد الله بن عباس بالذى يريد الحسن عليه السلام أن يأخذه [٨] لنفسه كتب إلى معاوية يسأله الأمان ، ويشترط لنفسه على الأموال التى أصابها ، فشرط ذلك له معاوية .

٢/٢

---

(١) س : « وقتل » .
(٢ — ٢) ابن الأثير : « فإنهما يأتيان على كل شرط » .
(٣) س : « الجيش » .
(٤) ط : « التى ابتدعتها العرب» .
(٥) يدارئ : يدافع ، وفى ف : « يوارى » .
(٦) س : « يريد » .
(٧) ط : « عبد الله » .
(٨) س : « يأخذ » .

وحدّثني موسى بن عبد الرحمن المسروقيّ ، قال : حدّثنا عثمان بن عبد الحميد أو ابن عبدالرحمن الحرّانيّ الخزاعيّ أبو عبد الرحمن، قال : حدّثنا إسماعيل بن راشد، قال : بايع الناسُ الحسنَ بن عليّ عليه السلام بالخلافة ، ثم خرج بالناس حتى نزل المدائن[١] ، وبعث قيسَ بن سعد على مقدّمته في اثني عشر ألفًا ، وأقبل معاويةُ في أهل الشأم حتى نزل مَسكِن ، فبينا[٢] الحسن في المدائن[٣] إذ نادى مناد في العسكر : ألا إنّ قيسَ بنَ سعد قد قُتِل ، فانفِرُوا ، فنفروا ونَهبُوا سُرادِق الحسن عليه السلام حتى نازَعوه بِساطًا كان تحته ، وخرج الحسن حتى نزل المقصورةَ[٤] البيضاء بالمدائن ، وكان عمّ المختار بن أبي عُبيد عاملاً على المدائن، وكان اسمه سعد بن مسعود، فقال له المختار وهو غلام شابّ : هل لك في الغِنَى والشرف ؟ قال : وما ذاك؟ قال : تُوثِق الحسن ، وتَستأمِن[٥] به إلى معاوية ، فقال له سعد : عليك لعنةُ الله ، أثِبُ على ابن بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوثِقه ! بئس الرجل أنت ! فلما رأى الحسنُ عليه السلام تفرُّقَ الأمر عنه[٦] بَعَث إلى معاوية يطلب الصّلحَ ، وبعث معاويةُ إليه عبدَالله بن عامر وعبد الرحمن ابن سمُرة بن حبيب[٧] بن عبد شمس ، فقَدِما على الحسن بالمدائن ، فأعطَياه ما أراد ، وصالَحاه على أن يأخذ من بيت مالِ الكوفة[٨] خمسةَ آلاف ألف في أشياءَ اشترطها . ثم قام الحسن في أهل العراق فقال : يا أهلَ العراق، إنه سَخَّى[٩] بنفسي عنكم ثلاث : قتلُكم أبي ، وطعنُكم إيايّ ، وانتهابُكم مَتاعي.

٣/٢

(١) س : «بالمدائن» .
(٢) س : «فبينما» .
(٣) س : «بالمدائن» .
(٤) س : «بالمقصورة» .
(٥) ف : «وتصير» .
(٦) ف : «عليه» .
(٧) ف : «جندب» .
(٨) ف : «المال بالكوفة» .
(٩) ف : «يسخي» .

ودخل الناس فى طاعة معاوية ، ودخل معاوية الكوفةَ ، فبايعه الناس

قال زياد بن عبد الله ، عن عوانة ؛ وذكر نحوَ حديث المسروقىّ ، عن عثمان بن عبد الرحمن هذا ، وزاد فيه : وكتب الحسن إلى معاوية فى الصلح ، وطلب الأمان ، وقال الحسن للحسين ولعبد الله بن جعفر : إنى قد كتبتُ إلى معاوية فى الصلح وطلب الأمان ؛ فقال له الحسين : نشدْتُكَ اللهَ أن تصدِّق أحدوثةَ معاوية ، وتكذّب أحدوثةَ علىّ ! فقال له الحسن : اسكُت ، فأنا أعلم بالأمر منك . فلمّا انتهى كتابُ الحسن بن علىّ عليه السلام إلى معاوية ، أرسل معاويةُ عبدَالله بن عامر وعبد الرحمن بن سَمُرة ، فقدِما المدائن ، وأعطيا[1] الحسن ما أرادَ ، فكتب الحسن إلى قيس بن سعد وهو على مقدّمته فى اثنى عشر ألفًا يأمره بالدّخول فى طاعة معاوية ، فقام قيس بن سعد فى الناس فقال : يأيّها الناس ، اختاروا الدخولَ فى طاعة إمام ضلالة ، أو القتال مع غير إمام ؛ قالوا : لا ، بل نختار أن ندخل فى طاعة إمام ضلالة . فبايَعوا لمعاوية ، وانصرف عنهمْ قيس بن سعد[2] ، وقد كان صالَح الحسنُ معاويه [2] على أن جعل له ما فى بيت ماله وخراج دارا بجرد على ألاَّ يُشتَمَ علىٌّ[3] وهو يسمَع . فأخذ ما فى بيت مالِه بالكوفة ، وكان فيه خمسة آلاف ألف .

٤/٢

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة المغيرةُ بن شُعْبة . حدثنى موسى بن عبد الرحمن ، قال : حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن الخُزاعىّ أبو عبد الرحمن ، قال : أخبرنا إسماعيل بن راشد قال : لما حضر الموسم — يعنى فى العام الذى قُتِل فيه علىّ عليه السلام — كتب المغيرهُ بنُ شعبة كتابًا افتعلهُ على لسان معاوية ، فأقام للناس الحجّ سنة أربعين ، ويقال : إنّه عرّف يوم التروية ، ونحر يوم عرفة ، خوفاً أن يفطن بمكانه . وقد قيل : إنه إنما فعل ذلك المغيرة لأنه بلغه أن عُتبة بن أبى سُفيان مصبّحه واليًا على

(١) ف : « فأعطيا » .

(٢–٢) ف : « وكان الحسن صالح معاوية » .

(٣) س : « على ألا يشتم « عليا » .

الموسم ، فعجل الحجّ من أجل ذلك .

* * *

وفى هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء ؛ حدّثنى بذلك موسى بن عبد الرحمن ، قال : حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أخبرنا إسماعيل ابن راشد — وكان قبل يدعَى بالشأم أميراً — وحُدّثت عن أبى مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز ، قال : كان علىّ عليه السلام يُدعَى بالعراق أميرَ المؤمنين ، وكان معاوية يدعَى بالشأم : الأمير ، فلما قُتل علىّ عليه السلام دُعِيَ معاوية : أمير المؤمنين . ٢/٥

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك تسليم الحسن بن علىّ عليه السلام الأمرَ إلى معاوية ودخول معاويةَ الكوفة ، وبيعة أهل الكوفة معاويةَ بالخلافة .

* ذكر الخبر بذلك :

حدّثنى عبد الله بن أحمد المروزىّ ، قال : أخبرنى أبى ، قال : حدّثنا سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن يونس ، عن الزُّهرىّ ، قال : بايع أهلُ العراق الحسنَ بنَ علىّ بالخلافة[1] ، فطفِق يشترط عليهم الحسن : إنكم سامعون مطيعون ، تُسالِمون مَنْ سالمْت ، وتحارِبون مَن حاربت ، فارتاب أهلُ العراق فى أمرِهم حين اشترط عليهم هذا الشرط ، وقالوا: ما هذا لكم بصاحب ، وما يريد هذا القتال ؛ فلم يلبث الحسنُ عليه السلام بعدَ ما بايعوه إلا قليلا حتى طُعِن طعنةً أشوَتْه[2] ، فازداد لهم بُغْضًا ، وازداد منهم ذُعْراً ، فكاتب معاوية ، وأرسل إليه بشروط ، قال : إن أعطيتَنى هذا فأنا سامع مطيع ، وعليك أن تفىَ لى به . ووقَعت صحيفةُ الحسن فى يد معاوية، وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن بصحيفة بيضاء ، مختوم على أسفلها ، وكتب إليه أن اشترِط فى هذه الصحيفة التى ختمتُ أسفلَها ما شئت فهو لك .

٦/٢ فلما أتت الحسنَ اشترط أضعافَ الشروط التى سأل معاوية قبل ذلك ، وأمسكها عنده ، وأمسك معاويةُ صحيفةَ الحسن عليه السلام التى كتب إليه يسأله ما فيها ، فلما التقى معاويةُ والحسن عليه السلام، سأله الحسن أن يعطيَه الشروط التى شرَط فى السجلّ الذى ختم معاوية فى أسفله، فأبى معاوية أن يعطيَه ذلك ، فقال : لك ما كنتَ كتبت إلىّ أوّلا تسألنى أن أعطيَكَه[3] ، فإنى قد أعطيتُك حين جاءنى كتابك . قال الحسن عليه السلام : وأنا قد

(١) س : « على الخلافة » .
(٢) أشوته : نالت منه ولم تصب مقتله .
(٣) س : « أعطيك » .

اشترطتُ حين جاءنى كتابُك ، وأعطيتنى العهد على الوفاء بما فيه . فاختلفا فى ذلك ، فلم يُنفذ للحسن عليه السلام من الشروط شيئًا ، وكان عَمرو بنُ العاص حين اجتمعوا بالكُوفة قد كلّم معاوية ، وأمره أن يأمر الحسن أن يقوم ويخطب الناس ، فكره ذلك معاوية ، وقال : ما تريد إلى أن يَخْطُبَ[1] الناس ! فقال عَمرو : لكنى أريد أن يَبدُوَ عِيُّه للناس ؛ فلم يزل عَمرو بمعاوية حتى أطاعه ، فخرج معاوية فخطب الناس ، ثم أمر رجلا فنادى الحسنَ بن علىّ عليه السلام ؛ فقال : قم يا حَسَن فكلّم الناس ، فتَشهّد فى بديهةِ أمرٍلم يروّ فيه ، ثم قال : أما بعد ، يأيّها الناس ، فإن الله قد هداكم بأوّلنا ، وحقَن دماءَكم بآخرِنا ، وإن لهذا الأمر مدّة ، والدنيا دُوَل ، وإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[2] ؛ فلمّا قالها قال معاوية : اجلس ، فلم يزل ضَرِماً على عَمرو ، وقال : هذا من رأيك . ولحق الحسن عليه السلام بالمدينة .

٧/٢ حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : سلّم الحسن بن علىّ عليه السلام إلى معاوية الكوفَة ، ودخلها معاويةُ لخمس بقِين من ربيع الأوّل ، ويقال من جُمادَى الأولى سنة إحدى وأربعين .

* * *

[ذكر خبر الصلح بين معاوية وقيس بن سعد]

وفى هذه السنة جرى الصّلحُ بين معاويةَ وقيس بن سعد بعد امتناع قيس من بيعته .

* ذكر الخبر بذلك :

حدّثنى عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ابن الفَضْل ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن يونس ، عن الزُّهرىّ ، قال : لما كتب عبيدُ الله بنُ عباس حين علم ما يريد الحسن من معاوية من طلب الأمان لنفسه[3] إلى معاوية يسأله الأمان ، ويشترط لنفسه على الأموال التى قد أصاب ،

---

(١) كذا فى س ، وفى ط : « أخطب » . (٢) سورة الأنبياء : ١١١ .
(٣) ف : « من طلب الأمان من معاوية » .

فشَرَط ذلك له معاوية ، بعث إليه معاوية ابنَ عامر فى خيلٍ عظيمة ، فخرج إليهم عبيد الله ليلا حتى لحِق بهم ، ونزل وترك جندَه الذى هو عليه[1] لا أمير لهم ، فيهم قيسُ بن سعد ، واشترط الحسنُ عليه السلام لنفسه ، ثم بايع معاوية، وأمّرت شُرْطةُ الخميس قيسَ بنَ سعد على أنفسهم، وتعاهدوا هو وهم على قتالِ معاوية حتى يشترط لشيعة علىّ عليه السلام ولمن كان اتّبعه على أموالهم ودمائهم . وما أصابوا فى الفتنة ؛ فتخلّص معاويةُ حين فرغ من عبيد الله ابن عباس والحسن عليه السلام إلى مكايدة رجل هو أهمّ الناس عنده مكايدةً،

٨/٢ ومعه أربعون ألفًا ، وقد نزل معاوية بهم وعمرو وأهل الشأم ، وأرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكّره اللهَ ويقول : على طاعةِ مَن تقاتل، وقد بايعَنى الذى أعطيتَه طاعتك ؟ فأبى قيس أن يَلينَ له، حتى أرسل إليه معاوية بسِجِلٍّ قد ختم عليه فى أسفله، فقال: اكتب فى هذا السجلّ ما شئتَ ، فهو لك . قال عمرو لمعاوية : لا تُعطِه هذا ، وقاتِلْه ، فقال معاوية : على رِسْلِكَ ! فإنا لا نَخلُص إلى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعدادَهم من أهل الشأم ، فما خيرُ العيش بعد ذلك ! وإنى والله لا أقاتله أبداً حتى لا أجد من قتاله بدًّا . فلما بعث إليه معاوية بذلك السجلّ اشترط قيس فيه له ولشيعة علىّ الأمان على ما أصابوا من الدّماء والأموال، ولم يسأل معاوية فى سجلّه ذلك مالاً[2]، وأعطاه معاوية ما سأل ، فدخل قيس ومَن معه فى طاعته ، وكانوا يَعُدّون دهاةَ الناس حين ثارت الفتنة خمسةَ رهْط ، فقالوا : ذوو رأى العرب ومكيدتهم: معاوية بن أبى سُفْيان ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وقيس بن سعد ؛ ومن المهاجرين عبد الله بن بُدَيل الخُزاعىّ ؛ وكان قيس وابن بُدَيل مع علىّ عليه السلام ، وكان المغيرة بن شعبة وعمرو مع معاوية ، إلا أنّ المغيرة كان معتزلا بالطائف حتى حُكّم الحكَمان ، فاجتمعوا بأذرُح .

وقيل : إنّ الصلح تمّ بين الحسَن عليه السلام ومعاوية فى هذه السنة فى

٩/٢ شهر ربيع الآخر ، ودخل معاوية الكوفة فى غرّة جمادى الأولى من هذه

---

(١) ف : « عليهم » .

(٢ – ٢) س : « شيئاً إلا أعطاه من مال » .

السنة ، وقيل : دَخلَها فى شهر ربيع الآخر ، وهذا قول الواقدىّ .

* * *

[دخول الحسن والحسين المدينة منصرفين من الكوفة]

وفى هذه السنة دخل الحسنُ والحسين ابنا علىّ عليه السلام منصرِفَين من الكوفة إلى المدينة .

* ذكر الخبر بذلك :

ولما وقع الصلح بين الحسن عليه السلام وبين معاوية بمسكِن ، قام — فيما حُدّثت عن زياد البَكّائىّ ، عن عوانة — خطيباً فى الناس فقال : يا أهلَ العراق ، إنه سخَّى بنفسى عنكم ثلاث : قتلُكم أبى ، وطعنُكم إيّاى ، وانتهابُكم متاعى . قال : ثم إن الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر خرجوا بحَشَمهم [١] وأثقالهم حتى أتَوا الكوفة ، فلما قَدِمها الحسن وبَرَأ من جِراحته ، خرج إلى مسجد الكوفة فقال : يا أهل الكوفة ، اتقوا الله فى جِيرانكم وضِيفانكم ، وفى أهل بيتِ نبيِّكم صلى الله عليه وسلم الذين أذهبَ الله عنهم الرجسَ وطهّرهم تطهيراً. فجعل الناسُ يبكون، ثم تحمَّلوا إلى المدينة . قال : وحال أهلُ البصرة بينه وبين خَراج دارا بجرد ؛ وقالوا : فيئنا ، فلما خرج إلى المدينة تلقّاه ناسٌ بالقادسيّة فقالوا : يا مُذِلّ العَرَب !

* * *

[ذكر خروج الخوارج على معاوية]

وفيها خرجت الخوارجُ [٢] التى اعتزلتْ أيام علىّ عليه السلام بشَهْرَزور على معاوية .

* ذكر خبرهم :

حدّثت عن زياد ، عن عَوانة ، قال : قدم معاوية قبل أن يَبرَح الحسن من الكوفة حتى نزل النُّخَيلة ، فقالت الحَرُوريّة الخمسمائة التى كانت اعتزلتْ ١٠/٢

---

(١) س : « بجيشهم » .
(٢) س : « الخارجة » .

بشَهْرَزُور مع فَرْوة بن نوفل الأشجعيّ : قد جاء الآن ما لا شكّ[١] فيه ، فسيروا إلى معاوية فجاهِدوه . فأقبلوا وعليهم فَروة بن نوفل حتى دخلوا الكُوفة ، فأرسل إليهم معاويةُ خيلاً من خيل أهل الشأم ، فكشَفوا أهلَ الشأم ، فقال معاوية لأهل الكوفة : لا أمانَ لكم واللهِ عندى حتى تكفّوا بَوائقكم ؛ فخرج أهلُ الكوفة إلى الخوارج فقاتَلوهم ، فقالت لهم الخوارج : ويْلكم ! ما تَبْغُون منّا ! أليس معاوية عدوّنا وعدوّكم ! دعُونا حتى نُقاتِله ، وإن أصبْناه كنا قد كَفَيناكم عدوّكم ، وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا ، قالوا : لا والله حتى نقاتِلكم ؛ فقالوا[٢] : رحم[٣] اللهُ إخوانَنا من أهل النّهر ، هم كانوا أعلمَ بكم يا أهلَ الكوفة . وأخذتْ أشجعُ صاحبَهم فَرْوة بن نوفل — وكان سيّد القوم — واستعملوا عليهم عبدَالله بن أبى الحُرّ — رجلا من طيّئ — فقاتَلوهم ، فقتِلوا ، واستعمل معاوية عبدَالله بن عَمرو بن العاص على الكُوفة ، فأتاه المغيرةُ بن شُعبة وقال لمعاوية : استعملتَ عبد الله بن عَمرو على الكوفة وعَمرًا على مصر ، فتكون أنت بين لَحيَىِ الأسَد ! فعزلَ عبدالله[٤] ، واستعمَلَ المغيرةَ بن شعبة على الكوفة ، وبلغ عمراً ما قال المغيرة لمعاوية ، فدخل عمرو على معاوية فقال : استعملتَ المغيرةَ على الكوفة ؟ فقال : نعم ؛ فقال : أجَعلتَه على الخراج ؟ فقال : نعم ؛ قال : تستعمل المغيرةَ على الخراج فيغتال المالَ ، فيذهب فلا تستطيع أن تأخذ منه شيئاً ؛ استعمِل على الخراج مَن يَخافك ويهابُك[٥] ويتّقيك . فعزل المغيرةَ عن الخراج ، واستعمله على الصّلاة ، فلقىَ المغيرةُ عَمراً فقال : أنت المشيرُ على أمير المؤمنين بما أشرتَ به فى عبدِ الله ؟ قال : نعم ؛ قال : هذه بتلك ؛ ولم يكن عبدُالله بنُ عَمرو بن العاص مضى فيما بلغنى إلى الكوفة ولا أتاها .

١١/٢

* * *

(١) س : « يشك » .
(٢) ف : « قالوا » .
(٣) س : « يرحم » .
(٤) كذا فى س ، وفى ط : « فعزله عنها » .
(٥) س : « رجلا يهابك ويخافك » .

[ذكر ولاية بسر بن أبي أرطاة على البصرة]

وفى هذه السنة[١] غلب حُمران بن أبان على البَصْرة ، فوجّه إليه معاوية بُسراً ، أمره بقتل بنى زياد .

* ذكر الخبر عمّا كان من أمره فى ذلك[٢] :

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : لما صالح الحسن بن علىّ عليه السلام معاويةَ أوّل سنة إحدى وأربعين ، وثَب حُمران ابن أبان على البصرة فأخذها ، وغلب عليها ، فأراد معاوية أن يَبعث رجلا من بنى القَيْن إليها ، فكلّمه عبيدُالله بن عباس ألّا يَفعل ويبعث غيره ، فبعث بُسر بن أبى أرطاة ، وزعم أنه أمرَه بقتل بنى زياد .

فحدّثنى مَسلمة بن مُحارب ، قال : أخذ بعض بنى زياد فحبسه — وزياد يومئذ بفارس ، كان علىّ عليه السلام بعثَه إليها إلى أكراد خرجوا بها ، فظَفر بهم زياد ، وأقام بإصْطَخْر — قال : فركب أبو بكْرة إلى معاوية وهو بالكوفة ، فاستأجَل بُسرًا ، فأجّله أسبوعًا ذاهبًا وراجعًا ، فسار سبعة أيام ، فقتل تحته دابّتين ، فكلّمه ، فكتب معاوية بالكفّ عنهم .

قال : وحدّثنى بعضُ علمائنا ؛ أنّ أبا بكْرة أقبل فى اليوم السابع وقد طلعت الشمس ، وأخرج بُسْر بنى زياد ينتظر بهم غروبَ الشمس ليقتلَهم إذا وجبتْ ، فاجتمع الناس لذلك وأعينُهم طامحة ينتظرون أبا بكْرة ، إذ رُفع علم على نَجِيب أو برْذَون يكُدُّه ويجهده ، فقام عليه ، فنزل عنه ، وألاح بثوبه ، وكبّر وكبّر الناسُ ، فأقبل يسعى على رجليه[٣] حتى أدرك بُسْرًا قبل أن يقتلَهم ، فدفع إليه كتابَ معاوية ، فأطلقهم . ١٢/٢

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : خطب بُسْر على منبر

---

(١) س : « وفيها » .

(٢) س : « ذكر الخبر عن الكائن من أمرهم » .

(٣) ف : « يسير على راحلته » .

البَصرة ، فَشتَم عليًّا عليه السلام ، ثم قال: نشدْتُ [١] الله رجلا عَلِم أنى صادق إلا صَدّقنى ، أو كاذب إلا كذّبنى! قال : فقال أبو بكْرة : اللهمّ إنا لا نعلمك إلا كاذباً ؛ قال : فأمَر به فخُنِق ، قال : فقام أبو لؤلؤة الضَّبىّ فرمى بنفسه عليه ، فمنعه ، فأقطعه أبو بكْرة بعد ذلك مائةَ جَريب. قال : وقيل لأبى بكْرة : ما أردتَ إلى ما صنعت ! قال : أيُناشِدُنا بالله ثم لا نصدّقه ! قال : فأقام بُسْر بالبَصرة ستّة أشهر ، ثم شَخَص لا نَعلَمه ولَّى شرطتَه أحــداً .

حدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : أخبرنى سليمان بن بِلال ، عن الجارود بن أبى سَبْرة ، قال : صالح الحسنُ عليه السلام معاوية ، وشَخَص إلى المدينة ، فبعث معاوية بُسْربن أبى أرطاةَ إلى البصرة فى رجب سنة إحدى وأربعين وزياد متحصّن بفارسَ ، فكتب معاوية إلى زياد: إنّ فى يديْك مالاً من مال الله ، وقد ولِّيت ولاية فأدِّ ما عندَك من المال . فكتب إليه زياد : إنه لم يَبقَ عندى شىء من المال ، وقد صرفتُ ما كان عندى فى وجهه ، واستودعتُ بعضَه قومًا لنازلة إنْ نزلت ، وحملتُ ما فَضَل إلى أمير المؤمنين رحمةُ الله عليه . فكتب إليه معاوية : أن أقبِل إلىّ ننظر فيما ولِّيت ، وجرى على يديْك ، فإن استقام بيننا أمرٌ فهو ذاك ، وإلا رجعتَ إلى مأمَنِك؛ فلم يأته زياد ، فأخذ بُسْر بنى زياد الأكابر منهم ، فحبسهم : عبد الرحمن ، وعبيد الله ، وعبّاداً ، وكتب إلى زياد: لتقدمنّ على أمير المؤمنين أو لأقتلنّ بنيك .فكتب إليه زياد: لستُ بارحًا من مكانى الذى أنا به حتى يحكم الله بينى وبين صاحبك ، فإن قتلتَ مَن فى يديك من وَلَدى فالمصير إلى الله سبحانه ، ومن ورائنا وورائكم الحساب ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. فهمّ بقتلهم ، فأتاه أبو بكْرة فقال: أخذتَ ولدى وولدَ أخى غلمانًا بلا ذَنْب ، وقد صالح الحسن معاوية على أمان أصحاب علىّ حيث كانوا ، فليس لك على هؤلاء ولا على أبيهم سبيل ؛ قال : إنّ على أخيك أموالاً قد أخذها فامتنع من أدائها ؛ قال : ما عليه شىء ، فاكفف ١٣/٢

(١) ف : «أنشد» .

عن بنى أخى حتّى آتيَك بكتاب من معاويةَ بتخليتهم . فأجّله أيامًا ، قال له : إن أتيتَنى بكتاب معاوية بتخليتهم وإلا قتلتُهم أو يُقبل زيادٌ إلى أمير المؤمنين ؛ قال : فأتى أبو بَكرة معاويةَ فكلّمه فى زياد وبنيه ، وكتب معاوية إلى بُسر بالكفّ عنه وتَخلية سبيلهم ، فخلاّهم .

حدّثنى أحمد بن زهير(١) ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : أخبرنى شيخٌ من ثَقيف ، عن بُسر بن عُبيد الله ، قال : خرج أبو بَكْرة إلى معاويةَ بالكوفة فقال له معاوية : يا أبا بَكْرة ، أزائراً جئتَ أم دعتْك إلينا حاجة ؟ قال : لا أقول باطلا ، ما أتيتُ إلا فى حاجة ! قال : تُشفَّع يا أبا بَكْرة ونرى لك بذلك فضلاً ، وأنت لذلك أهل ، فما هو ؟ قال : تؤمّن أخى زياداً ، وتكتب إلى بُسر بتَخْلية ولده وبترك التعرّض لهم ؛ فقال : أما بنو زياد فنكتب لك فيهم ما سألت ؛ وأما زياد ففى يده مالٌ للمسلمين ، فإذا أدّاه فلا سبيل لنا عليه ؛ قال : يا أميرَ المؤمنين ، إن يكن عنده شىء فليس يحبسه عنك إن شاء الله . فكتب معاوية لأبى بكْرة إلى بُسْر ألّا يتعرّض لأحد من ولد زياد ، فقال معاوية لأبى بَكْرة : أتعهد إلينا عهداً يا أبا بكرة ؟ قال : نعم ، أعهد إليك يا أميرَ المؤمنين أن تنظرَ لنفسك ورعيّتك ، وتعمل صالحًا فإنك قد تقلدت عظيماً ، خلافةَ الله فى خلقه ، فاتّق اللهَ فإنّ لك غاية لا تعدوها ، ومن ورائك طالب حثيث ، فأوشك أن تبلغ المدَى ، فيلحق الطالب ، فتصير إلى من يسألك عمّا كنتَ فيه ، وهو أعلم به منك ، وإنما هى محاسبة وتوقيف ، فلا تؤثِرنّ على رضا الله عزّ وجلّ شيئًا .

١٤/٢

حدّثنى أحمد ، قال : حدّثنا علىّ ، عن سلَمة بن عثمان ، قال : كتب بُسر إلى زياد : لئن لم تُقدِم لأصلبنّ بَنيك . فكتب إليه : إن تفعل فأهل ذلك أنتَ ، إنما بعث بك ابنُ آكلة الأكباد . فركب أبو بكْرة إلى معاوية ، فقال : يا معاوية ، إنّ الناس لم يُعطوك بَيعتهم على قتل الأطفال ، قال : وما ذاك يا أبا بَكْرة ؟ قال : بُسر يريد قتلَ أولاد زياد ، فكتب معاوية إلى

(١) ط : « على » ؛ وانظر الصفحة السابقة س ٨

بُسر : أن خلِّ مَن بيدك من ولد زياد .

وكان معاوية قد كتب إلى زياد بعد قتل علىّ عليه السلام يتوعّده . فحدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنى علىّ ، عن حبّان بن موسى ، عن المجالد ، عن الشعبىّ ، قال : كَتب معاوية حين قتِل علىّ عليه السلام إلى زياد يتهدده ، فقام خطيبًا فقال : العجبُ من ابن آكِلة الأكباد ، وكهفِ النفاق ، ورئيسِ الأحزاب ؛ كتب إلىّ يتهدّدنى وبينى وبينه ابنا عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعنى ابن عباس والحسنَ بن علىّ — فى تسعين ألفًا ، واضعى سيوفَهم على عواتقهم ، لا ينثنون ، لئن خلَص إلىّ الأمرُ ليجدنّى أحمزَ[1] ضرّابًا بالسيف . فلم يزل زياد بفارسَ واليًا حتّى صالح الحسن عليه السلام معاوية ، وقدم معاويةُ الكوفة ، فتحصّن زيادٌ فى القلعة التى يقال لها قلعةُ زياد .

٢/١٥

* * *

[ولاية عبد الله بن عامر البصرة وحرب سِجِستان وخُراسان]

وفى هذه السنة ولّى معاويةُ عبدَالله بنَ عامر البَصرة وحربَ سجستان وخُراسان .

* ذكر الخبر عن سبب ولاية ذلك وبعض الكائن فى أيام عمله لمعاوية بها :

حدّثنى أبو زيد ، قال : حدّثنا علىّ قال : أراد معاوية توجيهَ عتبة ابن أبى سُفيان على البَصرة ، فكلمه ابن عامر وقال : إنّ لى بها أموالاً وودائع ، فإنْ لم توجّهنى عليها ذهبتْ . فولّاه البصرة ، فقَدِمها فى آخر سنة إحدى وأربعين وإليه خُراسان وسجِستان ، فأراد زيدَ بن جَبَلة على ولاية شرطته فأبى ، فولّى حبيبَ بن شهاب الشامىّ شُرْطته — وقد قيل : قيس ابن الهيثم السُّلمىّ — واستقضى عميرة بن يَثْربىّ الضّبىّ ، أخا عمرو بن يثربىّ الضّبىّ .

حدّثنى أبو زيد ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : خرج فى ولاية

---

(١) الأحمز : الشديد .

ابن عامر لمعاوية يزيدُ مالك الباهلىّ ، وهو الحَطِيم – وإنما سمّى الحَطِيم لضربة أصابتْه على وجهه – فخرج هو وسهمُ بن غالب الهجيمىّ فأصبحوا عند الجِسر ، فوجدوا عبادة بن قرص الليثىّ أحد بنى بُجير – وكانت له صحبة – يصلى عند الجسر ، فأنكروه فقتلوه ، ثم سألوه الأمان بعد ذلك ، فآمنهم ابنُ عامر ، وكتب إلى معاوية : قد جعلت لهم ذمّتك . فكتب إليه معاوية : تلك ذمّةٌ لو أخفرتَها لا سئلتَ عنها ، فلم يزالوا آمنين حتى عُزل ابن عامر . ١٦/٢

* * *

وفى هذه السنة ولد علىّ بن عبد الله بن عباس – وقيل : وُلد فى سنة أربعين قبل أن يُقتل علىّ عليه السلام ، وهذا قول الواقدىّ .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عُتبة بن أبى سُفيان فى قول أبى معشر ، حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وأما الواقدىّ فإنه ذكر عنه أنه كان يقول : حجّ بالناس فى هذه السنة – أعنى سنة إحدى وأربعين – عَنْبَسة بن أبى سُفْيان .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا المسلمون اللاّن ، وغزَوْا أيضًا الرّوم، فهزموهم هزيمةً منكَرة — فيما ذكروا — وقتلوا جماعةً من بَطارِقتهم .

وقيل : في هذه السنة وُلدالحجّاج بن يوسف.

وولّى معاوية في هذه السنة مَرْوانَ بن الحكم المدينة ، فاستقضَى مَرْوانُ عبدَالله بن الحارث بن نوفل . وعلى مكّة خالد بن العاص بن هشام، وكان على الكوفة من قبَله المغيرةُ بن شُعبة ، وعلى القضاء شُريح ، وعلى البَصْرة عبدَالله بن عامر ، وعلى قضائها [1] عمرو بن يثْربيّ ، وعلى خُراسان قيس بن الهيثم من قِبَل عبدِالله بن عامر .

17/2

وذكر عليّ بن محمد ، عن محمد بن الفضل العبسيّ ، عن أبيه ، قال : بعث عبد الله بن عامر قيسَ بن الهيثم على خُراسان حين ولّاه معاوية البَصرة وخُراسان ، فأقام قيس بخُراسان سنتين.

وقد قيل في أمر ولاية قيس ما ذكره حمزة بن أبي [2] صالح السُّلَميّ ، عن زياد بن صالح ، قال : بعث معاوية حين استقامت له الأمور قيسَ ابنَ الهيثم إلى خُراسان ، ثم ضمّها إلى ابن عامر ، فترك [3] قيسًا عليها .

* * *

[ذكر الخبر عن تحرّك الخوارج]

وفي هذه السنة تحرّكت الخوارجُ الذين انحازوا عمّن قُتل منهم بالنَّهرَوان ومن كان ارتُثّ من جَرْحاهم بالنَّهروان ، فبرَءوا ، وعفا عنهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

---

(1) س : « القضاء بها » .
(2) ساقطة من ط .
(3) س : « فأثبت » .

* ذكر الخبر عمّا كان منهم فى هذه السنة :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبى مِخْنف ، قال : حدّثنى النَّضْر بن صالح ابن حبيب ، عن جَرير بن مالك بن زُهير بن جَذيمة العبسىّ ، عن أُبىّ بن عُمارة العبسىّ ، أن حيّان بن ظَبيان السُّلَمىّ كان يرى رأىَ الخوارج ، وكان ممن ارتُثّ يومَ النّهروان ، فعفا عنه علىّ عليه السلام فى الأربعمائة الذين كان عفا عنهم من المرتثّين يوم النّهر ، فكان فى أهله وعشيرته ، فلبث[1] شهراً أو نحوَه . ثم إنه خرج إلى الرّىّ فى رجال كانوا يرَوْن ذلك الرأى ، فلم يزالوا مقيمين بالرّىّ حتى بلغهم قتلُ علىّ كرّم الله وجهه ، فدعا أصحابه أولئك — وكانوا بضعةَ عشر رجلاً ، أحدهم سالم بن ربيعة العبسىّ — فأتَوْه ، فحمِدَ الله وأثنَى عليه ثم قال : أيّها الإخوان من المسلمين ، إنه قد بلغنى أنّ أخاكم ابن ملجم أخا مُراد قَعد لقتل علىّ بن أبى طالب عند أغباش[2] الصُّبح مقابل السُّدّة التى فى المسجد مسجدِ الجماعة ، فلم يبرح راكداً ينتظر خروجَه حتى خرج عليه حين أقام المقيمُ الصّلاة صلاة الصبح ، فشدّ عليه فضرب رأسَه بالسيف ، فلم يَبق إلاّ ليلتين حتى مات ، فقال سالم بن ربيعة العبسىّ : لا يقطع الله يميناً علتْ قَذالَه بالسَّيف ؛ قال : فأخذ[3] القومُ يحمَدون الله على قتلِه عليه السلام ورضى الله عنه ولا رضىَ عنهم ولا رحمهم !

١٨/٢

قال النَّضْر بن صالح : فسألت بعد ذلك سالمَ بن ربيعة فى إمارة مُصعب ابن الزبير عن قوله ذلك فى علىّ عليه السلام ، فأقرّ لى به ، وقال : كنت أرى رأيهم حيناً ، ولكن قد تركتُه ؛ قال : فكان فى أنفسنا أنه قد تركه ؛ قال : فكان إذا ذكروا له ذلك يُرْمضه . قال : ثمّ إنّ حيّان بن ظَبيان قال لأصحابه : إنه والله ما يَبقى على الدّهر باقٍ ، وما تَلبث الليالى والأيام والسنُون والشهور على ابن آدم حتى تُذيقَه الموتَ ، فيفارق الإخوان الصالحين ، ويدَع الدّنيا التى لا يَبكى عليها إلا العَجَزة ، ولم تزل ضارّةً لمن كانت

---

(١) س : « فكث » .

(٢) الأغباش : جمع غبش ؛ وهو بقية الظلمة يخالطها بياض الفجر .

(٣) سل : « وأخذ » .

له همًّا وشَجَنًا ؛ فانصرِفوا بنا رحمكم الله إلى مصرِنا ، فلنأتِ إخوانَنا فلندْعُهم
١٩/٢ إلى الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر ، وإلى جهاد الأحزاب ، فإنه لا عذرَ لنا فى القعود ، ووُلاتُنا ظَلَمة ، وسنّة الهدى متروكة ، وثأرنا الّذين قتلوا إخواننا فى المجالس آمنون ، فإن يُظفرنا الله بهمْ نعمِد بعد إلى الّتى هى أهدَى وأرضَى وأقوَم ، ويَشفى الله بذلك صدورَ قوم مؤمنين ، وإن نُقتل فإنّ فى مفارقة الظالمين راحةً لنا ، ولنا بأسلافنا أسوة . فقالوا له : كلّنا قائل ما ذكرتَ ، وحامدٌ رأيَك الذى رأيت ، فرِدْ بنا المِصرَ فإنا معك راضون بهُداك وأمرك ؛ فخرج وخرجوا معه مقبِلين إلى الكُوفة ، فذلك حين يقول :

خليلَيَّ ما بى من عَزاءٍ ولا صَبْرِ ولا إرْبَةٍ بعد المُصابِينَ بالنَّهْرِ
سِوَى نَهَضاتٍ فى كتائِبَ جَمَّةٍ إلى الله ما تَدْعُو وفى الله ما تَفْرِى
إذا جاوزَتْ قُسْطانَةَ الرَّىِّ بَغلَتى فلستُ بسارٍ نحْوَها آخِرَ الدَّهرِ
ولكنَّنِى سارٍ وإنْ قلّ ناصِرِى قريباً فلا أُخزِيكما مَع مَنْ يَسْرِى

قال : وأقبل حتى نزل الكوفة ، فلم يزل بها حتى قَدِم معاوية ، وبعث المغيرة بن شعبة واليًا على الكوفة ، فأحبّ العافية ، وأحسن فى الناس السيرة ،
٢٠/٢ ولم يفتّش أهلَ الأهواء عن أهوائهم ، وكان يؤتَى فيقال له : إنّ فلانًا يرَى رأىَ الشّيعة ، وإنّ فلانًا يرى رأىَ الخوارج . وكان يقول : قضى الله ألّا تزالون مختلِفين ، وسيَحْكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون . فأمِنه الناس ، وكانت الخوارج يلقَى بعضهم بعضًا ، ويتذاكرون مكانَ إخوانهم بالنَّهْروان ويرَوْن أن فى الإقامة الغبْن والوكَف ، وأنّ فى جهادِ أهل القبلة الفضل والأجر .

قال أبو مخنف : فحدّثنى النَّضْر بن صالح ، عن أبىّ بن عُمارة ، أنّ الخوارج فى أيام المُغيرة بن شُعبة فزِعوا إلى ثلاثةِ نفر ؛ منهم المستورِد بن عُلّفة ، فخرج فى ثلاثة رجل مقبلاً نحو جرْجرايا على شاطئ دِجْلة .

قال أبو مِخْنف : وحدّثنى جعفر بن حُذَيفة الطائىّ من آل عامر بن

جُوَين ، عن المحلّ بن خليفة ، أنّ الخوارج فى أيام المغيرة بن شعبة فزعوا إلى ثلاثة نفر ؛ منهم المستورِد بن عُلّفة التّيميّ من تَيْم الرِّباب ، وإلى حيّان بن ظَبيان السُّلميّ ، وإلى معاذ بن جُوَين بن حُصين الطائيّ السِّنْبِسىّ — وهو ابن عمّ زيد بن حُصَين ، وكان زيد ممن قتله علىّ عليه السلام يوم النَّهْروان ، وكان معاذ بن جُوَين هذا فى الأربعمائة الذين ارتُثُّوا من قَتْلَى الخوارج ، فعفا عنهم علىّ عليه السلام — فاجتمعوا فى منزل حيّان بن ظَبيان السُّلمِىّ ، فتشاوروا فيمن يولُّون عليهم . قال : فقال لهم المستورِد : يأيُّها المسلمون والمؤمنون ، أراكم الله ما تحبّون ، وعزل عنكم ما تكرَهون ، ولُّوا عليكم مَنْ أحببتم ، فوالّذى يَعلَم خائنةَ الأعين وما تُخفِى الصّدور ما أبالى مَن كان الوالى علىّ منكم ! وما شرفَ الدنيا نريد ، وما إلى البقاء فيها من سبيل ، وما نريد إلا الخلود فى دار الخلود. فقال حيّان بن ظَبْيان : أمّا أنا فلاحاجة لى فيها وأنا بك وبكلّ امرئٍ من إخوانى راضٍ ، فانظروا مَن شئتم منكم فسمّوه ، فأنا أوّل من يُبايعه . فقال لهم معاذ بن جُوَين بن حصين : إذا قلتما أنتما هذا وأنتما سيِّدا المسلمين وذَوَا أنسابهم فى صَلاحِكما ودِينكما وقَدرِكما ، فمن يرئس المسلمين ، وليس كلّكم يصلح لهذا الأمر ! وإنما ينبغى أن يلىَ على المسلمين إذا كانوا سواء فى الفضل أبصرهم بالحرب ، وأفقَهُهم فى الدين ، وأشدّهم اضطلاعًا بما حُمِّل ، وأنتما بحمد الله ممن يرضى بهذا الأمر ، فليتولّه أحدكما . قالا : فتولّه أنت ، فقد رضيناك ، فأنتَ والحمدُ لله الكامل فى دينك ورأيك ، فقال لهما : أنتما أسنّ منى ، فليتولّه أحدكما ، فقال حينئذ جماعة مَن حضرهما من الخوارج : قد رضينا بكم أيّها الثلاثة ، فولوا أيّكم أحببتم ؛ فليس فى الثلاثة رجل إلا قال لصاحبه : تولّها أنت ، فإنى بك راضٍ ، وإنى فيها غيرُ ذى رغبة . فلما كثر ذلك بينهم قال حيّان بن ظَبيان ، فإنّ معاذ بن جُوَين قال : إنّى لا ألى عليكما وأنتما أسنّ منى ، وأنا أقول لك مِثلَ ما قال لى ولك ، لا ألى عليك وأنت أسنّ منى ، ابسُط يدَك أبايعْك . فبَسَط يده فبايعه ، ثم بايعه معاذ بن جوين ، ثم بايعه القومُ جميعًا ، وذلك فى جُمادى الآخرة . فاتّعد القوم أن يتجهّزوا ويتيسرُوا ويستعدّوا ، ثم يخرجوا فى غرّة الهلال هلالِ

٢١/٢

شعبانَ سنة ثلاث وأربعين ، فكانوا فى جهازهم وعدّتهم .

* * *

٢٢/٢ وقيل : فى هذه السنة سار بُسْر بن أبى أرطاة العامرىّ إلى المدينة ومكة واليَمن ، وقَتَل من قَتله فى مسيره ذلك من المسلمين .

وذلك قول الواقدىّ ، وقد ذكرتُ مَن خالفه فى وقت مسيره هذا السير .

وزعم الواقدىّ أن داودَ بن حيّان حدّثه ، عن عطاء بن أبى مروان ، قال : أقام بسر بن أبى أرطاةَ بالمدينة شهراً يَستعرض الناسَ ، ليس أحدٌ ممن يقال هذا أعان على عثمان إلا قَتَله .

وقال عطاء بن أبى مَرْوان : أخبرنى حَنْظلة بن علىّ الأسلمىّ ، قال : وجد قوماً من بنى كعب وغِلمانهم على بئرٍ لهم فألقاهم فى البئر .

* * *

[ذكر قدوم زياد على معاوية]

وفى هذه السنة قَدِم زيادٌ — فيما حدّثنى عمر — قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن سليمان بن أرقم ، قدم على معاوية من فارسَ ، فصالحه على مال يحمله إليــه .

وكان سبب قدومه بعد امتناعه بقلعة من قلاع فارس ، ما حدّثنى عمر قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن مسلمة بن محارب ، قال : كان عبد الرحمن بن أبى بكْرة يلِى ما كان لزياد بالبصْرة ، فبلغ معاوية أنّ لزياد أموالاً عند عبد الرحمن ، وخاف زيادٌ على أشياءَ كانت فى يد عبد الرحمن لزياد ، فكتب إليه يأمره بإحرازها ، وبعث معاوية إلى المغيرة بن شُعبة لينظرَ فى أموال زياد ، فقدم المغيرة ، فأخذ عبد الرحمن ، فقال : لئن كان أساء إلىّ أبوك لقد أحسن زياد . وكتب إلى معاوية : إنى لم أصب فى يد عبد الرحمن شيئاً يَحِلّ لى أخْذُه . فكتب معاويةُ إلى المغيرة أنْ عذّبه . قال : وقال بعض المشيخة : ٢٣/٢ إنه عذّب عبد الرحمن بن أبى بكْرة إذْ كتب إليه معاوية ، وأراد أن يُعْذِر ويبلغَ معاوية ذلك ، فقال : احتفِظ بما أمرك به عمُّك ، فألقَى على وجهه حريرةً ونضَحها بالماء ، فكانت تَلتزِق بوجهه ، فغُشى عليه ، ففعل ذلك

ثلاث مرّات ، ثم خلاّه ، وكتب إلى معاوية : إنى عذّبته ، فلم أصب عنده شيئًا ، فحفظ لزياد يدَه عنده .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن عبد الملك بن عبد الله الثّقَفىّ ، عن أشياخ من ثَقيف ، قالوا : دخل المغيرة بن شُعبة على معاوية ، فقال معاوية حين نظر إليه :

إنّمَا موضعُ سِرّ المرءِ إن باحَ بالسِّرّ أخوه لمُنْتَصِحْ
فإذا بُحْتَ بِسِرٍّ فإلى ناصحٍ يَسْتُرُه أَوْ لا تَبُحْ

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن تستودعْنى تستودعْ ناصحًا شفيقًا[1] ورِعًا وثيقًا ، فما ذاك يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : ذكرتُ زيادًا واعتصامه بأرض فارسَ ، وامتناعَه بها ، فلم أنم ليلتى ؛ فأراد المغيرة أن يطأطئْ من زياد ، فقال : ما زياد هناك يا أمير المؤمنين! فقال معاوية : بئس الوطْء العجزُ ، داهية العرب معه الأموال ، متحصّن بقلاع فارسَ ، يدبِّر ويربّص الحِيَل ، ما يؤمِننى أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت ، فإذا هو قد أعاد علىّ الحرب خُدَعة. فقال المغيرة : أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى إتيانه ! قال : نعم ، فأته وتلطف له ، فأتى المغيرة زيادًا ، فقال زياد حين بلغه قدوم المغيرة : ما قَدِم إلا لأمر ، ثم أذن له ، فدخل عليه وهو فى بَهْوٍ له مستقبل الشمس ، فقال زياد : أفلح رائد ! فقال : إليك ينتهى الخبَر أبا المغيرة[2] ، إنّ معاوية استخفّه الوَجَل حتى بعثنى إليك ، ولم يكن يعلم أحدًا يمدّ يده إلى هذا الأمر غير الحسن ، وقد بايع معاوية ، فخذْ لنفسك قبل التّوطين ، فيستغنى عنك معاوية ، قال : أشِرْ علىّ ، وارمِ الغرضَ الأقصى ، ودعْ عنك الفُضول ، فإنّ المستشارَ مؤتَمن ؛ فقال المغيرة : فى مَحْض الرأىِ بَشاعة ، ولا خيرَ فى المَذيق[3] ، أرى أن تصلَ حبلَك بحبله ، وتَشخَص إليه ؛ قال : أرَى ويقضى الله .

٢٤/٢

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، عن مَسلمة بن محارب ، قال :

---

(١) ف : « مشفقا » . (٢) أبو المغيرة ، كنية زياد ، وانظر الاستيعاب .
(٣) المذيق : اللبن الممزوج بالماء . والمحض : الخالص ؛ والكلام على الاستعارة .

أقام زياد فى القلعة أكثرَ من سنة ، فكتب إليه معاوية : علامَ تُهلِك نفسَك؟ إلىّ فأعلِمْنى عِلمَ ما صار إليك مما اجتبيتَ من الأموال ، وما خرج من يديك ، وما بقى عندك ، وأنت آمِن ، فإن أحببتَ المُقام عندنا أقمتَ ، وإن أحببتَ أن تَرجِع إلى مأمَنك[1] رجعتَ . فخرج زياد من فارسَ ، وبلغ المغيرة بن شعبة أن زياداً قد أجمع على إتيان معاوية ، فشَخَص المغيرة إلى معاوية قبل شخوص زياد من فارسَ ، وأخذ زياد من إصْطَخْرَ إلى أرّجان ، فأتى ماه بَهْزاذان ، ثم أخذ طريق حُلْوان حتى قدم المَدائن ، فخرج عبدالرحمن إلى معاوية يخبره بقدوم زياد ، ثمّ قدِم زياد الشأم ، وقدم المغيرة بعد شهر ، فقال له معاوية : يا مغيرة ، زياد أبعدُ منك بمسيرة شهر[2] ، وخرجتَ قبلَه وسبَقَك . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الأريب إذا كلَّم الأريب أفحَمَه ؛ قال : خذ حِذْرَك ، واطوِ عنّى سِرّك ، فقال : إنّ زياداً قدم يرجو الزّيادة ، وقدمت أتخوّف النقصان ، فكان سيرنا على حسب ذلك ؛ قال : فسأل معاوية زياداً عمّا صار إليه من أموال فارسَ ، فأخبره بما حمل منها إلى علىّ رضى الله عنه ، وما أنفق منها فى الوجوه التى يحتاج فيها إلى النفقة ، فصدّقه معاوية على ما أنفق ، وما بقىَ عنده ، وقبضَه منه ، وقال : قد كنت أمينَ خلفائنا .

٢/٢٥

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا أبو مِخْنف وأبو عبد الرحمن الأصبهَانىّ وسَلَمة بن عثمان وشيخ من بنى تميم وغيرهم ممّن يوثَق بهم ، قال : كتب معاوية إلى زياد وهو بفارسَ يسأله القدومَ عليه ، فخرج زيادٌ من فارسَ مع المِنجاب بن راشد الضّبىّ وحارثة بن بدر الغُدانىّ ، وسرّح عبدَالله بن خازم فى جماعة إلى فارس ، فقال : لعلك تَلقَى زياداً فى طريقك فتأخذه . فسار ابنُ خازم إلى فارسَ ، فقال بعضُهم : لقيَه بسوق الأهواز ، وقال بعضهم : لقيَه بأرّجان ، فأخذ ابن خازم بعِنان زياد ، فقال : انزِل يا زياد ، فصاح به المِنجاب بن راشد : تنحّ يا بن سَوْداء ، وإلاّ علَّقتُ يدَك بالعِنان . قال : ويقال : انتهى إليهم ابن خازم وزياد

---

(١) س : « مقامك » .
(٢) ف : « أبعدنا بشهر » .

جالس ، فأغلظ له ابن خازم ، فشتَم المنجاب بن خازم ، فقال له زياد : ٢/٢٦
ما تريد يا بن خازم ؟ قال : أريد أن تجيء إلى البصرة ؛ قال : فإنى آتيها ؛
فانصرف ابن خازم استحياءً من زياد .

وقال بعضهم : التقى زياد وابن خازم بأرّجان، فكانت بينهم منازعة،
فقال زياد لابن خازم قد أتانى أمان مُعاوية ، فأنا أريده ، وهذا كتابه إلىّ .
قال : فإن كنتَ تريد أميرَ المؤمنين فلا سبيل عليك ، فمضى ابن خازم إلى
سابورَ ، ومضى زياد إلى ماه بَهزَاذان ، وقَدِم على معاوية ، فسأله عن
أموال فارسَ ، فقال: دفعتُها يا أميرَ المؤمنين فى أرزاق وأعطِيات وحَمالات ،
وبقيتْ بقيّة أودعتها قومًا ، فمكث بذلك يردّده ، وكتب زياد كتبًا إلى قوم
منهم شِعبة بن القِلْعم: قد علمتم ما لى عندكم من الأمانة، فتدبّروا كتابَ
الله عزّ وجلّ ؛ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ...﴾[1]
الآية ، فاحتفِظوا بما قِبَلكم . وسمّى فى الكتب بالمبلغ الذى أقرّبه لمعاوية ،
ودسّ الكتب مع رسوله ، وأمره أن يعرض لبعض من يُبْلغ ذلك معاوية ،
فتعرّض رسولُه حتى انتشر ذلك ، وأخِذ فأُتِىَ به معاوية ، فقال معاوية لزياد :
لئن لم تكنْ مكرتَ بى إنّ هذه الكتب من حاجتى . فقرأها ، فإذا هى بمثلِ
ما أقرّ به ؛ فقال معاوية : أخاف أن تكون قد مكرتَ بى ، فصالحْنى على
ما شئت ، فصالَحه على شيء مما ذكره أنه عنده ، فحمله ، وقال زياد :
يا أميرَ المؤمنين ، قد كان لى مال قبل الولاية ، فوددتُ أنّ ذلك المالَ بقىَ ،
وذهب ما أخذت من الولاية . ثم سأل زياد معاوية أن يأذن له فى نزول الكوفة
فأذن له ، فشَخَص إلى الكوفة ، فكان المغيرة يكرمه ويعظّمه ، فكتب معاوية ٢/٢٧
إلى المغيرة: خذ زياداً وسليمانَ بن صُرَد وحُجْرَ بنَ عدىّ وشَبَث بن رِبْعىّ
وابن الكوّاء وعَمرو بن الحَمِق بالصّلاة فى الجماعة ؛ فكانوا يَحضُرون معه
فى الصلاة .

حدّثنى عمر بن شبّة، قال :حدّثنا علىّ ،عن سليمان بن أرقم ، قال :
بلغنى أنّ زياداً قدم الكوفة ، فحضرتِ الصلاة ، فقال له المغيرة : تقدّم

(١) سورة الأحزاب:٧٢ .

فصلٌ ؛ فقال : لا أفعل ، أنت أحقّ منّى بالصّلاة فى سلطانك . قال : ودخل عليه زياد وعند المغيرة أمّ أيوبَ بنت عُمَارة بن عقبة بن أبى مُعيط ، فأجلَسها بين يديه ، وقال : لا تستترِى من أبى المغيرة ، فلما مات المغيرة تزوّجها زياد وهى حَدَثة ، فكان زياد يأمر بفِيل كان عنده ، فيُوقَف ، فتَنظر إليه أمّ أيّوب ، فسمّىَ بابَ الفيل .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عَنْبسة بن أبى سُفْيان ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غَزْوة بُسر بن أبى أرطاةَ الرّوم ومشتاه بأرضهم حتى بلغ القُسْطَنْطينيّة — فيما زعم الواقدىّ — وقد أنكر ذاك قومٌ من أهل الأخبار، فقالوا: لم يكن لبُسْر بأرض الروم مَشْتًى قطّ.

٢/٢٨ وفيها مات عَمرو بن العاص بمصرَ يومَ الفِطْر، وقبْلُ كان عمل عليها لعمرَ ابن الخطاب رضى الله عنه أربعَ سنينَ، ولعثمان أربعَ سنين إلا شهرين، ولمعاوية سنتين إلا شهراً.

وفيها ولّى معاويةُ عبدَالله بنَ عمرو بن العاص مصرَ بعد موت أبيه، فولِيها له — فيما زعم الواقدىّ — نحواً من سنتين.

وفيها مات محمد بن مَسلَمة فى صفر بالمدينة، وصلّى عليه مروانُ بن الحَكَم.

* * *

[خبر قتل المستورد بن علّفة الخارجىّ]

وفيها قُتِل المستورِد بن عُلّفة الخارجىّ، فيما زعم هشام بن محمد. وقد زعم بعضهم أنه قتل فى سنة اثنتين وأربعين.

* ذكر الخبر عن مقتله:

قد ذكرْنا ماكان من اجتماع بقايا الخوارج الذين كانوا ارتُثّوا يومَ النّهر، ومن كان منهم انحاز إلى الرّىّ وغيرهم إلى النفر الثلاثة الذين سمّيت قبلُ، الذين أحدُهم المستورِد بن عُلّفة، وذكرْنا بيعتهم المستورد، واجتماعهم على الخروج فى غرّة هلال شعبان من سنة ثلاث وأربعين.

فذكر هشام، عن أبى مِخْنف؛ أنّ جعفر بنَ حذيفة الطائىّ حدّثه عن المحلّ بن خليفة، أنّ قَبيصة بن الدّمّون أتى المغيرة بن شُعبة — وكان على شُرطته — فقال: إن شمرَ بن جَعْوَنة الكِلابىّ جاءنى فخبّرنى أنّ الخوارج قد اجتمعوا فى منزل حيّان بن ظَبيان السُّلَمىّ، وقد اتّعدوا أن يخرجوا إليك

فى غرة شعبان ، فقال المغيرة بن شعبة لقبيصة بن الدمّون — وهو حليف لثَقِيف ، وزعموا أنّ أصلَه كان من حضرمَوْت من الصّدِف : سِرْ بالشُّرْطة حتى تحيط بدارِ حيّان بن ظَبيان فأْتِنى به ، وهم لا يَرَوْن إلا أنه أمير تلك الخوارج . فسار قَبيصة فى الشُّرْطَة وفى كثير من الناس ، فلم يشعر حيّان بن ظَبيان إلا والرّجال معه فى دارِه نصفَ النهار ، وإذا معه معاذ بن جُوَين ونحوٌ من عشرين رجلاً من أصحابهما ، وثارت امرأته ؛ أمُّ ولد[1] له ، فأخذتْ سيوفًا كانت لهم ، فألقتْها تحتَ الفِراش ، وفَزِع بعضُ القوم إلى سيوفهم فلم يجدوها ، فاستسلموا ، فانطلق بهم إلى المُغيرة ابن شعبة ، فقال لهم المغيرة : ما حَمَلكم على ما أردتم من شَقّ عصا المسلمين ؟ فقالوا : ما أرْدنا من ذلك شيئًا ؛ قال : بلى ، قد بلغنى ذلك عنكم ، ثم قد صدّق ذلك عندى جماعتكم ؛ قالوا له : أمّا اجتماعنا[2] فى هذا المنزل فإنّ حيّان ابن ظَبيان أقرأنا القرآن ، فنحن نجتمع عندَه فى منزله فنقرأ القرآنَ عليه . فقال : اذهبوا بهمْ إلى السجن ، فلم يزالوا فيه نحواً من سنة ، وسمع إخوانُهم بأخذهم فَحذِروا ، وخرج صاحبهم المستورِد بن عُلّفة فنزل داراً بالحِيرة إلى جنب قصر العدسيّين من كَلْب ، فبعث إلى إخوانه ، وكانوا يختلفون إليه ويتجهّزون ، فلما كثُر اختلاف أصحابه إليه قال لهم صاحبهم المستورِد بنُ عُلّفة التيمىّ : تحوّلُوا بنا عن هذا المكان ، فإنّى لا آمَن أن يُطّلع عليكم . فإنهم فى ذلكَ يقول بعضهم لبعض : نأتى مكانَ كذا وكذا ، ويقول بعضهم : نأتى مكانَ كذا وكذا ؛ إذْ أشرَف عليهم حجّار بن أبْجَر من دار كان هو فيها وطائفة من أهله ، فإذا هم بفارسَيْن قد أقبَلا حتى دخلا تلك الدار التى فيها القوم ، ثم لم يكن بأسرعَ من أن جاء آخران فدَخَلا ، ثمّ لم يكن إلا قليل حتى جاء آخر فدخل ، ثم آخرُ فدخل ، وكان[3] ذلك يعنيهِ ، وكان خروجُهم قد اقترب ، فقال حجّار لصاحبة الدار التى كان فيها نازلاً وهى تُرضِع صبيًّا لها : وَيْحكِ ! ما هذه الخيل التى أراها تَدخُل هذه الدار ؟ قالت : واللهِ

(١) س : « وأم ولد » . (٢) ف : « أما جماعتنا » .
(٣) س : « وكل » .

ما أدرى ما همْ ! إلا ّ أن ّ الرجال يختلفون إلى هذه الدار رُجالا وفُرسانًا لا ينقطعون ، ولقد أنكرْنا ذلك منذ أيام ، ولا ندرى مَن هم ! فركب حجّار فرسَه ، وخرج معه غلام له ، فأقبل حتّى انتهى إلى باب دارِهم ، فإذا عليه رجلٌ منهم ، فكلّما أتى إنسان منهم إلى الباب دخل إلى صاحبه فأعلمه ، فأذن له ، فإن جاءه رجل من معروفيهم دَخَل ولم يَستأذن ، فلمّا انتهى إليه حجّار لم يعرفه الرجل ، فقال : مَن أنت رحمك الله ؟ وما تريد ؟ قال : أردت لقاءَ صاحبى ، قال له : وما اسمك ؟ قال له : حجّار بن أبجر ؛ قال : فكما أنت حتى أوذِنهم بك . ثم أخرج إليك . فقال له حَجّار : ادخُل راشدًا ! فدخل الرجل ، واتّبعه حجار مسرعًا ، فانتهى إلى باب صُفّة عظيمة هم فيها ، وقد دخل إليهم الرّجل فقال : هذا رجل يستأذن عليك أنكرتُه فقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا حجّار بن أبجر ، فسمعهم يتفزّعون ويقولون : حَجّار بنُ أبجر ! والله ما جاء حجّار بن أبجر بخير . فلما سمع القول منهم أراد أن ينصرف ويكتفىَ بذلك من الاسترابة بأمرهم ، ثم أبت نفسُه أن ينصرف حتى يعاينَهم ، فتقدّم حتى قام بين سِجْفَىْ باب الصُّفّة وقال : السلام عليكم ، فنظر فإذا هو بجماعة كثيرة ، وإذا سلاحٌ ظاهر ودروع ، فقال حَجّار : اللهمّ اجمعْهم على خير ، مَن أنتم عافاكم الله ؟ فعرفه علىّ بن أبى شمر ابن الحصين ، من تيم الرّباب — وكان أحدَ الثمانية الذين انهزَموا من الخوارج يومَ النهر ، وكان من فُرسان العرب ونُسّاكهم وخيارهم — فقال له : يا حجّار ابن أبجر ، إن كنتَ إنما جاء بك التماس الخبر فقد وجدتَه ، وإن كنتَ إنما جاء بك أمرٌ غير ذلك فادخل ، وأخبِرنا ما أتى بك ؛ فقال : لا حاجة لى فى الدخول ، فانصرف ، فقال بعضهم لبعض : أدرِكوا هذا فاحبِسوه ، فإنه مؤذنٌ بكم ، فخرجتْ منهم جماعةٌ فى أثره — وذلك عند تطفيل الشمس للإياب — فانتهَوْا إليه وقد ركب فرسَه ، فقالوا له : أخبِرنا خبَرَك ، وما جاء بك ؟ قال : لم آت لشىء يروعُكم ولا يَهُولكم ، فقالوا له : انتظر حتى ندنوَ منك ونكلّمَك ، أو تدنُوَ منا ؛ أخبرنا فنعلمك أمرَنا ، ونذكر حاجتَنا ، فقال لهم : ما أنا بدانٍ منكم ، ولا أريد أن يدنوَ منى منكم أحد ؛ فقال له

٢/ ٣١

علىّ بن أبى شمر بن الحصين : أفمؤمّننا(١) أنت من الإذن بنا هذه الليلة وأنت مُحسِن ؛ فإنّ لنا قَرابةً وحقًّا ؟ قال : نعم ، أنتم آمنون من قِبَلى هذه الليلة
وليالِى الدهر كلِّها ؛ ثم انطلق حتى دخل الكوفة وأدخل أهلَه معه . وقال الآخرون بعضهم لبعض : إنا لا نأمن أن يؤذِن بنا هذا ، فاخرجوا بنا من هذا الموضع ساعتَنا هذه ؛ قال : فصلّوا المغرب ، ثمّ خرجوا من الحيرة متفرّقين ، فقال لهم صاحبُهم : الحقوا بى فى دار سُلَيم بن محدوج العبدىّ من بنى سَلِمة ، فخرج من الحيرة ، فمضى حتى أتى عبد القيس ، فأتى بنى سلِمة ، فبعث إلى سُلَيم بن محدوج — وكان له صهراً — فأتاه ، فأدخله وأصحاباً له خمسةً أو ستّة ، ورجع حجّار بن أبجر إلى رَحْله ، فأخذوا ينتظرون منه أن يبلغهم منه ذكرٌ لهم عند السلطان أو الناس ، فما ذكرهم عند أحد منهم ، ولا بلغهم عنه فى ذلك شىء يكرهونه .

فبلغ الخبرُ المغيرةَ بن شُعْبة أنّ الخوارج خارجةٌ عليه فى أيامه تلك ، وأنهم قد اجتمعوا على رجل منهم ، فقام المغيرة بن شعبة فى الناس ، فحمِد الله وأثنَى عليه ثم قال : أمّا بعد ، فقد علمتم أيّها الناس أنى لم أزل أحبّ لجماعتكم العافية ، وأكفّ عنكم الأذى ، وأنّى والله لقد خشيتُ أن يكون ذلك أدب سوء لسفهائكم ، فأمّا الحلَماء الأتقياء فلا ، وايمُ الله لقد خشيتُ ألا أجد بدًّا من أن يُعصَب الحليم التقىّ بذنب السفيه الجاهل ، فكفّوا أيّها الناس سفهاءَكم قبلَ أن يشمَل البلاءُ عوامّكم . وقد ذُكر لى أنّ رجالا منكم يريدون أن يَظهَروا فى المصر بالشقاق والخلاف ، وايمُ الله لا يخرجون فى حىٍّ من أحياء العرب فى هذا المصْر إلا أبَدْتهم وجعلتُهم نَكالا لمن بعدهم ، فنظر قومٌ لأنفسهم قبل الندم ، فقد قمت هذا المقامَ إرادةَ الحجّة والإعذار .

فقام إليه مَعقِل بن قيس الرّياحىّ فقال : أيّها الأمير ، هل سُمّىَ لك أحدٌ من هؤلاء القوم(٢) ؟ فإن كانوا سُمّوا لك فأعلِمْنا مَن هم ؟ فإن كانوا منا كفَيْناكَهم ، وإن كانوا من غيرنا أمرتَ أهلَ الطاعة من أهل

(١) س : « أفتؤمننا » . (٢) س : « منهم » .

مصرِنا ، فأتتْك كلّ قبيلة بسفهائها ، فقال : ما سُمِّيَ لى أحد منهم ، ولكن قد قيل لى : إنّ جماعةً يريدون أن يخرجوا بالمِصر ؛ فقال له معقِل : أصلحك الله ! فإنى أسير فى قومى ، وأكفيك ما هم فيه ، فليكفِك كلّ امرئ من الرؤساء قومَه . فنزل المغيرةُ بنُ شعبة ، وبعث إلى رؤساء الناس فدعاهم ، ثُم قال لهم : إنه قد كان من الأمر ما قد علمتم ، وقد قلت ما قد سمعْتم ، فليكفنى كلّ امرئ من الرؤساء قومَه ، وإلاّ فوالذى لا إله غيره لأتحوّلنّ عما كنتم تَعرِفون إلى ما تُنكِرون ، وعمّا تحبّون إلى ما تَكرَهون ، فلا يَلُم لائمٌ إلا نفسَه ، وقد أعذَر من أنذر . فخرجت الرؤساء إلى عشائرهم ، فناشَدوهم اللهَ والإسلامَ إلا دلُّوهم على مَن يروْن أنه يريد أن يهيج فتنةً[1] ، أو يفارِق جماعةً ؛ وجاء صَعْصعة بن صُوحان فقام فى عبد القيس .

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدّثنى الأسوَد بن قيس العبدىّ ، عن مرّة بن النعمان ، قال : قام فينا صَعْصعة بن صُوحان وقد والله جاءه من الخبر بمنزل التَّيمىّ وأصحابه فى دار سليم بن محدوج ، ولكنه كَرِه على فِراقه إيّاهم وبغضه لرأيهم ، أن يؤخذوا[2] فى عشيرته ، وكره مَساءة أهل بيت من قومه ، فقال : قَوْلاً حسنًا ، ونحن يومئذ كثيرٌ أشرافنا ، حسنٌ عددُنا ، قال : فقام فينا بعد ما صلَّى العصر ، فقال : يا معشرَ عبادالله ، إنّ الله — وله الحمد كثيراً — لمّا قسم الفضلَ بين المسلمين خصّكم منه بأحسن القِسْم ، فأجبتم إلى دين الله الذى اختاره الله لنفسه ، وارتضاه لملائكته ورُسله ، ثُم أقمتم عليه حتى قبض الله رسولَه صلى الله عليه وسلم ، ثُم اختلف الناس بعدَه فثبتت طائفة ، وارتدّت طائفة ، وأدهنَتْ طائفة ، وتربّصت طائفة ، فلزمتم دينَ الله إيمانًا به وبرسوله ، وقاتلتم المرتدّين حتى قام الدّين ، وأهلَك الله الظالمين ، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً فى كلّ شىء ، وعلى كلّ حال ، حتى اختلفتْ الأمّة بينها ، فقالت طائفة : نريد طلحةَ والزبير وعائشة ، وقالت طائفة :

٣٤/٢

(١) ف : « الفتنة » .

(٢) ف : « أن يوجدوا » .

نريد أهلَ المغرب ، وقالت طائفة : نريد عبد الله بنَ وهب الراسبىّ ، راسب الأزْد ، وقلتم أنتم : لا نريد إلا أهلَ البيت الذين ابتدأنا الله من قِبَلهم بالكرامة ، تسديداً من اللهِ لكم وتوفيقاً ، فلم تزالوا على الحقّ لازمين له ، آخِذِين به ، حتى أهلك الله بكم وبمن كان على مِثل هداكم ورأيكم الناكِثين يومَ الجمل ، والمارِقِين يومَ النّهر — وسكت عن ذكر أهل الشأم ، لأن السلطان كان حينئذ سلطانهم — ولا قومَ أعدَى لله ولكم ولأهل بيت نبيِّكم ولجماعة المسلمين من هذه المارقة الخاطئة ، الذين فارَقوا إمامَنا ، واستحلُّوا دماءَنا ، وشهدوا علينا بالكُفْر ؛ فإياكم أن تُؤْووهم فى دُوركم ، أو تكتموا عليهم ، فإنه ليس ينبغى لحىّ من أحياء العرب أن يكون أعدَى لهذه المارقة منكم ، وقد والله ذُكِر لى أنّ بعضهم فى جانب من الحىّ ، وأنا باحثٌ عن ذلك وسائل ، ٢/٣٥ فإن كان حُكِىَ لى ذلك حقّاً تقرّبت إلى الله تعالى بدمائهم ، فإنّ دماءهم حلال . ثم قال : يا معشرَ عبدِ القيس ، إنّ وُلاتنا هؤلاء هم أعرَف شىء بكم وبرأيكم ، فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلا ، فإنهم أسرَع شىء إليكم وإلى أمثالكم[1] . ثم تنحّى فجلس ، فكلّ قومه قال : لَعنَهم الله ! وقال : برِئ الله منهم ، فلا والله[2] فلا نُؤْويهم ، ولئن عَلِمنا بمكانهم لنطلعنّك عليهم ؛ غير سُليم بن محدوج ، فإنه لم يقل شيئاً ، فرجع[3] إلى قومه كئيباً واجماً ، يكرَه[4] أن يخرجَ أصحابه من منزله فيَلُومُوه ، وقد كانت بينهم مصاهَرة ، وكان لهم ثقة ، ويكره أن يُطلَبوا فى داره فيَهلِكوا ويَهلِك . وجاء فدخل رحلَه ، وأقبل أصحابُ المستورِد يأتونه ، فليس منهم رجلٌ إلا يخبره بما قام به المغيرة بنُ شُعبة فى الناس وبما جاءهم رؤساؤهم ، وقاموا فيهم ، وقالوا له : اخرُج بنا ، فوالله ما نأمن أن نؤخذ فى عشائرنا . قال : فقال لهم : أما ترَوْن رأسَ عبد القيس قام فيهم كما قامت رؤساءُ العشائر فى عشائرهم ؟ قالوا :

---

(١) س : « قتلكم » .
(٢) س : « فوالله » .
(٣) ف : « ورجع » .
(٤) ف : « فكره » .

بلى والله نرى . قال : فإنّ صاحب منزلى لم يذكر لى شيئًا ؛ قالوا : نرى والله أنه استَحيا منك ، فدعاه فأتاه ، فقال : يابن محدوج ؛ إنه قد بلغنى أن رؤساء العشائر قاموا إليهم ، وتقدّموا إليهم فىّ وفى أصحابى ، فهل قام فيكم أحدٌ يـذكر لكم شيئًا من ذلك ؟ قال : فقال : نعم ؛ قد قام فينا صعصعة ابن صُوحان ، فتقدّم إلينا فى ألّا نؤوِىَ أحداً من طِلْبتهم ، وقالوا أقاويلَ كثيرةً كرهتُ أن أذكرَها لكم فتحسَبوا أنه ثَقُل علىّ شيء من أمركم ؛ فقال له المستورد : قد أكرمْتَ المثوَى ، وأحسنت الفِعل ، ونحن إن شاء الله مُرتحِلون عنك[1] ؛ ثم قال : أمَا والله لو أرادوك فى رَحْلى ما وَصلوا إليك ولا إلى أحد من أصحابك حتى أموتَ دونَكم ، قال : أعاذك الله من ذلك ! ٣٦/٢

وبلغ الذين فى مَحبِس المغيرة ما أجمع عليه أهلُ المِصر من الرأى فى نفىِ من كان بينهم من الخوارج وأخذِهم ، فقال معاذ بن جُوَين بن حصين فى ذلك :

ألا أيّها الشارُون قد حان لامرئٍ ... شَرَى نفسَه لله أن يتَرَحَّلَا

أقمتمْ بدار الخاطئين جَهالةً ... وكلُّ امرئٍ منكم يُصادُ لِيُقْتَلَا

فشُدُّوا على القومِ العُداةِ فإنّما ... أقامَتْكُمُ للذبْح رأْيًا مُضلَّلَا

ألا فاقصِدُوا يا قومِ للغايةِ التى ... إذا ذُكِرَتْ كانت أبَرَّ وأعْدَلَا

فياليتنى فيكم على ظهر سابِحٍ ... شديدِ القُصَيْرَى دارِعاً غيرَ أعْزَلا

وياليتنى فيكم أعادى عدوَّكمْ ... فَيسقيَنى كأْسَ المَنِيَّـة أوّلا

يعزّ علىَّ أن تُخافوا وتطْرَدُوا ... ولما أُجَرِّدْ فى المُحِلِّين مُنْصُلا

ولما يُفرّقْ جَمْعَهم كلُّ ماجِـدٍ ... إذا قلتَ قد وَلَّى وأدْبَرَ أقبَلَا

مُشِيحًا بنَصْلِ السيفِ فى حَمَس الوَغَى ... يرى الصبرَ فى بعض المواطِنِ أمثَلا

وعزَّ علىّ أن تُضاموا وتُنْقَصوا ... وأصْبحَ ذا بثٍّ أسيرًا مُكَبَّـلا

---

(١) س : «عنكم» .

ولو أننى فيكمْ وقد قصـدوا لكمْ أَثَرْتُ إذًا بين الفريقيْنِ قَسْطَلا
فيا رُبَّ جَمْعٍ قد فَللتُ وغارةٍ شَهِدْتُ وقِرْنٍ قد تركْتُ مُجَدَّلا

٢/٣٧ فبعث المستورِد إلى أصحابه فقال لهم : اخرُجوا من هذه القبيلة لا يُصِب امرأ[1] مسلمًا فى سببنا بغير علمٍ معرّةٌ . وكان فيهم بعضُ من يرى رأيهم ، فاتّعدوا سورًا ، فخرجوا إليها متقطعين من أربعة وخمسة وعشرة، فتتامّوا بها ثلثمائة رجل ، ثم ساروا إلى الصَّراة ، فباتوا بها ليلةً .

ثم إنّ المغيرة بن شُعبة أخبِر خبرَهم ، فدعا رؤساء الناس ، فقال : إنّ هؤلاء الأشقياء قد أخرجهم الحيْن وسوءُ الرأى ، فمن تَرَوْن أبعثُ إليهم ؟ قال : فقام إليه عدىّ بن حاتم، فقال: كلُّنا لهم عدوّ، ولرأيهم مسفِّه[2]، وبطاعتك مستمسِك، فأيّنا شئت سار إليهم .

فقام معقل بن قيس، فقال : إنك لا تبعث إليهم أحداً ممن ترى حولَك من أشراف المصر إلا وجدتَه سامعًا مطيعًا ، ولهم مفارقًا ، ولهلاكهم محبًّا، ولا أرى أصلَحَك الله أن تَبعَثَ إليهم أحداً من الناس أعدَى لهم ولاأشدّ عليهم منّى ، فابعثْنى إليهم فإنى أكفيكَهم بإذن الله ؛ فقال : اخرج على اسم الله ؛ فجهّز معه ثلاثة آلاف رجل .

وقال المغيرة لقَبيصة بن الدمُّون : الصق لى بشيعةِ علىٍّ، فأخرجهم مع مَعقِل بن قيس ، فإنه كان من رءوس أصحابه ، فإذا بعثت بشيعته الذين كانوا يعرَفون فاجتمعوا جميعًا ، استأنس بعضهُم ببعض وتنَاصَحوا، وهم أشدّ استحلالا لدماءِ هذه المارِقة ، وأجرأ عليهم من غيرهم ، وقد قاتلوا قبلَ هذه المرّة .

قال أبو مخنف : فحدّثنى الأسود بن قيس ، عن مرّة بن منقِذ بن النعمان، قال : كنتُ أنا فيمن نُدِب معه يومئذ ؛ قال : لقد كان صعصعة ابن صُوحان قامَ بعد معقِل بن قيس وقال : ابعثْنى إليهم أيّها الأمير ، ٢/٣٨

(١) س : « لا يهلك امرؤ » . (٢) س : « مبغض » .

فأنا والله لدمائهم مستحلّ ، وبحملها مستقلّ ؛ فقال : اجلس ؛ فإنما أنت خطيب ، فكان أحفظه ذلك ، وإنما قال ذلك لأنه بلغه أنّه يعيب عثمانَ بنَ عفّان رضى الله عنه ، ويكثر ذكرَ عليّ ويفضّله ، وقد كان دعاه ، فقال : إيّاك أن يبلغنى عنك أنك تعيب عثمانَ عند أحد من الناس ، وإيّاك أن يبلغنى عنك أنك تظهر شيئًا من فضل عليّ علانيةً ، فإنك لست بذاكر من فضل عليّ شيئًا أجهله ، بل أنا أعلم بذلك ، ولكن هذا السلطان قد ظهر ، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس ، فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به ، ونذكر الشيءَ الذى لا نجد منه بدًّا ، ندفع به هؤلاء القومَ عن أنفسنا تقيّة ، فإن كنتَ ذاكراً فضله فاذكره[1] بينك وبين أصحابك وفى منازلكم سرًّا ، وأما علانيةً فى المسجد فإنّ هذا لا يحتمله الخليفةُ لنا ، ولا يعذرنا به ، فكان يقول له : نعم أفعل ، ثم يبلغه أنه قد عاد إلى ما نهاه عنه ، فلما قام إليه وقال له : ابعثْنى إليهم ، وجد المغيرة قد حقد عليه خلافه إياه ، فقال : اجلس فإنما أنت خطيب ، فأحفظه ، فقال له : أوَما أنا إلا خطيب فقط ! أجل والله ، إنّى للخطيب الصّليب الرئيس ، أما والله لو شهدتَنى تحت راية عبد القيْس يومَ الجمل حيث اختلفت القنا ، فشئون تفرَى ، وهامةٌ تختلَى ، لعلمتَ أنى أنا الليث الهِزَبْر ؛ فقال : حسْبك الآن ، لعمرى لقد أوتيتَ لسانًا فصيحًا ، ولم يلبث قبيصة بن الدمّون أن أخرج الجيشَ مع معقل ، وهم ثلاثة آلاف نُقاوة الشيعة وفرسانهم . ٣٩/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى النّضر بن صالح ، عن سالم بن ربيعة ، قال : إنى جالس عند المغيرة بن شُعْبة حين أتاه معقل بن قيس يسلّم عليه ويودّعه ، فقال له المغيرة : يا معقل بن قيس ، إنّى قد بعثت معك فُرسانَ أهلِ المصْر ، أمرت بهم فانتُخبوا انتخابًا ، فسرْ إلى هذه العصابة المارقة الذين فارقوا جماعتَنا ، وشهدوا عليها بالكُفْر ، فادعهم إلى التّوْبة ، وإلى الدّخول فى الجماعة ، فإن فعلوا فاقبل منهم ، واكفُفْ عنهم ، وإن هم لم يفعلوا فناجِزْهم ، واستعِن بالله عليهم .

(١) س : « فاذكر ذلك » .

فقال معقل بن قيس : سندعوهم ونعذر ، وايمُ الله ما أرَى أن يقبلوا ، ولئن لم يقبلوا الحقّ لا نَقبل منهم الباطل ، هل بلغَك -أصلَحك الله- أين منزل القوم؟ قال : نعم، كتب إلىّ سماك بن عُبَيد العبسى -وكان عاملاً له على المدائن- يُخبِرنى أنهم ارتحلوا من الصَّراة ، فأقبلوا حتى نزلوا بَهُرَسير ، وأنهم أرادوا أن يَعْبروا[1] إلى المدينة العتيقة التى بها منازل[2] كسرى وأبيَض المدائن ، فمنعهم سماك أن يجوزوا ، فنزلوا بمدينة بَهُرَسير مقيمين ، فاخرج إليهم ، وانكمِش[3] فى آثارهم حتى تَلحقَهم ، ولا تَدَعهم والإقامةَ فى بلد ينتهى إليهم فيه أكثر من الساعة التى تدعوهم فيها ، فإن قبلوا وإلا فناهِضْهم ، فإنهم لن يقيموا ببلد يومين إلا أفسدوا كلّ من خالَطَهم . ٢/٤٠

فخرج من يومه فبات بسورا ، فأمر[4] المغيرة مولاه ورّاداً ، فخرج إلى الناس فى مسجد الجماعة ، فقال : أيّها الناس ، إنّ معقل بن قيس قد سار إلى هذه المارقة ، وقد بات الليلةَ بسورا ، فلا يتخلّفنّ[5] عنه أحد من أصحابه . ألا وإنّ الأمير يَخرج على كلّ رجل من المسلمين منهم ، ويَعزِم عليهم أن يبيتوا بالكوفة ، ألا وأيّما رجل من هذا البعث وَجَدناه بعد يَومِنا بالكوفة فقد أحلّ بنفسه .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الرحمن بن جندب[6] ، عن عبد الله بن عُقْبة الغَنَوىّ ، قال : كنت فيمن خرج مع المستورِد بن عُلّفة ، وكنت أحدثَ رجلٍ فيهم. قال : فخرجنا حتى أتينا الصَّراة ، فأقمنا بها حتى تتامّت جماعتُنا ، ثم خرجْنا حتى انتهينا إلى بَهُرسير ، فدخلناها ونذِربنا سماك بن عبيد العبسىّ ، وكان فى المدينة العتيقة ، فلما ذهبنا لنعبر الجسرَ إليهم قاتلْنا عليه ، ثم قطعه علينا ، فأقمنا ببَهُرسير . قال : فدعانى المستورِد بن عُلّفة ، فقال : أتكتب يابن أخى ؟ قلت : نعم ، فدعا لى برَقّ ودَواة ، وقال : اكتب : مِن عبد الله

---

(١) ف : « يصيروا » .

(٢) ف : « منار » .

(٣) س : « وانكمن » .

(٤) ف : « وأمر » .

(٥) ف : « فلا يتخلف » . (٦) ط : « حبيب » . وانظر التصويبات .

المستورِد أميرِ المؤمنين إلى سماك بن عبيد ، أمّا بعد ، فقد نقِمْنا على قومنا الجَوْر فى الأحكام ، وتعطيلَ الحدود ، والاستئثارَ بالفىء ، وإنا ندعوك إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم، وولاية أبى بكر وعمرَ رضوان الله عليهما ، والبراءة من عثمانَ وعلىّ ، لإحداثهما فى الدّين ، وتركهما حكمَ الكتاب ، فإنْ تَقبَل فقد أدركت رُشْدَك ، وإلا تَقبَل فقد بالغنا[1] فى الإعذار[2] إليك ، وقد آذنّاك بحرب ، فنَبَذْنا إليك على سواء ، إنّ الله لا يحبّ الخائنين . قال : فقال المستورِد : انطلق إلى سِماك بهذا الكتاب فادفعْه إليه ، واحفظ ما يقول لك ، والقَنِى .

قال : وكنت فتًى حَدَثًا حين أدركتَ، لم أجرّب الأمور ، ولا علمَ لى بكثير منها ، فقلت : أصلحك الله ! لو أمرتَنى أن أستعرضَ دِجلة فألقِىَ نفسى فيها ما عصيتُك ، ولكن تأمن علىّ سماكًا أن يتعلق بى، فيَحبِسنى عنك ، فإذا أنا قد فاتنى ما أترجّاه من الجِهاد ! فتبسّم وقال : يابن أخى ، إنما أنت رسولٌ ، والرسول لا يُعرَض له ، ولو خشيتُ ذلك عليك لم أبعثْك ، وما أنت على نفسك[3] بأشفَق منى عليك . قال : فخرجتُ حتى عبرتُ إليهم فى مَعْبَر ، فأتيت سِماك بن عبيد ، وإذا الناس حولَه كثير . قال : فلما أقبلتُ نحوَهم أبَدُّونى أبصارَهم ، فلما دنوتُ منهم ابتدرَنى نحوٌ من عشرة ، وظننتُ والله أنّ القومَ يريدون أخذى ، وأنّ الأمرَ عندهم ليس كما ذكر لى صاحبى ، فانتضيْت سيْفى ، وقلتُ : كلاّ ، والذى نفسى بيَدِه، لا تَصِلون إلىّ حتى أعذِر إلى الله فيكم ، قالوا لى : يا عبدَ الله ، من أنت ؟ قلت : أنا رسولُ أميرِ المؤمنين المستورِد بن عُلّفة ، ؛ قالوا : فلِمَ انتضيتَ سيفَك ؟ قلت : لابتداركم إلىّ، فخفت أن توثِقونى وتَغدُروا بى . قالوا : فأنت آمِن ، وإنما أتيناك لنقوم إلى جَنْبِك، ونُمسِكَ بقائم سيفك، وننظرَ ما جئت له، وما تسأل؛ قال: فقلت لهم : ألست آمِنًا حتى تردّونى إلى أصحابى ؟ قالوا : بلى ، فشِمْتُ سيفى، ثم أتيت حتى قمت على رأس سِماك بن عُبَيْد وأصحابه

[1] ط : « أبلغنا » .
[2] س : « الإغدار » .
[3] س : « بأشفق على نفسك » .

قد ائتشبوا بى[١] ، فمنهم مُمسِك بقائم سيفى ، ومنهم ممسِكٌ بعَضُدِى ، فدفعتُ إليه كتابَ صاحبى ، فلما قرأه رفَع رأسه إلىّ ، فقال : ما كان المستورِد عندى خليقًا لِما كنت أرَى من إخباته وتَواضُعه أن يخرج على المسلمين بسَيْفه، يَعْرِض على المستورِد البراءة من علىّ وعثمان ، ويدعونى إلى ولايته ! فبئسَ واللهِ الشيخ أنا إذًا ! قال : ثم نظر إلىّ فقال : يا بُنَىّ ، اذهبْ إلى صاحبك فقل له : اتّق اللهَ وارجع عن رأيك ، وادخُل فى جماعةِ المسلمين ، فإن أردتَ أن أكتبَ لك فى طلب الأمان إلى المغيرة فعلت ، فإنك ستجده سريعًا إلى الإصلاح ، محبًّا للعافية : قال : قلت له ، وإنّ لى فيهم يومئذ بصيرة ، هيهات ! إنما طلبْنا بهذا الأمر الذى أخافنا فيكم فى عاجل الدنيا الأمن عند الله يوم القيامة ؛ فقال لى : بؤسًا لك ! كيف أرحمُك ! ثم قال لأصحابه : إنهم خلَوْا بهذا . ثم جعلوا يقرءون عليه القرآن ويتخضّعون ويتباكون ، فظنّ بهذا أنهم على شىء من الحقّ ، إن هم إلاّ كالأنعام ، بل هم أضلّ سبيلاً ، والله ما رأيتُ قومًا كانوا أظهرَ ضلالة ، ولا أبينَ شؤمًا ، من هؤلاء الذين ترَوْن !

قلت : يا هذا إنى لَمْ آتِك لأشاتِمك ولا أسمع حديثك وحديثَ أصحابك ، حدّثنى ، أنت تجيبنى إلى ما فى هذا الكتاب أم لا تفعل فأرجع إلى صاحبى ؟ فنظر إلىّ ثم قال لأصحابه : ألا تَعجَبون إلى هذا الصبىّ ! والله إنّى لأرانى أكبر من أبيه ، وهو يقول لى : أتجيبنى إلى ما فى هذا الكتاب ! انطلِق يا بُنَىّ إلى صاحبك ، إنما تَندَم لو قد اكتنفتْكم الخيلُ ، وأشرِعت فى صدوركم الرِّماح ، هناك تَمنّى لو كنتَ فى بيت أمّك ! قال : فانصرفتُ من عنده فعبرتُ إلى أصحابى ، فلما دنوتُ من صاحبى قال : ما ردّ عليك ؟ قلت : ما ردّ خيراً ؛ قلت له : كذا وقال لى : كذا ، فقصصتُ عليه القصّة ؛ قال : فقال المستورِد : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[٢]

٤٣/٢

(١) ف : « أنشبوا بى » ، س : « اكتنفونى » .
(٢) سورة البقرة ٦ ، ٧ .

قال : فلبثنا بمكاننا ذاك يومين أو ثلاثة أيام ، ثم استبان لنا مسير معقل ابن قيس إلينا . قال : فجمعنا المستورِد ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعدُ ، فإن هذا الخرِق معقل بن قيس قد وجّه إليكم وهو من السَّبَئيَّة المفترين الكاذبين ، وهو لله ولكم عدوّ ، فأشيروا علىّ برأيكم . قال : فقال له بعضنا : والله ما خرجْنا نريد إلا الله ، وجهاد مَن عادى الله ، وقد جاءونا فأين نذهب عنهم ! بل نقيم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين . وقالت طائفة أخرى : بل نعتزِل ونتنحّى ، ندعو الناسَ ونحتجّ عليهم بالدعاء .

٤٤/٢

فقال : يا معشر المسلمين ، إنى والله ما خرجتُ ألتمس الدنيا ولا ذِكرَها ولا فخرَها[1] ولا البقاءَ ، وما أحبّ أنها لى بحذافيرها ، وأضعاف ما يُتنافَس فيه منها بقِبالِ[2] نعلى! وما خرجتُ إلا التماسَ الشهادة ، وأن يهديَنى الله إلى الكرامة بهوان بعض أهلِ الضّلالة ، وإنى قد نظرت فيما استشرتُكم فيه فرأيت ألّا أقيمَ لهم حتى يَقدِموا علىّ وهم جامّون[3] متوافِرون ، ولكنْ رأيت أن أسيرَ حتى أمعِن ، فإنهم إذا بلغهم ذلك خرجوا فى طلَبِنا ، فتقطّعوا وتبدّدوا ، فعلَى تلك الحال ينبغى لنا قِتالهم ، فاخرجوا بنا على اسم الله عزّ وجلّ .

قال : فخرجنا فمضَينا على شاطئ دِجْلةَ حتى انتهينا إلى جَرْجَرايا ، فعبرْنا دِجْلة ، فمضينا كما نحن فى أرض جُوخَى حتى بلغنا المَذار ، فأقمنا فيها ، وبلغ عبد الله بن عامر مكاننا الذى كنا فيه ، فسأل عن المغيرة بن شعبة ، كيف صنع فى الجيش الذى بعث إلى الخوارج ؟ وكم عِدّتهم ؟ فأخبِر بعِدّتهم ، وقيل له : إنّ المغيرة نظر إلى رجل شريف رئيس قد كان قاتَلَ الخوارجَ مع علىّ عليه السلام ، وكان من أصحابه ، فبَعثَه وبعث معه شيعةَ علىٍّ لعداوتهم لهم ، فقال : أصاب الرأىَ ، فبعث إلى شريك بن الأعور الحارثىّ — وكان يرَى رأىَ علىٍّ عليه السلام — فقال له : اخرج إلى هذه المارِقة فانتخِب ثلاثة آلافِ رجل[4] من الناس ، ثم أتْبعهم حتى تُخرجَهم

(١) س : « فخراً فيها » .
(٢) قبال النعل : زمامها .
(٣) ط : « حامون » تحريف .
(٤) س : « فارس » .

٢/٤٥ من أرض البَصْرة أو تقتلهم . وقال له بينه وبينه : اخرج إلى أعداءِ الله بمن يستحلّ قتالَهم من أهل البصرة ، فظَنّ شريك به إنما يعنى شيعَة علىّ عليه السلام ، ولكنه يكره أن يسمّيَهم ، فانتخب الناس ، وألحّ على فُرسان ربيعة الذين كان رأيهم فى الشيعة ، وكان تجيبه العظماء منهم . ثمّ إنه خرج فيهم مقبلاً إلى المستوردِ بن عُلّفة بالمذار .

قال أبو مِخْنف : وحدّثنى حُصيرة بن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه عبد الله بن الحارث ، قال : كنت فى الذين خرجوا مع معقِل بن قيس ، فأقبلتُ معه ، فوالله ما فارقتُه ساعةً من نهار منذ خرجتُ ، فكان أوّل منزل نزلْناه سُورا .

قال : فمكثْنا يومًا حتى اجتمع إليه جُلُّ أصحابه ، ثمّ خرجنا مسرِعين مبادِرين لعدوّنا أن يفوتَنا ، فبعثْنا طليعةً ، فارتحلنا فنزلنا كُوثَى ، فأقمْنا بها يومًا حتى لحق بنا مَنْ تخلّف ، ثم أدلَج بنا من كُوثَى ، وقد مَضَى من الليل هزيع ، فأقبلْنا حتى دنوْنا من المدائن ، فاستقبلَنا الناسُ فأخبَرونا أنهم قد ارتحلوا ، فشقّ علينا واللهِ ذلك ، وأيقَنّا بالعَناء وطولِ الطَّلَب .

قال : وجاء معقلُ بنُ قيس حتى نزل باب مدينة بَهُرَسير ، ولم يدخلْها ، فخرج إليه سِماك بن عبيد ، فسلّم عليه ، وأمر غلمانَه ومواليه فأتَوْه بالجَزَر والشعير والقَتّ ، فجاءوه من ذلك بكلّ ما كفاه وكفى الجُنْد الذين كانوا معه .

ثم إن معقل بن قيس بعد أن أقام بالمدائن ثلاثًا جمَعَ أصحابَه فقال :

٢/٤٦ إن هؤلاء المارقة الضُّلّال إنما خرجوا فذهبوا على وجوههم إرادةَ أن تتعجّلوا فى آثارهم ، فتقطّعوا وتبدّدوا[1] ، ولا تلحقوا بهم إلا وقد تَعِبتم ونَصِبْتم ، وأنه ليس شىء يدخل عليكم من ذلك إلا وقد يدخل عليهم مِثله ، فخرج بنا مِن المدائن ، فقدم بين يديه أبو الروّاغ الشاكرىّ فى ثلثمائة فارس ، فأتبع آثارَهم ، فخرج معقل فى أثره ، فأخذ أبو الروّاغ يسأل عنهم ، ويَركب الوجه الذى أخذوا فيه ، حتى عبَروا جَرْجرايا فى آثارهم ، ثم سلك الوجه

---

(١) ف : « فيتقطعوا ويتبدّدوا » .

الذى أخذوا فيه ، فاتّبعهم ، فلم يزل ذلك دأبه[١] حتى لحقهم بالمذار مقيمين ، فلما دنا منهم استشار[٢] أصحابه فى لقائهم وقِتالهم قبل قدوم ِ معقل عليه ، فقال له بعضهم : أقدم بنا عليهم فلنقاتلْهم ، وقال بعضهم : واللهِ ما نرى أن تَعجَل إلى قتالهم حتى يأتِيَنا أميرُنا ، ونلقاهم بجماعتِنا .

قال أبو مخنف : فحدّثنى تليد بن زيد بن راشد الفائشىّ أنّ أباه كان معه يومئذ . قال : فقال لنا أبو الروّاغ : إنّ معقل بن قيس حين سرّحنى أمامَه أمرنى أن أتبع آثارَهم ، فإذا لحقتُهم لم أعْجَل إلى قتالهم حتى يأتيَنى.

قال : فقال له جميع أصحابه : فالرأى الآن بيِّن ، تنحَّ بنا فلنكن قريباً منهم حتى يقدم علينا صاحبُنا ، فتنحّينا — وذلك عند المساء — قال : فبتنا ليلتَنا كلها متحارسين حتى أصبحنا ، فارتفع الضُّحَى ، وخرجوا علينا ، قال : فخرجنا إليهم وعِدّتهم ثلثمائة ونحن ثلثمائة ، فلما اقتربوا [٣]شدّوا علينا ، فلاوالله ما ثبت لهم منا إنسان؛ قال : فانهزمنا ساعة ، ثم إن أبا الرّواغ صاح بنا وقال : يا فُرسان السوء ، قبّحكم الله سائر اليوم ! الكرّة الكرّة ! قال : فحمَل وحملْنا معه ، حتى إذا دنوْنا من القوم كرّ بنا ، فانصرفنا وكَرّوا علينا ، وكَشَفونا[٤] طويلاً ، ونحن على خيل مُعلَمة جيادٍ ، ولم يُصَب منا أحد ، وقد كانت جِراحات[٥] يسيرة ، فقال لنا أبو الرّواغ : ثَكِلتْكم أمهاتكم! انصرِفوا بنا فلنكرّ قريباً منهم ، لا نزايلهم حتى يقدَم علينا أميرُنا ، فما أقبح بنا أن نرجع إلى الجيش، وقد انهزمنا من عدوّنا ولم نصبر لهم حتى يشتد القتال وتكرّ القتلى . قال : فقال رجل منا يجيبه : إنّ الله لا يستحيي من الحقّ ، قد والله هزمونا ، قال أبو الروّاغ : لا أكثر الله فينا ضرَبك ! إنّا ما لم ندع المعركةَ فلم نهزَم[٦] ، وإنا متى عطفنا عليهم وكنا قريباً منهم فنحن على حال حسنة حتى يقدم علينا الجيش ، ولم نرجع عن وَجْهنا ، إنه والله لو كان يقال : انهزم أبو حمران حُمَيّر بن بجيْر الهمْدانىّ ، ما باليت ، إنما

٢/٤٧

---

(١) س : « شأنهم » .
(٢) س : « أشار » .
(٣) س : « قربوا » .
(٤) س : « فكشفونا » .
(٥) س : « جراحة » .
(٦) س : « نهزم » .

يقال : انهزم أبو الروّاغ ؛ فقفوا قريبًا ، فإن أتَوْكم فعجزتم عن قِتالِهم فانحازوا[١] ، فإن حملوا عليكم فعجزتم عن قتالهم فتأخّروا وانحازوا إلى حامية ، فإذا رجعوا عنكم فاعطِفوا عليهم، وكونوا قريبًا منهم، فإنّ الجيش آتيكم إلى ساعة . قال : فأخذت الخوارجُ كلّما حملتْ عليهم انحازوا وهم كانوا[٢] حامية ، وإذا أخذوا فى الكرّة عليهم فتفرّق جماعتُهم قرب أبو الرّواغ وأصحابه على خيلهم فى آثارهم ، فلما رأوا أنهم لا يفارقونهم، وقد طاردوهم هكذا من ارتفاع الضحى إلى الأولى . فلما حضَرت صلاةُ الظهر نزل المستورِد للصّلاة ، واعتزل أبو الرّواغ وأصحابه على رأس مِيل منهم أو ميلين ، ونزل أصحابُه فصلّوا الظهر ، وأقاموا رجلين رَبيئةً ، وأقاموا مكانَهم حتى صلّوا العصر . ثم إنّ فتًى جاءهم بكتاب معقِل بن قيس إلى أبى الرّواغ ، وكان أهل القرى وعابرو السبيل يمرّون عليهم ويرونهم يقتتلون ، فمن مَضَى منهم على الطريق نحو الوَجْه الذى يأتى من قِبله مَعقل استقبل معقلا فأخبَره بالْتِقاء أصحابه والخوارج ، فيقول : كيف رأيتموهم يصنعون ؟ فيقولون : رأينا الحَرُوريّة تطرد أصحابَك ، فيقول : أما رأيتم أصحابى يَعطِفون عليهم ويقاتلونهم ؟ فيقولون: بلى ، يعطفون عليهم وينهزمون : فقال: إن كان ظنّى بأبى الروّاغ صادقًا لا يقدم عليكم منهزِمًا أبداً . ثم وقف عليهم ، فدعا مُحرِز بن شهاب بن بجير بن سُفْيان بن خالد بن مِنقَر التميمىّ فقال له : تخلّف فى ضَعَفة الناس ، ثم سِرْ بهم على مَهَل ، حتى تقدم بهم علىّ، ثم نادِ فى أهل القوّة : ليتعجل كلّ ذى قوّة معى، اعجَلوا إلى إخوانكم ، فإنهم قد لاقَوْا عدّوهم ، وإنى لأرجو[٣] أن يُهلِكَهم الله قبل أن تصلوا إليهم .

٤٨/٢

قال : فاستجمَع من أهل القوّة والشجاعة وأهلِ[٤] الخيل الجياد نحو من سبعمائة ، وسار فأسرع ، فلما دنا من أبى الرّواغ قال أبو الروّاغ : هذه

٤٩/٢

(١) س : « فتأخروا » .
(٢) س : « كأنهم » .
(٣) ف : « أرجو » .
(٤) ف : « والخيل » .

غَبَرة الخيل ، تقدَّموا بنا إلى عدوّنا حتى يقدم علينا الجند ، ونحن منهم قريب ، فلا يَرَوْن أننا تنحّينا عنهم ولاهِبْناهم . قال : فاستقدم أبو الرّواغ حتى وقف مقابل المستورِد وأصحابه ، وغشيَهم معقل فى أصحابه ، فلما دنا منهم غَرَبت الشمس ، فنزل فصلّى بأصحابه ، ونزل أبو الرّواغ فصلّى بأصحابه فى جانب آخر ، وصلّى الخوارج أيضًا . ثم إنّ معقل بن قيس أقبل بأصحابه حتى إذا دنا من أبى الرّواغ دعاه فأتاه ، فقال له : أحسنت أبا الرّواغ ! هكذا الظنّ بك ، الصبر والمحافظة . فقال : أصلحك الله ! إنّ لهم شَدّات منكرات ، فلا تكن أنت تَليها بنفسك ، ولكن قدّم بين يديك من يقاتلهم ، وكن أنت مِن وراء الناس رِدءًا لهم ؛ فقال : نِعمَ ما رأيت ! فوالله ما كان إلا رَيْثما قالها حتى شدّوا عليه وعلى أصحابه ، فلما غَشوه انجفَل عنه عامّةُ أصحابه ، وثَبتَ ونزل ، وقال : الأرضَ الأرضَ يا أهلَ الإسلام ! ونزل معه أبو الروّاغ الشاكرىّ وناسٌ كثيرٌ من الفُرْسان وأهلِ الحفاظ نحو مائتى رجل ، فلما غشيَهم المستورِد وأصحابُه استقبلوهم بالرّماح والسيوف ، وانجفلتْ خيلُ معقل عنه ساعة ، ثم ناداهم مسكين بن عامر بن أنَيْف بن شُريح بن عمرو بن عُدُس — وكان يومئذ من أشجع الناس وأشدّهم بأسًا — فقال : يا أهلَ الإسلام ، أين الفِرار ، وقد نَزَل أميركم ! ألا تَستحيُون ! إنّ الفرار مَخزاةٌ وعار ولؤم ، ثمّ كرّ راجعًا ، ورجعتْ معه خيلٌ عظيمة ، فشدّوا عليهم ومعِقل بن قيس يُضارِبهم تحتَ رايته[1] مع ناس نَزَلوا معه من أهل الصّبر ، فضَرَبوهم حتى اضطرّوهم إلى البيوت ، ثمّ لم يلبثوا إلا قليلاً حتى جاءهم مُحرِز بن شهاب فيمن تخلّف من الناس ، فلما أتوهم أنزلَهم ثم صفّ لهم ، وجعل ميمنةً وميسَرة ، فجعل أبا الرّواغ على ميمنته ومحرزَ بن بُجير بن سفيان على مَيسرته ومسكينَ بن عامر على الخيل ، ثم قال لهم : لا تَبرَحوا مَصافّكم حتى تصبحوا ، فإذا أصبَحتم ثُرْنا إليهم فناجَزْناهم ، فوقف الناس مواقفهم على مَصافّهم .

٢/٥٠

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن

---

(١) ف : « راياته » .

عُقْبة الغَنَوِىّ ، قال : لما انتهى إلينا معقل بن قيس قال لنا المستورد : لا تَدَعُوا مَعقِلاً حتى يعبِّىَ لكم الخيل والرَّجْل ، شُدّوا عليهم شَدّةً صادقةً ، لعلّ الله يَصرَعه فيها . قال : فشددْنا عليهم شَدّة صادقة ، فانكشفوا فانفضّوا ثم انجفلوا ووثب مَعقِل عن فرسِه حين رأى إدبارَ أصحابه عنه ، فرفع رايتَه ، ونزل معه ناس من أصحابه ، فقاتَلوا طويلاً ، فصَبروا لنا ، ثم إنهم تداعَوا علينا ، فعطفوا علينا من كلّ جانب ، فانحَزْنا حتى جعلنا البيوتَ فى ظهورنا ، وقد قاتلْناهم طويلاً ، وكانت بيننا جِراحةٌ وقتلٌ يسير .

قال أبو مخنف : حدّثنى حصيرة بن عبد الله ، عن أبيه أنّ عُمَير بن أبى أشاءة الأزدىّ قُتِل يومئذ ، وكان فيمن نزل مع معقِل بن قيس ، وكان رئيساً. قال : وكنتُ أنا فيمن نَزَل معه ، فوالله ما أنسَى قولَ عُمَيْر بن أبى أشاءة ونحن نَقتتِل وهو يضارِبهُم بسيفه قُدْماً : ٢/٥١

قد عَلِمتْ أنّى إذا ما أَقْشَعُوا عنّىَ والتاثَ اللئامُ الوُضَّعُ[1]

* أَحْوَسُ عند الرَّوْعِ نَدْبٌ أَرْوَعُ[2] *

وقاتل قتالاً شديداً ما رأيت أحداً قاتَلَ مثلَه ، فَجرَح رجالاً كثيراً ، وقَتَل وما أدرى أنه قتل ، ما عدا واحداً وقد علمت أنه اعتنقه ، فخرّ على صدره فذبحه ، فما حزّ رأسَه حتى حمل عليه رجلٌ منهم فطَعنَه بالرمح فى ثُغْرة نَحرِه ، فخرّ عن صدره ، وانجَدَل ميّتاً ، وشددْنا عليهم ، وحُزْناهم إلى القَرْية ، ثم انصرفْنا إلى معركَتنا ، فأتيتُه وأنا أرجو أن يكون به رَمَق ، فإذا هو قد فَاظ[3] ، فرجعتُ إلى أصحابى فوقفتُ فيهم .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن عقبة

---

(١) س : « الرضّع » : جمع راضع ؛ وهو اللئيم .

(٢) الأحوس : الرجل الجرىء . والندب : الخفيف إلى الأمر . والأروع : الرجل الكريم ذو الجسم والجهارة .

(٣) فاظت نفسه ؛ هلك ، مثل « فاضت » .

الغنوىّ ، قال : إنا لمتواقِفون(١) أوّلَ الليل إذ أتانا رجل كنا بعثْناه أوّلَ الليل ، وكان بعض من يمرّ الطريق قد أخبَرَنا أنّ جيشًا قد أقبل إلينا من البَصرة ، فلم نَكترِث ، وقُلْنا لرجل من أهل الأرض وجعلْنا له جُعْلا : اذهبْ فاعلم هل أتانا من قِبل البصرة جيش ؟ فجاء ونحن مواقفو أهل الكوفة ، وقال لنا : نعم ، قد جاءكم شريكُ بن الأعور ، وقد استقبلت طائفة على رأس فرسخ عند الأولى ، ولا أرى القومَ إلا نازلين بكم الليلة ، أو مُصبّحيكم غُدْوة . فأسقِط فى أيدينا .

٥٢/٢

وقال المستورد لأصحابه : ماذا ترون ؟

قلنا : نرى ما رأيت ، قال : فإنى لا أرى أن أقيمَ لهؤلاء جميعًا ، ولكن(٢) نرجع إلى الوجه الذى جئنا منه ، فإنّ أهلَ البَصْرة لا يتبعونا إلى أرض الكوفة ، ولايتبعنا حينئذ إلا أهلُ مِصْرنا ، فقلنا له : ولِمَ ذاك ؟ فقال : قتال أهلِ مصرٍ واحد أهوَن علينا من قتال أهلِ المِصْرَين ؛ قالوا : سِرْ بنا حيث أحببتَ ، قال : فانزلوا عن ظهور دوابّكم فأرِيحوا ساعة ، وأقضِموها ، ثم انظروا ما آمُركم به ؛ قال : فنزلْنا عنها ، فأقضمْناها ؛ قال : وبيننا وبينهم حينئذ ساعة قد ارتفعوا عن القرية مخافة أن نبيّتهم ؛ قال : فلما أرحْناها وأقْضَمْناها أمرَنا فاستوَيْنا على مُتونها ، ثم قال : ادخُلوا القرية ، ثم اخرجوا من ورائها ، وانطلِقوا معكم بعِلْجٍ يأخذ بكم من ورائها ، ثم يعود بكم حتى يَردّكم إلى الطريق الذى منه أقبلْتم ، وَدعُوا هؤلاء مكانَهم ، فإنهم لم يشعُروا بكم عامة الليل ، أو حتى تصبحوا . قال : فدخلْنا القرية وأخذْنا عِلْجا ، ثمّ خرجْنا به أمامنا ، فقلنا : خذْ بنا من وراء هذا الصّفّ حتى نعودَ إلى الطريق الذى منه أقبلْنا . ففعل ذلك ، فجاء بنا حتى أقامَنا على الطريق الذى منه أقبَلْنا ، فلزِمناه راجِعين ، ثم أقبلْنا حتى نزلنا جَرْجَرايا .

قال أبو مخنف : حدّثنى حُصَيرة(٣) بن عبد الله ، عن أبيه عبد الله بن الحارث ، قال : إنّى أوّل من فَطِن لذَهابهم(٤) ؛ قال : فقلت : أصلحك

(١) ف : « لمتوقفون » ، س : « لمتوافقون » . (٢) س : « ولكنا » .
(٣) ف : « حصين » . (٤) ف : « لدهائهم » .

٢/٥٣ الله ! لقد رابنى أمر هذا العدوّ منذ ساعة طويلة ، إنهم كانوا مواقفين نرى سوادَهم ، ثمّ لقد خَفِيَ علىّ ذلك السوادُ منذ ساعة ، وإنى لخائف أن يكونوا زالوا من مكانهم ليَكيدوا الناسَ ؛ فقال : وما تخاف أن يكونَ من كيدهم ؟ قلت : أخاف أن يبيّتوا الناسَ ، قال ، والله ما آمَن ذلك ؛ قال : فقلتُ له : فاستعدّ لذلك ، قال : كما أنت حتى أنظر . يا عتّاب ، انطلِق فيمن أحببتَ حتى تدنوَ من القرية فتنظرَ هل ترى منهم أحداً أو تَسمَع لهم رِكزا ! وسَلْ أهلَ القرية عنهم .

فخرج فى خُمُس الغُزاة يَركض حتى نظر القرية فأخذ لا يرى أحداً يكلّمه ، وصاح بأهل القرية ، فخرج إليه منهم ناسٌ ، فسألهم عنهم ، فقالوا : خرجوا فلا ندرى كيف ذَهَبوا ! فرجع إليه عتّاب فأخبره الخبر ، فقال معقِل : لا آمن البَيات ، فأين مُضَر ؟ فجاءت مضر فقال : قفوا ها هنا ، وقال : أين ربيعة ؟ فجعل ربيعة فى وجه وتميماً فى وجه وهمْدان فى وجه ، وبقيّة أهل اليَمَن فى وجه آخر ، وكان كلّ ربع من هؤلاء فى وجه وظهره مما يلى ظهر الرّبع الآخر ، وجالَ فيهم معقل حتى لم يدَع ربعًا إلا وقف عليه ، وقال : أيّها الناس ، لو أتوكم فبدَوْا بغيركم فقاتَلوهم فلا تَبرَحوا[1] أنتم مكانَكم أبداً حتى يأتيَكم أمرى ، وليُغْنِ كلّ رجل منكم الوجهَ الذى هو فيه ، حتى نُصبحَ فنرى رأيَنا . فمكثوا متحارِسين يخافون بياتَهم حتى أصبحوا ، فلما أصبحوا نزلوا فصلّوا ، وأتُوا فأخبِروا أنّ القوم قد رجعوا فى الطريق الذى أقبلوا منه عودَهم على بدئهم ، وجاء شَرِيك بن الأعور فى جيش من أهل البَصرة حتى نزلوا بمعقل بن قيس فلقيه ، فتساءَلا ساعة ، ثم إنّ معقلا قال لشريك : أنا متّبع آثارَهم حتى ألحقَهم لعلّ الله أن يُهلِكهم ، فإنى

٢/٥٤ لا آمن إن قصّرتُ فى طلبهم أن يكثُروا . فقام شريك فجمع رجالاً من وجوه أصحابه ، فيهم خالد بنُ مَعْدان الطائىّ وَبيْهَس بن صُهَيب الجَرْمىّ ، فقال لهم : يا هؤلاء ، هل لكم فى خير ؟ هل لكم فى أن تسيروا مع إخواننا من أهل الكوفة فى طلب هذا العدوّ الذى هو عدّو لنا ولهم حتى يستأصلَهم

(١) س : « تتركوا » .

اللهِ ثم نرجع ؟ فقال خالد بن مَعْدان وَبيهس الجَرْمىّ : لا والله ، لا نفعل، إنما أقبلْنا نحوَهم لننفيَهم عن أرضنا ، ونمنعَهم من دخولها ، فإنْ كفانا الله مئونتَهم فإنا منصرِفون إلى مِصْرِنا ، وفى أهل الكُوفة من يَمنعون بلادَهم من هؤلاء الأكلب ؛ فقال لهم : وَيْحَكم ! أطيعونى فيهم ، فإنهم قوم سُوء ، لكم فى قتالِهم أجرٌ وحُظْوة عند السلطان ، فقال له بَيْهس الجَرمىّ: نحن والله إذاً كما قال أخو بنى كنانة[1] :

كَمُرْضِعَةٍ أَوْلادَ أُخرَى وضيَّعتْ بَنِيها فَلَمْ ترْقَعْ بذَلك مَرْقَعا

أما بلَغك أنّ الأكراد قد كفروا بجبال فارسَ ! قال : قد بلغنى ، قال : فتأمرنا أن ننطلقَ معك نحمِى[2] بلادَ أهل الكوفة ، ونقاتل عدوّهم ، ونترك بلادَنا ، فقال له : وما الأكراد ! إنما يكفيهم طائفة منكم ؛ فقال له : وهذا العدوّ الذى تَندُبنا إليه إنما يكفيه طائفة من أهل الكوفة ، إنهم لَعَمرى لو اضطُرّوا إلى نُصْرتنا لكان علينا نُصرتهُم،ولكنهم لم يحتاجوا إلينا بعد، وفى بلادنا فتقٌ مثل الفَتْق الذى فى بلادهم ، فليُغنوا ما قِبَلهم، وعلينا أن نغنىَ ما قِبَلنا ، ولَعَمرى لو أنا أطعناك فى اتباعهم فاتّبعتَهم كنتَ قد اجترأتَ على أميرك،وفعلتَ ما كان ينبغى لك أن تطلع فيه رأيه ، ما كان ليحتمِلها[3] لك . فلما رأى ذلك قال لأصحابه : سيروا فارتحِلوا ، وجاء حتى لقِى معقلا — وكانا متحابَّيْن على رأىِ الشيعة متوادّين عليه — فقال : أما والله لقد جهَدت بمن معى أن يتبعونى حتى أسير معكم إلى عدوّكم فغلبونى ، فقال له معقل : جزاك الله من أخ خيرًا[4] ! إنا لم نحتجْ إلى ذلك ، أما واللهِ إنّى أرجو أن لو قد جهدوا لا يُفلت[5] منهم مُخبر .

٥٢/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى الصَّقْعَب بن زُهير ، عن أبى أمامة عُبيد الله

---

(١) هو ابن جذل الطعان الكنانى ، الحيوان : ١٩٧١ ، حماسة البحترى: ١٧٠ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقى: ٧٣٦ .

(٢) س : « ونحمى » .

(٣) ف : « يحتملها » .

(٤) س : « جزاك الله خيراً من أخ » .

(٥) س : « لو قد اجتهدوا لا ينفلت » .

ابن جُنادة ، عن شرِيك بن الأعور ، قال : حدّثنا بهذا الحديث شَرِيك ابن الأعور . قال : فلمّا قال : والله إنى لأرجو أن لو جهَدوا لا يُفلت منهم مَخبِر[1] ، كرهتُها والله له ، وأشفقتُ عليه ، وحسبت أن يكون شبهَ كلام البَغْى ؛ قال : وايمُ اللهِ ما كان من أهلِ البَغْى .

قال أبو مخنف : حدّثنى حُصَيرة بن عبد الله ، عن أبيه عبد الله بن الحارث الأزدىّ ، قال : لما أتانا أنّ المستوردَ بن عُلّفة وأصحابه قد رجعوا عن[2] طريقهم سُرِرْنا بذلك ، وقلنا : نتبعهم ونستقبلهم بالمدائن ، وإن دنوا من الكُوفة كان أهلَكَ لهم ؛ ودَعَا معقلُ بن قيس أبا الروّاغ فقال له : اتّبعه فى أصحابك الذين كانوا معك حتّى تحبسه علىّ حتى ألحَقك ؛ فقال له : زدنى منهم فإنه أقوَى لى عليهم إن هم أرادوا مناجزتى[3] قبل قدومك ، ٥٦/٢ فإنا كنا قد لقِينا منهم بَرْحا[4] ، فزاده ثلثمائة ، فاتّبعهم فى ستمائة ، وأقبلوا سِراعًا حتى نزلوا جَرْجَرايا ، وأقبل أبو الرّواغ فى إثرهم مسرعًا حتى لحقهم بجَرْجَرَايا ، وقد نزلوا ، فنزل بهم عند طلوع الشمس ، فلما نظروا إذا هم بأبى الرّواغ فى المقدّمة ، فقال بعضهم لبعض : إنّ قتالكم هؤلاء أهونُ من قتال من يأتى بعدَهم .

قال : فخرجوا إلينا ، فأخذوا يُخرِجون لنا العَشَرة فُرسان منهم والعشرين فارسًا ، فنخرِج لهم مثلهم ، فتطارد الخَيْلان ساعةً يَنتصِف بعضُنا من بعض ، فلما رأوا ذلك اجتمعوا فشدّوا علينا شَدّةً واحدة صَدَقوا فيها الحملــة .

قال : فصرَفونا حتى تركْنا لهم العَرْصة . ثم إنّ أبا الروّاغ نادى فيهم ، فقال : يا فُرسان السوء ، يا حُماة السوء ، بئس ما قاتلتم القوم ! إلىّ إلىّ !

(١) س : « لو اجتهدوا ألا ينفلت » .
(٢) س : « فى » .
(٣) ف : « أرادوا منا حربا » .
(٤) ف : « ترحا » .

فعالجَ نحواً من مائةِ فارس ، فعطف عليهم ، وهو يقول :

إنَّ الفَتى كلَّ الفَتى من لم يُهَلْ ... إذا الجَبانُ حادَ عن وَقْعِ الأَسَلْ
قد عَلِمَتْ أنِّى إذا البأْسُ نزلْ ... أروَعُ يَومَ الهَيْجِ مِقدامٌ بَطَلْ

ثم عطف عليهم فقاتلَهم طويلا ، ثم عطف أصحابُه من كلّ جانب ، فصدَقوهم القتال حتى ردّوهم إلى مكانهم الذى كانوا فيه ، فلما رأى ذلك المستورِد وأصحابه ظنوا أنّ معقلا إن جاءهم على تفِئة[1] ذلك لم يكن دونَ قتله لهم شىء ؛ فمضى هو وأصحابُه حتى قَطَعوا دجلة ، ووَقَعوا فى أرض بَهُرَسير ، وقطع أبو الروّاغ فى آثارهم فاتّبَعهم ، وجاء معقل بن قيس فاتّبع إثْرَ أبى الروّاغ ، فقطع فى إثره دِجْلة ، ومضى المستورِد نحوَ المدينة العتيقة ، وبلغ ذلك سِماك بن عُبيد ، فخرج حتى عبر إليها ، ثم خرج بأصحابه وبأهل المَدائن ، فصفّ على بابها ، وأجلس رجالاً رُماةً على السُّور ، فبلغهم ذلك ، فانصرفوا حتى نزلوا سابَاطَ ، وأقبل أبو الرّوّاغ فى طلبِ القوم حتى مرّ بسماك ابن عبيد بالمدائن ، فخبّره بوَجْههم[2] الذى أخذوا فيه ، فاتبعهم حتى نزل بهم سابَاط .

٥٧/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن عُقْبة الغَنَوىّ ، قال : لمّا نزل بنا أبو الروّاغ دعا المستورِد أصحابَه ، فقال : إنّ هؤلاء الذين نزلوا بكم مع أبى الروّاغ هم حُرّ أصحاب معقل ، ولا والله ما قَدِم إليكم إلا حُماتُه وفُرسانُه ، والله لو أعلم أنى إذا بادرت أصحابه هؤلاء إليه أدركته قبل أن يفارِقوه بساعة لبادرتهم إليه ، فليخرج منكم خارج فيسأل عن معقل أين هو ؟ وأين بلغ ؟ قال : فخرجتُ أنا فاستقبلت عُلُوجاً أقبَلوا من المدائن ، فقلت لهم : ما بلغكم عن معقِل بن قيس ؟ قالوا : جاء فَيْج[3] لسماك بن عبيد من قِبَله كان سرّحه ليستقبلَ معقلاً فينظر أين انتهى ؟ وأين يريد أن ينزل ؟ فجاءه فقال : تركته نزل ديلمايا — وهى قرية من قرى

---

(١) على تفئة ذلك ، أى على حينه .
(٢) س : « توجههم » .
(٣) الفيج : الرسول .

إسْتان بَهُرُسَير إلى جانب دِجْلة ، كانت لقُدامة بن العجلان الأزديّ ــ

٥٨/٢ قال : له : : كم بيننا وبينهم من هذا المكان ؟ قالوا : ثلاثة فراسخ ،[١] أو نحو ذلك .

قال : فرجعتُ إلى صاحبى فأخبرتُه[٢] الخبر ، فقال لأصحابه : اركبوا ، فركِبوا ، فأقبل حتى انتهى بهم إلى جسر سابَاط ــ وهو جسر نهرِ الملك ، وهو من جانبه الذى يلى الكوفة ــ وأبو الروّاغ وأصحابه مما يلى المدائن ، قال : فجئْنا حتى وقفْنا على الجسر ، قال : ثم قال لنا : لتنزل طائفةٌ منكم[٣] : قال : فنزل منا نحوٌ من خمسين رجلاً ، فقال : اقطَعوا هذا الجسر، فنزَلْنا فقطعناه ، قال : فلما رأوْنا وُقوفًا على الخيل ظنّوا أنا نريد أن نَعبُر إليهم ؛ قال : فصفّوا لنا ، وتعبّوْا ، واشتغلوا بذلك عنا فى قَطْعنا الجسر . ثمّ إنا أخَذْنا من أهل ساباطَ دليلاً فقلنا له : احضُر بين أيدينا حتى ننتهى إلى ديلمايا ، فخرج بين أيدينا يسعى ، وخرجنا تلمع بنا خيلنُا[٤] ، فكان الخبَب والوَجيف ، فما كان إلا ساعة حتى أطللْنا على معقل وأصحابه وهم يتحمّلون ، فما هو إلا أن بَصُر بنا وقد تفرّق أصحابُه عنه ، ومقدّمته ليست عنده ، وأصحابه قد استَقْدم طائفةٌ منهم ، وطائفة تَرَحّل ، وهم غارّون لا يَشعُرون . فلما رآنا نَصَب رايتَه ، ونزل ونادى : يا عباد الله ، الأرضَ الأرضَ ! فنزل معه نحو من مائتى رجل ؛ قال : فأخَذْنا نحمل عليهم فيَستقبلونا بأطراف الرّماح جُثاةً على الرُّكَب فلا نَقدِر عليهم . فقال لنا المستورد : دَعُوا هؤلاء إذا نزلوا وشُدّوا على خَيْلهم حتى تَحُولوا بينها وبينهم[٥] ، فإنكم إن أصبتم خيلَهم

٥٩/٢ فإنهم لكم عن ساعة جُزُرٌ ؛ قال : فشَدَدْنا على خيلهم ، فحُلْنا بينهم وبينها ، وقطعْنا أعنتَها ، وقد كانوا قَرَنوها ، فذهبتْ فى كلّ جانب ؛ قال : ثمّ مِلْنا على الناس المترحّلين[٦] والمتقدّمين ، فَحمَلْنا عليهم حتى فرقنا

---

(١) س : « فراسخ ثلاثة » .
(٢) ف : « فخبرته » .
(٣) س : « لينزل طائفة منكم » .
(٤) س : « حتى بلغ بنا خيلنا » .
(٥) ف : « تحولوا بينهم » .
(٦) ف : « المترجّلين » .

بينهم، ثم أقبلْنا إلى معقل بن قيس وأصحابه جُثاة على الرُّكب على حالهم التى كانوا عليها ، فحَمَلْنا عليهم ، فلم يتحلحلوا ، ثم حَمَلْنا عليهم أخرى ، ففعلوا مِثلهـا ، فقال لنا المستورد : نازِلوهم، لِينزِل إليهم نصفُكم ، فنزل نصفُنا ، وبقى نصفُنا معه على الخيل ، وكنتُ فى أصحاب الخيل .
قال : فلما نزل إليهم رجّالتنا قاتلتْهم ، وأخذنا نَحمِل عليهم بالخيل، وطمِعنا والله فيهم . قال : فوالله إنا لَنقُاتلهم ونحن نُرَى أن قد علَونَاهم إذْ طلعتْ علينا مقدّمة أصحاب أبى الرّوّاغ ، وهم حُرّ أصحابه وفُرسانُهم ، فلما دنَوا منّا حملوا علينا ، فعند ذلك نزلنا بأجمعنا فقاتلناهم حتى أصيب صاحبنا وصاحبُهم . قال : فما علمتُه نجا منهم يومئذ أحدٌ غيرى . قال : وإنى أحدّثُهم رَجُلا فيما أرَى .

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن عُقْبة الغَنَوىّ ، قال : وحدّثنا بهذا الحديث مرّتين من الزمن ، مرّة فى إمارة مصعب ابن الزبير بباجُمَيْرَا ، ومرّةً ونحن مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدَيْر الجمَاجم . قال : فقُتِل والله يومئذ بدَيْر الجماجم[1] يومَ الهزيمة ، وإنه لمقْبِل عليهم يضاربهم بسيفه وأنا أراه ؛ قال : فقلت له بدير الجماجم : إنك قد حدّثتنى بهذا الحديث بباجُمَيرا مع مصعب بن الزبير ، فلم أسألك كيف نجوتَ من بين أصحابك ؟ قال : أحدّثك ، والله إنّ صاحبنا لما أصيب قُتِل أصحابُه إلا خمسة نفر أو ستة ؛ قال : فشَدَدْنا على جماعة من أصحابه نحو من عشرين رجلاً ، فانكَشَفوا .

٦٠/٢

قال : وانتهيت إلى فرس واقف عليه سَرْجُه ولجامه ، وما أدرى ما قصّة صاحبه أقُتِل أم نَزل عنه صاحبُه يقاتل وتركه ! قال : فأقبلتُ حتى أخذتُ بلِجامه ، وأضع رِجلى فى الرّكاب وأستوِى عليه . قال : وشدّ والله أصحابُه علىّ ، فانتَهوْا إلىّ ، وغمزتُ فى جَنْب[2] الفرس ، فإذا هو والله أجوَد ما سُخِّر ، وركَض منهم ناس فى أثَرى فلم يعلَقُوا[3] بى ، فأقبلتُ

(١) ف : « يوم الجماجم » .
(٢) ف : « جانب » .
(٣) س : « يتعلقوا » .

أركُض الفرسَ ، وذلك عند المساء، فلما علمتُ أنى قد فتُّهم وأمنت ، أخذت أسيرُ عليه خَبَبًا وتقريبًا[١] . ثمّ إنى سرتُ عليه بذلك من سيره ، ولقيت عِلْجًا فقلت له : اسعَ بين يدىّ حتّى تُخرِجَنى الطريق الأعظم ، طريقَ الكوفة ؛ ففعل ، فوالله ما كانت إلاّ ساعة حتّى انتهيت إلى كُوثَى ، فجئت حتى انتهيت إلى مكان من النّهر واسع عريض ، فأقحمتُ الفرسَ فيه ، فعبَرْتُه ، ثم أقبلتُ عليه حتى آتى ديرَ كعب ، فنزلتُ فعقلتُ فرسى وأرحتُه وهوّمت تهويمة ، ثم إنى هببت سريعًا ، فحُلْت فى ظهر الفرس ، ثم سِرتْ فى قِطْع من الليل فاتّخذت بقيّة الليل جَمَلا ، فصلّيت الغداةَ بالمزاحميّة على رأس فرسخين من قُبِّين ، ثمّ أقبلتُ حتى أدخلَ الكوفة حينَ متَع الضّحى[٢] ، فآتى من ساعتى شريك بن نملة المحاربىّ ، فأخبرته خبرى وخبرَ أصحابه ، وسألته أن يَلقَى المغيرةَ بن شُعبة فيأخذَ لى منه أمانًا ، فقال لى : قد أصبتَ الأمان إن شاء الله ، وقد جئتَ ببشارة ، والله لقد بتّ الليلة وإنّ أمر الناس لَيهمّنى .

٦١/٢

قال : فخرج شريك بن نملة المحاربىّ حتى أتى المُغيرة مسرعًا فاستأذَن عليه ، فأذن له ، فقال : إن عندى بُشرَى ، ولى حاجة ، فاقض حاجتى حتّى أبشّرك ببشارتى ، فقال له : قُضِيتْ حاجتُك ، فهاتِ بُشْراك ؛ قال : تؤمِّن عبدَالله بن عُقبة الغَنَوِىّ ، فإنه كان مع القوم ، قال : قد آمنته ، والله لَوَدِدْت أنك أتيتنى بهم كلهم فآمنتهم . قال : فأبشِر ، فإنّ القوم كلهم قد قُتلوا ، كان صاحبى مع القوم ، ولم ينجُ منهم فيما حدّثنى غيره . قال : فما فعل معقل بن قيس ؟ قال : أصلحك الله ! ليس له بأصحابنا عِلم . قال : فما فرغ من منطقة حتّى قدم عليه أبو الروّاغ ومسكين بن عامر بن أنيف مبشّريْن بالفتْح ، فأخبروا أن معقل بن قيس والمستورِد بن عُلّفة مَشَى كلّ واحد منهما إلى صاحبه ، بيَدِ المستورِد الرّمح وبيَد معقل السيف ، فالتَقَيَا ، فأشرَع المستورد الرّمح فى صدرِ معقل حتّى خرج السنان من

(١) الخبب والتقريب : ضربان من العدو .

(٢) متع الضحى ، أى كان فى أوله .

ظهره، فضربه معقل بالسيف على رأسه حتى خالط السيفُ أمّ الدماغ ، فخرّا ميّتَيْن .

قال أبو مخنف : حدّثني حُصَيرة بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : لما رأينا المستورِد بن عُلّفة وقد نزلْنا به ساباط أقبل إلى الجِسْر فقطعه ، كنا نظنّ أنه يريد أن يَعبُر إلينا . قال : فارتَفَعْنا عن مظلِم ساباط إلى الصَّحْراء التي بين المدائن وساباط فتعبأنا وتهيأنا ، فطال علينا أن نراهم يخرجون إلينا . ٢/٦٢ قال : فقال أبو الروّاغ : إن لهؤلاء لشأناً ، ألا رجل يتعلّم لنا عِلمَ هؤلاء ؟ فقلت : أنا ووهيب بن أبي أشاءة الأزديّ : نحن نتعلّمُ لك عِلمَ ذلك ، ونأتيك بخبرهم ، فقربنا على فرَسينا إلى الجِسر فوجَدْناه مقطوعاً ، فظننا القومَ لم يقطعوه إلا هيبةً لنا ورُعْباً منا ، فرجَعْنا نَركُض سراعاً حتى انتهينا إلى صاحبنا ، فأخبرناه بما رأينا ، فقال : ما ظنكم ؟ قال : فقلنا : لم يَقطَعوا الجسرَ إلا لهيبتنا ولِما أدخل اللهُ في قلوبهم من الرّعب منّا . قال : لعمري ما خرج القومُ وهم يريدون الفِرار ، ولكنّ القوم قد كادوكم ، أتسمعون ! والله ما أراهم إلا قالوا : إنّ معقلا لم يبعث إليكم أبا الروّاغ إلا في حرّ أصحابه ، فإن استطعتم فاتركوا هؤلاء بمكانهم هذا ، وجِدّوا في[1] السير نحو معقل وأصحابه ، فإنكم تجدُونهم غارّين آمنين إن تأتوهم ؛ فقطعوا الجسرَ لكيما يشغلوكم به عن لَحاقكم إياهم حتى يأتوا أميرَكم على غرّة ، النّجاءَ النّجاء في الطلب ! قال : فوقع في أنفسنا أنّ الذي قال لنا كما قال . قال : فصحْنا بأهل القرية ؛ قال : فجاءوا سراعاً : فقلنا لهم : عجّلوا عقد الجسر ، واستَحثَثْناهم فما لَبِثوا أن فرغوا منه ، ثم عَبَرْنا عليه ، فاتّبعناهم سِراعاً ما نلوِي على شيء ، فلزمنا آثارَهم ، فوالله ما زلْنا نسأل عنهم ، فيقال : هم الآن أمامكم ، لحقتموهم ، ما أقربكم منهم ، فوالله ما زلنا في طلبهم حِرْصاً على لَحاقهم حتى كان أوّل من استقبلنا مَن الناس فلّهم وهم منهزمون لا ٢/٦٣ يلوى أحدٌ على أحد . فاستقبلهم أبو الرّواغ ، ثمّ صاح بالناس : إليّ إليّ ؛ فأقبَل الناس إليه ، فلاذوا به ، فقال : ويلَكم ! ما وراءكم ؟ فقالوا : لا ندرى ، لَم يَرُعْنا إلاّ والقوم معنا في عسكرنا ونحن متفرّقون ، فشدّوا علينا ،

(١) س : « وخذوا السير » .

ففرّقوا[١] بيننا ، قال : فما فعل الأمير ؟ فقائل يقول : نزل وهو يقاتل ؛ وقائل يقول : ما نراه إلا قُتل؛ فقال لهم : أيّها الناس، ارجِعوا معى ، فإنْ نُدْرِكْ أميرَنا حيًّا نقاتل معه ، وإن نجدْه قد هلك قاتلْناهم ، فنحن فُرسانُ أهلِ المصْر المنتخَبون لهذا العدوّ ، فلا يفسدنّ فيكم رأى أميركم بالمصْر ، ولا رأى أهل المصْر ، وايمُ الله لا ينبغى لكم إن عاينتموه وقد قتلوا معقلا أن تفارقوهم حتى تُبِيروهم أو تباروا ، سِيروا على بركة الله . فساروا وسِرْنا ، فأخذ لايستقبل أحداً من الناس إلا صاح به وردّه ، ونادى وجوهَ أصحابه وقال : اضربوا وجوهَ الناس وردّوهم . قال : فأقبلْنا نردّ الناس حتى انتَهيْنا إلى العسكر ، فإذا نحن براية معقل بن قيس منصوبة ، فإذا معه مائتا رجل أو أكثر فُرسان الناس ووجوههم ليس فيهم إلا راجل ، وإذا هم يقتتلون أشدّ قتال سَمع الناس به ، فلما طلعنا عليهم إذا نحن بالخوارج قد كادوا يعلُون أصحابَنا ، وإذا أصحابُنا على ذلك صابرون يجالدونهم[٢] ، فلما رأوْنا كَرّوا ثم شدّوا على الخوارج ، فارتفعتْ الخوارج عنهم غيرَ بعيد ، وانتهينا إليهم ، فنظر أبو الروّاغ إلى معقل فإذا هو مستقدم يذمّر أصحابه ويحرّضهم ، فقال له : أحىٌّ أنت فِداك عمّى وخالى ! قال : نعم ؛ فشدّ القوم ، فنادى أبو الرّواغ أصحابه : ألا تَرَون أميرَكم حيًّا ، ! شُدّوا على القوم ، قال : فَحَمل وحملْنا[٣] على القوم بأجمعنا ؛ قال : فصدَمْنا خيلَهم صدمةً منكَرَة ، وشدّ عليهم معقل وأصحابه ، فنزل المستورِد ، وصاح بأصحابه : يا معشر الشُّراة ، الأرضَ الأرضَ ، فإنها واللهِ الجنّة ! والذى لا إله غيره لمن قتل صادق النيّة فى جهاد هؤلاء الظَّلَمةوجِلاحِهم[٤] ، فتنازَلوا من عند آخرهم ، فنزلنا من عند آخرنا ، ثم مضَيْنا إليه منصلتين بالسيوف ، فاضطرَبْنا بها طويلا من النهار كأشدّ قتال اقتَتلَه الناس قطّ ، غير أن المستورِد نادى معقلا

٢/٦٤

(١) ف : « فتفرقوا » .

(٢) ف : « يجالدون » .

(٣) س : « وحملنا معه » .

(٤) جلاحهم : مكاشفتهم بالعداوة .

فقال : يا معقل ، ابرُز لى ، فخرج إليه معقل ، فقلنا له : نَنشُدك[١] أن تَخرُج إلى هذا الكلب الذى قد آيَسه الله من نفسِه[٢] ! قال : لا والله لا يدعونى رجل إلى مبارَزة أبداً فأكونَ أنا النّاكل ؛ فمشى إليه بالسيف ، وخرج الآخَر إليه بالرمح ، فناديناه أنْ الْقه برمح مِثل رمحه ، فأبَى ، وأقبل عليه المستورد فطعنه حتّى خرج سنان الرمح من ظهره ، وضربه معقلٌ بالسيف حتى خالط سيفُه أمَّ الدّماغ ، فوقع ميّتًا ، وقتل معقل ، وقال لنا حين برز إليه : إن هلكتُ فأميرُكم عمرو بن محرز بن شهاب السعدىّ ثم المِنقَرىّ : قال : فلما هلك معقل أخذ الراية عَمرو بن محرز ، وقال عمرو : إن قتِلت فعليكم أبو الرّواغ ، فإن قتِل أبو الرّواغ فأميرُكم مسكين بن عامر بن أنَيف ، وإنه يومئذ لفتًى حَدَث ، ثم شدّ برايته ، وأمر الناس أن يشدّوا عليهم ، فما لبثوهم أن قتلوهم . ٢/٦٥

* * *

[ذكر ولاية عبد الله بن خازم خراسان]

ومما كان فى هذه السنة[٣] تولية عبد الله بن عامر عبدَ الله بن خازم[٣] بن ظَبْيان خُراسان وانصراف قيس بن الهيثم عنه ، وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر أبو مِخْنف عن مقاتل بن حيّان — أن ابنَ عامر استبطأ قيسَ بن الهيثم بالخراج ، فأراد أن يَعزِله ، فقال له ابن خازم : ولّنِى خُراسانَ فأكفيكَها وأكفيكَ قيسَ بن الهيثم . فكتب له عهدَه أو همَّ بذلك ، فبلغ قيسًا أن ابن عامر وَجَد عليه لاستخفافه به ، وإمساكه عن الهديّة ، وأنه قد ولّى ابن خازم ، فخاف ابن خازم أن يشاغبه ويحاسبه ، فترك خُراسان ، وأقبل فازداد عليه ابن عامر غضبًا ، وقال : ضيّعت الثَّغْر ! فضرَبه وحبَسه ، وبعث رجلا من بنى يَشكُرَ على خُراسان .

قال أبو مخنف : بعث ابن عامر أسلم بن زُرْعة الكلابىّ حين عزَل قيسَ

---

(١) ف : « فقلت له : نشدتك » .
(٢) س : « رحمته » .
(٣ — ٣) س : « تمام الخبر عن الكائن من الأحداث الجليلة فى سنة ثلاث وأربعين » .

ابن الهيثم ؛ قال علىّ بن محمد : أخبرَنا أبو عبد الرحمن الثَّقَفىّ ، عن أشياخه ، أنّ ابن عامر استعمل قيسَ بنَ الهيثم على خُراسان أيام معاوية ، فقال له ابن خازم : إنك وجّهت إلى خُراسانَ رجلاً ضعيفًا ، وإنى أخاف إنْ لقىَ حربًا أن ينهزم بالناس ، فتهْلك خُراسان ، وتَفتضِح أخوالك . قال ابن عامر : فما الرأى ؟ قال : تكتب لى عهداً : إن هو انصرف عن عدوّك قمت مقامه . فكتب له ، فجاشت جماعةٌ من طُخَارِستان ، فشاور قيس ابن الهيثم فأشارَ عليه ابن خازم أن ينصرفَ حتى يجتمعَ إليه أطرافه ؛ فانصرف ، فلما سار من مكانه مرحلةً أو مرحلتين أخرج ابنُ خازم عهدَه ، وقام بأمر الناس ، ولقِى العدوّ فهزمهم ، وبلغ الخبر المصرَيْن والشأم فغضب القيسيّة[1] وقالوا : خدَع قيسًا وابن عامر ؛ فأكثروا فى ذلك حتى شكَوْا إلى معاوية ، فبعث إليه فقَدِم ، فاعتذر مما قيل فيه ؛ فقال له معاوية : قم فاعتذر إلى الناس غداً ؛ فرجع ابن خازم إلى أصحابه فقال : إنى قد أمرت بالخطبة ، ولست بصاحب كلام ، فاجلسوا حولَ المنبر ، فإذا تكلّمت فصدّقونى ، فقام مِن الغد ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : إنما يتكلّف الخُطبة إمامٌ لا يجد منها بدًّا ، أو أحمقُ يهمر[2] من رأسه لا يبالى ما خرج منه ، ولست بواحد منهما ؛ وقد علم من عرفنى أنى بصير بالفُرَص ، وثّاب عليها ، وقّاف عند المهالك ، أنفِذُ بالسريّة ، وأقسَم بالسويّة ؛ أنشُدكم بالله مَن كان يعرف ذلك منّى لما صدّقنى ! قال أصحابه حولَ المنبر : صدقت ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ممّن نشدتُ فقل بما تعلم ؛ قال : صدقت .

٦٦/٢

قال علىّ : أخبرَنا شيخٌ من بنى تميم يقال له مَعمر ، عن بعض أهل العلم أن قيسَ بنَ الهيثمِ قَدِم على ابن عامر من خُراسان مراغمًا لابن خازم ، قال : فضربه ابن عامر مائةً وحلَقه وحبسه ، قال : فطلبتْ إليه أمّه ، فأخرجه .

---

(١) س : « القيسيون » .

(٢) يقال : همر الكلام يهمره ؛ إذا أكثر فيه .

وحجَّ بالناس فى هذه السنة – فيما قيل – مروانُ بن الحَكَم، وكان على المدينة، ٦٧/٢
وكان على مكّة خالدُ بن العاص بن هشام، وعلى الكوفة المغيرةُ بن شُعبة،
وعلى قضائها شُريح، وعلى البَصرة وفارسَ وسِجِسْتان وخُراسانَ عبد الله بن
عامر، وعلى قضائها[1] عُمَيْر بن يثربىّ.

(١) س: «قضاء البصرة».

ثم دخلت سنة أربع وأربعين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك دخولُ المسلمين مع عبد الرحمن بن خالد بن[1] الوليد بلادَ الرّوم ومَشتاهم[2] بها ، وغزو بُسْر بن أبى أرطاةَ البحر .

* * *

[عزل عبد الله بن عامر عن البصرة]

وفى هذه السنة عزَل معاويةُ عبدَ الله بن عامر عن البصرة .

* ذكر الخبر عن سبب عزله :

كان سبب ذلك أن ابن عامر كان رجلا ليّنًا كريمًا ، لا يأخذ على أيدى السفهاء ، ففسَدتِ البصرةُ بسبب ذلك أيّامَ عمله بها لمعاوية فحدّثنى عُمر بن شبّة ، قال : أخبرنا يزيد الباهلىّ ، قال : شكا ابنُ عامر إلى زياد فسادَ الناس وظهور الخُبث ، فقال: جرِّد فيهم السيف ، فقال : إنى أكرَه أن أصلِحهم بفسادِ نفسى .

حدّثنى عمر ، قال : قال أبو الحسن : كان ابن عامر ليّنًا سهلا ، سهلَ الوِلاية ، لا يعاقِب فى سلطانه ، ولا يقطع لصًّا ، فقيل له فى ذلك ؛ فقال : أنا أتألّف الناس ، فكيف أنظر إلى رجل قد قطعتُ أباه وأخاه !

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا مَسلَمة بن محارب ، قال : وفد ابن الكوّاء ، واسم ابن الكوّاء عبد الله بن أبى[1] أوفَى إلى معاوية ، فسأله عن الناس ، فقال ابن الكوّاء : أمّا أهل البَصرة فقد غلب عليها سُفهاؤها ، وعاملُها ضعيف ، فبلغ[3] ابن عامر قولُ ابن الكوّاء ، فاستعمل طُفيل

٦٨/٢

(١) ساقط من ط .

(٢) ف : « مشاتيهم » .

(٣) س : « وبلغ » .

ابن عوف اليشكرىّ على خُراسان، وكان الذى بينه وبين ابن الكوّاء متباعداً، فقال ابن الكوّاء: إنابن دَجاجة[١] لقليلُ العلم فىّ، أظَنّ أنّ ولاية طُفَيل خُراسانَ تسوءنى! لَوَددت أنه لم يبق فى الأرض يشكرىٌّ إلا عادانى، وأنه ولّاهم. فعزل معاوية ابن عامر، وبعث الحارث بن عبد الله الأزدىّ. قال: وقال القَحذمىّ: قال ابن عامر: أىّ الناس أشدّ عداوةً لابن الكوّاء؟ قالوا: عبد الله بن أبى شيخ، فولّاه خُراسان؛ فقال ابن الكوّاء ما قال.

وذكر عن عمر، عن أبى الحسن، عن شيخ من ثقيف وأبى عبد الرحمن الإصبهانىّ، أنّ ابن عامر أوفد إلى معاوية وَفداً، فوافقوا عنده وفدَ أهل الكوفة، وفيهم ابن الكوّاء اليشكرىّ، فسألهم معاوية عن العراق وعن أهل البصرة خاصّة؛ فقال له ابن الكوّاء: يا أميرَ المؤمنين، إنّ أهل البَصرة أكلَهم سفهاؤهم، وضَعُف عنهم سلطانُهم، وعَجَّز ابنَ عامر وضعَّفه. فقال له معاوية: تَكلّمُ عن أهل البصرة وهم حضور! فلما انصرف الوفد إلى البَصرة بلّغوا ابنَ عامر ذلك، فغَضِب، فقال: أىّ أهلِ العراق أشدّ عداوةً لابن الكوّاء! فقيل له: عبد الله بن أبى شيخ اليشكرىّ، فولّاه خُراسان، وبلغ ابنَ الكوّاء ذلك فقال ما قال.

حدّثنى عمر، قال: حدّثنا علىّ، قال: لما ضعف ابن عامر عن عمله، وانتشر الأمر بالبصرة عليه، كتب إليه معاوية يستزيره، قال عمر: فحدّثنى أبو الحسن أنّ ذلك كان فى سنة أربع وأربعين، وأنه استخلف على البَصرة قيسَ ابن الهيثم، فقَدِم على معاوية، فردّه على عمله، فلما ودّعه قال له معاوية: إنى سائلك ثلاثاً، فقل: هنّ لك. قال: هُنّ لك وأنا ابن أمّ حكيم، قال: تردّ علىّ عملى. ولا تَغضَب، قال: قد فعلت؛ قال: وتهب لى مالَكَ بعرَفة؛ قال: قد فعلت. قال: وتهب لى دُورَك بمكة؛ قال: قد فعلتُ، قال: وصلَتْك رَحِم! قال: فقال ابن عامر: يا أميرَ المؤمنين، إنى سائلك ثلاثاً فقل: هنّ لك؛ قال: هُنّ لك وأنا ابن هند؛ قال: تردّ علىّ مالى

(٦٩/٢)

---

(١) ف: «الزجاجة»، وانظر أسد الغابة.

بعَرَفة ، قال : قد فعلت ، قال : ولا تُحاسِب لى عاملاً ، ولا تتبّع لى أثراً . قال : قد فعلت ، قال : وتُنكِحنى ابنتك هنداً ؛ قال : قد فعلت .

قال : ويقال: إنّ معاوية قال له: اِختَرْ بين أن أتتبّع أثرَك وأحاسبَك بما صار إليك ، وأردّك إلى عَمَلك ، وبين أن أسوّغك ما أصبت ، وتعتزل ، فاختار أن يسوّغه ذلك ويَعتزل

* * *

[استلحاق معاوية نسب زياد ابن سميّة بأبيه]

وفى هذه السنة استلحق معاويةُ نسبَ زياد بن سميّة بأبيه أبى سُفيان فيما قيل .

حدّثنى عمرُ بن شبّة ، قال : زعموا أنّ رجلاً من عبد القيس كان مع زياد لمّا[١] وفد على[٢] معاوية ، فقال لزياد : إنّ لابن عامر عندى يداً ، فإن أذنتَ لى أتيتُه ، قال : على أن تحدّثنى ما يجرى بينَك وبينَه ؛ قال : نعم ، فأذن له فأتاه ، فقال له ابن عامر : هيه هيه ! وابن سميّة يقبّحُ آثارى ، ويعرّض بعُمّالى! لقد هممتُ أن آتىَ بقَسامة[٣] من قريش يَحلِفون أنّ أبا سُفْيان لم يرَ سُمية ؛ قال : فلما رجع سأله زياد ، فأبى أن يُخبره ، فلم يَدَعْه حتى أخبره ، فأخبر ذلك زيادٌ معاويةَ ، فقال معاوية لحاجبه: ٧٠/٢ إذا جاء ابن عامر فاضرب وجهَ دابّته عن أقصى الأبواب ، ففعل ذلك به ، فأتى ابن عامر يزيد، فشكا إليه ذلك[٤] ، فقال له: هل ذكرتَ زياداً ؟قال: نعم ، فركب معه يزيدُ حتى أدخلَه ، فلما نظر إليه معاوية قام فدخل ، فقال يزيد لابن عامر : اِجلِس فكم عسى أن تَقعُد فى البيت عن مجلسه ! فلما أطالا خرج معاويةُ وفى[٥] يده قَضيبٌ يَضرِب به الأبواب ، ويتمثّل :

---

(١) س : « حين » .
(٢) س : « إلى » .
(٣) القسامة : الجماعة يقسمون على الشىء أو يشهدون به .
(٤) س : « ذلك إليه » .
(٥) ف : « فى يده » بدون واو.

لنـــا سِياقٌ ولكمْ سِيـــاقُ   قد عَلِمَت ذِلكمُ الرِّفاقُ

ثم قعد فقال: يا بن عامر ، أنت القائل فى زياد ما قلت ! أما والله لقد علمَت العربُ أنى كنت أعزّها فى الجاهليّة ، وإنّ الإسلام لم يزدنى إلا عزًّا ، وأنّى لم أتكثّر بزياد من قلّة، ولم أتعزّز به من ذِلّة، ولكن عرفتُ حقًّا له فوضعتهُ موضعَه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نرجع إلى ما يحبّ زياد ، قال : إذاً نرجع إلى ما تحبّ ؛ فخرج ابن عامر إلى زياد فترضّاه .

حدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن صالح ،قال : حدّثنا عمرو بن هاشم، عن عُمر بن بشير الهمْدانىّ ، عن أبى إسحاق ، أنّ زياداً لما قدم الكُوفة ،قال: قد جئتُكم فى أمرٍ ما طلبتُه إلا إليكم، قالوا : ادعنا إلى ما شئتَ ، قال : تُلحِقون نسبى بمعاوية؛ قالوا: أمّا بشهادة الزُّور فلا؛ فأتى البَصرة ، فشهد له رجل .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة معاوية .

وفيها عَمِل مروانُ المقصورةَ ، وعَمِلها -أيضًا فيما ذكر- معاوية بالشأم .

وكانت العمّالُ فى الأمصار فيها العُمّالَ الذين ذكرْنا قبلُ أنهم كانوا العمّال فى سنة ثلاث وأربعين . ٧١/٢

ثم دخلت سنة خمس وأربعين

ذكر الأحداث المذكورة التي كانت فيها

فمن ذلك استعمال معاويةَ الحارث بن عبدِ الله الأزديّ فيها على البصرة .

فحدّثني عمرُ ، قال : حدّثني عليٌّ بن محمد ، قال : عزل معاويةُ ابنَ عامر وولّى الحارثَ بنَ عبدالله الأزديّ البَصرة في أوّل سنة خمس وأربعين ، فأقام بالبصرة أربعةَ أشهر ، ثم عزَله . قال : وقد قيل : هو الحارث بن عَمرو وابن عَبْد عَمْرو ، وكان من أهل الشأم ، وكان معاوية عزل ابنَ عامر ليوليَ زياداً ، فولّى الحارث كالفرس المحلِّل ، فولّى الحارثُ شُرْطَته عبدَالله بن عمرو بن غيلان الثَّقَفيّ ، ثم عزَله معاوية وولّاها زياداً .

* * *

ذكر الخبر عن ولاية زياد البصرة

حدّثني عمر ، قال : حدّثنا عليٌّ ، قال : حدّثنا بعضُ أهلِ العلم أنّ زياداً لما قدِم الكوفة ظَنّ المغيرة أنه قدم والياً على الكوفة ، فأقام زياد في دار سَلْمان بن ربيعة الباهليّ ، فأرسل إليه المغيرة وائلَ بنَ حُجر الحضرميّ أبا هُنَيدة ، وقال له : اعلم لي عِلمَه . فأتاه فلم يَقْدِر منه على شيء ، فخرج من عنده يريد المغيرة ، وكان زاجراً ، فرأى غُراباً يَنعَق ، فرجع إلى زياد فقال : يا أبا المغيرة ، هذا الغراب يرحِّلك[1] عن الكوفة . ثم رجع إلى المغيرة ، وقدم[2] رسولُ معاويةَ على زياد من يومه : أن سِرْ إلى البَصْرة . ٧٢/٢

وأما عبد الله بن أحمد المَروَزيّ فحدّثني ، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني سليمان ، قال : حدّثني عبد الله ، عن إسحاق — يعني ابن يحيى —

(١) ف : « يرجلك » . (٢) ف : « وقد قدم » .

عن معبد بن خالد الجدَلىّ ، قال : قَدِم علينا زيادٌ — الذى يقال له ابنُ أبى سُفْيان — من عند معاويةَ ، فنزل دارَ سلمان بن ربيعة الباهلىّ ينتظر أمرَ معاوية. قال: فبلغ المغيرةَ بن شعبة — وهو أميرٌ على الكوفة — أنّ زياداً ينتظر أن تجىءَ إمارتُه على الكوفة ، فدعا قطَن بن عبد الله الحارثىّ فقال : هل فيك من خير؟ تكفينى الكُوفة حتى آتيَك من عندِ أمير المؤمنين ؛ قال : ما أنا بصاحِب ذا ، فدعا عتيبة[1] بن النهّاس العِجْلىّ ، فعرض عليه فقبِل ، فخرج المغيرة إلى معاوية ، فلما قدم عليه سأله أن يَعزِله ، وأن يَقطَع له منازلَ بقَرْقِيسِيَا بين ظهرىْ قيس ، فلما سمع بذلك معاوية خاف بائقتَه ، وقال : والله لترجعنّ إلى عملكَ يا أبا عبد الله . فأبى عليه ، فلم يزدْه ذلك إلا تُهمة ، فردّه إلى عمله ، فطرقَنا ليلا ، وإنى لفَوْق القَصْر أحرُسه ، فلما قرع البابَ أنكرْناه ، فلما خاف أن ندَلّيَ عليه حَجَراً تسمّى لنا ، فنزلتُ إليه فرحّبت له وسلّمت ، فتمثّل :

بمثلى فافزعى يا أمَّ عَمْرٍو إذا ما هاجَنى السَّفَرُ النَّعُورُ[2]

اذهب إلى ابن سُميّة فرحِّله حتى لا يصبح إلا من وراء الجسر. فخرجْنا[3] فأتينا زياداً ، فأخرجْناه حتى طرحناه من وراء الجِسر قبل أن يصبح . ٢/ ٧٣

* * *

فحدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا مسلمةَ والهُذَلىّ وغيرُهما أنّ معاوية استَعمل زياداً على البصرة وخراسان وسِجسْتان ، ثم جمع له الهند والبحرَيْن وعُمان ، وقَدِم البصرة فى آخر شهر ربيع الآخر — أو غرّة جُمادَى الأولى — سنة خمس ، والفِسْق بالبَصرة ظاهر ، فاشٍ ، فخطب خُطبةً بتْراءَ[4] لم يَحمَد الله فيها ، وقيل: بل حَمِد الله فقال :

---

(١) ط : «عيينة» ، وانظر الفهرس .

(٢) البيت لطرفة ، ديوانه:٦٥ ؛ وروايته فيه :

ومثْلِى فاعلمى يا أمَّ عمرٍو إذا ما اعتادَهُ السّفهُ النّعُورُ

(٣) ت : « فخرجت » .

(٤) قال الجاحظ فى البيان والتبيين ٢ : ٦ : « وعلى أن خطباء السلف الطيب وأهل البيان والتابعين لهم بإحسان ؛ ما زالوا يسمون الخطبة التى لم تبتدأ بالتحميد ، وتستفتح بالتمجيد : البتراء=

الحمدُ لله على إفضاله وإحسانِه ، ونسأله المزيدَ من نِعَمه ، اللهمّ كما رزقْتنا نعمًا ، فألهِمْنا شكرًا على نعمتك علينا .

أمّا بعد ، فإنّ الجهالة الجَهْلاء ، والضّلالة العَمْياء ، والفَجْر المُوقِد لأهله[١] النارَ ، الباقيَ عليهم سعيرُها ، ما يأتى سفهاؤكم[٢] ، ويشتَمِل عليه حُلَماؤكم ، من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى منها[٣] الكبير ، كأن لم تَسمعوا بآى[٤] الله ، ولم تقرءوا كتابَ الله ، ولم تَسمَعوا ما أعدّ[٥] اللهُ من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذابِ الأليم لأهل معصيتِه ، فى الزمن السَّرمد[٦] الذى لا يزول . أتكونون كمن طرفتْ عينه الدنيا ، وسدّت مسامعه الشهوات ، واختار الفانيةَ على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدَثتم فى الإسلام الحدَث الذى لم تُسْبَقوا به[٧] ؛ [٨] من ترككم هذه المَواخير المنصوبة [٨] ، والضعيفة المسلوبة ، فى النهار المبصر ، والعدد غير قليل ! ألم تكن منكم نُهاةٌ تَمنع الغُواةَ عن دَلَجِ[٩] الليل وغارةِ النهار ! قرّبتم القرابة ، وباعدتم الدّين ، تعتذرون بغير العذر ، وتُغطّون على المختلس[١٠] ، كلّ امرئ منكم يذبّ عن سفيهه[١١] ، صنيعُ من لا يخاف عقابًا[١٢] ، ٧٤/٢

= ويسمون التى لم توشح بالقرآن ، وتزين بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم : الشوهاء » . وقد أورد الجاحظ هذه الخطبة فى البيان والتبيين ٢ : ٦١ - ٦٦ ، بروايته عن مسلمة بن محارب وأبى بكر الهذلى أيضاً ، وكذلك أوردها صاحب العقد فى ٤ : ١١٠ - ١١٣ بهذه الرواية أيضا .

(١) البيان : « الغى المدنى بأهله على النار » .

(٢) البيان والعقد : « ما فيه سفهاؤكم » .

(٣) كذا فى الطبرى والعقد ، وفى البيان : « ولا ينحاش عنها الكبير » ؛ وينحاش : ينفر .

(٤) س : « آيات الله » .

(٥) ط : « عد » .

(٦) العقد : « السرمدى » .

(٧) البيان والعقد : « إليه » .

(٨-٨) البيان : « من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله ، وهذه المواخير المنصوبة » .

(٩) الدلج : السير من أول الليل .

(١٠) البيان والعقد : « وتغضون على المختلس » .

(١١) ف : « سفيه » .

(١٢) س والبيان والعقد وابن الأثير : « عاقبة » .

ولا يرجو معاداً . ما أنتم بالحلماء[1] ، ولقد اتبعتم السفهاء ، ولم يزل[2] بهم ما ترون من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حرم[3] الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم كنوساً[4] فى مكانس الريب . حرم[5] على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً . إنى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح [به][6] أوله ، لين فى غير ضعف ، وشدة فى غير جبرية وعنف[7] . وإنى أقسم بالله لآخذن الولى بالولى[8] ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والصحيح منكم بالسقيم ، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : انج سعد فقد هلك سعيد[9] ، أو تستقيم لى قناتكم . إن كذبة المنبر تبقى مشهورة[10] ، فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتى ، [وإذا سمعتموها منى فاغتمزوها فى واعلموا أن عندى أمثالها] من[11] بيت منكم[12] فأنا ضامن لما ذهب له . إياى ودلج الليل ، فإنى لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه ، وقد أجلتكم فى ذلك بقدر[13] ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع إلى . وإياى ودعوى[14]

---

(١) ف : « حلماء » .

(٢) البيان : « فلم يزل » .

(٣) حرم الإسلام : ما لا يحل انتهاكه ؛ وروى الشعبى قال : « لما خطب زياد خطبته البتراء بالبصرة ونزل سمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون ، فقال : ما هذا ؟ ، قالوا : إن البلد مفتون ، وإن المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتيان الفساق ، فيقال لها : نادى ثلاثة أصوات ، فإن أجابك أحد ، وإلا فلا لوم علينا فيما نصنع » .

(٤) الكنوس : جمع كانس ؛ أى مستتر ، وأصله من الظبى إذا دخل فى كناسه .

(٥) البيان : « حرام » .

(٦) البيان « صلح به أوله » .

(٧) البيان : « وشدة فى غير عنف » .

(٨) العقد : « الولى بالمولى » .

(٩) سعد وسعيد : ابنا ضبة بن أد ؛ خرجا فى طلب إبل لأبيهما ، فوجدها سعد فردها ؛ فكان ضبة إذا رأى سواداً تحت الليل قال : سعد أم سعيد !

(١٠) البيان والعقد : « بلقاء مشهورة » .

(١١) من البيان والتبيين .

(١٢) البيان : « من نقب منكم عليه » .

(١٣) البيان : « المقدار » .

(١٤) فى اللسان : « وفى الحديث : ما بال دعوى الجاهلية ! هى قولهم : يالفلان ، كانوا يدعون =

الجاهليّة ، فإنّى لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه[١] . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثْنا لكلّ ذنب عقوبة ، فمن غرّق قوماً غرّقته ، ومن حرّق[٢] على قوم حرّقناه ، ومن نقَب بيتاً نقبتُ عن قلبه ، ومن نبَش قبراً دفنته [فيه][٣] حيًّا ؛ فكفّوا عنّى أيديكم وألسنتكم أكفُفْ يدى وأذاىَ ، لا يظهر[٤] من أحد منكم خلافُ ما عليه عامّتكم إلاّ ضربتُ عنقه . ٧٥/٢

وقد كانت بينى وبين أقوام إحَن ، فجعلتُ ذلك دبْرَ أذُنى وتحتَ قدمِى ، فمن كان منكم محسناً فليزدَدْ إحساناً ، ومن كان مسيئاً فلينزِع عن إساءته . إنى لو علمت أنّ أحدكم قد قتلَه السُّلّ من بغضى لم أكشِف له قِناعاً ، ولم أهتِك له سِتراً ، حتى يُبدىَ لى صفحتَه ، فإذا فعل لم أناظِرْه ؛ فاستأنِفوا أموركم ، وأعينوا على أنفسِكم ، فرُبّ مبتئس بقدومنا سيُسَرّ ، ومسرورٍ بقدومِنا سيَبْتئس[٥] .

أيّها الناس ، إنا أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادة ، نَسوسُكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذود[٦] عنكم بفىء الله الذى خوّلنا ، فلنا عليكم السمعُ والطاعة فيما أحببْنا ، ولكم علينا العدلُ فيما وُلِّينا ، فاستوجِبوا عدلَنا وفيئنا بمناصَحتكم . واعلَموا أنى مهما قصّرت عنه فإنى لا أقصّر عن ثلاث : لستُ محتجِباً عن طالبِ حاجة منكم ولو أتانى طارقاً بليل ؛ ولا حابساً رِزْقاً ولا عطاءً عن إبّانه ، ولا مجمِّرا[٧] لكم بعثاً . فادعوا الله بالصّلاح لأئمّتكم ، ، فإنهم ساسَتُكم المؤدِّبون لكم ، وكَهفُكم الذى إليه تأوون ، ومتى تَصلحوا يصلحوا . ولا تُشرِبوا قلوبَكم بغضَهم ، فيشتدّ لذلك غيظُكم ، ويطول

= بعضهم بعضاً ؛ عند الأمر الحادث الشديد ؛ ومنه حديث زيد بن أرقم : فقال قوم : يا للأنصار ! وقال قوم : يا للمهاجرين ! فقال عليه السلام : دعوها فإنها منتنة » .

(١) البيان : « فإنى لا آخذ داعياً بها إلا قطعت لسانه » .

(٢) البيان : « ومن أحرق قوماً » .

(٣) من البيان والتبيين .

(٤) ف : « لا يظهرن » .

(٥) البيان : « سنسوءه » .

(٦) س : « ونذودكم بتقوى الله » .

(٧) تجمير الجند : أن يحبسهم فى أرض العدو ، وأن يمنعهم عن العودة إلى أهليهم .

له حُزنكم ، ولا تُدرِكوا حاجتَكم ، مع أنه لو استجيبَ لكم كان شرًّا لكم .
أسأل الله أن يعين كلاًّ على كلّ ، وإذا رأيتمونى أنفِذ فيكم الأمرَ
فأنفِذوه على أذلاله[1] ، وايمُ الله إنّ لى فيكم لصرعَى كثيرة ، فليحذر كلّ
امرئٍ منكم أن يكون من صَرْعاى .

٧٦/٢

قال : فقام عبد الله بن الأهتم[2] فقال : أشهد أيّها الأمير أنك قد
أُوتيتَ الحكمةَ وفَصْلَ الخِطاب ، فقال : كذبتَ ، ذاك نبىّ الله داود
عليه السلام .

قال الأحنف : قد قلتَ فأحسَنت أيّها الأمير ، والثناء بعد البلاء ،
والحمدُ بعدَ العطاء ، وإنا لن نُثنىَ حتى نُبتلَى ؛ فقال زياد : صَدقت .

فقام أبو بلال مِرْداس بن أديَّة يَهمِس وهو يقول : أنبأ الله بغير ماقلت ،
قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى *
وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾[3] ؛ فأوعَدَنا الله خيراً مما واعدت[4]
يا زياد ، فقال زياد : إنا لا نَجِد إلى ما تريد أنتَ وأصحابُك سبيلاً حتى
نخوضَ إليها الدماء[5] .

حدّثنى عمرُ ، قال : حدّثنا خلاّد بن يزيد ، قال : سمعتُ من يخبر
عن الشعبىّ ، قال : ما سمعتُ متكلّماً قطّ تكلّم فأحسن إلا أحببتُ أن يَسكُت[6]
خوفاً أن يسىء إلاّ زياداً ، فإنه كان كلّما أكثر كان أجوَد كلاماً .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، عن مسلمة ، قال : استعمل زيادٌ

---

(١) على أذلاله ، أى على طرق وجوهه ، واحده ذل ؛ بكسر الذال ؛ وهو ما مهد وذلل من الطريق .
(٢) نوادر القالى ١٨٥ : « صفوان بن الأهتم » .
(٣) سورة النجم : ٣٧ — ٣٩ .
(٤) س : « واعدتنا » .
(٥) فى البيان بعد الآيات : « وأنت تزعم أنك تأخذ البرىء بالسقيم ، والمطيع بالعاصى ، والمقبل بالمدبر ؛ فسمعه زياد ، فقال : إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفى أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً » .
(٦) س : « تخوفا من أن يسىء » .

على شُرْطته عبدَالله بن حصن ، فأمهَل الناس حتى بلغ الخبرُ الكوفةَ ، وعاد إليه وصولُ الخبر إلى الكوفة ، وكان يؤخّر العِشاء حتى يكون آخر مَن يصلّى ثم يصلّى ؛ يأمر رجلاً فيقرأ سورةَ البقرة ومثلها ، يرتّل القرآن ، فإذا فرغ أمهل بقدر ما يَرَى أنّ إنساناً يبلغ الخُرَيْبة ، ثم يأمر صاحبَ شُرطته بالخروج ، فيخرج ولا يرى إنساناً إلا قتله . قال : فأخذ ليلةً أعرابيًّا ، فأتى به زياداً فقال : هل سمعتَ النداء ؟ قال : لا والله ، قدمتُ بحَلوبة لى ، وغشيَنى الليلُ ، فاضطررْتها إلى موضع ، فأقمتُ لأصبِح ، ولاعلمَ لى بما كان من الأمير . قال : أظنك واللهِ صادقاً ، ولكن فى قتلك صلاحُ هذه الأمّة ؛ ثم أمر به فضُربتْ عنُقُه . ٧٧/٢

وكان زياد أوّلَ من شدّ أمرَ السلطان ، وأكّد الملك لمعاوية ، وألزَم الناسَ الطاعة ، وتقدّم فى العقوبة ، وجرّد السيف ، وأخذ بالظِّنّة ، وعاقب على الشبهة ، وخافه الناسُ فى سُلطانه خوفاً شديداً ، حتى أمِن الناسُ بعضُهم بعضاً ، حتى كان الشيء يَسقُط من الرجل أو المرأة[1] فلا يَعرِض له أحد حتى يأتيَه صاحبه فيأخذه ، وتَبيت المرأة فلا تُغلِق عليها بابها ، وساس الناسَ سياسةً لم يُرَ مِثلُها ، وهابه الناس هَيْبةً لم يهابوها أحداً قبلَه ، وأدرَّ العطاءَ ، وبنى مدينةَ الرّزق[2] .

قال : وسمع زياد جَرْساً من دارِ عُمَير ، فقال : ما هذا ؟ فقيل : محترس[3] . قال : فليكفّ عن هذا ، أنا[4] ضامنٌ لما ذهب له ، ما أصاب من إصْطَخْر .

قال : وجعَل زياد الشُّرَطَ أربعةَ آلاف ، عليهم عبد الله بن حِصْن ، أحد بنى عُبيد بن ثعلبة صاحب مقبرة ابن حصن ، والجَعْد بن قيس النميرىّ[5]

---

(١) س : « والمرأة » .

(٢) س : « الرق » ، وفى ياقوت : « الرزق ، بكسر الراء وسكون الزاى — كذا ذكره ابن الفرات فى تاريخ البصرة — مدينة الرزق ، إحدى مسالح العجم بالبصرة قبل أن يختطها المسلمون » .

(٣) ف : « يحترس » .

(٤) س : « وأنا » .

(٥) ط : « التميمى » ، وانظر الفهرس .

صاحب طاقِ الجَعْد ، وكانا جميعًا على شُرَطه ، فبينا زياد يومًا يسير وهما بين يديه يسيران بحرْبتيْن ، تَنازَعا بين يديه ، فقال زياد : يا جَعْد ، ألقِ الحربة ، فألقاها ، وثبت ابن حصن على شُرَطه حتى مات زياد .

وقيل : إنه ولّى الجعْد أمرَ الفُسّاق ، وكان يتتبّعهم[1] ؛ وقيل[2] لزياد: إن السُّبُل مَخُوفة ؛ فقال: لا أعانى شيئًا سوى المِصْر[3] حتى أغلب على المِصر وأُصلِحه ، فإنْ غلبنى المِصر فغيره أشدّ غلبة ؛ فلما ضبط المِصْر تكلف ما سوى ذلك[4] فأحكَمَه . وكان يقول : لو ضاع حَبْلٌ بينى وبين خُراسانَ علمتُ مَن أخَذَه . ٧٨/٢

وكتب خمسمائة من مشيخة أهلِ البَصرة فى صحابته ، فرزقهم ما بين الثلثمائة إلى الخمسمائة ، فقال فيه حارثةُ بن بدر الغُدَانىّ[5] :

ألا منْ مُبْلغٌ عنّى زِيادًا	فنعْم أَخو الخليفة والأَميرُ !
فأَنتَ إمامُ مَعْدَلةٍ وقَصْدٍ	وحَزْمٍ حين تَحضُرك الأُمورُ
أَخُوكَ خليفةُ الله ابْنُ حَرْبٍ	وأَنْتَ وزيرُهُ ، نِعْمَ الوزيرُ!
تُصيب على الهَوَى منه وتأْتى	مُحِبَّك ما يُجِنُّ لنا الضَّميرُ
بأَمر الله مَنْصُورٌ مُعانٌ	إذا جارَ الرعِيـــةُ لا تَجُورُ
يَدِرُّ على يَدَيْك لما أَرادوا	من الدُّنيا لهم حَلَبٌ غزِيرُ
وتقسم بالسَّواءِ فلا غَنىٌّ	لضَيْمٍ يَشْتَكيكَ ولا فقيرُ
وكنتَ حيًا وجئتَ على زمانٍ	خَبيث ، ظاهرٌ فيه شُرُورُ
تَقاسَمَتِ الرِّجالُ بهواهـــا	فما تُخْفِى ضَغائِنَها الصُّدُورُ

(١) س : « يتبعهم » .
(٢) س : « فقيل » .
(٣) س : « وراء هذا المصر » .
(٤) س : « وراء ذلك » .
(٥) س : « العبدىّ » .

وخافَ الحاضرون وكلّ بـادٍ يُقِيمُ على المخافة أو يَسِيرُ
فلمّا قام سيْفُ الله فيهم زيادٌ قام أَبْلَجُ مُسْتَنيرُ
قويٌّ لا مِنَ الحَدَثانِ غِرٌّ ولا جزِعٌ ولا فانٍ كبيرُ

٢/٧٩ حدّثني عمرُ بن شبّة، قال: حدّثنا عليّ بن محمد، قال: استعان زيادٌ بعدّةٍ من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلم، منهم عِمران بن الحصين الخُزاعيّ ولاّه قضاءَ البصرة، والحكَم بن عمرو الغِفاريّ ولاّه خُراسان، وسَمُرة ابن جُندب، وأنَس بن مالك، وعبد الرحمن بن سَمُرة؛ فاستعفاه عِمران فأعفاه. واستقضى عبدَالله بن فضالة الليثيّ، ثم أخاه عاصمَ بن فَضالة، ثم زُرارة بن أوفَى الحرَشيّ، وكانت أختُه لُبابة عند زياد.

وقيل: إنّ زياداً أوّل مَن سِير بين يَديه بالحراب، ومُشِيَ بين يديه بالعُمُد، واتّخذ الحرس رابطة خمسمائة، واستعمل عليهم شَيْبان صاحب مَقبُرة شيبان، من بني سعد، فكانوا لا يَبرَحون المسجد.

حدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ، قال: جعل زيادٌ خُراسانَ أرباعًا، واستعمل على مَرْوَ أمَيْر بن أحمر اليشكريّ، وعلى أبْرَشهر خُلَيد بن عبد الله الحنفيّ، وعلى مَرْوَ الرُّوذ والفارِياب والطالَقان قيسَ بن الهيثم، وعلى هَراةَ وباذ غيس وقادس وبوشَنْج نافع بن خالد الطاحِيّ.

حدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ، قال: حدّثنا مسلمة بن محارب وابن أبي عمرو؛ شيخ من الأزْد، أنّ زياداً عَتَب على نافع بن خالد الطاحيّ، فحبسه، وكتب عليه كتابًا بمائة ألف، وقال بعضهم: ثمانمائة ألف، وكان سبب مَوْجِدته عليه أنه بعث بِخُوان بازهر[1] قوائمه منه، فأخذ نافع قائمة، وجعل مكانها[2] قائمة من ذهب، وبعث بالخُوان إلى زياد مع غلام ٢/٨٠ له يقال له زيد، كان قيّمَه على أمرِه كلّه، فسعى زيدٌ بنافع، وقال لزياد:

(١) ابن الأثير: «باذذهر» (٢) ط: «مكانه».

إنه قد خانك ، وأخَذَ قائمةً من قوائم الخِوان ، وجعل مكانها[١] قائمة من ذهب ، قال : فمشى رِجال من وُجوه الأزْد إلى زياد ، فيهم سَيْف بن وهب المَعْوَلىّ ، وكان شريفًا ، وله يقول الشاعر :

اغْمِدْ بسَيْفٍ للسماحة والنَّدَى واغْمِدْ بِصَبْرَةَ للفعال الأعظمِ

قال : فدخلوا على زياد وهو يَسْتَاك ، فتمثّل زيادٌ حين رآهم :

اذكر بنا موْقِفَ أفراسِنا بالحِنْوِ إذ أنت إلينا فَقِيرْ

قال : وأمّا الأزد فيقولون: بل تمثّل سيفُ بن وهب أبو طلحة المَعْوَلىّ بهذا البيت حين دخل على زياد، فقال : نعم . قال : وإنما ذكَره أيّام أجاره صَبْرة ، فدعا زياد بالكتاب فحاه بسِواكه وأخرَج نافعًا .

حدّثني عمرُ بن شبّة، قال : حدّثنا علىّ ،عن مَسلَمة ، أنّ زياداً عزل نافعَ بن خالد الطاحىّ وخُلَيد بنَ عبد الله الحنفىّ وأمَيْر بن أحمر اليشكُرىّ ، فاستعمل الحَكَم بن عَمرو بن مجدّع[٢] بن حِذْيَمَ بن الحارث بن نُعيلة بن مُليك — ونُعيلة أخو غِفار بن مُليك — ولكنهم قليل ، فصاروا إلى غِفار .

قال مسلمة[٣] : أمَرَ زيادٌ حاجبَه فقال : ادعُ لى الحَكَم — وهو يريد الحكم ابنَ أبى العاص الثَّقَفىّ — فخرج الحاجبُ فرأى الحَكَم بن عَمرو الغِفارىّ فأدخلَه ، فقال: زيادٌ: رجل له شَرَف وله صحبةٌ[٤] من رسول الله[٥] صلى الله عليه وسلم ، فعقَد له على خُراسان ، ثم قال له : ما أردْتُك ، ولكنّ الله عزّ وجلّ أرادَك . ٨١/٢

حدّثني عمر قال : حدّثنا علىّ قال : أخبرَنا أبو عبد الرحمن الثَّقَفىّ ومحمد بن الفضل[٦] ، عن أبيه ؛ أنّ زياداً لمّا ولى العراقَ استعمل الحكَم بنَ

(١) ط : « مكانه » .
(٢) س : « محدج » ، ف : « مخدوج » .
(٣) ف : « سلمة » .
(٤) ف : « وصحبة » .
(٥) س : « برسول الله » .
(٦) ط : « الفضيل » ، وانظر الفهرس .

عَمرو الغِفاريَّ على خُراسان ، وجعل معه رجالا على كُوَرٍ ، وأمرَهم بطاعته ، فكانوا على جِباية الخَراج ، وهم أسلم بن زُرعة ، وخُلَيد بن عبد الله الحنفيّ ، ونافع بنُ خالد الطاحيّ ، وربيعةُ بن عِسْل اليربوعيّ ، وأميرُ بن أحمرَ اليشكريّ ، وحاتمُ بن النعمان الباهليّ ؛ فمات الحَكَم بن عمرو ، وكان قد غزا طُخارِسْتان ، فغنم غنائمَ كثيرة ، واستخلف أنسَ بنَ أبى أناس بن زُنَيم ، وكان كتب إلى زياد : إنى قد رضيتُه لله وللمسلمين ولك ، فقال زياد : اللهمّ إنّى لا أرضاه لدِينك ولا للمسلمين ولا لِى . وكتب زيادٌ إلى خُلَيد بن عبدِ الله الحنفيّ بولاية خُراسان ، ثم بعث الربيعَ بنَ زياد الحارثيّ إلى خُراسان فى خمسين ألفًا ؛ من البَصرة خمسة وعشرين ألفًا ، ومن الكوفة خمسةً وعشرين ألفًا ، على أهلِ البَصرة الربيع ، وعلى أهل الكُوفة عبدُالله ابن أبى عَقيل ، وعلى الجماعة الرَّبيع بن زِياد .

* * *

وقيل : حجّ بالناس فى هذه السنة مَرْوانُ بن الحَكَم وهو على المدينة ، وكانت الوُلاة والعُمّال على الأمصار فى هذه السنة من تقدم ذكره قبل ؛ المُغيرة ابن شُعْبة على الكُوفة ، وشُريح على القضاء[1] بها ، وزياد على البَصرة ، والعُمّال من قد سميتُ قبلُ .

* * *

وفى هذه السنة كان مَشتَى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بأرضِ الرُّوم .

---

(١) س : « قضائها » .

82/2

ثم دخلت سنة ست وأربعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مَشتَى مالك بن عبدالله[1] بأرض الرّوم، وقيل: بل كان ذلك عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وقيل بل كان مالك بن هُبيرة السَّكونىّ.

* * *

[خبر انصراف عبد الرحمن بن خالد إلى حمص وهلاكه]

وفيها انصرف عبدُالرحمن بن خالد بن الوليد من بلاد الرُّوم إلى حِمْص، فدَسّ ابن أثال النَّصرانىّ إليه شَرْبَةً مسمومةً - فيما قيل - فشربِهَا فقتَلَتْه.

ذكر الخبر عن سبب هلاكه:

وكان السبب فى ذلك ما حدّثنى عمر، قال: حدثنى علىّ، عنَ مسلمة ابن محارب؛ أنّ عبدَالرحمن بن خالد بن الوليد كان قد عَظُم شأنُه بالشأم، ومالَ إليه أهلُها، لما كان عندَهم من آثار أبيه خالد بنِ الوليد، ولغَنائه عن المسلمين فى أرض الرُّوم وبأسِه، حتى خافه معاويةُ، وخشىَ على نفسه منه، لميل الناس إليه، فأمر ابن أثال أن يحتالَ فى قتله، وضَمِن له إنْ هو فعل ذلك أن يضع عنه خَرَاجَه ما عاش، وأن يولّيَه جِبايةَ خَرَاج حِمْصَ، فلمّا قدمعبد الرحمن بن خالد حِمْصَ منصرفًا من بلاد الروم دَسّ إليه ابن أثال شربةً مسمومةً مع بعض مماليكه، فشَرِبها فمات بحِمْص، فوفّى له معاويةُ بما ضَمِن له، وولّاه خراجَ حِمْص، ووضع عنه خراجَه.

قال: وقَدِم خالد بنُ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المدينةَ، فجلس يومًا إلى عُرْوة بن الزُّبير، فسلّم عليه، فقال له عُروة: مَن أنت؟ قال: أنا خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد؛ فقال له عُرْوة: ما فعل ابن أثال؟ فقام خالد من عنده، وشخص متوجّهًا إلى حمصَ، ثم رَصَد بها 83/2

(1) ط: «عبيد الله»، وانظر الفهرس.

ابنَ أثال ، فرآه يومًا راكبًا ، فاعترض له خالدُ بن عبد الرحمن ، فضرَبه بالسيف ، فقتَله ، فرفِع إلى معاوية ، فحبسه أيامًا ، وأغرَمَه دِيتَه ، ولم يقِدْه منه . ورجع خالدٌ إلى المدينة ، فلمّا رجع إليها أتَى عروةَ فسلم عليه ، فقال له عُرْوة : ما فعل ابن أثال ؟ فقال : قد كفيتُكَ ابنَ أثال ، ولكن ما فعَل ابن جُرْموز ؟ فسكت عروةُ . وقال خالدُ بن عبد الرحمن حين ضرب ابن أثال :

أنا ابنُ سيفِ اللهِ فاعْرِفُونى ... لم يبْقَ إلا حَسَبى ودينى

* وصارِمٌ صَلّ به يَمينِى *

* * *

[ذكر خروج سهم والخُطيم]

وفيها خرج الخَطِيم وسهم بن غالبِ الهُجَيمىّ ، فحكّما ، وكان من أمرهما ما حدّثنى به عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : لمّا وُلّىَ زياد خافه سهم ابنُ غالب الهُجيمىّ والخَطِيم — وهو يزيد بن مالك الباهلىّ — فأما سهم فخرج إلى الأهواز فأحدَث وحكّم ، ثم رَجَع فاختفى وطلب الأمانَ ، فلم يؤمّنه زياد ، وطلبه حتى أخذه وقتَله وصلَبه على بابه . وأما الخَطِيم فإنّ زيادًا سيّره إلى البحرين ، ثم أذِن له فقدِم ، فقال له : الزَم مِصرَك ؛ وقال لمسلم ابن عمرو : اضمَنْه ؛ فأبَى وقال : إن بات عن بيته أعلمتُك . ثم أتاه مسلم فقال : لم يبت الخَطيم الليلةَ فى بيته ، فأمر به فقُتل ، وأُلقِى فى باهلة . ٨٤/٢

وحجّ بالناس فى هذه السنة عُتبةُ بن أبى سُفْيان . وكان العمّال والوُلاة فيها العمّالَ والوُلاةَ فى السنة التى قبلها .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين

ذكر الأحداث التى كانت فيها

ففيها كان مَشتَى مالك بن هُبيرة بأرض الرّوم ، ومشتَى أبى عبد الرحمن القينىّ بأنطاكيةَ .

* * *

[ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حُدَيج]

وفيها عُزِل عبدُالله بنُ عمرِو بنِ العاص عن مصر ، وَوَلِيهَا معاويةُ ابن حُدَيج[1] ، وسار — فيما ذكر الواقدىّ — فى المغرب ، وكان عثمانيًّا . قال : ومرّ به عبد الرحمن بن أبى بكر وقد جاء من الإسكنَدِرّية ، فقال له : يا معاوية ، قد لَعَمرى أخذتَ من معاوية جزاءَك ، قتلت محمد بن أبى بكر لأنْ تلىَ مصرَ ، فقد وليتَها . قال : ما قتلتُ محمد بنَ أبى بكر إلا بما صنع بعثمان ؛ فقال عبد الرحمن : فلو كنتَ إنما تَطلب بدم عثمان لم تشرك معاوية فيما صنع حيث صَنع عَمرو بن العاص بالأشعرىّ ما صَنع ، فوثبتَ أوّلَ الناس فبايعتَه .

* * *

[ذكر غزو الغَوْر]

وقال بعضُ أهلِ السيَر : وفى هذه السنة وجّه زياد الحكَم بن عمرو الغِفارىّ إلى خُراسان أميرًا ، فغزا جبالَ الغَور وفراونده ، فقهرهم بالسيف عَنْوةً ففتحها ، وأصاب فيها مغانمَ[2] كثيرة وسبايا ؛ وسأذكر من خالَف هذا القولَ بعدُ إنْ شاء الله تعالى .

وذكَر قائل هذا القول أن الحكَم بن عمرو قَفَل من غَزْوته هذه ، ٢/٨٥

(١) ضبطه ابن الأثير « بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة و بالجيم » .

(٢) ف : « غنائم » .

فمات بمرْوَ .

واختلفوا فيمن حجّ بالناس فى هذه السنة ، فقال الواقدىّ : أقام الحجَّ فى هذه السنة عُتبةُ بن أبى سُفْيان . وقال غيره : بل الذى حجّ فى هذه السنة عَنْبسة بن أبى سُفْيان .

وكانت الوُلاة والعُمّال على الأمصار الذين ذكرت أنهم كانوا العمّال والولاةَ فى السنة التى قبلها .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين

ذكر الأحداث التى كانت فيها

وكان فيها مَشْتَى أبى عبد الرحمن القَيْنى أنطاكية ، وصائفة عبد الله ابن قيس الفزارىّ وغزوة[1] مالك بن هُبيرة السَّكونىّ البحر[2] ، وغزوة[1] عُقبة بن عامر الجهنىّ بأهل مصرَ البحر[2] ، وبأهل المدينة ، وعلى أهل المدينة المنذرُ بنُ الزّهير ، وعلى جميعهم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

وقال بعضهم : فيها وجّه زيادٌ غالبَ بن فَضالة الليثىّ على خُراسان ، وكانت له صحبةٌ مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحجّ بالناس فى هذه السنة مَرْوانُ بن الحكَم فى قول عامة أهل السِّيَر ، وهو يتوقع العزلَ لمَوْجِدة كانت من معاويةَ عليه، وارتجاعِه منه فَدَك ، وقد كان وهَبَها له .

وكانت وُلاة الأمصار وعمّالُها فى هذه السنة الذين كانوا فى السنة التى قبلَها .

---

(١) س : « وغزاة » .

(٢) س : « اليمن » .

٨٦/٢

ثم دخلت سنة تسع وأربعين

[ذكر ما كان فيها من الأحداث]

فكان فيها مَشْتَى مالك بن هُبيرة السَّكونىّ بأرض الروم .

وفيها كانت غَزوةُ فَضالة بن عبيد جَرَبّة ، وشتا بجَرَبّة ، وفتِحتْ على يديه ، وأصاب فيها سبْيًا كثيراً .

وفيها كانت صائفةُ عبدِالله بن كُرْز البَجَلىّ .

وفيها كانت غزوة يزيد بن شَجَرة الرّهاوىّ فى البحر ، فَشتَا بأهل الشأم .

وفيها كانت غزوةُ عقبةَ بن نافع البحر ، فشتا بأهلِ مصرَ .

وفيها كانت غَزَوةُ يزيدَ بن معاوية الرّوم حتى بلغ قُسْطَنطينيّة ، ومعه ابن عباس وابن عمروابن الزّبير وأبو أيوبَ الأنصارىّ .

وفيها عَزَل معاويةُ مروانَ بن الحكَم عن المدينة فى شهر ربيع الأوّل .

وأمَّرَ فيها سعيدَ بن العاص على المدينة فى شهر ربيع الآخر ؛ وقيل فى شهر ربيع الأوّل .

وكانت ولايةُ مروانَ كلّها بالمدينة لمعاويةَ ثمان سنينَ وشهرين .

وكان على قضاء المدينة لمرْوان — فيما زعم الواقدىّ — حين عُزِل عبد الله بن الحارث بن نوفل ، فلما ولى سعيد بن العاص عزَلَه عن القضاء ، واستَقضى أبا سَلَمة بن عبد الرّحمن بن عوف .

وقيل : فى هذه السنة وقع الطاعون بالكُوفة ، فهرب المغيرةُ بن شُعبة من الطاعون ، فلما ارتفع الطاعون قيل له : لو رجعتَ إلى الكُوفة ! فقَدِمها فطُعِن فمات ؛ وقد قيل : مات المغيرة سنة خمسين ، وضمّ معاويةُ الكوفَة إلى زياد ، فكان أوّل من جمع له الكُوفة والبَصرة .

* * *

٢/٨٧

وحجّ بالناس فى هذه السنة سعيدُ بن العاص .

وكانت الوُلاة والعُمّال فى هذه السنة الذين كانوا فى السنة الّتى قبلها ، إلاّ عامل الكُوفة فإنّ فى تاريخ هلاك المُغيرة اختلافًا ، فقال : بعض أهلِ السِّير : كان هلاكُه فى سنة تسع وأربعين ؛ وقال بعضهم : فى سنة خمسين.

ثم دخلت سنة خمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوة بُسر بن أبى أرطاةَ وسُفْيان بن عوف الأزدىّ أرضَ الرُّوم .

وقيل : كانت فيها غَزْوة فَضالَة بن عبيد الأنصارىّ البحرَ .

* * *

[ذكر وفاة المغيرة بن شعبة وولاية زياد الكوفة]

وفيها — فى قول الواقدىّ والمدائنىّ — كانت وفاةُ المُغيرة بن شعْبة . قال محمد بن عمر : حدّثنى محمد بن أبى موسى الثقفىّ ، عن أبيه ، قال : كان المغيرة بنُ شُعبةَ رجلاً طُوالا ، مصابَ العَين ، أصيب باليَرْمُوك ، توفّىَ فى شعبان سنة خمسين وهو ابن سبعين سنة .

وأما عَوانة فإنه قال — فيما حدّثت عن هشام بن محمد ، عنه : هَلَكَ المغيرةُ سنة إحدى وخمسين .

وقال بعضهم : بل هلك سنة تسع وأربعين .

حدّثنى عمرُ بن شبّة ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : كان زيادٌ على البَصرة وأعمالِها إلى سنة خمسين ، فمات المغيرة بنُ شعبةَ بالكُوفة وهو أميرُها ، فكتب معاويةُ إلى زياد بعَهْده على الكُوفة والبَصْرة ، فكان أوّل من جمع له الكُوفة والبَصْرة ، فاستخلف على البصرة سَمُرة بن جُنْدَب ، وشَخَصَ إلى الكُوفة ، فكان زياد يقيم ستة أشهر بالكُوفة ، وستة أشهُر بالبَصْرة .

٨٨/٢ حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ ، عن مسلمة بن محارب ، قال : لما مات المغيرة جُمعت العراقُ لزياد ، فأتى الكوفةَ فصَعِد المنبرَ ، فحمِد اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : إن هذا الأمرَ أتانى وأنا بالبَصْرة ، فأردت أن أشخص

إليكم[١] فى ألفين من شُرْطة البَصْرة ، ثمّ ذكرتُ أنكم أهلُ حقّ ، وأنّ حقّكم طالما دفَع الباطل، فأتيتُكم فى أهل بيتى ، فالحمد لله الذى رَفَع منى ما وَضَع الناس، وحَفِظ منى ما ضيَّعوا ... حتى فرَغ من الخطبة ، فحُصِب على المِنبر ، فجلس حتى أمسكُوا ، ثم دعا قومًا من خاصّته ، وأمرَهم[٢] ، فأخذوا أبوابَ المسجد ، ثم قال : ليأخذْ كلّ رجل منكم جليسَه ، ولا يقولنّ : لا أدْرِى مَن جليسى ؟ ثم أمر بكرسىّ فوضع له على باب المسجد ، فدعاهم أربعةً أربعةً يحلفون بالله ما مِنّا مَنْ حَصَبَك، فمن حَلَف خلاّه ، ومن لم يَحلِف حبَسه وعزَله ، حتى صار إلى ثلاثين ، ويقال : بل كانوا ثمانين ، فقطَع أيديَهم على المكان .

قال الشعبىّ : فوالله ما تعلَّقنا عليه بكذْبة ، وما وعدنا خيراً ولا شرًّا إلا أنفَذَه .

حدّثنى عمر قال : حدّثنا علىّ ، عن سلمة بن عثمان ، قال : بلغنى عن الشعبىّ أنه قال: أوّل رجل قَتلَه زيادٌ بالكوفة أوفَى بن حصن، بلغه عنه شىء فطلبه فهرب ، فعرض الناسَ زياد ، فمرّ به، فقال : مَن هذا ؟ قالوا : أوفَى بن حصن الطائىّ ؛ فقال زياد : أتتك بحائن رِجْلاه[٣] ، فقال أوْفَى :

إنَّ زيادًا أَبا المغـيرة لا يَعجَلُ والناسُ فيهِمُ عَجَلهْ
خِفتُكَ واللهِ فاعْلَمْنْ حَلِفِى خوفَ الحَفافِيثِ صَولَةَ الأَصَلهْ[٤] ٢/٨٩
فجِئتُ إذْ ضاقَتِ البلاد فَلم يكنْ عليها لخِائِفٍ وَأْلَهْ[٥]

قال : ما رأيُك فى عثمان ؟ قال ختَن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على ابنتَيه ، ولم أنكِره ، ولى محصولُ رأى ، قال : فما تقول فى معاوية ؟ قال :

(١) س : « أن آتيكم » .
(٢) س : « فأمرهم » .
(٣) مثل ؛ وأوّل من قاله الحارث بن جبلة الغسانى قاله للحارث بن عيف العبدى ؛ وقيل أول من قاله عبيد بن الأبرص . وانظر الميدانى ١ : ١٤ .
(٤) الحفافيث : جمع حفاث ؛ وهو حية ضخم عظيم الرأس أرقش أحمر ، والأصلة جنس من الحيات هو أخبثها .
(٥) الوألة بسكون الهمز وخففها للشعر : الملجأ .

جَواد حليم ؛ قال : فما تقول فىَّ ؟ قال : بلغنى أنك قلتَ بالبَصرة : والله لآخذنَّ البرىء بالسقيم ، والمقبلَ بالمدبر ؛ قال : قد قلتُ ذاك ، قال : خبطتَها عَشْواء[1] ؛ قال زياد : ليس النفاخ بشَرِّ الزَّمَرة ، فقتَلَه ؛ فقال عبد الله بن همّام السَّلولىّ :

خَيَّبَ اللهُ سَعْىَ أوفى بن حِصنٍ ... حين أضْحَى فَرُّوجَةَ الرَّقَّاء

قادَهُ الحَيْنُ والشقاءُ إلى لَيْـ ... ـثٍ عَرِينٍ وحَيَّـةٍ صَمَّاء

قال : ولما قدم زياد الكوفةَ أتاه عُمَارة بن عُقبة بن أبى مُعَيط ، فقال : إنّ عمرو بن الحَمِق يجتمع إليه من شيعة أبى تُراب ، فقال له عمرو بن حُرَيث : ما يدعوك إلى رفع ما لا تيقَّنُه ولا تدرى ما عاقبتُه ! فقال زياد : كلا كما لم يُصِب ، أنت حيث تكلمنى فى هذا علانيةً وعمرو حينَ يردُّك عن كلامك ، قُومَا إلى عَمرو بنِ الحَمِق فقولا له : ما هذه الزَّرافات التى تجتمع عندك ! مَن أرادك أو أردتَ كلامَه[2] ففى المسجد .

قال : ويقال : إنّ الذى رفع على عَمرو بن الحَمِق وقال له : قد أنْغَل[3] المِصرَيْن ، يزيد بن رُوَيْم ، فقال عمرو بن الحريث : ما كان قطّ أقبل على ما يَنفَعه منه اليوم ؛ فقال زياد ليزيدَ بن رُوَيم : أما أنت فقد أشطْتَ[4] بدَمِه ، وأما عَمرو فقد حقَن دمه ، ولو علمت أن مخّ ساقه قد سال من بغضى ما هِجْته حتى يخرج علىّ .

٢/٩٠ واتخذ زيادٌ المقصورةَ حين حَصَبه[5] أهلُ الكوفة .

وولَّى زياد حين شَخَص من البصرة إلى الكُوفة سَمُرة بن جُنْدب .

فحدّثنى عمر ، قال : حدّثنى إسحاق بن إدريس ، قال : حدّثنى محمد ابن سليم قال : سألت أنسَ بن سيرينَ : هل كان سَمُرة قتَل أحداً ؟ قال :

---

(١) فى ابن الأثير : « خبطتَها خبط عشواء » .

(٢) س : « وأراد كلامك » .

(٣) أنغل المصرين ، أى أفسدهم .

(٤) أشطت بدمه ، أى أهلكته .

(٥) س : « خصم » .

وهل يُحصَى من قَتَل سَمُرة بن جندب ! استخلفَه زيادٌ على البصرة ، وأتى[1] الكوفة ، فجاء وقد قتل ثمانيةَ آلافٍ من الناس ، فقال له : هل تخاف أن تكون قد قتلتَ أحداً بريئاً ؟ قال : لو قتلتُ إليهم مثلهم ما خشيتُ — أو كما قال .

حدّثني عمر ، قال : حدّثني موسى بن إسماعيل ، قال : حدّثنا نوح بن قيس ، عن أشعث الحُدّانىّ ، عن أبى سوّار العدوىّ ، قال : قتل سَمُرة من قومى فى غَداةٍ سبعة وأربعين رجلاً قد جَمَع القرآن .

* * *

حدّثني عمر ، قال : حدّثني علىّ بن محمد ، عن جعفر الصّدَفِىّ ، عن عوف ، قال : أقبل سَمُرة من المدينة ، فلما كان عند دُور بنى أسد خرج رجل من بعض أزقّتهم ، ففجأ أوائلَ الخيل ، فحمل عليه رجلٌ من القوم فأوْجرَه الحرْبةَ . قال : ثم مضت الخيل ، فأتَى عليه[2] سَمُرة بن جندب ، وهو متشحّط فى دمه ، فقال : ما هذا ؟ قيل : أصابتْه أوائلُ خيل الأمير ؛ قال : إذا سمعتم بنا قد ركبْنا فاتّقوا أسنّتنا .

* * *

[خروج قريب وزحّاف]

حدّثني عمر قال : حدّثني زهير بن حرب ، قال : حدّثنا وهب بن جَرير ، قال : حدّثنا غسّان بن مضرَ ، عن سعيد بن زيد ، قال : خرج قَريب وزحّاف ، وزياد بالكُوفة ، وسَمُرة بالبصرة ، فخرجا[3] ليلا ، فنزلا[4] بنى يَشكر ، وهم سبعون رجلا ، وذلك فى رمضان ، فأتوا بنى ضُبَيعة وهم سبعون رجلاً ، فمرّوا بشيخ منهم يقال له حكّاك ، فقال حين رآهم : مرحباً بأبى الشّعْثاء! فرآه ابن حُصين[5] فقتَلوه ، وتفرّقوا فى مساجد الأزْد ، وأتت فرقةٌ

٩١/٢

(١) ف : « فأتى » . (٢) س : « فأتى على » . (٣) ط : « فخرجنا » .
(٤) ط : « فنزلنا » . (٥) ط : « حصن » ؛ وانظر الفهرس .

منهم رَحْبَةَ بنى علىّ ، وفرقة مسجدَ المعادل ، فخرج عليهم سيفُ بن وَهْب فى أصحاب له ، فقتَل مَنْ أتاه ، وخرج على قَريب وزحّاف شَبابٌ من بنى علىّ وشبابٌ من بنى راسب، فرمَوْهم بالنَّبل . قال قَريب : هل فى القوم عبدُالله بنُ أوس الطاحىّ ؟ وكان يناضله ؛ قيل : نعم ؛ قال : فهلمّ إلى البراز ؛ فقتله عبدُالله وجاء برأسه ، وأقبل زيادٌ من الكوفة فجعل يؤنّبه، ثم قال : يا معشر طاحيةَ ، لولا أنكم أصبتم فى القوم لنفيتكُم إلى السجن . قال : وكان قَريب من إياد، وزحّاف من طَيِّئ،وكانا ابنَىْ خالة، وكانا أوّلَ من خرج بعد أهل النَّهر .

قال غسّان: سمعت سعيداً يقول : إنّ أبا بلال قال : قريب لاقرّبه الله ، وايمُ الله لأن أقع من السماء أحبّ إلىّ من أن أصنع ما صنع — يعنى الاستعراض.

حدّثنى عمر، قال : حدّثنا زهير، قال:حدّثنى وهب، قال:حدّثنى أبى أن زياداً اشتدّ فى أمر الحروريّة بعد قَريب وزحّاف ، فقتلهم وأمر سَمُرة بذلك ، وكان يستخلفه على البَصرة إذا خرج إلى الكوفة ، فقتل سَمُرة منهم بَشَرًا كثيراً .

حدّثنى عمر، قال:حدّثنا أبو عبيدة ،قال:قال زياد يومئذ على المِنبر : يا أهل البصرة ، والله لتَكفُنُّنى هؤلاء أو لأبْدأنّ بكم،والله لئن أفلتَ منهم رجلٌ لا تأخذون العامَ من عطائكم درهمًا ، قال : فثار الناسُ بهم فقتلوهم .

* * *

[ذكر إرادة معاوية نقل المنبر من المدينة]

٩٢/٢ قال محمد بن عمر : وفى هذه السنة(١ أمر معاوية بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ١)،أن يُحمَل إلى الشأم، فحُرّك،فكُسفت الشمس حتى رُئيت النجوم باديةً يومئذ ، فأعظم الناس ذلك ، فقال : لم أرِدْ حملَه،إنما خفت أن يكون قد أرِضَ (٢) ، فنظرت إليه . ثم كساه يومئذ .

(١ — ١) س : « أراد معاوية قلع منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٢) يقال : أرضت الخشبة ، فهى مأروضة ، إذا وقعت فيها الأرضة وأكلتها . والأرضة : دودة بيضاء شبه النملة تظهر فى أيام الربيع .

وذكر محمد بن عمرَ، أنه حدّثه بذلك خالد بن القاسم، عن شعيب بن عمرو الأمويّ.

قال محمد بن عمر: حدّثني يحيي بن سعيد[1] بن دينار، عن أبيه، قال: قال معاوية: إني رأيتُ أنّ منبرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصاه لا يُترَكان بالمدينة، وهم قَتَلة أميرِ المؤمنين عثمان وأعداؤه، فلمّا قدم طلب العصا وهي عند سعد القَرَظ، فجاءه أبو هريرة وجابرُ بن عبد الله، فقالا: يا أمير المؤمنين؛ نذكّرك اللهَ عزّ وجلّ أن تفعلَ هذا، فإنّ هذا لا يصلح، تُخرِج منبرَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من موضع وضعه، وتُخرِج عصاه إلى الشأم؛ فانقل المسجد؛ فأقصر وزاد فيه ستّ درجات، فهو اليوم ثماني درجات، واعتذر إلى الناس مما صنع.

قال محمد بن عمر: وحدّثني سُويد بن عبد العزيز، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فَرْوة، عن أبان بن صالح، عن قَبيصة بن ذُؤَيب، قال: كان عبد الملك قد همّ بالمنبر، فقال له قَبيصة بن ذؤيب: أذكّرك اللهَ عزّ وجلّ أن تفعل هذا، وأن تحوّله! إنّ أمير المؤمنين معاوية حرّكه فكُسفت الشمس، وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «من حلف على مِنبري آثمًا فليتبوّأ مَقعَدَه من النار»، فتخرجه من المدينة وهو مقطّع الحقوق بينهم بالمدينة! فأقصَر عبدُالملك عن ذلك، وكفّ عن أن يذكره. فلما كان الوليد وحجّ همّ بذلك وقال: خبّرانِي عنه، وما أراني إلا سأفعل: فأرسل سعيد بن المسيّب إلى عمرَ بن عبد العزيز، فقال: كلّم صاحبَك يتّق الله عزّ وجلّ ولا يتعرّض لله سبحانه ولسُخْطه، فكلّمه عمربن عبد العزيز، فأقصَر وكفّ عن ذِكره، فلّما حجّ سليمان بن عبد الملك أخبَرَه عمر بن عبد العزيز بما كان الوليد همّ به وإرسال سعيد بن المسيّب إليه، فقال سليمان: ما كنت أحبّ أن يذكر هذا عن أمير المؤمنين عبد الملك ولا عن الوليد، هذا مكابَرة، وما لَنا ولهذا! أخذنا الدنيا فهي فى أيدينا، ونريد أن نَعمد إلى عَلَم من أعلام الإسلام يوفَد

٩٣/٢

(١) ابن كثير: «محمد بن سعيد».

إليه ، فنحمله إلى ما قِبَلنا ! هذا ما لا يَصلُح .

* * *

وفيها عُزِلَ معاوية بن حُدَيْج عن مصرَ ووُلِّيَ مسلمة بن مخلّد مصر وإفريقيَة ، وكان معاويةُ بن أبي سُفيان قد بعث قبل أن يولّي مسلمة مصر وإفريقيَة عُقْبةَ بن نافع الفِهريّ إلى إفريقيَة ، فافتتحها ، واختطّ قَيْروانَها ، وكان موضعُه غَيْضةً — فيما زعم محمد بن عمر — لا تُرام من السباع والحيّات وغير ذلك من الدّوابّ . فدعا الله عزّ وجلّ عليها فلم يَبقَ منها شىء إلا خرج هاربًا ، حتى إنّ السباع كانت تَحمِل أولادها .

قال محمد بن عمر : حدّثنى موسى بن على ، عن أبيه ، قال : نادى عُقبة بن نافع :

* إنّا نازلونا فاظْعَنوا عِزِينا *

فخرجن من جِحَرتهنّ هوارب .

قال : وحدّثنى المفضّل بن فَضالة ، عن زيد بن أبى حبيب ، عن رجل من جند مصر ، قال : قَدِمنا مع عُقْبة بن نافع ، وهو أوّل الناس اختطّها وأقطعها للناس مساكن ودوراً ، وبنى مسجدها . فأقمْنا معه حتى عُزِل ، وهو خير والٍ وخير أمير .

٩٤/٢

ثم عَزَلَ معاويةُ فى هذه السنة — أعنى سنة خمسين — معاويةَ بن حُدَيج عن مصر ، وعُقْبة بن نافع عن إفريقيَة ، وولّى مسلَمة بن مخلّد مصر والمغرب كلّه ، فهو أوّل من جُمِع له المغرب كله ومصر وبَرْقة وإفريقيَة وطرابلُس ، فولّى مسلمة بن مخلّد مولًى له يقال له : أبو المهاجِر أفريقيَة ، وعزل عُقْبة ابن نافع ، وكشَفَه عن أشياءَ ، فلم يزل واليًا على مصر والمغرب ، وأبو المهاجر على إفريقيَة مِن قِبَله حتى هلك معاوية بنُ أبى سُفْيان .

* * *

وفى هذه السنة مات أبو موسى الأشعرىّ ، وقد قيل : كانت وفاة أبى موسى سنة اثنتين وخمسين .

واختُلِف فيمن حجّ بالناس فى هذه السنة ، فقال بعضهم : حجّ بهم معاوية ، وقال بعضهم : بل حجّ بهم ابنه يزيد ، وكان الوالى فى هذه السنة

على المدينة سعيد بن العاص ، وعلى البَصْرة والكوفة والمشرق وَسِجِسْتان وفارس والسِّند والهند زياد .

* * *

[ذكر هرب الفرزدق من زياد]

وفى هذه السنة طَلَب زيادٌ الفرزدقَ ، واستَعْدت عليه بنو نَهْشل وفُقَيم، فهرب منه إلى سعيد بن العاص — وهو يومئذ والى المدينة من قِبَل معاوية — مستجيراً به ، فأجاره .

* ذكر الخبر عن ذلك :

حدّثنى عمرُ بن شبّة، قال: حدّثنا أبو عبيدة وأبو الحسن المدائنىّ وغيرهما، أنّ الفرزدق لما هجا بنى نهشل وبنى فُقَيم . لم يزد أبو زيد فى إسناد خبره على ما ذكرت ؛ وأما محمد بن علىّ فإنه حدّثنى عن محمد بن سعد[1] ، عن أبى عبيدة ، قال: حدّثنى أعيَن بن لبَطَة بن الفرزدق، قال: حدّثنى أبى عن أبيه، قال: لما هاجَيْتُ الأشهبَ بنَ رُمَيلة والبَعيث فسقَطا، استعدَتْ علىّ بنو نَهْشل وبنو فُقَيم زيادَ بن أبى سُفيان . وزعم غيرُه أنّ يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك بن رِبْعىّ بن سلمى بن جندل بن نهشل استعدى أيضًا عليه . فقال أعين : فلم يعرفه زياد حتى قيل له : الغلام الأعرابىّ الذى أنهبَ ورقه وألقى ثيابه ؛ فعرفه .

٢/٩٥

قال أبو عبيدة : أخبرَنى أعين بن لبَطة ، قال : أخبرَنى أبى ، عن أبيه، قال: بعثنى أبى غالبٌ فى عِيرٍ له وجَلَبٍ أبيعُه وأمتار له وأشترى لأهله كُسًا ، فقدمتُ البصرة ، فبعْتُ الجَلَب ، فأخذتُ ثمنَه فجعلتُه فى ثوبى أزاوله ، إذ عرَض لى رجل أراه كأنه شيطان، فقال : لَشدّ ما تستوثق منها ! فقلت : وما يمنعنى! قال : أما لو كان مكانَك رجل أعرفه ما صبر عليها ؛ فقلت : ومَن هو ؟ قال: غالب بن صَعْصعة ؛ قال: فدعوتُ أهل المِرْبد

(١) ف : « سعدان ».

فقلت: دُونَكموها – ونثرتُها عليهم – فقال لى قائل: ألقِ رداءك يابن غالب، فألقَيتُه. وقال آخر: ألقِ قميصَك؛ فألقَيتُه، وقال آخر: ألقِ عمامَتك فألقيتُها حتى بقيتُ فى إزارٍ، فقالوا: ألْقِ إزارَك، فقلت: لن ألقيَه وأمشى مجرّداً، إنّى لست بمجنون. فبلغ الخبرُ زياداً، فأرسل خيلا إلى المِرْبد ليأتوه بى، فجاء رجل من بنى الهُجَيم على فَرس؛ قال: أتيتَ فالنَّجاء! وأرْدَفنى خلفَه، وركَض حتى تغيّب، وجاءت الخيلُ وقد سبقت، فأخذ زياد عمّين لى: ذهيلا[1] والزحّاف ابنى صعصعة – وكانا فى الدّيوان على ألفين ألفين، وكانا معه – فحبسهما فأرسلتُ إليهما: إن شئتما أتيتُكما، فبعثَا إلىّ: لاتَقرَبْنا، إنّه زياد! وما عسى أن يَصنَع بنا، ولم نُذنِب ذنباً! فمكثا[2] أيّاماً. ثم كُلّم زياد فيهما، فقالوا: شيخان سامعان مطيعان، ليس لهما ذنب مما صنع غلام أعرابىّ من أهل البادية؛ فخلّى عنهما؛ فقالا لى: أخْبرنا بجميع ما أمَرَك أبوك من ميرةٍ أو كسوة؛ فخبّرتهما به أجمع، فاشترياه وانطلقتُ حتى لحقت بغالب، وحملتُ ذلك[3] معى أجمع، فأتيتُه وقد بلغه خبرى، فسألنى: كيف صنعتَ؟ فأخبرتُه بما كان؛ قال: وإنك لتُحسن مِثلَ هذا! ومَسَح رأسى. ولم يكن يومئذ يقول الشّعر، وإنما قال الشعر بعد ذلك، فكانت[4] فى نفس زياد عليه.

٩٦/٢

ثمّ وَفد الأحنفُ بنُ قيس وجاريةُ بنُ قدامة، من بنى ربيعة بن كعب ابن سعد والجوْن بن قَتادة العَبْشَمىّ والُحتات بن يزيد أبو منازل، أحد بنى حُوىّ[5] بن سُفيان بن مجاشع إلى معاوية بن أبى سُفْيان، فأعطى كلّ رجل منهم مائة ألف، وأعطى الُحتات سبعين ألفًا، فلما كانوا فى الطريق سأل بعضهم بعضًا، فأخبروه بجوائزهم، فكان الُحتات أخذ سبعين ألفًا، فرجع إلى معاوية، فقال: ما ردّك يا أبا منازل؟ قال: فضَحْتَنى فى بنى تميم،

---

(١) ف: «زنبيلا».
(٢) س: «فكمنا».
(٣) س: «وحملته».
(٤) ف: «وكانت».
(٥) س: «جون».

أما حسبي بصحيح ! أوَلَسْتُ ذا سِنّ ! أوَلَسْتُ مطاعًا فى عشيرتى !
فقال معاوية : بلى ؛ قال : فما بالك خَسَسْتَ بى دون القوم ! فقال : إنى
اشتريت من القوم دينَهم ووكَلْتُك إلى دينك ورأيك فى عثمان بن عفان ٢/٩٧
ــ وكان عثمانيًّا ــ فقال : وأنا فاشترِ منّى دِينى ، فأمر له بتمام جائزة القوم .
وطعن فى جائزته ، فحبسها معاوية ، فقال الفرزدق فى ذلك :

أبوك وعمى يا معاوِيَ أوْرثا ... تُراثاً فيحتازُ التُّراثَ أقاربُهْ[1]

فما بالُ ميراث الحُتات أخذتَه ... وميراثُ حرْبٍ جامدٌ لك ذائبُهْ !

فلو كَانَ هذا الأمر فى جاهليَّةٍ ... عَلِمْتَ مَنِ المرءُ القليلُ حَلائبهْ

ولو كان فى دينٍ سوى ذا شنِئتُمُ ... لنا حقَّنا أو غَصَّ بالماء شاربُهْ

ولو كان إذ كنَّا وفى الكفِّ بسطةٌ ... لَصمّم عَضْبٌ فيك ماضٍ مَضارِبُهْ

ــ وأنشد محمد بن علىّ « وفى الكفّ مبسط » ــ

وقد رُمْتَ شيئاً يا معاوِيَ دونَهُ ... خياطِف عِلْوَدٌّ صعاب مراتبُهْ

وما كنتُ أُعطى النّصفَ من غير قدرةٍ ... سواكَ ، ولو مالتْ علىَّ كتائبه

ألَستُ أعزَّ الناس قوماً وأسرةً ... وأمنعَهُمْ جارًا إذا ضِيمَ جانبُهْ ٢/٩٨

ومــا ولدَتْ بعدَ النبىِّ وآلِهِ ... كمِثْلِى حَصانٌ فى الرجالِ يقارِبُهْ

أبى غالبٌ والمرءُ ناجيةُ الّذى[2] ... إلى صعصعٍ يُنمَى ، فمن ذا يناسبه ![3]

وبيْتى إلى جنب الثريّا فِنــاؤه ... ومِن دونِه البدْرُ المضِىءُ كواكبُه

أنا ابنُ الجبال الصُّمِّ فى عددِ الحَصَى[4] ... وعرْقُ الثَّرَى عِرقى ، فمن ذا يُحاسبه !

---

(١) ديوانه:٤٩ ؛ مع اختلاف فى الرواية وعدد الأبيات ، وانظر النقائض:٦٠٨ ، ٦٠٩ .
(٢) النقائض : « صعصعة الذى » .
(٣) النقائض : « دارم ينمى » .
(٤) النقائض : « الجبال الشم » .

أنا ابنُ الَّذى أحيا الوئيدَ وضامِنٌ على الدهرِ إذْ عَزَّتْ لِدهرٍ مكاسبُهْ
وكم من أبٍ لى يا معاوِىَ لم يَزَل أغَرَّ يبارِى الريح ما ٱزْوَرَّ جانبُهْ
نمتْهُ فروعُ المالكيْنِ ولم يكُن أبوك الذى من عبدِ شمسٍ يقارِبُهْ
تراهُ كنَصْلِ السَّيف يهتَزُّ للندى كريمـاً يُلاقى المجدَ ما طَرَّ شاربه
طويل نِجاد السيف مذ كان لم يكنْ قصىٌّ وعبدُ الشمس ممَّنْ يخاطبُهْ

٩٩/٢ فردّ ثلاثين ألفًا على أهله ، وكانت أيضًا قد أغضبت زياداً عليه . قال : فلما استعدتْ عليه نهشل وُفقَيم ازدادَ عليه غضبًا ، فطلبه فهرب ، فأتى عيسى بنَ خُصَيلة بن معتّب بن نصر بن خالد البَهْزىّ ، ثم أحد بنى سُليم ، والحجّاج بن عِلاط بن خالد السُّلَمىّ .

قال ابن سعد : قال أبو عبيدةَ : فحدّثنى أبو موسى الفضل بن موسى ابن خُصَيلة ، قال : لما طرد زياد الفرزدقَ جاء إلى عمِّى عيسى بن خُصَيلة ليلا فقال : يا أبا خُصَيلة ، إنّ هذا الرجل قد أخافنى ، وإنّ صديقى وجميع مَن كنت أرجو قد لفظونى ، وإنى قد أتيتك لتغيِّبَنى عندك ؛ قال : مَرْحبًا بك! فكان عنده ثلاثَ ليال ، ثم قال : إنه قد بدا لى أن ألحق بالشام ، فقال : ما أحببتَ ؛ إنْ أقمتَ معى ففى الرّحب والسعة ؛ وإن شَخَصتَ فهذه ناقة أرحبيّة أمتِّعُك بها . قال : فركب بعدَ ليل ، وبعث عيسى معه حتى جاوز البيوت ، فأصبح وقد جاوز مسيرة ثلاث ليالٍ ، فقال الفرزدق فى ذلك :

حَبانى بها البَهزىُّ حُمْلانَ مَنْ أبى من الناس والجانى تُخافُ جرائمهْ[١]
ومنْ كان يا عيسى يونّبُ ضيْفَهُ فَضَيْفُكَ محْبُورٌ هنىٌّ مطاعِمُهْ
١٠٠/٢ وقال تعلَّمْ أنَّها أرْحَبِيَّـةٌ وأنَّ لها الليلَ الذى أنت جاشمُهْ
فأَصبحتُ والملقَى ورائى وحَنْبَلٌ وما صَدَرَتْ حتى علا النَّجْم عاتِمُهْ[٢]

---

(١) ديوانه: ٧٦٣ والنقائض: ٦١٠ .
(٢) النقائض : « علا الليل » .

تَزاوَرُ عن أهلِ الحُفَيرِ كأنّها ظَليمٌ تبارَى جنحَ ليلٍ نَعائمُهْ

رأتْ بين عينيها دُويّةَ وانجلَى لها الصّبح عن صَعْلٍ أسيلٍ مَخاطِمُهْ

كأن شراعاً فيه مَجرَى زمامها بدِجْلَةَ إلاّ خَطمُهُ وملاغمُهْ

إذا أنتِ جاوَزتِ الغَرِيَّيْنِ فاسلَمِي وأعرَضَ بِن فَلْجٍ ورائِى مخارمُهْ

وقال أيضًا :

تدارَكنى أسبابُ عيسى من الرَّدَى ومن يَكُ مَولاهُ فليْسَ بواحِدِ[١]

وهى قصيدة طويلة .

قال : وبلغ زياداً أنه قد شَخَص، فأرسل علىّ بن زَهْدم، أحد بنى نَوْلة بن فُقَيم فى طلبه .

قال أعيَن : فطلبه فى بيت نصرانيّة يقال لها ابنة مرّار ، من بنى قيس ابن ثعلبة تنزل قَصيمة كاظمة ؛ قال: فسلّته[٢] مِن كِسْرِ بيتها ، فلم يقدر عليه ؛ فقال فى ذلك الفرزدق : ١٠١/٢

أتيت ابنَةَ المَرّار أهبِلتَ تبتغِي وما يُبْتَغَى تحت السَّويّةِ أمثالِى[٣]

ولكِنْ بُغائى لو أردتَ لقاءَنا فضاءُ الصّحارى لا ابتغاءٌ بأدغال

وقيل : إنها ربيعة بنت المرّار بن سلامة العِجلىّ أمّ أبى النجم الرّاجز .

قال أبو عُبيدة : قال مِسمَع بن عبد الملك : فأتى الرَّوحاء ، فنزل فى بكر بن وائل ، فأمِن ، فقال يمدحهم :

وقد مثَلتْ أين المسيرُ فلم تجِدْ لفَوْرتها كالحَىِّ بكْر بن وائل[٤]

أعفَّ وأوفى ذِمَّةً يعقِدونها إذا وازَنَت شُمَّ الذُّرا بالكواهِل

---

(١) ديوانه: ١٩٧ ، ١٩٨ ، النقائض: ٦١٠ .

(٢) س : « فسالته» .

(٣) ديوانه: ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، النقائض: ٦١١ .

(٤) ديوانه: ٦٥٠ ، ٦٥١ ، النقائض: ٦١٢ ، وفيها : « وقد ميلت » .

وهى قصيدة طويلة . ومدحهم بقصائدَ أُخَر غيرها .

قال : فكان الفرزدق إذا نزل زياد البَصرة نزل الكوفة ، وإذا نزل زيادٌ الكوفة نزل الفرزدق البَصرة ، وكان زياد ينزل البصرة ستّة أشهر والكوفة ستّة أشهر ، فبلغ زياداً ما صنع الفرزدق ، فكتب إلى عامله على الكوفة عبدِ الرحمن ابن عُبيد : إنّما الفرزدق فحلُ الوحوش يَرعَى القِفار ، فإذا ورد عليه الناس ذُعِر ففارقهم إلى أرض أخرى فرتع ؛ فاطلبه حتّى تظفرَ به . قال الفرزدق : فطُلبت أشدّ طلب[1] ، حتى جعل مَن كان يُؤْوِينى يُخرجنى من عنده ، فضاقت علىّ الأرض ، فبينا أنا ملفّف رأسى فى كِسائى على ظهر الطريق[2] ، إذ مرّ بى الذى جاء فى طلبى ، فلمّا كان الليل أتيتُ بعضَ أخوالى من بنى ضَبّة وعندهم عُرْس — ولم أكن طعمتُ قبلَ ذلك طعاماً ، فقلت : آتيهم فأصيبَ من الطعام — قال : فبينا أنا قاعد إذ نظرت إلى هادِى[3] فرسٍ وصدرِ رُمح قد جاوَز بابَ الدار داخلاً إلينا ، فقاموا إلى حائط قصب فرفعوه ، فخرجت منه ، وألقَوا الحائط فعاد مكانَه ، ثم قالوا : ما رأيناه ، وبحثوا ساعةً ثم خرجوا ، فلمّا أصبحنا جاءونى فقالوا : اخرُج إلى الحجاز عن جوار زياد لا يظفر بك ، فلو ظفر بك البارحةَ أهلكتَنا ؛ وجمعوا ثمن راحلتين ، وكلّموا لى مقاعِساً أحد بنى تَيْم الله ابن ثعلبة — وكان دليلا يسافر للتجار — قال : فخرجْنا إلى بانِقْيا حتى انتهينا إلى بعض القصور التى تُنزَل ، فلم يُفتح لنا الباب ، فألقينا رحالَنا إلى جنب الحائط والليلة مُقمِرة ، فقلت : يا مقاعس ، أرأيت إن بعث زياد بعد ما نصبح إلى العتيق رجالاً ، أيقدرون علينا ؟ قال : نعم ، يَرصُدوننا — ولم يكونوا جاوزوا العتيق وهو خَندَق كان للعَجَم — قال : فقلت : ما تقول العرب ؟ قال : يقولون : أمهِلْه يوماً وليلة ثم خذه . فارتحل ؛ فقال إنى أخاف السباعَ ، فقلت : السباعُ أهوَن من زياد ، فارتحلْنا لا نرى شيئاً إلا خلّفناه ، ولزِمَنا شخصٌ لا يُفارقنا ، فقلت : يا مُقاعس ، أترى هذا الشخص ! لم نمرر

١٠٢/٢
١٠٣/٢

---

(١) س : « الطلب » .
(٢) س : « طريق » .
(٣) الهادى : العنق ؛ سمى بذلك لتقدمه .

بشىء إلاّ جاوزناه غيره ، فإنه يسايرنا منذ الليلة . قال : هذا السَّبُع ، قال : فكأنه فهِمَ كلامَنا ، فتقدّم حتى ربَض على متْن الطريق ، فلما رأينا ذلك نزلْنا فشددْنا أيدى ناقتَيْنا بثِنايَيْن وأخذتُ قوسى . وقال مقاعس : يا ثعلب ، أتدرى ممّن فررْنا إليك ؟ من زياد ، فأحصَب بذَنبه حتى غشيَنا غبارُه وغشىَ ناقتيْنا ، قال : فقلت : أرميه ، فقال : لا تَهجْه ، فإنه إذا أصبح ذهب ؛ قال : فجعل يُرعِد ويُبرِق ويزئِر ، ومُقاعس يتوعّده حتى انشقّ الصبح ، فلما رآه ولّى ، وأنشأ الفرزدق يقول :

ما كنتُ أَحْسِبُنى جَباناً بعد ما ... لاقَيْتُ ليلةَ جانِبِ الأَنهارِ[1]
لَيْثاً كأَنَّ على يَدَيْه رِحالةً ... شَثْنَ البراثِنِ مُؤْجَدَ الأَظفارِ
لما سَمِعْتُ له زَمازِمَ أَجْهَشَتْ ... نَفْسى إلىَّ وقلت أَينَ فِرارِى ![2]
ورَبَطْتُ جِرْوَتَها وقلتُ لها اصْبِرِى ... وشَدَدْتُ فى ضِيقِ المَقامِ إزارِى
فلأَنتَ أَهْوَنُ من زِيادٍ جانِباً[3] ... اذْهَبْ إليك مُخرِّمِ الأَسفارِ

٢/ ١٠٤ قال ابن سعد : قال أبو عُبيدة : فحدّثنى أعيَن بن لَبطَة ، قال : حدّثنى أبى ، عن شبَث بن ربعىّ الرياحىّ ، قال : فأنشدتُ زياداً هذه الأبيات فكأنه رقّ له ، وقال : لو أتانى لآمنته وأعطيتُه ، فبلغ ذلك الفرزدق ؛ فقال :

تَذَكَّرَ هذا القلبُ من شَوْقِهِ ذِكْرَا ... تَذَكَّرَ شَوْقاً ليس ناسيَهُ عَصْرَا[4]
تَذَكَّرَ ظَمياءَ الَّتى ليس ناسِيا ... وإن كان أَدْنَى عَهْدِها حِجَجًا عَشْرا
وما مُغْزِلٌ بالغَوْرِ غَوْرِ تِهامةٍ ... تَرَعَّى أَراكاً فى منابتِهِ نضْرا[5]
من الأُدْمِ حَوَّاءِ المدامعِ تَرْعَوِى ... إلى رَشإٍ طِفلٍ تخالُ به فَتْرا

---

(١) النقائض : ٦١٧ .
(٢) النقائض : « فقلت » .
(٣) النقائض : « من زياد عندنا » .
(٤) ديوانه : ٢٢٥ ، النقائض : ٦١٨ .
(٥) ف والنقائض : « تراعى » .

أَصابَتْ بِوادى الوَلْوَلان حِبــالةً فما اسْتَمْسَكَتْ حتى حسِبْنَ بها نفْرا
بـأَحْسَنَ من ظَمْياء يومَ تَعَرَّضَتْ ولا مُزْنةٌ راحَتْ غمامتها قصْرا
وكم دونها من عاطفٍ فى صريمة وأعداء قومٍ يَنْذُرُونَ دمى نَذْرَا!
٢/١٠٥ إذا أَوْعَدُونى عند ظمياء ساءها وعيدى وقالت لا تقولوا له هُجرا
دعــانى زيادٌ للعطاء ولم أكنْ لآتِيَــهُ ما ساقَ ذو حَسَبٍ وَفرا
وعند زيادٍ لو يُرِيدُ عطاءهُمْ رجالٌ كثيرٌ قد يرَى بهِم فقرا
قُعُودٌ لدى الأَبواب طُلّابُ حاجةٍ غَوانٍ من الحاجاتِ أو حاجةً بِكْرا
فلمّا خشيت أن يكون عطــاؤه أداهِمَ سودًا أو مُحَدْرَجَةً سُمْرا
نميَتُ إلى حَرْفٍ أَضرَّ بِنِيِّهــا سُرَى الليل واستعرَاضُها البلدَ القَفرا
تَنَفَّس فى بهوٍ من الجوف واسعٍ إذا مَدَّ حيزومًا شَراسيفِها الضَّفْرا
تَراها إذا صامَ النَّهارُ كأَنمــا تسامِى فَنيقاً أو تُخالسُهُ خَطْرا
تخُوضُ إذا صاح الصَّدى بعد هَجعةٍ من الليل مُلتجًّا غياطلهُ خُضرا
٢/١٠٦ فإن أعرَضَتْ زوراءُ أو شَمَّرَتْ بها فلاةٌ ترَى منها مخارِمَها غُبْرا
تعادَيْنَ عن صُهبِ الحَصى وكأَنما طحنَّ به من كلّ رَضراضةٍ جَمْرا
وكم من عَدُوٌ كاشحٍ قد تجاوَزَتْ مخافتَهُ حتى تكون لها جِسْرا
يَؤُمُّ بها المَوماةَ منْ لا يرى له إلى ابن أبى سُفيان جاهــاً ولا عُذْرا
ولا تُعجــلانى صاحِبِيَّ فربّمــا[1] سَبَقْتُ بورِد الماء غادية كُدْرا
وحِضْنين من ظلماء ليــلٍ سَرَيْتُهُ بـأَغيَدَ قد كان النعاس له سُكْرا
رَماه الكرى فى الرأْس حتى كأَنه أَمِيمُ جلامِيدٍ تركنَ به وَقْرا
من السَّيْرِ والإدلاج تحْسِبُ أنما سقاهُ الكرى فى كلّ منزلة خَمْرا
جَـرَرنا وفَدَّينــاه حتى كأَنما يرى بهوادِى الصُّبْح قَنبلةً شُقرا

(١) النقائض : « فلا تعجلانى » .

قال: فمضينا وقَدِمنا المدينة وسعيد بن العاص بن أميّة عليها ، فكان فى جنازة ، فتبعتُه فوجدتُه قاعداً والميّت يُدفَن حتّى قمت بين يديه، فقلت : هذا مَقامُ العائذ من رجل لم يُصِب دماً ولا مالا ! فقال : قد أجرْتُ إن لم تكن أصبتَ دمًا ولامالاً ؛ وقال : مَن أنت؟ قلت : أنا همّام بن غالب بن صعصعة ، وقد أثنيتُ على الأمير ، فإنْ رأى أن يأذن لى فأسمِعَه فليفعل ؛ قال : هاتِ ، فأنشدتُه : ١٠٧/٢

وكُومٍ تُنْعِمُ الأضيافَ عَينًا وتصْبِحُ فى مَباركها ثِقالاً[1]

حتّى أتيتُ إلى آخرِها ؛ قال : فقال مروان :

* قُعُودًا ينظرون إلى سَعيد *

قلتُ : والله إنك لقائم يا أبا عبد الملك .

قال : وقال كعب بن جُعَيل : هذه واللهِ الرّؤيا الّتى رأيت البارحة ؛ قال سعيد : وما رأيتَ ؟ قال :رأيتُ كأنى أمشى فى سكّة من سكك المدينة، فإذا أنا بابن قِتْرة فى جُحْر ، فكأنه أراد أن يتناولنى، فاتّقيته ،قال: فقام الحطيئة فشقّ ما بين رجُلين حتّى تجاوز إلىّ ، فقال : قل ما شئت فقد أدركتَ من مضى ، ولا يدركك مَن بقى . وقال لسعيد: هذا والله الشّعر ، لا يعلّل به منذ اليوم. قال : فلم نزل بالمدينة مرّة و بمكة مرّة . وقال الفرزدق فى ذلك :

أَلا مَن مُبلغٌ عنّى زيادًا مُغَلْغلةً يَخُبُّ بها البَرِيدُ[2]
بأنّى قد فررتُ إلى سَعيدٍ ولا يُسْطاعُ ما يَحْمِى سَعيدُ
فَررتُ إليه من لَيْثٍ هِزَبْرٍ تَفادَى عن فرِيسَتِهِ الأُسُودُ ١٠٨/٢
فإن شئتَ انتسبتُ إلى النَّصارى وإن شئتَ انتسبتُ إلى اليهود

---

(١) ديوانه:٦١٥ ، النقائض:٦١٩ ؛ والبيت من شواهد اللسان (نعم) ، على جواز رفع كلمة « الأضياف » ، ونصبها .

(٢) ديوانه: ١٧١ والنقائض:٦١٩ ، مع اختلاف فى الرواية .

وإن شئت انتسبتُ إلى فُقَيمٍ ... وناسبنى وناسبتُ القُرُودُ

ويُروَى:

* وناسبنى وناسبت اليهودُ *

وأبغَضُهم إلىّ بنو فُقيمٍ ... ولكنْ سوف آتِى ما ترِيدُ

وقال أيضًا:

أتانى وَعيدٌ من زِيادٍ فلم أنمْ ... وسَيْلُ اللِّوَى دونى فَهضْبُ التَّهائمِ[1]

فبتُّ كأنّى مُشعَرٌ خَيبَرِيّةً ... سَرَت فى عظامى أو سِمامَ الأَراقمِ

زيادَ بن حَربٍ لن أَظُنَّكَ تاركى ... وذا الضِّغْنِ قد خشَّمْتُهُ غيرَ ظالمِ

قال: وأنشدَنيه عمرو:

* وبالضّغن قد خشّمتَنى غير ظالم *

وقد كافَحت منِّى العراقَ قَصيدةٌ[2] ... رَجُومٌ مع الماضى رءوسَ المخارِمِ

خَفيفةُ أَفواهِ الرُّواةِ ثقيلةٌ ... على قِرْنها نَزّالةٌ بالمَوَاسم

وهى طويلة. فلم نزل بين مكة والمدينة حتّى هلك زياد.

* * *

١٠٩/٢ وفى هذه السنة كانت وفاةُ الحكَم بن عَمرو الغِفارىّ بمَرْوَ منصرفَه من غزوة أهل جبل الأشلّ.

* * *

ذكر الخبر

عن غزوة الحكم بن عمرو جبل الأشل وسبب هلاكه

حدّثنى عمرُ بن شبّة، قال: حدّثنى حاتم بن قَبيصة، قال: حدّثنا غالب بن سليمان، عن عبد الرحمن بن صبح، قال: كنتُ مع الحكَم بن عمرو بخُراسان، فكتب زيادٌ إلى عَمرو: إنّ أهلَ جبل الأشلّ سلاحُهم

(١) ديوانه: ٧٧٢، والنقائض: ٦٢٠. (٢) النقائض: «جاحفت».

اللُّبود، وآنيتهم الذّهب. فغزاهم حتّى توسّطوا، فأخذوا بالشِّعاب والطرق، فأحدقوا به، فعيَّ بالأمر، فولّى المهلّب الحرب، فلم يزل المهلب يحتال حتّى أخذ عظيماً من عظمائهم، فقال له: اختَرْ بين أن أقتلَك، وبين أن تُخرِجَنا من هذا المَضيق؛ فقال له: أوْقِد النارَ حيالَ الطريق من هذه الطُّرُق، ومر بالأثقال فلتُوجَّه نحوه، حتّى إذا ظنّ القوم أنكم قد دخلتم الطريق لتسلكوه فإنّهم يستجمعون لكم، ويُعَرُّون ما سواه من الطرق، فبادِرْهم إلى غيره فإنهم لا يدركونك حتّى تخرج منه. ففعلوا ذلك، فنجا وغَنِموا غنيمةً عظيمة.

حدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ بن محمد؛ قال: لما قفل الحَكَم بن عمرو من غَزْوة جبل الأشلّ ولّى المهلّب ساقتَه، فسلكوا فى شِعاب ضيّقة، فعارَضَه التُّرك فأخذوا عليهم بالطُّرق، فوجدوا فى بعض تلك الشِّعاب رجلا يتغنّى من وراء حائط ببيتين:

تَعَزَّ بصبرٍ لا وجَدِّكَ لا تَرَى سَنام الحِمَى أُخرى اللّيالى الغوابر ٢/١١٠

كأنّ فؤادى من تذكُّرِ الحِمَى وأهلَ الحمى يهفُو به ريشُ طائرِ[1]

فأتى به الحَكَم، فسأله عن أمره، فقال: غايرتُ ابنَ عمّ لى، فخرجتُ تَرفَعُنى أرض وتَخفِضنى[2] أخرى، حتّى هَبَطتُ هذه البلاد. فحمله الحكمُ إلى زياد بالعراق.

قال: وتخلّص الحكَم من وجهه حتّى أتى هَراةَ، ثم رجع إلى مَرْو.

حدّثنى عمر، قال: حدّثنى حاتم بن قَبيصة، قال: حدّثنا غالب ابنُ سليمانَ، عن عبد الرحمن بن صُبْح، قال: كتب إليه زياد: والله لئن بقيتُ لك لأقطعنّ منك طابَقًا سحتا[3]، وذلك أنّ زياداً كتب إليه لما ورَد بالخبر عليه بما غنم: إنّ أمير المؤمنين كتب إلىّ أن أصطفىَ له صفراءَ وبيضاء والروائع[4] فلا تحرّكنّ شيئاً حتّى تخرِج ذلك.

(١) ط: «الطائر».
(٢) س: «وتضعنى».
(٣) س: «طابقاً سمتا».
(٤) س: «والروابع».

فكتب إليه الحكم : أما بعد ، فإنّ كتابَك ورد ، تَذكُر أنّ أمير المؤمنين كتب إلىّ أن أصطفىَ له كلّ صفراءَ وبيضاء والروائع ، ولا تحرّكَنّ شيئًا ؛ فإن[1] كتاب الله عزّ وجلّ قبل كتابِ أميرِ المؤمنين ، وإنه والله لو كانت السموات والأرض رَتْقًا على عبدٍ اتّقى اللهَ عزّ وجلّ جعل الله سبحانه وتعالى له مَخرَجًا .

وقال للناس : اغدوا على غنائمكم ؛ فغدَا الناس ، وقد عزَل الخُمْس ، فقسم بينهم تلك الغنائم ؛ قال : فقال الحكَم : اللهمّ إن كان لى عندَك خير فاقبضنى ؛ فمات بخُراسان بمَرْو[2] .

١١١/٢

قال عمر : قال علىّ بن محمد : لما حَضَرت الحكمَ الوفاةُ بمرْو ، استخلفَ أنس بن أبى أناس ، وذلك فى سنة خمسين .

---

(١) س : « وإن » .

(٢) ف : « بمرو من خراسان » .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها مَشتَى فضالة بن عُبيد بأرض الروم ، وغزوة بُسْر بن أبى أرطاةَ الصائفة ، ومَقتَل حُجْر بن عَدِىّ وأصحابه .

[ذكر مقتل حُجْر بن عدىّ وأصحابه]

* ذكر سبب مقتله :

قال هشام بن محمد ؛ عن أبى مخنف ، عن المجالد بن سعيد ، والصقْعب ابن زهير ، وفضيل بن خَديج ، والحسين بن عُقْبة المرادىّ، قال : كلٌّ قد حدّثنى بعضَ هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سُقت من حديث حُجْر ابن عدىّ الكِنْدىّ وأصحابه: إنّ معاوية بن أبى سُفْيان لما ولّى المغيرة بن شُعبة الكوفة فى جمادى سنة إحدى وأربعين دَعاه ، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد فإن لذى الحِلْم قبل اليوم ما تُقرَع العَصَا ، وقد قال المتلمّس:

لِذِى الحِلْم قبلَ اليوم ما تُقْرَعُ العصا ... وما عُلِّمَ الإنسانُ إلاَّ ليعْلَما[1]

وقد يجزى عنك الحكيم بغير التعليم[2] ، وقد أردت إيصاءك[3] بأشياءَ كثيرة ، فأنا تاركُها اعتماداً على بَصرك بما يرضينى ويُسعِد[4] سلطانى ، ويُصْلَحُ به رعيّتى، ولست تاركًا إيصاءك بخَصْلة: لا تتحمّ[5] عن شَتْمِ علىّ وذمّه، والترحّم على عثمانَ والاستغفار له، والعيب على أصحاب علىّ ، والإقصاء لهم ، وترك الاستماع منهم ؛ وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه ، والإدناء لهم ،

١١٢/٢

---

(١) من المفضلية ٩٨ .

(٢) ف : « تعليم » .

(٣) ف : « أن أوصيك ».

(٤) س : « ويسدد » .

(٥) لا تتحم : لا تتورع .

والاستماع منهم . فقال المغيرة: قد جَرَّبْتُ وجُرِّبتُ، وعملتُ قَبْلك لغيرك، فلم يُذِمْ بي دَفْع ولا رفع ولا وَضْع ، فستبلو فتُحمِد أو تُذِمّ . قال[1]: بل نحمِد إن شاء الله .

قال أبو مخنف: قال الصقعب بن زهير : سمعتُ الشعبيّ يقول : ما ولِينا والٍ بعده مِثله، وإن كان لاحقًا بصالح مَن كان قبله من العمّال .

وأقام المغيرةُ على الكوفة عاملا لمعاوية سبعَ سنين وأشهراً، وهو من أحسن شيء سيرةً، وأشدّه حبًّا للعافية، غير أنه لا يدَع ذمّ عليّ والوقوعَ فيه والعيبَ لقتَلة عثمان، واللّعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له، والتزكيةَ لأصحابه، فكان حُجْر بن عديّ إذا سمع ذلك قال : بل إيّاكم فذمّم الله ولعن! ثم قام فقال : إنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾[2]، وأنا أشهد أن من تذمّون وتعيّرون لأحقّ بالفضل، وأنّ من تزكّون وتُطْرُون أوْلى بالذّم فيقول المغيرة : يا حُجْر ، لقد رُمِيَ بسهمك ، إذ كنتُ أنا الوالى عليك ، يا حُجْر وَيْحك ! اتّق السلطان، اتق غضبَه وسطوتَه ، فإنّ غضْبةَ السلطان أحيانًا مما يُهلِك أمثالَك كثيرًا . ثم يكفّ عنه ويصفح.

١١٣/٢

فلم يزل حتى كان فى آخر إمارته قام المغيرة فقال فى علىّ وعثمان كما كان يقول ، وكانت مقالته : اللهمّ ارحم عثمانَ بنَ عفان وتجاوزْ عنه ، وأجزِه بأحسنِ عمله ، فإنه عَمِل بكتابك ، واتّبع سنة نبيّك صلى الله عليه وسلم ، وجمعَ كلمتنا ، وحقَن دماءَنا ، وقُتل مظلومًا ؛ اللهم فارحم أنصارَه وأولياءه ومحبّيه والطالبين بدمه ! ويدعو على قتَلته . فقام حُجْر بن عديّ فنَعَر نعرةً[3] بالمغيرة سمِعَها كلّ مَن كان فى المسجد وخارجًا منه ، وقال : إنك لا تدرى بمن تولع من هَرَمك ! أيها الإنسان ، مُرْ لنا بأرزاقنا وأعطياتنا ، فإنك قد حبستَها عنا ، وليس ذلك لك ، ولم يكن يطمع فى ذلك مَن كان قبلَك ، وقد أصبحت مولَعًا بذمّ أمير المؤمنين ، وتقريظِ المجرمين . قال : فقام معه أكثر من ثُلُثَي الناس يقولون : صَدَق والله حُجْر وبَرّ ، مُرْ لنا

(١) كذا فى س ، وفى ط : « ثم قال » .
(٢) سورة النساء: ١٣٥.
(٣) نعر : صاح صيحة شديدة .

بأرزاقنا وأعطياتنا ، فإنا لا ننتفع بقولك هذا ، ولا يجدى علينا شيئاً ؛ وأكثروا فى مثل هذا القول ونحوه . فنزل المغيرة ، فدخل واستأذن عليه قومُه ، فأذن لهم ، فقالوا : علامَ تترك هذا الرجلَ يقول هذه المقالة ، ويجترئ عليك فى سلطانك هذه الجرأة ! إنّك تجمع على نفسك بهذا خصلتين : أما أوّلهما فتهوين سلطانك ، وأما الأخرى فإنّ ذلك إن بلغ معاوية كان أسخَطَ[1] له عليه — وكان أشدّهم له قولا فى أمر حُجْر والتعظيم عليه عبد الله أبى عقيل الثَّقَفى — فقال لهم المغيرة : إنّى قد قتلته ، إنه سيأتى أمير بعدى فيحسَبه مثلى فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بى ، فيأخذه عند أوّل وهلة فيقتله شرّ قتلة ؛ إنه قد اقترب أجلى ، وضَعُف عملى ، ولا أحبّ أنْ أبتدئ أهلَ هذا المِصر بقتل خيارهم ، وسَفْكِ دمائهم ، فيسعدوا بذلك وأشقى ، ويعزّ فى الدنيا معاوية ، ويذلّ يوم القيامة المغيرة ؛ ولكنى قابلٌ من محسنهم ، وعافٍ عن مسيئهم ، وحامدٌ حليمَهم ، وواعظٌ سفيهَهم ، حتى يفرّق بينى وبينهم الموت ، وسيذكروننى لو قد جرّبوا العمّالَ بعدى[2] . ٢/١١٤

قال أبو مخنف : سمعتُ عثمان بنَ عقبة الكندىّ، يقول : سمعت شيخاً للحىّ يذكر هذا الحديث يقول : قد واللهِ جرّبناهم فوجدناه خيرَهم ، أحمدَهم للبرىء ، وأغفرَهم للمسىء ، وأقبلَهم للعذر .

قال هشام : قال عَوانة : فولِىَ المغيرة الكوفة سنة إحدى وأربعين فى جُمادى ، وهلك سنة إحدى وخمسين ، فجُمِعت الكوفة والبَصرة لزياد بن أبى سُفْيان ، فأقبل زياد حتى دخل القصر بالكوفة ، ثم صعِد المنبر فحمِد اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنّا قد جَرّبنا وجُرّبنا ، وسُسْنا وساسَنا السائسون ، فوجدْنا هذا الأمر لا يَصلُح آخره إلاّ بما صَلَح أوّله ، بالطاعة الليّنة المشبَه سرّها بعلانيتها ، وغيْب أهلها بشاهدهم ، وقلوبهم بألسنتهم ، ووجدنا الناس لا يصلحهم إلاّ لين فى غير ضَعْف ، وشدّة فى غير عُنْف ، وإنى والله لا أقوم فيكم بأمر إلا أمضيته على أذلاله[3] ، وليس من كذبة ٢/١١٥

---

(١) س : « إسخاط » .
(٢) الخبر فى الأغانى ١٦ : ٤ (ساسى) .
(٣) أذلاله : طرقه .

الشاهد عليها من الله والناس أكبر[١] من كِذْبة إمام على المنبر. ثم ذكر عثمانَ وأصحابَه فقرّظهم ، وذكر[٢] قَتَلته ولعنهم[٣] . فقام[٤] حُجر ففعل مِثل الذى كان يفعل بالمغيرة ، وقد كان زيادٌ قد رجع إلى البصرة وولّى الكوفة[٤] عمرَو بن الحريث ، ورجَع إلى البصرة فبلَغه أنّ حُجرًا يجتمع إليه شيعة علىّ ، ويُظهرون لعنَ معاوية والبراءة منه[٥] ، وأنهم حَصَبوا عمرَو بن الحريث ، فشَخَص إلى الكوفة حتّى دخلها ، فأتى القصر فدخله ، ثم خرج فصَعِد المنبر وعليه قَباء سُنْدس ومُطرَف خزّ أخضر ، قد فرق شعره ، وحُجْر جالسٌ فى المسجد حولَه أصحابُه أكثر ما كانوا ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنّ غِبَّ البَغْى والغىّ وخيم ، إنّ هؤلاء جمّوا[٦] فأشِروا ، وأمنونى فاجترءوا علىّ ، وايمُ الله لئن لم تستقيموا لأداوينّكم بدوائكم ؛ وقال : ما أنا بشىء إن لم أمنع باحةَ الكوفة من حُجْر وأدَعْه نكالا لمن بعدَه ! ويلُ امّك يا حُجر ! سقَط العَشاء بك على سِرْحان ، ثم قال :

أَبلغْ نُصَيحَةَ أَنَّ راعِيَ إبْلِها سَقَطَ العَشاءُ بِهِ على سِرْحان[٧]

وأما غيرُ عوانة ، فإنه قال فى سبب أمر حُجْر ما حدّثنى علىّ بن حسن قال : حدّثنا مسلم الجَرْمىّ ، قال : حدّثنا مخلَد بن الحسن ، عن هشام ، عن محمد بن سيرين ، قال : خطب زياد يومًا فى الجمعة فأطال الخطبة وأخّر الصلاة ، فقال له حُجْر بن عدىّ : الصلاة ! فمضى فى خطبته ، ثم قال : الصلاة ! فمضى فى خطبته ، فلما خشى حُجر فَوْتَ الصلاة ضرب بيده إلى كفّ من الحصا ، وثارَ إلى الصلاة وثار الناسُ معه ، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلّى بالنّاس ، فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية فى أمره ، وكثّر عليه . ١١٦/٢

فكتب إليه معاوية أن شُدَّه فى الحديد ، ثم احمله إلىّ . فلما أن جاء كتاب معاوية أراد قومُ حُجر أن يمنَعوه ، فقال : لا ، ولكن سمعٌ وطاعة ، فشدّ

---

(١) س : « أكثر » . (٢) س : « فذكر » . (٣) ف : « فلعنهم » .
(٤ – ٤) س : « وأقام بالكوفة ستة أشهر ثم ولاها » . (٥) س : « منهم » .
(٦) جموا : اجتمعوا . (٧) مثل ، وأصله أن رجلا خرج يلتمس العشاء ، فوقع على ذئب فأكله ، يضرب فى طلب الحاجة يؤدى بصاحبها إلى التلف .

فى الحديد ، ثم حُمل إلى معاوية ، فلما دخل عليه قال : السّلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ، فقال له معاوية : أمير المؤمنين ! أما والله لا أُقيلك ولا أستَقيلك ، أخرجوه فاضربوا عنقَه ، فأخرج من عنده ، فقال حُجر للذين يَلُون أمرَه : دعونى حتى أصلّى ركعتين ؛ فقالوا : صلّ ؛ فصلّى ركعتين خففّ فيهما ، ثم قال : لولا أن تظنّوا بى غيرَ الذى أنا عليه لأحببتُ أن تكونا أطولَ مما كانتا ، ولئن لم يكن فيما مضى من الصلاة خيرٌ فما فى هاتين خير ، ثم قال لمن حضره مِن أهلِه : لا تُطلِقوا عنى حديداً ، ولا تغسلوا عنى دمًا ، فإنى ألاقى معاوية غداً على الجادّة . ثم قُدِّم فضربتْ عنقُه .

قال مخلد : قال هشام : كان محمد إذا سئل عن الشهيد يُغسَّل ، حدّثهم حديثَ حُجْر .

قال محمد : فلقيَتْ عائشة أمّ المؤمنين معاوية — قال مخلد : أظنّه بمكة — فقالت : يا معاوية ، أين كان حِلمُك عن حُجْر ! فقال لها : يا أمّ المؤمنين ، لم يحضرنى رشيد !

قال ابن سيرين : فبلغنا أنه لما حضرتْه الوفاة جعل يُغرغِر بالصوت ويقول : يومى منك يا حُجْر يومٌ طويل ! ٢/١١٧

قال هشام ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى إسماعيل بن نُعَيم النَّمَرىّ ، عن حسين بن عبد الله الهَمْدانىّ ، قال : كنت فى شُرَط زياد ، فقال زياد : لينطلِقْ بعضُكم إلى حُجْر فليدْعُه ؛ قال : فقال لى أمير الشُّرْطة — وهو شدّاد ابن الهيثم الهلالىّ : اذهب إليه فادْعه ؛ قال : فأتيتُه ، فقلت : أجبِ الأميرَ ؛ فقال أصحابه : لا يأتيه ولا كرامة ! قال : فرجعت إليه فأخبرته ، فأمر صاحبَ الشُّرْطة أن يبعث معى رجالا ، قال : فبعث نفراً ؛ قال : فأتيناه فقلنا : أجب الأمير ، قال : فسبّونا وشتَموْنا ، فرجعنا إليه فأخبرناه الخبر ، قال : فوثب زياد بأشراف أهلِ الكوفة ، فقال : يا أهل الكوفة ، أتشجّون بيدٍ وتأسُون بأخرى ! أبدانكم معى وأهواؤكم مع حُجْر ! هذا الهَجهاجة الأحمق المَذبوب(١)

(١) الهجهاجة : الأحمق الذى لا يؤامر أحداً ويركب رأيه ، والمذبوب : المجنون .

أنتم معي وإخوانُكم وأبناؤكم وعشائركم مع حُجر! هذا والله من دَحْسكم[١] وغِشّكم! والله لتظهرنّ لي براءتُكم أو لآتينّكم بقوم أقيم بهم أوَدكم وصَعَرَكم! فوثبوا إلى زياد، فقالوا: معاذ الله سبحانه أن يكون لنا فيما ها هنا رأى إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين، وكلّ ما ظننا أنّ فيه رضاك، وما يستبين به طاعتنا وخلافنا لحُجر فمُرْنا به، قال: فليقم كلّ امرئ منكم إلى هذه الجماعة حولَ حُجر فليدْعُ كلّ رجل منكم أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته، حتى تقيموا عنه كلّ مَن استطعتم أن تقيموه. ففعلوا ذلك، فأقاموا جُلّ من كان مع حُجْر بن عديّ، فلما رأى زياد أنّ جُلّ مَن كان مع حُجْر أقيم عنه، قال لشدّاد بن الهيثم الهلاليّ - ويقال: هيثم بن شدّاد أمير شرطته -: انْطلِق إلى حُجْر، فإن تَبِعك فأتِني به، وإلا فمُرْ مَن معك فلينتزعوا عُمُد السوق، ثم يشدّوا بها عليهم حتى يأتوني به ويضربوا مَن حال دونَه. فأتاه الهلاليّ فقال: أجب الأميرَ؛ قال: فقال أصحاب حُجْر: لا ولا نُعمةَ عين! لا نجيبه. فقال لأصحابه: شُدّوا على عُمُد السوق، فاشتدّوا إليها، فأقبلوا بها قد انتزعوها، فقال عمير بن يزيدَ الكنديّ من بني هند - وهو أبو العَمَرَّطة: إنه ليس معك رجل معه سيفٌ غيرى، وما يغنى عنك! قال: فما ترى؟ قال: قُمْ من هذا المكان فالحق بأهلِك يَمنَعْك قومُك. فقام زياد ينظر إليهم وهو على المنبر، فغشوا بالعُمُد، فضرب رجل من الحمراء - يقال له بكر ابن عبيد - رأس عَمرو بن الحَمِق بعمود فوقع، وأتاه أبو سُفْيان بن عُوَيمر والعَجْلان بن ربيعة - وهما رجلان من الأزْد - فحمَلاه؛ فأتَيا به دار رَجل من الأزْد - يقال له عبيد الله بن مالك - فخبّأه بها، فلم يزل بها متواريًا حتى خرج منها[٢].

١١٨/٢

قال أبو مخنف: فحدّثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر، قال: لما انصرفنا من غزوة باجُمَيرا قبل مَقتل مُصعب بعام، فإذا أنا بأحمريّ يسايرني - والله ما رأيتُه من ذلك اليوم الذى ضرب فيه عمرو بن الحَمِق، وما كنت أرى لو رأيتُه أن أعرفَه - فلما رأيته ظننتُ

(١) الدحس: التدسيس للأمور. (٢) الأغاني ١٦: ٣، ٤ (ساسي).

أنه هوهو ؛ وذاك حين نظرْنا إلى أبيات الكوفة ، فكرهتُ أن أسألَه : أنت الضارب عمرو بن الحَمِق ؟ فيُكابرنى ، فقلت له : ما رأيتُك من اليوم الذى ضربتَ فيه رأسَ عمرو بن الحمق بالعمود فى المسجد إلى يومى هذا ، ولقد عرفتُك الآن حين رأيتُك ؛ فقال لى : لا تَعْدم بصرَك ، ما أثبتَ نظرَك ! كان ذلك أمرُ الشيطان ، أما إنه قد بلغنى أنه كان امرأ صالحًا ، ولقد ندمتُ على تلك الضربة ، فأستغفر الله . فقلت له : ألا ترى والله لاأفترق أنا وأنت حتى أضربَك على رأسك مثلَ الضَّربة التى ضربتَها عمرَو بن الحمق أوأموت أو تموت ! فناشَدَنى الله وسألنى الله ، فأبَيْتُ عليه ، ودعوتُ غلامًا لى يُدعَى رشيداً من سَبْى أصبهان معه قَناة له صُلْبة ، فأخذتُها منه ، ثم أحمل عليه بها ، فنزل عن دابّته ، وألحقه حين استوت قَدَماه بالأرض ، فأصفع بها هامَتَه ، فخرّ لوجهه ، ومضيتُ وتركته ، فبرَأ بعدُ ؛ فلقيتُه مرّتين من الدهر ، كلّ ذلك يقول : الله بينى وبينك ! وأقول : الله عزّ وجلّ بينك وبين عمرو بن الحَمِق[1] !

* * *

ثم رجع إلى أوّل الحديث . قال : فلما ضرب عمرًا تلك الضربة وحمَلَه ذانك الرّجلان ، انحاز أصحابُ حُجْر إلى أبواب كِنْدة ، ويَضرب رجلٌ من جُذام كان فى الشُّرْطة رجلاً يقال له عبدُالله بن خليفة الطائىّ بعمود ، فضَرَبه ضربةً فصرعه ، فقال وهو يرتجز :

قد علِمَتْ يَوْمَ الهِياج خُلَّتى ... أَنى إذا مـا فِئتِى تولّتِ
وكَثُرَتْ عُداتُها أَو قلَّتِ ... أَنّىَ قتّـالٌ غـداةَ بَلَّتِ

وضُرِبتْ يد عائذ بن حملة التميمىّ وكُسرتْ نابه ، فقال :

إنْ تكْسِروا نابى وعَظْمَ ساعِدِى ... فإنَّ فىَّ سـوْرَةَ المُناجِدِ
* وبعْضَ شَغْبِ البَطَلِ المُبالِدِ *

وينتزع عموداً من بعض الشُّرْطة ، فقاتل به وحَمَى حُجْرًا وأصحابه ؛ حتى خرجوا من تِلقاء أبواب كِنْدة ، وبغلة حُجْر موقوفة ، فأتى بها أبوالعمرّطة إليه ، ثم قال : اركب لا أبَ لغيرك! فوالله ما أراك إلاّ قد قتلتَ نفسك ،

(١) الأغانى ١٦ : ٤ (ساسى) .

وقتلتنا معك ؛ فوضع حُجْر رجله فى الرِّكاب ؛ فلم يستطع أن ينهض ، فحمله أبو العمرّطة على بغلته ، ووثب أبو العمرّطة على فرسه ؛ فما هو إلا أن استوى عليه حتى انتهى إليه يزيد بن طريف المُسْلِيّ — وكان يغْمِز[1] — فضرب أبا العمرّطة بالعمود على فخذه ، ويخترط أبو العمرّطة سيفه ، فضرب به رأس يزيد بن طريف ، فخرّ لوجهه. ثم إنه برأ بعدُ ، فله يقول عبد الله بن همّام السّلوليّ :

أَلُؤمَ ابْنَ لُؤمٍ ما عدا بك حاسِرًا إلى بَطَلٍ ذى جُرْأَةٍ وشَكِيمِ!

معاوِدِ ضَرْبِ الدّارِعين بسَيْفِهِ على الهام عند الرَّوْع غيْرَ لئيم

١٢١/٢ إلى فارِسِ الغارَيْنِ يومَ تلاقَيا بصِفِّينَ قَرْمٍ خَيْرِ نَجل قُرُوم[2]

حَسِبْتَ ابنَ بَرْصاءِ الحِتار قِتالَهُ قِتالَك زَيْدًا يَوْمَ دارِ حَكِيم[3]

وكان ذلك السيف أوّل سيف ضُرب به فى الكوفة فى الاختلاف بين الناس . ومضى حُجْر وأبو العَمرّطة حتى انتهيا إلى دار حُجْر ، واجتمع إلى حُجْر ناس كثير من أصحابه ، وخرج قيس بن فهدان الكِنديّ على حمار له يسير فى مجالس كِنْدة ، يقول :

يا قَوْمَ حُجْرٍ دافِعُوا وصاوِلوا وعَنْ أَخيكمْ ساعَةً فقاتِلوا

لا يُلْفَيَا مِنكمْ لحُجْرٍ خاذِلُ أَلَيْسَ فيكُمْ رامحٌ ونابلُ

وفارِسٌ مُسْتَلْئِمٌ وراجلُ وضارِبٌ بالسَّيْفِ لا يُزايلُ!

فلم يأته من كِنْدة كثير أحد. وقال زياد وهو على المنبر : ليقم همْدان وتميم وهَوازن وأبناء أعصُر[4] ومذحِج وأسد وغَطفان فليأتوا جبّانةَ كِنْدة ، فليَمْضوا من ثَمّ إلى حُجْر فليأتونى به. ثم إنه كره أن يسيرَ طائفةٌ من مضرَ مع طائفة من أهل اليَمَن فيقع بينهم شَغَب واختلاف ، وتَفسُد ما بينهم الحميّة ، فقال : لتقُم تميم وهَوازنُ وأبناء أعصُر وأسَد وغَطَفان ، ولتمضِ ١٢٢/٢

---

(١) الغمز : الظلع الخفيف ؛ وأصله فى الدابة .

(٢) الغاران هنا : الجيشان ؛ واحده غار .

(٣) برصاء الحتار ، يعنى حلقة الدبر .

(٤) ف : «وبنو يعصر» .

مَذحِج وهَمْدان إلى جبّانة كِنْدة ، ثم لينهضوا إلى حُجْر فليأتونى به ، وليَسِر سائر أهلِ اليمن حتى ينزلوا جبّانة الصائديّين[١] فليمضوا إلى صاحبهم ، فليأتونى به . فخرجَتِ الأزدُ وبَجيلةُ وخثعم والأنصار وخُزاعة وقضاعة ، فنزلوا جبّانة الصائديّين ، ولم تخرج حضرموت مع أهل اليَمَن لمكانهم من كِنْدة ، وذلك أنّ دعوة حضرموتَ مع كِنْدة ، فكرهوا الخروجَ فى طلب حجر[٢] .

قال أبو مخنف : حدّثنى يحيى بن سعيد بن مخنف ، عن محمد بن مخنف ، قال : إنى لمع أهل اليَمَن فى جبّانة الصائديّين إذ اجتمع رءوس أهلِ اليَمَن يتشاورون فى أمر حُجْر ، فقال لهم عبد الرحمن بن مِخنف : أنا مشير عليكم برأىٍ إن قبلتموه رجوتُ أن تسلموا من اللائمة والإثم ، أرى لكم أن[٣] تَلَبثوا قليلا فإنّ سُرْعان شباب هَمْدان ومذحِج يَكفُونكم ما تكرهون أن تلُوا من مساءة قومكم فى صاحبكم[٣] قال : فأجمع رأيهم على ذلك ، قال : فوالله ما كان إلاّ كلا ولا[٤] حتى أتِينا ، فقيل لنا : إن مذحِج[٥] وهَمْدانَ قد دخلوا فأخذوا كلّ مَن وجدوا من بنى جَبَلَة[٦] . قال : فمرّ أهل اليمن فى نواحى دور كِندة معذِّرة[٧] ، فبلغ ذلك زياداً ، فأثنى على مذحِج وهَمْدانَ وذمّ سائرَ أهل اليمن . وإنّ حُجرا لما انتهى إلى داره فنظر إلى قلّة مَنْ معه من قومه ، وبلغه[٨] أنّ مذحِج وهَمْدان نزلوا[٨] جبّانة كندة وسائر أهل اليمن جبّانة الصائديّين قال لأصحابه : انصرفوا فوالله مالكم طاقةٌ بمن قد اجتمع عليكم من قومكم ، وما أحبّ أن أعرّضكم للهلاك ؛ فذهبوا لينصرفوا ، فلحقتْهم

١٢٣/٢

(١) ابن الأثير : « الصائدين » ، الأغانى : « الصيداويين » .

(٢) الأغانى ١٦ : ٤ (ساسى) .

(٣ — ٣) الأغانى : « أن تلبثوا قليلا حتى تكفيكم عجلة فى شباب مذحج وهمدان ما تكرهون أن يكون من مساءة قومكم فى صاحبكم » .

(٤) أى قصر الوقت الذى يتسع للفظ « لا » ، و « لا » .

(٥) الأغانى : « شباب مذحج » .

(٦) الأغانى : « فى بنى بجيلة » .

(٧) الأغانى : « معذرين » .

(٨ — ٨) س : « نزل مذحج وهمدان » .

أوائلُ خيل مذحِج وهَمْدان . فعطف عليهم عمير بن يزيد وقيس بن يزيد وعبيدة بن عمرو البدِىّ وعبد الرحمن بن مُحرِز الطمحىّ وقيس ابن شِمر ، فتقاتلوا معهم ، فقاتلوا عنه ساعة فجرِحوا ، وأُسِر قيس بن يزيد ، وأفلت سائر القوم ، فقال لهم حجر : لا أبًا لكم ! تفرّقوا لا تقاتلوا[1] فإنى آخُذُ فى بعض السِّكك[2] . ثم آخذ طريقًا نحوَ بنى حرب ، فسار حتى انتهى إلى دارِ رجل منهم يقال له سليم بن يزيد ، فدخل دارَه ، وجاء القومُ فى طلبه حتى انتهوا إلى تلك الدار ، فأخذ سليم بن يزيد سيفَه ، ثم ذهب ليخرج إليهم ، فبكتْ بناتُه ؛ فقال له حُجْر : ما تريد ؟ قال : أريد والله أسألهم أن ينصرفوا عنك ، فإن فعلوا وإلا ضاربتُهم بسيفى هذا ما ثبتَ قائمُه فى يدى دونك ؛ فقال حُجر : لا أبا لغيرك ! بئس ما دخلتَ به إذاً على بناتك ! قال : إنّى والله ما أمُونُهن ، ولا رزقُهن إلا على الحىّ الذى لا يموت ؛ ولا أشترى العارَ بشىء أبداً ، ولا تخرج من دارى أسيراً أبداً وأنا حىّ أملك قائمَ سيفى ، فإنْ قتِلتُ دونك فاصنع ما بدا لك . قال حُجر : أما فى دارك هذه حائط أقتحمه ، أو خَوْخة[3] أخرج منها ، عسى أن يسلمنى الله عزّ وجلّ منهم ويسلّمك ، فإذا القوم لم يَقدِروا علىّ عندك لم يضروك ! قال : بلى هذه خَوْخة تخرجك إلى دور بنى العنبر وإلى غيرهم من قومك ، فخرج حتى مرّ ببنى ذُهْل ، فقالوا له : مَرَّ القومُ آنفًا فى طلبك يقْفُون أثرَك . فقال : منهم أهرُب ؛ قال : فخرج ومعه فِتْية منهم يتقصَّوْن[4] به الطريق ، ويسلُكون به الأزقّة حتى أفضَى إلى النَّخَع ، فقال لهم عند ذلك : انصرِفوا رحمكم الله ! فانصرَفوا عنه ، وأقبل إلى دار عبد الله بن الحارث أخى الأشتر فدخلها ، فإنّه لكذلك قد ألقى له الفُرُشَ عبدُ الله ، وبسط له البُسُط ، وتلقّاه ببَسْط الوجه ، وحُسن البِشْر ، إذ أتى فقيل له : إنّ الشُّرَط تسأل عنك فى النَّخَع — وذلك أنّ أمة سوداء يقال لها : أدماء ، لقيتْهم ، فقالت : مَنْ تطلبون ؟

٢/١٢٤

(١) الأغانى : « لا تقتلوا » .
(٢) الأغانى : « الطرق » .
(٣) الخوخة : باب صغير فى باب كبير .
(٤) الأغانى : « يقصون » .

قالوا : نطلب حُجْراً ؛ قالت : ها هو ذا قد رأيتُه فى النَّخَع ، فانصرَفوا نحو النَّخَع — فخرج من عند عبد الله متنكِّراً ، وركِب معه عبدُ الله بنُ الحارث ليلا حتى أتى دارَ ربيعة بن ناجد الأزدىّ فى الأزْد ، فنزلها يوماً وليلة ، فلما أعجزَهم أن يقدروا عليه دعا زياد بمحمد بن الأشعث فقال له : يا أبا مَيْثاء ، أما والله لتأتينّى بحُجْر أو لا أدَع لك نخلةً إلا قطعتُها ، ولا داراً إلا هدمتها ثم لا تسلَم منى حتى أقطِّعَك إرْبًا إرْبًا ؛ قال : أمهِلنى حتى أطلبه ؛ قال : قد أمهلتك ثلاثًا ، فإن جئتَ به وإلا عُدّ نفسك مع الهَلْكَى . وأخرِج محمد نحو السجن منتقع اللون يُتَلّ تلاًّ عنيفًا[1] ، فقال حُجر بن يزيد الكندىّ لزياد : ضَمّنّيه وخلّ سبيلَه يطلب صاحبه ؛ فإنه مخلًّى سَرْبُه — أحْرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوسًا . فقال أتضْمنه ؟ قال : نعم ؛ قال : أما والله لئن حاصَ عنك لأزيرنّك شَعوب[2] ، وإن كنت الآن علىّ كريمًا . قال : إنه لا يفعل ، فخلّى سبيله . ١٢٥/٢

ثمّ إن حُجر بن يزيد كلمه فى قيس بن يزيد ، وقد أُتِىَ به أسيراً ، فقال لهم : ما على قيس بأس ، قد عرفْنا رأيَه فى عثمان ، وبلاءَه يومَ صِفّين مع أمير المؤمنين ، ثم أرسل إليه فأتِىَ به ، فقال له : إنى قد علمتُ أنك لم تقاتل مع حُجْر ؛ أنك ترى رأيَه ، ولكن قاتلتَ معه حميّة قد غفرتُها لك لما أعلَم من حُسن رأيك ، وحُسن بلائك ؛ ولكن لن أدعَك حتى تأتيَنى بأخيك عمير ؛ قال : أجيئك به إن شاء الله ؛ قال : فهاتِ من يضْمَنُه لى معك ، قال : هذا حُجر بن يزيد يضْمنه لك معى ؛ قال حُجْر بن يزيد : نعم أضمنه لك ، على أن تؤمّنه على ماله ودمِه ، قال : ذلك لك ، فانطلَقا فأتيا به وهو جريح ، فأمَرَ به فأوقِر حديداً ، ثم أخذتْه الرجال ترفعه ، حتى إذا بلغ سُرَرَها ألقَوْه ، فوقع على الأرض ، ثم رفعوه وألقوه ، ففعلوا به ذلك مِراراً ، فقام إليه حُجر بن يزيدَ فقال : ألم تؤمّنه على ماله ودمِه أصلحك الله ! قال : بلى ، قد آمنته على ماله ودمه ، ولست أهريق له دمًا ، ولا آخذ

---

(١) يتل : يشد .

(٢) حاص : عدل وعاد ، وشعوب اسم المنية .

له مالاً . قال : أصلحك الله ! يُشفَى به على الموت ؛ ودنا منه وقامَ من كان عنده من أهل اليمن ، فدنَوا منه وكلّموه ، فقال : أتضمنونه لى بنفسه ، فمتى ما أحدث[1] حدثًا أتيتمونى به ؟ قالوا : نعم ؛ قال : وتضمنون لى أرْش[2] ضربة المسلى ، قالوا : ونضمنها ؛ فخلّى سبيلَه .

١٢٦/٢

ومكث حُجر بن عدىّ فى منزل ربيعة بن ناجد الأزدىّ يومًا وليلة ، ثم بعث حُجر إلى محمد بن الأشعث غلامًا له يدعى رشيداً من أهل إصبهان : إنه قد بلغنى ما استقبلك به هذا الجبّار العنيد ، فلا يهولنّك شىء من أمره ، فإنّى خارج إليك ، أجمع نفراً من قومك ثم أدخل عليه فأسأله أن يُؤمِّنَنى حتى يبعث بى إلى معاوية فيرى فىّ رأيه .

فخرج ابن الأشعث إلى حُجْر بن يزيد وإلى جرير بن عبد الله وإلى عبد الله بن الحارث أخى الأشتر ، فأتاهم فدخلوا إلى زياد فكلّموه وطلبوا إليه أن يؤمّنه حتى يبعث به إلى معاوية فيرى فيه رأيه ، ففعل ، فبعثوا إليه رسوله ذلك يعلمونه أن قد أخذْنا الذى تسأل ، وأمروه أن يأتى ؛ فأقبل حتى دخل على زياد فقال زياد : مرحبًا بك أبا عبد الرحمن ! حرب فى أيام الحرب ، وحربٌ وقد سالم الناس ! على أهلها تَجنِى بَراقِش[3] . قال : ما خالعت[4] طاعة ، ولا فارقت جماعة ، وإنى لَعلى بيعتى ؛ فقال : هيهات هيهات يا حُجر ! تَشُجّ بيد وتأسو بأخرى ، وتريد إذ أمكنَن الله منك أن نرضى ! كلاّ والله . قال : ألم تؤمّنّى حتى آتىَ معاوية فيرى فىّ رأيه ! قال : بلى قد فعلْنا ، انطلقوا به إلى السجن ، فلما قُفِّىَ به من عنده قال زياد : أما والله لولا أمانُه[5] ما برح أو يلفظ مهجة نفسه[6] .

١٢٧/٢

قال هشام بنُ عروة : حدّثنى عوانة ، قال : قال زياد : والله لأحرِصنّ على قطع خيط رقبته .

قال هشام بن محمد ؛ عن أبى مخنف ، وحدثنى المجالد بن سعيد ، عن

---

(١) الأغانى : « متى أحدث » . (٢) الأرش : دية الجراحات .
(٣) براقش : اسم كلبة دلت بنباحها قوماً على أربابها فهلكوا .
(٤) الأغانى : « خالعت » . (٥) فى الأغانى : « الأمانة » .
(٦) الأغانى : « ما برح حتى يلقى عصبه » ؛ والخبر فى ١٦ : ٤ ، ٥ (ساسى) .

الشعبىّ وزكرياء بن أبى زائدة، عن أبى إسحاق؛ أنّ حُجرًا لما قُفِّىَ به من عند زياد نادَى بأعلى صوْتـه: اللهمّ إنّى على بيْعتى، لا أقيلُها ولا أستقيلُها، سماعَ اللهِ والناس. وكان عليه بُرنُس فى غداة باردة، فحبس عشرَ ليال، وزيادٌ ليس له عمل[1] إلا طلب رؤساء أصحاب حُجر، فخرج عَمرو بن الحَمِق ورفاعة بن شدّاد حتى نزلا المدائن، ثم ارتَحلا حتى أتيا أرضَ الموصل، فأتيا جبلا فكَمِنا فيه، وبلغ عاملَ ذلك الرّستاق[2] أنّ رجلين قد كمِنا فى جانب الجبل، فاستنكر شأنهما – وهو رجل من هَمْدان يقال له عبد الله بن أبى بَلْتعة – فسار إليهما فى الخيل نحو الجبل ومعه أهل البلد، فلما انتهى إليهما خرجا، فأما عمرو بن الحَمِق فكان مريضًا، وكان بطنُه قد سَقَى[3]، فلم يكن عنده امتناع؛ وأما رفاعة بن شدّاد – وكان شابًّا قويًّا – فوثب على فرس له جواد، فقال له: أقاتل عنك؟ قال: وما ينفعنى أن تقاتل! انجُ بنفسك إن استطعتَ، فحمل عليهم، فأفرجوا له، فخرج تنفِر[4] به فرسُه، وخرجت الخيلُ فى طلبه – وكان راميًا – فأخذ لا يلحقه فارسٌ إلا رماه فجرحه أو عقَره، فانصرفوا عنه، وأخذ عمرو بن الحَمِق، فسألوه: مَن أنت؟ فقال: مَن إن تركتموه كان أسلَمَ لكم، وإن قتلتموه كان أضرّ لكم؛ فسألوه: فأبَى أن يخبرهم، فبعث به ابن أبى بَلْتعة إلى عامل الموصل – وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفىّ – فلما رأى عَمرو بن الحَمِق عَرفه، وكتب إلى معاوية بخبره، فكتب إليه معاوية: إنه زعم أنه طعن عثمانَ ابن عفّان تسع طَعَنات بمَشاقصَ كانت معه، وإنا لا نريد أن نعتدىَ عليه، فاطعنه تسعَ طَعَنات كما طعن عثمان، فأُخرِج فطُعِن تسعَ طَعَنات، فمات فى الأولى منهنّ أو الثانية[5].

٢/١٢٨

---

(١) الأغانى: «ما له عمل»
(٢) الرستاق؛ يعنون به كل موضع فيه مزارع وقرى، ولا يقال ذلك المدن.
(٣) الأغانى: «استسق»، والسق والاستسقاء: ماء أصفر يقع فى البطن عن مرض.
(٤) س: «تنقر».
(٥) الأغانى ١٦: ٥؛ وزاد فى آخره: «وبعث برأسه إلى معاوية؛ فكان رأسه أول رأس حمل فى الإسلام.

قال أبو مخنف : وحدّثني المجالد ، عن الشعبيّ وزكرياء بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق[١] . قال : وجّه زياد في طلب أصحاب حُجر، فأخذوا يَهرُبون منه ، ويأخذ من قَدَر عليه منهم ، فبعث إلى قَبيصة بن ضُبَيعة بن حَرْملة العبسيّ صاحب الشُّرْطة — وهو شدّاد بن الهيثم — فدعا قَبيصة في قومه ، وأخذ سيفَه ، فأتاه رِبعيّ بن خِراش بن جَحْش العبسيّ ورجال من قومه ليسوا بالكثير ، فأراد أن يقاتل ، فقال له صاحب الشُّرْطة : أنت آمن على دمك ومالك ، فلِمَ تقتل نفسك ؟ فقال له أصحابُه : قد أومِنتَ ، فعَلام تقتل نفسَك وتقتلنا معك! قال : ويحكم ! إنّ هذا الدَّعيَّ ابنَ العاهرة، والله لئن وقعتُ في يده لا أفلت منه أبداً أو يقتلني ؛ قالوا : كلاّ ، فوضع يَده في أيديهم ، فأقبَلوا به إلى زياد، فلما دخلوا عليه قال زياد : وحيّ عَبْس تُعزّوني على الدّين ، أما والله لأجعلنّ لك شاغلاً عن[٢] تلقيح الفِتَن ، والتوثُّب على الأمراء ؛ قال : إني لم آتك إلا على الأمان ؛ قال : انطلقوا به إلى السجن ، وجاء قيس بن عباد الشيبانيّ إلى زياد فقال له : إنّ امرأً منّا من بني همام يقال له : صيفيّ بن فَسيل[٣] من رءوس أصحاب حُجْر ، وهو أشدّ الناس عليك ، فبعث إليه زياد ، فأتِيَ به ، فقال له زياد : يا عدوّ الله ، ما تقول في أبي تراب ؟ قال : ما أعرف أبا تراب ؛ قال : ما أعرَفَك به ! قال : ما أعرفه ، قال : أما تعرف عليّ بنَ أبي طالب ؟ قال : بلى، قال : فذاك أبو تراب ، قال : كلاّ ، ذاك أبو الحسن والحسين ، فقال له صاحب الشُّرْطة : يقول لك الأمير : هو أبو تُراب ، وتقول أنتَ : لا! قال : وإن كذب الأمير أتريد أن أكذب وأشهدَ له على باطل كما شهد! قال له زياد : وهذا أيضًا مع ذنبك ! عليّ بالعصا ، فأتِي بها ، فقال : ما قولك [في عليّ ؟][٤] ، قال : أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد[٥] الله [أقوله في] المؤمنين ، قال : اضربوا عاتِقه بالعصا

١٢٩/٢

---

(١) ط : « ابن إسحاق »

(٢) س ، ف : « من » .

(٣) س ، ف : « فسل » .

(٤) من الأغاني .

(٥) الأغاني : « عبيد » .

حتى يلصق بالأرض ، فضرب حتى لزمَ الأرض . ثمّ قال : أقلِعوا عنه ، إيه ، ما قولُك فى على[١] ؟ قال : والله لو شرَّحتَنِى بالموَاسى[٢] والمُدَى ما قلتُ إلا ما سمعتَ[٣] منّى ؛ قال لتلعَننّه أو لأضربنّ عنقكَ ؛ قال : إذاً تضربها والله قبل ذلك ،[٤] فإن أبيتَ إلا أن تضرّبها رضيتُ بالله ، وشقيتَ أنت[٤] ؛ قال : ادفعوا فى رقبته ، ثم قال : أوقِروه حديداً ، وألقُوه فى السجن .

ثم بعث إلى عبد الله بن خليفة الطائىّ — وكان شهد مع حُجْر وقاتَلهم قتالاً شديداً — فبعث إليه زيادٌ بُكَيرَ بن حُمران الأحمرىّ — وكان تبيعَ العمّال — فبعثه فى أناس من أصحابه ، فأقبلوا فى طلبه فوجدوه فى مسجد عدِىّ بن حاتم ، فأخرجوه ، فلما أرادوا أن يذهبوا به — وكان عزيز النفس — امتنعَ منهم فحارَبهم وقاتلهم ، فشجّوه ورَموْه بالحجارة حتى سقط ، فنادتْ مَيْثاء أخته : يامعشرَ طيِّئ ، أتسلِّمون ابنَ خليفةِ لِسانَكم وسِنانكم[٥] !

١٢٠/٢

فلما سمع الأحمرىّ نداءها خشىَ أن تجتمع طيِّئ فيهلك ، فهرب وخرج نسوةٌ من طيِّئ فأدخلنَه داراً ، وينطلق الأحمرىّ حتى أتى زياداً ، فقال : إنّ طيِّئاً اجتمعتْ إلىّ فلم أطِقهم ، فأتيتك ، فبعث زيادٌ إلى عدىّ — وكان فى المسجد — فحبسه وقال : جئنى به — وقد أخبر عدىّ بخبر عبد الله — فقال عدىّ : كيف آتيك برجل قد قتَلَه القوم ؟ قال : جئْنى حتى أرى أن قد قتلوه ، فاعتلّ له وقال : لا أدرى أين هو ، ولا ما فعل ! فحبسه ، فلم يبق رجلٌ من أهل المِصْر من أهل اليَمَن وربيعة ومضر إلا فزع لعدىّ ، فأتَوا زياداً فكلّموه فيه ، وأخرِج عبد الله فتغيّب فى بُحتر ، فأرسل إلى عدىّ : إن شئتَ أن أخرجَ حتى أضع يَدى فى يدِك فعلتُ ؛ فبعث إليه عدىّ : والله لو كنت تحتَ قدمىّ ما رفعتُهما عنك . فدعا زياد عدِيّاً ، فقال له : إنى أخلّى سبيلَك على أن تجعل

(١) الأغانى : « فيه » .
(٢) الأغانى : « بالمدى والمراس » .
(٣) الأغانى : « ما زلت عما سمعت » .
(٤ — ٤) الأغانى : « فأسعد وتشقى إن شاء الله » .
(٥) الخبر إلى هنا فى الأغانى ١٦ : ٦ مع اختلاف فى الرواية .

لى لِتنفيَه من الكوفة ، ولتسيرَ به إلى الجبلين ؛ قال : نعم ، فرجع وأرسل إلى عبد الله بن خليفة : اخرُج ، فلو قد سكن غضبه لكلّمته فيك حتّى ترجع إن شاء الله ؛ فخرج إلى الجبلين .

وأُتِيَ زيادَ بكريم بن عَفيف الخثعميّ فقال: ما اسمك ؟ قال : أنا كريم ابن عفيف ؛ قال : وَيحْك ، أو وَيلك ! ما أحسن اسمَك واسمَ أبيك ، وأسوأ عَمَلَك ورأيَك! قال: أما والله إنّ عهدك برأيي لمنذ قريب[1]، ثم بعث زيادٌ إلى أصحاب حُجْر حتى جمع اثنى عشر رجلاً فى السجن . ثم إنه دعا رءوسَ الأرباع ، فقال: اِشهَدوا على حُجْر بما رأيتم منه — وكان رءوس الأرباع يومئذ: عمرو بن حُرَيث على رُبْع أهل المدينة ، وخالد بن عُرْفطة على رُبْع تميم وهَمْدان ، وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على رُبع ربيعة وكِنْدة ، وأبو بُرْدة بن أبى موسى على مَذْحِج وأسد — فشهِد هؤلاء الأربعةُ أنّ حُجْرًا جمع إليه الجموع ، وأظهر شتمَ الخليفة ، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين ؛ وزعم أن هذا الأمر لا يَصلح إلا فى آل أبى طالب ، ووثب بالمصْر وأخرج عاملَ أمير المؤمنين ، وأظهر عذرَ أبى تراب والترحُّم عليه ، والبراءة من عدوّه وأهل حربه ، وأنّ هؤلاء النفر الذين معه هم رءوس أصحابه ، وعلى مِثل رأيه وأمره . ثم أمر بهم ليخرجوا ، فأتاه قيس بن الوليد فقال : إنه قد بلغنى أنّ هؤلاء إذا خرِجُ بهم عَرَض لهم. فبعث زياد إلى الكُناسة فابتاع إبلاً صِعابًا ، فشدّ عليها المحامِل ، ثم حملهم عليها فى الرَّحَبة أوّل النهار ، حتى إذا كان العشاء قال زياد : مَن شاء فليعرِض ، فلم يتحرّك من الناس أحد ، ونظر زياد فى شهادة الشهود فقال : ما أظنّ هذه الشهادةَ قاطعة ، وإنى لأحبّ أن يكون الشهود أكثرَ من أربعة[2] .

١٣١/٢

قال أبو مخنف: فحدّثنى الحارث بن حُصَيرة ، عن أبى الكَنُود — وهو عبد الرحمن بن عبيد — وأبو مخنف ، عن عبد الرحمن بن جندب وسليمان بن أبى راشد ، عن أبى الكنود بأسماء هؤلاء الشهود :

١٣٢/٢

---

(١) س : « لقريب » .

(٢) الأغانى ١٦ : ٧ (ساسى) .

بسم الله الرّحمن الرّحيم . هذا ما شَهِد عليه أبو بُرْدة بن أبى موسى لله ربّ العالمين ؛ شهد أنّ حُجرَ بنَ عدىّ خلعَ الطاعة ، وفارَق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموعَ يدعوهم إلى نَكْث البيعة وخَلْعِ أمير المؤمنين معاوية ، وكفرَ بالله عزّ وجلّ كَفْرةً صَلْعاء .

فقال زياد : على مِثل هذه الشهادة فاشهدوا ، أما والله لأجْهَدنّ على قطع خيط عنق الخائن الأحمق ، فشَهِد رءوس الأرباع [الثلاثة الآخرون] (١) على مِثل شهادته – وكانوا أربعة – ثم إنّ زياداً دعا الناس فقال : اشهَدوا على مثل شهادة رءوس الأرباع . فقرأ عليهم الكتاب ، فقام أوّل الناس عناق بن شُرَحبيل بن أبى دَهم التيمىّ تيم الله بن ثعلبة ، فقال : بيّنوا اسمى ، فقال زياد : ابدءوا بأسامى قريش ، ثمّ اكتبوا اسمَ عناق فى الشهود ، ومَنْ نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالنّصيحة والاستقامة . فشهد إسحاق بن طلحة بن عبيد الله ، وموسى بن طلحة ، وإسماعيل بن طلحة ابن عبيد الله ، والمنذر بن الزبير ، وعُمارة بن عُقْبة بن أبى مُعَيْط ، وعبدالرحمن ابن هنّاد ، وعمر بن سعد بن أبى وقّاص ، وعامر بن مسعود بن أمّية بن خلف ، ومحرِز بن جارية بن ربيعة بن عبد العزّى بن عبد شمس ، وعبيد الله بن مسلم ابن شعبة الحضرمىّ ، وعناق بن شُرحبيل بن أبى دَهْم ، ووائل بن حُجْر الحضرمىّ ، وكَثير بن شهاب بن حصين الحارثىّ ، وقَطَن بن عبد الله بن حُصين ، والسرىّ بن وقّاص الحارثىّ – وكتب شهادتَه وهو غائب فى عمله – والسائب بن الأقرع الثقفىّ ، وشَبَث (٢) بن رِبْعىّ ، وعبد الله بن أبى عَقيل الثقفىّ ، ومَصقَلة بن هبيرة الشيبانىّ ، والقعقاع بن شور الذهلىّ ، وشدّاد بن المنذر بن الحارث بن وَعْلة الذّهلىّ – وكان يدعى ابن بُزَيعة ، فقال : ما لهذا أبٌ ينسب إليه ! ألقوا هذا من الشهود ، فقيل له : إنه أخو الحضَين ، وهو ابن المنذر ؛ قال : فانسبوه إلى أبيه ، فنُسب إلى أبيه ، فبلغتْ شدّاداً ، فقال : وَيْلى على ابن الزانية ! أوَليست أمّه أعرفَ من أبيه ! والله

١٣٣/٢

(١) من الأغانى . (٢) كذا فى الأغانى ، وفى ط : « شبيب » .

ما ينسب إلاّ إلى أمّه سميّة . وحجّار بن أبجر العجلىّ فغضبتْ ربيعة على هؤلاء الشهود الذين شهدوا من ربيعة وقالوا لهم : شهدتم على أوليائنا وحلفائنا ! فقالوا : ما نحن إلا من الناس ، وقد شهد عليهم ناس من قومهم كثير — وعمرو بن الحجاج الزّبيدىّ ولبيد بن عُطارد التميمىّ ، ومحمد بن عُمَير بن عطارد التّميمىّ ، وسُوَيد بن عبد الرحمن التميمىّ من بنى سعد ، وأسماء بن خارجة الفزارىّ — كان يعتذر من أمره — وشمِر بن ذى الجَوْشن العامرىّ ، وشدّاد ومرْوان ابنا الهيثم الهلاليّان ، ومحفّز بن ثعلبة من عائذة قريش ، والهيثم بن الأسود النخعىّ — وكان يعتذر إليهم — وعبد الرحمن بن قيس الأسدىّ ، والحارث وشداد ابنا الأزمع الهَمْدانيّان ، ثم الوادعيّان ، وكُرَيب بن سلمة بن يزيد الجعفىّ ، وعبد الرحمن بن أبى سَبْرة الجُعفىّ ، وزَحْر بن قيس الجُعفىّ ، وقُدامة بن العَجْلان الأزْدىّ وعَزْرة بن عَزْرة الأحمسىّ — ودعا المختار بن أبى عُبيد وعُرْوة بن المغيرة بن شعبة ليَشهَدوا عليه ، فراغا — وعمر بن قيس ذى اللحية وهانئ بن أبى حية الوادعيّان .

١٣٤/٢

فشهد عليه سبعون رجلاً ، فقال زياد : ألقُوهم إلا من قد عُرِف بحسَب وصَلاح فى دِينه ، فألقُوا حتى صُيِّرُوا إلى هذه العدّة ، وألقيتْ شهادة عبد الله بن الحجّاج الثعلبىّ ، وكتبتْ شهادة هؤلاء الشهود فى صحيفة ، ثم دفعها إلى وائل بن حُجْر الحضرمىّ وكثير بن شهاب الحارثىّ ، وبعثهما عليهم ، وأمرهما أن يخرجا بهم . وكتب فى الشهود شُريح ابن الحارث القاضى وشُريح بن هانئ الحارثىّ ؛ فأما شريح فقال : سألنى عنه ، فأخبرتُه أنه كان صوّامًا قوّامًا ، وأما شريح بن هانئ الحارثىّ فكان يقول : ما شهدتُ ، ولقد بلغنى أن قد كتبتْ شهادتى ، فأكذبته ولُمْتُه ، وجاء وائل بن حُجْر وكَثير بن شهاب فأخرج القوم عشيّة ، وسار معهم صاحبُ الشرطة حتى أخرجهم من الكوفة .

فلما انتَهوا إلى جبّانة عَرْزَم[1] نظر قَبِيصة بن ضُبَيعة العبسىّ إلى داره وهى فى جبّانة عرْزم ، فإذا بناتُه مشرِفات ، فقال لوائل وكَثير : ائْذنَا لى فأوصِى أهلى ، فأذِنا له ، فلمّا دنا منهنّ وهنّ يبكين ، سكت عنهنّ ساعة ثم

---

(١) الأغانى ١٧ : ١٤٥ : « عزدم » .

قال : اسكتْنَ ؛ فسكَتْن ، فقال : اتَّقين اللهَ عزّ وجلّ ، واصبرْن ، فإنى أرجو من ربّى فى وجهى هذا إحدى الحُسْنَيَين : إمّا الشهادة ، وهى السعادة ؛ وإما الانصراف إليكنّ فى عافية ، وإن الذى كان يرزُقكُنّ ويكفينى مؤُنتكُنّ هو الله تعالى — وهو حىّ لايموت — أرجو ألّا يضيّعكُنّ وأن يحفَظنى فيكنّ ثم انصرف فمرّ بقومه، فجعل القومُ يدعون اللهَ له بالعافية، فقال : إنه لـِمـّا يعدل عندى خطرَ ما أنا فيه هلاكُ قومى . يقول: حيث لا ينصروننى ، وكان رجا أن يتخلّصوه . ١٣٥/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى النضر بن صالح العبسىّ ، عن عبيد الله بن الحرّ الجعفى ، قال : والله إنى لواقف عند باب السرىّ بن أبى وقّاص حين مرّوا بحُجر وأصحابه ، قال : فقلتُ: ألا عشرة رَهْط أستنقذ بهم هؤلاء ! ألاَ خمسة ! قال : فجعل يتلهّف، قال : فلم يجبنى أحدٌ من الناس ؛ قال: فمضَوا بهم حتى انتهوا بهم إلى الغَريّيْن ، فلَحِقهم شُريح بن هانئ معه كتاب ، فقال لكثير : بلّغ كتابى هذا إلى أمير المؤمنين ، قال : ما فيه ؟ قال : لا تسألْنى فيه حاجتى ؛ فأبى كثير وقال : ما أحبّ أن آتىَ أميرَ المؤمنين بكتاب لا أدرى ما فيه ، وعسى ألّا يوافقه! فأتى به وائلَ بن حُجْر فقَبِله منه . ثم مَضَوا بهم حتى انتهَوا بهم إلى مَرْج عَذْراء ، وبينها وبين دمشقَ اثنا عشر مِيلاً .

* * *

تسمية الذين بعث بهم إلى معاوية

حُجر بن عدىّ بن جَبلَة الكندىّ ، والأرقم بن عبد الله الكندىّ من بنى الأرقم ، وشريك بن شدّاد الحضرمىّ، وصيفىّ بن فسيل ، وقَبيصة بن ضبيعة بن حرملة العَبسىّ ، وكريم بن عفيف الخثعمىّ ، من بنى عامر بن شهران ثم من قحافة ، وعاصم بن عوف البَجَلىّ ، وورقاء بن سُمَىّ البَجَلىّ ، وكدام بن حيّان ، وعبد الرحمن بن حسّان العَنَزِيّان من بنى هَمِيم ، ومحرز بن شهاب التميمىّ من بنى مِنْقَر ، وعبد الله بن حَويّة السعدىّ من ١٣٦/٢

بنى تميم ؛ فمضَوا بهم حتى نزلوا مرجَ عذراء ، فحُبسوا بها . ثم إنّ زياداً أتبعهم برجلين آخرَين مع عامر بن الأسوَد العِجْلىّ ؛ بعتبة بن الأخنس من بنى سعد بن بكر بنِ هوازن ، وسعيد بن نمران الهمْدانىّ ثم الناعطىّ ، فتمّوا أربعة عشر رجلاً ، فبعث معاوية إلى وائل بن حُجر وكَثير بن شهاب فأدخلهما ، وفضّ كتابهما ، فقرأه على أهل الشام ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله معاويةَ أمير المؤمنين من زياد بن أبى سُفْيان . أمّا بعد ، فإنّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء ، فكاد له عدوّه ، وكفاه مؤنة من بَغَى عليه . إن طواغيتَ من هذه التُّرابيّة[1] السبئيّة ، رأسهم حُجْر بن عدىّ خالَفوا أميرَ المؤمنين ، وفارَقوا جماعةَ المسلمين ، ونصبوا لنا الحرب ، فأظهرَنا الله عليهم ، وأمكننا منهم ، وقد دعوتُ خيارَ أهل المِصر وأشرافهم وذوى السنّ والدين منهم ، فشهدوا عليهم بما رأوا وعملوا ، وقد بعثتُ بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبت شهادةَ صلحاء أهلِ المِصْر وخيارهم فى أسفل كتابى هذا .

١٣٧/٢

فلما قرأ الكتابَ وشهادةَ الشهود عليهم ، قال : ماذا تَرَوْن فى هؤلاء النّفر الذين شهد عليهم قومُهم بما تستمعون ؟ فقال له يزيد بن أسد البَجَلىّ : أرَى أن تفرّقهم فى قُرَى الشام فيكفيكَهم طواغيتُها .

ودفَع وائل بن حُجر كتابَ شُريح بن هانئ إلى معاوية ، فقرأه فإذا فيه :

بسم الله الرّحمن الرحيم ، لعبد الله معاوية أميرِ المؤمنين من شُريح بن هانئ أما بعد ؛ فإنه بلغنى أنّ زياداً كتب إليك بشهادتى على حُجْر بن عدىّ ، وأن شهادتى على حُجْر أنه ممن يقيم الصلاة ، ويؤتى الزكاة ، ويديم الحجّ والعمرة ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، حرام الدّم والمال ، فإن شئتَ فاقتله ، وإن شئت فدَعْه . فقرأ كتابَه على وائل بن حُجْر وكَثِير ، فقال : ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسَه من شهادتكم .

فحبس القوم بمَرْج عذراء ، وكتب معاوية إلى زياد : أما بعد ، فقد فهمتُ ما اقتصصتَ به من أمر حُجر وأصحابه ، وشهادة من قبَلَك عليهم ، فنظرتُ فى ذلك ، فأحياناً أرى قتلهم أفضل من تركهم ،

(١) الترابية ، أى المنتسبون إلى أبى تراب ، كنية أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

وأحياناً أرَى العفو عنهم أفضل من قتلهم . والسلام .

فكتب إليه زيادٌ مع يزيد بن حُجيّة بن ربيعة التيميّ : أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت رأيَك فى حُجْر وأصحابه ، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم ،وقد شهد عليهم بما قد سمعت مَن هوأعلم بهم ، فإن كانت لك حاجةٌ فى هذا المِصْر فلا تَرُدنّ حجراً وأصحابه إلىّ .

فأقبل يزيد بن حُجَيّة حتى مرّ بهم بعذراء . فقال : يا هؤلاء ، أما والله ما أرى براءَتكم ، ولقد جئتُ بكتاب فيه الذّبح ، فمُرُونى بما أحببتم مما ترون أنه لكم نافع أعمل به لكم وأنطِق به . فقال حُجر : أبلغ معاوية أنّا على بيعتنا ، لا نَستقيلها ولا نُقيلها ، وأنه إنما شهد علينا الأعداء والأظِنّاء . فقدم يزيدُ بالكتاب إلى معاويةَ فقرأه ، وبلّغه يزيد مقالةَ حُجْر ؛ فقال معاوية : زياد أصدق عندنا من حُجْر ؛ فقال عبد الرحمن بن أمّ الحكم الثقفىّ — ويقال : عثمان بن عمير الثقفىّ : جُذاذها جُذاذها[1] ؛ فقال له معاوية : لا تَعَنّ أبْراً[2] . فخرج أهلُ الشأم ولا يدرون ما قال معاوية وعبد الرحمن ، فأتَوا النعمانَ بن بشير فقالوا له مقالة ابنِ أمّ الحكم ، فقال النّعمان : قتل القوم ، وأقبل عامر بن الأسوَد العجلىّ وهو بعذراء يريد معاويةَ ليُعلِمه عِلمَ الرجلين اللّذَين بَعَث بهما زياد ، فلما ولّى ليمضى قام إليه حُجر بن عدىّ يَرْسُف فى القيود ، فقال : يا عامر ، اسمع منى ، أبلِغْ معاويةَ أنّ دماءنا عليه حرام ، وأخبره أنا قد أومِنّا وصالَحناه ، فليتق الله ، ولينظر فى أمرنا . فقال له نحواً من هذا الكلام ، فأعاد عليه حُجْر مراراً ، فكان الآخر عرّض ، فقال قد فهمت لك — أكثرت ، فقال له حُجْر : إنّى ما سمعْت بعيب ، وعلى أيّة تلوم ! إنك والله تُحبَى وتُعْطَى ، وإن حُجراً يُقَدّمُ ويقتل ، فلا ألومك أن تستثقل كلامى ، اذهب عنك ، فكأنه استحيا ، فقال : لا والله ما ذلك بى ، ولأبلغنّ ولأجهَدنّ ، وكأنه يزعم أنه قد فعل ، وأنّ الآخر أبى .

٢/١٣٨ ٢/١٣٩

(١) الجذاذ بالفتح : فصل الشىء عن الشىء . والجذاذ بالضمّ : المقطّع والمكسّر . قال تعالى : (فجعلهم جُذاذاً إلا كبيراً لهم) .

(٢) يريد : لا تتجشم إصلاحاً . والأبر : إصلاح النخل . (٣) ط : « على أنه يلوم » .

فدخل عامر على معاويةَ فأخبره بأمر الرّجلين . قال : وقام يزيد بن أسد البجَلىّ فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لى ابنَىْ عمِّى — وقد كان جرير بن عبد الله كتب فيهما : إنّ امرأيْن من قومى من أهل الجماعة والرأى الحسن ، سعَى بهما ساعٍ ظَنِين إلى زياد ، فبعث بهما فى النّفر الكوفيّين الذين وجّه بهم زياد إلى أمير المؤمنين وهما ممن لا يُحدِث حدَثًا فى الإسلام ولا بغيًا على الخليفة ، فلينفعهما ذلك عند أمير المؤمنين — فلما سألهما يزيدُ ذكرَ معاوية كتاب جرير ، فقال : قد كتب إلىّ ابن عمّك فيهما جرير ، محسنًا عليهما الثناء ، وهو أهلٌ أن يصدَّق قولُه ، وتُقبل نصيحتُه ، وقد سألتَنى ابنَىْ عمك ، فهُما لك. وطلب وائل بن حُجْر فى الأرقم فتركه له ، وطلب أبو الأعور السُّلمىّ فى عُتْبة بن الأخنس فوهبه له ، وطلب حُمرة[1] بن مالك الهمْدانىّ فى سعيد ابن نمران الهمْدانىّ فوهبه له ، وكلّمه حبيب بن مسلمة فى ابن حَويّة ، فخلّى سبيله .

وقام مالك بن هُبيرة السَّكونىّ ، فقال لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، دَعْ لى ابنَ عمِّى حُجْرا ، فقال : إنّ ابن ابن عمّك حُجْرا رأس القوم ، وأخاف إنْ خلّيت سبيلَه أن يُفسد علىّ مِصْرِى ، فيضطرنا غداً إلى أن نُشخِصك وأصحابك إليه بالعراق . فقال له : والله ما أنصفتَنى يا معاوية ، قاتلتُ معك ابن عمك فتلقّانى منهم يومٌ كيوم صِفِّين ، حتى ظفرتْ كفّك ، وعلا كعبُك ولم تَخَف الدوائر ، ثم سألتُك ابنَ عمى فسطوتَ وبسطت[2] من القول بما[3] لا أنتفع به ؛ وتخوّفت فيما زعمت عاقبة الدوائر ! ثم انصرف فجلس فى بيته ، فبعث معاويةُ هُدبةَ بنَ فيّاض القُضاعىّ من بنى سَلامان بن سعد والحصين ابن عبد الله الكلابىّ وأبا شريف البدّىّ ، فأتَوْهم عند المساء ، فقال الخثعمىّ حين رأى الأعور مقبلاً : يُقتَل نصفُنا وينجو نصفُنا ؛ فقال سعيد بن نَمران : اللهمّ اجعلنى ممّن ينجو وأنت عنى راضٍ ؛ فقال عبد الرحمن بن حسان العنَزىّ : اللهمّ اجعلنى ممّنْ يُكرَمُ بهوانِهم وأنت عنّى راضٍ ؛ فطالما

٢ / ١٤٠

(١) الأغانى : « حمزة » .
(٢) س : « ونشطت » .
(٣) س : « فيما » .

عرّضتُ نفسى للقتل ، فأبى اللهُ إلا ما أراه !

فجاء رسول معاوية إليهم بتخلية ستّة وبقتل ثمانية، فقال لهم رسول معاوية : إنّا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علىّ واللعنَ له، فإن فعلتم تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم ،وإنّ أمير المؤمنين يزعم أنّ دماءكم قد حلّت له بشهادة أهلِ مصْركم عليكم ، غير أنه قد عفا عن ذلك ، فابرءوا من هذا الرجل نُخَلّ سبيلَكم . قالوا : اللهمّ إنّا لسنا فاعِلِى[1] ذلك . فأمر بقبورهم فحفرتْ ، وأدنيتْ أكفانُهم ، وقاموا الليلَ كلّه يصلّون ، فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية : يا هؤلاء ، لقد رأيناكم البارحة قد أطلتم الصلاة ، وأحسنتم الدعاء ، فأخبرونا ما قولكم فى عثمان ؟ قالوا : هو أوّل مَن جار فى الحكم ، وعَمِل بغير الحقّ ؛ فقال أصحاب معاوية : أميرُ المؤمنين كان أعلمَ بكم ؛ ثم قاموا إليهم فقالوا : تبرءون من هذا الرجل ! قالوا : بل نتولاه ونتبرأ ممن تبرّأ منه ؛ فأخذ كلّ رجل منهم رجلا ليقتلَه، ووقع قَبِيصة بن ضبيعة فى يدىْ أبى شريف البدّى، فقال له قَبِيصة : إنّ الشرّ بين قومى وقومك[2] أمِنٌ ، فليقتلْنى سواك ؛ فقال له : برّتك رَحِم ! فأخذ الحضرمىّ فقتله ، وقتل القضاعىّ قَبِيصة بن ضُبَيعة .

١٤١/٢

قال : ثم إنّ حُجراً قال لهم : دعونى أتوضّأ ، قالوا له : توضّأ ، فلما أن توضّأ قال لهم : دعونى أصلّ ركعتين فأيْمُنُ الله ما توضّأت قطّ إلا صلّيت ركعتين ؛ قالوا : لتُصلّ ؛ فصلّى ، ثم انصرف فقال : والله ما صليت صلاةً قطّ أقصرَ منها ، ولولا أن تروْا أن ما بى جَزَع من الموت لأحببتُ أن أستكثرَ منها . ثم قال : اللهمّ إنا نستعديك على أمّتنا ، فإنّ أهل الكوفة شهدوا علينا ، وإن أهل الشأم يقتلوننا ، أما والله لئن قتلتمونى بها إنى لأوّل فارس من المسلمين هلَكَ فى واديها ، وأوّل رجل من المسلمين نبحَتْه كلابها . فمشى إليه الأعورُ[3] هُدْبة بن فيّاض بالسيف ، فأرعِدت خَصائله[4] ، فقال : كلاّ ، زعمتَ

(١) س : « فاعلين » .
(٢) كذا فى س ؛ وفى ط : « وبين قومك » .
(٣) انظر الأغانى ١٧ : ١٥١ .
(٤) الخصائل : جمع خصيلة ؛ وهى كل عصبة فيها لحم غليظ . قال جرير :

* يَرْهَزُ رَهْزًا يُرعِدُ الخَصائِلا *

أنك لا تجزع من الموت ؛ فأنا أدَعك فابرأ من صاحبك، فقال : ما لى لا أجزعُ وأنا أرى قبراً محفوراً ، وكفناً منشوراً ، وسيفاً مشهوراً ؛ وإنى والله إنْ جزعتُ من القتل لا أقول ما يُسخط الرّب . فقتَله ؛ وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتّى قتلوا ستة . فقال عبد الرحمن بن حسّان العَنَزى وكريم بن عَفيف الخثعمىّ : ابعثَوا بنَا إلى أمير المؤمنين ، فنحن نقول فى هذا الرّجل مثلَ مقالته ؛ فبعثوا إلى معاوية يخبرونه بمقالتهما ، فبعث إليهم أن آتونى بهما[1] . ١٤٢/٢

فلما دخلا عليه قال الخثعمىّ : اللهَ اللهَ يا معاوية ، فإنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ثم مسئول عمّا أردت بقتلنا ، وفيمَ سفكت دماءَنا ؛ فقال معاوية : ما تقول فى علىّ ؟ قال : أقول فيه قولك ، قال : أتبرأ من دين علىّ الذى كان يَدينُ اللهَ به ؟ فسكَت ،وكَرِه معاوية أن يجيبَه .

وقام شَمِر بن عبد الله من بنى قحافة ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هب لى ابن عمّى ؛ قال : هو لك ؛ غير أنى حابسُه شَهْراً ، فكان يرسل إليه بين كلّ يومين فيكلمه ، وقال له : إنى لأنْفسَ بك على العراق أن يكون فيهم مثلك . ثمّ إنّ شَمِراً عاوده فيه الكلام ؛ فقال : نُمِرُّك على هبة ابن عمك، فدعاه فخلّى سبيله على ألّا يدخل إلى الكوفة ما كان له سلطان ، فقال : تخيّر أىّ بلاد العرب أحبّ إليك أن أسيّرك إليها ؛ فاختار المَوْصلَ ، فكان يقول : لو قد مات معاوية قدمتُ المِصْر ، فمات قبل معاوية بشهر .

ثم أقبل على عبد الرحمن العَنَزىّ فقال : إيهٍ يا أخا ربيعة ! ما قولك فى علىّ ؟ قال ؛ دَعْنى ولا تسألْنى فإنه خيرٌ لك ؛ قال : والله لا أدَعك حتى تخبرَنى عنه ؛ قال : أشهد أنه كان من الذّاكرين اللهَ كثيراً ، ومن الآمرين بالحقّ ، والقائمين بالقِسط ، والعافِين عن الناس ؛ قال : فما قولك

[1] بعدها فى الأغانى : « فالتفت إلى حجر ؛ فقال له العنزى : لا تبعد يا حجر ، ولا يبعد مثواك ؛ فنعم أخو الإسلام كنت ! وقال الخثعمى نحو ذلك ، ثم مضى بهما ، فالتفت العنزى فقال متمثلا :

كَفَى بشفاةِ القَبْر بُعْدًا لهالكٍ وبالْموتِ قَطّاعًا لحبْل القرائن

فى عثمان ؟ قال : هو أوّل مَن فتح باب الظلم ، وأرْتجَ أبواب الحقّ ؛ قال : قتلتَ نفسَك ؛ قال : بل إيّاك قتلتُ ؛ ولا ربيعة بالوادى — يقول حين كلّم شَمِر الخثعمىّ فى كريم بن عفيف الخثعمىّ ، ولم يكن له أحدٌ من قومه يكلّمه فيه — فبعث به معاوية إلى زياد ، وكتب إليه : أما بعد ، فإنّ هذا العَنَزىّ شرّ مَن بعثْت ، فعاقبْه عقوبته التى هو أهلها ، واقتلْه شرّ قِتلة . فلما قَدِم به على زياد بعث به زياد إلى قُسّ الناطف ، فدُفِن به حيًّا . ١٤٣/٢

قال : ولما حُمِل العَنَزىّ والخثعمىّ إلى معاوية قال العنزى لحُجْر : يا حُجْر ، لا يبعدَنْك الله ، فنِعم أخو الإسلام كنتَ ! وقال الخثعمىّ : لا تَبْعَدْ ولا تُفْقَد ، فقد كنتَ تأمر بالمعروف وتَنهى عن المنكر . ثم ذهب بهما وأتبعَهُما بصرَه ، وقال : كَفَى بالموت قطّاعًا لحبل القرائن ! فذهب بعُتْبة بن الأخنس وسعيد بن نَمِران بعد حُجْر بأيام ، فخلّى سبيلهما[1] .

* * *

تسمية مَن قتل من أصحاب حُجْر رحمه الله

حُجْر بن عدىّ ، وشريك بن شدّاد الحضرمىّ ، وصَيْفىّ بن فسيل الشيبانىّ ، وقَبيصة بن ضبيعة العبسىّ ، ومُحرِز بن شهاب السعدىّ ثم المِنْقَرىّ ، وكدام بن حيّان العَنَزىّ ، وعبد الرحمن بن حسّان العَنَزىّ ؛ فبعث به إلى زياد فدُفن حيًّا بقسّ الناطف ، فهم سبعة قُتلوا وكُفنوا وصُلى عليهم .

قال : فزعموا أن الحسن لما بلغه قتل حُجْر وأصحابه ، قال : صلّوا عليهم ، وكفّنوهم ، واستقبلوا بهم القبلة ، قالوا : نعم ؛ قال : حَجّوهم وربّ الكعبة !

* * *

تسمية من نجا منهم

كريم بن عفيف الخثعمىّ ، وعبد الله بن حويّة التميمىّ ، وعاصم بن ١٤٤/٢

---

(١) الأغانى ١٦ : ٩ (ساسى) .

عوف البَجَلى ، وورقاء بن سُمىّ البَجَلى ، والأرقم بن عبد الله الكِنْدىّ ، وعتبة بن الأخنس ، من بنى سعيد بن بكر ، وسعيد بن نمران الهمدانىّ فهم سبعة .

* * *

وقال مالك بن هُبيرة السَّكونى حين أبَى معاوية أن يهبَ له حُجْراً وقد اجتمع إليه قومُه من كِندةَ والسَّكون وناس من اليَمَن كثير ، فقال : والله لنحن أغنَى عن معاوية من معاوية عنّا ، وإنّا لنجِد فى قومه منه بدلاً ، ولا يجد منّا فى الناس خلَفاً ، سيروا إلى هذا الرجل فلنُخلّه من أيديهم ؛ فأقبَلوا يسيرون ولم يشكّوا أنهم بعَذْراء لم يُقتلوا ، فاستقبلَتْهم قتَلَتُهم قد خرجوا منها ، فلما رأوْه فى الناس ظنّوا أنما جاء بهم ليخلّص حُجْراً من أيديهم ، فقال لهم : ما وراءكم ؟ قال : تاب القوم ، وجئنا لنخبر معاوية . فسكت عنهم ، ومضى نحو عذراء ، فاستقبله بعضُ من جاء منها فأخبره أنّ القوم قد قُتلوا ، فقال : علىّ بالقوم ! وتبعتْهم الخيلُ وسبَقُوهم حتى دخلوا على معاوية فأخبروه خبرَ ما أتَى له مالكُ بنُ هبيرة ومن معه من الناس ، فقال لهم معاوية : اسكنُوا ، فإنما هى حرارةٌ يجدها فى نفسه ، وكأنها قد طفئتْ ، ورجع مالك حتى نزل فى منزله ، ولم يأتِ معاوية ، فأرسل إليه معاوية فأبَى أن يأتيه ، فلما كان الليل بعث إليه بمائة ألف درهم ، وقال له : إنّ أمير المؤمنين لم يمنعه أن يشفّعك فى ابن عمّك إلا شَفقة عليك وعلى أصحابك أن يُعيدوا لكم حرْبًا أخرى ، وإن حُجْر بنَ عدىّ لو قد بقِى خشيت أن يكلّفك وأصحابك الشخوص إليه ، وأن يكون ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتْل حُجْر ؛ فقبِلها ، وطابت نفسُه ، وأقبل إليه من غده فى جموعِ قومه حتى دخل عليه ورضىَ عنه . ١٤٥/٢

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، أنّ عائشةَ رضى الله عنها بعثتْ عبدَ الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية فى حُجر

وأصحابه ، فقدِم عليه وقد قَتلَهم ، فقال له عبد الرحمن : أين غاب عنك حلمُ أبى سُفْيان ؟ قال : غاب عنى حين غاب عنى مِثلُك من حُلَماء قومى ، وحَمّلنى ابن سُميّة فاحتملت .

قال أبو مخنف : قال عبد الملك بن نوفل : كانت عائشة تقول : لولا أنا لم تغيّر شيئًا إلا آلت بنا الأمور إلى أشدّ مما كنا فيه لغيّرنا قتل حُجْر ، أما والله إن كان ما علمتُ لمسلمًا حَجّاجاً معتمِراً .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الملك بن نوفل ، عن سعيد المقبرىّ[1] ، أنّ معاوية حين حجّ مرّ على عائشة — رِضوانُ الله عليها — فاستأذن عليها ، فأذِنتْ له ، فلما قعد قالت له : يا معاوية ، أأمِنْتَ أن أخبأ لك من يقتلك ؟ قال : بيتَ الأمن دخلت ، قالت : يا معاوية ، أما خشيتَ الله فى قَتْل حُجْر وأصحابه ؟ قال : لستُ أنا قتلتُهم ، إنما قَتلَهم مَن شهد عليهم .

قال أبو مخنف : حدّثنى زكرياء بن أبى زائدة ، عن أبى إسحاق ، قال : أدركتُ الناسَ وهم يقولون: إن أوّل ذُلّ دخل الكوفة موتُ الحسن بن علىّ وقتلُ حُجْر بن عدىّ ، ودعوةُ زياد .

قال أبو مخنف : وزعموا أنّ معاوية قال عند موته : يومٌ لى من ابن الأدبَرِ طويلٌ ! ثلاثَ مرّات — يعنى حُجراً . ١٤٦/٢

قال أبو مخنف: عن الصقعب بن زهير ، عن الحسن، قال : أربع خصال كنّ فى معاوية؛ لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت مُوبِقة : انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرَها بغير مَشُورة منهم وفيهم بقايا الصّحابة وذو الفضيلة ؛ واستخلافُه ابنه بعده سِكّيراً خِمّيراً ، يلبس الحرير ويَضرِب بالطنابير ؛ وادّعاؤه زياداً ؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الولد للفِراش، وللعاهِر الحجَرُ»، وقتلهُ حُجْرا ، ويْلاً له من حُجْرٍ ! مرّتين .

---

(١) هو سعيد بن أبى سعيد ؛ وفى ط : « أبو سعيد » ، وانظر الفهرس .

وقالت هند ابنة زيد بن مخرمة الأنصاريّة، وكانت تَشَيَّع ترثِي حُجْراً:

تَرَفَّـعْ أيّها القمرُ المنِيرُ تَبَصَّرْ هل ترى حُجْرًا يَسيرُ[1]
يسيرُ إلى معاويةَ بن حرْبٍ لِيقْتُلَهُ كما زعم الأَميرُ
تجَبَّرَتِ الجَبابِرُ بعد حُجْرٍ وطابَ لها الخَوَرْنَقُ والسَّدِيرُ[2]
وأَصبَحَتِ البلادُ بها مُحُولاً كأَن لم يُحْيِها مُزْنٌ مَطِيرُ
ألا ياحُجْرَ حجْر بنى عَدِيٍّ تَلقَّتْكَ السلامةُ والسُّرُور
أَخافُ عليك ماأَرْدَى عَدِيًّا[3] وَشيخاً فى دِمشقَ له زئيرُ
يَرَى قَتلَ الخِيارِ عليه حقاً له من شَرِّ أُمَّتِه وَزير
أَلا ياليتَ حُجْرًا مات موْتاً ولم يُنحَرْ كما نُحِرَ البعيرُ!
فإِن تَهلِكْ فكلُّ زعيمِ قَومٍ من الدنيا إلى هُلكٍ يَصِيرُ

وقالت الكندية ترثى حُجراً — ويقال: بل قائلها هذه الأنصاريّة :

١٤٧/٢

دُموعُ عيْنِى دِيمةٌ تَقطُرُ تَبكِى على حُجْرٍ وما تَفْتُرُ
لو كانت القوسُ على أَسرِه ما حُمِّلَ السيفَ له الأَعورُ

وقال الشاعر يحرّض بنى هند من بنى شَيْبانَ على قيس بن عُباد حين سعى بصَيفِىّ بن فَسيل :

دَعا ابنُ فسيل يالَ مُرَّةَ دعـوةً ولاَ قَى ذبابَ السيف كَفًّا ومِعْصما
فحَرِّضْ بنى هِند إذا ما لَقِيتَهمْ وقُلْ لِغياثٍ وابنِهِ يَتَكلَّما
لِتَبْكِ بنِي هِندٍ قُتَيْلةُ مِثلَ ما بَكَتْ عِرْسُ صَيْفِيٍّ وتبعثُ مأْتما

غياث بن عمران بن مرّة بن الحارث بن دُبّ بن مرّة بن ذهل بن شَيْبان، وكان شريفًا، وقُتيلةُ أخت قيس بن عُباد، فعاش قيس بن عباد حتى

(١) الأغانى ١٦ : ١٠ ؛ مع اختلاف فى الرواية وعدد الأبيات .
(٢) الأغانى : «ترفعت الجبابر» . (٣) الأغانى : «أخاف عليك سطوة آل حرب» .

قاتل معَ ابن الأشعث فى مواطنه ، فقال حَوْشب للحجّاج بن يوسف : إن منّا امرأ صاحب فتن ووثوب على السلطان ، لم تكن فتنةٌ فى العراق قطّ إلا وثب فيها ، وهو ترابىّ ، يلعن عثمان ، وقد خرج مع ابن الأشعث فشهد معه فى مواطنه كلها ، يحرّض الناسَ حتى إذا أهلكهم الله ، جاء فجلس فى بيته ، فبعث إليه الحجاجُ فضرب عنقَه ، فقال بنو أبيه لآل حوشب : إنما سعيتمْ بنا سعياً ، فقالوا لهم : وأنتم إنما سعيتم بصاحبنا سعياً .

٢/١٤٨ فقال أبو مخنف : وقد كان عبد الله بن خليفة الطائىّ شهد مع حُجْر ابن عدىّ ، فطلبه زياد فتوارَى ، فبعث إليه الشُّرَط ، وهم أهل الحمراء يومئذ ، فأخذوه ، فخرجتْ أخته النّوار فقالت : يا معشر طيّئٍ ، أتسلمون سنانَكم ولسانَكم عبدَالله بن خليفة! فشدّ الطائيّون على الشُّرَط فضربوهم وانتزعوا منهم عبدَالله بن خليفة ، فرجعوا إلى زياد ، فأخبروه ، فوثَب على عدىّ ابن حاتم وهو فى المسجد ، فقال : ائتنِى بعبد الله بن خليفة ؛ قال : وما له ! فأخبره ، قال : فهذا شىء كان فى الحىّ لا علمَ لى به ؛ قال : والله لتأتينِّى به ؛ قال : لا ، والله لا آتيك به أبداً ، أجيئك بابن عمّى تقتُلُه ! والله لو كان تحت قدمىّ ما رفعتُهما عنه . قال : فأمر به إلى السجن ؛ قال : فلم يَبق بالكوفة يَمانىٌّ ولا رَبَعىٌّ إلاّ أتاه وكلّمه ، وقالوا : تفعل هذا بعدىّ بن حاتم صاحبِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فإنى أخرجه على شرط ، قالوا : ما هو ؟ قال : يخرِج ابن عمّه عنى فلا يدخل الكوفة ما دام لى بها سلطان . فأتِىَ عدىّ فأخبِر بذلك ، فقال : نعم ، فبعث عدىّ إلى عبد الله ابن خليفة فقال : يابن أخى ، إنّ هذا قد لجّ فى أمرك ، وقد أبى إلا إخراجَك عن مِصْرك ما دام له سلطان ، فالحقْ بالجبلين ، فخرج ؛ فجعل عبد الله ابن خليفة يكتب إلى عدىّ ، وجعل عدىٌّ يُمنّيه ، فكتب إليه :

تذكَّرتُ ليلى والشَّبيبةَ أعْصُرا ... وذكْرُ الصِّبَا بَرْحٌ على من تذكَّرا
ووَلّى الشَّبابُ فافتقدتُ غُضُونَه[1] ... فيالك من وَجْد به حين أدْبَرا !

---

(١) س : « وولى شباب » .

٢/١٤٩ فدعْ عنك تذكار الشبابِ وفَقدهُ وآثارهُ إذ بانَ منك فأَقصَرا[(١)]

وبَكِّ على الخُلانِ لمَّا تُخُرِّمُوا ولم يجدُوا عن مَنهَلِ الموتِ مَصدرا

دَعَتهُمْ مَنَاياهمْ ومَنْ حانَ يَومُهُ من الناسِ فاعلم أنه لن يؤخَّرا

أُولئك كانوا شِيعةً لى ومَوْئلاً إذا اليومَ أُلفِى ذا احتِدَام مُذَكَّرا

وما كنتُ أَهوى بعدهمْ مُتَعَلَّلاً بشىءٍ من الدنيا ولا أن أُعَمَّرا

أقولُ ولا واللهِ أَنسى ادِّكارَهمْ سَجِيسَ اللَّيالى أَو أموتَ فأُقْبَرا[(٢)]

على أَهلِ عذراءَ السلامُ مُضاعَفاً من اللهِ وَليُسْق الغمامَ الكَنهْوَرا[(٣)]

ولَاقى بها حُجْرٌ من اللهِ رحمةً فقد كان أَرْضى اللهَ حجرٌ وأَعذَرا

ولا زالَ تَهْطال مُلِثٌّ وديمَــة على قبرِ حُجْرٍ أوينادَى فيُحْشَرا[(٤)]

فيا حُجْرُ مَنْ للخيلِ تُدْمَى نُحُورُها وللمَلِكِ المُغْزِى إذا ما تَغشْمَرا[(٥)]

٢/١٥٠ ومَنْ صادِعٌ بالحقّ بَعدكَ ناطِق بِتَقْوى ومَنْ إن قيلَ بالجَوْرِ غيَّرا

فنِعْم أَخو الإسلامِ كنتَ وإننى لأَطمَعُ أن تُؤْتَى الخلودَ وتُحْـبَرا

وقد كنتَ تعطى السيفَ فى الحربِ حَقَّه وتَعرِفُ مَعرُوفاً وتنكِرُ مُنكَرا

فيا أَخَوَيْنا من هُمَيمٍ عُصِمْتُما ويُسِّرْتُما للصالحاتِ فأَبْشِرا[(٦)]

ويا أَخَوَىَّ الخِندِفِيَّين أَبْشِرا فقد كنتما حُيِّيتُما أَن تُبَشَّرا

ويا إخْوَتا من حضر موتَ وغالبٍ وشيبانَ لُقِّيتُمْ حساباً مُيَسَّرا[(٧)]

(١) ابن الأثير : « وأسبابه ذبان منك فأجمرا » .

(٢) سجيس الليالى ، أى الدهر كله

(٣) مرج عذراء ؛ هو الموضع الذى قتل فيه حجر ؛ والكنهور ، كسفرجل : قطع من السحاب تشبه بالجبال .

(٤) الملث : المطر الدائم .

(٥) ابن الأثير : « المغرى » . والتغشمر : إتيان الأمر من غير تثبت ، أو الظلم .

(٦) ابن الأثير : « وبشرتما بالصالحات » .

(٧) ابن الأثير : « جناباً مبشراً » .

سَعِدْتُم فلم أسمع بأَصوبَ مِنكُمُ حِجاجاً لَدَى الموتِ الجليل وأصبَرا

سأَبكِيكمُ ما لاح نجْم وغَرَّدَ الـ حمامُ بِبَطْن الوادِيَيْنِ وقَرقَرا

فقلتُ ولم أظلم أَغَوْثَ بنَ طيِّئٍ متى كنتُ أخشَى بينكم أن أُسَيَّرا! (١)

هَبِلتُم أَلا قاتَلتُمُ عن أخيكمُ وقد ذَبَّ حتى مال ثم تجَوَّرا (٢)

ففَرَّجتُمُ عنى فغُودِرتُ مُسلَماً (٣) كأَنى غريب فى إِيادٍ وأعصُرا (٤)

فمن لكمُ مِثلِى لدَى كلِّ غـارةٍ ومن لكمُ مثلى إذا البأْسُ أصحرا

ومن لكمُ مثلى إذا الحربُ قلَّصَتْ (٥) وأوضعَ فيها المُسْتَمِيتُ وشَمَّرا

فَها أنا ذا دارِى بأَجبال طيِّئٍ طَرِيدًا ولو شاءَ الإِلهُ لَغيَّرَا

نَفانى عَدُوِّى ظالمًا عن مُهاجَرِى رضيتُ بما شاءَ الإِلهُ وقَدَّرا

وأَسلَمَنى قومى لغيرِ جِنـايةٍ كأَن لم يكونوا لى قَبيلاً ومَعشَرا

فإِنْ أُلْفَ فى دارٍ بأَجبالِ طيِّئٍ (٦) وكان مَعاناً من عُصَيْر ومَحضَرا (٧)

فما كنتُ أخشى أن أُرَى مُتَغَرِّبا لحَا اللهُ من لاحَى عليه وكثَّرا

لحا اللهُ قتلَ الحضرميّين وائلا (٨) ولَاقى الفَنَا من السنان الموفَّرا

ولَاقَى الرَّدَى القومُ الذين تحَزَّبوا علينـا وقالوا قَولَ زُورٍ ومُنكَرا

فلا يَدْعُنى قومٌ لغَوثِ بن طيِّئٍ لأَنْ دَهرُهم أَشقَى بهم وتغيَّرا

١٥١/٢

١٥٢/٢

---

(١) س : « منكم » .

(٢) ابن الأثير : « دث » بالبناء للمجهول ؛ يقال : دث الرجل دثا ، وهو التواء فى جنبه أو بعض جسده من غير داء .

(٣) ابن الأثير : « تفرجتم » .

(٤) ابن الأثير : « من إياد » .

(٥) قلصت ؛ أى قامت واشتعلت ؛ وأصله فى الإبل ؛ يقال : قلصت الإبل فى سيرها ؛ أى شمرت وجدت .

(٦) س : « فإن ألق » .

(٧) المعان : المنزل والمباءة . وعصير ، تصغير عصر .

(٨) ابن الأثير : « قيل الحضرميين » .

فلم أغزُهمْ فى المُعلَمِينَ ولم أُثر ... عليهمْ عَجاجًا بالكُوَيفةِ أكدَرا
فبلِّغ خليلى إن رَحَلتَ مُشرِّقاً ... جَديلةَ والحَيَّيْن مَعْناً وبُحتُرا
ونَبْهانَ والأَفْناءَ من جِذْمِ طَيِّئٍ ... أَلم أكُ فيكمْ ذا الغَناءِ العَشَنزرا [1] !
أَلم تذكروا يومَ العُذَيبِ أَلِيَّتى ... أمامكُمُ ألاَّ أُرَى الدّهرَ مُدبِرا !
وكَرِّى على مِهرانَ والجمعُ حاسرٌ [2] ... وقَتلِى الهُمامَ المُستَميتَ المُسَوَّرا
١٥٣/٢ ويومَ جَلولاءِ الوَقيعةِ لم أُلَمْ [3] ... ويومَ نِهاوَندِ الفُتُوحِ وتُسترَا
وتَنسَونني يومَ الشَّريعةِ والقَنَا ... بصِفّينَ فى أكتافهم قد تَكَسَّرَا
جَزَى ربُّهُ عنى عَدِىَّ بن حاتمٍ ... برَفضى وخِذلانى جزاءً مُوفَّرا
أَتَنسَى بَلائِى سادِرًا يا بنَ حاتِمٍ ... عشيَّةَ ما أغنَت عَدِيُّكَ حِزْمَرا [4] !
فدافَعتُ عنك القومَ حتى تخاذَلوا ... وكنتُ أنا الخَصمَ الأَلَدَّ العَذَوَّرا [5]
فوَلَّوا وما قاموا مقامى كأنَّما ... رأَونى لَيثاً بالأَباءَةِ مُخدِرا [6]
نَصَرتُكمُ إذخامَ القَريبُ وأَبعَطَ الْ ... بَعِيدُ وقد أُفرِدتُ نَصرًا مؤزّرا [7]
فكان جزائى أن أُجَرَّدَ بينكم ... سَجيناً وأن أُولَى الهوانَ وأوسَرا
وكم عِدَةٍ لى منك أنك راجعِى ... فلم تُغنِ بالميعادِ عنِّى حبتَرا [8]
١٥٤/٢ فأَصبحتُ أرعَى النِّيبَ طَورًا وتارةً ... أُهَرْهِرُ إن راعى الشُّوَيهاتِ هرهَرا [9]
كأنِّىَ لم أَركَب جَوادًا لغارةٍ ... ولم أترُكِ القِرنَ الكَمِىَّ مُقَطَّرا [10]

---

(١) العشنزر : العظيم الخلق .
(٢) ابن الأثير : « والجمع جالس » .
(٣) س : « لم أنم » .
(٤) كذا فى ابن الأثير : وفى ط: « حذمرا » .
(٥) العذور : القوى الشديد .
(٦) الأباءة : القصبة ؛ وتكون مأوى للأسود .
(٧) خام : نكص ، والإبعاط : الهرب ، وفى ابن الأثير : خام ، أى نكص .
(٨) الحبتر : الثعلب .
(٩) هرهر بالغنم : دعاها إلى الشرب .
(١٠) هذا البيت والتاليان له فى ياقوت ٦ : ٣٦ ، قال : « سجساس ، بكسر أوله وفتح ثانية وآخره سين مهملة : بلد بين همذان وأبهر » .

ولم أعتَرِض بالسَّيفِ خَيلاً مُغِيرةً إذا النّكسُ مَشَّى القَهقَرَى ثم جَرجَرا
ولم أستحِثّ الركضَ فى إثرِ عُصْبةٍ مُيَمّمةٍ عُليا سِجاسٍ وأبهرَا
ولم أذعرِ الأَبْلامَ منى بغارةٍ كَوِرْدِ القَطا ثم انحدرتُ مُظَفَّرا
ولم أرَ فى خَيلٍ تُطاعِنُ بالقَنَا(١) بقَزوينَ أو شَروِينَ أو أغزُ كُندُرا
فذلك دهرٌ زال عنى حميدُهُ وأصبح لى معروفهُ قد تَنَكَّرا
فلا يَبعَدَنْ قومى وإن كنتُ غائباً(٢) وكنتُ المُضاعَ فيهمُ والمُكَفَّرا
ولا خَيرَ فى الدنيا ولا العيشِ بعدهمْ وإن كنتُ عنهم نائِيَ الدار مُحصَرا

فمات بالجبَلين قبل موت زياد .

١٠٥/٢

وقال عُبَيدة الكِندىّ ثم البدّىّ ، وهو يعيّر محمد بن الأشعث بخذْلانه حُجْراً :

أسلمتَ عمَّك لم تُقاتِلْ دونَهُ فَرَقاً ولولا أنتَ كان مَنيعَا
وقتلتَ وافِدَ آلِ بَيت محمّدٍ وسَلَبتَ أسيافاً له ودُرُوعا
لو كنتَ من أسدٍ عرفتَ كرامتى ورأيتَ لى بيتَ الحُباب شفيعا

* * *

[ذكر استعمال الربيع بن زياد على خراسان]

وفى هذه السنة وجّه زيادٌ الربيعَ بن زياد الحارثىّ أميراً على خُراسان بعد موت الحكم بن عمرو الغِفارىّ ، وكان الحكم قد استَخلف على عمله بعد موته أنسَ بن أبى أناس ، وأنس هو الذى صلى على الحكم حين مات فدُفن فى دار خالد بن عبد الله أخى خُليد بن عبد الله الحنفىّ ، وكتب بذلك الحكم إلى زياد ، فعزَل زيادٌ أنسا ، وولّى مكانه خُليد بن عبد الله الحنفىّ .

(١) ابن الأثير : « تطاعن مثلها » . (٢) ابن الأثير : « وإن كنت عاتباً » .

فحدّثني عمر، قال: حدّثني علىّ بن محمد، قال: لما عزل زيادٌ أنساً وولى مكانَه خُليد بن عبد الله الحنفىّ قال أنسٌ:

أَلا مَن مُبلِغٌ عنى زِيادًا ... مُغَلغَلةً يَخُبُّ بها البَرِيدُ

أَتَعزِلنى وتطعِمُها خُليدًا ... لقد لاقت حَنيفَةُ ما تريدُ

١٥٦/٢ عليكمْ باليمامةِ فاحرُثوها ... فأَوّلُكم وآخرُكم عَبيدُ

فولى خُليداً شهراً ثم عزله، وولى خُراسانَ ربيع بن زياد الحارثى فى أول سنة إحدى وخمسين، فنقل الناسُ عيالاتِهم إلى خُراسان، ووطنوا بها، ثم عزل الربيع.

فحدّثني عمر، قال: حدّثني علىّ، عن مسلمة بن محارب وعبد الرحمن ابن أبان القرشىّ، قالا: قدم الربيع خُراسانَ ففتح بلخ صُلْحًا، وكانوا قد أغلقوها بعد ما صالحهم الأحنف بن قيس، وفتح قُهِستان عنوةً، وكانت بناحيتها أتراك، فقتلهم وهزمهم، وكان ممّن بقى منهم نيزك طَرخان، فقتله قُتيبةُ بن مسلم فى ولايته.

حدّثني عمر، قال: حدّثنا علىّ، قال: غزا الربيع فقطع النهر ومعه غلامه فرّوخ وجاريته شريفةُ، فغنم وسلم، فأعتقَ فرّوخا، وكان قد قطع النّهر قبله الحكَم بن عمرو فى ولايته ولم يفتح.

فحدّثني عمر، عن علىّ بن محمد، قال: كان أوّل المسلمين شرب من النهر مولًى للحكم، اغترف بتُرسه فشرب، ثم ناولَ الحكم فشرب، وتوضأ وصلى من وراء النهر ركعتين، وكان أوّل الناس فعلَ ذلك، ثم قفَل.

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة يزيدُ بن معاوية؛ حدّثني بذلك أحمدُ بن ثابت عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبى معشر، وكذلك قال الواقدىّ.

وكان العاملَ فى هذه السنة على المدينة سعيدُ بن العاص، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق كله زياد، وعلى قضاء الكوفة شُريح، وعلى قضاء البصرة عميرة بن يثربىّ.

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين

فزعم الواقديّ أنّ فيها كانت غزوة سُفْيان بن عوف الأزديّ ، ومشتاه بأرض الرّوم ، وأنه توفّى بها ، واستخلف عبد الله بن مسعدة الفزاريّ .

وقال غيره : بل الذى شتا بأرض الروم فى هذه السنة بالناس بُسْر بن أبى أرْطاةَ ، ومعه سُفْيان بن عوف الأزدّى ، وغزا الصائفة فى هذه السنة محمد بن عبد الله الثّقَفىّ .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة سعيدُ بنُ العاص فى قول أبى معشر والواقدىّ وغيرِهما .

وكانت عمّال الأمصار فى هذه السنة هم العمّال عليها كانوا فى سنة إحدى وخمسين .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مَشتَى عبد الرحمن بن أمّ الحكَم الثقفىّ بأرض الرّوم .

وفيها فتحت رُودُس، جزيرة فى البحر ، ففتحها جُنادة بن أبى أميّة الأزْدىّ ، فنزلها المسلمون – فيما ذكر محمد بن عمر – وزَرَعوا واتّخذوا بها أموالاً ومواشىَ يرْعَوْنها حولَها ، فإذا أمسَوْا أدخلوها الحصن، ولهم ناطورٌ[1] يحذّرهم ما فى البحر ممن يريدهم بكَيْد ، فكانوا على حَذَرٍ منهم ، وكانوا أشدّ شىء على الرّوم ، فيعترضونهم فى البحر فيقطعون سفنَهم ، وكان معاوية يُدِرّ لهم الأرزاق والعطاء ، وكان العدوّ قد خافهم ، فلما مات معاوية أقفلهم يزيدُ بن معاوية.

* * *

١٥٨/٢ وفيها كانت وفاةُ زياد بن سُميّة ؛ حدّثنى عمر، قال : حدّثنا زهير، قال : حدّثنا وهيب، قال : حدّثنى أبى ، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن الزّبير ، عن فيل مولَى زياد ، قال : ملك زياد العراقَ خمسَ سنين ، ثم مات سنة ثلاث وخمسين .

حدّثنى عمر، قال، حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : لما نزل زياد على العراق بقِىَ إلى سنة ثلاث وخمسين، ثم مات بالكوفة فى شهر رمضانَ وخليفته على البصرة سَمُرة بن جندَب.

* * *

ذكر سبب مهلك زياد بن سُمَية

حدّثنى عبد الله بن أحمدَ المروزىّ ، قال : حدّثنا أبى ، قال حدثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله بن المبارك ، قال: أخبرنى عبدُ الله بن شَوْذب، عن كثير بن زياد، أنّ زياداً كتب إلى معاوية : إنى ضبطت العراقَ بشِمالى،

---

(١) الناطور : حافظ الزرع والتمر والكرم .

ويميني فارغة . فضمّ إليه معاوية العَرُوض — وهى اليمامة وما يليها — فدعا عليه ابن عمَر ، فطُعِن ومات . فقال ابن عمرَ حين بلغه الخبر : اذهبْ إليك ابنَ سُميّة ، فلا الدّنيا بقيَتْ لك ، ولا الآخرةَ أدركتَ .

حدثني عمر ، قال : حدثني عليّ ، قال : كتب زيادٌ إلى معاوية : قد ضبطتُ لكَ العِراق بشمالى ويَميني فارغة ، فاشغلها بالحجاز ، وبعث فى ذلك الهيثم بن الأسوَد النخعىّ ، وكتب له عهدَه مع الهَيْثم ، فلما بلغ ذلك أهل الحجاز أتى نفر منهم عبدَالله بن عمَر بن الخطاب ، فذكروا ذلك له ، فقال : ادعوا الله عليه يَكفِيكموه ، فاستقْبَل القبلةَ واستقبلوها فدَعوا ودعا ، فخرجت طاعونةٌ على أصبعه ، فأرسل إلى شريح — وكان قاضيَه — فقال : حَدَث بى ما تَرَى ، وقد أمِرْت بقطعها ، فأشِرْ علىّ ؛ فقال له شُريح : إنى أخشى أن يكون الجِراح على يدك ، والألمُ على قلبك ، وأن يكون الأجلُ قد دنا ، فتلقَى اللهَ عزّ وجلّ أجْذَم ، وقد قطعْتَ يدَكَ كراهيةً للقائه[1] ، أو أن يكون فى الأجل تأخير وقد قطعتَ يدكَ فتعيش أجذَمَ وتُعيّر ولدك . فتركها ؛ وخرج شريح فسألوه ، فأخبَرَهم بما أشار به ، فلامُوه وقالوا : هلاّ أشرتَ عليه بقطعها ! فقال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « المستشار مؤتمَن » .

حدّثنى عبد الله بن أحمد المروزىّ ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : قال عبد الله : سمعتُ بعضَ مَن يحدّث أنه أرسل إلى شُريح يستشيره فى قطع يده ، فقال : لا تفعل ؛ إنك إن عشتَ صرتَ أجذَمَ ، وإن هلكتَ إيّاك جانياً على نفسك ، قال : أنام والطاعون فى لحاف ! فعزم أن يفعل ، فلما نظر إلى النار والمكاوى جزِع وترك ذلك .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا عبد الملك بن قُرَيب الأصمعىّ ، قال : حدّثنى ابن أبى زياد ، قال : لما حضرتْ زياداً الوفاةُ قال له ابنه : يا أبتِ ، قد هيّأت لك ستين ثوباً أكفّنك فيها ؛ قال : يا بنىّ ، قد دنا من أبيك

١٥٩/٢

---

(١) ابن الأثير : « كراهية لقائه » .

لباسٌ خيرٌ من لباسِه هذا، أو سلبٌ سريع ؛ فمات فدُفن بالثُّويَّة إلى جانب الكوفة ، وقد توجه يزيد إلى الحجاز واليًا عليها ، فقال مسكين بن عامر بن شُريح بن عَمرو بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم :

٢/١٦٠ رَأَيتُ زيادَةَ الإسلامِ وَلَّتْ جِهارًا حينَ ودَّعَنا زيادُ

وقال الفرزدق لمِسكين — ولم يكن هجا زياداً حتى مات :

أَمِسْكِينُ أبكى الله عيْنَك إنما جَرَى فى ضلالٍ دَمعُها فَتَحَدَّرَا
بَكيْتَ امرأً مِن آلِ مَيْسانَ كَافِرًا كَكِسرى على عِدّانه أو كقَيْصَرا
أَقولُ له لمّا أَتانى نَعِيُّهُ به لا بِظَبْيٍ بالصَّريمةِ أَعْفَرا

فأجابه مسكين ، فقال :

أَلا أَيُّها المرءُ الذى لَسْتُ ناطقاً ولا قاعِدًا فى القوم إلا انبَرَى لِيَا
فجِئنِى بِعَمٍّ مِثْلِ عمّىَ أو أَبٍ كمثْلِ أَبى أو خالِ صدْقٍ كخاليا
كعَمْرِو بن عمرٍو أو زُرارةَ والدًا أوِ البِشْرِ من كلٍّ فَرَعتُ الرَّوابيا
وما زال بى مِثْلُ القَناةِ وسابحٍ وخَطَّارةٍ غِبَّ السُّرَى مِن عياليا
فهذا لأَيَّام الحِفاظِ وهذِهِ لِرَحْلِى وهذا عُدَّة لارتحاليا !

٢/١٦١ وقال الفرزدق :

أَبلغ زِيادًا إذا لاقَيْتَ مَصْرَعَهُ أَنَّ الحمامة قد طارت من الحَرَمِ
طارَت فما زال يَنْمِيهَا قَوادِمُها حتى اَستَغاثتْ إلى الأَنهار والأَجَمِ

حدّثنى عبدُ الله بن أحمد، قال : حدّثنى أبى ، عن سليمان، قال : حدّثنى عبد الله ، عن جَرير بن حازم ، عن جرير بن يزيد ، قال : رأيت زياداً فيه حُمرةٌ ، فى عينه اليمنى انكسار ، أبيض اللحية مخروطها ، عليه قميص مرقوع ، وهو على بغلة عليها لجامُها قد أرسنها .

[ذكر الخبر عن وفاة الربيع بن زياد الحارثىّ]

وفى هذه السنة كانت وفاةُ الرّبيع بن زِياد الحارثىّ ، وهو عامل زِياد على خُراسان .

ذكر الخبر عن سبب وفاته :

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : وَلِيَ الربيعُ بنُ زياد خُراسانَ سنتين وأشهراً ، ومات فى العام الذى مات فيه زياد ، واستُخلف ابنُه عبدُالله بن الربيع ، فولِيَ شهرين ، ثم مات عبدُالله . قال : فقدم عهده من قِبل زياد على خُراسانَ وهو يُدفن ، واستَخلف عبدُالله بن الربيع على خُراسان خُليدَ بن عبد الله الحنفىّ .

قال علىّ : وأخبرنى محمد بن الفضل ، عن أبيه ، قال : بلغنى أنّ الرّبيع ابن زياد ذكر يوماً بخُراسان حُجْرَ بن عدىّ ، فقال : لا تزال العرَب تُقتل صبراً بعدَه ، ولو نفرتْ عند قتله لم يُقتل رجل منهم صبْراً ، ولكنها أقرّت فذلّت ، فمكث بعد هذا الكلام جمعةً ، ثم خرج فى ثياب بياض فى يوم جمعة ، فقال : أيّها الناس ، إنى قد مَلِلتُ الحياة ، وإنى داعٍ بدعوة فأمّنوا. ثم رفع يده بعد الصلاة ، وقال : اللهمّ إنْ كان لى عندك خيرٌ فاقبِضنى إليك عاجلاً . وأمّن الناسُ فخرج ، فما توارتْ ثيابُه حتى سقط فحُمل إلى بيته ، واستُخلفَ ابنهُ عبدُالله ، ومات من يومه ، ثم مات ابنه ، فاستخلف خليدُ بن عبد الله الحنفىّ ، فأقره زياد ، فمات زياد وخُلَيد على خُراسان ، وهلك زياد وقد استَخلف على عمله على الكوفة عبدَالله بن خالد بن أسيد ، وعلى البصرة سَمُرة بن جُندب الفَزارىّ . ١٦٢/٢

فحدثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنى علىّ ، قال : مات زياد وعلى البصرة سَمُرة بن جُندب خليفة له ، وعلى الكُوفة عبدُالله بن خالد بن أسيد ، فأقرّ سَمُرَة على البصرة ثمانية عشر شهراً .

قال عمر : وبلَغنى عن جعفر بن سليمان الضبعىّ ، قال : أقرّ معاوية سَمُرة بعد زياد ستة أشهر ، ثم عزَله ، فقال سَمُرة : لعن الله معاوية! والله لو أطعتُ اللهَ كما أطعتُ معاوية ما عذّبنى أبداً .

حدّثني عمر، قال: حدّثني موسى بن إسماعيل، قال: حدّثني سليمان ابن مسلم العِجليّ، قال: سمعتُ أبي يقول: مررت بالمسجد، فجاء رجلٌ إلى سَمُرة فأدّى زَكاة ماله، ثم دخل فجعل يصلي في المسجد، فجاء رجل فضرب عنقَه، فاذا رأسُه في المسجد، وبدنُه ناحيةً، فمرّ أبو بكْرة، فقال: يقول الله سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾[1]، قال أبي: فشهدتُ ذاك، فما مات سَمُرة حتى أخذه الزَّمْهرير، فمات شرّ ميتة، قال: وشهدته وأُتِيَ بناسٍ كثير وأُناس بين يديه فيقول للرجل: ما دينُك؟ فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه وأني بريءٌ من الحَرورِيّة، فيقدَّم فيُضرَب عنقه حتى مرّ بضعةٌ وعشرون.

١٦٣/٢

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة سعيدُ بن العاص في قول أبي معشر الواقديّ وغيرِهما.

وكان العامل فيها على المدينة سعيدَ بن العاص، وعلى الكوفة بعد موت زِياد عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى البصرة بعد موت زياد سَمُرة بن جندب، وعلى خُراسانَ خُلَيد بن عبد الله الحنفيّ.

---

(١) سورة الأعلى: ١٤، ١٥.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مَشتَى محمد بن مالك أرضَ الرّوم ، وصائفة مَعْن بن يزيد السُّلَمىّ .

وفيها – فيما زعم الواقدىّ – فتَحَ جُنادةُ بن أبى أميّة جزيرةً فى البحر قريبةً من قُسْطنطينيّة يقال لها أرْواد[1] .

وذكر محمد بن عمرَ أنّ المسلمين أقاموا بها دهْرًا ، فيما يقال سبع سنين ، وكان فيها مجاهد بن جَبْر . قال : وقال تُبَيع ابنُ امرأةِ كعب : تروْن هذه الدرجة ؟ إذا انقلعت جاءت قفْلتنا . قال : فهاجَتْ ريحٌ شديدة فقلعتْ الدرّجة ، وجاء نعيّ معاوية وكتاب يزيد بالقَفْل فقفَلْنا ، فلم تَعْمُرْ بعد ذلك وخَرِبت ، وأمِن الروم .

* * *

[ذكر عزل سعيد بن العاص عن المدينة واستعمال مروان]

وفيها عزَل معاويةُ سعيدَ بن العاص عن المدينة ، واستعملَ عليها مَرْوانَ بنَ الحكم. ١٦٤/٢

* ذكر سبب عزل معاوية سعيداً واستعمال مَرْوان :

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، عن جُوَيرة بن أسماء ، عن أشياخه ، أنّ معاوية كان يُغرِى بين مرْوان وسعيد بن العاص ، فكتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة : اهدِم دارَ مَرْوان ؛ فلم يَهدِمْها ، فأعاد عليه الكتابَ بهدمها ، فلم يَفعل ، فعزَلَه وولّى مروان .

* * *

وأما محمد بن عمر ؛ فإنه ذكر أنّ معاوية كتب إلى سعيد بن العاص يأمره بقبض أموالِ مروانَ كلّها فيجعلَها صافيةً ، ويقبضَ فدَكَ منه – وكان

(١) س : « أرواده » .

وهبها له ، فراجَعَه سعيد بن العاص فى ذلك ، وقال : قرابتُه قريبة . فكتب إليه ثانية يأمره باصطفاء أموالِ مَرْوان ، فأبى ، وأخذ سعيد بن العاص الكتابَيْن فوضعهما عند جارية ، فلما عُزِل سعيد عن المدينة فولِيهَا مروان ، كتب معاويةُ إلى مَرْوانَ بن الحكم يأمره بقبض أموالِ سعيد بن العاص بالحجاز ، وأرسل إليه بالكتاب مع ابنه عبد الملك ، فخبّره أنه لو كان شيئًا غير كتاب أمير المؤمنين لتجافيتُ ، فدعا سعيدُ بن العاص بالكتابيْن اللّذَين كتب بهما معاويةُ إليه فى أموال مَرْوانَ يأمره فيهما بقبض أموالِه ، فذهب بهما إلى مَرْوان، فقال : هوَ كان أوصَلَ لنا مِنّا له ! وكفّ عن قبض أموالِ سعيد .

وكتب سعيدُ بن العاص إلى معاوية: العَجبُ مما صنع أمير المؤمنين بنا فى قَرابتنا ، أن يُضْغِن بعضَنا على بعض ! فأمير المؤمنين فى حِلمه وصبره على ما يكره من الأجنبيْن[(١)] ، وعفوه وإدخاله القطيعة بيننا والشحناء، وتوارث الأولاد ذلك ، فوالله لو لم نكن بنى أب واحد إلاّ بما جمعنا الله عليه من نَصْر الخليفة المظلوم ، واجتماع كلِمتنا ، لكان حقًّا علينا أنْ نَرعَى ذلك ، والذى أدركنا به خير . فكتب إليه يتنصّل من ذلك، وأنه عائدٌ إلى أحسن ما يَعهَدَه.

٢/١٦٥

* * *

عاد الحديث إلى حديث عمر ، عن علىّ بن محمد ، قال : فلما ولّى مَرْوان كتب إليه : اِهدِم دارَ سعيد ، فأرسل الفَعَلَة ، ورَكِب ليهدمَها ، فقال له سعيد : يا أبا عبد الملك ، أتهدم دارِى ! قال : نعم ، كتب إلىّ أميرُ المؤمنين ، ولو كتب فى هدم دارى لفعلتَ ؛ قال : ما كنتُ لأفعلَ ؛ قال : بلى ، واللهِ لو كتب إليك لهدمتَها ، قال : كلاّ أبا عبد الملك . وقال لغلامه : انطلِق فجئنى بكتاب معاوية ؛ فجاء بكتاب معاوية إلى سعيد بن العاص فى هدم دار مَروانَ بن الحكم ، قال : مَروانُ كَتَبَ إليك يا أبا عثمانَ فى هدم دارى، فلم تَهْدم ولم تُعلمِنى . قال: ما كنتُ لأهدمَ دارَك ، ولا أمُنّ[(٢)] عليك ؛ وإنما أراد معاوية أن يحرّض بيننا ، فقال

(١) كذا فى س ، وفى ط : « الأخبثين » .

(٢) س : « ولا آمن » .

مَرْوان : فِداك أبى وأمىّ ! أنت والله أكثرُ منا ريشًا[١] وعَقَبًا . ورجع مروانُ ولم يَهدِم دارَ سعيد .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال: حدّثنا أبو محمد بن ذَكْوان القرشىّ ، قال : قدم سعيد بن العاص على معاوية، فقال له : يا أبا عثمان ، كيف تركتَ أبا عبد الملك ؟ قال : تركتُه ضابطًا لعَمِلك ، منفِذاً لأمرك . ١٦٦/٢ قال : إنه كصاحب الخُبْزة كُفِىَ نُضجَها فأكلَها ، قال : كلاّ ، واللهِ يا أمير المؤمنين ، إنه لمع قوم لا يُحمَل بهم السوط ، ولا يحلّ لهم السيف ، يتهادَوْن كوَقْع النَّبل ، سهمٌ لك وسهمٌ عليك ؛ قال : ما باعدَ بينك وبينه ؟ قال : خافنى على شرَفه ، وخِفْتُه على شرفى ، قال : فماذا له عندَك ؟ قال : أسُرّه غائبًا ، وأسُرّه شاهداً ؛ قال : تركتَنا يا أبا عثمان فى هذه الهَنات ؛ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فتحمّلتُ الثِّقَل ، وكفيتُ الحزم ، وكنتُ قريبًا لو دعوتَ أجبتُ ، ولو ذهبتَ رفعتُ .

* * *

وفى هذه السنة كان عزل معاويةَ سَمُرة بن جُنْدب عن البصرة ، واستعمل عليها عبدَالله بن عمرو بن غيلان . فحدثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد قال : عزل معاويةُ سمرةَ وولى عبدَالله بن عمرو بن غيْلان ، فأقرّه ستة أشهر ، فولى عبدُ الله بن عمرو شرطتَه عبد الله بن حِصْن .

* * *

[ذكر تولية معاوية عبيدالله بن زياد على خراسان]

وفى هذه السنة ولى معاويةُ عبيدَالله بن زِياد خُراسان .

* ذكر سبب ولاية ذلك :

حدّثنى عمر ؛ قال: حدّثنى علىّ بن محمد ، قال: حدّثنا مسلمة[٢] بن محارب ومحمد بن أبَان القرشىّ ، قالا : لما مات زيادٌ وفد عُبيد الله إلى معاوية فقال له : مَن استخلَفَ أخى على عمله بالكُوفة ؟ قال : عبدَالله بن خالد

(١) س : « نسبا » .
(٢) ط : « سلمة » ، وانظر الفهرس .

ابن أسيد ؛ قال : فمَن استعمل على البَصرة؟ قال : سَمُرةَ بن جُندب الفَزارىّ ، فقال له معاوية : لو استعملك أبوك استعملتك ، فقال له عبيدالله : ١٦٧/٢ أنشُدك الله أن يقولها إلىّ أحدٌ بعدَك : لو ولّاك أبوك وعمّك لولّيتك !

قالا : وكان معاوية إذا أراد أن يولّى رجلاً من بنى حرْب ولّاه الطائف ، فإن رأى منه خيراً وما يعجبه ولّاه مكة معها ، فإن أحسن الولايةَ وقام بما وُلّىَ قياماً حسناً جمع له معهما المدينةَ ، فكان إذا ولى الطائف رجلا قيل : هو فى أبى جاد[1] ، فإذا ولّاه مكة قيل : هو فى القرآن ، فإذا ولّاه المدينة قيل : هو قد حذَق .

قالا : فلما قال عبيد الله ما قال ولّاه خُراسان ، ثم قال له حين ولّاه : إنى قد عهدتُ إليك مِثل عهدى إلى عمّالى ، ثم أوصيك وصيّة القرابة لخاصّتك عندى : لا تبيعنّ كثيراً بقليل ، وخذْ لنفسك من نفسِك ، واكتفِ فيما بينك وبين عدوّك بالوفاء تخفّ عليك المؤونة وعلينا منك ، وافتح بابَك للناس تكن فى العلم منهم أنت وهم سواء ، وإذا عزمتَ على أمر فأخرجه إلى الناس ، ولا يكن لأحد فيه مَطمَع ، ولا يرجعنّ عليك وأنت تستطيع ، وإذا لقيت عدوّك فغلَبوك على ظهر الأرض فلا يَغلبوك على بطنها ، وإن احتاج أصحابُك إلى أن تؤاسيَهم بنفسِك فآسِهِم .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ ، قال: أخبرنا علىّ بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، قال : استعمل معاويةُ عبيدَالله بن زياد وقال :

* استمسك الفَسْفاسَ إن لم يقطع *

وقال له : اتقّ الله ولا تؤثرنّ على تقوى الله شيئاً ، فإن فى تقواه عوَضاً ، ١٦٨/٢ وقِ عِرْضَك[2] من أن تُدنّسه ، وإذا أعطيتَ عهداً فَفِ به ، ولا تبيعنّ كثيراً بقليل ، ولا تُخرِجنّ منك أمراً حتى تُبرِمَه ، فإذا خرج فلا يُردنّ عليك ، وإذا لقيت عدوّك فكن أكثرَ من معك ، وقاسمهم على كتاب الله ،

(١) فى أبى جاد ، أى فى أول الأمر .
(٢) ابن الأثير : «ووفر عرضك» .

ولا تطمعنّ أحداً فى غير حقه، ولا تؤيسنّ أحداً من حقّ له . ثم وَدَّعَه .

حدّثنى عمر، قال: حدّثنا علىّ، قال: حدّثنا مسلمة، قال: سار عبيد الله إلى خُراسانَ فى آخر سنة ثلاث وخمسين وهو ابن خمس وعشرين سنة من الشأم وقدم إلى خُراسان أسلمُ بن زُرْعة الكلابىّ، فخرج، فخرج معه من الشأم الجعْد بن قيس النَّمَرىّ يَرجُز بين يديه بمرثية زياد يقول فيها:

وحدّثنى عمرُ مرّة أخرى فى كتابه الذى سمّاه كتاب «أخبار أهل البصرة»، فقال: حدّثنى أبو الحسن المدائنىّ قال: لما عقد معاويةُ لعبيد الله بن زياد على خُراسان خرج وعليه عِمامةٌ — وكان وَضيئا — والجعْد بن قيس يُنشِده مَرْثِيَة زياد:

أبْقِ علىَّ عاذلِى من اللَّوْمْ ... فيما أُزِيلتْ نِعْمَتِى قبلَ اليوْمْ

قَدْ ذَهَبَ الكَريمُ والظِّلُّ الدَّوْمْ ... والنَّعَمُ المُؤَثَّلُ الدَّثْرُ الْحَوْمْ

والماشِياتُ مَشْيَةً بعدَ النَّوْمْ ... لَيْتَ الجيادَ كلَّها مع القوْمْ

سُقِينَ سُمَّ ساعةٍ قَبْلَ اليوْمْ ... لأَربَع مَضيْنَ من شهرِ الصَّوْمْ

١٦٩/٢

ومنها:

يَوْمُ الثلاثاءِ الذى كان مضَى ... يَوْمٌ قَضَى فيه المَليكُ ما قَضَى

وفاةَ بَرٍّ ماجِدٍ جَلْدِ القوَى ... حَرٍّ بِهِ نَوالُ جَعدٍ والنَّطَى

كان زيادٌ جَبَلاً صعْبَ الذرَى ... شَهْمًا إذا شئتُمْ نقيصاتِ أبَى

* لا يُبْعِدِ اللهُ زِيادًا إذْ ثَوى *

وبكى عُبيد الله يومئذ حتى سقطتْ عمامته عن رأسه؛ قال: وقَدِم عُبيد الله خُراسانَ ثم قطع النهر إلى جبال بُخارَى على الإبل، فكان هو أوّل مَن قطع إليهم جبالَ بُخارَى فى جند، ففتح رامِيثَنْ[1] ونصف بَيْكَنْد — وهما من بخارى — فمِن ثمّ أصاب البخاريّة.

قال علىّ: أخبرَنا الحسن بن رشيد، عن عمّه، قال: لقى عُبيد الله بن

(١) رامثين: قرية ببخارى.

زِياد التُّركَ ببُخارى ومع مَلِكِهم امرأته قبج خاتون، فلما هزمهم الله أعجلوها عن لبس خُفَّيْها ، فلبست أحدهما وبقى الآخر ، فأصابه المسلمون، فقُوِّم[1] الجَوْرَبُ بمائتى ألف درهم .

٢/١٧٠ قال : وحدّثنى محمد بن حفص ، عن عُبيد الله بن زياد بن معمر ، عن عُبادة بن حصن، قال: ما رأيت أحداً أشدّ بأساً من عُبيد الله بن زياد ، لقِيَنا زحفٌ من الترك بخُراسان ، فرأيته يقاتل فيَحمِل عليهم فيَطعن فيهم ويغيب عنا ، ثمّ يرفع رايته تَقطُر دماً .

قال علىّ : وأخبرَنا مَسلمة أن البخاريّة الذين قدم بهم عُبيد الله بن زياد البَصرة ألفان ، كلّهم جيّدُ الرّمىِ بالنُّشّاب .

قال مسلمة : كان زحفُ الترك ببُخارى أيامَ عُبيد الله بن زياد من زُحوف خُراسان التى تُعَدّ ؛ قال : وأخبرَنا الهُذَلىُّ ، قال : كانت زُحوفُ خُراسانَ خمسةً: أربعة لقيَها الأحنف بن قيس؛ الذى لقيه بين قُهِستان وأبرَشهر ، والزّحوف الثلاثة التى لقيَها بالمَرْغاب ، والزّحف الخامس زَحْف قارِن ، فَضَّه عبد الله بنُ خازم .

قال علىّ : قال مسلمة : أقام عُبيد الله بنُ زياد بخُراسانَ سنتين .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة مَروانُ بن الحكَم ، كذلك حدّثنى أحمد ابن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ وغيرُه .

وكان على المدينة فى هذه السنة مَرْوانُ بن الحَكَم، وعلى الكوفة عبد الله خالد بن أسيد ؛ وقال بعضهم : كان عليها الضّحاك بن قيس ، وعلى البصرة عبدُ الله بن عَمرو بن غَيْلان .

---

(١) س : « فقوموا » .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين

ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مَشتَى سُفْيان بن عوف الأزدىّ بأرض الرّوم ١٧١/٢
فى قول الواقدىّ .

وقال بعضهم : بل الذى كان شتَا بأرض الرُّوم فى هذه السنة عَمرو
ابنُ محرز .

وقال بعضهم : بل الذى شتَا بها عبدُالله بن قيس الفَزارىّ .

وقال بعضهم : بل ذلك مالكُ بن عبد الله .

وفيها عزَل معاويةُ عبدَالله بن عَمرو بن غَيْلانَ عن البَصرة وولّاها
عُبيد الله بنَ زياد .

* * *

ذكر الخبر عن سبب عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان وتوليته عبيد الله البصرة

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا الوليد بن هشام وعلىّ بن محمد — قال : واختلفا
فى بعض الحديث — قالا : خطب عبدُالله بنُ عَمرو بن غيْلاَن على مِنبر
البَصرة ، فَحصَبه رجل من بنى ضَبّة — قال عمر : قال أبو الحسن : يُدعَى
جبيرَ بن الضحاك أحد بنى ضِرار — فأمَر به فقُطعتْ يده ، فقال :

السمعُ والطاعَةُ والتسليمْ خَيرٌ وأعفى لبنى تميمْ

فأتتْه بنو ضَبّة ، فقالوا : إنّ صاحبنا جَنَى ما جنى على نفسه ، وقد بالغَ
الأميرُ فى عقوبته ، ونحن لا نأمن أن يَبلُغ خبرُه أميرَ المؤمنين ، فيأتى من
قِبله عقوبة تخصّ أو تَعمّ ، فإنْ رأى الأميرُ أن يكتب لنا كتابًا يخرج

١٧٢/٢

به أحدنا إلى أمير المؤمنين يُخبره أنه قطعه على شُبْهة وأمر لم يَضِحْ[1] ، فكتب لهم بعد ذلك إلى معاوية ، فأمسكوا الكتاب حتى بلغ رأس السنة — وقال أبو الحسن : لم يَزِد على ستة أشهر — فوجّه إلى معاوية ، ووافاه الضَّبّيون ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنه قطع صاحبنا ظلماً ، وهذا كتابُه إليك ، وقرأ الكتاب ، فقال : أما القَوَد من عمّالى فلا يصحّ ، ولاسبيل إليه ، ولكن إن شئتم ودَيْتُ صاحبَكم ؛ قالوا : فَدِه ؛ فوَدَاه من بيت المال ، وعزَل عبدَالله ، وقال لهم: اختاروا مَن تحبون أن أولّىَ بلدَكم ؛ قالوا : يتخيّر لنا أميرُ المؤمنين ، وقد علم رأىَ أهل البَصرة فى ابن عامر ؛ فقال : هل لكم فى ابن عامر ؟ فهو مَن قد عرفتم فى شرفه وعفافه وطهارته ، قالوا : أميرُ المؤمنين أعلمُ ، فجعل يُردّد ذلك عليهم ليَسْبُرَهم[2] ، ثم قال : قد ولّيت عليكم ابنَ أخى عُبيد الله بن زياد .

قال عمر : حدّثنى علىّ بن محمد، قال: عزَل معاويةُ عبدَالله بن عمرو وولى عُبيدَالله بن زياد البصرة فى سنة خمس وخمسين وولى عبيد الله أسلم ابن زُرْعة خُراسان فلم يغزُ ولم يفتح بها شيئاً ، وولّى شُرَطه عبدَالله بن حصن ، والقَضاءَ زُرارةَ بن أوفى ثم عزَله ، وولى القضاءَ ابن أذينة العبدىّ .

* * *

وفى هذه السنة عزل معاويةُ عبدَالله بن خالد بن أسيد عن الكُوفة وولّاها الضحّاك بن قيس الفِهْرىّ .

وحجّ بالناس فى هذه السنة مَروانُ بنُ الحكَم ؛ حدّثنى بذلك أحمدُ ابن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

---

(١) ابن الأثير : « يتضح » .
(٢) س : « ليسيرهم » . ويسبرهم : يختبرهم ويمتحنهم .

ثم دخلت سنة ست وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مَشتَى جُنادة بن أبى أميّة بأرض الرّوم؛ وقيل : عبدالرحمن ابن مسعود .

وقيل غزا فيها فى البحر يزيد بن شَجَرة الرّهاوىّ ، وفى البرّ عِياض ابن الحارث .

* * *

وحجّ بالناس – فيما حدّثنى أحمد بن ثابت عمن حدّثه ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبى معشر – الوليد بن عُتبة بن أبى سُفْيان .

وفيها اعتَمَر معاوية فى رجب .

* * *

[ذكر خبر البيعة ليزيد بولاية العهد]

وفيها دعا معاويةُ الناسَ إلى بيعة ابنه يزيدَ من بعده ، وجعله ولِىّ العهد[1] .

* ذكر السبب فى ذلك :

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : حدّثنا أبو إسماعيل الهمْدانىّ وعلىّ بن مجاهد ، قالا : قال الشعبىّ : قَدِم المغيرةُ على معاويةَ واستعفاه وشكا إليه الضَّعف ، فأعفاه ، وأراد أن يولّىَ سعيدَ بن العاص ، وبلغ كاتب المغيرة ذلك ، فأتى سعيدَ بن العاص فأخبرَه وعنده رجل من أهل الكوفة يقال له ربيعة – أو الربيع – من خُزاعة ، فأتى المغيرة فقال : يا مغيرة ، ما أرى أميرَ المؤمنين إلاّ قد قَلاك ، رأيتُ ابن خُنَيس كاتبَك عند سعيد ابن العاص يخبره أنّ أمير المؤمنين يولّيه الكوفة ، قال المغيرة : أفلا يقول كما قال الأعشى :

---

(١) س : « عهده » .

١٧٤/٢ أَمْ غابَ رَبُّكَ فاعْتَرَتْكَ خَصاصةٌ ولعلّ ربّك أن يعودَ مؤيِّدَا

رُوَيْداً ! ادخُل على يزيد ؛ فدخل عليه فعرّض له بالبيعة ، فأدّى ذلك يزيد إلى أبيه ، فردّ معاوية المغيرة إلى الكوفة ، فأمره أن يعمل فى بيعة يزيد ، فشَخَص المغيرة إلى الكوفة ، فأتاه كاتبُه ابن خُنَيْس ، فقال : والله ما غششْتك ولا خُنْتُك ، ولا كرهتُ ولايتَك ، ولكنّ سعيداً كانت له عندى يَدٌ وبلاء ، فشكرتُ ذلك له ، فرضىَ عنه وأعاده إلى كتابته ، وعَمِل المغيرةُ فى بيعة يزيد ، وأوفد فى ذلك وافداً إلى معاوية .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا علىّ ، عن مَسلَمة ، قال : لما أراد معاوية أن يبايع ليزيدَ كتب إلى زياد يستشيره ، فبعث زياد إلى عبيد بن كعب النُّميرىّ ، فقال : إنّ لكلّ مستشير ثقة ، ولكلّ سرٍّ مستودَع ، وإنّ الناس قد أبدعت[١] بهم خَصْلتان : إذاعة السرّ ، وإخراج النصيحة إلى غير أهلها ، وليس موضع السرّ إلّا أحد رجلين : رجلُ آخرة يرجو ثوابًا ، ورجل دُنْيا له شَرَف فى نفسه وعَقْل يصون حَسَبه ، وقد عجمْتُهما منك ، فأحمدت الذى قِبَلَك ، وقد دعوتُك لأمر اتّهمتُ عليه بطونَ الصّحُف ؛ إنّ أميرَ المؤمنين كتب إلىّ يزعم أنه قد عزم على بيعة يزيد ، وهو يتخوّف نَفْرةَ الناس ، ويرجو مطابقَتهم ، ويستشيرنى ، وعَلاقةُ أمرِ الإسلام وضمانُه عظيم ، ويزيد صاحبُ رَسْلَة وتهاون ، مع ما قد أولِع به من الصيد ، فالقَ أمير المؤمنين

١٧٥/٢ مؤدّيًا عنى ؛ فأخبره عن فَعَلات يزيد ؛ فقال له : رُوَيْدَك بالأمر ، فأقْمَنُ[٢] أن يتمّ لك ما تريد ، ولا تَعجَل فإنّ دَرَكاً فى تأخير خيرٌ من تعجيل عاقبتُه الفَوْت[٣] . فقال عُبيد له : أفلا غير هذا ! قال : ما هو ؟ قال : لا تُفسِد على معاويةَ رأيَه ، ولا تمقّت إليه ابنَه ، وألقَى أنا يزيدَ سرًّا من معاوية فأخبِره عنك أنّ أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك فى بيعته ،

---

(١) أبدعت بهم خصلتان ، أى أضر بهم .
(٢) س : « فلعل » .
(٣) س : « الموت » .

وأنك تخوَّفُ خلاف الناس لهنَاتٍ ينقِمونها عليه، وأنّك ترى له ترك ما يُنقَمُ عليه، فيستحكم لأمير المؤمنين الحجّة على الناس، ويسهل لك ما تريد، فتكونَ قد نصحت يزيد وأرضيتَ أميرَ المؤمنين؛ فسلِمت مما تخاف من علاقة أمر الأمّة. فقال زياد: لقد رميت الأمر بحَجَرِه، اشخَص على بركة الله، فإن أصبت فما لا ينكر، وإن يكن خطأً فغير مستغَش[1] وأبْعَدَ بك إن شاء الله من الخطإ، قال: تقول بما ترى، ويقضي الله بغيبِ ما يَعلَم. فقدم على يزيدَ فذاكره ذلك. وكتب زياد إلى معاوية يأمره بالتؤدة، وألّا يَعجَل، فقبل ذلك معاوية، وكفّ يزيد عن كثير مما كان يصنع، ثم قدم عُبيد على زياد فأقطعه قطيعة.

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا عليّ، قال: لما مات زياد دعا معاويةُ بكتابٍ فقرأه على الناس باستخلاف يزيد، إن حدَث به حدثُ الموت فيزيد وليّ عهد، فاستوسق[2] له الناس على البيعة ليزيدَ غير خمسة نفر[3].

فحدّثني يعقوبُ بن إبراهيم، قال: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدّثنا ابن عون، قال: حدّثني رجل بنخلةَ، قال: بايع الناسُ ليزيدَ بن معاوية غير الحسين بن عليّ وابن عمَر وابن الزّبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عبّاس؛ فلما قدم معاوية أرسل إلى الحسين بن عليّ، فقال: يابن أخي، قد استوسق الناسُ لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودُهُم؛ يابنَ أخي، فما إرْبك إلى الخلاف؟ قال: أنا أقودهم! قال: نعم، أنت تقودهم؛ قال: فأرسِلْ إليهم، فإنْ بايعوا[4] كنتُ رجلاً منهم، وإلا لم تكن عجلتَ عليّ بأمر؛ قال: وتفعل؟ قال: نعم؛ قال: فأخذ عليه ألّا يُخبر بحديثهم[5] أحداً قال: فالْتوى عليه، ثم أعطاه ذلك، فخرج وقد أقعَد له ابنُ الزبير

١٧٦/٢

(١) س: «غير مستشعر وأعيذك».
(٢) استوسق له الناس: اجتمعوا على رأيه.
(٣) س: «نفر خمسة».
(٤) س: «بايعوك».
(٥) س: «يخبرهم».

رجلاً بالطريق قال : يقول لك أخوك ابن الزبير : ما كان ؟ فلم يزل به حتّى استخرج منه شيئًا .

ثم أرسل بعدَه إلى ابن الزّبير ، فقال له : قد استوسق الناسُ لهذا الأمر غير خمسةِ نفر من قريش أنت تقودهم ؛ يابن أخي ! فما إرْبك إلى الخلاف ؟ قال : أنا أقودهم ! قال : نعم ، أنت تقودهم ؛ قال : فأرسِل إليهم فإن بايعوا كنتُ رجلاً منهم ، وإلا لم تكن عجلتَ عليّ بأمر ؛ قال : وتفعل ؟ قال : نعم ؛ قال : فأخذ عليه ألاّ يخبر بحديثهم أحداً ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، نحن فى حَرَم الله عزّ وجلّ ، وعهدُ الله سبحانه ثقيل ، فأبى عليه ، وخرج .

ثم أرسل بعدَه إلى ابن عمر فكلّمه بكلام هو أليَن من كلام صاحبه ، فقال : إنّى أرهب[1] أن أدعَ أمة محمد بعدى كالضأن لا راعىَ لها ، وقد استوسَق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم ، فما إرْبك إلى الخلاف ! قال : هل لك فى أمرٍ يُذهب الذمّ ، ويَحقن الدم[2] ، وتُدرِك به حاجتك ؟ قال : وددتُ ! قال : تبرز سريرك ، ثم أجيء فأبايعك ، على أنّى أدخل بعدَك فيما تجتمع عليه الأمة ، فوالله لو أنّ الأمة اجتمعتْ بعدك على عبد حبشىّ لدخلتُ فيما تدخل فيه الأمة ؛ قال : وتفعل ؟ قال : نعم ، ثم خرج فأتى منزلَه فأطبق بابَه ، وجعل الناسُ يجيئون فلا يأذن لهم .

١٧٧/٢

فأرسل إلى عبد الرحمن بن أبى بكر ، فقال : يابن أبى بكر ، بأيّة يدٍ أو رِجل تُقدِم على معصيتى ! قال : أرجو أن يكون ذلك خيراً لى ؛ فقال : والله لقد هممتُ أن أقتلَك ؛ قال : لو فعلتَ لأتبعَك الله به لعنةً فى الدنيا ، وأدخلك به فى الآخرة النار .

قال : ولم يذكر ابن عباس .

* * *

[ذكر عزل ابن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن عثمان]

وكان العامل على المدينة فى هذه السنة مَرْوان بن الحكم ، وعلى الكوفة الضحّاك بن قيس ، وعلى البَصرة عُبيد الله بن زياد ، وعلى خُراسان سعيد ابن عثمان .

---

(١) س : « كرهت » . (٢) س « الدماء » .

وكان سبب ولايته خُراسانَ ما حدّثني عمر ، قال : حدّثني عليّ ، قال : أخبرني محمد بن حفص ، قال : سأل سعيد بن عثمانَ معاوية أن يستعمله على خُراسان ، فقال : إنّ بها عبيد الله بن زياد ، فقال : أما لقد اصطنعك أبي ورَقاك حتى بلغتَ باصطناعه المَدَى الذى لا يُجارَى إليه ولا يُسامَى ، فما شكرتَ بلاءه ، ولا جازيته بآلائه ، وقدّمت عليّ هذا — يعني يزيد بن معاوية — وبايعتَ له ؛ ووالله لأنا خير منه أبًا وأمًّا ونفسًا ؛ فقال : فقال معاوية : أمّا بلاء أبيك فقد يحقّ عليّ الجزاء به ، وقد كان من شكري لذلك أني طلبتُ بدمه حتى تكشفت الأمور ، ولست بلائم لنفسي في التّشمير[1] ؛ وأما فضل أبيك على أبيه فأبوك والله خيرٌ مني وأقربُ برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأما فضل أمّك على أمه فما يُنكَر ، امرأةٌ من قريش خير من امرأة من كلب ، وأما فضلُك عليه فوالله ما أحبّ أن الغُوطة دُحِسَتْ[2] ليزيدَ رجالاً مثلك. فقال له يزيد : يا أمير المؤمنين ، ابنُ عمّك ، وأنت أحقّ مَن نَظر في أمره ، وقد عَتَب عليك فأعتبه[3] ، قال : فولّاه حربَ خُراسان ، وولى إسحاق ابنَ طلحة خَراجها ، وكان إسحاق ابن خالة معاوية ، أمّه أمّ أبان ابنة عُتبة ابن ربيعة ، فلما صار بالرّيّ مات إسحاق بن طلحة فولى سعيد خراجَ خُراسان وحربَها .

١٧٨/٢

حدّثني عمر ، قال: حدّثني عليّ ، قال : أخبرنا مسلمة ، قال : خرج سعيد إلى خُراسان وخرج معه أوس بن ثعلبة التَيميّ صاحب قصر أوس ؛ وطلحة ابن عبد الله بن خَلَف الخُزاعيّ والمهلّب بن أبي صُفْرة وربيعة بن عِسْل أحدُ بني عمرو بن يَربوع ؛ قال : وكان قومٌ من الأعراب يقطعون الطريقَ على الحاجّ ببطن فَلْج ، فقيل لسعيد : إنّ ها هنا قومًا يقطعون

(١) س : « نفسي بالتشمير » .
(٢) دحست ، أي ملئت ، وفي اللسان: « وفي حديث جرير أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت مدحوس من الناس » ، أي مملوء ؛ وكل شيء ملأته فقد دحسته . وفي ابن الأثير : « فوالله ما أحب أن الغوطة ملئت رجالا مثلك » ، والغوطة : اسم مكان واسع في فضاء دمشق وهي إحدى متنزهات الدنيا الأربع.
(٣) أعتبه ، أي أرضاه .

الطريق على الحاجّ ويُخيفون السبيل ، فلو أخرجتَهم معك ! قال : فأخرج قومًا من بنى تميم ، منهم مالك بن الرَّيْب المازنىّ فى فِتْيان كانوا معه ، وفيهم يقول الراجز [١] :

٢/١٧٩

الله أَنجــاك من القصيم ومن أَبى حَرْدبَةَ الأَثيمِ [٢]
ومن غُوَيْثٍ فاتح العُكُومِ ومالِكٍ وسيفه المَسْمُومِ

قال علىّ : قال مَسلَمة : قدم سعيد بنُ عثمانَ ، فقطع النَّهر [٣] إلى سَمرْقَنْد، فخرج إليه أهل الصُّغْد، فتواقفوا يومًا إلى الليل ثم انصرفوا من غير قتال ، فقال مالكُ بن الرَّيْب يذمّ سعيداً :

ما زلتَ يومَ الصُّغْدِ تُرعَدُ واقفاً من الجُبن حتى خِفتُ أن تَتَنَصَّرا
وما كان فى عثمانَ شىءٌ علِمتُه سوى نَسْلِهِ فى رهطِهِ حين أَدبَرا
ولولا بنو حرب لَظلَّتْ دمــاؤُكُمْ بُطُونَ العَظايا من كسيرٍ وأَعورَا

قال : فلما كان الغدُ خرج إليهم سعيدُ بنُ عثمانَ ، وناهَضَه الصُّغد ، فقاتلهم فهزَمهم وحصَرهم فى مدينتهم ، فصالحوه وأعطَوْه رُهُناً منهم خمسين غلامًا يكونون فى يدِه من أبناء عظمائهم ، وعَبَر فأقام بالتِّرْمِذ ، ولم يفِ لهم ، وجاء بالغِلْمان الرّهن معه إلى المدينة .

قال : وقدم سعيد بن عثمانَ خُراسان وأسلم بن زُرْعة الكِلابىّ بها من قبَل عُبيد الله بن زياد ، فلم يزل أسلم بن زُرعة بها مقيماً حتى كتب إليه عُبيد الله بن زياد بعهده على خُراسان الثانية ، فلما قَدِم كتابُ عبيد الله على أسلم طرق سعيد بن عثمانَ ليلاً ، فأسقطتْ جاريةٌ له غلامًا، فكان سعيد

٢/١٨٠

---

(١) الأغانى ١٩ : ١٦٣ (ساسى) .

(٢) قال صاحب الأغانى: «وكان السبب الذى من أجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنه كان يقطع الطريق هو وأصحاب له ، منهم شظاظ، وهو مولى لبنى تميم — وكان أخبثهم — وأبو حردبة أحد بنى أثالة بن مازن، وغويث أحد بنى كعب بن مالك بن حنظلة » .

(٣) س : « الترمذ » .

يقول : لأقتلنّ به رجلاً من بنى حرب ؛ وقدم على معاوية فشكا أسلم إليه ، وغضبت القيسيّة ؛ قال : فدخل همّام بن قَبيصة النَّمَرىّ فنظر إليه معاوية محمرّ العينين ، فقال : ياهمام ، إنّ عينيك لمحمرّتان ؛ قال همّام : كانتا يومَ صِفِّين أشدّ حُمرة ؛ فغمّ معاوية ذلك ، فلما رأى ذلك سعيد كفّ عن أسلم ، فأقام أسلم بن زُرْعة على خُراسانَ واليًا لعُبيد الله بن زياد سنتين .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين

وكان فيها مَشتَى عبدِ الله بن قيس بأرض الرّوم .

وفيها صُرف مروانُ عن المدينة فى ذى القعدة فى قول الواقدىّ؛ وقال غيره : كان مروانُ إليه المدينة فى هذه السنة .

وقال الواقدىّ : استعمل معاويةُ على المدينة حين صَرَف عنها مروانَ الوليدَ بن عُتْبة بن أبى سُفْيان .

وكالذى قال الواقدىّ قال أبو معشر ، حدّثنى بذلك أحمدُ بن ثابت الرازىّ ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وكان العامل على الكوفة فى هذه السنة الضحّاك بنُ قيس، وعلى البصرة عُبيد الله بن زياد ، وعلى خُراسانَ سعيد بن عثمانَ بن عفّان .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها نزعَ معاويةُ مروانَ عن المدينة فى ذى القعدة فى قول أبى معشر ، ١٨١/٢
وأمَّر الوليد بن عتبة بن أبى سُفْيان عليها ؛ حدّثنى بذلك أحمدُ بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وفيها غزا مالكُ بن عبد الله الخثعمىّ أرضَ الروم .

وفيها قتِل يزيد بن شجرة فى البحر فى السفن فى قول الواقدىّ . قال : ويقال عمرو بن يزيد الجُهَنِىّ ، وكان الذى شتا بأرض الروم ، وقد قيل : إنّ الذى غزا فى البحر فى هذه السنة جُنادة بن أبى أميّة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة الوليدُ بن عُتْبة بن أبى سُفْيان ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

* * *

[عزل الضحّاك عن الكوفة واستعمال عبد الرحمن بن أمّ الحكم]

وفى هذه السنة ولى معاويةُ الكوفةَ عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفىّ ، وهو ابن أمّ الحَكَم أخت معاوية بن أبى سُفْيان ، وعزل عنها الضحّاك بن قيس ، ففى عمله فى هذه السنة خرجتْ الطائفة الذين كان المغيرةُ بن شعبة حبَسَهم فى السّجن من الخوارج الذين كانوا بايعوا المستورد بن عُلّفة ، فظَفِر بهم فاستوْدعَهم السجن ، فلما مات المغيرةُ خرجوا من السجن .

فذكر هشام بن محمد أنّ أبامخنف ، حدّثه عن عبد الرحمن بن جُندب ، عن عبد الله بن عُقْبة الغَنَوِىّ أنّ حيَّان بن ظَبْيان السُّلَمىّ جمع إليه أصحابه ، ثم إنه حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال لهم : أمّا بعد ، فإنّ الله عزّ

وجلّ كتب علينا الجهاد ، فمنّا من قَضَى نَحْبَه ، ومنّا من يَنتظر ، وأولئك الأبرار الفائزون بفضلهم ، ومَنْ يكن منّا من ينتظر فهو مِن سَلَفنا القاضين نَحبَهم ، السابقين بإحسان ؛ فمن كان منكم يريد اللهَ وثوابَه فليَسلكْ سبيلَ أصحابه وإخوانه يؤتِه اللهُ ثوابَ الدنيا وحُسنَ ثوابِ الآخرة والله مع المحسنين .

قال معاذ بن جُوَين الطائىّ : يا أهل الإسلام ، إنا والله لو علمْنا أنا إذا تركنا جهاد الظلمة وإنكار الجوْر ، كان لنا به عند الله عذر ، لكان تركه أيْسرَ علينا ، وأخفَّ من ركوبه ، ولكنّا قد علمنا واستيقنّا أنه لا عذر لنا ، وقد جعل لنا القلوب والأسماع حتى ننكر الظلم ، ونُغيّر الجوْر ، ونجاهد الظالمين ؛ ثم قال : ابسط يَدك نبايعك ، فبايعه وبايعَه القومُ ، فضربوا على يد حيّان بن ظَبْيان ، فبايعوه ، وذلك فى إمارة عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفىّ ، وهو ابن أمّ الحكَم ، وكان على شرطته زائدة بن قُدامة الثقفىّ .

ثم إن القوم اجتمعوا بعد ذلك بأيام إلى منزل معاذ بن جوين بن حصين الطائىّ . فقال لهم حيّان بن ظَبْيان: عبادَ الله، أشيروا برأيكم، أين تأمرونى أن أخرج ؟ فقال له معاذ : إنى أرى أن تسير بنا إلى حُلوان حتى ننزلها ، فإنها كورةٌ بين السهل والجبل ، وبين المِصر والثّغر – يعنى بالثغر الرىّ – فمن كان يرى رأيَنا من أهل المِصْر والثّغر والجبال والسواد لحق بنا. فقال له حيّان: عدوُّك مُعاجلك قبل اجتماع الناس إليك، لعَمرِى لا يتركونكم حتى يجتمعوا إليكم ، ولكن قد رأيت أن أخرجَ معكم فى جانب الكوفة والسَّبَخة أو زُرارة والحيرة ، ثم نقاتلهم حتى نلحق بربّنا ، فإنى والله لقد علمتُ أنكم لا تقدرون وأنتم دون المائة رجل أن تَهزموا عدوّكم ، ولا أن تشتدّ نكايتكم فيهم؛ ولكن متى علم الله أنكم قد أجهدتم أنفسَكم فى جهادِ عدوّه وعدوّكم كان لكم به العذر ، وخرجتم من الإثم . قالوا : رأينا رأيك ، فقال لهم عِتريس ابن عُرقوب أبو سليمان الشيبانىّ : ولكن لا أرى رأيَ جماعتكم ، فانظروا فى رأى لكم ، إنّى لا إخالُكم تَجهَلون معرفتى بالحرب ، وتجربتى بالأمور ، فقالوا له : أجَل ، أنت كما ذكرت ، فما رأيك ؟ قال : ما أرى أن تخرجوا على الناس بالمِصر ، إنكم قليل فى كثير ، والله ما تزيدون على أن تجزروهم أنفسكم ؛ وتقرّوا أعينهم بقتلكم ، وليس هكذا تكون المكايدة إذْ آثرتم أن

تَخرجوا على قومِكم ، فكيدوا عدوَّكم ما يضرّهم ؛ قالوا : فما الرأى ؟ قال : تسيرون إلى الكُورة التى أشار بنزولها مُعاذ بن جُوَين بن حصين — يعنى حُلوان — أو تسيرون بنا إلى عَين التَّمر فنقيم بها ، فإذا سمع بنا إخواننا أتَوْنا من كلّ جانبٍ وأوْب ؛ فقال له حيّان بن ظَبْيان : إنك والله لو سرتَ بنا أنت وجميع أصحابك نحو أحد هذين الوجهين ما اطمأنَنْتم به حتى يلحق بكم خيولُ أهل المِصْر ، فأنى تشفُونَ أنفسكم ! فوالله ما عِدَّتكم بالكثيرة التى ينبغى أن تَطمَعوا معها بالنصر فى الدّنيا على الظالمين المعتدين ، فاخرجوا بجانب من مِصركم هذا فقاتِلوا عن أمر الله من خالفَ طاعة الله ، ولا تربّصوا ولا تنتظِروا فإنكم إنما تبادرون بذلك إلى الجنة ، وتُخرِجون أنفسكم بذلك من الفتنة. قالوا : أما إذا كان لابدّ لنا[1] فإنا لن نخالفَك ، فاخرج حيث أحببت . ٢ / ١٨٤

فمكث حتى إذا كان آخر سنة من سِنِى ابن أمّ الحَكَم فى أوّل السنة — وهو أوّل يوم من شهر ربيع الآخر — اجتمع أصحابُ حيّان بن ظَبْيان إليه ، فقال لهم : يا قوم ، إنّ الله قد جمعكم لخير وعلى خيرٍ ، والله الذى لا إله غيره[2] ما سررتُ بشىء قطّ فى الدنيا بعد ما أسلمت سُرورى لمُخرَجى هذا على الظَّلَمة الأئمّة ، فوالله ما أحبّ أنّ الدنيا بحذافِيرها لى وأن الله حرَمَنى فى مُخرَجِى هذا الشهادة . وإنى قد رأيت أن نخرج حتى ننزل جانب دار جرير ، فإذا خرج إليكم الأحزابُ ناجزْتمُوهم . فقال عِتْريس بن عُرقوب البَكْرِىّ : أمّا أن نقاتلَهم فى جوف المِصْر فإنه يقاتلنا الرّجال ، وتَصعَد النساءُ والصّبيان والإماء فيرموننا بالحجارة ؛ فقال لهم رجل منهم : انزِلوا بنا إذاً من وراء المِصْر الجسرَ — وهو موضع زُرارة ، وإنما بنيت زُرارة بعد ذلك إلا أبياتاً يسيرة كانت منها قبل ذلك — فقال لهم معاذ بن جوين بن حصين الطائىّ : لا ، بل سيروا بنا فلننزل بانِقْيَا فما أسرع ما يأتيكم عدوّكم ، فإذا كان ذلك استقبلْنا القومَ بوجوهنا ، وجعلْنا البيوت فى ظهورنا ، فقاتلْناهم من وجه واحد . فخرجوا ، فبُعث إليهم جيش ، فقُتلوا جميعاً .

---

(١) س : « ذلك رأيك » .

(٢) س : « لا إله إلا هو » .

٢/١٨٥ ثم إنّ عبد الرحمن بن أمّ الحكَم طرده أهل الكوفة ، فحدّثت عن هشام ابن محمد ، قال : استعمل معاويةُ ابن أمّ الحكم على الكوفة فأساء السيرة فيهم ، فطردوه ، فلحق بمعاوية وهو خاله ، فقال له : أولّيك خيراً منها ؛ مِصرَ ؛ قال : فولّاه ، فتوجه إليها ، وبلغ معاويةَ بن حُديج السَّكونيّ الخبر، فخرج فاستقبله على مَرْحلتين من مصر ، فقال : ارجع إلى خالك فلَعمرِي لا تسير فينا سيرتك فى إخواننا من أهل الكوفة .

قال : فرجع إلى معاوية ، وأقبل معاوية بن حُدَيج وافداً؛ قال : وكان إذا جاء قُلِّستْ له الطريق – يعنى ضُرِبت له قِباب الرّيحان – قال : فدخل على معاوية وعنده أمّ الحكم ، فقالت : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : بخ ! هذا معاوية بن حُدَيج ؛ قالت : لا مرحبًا به ! تَسمعَ بالمُعَيْدِيّ خيرٌ مِن أن تراه ؛ فقال : على رِسْلِك يا أمّ الحكم ! أما والله لقد تزوّجتِ فما أكرمتِ ، وولدتِ فما أنْجَبْتِ ، أردتِ أن يلى ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار فى إخواننا من أهل الكوفة ؛ ما كان الله ليُرِيَه ذلك ، ولو فعل ذلك لضربْناه ضربًا يطأطئ منه ، وإن كره ذلك الجالس . فالتفت إليها معاوية ، فقال : كُفّى .

* * *

[ذكر قتل عروة بن أديّة وغيره من الخوارج]

وفى هذه السنة اشتدّ عبيد الله بن زياد على الخوارج ، فقتل منهم صبراً جماعةً كثيرة ،وفى الحرب جماعة أخرى ، وممن قتل منهم صبراً عروة بن أديّة، أخو أبي بلال مرداس بن أَدَيّة .

* ذكر سبب قتله إيّاهم :

٢/١٨٦ حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى زهير بن حرب ، قال : حدّثنا وهب بن جرير ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى عيسى بن عاصم الأسدىّ ، أنّ ابن زياد خرج فى رِهان له ، فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع الناسُ[1] وفيهم عروة بن أديّة أخو أبي بلال ، فأقبل على ابن زياد فقال : خمس كنّ

(١) س : « ساس » .

فى الأمم قبلنا ، فقد صِرْن فينا: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[1] . وخَصْلتين أخريين لم يحفظهما جرير . فلما قال ذلك ظنّ ابن زياد أنه لم يجترئ على ذلك إلا ومعه جماعة من أصحابه ، فقام وركِب وترك رِهانه ، فقيل لعُرْوة : ما صنعتَ ! تعلَّمَنْ والله ليقتلنّكَ . قال : فتوارى ، فطلَبه ابنُ زياد ، فأتى الكُوفة ، فأخِذ بها ، فقدم[2] به على ابن زياد ، فأمر به فقطِعتْ يداه ورِجْلاه ، ثم دعا به فقال : كيف ترى ؟ قال: أرَى أنك أفسدت دنيايَ وأفسدت آخرتَك ؛ فقتَله ، وأرسل إلى ابنته فقتلها . .

وأما مِرْداس بن أديّة فإنه خرج بالأهواز وقد كان ابن زياد قبل ذلك حبَسه — فيما حدّثنى عمر ، قال: حدّثنى خلاّد بن يزيدَ الباهلىّ ، قال—: حبس ابن زياد — فيمن حبَسَ — مرداسَ بن أديّة ، فكان السجّان يرى عبادته واجتهادَه ، وكان يأذن له فى الليل ، فينصرف ، فإذا طلع الفجر أتاه حتى يدخل السجن ، وكان صديقٌ لمرداس يسامرُ ابنَ زياد ، فذكر ابن زياد الخوارج ليلةً فعزم على قتلهم إذا أصبح ، فانطلق صديقُ مرداس إلى منزل مِرداس فأخبرهم ، وقال : أرسلوا إلى أبى بلال فى السجن فليعهَدْ فإنه مقتول ، فسمع ذلك مرداس ، وبلغ الخبرُ صاحبَ السجن ، فبات بليلة سوء إشفاقاً من أن يعلم الخبر مِرداس فلا يرجع ، فلما كان الوقت الذى كان يرجع فيه إذا به قد طلع ، فقال له السجّان : هل بلغك ما عزم عليه الأمير ؟ قال : نعم ؛ قال : ثمّ غدوتَ ! قال : نعم ، ولم يكن جزاؤك مع إحسانك أن تعاقَب بسببى ؛ وأصبح عُبيد الله فجعل يَقتل الخوارج ، ثم دعا بمرداس ، فلمّا حضر وثَب السجّان — وكان ظِئْراً لعبيد الله — فأخذ بقدمِه ، ثم قال: هب هذا ؛ وقصّ عليه قصّته ، فوهبه له وأطلَقه .

٢/١٨٧

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا زُهير بن حرب ، قال : حدّثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا أبى ، قال : حدّثنى يونس بن عبيد ، قال : خرج

---

(١) سورة الشعراء: ١٢٨ — ١٣٠ .

(٢) س : « فأتى » .

مِرداس أبو بلال – وهو من بنى ربيعة بن حنظلة – فى أربعين رجلاً إلى الأهواز ، فبعث إليهم ابنُ زياد جيشًا عليهم ابن حِصن التميمىّ ، فقتلوا فى أصحابه وهزموه ، فقال رجلٌ من بنى تَيْم الله بن ثعلبة :

أألفا مُؤْمِنٍ منكم زَعمتمْ ويَقتُلُهمْ بآسَكَ أربَعونا[1]

كذبتُمْ ليس ذاك كما زَعمتمْ ولكِنّ الخوارِجَ مؤمِنونا

هى الفِئةُ القليلة قد عَلمتُمْ[2] على الفِئةِ الكثيرة يُنْصَرُونا

١٨٨/٢ قال عمر : البيت الأخير[3] ليس فى الحديث ، أنشدنيه خلاّد بن يزيدَ الباهلىّ .

* * *

وقيل : مات[4] فى هذه السنة عُميرة بن يثربىّ قاضى البَصرة ، واستُقضِىَ مكانَه عليها هشامُ بن هُبيرة .

وكان على الكوفة فى هذه السنة عبد الرحمن بن أمّ الحكَم . وقال بعضهم : كان عليها الضحّاك بن قيس الفِهْرىّ ، وعلى البَصْرة عُبيد الله بن زياد، وعلى قضاء الكوفة شُريح .

وحجّ بالناس الوليدُ بنُ عُتبة فى هذه السنة ، كذلك قال أبو معشر والواقدىّ .

(١) من أبيات ذكرها ياقوت فى ١ : ٥٨ ، ونسبها إلى عيسى بن فاتك الحطفى، أحد بنى تيم الله ابن ثعلبة .

(٢) ياقوت : « غير شك » .

(٣) س : « الآخر » .

(٤) س : « هلك » .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مَشتَى عمرو بن مرّة الجُهَنيّ أرض الروم فى البرّ ؛ قال الواقدىّ : لم يكن عامئذٍ غزوٌ فى البحر . وقال غيره : بل غزا فى البحر جُنادة بنُ أبى أميّة .

وفيها عُزِل عبدُ الرحمن بن أمّ الحكم عن الكوفة ، واستُعمِل عليها النعمانُ بنُ بَشير الأنصارىّ ؛ وقد ذكرنا قبلُ سببَ عزل ابن أمّ الحَكَم عن الكوفة .

* * *

[ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان]

وفى هذه السنة ولّى معاوية عبدَ الرحمن بنَ زياد بن سُمَيّة خُراسان .

* ذكر سبب استعمال معاوية إيّاه على خراسان :

حدّثنى الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : حدّثنا أبو عَمرو ، قال : سمعتُ أشياخَنا يقولون : قدم عبدُ الرحمن بنُ زياد وافداً على معاوية ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أمَا لنا حقٌّ ؟ قال : بلَى ؛ قال : فماذا تولّينى ؟ قال : بالكوفة النعمان رشيدٌ ، وهو رجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وعبيد الله بن زياد على البَصرة وخُراسان ، وعبّاد بن زِياد على سِجِستْان ، ولست أرى عملا يُشبهك إلا أن أشركَك فى عمل أخيك عبيد الله ؛ قال أشرِكنى ، فإنّ عمله واسع يحتمل الشركة ، فولّاه خُراسان . ٢/١٨٩

قال على : وذكر أبو حفص الأزدىّ ، قال : حدّثنى عمر ، قال : قدم علينا قيسُ بنُ الهيثم السُّلَمىّ ، وقد وجّهه عبد الرحمن بن زياد ، فأخذ أسلم بن

زُرْعة فحبسه ، ثم قَدِم عبد الرحمن ، فأغرَمَ أسلم بن زرْعة ثلثمائة ألف درهم .

قال : وذكر مصعب بن حيّان ، عن أخيه مُقاتل بن حيّان ، قال : قدمَ عبدُ الرحمن بنُ زياد خُراسانَ ، فقدمَ رجلٌ سخىٌّ حريصٌ ضعيفٌ لم يغزُ غزوةً واحدةً ، وقد أقام بخُراسان سنتين .

قال علىّ : قال عوانة : قدم عبدُ الرحمن بن زياد على يزيدَ بن معاوية من خُراسان بعد قتل الحسين عليه السلام ، واستخلف على خُراسانَ قيسَ ابن الهيثم .

قال : وحدّثنى مسلمة[1] بن محارب وأبو حفص ، قالا : قال يزيدُ لعبدالرحمن ابن زياد : كم قدمتَ به معك من المال من خُراسان ؟ قال : عشرين ألف ألف درهم ؛ قال : إن شئتَ حاسبناك وقبضناها منك ، ورددناك على عملك ، وإن شئتَ سوّغناك وعزَلْناك ، وتعطى عبدَالله بن جعفر خمسمائة ألف درهم ؛ قال : بل تسوّغنى ما قلت ، ويُستعمل عليها غيرى . وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم ، وقال : خمسمائة ألف من قِبل أمير المؤمنين ، وخمسمائة ألف[2] من قبلى . ٢/١٩٠

* * *

[ذكر وفود عبيد الله بن زياد على معاوية]

وفى هذه السنة وَفَد عُبيد الله بن زياد على معاوية فى أشراف أهل البَصرة ، فعزله عن البصرة ، ثم ردّه عليها وجدّد له الولاية .

* ذكر من قال ذلك[3] :

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ ، قال : وفد عُبيد الله بن زياد فى أهل العراق إلى معاوية فقال له : ائذنْ لوفدك على[4] منازلهم وشرفهم ، فأذِن لهم ،

(١) ط : « مسلم » ، وانظر الفهرس .
(٢) س : « ألف درهم » .
(٣) كذا فى س ، وفى ط : « ذكر ذلك » .
(٤) س : « فى منازلهم » .

ودخل الأحنفُ فى آخرهم ، وكان سَيِّئَ المنزلة من عُبيد الله ، فلما نظر إليه معاويةُ رحّب به ، وأجلسه معه على سريره، ثم تكلم القومُ فأحسنوا الثناءَ على عبيد الله ، والأحنفُ ساكت ، فقال : مالَكَ يا أبا بَحْر لا تتكلّم ! قال : إن تكلّمتُ خالفتُ القومَ . فقال : انهضوا فقد عزلْته عنكم ، واطلبوا واليًا ترضَوْنه ، فلم يَبق فى القوم أحد إلا أتى رجلاً من بنى أميّة أو من أشراف أهل الشأم ، كلّهم يطلب ، وقعد الأحنف فى منزله ، فلم يأت أحداً ، فلبثوا أيامًا ، ثم بعث إليهم معاوية فجمعهم ، فلما دخلوا عليه قال : مَن اخترتم ؟ فاختلفتْ كلمتهم ، وسمّى كلّ فريق منهم رجلاً والأحنف ساكتٌ ، فقال له معاوية : مالَك يا أبا بحر لا تتكلّم ! قال : إن ولّيت علينا أحداً من أهل بيتك لم نعدل بعُبَيد الله أحداً ، وإنْ ولّيت من غيرهم فانظر فى ذلك ، قال معاوية : فإنى قد أعدته عليكم ، ثم أوصاه بالأحنف ، وقبّح رأيَه فى مباعدته ، فلما هاجت الفتنةُ لم يفِ لعُبيد الله غيرُ الأحنف . ١٩١/٢

* * *

[ذكر هجاء يزيد بن مفرّغ الحميري بنى زياد]

وفى هذه السنة كان ما كان من أمر يزيد بن مفرِّغ الحميرىّ وعبّاد بن زياد وهجاء يزيد بنى زياد .

* ذكر سبب ذلك :

حدّثت عن أبى عُبيدة مَعمر بن المثنّى أن يزيدَ بن ربيعة بن مفرِّغ الحِمْيَرىّ كان مع عبّاد بن زياد بسِجستان ، فاشتغل عنه بحرب الترْك ، فاستبطأه ، فأصاب الجند مع عبّاد ضِيقٌ فى أعلاف دوابّهم ، فقال ابن مفرِّغ :

أَلا لَيْتَ اللِّحَى عادتْ حَشيشاً فنعْلِفَها خُيُولَ المُسْلِمينَا[1] !

وكان عبّاد بن زياد عظيمَ اللحية ، فأُنهِيَ شِعْرُه إلى عبّاد؛ وقيل : ما أراد غيرَك ، فطلبه عبّاد ، فهرب منه ، وهجاه بقصائدَ كثيرة ، فكان مما هجاه به قولُه :

---

(١) الأغانى ١٧ : ٥٣ (ساسى) .

إذا أَوْدَى مُعاوية بنُ حَرْبٍ فبَشِّرْ شعْبَ قعْبكَ بانصداع [(١)]
فأَشْهدُ أَنَّ أُمكَ لم تُباشِرْ أَبا سُفيانَ واضعَةَ القِناعِ
ولكِنْ كان أَمرًا فيه لَبْسٌ على وَجَلٍ شَدِيدٍ وارتياعِ

وقوله :

أَلا أَبْلغْ مُعاوِيةَ بن حَرْبٍ مُغَلْغَلةً من الرَّجُل اليمانِى [(٢)]
أَتغْضبُ أَن يُقال أَبُوكَ عَفٌّ وترضَى أَن يُقالَ أَبُوكَ زَانِ !
فأَشْهَد أَنَّ رِحْمَكَ من زِيادٍ كرِحْمِ الفِيل من ولَدِ الأَتانِ

١٩٢/٢ فحدّثنى أبو زيد، قال: لما هجا ابن المفرِّغ عبّاداً فارقه مقبلاً إلى البَصرة، وعبيد الله يومئذ وافدٌ على معاوية ، فكتب عبّاد إلى عُبيد الله ببعض ما هجاه به ، فلمّا قرأ عُبيد الله الشعرَ دخل على معاوية فأنشده إياه، واستأذنه فى قتل ابن مفرِّغ ، فأبى عليه أن يقتلَه ، وقال : أدِّبْه ولا تبلغ به القتل ، وقدم ابن مفرِّغ البَصرة ، فاستجار بالأحنف بن قيس ، فقال : إنا لا نجير على ابن سميّة ، فإن شئتَ كفيتُك شعراءَ بنى تميم ؛ قال : ذاك ما لا أبالى أنْ أكْفاه ، فأتى خالد بن عبد الله فوعده، وأتى أميّة فوعده ، ثم أتَى عمر بن عبيد الله بن معمر فوعده ، ثم أتى المنذرَ بن الجارود فأجاره ، وأدخله دارَه ، وكانت بَحْرِيَّة بنت المنذر عند عُبيد الله ، فلما قدم عبيد الله البَصرة أخبر بمكان ابن مفرِّغ عند المنذر ، وأتَى المنذرُ عبيدَ الله مسلِّما ، فأرسل عبيد الله الشُّرَط إلى دار المنذر ، فأخذوا ابن مفرِّغ ، فلم يشعر المنذر وهو عند عُبيد الله إلا بابن مفرِّغ قد أقيم على رأسه ، فقام إلى عُبيد الله وقال : أيّها الأمير ، إنى قد أجرته ، قال : والله يا منذر ليمدحنّك وأباك ويهجونى أنا وأبى ، ثم تجيره علىّ ! فأمر به فسُقِىَ دواءً ، ثم حُمل على حمار عليه إكافٌ فجعل يطاف به وهو يَسلَح

(١) الأغانى ١٧ : ٥٧ (ساسى) .

(٢) الأغانى ١٧ : ٦٠ (ساسى) .

في ثيابه ، فيُمَرُّ به فى الأسواق ، فمرّ به فارسيّ فرآه ، فسأل عنه ، فقال : إين جيست[1] ؟ ففهمها ابنُ مفرّغ ، فقال[2] : ١٩٣/٢

آبْ استْ نبيذ است عصارات زبيب استْ

* سمُيَّة روسپيد استْ[3] *

ثم هجا المنذر ابن الجارود :

تركتُ قُرَيشاً أن أُجاورَ فيهمُ وجاوَرْتُ عبدَ القيسِ أهْلَ المُشَقَّرِ[4]

أُناسٌ أجارُونا فكان جوارُهُمْ أعاصيرَ من فَسْوِ العِراق المُبَذَّرِ[5]

فأَصبح جارِى من جُذيمَةَ نائماً ولا يمنَعُ الجيرانَ غيرُ المُشمَّر

وقال لعُبيد الله :

يَغْسِلُ المـاءُ ما صَنَعْتَ وقَوْلى راسِخٌ منكَ فى العظامِ البَوالى[6]

ثم حمله عُبيد الله إلى عبّاد بسِجستان ، فكلّمت اليمانية فيه بالشأم معاوية ، فأرسل رسولا إلى عبّاد ، فحمل ابن مفرّغ من عنده حتى قَدِم على معاوية ، فقال فى طريقه :

عَدَسْ مالِعبّادٍ عَلَيْكِ إمارةٌ نجَوْتِ وهـذا تحملينَ طَليقُ[7]

لَعَمْرِى لقد نجّاكِ من هُوَّةِ الرَّدى إمامٌ وحبْـلٌ للأنام وَثِيقُ

---

(١) إين جيست ؛ بالفارسية معناها : « هذا ماذا ؟» .

(٢) وردت هذه الأبيات الفارسية فى الشعر والشعراء ٣٢٠ والبيان والتبيين ١ : ١٤٣ ، والأغانى ١٧ : ٥١ ، والخزانة ٢١٠ .

(٣) آب : ماء . است فعل من أفعال الكينونة بالفارسية ، أراد أن النبيذ ماهو إلا ماء ، هو عصارات الزبيب . سمية هى أم زياد بن أبيه . وروسپيد ، أى مشهورة .

(٤) الأغانى ١٧ : ٥٧ .

(٥) الأغانى : « المشذر» .

(٦) من قصيدة طويلة فى الأغانى ١٧ : ٥٧ ، ٥٨ :

(٧) الأغانى ١٧ : ٦٠ ، والشعر والشعراء ٣٢٤ مع اختلاف فى الرواية . عدس : كلمة زجر للبغال .

٢/١٩٤ سأشكُرُ ما أَوْلَيْتَ من حُسْنِ نِعْمةٍ ومِثلى بِشُكْرِ المنعِمِينَ حقيقُ

فلما دخل على معاوية بكى، وقال: رُكِبَ مِنى ما لم يُرْكَبْ من مسلم على غير حَدَث ولا جريرة! قال: أوَ لست القائل:

أَلا أَبلغ معاويةَ بن حَرْبٍ مُغلغلةً من الرَّجلِ اليمَانِى!

القصيدة — قال: لاوالذى عظَّم حقَّ أميرِ المؤمنين ما قلتُ هذا؛ قال: أفلمْ تقل:

فأَشهَدُ أَن أُمَّكَ لم تُباشِرْ أَبا سُفْيانَ واضعةَ القِناعِ [٢]

فى أشعار كثيرة هجوتَ بها ابن زياد! اذهب فقد عفونا لك عن جُرمك، أما لو إيانا تعامل لم يكن مما كان شيء، فانطلق؛ وفى أىّ أرض شئتَ فانزل. فنزل المَوْصِلَ، ثمّ إنه ارتاح إلى البَصرة، فقدمها، ودخل على عُبيد الله فآمنه.

وأما أبو عُبيدة فإنه قال فى نزول ابن مفرّغ الموصل عن الذى أخبرنى به أبو زيد، قال: ذكر أنّ معاويةَ لما قال له: ألست القائل:

أَلاَ أَبلغْ معاويةَ بَن حَرْبٍ مُغلغَلةً من الرّجل اليمانِى

الأبيات، حَلف ابن مفرّغ أنه لم يقله، وأنه إنما قاله عبدُالرحمن بن أمّ الحكَم أخو مرْوان، واتخذنى ذريعةً إلى هجاء زياد، وكان عَتَب عليه قبل ذلك، فغضب معاويةُ على عبد الرحمن بن أمّ الحكم وحرَمه عطاءَه، حتى أضرّبه، فكُلّم فيه، فقال: لاأرضى عنه حتى يَرضَى عُبيد الله؛ فقدم العراق على عبيد الله، فقال عبد الرحمن له:

٢/١٩٥ لأَنتَ زيادةٌ فى آل حَرْبٍ أَحَبُّ إلىّ من إحدى بنانِى

أَراكَ أخاً وعمًّا وابنَ عمٍّ ولا أَدرى بِغَيْبٍ ما ترانِى

---

(١) الأغانى ١٧ : ٦٨، الشعر والشعراء ٣٢٢.

(٢) الأغانى ١٧ : ٦٠ (ساسى).

فقال : أراك واللهِ شاعرَ سَوْء ! فرضىَ عنه ، فقال معاوية لابن مفرّغ : ألستَ القائل :

فَأَشْهدُ أَنَّ أُمّكَ لَم تُباشِرْ أَبا سُفْيانَ واضعةَ القِناعِ

الأبيـــات ! لا تعودَنّ إلى مثلها ، عَفَوْنا عنك . فأقبل حتى نزل الموصلَ ، فتزوّج امرأة ، فلما كان فى ليلة بِنائها خرج حين أصبح إلى الصّيد ، فلقىَ ذَهّاناً أو عطّاراً على حمار له ، فقال له ابن مفرّغ : من أين أقبلت ؟ قال : من الأهواز ؛ قال : وما فعل ماءُ مسْرُفانَ ؟ قال : على حاله ؛ قال : فخرج ابن مفرّغ فتوجه قِبَل البصرة ، ولم يُعلِم أهلَه بمسيره ، ومضى حتى قدم على عُبيد الله بن زياد بالبصرة ، فدخل عليه فآمنه ، ومكث عنده حتى استأذنه فى الخروج إلى كَرْمان ، فأذن له فى ذلك ، وكتب إلى عامله هنالك بالوَصاة والإكرام له ، فخرج إليها . وكان عامل عُبيد الله يومئذ على كَرْمانَ شريكُ ابنُ الأعور الحارثىّ .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عثمان بن محمد بن أبى سُفْيان ، حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

وكان الوالى على المدينة الوليدُ بن عُتبة بن أبى سُفْيان ، وعلى الكوفة النعمان بن بَشير ، وعلى قضائها شُرَيح ، وعلى البَصرة عُبيد الله بن زياد ، وعلى قضائها هشامُ بن هُبيرة ، وعلى خُراسانَ عبدُ الرحمن بن زياد ، وعلى سجِستانَ عبّاد بن زياد ، وعلى كَرْمان شريك بن الأعور من قِبَل عُبيد الله بن زياد . ٢/١٩٦

ثم دخلت سنة ستين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فى هذه السنة كانت غزوةُ مالك بن عبد الله سُورِيَة ودخولُ جُنادةَ ابن أبى أميّة رودس ، وهدمه مدينتها ، فى قول الواقدىّ .

* * *

[ذكر عهد معاوية لابنه يزيد]

وفيها كان أخذ معاوية على الوفد الذين وفدوا إليه[1] مع عُبيد الله بن زياد البيْعة لابنه يزيد ، وعهد إلى ابنه يزيد حين مرض فيها ما عهد إليه فى النّفر الذين امتنعوا من البيعة ليزيد حين دعاهم إلى البَيعة .

وكان عهدُه الذى عهد، ماذكر هشام بن محمد، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مَخرَمة ؛ أنّ معاوية لما مَرِض مرضتَه التى[2] هلك فيها دعا يزيد ابنَه ،فقال: يا بنىَّ ، إنّى قد كفَيتك الرّحلة[3] والتّرحال ، ووطّأت لك الأشياء ،وذلّت لك الأعداء ، وأخضعتُ لك أعناقَ العرب ، وجمعتُ لك من جمع واحد[4] ، وإنى لا أتخوّف أن ينازعك هذا الأمر الذى استتبّ لك إلاّ أربعة نفر من قريش : الحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزّبير ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ؛ فأمّا عبد الله بن عمر فرجلٌ قد وقَذَته العبادة ، وإذا لم يبق أحدٌ غيره بايعك ، وأما الحسين بن علىّ فإنّ أهل العراق لن يَدَعوه حتى يُخرِجوه ، ١٩٧/٢ فإن خرج عليك فظفرتَ به فاصفح عنه فإنّ له رَحِماً ماسّة وحقًّا عظيماً ؛ وأما ابن أبى بكر فرجل إن رأى أصحابَه صنعوا شيئاً صنع مثلَهم ، ليس له همّة إلا فى النساء واللّهو ، وأما الذى يَجثِم لك جثومَ الأسد، ويراوغك مراوَغة[5]

---

(١) س : « عليه » . (٢) س : « مرضه الذى » .

(٣) س : « الرجال » . كتاب المعمرين : « الترحال »

(٤) س: « جميع »؛ ابن الأثير : « جمعت لك ما لم يجمعه أحد » . (٥) س : « روغان ».

الثعلب ، فإذا أمكنتْه فرصةٌ وثب ، فذاك ابن الزبير ، فإن هو فعلَها بك فقَدَرت عليه فقطّعه إرْبًا إرْبًا (١) .

قال هشام : قال عوانة : قد سمعْنا فى حديث آخر أنّ معاوية لما حضره الموت — وذلك فى سنة ستين — وكان يزيد غائبًا ، فدعا بالضحّاك(٢) بن قيس الفهرىّ — وكان صاحب شرطته — ومسلم بن عقبة المرّىّ ، فأوصى إليهما فقال : بلّغا يزيدَ وصيّتى ، انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك ، فأكرِمْ مَن قدم عليك منهم ، وتعاهد مَن غاب ، وانظر أهلَ العراق ، فإن سألوك أن تَعزِل عنهم كلّ يوم عاملاً فافعل ، فإنّ عَزْلَ عامل أحبّ إلىّ من أن تُشهر عليك مائة ألف سيف ، وانظر أهل الشأم فليكونوا بطانتك وعَيْبتَك ، فإن نابك شىء من عدوّك فانتصر بهم ، فإذا أصبتَهم فاردد أهلَ الشأم إلى بلادهم ، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم ؛ وإنى لست أخاف مِن قريش إلاّ ثلاثة : حسينَ بنَ علىّ ، وعبدَالله بن عمر ، وعبد الله ابن الزّبير ؛ فأمّا ابن عمرَ فرجل قد وقَذَه الدّين ، فليس ملتمسًا شيئًا قبلَك ، وأما الحسين بن علىّ فإنه رجل خفيف ، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتَل أباه ، وخذَل أخاه ، وإنّ له رَحِما ماسّة ، وحقًّا عظيمًا ، وقرابةً من محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا أظنّ أهلَ العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فإن قدرتَ عليه فاصفح عنه ، فإنّى لو أنى صاحبه عفوتُ عنه ، وأما ابن الزبير فإنه خَبٌّ ضَبٌّ ، فإذا شَخَص لك فالبدْله ، إلاّ أن يلتمس منك صُلحًا ، فإن فعل فاقبلْ ، واحْقُنْ دماءَ قومك ما استطعت(٣) . ٢/١٩٨

* * *

[ذكر وفاة معاوية بن أبى سفيان]

وفى هذه السنة هلك معاويةُ بن أبى سُفْيانَ بدمشق ، فاختُلف فى وقت وفاته بعد إجماعِ جميعهم على أنّ هلاكه كان فى سنة ستّين من الهجرة ،

---

(١) الخبر فى كتاب المعمرين لأبى حاتم ١٥٥ .

(٢) س : « الضحاك » .

(٣) كتاب المعمرين ١٥٥ ، ١٥٦ .

وفى رجب منها ، فقال هشام بن محمد : مات معاويةُ لهلالِ رجب من سنة ستين .

وقال الواقدىّ : مات معاويةُ للنّصف من رجب .

وقال علىّ بن محمّد : مات معاويةُ بدمشقَ سنة ستّين يوم الخميس لثمانٍ بقِين من رَجَب ؛ حدّثنى بذلك الحارث عنه .

* * *

ذكر الخبر عن مدة ملكه

حدّثنى أحمد بن ثابت الرازىّ ، قال : حدّثنى مَن سمع إسحاقَ بن عيسى يذكر عن أبى معشر ، قال : بويع لمعاوية بأذْرُحَ ، بايعه الحسنُ بنُ علىّ فى جُمادَى الأولى سنة إحدى وأربعين ، وتوفِّىَ معاوية فى رجب سنة ستين ، وكانت خلافتُه تسعَ عشرةَ سنةً وثلاثةَ أشهر .

وحدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى يحيى بن سعيد بن دينار السعدىّ ، عن أبيه ، قالوا : توفىَ معاوية ليلةَ الخميس للنصف من رجب سنة ستين ، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يومًا . ٢/١٩٩

وحدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : بايع أهلُ الشأم معاويةَ بالخلافة فى سنة سبع وثلاثين فى ذى القعدة حين تفرّق الحكَمان ، وكانوا قبلُ بايعوه على الطلب بدم عثمان ، ثمّ صالحه الحسنُ بنُ علىّ ، وسلّم له الأمر سنة إحدى وأربعين ، لخمس بقين من شهر ربيع الأوّل ، فبايع الناسُ جميعًا معاوية ، فقيل : عام الجماعة ؛ ومات بدمشق سنة ستين ، يوم الخميس لثمان بقين من رجب . وكانت ولايتُه تسعَ عشرةَ سنةً وثلاثةَ أشهر وسبعةً وعشرين يومًا .

قال : ويقال : كان بين موت علىّ عليه السلام وموتِ معاويةَ تسعَ عشرةَ سنةً وعشرةُ أشهر وثلاثُ ليالٍ .

وقال هشام بنُ محمد : بويع لمعاوية بالخلافة فى جُمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، فولى تسع عشرةَ سنةً وثلاثةَ أشهر إلاّ أيامًا ، ثم مات لهلال رجب من سنة ستين .

* * *

[ذكر مدّة عمره]

واختلفوا فى مدّة عمره ، وكم عاش ؟ فقال بعضهم : مات يومَ مات وهو ابن خمسٍ وسبعين سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا محمد بن يحيى ، قال : أخبرنى هشام بن الوليد ، قال : قال ابن شهاب الزّهرىّ : سألنى الوليدُ عن أعمار الخلفاء ، فأخبرتُه أنّ معاوية مات وهو ابن خمس وسبعين سنة ؛ فقال : بَخٍ بَخٍ ! إن هذا لعُمْر .

وقال آخرون : مات وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى أحمد بن زهير قال : قال علىّ بن محمد : مات معاويةُ وهو ابن ثلاث وسبعين ؛ قال : ويقال ابن ثمانين سنة . ٢٠٠/٢

وقال آخرون : توفى وهو ابن ثمان وسبعين سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى يحيى بن سعيد بن دينار ، عن أبيه ، قال : توفى معاوية وهو ابن ثمان وسبعين سنة .

وقال آخرون : توفى وهو ابن خمس وثمانين سنة ، حُدّثتُ بذلك عن هشام بن محمد أنه كان يقوله عن أبيه .

* * *

[ذكر العلّة التي كانت فيها وفاته]

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا أبو عُبيدة ، عن أبي يعقوب الثقفيّ ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : لما ثَقُل مُعاوية وحدّث الناس أنه الموت ، قال لأهله : احشُوا عيني إثْمِداً ، وأوسِعوا رأسي دُهنًا ، ففعلوا ، وبرّقوا وجهَه بالدّهن ، ثم مُهِّدَ له ، فجلس وقال : أسندوني ، ثم قال : ائذنوا للناس فليسلّموا قياماً ، ولا يَجلس أحدٌ ، فجعل الرجل يدخل فيسلّم قائمًا فيراه مكتحلاً مُدّهنًا فيقول : يقول الناس : هو لمَابِه ، وهو أصحّ الناس ، فلما خرجوا من عنده قال معاوية :

وتجَلُّدِي للشامِتينَ أُرِيهِمُ أنّي لِرَيبِ الدهرِ لا أَتَضَعْضَعُ[1]

٢٠١/٢ وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أظْفارَها أَلفيْتَ كلَّ تَميمةٍ لا تَنفعُ

قال : وكان به النُّفاثات[2] ، فمات من يومِه ذلك .

حدّثني أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد ، عن إسحاق بن أيوب ، عن عبد الملك بن ميناس الكلبيّ ، قال : قال معاوية ،لابنتيه في مرضه الذي مات فيه وهما تقلّبانه : تُقَلّبان حُوّلاً قُلّبًا ، جمع المال من شُبٍّ إلى دُبٍّ[3] إن لم يدخل النار ، ثم تمثّل :

لقد سعيتُ لكم من سَعْيِ ذي نَصَب وقد كَفَيتُكُمُ التَّطْوافَ والرِّحَلا[4]

ويقال : « من جمع ذي حسب » .

حدّثني أحمد بن زهير ، عن عليّ ،عن سليمان بن أيوب ، عن الأوزاعيّ وعليّ بن مجاهد ، عن عبد الأعلى بن ميمون ، عن أبيه ؛ أنّ معاوية قال في

---

(١) لأبي ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ٣٨ .

(٢) ابن الأثير : « التفاتات » .

(٣) من شب إلى دب ؛ أي من جمعت لدن شببت إلى أن دببت على العصا ؛ وأصل المثل «أعييتني من شب إلى دب» . وانظر اللسان (شبب) .

(٤) كتاب المعمرين ١٥٩ ، وروايته : « وقد كفيتكم الترحال والنصبا » .

مرضه الذى مات فيه: إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كسانى قميصًا فرفعتُه. وقلّم أظفاره يومًا، فأخذتُ قُلامتَه فجعلتُها فى قارورة، فإذا متّ فألبسونى ذلك القميصَ، وقطّعوا تلك القُلامةَ، واسحَقوها وذُرُّوها فى عينى، وفى فىّ، فعسى الله أن يرحَمنى ببرَكتها! ثم قال متمثّلاً بشِعر الأشهب بن رُمَيلة النّهشلىّ يمدح به القُباع [1]:

إذا مُتّ ماتَ الجُودُ وانقطعَ النّدَى ... من الناس إلاّ من قليل مصَرَّدِ
ورُدَّتْ أَكُفُّ السائلينَ وأَمْسَكوا ... من الدّينِ والدنيا بخِلفٍ مُجدَّدِ

فقالت إحدى بناته ـ أوغيرها: كلاّ يا أمير المؤمنين، بل يدفع الله عنك؛ ٢/٢٠٢ فقال متمثلاً:

وإذا المنيّة أنشبتْ أظفارَها ... ألفَيتَ كلَّ تَميمةٍ لا تَنفعُ

ثم أغمِيَ عليه، ثم أفاق، فقال: لمن حضره من أهله: اتقوا الله عزّ وجلّ، فإنّ الله سبحانه يقى من اتّقاه، ولا واقىَ لمن لا يتّقى الله؛ ثم قضى.

حدّثنا أحمد، عن علىّ، عن محمد بن الحكم، عمّن حدّثه أنّ معاوية لما حُضر أوصى بنصف ماله أن يُردّ إلى بيت المال، كان [2] أراد أن يَطيب له الباقى، لأنّ عمر قاسم عمّاله.

* * *

ذكر الخبر عمّن صلّى على معاوية حين مات

حدّثنى أحمد بن زهير، عن علىّ بن محمد، قال: صلّى على معاوية الضحّاك بن قيس الفهرىّ، وكان يزيد غائبًا حين مات معاوية.

وحُدّثت عن هشام بن محمد، عن أبى مخنف، قال: حدّثنى عبدالملك ابن نوفل بن مُساحِق بن عبد الله بن مَخرمة، قال: لما مات معاوية خرج

(١) هو الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المعروف بالقباع، وانظر الكامل ٣ : ٣٠٧.
(٢) ابن الأثير: «كأنه».

الضحاك بن قيس حتى صعد المنبرَ وأكفانُ معاوية على يديه[١] تلوح ، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال : إنّ معاوية كان عُود العرب ، وحدّ العرب ، قطع الله عزّ وجلّ به الفتنة ، وملّكه على العباد ، وفتح به البلاد . ألا إنه قد مات ، فهذه أكفانه ، فنحن مُدْرِجُوه فيها ، ومُدْخلوه قبرَه ، ومُخلّون بينه وبين عمله ، ثمّ هو البرزخ إلى يوم القيامة ، فمن كان منكم يريد أن يَشهَده فليحضُر عند الأولى . وبعث البَريدَ[٢] إلى يزيدَ بوجع معاوية ، فقال يزيد فى ذلك :

٢٠٣/٢

جاء البريدُ بقرطاسٍ يَخُبُّ بِهِ ... فأوْجَسَ القلبُ من قرطاسهِ فَزعَا[٣]

قلنا : لك الويلُ ماذا فى كتابِكُمُ ؟ ... قالوا : الخليفةُ أمْسَى مُثْبَتاً وجِعا

فمادتِ الأرضُ أو كادَتْ تَميدُ بنا ... كأنَّ أغْبَرَ من أركانها انقطعا

من لا تَزَلْ نفسُهُ تُوفِى على شَرَفٍ ... تُوشِكْ مقاليدُ تلك النفسِ أن تقعا

لمّا انتهَيْنا وبابُ الدار مُنْصَفِقٌ ... وصوتُ رَملةَ رِيعَ القلبُ فانصَدَعا

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، عن إسحاقَ بن خُلَيد، عن خليد ابن عَجْلان مولى عبّاد، قال : مات معاويةُ ويزيد بحُوّارِين ، وكانوا كتبوا إليه حين مرض ، فأقبل وقد دُفِن ، فأتى قبرَه فصلى عليه ، ودعا له ، ثم أتى منزلَه ، فقال : « جاء البريد بقِرْطاس ... » الأبيات .

* * *

ذكر الخبر عن نسبه وكنيته

٢٠٤/٢

أما نسبه فإنه ابن أبى سُفْيان ، واسم أبى سُفْيان صَخْر بن حَرْب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصىّ بن كلاب ، وأمّه هند بنت عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصىّ ، وكنيته أبو عبد الرحمن .

(١) س : « على يده » .

(٢) فى المعمرين : « بعد الظهر » .

(٣) الأغانى ١٦ : ٣٣ (ساسى) ، والمعمرون ١٥٧ .

ذكر نسائه وولده

من نسائه مَيْسون بنت بَحْدل بن أنَيف بن وَلْجة بن قُنافة بن عدىّ ابن زهير بن حارثة بن جناب الكلبىّ ، ولدت له يزيدَ بن معاوية . قال علىّ : ولدت ميسونُ لمعاويةَ مع يزيد أمةّ — ربّ المشارق — فماتت صغيرة ، ولم يذكرها هشام فى أولاد معاوية .

ومنهنّ فاختة ابنة قَرَظة بن عبد عَمرو بن نوفل بن عبد مناف . ولدتْ له عبدَ الرحمن وعبد الله بنى معاوية ، وكان عبد الله محمَّقًا ضعيفًا ، وكان يُكنَى أبا الخير . حدّثنى أحمد ، عن علىّ بن محمد ، قال : مرّ عبدالله بن معاوية يومًا بطحّان قد شدّ بغلَه فى الرّحا للطحن ، وجعل فى عنقه جَلاجلَ ، فقال له : لِمَ جعلتَ فى عنق بغلِك هذه الجلاجل ؟ فقال الطحّان : جعلتُها فى عنقه لأعلمَ إنْ قد قام فلم تَدُر الرّحا ، فقال له : أرأيت إن هو قام وحرّك رأسه كيف تعلم أنه لا يدير الرحا ؟ فقال له الطحان : إنّ بغلى هذا — أصلح الله الأمير — ليس له عَقْل مِثل عقل الأمير ! وأما عبد الرحمن فإنه مات صغيراً .

ومنهنّ نائلة بنت عُمارة الكلبية ، تزوّجها ؛ فحدّثنى أحمد ، عن علىّ قال : لما تزوج معاوية نائلة قال لميْسون : انطلِقى فانظرى إلى ابنة عمك ، فنظرت إليها ، فقال : كيف رأيتِها ؟ فقالت : جميلة كاملة ، ولكن رأيت تحتَ سرّتها خالاً ليوضعنّ رأس زوجها فى حِجْرها ، فطلّقها معاوية ، فتزوّجها حبيب بن مسلمة الفهرىّ ، ثم خلف عليها بعد حبيب النعمان بن بَشير الأنصارىّ ، فقتل ، ووضع رأسه فى حِجْرها . ٢٠٥/٢

ومنهنّ كَتْوة بنت قرظة أخت فاختة ، فغزا قُبْرُسَ وهى معه ، فماتت هنالك .

* * *

ذكر بعض ما حضرنا من ذكر أخباره وسيره

حدّثنى أحمد بن زهير ، عن علىّ ، قال : لما بويع لمعاوية بالخلافة صيّر

على شرطته قيس بن حمزة الهمْدانىّ ، ثم عزله ، واستعمل زُميل [١] بن عمرو العُذْرىّ — ويقال السَّكْسَكىّ . وكان كاتبه وصاحبَ أمره سرجون بن منصور الرّومىّ ، وعلى حَرَسه رجلٌ من الموالى يقال له المختار ؛ وقيل : رجل يقال له مالك ، ويكنى أبا المخارق ، مولًى لحميَر . وكان أوّل مَن اتّخذ الحرس . وكان على حجّابه سعد مولاه ، وعلى القضاء فَضالة بن عبيد الأنصارىّ ، فمات فاستقضى أبا إدريس عائذ الله بن عبد الله الخَوْلانىّ . إلى هاهنا حديث أحمد ، عن على .

٢٠٦/٢ وقال غير علىّ : وكان على ديوان الخاتَم عبد الله بن مِحصَن الحِمْيَرىّ ، وكان أوّل من اتّخذ ديوان الخاتم . قال : وكان سبب ذلك أن معاوية أمر لعَمرو بن الزُّبير فى معونته وقضاء دَينه بمائة ألف درهم ، وكتب بذلك إلى زياد بن سُميّة وهو على العراق ، ففضّ عَمرو الكتاب وصيّر المائة مائتين ، فلما رفع [٢] زياد حسابَه أنكرها معاوية ، فأخذ عمراً بردّها وحبسه ، فأدّاها عنه أخوه عبدالله بن الزبير ، فأحدث معاوية عند ذلك ديوانَ الخاتم وخَزْم الكتب ، ولم تكن تُخْزَم .

حدّثنى عبد الله بن أحمد بن شَبّوَيه ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله بن المُبارك ، عن ابن أبى ذئب ، عن سعيد المَقْبرىّ ، قال : قال عمر بن الخطاب : تذكرون كسرى وقيصرَ ودهاءَهما وعندكم معاوية !

حدّثنى عبد الله بنُ أحمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : قرأت على عبد الله ، عن فُليح ، قال : أخبِرت أنّ عمرو ابنَ العاص وفد إلى معاوية ومعه أهلُ مصر ، فقال لهم عَمرو : انظروا ، إذا دخلتم على ابن هند فلا تُسلّموا عليه بالخلافة ، فإنه أعظم لكم فى عينه ، وصغّروه ما استطعتم . فلما قدموا عليه قال معاوية لحجّابه : إنى كأنى أعرف ابن النابغة وقد صغّر أمرى عند القوم ، فانظروا إذا دخل الوفد فتَعتعوهم [٣] أشدّ تَعْتَعة

(١) ابن الأثير : « زمل » . (٢) س : « بلغ » .
(٣) تعتعوهم ؛ أى أزعجوهم .

٢٠٧/٢

تقدرون عليها ، فلا يبلغنى رجل منهم إلاّ وقد همّته نفسه بالتّلف. فكان أوّل مَنْ دخل عليه رجل من أهل مصرَ يقال له ابن الخيّاط ، فدخل وقد تُعتِع ، فقال : السّلام عليك يارسولَ الله ، فتتابع القومُ على ذلك ، فلما خرجوا قال لهم عمرو : لعنكم الله ! نهيتكم أن تسلّموا عليه بالإمارة ، فسلّمتم عليه بالنبوّة !

قال : ولبس معاوية يومًا عمامتَه الحرقانيّة واكتَحل ، وكان من أجمل الناس إذا فعل ذلك . شكّ عبد الله فيه سمعه أو لم يسمعْه .

حدّثنى أحمد بن زهير ، عن علىّ بن محمد ، قال : حدّثنا أبو محمد الأمويّ ، قال : خرج عمر بن الخطاب إلى الشأم ، فرأى معاوية فى موكب يتلقّاه ، وراح إليه فى موكِب ، فقال له عمر : يا معاوية ، تَروحُ فى موكب وتغدو فى مِثلِه ؛ وبلغنى أنك تُصبِح فى منزلك وذوو الحاجات ببابك ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ العدوّ بها قريب منا ، ولهم عيون وجواسيس ، فأردتُ يا أمير المؤمنين أن يَروْا للإسلام عزًّا ؛ فقال له عمر : إنّ هذا لكيدُ رجل لبيب ، أو خُدْعَةُ رجل أريب ؛ فقال معاوية : يا أمير المؤمنين ، مُرْنى بما شئتَ أصِرْ إليه ؛ قال : وَيْحك ! ما ناظرتُك فى أمر أعِيب عليك فيه إلا تركتَنى ما أدرى آمرك أم أنهاك !

حدّثنى عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن مَعمَر ، عن جعفر بن بُرْقان ، أنّ المغيرة كتب إلى معاوية : أمّا بعد ، فإنى قد كَبِرَتْ سنى ، ودَقّ عظمِى ، وشَنِفَتْ لى[1] قريش ، فإنْ رأيتَ أن تعزلَنى فاعزِلنى .

٢٠٨/٢

فكتبَ إليه معاوية : جاءنى كتابُك تذكر فيه أنه كبِرتْ سنُّك ، فلعَمرى ما أكل عمرَك غيرُك ، وتذكر أنّ قريشًا شنفتْ لك ، ولعَمرى ما أصبتَ خيراً إلاّ منهم . وتسألنى أن أعزلك ، فقد فعلت ؛ فإنْ تك صادقًا فقد شفّعتُك ، وإن تك مخادعًا فقد خدعتُك .

---

(١) شنفت لى ؛ أى أبغضتنى .

حدّثني أحمد ، عن علىّ بن محمد ، عن علىّ بن مجاهد ، قال : قال معاوية : إذا لم يكن الأمويّ مصلحًا لما لِه ، حليمًا ، لم يُشبه مَن هو منه ، وإذا لم يكن الهاشميّ سخيًّا جوادًا لم يشبه من هو منه ، ولا يقدمْك من الهاشميّ اللسان والسخاء والشجاعة .

حدّثني أحمد ، عن علىّ ، عن عوانة وخلاّد بن عبدة ، قال : تغدّى معاوية يومًا وعنده عُبيد الله بن أبى بكْرة ، ومعه ابنُه بشير — ويقال : غير بشير — فأكثر من الأكل ، فلحَظه معاوية ، وفَطِن عبيدالله بن أبى بَكْرة ، فأراد أن يغمِز ابنه ، فلم يمكنه ، ولم يرفع رأسَه حتى فرغ ، فلما خرج لاَمَه على ما صنع ، ثم عاد إليه وليس معه ابنه ، فقال معاوية : ما فعل ابنُك التِّلقامة ؟ قال : اشتكَى ؛ فقال : قد علمتُ أن أكلَه سيورِّثه داءً .

حدّثني أحمد، عن علىّ ، عن جويرية بن أسماء، قال : قدم أبو موسى على معاوية ، فدخل عليه فى بُرنُسٍ أسوَد ، فقال : السّلام عليك يا أمينَ الله ، قال : وعليك السلام ؛ فلما خرج قال معاوية : قدم الشيخ ِلأوَلِّيَه ، ولا والله لا أوَلّيه .

حدّثني عبد الله بن أحمد، قال : حدّثني أبو صالح سليمان بن صالح قال : حدّثني عبد الله بن المبارك ، عن سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن أبى بُرْدة ، قال : دخلتُ على معاوية حيث أصابته قَرْحتُه ، فقال : هلمّ يابن أخىَ، نحوى فانظر ، فنظرتُ فإذا هى قد سُبِرتْ ، فقلت : ليس عليك بأس يا أميرَ المؤمنين ، فدخل يزيدُ فقال معاوية : إن وليتَ من أمر الناس شيئًا فاستوصِ بهذا ، فإن أباه كان لى خليلاً أو نحو ذلك من القول غير أنى رأيت فى القتال ما لم يرَه .

٢/٢٠٩

حدّثني أحمد ، عن علىّ ، عن شهاب بن عبيد الله ، عن يزيدَ بن سويد ، قال : أذن معاوية للأحنف وكان يبدأ بإذنه ، ثم دخل محمد بن الأشعث فجلس بين معاوية والأحنف ، فقال معاوية : إنا لم نأذن له قبلك فتكونَ دونه ،وقد فعلتَ فعالَ من أحسّ من نفسه ذُلًّا ، إنا كما نَملِك أموركم

نملك إذنكم ، فأريدوا منا ما نريد منكم ، فإنه أبقى لكم .

حدّثنى أحمد ، عن علىّ ، عن سُحَيم بن حفص ، قال : خطب ربيعة بن عِسْل اليربوعىّ إلى معاوية، فقال معاوية: اسقُوه سَوِيقا؛ وقال له معاوية : يا ربيعة ، كيف الناسُ عندكم ؟ قال : مختلفون على كذا وكذا فرقةً ؛ قال : فمِن أيّهم أنت ؟ قال : ما أنا على شىء من أمرهم ؛ فقال معاوية : أراهم أكثر ممّا قلت ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، أعنّى فى بناء دارى باثنى عشرَ ألف جِذْع ؛ قال معاوية : أين دارُك ؟ قال بالبَصرة ، وهى أكثر من فرسخين فى فرسخين ؛ قال : فدارُك فى البَصرة ، أو البَصرة فى دارك ! فدخل رجلٌ من ولده على ابن هُبيْرة فقال : أصلح الله الأمير ! أنا ابنُ سيِّد قومه، خطب أبى إلى معاوية، فقال ابن هبيرة لسلْم بن قتيبة : مايقول هذا ؟ قال : هذا ابن أحمق قومِه ؛ قال ابن هبيرة : هل زوّج أباك معاوية ؟ قال : لا ، قال : فلا أرى أباك صنع شيئًا . ٢١٠/٢

حدّثنى أحمد ، عن علىّ ، عن أبى محمّد بن ذَكوان القرشىّ ، قال : تنازع عُتبة وعنبسة ابنا أبى سُفْيان — وأمّ عتبة هند وأمّ عنبسة ابنة أبى أُزَيْهِر الدّوسىّ — فأغلظ معاويةُ لعنبسةَ ، وقال عنبسة : وأنت أيضًا يا أميرَ المؤمنين ! فقال : يا عنبسَة ، إنّ عُتبةَ ابنُ هند ، فقال عنبسة :

كنّا بخير صالحاً ذاتُ بينِنا ... قديماً فأمست فرّقَتْ بيننا هندُ[1]

فإنْ تك هندٌ لَم تلِدْنى فإنّنى ... لبيضاءَ يَنميها غَطارفةٌ نُجْدُ[2]

أبوها أبو الأضياف فى كلّ شتْوةٍ ... ومأوى ضعافٍ لا تَنُوءُ من الجَهدِ

جُفَيْنَاته ما إنْ تزال مُقيمة ... لمن خافَ من غَوْرَى تهامةَ أونجدِ

فقال معاوية : لا أعيدها عليك أبداً .

حدّثنى عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن حرملة بن عمران ، قال : أتى معاوية فى ليلة أنّ

---

(١) كتبت الأبيات فى ط محرفة على هيئة النثر . (٢) ط : « مجد » .

قيصرَ قصد له فى الناس ، وأنّ ناتِل بن قيس الجُذامىّ غلب فلسطين وأخذ بيتَ مالها ، وأنّ المصريّين الذين كان سَجَنهم هرَبوا ، وأنّ علىّ بن أبى طالب قصد له فى الناس ، فقال لمؤذنه : أذّن هذه الساعة — وذلك نصف الليل — فجاءه عمرو بن العاص ، فقال : لم أرسلت إلىّ ؟ قال : أنا ما أرسلت إليك ؛ قال : ما أذّن المؤذّن هذه الساعة إلاّ من أجلى ؛ قال : رُميتُ بالقِسِىّ الأربع ؛ قال عمرو : أما هؤلاء الذين خرجوا من سجنك ، فإنهم إن خرجوا من سجنك فهم فى سجن الله عزّ وجلّ ، وهم قوم شُراةٌ لا رحلة بهم ، فاجعل لمن أتاك برجل منهم أو برأسه دِيَته ، فإنك ستؤتَى بهم ، وانظر قيصرَ فوادعْه ، وأعطِه مالاً وحُللاً من حُلَل مصر ، فإنه سيرضى منك بذاك ، وانظر ناتل ابن قيس ، فلعَمرى ما أغضبه الدّين ، ولا أراد إلا ما أصاب ، فاكتب إليه ، وهب له ذلك ، وهنّئه إياه ، فإن كانت لك قدرةٌ عليه ، وإن لم تكن لك فلا تأسَ عليه ، واجعل حدّك وحديدك لهذا الذى عنده دمُ ابن عمّك .

٢١١/٢

قال : وكان القوم كلّهم خرجوا من سجنه غير أبرَهة بن الصّباح ، قال معاوية : ما منعك من أن تخرج مع أصحابك ؟ قال : ما منعنى منه بغضٌ لعلىّ ، ولا حبٌّ لك ، ولكنى لم أقدِر عليه ؛ فخلّى سبيله .

حدّثنى عبد الله ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله بن المبارك[1] ، عن جرير بن حازم ، قال : سمعت محمد بن الزبير يحدّث ، قال : حدّثنى عبد الله بن مسعدة بن حكَمة الفزارىّ من بنى آل بدر ، قال : انتقل معاويةُ من بعض كورِ الشأم إلى بعض عمله ، فنزل منزلاً بالشأم ، فبُسِط له على ظهر إجّار[2] مُشرِف على الطريق ، فأذن لى ، فقعدت معه ، فمرّت القُطُرات والرّحائل والجوارى والخيول ، فقال : يا بن مسعدة ، رحم الله أبا بكر ! لم يُرد الدنيا ولم تُرِده الدنيا ، وأما عمر — أو قال : ابن حنتمة — فأرادته الدنيا ولم يردْها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابتْ منه ؛ وأما نحن فتمرّغنا فيها ؛ ثم كأنه ندم فقال : والله إنه لمُلْك آتانا الله إيّاه .

٢١٢/٢

(١) ط : « مسعدة » ، وانظر الفهرس .

(٢) الإجّار : السطح بلغة الشام .

حدّثني أحمد ، عن عليّ بن محمّد ، عن عليّ بن عبيد الله ، قال : كتب عَمرو بن العاص إلى معاوية يسأله لابنه عبد الله بن عمرو ما كان أعطاه أباه من مصر ، فقال معاوية : أراد أبو عبد الله أن يكتب فهدَر ، أشهدكم أني إن بقيتُ بعدَه فقد خلعتُ عهدَه . قال : وقال عمرو بن العاص : ما رأيت معاوية متّكئًا قطّ واضعًا إحدى رجليه على الأخرى كاسراً عينه يقول لرجل : تكلّم ، إلا رحِمتُه

قال أحمد : قال عليّ بن محمد : قال عمرو بن العاص لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، ألستُ أنصحَ الناس لك ؟ قال : بذلك نلتَ ما نلت .

قال أحمد : قال عليّ : عن جويرية بن أسماء ، أنّ بسر بن أبي أرطاة نال من عليّ عند معاوية وزيد بن عمر بن الخطاب جالس ، فعلاه بعصًا فشجه ، فقال معاوية لزيد : عمدت إلى شيخ من قريش سيّد أهل الشأم فضربتَه ! وأقبل على بُسر فقال : تَشتمُ عليًّا وهو جدّه وابن الفاروق على رءوس الناس ، أوَكنت ترى أنه يَصبر على ذلك ! ثم أرضاهما جميعًا . قال : وقال معاوية : إني لأرفع نفسي من أن يكون ذنبٌ أعظم من عفوى ، وجهلٌ أكثر من حلمي ، أو عورةٌ لا أواريها بسترى ، أو إساءةٌ أكثر من إحساني . قال: وقال معاوية : زَين الشريف العفَاف ؛ قال : وقال معاوية : ما من شيء أحبّ إليّ من عين خرّارة ، فى أرض خوّارة ، فقال عمرو بن العاص : ما من شيء أحبّ إليّ من أن أبيت عَروسًا بعقيلة من عقائل العرب ؛ فقال وَرْدان مولَى عَمرو بن العاص : ما من شيء أحَبّ إليّ من الإفضال على الإخوان ، فقال معاوية : أنا أحقّ بهذا منك ؛ قال : ما تحبّ فافعل . ٢١٣/٢

حدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : كان عامل معاوية على المدينة إذا أراد أن يُبرِد بريداً إلى معاوية أمر مُنادِيَه فنادَى : مَن له حاجةٌ يَكتب إلى أمير المؤمنين ؛ فكتب زِرّ بن حُبيش — أو أيمَن بن خُرَيم — كتابًا لطيفًا ورَمَى به فى الكُتُب ، وفيه :

إذا الرجالُ وَلَدَتْ أولادُها ... وَاضطربَتْ من كِبَر أَعْضادُها

وجَعلتْ أَسقامُها تعتادُها ... فهى زُرُوعٌ قد دَنا حَصادُها

فلمّا وردت الكتب عليه فقرأ هذا الكتاب ؛ قال : نعى إلىّ نفسى .

قال : وقال معاوية : ما من شىء ألذّ عندى من غيظ أتجرّعه .

قال : وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحَكَم بن أبى العاص : يابن أخى ، إنك قد لهجْتَ بالشعر ، فإيّاك والتشبيبَ بالنساء فتعرُّ الشريفة ، والهجاء فتعرّ كريمًا ، وتستثير لئيما ، والمدح ، فإنه طُعمة الوَقاح ، ولكن افخرْ بمَفاخر قومك ، وقلْ من الأمثال ما تزين به نفسَك ، وتؤدّب به غيرَك . ٢/٢١٤

حدّثنى أحمد ، عن على ، قال : قال الحسن بن حماد : نظر معاويةُ إلى النُّمَّا فى عباءة ، فازدراه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ العباءة لا تكلّمك ، وإنما يكلّمك مَن فيها .

حدّثنى أحمد، عن علىّ ، عن سليمان ، قال : قال معاوية : رجلان إن ماتا لم يموتا ، ورجُلٌ إنْ مات مات ، أنا إنْ متّ خلَفنى ابنى ، وسعيد إن مات خلفه عَمرو ، وعبد الله بن عامر إن مات مات ؛ فبلغ مرْوان ، فقال : أمَا ذكر ابنى عبد الملك ؟ قالوا : لا ؛ قال : ما أحبّ أن لى بابنى ابنَيْهما .

حدّثنى أحمد ، عن علىّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن صالح ، قال : قال رجل لمعاوية : أىّ الناس أحبّ إليك ؟ قال : أشدّهم لى تحبيبًا إلى الناس . قال : وقال معاوية : العقلُ والحلم أفضل ما أعطِىَ العبد ، فإذا ذُكِّرَ ذَكر ، وإذا أعطِى شكَر ، وإذا ابتُلى صبَر ، وإذا غضِب كظَم ، وإذا قدر غفَر ، وإذا أساء استغفَر ، وإذا وَعَد أنجَز .

حدّثنى أحمد ، عن علىّ ، عن عبد الله ، وهشام بن سعد ، عن عبد الملك ابن عُمير ، قال : أغلَظَ رجلٌ لمعاوية فأكثر ، فقيل له : أتحلَم عن هذا ؟ فقال : إنى لا أحولُ بين الناس وألسنتهم ما لم يَحُولوا بيننا وبين مُلكِنا .

حدّثنى أحمد ، عن علىّ ، عن محمد بن عامر ، قال : لامَ معاوية عبدَ الله بن جعفر على الغِناء ، فدخل يومًا على معاوية ومعه بُدَيْحٌ ، ومعاوية واضع رِجلاً على رِجل ، فقال عبد الله لبُديح : إيهًا يا بديح ! فتغنّى ،

فحرّك معاوية رِجلَه ، فقال عبدُ الله : مهْ يا أميرَ المؤمنين ! فقال معاوية : ٢١٥/٢
إن الكريمَ طَروب .

قال : وقَدِم عبدُالله بن جعفر على معاوية ومعه سائبُ خاثر — وكان مولًى لبنى لَيث ، وكان فاجراً — فقال له : ارفع حوائجَك ؛ ففعل ، ورفَع فيها حاجة سائبِ خاثر ؛ فقال معاوية : مَن هذا ؟ فخبّره ؛ فقال : أدخِله ، فلمّا قام على باب المجلس غنّى :

لِمَن الديارُ رُسومُها قَفْـرُ لَعِبَتْ بها الأرواحُ والقَطْرُ !
وخَلاَ لَهَا من بعد ساكِنِها حِجَجٌ خَلوْنَ ثَمان أو عَشْرُ
والزّعفـران على تَرائِبِها شَرِقاً به اللَّبّاتُ والنَّحرُ

فقال أحسنتَ ، وقضى حوائجَه .

حدّثنى عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبدالله ، عن مَعمَر ، عن همّام بن منبّه ، قال : سمعت ابن عبّاس يقول : ما رأيت أحداً أخلقَ للمُلك من معاوية ، إن كان ليردُ الناس منه على أرجاءِ وادٍ رحْب ، ولم يكن كالضّيق الحُضْحُض،الحصِر — يعنى ابن الزّبير .

حدّثنى عبد الله ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن سُفيانَ بن عيينة ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، عن قبيصة بن جابر الأسدىّ قال : ألاَ أخبركم مَن صحبتُ ؟ صحبتُ عمر بنَ الخطاب فما رأيت رجلاً أفقهَ فِقْهًا ، ولا أحسنَ مُدارَسة منه ؛ ثم صحبتُ طلحةَ بنَ عبيد الله ، فما رأيت رجلاً أعطَى للجزيل من غير مسألة منه ؛ ثم صحبتُ معاويةَ فما رأيت رجلاً أحبَّ رفيقًا ، ولا أشبهَ سريرةً بعلانية منه ، ولو أنّ المغيرةِ جُعِل فى مدينة لا يُخرَج من أبوابها كلّها إلاّ بالغدر لخرجَ ٢١٦/٢
منها .

خلافة يزيد بن معاوية

وفى هذه السنة بويع ليزيدَ بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه، للنّصف من رجب فى قول بعضهم، وفى قول بعض: لثمانٍ بقينَ منه — على ما ذكرنا قبلُ من وفاة والده معاوية — فأقرّ عُبيدَ الله بن زياد على البَصرة، والنّعمانَ بن بشير على الكوفة.

وقال هشام بن محمد، عن أبى مخنَف؛ وليَ يزيد فى هلال رجب سنة ستين، وأمير المدينة الوليدُ بن عُتبة بن أبى سُفْيان، وأمير الكوفة النّعمان ابن بشير الأنصاريّ، وأمير البَصرة عُبيد الله بن زياد، وأمير مكّة عَمرو بن سعيد بن العاص، ولم يكن ليزيد همّة حين ولى إلا بيعة النفر الذين أبَوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيدَ حين دعا الناس إلى بيعته، وأنه ولى عهده بعدَه، والفراغ من أمرهم، فكتب إلى الوليد:

بسم الله الرحمن الرحيم. مِن يزيدَ أميرِ المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإنّ معاوية كان عبداً من عباد الله، أكرمه الله واستخلَفَه، وخوّله، ومكّن له، فعاش بقَدَر، ومات بأجَل، فرحمه الله، فقد عاش محموداً، ومات برًّا تقيًّا، والسلام.

وكتب إليه فى صحيفة كأنها أذْنُ فأرة:

أما بعد، فخذ حُسَيناً وعبد الله بنَ عمر وعبد الله بن الزبير بالبيْعة أخْذاً شديداً ليست فيه رُخصة حتّى يبايعوا؛ والسلام. ٢١٧/٢

فلما أتاه نَعيّ معاوية فَظَع به، وكبُر عليه، فبعث إلى مروانَ بن الحكم فدعاه إليه — وكان الوليد يومَ قدم المدينة قَدِمها مروانُ متكارِهاً — فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه، فبلغ ذلك مرْوان، فجلس عنه وصرَمه، فلم يزل كذلك حتّى جاء نعيّ مُعاوية إلى الوليد، فلما عظُم على الوليد هلاكُ معاوية وما أمر به من أخذ هؤلاء الرّهط بالبيْعة، فزع عند ذلك إلى مروان، ودعاه، فلما قرأ عليه كتابَ يزيدَ، استرجع وترحّم عليه، واستشاره

الوليدُ فى الأمر وقال : كيف ترى أن نصنع ؟ قال : فإنى أرى أن تبعث الساعةَ إلى هؤلاء النفر فتدعوَهم إلى البيعة والدّخول فى الطاعة ، فإن فعلوا قَبِلْتَ منهم ، وكففتَ عنهم ، وإن أبَوا قدّمتَهم فضربتَ أعناقَهم قبل أن يعلموا بموت معاوية ، فإنهم إن علموا بموت معاوية وثَبَ كلّ امرئ منهم فى جانب ، وأظهرَ الخلافَ والمنابذَة ، ودعا إلى نفسه لا أدرى ؛ أما ابنُ عمرَ فإنى لا أراه يرَى القتال ، ولا يحبّ أنه يُوَلَّى على الناس ، إلاّ أن يُدفَع إليه هذا الأمر عفْواً . فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان — وهو إذ ذاك غلامٌ حدَث [1]— إليهما يدعوهما [1] ، فوجدهما فى المسجد وهما جالسان ، فأتاهما فى ساعة لم يكن الوليد[2] يجلس فيها للناس ، ولا يأتيانه فى مثلها ، فقال : أجيبا ، الأميرُ يدعوكما ، فقال له : انصرف ؛ الآن نأتيه . ثم أقبل أحدُهما على الآخر ، فقال عبد الله بن الزبير للحسين : ظُنّ فيما تراه بعث إلينا فى هذه الساعة التى لم يكن يجلس فيها ! فقال حُسين : قد ظننتُ ، أرى طاغيتَهم قد هلك ، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يَفْشُوَ فى الناس الخبر ؛ فقال : وأنا ما أظنّ غيرَه . قال : فما تريد أن تصنع ؟ قال : أجمعَ فِتْيانى الساعة ، ثم أمشى إليه ، فإذا بلغتُ البابَ احتبستهم عليه ، ثم دخلت عليه . قال : فإنى أخافه عليك إذا دخلت ؛ قال : لا آتيه إلا وأنا على الامتناع قادر . فقام فجمع إليه مواليَهُ وأهلَ بيته ، ثم أقبل يمشى حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه : إنى داخلٌ ، فإن دعوتُكم أو سمعتم صوتَه قد علا فاقتحموا علىّ بأجمعكم ، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم ، فدخل فسلّم عليه بالإمْرة ومرْوانُ جالسٌ عندَه ، فقال حسين ؛ كأنه لا يظنّ ما يظنّ من موت معاوية : الصِّلة خيرٌ من القطيعة ، أصلحَ اللهُ ذاتَ بينكما ! فلم يجيباه فى هذا بشىء ، وجاء حتى جلس ، فأقرأه الوليد الكتابَ ، ونَعَى له معاوية ، ودعاه إلى البيعة ، فقال حسين : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ورَحِم الله معاوية ، وعَظَّم لك الأجر ! أمّا ما سألتنى من البَيعة فإنّ مِثلى لا يُعطى بَيعته سِرّاً ،

٢/٢١٨

(١-١) كذا فى ط ، وفى ابن الأثير : «إلى الحسين وإلى ابن الزبير يدعوهما» ؛ وهو أوضح .

(٢) هو الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أمير المدينة .

ولا أراك تجترئ بها منى سرًّا دون أن نُظهِرَها على رءوس الناس علانية؛ قال : أجَلْ ، قال : فإذا خرجتَ إلى الناس فدعوتَهم إلى البيعة دعوتَنا مع الناس فكان أمراً واحداً ؛ فقال له الوليد — وكان يحبّ العافية : فانصرِف على اسم الله حتّى تأتيَنا مع جماعة الناس ؛ فقال له مروان : والله لئن فارقك الساعة ولم يُبايع لا قدرتَ منه على مثلها أبداً حتى تَكثُر القتلَى بينكم وبينه ، احبس الرجلَ ، ولا يخرج من عندك حتّى يبايع أو تضرب عنقَه ؛ فوثب عند ذلك الحسين ، فقال : يابن الزَّرقاء ، أنت تقتلنى أم هو ! كذبت والله وأثمت ، ثم خرج فمرّ بأصحابه ، فخرجوا معه حتّى أتى منزله . فقال مروانُ للوليد : ٢١٩/٢ عصيتَنى ، لا والله لا يُمكِنك مِن مثلها مِن نفسه أبداً ؛ قال الوليد : وَبِّخْ غيرَك يا مروان ، إنك اخترتَ لى التى فيها هلاكُ دينى ، والله ما أحبّ أن لى ما طلعتْ عليه الشمس وغربتْ عنه من مال الدنيا ومُلكِها ، وأنى قتلتُ حُسيْناً؛ سبحان الله ! أقتل حسيناً أن قال : لا أبايع ! والله إنى لأظنّ امرأً يُحاسَبُ بدمِ حسين لخفيفُ الميزان عند الله يوم القيامة . فقال له مروان : فإذا كان هذا رأيك فقد أصبتَ فيما صنعت ، يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه .

وأما ابنُ الزبير ، فقال : الآن آتيكم ، ثمّ أتى دارَه فكمن فيها ، فبعث الوليد إليه فوجده مجتمِعًا فى أصحابه متحرِّزاً ، فألحّ عليه بكثرة الرّسُل والرجال فى إثر الرجال ؛ فأما حُسين فقال : كُفّ حتّى تنظر وننظر ، وتَرى ونَرى ؛ وأما ابنُ الزّبير فقال : لا تعجلونى فإنى آتيكم ، أمهِلونى ، فألحوا عليهما عشيتهما تلكَ كلها وأوّل ليلهما ، وكانوا على حسين أشدّ إبقاءً ، وبعث الوليد إلى ابن الزبير موالى له فشتموه وصاحوا به : يا بن الكاهليّة ، والله لتأتينّ الأميرَ أو ليقتلنّك ، فلبث بذلك نهارَه كلّه وأوّل ليلة يقول : الآن أجىء ، فإذا استحثّوه قال : والله لقد استربت بكثرة الإرسال ، وتتابع هذه الرجال ، فلا تُعْجلونى حتّى أبعث إلى الأمير مَنْ يأتينى برأيه وأمرِه ، فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال : رحمك الله ! كفّ عن عبد الله فإنك قد أفزعْته وذعَرْته بكثرة رُسلك ، وهو آتيك غداً إن شاء الله ، فمُرْ رُسلك فلْينصرفوا عنّا . فبعث إليهم فانصرفوا ، وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق

الفُرْع هو وأخوه جعفر ، ليس معهما ثالث ، وتجنّب الطريق الأعظم مخافةَ الطلب ، وتوجّه نحو مكة ، فلما أصبح بعث إليه الوليد فوجده قد خرج ، فقال مروان : والله إن أخطأ مكة فَسرِّحْ فى أثره الرجال ، فبعث راكبًا من موالى بنى أمية فى ثمانين راكبًا ، فطلبوه فلم يَقدِروا عليه ، فرجعوا ، فتشاغلوا عن حُسين بطلب عبد الله يومهم ذلك حتى أمسَوْا ، ثم بعث الرجال إلى حسين عند المساء فقال : أصبِحوا ثم ترَون ونَرى ، فكفّوا عنه تلك الليلة ، ولم يُلِحّوا عليه ، فخرج حسين من تحت ليلته ، وهى ليلة الأحد ليومَين بقيَا من رجب سنة ستّين . ٢٢٠/٢

وكان مخرج ابن الزبير قبلَه بليلة ، خرج ليلةَ السبت فأخذ طريقَ الفُرْع ، فبينا عبد الله بن الزبير يُساير أخاه جعفراً إذ تمثّل جعفرٌ بقول صَبِرة الحنظلىّ :

وكلّ بنى أمٍّ سَيُمْسُون ليلةً ولم يَبْقَ من أعْقابِهمْ غيْرُ واحِد

فقال عبد الله ! سبحان الله ، ما أردتَ إلى ما أسمعُ يا أخى ! قال : والله يا أخى ما أردتُ به شيئًا مما تكره ؛ فقال : فذاك والله أكرهُ إلىّ أن يكون جاء على لسانك من غير تعمّد — قال : وكأنه تَطيّرَ منه — وأما الحسين فإنه خرج ببنيه وإخوتِه وبنى أخيه وجلّ أهلِ بيته ، إلا محمد بن الحنفيّة فإنه قال له : يا أخى ، أنتَ أحبّ الناس إلىّ ، وأعزّهم علىّ ، ولست أدّخر النصيحة لأحد من الخلق أحقّ بها منك ، تَنَحّ بتَبعتَكَ[1] عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت ، ثم ابعث رُسُلَك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فإنْ بايَعوا لك حمدتُ الله على ذلك ، وإن أجمع الناس على غيرك لم يَنقُص الله بذلك دِينَك ولا عقلَك ، ولا يُذهب به مروءتَك ولا فضلَك ، إنى أخاف أن تدخل مِصْراً من هذه الأمصار وتأتىَ جماعةً من الناس ، فيختلفون بينهم ، فمنهم طائفة معك ، وأخرى عليك ، فيقتتلون فتكون لأوّل الأسنّة ، فإذا خير هذه الأمة كلّها نفسًا وأبًا ، وأمًّا أضيَعُها دمًا وأذلّها أهلاً ؛ قال ٢٢١/٢

(١) ابن الأثير : « ببيعتك » .

له الحسين : فإلى ذاهب يا أخى ؛ قال : فانزل مكة فإن اطمأنّتْ بك الدارُ فسبيلٌ[1] ذلك ، وإن نَبَتْ بك لحقتَ بالرمال ، وشَعَف الجبال ، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس ، وتعرف عند ذلك الرأى ، فإنك أصْوَب ما تكون رأيًا وأحزَمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالاً ، ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكَل منها حين تستدبرها استدباراً ؛ قال : يا أخى ، قد نصحتَ فأشفقتَ ، فأرجو أن يكون رأيك سديداً موفّقًا .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الملك بن نوفل بن مُساحق ، عن أبى سعد المَقْبُرِىّ ، قال : نظرت إلى الحسين داخلاً مسجدَ المدينة وإنه ليمشى وهو معتمد على رَجُلين ، يعتمد على هذا مرّةً وعلى هذا مرّة ، وهو يتمثّل بقول ابن مفرِّغ :

لا ذَعَرْتُ السَّوامَ فى فَلَق الصُّبْـ ... ـح مُغِيرًا ولادُعِيتُ يَزِيدا[2]

يومَ أُعْطَى من المهابةِ ضَيمًا ... والمَنَايَا يَرْصُدْنَنِى أن أحيدا

قال : فقلت فى نفسى : والله ما تمثّل بهذين البيتين إلا لشىء يريد ، قال : فما مكث إلا يومين حتى بلغنى أنه سار إلى مكة . ٢٢٢/٢

ثم إن الوليد بعث إلى عبد الله بن عمرَ فقال : بايعْ ليزيد ، فقال : إذا بايع الناسُ بايعت ؛ فقال رجل : ما يمنعك أن تبايع ؟ إنما تريد أن يختلف الناسُ فيقتتلوا ويتفانوْا ، فإذا جَهَدَهم ذلك قالوا : عليكم بعبد الله بن عمَر ، لم يَبقَ غيرُه ، بايِعوه ! قال عبد الله : ما أُحبّ أن يقتتلوا ولا يختلفوا ولا يتفانَوْا ، ولكن إذا بايع الناس ولم يَبق غيرى بايعتُ ؛ قال : فتركوه وكانوا لا يتخوّفونه .

---

(١) ابن الأثير : « فبسبيل » . (٢) من أصوات الأغانى ١٧ : ٥١ (ساسى) ، وقبلهما :

حَىِّ ذا الزور وانْهه أن يعودا ... إنّ بالباب حارِسَيْن قُعُودَا

قال : ومضى ابن الزّبير حتى أتى مكة وعليها عَمرو بن سعيد ، فلما دخل مكّة قال: إنما أنا عائذ ، ولم يكن يصلّى بصلاتهم ، ولا يُفيض بإفاضتهم ، كان يقف هو وأصحابُه ناحيةً ، ثم يُفيض بهم وحدَه ، ويصلّى بهم وحدَه ، قال : فلما سار الحسين نحو مكة ، قال : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) . فلما دخل مكة قال : ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢) .

* * *

[ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمر بن سعيد]

وفى هذه السنة عزَل يزيدُ الوليد بن عُتبة عن المدينة ، عزله فى شهر رمضان ، فأقرّ عليها عمرو بن سعيد الأشدق .

وفيها قَدِم عَمرو بن سعيد بن العاص المدينةَ فى رمضان ، فزعم الواقدىّ أن ابن عمرَ لم يكن بالمدينة حين ورد نعىّ معاوية وبيعة يزيدَ على الوليد ، وأنّ ابنَ الزّبير والحسين لما دُعيا إلى البيعة ليزيد أبيَا وخرجَا من ليلتهما إلى مكة ، فلقيهما ابنُ عباس وابن عمر جائييْن من مكة ، فسألاهما ، ما وراءكما ؟ قالا : موتُ معاوية والبَيعة ليزيد ؛ فقال لهما ابن عمر : اتّقيا الله ولا تفرّقا جماعة المسلمين ؛ وأما ابنُ عمرَ فقَدِم فأقام أيّامًا ، فانتظر حتى جاءت البيعة من البُلْدان ، فتقدّم إلى الوليد بن عتبة فبايَعه ، وبايَعه ابن عباس . ٢٢٣/٢

* * *

وفى هذه السنة وجّه عَمرو بن سعيد عَمرَو بن الزبير إلى أخيه عبدِ الله بنِ الزبير لحربه .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر محمد بن عمر أنّ عَمرو بن سعيد بن العاص الأشدق قَدِم المدينةَ فى رمضان سنة ستين فدخل عليه أهلُ المدينة ، فدخلوا على رجل عظيمِ الكِبْر مفوّه .

---

(١) سورة القصص:٢١ . (٢) سورة القصص:٢٢ .

قال محمّد بن عمر : حدّثنا هشام بن سعيد ، عن شيبة بن نصاح ، قال : كانت الرسل تجرى بين يزيدَ بن معاوية وابن الزبير فى البَيعة ، فحلف يزيد ألّا يقبل منه حتى يؤتَى به فى جامعة ، وكان الحارث بن خالد المخزومىّ على الصلاة ، فمنعه ابن الزبير ، فلما منعه كتب يزيد إلى عمرو بن سعيد ، أن ابعث جيشاً إلى ابن الزبير ، وكان عَمرو بن سعيد لما قدم المدينة ولّى شُرطته عَمرو بن الزبير ، لِمَا كان يعلم ما بينه وبين عبد الله بن الزبير من البغْضاء ، فأرسل إلى نفر من أهل المدينة فضربهم ضَرْباً شديداً .

قال محمد بن عمر : حدّثنى شُرَحبيل بن أبى عون ، عن أبيه ، قال : نظر إلى كل من كان يَهوَى هوَى ابن الزّبير فضرَبه ، وكان ممن ضرب المنذر ٢٢٤/٢ ابن الزبير ، وابنه محمد بن المنذر ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوثَ ، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، وخُبيب بن عبد الله بن الزبير ، ومحمد ابن عمّار بن ياسر ، فضرَبَهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين ، وفرّ منه عبد الرحمن بن عثمان وعبد الرحمن بن عَمرو بن سهل فى أناس إلى مكّة ، فقال عمرو بن سعيد لعمرو بن الزبير : مَن رجلٌ نوجّه إلى أخيك ؟ قال : لا توجّه إليه رجلاً أبداً أنكأ له منّى ، فأخرج لأهل الديوان عشرات ، وخرج من موالى أهلِ المدينة ناسٌ كثير ، وتوجّه معه أنيس بن عَمرو الأسلمىّ فى سبعمائة ، فوجّهه فى مقدّمته ، فعسكر بالجرف ، فجاء مروان بنُ الحكَم إلى عَمرو بن سعيد فقال : لا تَغزُ مكة ، واتّق الله ، ولا تُحِلّ حرمةَ البيت ، وخلّوا ابن الزبير فقد كَبِر ، هذا له بِضعٌ وستون سنةً ، وهو رجلٌ لَجوج ، والله لئن لم تقتلوه ليموتَنّ ، فقال عمرو بن الزبير : والله لنقاتلنه ولنغزونّه فى جوف الكعبة على رغم أنف من رَغِم ؛ فقال مروان : والله إنّ ذلك ليسوءنى ؛ فسار أنَيس بن عَمرو الأسلمىّ حتى نزل بذى طُوًى ، وسار عَمرو بن الزبير حتى نزل بالأبطح ، فأرسل عَمرو بن الزبير إلى أخيه : برّ يَمينَ الخليفة ، واجعل فى عنقك جامعة من فضّة لا ترى ، لا يضرب الناس بعضهم بعضاً ، واتّقِ الله فإنك فى بلد حرام .

قال ابن الزبير : موعدك المسجد ؛ فأرسل ابن الزبير عبدَ الله بنَ صفوان

الجمحيّ إلى أنيس بن عمرو من قبَل ذى طُوًى ، وكان قدضوى إلى عبد الله ابن صَفْوان قومٌ ممن نزل حول مكة ، فقاتلوا أنيس بن عمرو ، فهزم أنيس ابن عمرو أقبَحَ هزيمة ، وتفرّق[1] عن عمرو جماعةُ أصحابه، فدخل دارَ علقمة ، فأتاه عبيدة بن الزبير فأجارَه ، ثم جاء إلى عبد الله بن الزبير فقال : ٢/٢٢٥ إنى قد أجَرْته ؛ فقال : أتجير من حقوق الناس ! هذا ما لا يصلح .

قال محمد بن عمر : فحدّثت هذا الحديثَ محمد بنَ عُبيد بن عمير فقال : أخبرَنى عمرو بن دينار ، قال : كتب يزيدُ بن معاويةَ إلى عمرو ابن سعيد : أن استعمل عَمرو بن الزبير على جيش ، وابعثه إلى ابن الزبير ، وابعث معه أنيس بن عمرو ؛ قال : فسار عَمروبن الزبير حتى نزل فى داره عند الصّفا ، ونزل أنيس بن عمرو بذى طُوًى ، فكان عمرو بن الزبير يصلى بالناس، ويصلى خلفه عبد الله بن الزبير ، فإذا انصرف شبّك أصابعه فى أصابعه ، ولم يبق أحدٌ من قريش إلا أتى عَمرو بن الزبير ، وقعد عبد الله بنُ صفوان فقال : مالى لا أرى عبدَالله بنَ صفوان ! أما والله لئن سرت إليه ليعلمنّ أن بنى جُمَح ومَنْ ضَوى إليه من غيرهم قليل ، فبلغ عبدَالله بن صفوان كلمتُه هذه ، فحرّكته ، فقال لعبد الله بن الزبير : إنى أراك كأنك تريد البُقْيا على أخيك ؛ فقال عبد الله : أنا أبقِى عليه يا أبا صَفْوان ! والله لو قَدرتُ على عَوْن الذَّرّ عليه لاستعنتُ بها عليه؛ فقال ابنُ صفوان : فأنا أكفيك أنيس بن عمرو ، فاكفنى أخاك ؛ قال ابن الزبير : نعم ؛ فسار عبدالله ابن صفوان إلى أنيس بن عمرو وهو بذى طُوًى ، فلاقاه فى جمع كثير من أهل مكّة وغيرهم من الأعوان ، فهزم أنيس بن عمرو ومن معه ، وقتلوا مدبِرَهم ، وأجهزوا[2] على جَرِيحِهم ، وسار مصعب بنُ عبد الرحمن إلى عَمرو ، وتفرّق عنه أصحابه حتى تخلّص إلى عمرو بن الزبير ، فقال عبيدة بن الزبير لعمرو : تعالَ أنا أجيرك . فجاء عبد الله بن الزبير ، فقال : قد أجرت عمراً ، فأجره ٢/٢٢٦ لى ، فأبى أن يجيرَه ، وضربَه بكلّ من كان ضَرَب بالمدينة ، وحبَسه بسجن عارم .

---

(١) ط : « وتمعق » .
(٢) ط : « وأجازوا » .

قال الواقدىّ: قد اختلفوا علينا فى حديثِ عمرِو بن الزّبير ، وكتبت كلّ ذلك.

حدّثنى خالد بن إلياس ، عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهْم ، قال : لمّا قدم عَمرو بن سعيد المدينة واليًا ، قدم فى ذى القعدة سنة ستّين ، فولّى عمرَو ابن الزبير شُرطتَه ، وقال : قد أقسَم أميرُ المؤمنين ألاّ يقبل بيعةَ ابن الزبير إلا أن يؤتَى به فى جامعة ، فَلْيُبَرّ يمينُ أمير المؤمنين ، فإنى أجعل جامعة خفيفةً من ورِق أو ذهب ، ويلبس عليها بُرْنُسًا ، ولا تُرَى إلا أن يُسمع صوتُها ، وقال :

خُذْها فليَستْ لِلعزِيز بخُطَّةٍ ... وفيها مقالٌ لامرئٍ مُتذَلَّلِ

أَعامِرُ إنَّ القوْمَ ساموكَ خُطَّةً ... ومالكَ فى الجيران عذلُ مُعَذِّلِ

قال محمّد : وحدّثنى رِياح بن مسلم ، عن أبيه ، قال : بُعِث إلى عبد الله بن الزّبير عَمرو بن سعيد، فقال له أبو شُريح : لا تَغزُ مكة فإنّى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إنما أذن الله لى فى القتال بمكة ساعةً من نهار ، ثم عادت كحرُمْتها» ؛ فأبى عَمرو أن يسمع قوله ، وقال : نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ ؛ فبعث عمرو جيشًا مع عمرو[1] ومعه أنَيْس ابن عمرو الأسلمىّ ، وزيد غلام محمد بن عبد الله بن الحارث بن هشام ، — وكانوا نحو ألفين — فقاتلهم أهلُ مكة ، فقُتل أنَيْس بن عمرو والمهاجر مولى القَلَمَّس فى ناس كثير ، وهُزِم جيشُ عمرو ، فجاء عبيدة بن الزبير ، ٢٢٧/٢ فقال لأخيه عمرو : أنت فى ذمّتى ، وأنا لك جار ، فانطَلَق به إلى عبد الله ، فدخل على ابن الزبير فقال : ما هذا الدّم الذى فى وجهك يا خبيث ! فقال عمرو :

لَسْنا على الأعقاب تَدْمَى كُلومُنا ... ولكنْ على أقدامنا تَقْطُرُ الدِّمَا[2]

فحبسه وأخفر عُبيدة ، وقال : أمرْتُك أن تجير هذا الفاسقَ المستحِلّ لحرمات الله ؛ ثم أقاد عَمراً من كلّ من ضربه إلا المنذر وابنه ، فإنهما أبيَا

---

(١) هو عمرو بن الزبير.

(٢) للحصين بن الحُمام المرّىّ من أبيات له فى ديوان الحماسة ١ : ١٩١ ، ١٩٢ ؛ والرواية هناك : « فلسنا على الأعقاب » ، وقوله : « تقطر الدما » ، أى تقطر الكلوم الدم .

أن يستقيدا ، ومات تحت السِّياط . قال : وإنما سمّى سجن عارِم لعبد كان يقال له: زيد عارِم، فسمّىَ السِّجنُ به ، وحَبَس ابنُ الزبير أخاه عَمراً فيه .

قال الواقدىّ : حدّثنا عبد الله بن أبى يحيى ، عن أبيه ، قال : كان مع أُنَيس بن عمرو ألفان .

* * *

وفى هذه السنة وجّه أهلُ الكوفة الرسل إلى الحسين عليه السلام وهو بمكّة يدعونه إلى القدوم عليهم ، فوجه إليهم ابن عمّه مُسلِم بن عَقِيل بن أبى طالب رضى الله عنه .

* * *

ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيّين الُحسين عليه السلام للمصير إلى ما قِبلهم وأَمْر مسلم بن عقيل رضى الله عنه

حدّثنى زكريّاء بن يحيى الضرير ، قال : حدّثنا أحمد بن جناب المَصِّيصىّ — ويكنَى أبا الوليد — قال : حدّثنا خالد بن يزيد بن أسد بن عبد الله القَسْرىّ ، قال : حدّثنا عمار الدُّهنىّ ، قال : قلت لأبى جعفر : حدّثْنِى بمقتَل الحسين حتّى كأنّى حضرتُه؛ قال : مات معاويةُ والوليدُ بن عُتبة بن أبى سُفْيان على المدينة ، فأرسل إلى الحسين بن علىّ ليأخذ بيعته ، فقال له: أخِّرنى وارفُق ، فأخّره، فخرج إلى مكة ، فأتاه أهلُ الكوفة ورُسُلهم: إنا قد حبسنا أنفسَنا عليك ، ولسنا نحضر الجُمُعة مع الوالى ، فاقدم علينا — وكان النعمان بن بَشير الأنصارىّ على الكوفة ؛ قال : فبعث الحسين إلى مسلم بن عَقِيل بن أبى طالب ابن عمّه فقال له : سِرْ إلى الكوفة فانظر ما كَتبوا به إلىّ ، فإنْ كان حقًّا خرجنْا إليهم . فخرج مسلم حتى أتى المدينة ، فأخذ منها دليلين ، فمرّا به فى البرّيّة ،فأصابهم عطَش ، فمات أحدُ الدَّليلين ، وكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه ، فكتب إليه الحسين : أن امض إلى الكوفة . ٢/٢٢٨

فخرج حتى قَدِمها ، ونزل على رجل من أهلها يقال له ابن عَوْسجة؛ قال : فلمّا تحدّث أهل الكوفة بمَقْدَمه دبّوا إليه فبايعوه ، فبايعه منهم

اثنا عشرَ ألفًا . قال: فقام رجل ممن يَهوَى يزيد بن معاوية إلى النّعمان بن بَشير ، فقال له : إنك ضعيف أو متضعّف ؛ قد فسَد البلاد ! فقال له النعمان : أن أكونَ ضعيفًا وأنا فى طاعة الله أحبّ إلىّ من أن أكون قويًّا فى معصية الله ، وما كنتُ لأهتكَ سترًا ستَرَهُ الله .

فكتب بقول النعمان إلى يزيد ، فدعا مولًى له يقال له : سَرْجون ؛ — وكان يستشيره — فأخبَرَه الخبر ، فقال له : أكنتَ قابلا من معاوية لو كان حيًّا ؟ قال : نعم ؛ قال : فاقبل منّى ؛ فإنه ليس للكوفة إلاّ عُبيد الله ابن زياد، فولِّها إيّاه —وكان يزيد عليه ساخطًا، وكان همّ بعزله عن البَصْرة — فكتب إليه برضائه ، وأنه قد ولاّه الكوفة مع البصرة ، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عَقِيل فيقتلَه إنْ وجده .

٢٢٩/٢ قال : فأقبل عُبيد الله فى وجوه أهل البَصْرة حتى قدم الكوفة متلثّمًا، ولا يمرّ على مجلس من مجالسهم فيسلّم إلاّ قالوا : عليك السلام يابن بنتِ رسول الله — وهم يظنون أنه الحسين بن علىّ عليه السّلام — حتى نزل القصر، فدعا مولًى له فأعطاه ثلاثةَ آلاف ، وقال له : اذهبْ حتى تسأل عن الرجل الذى يبايع له أهلُ الكوفة فأعلِمه أنك رجل من أهل حِمْصَ جئتَ لهذا الأمر ، وهذا مالٌ تدفعه إليه ليتقوّى . فلم يزل يتلطّف ويَرفُق به حتى دُلّ على شيخ من أهل الكوفة يلى البيعة ، فلقيَه فأخبره ، فقال له الشيخ : لقد سَرّنى لقاؤك إيّاى ، وقد ساءنى ؛ فأما ما سرّنى من ذلك فما هداك الله له ، وأما ما ساءنى فإنّ أمرَنا لم يستحكم بعدُ . فأدخَلَه إليه ، فأخذ منه المال وبايعه ، ورجع إلى عبيد الله فأخبَرَه .

فتحوّل مسلم حين قدم عُبيد الله بن زياد من الدّار التى كان فيها إلى منزل هانئ بن عُروة المُرادىّ، وكتب مسلم بن عَقِيل إلى الحسين بن علىّ عليه السلام يخبره ببيعة اثنى عشر ألفًا من أهل الكُوفة ، ويأمره بالقدوم . وقال عبيد الله لوجوه أهل الكوفة : مالى أرى هانئَ بنَ عروةَ لم يأتنى فيمن أتانى ! قال : فخرج إليه محمّد بن الأشعث فى ناس من قومه وهو على باب

داره ، فقالوا : إنّ الأمير قد ذكَرَك واستبطأك ، فانطلق إليه ، فلم يزالوا به حتى ركب معهم وسار حتّى دخل على عُبيد الله وعنده شُريح القاضى ، فلما نظر إليه قال لشريح: « أتتْك بحائنٍ رِجْلاه »(١) ؛ فلمّا سلّم عليه قال: يا هانئ ، أين مسلم ؟ قال : ما أدرى ؛ فأمر عبيد الله مولاه صاحب الدراهم فخرج إليه ، فلما رآه قُطع به، فقال : أصلح الله الأمير ! والله ما دعوتُه إلى منزلى ولكنه جاء فطرح نفسه علىّ ؛ قال : ائتنى به ؛ قال : والله لو كان تحت قدمىّ ما رفعتهما عنه ؛ قال : أدنُوه إلىّ ، فأُدنِىَ فضربه على حاجبه فشجّه ، قال : وأهوَى هانئٌ إلى سيفِ شُرَطىّ ليسلّه ، فدُفع عن ذلك ، وقال : قد أحلّ الله دمك ، فأمر به فحُبِس فى جانب القصر . ٢/٢٣٠

* * *

وقال غير أبى جعفر : الذى جاء بهانئ بنِ عُروة إلى عُبيد الله بن زياد عَمْرو بن الحجّاج الزُّبيدىّ :

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا عَمرو بن علىّ ، قال : حدّثنا أبو قُتيبة ، قال : حدّثنا يونس ابن أبى إسحاق ، عن العَيْزار بن حُرَيث ، قال : حدّثنا عُمارة بن عُقْبة ابن أبى مُعَيط ، فجلس فى مجلس ابن زياد فحدّث ، قال : طردتُ اليوم حُمُراً فأصبتُ منها حماراً فعقرتُه ، فقال له عَمرو بن الحجاج الزُّبيدىّ : إنّ حماراً تَعْقِرُهُ أنتَ لَحِمارٌ حائن ؛ فقال : ألا أخبرك بأحْيَنَ من هذا كلّه ! رجل جِئ بأبيه كافراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمَر به أن يضرب عنقه، فقال : يا محمد فمن للصِّبْيَة ؟ قال : النارُ ، فأنت من الصبْيَة ، وأنت فى النار ؛ قال : فضحك ابن زياد .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمّار الدُّهنىّ ، عن أبى جعفر. قال : فبينا هو

(١) أتتك بحائن رجلاه ؛ مثل ، وأول من قاله عبيد بن الأبرص ، وانظر الفاخر ٢٥١ .

كذلك إذ خرج الخبر إلى مذْحِج ، فإذا على باب القصر جَلَبَة سمعها عبيد الله ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : مَذحِج ، فقال لشُريح : اخرج إليهم فأعلِمهم أنى إنما حبسته لأسائله ، وبعث عَيناً عليه من مواليه يسمع ما يقول ، فمرّ بهانئ بن عروة ، فقال له هانئ : اتّق الله يا شُريح ، فإنه قاتلى ، فخرج شريح حتّى قام على باب القصر ، فقال : لا بأس عليه ، إنما حبسه الأمير ليسائله ، فقالوا : صدق، ليس على صاحبكم بأس ، فتفرّقوا ، فأتى مُسلِماً الخبرُ ، فنادى بشعاره ، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة ، فقدّم مقدّمته ، وعَبّى مَيمَنَته ومَيْسَرته، وسار فى القلب إلى عُبيد الله ، وبعث عُبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده فى القصر ، فلما سار إليه مسلم فانتهى إلى باب القصر أشرَفوا على عشائرهم فجعلوا يكلمونهم ويردّونهم ، فجعل أصحاب مسلم يتسلّلون حتّى أمسى فى خَمسِمائة، فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضًا .

٢٣١/٢

فلما رأى مسلم أنه قد بقى وحده يتردّد فى الطُّرق أتى باباً فنزل عليه ، فخرجت إليه امرأة ، فقال لها : اسقينى ، فسقَتْه ، ثمّ دخلتْ فمكثتْ ما شاء الله ، ثم خرجت فإذا هو على الباب ؛ قالت : يا عبدَ الله ، إنّ مجلسك مجلسُ رِيبة ، فقمْ ؛ قال : إنى أنا مسلم بن عَقِيل ، فهل عندكِ مأوًى ؟ قالت : نعم ، ادخل ، وكان ابنها مولًى لمحمد بن الأشعث ، فلما علم به الغلام انطلق إلى محمد فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيد الله فأخبره، فبعث عُبيد الله عَمرو بن حريث المخزومىَّ — وكان صاحبَ شُرَطه — إليه، ومعه عبدالرحمن ابن محمد بن الأشعث ، فلم يَعلم مُسلم حتّى أحيط بالدار ، فلما رأى ذلك مسلمٌ خرج إليهم بسيفه فقاتَلَهم ، فأعطاه عبد الرحمن الأمان ، فأمكن من يده ، فجاء به إلى عبيد الله، فأمر به فأصعِد إلى أعلى القصر فضُربت عنقُه ، وألقَى جُثَّته إلى الناس ، وأمر بهانئ فسُحب إلى الكُناسة ، فصُلب هنالك، وقال شاعرُهم فى ذلك :

٢٣٢/٢

فإنْ كنتِ لا تدرينَ ما الموتُ فانظرى ... إلى هانئٍ فى السُّوقِ وابنِ عقِيلِ

أَصابَهُمَا أَمْرُ الإمامِ فأَصبحا أَحاديثَ مَنْ يَسْعى بكلِّ سبيلِ
أَيرْكبُ أَسماءُ الهمَالِيجَ آمِنًا وقد طَلَبَتْهُ مَذْحِجٌ بِذُحولِ !

وأما أبو مِخْنف فإنه ذكر من قصّة مسلم بن عَقِيل وشخوصه إلى الكُوفة ومقتله قصّةً هى أشبع وأتمّ من خبر عمّار الدّهنىّ عن أبى جعفر الذى ذكرناه ؛ ما حُدِّثت عن هشام بن محمد ، عنه ، قال : حدّثنى عبد الرحمن بن جُندَب ، قال : حدّثنى عُقبة بن سِمْعان مولى الرّباب ابنة امرئ القيس الكلبيَّة امرأة حسين—وكانت مع سُكَينة ابنة حسين ، وهو مولًى لأبيها ، وهى إذ ذاك صغيرة — قال : خرجْنا فلزمنا الطريقَ الأعظم ، فقال للحسين أهلُ بيته : لو تنكَّبتَ الطريقَ الأعظمَ كما فعل ابن الزبير لا يلحقك الطلب ؛ قال : لا ، والله لا أفارقه حتى يقضىَ الله ما هو أحبّ إليه ، قال : فاستقبلَنا عبدُ الله بن مُطيع فقال للحسين : جُعلت فِداك ! أين تريد؟ قال : أما الآن فإنى أريد مكة ، وأما بعدها فإنى أستخير الله ، قال : خار الله لك ، وجعلَنا فداك ؛ فإذا أنت أتيت مكّة فإياك أن تَقرُب الكوفة ، فإنها بلدةٌ مشئومة ، بها قُتِل أبوك ، وخُذِل أخوك ، واغتيل بطعنة كادت تأتى على نفسه ؛ الزم الحرمَ ، فإنّك سيّد العرب ، لا يَعدِل بك والله أهلُ الحجاز أحداً ، ويتداعَى إليك الناسُ من كلّ جانب ؛ لا تفارق الحَرم فِداك عمّى وخالى ، فوالله لئن هلكتَ لنُستَرقَّنّ بعدك . ٢/٢٣٣

فأقبل حتى نزل مكة ، فأقبل أهلُها يختلفون إليه ويأتونه ومَن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق ، وابن الزبير بها قد لزم الكعبة ، فهو قائم يصلّى عندها عامّة النهار ويطوف ، ويأتى حُسَينًا فيمن يأتيه ، فيأتيه اليومين المتواليَيْن ، ويأتيه بين كلّ يومين مرّة ، ولا يزال يشير عليه بالرّأى وهو أثقل خلْق الله على ابن الزُّبير ، قد عرف أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه أبداً ما دام حسين بالبلد ، وأنّ حسينًا أعظم فى أعينهم وأنفسهم منه ، وأطوعُ فى الناس منه .

فلما بلغ أهلَ الكوفة هلاكُ معاوية أرجف أهلُ العراق بيزيد ، وقالوا : قد امتنع حسين وابن الزبير ، ولَحِقا بمكة ، فكتب أهل

الكوفة إلى حسين ، وعليهم النعمان بن بَشير .

قال أبو مخنف : فحدّثني الحجّاج بن عليّ ، عن محمد بن بشر الهَمْدانيّ ، قال : اجتمعت الشيعة في منزل سليمانَ بن صُرَد ، فذكرْنا هلاكَ معاوية ، فحمِدْنا الله عليه ، فقال لنا سليمان بن صُرَد : إنّ معاوية قد هلك ، وإنّ حسيناً قد تقبّضَ على القوم ببيعته ، وقد خرج إلى مكة ، وأنتم شيعته وشيعة أبيه ، فإنْ كنتم تَعلَمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه ، وإن خفتم الوهَلَ والفَشَل فلا تغرّوا الرّجلَ من نفسه ، قالوا : لا ، بل نقاتل عدوّه ونقتل أنفسنا دونه ؛ قال : فاكتبوا إليه ، فكَتَبوا إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . لحسين بن عليّ من سُليمان بن صُرَد والمسيّب ابن نَجَبَة ورفاعة بن شدّاد وحبيب بن مُظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة . سلامٌ عليك ، فإنا نحمَد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد، فالحمد لله الذى قَصَم عدوّك الجبّار العنيد الذى انتزى على هذه الأمة فابتزّها أمرَها، وغصَبهَا فَيئْهَا، وتأمّر علَيْها بغير رضًا منها، ثم قتل خيارَها ، واستبقَى شِرارَها، وجعل مالَ الله دُولةً بين جبابرتها وأغنيائها، فبُعْداً له كما بَعِدتْ ثمود ! إنه ليس علينا إمام ، فأقبِلْ لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ . والنعمان ابن بشير فى قصر الإمارة لسنا نجتمع معه فى جُمعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد بلغَنا أنك قد أقبلتَ إلينا أخرجْناه حتى نلحقه بالشأم إن شاء الله؛ والسلام ورحمةُ الله عليك .

٢/٢٣٤

قال : ثمّ سرّحنا بالكتاب مع عبد الله بن سَبُع الهَمْدانيّ وعبد الله بن وال ، وأمرناهما بالنّجاء ؛ فخرج الرجلان مسرِعَيْن حتى قدِما على حسين لعشر مضين من شهر رمضانَ بمكة ، ثم لبثْنا يومين ، ثم سرّحنا إليه قيسَ ابن مُسْهِر الصَّيداويّ وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبيّ وعُمارة بن عبيد السَّلوليّ، فحملوا معهم نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفةً ؛ [الصحيفة] من الرجل والاثنين والأربعة .

قال : ثمّ لبثنا يومين آخرين ، ثم سرّحنا إليه هانئَ بن هانئ السَّبيعىّ وسعيد بن عبدالله الحنفىّ ، وكتبْنا معهما :

بسم الله الرّحمن الرّحيم . لحسين بن علىّ من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، أمّا بعد ،فحيَّهلا ، فإنّ الناس ينتظرونك ، ولا رأىَ لهم فى غيرك ، فالعجَل العجَل ؛ والسلام عليك .

٢/٢٣٥ وكتب شبَث بن رِبْعىّ وحجّار بن أبْجَر ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيم وعَزْرة بن قيس وعَمرو بن الحجّاج الزُّبيدىّ ومحمد بن عُمير التميمىّ :

أما بعد ، فقد اخضرّ الجنَاب ، وأينعَت الثمار ، وطَمَّت الجِمام ، فإذا شئت فاقدَم على جند لك مجنَّد ؛ والسلام عليك .

وتلاقت الرسُل كلّها عنده ، فقرأ الكتب ، وسأل الرسل عن أمر الناس ، ثم كتب مع هانئ بن هانئ السَّبيعىّ وسعيد بن عبد الله الحنفىّ ، وكانا آخر الرسل :

بسم الله الرّحمن الرحيم. من حسين بن علىّ إلى الملإ من المؤمنين والمسلمين ؛ أما بعد ، فإن هانئًا وسعيداً قدِمَا علىّ بكتبكم ، وكانا آخر مَن قدم علىّ من رسلكم ، وقد فهمت كلّ الذى اقتصصتم وذكرتم ، ومقالة جُلّكم : إنه ليس علينا إمام ، فأقبِل لعلّ اللهأن يجمَعَنا بك على الهدى والحقّ . وقد بعثتُ إليكم أخى وابن عمّى وثقتى من أهل بيتى ، وأمرتُه أن يكتب إلىّ بحالكم وأمرِكم ورأيكم ، فإن كتب إلىّ أنه قد أجمع رأى مَلَئكم وذوى الفضل والحِجَى منكم على مثل ما قدمتْ علىَّ به رُسُلكم ، وقرأتُ فى كُتُبكم ، أقدم عليكم وَشيكًا إن شاء الله ؛ فلَعَمرى ما الإمام إلا العامل بالكتاب ، والآخذ بالقسط ، والدائن بالحق ، والحابس نفَسه على ذات الله . والسلام .

قال أبو مخنف : وَذكر أبو المخارق الراسبىّ ، قال: اجتمع ناس من الشِّيعة بالبَصْرة فى منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية ابنة سعْد — أو منقذ — أيامًا ، وكانت تَشيَّع ، وكان منزلُها لهم مَألَفًا يتحدّثون فيه ، وقد بلغ ابنَ زياد إقبالُ الحسين ، فكتب إلى عامله بالبَصرة أن يضع المناظر ويأخذ بالطريق . ٢/٢٣٦

قال : فأجمع يزيد بن نُبَيط الخروج — وهو من عبد القيس — إلى الحسين ، وكان له بَنونَ عشرة ، فقال : أيكم يخرج معى ؟ فانتدب معه ابنان له : عبد الله وعبيد الله ، فقال لأصحابه فى بيت تلك المرأة : إنى قد أزمعتُ على الخروج ، وأنا خارج ، فقالوا له : إنا نخاف عليك أصحابَ ابن زياد ؛ فقال : إنّى والله لو قد استوت أخفافهما بالجَدَد لهَانَ علىّ طلب من طلبنى .

قال : ثم خرج فتقدّى(١) فى الطريق حتّى انتهى إلى حسين عليه السلام ، فدخل فى رحله بالأبطح ، وبلغ الحسينَ مجيئُه ، فجعل يطلبه ، وجاء الرجل إلى رَحْل الحسين ، فقيل له : قد خرج إلى منزلك ، فأقبل فى أثره ، ولما لم يجده الحسين جلس فى رحله ينتظره ، وجاء البصرى فوجَدَه فى رَحْله جالسًا ، فقال : ﴿ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ قال : فسلّم عليه ، وجلس إليه ، فخبّره بالذى جاء له ، فدعا له بخير ، ثم أقبل معه حتى أتى فقاتل معه ، فقتل معه هو وابناه . ثم دعا مسلم بن عَقِيل فسرّحه مع قيس بن مُسهر الصيداوىّ وعمارة بن عبيد السَّلولىّ وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبىّ ، فأمره بتقوى الله وكتمانِ أمرِه ، واللطفِ ، فإن رأى الناسَ مجتمعين مستوسِقين عجّل إليه بذلك .

فأقبل مسلم حتى أتى المدينة فصلّى فى مسجدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، وودّع من أحبّ من أهله ، ثم استأجر دليلين من قيس ، فأقبلاَ به ، فضلاّ الطريق وجارا ، وأصابهم عطش شديد ، وقال الدّليلان : هذا الطريقَ حتى تنتهى إلى الماء ، وقد كادوا أن يموتوا عطشًا . فكتب مسلم بن عَقِيل مع قيس بن مسهر الصيداوىّ إلى حسين ، وذلك بالمَضيق من بطن الخُبيت : ٢/٢٢٧

أما بعد ، فإنى أقبلتُ من المدينة معى دليلان لى ، فجارا عن الطريق وضلاّ ، واشتدّ علينا العطش ، فلم يلبثا أن ماتا ، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء ، فلم ننجُ إلا بحشاشة أنفسنا ، وذلك الماء بمكان يُدعَى المَضيق من بطن الخُبيت ؛ وقد تطيّرت من وجهى هذا ، فإن رأيتَ أعفيتَنى منه ، وبعثتَ غيرى ، والسلام .

---

(١) تقدى ، أى أسرع .

فكتب إليه حسين :

أمَّا بعد ، فقد خشيت ألّا يكون حَمَلَك على الكتاب إلىّ فى الاستعفاء من الوجه الذى وجهتك له إلا الجُبْن ، فامض لوجهك الذى وجهتُك له ؛ والسلام عليك .

فقال مسلم لمن قرأ الكتاب : هذا ما لستُ أتخوّفه على نفسى ؛ فأقبَل كما هو حتّى مرّ بماء لطيِّئ ، فنزل بهم ، ثمّ ارتحل منه ، فإذا رجل يرمى الصيْد ، فنظر إليه قد رَمَى ظَبْيًا حين أشرف له ، فصرعه ، فقال مُسلِم : يُقتل عدوُّنا إن شاء الله ؛ ثم أقبل مسلم حتّى دخل الكوفة ، فنزل دارَ المختار ابن أبى عبيد — وهى التى تدعى اليوم دار مسلم بن المسيّب — وأقبلتْ الشيعة تختلف إليه ، فلما اجتمعت إليه جماعةٌ منهم قرأ عليهم كتابَ حسين ، فأخذوا يبكون .

فقام عابس بن أبى شَبيب الشاكرىّ ، فحَمِد الله وأثنَى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنى لا أخبرك عن الناس ، ولا أعلم ما فى أنفسهم ، وما أغرُّك منهم ، والله لأحدّثنّك عما أنا موطِّن نفسى عليه ، والله لأجيبنّكم إذا دعوتم ، ولأقاتلنّ معكم عدوّكم ، ولأضربنّ بسيفى دونَكم حتى ألقَى الله ، لا أريد بذلك إلا ما عند الله . ٢٣٨/٢

فقام حبيب بن مظاهِر الفَقْعسىّ ، فقال : رحمك الله ! قد قضيتَ ما فى نفسك ، بواجز مِنْ قولك ؛ ثم قال : وأنا والله الذى لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه .

ثم قال الحنفىّ مِثلَ ذلك . فقال الحجاج بن علىّ : فقلت لمحمد بن بِشر : فهل كان منك أنت قولٌ؟ فقال : إن كنتُ لأحبّ أن يعزّ الله أصحابى بالظَّفَر ، وما كنتُ لأحبّ أن أقتل ، وكرهتُ أن أكذب .

واختلفت الشيعة إليه حتّى عُلِم مكانه ، فبلغ ذلك النعمان بن بَشير .

قال أبو مِخْنف : حدّثنى نُمير[1] بن وَعلة ، عن أبى الودّاك ، قال : خرج إلينا النعمان بن بَشير فصعِد المنبر ، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فاتقوا الله عبادَ الله ولا تُسارِعوا إلى الفتنة والفُرْقة ، فإنّ فيهما يَهلِك

(١) ط : « نمر » ؛ وانظر الفهرس .

الرجال ، وتُسفَك الدماء ، وتُغصَب الأموال — وكان حليماً ناسكًا يحبّ العافية — قال : إنى لم أقاتل من لم يقاتلنى ، ولا أثِب على مَن لا يَثِب علىّ ، ولا أشاتمكم ، ولا أتحرَّش بكم ، ولا آخذ بالقَرْف ولا الظِّنة ولا التُّهمَة ، ولكنكم إن أبْديتمْ صفحتَكم لى ، ونكثتم بيْعتكم ، وخالفتم إمامكم ، فوالله الذى لا إله غيره لأضربنّكم بسيفى ما ثبت قائمُه فى يدى ، ولو لم يكن لى منكم ناصر . أمَا إنى أرجو أن يكون من يعرف الحقّ منكم أكثر ممن يُرْديه الباطل .

٢/٢٣٩ قال : فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمىّ حليف بنى أميّة فقال : إنه لا يصلح ما ترى إلاّ الغَشْم[1] ، إنّ هذا الذى أنت عليه فيما بينك وبين عدوّك رأىُ المستضعَفين ؛ فقال : أنْ أكون من المستضعَفين فى طاعة الله أحبُّ إلىّ من أن أكون من الأعزِّين فى معصية الله ؛ ثم نزل .

وخرج عبد الله بن مسلم ، وكتب إلى يزيد بن معاوية : أما بعد ، فإن مسلم بن عَقيل قد قدم الكُوفة فبايعتْه الشيعةُ للحُسَين بن علىّ ، فإن كان لك بالكوفة حاجةٌ فابعث إليها رجلاً قويًّا ينفّذ أمرَك ، ويعمَل مِثلَ عملك فى عدوّك ، فإنّ النعمان بنَ بشير رجل ضعيف ؛ أو هو يتضعّف . فكان أوّل من كتب إليه .

ثم كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو من كتابه ، ثم كتب إليه عمر بنُ سعد ابن أبى وقّاص بمثل ذلك .

قال هشام : قال عَوانة : فلما اجتمعت الكتب عند يزيدَ ليس بين كتبهم إلا يومان ، دعا يزيد بن معاوية سَرْجون مولى معاوية فقال : ما رأيك ؟ فإنّ حسيناً قد توجّه نحو الكوفة ، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين ، وقد بلغنى عن النعمان ضعْفٌ وقَوْلٌ سيّئ — وأقرأه كتبهم — فما ترى مَن أستعمل على الكوفة ؟ وكان يزيد عاتباً على عُبيد الله بن زياد ؛ فقال سرجون : أرأيتَ معاويةَ لو نُشر لك ، أكنتَ آخذاً برأيه ؟ قال : نعم ؛ فأخرج عهدَ عبيد الله على الكوفة فقال : هذا رأىُ معاوية ، ومات وقد أمر بهذا الكتاب . فأخذ برأيه وضمّ المصرَيْن إلى عبيد الله ، وبعث إليه بعهده على الكوفة .

---

(١) الغشم : الظلم .

ثم دعا مسلم بن عمرو الباهليّ — وكان عنده — فبعثه إلى عبيد الله بعهده إلى البصرة ، وكتب إليه معه : أما بعد ، فإنه كتب إلىّ شيعتى من أهل الكوفة يخبرونى أنّ ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموعَ لشقّ عصا المسلمين ؛ ٢/٢٤٠ فسِرْ حين تقرأ كتابى هذا حتى تأتىَ أهلَ الكوفة فتطلبَ ابنَ عقيل كطلب الخرزَة حتى تثقفه(١) فتوثقه أو تقتلَه أو تنفيه ؛ والسلام .

فأقبل مسلم بن عمرو حتى قدم على عُبيد الله بالبصرة ، فأمر عُبيد الله بالجهاز والتّهيّؤ والمسير إلى الكوفة من الغد .

وقد كان حسين كتبَ إلى أهل البصرة كتابًا ؛ قال هشام : قال أبو مخنف : حدّثنى الصقعب بن زهير ، عن أبى عثمان النّهديّ ، قال : كتب حسين مع مولًى لهم يقال له : سليمان ، وكتب بنُسخة إلى رءوس الأخماس بالبصرة وإلى الأشراف ؛ فكتب إلى مالك بن مِسمَع البكرىّ ، وإلى الأحنف بن قيس ، وإلى المنذر بن الجارود ، وإلى مسعود بن عمرو ، وإلى قيس ابن الهيثم ، وإلى عَمرو بن عبيد الله بن مَعمَر ، فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها : أمّا بعد ، فإنّ الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه ، وأكرَمه بنبوّته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده ، وبلّغ ما أرسِل به صلى الله عليه وسلم ، وكنا أهلَه وأولياءَه وأوصياءَه وورثتَه وأحقّ الناس بمقامه فى الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرَضينا وكرهْنا الفرقة ، وأحببنا العافية ، ونحن نعلم أنا أحقّ بذلك الحقّ المستحَقّ علينا ممن تولّاه ، وقد أحسنوا وأصلحوا ، وتحرّوُا الحقّ ، فرحمهم الله ، وغفر لنا ولهم . وقد بعثتُ رسولى إليكم بهذا الكتاب ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم ، فإنّ السنّة قد أميتت ، وإن البدعة قد أحييت ، وإن تَسمَعوا قولى وتطيعوا أمرى أهدِكُمْ سبيلَ الرشاد ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فكلّ من قرأ ذلك الكتاب من أشراف الناس كتمَه ، غيرُ المنذر بن الجارود ، فإنه ٢/٢٤١ خشىَ بزعمه أن يكون دسيسًا من قِبَل عبيد الله ، فجاءه بالرسول من العشيّة

---

(١) ثقفه : تظفر به .

التى يريد صبيحتَها أن يسبق إلى الكوفة ، وأقرأه كتابَه ، فقدَّم الرسولَ فضرب عنقه . وصَعد عبيدُ الله منبرَ البصرة فحمد الله وأثنَى عليه ثم قال :

أما بعد، فوالله ما تُقرَن بى الصَّعْبة، ولا يُقعقَع لى بالشِّنان، وإنى لَنِكْلٌ[١] لمن عادانى ، وسمٌّ لمن حاربنى ، أنصف القارةَ مَنْ راماها . يا أهلَ البصرة ، إنّ أمير المؤمنين ولاّنى الكوفة وأنا غادٍ إليها الغداة ، وقد استخلفتُ عليكمُ عثمانَ بن زياد بن أبى سُفْيان ، وإيّاكم والخلاف والإرجاف ، فوالذى لا إله غيره لئن بلغنى عن رجل منكم خلافٌ لأقتلنّه وعريفه ووليّه، ولآخذنّ الأدنى بالأقصى حتى تستمعوا لى ، ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاقّ ، أنا ابن زياد، أشبهته من بين من وطئ الحصى ولم ينتزعنى شبَه خال ولا ابن عمّ .

ثم خرج من البَصرة واستخلف أخاه عثمانَ بن زياد ، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلىّ ، وشريك بن الأعور الحارثىّ وحشمه وأهل بيته ، حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء، وهو متلثّم والناس قد بلغهم إقبال حسين إليهم ، فهم ينتظرون قدومَه ، فظنُّوا حين قدم عبيد الله أنه الحسين ، فأخذ لا يمرّ على جماعة من الناس إلاّ سلّموا عليه ، وقالوا : مرحبًا بك يابنَ رسول الله ! قدمتَ خيرَ مَقْدَم ، فرأى من تباشيرهم بالحسين عليه السلام ماساءه ، فقال مسلم بن عمرو لما أكثروا : تأخّروا ، هذا الأميرُ عُبيد الله بن زياد ، فأخذ حين أقبل على الظهر؛ وإنما معه بضعة عشر رجلاً ، فلما دخل القصرَ وعلم الناسُ أنه عبيد الله بن زياد دَخلَهم من ذلك كآبة وحُزن شديد ، وغاظ عبيدَ الله ما سمع منهم ، وقال : ألا أرى هؤلاء كما أرى . ٢٤٢/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدّثنى المعلَّى بن كليب، عن أبى ودّاك، قال : لما نزل القصر نودى : الصلاة جامعة ؛ قال : فاجتمع الناس ، فخرج إلينا فحمد الله وأثنَى عليه، ثم قال : أما بعد ، فإنّ أمير المؤمنين أصلحه الله ولاّنى مصركم وثغركم[٢] ، وأمرنى بإنصاف مظلومكم ، وإعطاء محرومكم ، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم ، وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم ، وأنا

---

(١) يقال : إنه لنكل شر ، بكسر النون وسكون الكاف ، أى ينكل بأعدائه .

(٢) الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان .

متّبع فيكم أمرَه ، ومنفّذ فيكم عهدَه ، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البرّ ، وسوطي وسيفي على مَنْ ترك أمري ، وخالفَ عهدي ، فليُبقِ امرؤٌ على نفسه . الصدق ينبئ عنكَ لا الوعيد ؛ ثم نزل .

فأخذ العُرفاء والناس أخذاً شديداً ، فقال : اكتبوا إلىّ الغرباءَ ، ومن فيكم من طِلْبة أمير المؤمنين ، ومَن فيكم من الحروريّة وأهلِ الرِّيَب الذين رأيُهم الخلاف والشقاق ، فمَن كتَبهم لنا فبرئ ، ومن لم يكتب لنا أحداً ، فيضمن لنا ما في عرافته ألّا يخالفنا منهم مخالِف ، ولا يبغي علينا منهم باغٍ ، فمن لم يفعل برئتْ منه الذمّة،وحلال لنا مالُه وسفكُ دمه ، وأيُّما عريفٍ وجِد في عرافته من بُغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صُلب على باب داره ، وأُلقِيَت[1] تلك العرافة من العطاء ، وسُيِّر إلى موضع بعُمانَ الزّارة .

وأما عيسى بن يزيدَ الكنانيّ فإنه قال — فيما ذكر عمر بن شبّة ، عن هارون بن مسلم، عن عليّ بن صالح، عنه — قال: لمّا جاء كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد ، انتخب من أهل البَصرة خمسمائة ، فيهم عبد الله بن الحارث بن نوفل ، وشريك بن الأعور — وكان شيعةً لعليّ ، فكان أوّل من سقط بالناس شريك ، فيقال : إنه تساقط غَمْرةً ومعه ناس — ثم سقط عبدالله ابن الحارث وسقط معه ناس ، ورجَوْا أن يلوىَ عليهم عُبيد الله ويسبقه الحسين إلى الكوفة ، فجعل لا يلتفت إلى مَن سقط ، ويمضى حتى وردَ القادسيّة ، وسقط مِهْران مولاه ، فقال : أيا مِهران ، على هذه الحال ، إن أمسكت عنك حتى تنظر إلى القصر فلك مائة ألف ، قال : لا ، والله ما أستطيع . فنزل عُبيد الله فأخرج ثياباً مقطَّعة من مقطّعات اليمَن، ثم اعتجر بمعجَرة يمانية ، فركب بغلته ، ثم انحدر راجلاً وحدَه ، فجعل يمرّ بالمحَارس فكلّما نظروا إليه لم يشكّوا أنه الحسين ، فيقولون : مرحبًا بك يابن رسولِ الله ! وجَعَل لا يكلّمهم ، وخرج إليه الناس من دُورهم وبيُوتهم ، وسمع بهم النعمان بن بشير فغلّق عليه وعلى خاصّته ، وانتهى إليه عبيد الله وهو لا يشكّ أنه الحسين، ومعه الخلق يضجّون ، فكلّمه النعمان، فقال: أنشدُك

٢٤٣/٢

(١) ابن الأثير : « ألغيت » .

اللهَ إلا تنحيَّتَ عنى ! ما أنا بمسلم إليك أمانتى ، وما لى فى قتْلك من أرب ؛ فجعل لا يكلمه . ثم إنه دنا وتدلّى الآخر بين شُرْفتين ، فجعل يكلّمه فقال: افتح لا َفتحتَ ، فقد طال ليْلُك ، فسمعها إنسانٌ خلفَه ، فتكفّى إلى القوم، فقال : أىْ قومُ، ابن مَرجانة ، والذى لا إله غيره ! فقالوا : وَيْحك ! إنما هو الحسين ، ففتح له النعمان ، فدخل ، وضربوا الباب فى وجوه الناس، فانفَضّوا ، وأصبح فجلس على المنبر فقال : أيُّها الناس ، إنى لأعلم أنه قد سار معى ، وأظهر الطاعةَ لى من هو عدوٌ للحسين حين ظنّ أنّ الحسين قد دخل البلد وغلب عليه ، واللهِ ما عرفتُ منكم أحداً ؛ ثم نزل . ٢/٢٤٤

وأخبِر أن مسلم بن عَقيل قدم قبله بِليلة، وأنه بناحية الكوفة ، فدعا مولًى لبنى تميم فأعطاه مالاً ، وقال : انتحلْ هذا الأمرَ ، وأعنْهم بالمال ، واقصد لهانئ ومسلم وانزل عليه ؛ فجاء هانئًا فأخبره أنه شيعة ، وأنّ معه مالاً . وقدم شريك بن الأعور شاكيًا ، فقال لهانئ : مُرْ مسلمًا يكن عندى ، فإنّ عبيد الله يعودنى ؛ وقال شريك لمسلم : أرأيتَك إن أمكنتُك من عُبيد الله أضارِبه أنت بالسيف ؟ قال : نعم والله . وجاء عبيدُ الله شريكًا يعوده فى منزل هانئ — وقد قال شريك لمسلم : إذا سمعتَنى أقول : اسقُونى ماءً فاخرجْ عليه فاضرِبْه — وجلس عبيد الله على فراشِ شريك ، وقام على رأسه مِهْران ، فقال : اسقونى ماء ، فخرجتْ جاريةٌ بقدح، فرأت مسلمًا ، فزالت ، فقال شريك : اسقونى ماءً ؛ ثم قال الثالثة : وَيلَكم تحمونى الماء ! اسقُونيه ولو كانت فيه نفسى ؛ ففَطَن مِهران فغمز عبيدَ الله ، فوثب ، فقال شريك : أيّها الأمير ، إنى أريد أن أوصِي إليك؛ قال : أعود إليك، فجعل مِهران يطَّرد به ؛ وقال : أراد والله قتلك ؛ قال : وكيف مع إكرامى شريكًا وفى بيت هانئ ويد أبى عنده يد ! فرجع فأرسل إلى أسماءَ بن خارجة ومحمَّد بن الأشعث فقال : ائتيانى بهانئ ، فقالا له : إنه لا يأتى إلا بالأمان ؛ قال : وما لَه وللأمان ! وهل أحدثَ حدَثًا ! انطلقا فإن لم يأتِ إلا بأمان فآمناه ، فأتياه فدعَواه ، فقال : إنه إن أخذنى قتلَنى ، فلم يزالا به حتى جاءا به وعبيد الله يخطب يومَ الجمعة ، فجلس فى المسجد ، وقد رجَّل هانئ ٢/٢٤٥

غَديرتَيْه ، فلمّا صلّى عُبيد الله، قال: يا هانئ ، فتَبِعه، ودخل فسلّم ، فقال عبيد الله: يا هانئ ، أما تعلم أنّ أبى قَدِم هذا البلد فلم يترك أحداً من هذه الشّيعة إلا قتله غير أبيك وغير حُجر، وكان من حُجْر ما قد علمتَ ، ثمّ لم يزل يُحسنُ صُحْبتَك ، ثم كتب إلى أمير الكوفة: إن حاجتى قِبلَك هانئ؟ قال : نعم ، قال : فكان جزائى أن خبأتَ فى بيتك رجلاً ليقتلنى! قال : ما فعلت ، فأخرج التميميّ الذى كان عيناً عليهم، فلمّا رآه هانئ علم أن قد أخبره الخبر ، فقال : أيّها الأمير ، قد كان الذى بلغك ، ولن أضيّع يدك عنّى ، فأنت آمنٌ وأهلك ، فسرْ حيثُ شئت .

فكَبَا عبيد الله عندها ، ومِهْران قائم على رأسه فى يده معكَزة، فقال : واذلّاه ! هذا العبد الحائك يؤمّنك فى سلطانك ! فقال : خذه، فطرح المعكزة ، وأخذ بضفيرتىْ هانئ ، ثم أقنع بوجهه ، ثم أخذ عبيد الله المعكزة فضرب بها وجهَ هانئ ، وندَر الزُّجّ ، فارتزّ[1] فى الجدار، ثم ضرب وجهَه حتى كسر أنفَه وجبينَه ، وسمع الناسُ الهيْعة ، وبلغ الخبر مَذْحِج ، فأقبلوا، فأطافوا بالدار ، وأمر عبيدالله بهانئ فألقى فى بيت ، وصيّح المذحِجيّون ، وأمر عبيد الله مِهران أن يُدخل عليه شُرَيْحاً ، فخرج ، فأدخله عليه ، ودخلت الشُّرَط معه ، فقال: ياشريح ، قد ترى ما يصنع بى ! قال : أراك حيّاً ، قال : وحىٌّ أنا مع ما ترى ! أخبرْ قومى أنهم إن انصرفوا قتلنى ؛ فخرج إلى عبيد الله فقال: قد رأيتُه حيّاً ، ورأيت أثراً سيّئاً؛ قال : وتُنْكر أن يعاقب الوالى رعيّته ! اخرج إلى هؤلاء فأخبرهم . فخرج ، وأمر عبيد الله الرجلَ فخرج معه ، فقال لهم شريح : ما هذه الرّعة السيّئة[2]! الرجل حىٌّ ، وقد عاتبه سلطانُه بضرب لم يبلغ نفسه، فانصرفوا ولا تُحِلّوا بأنفسكم ولا بصاحبكم . فانصرفوا . ٢/٢٤٦

وذكر هشام ، عن أبى مخنف ، عن المعلّى بن كليب ، عن أبى الودّاك ، قال : نزل شريك بن الأعور على هانئ بن عُرْوة المرادىّ ، وكان شريك شيعيّاً ، وقد شهد صِفّين مع عمّار .

(١) ارتز : ثبت . (٢) الرعة : الحمق .

وسمع مسلم بن عقيل بمجىء عبيد الله ومقالته التى قالها ، وما أخذ به العُرَفاء والناس ، فخرج من دار المختار — وقد عُلِم به — حتى انتهى إلى دار هانئ بن عُروة المرادىّ ، فدخل بابه ، وأرسل إليه أن اخرج ، فخرج إليه هانئ ، فكره هانئ مكانه حين رآه ، فقال له مسلم : أتيتك لتجيرنى وتُضيفنى ؛ فقال : رحمك الله ! لقد كلفتَنى شططا ، ولولا دخولُك دارى وثقتُك لأحببتُ ولسألتُك أن تخرج عنى ، غير أنه يأخذنى من ذلك ذِمامٌ ، وليس مردود مثلى على مثلك عن جهل ؛ ادخُل .

فآواه ، وأخذتِ الشيعةُ تختلف إليه فى دار هانئ بن عروة ، ودعا ابن زياد مولًى له يقال له معقل، فقال له: خذ ثلاثةَ آلاف درهم ، ثم اطلب مسلم ابن عقيل ، واطلب لنا أصحابه، ثم أعطهم هذه الثلاثة آلاف ؛ فقل لهم : استعينوا بها على حرب عدوكم، وأعلِمهم أنك منهم، فإنك لو قد أعطيتَها إياهم اطمأنوا إليك ، ووثقوا بك ، ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم ؛ ثم اغدُ عليهم ورُحْ . ففعل ذلك ، فجاء حتى أتى إلى مسلم بن عوسجة الأسدىّ من بنى سعد بن ثعلبة فى المسجد الأعظم وهو يصلّى ، وسمع الناسَ يقولون : إنّ هذا يبايع للحسين، فجاء فجلس حتى فرغ من صلاته ثم قال : يا عبدَ الله، إنى امرؤ من أهل الشأم ، مولًى لذى الكَلاع ، أنعَم الله علىّ بحُبّ أهل هذا البيت وحبّ مَن أحبَّهم ، فهذه ثلاثة آلاف درهم أردتُ بها لقاءَ رجلٍ منهم بلغنى أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أريد لقاءه فلم أجد أحداً يدلّنى عليه ولا يعرف مكانه ، فإنّى لجالسٌ آنفًا فى المسجد إذ سمعتُ نفراً من المسلمين يقولون : هذا رجلٌ له علْم بأهل هذا البيت ؛ وإنّى أتيتك لتقبض هذا المال وتدخلَنى على صاحبك فأبايعه ، وإن شئت أخذت بيعتى له قبل لقائه ، فقال : احمد الله على لقائك إيّاى ، فقد سرّنى ذلك لتنال ما تحبّ، ولينصر الله بك أهلَ بيت نبيّه ، ولقد ساءَنى معرفتك إيّاى بهذا الأمر من قبل أن يَنْمِى مخافة هذا الطاغية وسَطوته .

٢٤٧/٢

فأخذ بيعته قبل أن يبرح ، وأخذ عليه المواثيقَ المغلَّظة ليناصحنّ

وليكتُمنَ ، فأعطاه من ذلك ما رَضِيَ به ، ثم قال له : اختلف إلىّ أيّاماً في منزلي ، فأنا طالبٌ لك الإذنَ على صاحبك . فأخذ يختلف مع الناس ، فطلب له الإذن . فمرض هانئ بن عروة ، فجاء عبيد الله عائداً له ، فقال له عُمارة بن عُبيد السَّلوليّ : إنّما جماعتنا وكيدُنا قتل هذا الطاغية ، فقد أمكنَك الله منه فاقتله ؛ قال هانئ : ما أحبّ أن يُقتَل في داري ، فخرج فما مكث إلا جمعةً حتّى مرض شريك بن الأعور — وكان كريمًا على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء ،وكان شديدَ التشيّع — فأرسل إليه عُبيد الله : إني رائحٌ إليك العشيّة ؛ فقال لمسلم : إن هذا الفاجر عائدي العشيّة ، فإذا جلس فاخرج إليه فاقتله ،ثم اقعد في القصر ، ليس أحدٌ يحُول بينك وبينه ، فإن برئتُ من وَجَعي هذا أيامي هذه سرْتُ إلى البصرة وكفيتُك أمرَها .

٢/٢٤٨

فلما كان من العشيّ أقبل عُبيد الله لعيادة شريك، فقام مسلم بن عقيل ليَدخل ، وقال له شريك : لا يفوتنّك إذا جلس ؛ فقام هانئ بنُ عروة إليه فقال: إني لا أحبّ أن يُقتَل في داري — كأنه استَقبح ذلك— فجاء عبيد الله ابن زِياد فدخل فجلس، فسأل شريكًا عن وجعه ، وقال : ما الذي تجدُ ؟ ومتى أشكَيت[1] ؟ فلمّا طال سؤالُه إياه ، ورأى أن الآخَر لا يَخرج ، خشيَ أن يفوته ، فأخذ يقول :

* ما تنتظرون بسَلمَى أن تُحيُّوها *

اسقنيها وإن كانت فيها نفسي ، فقال ذلك مرتين أو ثلاثًا ؛ فقال عبيد الله ،ولا يَفطن ما شأنُه: أترونه يهجُر[2] ؟ فقال له هانئ: نعم أصلحك الله ! ما زال هذا دَيدَنه قبيل عَماية الصبح حتّى ساعته هذه . ثم إنه قام فانصرف ، فخرج مسلم ، فقال له شريك : ما منعك من قتله ؟ فقال : خَصْلتان : أما إحداهما فكراهة هانئ أن يُقتَل في داره ، وأما الأخرى فحديثٌ حدّثه الناسُ عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : «إنّ الإيمان قَيّد الفتْك، ولا يفتك مؤمن » ؛ فقال هانئ : أما والله لو قتلتَه لقتلتَ فاسقًا فاجراً كافراً غادراً ، ولكن كرهتُ أن يُقتَل في داري . ولبث شريك بن الأعور بعد

٢/٢٤٩

---

(١) أشكيت واشتكيت : كلاهما بمعنى واحد. (٢) يهجر ، أي يهذى .

ذلك ثلاثًا ثم مات ، فخرج ابن زياد فصلّى عليه ، وبلغ عُبيد الله بَعد ما قتَل مسلمًا وهانئًا أن ذلك الذى كنتَ سمعت من شريك فى مرضه إنما كان يُحرّضُ مسلمًا ، ويأمره بالخروج إليك ليقتلَك؛ فقال عبيدالله : والله لا أصلّى على جنازة رجل من أهلِ العراق أبداً ، ووالله لولا أنّ قبر زياد فيهم لنبَشْتُ شريكاً .

ثم إن معقلاً مولى ابن زياد الذى دسّه بالمال إلى ابن عقيل وأصحابه، اختلف إلى مسلم بن عوْسجة أيامًا ليدخله على ابن عقيل ، فأقبل به حتى أدخله عليه بعد موت شريك بن الأعور ، فأخبَره خبره كلّه ، فأخذ ابن عقِيل بيعته ، وأمَرَ أبا ثُمامة الصائدىّ، فقبض مالَه الّذى جاء به — وهو الذى كان يقبض أموالهم ، وما يعين به بعضهم بعضًا ، يشترى لهم السلاح ، وكان به بصيراً ، وكان من فُرسان العرب ووجوهِ الشيعة — وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم ، فهو أول داخل وآخر خارج ، يَسمَع أخبارهم ، ويَعلم أسرارَهم، ثم ينطلِق بها حتّى يُقرّها فى أذن ابن زياد[1] . قال : وكان هانئ يغدو ويَروح إلى عُبيد الله ، فلما نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتَمارَض ، فجعل لا يَخرُج ، فقال ابن زياد لجلسائه : ما لى لا أرى هانئًا ! فقالوا : هو شاكٍ ، فقال : لو علمتُ بمرضه لعدْتُه ! ٢/٢٥٠

قال أبو مخنف : فحدّثنى المجالد بن سعيد ،قال: دعا عبيد الله محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة .

قال أبو مخنف : حدثنى الحسن بن عُقبة المرادىّ أنه بعث معهما عَمرو بن الحجّاج الزّبيدىّ .

قال أبو مخنف: وحدّثنى نُمَير[2] بن وعلة، عن أبى الودّاك ،قال : كانت رَوْعة أخت عمرو بن الحجاج تحت هانئ بن عروة ، وهى أمّ يحيى بن هانئ. فقال لهم : ما يمنع هانئ بن عروة من إتياننا ؟ قالوا : ما ندرى أصلحك الله !

---

(١) ابن الأثير : « ينقلها إلى عبيد الله » .

(٢) ط : « نمر » ، وانظر الفهرس .

وإنه ليَتشكّى ؛ قال : قد بلغنى أنه قد برأ ، وهو يجلس على باب داره ، فالقَوْه، فمُروه ألّا يدَعَ ما عليه فى ذلك من الحقّ ، فإنّى لا أحبّ أن يَفسُد عندى مِثلُه من أشراف العَرَب . فأتَوه حتى وقفوا عليه عشيّةً وهو جالسٌ على بابه ، فقالوا : ما يمنعك من لقاء الأمير ؛ فإنه قد ذكرك، وقد قال: لو أعلمُ أنه شاكٍ لعُدْته ؟ فقال لهم : الشكوَى تَمنعُنى ، فقالوا له : يبلُغه أنك تجلس كلّ عشيّة على باب دارك، وقد استبطأك ، والإبطاء والجفاء لا يحتملُه السلطان ، أقسَمْنا عليك لمّا ركبتَ معنا ! فدعا بثيابه فلبسها ، ثم دعا ببغلة فركِبها حتى إذا دنا من القصر ، كأنّ نفسه أحسّت ببعض الذى كان ، فقال لحسّان ابن أسماء بن خارجة : يابنَ أخى ، إنّى والله لِهذا الرجل لخائف ، فما ترى ؟ قال : أىْ عمّ ، والله ما أتخوّف عليك شيئًا ، ولِمَ تجعل على نفسك سبيلاً وأنت برىءٌ ؟ وزعموا أن أسماءَ لم يَعلَم فى أىّ شىء بَعث إليه عُبيد الله ؛ فأما محمد فقد علِم به ؛ فدخل القوم على ابن زياد ، ودخل معهم ، فلما طلع قال عُبيد الله : أتتْك بخائنٍ رِجْلاه ! وقد عرّس عُبيد الله إذ ذاك بأمّ نافع ابنة عُمارة بن عُقبة ؛ فلما دنا من ابن زياد وعنده شُريح القاضى التفت نحوَه ، فقال :

٢٠١/٢

أريدُ حِباءَهُ ويريدُ قَتْلى عذِيرَكَ من خليلِك من مُرادِ[1]

وقد كان له أوّل ما قدم مُكْرِمًا مُلْطِفًا ، فقال له هانئ : وما ذاك أيها الأمير ؟ قال : إيهٍ يا هانئ بن عروة ! ما هذه الأمور التى تَربَّصُ فى دُورك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين ! جئتَ بمسلم بن عَقِيل فأدخلتَه دارك، وجمعتَ له السلاح والرجال فى الدّور حولَك، وظننتَ أنّ ذلك يَخفَى علىّ لك! قال: ما فعلت ، وما مسلم عندى ، قال: بلى قد فعلت ؛ قال : ما فعلت؛ قال: بلى ، فلما كثُر ذلك بينهما ، وأبى هانئٌ إلا مجاحدَته ومناكرَته ، دعا ابنُ زياد معقلاً ذلك العين ، فجاء حتى وقف بين يديه فقال : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، وعَلِم هانئٌ عند ذلك أنه كان عيناً عليهم ، وأنه قد أتاه بأخبارهم ،

(١) لعمرو بن معدى يكرب ، اللآلى ١٣٨ ، وفى ابن الأثير : « أريد حياته » .

فسُقط فى خَلَدِه[1] ساعةً . ثم إنّ نفسَه راجعتْه ، فقال له: اسمع منّى ، وصدّق مقالتى ، فوالله لا أكذِبك ، والله الذى لا إله غيرُه ما دعوتُه إلى منزلى ، ولا علمتُ بشىء من أمره ، حتى رأيته جالسًا على بابى ، فسألنى النزولَ علىّ ، فاستحييتُ من ردّه ، ودَخلَنى من ذلك ذِمام ، فأدخلتُه دارى وضِفْتُه وآويته ، وقد كان من أمره الذى بلغك ، فإن شئتَ أعطيتُ الآن موثقًا مغلّظًا وما تطمئنّ[2] إليه ألاّ أبغيك سوءًا ، وإن شئت أعطيتُك رهينةً تكون فى يدك حتى آتيَك ، وأنطلق إليه فآمره أن يخرج من دارى إلى حيث شاء من الأرض ، فأخرجَ من ذمامه وجواره ؛ فقال : لا والله لا تفارقنى أبدًا حتى تأتيَنى به ؛ فقال : لا ، والله لا أجيئك أبدًا ، أنا أجيئك بضيفى تَقتلُه ! قال : والله لتأتينّى به ، قال : والله لا آتيك به .

٢٠٢/٢

فلما كثُر الكلام بينهما قام مسلم بن عَمرو الباهلىّ — وليس بالكوفة شأمىّ ولا بَصْرىّ غيره — فقال : أصلح الله الأمير ! خلّنى وإياه حتى أكلّمه ، لمّا رأى لجاجته وتأبّيَه على ابن زياد أن يدفع إليه مسلمًا ، فقال لهانئ : قم إلىّ ها هنا حتى أكلمك ؛ فقام فخلا به ناحيةً من ابن زياد ، وهما منه على ذلك قريب حيث يراهما؛ إذا رفَعا أصواتهما سمع ما يقولان ، وإذا خفَضا خفىَ عليه ما يقولان ؛ فقال له مسلم : يا هانئ ، إنى أنشدُك اللهَ أن تقتلَ نفسَك ، وتُدخل البلاءَ على قومك وعشيرتك ! فوالله إنى لأنفَس باك عن القتل ، وهو يرى أنّ عشيرته ستحرّك فى شأنه أنّ هذا الرجل ابن عمّ القوم ، وليسوا قاتليه ولا ضائريه ، فادفعه إليه فإنه ليس عليك بذلك مَخزاة ولا مَنقَصة ، إنما تدفعه إلى السلطان ، قال : بلى ، والله إنّ علىّ فى ذلك لَلخِزْىُ والعارُ ، أنا أدفع جارى وضيفى وأنا حىٌّ صحيح أسمَعُ وأرى ، شديد الساعد ، كثير الأعوان ! والله لو لم أكن إلا واحدًا ليس لى ناصرٌ لم أدفعْه حتى أموت دونَه . فأخذ يناشده وهو يقول : والله لا أدفَعه إليه أبدًا ؛ فسمع ابن زياد ذلك ، فقال : أدنُوه منّى ، فأدنَوْه منه ، فقال : والله لتأتينّى به أو لأضربنّ عنقك ؛

(١) ابن الأثير : « فى يده » .
(٢) ابن الأثير : « تطمئن به » .

قال : إذاً تكثر البارقة(١) حولَ دارك ، فقال : والهفا عليك ! أبالبارقة تخوّفني ! وهو يظنّ أنّ عشيرته سيمنعونه ؛ فقال ابن زياد : أدنُوه منى ، فأدنِيَ ، فاستعرض وجهه بالقضيب ، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخدّه حتى كسر أنفه ، وسيّل الدماءَ على ثيابه ، ونثر لحم خدّيه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب ، وضرب هانئ بيده إلى قائم سيف شُرطىّ من تلك الرّجال ، وجابَذه(٢) الرجلُ ومنِع ، فقال عبيد الله : أحَروريّ سائر اليوم ! أحللتَ بنفسك ، قد حلّ لنا قتلُك ، خذوه فألقوه فى بيت من بيوت الدار ، وأغلقوا عليه بابه ، واجعلوا عليه حرَسًا ، ففُعِلَ ذلك به ، فقام إليه أسماء ابن خارجة فقال : أرُسُل غَدْر سائر اليوم ! أمرْتَنا أن نجيئك بالرّجل حتى إذا جئناك به وأدخلناه عليك هشمْتَ وجهه ، وسيّلت دمَه على لحيته ، وزعمت أنك تقتله ! فقال له عبيد الله : وإنك لهاهنا ! فأمر به فلُهِزَ وتُعتِعَ(٣) به ، ثم تُرِك فحبِس .

٢٠٣/٢

وأما محمد بن الأشعث فقال : قد رضينا بما رأى الأمير ؛ لنا كان أم علينا ، إنما الأمير مؤدِّب . وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانئًا قد قُتل ، فأقبل فى مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمعٌ عظيم ، ثمّ نادى: أنا عمرو بن الحجّاج ، هذه فُرْسان مَذحِج ووُجوهُها ، لم تخلع طاعةً ، ولم تفارق جماعة ، وقد بلغهم أنّ صاحبهم يُقتل ، فأعظَموا ذلك ؛ فقيل لعبيد الله : هذه مذحِج بالباب ، فقال لشُريح القاضى : ادخُل على صاحبهم فانظر إليه ، ثم اخرج فأعلمْهم أنه حىّ لم يُقتل ، وأنك قد رأيته ، فدخل إليه شريح فنَظَر إليه .

فقال أبو مخنف : فحدّثنى الصّقعب بن زهير ، عن عبد الرحمن بن شُرَيح ، قال : سمعته يحدّث إسماعيل بن طلحة، قال : دخلت على هانئ ، فلما رآنى قال : يا لله يا للْمسلمين ! أهَلكتْ عشيرتى ؟ فأين أهل الدين ! وأين أهل المِصْر ! تفاقدوا ! يُخلّونى ، وعدوّهم وابنَ عدوّهم ! والدماء

٢٠٤/٢

(١) البارقة : السيوف على التشبيه . (٢) ابن الأثير « وجذبه » .

(٣) لهزه يلهزه لهزاً : ضرب به بجمعه فى لهازمه . والتعتعة : الحركة العنيفة .

تسيل على لحيته ، إذ سمع الرّجة على باب القصر ، وخرجت واتّبعني ، فقال : يا شريح ، إنى لأظنُّها أصواتُ مذحِج وشيعتى من المسلمين ، إن دخل علىّ عشرة نفر أنقذونى؛ قال: فخرجتُ إليهم ومعى حُميد بن بكير[1] الأحمرىّ — أرسله معى ابن زياد،وكان من شُرَطه ممّن يقوم على رأسه — وايمُ الله لولا مكانُه معى لكنتُ أبلغتُ أصحابَه ما أمرَنى به ؛ فلما خرجتُ إليهم قلت : إنّ الأمير لما بلغه مكانُكم ومقالتُكم فى صاحبكم أمرَنى بالدخول إليه ، فأتيتُه فنظرتُ إليه ، فأمرنى أن ألقاكم ، وأن أعلِمكم أنه حىّ ، وأن الذى بلغكم من قتله كان باطلاً . فقال عمرو وأصحابه: فأمّا إذْ لم يُقتَل فالحمدُ لله ؛ ثم انصرفوا .

قال أبومخنف: حدّثنى الحجّاج بن علىّ،عن محمد بن بِشْر[2] الهمْدانىّ، قال : لما ضرب عُبيد الله هانئًا وحبَسه خشىَ أن يَثبَ الناسُ به ، فخرج فصَعِد المنبرَ ومعه أشراف الناس وشُرَطُه وحشمه ، فحَمِد الله وأثنىَ عليه ثم قال : أمّا بعد،أيها الناس،فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم،ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتَهلكوا وتَذِلّوا وتقتلوا وتُجْفَوا وتحرموا ، إنّ أخاك مَن صدَقك ، وقد أعْذَرَ مَنْ أنذر .

قال : ثم ذهب لينزل،فما نزل عن المنبرَحتى دخلت النّظارة المسجد من قبل التمّارين يشتدّون ويقولون: قد جاء ابن عَقيل!قد جاء ابن عَقيل! فدخل عُبيد الله القصرَ مسرعًا ، وأغلق أبوابه . ٢/٢٥٥

قال أبو مخنف: حدّثنى يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن خازم، قال : أنا والله رسول ابن عَقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمرُ هانئ ؛ قال : فلما ضُرب وحُبس ركبتُ فرسى وكنت أوّل أهل الدار دخل على مسلم بن عَقيل بالخبر ، وإذا نسوةٌ لمراد مجتمعات ينادين : يا عَثْرتاه! يا ثُكلاه ! فدخلت على مسلم بن عَقيل بالخبر ، فأمرنى أن أنادىَ فى أصحابه وقد ملأ منهم الدُّورَحوله ، وقد بايعه ثمانية عشر ألفًا ، وفى الدور أربعة آلاف رجل ، فقال لى : نادِ : يا منصور أمتْ ؛ فناديتُ : يا منصورُ أمتْ ؛ وتنادَى أهلُ الكوفة

---

[1] ط «بكر»، وانظر الفهرس .

[2] ط : «بشير» وانظرالفهرس .

فاجتمعوا إليه ، فعقد مسلم لعبيد الله بن عَمرو بن عزيز الكنديّ على رُبْع كندة وربيعة ، وقال : سِرْ أمامى فى الخيل ، ثم عقد لمسلم بن عَوْسجة الأسديّ على رُبْع مَذْحِج وأسَد، وقال : انزل فى الرّجال فأنت عليهم ؛ وعقد لأبى ثُمامة[1] الصائدىّ على رُبع تميم وهَمْدان، وعقد لعباس بن جَعْدة الجدلىّ على رُبْع المدينة ، ثم أقبل نحو القصر ، فلما بلغ ابنَ زياد إقبالُه تحرّز فى القصر ، وغَلّقَ الأبواب .

قال أبو مخنف : وحدّثنى يونس بن أبى إسحاق ،عن عبّاس الجَدَلىّ قال : خرجنا مع ابن عَقيل أربعة آلاف ، فما بلغنا القصرَ إلا ونحن ثلثمائة. قال : وأقبل مسلم يسيرُ فى الناس من مراد حتى أحاط بالقصر ، ثم إنّ الناس تداعَوْا إلينا واجتَمَعوا ، فوالله ما لبثْنا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق ، وما زالوا يثَوّبون حتى المساء ،فضاق بعبيد الله ذَرْعه ، وكان كُبْر أمرِه أن يتمسّك بباب القصر ، وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشُّرَط وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته ومواليه ، وأقبل أشراف الناس يأتون ابنَ زياد من قبَل الباب الذى يلى دارَ الروميِّين ، وجعل منَ بالقصر مع ابن زياد يُشرِفون عليهم ، فينظرون إليهم فيتّقون أن يرمُوهم بالحجارة ، وأن يشتموهم وهم لا يَفترون على عبيد الله وعلى أبيه . ودعا عبيدُ الله كثيرَ بن شهاب ابن الحصين الحارثىّ فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحِج ، فيسير بالكوفة ، ويخذّل الناس عن ابن عَقيل ويخوّفهم الحرب ، ويحذّرهم عقوبةَ السلطان ، وأمر محمّد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كِنْدة وحَضْرَمَوْت ، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس ،وقال مثلَ ذلك للقعقاع بن شَوْر الذهلىّ وشَبَث بن رِبْعىّ التميمىّ وحَجّار بن أبجر العِجْلىّ وشَمر بن ذى الجَوْشن العامرىّ، وحبس سائرَ وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد مَن معه من الناس ، وخرج كَثير بن شهاب يُخذّل الناس عن ابن عَقيل .

٢/٢٥٦

قال أبو مخنف : فحدّثنى ابو جَناب الكلبىّ أن كثيرًا ألفَى رجلا من

---

(١) ط : « ابن ثمامة » ، وانظر ص ٣٦٤ س ١٠ من هذا الجزء .

كَلب يقال له عبد الأعلى بن يزيد، قد لبس سلاحه يريد ابنَ عقيل فى بنى فِتْيان ، فأخَذَه حتى أدخله على ابن زياد ، فأخبره خبرَه، فقال لابن زياد : إنما أردتك ؛ قال : وكنتَ وعدتَنى ذلك من نفسك ؛ فأمر به فحبِس ، وخرج محمد بن الأشعث حتى وقف عند دُور بنى عمارة ، وجاءه عمارة بن صَلْخب الأزْدىّ وهو يريد ابن عَقيل، عليه سلاحه ، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه ، فبعث ابن عَقيل إلى محمد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن ابن شُريح الشِّبامىّ ، فلما رأى محمد بن الأشعث كثرةَ من أتاه، أخذ يتنحّى ويتأخر ، وأرسل القعقاع بن شوْر الذّهلىّ إلى محمد بن الأشعث: قد جُلْتُ على ابن عقيل من العرارِ ، فتأخّرْ عن موقفه ، فأقبل حتى دخل على ابن زياد من قبَل دار الرُّوميين ، فلما اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم ، قال له كثير — وكانوا مناصحين لابن زياد: أصلحَ اللهُ الأمير ! معك فى القصر ناسٌ كثير من أشراف الناس ومن شُرَطك وأهل بيتك ومَواليك ، فاخرج بنا إليهم ، فأبى عُبيد الله ، وعقد لشَبَث بن رِبْعىّ لواءً ، فأخرجه، وأقام الناسُ مع ابن عقيل يكبّرون ويثوّبون حتى المساء ، وأمْرُهم شديد ، فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم إليه ، ثم قال: أشرِفوا على الناس فمنُّوا أهلَ الطاعة الزّيادةَ والكرامة ، وخوّفوا أهلَ المعصية الحرمانَ والعقوبة ، وأعلموهم فُصولَ[1] الجنود من الشأم إليهم .

٢/٢٥٧

قال أبو مخنف : حدّثنى سُليمان بن أبى راشد ، عن عبد الله بن خازم الكثيرىّ[2] من الأزْد ، من بنى كثير ، قال : أشرف علينا الأشراف ، فتكلم كثير بن شهاب أوّل الناس حتى كادت الشمس أن تَجِب ، فقال : أيّها الناس ، الحقوا بأهاليكم ، ولا تعجّلوا الشرّ ، ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل ، فإنّ هذه جنود أمير المؤمنين يزيدُ قد أقبلتْ ، وقد أعطى اللهَ الأميرُ عهداً : لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيّتكم أن يُحرِم ذرّيتكم العطاء ، ويفرّق مُقاتلتِكم فى مَغازِى أهل الشأم على غير طمع ، وأن يأخذ البرىء بالسقيم ، والشاهد بالغائب ، حتى لايبقى له فيكم بقيّة من أهل المعصية إلا أذاقها وبالَ

٢/٢٥٨

---

(١) فصول الجنود : خروجهم.

(٢) ط : « الكبرى » ، تحريف .

ما جرّت أيديها ؛ وتكلّم الأشراف بنحو من كلامِ هذا ؛ فلما سمع مقالَتهم الناسُ أخذوا يتفرّقون ، وأخذوا ينصرفون .

قال أبو مخنف: فحدّثني المجالد بن سعيد؛أنّ المرأة كانت تأتى ابنَها أو أخاها فتقول : انصرِف ؛ الناسُ يكفُونك ؛ ويجيء الرّجُل إلى ابنه أو أخيه فيقول : غداً يأتيك أهلُ الشأم ، فما تصنع بالحرب والشرّ ! انصرف . فيذهب به ؛ فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتى أمسى ابن عـَقيل وما معه ثلاثون نفساً فى المسجد ، حتى صُلِّيَتِ المغرب ،فما صلّى مع ابن عـَقيل إلا ثلاثون نفساً . فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك النَّفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كنْدة ، وبلـغ الأبواب ومعه منهم عشرة ، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسانٌ ، والتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق ، ولا يدُلّه على منزل ولا يواسيه بنفسه إنْ عرض له عدوٌّ ، فمضى على وجهه يتلدّد فى أزقّة الكُوفة لا يَدرِى أين يَذهَب ! حتى خرج إلى دُور بنى جَبَلة من كنْدة ، فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها طَوْعة – أمّ ولد كانت للأشعث بن قيس ، فأعتَقَها ، فتزوّجها أسيد الحضرمىّ فولدتْ له بلالا ، وكان بلالٌ قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره – فسلّم عليها ابن عـَقيل ، فردّت عليه ، فقال لها: يا أمة الله ، اسقينى ماءً ، فدخلت فسقته ، فجلس وأدخلت الإناء ، ثم خرجت فقالت : يا عبدالله ألم تشرب ! قال : بلَى ، قالت : فاذهب إلى أهلك ؛ فسكت ؛ ثم عادت فقالت مثلَ ذلك ، فسكت ؛ ثم قالت له : فىّ الله[1] ، سبحان الله ياعبدالله! فمرّ إلى أهلك عافاك الله ؛ فإنه لا يَصلح لك الجلوسُ على بابى ، ولا أحلّه لك ؛ فقام فقال : يا أمَة الله ، مالى فى هذا المصر منزلٌ ولا عشيرة ؛ فهل لكِ إلى أجر ومعروف ، ولعلّى مكافئك به بعد اليوم ! فقالت : يا عبد الله ، وما ذاك ؟ قال : أنا مسلم بن عـَقيل ، كـَذَبنى هؤلاء القوم وغـَرّونى ؛ قالت : أنت مسلم ! قال : نعم . قالت : ادخـُل ، فأدخلتـْه بيتاً فى دارها غير البيت الذى تكون فيه ، وفرشتْ له ، وعرضتْ عليه العَشاء فلم يتعشَّ ، ولم يكن بأسرعَ من أن جاء ابنها فرآها تُكـثر الدخولَ فى البيت والخروجَ منه ، فقال : والله إنه

٢٥٩/٢

(١) فىّ الله ، أى اتق الله فىّ .

ليَريبنى كثرةُ دخولكِ هذا البيتَ منذ الليلة وخروجك منه ! إن لكِ لشأناً ؛ قالت: يا بنىّ ، الْهُ عن هذا ؛ قال لها : والله لتخبرنّى: قالت : أقبلْ علَى شأنك ولاتسألنى عن شىء ، فألحّ عليها ، فقالت: يا بنىّ، لا تحدّثنّ أحداً من الناس بما أخبرك به ؛ وأخذتْ عليه الأيمان، فحلف لها ، فأخبرتْه ، فاضطجع وسكت — وزَعَموا أنه قد كان شريداً من الناس . وقال بعضهم : كان يشرب مع أصحاب له — ولما طال على ابن زياد، وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عَقيل صوتًا كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه : أشرفوا فانظروا هَلْ تَروْن منهم أحداً ! فأشرَفوا فلم يَروْا أحداً ؛ قال : فانظروا لعلَّهم تحت الظلال قد كَمَنوا لكم ؛ فَفرَعوا بَجابحَ[1] المسجد ، وجعلوا يخفضون شُعَلَ النار فى أيديهم ، ثم ينظرون: هل فى الظلال أحدٌ؟ وكانت أحيانًا تَضىء لهم ، وأحيانًا لا تُضىء لهم كما يريدون ، فدلّوا القناديل وأنصاف الطِّنان تشَدّ بالحبال ، ثم تُجعل فيها النيران ، ثم تُدَلَّى ،حتى تنتهى إلى الأرض ، ففعلوا ذلك فى أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتى فعلوا ذلك بالظُّلّة التى فيها المنبر ، فلما لم يروْا شيئًا أعلموا ابنَ زياد ، ففتح باب السُّدّة التى فى المسجد . ثم خرج فصعد المنبرَ ، وخرج أصحابُه معه ، فأمرهم فجلسوا حوله قبيْل العتَمة ، وأمر عَمرو بن نافع فنادى : ألا برِئت الذّمة من رجل من الشّرْطة والعُرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلَّى العتَمة إلا فى المسجد ؛ فلم يكن له إلا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس ؛ ثم أمر منادِيَه فأقام الصلاةَ ، فقال الُحصَين بن تميم: إن شئتَ صليتَ بالناس، أويصلّى بهم غيرُك، ودخلتَ أنت فصلّيتَ فى القصر ، فإنى لا آمن أن يغتالَك بعضُ أعدائك ! فقال : مُرْ حرَسى فلْيقوموا ورائى كما كانوا يقفون ، ودُرْ فيهم فإنى لست بداخل إذاً . فصلَّى بالناس، ثم قام فحمد اللهَ وأثنَى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنّ ابن عَقيل السفيه الجاهل ، قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق ، فبرِئت ذمّة الله من رجل وجدْناه فى داره ، ومَنْ جاء به فله دِيَتُه . اتقوا الله عباد الله ، والزَموا طاعتكم وبَيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً . يا حُصين

٢٦٠/٢

---

(١) بجابح : جمع بجبوحة ، وهى الساحة أو الفناء .

ابن تميم ، ثَكلتْك أمّك إنْ صاح بابُ سكّة من سكك الكُوفة ،أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به ؛وقد سلّطتُك على دُور أهل الكوفة ، فابعث مُراصِدةً على أفواه السكك ، وأصبِح غداً واستبْرِ الدُّور وجُسْ خلالَها حتى تأتيَنى بهذا الرجل – وكان الحصين على شُرَطه ، وهو من بنى تميم – ثم نزل ابن زياد فدخل وقد عقد لعَمرو بن حُرَيْث رايةً وأمّره على الناس ، فلما أصبح جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه ، وأقبل محمد بن الأشعث فقال : مَرحَباً بمن لا يُستَغَش ولا يُتَّهَم ! ثم أقعده إلى جنبه ، وأصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن أسيد الذى آوت أمه ابنَ عقيل ، فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث فأخبَرَه بمكان ابن عَقيل عند أمه ؛ قال : فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه وهو عند ابن زياد ، فسارّه ، فقال له ابن زياد : ما قال لك ؟ قال : أخبرنى أنّ ابن عَقيل فى دار من دورنا ، فنَخَسَ بالقضيب فى جَنْبه ثم قال : قم فأتنى به الساعة .

٢/٢٦١

قال أبو مخنف : فحدّثنى قُدامة بن سعيد بن زائدة بن قدامة الثقفىّ ، أنّ ابن الأشعث حين قام ليأتيَه بابن عَقيل بعث إلى عمرو بن حُرَيْث وهو فى المسجد خليفته على الناس ؛ أنِ ابعَثْ مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قَيْس – وإنما كره أن يبعث معه قومه لأنه قد علم أنّ كلّ قوم يَكرَهون أن يُصادَفَ فيهم مثل ابن عَقيل – فبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عبّاس السُلَمىّ فى ستين أو سبعين من قَيْس ، حتى أتوا الدارَ التى فيها ابن عَقيل ،فلما سمع وقعَ حَوافر الخيل وأصواتَ الرجال عَرَف أنه قد أتِىَ ، فخرج إليهم بسيفه ، واقتحموا عليه الدار ، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار ، ثم عادوا إليه ، فشدّ عليهم كذلك ، فاختلف هو وبُكير بن حُمْران الأحمَرىّ ضربتين ، فضرب بُكيْر فمَ مسلم فقطع شفتَه العُلْيا ، وأشْرَعَ السيف فى السفْلى ، ونصلتْ لها ثنيّتاه ، فضربه مسلم ضربةً فى رأسه مُنكَرة ، وثَنى بأخرى على حبل العاتق كادت تَطلُع على جَوْفه . فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت ، فأخذوا يرمُونه بالحجارة ، ويُلْهِبون النارَ فى أطنان القصب ، ثمّ يَقْلبونها عليه من فوق

٢/٢٦٢

البيت ، فلما رأى ذلك خرج عليهم مصْلتاً بسيفه فى السكة فقاتلهم ، فأقبل عليه محمد بن الأشعث فقال : يا فتى ، لك الأمان ، لا تَقْتُلْ نفسَك ؛ فأقبل يقاتلهم ، وهو يقول :

أَقْسَمْتُ لا أُقْتَلُ إلّا حُرَّا وإن رأيتُ المَوت شيئاً نُكْرَا

كُلُّ امرئٍ يوماً مُلاقٍ شَرَّا ويُخلط. البارد سُخْناً مُرَّا[1]

رُد شُعاع الشمس فاستقرا أَخافُ أَن أُكْذَبَ أَو أُغرا

فقال له محمد بن الأشعث : إنك لا تُكْذَب ولا تُخْدَع ولا تُغرّ ، إنّ القوم بنوعمّك، وليسوا بقاتليك ولا ضاربيك ، وقد أُثْخِن بالحجارة ، وعجز عن القتال وانْبَهَر ، فأسند ظهره إلى جنب تلك الدار ؛ فدنا محمد ابن الأشعث فقال : لك الأمان ، فقال : آمنٌ أنا ؟قال : نعم ؛ وقال القوم: أنت آمنٌ ؛ غير عمرو بن عبيد الله بن العباس السلَمىّ فإنه قال : لا ناقةَ لى فى هذا ولا جَمَل ، وتنحّى . ٢٦٣/٢

وقال ابن عقيل : أما لو لم تؤمّنونى ما وضعتُ يدى فى أيديكم. وأُتِىَ ببغلة فحُمل عليها ، واجتمعوا حولَه ، وانتزعوا سيفَه من عنقه ، فكأنه عند ذلك آيسٌ من نفسه ، فدمَعَت عيناه ، ثم قال : هذا أوّل الغدر ؛ قال محمد ابن الأشعث : أرجو ألّا يكون عليك بأس ؛ قال : ما هو إلا الرّجاء ؛ أين أمانُكم ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! وبكى ؛ فقال له عَمرو بن عُبيد الله بن عباس : إنّ من يطلب مثلَ الذى تطلب إذا نزل به مثْلُ الذى نزل بك لم يَبكِ ، قال : إنّى واللهِ ما لنفسى أبكى ، ولا لها من القتل أرْثى ، وإن كنت لم أحبّ لها طَرْفة عين تلفاً ، ولكن أبكى لأهلى المُقْبلين إلىّ ، أبكى لحسين وآلِ حسين ! ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال : يا عبدَالله ، إنى أراك والله ستعجز عن أمانى ، فهل عندك خير ! تستطيع أن تبعث من عندِك رجلاً على لسانى يبلغ حسيناً ، فإنى لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلا ، أو هو خرج غداً هو وأهلُ بيته ، وإنّ ما ترى من جزعى لذلك ،

---

(١) فى ابن الأثير :

أو يخلِط. الباردَ سُخْنًا مُرًّا رُدَّ شعاعَ الشمس فاستقرّا

فيقول : إنّ ابن عَقِيل بعثني إليك ، وهو في أيدي القوم أسير لا يَرَى أن تمشيَ حتى تُقتل ، وهو يقول : ارجعْ بأهل بيتك ، ولا يغرّك أهلُ الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقَهم بالموت أو القتل ؛ إنّ أهلَ الكوفة قد كذَبوك وكذَبوني ، وليس لمكذَّب رأي ؛ فقال ابن الأشعث : والله لأفعلنّ ، ولأعلمنّ ابنَ زياد أني قد أمّنتُكَ .

قال أبو مخنف : فحدّثني جعفر بن حُذيفة الطائيّ — وقد عرف سعيد ابن شيبان الحديث — قال : دعا محمد بن الأشعث إياس بن العثل الطائيّ من بني مالك ابن عَمرو بن ثمامة ، وكان شاعراً ، وكان لمحمد زَوّاراً ، فقال له : اِلْقَ حسيناً فأبلغه هذا الكتاب ، وكتب فيه الذي أمره ابن عَقِيل ، وقال له : هذا زادُك وجَهازُك ، ومُتْعة لعيالك ؛ فقال : من أين لي براحلة ، فإنّ راحلتي قد أنضيتُها ؟ قال : هذه راحلة فاركَبْها برَحلها . ثم خرج فاستقبله بزُبالةَ لأربع ليال ، فأخبره الخبر ، وبلّغه الرسالة ، فقال له حسين : كلُّ ما حُمّ نازل ، وعند الله نحتسب أنفسَنا وفساد أمّتنا . ٢٦٤/٢

وقد كان مسلم بن عَقِيل حيث تحوّل إلى دار هانئ بن عروة وبايَعه ثمانية عشر ألفاً ، قدّم كتاباً إلى حسين مع عابس بن أبي شبيب الشاكريّ : أما بعد ، فإن الرائد لا يَكْذِب أهلَه ، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً ، فعجّل الإقبالَ حين يأتيك كتابي ، فإنّ الناس كلهم معك ، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هَوًى ؛ والسلام .

وأقبل محمد بن الأشعث بابن عَقِيل إلى باب القصر ، فاستأذن فأذِن له ، فأخبر عبيد الله خبرَ ابن عَقِيل وضرب بُكَيْر إياه ، فقال : بُعْداً له ! فأخبره محمد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إيّاه ، فقال عبيد الله : ما أنت والأمان ! كأنا أرسلْناك تؤمّنُه ! إنما أرسلناك لتأتيَنا به ؛ فسكت . وانتهى ابن عَقِيل إلى باب القصر وهو عطشان ، وعلى باب القصر ناسٌ جلوس ينتظرون الإذنَ ، منهم عمارة بن عُقبة بن أبي مُعَيْط ، وعمرو بن حُرَيث ، ومسلم بن عمرو ، وكثير بن شهاب .

قال أبو مخنف : فحدّثني قُدامة بن سعد أنّ مسلم بن عَقِيل حين ٢٦٥/٢

انتهى إلى باب القصر فإذا قُلَّة باردة موضوعة على الباب، فقال ابن عَقِيل : اسقُونى من هذا الماء، فقال له مسلم بن عَمرو : أتراها ما أبرَدها ! لا والله لا تذوق منها قطرةً أبداً حتى تذوقَ الحميم فى نار جهنَّم ! قال له ابن عَقِيل : وَيْحك ! مَنْ أنت ؟ قال : أنا ابن مَن عرفَ الحقَّ إذ أنكرتَه ، ونصحَ لإمامه إذْ غششتَه ، وسمع وأطاع إذ عصيتَه وخالفتَ ، أنا مسلم بن عَمرو الباهليّ ؛ فقال ابن عَقِيل : لأمِّك الثكلُ ! ما أجفاك، وما أفظَّك ؛ وأقسَى قلبَك وأغلَظك ! أنت يابن باهلة أوْلى بالحميم والخلود فى نار جهنم منى ؛ ثم جلس متسانداً إلى حائط .

قال أبو مخنف : فحدّثنى قُدامة بن سعد أنّ عمرو بن حُرَيث بعث غلامًا يُدعَى سليمان ، فجاءَه بماء فى قُلَّة فسقاه .

قال أبو مخنف : وحدّثنى سعيد بن مدرك بن عُمارة، أن عُمارة بن عُقبة بعث غلامًا له يُدعى قيْسًا ، فجاءه بقُلَّةعليها منديل ومعه قَدَح فصبّ فيه ماءً ، ثم سقاه ، فأخذ كلَّما شرب امتلأ القدح دمًا ، فلما ملأ القدحَ المرّة الثالثة ذهب ليشرب فسقطتْ ثنيَّتاه فيه ،فقال : الحمد لله ! لو كان لى من الرزق المقسوم شربتُه . وأُدخِل مسلمٌ على ابن زياد فلم يسلِّم عليه بالإمْرة، فقال له الحَرَسىّ : ألا تسلّم على الأمير ! فقال له : إن كان يريد قتلى فما سَلامى عليه ! وإن كان لا يريد قتلى فلعَمرى ليَكثُرنّ سلامى عليه ؛ فقال له ابن زياد : لعَمرى لتُقْتَلنّ ؛ قال : كذلك ؟ قال : نعم ؛ قال : فدَعنى أوص إلى بعض قومى ، فنظر إلى جلساءِ عبيد الله وفيهم عمر بن سعد، فقال : ياعمر ، إنّ بينى وبينك قرابةً ، ولى إليك حاجة ، وقد يجب لى عليك نُجْحُ حاجتى ، وهو سرّ ، فأبى أن يمكّنه من ذكرها ، فقال له عبيد الله : لا تمتنع أنْ تنظر فى حاجة ابن عمّك ،فقام معه فجلس حيث ينظر إليه ابن زياد ، فقال له : إنّ علىّ بالكوفة دَيْناً استدنتُه منذ قدمتُ الكوفةَ ،سبعمائة درهم ، فاقضها عنى ، وانظر جُثّتى فاستوهبْها من ابن زياد ، فوارِها ، وابعثْ إلى حسين مَنْ يردّه، فإنى قد كتبتُ إليه أعلمه أن الناس معه ، ولا

٢٦٦/٢

أراه إلا مقبلاً ؛ فقال عمر لابن زياد : أتدرى ما قال لى ؟ إنه ذكر كذا وكذا ؛ قال له ابن زياد: إنه لا يخونُك الأمينُ، ولكن قد يؤتَمن الخائن ، أمَّا مالُكَ فهو لك ،ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببتَ ؛ وأما حسين فإنه إن لم يُردْنا لم نُردْه ، وإن أرادنا لم نكفَّ عنه،وأما جُثّته فإنا لن نشفّعك فيها ، إنه ليس بأهل منّا لذلك،قد جاهدَنا وخالفَنا ، وجهَد على هلاكنا. وزعموا أنه قال : أما جُثَّته فإنّا لا نبالى إذ قتلناه ما صُنع بها . ثم إنّ ابن زياد قال : إيهٍ يابنَ عقيل ! أتيتَ الناس وأمرُهم جميع ،وكلمتُهم واحدة، لتُشتّتَهم، وتُفرّق كلمتَهم ، وتَحمل بعضَهم على بعض ! قال : كلاًّ ، لستُ أتيتُ، ولكنّ أهل المِصْر زعموا أنّ أباكقتَل خيارَهم، وسفك دماءَهم، وعَمِل فيهم أعمالَ كسرَى وقيصرَ ، فأتيناهم لنأمُر بالعدل وندعوَ إلى حكم الكتاب ، قال : وما أنت وذاك يا فاسقُ ! أوَلم نكن نعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ! قال : أنا أشرب الخمر ! والله إنّ الله ليعلم أنك غيرُ صادق ، وأنك قلتَ بغير علم ، وأنى لستُ كما ذكرتَ. وإنّ أحقّ بشرب الخمر منى وأوْلى بها مَن يَلَغُ فى دماء المسلمين ولْغًا ، فيقتل النفس التى حرّم الله قتلَها ، ويقتُل النفسَ بغير النفس ، ويَسفك الدّم الحرام ، ويَقتل على الغضَب والعداوة وسوء الظنّ ، وهو يلهو ويلعب كأنْ لم يصنع شيئًا . فقال له ابن زياد: يا فاسق ، إنّ نفسك تمنّيك ما حالَ اللهُ دونه، ولم يَرَك أهلَه ؛ قال : فمن أهلُه يابن زياد ؟ قال : أمير المؤمنين يزيد فقال : الحمد لله على كلّ حال ، رضِينا بالله حَكَمًا بيننا وبينكم ؛ قال : كأنك تظنّ أنّ لكم فى الأمر شيئًا ! قال : والله ما هو بالظنّ ، ولكنه اليقين ؛ قال : قتلنى اللهُ إن لم أقتلْك قِتلةً لم يُقتَلها أحدٌ فى الإسلام ! قال : أما إنك أحقّ مَنْ أحدث فى الإسلام ما لم يكن فيه ، أما إنك لا تَدَعُ سوءَ القِتْلة ، وقبح المُثْلة ، وخُبْثَ السيرة ، ولؤم الغلبة ، ولا أحَدَ من الناس أحقّ بها منك . وأقبل ابن سُمية يَشتمه ويَشتم حسينًا وعليًّا وعَقيلا ، وأخذ مسلم لا يكلّمه . وزعم أهلُ العلم أنّ عبيد الله أمر له بماء فُسقِىَ بخَزَفة ، ثم قال له : إنه لم يمنعْنا أن نسقيَك فيها إلا كراهة أن تحرَّم بالشرب فيها ،

٢٦٧/٢

ثم نقتلك ، ولذلك سقيناك فى هذا ، ثم قال : اصْعَدوا به فوق القصر فاضربوا عنقَه ، ثم أتبعوا جسدَه رأسَه ، فقال : يابن الأشعث ، أما والله لولا أنك آمنتَنى ما استسلمت ؛ قمْ بسيفك دونى فقد أخفِرَتْ ذمتُك، ثم قال : يابن زياد ، أما والله لو كانت بينى وبينك قرابة ما قتلتَنى ؛ ثم قال ابن زياد : أين هذا الذى ضرب ابنُ عَقيل رأسَه بالسيف وعاتقَه ؟ فدُعىَ ، فقال : اصْعَدْ فكن أنت الذى تضرب عنقَه ، فصُعِد به وهو يكبِّر ويستغفر ويصلّى على ملائكة الله ورسله وهو يقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذَبونا وأذلّونا . وأشرف به على موضع الجزّارين اليوم ، فضُربت عُنقُه ، وأتبع جسده رأسه .

قال أبو مخنف : حدّثنى الصقعب بن زهير ، عن عون بن أبى جُحَيْفة قال : نزل الأحمَرىّ بُكَيْر بن حُمْران الذى قتل مسلماً ، فقال له ابن زياد : قتلتَه ؟ قال : نعم ، قال : فما كان يقول وأنتم تصعدون به ؟ قال : كان يكبِّر ويسبّح ويستغفر ، فلمّا أدنيتُه لأقتلَه قال : اللهمّ احكم بيننا وبين قوم كذَبونا وغَرُّونا وخذَلونا وقتلونا ؛ فقلت له : ادنُ منّى ، الحمد لله الذى أقادنى منك ، فضربته ضربة لم تغن شيئاً ؛ فقال أما ترى فى خدش تَخدِشُنيه وفاءً من دمك أيها العبد ! فقال ابن زياد : أوَفخراً عند الموت! قال : ثمّ ضربتُه الثانية فقتلتُه . ٢٦٨/٢

قال : وقام محمّد بن الأشعث إلى عبيد الله بن زياد فكلّمه فى هانئ بن عُروة ، وقال : إنك قد عرفتَ منزلةَ هانئ بن عروة فى المصْر ، وبيْتَه فى العشيرة ، وقد علم قومُه أنى وصاحبى سُقناه إليك ، فأنشدك اللهَ لمّا وهبتَه لى ، فإنّى أكره عداوةَ قومه ، هم أعزّ أهل المِصْر ، وعُدَدُ أهل اليَمَن !

قال : فوعده أن يفعل ، فلما كان من أمر مسلم بن عَقيل ما كان ، بدا له فيه ، وأبَى أن يفىَ له بما قال .

قال : فأمر بهانئ بن عُروة حين قُتِل مسلم بن عَقِيل فقال : أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقَه ، قال : فأخرِج بهانئ حتى انتهى إلى مكان من

السوق كان يُباع فيه الغَنَم وهو مكتوف ، فجعل يقول : وامَذْحِجاه ! ولا مَذحِجَ لى اليوم ! وامَذْحِجاه ؛ وأين منى مَذْحِج ! فلما رأى أنّ أحداً لا ينصره جذَبَ يدَه فنزعها من الكتاف ، ثم قال : أما من عصًا أو سكّين أو حجر أو عظم يُجاحش(١) به رجلٌ عن نفسه !

قال : ووثبوا إليه فشدّوه وَثاقًا ، ثم قيل له : امْدُد عنقَك ، فقال : ما أنا بها مُجْدٍ سَخيّ ، وما أنا بمعينِكم على نفسى .

قال : فضربه مولًى لعُبيد الله بن زياد – تركيّ يقال له رشيد – بالسيف ، فلَم يصنع سيفُه شيئًا ، فقال هانئ : إلى الله المَعاد ! اللهمّ إلى رحمتك ورضوانِك ! ثم ضربه أخرى فقتلَه . ٢/٢٦٩

قال : فبَصُر به عبدالرحمن بن الحصين المرادىّ بخازِرَ ، وهو مع عُبيدالله بن زياد ؛ فقال الناس : هذا قاتلُ هانئ بن عُروة ؛ فقال ابن الحصين : قتلنى الله إنْ لم أقتلْه أو أُقتلَ دونَه ! فحَمَل عليه بالرُّمح فطعنه فقتلَه . ثم إن عُبيد الله بن زياد لما قتل مسلم بن عَقِيل وهانئ بن عُروة دعا بعبد الأعلى الكلبيّ الذى كان أخذه كَثِير بن شهاب فى بنى فِتْيان ، فأُتِىَ به ، فقال له : أخبرنى بأمرك ؛ فقال : أصلَحَك الله ! خرجتُ لأنظرَ ما يصنع الناس ، فأخذنى كثير بن شهاب ؛ فقال له : فعليك وعليك ، من الأيمان المغلّظة ، إن كان أخرجك إلا ما زعمت ! فأبَى أن يَحلِف ، فقال عُبيد الله : انطلِقوا بهذا إلى جبّانة السَّبِيع فاضربوا عنقه بها ؛ قال : فانطلِقَ به فضُربت عنقه ؛ قال : وأخرج عمارة بن صلخب الأزدىّ – وكان ممن يريد أن يأتى مسلم بن عَقِيل بالنصرة لينصرَه – فأُتِىَ به أيضًا عبيدالله فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من الأزد . قال : انطلقوا به إلى قومه ، فضُربتْ عنقُه فيهم ، فقال عَبد الله بن الزَّبِير الأسدىّ فى قِتلةِ مُسلمِ بن عَقيل وهانئ بن عُروة المرادىّ – ويقال : قاله الفرزدق :

إن كنت لاتدرينَ ماالموتُ فانظرى   إلى هانئ فى السُّوقِ وابن عقِيل

---

(١) يجاحش : يدافع .

إلى بطَل قد هشَّم السيفُ وجْهَهُ وآخر يهْوِى من طَمار قَتِيلِ

٢/٢٧٠ أَصابهما أَمْرُ الأَميرِ فأَصبحا أَحاديثَ من يَسْرِى بكلِّ سبيل

ترىْ جسدًا قد غيَّر الموتُ لوْنَهُ ونَضْحَ دمٍ قد سال كلَّ مسِيلِ

فتًى هو أَحْيا من فَتاةٍ حَيِيّة وأَقطعُ من ذى شَفرتَين صقيل

أيرْكَبُ أَسماءُ الهمالِيج آمِناً وقد طلبتْه مَذْحِجٌ بِذُحول!

تُطِيفُ حوالَيْه مُرادٌ وكلهُم على رِقْبة من سائل ومَسُول

فإنْ أَنتمُ لم تَثأَرُوا بأَخيكمُ فكونوا بغايَا أُرْضِيَتْ بقليل

قال أبو مخنف : عن أبي جَناب يحيى بن أبي حيّة الكلبيّ ، قال : ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلمًا وهانئًا بعث برءوسهما مع هانئ بن أبي حيّة[1] الوادعيّ والزبير بن الأروح التميميّ إلى يزيدَ بن معاوية ، وأمرَ كاتبَه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيدَ بن معاوية بما كان من مسلم وهانئ ، فكتب إليه كتابًا أطال فيه — وكان أولَ مَن أطال فى الكتب — فلما نظر فيه عُبيد الله بن زياد كرهه وقال : ما هذا التطويل وهذه الفضول؟ اكتُب :

أمّا بعد ، فالحمد لله الذى أخذ لأمير المؤمنين بحقه ، وكفاه مؤنة عدوّه . أخبر أمير المؤمنين أكرَمه الله أن مسلم بن عَقيل لجأ إلى دار هانئ بن عروة المُراديّ ، وأنّى جعلت عليهما العيون ، ودسستُ إليهما الرجال ، وكِدْتُهما حتى استخرجتُهما ، وأمكن الله منهما ، فقدّمتهما فضربتُ أعناقهما ، وقد بعثتُ إليك برءوسهما مع هانئ بن أبي حيّة الهَمْدانيّ والزبير بن الأرْوَح التميمى — وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة — فليسألهما أميرُ المؤمنين عما أحبّ من أمر ، فإن عندهما علمًا وصدقًا ، وفَهْمًا ووَرَعًا ؛ والسلام .

٢/٢٧١

فكتب إليه يزيد : أما بعد ، فإنك لم تَعْدُ أن كنتَ كما أحبّ ، عملتَ عملَ الحازم ، وصُلتَ صَوْلة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيتَ وكفيتَ ، وصدّقتَ ظنّى بك ، ورأيى فيك ، وقد دعوتُ رسولَيْك فسألتُهما ، وناجيتُهما

(١) ابن الأثير : « هانئ بن جبة » .

فوجدتهما فى رأيهما وفضلهما كما ذكرت ؛ فاستَوصِ بهما خيراً ، وإنه قد بلغنى أن الحسين بن علىّ قد توجّه نحو العراق ؛ فضَعِ المنَاظر والمَسالح[1] ، واحترس على الظنّ ، وخُذ على التهمة، غير ألا تقتل إلا من قاتلك ، واكتب إلىّ فى كل ما يَحدُث من الخبر ؛ والسلام عليك ورحمة الله .

قال أبو مخنف : حدّثنى الصقعب بن زهير ، عن عون بن أبى جُحَيفة ، قال : كان مُخرَج مسلم بن عَقِيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمانِ ليال مضَين من ذى الحجّة سنة ستين — ويقال يوم الأربعاء لسبع مضَيْن سنة ستين من يوم عرفة بعد مُخرَج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم — قال : وكان مُخرَج الحسين من المدينة إلى مكة يومَ الأحد لليلتين بقيَتا من رجب سنة ستّين ، ودخل مكة ليلَة الجمعة لثلاث مضَين من شعبان ، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوّالاً وذا القعدة ، ثم خرج منها لثمانٍ مضَين من ذى الحجة ٢٧٢/٢ يوم الثلاثاء يوم التروْيَة فى اليوم الذى خرج فيه مسلم بن عَقِيل .

وذكر هارون بن مسلم ، عن علىّ بن صالح ، عن عيسى بن يزيد ، أن المختار بن أبى عُبيد وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم ، خرج المختار براية خضراء ، وخرج عبدُالله براية حمراء ، وعليه ثياب حُمْر ، وجاء المختار برايته فركزها على باب عَمرو بن حُريث ، وقال : إنما خرجتُ لأمنع عمراً، وإن ابن الأشعث والقعقاع بن شَوْر وشَبَث بن رِبعىّ قاتلوا مسلماً وأصحابَه عشيّة سار مسلم إلى قصر ابن زياد قِتالاً شديداً ، وأن شَبَثاً جعل يقول : انتظروا بهم الليل يتفرقوا ؛ فقال له القعقاع : إنك قد سددتَ على الناس وجهَ مصيرِهم ، فافرُج لهم يَنسرِبوا ؛ وإن عُبيد الله أمر أن يطلب المختار وعبد الله بن الحارث ، وجعل فيهما جُعْلا ، فأُتىَ بهما فحُبِسا .

* * *

(١) المناظر : جمع منظرة ؛ وهو الموضع يرقب فيه العدو . والمسالح : جمع مسلحة ؛ وهى موضع يكون فيه أقوام يحملون السلاح ، و يرقبون العدو ؛ لئلا يطرقهم على غفلة .

[ذكر مسير الحسين إلى الكوفة]

وفى هذه السنة كان خروج الحسين عليه السلام من مكّة متوجِّهًا إلى الكوفة .

* ذكر الخبر عن مسيره إليها وما كان من أمره فى مسيره ذلك :

قال هشام عن أبى مخنف : حدثنى الصقعب بن زهير ، عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومىّ، قال : لما قدمتْ كتُب أهل العراق إلى الحسين وتهيّأ للمسير إلى العراق ، أتيتُه فدخلتُ عليه وهو بمكة ، فحمدت الله وأثنيتُ عليه ، ثم قلت : أما بعد ، فإنى أتيتك يابن عم لحاجة أريد ذكرَها لك نصيحة ، فإن كنتَ ترى أنك تستنصحنى وإلا كففتُ عما أريد أن أقول ؛ فقال : قل ، [١]فوالله ما أظنك بسيّئ الرأى ، ولا هوٍ للقبيح من الأمر والفعل[١] ؛ قال : قلت له : إنه قد بلغنى أنك تريد المسير إلى العراق ، وإنى مشفقٌ عليك من مسيرك ؛ إنك تأتى بلداً فيه عماله وأمراؤه ، ومعهم بيوتُ الأموال ، وإنما الناسُ عبَيدٌ لهذا الدرهم والدينار ، ولا آمَنُ عليك أن يقاتلك مَن وعدك نصرَه ، ومَن أنت أحبّ إليه ممن يقاتلك معه ؛ فقال الحسين : جزاك الله خيراً يابن عمّ ؛ فقد والله علمتُ أنك مشيتَ بنُصح ، وتكلّمت بعقل ، ومهما يُقضَ من أمر يكن، أخذتُ برأيك أو تركتُه ، فأنت عندى أحمدُ مُشيرٍ ، وأنصَح ناصح . ٢٧٣/٢

قال : فانصرفتُ من عنده فدخلت على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام ، فسألنى : هل لقيتَ حسيناً ؟ فقلت له : نعم ؛ قال : فما قال لك ، وما قلت له ؟ قال : فقلت له : قلت كذا وكذا ، وقال كذا وكذا ؛ فقال : نصحتَه وربِّ المَرْوَةِ الشّهباء، أما وربّ البنيّة إنّ الرأى لَمَا رأيتَه،قبِلهُ أو تركه ، ثم قال :

رُبَّ مستنصَحٍ يَغُشُّ ويُرْدِى وظَنِينٍ بالغَيْبِ يُلْفَى نَصِيحَا

(١ - ١) ابن الأثير : « فوالله ما أستغشك ، وما أظنك بشىء من الهوى » .

قال أبو مخنف: وحدثنى الحارث بن كعب الوالبىّ، عن عقبة[1] بن سِمْعان، أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه عبد الله بن عباس فقال: يابن عمّ، إنك قد أرجف الناسُ أنك سائر إلى العراق، فبيِّن لى ما أنت صانع؟ قال: إنى قد أجمعتُ المسير فى أحد يومَىَّ هذين إن شاء الله تعالى؛ فقال له ابن عبّاس: فإنى أعيذك بالله من ذلك، أخبِرْنى رحمك الله! أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرَهم، وضبطوا بلادهم، ونَفَوْا عدوَّهم؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسرْ إليهم، وإن كانوا إنما دَعَوْك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمّاله تَجبِى بلادَهم، فإنهم إنما دعَوك إلى الحرب والقتال، ولا آمَن عليك أن يغرُّوك ويكذبوك، ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشدّ الناس عليك؛ فقال له حسين: وإنى أستخير الله وأنظر ما يكون. ٢٧٤/٢

قال: فخرج ابن عباس من عنده، وأتاه ابن الزبير فحدّثه ساعةً، ثم قال: ما أدرى ما تَرْكُنا هؤلاء القوم وكفُّنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين، ووُلاة هذا الأمر دونهم! خبِّرْنى ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: واللهِ لقد حدّثتُ نفسى بإتيان الكوفة، ولقد كتَب إلى شيعتى بها وأشرافُ أهلِها، وأستخير الله؛ فقال له ابن الزبير: أما لو كان لى بها مثلُ شيعتك ما عدلتُ بها؛ قال: ثم إنه خَشِىَ أن يتّهمه فقال: أما إنك لو أقمتَ بالحجاز ثم أردتَ هذا الأمر هاهنا ما خُولفَ عليك إن شاء الله؛ ثم قام فخرج من عنده، فقال الحسين: ها إنّ هذا ليس شىء يُؤتاه من الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنه ليس له من الأمر معى شىء، وأن الناس لم يَعدِلوه بى، فودّ أنى خرجت منها لتخلو له.

قال: فلما كان من العشىّ أو من الغد، أتى الحسينُ عبدَالله بن العباس فقال: يابن عمّ إنى أتصبّر ولا أصبر، إنى أتخوّف عليك فى هذا الوجه الهلاكَ والاستئصال؛ إن أهلَ العراق قوم غُدُر، فلا تقربنّهم، أقم بهذا البلد فإنك سيّد أهل الحجاز؛ فإنْ كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفُوا عدوهم، ثم أقدم عليهم، فإن أبيْتَ إلا أنه تخرج فسر إلى اليَمَن ٢٧٥/٢

(١) ط: «عتبة»، والصواب ما أثبته، وانظر الفهرس.

فإن بها حصونًا وشِعابًا ، وهى أرضٌ عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة ، وأنت عن الناس فى عزْلة ، فتكتب إلى الناس وترسل، وتبثّ دعاتك ، فإنى أرجو أن يأتيَك عند ذلك الذى تحبُّ فى عافية؛ فقال له الحسين : يابن عمّ ، إنى والله لأعلم أنك ناصحٌ مشْفِق ، ولكنّى قد أزمعتُ وأجمعتُ على المسير ؛ فقال له ابن عباس : فإن كنتَ سائراً فلا تسِرْ بنسائك وصبْيَتِك ، فوالله إنى لخائف أن تُقْتَلَ كما قُتِل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه . ثم قال ابن عباس : لقد أقررتَ عينَ ابنِ الزبير بتخليتِك إياه والحجازَ والخروج منها ، وهو اليوم لا ينظر إليه أحدٌ معك، والله الذى لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذتُ بشعرِك وناصيتِك حتى يجتمعَ علىّ وعليك الناسُ أطعتنى لفعلتُ ذلك . قال : ثم خرج ابن عباس من عنده ، فمرّ بعبد الله بن الزبير ، فقال : قرّت عينُك يابن الزبير ! ثم قال :

يالكِ من قُبَّرة بمعْمَرِ خَلا لَكِ الجوُّ فبيضِي وأصْفِرِى[1]

* ونَقِّرِى ما شِئتِ أَنْ تُنَقِّرِى *

هذا حسينٌ يخرج إلى العراق ، وعليك بالحجاز .

قال أبو مخنف : قال أبو جناب يحيى بن أبى حيّة ، عن عدىّ بن حرملة الأسدىّ ، عن عبد الله بن سُليم والمذرىّ بن المشمعلّ الأسَديّين قالا : خرجنا حاجّيْن من الكوفة حتى قدمنا مكة ، فدخلنا يوم التروِيَة ، فإذا نحن بالحسين وعبدِالله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحُجْر والباب ، قالا : فتقرّبنا منهما ، فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين : إن شئتَ أن تقيم أقمت فولّيتَ هذا الأمر ، فآزرناك وساعدناك ، ونصحْنا لك وبايعناك ؛ فقال له الحسين : إنّ أبى حدثنى أن بها كبشًا يستحلّ حرمتها ، فما أحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش ؛ فقال له ابن الزبير : فأقم إن شئتَ وتولّينى أنا الأمر فتطاع ولا تُعصَى ؛ فقال : وما أريد هذا أيضًا ؛ قالا : ثم إنّهما أخفيَا

٢٧٦/٢

(١) ينسب الرجز إلى طرفة ؛ ملحق ديوانه ١٩٣

كلامهما دوننا ، فما زالا يتناجيّان حتى سمعنا دعاء الناس رائحين متوجّهين إلى مِنًى عند الظهر ؛ قالا : فطاف الحسين بالبيت وبين الصَّفا والمروَة ، وقصّ من شعره ، وحلّ من عُمرته ، ثم توجّه نحو الكوفة،وتوجّهنا نحوَ الناس إلى مِنًى .

قال أبو مخنف : عن أبى سعيد عَقيصَى ، عن بعض أصحابه ، قال : سمعتُ الحسينَ بنَ علىّ وهو بمكة وهو واقف مع عبد الله بن الزُّبير ، فقال له ابن الزبير إلىّ يابن فاطمة ، فأصغَى اليه ، فسارّه ، قال : ثم التفت إلينا الحسين فقال : أتدرون ما يقول ابنُ الزبير ؟ فقلنا : لا ندرى، جعلَنا الله فداك ! فقال : قال : أقمْ فى هذا المسجد أجمع لك الناس ؛ ثم قال الحسين : والله لأن أقتَلَ خارجًا منها بشِبْر أحبّ إلىّ من أن أقتَل داخلاً منها بشبْر ، وايمُ الله لو كنت فى جُحْر هامّة من هذه الهوامّ لاستخرجونى حتى يقضوا فىّ حاجتهم ، ووالله ليَعتدُن علىّ كما اعتدت اليهود فى السَّبت .

قال أبو مخنف : حدّثنى الحارث بن كعب الوالبىّ ، عن عُقبة بن سِمعان قال : لما خرج الحسين من مكة اعترضه رُسلُ عَمرو بن سعيد بن العاص ، عليهم يحيى بن سعيد ، فقالوا له : انصرِف؛ أين تذهب ! فأبى عليهم ومضى ، وتَدافَع الفريقان ، فاضطربوا بالسّياط . ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا امتناعًا قويًّا ، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه ، فنادَوه : يا حسين ، ألا تتقى الله ! تَخرُج من الجماعة ، وتفرّق بين هذه الأمة ! فتأوّل حسينٌ قولَ الله عز وجل : ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] . ٢٧٧/٢

قال : ثم إن الحسين أقبل حتى مرّ بالتَّنعيم، فلقىَ بها عِيرًا قد أقبِل بها من اليَمَن ، بعَث بها بَحير بن رَيْسان الحميرىّ إلى يزيدَ بن معاوية ، — وكان عامله على اليمن — وعلى العِير الوَرْسُ والحُلَل يُنطلَق بها إلى يزيد

---

(١) سورة يونس:٤١ .

فأخذَها الحسين ، فانطلق بها ؛ ثم قال لأصحاب الإبل : لا أكرهكم ، مَن أحبَّ أن يمضيَ معنا إلى العراق أوْفينا كِراءه وأحسنا صحبته ، ومَن أحبّ أن يفارقَنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكِراء على قدر ما قطع من الأرض؛ قال : فمن فارقه منهم حوسب فأوفى حقّه ، ومَن مضى منهم معه أعطاه كِراءَه وكَساه .

قال أبو مخنف ؛ عن أبي جَناب ، عن عديّ بن حَرْملة ، عن عبد الله ابن سليم والمذرى قالا : أقبلنا حتى انتهينا إلى الصِّفاح ، فلقينا الفرزدق بن غالب الشاعر ، فواقف حسينًا فقال له : أعطاك الله سُؤلَك وأملك فيما تحبّ : فقال له الحسين : بيِّنْ لنا نبأ الناس خلفك ، فقال له الفرزدق : مِن الخبير سألتَ ، قلوبُ الناس معك، وسيوفُهم مع بنى أميّة ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء ؛ فقال له الحسين : صدقتَ ، لله الأمر ، والله يفعل ما يشاء ، وكلّ يوم ربُّنا فى شأن ، إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمَد الله على نَعمائه ، وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرّجاء ، فلم يَعتدِ مَن كان الحقُّ نيّته ، والتقوى سريرته ؛ ثم حرّك الحسينُ راحلتَه فقال : السلام عليك ؛ ثم افترقا . ٢٧٨/٢

قال هشام ، عن عَوانة بن الحكم ، عن لَبَطة بن الفرزدق بن غالب ، عن أبيه ، قال: حججتُ بأمّى ، فأنا أسوق بعيرَها حين دخلت الحَرم فى أيام الحجّ ، وذلك فى سنة ستين ، إذ لقيت الحسينَ بن علىّ خارجًا من مكة معه أسيافه وتِراسُه ، فقلت : لمن هذا القطار ؟ فقيل : للحُسين بن علىّ ، فأتيته فقلت : بأبى وأمى يا بن رسول الله ! ما أعجَلك عن الحجّ ؟ فقال : لو لم أعجل لأخذتُ ؛ قال : ثم سألنى : ممّن أنت ؟ فقلت له : امْرُؤٌ من العراق ؛ قال : فوالله ما فتّشنى عن أكثرَ من ذلك، واكتفى بها منّى ، فقال : أخبِرنى عن الناس خلفك ؟ قال : فقلت له : القلوب معك ، والسيوف مع بنى أميّة ، والقضاء بيَد الله ؛ قال : فقال لى : صدقتَ ؛ قال : فسألته عن أشياءَ ، فأخبرنى بها من نذور ومناسِك ؛ قال : وإذا هو ثقيل اللسان من

بِرسام(١) أصابَه بالعراق ؛ قال : ثم مضيتُ فإذا بفُسطاط مضروب فى الحرم، وهيئته حسَنَة ، فأتيته فإذا هو لعبد الله بن عَمرو بن العاص ، فسألنى ، فأخبرتُه بلقاء الحسين بن علىّ ، فقال لى : ويلك ! فهلاّ اتّبعتَه ، فوالله ليملكنّ ، ولا يجوز السلاح فيه ولا فى أصحابه ، قال : فهممت والله أن ألحق به ، ووقع فى قلبى مقالته ، ثمّ ذكرت الأنبياءَ وقتْلَهم ، فصدّنى ذلك عن اللّحاق بهم ، فقدمتُ على أهلى بعُسْفانَ ، قال : فوالله إنى لعندهم إذ أقبلتْ عِيرٌ قد امتارت من الكوفة ، فلما سمعتُ بهم خرجتُ فى آثارهم حتى إذا أسمعتُهم الصوت وعجِلْتُ عن إتيانهم صرختُ بهم : ألا ما فعل الحسينُ ابنُ علىّ ؟ قال : فردّوا علىّ : ألا قد قُتل ؛ قال : فانصرفتُ وأنا ألعنُ عبدَالله بنَ عَمرو بن العاص ؛ قال : وكان أهلُ ذلك الزمان يقولون ذلك الأمر ، وينتظرونه فى كلّ يوم وليلة . قال : وكان عبدُالله بنُ عمرو يقول : لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصّغير حتى يظهر هذا الأمر ؛ قال : فقلت له : فما يمنعك أن تبيع الوَهْط ؟ قال : فقال لى : لعنَةُ الله على فلان — يعنى معاوية — وعليك ؛ قال : فقلت : لا ، بل عليك لعنة الله ؛ قال : فزادنى من اللعن ولم يكن عنده من حشمِه أحدٌ فألقى منهم شرًّا ؛ قال : فخرجتُ وهو لا يعرفنى — والوَهْط حائطٌ لعبد الله بن عَمرو بالطائف ؛ قال : وكان معاوية قد ساوَمَ به عبدَالله بنَ عَمرو ، وأعطاه به مالاً كثيراً ، فأبى أن يبيعه بشىء — قال : وأقبل الحسين مُغِذًّا لا يَلْوِى على شىء حتى نزل ذاتَ عِرْق.

٢٧٩/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى الحارث بن كعب الوالبىّ ، عن علىّ بن الحسين ابن علىّ بن أبى طالب قال : لما خرجنا من مكة كتب عبدُالله بن جعفر بن أبى طالب إلى الحسين بن علىّ مع ابنيه : عَون ومحمد : أما بعد ، فإنّى أسألك بالله لَمَّا انصرفت حين تنظر فى كتابى ، فإنّى مُشفِقٌ عليك من الوجه الذى توجّه له أن يكون فيه هلاكُك واستئصالُ أهلِ بيتك ، إن هلكتَ اليومَ طَفِئ نورُ الأرض ، فإنك عَلَمُ المهتدين، ورجاء المؤمنين ؛ فلا تعجَل بالسير

(١) البرسام : علة يهذى فيها .

فإنى فى أثر الكتاب ؛ والسلام .

٢/٢٨٠ قال : وقام عبدالله بنُ جعفر إلى عَمرو بن سعيد بن العاص فكلّمه . وقال : اكتبْ إلى الحسين كتابًا تَجعَل له فيه الأمان، وتمنّيه فيه البِرّ والصّلة، وتوثق له فى كتابك ، وتسأله الرجوع لعله يطمئنّ إلى ذلك فيرجع ؛ فقال عَمرو ابن سعيد : اكتب ما شئتَ وأتِنى به حتى أختمَه ، فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب ، ثمّ أتى به عَمرو بن سعيد فقال له : اختِمه ، وابعثْ به مع أخيك يحيى بن سعيد ، فإنه أحرَى أن تطمئنّ نفسُه إليه، ويعلم أنه الجِدّ منك ، ففعل ؛ وكان عَمرو بن سعيد عاملَ يزيدَ بن معاوية على مكة ؛ قال : فلحقه يحيى وعبد الله بن جعفر ، ثم انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب ، فقالا : أقرأناه الكتاب ، وجهدْنا به ، وكان مما اعتَذَر به إلينا أن قال : إنى رأيتُ رؤيا فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأمِرت فيها بأمر أنا ماضٍ له ، علىّ كان أوْ لِي ؛ فقالا له : فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدّثت أحدًا بها، وما أنا محدّث بها حتى ألقَى ربّى .

قال : وكان كتاب عَمرو بن سعيد إلى الحسين بن علىّ : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، مِن عَمرو بن سعيد إلى الحسين بن علىّ ، أما بعد ، فإنى أسأل الله أن يصرفك عمّا يوبقُك ، وأن يهديَك لما يرشدُك ؛ بلغنى أنك قد توجّهت إلى العراق ، وإنى أعيذك بالله من الشقاق ، فإنّى أخاف عليك فيه الهلاك ، وقد بعثتُ إليك عبدَالله بنَ جعفر ويحيى بن سعيد ، فأقبِلْ إلىّ معهما ، فإنّ لك عندى الأمان والصّلة والبِرّ وحُسن الجِوار لك ، الله علىّ بذلك شهيدٌ وكفيلٌ ، ومُراعٍ ووكيلٌ ؛ والسلام عليك .

٢/٢٨١ قال : وكتب إليه الحسين : أما بعد ؛ فإنه لم يشاقِقِ الله ورسوله مَنْ دعا إلى الله عزّ وجلّ وعمل صالحًا وقال إننى من المسلمين ؛ وقد دعوتَ إلى الأمان والبرّ والصّلة ، فخير الأمان أمانُ الله ، ولن يؤمِنَ الله يومَ القيامة مَنْ لم يخفْه فى الدّنيا ، فنسأل الله مخافةً فى الدنيا تُوجب لنا أمانه يومَ

القيامة ، فإن كنتَ نويتَ بالكتاب صلتى وبرّى ، فجُزيتَ خيرًا فى الدنيا والآخرة ؛ والسلام .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمار الدّهنىّ عن أبى جعفر[1] . فحدّثنى زكرياء بن يحيى الضرير، قال : حدّثنا أحمد بن جناب المَصّيصىّ قال : حدّثنا خالد بن يزيدَ بن عبد الله القسرىّ قال : حدّثنا عمار الدُّهنىّ قال : قلت لأبى جعفر : حَدّثنى عن مَقتَل الحسين حتى كأنى حضرته؛ قال : فأقبَل حسينُ بن علىّ بكتاب مسلم بن عَقيل كان إليه،حتى إذا كان بينه وبين القادسيّة ثلاثة أميال ، لقيَه الُحرّ بن يزيدَ التميمىّ ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أريد هذا المِصْر ؛ قال له : ارجع فإنى لم أدعْ لك خلفى خيراً أرجوه ، فهمّ أن يرجع ، وكان معه إخوةُ مسلم بن عَقِيل ، فقالوا : واللهِ لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نُقتَل ؛ فقال : لا خيرَ فى الحياة بعدكم ! فسار فَلَقِيَتْه أوائلُ خيلِ عُبيد الله ، فلما رأى ذلك عدَل إلى كرْبَلاء فأسند ظهرَه إلى قصباء وخَلًا كيْلا يقاتل إلا من وجه واحد ، فنزل وضرب أبنيتَه ، وكان أصحابُه خمسةً وأربعين فارسًا ومائة راجل ، وكان عُمر بن سعد بن أبى وقاصّ قد ولّاه عُبيد الله بن زياد الرّىّ وعهد إليه عهدَه فقال : اكفنى هذا الرجل ؛ ٢٨٢/٢ قال : أعفِنى ، فأبَى أن يُعفيَه ؛ قال : فأنظرْنى الليلة ؛ فأخّره ، فنظر فى أمره فلما أصبح غدَا عليه راضيًا بما أمر به، فتوجّه إليه عُمر بن سعد ، فلما أتاه قال له الحسين : اخترْ واحدةً من ثلاث : إما أن تدعوَنى فأنصرِف من حيث جئتُ ، وإما أن تدعوَنى فأذهبَ إلى يزيد ، وإما أن تدعوَنى فألحق بالثغور ؛ فقبل ذلك عمر ، فكتب إليه عُبيد الله : لا ولا كرامةَ حتى يضع يده فى يدى ! فقال له الحسين : لا والله لا يكون ذلك أبداً ، فقاتله فقُتل أصحابُ الحسين كلُّهم ، وفيهم بضعة عَشَرَ شابًّا من أهل بيته ، وجاء سهمٌ فأصاب ابنًا له معه فى حجره ، فجعل يمسح الدم عنه ويقول : اللهمّ احكم بيننا وبين قوم دَعَوْنا ليَنصروا فقتلونا ؛ ثم أمر بِحِبَرَة فشقّقها ، ثم

(١) انظر أول الحديث ص ٣٤٧ ، ثم انظر ص ٣٤٩ من هذا الجزء .

لبسها وخرج بسيفه ، فقاتل حتى قُتِل صلوات الله عليه ؛ قتله رجلٌ من مَذْحِج وحَزّ رأسه ، وانطلق به إلى عبيد الله وقال :

أَوْقِرْ رِكابى فِضَّةً وذَهبَا ... فقد قَتَلْتُ المَلِكَ المُحجَّبا
قَتَلتُ خَيْرَ الناسِ أُمًّا وأَبَا ... وخَيْرَهُمْ إذ يُنْسبُونَ نَسبا

وأوفده إلى يزيدَ بن معاوية ومعه الرأس ، فوضع رأسَه بين يديه وعنده أبو برْزة الأسلمىّ ، فجعل يَنكُتُ بالقَضيب على فيه ويقول :

يُفَلِّقْنَ هاماً مِن رجالٍ أَعِزَّة ... علَينا وَهُمْ كانوا أَعقَّ وأَظْلَمَا[1]

٢٨٣/٢ فقال له أبو برْزة : اِرفع قضيبَك، فوالله لربما رأيتُ فا رَسولِ الله صلّى الله عليه وسلم على فيه يَلثِمه ! وسرّح عمر بن سعد بحرَمه وعياله إلى عبيد الله ، ولم يكن بقِىَ من أهل بيت الحسين بن على عليه السلام إلا غلام كان مريضًا مع النساء ، فأمر به عُبيد الله ليُقتل ، فطرحتْ زَينب نفسَها عليه وقالت : والله لا يُقتَل حتى تقتلونى ! فرقّ لها ، فترَكه وكفّ عنه .

قال : فجهّزهم وحملهم إلى يزيدَ، فلما قدموا عليه جمع مَن كان بحضرته من أهل الشأم ، ثم أدخلوهم ، فهنّئوه بالفتح ، قال رجل منهم أزرق أحمر ونظر إلى وصيفةٍ من بناتهم فقال : يا أمير المؤمنين ، هبْ لى هذه ، فقالت زَينب : لا والله ولا كرامةَ لك ولا له إلا أن يَخرُج من دِين الله ، قال : فأعادها الأزرق ، فقال له يزيد : كُفّ عن هذا ؛ ثم أدخلهم على عياله ، فجهّزهم وحَمَلهم إلى المدينة ، فلما دخلوها خرجتْ امرأةٌ من بنى عبد المطلب ناشرةً شعرَها ، واضعةً كمّها على رأسها تَلقاهم وهى تبكِى وتقول :

ماذا تقولون إن قال النَّبىُّ لكمْ ... ماذا فَعلْتمْ وأَنتُمْ آخِرُ الأُمَمِ !
بعتْرتى وبأَهْلِى بعْدَ مُفْتَقَدِى ... منهم أُسارَى وقَتلَى ضُرِّجوا بِدَمِ
ما كان هذا جزائى إذ نَصحْتُ لكم ... أن تُخْلفُونى بسوءٍ فى ذوى رحِمِى !

---

[1] للحصين بن الحمام المرى ، ديوان الحماسة ١ : ١٩٣ - بشرح التبريزى .

حدّثنى الحسين بن نصر قال : حدّثنا أبو ربيعة ، قال : حدّثنا أبو عَوانة ، عن حصين بن عبد الرحمن قال : بلَغنا أنّ الحسين عليه السلام . . . ٢/٢٨٤
وحدّثنا محمد بن عمار الرازىّ ، قال : حدّثنا سعيد بن سليمان ، قال : حدّثنا عباد بن العوّام قال : حدّثنا حصين ، أنّ الحسين بن علىّ عليه السلام كتب إليه أهلُ الكوفة : إنه معك مائة ألف ، فبعث إليهم مسلم بن عَقيل ، فقدم الكوفة ، فنزل دارَ هانئ بن عُروة ، فاجتمع إليه الناس ، فأخبر ابن زياد بذلك . زاد الحسين بن نَصْر فى حديثه : فأرسل إلى هانئ فأتاه ، فقال : ألم أوقّرْك ! ألم أكرمْك ! ألم أفعَلْ بك ! قال : بلى ، قال : فما جزاءُ ذلك ؟ قال : جزاؤه أن أمنعك ؛ قال : تمنعنى ! قال : فأخذ قضيبًا مكانه فضربه به ، وأمَرَ فكُتِف ثم ضرب عنقه ، فبلغ ذلك مسلم بن عَقيل ، فخرج ومعه ناس كثير ، فبلغ ابنَ زياد ذلك ، فأمر بباب القصر فأغلِق ، وأمر مناديًا فنادى : يا خيلَ اللهِ اركبى ، فلا أحد يجيبه ، فظنّ أنه فى ملإ من الناس .

قال حصين : فحدّثنى هلال بن يَساف قال : لقيتُهم تلك الليلة فى الطريق عند مسجد الأنصار ، فلم يكونوا يمرّون فى طريق يمينًا ولا شِمالاً إلا وذهبت منهم طائفة ؛ الثلاثون والأربعون ، ونحو ذلك . قال : فلمّا بلغ السوق ، وهى ليلة مظلمة ، ودخلوا المسجد ، قيل لابن زياد : والله ما نرى كثيرَ أحَد ، ولا نسمع أصواتَ كثير أحد ، فأمر بسقف المسجد فقُلع ، ثم أمر بحرادىّ (١) فيها النيران ، فجعلوا ينظرون ، فإذا قريب خمسين رجلا . قال : فنزل فصعد المِنبر وقال للناس : تميّزوا أرباعًا أرباعًا ؛ فانطلق كلّ قوم إلى رأس رُبْعهم ، فنهض إليهم قومٌ يقاتلونهم ، فجُرح مسلم جِراحةً ثقيلة ، وقتل ناس من أصحابه ، وانهزموا ؛ فخرج مسلم فدخل داراً من دُور كِندة ، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد ، فسارّه ، فقال له : إنّ مسلمًا فى دار فلان ، فقال ابن زياد : ما قال لك ؟ قال : إنّ مسلما فى دار فلان ، قال ابن زياد لرجلين : انطلِقا فأتيانى به ، فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدتْ له النار ، فهو يغسل عنه الدّماء ، فقالا ٢/٢٨٥

---

(١) فى اللسان عن ابن الأعرابى : « يقال لخشب السقف الروافد ، ولما يلقى عليها من أطنان القصب حرادى » .

له : انطلقْ ، الأميرُ يدعوك ، فقال : اعقدا لى عقداً ؛ فقالا : ما نملك ذاك ؛ فانطلق معهما حتى أتاه فأمر به فكُتِف ثمّ قال : هِيهْ هِيهْ يابن خليّة — قال الحسين فى حديثه : يابن كذا — جئتَ لتنتزعَ سلطانى ! ثم أمر به فضربتْ عنقُه . قال حصين : فحدّثنى هلال بن يساف أنّ ابن زياد أمر بأخذ ما بين واقصةَ إلى طريق الشأم إلى طريق البصرة ، فلا يَدعون أحداً يلِج ولا أحداً يخرج ، فأقبل الحسين ولا يشعر بشىء حتى لقىَ الأعراب ، فسألهم ، فقالوا : لا والله ما ندرى ، غير أنا لا نستطيع أن نلِج ولا نخرج ؛ قال : فانطلق يسير نحوَ طريق الشأم نحو يزيد ، فلقيتْه الخيول بكَرْبَلاء ، فنزل يناشدهم الله والإسلام ، قال : وكان بعث إليه عمر بن سعد وشَمر بن ذى الجَوْشن وحُصين ابن نمير ، فناشَدهَم الحسين اللهَ والإسلامَ أن يسيّروه إلى أمير المؤمنين ، فيضع يده فى يده ، فقالوا : لا ، إلا على حكم ابن زياد ؛ وكان فيمن بعث إليه الُحرّ بن يزيد الحَنْظَلى ثم النَّهْشَلىّ على خيل ، فلما سمع ما يقول الحسين قال لهم : ألا تقبلون من هؤلاء ما يَعرِضون عليكم ! والله لو سألكم هذا التُّرك والدَّيْلم ما حلّ لكم أن تردّوه ! فأبَوْا إلا على حكم ابن زياد ، فصرف الحرُّ وجهَ فرسه ، وانطلق إلى الحسين وأصحابه ، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلَهم ، فلما دنا منهم قلب تُرسَه وسلّم عليهم ، ثم كرّ على أصحاب ابن زياد فقاتلهم ، فقتل منهم رجلين ، ثم قتِل رحمة الله عليه .

٢٨٦/٢

وذكر أن زُهير بن القَيْن البَجلىّ لقى الحسينَ وكان حاجًّا ، فأقبل معه ، وخرج إليه ابن أبى بحريّة المرادىّ ورجلان آخران وعمرو بن الحجّاج ومعن السُّلمىّ ؛ قال الحصين : وقد رأيتهما .

قال الحصين : وحدّثنى سعد بن عبيدة ، قال : إنّ أشياخًا من أهل الكوفة لَوُقوف على التلّ يبكون ويقولون : اللهم أنزِل نصرك ، قال : قلت : يا أعداء الله ، ألا تنزلون فتنصرونه ! قال : فأقبل الحسين يكلّم من بعث إليه ابن زياد ، قال : وإنى لأنظر إليه وعليه جبّة من بُرُود ، فلما كلّمهم انصرف ، فرماه رجلٌ من بنى تميم يقال له : عمر الطُّهَوىّ بسهم ، فإنى لأنظر إلى السهم بين كتفيه متعلّقًا فى جبّته ، فلما أبوْا عليه رجع إلى مصافّه ، وإنى لأنظر إليهم ،

(١) ط : « نمر » ، وانظر الفهرس .

وإنهم لقريب من مائة رجل، فيهم[١] لصُلب عليّ بن أبى طالب عليه السلام خمسة ، ومن بنى هاشم ستة عشر ، ورجل من بنى سُلَيم حليفٌ لهم ، ورجلٌ من بنى كنانة حليفٌ لهم ، وابن عمر بن زياد .

قال : وحدّثنى سعد بن عبيدة، قال : إنا لمستنقعون فى الماء مع عمر بن سعد ، إذ أتاه رجل فسارَّه وقال له : قد بعث إليك ابن زياد جُوَيْرِيَةَ بن بدر التميمىّ ، وأمَرَه إن لم تقاتل القومَ أن يضربَ عُنقَك ؛ قال : فوثب إلى فرسه فركبه ، ثم دعا سلاحه فلبسه ، وإنه على فرسه ، فنهض بالناس إليهم فقاتَلوهم ، فجىء برأس الحسين إلى ابن زياد ، فوُضع بين يديه ، فجعل يَنكُت[٢] بقضيبه ، ويقول : إنّ أبا عبد الله قد كان شمِط ؛ قال : وجىء بنسائه وبناته وأهله ، وكان أحسن شىء صنعَه أن أمر لهن بمنزل فى مكان معتزل ، وأجرَى عليهنّ رزقًا ، وأمر لهنّ بنفقة وكسوة . قال : فانطلق غلامان منهم لعبد الله بن جعفر — أو ابن ابن جعفر — فأتيا رجلاً من طيِّئ فلجآ إليه ، فضرب أعناقهما ، وجاء برءوسهما حتى وضعهما بين يدى ابن زياد ؛ قال : فهمّ بضرب عنقه ، وأمر بداره فهدمت .

٢٨٧/٢

قال : وحدّثنى مولًى لمعاوية بن أبى سُفْيان قال: لما أُتِىَ يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه، قال : رأيته يبكى ، وقال: لو كان بينه وبينه رحِم ما فعل هذا .

قال حصين : فلما قتِل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثةً ، كأنما تلطّخ الحوائط بالدماء ساعة تَطلُع الشمس حتى ترتفع .

قال : وحدّثنى العلاء بن أبى عاثة قال : حدّثنى رأس الجالوت، عن أبيه قال : ما مررت بكربَلاء إلا وأنا أركُض دابتى حتى أخلّف المكان ، قال : قلت : لِمَ ؟ قال : كنا نتحدّث أنّ وَلَدَ نبىّ مقتول فى ذلك المكان ؛ قال : وكنت أخاف أن أكون أنا ، فلمّا قتِل الحسين قلنا : هذا الذى كنا نتحدّث. قال : وكنت بعد ذلك إذا مررت بذلك المكان أسير ولا أركض .

حدّثنى الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنى علىّ بن محمّد،

---

(١) ط : « فهم » .

(٢) كذا فى البلاذرى ، وفى ط : « يقول » .

عن جعفر بن سليمان الضُّبَعى قال : قال الحسين : والله لا يدَعونى حتى يستخرجوا هذه العَلَقة من جَوْفى ، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم مَن يذلّهم حتى يكونوا أذلّ من فَرَم الأمَة[1] ؛ فقَدِم للعراق فقُتِل بنِينوَى يومَ عاشوراء سنة إحدى وستين .

٢٨٨/٢ قال الحارث : قال ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : قُتل الحسينُ بنُ على عليه السلام فى صفر سنة إحدى وستين وهو يومئذ ابن خمس وخمسين .

حدّثنى بذلك أفلح بن سعيد ، عن ابن كعب القُرَظى ، قال الحارث : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، عن أبى معشر ، قال : قُتِل الحسين لعشر خلوْن من المحرّم . قال الواقدى : هذا أثبت .

قال الحارث : قال ابن سعد: أخبَرَنا محمد بن عمر ، قال : أخبرَنا عطاء ابن مسلم ، عمّن أخبره ، عن عاصم بن أبى النَّجود ، عن زِرّ بن حُبَيْش ، قال : أول رأس رُفع على خشبة ، رأس الحسين رضى الله عنه وصلّى الله على رُوحه .

قال أبو مخنف : عن هشام بن الوليد ، عمّن شهد ذلك ، قال : أقبل الحسين ابن علىّ بأهله من مكة ومحمد بن الحنفيّة بالمدينة ؛ قال : فبلغه خبرُه وهو يتوضأ فى طَسْت ؛ قال : فبكى حتى سمعتُ وكْفَ دموعه فى الطَّست .

قال أبو مخنف : حدّثنى يونس بن أبى إسحاق السَّبيعىّ ، قال : ولما بلغ عبيدَ الله إقبال الحسين من مكة إلى الكوفة ، بعث الحصين بن تميم صاحب شُرَطه حتى نزل القادسيّة ونظم الخيلَ ما بين القادسيّة إلى خَفّان ، وما بين القادسيّة إلى القُطْقُطانة و إلى لَعْلَع ، وقال الناس : هذا الحسين يريدُ العراق .

قال أبو مخنف : وحدّثنى محمد بن قيس أنّ الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن الرُّمَّة بعث قيسَ بن مُسهِر الصَّيداوىّ إلى أهل الكوفة ، وكتب معه إليهم :

---

(١) الفرم : خرقة الحيض .

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، من الحسين بن علىّ إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين ، سلامٌ عليكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنّ كتابَ مسلم بن عقيل جاءنى يخبرنى فيه بحسن رأيكم ، واجتماع ٢/٢٨٩ ملئكم على نصرنا ، والطلبِ بحقّنا ، فسألتُ الله أن يُحسن لنا الصُّنع ، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصتُ إليكم من مكّة يومَ الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجة يوم التّروية ، فإذا قدم عليكم رسولى فاكمشوا أمركم وجدّوا ، فإنى قادم عليكم فى أيّامى هذه إن شاء الله ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكان مسلم ابن عقيل قد كان كتب إلى الحسين قبل أن يُقتل لسبع وعشرين ليلة : أما بعد ، فإنّ الرائد لا يكذب أهلَه ، إنّ جمْع أهل الكوفة معك ، فأقبل حين تقرأ كتابى ؛ والسلام عليك.

قال : فأقبل الحسين بالصّبيان والنساء معه لا يلوى على شىء ، وأقبل قيس بن مُسهر الصّيداوىّ إلى الكُوفة بكتاب الحسين ، حتى إذا انتهى إلى القادسيّة أخذه الحصين بن تميم فبعث به إلى عبيد الله بن زياد ، فقال له عبيد الله : اصعَد إلى القصر فسُبَّ الكذّاب ابن الكذّاب ؛ فصعِد ثم قال : أيها الناس ، إنّ هذا الحسين بن علىّ خير خلق الله ؛ ابن فاطمة بنتِ رسول الله ، وأنا رسولُه إليكم ، وقد فارقتُه بالحاجر ، فأجيبوه ؛ ثمّ لعن عُبيد الله بن زياد وأباه ، واستغفر لعلىّ بن أبى طالب . قال : فأمر به عُبيد الله ابن زياد أن يُرمَى به من فوق القصر ، فرُمى به ، فتقطّع فمات . ثم أقبل الحسين سيراً إلى الكوفة ، فانتهى إلى ماء من مياه العرب ، فإذا عليه عبدُ الله بن مطيع العدَوىّ ، وهو نازل ها هنا ، فلما رأى الحسينَ قام إليه ، فقال : بأبى أنت وأمّى ٢/٢٩٠ يا بن رسولِ الله ! ما أقْدَمَك ! واحتَمله فأنزله ، فقال له الحسين : كان من موت معاوية ما قد بلغك ؛ فكتب إلىّ أهلُ العراق يدعوننى إلى أنفسهم ، فقال له عبد الله بن مُطيع : أذكّرك الله يابن رسول الله وحرمةَ الإسلام أن تُنتهَك ! أنشدكَ اللهَ فى حرمة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ! أنشدك الله فى حرمة العرب ! فوالله لئن طلبت ما فى أيدى بنى أميّة ليقتُلنَّك ، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً . والله إنها لحُرْمة الإسلام تُنتهَك ، وحُرْمةُ قريش

وحُرْمة العرب ، فلا تَفعل ، ولا تأتِ الكوفة ، ولا تَعرَّضْ لبنى أميّة ؛ قال : فأبَى إلا أن يمضى ؛ قال : فأقبل الحسين حتّى كان بالماء فوق زَرُود .

قال أبو مخنف : فحدّثنى السدّىّ ، عن رجل من بنى فَزارة قال : لما كان زمن الحجّاج بن يوسف كنا فى دار الحارث بن أبى ربيعة التى فى التمّارين ، التى أقطعت بعدُ زهيرَ بن القَيْن ، من بنى عمرو بن يَشكرَ من بَجيلة ، وكان أهل الشأم لا يدخلونها ، فكنا مُختَبِئين فيها ، قال : فقلت للفَزارىّ : حدّثْنى عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن علىّ ؛ قال : كنا مع زهير بن القيْن البَجَلىّ حين أقبلنا من مكة نساير الحسينَ ، فلم يكن شىء أبغضَ إلينا من أن نسايرَه فى منزل ، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القَيْن ، وإذا نزل الحسينُ تقدّم زهير ، حتى نزلنا يومئذ فى منزل لم نجد بُدًّا من أن ننازله فيه ، فنزل الحسين فى جانب ، ونزلنا فى جانب ، فبينا نحن جلوس نتغدّى من طعام لنا ، إذ أقبل رسولُ الحسين حتى سلّم ، ثم دخل فقال : يا زهير بن القَيْن ، إنّ أبا عبد الله الحسين بن علىّ بعثنى إليك لتأتيَه ؛ قال : فطرح كلّ إنسان ما فى يده حتى كأننا على رءوسنا الطير . ٢/٢٩١

قال أبو مخنف : فحدّثتْنى دَلهم بنت عَمرو امرأة زهير بن القَيْن ، قالت : فقلت له : أيَبعث إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه ! سبحان الله ! لو أتيتَه فسمعتَ من كلامه ! ثم انصرفت ؛ قالت : فأتاه زهير بن القَيْن ، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهُه ؛ قالت : فأمر بفُسطاطه وثَقَله ومتاعه فقُدّم ، وحُمل إلى الحسين ، ثم قال لامرأته : أنتِ طالقٌ ، الحقى بأهلك ، فإنى لا أحبّ أن يصيبك من سببى إلا خير ، ثمّ قال لأصحابه : مَنْ أحبّ منكم أن يتبعنى وإلا فإنه آخر العهد ، إنى سأحدّثكم حديثاً ، غَزَوْنا بلَنْجَر ، ففتح الله علينا ، وأصبْنا غنائم ، فقال لنا سَلْمان الباهلىّ : أفرحتم بما فتح الله عليكم ، وأصبتم من الغنائم ! فقلنا : نعم ، فقال لنا : إذا أدركتم شبابَ آل محمد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبتم من الغنائم ، فأمّا

أنا فإنّى أستودعكم الله؛ قال : ثمّ والله ما زال فى أوّل القوم حتّى قُتل .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو جَنَاب الكلبىّ ، عن عدىّ بن حرملة الأسَدىّ ، عن عبد الله بن سُليم والمذرى بن المشمعلّ الأسديّين قالا : لما قضينا حجّنا لم يكن لنا همّة إلا اللَّحاق بالحسين فى الطريق لننظر ما يكون من أمره وشأنه ، فأقبلنا تُرْقِل بنا ناقتانا مسرعين حتّى لحقناه بزَرودَ ، فلما دنوْنا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين ؛ قالا : فوقف الحسين كأنه يريده ، ثم تركه ، ومضى ومضينا نحوَه ، فقال أحدنا لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا فلنسألْه ، فإن كان عنده خبر الكوفة علمناه ، فمضينا حتى انتهينا إليه، فقلنا : السلام عليك ، قال : وعليكم السلام ورحمة الله ، ثم قلنا : فمَن الرجل ؟ قال: أسدىّ : فقلنا : فنحن أسديّان فمَن أنت ؟ قال : أنا بكير بن المثعبة ، فانتسبنا له ، ثم قلنا : أخبرنا عن الناس وراءك ؛ قال : نعم ، لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة ، فرأيتهما يُجَرّان بأرجلهما فى السوق ؛ قالا : فأقبلنا حتى لحقْنا بالحسين ، فسايرناه حتى نزل الثعلبيّة ممسياً ، فجئناه حين نزل ، فسلّمنا عليه فردّ علينا ، فقلنا له : يرحمك الله ؛ إنّ عندنا خبراً ، فإن شئت حدّثنا علانيةً ، وإن شئتَ سرًّا ؛ قال : فنظر إلى أصحابه وقال : ما دون هؤلاء سرّ ؛ فقلنا له : أرأيت الراكبَ الذى استقبلك عشاءَ أمس ؟ قال : نعم ، وقد أردتُ مسألته ؛ فقلنا : قد استبرأنا لك خبَره ، وكفيناك مسألته ، وهو امرؤ من أسد منا ، ذو رأى وصدق ، وفضل وعقل ، وإنه حدّثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عَقِيل وهانئ بن عروة ، وحتى رآهما يُجَرّان فى السوق بأرجلهما ، فقال : إنا لله وإنا اليه راجعون! رحمة الله عليهما ، فردّد ذلك مراراً ، فقلنا : نَنشدُك اللهَ فى نفسك وأهلِ بيتك إلا انصرفتَ من مكانك هذا ، فإنه ليس لك بالكوفة ناصرٌ ولا شيعة ، بل نتخوّف أن تكون عليك ! قال : فوثب عند ذلك بنو عقيل بن أبى طالب .

قال أبو مخنف : حدّثنى عمر بن خالد ، عن زيد بن علىّ بن حسين ، وعن داود بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، أنّ بنى عقيل قالوا : لا والله لا نبرح حتّى ندرك ثأرَنا ، أو نذوقَ ما ذاق أخونا .

٢٩٢/٢
٢٩٣/٢

قال أبو مخنف : عن أبى جَناب الكلبىّ ، عن عدىّ بن حرملة ، عن عبد الله بن سُلَيم والمذرى بن المشمعلّ الأسديّين ، قالا : فنظر إلينا الحسين فقال : لا خير فى العيش بعد هؤلاء ؛ قالا : فعلمنا أنه قد عزم له رأيه على المسير ؛ قالا : فقلنا : خارَ الله لك ! قالا : فقال : رحمكما الله ! قالا : فقال له بعض أصحابه : إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عَقِيل ، ولو قدمتَ الكوفة لكان الناسُ إليك أسرع ؛ قال الأسديّان : ثم انتظر حتى إذا كان السَّحَر قال لفتيانه وغلمانه : أكثروا من الماء فاستَقَوا وأكثروا، ثمّ ارتحلوا وساروا حتى انتَهَوْا إلى زُبالة .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو علىّ الأنصارىّ ، عن بكر بن مصعب المُزَنىّ ، قال : كان الحسين لا يمرّ بأهل ماء إلا اتبعوه حتى إذا انتهى إلى زُبَالة سقط إليه مَقْتَل أخيه من الرّضاعة ، مقتلُ عبد الله بن بُقْطُر ، وكان سرّحه إلى مسلم بن عَقيل من الطريق وهو لا يدرى أنه قد أصيب ، فتلقاه خيلُ الحصين بن تميم بالقادسيّة ، فسرّح به إلى عُبيد الله بن زياد ، فقال : اصعد فوق القصر فالعَنِ الكذّاب ابنَ الكذّاب ، ثم انزِل حتى أرى فيك رأيى ! قال : فصعد ، فلما أشرَف على الناس قال : أيّها الناس ، إنى رسول الحسين ابن فاطمةَ بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنصروه وتوازِروه على ابن مَرْجانة ابن سميّة الدعىّ . فأمر به عُبيد الله فألقِىَ من فوق القصر إلى الأرض ، فكُسرت عظامُه ، وبقى به رَمَق ، فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عُمَير اللَّخْمىّ فذبحه ، فلمّا عيب ذلك عليه قال : إنما أردت أن أريحَه .

٢٩٤/٢ قال هشام : حدّثنا أبو بكر بن عياش عمّن أخبره ، قال : والله ما هو عبد الملك بن عمير الذى قام إليه فذبحه ، ولكنه قام إليه رجل جعْد طُوال يشبه عبدَ الملك بن عمير . قال : فأتى ذلك الخبرُ حسينًا وهو بزُبالة ، فأخرج للناس كتابًا ، فقرأ عليهم :

بسم الله الرّحمن الرّحيم . أما بعد ، فانه قد أتانا خبر فظيع ، قتل مُسلم ابن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن بُقْطُر ، وقد خذلتْنا شيعتُنا ، فمن

أحبَّ منكم الانصراف فلينصرفْ ، ليس عليه منا ذِمام .

قال : فتفرّق الناسُ عنه تفرّقًا ، فأخذوا يمينًا وشمالاً حتى بقيَ في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ، وإنما فعل ذلك لأنه ظنّ أنما اتبعه الأعراب ، لأنهم ظنّوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعةُ أهله ، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علامَ يقدمون ، وقد علم أنّهم إذا بيّنَ لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموتَ معه . قال : فلما كان من السَّحَر أمر فتيانَه فاستقَوْا الماء وأكثَروا ، ثم سار حتى مرَّ ببطْنِ العقَبة ، فنزَل بها .

قال أبو مخنف : فحدّثني لَوْذان أحدُ بني عكْرِمة أنّ أحدَ عمومته سأل الحسين عليه السلام أين تريد ؟ فحدّثه ، فقال له : إنّي أنشدُك الله لمّا انصرفت ، فوالله لا تقدم إلا على الأسنّة وحدّ السيوف ، فإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفَوْك مؤنة القتال ، ووطّئوا لك الأشياء فقدمتَ عليهم كان ذلك رأياً ، فأمّا على هذه الحال التي تذكرها فإنّي لا أرى لك أن تفعل . قال : فقال له : يا عبدَالله ، إنه ليس يخفى عليّ الرأيُ ما رأيتَ ، ولكنّ الله لا يُغلَب على أمره ؛ ثم ارتحل منها .

* * *

٢٩٥/٢ ونزَع يزيدُ بن معاوية في هذه السنة الوليدَ بن عتبة عن مكة ، وولّاها عَمرو بن سعيد بن العاص ، وذلك في شهر رمضانَ منها ، فحجّ بالناس عَمرو ابن سعيد في هذه السنة ؛ حدّثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وكان عامله على مكة والمدينة في هذه السنة بعد ما عزل الوليد بن عُتبة عَمرو بن سعيد ، وعلى الكوفة والبَصرة وأعمالهما عبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُرَيح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيرة .

ثم دخلت سنة إحدى وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مَقتَل الحسين رضوان الله عليه ، قُتل فيها فى المحرّم لعشر خلوْن منه ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت، قال : حدّثنى مُحَدّث ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ وهشام بن الكلبىّ ؛ وقد ذكرْنا ابتداءَ أمر الحسين فى مسيره نحوَ العراق وما كان منه فى سنة ستين ، ونذكر الآن ما كان من أمره فى سنة إحدى وستين وكيف كان مَقتلُه .

حُدّثت عن هشام ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى أبو جناب ، عن عدىّ بن حرملة ، عن عبد الله بن سليم والمذرى بن المشمعلّ الأسديَّين قالا : أقبل الحسين عليه السلام حتى نزل شَراف ، فلما كان فى السَّحَر أمر فتيانَه فاستقَوْا من الماء فأكثَروا، ثم ساروا منها ، فرسموا صدرَ يومهم حتى انتصف النهار . ثم إنّ رجلاً قال : الله أكبر! فقال الحسين : الله أكبر ما كبَّرتَ[1] ؟ قال : رأيتُ النخل، فقال له الأسديان : إنّ هذا المكان ما رأينا به نخلةً قطّ ؛ قالا : فقال لنا الحسين : فما تَرَيانه رأى ؟ قلنا : نراه رَأى هَوادِيَ الخيل ؛ فقال : وأنا والله أرى ذلك ؛ فقال الحسين : أمَا لنا ملجأ نلجأ إليه ، نجعله فى ظهورنا ، ونستقبل القومَ من وجه واحد؟ فقلنا له : بلى، هذا ذو حُسُمٍ إلى جنبك ، تَميل إليه عن يسارك ، فإن سبقتَ القوم إليه فهو كما تريد ؛ قالا : فأخذ إليه ذاتَ اليسار ؛ قالا : ومِلنا معه فما كان بأسرع من أن طلعتْ علينا هوادى الخيل ، فتبينّاها ، وعدنا ، فلما رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأنّ أسنّتهم اليعاسيب ، وكأنّ راياتهم أجنحة الطير ، قال : فاستبقنا إلى ذى حُسُم ، فسبقناهم إليه ، فنزل الحسين ، فأمر بأبنيته فضُربتْ، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحُرِّ بن يزيد التميمىّ اليربوعىّ حتى وقف هو وخيله مقابلَ الحسين فى حَرّ الظَّهيرة ، والحسين وأصحابه معتمّون متقلدو أسيافهم ، فقال

٢٩٦/٢

(١) ابن الأثير : « مم كبرت ؟ » .

الحسين لفتيانه : اسقوا القوم وأرووهم من الماء ورشّفوا الخيل ترشيفاً ، فقام فتيانه فرشّفوا الخيل ترشيفًا ، فقام فتية وسقَوا القوم من الماء حتى أرْووهم ، وأقبلوا يملئون القصاع والأتْوار[1] والطِّساس من الماء ثم يُدنونها من الفرَس ، فإذا عبَّ فيه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا عُزلتْ عنه ، وسقَوا آخرَ حتى سقَوا الخيلَ كلَّها . ٢/٢٩٧

قال هشام : حدّثني لَقيط ، عن عليّ بن الطّعان المحاربيّ : كنت مع الُحرّ بن يزيد ، فجئت في آخر مَن جاء من أصحابه ، فلما رأى الحسينُ ما بي وبفرسي من العطش قال : أنخ الرّاوية — والراوية عندي السقاء — ثم قال : يابن أخِ ، أنخ الجمل ، فأنختُه ، فقال : اشربْ ، فجعلت كلما شربتُ سال الماء من السقاء ، فقال الحسين : اِخنث السقاء — أي اعطفه — قال : فجعلتُ لا أدري كيف أفعل ! قال : فقام الحسين فخنَثَه ، فشربتُ وسقَيتُ فرَسي . قال : وكان مجيء الُحرّ بن يزيد ومسيره إلى الحسين من القادسيّة ، وذلك أنّ عبيد الله بن زياد لما بلغه إقبالُ الحسين بعث الحصين ابن تميم التميميّ — وكان على شُرَطه — فأمَرَه أن ينزل القادسيّة ، وأن يضع المسَالحَ فينظم ما بين القُطْقطانة إلى خفّان ، وقدّم الُحرّ بن يزيد بين يديه في هذه الألف من القادسيّة ، فيستقبل حسيناً . قال : فلَم يزل موافقًا حسيناً حتى حضرت الصّلاة صلاة الظهر ، فأمر الحسين الحجّاج بن مسروق الجعفيّ أن يؤذّن ، فأذّن ، فلمّا حضرت الإقامة خرج الحسين في إزار ورداء ونعلين ، فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ثمّ قال : أيّها الناس ، إنها معذرة إلى الله عزّ وجلّ وإليكم ؛ إنّي لم آتِكم حتى أتتْني كُتُبكم ، وقدمتْ عليّ رُسُلكم : أن اقدمْ علينا ، فإنه ليس لنا إمام ، لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى ؛ فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم ، فإن تُعطوني ما أطمئنُّ إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقْدمي كارهين انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي أقبلتُ منه إليكم . قال : فسكتوا عنه وقالوا للمؤذّن : أقم ، فأقام الصلاة ، فقال الحسين عليه السلام للحُرّ : أتريدُ أن تصلّي بأصحابك ؟ قال : لا ، بل ٢/٢٩٨

(١) الأتوار : جمع تور ؛ وهو إناء من صفر أو حجارة .

تصلّى أنت ونصلّى بصلاتك ؛ قال : فصلّى بهم الحسين ، ثم إنه دخل واجتمع إليه أصحابه ، وانصرف الُحرّ إلى مكانه الذى كان به ، فدخل خَيْمةً قد ضُربت له ، فاجتمع إليه جماعةٌ من أصحابه ، وعاد أصحابُه إلى صَفّهم الذى كانوا فيه ، فأعادوه ، ثم أخذ كلّ رجل منهم بعنان دابّته وجلس فى ظلها ، فلما كان وقت العصر أمر الحسين أن يتهيئوا للرّحيل . ثم إنه خرج فأمر مناديَه فنادى بالعصر ، وأقام فاستقدم الحسين فصلى بالقوم ثم سلم ، وانصرف إلى القوم بوجهه فحَمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضَى لله ، ونحن أهل البيت أولَى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم ، والسائرين فيكم بالجوْر والعدوان ، وإن أنتم كرهتمونا ، وجهلتم حقنا ، وكان رأيُكم غيرَ ما أتتْنى كتبكم ، وقدمتْ به علىّ رُسُلكم ، انصرفتُ عنكم ، فقال له الُحرّ بن يزيد : إنّا والله ما ندرى ما هذه الكُتُب التى تذكر ! فقال الحسين : يا عقبة بن سِمْعان ، أخرج الخرجَيْن اللّذَين فيهما كتبهم إلىّ ، فأخرج خرْجين مملوءين صُحُفًا ، فنشرها بين أيديهم ؛ فقال الُحرّ : فإنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد أُمِرنا إذا نحن لقيناك ألّا نفارقَك حتى نُقدمك على عبيد الله بن زياد ؛ فقال له الحسين : الموتُ أدنَى إليك من ذلك ، ثم قال لأصحابه : قوموا فاركبوا ، فركبوا وانتظروا حتى ركبتْ نساؤهم ، فقال لأصحابه : انصرفوا بنا ، فلما ذهبوا لينصرفوا حالَ القومُ بينهم وبين الانصراف ، فقال الُحسين للحر : ثكلتْك أمُّك ! ما تريد ؟ قال : أما والله لو غيرُك من العرب يقولها لى وهو على مثل الحال التى أنت عليها ما تركتُ ذكْر أمه بالثُّكْل أن أقولَه كائنًا مَن كان ، ولكنْ والله ما لى إلى ذكْر أمّك من سبيل إلّا بأحسن ما يقدَر عليه ؛ فقال له الحسين : فما تريد ؟ قال الُحرّ : أريد والله أن أنطلق بك إلى عُبيد الله بن زياد ، قال له الحسين : إذن والله لا أتّبعك ؛ فقال له الُحرّ : إذن والله لا أدَعك ؛ فترادّا القولَ ثلاثَ مرّات ، ولما كثر الكلامُ بينهما قال له الحرّ : إنّى لم أومَر بقتالك ، وإنما أمِرت ألّا أفارقَك حتى أقدمَك الكُوفة ، فإذا أبيتَ فخذ طريقًا لا تُدخلك الكوفة ، ولا تردّك إلى المدينة ،

٢٩٩/٢

تكون بيني وبينك نصفًا حتى أكتب إلى ابن زياد ، وتكتب أنتَ إلى يزيدَ ابن معاوية إن أردتَ أن تكتب إليه ، أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئتَ ، فلعلّ الله إلى ذاك أن يأتيَ بأمر يرزقني فيه العافية من أن ابتلَى بشيء من أمرك ؛ قال : فخذ هاهنا فتياسرْ عن طريق العُذَيْب والقادسيّة ، وبينه وبين العُذَيب ثمانية وثلاثون ميلا. ثمّ إنّ الحسين سار في أصحابه والحُرّ يسايره . ٢/٣٠٠

قال أبو مخنف : عن عقبة بن أبي العَيزار ، إنّ الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحُرّ بالبيضَة ، فحمِد الله وأثنَى عليه ثمّ قال : أيها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى سلطانًا جائراً مستحلاًّ لُحرَم الله ، ناكثًا لعَهْد الله ، مخالفًا لسنة رسول الله ، يَعملُ في عباد الله بالإثم والعُدوان ، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول ، كان حقًّا على الله أن يُدخله مُدخَله . » ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرّحمن ، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلّوا حرَام الله ، وحرّموا حلالَه ، وأنا أحقّ من غيّر ، قد أتتْني كتبكم ، وقدمتْ عليّ رُسُلكم ببيعتكم ؛ أنكم لا تُسلموني ولا تَخذُلوني ، فإنْ تممتم على بيعتكم تصيبُوا رشدَكم ، فأنا الحسين بنُ عليّ، وابن فاطمةَ بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نفسي مع أنفسكم ، وأهلي مع أهليكم ، فلكم فيَّ أسْوة ، وإن لم تفعلوا ونقضْتم عهدكم ، وخلعتُم بيعَتي من أعناقكم ، فلعَمْري ما هي لكم بنُكْر[1] ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم ، والمغرور من اغترّ بكم ، فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم ، ومَن نكث فإنما يَنكُث على نفسه ، وسيُغني الله عنكم ، والسلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته .

وقال عقبة بن أبي العَيزار : قام حسينٌ عليه السلام بذي حُسُم، فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ثمّ قال : إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون ، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكرت ، وأدبر معروفُها واستمرّت جدًّا ، فلم يَبقَ منها إلا صُبابة ٢/٣٠١

(١) ابن الأثير : « بنكير » .

كصُبابة الإناء ، وخسيسُ عيشٍ كالمَرعَى الوَبِيل . ألا ترون أنّ الحق لا يُعمَل به ، وأنّ الباطل لا يُتناهَى عنه! ليرغب المؤمن فى لقاء الله مُحقًّا ، فإنى لا أرى الموت إلا شهادة ، ولا الحياة مع الظالمين إلا بَرَمًا .

قال : فقام زهير بن القَيْن البَجَلِيّ فقال لأصحابه : تَكلّمون أم أتكلم ؟ قالوا : لا ، بل تكلم ؛ فَحمِد اللهَ فأثنَى عليه ثم قال : قد سمْعنا هَدَاك الله يابنَ رسول الله مقالتَك ، والله لو كانت الدنيا لنا باقية ، وكنا فيها مخلَّدين ، إلا أنّ فراقها فى نصرك ومواساتك ، لآثرْنا الخروجَ معك على الإقامة فيها .

قال : فدعا له الحسين ثم قال له خيراً ؛ وأقبل الُحرّ يسايره وهو يقول له : ياحسين ، إنى أذكّرك اللهَ فى نفسك ، فإنّى أشهد لئن قاتلتَ لتُقتلنّ ، ولئن قوتلتَ لتهلكنّ فيما أرى ؛ فقال له الحسين : أفبالموت تخوّفنى ! وهل يعدو بكم الخَطْب أن تقتلونى ! ما أدرى ما أقول لك ! ولكن أقول كما قال أخو الأوْس لابن عمه ، ولقيَه وهو يريد نُصرةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أين تذهب ؟ فإنك مقتول ؛ فقال :

سأَمضِى وما بالموتِ عارٌ على الفتَى ... إذا ما نَوَى حقًّا وجاهدَ مسلمَا

٣٠٢/٢ وآسى الرجالَ الصالِحينَ بنفسِه ... وفارق مثبورًا يَغُشّ ويُرْغما[1]

قال : فلما سمع ذلك منه الُحرّ تنحّى عنه ، وكان يسير بأصحابه فى ناحية وحسين فى ناحية أخرى ، حتى انتهَوا إلى عُذيب الهِجانات ، وكان بها هَجائن النعمان تَرعَى هنالك ، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم ، يجنبُون فرسًا لنافع بن هلال يقال له الكامل ، ومعهم دليلُهم الطِّرِمّاح بن عدىّ على فرسه ، وهو يقول :

---

(١) كذا فى ط ، وقبل البيت فى ابن الأثير :

وواسَى رِجالًا صَالِحين بنَفْسهِ ... وخالف مَثْبُورًا وفَارَق مجْرِما

وذكر بعده :

فإن عِشْتُ لمْ أَنْدمْ وإن مِتّ لمْ أُلَمْ ... كَفَى بك ذُلاًّ أن يعيش وترغَما

يا ناقتي لا تُذعَرِي من زَجْرِي ... وشمّري قبلَ طلوعِ الفَجْرِ

بخير رُكْبانٍ وخير سَفْرِ ... حتَّى تَحِلِّي بكريمِ النَّجْرِ

الماجدِ الحرِّ رَحيبِ الصدرِ ... أَتَى به اللهُ لخيرِ أَمْرِ

* ثُمّتَ أبقاه بقاءَ الدَّهرِ *

قال : فلما انتهَوا إلى الحسين أنشَدوه هذه الأبيات ، فقال : أما والله إني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا ، قُتِلنا أم ظَفِرنا ؛ قال : وأقبل إليهم الحرّ بن يزيدَ فقال : إن هؤلاء النفرَ الذين من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك ، وأنا حابسهم أو رادّهم ، فقال له الحسين : لأمنعنّهم مما أمنع منه نفسي ، إنما هؤلاء أنصاري وأعواني ، وقد كنتَ أعطيتَني ألّا تَعرض لي بشيء حتى يأتيَك كتاب من ابن زياد ، فقال : أجلْ ، لكن لم يأتوا معك ؛ قال : هم أصحابي ، وهم بمنزلة مَن جاءَ معي ، فإن تممتَ على ما كان بيني وبينك وإلا ناجزتُك ؛ قال : فكفَّ عنهم الحرّ ؛ قال : ثمّ قال لهم الحسين : أخبِروني خبرَ الناس وراءكم ، فقال له مجمِّع بن عبد الله العائذيّ ، وهو أحد النَّفَر الأربعة الذين جاءوه : أما أشراف الناس فقد أعظِمتْ رِشوَتُهم ، ومُلئت غَرائرُهم ، يُستمال ودّهم ، ويستخلص به نصيحتهم ، فهم ألْبٌ واحدٌ عليك ، وأما سائر الناس بعد ، فإنّ أفئدتهم تَهوِي إليك ، وسيوفَهم غداً مشهورةٌ عليك ؛ قال : أخبِرُوني ، فهل لكم برسولي إليكم ؟ قالوا : من هو ؟ قال : قيس بن مُسْهِر الصيْداويّ ؛ فقالوا : نعم ، أخذه الحصين ابن تميم فبعث به إلى ابن زياد ، فأمره ابنُ زياد أن يلعنك ويلعنَ أباك ، فصلى عليك وعلى أبيك ، ولَعَن ابنَ زياد وأباه ، ودعا إلى نُصْرتك ، وأخبرهم بقدومك ، فأمر به ابن زياد فأُلقِيَ من طَمارِ القصر ؛ فترقرقتْ عينا حُسين عليه السلام ولم يملك دمعَه ، ثم قال : ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ . اللهمّ اجعلْ لنا ولهم الجنة نُزُلاً ، واجمع بيننا وبينهم في مستقرّ من رحمتك ، ورغائب مذخور ثوابك !

٢/٣٠٣
٢/٣٠٤

قال أبو مخنف : حدّثنى جميل بن مَرْثد من بنى مَعْن، عن الطرمّاح ابن عدىّ ، أنه دنا من الحسين فقال له : والله إنى لأنظر فما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلْك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازِميك لكان كفى بهم ؛ وقد رأيتُ قبل خروجى من الكوفة إليك بيوم ظهرَ الكوفة وفيه من الناس ما لم تَر عيناى فى صعيد واحد جَمْعا أكثر منه ، فسألت عنهم ، فقيل : اجتَمعوا ليُعرَضوا ، ثم يسرَّحون إلى الحسين ، فأنشِدُك اللهَ إن قدرتَ على ألاّ تقدم عليهم شبراً إلاّ فعلت ! فإن أردتَ أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك، ويستبين لك ما أنت صانع ، فسرْ حتى أنزلك مَناع جبلنا الذى يُدعَى أجَأ ، امتنعْنا واللهِ به من ملوك غسّانَ وحمَير ومن النعمان بن المنذر ، ومن الأسود والأحمر[1] ، والله إن دخل علينا ذلّ قطُّ ؛ فأسير معك حتى أنزلك القُرَيَّة ، ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجَأ وسَلمَى من طيّئ ، فوالله لا يأتى عليك عشرة أيام حتى تأتيَك طيّئ رجالاً ورُكباناً، ثم أقم فينا ما بدا لك ، فإن هاجك هَيْج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائىّ يَضربون بين يديك بأسيافهم ، والله لا يُوصَل إليك أبداً ومنهم عين تَطرف ؛ فقال له : جزاك الله وقومَك خيراً ! إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ، ولا ندرى علامَ تَنصرف بنا وبهم الأمورُ فى عاقِبِه !

قال أبو مخنف : فحدّثنى جميل بن مَرْثَد ، قال : حدّثنى الطِّرِماح ابن عَدىّ، قال : فودّعتُه وقلتُ له : دفع الله عنك شرّ الجن والإنس، إنّى قد امترتُ لأهلى من الكوفة مِيرةً ، ومعى نفقة لهم، فآتيهم فأضع ذلك فيهم ، ثمّ أقبِل إليك إن شاء الله، فإن ألحقك فوالله لأكونَنّ من أنصارك؛ قال : فإن كنتَ فاعلاً فعجِّلْ رحمك الله ؛ قال : فعلمتُ أنه مستوحشٌ إلى الرجال حتى يسألنى التعجيل ؛ قال : فلما بلغتُ أهلى وضعتُ عندهم ما يصلحهم ، وأوصيت ، فأخذ أهلى يقولون : إنك لتصنع مَرّتَك هذه شيئاً ما كنتَ

٢/٣٠٥

(١) ابن الأثير : « الأحمر والأبيض » .

تصنعه قبل اليوم ، فأخبرتُهم بما أريد ، وأقبلتُ فى طريق بنى ثُعَل حتى إذا دنوتُ من عُذَيب الهجانات ، استقبلنى سَماعة بن بدر ، فنعاه إلىّ ، فرجعت ؛ قال : ومضى الحسين عليه السلام حتى انتهى إلى قصر بنى مقاتل ، فنزل به ، فإذا هو بفُسطاط مضروب .

قال أبو مخنف : حدّثنى المجالد بن سعيد ، عن عامر الشّعبىّ ، أنّ الحسين بن علىّ رضى الله عنه قال : لمَن هذا الفسطاط ؟ فقيل : لعبيد الله ابن الُحرّ الجعفىّ ؛ قال : ادعوه لى ، وبَعَثَ إليه ، فلما أتاه الرسول ، قال : هذا الحسين بن علىّ يدعوك ؛ فقال عبيد الله بن الحُرّ : إنّا لله وإنا إليه راجعون! والله ما خرجتُ من الكوفة إلا كراهة أن يدخلها الحسين وأنا بها ، والله ما أريد أن أراه ولا يرانى ، فأتاه الرسولُ فأخبَرَه ، فأخذ الحسين نعليْه فانتعل ، ثم قام فجاءه حتى دخل عليه ، فسَلّم وجلس ، ثمّ دعاه إلى الخروج معه ، فأعاد إليه ابن الُحرّ تلك المقالة ، فقال : فإلا تنصرْنا فاتّق الله أن تكونَ ممّن يقاتلنا ، فوالله لا يسمع واعيتَنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك ؛ قال : أمّا هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله . ثم قام الحسين عليه السلام من عنده حتى دخل رَحلَه . ٣٠٦/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الرحمن بن جُنْدُب ، عن عقبة بن سِمْعان قال : لما كان فى آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء ، ثم أمَرَنا بالرحيل، ففعلْنا ؛ قال : فلما ارتحلنا من قصر بنى مقاتل وسرْنا ساعةً خفق الحسين برأسه خَفْقة ، ثم انتبه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربّ العالمين ؛ قال : ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً ، قال : فأقبل إليه ابنُه علىّ بن الحسين على فرس له فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربّ العالمين ، يا أبتِ ، جُعلْت فداك ! مِمّ حمدتَ اللهَ واسترجعتَ؟ قال : يا بنىّ ، إنى خفَقتُ برأسى خَفْقةً فعنّ لى فارس على فرس فقال : القوم يسيرون والمنايا تَسرِى[١] إليهم ، فعلمتُ أنها أنفسُنا نُعيَتْ إلينا ، قال له : يا أبتِ ،

---

(١) ابن الأثير : « تسير » .

لا أراك الله سوءاً ، ألسْنا على الحقّ ! قال : بلى والذى إليه مرجع العباد ؛ قال : يا أبت ، إذاً لا نبالى ؛ نموت محقّين ؛ فقال له : جزاك الله من وَلَد خيرَ ما جزَى وَلَداً عن والده؛ قال : فلما أصبح نزل فصلى الغداة ، ثمّ عجّل الركوب ، فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم ، فيأتيه الحُرّ بن يزيدَ فيردّهم فيردّه ، فجعل إذا ردّهم إلى الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا، فلم يزالوا يتسايرون حتى انتهوا إلى نِينَوَى؛ المكان الذى نزل به الحسين ؛ قال : فإذا راكبٌ على نجيب له وعليه السلاح متنكّب قوسًا مُقبلٌ من الكوفة ، فوقفوا جميعًا ينتظرونه ، فلما انتهى إليهم سلّم على الحُرّ بن يزيد وأصحابه ، ولم يسلّم على الحسين عليه السلام وأصحابه ، فدفع إلى الحُرّ كتابًا من عبيد الله ابن زياد فإذا فيه : أما بعد ، فجَعْجِع[1] بالحسين حين يبلغُك كتابى ، ويَقدُم عليك رسولى ، فلا تُنزله إلا بالعَراء فى غير حصن وعلى غير ماء ، وقد أمرتُ رسولى أن يَلزمَك ولا يفارقك حتى يأتيَنى بإنفاذك أمرى ؛ والسلام .

٢/٣٠٧

قال : فلما قرأ الكتاب قال لهم الحرُّ : هذا كتاب الأمير عُبيد الله بنِ زياد يأمرنى فيه أن أجعجع بكم فى المكان الذى يأتينى فيه كتابُه ، وهذا رسوله، وقد أمره ألّا يفارقنى حتى أنفذ رأيَه وأمْرَه ، فنظر إلى رسول عُبيد الله يزيدُ ابن زياد بن المهاصِر أبو الشعثاء الكِنْدىّ ثم البهدلىّ فعنّ له ، فقال : أمالك بن النُّسير البَدّىّ ؟ قال : نعم — وكان أحد كِنْدة — فقال له يزيد ابنُ زياد : ثكلتْك أمك ! ماذا جئتَ فيه ؟ قال : وما جئتُ فيه ! أطعتُ إمامى ، ووفيتُ ببَيْعتى ، فقال له أبو الشعثاء : عصيتَ ربّك ، وأطعتَ إمامك فى هلاك نفسك ، كسبت العار والنار ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾[2] ، فهو إمامك . قال : وأخذ الحرُّ بن يزيدَ القوم بالنزول فى ذلك المكان على غير ماء ولا فى قرية ، فقالوا : دَعْنا نَنزِلْ فى هذه القرية ، يعنون نِينَوَى —

(١) أورد الخبر فى اللسان وقال فى شرحه : « أى أزعجه وأخرجه ، وقال الأصمعى : يعنى أحبسه » .

(٢) سورة القصص : ٣٢ .

أو هذه القرية — يعنون الغاضريّة — أو هذه الأخرى — يعنون شُفَيّة .
فقال : لا والله ما أستطيع ذلك ، هذا رجل قد بُعث إلىّ عيناً ، فقال له
زهير بن القيْن : يابن رسول الله ، إنّ قتال هؤلاء أهوَن من قتال من يأتينا ٣٠٨/٢
من بعدِهم ، فلَعَمْرى ليأتينا من بَعْدُ مَن ترى ما لا قِبَل لنا به ؛ فقال
له الحسين : ما كنتُ لأبدأهم بالقتال ؛ فقال له زهير بن القين : سرْ بنا إلى
هذه القرية حتى تَنزلها فإنها حصينة ، وهى على شاطئ الفرات ، فإنْ منعونا
قاتلْناهم ، فقتالُهم أهوَنُ علينا من قتال من يجىء من بعدهم ؛ فقال له
الحسين : وأية قرية هى ؟ قال : هى العَقْر ، فقال الحسين : اللهم إنى
أعوذ بك من العَقْر ، ثم نزل ، وذلك يوم الخميس ، وهو اليوم الثانى من
المحرّم سنة إحدى وستين . فلما كان من الغد قدم عليهم عمرُ بن سعد بن
أبى وقّاص من الكوفة فى أربعة آلاف . قال : وكان سبب خروج ابن سعد
إلى الحسين عليه السلام أن عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل
الكُوفة يسير بهم إلى دَسْتَبَى ، وكانت الديلَم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها ،
فكتب إليه ابنُ زياد عهدَه على الرَّىّ ، وأمَرَه بالخروج .

فخرج معسكِراً بالناس بحمّام أعيَن ، فلمّا كان من أمر الحسين ما كان
وأقبل إلى الكوفة دعا ابنُ زياد عمرَ بن سعد ، فقال : سرْ إلى الحسين ، فإذا فرغنا
مما بيننا وبينه سرتَ إلى عملك ؛ فقال له عمر بن سعد : إنْ رأيتَ رحمك الله
أن تُعفيَنى فافعل ؛ فقال له عبيد الله : نعم ، على أن تردّ لنا عهدَنا ؛ قال :
فلما قال له ذلك قال عمر بن سعد : أمهلْنى اليومَ حتى أنظرَ ؛ قال : فانصرف
عمر يستشير نُصَحاءه ، فلم يكن يستشير أحداً إلا نهاه ؛ قال : وجاء حمزة
ابن المغيرة بن شعبة — وهو ابن أخته — فقال : أنشُدكَ اللهَ يا خال أن تسيرَ إلى
الحسين فتأثم بربّك ، وتقطعَ رحِمَك ! فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك
وسلطان الأرض كلّها لو كان لك ، خيرٌ لك من أن تَلقَى اللهَ بدم الحسين ! ٣٠٩/٢
فقال له عمر بن سعد : فإنى أفعل إن شاء الله .

قال هشام : حدّثنى عَوانة بن الحَكَم ، عن عمّار بن عبد الله بن يسار

الجُهَنىّ ، عن أبيه ، قال: دخلتُ على عمَر بن سعد،وقد أُمِر بالمسير إلى الحسين ، فقال لى : إن الأمير أمرنى بالمسير إلى الحسين ، فأبيتُ ذلك عليه ، فقلتُ له : أصاب الله بك ، أرشَدَك الله ، أحِلْ فلا تفعل ولا تَسِرْ إليه . قال : فخرجتُ من عنده ، فأتانى آتٍ وقال : هذا عمُر بن سعد يَندُب الناسَ إلى الحسين ؛ قال : فأتيتُه فإذا هو جالس ، فلما رآنى أعرَض بوجهه فعرفتُ أنه قد عزم على المسير إليه ، فخرجتُ من عنده ؛ قال : فأقبل عمر ابن سعد إلى ابن زياد فقال : أصلحك الله ! إنك ولَّيتَنى هذا العمل، وكتبت لىَ العهد ، وسَمع به الناسُ ، فإن رأيتَ أن تنفذ لى ذلك فافعلْ وابعثْ إلى الحسين فى هذا الجيش مِن أشراف الكوفة مَن لستُ بأغنى ولا أجزأ عنك فى الحرب منه ؛ فسمّى له أناسًا ، فقال له ابن زياد : لا تُعلِمنى بأشراف أهل الكُوفة ، ولست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث . إن سرتَ بجندنا ، وإلا فابعث إلينا بعهدنا ، فلما رآه قد لجّ قال : فإنى سائر ؛ قال : فأقبل فى أربعة آلاف حتى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين نِينوَى .

قال : فبعث عُمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام عَزْرة بن قيس الأحمَسىّ ، فقال : ائته فسَلْه ما الّذى جاء به ؟ وماذا يريد ؟ وكان عزرة ممن كتب إلى الحسين فاستحيا منه أن يأتيَه . قال : فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه ، فكلُّهم أبى وكرهه .قال : وقام إليه كثير بن عبد الله الشعبىّ — وكان فارسًا شجاعًا ليسَ يرُدّ وجهَه شىءٌ — فقال : أنا أذهب إليه ، والله لئن شئتَ لأفتكَنّ به ، فقال له عمر بن سعد : ما أريد أن يُفتك به ، ولكن ائته فسَلْه ما الذى جاء به ؟ قال : فأقبل اليه ، فلما رآه أبو ثمامة الصائدىّ قال للحسين: أصلحك الله أبا عبد الله ! قد جاءك شرُّ أهل الأرض وأجرؤه على دم وأفتكه ، فقام إليه ، فقال : ضَعْ سيفَك ؛ قال : لا والله ولا كرامة ، إنما أنا رسول، فإن سمعتم منى أبلغتُكم ما أرسِلتُ به إليكم ، وإن أبيتم انصرفتُ عنكم ؛ فقال له : فإنى آخذٌ بقائِم سيفك ، ثم تكلمُ بحاجتك ، قال : لا والله ، لا تمسّه فقال له : أخبرنى ما جئتَ به وأنا أبلِغه عنك ، ولا أدعُك تدنو منه ، فإنك فاجر ؛ قال : فاستبّا ، ثم انصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر ؛ قال :

٢/٣١٠

فدعا عمر قرّة بن قيس الحنظليّ فقال له : وَيحْك يا قرّة ! القَ حسيناً فسَلْه ما جاء به ؟ وماذا يريد ؟ قال : فأتاه قرّة بن قيس ، فلما رآه الحسين مقبلا قال : أتعرفون هذا ؟ فقال حبيب بن مُظاهر : نعم ، هذا رجل من حنظلة تميميّ ، وهو ابن أختنا ، ولقد كنتُ أعرفه بحسُن الرأى ،وما كنتُ أراه يشهد هذا المشهد ؛ قال : فجاءَ حتى سلّم على الحسين ، وأبلغه رسالةَ عمر بن سعد إليه له ، فقال الحسين : كتب إلىّ أهلُ مصركم هذا أنْ اقدَم ، فأما إذ كَرهونى فأنا أنصرف عنهم؛ قال: ثم قال له حبيب بن مظاهر : وَيْحك يا قرة ابن قيس ! أنّى ترجع إلى القوم الظالمين ! انصرْ هذا الرجل الذى بآبائه أيّدك الله بالكرامة وإيّانا معك ؛ فقال له قرّة : أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته ، وأرَى رأيي ؛ قال : فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر ، فقال له عمر بن سعد : إنى لأرجو أن يعافيَنى الله من حربه وقتالِه . ٣١١/٢

قال هشام ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى النضر بن صالح بن حبيب ابن زهير العبسيّ، عن حسان بن فائد بن بكير العبسيّ[1]، قال: أشهد أن كتاب عمر بن سعد جاء إلى عبيد الله بن زياد وأنا عنده فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد ، فإني حيث نزلتُ بالحسين بعثتُ إليه رسولى ، فسألتُه عما أقدمَه ، وماذا يطلب ويسأل ، فقال : كتب إلىّ أهلُ هذه البلاد وأتتْنى رسُلهم ، فسألونى القدومَ ففعلت ؛ فأما إذ كرهونى فبدَا لهم غير ما أتتْنى به رُسُلهم فأنا منصرفٌ عنهم ، فلما قُرِئ الكتاب على ابن زياد قال :

الآنَ إذ عَلِقَتْ مَخالِبُنا به يرجو النجاةَ ولاتَ حِينَ مناصِ!

قال : وكتب إلى عمَر بن سعد :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ؛ أما بعد ، فقد بلغنى كتابُك ، وفهمتُ ما ذكرتَ ، فاعرِض على الحسين أن يبايع ليزيدَ بن معاوية هو وجميع أصحابه، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا ، والسلام .

---

(١) ط : « الحنفى » ، وانظر الفهرس .

قال : فلما أتى عمَر بن سعد الكتابُ ، قال : قد حسبتُ ألّا يقبل ابن زياد العافية .

قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حميد بن مسلم الأزدىّ ، قال : جاء من عُبيد الله بنِ زياد كتاب إلى عمرَ بن سعد : أما بعد، فحُلْ بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، ولا يذوقوا منه قطرة ، كما صُنع بالتقىّ الزكىّ المظلوم أميرِ المؤمنين عثمان بن عفان . قال : فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجّاج على خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة ، وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أن يُسقَوا منه قطرة ، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث . قال : ونازَلَه عبد الله بن أبى حُصين الأزدىّ — وعِداده فى بَجيلة — فقال : يا حسين ، ألا تنظر إلى الماء كأنه كَبَد السماء ! والله لا تذوق منه قطرة حتّى تموت عَطَشاً ؛ فقال حسين : اللهمّ اقتُله عَطَشاً ، ولا تَغفِرْ له أبداً . قال حميد بن مسلم : والله لعُدتُه بعد ذلك فى مرضه ، فوالله الذى لا إله إلاّ هو لقد رأيتُه يَشرَب حتى بَغَر[1] ، ثم يقيء ، ثم يعود فيَشرَب حتى يبغر فما يَروَى ، فما زال ذلك دأبه حتى لَفَظَ عصبه[2] . يعنى نفسه — قال : ولما اشتدّ على الحسين وأصحابه العطش دعا العباس بن على بن أبى طالب أخاه ، فبعثه فى ثلاثين فارساً وعشرين راجلا ، وبعث معهم بعشرين قِربةً ، فجاءوا حتى دنَوا من الماء ليلاً واستقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال الجملىّ ، فقال عمرو بن الحجاج الزبيدىّ : من الرجل؟ فجيء فقال : ما جاء بك؟ قال : جئنا نشرب من هذا الماء الذى حلأتمونا[3] عنه ؛ قال : فاشربْ هنيئاً ، قال : لا والله ، لا أشرب منه قطرةً وحسينٌ عطشان ومن ترى من أصحابه ، فطَلَعوا عليه ، فقال : لا سبيلَ إلى سقى هؤلاء ، إنما وُضِعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء ، فلما دنا منه أصحابه قال لرجاله : املئوا قِرَبكم ، فشدّ الرّجّالة فملئوا قِرَبهم ، وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه ، فحمل عليهم العباس بن علىّ ونافع بن هلال فكفّوهم ، ثم انصرفوا إلى رحالهم ، فقالوا : امضوا ، ووَقَفوا دونهم ، فعطف

٣١٢/٢
٣١٣/٢

---

(١) البغر : الشرب بلا رى .

(٢) فى اللسان : « لفظ عصبه ، أى ريقه » .

(٣) يقال : حلأه ، عن الماء : طرده ومنعه منه .

عليهم عمرو بن الحجّاج وأصحابه واطّردوا قليلاً . ثم إن رجلا من صُداء طُعِن من أصحاب عَمرو بن الحجاج ، طعنه نافع بن هلال ، فظنّ أنها ليست بشيء ، ثم إنها انتقضت بعد ذلك ، فمات منها ، وجاءَ أصحابُ حسين بالقِرَب فأدخلوها عليه .

قال أبو مخنف : حدّثني أبو جَنَاب ، عن هانئ بن ثُبَيْت الحضرميّ — وكان قد شهد قتلَ الحسين ، قال : بعث الحسينُ عليه السلام إلى عمَر بن سعد عَمرو بن قرظَة بن كعب الأنصاريّ : أن الْقَنى الليل بين عسكرى وعسكرك . قال : فخرج عمر بن سعد فى نحو من عشرين فارسًا ، وأقبل حسين فى مِثل ذلك ، فلما التقوْا أمر حسين أصحابَه أن يتنحّوا عنه ، وأمر عمر بن سعد أصحابَه بمِثل ذلك ؛ قال : فانكشفنا عنهما بحيث لا نَسمَع أصواتَهما ولا كلامَهما ؛ فتكلّما فأطالا حتى ذهب من الليل هَزِيعٌ ، ثم انصرف كلُّ واحد منهما إلى عسكره بأصحابه ، وتحدّث الناس فيما بينهما ؛ ظنًّا يظنّونه أنّ حسينًا قال لعمر بن سعد : اخرُج معى إلى يزيدَ بن معاوية وندع العسكرَيْن ؛ قال عمر : إذنْ تُهدَم دارى ؛ قال : أنا أبنيها لك ، قال : إذنْ تؤخذ ضِياعى ؛ قال : إذن أعطيك خيرًا منها من مالى بالحجاز . قال : فتكرّه ذلك عمر ؛ قال : فتحدّث الناس بذلك ، وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئًا ولا علموه .

٢/٣١٤

قال أبو مخنف : وأمّا ما حدّثنا به المجالد بن سعيد والصَّقْعَب بن زهير الأزديّ وغيرهما من المحدّثين ، فهو ما عليه جماعة المحدّثين ، قالوا : إنه قال : اختاروا منّى خصالا ثلاثًا : إمّا أن أرجع إلى المكان الذى أقبلتُ منه ، وإمّا أن أضع يدى فى يد يزيد بن معاوية فيرَى فيما بينى وبينه رأيَه ، وإما أن تسيّرونى إلى أىّ ثغر من ثغور المسلمين شئتم ، فأكونَ رجلا من أهلِه ، لى ما لَهم وعلىَّ ما عليهم .

قال أبو مخنف : فأما عبد الرحمن بن جندَب فحدّثنى عن عقبة بن سِمْعانَ قال : صحبتُ حسيناً فخرجتُ معه من المدينة إلى مكة ، ومن مكّة إلى

العراق ، ولم أفارقه حتى قتل ، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا فى الطريق ولا بالعراق ولا فى عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها . ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون ؛ من أن يضع يده فى يد يزيد بن معاوية ، ولا أن يسيّروه إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنه قال : دعونى فلأذهب فى هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمرُ الناس .

قال أبو مخنف : حدّثنى المجالد بن سعيد الهمْدانىّ والصّقعب بن زهير ، أنهما كانا التقيا مراراً ثلاثاً أو أربعاً ؛ حسين وعمر بن سعد ؛ قال : فكتب عمر ابن سعد إلى عُبيد الله بن زياد : أما بعد ، فإن الله قد أطفأ النائرة ، وجمع الكلمة ، وأصلح أمر الأمة ، هذا حسين قد أعطانى أن يرجع إلى المكان الذى منه أتى ، أو أن نسيّره إلى أىّ ثغر من ثغور المسلمين شئنا ، فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، أو أن يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده ، فيرى فيما بينه وبينه رأيه ، وفى هذا لكم رضًا ، وللأمة صلاحٌ . قال : فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال : هذا كتاب رجل ناصح لأميره ، مشفق على قومه ، نعمْ قد قبلتُ . قال : فقام إليه شمر بن ذى الجوشن ، فقال : أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك ! والله لئن رحل من بلدك ، ولم يضع يده فى يدك ، ليكوننّ أولى بالقوّة والعزّة ولتكوننّ أولى بالضّعف والعجز ، فلا تُعطه هذه المنزلة فإنها من الوَهَن ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبتَ فأنت ولىّ العقوبة ، وإن غفرتَ كان ذلك لك ، والله لقد بلغنى أنّ حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدّثان عامّة الليل ، فقال له ابن زياد : نِعْمَ ما رأيتَ ! الرأىُ رأيُك .

قال أبو مخنف : فحدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : ثمّ إنّ عبيد الله بن زياد دعا شَمِر بنَ ذى الجَوْشن فقال له : اخرجْ بهذا الكتاب إلى عُمَر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزولَ على حُكمِى ، فإن فعلوا فليبعث بهم إلىّ سلماً ، وإن هم أبَوا فليقاتلْهم ، فإن فعل فاسمع له وأطع ، وإن هو أبى فقاتِلهم ، فأنت أميرَ الناس ، وثِبْ عليه فاضرب عنقه ، وابعث إلىّ برأسه .

قال أبو مخنف: حدّثنى أبو جَناب الكلبىّ، قال: ثم كتب عبيد الله ابن زياد إلى عمر بن سعد: أما بعد، فإنى لم أبعثك إلى حسين لتكفّ عنه ولا لتطاوِلَه، ولا لتمنّيَه السلامةَ والبقاء، ولا لتقعدَ له عندى شافعًا. انظر، فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعث بهم إلىّ سلمًا، وإن أبوْا فازحف إليهم حتى تقتلَهم وتمثّل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتِل حسين فأوْطئ الخيلَ صدرَه وظهرَه، فإنه عاقّ مشاقّ، قاطع ظلوم، وليس دهرى فى هذا أن يُضَرّ بعد الموت شيئًا، ولكن علىّ قول لو قد قتلتُه فعلتُ هذا به. إن أنتَ مضيتَ لأمرِنا فيه جزَيناك جزاءَ السامع المطيع، وإن أبيتَ فاعتزِلْ عمَلَنا وجندَنا، وخلّ بين شمِر بن ذى الجوْشن وبين العسكر، فإنا قد أمرناه بأمرنا؛ والسلام.

قال أبو مخنف: عن الحارث بن حَصيرة، عن عبد الله بن شريك العامرىّ، قال: لمّا قبض شمر بن ذى الجوشَن الكتاب قام هو وعبد الله بن أبى المحلّ — وكانت عمته أمّ البنين ابنة حزام عند علىّ بن أبى طالب عليه السلام، فولدتْ له العبّاسَ وعبدَ الله وجعفرًا وعثمانَ — فقال عبد الله بن أبى المحلّ بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: أصلح الله الأمير! إن بنِى أختنا مع الحسين، فإن رأيتَ أن تكتب لهم أمانًا فعلت؛ قال: نعم ونَعمةَ عيْن. فأمر كاتبه، فكتب لهم أمانًا، فبعث به عبد الله بن أبى المحلّ مع مولًى له يقال له: كُزمان، فلما قدم عليهم دعاهم، فقال: هذا أمانٌ بعثَ به خالُكم؛ فقال له الفتية: أقرِئْ خالَنا السلام، وقل له: أن لا حاجةَ لنا فى أمانكم، أمانُ الله خيرٌ من أمان ابن سميّة. قال: فأقبل شمِر بن ذى الجَوْشن بكتاب عُبيد الله بن زياد إلى عمر ابن سعد، فلما قدم به عليه فقرأه قال له عمر: مالَكَ ويْلَك! لا قرّب الله دارَك، وقبّح الله ما قدمت به علىّ! والله إنى لأظنُّك أنت ثَنَيْتَه أن يَقبَل ما كتبتُ به إليه، أفسدت علينا أمرًا كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إنّ نفسًا أبيّةً لبيْن جنبَيْه، فقال له شَمِر: أخبِرْنى ما أنت صانع؟ أتمضى لأمر أميرك وتقتل عدوّه، وإلا فخلّ بينى وبين الجند

٣١٧/٢

والعسكر ؛ قال: لا ولا كرامةَ لك ، وأنا أتولّى ذلك ؛ قال : فدونك ، وكن أنت على الرّجال ؛ قال: فنهض إليه عشيّة الخميس لتسعٍ مضَين من المحرّم ؛ قال : وجاء شمِر حتّى وقف على أصحاب الحسين ، فقال : أين بنو أختنا ؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو عليّ ، فقالوا له: مالَكَ وما تريد ؟ قال : أنتم يا بني أختي آمنون ؛ قال له الفتية : لعنك الله ولعن أمانك ! لئن كنت خالنا أتؤمِّننا وابن رسول الله لا أمانَ له ! قال : ثمّ إنّ عمر بن سعد نادى : يا خيلَ اللهِ اركبي وأبشري . فركِب في الناس ، ثم زحف نحوَهم بعد صلاة العصر ، وحسين جالس أمامَ بيته محتبيًا بسيفه ، إذ خفق برأسه على ركبتَيْه ، وسمعتْ أخته زينب الصيحة فدنتْ من أخيها ، فقالت : يا أخي ، أما تسمع الأصوات قد اقتربت ! قال : فرفع الحسينُ رأسه فقال : إنّي رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : إنك تروح إلينا ؛ قال : فلطمتْ أختُه وجهَها وقالت : ياويلتا ! فقال : ليس لكِ الويل يا أخيّة ، اسكُني رحمكِ الرّحمن ! وقال العباس بن عليّ : يا أخي ، أتاك القومُ ؛ قال : فنهض ؛ ثم قال : يا عباس ، اركَب بنفْسي أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم : ما لكم ؟ وما بدَا لكم ؟ وتسألهم عما جاء بهم ؟ فأتاهم العباس ؛ فاستقبلهم في نحو من عشرين فارسًا فيهم زهير بن القين وحبيب ابن مظاهر ، فقال لهم العباس : ما بدا لكم ؟ وما تريدون ؟ قالوا : جاء أمر الأمير بأن نَعرِض عليكم أن تنزلوا على حُكمه أو ننازِلَكم ؛ قال : فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرِض عليه ما ذكرتم ؛ قال : فوقفوا ثم قالوا : القَه فأعلِمه ذلك ، ثمّ القَنا بما يقول ؛ قال : فانصرف العبّاس راجعًا يركض إلى الحسين يُخبره بالخبر ، ووقف أصحابُه يخاطبون القومَ ، فقال حبيب ابن مظاهر لزهير بن القين : كلِّم القومَ إن شئتَ ، وإن شئتَ كلمتُهم ، فقال له زهير : أنت بدأت بهذا ، فكن أنت تكلّمهم ، فقال له حبيب بن مظاهر : أما والله لبئسَ القومُ عند الله غداً قومٌ يَقدَمون عليه قد قتلوا ذرّية نبيّه عليه السلام وعِترتَه وأهلَ بيته صلى الله عليه وسلم وعبّاد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار، والذاكرِين اللهَ كثيراً ؛ فقال له عَزْرة بن قيس : إنك لتُزكّي

٢/٣١٨ ٢/٣١٩

نفسك ما استطعتَ؛ فقال له زهير : ياَ عزْرة، إنّ الله قد زكّاها وهداها ، فاتّق الله يا عزرةفإنى لك من الناصحين ، أنشُدُك اللهَ يا عَزْرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكيّة! قال : يا زهير ، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت ، إنما كنتَ عثمانيًّا ؛ قال : أفلستَ تستدلّ بموقفى هذا أنّى منهم! أما والله ما كتبتُ إليه كتابًا قطّ ، ولا أرسلتُ إليه رسولا قطّ ، ولا وعدتُه نُصرتى قطّ ، ولكن الطريق جمع بينى وبينه ، فلما رأيته ذكرتُ به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ومكانَه منه ، وعرفت ما يقدم عليه من عدوّه وحزبكم ، فرأيت أن أنصرَه ، وأن أكون فى حزبه ، وأن أجعل نفسى دونَ نفسه ، حِفظًا لما ضيّعتم من حقّ الله وحقّ رسوله عليه السلام . قال : وأقبل العبّاس بن علىّ يركض حتى انتهى إليهم ، فقال : ياهؤلاء ، إنّ أبا عبد الله يسألكم أن تَنصرِفوا[1] هذه العشيّة حتى ينظر فى هذا الأمر ، فإنّ هذا أمرٌ لم يجْرِ بينكم وبينه فيه مَنطقٌ ، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله ، فإمّا رضيناه فأتينا بالأمر الذى تسألونه وتسومونه ، أو كرهْنا فرددْناه ، وإنما أراد بذلك أن يردّهم عنه تلك العشيّة حتى يأمر بأمره ، ويوصِى أهلَه ، فلما أتاهم العباس بن علىّ بذلك قال عمر بن سعد : ما ترى يا شمِر ؟ قال : ما ترى أنت ، أنت الأمير والرأى رأيك ؛ قال : قد أردت ألّا أكون ؛ ثم أقبل على الناس فقال : ماذا ترون؟ فقال عمرو بن الحجّاج بن سلمة الزُّبيدىّ : سبحان الله ! والله لو كانوا من الدّيلم ثم سألوك هذه المنزلةَ لكان ينبغى لك أن تجيبهم إليها ؛ وقال قيس بن الأشعث : أجِبْهم إلى ما سألوك، فلَعَمرى ليصبحُنّك بالقتال غُدْوة؛ فقال : والله لو أعلم أن يفعلوا ما أخرجتُهم العشيّة ؛ قال : وكان العباس بن علىّ حين أتى حسينًا بما عرض عليه عمر بن سعد قال : ارجِع إليهم ، فإن استطعتَ أن تؤخّرَهم إلى غُدْوة وتدفعَهم عند العشيّة لعلنا نُصلّى لربنا الليلة وندعوه ونستغفره ، فهو يَعلم أنى قد كنتُ أحبّ الصلاةَ له وتلاوةَ كتابه وكثرةَ الدعاء والاستغفار!

٢/ ٣٢٠

قال أبو مخنف : حدّثنى الحارث بن حَصيرة ، عن عبد الله بن شريك

(١) ابن الأثير : « أن تنصرفوا عنا » .

العامرىّ ، عن علىّ بن الحسين قال : أتانا رسولٌ مِن قِبَل عمر بن سعد فقام مثل حيث يُسمَع الصوت فقال : إنا قد أجّلنا كم إلى غد ، فإن استسلمتم سرّحنا بكم إلى أميرنا عُبيد الله بن زياد ، وإن أبيتم فلسنا تارِكيكُمْ .

قال أبو مخنف: وحدّثنى عبدالله بن عاصم الفائشىّ ، عن الضحاك بن عبد الله المشرقى . — بَطْن من هَمْدان — أنّ الحسين بنَ علىّ عليه السلام جمع أصحابه .

قال أبو مِخْنف : وحدّثنى أيضًا الحارث بن حَصِيرة ، عن عبدالله بن شريك العامرىّ ، عن علىّ بن الحسين ، قالا : جمع الحسين أصحابَه بعد ما رجع عمر بن سعد ، وذلك عند قرب المساء ، قال علىّ بن الحسين : فدنوتُ منه لأسمع وأنا مريض ، فسمعتُ أبى وهو يقول لأصحابه : أُثنى على الله تبارك وتعالى أحسنَ الثناء ، وأحمده على السرّاء والضرّاء ، اللهمّ إنّى أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة ، وعلّمتنا القرآن ، وفقّهتنا فى الدين ، وجعلت لنا أسماعًا وأبصاراً وأفئدة ، ولم تجعلنا من المشركين ؛ أما بعد ، فإنى لا أعلم أصحابًا أولَى ولا خيراً من أصحابى ، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصلَ من أهل بيتى ، فجزاكم الله عنى جميعًا خيراً ؛ ألا وإنى أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً ، ألا وإنى قد رأيت[1] لكم فانطلقوا جميعًا فى حلّ ، ليس عليكم مِنّى ذِمام ، هذا ليلٌ قد غَشيَكم ، فاتّخِذوه جَمَلا .

٢/٣٢١

قال أبو مخنف : حدّثنا عبد الله بن عاصم الفائشىّ — بطن من هَمْدان — عن الضّحاك بن عبد الله المِشرقىّ ، قال : قدمت ومالك بن النضر الأرحبىّ على الحسين ، فسلّمنا عليه ، ثم جلسنا إليه ، فردّ علينا ، ورحّب بنا ، وسألنا عما جئنا له ، فقلنا : جئنا لنسلّم عليك ، وندعوَ الله لك بالعافية ، ونحدِثَ بك عهداً ، ونخبرك خبر الناس ، وإنا نحدّثك أنهم قد جمعوا على حربك فرَ رأيك . فقال الحسين عليه السلام : حسبى الله ونعم الوكيل ! قال: فتذممنا وسلمنا عليه ، ودعَوْنا اللهَ له ، قال : فما يمنعكما من نُصرتى ؟ فقال مالك ابن النّضر: علىّ دَين ، ولى عيال ، فقلتُ له : إنّ علىّ دَينًا ، وإنّ لى لعيالا ، ولكنك إن جعلتنى فى حِلٍّ من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت

(١) ابن الأثير : « أذنت » .

عنك ما كان لك نافعاً ، وعنك دافعاً ! قال : قال : فأنت فى حلّ ؛ فأقمتُ معه ، فلما كان الليل قال : هذا الليل قد غشيَكم ، فاتّخِذُوه جَمَلا ، ثم ليأخذ كلّ رجل منكم بيدِ رجل من أهل بيتى ، تفرّقوا فى سوادكم ومدائنكم حتى يفرّج الله ، فإنّ القوم إنما يطلبونى ، ولو قد أصابونى لهَوْا عن طَلَب غيرى ؛ فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر : لِمَ نفعل لنبقى بعدك ، لا أرانا الله ذلك أبداً ؛ بدأهم بهذا القول العباس بن علىّ . ثم إنهم تكلّموا بهذا ونحوه ، فقال الحسين عليه السلام : يا بنى عقيل ، حسبكم من القتل بمسلم ، اذهبوا قد أذنتُ لكم ؛ قالوا : فما يقول الناس[1] ! يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبنى عمومتنا خير الأعمام ، ولم نرْمِ معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برُمح ، ولم نضربْ معهم بسيف ، ولا ندرى ما صنعوا ! لا والله لا نفعل ، ولكن تَفديك[2] أنفسنا وأموالُنا وأهلُونا ، ونقاتل معك حتى نَرِدَ مَوردَك ، فقبح الله العيشَ بعدَك !

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الله بن عاصم ، عن الضّحاك بن عبد الله المِشرقىّ ، قال : فقام إليه مسلم بن عَوْسجة الأسدىّ فقال : أنحنُ نخلّى عنك ولمّا نُعذِر إلى الله فى أداء حقك ! أما والله حتى أكسرَ فى صدورهم رُمْحى ، وأضربَهم بسيفى ما ثبت قائمهُ فى يدى ، ولا أفارقك ؛ ولو لم يكن معى سلاح أقاتلُهم به لقذفتُهم بالحجارة دونَك حتى أموت معك .

قال : وقال سعيد[3] بن عبد الله الحنفىّ : والله لا نخلّيك حتى يعلم الله أنا حفظنا غيبةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فيك ، والله لو علمتُ أنى أقتل ثم أحيا ثم أُحرق حيًّا ثم أذرّ ؛ يُفعَلُ ذلك بى سبعين مرّة ما فارقتُك حتى ألقَى حِمامى دونَك ، فكيف لا أفعل ذلك ! وإنما هى قَتْلة واحدة ، ثم هى الكرامة التى لا انقضاء لها أبداً .

قال : وقال زهير بن القَيْن : والله لوددتُ أنى قُتِلت ثم نشِرت ثم قتِلت حتى أقتلَ كذا ألف قتلة ، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس

---

(١) ابن الأثير : « فما نقول للناس » .

(٢) ابن الأثير : « نفديك » .

(٣) ط : « سعد » تحريف .

٣٢٢/٢
٣٢٣/٢

هؤلاء الفتية من أهل بيتك . قال : وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضُه بعضًا فى وجه واحد، فقالوا : والله لا نفارقُك ، ولكنّ أنفسنا لك الفداء، نَقيك بنحورنا وجِباهنا وأيدينا ، فإذا نحن قُتِلنا كنّا وَفَّينا ، وقَضَينا ما علينا .

قال أبومخنف : حدّثنى الحارث بن كعب وأبو الضّحاك ، عن علىّ ابن الحسين بن علىّ قال : إنى جالس فى تلك العشيّة التى قُتِل أبى صبيحتَها ، وعمّتى زينب عندى تمرّضنى ، إذ اعتزل أبى بأصحابه فى خِباء له ، وعنده حُوَىّ، مولَى أبى ذَرّ الغِفارىّ ، وهو يعالج سيفَه ويصلِحُه وأبى يقول :

يا دهرُ أفٍّ لك من خليلِ ... كم لك بالإشراقِ والأَصيل
مِن صاحبٍ أو طالبٍ قَتيل ... والدَّهرُ لا يقنعُ بالبَدِيل
وإنما الأمرُ إلى الجليلِ ... وكلُّ حيٍّ سالكُ السّبيل

قال : فأعادها مرّتين أو ثلاثا حتى فهمتُها، فعرفتُ ما أراد ، فخنقتْنى عَبرتى ، فرددتُ دمعى ولزمت السكون ، فعلمتُ أنّ البلاء قد نزل ؛ فأما عمّتى فإنها سمعتْ ما سمعتُ ، وهى امرأة ، وفى النساء الرِّقّة والجزَع ، فلم تملكْ نفسها أن وثبتْ تجرّ ثوبَها ، وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه ؛ فقالت : واثكْلاه ! ليت الموتَ أعدمَنى الحياةَ ! اليوم ماتت فاطمة أمى وعلىّ أبى وحسن أخى ، يا خليفة الماضى ، وثِمال الباقى ؛ قال : فنظر[1] إليها الحسين ٢/٣٢٤ عليه السلام فقال: يا أُخَيّة ، لا يُذهبَنّ حِلمك الشيطان؛ قالت : بأبى أنت وأمى يا أبا عبد الله ! استقتلتَ نفسى فِداك ؛ فردّ غُصّته، وترقرقتْ عيناه ، وقال : لو ترِك القَطَا لَيْلاً لنام ؛ قالت: يا ويلتى ، أفتغصب نفسك اغتصابًا ، فذلك أقرَح لقلبى ، وأشدُّ على نفسى! ولطمتْ وجهَها ، وأهوتْ إلى جَيْبها وشقّته ، وخرّت مغشيًّا عليها ، فقام إليها الحسين فصبّ على وجهها الماء ، وقال لها : يا أُخيّة ، اتّقى الله وتعزَّىْ بعزاء الله ، واعلمى أنّ أهلَ الأرض يموتون ، وأنّ أهل السماء لا يَبقوْن ، وأنّ كلّ شىء هالكٌ

---

(١) ابن الأثير : « فذهب فنظر إليها » .

إلا وجه الله الذى خلق الأرض بقدرته ، ويبعث الخلق فيعودون ، وهو فرد وحدَه ، أبى خيرٌ منى ، وأمى خيرٌ منى ، وأخى خيرٌ منى ، ولى ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة ؛ قال : فعزّاها بهذا ونحوه ، وقال لها : يا أخيّة ، إنى أقسم عليك فأبرّى قَسمى ، لا تشقّى علىّ جيبًا ، ولا تَخمِشى علىّ وجهًا ، ولا تَدْعى علىّ بالوَيْل والثّبُور إذا أنا هلكتُ ؛ قال : ثم جاء بها حتى أجلسها عندى ، وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرّبوا بعضَ بيوتهم من بعض ، وأن يُدخلوا الأطناب بعضها فى بعض ، وأن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذى يأتيهم منه عدوّهم .

قال أبو مخنف : عن عبد الله بن عاصم، عن الضحّاك بن عبد الله المِشْرَقىّ ، قال : فلما أمسى حسين وأصحابه قاموا الليلَ كلّه يصلّون ويستغفرون ، ويَدْعون ويتضرّعون ؛ قال : فتمرّ بنا خيلٌ لهم تحرسنا، وإنّ حسينًا ليقرأ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۞ مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾[١]. فسمعَها رجل من تلك الخيل التى كانت تحرسنا ، فقال : نحن وربِّ الكعبة الطيّبون، ميُّزنا منكم. قال : فعرفتُه فقلتُ لبُرَير بن حُضَير : تدرى مَن هذا ؟ قال : لا ؛ قلت هذا أبو حَرْب السَّبيعىّ عبد الله بن شهر — وكان مِضْحاكًا بَطّالا ، وكان شريفًا شُجاعًا فاتكًا ، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه فى جناية — فقال له بُرَير بن حُضَير : يا فاسق، أنت يَجعلك الله فى الطيّبين! فقال له : مَن أنت ؟ قال : أنا بُرَيْر بن حُضَير ؛ قال : إنا لله! عزّ علىّ ! هلكت والله ، هلكت والله يا بُرَير! قال : يا أبا حرب ، هل لكَ أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام ! فوالله إنا لنحن الطيّبون ، ولكنكم لأنتم الخَبيثون ؛ قال : وأنا على ذلك من الشاهدينَ ، قلتُ : ويحك ! أفلا ينفعك معرفتُك ! قال : جُعلت فداك ! فمن ينادم يزيدَ بن عذرة العَنَزىّ من عَنَز بن وائل ! قال : ها هو ذا معى ؛ قال : قبح الله رأيَك على كلّ حال! أنت سفيه . قال : ثم انصرف

٣٢٥/٢

(١) سورة آل عمران ١٧٨ ، ١٧٩ .

عنّا ، وكان الذى يحرُسنا بالليل فى الخيل عَزْرة بن قيس الأحْمسىّ ، وكان على الخيل ؛ قال : فلما صلّى عمر بن سعد الغداةَ يوم السبت — وقد بلغَنا أيضًا أنه كان يومالجمعة ، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء — خرج فيمن معه من الناس .

قال : وعبّأ الحسين أصحابَه ، وصلّى بهم صلاةَ الغَداة ، وكان معه اثنان وثلاثون فارسًا وأربعون راجلا ، فجعل زهير بنَ القين فى ميمنة أصحابه ، وحبيبَ بن مُظاهر فى ميسرة أصحابه ، وأعطَى رايتَه العباس بن علىّ أخاه ، وجعلوا البيوت فى ظهورهم ، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيُوت يُحرق بالنار مخافةأن يأتوهم من ورائهم . قال : وكان الحسين عليه السلام أتى بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفِض كأنه ساقية ، فحفروه فى ساعة من الليل ، فجعلوه كالخندق ، ثمّ ألقَوْا فيه ذلك الحطب والقصب ، وقالوا : إذا عَدَوْا علينا فقاتَلُونا ألقَيْنا فيه النار كيلا نُؤتَى من ورائنا ، وقاتلنا القوم من وجه واحد . ففعلوا ، وكان لهم نافعًا .

٢/٣٢٦

قال أبو مخنف : حدّثنى فُضيل بن خَديج الكندىّ ، عن محمد بن بشر ، عن عَمرو الحضرمىّ ، قال : لما خرج عمر بن سعد بالناس كان على رُبْع أهل المدينة يومئذ عبدُالله بن زهير بن سُليم الأزدىّ ، وعلى رُبْع مَذْحِج وأسَد عبدالرحمن بن أبى سَبْرة الجعفىّ[1] ، وعلى رُبْع ربيعة وكِنْدة قيس بن الأشعث بن قيس ، وعلى ربع تميم وهَمْدان الحرّ بن يزيد الرّياحىّ ؛ فشهد هؤلاء كلُّهم مَقتلَ الحسين إلا الحُرّ بن يزيد فإنه عدل إلى الحسين ، وقُتل معه . وجعل عمرُ على ميمنته عَمْرو بنَ الحجّاج الزُّبيدىّ ، وعلى ميسرته شَمِر بن ذى الجَوْشن بن شُرَحبيل بن الأعور بن عمر بن معاوية — وهو الضِّباب بن كلاب — وعلى الخيل عَزْرة بن قيس الأحمسىّ ، وعلى الرّجال شَبَث بن رِبْعىّ الرياحىّ ، وأعطى الراية ذُوَيدًا[2] مولاه .

قال أبو مخنف : حدّثنى عَمرو بن مرّة الجمَلىّ ، عن أبى صالح الحنفىّ ،

(١) ط : «الحنفى» ، وانظر الفهرس .

(٢) ابن الأثير : «دريداً» .

عن غلام لعبد الرّحمن بن عبد ربّه الأنصاريّ ، قال : كنت مع مولاى ، ٢/٣٢٧
فلما حضر الناس وأقبلوا إلى الحسين ، أمر الحسينُ بفُسطاط فضُرب ، ثم أمر
بمسك فميثَ فى جَفْنة عظيمة أو صَحْفة ؛ قال : ثم دخل الحسين ذلك
الفُسْطاطَ فتطلَّى بالنُّورة. قال : ومولاى عبدُ الرحمن بنُ عبدِ ربّه وبُرَيْر
ابن حُضَير الهمْدانىّ على باب الفُسْطاط تحتكّ مناكبهما ، فازدحما
أيهما يَطّلى على أثره ، فجعل بُرير يهازل عبدَ الرحمن ، فقال له عبدالرحمن :
دعنا ، فوالله ما هذه بساعة باطل ، فقال له بُرَيْر : والله لقد علم قومى أنى
ما أحببتُ الباطلَ شابًّا ولا كَهْلا ، ولكنْ والله إنّى لمستبشرٌ بما نحن لاقُون ،
والله إنْ بيننا وبين الحُور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم ، ولَوددتُ
أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم. قال : فلما فرغ الحسين دخلنا فاطّلينا ؛ قال :
ثمّ إنّ الحسين ركب دابّته ودعا بمصحف فوضعه أمامَه؛ قال : فاقتتل
أصحابُه بين يديه قتالا شديداً ، فلما رأيتُ القوم قد صُرِعوا أفلَتّ وتركتُهم.

قال أبو مخنف ، عن بعض أصحابه، عن أبى خالد الكاهلىّ ، قال :
لما صبّحت الخيل الحسينَ رفع الحسين يديه ، فقال : اللهمّ أنت ثقتى فى كلّ
كرب ، ورجائى فى كلّ شدّة ، وأنت لى فى كلّ أمر نزل بى ثقة وعُدّة ،
كم من همّ يَضعُف فيه الفؤاد ، وتقلّ فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ،
ويَشمَت فيه العدوّ ، أنزلتُه بك ، وشكوته إليك ، رغبةً منى إليك عمّن
سواك ، ففرّجتَه وكشفتَه ، فأنت ولىّ كلّ نعمة ، وصاحب كلّ حسنة ،
ومُنتَهَى كلّ رغبة .

قال أبو مخنف : فحدّثنى عبد الله بن عاصم ، قال : حدّثنى الضحّاك ٢/٣٢٨
المِشرقىّ ، قال : لما أقبلوا نحونا فنظروا إلى النار تضطرم فى الحطب والقصب
الذى كنا ألهبنا فيه النار من ورائنا لئلاّ يأتونا مِن خلفنا ، إذْ أقبل إلينا منهم
رجل يَركُض على فرس كامل الأداة ، فلم يكلّمنا حتى مرّ على أبياتنا ، فنظر
إلى أبياتنا فإذا هو لا يرى إلاّ حطبًا تلتهب النار فيه ، فرجع راجعًا ، فنادى
بأعلى صوته : يا حسين ، استعجلتَ النارَ فى الدنيا قبل يوم القيامة ! فقال

الحسين : مَن هذا ؟ كأنه شَمِر بن ذى الجَوْشن! فقالوا : نعم، أصلحك الله ! هوهو ، فقال : يابن راعية المِعْزَى، أنت أوْلى بها صليًّا ؛ فقال له مسلم بن عَوْسَجة: يابن رسول الله، جُعِلتُ فِداك! ألا أرميه بسهم! فإنه قد أمكننى ،وليس يَسقط [منّى] سهم ،فالفاسق من أعظم الجبّارين؛ فقال له الحسين : لا ترمِه، فإنى أكره أن أبدأهم ، وكان مع الحسين فرس له يُدْعى لاحقًا حمل عليه ابنَه علىّ بن الحسين؛ قال : فلما دنا منه القوم عاد براحلتِه فركبها ، ثم نادى بأعلى صوته دُعاءً يُسمِع جُلّ الناس : أيها الناس ؛ اِسمَعوا قولى ،ولا تُعجلونى حتى أعِظَكم بما لحقٌّ لكم علىّ ، وحتى أعتذرَ إليكم من مَقدَمى عليكم ، فإن قبلتم عذرى ، وصدّقتم قولى ، وأعطيتمونى النَّصف ، كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم علىّ سبيل ، وإن لم تقبلوا منّى العذر ،ولم تُعطُوا النَّصَف من أنفسكم ﴿فأجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[1] ؛ ﴿إِنَّ وَلِيِّىَ اللَّهُ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[2] . قال: فلما سمع أخواته كلامه هذا صِحْنَ وبكَيْن، وبكى بناته فارتفعت أصواتُهنّ ، فأرسل إليهنّ أخاه العباس ٢/٣٢٩ ابن علىّ وعليًّا ابنه، وقال لهما: أسْكِتاهنّ ، فلَعَمرى ليكثُرنّ بكاؤهنّ ؛ قال : فلما ذهبا ليُسكتاهنّ قال: لا يَبْعد ابن عباس ؛ قال : فظننا أنه إنما قالها حين سُمِع بكاؤهنّ ، لأنه قد كان نهاه أن يخرج بهنّ ، فلما سكتن حَمِد الله وأثنى عليه ، وذكَر اللهَ بما هو أهلُه ، وصلى على محمّد صلى الله عليه وعلى ملائكته وأنبيائه ، فذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يُحصى ذكرُه. قال: فوالله ما سمعتُ متكلّمًا قطّ قبلَه ولا بعدَه أبلغَ فى منطق منه ؛ ثم قال : أمّا بعد، فانسبونى فانظروا مَن أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتِبوها، فانظروا؛ هل يحلّ لكم قتلى وانتهاكُ حرمتى ؟ ألستُ ابنَ بنت نبيّكم صلى الله عليه وسلم وابنَ وصيّه وابن عمّه ، وأوّل المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه ! أوَ ليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبى ! أوَ ليس جعفر الشهيد الطيّار

---

(١) سورة يونس: ٨١ .

(٢) سورة الأعراف: ١٩٦ .

ذو الجناحين عمّى! أوَ لم يبلغْكم قول مستفيض فيكم: إنّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآلـه وسلم قال لى ولأخى: «هذان سيّدا شبابِ أهل الجنة»! فإن صدّقتمونى بما أقول ــ وهو الحقّ ــ فوالله ما تعمّدت كذبًا مذ علمتُ أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضرّ به من اختلقه، وإن كذّبتمونى فإنّ فيكم مَن إن سألتموه عن ذلك أخبرَكم؛ سَلُوا جابرَ بنَ عبد الله الأنصاريّ، أو أبا سعيد الخُدْرىّ، أو سهل بن سعد الساعدىّ، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك؛ يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لى ولأخى. أفَما فى هذا حاجز لكم عن سَفْك دمى! فقال له شَمِر بن ذى الجوشن: هو يَعبد الله على حَرْف إن كان يدرى ما يقول! فقال له حبيب بن مُظاهر: والله إنى لأراك تَعبُد الله على سبعين حرفًا، وأنا أشهد أنك صادق ما تدرى ما يقول؛ قد طبع اللهُ على قلبك؛ ثم قال لهم الحسين: فإنْ كنتم فى شكّ من هذا القول أفتشكّون أثَرًا ما أنّى ابنُ بنت نبيّكم! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبىّ غيرى منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنتِ نبيّكم خاصّة. أخبرونى، أتطلبونى بقتيل منكم قتلتُه، أو مالٍ لكم استهلكته، أو بقِصاص من جراحة؟ قال: فأخذوا لا يكلمونه؛ قال: فنادى: يا شَبَث بن رِبْعىّ، ويا حجّار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلىّ أن قد أيْنعَت الثمار، واخضرّ الجَناب، وطمّت الجمام[1]، وإنما تقدُم على جند لك مُجنَّد، فأقبِلْ! قالوا له: لم نفعل؛ فقال: سبحان الله! بلى والله، لقد فعلتم؛ ثم قال: أيها الناس، إذْ كرهتمونى فدعونى أنصرف عنكم إلى مأمَنى من الأرض؛ قال: فقال له قيس بن الأشعث: أوَ لا تنزل على حكم بنى عمّك، فإنهم لن يُرُوك إلا ما تحبّ، ولن يصل إليك منهم مكروه؟ فقال الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثرَ من دم مسلم بن عقيل؛ لا والله لا أعطيهم بيدى إعطاء الذليل، ولا أقرّ إقرارَ العبيد. عباد الله، إنى عُذْتُ بربّى وربّكم أن ترجُمون

٢/٢٣٠

(١) طم الماء: علا وغمر. والجمام: جمع جمة؛ وهو المكان يجتمع فيه الماء.

٣٣١/٢ أعوذ بربى وربّكم مِن كلّ متكبِّر لا يؤمن بيوم الحساب؛ قال : ثمّ إنه أناخ راحلته ، وأمر عقبة بن سِمْعان فعقَلها ، وأقبلوا يزحفون نحوه .

قال أبو مخنف : فحدّثنى علىّ بن حنظلة بن أسعد الشامىّ ، عن رجل من قومه شهد مقتلَ الحسين حين قُتِل يقال له كثير بن عبد الله الشعبىّ ؛ قال : لما زحفنا قِبَل الحسين خرج إلينا زُهير بن قَيْن على فرس له ذَنوب[1] ، شاكٍ فى السلاح ، فقال : يا أهْلَ الكوفة ، نَذارِ لكم من عذاب الله نَذارِ ! إنّ حقًّا على المسلم نصيحةَ أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن إخوة ، وعلى دين واحد ومِلّة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، وأنتم للنصيحة منا أهلٌ ، فإذا وقع السيف انقطعت العِصمة ، وكنا أمّة وأنتم أمة ، إنّ الله قد ابتلانا وإياكم بذرّيّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصرهم وخِذلان الطاغية عُبيد الله بن زياد ، فإنكم لا تدركون منهما إلا بسوء عُمْرَ سلطانهما كلّه ، لَيسملانٌ أعينَكم ، ويقطّعانٌ أيديَكم وأرجلَكم ، ويمثّلانٌ بكم ، ويرفعانكم على جُذُوع النخل ، ويقتّلانٌ أماثلَكم وقُرّاءَكم ، أمثال حُجر بن عَدىّ وأصحابه ، وهانئ بن عروة وأشباهه ؛ قال : فسبُّوه ، وأثنَوا على عُبيد الله بن زياد ، ودعَوا له ، وقالوا : والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومَنْ معه ، أو نبعثَ به وبأصحابه إلى الأمير عُبيد الله سِلْمًا ؛ فقال لهم : عبادَ الله ، إنّ ولد فاطمة رضوان الله عليها أحقّ بالودّ والنصر من ابن سُمَيّة ، فإنْ لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم ؛ فخلّوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيدَ بن معاوية ، فلَعَمرى إنّ يزيد ليرضى من طاعتكم بدون

٣٣٢/٢ قتل الحسين ؛ قال : فرَماه شَمِر بن ذى الجوْشن بسهم وقال : اسكتْ أسكتَ الله نأمَتك ، أبرمْتَنا بكثرة كلامك ! فقال له زهير : يا بنَ البَوّال على عَقبيْه ، ما إيّاك أخاطب ، إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تُحكِم من كتاب الله آيتَين ، فأبشِرْ بالخزى يومَ القيامة والعذاب الأليم ؛ فقال له شمِر : إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة ؛ قال : أفبالموت تُخوّفنى !

---

(١) فرس ذنوب : وافر شعر الذنب .

فوالله للموت معه أحبّ إليّ من الخُلد معكم ؛ قال : ثمّ أقبل على الناس رافعًا صوته ، فقال : عبادَ الله، لايغرّنّكم من دينكم هذا الجِلْف الجافى وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعةُ محمد صلى الله عليه وسلم قومًا هَراقوا دماء ذُرّيته وأهل بيته ، وقتلوا مَن نصرهم وذبَّ عن حريمهم ؛ قال: فناداه رجل فقال له : إنّ أبا عبد الله يقول لك : أقبل ، فلَعمرى لئن كان مؤمنُ آل فرعون نصح لقومه وأبلَغ فى الدعاء، لقد نصحتَ لهؤلاء وأبلغتَ لو نفع النصح والإبلاغ !

قال أبو مخنف : عن أبى جَناب الكَلْبىّ ، عن عدىّ بن حرمَلة ، قال : ثمّ إنّ الحُرّ بن يزيد لما زحف عمر بن سعد قال له : أصلحك الله! مُقاتِلٌ أنت هذا الرجل ؟ قال: إى والله قتالاً أيسرُه أن تسقط الرءوسُ وتطيح الأيدى ؛ قال: أفما لكم فى واحدة من الخصال التى عرض عليكم رضًا ؟ قال عمر بن سعد : أما والله لو كان الأمر إلىّ لفعلت ، ولكنّ أميرَك قد أبى ذلك ؛ قال : فأقبل حتى وقف من الناس موقفًا ، ومعه رجل من قومه يقال له قرّة بن قيس ، فقال : يا قرّة ، هل سقيتَ فرسَكَ اليوم ؟ قال : لا ؛ قال : إنما تريد أن تسقيَه ؟ قال : فظننت والله أنه يريد أن يتنحّى فلا يشهد القتالَ ، وكره أن أراه حين يصنع ذلك ، فيخاف أن أرفعه عليه ؛ فقلت له : لم أسقه ، وأنا منطلِق فساقيه ؛ قال : فاعتزلت ذلك المكانَ الذى كان فيه ؛ قال : فوالله لو أنه أطلعنى على الذى يريد لخرجت معه إلى الحسين ؛ قال : فأخذ يدنو من حُسَين قليلاً قليلاً ، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر ابن أوس : ما تريد يابن يزيدَ ؟ أتريد أن تحمل ؟ فسكت وأخذه مثل العُرَوَاء[1] ، فقال له يابن يزيد ، والله إنّ أمرك لمريب ، والله ما رأيتُ منك فى موقف قطّ مثلَ شىء أراه الآن ، ولو قيل لى : مَن أشجع أهلِ الكوفة رجلا ما عدوْتُك ، فما هذا الذى أرى منك ! قال : إنى والله أخيِّر نفسى بين الجنة والنار ، ووالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطِّعتُ وحُرِّقت ؛ ثم ضرب فرسَه فلحِق بحسين عليه السلام ، فقال له : جعلنى الله فِداك يابن رسول الله ! أنا صاحبك الذى حبستُك عن الرجوع ، وسايرتُك فى الطريق ،

٢/٣٣٣

(١) العرواء كغلواء : الرعدة تكون من الحمّى .

وجَعجعتَ بك فى هذا المكان ، واللهِ الذى لا إله إلا هو ما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضتَ عليهم أبداً ، ولا يبلغون منك هذه المنزلة . فقلت فى نفسى : لاأبالى أن أطيع القوم فى بعض أمرهم ، ولا يرون أنى خرجتُ من طاعتهم ، وأمّا هم فسيقبلون من حسين هذه الخصالَ التى يعرض عليهم ، ووالله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ماركبتُها منك؛ وإنّى قد جئتك تائبًا مما كان ٢/٣٣٤ منى إلى ربى ، ومواسيًا لك بنفسى حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لى توبة ؟ قال : نعم ، يتوب الله عليك ، ويغفر لك ، ما اسمك ؟ قال : أنا الُحرّ بن يزيد ؛ قال : أنت الُحرّ كما سمّتك أمك ، أنت الحرّ إن شاء الله فى الدنيا والآخرة ؛ انزلْ ؛ قال : أنا لك فارسًا خيرٌ منّى راجلاً ، أقاتلهم على فرسى ساعة ، وإلى النزول ما يصير آخر أمرى . قال الحسين : فاصنع يرحمك الله ما بدا لك . فاستقدم أمامَ أصحابه ثم قال : أيّها القوم، ألا تقبلون من حسين خصلةً من هذه الخصال التى عرض عليكم فيعافيكم الله من حربه وقتاله ؟ قالوا : هذا الأمير عمر بن سعد فكلّمه، فكلّمه بمثل ما كلمه به قبل، وبمثل ما كلّم به أصحابه؛ قال عمر : قد حرصتُ ، لو وجدتُ إلى ذلك سبيلاً فعلت ، فقال : يا أهل الكوفة ، لأمّكم الهَبَل والعُبْر[1] إذْ دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتُموه ، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه ، أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكَظْمه ، وأحطتم به من كل جانب ، فمنعتموه التوجّهَ فى بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهلُ بيته ، وأصبح فى أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعًا ، ولا يدفع ضرًّا ، وحلأتموه[2] ونساءه وأصَيْبِيَتَه وأصحابه عن ماء الفرات الجارى الذى يشربه اليهودىّ والمجوسىّ والنصرانىّ ، وتمرّغُ[3] فيه خنازير السواد وكلابه، وهاهم أولاء قد صرعهم العطش ، بئسما خلفتم محمّداً فى ذريته ! لا سقاكم الله يومَ الظمإ إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا فى ساعتكم هذه . فحملتْ عليه رَجّالة ٢/٣٣٥

---

(١) العبر : سخنة العين .

(٢) حلأتموه عن الماء : صددتموه عنه ومنعتموه إياه . وفى ابن الأثير : « ومنعتموه » .

(٣) ابن الأثير : « ويتمرغ » .

لهم ترميه بالنَّبل ؛ فأقبل حتى وقف أمام الحسين .

قال أبو مخنف ، عن الصَّقعب بن زهير وسليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : وزحف عمر بن سعد نحوَهم ، ثمّ نادى : يا ذويْد ، أدْنِ رايتَك ؛ قال : فأدناها ثم وضع سهمَه في كَبد قوسه ، ثمّ رمى فقال : اشهَدوا أني أوّل مَنْ رمى .

قال أبو مخنف : حدَّثني أبو جناب ، قال : كان منّا رجل يُدعَى عبدَ الله بن عُمير ، من بني عُليم ، كان قد نزل الكوفة ، واتّخذ عند بئر الجَعْد من هَمْدان داراً ، وكانت معه امرأةٌ له من النَّمِر بن قاسط يقال لها أمّ وهب بنت عبد ، فرأى القوم بالنُّخيلة يُعرَضون ليُسرَّحوا إلى الحسين ، قال : فسأل عنهم ، فقيل له : يسرّحون إلى حسينِ بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : والله لقد كنتُ على جهاد أهل الشرك حريصًا ، وإني لأرجو ألّا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيّهم أيسرَ ثوابًا عند الله من ثوابه إيّاي في جهاد المشركين ؛ فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع ، وأعلَمها بما يريد ، فقالت : أصبتَ أصاب الله بك أرشدَ أمورك ، افعلْ وأخرجْني معك ؛ قال : فخرج بها ليْلاً حتى أتى حسيناً ، فأقام معه ، فلما دنا منه عمر بن سعد ورمى بسهم ارتمى الناس ، فلما ارتمَوْا خرج يسار مولَى زياد بن أبي سفْيان وسالم مولى عُبيد الله بن زياد ، فقالا : مَنْ يبارز؟ ليخرجْ إلينا بعضُكم ، قال : فوثب حبيب بن مُظاهر وبُرَيْرُ بن حُضَيْر ، فقال لهما حسين : اجلسا ؛ فقام عبد الله بن عمير الكلبيّ فقال : أبا عبد الله ، رحمك الله ! ائذن لي فلأخرج إليهما ؛ فرأى حسين رجُلا آدم طويلا شديدَ الساعدين بعيدَ ما بين المنكبين ، فقال حسين : إنّي لأحسبه للأقران قتّالا ، اخرجْ إن شئتَ ؛ قال : فخرج إليهما ، فقالا له : مَنْ أنت ؟ فانتَسب لهما ، فقالا : لا نعرفك ، ليخرجْ إلينا زهير بن القَيْن أو حبيب بن مُظاهر أو بُرَير بن حُضَير ، ويسار مُستنتِلٌ[1] أمامَ سالم ، فقال له الكلبيّ : يابن الزانية ، وبك رغبةٌ عن مُبارَزة أحد من الناس ، وما يخرج إليك أحد من الناس إلا وهو

٢/٣٣٦

(١) استنتل للأمر : استعدّ له .

خير منك ؛ ثمّ شدّ عليه فضربه بسيفه حتى برد ، فإنه لمشتغل به يضربه بسيفه إذ شدّ عليه سالم ، فصاح به : قد رَهَقَكَ العبد ؛ قال : فلم يأبه له حتى غشيَه فبدَره الضّربة، فاتّقاه الكلبيّ بيده اليسرى ، فأطار أصابع كفّه اليسرى ، ثم مال عليه الكلبيّ فضربه حتى قتله، وأقبل الكلبيّ مرتجِزا وهو يقول، وقد قتلهما جميعًا :

إنْ تُنكِرونِى فأَنا ابن كلبِ حَسْبِىَ بَيْتِى فى عُلَيمٍ حَسْبِى

إنى امرُؤٌ ذو مِرّة وَعصْبِ ولستُ بالخَوّارِ عندَ النَّكْبِ

إنِّى زعيمٌ لكِ أُمَّ وهب بالطعنِ فيهمْ مُقدِماً والضربِ

* ضَرْبِ غُلامٍ مؤْمنٍ بِالرَّبِّ *

٣٢٧/٢ فأخذتْ أمّ وهب امرأته عموداً ، ثم أقبلتْ نحو زوجها تقول له : فداك أبى وأمى ! قاتِلْ دون الطيّبين ذريّة محمد ، فأقبل إليها يردّها نحو النّساء فأخذتْ تجاذب ثوبَه، ثمّ قالت: إنى لن أدَعَكَ دون أن أموت معك ، فناداها[1] حسين ، فقال : جُزِيتم من أهلِ بيت خيراً ، ارجعى رحمكِ الله إلى النساء فاجلسى معهنّ ، فإنه ليس على النساء قتال ؛ فانصرفت إليهنّ .
قال : وحَمَلَ عمرو بن الحجّاج وهو على ميمنة الناس فى الميمنة، فلما أن دنا من حسين جَثَوْا له على الرُّكَب ، وأشرَعوا الرماح نحوهم ، فلم تقدم خيلهم على الرماح ، فذهبت الخيل لترجع ، فرَشَقُوهم بالنَّبل ، فصرعوا منهم رجالا ، وجَرَحوا منهم آخرين .

قال أبو مخنف : فحدّثنى حسين أبوجعفر ، قال: ثمّ إنّ رجلاً من بنى تميم ــ يقال له عبد الله بن حَوْزة ــ جاء حتى وقف أمام الحسين ، فقال : يا حسين ، يا حسين ! فقال حسين : ما تشاء ؟ قال : أبشرْ بالنار ؛ قال : كلّا ، إنى أقدم على ربّ رحيم ، وشفيع مطاع ، مَن هذا ؟ قال له أصحابه : هذا ابن حَوْزة ؛ قال : ربِّ حُزْه إلى النار ؛ قال: فاضطرب به فرسُه فى

(١) ف : « فنادى » .

جدْوَل فوقع فيه ، وتعلّقتْ رجلُه بالركاب ، ووقع رأسُه في الأرض ، ونَفَرَ الفرس ، فأخذ يمرّ به فيضرب برأسه كلّ حجرٍ وكلّ شجرة حتى مات .

قال أبو مخنف : وأمّا سُوَيد بن حَيّة ؛ فزعم لى أنّ عبد الله بن حَوْزة حين وقع فرسه بقيتْ رجلُه اليسرى فى الرّكاب ، وارتفعت اليُمنى فطارت ، وعَدَا به فرسُه يضرب رأسه كلّ حَجَر وأصل شجرة حتى مات .

قال أبو مخنف عن عطاء بن السائب ، عن عبد الجبّار بن وائل الحضرميّ ، عن أخيه مسروق بن وائل ، قال : كنتُ فى أوائل الخيل ممن سار إلى الحسين ، فقلت : أكون فى أوائلها لعلّى أصيب رأسَ الحسين ، فأصيب به منزلةً عند عُبيد الله بن زياد ؛ قال : فلما انتهينا إلى حسين تقدّم رجلٌ من القوم يقال له ابن حَوْزة ، فقال : أفيكم حسين ؟ قال : فسكَت حسينٌ ؛ فقالها ثانية ، فأسكت حتى إذا كانت الثالثة قال : قولوا له : نَعَم ، هذا حسين ، فما حاجتُك ؟ قال : يا حسين ، أبشرْ بالنار ؛ قال : كذبتَ ، بل أقدم على ربٍّ غفور وشفيع مطاع ، فمَن أنت ؟ قال : ابن حَوْزة ؛ قال ؛ فرفع الحسين يدَيه حتى رأينا بياض إبطَيْه من فوق الثياب ثم قال : اللهمّ حُزْه إلى النار ؛ قال : فغضب ابن حَوْزة ، فذهب ليُقحم إليه الفرس وبينه وبينه نهر ؛ قال : فعلَقتْ قدمُه بالرّكاب ، وجالت به الفرس فسقط عنها ؛ قال : فانقطعت قدمه وساقُه وفخذُه ، وبقىَ جانبه الآخر متعلقًا بالرّكاب . قال : فرجع مسروق وترك الخيلَ من ورائه ؛ قال : فسألتُه ، فقال : لقد رأيتُ من أهل هذا البيت شيئاً لا أقاتلهم أبداً ؛ قال : ونشب القتال .

٣٢٨/٢

قال أبو مخنف : وحدّثني يوسف بن يزيد ، عن عفيف بن زهير بن أبى الأخنس — وكان قد شهد مقتلَ الحسين — قال : وخرج يزيد بن معقل من بنى عَميرة بن ربيعة وهو حليف لبنى سَليمة من عبد القيس ، فقال : يا بُرَير ابن حُضَير ، كيف ترى الله صَنَعَ بك ! قال : صنع اللهُ واللهِ بى خيراً ،

وصنع الله بك شرًّا ؛ قال : كذبتَ ، وقبل اليوم ما كنت كذّابًا ، هل تذكر وأنا أماشيك فى بنى لوذان وأنت تقول : إنّ عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفًا ، وإنّ معاوية بن أبى سُفْيان ضالّ مُضلّ ، وإن إمام الهدى والحقّ علىّ بن أبى طالب ؟ فقال له برير: أشهد أنّ هذا رأيى وقولى ؛ فقال له يزيد بن معقل: فإنّى أشهد أنك من الضالين ؛ فقال له بُرَيْر بن حُضَيْر : هل لك فلأُ باهِلْك(١) ، ولندْعُ اللهَ أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل ، ثمّ اخرجْ فلأُبارزك ؛ قال : فخرجا فرفعا أيديَهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب ، وأن يقتل المُحقُّ المبطلَ ؛ ثم برز كلّ واحدمنهما لصاحبه ، فاختلفا ضربتين ، فضَرب يزيدُ بن معقل بُرَيْر بنَ حُضير ضربةً خفيفة لم تضرّه شيئًا ، وضربه برير بن حُضير ضربةً قدّت المغفَر ، وبلغت الدّماغَ ، فخرّ كأنما هَوَى من حالق، وإن سيف ابنَ حُضَيْر لثابت فى رأسه ، فكأنى أنظر إليه يُنضْنضه(٢) من رأسه، وحمل عليه رضىّ بن مُنقذ العبدىّ فاعتنق بُرَيرًا ، فاعتركا ساعةً . ثمّ إنّ بُريرًا قعد على صدره فقال رضىّ : أين أهل المِصاع(٣) والدفاع ؟ قال : فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدىّ ليحمل عليه، فقلت : إنّ هذا بُرَيْر بن حُضَير القارئ الذى كان يقرئنا القرآن فى المسجد ؛ فحمل عليه بالرّمح حتى وضعه فى ظهره ، فلمّا وجد مسّ الرّمح برك عليه فعضّ بوجهه ، وقطع طرف أنفه ، فطعنه كعب ابن جابر حتى ألقاه عنه ، وقد غيّب السنانَ فى ظهره ، ثمّ أقبل عليه يضربه بسيفه حتى قتله ؛ قال عفيف : كأنى أنظر إلى العبدىّ الصريع قام ينفُض الترابَ عن قَبائه ،ويقول : أنعمت علىّ يا أخا الأزد نعمةً لن أنساها أبداً ؛ قال : فقلت : أنت رأيت هذا ؟ قال : نعم ، رأىَ عينى وسمْعَ أذنى .

٣٣٩/٢

فلمّا رجع كعب بن جابر قالت له امرأته،أو أخته النّوار بنت جابر :

٣٤٠/٢

(١) باهل القوم بعضهم بعضاً وتباهلوا وابتهلوا : تلاعنوا ، والمباهلة : الملاعنة ؛ ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا فى شىء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .

(٢) ينضنضه ؛ أى يحركه .

(٣) المصاع : المجالدة .

أعنتَ على ابن فاطمةَ ، وقتلتَ سيِّد القُرَّاء؛ لقد أتيتَ عظيمًا من الأمر ، والله لا أكلِّمك من رأسي كلمةً أبداً .

وقال كعب بن جابر :

سَلِي تُخبَرى عنّى وأنتِ ذميمةٌ   غَداةَ حُسينٍ والرِّماحُ شوارعُ
أَلم آتِ أقصى ما كرهتِ ولَم يُخِلْ   علىَّ غداةَ الرَّوْع ما أنا صانعُ
معِي يَزَنىٌّ لم تَخُنْه كعوبُهُ   وأبْيضُ مخشوبُ الغِرَارين قاطع (١)
فجرَّدْتُه فى عُصبةٍ ليس دينُهمْ   بدينى وإنِّى بابنِ حربٍ لقانعُ
ولم تَر عينِى مِثلهم فى زمانِهمْ   ولا قبلَهم فى الناس إذ أنا يافعُ
أَشدَّ قِراعاً بالسيوفِ لدى الوَغَى   ألا كلُّ منْ يحمِي الذِّمارَ مُقارعُ
وقد صبرُوا للطعنِ والضربِ حُسَّرًا   وقد نازلوا لو أنَّ ذلك نافعُ
فأبلغْ عبيد اللهِ إمّا لقِيتَه   بأنِّى مُطيعٌ للخليفةِ سامعُ
قَتلتُ بُريرًا ثم حَمَّلتُ نِعمةً   أبا مُنقذٍ لمَّا دعا : مَن يُماصعُ؟

قال أبو مخنف : حدثنى عبد الرحمن بن جُندَب ، قال : سمعتُه فى إمارة مُصعَب بن الزُّبير ؛ وهو يقول : ياربِّ إنا قد وَفيْنا ، فلاتجعلنا ياربِّ كمن قد غدر ؛ فقال له أبى : صدق ، ولقد وَفَى وكَرُم ، وكَسبتَ لنفسك شرًّا ؛ قال : كلا ، إنِّى لم أكسب لنفسى شرًّا ، ولكنِّى كسبتُ لها خيراً .

قال : وزعموا أن رضىَّ بن منقذ العبدىّ ردَّ بعدُ على كعب بن جابر جوابَ قوله ، فقال :

لو شاءَ ربّى ما شهدتُ قِتَالَهُمْ   ولا جعَل النَّعْماءَ عندى ابْنُ جابر
لقد كانَ ذاك اليومُ عارًا وسُبَّةً   يُعيِّرُهُ الأَبناءُ بعد المعاشرِ
فياليتَ أنى كنتُ مِن قبلِ قتلِهِ   ويوم حُسينٍ كنت فى رَمْسِ قابرِ

(١) اليزنى : الرمح ؛ وسميت الرماح يزنيّة ؛ لأن أول من عملت له ذو يزن . وسيف مخشوب ، أى شحيذ . وغرارا السيف : حدّاه .

٢/٣٤١ قال : وخرج عَمرو بن قَرَظَة الأنصاريّ يقاتل دون حسين وهو يقول(١) :

قد علمَتْ كتيبةُ الأَنصار أَنّى سَأَحْمِى حوْزَةَ الذِّمارِ
ضَرْبَ غُلامٍ غيرِ نِكْسٍ شارِى دون حسينٍ مُهجتى ودارِى (٢)

قال أبو مخنف : عن ثابت بن هبيرة ، فقتل عَمرو بن قَرَظة بن كعب ، وكان مع الحسين ، وكان علىّ أخوه مع عمر بن سعد ، فنادى علىُّ بنُ قريظة : يا حسينُ ، يا كذّاب ابن الكذّاب ، أضللتَ أخى وغررتَه حتى قتلتَه . قال : إنّ الله لم يضلّ أخاك ، ولكنه هدَى أخاك وأضلّك ؛ قال : قتَلنى اللهُ إن لم أقتلك أو أموتَ دونك ؛ فحمَل عليه ، فاعترضه نافع بن هلال المرادىّ ، فطعنه فصرعه ، فحمله أصحابُه فاستنقذوه ، فدُووِى بعدُ فبَرأ .

قال أبو مخنف : حدّثنى النّضر بن صالح أبو زهير العبسىّ أنّ الحرّ بن يزيدَ لما لحق بحسين قال رجل من بنى تميم من بنى شقِرة وهم بنو الحارث بن تميم ، يقال له يزيد بن سُفيان : أما والله لو أنى رأيتُ الحُرّ بنَ يزيدَ حين خرج لأتبعته السِّنان ؛ قال : فبينا الناس يتجاولون ويقتتلون والحرّ بن يزيدَ يَحمل على القوم مقدمًا ويتمثّل قولَ عنْترة :

ما زِلتُ أَرْميهِمْ بثُغْرَةِ نَحْرِهِ وَلَبانِهِ حتَّى تَسَربَلَ بالدَّمِ (٣)

قال : وإنّ فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبه ، وإن دماءه لتَسيل ، فقال الحصين بن تميم — وكان على شُرطة عبيد الله ، فبعثه إلى الحسين ، وكان مع عمر بن سعد ، فولّاه عمر مع الشرطة المجفّفة(٤) — ليزيدَ بن سُفْيان : هذا الحرّ بن يزيد الذى كنت تتمنّى ؛ قال : نعم فخرج إليه فقال له : هل لك ٢/٣٤٢ ياحرّ بن يزيد فى المبارزة ؟ قال : نعم قد شئتُ ، فبرز له ؛ قال : فأنا سمعتُ الحصين بن تميم يقول : واللهِ لأبرز له ؛ فكأنما كانت نفسُه فى يده ،

---

(١) ف : « يرتجز » . (٢) ف : « جنتى ودارى » .
(٣) من المعلقة ٢٠٤ — بشرح التبريزى . واللبان : الصدر .
(٤) المجففة : اللابسة التجفاف ، بكسر التاء ؛ اسم آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه فى الحرب .

فما لبّثه الحُرّ حين خرج إليه أن قتَله .

قال هشام بن محمّد ، عن أبي مخنف ،قال : حدّثني يحيي بن هانئ بن عروة ، أنّ نافع بنَ هلال كان يقاتل يوَمئذ وهو يقول : « أنا الجَمَلِي ، أنا عَلَى دينِ عَلِي» .

قال : فخرج إليه رجل يقال له مُزاحم بن حُرَيث، فقال : أنا على دين عثمان ، فقال له : أنت على دين شيطان، ثمّ حمل عليه فقتله، فصاح عمرو ابن الحجّاج بالناس: يا حَمقى، أتدرون مَنْ تقاتلون! فرسانَ المِصْر، قوماً مستميتين، لا يبرزنّ لهم منكم أحد ، فإنهم قليل ، وقلّما يبقون ، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم ؛ فقال عمر بن سعد : صدقت ، الرأىُ ما رأيتَ، وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألّا يبارز رجلٌ منكم رجلاً منهم .

قال أبو مخنف : حدّثني الحسين بن عقبة المرادىّ ، قال : الزّبيدى : إنه سمع عمرو بن الحجّاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول : يا أهلَ الكوفة، الزَموا طاعتكم وجماعتكم ،ولا ترتابوا فى قتل من مَرَق من الدّين ، وخالَفَ الإمام، فقال له الحسين: ياعَمرو بن الحجّاج، أعلىّ تحرّض الناس؟ أنحن مَرَقنا وأنتم ثبتُّم عليه ؟ أما والله لتعلمنّ لو قد قبضتْ أرواحكم،ومتُّم على أعمالكم ، أيّنا مَرَق من الدّين ، ومَن هو أولى بصِلِيّ النار ! قال : ثمّ إنّ عَمرو بن الحجاج حمل على الحسين فى ميمنة عمر بن سعد من نحو الفُرات، فاضطربوا ساعةً ؛ فصرِع مسلم بن عَوْسجة الأسدىّ أول أصحاب الحسين ، ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه، وارتفعت الغَبَرَة، فإذا هم به صريع ، فمشى إليه الحسين فإذا به رَمَقٌ، فقال : رحمك ربُّك يا مسلم بن عوسجة ، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1] . ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال : عزّ علىّ مصرعُك يا مسلم ، أبشر بالجنة ، فقال له مسلم قولاً ضعيفاً : بشّرك الله بخير ! فقال له حبيب : لولا أنى

٣٤٣/٢

(١) سورة الأحزاب: ٢٣ .

أعلم أنّى فى أثرك لاحقٌ بك من ساعتى هذه لأحببتُ أن توصينى بكلّ ماأهمّك حتى أحفَظَك فى كلّ ذلك بما أنت أهلٌ له فى القرابة والدّين ؛ قال : بل أنا أوصيك بهذارحمك الله — وأهوَى بيَدِه إلى الحسين — أن تموت دونه ، قال : أفعل وربِّ الكعبة ؛ قال : فما كان بأسرع من أن مات فى أيديهم ، وصاحت جاريةٌ له فقالت : يا بن عوسجتاهْ ! يا سيّداهْ ! فتنادَى أصحاب عمرو بن الحجاج : قتلْنا مسلمَ بنَ عوسجة الأسدىّ ؛ فقال شبَثٌ لبعض مَن حوله من أصحابه : ثكِلتْكم أمهاتكم ! إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم ، وتذللون أنفسكم لغيركم ، تفرحون أن يُقتَل مثل مسلم بن عوسجة ! أما والذى أسلمت له لرُبَّ موقف له قد رأيته فى المسلمين كريم ! لقد رأيته يوم سلَق آذربيجان قتَل ستّةً من المشركين قبل تتامّ خيول المسلمين ، أفيُقتل منكم مثله وتفرحون !

٢/٣٤٤ قال : وكان الذى قتل مسلمَ بن عوْسجة مسلمُ بن عبد الله الضِّبَابىّ وعبد الرحمن بن أبى خُشْكارة البَجَلىّ . قال : وحمل شَمِر بن ذى الجَوْشن فى الميسرة على أهل الميسرة فثبتوا له ، فطاعَنوه وأصحابه ، وحَمَل على حسين وأصحابه من كلّ جانب ، فقُتل الكلبىّ وقد قَتَل رجلين بعد الرّجلين الأوّلَين ، وقاتل قتالا شديداً ، فحمل عليه هانئ بن ثُبَيْت الحضرمىّ وبُكير ابن حىّ التَّيمىّ من تيم الله بن ثعلبة ، فقتَلاه ، وكان القتيلَ الثانى من أصحاب الحسين ، وقاتلهم أصحابُ الحسين قتالا شديداً ، وأخذتْ خيلُهم تحمل وإنما هم اثنان وثلاثون فارساً ، وأخذتْ لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفتْه ، فلما رأى ذلك عزْرَة بن قيس — وهو على خيل أهل الكوفة — أنّ خيله تنكشف من كلّ جانب ، بعث إلى عمر بن سعد عبدَ الرحمن ابن حصن ، فقال : أما ترى ما تلقى خيلى مذ اليوم من هذه العِدّة اليسيرة ! ابعث إليهم الرّجال والرّماةَ ؛ فقال لشبَث بن رِبْعىّ : ألا تقدم إليهم ! فقال : سبحان الله ! أتعمِد إلى شيخ مُضَر وأهلِ المصر عامة تبعثه فى الرّماة ! لم تجد مَنْ تندب لهذا ويجزئ عنك غيرى ! قال : وما زالوا يرون من شبَث الكراهةَ لقتاله . قال : وقال أبو زهير العبسىّ : فأنا سمعتُه فى إمارة مصعب

يقول : لا يعطى الله أهلَ هذا المِصر خيراً أبداً ، ولا يسدّدهم لرُشْد ، ألا تَعجَبون أنّا قاتلْنا مع علىّ بن أبى طالب ومع ابنه من بعده آلَ أبى سُفْيان خمسَ سنين ، ثم عدَوْنا على ابنه وهو خيرُ أهل الأرض نقاتلُه مع آل معاوية وابن سميّة الزانية ! ضلال يا لك من ضلال ! ٢/٣٤٥

قال : ودعا عمر بن سعد الحصينَ بن تميم فبعث معه المجفّفة وخمسمائة من المرامية ، فأقبلوا حتى إذا دنَوْا من الحسين وأصحابه رشَقُوهم بالنَّبل، فلم يَلبَثوا أن عقروا خيولهم ، وصاروا رَجَّالةً كلُّهم .

قال أبو مخنف : حدّثنى نُمير بن وَعْلة أن أيّوب بن مِشْرَح الخيْوانىّ كان يقول : أنا والله عقرتُ بالحُرّ بن يزيدَ فرسَه، حشأتُه[1] سهمًا ، فما لبث أن أرعِد الفرس واضطرب وكبا ، فوثّب عنه الحرّ كأنه ليث والسيف فى يده وهو يقول :

إن تَعْقِرُوا بى فأنا ابنُ الحُرِّ أَشْجَعُ مِن ذى لِبَدٍ هزَبْرِ

قال : فما رأيت أحداً قطّ يفرى فرْيَه؛ قال : فقال له أشياخٌ من الحىّ : أنت قتلتَه ؟ قال : لا والله ما أنا قتلتُه ، ولكنْ قتلَه غيرى ، وما أحبّ أنى قتلتُه ، فقال له أبو الودّاك : ولِمَ ؟ قال : إنه كان زعموا من الصّالحين ، فوالله لئن كان ذلك إثمًا لأنْ ألقَى الله بإثم الجراحة والموقف أحبّ إلىّ من أن ألقاه بإثم قتل أحد منهم ؛ فقال له أبو الودّاك : ما أراك إلا ستلقَى الله بإثم قتلِهم أجمعين ؛ أرأيتَ لو أنك رميتَ ذا فعقرت ذا ، ورميتَ آخرَ ، ووقفتَ موقفًا ، وكررتَ عليهم ، وحرّضتَ أصحابك ، وكثّرت أصحابك ، وحُمل عليك فكرهت أن تفرّ ، وفعل آخر من أصحابك كفعلك ، وآخر وآخر ، كان هذا وأصحابه يقتلون ! أنتم شركاءُ كلكم فى دمائهم ؛ فقال له : يا أبا الودّاك ، إنك لتقنِّطنا من رحمة الله ، إن كنتَ ولىّ حسابنا يوم القيامة فلا غفَر الله لكَ إنْ غفرتَ لنا ! قال : هو ما أقول لك ؛ قال : وقاتلوهم حتى انتصف ٢/٣٤٦

(١) حشأه بالسهم ، أى رماه فأصاب به جوفه .

النهار أشدّ قتال خلقه الله ، وأخذوا لا يقدرون على أن يأتوهم إلّا من وجه واحد لاجتماع أبنيتهم وتقارُبِ بعضِها من بعض .

قال : فلما رأى ذلك عمر بن سعد أرسل رجالاً يقوّضونها عن أيمانهم وعن شمائلهم ليحيطوا بهم ؛ قال : فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخلّلون البيوت فيشدّون على الرجل وهو يقوّض وينتهب فيقتلونه ويرمونه من قريب ويعقرونه ، فأمر بها عمر بن سعد عند ذلك فقال : أحرقوها بالنار ، ولا تدخلوا بيتاً ولا تقوّضوه ، فجاءوا بالنار ، فأخذوا يحرّقون ، فقال حسين : دعوهم فليحرقوها ، فإنهم لو قد حرّقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها ، وكان ذلك كذلك ، وأخذوا لا يقاتلونهم إلّا من وجه واحد . قال : وخرجت امرأة الكلبيّ تمشى إلى زوجها حتى جلستْ عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول : هنيئاً لك الجنّة ! فقال شمِر بن ذى الجوْشَن لغلام يسمّى رُستم : اضرِب رأسَها بالعمود ؛ فضرب رأسَها فشدَخه ، فماتت مكانَها ؛ قال : وحمَل شَمِر بن ذى الجوشن حتى طعن[1] فسطاط الحسين برمحه ، ونادى : علىّ بالنار حتى أحرّقَ هذا البيت على أهله ؛ قال : فصاح النساء وخرجن من الفسطاط ؛ قال : وصاح به الحسين : يابن ذى الجوشَن ، أنت تدعو بالنار لتحرّق بيتى على أهلى ، حرّقك الله بالنار !

٢/٣٤٧ قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حُميد بن مسلم ، قال : قلت لشَمر بن ذى الجوشن : سبحان الله ! إنّ هذا لا يصلح لك ، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين . تعذّب بعذاب الله ، وتقتل الولدان والنساء! والله إنّ فى قتلك الرجال لما ترضى به أميرك ؛ قال : فقال : من أنت ؟ قال : قلت : لا أخبرك من أنا ، قال : وخشيتُ والله أن لو عرفنى أن يضرّنى عند السلطان ؛ قال : فجاءه رجل كان أطوَعَ له منى ؛ شَبَث بن رِبْعىّ ، فقال : ما رأيتُ مقالا أسوأ من قولك ، ولا موقفاً أقبحَ من موقفك ، أمُرعِباً للنساء صرتَ ! قال : فأشهد أنه استحيا ، فذهب لينصرف . وحمَل عليه زهيرُ ابن القيْن فى رجال من أصحابه عشرة ، فشدّ على شمِر بن ذى الجوْشن

(١) ابن الأثير « بلغ » .

وأصحابه ، فكَشَفهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها ، فصرَعوا أبا عزّة الضِّبَابىّ فقتلوه ، فكان من أصحاب شَمِر ، وتعطّف الناس عليهم فكثروهم ، فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل ، فإذا قتِل منهم الرّجل والرّجلان تبيّن فيهم ، وأولئك كثير لا يتبيّن فيهم ما يقتَل منهم ؛ قال : فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدىّ قال للحسين : يا أبا عبد الله ؛ نفسى لك الفِداء ! إنى أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ، ولا والله لا تُقتَل حتى أُقتلَ دونك إن شاء الله ، وأحبّ أن ألقى ربى وقد صلّيتُ هذه الصلاة التى دنا وقتُها ؛ قال : فرفع الحسينُ رأسَه ثم قال : ذكرتَ الصلاة ، جعلك الله من المصلّين الذاكرين ! نعم ، هذا أوّل وقتها ؛ ثم قال : سلوهم أن يكفّوا عنا حتى نصلّى ؛ فقال لهم الحصين بن تميم : إنها لا تُقبَل ؛ فقال له حبيب بن مظاهر : لا تُقبَل زعمتَ ! الصلاة من آل رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لا تُقبلَ وتُقبَل منك يا حمار ! قال : فحمل عليهم حصين بن تميم ، وخرج إليه حبيب بن مظاهر ، فضرب وجه فرسه بالسيف ، فشبّ ووقع عنه ، وحمَله أصحابُه فاستنقذوه ، وأخذ حبيب يقول : ٢ / ٣٤٨

أُقسِمُ لو كُنَّا لكم أَعْدادَا أَو شَطْرَكمْ ولَّيتمُ أَكتَادَا[1]

* يا شَرَّ قوم حَسَباً وَآدا[2] *

قال : وجعل يقول يومئذ :

أنا حبيب وأبِى مُظاهِرُ فارِسُ هيجاءَ وحرب تُسعَرُ

أَنتمْ أَعَدُّ عُدَّة وأَكثرُ ونحن أوفَى منكُمُ وأَصْبَرُ

ونحن أَعْلى حُجَّةً وأَظهرُ حقًّا وأتقَى منكمُ وأَعْذَرُ

وقاتل قتالاً شديداً ، فحمَل عليه رجلٌ من بنى تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله — وكان يقال له : بديل بن صُرَيْم من بنى عُقْفان — وحمَل

---

(١) أكتادا : جماعات . (٢) الآد : الأصل .

عليه آخرُ من بنى تميم فطعنه فوقع ، فذهب ليقوم ، فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف ، فوقع ، ونزل إليه التميميّ فاحتزّ رأسه ، فقال له الحصين : إنّى لشريكك فى قتله ، فقال الآخر : والله ما قتلَه غيرى ؛ فقال الحصين : أعطِنيه أعلّقْه فى عُنق فرسى كيْما يرى الناسُ ويَعلَموا أنى شركتُ فى قتله ؛ ثم خذه أنت بعدُ فامضِ به إلى عبيد الله بن زياد ، فلا حاجةَ لى فيما تعطاه على قتلك إياه . قال : فأبى عليه ، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا ، فدفع إليه رأسَ حبيب بن مظاهر ، فجال به فى العسكر قد علّقه فى عنق فرسه ، ثمّ دفعه بعد ذلك إليه ، فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخرُ رأسَ حبيب فعلقه فى لَبان[1] فرسه ، ثمّ أقبل به إلى ابن زياد فى القصر فبَصُر به ابنُه القاسم بن حبيب ، وهو يومئذ قد راهق ، فأقبل مع الفارس لا يفارقه ، كلّما دخل القصر دخل معه ، وإذا خرج خرج معه ، فارتاب به ، فقال : مالك يا بنىّ تتبعنى ! قال : لا شىء ، قال : بلى ، يابنىّ أخبرنى ، قال له : إنّ هذا الرأس الذى معك رأس أبى ، أفتعطينيه حتى أدفنَه ؟ قال : يا بنىّ ، لا يرضى الأميرُ أن يُدفَن ، وأنا أريد أن يثيبَنى الأميرُ على قتله ثوابًا حسنًا ؛ قال له الغلام : لكنّ الله لا يثيبك على ذلك إلا أسوأ الثواب ؛ أما والله لقد قتلتَ خيراً منك ، وبكى . فمكث الغلامُ حتى إذا أدرك لم يكن له همّةٌ إلا اتّباعُ أثر قاتل أبيه ليجد منه غِرّةً فيقتلَه بأبيه ، فلما كان زمان مُصعَب بن الزبير وغزا مصعب باجُمَيْرا دخل عسكرَ مصعب فإذا قاتِلُ أبيه فى فسطاطه ، فأقبل يختلف فى طلبه والتماس غِرّته ، فدخل عليه وهو قائلٌ نصفَ النهار فضربه بسيفه حتى برد .

٢/٣٤٩

قال أبو مخنف : حدّثنى محمد بن قيس ، قال : لما قُتِل حبيب بن مظاهر هدّ ذلك حسينًا وقال عند ذلك : أحتَسِب نفسى وحُماةَ أصحابى ، قال : فأخذ الحُرّ يرتجز ويقول :

آليتُ لا أُقتلُ حتّى أَقتُلاَ ... ولنْ أُصابَ اليومَ إلاَّ مُقبلاَ

(١) لبان الفرس : صدره .

٣٥٠/٢ أَضْرِبُهُمْ بالسيفِ ضَرْبًا مِقْصَلاَ لا ناكِلاً عَنْهمْ وَلا مهَلّلاَ[1]

وأخذ يقول أيضًا :

أَضرِبُ فى أَعراضِهِمْ بالسيفْ عن خيرِ مَنْ حَلّ مِنًى والخَيْفْ

فقاتل هو وزهير بن القَيْن قتالا شديداً ، فكان إذا شدّ أحدُهما ؛ فإن استُلحِمَ[2] شدّ الآخر حتى يخلّصه، ففعلا ذلك ساعة . ثمّ إنّ رجّالة شدّت على الحرّ بن يزيد فقتل ، وقتل أبو ثمامة الصائدىّ ابنَ عمٍّ له كان عدوًّا له ، ثم صلّوا الظهر ، صلى بهم الحسين صلاةَ الخوف ، ثمّ اقتتلوا بعد الظهر فاشتدّ قتالهم ، ووُصِل إلى الحسين ، فاستقدم الحنفىّ أمامَه ، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل يمينًا وشمالاً قائمًا بين يديه ، فما زال يُرمى حتى سقط . وقاتل زهير بن القَيْن قتالاً شديداً ، وأخذ يقول :

أَنا زُهيرٌ وأَنا ابْنُ القَيْنِ أَذُودُهمْ بالسيفِ عن حسين

قال : وأخذ يَضرِب على مَنكِب حسين ويقول :

أَقدِمْ هُدِيتَ هادِياً مَهدِيًّا فاليومَ تَلقَى جَدَّكَ النَّبِيًّا

وحَسناً والمرتضَى عليًّا وذَا الجناحَيْنِ الفَتَى الكَميًّا

* وأَسدَ اللهِ الشهيدَ الحيًّا *

قال : فشدّ عليه كثيرُ بن عبد الله الشعبىّ ومهاجرُ بن أوْس فقتَلاه ، قال : وكان نافع بن هلال الجملىّ قد كتب اسمَه على أفواق نَبْله ، فجعل يرمى بها مسوّمةً وهو يقول: «أَنا الجمَلى ،أَنَا على دِينِ عَلِي » .

٣٥١/٢ فقَتل اثنى عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى مَنْ جرح ؛ قال : فضرِب حتى كُسرت عضداه وأخذ أسيراً ؛ قال : فأخذه شَمِر بن ذى الجوشن

(١) س : « مغللا » .
(٢) استلحم : روهق فى القتال .

ومعه أصحاب له يسوقون نافعًا حتى أُتِيَ به عمر بن سعد ، فقال له عمر بن سعد : وَيْحك يا نافع! ما حَمَلك على ما صنعتَ بنفسك ! قال : إنّ ربى يعلم ما أردتُ ؛ قال : والدماء تسيل على لحيته وهو يقول : والله لقد قتلتُ منكم اثنى عشر سوى مَن جرحتُ ، وما ألوم نفسى على الجهد ، ولو بقيَتْ لى عضد وساعدٌ ما أسرتمونى ؛ فقال له شمِر : اُقتُله أصلحك الله ! قال : أنت جئتَ به ، فإن شئتَ فاقتله ، قال : فانتضَى شمر سيفَه ، فقال له نافع : أما والله أنْ لو كنت من المسلمين لَعظُم عليك أن تلقى اللهَ بدمائنا ، فالحمد لله الذى جعل منايانا على يدىْ شِرارِ خلقه ؛ فقتله .

قال : ثمّ أقبل شمِر يحمل عليهم وهو يقول :

خَلُّوا عُداةَ اللهِ خلّوا عن شَمِرْ ... يَضرِبُهُمْ بسيفه وَلَا يَفِرّْ

* وهو لكم صابٌ وسَمٌّ ومَقِرْ[1] *

قال : فلما رأى أصحابُ الحسين أنهم قد كثُروا ، وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا حسينًا ولا أنفسَهم ، تنافسوا فى أن يُقتَلوا بين يديه ، فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عَزْرة الغفاريّان ، فقالا : يا أبا عبد الله ، عليك السلام ، حازَنَا العدوّ إليك ، فأحببْنا أن نُقتَل بين يديْك ، نمنعك وندفع عنك ، قال : مرحبًا بكما ! ادنُوَا منّى ، فدنَوَا منه ، فجعلايقاتلان قريبًا منه ، وأحدهما يقول :

قد علِمتْ حقًّا بنو غِفَارِ ... وَخِنْدِفٌ بعد بنى نزارِ

لَنَضْرِبَنّ معْشَرَ الفُجّارِ ... بكلّ عَضْبٍ صارمٍ بَتّارِ

ياقوم ذُودُوا عن بنى الأَحرارِ ... بالمَشْرَفىّ وَالقَنَـا الخطّارِ

٣٥٢/٢

قال : وجاء الفتَيَان الجابريّان : سيف بن الحارث بن سُرَيْع ، ومالك ابن عبد بن سريع ، وهما ابنا عمّ ، وأخَوان لأمّ ، فأتياحسينًا فدنَوَا منه وهما

(١) المقر : المر ، قال أبو حنيفة : هو نبات ينبت ورقاً . فى غير أفنان .

يبكيان ، فقال : أىْ ابنَىْ أخى ، ما يُبكيكما ؟ فوالله إنّى لأرجو أن تكونا عن ساعة قريرىْ عين ، قالا : جعلنا الله فِداك ! لا والله ما على أنفسنا نبكى ، ولكنّا نبكى عليك ، نراك قد أحيط بك ، ولا نقدر على أن نمنعك ؛ فقال : جزاكما الله يا بنَىْ أخى بوَجْدكما من ذلك ومواساتكما إيّاى بأنفسكما أحسنَ جزاءِ المتقين ؛ قال : وجاء حنظلة بن أسعد الشّبامىّ فقام بين يدىْ حسين ، فأخذ ينادى: ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَاد * وَيَاقَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَاد ﴾(١) يا قوم تقتلوا حسيناً فيُسْحِتَكُمْ الله بعذاب ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾(٢) فقال له حسين : يابن أسعد ، رحمك الله ، إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتَهم إليه من الحقّ ، ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابَك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانَك الصالحين ! قال : صدقت ، جعلت فداك ! أنت أفقه منّى وأحقّ بذلك ، أفلا نروح(٣) إلى الآخرة ونلحق بإخواننا ؟ فقال : رُحْ إلى خيرٍ من الدنيا وما فيها ، وإلى مُلْكٍ لا يَبْلى ، فقال : السلام عليك أبا عبد الله ، صلى الله عليك وعلى أهل بيتك ، وعرّف بيننا وبينك فى جنّته ، فقال : آمين آمين ؛ فاستقدم فقاتل حتّى قُتل .

٣٥٣/٢

قال : ثمّ استقدم الفتَيان الجابريّان يلتفتان إلى حسين ويقولان : السّلام عليك يابنَ رسول الله ، فقال : وعليكما السلام ورحمة الله ؛ فقاتَلاَ حتّى قُتلا ؛ قال: وجاء عابس بن أبى شَبيب الشاكرىّ ومعه شوْذَب مولَى شاكر ، فقال : ياشَوْذب ، ما فى نفسك أن تصنع ؟ قال : ما أصنع ! أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتّى أقتل ؛ قال : ذلك الظنّ بك ، أمّا لَا فتقدّمْ بين يدىْ أبى عبد الله حتّى يحتسبك كما احتسَب غيرَك من أصحابه ، وحتّى أحتسِبك أنا ، فإنه لو كان معى الساعة أحدٌ أنا أوْلَى

---

(١) سورة غافر: ٣٠ – ٣٣ . (٢) سورة طه: ٦١. (٣) ف : « تروح » .

به منّى بك لسرّنى أن يتقدّم بين يدىّ حتى أحتسبه، فإنّ هذا يوم ينبغى لنا أن نطلب الأجرَ فيه بكلّ ما قدَرْنا عليه ، فإنه لا عملَ بعد اليوم ، وإنما هو الحساب ؛ قال : فتقدّم فسلّم على الحسين ، ثم مضى فقاتل حتى قُتل . ثم قال عابس بن أبى شبيب : يا أبا عبد الله ، أما والله ما أمسَى على ظهر الأرض قريبٌ ولا بعيدٌ أعزّ علىّ ولا أحبّ إلىّ منك ؛ ولو قدرتُ على أن أدفع عنك الضّيمَ والقتلَ بشىء أعزّ علىّ من نفسى ودمى لفعلتُه ؛ السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهدُ اللهَ أنى على هَدْيك وهدْيِ أبيك ؛ ثم مشى بالسيف مصلتاً نحوَهم وبه ضربة على جبينه . ٢/٣٥٤

قال أبو مخنف : حدّثنى نُمير بن وَعْلة ، عن رجل من بنى عبد من هَمْدان يقال له ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم ، قال : لما رأيتُه مُقبلا عرفتُه وقد شاهدتُه فى المَغازِى ، وكان أشجعَ الناس، فقلت : أيُّها الناس ، هذا الأسد الأسوَد، هذا ابن أبى شبيب ؛ لا يخرجنّ إليه أحد منكم ، فأخذ ينادى: ألا رجلٌ لرجل ! فقال عمر بن سعد : ارضَخُوه بالحجارة ؛ قال : فرُمِىَ بالحجارة من كلّ جانب، فلما رأى ذلك ألقَى دِرْعه ومِغفرَه ،ثمّ شدّ على الناس، فوالله لرأيتُه يكرُد(١) أكثرَ مِن مائتين من الناس؛ ثم إنهم تعطّفوا عليه من كلّ جانب ، فقتِل ؛ قال : فرأيت رأسَه فى أيدى رجال ذوى عُدّة؛ هذا يقول : أنا قتلته ، وهذا يقول : أنا قتلته ، فأتَوا عمرَ بن سعد فقال : لا تختصموا ، هذا لم يقتلْه سِنان واحد ، ففرّق بينهم بهذا القول .

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الله بن عاصم ، عن الضحّاك بن عبد الله المِشرقىّ ، قال : لما رأيتُ أصحاب الحسين قد أصيبوا ، وقد خُلِص إليه وإلى أهل بيته ، ولم يبق معه غيرُ سُوَيد بن عمرو بن أبى المطاع الخثْعَمىّ وبُشَير ابن عمرو الحضرمىّ ، قلت له : يابن رسول الله ، قد علمتَ ما كان بينى وبينك ؛ قلتُ لك : أقاتل عنك ما رأيتُ مقاتلا ، فإذا لم أر مقاتلاً فأنا فى حِلّ من الانصراف ؛ فقلتَ لى : نعم ؛ قال: فقال : صدقتَ ، وكيف لك

(١) الكرد : الطرد .

بالنَّجاء ! إنْ قدَرتَ على ذلك فأنتَ فى حلٍّ ؛ قال : فأقبلتُ إلى فرسى وقد كنت حيث رأيت خيلَ أصحابنا تُعقَر ، أقبلتُ بها حتى أدخلتها فسطاطًا لأصحابنا بين البيوت ، وأقبلتُ أقاتل معهم راجلاً ، فقتَلت يومئذ بين يدَى الحسين رجليْن ، وقطعت يدَ آخر ، وقال لى الحسين يومئذ مراراً : لا تُشلل ، لا يقطع الله يَدَك ، جزاك الله خيراً عن أهل بيتِ نبيِّك صلى الله عليه وسلم! فلما أذن لى استخرجتُ الفرس من الفسطاط ، ثم استويْتُ على متْنها ، ثم ضربتُها حتى إذا قامت على السنابك رميتُ بها عُرْضَ القوم ، فأفرجوا لى ، واتبعنى منهم خمسة عشر رجلاً حتى انتهيتُ إلى شُفَيَّة ؛ قرية قريبة من شاطئ الفُرات ، فلما لحقونى عطفتُ عليهم ، فعرَفَنى كثير بن عبد الله الشعبىّ وأيوب بن مِشْرَح الخَيْوانىّ وقيس بن عبد الله الصائدىّ ، فقالوا : هذا الضحّاك بن عبد الله المِشرقىّ ، هذا ابنُ عمِّنا ، نَنشُدكم اللهَ لما كففتم عنه! فقال ثلاثة نفر من بنى تميم كانوا معهم : بلى والله لنجيبنّ إخوانَنا وأهلَ دعوتنا إلى ما أحبُّوا من الكفّ عن صاحبهم ؛ قال : فلما تابع التميميُّون أصحابى كفّ الآخَرون ؛ قال : فنجّانى الله . ٣٥٥/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى فُضَيل بن خُديج الكندى أنّ يزيد بن زياد ؛ وهو أبو الشعثاء الكندىّ من بنى بَهْدَلة جثَا على ركبتيه بين يدى الحسين ، فرَمىَ بمائة سهم ماسقط منها خمسة أسهم ، وكان رامياً ، فكان كلّما رَمَى قال : أنا ابن بهدلهْ ، فُرْسانِ العَرْجلهْ ؛ ويقول حسين : اللهمّ سدّدْ رميتَه ، واجعلْ ثوابَه الجنّةَ ؛ فلما رمى بها قام فقال : ما سقط منها إلا خمسة أسهم ، ولقد تبيَّن لى أنى قد قتلتُ خمسة نفر ، وكان فى أوّل من قُتل ، وكان رجزُه يومئذ : ٣٥٦/٢

أنا يزيدُ وأبى مُهاصِرْ أَشجعُ من ليثٍ بِغيلٍ خادرْ[1]
يارِبّ إنّى للحسيْن ناصِرْ ولابن سعدٍ تاركٌ وهاجرْ

وكان يزيد بن زياد بن المهاصر ممّن خرج مع عُمر بن سعد إلى الحسين ،

---

(١) الغيل بالكسر : الشجر الكثير الملتفّ .

فلما ردّوا الشُّروط على الحسين مال إليه فقاتل معه حتى قُتل ، فأمّا الصيداوىّ عمر بن خالد ، وجابر بن الحارث السلمانىّ ، وسعد مولى عمر بن خالد ، ومجمِّع بن عبد الله العائذىّ ، فإنهم قاتلوا فى أوّل القتال، فشدّوا مُقْدِمين بأسيافهم على الناس ، فلما وغلوا عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم ، وقطعوهم من أصحابهم غير بعيد ، فحمل عليهم العباس بن علىّ فاستنقذهم ، فجاءوا قد جُرِّحوا ، فلما دنا منهم عدوّهم شدّوا بأسيافهم فقاتلوا فى أوّل الأمر حتى قُتِلوا فى مكان واحد .

قال أبو مخنف : حدّثنى زهير بن عبد الرحمن بن زهير الخثعمىّ، قال : كان آخر مَن بقى مع الحسين من أصحابه سُويد بن عَمرو بن أبى المطاع الخثعمىّ ، قال : وكان أوّل قتيل من بنى أبى طالب يومئذ علىٌّ الأكبر بن الحسين بن علىّ ، وأمه ليلى ابنة أبى مُرّة بن عُروة بن مسعود الثقفىّ، وذلك أنه أخذ يشدّ على الناس وهو يقول :

أنا عَلِىُّ بنُ حسينِ بن عَلِى نَحن وربِّ البيت أَولَى بالنَّبِى

* تاللهِ لا يَحْكُمُ فينا ابنُ الدَّعِى *

٢٥٧/٢ قال : ففعل ذلك مراراً ، فبَصر به مُرّة بن منقذ بن النعمان العبدىّ ثم الليثىّ، فقال : علىّ آثامُ العرب إنْ مَرّ بى يفعل مِثلَ ما كان يفعل إنْ لم أثكِله أباه ؛ فمرّ يشدّ على الناس بسيفه ، فاعترضه مرّة بن منقذ ، فطعنه فصُرِع ، واحتَوله الناس فقطّعوه بأسيافهم .

قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حميد بن مسلم الأزدىّ، قال : سماعُ أذنى يومئذ من الحسين يقول : قتل الله قوماً قتلوك يا بنىّ! ما أجرأهم على الرحمن ، وعلى انتهاك حرمة الرسول ! على الدنيا بعدَكَ العَفَاء. قال : وكأنى أنظر إلى امرأة خرجتْ مسرعةً كأنها الشمس الطالعة تنادى : يا أخيّاهْ !ويا بن أخيّاهْ ! قال: فسألتُ عليها ، فقيل : هذه زينب ابنة فاطمةَ ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءت حتى أكبّت عليه ، فجاءها

الحسين فأخذ بيَدها فردَّها إلى الفسطاط ، وأقبل الحسين إلى ابنه ، وأقبل فتيانه إليه ، فقال : احمِلوا أخاكم ، فحملوه مِنْ مَصرَعه حتى وضعوه بين يدَى الفسطاط الذى كانوا يقاتلون أمامه . قال : ثمّ إن عمرو بن صُبيح الصّدائىّ رَمىَ عبد الله بن مسلم بن عَقيل بسهم فوضع كفَّه على جبهته ، فأخذ لايستطيع أن يحرّك كفَّيه ، ثم انتحى له بسهم آخرَ ففلق قلبَه ، فاعتَوَرهم الناس من كلّ جانب ، فحمل عبد الله بن قطْبَة الطائىُّ ثمَ النَّبهانىّ على عون بن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب فَقَتله ، وحمل عامر بن نَهْشَلْ التيمىُّ على محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فقَتلَه ؛ قال : وشدّ عثمان بن خالد ابن أسَيْر الجُهنىّ ، وبشر بن سوط الهمْدانىّ ثمّ القابضىّ على عبد الرحمن ابن عقيل بن أبى طالب فقَتَلاه ، ورمى عبد الله بن عزرة الخثعمىّ جعفرَ ابن عَقيل بن أبى طالب فقَتَله . ٢/٣٥٨

قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حُميد بن مسلم ، قال : خرج إلينا غلام كأنّ وجهه شقّة قمر ، فى يده السيف ، عليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شِسْع أحدهما ، ما أنسَى أنها اليسرى ، فقال لى عمرو ابن سعد بن نُفَيل الأزدىّ : والله لأشدّنّ عليه ؛ فقلت له : سبحان الله ! وما تريد إلى ذلك ! يكفيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتولوهم ؛ قال : فقال : والله لأشدّنّ عليه ؛ فشدّ عليه فما ولى حتى ضرب رأسَه بالسيف ، فوقع الغلامُ لوجهه ، فقال : يا عمّاه ! قال : فجلّى الحسين كما يجلّى الصقر ، ثم شدّ شدّةَ ليث غُضُبٍ ، فضرب عمراً بالسيف ، فاتقاه بالساعد ، فأطنّها من لَدُن المِرفق ، فصاح ، ثمّ تنحّى عنه ، وحملتْ خيلٌ لأهل الكوفة ليستنقذوا عمرًا من حسين ، فاستقبلت عمرًا بصدورها ، فحرّكت حوافرَها وجالت الخيل بفُرسانها عليه ، فوطئَتْه حتى مات ، وانجلت الغبرة ، فإذا أنا بالحسين قائمٌ على رأس الغلام ، والغلام يَفحصُ برجليه ؛ وحسين يقولُ : بُعدًا لِقوم قتلوك ؛ ومن خَصمهم يوم القيامة فيك جَدُّك! ثم قال : عزّ واللهِ على عمِّك أن تدعوَه فلا يُجيبُك ، أو يجيبُك ثم لا ينفعك! صوتٌ واللهِ كَثُر واتِرُه ، وقلّ ناصِرُه . ثم احتمله فكأنى أنظر إلى رِجلَى الغلام يخطّان فى الأرض ، ٢/٣٥٩

وقد وضع حسين صدرَه على صدره ؛ قال : فقلتُ فى نفسى : ما يصنع به ! فجاء به حتى ألقاه مع ابنه علىّ بن الحسين وقَتلَى قد قُتلتْ حوْلَه من أهل بيته ، فسألتُ عن الغلام ، فقيل: هو القاسم بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب.

قال : ومكث الحسين طويلاً من النهار كلّما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه ، وكره أن يتولّى قتلَه وعظيم إثمه عليه ؛ قال : وإنّ رجلا من كِنْدة يقال له مالك بن النُّسير من بنى بَدّاء ، أتاه فضربَه على رأسه بالسيف ، وعليه بُرنُس له ، فقطع البرنس ، وأصاب السيف رأسَه ، فأدمى رأسَه ، فامتلأ البرنس دمًا ، فقال له الحسين : لا أكلت بها ولا شربتَ ، وحشرك الله مع الظالمين ! قال : فألقى ذلك البرنس ، ثمّ دعا بقَلَنْسُوَة فلبسها ، واعتمّ ، وقد أعيا وبلّد ، وجاء الكندىّ حتى أخذ البرنس — وكان من خزّ — فلما قدم به بعد ذلك على امرأته أمّ عبد الله ابنة الحرّ أخت حسين بن الحرّ البَدّىّ ، أقبل يَغسِل البرنسَ من الدم ، فقالت له امرأته : أسَلَبَ ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تدخِلُ بيتى ! أخرِجْه عنّى ؛ فذكر أصحابُه أنه لم يزل فقيراً بشرّ حتى مات . قال : ولما قعد الحسين أتى بصبىّ له فأجلَسَه فى حِجره زعموا أنه عبد الله بن الحسين .

٢/٣٦٠

قال أبو مخنف : قال عُقْبة بن بشير الأسدىّ : قال لى أبو جعفر محمد ابن علىّ بن الحسين : إنّ لنا فيكم يا بنى أسد دمًا ؛ قال : قلت : فما ذنبى أنا فى ذلك رحمك الله يا أبا جعفر ! وما ذلك ؟ قال: أتِىَ الحسين بصبىّ له ، فهو فى حِجْره ، إذ رماه أحدُكم يا بنى أسد بسهم فذَبَحه ، فتلقى الحسينُ دمه ، فلما ملأ كفَّيه صبّه فى الأرض ثم قال : ربِّ إنْ تك حبستَ عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير ، وانتقمْ لنا من هؤلاء الظالمين ؛ قال : ورمى عبدُ الله بن عقبة الغنوىّ أبا بكر بن الحسين بن علىّ بسهم فقتله ، فلذلك يقول الشاعر ؛ وهو ابن أبى عَقِب :

وعِندَ غَنِىٍّ قَطرةٌ مِن دِمائِنـــا ... وفى أسدٍ أخرى تعَدُّ وتُذْكرُ

قال : وزعموا أنّ العبّاس بن علىّ قال لإخوته من أمّه: عبد الله، وجعفر

وعثمان : يا بنِى أمّى ، تقدّموا حتى أرثكم ، فإنه لا ولدَ لكم ، ففعلوا ، فقتِلوا . وشدّ هانئ بن ثُبَيت الحضرمىّ على عبد الله بن علىّ بن أبى طالب فقتله ، ثمّ شدّ على جعفر بن علىّ فقتله وجاء برأسه ، ورمى خَولىُّ بن يزيد الأصبحىّ عثمانَ بن علىّ بن أبى طالب بسهم ، ثم شدّ عليه رجل من بنى أبان بن دارم فقتَله ، وجاءَ برأسه ، ورمى رجلٌ من بنى أبان بن دارم محمد بن علىّ بن أبى طالب فقتله وجاء برأسه.

قال هشام: حدّثنى أبو الهُذَيل — رجلٌ من السَّكون — عن هانئ بن ثبيت الحضرمىّ ، قال : رأيتُه جالسًا فى مجلس الحضرميّين فى زمان خالد بن عبد الله وهو شيخ كبير ؛ قال : فسمعتُه وهو يقول : كنت ممن شهد قتلَ الحسين ، قال : فوالله إنى لواقف عاشرَ عشرة ليس منّا رجل إلا على فرس ، وقد جالت الخيلُ وتصعصعتْ ، إذ خرج غلامٌ من آل الحسين وهو مُمسك بعُود من تلك الأبنية ، عليه إزار وقميص ، وهو مذعور ، يتلفّت يمينًا وشمالاً ، فكأنى أنظر إلى دُرّتين فى أذنيه تذبذبان كلما التفَتَ ، إذْ أقبل رجل يركض ، حتى إذا دنا منه مالَ عن فرسه ، ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف . ٢ / ٣٦١

قال هشام : قال السَّكونىّ : هانئ بن ثُبَيت هو صاحب الغلام ، فلما عُتب عليه كَنى عن نفسه .

قال هشام : حدّثنى عمرو بن شمر ، عن جابر الجُعْفىّ ، قال : عطش الحسين حتى اشتدّ عليه العطش ، فدنا ليشرب من الماء ، فرماه حصين بن تميم بسهم ، فوقع فى فمه ، فجعل يتلقّى الدمَ من فمه ، ويَرمِى به إلى السماء ، ثم حَمِد الله وأثنى عليه ، ثمّ جمع يديه فقال : اللهم أحصِهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تَذَرْ على الأرض منهم أحداً .

قال هشام ، عن أبيه محمد بن السائب ، عن القاسم بن الأصبغ بن نُباتة ، قال : حدّثنى من شهد الحسينَ فى عسكره أنّ حسينًا حين غُلِب على عسكره ركب المسنّاة يريد الفرات ، قال : فقال رجل من بنى أبان بن دارم : وَيْلكم! حُولوا بينه وبين الماء لا تتامّ إليه شيعته ؛ قال : وضرب

٢٦٢/٢ فرسه ، وأتبعه الناس حتى حالوا بينه وبين الفرات ، فقال الحسين : اللهمّ أظْمِه ، قال : وينتزع الأبانىّ بسهم ، فأثبتَه فى حنك الحسين ، قال : فانتزع الحسين السهمَ ، ثمّ بسط كفَّيه فامتلأتْ دماً ، ثم قال الحسين : اللهمّ إنى أشكو إليك ما يُفعل بابن بنتِ نبيِّك ؛ قال : فوالله إنْ مكث الرجل إلا يسيرًا حتى صبّ الله عليه الظمأ ، فجعل لا يَروَى .

قال القاسم بن الأصبغ : لقد رأيتُنى فيمن يروّح عنه والماء يبرَّد له فيه السكّر وعِساس فيها اللبن ، وقِلال فيها الماء ، وإنه ليقول : وَيْلكم ! اسقُونى قتلنى الظمأ ، فيعطَى القُلّة أو العُسّ كان مروياً أهل البيت فيشربه ، فإذا نزعه من فيه اضطجع الهُنَيْهةَ ثم يقول : وَيْلكم ! اسقونى قتلنى الظمأ ؛ قال : فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انقدّ بطنُه انقداد بطن البعير .

قال أبو مخنف فى حديثه : ثم إنّ شَمِر بن ذى الجوشن أقبلَ فى نفرٍ نحو من عشرة من رجّالة أهل الكوفة قِبَل منزل الحسين الذى فيه ثَقَله وعيالُه ، فمشى نحوَه ، فحالوا بينه وبين رَحْلِه ، فقال الحسين : ويلكم ! إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون يومَ المعاد ، فكونوا فى أمر دنياكم أحراراً ذوى أحساب ، امنعوا رَحْلى وأهلى من طَغَامكم وجُهّالكم ؛ فقال ابن ذى الجوْشن : ذلك لك يابن فاطمة ؛ قال : وأقدَم عليه بالرجّالة ، منهم أبو الجَنوب — واسمه عبد الرحمن الجُعفىّ — والقَشْعَم[1] بن عمرو بن يزيد الجعفىّ ، وصالح بن وهب اليزَنىّ ، وسنان بن أنس النخَعىّ ، وخَوَلىّ بن يزيد الأصبحىّ ، فجعل شمر ابن ذى الجوشن يحرّضهم ، فمرّ بأبى الجَنوب وهو شاكٍ فى السلاح فقال له :

٢٦٣/٢ أقدِم عليه ؛ قال : وما يمنعك أن تقدم عليه أنت ! فقال له شمِر : ألِى تقول ذا ! قال : وأنت لى تقول ذا ! فاستبّا ، فقال له أبو الجَنُوب — وكان شجاعًا : والله لهممتُ أن أخضخضَ السنان فى عينك ؛ قال : فانصرف عنه شمر وقال : والله لئن قدرتُ على أن أضرّك لأضرّنّك قال : ثمّ إنّ شمر بن ذى الجوشن أقبل فى الرجّالة نحو الحسين ؛ فأخذ الحسين يشدّ عليهم فينكشفون عنه . ثم إنهم أحاطوا به إحاطةً ، وأقبل إلى الحسين غلام من أهله ، فأخذتْه أخته

(١) س : « والقشعمى » .

زينب ابنة علىّ لتحبسه ، فقال لها الحسين : احبسيه ، فأبى الغلام ، وجاء يشتدّ إلى الحسين ، فقام إلى جنبه ؛ قال : وقد أهوى بحر بن كعب بن عبيدالله — من بنى تيْم الله بن ثعلبة بن عكابة — إلى الحسين بالسيف ، فقال الغلام : يابن الخبيثة ، أتقتل عمّى! فضربه بالسيف ، فاتقاه الغلام بيده فأطنّها إلا الجلدة ، فإذا يده معلّقة ، فنادى الغلام : يا أمّتاه ! فأخذه الحسين فضمّه إلى صدره ، وقال : يابن أخى ؛ اصبِر على ما نزل بك ، واحتسِب فى ذلك الخير ، فإنّ الله يُلحقك بآبائك الصالحين ؛ برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلىّ بن أبى طالب وحمزة وجعفر والحسن بن علىّ ؛ صلى الله عليهم أجمعين .

قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : سمعت الحسينَ يومئذ وهو يقول : اللهمّ أمسك عنهم قَطْرَ السماء ، وامنعهم بركاتِ الأرض ، اللهمّ فإنْ متّعتهم إلى حينٍ ففرّقهم فِرَقا ، واجعلهم طرائقَ قِدَداً ، ولا تُرْضِ عنهم الوُلاة أبداً ، فإنهم دعَوْنا لينصرونا ، فعدَوْا علينا فقتلونا . قال : وضارب الرّجّالة حتى انكشفوا عنه ؛ قال : ولما بقى الحسين فى ثلاثة رهط أو أربعة ، دعا بسراويلَ محقّقة[1] يلمع فيها البَصَر ، يمَانىّ محقّق ، ففزره ونكثه[2] لكيلا يسلّبه ، فقال له بعض أصحابه : لو لبست تحته تُبَّاناً[3]! قال : ذلك ثوب مذلّة ، ولا ينبغى لى أن ألبسه ؛ قال : فلما قتِل أقبل بحر بن كعب فسلبه إياه فتركه مجرّداً . ٢/٣٦٤

قال أبو مخنف : فحدّثنى عمرو بن شعيب ، عن محمد بن عبد الرحمن أنّ يدَىْ بحر بن كعب كانتا فى الشتاء تَنضَحان الماء ، وفى الصيف تيْبسان كأنهما عود .

قال أبو مخنف : عن الحجّاج[4] ، عن عبدالله بن عمّار بن عبد يغوث البارقىّ ،

---

(١) ثوب محقق : محكم النسج .

(٢) نكثه ، أى نقض نسجه .

(٣) التبان كرمّان : سراويل صغيرة مقدار شبر يستر العورة .

(٤) ط : « الحجاج بن عبد الله » ، وهو خطأ ؛ وانظر الفهرس .

وعُتِب على عبد الله بن عمّار بعد ذلك مشهده قتل الحسين، فقال عبد الله بن عمار : إنّ لى عند بنى هاشم لَيَداً ، قلنا له : وما يَدُك عندهم ؟ قال : حملتُ على حسين بالرمح فانتهيت إليه ، فوالله لو شئت لطعنتُه ، ثم انصرفتُ عنه غيرَ بعيد ، وقلت : ما أصنع بأن أتولّى قتلَه! يقتله غيرى . قال : فشدّ عليه رَجّالة ممّن عن يمينه وشماله ، فحمل على مَن عن يمينه حتى ابذعرّوا ، وعلى مَن عن شماله حتى ابذعرّوا ، وعليه قميص له من خزّ وهو معتمّ ؛ قال : فوالله ما رأيت مكسوراً[1] قطّ قد قتِل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ، ولا أمضى جَناناً ولا أجرأ مقدماً منه ، والله ما رأيتُ قبلَه ولا بعدَه مِثلَه ؛ أن كانت الرّجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشافَ المِعزَى إذا شدّ فيها الذئب ؛ قال : فوالله إنه لكذلك إذ خرجتْ زينبُ ابنة فاطمة أخته ، وكأنى أنظر إلى قُرْطها يجول بين أذنيها وعاتقها وهى تقول : ليت السماء تطابقتْ على الأرض ! وقد دنا عمر بن سعد من حسين ؛ فقالت : يا عمر بن سعد ، أيُقتَل أبو عبد الله وأنت تنظرُ إليه ! قال : فكأنى أنظر إلى دموع عمرَ وهى تسيل على خدّيه ولحيته ؛ قال : وصرف بوجهِه عنها .

٢/٣٦٥

قال أبو مخنف : حدّثنى الصَّقْعب بن زهير ، عن حُميد بن مسلِم ، قال : كانت عليه جُبّة من خزّ ، وكان معتمّاً ، وكان مخضوباً بالوَسِمة ، قال : وسمعتُه يقول قبل أن يُقتَل ، وهو يقاتل على رجليه قتالَ الفارس الشجاع يتّقى الرمية ، ويفترصُ[2] العورة ، ويشدّ على الخيل ، وهو يقول : أعلَى قتلى تَحاثّون ! أمَا والله لا تَقتُلون بعدى عَبْداً من عباد الله اللهُ أسخطَ عليكم لقَتْلهِ منّى ؛ وايم الله إنى لأرجُو أن يكرمنى الله بهوانكم ، ثمّ ينتقم لى منكم من حيث لا تشعرون ، أمَا والله أن لو قد قتلتمونى لقد ألقَى الله بأسَكُم بينكم ، وسفك دماءَكم ، ثم لا يَرضَى لكم حتى يضاعفَ لكم العذاب الأليم . قال : ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ، ولكنهم كان يتقى بعضهم ببعض ، ويحبّ هؤلاء أن يكفيَهم هؤلاء ؛ قال :

---

(١) المكسور : الكسير المنهزم . (٢) افترص العورة : انتهزها .

فنادى شمِر فى الناس : وَيْحكم ، ماذا تنظرون بالرجل! اقتلوه ثكلتْكم أمّهاتكم! قال: فحُمل عليه من كلّ جانب ، فضُربت كفّه اليُسرَى ضربةً ، ضربها زُرْعَة بن شريك التميمىّ ، وضُرِب على عاتقه ، ثم انصرفوا وهو ينُوء ويكْبو ؛ قال : وحَمَل عليه فى تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النَّخَعىّ فطَعَنه بالرّمح فوقع ، ثم قال لخولىّ بن يزيد الأصبحىّ : احتزّ رأسه ، فأراد أن يفعل ، فضَعف فأرعد ، فقال له سنان بن أنس : فتّ الله عَضُديك[1] ، وأبان يَدَيْك! فنزل إليه فذبَحه واحتزّ رأسه ، ثم دُفِع إلى خَوَلىّ بن يزيد ، وقد ضرِب قبل ذلك بالسيوف . ٣٦٦/٢

قال أبو مخنف ، عن جعفر بن محمد بن علىّ ، قال : وُجدْ بالحسين عليه السلام حين قُتل ثلاثٌ وثلاثون طعنة وأربعٌ وثلاثون ضربة ؛ قال : وجعل سِنان بن أنس لا يدنُو أحدٌ من الحسين إلاّ شدّ عليه مخافة أن يُغلب على رأسه ، حتى أخَذ رأسَ الحسين فدَفعَه إلى خولى ؛ قال : وسُلِب الحسينُ ما كان عليه ، فأخذ سراويله بحر بن كعب ، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته ــ وكانت من خزّ ، وكان يسمَّى بعدُ قيس قطيفة ــ وأخَذ نعليه رجل من بنى أوْد يقال له الأسود ، وأخذ سيفَه رجل من بنى نَهشَل بن دارم ، فوقع بعدَ ذلك إلى أهل حبيب بن بُدَيل ؛ قال : ومال الناس على الوَرْس والحُلَل والإبل وانتهبوها ؛ قال : ومال الناسُ على نساء الحسين وثَقَله ومتاعِه ، فأنْ كانت المرأة لَتنازِع ثوبَها عن ظهرها حتى تُغلَب عليه فيُذهَب به منها .

قال أبو مخنف : حدّثنى زهير بن عبد الرحمن الخثعمىّ ، أن سويد بن عمرو بن أبى المطاع كان صُرِع فأثخِن ، فوقع بين القتلى مُثخَنًا ، فسمعهم يقولون : قُتل الحسين ، فوجد إفاقةً ، فإذا معه سكّين وقد أخذ سيفه ، فقاتَلهم بسكّينه ساعةً ، ثم إنه قُتل ، قَتَله عروة بن بطار التغلبىّ ، وزيد بن رُقاد الجنبىّ ، وكان آخر قتيل . ٣٦٧/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حُميد بن مسلم ،

---

(١) ف : « عضدك »

قال ، انتهيتُ إلى علىّ بن الحسين بن علىّ الأصغر وهو منبسِط على فراش له ، وهو مريض ، وإذا شَمِر بن ذى الجوشن فى رَجّالة معه يقولون: ألا نقتل هذا ؟ قال : فقلتُ : سبحان الله ! أنقتل الصبيانَ ! إنما هذا صبىّ ؛ قال : فما زال ذلك دأبى أدفع عنه كلّ مَن جاء حتى جاء عمر بن سعد، فقال : ألا لا يدخلنّ بيتَ هؤلاء النسوة أحد ، ولا يَعرِضنّ لهذا الغلام المريض ، ومَنْ أخذ من متاعهم شيئًا فليردّه عليهم . قال : فوالله ما ردّ أحد شيئًا ؛ قال : فقال علىّ بن الحسين : جُزِيت من رجل خيراً ! فوالله لقد دفع الله عنى بمقالتك شرًّا ؛ قال: فقال الناس لسنان بن أنس : قتلتَ حسين بن علىّ وابن فاطمة ابنةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قتلتَ أعظمَ العرب خطرًا ؛ جاء إلى هؤلاء يريد أن يزيلهم عن ملكهم ، فأتِ أمراءَك فاطلب ثوابك منهم ، لو أعطَوْك بيوتَ أموالِهم فى قتل الحسين كان قليلاً ؛ فأقبل على فرسه ، وكان شجاعًا شاعراً ، وكانت به لُوثة ، فأقبل حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ، ثمّ نادى بأعلى صوته :

٢/٣٦٨

أوقِرْ ركابى فضّةً وذَهبَا ... أنا قتلتُ المَلِكَ المحجَّبَا

قتلتُ خيرَ الناس أُمًّا وأبَا ... وخيرَهم إذْ يُنسبون نسَبا

فقال عمر بن سعد : أشهد إنك لمجنون ما صححتَ قطّ ، أدخِلوه علىّ ، فلما أدخِل حذَفه بالقضيب ثم قال: يا مجنون ، أتتكلّم بهذا الكلام ! أما والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقَك؛ قال : وأخذ عمر بن سعد عُقْبة بن سِمْعان — وكان مولًى للرَّباب بنت امرئ القيس الكلبيّة ، وهى أمّ سُكينة بنت الحسين — فقال له : ما أنت؟ قال : أنا عبدٌ مملوك ، فخلّى سبيله ، فلم ينجُ منهم أحد غيره ، إلا أن المرقّع بن ثمامة الأسدىّ كان قد نثر نبلَه وجثا على ركبتيه ، فقاتل ، فجاءه نفر من قومه ، فقالوا له : أنت آمِن ، اُخرُج إلينا ، فخرج إليهم ، فلما قدم بهم عمر بن سعد على ابن زياد وأخبره خبرَه سيَّره إلى الزارة . قال : ثمّ إن عمر بن سعد نادى فى أصحابه : مَن ينتدب للحسين ويوطئه فرسَه ؟ فانتدب عشرة: منهم إسحاق بن حَيْوَةَ الحضرمىّ ،

وهو الذى سلب قميصَ الحسين– فبرِص بعدُ– وأحبَش بن مرثد بن علقمة ابن سلامة الحضرمىّ، فأتوْا فداسوا الحسين بخيولهم حتى رَضّوا ظهرَه وصدرَه، فبلغنى أنّ أحبش بن مرثَد بعد ذلك بزمان أتاه سهمُ غَرْب[1]؛ وهو واقف فى قتال ففلَق قلبَه، فمات؛ قال: فقُتِل من أصحاب الحسين عليه السلام اثنان وسبعون رجلا، ودفَن الحسينَ وأصحابَه أهلُ الغاضريّة من بنى أسد بعد ما قُتلوا بيوم، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا سوى الجرحَى، فصلّى عليهم عمر بن سعد ودَفنهم؛ قال: وما هو إلا أن قتِل الحسين، فسرِّح برأسه من يومه ذلك مع خولىّ بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدىّ إلى عُبيد الله بن زياد، فأقبل به خوَلىّ فأراد القصر، فوجد بابَ القصر مُغلقًا، فأتى منزله فوضعه تحت إجّانة فى منزله، وله امرأتان: امرأة من بنى أسد، والأخرى من الحضرميّين يقال لها النَّوار ابنة مالك بن عقرب، وكانت تلك الليلة ليلة الحضرميّة.

٣٦٩/٢

قال هشام: فحدّثنى أبى، عن النَّوار بنت مالك، قالت: أقبل خوَلىّ برأس الحسين فوضَعَه تحت إجّانة فى الدار، ثم دخل البيت، فأوى إلى فراشه، فقلت له: ما الخبر؟ ما عندك؟ قال: جئتك بغنَى الدهر، هذا رأس الحسين معك فى الدار؛ قالت: فقلت: ويلك– جاء الناس بالذهب والفضة وجئتَ برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم! لا والله لا يجمع رأسى ورأسك بيتٌ أبداً؛ قالت: فقمت من فراشى، فخرجتُ إلى الدار، فدعا الأسديّة فأدخلها إليه، وجلستُ أنظر، قالت: فوالله ما زلت أنظر إلى نور يَسْطع مثلَ العمود من السماء إلى الإجّانة، ورأيت طيراً بيضًا تُرفرِف حولها. قال: فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد، وأقام عمر بن سعد يومَه ذلك والغد، ثمّ أمر حميد بن بكير الأحمرىّ فأذّن فى الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومنْ كان معه من الصبيان، وعلىّ ابن الحسين مريضٌ.

٣٧٠/٢

قال أبو مخنف: فحدّثنى أبو زهير العبسىّ، عن قرّة بن قيس التميمىّ،

---

(١) سهم غرب: لا يدرى راميه.

قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صِحْن ولطمْنَ وجوههنّ. قال : فاعترضتُهنّ على فَرَس، فما رأيت مَنظَراً من نسوة قطّ كان أحسنَ من منظر رأيتُه منهنّ ذلك [اليوم] ، والله لهنّ أحسَنُ من مَهَا يَبْرِين. قال : فما نسيتُ من الأشياء لاأنْس قولَ زينب ابنة فاطمة حين مرّت بأخيها الحسين صريعًا وهي تقول : يا محمّداه ، يامحمّداه ! صلى عليك ملائكةُ السماء ، هذا الحسينُ بالعَراء ، مرمّل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمداه! وبناتك سبايا ، وذريتك مقتّلة ، تَسفِي عليها الصَّبا . قال : فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق؛ قال : وقُطف رءوس الباقين ، فسُرّح باثنين وسبعين رأسًا مع شَمِر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزْرة بن قيس ، فأقبلوا حتى قدموا بها على عُبيد الله بن زياد .

قال أبو مخنف : حدّثني سليمان بن أبي راشد ، عن حُميد بن مسلم، قال : دعاني عمر بن سعد فسرّحني إلى أهله لأبشّرهم بفتح الله عليه وبعافيته ، فأقبلتُ حتى أتيتُ أهله ، فأعلمتُهم ذلك ، ثمّ أقبلت حتى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس ، وأجد الوفد قد قدموا عليه؛ فأدخلهم، وأذن للناس، فدخلتُ فيمن دخل ،فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه ، وإذا هو يَنكُت بقضيب بين ثنيّتيه ساعةً ، فلما رآه زيد بن أرقم لا يُنجِم عن نَكْته بالقضيب، قال له : اُعلُ بهذا القضيب عن هاتين الثنيّتين، فوالذي لا إله غيرُه لقد رأيت شَفَتَيْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبّلهما ، ثم انفضخ الشيخُ يبكي ؛ فقال له ابن زياد: أبكَى الله عينيك ! فوالله لولا أنك شيخ قد خَرِفتَ وذهب عقلُك لضربتُ عنقَك ؛ قال : فنهض فخرج ، فلما خرج سمعتُ الناس يقولون: واللهِ لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقَتَله ؛ قال : فقلت : ما قال ؟ قالوا : مرّ بنا وهو يقول: ملَّك عبدٌ عبدًا ، فاتّخذهم تُلدًا ؛ أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وأمّرتم ابن مُرْجانة ، فهو يقتل خيارَكم ، ويستعبد شِرارَكم ، فرضيتم بالذلّ ، فبعدًا لمن رضي بالذّل !

٢٧١/٢

قال : فلما دُخل برأس حسين وصبيانه وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبستْ زينب ابنة فاطمة أرذل[1] ثيابها ، وتنكّرت ، وحفّتْ بها إماؤها ، فلما دخلتْ جلست ، فقال عبيدُ الله بن زياد : مَن هذه الجالسة ؟ فلم تكلّمه ؛ فقال ذلك ثلاثا ، كلّ ذلك لا تكلّمه ، فقال بعض إمائها : هذه زينب ابنة فاطمة ؛ قال : فقال لها عبيد الله : الحمد لله الذى فضحكم وقتّلكم وأكذبَ أحدُوثتكم ! فقالت : الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وطهّرنا تطهيرًا ، لا كما تقول أنت ، إنما يفتضح الفاسق ، ويكذّب الفاجر ؛ قال : فكيف رأيتِ صنعَ الله بأهل بيتك ! قالت : كُتِب عليهم القتل ، فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم ، فتحاجّون إليه ، وتخاصمون عنده ؛ قال : فغضب ابن زياد واستشاط ؛ قال : فقال له عمرو ابن حريث : أصلح الله الأمير ! إنما هى امرأة ، وهل تؤاخذ المرأة بشىء من منطقها ! إنها لا تؤاخذ بقول ، ولا تُلام على خطَل ، فقال لها ابن زياد : قد أشفى الله نفسى من طاغيتك ، والعُصاة المَردة من أهل بيتك ؛ قال : فبكتْ ثم قالت : لعَمرى لقد قتلتَ كهلى ، وأبرْتَ[2] أهلى ، وقطّعت فرْعِى ، واجتثثتَ أصلى ، فإن يَشْفِك هذا فقد اشتفيت ، فقال لها عبيد الله : هذه شجاعة ، قد لعَمرى كان أبوكِ شاعراً شجاعًا ؛ قالت : ما للمرأة والشجاعة ! إنّ لى عن الشجاعة لشُغْلا ، ولكنّ[3] نفثى ما أقول .

٢٧٢/٢

قال أبو مخنف ، عن المجالد بن سعيد : إنّ عُبيد الله بن زياد لما نظر إلى علىّ بن الحسين قال لشرطىّ : انظر هل أدرك ما يدرك الرّجال ؟ فكشَط إزاره عنه ، فقال : نعم ، قال انطلقوا به فاضربوا عنقه ، فقال له علىّ : إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهنّ رجلا يحافظ عليهنّ ، فقال له ابن زياد : تعالَ أنتَ ، فبعثه معهنّ .

قال أبو مخنف : وأما سليمان بن أبى راشد ، فحدّثنى عن حُميد بن مسلم

---

(١) أرذل الثياب : الردىء منها .

(٢) ابن الأثير : « وأبرزت » .

(٣) ط : « ولكنّى » .

قال : إنّى لقائم عند ابن زياد حين عـُرض عليه علىّ بن الحسين فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا علىّ بن الحسين ، قال : أو لم يَقتُل الله علىّ بن الحسين! فسكت ، فقال له ابن زياد : ما لَكَ لا تتكلم ! قال : قد كان لى أخ يقال له أيضًا علىّ ، فقتله الناس ، قال : إن الله قد قتله ، قال : فسكت علىّ ، فقال له : ما لَكَ لا تتكلم ! قال : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[1] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ﴾[2] ، قال : أنت والله منهم، وَيْحك! انظروا هل أدرك ؟ والله إنّى لأحسبه رجلاً ؛ قال : فكشف عنه مُرِّىّ بن معاذ الأحمرىّ ، فقال : نعم قد أدرك ؛ فقال : اقتله ؛ فقال علىّ بن الحسين : من تُوَكِّل بهؤلاء النسوة ؟ وتعلقتْ به زينب عمته فقالت : يابن زياد ، حسبُك منّا ، أما رَويتَ من دمائنا ! وهل أبقيت منا أحدًا ! قال : فاعتنقتْه فقالت : أسألك بالله إن كنت مؤمنًا إنْ قتلتَه لمّا قتلتَنى معه ! قال : وناداه علىّ فقال : يابن زياد ، إن كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهنّ رجلا تقيًّا يصحبهنّ بصحبة الإسلام ؛ قال : فنظر إليها ساعة ، ثم نظر إلى القوم فقال : عجبًا للرّحِم! والله إنّى لأظنها ودّت لو أنّى قتلتُه أنّى قتلتُها معه ؛ دعوا الغلام ، انطلق مع نسائك .

٢/٢٧٣

قال حميد بن مسلم : لما دخل عبيد الله القصرَ ودخل الناسُ ، نودىَ : الصلاة جامعة ! فاجتمع الناس فى المسجد الأعظم ، فصَعد المنبَر ابن زياد فقال : الحمد لله الذى أظهر الحقّ وأهلَه ، ونصر أميرَ المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبَه ، وقَتَل الكذّاب ابن الكذّاب ، الحسينَ بن علىّ وشيعته ؛ فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عَفيف الأزدىّ ثم الغامدىّ ، ثم أحد بنى والبة — وكان من شيعة علىّ كرّم الله وجهه ، وكانت عينُه اليسرى ذهبتْ يومَ الجمل مع علىّ ، فلما كان يومَ صِفّين ضُرِب على رأسه ضربةً ، وأخرى على حاجبه ، فذهبتْ عينُه الأخرى ، فكان لا يكاد يفارق المسجدَ الأعظم يصلى فيه إلى الليل ثم ينصرف — قال : فلما سمع مقالةَ ابن زياد ، قال :

٢/٢٧٤

---

(١) سورة الزمر : ٤٢ .

(٢) سورة آل عمران : ١٤٥ .

يابن مرْجانة ، إنّ الكذّاب ابنَ الكذّاب أنت وأبوك والذى ولّاك وأبوه ؛ يابن مرجانة ، أتقتلون أبناء النبيّين ، وتكلّمون بكلام الصدّيقين ! فقال ابن زياد : علىّ به ؛ قال : فوثبتْ عليه الجلاوزة فأخذوه[1] ؛ قال : فنادى بشعار الأزد: يا مبرور — قال: وعبد الرحمن بن مخنف الأزدىّ جالس— فقال: ويحَ غيرك ! أهلكت نفسك ، وأهلكتَ قومك ، قال : وحاضر الكوفة يومئذ من الأزْد سبعمائة مقاتل ؛ قال : فوثب إليه فتيةٌ من الأزد فانتزعوه فأتَوْا به أهلَه ، فأرسل إليه من أتاه به، فقتَله وأمرَ بصَلْبه فى السَّبَخة[2]، فصُلب هنالك .

قال أبو مخنف : ثمّ إنّ عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة ، فجعل يُدار به فى الكوفة ، ثم دعا زَحْر بن قيس فسرّح معه برأس الحسين ورءوس أصحابه إلى يزيدَ بن معاوية ، وكان مع زحْر أبو بُردة بن عوف الأزدىّ وطارق بن أبى ظَبيان الأزدىّ ، فخرجوا حتى قدموا بها الشأم على يزيدَ بن معاوية .

قال هشام : فحدّثنى عبد الله بن يزيد بن رَوْح بن زِنْباع الجُذامىّ ، عن أبيه ، عن الغاز بن ربيعة الجُرَشىّ ؛ من حمير ، قال: والله إنا لعند يزيدَ ابن معاوية بدمشق إذ أقبل زَحْر بن قيس حتى دخل على يزيد بن معاوية ، فقال له يزيد : ويلك ! ما وراءك ؟ وما عندك ؟ فقال : أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ، وَرَدَ علينا الحسينُ بن علىّ فى ثمانية عشر من أهل بيته وستّين من شيعته، فسرنا إليهم ، فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حُكم الأمير عُبيد الله بن زياد أو القتال ؛ فاختاروا القتال على الاستسلام ، فعدْونا عليهم مع شروق الشمس، فأحطْنا بهم من كلّ ناحية، حتى إذا أخذت السيوفُ مأخذَها من هام القوم، يهربون إلى غير وَزَر ، ويلوذون منا بالآكام والحُفَر ، لواذاً كما لاذ الحمائم من صقر ، فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جزْرَ

٣٧٥/٢

(١) الجلواز : الشرطى ؛ وجمعه جلاوزة .
(٢) ابن الأثير : « المسجد » .

جَزور أو نومةَ قائل حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادُهم مجرَّدة ، وثيابُهم مرمَّلة[١] ، وخدودهم معفَّرة ، تَصهرُهم الشمس ، وتَسفى عليهم الريح ، زُوَّارهم العِقبان والرَّخَم بقِىّ سَبْسَب[٢] . قال : فدمعتْ عينُ يزيد ، وقال : قد كنت أرضَى من طاعتكم بدون قتلِ الحسين ، لعن الله ابن سُميّة ! أما والله لو أنّى صاحبه لعفوتُ عنه ، فرحم الله الحسينَ ! ولم يصله بشىء .

قال : ثمّ إنّ عبيد الله أمر بنساء الحسين وصبيانه فجُهِّزن ، وأمر بعلىّ ابن الحسين فغُلّ بغلّ إلى عنقه ، ثم سرّح بهم مع مُحَفِّز بن ثعلبة العائذىّ ، عائذة قريش ومع شمر بن ذى الجوشن ، فانطلقا بهم حتّى قدموا على يزيد ، فلم يكن علىّ بن الحسين يكلم أحداً منهما فى الطريق كلمة حتّى بلغوا ، فلمّا انتهوا إلى باب يزيدَ رفع مُحَفِّز بن ثعلبة صوتَه ، فقال : هذا محفِّز بن ثعلبة أتى أميرَ المؤمنين باللئام الفَجَرة ، قال : فأجابه يزيد بن معاوية : ما ولدتْ أم محفِّز شرٌّ وألأم . ٢/٣٧٦

قال أبو مخنف : حدّثنى الصقعب بن زهير ، عن القاسم بن عبد الرحمن مولَى يزيد بن معاوية ، قال : لما وُضعت الرءوس بين يدىْ يزيدَ — رأسُ الحسين وأهل بيته وأصحابه — قال يزيد :

يُفَلِّقْنَ هاماً من رجال أَعِزَّةٍ ... علَيْنا وهُمْ كانوا أعَقَّ وأظْلَما[٣]

أما والله يا حسينُ ، لو أنا صاحبُك ما قتلتُك .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو جعفر العبسىّ ، عن أبى عمارة العبسىّ ، قال : فقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم :

لهامٌ بجَنْبِ الطَّفِّ أدْنى قَرابةً ... من ابن زيادِ العبْدِ ذى الحسَب الوَغْل

سُمَيَّةُ أمسى نَسْلها عدد الحصى ... وبنتُ رسُول اللهِ ليْسَ لها نَسْل

---

(١) مرملة : أى ملطخة بالدم .

(٢) القى ، من القواء ، وهى الأرض القفر الخالية . والسبسب : المفازة .

(٣) للحصين بن همام ، من المفضلية ١٢ .

قال : فضرب يزيدُ بن معاوية فى صدر يحيي بن الحكَم وقال : اسكت .

قال : ولمَّا جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشأم فأجلسهم حولَه، ثم دعا بعلىّ بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه، فأدخِلوا عليه والناس ينظرون، فقال يزيد لعلىّ : يا علىّ ، أبوك الذى قطع رَحمى ، وجَهل حقّى ، ونازعنى سلطانى ، فصنع الله به ما قد رأيتَ ! قال : فقال علىّ : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾[1] ، فقال يزيد لابنه خالد : ارْدُد عليه؛ قال : فما دَرَى خالد ما يردّ عليه ؛ فقال له يزيد : قل : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[2] ، ثم سكَت عنه ؛ قال : ثمّ دعا بالنساء والصبيان فأجلِسوا بين يديه ، فرأى هيئةً قبيحة ، فقال: قبح الله ابنَ مَرْجانة ! لو كانت بينه وبينكم رَحِم أو قرابةٌ ما فعل هذا بكم ، ولا بَعث بكم هكذا . ٣٧٧/٢

قال أبو مخنف، عن الحارث بن كعب، عن فاطمة بنت علىّ، قالت : لما أجلِسْنا بين يدىْ يزيدَ بنِ معاوية رقّ لنا، وأمَرَ لنا بشىء ، وألطَفَنا ؛ قالت : ثمّ إنّ رجلاً من أهل الشأم أحمرَ قام إلى يزيدَ فقال : يا أمير المؤمنين، هبْ لى هذه — يعنينى ، وكنتُ جاريةً وَضيئةً — فأرعِدْتُ وفَرِقْتُ ، وظَنَنتُ أنّ ذلك جائز لهم ، وأخذتُ بثياب أختى زينب ؛ قالت : وكانت أختى زينب أكبرَ منّى وأعقلَ ، وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون ، فقالت : كذبتَ واللهِ ولؤُمتَ ! ما ذلك لك وله[3] ، فغضب يزيد ، فقال: كذبتِ واللهِ ، إنّ ذلك لى ، ولو شئتُ أن أفعلَه لفعلتُ ؛ قالت : كلاّ والله ، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملّتنا ، وتدينَ بغير ديننا ؛ قالت: فغضب يزيد واستطار ، ثم قال: إيّاى تستقبلين بهذا ! إنما خرج من الدّين أبوكِ

(١) سورة الحديد: ٢٢ .

(٢) سورة الشورى: ٣٠ .

(٣) ابن الأثير : «ولا له» .

٢/٣٧٨ وأخوكِ ؛ فقالت زينب : بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدّي اهتديتَ أنتَ وأبوك وجدّك ، قال : كذبتِ يا عدوّة الله ؛ قالت : أنت أميرٌ مسلَّط ، تشتم ظالمًا ، وتقهر بسلطانك ؛ قالت : فوالله لكأنه استحيا ؛ فسكتَ ، ثم عاد الشاميّ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هبْ لى هذه الجارية ؛ قال : اعزُبْ ؛ وهَب الله لك حتْفًا قاضيًا ! قالت : ثمّ قال يزيدُ بنُ معاوية : يانعمان بن بشير ، جهِّزْهم بما يُصلِحهم ، وابعث معهم رجلاً من أهل الشأم أمينًا صالحًا ، وابعث معه خيلاً وأعوانًا فيسير بهم إلى المدينة ، ثمّ أمر بالنسوة أن يُنْزلن فى دار على حِدَة ، معهنّ ما يصلحهنّ ، وأخوهنّ معهنّ عليّ بن الحسين ، فى الدار التى هنّ فيها . قال : فخرجن حتى دخلن دار يزيدَ فلم تبق من آل معاوية امرأةٌ إلا استقبلتْهنّ تبكي وتنوح على الحسين ، فأقاموا عليه المناحةَ ثلاثًا ، وكان يزيد لا يتغدّى ولا يتعشى إلا دعا عليّ بن الحسين إليه ؛ قال : فدعاه ذاتَ يوم ، ودعا عمر بن الحسن بن عليّ [1] وهو غلام صغير ، فقال لعمر بن الحسن : أتقاتل هذا الفتى ؟ يعني خالداً ابنه ، قال : لا ، ولكنْ أعطِني سكينًا وأعطِه سكينًا ، ثم أقاتله ، فقال له يزيد ؛ وأخذه فضمه إليه ثم قال : «شِنْشِنةٌ أعرِفُها مِن أخزَم» ؛ هل تَلِد الحيّة إلاّ حيّة ! قال : ولما أرادوا أن يخرجوا دعا يزيدُ عليّ بنَ الحسين ثمّ قال : لعن الله ابنَ مرجانة ، أما والله لو أني صاحبُه ما سألني خَصلةً أبداً إلا أعطيتُها إياه ، ولدفعتُ

٢/٣٧٩ الحَتْف عنه بكلّ ما استطعتُ ولو بهلاك بعض وَلَدى ، ولكنّ الله قضى ما رأيت ، كاتِبْني وأنْهِ كلّ حاجة تكون لك ؛ قال : وكساهم وأوْصَى بهم ذلك الرسول ؛ قال : فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه ، فإذا نزلوا تنحّى عنهم وتفرّق هو وأصحابُه حولَهم كهيئة الحَرَس لهم ، وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوءاً أو قضاءَ حاجة لم يحتشم ، فلم يزل يُنازلهم فى الطريق هكذا ، ويسألهم عن حوائجهم ، ويُلطِفهم حتى دخلوا المدينة.

وقال الحارث بن كعب : فقالت لى فاطمة بنت عليّ : قلت لأختى زينب : يا أُخيّة ، لقد أحسنَ هذا الرجل الشأميّ إلينا فى صحبتنا ، فهل لكِ أن نصلَه ؟ فقالت : والله ما معنا شيء نصلُه به إلاّ حُلِيّنا ؛ قالت

(١) ط : « عمرو بن الحسن » ، وانظر الفهرس .

لها : فنعطيه حُليَّنا ؛ قالت: فأخذتُ سِوارى ودُمْلُجى[1] وأخذتْ أختى سِوارَها ودُملجَها ، فبعثنا بذلك إليه ، واعتذرْنا إليه، وقلنا له : هذا جزاؤك بصحبتك إيّانا بالحسَن من الفعل ؛ قال : فقال : لو كان الذى صنعتُ إنما هو للدنيا كان فى حليِّكنّ ما يرضينى ودونَه ، ولكنْ والله ما فعلتُه إلا لله ، ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال هشام : وأما عَوانة بن الحكَم الكلبىّ فإنه قال : لما قُتل الحسين وجىء بالأثقال والأسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عُبيد الله ، فبينا القومُ محتبسون[2] إذ وقع حجَر فى السجن ، معه كتاب مربوط ؛ وفى الكتاب خرج البريد بأمركم فى يوم كذا وكذا إلى يزيدَ بن معاوية ، وهو سائر كذا وكذا يومًا ، وراجع فى كذا وكذا ، فإن سمعتم التكبيرَ فأيقِنوا بالقتل ، وإن لم تَسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله ؛ قال : فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد أُلقِىَ فى السجن ، ومعه كتاب مربوط ومُوسَى ، وفى الكتاب : أوصُوا واعهَدُوا فإنما يُنتظر البريد يوم كذا وكذا . فجاء البريد ولم يُسمع التكبير ، وجاء كتاب بأن سرّح الأسارى إلىّ . قال : فدعا عبيدالله ابن زياد محفّز بن ثعلبة وشمر بن ذى الجَوْشن، فقال: انطلقوا بالثقَل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ؛ قال : فخرجوا حتى قدموا على يزيدَ ، فقام مُحفّز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته : جئنا برأس أحمَقِ الناس وألأمِهم ؛ فقال يزيد : ما ولدتْ أمّ مُحفّز ألأمُ وأحمقُ ، ولكنه قاطعٌ ظالم ؛ قال : فلما نظر يزيد إلى رأس الحسين ، قال :

٢/٣٨٠

يفلِّقن هاماً من رجالٍ أعزَّةٍ ... علينا وهم كانوا أَعقَّ وأَظلَما

ثم قال : أتدرون من أين أُتِىَ هذا ؟ قال : أبى علىٌّ خيرٌ من أبيه، وأمّى فاطمة خيرٌ من أمه ، وجدّى رسولُ الله خيرٌ من جدّه ، وأنا خيرٌ منه وأحقّ

---

(١) الدملج : ما يوضع على العضد من الحلىّ .

(٢) ابن الأثير : « فى الحبس » .

بهذا الأمر منه ؛ فأما قوله: «أبوه خيرٌ من أبى» ، فقد حاجّ أبى أباه ، وعلم الناسُ أيُّهما حكِم له ؛ وأما قولُه : «أمّى خير من أمّه» ، فلعَمْرى فاطمةُ ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرٌ من أمّى ؛ وأما قوله : « جدّى خيرٌ من جدّه» ، فلعمرى ما أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر يرَى لرسول الله فينا عِدْلا ولا نِدًّا ، ولكنه إنما أتِيَ من قبَل فقهه ، ولم يقرأ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِى المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]. ثم أدخِل نساء الحسين على يزيد ، فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولْوَلْن. ثم إنهنّ أدخِلن على يزيد، فقالت فاطمة بنت الحسين — وكانت أكبرَ من سُكينةَ : أبنات رسول الله سبايا يا يزيد ! فقال يزيد : يا ابنة أخى ، أنا لهذا كنت أكره ؛ قالت: والله ما ترك لنا خُرْص[2] ، قال : يا ابنة أخى ما آتٍ إليكِ أعظَم مما أخِذَ منكِ ، ثم أخرجن فأُدخلن دارَ يزيد بن معاوية ، فلم تبق امرأةٌ من آل يزيدَ إلا أتتهنّ ، وأقمن المأتَم ، وأرسل يزيد إلى كلّ امرأة : ماذا أخِذ لك ؟ وليس منْهنّ امرأة تدّعى شيئًا بالغًا ما بلغ إلا قد أضعفه لها ، فكانت سكينة تقول : ما رأيتُ رجلا كافراً بالله خيراً من يزيد ابنِ معاوية . ثم أدخل الأسارى إليه وفيهم علىُّ بنُ الحسين ، فقال له يزيد : إيهٍ يا علىّ ! فقال علىّ : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ وَلَا فِى أَنْفُسِكُم إِلَّا فِى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[3] فقال يزيد : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾[4] ثم جهزه وأعطاه مالاً ، وسرّحه إلى المدينة .

٢/٢٨١ — ٢/٢٨٢

(١) سورة آل عمران: ٢٦ .
(٢) الخرص : حلقة القرط .
(٣) سورة الحديد: ٢٢ ، ٢٣ .
(٤) سورة الشورى: ٣٠ .

قال هشام، عن أبي مخنف ، قال: حدّثني أبو حمزة الثُّمالي ، عن عبد الله الثُّمالي ّ ،عن القاسم بن بُخَيْت ، قال : لما أقبل وفدُ أهلِ الكوفة برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق ، فقال لهم مروان بن الحكم : كيف صنعتم ؟ قالوا : ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً ، فأتينا والله على آخرهم ، وهذه الرءوس والسَّبايا ، فوثب مروان فانصرف ، وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم، فقال: ما صنعتم ؟ فأعادوا عليه الكلام ، فقال : حُجِبتم عن محمد يومَ القيامة ؛ لن أجامعكم على[1] أمر أبداً ثم قام فانصرف، ودخلوا على يزيدَ فوضعوا الرأسَ بين يديه ، وحدّثوه الحديث . قال : فسمعتْ دَوْرَ الحديثِ هند بنت عبد الله ابن عامر بن كُرَيز — وكانت تحت يزيد بن معاوية — فتقنّعت بثوبها ، وخرجت فقالت : يا أمير المؤمنين ، أرأس الحسين بن فاطمةَ بنت رسول الله ! قال : نعم فأعْوِلي عليه ، وحُدّي على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصريحة قريش؛ عجّلَ عليه ابن زياد فقتله قتَله الله ! ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه، ومع يزيد قضيبٌ فهو ينكُت به في ثغره ، ثم قال : إنّ هذا وإيّانا كما قال الحُصَين بنُ الحُمام المُرّيّ :

يفلِّقن هاماً من رجالٍ أحبةٍ إلينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

قال : فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له أبو برزة الأسلميّ : أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين ! أما لقد أخذ قضيبُك من ثغره مأخذًا ، لربّما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَرشِفه، أما إنك يا يزيد تجيء يومَ القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا يومَ القيامة ومحمد صلى الله عليه وسلم شفيعه ؛ ثم قام فولّى. ٢/٣٨٣

قال هشام : حدّثني عوَانة بن الحكم ، قال: لما قتَل عبيدُ الله بن زياد الحسينَ بن عليّ وجيء برأسه إليه، دعا عبد الملك بن أبي الحارث السُّلَميّ فقال : انطلقْ حتى تقدم المدينة على عمرو بن سعيد بن العاص فبشِّره بقتْل الحسين — وكان عمرو بن سعيد بن العاص أميرَ المدينة يومئذ — قال : فذهب

(١) ف : «في».

ليعتلّ له ، فزجره — وكان عبيد الله لا يُصطلَى بنارِه — فقال : انطلق حتى تأتىَ المدينة ، ولا يسبقك الخبر ؛ وأعطاه دنانير ، وقال : لا تعتلّ ، وإن قامت بك راحلتُك فاشترِ راحلة ؛ قال عبد الملك : فقدمتُ المدينة ، فلقيَنى رجل من قريش ، فقال : ما الخبر ؟ فقلت : الخبر عند الأمير ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قُتِل الحسين بن علىّ ؛ فدخلتُ على عمرو بن سعيد فقال : ما وراءك ؟ فقلت : ما سَرَّ الأمير ، قُتِل الحسين بن علىّ ؛ فقال : نادِ بقَتْله ، فنادَيْت بقتله ، فلم أسمع والله واعيةً قطّ[1] مثل واعية نساء بنى هاشم فى دُورهنّ على الحسين ، فقال عمرو بن سعيد وضحك :

٢/٣٨٤ عجَّت نساءُ بنى زياد عجّةً ... كَعجيج نِسْوتنا غَداةَ الأَرْنب[2]

والأرنب : وقعةٌ كانت لبنى زُبيد على بنى زياد من بنى الحارث بن كعب ، من رهط عبد المدان ، وهذا البيتُ لعَمرو بن معديكرِب ، ثم قال عمرو : هذه واعية بواعية عثمانَ بن عفَّان ، ثم صعد المنبَر فأعلَمَ الناسَ قتلَه .

قال هشام ، عن أبى مخنف ، عن سليمان بن أبى راشد ، عن عبد الرحمن ابن عبيد أبى الكَنود ، قال : لما بلغ عبدَ الله بن جعفر بن أبى طالب مقتل ابنيه مع الحسين ، دخل عليه بعضُ مواليه والناس يعزّونه — قال : ولا أظنّ مولاه ذلك إلا أبا اللَّسلاس — فقال : هذا ما لقِينا ودخل علينا من الحسين ! قال : فَحذَفه عبدُ الله بن جعفر بنعله ، ثم قال : يابن اللَّخناء ، أللحسين تقول هذا ! والله لو شهدتُه لأحببتُ ألّا أفارقَهُ حتى أقتلَ معه ، والله إنه لمما يسخِّى بنفسى عنهما ، ويهوّن علىّ المصابَ بهما ، أنهما أصيبا مع أخى وابن عمّى مواسيَيْن له ، صابريْن معه . ثم أقبل على جلسائه فقال : الحمد لله عزّ وجلّ على مَصرَع الحسين ، إلا تكن آستْ حسينًا يدى ، فقد آساه وَلَدى . قال : ولَمَّا أتى أهلَ المدينة مقتلُ الحسين خرجتْ ابنة عَقيل بن أبى طالب ومعها نساؤها وهى حاسرة تلوى بثوبها وهى تقول :

---

(١) الواعية : التى تصرخ على الميت .

(٢) اللسان ١ : ٤١٩ ، ونسبه إلى عمرو بن معديكرب ، وروايته : « بنى زبيد » .

ماذَا تقولونَ إنْ قال النبيُّ لكمْ ماذا فعلتمْ وأَنتمْ آخِرُ الأُمَمِ
بعِترَتي وبأَهلِي بعدَ مُفتَقَدِي منهمْ أُسارَى ومنهمْ ضُرِّجوا بدم! ٢/٣٨٥

قال هشام : عن عوانة ، قال : قال عُبيد الله بن زياد لعمَر بن سعد بعد قتله الحسين : يا عمر ، أين الكتاب الذى كتبتُ به إليك فى قتل الحسين ؟ قال : مضيتُ لأمرك وضاع الكتاب ؛ قال : لتجيئَنّ به ؛ قال : ضاع ؛ قال : والله لتجيئنّى به ؛ قال : تُرِك والله يُقرأ على عجائزِ قريش اعتذاراً إليهنّ بالمدينة ، أمَا والله لقد نصحتُك فى حسين نصيحةً لو نصحتُها أبى سعد ابن أبى وقّاص كنت قد أدّيت حقه ، قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله : صدق والله ، لَوددتُ أنه ليس من بنى زياد رجلٌ إلا وفى أنفه خِزامةٌ إلى يوم القيامة وأنّ حسيناً لم يُقتل ؛ قال : فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله .

قال هشام : حدّثنى بعض أصحابنا ، عن عمرو بن أبى المقدام، قال : حدّثنى عمرو بن عكرمة ، قال : أصبحنا صبيحةَ قتل الحسين بالمدينة ، فإذا مولًى لنا يحدّثنا ، قال : سمعتُ البارحة مناديًا ينادى وهو يقول :

أَيّها القاتلون جَهْلًا حُسيناً أَبشِروا بالعذابِ والتّنْكِيل
كلُّ أَهل السماءِ يدعو عليكمْ من نبيٍّ ومَلْأَكٍ وَقبيل[1]
قد لُعِنتمْ على لسان ابن داو دَ وموسى وحامِلِ الإِنجيل[2]

قال هشام : حدّثنى عمر بن حيزوم الكلبىّ ، عن أبيه، قال : سمعتُ هذا الصوت .

* * *

ذكر أسماء من قُتل من بنى هاشم مع الحسين عليه السلام
وعدد من قُتل من كلّ قبيلة من القبائل التى قاتلته

قال هشام : قال أبو مخنف : ولما قتِل الحسين بن علىّ عليه السلام جىء ٢/٣٨٦

(١) ط : « وملك وقبيل » .
(٢) ابن الأثير : « وصاحب الإنجيل » .

برءوس مَن قتل معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره إلى عُبيد الله بن زياد ، فجاءت كِنْدة بثلاثة عشر رأسًا ، وصاحبهم قيس بن الأشعث ، وجاءت هَوازنُ بعشرين رأسًا وصاحبهم شَمر بن ذى الجوْشن ، وجاءت تميم بسبعة عشر رأسًا ، وجاءت بنو أسد بستة أرؤس ، وجاءت مَذْحِج بسبعة أرؤس ، وجاء سائرُ الجيش بسبعة أرؤس ، فذلك سبعون رأسًا .

قال : وقُتل الحسين — وأمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم — قتَله سنان بن أنس النَّخعىّ ثم الأصبحىّ وجاء برأسه خَوْلىّ بن يزيد ، وقُتل العباس بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أمّ البنين ابنة حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، قتله زيد بن رُقاد الجَنبىّ[1] — وحكيم بن الطفيل السِّنْبِسِىّ، وقتل جعفر بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أمّ البنين أيضًا — وقُتل عبدالله بن علىّ ابن أبى طالب — وأمه أمّ البنين أيضًا — وقتل عثمان بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أمّ البنين أيضًا — رماه خولىّ بن يزيدَ بسهم فقتله ، وقتل محمد بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أم ولد — قتله رجل من بنى أبان بن دارم، وقتل أبو بكر بن علىّ بن أبى طالب — وأمه ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن رِبْعىّ بن سُلْمَى بن جندل بن نَهْشَل بن دارم ،وقد شُكّ فى قتله — وقُتل علىّ ابن الحسين بن علىّ — وأمه ليلى ابنة أبى مرّة بن عروة بن مسعود بن معتّب الثقفىّ ، وأمها ميمونة ابنة أبى سفيان بن حرب — قتله مرّة بن مُنقِذ بن النعمان العبدىّ ،وقتل عبد الله بن الحسين بن علىّ — وأمه الرّباب ابنة امرئ القيس ابن عدىّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيم من كلْب — قتله هانئ ابن ثُبيت الحضرمىّ ، واستصغِر علىّ بن الحسين بن علىّ فلم يُقتل، وقُتل أبو بكر بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أمّ ولد — قتله عبدُ الله بن عقبة الغَنَوىّ[2] ، وقُتل عبد الله بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أمّ ولد — قتله حرملة بن الكاهن ، رماه بسهم ؛ وقتل القاسم بن الحسن بن علىّ — وأمّه أمّ ولد — قتله سعد بن عمرو بن نُفَيل الأزدىّ ، وقتل عون بن عبد الله

٢/٣٨٧

(١) ابن الأثير : « زيد بن داود » .
(٢) فى ابن الأثير : « قتله حرملة الكاهن » .

ابن جعفر[١] بن أبى طالب—وأمه جمانة ابنة المسيَّب بن نَجَبة بن ربيعة بن رياح من بنى فَزارة — قتله عبد الله بن قُطْبَة الطائىّ ثمّ النَّبْهانىّ ، وقتِل محمد ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب — وأمّه الخوصاء ابنة خَصَفَة بن ثقيف بن ربيعة بن عائذ بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل — قَتَلَه عامر ابن نَهْشل التيمىّ ، وقُتل جعفر بن عقيل بن أبى طالب — وأمه أمّ البنين ابنة الشقر بن الهضاب — قتله بشر بن حَوْط[٢] الهمْدانىّ ، وقُتِل عبدالرحمن ابن عَقِيل — وأمه أمّ ولد — قتله عثمان بن خالد بن أسير الجُهَنىّ ، وقتل عبد الله بن عقيل بن أبى طالب — وأمه أمّ ولد— رماه عمرو بن صُبَيح الصدائىّ[٣] فقتله ؛ وقتل مسلم بن عَقِيل بن أبى طالب — وأمه أمّ ولد ، وُلد بالكوفة — وقتِل عبدالله بن مسلم بن عَقِيل بن أبى طالب — وأمّه رُقيّة ابنة علىّ بن أبى طالب وأمها أمّ ولد — قتله عمرو بن صبيح الصدائىّ ؛ وقيل : قتله أسيد بن مالك الحضرمىّ ، وقتل محمد بن أبى سعيد بن عقيل — وأمه أمّ ولد — قتله لقيط بن ياسر الجهنىّ ، واستُصغر الحسن بن الحسن بن علىّ ، وأمه خولة ابنة منظور بن زبّان بن سيار الفَزارىّ ، واستصغر عمر بن الحسن بن علىّ فترُك فلم يُقتل — وأمه أمّ ولد — وقُتِل من الموالى سليمان مولى الحسين بن علىّ ، قتله سليمان بن عوف الحضرمىّ ، وقتل مُنْجِح مولى الحسين بن علىّ ، وقتل عبد الله بن بُقْطُر رضيع الحسين بن علىّ .

٣٨٨/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الرحمن بن جندب الأزدىّ ، أن عبيد الله ابن زياد بعد قتل الحسين تفقّد أشراف أهل الكوفة ، فلم ير عبيد الله بن الحُرّ ، ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه ، فقال : أين كنت يابن الحرّ ؟ قال : كنت مريضًا ؛ قال : مريض القلب ، أو مريض البدن ! قال : أما قلبى فلم يمرض ، وأما بدنى فقد منّ الله علىّ بالعافية ، فقال له ابن زياد : كذبتَ ؛ ولكنك كنت مع عدوّنا ؛ قال : لو كنت مع عدوّك لَرُئِىَ مكانى ، وما كان مثل مكانى يخفَى ؛ قال : وغفل عنه ابن زياد غفلةً ، فخرج ابن الحرّ فقعد

(١) ابن الأثير : « وقتل عون بن أبى جعفر » .
(٢) ويقال « بشر بن سوط » ، وانظر ص ٤٤٧ س ٩
(٣) ابن الأثير : « الصيداوى » .

على فرسه ، فقال ابن زياد : أين ابن الحرّ ؟ قالوا : خرج الساعة ؛ قال : علىّ به ؛ فأحضِرَت الشُّرَط فقالوا له : أجب الأميرَ ؛ فدفع فرسه ثم قال : أبلغوه أنّى لا آتيه والله طائعًا أبداً ؛ ثم خرج حتى أتى منزل أحمر بن زياد الطائىّ فاجتمع إليه فى منزله أصحابه ، ثم خرج حتى أتى كربلاء فنظر إلى مصارع القوم ، فاستغفر لهم هو وأصحابه ، ثم مضى حتى نزل المدائن ، وقال فى ذلك :

٢/٢٨٩

يقولُ أميرٌ غادرٌ حقّ غادرٍ : ألَا كنتَ قاتَلْتَ الشهيدَ ابنَ فاطمَهْ !

فيا نَدمى ألّا أكونَ نصرتُهُ ألا كلُّ نفس لا تُسدِّد نادِمَهْ

وَإِنّى لِأَنّى لم أَكُنْ من حُماتِهِ لذُو حسرةٍ ما إن تفارقُ لازمَه

سَقَى الله أَرواحَ الذين تـآزّروا على نصرهِ سُقْيًا من الغيْثِ دائمَهْ

وقفتُ على أَجْداثِهِمْ ومجالِهِمْ فكاد الحَشَا ينفَضُّ والعينُ ساجمَه

لَعَمْرى لقد كانوا مصَاليتَ فى الوَغى سِراعاً إلى الهَيجا حُماةً خَضارِمَهْ

تـآسَوْا على نَصْر ابن بنتِ نبيِّهِمْ بـأَسيافهمْ آسادَ غِيلٍ ضَراغِمَهْ

فإن يُقتلوا فكلُّ نفسٍ تقيَّةٍ على الأَرض قد أَضْحَت لذلك واجمَهْ

وما إن رأَى الرَّائُونَ أَفضل منهُمُ لدى الموتِ ساداتٍ وزُهْرًا قماقِمهْ

أَتقتلهمْ ظُلماً وترجو ودادَنا فَدَعْ خُطَّةً ليست لنا بملائمهْ !

لعمرى لقد راغَمتُمونا بقتلهمْ فكم ناقِمٍ مِنَّا عليكم وناقِمَهْ

أَهُمُّ مِرارًا أَن أَسِيرَ بجَحْفَلٍ إلى فئةٍ زاغَتْ عن الحقِّ ظالِمهْ

فَكُفُّوا وإلاَّ ذُدْتُكمْ فى كَتَائبٍ أَشَدَّ عليكمْ من زُحُوفِ الديالِمَهْ

٢/٢٩٠

* * *

[ذكر خبر مقتل مرداس بن عمرو بن حُدَير]

وفى هذه السنة قتِل أبو بلال مرداس بن عمرو بن حُدَير ، من ربيعة بن حنظلة .

* ذكر سبب مقتله :

قال أبو جعفر الطبريّ : قد تقدّم ذكر سبب خروجه ، وما كان من توجيه عبيد الله بن زياد إليه أسلمَ بن زُرعة الكلابيّ فى ألفَىْ رجل ، والتقائهم بآسَك وهزيمة أسلم وجيشه منه ومن أصحابه فيما مضى من كتابنا هذا . ٢/٣٩١

ولما هزم مرداس أبو بلال أسلمَ بن زرعة ، وبلغ عبيدَ الله بن زياد ، سرّح إليه — فيما حُدّثتُ عن هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدّثنى أبو المخارق الراسبِيّ — ثلاثة آلاف ، عليهم عبّاد بن الأخضر التميميّ ، فأتبعه عبّاد يطلبه حتى لحقه بتَوّج ، فصفّ له ، فحمل عليهم أبو بلال وأصحابه ، فثبتوا . وتعطّف الناس عليهم فلم يكونوا شيئًا . وقال أبو بلال لأصحابه : مَنْ كان منكم إنما خرج للدنيا فليذهب ، ومن كان منكم إنما أراد الآخرة ولقاءَ ربّه فقد سبق ذلك إليه ، وقرأ : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾[1] ، فنزل ونزل أصحابه معه لم يفارقه منهم إنسان ، فقُتلوا من عند آخرهم ، ورجع عبّاد بن الأخضر ، وذلك الجيش الذى كان معه إلى البصرة ، وأقبل عَبيدة بن هلال معه ثلاثة نفر هو رابعهم ، فرصد عبّاد بن الأخضر ، فأقبل يريد قصر الإمارة وهو مردف ابناً له غلاماً ، صغيراً ، فقالوا : يا عبد الله ، قف حتى نستفتيك ؛ فوقف ، فقالوا : نحن إخوة أربعة ، قُتل أخونا ، فما ترَى ؟ قال : استَعْدُوا الأميرَ ، قالوا : قد استعدَيناه فلم يُعْدِنا ، قال : فاقتلوه ، قتله الله ! فوثَبوا عليه فحكّموا ، وألقى ابنَه فقتلوه .

* * *

[ذكر خبر ولاية سَلْم بن زياد على خراسان وسجستان]

وفى هذه السنة ولّى يزيد بن معاوية سَلْمَ بن زياد سجستانَ وخُراسان .

* ذكر سبب توليته إياه : ٢/٣٩٢

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : حدّثنا مسلَمة بن

---

(١) سورة الشورى: ٢٠ .

مُحارب بن سلم بن زياد ، قال : وفد سَلْمُ بن زياد على يزيدَ بن معاوية وهو ابن أربع وعشرين سنة ، فقالَ له يزيد : يا أبا حرْب ، أولّيك عمل أخويك: عبد الرحمن وعبّاد؟ فقال: ما أحبَّ أميرُ المؤمنين ؛ فولّاه خراسان وسِجستان ، فوجّه سَلْم الحارثَ بن معاوية الحارثىّ جدّ عيسى بن شبيب من الشأم إلى خُراسان ، وقَدِم سلم البصرة ، فتجهز وسار إلى خُراسان ، فأخذ الحارثَ بن قيس بن الهيثم السُّلمِىّ فحبسه ، وضرب ابنه شبيبًا ، وأقامه فى سراويلَ ، ووجّه أخاه يزيد بن زياد إلى سجستان . فكتب عبيد الله بن زياد إلى عبّاد أخيه — وكان له صديقًا — يخبره بولاية سَلْم ، فقسم عبّاد ما فى بيت المال فى عبيده ، وفَضَلَ فضلٌ فنادَى مناديه : من أراد سلفًا فليأخذ ، فأسلف كلّ من أتاه ، وخرج عبّاد عن سِجِسْتان . فلمّا كان بجِيرَفْت بلغه مكانُ سَلْم — وكان بينهما جبل — فعدل عنه ، فذهب لعبّاد تلك الليلة ألف مملوك ، أقلّ ما مع أحدهم عشرة آلاف . قال : فأخذ عبّاد على فارس ، ثمّ قدم على يزيد ، فقال له يزيد : أين المال ؟ قال كنتُ صاحبَ ثغر ، فقسمتُ ما أصبتُ بين الناس . قال : ولما شَخَص سَلْم إلى خُراسانَ شخص معه عمران بن الفَصيل البُرْجمىّ ، وعبد الله بن خازم السلَمىّ ، وطلحة بن عبد الله بن خلَف الخُزاعىّ ، والمهلّب بن أبى صُفْرَةَ ، وحنظلة بن عرَادة ، وأبو حزُابة الوليد بن نَهيك أحد بنى ربيعة بن حنظلة ، ويحيى بن يَعْمَر العَدْوانىّ حليف هُذَيل ، وخلْق كثير من فُرسان البصرة وأشرافِهم ، فقَدِم سَلْم بن زياد بكتاب يزيدَ بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد بنُخْبَةِ ألفَىْ رجل ينتخبهم — وقال غيره : بل نُخبةِ ستة آلاف — قال : فكان سلْم ينتخب الوجوهَ والفُرسان . ورغب قوم فى الجهاد فطلبوا إليه أن يُخرجهم ، فكان أوّل من أخرجه سلم حنظلة بن عرَادة ، فقال له عُبيد الله بن زياد : دعه لى ؛ قال : هو بينى وبينك ، فإن اختارك فهو لك ، وإن اختارنى فهو لى ، قال : فاختار سَلْماً ؛ وكان الناس يكلّمون سلماً ويطلبون إليه أن يكتبهم معه ، وكان صلة بن أشْيَم العَدَوِىّ يأتى الديوان فيقول له الكاتب : يا أبا الصّهباء ، ألا أثبتُ اسمك ، فإنه وجهٌ فيه جهادٌ وفَضْل ؟ فيقول له : أستخير الله وأنظرُ ، فلم يزل يدافع حتى

٢/٣٩٣

فرغ من أمرِ الناس ، فقالت له امرأته مُعاذة ابنة عبد الله العَدَوِيّة : ألّا تكتب نفسك ؟ قال : حتى أنظر ، ثم صلى واستخار الله ؛ قال : فرأى فى منامه آتياً أتاه ، فقال له : اخرج فإنك تَرْبَح وتُفلِح وتُنجح ؛ فأتى الكاتب فقال له : أثبتنى ؛ قال : قد فرغْنا ولن أدَعَك ، فأثبته وابنه ، فخرج سلْم فصيَّره سلم مع يزيد بن زياد فسار إلى سِجِستان .

قال : وخرج سلم وأخرج معه أمّ محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبى العاص الثقَفىّ ، وهى أوّل امرأة من العرب قُطِع بها النهر. ٢/٣٩٤

قال : وذكر مَسلَمة بن محارب وأبو حفص الأزدىّ عن عثمان بن حفص الكرمانىّ أن عُمّال خُراسان كانوا يَغزُون ، فإذا دخل الشتاءُ قفلوا من مغازيهم إلى مَرْو الشاهِجان ، فإذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خُراسان فى مدينة من مدائن خُراسان ممّا يلى خارَزْم ، فيتعاقدون ألّا يغزُوَ بعضهم بعضاً ، ولا يهيجَ أحد أحداً ، ويتشاورون فى أمورهم ، فكان المسلمون يطلبون إلى أمرائهم فى غزو تلك المدينة فيأبون عليهم ، فلما قَدِم خُراسان غزا فشتا فى بعض مغازيه ؛ قال : فألحّ عليه المهلب ، وسأله أن يوجّهه إلى تلك المدينة ، فوجّهه فى ستة آلاف — ويقال أربعةِ آلاف — فحاصرهم ، فسألهم أن يُذعِنوا له بالطاعة ، فطلبوا إليه أن يصالحهم على أن يفدوا أنفسهم ، فأجابهم إلى ذلك ، فصالحوه على نيّف وعشرين ألف ألف ؛ قال : وكان فى صلحهم أن يأخذ منهم عروضاً ، فكان يأخذ الرأسَ بنصف ثمنه ، والدابة بنصف ثمنها ، والكَيْمُخت بنصف ثمنه ، فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف ، فحظى بها المهلب عند سلم ، واصطفى سلم من ذلك ما أعجبه ، وبعث به إلى يزيدَ مع مَرزُبان مرْو ، وأوفد فى ذلك وفداً .

قال مسلمة وإسحاق بن أيّوب : غزا سلْم سمرقند بامرأته أمّ محمد ابنة عبد الله ، فولدتْ لسلم ابناً ، فسمّاه صُغْدى .

قال علىّ بن محمد : ذكر الحسن بن رشيد الجُوزَجانىّ ، عن شيخ من خُزاعة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : غزوت مع سَلم بن زياد خُوارَزْم ، ٢/٣٩٥

فصالحوه على مال كثير ، ثم عبر إلى سمرقند فصالحه أهلُها ، وكانت معه امرأته أمّ محمد ، فولدتْ له فى غزاته تلك ابناً ، وأرسلتْ إلى امرأة صاحب الصُّغْد تستعير منها حليًّا ، فبعثتْ إليها بتاجها ؛ وقَفَلوا ، فذهبتْ بالتاج .

* * *

وفى هذه السنة عَزَلَ يزيدُ عمرَو بن سعيد عن المدينة وولاّها الوليدَ بن عتبة ، حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، قال: نزع يزيد بن معاوية عمرَو بن سعيد ، لهلالِ ذى الحجة ، وأمَّر الوليدَ بنَ عتبة على المدينة ، فحجّ بالناس حجّتين سنة إحدى وستين وسنة اثنتين وستين .

وكان عامل يزيد بن معاوية فى هذه السنة على البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد ، وعلى المدينة فى آخرها الوليد بن عتبة ، وعلى خُراسانوسِجِستان سَلْم بن زياد ، وعلى قضاء البَصْرة هشام بن هُبَيْرة ، وعلى قضاء الكُوفة شُريح .

وفيها أظهر ابن الزبير الخلافَ على يزيدَ وخلْعَه . وفيها بويع له .

* * *

ذكر سبب عزل يزيد عمرَو بن سعيد عن المدينة وتوليته عليها الوليد بن عتبة

وكان السبب فى ذلك وسبب إظهار عبدِ الله بن الزّبير الدعاءَ إلى نفسه — فيما ذكر هشام ، عن أبى مخنف ، عن عبد الملك بن نَوْفل — قال: حدّثنى أبى ، قال: لما قُتل الحسين عليه السلام قام ابن الزُّبير فى أهل مكة وعظّم مَقتلَه ، وعاب على أهل الكوفة خاصّة ، ولامَ أهلَ العراق عامة ، فقال بعد أن حَمِد الله ٢/٢٩٦ وأثْنَى عليه وصلّى على محمد صلى الله عليه وسلم : إنّ أهل العراق غُدُرٌ فُجُرٌ إلا قليلاً ، وإنّ أهل الكوفة شِرارُ أهل العراق ؛ وإنهم دَعَوا حُسيناً لينصروه ويولّوه عليهم ، فلما قدِم عليهم ثاروا إليه[1] ، فقالوا له: إمّا أن تضع يدَك فى أيدينا فنبعثَ بك إلى ابن زياد بن سميّة سِلْماً فيُمضِيَ فيك حكمَه ، وإما أن تحارب ؛ فرأى والله أنه هو وأصحابه قليل فى كثير ، وإن

(١) ابن الأثير : «عليه».

كان الله عزّ وجلّ لم يُطلع على الغيب أحداً أنه مقتول ، ولكنّه اختار الميتة الكريمةَ على الحياة الذميمة ، فرحم الله حسيناً ، وأخزَى قاتلَ حسين ! لعَمرى لقد كان من خلافهم[1] إيّاه وعصيانهم ما كان فى مثله واعظ وناهٍ عنهم ، ولكنه ما حُمّ نازل ، وإذا أراد الله أمراً لن يُدفَع . أفبعد الحسين نطمئنّ إلى هؤلاء القوم ونصدّق قولهم ونقبل لهم عهداً ! لا ، ولا[2] نراهم لذلك أهلاً ؛ أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه ، كثيراً فى النهار صيامه ، أحقّ بما هم فيه منهم وأوْلى به فى الدّين والفضل ، أما والله ما كان يبدّل بالقرآن الغناءَ ، ولا بالبكاء من خشية الله الحُداء ، ولا بالصّيام شرب الحرام ، ولا بالمجالس فى حلَق الذكر الرّكض فى تطْلاب الصيد — يعرّض بيزيد — فسوف يلقون غيّاً[3] .

فثارَ إليه أصحابه فقالوا له : أيّها الرجل أظهِر بيعتك ، فإنه لم يبقَ أحد إذْ هلَك حسين ينازعك هذا الأمر . وقد كان يبايع الناس سرًّا ، ويُظهر أنه عائذ بالبيت ، فقال لهم : لا تعجلوا — وعمرو بن سعيد بن العاص يومئذ عامل مكة ، وقد كان أشدّ شىء عليه وعلى أصحابه ، وكان مع شدّته عليهم يدارى ويرفق — فلما استقرّ عند يزيدَ بن معاوية ما قد جمع ابن الزبير من الجُموع بمكة ، أعطى الله عهداً ليُوثِقنّه فى سلسلة ، فبعث بسلسلة من فضّة ، فمرّ بها البريد على مرْوان بن الحكَم بالمدينة ، فأخبِر خبر ما قدم له وبالسلسلة الّتى معه ، فقال مروان :

٢/٣٩٧

خُذْها فليستْ للعزيز بخُطَّةٍ وفيها مقالٌ لِامرئٍ مُتَضَعفِ

ثمّ مضى من عندِه حتى قدم على ابن الزبير ، فأتى ابنَ الزبير فأخبَره بممرّ البريد على مروان ، وتمثّل مروانَ بهذا البيت ، فقال ابن الزبير : لا والله لا أكون أنا ذلك المتضعّف ؛ وردّ ذلك البريد ردًّا رقيقاً .

وعلا أمر ابن الزبير بمكة ، وكاتبَه أهلُ المدينة ، وقال الناس : أمّا إذْ هلَكَ الحسين عليه السلام فليس أحدٌ ينازع ابن الزبير .

---

(١) ف : « فى خلافهم » . (٢) ابن الأثير : « والله لا نراهم » .
(٣) يلقون غيّاً ، أى شرًّا وخسراناً ؛ وكل شر عند العرب غى .

حدّثنا نوح بن حبيب القومِسىّ ، قال : حدّثنا هشام بن يوسف . وحدّثنا عبيد الله بن عبد الكريم ، قال : حدّثنا عبد الله بن جعفر المَدينىّ قال : حدّثنا هشام بن يوسف — واللفظ لحديث عبيد الله — قال : أخبرنى عبد الله بن مصعب ، قال : أخبرَنى موسى بن عُقْبة، عن ابن شهاب ، قال : أخبرَنى عبد العزيزبن مروان، قال : لما بعث يزيد بن معاوية بن عِضاه الأشعرىّ ومسْعَدةَ وأصحابهما إلى عبد الله بن الزبير بمكة ليؤْتَى به فى جامعة لتبرّ يمين يزيد ، بعث معهم بجامعة من ورق وبرُنُس خزّ ، فأرسلنى أبى وأخى معهم وقال : إذا بلّغتْه رُسلُ يزيد الرسالة فتعرّضا له، ثم ليتمثّلْ أحدُكما :

٢/٣٩٨

فخُذها فليست للعزيز بخُطَّة ... وفيها مقالٌ لامرئٍ متذلّلِ (١)

أعامِرَ إنّ القومَ ساموك خُطَّةً ... وذلك فى الجيران غَزْل بمِغزل

أَراكَ إذا ما كنتَ للقوم ناصِحاً ... يُقالُ له بالدّلو أَدْبرْ وأَقبل

قال : فلما بلغته الرسلُ الرسالةَ تعرّضنا ، فقال لى أخى : اِكفِنيها ، فسمِعَنى ، فقال : أى ابنىْ مروان ، قد سمعتُ ما قلتما ، وعلمتُ ما ستقولانه، فأخبِرا أباكما :

إنّى لَمِنْ نَبْعةٍ صُمٌّ مكاسِرُها ... إذا تَناوَحَتِ القَصْباءُ والعُشَرُ

فلا أَلينُ لغير الحقّ أَسأَلُهُ ... حتى يلين لِضِرس الماضِغ الحَجَرُ

قال : فما أدرى أيّهما كان أعجبَ !

زاد عبد الله فى حديثه ، عن أبى علىّ ، قال : فذاكرت بهذا الحديث مُصعبَ بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزّبير ، فقال : قد سمعتُه من أبى علىّ نحوَ الذى ذكرت له ، ولم أحفظ إسنادَه .

قال هشام، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه سعيد بن عمرو بن سعيد: إنّ عمرو بن سعيد لما رأى الناس قد اشرأبّوا إلى ابن الزُّبَير ومَدّوا إليه أعناقَهم، ظنّ أنّ تلك الأمور تامّةٌ له ، فبعث إلى عبد الله بن عمرو بن العاص —

٢/٣٩٩

(١) للعباس بن مرداس ، وانظر الأغانى ١٦ : ٣١١ .

وكانت له صُحبة ، وكان مع أبيه بمِصْر ، وكان قد قرأ كتب دنيال هنالك ، وكانت قريش إذ ذاك تَعُدّه عالمًا — فقال له عمرو بن سعيد : أخبِرْنى عن هذا الرجل ، أتَرَى ما يطلبُ تامًّا له ؟ وأخبِرْنى عن صاحبى إلى ما ترى أمرَه صائراً إليه ؟ فقال : لا أرى صاحبَك إلا أحد الملوك الذين تمّ لهم أمورهم حتى يموتوا وهم ملوك . فلم يزدد عند ذاك إلا شدّةً على ابن الزبير وأصحابه ، مع الرفق بهم ، والمداراة لهم .

ثمّ إنّ الوليد بن عتبة[1] وناسًا معه من بنى أمية قالوا ليزيد بن معاوية : لو شاء عَمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث به إليك ، فسرّح الوليد بن عُتْبة على الحجاز أميراً ، وعزل عَمراً .

وكان عزلُ يزيد عَمراً عن الحجاز وتأميرُه عليها الوليد بن عُتبة فى هذه السنة — أعنى سنة إحدى وستين ؛ قال أبو جعفر : حدّثت عن محمد بن عمر قال : نزع يزيدُ عَمرو بن سعيد بن العاص لهلال ذى الحجة سنة إحدى وستين وولّى الوليد بن عُتبة ، فأقام الحجّة سنة إحدى وستين بالناس ، وأعاد ابن ربيعة العامرىّ على قضائه .

وحدّثنى أحمد بن ثابت ، قال : حدّثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، قال : حجّ بالناس فى سنة إحدى وستين الوليدُ بنُ عُتبة ، وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل السير .

وكان الوالى فى هذه السنة على الكوفة والبَصرة عُبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُريح ، وعلى قضاء البَصرة هشام بن هُبيرة ، وعلى خُراسانَ سَلْم بن زياد .

(١) ط : « عقبة » ، وانظر الفهرس .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين

ذكر الخبر عمّا كان فى هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك مَقدَم[1] وفد أهلِ المدينة على يزيدَ بن معاوية .

* ذكر الخبر عن سبب مقدمهم عليه :

وكان السبب فى ذلك – فيما ذكر لوط بن يحيى ، عن عبد الملك بن نوفل ابن مُساحق ، عن عبد الله بن عروة – أنّ يزيد بن معاوية لما سرّح الوليد ابن عُتْبة على الحجاز أميراً ، وعَزَل عَمرو بن سعيد ، قدم الوليدُ المدينةَ فأخذ غلماناً كثيراً لعمرو ومواليَ له ، فحبَسَهم ، فكلّمه فيهم عَمرو ، فأبى أن يخلّيَهم ، وقال له : لا تجزع ياعَمرو ؛ فقال أخوه أبان بن سعيد بن العاص : أعمرٌو يَجزع ! والله لو قبضتم على الجَمْرِ وقبض عليه ما تَرَكه حتى تتركوه ؛ وخرج عمرو سائراً حتى نزل من المدينة على ليلتين ، وكتب إلى غلمانه ومواليه وهم نحوٌ من ثلثمائة رجل : إنى باعث إلى كلّ رجل منكم جَمَلا وحقيبةً وأداته ، وتُناخ لكم الإبل فى السوق[2] ، فإذا أتاكم رسولى فاكسروا بابَ السجن ، ثم ليقمْ كلُّ رجل منكم إلى جَمَله فليركبْه ، ثمّ أقبِلوا علىّ حتى تأتونى ؛ فجاء رسولُه حتى اشترى الإبل ، ثمّ جهّزها بما ينبغى لها ، ثمّ أناخها فى السوق ، ثمّ أتاهم حتى أعلمهم ذلك ، فكسروا بابَ السجن ، ثم خرجوا إلى الإبل فاستوَوْا عليها ، ثمّ أقبلوا حتى انتهوا إلى عَمرو بن سعيد فوجدوه حين قدم على يزيدَ بن معاوية . فلما دخل عليه رحّب به وأدنى مجلسَه. ثمّ إنه عاتبه فى تقصيره فى أشياء[3] كان يأمره بها فى ابن الزّبير ، فلا ينفّذ منها[4] إلا ما أراد ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، الشاهدُ يَرَى ما لا يَرَى الغائبُ ، وإنّ جُلّ أهلِ مكة وأهل المدينة قد كانوا مالُوا إليه وهوَوه وأعطوه الرّضا ، ودعا بعضهم بعضًا سِرًّا وعلانية ، ولم يكن معى جند أقوى بهم عليه لو ناهضتُه ، وقد كان يحذَرُنى ويتحرّز منى ، وكنت أرفُق به وأداريه

---

(١) ف : « فمما كان فيها » .
(٢) س : « بالسوق » .
(٣) ف : « وأشياء » .
(٤) س : « ولا ينفذ منها » .

لأستمكر منه فأثبَ عليه ، مع أنى قد ضيَّقتُ عليه ، ومنعتُه من أشياءَ كثيرة لو تركته وإياها ما كانت له إلا معونةً ، وجعلتُ على مكّة وطُرُقها وشعابها رجالاً لا يَدَعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا إلىّ باسمه واسم أبيه ، ومن أىّ بلاد الله هو ، وما جاء به وما يريد ؛ فإنْ كان من أصحابه أو ممن أرى أنه يريده رددتُه صاغراً ، وإن كان ممّن لا أتّهم ، خلّيتُ سبيلَه . وقد بعثتَ الوليد ، وسيأتيك من عمله وأثره ما لعلك تعرف به فضلَ مبالغتى فى أمرك ، ومناصَحتى لك إن شاء الله ؛ والله يصنع لك ، ويَكبت عدوّك يا أمير المؤمنين .

فقال له يزيد : أنت أصدَق ممن رقّى هذه الأشياء عنك ، وحَمَلَنى بها عليك ، وأنت ممن أثق به ، وأرجو معونته ، وأدّخره لرأبِ الصَّدْع ، وكفايةِ المُهِمّ ، وكشفِ نوازل الأمور العظام ؛ فقال له عمرو : وما أرى يا أميرَ المؤمنين أنّ أحداً أولَى بالقيام بتشديدِ سلطانك ، وتوهين عدوّك ، والشدّة على مَن نابَذَك منّى . وأقام الوليد بن عتبة يريد ابن الزبير فلا يجده إلا متحذّراً متمنّعًا ، وثار نَجْدة بن عامر الحنفىّ باليمامة حين قُتل الحسين ، وثار ابن الزبير ، فكان الوليد يُفيض من المُعَرَّف ، وتُفيض معه عامة الناس ، وابن الزبير واقف وأصحابه ، ونجدة واقفٌ فى أصحابه ، ثم يُفيض ابن الزبير بأصحابه ونجدة بأصحابه ، لا يُفيض واحد منهم بإفاضة صاحبه . وكان نجدة يَلقَى ابنَ الزّبير فيكثّر حتى ظنّ الناس أنه سيبايعه . ثمّ إنّ ابن الزبير عمل بالمكر فى أمر الوليد بن عُتبة ، فكتب إلى يزيدَ بن معاوية : إنك بعثتَ إلينا رجلاً أخرَق ، لا يتَّجه لأمر رَشَد ، ولا يَرعَوِى لعظَة الحكيم ، ولو بعثتَ إلينا رجلا سهلَ الخُلُق ، ليِّن الكتف ، رجوتُ أن يَسْهُل من الأمور ما استَوْعَرَ منها ، وأن يَجتمع ما تفرّق ، فانظر فى ذلك ، فإنّ فيه صلاح خواصّنا وعوامّنا إن شاء الله ؛ والسلام . ٢/٤٠٢

فبعث يزيدُ بن معاوية إلى الوليد فعزَله وبعث عثمان بن محمد بن أبى سُفْيان — فيما ذكر أبو مخنف ، عن عبد الملك ابن نوفل بن مساحق ، عن حميد ابن حمزة ؛ مولًى لبنى أمية — قال : فقَدِم فتًى غرٌّ حَدَثٌ غُمْرٌ لم يُجرِّب

الأمور ، ولم يحنّكه السنّ ، ولم تُضرّسه التجارب ؛ وكان لا يكاد ينظر فى شىء من سلطانه ولا عمله ، وبعث إلى يزيدَ وفداً من أهل المدينة فيهم عبدُ الله بنُ حنظلة الغَسيل الأنصارىّ وعبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومىّ ، والمنذر بن الزبير ، ورجالاً كثيراً من أشراف أهل المدينة ، فقدموا على يزيدَ بن معاوية ، فأكرمهم ، وأحسنَ إليهم ، وأعظم جوائزَهم . ثمّ انصرفوا من عنده ، وقَدِموا المدينة كلهم إلاّ المنذر ابن الزبير فإنه قدم على عبيد الله بن زياد بالبصرة — وكان يزيد قد أجازه بمائة ألف درهم — فلما قدم أولئك النفر الوفد المدينةَ قاموا فيهم فأظهروا شتْمَ يزيدَ وعَتْبة ، وقالوا : إنا قدمْنا من عندِ رجل ليس له دِين ، يشرب الخمر ، ويَعزِف بالطنابير ، ويَضرِب عنده القيان ، ويَلعَب بالكلاب ، ويسامر الخُرّاب والفتيان ، وإنا نُشهدكم أنا قد خلعناه ؛ فتابعَهم الناس . ٤٠٣/٢

قال لوط بن يحيى : فحدّثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، أنّ الناس أتَوا عبدَالله بن حنظلة الغسيل فبايعوه وولوه عليهم .

قال لوط : وحدثنى أيضًا محمد بن عبد العزيز بن عبد الرّحمن بن عوف : ورجع المنذر من عند يزيدَ بن معاوية ، فقَدِم على عُبيد الله بن زياد البصرةَ ، فأكرمه وأحسن ضيافتَه ، وكان لزياد صديقًا ، إذ سقط إليه كتابٌ من يزيدَ بن معاوية حيث بلغه أمرُ أصحابه بالمدينة . أن أوثقْ المنذرَ بنَ الزبير واحبِسه عندَك حتى يأتيَك فيه أمرى ؛ فكره ذلك عبيد الله ابن زياد لأنه ضيْفه ، فدعاه فأخبره بالكتاب وأقرأه إياه ، وقال له : إنك كنت لزياد وُدًّا وقد أصبحتَ لى ضيفًا ، وقد آتيتُ إليك معروفًا ، فأنا أحبُّ أن أسدِىَ ذلك كله بإحسان ، فإذا اجتمع الناس عندى فقُمْ فقُلْ : ائذنْ لى فلأنصرفْ إلى بلادى ، فإذا قلتُ : لا بَلْ أقِمْ عندى فإنّ لك الكرامةَ والمواساة والأثَرةَ ، فقُل : لى ضيعةٌ وشُغْلٌ ، لا أجد من الانصراف بُدًّا فأذنْ لى ، فإنى آذنُ لك عند ذلك ؛ فالحقْ بأهلك .

فلما اجتمع الناس عند عُبيد الله قام إليه فاستأذنه فقال : لا بل أقِمْ عندى فإنى مُكرمُك ومُواسيك ومؤثرُك ؛ فقال له : إنّ لى ضيعةً وشُغلاً ، ٤٠٤/٢

ولا أجدُ من الانصراف بدًّا فأذن لى ؛ فأذِن له . فانطلق حتى لِحق بالحجاز ؛ فأتى أهلَ المدينة ، فكان فيمن يحرِّض الناسَ على يزيد ، وكان من قوله يومئذ : إنّ يزيدَ واللهِ لقد أجازنى بمائة ألف درهم ، وإنه لا يمنعنى ما صنع إلىّ أن أخبركم خبرَه ، وأصدُقكم عنه ، واللهِ إنه ليَشرب الخمر ، وإنه ليَسكَر حتى يدعَ الصلاة ؛ وعابه بمثل ما عابه به أصحابُه الذين كانوا معه وأشدَّ ، فكان سعيد بن عمرو يُحدِّث بالكوفة أنّ يزيدَ بنَ معاوية بلغه قولُه فيه فقال : اللهمَّ إنى آثرتُه وأكرمتُه ، ففعل ما قد رأيتَ ، فاذكرْه بالكذب والقطيعة .

قال أبو مخنف : فحدّثنى سعيد بن زيد أبو المثلم أنّ يزيدَ بن معاوية بعث النعمانَ بنَ بشير الأنصارىّ فقال له : ائتِ الناس وقومك فافثأهم عمّا يريدون ، فإنهم إنْ لم ينهضوا فى هذا الأمر لم يجترئْ الناسُ على خلافى ، وبها من عشيرتى من لا أحبّ أن ينهض فى هذه الفتنة فيَهلك .

فأقبل النعمان بن بشير فأتى قومَه ، ودعا الناس إليه عامّة ، وأمَرَهم بالطاعة ولزوم الجماعة ، وخوّفهم الفتنةَ ، وقال لهم : إنه لا طاقةَ لكم بأهل الشأم ؛ فقال عبد الله بن مطيع العدوىّ : ما يحملك يا نُعمانُ على تفريق جماعتنا ، وفسادِ ما أصلَح الله من أمرنا ! فقال النعمان : أمَا والله لكأنى بك لو قد نزلتْ تلك التى تدعو إليها ، وقامت الرجال على الرُّكَب تَضرِب مفَارقَ القوم وجباهَهم بالسيوف ، ودارت رحا الموت بين الفريقين قد هربتَ[1] على بغلتك تضرب جنبيْها إلى مكّة ، وقد خلّفت هؤلاء المساكينَ — يعنى الأنصار — يُقتلون فى سِككِهم ومساجدهم ، وعلى أبواب دُورهم ! فعصاه الناس ، فانصرف . وكان والله كما قال . ٢/٤٠٥

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة الوليدُ بن عتبة . وكانت العمال فى هذه السنة على العراق وخُراسان العُمّالَ الذين ذكرتُ فى سنة إحدى وستين .

وفى هذه السنة وُلدَ — فيما ذُكِر — محمد بن عبد الله بن العبّاس .

(١) ف : « ضربت » .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك ما كان من إخراج أهل المدينة عامل يزيدَ بن معاوية عثمانَ بنَ محمد بن أبى سُفْيان من المدينة ، وإظهارِهم خلعَ يزيد بن معاوية ، وحصارِهم مَن كان بها من بنى أميّة ؛ ذكر هشام بن محمد ، عن أبى مخنف ، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن حبيب بن كُرّة ، أنّ أهل المدينة لمّا بايعوا عبد الله بن حنظلة الغَسيل على خلع يزيد بن معاوية ، وثبوا على عثمانَ ابن محمد بن أبى سُفْيان ومَن بالمدينة من بنى أميّة ومواليهم ومَن رأى رأيَهم من قريش ، فكانوا نحواً من ألف رجل ، فخرجوا بجماعتهم حتّى نزلوا دارَ مروانَ بن الحكم ، فحاصرَهم الناسُ فيها حصاراً ضعيفاً . قال : فدعت بنو أميّة حبيب بن كرّة ، وكان الذى بَعَثَ إليه منهم مروان بن الحكم وعمرو ابن عثمان بن عفان ، وكان مروان هو يدبِّر أمرهم . فأما عثمان بن محمد بن أبى سُفْيان فإنما كان غلاماً حدَثاً لم يكن له رأى. قال عبدالملك بن نوفل : فحدّثنى حبيب بن كرة ، قال : كنت مع مروان ، فكتب معى هو وجماعة من بنى أميّة كتاباً إلى يزيدَ بن معاوية ، فأخذ الكتابَ عبدُ الملك بن مروان حتّى خرج معى إلى ثنيّة الوَدَاع ، فدفع إلىّ الكتاب وقال : قد أجّلتك اثنتى عشرةَ ليلةً ذاهباً واثنتى عشرةَ ليلةً مُقبلاً ، فوافِنى لأربع وعشرين ليلة فى هذا المكان تجدنى إن شاءَ الله فى هذه الساعة جالساً أنتظرك . وكان الكتاب : ٢/٤٠٦

بسم الله الرّحمن الرّحيم : أمّا بعد ، فإنه قد حُصِرنا فى دار مروان بن الحكَم ، ومُنعنا العذْب ، ورُمينا بالجَبوب[1] ، فياغَوْثاه يا غَوْثاه !

قال : فأخذتُ الكتاب ومضيت به حتى قدمتُ على يزيد وهو جالس على كُرسىّ ، واضع قدمَيْه فى ماء طست من وَجَع كان يجده فيهما — ويقال : كان به النِّقْرِس — فقرأه ثمّ قال فيما بلغَنا متمثّلا :

(١) الجبوب : الأرض الغليظة ، وفى ط : « الحبوب » تصحيف .

لقد بدّلوا الحِلم الّذى مِن سَجيَّتى[1] فَبدّلتُ قومى غِلظةً بلِيسانِ

ثمّ قال : أمَا يكون بنو أميّة ومواليهم ألفَ رجل بالمدينة ؟ قال[2] : قلت : بلى ، والله وأ كثر ؛ قال : فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار ! ٤٠٧/٢
قال : فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، أجمع الناس كلهم عليهم ، فلم يكن لهم بجمع الناس طاقةٌ ؛ قال : فبعث إلى عَمرو بن سعيد فأقرأه الكتابَ ، وأخبرَه الخبر ، وأمرَه أن يسير إليهم فى الناس ، فقال له : قد كنتُ ضبطتُ لك البلاد ، وأحكمتُ لك الأمور ، فأمّا الآن إذ صارت إنما هى دِماء قريش تُهراق بالصّعيد ، فلا أُحبّ أن أكون أنا أتولى ذلك ، يتولّاها منهم مَن هو أبعد منهم منّى . قال : فبعثنى بذلك الكتاب إلى مسلم بن عُقْبة المرّىّ — وهو شيخ كبير ضعيف مريض — فدفعتُ إليه الكتاب ، فقرأه ، وسألنى عن الخبر فأخبرتُه ، فقال لى مِثلَ مقالة يزيدَ : أمَا يكون بنو أمية ومواليهم وأنصارهم بالمدينة ألفَ رجل ! قال : قلت : بلى يكونون ؛ قال : فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار ! ليس هؤلاء بأهل أن يُنصَروا حتى يَجهَدوا أنفسهم فى جهاد عدّوهم ، وعِزّ سلطانهم ؛ ثم جاء حتى دخل على يزيدَ فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تنصرْ هؤلاء فإنهم الأذلّاء ؛ أما استطاعوا أن يقاتلوا يومًا واحداً أو شَطْرَه أو ساعةً منه ! دَعهم يا أميرَ المؤمنين حتى يجهَدوا أنفسهَم فى جهاد عدوّهم ، وعزّ سلطانهم ، ويستبينَ لك من يقاتل منهم على طاعتك ، ويصبر عليها أو يستسلم ؛ قال : وَيحْك ! إنه لا خيرَ فى العيش بعدهم ، فاخرج فأنْبِئْنِى نبَأك ، وسرْ بالناس ؛ فخرج مناد يه فنادَى : أن سيروا إلى الحِجاز على أخذِ أعطياتكم كَمَلاً ومعونةِ مائة دينار توضَعُ فى يد الرجل من ساعته ، فانتدب لذلك اثنا عشر ألف رجل . ٤٠٨/٢

* * *

حدّثنا ابن حميد قال : حدّثنا جرير ، عن مغيرة ، قال : كتب يزيد إلى ابن مَرْجانة : أن اغزُ ابنَ الزبير ؛ فقال : لا أجمعهما للفاسق أبداً ،

(١) ابن الأثير : « فى سجيتى » .
(٢) ابن الأثير : « فقال الرسول » .

أقتل ابنَ بنت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأغزو البيتَ !

قال : وكانت مَرْجانة امرأةَ صدق ، فقالت لعبيد الله حين قتِل الحسين عليه السلام : وَيْلَكَ ! ماذا صنعتَ ! وماذا ركبت !

* * *

رجع الحديث إلى حديث حبيب بن كُرّة . قال : فأقبلت حتى أوافيَ عبد الملك بن مروان فى ذلك المكان فى تلك الساعة أو بُعَيدَها شيئًا . قال : فوجدتُه جالسًا متقنِّعًا تحت شجرة ، فأخبرته بالذى كان ، فُسرّ به[١] ، فانطلقنا[٢] حتى دخلنا دارَ مروانَ على جماعة بنى أمية ، فنبّأتهم[٣] بالذى قَدِمتُ به ، فحمِدوا اللهَ عزّ وجلّ .

قال عبد الملك بن نوفل : حدّثنى حبيب ، أنه بلغه فى عشرة . قال : فلم أبرحْ حتى رأيت يزيد بن معاوية خرج إلى الخيل يتصفّحها ويَنظر إليها ؛ قال : فسمعتُه وهو يقول وهو متقلِّد سيفًا ، متنكبٌ قوسًا عربيّة :

أَبلغْ أَبا بَكرٍ إذَا الليلُ سَرَى ... وهَبَطَ القومُ على وادِى القُرَى

عشرون ألفًا بين كهلٍ وفَتى ... أَجَمْع سَكرانَ مِنَ القوم تَرَى!

أَم جَمْع يَقظانَ نُفِى عنه الكَرَى! ... يا عجباً مِن مُلْحِدٍ يَا عجبا !

* مُخادِع فى الدين يقْفُو بالعُرى *[٤]

٢/٤٠٩ قال عبد الملك بن نوفل : وفَصَل ذلك الجيش من عند يزيدَ وعليهم مُسلِم بن عُقْبة ، وقال له : إن حَدَث بك حَدَثٌ فاستخلفْ على الجيش حُصين بن نُمَير السَّكونىّ ؛ وقال له : ادعُ القومَ ثلاثًا ، فإن هم أجابوك وإلا فقاتلْهم ، فإذا أظْهِرتَ عليهم فأبِحْها ثلاثًا ، فما فيها من مال أو رِقَةٍ[٥] أو سِلاح أو طعام فهو للجند ، فإذا مضت الثلاثُ فاكفُف عن الناس ؛ وانظر علىّ بنَ الحسين ، فاكففْ عنه ، ، واستَوْصِ به خيرًا ،

(١) س : « فسره » . (٢) س ، ف : « وانطلقنا » . (٣) ف : « فنبأته » .
(٤) ابن الأثير : « يعفو بالعرى » .
(٥) الرقة : الدراهم ، وفى ابن الأثير : « أو دابة » .

وأدنِ مجلسَه ، فإنه لم يدخل فى شىء مما دخلوا فيه ، وقد أتانى كتابُه . وعلىٌّ لا يعلم بشىء مما أوصَى به يزيد بن معاوية مسلمَ بن عقبة ، وقد كان علىٌّ بن الحسين لما خرج بنو أمية نحو الشأم أوى إليه ثَقَل مروان بن الحكم، وامرأتَه عائشة بنت عثمان بن عفّان ، وهى أمّ أبان بن مروان .

* * *

وقد حدّثت عن محمد بن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : لما أخرج أهلُ المدينة عثمانَ بن محمد من المدينة ، كلّم مروان بنَ الحكَم ابن عمر أن يغيِّب أهلَه عنده ، فأبى ابن عمر أن يفعل ، وكلم علىَّ بن الحسين ، وقال : يا أبا الحسن ، إنّ لى رَحِماً ، وحُرَمى تكون مع حُرَمك ، فقال(١) : أفعل ؛ فبعث بحُرَمه إلى علىّ بن الحسين ، فخرج بحُرمه وحُرَم مروان حتى وضعهم بيَنْبُعَ ، وكان مروانُ شاكراً لعلىّ بن الحسين ، مع صداقة كانت بينهما قديمة . ٢/٤١٠

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبى مخنف عن عبد الملك بن نَوْفل ، قال : وأقبل مسلم بن عُقبة بالجيش حتى إذا بلغ أهلَ المدينة إقبالُه وثبوا على مَنْ معهم من بنى أميّة ، فحصروهم فى دار مرْوان ، وقالوا : واللهِ لانكفّ عنكم حتى نستنزلَكم ونضربَ أعناقكم ، أو تُعطونا عهدَ الله وميثاقَه لاتَبْغونا غائلةً ، ولا تدلّوا لنا على عَوْرة ، ولا تُظَاهِروا علينا عدوًّا، فنكفّ عنكم ونُخرجَكم عنّا ، فأعطَوْهم عهدَ الله وميثاقَه لا نبغيكم غائلةً ، ولا ندلّ لكم على عورة ؛ فأخرَجوهم من المدينة ، فخرجتْ بنو أمية بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادى القُرى ، وخرجتْ عائشة بنت عثمان بن عفان إلى الطائف ، فتمرّ بعلىّ بنِ حسين وهو بمالٍ له إلى جنب المدينة قد اعتزلها كراهية أن يَشهَد شيئاً من أمرهم ، فقال لها : احمِلِى ابنِى عبد الله معكِ إلى الطائف ، فحملتْه إلى الطائف حتى نُقِضتْ أمورُ أهل المدينة .

ولما قدمت بنو أميّة على مسلم بن عُقبة بوادى القرى دعا بعَمرو بن

(١) س : «قال» .

عثمانَ بن عفان أوّل الناس فقال له : أخبرنى خبرَ ما وراءك، وأشِرْ علىّ ؛ قال : لا أستطيع أن أخبرَك ، أخِذ علينا العهودَ والمواثيق ألّا ندلّ على عورة ، ولا نظاهرَ عدوًّا ، فانتهره ثم قال : والله لولا أنّك ابنُ عثمانَ لضربتُ عنقَك، وَايمُ الله لا أقيلها قُرَشيًّا بعدك . فخرج بما لَقِى من عنده إلى أصحابه ، فقال مَرْوان بن الحكَم لابنه عبد الملك : ادخُلْ قبلى لعلّه يجتزِئ بك عنى ، فدخل عليه عبد الملك، فقال : هاتِ ما عندك، أخبِرنى خبرَ الناس، وكيف ترى ؟ فقال له : نعم أرى أن تسير بمن معك ؛ فتنكّبَ هذا الطريقَ إلى المدينة ، حتى إذا انتهيتَ إلى أدنى نَخل بها نزلتَ، فاستظلّ الناس فى ظلّه ، وأكلوا من صَقْره[1] ؛ حتى إذا كان الليلُ أذكيتَ الحرس الليل كلّه عقباً بين أهل العسكر ، حتى إذا أصبحتَ صلّيتَ بالناس الغداةَ ، ثمّ مضيتَ بهم وتركت المدينة ذاتَ اليسار ، ثمّ أدَرْت بالمدينة حتى تأتيَهم من قبل الحرّة مُشرّقًا ، ثمّ تستقبل القومَ ، فإذا استقبلتَهم وقد أشرقَتْ عليهم وطلعت الشمسُ طلعت بين أكتاف أصحابك ، فلا تؤذيهم ، وتقع فى وجوههم فيؤذيهم حرُّها، ويصيبهم أذاها، ويرون ما دمتُم مُشرّقين من ائتلاق بيضكم وحِرابِكم، وأسنّة رماحِكم وسيوفِكم ودروعِكم وسَواعدكم ما لا ترونه أنتم لشىء من سلاحهم ما داموا مغرِّبين ، ثم قاتِلْهم واستَعِنْ بالله عليهم ، فإن الله ناصرُك؛ إذ خالفوا الإمام ، وخرجوا من الجماعة . فقال له مسلم : لله أبوك ! أىّ امرئ ولد إذ ولدك ! لقد رأى بك خلَفاً . ثمّ إنّ مروان دخَل عليه فقال له : إيهِ ! قال : أليس قد دخل عليك عبد الملك ! قال : بلى ، وأىّ رجل عبد الملك ! قلّما كلمت من رجال قريش رجلاً به شبيهًا ؛ فقال له مروان : إذا لقيتَ عبد الملك فقد لقيتَنى ؛ قال : أجَل ، ثمّ ارتحل من مكانه ذلك ، وارتحل الناسُ معه حتى نزل المنزل الذى أمره به عبد الملك ، فصنع فيه ما أمره به ، ثم مضى فى الحرّة حتى نزلها ، فأتاهم[2] من قِبَل المشرق . ثمّ دعاهم مسلم بن عقبة، فقال : يا أهلَ المدينة ، إنّ أمير المؤمنين

٢/٤١١

٢/٤١٢

---

(١) الصقر : الدبس ، وهو عسل التمر وعصارته .

(٢) س : « حتى أتاهم » .

يزيدَ بن معاوية يزعم أنكم الأصل، وإنى أكره هِراقةَ دمائكم، وإنِّى أؤجّلكم ثلاثاً ، فمن ارعوَى وراجَع الحقّ قبلنا منه ، وانصرفت عنكم ، وسرت إلى هذا المُلْحد الذى بمكة ، وإن أبَيْتم كنا قد أعذرنا إليكم — وذلك فى ذى الحِجّة من سنة أربع وستّين ؛ هكذا وجدتُه فى كتابى ، وهو خطأ ، لأنّ يزيدَ هلك فى شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين ، وكانت وقعة الحـرّة فى ذى الحجة من سنة ثلاث وستين يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه .

ولما مضت الأيام الثلاثة قال : يا أهل المدينة، قد مضت الأيام الثلاثة، فما تصنعون[1] ؟ أتسالمون أم تحاربون ؟ فقالوا : بل نحارب ؛ فقال لهم : لا تفعلوا ، بل ادخلوا فى الطاعة ، ونجعل حدّنا وشوكتنا على هذا الملحِد الذى قد جمع إليه المرّاقَ والفُسّاق من كلّ أوْب . فقالوا لهم : يا أعداءَ الله ، والله لو أردتم أن تجوزوا إليهم ما تركناكم حتى نقاتلكم ، نحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام ، وتخيفوا أهلَه ، وتلحدوا فيه ، وتستحلّوا حرمتهُ ! لا والله لا نفعل .

وقد كان أهل المدينة اتّخذوا خندقاً فى جانب المدينة ، ونزله جمع منهم عظيمٌ ، وكان عليهم عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف ابن عمّ عبد الرحمن ابن عوف الزهرىّ ، وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر فى جانب المدينة ، وكان مَعْقِل بن سنان الأشْجَعىّ على ربع آخر فى جانب المدينة، وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصارىّ، فى أعظم تلك الأرباع وأكثرها عدداً .

٤١٣/٢

قال هشام : وأما عوانة بن الحكم الكلبىّ ، فذكر أنّ عبد الله بن مطيع كان على قريش من أهل المدينة ، وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار ، ومعقِل بن سنان على المهاجرين .

قال هشام ، عن أبى مخنف : قال عبد الملك بن نوفل : وصمد مسلم ابن عُقْبة بجميع من معه ، فأقبل من قِبل الحـرّة حتى ضرب[2] فسطاطه على

---

(١) ابن الأثير : « ما تصنعون » .

(٢) س : « فضرب » .

طريق الكوفة ، ثم وجّه الخيل نحو ابن الغسيل ، فحمل ابن الغسيل على الخيل فى الرجال الذين معه حتى كشف الخيل ، حتى انتهوا إلى مسلم بن عقبة ، فنهض فى وجوههم بالرّجال ، وصاح بهم ، فانصرفوا فقاتلوا قتالاً شديداً .
ثمّ إنّ الفضلَ بنَ عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء إلى عبد الله ابن حنظلة الغسيل فقاتل فى نحو من عشرين فارسًا قتالا شديداً حسَنًا ، ثم قال لعبد الله : مُر من معك فارسًا فليأتنى فليقفْ معى ، فإذا حملتُ فلْيحملوا ، فوالله لا أنتهى حتى أبلغ مسلماً ، فإمّا أن أقتلَه ، وإما أن أقتَل دونه . فقال عبد الله بن حنظلة لعبد الله بن الضحاك من بنى عبد الأشهل من الأنصار : نادِ فى الخيل فلْتَقف مع الفضل بن العباس ، فنادى فيهم[1] فجمعهم إلى الفضل ، فلما اجتمعتْ الخيل إليه حمل على أهل الشأم فانكشفوا ، فقال لأصحابه : ألا ترونهم كُشْفًا لئاماً ! احملوا أخرى جُعِلتُ فداكم ! فوالله لئن عاينتُ أميرهم ، لأقتلنه أو لأقتَلَن دونه ، إنّ صبر ساعة مُعقِبٌ سرور أبد، إنه ليس بعدُ لصبرنا إلا النصرُ. ثم حمل وحمل أصحابُه معه ، فانفرجت خيلُ أهل الشأم عن مسلم بن عقبة فى نحو من خمسمائة راجل جُثاة على الرُّكَب ، مشرعى الأسنة نحو القوم ، ومضى كما هو نحوَ رايته حتى يضربَ رأس صاحب الراية ، وإنّ عليه لمِغفراً ، فقطّ المغفر ، وفلق هامته فخرّ ميتًا ، فقال : خذها منىّ وأنا ابن عبد المطلب ! فظنّ أنه قتَل مسلماً ، فقال : قتلتُ طاغيةَ القوم وربّ الكعبة ، فقال مسلم : أخطأت استُك الُحفرةَ ! وإنما كان ذلك غلامًا له ، يقال له : رومىّ ، وكان شجاعًا .
فأخذ مسلم رايتَه ونادى : يا أهلَ الشأم ، أهذا القتال قتالُ قوم يريدون أن يدفعوا به عن دينهم ، وأن يُعزّوا به نصر إمامهم ! قبّح الله قتالكم منذُ اليوم ! ما أوجعه لقلبى ، وأغيظه لنفسى ! أمَا والله ما جزاؤكم عليه إلا أن تُحرَموا العطاءَ ، وأن تجمّروا فى أقاصى الثغور . شدّوا مع هذه الراية ، ترّح الله وجوهكم إن لم تُعتِبوا ! فمشى برايته ، وشدّت تلك الرّجال أمام الراية ، فصُرِع الفضل بن عباس ، فقُتل وما بينه وبين أطناب مسلم بن عقبة إلاّ نحو

٢/٤١٤

(١) ط : « فنادى فيهم الضحاك » ، والصواب حذف كلمة « الضحاك » ، وانظر الفهرس .

من عشر أذرع ، وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف ، وقُتل معه إبراهيم ابن نُعيم العدوىّ ، فى رجال من أهل المدينة كثير .

٢/٤١٥ قال هشام ، عن عوانة : وقد بلغنا فى حديث آخر أنّ مسلم بن عقبة كان مريضًا يومَ القتال ، وأنه أمر بسرير وكرسىّ فوُضع بين الصفَّين ، ثم قال : يا أهل الشأم ، قاتِلوا عن أميركم أو َدعُوا . ثمّ زحفوا نحوهم فأخذوا لا يصمِدون لربُعٍ من تلك الأرباع إلا هزموه ، ولا يقاتلون إلا قليلا حتى تولَّوا . ثم إنه أقبل إلى عبد الله بن حنظلة فقاتله أشدّ القتال ، واجتمع من أراد القتال من تلك الأرباع إلى عبد الله بن حنظلة ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فحمل الفضل ابن العبّاس بن ربيعة فى جماعة من وجوه الناس وفُرسانهم يريد مسلمَ بن عقبة ، ومسلم على سريره مريض ، فقال : احمِلونى فضعونى فى الصفّ ، فوضعوه بعد ما حملوه أمام فسطاطه فى الصفّ ، وحمل الفضل بن العباس هو وأصحابه أولئك حتى انتهى إلى السرير ، وكان الفضل أحمَر ، فلما رفع السيفَ ليضربَه صاح بأصحابه : إن العبد الأحمر قاتلى ، فأين أنتم يا بَنِي الحرائر ! اشْجروه[1] بالرّماح ، فوثبوا إليه فطعنوه حتّى سقط .

قال هشام : قال أبو مخنف : ثمّ إنّ خيل مسلم ورجالَه أقبلتْ نحو عبد الله ابن حنظلة الغسيل ورجاله بعده — كما حدّثنى عبد الله بن مُنْقذ — حتى دنَوا منه ، وركب مُسلم بن عُقْبة فرسًا له ، فأخذ يسير فى أهل الشأم ويحرّضهم ويقول : يا أهل الشأم ، إنكم لستُم بأفضل العرب فى أحسابها ولا أنسابها ، ولا أكثرها عدداً ، ولا أوسعها بلداً ، ولم يخصُصْكم الله بالذى خصّكم به من النصر ٢/٤١٦ على عدوّكم ، وحسن المنزلة عند أئمتكم ، إلا بطاعتكم واستقامتكم ؛ وإنّ هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيَّروا فغيَّر الله بهم ، فتِمّوا على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة يتمّم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر والفَلْج . ثمّ جاء حتى انتهى إلى مكانه الذى كان فيه ، وأمر الخيل أن تقدم على ابن الغسيل وأصحابه ، فأخذتِ الخيلُ إذا أقدمتْ على الرجال فثاروا فى وجوهها بالرّماح

(١) اشجروه بالرماح ، أى اطعنوه بها ، وفى ط : « اسجروه » ، بالسين ، تحريف .

والسيوف نفرتْ وابذعرّتْ وأحجمتْ ، فنادى فيهم مسلم بن عقبة : يا أهلَ الشأم، ما جعلهم الله أولَى بالأرض منكم ، يا حُصَيْن بن نُمَير ، انزِل فى جندك ؛ فنزل فى أهل حِمْصَ ، فمشى إليهم ، فلما رآهم قد أقبلوا يمشون تحت راياتهم نحو ابن الغسيل قام فى أصحابه فقال : يا هؤلاء ؛ إنّ عدوّكم قد أصابوا وَجْه القتال الذى كان ينبغى أن تقاتلوهم به ، وإنى قد ظننت ألّا تلبثوا إلا ساعةً حتى يفصل الله بينكم وبينهم إمّا لكم وإمّا عليكم. أمّا إنكم أهل البصيرة ودار الهجرة ، والله ما أظنّ ربّكم أصبح عن أهل بلد من بلدان المسلمين بأرضَى منه عنكم، ولا على أهل بلد من بُلدان العرب بأسخطَ منه على هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم. إنّ لكل امرئ منكم مِيتةً هو ميّت بها، والله ما من ميتة بأفضلَ من ميتة الشهادة ، وقد ساقها الله إليكم فاغتنموها ، فوالله ما كلّ ما أردتموها وجدتموها . ثم مشى برايته غيرَ بعيد ، ثمّ وقف، وجاء ابن نمير برايته حتى أدناها ، وأمر مسلم بن عُقْبة عبدَ الله بن عضاه الأشعرىّ فمشى فى خمسمائة مُرامٍ حتى دنَوا من ابن الغسيل وأصحابه ، فأخذوا ينضحونهم بالنّبل ، فقال ابن الغسيل : علامَ تستهدفون لهم ! من أراد التعجّل[1] إلى الجنة فليلزم هذه الراية ؛ فقام إليه كلّ مستميت، فقال[2] : الغدوّ إلى ربّكم[3] ، فوالله إنى لأرجو أن تكونوا عن ساعة قريرِى عَيْن ؛ فنهض القوم بعضُهم إلى بعض فاقتتلوا أشدّ قتال رُئِىَ فى ذلك الزمان ساعةً من نهار ، وأخذ يقدّم بنيه أمامه واحداً واحداً حتى قتِلوا بين يديه، وابن الغسيل يضرب بسيفه، ويقول :

٤١٧/٢

بُعْدًا لمن رامَ الفَسادَ وطَغَى وجانَبَ الحقَّ وآيات الهدى

* لا يُبْعِدِ الرحْمَنُ إلاَّ مَنْ عَصَى *

فقُتِل ، وقُتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس ، استقدم فقاتل حتى قتِل ، وقال : ما أحبّ أنّ الديلم قتلونى مكانَ هؤلاء القوم ؛ ثم قاتل حتى قُتل وقُتل معه محمد بن عمرو بن حزم الأنصارىّ ، فمرّ عليه مروان

(١) س وابن الأثير : « التعجيل » .
(٢) س ، ف : « فقالوا » .
(٣) كذا فى س ، وهو الصواب ، وفى ط : « اتعدوا إلى ربكم » .

ابن الحكم وكأنه بِرْطِيل[1] من فِضّة ، فقال : رحمك الله ! فرُبَّ سارية قد رأيتك تطيل القيامَ فى الصلاة إلى جنبها .

قال هشام : فحدّثنى عوانة ،قال : فبلغنا أنّ مسلم بن عقبة كان يجلس على كرسىّ ويحمله الرجال وهو يقاتل ابن الغسيل يوم الحرّة وهو يقول :

٤١٨/٢

أَحْيا أَباه هاشِمُ بن حَرْمَلَهْ يوم الهَباتَيْن ويومَ اليعْمُلَهْ
كلُّ المُلوك عِنْدَهُ مُغَرْبَلَهْ ورُمْحُهُ للوالدات مثكلَهْ
لا يُلبِثُ القتيلَ حتى يَجْدِلهْ يَقْتُل ذا الذَّنْبِ ومن لا ذَنبَ لهْ

قال هشام،عن أبى مخنف : وخرج محمد بن سعد بن أبى وقّاص يومئذ يقاتل ،فلما انهزم الناسُ مال عليهم يضربهم بسيفه حتى غلبته الهزيمةُ ، فذهب فيمن ذهب من الناس ، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناسَ ويأخذون الأموالَ ؛ فأفزع ذلك من كان بها من الصحابة ، فخرج أبو سعيد الخُدْرىّ حتى دخل فى كَهْف فى الجبل ،فبَصُر به رجل من أهل الشأم ،فجاء حتى اقتحم عليه الغار .

قال أبو مخنف : فحدّثنى الحسن بن عطية العوْفىّ ، عن أبى سعيد الخُدْرىّ ، قال : دخل إلىّ الشامىّ يمشى بسيفه ، قال : فانتضيتُ سيفى فمشيت إليه لأرعِبَهُ لعله ينصرف عنّى ، فأبى إلا الإقدامَ علىّ ، فلما رأيت أن قد جدّ شمتُّ سيفى، ثم قلتُ له: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[2] ، فقال لى : منْ أنتَ لله أبوك ! فقلت : أنا أبو سعيد الخُدْرىّ ؛ قال : صاحب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعَم ؛ فانصرف عنّى.

قال هشام : حدّثنى عَوانة، قال : دعا الناسَ مُسلم بن عُقْبة بقُباء إلى البيعة ، وطلب الأمان لرجلين من قريش : ليزيدَ بن عبدالله بن زَمْعة بن الأسود بن

(١) البرطيل : معدن صلب خلقة تنقر به الرحا . (٢) سورة المائدة:٢٨ .

٢/٤١٩ المطّلب بن أسد بن عبد العزّى ومحمد بن أبى الجَهْم بن حذيفة العدوىّ ولمعقل ابن سنان الأشجعىّ ، فأتِى بهما بعد الوقعة بيوم فقال : بايعا ، فقال القرشيّان : نبايعك على كتاب الله وسنّة نبيّه ؛ فقال : لا والله لا أقيلكم هذا أبداً ، فقدّمهما فضرب أعناقهما ، فقال له مروان : سبحان الله ! أتَقْتل رجليْنِ من قريش أتيَا ليؤمِنا فضَربتَ أعناقهما ! فنَخس بالقضيب فى خاصرَته ثم قال : وأنتَ والله لو قلتَ بمقالتهما ما رأيتَ السماءَ إلا برَقْة .

قال هشام : قال أبو مِخنف : وجاء معقل بن سنان ، فجلس مع القوم ، فدعا بشراب ليُسقَى ، فقال له مسلم : أىّ الشراب أحبّ إليك ؟ قال : العسل ، قال : اسقوه ، فشَرِب حتّى ارتوى ، فقال له : أقضيت رِيّك مِن شرابِك ؟ قال : نعم ، قال : لا والله لا تشرب بعده شرابًا أبداً إلا الحميمَ فى نار جهنم ، أتذكر مقالتكَ لأمير المؤمنين : سرتُ شهرًا ، ورجعتُ شهرًا ، وأصبحتُ صِفرًا ، اللهمّ غيِّر — تعنى يزيدَ ! فقدّمه فضَرَبَ عنقَه .

قال هشام : وأمّا عوانة بن الحكم فذكر أن مسلم بنَ عقبة بعث عمرو بن مُحْرِز الأشجعىّ فأتاه بمَعقِل بن سنان فقال له مسلم : مرحبًا بأبى محمد ! أراك عطشان ! قال : أجَل ، قال : شُوبوا له عسلا بالثلج الذى حملتموه معنا — وكان له صديقًا قبل ذلك — فشابوه له ، فلما شرب معقل قال له : سقاك الله من شراب الجنة ؛ فقال له مسلم : أمَا والله لا تشربُ بعدها شراباً أبداً حتى تشربَ من شراب الحميم ؛ قال : أنشُدُك اللهَ والرَّحِمَ ! فقال له مسلم : أنت الذى لقيتنى بطبريّة ليلةَ خرجت من عند يزيد ، فقلت : سرْنا ٢/٤٢٠ شهرًا ورجعْنا من عند يزيد صفرًا ، نرجع إلى المدينة فنخلع هذا الفاسق ، ونبايع لرجل من أبناء المهاجرين ! فيمَ غطفان وأشجع من الخلع[1] والخلافة ! إنّى آليت بيمين لا ألقاك فى حرب أقدر فيه على ضرب[2] عنقك إلا فعلت ،

---

(١) ابن الأثير : « من الخلق » .

(٢) ابن الأثير : « على قتلك » .

ثمّ أمر به فقُتِل .

قال هشام : قال عوانة : وأتِيَ بزيد بن وهب بن زَمْعة ؛ فقال : بايعْ ، قال : أبايعك على سنّة عمر ؛ قال : اُقتُلوه ؛ قال : أنا أبايع ، قال : لا والله لا أقيلك عثْرتَك ، فكلّمه مروان بن الحكم — لصهر كان بينهما — فأمر بمروان فُوجِئتْ عنقُه ، ثم قال : بايعوا على أنكم خوَل ليزيدَ بن معاوية ، ثمّ أمر به فقُتل .

قال هشام : قال عوانة ، عن أبي مخنف . قال : قال عبد الملك بن نوفل ابن مساحق : ثمّ إنّ مروانَ أتِيَ بعليّ بن الحسين . وقد كان عليّ بن الحسين حين أخرِجت بنو أميّة منع ثَقَل مروان وامرأته وآواها ، ثمّ خرجتْ إلى الطائف ، فهي أمّ أبان ابنة عثمان بن عفان ، فبعث ابنه عبد الله معها ، فشكر ذلك له مروان — وأقبل عليّ بن الحسين يمشي بين مروان وعبد الملك يلتمس بهما عند مسلم الأمان ، فجاء حتى جلس عنده بينهما ، فدعا مروان بشراب ليتحرّم بذلك من مسلم ، فأتى له بشراب ، فشرب منه مروان شيئاً يسيراً ، ثمّ ناوله عليّاً ، فلما وقع في يده قال له مسلم : لا تشرب من شرابنا ، فأرعِدت كفّه ، ولم يأمنْه على نفسه ، وأمسك القَدَح بكفّه لا يشربه ولا يضعه ، فقال : إنك إنما جئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي ؛ والله لو كان هذا الأمر إليهما[1] لقتلتك ، ولكنّ أمير المؤمنين أوصاني بك ، وأخبرَني أنك كاتبته ، فذلك نافِعُك[2] عندي ، فإن شئت فاشرب شرابك الذي في يدك ، وإن شئت دعونا بغيره ، فقال : هذه التي في كفّي أريد ؛ قال : اِشربها ، ثم قال : إليّ هاهنا ، فأجلَسه معه .

٤٢١/٢

قال هشام : وقال عوانة بن الحكم : لما أتى بعليّ بن الحسين إلى مسلم ، قال : مَن هذا ؟ قالوا : هذا عليّ بن الحسين ؛ قال : مرحباً وأهلاً ؛ ثم أجلَسَه معه على السرير والطِّنفِسة ، ثم قال : إنّ أمير المؤمنين أوصاني بك قبلاً ، وهو يقول : إنّ هؤلاء الخبثاء شغلوني عنك وعن وُصْلتك[3] ؛ ثم قال

(١) س : « بينهما » .
(٢) س : « نافع » .
(٣) س : « صلتك » .

لعلىّ : لعلّ أهلك فزِعوا ! قال : إى والله ، فأمر بدابّته[1] فأسرِجتْ ، ثمّ حمله فردّه عليها .

قال هشام : وذكر عوانة أنّ عَمرو بن عثمان لم يكن فيمن خرج من بنى أميّة ، وأنه أتى به يومئذ إلى مسلم بن عُقْبة فقال : يا أهل الشام ، تعرفون هذا ؟ قالوا : لا ؛ قال : هذا الخبيث ابن الطيّب ، هذا عَمرو بن عثمانَ بن عفّان أمير المؤمنين ، هيه يا عمرو ! إذا ظهر أهل المدينة قلتَ : أنا رجل منكم ، وإن ظهر أهلُ الشام قلتَ : أنا ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فأمر به فنُتِفت لحيتُه ، ثم قال : يا أهل الشام ، إنّ أمّ هذا كانت تدخِل الجُعَل فى فيها ثم تقول : يا أمير المؤمنين حاجيْتك ، ما فى فمى ؟ وفى فمها[2] ما ساءَها وناءَها[3] ، فخلّى سبيله ، وكانت أمّه من دَوْس .

* * *

قال أبو جعفر الطبرىّ : فحدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وحدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قالا : كانت وقعة الحرّة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى الحجّة سنة ثلاث وستين . وقال بعضهم : لثلاثِ ليالٍ بقِين منه . ٤٢٢/٢

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزّبير . حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى عبد الله بن جعفر ، عن ابن عوف ، قال : حجّ ابن الزبير بالناس سنة ثلاث وستين ، وكان يسمّى يومئذ العائذ ، ويرون الأمرَ شُورَى . قال : فلما كانت ليلة هلال المحرّم ونحن فى منزلنا إذ قدم علينا سعيدٌ مولى المِسْوَر بن مخرَمَة ، فخبّرنا بما أوقع مسلم بأهل المدينة وما نيل منهم ، فجاءهم أمرٌ عظيم ، فرأيت القوم شهروا وجدّوا وأعدّوا وعرفوا أنه نازل بهم .

* * *

(١) ابن الأثير : « فأمر بداية » . (٢) س : « فيها » .
(٣) ابن الأثير : « شامها وباءها » .

وقد ذُكر من أمر وقعة الحَرّة ومقتل ابن الغسيل أمرٌ غيرُ الذى رُوى عن أبي مخنف ، عن الذين رَوَى ذلك عنهم ، وذلك ما حدّثنى أحمد بن زهير قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنا وهب بن جرير ، قال : حدّثنا جويرية بن أسماء ، قال : سمعتُ أشياخَ أهل المدينة يحدّثون أنّ معاوية لمّا حضرته الوفاة دعا يزيدَ فقال له : إنّ لك من أهل المدينة يومًا ، فإنْ فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة ، فإنه رجل قد عرفتُ نصيحتَه . فلما هلك معاوية وفد إليه وفدٌ من أهل المدينة ، وكان ممن وفد عليه عبدُ الله بنُ حنظلة بن أبى عامر ، وكان شريفًا فاضلاً سيّدًا عابدًا ، معه ثمانية بنينَ له ، فأعطاه مائةَ ألف درهم ، وأعطى بنيه لكلّ واحد منهم عشرة آلاف[1] سوى كُسوتهم وحُملانهم ، فلما قدم المدينة عبد الله بن حنظلة أتاه الناس فقالوا : ما وراءك ؟ قال : جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بنىَّ هؤلاء لجاهدتُه بهم ؛ قالوا : قد بلغَنا أنه أجداك[2] وأعطاك وأكرمك ؛ قال : قد فعل ، وما قبلتُ منه إلا لأتقوَّى به ؛ وحضَّض الناسَ فبايعوه ، فبلغ ذلك يزيد ، فبعث مُسْلم بن عُقْبة إليهم ، وقد بعث أهل المدينة إلى كلّ ماء بينهم وبين الشأم ، فصبّوا فيه زقًّا من قَطِران ، وعوِّر ، فأرسل الله السماء عليهم ، فلم يستقوا بدَلْو حتى ورَدُوا المدينة ، فخرج إليهم أهلُ المدينة بجموع كثيرة ، وهيئة لم يُرَ مِثلُها . فلما رآهم أهل الشأم هابُوهم وكرهوا قتالَهم ، ومسلم شديدُ الوجع ، فبينما الناس فى قتالهم إذ سمعوا التكبيرَ من خلْفهم فى جوف المدينة ، وأقحم عليهم بنو حارثة أهلَ الشأم ، وهم على الجَدّ[3] ، فانهزم الناسُ ، فكان من أصيب فى الخندق أكثرَ ممن قُتل من الناس ، فدخلوا المدينة ، وهُزم الناس وعبد الله بن حنظلة مستندٌ إلى أحد بنيه يغطّ نومًا ، فنبّهه ابنه ، فلما فتح عينيه فرأى ما صنع الناسُ أمرَ أكبرَ بنيه ، فتقدّم حتى قتل ، فدخل مسلم بن عقبة المدينة ، فدعا الناسَ للبيعة على أنهم خَوَلٌ ليزيدَ بن معاوية ، يحْكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء .

٢/٤٢٣

---

(١) س : « عشرين ألفًا » .

(٢) ف : « أحذاك » ، وهما بمعنى .

(٣) الجدّ هنا : وجه الأرض .

ثم دخلت سنة أربع وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

٢/٤٢٤ قال أبو جعفر : فمن ذلك مسيرُ أهل الشأم إلى مكة لحرب عبد الله بن الزّبير ومَنْ كان على مثل رأيه فى الامتناع على يزيدَ بن معاوية .

ولما فرغ مسلم بن عُقْبة من قتال أهل المدينة وإنهاب جنده أموالهم ثلاثاً ، شَخَص بمن معه من الجند متوجّهاً إلى مكة ، كالذى ذكر هشام ابن محمد ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى عبد الملك بن نوفل ، أنّ مسلماً خرج بالناس إلى مكة يريد ابن الزبير ، وخلف على المدينة رَوْح بن زِنباع الجُذامىّ .

وأما الواقدىّ فإنه قال : خلف عليها عمرو بن محرز الأشجعىّ ؛ قال : ويقال : خلف عليها رَوْح بن زِنْباع الجُذامىّ .

* * *

ذكر موت مسلم بن عقبة ورمى الكعبة و إحراقها

رجع الحديث إلى أبى مخنف[1] .قال : حتى إذا انتهى إلى المُشلَّل — ويقال : إلى قفا المشلَّل — نزل به الموت ، وذلك فى آخر المحرَّم من سنة أربع وستين ، فدعا حصين بن نمير السَّكونىّ فقال له : يابن برذعة الحمار ، أمَا والله لو كان هذا الأمر إلىّ ما ولّيتُك هذا الجندَ ، ولكنّ أمير المؤمنين ولّاك بعدى ، وليس لأمرِ أمير المؤمنين مَرَدٌّ ؛ خُذ عنى أربعاً : أسرع السيرَ ، وعجّل الوِقاع ، وعمّ الأخبار ، ولا تُمكِنْ قرَشياً من أذنك . ثمّ إنه مات ، فدُفن بقَفا المشلّل .

قال هشام بن محمد الكلبىّ : وذكر عوَانة أنّ مسلم بن عُقْبة شخص يريد ابن الزبير ، حتى إذا بلغ ثنيَّة هَرْشَا نزل به الموت ، فبعث إلى رءوس الأجناد ، فقال : إنّ أمير المؤمنين عهد إلىّ إنْ حدَثَ بى حَدَثُ الموت أن

٢/٤٢٥ أستخلف عليكم حصينَ بنَ نمير السَّكونىّ ، والله لو كان الأمر إلىّ ما فعلت ،

---

(١) انظر ص ٤٩٤ .

ولكن أكره معصيةَ أمرِ أمير المؤمنين عند الموت ؛ ثم دعا به فقال : انظر يا برذعة الحمار فاحفظ ما أوصيك به ؛ عمّ الأخبار ، ولا تُرْعِ سمعَك قريشاً أبداً ، ولا تردّنّ أهل الشأم عن عدوّهم ، ولا تقيمنّ إلا ثلاثاً حتى تناجزَ ابن الزبير الفاسق ؛ ثمّ قال : اللهمّ إنى لم أعمل عملا قطّ بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله أحبَّ إلىّ من قتلى أهل المدينة ، ولا أرجى عندى فى الآخرة . ثمّ قال لبنى مُرَّة : زرَّاعتى[١] التى بحَوْرانَ صدقةٌ على مرّة ، وما أغلقتْ عليه فلانة بابَها فهو لها — يعنى أمّ ولدِه — ثم مات .

ولما مات خرج حصين بن نمير بالناس ، فقدِم على ابن الزبير مكة وقد بايعه أهلُها وأهلُ الحجاز .

قال هشام : قال عوانة : قال مسلم قبل الوصيّة : إنّ ابنى يزعم أنّ أمّ ولدى هذه سقتْنى السمّ ؛وهو كاذب ، هذا داءٌ يُصيبُنا فى بطوننا أهلَ البيت . قال : وقدم عليه — يعنى ابن الزبير — كلُّ أهل المدينة ، وقد قدم عليه نَجْدة بن عامر الحنفىّ فى أناس من الخوارج يمنعون البيت ، فقال لأخيه المنذر : ما لهذا الأمر ولدفع هؤلاءالقوم غيرى وغيرُك -وأخوه المنذر ممن شهد الحرّة،ثمّ لحق به — فجرّد إليهم أخاه فى الناس، فقاتلهم ساعةً قتالاً شديداً. ثمّ إنّ رجلا من أهل الشأم دعا المنذر إلى المبارزة — قال : والشأمىُّ على بغلة له — فخرج إليه المنذر ، فضرب كلٌّ واحد منهما صاحبَه ضربةً خرّ صاحبُه لها ميّتاً ، فجثا عبدُ الله بنُ الزّبير على ركبتيه وهو يقول : ياربّ أبرْها من أصلها ولا تَشدّها[٢] ، وهو يدعو على الذى بارز أخاه . ثمّ إنّ أهل الشأم شدّوا عليهم شَدّةً منكرةً ، وانكشف[٣] أصحابُه انكشافةً ، وعثَرتْ بغلته فقال : تَعْساً[٤] ! ثم نزل وصاح بأصحابه : إلىّ ؛ فأقبَلَ إليه المِسْوَر بن مَخْرمة بن نوفل بن أهَيْب بن عبد مناف بن زُهرة ، ومصعب بن عبدالرحمن ابن عوف الزّهرىّ ، فقاتلوا حتى قُتلوا جميعاً . وصابرَهم ابنُ الزبير يجالدهم ٢/٤٢٦

(١) الزراعة : موضع الزرع ، مثل المزرعة .
(٢) س : « ولا تشنها » .
(٣) س : « فانكشف » .
(٤) س : « فقال لها : لعاً لك » .

حتى الليل ، ثمّ انصرفوا عنه ؛ وهذا فى الحصار الأوّل . ثمّ إنهم أقاموا عليه يقاتلونه بقيّة المحرّم وصفر كله ، حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأوّل يوم السبت سنة أربع وستين قذَفوا البيتَ بالمجانيق ، وحرّقوه بالنار ، وأخذوا يرتجزون ويقولون :

خطّارةٌ مِثلُ الفنِيق المزبدِ نَرْمِى بها أعْوادَ هذا المسْجدِ

قال هشام : قال أبو عوانة : جعل عمرو بنُ حوْط السدوسىّ يقول :

كَيف تَرى صنيع أُم فَرْوَهْ تأْخُذُهُمْ بين الصَّفَا والمَرْوَهْ

يعنى بأمّ فروةَ المنجنيق .

٤٢٧/٢ وقال الواقدىّ : سار الُحصين بن نمير حين دُفن مسلم بن عُقبة بالمشلّل لسبعٍ بقِين من المحرّم ، وقدممكة لأربع بقين من المحرّم ، فحاصر ابنَ الزبير أربعاً وستين يوماً حتّىجاءهم نعْى يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر .

* * *

[ذكر الخبر عن حرق الكعبة]

وفى هذه السنة حُرقت الكعبة .

* ذكرالسبب فى إحراقها :

قال محمد بن عمر : احترقت الكعبة يومَ السبت لثلاثِ ليال خلوْن من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين قبل أن يأتىَ نعىُ يزيدَ بن معاوية بتسعة وعشرين يوماً ، وجاء نعيه لهلال ربيع الآخر ليلة الثلاثاء .

قال محمد بن عمر : حدّثنا رياح بن مسلم ، عن أبيه ، قال : كانوا يوقدون حولَ الكعبة ، فأقبلتْ شرَرَة[1] هبّت بها الريح ، فاحترقت[2] ثياب الكعبة ، واحترق[3] خشبُ البيت يومَ السبت لثلاثِ ليال خلوْن من ربيع الأوّل .

قال محمد بن عمر : وحدّثنى عبد الله بن زيد ، قال : حدّثنى عروة بن

(١) س : « شرارة » . (٢) س : « فأحرقت » . (٣) س : « فاحترق » .

أذَينَة ، قال : قدمتُ مكة مع أمّي يومَ احترقت الكعبة قد خلَصتْ إليها النار ، ورأيتُها مجرّدة من الحرير ، ورأيت الرّكن قد اسودّ وانصدع فى ثلاثة أمكنة ، فقلت : ما أصاب الكعبةَ ؟ فأشاروا إلى رجل من أصحاب عبدِ الله بن الزبير ، قالوا : هذا احترقتْ بسببه ، أخذ قبَسًا فى رأس رمح له فطيّرت الريحُ به ، فضرَبْت أستارَ الكعبة ما بين الركن اليمانىّ والأسوَد[1] .

* * *

[ذكر خبر وفاة يزيد بن معاوية]

وفيها هلك يزيدُ بنُ معاوية ، وكانت وفاته بقرية من قُرى حمصَ يقال لها حُوّارين من أرض الشأم ، لأربع عشرةَ ليلةً خلتْ من ربيع الأوّل سنة أربع وستين وهو ابن ثمان وثلاثين سنةً فى قول بعضهم . ٢/٤٢٨

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا محمد بن يحيى ، عن هشام بن الوليد المخزومىّ ، أنّ الزّهرىّ كتب لجدّه أسنانَ الخلفاء ، فكان فيما كتَب من ذلك : ومات يزيدُ بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين ؛ وكانت ولايتُه ثلاثَ سنين وستة أشهر فى قول بعضهم ، ويقال : ثمانية أشهر .

وحدّثنى أحمد بن ثابت عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، أنه قال : توفّى يزيد بنُ معاوية يومَ الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلتْ من شهر ربيع الأول ، وكانت خلافتُه ثلاثَ سنين وثمانيةَ أشهر إلا ثمان ليالٍ ، وصلّى على يزيدَ ابنُه معاوية بن يزيد .

وأما هشام بن محمد الكلبىّ فإنه قال فى سنّ يزيدَ خلافَ الذى ذكره الزهرىّ ؛ والذى قال هشام فى ذلك — فيما حُدّثنا عنه — : استُخلف أبو خالد يزيد ابن معاوية بن أبى سُفْيان وهو ابن اثنتين وثلاثين سنةً وأشهر فى هلال رجب سنة ستين ، وولى سنتين وثمانية أشهر ، وتوفى لأربع عشرةَ ليلةً خلت من ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستين وهو ابن خمس وثلاثين ، وأمّه ميْسون بنت بَحْدل بن أنيف بن ولْجة بن قُنافةَ بن عدىّ بن زهير بن حارثة الكلبىّ .

(١) الخبر فى الأغانى ٢١ : ١٠٦ (ساسى) .

ذكر عدد ولده

فمنهم معاوية بن يزيدَ بن معاوية ، يُكنَى أبا ليلى ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :

٤٢٩/٢ إنى أَرَى فتنةً قدْ حانَ أَوَّلُهَا والمُلكُ بعد أَبِي لَيْلى لِمَنْ غلَبَا

وخالد بن يزيدَ — وكان يُكنَى أبا هاشم ، وكان يقال : إنه أصاب عَمَل الكيمياء — وأبوسُفْيان ، وأمّهما أمّ هاشم بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، تزوّجها بعد يزيد مروان ، وهى التى يقول لها الشاعر :

اِنْعِمِى أُمَّ خالدِ رُبَّ ساعٍ لقاعِدِ

وعبد الله بن يزيدَ ، قيل : إنه مِن أرْمى العرب فى زمانه ، وأمّه أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وهو الأُسوار ، وله يقول الشاعر :

زعَمَ الناسُ أَنَّ خيرَ قريش كلُّهمْ حِينَ يُذْكَرُ الأُسوَارُ

وعبد الله الأصغر ، وعُمر، وأبو بكر ، وعُتْبة ؛ وحَرب ، وعبد الرحمن ، والربيع ، ومحمد ؛ لأمّهاتِ أولادٍ شتّى .

خلافة معاوية بن يزيد

وفى هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيدَ بن معاوية بن أبى سُفْيان بالشأم بالخلافة ، ولعبد الله بن الزُّبير بالحجاز .

ولما هلك يزيدُ بنُ معاوية مكث الُحصَيْن بن نُمير وأهل الشأم يقاتلون ابنَ الزّبير وأصحابه بمكة — فيما ذكر هشام عن عوانة — أربعين يومًا ، قد حصروهم حصارًا شديداً، وضيّقوا عليهم . ثمّ بلغ موتُه ابن الزبير وأصحابه، ولم يبلغ الحصينَ بن نمير وأصحابه؛ فحدّثنا إسحاق بن أبى إسرائيل، قال : حدّثنا عبد العزيز بن خالد بن رُسْتم الصنعانىّ أبو محمد قال: حدّثنا زياد بن جيل[1]، قال : بينا حُصَين بن نمير يقاتل ابنَ الزبير ، إذْ جاء موت يزيد؛ فصاح بهم ابن الزبير ، فقال : إنّ طاغِيَتَكم قد هلك ، فن شاء منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فلْيفعلْ، فن كَرِه فليلْحقْ بشأمه، فغَدَوْا عليه يقاتلونه . قال : فقال ابنُ الزبير للحصين بن نُمَير : اُدنُ منى أحدّثْك ، فدنا منه فحدّثه ، فجعل فرسُ أحدهما يجْفِل — والجَفْل: الرَّوْث — فجاء حَمام الحَرَم يلتقط من الجَفْل ، فكفّ الحصين فرسَه عنهنّ ، فقال له ابن الزبير : ما لَكَ؟ قال : أخاف أن يَقتُل فرسى حَمامَ الحرَم ؛ فقال له ابن الزبير : أتتحرّجُ من هذا وتريد أن تَقتُل المسلمين! فقال له : لا أقاتلك ؛ فأذنْ لنا نَطفْ بالبيت ، وننصرف عنك ، ففعل فانصرفوا .

٤٣٠/٢

وأما عوانة بن الحكَم فإنه قال — فيما ذكر هشام ، عنه — قال : لما بلغ ابنَ الزبير موتُ يزيد — وأهل الشأم لا يعلمون بذلك، قد حصروه حصاراً شديداً وضيّقوا عليه — أخذ يناديهم هو وأهل مكّة : علامَ تقاتلون ؟ قد هلك طاغِيتُكم ؛ وأخذوا لا يصدّقونه حتى قدم ثابت بن قيس بن المُنْقَع النخَعىّ من أهل الكوفة فى رءوس أهل العراق ، فمرّ بالحصين بن نمير — وكان له صديقًا ، وكان بينهما صِهْر ، وكان يراه عند معاوية ، فكان يعرف فضلَه

(١) ف : « حبل » .

وإسلامَه وشرفَه — فسأل عن الخبر ، فأخبره بهلاك يزيدَ ، فبعث الحصين ابن نُمَير إلى عبد الله بن الزبير ، فقال : موعدُ ما بيننا وبينك الليلةَ الأبطحُ ، فالتقيا ، فقال له الحصين : إن يَكُ هذا الرجل قد هلك فأنت أحقّ الناس بهذا الأمر ؛ هلمّ فلنبايعْك ، ثمّ اخرج معى إلى الشأم ، فإنّ هذا الجند الذين معى هم وجوهُ أهل الشأم وفُرسانُهم ، فوالله لا يختلف عليك اثنان ، وتؤمّن الناس وتُهدِر هذه الدّماء التى كانت بيننا وبينك ، والتى كانت بيننا وبين أهل الحَرَّة ؛ فكان سعيد بن عمرو يقول : ما مَنَعه أن يبايعَهم ويخرج إلى الشأم إلاّ تَطَيّرٌ ، لأن مكة التى منعه الله بها ؛ وكان ذلك من جند مروان ، وإن عبد الله والله لو سار معهم حتى يدخل الشأم ما اختلف عليه منهم اثنان . فزعم بعضُ قريش أنه قال : أنا أهدِر[1] تلك الدماء ! أما والله لا أرضى[2] أن أقتُل بكلّ رجل منهم عَشَرة[3] ، وأخذ الحصينُ يكلّمه سرًّا ، وهو يجهر جهراً ، وأخذ يقول : لا والله لا أفعل ؛ فقال له الحصين بن نمير : قبح اللهُ من يعدّك بعد هذه[4] داهيًا قطّ أو أديبًا[5] ! قد كنتُ أظنّ أنّ لك رأيًا . ألا أرانى أكلمك سرًّا وتكلمنى جهراً ، وأدعوك إلى الخلافة ، وتعِدُنى القتلَ والهَلَكة !

٤٣١/٢

ثم قام فخرج وصاح فى الناس ، فأقبل فيهم نحوَ المدينة ، وندم ابن الزبير على الذى صنع ، فأرسل إليه : أمّا أن أسيرَ إلى الشأم فلستُ فاعلاً ، وأكره الخروج من مكة ، ولكن بايعوا لِى هنالك فإنّى مؤمّنكم وعادلٌ فيكم . فقال له الحصين : أرأيتَ إن لم تقدم بنفسك ، ووجدتُ هنالك أناسًا كثيراً من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس ، فما أنا صانعٌ ؟ فأقبَل بأصحابه ومَنْ معه نحوَ المدينة ، فاستقبله علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ومعه قَتٌّ[6] وشعيرٌ ، وهو على راحلة له ، فسلّم على الحصين ، فلم يكد يلتفت

٤٣٢/٢

---

(١) ابن الأثير : « لا أهدر » . (٢) ابن الأثير : « لأرضى » .

(٣) بعدها فى ابن الأثير : « منكم » .

(٤) ف : « بعدها » .

(٥) الداهى : العاقل ، وفى ابن الأثير : « قبح الله من يعدك بعد ذاهباً وآيباً » .

(٦) القت : الرطبة من علف الدواب .

إليه ، ومع الحصين بن نمير فرسٌ له عتيق ، وقد فَنِيَ قَتُّهُ وشعيرُه ، فهو غَرِضٌ ، وهو يسبّ غلامَه ويقول : من أين نجد هنا لدابّتنا عَلَفاً ! فقال له عليّ بن الحسين : هذا علفٌ عندنا ، فاعلف منه دابّتك ، فأقبل على عليٍّ عند ذلك بوَجهه ، فأمر له بما كان عنده من عَلَف ، واجترأ أهل المدينة وأهلُ الحجاز على أهل الشأم فذلّوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلاّ أخِذَ بلجام دابته ثم نُكِس عنها ، فكانوا يجتمعون فى معسكرهم فلا يفترقون . وقالت لهم بنو أميّة : لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشأم ، ففعلوا ، ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشأم ، وقد أوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية ابن يزيد ، فلم يلبث إلاّ ثلاثة أشهر حتى مات .

وقال عَوانة : استخلف يزيد بن معاوية ابنَه معاوية بن يزيد ، فلم يمكث إلا أربعين يوماً حتى مات .

وحدّثنى عمر ، عن عليّ بن محمد ، قال: لما استُخلف معاوية بن يزيدَ وجمع عُمّالَ أبيه ، وبويع له بدمشق، هلك بها بعد أربعين يوماً من ولايته. ويُكنى أبا عبد الرّحمن، وهو أبو ليلى ، وأمه أم هاشم بنت أبى هاشم ابن عُتبة بن ربيعة ، وتوفّى وهو ابن ثلاث عشرة سنةً وثمانية عشر يوماً .

* * *

٤٣٣/٢ وفى هذه السنة بايع أهلُ البصرة عبيدالله بن زياد ، على أن يقوم لهم بأمرهم حتى يصطلح الناسُ على إمام يرتضُونه لأنفسهم ، ثم أرسل عبيد الله رسولا إلى الكُوفة يدعوهم إلى مِثل الذى فعل من ذلك أهل البصرة ، فأبوْا عليه ، وحصبوا الوالىَ الذى كان عليهم ، ثمّ خالفه أهلُ البصرة أيضاً ، فهاجت بالبصرة فتنة ، ولحق عبيد الله بن زياد بالشأم .

ذكر الخبر عما كان من أمر عبيد الله بن زياد وأمر أهل البصرة معه بها بعد موت يزيد

وحدّثني عمر بن شبّة، قال: حدّثني موسى بن إسماعيل، قال: حدّثنا حمّاد بن سلَمة، عن عليّ بن زيد، عن الحسن، قال: كتب الضحاك ابن قيس إلى قيس بن الهيثم حين مات يزيد بن معاوية: سلامٌ عليك، أمّا بعد، فإنّ يزيد بن معاوية قد مات، وأنتم إخواننا، فلا تسبقونا بشيء حتى نختار لأنفسنا.

حدّثني عمر، قال: حدّثنا زهير بن حرب، قال: حدّثنا وهب بن حمّاد، قال: حدّثنا محمد بن أبي عُيَيْنة؛ قال: حدّثني شهرك، قال: شهدتُ عُبيدَ الله بن زياد حين مات يزيد بن معاوية قام خطيبًا، فحَمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال:

يا أهلَ البصرة، انسبوني[١]، فوالله لتجدُنّ مُهاجَر وَالدي[٢] ومولدي فيكم، وداري، ولقد وليتُكُم وما أحصَى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل ولقد أحصَى اليومَ ديوانُ مقاتِلتكم ثمانين ألفًا، وما أحصَى ديوان عُمّالكم إلا تسعين ألفًا، ولقد أحصِيَ اليوم مائة وأربعين ألفًا، وما تركتُ لكم ذا ظِنّة[٣] أخافه عليكم إلا وهو في سجنكم هذا. وإن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفي، وقد اختلف أهلُ الشأم، وأنتم اليومَ[٤] أكثرُ الناس عدداً، وأعرَضُه فِناءً، وأغناه عن الناس، وأوسَعُه بلاداً[٤]، فاختاروا لأنفسكم رجلا ترتضونه لدينكم وجماعتكم، فأنا أوّلُ راض مَن رضيتموه وتابع، فإن اجتمع أهل الشأم على رجل ترتَضُونه، دخلتم فيما دخل فيه المسلمون، وإن كرهتم ذلك كنتم على جَدِيلتكم حتى تُعطوا حاجتَكم، فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجةٌ، وما يستغنِي الناس عنكم.

٢/٤٣٤

(١) ف: «أتسبوني». (٢) ابن الأثير: «إن مهاجرنا اليكم».
(٣) ابن الأثير: «قاطبة».
(٤ – ٤) ابن الأثير: «أكثر الناس عدداً، وأعرضهم فناء، وأغنى عن الناس وأوسعهم بلاداً».

فقامت خُطباءُ أهل البصرة فقالوا : قد سمعنا مقالتَك أيُّها الأمير ، وإنا والله ما نعلم أحداً أقوى عليها منك ، فهلمّ فلنبايعْك ؛ فقال : لا حاجة لى فى ذلك ، فاختاروا لأنفسكم ؛ فأبوْا عليه ، وأبَى عليهم ، حتّى كرّروا ذلك عليه ثلاث مرّات ، فلما أبوْا بَسَط يدَه فبايعوه ، ثمّ انصرفوا بعد البيعة وهم يقولون : لا يظنّ[1] ابن مرجانة أنّا نستقاد[2] له فى الجماعة والفُرقة ، كَذَبَ والله ! ثمّ وثبوا عليه[3] .

حدّثنى عمر ، قال زهير : قال : حدّثنا وهب، قال . وحدّثنا الأسود ابن شيبان ، عن خالد بن سُمَير ،أنّ شقيق بن ثور ومالك بن مِسْمع وحضين[4] ابن المنذر أتوا عبيد الله ليلا وهو فى دار الإمارة ، فبلغ ذلك رجلا من الحىّ من بنى سَدُوس ؛ قال : فانطلقتُ فلزمتُ دار الإمارة ، فلبثوا معه حتّى مضى عليه الليل ، ثمّ خرجوا ومعهم بغلٌ موقَرٌ مالا ؛ قال : فأتيت حضيناً فقلت : مُرْ لى من هذا المال بشىء ، فقال : عليك ببنى عمّك ، فأتيت شقيقاً فقلت : مُرْ لى من هذا المال بشىء — قال : وعلى المال مولًى له يقال له : أيّوب— فقال : يا أيوب ، أعطِه مائة درهم ؛ قلت[5] : أما مائة درهم والله لا أقبلها ، فسكت عنى ساعةً ، وسارَ هنَيْهة ، فأقبلتُ عليه فقلتُ : مُرْ لى من هذا المال بشىء ، فقال : يا أيّوب،أعطه مائتىْ درهم ، قلت : لا أقبل والله مائتين ، ثم أمر بثلثمائة ثم أربعمائة ، فلما انتهينا إلى الطُّفاوة قلت : مُرْ لى بشىء ؛ قال : أرأيت إن لم أفعل ما أنت صانع ؟ قلتُ : أنطلق والله حتّى إذا توسّطتُ دُورَ الحىّ وضعتُ إصبعىّ فى أذنىَّ، ثمّ صرختُ بأعلى صوتى : يا معشر بكر بن وائل ، هذا شقيق بن ثور وحضَين بن المنذر ومالك بن المسمع ، قد انطلقوا إلى ابن زياد ، فاختلفوا فى دمائكم ؛ قال : ما له فعَل الله به وفعل ! ويلك أعطِه خمسمائة درهم ؛ قال : فأخذتها ثمّ صبّحت غادياً على مالك — قال وهب : فلم أحفظ ما أمر له به مالك— قال :

٤٣٥/٢

(١) ف : « لانظنّ » ، ابن الأثير : « أيظن » . (٢) ابن الأثير : « فنقاد » .
(٣) ف : « به » . (٤) ط « حصين » ، تحريف .
(٥) ف : « فقلت » .

ثمّ رأيت حضَينًا فدخلت عليه ، فقال : ما صنع ابن عمّك ؟ فأخبرتُه وقلت : أعطني من هذا المال ؛ فقال : إنّا قد أخذْنا هذا المال ونجوْنا به ، فلن نَخشَى من الناس شيئًا ، فلم يعطِني شيئًا .

قال أبو جعفر : وحدّثني أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى أنّ يونس بن حبيب الجَرْميّ حدّثه ، قال : لما قَتل عُبيدُالله بنُ زياد الحسينَ بن عليّ عليه السلام وبني أبيه ، بعث برءوسهم إلى يزيدَ بن معاوية ، فسُرّ بقَتْلهم أوّلا ، وحسُنَتْ بذلك منزلةُ عُبيد الله عنده ، ثمّ لم يلبث إلاّ قليلا حتى ندم على قتل الحسين ، فكان يقول : وما كان عليّ لو احتملتُ الأذى وأنزلتُه معي في داري ، وحكّمته فيما يريد ؛ وإن كان عليّ في ذلك وكَفٌ ووَهنٌ في سلطاني ، حِفْظًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورعايةً لحقة وقرابته ! لعن الله ابنَ مَرْجانة ، فإنه أخرجه واضطرّه ، وقد كان سأله أن يُخَلّيَ سبيلَه ويرجع[1] فلم يفعل ، أو يضع يَده في يدي ، أو يلحق بثَغْر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله عزّ وجل فلم يفعل ، فأبى ذلك وردّه عليه وقتله ، فبغّضني بقتله إلى المسلمين ، وزرع لي في قلوبهم العداوةَ ، فبَغَضَني البَرُّ والفاجرُ ، بما استعظم الناس من قتلي حُسينًا ؛ مالي ولابن مرجانة لعنه الله وغضِب عليه !

ثمّ إنّ عبيد الله بعث مولًى يقال له أيوب بن حُمْران إلى الشأم ليأتيَه بخبر يزيدَ ، فركب عبيد الله ذاتَ يوم حتى إذا كان في رَحْبة القصّابين ، إذا هو بأيوب بن حُمران قد قَدِم ، فلحقه فأسرّ إليه موتَ يزيدَ بن معاوية ، فرجع عبيد الله من مسيره ذلك فأتى منزلَه ، وأمر عبد الله بن حِصْن أحد بني ثعلبة بن يربوع فنادى : الصلاة جامعة .

قال أبو عبيدة : وأما عمير بن معن الكاتب ، فحدّثني قال : الذي بعثه عُبيد الله حُمران مولاه ، فعاد عُبيد الله عبدَ الله بن نافع أخي زياد لأمه ، ثم خرج عبيد الله ماشيًا من خَوْخة كانت في دار نافع إلى المسجد ، فلما كان في صحنه إذا هو بمولاه حُمران أدنى ظلمة عند المساء — وكان حُمران رسولَ عبيدالله بن زياد إلى معاوية حياتَه وإلى يزيدَ — فلما رآه ولم يكن [آن][2]

٢/٤٣٦ ٢/٤٣٧

(١) ف : « أو يرجع » (٢) من حاشية س .

له أن يقدم — قال : مَهْيَم ! قال : خيرٌ ،قال : وما وراءك ؟ قال: أدنو منك ؟ قال : نعم — وأسرَّ إليه موتَ يزيد واختلاف أمر الناس بالشأم ، وكان يزيدُ ماتَ يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين — فأقبل عبيد الله مِن فَوْرِه ، فأمر مناديًا فنادى : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس صعِد المنبرَ فنعَى يزيدَ ، وعرّض بثلبِه لِقَصْد يزيد إياه قبل موته حتى يخافه عبيد الله ، فقال الأحنف لعبيد الله : إنه قد كانت ليزيدَ فى أعناقنا بَيْعة ، وكان يقال : أعرِضْ عن ذى فَنَن ، فأعرَضَ عنه ، ثم قام عبيد الله يذكر اختلاف أهل الشأم ، وقال: إنّى قد وليتكم ... ثم ذكر نحو حديث عمر بن شبّة ، عن زهير بن حرب إلى : فبايعوه عن رِضًا منهم ومشورة . ثم قال: فلمّا خرجوا من عنده جعلوا يمسحون أكفّهم بباب الدار وحيطانه ، ويقولون : ظَنّ ابن مرجانة أنا نوليه أمرَنا فى الفرقة ! قال : فأقام عبيد الله أميراً غيرَ كثير حتى جعل سلطانه يضعف، ويأمرنا بالأمر فلا يقضَى ، ويرى الرأى فيُردّ عليه ، ويأمر بحبس المخطئ فيُحال بين أعوانه وبينه .

قال أبو عبيدة : فسمعتُ غيلانَ بن محمد يحدّث عن عثمان البتّىّ ، قال: حدّثنى عبد الرحمن بن جَوْشن[1] ، قال : تبعتُ جنازةً فلما كان فى سوق الإبل إذا رجلٌ على فرس شهباء متقنّعٌ بسلاح[2] وفى يده لواء ، وهو يقول : أيها الناس ، هلموا إلىّ أدعُكم إلى ما لم يدعُكم إليه أحد ، أدعوكم إلى العائذ بالحَرَم — يعنى عبدَ الله بنَ الزبير . قال : فتجمّع إليه نُوَيْس[3] ، فجعلوا يصفقّون على يديْه ، ومضينا حتى صلينا على الجنازة ، فلمّا رجعنا إذا هو قد انضمّ إليه أكثرُ من الأوّلين ، ثم أخذ بين دار قيس بن الهيْثم بن أسماء بن الصّلت السلمىّ ودار الحارثيّين قِبَلَ بنى تميم فى الطريق الذى يأخذ عليهم ، فقال: ألا مَن أرادنى فأنا سَلَمة بن ذُؤيب — وهو سلَمة بن ذُؤيب بن عبد الله بن محكم بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة — قال : فلقيَنى عبد الرحمن بن بكر عند الرّحبة ،

٤٣٨/٢

(١) ط : « حوشب » ، وصوابه من ميزان الاعتدال .
(٢) فى النقائض : « متلفع بساج » ، أى طيلسان .
(٣) ابن الأثير : « فاجتمع إليه ناس » .

فأخبرته بخبر سلَمة بعد رجوعى ، فأتى عبد الرحمن عبيدَ الله فحدّثه بالحديث عنّى ، فبعث إلىّ ، فأتيتُه ، فقال : ما هذا الذى خبّر به عنك أبو بَحْر ؟ قال : فاقتصصت عليه القِصّة حتى أتيتُ على آخرها ، فأمر فنودى على المكان : الصلاة جامعة ، فتجمّع الناس ، فأنشأ عبيد الله يقصّ أمره وأمرهم ، وما قد كان دعاهم إلى مَنْ يرتضونه ، فيبايعه معهم ، وإنكم أبيتم غيرى ، وإنه بلغنى أنكم مسحتم أكفّكم بالحيطان وباب الدار ، وقلتم ما قلتم ، وإنى آمرُ بالأمر فلا يُنفّذ ، ويُردّ علىّ رأيى ، وتحُول القبائل بين أعوانى وطلبتى[1] ، ثم هذا سلَمة بن ذُؤيب يدعو إلى الخلاف عليكم ، إرادة أن يفرّق جماعتكم ، ويضرب بعضكم جباهَ[2] بعض بالسيف . فقال الأحنف صَخْر بن قيس ابن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزّال بن مُرّة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، والناس جميعًا : نحن نأتيك بسلَمة ؛ فأتوا سلَمة ، فإذا جمعُهُ قد كثُف ، وإذا الفتْق قد اتّسع على الرّاتق ، وامتنع عليهم ، فلما رأوا ذلك قعَدُوا عن عبيد الله بن زياد فلم يأتوه .

٢/٤٣٩

قال أبو عبيدة : فحدّثنى غيرُ واحد ، عن سَبْرة بن الجارود الهُذلىّ ، عن أبيه الجارُود ، قال : وقال عبيدُ الله فى خطبته : يا أهلَ البصرة ، والله لقد لبسْنَا الخزّ واليُمنة[3] واللّين من الثياب حتى لقد أجمّنا[4] ذلك وأجْمتْه جلودُنا ، فما بِنَا إلى أن نُعقِبها الحديدَ ! يا أهل البصرة ، والله لو اجتمعتم على ذَنَب عيْر لتكسروه ما كسرتُموه . قال الجارود : فوالله ما رُمى بجُمّاح[5] حتى هَرب ، فتوارَى عند مسعود فلما قُتل مسعود لحق بالشأم .

قال يونس : وكان فى بيت مال عبيد الله يومَ خطب الناس قبل خروج سلمة ثمانية آلاف ألف أو أقلّ — وقال علىّ بن محمد : تسعة عشر ألف

---

(١) ابن الأثير : « وبين طلبتى » .

(٢) ابن الأثير : « رقاب بعض » . (٣) اليمنة : ضرب من برود اليمن .

(٤) أجمه : أراحه ؛ وأصله من أجم الفرس ؛ إذا تركه فلم يركبه . والجمام بالفتح : الراحــة .

(٥) الجماح : سهم صغير بلا نصل مدور يتعلم به الصبيان الرمى .

ألف ــ فقال للناس : إنّ هذا فيئكم ، فخذوا أعطياتِكم وأرزاق ذراريّكم منه ، وأمر الكَتَبَةَ بتحصيل الناس وتخريج الأسماء ، واستعجل الكتّاب فى ذلك حتى وَكَّل بهم من يحبسهم بالليل فى الديوان ، وأسرجوا بالشمع . قال : فلما صنعوا ما صنعوا وقعدوا عنه ، وكان من خلاف سلمة عليه ما كان ، كفّ عن ذلك ، ونقلها حين هرب ، فهى إلى اليوم تَرَدّدُ فى آل زياد ، فيكون فيهم العُرس أو المأتم فلا يُرى فى قريش مثلهم ، ولا فى قريش أحسن منهم فى الغَضارة[١] والكسوة . فدعا عبيد الله رؤساءَ خاصّة[٢] السلطان ، فأرادهم أن يقاتلوا معه ، فقالوا : إنْ أمَرَنا قُوّادُنا قاتلْنا معك ، فقال إخوةُ عبيد الله لعبيد الله : والله ما من خليفة فتقاتلَ[٣] عنه فإن هُزِمتَ فئتَ[٤] إليه وإن استمددتَه أمدّك ، وقد علمتَ أنّ الحرب دُوَل ، فلا ندرى لعلها تدول عليك ، وقد اتّخذنا بين أظهر هؤلاء القوم أموالا ، فإن ظفروا أهلَكونا وأهلَكوها ، فلم تَبقَ لك باقية . وقال له أخوه عبد الله لأبيه وأمّه مرجانة : والله لئن قاتلتَ القوم لأعتمِدنّ على ظُبَة السيف حتى يخرج من صُلبى . فلما رأى ذلك عبيد الله أرسل إلى حارث بن قيس بن صُهْبان بن عون بن علاج بن مازن بن أسود بن جَهْضَم بن جَذيمة بن مالك بن فَهْم ، فقال له : يا حار ، إنّ أبى كان أوصانى إن احتجتُ إلى الهرب يومًا أن أختاركم ، وإنّ نفسى تأبى غيركم ، فقال الحارث : قد أبلَوْك فى أبيك[٥] ما قد علِمت ، وأبلَوْه فلم يجدوا عنده ولا عندك مُكافأةً ، وما لك مَردٌّ إذا اخترتَنا ، وما أدرى كيف أتأتّى[٦] لك إن أخرجتك نهارًا ! إنى أخاف ألاّ أصلَ بك إلى قومى حتى تُقتَلَ وأقتَلَ ، ولكنّى أقيم معك حتى إذا وارى دَمسٌ دَمْسًا[٧] وهَدَأت القدَمُ ، ردفتَ خلفى لئلا تُعرف ، ثم أخذتك على أخوالى بنى ناجِية ، ٢/٤٤٠

---

(١) الغضارة : الرواء ومظاهر النعمة .

(٢) ابن الأثير : « محاربة السلطان » .

(٣) ابن الأثير : « فتقاتل » . (٤) ابن الأثير : « رجعت » .

(٥) أبلوك فى أبيك ، أى أنعموا عليك . (٦) كذا فى أصول ط ، وفى ابن الأثير : «أمانى» .

(٧) فى اللسان عن أبى زيد : يقال : «أتانى حيث وارى دمس دمساً وحيث وارى رؤى رؤيا ، والمعنى واحد؛ وذلك حين يظلم أول الليل شيئاً ، ومثله أتانى حين تقول : أخوك أم الذئب ! » .

قال عبيد الله : نِعْمَ ما رأيت ، فأقام حتى إذا قيل : أخوك أم الذئب ؛ حمله خلفه ، وقد نقل تلك الأموال فأحرزها ، ثمّ انطلق به يمرّ به على الناس ، وكانوا يتحارسون مخافة الحروريّة فيسأل عبيد الله أين نحن ؟ فيخبره ؛ فلما كانوا فى بنى سُليم قال عبيد الله : أين نحن ؟ قال : فى بنى سُلَيم ؛ قال : سلِمنا إن شاء الله ، فلما أتى بنى ناجية قال : أين نحن ؟ قال : فى بنى ناجية ؛ قال : نجوْنا إن شاء الله ؛ فقال بنو ناجية : مَن أنتَ ؟ قال : الحارث بن قيس ؛ قالوا : ابن أختِكم ؛ وعرف رجل منهم عبيدَ الله فقال : ابن مرجانة! فأرسل سهمًا فوقع فى عمامته ، ومضى به الحارث حتى ينزله دارَ نفسه فى الجهاضم ، ثمّ مضى إلى مسعود بن عمرو بن عدىّ بن محارب بن صُنَيم بن مُليح بن شَرْطان بن مَعْن بن مالك بن فهم ، فقالت الأزد[1] ومحمدبن أبى عيينة ، فلما رآه مسعود قال : يا حارِ ، قد كان يُتعوّذ من سوء طوارق الليل ، فنعوذ بالله من شرّ ما طرقتَنا به ؛ قال الحارث : لم أطرقك إلا بخير ، وقد علمتَ أنّ قومك قد أنجوْا زيادًا فوفوْا له ، فصارت لهم مكرُمة فى العرب يفتخرون بها عليهم ، وقد بايعتم عبيدالله بيعةَ الرضا ؛ رِضًا عن[2] مَشوَرة ، وبيعةٌ أخرى قد كانت فى أعناقكم قبل البيعة — يعنى بيعةَ الجماعة — فقال له مسعود : يا حارِ ، أترى لنا أن نعادىَ أهلَ مِصْرِنا فى عبيد الله ، وقد أبلينا فى أبيه ما أبلينا ، ثم لم نُكافأ عليه ، ولم نُشكَر ! ما كنتُ أحسب أن هذا من رأيك ؛ قال الحارث : إنه لا يُعاديك أحد على الوَفاء ببيْعتك حتى تبلغَه مأمنَه .

٢/٤٤١

قال أبو جعفر : وأمّا عمر فحدّثنى قال : حدّثنى زهير بن حرب ، قال : حدّثنا وهب بن جرير ، قال : حدّثنا أبى ، عن الزّبير بن الخِرِّيت ، عن أبى لبيد الجَهْضَمىّ ، عن الحارث بن قيس ، قال : عرَض نفسه — يعنى عُبيد الله بن زياد — علىّ ، فقال : أمَا والله إنى لأعرف سوءَ رأى كان فى قومك ؛ قال : فوقفتُ له ، فأردفته على بغلتى — وذلك ليلاً — فأخذتُ على بنى سُلَيم ، فقال : مَن هؤلاء ؟ قلت : بنو سُلَيم ؛ قال : سَلِمنا إن شاء الله ؛ ثم مرَرْنا ببنى ناجية وهم جُلوسٌ ومعهم السلاح — وكان الناس

٢/٤٤٢

(١) فى التصويبات : أى رواة الأزد (أبو مخنف) . (٢) ط : « من » .

يتحارَسون إذ ذاك فى مجالسهم — فقالوا : مَن هذا ؟ قلت : الحارث بن قيس ، قالوا : امضِ راشِداً ، فلما مضينا قال رجل منهم : هذا والله ابن مرْجانة خلفه ، فرماه بسهم ، فوضعه فى كَوْر عِمامته ، فقال : يا أبا محمد ، مَن هؤلاء ؟ قال : الذين كنت تزعم أنهم من قريش ، هؤلاء بنو ناجية ؛ قال : نَجوْنا إن شاء الله ، ثمّ قال : يا حارث ، إنك قد أحسنت وأجملت ، فهل أنت صانع ما أشير عليك ؟ قد علمتَ منزلةَ مسعود بن عمرو فى قومه وشَرَفَه وسنّه وطاعةَ قومِه له ، فهل لك أن تذهب بى إليه فأكونَ فى داره ، فهى وسط الأزد ، فإنك إن لم تفعل صدع[1] عليك أمر قومِك ؛ قلت : نعم ؛ فانطلقتُ به ، فما شعر مسعودٌ بشىء حتّى دخلنا عليه وهو جالسٌ ليلتئذٍ يوقِد بقضيب على لبِنة ، وهو يعالج خُفَّيه قد خلع أحدَهما وبقى الآخر ، فلما نظر فى وجوهِنا عرفَنا وقال : إنه كان يُتَعَوَّذُ من طوارق السوء ، فقلتُ له : أفتُخْرِجه بعد ما دخل عليك بيتَك ! قال : فأمره فدخل بيت عبد الغافر بن مسعود — وامرأة عبد الغافر يومئذ خَيْرَةُ بنت خُفاف بن عمرو — قال : ثمّ ركِبَ مسعود من ليلته ومعه الحارث وجماعة مِن قومه ، فطافوا فى الأزد ومجالسِهم ، فقالوا : إنّ ابن زياد قد فُقِدَ ، وإنا لا نأمن أن تلطَخوا[2] به ، فأصبحوا فى السلاح ، وفقد الناس ابن زياد فقالوا : أين توجّه ؟ فقالوا : ما هو إلا فى الأزد . ٢/٤٤٣

قال وهب : فحدّثنا أبو بكر بن الفضل ، عن قبيصة بن مروان أنهم جعلوا يقولون : أين ترونه توجّه ؟ فقالت عجوز من بنى عقيل : أين ترونه توجّه ! اندَحَسَ والله فى أجَمَةِ أبيه .

وكانت وفاةُ يزيدَ حين جاءت ابن زياد وفى بيوت مال البصرة ستة عشر ألف ألف ، ففرّق ابن زياد طائفةً منها فى بنى أبيه ، وحمل الباقى معه ، وقد كان دعا البخاريّة إلى القتال معه ، ودعا بنى زياد إلى ذلك فأبَوا عليه .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى زهير بن حرب ، قال : حدّثنا الأسوَد بن شيبان ، عن عبد الله بن جرَير المازنىّ ، قال : بعث إلىّ شقيق بن ثور فقال لى : إنه قد بلغنى أنّ ابن منجوف هذا وابن مسمع يُدلجان بالليل إلى دار

---

(١) ابن الأثير : « فرق » . (٢) ابن الأثير : « تلحظوا » .

مسعود ليردّا ابن زياد إلى الدار ليصلوا بين هذَيْن الغاريْن، فيهريقوا دماءكم، ويُعزّوا أنفسهم ، ولقد هممتُ أن أبعثَ إلى ابن منجوف فأشدّه وثاقًا ، وأخرِجَه عنى ؛ فاذهب إلى مسعود فاقرأ عليه السلام منّى ، وقل له : إنّ ابن منجوف وابن مسمع يفعلان كذا وكذا ، فأخرِجْ هذين الرجلين عنك . قال : وكان معه عُبيد الله وعبد الله ابنا زياد . قال : فدخلتُ على مسعود وابنا زياد عنده : أحدُهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ، فقلت : السلام عليك أبا قَيْس ، قال : وعليك السلام ؛ قلتُ : بعثنى إليك شقيق بن ثور يقرأ عليك السلام ويقول لك : إنه بلغنى ، فردّ الكلام بعينه إلى « فأخرِجهما عنك» ؛ قال مسعود: والله فعلت[1] ذاك ؛ فقال عبيدالله : كيف أبا ثور — ونَسِي كُنْيَتَه ، إنما كان يُكنَى أبا الفضل — فقال أخوه عبد الله : إنا والله لا نخرج عنكم ، قد أجرْتمونا ، وعقدتم لنا ذِمّتكم ، فلا نخرج حتى نُقتَلَ بين أظهرِكم ، فيكون عارًا عليكم إلى يوم القيامة .

قال وهب : حدّثنا الزبير بن الخِرّيت ، عن أبى لبيد ، أنّ أهل البصرة اجتمعوا فقلدوا أمرَهم النعمان بن صُهْبان الراسبىّ ورجلاً من مضرَ ليختارا لهم رجلاً فيُولّوه عليهم ، وقالوا : مَن رضيِا لنا فقد رَضيناه . وقال غير أبى لبيد: الرجل المضرىّ قيسُ بن الهيثم السُّلَمىّ . قال أبو لبيد : ورأىُ المضرىّ فى بنى أمية ، ورأىُ النعمان فى بنى هاشم ، فقال النعمان : ما أرى أحدًا أحقّ بهذا الأمر من فلان — لرجل من بنى أميّة — قال : وذلك رأيُك ؟ قال : نعم ؛ قال : قد قلّدتُك أمرى ، ورضيتُ مَن رضيتَ . ثمّ خرجا إلى الناس ، فقال المضرىّ : قد رضيتُ مَن رضِيَ النعمان ، فمن سمّى لكم فأنا به راضٍ ؛ فقالوا للنعمان : ما تقول ! فقال : ما أرى أحدًا غيرَ عبدالله ابن الحارث — وهو ببّة — فقال المضرىّ : ما هذا الذى سمّيتَ لى ؟ قال : بلى ، لَعمرى إنه لهوَ ، فرضِيَ الناس بعبد الله وبايعوه .

قال أصحابنا : دعت مُضرُ إلى العبّاس بن الأسود بن عوف الزهرىّ ، ابن أخى عبدالرحمن بن عوف ، ودعَتِ اليَمن إلى عبدالله بن الحارث بن نوفل ، فتراضى الناسُ أن حكّموا قيس بن الهيثم والنعمان بن صُهْبان الراسبىّ لينظرا فى أمر الرجلين ، فاتفق

٢/٤٤٤

(١) كذا فى ب ، وفى ط : « قلت » .

رأيُهما على أن يولّيا المضرىّ الهاشمىّ إلى أن يجتمع أمرُ الناس على إمام ؛ ٢/٤٤٥
فقيل فى ذلك :

نزَعْنَا وَوَلَّيْنا وبَكْرُ بنُ وائلٍ تَجُرُّ خُصاهَا تَبتغِى من تحالِفُ

فلما أمّروا ببّة على البصرة ولّى شرطتَه همْيان بن عدىّ السَّدُوسىّ .

قال أبو جعفر : وأمّا أبو عُبيدة فإنّه — فيما حدّثنى محمد بن علىّ، عن أبى سعدان، عنه — قصّ من خبر مسعود وعبيد الله بن زياد وأخيه غيرَ القصّة التى قصّها وهب بن جرير، عمّن روى عنهم خبرَهم ، قال : حدّثنى مسلمة ابن محارب بن سلم بن زياد وغيره من آل زياد ، عمّن أدرك ذلك منهم ومِن مواليهم والقوم أعلم بحديثهم ، أنّ الحارث بن قيس لم يكلّم مسعودًا ، ولكنه آمن عبيدَ الله ، فحمل معه مائةَ ألف درهم ، ثمّ أتى بها إلى أمّ بسطام امرأة مسعود ، وهى بنت عمّه ، ومعه عُبيد الله وعبد الله ابنا زياد ، فاستأذن عليها ، فأذنتْ له ، فقال لها الحارث : قد أتيتُكِ بأمر تَسُودِين به نساءَك[1] وتتمّين به شرفَ قومك، وتَعجّلين[2] غنًى ودنيا لكِ خاصّة ، هذه مائة ألف درهم فاقبضيها ، فهى لك ، وضُمّى عبيد الله . قالت ، إنى أخاف ألّا يرضى مسعود بذلك ولا يقبله ؛ فقال الحارث : ألبسيه ثوبًا من أثوابى ، وأدخليه بيتك، وخلّى بيننا وبين مسعود ؛ فقبضت المال ، وفعلت ، فلمّا جاءَ مسعود أخبرتْه ، فأخذ برأسها ، فخرج عبيد الله والحارث من حَجَلتها عليه ، فقال عبيد الله : قد أجارتْنى ابنة عمّك عليك ، وهذا ثوبك علىّ، وطعامُك فى بطنى ،وقد التفّ علىّ بيتُك ؛ وشهد له على ذلك الحارث ،وتلطّفا له حتى رضى . ٢/٤٤٦

قال أبو عبيدة : وأعطى عبيد الله الحارث نحوًا من خمسين ألفًا ، فلم يزل عبيد الله فى بيت مسعود حتى قُتِل مسعود ؛ قال أبو عبيدة : فحدّثنى يزيد بن سُمَير الجَرْمىّ ، عن سَوّار بن عبد الله بن سعيد الجرمىّ ؛ قال : فلما هرب عبيد الله غبَر أهلُ البَصْرةِ بغير أمير ، فاختلفوا فيمن يؤمّرون عليهم ، ثم تراضَوْا برجلين يختاران لهم خيرَة ، فيرضون بها إذا اجتمعا عليها ، فتراضوا بقيس بن الهيثم السُّلَمىّ ، وبنعمان بن سُفْيان الراسبىّ — راسب بن جَرْم

(١) ابن الأثير : « نساء العرب » . (٢) ابن الأثير : « وتتعجلين » .

ابن رَبَّان بن حُلْوان بن عِمران بن الحافِ بن قُضاعة — أن يختارا مَن يرضيان لهم ، فذكَرا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب — وأمه هند بنت أبي سُفْيان بن حرب بن أميّة — وكان يلقب بَبّة ، وهوجدّ سليمان ابن عبد الله بن الحارث ، وذكرا عبد الله بن الأسود الزّهريّ . فلما أطبقا عليهما اتّعدا المِربَد ، وواعدا الناسَ أن تجتمع آراؤهم على أحد هذَيْن .

قال : فحضر الناسُ ، وحضرتُ معهم قارعةَ المِربد ؛ أي أعلاه ، فجاء قيس ابن الهيثم ، ثمّ جاء النعمان بعد ، فتجاولَ قيس والنعمان ، فأرى النعمان قيسًا أنّ هواه في ابن الأسود ، ثمّ قال : إنّا لا نستطيع أن نتكلم معًا ، وأراده أن يجعل الكلام إليه ، ففعل قيس وقد اعتقد أحدهما على الآخر ، فأخذ النعمان على الناس عهداً ليَرضَوُنّ بما يختار . قال : ثمّ أتى النعمانُ عبدَ الله ابن الأسود فأخذ بيده ، وجعل يشترط عليه شرائطَ حتى ظنّ الناس أنه مبايعه ، ثمّ تركه ، وأخذ بيد عبد الله بن الحارث ، فاشترط عليه مِثلَ ذلك ، ثمّ حمِد الله تعالى وأثنَى عليه ، وذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم وحقّ أهل بيته وقرابته ، ثم قال : يأيّها الناس ، ما تَنقِمون من رجل من بني عمّ نبيّكم صلى الله عليه وسلم ، وأمّه هند بنت أبي سُفْيان! فإن كان فيهم[1] فهو ابن أختكم ؛ ثم صفق على يده وقال : ألَا إني قد رضيتُ لكم به ، فنادَوْا : قد رَضِينا ؛ فأقبَلوا بعبد الله بن الحارث إلى دار الإمارة حتى نزلها ، وذلك في أوّل جُمادى الآخرة سنة أربع وستين ، واستعمل على شُرطته هميان بن عديّ السدوسيّ ، ونادى في الناس : أن احضروا البيعة ، فحضروا فبايعوه ، فقال الفرزدق حين بايعه :

٢/٤٤٧

وبايعتُ أقواماً وفَيت بعهدِهم ... وبَبّةُ قد بايعتُهُ غيرَ نادِمِ

قال أبو عبيدة : فحدّثني زهير بن هُنَيد[2] ، عن عمرو بن عيسى ، قال : كان منزل مالك بن مسمَع الجَحْدَريّ في الباطنة عند باب عبد الله الإصبهانيّ في خُطّ بني جَحدر ، الذي عند مسجد الجامع ، فكان مالك يحضر المسجد ، فبينا هو قاعد فيه — وذلك بعد يسيرٍ من أمر بَبّة — وفي الحلْقةَ

---

(١) ابن الأثير : « قد كان الأمر فيهم »
(٢) ط : « هنيدة » ، وانظر الفهرس .

رجلٌ من ولد عبد الله عامر بن كُرَيْز القرشيّ يريد ببّة ، ومعه رسالة من عبدالله ابن خازم ، وبيعته بَهَراة ، فتنازعوا ، فأغلظ القرشيُّ لمالك ، فلطم رجلٌ من بكر بن وائل القرشيَّ ، فتهايج مَنْ ثَمَّ مِنْ مضر وربيعة ، وكثرتهم ربيعة الذين فى الحلقة ، فنادى رجل : يالَ تميم ! فسمعت الدّعوةَ عصبةٌ من ضبّة ابن أدّ — كانوا عند القاضى — فأخذوا رماح حَرَس من المسجد وتِرَسَتَهم ، ثم شدّوا على الرّبَعيّين فهزموهم ، وبلغ ذلك شقيق بن ثور السدوسيّ — وهو يومئذ رئيس بكر بن وائل — فأقبل إلى المسجد فقال : لا تجدُنّ مضريًّا إلا قتلتموه ، فبلغ ذلك مالك بن مسمع ، فأقبل متفضّلا يُسكّن الناس ، فكفّ بعضُهم عن بعض ، فمكث الناس شهراً أو أقلّ ، وكان رجل من بنى يشكر يجالس رجلامن بنى ضبّة فى المسجد ، فتذاكرَا لطمة البَكْرىّ القرشيَّ ، ففخر اليشكرىّ . قال : ثمّ قال : ذهبت ظَلَفًا[1]. فأحفظ الضّبىّ بذلك ، فوجأ عنقَه ، فوقَذه الناس فى الجمعة ، فحُمِل إلى أهله ميتًا — أعنى اليشكرىّ — فثارت بكر إلى رأسهم أشيمَ بن شقيق ، فقالوا : سِرْ بنا ؛ فقال : بل أبعث إليهم رسولا ، فإن سيّبوا[2] لنا حقّنا وإلا سرنا إليهم ، فأبتْ ذلك بكر ، فأتَوْا مالك بن مسمع — وقد كان قبل ذلك مملّكا عليهم قبل أشيم ، فغلب أشيمَ على الرّياسة حين شخص أشيم إلى يزيدَ بن معاوية ؛ فكتب له إلى عبيد الله بن زياد أن ردّوا الرّياسة إلى أشيم ، فأبت اللّهازم ، وهم بنو قيس بن ثعلبة وحلفاؤهم عَنَزة وشَيْع اللات وحلفاؤها عِجْل حتى توافَوْاهم وآل ذُهل بن شيبان وحلفاؤها يَشكُر ، وذهل بن ثعلبة وحلفاؤها ضُبَيْعة بن ربيعة بن نزار ؛ أربع قبائل وأربع قبائل ، وكان هذا الحلف فى أهل الوَبَر فى الجاهلية ، فكانت حنيفة بقيتْ من قبائل بكر لم تكن دخلتْ فى الجاهلية فى هذا الحلف ، لأنهم أهلُ مَدَر ، فدخلوا فى الإسلام مع أخيهم عجل ، فصاروا لِهِزْمةً ، ثمّ تراضَوْا بحكم عمران بن عِصام العَنَزىّ أحد بنى هُمَيْم ، وردّها إلى أشيَم ، فلما كانت هذه الفتنة استخفّت بكر مالك بن مسمع ، فخفّ وجمع وأعدّ ،

٤٤٨/٢

٤٤٩/٢

(١) ذهبت ظلفاً ، أى من غير فائدة ، وفى ط : « طلقاً » ، تحريف .

(٢) سيبوا ، أى تركوا .

فطلب إلى الأزد أن يجدّدوا الحِلْف الذى كان بينهم قبل ذلك فى الجماعة على يزيد بن معاوية ، فقال حارثة بن بدر فى ذلك :

نزعْنا وأمّرْنا وبكرُ بن وائل تجر خُصاها تبتغى من تحالِفُ
وما باتَ بَكرىٌّ من الدهرِ ليلةً فيُصْبِحَ إلاّ وهو لِلذُّلّ عارِفُ

قال : فبلغ عبيد الله الخبر — وهو فى رحْل مسعود — من تباعد ما بين بكر وتميم ، فقال لمسعود : القَ مالكا فجدّدِ الحلف الأوّل ؛ فلقيَه ، فترادّا ذلك ، وتأبّى عليهما نفر من هؤلاء وأولئك ، فبعث عبيد الله أخاه عبد الله مع مسعود ، فأعطاه جزيلا من المال ، حتى أنفق فى ذلك أكثر من مائتى ألف درهم على أن يبايعوهما ، وقال عبيد الله لأخيه : استوثق من القوم لأهل اليمن ، فجددوا الحِلْف ، وكتبوا بينهم كتابًا سوى الكتابين اللذَين كانا كُتِبا بينهما فى الجماعة ، فوضعوا كتابًا عند مسعود بن عمرو .

قال أبو عبيدة : فحدّثنى بعض ولد مسعود ، أنّ أوّل تسمية مَن فيه ، الصّلت بن حُرَيْث بن جابر الحنفىّ ، ووضعوا كتابًا عند الصّلت بن حريث أوّل تسميته ابن رجاء العَوْذىّ ، من عَوْذ بن سُود ، وقد كان بينهم قبل هذا حِلفٌ .

٤٥٠/٢

قال أبو عبيدة : وزعم محمد بن حفص ويونس بن حبيب وهبيرة بن حُدَير وزهير بن هنيد ، أنّ مضرَ كانت تكثُر ربيعةَ بالبصرة ، وكانت جماعة الأزد آخرَ مَن نزل بالبَصرة ، كانوا حيث مُصِّرت البصرة ، فحوّل عمر بن الخطاب رحمه الله من تَنُوخَ [1] من المسلمين إلى البَصرة ، وأقامت جماعة الأزد لم يتحوّلوا ، ثم لحقوا بالبَصرة بعد ذلك فى آخر خلافة معاوية ، وأوّل خلافة يزيدَ بن معاوية ، فلمّا قدموا قالت بنو تميم للأحنف : بادِرْ إلى هؤلاء قبل أن تسبقَنا إليهم ربيعة ، وقال الأحنف : إنْ أتَوكم فاقبلوهم ، وإلاّ لا تأتوهم فإنكم إن أتيتموهم صرتم لهم أتباعًا . فأتاهم مالكُ بنُ مِسمَع ورئيس الأزْد يومئذ مسعود بن عمرو المعنىّ ، فقال مالك : جدّدوا حِلفَنا وحِلف كندة فى الجاهليّة ، وحِلْف بنى ذُهْل بن ثعلبة فى طيّئ بن أدَد من ثُعَل ؛

(١) كذا فى ط ، ولعلها : « من تنخ » ، أى أقام .

فقال الأحنف : أما إذ أتوهم فلن يزالوا لهم أتباعًا أذنابًا .

قال أبو عبيدة : فحدّثنى هبيرة بن حُدَير ، عن إسحاق بن سويد ، قال : فلما أن جرت بكر إلى نصر الأزد على مضرَ ، وجدّدوا الحِلف الأوّل ، وأرادوا أن يسيروا ، قالت الأزد : لا نسير معكم إلا أن يكون الرئيس منّا ، فرأسوا مسعودًا عليهم .

قال أبو عبيدة : فحدثنى مسلمة بن محارب ، قال : قال مسعود لعبيدالله : سرْ معنا حتّى نعيدَك فى الدار ؛ فقال : ما أقدر على ذلك ، امضِ أنتَ ، وأمر برواحله فشدّوا عليها أدواتها وسوادها ، وتزمّل فى أهبة السفر ، وألقوا له كرسيًّا على باب مسعود ، فقعد عليه ؛ وسار مسعود ، وبعث عبيد الله غلمانًا له على الخيل مع مسعود ، وقال لهم : إنى لا أدرى ما يحدُث فأقول : إذا كان كذا ، فليأتنى بعضُكم بالخبر ، ولكن لا يحدثَنّ خير ولا شرّ إلاّ أتانى بعضكم به ، فجعل مسعود لا يأتى على سكّة ، ولا يتجاوز قبيلةً إلا أتى بعض أولئك الغلمان بخبر ذلك ، وقدم مسعود ربيعةَ ، وعليهم مالك بن مسمع ، فأخذوا جميعًا سكّة المربد ، فجاء مسعود حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر ، وعبد الله بن الحارث فى دار الإمارة ، فقيل له : إنّ مسعودًا وأهل اليمن وربيعة قد ساروا ، وسيُهيج بين الناس شرّ ، فلو أصلحتَ بينهم أو ركبت فى بنى تميم عليهم ! فقال : أبعدهم الله ! لا والله لا أفسدت نفسى فى إصلاحهم ، وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول :

٤٥١/٢

لَأُنْكِحَنَّ بَبَّهْ جارِيَةً فى قبَّهْ

* تَمْشُطُ رأسَ لَعْبَهْ *

فهذا قول الأزْد وربيعة ، فأما مضرُ فيقولون : إنّ أمه هند بنت أبى سُفْيان كانت ترقّصه وتقول هذا ؛ فلما لم يحلْ أحد بين مسعود وبين صعود المِنبر ، خرج مالك بن مسمع فى كتيبته حتى علا الجبَّان من سكة المرْبد ، ثم جعل يمرّ بعِداد دورِ بنى تميم حتى دخل سكة بنى العدويّة من قِبل الجبَّان ، فجعل يحرّق دورَهم للشّحناء التى فى صدورهم ، لقتل الضبىّ اليشكرىّ ، ولاستعراض ابن خازم ربيعة بهَراة ؛ قال : فبينا هو فى ذلك إذ أتَوْه فقالوا : قتلوا

٤٥٢/٢

مسعوداً ، وقالوا : سارت بنو تميم إلى مسعود ، فأقبل حتى إذا كان عند مسجد بنى قيس فى سكّة المِربد ، وبلغه قتلُ مسعود ، وقف .

قال أبو عبيدة : فحدّثنى زهير بن هُنيد ، قال : حدّثنا الضحاك — أو الوضّاح بن خيثمة أحد بنى عبد الله بن دارِم — قال : حدّثنى مالك بن دينار ، قال : ذهبت فى الشباب الذين ذهبوا إلى الأحنف ينظرون ؛ قال : فأتيته وأتتْه بنو تميم ، فقالوا : إنّ مسعوداً قد دخل الدار وأنت سيّدنا ، فقال : لستُ بسيّدكم ، إنما سيّدكم الشيطان .

وأما هبيرة بن حدير ، فحدّثنى عن إسحاق بن سويد العدوى ، قال : أتيت منزل الأحنف فى النظّارة ، فأتوا الأحنف فقالوا : يا أبا بحر ، إنّ ربيعة والأزد قد دخلوا الرَّحَبة ، فقال : لستم بأحقّ بالمسجد منهم ؛ ثم أتوه فقالوا : قد دخلوا الدار ؛ فقال : لستم بأحقّ بالدار منهم ؛ فتسرّع سلمة بن ذؤيب الرّياحىّ ، فقال : إلىّ يا معشر الفتيان ، فإنما هذا جِبْس لا خير لكم عنده ، فبدرت ذؤبان بنى تميم فانتدب معه خمسمائة ، وهم مع ماه أفريذون[1] ، فقال لهم سلمة : أين تريدون ؟ قالوا : إيّاكم أردنا ؛ قال : فتقدّموا .

قال أبو عبيدة : فحدّثنى زهير بن هنيد ، عن أبى نعامة ، عن ناشب ابن الحسحاس وحميد بن هلال ، قالا : أتينا منزلَ الأحنف بحضرة المسجد ، قالا : فكنّا فيمن ينظر ، فأتته امرأة بمجْمَر فقالت : ما لَكَ وللرياسة ! تجمّرْ فإنما أنت امرأة ؛ فقال : است المرأة أحقّ بالمجْمر ؛ فأتَوْه فقالوا : إنّ عُلَيّة بنت ناجية الرياحىّ — وهى أخت مَطَر ، وقال آخرون : عزّة بنت الحرّ الرياحية — قد سُلِبتْ خلاخيلها من ساقَيْها ، وكان منزلُها شارعاً فى رحبة بنى تميم على المِيضأة ، وقالوا : قَتلوا الصبّاغ الذى على طريقك ، وقتلوا المُقعَد الذى كان على باب المسجد ، وقالوا : إنّ مالك بن مسمع قد دخل سكّة بنى العدويّة من قِبل الجبّان ، فحرّق دوراً ، فقال الأحنف : أقيموا البيّنة على هذا ، ففى دون هذا ما يُحِلّ قتالَهم ؛ فشهدوا عندَه على ذلك ،

٤٥٣/٢

(١) النقائض : « فرودين » .

فقال الأحنف : أجاء عبّاد؟ وهو عبّاد بن حصين بن يزيدَ بن عمرو بن أوس بن سيف بن عزم بن حِلِّزة بن بيَان بن سعد بن الحارث الحبِطة بن عمرو ابن تميم ؛ قالوا : لا ، ثمّ مكث غيرَ طويل، فقال : أجاء عبّاد ؟ قالوا : لا ؛ قال : فهل ها هنا عبَبْس بن طلْق بن ربيعة بن عامر بن بسْطام بن الحكَم ابن ظالم بن صَريم بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد ؟ فقالوا : نعم ؛ فدعاه ، فانتزع مِعجَراً فى رأسه ، ثم جثَا على ركبتيه ، فعقده فى رُمح ثم دفعه إليه ، فقال : سر . قالا : فلما ولّى قال : اللهمّ لا تُخزِها اليوم ، فإنك لم تخزها فيما مضى . وصاح الناس: هاجت زبراء — وزبراء[١] أمَة للأحنف ، وإنما كنوا بها عنه — قالا : فلما سار عبَبْس جاء عبّاد فى ستين فارسًا فسأل ، ما صنع الناس ؟ فقالوا : ساروا ؛ قال : ومَنْ عليهم ؟ قالوا: عبس بن طلق الصّريمىّ؛ فقال عبّاد : أنا[٢] أسير تحت لواء عبس! فرجع والفرسان إلى أهله . ٢/٤٥٤

فحدّثنى زهير ، قال: حدّثنا أبو ريحانة العُرَيْنىّ، قال: كنتُ يومَ قتل مسعود تحت بطن فرس الزرد بن عبد الله السعدىّ أعْدُو حتى بلغْنا شريعة القديم .

قال إسحاق بن سويد: فأقبلوا، فلما بلغوا أفواهَ السكَك وقفوا ، فقال لهم ماه أفريذون[٣] بالفارسيّة: ما لكم يا معشر الفتْيان ؟ قالوا : تلقّونا بأسنّة الرّماح ؛ فقال لهم بالفارسية : صكّوهم بالفنجقان — أى بخمس نُشّابات فى رَمْيَة، بالفارسيّة —والأساورة أربعمائة ، فصكّوهم بألفى نشّابة فى دفعة ، فأجلوا عن أبواب السكك، وقاموا على باب المسجد، ودَلفَت التميميّة إليهم ، فلما بلغوا الأبواب وقفوا ، فسألهم ماه أفريذون : ما لكم ؟ قالوا : أسندوا إلينا أطرافَ رماحِهم؛ قال : ارموهم أيضًا ؛ فرمَوْهم بألفىْ نشّابة ، فأجلوهم عن الأبواب ، فدخلوا المسجدَ ، فأقبلوا ومسعود يخطب على المنبر ويحضّض ، فجعل غَطَفان بن أنيف بن يزيد بن فهدة، أحد بنى كعب بن عمرو بن

(١) ط : « زيراء » تصحيف ، صوابه من القاموس .

(٢) ابن الأثير : « لا » .

(٣) فى النقائض : « فرودين » .

تميم ، وكان يزيد بن فهدة فارسًا فى الجاهلية يقاتل ويحضُّ قومَه ويرتجِز :

٤٥٥/٢

يال تميمٍ إنّها مذكورهْ إنْ فات مسعودٌ بها مَشْهُورَهْ

* فاستمسِكوا بجانِبِ المقْصورَهْ *

أى لا يهرب فيفوت .

قال إسحاق بن يزيد : فأتَوْا مسعوداً وهو على المِنبَر يحضّ ، فاستنزلوه فقتلوه ، وذلك فى أوّل شوّال سنة أربع وستين ، فلم يكن القوم شيئًا ، فانهزموا. وبادر أشْيَمُ بن شَقيق القوم بباب المقصورة هاربًا ، فطعنه أحدُهم ، فنجا بها ، ففى ذلك يقول الفرزدق :

لو أنَّ أَشْيمَ لم يَسْبِقْ أَسِنَّتَنا وأخطأَ البابَ إذْ نِيرانُنا تَقِد[1]

إذًا لصاحَبَ مسْعودًا وصاحِبه وقد تَهافَتَتِ الأَعفاجُ والكَبِدُ[2]

قال أبو عبيدة : فحدّثنى سلاّم بن أبى خَيْرة ، وسمعتُه أيضاً من أبى الحَنْساء كُسَيْب العنبرىّ يحدّث فى حَلْقة يونسَ ، قالا : سمعنا الحسنَ ابن أبى الحسن يقول فى مجلسه فى مسجد الأمير : فأقبل مسعود من ها هنا — وأشار بيده إلى منازل الأزْد فى أمثال الطير — مُعْلِماً بقباء دِيباج أصفر مغيّر[3] بسواد ، يأمر الناسَ بالسنّة ، وينهى عن الفتنة : ألا إنّ من السّنة أن تأخذ فوق يديك ، وهم يقولون : القَمر القمَرَ ، فوالله ما لبثوا إلاّ ساعةً حتى صار قمرهم قُميرًا ، فأتوه فاستنزلوه عن المِنبر وهو عليه — قدعلم الله — فقتلوه .

قال سلاّم فى حديثه : قال الحسن : وجاء الناس من ها هنا — وأشار بيده إلى دُور بنى تميم .

---

(١) ديوانه ١٩٣ ، والباب هنا هو باب الفتنة .

(٢) رواية الديوان :

* كِلاَهُمَا خَارِجُ الأَعفاجِ وَالْكَبِدِ *

على الإيطاء ، والأعفاج : الأمعاء .

(٣) فى النقائض : « معين » :

قال أبو عُبيدة : فحدّثني مَسْلَمة بن محارب ، قال: فأتوا عُبيدَ الله فقالوا: قد صعد مسعود المنبر ، ولم يُرمَ دون الدار بكُشّاب[1] ، فبيناه في ذلك يتهيّأ ليجيء إلى الدار ، إذ جاءوا فقالوا : قد قتل مسعود ، فاغترز في ركابه فلحق بالشأم ، وذلك في شوّال سنة أربع وستين .

٤٠٦/٢

قال أبو عبيدة : فحدثني روّاد الكعبيّ ، قال : فأتى مالكَ بنَ مسمع أناسٌ من مضرَ ،فحصروه في داره، وحرّقوا ، ففي ذلك يقول غَطَفان بن أنيف الكعبيّ في أرجوزة :

وأصبح ابنُ مِسْمَع مَحصورَا يَبْغِي قُصورًا دونَهُ وَدُورَا

* حتّى شبَبْنا حَوْلَهُ السّعِيرَا *

ولما هرب عُبيد الله بن زياد اتّبعوه ، فأعجز الطلَبة، فانتهبوا ما وجدوا له ، ففي ذلك يقول وافد بنُ خليفة بن أسماء ، أحد بني صخر بن مِنقَر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد :

يا رُبَّ جَبَّار شَدِيد كَلَبُهْ قد صَارَ فينا تاجُهُ وَسَلَبُهْ

مِنْهُم عُبيْدُ اللهِ حينَ نَسْلُبهْ جيادَهُ وبزّه ونَنْهَبُهْ

يوْم التقَى مِقْنَبُنا ومِقْنَبُهْ لَوْ لَمْ يُنج ابنَ زِيادٍ هَرَبُهْ

وقال جرهم[2] بن عبد الله بن قيس ، أحد بني العدويّة في قتل مسعود في كلمة طويلة :

ومسْعودَ بن عَمْرو إذْ أتانا صبَحْنَا حَدَّ مَطْرُور سَنينَا[3]

رجا التّأْميرَ مسعودٌ فأضحى صَرِيعـاً قد أَزَرْناهُ المَنونَا

قال أبو جعفر محمد بن جرير : وأمّا عُمر ؛ فإنه حدّثني في أمر خروج عبيد الله إلى الشأم ، قال : حدّثني زهير ، قال : حدّثنا وهب بن جرير بن حازم ، قال : حدّثنا الزبير بن الخِرّيت ، قال: بعث مسعود مع ابن زياد

---

(١) قال في اللسان : الكشاب : السهم عامة ، وما رماه بكشاب، أي بسهم » ، وفي ط : « بكتاب » تحريف. (٢) في اللسان ٩ : ١٧٩ « عوهم » .

(٣) سنينًا ، بفتح السين أي مسنوناً ، فعيل بمعنى مفعول .

مائةٌ من الأزْد ، عليهم قرّة بن عمرو بن قيس ، حتى قدموا به الشأم .

وحدّثني عمر ، قال : حدّثنا أبو عاصم النبيل ، عن عمرو بن الزبير
٢/٤٥٧ وخلاّد بن يزيد الباهليّ والوليد بن هشام ، عن عمّه ، عن أبيه ، عن عمرو بن هُبيرة[١] ، عن يَسَاف[٢] بن شُرَيح اليشكريّ ، قال ؛ وحدّثنيه عليّ بن محمد ، قال — قد اختلفوا فزاد بعضُهم على بعض — إنّ ابن زياد خرج من البَصْرة ، فقال ذات ليلة : إنه قد ثَقُل عليّ ركوبُ الإبل ، فوطّئوا لى على ذى حافر ؛ قال : فأُلقِيتْ له قطيفةٌ على حمار ، فركبه وإنّ رجليه لتكادان تخُدّان فى الأرض . قال اليشكريّ : فإنه لَيسير أمامى إذ سكتَ سكْتةً فأطالها ، فقلت فى نفسي : هذا عُبيد الله أميرُ العراق أمس نائمٌ الساعةَ على حمار ، لو قد سقط منه أعْنَتَه ؛ ثمّ قلت : والله لئن كان نائمًا لأنغّصنّ عليه نومَه ؛ فدنوتُ منه ، فقلت : أنائم أنت ؟ قال : لا ؛ قلت : فما أسكتك ؟ قال : كنتُ أحدّث نفسي ؛ قلتُ : أفلا أحدّثك ما[٣] كنت تحدّث به نفسَك ؟ قال : هاتِ ، فوالله ما أراك تكيس ولا تصيب ، قال : قلتُ : كنت تقول : ليتنى لم أقتل الحسين ، قال : وماذا ؟ قلتُ : تقول : ليتنى لم أكن قتلتُ مَن قتلت ؛ قال : وماذا ؟ قلتُ : كنتَ تقول : ليتنى لم أكن بنَيتُ البَيضاء ؛ قال : وماذا ؟ قلت : تقول : ليتنى لم أكن استعملت الدّهاقِين ، قال : وماذا ؟ قلتُ : تقول : ليتنى كنت أسخى مما كنتُ ؛ قال : فقال : والله ما نطقتَ بصواب ، ولا سكتَّ عن خطإ ، أما الحسين فإنه سار إليّ يريد قتلى ، فاخترت قتلَه على أن يقتلنى ؛ وأما البيضاء فإنى اشتريْتها من عبد الله بن عثمان الثقَفيّ ، وأرسل[٤]
٢/٤٥٨ يزيد بألف ألف فأنفقتها عليها ، فإن بقيتُ فلأهلى ، وإن هلكتُ لم آسَ عليها مما لم أعنّف فيه ؛ وأما استعمال الدّهاقين فإنّ عبد الرحمن بن أبى بكرة وزاذان فرّوخ وقَعَا فىَّ عند معاوية حتى ذكرا قشورَ الأرزّ ، فبلَغَا بخراج العراق مائة ألف ألف ، فخيّرنى معاوية بين الضّمان والعزْل ؛ فكرهتُ العزل ،

(١) فى التصويبات : « لعله : « عمر بن هبيرة » . (٢) ابن الأثير : « مسافر » .
(٣) ابن الأثير : « بما » . (٤) ابن الأثير : « وأرسل إلى » .

فكنت إذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج ، فتقدّمت إليه أو أغرمت صدور قومه ، أو أغرمت عشيرته أضررت بهم ، وإن تركتُه تركتُ مالَ الله وأنا أعرِف مكانَه ، فوجدتُ الدّهاقينَ أبصر بالجِباية ، وأوفَى بالأمانة ، وأهوَن فى المطالبة[١] منكم ، مع أنى قد جعلتكم أمناءَ عليهم[٢] لئلا يظلِموا أحداً . وأما قولك فى السخاء ، فوالله ما كان لى مال فأجودَ به عليكم ، ولو شئتُ لأخذتُ بعضَ مالِكم فخصَصتُ به بعضَكم دون بعض ، فيقولون : ما أسخاه ! ولكنى عمَمتكم ، وكان عندى أنفع لكم . وأما قولك : ليتنى لم أكن قتلتُ من قتلتُ ؛ فما عملت بعد كلمة الإخلاص عملا هو أقربُ إلى الله عندى من قتلى[٣] من قتلتُ من الخوارج ، ولكنى سأخبرك بما حدّثت به نفسى ؛ قلت : ليتنى كنتُ قاتلت أهلَ البَصرة، فإنهم بايعونى طائعين غيرَ مكرهين ، وآيمُ الله لقد حرَصتُ على ذلك ؛ ولكن بنى زياد أتَوْنى فقالوا : إنك إذا قاتلتهم فظَهَروا عليك لم يبقوا منا أحداً، وإن تركتهم تغيَّب[٤] الرجل منّا عند أخواله وأصهاره ؛ فرفقت لهم فلم أقاتل . وكنتُ أقول : ليتنى كنت أخرجتُ أهلَ السجن فضربتُ أعناقَهم ، فأما إذ فاتت هاتان فليتنى كنت أقدم الشأم ولم يُبرِموا أمراً .

قال بعضهم : فقدم الشأم ولم يُبرموا أمراً ، فكأنما كانوا معه صبياناً ؛ وقال بعضهم : قدم الشأم وقد أبرموا ، فنقض ما أبرموا إلى رأيه . ٢/٤٥٩

* * *

وفى هذه السنة طرد أهلُ الكوفة عَمرَو بن حُرَيث وعَزَلوه عنهم ، واجتمعوا على عامر بن مسعود .

ذكر الخبر عن عزلهم عمرو بن حُريث وتأميرهم عامراً

قال أبو جعفر : ذكر الهيثم بن عدىّ، قال : حدّثنا ابن عيّاش، قال :

(١) ابن الأثير : « بالمطالبة » .
(٢) ابن الأثير : « عليه » .
(٣) ابن الأثير : « من قتل من قتلت » .
(٤) ط : « يغيب » .

كان أوّل من جُمع له المِصران : الكوفة والبَصرة زياداً وابنه، فقتلا من الخوارج ثلاثة عشر ألفاً ، وحبس عبيد الله منهم أربعة آلاف ، فلما هلك يزيد قام خطيباً ، فقال : إنّ الذى كنا نقاتل عن طاعته قد مات ، فإن أمّرتمونى جبَيْت فَيْئَكم ، وقاتلتُ عدوّكم . وبعث بذلك إلى أهل الكوفة مُقاتِل ابن مِسمَع وسعيد بن قرحا، أحد بنى مازن ، وخليفته على الكوفة عَمرو بن حُرَيث ، فقاما بِذلك ، فقام يزيد بن الحارث بن رُوَيم الشيبانىّ فقال : الحمد لله الذى أراحنا من ابن سُمَيَّة، لا ولا كرامة ! فأمر به عمرو فلبِّب ومُضِيَ به إلى السجن ، فحالت بكْر بينهم وبينه ، فانطلق يزيد إلى أهله خائفاً ، فأرسل إليه محمد بن الأشعث : إنّك على رأيك ، وتتابعت عليه الرُّسُل بذلك ، وصعد عَمرو المنبر فحَصبُوه ، فدخل دارَه ، واجتمع الناسُ فى المسجد فقالوا : نؤمِّر رجلا إلى أن يجتمعَ الناسُ على خليفة ، فأجمَعوا على عمر[1] بن سعد، فجاءت نساء هَمْدان يبكين حُسيْناً ، ورجالُهم متقلدو السيوف ، فأطافوا بالمِنبر ، فقال محمد بن الأشعث : جاء أمرٌ غيرَ ما كنا فيه، وكانت كِنْدة تقوم بأمرِ عُمر بن سعْد لأنهم أخوالُه ، فاجتمعوا على عامر ابن مسعود ، وكتبوا بذلك إلى ابن الزبير ، فأقرّه .

وأما عوَانة بن الحكَم؛ فإنه قال فيما ذكر هشام بن محمد عنه : لما بايع أهلُ البَصرة عُبيدَ الله بن زياد بعث وافدين من قِبله إلى الكوفة : عَمرو بن مِسمَع ، وسعد بن القرحا التميمىّ ، ليعلم أهــل الكوفة ما صنع[2] أهل البصرة ، ويسألانهم البيعةَ لعُبيد الله بن زياد ، حتى يصطلح الناس، فجمع الناسَ عَمرو بن حريث ، فحَمِد الله وأثنَى عليه ثمّ قال : إنّ هذين الرجلين قد أتيَاكم من قِبَل أميركم يدعُوانكم إلى أمر يَجمَع الله به كلمَتكم، ويُصلِح به ذاتَ بينكم ، فاسمعوا منهما ، واقبلوا عنهما ، فإنهما برشْدٍ ما أتيَاكم .

فقام عمرو بن مسمع ،فحمِد الله وأثنَى عليه، وَذكَر أهل البصرة واجتماعَ رأيهم على تأمير عُبيد الله بن زياد حتى يرى الناسُ رأيهم فيمن يولّون عليهم ؛

---

(١) ط : « عمرو » ، تحريف .   (٢) ف : « بما صنع » .

وقد جئناكم لنجمع أمرنا وأمرَكم فيكونَ أميرُنا وأميركم واحداً ، فإنما الكوفة من البَصْرة والبَصْرة من الكوفة ، وقام ابن القرحا فتكلم نحوًا من كلام صاحبه. قال: فقام يزيد بن الحارث بن يزيد الشيبانىّ — وهو ابن رُوَيم — فحَصَبهما أوّل الناس ، ثمّ حصبهما الناسُ بعد ، ثم قال : أنحن نبايع لابن مَرْجانة ! لا ولا كرامة ؛ فشرّفت تلك الفَعلة يزيدَ فى المِصْر ورفعتْه ، ورجع الوفد إلى البصرة فأعلم الناس الخبر فقالوا : أهلُ الكوفة يخلعونه ، وأنتم تولّونه وتبايعونه! فوثب به الناس ، وقال : ما كان فى ابن زياد وصمةٌ إلا استجارتَه بالأزد.

قال: فلمّا نابذَه الناسُ استجار بمسعود بن عمرو الأزدىّ ، فأجاره ومنعه ، فمكث تسعين يومًا بعد موت يزيدَ ، ثمّ خرج إلى الشأم ، وبعثت الأزد وبكر ابن وائل رجالا منهم معه حتى أوردوه الشأم ، فاستخلف حين توجّه إلى الشأم مسعود بن عمرو على البَصْرة ، فقالت بنو تميم وقيس : لا نرضَى ولا نجيز ولا نولّى إلاّ رجلاً ترضاه جماعتُنا ، فقال مسعود : فقد استخلفنى فلا أدَعُ ذلك أبدًا ؛ فخرج فى قومه حتّى انتهى إلى القصر فدخله ، واجتمعتْ تميم إلى الأحنف بن قيس فقالوا له : إنّ الأزد قد دخلوا المسجد ؛ قال : ودخل المسجد فمَهْ ! إنما هو لكم ولهم ، وأنتم تدخلونه ؛ قالوا : فإنه قد دخل القصر ، فصَعِد المنبرَ . وكانت خوارجُ قد خرجوا ، فنزلوا بنهر الأساورة حين خرج عُبيد الله بن زياد إلى الشأم ، فزعم الناس أنّ الأحنف بعث إليهم أنّ هذا الرجل الذى قد دخل القصر لنا ولكم عدوّ ، فما يَمنَعكم من أن تبدءوا به ! فجاءت عصابةٌ منهم حتى دخلوا المسجد ، ومسعود بن عمرو على المنبر يبايع مَن أتاه ، فيرميه عِلْج يقال له : مُسلم من أهل فارسَ ، دخل البصرة فأسلم ثمّ دخل فى الخوارج ، فأصاب قلبَه فقتله وخرج ، وَجال الناسُ بعضُهم فى بعض فقالوا : قُتِل مسعود بن عمرو ، قتلتْه الخوارج ، فخرجَتْ الأزْد إلى تلك الخوارج فقتلوا منهم وجَرّحوا ، وطردوهم عن البَصرة ، ودفنوا مسعوداً ، فجاءهم الناس فقالوا لهم : تعلمون أنّ بنى تميم يزعمون أنهم قتلوا مسعود بن عمرو ، فبعثَت الأزدُ تسأل عن ذلك ؛ فإذا أناسٌ منهم يقولونه ، فاجتمعت الأزد عند ذلك فرأّسوا عليهم زيادَ بنَ عمرو العتكىّ ، ثم ازدَلفوا إلى بنى تميم

٢/ ٤٦١

٤٦٢/٢ وخرجتْ مع بنى تميم قيس ، وخرج مع الأزد مالكُ بن مسمع وبكر بن وائل فأقبلوا نحو بنى تميم . وأقبلتْ تميم إلى الأحنف يقولون : قد جاء القوم، اخرجْ . وهو متمكّث ، إذ جاءته امرأةٌ من قومه بمِجمر فقالت : يا أحنف اجلس على هذا ، أى إنما أنت امرأة ؛ فقال : استْك أحقّ بها ، فما سُمِع منه بعد كلمةٌ كانت أرفثَ منها ، وكان يُعرَف بالحلم . ثمّ إنه دعا برايته فقال : اللهمّ انصُرْها ولا تُذللها ، وإنّ نُصرتها ألا يُظهَر بها ولا يُظهَر عليها ؛ اللهمّ احقنْ دماءَنا ، وأصلح ذاتَ بيننا . ثم سار وسار ابن أخيه إياس بن معاوية بين يديه ، فالتقَى القوم فاقتتلوا أشدّ القتال ، فقُتل من الفريقين قَتلَى كثيرة ، فقالت لهم بنو تميم : الله الله يا معشر الأزد فى دمائنا ودمائكم! بيننا وبينكم القرآن ومَنْ شئتم من أهل الإسلام ، فإن كانت لكم علينا بيّنةٌ أنّا قتلنا صاحبَكم، فاختاروا أفضلَ رجل فينا فاقتلوه بصاحبكم، وإن لم تكن لكم بيّنة فإنا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا، ولا نعلم لصاحبكم قاتلاً ، وإن لم تريدوا ذلك فنحن نَدِى صاحبَكم بمائة ألف درهم. فاصطلحوا، فأتاهم الأحنف بن قيس فى وجوه مضرَ إلى زياد بن عمرو العتَكىّ ، فقال : يا معشر الأزد ، أنتم جيرتُنا فى الدار ، وإخوتُنا عند القتال ، وقد أتيناكم فى رحالكم لإطفاء حشيشتكم ، وسلّ سخيمتكم ، ولكم الحكمُ مرسلا ، فقولوا على أحلامنا وأموالنا ، فإنه لا يتعاظمُنا ذهاب شىء من أموالنا كان فيه صلاح بيننا ، فقالوا : أتدُون صاحبَنا عشرَ ديات ؟ قال : هى لكم ؛ فانصرف الناس واصطلحوا ؛ فقال الهيثم بن الأسود :

٤٦٣/٢

أعْلَى بمسعودٍ النّاعِى فقلتُ له ... نِعْمَ اليمانى تجرّوْا على الناعى

أوْفَى ثمانين ما يسطيعُهُ أحدٌ ... فتًى دعاهُ لرأس العدَّةِ الداعِى

آوَى ابن حرب وقد سُدَّتْ مذاهبُه ... فأوسعَ السَّرْبَ منه أىَّ إيساعَ

حتَّى توارت به أرضٌ وعامِرها ... وكانَ ذَا ناصرٍ فيها وأشياعِ

وقال عُبيد الله بن الحُرّ :

ما زِلتُ أَرجو الأَزدَ حتَّى رأَيتُها تقصَّرُ عن بنْيانِها المتطاوِلِ
أَيُقتلُ مسعودٌ ولَم يثْأَرُوا به وصارَتْ سيوفُ الأَزدِ مِثلَ المناجلِ
وَمَا خيرُ عقلٍ أَوْرَثَ الأَزْدَ ذِلَّةً تَسَبُّ به أَحياؤُهم فى المحافِلِ
على أَنَّهمْ شُمْطٌ كأَنَّ لِحاهُمُ ثَعالِبُ فى أَعناقِها كالجَلاجِلِ

واجتمع أهلُ البصرة على أن يجعلوا عليهم منهم أميراً يصلى بهم حتى يجتمع الناس على إمام ، فجعلوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر شهراً ، ثم جعلوا ببّة — وهو عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب — فصلى بهم شهرَين ، ثمّ قدم عليهم عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر من قِبَلِ ابن الزبير ، فمكث شهراً، ٢/٤٦٤ ثمّ قدم الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومىّ بعزله ، فوليها الحارث وهو القُباع .

قال أبو جعفر : وأما عمر بن شبّة ؛ فإنه حدّثنى فى أمر عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كُرَيز وأمر ببّة ومسعود وقتله ، وأمر عمر بن عبيد الله غيرَ ما قال هشام عن عوانة . والذى حدّثنى عمر بن شبّة فى ذلك أنه قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، عن أبى مُقرّن عبيد الله الدّهنىّ ، قال : لما بايع الناسُ ببّة ولّى ببّة شُرطتَه هميَان بن عدىّ ، وقدم على ببّة بعضُ أهل المدينة ، وأمر هميان بن عدىّ بإنزاله قريبًا منه ، فأتى هميان دارًا للفيل مولى زياد التى فى بنى سُليم وهمّ بتفريغها لِينزلَها إيّاه ، وقد كان هرب وأقفل أبوابَه ، فمنعت بنو سُليم هميان حتى قاتلوه ، واستصرخوا عبدَ الملك بن عبد الله بن عامر بن كُرَيز ، فأرسل بُخاريّته ومواليه فى السلاح حتى طردوا هميان ومنعوه الدار ، وغدا عبد الملك من الغد إلى دار الإمارة ليسلِّم على بَبّة ، فلقيَه على الباب رجلٌ من بنى قيس بن ثعلبة ، فقال : أنت المعيّن علينا بالأمس! فرفع يدَه فلطمه ، فضرب قوم من البخاريّة يدَ القيسىّ فأطارها ؛ ويقال : بل سلِم القيسىّ ، وغضب ابن عامر فرجع ، وغضبتْ له مضر فاجتمعتْ وأتت بكر بن

وائل أشيمَ بن شقيق بن ثور فاستصرخوه، فأقبل ومعه مالك بن مسمع حتّى صعد المنبر فقال : أىّ مضرىّ وجدتموه فاسلبوه . وزعم بنو مسمع أنّ مالكًا جاء يومئذ متفضّلاً فى غيرِ سلاح ليردّ أشيم عن رأيه . ثمّ انصرفت بكر وقد ٢/٤٦٥ تحاجزوا هم والمضريّة ،واغتنمتِ الأزد ذلك ، فحالفوا بكرًا،وأقبلوا مع مسعود إلى المسجد الجامع ، وفزعَتْ تميم إلى الأحنف ، فعقد عمامتَه على قناة ، ودفَعها إلى سلمة بن ذُؤَيب الرّياحىّ ، فأقبل بين يديه الأساورة حتّى دخل المسجد ومسعود يخطب ، فاستنزَلوه فقتلوه ، وزعمَت الأزْد أن الأزَارقَة قتلوه ، فكانت الفتْنة ، وسفر بينهم عمر بن عبيد الله بن معمر وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام حتّى رَضِيت الأزدُ من مسعود بعشر ديَات ، ولزم عبد الله بْن الحارث بيته ، وكان يتديّن ، وقال : ما كنتُ لأصلح الناس بفساد نفسى .

قال عمر : قال أبو الحسن : فكتب أهلُ البصرة إلى ابن الزبير ، فكتب إلى أنس بن مالك يأمره بالصّلاة بالناس ، فصلَّى بهم أربعين يومًا .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد، قال : كتب ابن الزبير إلى عمر ابن عبيد الله بن مَعْمَر التيمىّ بعهده على البَصرة ، ووجّه به إليه ، فوافقه وهو متوجّه يريد العُمْرة، فكتب إلى عُبيد الله يأمره أن يصلّىَ بالناس، فصلى بهم حتّى قدم عمر .

حدّثنى عمر ،قال: حدّثنى زهير بن حرب ،قال: حدّثنا وهب بن جرير ، قال: حدّثنى أبى، قال : سمعتُ محمد بن الزبير ، قال : كان الناس اصطلحوا على عبد الله بن الحارث الهاشمىّ ، فولى أمرهم أربعة أشهر ، وخرج نافع بن الأزرق إلى الأهواز ، فقال الناس لعبد الله : إن الناس قد أكل بعضُهم بعضًا ؛ تؤخذ المرأة من الطريق فلا يَمنَعُها أحد حتى تُفضَح ؛ قال : فتريدون ماذا ؟ قالوا : تضَع سيفَك ، وتَشدُّ على الناس ؛ قال : ما كنت لأصلحهم ٢/٤٦٦ بفساد نفسى ، يا غلام ، ناولِنى نعلى ، فانتعل ثمّ لحق بأهله ، وأمَّر الناسُ عليهم عُمَر بن عبيد الله بن مَعمَر التيمىّ؛ قال أبى،عن الصَّعْب بن زيد:

إنّ الجارف وقع وعبد الله على البصرة ، فماتت أمّه فى الجارف ، فما وجدوا لها من يَحملها حتى استأجروا لها أربعة أعلاج فحملوها إلى حُفرتها ، وهو الأمير يومئذ .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : كان ببّة قد تناول فى عمله على البَصرة أربعين ألفًا من بيت المال ، فاستودَعها رجلاً ، فلما قدم عمر بن عبيد الله أميرًا أخذ عبد الله بن الحارث فحبسه ، وعذّب مولًى له فى ذلك المال حتى أغرمه إياه .

حدّثنى عمر قال : حدّثنى علىٌّ بن محمّد ، عن القافْلانىّ ، عن يزيد ابن عبد الله بن الشِّخّير ، قال : قلت لعبد الله بن الحارث بن نوفل: رأيتك زمان استعملِت علينا أصبْتَ من المال ، واتّقيت الدم ، فقال : إنّ تَبِعة المال أهوَن من تَبِعة الدم .

* * *

[ذكر الخبر عن ولاية عامر بن مسعود على الكوفة]

وفى هذه السنة ولّى أهلُ الكوفة عامرَ بنَ مسعود أمرَهم ، فذكر هشام ابن محمد الكلبىّ ، عن عوانة بن الحكم ، أنهم لما ردّوا وافدَىْ أهل البصرة اجتمع أشرافُ أهل الكوفة ، فاصطلحوا على أن يصلّىَ بهم عامر بن مسعود — وهو عامر بن مسعود بن خلف القرشىّ ، وهو دُحروجَةُ الجُعَل الذى يقول فيه عبد الله بن هَمّام السَّلولىّ :

اشْدُدْ يديْكَ بزيْدٍ إن ظَفِرْتَ بهِ واشفِ الأَرامِلَ من دُحرُوجَةِ الجُعلِ

وكان قصيراً — حتى يرى الناس رأيهم، فمكث ثلاثةَ أشهر من مَهلك يزيدَ بن معاوية ، ثم قدم عليهم عبدُالله بن يزيدَ الأنصارىّ ثم الخَطْمىّ على الصلاة، وإبراهيم بن محمد بن طلحة[1] بن عبيد الله على الخراج، فاجتمع ٢/٤٦٧

---

(١) ابن الأثير : « طليحة » .

لابن الزبير أهلُ الكوفة وأهل البصرة ومَن بالقبلة من العرب وأهل الشأم ، وأهل الجزيرة إلا أهلَ الأردُنّ .

* * *

[خلافة مروانَ بن الحكم]

وفى هذه السنة بُويع لمروانَ بن الحكم بالخلافة بالشأم .

* ذكر السبب فى البيعة له :

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمرَ ، قال : لما بويع عبدُ الله بنُ الزبير ولّى المدينةَ عُبيدةَ بن الزبير ، وعبد الرحمن بن جَحْدَم الفِهْرىّ مصرَ ، وأخرَج بنى أميّة ومروان بن الحكم إلى الشأم — وعبد الملك يومئذ ابن ثمان وعشرين — فلما قدم حصين بن نمير ومَن معه إلى الشأم أخبر مَرْوانَ بما خلّف عليه ابن الزبير ، وأنه دعاه إلى البيعة ، فأبى فقال له ولبنى أمية : نراكم فى اختلاط شديد ، فأقيموا أمركم[1] قبل أن يدخل عليكم شأمكم ، فتكون فتنة عمياءَ صمّاء ؛ فكان من رأىِ مروانَ أن يرحل فينطلق إلى ابن الزبير فيبايعه ، فقدِم عبيد اللهبن زياد واجتمعت عنده بنو أميّة ، وكان قد بلغ عبيد الله ما يريد مروان ، فقال له : استحييتُ لك مما تريد ! أنت كبيرُ قريش وسيّدها ، تصنع ما تصنعه ! فقال : ما فات شىءٌ بعدُ ؛ فقام معه بنو أميّة ومواليهم ، وتجمّع إليه أهلُ اليمن ، فسار وهو يقول : ما فات شىءٌ بعدُ ؛ فقدم دمشقَ ومن معه ، والضّحاك بن قيس الفهرىّ قد بايعه أهلُ دمشق على أن يصلّىَ بهم ؛ ويقيمَ لهم أمرهم حتى يجتمع أمرُ أمّة محمد . ٢ / ٤٦٨

وأما عوانة فإنه قال — فيما ذكر هشام عنه — إنّ يزيد بن معاوية لما مات وابنه معاوية من بعده ، وكان معاوية بن يزيدَ بن معاوية — فيما بلغنى — أمَرَ بعد ولايته فنودىَ بالشأم : الصلاة جامعة ! فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنى قد نظرت فى أمركم فضعفتُ عنه ، فابتغيت لكم رجلا مثلَ عمرَ بن

(١) ابن الأثير : « أميركم » .

الخطّاب رحمة الله عليه حين فزع إليه أبو بكر فلم أجدْه ، فابتغيت لكم ستّةً فى الشورى مثل ستّة عمر ، فلم أجدها ، فأنتم أولَى بأمركم ، فاختاروا له من أحببتم . ثمّ دخل منزلَه ولم يَخرج إلى الناس ، وتغيَّب حتى مات . فقال بعض الناس : دُسّ إليه فسُقِىَ سمًّا ، وقال بعضهم : طُعِن .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عوانة . ثمّ قدم عبيدالله بن زياد دمشق وعليها الضحاك ابن قيس الفهرىّ ، فثار زُفَر بن الحارث الكلابىّ بقِنَّسرين يبايع لعبد الله بن الزبير ، وبايع النعمان بن بشير الأنصارىّ بحمصَ لابن الزبير ، وكان حسان ابن مالك بن بَحْدَل الكلبىّ بفلَسْطين عاملاً لمعاوية بن أبى سُفْيان ، ثمّ ليزيد ابن معاوية بعده ، وكان يَهوَى هَوَى بنى أميَّة ، وكان سيِّدَ أهل فلَسطين ، فدعا حسَّان بن مالك بن بحدل الكلبىّ رَوْحَ بن زِنْباع الجُذامىّ ، فقال : إنى مستخلفُك على فلسطين ، وأدخل هذا الحىّ من لَخْم وجُذام ، ولست بدون رجل إذ كنت عينهم قاتلت بمن معك من قومك . وخرج حسَّان بن مالك إلى الأردُنّ ٢/٤٦٩ واستخلف رَوْح بنَ زِنْباع على فلسطين ، فثار ناتل بن قيس بروح بن زنباع فأخرجه ، فاستولى على فلَسطين ، وبايع لابن الزبير ، وقد كان عبد الله بن الزبير كتب إلى عامله بالمدينة أن ينفِىَ بنى أميَّةَ من المدينة ، فنفُوا بعيالاتهم ونسائهم إلى الشأم ، فقدِمتْ بنو أميّة دمشقَ وفيها مروان بن الحكم ، فكان الناس فريقين : حسّان بن مالك بالأردنّ يَهوَى هَوَى بنى أمية ، ويدعو إليهم ؛ والضحَّاك ابن قيس الفهرىّ بدمشقَ يَهوَى هَوَى عبد الله بنِ الزبير ، ويدعو إليه .

قال : فقام حسان بن مالك بالأردنّ ، فقال : يا أهلَ الأردنّ ، ما شهادتُكم على ابن الزبير وعلى قَتْلَى أهلِ الحرّة ؟ قالوا : نشهد أنّ ابن الزبير منافق وأنّ قَتلَى أهلِ الحرّة فى النار ؛ قال : فما شهادتُكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحرّة ؟ قالوا : نشهد أنّ يزيد على الحقّ ، وأنّ قتلانا فى الجنة ؛ قال : وأنا أشهد لئن كان دينُ يزيدَ بن معاوية وهو حىّ حقًّا يومئذ إنه اليومَ وشيعتُه على حقّ ؛ وإن كان ابن الزبير يومئذ وشيعته على باطل إنه اليومَ على باطل وشيعته ؛ قالوا له : قد صدقتَ ، نحن نبايعك على أن نقاتل مَن

خالفك من الناس ، وأطاعَ ابنَ الزبير ، على أن تجنّبنا هذين الغلامين ، فإنا نكره ذلك — يعنُون ابنَى يزيد بن معاوية عبد الله وخالداً — فإنهما حديثةٌ أسنانهما ، ونحن نكره أن يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبىّ . وقد كان الضحاك

٢/٤٧٠ ابن قيس بدمشقَ يَهوَى هوَى ابن الزبير ؛ وكان يمنعه من إظهار ذلك أنّ بنى أميّة كانوا بحضرته ، وكان يعمل فى ذلك سرًّا ، فبلغ ذلك حسان بن مالك ابن بحدل ، فكتب إلى الضحاك كتاباً يعظّم فيه حقّ بنى أمية ، ويذكر الطاعة والجماعة وحُسْنَ بلاءِ بنى أميّة عندَه وصنيعهم إليه ، ويدعوه إلى طاعتهم ، ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ، ويذكر أنه منافق ، قد خلع خليفتَين ، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس . ودعا رجلا من كَلْب يُدعى ناغضة فسرّح بالكتاب معه إلى الضحّاك بن قيس ، وكتب حسان بن مالك نسخةَ ذلك الكتاب ، ودفَعه إلى ناغضة ، وقال : إنْ قرأ الضحاك كتابى على الناس وإلاّ فقم فاقرأ هذا الكتاب على الناس ؛ وكتب حسّان إلى بنى أمية يأمرهم أن يحضروا ذلك ، فقَدِم ناغضةُ بالكتاب على الضحّاك فدفعه إليه ودفع كتابَ بنى أميّة إليهم ، فلما كان يومَ الجمعة صعِد الضحّاك المنبر فقام إليه ناغضة ، فقال : أصلح الله الأمير! ادعُ بكتاب حسّان فاقرأه على الناس ، فقال له الضحاك : اجلس ، فجلس ؛ ثمّ قام إليه الثانية فقال له : اجلس ؛ ثمّ قام إليه الثالثة فقال له : اجلس ؛ فلما رآه ناغضة لا يفعل أخرج الكتابَ الذى معه فقرأه على الناس ، فقام الوليد بن عُتبة بن أبى سُفْيانَ فصدّق حساناً وكذّب ابنَ الزبير وشتمه ، وقام يزيد بن أبى النِّمس[1] الغسّانىّ ، فصدّق مقالة حسّان وكتابَه ، وشتم ابن الزبير ، وقامَ سُفْيان بن الأبرد الكلبىّ فصدّق مقالة حسان وكتابه ، وشتم ابن الزبير .

٢/٤٧١ وقام عَمرو بن يزيد الحكمىّ فشتم حسّان وأثنَى على ابن الزبير ، واضطرب الناس تبعًا لهم ، ثمّ أمر الضحاك بالوليدَ بنَ عُتبة ويزيد بن أبى النّمس وسُفْيان

---

(١) ابن الأثير : «أبو الغمس» ، قال : «بالسين المهملة ، وقيل بالشين المعجمة ، وكان قد ارتد عن الإسلام ودخل الروم مع جبلة بن الأيهم ؛ ثم عاود الإسلام ، وشهد صفين مع معاوية وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان» .

ابن الأبرد الذين كانوا صدّقوا مقالةَ حسان وشتَموا ابن الزبير فحُبسوا ، وجال الناسُ بعضُهم فى بعض ، ووثبت كَلْب على عَمرو بن يزيد الحَكَمىّ فضربوه وحرّقوه بالنار ، وخرّقوا ثيابه .

وقام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرْقاتين من المنبر [1] وهو يومئذ غلام ، والضحَّاك بن قيس على المنبر ، فتكلّم خالد بن يزيد بكلام أوْجَز فيه لم يُسمع مثلُه ، وسكّن الناس ونزل الضحاك فصلّى بالناس الجمعة ، ثمّ دخل فجاءت كلب فأخرجوا سفيانَ بن الأبرد ، وجاءت غسَّان فأخرجوا يزيد بن أبى النِّمس ، فقال الوليد بن عتبة : لو كنتُ من كلب أو غسان أخرِجت .

قال : فجاء ابنا يزيد بن معاوية : خالد وعبد الله ؛ معهما أخوالُهما من كلب فأخرجوه من السِّجن ، فكان ذلك اليوم يسمّيه أهلُ الشأم يومَ جَيْرون الأوّل . وأقام الناس بدمشقَ ، وخرج الضحَّاك إلى مسجد دمشقَ ، فجلس فيه فذكر يزيدَ بنَ معاوية ، فوقع فيه ، فقام إليه شابٌ من كلب بعصًا معه فضربه بها ، والناس جلوس فى الحلق متقلّدى السُّيوف ، فقام بعضُهم إلى بعض فى المسجد ، فاقتتلوا ؛ قيس تدعو إلى ابن الزبير ونُصرة الضحَّاك ، وكلْب تدعو إلى بنى أمية ثم إلى خالد بن يزيد ، ويتعصّبون ليزيد ، ودخل الضحاك دارَ الإمارة ، وأصبح الناس فلم يخرج إلى صلاة الفجر ، وكان من الأجناد ناس يهوَوْن هوَى بنى أمية ، وناس يهوَوْن هوَى ابن الزبير ، فبعث الضحاك ٢/٤٧٢ إلى بنى أميّة فدخلوا عليه من الغد ، فاعتذر إليهم ، وذكر حُسن بلائهم [2] عند مواليه وعنده ، وأنه ليس يريد شيئًا يكرهونه .

قال : فتكتبون إلى حسّان ونكتب ، فيسير من الأردنّ حتى ينزل الجابية ، ونسير نحن وأنتم حتى نوافيَه بها ، فنبايع لرجل منكم ، فرضيَتْ بذلك بنو أميّة ، وكتبوا إلى حسّان ، وكتب إليه الضحاك ، وخرج الناس وخرجت بنو أميّة واستقبلت الرايات ، وتوجّهوا يريدون الجابية ، فجاء ثور بن معن بن يزيد ابن الأخنس السُّلَمىّ إلى الضحاك ، فقال : دعوْتَنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعْناك

---

(١) فى ابن الأثير : « فصعد مرقاتين من المنبر وسكّن الناس » .

(٢) ف : « بلائه » .

على ذلك ، وأنت تسير إلى هذا الأعرابىّ من كَلْب تستخلف ابنَ أخيه خالد ابن يزيد ! فقال له الضحّاك : فما الرأىُ ؟ قال : الرأى أن نُظهر ما كنا نسرّ وندعو إلى طاعة ابن الزبير ، ونقاتل عليها ، فمالَ الضحّاك بمن معه من الناس فعَطفهم ، ثمّ أقبل يسير حتى نزل بمَرْج راهطَ .

واختُلف فى الوقعة التى كانت بمرج راهط بين الضحّاك بن قيس ومروان ابن الحكَم ، فقال محمد بن عمرَ الواقدىّ : بُويع مروانُ بنُ الحكم فى المحرّم سنة خمس وستين ، وكان مروانُ بالشأم لا يُحدّث نفسه بهذا الأمر حتى أطْمَعَه فيه عُبيد الله بن زياد حين قَدِم عليه من العراق ، فقال له : أنت كبيرُ قريش ورئيسها ، يلى عليك الضحاك بن قيس ! فذلك حين كان ما كان ، فخرج إلى الضحاك فى جيش ، فقَتلهم مروان والضحاك يومئذ فى طاعة ابن الزبير ، وقُتلت قيس بمرج راهط مقتلةً لَمْ يُقتل مِثلُها فى موطن قطّ . ٢/٤٧٣

قال محمد بن عمر : حدّثنى ابن أبى الزناد ، عن هشام بن عُروة ، قال : قُتِل الضحاك يومَ مَرْج راهط على أنه يدعو إلى عبد الله بن الزبير ، وكُتِبَ به إلى عبد الله لما ذُكِر عنه من طاعته وحسن رأيه[1] .

وقال غيرُ واحد : كانت الوقعة بمرج راهط بين الضحاك ومروان فى سنة أربع وستّين .

وقد حُدِّثت عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : حدّثنى موسى ابن يعقوب ، عن أبى[2] الحُوَيْرث ، قال : قال أهل الأردنّ وغيرهم لمروان : أنت شيخٌ كبير ، وابن يزيد غلام وابن الزبير كَهْل ، وإنما يُقرع الحديدُ بعضُه ببعض ، فلا تبارِه بهذا الغلام ، وارمِ بنحرك فى نحره ، ونحن نبايعك ، ابسُط يدَك ، فبسَطها ، فبايعوه بالجابِيَة يومَ الأربعاء لثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربع وستين .

قال محمد بن عمر : وحدّثنى مصعب بن ثابت ، عن عامر بن عبد الله أن الضّحاك لما بلغه أنّ مروان قد بايعه من بايعه على الخلافة ، بايع من معه

(١) ط : « لنا وذكر من طاعته لنا » . (٢) ط : « بنى » ، وانظر الفهرس .

لابن الزبير ، ثم سار كلّ واحد منهما إلى صاحبه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل الضحاك وأصحابه .

قال محمد بن عمر : وحدّثني ابن أبي الزّناد ، عن أبيه ؛ قال : لما ولى المدينة عبد الرحمن بن الضحاك كان فتًى شابًّا ، فقال : إنّ الضحاك ابن قيس قد كان دعا قيسًا وغيرَها إلى البيعة لنفسه ، فبايعهم يومئذ على الخلافة ، فقال له زُفَر بن عقيل الفِهرىّ : هذا الذى كنا نعرف ونسمع ، وإنّ بنى الزبير يقولون : إنما كان بايع لعبد الله بن الزبير ، وخرج فى طاعته حتى قتل ، الباطلَ والله يقولون ؛ كان أوّل ذاك أنّ قريشاً دعتْه إليها ، فأبى عليها حتّى دخل فيها كارهًا . ٢ / ٤٧٤

* * *

ذكر الخبر عن الوقعة بمرج راهط بين الضحّاك بن قيس ومروان بن الحكم وتمام الخبر عن الكائن من جليل الأخبار والأحداث فى سنة أربع وستين

قال أبو جعفر : حدّثنا نوح بن حبيب ، قال : حدّثنا هشام بن محمد ، عن عوانة بن الحَكَم الكلبىّ ، قال : مال الضحاك بن قيس بمن معه من الناس حين سار يريد الجابية للقاء حسّان بن مالك ، فعطَفهم ، ثمّ أقبل يسير حتى نزل بمرْج راهط ، وأظهر البيعة لابن الزبير وخلع بنى أميّة ، وبايعه على ذلك جُلّ أهل دمشق من أهل اليمن وغيرهم .

قال : وسارت بنو أميّة ومَن تبعهم حتى وافَوا حسّانَ بالجابية ، فصلّى بهم حسّان أربعين يومًا ، والناس يتشاورون ، وكتب الضحاك إلى النعمان بن بشير وهو على حِمْص ، وإلى زُفر بن الحارث وهو على قِنَّسرين ، وإلى ناتل ابن قيس وهو على فِلسطين يستمدّهم ، وكانوا على طاعة ابن الزبير ، فأمدّه النعمان بشُرَحْبيل بن ذى الكَلاع ، وأمدّه زُفَر بأهل قِنَّسْرِين ، وأمدّه ناتل بأهل فلَسطين ، فاجتمعت الأجناد إلى الضحاك بالمرْج .

وكان الناس بالجابية لهم أهواء مختلفة ، فأمّا مالك بن هبيرة السَّكُونىّ فكان يَهوَى هوَى بنى يزيد بن معاوية ، ويحبّ أن تكون الخلافة فيهم ، وأما الحصين بن نمير السَّكونىّ فكان يَهوَى أن تكون الخلافة لمروانَ بن الحكم ،

فقال مالك بن هبيرة لحصين بن نمير : هلمّ فلنبايع[١] لهذا الغلام الذى نحن ولَدْنا أباه ، وهو ابن أختنا ، فقد عرفت منزلتنا كانت من أبيه ، فإنه يحملنا على رقاب العرب غداً — يعنى خالدَ بن يزيد — فقال الحصين : لا ، لَعَمر الله ، لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيهم بصبىّ ؛ فقال مالك : هذا ولم تَرِدى[٢] تهامة ولما يَبلُغ الحزامُ الطُّبْيَيْن ؛ فقالوا : مهلاً يا أبا سليمان ! فقال له مالك : والله لئن استخلفت مروانَ وآل مروان ليحسدُنَّك على سوطك وشِراك نعلك وظلّ شجرة تستظلّ بها ؛ إنّ مروان أبو عشيرة ، وأخو عَشيرة ، وعمّ عشيرة ، فإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم ، ولكن عليكم بابن أختكم خالد ، فقال حصين : إنّى رأيت فى المنام قِنْديلا معلَّقًا من السماء ، وإنّ من يَمدّ عنقَه إلى الخلافة تناوَلَه فلم ينلْه ، وتناوله مروان فَنالَه ، والله لنستخلفنَّه ؛ فقال له مالك : وَيْحك يا حصين ! أتبايع لمروان وآل مروان وأنت تعلَم أنهم أهل بيت من قيس ! فلما اجتمع رأيُهم للبيعة لمروان بن الحكم قام رَوْح بن زنباع الجذامىّ ، فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ثم قال : أيُّها الناس ، إنكم تذكرون عبدَالله بنَ عمر ابن الخطاب وصُحبتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدمَه فى الإسلام ، وهو كما تذكرون ؛ ولكن ابن عمر رجلٌ ضعيفٌ ، وليس بصاحب أمة محمد الضعيفُ ، وأمَّا ما يذكر الناس من عبد الله بن الزبير ويدْعون إليه من أمره فهو والله كما يذكرون بأنه لابن الزبير حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أسماء ابنة أبى بكر الصدّيق ذات النِّطاقَين ، وهو بعدُ كما تذكرون فى قَدَمه وفَضْله ؛ ولكنّ ابن الزبير منافق ، قد خلع خليفتين : يزيد وابنه معاوية ابن يزيد ، وسَفَك الدماء ، وشقّ عصا المسلمين ، وليس صاحبَ أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم المنافقُ ؛ وأمَّا مروان بن الحكم ؛ فوالله ما كان فى الإسلام صَدْعٌ قطُّ إلا كان مروان ممَّن يَشعَب ذلك الصّدع ، وهو الذى قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفّان يومَ الدار ، والذى قاتل علىّ بن أبى طالب يومَ الجَمَل ، وإنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبُّوا[٣] الصغير —

٢/٤٧٦

---

(١) ف وابن الأثير : « نبايع هذا الغلام » .

(٢) ف : « ترد » .

(٣) ابن الأثير : « ويستشيرا » .

يعنى بالكبير مروانَ بنَ الحكم ، وبالصغير خالدَ بنَ يزيد بن معاوية . قال : فأجمع رأى الناس على البيعة لمروان ، ثمّ لخالد بن يزيد من بعده ، ثم لعمرو ابن سعيد بن العاص من بعد خالد ، على أنّ إمارة دِمشقَ لعمرو بن سعيد ابن العاص ، وإمارة حِمصَ لخالد بن يزيدَ بن معاوية . قال : فدعا حسان ابن مالك بن بحدل خالد بن يزيد فقال : أبُنَىَّ أختى ، إنّ الناس قد أبَوْك لحداثة سنّك ، وإنى والله ما أريد هذا الأمر إلا لك ولأهل بيتك، وما أبايع مروان إلا نظراً لكم؛ فقال له خالد بن يزيد : بل عَجَزْتَ عنا ، قال : لا والله ما عَجَزْتُ عنك، ولكنّ الرأى لك ما رأيتُ. ثمّ دعا حسان بمروانَ فقال: يا مروان ، إن الناس والله ما كلّهم يَرضَى بك، فقال له مروان : إنْ يُرِد الله أن يعطنيها لا يمنعنى إياها أحدٌ من خلقه ، وإن يُرِدْ أن يَمنَعنيها لا يُعطِنيها أحدٌ من خلقه . قال : فقال له حسان : صدقت ، وصَعِد حسان المنبر يومَ الاثنين ، فقال: يأيّها الناس ، إنا نستخلف يومَ الخميس إن شاء الله؛ فلما كان يوم الخميس بايع لمروانَ ، وبايع الناسُ له، وسار مروان إلى الجابية فى الناس حتى نزل مَرْجَ راهط على الضحاك فى أهل الأردنّ من كَلْب ، وأتته السَّكاسِك والسَّكون وغسان، وربع حسان بن مالك بن بحدل إلى الأردنّ . ٢ / ٤٧٧

قال : وعلى ميمنته — أعنى مروان — عمرو بن سعيد بن العاص ، وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد ، وعلى ميمنة الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العُقَيْلىّ وعلى ميسرته رجل آخر لم أحفظ اسمَه، وكان يزيد بن أبى النِّمس الغسانىّ لم يشهد الجابية ؛ وكان مختبئاً بدمشق ، فلما نزل مروانُ مرجَ راهط ثار يزيد ابن أبى نمس بأهل دمشق فى عبيدها ، فغلب عليها ، وأخرج عامل الضحاك منها ، وغلب على الخزائن وبيت المال، وبايع لمروان وأمدّه بالأموال والرجال والسلاح ، فكان أوّلَ فتح فتحَ على بنى أميّة . قال : وقاتل مروان الضحاك عشرين ليلةً كان، ثم هُزِم أهلُ المرج ،وقُتِلوا وقُتل الضحاك، وقُتل يومئذ من أشراف الناس من أهل الشام ممن كان مع الضحاك ثمانون رجلا كلهم كان يأخذ القطيفة ، والذى كان يأخذ القطيفة يأخذ ألفين فى العطاءِ ، وقتل أهل الشأم يومئذ مقتلةً عظيمةً لم يقتَلوا مثلها قطّ من القبائل كلها، وقتل مع الضحاك ٢ / ٤٧٨

يومئذ رجل من كلب من بنى عُلَيم يقال له مالك بن يزيد بن مالك بن كعب، وقتُل يومئذ صاحب لواء قُضاعةَ حيث دخلتْ قضاعة الشأم، وهو جدّ مُدلَّج ابن المقدام بن زَمْل بن عمرو بن ربيعة بن عمرو الجُرَشيّ، وقُتِل ثور بن معن بن يزيد السُّلميّ، وهو الذى كان ردّ الضحاك عن رأيه. قال: وجاء برأس الضحاك رجلٌ من كلب؛ وذكروا أنّ مروان حين أُتِيَ برأسه ساءه ذلك وقال: الآن حين كبِرتْ سنّى ودقّ عَظمى وصرتُ فى مثل ظِمءِ الحمار[١]، أقبلت بالكتائب أضرب بعضها ببعض!

قال: وذكروا أنه مرّ يومئذ برجل قتيل فقال:

وَمَا ضرَّهُمْ غير حَيْنِ النُّفُو ... سِ أَىُّ أَمِيرىْ قرَيش غَلَبْ

وقال مروان حين بُويع له ودعا إلى نفسه:

لما رأيتُ الأَمرَ أَمرًا نَهْبَا ... سيّرت[٢] غَسّانَ لهمْ وكَلبا

والسَّكْسكِيِّينَ رجالاً غُلْبَا ... وَطَيِّئاً تأْباه إلّا ضَرْبا

والقَيْن تَمْشى فى الحديد نُكبا ... ومِن تَنوخَ مشْمَخِرًّا صعْبا

لا يأْخذونَ المُلْكَ إلاَّ غَصْبَا ... وإنْ دَنَتْ قيسٌ فقل لا قربَا

٢/٤٧٩ قال هشام بن محمد: حدّثنى أبو مخنف لوط بن يحيى؛ قال: حدّثنى رجل من بنى عبد ودّ من أهل الشأم، قال: حدّثنى مَن شهد مقتلَ الضحاك ابن قيس، قال: مرّ بنا رجلٌ من كلب يقال له زُحنة بن عبد الله، كأنما يرمى بالرجال الجِدَّاءَ، ما يطعن رجلاً إلا صرَعَهُ، ولا يَضرب رجلا إلا قتله، فجعلتُ أنظر إليه أتعجب من فعله ومن قتله الرّجال، إذ حمل عليه رجل فصرَعه زُحْنة وتركه، فأتيتُه فنظرت إلى المقتول فإذا هو الضحاك بن قيس، فأخذت رأسَه فأتيتُ به إلى مروان، فقال: أنت قتلته؟ فقلت: لا، ولكن قتله زُحْنة بن عبد الله الكلبيّ، فأعجبه صِدْقِى إيّاه، وتركى ادعاءه، فأمرَ لى بمعروف، وأحسَنَ إلى زحنة.

---

(١) الظِمء: ما بين الشربتين، وفى اللسان: «وقولهم: ما بقى منه إلا قدر ظِمء الحمار، أى لم يبق من عمره إلا اليسير، يقال: إنه ليس شيء من الدواب أقصر ظمأً من الحمار».

(٢) ط: «يسرت»، والأجود ما أثبته من ابن أبى الحديد.

قال أبو مخنف : وحدّثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن حبيب بن كرّة، قال : والله إنّ راية مروانَ يومئذ لمعِي، وإنه ليدفع بنعل سيفه فى ظهرى ، وقال : ادْنُ برايتك لا أبا لك ! إنّ هؤلاء لو قد وجدوا لهم حدّ السيوف انفرجوا انفراجَ الرأس، وانفراجَ الغَنَم عن راعيها . قال : وكان مروان فى ستة آلاف ، وكان على خيله عبيد الله بن زياد ، وكان على الرجال مالك ابن هُبيرة ؛ قال عبد الملك بن نوفل : وذكروا أنّ بِشر بن مروان كانت معه يومئذ رايةٌ يقاتل بها وهو يقول :

إنَّ على الرئيسِ حقًّا حقًّا أَن يَخضِبَ الصَّعْدَةَ أَو تَنْدَقَّا

٢/٤٨٠ قال : وصُرع يومئذ عبد العزيز بن مروان ؛ قال : ومرّ مروان يومئذ برجل من محارب وهو فى نفر يَسير تَحت راية يقاتل عن مرْوان، فقال مروان : يرحمك الله ! لو أنك انضممت بأصحابك ، فإنى أراك فى قلة ! فقال : إنّ معنا يا أمير المؤمنين من الملائكة مدداً أضعاف مَن تأمرنا ننضمّ إليه ، قال : فُسرّ بذلك مروان وضحك ، وضمّ أناسًا إليه ممّن كان حوله ؛ قال : وخرج الناس منهزمين من المرْج إلى أجنادهم ، فانتهى أهل حِمْص إلى حمصَ والنعمان بن بشير عليها ، فلمّا بلغ النعمان الخبرَ خرج هاربًا ليلاً ومعه امرأته نائلة بنت عُمارة الكلبيّة ، ومعه ثَقَله وولدُهُ ، فتحيّر ليلته كلّها ، وأصبح أهل حِمْص فطلبوه ؛ وكان الذى طلبه رجل من الكلاعيّين يقال له عمرو بن الخَلِيّ فقَتَله ، وأقبل برأس النعمان بن بَشير وبنائلة امرأته وولدها ، فألقَى الرأسَ فى حِجْر أمّ أبان ابنة النعمان التى كانت تحتَ الحجّاج بن يوسف بعد . قال : فقالت نائلة : ألقُوا الرأس إلىّ فأنا أحقّ به منها ، فألقِي الرأسُ فى حِجْرها ، ثمّ أقبلوا بهم وبالرأس حتى انتهَوْا بهم إلى حِمْص ، فجاءت كلب من أهل حمص فأخذوا نائاة وولدها ؛ قال : وخرج زُفَر بن الحارث من قِنّسرين هاربًا فلحق بقرْقيسِيَا ، فلما انتهى إليها وعليها عِياضٌ الجُرَشيّ[1] وهو ابن أسلم بن كعب بن مالك بن لغز بن أسوَد بن كعب بن

---

(١) ابن الأثير : « الحرشى » .

حدس بن أسلم — وكان يزيد بن معاوية ولّاه قَرقيسيا ، فحال عياض بين زُفر وبين دخول قرقيسيا ، فقال له زفر: أوثق لك بالطلاق والعتاق إذا أنا دخلت حمّامها أن أخرج منها ؛ فلما انتهى إليها ودخلها لم يدخل حمّامها وأقام بها ، وأخرج عياضًا منها ، وتحصّن زُفَر بها وثابَتْ إليه قيس . ٢/٤٨١
قال : وخرج ناتل بن قيس الجُذامىّ صاحب فِلَسْطِين هاربًا ، فلحق بابن الزبير بمكة ، وأطبق أهل الشأم على مروان ، واستوثقوا له ، واستعمل عليها عمّاله .

قال أبو مخنف : حدّثنى رجل من بنى عبد وُدّ من أهل الشأم — يعنى الشرقىّ — قال : وخرج مَرْوان حتى أتى مصرَ بعد ما اجتمع له أمرُ الشأم ، فقَدِم مصرَ وعليها عبد الرحمن بن جَحْدَم القرشىّ يدعو إلى ابن الزبير ، فخرج إليه فيمن معه من بنى فِهْر ، وبعث مروانُ عمرَو بن سعيد الأشدق من ورائه حتى دخل مصرَ ، وقام على منبرها يخطب الناس ، وقيل لهم : قد دخل عمرو مصر ، فرجعوا ، وأمَّر الناسُ مروانَ وبايعوه ، ثمّ أقبل راجعًا نحو دمشق ، حتى إذا دنا منها بلغه أنّ ابن الزبير قد بعث أخاه مصعب بن الزُّبير نحو فلسطين ، فسرّح إليه مرَوانُ عَمرو بن سعيد بن العاص فى جيش ، واستقبله قبل أن يدخل الشأم ، فقاتله فهزم أصحاب مصعب ، وكان معه رجلٌ من بنى عُذْرة يقال له محمد بن حُرَيث بن سليم ، وهو خال بنى الأشدق ، فقال : والله ما رأيت مِثلَ مصعب بن الزبير رجلا قطّ أشدّ قتالاً فارسًا وراجلاً ، ولقد رأيته فى الطريق يترجّل فيطّرد بأصحابه ، ويشدّ على رجليه ، حتى رأيتهما قد دَميتَا . قال : وانصرف مروانُ حتى استقرّتْ به دمشق ، ورجع إليه عمرو بن سعيد .

قال : ويقال : إنه لما قدم عبيد الله بن زياد من العراق ، فنزل الشأم أصاب بنى أميّة بتدمُر ، قد نفاهم ابن الزبير من المدينة ومكة ، ومن الحجاز كله ، فنزلوا بتَدْمُر ، وأصابوا الضّحاك بن قيس أميرًا على الشأم لعبد الله بن الزبير ، فقدِم ابن زياد حين قدم ومروان يريد أن يركب إلى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة ، فيأخذ منه الأمان لبنى أميّة ؛ فقال له ابن زياد: أنشُدُك الله ألاّ ٢/٤٨٢

تفعل، ليس هذا برأى أن تَنطلِق وأنت شيخُ قريش إلى أبى خُبَيب بالخلافة ، ولكن ادع أهلَ تدمر فبايِعهم ، ثم سرْ بهم وبمن معك من بنى أميّة إلى الضحّاك بن قيس حتى تخرجَه من الشأم ؛ فقال عمرو بن سعيد بن العاص: صدق والله عبيد الله بن زياد ، ثمّ أنت سيّد قريش وفرعها ، وأنت أحقّ الناس بالقيام بهذا الأمر ، إنما ينظر الناس إلى هذا الغلام — يعنى خالدَ بن يزيد بن معاوية — فتزوجْ أمّه فيكون فى حِجْرك ؛ قال: ففعل مروان ذلك ، فتزوّج أمّ خالد بن يزيد، وهى فاختة ابنة أبى هاشم بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس . ثمّ جمع بنى أميّة فبايعوه بالإمارة عليهم ، وبايعه أهلُ تدمر ثمّ سار فى جمع عظيم إلى الضحاك بن قيس ، وهو يومئذ بدمشق ، فلما بلغ الضحّاك ما صنع بنو أميّة ومسيرتُهم إليه، خرج بمَن تبعه من أهل دمشق وغيرهم ، فيهم زفر بن الحارث، فالتقوا بمرْج راهِط ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتِل الضحاك بن قيس الفِهرىّ وعامّة أصحابه ، وانهزم بقيّتُهم، فتفرّقوا، وأخذ زفر بن الحارث وجهاً من تلك الوجوه ، هو وشابّان من بنى سُلَيم فجاءت خيل مروانَ تطلبهم ، فلما خاف السُّلَميّان أن تلحقهم خيل مروان قالا لزفر : يا هذا ، انجُ بنفسك ، فأما نحن فقتولان[1] ، فمضى زفر وتركهما حتى أتى قَرْقيسيا ، فاجتمعتْ إليه قيس ، فرأسوه عليهم ، فذلك[2] حيث يقول زُفَر بن الحارث : ٤٨٣/٢

أَرِينِى سلاَحِى لا أَبا لكِ إنَّنِى ... أَرَى الحَرْبَ لا تَزْدَادُ إلاَّ تَمادِيَا[3]

أَتَانِىَ عَنْ مرْوانَ بِالغَيْبِ أَنَّهُ ... مقِيدٌ دَمِى أَو قاطعٌ من لسانِيا

ففِى العيسِ منْجَاةٌ وفِى الأَرْضِ مَهْرَب[4] ... إذا نحْنُ رفَّعْنا لَهُنَّ المَثانِيَا

فلا تحْسِبُونِى إنْ تَغَيَّبْتُ غافِلاً ... ولا تفْرَحوا إنْ جئتُكمْ بلِقائيا

---

(١) ف : « فإنا نحن مقتولان » .

(٢) ف : « فلذلك » .

(٣) انظر شرح ديوان الحماسة للتبريزى ١ : ١٥٣ ، والأغانى ١٧ : ١١٢ (ساسى) .

(٤) ابن الأثير : « فى العيش منجاة » .

فقَدْ يَنْبُتُ المَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى وتَبْقَى حزازاتُ النُّفُوسِ كما هِيَا [١]

أتذْهَبُ كَلْبٌ لم تَنَلْها رِماحُنا وتُتْرَك قَتلَى رَاهِطٍ. هِيَ ما هِيَا !

لَعمرِى لقد أَبْقتْ وَقيعَةُ رَاهِطٍ لِحَسَّان صَدْعاً بَيِّناً متنائيا

٢/٤٨٤ أَبَعْدَ ابن عمرٍو وابنِ مَعْنٍ تتابعــا ومقْتَلِ هَمّامٍ أُمَنَّى الأَمانِيَا [٢] !

فلم تُرَ مِنِّى نبْوَةٌ قَبْلَ هذه فِرَارِى وتَرْكِى صاحبَىَّ ورَائيَا [٣]

عشِيةَ أَعْدو بالقِرانِ فلا أَرَى مِن الناسِ إلا مَنْ عَلَىَّ ولا ليَا [٤]

أَيَذْهَبُ يوْمٌ واحدٌ إنْ أَسَأْتُهُ بِصالح أَيّامِى وحُسْنِ بَلائيا !

فلاصُلْحَ حَتَّى تَنْحِطَ [٥] الخَيْلُ بالقَنَا وَتثْأَرَ مِنْ نِسْوَانِ كلْب نِسَائِيَا

أَلا لَيْتَ شِعْرِى هلْ تُصيبَنَّ غارتى تَنوخاً. وَحيَّىْ طَيِّئٍ من شِفائِيا

فأجابه جوّاس بن قعطل [٦] :

٢/٤٨٥ لعَمْرِى لَقَدْ أَبقَتْ وقِيعَةُ راهطٍ على زُفَــرٍ دَاءً مِنَ الدَّاءِ باقِيَا [٧]

مقِيمًا ثَوَى بَيْنَ الضُّلوعِ مَحَلُّه وَبَيْن الحَشا أَعْيا الطَّبِيبَ المُداوِيا

تُبَكِّى عَلَى قَتلَى سُلَيْم وعَامِرٍ وَذُبْيانَ مَعْذورًا وتُبْكِى البواكِيَا

دَعا بِسِلاحٍ ثمَّ أَحْجَمَ إِذْ رَأَى سُيُوفَ جَنابٍ والطِّوَالَ المَذاكِيا [٨]

---

(١) رواية ابن الأثير :

فَقَدْ يَنْبتُ المرْعى عَلى دِمَنِ الثرى لَهُ وَرَقٌ مِنْ تحته الثغرُ باديا

ونمضى ولا يَبْقَى على الأَرضِ دمنة وتبقَى حزازاتُ النُّفوسِ كما هِيَا

(٢) الأغانى : « أبعد ابن صقر وابن عمرو » .

(٣) فى شرح التبريزى : « يعنى ابنه كعباً ومولاه مسكان » .

(٤) التبريزى : « عشية أجرى بالصعيد ولا أرى » ، ابن الأثير : « عشية أدعــو فى القران » .

(٥) فى اللسان : « النحط والنحيط : صوت الخيل من الثقل والإعياء » ، وفى ابن الأثير « حتى تشحط الخيل » .

(٦) فى الأغانى : « فقال ابن المخلاة الكلبى يجيبه » ؛ وذكر البيتين : الأول والثالث .

(٧) ابن الأثير : « مرا من الداء » .

(٨) ابن الأثير : « دعا بالسلاح » .

عليْها كأُسْدِ الغابِ فِتْيانُ نجْدَةٍ إذَا شَرعُوا نحْوَ الطِّعان العوالِيَا

فأجابه عمر بن المِخْلاة الكلبيّ من تيم اللّات بن رُفَيْدة، فقال :

بكى زُفَرُ القيسِيُّ من هُلْكِ قَوْمِهِ بعَبْرَةِ عَيْنٍ ما يَجِفُّ سُجُومُهَا

يُبكِّى عَلَى قَتْلى أُصِيبَتْ برَاهِطٍ تجَاوبُهُ هامُ القِفارِ وبُومُهَا

أَبحْنَا حِمًى للحىِّ قَيْسٍ بِراهِطٍ ووَلّتْ شِلالًا واستُبِيح حرِيمُها

يُبكِّيهِمُ حَرانَ تجْرِى دُموعُهُ يُرَجِّى نِزارًا أن تَثُوبَ حُلومُها ٢/٤٨٦

فُمُتْ كمدًا أَوْ عِشْ ذَليلاً مُهَضَّماً بِحسْرَةِ نَفْس لا تَنَامُ هُمُومُهَا

إذا خَطَرَتْ حَوْلى قُضَاعَةُ بِالقَنَا تَخَبطُ فِعْلَ المُصعَبَاتِ قُرُومُهَا

خَبطْتُ بِهِمْ من كادَنى مِنْ قبيلة فمن ذا إذا عَزَّ الخُطوبُ يرُومُها

وقال زُفَر بن الحارث أيضًا :

أَفى الله أَمّا بَحْدَلٌ وَابنُ بَحْدَل فيحيا وأَمّا ابن الزُّبَير فيُقْتَلُ[1] !

كذَبْتُمْ وَبيْتِ اللهِ لا تَقْتُلونَهُ وَلمّا يَكنْ يومٌ أَغرُّ مُحَجَّلُ

وَلمّا يكُن للمشْرَفِيَّة فَوْقكم شُعاعٌ كقَرْنِ الشَّمسِ حِينَ تَرَجَّلُ[2]

---

(١) ديوان الحماسة — بشرح التبريزى ٢ : ١٩٩ ؛ قال فى شرحه : « كان معاوية بن أبى سفيان لما جعل يزيد ابنه ولى عهده بايعه الناس إلا الحى من قيس فإنهم قالوا : والله لا نبايع ابن الكلبية ؛ وذلك أن أمّ يزيد ميسون بنت مالك بن بحدل الكلبى ؛ فصار فى نفس يزيد ضغن ؛ وابتدأ الشر بينهم وبين بنى أمية ؛ فلما هلك يزيد استخلف ابنه معاوية بن يزيد ، وأمه أيضاً كلبية ؛ وصار حسان بن مالك بن بحدل أخو ميسون كالمالك للأمر ؛ وكانت خلافة معاوية بن يزيد أياماً قليلة ، وتحركت فتنة ابن الزبير ، فاضطرب حسان بن مالك فى الأمر اضطراباً شديداً ، وصار يدعو الناس إلى نفسه تارة ، وإلى من يختارونه من بنى أمية أخرى ؛ حتى قال الشاعر :

وما النَّاس إلّا بحدلىّ على الهُدى وإلّا زُبَيرى عَصَى فتزبّرا

إلى أن وقع الاختيار على مروان بن الحكم ، فلما قام بالدعوة صارت البحدلية معه ، فسموا مروانية فيقول زفر : « أفى الله » يريد : أفى ذات الله ومرضى حكمه أن تطلب حياة ابن بحدل والمتعصبة لبنى أمية ويطلب قتل عبد الله بن الزبير مع فضله وشرفه . . . وهذا الكلام تقريع للناس » .

(٢) قرن الشمس : أول ما يظهر منها . والترجل : هو أن تنبسط الشمس ولما يشتد حرّها بعد .

فأجابه عبد الرحمن بن الحكم ، أخو مروان بن الحكم ، فقال :

أتذهب كلب قد حمتْها رماحُها وتترُكُ قَتْلى راهطٍ ما أُجِنَّتِ[١] !

لَحا الله قَيْساً قَيْسَ عيْلاَنَ إنهــا أَضاعَتْ ثُغُورَ المسلمين وَوَلَّتِ

فباهِ بقيْسٍ فى الرَّخاء ولا تكنْ أخاها إذا ما المَشْرفِيَّةُ سُلَّتِ[٢]

٢/٤٨٧ قال أبو جعفر : ولما بايع حصين بن نمير مروان بن الحكم وعصا مالك بن هبيرة فيما أشار به عليه من بيعة خالد بن يزيد بن معاوية ، واستقرّ لمروانَ بن الحكم المُلك ، وقد كان الحصين بن نمير اشترط على مروان أن يُنزل البَلْقاءَ من كان بالشأم من كندة ، وأن يَجعلَها لهم مأكلةً ، فأعطاه ذلك ؛ وإنّ بنى الحكم لما استوثق الأمرُ لمروان ، وقد كانوا اشترطوا لخالد بن يزيد بن معاوية شروطًا ؛ قال مرْوان ذات يوم وهو جالسٌ فى مجلسه ومالك بن هبيرة جالس عنده : إن قومًا يدّعون شروطًا منهم عطّارة مكحلة — يعنى مالك بن هبيرة وكان رجلا يتطيّب ويكتحل — فقال مالك بن هبيرة : هذا ولمّا تَردِى تهامة ، ولما يبلغ الحزام الطُّبْيَيْن ؛ فقال مروان : مهلاً يا أبا سليمان ، إنما داعبناك ؛ فقال مالك : هو ذاك . وقال عويج الطائىّ يمتدح كَلْبا وحُميد بن بَحْدَل :

لقد عَلِمَ الأَقوامُ وقْع ابنِ بَحْدَلٍ وأُخْرَى عليهم إن بقَى سَيُعيدُها

يقُودُونَ أَولادَ الوجِيه ولاحقٍ من الرِّيفِ شهرًا ما يَنِى من يَقُودُها

فهذا لهذا ثم إنى لنافِضٌ على الناسِ أقواماً كثيراً حُدودُها

فلولا أمير المؤمنين لأَصْبحَت قُضاعَةُ أَرْباباً وقَيْس عبيدُها

* * *

٢/٤٨٨ وفى هذه السنة بايع جُنْد خُراسان لسلم بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية ، على أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة .

* * *

---

(١) الثانى والثالث فى ديوان الحماسة — بشرح المرزوقى ١٤٩٩ ، ١٥٠٠

(٢) الحماسة : « فشاول لقيس » ؛ أى خاطر .

[ذكر الخبر عن فتنة عبد الله بن خازم وبيعة سلم بن زياد]

وفيها كانت فتنة عبد الله بن خازم بخُراسان .

* ذكر الخبر عن ذلك :

حدّثني عمرُ بنُ شبّة، قال : حدّثنا علىّ بن محمد، قال : أخبرنا مسلمة ابن محارب، قال : بعث سلم بن زياد بما أصاب من هدايا سمرقند وخُوارَزم إلى يزيدَ بن معاوية مع عبد الله بن خازم ، وأقام سلم واليًا على خُراسانَ حتى مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ، فبلغ سلماً موته ، وأتاه مقتل يزيد بن زياد فى سجستان وأسرُ أبى عبيدة بن زياد ، وكتم الخبر سلم ، فقال ابن عرّادة :

يـأيُّها الملِكُ المُغَلِّقُ بابَهُ ... حَدَثَتْ أُمورٌ شأنُهُنَّ عظيمُ
قَتْلى بجُنْزَةَ والذينَ بكابُلٍ[1] ... ويـزيدُ أعلِنَ شأنُهُ المكتُومُ
أَبَنى أُميّةَ إنّ آخِرَ مَلكِكُمْ ... جسدٌ بِحوّارِينَ ثَمَّ مُقِيمُ
طَرَقَتْ مَنِيّتُهُ وعِنْدَ وِسادِهِ ... كُوبٌ وَزِقٌّ رَاعِفٌ مَرثومُ[2]
ومرِنّةٌ تبْكى على نَشْوانِهِ ... بالصَّنجِ تَقْعُدُ تارةً وتقومُ[3]

قال مسلمة : فلما ظهر شعر ابن عرّادة أظهر سلمٌ موتَ يزيدَ بن معاوية ومعاوية بن يزيد ، ودعا الناسَ إلى البيعة على الرّضا حتى يستقيم أمرُ الناس على خليفة ، فبايعوه ، ثم مكثوا بذلك شهرين ، ثم نكثوا به . ٢/ ٤٨٩

قال علىّ بن محمد : وحدّثنا شيخٌ من أهل خُراسان، قال : لم يحبّ أهلُ خُراسان أميراً قط حُبّهم سلمَ بن زياد ، فسُمّى فى تلك السنين التى كان بها سلمْ أكثر من عشرين ألف موْلود بسَلْم ، من حُبِّهم سَلْما .

---

(١) ابن الأثير : « قتلى بحرة » .
(٢) يقال : رثم أنفه ، أى كسر حتى تقطر منه الدم .
(٣) ابن الأثير : « بالصبح تقعد مرة وتقوم » .

قال : وأخبَرنا أبو حفص الأزدىّ ، عن عمه قال : لما اختلف الناس بخُراسان ونكثوا بيعة سَلْم ، خرج سَلْم عن خُراسان وخلّف عليها المهلب بن أبى صُفْرة، فلما كان بسَرَخْس لقيه سليمان بن مَرْثَد أحد بنى قيس بن ثعلبة ، فقال له : مَنْ خلّفت على خراسان ؟ قال : المهلب ؛ فقال : ضاقت عليك نزارٌ حتى ولّيتَ رجلا من أهل اليمَن ! فولاّه مَرْوَ الرُّوذ والفارياب والطالَقان والجُوزَجان ، وولى أوس بن ثعلبة بن زفر — وهو صاحب قصر أوس بالبَصرة — هراةَ ، ومَضى فلما صار بنَيْسابور لقيَه عبد الله بن خازم فقال : مَن ولّيت خُراسان ؟ فأخبره ، فقال : أمَا وجدت فى مُضرَ رجلا تستعمله حتى فرّقت خُراسان بين بكر بن وائل ومَزُون عمَان[١] ! وقال له : اكتبْ لى عَهْداً على خُراسان ؛ قال : أوالِى خراسان أنا[٢] ! قال : اكتب لى عهداً وخَلاكَ ذمٌّ . قال : فكتب له عهداً على خُراسان ؛ قال : فأعنّى الآن بمائة ألف درهم فأمَرَ له بها ، وأقبل إلىَ مَرْو ، وبلغ الخبرُ المهلبَ بنَ أبى صُفْرة ، ، فأقبل واستخلف رجلا [٣] من بنى جُشَم بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

قال : وأخبَرَنا المفضّل بن محمد الضَّبّىُّ ، عن أبيه ، قال : لما صار عبد الله بن خازم إلى مروَ بعهد سَلْم بن زياد ، منعه الجُشَمىّ ، فكانت بينهما مناوشَة ، فأصابت الجشمىّ رميةٌ بحَجَر فى جبهته ، وتحاجزوا وَخلّى الجشمىّ بين مرْوالرُّوذ وبينَه ، فدخلها ابن خازم ، ومات الجشمىّ بعد ذلك بيومين . ٢/٤٩٠

قال علىّ بن محمد المدائنىّ : حدّثنا الحسن بن رشيد الجُوزَجانىّ ، عن أبيه ، قال : لما مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيدَ وثب أهلُ خُراسان بعُمّالهم فأخرجوهم ، وغلب كلٌّ قوم على ناحية ، ووقعت الفتنة ، وغلب ابن خازم على خُراسان ، ووقعت الحرب .

قال أبو جعفر : وأخبرنا أبو الذّيال زهير بن هُنيد، عن أبى نعامة، قال : أقبَل عبد الله بن خازم فغلب على مروَ ، ثم سار إلى سليمان بن مرثَد فلقيَه

---

(١) ابن الأثير : «واليمن» . (٢) ساقطة من ف .
(٣) هو عرفجة بن الورد .

بمروَ الرُّوذ ، فقاتَلَه أيامًا ، فقتل سليمان بن مرثد ، ثم سار عبد الله بن خازم إلى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان فى سبعمائة ، وبلغ عمرًا إقبالُ عبد الله إليه وقتله أخاه سليمان ، فأقبل إليه ، فالتقَوْا على نهر قبل أن يتوافَى إلى ابن خازم أصحابُه ، فأمَرَ عبد الله من كان معه فنزلوا ، فنزل وسأل عن زهير بن ذؤيب العدوىّ ، فقالوا : لم يجئ حتّى أقبل وهو على حاله ، فلما أقبل قيل له : هذا زهير قد جاء ؛ فقال له عبد الله : تقدّم ، فالتَقَوْا فاقتتلوا طويلا ، فقتِل عمرو بن مرثد ، وانهزم أصحابه ، فلحقوا بهراة بأوس بن ثعلبة ، ورجع عبد الله ابن خازم إلى مَرْو .

قال : وكان الذى ولِىَ قتلَ عمرو بن مرثد زهير بن حيّان العدوىّ فيما يروون فقال الشاعر :

أَتذْهبُ أَيَّامُ الحروبِ ولم تُبِئْ زهيرَ بنَ حيّانٍ بعَمْرو بنِ مَرْثَدِ! ٢/٤٩١

قال : وحدّثنا أبو السَّرِىّ الخُراسانىّ — وكان من أهل هَراة — قال : قتل عبد الله بن خازم سليمان وعمرًا ابنَىْ مرثد المرثديَّين من بنى قيس بن ثعلبة ثم رجع إلى مَرْو ، وهرب مَن كان بمروَ الرّوذ من بكر بن وائل إلى هَراة ، وانضم إليها من كان بكُوَر خُراسان من بكر بن وائل ، فكان لهم بها جمعٌ كثير عليهم أوْس بن ثعلبة ؛ قال : فقالوا له : نبايعك على أن تسير إلى ابن خازم ، وتُخرجَ مُضَرَ من خُراسان كلِّها ؛ فقال لهم : هذا بَغْىٌ ، وأهلُ البغى مخذولون ، أقيموا مكانَكم هذا ، فإنْ تركَكُم ابن خازم — وما أراه يفعل — فارضوا بهذه الناحية ، وخلّوه وما هو فيه ؛ فقال بنو صُهيب — وهم موالى بنى جحْدَر : لا والله لا نَرضَى أن نكون نحن ومُضَر فى بلد ، وقد قتلوا ابنى مَرْثَد ، فإن أجبتَنا إلى هذا وإلا أمَّرْنا علينا غيرَك ؛ قال : إنما أنا رجلٌ منكم ، فاصنعوا ما بدا لكم ؛ فبايَعوه ، وسار إليهم ابن خازم ، واستخلف ابنَه موسى ، وأقبل حتّى نزل على واد بين عسكره وبين هَراة ؛ قال : فقال البكريّون لأوس : اخرجْ فخندِقْ خندقًا دون المدينة فقاتِلْهم فيه ، وتكون المدينة من ورائنا ، فقال لهم أوس : الزموا المدينة فإنها حصينة ، وخلّوا ابنَ خازم ومنزلَه الذى هو فيه ؛ فإنه إن طال مُقامُه ضجِر فأعطاكم ما ترضَون

به ، فإن اضطررتم إلى القتال قاتلتم ، فأبَوْا وخرجوا من المدينة فخندقوا خندقًا دونها ، فقاتلهم ابن خازم نحوًا من سنة .

٤٩٢/٢ قال وزعم الأحنف بن الأشهب الضبيّ ، وأخبرنا أبو الذيال زهير بن الهُنَيد ؛ سار ابن خازم إلى هراةَ وفيها جمعٌ كثير لبكر بن وائل قد خندقوا عليهم ، وتعاقدوا على إخراج مضرَ إن ظفروا بخُراسان ، فنزل بهم ابن خازم ، فقال له هلال الضبيّ أحد بنى ذُهْل ، ثم أحد بنى أوس : إنما تقاتل إخوتَك من بنى أبيك ، والله إن نِلتَ منهم فما تريد ما فى العيش بعدَهم من خير ، وقد قتلت بمروَ الرّوذ منهم من قتلت ، فلو أعطيتهم شيئًا يرضَوْن به ، أو أصلحتَ هذا الأمر ! قال : والله لو خرجتُ[1] لهم عن خُراسانَ ما رَضُوا به ، ولو استطاعوا أن يُخرجوكم من الدنيا لأخرجوكم ؛ قال : لا ، والله لا أرمى معك بسهم ، ولا رجلٌ يطيعنى من خِندف حتى تُعْذِر[2] إليهم ؛ قال : فأنت رسولى إليهم فأرضِهم ، فأتى هلال إلى أوس بن ثعلبة فناشدَه اللهَ والقرابة ، وقال : أذكّرك الله فى نزار أن تسفك دماءها ، وتضربَ بعضَها ببعض[3] ! قال : لقيتَ بنى صهيب ؟ قال : لا والله ؛ قال : فالقهم ؛ فخرج فلقى أرقم بن مطرّف الحنفيّ ، وضَمْضَم بن يزيد — أو عبد الله بن ضمضم بن يزيد — وعاصم بن الصّلت بن الحريث الحنفيّين ، وجماعة من بكر بن وائل وكلمهم بمثل ما كلّم به أوسًا ، فقالوا : هل لقيت بنى صُهيب ؟ فقال : لقد عظّم الله أمرَ بنى صُهيب عندكم ، لا لم ألقهم ، قالوا : القهم ، فأتى بنى صهيب فكلّمهم ، فقالوا : لولا أنك رسولٌ لقتلناك ؛ قال : أفما يرضيكم شىء ؟

٤٩٣/٢ قالوا : واحدةٌ من اثنتين ، إما أن تخرجوا عن خُراسان ولا يَدْعو فيها لمُضرَ داعٍ ، وإما أن تقيموا وتنزلوا لنا عن كل كُراع وسلاح وذهب وفضّة ؛ قال : أفما شىء غير هاتين ؟ قالوا : لا ، قال : حسبُنا الله ونعم الوكيل ! فرجع إلى ابن خازم ، فقال : ما عندك ؟ قال : وجدتُ إخوتَنا قُطّعًا للرّحِم ، قال : قد أخبرتُك أنّ ربيعة لم تزل غِضابًا على ربّها منذ بَعثَ اللهُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم من مضرَ .

---

(١) ابن الأثير : «خرجنا» . (٢) ابن الأثير : «تعتذر» . (٣) ف : «تضرب أعناقها» .

قال أبو جعفر : وأخبرنا سليمان بن مجالد الضّبّىّ ، قال : أغارت التّرك على قصر إسفاد[١] وابن خازم بِـهَراةَ ، فحصروا أهله ، وفيه ناس من الأزْد هم أكثر مَـن فيه ، فهزمتْـهم ، فبعثوا إلى من حولهم من الأزْد فجاءوا لينصروهم [٢]فهزمتْهم الترك[٢] ، فأرسلوا إلى ابن خازم ، فوجَّه إليهم زهيرَ بن حيان فى بنى تميم وقال له : إياكَ ومُشاوَلة الترك[٣] ، إذا رأيتموهم فاحملوا عليهم ، فأقبَلَ فوافاهم فى يوم بارد ، قال : فلما التقَـوا شدُّوا عليهم فلم يَـثْبتوا لهم ، وانهزمت التّرك واتّبعوهم حتى مضى عامّةُ الليل حتى انتهوا إلى قصر فى المفازة ، فأقامت الجماعة ومضى زهير فى فوارسَ يتبعهم ، وكان عالمًا بالطريق ، ثمّ رجع فى نصف من الليل ، وقد يَـبِـسَتْ يدُه على رُمحِه من البَـرد ، فدعا غلامَـه كعباً ، فخرج إليه ، فأدخله ، وجعل يُسخن له الشَّحم فيضعه على يده ، ودهنوه وأوقدوا له ناراً حتى لانَ وَدفِئَ ؛ ثم رجع إلى هَـراة ، فقال فى ذلك كعبُ بنُ معدانَ الأشْقَرىّ :

أَتاك أَتاك الغوثُ فى بَرْقِ عارضٍ ... دُرُوعٌ وبَيْضٌ حشوهُنَّ تميمُ
أَبوْا أَن يضُمُّوا حَشْو ماتجمَعُ القُرَى ... فضَمَّهُمُ يومَ اللقـــاءِ صَميمُ ٢/٤٩٤
ورزْقهُمُ من رائحاتٍ تزينُها ... ضروع عَرِيضات الخَواصِر كومُ

وقال ثابت قُطْنَـة :

فَدَتْ نفسى فَوارِس من تميمٍ ... على ما كان من ضَنْكِ المُقامِ
بِقصْرِ الباهلِيِّ وقد أرانى ... أُحامِى حين قَلَّ به المُحامِى
بسيفِى بعد كسرِ الرُّمحِ فيهم ... أَذودُهُمُ بِذِى شطَبٍ حُسامِ
أَكُرُّ عليهمُ اليحْمُومَ كَرًّا ... كَكَر الشَّرْبِ آنِيَةَ المُدامِ
فلولا اللهُ ليسَ له شريكٌ ... وضرْبِى قَوْنَسَ المَلِكِ الهُمَامِ

(١) ابن الأثير : « إسغاد » .
(٢ – ٢) ف : « فلم تغن شيئاً » .
(٣) فى اللسان عن أبى زيد : « تشاول القوم تشاولا ؛ إذا تناول بعضهم بعضاً عند القتال بالرماح ، ومثله المشاولة » ، وفى ابن الأثير : « ومناوأة » .

إذَا فاظتْ نساءُ بَنى دِثارٍ أمام التُّرْك بادِيَة الخِدامِ

* * *

قال أبو جعفر : وحدّثنى أبو الحسن الخُراسانىّ ، عن أبى حمّاد السُّلَمىّ قال : أقام ابن خازم بهَراةَ يقاتل أوسَ بنَ ثعلبة أكثرَ من سنة ، فقال يومًا لأصحابه : قد طال مُقامُنا على هؤلاء ، فنادُوهم : يا معشرَ ربيعة ، إنكم قد اعتصمتم بخندقكم ، أفرضيتم من خُراسانَ بهذا الخندق ! فأحفَظَهم ذلك ، فتنادى الناسُ[1] للقتال ، فقال لهم أوس بن ثعلبة : الزموا خندقكم وقاتلوهم كما كنتم تقاتلونهم ، ولا تَخرجوا إليهم بجماعتكم ؛ قال : فعصَوْه وخرجوا إليهم ، فالتقى النّاس ، فقال ابن خازم لأصحابه : اجعلوه يومَكم فيكونَ المُلْك لمَنْ غلب ، فإن قُتلتُ فأميركم شَمّاس بن دِثار العُطارِدىّ، فإن قُتل فأميركم بكيْر بن وِشاح الثقفىّ .

قال علىّ : وحدّثنا أبو الذيّال زهير بن هُنَيد ، عن أبى نَعامة العدَوىّ عن عبيد بن نقيد ، عن إياس بن زهير بن حيّان : لما كان اليوم الذى هرب فيه أوس بن ثعلبة وظفر ابن خازم ببكر بن وائل ، قال ابن خازم لأصحابه حين التقَوا : إنى قِلْع[2] ، فشدّونى على السرج ، واعلموا أن علىّ من السلاح ما لا أقتَل قدرَ جزْر جزورَين ، فإن قيل لكم : إنّى قد قُتلت فلا تصدّقوا . قال : وكانت راية بنى عدىّ مع أبى وأنا على فرس مُحزَّم[3] ، وقد قال لنا ابن خازم : إذا لقيتم الخيلَ فاطعنوها فى مناخِرها ، فإنه لن يطعن فرسٌ فى نخْرته إلا أدبر أو رَمَى بصاحبه ، فلما سمع فرسى قَعقَعَة السلاح وثب بى واديًا كان بينى وبينهم ؛ قال : فتلقانى رجل من بكر بن وائل فطعنت فرسَه فى نُخرته[4] ، فصرعه ، وحمل أبى ببنى عدىّ ، واتبعتْه بنو تميم من كلّ وجه ، فاقتتلوا ساعةً ، فانهزمتْ بكر بن وائل حتى انتهَوا إلى خندقهم

٢/٤٩٥

(١) ابن الأثير : « فتنادوا » .

(٢) القلع : الذى لا يثبت على الخيل .

(٣) محزّم : مهيأ للركوب .

(٤) النخرة : رأس الأنف .

وأخذوا يميناً وشمالا ، وسقط ناسٌ في الخندق فقُتلوا قتلاً ذريعاً ، وهرب أوسُ ابن ثعلبة وبه جراحات ، وحلف ابن خازم لا يؤتَى بأسيرٍ إلا قتَله حتى تغيب الشمس ، فكان آخرَ مَن أتِي به رجلٌ من بني حنيفة يقال له مَحْميَة فقالوا لابن خازم : قد غابت الشمس ، قال : وفُّوا به القتلَى ؛ فقُتِل . ٢/٤٩٦

قال : فأخبرَني شيخٌ من بني سعد بن زيد مَنَاة أنّ أوس بن ثعلبة هرب وبه جِراحاتٌ إلى سجِستانَ ، فلما صار بها أو قريباً منها مات .

وفي مقتل ابن مرثد وأمْر أوس بن ثعلبة يقول المغيرةُ بن حَبْناء ، أحد بني ربيعة بن حنظلة :

وفي الحرب كنتمْ في خُراسانَ كلِّها ... قتيلاً ومَسجوناً بها ومُسيّرا

ويومَ احْتَوَاكمْ في الحفيرِ ابنُ خازمٍ ... فلم تَجدوا إلاَّ الخنادِق مَقْبَرا

ويومَ تَركتمْ في الغبارِ ابنَ مرثدٍ ... وأوساً تركتمْ حيثُ سار وعَسكرا

قال : وأخبرَني أبو الذّيال زهير بن هنيد ، عن جدّه أبي أمّه ، قال : قُتل من بكر بن وائل يومئذ ثمانيةُ آلاف .

قال : وحدّثنا التميميّ ، رجل من أهل خُراسان ، عن مولًى لابن خازم ، قال : قاتل ابن خازم أوسَ بن ثعلبة وبكر بن وائل ، فظَفِر بهرَاةَ ، وهرب أوس وغلبه ابن خازم على هَرَاةَ ، واستعمل عليها ابنَه محمداً ، وضمّ إليه شمّاس بن دثار العُطارديّ ، وجعل بُكَير بن وِشَاح على شُرطتِه ، وقال لهما : ربِّياه فإنه ابن أختكما ، فكانت أمه من بني سعد يقال لها صفيّة ، وقال له : لا تخالفْهما ، ورجع ابن خازم إلى مَرْوَ .

* * *

[ذكر الخبر عن تحرُّك الشيعة للطلب بدم الحسين]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة تحرّكتِ الشيعة بالكوفة ، واتّعدوا الاجتماع بالنُّخَيلة في سَنة خمس وستين للمسير إلى أهل الشأم للطلب بدم الحسين بن عليّ ، وتكاتَبوا في ذلك . ٢/٤٩٧

* ذكر الخبر عن مبدإ أمرهم فى ذلك :

قال هشام بنُ محمد: حدّثنا أبو مخنف، قال : حدّثنى يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدىّ، قال: لما قتل الحسين بن علىّ ورجع ابن زياد من مُعسكَره بالنُّخَيْلة، فدخل الكوفة ، تلاقت الشيعة بالتلاوُم والتندّم[١]، ورأت أنها قد أخطأتْ خطأ كبيراً بدُعائهم الحسينَ إلى النصرة وتركهم إجابتَه، ومقتلِه إلى جانبهم لم يَنصروه، ورأوا أنه لا يُغسل عارُهم والإثم عنهم[٢] فى مقتله إلا بقتل مَن قَتَله ، أو القتل فيه ، ففزعوا بالكُوفة إلى خمسةِ نفر من رءوس الشيعة إلى سليمان بن صُرَد الخُزاعىّ، وكانت له صُحبة مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وإلى المُسَيَّب بن نجَبَة الفَزَارىّ ، وكان من أصحاب علىّ وخيارهم ، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدىّ ، وإلى عبد الله بن وال التَّيمىّ ، وإلى رِفاعة بن شَدّاد البَجَلىّ .

ثمّ إنّ هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا فى منزل سليمان بن صُرَد، وكانوا من خيار أصحاب علىّ ، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم .

٢/٤٩٨ قال: فلما اجتمعوا إلى منزل سليمانَ بن صُرَد بدأ المسيَّب بن نَجَبَة القوم بالكلام ، فتكلَّم فحمدَ اللهَ وأثنَى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال :

أمـا بعد ، فإنا قـد ابتُلينا بطول العمر ، والتعرّض لأنواع الفِتَن فنرغب إلى ربنا ألّا يجعلنا ممن يقول له غداً : ﴿ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾[٣] ؛ فإنّ أمير المؤمنين قال: العُمر الذى أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة، وليس فينا رجل إلا وقد بلغه، وقد كنا مُغرَمين بتزكيةِ أنفُسنا ، وتقريظِ شيعتِنا ، حتى بَلا الله أخيارَنا فوجدَنا كاذبين فى موطنَيْن[٤] من مواطن ابنِ ابنةِ نبيِّنا[٥] صلى الله عليه وسلم، وقد بلغتْنا قبل ذلك كُتُبه ، وقدمَت علينا رُسُله ، وأعذر إلينا يسألنا[٦] نَصرَه عَوْداً

---

(١) ابن الأثير : « المنادمة » .
(٢) ابن الأثير : « عليهم » .
(٣) سورة فاطر: ٣٧ .
(٤) ابن الأثير : « فى كل موطن » .
(٥) ابن الأثير : « نبيه » .
(٦) ابن الأثير : « فسألنا » .

وبدءاً ، وعلانيةً وسرًّا ، فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتِل إلى جانبنا ، لا نحن نصرناه بأيدينا ، ولا جادلْنا عنه بألسِنَتِنا ، ولا قوّيناه بأموالنا ، ولا طلبنا له النُّصرة إلى عشائرنا ، فما عُذرنا إلى ربّنا وعند لقاء نبيِّنا صلى الله عليه وسلم وقد قُتل فينا ولدُه وحبيبه ، وذرّيتُه ونَسلُه ! لا والله ، لاعُذرَ دون أن تَقتلُوا قاتلَه والمُوالين عليه ، أو تُقتلوا فى طلب ذلك ، فعسى ربّنا أن يَرضَى عنّا عند ذلك ، وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمِن . أيها القوم ، ولّوا عليكم رجلا منكم فإنه لا بدّ لكم من أمير تَفزَعون إليه ، وراية تحفّون بها ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . ٢/٤٩٩

قال : فبدر القومَ رِفَاعة بن شدّاد بعد المسيّب الكلام ، فحَمِد اللهَ وأثنى عليه وصلّى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم قال : أما بعد ، فإنّ الله قد هداك لأصوَب القول ، ودعوت إلى أرشَد الأمور[1] ، بدأتَ بحمد الله والثناء عليه ، والصلاة على نبيّه صلى الله عليه وسلم ، ودعوتَ إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم ، فمسموعٌ منك ، مستجابٌ لك ، مقبول قولُك ؛ قلتَ : ولّوا أمرَكم رجلا منكم تَفزَعون إليه ، وتحفّون برايته ، وذلك رأىٌ قد رأينا مِثلَ الذى رأيتَ ، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيًّا ، وفينا متنصّحًا ، وفى جماعتنا محبًّا[2] ، وإن رأيتَ رأى أصحابنا ذلك ولّينا هذا الأمْر شيخَ الشيعة صاحبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذا السابقة والقَدَم سليمان ابن صُرَد المحمود فى بأسه ودينه ، والموثوق بحزمه . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

قال : ثمّ تكلم عبد الله بن وال وعبد الله بن سعد ، فحَمِدَا ربّهما وأثنَيا عليه ، وتكلما بنحو من كلام رفاعة بن شدّاد ، فذكرا المسيَّب بن نجَبَة بفضله ، وذكرا سليمان بن صُرَد بسابقته ، ورضاهما بتوليَتِه ، فقال المسيّب ابن نجَبَة : أصبتم ووفقتم ، وأنا أرَى مِثلَ الذى رأيتم ، فولّوا أمرَكم سليمانَ ابنَ صُرَد .

---

(١) ف وابن الأثير : « وبدأت بأرشد الأمور » .
(٢) ابن الأثير : « محبوباً » .

قال أبو مخنف : فحدّثت سليمانَ بن أبي راشد بهذا الحديث ، فقال : حدّثني حُميد بن مسلم ، قال : والله إنّي لَشاهدٌ بهذا اليوم، يوم ولّوا سليمان ابن صُرَد ، وإنّا يومئذ لأكثر من مائة رجل من فُرسان الشيعة ووجوهِهم في داره .

٢/٥٠٠ قال : فتكلّم سليمان بن صرد فشدّد ، وما زال يردّد ذلك القولَ في كل جمعة حتى حفظتُه، بدأ فقال : أثني على الله خيراً ، وأحمد آلاءه وبلاءه ، وأشهَد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسوله ، أمّا بعد ، فإني والله لخائف ألّا يكون آخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدتْ فيه المعيشة ، وعظُمت فيه الرّزية وشَمِل فيه الجورُ أولي الفضل من هذه الشيعة لما هو خير ؛ إنا كنا نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل نبيّنا ، ونمنّيهم النصرَ، ونحثّهم على القدوم ، فلما قدِموا ونَيْنا وعَجْزنا ، وادّهنّا[١] ، وتربّصنا ، وانتظرنا ما يكون حتى قُتل فينا وَلَدُ نبيّنا وسُلالتُه وعُصارتُه وبَضعةٌ من لحمه ودمه، إذ جعل يَستصرِخ فلا يُصرَخ، ويسأل النّصف فلا يُعطاه، اتّخذه الفاسقون غرَضًا للنَّبل، ودريّة للرّماح حتى أقصدوه، وعدَوْا عليه فسلبوه . ألّا انهضوا فقد سخِط ربُّكم ، ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله ، والله ما أظنه راضيًا دون أن تناجِزوا مَن قتله ، أو تُبيروا. ألّا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه امروٌ قطّ إلا ذلّ ، كونوا كالأولَى من بني إسرائيل إذ قال لهم نبيُّهم : ﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ ،[٢] فما فعل القومُ ؟ جثَوا على الرُّكب والله ، ومدّوا الأعناق ورضُوا بالقضاء حتى حين علموا أنه لا ينجيهم من عظيم الذّنب إلاّ الصبر

٢/٥٠١ على القتل ، فكيف بكم لو قد دُعيتم إلى مثل ما دُعي القوم اليه! اشحَذوا[٣] السيوف، وركّبوا الأسنّة ، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾[٤] ، حتى تُدعوا حين تُدْعَون وتُستنفرون .

---

(١) ابن الأثير : « وأدهلنا » .
(٢) سورة البقرة: ٥٤
(٣) ابن الأثير : « أحدوا » .
(٤) سورة الأنفال ٦٠ .

قال : فقام خالد بن سعد بن نُفيل، فقال : أما أنا فوالله لو أعلم أنّ قتلى[1] نفسى يُخرِجنى من ذنبى ويُرضى ربّى لقتلتُها ؛ ولكن هذا أمِر به قومٌ كانوا قبلنا ونُهينا عنه ، فأشهد اللهَ ومَن حضر من المسلمين أنّ كلّ ما أصبحت أملكه سوى سلاحى الذى أقاتل به عدوّى صدقةٌ على المسلمين ، أقوّيهم به على قتال القاسطين .

وقام أبو المعتمر حَنَش بن ربيعة الكِنانىّ فقال : وأنا أشهِدكم على مثل ذلك .

فقال سليمان بن صُرَد : حَسْبُكم ؛ مَنْ أراد من هذا شيئاً فليأت بماله عبدَ الله بن وال التيمىّ تيم بكر بن وائل ، فإذا اجتمع عنده كلّ ما تريدون إخراجَه من أموالكم جهّزْنا به ذوى الخَلّة والمَسكَنة من أشياعكم .

قال أبو مخنف لوط بن يحيى ، عن سليمان بن أبى راشد ، قال : فحدّثنا حُمَيد بن مسلم الأزدىّ أنّ سليمان بن صُرَد قال لخالد بن سعد بن نفيل حين قال له : والله لو علمت أنّ قتلى نفسى يُخرِجنى من ذنبى ويَرضَى عنى ربى لقتلتُها ، ولكنّ هذا أمِر به قوم غيرُنا كانوا من قبلنا ونُهينا عنه ، قال : أخوكم هذا غداً فَرِيسُ أوّلِ الأسنّة ؛ قال : فلما تصدّق بماله على المسلمين قال له : أبشر بجزيل ثواب الله للّذين لأنفُسِهم يَمهَدون .

قال أبو مخنف : حدّثنى الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نُفيل ٢/٥٠٢ قال : أخذت كتاباً كان سليمان بن صُرَد كتب به إلى سعد بن حذيفة بن اليَمان بالمدائن ، فقرأتُه زمانَ ولىَ سليمان ، قال : فلما قرأتُه أعجبنى ، فتعلّمته فما نسيته ، كتب إليه :

بسم الله الرّحمن الرّحيم . من سليمانَ بن صُرَد إلى سعد بن حذيفة ومَن قِبَله من المؤمنين . سلام عليكم ، أما بعد ؛ فإنّ الدنيا دارٌ قد أدبر منها ما كان معروفاً ، وأقبل منها ما كان مُنكَراً ، وأصبحتْ قد تشنّأتْ إلى ذوى الألباب ، وأزمَع بالتّرحال منها عبادُ الله الأخيار ، وباعوا قليلاً من الدنيا

---

(١) ف : « قتل نفسى » .

لا يبقى بجزيلِ مثوبة عند الله لا تفنى . إنّ أولياءَ من إخوانكم ، وشيعة آل نبيّكم نظروا لأنفسهم فيما ابتُلوا به من أمر ابن بنت نبيّهم الذى دُعِيَ فأجاب ، ودعا فلم يجَب ، وأراد الرجعة فحُبِس ، وسأل الأمان فمُنع ، وترك الناسَ فلم يتركوه ، وعَدَوْا عليه فقتلوه ، ثم سلبوه وجرّدوه ظلماً وعُدواناً وغِرّةً بالله وجهلاً ، وبعين اللهِ ما يعملون ، وإلى الله ما يرجعون ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ،[1] فلما نظر وا إخوانكم وتدبّروا عواقبَ ما استقبلوا رأوا أن قد خطئوا بخذلانِ الزكىّ الطيّب وإسلامه وتركِ مواساته ، والنصر له خطأ كبيراً ليس لهم منه مخرجٌ ولا توبة ، دون قتل قاتليه أو قتلهم حتى تفنى على ذلك أرواحهم ؛ فقد جدّ إخوانكم فجدّوا ، وأعدّوا واستعدّوا ، وقد ضربْنا لإخواننا أجلاً يوافوننا إليه ، وموطناً يلقوننا فيه ؛ فأما الأجلِ فغُرّةُ شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين ، وأمّا الموطن الذى يلقوننا فيه فالنُّخَيلة.

٢/٥٠٣

أنتم الذين لم تزالوا لنا شيعة وإخواناً ، وإلا وقد رأينا أن ندعوَكم إلى هذا الأمر الذى أراد الله به إخوانكم فيما يزعمون ، ويُظهرون لنا أنهم يتوبون ، وإنكم جُدَرَاءُ بتطْلاب الفضل ، والتماس الأجر ، والتوبة إلى ربّكم من الذنب ، ولو كان فى ذلك حزُّ الرقاب ، وقتلُ الأولاد ، واستيفاء الأموال ، وهلاك العَشائر ؛ ما ضرّ أهلَ عذراء الذين قُتِلوا ألّا يكونوا اليوم أحياءً عند ربّهم يُرزَقون ، شهداء قد لَقُوا الله صابرين محتسبين ، فأثابهم ثوابَ الصابرين — يعنى حُجراً وأصحابه — وما ضرّ إخوانكم المُقتَّلين صَبْراً ، المُصلَّبين ظُلماً ، والممثَّل بهم ، المعتدَى عليهم ، ألّا يكونوا أحياء مبتلَيْن بخطاياكم ، قد خِيرَ لهم فلقوا ربهم ، ووفّاهم الله إن شاء الله أجرهم ، فاصبروا رحمكم الله على البأساء والضرّاء وحينَ البأس ، وتوبوا إلى الله عن قريب ؛ فوالله إنكم لأحرياء ألّا يكون أحدٌ من إخوانكم صبر على شىء من البلاء إرادة ثوابه إلا صبرتم التماسَ الأجر فيه على مثلِه ، ولا يطلب رضاءَ الله طالبٌ بشىء من الأشياء ولو أنه القتلُ إلا طلبتم رضا الله به . إنّ التقوى أفضلُ الزّاد فى الدنيا ، وما سوى ذلك يبور ويفنى ، فلتعزِف عنها أنفسُكم ، ولتكن رغبتُكم فى دارِ عافيتكم ، وجهادِ عدوّ الله وعدوّكم ، وعدوّ أهل بيت نبيّكم

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢٧ .

حتى تقدموا على الله تائبين راغبين ، أحيانا الله وإياكم حياة طيّبة، وأجارنا ٢/٥٠٤ وإيّاكم من النار، وجعل منايانا قتلاً فى سبيله على يدىْ أبغض خلقه إليه وأشدّهم عداوةً له؛ إنه القدير على ما يشاء، والصانع لأوليائه فى الأشياء؛ والسلام عليكم .

قال : وكتب ابن صُرَد الكتاب وبعثَ به إلى سعد بن حذيفة بن اليمان مع عبد الله بن مالك الطائىّ ، فبعث به سعد حين قرأ كتابه إلى مَن كان بالمدائن من الشيعة ، وكان بها أقوامٌ من أهل الكوفة قد أعجبتهم فأوطَنوها وهم يقدمون الكوفة فى كلّ حينِ عطاء ورِزْق ، فيأخذون حقوقَهم ، وينصرفون إلى أوطانهم ، فقرأ عليهم سعد كتابَ سليمان بن صرد . ثمّ إنه حمد الله وأثنَى عليه ثمّ قال : أما بعد ، فإنكم قد كنتم مجتمعين مزْمِعِين على نصر الحسين وقتال عدوّه ، فلم يَفْجأكم أوّلُ من قتله ، والله مثيبُكم على حُسن النيّة وما أجمعتم عليه من النصر أحسنَ المثوبة ، وقد بَعثَ إليكم إخوانُكم يستنجدونكم ويستمدّونكم ، ويدعونكم إلى الحقّ وإلى ما ترجون لكم به عندالله أفضلَ الأجر والحظّ ، فماذا ترون ؟ وماذا تقولون ؟ فقال القوم بأجمعهم : نجيبُهم ونقاتلُ معهم ، ورأينا فى ذلك مِثل رأيهم .

فقام عبد الله بن الحنظل الطائىّ ثم الحِزْمِرىّ ، فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنا قد أجبنا إخوانَنا إلى ما دعونا إليه ، وقد رأيْنا مِثلَ الذى قد رَأوْا ، فسرّحْنى إليهم فى الخيل ، فقال له : رويداً ، لا تعجلْ ، استعدّوا للعدّو ، وأعدّوا له الحرب ، ثمّ نسير وتسيرون .

وكتب سعد بن حذيفة بن اليمَانِ إلى سليمانَ بن صُرَد مع عبد الله بن مالك الطائىّ :

بسم الله الرّحمن الرّحيم . إلى سليمان بن صرد ، من سعد بن حذيفة ٢/٥٠٥ ومن قبَله من المؤمنين ، سلام عليكم ، أما بعد ، فقد قرأنا كتابَك ، وفهمنا الذى دعوْتَنا إليه من الأمر الذى عليه رأىُ الملإ من إخوانك ، فقد هُدِيتَ لحظك ، ويُسِّرتَ لرُشدك ، ونحن جادّون مجدّون ، معدّون مُسرِجون مُلْجِمون ننتظر الأمر ، ونستمع الداعى ؛ فإذا جاء الصَّريخ أقبلْنا ولم نُعرِّج إن شاء الله ؛ والسلام .

فلما قرأ كتابه سليمان بن صُرَد قرأه على أصحابه ، فسُرّوا بذلك .

قالوا : وكتب إلى المثنّى بن مخرِّبة العبدىّ نسخة الكتاب الذى كان كتب به إلى سعد بن حذيفة بن اليمان وبعث به مع ظَبْيان بن عُمارة التميمىّ من بنى سعد ، فكتب إليه المثنّى : أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وأقرأته إخوانك ، فحمدوا رأيك ، واستجابوا لك ، فنحن مُوافُوك إن شاء الله للأجل الذى ضربت وفى الموطن الذى ذكرت ؛ والسلام عليك . وكتب فى أسفل كتابه :

تبَصَّرْ كأنّى قد أتيتُك مُعْلِماً ... على أتْلِع الهادى أجَشَّ هَزِيمِ

طويلِ القَرَا نَهْدِ الشَّوَاةِ مقلَّصٍ ... مُلِحٍّ على فأْسِ اللجام أزُومِ

بكلِّ فتًى لا يملأُ الرَّوْع نَحرَه ... مُحِسٍّ لِعَضّ الحربِ غيرِ سئُومِ

أخى ثقةٍ يَنوى الإله بِسَعْيهِ ... ضَرُوبٍ بِنَصلِ السيفِ غيرِ أثيمِ

٥٠٦/٢ قال أبو مخنف لوط بن يحيى ، عن الحارث بن حَصِيرة ، عن عبد الله بن سعد بن نفيل ، قال : كان أوّل ما ابتدعوا به من أمرهم سنة إحدى وستين ، وهى السنة التى قُتِلَ فيها الحسين رضى الله عنه ، فلم يزل القومُ فى جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ، ودعاء الناس فى السرّ من الشيعة وغيرها إلى الطلب بدم الحسين ، فكان يجيبهم القوم بعد القوم ، والنَّفَر بعد النَّفر .

فلم يزالوا كذلك وفى ذلك حتّى مات يزيدُ بنُ معاوية يومَ الخميس لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين ، وكان بين قتل الحسين وهلاك يزيدَ بن معاوية ثلاث سنين وشهران وأربعة أيام ، وهلك يزيدُ وأمير العراق عبيدُ الله بن زياد ، وهو بالبصرة ، وخليفته بالكوفة عمرو بن حُريث المخزومىّ ، فجاء إلى سليمان أصحابه من الشيعة ، فقالوا : قد مات هذا الطاغية ، والأمر الآن ضعيف ، فإن شئت وثَبنا على عمرو بن حريث فأخرجْناه من القصر ، ثمّ أظهرنا الطلبَ بدم الحسين ، وتتبّعنا قتَلَتَه ، ودعوْنا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثَر عليهم ، المدفوعين عن حقهم ، فقالوا فى ذلك فأكثروا ؛ فقال لهم سليمان بن صُرَد : رُويداً ، لا تعجلوا ، إنى قد نظرت فيما تذكرون ، فرأيت أنّ قتَلَة الحسين هم أشراف أهل الكوفة ، وفُرسان العرب وهم المطالِبون بدمه ، ومتى علموا ما تريدون ، وعلموا أنهم المطلوبون ، كانوا

أشدّ عليكم . ونظرت فيمن تبعنى منكم فعلمت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرَهم ، ولم يَشفُوا أنفسَهم ، ولم ينكوا فى عدوّهم ، وكانوا لهم جَزَراً ، ولكن بُثّوا دُعاتكم فى المصر ، فادعوا إلى أمركم هذا ، شيعتَكم وغيرَ شيعتكم ، فإنّى أرجو أن يكون الناس اليومَ حيث هلك هذا الطاغية أسرعَ إلى أمركم استجابةً منهم قبل هلاكه . ففعلوا ؛ وخرجتْ طائفة منهم دُعاةٌ يدعون الناسَ ، فاستجاب لهم ناسٌ كثير بعد هلاك يزيد بن معاوية أضعافُ مَن كان استجاب لهم قبل ذلك . ٥٠٧/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : وحدّثنا الحصين بن يزيدَ ، عن رجل من مُزَينة قال : ما رأيتُ من هذه الأمة أحداً كان أبلغَ من عبيد الله بن عبدالله المرّىّ فى منطِق ولا عظة ، وكان من دُعاةِ أهل المصر زمانَ سليمان بن صُرَد ، وكان إذا اجتمعت إليه جماعةٌ من الناس فوعظهم بدأ بحَمْد الله والثناءِ عليه والصلاة على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : أما بعد ، فإنّ الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه بنبوّته ، وخصّه بالفضل كلّه ، وأعزكم باتباعه وأكرمكم بالإيمان به ، فحقَن به دماءكم المسفوكة ، وأمّن به سُبُلكم المَخُوفة ، ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1] . فهل خلق ربكم فى الأوّلين والآخرين أعظم حقّاً على هذه الأمة من نبيها ؟ وهل ذرّية أحد من النبيين والمرسلين أو غيرهم أعظم حقّاً على هذه الأمة من ذرية رسولها ؟ لا والله ، ما كان ولا يكون . لله أنتم ! ألمْ ترَوْا ويبلغكم ما اجترُم إلى ابن بنت نبيّكم ! أما رأيتم إلى انتهاك القوم حُرمتَه ، واستضعافِهم وَحدَته ، وترميلِهم إيّاه بالدّم ، وتجرارِهمُوه على الأرض ! لَم يرقُبوا فيه ربّهم ولا قرابتَه من الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ اتّخذوه للنبل غرضًا ، وغادروه للضّباع جَزَرًا ، فللّه عينًا من رأى مثلَه ! ولله حسين بن علىّ ، ماذا غادروا به ذا صِدْق وصَبْر ، وذا أمانة ونجدة وحزم ! ابنُ أوّل المسلمين إسلامًا ، وابن بنت رسول ربّ العالمين ، قلّت حُماته ، وكثرت عُداتُه حولَه ، فقتلَه عدوُّه ، وخذلَه وليُّه . فويل للقاتِل ، وملامة ٥٠٨/٢

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣ .

للخاذلِ ! إنّ الله لم يجعل لقاتله حُجّة، ولا لخاذله مَعْذِرةً ، إلاّ أن يناصِح لله فى التوبة ، فيجاهد القاتلين ، وينابذَ القاسطين ؛ فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة ، ويُقيل العثرة ؛ إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة نَبيّه ، والطلبِ بدماءِ أهل بيته ، وإلى جهاد المُحِلّين والمارقين ، فإن قُتلنا فما عند الله خيرٌ للأبرار ، وإن ظَهَرنا ردَدْنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبيّنا .

قال : وكان يعيد هذا الكلامَ علينا فى كلّ يوم حتى حَفِظه عامّتنا .

قال : ووثب الناس على عمرو بن حُرَيث عند هلاك يزيدَ بن معاوية، فأخرجوه من القصر ، واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أميّة بن خلف الجُمَحىّ . وهو دُحْرُوجة الجُعَل الذى قال له ابنُ همّام السَّلُولىّ :

اشددْ يديْك بزيدٍ إنْ ظفِرْتَ بِه واشفِ الأَرامِلَ من دُحْرُوجَةِ الجُعَلِ[١]

وكان كأنه إبهامٌ قِصَراً ، وزيد مولاه وخازنُه ، فكان يصلّى بالناس. وبايع لابن الزبير ،ولم يزل أصحاب سليمانَ بن صُرَد يدعون شعيتهم وغيرهم من أهل مصرهم حتّى كثر تبعهم ، وكان الناس إلى اتباعهم بعد هلاك يزيدَ ابن معاوية أسرعَ منهم قبل ذلك ، فلما مضت ستّة أشهر من هلاك يزيدَ ابن معاوية ، قدم المختارُ بن أبى عُبَيد الكوفة ، فقدم فى النصف من شهر رمضان يومَ الجمعة . قال : وقَدِم عبد الله بن يزيد الأنصارىّ ثمّ الخطمىّ مِن قِبَل عبد الله بن الزبير أميرًا على الكوفة على حربها وثَغرِها ، وقدم معه من قِبَل ابن الزبير إبراهيمُ بن محمد بن طلحة بن عبيد الله الأعرج أميرًا على خَراج الكوفة ، وكان قدوم عبد الله بن يزيدَ الأنصارىّ ثمّ الخطمىّ يومَ الجمعة لثمانٍ بقين من شهر رمضان سنة أربع وستّين . ٢/٥٠٩

قال : وقدم المختار قبل عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بثمانية أيام، ودخل المختار الكوفة ، وقد اجتمعت رءوس الشيعة ووجوهُها مع سليمان بن صُرَد فليس يَعدِلونه به ، فكان المختار إذا دعاهم إلى نفسه[٢] وإلى الطلب بدم الحسين قالت له الشيعة : هذا سليمان بن صُرَد شيخ الشيعة ، قد انقادوا له واجتمعوا

---

(١) فى اللسان : « الدحروجة : ما يدحرجه الجعل من البنادق » .

(٢) ف : « لنفسه » .

عليه ، فأخذ يقول للشيعة : إنى قد جئتكم (١ من قِبل المهدىّ محمد بن علىّ ابن الحنفيّة ١) مؤتمَنًا مأمونًا، منتجَبًا ووزيراً ، فوالله ما زال بالشّيعة حتى انشعبت إليه طائفةٌ تُعَظِّمُه وتجيبه ، وتنتظر أمره، وعُظْمُ الشّيعةِ مع سليمانَ ابن صُرَد ، فسليمان أثقل خلق الله على المختار .

وكان المختار يقول لأصحابه : أتدرون ما يريد هذا ؟ يعنى سليمان بن صُرَد — إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم ، ليس له بصرٌ بالحروب ، ولا له علمٌ بها . ٢/٥١٠

قال : وأتى يزيد بن الحارث بن يزيدَ بن رُوَيْم الشيبانىّ عبدَ الله بن يزيد الأنصارىّ فقال : إنّ الناس يتحدّثون أنّ هذه الشيعة خارجةٌ عليك مع ابن صُرَد ، ومنهم طائفة أخرى مع المختار ، وهى أقلّ الطائفتين عدداً، والمختار فيما يذكر الناس لا يريد أن يخرج حتى ينظر إلى ما يصير إليه أمرُ سليمانَ بن صُرَد، وقد اجتمع له أمره ، وهو خارج من أيّامه هذه ، فإن رأيت أن تَجمعَ الشُّرَط والمقاتِلةَ ووجوه الناس ، ثمّ تنهض إليهم، وننهض معك، فإذا دفعت إلى منزله دعوتَه ، فإن أجابك فحَسْبُه، وإنْ قاتلك قاتلتَه ، وقد جمعتُ له وعبّأت وهو مغترّ، فإنى أخاف عليك إن هو بدأك وأقررته حتى يخرج عليك أن تشتدّ شوكتُه، وأن يتفاقمَ أمرُه .

فقال عبدالله بن يزيد : اللهُ بيننا وبينهم ، إنْ همقاتلَونا قتلناهم ، وإن تركونا لم نطلبهم، حدّثْنِى ما يريد الناس ؟ قال : يذكر الناس أنهم يطلبون بدم الحسين بن علىّ؛ قال : فأنا قتلتُ الحسين ! لعن اللهُ قاتِلَ الحسين ! قال : وكان سليمان بن صُرَد وأصحابه يريدون أن يثبوا بالكُوفة ، فخرج عبد الله بن يزيد حتى صَعِد المنبرَ ، ثم قام فى الناس فحَمِد الله وأثنَى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فقد بلغنى أنّ طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا ، فسألتُ عن الذى دعاهم إلى ذلك ما هو ؟ فقيل لى : زعموا أنهم يطلبون بدم الحسين بن علىّ ، فرحم الله هؤلاء القوم ، قد والله دُلِلتُ على أماكنهم ، وأمِرت بأخذهم ، وقيل : ابدأهم قبل ٢/٥١١

(١ — ١) ف وابن الأثير : « من عند محمد بن الحنفية المهدى » .

أن يبدءوك ، فأبيت ذلك ، فقلت : إنْ قاتلونى قاتلتُهم ، وإن تركونى لم أطلبهم ؛ وعلامَ يقاتلوننى! فوالله ما أنا قتلتُ حسيناً ، ولا أنا ممن قاتَلَه ، ولقد أصِبْت بمقتله رحمة الله عليه ! فإن هؤلاء القومَ آمنون ، فليخرجوا ولينتشِروا ظاهرين ليسيروا إلى مَنْ قاتل الحسين ، فقد أقبل إليهم ، وأنا لَهم على قاتِله ظَهير ؛ هذا ابن زياد قاتل الحسين ، وقاتل خياركم وأماثِلِكم ، قد توجّه إليكم ؛عَهْدُ العاهد به على مسيرة ليلة من جسر مَنبِج ، فقتاله والاستعداد له أولى وأرشَد من أن تجعلوا بأسَكم بينَكم ، فيقتل بعَضُكم بعضاً ، ويسفك بعضُكم دماءَ بعض ، فيلقاكم ذلك العدوّ غداً وقد رققتم ، وتلك والله أمنيّة عدوّكم ،وإنه قد أقبل إليكمأعدى خلق الله لكم ،مَن وُلِّى عليكمهووأبوه سبع سنين ، لا يُقلِعان عن قتل أهل العَفاف والدّين ، هو الذى قتلكم ، ومِن قِبَله أُتيتم ، والذى قتل مَنْ تثأرون بدمه ، قد جاءكم فاستقبلوه بحدّكم وشوكتكم ، واجعلوها به ، ولا تجعلوها بأنفسكم؛ إنى لم آلُكُم نصحاً ، جمع الله لنا كلمتَنا ، وأصلح لنا أئمّتنا !

قال : فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة : أيُّها الناس، لا يغرّنّكم من السيف والغشم مقالةُ هذا المُداهِن الموادِع ؛والله لئن خرج علينا خارج لنقتلنّه، ولئن استقينا أن قومًا يريدون الخروجَ علينا لنأخذنّ الوالد بولده ، والمولودَ بوالده ، ولنأخذنّ الحميم بالحميم ، والعرِيف بما فى عرافته حتى يَدِينوا[١] للحقّ، ويذلّوا[٢] للطاعة . فوثب إليه المسيّب بن نَجَبَة فقطع عليه مَنطقه ثم قال: يابن الناكثين[٣] ، أنت تهدّدنا بسيفك وغشمك ! أنت والله أذلّ من ذلك ؛ إنا لا نلومك على بغضنا ، وقد قتلنا أباك وجدّك ، والله إنى لأرجو ألا يخرجك الله من بين ظهرانىْ أهل هذا المصرحتى يثلّثوا بك جدّك وأباك، وأمّا أنت أيها الأمير فقد قلتَ قولا سديداً، وإنى والله لأظنّ مَن يريد هذا الأمر مستنصِحًا لك ، وقابلاً قولَك .

٢/٥١٢

فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة: إى والله ، ليقتلنّ وقد أدهن ثمّ أعلن.

---

(١) ف : « حتى تدينوا » . (٢) ابن الأثير : « يذللوا » .
(٣) ف : « أيابن الناكثيه » .

فقام إليه عبد الله بن وال التيميّ، فقال: ما اعتراضُك يا أخا بنى تيم بن مرّة فيما بيننا وبين أميرنا! فوالله ما أنت علينا بأمير، ولا لَكَ علينا سلطان، إنما أنت أميرُ الجِزْية، فأقبِل على خراجِك، فلعَمر الله لئن كنت مفسداً ما أفسد أمر هذه الأمة إلا والدك وجدّك الناكثان، فكانت بهما اليدان، وكانت عليهما دائرة السَّوْء.

قال: ثم أقبل مسيّب بن نَجَبَة وعبد الله بن وال على عبد الله بن يزيد فقالا: أمّا رأيك أيها الأمير فوالله إنا لنرجو أن تكون به عند العامّة محموداً وأن تكون عند الذى عَنَيْتَ واعتريت مقبولا. فغضب أناسٌ من عمال إبراهيمَ بن محمد بن طلحة وجماعة ممن كان معه، فتشاتموا دونه، فشتَمهم الناس وخَصَموهم. ٢/٥١٣

فلما سمع ذلك عبد الله بن يزيد نزل ودخل، وانطلق إبراهيم بن محمد وهو يقول: قد داهن عبد الله بن يزيد أهلَ الكوفة، والله لأكتبنّ بذلك إلى عبد الله بن الزبير، فأتى شَبَث بن رِبعيّ التميميّ عبدَ الله بن يزيد فأخبره بذلك، فركب به وبيزيد بن الحارث بن رُوَيم حتى دخل على إبراهيم بن محمد بن طلحة، فحلف له بالله ما أردت بالقول الذى سمعتَ إلا العافية وصلاحَ ذات البين، إنما أتانى يزيد بن الحارث بكذا وكذا، فرأيتُ أن أقوم فيهم بما سمعتَ إرادةَ ألّا تختلف الكلمة، ولا تتفرّق الألفة، وألّا يقع بأس هؤلاء القوم بينهم. فعَذَره وقَبِل منه.

قال: ثمّ إنّ أصحاب سليمان بن صُرَد خرجوا ينشرون السلاح ظاهرين، ويتجهّزون يجاهرون بجهازهم وما يُصلِحهم.

* * *

[ذكر الخبر عن فراق الخوارج عبد الله بن الزبير]

وفى هذه السنة فارق عبد الله بن الزبير الخوارجُ الذين كانوا قَدِموا عليه مكة، فقاتلوا معه حصين بن نمير السَّكونيّ، فصاروا إلى البصرة، ثمّ افترقت كلمتُهم فصاروا أحزاباً.

ذكر الخبر عن فراقهم ابن الزبير والسبب الذى من أجله فارقوه والذى من أجله افترقتْ كلمتهم :

٢/٥١٤ حُدِّثت عن هشام بن محمد الكلبىّ ، عن أبى مخنف لوط بن يحيى قال : حدّثنى أبو المخارق الراسبىّ ، قال : لما ركب ابن زياد من الخوارج بعد قتل أبى بلال ما ركِب ، وقد كان قبل ذلك لا يكفّ عنهم ولا يستبقيهم غير أنه بعد قتل أبى بلال تجرّد لاستئصالهم وهلاكِهم ، واجتمعت الخوارجُ حين ثار ابن الزبير بمكّة، وسار إليه أهلُ الشأم ، فتذاكروا ما أتَى إليهم ، فقال لهم نافع بن الأزرق : إنّ الله قد أنزل عليكم الكتاب ، وفَرَض عليكم فيه الجهاد ، واحتجّ عليكم بالبيان ، وقد جرّد فيكم السيوفَ أهلُ الظلم وأولو العِدَا والغَشْم ، وهذا من قد ثار بمكة ، فاخرجوا بنا نأتِ البيت ونَلقَ هذا الرّجل ، فإن يكن على رأينا جاهدْنا معه العدوّ ، وإن يكن على غير رأينا دافعْنا عن البيت ما استطعنا ، ونظرنا بعد ذلك فى أمورنا. فخرجوا حتى قدموا على عبد الله ابن الزبير ، فسُرّ بمَقدَمهم ، ونبّأهم أنه على رأيهم ، وأعطاهم الرّضامن غير توقُّف ولا تفتيش ؛ فقاتلوا معه حتى مات يزيد بن معاوية ، وانصرف أهل الشأم عن مكة . ثمّ إنّ القوم لقِىَ بعضهم بعضاً ، فقالوا : إنّ هذا الذى صنعتم أمسِ بغير [1] رأى ولا صواب من الأمر ، تقاتلون مع رجل لا تدرون لعلّه ليس على رأيكم ، إنما كان أمسِ يقاتلكم هو وأبوه ينادى : يالَ ثارات عثمان! فأتوه وسَلُوه عن عثمان ، فإنْ برِئَ منه كان وليّكم ، وإن أبى كان عدوّكم . فمشَوا نحوَه فقالوا له : أيها الإنسان ، إنا قد قاتلنا معك ، ولم نُفتّشك عن

٢/٥١٥ رأيك حتى نعلم أمِنّا أنت أم من عدوّنا ! خبّرنا ما مقالتُك فى عثمان ؟ فنظر فإذا مَن حوله من أصحابه قليلٌ ، فقال لهم : إنكم أتيتمونى فصادفتمونى حين أردتُ القيام ، ولكن رُوحوا إلىّ العشيّة حتى أعلمكم من ذلك الذى تريدون . فانصرفوا ، وبعث إلى أصحابه فقال : البسوا السلاح ، واحضُرونى بأجمعكم العشيّة ، ففعلوا، وجاءت الخوارج ،وقد أقام أصحابه حولَه سِمَاطَين عليهم

(١) ابن الأثير : « لغير رأى » .

السلاحُ، وقامت جماعةٌ منهم عظيمة على رأسه بأيديهم الأعمدة[١]، فقال ابن الأزرق لأصحابه: خشىَ الرجل غائلتَكم، وقد أزمع بخلافكم[٢] واستعدّ لكم؛ ما تَرَوْن؟

فدنا منه ابن الأزرق، فقال له: يابن الزبير، اتّق الله ربّك، وأبْغِض الخائن المستأثر، وعادِ أوّل من سنّ الضلالة، وأحدث الأحداث، وخالفَ حُكمَ الكتاب، فإنك إن تفعل ذلك تُرضِ ربَّك، وتَنْجِ من العذاب الأليم نفسُك، وإن تركتَ ذلك فأنت من الذين استمتَعوا بخَلاقِهم، وأذهبوا فى الحياة الدنيا طيِّباتِهم.

يا عبيدة بن هلال، صِف لهذا الإنسان ومن معه أمْرَنا الذى نحن عليه، والذى ندعو الناس إليه، فتقدّم عبيدة بن هلال.

قال هشام: قال أبو مخنف: وحدّثنى أبو علقمة الخثعمىّ، عن قبيصة[٣] بن عبد الرحمن القحافىّ، من خثعم، قال: أنا والله شاهدٌ عبيدة بن هلال، إذ تقدّم فتكلّم، فما سمعت ناطقاً قطّ ينطق كان أبلغَ ولا أصوبَ قولاً منه، وكان يرى رأىَ الخوارج.

قال: وإن كان ليَجمع القولَ الكثير، فى المعنى الخطير، فى اللفظ اليسير.

قال: فحَمِد الله وأثنىَ عليه ثم قال: أما بعد، فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم يدعُو إلى عبادة الله، وإخلاص الدّين، فدعا إلى ذلك، فأجابه المسلمون، فعمِل فيهم بكِتاب الله وأمرِهِ، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه، واستخلف الناس أبا بكر، واستخلف أبو بكر عُمَر، فكلاهما عمل بالكتاب وسنّة رسول الله، فالحمد لله ربّ العالمين. ثمّ إنّ الناس استخلفوا عثمانَ بنَ عفان، فحمى الأحماءَ، وآثر القُربَى، واستعمل الفتى[٤] ورفع الدِّرّة، ووضع السَّوْط، ومزّق الكتاب، وحقّر المسلم ٥١٦/٢

---

(١) ابن الأثير: «العمد».
(٢) ابن الأثير: «خلافكم».
(٣) ط: «عن أبى قبيصة»، والصواب ما أثبت.
(٤) ابن الأثير: «الغنى».

وضرب مُنكِرى[1] الجوْر ، وآوى طريدَ الرسول صلى الله عليه ، وضرب السابقين بالفضل ، وسيَّرهم وحرَمهم ، ثم أخذ فىءَ الله الذى أفاءه عليهم فقسَمه بين فُسّاق قريش ، ومُجّان العرب ، فسارت إليه طائفةٌ من المسلمين أخذ الله ميثاقَهم على طاعته ، لا يُبالون فى الله لومةَ لائم ، فقتلوه ، فنحن لهم أولياءُ ، ومن ابن عفان وأوليائه بُرآء ، فما تقول أنت يابن الزبير؟ قال : فحَمد الله ابنُ الزبير وأثنى عليه ثمّ قال : أما بعد ، فقد فهمتُ الذى ذكرتم ، وذكرتُ به النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فهو كما قلت صلى الله عليه وفوق ما وصفته ، وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر ، وقد وُفِّقتَ وأصبت ، وقد فهمتُ الذى ذكرتَ به عثمان بن عفان رحمة الله عليه ، وإنى لا أعلم مكانَ أحد من خلق الله اليومَ أعلمَ بابن عفان وأمره منّى ، كنتُ معه حيث نقم القوم عليه ، واستعتبوه فلم يَدعْ شيئًا استعتَبَهُ القوم فيه إلا أعتبهم منه . ثم إنهم رجعوا إليه بكتاب له يزعمون أنه كتبه فيهم ، يأمر فيه بقتلهم فقال لهم : ما كتبتُه ، فإن شئتم فهاتوا بيّنتكم ؛ فإن لم تكن حلفتُ لكم ؛ فوالله ما جاءوه ببيّنة ، ولا استحلفوه . ووثبوا عليه فقتلوه ، وقد سمعت ما عبتَه به ، فليس كذلك ، بل هو لكل خيرٍ أهل ، وأنا أشهدكم ومن حضر[2] أنى ولىٌّ لابن عفّان فى الدنيا والآخرة ، وولىّ أوليائه ، وعدوّ أعدائه ، قالوا : فبرئ اللهُ منك يا عدوّ الله ؛ قال : فبرئ الله منكم يا أعداءَ الله .

٢/٥١٧

وتفرّق القوم ، فأقبل نافع بن الأزرق الحنظلىّ ، وعبد الله بن صفّار السعدىّ من بنى صَريم بن مقاعس ، وعبد الله بن إباض أيضًا من بنى صريم ، وحنظلة بن بَيْهس ، وبنو الماحوز : عبد الله ، وعبيد الله ، والزبير ، من بنى سَليط ابن يربوع ، حتى أتوا البصرة ، وانطلق أبو طالوتَ من بنى زمّان بن مالك بن صعب بن علىّ بن مالك بن بكر بن وائل وعبد الله بن ثور أبو فُدَيْك من بنى قيس بن ثعلبة وعطيّة بن الأسود اليشكرىّ إلى اليمامة ، فوثبوا باليمامة مع أبى طالوت ، ثمّ أجمعوا بعد ذلك على نجدة ابن عامر الحنفىّ ، فأما البصريّون

---

(١) ابن الأثير : « منكر الجود » .

(٢) ابن الأثير : « حضرنى » .

منهم فإنهم قَدِموا البصرة وهم مُجمِعون على رأى أبى بلال .

قال هشام : قال أبو مخنف لوط بن يحيى : فحدّثنى أبو المثنّى ، عن رجل من إخوانه من أهل البصرة ، أنهم اجتمعوا فقالت العامّة منهم : لو خرج منّا خارجون فى سبيل الله، فقد كانت منّا فَترة منذ خرج أصحابُنا ، فيقوم علماؤنا فى الأرض فيكونون مصابيحَ الناس يدعونهم إلى الدّين ، ويخرج أهلُ الوَرَع والاجتهاد فيلحقون بالربّ ، فيكونون شُهَداءَ مرزوقين عند الله أحياء .

فانتدب لها نافع بن الأزرق ، فاعتقد على ثلثمائة رجل ، فخرج ، وذلك عند وثوب الناس بعبيد الله بن زياد، وكَسْر الخوارج أبوابَ السجون وخروجهم منها ، واشتغل الناس بقتال الأزْد وربيعة وبنى تميم وقيس فى دم مسعود بن عمرو ،فاغتنمت الخوارج اشتغالَ الناس بعضهم ببعض،فتهَيّئوا واجتمعوا، فلما خرج نافع بن الأزرق تبعوه ، واصطلح أهلُ البَصْرة على عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب يصلّى بهم ، وخرج ابن زياد إلى الشأم ، واصطلحت الأزْد وبنو تميم ، فتجرّد الناس للخوارج ، فاتبعوهم وأخافوهم حتى خرج من بقى منهم بالبصرة ، فلَحِق بابن الأزرق ، إلا قليلا منهم ممن لم يكن أراد الخروج يومه ذلك ، منهم عبدُالله بن صَفّار ، وعبدُالله ابن إباض ، ورجالٌ معهما على رأيهما . ونظر نافع بن الأزرق ورأى أنّ ولايةَ من تخلّف عنه لا تنبغى ، وأنّ من تخلّف عنه لا نجاةَ له ، فقال لأصحابه : إنّ الله قد أكرمكم بمُخرَجكم ،وبصّركم ما عَمِىَ عنه غيرُكم ؛ ألستم تعلمون أنكم إنما خرجتم تطلبون شريعته وأمرَه ! فأمرُه لكم قائد ، والكتاب لكم إمام ، وإنما تتبعون سُنَنَه وأثره ، فقالوا : بلى ؛ فقال : أليس حكمُكم فى وليِّكم حكم النبىّ صلى الله عليه وسلم فى وليّه ، وحكمُكم فى عدوّكم حكم النبىّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى عدوّه ، وعدوّكم اليومَ عدوّ الله وعدوّ النّبِىِّ صلى الله تعالى عليه وسلم، كما أنّ عدوّ النبىّ صلى الله عليه وسلّم يومئذ هو عدوّ الله وعدوّكم اليوم ! فقالوا : نعم ؛ قال : فقد أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1] .

٢/٥١٨

(١) سورة التوبة : ١ .

وقال : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾[١] ، فقد حرّم الله ولايتَهم ، والمُقامَ بين أظهُرهم ، وإجازةَ شهادتهم ، وأكلَ ذبائحهم ٢/٥١٩ وقبول علم الدّين عنهم ، ومناكحتهم ، ومواريثهم ، وقد احتجّ الله علينا بمعرفة هذا ، وحق علينا أن نُعلِّم هذا الدّينَ الذين خرجْنا من عندهم ، ولا نكتم ما أنزل الله ، والله عزّ وجلّ يقول : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[٢] ، فاستجاب له إلى هذا الرأيِ جميعُ أصحابه .

فكتب : من عُبيد الله نافِع بن الأزرق إلى عبد الله بن صفّار وعبد الله ابن إباض ومن قِبلَهما من الناس . سلامٌ على أهل طاعة الله من عباد الله ، فإنّ من الأمر كيتَ وكيتَ ؛ فقصّ هذه القصّة ، ووصف هذه الصفة ، ثمّ بعث بالكتاب إليهما . فأتيَا به ، فقرأه عبد الله بن صفّار ، فأخذه فوضعه خلفه ، فلم يقرأه على الناس خشيةَ أن يتفرّقوا ويختلفوا ، فقال له عبدُ الله بن إباض : ما لَكَ لله أبوك ! أيَّ شيء أصبْتَ ! أأن قد أصيب إخواننا ، أو أسِر بعضهم ! فدفَع الكتابَ إليه ، فقرأه ، فقال : قاتله الله ! ، أيَّ رأى رَأى ! صدَق نافع ابن الأزرق ، لو كان القوم مشركين كان أصوبَ الناس رأياً وحُكماً فيما يشير به ، وكانت سيرتُه كسيرة النبيّ صلى الله عليه وسلم فى المشركين ، ولكنه قد كذَب وكذّبَنا فيما يقول ، إنّ القوم كفار بالنعَم والأحكام ، وهم بُرآء من الشِّرْك ، ولا تَحلّ لنا إلا دماؤهم ، وما سِوَى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام ؛ فقال ابن صفّار : برئ اللهُ منك ، فقد قصّرت ، وبرئ الله من ابن الأزرق فقد غلا ، برئ الله منكما جميعاً ؛ وقال الآخر : ٢/٥٢٠ فبرئ الله منك ومنه .

وتفرّق القوم ، واشتدّت شوكة ابن الأزرق ، وكثرت جُموعه[٣] ، وأقبل

---

(١) سورة البقرة : ٢٢١ .

(٢) سورة البقرة : ١٥٩ .

(٣) بعدها فى ابن الأثير : « وأقام بالأهواز يجبي الخراج ويتقوّى به » .

نحوَ البصرة حتى دنا من الجسر ، فبعث إليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عُبيس[١] بن كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف فى أهل البصرة .

* * *

[ذكر الخبر عن مقدم المختار بن أبى عبيد الكوفة]

قال أبو جعفر : وفى النصف من شهر رمضان من هذه السنة كان مَقدَم المختار بن أبى عُبَيد الكوفة .

* ذكر الخبر عن سبب مقدمه إليها :

قال هشام بن محمد الكلبىّ : قال أبو مخنف : قال النضر بن صالح : كانت الشيعة تَشتُم المختار وتُعتبه[٢] لِما كان منه فى أمر الحسن بن علىّ يوم طُعن فى مُظلِم ساباط ، فحُمل إلى أبيَض المدائن ، حتى إذا كان زمنَ الحسين ، وبعث الحسينُ مسلمَ بن عقيل إلى الكوفة ، نزل دارَ المختار ، وهى اليوم دارُ سَلْم بن المسيَّب ، فبايعه المختار بن أبى عُبيد فيمن بايعه من أهل الكوفة ، وناصَحَه ودعا إليه من أطاعه ، حتى خرج ابن عقيل يوم خرج والمختار فى قرية له بخُطَرْنِيَة تُدعَى لقفا ، فجاءَه خبرُ ابن عقيل عند الظهر أنه قد ظهر بالكوفة ، فلم يكن خروجُه يومَ خرج على ميعاد من أصحابه ، إنما خرج حين قيل له : إنّ هانئ بن عروة المرادىّ قد ضُرِبَ وحُبِس ، فأقبل المختار فى موالٍ له[٣] حتى انتهى إلى باب الفيل بعد الغروب ، وقد عَقَد عبيد الله بن زياد لعمرو بن حُريث راية على جميع الناس ، وأمره أن يقعد لهم فى المسجد ، فلما كان المختار وقف على باب الفيل مرّ به هانئ بن أبى حيّة[٤] الوادعىّ ، فقال للمختار : ما وقوفُك ها هنا ! لا أنت مع الناس ، ولا

٢ / ٥٢١

(١) ضبطه ابن الأثير بالعين المهملة المضمومة والباء الموحدة والياء المثناة من تحت وبالسين المهملة.

(٢) ابن الأثير : « وتعييبه » .

(٣) ابن الأثير : « حواليه » .

(٤) ابن الأثير : « هانئ بن جبة » .

أنت فى رَحْلك ؛ قال : أصبح رأيي مرتجًّا لعُظْم خطيئتكم؛ فقال له : أظنك والله قاتلًا نفسَك ، ثمّ دخل على عمرو بن حُريث فأخبرَه بما قال للمختار وما ردّ عليه المختار .

قال أبو مخنف : فأخبرَنى النضر بن صالح ، عن عبد الرحمن بن أبى عمير الثّقفيّ ؛ قال : كنت جالسًا عند عمرو بن حريث حين بلّغه هانئ بن أبى حيّة عن المختار هذه المقالة ، فقال لى : قم إلى ابن عمك فأخبره أن صاحبه لا يدرى أين هو ! فلا يجعلنّ على نفسه سبيلا ، فقمت لآتيه ، ووثب إليه زائدة بن قدامة بن مسعود ، فقال له : يأتيك على أنه آمِن ؟ فقال له عمرو بن حُرَيث : أمّا منّى فهو آمن ، وإن رُقّى إلى الأمير عبيدالله بن زياد شىء من أمره أقمتُ له بمحضره الشهادة ، وشفَعت له أحسنَ الشفاعة ، فقال له زائدة بن قدامة : لا يكوننّ مع هذا إن شاء الله إلا خيرٌ .

قال عبد الرحمن : فخرجتُ ، وخرج معى زائدة إلى المختار ، فأخبرناه[1] بمقالة ابن أبى حيّة وبمقالة عمرو بن حُرَيث ، وناشدناه بالله ألا يجعل على نفسه سبيلا ، فنزل إلى ابن حريث ، فسلّم عليه ، وجلس تحت رايته حتى أصبح ، وتذاكَر الناسُ أمرَ المختار وفعلَه ، فمشى عُمارة بن عقبة بن أبى مُعيط بذلك إلى عبيد الله بن زياد ، فذكر له ، فلما ارتفع النهار فُتِح بابُ عبيد الله ابن زياد وأذِن للناس ، فدخل المختار فيمن دخل ، فدعاه عبيد الله ، فقال له : أنت المقبلُ فى الجموع لتنصُر ابن عَقِيل ! فقال له : لم أفعل ، ولكنى أقبلت ونزلت تحتَ راية عمرو بن حُرَيث ، وبِتّ معه وأصبحت ، فقال له عمرو : صدق أصلحَك الله ! قال : فرفع القضيبَ ، فاعترض به وجهَ المختار فخبط به عينَه فشتَرها[2] وقال : أوْلَى لك ! أمَا والله لولا شهادةُ عمرو لك لضربتُ عنقك ؛ انطلِقوا به إلى السجن فانطلقوا به إلى فحُبس فيه فلم يزل فى السجن حتى قُتل الحسين . ثمّ إنّ المختار بعث إلى زائدة بن قدامة ، فسأله أن يسير إلى عبد الله بن عمرَ بالمدينة فيسألَه أن يكتبَ له إلى يزيد بن معاوية ، فيكتب

٢/٥٢٢

(١) ف : « وأخبرناه » .
(٢) الشتر : انقلاب جفن العين من أعلى إلى أسفل وتشنجه .

إلى عبيد الله بن زياد بتخلية سبيله ، فركب زائدةُ إلى عبد الله بن عمر فقَدِم عليه ، فبلّغه رسالةَ المختار ، وعلمتْ صفيّة أختُ المختار بحبس أخيها وهى تحت عبد الله بن عمر ، فبكت وجزعت ، فلما رأى ذلك عبد الله بن عمَر كتب مع زائدة إلى يزيدَ بن معاوية : أمّا بعد ، فإنّ عبيد الله بن زياد حبس المختار ، وهو صهرى ، وأنا أحبّ أن يعافَى ويُصلَح من حاله ، فإن رأيتَ رحمنا الله وإيّاك أن تكتب إلى ابن زياد[1] فتأمرَه بتخليته فعلتَ . والسلام عليك .

فمضى زائدة على رواحله بالكتاب حتى قدم به على يزيدَ بالشأم ، ٢/٥٢٣ فلما قرأه ضحك ثم قال : يشفّع أبو عبد الرحمن ، وأهلُ ذلك هو . فكتب له إلى ابن زياد : أما بعد ، فخلّ سبيلَ المختار بن أبى عُبيد حين تَنظرُ فى كتابى ، والسلام عليك .

فأقبَل به زائدة حتى دفعه ، فدعا ابن زياد بالمختار ، فأخرجه ، ثم قال له قد أجّلتُك ثلاثاً ، فإن أدركتُك بالكوفة بعدَها قد برئتْ منك الذمّة . فخرج إلى رحله . وقال ابن زياد : والله لقد اجترأ علىّ زائدة حين يرحل إلى أمير المؤمنين حتى يأتينى بالكتاب فى تخلية رجل قد كان من شأنى أن أطيل حبسَه ، علىّ به . فمرّ به عَمرو بن نافع أبو عثمان — كاتبٌ لابن زياد — وهو يُطلَب ، وقال له : النّجاءَ بنفسك ، واذكرها يداً لى عندَك .

قال : فخرج زائدة ، فتوارى يومَه ذلك . ثمّ إنه خرج فى أناس من قومه حتى أتَى القعقاعَ بن شَوْر الذّهلىّ ، ومسلم بن عمرو الباهلىّ ، فأخذا له من ابن زياد الأمان .

قال هشام : قال أبو مخنف : ولما كان اليوم الثالث خرج المختار إلى الحجاز ، قال : فحدّثنى الصقعب بن زهير ، عن ابن العِرْق ، مولًى لثقيف . قال : أقبلتُ من الحجاز حتى إذا كنت بالبَسيطَة مِنْ وراء واقِصَة استقبلتُ المختارَ بن أبى عُبيد خارجاً يريد الحجاز حين خلّى سبيلَه ابن زُياد ، فلما استقبلتُه رحّبت به ، وعطفتُ إليه ، فلما رأيت شَتَرَ عينه استرجعتُ له ، وقلتُ له بعد ما توجّعت له : ما بالُ عينِك ، صرف الله عنك السوءَ !

---

(١) ف : « رحمك الله أن تكتب إلى ابن زياد » .

٢/٥٢٤ فقال : خبَط عينى ابن الزانية بالقضيب خبطةً صارت إلى ما ترى . فقلتُ له : ما لَه شَلّت أناملُه ! فقال المختار : قتلنى الله إن لم أقطع أناملَه وأباجلَه وأعضاءَه إرْبًا إرْبًا ؛ قال : فعجبتُ لمقالته ، فقلت له : ما علمك بذلك رحمك الله ؟ فقال لى : ما أقول لك فاحفظْه عنّى حتى ترى مصداقَه .

قال : ثمّ طفِق يسألنى عن عبد الله بن الزبير ، فقلت له : لجأ إلى البيت ، فقال : إنما أنا عائذٌ بربّ هذه البنيّة ، والناس يتحدّثون أنه يبايع سرًّا ، ولا أراه إلا لو قد[1] اشتدّت شوكته واستكثف من الرجال إلا سيُظهر الخلافَ ؛ قال : أجَل ، لا شكّ فى ذلك[2] ، أمَا إنه رجلُ العرب اليومَ ، أمَا إنه إنْ يخطُطْ فى أثرى ، ويسمعْ قولى أكفِه أمرَ الناس ، وإلا يفعلْ فوالله ما أنا بدون أحد من العرب ، يا بنَ العِرْق ، إنّ الفتنة قد أرعدتْ وأبرقتْ ، وكأنْ قد انبعثتْ[3] فوطئت فى خطامها ، فإذا رأيتَ ذلك وسمعتَ به بمكان قد ظهَرتُ فيه فقل : إنّ المختار فى عصائبه من المسلمين ، يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطّفّ ، سيّد المسلمين ، وابن سيّدها ، الحسين ابن علىّ ، فوربِّك لأقتلنّ بقتله عِدّةَ القتلى التى قتِلت على دم يَحيَى بن زكرياء عليه السلام ؛ قال : فقلت له : سبحان الله ! وهذه أعجوبة مع الأحدوثة الأولى ؛ فقال : هو ما أقول لك فاحفظه عنّى حتى ترى مصداقَه. ثمّ حرّك راحلته ، فمضَى ومضَيت معه ساعةً أدعو الله له بالسلامة ، وحُسنِ الصحابة . قال : ثمّ إنّه وقف فأقسم علىّ لما انصرفتُ ، فأخذتُ بيده ! فودّعته ، وسلمت عليه ، وانصرفت عنه ، فقلت فى نفسى : هذا الذى يذكر

٢/٥٢٥ لى هذا الإنسان ، — يعنى المختار — مما يزعم أنه كائن ، أشىءٌ حدّث به نفسه! فوالله ما أطلَع الله على الغيب أحداً ، وإنما هو شىءٌ يتمنّاه فيرى أنه كائن ، فهو يوجب[4] رأيَه ، فهذا والله الرأىُ الشعاع ، فوالله ما كلّ ما يرى الإنسان أنه كائن يكون ؛ قال : فوالله ما مُتّ حتى رأيتُ كلّ ما قاله . قال : فوالله

---

(١) ف : « وقد » .

(٢) ف : « فيه » .

(٣) ابن الأثير : « أينعت » .

(٤) ف : « : « فيوجب » .

لئن كان ذلك من علمٍ أُلقِىَ إليه لقد أُثبِتَ له ، ولئن كان ذلك رأياً رآه ، وشيئاً تمنّاه ، لقد كان .

قال أبو مخنف : فحدّثنى الصقعب بن زهير ، عن ابن العِرْق ، قال : فحدّثت بهذا الحديث الحجّاج بن يوسف ، فضحك ثم قال لى : إنه كان يقول أيضًا :

ورافِعةٍ ذيلَها * وَداعِيَة وَيْلَها

* بِدِجْلةَ أَوْ حوْلَها *

فقلت له : أترى هذا شيئًا كان يخترعه ، وتخرُّصًا يتخرّصُه ، أم هو من علم كان أوتِيَه ؟ فقال : والله ما أدرى ما هذا الذى تسألنى عنه ، ولكن لله درُّهُ ! أىّ رجل ديناً ، ومِسْعَرَ حرب ، ومقارعَ أعداء كان !

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو سيف الأنصارىّ من بنى الخزرج ، عن عباس بن سهل بن سعد ، قال : قدم المختار علينا مكة ، فجاء إلى عبد الله ابن الزبير وأنا جالسٌ عنده ، فسلّم عليه ، فردّ عليه ابن الزبير ، ورحّب به ، وأوسع له ، ثم قال : حدّثنى عن حال الناس بالكوفة يا أبا إسحاق ؛ قال : هم لسلطانهم فى العلانية أولياء ، وفى السرّ أعداء ؛ فقال له ابن الزبير : هذه صفة عَبيد السوء ، إذا رأوا أربابَهم خدموهم وأطاعوهم ، فإذا غابوا عنهم شتَمُوهم ولعنوهم ؛ قال : فجلس معنا ساعةً ، ثم إنه مال إلى ابن الزبير كأنه يُسارّه ، فقال له : ما تنتظر ! ابسُطْ يدك أبايعْك ، وأعطِنا ما يُرضينا ، ٢/٥٢٦ وثب على الحجاز فإنّ أهل الحجاز كلهم معك . وقام المختار فخرج ، فلمْ يُرَ حولًا ؛ ثم إنّى بينا أنا جالسٌ مع ابن الزبير إذ قال لى ابن الزبير : متى عهدُك بالمختار بن أبى عُبيد ؟ فقلت له : ما لى به عهد منذ رأيتُه عندكَ عاماً أوّل ؛ فقال : أين تراه ذهب ! لو كان بمكة، لقد رُئِىَ بها بعدُ ، فقلت له : إنى انصرفت إلى المدينة بعد إذ رأيتُه عندكَ بشهر أو شهرين ، فلبثتُ بالمدينة أشهرًا ، ثمّ إنى قدمتُ عليك ، فسمعت نفرًا من أهل الطائف جاءوا معتمرين

يزعمون أنه قدم عليهم الطائف ، وهو يزعم أنه صاحب الغضب ، ومُبير[١] الجبّارين ، قال : قاتله الله[٢] ! لقد انبعث كذّابًا متكهنًا ، إنّ الله إنْ يُهلِك الجبّارين يكن المختار أحدهم[٣] . فوالله ما كان إلا ريث فراغنا من منطقنا حتى عنّ لنا فى جانب المسجد، فقال ابن الزبير : اذكرْ غائباً تَرَهُ ؛ أين تظُنُّه يهوِى؟ فقلت : أظنه يريد البيت ، فأتى البيت فاستقبل الحجر ، ثم طاف بالبيت أسبوعًا ، ثمّ صلى ركعتين عند الحِجْر ، ثمّ جلس ، فما لبث أن مرّ به رجال من معارفه من أهل الطائف وغيرهم من أهل الحجاز ، فجلسوا إليه ، واستبطأ ابن الزبير قيامَه إليه ، فقال : ما ترى شأنه لا يأتينا ! قلت : لا أدرى ، وسأعلم لك علمه ، فقال : ما شئتَ ، وكأن ذلك أعجبه .

قال : فقمتُ فمررتُ به كأنّى أريد الخروجَ من المسجد ، ثمّ التفتُّ إليه ، فأقبلت نحوَه ثمّ سلّمت عليه ، ثمّ جلست إليه ، وأخذت بيده ، فقلتُ له : أين كنت ؟ وأين بلغت بعدى ؟ أبِا لطائف كنت ؟ فقال لى : كنتُ بالطائف وغير الطائف ، وعَمَّس[٤] علىّ أمرَه ، فملتُ إليه ، فناجَيْته ، فقلت له : مِثلُك يغيب عن مِثلِ ما قد اجتمع عليه أهلُ الشرف وبيوتاتِ العرب من قريش والأنصار وثقيف ! لم يبق أهلُ بيت ولا قبيلة إلا وقد جاء زعيمُهم وعميدُهم فبايع هذا الرجل ، فعجبًا لك ولرأيك ألا تكون أتيتَه فبايعته ، وأخذتَ بحظِّك من هذا الأمر! فقال لى : وما رأيتَنى ؟ أتيتُه العامَ الماضى ، فأشرت عليه بالرأى ، فطوى أمرَه دونى[٥] ، وإنى لما رأيته استغنى عنِّى أحببت أن أُريَه أنِّى مستغن عنه ، إنه والله لهو أحوجُ إلىّ منى إليه ؛ فقلت له : إنك كلمتَه بالذى كلمته وهو ظاهر فى المسجد ، وهذا الكلام لا ينبغى أن يكون إلا والستور دونه مُرخاة والأبواب دونه مُغلَّقة ، القَه الليلةَ إن شئتَ وأنا معك ؛ فقال لى : فإنّى فاعل

٢/٥٢٧

---

(١) ابن الأثير : « ومسير » .

(٢) ابن الأثير : « قال ابن الزبير : ماله قاتله الله ! » .

(٣) ابن الأثير : « أولهم » .

(٤) عمس عليه الأمر : خلطه ولبسه ولم يبينه .

(٥) ابن الأثير : « فكتم عنى خبره » .

إذا صلَّينا[١] العتَمة أتيناه ، واتَّعدْنا الحِجْر .

قال : فنهضتُ من عنده ، فخرجت ثم رجعتُ إلى ابن الزبير ، فأخبرتُه بما كان من قولى وقوله ، فسرّ بذلك ، فلما صلينا العتَمة ، التقَيْنا بالحِجْر ، ثمّ خرجنا حتى أتينا منزلَ ابن الزبير ، فاستأذَنَّا عليه ، فأذن لنا ، فقلت : أخلِّيكما ؟ فقالا[٢] جميعًا : لاسِرَّ دونك ، فجلستُ ، فإذا ابن الزبير قد أخذ بيَده ، فصافَحه ورحّب به ، فسأله عن حاله وأهل بيته ، وسكَتَا جميعاً غيرَ طويل .

فقال له المختار وأنا أسمع بعد أن تبدّأ فى أوّل منطقه ، فحَمِد اللهَ وأثنى عليه ثمّ قال : إنه لا خيرَ فى الإكثار من المنطق ، ولا فى التقصير عن الحاجة ، ٢/٥٢٨ إنى قد جئتك لأبايعَك على ألّا تقضىَ الأمورَ دونى ، وعلى أن أكونَ فى أوّل مَنْ تأذَن له ، وإذا ظهرت استعنتَ بى على أفضل عملك . فقال له ابن الزبير : أبايعك على كتاب الله وسنّة نبيِّه صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : وشرّ غلمانى أنت مبايعه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ما لى فى هذا الأمر من الحظّ ما ليس لأقصى الخلق منك ؛ لا والله لا أبايعك أبداً إلا على هذه الخصال .

قال عبَّاس بن سهل : فالتقمتُ أذنَ ابن الزبير ، فقلت له : اشترِ منه دينَه حتى ترى من رأيك ؛ فقال له ابن الزبير : فإنّ لك ما سألتَه ، فبسط يدَه فبايعه ، ومكث معه حتى شاهد الحِصارَ الأوّل حين قدم الحصين بن نمير السَّكونىّ مكة ؛ فقاتل فى ذلك اليوم ، فكان من أحسن الناس يومئذ بلاءً ، وأعظمهم غَناءً . فلما قُتل المنذر بن الزبير والمسور بن مَخْرَمَة ومصعب بن عبد الرحمن ابن عوف الزهرىّ ، نادى المختار : يا أهل الإسلام ، إلىّ إلىّ ! أنا ابن أبى عُبيد ابن مسعود ، وأنا ابن الكرّار لا الفرّار ، أنا ابن المُقدِمين غير المحجمين[٣] ؛ إلىّ يا أهلَ الحِفاظ وحُماةَ الأوتار . فحمِىَ الناسُ يومئذ ، وأبلى وقاتل قتالًا حسَناً .

---

(١) ف : « صليت » .
(٢) ف : « قالا » .
(٣) ف : « لا المحجمين » .

ثم أقام مع ابن الزبير فى ذلك الحصار حتى كان يوم أحرق البيت، فإنه أحرق يوم السبت لثلاث مضين من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين ، فقاتل المختار يومئذ فى عصابة معه نحو من ثلثمائة أحسنَ قتال قاتله أحدٌ من الناس ، إنْ كان ليقاتل حتى يتبلّد ، ثم يجلس ويحيط به أصحابه ، فإذا استراح نهض فقاتل ، فما كان يتوجّه نحو طائفة من أهل الشأم إلاّ ضاربَهم حتى يكشفَهم .

٢/٥٢٩

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو يوسف محمد بن ثابت ، عن عبّاس بن سهل بن سعد ، قال : تولّى قتالَ أهل الشأم يوم تحريق الكعبة عبدُ الله بن مطيع وأنا والمختار ، قال : فما كان فينا يومئذ رجلٌ أحسن بلاءً من المختار .

قال : وقاتل قبل أن يطّلع أهلُ الشأم على موت يزيدَ بن معاوية بيوم قتالاً شديداً ، وذلك يوم الأحد لخمس عشرةَ ليلة مضتْ من ربيع الآخر سنة أربع وستين ، وكان أهلُ الشأم قد رَجوْا أن يظفروا بنا ، وأخذوا علينا سِكك مكّة .

قال : وخرج ابن الزبير ، فبايعَه رجالٌ كثير على الموت ؛ قال : فخرجتُ فى عصابة معى أقاتل فى جانب ، والمختار فى عصابة أخرى يقاتل فى جُمَيعةٍ من أهل اليمامة فى جانب ، وهم خوارج ، وإنما قاتلوا ليدفعوا عن البيت ، فهم فى جانب ، وعبد الله بن المطيع فى جانب .

قال : فشدّ أهل الشأم علىّ ، فحازونى فى أصحابى حتى اجتمعتُ أنا والمختار وأصحابه فى مكان واحد ، فلم أكن أصنع شيئًا إلا صنع مثله ، ولا يصنع شيئًا إلا تكلفتُ أن أصنع مثلَه ، فما رأيتُ أشدّ منه قطّ ؛ قال : فإنا لنقاتل إذ شدّت علينا رجال وخيل من خيل أهل الشأم ، فاضطرّونى وإياه فى نحو من سبعين رجلا من أهل الصبر إلى جانب دار من دُور أهل مكة ، فقاتلهم المختارُ يومئذ ، وأخذ يقول رجل لرجل :

* لا وألتْ نفسُ امرئٍ يفرُّ *

قال : فخرج المختار ، وخرجتُ معه ، فقلتُ : ليخرجْ منكم إلىّ رجل

فخرج إلىّ رجلٌ وإليه رجل آخر، فمشيت إلى صاحبي فأقتُله، ومشى المختار ٢/٥٣٠ إلى صاحبه فقتله، ثم صِحْنا بأصحابنا، وشدَدْنا عليهم، فوالله لضَربناهم حتى أخرجناهم من السِّكك كلها، ثمّ رجعنا إلى صاحبيْنا اللذَين قتلْنا. قال: فإذا الذى قتلتُ رجلٌ أحمرُ شديدُ الحمرة كأنه روميّ، وإذا الذى قتل المختار رجل أسودُ شديدُ السواد، فقال لى المختار: تعلمْ والله إنّى لأظنّ قتيلَينا هذَيْن عبدَين؛ ولو أنّ هذين قَتَلاَنا لفُجِع بنا عشائرنا ومَن يرجونا، وما هذان وكلبان من الكلاب عندى إلا سواء، ولا أخرج بعد يومى هذا لرجل أبدًا إلا لرجل أعرفه؛ فقلت له: وأنا والله لا أخرج إلا لرجل أعرِفه.

وأقام المختار مع ابن الزبير حتى هلك يزيدُ بنُ معاوية، وانقضى الحصار، ورجع أهلُ الشأم إلى الشأم، واصطَلَح أهل الكوفة على عامر بن مسعود، بعد ما هلك يزيد يصلى بهم حتى يجتمع الناس على إمام يرضَوْنه، فلم يلبث عامر إلا شهرًا حتى بعث ببَيعته وبَيعة أهل الكوفة إلى ابن الزبير، وأقام المختار مع ابن الزبير خمسةَ أشهر بعد مَهلِك يزيدَ وأيامًا.

قال أبو مخنف: فحدّثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، قال: والله إنى لمع عبد الله بن الزبير ومعه عبد الله ابن صَفْوان بن أميّة بن خلف، ونحن نطوف بالبيت، إذ نظر ابن الزبير فإذا هو بالمختار، فقال لابن صفوان: انظر إليه؛ فوالله لَهو أحذَرُ من ذئب قد أطافت به السباع؛ قال: فمضى ومضينا معه، فلما قضينا طوافَنا وصلّينا الركعتين بعد الطواف لحقنا المختار، فقال لابن صفوان: ما الذى ذكرنى به ابن الزبير؟ قال: فكتَمه، وقال: لم يَذكُرك إلا بخير؛ قال: بلى وربّ ٢/٥٣١ هذه البنيّة إن كنتُ لمن شأنكما، أما والله ليخطِنّ فى أثَرى أو لأقدَنّها عليه سَعْرًا. فأقام معه خمسةَ أشهر، فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحدٌ من الكوفة إلا سأله عن حال الناس وهيئتهم.

قال أبو مخنف: فحدّثنى عطية بن الحارث أبو رَوْق الهمدانىّ؛ أنّ هانئ ابن أبى حيَّة الوادعىّ قدم مكة يريد عُمرةَ رمضان، فسأله المختار عن حاله

وحال الناس بالكوفة وهيئتهم ؛ فأخبره عنهم بصلاح واتّساق على طاعة ابن الزبير ، إلا أن طائفة من الناس إليهم عدد أهل المصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض إلى يوم ما ؛ فقال له المختار : أنا أبو إسحاق أنا والله لهم ! أنا أجمعهم على مرّ الحقّ ، وأنفي[1] بهم ركبان الباطل ، وأقتُل بهم كلّ جبّار عنيد ؛ فقال له هانئ بن أبي حيّة : وَيْحك يابن أبي عبيد ! إن استطعتَ ألّا تُوضِع في الضلال ليكن صاحبهم غيرُك ، فإنّ صاحب الفتنة أقربُ شيء أجلا ، وأسوأ الناس عملا ؛ فقال له المختار : إني لا أدعو إلى الفتنة إنما أدعو إلى الهدى والجماعة ، ثم وثب فخرج وركب رَواحلَه ، فأقبل نحو الكوفة حتى إذا كان بالقَرْعاء لقيه سلمة بن مرثَد أخو بنت مرثد القابضيّ من هَمْدان — وكان من أشجع العرب ، وكان ناسكًا — فلما التقيا تصافحا وتساءلا ، فخبره المختار ؛ ثم قال لسلمة بن مرثد : حدّثني عن الناس بالكوفة ؛ قال : هم كغنمٍ ضلّ راعيها ؛ فقال المختار بن أبي عبيد : أنا الذي أحسِن رِعايتها ، وأبلُغ نهايتَها ؛ فقال له سلمة : اتق اللهَ واعلم أنك ميت ومبعوث ، ومحاسب ومجزيٌّ بعَملك إنْ خيراً فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرّ ، ثمّ افترقا . وأقبل المختار حتى انتهى إلى بحر الحِيرة يومَ الجمعة ، فنزل فاغتسل فيه ، وادّهن دُهنًا يسيراً ، ولبس ثيابه واعتمّ ، وتقلّد سيفه ، ثمّ ركب راحلتَه فمرّ بمسجد السَّكون وجبّانة كِنْدة ؛ لا يمرّ بمجلس إلا سلَّم على أهله ، وقال : أبشروا بالنّصر والفلج ، أتاكم ما تحبّون ، وأقبل حتى مرّ بمسجد بني ذُهل وبني حُجْر ، فلم يجد ثَمّ أحداً ، ووجد الناس قد راحوا إلى الجمعة ، فأقبل حتى مرّ ببني بدّاء ، فوجد عبيدةَ بنَ عمرو البَدّيّ من كِنْدة ، فسلم عليه ، ثم قال : أبشر بالنصر واليُسر والفلج ، إنك أبا عمرو على رأى حَسَن ، لن يَدَعَ اللهُ لك معه مأثمًا إلا غفره ، ولا ذنبا إلا ستَره — قال : وكان عبيدة من أشجع الناس وأشعرِهم ، وأشدّهم حبًّا لِعليٍّ رضي الله عنه ، وكان لا يصبر عن الشراب — فلما قال له المختار هذا القول قال له عبيدة : بشّرك الله بخير

٥٣٢/٢

(١) ابن الأثير : « وأنفي ».

إنك قد بشّرتنا ، فهل أنت مفسرٌ لنا ؟ قال : نعم ، فالقَنِى فى الرّحل الليلةَ ثمّ مضى .

قال أبو مخنف : فحدّثنى فُضَيل بن خَدِيج ، عن عبيدة بن عمرو قال : قال لى المختار هذه المقالة ، ثم قال لى : القنى فى الرّحل ، وبلِّغ أهلَ مسجدِكم هذا عنِّى أنهم قومٌ أخذ الله ميثاقَهم على طاعته ، يقتلون المُحِلِّين ، ويطلبون بدماء أولاد النبيّين ، ويهديهم للنور المبين ، ثم مضى فقال لى : كيف الطريق إلى بنى هند ؟ فقلت له : أنظرنى أدلّك ، فدعوتُ بفَرَسى وقد أسرِج لى فركبتُه ؛ قال : ومضيت معه إلى بنى هند ، فقال : دُلّنى على منزل إسماعيل بن كَثِير . قال : فمضيتُ به إلى منزله ، فاستخرجته ، فحيّاه ورحّب به ، وصافحه وبشّره ، وقال له : القَنِى أنتَ وأخوك الليلة وأبو عمرو فإنى قد أتيتكم بكل ما تحبّون ؛ قال : ثمّ مضى ومضينا معه حتى مرّ بمسجد جُهَيْنة الباطنة ، ثم مضى إلى باب الفيل ، فأناخ راحلتَه ، ثم دخل المسجد واستَشرف له الناس ، وقالوا : هذا المختار قد قَدِم ، فقام المختار إلى جنب سارية من سوارى المسجد ، فصلّى عندها حتى أقيمت الصلاة ، فصلّى مع الناس ثمّ ركد إلى سارية أخرى فصلّى ما بين الجمعة والعصر ، فلما صلى العصر مع الناس انصرف .

٥٣٣/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى المجالد بن سعيد ، عن عامر الشعبىّ ، أنّ المختار مرّ على حلْقة همدانَ وعليه ثياب السَّفَر ، فقال : أبشِروا ، فإنى قد قدمت عليكم بما يسرّكم ، ومضى حتى نزل داره ، وهى الدار التى تُدعَى دارَ سلْم ابن المسيّب ، وكانت الشّيعة تختلف إليها وإليه فيها .

قال أبو مخنف : فحدّثنى فُضَيل بن خَدِيج ، عن عبيد بن عمرو ، وإسماعيل بن كثير من بنى هند ، قالا : أتيناه من الليل كما وعَدَنا ، فلما دخلنا عليه وجلسنا ساءلَنا عن أمر الناس وعن حال الشيعة ، فقلنا له : إنّ الشيعة قد اجتمعت لسليمان بن صُرَد الخُزاعىّ ، وإنه لن يلبثَ إلا يسيراً حتى يخرج ؛ قال : فحمِد الله وأثنَى عليه وصلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم قال :

٥٣٤/٢

أما بعد ، فإنّ المهدىّ ابن الوصىّ ، محمّد بن علىّ ، بعثنى إليكم أمينًا ووزيراً ومنتخبًا وأميراً ، وأمرنى بقتال الملحِدين ، والطلب بدماء أهلِ بيته والدفع عن الضّعفاء .

قال أبو مخنف : قال فضيل بن خَديج : فحدّثنى عبيدة بن عمرو وإسماعيل بن كثير ، أنهما كانا أوّل خلق الله إجابةً وضرباً على يده ، وبايعاه. قال : وأقبل المختار يبعث إلى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمانَ بن صُرد ، فيقول لهم : إنى قد جئتكم من قِبل ولىّ الأمر ، ومَعدن الفَضل ، ووصىّ الوصىّ والإمام المهدىّ ، بأمر فيه الشفاء ، وكشفُ الغطاء ، وقتل الأعداء ، وتمام النَّعماء ؛ إنّ سليمان بن صُردَ يرحمنا الله وإيّاه إنما هو عَشَمة من العَشم[١] وحِفشٌ بالٍ ، ليس بذى تجربة للأمور ، ولا له علمٌ بالحروب ؛ إنما يريد أن يُخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم . إنى إنما أعمل على مثال قد مُثِّل لى ، وأمرٍ قد بُيِّن لى ، فيه عزّ وليّكم ، وقتل عدوّكم ، وشفاء صدوركم ، فاسمعوا منى قولى ، وأطيعوا أمرى ، ثمّ أبشِروا وتباشَروا ؛ فإنّى لكم بكل ما تأملون خيرُ زعيم . قال : فوالله ما زال بهذا القول ونحوه حتى استمال طائفةً من الشيعة ، وكانوا يختلفون إليه ويعظّمونه ، وينظرون أمرَه ، وعُظمُ[٢] الشيعة يومئذ ورؤساؤهم مع سليمان بن صُرد ، وهو شيخ الشيعة وأسنّهم ، فليس يَعدِلون به أحدًا ؛ إلاّ أنّ المختار قد استمال منهم طائفةً ليسوا بالكثير ، فسليمان بن صُرَد أثقل خلق الله على المختار ، وقد اجتمع لابن صُرَد يومئذ أمرُه ، وهو يريد الخروج والمختار لا يريد أن يتحرّك ، ولا أن يهيّج أمراً حتّى[٣] ينظر إلى ما يصير إليه أمرُ سليمان ، رجاءَ أن يستجمع له أمرُ الشيعة ، فيكون أقوَى له على دركِ ما يطلب[٤] ، فلما خرج سليمان بن صرَد ومضى نحو الجَزيرة قال عمر بن سعد بن أبى وقّاص وشَبَث بن رِبْعِىّ ويزيد[٥] بن الحارث بن رُوَيْم لعبد الله ابن يزيد الخطمىّ وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله : إنّ المختار أشدّ

٢/٥٣٥

(١) رجل عشمة : يابس من الهزال .
(٢) ابن الأثير : « وعظماء » .
(٣) كذا فى س ، وفى ط : « رجاء أن » .
(٤) ف : « ما يريد » .
(٥) ابن الأثير : « وزيد » .

عليكم من سليمان بن صُرَد، إن سليمان إنما خرج يقاتل عدوّكم ، ويذللهم لكم ، وقد خرج عن بلادكم ؛ وإنّ المختار إنما يريد أن يثبَ عليكم فى مصركم، فسيروا إليه فأوثِقوه فى الحديد ، وخلِّدوه[١] فى السجن حتى يستقيمَ أمرُ الناس، فخرجوا إليه فى الناس ، فما شعر بشىء حتى أحاطوا به وبداره فاستخرجوه ، فلما رأى جماعتهم قال : ما بالُكم ! فوالله بَعدَ ما ظفِرتْ أكفّكم ! قال : فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله لعبدالله بن يزيد: شُدّه كتافاً، ومشّه حافياً ؛ فقال له عبد الله بن يزيد: سبحان الله ! ما كنت لأمشّيه ولا لأحفيه[٢] ٢/٥٣٦ ولا كنت لِأفعلَ هذا برجل لم يُظهر لنا عداوةً ولا حرباً ، وإنما أخذناه على الظنّ . فقال له إبراهيم بن محمد : ليس بعُشِّكِ فادْرُجى[٣]، ما أنت وما يبلغنا عنك يابن أبى عبيد ! فقال له : ما الذى بلغك عنى إلا باطلٌ ، وأعوذ بالله من غشٍّ كغِشّ أبيك وجدّك !

قال : قال فُضَيل : فوالله إنى لأنظرُ إليه حين أخرج وأسمع هذا القول حين قال له ، غير أنّى لا أدرى أسمعه منه إبراهيم أم لم يسمعه ؛ فسكت حين تكلم به ؛ قال : وأتى المختار ببغلة دهماءَ يركبها ، فقال إبراهيم لعبد الله بن يزيد : ألا تشدّ عليه القيود ؟ فقال : كفى له بالسجن قيداً .

قال أبو مخنف : وأما يحيى بن أبى عيسى فحدّثنى أنه قال : دخلت إليه مع حميد بن مسلم الأزدىّ نزوره ونتعاهده، فرأيته مقيّداً ؛ قال : فسمعتُه يقول : أما وربّ البحار ، والنخيل والأشجار ، والمَهامِه والقفار ، والملائكة الأبرار ، والمصطفَين الأخيار، لأقتلنّ كلّ جبّار، بكلّ لَدْن خطّار ، ومهنّد بتّار، فى جُموع[٤] من الأنصار، ليسوا بمِيل[٥] أغمار[٦] ، ولا بعُزْل أشرار ، حتى إذا أقمتُ عمودَ الدين، ورأبْتُ شَعْب صَدْع المسلمين ، وشفيتُ

---

(١) ف : « وخلفوه » ، ابن الأثير : « واسجنوه » .
(٢) ف : « أمشيه حافياً » .
(٣) ابن الأثير : « هذا يغشك فأدرنى » .
(٤) ف : « وجموع » ، ابن الاثير : « بجموع » .
(٥) ميل : جمع أميل ؛ وهو الذى لارمح معه .
(٦) الأغمار : جمع غمر ، بضم فسكون ؛ وهو الذى لا تجربة له بالأمور .

غليلَ صدور المؤمنين ، وأدركتُ بثأْر النبيِّين ، ولم يكبُر علىّ زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى .

٢/٥٣٧ قال : فكان إذا أتيناه وهو فى السجن ردّد علينا هذا القول حتّى خرج منه ؛ قال : وكان يتشجّع لأصحابه بعدَ ما خرج ابن صُرَد .

* * *

[ذكر الخبر عن هدم ابن الزبير الكعبة]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبةَ ، وكانت قد مال حيطانُها مما رُميَت به من حجارة المجانيق ، فذكر محمد بن عمر الواقدىّ أنّ إبراهيم بن موسى حدّثه عن عكرمة بن خالد، قال: هدم ابن الزبير البيتَ حتّى سوّاه بالأرض ، وحفر أساسه، وأدخل الحِجْر فيه ، وكان الناس يطوفون من وراء الأساس ، ويصلّون إلى موضعه ، وجعل الرّكن الأسوَد عنده فى تابوت فى سَرَقة[1] من حرير ، وجعل ما كان من حُلِىّ البيت وما وجد فيه من ثياب أو طيب عند الحَجَبة فى خِزانة البيت ، حتّى أعادها لمّا أعاد بناءَه .

قال محمد بن عمر : وحدّثنى معقل بن عبد الله ، عن عطاء، قال : رأيت ابنَ الزّبير هدم البيت كله حتّى وضعه بالأرض .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير .

وكان عامله على المدينة[2] فيها أخوه عبيدة بن الزبير ،وعلى الكوفة عبد الله ابن يزيد الخطمىّ،وعلى قضائها سعيد[3] بن نِمْران .

وأبَى شُرَيح أن يقضى فيها، وقال فيماذكِر عنه : أنا لا أقضى فى الفتنة .

وعلى البصرة عمر بن عبيدالله بن مَعمَر التيمى،وعلى قضائها هشامُ بن هُبيرة، وعلى خُراسان عبد الله ابن خازم .

---

(١) السرق : شقائق الحرير ، واحده سرقة . (٢) ط : « مدينة » .

(٣) ط : « سعد » وانظر الفهرس .

ثم دخلت سنة خمس وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما كان من أمر التوّابين وشخوصِهم للطلب بدم الحسين بن علىّ إلى عبيد الله بن زياد .

قال هشام : قال أبو مخنف : حدّثنى أبو يوسف ، عن عبد الله بن عوف الأحمرىّ ، قال : بعث سليمان بن صُرَد إلى وجوه أصحابه حين أراد الشخوص وذلك فى سنة خمس وستين ، فأتوه ، فلما استهلّ الهلال هلالُ شهر ربيع الآخر ، خرج فى وجوه أصحابه ، وقد كان واعَدَ أصحابه عامّة للخروج فى تلك الليلة للمعسكر بالنُّخَيلَة فخرج حتى أتى عسكرَه ، فدار فى الناس ووجوه أصحابِه ، فلم يعجبه عدّة الناس ، فبعث حكيم بن مُنقِذ الكندىّ فى خيل ، وبعث الوليد بن غُصَيْن الكنانىّ فى خيل ، وقال : اذهبا حتى تدخلا الكوفة فنادِيا : يا لثاراتِ الحسين ! وابلُغا المسجد الأعظم فنادِيا بذلك ، فخرجا ، وكانا أوّل خلق الله دَعَوا : يا لثأراتِ الحسين ! قال : فأقبل[1] حكيم بن منقذ الكندىّ فى خيل[2] والوليد بن غُصَين فى خيل ، حتى مرّا ببنى كثير ، وإنّ رجلاً من بنى كثير من الأزْد يقال له عبد الله بن خازم مع امرأته سَهْلة بنت سبرة بن عمرو من بنى كثير ، وكانتْ من أجمل الناس وأحبِّهم إليه ، سمع الصوت : يالثارات الحسين ! وما هو ممن كان يأتيهم ، ولا استجابَ لهم . فوثب إلى ثيابه فلبِسها ، ودعا بسلاحه ، وأمر بإسراج فرَسه ، فقالت له امرأته : ويحك ! أجُنِنت ! قال : لا والله ، ولكنّى سمعتُ داعىَ الله ، فأنا مُجيبه ، أنا طالبٌ بدم هذا الرجل حتّى[3] أموت ، أو يقضىَ الله من أمرى ما هو أحبّ إليه ، فقالت له : إلى مَن تدعُ بُنَيَّك هذا ؟ قال : إلى الله وحدَه لا شريك له ؛ اللهمّ إنى أستودِعُك أهلى ووَلَدى ،

(١) ف : «أقبل».

(٢) ف : « الخيل » .

(٣) ف : « أو » .

اللهمّ احفظنى فيهم ؛ وكان ابنه ذلك يُدعى عَزْرة ، فبقى حتى قتل بعدُ مع مصعب بن الزبير ؛ وخرج حتّى لحق بهم ، فقعدت[١] امرأته تبكّيه واجتمع إليها نساؤها ، ومضى مع القوم ، وطافت تلك الليلة الخيل بالكوفة ، حتى جاءوا المسجدَ بعد العتَمة ، وفيه ناس كثير يصلّون ، فنادوا : يالثارات الحسين ! وفيهم أبو عزّة القابضى[٢] وكرب بن نمْران يصلّى ، فقال : يالثارات الحسين ! أين جماعة القوم ؟ قيل : بالنُّخَيلة ، فخرج حتى أتى أهله ، فأخذ سلاحه ، ودعا بفرسه ليركبه ، فجاءته ابنته الرُّواع — وكانت تحت ثُبَيت بن مرثد القابضىّ . فقالت : يا أبتِ ، مالى أراك قد تقلدت سيفَك ، ولبستَ سلاحك ! فقال لها : يا بنيّة ، إن أباك يفرّ من ذنبه إلى ربّه ، فأخذتْ تَنتحب وتبكى ، وجاءه أصهارُه وبنو عمه ، فودّعهم ؛ ثم خرج[٣] فلحق بالقوم ؛ قال : فلم يصبح سليمان بن صرَد حتى أتاه نحوٌ ممّن[٤] كان فى عسكره حين دخله ؛ قال : ثمّ دعا بديوانه لينظر فيه إلى عدّة من بايعه[٥] حين أصبح ، فوجدهم ستة عشر ألفًا ، فقال : سبحان الله ! ما وافانا إلا أربعة آلاف من ستة عشر ألفًا . ٢/٥٤٠

قال أبو مخنف : عن عطية بن الحارث ، عن حميد بن مسلم ، قال : قلت لسليمان بن صُرَد : إنّ المختار والله يثبّط الناسَ عنك ، إنّى كنت عنده أوّل ثلاث ، فسمعتُ نفراً من أصحابه يقولون : قد كمُلنا ألفَى[٦] رجل ؛ فقال : وهَبْ أنّ ذلك كان ؛ فأقام عنّا عشرة آلاف ، أمَا هؤلاء بمؤمنين ! أمَا يخافون الله ! أمَا يذكرون الله ، وما أعطَوْنا من أنفسهم من العهود والمواثيق ليُجاهدُنّ ولينصرُنّ ! فأقام بالنُّخَيْلة ثلاثًا يبعث ثِقاتِه من أصحابه إلى مَنْ تخلّف عنه يذكّرهم اللهَ وما أعطَوْه من أنفسهم ، فخرج إليه نحوٌ من ألف رجل ، فقام المسيّب بن نجبَة إلى سليمان بن صُرَد ، فقال : رحمك

(١) ف : « وقعدت » .
(٢) ف : « القاضى » .
(٣) ف « وخرج » .
(٤) ابن الأثير : « مما » .
(٥) ابن الأثير : « تابعه » .
(٦) ف : « ألفين » .

الله ، إنه لا ينفعك الكارهُ ، ولا يقاتل معك إلا مَن أخرجَتْهُ النيّة ، فلا ننتظرنّ[1] أحداً، واكْمُشْ[2] فى أمرك . قال : فإنك والله لنِعمَّا رأيت ! فقام سليمان بن صُرَد فى الناس متوكِّئاً على قوس له عربيّة . فقال : أيها الناس ، مَنْ كان إنما أخرجتْه إرادةُ وجهِ الله وثوابِ الآخرة فذلك منّا ونحن منه ، فرحمة الله عليه حيًّا وميتاً ، ومَنْ كان إنما يريد الدنيا وحرثَها فوالله ما نأتى فيئًا نستفيئه ، ولا غنيمةً نغنَمُها ، ما خلا رضوان الله ربّ العالمين ، وما معنا من ذهب ولا فضّة ، ولا خزّ ولا حرير[3] ، وما هى إلا سيوفنا فى عواتقنا ، ورماحنا فى أكفّنا ، وزادٌ قدر البُلْغة إلى لقاء عدوّنا ، فمن كان غيرَ هذا ينوى فلا يصحبْنا .

فقام صُخَير بن حذيفة بن هلال بن مالك المُزَنىّ ، فقال : آتاك الله رشدَك ، ولقّاك حُجَّتك ؛ والله الذى لا إله غيره ما لنا خيرٌ فى صحبة مَن الدنيا همَّتُهُ[4] ونيَّته . أيّها الناس ، إنما أخرجتْنا التوبةُ من ذنبنا ، والطلَب بدم من نبيِّنا ، صلى الله عليه وسلم ليس معنا دينارٌ ولا درهم ، إنما نقدَمُ على حدّ السيوف وأطراف الرّماح ؛ فتنادَى الناسُ من كلّ جانب : إنَّا لا نطلب الدنيا ، وليس لها خرجْنا . ٢/٥٤١

قال أبو مخنف : عن إسماعيل بن يزيد الأزدىّ ، عن السّرىّ بن كعب الأزدىّ ، قال : أتينا صاحبَنا عبد الله بن سعد بن نفيل نودّعه ، قال : فقام فقمنا معه ، فدخل على سليمان ودخلنا معه ، وقد أجمع سليمان بالمسير ، فأشار عليه عبد الله بن سعد بن نُفَيل أن يسيرَ إلى عبيد الله بن زياد ، فقال هو ورءوس أصحابه : الرّأى ما أشار به عبد الله بن سعد بن نُفَيل أن نسير إلى عبيد الله بن زياد قاتِل صاحبِنا ، ومِن قِبَلِه أُتِينا ، فقال له عبد الله بن سعد وعنده رءوس أصحابه جلوس حوله : إنّى قد رأيت رأيًا إن يكُن صوابًا فالله

(١) ابن الأثير : « فلا تنتظر » .
(٢) كمش الرجل فى أمره : مضى وأسرع وفى ابن الأثير : « جد » .
(٣) ابن الأثير : « ولا متاع » . (٤) ابن الأثير : « همه » .

وفَّق ، وإن يكن ليس بصواب[1] فمِن قِبَلى ، فإنى ما آلوكم ونفسى نصحًا ؛ خطأ كان أم صوابًا ، إنما خرجنا نطلب بدم الحسين ، وقَتَلَة الحسين كلهم بالكوفة ، منهم عمر بن سعد بن أبى وقّاص ، ورءوس الأرباع وأشراف القبائل ، فأنّى نذهب هاهنا وندع الأقتال والأوتار! فقال سليمان بن صُرَد : فماذا ترون ؟ فقالوا : والله لقد جاء برأى ، وإنّ ماذكر لكما ذكر ، والله ما نلقى من قَتَلَةِ الحسين إن نحن مضينا نحو الشام غيرَ ابن زياد[2] ، وما طِلبَتُنا إلا هاهنا بالمِصْر ؛ فقال سليمان بن صُرَد: لكن أنا ما أرى ذلك لكم ، إنّ الذى قتل صاحبكم ، وعبّأ الجنودَ إليه ، وقال: لاأمانَ له عندى دون أن يستسلم فأمضِىَ فيه حُكمى هذا الفاسق ابن الفاسق ابن مَرْجانة ، عبيد الله بن زياد ؛ فسيروا إلى عدوّكم على اسم الله[3] ؛ فإن يُظهركم الله عليه رجَوْنا أن يكون مَن بعده أهونَ شوكةً منه ، ورجونا أن يدين لكم مَن وراءكم من أهل مِصْركم فى عافية ، فتنظرون[4] إلى كل مَن شرك فى دم الحسين فتقاتلونه ولا تغشموا[5] ، وإن[6] تُستشهَدوا فإنما قاتلتم المحلِّين ، وما عندَ الله خيرٌ لِلأبْرارِ والصدّيقين ؛ إنى لأحبّ أن تجعلوا حدّكم[7] وشوكتكم بأوّل المحلِّين القاسطين . والله لو قاتلتم غداً أهلَ مصركم ما عدم رجلٌ أن يرى رجلًا قد قتل أخاه وأباه وحميمَه ، أو رجلًا لم يكن يريد قتله ؛ فاستخيروا الله وسيروا . فتهيّأ الناس للشخوص . قال : وبلغ عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة خروجُ ابن صُرَد وأصحابه ، فنظرا فى أمرهما ، فرأيا أن يأتياهم فيَعرِضا عليهم الإقامة ، وأن تكون أيديهم واحدةً ، فإن أبوْا إلا الشخوص سألوهم النَّظِرةَ حتى يعبّوا معهم جيشًا فيقاتلوا عدوّهم بكثفٍ وحدٍّ ؛ فبعث عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة سويدَ بن عبد الرحمن إلى سليمان ابن صُرَد ، فقال له : إنّ عبد الله وإبراهيم يقولان : إنّا نريد أن نجيئك

٥٤٢/٢ ، ٥٤٣/٢

(١) ابن الأثير : « صوابًا » .
(٢) ف : « إلا ابن زياد » .
(٣) ابن الأثير : « بركة الله » .
(٤) ابن الأثير : « فينظرون » .
(٥) ابن الأثير : « ولا يفشوا » .
(٦) ابن الأثير : « فإن » .
(٧) ابن الأثير : « جدكم » .

الآن لأمر عسى الله أن يَجعل لنا ولك فيه صلاحـًا ؛ فقال : قل لهما فليأتيانا ، وقال سليمان لرِفَاعة بن شدّاد البَجَليّ : قمْ أنت فأحسِن تَعبئةَ الناس ؛ فإنّ هذين الرجلين قد بعثا بكَتيبَةٍ وكَتيبَةٍ ، فدعا رءوس أصحابه فجلسوا حولَه فلم يمكثوا إلا ساعةً حتى جاء عبد الله بن يزيدَ فى أشراف أهل الكوفة والشُّرَط وكثير من المقاتِلة ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة فى جماعة من أصحابه ، فقال عبد الله بن يزيد لكلّ رجل معروف قد علم أنه قد شَرِك فى دم الحسين : لا تصحبنِّى إليهم مخافة أن ينظروا إليه فيَعدُوا عليه ؛ وكان عمر بن سعد تلك الأيام التى كان سليمان معسكِراً فيها بالنُّخيلة لا يبيت إلا فى قصر الإمارة مع عبد الله بن يزيد مخافة أن يأتيَه القوم فى داره ، ويذمُروا عليه فى بيته وهو غافل لا يعلم فيقتَل . وقال عبد الله بن يزيد : ياعمرو بن حريث ، إن أنا أبطأتُ عنك فصلِّ بالناس الظهر .

فلما انتهى عبد الله بن يزيدَ وإبراهيم بن محمد إلى سليمان بن صُرَد دخلا عليه ، فحَمِد الله عبد الله بن يزيد وأثنَى عليه ثمّ قال : إن المسلم أخو المسلم لا يخونه ، ولا يغشّهُ ، وأنتم إخوانُنا ، وأهلُ بلدنا ، وأحبّ أهلِ مصرٍ خلقَهُ الله إلينا ، فلا تفجعونا بأنفسكم ، ولا تستَبِدّوا علينا برأيكم ، ولا تنقصوا عدَدنا بخروجكم من جماعتنا ؛ أقيموا معنا حتى نتيسّر ونتهيأ ، فإذا علمنا أن عدونا قد شارف بلدنا خرجْنا إليهم بجماعتنا فقاتَلْناهم . وتكلم إبراهيم بن محمد بنحو من هذا الكلام . قال : فحمِد الله سليمانُ بن صُرَد وأثنى عليه ثم قال لهما : إنّى قد علمت أنكما قد مَحضْتما فى النصيحة ، واجتهدتما فى المشورة ، فنحن بالله وله ، وقد خرجنا لأمر ، ونحن نسأل الله العزيمة على الرشد والتسديد لأصوَبِه ، ولا نرانا إلا شاخصين [1] إن شاء الله ذلك . فقال عبد الله بن يزيد : فأقيموا حتى نُعبِّئَ معكم جيشـًا كثيفـًا ، فتلقوا عدوكم بكثف وجمع وحدٍّ . فقال سليمان : تنصرفون ، ونرى فيما بيننا ، وسيأتيكم إن شاء الله رأىٌ .

٢ / ٥٤٤

---

(١) ابن الأثير : « سائرين » .

قال أبو مخنف: عن عبد الجبّار — يعني ابن عباس الهمدانيّ — عن عَوْن ابن أبي جُحَيفة السُّوائيّ، قال: ثمّ إنّ عبد الله بن يزيدَ وإبراهيم بن محمد ابن طلحة عرَضا على سليمان أن يقيم معهما حتّى يلقوا جموعَ أهل الشأم على أن يخصّاه وأصحابه بخراج جُوخَى خاصّة لهم دون الناس، فقال لهما سليمان: إنّا ليس للدّنيا خرجنا؛ وإنما فعلا ذلك لما قد كان بلغهما من إقبال عُبيد الله بن زياد نحوَ العراق. وانصرف إبراهيم بن محمد وعبد الله بن يزيدَ إلى الكوفة، وأجمع القوم على الشخوص واستقبال ابن زياد، ونظروا فإذا شيعتُهم من أهل البَصرة لم يوافوهم لميعادهم ولا أهل المدائن، فأقبل ناس من أصحابه يلزمونهم، فقال سليمان: لا تلزموهم فإنى لا أراهم إلا سيُسرعون ٥٤٥/٢ إليكم، لو قد انتهى إليهم خبركم وحينُ مسيركم، ولا أراهم خلّفهم ولا أقعدَهم إلا قلّةُ النفقة وسوءُ العُدّة، فأقيموا ليتيسّروا ويتجهّزوا ويلحقوا بكم وبهم قوّة، وما أسرعَ القومَ فى آثاركم. قال: ثمّ إنّ سليمان بن صُرَد قام فى الناس خطيبًا، فحمد اللهَ وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد أيّها الناس، فإنّ الله قد علم ما تنوُون، وما خرجتم تَطلُبون، وإن للدّنيا تجّاراً، وللآخرة تجّاراً، فأما تاجر الآخرة فساع إليها، متنصّب بتَطْلابها، لا يشترى بها ثمنًا، لا يُرى إلا قائمًا وقاعداً، وراكعًا وساجداً، لا يطلب ذهبًا ولا فضّة، ولا دنيا ولا لذّة، وأمّا تاجر الدّنيا فمُكِبٌّ عليها، راتع فيها، لا يبتغى بها بدلًا؛ فعليكم يرحمكم الله فى وجهكم هذا بطول الصلاة فى جوف الليل، وبذكر الله كثيراً على كلّ حال، وتقرّبوا إلى الله جلّ ذكره بكل خير قدرتم عليه، حتى تلقَوا هذا العدوّ والمُحلّ القاسط فتجاهدوه، فإنّ تتوسّلوا إلى ربّكم بشيء هو أعظم عنده ثوابًا من الجهاد والصلاة؛ فإنّ الجهاد سَنامُ العمل. جعلنا الله وإيّاكم من العباد الصالحين، المجاهدين الصابرين على اللّأواء! وإنا مُدْلجون الليلة من منزلنا هذا إن شاء الله فادّلجوا.

فادّلج عشيّة الجمعة لخمس مضَيْن من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين للهجرة.

قال : فلما خرج سليمان وأصحابُه من النُّخَيْلة دعا سليمان بن صُرَد حكيم ابن منقذ فنادى فى الناس : ألا لا يبيتَنّ رجل منكم دون دَيْر الأعوَر [١] . فبات الناس بدير الأعور ، وتخلّف عنه ناسٌ كثير ، ثمّ سار حتى نزل الأقساس ؛ أقساس مالك على شاطئ الفرات ، فعرض الناس ، فسقط منهم نحوٌ من ألف رجل ، فقال ابن صُرد : ما أحبّ أن مَن تخلّف عنكم معكم ، ولو خرجوا معكم [٢] ما زادوكم إلا خبالا ؛ إنّ الله عزّ وجلّ كره انبعاثهم فثبّطهم ، وخصّكم بفضل ذلك ، فاحمدوا ربّكم . ثم خرج من منزله ذلك دُلْجَةً ، فصبّحوا قبرَ الحسين ، فأقاموا به ليلةً ويوماً يصلّون عليه ، ويستغفرون له ؛ قال : فلما انتهى الناسُ إلى قبر الحسين صاحوا صيحةً واحدة ، وبكَوا ؛ فما رُئى يومٌ كان أكثرَ باكياً منه . ٢/٥٤٦

قال أبو مخنف : وقد حدّث عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الرحمن ابن غزّية ، قال : لما انتهينا إلى قبر الحسين عليه السلام بكَى الناس بأجمعهم ، وسمعتُ جُلّ الناس يتمنّون أنهم كانوا أصيبوا معه ؛ فقال سليمان : اللهمّ ارحم حسيناً الشهيدَ ابنَ الشهيد ، المهدىّ ابنَ المهدىّ ، الصدّيقَ ابن الصدّيق ، اللهمّ إنا نُشهدك أنا على دينهم وسبيلهم ، وأعداء قاتليهم [٣] ، وأولياء محبّيهم . ثمّ انصرف ونزل ، ونزل أصحابُه .

قال أبو مخنف : حدّثنا الأعمش ، قال : حدّثنا سلمة بن كُهَيْل ، عن أبى صادق ، قال : لما انتهى سليمان بن صُرَد وأصحابه إلى قبر الحسين نادَوْا صيحةً واحدةً : يا ربّ إنا قد خذَلْنا ابنَ بنت نبيّنا ، فاغفر لنا ما مضى منّا ، وتب علينا إنك أنت التوّاب الرّحيم ، وارْحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصدّيقين ، وإنا نُشهدك يا ربّ أنا على مثل ما قُتلوا عليه ، فإن لم تَغفر لنا وترحمْنا لنكوننّ من الخاسرين ؛ قال : فأقاموا عنده يوماً وليلة يصلّون عليه ويبكون ويتضرّعون ؛ فما انفكّ الناسُ من يومهم ذلك يترحّمون عليه وعلى ٢/٥٤٧

---

(١) ابن الأثير : « دار الأهواز » .
(٢) ابن الأثير : « فيكم » . (٣) ابن الأثير : « قاتلهم » .

أصحابه ، حتى صلّوا الغداةَ من الغَدِ عند قبره ، وزادهم ذلك حَنَقا . ثمّ ركبوا ، فأمر سليمانُ الناسَ بالمسير ، فجعل الرجل لا يمضى حتى يأتىَ قبر الحسين فيقوم عليه ، فيترحّم عليه ، ويستغفر له ، قال : فوالله لـرَأيتهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجَر الأسوَد .

قال : ووقف سليمان عند قبره ، فكلّما دعا له قوم وترحّموا عليه قال لهم المسيّب بن نَجَبَة وسليمان بن صُرَد : الحقوا بإخوانكم رحمكم الله! فما زال كذلك حتى بقىَ نحو من ثلاثين من أصحابه ، فأحاط سليمانُ بالقبر هو وأصحابُه ، فقال سليمان : الحمد لله الذى لو شاء أكرمَنَا بالشّهادة مع الحسين ، اللهمّ إذ حرمتَناها معه فلا تحرِمْناها فيه بعدَه .

وقال عبد الله بن وال : أما والله إنى لأظنّ حسينًا وأباه وأخاه أفضلَ أمة محمد صلى الله عليه وسلم وسيلةً عند الله يوم القيامة ، أفما عجبتم لما ابتليتْ به هذه الأمة منهم! إنهم قتلوا اثنين ، وأشفَوْا بالثالث على القتل ؛ قال : يقول المسيب بن نَجَبَة : فأنا من قَتَلَتِهم ومَن كان على رأيهم برىءٌ ، إيّاهم أعادى وأقاتل . قال : فأحسن الرءوس كلُّهم المنطق ، وكان المثنّى بن مخرّبة صاحب أحد الرءوس والأشراف ، فساءنى حيث لم أسمعه تكلَّم مع القوم بنحو ما تكلموا به ؛ قال : فوالله ما لبث أن تكلّم بكلمات ما كنّ بدون كلام أحد من القوم ، فقال : إنّ الله جعل هؤلاء الذين ذكرتم بمكانهم من نبيّهم صلى الله عليه وسلم أفضل ممن هو دون نبيِّهم ، وقد قتلهم قوم نحن لهم أعداء ، ومنهم براء ، وقد خرجْنا من الديار والأهلين والأموال إرادةَ استئصال مَن قتلهم ؛ فوالله لو أنّ القتال ٢/٥٤٨ فيهم بمَغرِب الشمس أو بمنقَطع التراب يَحقّ علينا طلبُه حتى نناله ، فإنّ ذلك هو الغُنْم ، وهى الشهادة[1] التى ثوابها الجنّة ، فقلنا له : صدقتَ وأصبتَ ووُفِّقت .

قال : ثمّ إنّ سليمان بن صُرَد سار من موضع قبر الحسين وسرْنا معه ، فأخذنا على الحَصّاصة ، ثمّ على الأنبار ، ثمّ على الصدود ، ثمّ على القيّارة .

قال أبو مخنف : عن الحارث بن حَصِيرة وغيره : إنّ سليمان بعث على

(١) ف : « والشهادة » .

مقدّمته كُريبَ بن يزيد الحميرىّ .

قال أبو مخنف : حدّثنى الحصين بن يزيد ، عن السرىّ بن كعب ، قال : خرجْنا مع رجال الحىّ نشيّعهم ، فلما انتهينا إلى قبر الحسين وانصرف سليمان بن صُرَد وأصحابه عن القبر ، ولزموا الطريقَ ، استقدَمَهم عبدُ الله ابن عوف بن الأحمر على فرس له مهلوب كُمَيْت مربوع ، يتأكّل تأكّلا[1] ، وهو يرتجز ويقول :

خرجْنَ يَلْمَعْنَ بنا أرْسَالا عوابِساً يَحْمِلنَنا أبْطالا

نُرِيدُ أَنْ نَلْقى به الأَقْتالا القَاسِطِينَ الغُدُرَ الضُّلّالا

وقد رَفَضْنا الأَهْلَ والأَمْوَالا والخَفِراتِ البِيضَ والحِجالا

* نُرْضِى به ذا النِّعَم المِفْضَالا *

قال أبو مخنف : عن سعد بن مجاهد الطائىّ ، عن المُحِلّ بن خليفة الطائىّ ، أنّ عبد الله بن يزيد كتب إلى سليمان بن صُرَد ، أحسبه قال : بعثنى به ، فلحقتُه بالقيّارة ، واستقدم أصحابه حتى ظنّ أنْ قد سبقهم ؛ قال : فوقف وأشار إلى الناس ، فوقفوا عليه ، ثم أقرأهم[2] كتابه ، فإذا فيه : ٥٤٩/٢

بسم الله الرّحمن الرّحيم . من عبدالله بن يزيدَ إلى سليمان بن صُرَد ومَنْ معه من المسلمين . سلامٌ عليكم ، أما بعد فإنّ كتابى هذا إليكم كتابُ ناصح ذى إرعاء ، وكم من ناصح مستغَشّ ، وكم من غاشّ مستَنصَح مُحَبّ ، إنه بلغنى أنكم تريدون المسير بالعَدَد اليسير إلى الجمع الكثير ، وإنه مَن يُرد أن ينقل الجبال عن مراتبها تكلّ مَعاولُه ، وينزع وهو مذمومُ العقل والفعل . يا قومنا لا تُطمِعوا[3] عدوّكم فى أهل بلادكم ، فإنكم خيارٌ كلكم ، ومتى ما يُصِبْكم عدوّكم يعلموا أنكم أعلامُ مصركم ، فيُطمعهم ذلك فيمن وراءكم

(١) فرس مهلوب : مستأصل شعر الذنب . والكمتة في الخيل : لون بين السواد والحمرة . والمرابيع من الخيل : المجتمعة الخلق . والمتأكل : المائج .

(٢) ف : « وأقرأهم » .

(٣) ف وابن الأثير : « لا تطيعوا » .

يا قومنا ، ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً ﴾[١] ، يا قوم ، إن أيدينا وأيديكم اليوم واحدة ، وإن عدوّنا وعدوّكم واحد ، ومتى تجتمع كلمتُنا نَظهر على عدوّنا ، ومتى تختلف تهُنْ شوكتُنا على من خالفنا ؛ يا قومنا لا تستغشّوا نصحي ، ولا تخالفوا أمري ، وأقبلوا حين يُقرأ عليكم كتابي ، أقبلَ الله بكم إلى طاعته ، وأدبرَ بكم عن معصيته ، والسلام .

قال : فلما قرئ الكتاب على ابن صرد وأصحابه قال للناس : ماترون ؟ قالوا : ماذا ترى ؟ قد أبيْنا هذا عليكم وعليهم ، ونحن في مصرنا وأهلنا ، ٢/٥٥٠ فالآن خرجنا ووطّنا[٢] أنفسنا على الجهاد ، ودنوْنا من أرض عدوّنا ! ماهذا برأي . ثمّ نادوه أن أخبرْنا برأيك ، قال : رأيي والله أنكم لم تكونوا قطّ أقربَ من إحدى الحسنيَيْن منكم يومكم هذا ؛ الشهادة والفتح ، ولا أرى أن تنصرفوا عما جمَعكم الله عليه من الحقّ ، وأردتم به من الفضل ؛ إنا وهؤلاء مختلفون ؛ إنّ هؤلاء لو ظهروا دعَونا إلى الجهاد مع ابن الزبير ، ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالا ، وإنا إن نحن ظهَرنا ردَدْنا هذا الأمرَ إلى أهله ، وإن أصبْنا فعلى نيّاتنا ، تائبين من ذنوبنا ، إنّ لنا شكلا ، وإن لابن الزبير شكلا ؛ إنا وإيّاهم كما قال أخو بني كنانة :

أَرى لكِ شَكْلا غيرَ شَكلي فَأَقْصِرِي عَنِ اللَّوْمِ إِذْ بُدِّلتِ وَٱختافَ الشكلُ

قال : فانصرف الناس معه حتى نزل هيتَ ، فكتب سليمان :

بسم الله الرحمن الرحيم . للأمير عبد الله بن يزيد ، من سليمان بن صُرَد ومن معه من المؤمنين ، سلامٌ عليك ، أما بعد ، فقد قرأنا كتابك ، وفهمنا ما نويتَ ، فنعم والله الوالي ، ونعم الأمير ، ونعم أخو العشيرة ، أنت والله من نأمنه بالغيب ، ونستنصحه في المشورة ، ونحمده على كلّ حال ؛ إنا سمعنا الله عزّ وجلّ يقول في كتابه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ — إلى قوله : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] . إن القوم قد استبشروا ببيعتهم

---

(١) سورة الكهف : ٢٠ . (٢) ابن الأثير : « ووطأنا » .
(٣) سورة التوبة : ١١١ ، ١١٢ .

التى بايعوا، إنهم قد تابوا من عظيم جُرْمهم ، وقد توجّهوا إلى الله ، وتوكّلوا عليه ورَضُوا بما قضى الله، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [١] ، والسلام عليك . ٢/٥٥١

فلما أتاه هذا الكتاب قال : استمات القومُ ، أوّل خبر يأتيكم عنهم قتْلُهم ، وايم الله لَيقتلُنّ كراماً مسلمين ، ولا والذى هو ربّهم لا يقتلهم عدوّهم حتى تشتدّ شوكتُهم ، وتكثرَ القتلى فيما بينهم .

قال أبو مخنف : فحدّثنى يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، وعبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الرحمن بن غزّية ، قالا : خرجْنا من هيتَ حتى انتهينا إلى قَرقيسيا ، فلما دنونا منها وقف سليمان بن صرد فعبّانا تعبيةً حسنة حتى مررنا بجانب قرقيسيا ، فنزلْنا قريباً منها ، وبها زُفَر بن الحارث الكلابىّ قد تحصّن بها من القوم ، ولم يخرج إليهم ، فبعث سليمان المسيّب بن نَجَبة ، فقال : ائت ابنَ عمك هذا فقل له : فليخرج إلينا سوْقاً ، فإنا لسنا إياه نريد ، إنما صَمَدْنا لهؤلاء المُحِلّين . فخرج المسيّب بن نَجَبة حتى انتهى إلى باب قرقيسيا ، فقال : افتَحوا ، ممن تحصّنون ؟ فقالوا : مَن أنت ؟ قال : أنا المسيّب بن نَجَبة ، فأتى الهذيلُ بن زفر أباه فقال : هذا رجلٌ حسنُ الهيئة ، يستأذن عليك ، وسألناه من هو ؟ فقال : المسيّب بن نجبة — قال : وأنا إذ ذاك لا علمَ لى بالناس ، ولا أعلم أىّ الناس هو — فقال لى أبى : أمَا تدرى أى بُنىّ مَن هذا ؟ هذا فارسُ مُضَر الحمراء كلها ، وإذا عُدّ من أشرافها عشرة كان أحدَهم ، وهو بعدُ رجلٌ ناسكٌ له دين ، ائذَن له . فأذنتُ له ، فأجلَسَه أبى إلى جانبه ، وساءلَه وألطفه فى المسألة ، فقال المسيّب ابن نَجَبة : ممن تتحصّن ؟ إنا والله ما إياكم نريد ، وما اعترينا إلى شىء إلا أن تُعينَنا على هؤلاء القوم الظَّلَمَة المُحِلِّين ، فاخرج لنا سوقاً ، فإنا لا نقيم بساحتكم إلا يوماً أو بعض يوم . فقال له زُفَر بن الحارث : إنا لم نُغلق أبوابَ هذه المدينة إلا لنعلم إيانا اعتريتم أم غيرَنا ! إنّا والله ما بنا عجزٌ عن الناس ما لم تدهَمْنا حيلة ، وما نحبّ أنا بُلينا بقتالكم ؛ وقد بلَغَنا عنكم ٢/٥٥٢

(١) سورة الممتحنة : ٤

صلاح ، وسيرةٌ حسنة جميلة .

ثم دعا ابنه فأمره أن يضع لهم سوقًا ، وأمر للمسيّب بألف درهم وفرس ، فقال له المسيّب : أما المال فلا حاجةَ لى فيه ، والله ما له خرجْنا ، ولا إياه طلبْنا ، وأما الفرس فإنى أقبله لعلى أحتاج إليه إنْ ظَلَعَ فرسى ، أو غَمَزَ تحتى . فخرج به حتى أتى أصحابَه وأخرجتْ لهم السوقُ ، فتسوّقوا ، وبعث زُفَر بن الحارث إلى المسيّب بن نَجَبَة بعد إخراج الأسواق والأعلاف والطعام الكثير بعشرين جَزورًا ، وبعث إلى سليمان بن صُرَد مِثلَ ذلك ، وقد كان زُفَر أمر ابنه أن يسأل عن وجوه أهلِ العسكر ، فسُمِّيَ له عبد الله بن سعد بن نُفَيل وعبد الله بن والٍ ورفاعة بن شدّاد ، وسُمّى له أمراء الأرباع . فبعث إلى هؤلاء الرءوس الثلاثة بعشر جزائر عشر جزائر ، وعلف كثير وطعام ، وأخرج للعسكر عِيرًا عظيمةً وشعيراً كثيراً ، فقال غلمان زُفَر : هذه عِير فاجتَزِروا منها ما أحببتم ، وهذا شعير فاحتمِلوا منه ما أردتم ، وهذا دقيق فتزوّدوا منه ماأطقتم ، فظلّ القومُ يومَهم ذلك مُخصِبين لم يَحتاجوا إلى شراء شيء من هذه الأسواق التى وضعت ، وقد كُفُوا اللحم والدقيق والشعيرَ إلا أن يشترىَ الرجلُ ثوباً أوسوطاً . ثمّ ارتحلوا من الغد ، وبعث إليهم زُفَر : إنى خارج إليكم فمشيِّعكم ؛ فأتاهم وقد خرجوا على تعبيةٍ حسنة ، فسايَرَهم ، فقال زفر لسليمان : إنه قد بعث خمسة أمراء قد فصلوا من الرَّقّة فيهم الحصين بن نمير السَّكُونىّ ، وشُرَحْبِيل بن ذى كَلاع ، وأدهم بن محرِز الباهلىّ وأبومالك بن أدهم ، وربيعة بن المخارق الغَنَوىّ ، وجَبَلة بن عبد الله الخثعمىّ ؛ وقد جاءوكم فى مثل الشوك والشجر ، أتاكم عدد كثير ، وحدٌّ حديد ، وايم الله لقلّ ما رأيتُ رجالاً هم أحسن هيئةً ولا عُدّةً ، ولا أخلق لكلّ خير من رجال أراهم معك ؛ ولكنه قد بلغنى أنه قد أقبلتْ إليكم عدّة لا تحصى ؛ فقال ابن صُرَد : على الله توكلْنا ، وعليه فليتوكّل المتوكلون ، ثم قال زفر : فهل لكم فى أمر أعرِضه عليكم ؛ لعلّ الله أن يَجعَلَ لنا ولكم فيه خيرًا ؟ إن شئتم فتحنْا لكم مدينتنا فدخلتموها فكان أمرُنا واحداً وأيدينا واحدةً ، وإن شئتم نزلتم على باب مدينتنا ، وخرجنا فعسكرْنا إلى جانبكم ؛ فإذا جاءنا هذا العدوّ

٥٥٣/٢

قاتلْناهم جميعًا . فقال سليمان لزفَر : قد أرادنا أهلُ مصرنا على مثل ما أردتنا عليه ، وذكروا مثلَ الذى ذكرت ، وكتبوا إلينا به بعد ما فصَلْنا ، فلم يوافقنا ذلك ، فلسنا فاعلين ؛ فقال زفر : فانظروا ما أشير به عليكم فاقبَلوه ، وخذوا به ، فإنّى للقوم عدوّ ، وأحبُّ أن يجعل الله عليهم الدائرةَ ، وأنا لكم وادٌّ ، أحِبّ أن يحوطكم الله بالعافية ؛ إنّ القوم قد فصلوا من الرّقّة ، فبادِروهم إلى عين الوَرْدَة ، فاجعلوا[1] المدينةَ فى ظهوركم ، ويكون الرّستاق والماء والمادّ فى أيديكم ، وما بين مدينتنا ومدينتكم فأنتم له آمنون ، والله لو أن خيولى كرجالى لأمددتُكم ، اطوُوا المنازلَ الساعة إلى عين الوردة ؛ فإنّ القوم يسيرون سيرَ العساكر ، وأنتم على خيول ، والله لقلّ ما رأيتُ جماعةَ خيل قطّ أكرمَ منها ؛ تأهّبوا لها من يومكم هذا فإنى أرجو أن تسبقوهم إليها ، وإن بدرتموهم إلى عين الوردة فلا تقاتلوهم فى فضاء ترامونهم وتُطاعنونهم ، فإنهم أكثر منكم فلا آمن أن يحيطوا بكم ، فلا تقفوا لهم ترامونهم وتُطاعنُونهم ، فإنه ليس لكم مثل عددهم ، فإن آستهدفتم لهم لم يُلبثوكم أن يَصرَعوكم ، ولا تصفّوا لهم حين تلقونهم ، فإنى لا أرى معكم رجّالةً ، ولا أراكم كلكم إلا فرسانًا ، والقومُ لاقُوكم بالرجال والفُرسان ؛ فالفُرسان تحمى رجالها ، والرجال تَحمى فرسانها ، وأنتم ليس لكم رجال تَحمى فرسانكم ، فالقوهم فى الكتائب والمقانب ، ثمّ بثّوها ما بين[2] ميمنتهم وميسرتهم ، واجعلوا مع كلّ كتيبة كتيبةً إلى جانبها فإن حُمل على إحدى الكتيبتَيْن ترجّلَتِ الأخرى فنفّستْ عنها الخيلُ والرجال ، ومتى ما شاءت كتيبة ارتفعت ، ومتى ما شاءت كتيبة انحطّت ، ولو كنتم فى صفّ واحد[3] فزحفتْ إليكم الرجال فدفعتم عن الصفّ انتقض وكانت الهزيمة ؛ ثم وقف فودّعهم ، وسأل الله أن يصحبهم وينصرَهم. فأثنَى الناسُ عليه ، ودَعَوا له ، فقال له سليمان بن صرد : نعم المَنْزول به أنت ! أكرمت النزول ، وأحسنتَ الضيافةَ ، ونصحتَ فى المَشورة . ثمّ إنّ القوم جدّوا فى المسير ، فجعلوا يجعلون كلّ مرحلتين مرحلة ؛ قال : فمررنا بالمدن حتى

٥٠٤/٢ ، ٥٥٥/٢

---

(١) ف : « واجعلوا » . (٢) ابن الأثير : « فيما بين » .
(٣) ف وابن الأثير : « صفا واحداً » .

بلغنا ساعا . ثمّ إنّ سليمان بن صُرَد عبّى الكتائبَ كما أمره زُفَر ، ثمّ أقبل حتّى انتهى إلى عين الوردة فنزل فى غربيّها ، وسبق القومَ إليها ، فعسكروا ، وأقام بها خمساً لا يبرح ، واستراحوا واطمأنّوا ، وأراحوا خيلَهم .

قال هشام : قال أبو مخنف ، عن عطيّة بن الحارث ، عن عبد الله بن غَزِيّة ، قال : أقبل أهل الشأم فى عساكرهم حتى كانوا من عَيْن الوَرْدة على مسيرة يوم وليلة ، قال عبد الله بن غزيّة : فقام فينا سليمان فحَمِد الله فأطالَ ، وأثنى عليه فأطنَب ، ثم ذكر السماء والأرضَ ، والجبالَ والبحارَ وما فيهنّ من الآيات ، وذكر آلاءَ الله ونِعمَه ، وذكر الدنيا فزهّد فيها ، وذكر الآخرة فرغّب فيها ، فذكر من هذا ما لم أحصه ، ولم أقدر على حفظه ، ثم قال : أما بعد ، فقد أتاكم اللهُ بعدوّكم الذى دأبتم فى المسير إليه [1] آناء الليل والنهار ، تريدون فيما تظهرون التوبة النّصُوح ، ولقاءَ الله مُعذِرين ، فقد جاءوكم بل جئتموهم أنتم فى دارهم وحيِّزِهم ، فإذا لقيتموهم فاصدُقوهم ، واصبروا إن الله مع الصابرين ، ولا يولِّينّهم امرؤٌ دُبره إلاّ متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة . لا تقتلوا مدبراً ، ولا تُجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم ، إلا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه [2] ، أو يكون من قَتَلَة إخواننا بالطفّ رحمة الله عليهم ؛ فإنّ هذه كانت سيرة أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب فى أهل هذه الدعوة . ثم قال سليمان : إن أنا قُتلتُ فأميرُ الناس المسيَّب بن نَجَبة فإن أصيبَ المسيّب فأميرُ الناس عبدُ الله بن سعد بن نفيل ، فإن قُتل عبد الله ابن سعد فأميرُ الناس عبدُ الله بن والٍ ، فإن قُتل عبد الله بن وال فأميرُ الناس رِفاعة بن شدّاد ، رحم الله امرأً صَدَقَ ما عاهَدَ الله عليه ! ثمّ بعث المسيّب ابن نَجَبة فى أربعمائة فارس ، ثم قال : سرْ حتى تلقى أوّل عسكر من عساكرهم فشُنّ فيهم الغارة ، فإذا رأيت ما تحبّه وإلا انصرفتَ إلىّ فى أصحابك ؛ وإيّاك أن تنزل أو تَدَع أحداً من أصحابك أن ينزل ، أو يستقبل آخر ذلك ، حتى لا تجدَ منه بدّاً .

٥٥٦/٢

(١) ف وابن الأثير : « إليه فى السير » .
(٢) ف : « تأسروهم » .

قال أبو مخنف : فحدّثني أبي عن حُمَيْد بن مسلم أنه قال : أشهد أني في خيل المسيِّب بن نَجَبَة تلك، إذ أقبلْنا نسير آخرَ يومنا كلّه وليلتنا ، حتى إذا كان في آخر السَّحَر نزلْنا فعلّقنا على دوابنا مَخاليَها ، ثمّ هوّمْنا تهويمةً بمقدار تكون مقدار قَضْمِها ثم ركبناها ، حتى إذا انبلج لنا الصبح نزلْنا فصلّينا ، ثمّ رَكب فركبنا . فبعث أبا الجُوَيْرية العبديّ بن الأحمر في مائة ٥٥٧/٢ من أصحابه ، وعبد الله بن عوف بن الأحمر في مائة وعشرين ، وحنش بن ربيعة أبا المعتمر الكنانيّ في مثلها ، وبقيَ هو في مائة ؛ ثم قال : انظُروا أوّل من تلقَوْن فأتُوني به ، فكان أوّلَ من لقينا أعرابيّ يطرُد أحمِرةً وهو يقول :

يا مالِ لا تَعجلْ إلى صحْبِي وَاسرحْ فإنّك آمِنُ السِّرْبِ

قال : يقول عبد الله بن عوف بن الأحمر : يا حمَيْد بن مُسلم ، أبشر بُشرَى وربّ الكعبة ، فقال له ابن عوف بن الأحمر : ممّن[١] أنت يا أعرابيّ ؟ قال : أنا من بني تغْلِب ؛ قال : غلبتم وربّ الكعبة إن شاء الله . فانتهى إلينا المسيّب بن نجبة ، فأخبرناه بالذي سمعْنا من الأعرابيّ وأتيناه به ، فقال المسيّب ابن نَجَبَة . أما لقد سُررتُ بقولك : أبشِر ، وبقولك : ياحُمَيد بن مسلم ، وإني لأرجو[٢] أن تبشّروا بما يسرّكم ، وإنّما سرّكم أن تحمدوا أمرَكم ، وأن تَسلَموا من عدوّكم ، وإنّ هذا الفأل لهو الفأل الحسَن ، وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعجبُه الفأل . ثم قال المسيّب بن نجبَة للأعرابيّ : كم بيننا وبين أدنى هؤلاء القوم منّا ؟ قال : أدنى عسكر من عساكرهم منك عسكرُ ابن ذي الكَلاع ، وكان بينه وبين الحصين اختلاف ، ادّعى الحصين أنه على جماعة الناس ، وقال ابن ذي الكلاع : ما كنتَ لتولّى عليّ ، وقد تكاتبا إلى عبيد الله بن زياد ، فهما ينتظران أمره ، فهذا عسكر ابن ذي الكلاع منكم على رأس ميل ؛ قال : فتركْنا الرجل ، فخرجنا نحوَهم مُسرِعين ، فوالله ٥٥٨/٢ ما شعروا حتى أشرفْنا عليهم وهم غارّون ، فحملْنا في جانب عسكرهم[٣] فوالله ما قاتلوا كثيرَ قتال حتى انهزموا ، فأصبنا منهم رجالًا ، وجرَحْنا فيهم

---

(١) ف : « فمن » . (٢) ف : « أرجو » .
(٣) ف : « عسكره » .

فأكثَرْنا الجراح ، وأصبنا لهم دوابّ، وخرجوا عن عسكرهم وخلّوه لنا ، فأخذنا منه ماخفّ علينا ، فصاح المسيّب فينا : الرجعة ، إنكم قد نُصِرتم ، وغَنِمتم وسَلِمتم ، فانصرِفوا ، فانصرَفْنا حتى أتينا سليمان .

قال : فأتى الخبرُ عبيدَ الله بن زياد ، فسرّح إلينا الحُصَين بن نمير مسرعًا حتى نزل فى اثنى عشر ألفًا ، فخرجْنا إليهم يومَ الأربعاء لثمان بقين من جُمادَى الأولى ؛ فجعل سليمانُ بن صُرَد عبد الله بن سعد بن نفيل على ميمنته ، وعلى ميسرته المسيّب بن نَجَبَة ، ووقف هو فى القلب ، وجاء حصين بن نمير وقد عبّأ لنا جُندَه ، فجعل على ميمنته جبلة بن عبد الله ، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغَنَوىّ ، ثم زحفوا إلينا ، فلما دَنَوْا دَعونا إلى الجماعة على عبدالملك بن مروان وإلى الدخول فى طاعته ، ودَعوْناهم إلى أن يدفعوا إلينا عُبيدَ الله بن زَياد فنقتلَه ببعض من قتِل من إخواننا ، وأن يَخلَعوا عبدَ الملك بن مروان ، وإلى أن يُخْرِجَ مَن ببلادنا من آل ابن الزبير ، ثم نردّ هذا الأمر إلى أهل بيت نبيّنا الذين آتانا الله من قِبَلهم بالنعمة والكرامة ؛ فأبى القومُ وأبينا .

٢/٥٥٩ قال حميد بن مسلم : فحملتْ ميمنتُنا على ميسرتهم وهزمتهم ، وحملتْ ميسرتنا على ميمنتهم ، وحمل سليمان فى القلب على جماعتهم ، فهزَمْناهم حتى اضطررناهم إلى عسكرهم ، فما زال الظفر لنا عليهم حتى حجز الليلُ بيننا وبينهم ، ثمّ انصرفْنا عنهم وقد حجزناهم فى عسكرهم ، فلما كان الغد صبّحهم ابن ذى الكَلاع فى ثمانية آلاف ، أمدّهم بهم عبيد الله ابن زياد ، وبعث إليه يشتمه ، ويقع فيه ، ويقول : إنما عملتَ عَمَل الأغمار ، تُضيع عسكرك ومسالحكَ ! سر إلى الحصين بن نمير حتى توافيَه وهو على الناس ، فجاءَه ، فغدَوا علينا وغادَيناهم ، فقاتلناهم قتالًا لم يرَ الشِّيبُ والمُرْدُ مثلَه قطّ يومَنا كلَّه ، لا يحجز بيننا وبين القتال إلا الصلاة حتى أمسَيْنا فتحاجزنا ، وقد والله أكثروا فينا الجراحَ ، وأفشيناها فيهم ؛ قال : وكان فينا قُصّاصٌ ثلاثة : رفاعة بن شدّاد البَجَليّ ، وصُحَير بن حذيفة بن هلال بن مالك المرّىّ ، وأبو الجُوَيْرِية العبدىّ ، فكان رفاعة يقصّ ويُحَضّض الناس فى الميمنة ، لا يبرَحُها ، وجُرح أبو الجويرية اليوم الثانى فى أوّل النهار ، فلزم الرّحال ، وكان صُحَير ليلتَه كلها يدور

فينا ويقول : أبشروا عبادَ الله بكرامة الله ورضوانه ، فحقّ والله لمَنْ ليس بينه وبين لقاء الأحبّة ودخول الجنة والراحة من إبرام الدنيا وأذاها إلا فراقُ هذه النفس الأمّارة بالسوء أن يكون بفراقها سَخيًّا ، وبلقاء ربه مسروراً . فمكثْنا كذلك حتى أصبحنا ، وأصبح ابن نمير وأدهم بن محرز الباهليّ فى نحو من عشرة آلاف ، فخرجوا إلينا ، فاقتتلنا اليومَ الثالثَ يومَ الجمعة قتالاً شديدًا إلى ارتفاع الضّحى . ثمّ إنّ أهل الشأم كثّروا وتعطّفوا علينا ٥٦٠/٢ من كلّ جانب ، ورأى سليمانُ بنُ صُرَد ما لقى أصحابُه ، فنزل فنادى : عبادَ الله ، منْ أراد البكورَ إلى ربّه ، والتوبة من ذنبه ، والوفاء بعهده ، فإلىّ ؛ ثم كسر جفنَ سيفه ، ونزل معه ناسٌ كثير ، فكسروا جفونَ سيوفهم ، ومشَوْا معه ، وانزوت خيلُهم حتى اختلطت مع الرّجال ، فقاتلوهم حتى نزلت الرجال تشتدّ مُصلتةً بالسيوف ، وقد كسروا الجفون ، فحمل الفرسانُ على الخيل ولا يثبتون ، فقاتلوهم وقتلوا من أهل الشأم مقتلةً عظيمة ، وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح . فلما رأى الحصين بن نمير صَبْرَ القوم وبأسَهم ، بعث الرجالَ ترميهم بالنّبل ، واكتنفتْهم الخيل والرجال ، فقُتِل سليمان بن صُرَد رحمه الله ، رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ، ثمّ وثب ثم وقع ؛ قال : فلما قتل سليمان بن صُرَد أخذ الراية المسيّب بن نَجَبَة ، وقال لسليمان بن صُرَد : رحمك الله يا أخى ! فقد صدقت ووفّيت بما عليك ، وبقى ما علينا ، ثمّ أخذ الراية فشدّ بها ، فقاتل ساعةً ثمّ رجع ، ثم شدّ بها فقاتل ثمّ رجع ، ففعل ذلك مرارًا يشدّ ثم يرجع ، ثمّ قُتل رحمه الله .

قال أبو مخنف : وحدّثنا فروة بن لقيط ، عن مولًى للمسيّب بن نجَبَة الفزاريّ ، قال : لقيته بالمدائن وهو مع شبيب بن يزيد الخارجيّ ، فجرى الحديثُ حتى ذكرْنا أهلَ عين الوردة .

قال هشام عن أبى مخنف ؛ قال : حدّثنا هذا الشيخ ، عن المسيّب بن نَجَبَة ، قال : والله ما رأيت أشجعَ منه إنسانًا قطّ ، ولا من العصابة التى كان فيهم ، ولقد رأيتُه يومَ عين الوردة يقاتل قتالًا شديداً ، ما ظننتُ أنّ ٥٦١/٢

رجلاً واحداً يقدر أن يُبلَى مِثلَ ما أبلَى ، ولا ينكأ فى عدوّه[١] مثلَ ما نـَكـَأ ، لقد قتل رجالا ؛ قال : وسمعتُه يقول قبل أن يُقتـَل وهو يقاتلهم[٢] :

قد علمتْ مَيالةُ الذّوائبِ واضِحة اللّبّاتِ والتّرائبِ

أنّى غَدَاةَ الرَّوْعِ والتّغالُبِ أشْجَعُ مِنْ ذِى لِبَدٍ مُوَاثِبِ

* قَطّاعُ أقرانٍ مَخُوفُ الجانِبِ *

قال أبو مخنف : حدّثنى أبى وخالى، عن حُميد بن مسلم وعبد الله بن غزّية . قال أبو مخنف : وحدثنى يوسف بنُ يزيدَ ، عن عبد الله بن عوف ، قال : لما قتل المسيّب بن نَجَبة أخذ الراية عبدُالله بن سعد بن نُفيْل، ثم قال رحمه الله : أخـَوىَّ منهمْ منْ قَضَى نحبه ، ومنهم من يَنتظر وما بدّلوا تبديلاً . وأقبل بمن كان معه من الأزْد ، فحـَفّوا برايته، فوالله إنا لكذلك إذ جاءنا فرسان ثلاثة : عبد الله بن الخضِل الطائىّ ، وكثير بن عمرو المُزَنىّ ، وسعر بن أبى سعر الحنَفىّ ، كانوا خرجوا مع سعد بن حذيفة بن اليَمانِ فى سبعين ومائة من أهل المدائن ، فسرّحهم يومَ خرج فى آثارنا على خيول متلمّة مقدّحة ، فقال لهم : اطوُوا المنازلَ حتى تلحقوا بإخواننا فتبشّروهم[٣] بخروجنا إليهم لتشتدّ بذلك ظهورُهم ، وتخبروهم بمجىء أهلِ البصرة أيضًا ، كان المثنى بن مخرّبة العبدىّ أقبل فى ثلثمائة من أهل البصرة ، فجاء حتى نزل مدينة بَهرُسير بعد خروج سعد بن حُذَيفة من المدائن لخمس ليال، وكان خروجـُه من البصرة قبل ذلك قد بلغ سعدَ بنَ حذيفة قبل أن يخرج من المدائن ، فلما انتـَهوا الينا قالوا : أبشروا فقد جاءكم إخوانكم من أهل المدائن وأهل البصرة ؛ فقال عبد الله بن سعد بن نُفَيل : ذلك لو جاءونا ونحن أحياء ؛ قال : فنظروا إلينا، فلما رأوا مصارعَ إخوانهم وما بنا من الجراح، بكى القومُ وقالوا : وقد بلغ منكم ما نـَرَى ! إنّا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فنظروا والله

٥٦٢/٢

(١) ف : « العدو » . (٢) ف : « يقاتل » .
(٣) ف : « فبشروهم » .

إلى ما ساء أعينَهم ؛ فقال لهم عبد الله بن نُفَيل : إنا لهذا خرجْنا ، ثمّ اقتتلنا فما اضطربنا إلا ساعةً حتى قتل المزنىّ ، وطعن الحنفىّ فوقع بين القتلى ، ثم ارتُثّ بعد ذلك فنجا ، وطعن الطائىّ فجزِم أنفُه ، فقاتل قتالا شديداً ، وكان فارساً شاعراً ، فأخذ يقول :

قد علِمتْ ذاتُ القَوام الرُّودِ أنْ لَسْتُ بالوانِى ولا الرِّعدِيدِ

* يوماً ولا بالفَرِقِ الحَيُودِ *

قال : فحمل علينا ربيعةُ بن المخارق حملةً منكرة ، فاقتتلنا قتالاً شديداً. ثمّ إنه اختلف هو وعبد الله بن سعد بن نفيل ضربتين ، فلم يصنع سيفاهما شيئاً ، واعتنق كلّ واحد منهما صاحبه ، فوقعا إلى الأرض ، ثمّ قاما فاضطربا ، ويحمل ابن أخى ربيعة بن المخارق على عبد الله بن سعد ، فطعنه فى ثُغْرة نحره ، فقتله ، ويحمل عبد الله بن عوف بن الأحمر على ربيعة بن المخارق ، فطعنه فصرَعه . فلم يُصِب مَقتلا ؛ فقام فكرّ عليه الثانية ، فطعنه أصحابُ ربيعة فصرَعوه ؛ ثمّ إنّ أصحابَه استنقذوه . وقال خالد بن سعد بن نفيل : أرُونى ٥٦٣/٢ قاتلَ أخى ، فأرَيناه ابن أخى ربيعةَ بن المخارق ، فحمل عليه فقنَّعه بالسيف واعتنقه الآخَر فخرّ إلى الأرض ، فحمل أصحابه وحملْنا ، وكانوا أكثر منّا فاستنقذوا صاحبَهم ، وقتلوا صاحبَنا ، وبقيت الرّاية ليس عندها أحدٌ . قال : فنادينا عبد الله بن والٍ بعد قتلهم فرسانَنا ، فإذا هو قد استلحم فى عصابة معه إلى جانبنا ، فحملَ عليه رفاعة بن شدّاد ، فكشَفَهم عنه ، ثمّ أقبل إلى رايته وقد أمسكها عبد الله بن خازم الكثيرىّ ، فقال لابن وال : أمسك عنى رايتك ؛ قال : امسكْها عنّى رحمك الله ، فإنّى بى مثلُ حالك فقال له : أمسك عنى رايتك ، فإنى أريد أن أجاهد ؛ قال : فإنّ هذا الذى أنت فيه جهاد وأجر ؛ قال : فصِحْنا : يا أبا عزّة ، أطع أميرَك يرحمُك الله ! قال : فأمسكها قليلا ، ثمّ إنّ ابن والٍ أخذها منه .

قال أبو مخنف : قال أبو الصلت التيمىّ الأعور : حدّثنى شيخ للحىّ

كان معه يومئذ ، قال : قال لنا ابن وال : مَنْ أراد الحياة التى ليس بعدها موتٌ ، والراحة التى ليس بعدها نَصَبٌ ، والسرورَ الذى ليس بعده حزَنٌ ، فليتقرّب إلى ربّه بجهاد هؤلاء المحلّين ، والرواحِ إلى الجنة رحمكم الله ! وذلك عند العصر ؛ فشدّ عليهم ، وشددْنا معه ، فأصبنا والله منهم رجالاً ، وكشفناهم طويلاً ، ثمّ إنهم بعد ذلك تعطّفوا علينا من كلّ جانب ، فحازونا حتى بلغوا بنا المكان الذى كنا فيه ، وكنا بمكان لا يقدرون أن يأتونا فيه إلاّ من وجه واحد ، ووليَ قتالَنا عند المساء أدهم بن مُحرِز الباهلىّ ، فشدّ علينا فى خيله ورِجاله ، فقتل عبد الله بن وال التيمىّ . ٢/٥٦٤

قال أبو مخنف ، عن فروة بن لقيط ، قال : سمعت أدهمَ بن مُحرز الباهلىّ فى إمارة الحجّاج بن يوسفَ وهو يحدّث ناسًا من أهل الشأم ، قال : دفعت إلى أحد أمراءِ العراق ، رجل منهم يقولون له عبد الله بن وال وهو يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ . . .(١)﴾ ، الآيات الثلاث ، قال : فغاظنى ، فقلت فى نفسى : هؤلاء يَعدّوننا بمنزلة أهل الشرك ، يرَوْن أنّ من قتلْنا منهم كان شهيداً . فحملتُ عليه أضرب يده اليسرى فأطننْتها ، وتنحّيت قريبًا ، فقلت له : أما إنى أراك وَدِدْتَ أنك فى أهلك ، فقال : بئسما رأيت ! أما والله ما أحبّ أنها يدك الآن إلاّ أن يكونَ لى فيها من الأجر مثل ما فى يدى ؛ قال : فقلت له : لم ؟ قال : لكيما يجعل الله عليك وِزْرَها ، ويُعظم لى أجرها ؛ قال : فغاظنى فجمعتُ خيلى ورجالى ؛ ثمّ حملنا عليه وعلى أصحابه ، فدفعتُ إليه فطعنتُه فقتلتُه ، وإنه لمقبل إلىّ ما يزول ؛ فزعموا بعدُ أنه كان من فقهاء أهل العراق الذين كانوا يُكثرون الصوم والصلاة ويُفتُون الناس .

قال أبو مخنف : وحدّثنى الثقة ، عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزيّة

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٩ — ١٧٠ .

قال : لماهلك عبد الله بن والٍ نظرنا ، فإذا عبد الله بن خازم قتيل إلى جنبه ، ونحن نرى أنه رفاعة بن شدّاد البَجَلىّ ، فقال له رجل من بنى كنانة يقال له الوليد بن غضين : أمسك رايتَك ؛ قال : لاأريدها ؛ فقلت له : إنا لله ! ما لَكَ ! فقال : ارجعوا بنا لعلّ الله يَجمَعنا ليوم شرّ لهم ، فوثب عبد الله بن عوف بن الأحمر إليه ، فقال : أهلكْتَنا ، والله لئن انصرفت ليركبُنّ أكتافنا فلا نبلغ فرسخاً حتى نَهلِك من عند آخرنا ، فإن نجا منا ناج أخذه الأعراب وأهلُ القرى ، فتقرّبوا إليهم به فيُقتَل صبراً ، أنشدك الله أن تفعل ، هذه الشمس قد طفلتْ للمغيب ، وهذا الليلُ قد غشيَنا ، فنقاتلهم على خيلنا هذه فإنا الآن ممتنعون ، فإذا غسَق الليل ركبنا خيولَنا أوّل الليل فرمينا بها ، فكان ذلك الشأن حتى نُصبح ونسير ونحن على مَهَل ، فيحمل الرجل منا جريحَه وينتظر صاحبَه ، وتسير العَشَرة والعشرون معًا ، ويعرف الناس الوجهَ الذى يأخذون ، فيتبع فيه بعضهم بعضاً ؛ ولو كان الذى ذكرت لم تقف أمٌّ على ولدها ، ولم يعرف رجل وجهَه ، ولا أين يَسقُط ، ولا أين يَذهَب ! ولم نصبح إلا ونحن بين مقتول ومأسور . فقال له رفاعة بن شدّاد : فإنك نِعمَ رأيت ؛ قال : ثمّ أقبل رفاعة على الكنانىّ فقال له : أتمسكها أم آخذُها منك ؟ فقال له الكنانىّ : إنى لاأريد ما تريد ، إنى أريد لقاء ربّى ، واللّحاق بإخوانى ، والخروجَ من الدنيا إلى الآخرة ، وأنت تريد ورقَ الدنيا ، وتَهوَى البقاء ، وتكره فراقَ الدنيا ؛ أما والله إنى لأحبُّ لك أن ترشد ، ثمّ دفع إليه الراية ، وذهب ليستقدم . فقال له ابن أحمر : قاتلْ معنا ساعةً رحمك الله ولا تُلقِ بيدك إلى التَّهلُكة ، فما زال به يناشده حتى احتبس عليه ، وأخذ أهلُ الشأم يتنادَوْن : إنّ الله قد أهلكهم ؛ فأقدموا عليهم فافرُغوا منهم قبل الليل . فأخذوا يقدمون عليهم ، فيقدمون على شوكة شديدة ؛ ويقاتلون فُرساناً شجعانًا ليس فيهم سَقَط رجل ، وليسوا لهم بمضجرين فيتمكنوا منهم ؛ فقاتلوهم حتى العشاء قتالاً شديداً ، وقتِل الكنانىّ قبل المساء ، وخرج عبد الله بن عزيز الكندىّ ومعه ابنه محمد غلام صغير ، فقال : يا أهل الشأم ، هل فيكم أحدٌ من كندة ؟ فخرج إليه منهم رجال ، فقالوا : نَعَم ، نحن هؤلاء ،

٢/٥٦٥

١٠

٢/٥٦٦

فقال لهم : دونكم أخوكم فابعثوا به إلى قومكم بالكُوفة ، فأنا عبد الله بن عزيز الكندىّ ، فقالوا له : أنت ابنُ عمّنا ، فإنك آمن ؛ فقال لهم : والله لا أرغب عن مَصارِع إخوانى الذين كانوا للبلاد نوراً، وللأرض أوتاداً ، وبمثلهم كان الله يُذكَر ؛ قال : فأخذ ابنُه يبكى فى أثَر أبيه ، فقال : يابنىّ ، لو أن شيئاً كان آثرَ عندى من طاعة ربّى إذاً لكنتَ أنتَ ، وناشَدَه قومه الشأميون لما رأوا من جزع ابنه وبكائه فى أثره ، وأرُوا الشأميون له ولابنه رِقّة شديدة حتّى جزعوا وبكَوا ، ثم اعتزل الجانب الذى خرج إليه منه قومه ، فشدّ على صفّهم عند المساء ، فقاتَل حتّى قُتل .

قال أبو مخنف : حدّثنى فضيل بن خَدِيج ، قال : حدّثنى مسلم بن زَحْر الخَوْلانىّ ، أنّ كريب بن زيد الحميرىّ مشى إليهم عند المساء ومعه ٥٦٧/٢ راية بَلْقاء فى جماعة ، قلّما تَنقُص من مائة رجل إنْ نقصَت ، وقد كانوا تحدّثوا بما يريد رفاعة أن يصنع إذا أمسى ، فقام لهم الحميرىّ وجمع إليه رجالاً من حميَر وهَمْدانَ ، فقال : عباد الله ! رُوحوا إلى ربّكم ، والله ما فى شىء من الدنيا خَلَف من رضاء الله والتوبة إليه ، إنه قد بلغنى أنّ طائفة منكم يريدون أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه إلى دنياهم ، وإن هم رَكنوا إلى دنياهم رجعوا إلى خطاياهم ، فأمّا أنا فوالله لا أولّى هذا العدوّ ظهرى حتى أرِدَ مَوارِد إخوانى ؛ فأجابوه وقالوا : رأينا مثل رأيك . ومضى برايته حتّى دنا من القوم ، فقال ابن ذى الكَلاع : والله إنى لأرى هذه الرايةَ حِمْيَرِيّة أو هَمْدانيّة ، فدنا منهم فسألهم ، فأخبروه ، فقال لهم : إنكم آمنون ، فقال له صاحبهم : إنا قد كنا آمنين فى الدنيا ، وإنما خرجنا نطلب أمانَ الآخرة ؛ فقاتلوا القوم حتّى قُتلوا ، ومشى صُخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المُزَنىّ فى ثلاثين من مُزَينة ، فقال لهم : لا تهابوا الموت فى الله ، فإنه لاقيكم ، ولا ترجعوا إلى الدّنيا التى خرجتم منها إلى الله فإنها لا تَبقَى لكم ، ولا تَزهَدوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله فإنّ ما عند الله خيرٌ لكم ؛ ثمّ مضَوا فقاتَلوا حتّى قُتلوا ، فلما أمسى الناسُ ورجع أهلُ الشأم إلى معسكرهم ، نظر رفاعة إلى كلّ رجل قد عُقر به ، وإلى

كل جريح لا يُعينُ على نفسه ؛ فدفعه إلى قومه ، ثمّ سار بالناس ليلتَه كلَّها حتى أصبح بالتُّنَيْنير فعبَرَ الخابُور ، وقطع المعابر ، ثمّ مضى لا يمرّ بمعبر ٥٦٨/٢ إلا قطعه ، وأصبح الحصين بن نمير فبعث فوجدهم قد ذهبوا ، فلم يبعث فى آثارهم أحداً ، وسار بالناس فأسرَعَ ، وخلَّف رفاعة وراءهم أبا الجُوَيْرِيَة العبدىّ فى سبعين فارساً يَستُرون الناس ؛ فإذا مرّوا برجل قد سقط حمله ، أو بمتاع [١] قد سقط قَبَضَه حتى يعرفه ، فإن طُلب أو ابتُغِىَ بعث إليه فأعلمه ، فلم يزالوا كذلك حتى مرّوا بقَرْقِيسيا من جانب البرّ ، فبعث إليهم زُفَر من الطعام والعلَف مثل ما كان بعث إليهم فى المرة الأولى ، وأرسل إليهم الأطباء وقال : أقيموا عندنا ما أحببتم ، فإنّ لكم الكرامة والمواساة ؛ فأقاموا ثلاثاً ، ثمّ زوّد كلّ امرئ منهم ما أحبّ من الطعام والعلَف ؛ قال : وجاء سعد بن حُذَيفة بن اليمان حتى انتهى إلى هِيتَ ، فاستقبله الأعراب فأخبَروه بما لقِىَ الناس ، فانصرف ، فتلقى المثنى بن مخرّبة العبدىّ بصندوْداء ، فأخبره ، فأقاموا حتى جاءهم الخبر : إنّ رفاعة قد أظلّكم ، فخرجوا حين دنا من القرية ، فاستقبلوه فسلّم الناس بعضُهم على بعض ، وبكى بعضُهم إلى بعض ، وتناعَوْا إخوانَهم فأقاموا بها يوماً وليلة ؛ فانصرف أهل المدائن إلى المدائن ، وأهل البصرة إلى البصرة ، وأقبل أهلُ الكوفة إلى الكوفة ، فإذا المختار محبوس .

قال هشام : قال أبو مخنف ، عن عبد الرّحمن بن يزيد بن جابر ، عن أدهم بن مُحرز الباهلىّ ، أنه أتى عبدَ الملك بن مروان ببشارة الفتح ، قال : فصَعِد المنبر ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أما بعد ، فإنّ الله قد أهلك من رءوس أهل العراق مُلقح فتنة ، ورأسَ ضلالة ، سليمان بن صُرَد ، ألا وإنّ ٥٦٩/٢ السيوف تركتْ رأس المسيّب بن نجبَة خَذَاريف ، ألا وقد قتل اللهُ من رءوسهم رأسَين عظيمين ضالَّين مضلَّين : عبد الله بن سعد أخا الأزد ، وعبد الله بن وال أخا بكر بن وائل ، فلم يَبقَ بعد هؤلاء أحدٌ عندَه دفاع ولا امتناع .

قال هشام ، عن أبى مخنف : وحُدِّثت أن المختار مكث نحواً من خمس

---

(١) ف : « متاع » .

عشرة ليلةً ، ثمّ قال لأصحابه : عدّوا لغازيكم هذا أكثرَ من عشر ، ودون الشهر ، ثمّ يجيئكم نبأ هِتْر ، من طعن نَتْر ، وضرب هبر ، وقتل جمّ ، وأمر رَجم . فمَنْ لها ؟ أنا لَها ، لا تُكْذَبُنّ ، أنا لَها .

قال أبو مخنف : حدّثنا الحصين بن يزيد ، عن أبان بن الوليد ، قال : كتب المختار وهو في السجن إلى رفاعةَ بنَ شدّاد حين قَدِم من عين الوردة : أما بعد ، فمرحبًا بالعَصَب الذين أعظَم الله لهم الأجر حينَ انصرفوا ، ورضيَ انصرافَهم حين قَفَلوا . أمَا وربّ البنيّة التي بَنَى ماخطا خاطٍ منكم خُطوةً ، ولا رَتَا رتْوة (١) ، إلا كان ثوابُ الله له أعظم من مُلْك الدنيا . إنّ سليمان قد قضى ما عليه ، وتوفّاه الله فجعل روحَه مع أرواح الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين ، ولم يكن بصاحبكم الذى به تُنْصَرون ، إنى أنا الأمير المأمور ، والأمين المأمون ، وأمير الجيش ، وقاتل الجبّارين ، والمنتقم من أعداء الدّين ، والمقيد من الأوتار ، فأعدّوا واستعدّوا ، وأبشِروا واستبشروا ؛ أدعوكم إلى كتاب الله ، وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وإلى الطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضّعَفاء ، وجهاد المُحلّين ؛ والسلام . ٥٧٠/٢

قال أبو مخنف : وحدّثني أبو زهير العبسيّ ، أنّ الناس تحدّثوا بهذا مِن أمْر المختار ، فبلغ ذلك عبدَالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد ، فخرجا في الناس حتى أتيَا المختار ، فأخذاه .

قال أبو مخنف : فحدّثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم قال : لما تهيّأنا للانصراف قام عبد الله بن غزيّة ووقف على القتلى فقال : يرحمكم الله ، فقد صدقْتم وصبرْتم ، وكذبنا وفرَرْنا ؛ قال : فلما سرنا وأصبحنا إذا عبد الله بن غزيّة في نحو من عشرين قد أرادوا الرجوع إلى العدوّ والاستقتال ، فجاء رفاعة وعبد الله بن عوف بن الأحمر وجماعة الناس فقالوا لهم : نَنْشدكم الله ألاّ تزيدونا فُلولا ونقصاناً ، فإنا لا نزال بخير ما كان فينا مثلكم من ذوى النيّات ، فلم يزالوا بهم كذلك يناشدونهم حتى ردّوهم غيرَ

(١) ابن الأثير : « ولا ربا ربوة » .

رجل من مزينة يقال له عُبيدة بن سُفيان، رحل مع الناس ، حتى إذا غُفِل عنه انصرف حتى لقى أهل الشأم ، فشدّ بسيفه يضاربهم حتى قُتل .

قال أبو مخنف : فحدّثنى الحصين بن يزيد الأزدىّ ، عن حُميد بن مسلم الأزدىّ ، قال : كان ذلك المزنىّ صَديقًا لى ، فلما ذهب لينصرفَ ناشدتُه الله ، فقال: أما إنك لم تكن لتسألَنى شيئًا من الدّنيا إلا رأيتُ لك من الحقّ علىّ إيتاءَكَه ، وهذا الذى تسألنى أريد اللهَ به؛ قال : ففارقنى حتى لقى القومَ فقُتل؛ قال : فوالله ما كان شىء بأحبَّ إلىّ من أن ألقىَ إنسانًا يحدّثنى عنه كيف صَنَع حين لقىَ القوم ! قال : فلقيتُ عبدَ الملك بن جزء بن الحدْرِجان الأزدىّ بمكة ، فجرى حديثٌ بيننا ، جرى ذكرُ ذلك اليوم، فقال : أعجب ما رأيتُ يومَ عَين الوردة بعد هلاك القوم أنّ رجلا أقبلَ حتى شدّ علىّ بسيفه ، فخرجنا نحوه ، قال : فانتهى إليه وقد عقربه وهو يقول : ٥٧١/٢

إنِّى منَ اللهِ إلى اللهِ أفِرّْ رِضْوَانَكَ اللّهمّ أبْدِى وأسِرّْ

قال : فقلنا له : ممن أنت ؟ قال : من بنى آدم ؛ قال : فقلنا : ممن ؟ قال : لا أحبّ أن أعرفكم ولا أن تعرفونى يا مُخرِبى البيتَ الحرام ؛ قال : فنزل اليه سليمانُ بن عمرو بن محصن الأزدىّ من بنى الخيار ؛ قال : وهو يومئذ من أشدّ الناس ؛ قال : فكلاهما أثخنَ صاحبَه ؛ قال : وشدّ الناسُ عليه من كلّ جانب ، فقتلوه ؛ قال : فوالله ما رأيتُ واحداً قطّ هو أشدّ منه ؛ قال : فلمّا ذُكر لى ، وكنتُ أحبّ أن أعلم علمه، دمعتْ عيناى ، فقال : أبينْك وبينه قرابة ؟ فقلت له: لا ، ذلك رجل من مضَر كان لى وُدًّا وأخًا ، فقال لى : لا أرقأ الله دمعَك ، أتبكى على رجل من مضرَ قُتل على ضلالة ! قال : قلتُ : لا ، والله ما قُتل على ضلالة ، ولكنه قتل على بيّنة من ربّه وهُدًى ؛ فقال لى : أدخلَك اللهُ مدخلَه ؛ قلتُ : آمين ، وأدخلَك الله مَدخلَ حصين بن نمير ، ثمّ لا أرقأ الله لكَ عليه دمعًا ؛ ثمّ قمت وقام .

وكان مما قيل من الشعر فى ذلك قولُ أعشى هَمْدانَ ، وهى إحدى المكتّمات ، كنّ يُكتَّمن فى ذلك الزمان :

٥٧٢/٢ أَلَمَّ خَيَالٌ مِنكِ يا أُمَّ غالبٍ فَحُيِّيتِ عنّا من حَبيبٍ مُجانِبِ[١]
ومازلتِ لِى شَجْوًا ومازلتُ مُقصَدًا[٢] لِهَمٍّ عَرَانى من فِراقِك ناصِبِ
فما أنسَ لاأَنْسَ انْفِتَالَكِ فى الضُّحَى إلينا مع البيضِ الوِسام الخَراعِب[٣]
تَرَاءتْ لنا هَيْفاءَ مَهْضُومَةَ الحَشا لطيفَةَ طىِّ الكَشْحِ رَيَّا الحَقائِبِ
مُبتَّلَةً غَرَّاءَ ، رُؤْدٌ شَبَابُها كشمسِ الضُّحَى تَنْكلُّ بين السحائِب
فلمّا تغَشَّاها السَّحابُ وحولَهُ بَدَا حاجبٌ منها وضَنَّتْ بحاجبِ
فتلك الهوى وَهْى الجَوَى لِىَ والمُنَى فأَحْبِبْ بها من خُلَّةٍ لم تُصاقِبِ
ولا يُبْعِدِ اللهُ الشَّبابَ وذِكرَهُ وحُبَّ تَصابٍ فى المُعصِرَاتِ الكَواعِبِ
ويزدادُ ما أحببتُه من عِتَابِنَا لُعَاباً وسُقياً للخَدِينِ المُقَارِبِ

٥٧٣/٢ فإنِّى[٤] وإنْ لم أنسَهُنَّ لذَاكرٌ رَزِيئةَ مِخْبَاتٍ كريم المَناصبِ[٥]
توَسَّلَ بالتَّقْوَى إلى اللهِ صادقاً وتَقْوى الإلهِ خيرُ تَكْسابِ كاسِبِ
وخَلَّى عن الدنيا فلم يلتبِسْ بها وتابَ إلى اللهِ الرَّفيعِ المَرَاتِب
تخلَّى عن الدنيا وقال اطَّرَحتُها[٦] فلستُ إليها ما حَيِيتُ بآيِبِ
وما أنا فيما يُكبِرُ الناسُ فَقدَهُ[٧] ويسعي له الساعُونَ فيها براغِبِ
فوجَّهَهُ نحوَ الثَّوِيَّةِ سائرًا إلى ابنِ زيادٍ فى الجموعِ الكباكِب[٨]
بقوم همُ أهلُ التَّقِيَّةِ والنُّهَى مَصَالِيتُ أنجادٌ سُرَاةٌ مَنَاجبِ
مَضَوا تارِكى رأْى ابنِ طلحة حَسْبُهُ ولم يستجيبوا للأَمير المُخاطِبِ
فساروا وهمْ من بين مُلتَمِسِ التُّقَى وآخرَ مما جرّ بالأَمسِ تائِبِ

---

(١) ديوان الأعشين ٣١٥ – ٣١٧

(٢) ابن الأثير : « وما زلت فى شجو » .

(٣) ابن الأثير : « من البيض الحسان » .

(٤) ابن الأثير : « غير أنى » .

(٥) س : « المضارب » .

(٦) ابن الأثير : « اطرحتها » .

(٧) ابن الأثير : « يكره الناس » .

(٨) ابن الأثير : « الكتائب » .

فلاقوا بعين الوردةِ الجَيْشَ فاصِلا [١] إليهمْ فَحسُّوهم ببِيضٍ قواضِبِ [٢] ٢/٥٧٤
يَمانِيَةٍ تذْرِى الأَكفَّ ، وتارةً بخيلٍ عِتاقٍ مُقْرَباتٍ سَلاهِبِ
فجاءَهُم جمعٌ من الشأمِ بعده جُمُوعٌ كموج البحر من كلّ جانِب
فما بَرِحوا حتى أُبِيدَتْ سُراتُهم فلم ينجُ منهم ثَمَّ غيرُ عصائِب
وغودِرَ أَهلُ الصبر صَرْعي فأَصبحوا تُعاوِرُهم ريحُ الصَّبَا والجنائبِ
فأَضحَى الخُزاعىُّ الرئيسُ مُجَدَّلاً [٣] كأَن لم يقاتل مَرَّةً ويُحارِبِ
ورأْسُ بنى شَمْخٍ وفارِسُ قومِهِ شَنُوءَةَ والتّيمىُّ هادِى الكتائِب [٤]
وعمرو بنُ بِشرٍ والوليدُ وخالـدٌ وزيدُ بنُ بكرٍ والحُلَيْسُ بن غالبِ [٥]
وضارِبُ من هَمدانَ كلّ مُشَيعٍ إذا شدّ لم يَنْكلْ كريمُ المكاسبِ ٢/٥٧٥
ومن كل قومٍ قد أُصِيبَ زعيمُهمْ وذو حَسَبٍ فى ذِروَةِ المجدثاقِبِ
أَبَوْا غيرَ ضربٍ يَفلِقُ الهامَ وقعُهُ وطَعْنٍ بأَطرافِ الأَسِنَّةِ صائب
وإنَّ سعيدًا يومَ يَدْمُرُ عامِرًا لأَشجَعُ من لَيثٍ بِدُرنَى مُواثِبِ
فياخيرَ جيشٍ للعراقِ وأَهلِهِ سُقِيتم رَوايا كلِّ أَسحَمَ ساكِبِ
فلا يَبْعَدنْ فُرساننا وحُماتنا إذا البيض أَبدتْ عن خِدَامِ الكواعِبِ
فإن يُقتَلوا فالقتلُ أَكرَمُ مِيتةٍ وكل فتًى يوماً لإِحدى الشَّواعِبِ
وما قُتِلُوا حتى أَثاروا عِصابةً مُحِلِّين ثَورًا كاللُّيُوثِ الضَّوارِبِ

وقُتل سليمانُ بنُ صُرَد ومن قُتل معه بعَين الوردة من التوّابين فى شهر ربيع الآخر . ٢/٥٧٦

---

(١) ابن الأثير : « ناصلا » .
(٢) حسوهم : « قتلوهم » .
(٣) ابن الأثير : « وأضحى » ، وفيه أن الخزاعى الذي في الشعر هو سليمان بن صرد الخزاعى .
(٤) ابن الأثير : « رأس بنى شمخ » هو المسيب بن نجبة الفزارى ، وفارس شنوءة هو عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدى ، والتيمى هو عبد الله بن وال التيمى من تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن على بن بكر بن وائل » .
(٥) ابن الأثير : «الوليد هو ابن عصير الكناني ، وخالد هو ابن سعد بن نفيل ، أخو عبد الله» .

[ذكر الخبر عن بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابنى مروان]

وفى هذه السنة أمر مروان بن الحكَم أهلَ الشأم بالبيعة من بعده لابنيْه عبد الملك وعبد العزيز ، وجعلَهما وليَّ العهد .

* ذكر الخبر عن سبب عقد مروان ذلك لها :

قال هشام ، عن عوانة قال : لما هزَم عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق مصعبَ بن الزبير حين وجَّهه أخوه عبدُ الله إلى فلسطين وانصرف راجعًا إلى مروان ، ومروانُ يومئذ بدِمَشق ، قد غلب على الشأم كلِّها ومصر ، وبلغ مروان أنّ عمراً يقول : إنّ هذا الأمر لى من بعد مروان ، ويدّعى أنه قد كان وعَدَه وعداً ، فدعا مروانُ حسّان بن مالك بن بحدل فأخبرَه أنه يريد أن يبايع لعبد الملك وعبد العزيز ابنيه من بعده ، وأخبره بما بلغه عن عمرو بن سعيد ، فقال : أنا أكفيك عَمرًا ، فلما اجتمع الناس عند مروان عشيًّا قام ابن بحدل فقال : إنه قد بلغنا أنّ رجالا يتمنون أمانىّ ، قُوموا فبايعوا لعبدالملك ولعبد العزيز من بعده ؛ فقام الناس ، فبايعوا من عند آخرهم .

* * *

[ذكر الخبر عن موت مروان بن الحكم]

وفى هذه السنة مات مروانُ بنُ الحكَم بدمشق مستهلّ شهر رمضان .

* ذكر الخبر عن سبب هلاكه :

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر قال : حدّثنى موسى بن يعقوب ، عن أبى الحويرث ، قال : لما حضرت معاويةَ ابن يزيد أبا ليلى الوفاة ، أبى أن يَستخلف أحداً ، وكان حسان بن مالك بن بَحْدل يريد أن يجعل الأمر بعد معاوية بن يزيد لأخيه خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان صغيراً ، وهو خال أبيه يزيد بن معاوية ، فبايع لمروان ، وهو يريد أن يجعل الأمر بعده لخالد بن يزيد ، فلما بايع لمروان وبايعه معه أهل الشأم قيل لمروان : تزوّجْ أمّ خالد — وأمه أمّ خالد ابنة أبى هشام بن عتبة — حتى تُصغِّر ٥٧٧/٢

شأنه ، فلا يطلب الخلافة ؛ فتزوّجها ، فدخل خالد يومًا على مروانَ وعنده جماعةٌ كثيرة ، وهو يمشى بين الصفّين ، فقال : إنه والله ما علمتُ لأحمق ، تعالَ يا بن الرَّطبة الاست — يقصّر به ليُسقطه من أعين أهل الشأم — فرجع إلى أمه فأخبرَها ، فقالت له أمّه : لا يُعرَفنّ ذلك منك ، واسكت فإنى أكفيكه ؛ فدخل عليها مروان ، فقال لها : هل قال لكِ خالد فىّ شيئًا ؟ فقالت : وخالد يقول فيك شيئًا ! خالد أشدّ لك إعظامًا من أن يقول فيك شيئًا ؛ فصدّقها ، ثمّ مكثت أيامًا ، ثمّ إنّ مروانَ نام عندها ، فغطّته بالوِسادة حتى قتلتْه .

قال أبو جعفر : وكان هلاك مروانَ فى شهر رمضانَ بدمشق ، وهو ابن ثلاث وستين سنة فى قول الواقدىّ ؛ وأمّا هشام بن محمد الكلبى فإنه قال : كان يومَ هَلَك ابنَ إحدى وستين سنة ؛ وقيل : تُوفِّى وهو ابن إحدى وسبعين سنة ؛ وقيل : ابن إحدى وثمانين سنة ؛ وكان يُكنَى أبا عبد الملك ، وهو مروان بن الحكَم بن أبى العاص بن أميّة بن عبد شمس ، وأمّه آمنة بنت علقمة ابن صَفْوان بن أميّة الكنانىّ ، وعاش بعد أن بويع له بالخلافة تسعة أشهر ؛ وقيل : عاش بعد أن بويع له بالخلافة عشرة أشهر إلاّ ثلاث ليال ، وكان قبل هلاكه قد بعث بعثَيْن : أحدهما إلى المدينة ، عليهم حُبَيش بن دُلجَة القَينىّ ، والآخر منهما إلى العراق ، عليهم عُبيد الله بنُ زياد ، فأما عبيد الله ابن زِياد فسار حتى نزل الجزيرة ، فأتاه الخبر بها بموْت مروان ، وخرج إليه التوّابون من أهل الكوفة طالبين بدَم الحسين ، فكان من أمرهم ما قد مضى ذكرُه ، وسنذكر إن شاء الله باقىَ خبرِه إلى أن قُتل . ٥٧٨/٢

* * *

[ذكر خبر مقتل حبيش بن دلجة]

وفى هذه السنة قتل حُبيش بن دُلْجة . وأما حبيش بن دُلْجة ؛ فإنه سار حتى انتهى — فيما ذُكِر عن هشام ، عن عوانة بن الحكَم — إلى المدينة ، وعليهم جابر ابن الأسود بن عوف ، ابن أخى عبد الرّحمن بن عوف ؛ مِن قِبَل عبد الله بن

الزبير ، فهرب جابر من حُبيش . ثمّ إنّ الحارث بن أبى ربيعة — وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة — وجّه جيشًا من البصرة ، وكان عبد الله بن الزبير قد ولّاه البصرة، عليهم الُحنيف بن السجْف التيمىّ لحرب حبيش ابن دُلْجة ، فلما سمع حبيش بن دُلْجة سار اليهم من المدينة ، وسرّح عبدالله ابن الزبير عبّاس[1] بن سهل بن سعد الأنصارىّ على المدينة ، وأمره أن يسيرَ فى طلب حبيش بن دُلْجة حتى يوافىَ الجند من أهل البصرة الذين جاءوا ينصرُون ابنَ الزبير ، عليهم الحنيف ، وأقبل عبّاس فى آثارهم مُسرعًا حتى لحقهم بالرَّبَذَة ، وقد قال أصحاب ابن دلجة له : دَعْهم ، لا تعجلْ إلى قتالهم ؛ فقال : لا أنزل حتى آكلَ من مُقَنَّدهم ، —يعنى السَّويق الذى فيه القَنْد— فجاءه سهمُ غَرْب فقتَله ، وقتل معه المنذر بن قيس الجذامىّ ، وأبو عتّاب مولَى أبى سُفْيان ، وكان معه يومئذ يوسفُ بن الحَكم ، والحجاج بن يوسف ، وما نَجَوا يومئذ إلا على جَمل واحد ، وتحرّز منهم نحوٌ من خمسمائة فى عمود المدينة ، فقال لهم عباس : انزِلوا على حُكْمى ، فنزلوا على حُكْمه فضرب أعناقَهم ، ورجع فلُّ حُبَيش إلى الشأم .

حدّثنى أحمد بن زهير ، عن علىّ بن محمد أنه قال : الذى قتل حبيش ابن دُلْجة يوم الرَّبَذَة يزيد بن سِيَاه الأسوارىّ ، رماه بنُشّابة فقتله ، فلما دخلوا المدينة وقف يزيد بن سياه على بِرْذَون أشهبَ وعليه ثيابٌ بياض ، فما لبث أن اسودّت ثيابُه ، ورأيتُه ممّا مسح الناسُ به ومما صبّوا عليه من الطِّيب .

* * *

[ذكر خبر حدوث الطاعون الجارف]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة وقع بالبصرة الطاعونُ الذى يقال له الطاعون الجارف ، فهلك به خلقٌ كثير من أهل البصْرة .

حدّثنى عمرُ بن شبّة ، قال : حدّثنى زهير بن حرب ، قال : حدّثنا وهب بنُ جرير ، قال : حدّثنى أبى ، عن المصعب بن زيد أن الجارفَ وقع وعبيد الله بن

(١) ط : « عياش » ، وانظر الفهرس .

عبيد الله بن مَعمَر على البصرة ، فماتت أمه فى الجارف ، فما وجدوا لها من يَحمِلها حتى استأجروا لها أربعة عُلُوج فحملوها إلى حُفْرتها وهو الأمير يومئذ .

[مقتل نافع بن الأزرق واشتداد أمر الخوارج]

وفى هذه السنة اشتدّت شوكة الخَوارج بالبصرة، وقتل فيها نافعُ بنُ الأزرق.

* ذكر الخبر عن مقتله :

حدّثنى عمر بن شبّة، قال: حدّثنا زهير بن حرب، قال: حدّثنا وهب بن جرير، قال: حدّثنا أبى، عن محمد بن الزبير، أنّ عبيد الله بن عبيد الله بن مَعمَر بعث أخاه عثمان بن عبيد الله إلى نافع بن الأزرق فى جيش، فلقيهم بدولاب، فقُتِل عثمان وهُزِمَ جيشُه.

قال عمر: قال زهير: قال وهب: وحدّثنا محمد بن أبى عيينة، عن سبْرة بن نخْف، أنّ ابن معمر عبيد الله بعث أخاه عثمان إلى ابن الأزرق، فهُزِم جندُه وقُتِل؛ قال وهب: فحدّثنا أبى أنّ أهل البَصْرة بعثوا جيشاً عليهم حارثةُ بن بدر، فلقيهم، فقال لأصحابه:

كَرْنِبُوا وَدَوْلِبُوا وحيثُ شئتمْ فاْذهَبُوا

حدّثنا عمر، قال: حدّثنا زهير، قال: حدّثنا وهب، قال: حدّثنا أبى ومحمد بن أبى عيينة، قالا: حدثنا معاوية بن قرّة، قال: خرجنا مع ابن عُبيس فلقيناهم، فقتل ابن الأزرق وابنان أو ثلاثة للماحُوز، وقُتِل ابن عُبيس. ٢/٥٨١

قال أبو جعفر: وأمّا هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبى مخنف، عن أبى المخارق الراسبىّ من قصّة ابن الأزرق، وبنِى الماحوزُ قصّةً هى غيرُ ما ذكره عمر، عن زهير بن حرب، عن وهب بن جرير؛ والذى ذكر من خبرهم أنّ نافع بن الأزرق اشتدّت شوكته باشتغال أهل البصرة بالاختلاف الذى كان بين الأزْد وربيعة وتميم بسبب مسعود بن عمرو، وكثرت جموعُه، فأقبل نحوَ البصرة حتى دنا من الجسْر، فبعث إليه عبدُالله بن الحارث مُسْلمَ ابن عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف فى أهل

البصرة ، فخرج إليه ، فأخذ يَحُوزه عن البصرة ، ويدفعه عن أرضها ، حتى بلغ مكانًا من أرض الأهواز يقال له : دُولاب ، فتهيّأ الناس بعضُهم لبعض وتزاحفوا ، فجعل مسلم بن عبيس على ميمنته الحجّاج بن باب الحِميَرىّ ، وعلى ميسرته حارثة بن بدر التميمىّ ، ثم الغُدانىّ ، وجعل ابنُ الأزرق على ميمنته عَبيدة بن هلال اليَشكرىّ ، وعلى ميسرته الزبير بن الماحوز التميمىّ ؛ ثمّ التقَوا فاضطربوا ، فاقتتل الناس قتالا لم يُر قتال قطّ أشدّ منه ، فقتِل مسلم ابن عُبيس أمير أهل البصرة ، وقتل نافع بن الأزرق رأس الخوارج ، وأمّر أهل البصرة عليهم الحجّاج بن باب الحميرىّ ، وأمّرت الأزارقةُ عليهم عبدَالله ابن الماحوز ، ثمّ عادوا فاقتتلوا أشدّ قتال ، فقتل الحجّاج بن باب الحميرىّ أمير أهل البصرة ، وقتل عبد الله بن الماحوز أمير الأزارقة . ثمّ إنّ أهل البصرة ٥٨٢/٢ أمّروا عليهم ربيعة الأجذم التميمىّ ، وأمّرت الخوارجُ عليهم عُبيدَالله بن الماحوز ، ثمّ عادوا فاقتتلوا حتى أمسَوا ، وقد كَرِه بعضُهم بعضًا ، وملّوا القتال ، فإنهم لمُتواقفون[1] متحاجزون حتى جاءت الخوارج سريّة لهم جامّة لم تكن شهدت القتالَ ، فحملتْ على الناس من قِبَل عبد القيس ، فانهزم الناس ، وقاتل أمير البصرة ربيعةُ الأجذم[2] ، فقتل ، وأخذ راية أهل البصرة حارثةُ بن بدر ، فقاتل ساعةً وقد ذهب الناس عنه ، فقاتل من وراء الناس فى حماتهم ، وأهل الصبر منهم ، ثمّ أقبل بالناس حتى نزل بهم منزلا بالأهواز ففى ذلك يقول الشاعر من الخوارج :

يا كَبِدَا من غيرِ جُوعٍ ولا ظَمَإٍ ... ويا كَبِدى من حُبِّ أُمِّ حَكيمِ[3]
ولو شَهِدَتنى يوم دُولابَ أَبْصرتْ ... طِعَانَ امرئٍ فى الحرب غيرِ لئيمِ[4]

---

(١) ف : « لكذلك متوافقون » . (٢) الكامل : « الربيع بن عمرو الأجذم الغدانى ».
(٣) الكامل ٦١٨ ، ٦١٩ طبع أوربا ؛ بزيادة فى الأبيات : ونسبها إلى قطرى بن الفجاءة .
وأم حكيم : امرأة من الخوارج كانت معه ؛ وكانت تحمل على الناس وترتجز :

أَحْمِلُ رأْساً قد سَئِمتُ حمْلَهْ ... وقَد مللتُ دَهْنَه وغسْلَهْ
* ألا فتًى يحمل عَنّى ثِقْلَهْ *

(٤) الكامل : « فتى فى الحرب غير ذميم » .

غَدَاةَ طَفَتْ فى الماءِ بكْرِ بنُ وائلٍ ... وعُجْنَا صُدُورَ الخيل نحوَ تميمِ [١]

وكان لعبدِ القيْس أَوَّلُ حَدِّنا ... وذَلَّتْ شُيُوخُ الأَزْدِ وَهْيَ تَعُومُ [٢]

وبلغ ذلك أهل البصرة ، فهالَهم وأفزعَهم ، وبعث ابنُ الزبير الحارثَ ابن عبد الله بن أبى ربيعة القرشىَّ على تلك الحَرّة ، فقَدم ، وعزل عبد الله ابن الحارث ، فأقبلتْ الخوارجُ نحوَ البصرة ، وقَدِم المهلّب بن أبى صُفْرة على تلك [٣] من حال الناس [٤] من قِبَل عبد الله بن الزّبير ، معه عهدُه على خراسان ، فقال الأحنف للحارث بن أبى ربيعة وللناس عامّة : لا والله ، ما لهذا الأمر إلاّ المهلّبُ [بن أبى صُفْرة] [٥] ، فخرج أشرافُ الناس ، فكلّموه أن يتولّى قتالَ الخوارج ؛ فقال : لا أفعل ، هذا عهدُ أميرِ المؤمنين معى على خُراسان ، فلم أكن لأدَعَ عهدَه وأمره ، فدعاه ابن أبى ربيعة فكلّمه فى ذلك ، فقال له مثل ذلك ، فاتفق رأىُ ابن أبى ربيعة ورأىُ أهل البصرة على أن كتبوا على لسان ابن الزبير :

بسم الله الرّحمن الرحيم . من عبد الله بن الزُّبير إلى المهلب بن أبى صُفرة ، سلامٌ عليك ، فإنى أحمد إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنّ الحارث بن عبد الله كتب إلىّ أنّ الأزارقة المارِقَة أصابوا جُنْداً

---

(١) رواية الكامل : « عَلْماءِ » .

(٢) رواية الكامل :

غَدَاةَ طفَتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بن وائلٍ ... وعُجْنَا صُدُور الخيْلِ نَحْوَ تَمِيمِ

وكان لعبد القيس أَوّل جَدّها ... وأَحلافِهَا من يَحْصُبٍ وسَلِيمِ

وَظَلّتْ شيوخُ الأَزْدِ فى حَوْمةِ الوَغَى ... تَعومُ وظِلْنَا فى الجِلادِ نَعومُ

فلمْ أَرَ يوماً كَانَ أَكْثرَ مُقْعَصًا ... يمجُّ دمًا من فائظٍ وكليمِ

وضاربة خداً كريماً على فتًى ... أَغرَّ نَجيبِ الأُمهاتِ كريمِ

أُصيبَ بدولابٍ ولم تك موطنًا ... له أَرضُ دولابٍ وديرِ حميمِ

فلوْ شهدتنا يومَ ذاك وخيلُنَا ... تبيحُ من الكفّار كُلَّ حريمِ

رأَتْ فتيةً باعُوا الإِلَه نفوسَهُمْ ... بجنّاتِ عدنٍ عنده ونَعِيمِ

(٣) ف : « ذلك » . (٤) ف : « المسلمين » . (٥) من ف .

للمسلمين كان عددُهم كثيراً ، وأشرافهم كثيراً ، وذكر أنهم قد أقبلوا نحو البَصرة ، وقد كنتُ وجّهتُك إلى خُراسانَ ، وكتبت لك عليها عهداً ، وقد رأيتُ حيث ذكر هذه الخوارج أن تكون أنتَ تلى قتالَهم ، فقد رجوتُ أن يكون ميمونًا طائرُك ، مباركًا على أهل مِصرِك ، والأجر فى ذلك أفضل من المسير إلى خُراسان ، فسرْ إليهم راشداً ، فقاتلْ عدوّ الله وعدوّك ، ودافع عن حقك وحقوقِ أهل مصرك ، فإنه لن يفوتَك من سلطاننا خُراسانُ ولا غيرُ خراسانَ إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله . ٢/٥٨٤

فأتِىَ(١) بذلك الكتاب ، فلما قرأه قال : فإنى والله لا أسير إليهم إلا أن تجعلوا لى ما غلبتُ عليه ، وتُعْطونى من بيت المال ما أقوِّى به مَن معى ، وأنتخب من فُرسان الناس ووجوهِهم وذَوِى الشرف مَن أحببت ؛ فقال جميعُ أهل البصرة : ذلك لك ؛ قال : فاكتبوا لى على الأخماس بذلك كتابًا ففعلوا ، إلا ما كان من مالك بن مِسْمَع وطائفة من بكر بن وائل ، فاضطغنَها عليهم المهلَّب ، وقال الأحنف وعبيد الله بن زياد بن ظَبيان وأشراف أهل البصرة للمهلّب : وما عليك ألاّ يَكتُب لك مالك بن مسمع ولا من تابعه من أصحابه ، إذا أعطاكَ الذى أردتَ من ذلك جميع أهل البصرة ! ويستطيع مالك خلاف جماعة الناس أوله ذلك ! انكمشْ أيها الرجل ، واعزمْ على أمرِك ، وسرْ إلى عدوّك ؛ ففعل ذلك المهلب ، وأمَّر على الأخماس ، فأمَّر عبيد الله بن زياد بن ظَبيانَ على خمس بكر بن وائل ، وأمَّر الحَرِيش ابن هلال السعدىّ على خمس بنى تميم ، وجاءت الخوارج حتى انتهت إلى الجسْر الأصغر ، عليهم عبيد الله بن الماحوز ، فخرج إليهم فى أشراف الناس وفُرسانهم ووجوههم ، فحازهم(٢) عن الجسر ، ودفعهم عنه ، فكان أوّل شىء دفعهم عنه أهل البصرة ، ولم يكن بقِىَ لهم إلا أن يدخلوا ؛ فارتفعوا إلى الجسر الأكبر . ثمّ إنه عبّأ لهم ، فسار إليهم فى الخيل والرّجال ، فلما أن رأوا أن قد أظلّ عليهم ، وانتهى إليهم ، ارتفعوا فوق ذلك مَرحلة أخرى ، فلم يزل يحوزهم ويرفعهم مَرحلةً بعد مرحلة ، ومنزلة بعد منزلة ، حتى انتَهوْا إلى منزل ٢/٥٨٥

---

(١) ف : « وأتى » .

(٢) ف : « فحاربهم » .

من منازل الأهواز يقال له سَلَّى وسَلَّبْرَى ، فأقاموا به ؛ ولما بلغ حارثة بن بدر الغُدَانى أن المهلب قد أمِّر على قتال الأزارقة ، قال لمن معه من الناس :

كَرْنِبوا وَدْوِلِبوا وحيثُ شئتمْ فاذهبُوا

* قد أُمِّرَ المهلَّبُ *

فأقبل من كان معه نحو البصرة ، فصرفهم الحارثُ بن عبد الله بن أبى ربيعة إلى المهلب ؛ ولما نزل المهلب بالقوم خَنْدَقَ عليه ، ووضع المسالحَ ، وأذكى العيون ، وأقامَ الأحراس ، ولم يزل الجندُ على مصافِّهم ، والناس على راياتهم وأخماسهم ، وأبواب الخنادق عليها رجال موكَّلون بها ، فكانت الخوارج إذا أرادو ابيَاتَ المهلّب وجدوا أمراً مُحْكَماً ، فرجعوا ، فلم يقاتلْهم إنسانٌ قطّ كان أشدّ عليهم ولا أغيَظَ لقلوبهم منه .

قال أبو مخنف : فحدّثنى يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، أن رجلاً كان فى تلك الخوارج حدّثه أنّ الخوارج بعثتْ عَبيدَةَ ابن هلال والزبير بن الماحوز فى خيلين عظيمين ليلا إلى عسكر المهلب ، فجاء الزبير من جانبه الأيمن ، وجاء عَبيدة من جانبه الأيسر ، ثمّ كبّروا وصاحوا بالناس ، فوجَدوهم على تعبيتهم ومصافِّهم حَذِرين مُغِذِّين ، فلم يصيبوا للقوم غِرّةً ، ولم يَظفَروا منهم بشىء ، فلما ذهبوا ليرجعوا ناداهم عبيدُ الله ابن زياد بن ظَبْيانَ فقال : ٥٨٦/٢

وَجَدتمُونا وُقُرًا أَنْجَادَا لا كُشُفاً خُورًا ولا أَوْغَادَا[(١)]

هيهات ! إنّا إذا صِيحَ بنا أتيْنا ، يا أهل النار ، ألَا ابكروا إليها غداً ، فإنها مأواكم ومثواكم ؛ قالوا : يافاسق ، وهل تُدَّخر النار إلا لك ولأشباهك ! إنّها أعِدّتْ للكافرينَ وأنت منهم ؛ قال : أتسمعون ! كلُّ مملوك لى حرّ

(١) الكامل ٦٦٩ (طبع أوربا) ؛ ونسبه إلى الحريش بن هلال ؛ وذكر معه بيتاً آخر بهذه الرواية :

لقدْ وَجَدْتُمْ وُقُرًا أَنجادا لا كُشُفاً مِيلاً ولا أوغادَا

هيهاتَ لا تُلْفُوننا رُقَّادَا لا بلْ إذا صِيحَ بنا آسادا

إنْ دخلتم أنتم الجنة إن بقيَ فيما بين سَفَوان إلى أقصى حجر من أرض خُراسانَ مجوسىٌّ ينكح أمّه وابنته وأختَه إلا دخلها ؛ قال له عَبيدة : اسكت يا فاسق فإنما أنت عبد للجبّار العنيد ، ووزيرٌ للظالم الكفور ؛ قال : يا فاسق ، وأنت عدوّ المؤمن التقىّ ، ووزير الشيطان الرّجيم ؛ فقال الناس لابن ظَبيان : وفّقك الله يابن ظبيان ؛ فقد والله أجبتَ الفاسق بجوابه ، وصَدَقته . فلما أصبح الناس أخرجَهُم المهلّب على تعبيتهم وأخماسهم ، ومواقفهم الأزدُ ،وتميم ميمنة الناس ، وبكر بن وائل وعبد القيس ميسرة الناس ، وأهل العالية فى القَلْب وسط الناس .

وخرجت الخوارجُ على ميمنتهم عَبيدة بن هلال اليشكرىّ ، وعلى ميسرتهم الزّبير بن الماحوز ، وجاءوا وهم أحسن عُدَّة ، وأكرم خيولا ، وأكثر سلاحًا من أهل البصرة ؛ وذلك لأنهم مَخَروا الأرض وجرّدوها ، وأكلوا ما بين كَرْمان إلى الأهواز ، فجاءوا عليهم مَغافرُ تضرب إلى صدورهم ، وعليهم دُروعٌ يَسحَبونها ، وسوق من زَرَد يشدّونها بكلاليب الحديد إلىمناطقهم ، فالتقَى الناسُ فاقتتلوا كأشدّ القتال ، فصبر بعضُهم عامّة النهار . ثمّ إنّ الخوارج شدّت على الناس بأجمعها شدّةً منكرة ، فأجفل الناسُ وانصاعوا منهزمين لا تلوى أمٌّ على ولد[1] حتى بلغ البصرة هزيمةُ الناس ، وخافوا السِّباءَ ، وأسرع المهلّب حتى سبقهم إلى مكان يَفاع فى جانب عن سَنن المنهزمين .

٥٨٧/٢

ثمّ إنه نادى الناسَ : إلىّ إلىّ عبادَ الله ، فثاب إليه جماعةٌ من قومه ، وثابت إليه سَرِيّة عُمَان فاجتمع إليه منهم نحوٌ من ثلاثة آلاف ، فلما نظر إلى مَنْ قد اجتمع رضى جماعتهم ، فحَمد الله وأثنَى عليه ثمّ قال : أما بعد ، فإنّ الله ربّما يَكِلُ الجمعَ الكثيرَ إلىأنفسهم فيُهزَمون ، ويُنزل النصرَ على الجمع اليسير فيَظهرون ، ولَعَمرى ما بكم الآن من قلّة ، إنى لجماعتكم لَراضٍ ؛ وإنكم لأنتم أهل الصبر ، وفُرسان أهل المِصْر ، وما أحبُّ أنّ أحداً ممن انهزم معكم ، فإنهم لو كانوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا . عزمت على كلّ امرئٍ منكم لَما أخذ عشرة أحجار معه ، ثم امشوا بنا نحو

(١) ف : « أم ولد على ولدها » .

عسكرهم ، فإنهم الآن آمنون ، وقد خرجتْ خيلُهم فى طلب إخوانكم ؛ فوالله إنّى لأرجو ألّا ترجع إليهم خيلُهم حتى تستبيحوا عسكَرَهم، وتقتلوا أميرهم . ففعلوا ، ثمّ أقبل بهم راجعًا ، فلا والله ما شعرت الخوارج إلا بالمهلّب يضاربهم بالمسلمين فى جانب عسكرهم . ثم استقبلوا عبيد الله بن الماحوز وأصحابه ، ٥٨٨/٢ وعليهم الدّروع والسلاح كاملا ، فأخذ الرجل من أصحاب المهلَّب يستقبل الرجلَ منهم ، فيستعرض وجهه بالحجارة فيرميه حتى يُشْخنَه، ثم يطعنه بعد ذلك برمحه ، أو يضربه بسيفه ، فلم[1] يقاتلْهم إلا ساعة حتى قُتل عبيد الله ابن الماحوز ، وضرب الله وجوهَ أصحابه؛ وأخذ المهلَّب عسكر القوم وما فيه، وقتل الأزارقة قتلاً ذريعًا ، وأقبل مَنْ كان فى طلب أهل البصرة منهم راجعًا ؛ وقد وضع لهم المهلَّب[2] خيلًا ورجالًا فى الطريق تختطفهم وتقتلهم، فانكفئوا راجعين مفلولين ، مقتولين محروبين[3] ، مغلوبين ؛ فارتفعوا إلى كَرْمان وجانب أصفهان ، وأقام المهلّب بالأهواز ، ففى ذلك اليوم يقول الصَّلَتَانُ العَبْدىّ :

بِسِلِّى وسِلَّبْرَى مَصارعُ فتيَةٍ   كرامٍ وقَتْلَى لم تُوَسَّدْ خدودُها[4]

وانصرفت الخوارج حين انصرفت ؛ وإنّ أصحاب النيران الخمس والست لَيجتمعون على النار الواحدة من الفلول وقلّة العدد ،حتى جاءتهم مادّةٌ لهم من قِبَل البحرين ، فخرجوا نحو كرْمان وأصبهان ؛ فأقام المهلب بالأهواز فلم يزل ذلك مكانه حتى جاء مُصعب البصرةَ ،وعزل الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة عنها .

ولما ظهر المهلّب على الأزارقة كتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . للأمير الحارث بن عبد الله، من المهلّب بن أبى صُفرة . سلام عليك ؛ فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ؛ أما بعد ٥٨٩/٢ فالحمد لله الذى نصر أميرَ المؤمنين ، وهزم الفاسقين ، وأنزل بهم نقمته ، وقتلهم كلّ قتلة ، وشرّدهم كلَّ مشرَّد. أخبر الأمير أصلحه الله أنّا لقينا الأزارقة

(١) ف : « ولم » . (٢) ف : « المهلب لهم » . (٣) ف : « محزونين » .
(٤) الكامل ٦٣٨ ، وروايته : « كرام وجرحى » .

بأرض من أرض الأهواز يقال لها سِلّى وسِلَّبْرى ؛ فزحفنا إليهم ثم ناهضناهم ، فاقتتلنا كأشد القتال مليًّا من النهار . ثم إن كتائب الأزارقة اجتمع بعضها إلى بعض ، ثم حملوا على طائفة من المسلمين فهزموهم ؛ وكانت فى المسلمين جوْلة قد كنت أشفقت أن تكون هى الأصرّى منهم . فلما رأيت ذلك عَمَدت إلى مكان يَفاع فعلوته ، ثم دعوت إلىّ عشيرتى خاصّة والمسلمين عامة ، فثاب إلىّ أقوام شرَوْا أنفسَهم ابتغاءَ مرضاة الله من أهل الدّين والصبر والصدق والوفاء ، فقصدت بهم إلى عسكر القوم ؛ وفيه جماعتهم وحدّهم وأميرهم قد أطاف[١] به أولو فضلهم فيهم ، وذوو النيّات منهم ؛ فاقتتلْنا ساعة رمْياً بالنَّبْل ، وطعناً[٢] بالرماح . ثم خلص الفريقان إلى السيوف ؛ فكان الجلاد بها ساعة من النهار مبالطةً ومبالدةً . ثمّ إن الله عزّ وجلّ أنزل نصره على المؤمنين ، وضرب وجوه الكافرين ونزل طاغيتُهم فى رجال كثير من حُماتهم وذوى نيّاتهم ، فقتلهم الله فى المعركة . ثمّ اتّبعت الخيل شرادَهم[٣] فقتلوا فى الطريق والآخاذ[٤] والقرىّ ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليك ورحمة الله .

فلما أتى هذا الكتابُ الحارثَ بن عبد الله بن أبى ربيعة بعثَ به إلى الزُّبير فقرئ على الناس بمكّة . ٢ / ٥٩٠

وكتب الحارث بن أبى ربيعة إلى المهلَّب :

أما بعد ؛ فقد بلغنى كتابك ، تذكر فيه نصر الله إيّاك ، وظفَر المسلمين ، فهنيئًا لك يا أخا الأزد بشرف الدنيا وعزّها ، وثوابِ الآخرة وفضلها ، والسلام عليك ورحمة الله .

فلما قرأ المهلَّب كتابه ضحك ثم قال : أما تظنّونه يعرفنى إلا بأخى الأزد ! ما أهل مكة إلا أعرابٌ .

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو المُخارِق الراسبىّ أن أبا علقمة اليَحْمَدِىّ قاتَلَ يوم سِلَّى وسِلَّبرَى قتالا لم يقاتله أحدٌ من الناس ؛ وأنه أخذ ينادى فى

---

(١) ف : « أطافت » .
(٢) ف : « واطعنا » .
(٣) ف : « شذاذهم » .
(٤) ف : « والأخاديد »

شَباب الأزْد وفتيان اليَحْمَد : أعيرونا جَماجِمَكم ساعةً من نهار ؛ فأخذ فتيانٌ منهم يكرّون ، فيقاتلون ثم يرجعون إليه ؛ يضحكون ويقولون : يا أبا علقمة ، القدورُ تُستعار ! فلما ظهر المهلّب ورأى من بلائه ما رأى وفّاه مائة ألف .

وقد قيل : إنّ أهلَ البصرة قد كانوا سألوا الأحنف قَبْل المهلب أن يقاتل الأزارقة ، وأشار عليهم بالمهلّب ، وقال : هو أقوى على حربهم منى ، وإن المهلب إذ أجابهم إلى قتالهم شَرَط على أهل البصرة أنّ ما غلب عليه من الأرض فهو له ولمن خفّ معه من قومه وغيرهم ثلاثَ سنين ، وأنه ليس لمن تخلّف عنه منه شيء . فأجابوه إلى ذلك ، وكتب بذلك عليهم كتابًا ، وأوفدوا بذلك وفدًا إلى ابن الزبير .

٢/٥٩١ وإنّ ابن الزبير أمضى تلك الشروط كلّها للمهلّب وأجازها له ، وإنّ المهلب لما أجيب إلى ما سأل وجّه ابنه حبيبًا فى ستمائة فارس إلى عمرو القَنَا ، وهو معسكر خلْف الجسر الأصغر فى ستمائة فارس ، فأمر المهلب بعقد الجسر الأصغر ، فقطع حبيب الجسر إلى عمرو ومَن معه ؛ فقاتلهم حتى نفاهم عما بين الجسر ، وانهزموا حتى صاروا من ناحية الفُرات ، وتجهّز المهلب فيمن خفّ من قومه[1] معه ، وهم اثنا عشر ألف رجل ، ومن سائر الناس سبعون رجلًا ، وسار المهلب حتى نزل الجسر الأكبر ، وعمرو القنا بإزائه فى ستمائة . فبعث المغيرة بن المهلب فى الخيل والرّجالة ، فهزمتهم الرّجالة بالنّبل ، واتبعتهم الخيل ، وأمر المهلب بالجسر فعُقد ، فعَبر هو وأصحابه ، فلحق عمرو القنا حينئذ بابن الماحوز وأصحابه ؛ وهو بالمَفْتَح ، فأخبروهم الخبر ، فساروا فعسكروا دون الأهواز بثمانية فراسخ ، وأقام المهلّب بقية سنته ، فجبَى كُوَر دِجْلة ، ورزَقَ أصحابَه ، وأتاه المدَد من أهل البصرة لما بلغهم ذلك ؛ فأثبتهم فى الديوان وأعطاهم حتى صاروا ثلاثين ألفًا .

قال أبو جعفر : فعلَى قول هؤلاء كانت الوقعة التى كانت فيها هزيمة الأزارقة وارتحالهم عن نواحى البصرة والأهواز إلى ناحية أصبهَان وكرمان فى

(١) ف : « معه من قومه » .

سنة ست وستين. وقيل: إنهم ارتحلوا عن الأهواز وهم ثلاثة آلاف، وإنه قتل منهم فى الوقعة التى كانت بينهم وبين المهلّب بسلّى وسلّبرى سبعة آلاف .

* * *

٥٩٢/٢ قال أبو جعفر : وفى هذه السنة وجّه مرْوان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمّداً إلى الجزيرة ، وذلك قبل مسيره إلى مصر .

* * *

وفى هذه السنة عزل عبد الله بن الزّبير عبدَ الله بن يزيد عن الكوفة ، وولّاها عبد الله بن مطيع ، ونزع عن المدينة أخاه عبيدة بن الزبير ، وولّاها أخاه مُصعب بن الزبير ، وكان سبب عزله أخاه عبيدة عنها أنه –فيما ذكر الواقدىّ– خطَب الناس فقال لهم: قد رأيتم ما صُنع بقوم فى ناقة قيمتها خمسمائة درهم، فسُمِّىَ مقوِّمَ الناقة ؛ وبلغ ذلك ابن الزبير فقال: إنّ هذا لهو التكلّف .

* * *

[ذكر خبر بناء عبد الله بن الزبير البيت الحرام]

وفى هذه السنة بَنَى عبد الله بن الزبير البيتَ الحرام، فأدخل الحِجْر فيه .

أخبرنا إسحاق بن أبى إسرائيل ، قال : حدّثنى عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعانىّ أبو محمد ، قال : حدّثنى زياد بن جبيل أنه كان بمكّة يومَ غلب ابن الزبير ، فسمعه يقول : إنّ أمى أسماء بنت أبى بكر حدّثتْنى أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة : لولا حداثةُ عهد قومك بالكفر رددت الكعبة على أساس إبراهيم؛ فأزيد فى الكعبة من الحِجْر. فأمر به ابن الزبير فحفر ، فوجدوا قِلاعًا أمثال الإبل، فحرّكوا منها صخرة، فبرقتْ بارقة فقال : أقرّوها على أساسها ، فبناها ابن الزبير ، وجعل لها بابين: يُدخل من أحدهما ويُخرَج من الآخَر .

* * *

٥٩٣/٢ قال أبو جعفر : وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكان على المدينة أخوه مصعب بن الزبير ، وعلى الكوفة فى آخر السنة عبد الله بن مطيع ، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ؛ وهو الذى

يقال له القُباع . وعلى قضائها هشام بن هُبَيرة ، وعلى خراسان عبد الله بن خازم .

* * *

[خروج بنى تميم بخراسان على عبد الله بن خازم]

وفى هذه السنة خالف مَن كان بخُراسان من بنى تميم عبدَ الله بن خازم حتى وقعتْ بينهم حروب .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر — أن مَن كان بخُراسان من بنى تميم أعانوا عبدَ الله بن خازم على مَن كان بها من ربيعة ، وعلى حَرْب أوْس بن ثعلبة حتى قَتَل من قَتَل منهم ، وظَفِر به ؛ وصفا له خراسان ، فلما صفا له ولم ينازعه به أحد جَفاهم . وكان قد ضمّ هَرَاةَ إلى ابنه محمد واستعمله عليها ؛ وجعل بكير بن وِشَاح على شُرْطته ، وضمّ إليه شَمّاس بن دِثَار العُطَارديّ ؛ وكانت أمّ ابنه محمد امرأةً من تميم تدعى صَفيَّة ، فلما جفا ابن خازم بنى تميم أتوْا ابنه محمَّداً بهرَاة ؛ فكتب ابن خازم إلى بكير وشمّاس يأمرهما بمنع بنى تميم من دخول هَرَاة ؛ فأما شماس بن دثار فأبَى ذلك ، وخرج من هَرَاة ، فصار من بنى تميم ، وأما بُكير فمنعهم من الدخول . ٢/٥٩٤

فذكر عليّ بن محمد أن زهير بن الهُنَيْد حدّثه أنّ بُكير بن وِشَاح لمّا منع بنى تميم من دخول هَرَاة أقاموا ببلاد هَرَاة ، وخرج إليهم شمّاس بن دِثار فأرسل بكير إلى شماس : إنى أعطيك ثلاثين ألفًا ، وأعطى كلّ رجل من بنى تميم ألفًا على أن ينصرفوا ، فأبوْا ، فدخلوا المدينة ، وقتلوا محمد بن عبد الله ابن خازم . قال عليّ : فأخبرنا الحسن بن رُشيد ، عن محمد بن عزيز الكنديّ قال : خرج محمد بن عبد الله بن خازم يتصيَّد بهرَاة ، وقد منع بنى تميم من دخولها ، فرصدوه ، فأخذوه فشدّوه وَثاقًا ، وشربوا ليلتَهم ، وجعل كلَّما أراد رجل منهم البوْل بال عليه ، فقال لهم شمّاس بن دثار : أما إذْ بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبَيْكما اللذَيْن قتلهما بالسياط . قال : وقد كان أخذ قُبَيل

ذلك رجلين من بني تميم ، فضربهما بالسياط حتى ماتا . قال : فقتلوه ، قال : فزعم لنا عمّن شهد قتله من شيوخهم أن جَيْهان[١] بن مَشْجَعَة الضبيّ نهاهم عن قتله ، وألقى نفسه عليه ، فشكر له ابن خازم ذلك ، فلم يقتلْه فيمن قتل يوم فَرْتَنَا[٢] . قال : فزعم عامر بن أبي عمر أنه سمع أشياخهم من بني تميم يزعمون أن الذى وَلِيَ قتلَ محمد بن عبد الله بن خازم رجلان من بني مالك بن سعد ، يقال لأحدهما : عَجَلة ، وللآخر كُسيب . فقال ابن خازم : بئس ما اكتسب كُسيبٌ لقومه ، ولقد عجّل عَجَلة لقومه شرًّا .

٥٩٥/٢

قال عليّ : وحدّثنا أبو الذيّال زهير بن هُنيد العدويّ ، قال : لما قَتَل بنو تميم محمد بنَ عبد الله بن خازم انصرفوا إلى مَرْو ، فطلبهم بُكَير بن وِشَاح فأدرك رجلا من بني عُطارد يقال له شُمَيْخ ؛ فقتله ، وأقبل شمّاس وأصحابه إلى مَرْو ، فقالوا لبني سعد : قد أدركنا لكم بثأركم ؛ قتلنا محمد بن عبد الله ابن خازم بالجُشميّ الذى أصيب بمَرْو ، فأجمعوا على قتال ابن خازم ، وولّوا عليهم الحَرِيشَ بنَ هلال القُرَيْعيّ .

قال : فأخبرني أبو الفَوارس عن طُفيل بن مرداس ، قال : أجمع أكثر بني تميم على قتال عبد الله بن خازم ، قال : وكان مع الحريش فرسان لم يدرك مثلهم ؛ إنما الرجل منهم كتيبة ؛ منهم شمّاس بن دِثار ، وبَحير بن ورقاء الصُّريميّ ، وشعبة بن ظَهير النَّهشليّ ، ووَرْد بن الفلق العنْبريّ ، والحجّاج بن ناشب العدويّ — وكان من أرْمى الناس — وعاصم بن حبيب العدويّ ، فقاتل الحريشُ بنُ هلال عبدَ الله بن خازم سنتين .

قال : فلمّا طالت الحرب والشرّ بينهم ضَجِروا ، قال : فخرج الحريش فنادى ابنَ خازم ، فخرج إليه فقال : قد طالت الحرب بيننا ؛ فعلامَ تقتل قومي وقومك ! ابرز لي ، فأيُّنا قتل صاحبَه صارت الأرض له ؛ فقال ابن خازم : وأبيك لقد أنصفتني ؛ فبرز له ، فتصاولا[٣] تصاوُلَ الفَحلَين ، لا يقدر أحدٌ

٥٩٦/٢

---

(١) ف : وابن الأثير : « حيان » . (٢) س : « فرنبا » .
(٢) ف : « فتصاولا وتضاربا » .

منهما على ما يريد. وتغفّل ابن خازم غفلة، وضربه[١] الحُرَيش على رأسه، فرمى بفَرْوة رأسه على وجهه، وانقطع رِكابا الحريش، وانتزع السيف. قال: فلزم ابن خازم عُنُق فرسه راجعًا إلى أصحابه وبه ضربة قد أخذتْ من رأسه، ثم غاداهم القتال، فمكثوا بذلك بعد الضربة أيامًا؛ ثم ملّ الفريقان فتفرّقوا ثلاثَ فِرَق؛ فمضى بحير بن ورقاء إلى أبْرَشَهْر في جماعة، وتوجّه شمّاس بن دثار العُطارديّ ناحيةً أخرى، وقيل: أتى سِجِسْتان، وأخذ عثمان بن بشر بن المحتفز إلى فَرْتَنا، فنزل قصراً بها، ومضى الحريش إلى ناحية مَرْوَ الرُّوذ، فاتبعه ابن خازم؛ فلحقه بقرية من قُراها يقال لها قرية الملحمة — أو قصر الملحمة — والحريش بن هلال في اثنَيْ عشر رجلا؛ وقد تفرّق عنه أصحابه؛ فهم في خَرِبة؛ وقد نصب رماحًا كانت معه وتِرَسةً.

قال: وانتهى إليه ابنُ خازم؛ فخرج إليه في أصحابه، ومع ابن خازم مولًى له شديد البأس، فحمل على الحريش فضربه فلم يصنع شيئًا، فقال رجل من بني ضبّة للحريش: أما ترى ما يصنع[٢] العبد! فقال له الحريش: عليه سلاح كثير، وسيفي لا يعمل في سلاحه، ولكن انظر لي خشبةً ثقيلة؛ فقطع له عوداً ثقيلاً من عُنَّاب — ويقال: أصابه في القصر — فأعطاه إيّاه؛ فحمل به على مولى ابن خازم؛ فضربه فسقط وَقيذاً. ثم أقبل على ابن خازم؛ فقال: ما تريد إليّ وقد خلّيتك والبلاد! قال: إنك تعود إليها، قال: فإني لا أعود، فصالحه على أن يخرج له من خُراسان ولا يعود إلى قتاله، فوصله ابن خازم بأربعين ألفًا. قال: وفتح له الحريش باب القصر، فدخل ابن خازم، فوصلَه وضمن له قضاء دَينه، وتحدّثا طويلا. قال: وطارت قُطْنة كانت على رأس ابن خازم مُلصَقة على الضربة التي كان الحريش ضربه، فقام الحريش فتناولها، فوضعها على رأسه، فقال له ابن خازم: مَسُّك اليوم يا أبا قُدامة ألين من مَسِّك أمس، قال: معذرة إلى الله وإليك؛ أما والله لولا أن رِكابيّ انقطعا لخالط السيف أضراسَك. فضحك ابن خازم، وانصرف عنه، وتفرّق

٥٩٧/٢

(١) ف: «فيضربه».
(٢) ف: «ما صنع».

جمع بنى تميم ، فقال بعض شعراء بنى تميم :

فلو كُنتمُ مِثلَ الحَرِيشِ صبَرْتمُ وكنتمْ بقَصرِ المِلحِ خَيرَ فوارِسِ
إذًا لَسقَيتمْ بالعَوَالى ابنَ خازِمٍ سجالَ دَمٍ يُورِثنَ طُولَ وَسَاوِسِ

قال : وكان الأشعث بن ذؤيب أخو زهير بن ذؤيب العَدَوىّ قتل فى تلك الحرب ، فقال له أخوه زهير وبه رَمَق : مَنْ قتَلك ؟ قال : لا أدرى ؛ طعننى رجل على بِرْذَون أصفر ، قال : فكان زهير لا يرى أحداً على برذون أصفر إلا حمل عليه ؛ فنهم مَن يقتله ، ومنهم من يهرب ؛ فتحامى أهل العسكر البرَاذين الصُّفْر ؛ فكانت مخلّاةً فى العسكر لا يركبها أحد . وقال الحريش فى قتاله ابنَ خازم :

٥٩٨/٢

أَزَالَ عظمَ يَمينِى عَنْ مُرَكَّبِهِ حَمْلُ الرُّدَيْنىّ فى الإدْلاجِ والسَّحَرِ[1]
حَوْلَيْنِ ما اغْتَمضَتْ عينى بمنزلةٍ إلاَّ وكَفِّى وسادٌ لى على حَجَرِ
بَزِّى الحدِيدُ وسرْبالِى إذا هَجَعَتْ عَنِّى العيونُ مِحالُ القارحِ الذَّكَرِ

تم الجزء الخامس من تاريخ الطبرى
ويليه الجزء السادس ، وأوله : ذكر حوادث سنة ستّ وستين

---

(١) ابن الأثير : « بالسحر » .

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة ستّ وستين

ذكر الخبر عن الكائن الذى كان فيها من الأُمور الجليلة

فممّا كان فيها من ذلك وثوب المختار بن أبى عُبَيد بالكوفة طالباً بدم الحُسين بن علىّ بن أبى طالب وإخراجه منها عاملَ ابن الزُّبير عبدَ الله بن مُطيع العدَوىّ .

* ذكر الخبر عمّا كان من أمرهما فى ذلك وظهور المختار للدعوة إلى ما دعا إليه الشيعة بالكوفة :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبى مخنف ، أن فُضَيل بن خَدِيج ، حدّثه عن عُبيدة بن عمرو وإسماعيل بن كثير من بنى هند ؛ أنّ أصحاب سليمان بن صُرَد لمّا قدموا كتب إليهم المختار :

أمّا بعد ؛ فإنّ الله أعظم لكم الأجر ، وحطّ عنكم الوِزْر ، بمفارقة القاسطين ، وجهاد المُحلّين ؛ إنّكم لم تنفقوا نفقة ، ولم تقطعوا عقبة[1] ، ولم تخطوا خَطْوة إلّا رفع الله لكم بها درجة ، وكتب لكم بها حسنة ، إلى ما لا يحصيه[2] إلا الله من التضعيف ؛ فأبشروا فإنّى لو قد خرجت إليكم قد[3] جرّدت فيما بين المشرق والمغرب فى عدوكم السيف[4] بإذن الله ، فجعلتُهم[5] بإذن الله رُكاماً ، وقتلتُهم فذًّا وتوْاماً ؛ فرحّب الله بمن قارب منكم واهتدى ؛ ولا يبعد الله إلا مَنْ عصى وأبى ؛ والسلام يا أهل الهدى.

٢ / ٥٩٩

فجاءهم بهذا الكتاب سَيحان بن عمرو ، من بنى ليث من عبد القيس قد أدخله فى قلنسوته فيما بين الظّهارة والبِطانة[6] ؛ فأتى بالكتاب رفاعة بن شدّاد

---

(١) ف : « واديًا» .
(٢) ف : « لم يحصه » .
(٣) ف : « لقد» .
(٤) ا : « من عدوكم » ، ف : «السيف فى عدوكم».
(٥) ا : « يجعلهم » .
(٦) ا : « الظاهرة والباطنة » .

والمُثنَّى بن مُخَرِّبة العبدىّ وسعد بن حُذيفة بن اليَمَان ويزيد بن أنس وأحمرَ بن شُمَيْط الأحمسىّ وعبد الله بن شدّاد البَجلِىّ وعبد الله بن كامل ؛ فقرأ عليهم الكتاب ؛ فبعثوا إليه ابن كامل ؛ فقالوا : قل له : قد قرأنا الكتاب[1] ؛ ونحن حيث يسرّك ؛ فإن شئت أن نأتيَك حتى نخرجك فعلنا . فأتاه ، فدخل عليه السجن ؛ فأخبره بما أرسِل إليه به ؛ فسُرّ باجتماع الشيعة له ؛ وقال لهم : لا تريدوا هذا ؛ فإنى أخرج فى أيّامى هذه .

٦٠٠/٢ قال : وكان المختار قد بعث غلامًا يُدْعى زِربيًّا إلى عبد الله بن عمر ابن الخطّاب ، وكتب إليه :

أمَّا بعد : فإنى قد حُبست مظلومًا ، وظنّ بى الولاةُ ظنونًا كاذبة ؛ فاكتب فىّ يرحمك الله إلى هذين الظّالميْن كتابًا لطيفًا ؛ عسى الله أن يخلّصنى من أيديهما بلطْفك وبركتك ويُمنك[2] ؛ والسلام عليك .

فكتب إليهما عبد الله بن عمر :

أمَّا بعد ؛ فقد علمتُما الّذى بينى وبين المختار بن أبى عبيد من الصِّهر ، والّذى بينى وبينكما من الودّ ؛ فأقسمت عليكما بحقّ ما بينى وبينكما لَمَّا خلّيتما سبيله حين تنظران فى كتابى هذا ، والسلام عليكما ورحمة الله .

فلمَّا أتى عبدَ الله بن يزيد وإبراهيمَ بن محمد بن طلحة كتابُ عبد الله ابن عمر دعوَا للمختار بكُفَلاء يضمنونه بنفسه[3] ، فأتاه أناس من أصحابه كثير ، فقال يزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيْم لعبد الله بن يزيد : ما تصنع بضمان هؤلاء كلّهم ! ضمّنه عشرة منهم أشرافًا معروفين ، ودَعْ سائرهم . ففعل ذلك ، فلما ضمِنوه ، دعا بهعبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة فحلّفاه بالله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ؛ لا يبغيهما غائلة ، ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ؛ فإن هو فعل فعليه ألف بَدَنة

---

(١) ف : « كتابك » .

(٢) ط : « بمنك » ، تحريف ، صوابه من ا ، وفيها : « ببركتك ويمنك » .

(٣) ا : « فضمنوه بنفسه » .

ينحرها لدى رِتاج الكعبة ؛ ومماليكُه كلّهم ذكَرُهم وأنثاهم أحرارٌ . فحلف لهما بذلك ، ثم خرج فجاء داره فنزلها .

قال أبو مخنف : فحدّثني يحيي بن أبى عيسى ، عن حُميد بن مسلم ، قال : سمعت المختار بعد ذلك يقول [1] : قاتلهم الله ! ما أحمقهم حين يرَوْن أنّى أفى لهم بأيمانهم هذه ! أمّا حلِفِى لهم بالله ؛ فإنه ينبغى لى إذا حلفت على يمين فرأيت ما هو خير منها أن أدَع ما حلفت عليه وآتى الذى هو خير ؛ وأكفّر يمينى ، وخروجى عليهم خير من كفّى عنهم ؛ وأكفّر يمينى ؛ وأمّا هَدْى ألف بَدَنة فهو أهوَن علىّ من بصقة ؛ وما ثمنُ ألف بدنة فيهولَنى ! وأمّا عتق مماليكى فوالله لوددت أنه قد استتبّ لى أمرى ، ثمّ لم أملك مملوكاً أبداً . ٦٠١/٢

قال : ولمّا نزل المختار دارَه عند خروجه من السّجن ، اختلف [2] إليه الشيعة واجتمعت عليه ؛ واتّفق رأيها [3] على الرضا به ، وكان الذى يبايع له الناس وهو فى السّجن خمسة نفر : السّائب بن مالك الأشعرىّ ، ويزيد بن أنس ، وأحمر بن شُمَيط ، ورفاعة بن شدّاد الفِتْيانىّ ، وعبد الله بن شداد الجُشَمىّ . قال : فلم تزل أصحابه يكثُرون ، وأمره يقوَى ويشتدُّ حتّى عزل ابنُ الزبير عبدَ الله بن يزيد وإبراهيمَ بن محمد بن طلحة ، وبعث عبد الله بن مُطيع على عملهما إلى الكوفة .

قال أبو مخنف : فحدّثنى الصّقْعب بن زهير ، عن عمر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، قال : دَعا ابن الزبير عبدَ الله بن مطيع أخابنى عدىّ ابن كعب والحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومىّ ؛ فبعث عبد الله بن مطيع على الكوفة ، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة على البصرة . قال : فبلغ ذلك بَحِيرَ بن رَيْسان الحميرىّ ؛ فلقيهما ، فقال لهما : يا هذان ؛ إن القمر الليلة بالناطح [4] ، فلا تسيرا . فأمّا ابنُ أبى ربيعة ؛ فأطاعه ؛ فأقام يسيرا ٦٠٢/٢

---

(١) ف : « يقول بعد ذلك » . (٢) ا : « اختلفت » .
(٣) ف : « رأيهم » . ا : « رأيهما »
(٤) الناطح والنطح : من منازل القمر مما يتشاءم به .

ثم شخص إلى عمله فسلم ؛ وأمَّا عبد الله بن مطيع فقال له : وهل نطلب إلا النّطح! قال: فلقِى واللهنطحاً و بَطْحاً ، قال: يقول عمر: والبلاء موكَّل بالقول .

قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : بلغ عبد الملك بن مروان أنّ ابن الزبير بعث عمالا على البلاد ؛ فقال : مَنْ بعث على البصرة؟ فقيل : بعث عليها الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة ؛ قال : لا حُرَّ بوادى عوف ، بعث عوفاً وجلس! ثم قال : مَنْ بعث على الكوفة ؟ قالوا :عبد الله بن مطيع ، قال:حازم وكثيرًا ما يسقط ،وشجاع وما يكره أن يفرّ ، قال: مَنْ بعث على المدينة ؟ قالوا : بعث أخاه مُصعب بن الزبير ، قال : ذاك الليث النَّهْد ، وهو رجل أهل بيته .

قال هشام : قال أبو مخنف : وقدِم عبد الله بن مُطيع الكوفة فى رمضان سنة خمس وستين يوم الخميس لخمس بقِين من شهر رمضان ، فقال لعبد الله ابن يزيد : إنْ أحببت أن تقيم معى أحسنتُ صحبتَك ، وأكرمت مثواك ؛ وإن لحقتَ بأمير المؤمنين عبدِ الله بن الزبير فبك عليه كرامة ، وعلى مَنْ قبله من المسلمين . وقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة : الحقْ بأمير المؤمنين ؛ فخرج إبراهيم حتى قدم المدينة ، وكسر على ابن الزبير الخراج ؛ وقال : إنَّما كانت فتنة ؛ فكفّ عنه ابن الزبير .

قال : وأقام ابن مطيع على الكوفة على الصّلاة والخراج ؛ وبعث على شُرطته إياس بن مضارب العجلىّ ، وأمره أن يُحسن السيرة والشدّة على المريب .

٢/٦٠٣ قال أبو مخنف : فحدّثنى حَصِيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد الأزدىّ — وكان قد أدرك ذلك الزمان ، وشهد قتل مُصْعب بن الزبير — قال : إنى لشاهد المسجد حيث قدم عبد الله بن مطيع ، فصعِد المنبر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال : أمَّا بعد ؛ فإنّ أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثنى على مصركم وثغوركم ، وأمرنى بجباية فيئكم ؛ وألّا أحمل فضل فيئكم عنكم إلا برضًا منكم ، ووصيّةِ عمر بن الخطاب التى أوصى بها عند وفاته ، وبسيرة عثمان ابن عفان التى سار بها فى المسلمين ؛ فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا ، وخذوا

على أيدى سفهائكم ؛ وإلّا تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلوموني ؛ فوالله لأوقعنّ بالسقيم العاصى ؛ ولأقيمنّ دَرْء[1] الأصعر المرتاب. فقام إليه السائب بن مالك الأشعرىّ ، فقال : أمّا أمر ابن الزبير إيّاك ألّا تحمل فضل فيئنا عنّا إلّا برضانا فإنا نشهدك[1] أنّا لا نرضى أن تحمل[2] فضل فيئنا عنّا؛ وألّا يقسم إلا فينا ؛ وألّا يُسار فينا إلا بسيرة علىّ بن أبى طالب التى سار بها فى بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه ، ولا حاجةَ لنا فى سيرة عثمان فى فيئنا ولا فى أنفسنا ؛ فإنها إنما كانت أثَرةً وهوًى ،ولا فى سيرة عمر بن الخطاب فى فيئنا ؛ وإن كانت أهون السيرتين علينا ضرًّا ؛ وقد كان لا يألو النّاس خيرًا . فقال يزيد ابن أنس : صدق السائب بن مالك وبَرّ، رأيُنا مثل رأيه ، وقولنا مثل قوله . ٢/٦٠٤

فقال ابن مطيع : نسير فيكم بكلّ سيرة أحببتموها وهويتموها ثم نزل . فقال : يزيد بن أنس الأسدىّ : ذهبتَ بفضلها يا سائب ؛لا يعدمْك المسلمون ! أما والله لقد قمتُ وإنى لأريد أن أقوم فأقول له نحواً من مقالتك ، وما أحبّ أن الله ولّى الردّ عليه رجلا من أهل المِصْر ليس من شيعتنا .

وجاء إياس بن مضارب إلى ابن مُطيع ، فقال له : إنّ السائب بن مالك من رءوس أصحاب المختار ، ولست آمنُ المختار ؛ فابعث إليه فليأتك ؛ فإذا جاءك فاحبْسه فى سجنك حتى يستقيم أمر الناس؛ فإن عيونى قد أتتنى فخبّرَتْنى أنّ أمره قد استجمع له ؛ وكأنه قد وثب بالمِصْر . قال : فبعث إليه ابن مُطيع زائدةَ بن قُدامة وحُسين بن عبد الله البُرْسُمىّ من هَمْدان ، فدخلا عليه ، فقالا : أجب الأمير ، فدعا بثيابه وأمر بإسراج دابّته ، وتحشحش[3] للذهاب معهما ؛ فلما رأى زائدةُ بن قدامة ذلك قرأ قول الله تبارك وتعالى :

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[4] ، ففهمها المختار ، فجلس ثم ألقى ثيابه عنه ، ثمّ قال : ألقوا علىّ القطيفة ؛ ما أرانى إلّا قد وُعِكت ؛ إنى لأجد قفقفةً

---

(١) الدرء : الميل والعوج . (٢) ف : « نشهد »

(٣) التحشحش : الحركة ، وفى ط : « تخشخش » ، والصواب ما أثبته من ا .

(٤) سورة الأنفال: ٣٠ .

شديدة ، ثم تمثَّل قول عبد العُزَّى بن صُهَل الأزدىّ :

إذا مَا مَعْشَرٌ تَرَكُوا نَدَاهُمْ ولم يأْتوا الكريهَةَ لم يُهَابُوا

ارجعا إلى ابن مطيع ، فأعلماه حالى التى أنا عليها . فقال له زائدة بن قدامة : أمَّا أنا ففاعل ؛ [فقال :] [١] وأنت يا أخا همْدان فاعذرنى عنده فإنه خير لك. ٢/٦٠٥

قال أبو مخنف : فحدثنى إسماعيل بن نُعيم الهمْدانىّ ، عن حسين بن عبد الله ، قال : قلت فى نفسى : والله إن أنا لم أبلغ عن هذا ما يُرضيه ما أنا بآمن مِن أن يظهر غداً فيهلكنى . قال : فقلت له ، نعم ، أنا أضع [٢] عند ابن مطيع عذرك ، وأبلغه كلّ ما تحبّ ؛ فخرجنا من عنده ؛ فإذا أصحابه على بابه ، وفى داره منهم جماعة كثيرة . قال : فأقبلنا نحو ابن مطيع ، فقلت لزائدة بن قدامة : أما إنى قد فهمت قولك حين قرأتَ تلك الآية ؛ وعلمت ما أردتَ بها ، وقد علمت أنها هى ثَبَّطته عن الخروج معنا بعد ما كان قد لبس ثيابه ، وأسرج دابّته ؛ وعلمتُ حين تمثَّل البيت الذى تمثَّل أنما أراد يخبرك أنه قد فهم عنك ما أردت أن تُفهمه ، وأنه لن يأتيه . قال : فجاحدنى أن يكون أراد شيئًا من ذلك ؛ فقلت له : لا تحلف ؛ فوالله ما كنت لأُبلِّغ عنك ولا عنه شيئًا تكرهانه ؛ ولقد علمت أنَّك مشفق عليه ، تجد له ما يجد المرء لابن عمه . فأقبلنا إلى ابن مطيع ، فأخبرناه بعلَّته وشكواه ؛ فصدَّقنا ولها عنه .

قال : وبعث المختار إلى أصحابه ؛ فأخذ يجمعهم فى الدُّور حوله ، وأراد أن يثِب بالكوفة فى المحرّم ؛ فجاء رجل من أصحابه من شِبَام [٣] — وكان عظيمَ الشرف يقال له عبد الرحمن بن شريح — فلقى سعيد بن منقذ الثَّورىّ وسِعر ابن أبى سِعر الحنفىّ والأسود بن جرَاد الكندىّ وقدامة بن مالك الجشمىّ ؛ فاجتمعوا فى منزل سعْر الحنفىّ ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ٢/٦٠٦

أمَّا بعد ؛ فإنَّ المختار يريد أن يخرج بنا ، وقد بايعناه ولا ندرى أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا ؛ فانهضوا بنا إلى ابن الحنفيَّة فلنخبره بما قدم علينا به

---

(١) تكملة من ا .

(٢) كذا فى ا ، س ، وفى ط : « أصنع ».

(٣) ابن الأثير : « وشبام : حى من همدان » .

وبما دَعانا إليه ؛ فإنْ رخّص لنا فى اتّباعه اتّبعناه؛ وإن نهانا عنه اجتنبناه؛ فوالله ما ينبغى أن يكون شىءٌ من أمر الدنيا آثرَ عندنا من سلامة ديننا . فقالوا[١] له : أرشدك الله ! فقد أصبت ووفّقت ؛ اخرج بنا إذا شئت . فأجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيّامهم ،فخرجوا ، فلحقوا بابن الحنفيّة ؛ وكان إمامَهم عبدُ الرحمن بن شريح ، فلمّا قدموا عليه سألهم عن حال النّاس فخبّروه عن حالهم وما هم عليه .

قال أبو مخنف : فحدّثنى خليفة بن ورقاء ، عن الأسود بن جراد الكندىّ قال : قلنا لابن الحنفيّة ؛ إنّ لنا إليك حاجةً ؛ قال : فسرّ[٢] هى أم علانية؟ قال : قلنا : لا ؛ بل سرّ، قال: فرويداً إذاً ؛ قال : فمكث قليلا ، ثم تنحّى جانباً فدعانا فقمنا إليه ، فبدأ عبد الرحمن بن شُريح ، فتكلّم ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أمّا بعد ؛ فإنكم أهل بيت خصّكم الله بالفضيلة ، وشرّفكم بالنبوّة ، وعظّم حقكم على هذه الأمة ؛ فلا يجهل حقكم إلا مغبون الرأى ، مخسوس النصيب؛ قد أصِبتم بحسين رحمة الله عليه.عظُمت مصيبة اختُصصتم[٣] بها ، بعد[٤] ما عم بها المسلمون ، وقد قدم علينا المختار بن أبى عبيد يزعم لنا أنه قد جاءنا من تِلقائكم ، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيِّه صلى الله عليه وسلم ؛ والطلب بدماء[٥]أهل البيت ، والدفع عن الضعفاء ؛ فبايعناه على ذلك . ثم إنّا رأينا أن نأتيَك فنذكر لك ما دعانا إليه ، وندبنا له ؛ فإن أمرتَنا باتباعه اتبعناه ، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه .

٢/٦٠٧

ثم تكلمنا واحداً واحداً بنحو مما تكلم به صاحبنا ؛ وهو يسمع ، حتى إذا فرغنا حمِد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبى صلى الله عليه وسلّم ، ثم قال : أمّا بعد ؛ فأما ما ذكرتم مما خصّصنا الله[٦] به من فضل ؛ فإن الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ؛ فلله الحمد ! وأمّا ما ذكرتم من مصيبتنا بحُسين ؛ فإنّ ذلك كان فى الذكر الحكيم

---

(١) ف : « قالوا » . (٢) ا ، ف : « أفسر » .
(٣) كذا فى ف ، وفى ط : « ما قد خصكم » . (٤) كذا فى ا ، وفى ط : « فقد عم »
(٥) ف : « بدم » . (٦) ف : « خصنا » .

وهى ملحمة كُتبت عليه ، وكرامة أهداها الله له ، رفع بما كان منها درجات قوم عنده ، ووضع بها آخرين ، وكان أمر الله مفعولا ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً. وأمَّا ما ذكرتم من دعاء مَن دعاكم إلى الطَّلب بدمائنا ؛ فوالله لوددت أنّ الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه ؛ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

قال : فخرجنا من عنده ، ونحن نقول : قد أذن لنا ؛ قد قال : لوددت أنّ الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه ، ولو كره لقال : لا تفعلوا . قال : فجئنا وأناس من الشيعة ينتظرون مقدمنا [١] ممّن كنّا قد أعلمناه بمخرجنا وأطلعناه على ذات أنفسنا ؛ ممن كان على رأينا من إخواننا ؛ وقد كان بلغ المختارَ مخرجنا ، فشقّ ذلك عليه ، وخشى أن نأتيه بأمر يُخذّل الشيعة عنه ؛ فكان قد أرادهم على أن ينهض بهم قبل قدومنا [٢] ؛ فلم يتهيّأ ذلك له [٣] ؛ فكان المختار يقول : إن نُفيراً منكم ارتابوا وتحيّروا وخابوا ؛ فإن هم أصابوا أقبلوا وأنابوا ؛ وإن هم كبَوا [٤] وهابوا ، واعترضوا وانجابوا ، فقد ثَبروا وخابوا ؛ فلم يكن إلّا شهراً [٥] وزيادة شيء ؛ حتّى أقبل القوم على رواحلهم ؛ حتّى دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى رحالهم ، فقال لهم : ما وراءكم؟ فقد فُتِنتُم وارتبتم ، فقالوا له : قد أمِرنا بنصرتك فقال : الله أكبر ! أنا أبو إسحاق ، اجمعوا إلىّ الشيعة ، فجمع له منهم مَنْ كان منه قريباً فقال : يا معشَر الشيعة ؛ إنّ نفراً منكم أحبّوا أن يعلموا مصداق ما جئت به ، فرحلوا إلى إمام الهدى ، والنجيب المرتضى ابن خير من طشى [٦] ومشى ؛ حاشا النبى المجتبى ؛ فسألوه عمّا قدمت به عليكم ؛ فنبّأهم أنى وزيره وظهيره ، ورسوله وخليله ؛ وأمركم باتباعى وطاعتى فيما دعوتكم إليه من قتال المحلّين ، والطلب بدماء أهل بيت [٧] نبيّكم المصطفيْن.

٢/٦٠٨

فقام عبد الرحمن بن شريح ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد يا معشر الشيعة ؛ فإنا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع إخواننا عامة ؛ فقدمنا على المهدىّ بن علىّ ، فسألناه عن حربنا هذه ، وعمّا دعانا إليه المختار منها ، فأمرنا بمظاهرته ومؤازرته وإجابته إلى ما دعانا إليه ،

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « لقدومنا » . (٢) ف : مقدمنا » . (٣) ف : له ذلك .
(٤) ف : « نكصوا » . (٥) ف : « غير شهر » .
(٦) كذا فى ط ، وفى اللسان : « تطشى المريض ، برئ » . (٧) ف : « بدم أهل البيت » .

فأقبلنا طيّبة أنفُسنا ، منشرحة صدورنا ، قد أذهب الله منها الشكّ والغِلّ والرّيب ، واستقامت لنا بصيرتنا فى قتال عدوّنا ؛ فليبلّغ ذلك شاهدُكم ، ٢/٦٠٩ غائبَكم ، واستعدّوا وتأهّبوا . ثمّ جلس وقمنا رجلا فرجلا [١] ؛ فتكلّمنا بنحو من كلامه ؛ فاستجمعت له الشيعة [٢] وحدَبت عليه .

قال أبو مخنف : فحدّثنى نُمَير بن وَعْلة والمَشرِقىّ ، عن عامر الشَّعْبىّ ، قال : كنت أنا وأبى أوّلَ من أجاب المختار . قال : فلما تهيّأ أمرُه ودنا خروجه ؛ قال له أحمر بن شُميط ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله بن شدّاد : إنّ أشرافَ أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع ؛ فإن جامعَنا على أمرنا إبراهيمُ بن الأشتر رجوْنا بإذن الله القُوّة على عدوّنا ، وألّا يضرّنا خلافُ مَنْ خالفنا ، فإنه فتى بئيس ، وابن رجل شريف بعيد الصّيت ؛ وله عشيرة ذات عزّ وعدد . قال لهم المختار : فالقَوْه فادعوه ، وأعلموه الذى أمِرنا به من الطّلَب بدم الحسين وأهل بيته .

قال الشعبىّ : فخرجوا إليه وأنا فيهم ، وأبى ، فتكلّم يزيد بن أنس ، فقال له : إنّا قد أتيناك فى أمر نعرضه عليك ، وندعوك إليه ؛ فإن قبلته كان خيرًا لك ، وإن تركته فقد أدّينا إليك فيه النصيحة ؛ ونحن نحبّ أن يكون عندك مستورًا . فقال لهم إبراهيم بن الأشتر : وإنّ مثلى لا تُخاف غائلته ولا سعايتُه ؛ ولا التقرّب إلى سلطانه باغتياب الناس ، إنما أولئك الصغارُ الأخطار الدّقاق هممًا . فقال له : إنّما ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه رأى الملإ من الشيعة ؛ إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه ، والطّلب بدماء أهل البيت ، وقتال المحلّين ، والدفع عن الضعفاء . قال : ثم تكلم أحمر بن شميط ، فقال له : إنى ٢/٦١٠ لك ناصح ، ولحظّك محبّ ، وإنّ أباك قد هلك وهو سيّد [الناس] [٣] ، وفيك منه إن رعيتَ حقّ الله خلَفٌ ؛ قد دعوناك إلى أمر إن أجبتَنا إليه عادت لك منزلة أبيك فى النّاس ، وأحييت من ذلك أمرًا قد مات ؛ إنما يكفى مثلكَ اليسيرُ حتى تبلغ الغاية التى لا مذهب وراءها ، إنه قد بنى لك أوّلك مفتخرًا [٤] . وأقبل القوم

---

(١) ف : « رجلا رجلا » .
(٢) ف : « لنا الشيعة وله » .
(٣) تكلمة من ا .
(٤) ط : « فتحرى » ، والصواب ما أثبته من ا .

كلّهم عليه(١) يدعونه إلى أمرهم ويرغّبونه فيه. فقال لهم إبراهيم بن الأشتر : فإني قد أجبتكم إلى ما دعوتمونى إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته، على أن تولّونى الأمر، فقالوا : أنت لذلك أهل ؛ ولكن ليس إلى ذلك سبيل ؛ هذا المختار قد جاءنا من قِبَل المهدىّ ؛ وهو الرسول والمأمور بالقتال ؛ وقد أُمِرنا بطاعته . فسكت عنهم ابن الأشتر ولم يجبْهم . فانصرفنا من عنده إلى المختار فأخبرناه بما ردّ علينا ؛ قال : فغبَر ثلاثاً ؛ ثم إنّ المختار دعا بضعةَ عشر رجلا من وجوه أصحابه - قال الشعبىّ : أنا وأبى فيهم - قال : فسار بنا ومضى أمامنا يقُدّ بنا بيوت الكوفة قدًّا لا ندرى أين يريد ؛ حتى وقف على باب إبراهيم بن الأشتر ؛ فاستأذنّا عليه فأذن لنا ، وألقيت لنا وسائدُ ؛ فجلسنا عليها وجلس المختار معه على فراشه ؛ فقال المختار :

٢/٦١١ الحمد لله ، وأشهد أن لا اله إلا الله ، وصلّى الله على محمّد ، والسّلام عليه ، أمّا بعد ، فإنّ هذا كتاب إليك من المهدىّ محمد بن أمير المؤمنين الوصىّ ؛ وهو خير أهل الأرض اليوم ، وابن خير أهل الأرض كلّها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله ؛ وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا ، فإن فعلت اغتبطت ، وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجّة عليك ، وسيغنى الله المهدىّ محمداً وأولياءه عنك .

قال الشعبىّ : وكان المختار قد دفع الكتاب إلىّ حين خرج من منزله ؛ فلما قضى كلامه قال لى : ادفع الكتاب إليه ، فدفعته إليه ، فدعا بالمصباح وفضّ خاتمه ، وقرأه فإذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد المهدىّ إلى إبراهيم بن مالك الأشتر ، سلامٌ عليك ؛ فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ؛ أما بعد فإنى قد بعثت إليكم بوزيرى وأمينى ونجيِّى الذى ارتضيته لنفسى ، وقد أمرته(٢) بقتال عدوّى والطلب بدماء أهل بيتى ؛ فانهضْ معه بنفسك وعشيرتك ومَنْ أطاعك ؛ فإنك إن نصرتَنى وأجبت دعوتى وساعدت وزيرى كانت لك عندى بذلك(٣) فضيلة ؛ ولك بذلك أعنّة الخيل وكلّ جيش غازٍ ، وكلّ مصر ومنبر وثغر ظهَرتَ عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل

(١) ف : « عليه كلهم » . (٢) ف : « وأمرته » .
(٣) ف : « بذلك عندى » .

الشأم، علىّ الوفاء بذلك على عهد الله ؛ فإن فعلت ذلك نلتَ به عند الله أفضل الكرامة ، وإن أبيت هلكت هلاكًا لا تستقيله أبدًا ، والسلام عليك .

فلما قضى إبراهيمُ قراءة الكتاب، قال : لقد كتب إلىّ ابنُ الحنفيَّة؛ وقد كتبتُ[1] إليه قبل اليوم ؛ فما كان يكتب إلىّ إلا باسمه واسم أبيه ، قال له ٢/٦١٢ المختار : إنّ ذلك زمان وهذا زمان ، قال إبراهيم : فمَنْ يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفيَّة إلىّ ؟ فقال له : يزيد بن أنس وأحمر بن شميط وعبد الله بن كامل وجماعتهم — قال الشعبىّ : إلاّ أنا وأبى — فقالوا : نشهد أنّ هذا كتاب محمد ابن علىّ إليك ، فتأخر إبراهيم عند ذلك عن صدر الفراش فأجلس المختار عليه ، فقال : ابسط يدك أبايعْك ؛ فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم ، ودعا لنا بفاكهة ، فأصبنا منها ؛ ودعا لنا بشراب من عسل فشربنا ثم نهضنا ؛ وخرج معنا ابنُ الأشتر ؛ فركب مع المختار حتّى دخل رحله ؛ فلما رجع إبراهيم منصرفًا أخذ بيدى ، فقال : انصرف بنا يا شعبىّ ،قال : فانصرفت معه ومضى بى حتى دخل بى رحله ، فقال : يا شعبىّ ، إنى قد حفظت أنَّك لم تشهد أنت ولا أبوك ؛ أفترَى هؤلاء شهدوا على حقّ؟ قال : قلت له : قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القرّاء ومشيخة المصْر وفرسان العرب ، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقًّا . قال : فقلت له هذه المقالة ؛ وأنا والله لهم على شهادتهم متّهِمٌ ؛ غيرَ أنى يعجبنى الخروج وأنا أرى رأى القوم ؛ وأحبّ تمام ذلك الأمر[2] ؛ فلم أطلعه على ما فى نفسى من ذلك ؛ فقال لى ابن الأشتر : اكتبْ لى أسماءهم فإنى ليس كلَّهم أعرف . ودعا بصحيفة ودواة ، وكتب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا ما شهد عليه السائب بن مالك الأشعرىّ ، ويزيد بن أنس الأسدىّ وأحمر بن شميط الأحمسىّ ومالك بن عمرو النهدىّ ؛ حتى أتى على أسماء القوم ؛ ثم كتب : شهدوا أن محمد بن علىّ كتب إلى إبراهيم بن ٢/٦١٣ الأشتر يأمره بموازرة المختار ومظاهرته على قتال المحلّين ، والطلب بدماء أهل البيت ، وشهد على هؤلاء النَّفر الذين شهدوا على هذه الشهادة شَراحيل ابن عبد — وهو أبو عامر الشعبىّ الفقيه — وعبد الرحمن بن عبد الله النَّخعىّ،

(١) ف : « وكتبت » . (٢) بعدها فى ف : « لهم » .

وعامر بن شَرَاحِيل الشعبىّ . فقلت له : ما تصنع بهذا رحمك الله ؟ فقال : دعْه يكون. قال : ودعا إبراهيم عشيرته وإخوانه ومَن أطاعه ، وأقبل يختلف إلى المختار .

* * *

قال هشام بن محمد : قال أبو مخنف : حدثنى يحيى بن أبى عيسى الأزدىّ ، قال : كان حُميد بن مسلم الأزدى صديقاً لإبراهيم بن الأشتر ؛ وكان يختلف إليه ؛ ويذهب به معه ؛ وكان إبراهيم يروح فى كلّ عشية عند المساء ، فيأتى المختار ، فيمكث عنده حتى تصوّب النجوم ، ثم ينصرف ؛ فمكثوا بذلك يدبّرون أمورهم ؛ حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين ، ووطّن على ذلك شيعتهم ومن أجابهم . فلما كان عند غروب الشمس ، قام إبراهيم بن الأشتر ؛ فأذّن ؛ ثمّ إنه استقدم ، فصلّى بنا المغرب ، ثم خرج بنا بعد المغرب حين قلت : أخوك أو الذئبُ[1] — وهو يريد المختار ، — فأقبلنا علينا السلاحُ ، وقد أتى إياس بُن مضارب ٢/٦١٤ عبدَ الله بن مطيع فقال : إنّ المختار خارج عليك إحدى الليلتين ؛ قال : فخرج إياس فى الشُّرَط[2] ، فبعث ابنه راشداً إلى الكُنَاسة ، وأقبل يسير حولَ السوق فى الشُّرَط .

ثم إنّ إياس بن مضارب دخل على ابن مطيع ، فقال له : إنى قد بعثت ابنى إلى الكناسة ، فلو بعثتَ فى كل جبّانة بالكوفة عظيمة رجلاً من أصحابك فى جماعة من أهل الطاعة ؛ هاب المريبُ الخروج عليك . قال : فبعث ابن مطيع عبدَ الرحمن بن سعيد بن قيس إلى جَبّانة السَّبيع ، وقال : اكفنى قومك ، لا أوتَيَنّ من قِبلك ، وأحكِم أمر الجبّانة التى وجّهتك إليها ، لا يحدُثنّ بها حَدَث ؛ فأوليك العجز والوهن . وبعث كعب بن أبى كعب الخثعمىّ إلى جَبّانة بشر ، وبعث زحْر بن قيس إلى جبّانة كِنْدة ، وبعث شمِر بن ذى الجوشن إلى جبّانة سالم ، وبعثَ عبد الرحمن بن مخنف بن سُليم إلى جبّانة الصائديّين ، وبعث يزيد بن الحارث بن رُؤيم أبا حَوْشب إلى جبّانة مراد ،

---

(١) يقال : أخوك أو الذئب ؛ إذا اشتد الظلام . (٢) ف : « الشرطة » .

وأوصى كلَّ رجل أن يكفيَه قومه ، وألّا يؤتَى من قبَله ، وأن يحكم الوجه الذى وجّهه فيه ؛ وبعث شَبَث بن رِبْعىّ إلى السَّبَخَة ، وقال : إذا سمعت صوت القوم فوجِّه نحوهم ؛ فكان هؤلاء قد خرجوا يوم الاثنين ؛ فنزلوا هذه الجبابين ، وخرج إبراهيم بن الأشتر من رَحله بعد المغرب يريد إتيان المختار ؛ ٢/٦١٥ وقد بلغه أن الجبابين قد حُشِيتْ رجالا ، وأن الشُّرَط قد أحاطت بالسوق والقصر .

قال أبو مخنف : فحدّثنى يحيى بن أبى عيسى ، عن حُميد بن مسلم ، قال : خرجت مع إبراهيم من منزله بعد المغرب ليلةَ الثلاثاء حتى مررنا بدار عمرو بن حُريث ، ونحن مع ابن الاشتر كتيبةٌ نحوٌ من مائة ، علينا الدروع ، قد كفرنا[1] عليها بالأقبية ، ونحو متقلّدو السيوف ؛ ليس معنا سلاحٌ إلّا السيوف فى عواتقنا ، والدّروع قد سترناها بأقبيتنا ؛ فلمّا مررنا بدار سعيد بن قيس فجُزْناها إلى دار أسامة ، قلنا : مُرَّ بنا على دار خالد بن عُرْفُطة ، ثم امض بنا إلى بَجيلة ، فلنمرّ فى دورهم حتى نخرج إلى دار المختار — وكان إبراهيم فتًى حَدَثا شجاعًا ؛ فكان لا يكره أن يلقاهم — فقال : والله لأمرّنّ على دار عمرو بن حريث إلى جانب القصر وسط السوق ، ولأرعبنّ به عدوّنا ولأرينّهم هوانهم علينا . قال : فأخذنا على باب الفيل على دار ابن هبّار[2] ؛ ثم أخذ ذات اليمين على دار عمرو بن حريث ؛ حتى إذا جاوزها ألفينا إياس بن مضارب فى الشُّرَط مظهرين السلاح ، فقال لنا : مَنْ أنتم ؟ ما أنتم ؟ فقال له إبراهيم : أنا إبراهيم بن الأشتر ، فقال له ابن مضارب : ما هذا الجمع معك ؟ وما تريد ؟ والله إنّ أمرك لمريب! وقد بلغنى أنك تمرّ كلّ عشية ها هنا ، وما أنا بتاركك حتى آتى بك الأمير فيرى فيك رأيه . فقال إبراهيم : لاأبا لغيرك ! خلِّ سبيلَنا ، فقال : كلاّ والله لا أفعل — ومع إياس بن مضارب رجل من هَمْدان ، يقال له أبو قطن ، كان يكون مع إمرة الشُّرْطة فهم يكرمونه ٢/٦١٦ ويؤثرونه ، وكان لابن الأشتر صديقًا — فقال له ابن الأشتر : يا أبا قَطن ، ادنُ منى —ومع أبى قَطَن رمح له طويل— ؛ فدنا منه أبو قَطَن ؛ ومعه الرمح ؛

---

(١) كفرنا ، أى سترنا . (٢) ط : « هبار » ، وانظر الجزء الرابع ص ٢٧٣ .

وهو يرى أن ابن الأشتر يطلب إليه أن يشفع له إلى ابن مضارب ليخلِّيَ سبيله ؛ فقال إبراهيم — وتناول الرّمح من يده[١] : إنّ رمحك هذا لطويل ؛ فحمل به إبراهيم على ابن مضارب ، فطعنه فى ثُغْرة نحره فصرعه ، وقال لرجل من قومه : انزل [عليه] [٢] ، فاحتزّ رأسه ، فنزل إليه فاحتزّ رأسه ، وتفرّق أصحابه ورجعوا إلى ابن مطيع . فبعث ابن مطيع ابنَه راشدَ بن إياس مكان أبيه[٣] على الشّرْطة ، وبعث مكان راشد بن إياس إلى الكُنَاسة تلك الليلة سُوَيد بن عبد الرحمن المِنْقَرِىّ أبا القعقاع بن سُويد . وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار ليلةَ الأربعاء ، فدخل عليه فقال له إبراهيم : إنّا اتّعدنا للخروج للمقابلة ليلة الخميس ، وقد حدث أمرٌ لا بدّ من الخروج الليلة ، قال المختار : ما هو ؟ قال : عرض لى إياس بن مضارب فى الطريق ليحبسنى بزعمه ، فقتلته ؛ وهذا رأسه مع أصحابى على الباب . فقال المختار : فبشّرك الله بخير ! فهذا طير صالح ، وهذا أوّل الفتح إن شاء الله . ثم قال[٤] المختار: قم يا سعيد بن منقذ ، فأشعل فى الهرادىّ[٥] النيران ثم ارفعها للمسلمين ، وقم أنت يا عبد الله بن شدّاد ؛ فناد: «يا منصور أمتْ» ؛ وقم أنت يا سفيان بن ليل ، وأنت يا قدامة ابن مالك ، فناد : يا لثأرات الحسين ! ثم قال المختار : علىّ بدرعى وسلاحى ، فأتِىَ به ؛ فأخذ يلبس سلاحه ويَقول :

٢/٦١٧ قَدْ عَلِمَتْ بَيْضاءُ حَسناءُ الطَّلَلْ واضِحَةَ الخَدَّين عَجْزاءُ الكَفَلْ

* أنى غداةَ الرَّوْع مِقْدامٌ بَطَلْ *

ثم إنّ إبراهيم قال للمختار : إنّ هؤلاء الرءوس الّذين وضعهم ابن مطيع فى الجبابين يمنعون إخوانَنا أن يأتونا ، ويضيِّقون عليهم ؛ فلو أنى خرجت بمن معى من أصحابى حتى آتىَ قومى ؛ فيأتينى كلّ مَنْ قد بايعنى من قومى ، ثم سرت بهم فى نواحى الكوفة ، ودعوت بشعارنا ؛ فخرج إلىّ مَن أراد الخروج إلينا ، ومَنْ قدر على إتيانك من الناس ؛ فمن أتاك حبستَه عندك إلى مَنْ

(١) ف : « بيده » . (٢) من ف .
(٣) ف « راشداً مكان أبيه إياس » . (٤) كذا فى ف : وفى ط : « فقال » .
(٥) فى اللسان : « الهردية : قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم ، تحمل عليها قضبانه » .

معك ولم تفرّقهم ؛ فإن عوجلت فأتيت كان معكَ من تمتنع به ؛ وأنا لو قد فرغت من هذا الأمر عجلت إليك فى الخيل والرجال . قال له. إمّالا[1] فاعجل وإيّاك أن تسير إلى أميرهم تقاتله ، ولا تقاتل أحدًا وأنت تستطيع ألّا تقاتل ، واحفظ ما أوصيتك به إلّا أن يبدأك أحد بقتال . فخرج إبراهيم بن الأشتر من عنده فى الكتيبة الّتى أقبل فيها ؛ حتى أتى قومَه ، واجتمع إليه جلّ مَنْ كان بايعه وأجابه . ثم إنّه سار بهم فى سِكك الكوفة طويلا من الليل ؛ وهو فى ذلك يتجنّب السكك الّتى فيها الأمراء ، فجاء إلى الّذين معهم الجماعات الّذين وضع ابن مطيع فى الجبابين وأفواه الطّرق العظام ، حتّى انتهى إلى مسجد السَّكون ، وعجلت إليه خيلٌ من خيل زَحْر بن قيس الجُعْفىّ ليس لهم قائد ولا عليهم أمير . فشدّ عليهم إبراهيمُ بن الأشتر وأصحابه ، فكشفوهم حتّى دخلوا جبّانة كِندة ، فقال إبراهيم : مَن صاحب الخيل فى جبّانة كندة ؟ فشدّ إبراهيم وأصحابُه عليهم ، وهو يقول : اللهمّ إنك تعلم أنا غضبنا لأهل بيت نبيّك ، وثُرْنا لهم ، فانصرنا عليهم ، وتمّم لنا دعوتَنا ؛ حتّى انتهى إليهم هو وأصحابُه ، فخالطوهم وكَشفُوهم فقيل له : زَحْرُ بن قيس ؛ فقال : انصرفوا بنا عنهم ، فركب بعضُهم بعضاً كلّما لقيَهم زقاق دخلَ منهم طائفةٌ ، فانصرَفُوا يسيرون .

٢/٦١٨

ثم خرج إبراهيم يسير حتّى انتهى إلى جبّانة أثَيْر ، فوقف فيها طويلا ، ونادى أصحابه بشعارهم ، فبلغ سُوَيد بن عبد الرحمن المنقرىّ مكانهم[2] فى جبّانة أثَير ، فرجا أن يصيبَهم فيحظَى بذلك عند ابن مطيع ، فلم يشعر ابن الأشتر إلّا وهم معه فى الجبّانة ، فلمّا رأى ذلك ابن الأشتر قال لأصحابه : يا شُرطةَ الله، انزِلوا فإنكم أولَى بالنّصر من الله من هؤلاء الفسّاق الّذين خاضوا دماءَ أهلِ بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنزلوا . ثم شدّ عليهم إبراهيم ، فضربهم حتّى أخرجهم من الصّحراء ، وولّوا منهزمين يركَب بعضهم بعضاً ، وهم يتلاوَمون ، فقال قائل منهم : إنّ هذا الأمر يراد؛ ما يلقوْن لنا جماعة

(١) إمالا ، أى إن كنت لا تفعل غير ذلك .

(٢) ف : « حديثهم ومكانهم » .

إلّا هزموهم ! فلم يزل يَهزِمهم حتّى أدخلَهم الكُناسةَ . وقال أصحاب إبراهيم لإبراهيم : اتّبعهم واغتنِم ما قد دَخلَهم من الرّعب ، فقد علم الله إلى مَن ندعو وما نطلب ، وإلى مَن يدعون وما يطلبون ! قال : لا ، ولكن سيروا بنا إلى صاحبنا حتّى يؤمّن الله بنا وحشتَه ، ونكون من أمره على عِلم ، ويعلم هو أيضًا ما كان من عَنائنا ، فيزداد هو وأصحابه قوّة وبصيرةً إلى قواهم وبصيرتهم ، مع أنى لا آمن أن يكون قد أُتِيَ . ٢/٦١٩

فأقبل إبراهيمُ فى أصحابه حتّى مرّ بمسجد الأشعث ، فوقفَ به ساعة ، ثمّ مضى حتّى أتى دار المختار ، فوجد الأصواتَ عالية ، والقومَ يقتتلون ، وقدجاء شَبَث بن رِبعىّ من قِبَل السبَخة ، فعبّى له المختاريزيد بن أنس ، وجاء حجّار بن أبجر العجلىّ ، فجعل المختار فى وجهه أحمر بن شميط ، فالناس يقتتلون ، وجاء إبراهيم من قِبل القصر ، فبلغ حجّارًا وأصحابه أنّ إبراهيم قد جاءهم من ورائهم ، فتفرّقوا قبل أن يأتيَهم إبراهيم ، وذهبوا فى الأزقّة والسكَك ، وجاء قيس بن طَهْفة فى قريب من مائة رجل من بنى نَهْد من أصحاب المختار ، فحمل على شَبَث بن رِبعىّ وهو يقاتل يزيد بنَ أنس ، فخلّى لهم الطريق حتّى اجتمعوا جميعًا . ثمّ إن شَبَث بن رِبعىّ ترك لهم السكّة ، وأقبل حتّى لقى ابن مطيع ، فقال : ابعث إلى أمراء الجَبّابين فمرهم فليأتوك ، فاجمعْ إليك جميعَ الناس ، ثمّ انهد إلى هؤلاء القوم فقاتِلهم وابعث إليهم من تثق به فليكفك قتالهم ، فإنّ أمرَ القوم قد قَوِى ، وقد خرج المختار وظهر ، واجتمع له أمرُه. فلمّا بلغ ذلك المختار من مشورة شَبَث بن رِبْعِيّ على ابن مطيع خرج المختار فى جماعة من أصحابه حتّى نزل فى ظهر دَيْر هند ممّا يلى بُسْتان زائدة فى السَّبَخة .

قال : وخرج أبوعثمان النّهدىّ فنادى فى شاكر وهم مجتمعون فى دورهم ، يخافون أن يظهروا فى الميدان لقُرْب كعب بن أبى كعب الخثعمىّ منهم ، وكان كعب فى جبّانة بشر ، فلمّا بلغه أن شاكرًا تخرج جاء يسير [(١)] حتّى نزل بالميْدان ، وأخذ عليهم بأفواه سِكَكهم وطُرُقِهم . قال : فلمّا أتاهم أبو عثمان النّهدىّ ٢/٦٢٠

---

(١) ا : « أقبل يسير » .

فى عصابة من أصحابه ، نادى : يا لَثأرات الحسين ! يا منصورُ أمِت ! يأيّها الحىّ المهتدون، ألا إنّ أمير آل محمّد ووزيرَهم . قد خرج فنزل ديرَ هند ، وبعثنى إليكم داعيًا ومبشرًا ، فاخرجوا إليه يرحمكم الله ! قال : فخرجوا من الدّور يتداعَوْن : يا لَثأرات الحسين ! ثم ضاربوا كعب بن أبى كعب حتّى خلّى لهم الطريق ، فأقبلوا إلى المختار حتّى نزلوا معه فى عسكره ، وخرج عبد الله بن قراد الخثعمىّ فى جماعة من خثعم نحو المائتين حتّى لحق بالمختار ، فنزلوا معه فى عسكره ، وقد كان عرض له كعب بن أبى كعب فصافّه ، فلمّا عرفهم ورأى أنّهم قومُه خلّى عنهم ، ولم يقاتلْهم .

وخرجتْ شِبَام من آخر ليلتهم فاجتمعوا إلى جبّانة مراد ، فلمّا بلغ ذلك عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بعث إليهم : إن كنتم تريدون اللّحاق بالمختار فلا تمرّوا على جبّانة السَّبِيع ، فلَحِقوا بالمختار ، فتوافَى إلى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثنى عشر ألفًا كانوا بايعوه ، فاستجمعوا له قبل انفجار الفجر ، فأصبح قد فرغ من تعبيته .

قال أبو مخنف : فحدّثنى الوالبىّ قال : خرجتُ أنا وحميد بن مسلم ، والنعمان بن أبى الجَعْد إلى المختار ليلةَ خرج ، فأتيناه فى داره ، وخرجْنا معه إلى معسكره ؛ قال : فوالله ما انفَجَر الفجر حتى فرغ من تعبيته ؛ فلمّا أصبح استقدم ، فصلّى بنا الغداةَ بغلَس ، ثم قرأ « والنازعات » و « عبس وتولّى » ، قال : فما سمعنا إمامًا أمّ قومًا أفصحَ لهجةً منه . ٦٢١/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى حَصِيرة بن عبد الله ، أنّ ابنَ مطيع بعث إلى أهل الجبابين ، فأمرهم أن ينضمّوا إلى المسجد ، وقال لراشد بن إياس بن مضارب : نادِ فى الناس فليأتوا المسجد ، فنادى المنادى : ألا برئتْ الذّمّة من رجل لم يحضر المسجد الليلة ! فتوافَى النّاس فى المسجد ، فلمّا اجتمعوا بعث ابن مطيع شَبَث بن رِبْعىّ فى نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار ، وبعث راشد بن إياس فى أربعة آلاف من الشُّرَط .

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبُو الصَّلْت التيمىّ عن أبى سعيد الصّيْقل ،

قال : لما صلّى المختار الغداةَ ثم انصرف سَمِعْنَا أصواتًا مرتفعة فيما بين بنى سُلَيم وسكّة البريد ، فقال المختار : مَنْ يعلم لنا علم هؤلاء ما هم ؟ فقلت له : أنا أصلحك الله ! فقال المختار : إمَّا لا [1] فألق سلاحك وانطلق حتّى تدخل فيهم كأنك نظّار ، ثم تأتينى بخبرهم . قال : ففعلتُ ، فلمّا دنوت منهم إذا مؤذنهم يقيم ، فجئت حتّى دنوتُ منهم فإذا شَبَث بن رِبعيّ معه خيل عظيمة ، وعلى خيله شَيْبان بن حُرَيث الضبيّ ، وهو فى الرجّالة معه منهم كثرة ، فلما أقام مؤذنهم تقدّم فصلّى بأصحابه ، فقرأ : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ ، فقلت فى نفسى : أما والله إنى لأرجو أن يزلزل الله بكم ، وقرأ : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، فقال أناس من أصحابه : لو كنت قرأت سورتين هما أطول من هاتين [2] شيئًا ! فقال شَبَث : ترون الديْلم قد نزلت بساحتكم ، وأنتم تقولون : لو قرأت سورة « البقرة » و « آل عمران » ! قال : وكانوا ثلاثة آلاف ، قال : فأقبلت سريعًا حتى أتيت المختارَ فأخبرته بخبر [3] شَبَث وأصحابه ، وأتاه معى ساعة أتيته [4] سِعْر بن أبى سعر الحنفيّ يركض من قِبَل مراد ، وكان ممّن بايع المختار فلم يقدر على الخروج معه ليلة خرج مخافة الحرس ، فلمّا أصبح أقبل على فرسه ، فمرّ بجبّانة مراد ؛ وفيها راشد بن إياس ، فقالوا : كما أنت ! ومن أنت ؟ فراكضهم حتى جاء المختار ، فأخبره خبر راشد ، وأخبرته أنا خبر شَبَث ، قال : فسرّحَ إبراهيم بن الأشتر قِبَلَ راشد بن إياس فى تسعمائة — ويقال ستمائة فارس وستمائة راجل — وبعث نعيم بن هبيرة أخا مَصْقلة بن هبيرة فى ثلثمائة فارس وستمائة راجل ، وقال لهما : امضيا حتى تلقيا عدوّكما ، فإذا لقيتماهم فانزلا فى الرجال وعجلا الفَرَاغ وابدآهم بالإقدام ، ولا تستهدفا لهم ؛ فإنهم أكثر منكم ، ولا ترجعا إلىّ حتى تظهرا أو تُقتلا . فتوجّه إبراهيم إلى راشد ، وقدّم المختارُ يزيد بن أنس فى موضع مسجد شَبَث فى تسعمائة أمامه . وتوجّه نعيم بن هبيرة قِبَل شبَث .

٦٢٢/٢

قال أبو مخنف : قال أبو سعيد الصيقل : كنت أنا فيمن توجّه مع نُعيم

---

(١) إما لا ، أى إن كنت لا تفعل غير ذلك . (٢) ف : « منهما » .
(٣) ف : « خبر » . (٤) ف : « وافيته » .

٢/٦٢٣ ابن هبيرة إلى شَبَث ومعى سِعْر بن أبى سعر الحنفىّ ، فلما انتهينا إليه قاتلناه قتالا شديدًا ، فجعل نعيم بن هبيرة سعر بن أبى سِعْر الحنفىّ على الخيل ، ومشى هو فى الرجال فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت ، فضربناهم حتى أدخلناهم البيوت ؛ ثم إنّ شَبَث بن رِبعىّ ناداهم : يا حماة السوء ! بئس فرسان الحقائق[1] أنتم ! أمِنْ عبيدكم تهربون[2] ! قال : فثابت إليه منهم جماعة[3] فشدّ علينا وقد تفرّقنا فهزمَنا ، وصبر نعيم بن هبيرة فقتِل ، ونزل سعر فأسِر وأسِرت أنا وخليد مولى حسان بن محدوج[4] ، فقال شبث لخليد — وكان وسيمًا جسيمًا : مَن أنت ؟ فقال : [5]خليد مولى حسان بن محدوج الذهلى ، فقال له شَبَث : يا بن المتْكاء ، تركت بيع الصِّحناة[6] بالكُناسة وكان جزاء من أعتقك أن تعدوَ عليه بسيفك تضرب رقابه ! اضربوا عنقه ، فقُتِل ، ورأى سعرًا الحنفىّ فعرَفه ، فقال : أخو بنى حنيفة ؟ فقال له : نعم ، فقال : وَيْحَك ! ما أردتَ إلى اتّباع هذه السَّبئيَّة ! قبح الله رأيك ، دعوا ذا . فقلتُ فى نفسى : قَتَل المولَى وتَرَك العربىّ ؛ إن علم والله إنى مولى قتلنى . فلمّا عُرِضت عليه قال : من أنت ؟ فقلت : من بنى تيم الله ؛ قال : أعربىّ أنت أو مولًى ؟ فقلت : لا بل عربىّ ، أنا من آل زياد بن خَصَفة ، فقال : بخ بخ ! ذكرتَ الشريفَ المعروف ، الحقْ بأهلك . قال : فأقبلتُ حتّى انتهيت إلى الحمراء ، ٢/٦٢٤ وكانت لى فى قتال القوم بصيرة ، فجئت حتى انتهيت إلى المختار ؛ وقلت فى نفسى : والله لآتينّ أصحابى فلأواسينّهم بنفسى ، فقبح الله العيشَ بعدَهم ! قال : فأتيتُهم وقد سبقنى إليهم سِعْر الحنفىّ ، وأقبلتْ إليه خيلُ شَبَث ، وجاءه قتْل نُعَيم بن هُبَيرة ، فدخل من ذلك أصحابَ المختار أمرٌ كبير ؛ قال : فدنوتُ من المختار ، فأخبرتُه بالذى كان من أمرى ، فقال لى : اسكتْ ، فليس هذا بمكان الحديث . وجاء شَبَث حتّى أحاط بالمختار وبيزيد بن أنس

(١) ف : « الحقيقة » . (٢) ف : « تفرون » .

(٣) ف : « جماعة منهم » .

(٤) ط : « يخدج » ، والصواب ما أثبته ؛ وانظر الاشتقاق ٣٤٧ . (٥) ف : « قال » .

(٦) المتكاء من النساء : هى التى لم تخفض ؛ وهو من السب عندهم . وفى اللسان : « الصحناء بالكسر : إدام يتخذ من السمك ، يمد ويقصر ، والصحناة أخص منه » .

وبعث ابن مطيع يزيدَ بن الحارث بن رؤيم فى ألفين من قبَل سكّة لحّام جرير، فوقفوا فى أفواه تلك السكك ، وولّى المختارُ يزيد بن أنس خيلَه ، وخرج هو فى الرّجالة .

قال أبو مخنف : فحدّثنى الحارث بن كعب الوالبىّ ؛ والبة الأزد ، قال : حملتْ علينا خيلُ شبَث بن رِبْعىّ حملتين ، فما يزول منّا رجل من مكانه ، فقال يزيد بن أنس لنا : يا معشر الشّيعة ، قد كنتم تُقتَلون وتُقطَّع أيديكم وأرجلكم ، وتسمَل أعينكم، وترفَعون على جُذوع النخل فى حُبّ أهل بيت نبيّكم ؛ وأنتم مقيمون فى بيوتكم ، وطاعة عدوّكم ، فما ظنّكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم ! إذاً والله لا يَدَعون منكم عيناً تَطرف ، وليقتُلُنّكم صَبْراً ، ولترَوُنّ منهم فى أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموتُ خيرٌ منه ، والله لا يُنجيكم منهم إلّا الصدق والصبر ، والطعن الصائب فى أعينهم، والضرب الدّراك[1] على هامِهم . فتيسّروا للشّدّة ، وتهيئوا للحَمْلة ، فإذا حرّكت رايتى مرّتين فاحملوا . قال الحارث : فتهيّأنا وتيسّرنا ، وجثَوْنا على الرُّكَب ، وانتظرنا أمره . ٢/٦٢٥

قال أبو مخنف : وحدّثنى فضيل بن خديج الكندىّ أنّ إبراهيم بن الأشتر كان حين توجّه إلى راشد بن إياس ، مضى حتّى لقيه فى مراد ، فإذا معه أربعةُ آلاف ، فقال إبراهيم لأصحابه : لا يهولنّكم كثرةُ هؤلاء ، فوالله لرُبَّ رجل خيرٌ من عشرة ، ولرُبَّ فِئة قَليلة قَدْ غَلَبَتْ فِئةً كثيرةً بإذْن الله واللهُ مَعَ الصَّابرين ، ثم قال : يا خُزيمة بن نصر ، سرْ إليهم فى الخيل . ونزل هو يمشى فى الرّجال،ورايتُه مع مُزاحم بن طُفيل ، فأخذ إبراهيم يقول له : ازدَلِف برايتك ، امضِ بها قُدُماً قُدُماً. واقتتل الناسُ ، فاشتدّ قتالهم ، وبصُر خزيمة بن نصر العبسىّ براشد بن إياس ، فحمل عليه

(١) الطعن الدارك : المتتابع .

فطعنه ، فقتله ، ثمّ نادى : قتلتُ راشدًا وربِّ الكعبة . وانهزم أصحابُ راشد ، وأقبل إبراهيمُ بن الأشتر وخزيمة بن نصر ومَن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار ، وبعث النعمانُ بن أبى الجعْد يبشّر المختار بالفتح عليه وبقتل راشد ، فلمّا أن جاءهم البشير بذلك كبَّروا ، واشتدّت أنفسُهم ، ودخل أصحاب ابن مطيع الفَشَل ، وسرّح ابن مطيع حسَّان بن فائد بن بكير العبسىّ فى جيش كثيف نحو من ألفين . فاعترض إبراهيمَ بن الأشتر فُوَيقَ الحمراء ليردّه عمّن فى السبخة من أصحاب ابن مطيع ، فقدّم إبراهيمُ خزيمة بن نصر إلى حسَّان بن فائد فى الخيل ، ومشى إبراهيم نحوه فى الرجال . فقال :

والله ما اطّعَنَّا برمح ، ولا اضطربْنا بسيف ، حتّى انهزموا . وتخلّف حسان بن فائد فى أخريَات الناس يحميهم ، وحمل عليه خزيمة بن نصر ، فلمّا رآه عرفه ، فقال له : يا حسَّان بن فائد ، أما والله لولا القرابة لعرفت أنى سألتمس قتلَك بجهدى ، ولكن النّجاءَ ، فعثَر بحسّانَ فرسُه فوقع ، فقال : تعسًا لك ، أبا عبد الله ! وابتدره الناس فأحاطوا به ، فضاربَهم ساعةً بسيفه ، فناداه خزيمة بن نصر ، قال : إنّك آمن يا أبا عبد الله ، لا تقتل نفسَك ، وجاء حتّى وقف عليه ونَهنَه الناسَ عنه ، ومرّ به إبراهيم ، فقال له خزيمة : هذا ابن عمّى وقد آمنته ، فقال له إبراهيم : أحسنتَ ، فأمر خزيمة بطلب فرسه حتّى أتِىَ به ، فحمله عليه ، وقال : الحق بأهلك . ٢/٦٢٦

قال : وأقبل إبراهيم نحوَ المختار ، وشبَث محيط بالمختار ويزيد بن أنس ، فلمّا رآه يزيد بن الحارث وهو على أفواه سِكَك الكوفة الّتى تلى السَّبَخة ، وإبراهيم مقبل نحو شبَث ، أقبل نحوَه ليصدّه عن شبَث وأصحابه ، فبعث إبراهيم طائفةً من أصحابه مع خزيمة بن نصر ، فقال : أَغْنِ عنا يزيدَ بن الحارث ، وصَمَد هو فى بقيّة أصحابه نحو شَبَث بن رِبْعىّ .

قال أبو مخنف : فحدّثنى الحارث بن كعب أنّ إبراهيم لمّا أقبل نحونا رأيْنا شبَثًا وأصحابَه ينكُصون وراءهم رُوَيدًا رويدًا ، فلمّا دنا إبراهيمُ من شبث وأصحابه ، حمل عليهم ، وأمرنا يزيد بن أنس بالحملة عليهم ،

فحملنا عليهم ، فانكشفوا حتّى انتهوا إلى أبياتِ الكوفة ، وحمل خزيمةُ ابن نصر على يزيد بن الحارث بن رؤيم فهزمه ، وازدحموا على أفواه السِّكك ، وقد كان يزيد بن الحارث وضع رامية على أفواه السكك فوق البيوت ، وأقبل المختارُ فى جماعة الناس إلى يزيد بن الحارث ، فلمّا انتهى أصحابُ المختار إلى أفواه السكك رَمْته تلك الرامية[1] بالنّبل ، فصدّوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه ، ورجع الناسُ من السَّبَخة منهزمين إلى ابن مطيع ، وجاءه قتلُ راشد بن إياس ، فأسقِط فى يده . ٢/٦٢٧

قال أبو مخنف : فحدّثنى يحيى بن هانئ ، قال : قال عمرو بن الحجاج الزُّبيدىّ لابن مطيع : أيُّها الرجل لا يُسْقَطَ فى خَلَدك ، ولا تُلْقِ بيَدِكَ ، أخرُجْ إلى الناس فاندبهم إلى عدوّك فاغزهم ، فإنّ الناس كثير عددُهم ، وكلهم معك إلا هذه الطّاغية الّتى خرجتْ على الناس ، والله مخزيها ومُهلِكُها ، وأنا أوّل مُنتدَب ، فاندب معى طائفة ، ومع غيرى طائفة . قال : فخرج ابن مطيع ، فقام فى الناس ، فحمِد اللهَ وأثنَى عليه ثم قال : أيُّها الناس ، إنّ من أعجب العَجَب عجزكم عن عُصْبة منكم قليل عَدَدُها ، خبيث دينها ، ضالّة مُضِلّة . اخرجوا إليهم فامنعوا منهم حريمَكم وقاتِلوهم عن مِصرِكم ، وامنعوا منهم فَيْئَكم ، وإلّا والله ليشاركَنّكم فى فَيْئكم من لا حقّ له فيه . والله لقد بلَغنى أنّ فيهم خمسمائة رجل من محرَّريكم عليهم أميرٌ منهم ، وإنّما ذهاب عزّكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثر ون . ثم نزل .

قال : ومنعهم يزيدُ بن الحارث أن يدخلوا الكوفة . قال : ومضى المختار من السَّبَخة حتّى ظهر على الجبّانة ، ثمّ ارتفع إلى البيوت ؛ بيوت مُزينة وأحمس وبارق ، فنزل عند مسجدهم وبيوتهم ، وبيوتُهم شاذّةٌ منفردة من بيوت أهل الكوفة ، فاستقبلوه بالماء ، فسَقى أصحابَه ، وأبى المختار أن يشرَب . قال : فظنّ أصحابُه أنّه صائم ، وقال أحمر بن هديج من هَمْدان ٢/٦٢٨

---

(١) ف : « المرامية » .

لابن كامل : أترى الأمــــــيرَ صائمًا ؟ فقال له : نعم ، هو صائم ، فقال له : فلو أنّه كان فى هذا اليوم مفطرًا كان أقوى له ؛ فقال له : إنّه معصوم ، وهو أعلم بما يصنع ؛ فقال له : صدقت ، أستغفر الله . وقال المختار : نعم مكان المقاتل هذا ، فقال له : إبراهيم بن الأشتر : قد هزمهم الله وفلّهم ، وأدخل الرعبَ قلوبهم ، وتنزل هاهنا! سِرْ بنا ؛ فوالله ما دون القصر أحدٌ يمنع ، ولا يمتنع كبيرَ امتناع ؛ فقال المختار : لِيُقم ها هنا كلّ شيخ ضعيف وذى علّة ، وضعوا ما كان لكم من ثَقَل ومَتاع بهذا الموضع حتّى تسيروا إلى عدوّنا . ففعلوا ، فاستخلف المختار عليهم أبا عثمان النهدىّ ، وقدّم إبراهيم بن الأشتر أمامه ، وعبّى أصحابه على الحال الّتى كانوا عليها فى السَّبَخة .

قال : وبعث عبد الله بن مطيع عمرَو بن الحجّاج فى ألفىْ رجُل ، فخرج عليهم من سكّة الثوريّين ، فبعث المختار إلى إبراهيم أن اطوه ولا تقم عليه . فطواه إبراهيم ، ودعا المختار يزيدَ بن أنس ، فأمره أن يصمد لعمرو بن الحجّاج ، فمضى نحوه ، وذهب المختار فى أثر إبراهيم ، فمضَوا جميعًا حتّى إذا انتهى المختار إلى موضع مصلّى خالد بن عبد الله وَقَف ، وأمرَ إبراهيم أن يمضىَ على وجهه حتّى يدخل الكوفة من قِبَل الكناسة ، فمضى ، فخرج إليه من سكّة ابن محرز ، وأقبل شمر بن ذى الجَوْشن فى ألفين ، فسرّح المختارُ إليه سعيدَ بن منقذ الهَمْدانىّ فواقعه ، وبعث إلى إبراهيم أن اطوه ، وامض على وجهك . فمضَى حتّى انتهى إلى سكّة شبث ، وإذا [1] نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرَمة فى نحو من ألفين — أو قال : خمسة آلاف ، وهو الصحيح — وقد أمر ابن مطيع سويدَ بن عبد الرحمن فنادى فى الناس : أن الحقوا بابن مساحق . قال : واستخلف شَبَث بن رِبْعىّ على القَصْر ، وخرج ابن مطيع حتّى وقف بالكُناسة .

٦٢٩/٢

قال أبو مخنف [2] : حدّثنى حَصيرة بن عبد الله ، قال : إنى لأنظر إلى ابن الأشتر حين أقبل فى أصحابه ، حتّى إذا دنا منهم قال لهم : انزلوا ، فنزلوا ، فقال :

---

(١) ف : « فإذا » .

(٢) بعدها فى ف : « لوط بن يحيى » .

قرّبوا خيولكم بعضَها إلى بعض ، ثمّ امشوا إليهم مصلِتين بالسيوف ، ولا يهولنّكم أن يقال : جاءكم شَبَث بن ربعيّ وآل عتيبة بن النّهاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث ... قال : فسمّى بيُوتاتٍ من بيوتات أهل الكوفة ، ثم قال : إنّ هؤلاء لو قد وجدوا لهم حرّ السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المِعزى عن الذئب . قال حصيرة : فإنى لأنظر إليه وإلى أصحابه حين قرّبوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائِه فرفعه فأدخله فى مِنطَقة له حمراء من حواشى البُرود ، وقد شدّ بها على القباء ، وقد كفّر بالقباء على الدرع ، ثم قال لأصحابه : شدّوا عليهم فدًى لكم عمى وخالى ! قال : فوالله ما لبثّهم أنْ هزَمهم ؛ فركب بعضهم بعضًا على فم السكّة وازدحموا ، وانتهى ابنُ الأشتر إلى ابن مساحق ، فأخذ بلِجام دابّته ، ورفع السيفَ عليه ، فقال له ابن مساحق : يابن الأشتر ، ٢/٦٣٠ أنشدك الله ، أتطلُبُنى بثأر ! هل بينى وبينك من إحنة ! فخلّى ابن الأشتر سبيله ، وقال له : اذكُرْها ؛ فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكرها لابن الأشتر ، وأقبلوا يسيرون حتّى دخلوا الكُناسة فى آثار القوم حتّى دخلوا السوق والمسجد ، وحصروا ابن مطيع ثلاثًا .

قال أبو مخنف : وحدّثنى النّضر بن صالح أنّ ابن مطيع مكث ثلاثًا ، يرزُق أصحابه فى القَصْر حيث حُصر الدقيق ، ومعه أشراف الناس ، إلّا ما كان من عمرو بن حريث ، فإنه أتى دارَه ولم يُلزم نفسه الحصارَ ، ثمّ خرج حتى نزل البرّ ، وجاء المختار حتّى نزل جانب السوق ، وولّى حصار القصر إبراهيم بن الأشتر ، ويزيد بن أنس ، وأحمر بن شُميط ، فكان ابن الأشتر ممّا يلى المسجد وباب القصر ، ويزيدُ بن أنس ممّا يلى بنى حذيفة وسكّة دار الرّوميّين ، وأحمر بن شُميط ممّا يلى دار عمارة ودار أبى موسى . فلمّا اشتدّ الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلّمه الأشراف ، فقام إليه شَبَث فقال : أصلح الله الأمير ! انظُر لنفسك ولمن معك ، فوالله ما عندَهم غَناء عنك ولا عن أنفسهم . قال ابن مطيع : هاتوا ، أشيروا علىّ برأيكم ؛

قال شَبَث : الرّأى أن تأخذ لنفسك من هذا الرجل أمانًا ولنا ، وتخرج ولا تُهلِك نفسك ومن معك . قال ابن مطيع : والله إنى لأكره أن آخذ منه أمانًا والأمور مستقيمة لأمير المؤمنين بالحجاز كله وبأرض البصرة ؛ قال : فتخرج لا يشعر بك أحد حتى تنزل منزلا بالكوفة عند من تستنصحه وتثق به ، ولا يعلم بمكانك حتّى تخرج فتلحق بصاحبك ؛ فقال لأسماء بن خارجة وعبد الرحمن بن مخنف وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وأشراف أهل الكوفة : ما ترون فى هذا الرأى الذى أشار به علىّ شَبَث ؟ فقالوا : ما نرى الرأىَ إلا ما أشار به عليك ، قال : فرويدًا حتى أمسِى . ٦٣١/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو المغلّس الليثىّ ، أنّ عبد الله بن عبد الله الليثىّ أشرف على أصحاب المختار من القصر من العشىّ يشتمهم ، وينتحى له مالك بن عمرو أبو نمْران[1] النهدىّ بسهم ، فيمرّ بحلقه ، فقطع جلدةً من حلقه فمال فوقع ؛ قال : ثمّ إنّه قام وبرأ بعدُ ؛ وقال النّهدىّ حين أصابه : خذها من مالك ، من فاعل كذا .

قال أبو مخنف : وحدّثنى النّضر بن صالح ، عن حسّان بن فائد بن بكير ، قال : لمّا أمسَينا فى القصر فى اليوم الثالث ، دعانا ابن مطيع ، فذكر الله بما هو أهله ، وصلّى على نبيّه صلّى الله عليه وسلّم وقال : أما بعد ، فقد علمت الّذين صنعوا هذا منكم مَن هم ؛ وقد علمت أنّما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطَغامُكم وأخسّاؤكم ، ما عدا الرجل أو الرجلين ، وأنّ أشرافكم وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين ، وأنا مبلغ ذلك صاحبى ، ومُعْلمه طاعتكم وجهادكم عدوّه ، حتّى كان الله الغالب على أمره ، وقد كان من رأيكم وما أشرتم به علىّ ما قد علمتم ، وقد رأيت أن أخرج الساعةَ . فقال له شبَث : جزاك الله من أمير خيرًا ! فقد والله عففت عن أموالنا ، وأكرمت أشرافنا ، ونصحت لصاحبك ، وقضيت الذى عليك ، والله ما كنّا لنفارقك أبدًا إلّا ونحن منك فى إذن ، فقال : جزاكم الله خيرًا ، أخذ امرؤٌ حيث أحبّ ، ثم خرج من نحو دروب الروميّين حتى أتى دار أبى موسى ، وخلّى القصر ، وفتح أصحابه ٦٣٢/٢

(١) ط : « نمر » ، وانظر الفهرس .

البابَ، فقالوا : يا بن الأشتر ، آمنون نحن ؟ قال : أنتم آمنون ؛ فخرجوا فبايعوا المختار .

قال أبو مخنف : فحدّثني موسى بن عامر العدوىّ ؛ من عدىّ جهينة — وهو أبو الأشعر — أنّ المختار جاء حتّى دخل القصر ، فبات به ، وأصبح أشرافُ الناس فى المسجد وعلى باب القصر ، وخرج المختار فصعد المنبرَ ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، فقال : الحمد لله الّذى وعد وليّهُ النصرَ ، وعدوّه الخُسْرَ ، وجعله فيه إلى آخر الدهر ، وَعْدًا مفعولاً ، وقضاءً مقضيًّا ، وقد خاب من افترى . أيها الناس ، إنّه رُفعت لنا راية ، ومُدّت لنا غاية ، فقيل لنا فى الراية : أن ارفعوها ولا تَضَعوها ، وفى الغاية : أن اجْروا إليها ولا تَعدوها ، فسمعْنا دعوَة الداعى ، ومقالةَ الوَاعى ؛ فكم من ناعٍ وناعية ، لقتلى فى الواعية ! وبُعدًا لمن طغى وأدبر ، وعَصَى وكذّب وتولّى ، ألا فادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى ، فلا والّذى جعل السماءَ سَقْفًا مكفوفًا ، والأرضَ فجَاجا سُبُلا ، ما بايعتم بعد بيعة علىّ بن أبى طالب وآل علىّ أهدَى منها .

٢/٦٣٣ ثمّ نزل فدَخَل ، ودخلنا عليه وأشراف الناس ، فبَسَط يدَه ، وابتدره[1] الناس فبايعوه ، وجعل[2] يقول : تبايعونى على كتاب الله وسنة نبيّه ، والطلب بدماء أهل البيت ، وجهاد المُحِلّين ، والدفع عن الضّعفاء ، وقتال مَن قاتلنا ، وسلم مَن سالمنا ، والوفاء ببيعتنا ، لا نقيلكم ولا نستقيلكم ؛ فإذا قال الرجل : نعم ، بايَعَه . قال : فكأنى والله أنظر إلى المنذر بن حسّان بن ضِرار الضبىّ إذ أتاه حتّى سلّم عليه بالإمْرة ، ثمّ بايعه وانصرف عنه ، فلمّا خرج من القصر استقبل سعيد بن منقذ الثورىّ فى عصابة من الشّيعة واقفًا عند المصطبة ، فلمّا رأوه ومعه ابنه حيّان بن المنذر ، قال رجل من سفهائهم : هذا والله من رءوس الجبّارين ، فشَدّوا عليه وعلى ابنه ، فقتلوهما ، فصاح بهم سعيدُ بن منقذ : لا تَعجَلوا ، لا تَعجَلوا حتّى ننظر ما رأىُ أميرِكم فيه . قال : وبلغ المختارَ ذلك ، فكرهه حتّى رُئى ذلك فى وجهه ، وأقبل المختار يمنّى الناسَ ، ويستجرّ مودّتهم ومودّة الأشراف ، ويُحسن السيرة جُهدَه .

---

(١) ف : « وابتدره » . (٢) ا ، ف : « فجعل » .

قال : وجاءه ابن كامل فقال للمختار ، أعلمتَ أنّ ابن مطيع فى دار أبى موسى ؟ فلم يُجبه بشىء ، فأعادها عليه ثلاثَ مرّات فلم يُجبه ، ثمّ أعادها فلم يُجبه ، فظنّ ابن كامل أنّ ذلك لا يوافقه ، وكان ابن مطيع قبلُ للمختار صَديقًا ، فلمّا أمسى بعث إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم ، فقال له : تجهَّزْ بهذه واخرج ؛ فإنى قد شعرت بمكانك ، وقد ظننتُ أنّه لم يمنعْك من الخروج إلّا أنّه ليس فى يديك ما يقوّياك على الخروج . وأصاب ٦٣٤/٢ المختار تسعةَ آلاف ألف فى بيت مال الكوفة ، فأعطى أصحابه الّذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع فى القصر – وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة[1] رجل – كلّ رجل خمسمائة درهم خمسمائة درهم ، وأعطى ستّة آلاف من أصحابه أتَوْه بعد ما أحاط بالقصر ، فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيّام حتّى دخل القصر مائتين مائتين ، واستقبل الناس بخير ، ومَنّاهم العدل وحسنَ السيرة ، وأدنى الأشرافَ ، فكانوا جلساءَه وحُدّاثَه ، واستعمل على شُرْطته عبد الله بن كامل الشّاكرىّ ، وعلى حَرَسه كيسان أبا عَمْرةَ مولى عُرَينة ؛ فقام ذات يوم على رأسه ، فرأى الأشراف يحدّثونه ، ورآه قد أقبل بوجهه وحديثه عليهم ، فقال لأبى عَمْرة بعضُ أصحابه من الموالى : أما ترى أبا إسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا ! فدعاه المختار فقال له : ما يقول لك أولئك الّذين رأيتهم يكلّمونك ؟ فقال له – وأسرّ إليه : شقّ عليهم أصلحك الله صَرْفَك وجهَك عنهم إلى العرب ، فقال له : قُل لهم : لا يشقّنّ ذلك عليكم ، فأنتم منى وأنا منكم . ثمّ سكت طويلا ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾[2]. قال : فحدّثنى أبو الأشعر موسى بن عامر قال : ما هو إلاّ أن سمعها الموالى منه ، فقال بعضهم لبعض : أبشروا ، كأنكم والله به قد قتَلهمْ .

قال أبو مخنف : حدّثنى حَصِيرة بن عبد الله الأزدىّ وفُضَيل بن خَدِيج الكندىّ والنضر بن صالح العبسى ، قالوا : أوّل رجل عقد له المختار

---

(١) ف : « وخمسمائة » .

(٢) سورة السجدة:٢٢ .

٦٣٥/٢ رايةَ عبدَ الله بن الحارث أخو الأشتر ، عقَد له على أرمينيّة ، وبعث محمَّد ابن عمير بن عُطارد على آذربيجان ، وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على المَوْصل ، وبعث إسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوخَى ، وبعث قُدامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصريّ ، وهو حليف لثقيف على بِهقُباذ الأعلى ، وبعث محمَّد بن كعب بن قَرَظَة على بهقُباذ الأوسط ، وبعث حبيب بن منقذ الثوريّ على بهقُباذ الأسفل ، وبعث سعد بن حذيفة بن اليَمان على حُلوان ، وكان مع سعد بن حذيفة ألفا فارس بحُلوان . قال : ورزقه ألف درهم فى كلّ شهر ، وأمره بقتال الأكراد ، وبإقامة الطرق ، وكتب إلى عمّاله على الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كُوَرهم إلى سعد بن حذيفة بحُلوان ، وكان عبد الله بن الزبير قد بعث محمَّد بن الأشعث بن قيس على الموصل ، وأمره بمكاتبة ابن مطيع وبالسمع له والطاعة ، غير أنّ ابن مطيع لا يقدر على عزله إلّا بأمر ابن الزبير ، وكان قبل ذلك فى إمارة عبد الله بن يزيدَ ، وإبراهيم بن محمد منقطعاً بإمارة الموصِل ، لا يكاتِب أحدًا دون ابن الزّبير .

فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من قِبَل المختار أميرًا تنحّى له عن الموصل ، وأقبل حتى نزل تَكْريت ، وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم ، وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس ، وإلى ما يصير أمرُهم ، ثم شخص إلى المختار فبايع له[1] ، ودخل فيما دَخل فيه أهلُ بلدِه .

٦٣٦/٢ قال أبو مخنف : وحدّثني صلة بن زهير النَّهديّ ، عن مسلم بن عبد الله الضّبابيّ ، قال : لمَّا ظهر المختار واستمكن ، ونفى ابن مطيع وبعثَ عمَّاله ، أقبل يجلس للناس غُدوةً[2] وعشيَّة ، فيقضى بين الخصمين ، ثمّ قال : والله إنّ لى فيما أزاول وأحاول لشُغْلا عن القضاء بين الناس ، قال : فأجلس للناس شُريحًا ، وقَضَى بين الناس ، ثمّ إنّه خافهم فتَمارَض ، وكانوا يقولون : إنّه عُثمانيّ ، وإنّه ممّن شهد على حُجْر بن عديّ ، وإنه لم يُبلّغ عن هانئ ابن عروة ما أرسلَه به — وقد كان عليّ بن أبي طالب عَزلَه عن القضاء — فلمّا

(١) ف : « فبايعه » .

(٢) ف : « بكرة » .

أن سمع بذلك ورآهم يذمّونه ويُسنِدون إليه مثل هذا القول تمارَض، وجعل المختارُ مكانه عبدَ الله بن عتبة بن مسعود. ثمّ إنّ عبد الله مرض، فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائىّ قاضيًا.

قال مسلم بن عبد الله: وكان عبد الله بن همّام سمع أبا عمرةَ يذكر الشّيعة وينال من عثمان بن عفّان، فقنّعه بالسوط، فلما ظهر المختار كان معتزلا حتّى استأمَنَ له عبدُ الله بن شدّاد، فجاء إلى المختار ذاتَ يوم فقال:

أَلَا انْتَسأَتْ بالوُدِّ عنك وأَدْبَرَتْ ... مُعَالِنَةً بِالهَجْرِ أُمُّ سَرِيعِ[1]

وحَمَّلَها وَاشٍ سَعَى غير مُؤتَلٍ ... فأَبْتَ بِهمٍّ فى الفؤاد جميع

فَخفِّضْ عليك الشأنَ لا يُرْدِك الهوى ... فليس انتقالُ خَلَّة بِبديع

وفى ليلة المختار ما يُذْهِلُ الفتى ... ويُلهِيهِ عن رؤد الشَّباب شَمُوع ٦٣٧/٢

دعا يالَثأراتِ الحسين فأَقبلتْ ... كتائبُ مِنْ هَمْدانَ بعد هَزِيع

ومِن مذْحِج جاء الرئيسُ ابنُ مالك ... يقُودُ جُمُوعاً عُبِّيتْ بِجُمُوع

ومنْ أَسدٍ وافَى يزيدُ لِنَصْرِهِ ... بكلِّ فتًى حامِى الذِّمارِ منيع

وجاء نُعَيْمٌ خيرُ شَيْبانَ كلّها ... بأَمرٍ لدى الهَيجا أَحَدَّ جميع

وما ابن شميط إذ يُحَرِّضُ قومهُ ... هناك بِمَخذْولٍ ولا بمُضِيع

ولا قَيس نَهدٍ لا ولا ابنُ هَوازنٍ ... وكلٌّ أخو إخْبَاتةٍ وخُشُوع

وسار أَبو النُّعمانِ لِلهِ سَعيهُ ... إلى ابن إياسٍ مُصْحِرًا لوقوعِ

بِخَيْلٍ عليها يومَ هَيْجَا دُرُوعُها ... وأُخرى حُسُورًا غيرَ ذاتِ دُرُوع

فكَرَّ الخُيولُ كرةً ثَقِفَتْهُمُ ... وشَدَّ بأُولَاها على ابن مُطيع

فَوَلَّى بضربٍ يَشْدَخُ الهام وَقْعُهُ ... وطعنٍ غداةَ السِّكَّتينِ وجيع ٦٣٨/٢

فحُوصِرَ فى دار الإمَارة بائياً ... بذُلٍّ وإرغامٍ له وخُضوع

فَمَنَّ وزيرُ ابن الوصىّ عليهمُ ... وكان لهمْ فى الناس خيرَ شفيع

---

(١) الأبيات من ٤ إلى ٧ فى الأخبار الطوال ٢٩١.

وآبَ الهدى حقًّا إلى مُسْتقَرِّهِ بخيرِ إيابٍ آبَهُ وَرُجُوع
إلى الهاشميّ المهتدِي المهتدَى به فنحنُ له من سامعٍ ومطيع

قال : فلمَّا أنشدها المختارَ قال المختار لأصحابه : قد أثنَى عليكم كما تسمعون ، وقد أحسن الثَّناءَ عليكم ، فأحسِنوا له الجزاء . ثمّ قام المختار ، فدخل وقال لأصحابه : لا تبرحوا حتَّى أخرج إليكم ؛ قال : وقال عبد الله ابن شدّاد الجُشَمِيّ : يابن همّام : إنّ لك عندى فرسًا ومُطْرَفًا ، وقال قيس بن طَهْفة النَّهدىّ — وكانت عنده الرّباب بنت الأشعث : فإنّ لك عندى فرسًا ومُطْرَفًا ، واستحيا أن يعطيَه [(١)] صَاحبُه شيئًا لا يعطِي مثله ، فقال [(١)] ليزيد بن أنس : فما تعطيه ؟ فقال يزيد : إن كان ثوابَ الله أراد بقوله فما عند الله خيرٌ له ، وإنْ كان إنَّما اعتَرَى بهذا القول أموالَنا ، فوالله ما فى أموالنا ما يسعُه ؛ قد [(٢)] كانت بقيتْ من عطائى بقيَّة فقوّيت بها إخوانى ؛ فقال أحمر بن شُمَيط مبادراً لهم قبل أن يكلّموه : يا بن همّام ، إن كنتَ أردت بهذا القول وجهَ الله فاطلب ثوابَك من الله ، وإن كنتَ إنَّما اعتريت به رِضَا الناسِ وطلبَ أموالهم ، فاكْدِم الجَنْدل ؛ فوالله ما مَنْ قال قولا لغير الله وفى غير ذات الله بأهلٍ أن يُنْحَل ، ولا يوصَل ؛ فقال له : عضضتَ بأير أبيك ! فرفع يزيد بن أنس السوط وقال لابن همام : تقول هذا القولَ يا فاسق ! وقال لابن شُمَيط : اضربه بالسيف ، فرفع ابن شميط عليه السيف [(٣)] ووثب ووثب أصحابهما يتفلّتون على ابن همّام . وأخذ بيده إبراهيم بن الأشتر فألقاه وراءه ، وقال : أنا له جارٍ ، لِمَ تأتون إليه ما أرى ! فوالله إنَّه لواصل الولاية ، راضٍ بما نحن عليه ، حسَنَ الثناء ، فإن أنتم لم تكافئوه بحسن ثنائه ، فلا تشتموا عرضَه ، ولا تَسفِكوا دَمَه . ووثبتْ مَذْحِج فحالت دونه ، وقالوا : أجارَهُ ابن الأشتر ، لا واللهِ لا يُوصَل إليه . قال : وسمع لَغَطهم المختار [(٤)] ، فخرج إليهم ، وأومأ بيده إليهم ، أن اجلسوا ، فجلسوا ، فقال لهم : إذا قيل لكم خير فاقبَلوه ، وإن قدرتم على مكافأة فافعلوا ، وإن لم تقدروا

(١ – ١) ف : « دون عطية صاحبه وقال » . (٢) ف : « وقد » .
(٣) ف : « السيف عليه » . (٤) ف : « المختار لغطهم » .

على مكافأة فتنصّلوا ، واتقوا لسانَ الشاعر ، فإنّ شرّه حاضر ، وقولَه فاجر ، وسعيَه بائر ، وهو بكم غدًا غادر . فقالوا[١] : أفلا نقتله ؟ قال : إنّا قد آمنّاه وأجرْناه ، وقد أجاره أخوكم إبراهيم بن الأشتر ، فجلس مع الناس .

قال : ثمّ إنّ إبراهيم قام فانصرف إلى منزله فأعطاه ألفًا وفرسًا ومُطرَفًا فرجع بها وقال : لا والله ، لا جاورت هؤلاء أبدًا وأقبلتْ هوازنُ وغضبتْ واجتمعتْ في المسجد غضباً لابن همّام ، فبعث إليهم المختار فسألهم أن يصفحوا عمّا اجتمعوا له ، ففعلوا ، وقال ابن همّام لابن الأشتر يمدحه :

أَطْفأَ عَنّى نارَ كَلْبَين أَلَّبا ... علىَّ الكلابَ ذو الفِعال ابنُ مالكِ
فتًى حينَ يَلقى الخيلَ يَفْرقُ بينها ... بطعن دِراكٍ أَو بضرب مُوَاشِكِ
وقد غَضِبَتْ لى مِنْ هوازنَ عُصبةٌ ... طوالُ الذُّرا فيها عراض المَبارِكِ
إذا ابنُ شُمَيط. أَو يزيد تعرَّضا ... لها وقَعَا فى مُسْتَحار المهالكِ[٢] ٢/٦٤١
وَثَبْتُمْ علينا يا مَوالِىَ طَيِّئٍ ... مع ابن شميط. شَرِّمَاشٍ ورَاتِكِ[٣]
وأَعظم ديَّارٍ على اللهِ فِرْيَةً ... وما مُفْتَرٍ طاغٍ كآخَرَ نَاسِكِ
فيا عجباً مِنْ أَحمسَ ابنةِ أَحمَسٍ[٤] ... تَوَثَّبُ حوْلى بالقنا والنَّيَازِكِ[٥]
كأَنكُمُ فى العِزِّ قيسٌ وخثعمٌ ... وهل أَنتمُ إلَّا لئامُ عَوَارِكِ[٦]

وأقبل عبد الله بن شدّاد من الغد فجلس في المسجد يقول : علينا توثّبُ بنو أسد وأحمس ! واللهِ لا نرضى بهذا أبدًا . فبلغ ذلك المختار ، فبعث إليه فدعاه ، ودعا بيزيد[٧] بن أنس وبابن[٨] شميط ، فحمِد اللهَ وأثنَى عليه وقال[٨] : يابن شدّاد ، إنّ الّذي فعلتَ نَزْغة من نَزَغات الشيطان ، فتُب إلى الله ، قال : قد تُبْت ، وقال : إنّ هذين أخواك ، فأقبِل إليهما ، واقبل منهما ، وهب لى هذا الأمر ، قال : فهو لك ، وكان ابن همّام قد قال قصيدةً

---

(١) ف : « قالوا » .
(٢) ف : « موبقات المهالك » .
(٣) الرتك : مشية فيها اهتزاز .
(٤) ف : « وما عجب » .
(٥) ف : « تولت قتالى » .
(٦) ف : « وما أنتم غير الإماء العوارك » .
(٧) ف : « يزيد » .
(٨) ف : « وابن » .
(٨) ف : « ثم قال » .

أخرى فى أمر المختار ، فقال :

أَضحت سُلَيْمَى بعدَ طولِ عِتابِ ... وتَجَرُّمٍ ونَفادِ غَرْبِ شَبابِ

قد أَزْمَعَت بِصَرِيمتى وتَجنّبى [1] ... وتهوُّكٍ مُذْ ذاك فى إعتابِ[2]

لمّا رأَيتُ القصر أُغلقَ بابُهُ ... وتوكَّلت هَمْدانُ بالأَسباب [3]

٦٤٢/٢ ورأَيتُ أَصحابَ الدَّقيق كأَنَّهم[4] ... حولَ البُيُوت ثعالبُ الأَسراب

ورأَيتُ أَبوابَ الأَزِقَّة حولَنا ... دربَت بكلِّ هِرَاوة وذُباب

أَيْقَنتُ أَنَّ خيولَ شيعةِ رَاشِدٍ ... لم يبْق منها فَيْشُ أَيْرِ ذُباب

* * *

[ذكر الخبر عن أمر المختار مع قتَلة الحسين بالكوفة]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة وَثب المختارُ بمن كان بالكوفة[5] من قَتَلَة الحسين والمشايعين على قتله ، فقَتَل من قَدَر عليه منهم ، وهرب من الكوفة بعضهم ، فلم يقدر عليه .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية مَنْ قتل منهم ومَنْ هرب فلم يقدر عليه منهم :

وكان سبب ذلك ـ فيما ذكره هشام بن محمَّد ، عن عوانة بن الحكم ـ أنّ مَرْوان بن الحكم لمَّا استوسقت له الشأمُ بالطَّاعة ، بعث جيشَين أحدهما إلى الحجاز عليه حُبَيْش بن دُلجة القينىّ ـ وقد ذكرنا أمرَه وخبرَ مهلكه قبلُ ـ والآخر منهما إلى العراق عليهم عبيد الله بن زياد ـ وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوّابين من الشيعة بعَين الوَردة ـ وكان مرْوان جعل لعبيد الله بن زياد إذ وجَّهه إلى العراق ما غلب عليه ، وأمَرَه أن يَنهَب الكوفة إذا هو

٦٤٣/٢ ظفر بأهلها ثلاثًا .

قال عوانة : فمرّ بأرض الجزيرة فاحتبس بها وبها قيسُ عَيْلان[6] على

---

(١) ف : « هجرى وطول تجنبى » .
(٢) ف : « لا تعجلن فلست من أصحابى » .
(٣) ف : « وتعلقت همدان بالبواب » .
(٤) ف : « أصحاب البيوت » .
(٥) ف « فى الكوفة » .
(٦) ا : « قيس بن عيلان » .

طاعة ابن الزبير ، وقد كان مروانُ أصاب قيسًا يوم مَرْجِ راهط وهم مع الضحّاك بن قيس مخالفين على مرْوان ، وعلى ابنه عبد الملك من بعده ، فلم يزل عبيد الله مشتغلا بهم عن العراق نحوًا من سنة . ثمّ إنّه أقبل إلى الموصل ، فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عاملُ المختار على الموصل إلى المختار : أما بعد ، فإنى أخبرك أيها الأمير أنّ عبيد الله بن زياد قد دخل أرضَ الموصل ، وقد وجّه قِبَلى خيلَه ورجالَه ، وأنى انحزْت إلى تَكْريتَ حتّى يأتيَنى رأيُك وأمرُك ، والسلام عليك .

فكتب إليه المختار : أمّا بعد ، فقد بلغنى كتابُك ، وفهمتُ كلّ ما ذكرتَ فيه ، فقد أصبتَ بانحيازك إلى تكريت ، فلا تبرحَنّ مكانلك الّذى أنت به حتّى يأتيَك أمرى إن شاء الله ، والسلام عليك .

قال هشام ، عن أبى مخنف : حدّثنى موسى بن عامر ، أنّ كتاب عبد الرحمن بن سعيد لمّا ورد على المختار بعث إلى يزيد بن أنس فدعاه ، فقال له : يا يزيدَ بن أنس ، إنّ العالِم ليس كالجاهل ، وإنّ الحق ليس كالباطل ، وإنى أخبرك خبر من لم يَكذِب ولم يكذَّب ، ولم يُخالِف ولم يرتب ، وإنّا المؤمنون الميامين ، الغالبون المساليم ، وإنّك صاحب الخيل الّتى تجرّ جِعابها ، وتضفر أذنابها ، حتّى تُوردها منابتَ الزيتون ، غائرةً عيونُها ، لاحقةً بطونُها . اخرُج إلى المَوصل حتّى تنزلَ أدانيها[1] ، فإنى ممدّك بالرّجال بعد الرّجال . فقال له يزيد بن أنس : سرّحْ معى ثلاثةَ آلاف فارس أنتخبُهم ، وخلّنى والفرْج الّذى توجّهنا إليه ، فإن احتجتُ إلى الرّجال فسأكتب إليك ؛ قال له[2] المختار : فاخرج فانتخب على اسم الله مَنْ أحببت[3].

٢/٦٤٤

فخرج فانتخب ثلاثةَ آلافِ فارس ، فجعل على رُبْع المدينة النعمانَ بنَ عوف بن أبى جابر الأزدىّ ، وعلى رُبْع تميم وهَمْدان عاصم بن قيس بن حبيب الهمْدانىّ ، وعلى مَذْحج وأسَد ورقاء بن عازب الأسدىّ ، وعلى رُبْع ربيعة وكندة سِعْر بن أبى سِعْر الحنفىّ .

ثم إنّه فصل من الكوفة ، فخرج وخرج معه المختار والناس يشيّعونه ، فلما

(١) ف : «بأدانيها». (٢) ف : «فقال». (٣) ف : «ثلاثة آلاف من أحببت».

بلغ ديرَ أبى موسى ودّعه المختار وانصرف ، ثم قال له : إذا لقيتَ عدوّك فلا تُناظرهم ، وإذا أمكنتْك الفرصةُ فلا تؤخّرها ، وليكن خبرُك فى كلّ يوم عندى ، وإن احتجت[١] إلى مَدد فاكتب إلىّ ؛ مع أنى مُمِدّك ولو لم تَستمدِد ، فإنّه أشدّ لعَضُدك ، وأعزّ لجُنْدك ، وأرْعَب لعدوّك . فقال له يزيد بن أنس : لا تمدّنى إلّا بدعائك ، فكفى به مَدداً . وقال له الناس : صَحِبكَ اللهُ وأدّاك وأيّدك[٢] . وودّعوه . فقال لهم يزيد : سلوا اللهَ لِىَ الشهادة ، وايمُ الله لئن لقيتُهم ففاتنى النصرُ لا تُفتْنى الشهادة إن شاء الله . فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس : أما بعد ، فخلّ بين يزيدَ وبين البلاد إن شاء الله ، والسلام عليك . فخرج يزيد بن أنس بالناس حتّى بات بسُورَا ، ثم غدا بهم سائراً حتى بات بهم بالمدائن ؛ فشكا الناسُ إليه[٣] ما دخلهم من شدّة السير عليهم ، فأقام بها يوماً وليلة . ثمّ إنّه اعترض بهم أرض جُوخَى حتّى خرج بهم فى الراذانات ، حتّى قطع بهم إلى أرض الموصل ، فنزلت ببنات تلى ، وبلغ مكانُه ومنزلُه الّذى نزل به عبيدَ الله بن زياد ، فسأل عن عدّتهم ، فأخبرتْه عيونُه أنّه خرج معه من الكوفة ثلاثةُ آلاف فارس ، فقال عبيد الله : فأنا أبعث إلى كلّ ألف ألفين . ودعا ربيعة بن المخارق الغنوىّ وعبد الله بن حمْلة الخثعمىّ ، فبعثهما فى ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، وبعث ربيعة بن المخارق أوّلا ، ثمّ مكث يوماً ، ثمّ بعث خلفه عبد الله بن حمْلة ، ثم كتب إليهما : أيّكما سَبَق فهو أمير على صاحبه ، وإن انتهيتما جميعاً فأكبركما سِنّاً أميرٌ على صاحبه والجماعة . قال : فسبق ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو ببنات تلى ، فخرج إليه يزيد بن أنس وهو مريض مضنًى .

٢/٦٤٥

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو الصلت ، عن أبى سعيد الصَّيْقل ، قال : خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمشى معه الرجال يُمسِكونه عن يمينه وعن شماله ، بفخذيه وعضديه وجنبيه ، فجعل يقف على الأرباع :

---

(١) ف : « وإذا احتجت » . (٢) ف : « وأيدك وأداك سالماً غانماً » .
(٣) ف : « فشكا إليه الناس » .

رُبْع ربع[1] ويقول : يا شرطة الله ، اصبروا تُؤجَرُوا ، وصابروا عدوّكم تَظفَروا ، وقاتِلوا أولياءَ الشيطان ، إنّ كَيْدَ الشيطان كان ضَعِيفًا ، إنْ هلكتُ فأميركم ورقاء بن عازب الأسدىّ ، فإن هلَكَ فأميرُكم عبد الله بن ضَمْرة العذرىّ ، فإن هلك فأميرُكم سِعْر بن أبى سعر الحنفىّ . قال : وأنا والله فيمن يمشى معه ويُمْسِك بعضده ويده ، وإنى لأعرف فى وجهه أنّ الموت قد نزل به . قال : فجعل يزيدُ بن أنس عبدَ الله بن ضَمْرة العذرىّ على ميمنته ، وسِعْر بن أبى سعر على ميسرته ، وجعل ورقاءَ بن عازب الأسدىّ على الخيل ، ونزل هو فوُضع بين الرجال على السرير ، ثم قال لهم : ابرزوا لهم بالعرَاء ، وقدّمونى فى الرجال ، ثمّ إن شئتم فقاتلوا عن أميركم ، وإن شئتم ففرّوا عنه . قال : فأخرجناه فى ذى الحجّة يومَ عرفة سنة ست وستين ، فأخذْنا نُمسك أحيانًا بظَهْره فيقول : اصنعوا كذا ، اصنعوا كذا ، وافعلوا كذا ، فيأمر بأمره ، ثمّ لا يكون بأسرعَ من أن يغلبه الوجعُ فيُوضع هُنَيْهة ويقتتل الناسُ ، وذلك عند شفق الصبح قبل شروق الشمس . قال : فحملتْ ميسرتهم على مَيمنتِنا ، فاشتدّ قتالُهم ، وتَحمِل ميسرتُنا على ميمنتهم فتهزمها[2] ، ويَحمِل ورقاء بن عازب الأسدىّ فى الخيل فَهَزَمهم ، فلم يرتفع الضّحى حتّى هزمناهم ، وحَوَيْنا عسكرهم .

قال أبو مخنف : وحدّثنى موسى بن عامر العدَوىّ ، قال : انتهينا إلى ربيعة ابن المخارق صاحبهم ، وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل[3] ينادى : يا أولياء الحقّ ، ويا أهلَ السمع والطاعة ، إلىّ أنا ابن المخارق ؛ قال موسى : فأمّا أنا فكنتُ غلامًا حَدَثًا ، فَهِبْته ووقفتُ ، ويَحمِل عليه عبدُ الله بن ورقاءَ الأسدىّ وعبد الله بن ضَمْرة العذرىّ ، فَقَتَلاه .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عَمرو بن مالك أبو كبشة القينىّ ؛ قال : كنت غلامًا حين راهقتُ مع أحد عمومتى فى ذلك العسكر ، فلمّا نزلنا بعسكر الكوفيّين عبّأنا ربيعة بن المخارق فأحسنَ التعبئة ، وجعل على ميمنته ابنَ

(١) ا : « ربعًا ربعًا » . (٢) ف : « فهزمتها » . (٣) ف : «بارك» .

أخيه ، وعلى ميسرته عبدَ ربّه السلمىّ ، وخرج هو فى الخيل والرجال وقال : يا أهلَ الشأم،إنّكم إنّما تقاتلون العبيد الأبّاقَ ، وقوماً قد تركوا الإسلام وخرجوا منه ، ليست لهم تقيّة ، ولا ينطقون بالعربيّة ؛ قال : فوالله إن كنت لأحْسِب أنّ ذلك كذلك حتّى قاتلناهم ؛ قال : فوالله ما هو إلّا أن اقتتل الناس إذا رجلٌ من أهل العراق يعترض الناسَ بسيفه وهو يقول :

بَرئتُ مِنْ دِينِ المحكِّمينا وذَاكَ فينا شَرُّ دينٍ دِينَا

ثمّ إنّ قتالنا وقتالَهم اشتدّ ساعةً من النهار ، ثمّ إنّهم هزمونا حين ارتفع الضحى فقتلوا صاحبَنا ، وحَوَوْا عسكَرَنا ؛فخرجنا منهزمين حتّى تلقّانا عبدُ الله بن حمْلة على مسيرة ساعة من تلك القرية التى يقال لها بنات تلى ، فردّنا ، فأقبلْنا معه حتّى نزل بيزيد بن أنس ، فبتْنا متحارِسين حتّى أصبحنا فصلّينا الغداة ، ثمّ خرجْنا على تعبئة حَسَنَة ، فجعل على ميمنته الزبيرَ بن خُزَيمة(١) ؛من خثعم،وعلى ميسرته ابن أقيصر القحافىّ من خثعم ، وتقدّم فى الخيل والرجال ، وذلك يوم الأضحى ، فاقتتلنا قتالا شديداً ، ثمّ إنّهم هزمونا هزيمةً قبيحة ، وقتلونا قتالا ذريعاً ، وحووْا عسكرنا ، وأقبلنا حتى انتهينا إلى عبيد الله بن زياد فحدثناه بما لَقِينا .

٦٤٨/٢ قال أبو مخنف : وحدّثنى موسى بن عامر، قال : أقبل إلينا عبدُ الله بن حَمْلة الخثعمىّ ؛فاستقبل فَلَّ ربيعة بن المخارق الغنوىّ فردّهم،ثمّ جاءَ حتّى نزل ببنات تلى ، فلمّا أصبح غادوا وغادينا ، فتطاردت الخيلان من أوّل النهار ، ثم انصرفوا وانصرفْنا ؛حتّى إذا صلّينا الظهر خرجنا فاقتتلنا ، ثمّ هزمناهم . قال : ونزل عبد الله بن حَمْلة فأخذ ينادى أصحابه : الكَرّة بعد الفرّة ، يا أهل السمع والطاعة ؛ فحمل عليه عبدُ الله بن قراد الخثعمىّ فقتَله ، وحوَيْنا عسكرهم وما فيه ، وأتِىَ يزيد بن أنس بثلثمائة أسير وهو فى السوق ، فأخذ يومئُ بيده أن اضربوا أعناقَهم ، فقُتِلوا من عند آخرهم .

وقال يزيد بن أنس : إنْ هلكتُ فأميركم ورقاء بن عازب الأسدى ، فما أمسَى حتّى مات ، فصلّى عليه ورقاءُ بن عازب ودَفَنَه ، فلمّا رأى ذلك أصحابُه أسقِط فى أيديهم ، وكَسَر موتُه قلوبَ أصحابه ، وأخذوا فى دفنه ،

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط من غير نقط .

فقال لهم ورقاء : يا قوم ، ماذا ترون ؟ إنّه قد بلغني أنّ عبيد الله بن زياد قد أقبل إلينا فى ثمانين ألفًا من أهل الشأم ، فأخذوا يتسلّلون ويرجعون . ثم إنّ ورقاء دعا رءوسَ الأرباع وفُرسانَ أصحابه فقال لهم : يا هؤلاء ، ماذا ترون فيما أخبرتُكم ؟ إنّما أنا رجل منكم ، ولست بأفضلكم رأياً ، فأشيروا علىّ ، فإنّ ابن زياد قد جاءكم فى جُنْد أهل الشأم الأعظم ، وبجلّتهم وفُرسانهم وأشرافِهم ، ولا أرى لنا ولكم بهم طاقةً على هذه الحال ، وقد هلك يزيدُ بنَ أنس أميرنا ، وتفرّقت عنّا طائفة منّا ، فلو انصرفنا اليومَ من تلقاء أنفسنا قبل أن نلقاهم ، وقبلَ أن نَبلُغهم ، فيعلَموا أنّا إنّما ردّنا عنهم هلاكُ صاحِبنا ، فلا يزالوا لنا هائبين لقَتْلنا منهم أميرهم ! ولأنّا إنّما نعتلّ لانصرافنا بموت صاحبنا . وإنّا إن لقيناهم اليوَم كنّا مخاطرين ، فإن هُزمنا اليوم لم تنفعْنا هزيمتُنا إيّاهم من قبل اليوم . قالوا : فإنّك نعمّا رأيت ، انصرِفْ رحمك الله . فانصرف ، فبلغ مُنصَرَفُهم ذلك المختارَ وأهلَ الكوفة ، فأرْجف الناسُ ، ولم يعلموا كيف كان الأمر أنّ يزيد بن أنس هلَك ، وأنّ الناس هُزموا ، فبعث إلى المختار عاملُه على المدائن عينًا له من أنباط السواد فأخبره الخبر ، فدعا المختارُ إبراهيمَ بن الأشتر فعَقَد له على سبعة آلاف رجل ، ثم قال له : سِرْ حتّى إذا أنت لقيتَ جيشَ ابن أنس فارددْهم معك ، ثمّ سِرْ حتّى تلقى عدوّك فتُناجِزَهُم . فخرج إبراهيم فوَضَع عسكَره بحمّام أعْيَن .

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو زهير النضر بن صالح ، قال : لمّا مات يزيد أنس التقَى أشرافُ الناس بالكوفة فأرْجفوا بالمختار وقالوا : قتِل يزيد بن أنس ، ولم يصدّقوا أنّه مات ، وأخذوا يقولون : والله لقد تأمّر علينا هذا الرجل بغير رضًا منّا ، ولقد أدنى موالِينا ، فحمَلهم على الدوابّ ، وأعطاهم وأطعَمهم فيئنا ، ولقد عصتْنا عبيدُنا ، فحرِب بذلك أيتامنا وأراملنا . فاتّعدوا منزلَ شَبَث بن ربعىّ وقالوا : نجتمع فى منزل شيخنا ــ وكان شبث جاهليًّا إسلاميًّا ــ فاجتمعوا فأتَوا منزَله ، فصلّى بأصحابه ، ثمّ تذاكروا هذا النحو من الحديث قال : ولم يكن فيما أحدث المختارُ عليهم شىء هو أعظمُ من أن جعل للموالى

٦٤٩/٢
٦٥٠/٢

الفَيء نصيباً — فقال لهم شَبَث: دعونى حتى ألقاه ؛ فذهب فلقيه، فلم يدعْ شيئاً ممَّا أنكره أصحابُه إلاَّ وقد ذاكَرَه إيّاه ، فأخذ لا يذكر خَصلةً إلاّ قال له المختار : أُرضيهم فى هذه الخَصلة ، وآتى كلَّ شىء أحبّوا ؛ قال: فذكر المماليك ؛ قال : فأنا أردّ عليهم عبيدَهم ، فذكر له الموالى ، فقال : عمدتَ إلى موالينا ، وهم فىءٌ أفاءَه الله علينا وهذه البلاد جميعاً فأعتقْنا رقابَهم ، نأمُلُ الأجرَ فى ذلك والثواب والشكر ، فلم تَرْض لهم بذلك حتَّى جعلتَهم شركاءَنا فى فيئنا ، فقال لهم المختار : إنْ أنا تركتُ لكم مواليكم، وجعلتُ فَيْئَكم فيكم ، أتقاتلون معى بنى أميَّة وابنَ الزبير ، وتعطُون على الوفاء بذلك عهدَ الله وميثاقَه ، وما أطمئنّ إليه من الأيمان ؟ فقال شبَث: ما أدرى حتّى أخرج إلى أصحابى فأذاكرَهم ذلك ، فخرج فلم يرجع إلى المختار .
قال : وأجمعَ رأى أشرافِ أهل الكوفة على قتال المختار .

قال أبو مخنف : فحدّثنى قُدامةُ بن حوْشب ، قال : جاءَ شَبَث ابن رِبْعىّ وشَمِر بن ذى الجَوْشن ومحمَّد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس حتّى دخلوا على كعب بن أبى كعب الخثعمىّ ، فتكلَّم شَبَث ، فحَمِد الله وأثنَى عليه ، ثمّ أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار ، وسأله أن يجيبهم إلى ذلك ، وقال فيما يَعيب به المختار : إنّه تأمَّر علينا بغير رِضاً منَّا ، وزعم أنّ ابنَ الحنفيَّة بعثه إلينا ، وقد علمْنا أنّ ابن الحنفيَّة لم يفعل ، ٦٥١/٢ وأطعم موالينا فيئنا ، وأخذ عبيدَنا ، فحرب بهم يتامانا وأراملنا ، وأظهر هو وسَبَئيَّته البراءةَ من أسلافنا الصالحين . قال : فرحَّب بهم كعب بن أبى كعب ، وأجابهم إلى ما دَعَوْه إليه .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبى يحيى بن سعيد أنّ أشراف أهل الكوفة قد كانوا دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف ، فدعَوه إلى أن يجيبهم إلى قتال المختار ، فقال لهم : يا هؤلاء ، إنَّكم إن أبيتم إلاّ أن تخرجوا لم أخذُلْكم ، وإن أنتم أطعتمونى لم تخرجوا . فقالوا : لِمَ ؟ قال: لأنى أخاف أن تتفرّقوا وتختلفوا وتتخاذَلوا ؛ ومع الرجل والله شجعاؤكم وفرسانكم من أنفسكم ؛ أليس

معه فلان وفلان ! ثمّ معه عبيدُكم ومواليكم ، وكلمةُ هؤلاء واحدةٌ ، وعبيدكم ومواليكم أشدّ حَنَقًا عليكم من عدوّكم ، فهو مقاتلكم بشجاعة العرب ، وعداوةِ العَجَم ، وإن انتظرتموه قليلا كُفيتموه بقدوم أهلِ الشأم،أو بمجىء أهلِ البصرة ، فتكونوا قد كُفيتموه بغيركم ، ولم تَجعَلوا بأسَكم بينَكم ؛ قالوا : نَنْشدُك الله أنْ تخالفنا ، وأن تُفسد علينا رأينَا وما قد اجتمعتْ عليه جماعتُنا . قال : فأنا رجلٌ منكم ، فإذا شئتم فاخرجوا . فسار بعضُهم إلى بعض وقالوا : انتظروا حتّى يذهب عنه إبراهيم بن الأشتر ؛ قال : فأمهلوا حتى إذا بلغ ابن الأشتر ساباطَ ، وثَبوا بالمختار . قال : فخرج عبدُ الرحمن ابنُ سعيد بن قيس الهمدانىّ فى همدانَ فى جبّانة السَّبيع ، وخرج زَحْر بن قيس الجُعْفىّ وإسحاق بن محمّد بن الأشعث فى جبّانة كِنْدة .

قال هشام : فحدّثنى سليمان بن محمّد الحضرمىّ ، قال : خرج إليهما جبير الحضرمىّ فقال لهما : أُخرُجا عن جبّانتنا ، فإنّا نكره أن نُعْرَى بشرّ ؛ فقال له إسحاق بن محمّد : وجبّانتكم هىَ ؟ قال : نعم ، فانصرفوا عنه ؛ وخرج كعب بن أبى كعب الخثعمىّ فى جبّانة بِشْر ، وسار بشير بن جرير بن عبد الله إليهم فى بَجيلة ، وخرج عبد الرحمن بن مخنف فى جبّانة مخنف ، وسار إسحاق بن محمد وزَحْر بن قيس إلى عبد الرّحمن ابن سعيد بن قيس بجبّانة السَّبيع ، وسارت بجيلةُ وخَثْعم إلى عبد الرحمن ابن مخنف وهو بالأزْد . وبلغ الّذين فى جبّانة السَّبيع أنّ المختار قد عبّأ لهم خيلا ليسير إليهم . فبعثوا الرسل يتلو بعضُها بعضًا إلى الأزْد وبَجيلة وخثعم ، يسألونَهم بالله والرّحم لمّا عَجِلوا إليهم . فساروا إليهم واجتمعوا جميعًا فى جبّانة السبيع ، ولمّا أن بلغ ذلك المختار سرّه اجتماعهم فى مكان واحد ، وخرج شمر بن ذى الجوشن حتّى نزل بجبّانة بنى سَلول فى قيس ، ونزل شَبَث بن ربعىّ وحَسان بن فائد العبسىّ وربيعة بن ثروانَ الضبىّ فى مُضَر بالكُناسة ، ونزل حجّار بن أبْجر ويزيد بن الحارث بن رؤيم فى ربيعة فيما بين التّمّارين والسَّبَخة ، ونزل عمرو بن الحجّاج الزّبيدىّ فى جبّانة مُراد بمَنْ تبعه من مَذْحج ، فبعث إليه أهلُ اليمن : أن ائتنا ، فأبى أن يأتيَهم

٦٥٢/٢

وقال لهم : جدّوا ، فكأنى قد أتيتُكم . قال : وبعث المختار رسولا من يومه يقال
٢/٦٥٣ له عمرو بن تَوْبة بالرّكض إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بساباط ألّا تضع
كتابى من يدك حتّى تُقبل بجميع منْ معك إلىّ . قال : وبعث إليهم
المختار فى ذلك اليوم : أخبرونى ما تريدون ؟ فإنى صانع كلّ ما أحببتم ، فقالوا :
فإنّا نريد أن تعتزلنا ، فإنّك زعمتَ أنّ ابنَ الحنفيّة بعثك ولم يبعثك .
فأرسل إليهم المختارُ أن ابعثوا إليه مِن قِبَلكم وفدًا ، وأبعثُ إليه من قِبَلى
وفدًا ، ثمّ انظروا فى ذلك حتّى تتبيّنوه ؛ وهو يريد أن يريثهم بهذه المقالة
ليَقدَم عليه إبراهيمُ بن الأشتر ، وقد أمر أصحابه فكفّوا أيديهم ، وقد أخذ
أهلُ الكوفة عليهم بأفواه السكك ، فليس شىء يصل إلى المختار ولا إلى أصحابه
من الماء إلاّ القليل الوتْح(١) ، يجيئهم إذا غفلوا عنه . قال : وخرج عبدُ الله بن
سَبيع فى الميدان ، فقاتلته شاكر قتالا شديدًا ، فجاءه عُقْبة بن طارق
الجُشَمىّ فقاتل معه ساعةً حتّى ردّ عاديتَهم عنه ، ثمّ أقبلا على حاميتهما
يسيران حتّى نزل عُقْبة بن طارق مع قيس فى جبّانة بنى سَلول ، وجاء
عبد الله بن سَبيع حتّى نزل مع أهل اليمن فى جبّانة السَّبيع .

قال أبو مخنف : حدّثنى يونس بن أبى إسحاق ، أنّ شمر بن ذى
الجوشن أتَى أهلَ اليمن فقال لهم : إن اجتمعتم فى مكان نجعل فيه مجنّبتين
ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم ، وإلّا فلا ، والله لا أقاتل فى مِثل
هذا المكان فى سِكك ضيّقة ، ونقاتَل من غير وجه . فانصرف إلى جماعة
٢/٦٥٤ قومه فى جبانة بنى سَلول . قال : ولمّا خرج رسولُ المختار إلى ابن الأشتر
بلغه من يومه عشيّةً ، فنادى فى الناس : أن ارجعوا إلى الكُوفة ، فسار بقيّة
عشيّته تلك ، ثمّ نزل حين أمسى ، فتعشّى أصحابُه ، وأراحوا الدوابّ شيئًا
كلا شىء ، ثمّ نادى فى الناس ، فسار ليلتَه كلّها ، ثمّ صلّى الغداة
بسُورا ، ثمّ سار من يومه فصلّى العصر على باب الجسر من الغد ، ثمّ إنّه
جاء حتّى بات ليلتَه فى المسجد ومعه من أصحابه أهل القوّة والجَلَد ، حتّى
إذا كان صبيحة اليوم الثالث من مُخرَجهم على المختار ، خرج المختارُ إلى

(١) الوتح : القليل من كل شىء .

المِنبر فصعِدَه .

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو جناب الكلبىّ أنّ شَبَث بن رِبْعىّ بعث إليه ابنه عبد المؤمن فقال : إنّما نحن عشيرتُك ، وكفّ يمينك ، لا والله لا نقاتلك ، فثقْ بذلك منّا ؛ وكان رأيه قتاله ، ولكنّه كاده . ولمّا أن اجتمع أهلُ اليَمَن بجبّانة السَّبيع حضرتِ الصلاة ، فكَرِه كلّ رأس من رءوس أهلِ اليمن أن يتقدّمه صاحبُه ، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف : هذا أوّل الاختلاف ، قدّموا الرضا فيكم ، فإنّ فى عشيرتكم سيّدَ قرّاء أهل المصر ، فليصلّ بكم رفاعةُ بن شدّاد الفتيانىّ من بجِيلة ، ففعلوا ، فلم يزل يصلّى بهم حتّى كانت الوقعة .

قال أبو مخنف : وحدّثنى وازع بن السرىّ أنّ أنس بن عمرو الأزدىّ انطلق فدخل فى أهل اليمن ، وسمعهم وهم يقولون : إنْ سار المختار إلى إخواننا من مضرَ سرْنا إليهم ، وإن سار إلينا ساروا إلينا ، فسمِعَها منهم رجل ، وأقبل جوادًا حتّى صعد إلى المختار على المنبر ، فأخبَره بمقالتهم ، فقال : أمّا هم فخُلَقَاء لو سرتُ إلى مضرَ أن يسيروا إليهم ، وأمّا أهل اليَمَن فأشهد لئن سرتُ إليهم لا تسير إليهم مضر ، فكان بعد ذلك يدعو ذلك الرجلَ ويكرمه . ثم إنّ المختار نزل فعبّأ أصحابَه فى السوق — والسوق إذ ذاك ليس فيها هذا البناء — فقال لإبراهيم بن الأشتر : إلى أىّ الفريقين أحبّ إليك أن تسير ؟ فقال : إلى أىّ الفريقين أحببت ، فنظر المختار — وكان ذا رأى ، فكره أن يسير إلى قومه فلا يبالغ فى قتالهم — فقال : سرْ إلى مضرَ بالكُناسة وعليهم شَبَث بن ربعىّ ومحمّد بن عمير بن عطارد ، وأنا أسير إلى أهل اليَمَن . ٢/٦٥٥

قال : ولم يزل المختار يُعرف بشدّة النفس ، وقلّة البُقْيَا على أهل اليمن وغيرهم إذا ظفر ، فسار إبراهيمُ بن الأشتر إلى الكُناسة ، وسار المختار إلى جبّانة السَّبيع ، فوقف المختار عند دار عُمَر بن سعد بن أبى وقّاص ، وسرّح بين أيديه أحْمَر بن شُميط البجَلى ثمّ الأحمسىّ ، وسرّح عبد الله بن كامل الشاكرىّ ، وقال لابن شميط : الزَم هذه السّكّة حتّى[1] تخرج إلى أهل

(١) س : « التى » .

جبّانة السّبيع من بين دُور قومك . وقال لعبد الله بن كامل : الزَم هذه السكّة حتّى تخرج على جبّانة السّبيع من دار آل الأخنس بن شَريق ، ودعاهما فأسرّ إليهما أنّ شِباماً قد بعثتْ تُخبرنى أنّهم قد أتَوا القوم من ورائهم ، فمَضَيا (١فَسَلَكا الطريقين اللّذين١) أمرهما بهما (٢) ، وبلغ أهلَ اليمن مسيرُ هذين الرجلين إليهم ، فاقتسموا تَيْنِك السكّتَين ، فأما السكّة الّتى فى دبر مسجد أحْمس فإنّه وقف فيها عبدُ الرحمن بنُ سعيد بن قيس الهمْدانىّ وإسحاق بن الأشعث وزَحْر بن قيس ، وأمّا السّكّة الّتى تلى الفُراتَ فإنّه وقف فيها عبدُ الرحمن بن مخنف ، وبشير بن جرير بن عبد الله ، وكعب بن أبى كعب . ثم إن القوم اقتتلوا كأشدّ قتال اقْتَتَلَه قوم . ثمّ إنّ أصحابَ (٣) أحْمر بن شُمَيط انكشفوا وأصحاب عبد الله بن كامل أيضاً ، فلم يَرُعِ المختارُ إلّا وقد جاءه الفَلّ قد أقبل ؛ فقال : ما وراءكم ؟ قالوا : هُزِمنا ؛ قال : فما فعل أحمر بن شُمَيط ؟ قالوا : تركناه قد نزل عند مسجد القصّاص — يَعنُون مسجدَ أبى داود فى وادعة ، وكان يعتاده رجالُ أهل ذلك الزمان يقصّون فيه ، وقد نزل معه أناس من أصحابه — وقال أصحاب عبد الله : ما ندرى ما فعل ابن كامل ! فصاح بهم : أن انصرِفوا . ثمّ أقبل بهم حتّى انتهى إلى دار أبى عبد الله الجُدَلىّ ، وبعث عبد الله بن قُراد الخثعمىّ — وكان على أربعمائة رجل من أصحابه — فقال : سرْ فى أصحابك إلى ابن كامل ، فإنْ يك هلك فأنت مكانه ، فقاتِل القومَ بأصحابك وأصحابه ، وإن تجده حيّاً صالحاً فسرْ فى مائة من أصحابك كلّهم فارس ، وادفع إليه بقيّة أصحابك ، ومرْ (٤) بالجدّ معه والمناصحة له ، فإنّهم إنّما يناصحوننى ، ومَن ناصحنى فليبشر ، ثمّ امضِ فى المائة حتّى تأتى أهل جبّانة السّبيع ممّا يلى حمّام قَطَن ابن عبد الله . فمضى فوجد ابن كامل واقفاً عند حمّام عمرو بن حُريث

٦٥٦/٢

(١ — ١) ف : « وسلكا الطريق الذى » .

(٢) ف : « به » .

(٣) ف : « وإن أصحاب أحمر » .

(٤) ف : « وأمرهم » .

معه أناس[١] من أصحابه قد صبروا ، وهو يقاتل القومَ ، فدفع إليه ثلثمائة ٦٥٧/٢ من أصحابه ثمّ مضى حتّى نزل إلى جبّانة السّبيع .

ثم أخذ فى تلك السّكك حتّى انتهى إلى مسجد عبد القيس ، فوقف عنده ، وقال لأصحابه : ما ترون؟[٢] قالوا : أمرُنا لأمركَ تبع[٢] وكلّ من كان معه من حاشد من قومه وهم مائة ؛ فقال لهم : والله إنى لأحبّ أن يظهرَ المختار ، ووالله إنى لكارهٌ أن يهلك أشرافُ عشيرتى اليوم ، ووالله لأن أموتَ أحبّ إلىّ من أن يحلّ بهم الهلاك على يدىّ ، ولكن قِفوا قليلا فإنى قد سمعتُ شِباماً يزعمون أنّهم سيأتونهم[٣] من ورائهم ، فلعلّ شِباماً تكون هى تفعل ذلك ، ونُعافَى نحن منه . قال له أصحابه : فرأيَك . فثبت كما هو عند مسجد عبد القيس ، وبعث المختارُ مالكَ بن عمرو النهدىّ فى مائتى رجل — وكان من أشدّ الناس بأساً — وبعث عبد الله بن شريك النهدىّ فى مائتى فارس إلى أحمرَ بن شميط ، وثبت مكانَه ، فانتهوا إليه وقد علاه القوم وكثّروه ، فاقتتلوا عند ذلك كأشدّ القتال ، ومضى ابن الأشتر حتّى لقىَ شَبَث بن رِبْعىّ وأناساً معه من مضر كثيراً ، وفيهم حسّان بن فائد العبسىّ ، فقال لهم إبراهيم : وَيْحكُم ! انصرفوا ، فوالله ما أحبّ أن يصاب أحد من مُضَر على يدىّ ، فلا تُهلكوا أنفسكم ، فأبوْا ، فقاتلوه فهزمهم ، واحتُمل حسّان بن فائد إلى أهله ، فمات حين أدخِل إليهم ، وقد كان وهو على فراشه قبل موته أفاقَ إفاقةً فقال : أما والله ما كنت أحبّ أن أعيشَ من جراحتى هذه ، وما كنت أحبّ أن تكون منيّتى إلاّ بطعنةِ رمح ، أو بضربةٍ بالسيف ؛ فلم يتكلّم بعدها كلمةً[٤] حتّى مات . وجاءت البشرى إلى المختار من قِبَل إبراهيم بهزيمة ٦٥٨/٢ مضرَ ، فبعث المختار البشرَى مِن قِبَله[٥] إلى أحمر بن شُميط وإلى ابن كامل ، فالنّاس[٦] على أحوالهم كلّ أهل سكّة منهم قد أغنَتْ ما يليها .

قال : فاجتمعت شِبام[٧] وقد رأسوا عليهم أبا القلوص ، وقد أجمعوا

---

(١) ف : « ناس » .
(٢–٢) ف : « فقالوا : أمرنا أمرك ونحن لك تبع » .
(٣) ف : « أن سيأتونهم » .
(٤) ف : « بكلمة » .
(٥) ف : « من قبله البشرى » .
(٦) ف : « والناس » .
(٧) ف : « فاجتمع » .

واجتمعوا بأن يأتوا أهلَ اليمن من ورائهم ، فقال بعضهم لبعض : أما والله لو جعلتم جِدَّكُم (١) هذا على من خالفكم من غيركم لكان أصْوَب ، فسيروا إلى مضرَ أو إلى ربيعة (٢) فقاتلوهم — وشيخُهم أبو القلوص ساكت لا يتكلّم — فقالوا : يا أبا القلوص ، ما رأيك ؟ فقال : قال الله جلّ ثناؤه : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ (٣) قوموا ؛ فقاموا ؛ فمشى بهم قيس رمحين أو ثلاثة ثم قال لهم : اجلسوا فجلسوا ، ثمّ مشى بهم أنفس من ذلك شيئاً ، ثم قعد بهم ، ثم قال لهم : قوموا ، ثمّ مشى بهم الثالثة أنفس من ذلك شيئاً ، ثمّ قعد بهم ، فقالوا له : يا أبا القَلوص ، والله إنك عندنا لأشجع العرب ، فما يَحملك على الّذى تصنع ! قال : إنّ المجرّب ليس كمن لم يجرّب ، إنى أردت أن ترجع إليكم أفئدتُكم ، وأن توطّنوا على القتال أنفسَكم ، وكرهتُ أن أقْحِمكم على القتال وأنتم على حالِ دَهَش ؛ قالوا : أنت أبصَر بما صنعت .

فلمّا خرجوا إلى جبّانة السَّبيع استقبلهم على فم السكّة الأعسر الشاكرىّ ، فحمل عليه الجُندعىّ وأبو الزبير بن كَريب فصرعاه ، ودخلا الجبّانة ، ودخل الناسُ الجبّانة فى آثارهم ، وهم ينادُون : يا لثَارات الحسين ! فأجابهم أصحابُ ابن شميط يا لثَارات الحسين ! فسمعها يزيدُ بن عمير بن ذى مُرّان من هَمْدان فقال : يا لثَارات عثمان ! فقال لهم رفاعة بن شدّاد : ما لنا ولِعثمان ! لا أقاتِل مع قوم يبغون دمَ عثمان ، فقال له أناس من قومه : جئتَ بنا وأطعناك ، حتّى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت : انصرِفوا ودَعُوهم ! فعطَف عليهم وهو يقول : ٦٥٩/٢

أنَا ابنُ شدَّادٍ عَلَى دينِ علِي ... لستُ لعثمانَ بنِ أرْوَى بِوَلِي

لأَصلِينَّ اليومَ فِيمَن يصْطَلِي ... بِحرِّ نارِ الحَرب غير مُؤْتلِ

فقاتَل حتى قُتل ، وقتل يزيد بن عُمير بن ذى مُرّان ، وقُتل النعمان ابن صُهْبان الجرمىّ ثمّ الراسبىّ — وكان ناسكاً — ورفاعةُ بن شدّاد بن عَوْسجة

(١) ف : « حدكم » . (٢) ف : « ربيعة ومضر » . (٣) سورة التوبة: ١٢٣ .

الفِتيانىّ عند حمَّام المَهْبذان الّذى بالسَّبَخة — وكان ناسكًا — وقتِل الفرات ابن زَحْر بن قيس الجُعفىّ، وارتثّ زَحْر بن قيس، وقتِل عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس، وقتل عمر بن مخنف، وقاتل عبدُ الرحمن بن مخنف حتّى ارتُثّ، وحملتْه الرّجال على أيديها وما يَشعر، وقاتل حولَه رجالٌ من الأزْد، فقال حُمَيد بن مسلم :

لأضْرِبَنَّ عن أبى حَكيمِ مَفَارِقَ الأَعْبُدِ والصَّمِيمِ

وقال سُراقة بن مِرْداس البارقىّ :

٢/٦٦٠

يا نَفْسُ إلَّا تَصْبِرِى تُلِيمِى لَا تَتَوَلَّىْ عن أَبى حكيمِ[(١)]

واستُخرِج من دور الوادعيّين خمسمائة أسير، فأُتِى بهم المختار مكتَّفين، فأخذ رجل من بنى نَهْد وهو من رؤساء أصحاب المختار يقال له : عبد الله ابن شريك، لا يخلو بعربىّ إلّا خلّى سبيله، فرَفَع ذلك إلى المختار دِرْهم مولًى لبنى نَهد، فقال له المختار : اعرضوهم علىّ، وانظروا كلّ من شهد منهم قتل الحسين فأعلمونى به، فأخذوا لا يُمَرّ عليه[(٢)] برجل قد شهد قتل الحسين إلّا قيل له : هذا ممّن شهد قتله، فيقدّمه فيضرب عنقه، حتّى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانيةً وأربعين قتيلا، وأخذ أصحابه كلّما رأوا رجلا قد كان يؤذيهم أو يماريهم[(٣)] أو يضرّبهم خلَوْا به فقتلُوه حتّى قُتل ناس كثير منهم وما يشعر بهم المختار، فأُخبر بذلك المختار بعدُ، فدعا بمَنْ بقِى[(٤)] من الأسارى فأعتَقهم، وأخذ عليهم المواثيقَ ألّا يجامعوا عليه عدوًّا، ولا يبغوه ولا أصحابه[(٥)] غائلة، إلّا سُرَاقَةَ بن مرداس البارقىّ، فإنّه أمر به أن يُساقَ معه إلى المسجد. قال : ونادى منادِى المختار : إنّه من أغلق بابه فهو آمن، إلّا رجلا شَرَكَ فى دم آل محمّد صلّى الله عليه وسلم.

---

(١) ديوانه ١٠٥.
(٢) ف : « لا يمر عليهم رجل ».
(٣) ف : « ويماريهم ».
(٤) ف : « من بقى ».
(٥) ف : « لأصحابه ».

قال أبو مخنف : حدّثني(1) المجالد بن سعيد ، عن عامر الشعبيّ ، أن يزيد ابن الحارث بن يزيد بن رُوَيم وحجّار بن أبجر بعثا رسلا لهما ، فقالا لهم : كونوا من أهل اليمن قريبًا ، فإنْ رأيتموهم قد ظهروا(2) فأيّكم سبق إلينا فليقل صرَفان ، وإن كانوا هُزِموا فليقل جُمْزان ، فلما هُزِم أهل اليمن أتتْهم رسلهم ، فقال لهم أوّلُ من انتهى إليهم : جُمْزان ، فقام الرجلان فقالا لقومهما : انصرِفوا إلى بيوتكم ، فانصرَفوا ، وخرج عمرو بن الحجّاج الزُّبيديّ — وكان ممّن شهد قتل الحسين — فركب راحلتَه ، ثمّ ذهب عليها ، فأخذ طريقَ شَرافِ وواقصة ، فلم يُرَ حتّى الساعة ، ولا يُدرَى أرضٌ بخَسَتْه ، أم سماءٌ حصَبَتْهُ ! وأمّا فُرات بن زَحْر بن قيس فإنّه لمّا قُتل بعثتْ عائشةُ بنت خليفة بن عبد الله الجُعفيّة — وكانت امرأةَ الحسين بن عليّ — إلى المختار تسأله أن يأذن لها أن تواريَ جسده ؛ ففعل ؛ فدفنتْه .

٦٦١/٢

وبعث المختار غلامًا له يدعى زِرْبيًّا فى طلب شَمِر بن ذى الجَوْشَن . قال أبو مخنف : فحدّثني يونس بن أبى إسحاق ، عن مسلم بن عبد الله الضّبابيّ ، قال : تَبعنا زرْبيٌّ غلامُ المختار ، فلَحِقَنا وقد خرجْنا من الكوفة على خيول لنا ضُمَّر ، فأقبل يتمطّر به(3) فرسُه ، فلمّا دنا منّا قال لنا شمِر : اركضوا وتباعدوا عنّى لعلّ العبد يطمع فىّ ؛ قال : فركَضْنا ، فأمعنّا ، وطمع العبد فى شمِر ، وأخذ شمر ما يستطرد له ، حتّى إذا انقطع من أصحابه حمل عليه شمِر فدقّ ظهره ، وأتى المختار فأخبر بذلك ، فقال : بؤسًا لزربىّ ، أما لو يستشيرُنى ما أمرْته أن يَخرُج لأبى السابغة .

قال أبو مخنف : حدّثني أبو محمّد الهَمْدانيّ ، عن مسلم بن عبد الله الضّبابيّ ، قال : لمّا خرج شمر بن ذى الجَوْشن وأنا معه حين هزمنا المختار ، وقتل أهل اليمن بجبّانة السَّبيع ، ووجّه غلامَه زربيًّا فى طلبِ شمر ، وكان مَن قتل شمر إيّاه ما كان ، مضى شمر حتّى ينزل ساتِيدَمَا ، ثمّ مضى حتّى ينزل إلى جانب قرية يقال لها الكلتانيّة على شاطئ نهر ، إلى جانب تلّ ،

٦٦٢/٢

---

(1) ف : « فحدثنى » . (2) ف : « ظفروا » . (3) يتمطر به : يسرع .

ثمّ أرسل إلى تلك القرية فأخذ منها عِلْجًا فضربه ؛ ثمّ قال : النّجاء بكتابى هذا إلى المصعَب بن الزبير وكتب عنوانه : للأمير المصعب بن الزبير من شمِر بن ذى الجوشن . قال : فمَضَى العِلْج حتّى يدخل قريةً فيها بيوت ، وفيها أبو عَمْرة ، وقد كان المختار بعثَه فى تلك الأيّام إلى تلك القرية لتكون مَسْلحة فيما بينه وبين أهل البصرة ، فلقى ذلك العِلْج عِلْجا من تلك القرية ، فأقبل يشكو إليه ما لقى من شمر ، فإنّه لقائم معه يكلّمه إذ مر به رجل من أصحاب أبى عمرة ، فرأى الكتابَ مع العِلج ، وعنوانه : لمصعب من شمر ، فسألوا العلجَ عن مكانه الّذى هو به ، فأخبَرَهم ، فإذا ليس بينهم وبينه إلاّ ثلاثة فراسخ . قال : فأقبلوا يسيرون إليه .

قال أبو مخنف : فحدّثنى مسلم بن عبد الله، قال : وأنا والله مع شَمِر تلك الليلة[1] ، فقلنا : لو أنّك ارتحلتَ بنا من هذا المكان فإنّا نتخوّف به ! فقال : أوَ كلّ هذا فَرَقًا من الكذّاب ! والله لا أتحوّل منه ثلاثة أيّام ، ملأ الله قلوبكم رُعْبًا ! قال : وكان بذلك المكان الذى كنّا فيه دبًى كثير ، فوالله إنى لبَيْن اليَقْظان والنائم ، إذْ سمعتُ وَقْعَ حوافر الخيل ، فقلت فى نفسى : هذا صوتُ الدَّبى ، ثمّ إنى سمعته أشدّ من ذلك ، فانتبهتُ ومسحتُ[2] عينىّ ، وقلت : لا والله ، ما هذا بالدّبَى . قال : وذهبتُ لأقومَ ، فإذا أنا بهم قد أشرفوا علينا من التلّ ، فكبّروا ، ثمّ أحاطوا بأبياتنا ، وخرجْنا نشتدّ على أرجُلنا ، وتركنا خيلنا . قال : فأمُرّ على شمِر ، وإنّه لمتَّزر ببُرْد محقق[3] — وكان أبرَصَ — فكأنى أنظر إلى بياض كشحيه من فوق البُرْد ، فإنّه ليطاعنهم بالرمح ، قد أعجَلوه أن يلبس سلاحَه وثيابَه ، فمضينا وتركناه . قال : فما هو إلاّ أن أمعنتُ ساعةً ، إذ سمعتُ : الله أكبر ، قتلَ اللهُ الخبيثَ !

٦٦٣/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى المشرِقىّ ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبى الكنود ، قال : أنا والله صاحب الكتاب الّذى رأيته مع العِلْج ، وأتيتُ به أبا عَمرة وأنا قتلت شَمِرًا ؛ قال : قلت : هل سمعتَه يقول شيئًا ليلتئذ ؟ قال : نعم ،

(١) ف : « ليلتئذ » . (٢) ف : « فسحت » . (٣) برد محقق : محكم النسج .

خرج علينا فطاعـَنـَنا برمحه ساعةً ، ثمّ ألقى رمْحـَه ، ثمّ دخل بيته فأخذ سيفـَه ، ثمّ خرج علينا وهو يقول :

نَبَّهْتُمُ لَيثَ عَرِينٍ بَاسِلَا ... جَهْمًا مُحيَّاهُ يَدُقُّ الكاهِلاَ
لم يُرَ يَوْماً عَنْ عَدُوٍّ ناكِلَا ... إلَّا كذَا مُقَاتِلاً أَو قاتِلاَ

* يُبْرِحُهُمْ ضَرْباً ويُرْوِى العامِلاَ *

قال أبو مخنف ، عن يونس بن أبى إسحاق : ولمـَّا خرج المختار من جـَبـَّانة السَّبِيع ، وأقبل إلى القصر ، أخذ سُراقةُ بن مِرْداس يناديه بأعلى صوته : ٦٦٤/٢

امننْ علىَّ اليَوْمَ يا خَيْرَ مَعَدْ ... وخَيْرَ مَن حَلَّ بِشِحْرٍ والجَنَدْ[1]

* وخَيْرَ من حَيَّا ولَبَّى وَسَجَدْ[2] *

فبعث به المختار إلى السجن ، فحبسه ليلةً ، ثمّ أرسل إليه من الغد فأخرَجه ، فدعا سراقة ، فأقبـَل إلى المختار وهو يقول :

ألا أَبلغْ أَبا إسْحاقَ أنَّا ... نَزوْنا نَزوةً كانت علينا[3]
خَرَجْنَا لاَ نَرى الضعفَاءَ شيئاً ... وكانَ خُرُوجُنا بَطرًا وحَيْنَا
نراهُمْ فى مصافِّهمِ قليلاً ... وهم مثلُ الدَّبى حين التقَينا
برَزْنا إذ رَأَينَاهُمْ فلمــا ... رأينا القومَ قد برزُوا إلينا
لقِينَا منْهُمُ ضَرْباً طِلَحْفاً[4] ... وطَعْناً صائباً حتَّى انثنَيْنَا
نصِرْتَ على عَدُوِّك كُلَّ يومٍ ... بكلِّ كتِيبَةٍ تَنْعَى حُسَيْنَا[5]
كنصْرِ مُحَمّدٍ فى يوم بَدْرٍ ... ويومِ الشِّعْبِ إذ لاقَى حُنَيْنَا
فَأَسْجِحْ إذْ مَلَكْتَ فلو ملَكنا ... لجُرْنا فى الحكومة واعتدَينا
تَقَبّــلْ توبَةً منّى فإنّى ... سأَشكرُ إنْ جعلتَ النَّقْدَ دينا

---

(١) ديوانه ٧٤ .
(٢) ف : « لبّى وحيا » .
(٣) ديوانه ٧٦ ، ٧٧ .
(٤) ضربًا طلحفًا ، أى شديداً وجيعاً .
(٥) ف : « تبغى علينا » .

قال : فلمّا انتهى إلى المختار ، قال له : أصلحك الله أيها الأمير ! سُراقةُ ابن مرداس يَحلف بالله الّذى لا إله إلاّ هو لقد رأى الملائكةَ تُقاتِل على الخيول البُلْق بين السماء والأرض ؛ فقال له المختار : فاصعد المِنبَر فأعلِم ذلك المسلمين ؛ فصَعِد فأخبرَهم بذلك ثمّ نزل ، فخلا به المختار ، فقال : إنى قد علمت أنّك لم تر الملائكة ، وإنّما أردتَ ما قد عرفتُ ألّا أقتلك ، فاذهب عنى حيث أحببت[1] ، لا تُفسِد علىّ أصحابى . ٢/٦٦٥

قال أبو مخنف : فحدّثنى الحجّاج بن علىّ البارقى عن سراقة بن مرداس ، قال : ما كنت فى أيمان حلفت بها قطّ أشدّ اجتهادًا ولا مبالغةً فى الكذب[2] منّى فى أيمانى هذه الّتى حلفتُ لهم بها أنى قد رأيت الملائكة معهم تُقاتِل . فخلّوا سبيله . فهرب ، فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند المصعب بن الزبير بالبصرة ، وخرج أشرافُ أهل الكوفة والوجوه . فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة ، وخرج سُراقة بن مرداس من الكوفة وهو يقول :

أَلاَ أَبلِغْ أَبا إسحاقَ أَنّى ... رأَيتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمتَاتِ[3]
كفَرْتُ بَوحْيِكُم وجعلت نَذْرًا ... علىَّ قِتالَكمْ حتَّى الممَاتِ
أُرِى عَيْنَىَّ ما لم تُبصِراهُ ... كلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ
إذا قالوا أَقول لهم كَذَبتُمْ ... وإنْ خرجوا لبِسْتُ لهم أَداتى

حدّثنى أبو السائب سَلم بن جُنادة ، قال : حدّثنا محمّد بن برّاد[4] ، من ولد أبى موسى الأشعرىّ ، عن شيخ ، قال : لمّا أُسِر سراقة البارقىّ ، قال : وأنتم أسرتمونى ! ما أسرَنى إلاّ قوم على دوابّ بُلق ، عليهم ثيابٌ بيض . قال : فقال المختار : أولئك الملائكة ، فأطلَقه ، فقال :

أَلا أَبلغ أَبا إسحـاقَ أَنّى ... رأَيتُ البُلْقَ دُهْماً مصمَتاتِ
أُرِى عينَىَّ ما لمْ تَرْأَياه ... كلانَا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ

---

(١) ف : « شئت » . (٢) ف : « منى فى الكذب » .
(٣) ديوانه ٧٨ . (٤) ا : « براه » .

قال أبو مخنف : حدّثني عمير بن زياد أنّ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمْدانىّ قال يومَ جبّانة السبيع : ويحكم ! من هؤلاء الّذينَ أتَوْنا من ورائنا ؟ قيل له : شِبَام ؛ فقال : يا عجبا ! يقاتلنى بقَوْمى من لا قومَ له . ٢/٦٦٦

قال أبو مخنف : وحدّثني أبو روق أنّ شُرحبيل بن ذى بُقلان من الناعطيّين قُتِل يومئذ ، وكان من بيوتات همْدان ، فقال يومئذ قبل أن يُقتَل : يا لها قتلةً ، ما أضلّ مقتولها ! قِتال مع غير إمام ، وقتالٌ على غير نيّة ، وتعجيلُ فراقِ الأحبّة ، ولو قتلناهم إذاً لم نسلم منهم ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ! أما والله ما خرجتُ إلّا مواسياً لقومى بنفسى مَخافَةَ أن يُضطهَدوا ؛ وايم الله ما نجوتُ من ذلك ولا أنجوْا ، ولا أغنَيْت عنهم ولا أغنَوْا . قال : ويرميه رجل من الفائشيّين من همْدانَ يقال له أحمر بن هديج بسهم فيقتله .

قال : واختصَم فى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانىّ نفرٌ ثلاثة : سِعْر ابن أبى سعر الحنفىّ ، وأبو الزبير الشّبامىّ ، ورجل آخر ؛ فقال سِعْر : طعنته طعنة ، وقال أبو الزبير : لكن ضربتُه أنا عشرَ ضرَبات أو أكثر ، وقال لى ابنه : يا أبا الزبير ، أتقتل عبد الرحمن بن سعيد سيّد قومك ! فقلت : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[1] . فقال المختار: كلّكم محسن. وانجلَت الوَقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلا من قومه.

قال أبو مخنف : حدّثنى النّضْر بن صالح أنّ القتل إذ ذاك كان استَحرّ فى أهل اليمن ، وأن مُضَر أصيب منهم بالكُناسة بضعة عشر رجلا ، ثمّ مضوا حتّى مرّوا بربيعة ، فرجع حجّار بن أبجَر ، ويزيد بن الحارث بن رؤيم وشدّاد بن المنذر – أخو حضين – وعكرمة بن ربعىّ ، فانصرف جميع هؤلاء إلى رحالهم ، وعطف عليهم عكرمة فقاتلهم قتالا شديداً ، ثمّ انصرف عنهم وقد خرج ، فجاء حتّى دخل منزلَه ، فقيل له : قد مرّت خيلٌ فى ٢/٦٦٧

(١) سورة المجادلة: ٢٢ .

ناحية الحىّ ؛ فخرج فأراد أن يثب من حائط داره إلى دار أخرى إلى جانبه فلم يستطع حتّى حملَه غلام له . وكانت وقعة جبّانة السَّبيع يومَ الأربعاء لستّ ليال بقين من ذى الحجّة سنة ستّ وستّين .

قال : وخرج أشرافُ الناس فلَحِقوا بالبَصرة ، وتجرّد المختارُ لقتَلة الحسين فقال : ما من ديننا تركُ قوم قتلوا الحسينَ يمشون أحياء فى الدّنيا آمنين ؛ بئس ناصرُ آل محمّدٍ أنا إذاً فى الدنيا ! أنا إذاً الكذّاب كما سمَّونى ، فإنى[1] بالله أستعين عليهم ، الحمد[2] لله الّذى جعلنى سيفاً ضربهم به ، ورمحاً طعنتهم به ، وطالب وترهم ، والقائم بحقّهم ؛ إنّه[3] كان حقّاً على الله أن يَقتل من قتلهم ، وأن يذلّ من جهل حقّهم ، فسمّوهم لى ثمّ اتّبعوهم[4] حتّى تُفنوهُم .

قال أبو مخنف : فحدّثنى موسى بن عامر أنّ المختار قال لهم : اطلُبوا لى قتَلةَ الحسين ، فإنّه لا يَسُوغ لىَ الطعامُ والشرابُ حتّى أطهّر الأرضَ منهم ، وأنفى المِصرَ منهم .

قال أبو مخنف : وحدّثنى مالك بن أعيَن الجُهَنىّ أنّ عبد الله بن دبّاس ، وهو الّذى قَتَل محمّد بنَ عمّار بن ياسر الّذى قال الشاعر :

* قَتِيل ٱبنِ دَبَّاسٍ أَصابَ قَذَالَهُ *[5]

٢/٦٦٨

هو الّذى دلّ المختار على نفر ممّن قَتَل الحسينَ ، منهم عبد الله بن أسيد بن النَزّال الجُهَنىّ من حُرَقة ، ومالك بن النُّسير البدّىّ ، وحَمَل بن مالك المحاربىّ ؛ فبعث إليهم المختار أبا نِمْران مالك بن عمرو النَّهدىّ — وكان من رُؤساء أصحاب المختار — فأتاهم وهمْ بالقادسيّة ، فأخذهم فأقبل بهم حتّى أدخلهم عليه عِشاء ، فقال لهم المختار : يا أعداء الله وأعداءَ كتابه وأعداءَ رسوله وآلِ رسوله ، أين الحسينُ بنُ علىّ ؟ أدّوا إلىّ الحسينَ ، قتلتم من أُمِرتُم بالصّلاة عليه فى الصلاة ، فقالوا[6] : رحمك الله ! بُعثنا ونحن كارهون ، فامننْ علينا واستبقنا ، قال المختار : فهلاّ مننتم على الحسين ابن بنت

---

(١) ف : « وإنى » . (٢) ف : « والحمد » . (٣) ف : « إن » .
(٤) ف : « تتبعوهم » . (٥) ف : « أصيب قذاله » . (٦) ف : « قالوا » .

نبيّكم واستبقيتموه وسقيتموه ! ثم قال المختار للبديّ : أنت صاحب بُرنُسه ؟ فقال له عبد الله بن كامل : نعم ، هو هو ؛ فقال المختار ، اقطعوا يدَيْ[1] هذا ورجليه ، ودعوه فليضطرب حتّى يموت ، ففُعل ذلك به وتُرك ، فلم يزل ينزف الدمَ حتّى مات ، وأمر بالآخرين فقُدّما ، فقتل عبدُ الله بن كامل عبدَ الله الجهنيّ ، وقتل سعرُ بن أبي سعر حمل بن مالك المحاربيّ .

قال أبو مخنف : وحدّثني أبو الصّلت التّيميّ ، قال : حدّثني أبو سعيد الصّيقل أنّ المختار دُلّ على رجال من قتلة الحسين ، دلّه[2] عليهم سعر الحنفيّ ؛ قال : فبعث المختارُ عبدَ الله بن كامل ، فخرجنا معه حتّى مرّ ببني ضُبيعة ، فأخذ منهم رجلا يقال له زياد بن مالك ؛ قال : ثمّ مضى إلى عنزة فأخذ منهم رجلا يقال له عمران بن خالد . قال : ثمّ بعثني في رجال معه يقال لهم الدّبابة إلى دار في الحمراء ، فيها عبد الرحمن بن أبي خشكارة البجليّ وعبد الله بن قيس الخولانيّ ، فجئنا بهم حتى أدخلناهم عليه ، فقال لهم : يا قتلة الصالحين ، وقتلة سيّد شباب أهل الجنّة ، ألا ترون الله قد أقاد منكم اليومَ ! لقد جاءكم الورس ، بيوم نحس — وكانوا قد أصابوا من الورس الّذى كان مع الحسين — أخرجوهم إلى السوق فضرّبوا رقابهم . ففُعل ذلك بهم ، فهؤلاء أربعة نفر .

٦٦٩/٢

قال أبو مخنف : وحدّثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : جاءنا السّائب بنُ مالك الأشعريّ في خيل المختار ، فخرجتُ نحوَ عبد القيس ، وخرج عبد الله وعبدُ الرحمن ابنا صلخب[3] في أثرى ، وشُغلوا بالاحتباس عليهما عنّي ، فنجوت وأخذوهما ، ثمّ مضوا بهما حتّى مرّوا على منزل رجل يقال له عبد الله بنُ وهب بن عمرو ابن عمّ أعشى همدانَ من بني عبد ، فأخذوه ، فانتهوْا بهم إلى المختار ، فأمر بهم فقُتلوا في السوق ، فهؤلاء ثلاثة . فقال حُميد بن مسلم في ذلك حيث نجا منهم :

أَلَمْ تَرَنِي على دهشٍ نَجَوْتُ ولم أكَدْ أَنجُو

(١) ف : « يديه » . (٢) ف : « دل » .
(٣) ابن الأثير : « صلحب » .

رجاءُ اللهِ أَنْقَــذَنِى ولم أَكُ غيْرَهُ أَرْجو

قال أبو مخنف : حدّثنى موسى بن عامر العدوىّ من جُهينة — وقد عرف ذلك الحديث شهمُ بن عبد الرّحمن الجُهَنىّ — قال : بعث المختارُ عبدَ الله ابن كامل إلى عثمانَ بن خالد بن أسيَر الدُّهمانىّ من جُهَينة ، وإلى أبى أسماءَ ٦٧٠/٢ بِشْر بن سَوْط القابضىّ — وكانا ممّن شَهِدا قتلَ الحسين ، وكانا اشتركا فى دم عبد الرّحمن بن عَقيل بن أبى طالب وفى سلَبه — فأحاط عبدُ الله بنُ كامل عند العصر بمسجد بنى دُهمان ، ثم قال : علىّ مثل خطايا بنى دُهمان منذ يوم خُلقوا إلى يوم يُبعثون إن لم أوتَ بعثمانَ بنِ خالد بن أسير ، إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم . فقلنا له : أمهلْنا نطلبه ، فخرجوا مع الخيل فى طلبه ، فوجدوهما جالسَين فى الجبّانة — وكانا يريدان أن يخرجا إلى الجزيرة — فأُتِىَ بهما عبدُ الله بنُ كامل ، فقال : الحمد لله الّذى كفى المؤمنين القتالَ ، لو لم يجدوا هذا مع هذا عنّانا إلى منزله فى طلبه ، فالحمد لله الّذى حيّنك حتّى أمكنَ منك . فخرج بهما حتّى إذا كان فى موضع بئر الجعد ضربَ أعناقَهما ، ثمّ رجع فأخبر المختارَ خبرَهما ، فأمره أن يرجع إليهما فيحرقَهما بالنار ، وقال : لا يُدفنان حتّى يُحرقا . فهذان رجلان ، فقال أعشى همْدان[1] يرثى عثمانَ الجُهَنىّ :

يا عَيْن بكّى فَتَى الفِتيانِ عُثمانَا	لايَبْعدَنَّ الفَتَى من آلِ دُهْمانَا
واذْكرْ فتًى ماجِدًا حُلوًا شَمائلُهُ	ما مِثْلُهُ فارسٌ فى آلِ هَمْدَانَا

قال موسى بنُ عامر : وبعث معاذ بن هانئ بن عدىّ الكندىّ ، ابن أخى ٦٧١/٢ حُجْر ، وبعث أبا عمرة صاحب حرَسه ، فساروا حتّى أحاطوا بدار خَوْلىّ بن يزيد الأصبحىّ وهو صاحبُ رأس الحسين الّذى جاء به ، فاختبأ فى مخرجه ، فأمر معاذٌ أبا عَمْرةَ أن يطلبَه فى الدار ، فخرجتْ امرأتهُ إليهم ، فقالوا لها : أين زوجُكِ ؟ فقالت : لا أدرى أين هو — وأشارت بيدها إلى المخرج ، فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قَوْصَرَّةً ، فأخرجوه ، وكان[2] المختار يسير

---

(١) اسمه عبد الرحمن بن عبد الله ، وهمدان بالدال الساكنة من قبائل كهلان باليمن ، وانظر المؤتلف والمختلف ١٢ .

(٢) ف : « وقد كان » .

بالكوفة . ثمّ إنّه أقبل فى أثر أصحابه وقد بعث أبو عَمْرةَ إليه رسولا ، فاستقبل المختار الرسولَ عند دار بلال ، ومعه ابن كامل ، فأخبَرَه الخبر ، فأقبل[1] المختار نحوَهم ، فاستقبل به ، فردّده[2] حتّى قتله إلى جانب أهله ، ثمّ دعا[3] بنار فحرّقه [بها][4] ، ثم لم يبرح حتّى عاد رماداً ، ثمّ انصرف عنه . وكانت امرأته من حَضْرَمَوْت يقال لها العَيُوف بنت مالك بن نَهار بن عَقْرَب ، وكانت نصبتْ له العداوة حين جاءَ برأس الحسين .

قال أبو مخنف : وحدّثنى موسى بن عامر أبو الأشعر أنّ المختار قال ذات يوم وهو يحدّث جلساءَه : لأقتلنّ غداً رجلا عظيمَ القَدَمين ، غائرَ العينين ، مشرفَ الحاجبين ، يسرّ مَقتلُه المؤمنين والملائكةَ المقرّبين . قال : وكان الهيثم بن الأسوَد النَّخعىّ عند المختار حين سمع هذه المقالة ، فوقع فى نفسه أنّ الَّذى يريد عمر بن سعد بن أبى وقّاص ، فلمّا رجع إلى منزله دعا ابنه العُرْيان فقال : الق ابنَ سعد الليلة فخبّره بكذا وكذا ، وقل له : خذ حِذْرَك ، فإنّه لا يريد غيرَك . قال : فأتاه فاستخلاه ، ثمّ حدّثه الحديث ، فقال له عمر بن سعد : جزى الله أباك والإخاءَ خيراً ! كيف يريد هذا بى بعد الَّذى أعطانى من العهود والمواثيق ! وكان المختار أوّل ما ظهر أحسنَ شىء سيرةً وتألّفاً للناس ، وكان عبد الله بن جَعْدة بن هبيرة أكرمَ خَلْق الله على المختار لقرابته بعلىّ[5] ، فكلّم عمرُ بنُ سعد عبد الله بن جعدة وقال له : إنى لا آمَن هذا الرجل — يعنى المختار — فخُذْ لى منه أماناً ، ففعل ؛ قال : فأنا رأيتُ أمانَه وقرَأتُه [وهو][6] :

٦٧٢/٢

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا أمانٌ من المختار بن أبى عبيد لعمرَ بن سعد ابن أبى وقّاص ، إنّك آمن بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك وولدك ، لا تؤاخَذُ بحدَث كانَ منك قديماً ما سمعتَ وأطعتَ ولزمتَ رَحْلك وأهلَك ومِصرَك[7] ، فمن لقىَ عمرَ بنَ سعد من شُرْطة الله وشيعةِ آل محمّد

---

(١) ف : « فرجع وأقبل » . (٢) ف : « فردّوه » .
(٣) ف : « ودعا » . (٤) من ف .
(٥) ف : « من على » . (٦) من ف . (٧) ف : « وقصرك » .

ومن غيرهم من الناس ، فلا يعرض له إلّا بخير . شهد السائبُ بنُ مالك وأحمرُ بنُ شميط وعبدُ الله بنُ شدّاد وعبدُ الله بنُ كامل . وجعلَ المختارُ على نفسه عهدَ الله وميثاقَه ليَفِيَنّ لعمرَ بن سعد بما أعطاه من الأمان ، إلّا أن يُحدِث حَدَثاً ، وأشهَدَ اللهَ على نفسه ، وكَفَى بالله شهيداً . ٦٧٣/٢

قال : فكان أبو جعفر محمَّد بن عليّ يقول : أمَّا أمانُ المختار لعمر بن سعد : إلّا أن يُحدِث حَدَثاً ، فإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحْدَث .

قال : فلمَّا جاءه العُريان بهذا خرج من تحت ليلته حتَّى أتى حمَّامه ، ثم قال فى نفسه : أنزِل دارِى ، فرجع فعبر الرَّوْحاءَ ، ثمّ أتى دارَه غُدوَةً ، وقد أتى حمَّامَه ، فأخبر مولًى له بما كان من أمانه وبما أريد به ، فقال له مولاه : وأىّ حَدَث أعظمُ ممَّا صنعتَ ! إنَّك تركت رَحلك وأهلَك[1] وأقبلتَ إلى ها هنا ، ارجع إلى رحلك ، لا تجعلنّ[2] للرجل عليك سبيلا . فرجع إلى منزله ، وأتى المختارَ بانطلاقه ، فقال : كلّا إنّ فى عنقه سلسلةً ستردّه ، لو جَهَد أن ينطلق ما استطاع . قال : وأصبح المختارُ فبعث إليه أبا عمرةَ ، وأمَرَه أن يأتيه به ، فجاءه حتَّى دخل عليه فقال : أجِب الأميرَ ، فقام عمر : فعثر فى جُبَّة له ، [3] ويضربه أبو عَمْرة بسيفه[3] ، فقتله ، وجاء برأسه فى أسفل قَبائه حتَّى وضعَه بين يدَى المختار ، فقال المختار لابنه حفص بن عمرَ بن سعد وهو جالس عنده : أتعرف هذا الرّأس ؟ فاسترجع وقال : نعم ، ولا خير فى العيش بعدَه ، قال له المختار : صدقت ، فإنَّك لا تعيش بعده ، فأمر به فقُتِل ، وإذا رأسُه مع رأس أبيه . ثمّ إنّ المختار قال : هذا بحُسَين وهذا بعليّ بن حسين[4] ، ولا سَواء ، والله لو قتلتُ به ثلاثة أرباع قريش ما وَفَوا أنمُلةً من أنامله ؛ فقالت حُميدَة بنت عمَر بنِ سعد تَبكِى أباها :

لو كان غيرُ أخى قَسِىٍّ غرَّهُ	أو غيرُ ذى يَمَنٍ وغيرُ الأعْجمِ	٦٧٤/٢
سَخَّى بنفسى ذاكَ شيئاً فاعلمُوا	عنه وما البَطْرِيق مِثلُ الألأَمِ	
أعْطَى ابنَ سعدٍ فى الصَّحيفة وابنَه	عهدًا يلينُ له جَناحُ الأرقمِ	

---

(١) ف : « أهلك ورحلك » .
(٢) ف : « لا تجعل » .
(٣ – ٣) ف : « ويصر به أبو عمرة فضربه » .
(٤) ف : « الحسين » .

فلمَّا قتَل المختارُ عمرَ بن سعد وابنه بعث برأسَيْهما مع مسافر بن سعيد ابن نِمرْان الناعطىّ وظَبْيان بن عمارة التميمىّ، حتَّى قَدِمَا بهما على محمَّد ابن الحنفيَّة ، وكتب إلى ابن الحنفيّة فى ذلك بكتاب .

قال أبو مخنف : وحدثنى موسى بن عامر ، قال : إنَّما كان هيَّج المختار على قتل عمرَ بن سعد أنّ يزيدَ بن شراحيلَ الأنصارىّ أتى محمَّد بن الحنفيَّة ، فسلَّم عليه ؛ فجرى الحديثُ إلى أن تذاكروا المختارَ وخروجَه وما يدعو إليه من الطلب بدماء أهلِ البيت ، فقال محمَّد بنُ الحنفيَّة : على أهون رسله يزعم أنَّه لنا شيعة ، وقَتَلَة الحسين جلساؤه على الكراسىّ يحدّثونه! قال : فوعاها الآخر منه ، فلما قدم الكوفة أتاه فسلَّم عليه ، فسأله المختار : هل لقيتَ المهدىّ ؟ فقال له : نعم ، فقال : ما قال لك وماذا كَرك ؟ قال : فخبّره الخبر . قال : فما لبثَ المختارُ عمرَ بنَ سعد وابنه أن قتَلهما ، ثمّ بعث برأسيهما [١] إلى ابن الحنفيّة مع الرسولين اللَّذَين سمَّينا ، وكتب معهما إلى ابن الحنفيَّة : ٢/٦٧٥

بسم الله الرّحمن الرّحيم . للمهدىّ محمَّد بن علىّ من المختار بن أبى عُبَيد . سلام عليك يأيُّها المهدىّ ، فإنى أحمَد إليك الله الَّذى لا إله إلا هو ، أمَّا بعد : فإنّ الله بعَثنى نِقمَةً على أعدائكم ، فهم بين قتيل وأسير ، وطريد وشريد ، فالحمد لله الَّذى قتل قاتليكم [٢] ، ونصر مؤازِريكم [٣] . وقد بعثتُ إليك برأس عمرَ بن سعد وابنه ، وقد قتلنا من شَرَك فى دم الحسين وأهل بيته — رحمةُ الله عليهم — كلّ من قَدَرْنا عليه ، ولن يُعجز الله من بقى ، ولست بمُنْجِم [٤] عنهم حتَّى لا يبلغنى أنّ على أديم الأرضِ منهم أرميًّا [٥] . فاكتب إلىّ أيها المهدىّ برأيك أتَّبعه وأكون عليه ، والسلام عليك أيها المهدىّ ورحمة الله وبركاته .

ثمّ إنّ المختار بعث عبدَ الله بنَ كامل إلى حكيم بن طُفَيل الطائىّ السنْبِسِىّ — وقد كان أصاب صلب العبَّاس بن علىّ ، ورَمَى

---

(١) كذا فى ف وفى ط : «برءوسهما» . (٢) ف : «قاتلكم» . (٣) ف : «موازركم» .
(٤) ف : « بمتنح » . (٥) إرميا ، أى أحداً ، يقال : ما بالدار إرميا ، أى أحد.

حسيناً بسَهْم ، فكان يقول : تعلّق سهمي بسِرْباله وما ضرّه — فأتاه عبدُ الله ابن كامل ، فأخذَه ثمّ أقبل به ، وذهب أهلُه فاستغاثُوا[(١)] بعديّ بن حاتم ، فلحِقهم في الطّريق ، فكلّم عبد الله بن كامل فيه ، فقال : ما إليّ[(٢)] من أمره شيء ، إنّما ذلك[(٣)] إلى الأمير المختار . قال : فإني آتيه ؛ قال : فأتِه راشدًا . فمضى عديّ نحوَ المختار ، وكان المختار قد شفّعه في نفر من قومه أصابهم يومَ جَبّانة السَّبيع ، لم يكونوا نَطقوا بشيء من أمر الحسين ولا أهل بيته ، فقالت الشيعة لابن كامل : إنّا نخاف أن يشفّع الأمير عديّ بن حاتم ٢/٦٧٦ في هذا الخبيث ، وله من الذنب ما قد علمت[(٤)] ، فدعْنا نَقتله . قال : شأنكم به ، فلما انتهَوْا به إلى دار العَنَزيّين وهو مكتوف نَصبوه غَرَضًا ، ثم قالوا له : سلبتَ ابن عليّ ثيابَه ، والله لنَسلبنّ ثيابَك وأنتَ حيّ تنظُر ! فنزعوا ثيابَه ، ثمّ قالوا له : رَمَيْتَ حسيناً ، واتّخذته غَرَضاً لنَبْلك ، وقلت : تعلّق سهمِي بسِرْبالِه ولم يضرّه ، وايمُ الله لنرمينّك كما رميته بنبال ما تعلّق بك منها أجزاك . قال : فرمَوْه رشْقاً واحدًا ، فوقعتْ به منهم نبالٌ كثيرة فخرّ ميّتاً .

قال أبو مخنف : فحدّثني أبو الجارود[(٥)] ، عمّن رآه قتيلا كأنّه قُنفُذ لِمَا فيه من كثرة النَّبل : ودخل عديّ بن حاتم على المختار فأجلَسَه معه على مجلسه ، فأخبره عديّ عمّا جاء له ، فقال له المختار : أتستحلّ يا أبا طَريف أن تَطلُب فيّ قَتَلة الحسين ! قال : إنه مكذوب عليه أصلحك الله ! قال[(٦)] : إذًا ندَعه لك قال : فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار : ما فَعَل الرجل ؟ قال : قتلتْه الشيعة : قال : وما أعجَلَك إلى قتله قبل أن تأتيَني به وهو لا يسرّه أنّه لم يقتله — وهذا عديّ قد جاء فيه ، وهو أهلٌ أن يُشفَّع ويؤتى ما سرّه[(٧)] ! قال : غلبتْني والله الشيعة ، قال له عديّ : كذبتَ يا عدوّ الله ، ولكنْ ظننْتَ أنّ من هو خيرٌ منك سيشفّعني فيه ، فبادرتَني

---

(١) ف : « فاستعانوا » . (٢) ف : « مالى » .
(٣) ف : « ذاك » . (٤) ف : « علمته » .
(٥) هو زياد بن زياد ، الذى تسمى باسمه فرقة الجارودية .
(٦) ف : « فقال » (٧) ف : « يسره » .

فقتلته ، ولم يكن خطر يدفعك عمّا صنعت . قال : فاسحنفر [١] إليه ابن
٦٧٧/٢ كامل بالشّتيمة ، فوضع المختار إصبعه على فيه ، يأمر ابن كامل بالسكوت والكفّ عن عدىّ ، فقام عدىّ راضيًا عن المختار ساخطًا على ابن كامل ، يشكوه عند من لقى من قومه . وبعث المختار إلى قاتل علىّ بن الحسين عبدَ الله ابن كامل ، وهو رجلٌ من عبد القيس يقال له مُرّة بن مُنْقذ بن النعمان العبدىّ وكان شجاعًا ، فأتاه ابنُ كامل فأحاط بداره ، فخرج إليهم وبيده [٢] الرّمح ، وهو على فرس جواد ، فطعن عبيد الله بن ناجية الشّبامىّ ، فصرعه ولم يضرّه . قال : ويضربه ابن كامل بالسيف فيتّقيه بيده اليسرى ، فأسرع [٣] فيها السيف ، وتمطّرت به الفرس [٤] ، فأفلت ولحق بمصعب ، وشُلّت يده بعد ذلك . قال : وبعث المختارُ أيضًا عبدَ الله الشاكرىّ إلى رجل من جَنْب يقال له زيدُ بن رُقاد ، كان يقول : لقد رميتُ فتًى منهم بسهم وإنّه لواضع كفّه على جبهته يتّقى النبلَ فأثبتُّ كفّه فى جبهته ، فما استطاع أن يزيل كفّه عن جبهته .

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو عبد الأعلى الزُّبيدىّ أنّ ذلك الفتى عبد الله ابن مسلم بن عقيل ، وأنّه قال حيث أثبت كفّه فى جبهته : اللّهمّ إنّهم استقلّونا واستذلّونا ، اللّهمّ فاقتلهم كما قتلونا ، وأذلّهم كما استذلّونا . ثمّ إنّه رمى الغلامَ بسهم آخرَ فقتله ، فكان يقول : جئتُه ميّتًا فنزعتُ سهمى الّذى قتلتُه به من جوْفه ، فلم أزل أُنضنض السّهم [٥] من جبهته حتّى نزعْته ، وبقى النّصل فى جبهته مُثبتًا ما قدرتُ على نزعه .

٦٧٨/٢ قال : فلمّا أتى ابن كامل دارَه أحاط بها ، واقتحم الرجالُ عليه ، فخرج مصلتًا بسيفه [٦] — وكان شجاعًا — فقال ابن كامل : لا تضربوه بسيف ، ولا تطعنوه برمح ، ولكن ارموه بالنبل ، وارجموه [٧] بالحجارة ، ففعلوا ذلك به ، فسقط ، فقال ابن كامل : إن كان به رمق فأخرجوه [٨] ؛ فأخرجوه وبه

(١) فى اللسان : يقال : اسحنفر الرجل فى خطبته ، إذا مضى واتّسع فى كلامه .
(٢) ف : « بيده » . (٣) ف : « فيسرع » .
(٤) ف : « فرسه » . (٥) نضنض السهم ؛ إذا حركه .
(٦) ف : «بالسيف» . (٧) ف : «وارضخوه» . (٨) ف : «فأحرقوه بالنار» .

رَمَق ، فدعا بنار فحرّقه بها وهو حيّ لم تخرج رُوحُه ، وطلب المختار سنان ابن أنس الّذى كان يدّعى قَتْلَ الحسين ، فوَجده قد هرَب إلى البَصرة ، فهدّم داره . وطلب المختارُ عبدَ الله بن عُقْبة الغَنَوىّ فوجده قد هرَب ، ولحق بالجزيرة ، فهدم داره ،وكان ذلك الغَنَوىّ قد قتل منهم غلامًا ، وقتل رجلٌ آخرُ من بنى أسد يقال له حَرْملة بن كاهل رجلا من آل الحسين ، ففيهما يقول ابن أبى عَقِب اللّيثىّ :

وعِندَ غَنِىٍّ قطرَةٌ من دِمائنا وفى أَسَدٍ أُخرَى تُعَدُّ وتُذكَرُ

وطلب رجلا من خَثْعَم يقال له عبد الله بن عُروة الخثعمىّ ـ كان يقول : رميت فيهم باثنَىْ عشر سهمًا ضَيْعَةً ـ ففاته ولَحق بمصعب ، فهَدَم دارَه ، وطلب رجلا من صُداء يقال له عَمْرو بن صُبَيح ، وكان يقول : لقد طعنتُ بعضَهُم وجرحتُ فيهم[1] وما قتلت منهمْ أحدًا ، فأتِىَ ليلا وهو على سَطْحه وهو لا يشعر بعد ما هدأت العيون ، وسيفُه تحت رأسه ، فأخذوه أخْذًا ، وأخذوا سيفَه ، فقال : قبحك الله سيفًا ، ما أقربَك وأبعدَك ! فجىء به إلى المختار ، فحبَسه معه فى القصر ، فلمَّا أن أصبح أذِنَ لأصحابه ، وقيل : لِيدخلْ من شاء أن يَدخُل ، ودخل الناس ، وجىء به مقيَّدًا ، فقال : أما والله يا معشر الكَفَرة الفَجرَة أن لو بِيَدِى سيفى لَعلمتم أنى بنصل السيف غير رَعِش ولا رِعْديد ، ما يسرّنى إذ[2] كانت منيّتى قَتْلا أنّه قتلنى من الخلق أحد[3] غيركم . لقد علمتُ أنّكم شرار خلقِ الله ، غيرَ أنى وددتُ أنّ بيدى سيفًا أضرب به فيكم ساعة ، ثمّ رفع يدَه فلطم عينَ ابن كامل وهو إلى جنبه ، فضحك ابن كامل ، ثمّ أخذ بيده وأمسكها ، ثم قال : إنّه يزعم أنّه قد جرح فى آل محمد وطعن ، فمُرْنا بأمرك فيه ، فقال المختار : علىّ بالرماح ، فأُتِىَ بها ، فقال : اطعَنوه حتّى يموت ، فطُعِن بالرماح حتّى مات .

٦٧٩/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى هشام بنُ عبد الرّحمن وابنه الحكَم بنُ هشام

---

(١) ف : « لقد طعنت فيهم وجرحت » . (٢) ف : « إن » .
(٣) ف : « أحد من الناس » .

أنّ أصحاب المختار مرّوا بدار بنى أبى زُرعة بن مسعود ، فرموهم من فوقها ، فأقبلوا حتّى دخلوا الدارَ ، فقتلوا الهبياط بن عثمان بن أبى زُرعة الثقفىّ وعبد الرحمن بن عثمان بن أبى زرعة الثّقَفىّ ، وأفلتَهم عبدُ الملك بن أبى زرعة ضربة فى رأسه ، فجاء يشتدّ حتّى دخل على المختار،فأمر امرأتَه أمّ ثابت

٢/٦٨٠ ابنة سَمُرة بن جُندَب ، فداوتْ شجّته ، ثمّ دعاه ، فقال : لا ذنب لى ، إنّكم رميتم[1] القوم فأغضبْتموهم[2] . وكان محمّد بنُ الأشعث بن قيس فى قرية الأشعث إلى جنب القادسيّة ، فبعث المختار إليه حَوْشبًا سادنَ الكرسىّ فى مائة ، فقال : انطلق إليه فإنّك تجده لاهيًا متصيّدًا ، أو قائمًا متلبّدًا ، أو خائفًا متلدّدًا ، أو كامنًا متغمّدًا ، فإن قدرت عليه فأتنى برأسه . فخرج حتّى أتى قصرَه فأحاط به ، وخرج منه محمّد بن الأشعث فلحق بمصعب ، وأقاموا على القصر وهم يَرْون أنّه فيه ، ثم دخلوا فعلموا أنّه قد فاتَهم ، فانصرفوا إلى المختار ، فبعث إلى داره فهدمها ، وبنى بلَبِنها وطِينها دارَ حُجْر بن عدىّ الكِنْدىّ ، وكان زيادُ بن سُمَيّة قد هَدَمها .

* * *

[ذكر الخبر عن البيعه للمختار بالبصرة]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة دَعَا المثنّى بن مخرّبة العبدىّ إلى البيعة للمختار بالبصرة أهلها ؛ فحدّثنى أحمد بن زهير ، عن علىّ بن محمّد ، عن عبد الله بن عطيّة اللّيثى وعامر بن الأسود ، أنّ المثنىّ بن مخرّبة العبدىّ كان ممّن شهد عينَ الوَرْدة مع سليمانَ بن صُرَد ، ثمّ رجع مع مَن رجع ممّن بقى من التوّابين إلى الكوفة ، والمختار محبوس ، فأقام حتّى خرج المختار من السجن ، فبايعه المثنّى سرًّا ، وقال له المختار : الحقْ ببلدك بالبصرة فادْعُ الناسَ ، وأسِرَّ أمْرَكَ ؛ فقدم البصرة فدعا ، فأجابه رجالٌ من قومه وغيرهم فلمّا أخرج المختارُ ابنَ مطيع من الكوفة ومَنَعَ عمرَ بنَ عبد الرحمن بن الحارث

٢/٦٨١ ابن هشام من الكوفة خرج المثنّى بن مخرّبة فاتّخذ مسجدًا ، واجتمع[3] إليه

(١) ف : « أرهبتم » . (٢) ف : « وأغضبتموهم » .
(٣) ف : « فاجتمع » .

قومه ، ودعا إلى المختار ، ثمّ أتى مدينة الرّزق فعسكر عندها . وجمعوا الطعامَ في المدينة ، ونحروا الجزُر ، فوجّه إليهم القُباعُ عبّادَ بن حصين وهو على شُرْطته ، وقيس بن الهيثم في الشّرَط والمقاتلة ، فأخذوا في سكّة الموالى حتّى خرجوا إلى السّبخة ، فوقفوا ، ولزِم الناسُ دورَهم . فلم يخرج أحد ، فجعل عبّاد ينظر هل يرى أحداً يسأله ! فلم ير أحداً ؛ فقال : أما ها هنا رجلٌ من بنى تميم ؟ فقال خليفة الأعور مولى بنى عدىّ ، عدىّ الرِّباب : هذه دار ورّاد مولَى بنى عبد شَمْس ؛ قال : دُقّ الباب ، فدقّه ، فخرج إليه ورّاد ، فشتَمه عبّاد وقال : وَيْحك ! أنا واقفٌ ها هنا ، لِمَ لَمْ تخرج إلىّ ! قال : لم أدر ما يوافقك ، قال : شُدَّ عليك سلاحَك واركب ، ففعل ، ووَقَفوا ، وأقبل أصحابُ المثنّى فواقفوهم ، فقال عبّاد لورّاد : قف مكانَك مع قيس ، فوقف قيس بن الهيثم وورّاد ، ورجع عبّاد فأخذ في طريق الدّبّاحين ، والنّاس وقوفٌ في السّبَخة ، حتّى أتى الكلأ ، ولمدينة الرّزَق أربعة أبواب : باب مِمّا يلى البصرة ، وباب إلى الخلاّلين ، وبابٌ إلى المسجد ، وبابٌ إلى مهبّ الشمال ؛ فأتى الباب الّذى يلى النهر مِمّا يلى أصحاب السقَط ، وهو بابٌ صغير ، فوقف ودعا بسلّم فوضعه مع حائط المدينة ، فصعد ثلاثون رجلا ، وقال لهم : الزموا السطح ، فإذا سمعتم التكبيرَ فكبّروا على السطوح ، ورجع عبّاد إلى قيس بن الهيثم وقال لورّاد : حرّش القومَ ؛ فطارَدَهم ورّاد ، ثم التبس القتال فقُتِل أربعون رجلا من أصحاب المثنّى ، وقُتِل رجل من أصحاب عبّاد ، وسمع الّذين على السطوح(١) في دار الرزق الضجّة والتكبير ، فكبّروا ، فهرب مَن كان في المدينة ، وسمع المثنّى وأصحابه التكبير من ورائهم ، فانهزموا ، وأمر عبّاد وقيس بن الهيثم(٢ الناسَ بالكفّ عن اتباعهم ٢) وأخذوا مدينة الرّزق وما كان فيها ، وأتى المثنّى وأصحابُه عبدَ القيس ورجع عبّاد وقيس ومَنْ معهما إلى القُباع فوجّههما إلى عبد القيس ، فأخذ قيس بن الهيثم من ناحية الجسر ، وأتاهم عبّاد من طريق المِرْبد ، فالتقَوْا فأقبل زياد بن عَمْرو العَتَكىّ إلى القُباع وهو في المسجد جالس على المنبر ،

٦٨٢/٢

(١) ف : « السطح » . (٢ – ٢) ف : « بالكفّ عن الناس وعن » .

فدخل زياد المسجدَ على فرسه؛ فقال : أيُّها الرجل ، لتردّنّ خيلَك عن إخواننا أو لنقاتلنّها[1]. فأرسل القُباع الأحنفَ بنَ قيس وعمرَ بنَ عبد الرحمن المخزوميّ ليُصلحا أمرَ الناس ، فأتيَا عبد القيس ، فقال الأحنف لبكْر والأزْد وللعامّة : ألستم على بيعة ابن الزبير ! قالوا : بلى ، ولكنّا لا نُسلِم إخوانَنا . قال : فمروهم فليخرجوا إلى أيّ بلاد أحبّوا ، ولا يُفسدوا هذا المِصرَ على أهله ، وهم آمنون فليخرجوا حيث شاءوا . فمشى مالكُ بنُ مِسْمَع وزيادُ بن عمرو ووجوهُ أصحابهم إلى المثنّى ، فقالوا له ولأصحابه : إنّا والله ما نحن على رأيكم ، ولكنّا كرهْنا أن تُضامُوا[2] ، فالحقوا بصاحبكم ، فإنّ مَن أجابكم إلى رأيكم قليل ، وأنتم آمنون . فقَبِل المثنّى قولَهما وما أشارا به ، وانصرف .

٦٨٣/٢ ورجع الأحنف وقال : ما غَبِنت رأيي إلا يومِي هذا ، إنى أتيت هؤلاء القومَ وخلّفت بكرًا والأزد ورائى ، ورجع عبّاد وقيس إلى القُباع ، وشخص المثنّى إلى المختار بالكُوفة فى نفر يسير من أصحابه ، وأصيب فى تلك الحرب سُوَيد بنُ رئاب الشَّنّيّ ، وعقبة بن عشيرة الشنّيّ ، قتَله رجل من بنى تميم وقُتل التميميّ فوَلَغ أخو عقبة بن عشيرة فى دَم التميميّ ، وقال : ثأرى . وأخبر المثنّى المختار حين قَدِم عليه بما كان من أمر مالك بن مِسمَع وزياد بن عمرو ومسيرهما إليه ، وذبّهما عنه حتّى شخص عن البصرة ، فطَمع المختار فيهما ، فكتب إليهما : أمّا بعد ، فاسمعا وأطيعا أوتِكما[3] من الدنيا ما شئتما ، وأضمن لكما الجنّة . فقال . مالكٌ لزياد : يا أبا المغيرة ، قد أكثر لنا أبو إسحاقَ إعطاءَنا الدنيا والآخرة ! فقال زياد لمالك مازحًا : يا أبا غسّان ، أمّا أنا فلا أقاتل نسيئةً ، مَن أعطانا الدّراهم قاتلْنا معه . وكتب المختارُ إلى الأحنف بن قيس :

من المختار إلى الأحنف ومَن قِبَله ، فسَلْم أنتم ، أمّا بعد ، فويلُ أمّ ربيعةَ من مضَر ، فإنّ الأحنفَ مُورد قومَه سَقَر ، حيث لا يستطيع لهم الصَّدَر ، ٦٨٤/٢ وإنى[4] لا أملك ما خُطّ فى القَدَر ، وقد بلغنى أنّكم تسمُّونى[5] كذّابًا ،

---

(١) ف : وابن الأثير « لنقاتلنّهم » .
(٢) ف : « تصابوا » .
(٣) ف : « ولكما » .
(٤) ف : « وأنا » .
(٥) ف : « تسمونى » .

وقد كُذّب الأنبياء مِنْ قَبْلى ، ولستُ بخير من كثير منهم .

وكتب إلى الأحنف :

إذا اشتريتَ فَرساً من مالِكَا ثمّ أَخذتَ الجَوْبَ فى شِمالِكَا

* فاجعلْ مِصاعاً حذما مِن بالِكا *

حدّثنى أبو السائب سَلْم بن جُنادة ، قال : حدّثنا الحسن بن حمّاد ، عن حِبّان[1] بن علىّ ، عن المجالد ، عن الشّعبىّ ، قال : دخلتُ البَصْرة فقعدتُ إلى حَلْقة فيها الأحنف بن قيس ، فقال لى بعضُ القوم : مَن أنْتَ ؟ قلت : رجلٌ من أهل الكوفة ؛ قال : أنتم موالٍ لنا ؛ قلت : وكيف ؟ قال : قد أنقذناكم من أيدى عبيدكم مِن أصحاب المختار ، قلتُ : تدرى ما قال شيخُ هَمْدان فينا وفيكم ؟ فقال الأحنف بن قيس : وما قال ؟ قلت : قال :

أَفَخَرْتُمْ أَنْ قَتَلتمْ أَعبُدًا وهزمتمْ مَرَّةً آلَ عزَلْ

وإذَا فاخَرْتُمُونا فاذْكُروا ما فعلْنا بكُم يومَ الجمَلْ

بينَ شيخٍ خاضبٍ عُثْنُونَهُ وفتًى أَبيضَ وَضّاحٍ رِفَلّْ

جاءَنا يَهْدِجُ فى سابغةٍ فذَبَحْناه ضُحًى ذَبْحَ الحمَلْ

وعفَوْنا فَنَسِيتُمْ عفوَنا وكَفَرتُمْ نِعْمَةَ اللهِ الأَجَلّْ

وقَتَلتمْ خَشَبِيِّين بهمْ بَدَلاً من قومِكمْ شرَّ بَدَلْ

فغضب الأحنف ، فقال[2] : يا غلام ، هات تلك الصحيفة ، فأتِىَ بصحيفة فيها : ٢/٦٨٥

بسم الله الرّحمن الرحيم . من المختار بن أبى عبيد إلى الأحنف بن قيس ، أمّا بعد ، فويلُ أم ربيعةَ ومضرَ[3] ، فإنّ الأحنف مُوردٌ قومَه سَقَر ، حيثُ لا يَقدرون على الصَّدَر ، وقد بلغنى أنّكم تُكذّبونى ، وإن كُذّبتُ

(١) ط : « حيان » تصحيف . (٢) ف : « وقال » . (٣) ف : « من مضر » .

فقد كُذّب رسلٌ مِن قَبْلى ، ولستُ أنا خيرًا[1] منهم . فقال : هذا منّا أو منكم !

وقال هشام بنُ محمّد عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى مَنيع بن العلاء السعدىّ أنّ مسكين بنَ عامر بن أنَيْف بن شُرَيح بن عَمرو بن عدس كان فيمن قَاتَل المختار ، فلمّا هزم الناس لحق بآذرْبيجان بمحمّد بن عمير بن عطارد ، وقال :

عجِبَتْ دَخْتَنُوس لمّا رأَتْنى ... قد عَلَانى مِنَ المَشِيبِ خِمارُ
فأَهلَّتْ بصـــوتِها وأَرَنَّتْ ... لا تهالى قد شاب منّى العِذَارُ
إن تَرَيْنِى قد بانَ غَربُ شبابِى ... وأَتَى دونَ مولدى أَعصَارُ
فابنُ عامَيْن وابن خمسين عاماً ... أَىّ دهر إلاَّ له أَدهارُ!
ليت سيْفِى لها وجَوْبتَها لى ... يومَ قالت أَلا كريم يَغارُ!
ليْتنَا قبلَ ذلك اليوم مِتْنَا ... أَو فعلْنا ما تفعلُ الأَحرارُ
فعلَ قوم تَقَاذف الخيرُ عنهمْ ... لم نُقاتلْ وقاتَلَ العَــيْزَار

٢/٦٨٦

وتولَّيتُ عنهُمُ وأُصيبوا ... ونَفَانى عنهمْ شَنَارٌ وعارُ
لَهْفَ نَفسِى على شِهَابِ قُرَيشٍ ... يومَ يُؤْتَى برأْسه المختارُ!

وقال المتوكِّلُ الليثى :

قتلوا حُسَيناً ثم همْ ينعوْنَه ... إنَّ الزمانَ بأَهـله أَطْوارُ
لَا تَبْعَدنْ بالطَّفِّ قَتْلَى ضُيِّعَتْ ... وسقَى مَساكِنَ هامِهَا الأَمطار
ما شُرْطَة الدّجّالِ تحتَ لوائِه ... بأَضَلَّ مِمَّنْ غرَّهُ المختارُ
أَبنِى قَسِى أَوثِقُوا دجَّالَكم ... يحِلَ الغُبارُ وأَنتمُ أَحرارُ
لو كان علمُ الغيب عندأَخيكمُ ... لتوطَّأَتْ لكُمُ به الأَحبارُ
ولكان أَمرًا بيِّنًا فيما مضَى ... تأْتَى به الأَنباءُ والأَخبارُ

---

[1] ف : « بخير » .

إنِّى لأَرجو أن يُكَذِّبَ وحْيَكُمْ ... طعنٌ يَشُقُّ عصاكُمُ وحِصَارُ
ويجيئكم قومٌ كأَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بأَكفِّهِمْ تحتَ العَجاجة نارُ
لا يَنثَنونَ إذا هُمُ لاقوْكُمُ ... إلاَّ وَهَامُ كُمَاتِكم أَعشارُ

* * *

[ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكر بابن الزّبير]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة بعث المختارُ جيشًا إلى المدينة للمكْر بابن الزبير ، وهو مُظهِر له أنَّه وجَّههم معُونَةً له لحرب الجيش الّذى كان عبد الملك بن مروانَ وجّهه إليه لحروبه ، فنزلوا وادىَ القُرَى .

* ذكر الخبر عن السبب الداعى كان للمختار إلى توجيه ذلك الجيش وإلى ما صار أمرهم :

قال هشام بن محمّد : قال أبو مخنف : حدّثنى موسى بن عامر ، قال : لمَّا أخرج المختارُ ابنَ مطيع من الكوفة لَحِقَ بالبَصرة . وكره أن يقدم ابن الزبير بمكّة وهو مهزوم مفلول ، فكان بالبَصْرة مقيمًا حتّى قدم عليه ٢/٦٨٧ عمرُ بنُ عبد الرحمن بن هشام ، فصارا جميعًا بالبصرة . وكان سبب قدوم عمرَ البصرة أنّ المختار حين ظهر بالكوفة واستجمع له الأمر وهو عند الشّيعة إنّما يدعو إلى ابن الحنفيّة والطلب بدماء أهل البيت ، أخذ يخادع ابنَ الزبير ويكتب إليه ، فكتب إليه : أمَّا بعد ، فقد عرفتَ مُناصَحتى إيَّاك وجَهدى على أهل عَداوتك ، وما كنتَ أعطيتَنى إذا أنا فعلتُ ذلك من نفسك فلمَّا وفَيتُ لك ، وقضيتُ الّذى كان لكَ علىّ ، خِسْتَ بى ، ولم تَفِ بما عاهَدْتنى عليه ، ورأيت منّى ما قد رأيت ؛ فإن تُرِد مراجعتى أراجِعك ، وإن تُرِد مُناصَحتى أنصح لك . وهو يريد بذلك كفَّه عنه ، حتّى يَستجمع له الأمر[1] ، وهو لا يُطْلع الشّيعة على شىء من هذا الأمر ، وإذا بلغهم شىء منه أراهم أنّه أبعد الناس عن ذلك . قال : فأراد ابن الزبير أن يَعلم أسِلْم هو أم حرب ! فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومىّ

(١) ف : « أمره » .

فقال له: تجهَّزْ إلى الكوفة فقد ولَّيناكَها[1]، فقال: كيف وبها المختار! قال: إنّه يزعم أنّه سامع مطيع. قال: فتجهَّزَ بما بين الثلاثين الألف درْهم إلى الأربعين ألفاً[2]، ثمّ خرج مقبلا إلى الكوفة. قال: ويجيء عينُ المختار من مكّة حتّى أخبره[3] الخبر، فقال له: بكم تجهّز؟ قال: بما بين الثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً. قال: فدعا المختارُ زائدةَ بنَ قدامة وقال[4] له: احمِل معك سبعين ألفَ درهم ضِعفَ ماأنفق هذا في مسيره إلينا وتلقّه في المَفاوِز، واخرج معك مسافر[5] بن سعيد بن نِمْران الناعطيّ في خمسمائة فارس دارعٍ رامِح، عليهم البَيْض، ثمّ قل له: خذ هذه النَّفقة فإنّها ضِعف نَفقتك، فإنّه قد بلغنا أنّك تجهّزتَ وتكلّفت قدرَ ذلك، فكرِهنا أن تغرم، فخذها وانصرف، فإن فعل وإلّا فأره الخيل وقل له: إنّ وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة.

٢/٦٨٨

قال: فأخذ زائدة المال، وأخرج معه الخيل، وتلقّاه بالمَفاوز، وعرض عليه المال، وأمرَه بالانصراف، فقال له: إنّ أمير المؤمنين قد ولّاني الكوفة ولا بدّ من إنفاذ أمره. فدعا زائدةُ بالخيل وقد أكمنها في جانب، فلمّا رآها قد أقبلتْ قال: هذا الآن أعذَرُ لي وأجملُ بي، هاتِ المالَ، فقال له زائدة: أمّا إنّه لم يبعث به إليك إلّا لما بينك وبينه، فدفعه إليه فأخذه، ثمّ مضى راجعاً نحوَ البصرة، فاجتمع بها هو وابنُ مطيع في إمارة الحارث بنِ عبدِ الله بنِ أبي ربيعة، وذلك قبلَ وثوب المثنّى بن مخرِّبة العبديّ بالبَصرة.

قال أبو مخنف: فحدّثني إسماعيل بن نُعيم أنّ المختار أخبِر أنّ أهل الشأم قد أقبَلوا نحو العراق، فعرَف أنه به يُبْدَأ، فخشي أن يأتيَه أهلُ الشأم من قِبل المغرب، ويأتيَه مصعب بن الزبير من قِبَل البَصرةَ، فوادَعَ ابنَ الزبير وداراه وكايده[6]؛ وكان عبدُ الملك بنُ مروانَ قد بعث عبد الملك ابن الحارث بن الحَكَم بن أبي العاص إلى وادي القرى، والمختار لابن الزبير مكايِدٌ موادِع، فكتب المختار إلى ابن الزبير:

٢/٦٨٩

---

(١) ف: «وليتكها». (٢) ف: «ألف درهم».
(٣) ف: «أخبرته». (٤) ف: «فقال».
(٥) ط: «بمسافر». (٦) ف: «وكاتبه».

أمَّا بعد ، فقدبلغنى أنّ عبد الملك بن مروانَ قد بعث إليك جيشًا ، فإن أحببتَ أن أمدّك بمَددَ أمددتُك .

فكتب إليه عبدُ الله بنُ الزبير :

أما بعد ، فإن كنتَ على طاعتى فلستُ أكره أن تبعث الجيشَ إلى بلادى وتبايعَ لى الناس قِبلك ، فإذا أتتْنى بيعتُك صدّقتُ مقالتَكَ ، وكففتُ جنودى عن بلادك ، وعَجِّل علىّ بتسريح الجيش الّذى أنت باعثه ، ومُرهم فليسيروا إلى مَنْ بوادى القرى من جُنْد ابن مروانَ فليقاتلوهم . والسلام .

فدعا المختارُ شُرحبيلَ بن وَرْس من هَمدانَ ، فسرّحه فى ثلاثة آلاف أكثرهم الموالى ، ليس فيهم من العرب إلاّ سبعمائة رجل ، فقال له : سرْ حتّى تدخلَ المدينة ، فإذا دخلتَها فاكتب إلىّ بذلك حتّى يأتيَك أمرى ؛ وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميرًا من قبَله ، ويأمرَ ابنَ ورس أن يمضىَ إلى مكّة حتّى يحاصرَ ابنَ الزبير ويقاتلَه بمكّة ، فخرج الآخر يسير قِبَل المدينة ، وخشى ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيده ؛ فبعث من مكّة إلى المدينة عباس بن سَهْل بن سعد فى ألفين ، وأمَرَه أن يستنفرَ الأعراب ، وقال له ابنُ الزبير : إنْ رأيتَ القومَ فى طاعتى فاقبل منهم ، وإلاّ فكايِدْهم حتّى تُهلكَهم . ففعلوا ، وأقبَل عبّاس بن سهل حتّى لقى ابن ورس بالرقيم ، وقد عبّى ابن ورس أصحابَه ، فجعل على ميمنته سَلمانَ ابن حِميَر الثّورىّ من هَمْدان ، وعلى مَيْسرته عيّاش بن جَعْدة الجُدَلىّ ، وكانت خيلُه كلها فى الميمنة والميسرة ، فدنا فسلّم عليه ، ونزل هو يمشى فى الرّجّالة ، وجاء عباس فى أصحابه وهم منقطعون على غير تعبية ، فيجد ابن ورس على الماء قد عبّى أصحابه تعبية القتال ، فدنا منهم فسلّم عليهم ، ثم قال : اخلُ معى ها هنا ، فخلاَ به ، فقال له : رحمك الله ! ألستَ فى طاعة ابن الزبير ! فقال له ابن ورس : بلى ، قال : فسرْ بنا إلى عدوّه هذا الّذى بوادى القرى ، فإنّ ابن الزبير حدّثنى أنّه إنّما أشخصكم صاحبكم إليهم ، قال ابن ورس : ما أمِرت بطاعتك ، إنما أمِرت أن أسير حتى آتى المدينة ، فإذا نزلتها رأيت رأيى . قال له عبّاس بن سهل : فإن كنت فى طاعة ابن الزبير فقد

٦٩٠/٢

أمرني أن أسيرَ بك وبأصحابك إلى عدوِّنا الذين[1] بوادي القرى ، فقال له ابن ورْس : ما أُمرتُ بطاعتك، وما أنا بمتَّبعك دون أن أدخل المدينة ، ثمّ أكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره . فلمَّا رأى عبَّاس بن سهل لَجاجتَه عرف خلافَه، فكَرِه[2] أن يُعلمه أنَّه قد فطن له، فقال : فرأيك أفضل، اعملْ بما بدا لك ؛ فأمَّا أنا فإني سائر إلى وادي القرى . ثم جاء عبَّاس بن سهل فنزل بالماء، وبعث إلى ابنَ ورْس بجزائرَ كانت معه، فأهداها له ، وبعث إليه بدقيق وغنم مسلَّخة — وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعًا — فبعث عبَّاس بن سهل إلى كلّ عشرة منهم شاة[3]، فذبحوها ، واشتغلوا بها ، واختلطوا على الماء ، وترك القومُ تعبيتهم ، وأمِن بعضُهم بعضًا ؛ فلمّا رأى عبَّاس بن سهل ما هم فيه من الشغل جمَع من أصحابه نحوًا من ألفِ رجل من ذوى البأس والنَّجدة ثمّ أقبل[4] نحو فسطاط شُرَحبيل بن وَرْس ، فلمَّا رآهم ابنُ وَرْس مُقْبلين إليه نادى في أصحابه ، فلم يَتَوافَ إليه مائةُ رجل حتَّى انتهى إليه عبَّاس بن سهل وهو يقول: يا شُرْطةَ الله ، إلىّ إلىّ ! قاتلوا المُحِلّين ، أولياءَ الشيطان الرجيم ، فإنَّكم على الحقّ والهدى ؛ قد غَدَروا وفجروا .

٢/٦٩١

قال أبو مخنف: فحدّثني أبو يوسف أنّ عبَّاسًا انتهى إليهم ، وهو يقول :

أَنَا ابن سهل فارسٌ غيرُ وَكَلْ ... أَرْوَعُ مِقْدَام إذا الكبشُ نَكَلْ

وأَعْتَلِي رأسَ الطِّرِمَّاح البطَلْ ... بالسّيف يومَ الرَّوْع حتَّى يُنْخزَلْ

قال : فوالله ما اقتتلنا إلّا شيئًا ليس بشيء حتَّى قُتل ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ ، ورَفَع عبَّاسُ بن سهل رايةَ أمان لأصحاب ابن ورس ، فأتَوْها إلّا نحواً من ثلثمائة رجل انصرفوا مع سَلمانَ بنِ حِمير الهمدانيّ وعياش بن جَعْدة الجدليّ ، فلمَّا وقعوا في يد عبَّاس بن سهل أمر بهم فقُتِلوا إلّا نحوًا من مائتي رجل ، كره ناس من النَّاس ممَّن دُفِعُوا إليهم قتلَهم ، فخلَّوا سبيلهم ، فرجعوا ، فمات أكثرُهم في الطريق ، فلمَّا

---

(١) ف : « الذى » . (٢) ف : « كره » .

(٣) ف : « بشاة » . (٤) ف : « وأقبل » .

بلغ المختار أمرُهُم ، ورجع مَن رجع منهم ، قام خطيباً فقال : ألا إنّ الفُجّار الأشرار ، قتلوا الأبرار الأخيار . ألا إنّه كان أمرًا مأتيًّا ، وقضاءً مقضيًّا . وكتب المختار إلى ابن الحنفيّة مع صالح بن مسعود الخثعميّ :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد ، فإنى كنت بعثتُ إليك جنداً ليُذلّوا لك الأعداء ، وليحوزُوا لك البلاد ، فساروا إليك حتّى إذا أظلّوا على طَيْبة ، ٦٩٢/٢ لقيهم جندُ المُلحِد ، فخدعوهم بالله ، وغرّوهم بعهد الله ، فلمّا اطمأنّوا إليهم ، ووثِقوا بذلك منهم ، وثبوا عليهم فقتلوهم ، فإن رأيتَ أن أبعثَ إلى أهل المدينة مِنْ قبَلى جيشاً كثيفاً ، وتَبعثَ إليهم مِن قبَلك رُسُلا ؛ حتّى يعلم أهلُ المدينة أنى فى طاعتك ، وأنما بعثت الجند إليهم عن أمرك ، فافعل ، فإنّك ستجد عظمهم بحقّكم أعرَف ، وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزبير الظَّلمة الملحدين ، والسلام عليك .

فكتب إليه ابن الحنفيّة : أمّا بعد ، فإنّ كتابك لمّا بلغنى قرأتُه ، وفهمتُ تعظيمَك لحقّى ، وما تنوى به من سرورى . وإنّ أحبّ الأمور كلّها إلىّ ما أُطيع اللهَ فيه ، فأطع الله ما استطعتَ فيما أعلنتَ وأسررت ، واعلم أنى لو أردت لوجدتُ الناسَ إلىّ سراعًا ، والأعوانَ لى كثيراً ، ولكنى أعتزِلهم ، وأصبر حتّى يحكم الله لى وهو خير الحاكمين .

فأقبل صالح بنُ مسعود إلى ابن الحنفيّة فودّعه وسلّم عليه ، وأعطاه الكتاب وقال له : قل للمختار فليتّقِ الله ، وليكفُفْ عن الدّماء ، قال : فقلت له : أصلحَك الله ! أوَ لم تكتبْ بهذا إليه ! قال له ابن الحنفيّة : قد أمرتهُ بطاعة الله ، وطاعةُ الله تَجمَع الخيرَ كلّه ، وتَنهَى عن الشرّ ٦٩٣/٢ كلّه . فلمّا قَدِم كتابُه على المختار أظهر للناس أنى قد أُمِرتُ بأمر يجمع البرّ واليسر ، ويَضْرَح الكُفْر والغَدْر .

* * *

[ذكر الخبر عن قُدوم الخشبيّة مكة وموافاتهم الحجّ]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة قدمت الخشبيّة مكة ، ووافوا الحج وأميرهم أبو عبد الله الجدلىّ .

* ذكر الخبر عن سبب قدومهم مكة :

وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر هشام ، عن أبى مخنف وعلىّ بن محمّد ،

عن مَسْلمة ابن محارب – أنّ عبد الله بن الزبير حبس محمَّد بن الحنفيَّة ومَن معه من أهل بيته وسبعةَ عشرَ رجلا من وجوه أهل الكوفة بزَمزَم ، وكرِهوا البَيْعة لمن لم تجتمع عليه الأمَّة ، وهربوا إلى الحَرَم ، وتوعَّدهم بالقَتْل والإحراق ، وأعطى اللهَ عهداً إن لم يبايعوا أن يُنفذ فيهم ما توعَّدهم به ، وضرب لهم فى ذلك أجَلاً ، فأشار بعضُ من كان مع ابن الحنفيَّة عليه أن يبعث إلى المختار وإلى مَنْ بالكوفة رسولا يعْلمهم حالَهم وحال من معهم ، وما توعَّدهم به ابن الزبيرُ . فوجَّه ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس على باب زمزم ، وكتب معهم إلى المختار وأهل الكوفة يُعلِمهم حالَه وحالَ من معه ، وما توعدهم به ابن الزبير من القتل والتحريق[1] بالنار ، ويسألهم ألّا يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بَيْته . فقَدِموا على المختار ، فدَفَعوا إليه الكتَاب[2] فنادى فى الناس وقرأ عليهم الكتاب وقال : هذا كتاب[3] مهديّكم وصريحُ أهلِ بيت نبيِّكم ، وقد تُركوا محظوراً عليهم كما يُحظر على الغنم ينتظرون القتلَ والتحريق بالنار فى آناء اللَّيل وتارات النهار ، ولستُ أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزَّراً ، وإن لم أسرِّب إليهم الخيل فى أثر الخيل ، كالسَّيل يتلُوه السيل ، حتَّى يَحُلّ بابن الكاهليَّة الوَيْل .

٢/٦٩٤

ووجَّه أبا عبدالله الجدلىّ فى سبعين راكبًا من أهل القوّة ، ووجَّه ظَبْيان ابن عمارة[4] أخا بنى تميم ومعه أربعمائة ، وأبا المعتمر فى مائة ، وهانئ بن قيس فى مائة ، وعُمَير بن طارق فى أربعين ، ويونسَ بنَ عمران فى أربعين ، وكتب إلى محمد بن علىّ مع الطُّفَيل بن عامر ومحمَّد بن قيس بتوجيه الجنود إليه ، فخرج الناسُ بعضُهم فى أثر بعض ، وجاء أبو عبد الله حتَّى نزل ذاتَ عِرْق فى سبعين راكبًا ، ثمّ لحقه عمير بن طارق فى أربعين راكبًا ، ويونس ابن عمران فى أربعين راكبًا ، فتمّوا خمسين ومائة ، فسار بهم حتَّى دخلوا المسجد الحرام ، ومعهم الكافركوبات ، وهم ينادُون : يا لَثارات الحسين ! حتَّى انتهَوا إلى زمزم ، وقد أعدّ ابنُ الزبير الحَطَب ليحْرِقهم ، وكان قد

---

(١) ف : « الإحراق » .
(٢) ف : « من مهديكم » .
(٣) ف : « فدفعوا الكتاب إليه » .
(٤) ط : « عثمان » ، وهو خطأ ، وانظر الفهرس .

بقى من الأجل يومان ، فطردوا الحَرَس ، وكسروا أعوادَ زمزم ، ودخلوا على ابن الحنفيّة ، فقالوا له : خَلّ بيننا وبين عدوّ الله ابن الزبير ، فقال لهم : إنى لا أستحلّ القتال فى حرم الله فقال ابن الزبير : أتحسبون أنى مُخَلّ سبيلَهم دون أن يبايع ويبايعوا[1] ! فقال أبو عبد الله الجدَلىّ : إى وَربِّ الرُّكْن والمقام، وربّ الحِلّ والحرام ، لتخلّينّ سبيلَه أو لنجالدنّك بأسيافنا جِلادًا يرتاب منه المُبطِلون . فقال ابن الزبير : والله ما هؤلاء إلاّ أكَلة رأس، والله لو أذنت لأصحابى ما مضتْ ساعة حتّى تُقطَف رءوسهم ؛ فقال له قيس بن مالك : أما والله إنى لأرجو إن رمت ذلك أن يُوصَل إليك قبل أن ترى فينا ما تحبّ . فكفّ ابن الحنفيّة أصحابَه وحذّرهم الفتنة ، ثمّ قدم أبو المعتمر فى مائة ، وهانئ بن قيس فى مائة ، وظَبيان بن عُمارة فى مائتين ، ومعه المال حتّى دخلوا المسجد، فكبّروا : يا لَثارات الحسين! فلمّا رآهم ابن الزبير خافَهم ، فخرج محمّد بن الحنفيّة ومَن معه إلى شِعب علىّ وهم يسبّون ابنَ الزبير ، ويستأذِنون ابنَ الحنفيّة فيه ، فيأبى عليهم ، فاجتمع مع محمّد ابن علىّ فى الشعب أربعة آلاف رجل ، فقسم بينهم ذلك المال . ٢/٦٩٥

* * *

[ذكر الخبر عن حصار بنى تميم بخراسان]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم مَنْ كان بخراسان من رجال بنى تميم بسبب، قتل من قتل منهم ابنه محمّدًا .

قال علىّ بن محمّد : حدّثنا الحسن بن رُشيد الجُوزَجانىّ عن الطّفيْل ابن مرداس العمّىّ، قال : لمّا تفرّقتْ بنو تميم بخرَاسان أيامَ ابن خازم، أتى قصر فَرتنَا عدّةٌ من فُرْسانهم ما بين السبعين إلى الثمانين ؛ فولّوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المُزَنىّ ، ومعه شُعْبة بن ظَهير النهشلىّ ، وورد بن الفلق العَنبرىّ ، وزُهَير بن ذؤيب العدوىّ ، وجَيْهان بن مَشْجَعة الضّبىّ ، والحجّاج بن ناشب العدَوىّ ، ورقبة بن الحرّ فى فُرسان بنى تميم . قال : فأتاهم ابن خازم، فحصرهم وخَنْدَق خَنْدَقًا حصينًا . قال : وكانوا يخرجون إليه ٢/٦٩٦

(١) س : « وتبايعوا » .

فيقاتلونه ، ثمّ يرجعون إلى القصر . قال : فخرج ابن خازم يومًا على تعبية من خندقه فى ستّة آلاف ، وخرج أهلُ القصر إليه ، فقال لهم عثمان بن بشر بن المحتفز : انصرفوا اليومَ عن ابن خازم ، فلا أظنّ لكم به طاقة ، فقال زهير بنُ ذؤيب العدوىّ : امرأته طالقٌ إنْ رجع حتّى ينقض صفوفهم - وإلى جنبهم نَهَرٌ يدخله الماء فى الشتاء ، ولم يكن يومئذ فيه[1] ماء ، فاستبطنه زهير ، فسار فيه ، فلم[2] يشعر به أصحابُ ابن خازم حتّى حمل عليهم ، فحطّم أوّلهم على آخرهم ، واستداروا[3] وكرّ راجعًا ، واتّبعوه على جنبى النّهر يصيحون به : [4]لا ينزل إليه أحد[4] ، حتّى انتهى إلى الموضع الّذى انحدر فيه ، فخرج فحمل عليهم ، فأفرَجوا له حتّى رجع ؛ قال : فقال ابنُ خازم لأصحابه : إذا طاعنتم زهيرًا فاجعلوا فى رماحكم كلاليب فأعلِقوها[5] فى أداته إنْ قدَرتم عليه ، فخرج إليهم يومًا وفى[6] رماحهم كلاَليب[7] قد هيّئوها له ، فطاعَنوه ، فأعلقوا[7] فى درعه أربعةَ أرماح ، فالتفَت إليهم ليَحمل عليهم ، فاضطربت أيديهم ، فخلّوا رماحَهم ، فجاء يجرّ أربعة أرماح حتّى دخل القصر ؛ قال : فأرسل ابن خازم غَزْوان بن جَزْء العدوىّ إلى زهير فقال : قل له : أرأيتك إن آمنتك وأعطيتك مائةَ ألف ، وجعلتُ لك باسار[8] طعمة تناصحنى ؛ فقال زهير لغَزْوان : ويحك ! كيف أناصح قومًا قتلوا الأشعثَ ابنَ ذؤيب ! فأسقط بها غزوان عند موسى بن عبد الله بن خازم .

٢/٦٩٧

قال : فلمّا طال عليهم الحصار أرسلوا إلى ابن خازم أن خلّنا نخرج فنتفرّق ، فقال : لا إلّا أن تنزلوا على حُكْمى ؛ قالوا : فإنا ننزل على حُكْمك ، فقال لهم زهير : ثكلَتْكم أمّهاتُكم ! والله ليقتلنّكم عن آخركم ، فإن طبتم بالموت أنفسًا[9] فموتوا كرامًا ، اخرجوا بنا جميعًا فإمّا أن تموتوا جميعًا وإمّا أن ينجوَ بعضكم ويهلكَ بعضكم ، وايم الله لئن شددتم عليهم

(١) ف : « فيه يومئذ ماء » . (٢) ف : « ولم » .
(٣) ف : « واستدار » . (٤-٤) ف : «ولا يجسر أحد منهم أن ينزل فيه» .
(٥) ف : « الكلاليب ثم أعلقوها » . (٦) - ف : « فى » .
(٧-٧) ف : « فأعلقوها فى أداته لما هيئوها له ، وطاعنوه ساعة وأعلقوا » .
(٨) ظ : « باسان » .
(٩) ف : وابن الأثير : « نفسًا » .

شدّةً صادقة ليُفرجُنّ لكم عن مثل طريق المِربَد ، فإن شئتم كنت أمامكم ، ٢/٦٩٨ وإن شئتم كنت خلفكم . قال : فأبَوا عليه ، فقال : أما إنى سأريكم ، ثمّ خرج هو ورقَبة بن الحرّ ومع رقَبة غلام له تركىّ وشعبة بن ظَهير . قال : فتحمّلوا على القوم حملةً منكَرة ، فأفرجوا لهم ، فمَضوا ؛ فأمّا زهير فرجع إلى أصحابه حتّى دخل القصر فقال لأصحابه : قد رأيتم فأطيعونى ، ومضى رَقبة وغلامه وشعبة ، قالوا : إنّ فينا من يَضعُف [1] عن هذا ويطمع [2] فى الحياة ، قال [3] : أبعدكم الله! أتخلّوْن عن أصحابكم! والله لا أكون أجزعَكم عند الموت . قال : ففتحوا القصر ونزلوا ، فأرسل فقيّدهم ، ثمّ حملوا إليه رجلا رجلاً ، فأراد أن يمنّ عليهم ، فأبى ابنُه موسى ، وقال : والله لئن عفوت عنهم لأتّكئنّ على سيفى حتّى يخرج من ظهرى ؛ فقال له عبد الله : أما والله إنى لأعلم أنّ الغىّ فيما تأمرنى به ، ثمّ قتلهم جميعًا إلاّ ثلاثة ؛ قال : أحدهم الحجّاج بن ناشب العدوىّ — وكان رمى ابن خازم وهو محاصرهم فكسر ضرسَه ، فحلف لئن ظفر به ليقتلنّه أو ليقطعنّ يده ، وكان حَدَثًا ، فكلّمه فيه رجال من بنى تميم كانوا معتزلين ؛ من عَمرو بن حنظلة ، فقال رجل منهم : ابن عمىّ وهو غلام حدث جاهل ؛ هَبْه لى ، قال : فوهبه له ، وقال : النّجاء! لا أرينّك . قال : وجيهان بن مشجعة الضّبّىّ الّذى ألقى نفسَه على ابنه محمّد يوم قُتل ، فقال ابن خازم : خلّوا عن هذا البَغْل الدارج ، ورجل من بنى سعد ، وهو الّذى قال يومَ لَحِقوا ابنَ خازم : انصرفوا عن فارسِ مضر . قال : وجاءوا بزهير بن ذؤيب فأرادوا حملَه وهو مقيّد ، فأبَى وأقبلَ يَحجُل ٢/٦٩٩ حتّى جلس بين يديه ، فقال له ابن خازم : كيف شُكرك إنْ أطلقتُك وجعلتُ لكَ باسار [4] طعمة؟ قال : لو لم تصنعْ بى إلاّ حقنَ دمى لشكرتُك ، فقام ابنه موسى فقال : تقتل الضبع وتترك الذّيخ [5] ! تقتل اللبُؤَة وتترك اللّيث! قال : وَيْحك ! نقتل مثلَ زهير ! مَن لقتال عدوّ المسلمين ! مَن لنساء العرب ! قال : والله لو شرِكتَ فى دم أخى أنت لقتلتك ؛ فقام رجل من بنى

---

(١) ف : « وقالوا إذا نضعف » . (٢) ف : « ونطمع » .
(٣) ف : « فقال » . (٤) ط : « باسان » .
(٥) الذيخ : الذكر من الضباع ، ويطلق الضبع على الأنثى منها .

مسُلَيم إلى ابن خازم ، فقال : أذكـِّرك اللهَ فى زهير ! فقال له موسى : اتّخذه فَحْلاً لبناتك ، فغضب ابن خازم ، فأمر بقتله ، فقال له زهير : إنّ لى حاجة ، قال : وما هى ؟ قال : تقتلنى على حِدَة ، ولا تخلط دمى بدماء هؤلاء اللئام ، فقد نهيتُهم عمّا صنعوا وأمرتهم أن يموتوا كراماً ، وأن يخرجوا عليكم مصلتين ، وايم الله أن لو فعلوا لذَعَروا بُنَيَّك هذا ، وشغلوه بنفسه عن طلب الثأر بأخيه فأبَوا ، ولو فعلوا ما قتِل منهم رجل حتّى يقتل رجالاً . فأمر به فنُحّى ناحية فقُتل .

قال مَسلمة بن محارب : فكان الأحنفُ بنُ قيس إذا ذكرهم قال : قبّح الله ابن خازم! قتل رجالا من بنى تميم بابنه ، صبىّ وَغْد أحمقَ لا يُساوِى علَقاً ، ولو قتل منهم رجلا به لكان وفّى .

قال : وزعمت بنو عدىّ أنهم لما أرادوا حمل زهير بن ذؤيب أبَى واعتمد على رُمْحه وجمع رجليه فوثَب الخندق ، فلمّا بلغ الحَريشَ بن هلال قتلهم قال : ٢/٧٠٠

أَعَاذِلَ إنّى لم أُلِمْ فى قِتَالِهِمْ ... وقد عضَّ سيفى كَبْشَهُمْ ثم صمّمَا
أعاذل ما ولَّيْتُ حتى تبَدَّدَتْ ... رجالٌ وحتَّى لم أجد مُتَقَدّمَا
أعاذل أَفْنَانى السلاحُ ومن يُطِلْ ... مُقَارَعَةَ الأَبطالِ يرجعْ مكلّمَا
أَعَيْنىَّ إن أنْزَفْتُما الدمعَ فاسكُبَا ... دماًلازماًلى دون أن تسكُبا الدّمَا
أَبَعْدَ زهيرٍ وابنِ بشرٍ تَتَابعا ... وورد أُرَجّى فى خُراسانَ مَغْنَما
أعاذلَ كم من يوم حربٍ شهِدتُه ... أَكُرُّ إذا ما فارسُ السَّوءِ أَحْجَمَا

يعنى بقوله : « أبعْدَ زهير » ، زهيرَ بن ذؤيب ، وابن بشر ، عثمان بن بشر المحتفز المازنىّ ، وورد بن الفلق العنبرىّ ، قُتلوا يومئذ ، وقتل سليمان بن المحتفز أخو بشر .

* * *

قال أبو جعفر : وحجّ بالناس فى هذه السنة عبدُ الله بنُ الزبير ، وكان على المدينة مصعب بن الزبير مِن قِبَل أخيه عبد الله ، وعلى البصرة الحارثُ

ابنُ عبد الله بن أبى ربيعة ، وعلى قضائها هشامُ بنُ هُبيرة ، وكانت الكوفة بها المختار غالبًا عليها ، وبخُراسان عبد الله بن خازم .

* * *

[شخوص إبراهيم بن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد]

وفى هذه السنة شَخَص إبراهيمُ بن الأشتَر متوجِّهًا إلى عبيد الله ابن زياد لحربه ، وذلك لثمانٍ بقِين من ذى الحِجّة .

قال هشام بن محمّد : حدّثنى أبو مخنف ، قال : حدّثنى النَّضر بن صالح — وكان قد أدرك ذلك — قال : حدّثنى فُضَيل بن خَديج — وكان قد شهد ذلك — وغيرهما ، قالوا : ما هو إلّا أن فرغ المختار من أهل السَّبيع وأهل الكُناسة ، فما نزل إبراهيم بن الأشتر إلّا يومين حتّى أشخصه إلى الوجه الذى كان وجَّهه له لقتال أهل الشأم ، فخرج يوم السبت لثمان بقِين من ذى الحجّة سنة ستٍّ وستين ، وأخرج المختارُ معه من وجوه أصحابه وفرسانهم وذوى البصائر منهم : ممّن قد شهد الحرب وجرّبها ، وخرج معه قيس بن طَهْفة النَّهدىّ على ربع أهل المدينة ، وأمَّر عبد الله بن حيّة الأسدىّ على ربع مَذْحِج وأسَد ، وبعث الأسوَد بن جراد الكِنْدىّ على رُبْع كندة وربيعة ، وبعث حبيب بن منقذ الثَّورىّ من هَمْدانَ على ربع تميم وهَمْدان ، وخرج معه المختار يشيِّعه حتّى إذا بلغ ديرَ عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم ، إذا أصحاب المختار قد استقبلوه ، قد حملوا الكرسىّ على بغل أشهب كانوا يَحملونه عليه ، فوقفوا به على القنطرة ، وصاحب أمر الكرسىّ حَوْشب البرسمىّ ، وهو يقول : يا ربّ عمِّرنا فى طاعتك ، وانصرنا على الأعداء ، واذكرنا ولا تَنْسَنا واسترنا ، قال : وأصحابه يقولون : آمين آمين ؛ قال فُضَيل : فأنا سمعتُ ابن نَوف الهَمْدانىّ يقول : قال المختار : ٧٠١/٢

أَمَا وَرَبِّ المُرْسَلاتِ عُرْفَا لنقتُلَنَّ بعدَ صَفٍّ صَفَّا

* وبعد أَلفٍ قاسِطِين أَلفَا *

قال : فلمّا انتهى إليهم المختار وابنُ الأشتر ازدحموا ازدحامًا شديدًا

على القنطرة ، ومضى المختار مع إبراهيمَ إلى قناطر رأس الجالوت — وهى إلى جنب دَيْر عبد الرحمن — فإذا أصحاب الكرسىّ قد وقفوا على قناطر رأسِ الجالوت يَستنصِرون ، فلمَّا صار المختار بين قنطرة دَيْرِ عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف ، وذلك حين أراد أن ينصرف ، فقال لابن الأشتر : خذ عنّى ثلاثاً : خَفِ الله فى سرّ أمرِك وعلانيتِه ، وعجّل السير ، وإذا لقيتَ عدوّك فناجزهم ساعةَ تلقاهُم ، وإن لقيتَهم ليلا فاستطعت ألّا تُصبح حتّى تناجِزَهم ، وإن لقيتَهم نهاراً فلا تنتظر بهم الليل حتّى تحاكمهُم إلى الله . ، ثم قال : هل حفِظتَ ما أوصيتك[1] بِه ؟ قال : نعم ، قال : صحبك الله ؛ ثم انصرف . وكان موضع عسكر إبراهيم بموضع حمّام أعيَنَ ، ومنه شخص بعسكره . ٧٠٢/٢

* * *

[ذكر أمر الكرسىّ الذى كان المختار يستنصر به !]

قال أبو مخنف : فحدّثنى فُضيل بن خَدِيج قال : لمَّا انصرف المختار مضى[2] إبراهيم ومعه أصحابه حتّى انتهى إلى أصحاب الكُرْسىّ وقد عكَفوا حوله[3] وهم رافعو أيديهم[4] إلى السّماء يستنصِرون ، فقال إبراهيم : اللّهمّ لا تؤاخذنا بما فعل السُّفهاء — سنّةَ بنى إسرائيل ، والّذِى نفسى بيَده إذ عكفوا على عِجْلهم — فلمَّا جاز القنطرة إبراهيمُ وأصحابهُ انصرف أصحاب الكرسىّ .

* ذكر الخبر عن سبب كرسى المختار الذى يستنصر به هو وأصحابه :

٧٠٣/٢ قال أبو جعفر : وكان بدءُ سببه ما حدّثنى به عبد الله بن أحمد بن شبّوَيْهِ ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ابن المبارك ، عن إسحاقَ بن يحيى بن طلحة ، قال : حدّثنى معبد بن خالد ، قال : حدّثنى طُفَيل بن جَعْدة بن هُبيرة ، قال : أعدمتُ مرّةً من الورق ، فإنى لكذلك إذْ خرجتُ يومًا فإذا زَيَّات جارٌ لى ، له كرسىّ قد ركبه وسخٌ شديد ، فخطر على بالى أن لو قلتُ للمختار فى هذا ! فرجعتُ فأرسلتُ إلى

(١) ف : « عنى ما وصيتك » . (٢) ف : « ومضى » .
(٣) ف : « عليه » . (٤) ف : « وهم رافعون أيديهم » .

الزّيات : أرسلْ إلىّ بالكرسىّ ، فأرسل إلىّ به ، فأتيت المختار ، فقلت : إنى كنت أكتُمُك شيئًا لم[(١)] أستحلّ ذلك ، فقد بدا لى أن أذكره لك ، قال : وما هو ؟ قلت : كرسىّ كان جعدة بن هُبيرة يجلس عليه كأنّه يرى أن فيه أثرة من علم ، قال : سبحان الله ! فأخّرتَ هذا إلى اليوم ! ابعث إليه ، ابعث إليه ، قال : وقد غُسل وخرج عُود نُضار ، وقد تشرّب الزيت ، فخرج يَبِصّ ، فجىء به وقد غُشّى ، فأمر لى باثنى عشر ألفًا ، ثمّ دعا : الصّلاة جامعة .

فحدّثنى معبد بن خالد الجُدَلىّ قال : انطُلق بى وبإسماعيلَ بن طلحة ابن عُبيد الله وشَبَث بن ربعىّ والناس يجرون إلى المسجد، فقال المختار : إنّه لم يكن فى الأمم الخالية أمرٌ إلّا وهو كائن فى هذه الأمّة مثله ، وإنّه كان فى بنى إسرائيل التابوت فيه بقيّة ممّا ترك آلُ موسى وآلُ هارون ، وإنّ هذا فينا مثل التابوت ، اكشفوا عنه ؛ فكشفوا عنه أثوابَه ، وقامت السبئيّة فرفعوا أيديهم ، وكبّروا ثلاثًا ، فقام شَبَث بن ربعىّ وقال : يا معشر مُضَر ، لا تكفُرُنّ ، فنحّوه فذبّوه وصدّوه وأخرجوه ، . قال إسحاق : فوالله إنى لأرجو أنّها لشبث ، ثمّ لم يلبث أن قيل : هذا عبيد الله بن زياد قد نزل بأهل الشأم باجُمَيْرا ، فخرج بالكرسىّ على بغل وقد غُشّى ، يُمسكه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة ، فقتِل أهل الشأم مقتلة لم يقتلوا مثلها ، فزادهم ذلك فتنة ، فارتفعوا فيه حتّى تعاطَوا الكفر ، فقلت : إنّا لله ! وندمتُ على ما صنعت ، فتكلّم الناس فى ذلك ، فغُيّب ، فلم أرَهُ بعدُ . ٧٠٤/٢

حدّثنى عبد الله ، قال : حدّثنى أبى قال : قال أبو صالح : فقال فى ذلك أعشى هَمْدان كما حدّثنى غيرُ عبد الله :

شَهِدتُ عليكمْ أنَّكمْ سبَئِيَّةٌ	وإنّى بكم يا شُرْطَةَ الشِّرْكِ عارف
وأُقْسِمُ ما كُرْسِيُّكم بسَكينةٍ	وإن كان قد لُفَّتْ عليه اللّفائف
وأن ليس كالتابوتِ فينَا وإن سَعَتْ	شِبامٌ حوالَيْهِ ونَهْدٌ وخارفُ[(٢)] ٧٠٥/٢

(١) ف : «ولم» .
(٢) ف : «وحارف» .

وإنى امروٌّ أَحبَبْتُ آلَ محمدٍ وتابَعْتُ وحْياً ضُمِّنَتْهُ المَصاحِفُ
وتابَعْتُ عبدَ الله لمّا تتابَعَتْ[١] عليه قريشٌ : شُمْطها والغطَارِفُ

وقال المتوكِّل اللَّيثىّ :

أَبْلِغْ أَبا إسحاقَ إنْ جئتَه أَنِّى بِكُرْسيِّكُمْ كافِرُ
تَنزُو شِبَامٌ حولَ أَعوادِه وتحمِلُ الوحْىَ له شاكرُ
محمرَّةً أَعيُنُهمْ حولَهُ كأَنَّهنّ الحِمّص الحادرُ

فأمَّا أبو مخنف : فإنَّه ذكر عن بعض شيوخه قصّةَ هذا الكرسىّ غير الّذى ذكره عبد الله بن أحمد بالإسناد الَّذِى حدَّثنا به ، عن طفيل بن جعدة . والَّذِى ذكر من ذلك ما حُدّثنا به ،عن هشام بن محمَّد، عنه ، قال : حدّثنا هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكَم بن هشام، أنّ المختار قال لآل جعدة بن هُبَيْرة بن أبى وهب المخزومىّ — وكانت أمّ جعدة أمّ هانئ بنت أبى طالب أخت علىّ بن أبى طالب عليه السلام لأبيه وأمّه : ائتونى بكرسىّ علىّ بن أبى طالب ؛ فقالوا : لا والله ما هو عندنا، وما ندرى مِنْ أين نجىء به ! قال : لا تكونُنّ حَمْقى ، اذهبوا فأتونى به ، قال : فظنّ القوم عند ذلك أنّهم لا يأتون بكرسىّ ، فيقولون : هو هذا إلّا قَبِله منهم ، فجاءوا بكرسىّ فقالوا : هو هذا[٢] فقبِله ، قال : فخرجتْ شبامٌ وشاكر ورءوس أصحاب المختار وقد عَصَّبُوه بالحرير والدِّيباج .

٢/٧٠٦

قال أبو مخنف ،عن موسى بن عامر أبى الأشعر الجُهَنىّ : إنّ الكرسىّ لمَّا بلغ ابن الزبير أمْرُه قال : أين بعضُ جَنادِبة الأَزْدِ عنه !

قال أبو الأشعر : لمَّا جىء بالكرسىّ كان أوّل من سَدَنَه موسى بن أبى موسى الأشعرىّ،وكان يأتى المختار أوّل ما جاء ويحفّ به، لأنّ أمّه أمّ كلثوم بنت الفضل بن العبّاس بن عبد المطَّلب . ثمّ إنّه بعد ذلك عُتِب عليه فاستحيا

---

(١) ف : « وبايعت » . (٢) ف : وابن الأثير : « هذا هو » .

منه ، فدَفَعه إلى حَوْشب البُرْسُمىّ ، فكان صاحبه حتّى هلك المختار . قال : وكان أحد عمومة الأعشى رجلا يُكْنى أبا أمامة يأتى مجلس أصحابه فيقول : قد وُضع لنا اليوم وحىٌ ما سَمِع الناسُ بمثله ، فيه نبأ ما يكونُ من شىء .

قال أبو مخنف : حدّثنا موسى بن عامر أنّه إنّما كان يصنع ذلك لهم عبد الله بن نوف ، ويقول : المختار أمرَنى به ، ويتبرّأ المختار منه .

٧٠٧/٢

ثم دخلت سنة سبع وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فممَّا كان فيها من ذلك مقتل عُبيد الله بنِ زياد ومن كان معه من أهل الشأم .

* ذكر الخبر عن صفة مقتله .

ذكر هشام بنُ محمَّد ، عن أبي مخنف ، قال : حدّثني أبو الصَّلت ، عن أبي سعيد الصَّيْقَل ، قال : مضينا مع إبراهيم بن الأشتر ونحن نريد عُبيدَ الله بن زياد ومَنْ معه من أهل الشأم ، فخرجنا مُسْرِعين لا ننثني ، نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرضَ العراق . قال : فسبقناه إلى تُخومِ أرض العراق سَبْقًا بعيدًا ، ووغلنا في أرض المَوْصل ، فتعجّلنا إليه ، وأسرَعْنا السير ، فنلقاه بخَازَر إلى جنب قرية يقال لها باربيثا ، بينها وبين مدينة المَوْصِل خمسة فراسخ ، وقد كان ابن الأشتر جعل على مقدّمته الطفيلَ بن لَقيط ؛ من وهْبيل من النَّخَع (رجلا من قومه) ، وكان شجاعًا بئيسًا[1] ، فلمَّا أن دنا من ابن زياد ضمّ حميد بن حُريث إليه ، وأخذ ابن الأشتر لا يسير إلّا على تعبية ، وضمّ أصحابه كلّهم إليه بخيله ورجاله ، فأخذ يسير بهم جميعًا لا يفرّقهم ، إلا أنَّه يبعث الطُّفيل بن لقيط في الطَّلائع حتّى نزل تلك القرية .

٧٠٨/٢

قال : وجاء عبيد الله بن زياد حتَّى نزل قريبًا منهم على شاطئ خازَر . وأرسل عميرُ بن الحُباب السلميّ إلى ابن الأشتر : إني معك ، وأنا أريد[2] الليلة لقاءك ، فأرسل إليه ابن الأشتر : أن القَني إذا شئت ؛ وكانت قيس كلّها بالجزيرة ، فهم أهلُ خلاف لمروان وآلِ مروان ، وجند مروان يومئذ كلبٌ وصاحبهم ابن بَحْدل . فأتاه عُمَير ليلا فبايَعه ، وأخبره أنَّه على ميسرة صاحبه ، وواعده أن ينهزم بالنَّاس ، وقال ابن الأشتر : ما رأيُك ؟ أخندِق عليّ وأتلوّم يومين أو ثلاثة ؟ قال عمير بن الحُباب : لا تفعل ، إنَّا

(١) الرجل البئيس : الشديد . (٢) ا ، س : « وأريد » .

لله ! هل يريد القومُ إلّا هذه ! إنْ طاولوك وماطلوك فهو خير لهم ، هم كثيرٌ أضعافكم ، وليس يطيق القليلُ الكثيرَ فى المطاولة ؛ ولكن ناجز القوم فإنّهم قد مُلِئوا منكم رُعْبًا ، فأتِهم فإنّهم إن شاموا أصحابك وقاتلوهم يومًا بعد يوم ، ومرّة بعد مرّة أنِسوا بهم ، واجترءوا عليهم ؛ قال إبراهيم : الآن علمتُ أنّك لى مناصح ، صدقتَ ، الرأى ما رأيت ، أما إنّ صاحبي بهذا أوصانى ، وبهذا الرأى أمرَنى . قال عمير : فلا تعدونّ رأيه ، فإن الشيخ قد ضرّسْته الحروب ، وقاسى منها ما لم نُقاس ، أصبح فناهِض الرجل .

ثمّ إن عميرًا انصرف ، وأذكَى ابن الأشتر حرَسه تلك اللّيلة اللّيل كلّه ، ولم يدخل عينه غمْض ، حتّى إذا كان فى السحر الأوّل عبّى أصحابه ، وكتّب كتائبه ، وأمّر أمراءَه . فبعث سُفْيان بن يزيد بن المُغفَّل الأزدىّ على ميمنته ، وعلىّ بن مالك الجُشَمىّ على ميسرته ، وهو أخو أبى الأحوص . وبعث عبد الرحمن بن عبد الله — وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأمّه — على الخيل ، وكانت خيلُه قليلةً ، فضمّها إليه ، وكانت فى الميمنة والقلب ، وجعل على رجّالته الطُّفَيل بن لقيط ، وكانت رايتُهُ مع مزاحم بن مالك . قال : فلمّا انفجر الفجر صلّى بهم الغداة بغَلَس ، ثمّ خرج بهم فصفّهم ، ووضع أمراء الأرباع فى مواضعهم ، وألحق أميرَ الميمنة بالميمنة ، وأميرَ الميسرة بالميسرة ، وأمير الرّجالة بالرّجّالة ، وضمّ الخيل إليه ، وعليها أخوه لأمّه عبد الرحمن بن عبد الله ، فكانت وَسَطًا من الناس ، ونزل إبراهيمُ يمشى ، وقال للناس : ازحَفوا ، فزَحَف الناسُ معه على رِسْلِهم رُوَيدًا رويدًا حتّى أشرف على تلّ عظيم مُشرِف على القوم ، فجلس عليه ، وإذا أولئك لم يتحرّك منهم أحد بعدُ — فسرّح عبدُ الله بن زهير السَّلولىّ وهو على فرس له يتأكّل تأكّلا[1] ، فقال : قرّبْ علىّ فرسك حتّى تأتينى بخبر هؤلاء ، فانطلق ، فلم يلبث إلّا يسيرًا حتّى جاء ، فقال : قد خرج القومُ على دَهَش وفَشَل ، لقيَنى رجل منهم فما كان له هِجّيرَى إلا يا شيعةَ أبى تُراب ، يا شيعةَ المختار الكذّاب ! فقلت : ما بيننا وبينكم أجلُّ من الشَّتم ، فقال لى : يا عدوّ الله ، إلامَ

٢/٧٠٩

(١) تأكّل الفرس ، أى هاج وكاد يأكل بعضه بعضاً .

تدعوننا ! أنتم تقاتلون مع غير إمام ، فقلت له : بل يا لَثارات الحسين ، ابن ٢/٧١٠ رسول الله ! ادفعوا إلينا عُبيدَ الله بن زياد؛ فإنّه قَتَل ابنَ رسولِ الله وسيّد شبابِ أهل الجنّة حتّى نقتله ببعض موالينا الّذين قتلَهم مع الحسين ، فإنّا لا نراه لحسين نِدًّا فنَرْضى أن يكون منه قَوَدًا ، وإذا دفعتُموه إلينا فقتلناه ببعضِ موالِينا الّذين قتلهم جعلْنا بيننا وبينكم كتاب الله ، أو أيَّ صالح من المسلمين شئتم حَكَمًا ، فقال لى : قد جرّبناكم مرّة أخرى فى مِثل هذا — يعنى الحكَمَيْن — فغدرتم ، فقلت له : وما هو ؟ فقال : قد جعلنا بيننا وبينكم حَكَمين فلم ترضَوْا بحُكْمهما ؛ فقلت له : ما جئت بحجّة ، إنّما كان صلحنا على أنّهما إذا اجتمعا على رجل تبعنا حكمهما ، ورضينا به وبايعناه ، فلم يجتمعا على واحد ، وتفرّقا ، فكلاهما لم يوفّقْه الله لخير ولم يسدّده ، فقال : مَنْ أنت ؟ فأخبرته ؛ فقلت له : من أنت ؟ فقال : عَدَسْ — لبَغْلته يزجرها[1] — فقلت له : ما أنصفتَنى ، هذا أوّل غَدْرِك !

قال : ودعا ابن الأشتر بفرس له فركبه ، ثمّ مرّ بأصحاب الرّايات كلّها ، فكلّما مرّ على راية وقف عليها ، ثم قال : يا أنصار الدّين ، وشيعةَ الحق ، وشرْطة الله ، هذا عُبيد الله بن مَرْجانَة قاتل الحسين بن علىّ ، ابن فاطمة بنت رسول الله ، حالَ بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يَشربوا منه ، وهم ينظرون إليه ، ومَنَعه أن يأتىَ ابن عمّه فيصالحَه ، ومَنَعه أن ينصرف إلى رَحْله وأهله ، ومنعه الذّهابَ فى ٢/٧١١ الأرض العريضة حتّى قتله وقَتَل أهلَ بيته ؛ فوالله ما عَمِل فرعون بنُجباء بنى إسرائيل ما عَمِل ابن مَرْجانة بأهلِ بيتِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا . قد جاءكم الله به ، وجاءه بكم ، فوالله إنى[2] لأرجو ألّا يكون الله جمع بينكم فى هذا الموطن وبينه إلّا ليشفىَ صدوركم بسفك دمه على أيديكم ، فقد علم الله أنّكم خرجتم غَضَبًا لأهل بيت نبيّكم . فسار فيما بين الميمنة والميسرة ، وسار فى الناس كلّهم فرغّبهم فى الجهاد ، وحرّضهم على القتال ، ثمّ رجع حتّى نزل تحت رايته ، وزحف القوم إليه ، وقد جعل ابنُ زياد على

---

(١) ا : « ليزجرها » . (٢) س : « والله إنى » .

ميمنته الحُصَين بن نمير السَّكُونىّ ، وعلى ميسرته عُمَير بن الحُباب السُّلَمىّ ، وشُرَحبيل بن ذى الكَلاَع على الخيل وهو يمشى فى الرجال ، فلمّا تدانَى الصفّان حمل الحُصَين بن نُمير فى ميمنة أهل الشأم على ميسرة أهل الكوفة ، وعليها علىّ بن مالك الجُشَمىّ ؛ فثبت له هو بنفسه فقتِل ، ثمّ أخذ رايته قُرّةُ بن علىّ ، فقُتِلَ أيضًا فى رجال من أهل الحفاظ قتِلُوا وانهزمت الميسرة ، فأخذ رايَة علىّ بن مالك الجُشَمىّ عبدُ الله بن ورقاء بن جُنادة السَّلولىّ ابن أخى حُبْشى بن جُنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فاستقبل أهل الميسرة حين انهزموا ، فقال : إلىّ يا شُرطة الله ؛ فأقبلَ إليه جُلُّهم ، فقال : هذا أميركم يقاتل ، سيرُوا بنا إليه ، فأقبل حتّى أتاه وإذا هو كاشفٌ عن رأسه يُنادى : يا شُرطة الله ، إلىّ أنا ابن الأشتر ! إنّ خيرَ فُرّاركم كُرّارُكم ، ليس مُسيئًا من أعتَبَ . فثابَ إليه أصحابه ، وأرسل إلى صاحب الميمنة : احمل على ميسرتهم — وهو يرجُو حينئذ أن ينهزم لهم عُمَير ابن الحُباب كما زعم ، فحمل عليهم صاحبُ الميمنة ، وهو سُفْيان بن يزيد ابن المغفَّل ، فثبت له عُمَير بن الحباب وقاتَلَه قتالا شديدًا ، فلمّا رأى إبراهيم ذلك قال لأصحابه : أمُّوا هذا السواد الأعظم ، فوالله لو قد فَضَضْناه لانجفل مَن ترون منهم يمنةً ويَسْرة انجفالَ طير ذعرتها فطارت . ٧١٢/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى إبراهيمُ بنُ عبد الرحمن الأنصارىّ ، عن ورقاءَ ابن عازب ، قال : مشَيْنا إليهم حتّى إذا دَنَوْنا منهم اطّعَنّا بالرماح قليلا ، ثم صرنا إلى السيوف والعَمَد ، فاضطربنا بها مليًّا من النهار ، فوالله ما شبّهْتُ ما سمعتُ بيننا وبينهم من وقْع الحديد على الحديد إلا مَيَاجِنَ قَصّارِى[1] دار الوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيط . قال : فكان ذلك كذلك ، ثمّ إنّ الله هزَمَهم ، ومَنَحَنا أكتافَهمْ .

قال أبو مخنف : وحدّثنى الحارث بن حَصِيرة ، عن أبى صادق أنّ إبراهيم بن الأشتر كان يقول لصاحب رايته : انغمس برايتك فيهم ، فيقول له : إنّه — جُعلت فِداك — ليس لى مُتقَدَّم ، فيقول : بلى ، فإنّ أصحابك

(١) المياجن : جمع ميجنة ، وهى مدقة القصار .

يقاتلون ؛ وإنّ هؤلاء لا يَهرُبون إن شاء الله ؛ فإذا تقدّم صاحبُ رايته برايته شدّ إبراهيمُ بسيفه فلا يضرب به رجلا إلّا صرعه. وكرَد[1] إبراهيم الرجال من بين يديه كأنّهم الحُمْلان ، وإذا حمل برايته شدّ أصحابُه شدّةَ رجل واحد. ٧١٣/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى المشرقىّ أنّه كان مع عبيد الله بن زياد يومئذ حديدةٌ لا تُليق شيئًا مرّت به ، وأنه لمّا هُزِم أصحابه حمل[2] عُيَيْنَةُ ابن أسماء أختَه هند بنت أسماءَ — وكانت امرأة عُبيدِ الله بن زياد — فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول :

إنْ تَصْرِمى حِبَالَنَا فَرُبمَا أَرْدَيْتُ فى الهَيْجَا الكَمِىَّ المُعلِما

قال أبو مخنف : وحدّثنى فُضَيل بن خَدِيج أنّ إبراهيم لمّا شدّ على ابن زياد وأصحابه انهزموا بعد قتال شديد وقتلَى كثيرة بين الفَريقين ، وأنّ عُمير بن الحُباب لمّا رأى أصحابَ إبراهيم قد هَزموا أصحابَ عبيد الله بعث إليه : أجيئك الآن ؟ فقال : لا تأتينّى حتّى تسكن فورةُ شُرطة الله ، فإنى أخاف عليك عادِيتَهم .

وقال ابن الأشتر : قتلت رجلا وجدتُ منه رائحة المسك ، شرّقتْ يداه وغرّبت رجلاه ، تحتَ راية منفردة ، على شاطئْ نهر خازَرَ . فالتمسوه فإذا هو عُبيد الله بن زياد قتيلا ، ضربه فقدّهُ بنصفين ، فذهبت رجلاه فى المشرق ، ويداه فى المغرب . وحمل شريك بن جدير التّغلبىّ على الحصين بن نُميَر السّكونىّ وهو يَحسبه عُبيد الله بن زياد ، فاعتنق كلّ واحد منهما صاحبه ، ونادى التغلبىّ : اقتلونى وابن الزانية ؛ فقتِل ابن نُميَر . ٧١٤/٢

وحدّثنى عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله بن المبارك ، قال : حدّثنى الحسن بن كثير ، قال : كان شريكُ بنُ جدير التغلبىّ مع علىّ عليه السلام ، أُصيبتْ عينه معه ، فلمّا انقضت حربُ علىّ لحق ببيت المقدس ، فكان به ، فلمّا جاءه

---

(١) الكرد : الطرد . (٢) ا : « جعل » .

قتلُ الحسين ، قال : أعاهِدُ الله إن قدرت على كذا وكذا — يَطلُب بدم الحسين — لأقتلنّ ابنَ مرجانة أو لأموتنّ دونَه . فلمّا بلغه أنّ المختار خرج يَطلُب بدم الحسين أقبل إليه . قال : فكان وجّهه مع إبراهيم بن الأشتر ، وجُعِل على خيل ربيعة ، فقال لأصحابه : إنّي عاهدتُ الله على كذا وكذا ، فبايعه ثلثمائة على الموت ، فلمّا التقَوا حمَل فجعل يَهتِكها صفًّا صفًّا مع أصحابه حتّى وصلوا إليه ، وثار الرَّهَج فلا يُسمَع إلا وقع الحديد والسيوف ، فانفرجت عن الناس وهما قتيلان ليس بينهما أحد ؛ التَّغلَبيّ وعبيدُ الله ابن زياد ؛ قال : وهو الّذي يقول :

كلُّ عيش قد أراهُ قَذِرًا[1] غيرَ رَكز الرمحِ فى ظلّ الفَرَسْ[2]

قال هشام : قال أبو مخنف : حدّثنى فُضَيل بن خديج ، قال : قتِل[3] شرحبيل بن ذي الكَلاع ، فادّعى قتلَه ثلاثة : سفْيان بن يزيد بن المغفّل الأزْديّ ، وورقاء بن عازب الأسَديّ ، وعُبيد الله بن زُهَير السُّلَميُّ . قال : ولمّا هُزم أصحاب عبيد الله تبعهم أصحابُ إبراهيمَ بن الأشتر ، فكانَ مَنْ غرق أكثر ممّن قتل ، وأصابوا عسكرهم فيه من كلِّ شىء ، وبلغ المختار وهو يقول لأصحابه : يأتيكم الفتح أحدَ اليومين إنْ شاء الله من قِبَل إبراهيم ابن الأشتر وأصحابه ، قد هزموا أصحابَ عُبيد الله بن مَرْجانة . قال : فخرج المختار من الكوفة ، واستخلف عليها السائبَ بنَ مالك الأشعريّ ، وخرج بالناس ، ونزل ساباطَ . ٧١٥/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى المشرقيّ ، عن الشعبيّ ، قال : كنت أنا وأبى ممّن خرج معه ، قال : فلمّا جُزْنا ساباطَ قال للنّاس : أبشروا فإنّ شُرْطة الله قد حسُّوهم بالسيوف يومًا إلى اللّيل بنَصيبينَ أو قريبًا من نصيبين ودُوَينَ منازلهم ، إلاّ أنّ جلّهم محصور بنصيبين . قال : ودخلْنا المدائن ، واجتمعْنا إليه ، فصعِد المنبَر ، فوالله إنّه ليخطبنا ويأمرنا بالجدّ وحسْن

---

(١) ف : « باطلا » . (٢) ف : « غير ركن الرمح » .
(٣) س : « فقتل » .

الرأى والاجتهاد والثبات على الطاعة ، والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام، إذ جاءتْه البشرى تَتْرَى يَتْبع بعضُها بعضاً بِقَتْل عبيد الله بن زياد وهزيمة أصحابه ، وأخذ عسكره ، وقتل أشراف أهل الشأم ، فقال المختار : يا شُرطة الله ، ألم أبشِّركم بهذا قبل أن يكون ! قالوا : بلى والله لقد قلت ذلك ؛ قال : فيقول لى رجل من بعض جيراننا من الهَمْدانيِّين : أتؤمن الآن يا شعبىّ ؟ قال : قلت بأىّ شىء أومن ؟ أومن بأنّ المختار يعلَم الغيب ! لا أومن بذلك أبدًا . قال : أوَ لم يقل لنا : إنّهم قد هُزِموا ! فقلتُ له : إنّما زعم لنا أنّهم هُزِموا بنصيبينَ من أرض الجزيرة ، وإنّما هو بخازَرَ من أرض الموصل ، فقال : والله لا تؤمن يا شعبىّ حتّى ترى العذاب الأليم ؛ فقلت له : مَن هذا الهَمْدانىّ الّذى يقول لك هذا ؟ فقال : رجل لعمرى كان شجاعًا — قتِل مع المختار بعد ذلك يوم حَرُوراءَ — يقال له : سَلْمان بن حمير من الثوريِّين من هَمْدان ؛ قال : وانصرف المختار إلى الكوفة ، ومضى ابن الأشتر من عسكره إلى الموصل ، وبعث عمّالَه عليها ، فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله على نصيبين ، وغلب على سِنْجار ودَارًا ، وما والاها من أرض الجزيرة ، وخرج أهلُ الكوفة الّذين كان المختار قاتلَهم فهزمهم ، فلحقوا بِمُصعَب بن الزبير بالبصرة . وكان فيمن قدم على مصعب شَبَث بن رِبْعىّ ، فقال سُراقةُ ابن مِرْداس البارقىّ يمدح إبراهيمَ بن الأشتر وأصحابَه فى قتل عُبيد الله ابن زياد : ٧١٦/٢

أَتَاكُمْ غُلامٌ من عَرَانِينِ مَذْحِجٍ ... جرىٌّ على الأَعداءِ غَيرُ نكُولِ[1]

فَيَا بْن زِيَادٍ بُوْ بأَعْظم مَالكٍ ... وذُقْ حَدّ ماضى الشَّفْرَتَيْن صَقِيلِ

ضَرَبْناك بالعَضْب الحُسَام بحِدَّةٍ ... إذَا ما أَبأْنَا قاتِلا بِقَتِيل

جزى الله خيْرًا شُرْطَةَ الله إنّهُمْ ... شَفَوْا مِنْ عُبَيْد الله أَمْسِ غَلِيلى[2]

* * *

---

(١) ديوانه ٨١ . (٢) بعده فى رواية الديوان :

وأَجْدِرْ بِهِنْد أَن تُساقَ سبيئةً ... لها من بنى إِسْحاق شَرٌّ حَليل

[ذكر الخبر عن عزل القباع عن البصرة]

وفي هذه السنة عزل عبدُ الله بنُ الزبير القُباعَ عن البصرة ، وبعث عليها أخاه مصعبَ بن الزبير ؛ فحدّثني عمرُ بنُ شَبَّة ، قال : حدّثني عليّ ابن محمّد ، قال : حدّثنا الشَّعبيّ ، قال : حدّثني وافد بن أبي ياسر ، قال : كان عمرو بن سرح مولَى الزبير يأتينا فيحدّثنا ، قال : كنتُ والله في الرّهط الّذين قدِموا مع المصعب بن الزّبير من مكّة إلى البَصْرة ؛ قال : فقدم متلثِّماً حتّى أناخ على باب المسجد ، ثمّ دخل فصَعِد المنبر ، فقال الناسُ : أمير أمير . قال : وجاء الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة — وهو أميرها قبله — فسفَر المصعب فعرفوه ، وقالوا : مصعب بن الزبير ! فقال : للحارث : اظهرَ اظهرْ ، فصعِد حتّى جلس تحته من المنبر درجة ؛ قال : ثمّ قام المصعب فحَمِد الله وأثنَى عليه . قال : فوالله ما أكثر الكلام ، ثم قال : بِسمِ الله الرحمن الرحيم : ﴿طسٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى﴾ إلى قوله : ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ — وأشار بيده نحو الشام — ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ — وأشار بيده نحو الحجاز — ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾(١) — وأشار بيده نحو الشأم . ٧١٧/٢

حدثني عمر بن شَبّة ، قال : حدّثني عليّ بن محمد ، عن عوانة ، قال : لما قدم مصعب البَصرة خَطَبَهم فقال : يا أهل البصرة ، بلغني أنّكم تلقِّبون أمراءكم ، وقد سمّيْتُ نفسي الجزّار .

* * *

[ذكر خبر قتل مصعب المختارَ بن أبي عبيد]

وفي هذه السنة سارَ مصعبُ بنُ الزبير إلى المختارَ فقتَله .

٧١٨/٢

* ذكر الخبر عن سبب مسير مصعب إليه والخبر عن مقتل المختار :

(١) سورة القصص : ١ — ٦ .

قال هشام بن محمّد ، عن أبي مخنف ، حدّثني حبيب بن بديل ، قال : لمّا قدم شَبَث على مُصعب بن الزّبير البصرة وتحته بَغْلة له قد قطع ذَنَبها ، وقَطع طرف أذُنها وشقّ قَباءه ، وهو ينادى : ياغوثاه ياغوثاه ! فأتِىَ مصعب ، فقيل له : إنّ بالباب رجلا ينادى : يا غَوْثاه يا غَوْثاه! مشقوق القَباء ، مِنْ صفته كذا وكذا ، فقال لهم : نعم ، هذا شَبَث بن رِبْعىّ لم يكن ليفعَل هذا غيره ، فأدخِلوه ، فأدخل عليه ، وجاءه أشراف الناس من أهل الكوفة فدخلوا عليه ، فأخبروه بما اجتمعوا له ، وبما أصيبوا به ووثوب عبيدهم ومواليهم عليهم ، وشكَوْا إليه ، وسألوه النَّصْر لهم ، والمسيرَ إلى المختار معهم . وقَدِم عليهم محمّد بن الأشعث بن قيس — ولم يكن شَهِد وقعةَ الكوفة ، كان فى قَصْر له ممّا يلى القادسيّة بطِيزَنَابَاذَ — فلمّا بلغه هزيمةُ الناس تهيّأ للشخوص ، وسأل عنه المختار ، فأخبر بمكانه ، فسرّح إليه عبد الله بن قراد الخثعمىّ فى مائة ، فلمّا ساروا إليه ، وبلغه أن قد دنَوا منه ، خرج فى البرّيّة نحو المصعب حتّى لحق به ، فلمّا قدم على المصعب استحشّه بالخروج ، وأدناه مصعب وأكرَمه لشرَفه . قال : وبعث المختار إلى دار محمّد بن الأشعث فهَدَمها .

٧١٩/٢ قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو يوسف بن يزيد أنّ المصعب لما أراد المسيرَ إلى الكوفة حين أكثرَ الناسُ عليه ، قال لمحمد بن الأشعث : إنى لا أسير حتّى يأتينى المهلب بن أبى صُفْرة . فكتب المصعب إلى المهلب — وهو عاملُه على فارس : أن أقبِلْ إلينا لتشهدَ أمْرنا ، فإنا نريد المسيرَ إلى الكوفة . فأبطأ عليه المهلّب وأصحابه ، واعتلّ بشىء من الخراج ، لكراهة الخروج ، فأمر مصعب محمد بن الأشعث فى بعض ما يستحثه أن يأتىَ المهلب فيقبِلَ به ، وأعلَمَه أنه لا يشخص دون أن يأتى المهلب ؛ فذهب محمد بن الأشعث بكتاب المصعب إلى المهلب ، فلما قرأه قال له : مثلك يا محمد يأتى[1] بَريداً! أما وَجَدَ المصعبُ بريداً غيرَك ! قال محمد : إنى والله ما أنا ببريد أحد ، غير أنّ نساءنا وأبناءنا وحرَمَنا غلَبَنا عليهم عبدانُنا وموالينا . فخرج المهلب ،

(١) ف : « تأتى » .

وأقبل بجموع كثيرة وأموال عظيمة معه فى جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل البصرة . ولمّا دخل المهلّب البصرة أتى باب المصعب ليدخل عليه وقد أذن للناس ، فحجبه الحاجب وهو لا يعرفه ، فرفع المهلّب يده فكسر أنفه ، فدخل إلى المُصعب وأنفُه يسيل دمًا ، فقال له : ما لك ؟ فقال : ضربني رجل ما أعرفه ، ودخل المهلب فلما رآه الحاجب قال : هو ذا ، قال له المصعب : عُدْ إلى مكانك ، وأمر المصعب الناسَ بالمعسكر عند الجسر الأكبر ، ودعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له : ائتِ الكوفةَ فأخرج إلىّ جميعَ من قدرتَ عليه أن تُخرِجه ، وادعهم إلى بيعتى سرًّا ، وخذّل أصحاب المختار ، فانسلّ من عنده حتى جلس فى بيته مستترًا[١] لا يظهر ، ٧٢٠/٢

وخرج المصعب فقدّم أمامه عبّاد بن الحصين الحبَطىّ من بنى تميم على مقدّمته ، وبعث عمر بن عُبيد الله بن معمر على ميمنته ، وبعث المهلب بن أبى صفرة على ميسرته ، وجعل مالك بن مِسمع على خمس بكر بن وائل ، ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس ، والأحنف بن قيس على خمس تميم وزياد بن عمرو الأزدىّ على خمس الأزْد ، وقيس بن الهيثم على خمس أهل العالية ؛ وبلغ ذلك المختار ، فقام فى أصحابه فحمد اللهَ وأثنَى عليه ثم قال :

يا أهل الكوفة ، يا أهلَ الدّين ، وأعوانَ الحقّ ، وأنصارَ الضّعيف ، وشيعةَ الرّسول ، وآل الرسول ، إنّ فُرّاركم الذين بغَوا عليكم أتوا أشباههم من الفاسقين فاستغوُوهم عليكم ليمصَح[٢] الحق ، وينتعش الباطل ، ويقتل أولياء الله ، والله لو تهلكون ما عُبِد الله فى الأرض إلّا بالفرْى على الله واللعن لأهل بيت نبيّه . انتدبوا مع أحمر بن شُميط فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء الله قتلَ عاد وإرَمٍ .

فخرج أحمرُ بن شُميط ، فعسكر بحمّام أعين ، ودعا المختار رءوسَ الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر ، فبعثهم مع أحمر بن شُميط ، كما كانوا مع ابن الأشترِ ، فإنهم إنما فارقوا ابنَ الأشتر ؛ لأنهم رأوه كالمتهاون بأمر المختار ، فانصرفوا عنه ، وبعثهم المختار مع ابن شُميط ، وبعث معه جيشًا كثيفًا ، ٧٢١/٢

---

(١) ا : « مستسرًّا » . (٢) يمصح الحق ، أى ليذهب .

فخرج ابن شميط ، فبعث على مقدّمته ابن كامل الشاكرىّ ، وسار أحمر بن شميط حتى ورد المَذار ، وجاء المصعب حتى عسكر منه قريبًا .

ثمّ إنّ كلّ واحد منهما عبّى جنده ، ثمّ تزاحفا ، فجعل أحمر بن شُمَيط على ميمنته عبدَ الله بن كامل الشاكرىّ ، وعلى ميسرته عبدَ الله ابن وهب بن نَضْلة الجشمىّ ، وعلى الخيل رزين عبد السلولىّ ، وعلى الرجّالة كثير بن إسماعيل الكِنْدىّ — وكان يوم خازَرَ مع ابن الأشتر — وجعل كيسان أبا عَمرة — وكان مولًى لعُرَينة — على الموالى ، فجاء عبدُ الله بنُ وهب بن أنس الجُشَمىّ إلى ابن شُمَيط وقد جعله على ميسرته ، فقال له : إنّ الموالىَ والعبيد آلُ خَوَر عند المصدوقة ، وإنّ معهم رجالا كثيرًا على الخيل ، وأنت تمشى ، فمُرْهم فلينزلوا معك ، فإنّ لهم بك أسوةً ، فإنى أتخوّف إن طُورِدوا ساعةً ، وطُوعِنوا وضُوربوا أن يطيروا على متونها ويُسلموك ، وإنك إن أرجلتهم لم يجدُوا من الصبر بُدًّا ، وإنما كان هذا منه غِشًّا للموالى والعبيد ، لما كانوا لقوا منهم بالكوفة ، فأحبّ إن كانت عليهم الدَّبْرة أن يكونوا رجالا لا ينجو منهم أحد ، ولم يتهمه ابنُ شميط ، وظنّ أنه إنما أراد بذلك نُصحَه ليصبروا ويُقاتلوا ، فقال : يا معشر الموالى ، انزلوا معى فقاتلوا ، فنزلوا معه ، ثم مَشَوْا بين يديه وبين يدَىْ رايته ، وجاء مصعب بن الزبير وقد جعل عبّاد ابن الحصين على الخيل ، فجاء عبّاد حتى دنا من ابن شميط وأصحابه فقال : إنّا[1] ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى بيعة أمير المؤمنين عبد الله ابن الزبير ؛ وقال الآخرون : إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى بيعة الأمير المختار ، وإلى أن نجعل هذا الأمرَ شُورَى فى آل الرسول[2] ، فمن زعم من الناس أنّ أحدًا ينبغى له أن يتولّى عليهم برئنا منه وجاهدناه . فانصرف عبّاد إلى المُصعب فأخبره ، فقال له : ارجع فاحمل عليهم ، فرجع فحملَ على ابن شميط وأصحابه فلم يزُل منهم أحدٌ ، ثمّ انصرف إلى موقفه وحمل المهلّب على ابن كامل ، فجال أصحابه بعضُهم فى بعض ، فنزل ابنُ كامل ، ثمّ انصرف عنه المهلّب ، فقام مكانَه ، فوقفوا ساعةً

٢ / ٧٢٢

(١) ف : « إنما » . (٢) ف : « رسول الله » .

ثم قال المهلب لأصحابه : كرُّوا كَرّةً صادقة ، فإنّ القومَ قد أطمَعوكم ، وذلك بجَوْلتهم التى جالوا ، فحمل عليهمْ حَمْلةً منكَرةً فولَّوا ، وصبر ابن ُكامل فى رجال مِن هَمْدانَ ، فأخذ المهلَّب يَسْمَع شعارَ القوم : أنا الغلامُ الشاكرِىّ ، أنا الغلام الشِّبامى ، أنا الغلام الثَّورِىّ ، فما كان إلّا ساعةً حتَّى هُزِموا ، وحمل عمرُ بنُ عبيدِ الله بنِ معمر على عبدِ الله ابن أنس ، فقاتل ساعةً ثمّ انصرف ، وحملَ الناسُ جميعًا على ابن شُميط ، فقاتل حتَّى قُتِل ، وتنادوا : يا مَعشَر بَجيلة وخَثْعَم ، الصَّبرَ الصبرَ ! فناداهم المهلَّب : الفِرارَ الفِرارَ ! اليوم أنجى لكم ، عَلامَ تَقتُلون أنفسَكم مع هذه العِبْدان ، أضَلّ اللهُ سَعْيَكم . ثمّ نظر إلى أصحابه فقال : والله ٢/٧٢٣ ما أرَى استِحرارَ القَتْل اليومَ إلّا فى قومى . ومالَت الخيلُ على رَجّالة ابنِ شُميط ، فافترقتْ فانهزمتْ وأخذت الصَّحْراء ، فبَعث المصعبُ عبَّاد بن الحُصَين على الخيل ، فقال : أيّما أسيرٍ أخذتَه فاضرب عُنُقَه . وسرّحَ محمَّد بنَ الأشعث فى خيل عظيمة من خيل أهلِ الكوفة مِمَّن كان المختار طرَدهُم ، فقال : دُونَكم ثَأْركم ! فكانوا حيث انهزموا أشدّ عليهمْ مِن أهل البَصْرة ، لا يُدركون منهزمًا إلّا قتَلوه ، ولا يأخذون أسيراً فيَعفُون عنه . قال : فلم ينْج من ذلك الجيش إلّا طائفةٌ من أصحاب الخيل ؛ وأما رَجّالتُهم فأبيدوا إلا قليلا .

قال أبو مخنف : حدّثنى ابنُ عيّاش المنتُوف ، عن معاوية بن قُرّة المزَنىّ ، قال : انتهيتُ إلى رجل منهم ، فأدخلتُ سنان الرمح فى عينه ، فأخذتُ أخضخِض[1] عينَه بسنان رُمْحى ، فقلتُ له : وفعلتَ به هذا ؟ قال : نعم ، إنَّهم كانوا أحَلّ عندَنا دِماءً من التركْ والدَّيلم ؛ وكان معاويةُ بنُ قرّة قاضيًا لأهلِ البصْرة ، ففى ذلك يقول الأعشَى[2] :

أَلاهلَ آتَاكَ والأَنباءُ تُنْمَى ... بما لاقتْ بَجيلةُ بالمَذَارِ
أُتِيحَ لهم بها ضَرْبٌ طِلَحْفٌ ... وطعْنٌ صائبٌ وَجهَ النهارِ
كأَنَّ سَحَابةً صَعَقَتْ عليهمْ ... فَعَمَّتهُمْ هُنالِكَ بالدَّمَار

(١) ا : « أحصحص » . (٢) هو أعشى همدان ، واسمه عبد الرحمن بن عبد الله .

فَبشِّرْ شِيعَةَ المختــارِ إما مَرَرْتَ على الكُويفةِ بالصَّغَارِ
أَقَرَّ العينَ صَرْعاهمْ وفَلٌّ لهمْ جَمٌّ يُقتَّل بالصَّحَارِى
وما إنْ سَرَّنى إهلاكُ قومِى وإن كانوا وجَدِّكَ فى خيارِ
٧٢٤/٢ ولكنِّى سُررْتُ بما يُلَاقِى أَبو إسحاقَ مِنْ خِزى وعارِ

وأقبل المصعبُ حتّى قطع من تلقاءِ واسطَ القَصَب ، ولم تكُ واسط هذه بُنِيتْ حينئذ بعد ، فأخذ فى كَسْكَر ، ثمّ حَمَل الرجالَ وأثقالَهم وضُعفاءَ الناسِ فى السفن ، فأخذوا فى نَهر يقال له : نهر خُرْشاذ ، ثمّ خرجوا من ذلك النَّهر إلى نهر يقال له قُوسان ؛ ثمّ أخرَجهم من ذلك النَّهرِ إلى الفُرات .

قال أبو مِخْنَف : وحدّثنى فُضَيل بنُ خَدِيج الكندىّ ، أنّ أهلَ البصرة كانوا يَخرُجون فيَجُرّون سفنهم ويقولون :

عَوَّدَنَا المصعبُ جَرَّ القَلْسِ والزَّنْبَرِيَّاتِ الطِّوَالِ القُعسِ

قال : فلمّا بلغ مَن مع المختارِ من تلك الأعاجم ما لَقِىَ إخوانُهم مع ابن شُمَيط قالوا بالفارسيّة : «اِينْ بَارْ دُرُوغ كُفْت» ؛ يقولون : هذه المرّة كذب .

قال أبو مِخْنَف : وحدّثنى هشامُ بنُ عبدِ الرّحمن الثقفىّ ، عن عبدِ الرّحمن بن أبى عُمَير الثّقفىّ ، قال : واللهِ إنى لجالسٌ عند المختار حين أتاه هزيمةُ القومِ وما لَقوا ، قال : فأصغَى إلىّ ، فقال : قتِلتْ واللهِ العبيدَ قتلةً ما سمعتُ بمِثلها قطّ . ثمّ قال : وقُتِلَ ابنُ شُمَيط وابنُ كامل وفلانٌ وفلانٌ ، فسمّى رجالا من العرب أصيبوا ، كان الرّجل منهم فى الحرب خيرًا مِن فِئام(١) مِن الناس . قال : فقلتُ له : فهذه واللهِ مصيبةٌ ، فقال لى : ما مِنَ الموتِ بُدّ ، وما من مِيتة أموتها أحبّ إلىّ مِن مثل مِيتةِ ابن

(١) الفئام : الجماعة من الناس .

شُمَيط ، حبَّذا مَصارعُ الكرام ! قال : فعلمتُ أنّ الرجل قد حدّث ٧٢٥/٢
نفسَه إن لم يُصِبْ حاجتَه أن يُقاتِل حتّى يموتَ .

ولما بلغ المختارَ أنّهم قد أقبَلوا إليه فى البَحْر ، وعلى الظهْر ، سار حتّى نَزَل بهم السَّيْلَحين ، ونظر إلى مُجْتَمَع الأنهار نهرِ الحِيرةَ ونهرِ السَّيلحين ونهرِ القادسيَّة ، ونهر يوسُف(١) ، فسكَرَ(٢) الفُرات على مُجتمع الأنهار ، فذهب ماءُ الفرات كلّه فى هذه الأنهار ، وبقيت سفنُ أهلِ البصرة فى الطّين ، فلمّا رأوْا ذلك خرجوا من السفن يَمْشونَ ، وأقبلتْ خيلُهم تَركض حتّى أتَوْا ذلك السِّكْر ، فكَسَروهُ وصَمَدوا صمد الكُوفة ، فلمّا رأى ذلك المختارُ أقبَل إليهم حتّى نزل حَرُوراءَ ، وحالَ بينهم وبين الكوفة ، وقد كان حصّن قصرَه والمسجد ، وأدخلَ فى قصرِه عُدّةَ الحِصار ، وجاء المصعبُ يسير إليه وهو بحَرُوراءَ وقد استعمل على الكُوفة عبدَ الله ابنَ شَدّاد ، وخرج إليه المختارُ وقد جعل على مَيْمنته سُليم بن يزيد الكِنْديّ ، وجعل على مَيْسرتِه سعيدَ بن مُنْقذ الهَمْدانىّ ثمّ الثَّوريّ ، وكان على شُرطته يومئذ عبد الله بنُ قُراد الخَثْعَميّ ، وبَعَث على الخيل عمرَ بنَ عبد الله النَّهْديّ ، وعلى الرّجال مالكَ بنَ عمرو(٣) النَّهْديّ(٤) ، وجعل مُصعبٌ على ميمنتِه المهلَّبَ بنَ أبى صُفْرة ، وعلى ميسرته عمرَ بنَ عُبَيد الله بن مَعْمَر التَّيْميّ ، وعلى الخيل عَبّاد بن الحُصَين الحَبَطيّ ، وعلى الرّجال مقاتِل بن مِسمَع البَكْريّ ، ونزل هو يَمْشِي مُتنكِّبًا قَوْساً له .

قال : وجعل على أهلِ الكُوفة محمّد بنَ الأشعث ، فجاء محمّد حتّى ٧٢٦/٢
نَزَل بين المصعب والمختار مغرّبًا مُيامنا . قال : فلمّا رأى ذلك المختارُ بعث إلى كلّ خُمس من أخماس أهلِ البَصْرة رجلا من أصحابه ، فبعث إلى بكرِ ابن وائل سعيدَ بن مُنقذ صاحبَ مَيسرته ، وعليهمْ مالِك بنُ مِسمَع البَكْريّ ، وبعث إلى عبد القَيْس وعليهم مالكُ بنُ المنذر عبدَ الرحمن بنَ

---

(١) ط : « برسف » ، وصوابه من ا .

(٢) سكر النهر : أى سد فاه .

(٣) ف وابن الأثير : « مالك بن عبد الله » .

(٤) س : « البرزى » .

شُرَيح الشِّبامىّ ، وكان على بيتِ ماله ، وبعث إلى أهل العالِيَة وعليهم قيسُ ابنُ الهَيْثم السُّلَمىّ عبدَ الله بنَ جَعْدة القرشىّ ، ثم المخزومىّ ، وبعث إلى الأزْد وعليهم زيادُ بنُ عمرو العَتَكىّ مسافرَ بن سَعيد بن نِمْران الناعطىّ ، وبعث إلى بنى تميم وعليهم الأحنَف بنُ قيس سُلَيمَ بن يزيد الكِنْدىّ ، وكان صاحب مَيْمنته ، وبعث إلى محمَّد بنِ الأشعث السائبَ بنَ مالك الأشعرىّ ، ووقف فى بقيَّة أصحابه ، وتَزاحف الناسُ ودَنَا بعضُهم من بعض ، ويَحمِل سعيدُ بن منقذ وعبدُ الرّحمن بن شُرَيح على بكرِ بن وائل ، وعبد القيس ، وهم فى الميسرَة وعليهم عمرُ بنُ عُبيدِ الله بنِ مَعْمَر ؛ فقاتلتهم ربيعةُ قتالاً شديداً ، وصبروا لهم ، وأخذ سعيدُ بنُ مُنقذ وعبدُ الرحمن بنُ شُرَيح لا يُقلعان ، إذا حمل واحدٌ فانصرف حمل الآخَر ، وربَّما حَمَلا جميعًا ؛ قال : فَبَعث المصعَب إلى المهلَّب : ما تنتظر أن تَحمِل على مَنْ بإزائك! ألا ترى ما يَلقَى هذان الخُمْسان منذ اليوم! احمِلْ بأصحابك ، فقال : إى لعَمْرِى ما كنتُ لأجْزُر الأزْد وتميمًا خَشْية أهلِ الكوفة حتّى أرى فُرْصتى . قال : وبعث المختارُ إلى عبدِ الله بنِ جَعْدَة أن احمِلْ على مَنْ بإزائك ، فَحَمل على أهل العالية فكَشفهم حتّى انتَهوْا إلى المُصْعَب ، فَجثَا المُصْعب على رُكْبَتيه — ولم يكن فرّارًا — فرَمَى بأسهمه. ونزل الناسُ عنده فقاتَلُوا ساعَةً ، ثم تَحاجَزوا . قال : وبَعث المصعبُ إلى المهلَّب وهو فى خُمْسَين جامِّين كثيرَى العَدَد والفُرْسان : لا أبا لَكَ! مَا تنتظر أن تحمِل على القوم ! فمَكَث غيرَ بعيد ، ثمّ إنّه قال لأصحابه : قد قاتل الناسُ منذ اليوم وأنتم وقوفٌ ، وقد أحسنوا ، وقد بقِىَ ما عليكم ، احملوا واستَعِينوا بالله واصبروا ، فحمل على مَن يَليه حملةً منكَرة ، فحطموا أصحابَ المُختار حَطْمَةً منكَرة ، فكشَفوهم . وقال عبدُ الله ابنُ عَمرو النَّهدىّ — وكان من أصحاب صفّينَ : اللّهمّ إنى على ما كنتُ عليه ليلةَ الخَميس بصِفّين ، اللّهمّ إنى أبرأ إليكَ مِن فِعل هؤلاء لأصحابه حين انهزموا ، وأبرأ إليك من أنفُس هؤلاء — يَعنى أصحابَ المُصْعَب — ثم جالَد بِسَيْفه حتى قُتِل ، وأتى مالك بن عمرو أبو نِمْران النَّهْدىّ وهو

٧٢٧/٢

على الرَّجالة بفرسه فركبه ، وانقصف أصحابُ المختار انقصافةً شديدة كأنَّهم أجَمةٌ فيها حريقٌ ، فقال مالك حين ركب : ما أصنعُ بالرُّكوب ! والله لأنْ أقتَل ها هنا أحبّ إلىّ مِنْ أن أقتل فى بيتى ؛ أين أهلُ البصائر ؟ أين أهلُ الصّبر ؟ فثابَ إليه نحوٌ من خمسين رجلا ، وذلك عند المساء ، فكَرّ على أصحاب محمَّد بن الأشعَث ، فقُتل محمَّد بنُ الأشعث إلى جانبه هو وعامَّة أصحابه ، ٧٢٨/٢ فبعضُ الناس يقول : هوَ قتل محمَّد بنَ الأشعث ، ووُجد أبو نِمْرَان قتيلا إلى جانبه — وكِندةُ تزعم أنّ عبدَ الملك بن أشاءَة الكِنْدىّ هو الّذى قتَله — فلمَّا مرّ المختار فى أصحابه على محمَّد بن الأشعث قتيلا قال : يا معشَرَ الأنصار ، كُرّوا على الثّعالب الرّوّاغة ، فحملوا عليهم ، فقُتِل ؛ فخَثْعمُ تزعم أن عبدَ الله بنَ قُراد هو الّذى قتَله .

قال أبو مِخنَف : وسمعتُ عوف بنَ عمرو الجشمىّ يزعُم أن مولًى لهم قتَله ، فادّعى قتلَه أربعةَ نفر ، كلّهم يزعم أنه قتله ، وانكشَف أصحابُ سعيد بن مُنقِذ ، فقاتل فى عِصابة من قومه نحو من سبعين رجلاً فقُتِلوا ، وقاتل سليم بن يزيد الكندىّ فى تسعين رجلاً من قومه ، وغيرهم ضارَبَ حتّى قُتِل ، وقاتَلَ المختارُ على فَمِ سِكة شبَث ، ونزَل وهو يريد ألّا يبرَح ، فقاتَلَ عامّةَ ليلتِه حتّى انصرف عنه القوم ، وقُتِل[1] معه ليلتئذ رجالٌ من أصحابه مِن أهل الحِفاظ ، منهم عاصمُ بن عبد الله الأزدىّ ، وعيّاش بنُ خازم الهَمْدانى ، ثمّ الثّورىّ ، وأحمر بنُ هديج الهَمْدانىّ ثمّ الفايشىّ .

قال أبو مِخنَف : حدّثنا أبو الزّبير أنّ هَمْدانَ تنادَوا ليلتئذ : يا معشرَ هَمْدان ، سيفُوهم فقاتِلوهُم أشدَّ القِتال ؛ فلمَّا أن تفرّقوا عن المختار قال له أصحابهُ : أيها الأمير ، قد ذهب القومُ فانصرف ٧٢٩/٢ إلى منزلِك إلى القَصْر ، فقال المختار : أما والله ما نزلتُ وأنا أريدُ أن آتى القَصْر ، فأما إذ انصرَفوا فاركبوا بنا على اسمِ الله ؛ فجاء حتّى دخل القَصْر فقال الأعشى[2] فى قتل محمَّد بن الأشعث :

تأوَّبَ عَيْنَكَ عُوّارُهَا وَعَادَ لِنفسِكَ تَذْكارُهَا

---

(١) ا : «وقاتل» . (٢) هو أعشى همدان .

وإحدى لَيالِيكَ راجَعْتَها أَرِقْتَ ولوَّمَ سُمَّارُهــا

وما ذاقتِ العينُ طَعْمَ الرُّقا دِ حتَّى تبلَّجَ إسفــارُها

وقامَ نُعَاةُ أَبي قاسِمٍ فأَسبــل بالدمع تَحْدارُها

فحقٌّ العيون على ابن الأَشْـ جِّ أَلاَّ يُفَتَّرَ تقطَــارُها

وأَلَّا تزالَ تُبكِّي له وتَبتَلُّ بالدّمع أَشفــارُها

عليك محمّدُ لمّا ثَوَيْـ ـتَ تَبكِي البلادُ وأَشجارُها

وما يَذْكُرونك إلاَّ بَكَوا إذا ذِمَّةٌ خانَها جارُها

وعاريةٍ من لَيالى الشِّتا ءِ لا يتمنَّحُ أَيْسَارُها

ولا يُنبِحُ الكلب فيها العَقُو رَ إلا الهرِيرُ وتخْتَارُها

ولا ينفعُ الثوبُ فيها الفتى ولا رَبَّةَ الخِدْر تَخدَارُها

فأَنتَ مُحَمَّــدُ فى مِثْلِها مُهينُ الجزائرِ نَحَّارهــا

تَظَلّ جِفانُكَ مَوْضوعةً تَسِيلُ من الشَّحم أَصْبَارُها

وما فى سقائك مُسْتنطَفٌ إذا الشَّوْلُ رَوح أَغبارُهــا

فيا وَاهِبَ الوُصَفَاء الصِّبَا حِ إن شُبرَتْ تَمّ إشبارُها

ويا وَاهِبَ الجُرْد مِثْلَ القِدا حِ قَدْ يُعجِبُ الصّفَّ شُوَّارها

ويا واهبَ البَكَرات الهِجــا نِ عُوذًا تَجَاوَبُ أَبكارُها

وكنتَ كدِجْلَةَ إذْ تَرْتَمى فيُقذَفُ فى البحر تَيَّارُها

وكنتَ جليدًا وذا مِــرُةٍ إذا يُبتَغى منكَ إمرارُها

وكنتَ إذا بَلدةٌ أَصْفَقَتْ وآذَنَ بالحَرْب جبَّارُها

بَعثْتَ عليها ذَواكِي العُيو نِ حتَّى تَواصل أَخبارُها

بإذنِ مِن اللهِ والخيلُ قــد أُعِدَّ لذلك مِضْمارُها

وقد تُطعَمُ الخَيلُ منك الوَجِيـ ـفَ حتَّى تُنَبَّذ أَمهارُها

٢/ ٧٣٠

وقد تَعلَمُ البازلُ العَيْسَجُو رُ أَنّك بالخَبْتِ حَسّارُها
فيا أَسفَى يومَ لاقيتَهُمْ وخانتْ رجَالَك فُرّارُها
وأَقبلتِ الخيلُ مَهزُومَةً عِشَارًا تُضَرَّبُ أَدبارُها
بشطِّ حَرُوراءَ واسْتَجْمَعَتْ عليكَ المَوالى وسَحّارُها
فأَخطرْتَ نفسَك من دُونهم فحاز الرَّزِيئَةَ أَخطارُها ٧٣١/٢
فلا تبعَدَنَّ أَبا قاسِمٍ فقد يَبلغُ النفسَ مِقدارُها
وأَفنى الحوادثُ سَادَاتِنا ومَرُّ الليالى وتَكْرارُها

قال هشام : قال أبى : كان السائب أتى مع مُصعب بنِ الزّبير ، فقتله وَرْقاء النّخَعىّ مِنْ وَهْبيل ، فقال وَرْقاء :

مَن مُبلغٌ عنّى عُبَيْدًا بأَنّنى عَلوتُ أَخاه بالحُسام المهَنّد
فإنْ كنتَ تبغِى العلمَ عنه فإنّه صريعٌ لَدَى الدّيرين غيرُ مُوَسّدِ
وَعَمْدًا علوتُ الرأسَ منه بصارمٍ فأَثكلتُهُ سُفْيانَ بعدَ محمّدِ

قال هشام عن أبى مِخنَف ، قال : حدّثنى حَصِيرة بن عبد الله ، أنّ هندًا بنت المتكلّفة الناعِطيّة كان يَجتَمع إليها كلّ غالٍ من الشيعة فيتحدّث فى بَيتها وفى بيتِ لَيْلى بنت قُمامَة المزَنيّة ، وكان أخوها رِفاعة ابن قمامةَ من شِيعة علىّ ، وكان مقتصدًا ، فكانت لا تُحبّه ، فكان أبوعبدالله الجُدَلىّ ويَزيد بن شَراحِيل قد أخبرَا ابنَ الحنفيّة خبرَ هاتَين المرأتين وغلوّهما وخبر أبى الأحراس المرادىّ والبُطَيْن الليثىّ وأبى الحارث الكِنْدىّ .

قال هشام عن أبى مِخنَف ، قال : حدّثنى يحى بنُ أبى عيسى ، قال : فكان ابنَ الحنفيّة قد كتب مع يزيدَ بنِ شراحيل إلى الشيعة بالكوفة يُحذّرهم هؤلاء ، فكتب إليهم : ٧٣٢/٢

من محمّد بن علىّ إلى مَن بالكوفة مِن شِيعتِنا . أمّا بعد ، فاخرُجوا إلى المجالس والمَساجد فاذكروا الله علانيةً وسِرًّا ولاتتّخذوا مِن دُون المؤمنين

بِطانَةً ، فإنْ خَشِيتم على أنفسكم فاحذروا على دينكم الكذّابين ، وأكثِروا الصلاة والصِّيام والدّعاء ؛ فإنّه ليس أحدٌ من الخَلْق يَمْلِك لأحد ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إلاّ ما شاء الله ، وكلُّ نفس بما كَسَبَتْ رَهِينَة ، وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أخرى ، والله قائمٌ على كلِّ نفس بما كسبَتْ ؛ فاعمَلوا صالحًا ، وقدّموا لأنفسكم حَسَنًا ، ولا تكونوا من الغافلين ، والسلام عليكم.

قال أبو مِخْنَف : فحدّثني حَصيرة بنُ عبدِ الله ، أنّ عبد الله بن نَوْف خرج من بيت هند بنتِ المتكلّفة حين خرج الناسُ إلى حَرُوراءَ وهو يقول : يومُ الأربعاء ، ترفّعت السماء ، ونَزَلَ القضاء ، بهزيمة الأعداء ، فاخرجوا على اسمِ الله إلى حَروراء . فخرج ، فلمّا التقى الناس للقتال ضُرِب على وجهه ضربةً ، ورجع الناسُ منهزمين ، ولقَيه عبدُ الله بنُ شريك النَّهْديّ ، وقد سمع مقالتَه ، فقال له : ألم تزعمْ لنا يابن نَوْف أنّا سنهزمهم ! قال : أوَ ما قرأت في كتابِ الله : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ! قال : فلمّا أصبَح المصعَب أقبلَ يَسير بِمَن مَعَه من أهل البصرة ومَنْ خرج إليه من أهلِ الكوفة ، فأخذ بهم نحو السَّبَخة ، فمرّ بالمهلّب ، فقال له المهلّب : يا لَه فتحًا ما أهنأهُ لو لم يكن محمّد بنُ الأشعثِ قُتِل ! قال : صدقتَ ، فرَحِم اللهُ محمّدًا . ثمّ سار غير بعيد ، ثم قال : يا مهلّب ، قال : لبّيك أيها الأمير ؛ قال : هل علمتَ أنّ عُبيدَ الله بنَ عليّ بن أبي طالب قد قُتِل ! قال : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ، قال : المُصْعَب : أمَا إنّه كان ممّن أحبّ أن يرى هذا الفَتْح ، ثم لا نَجْعَل أنفسَنا أحقّ بشيء ممّا نحن فيه منه ، أتدرى[1] مَن قَتَله ؟ قال : لا ؛ قال : إنّما قتَله مَن يزعم أنّه لأبيه شيعة ، أما إنّهم قد قتَلوه وهم يَعرفونه. ٧٣٣/٢

قال : ثمّ مضى حتّى نزل السَّبَخة فقَطع عنهم الماء والمادّة ، وبعث عبدَ الرّحمن بنَ محمد بن الأشعث فنَزَل الكُناسة ، وبعث عبد الرحمن ابن مِخْنَف بن سليم إلى جَبّانة السَّبيع ، وقد كان قال لعبد الرحمن بن مِخْنَف : ما كنت صنعتَ فيما كنتُ وكّلتُك به ؟ قال : أصلحَك الله ! وجَدْت

---

(١) ا : « وتدرى » .

الناسَ صِنفَيْن ؛ أمَّا مَن كان له فيك هَوًى فخرج إليك ، وأمَّا مَن كان يرى رأىَ المُختار ، فلم يكن ليدَعه ، ولا ليُؤثِر أحدًا عليه ، فلم أبرح بَيْتى حتى قدمتَ ؛ قال : صدقت ؛ وبعث عبَّاد بن الحُصَين إلى جَبَّانة كِنْدة ، فكلّ هؤلاء كان يَقطَع عن المختارِ وأصحابهِ الماءَ والمادّة ، وهم فى قصر المُخْتار ، وبعث زَحْر بن قَيْس إلى جَبَّانة مُراد ، وبعث عُبيدَ الله بن الحرّ إلى جَبَّانة الصائديّين .

قال أبو مخنَف : وحدّثنى فُضَيل بن خَدِيج ، قال : لقد رأيتُ عبيدَ الله ابن الحُرّ ؛ وإنَّه ليطارد أصحابَ خَيْل المختار ، يُقاتِلهم فى جَبَّانة الصائديّين ولربما رأيتُ خيلَهُم تَطْرُدُ خيلَه ، وإنَّهُ لوراءَ خَيله يَحْميها حتّى يَنْتهى إلى دار عِكرِمة ، ثمّ يَكُرّ راجعًا هو وخيلُه ، فيَطرُدهم حتّى يُلحقَهم بجبَّانة الصائديّين ، ولربّما رأيت خيلَ عُبيد الله قد أخذتْ السقّاء والسقّاءين فيُضرَبون ، وإنّما كانوا يأتونهم بالماء أنَّهم كانوا يُعطونهم بالرّاوية الدينارَ والدينارَين لِما أصابَهم من الجَهْد . وكان المختار ربّما خرج هو وأصحابُه فقاتلوا قِتالاً ضعيفًا ، ولا نكاية لهم ، وكانت لا تَخرج له خيلٌ إلّا رُميتْ بالحِجارة من فوقِ البُيوت ، ويُصَبّ عليهم الماءُ القَذِر . واجترأ عليهم الناس ، فكانت معايِشُهم أفضلها من نسائهم ، فكانت المرأةُ تخرج من منزلِها معها الطّعام واللّطَف والماء ، قد التحفتْ عليه ، فتخرُج كأنّما تريد المسجدَ الأعظَم للصّلاة ، وكأنّها تأتى أهلها وتزورُ ذاتَ قَرابة لها ، فإذا دَنت من القَصر فُتِح لها ، فدخلتْ على زوجِها وحَميمِها بطعامِه وشرابِه ولَطَفه . وإن ذلك بلغ المصعب وأصحابَه ، فقال له المهلَّب ـ وكان مجرّبًا : اجعلْ عليهم دُرُوبًا حتّى تَمنَع من يأتيهم مِن أهليهم وأبنائهم ، وتَدَعهم فى حِصْنهم حتى يموتوا فيه . وكان القومُ إذا اشتدّ عليهم العَطَش فى قصرهم استقَوْا من ماء البئر . ثمّ أمر لهم المختارُ بعَسَل فصُبّ فيه ليُغيّرَ طعمَه فيَشربوا منه ، فكان ذلك أيضًا ممّا يُروِى أكثرهم . ثمّ إنّ مصعبًا أمر أصحابَه فاقتربوا من القَصْر ، فجاء عبَّاد بنُ الحُصَين الحَبَطىّ حتّى نزل عند مسجد جُهَيْنة ، وكان ربّما تقدّم حتّى ينتهى إلى مسجد

٧٣٤/٢

٢/٧٣٥ بنى مخزوم ، وحتّى يَرمى أصحابُه مَن أشرَف عليهم من أصحاب المختار من القَصْر ، وكان لا يَلقَى امرأةً قريبًا من القصر إلّا قال لها : مَن أنتِ ؟ ومن أين جئتِ ؟ وما تريدين ؟ فأخذَ فى يوم ثلاثَ نسوة للشّباميّين وشاكر أتيْن أزواجهنّ فى القَصْر ، فبعث بهنّ إلى مصعب ، وإنّ الطّعام لمعهنّ ، فردّهنّ مصعب ولم يَعرِض لهنّ ، وبعَث زَحْر بن قيس ، فنَزَل عند الحدّادين حيث تُكْرَى الدّوابّ ، وبعث عُبيد الله بن الحُرّ فكان موقفُه عند دارِ بلال ، وبعث محمّد بن عبدِ الرّحمن بن سعيد بن قيس فكان مَوقِفه عند دارِ أبيه ، وبعث حَوْشَب بن يزيد فوقَف عند زُقاقِ البَصْريّين عند فم سكة بنى جَذِيمة بن مالك من بنى أسَد بنِ خُزَيمة ، وجاء المهلّب يسير حتّى نزل چهار سوج خُنيس ، وجاء عبدُ الرحمن بنُ مخنَف من قبَل دار السّقاية ، وابتدر السوقَ أناسٌ من شَبابِ أهل الكُوفة وأهلِ البصرة ، أغمار ليس لهم علمٌ بالحرب ، فأخذوا يَصيحون — وليس لهم أميرٌ : يابن دَومة ، يابن دَومَة ! فأشرَف عليهم المختارُ فقال : أما والله لو أن الذى يعيّرنى بدَوْمة كان من القَريتين عظيمًا ما عيّرنى بها . وبصُر بهم وبتفرّقهم وهيئتهم وانتشارهم ، فطمِع فيهم ، فقال لطائفة من أصحابه : اخرُجوا

٢/٧٣٦ معى ، فخرج معه منهم نحوٌ من مائتىْ رجل ، فكرّ عليهم ، فشدخ نحوًا من مائة ، وهزمهم ، فركب بعضُهم بعضًا ، وأخذوا على دارِ فرات بنِ حيّانَ العِجْلى . ثمّ إنّ رجلا من بنى ضَبّة من أهل البَصْرة يقال له يحيى بن ضَمضَم ، كانت رِجلاه تكادان تَخُطّان الأرضَ إذا ركب من طُوله ، وكان أقتَل شىء للرجال وأهيبَه عندهم إذا رأوَه ، فأخذَ يَحمِل على أصحاب المختار فلا يَثبتُ له رجل صَمَد صَمدَه ، وبَصُرَ به المختار ، فحمَل عليه فضَرَبه ضربةً على جَبهتَه فأطار جَبهته وقحفَ رأسِه ، وخرّ ميتًا . ثمّ إنّ تلك الأمراء وتلك الرءوسَ أقبَلوا من كلّ جانب ، فلم تكن لأصحابه بهمْ طاقة ، فدخلوا القصر ، فكانوا فيه ، فاشتدّ عليهم الحصار فقال لهم المختار : ويحكم! إنّ الحصارَ لا يَزيدكم إلّا ضَعْفًا ، انزلوا بنا فلْنقاتل حتّى نُقتل كرامًا إن نحن قُتِلنا ، والله ما أنا بآيس إن صدقتموهم

أن يَنصركم اللهُ ، فضَعُفوا وعجِزوا ، فقال لهم المختار : أمّا أنا فوالله لا أعطِي بيَدِي ولا أحكّمهم فى نفسى . ولمّا رأى عبدُ الله بنُ جعدةَ بنُ هُبَيرة ابن أبى وَهْب ما يريد المختار تَدلّى من القصر بحبْل ، فلَحق بأناس من إخوانه ، فاختبأ عندهم . ثم إنّ المختار أزمَع بالخروج إلى القوم حين رأى من أصحابه الضعف ، ورأى ما بأصحابه من الفشل ، فأرسل إلى امرأته أمّ ثابت بنت سَمُرة بن جُندب الفَزاريّ ، فأرسلتْ إليه بطيب كثير ، فاغتسل وتحنّط ، ثمّ وضع ذلك الطيب على رأسِه ولِحيته ، ثمّ خرج فى تسعة عشرَ رجلاً ؛ فيهم السائب بنُ مالك الأشعريّ — وكان خليفتَه على الكوفة إذا خرج إلى المَدائن — وكانتْ تحتَه عَمْرةُ بنتُ أبى موسى الأشعريّ ، فولدت له غلامًا ، فسمّاه محمّدًا ، فكان مع أبيه فى القصر ، فلمّا قُتل أبوه وأخِذ مَن فى القصر وُجِد صبيًّا فتُرك ، ولمّا خرج المُختار من القصر قال للسّائب : ماذا ترى ؟ قال : الرّأىُ لك ، فماذا ترى ؟ قال : أنا أرَى أم الله يرَى ! قال : اللهُ يرَى ؛ قال : وَيْحَك ! أحمق أنت ! إنّما أنا رجل من العرَب رأيتُ ابن الزّبير انتزَى على الحِجاز ، ورأيتُ نَجْدةَ انتزَى على اليمامة ، ومروانَ على الشأم ، فلم أكن دونَ أحد من رِجال العرب ، فأخذتُ هذه البلادَ ، فكنتُ كأحدهم ؛ إلّا أنى قد طلبتُ بثأر أهل بيتِ النبيّ صلّى الله عليه وسلم إذ نامتْ عنه العرب ، فقتلتُ مَن شرك فى دِمائِهم ، وبالغتُ فى ذلك إلى يومِى هذا ، فقاتِلْ على حَسَبك إن لم تكن لك نِيّة ؛ فقال : ﴿إنَّا للهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ، وما كنت أصنع أن أقاتل على حَسَبى ! فقال المختار عند ذلك يتمثّل بقولِ غَيْلان بن سلَمة بن مُعتّب الثّقَفيّ :

٢/٧٣٧

ولو يَرَانى أبو غيْلانَ إذْ حَسَرَتْ ... عنّى الهمومُ بأمرٍ ما له طبَقُ
لقالَ رُهْباً ورُغْباً يُجْمَعان معاً ... غُنْمُ الحياةِ وهَولُ النفسِ والشَّفَقُ
إما تُسِف على مَجْد ومَكْرُمَة ... أو إسوة لك فِيمَن تُهلِكُ الوَرَقُ

فخرج فى سعةَ عشرَ رجلا فقال لهم : أتؤمّنونى وأخرُج إليكم ؟ فقالوا : لا ، إلّا على الحكم ، فقال : لا أحكّمكم فى نفسى أبدًا ، فضارب بسيفه حتى قُتِل ، وقد كان قال لأصحابه حين أبَوْا أن يُتابِعوه على الخرُوجِ معه :

٢/٧٣٨

إذا أنا خرجتُ إليهم فقُتِلتُ لم تَزْدادوا إلّا ضَعْفًا وذُلًّا ، فإنْ نزلتم على حكمهم وثَب أعداؤكم الذين قد وَتَرْتموهم ، فقال كلّ رجل منهم لبعضكم : هذا عندَه ثأرِى فيُقتل ، وبعضُكم يَنظُر إلى مَصارع بعض فيقولون : يا لَيْتنا أطَعْنا المختار وعَمِلنا برأيه ! ولو أنكم خرجتم معى كنتمْ إن أخطأتُم الظفَر متّمّ كِرامًا ، وإن هرب منكم هاربٌ فدخل فى عشيرته اشتملتْ عليه عشيرتهُ ؛ أنتم غدًا هذه الساعةَ أذلّ مَن على ظَهْر الأرض ، فكان كما قال .

قال : وزَعَم الناس أنّ المختار قُتِل عند موضع الزيّاتين اليومَ ، قتله رجلان من بنى حَنِيفة أخَوان يُدعَى أحدُهما طَرَفةَ والآخر طرّافًا ؛ ابنا عبد الله بنَ دَجاجة من بنى حَنِيفة . ولمّا كان من الغَد مِن قتل المختار قال بُجَير بنُ عبد الله المُسْلىّ : يا قوم ، قد كان صاحبُكم أمسِ أشار عليكم بالرّأى لو أطعتموه . يا قوم ، إنكم إن نزلتمْ على حُكم القوم ذُبِحتم كما تُذبَح الغَنَمَ ، اخرُجوا بأسيافكم فقاتلوا حتى تموتوا كِرامًا . فعصَوْه وقالوا : لقد أمَرَنا بهذا مَن كان أطوعَ عندنا وأنصح لنا منك ، فعصَيْناه ، أفنحن[(١)] نُطِيعك ! فأمكن القوم من أنفسهم ، ونزلوا على الحُكْم . فبعث إليهم مصعبٌ [(٢)] عبّاد بنَ الحُصَين الحَبَطىّ فكان هو يُخرِجهم مكتّفين ، وأوصَى عبد الله بن شدّاد الجُشَمىّ إلى عبّاد بن الحُصَين ، وطلب عبد الله ابنَ قُراد عصًا أو حديدة أو شيئًا يقاتل به فلم يَجِده ، وذلك أنّ الندامة أدركتْه بعد ما دخلوا عليه ، فأخذُوا سيفَه ، وأخرَجوه مكتوفًا ، فمرّ به عبدُ الرحمن وهو يقول : ٧٣٩/٢

ما كنتُ أخشَى أن أرَى أَسِيرَا إنَّ الذين خالَفُوا الأَمِيرَا

* قد رُغِّموا وتُبِّرُوا تَتْبِيرَا *

فقال عبدُ الرّحمن بنُ محمد بن الأشعث : علىّ بذا ، قدّموه إلىّ أضرب عنقَه ، فقال له : أما إنى على دين جدّك الذى آمَنَ ثمّ كفر ؛ إنْ لم أكن ضربت أباك بسيْفى حتى فاظَ . فنزل ثم قال : أدنُوه منى ، فأدنَوْه منه ،

(١) ا : « فنحن » . (٢) ف : « المصعب » .

فقتله ، فغضب عبّاد ، فقال : قتلتَه ولم تُؤمَر بقَتله !

ومرّ بعبد الله بن شدّاد الجُشميّ وكان شريفًا ، فطلب عبدُ الرحمن إلى عبّاد أن يَحبِسه حتى يُكلّم فيه الأمير ، فأتى مُصعبًا ، فقال : إني أحبّ أن تَدفَع إليّ عبدَ الله بنَ شدّاد فأقتلَه ، فإنه من الثأر ، فأمر له به ، فلما جاءه أخذه فضرب عنقَه ، فكان عبّاد يقول : أما والله لو علمتُ أنك إنما تريد قتلَه لدفعتُه إلى غَيرِك فقتله ، ولكني حسبتُ أنك تكلمه فيه فتخلّي سبيلَه . وأُتِيَ بابن عبد الله بن شدّاد ، وإذا اسمهُ شدّاد ، وهو رجلٌ محتلِم ، وقد اطّلَى بنُورة ، فقال : اكشفوا عنه هل أدرَك ! فقالوا : لا ، إنما هو غلام ، فخلوا سبيلَه ، وكان الأسوَد بنُ سعيد قد طلب إلى مُصعَب أن يعرِض على أخيه الأمان ، فإنْ نَزَل ترَكَه له ، فأتاه فعرض عليه الأمان ، فأبى أن ينزل ، وقال : أموتُ مع أصحابي أحبّ إليّ من حياة معكم ، ٧٤٠/٢ وكان يقال له قيس ، فأخرِج فقتِل فيمن قُتِل ؛ وقال بُجير بن عبدِ الله المُسْلِيّ — ويقال : كان مولًى لهم حين أُتِيَ به مصعب ومعه منهم ناسٌ كثير — فقال له المسليّ : الحمد لله الذي ابتلانا بالإسار ، وابتلاك بأن تعفو عنّا ، وهما منزلتان إحداهما رِضَا الله ، والأخرى سخطه ، من عفَا عفَا اللهُ عنه ، وزادَه عزًّا ، ومن عاقَبَ لم يأمَن القِصاص . يابنَ الزّبير ، نحن أهلُ قِبلَتكم ، وعلى مِلّتكم ، ولسنا تُرْكًا ولا دَيلَمًا ، فإن خالفْنا إخوانَنا من أهلِ مِصرِنا فإما أن نكون أصبْنا وأخطئوا ، وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا فاقتتلْنا كما اقتتل أهل الشأم بينهم ، فقد اختلفوا واقتتلوا[1] ثمّ اجتمعوا ، وكما اقتتل أهلُ البَصْرة بينهم فقد اختلفوا واقْتَتلوا ثمّ اصطلَحوا واجتمعوا ، وقد ملكتم فأسجِحوا ، وقد قَدَرْتم فاعفُوا . فما زال بهذا القَوْل ونحوه حتى رَقّ لهم الناسُ ، ورَقّ لهم مصعب ، وأراد أن يخلّيَ سبيلَهم ، فقام عبدُ الرحمن بنُ محمد بنِ الأشعث فقال : تُخلّي[2] سبيلهم ! اختَرنا يابن الزبير أو اخترهم . ووثب محمد بنُ عبد الرّحمن بن سعيد بن قَيْس الهَمْدانيّ

---

(١) ف : « فقد اقتتلوا واختلفوا » .

(٢) ف : « أتخلي » .

فقال : قُتِل أبي وخمسمائة من هَمْدان وأشراف العشيرة وأهل المصر(١) ثم تُخلّي سبيلَهم ، ودماؤنا تَرقرَق فى أجوافهم ! اختَرْنا أو اختَرْهم . ووَثَب كلّ قوم وأهل بيت كان أُصيبَ منهم رجل فقالوا نحوًا من هذا القول .

٧٤١/٢ فلما رأى مُصعبُ بنُ الزبير ذلك أمَرَ بقَتْلهم ، فنادَوه بأجمعهم : يابن الزّبير ، لا تقتُلْنا ، اجعلْنا مقدِّمتَك إلى أهل الشأم غدًا ، فوالله ما بك ولا بأصحابك عنّا غدًا غِنًى ، إذا لقيتم عدوّكم فإن قتلنا لم نُقتل حتّى نرقّهم لكم(٢) ، وإن ظَفِرْنا بهم كان ذلك لك ولمن معك . فأبَى عليهم وتبع رضا العامة ، فقال بجير المسليّ : إن حاجتى إليك ألّا أقتَل مع هؤلاء [القوم](٣) إنى أمرتُهم أن يخرجوا بأسيافهم فيقاتلوا حتى يموتوا كِرامًا فعصونى ، فقُدِّم فقُتِل .

قال أبو مِخنَف : وحدّثنى أبى ، قال : حدّثنى أبو رَوْق أنّ مسافرَ بنَ سعيد بن نِمْران قال لمُصعب بن الزبير : يابن الزّبير ، ما تقولُ لله إذا قَدِمت عليه وقد قتلتَ أمة من المُسلِمين صَبْرًا ! حكّموك فى دمائهم ، فكان الحقّ فى دمائهم ألّا تقتل نفسًا(٤) مُسلِمة بغير نفس مُسلِمة ، فإن كنا قتلْنا عِدّة رجال منكم فاقتلوا عِدّةَ مَن قتلنا منكم ، وخلّوا سبيل بقيّتنا ، وفينا(٥) الآن رجالٌ كثير لم يشهدوا موطنًا من حربنا وحَربِكم يومًا واحدًا ، كانوا فى الجبال والسواد يَجْبون الخَراج ، ويؤمِّنون السبيل . فلم يستمع له ، فقال : قبّح الله قومًا أمرتُهم أن يَخرُجوا ليلا على حَرَس سكة من هذه السكك فنطردهم ، ثمّ نَلحق بعشائرنا ، فعَصَوْنى حتى حَمَلونى على أن أعطِيت التى هى أنقص وأدنى وأوضع ، وأبَوْا أن يموتوا إلّا ميتة العبيد ، فأنا أسألُك ألّا تَخلِط دمى بدِمائهم . فقُدِّم فقُتِل ناحية(٦) .

٧٤٢/٢ ثمّ إنّ المُصعَب أمر بكَفّ المختار فقُطعت ثمّ سُمّرت بمِسمار حديد إلى جنب(٧) المسجد ، فلم يزل على ذلك حتى قدم الحجّاج بن يوسفَ ، فنظر إليها فقال : ما هذه ؟ قالوا : كَفّ المختار ، فأمر بنَزْعها . وبعث مُصعَب عُمّاله على الجبال والسواد ،

---

(١) ف : « والمصر » . (٢) ف : « لك » .
(٣) من ف . (٤) ف : « ألا تقتل نفس مسلمة » .
(٥) « ففينا » . (٦) ف : « ناحية فقتل » . (٧) ف : « جانب » .

ثمّ إنه[١] كتب إلى ابن الأشتر[٢] يدعوه إلى طاعته، ويقول له : إن أنتَ أجبتَنى ودخلتَ فى طاعتى فلك الشأم وأعِنّة الخيل، وما غلبت عليه من أرضِ المغرب ما دام لآل الزّبير سُلطان . وكتب[٣] عبد الملك بن مروان من الشأم إليه يدعوه إلى طاعته، ويقول : إن أنت أجبْتَنى ودخلتَ فى طاعتى فلك العراق . فدعا إبراهيمُ أصحابه فقال : ما تَرَون ؟ فقال بعضُهم : تدخل فى طاعة عبدِ الملك، وقال بعضهم : تدخل مع ابن الزّبير فى طاعته، فقال ابن الأشتر : ذاك لو لم أكن أصبتُ عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهلِ الشأم تَبعتُ عبدَ الملك؛ مع أنى لا أحبّ أن أختار على أهلِ مِصرى مِصْرًا، ولا على عشيرتى عشيرة . فكتب إلى مصعب، فكتب إليه مصعبٌ أن أقبِل، فأقبل إليه بالطاعة .

قال أبو مِخنَف : حدّثنى أبو جَنَاب الكلبىّ أنّ كتاب مُصعْب قدم على ابن الأشتر وفيه :

أما بعد، فإنّ الله قد قتل المختار الكذّاب وشيعتَه الذين دانُوا بالكفر، وكادُوا بالسّحر[٤]، وإنا ندعوك إلى كتاب الله وسنة نبيّه، وإلى بَيْعة أمير المؤمنين، فإنْ أجبتَ إلى ذلك فأقبِل إلىّ، فإنّ لك أرض الجزيرة وأرض المغرب[٥] كلّها ما بقيت وبقِيَ سلطانُ آلِ الزبير، لك بذلك عهدُ الله وميثاقُه وأشدّ ما أخذ الله على النبيّين من عهد أو عقد؛ والسلام .

٧٤٣/٢

وكتب إليه عبدُ الملك بنُ مَرْوان :

أما بعد، فإنّ آل الزبير انتَزوْا على أئمة الهدى، ونازعُوا الأمرَ أهلَه، وألحَدُوا فى بيت الله الحَرام[٦] واللهُ مُمكِن منهم، وجاعل دائرةَ السوْء عليهم، وإنى[٧] أدعوك إلى الله وإلى سُنة نبيّه، فإن قَبلتَ وأجبتَ فلك سلطانُ العراقِ ما بقيتَ وبقيتُ، علىّ بالوفاء بذلك عهدُ الله وميثاقُه .

قال : فدعا أصحابَه فأقرأهم الكتاب، واستشارهم فى الرأى، فقائلٌ

(١) ف : « وإنه » . (٢) ف : « إبراهيم بن الأشتر » .
(٣) ف : وكتب إليه » . (٤) ف : « وكانوا علماء بالسحر » .
(٥) ا، س : « العرب » . (٦) ف : « واتخذوا الحرم حلا » .
(٧) ف : « فإنى » .

يقول عبد الملك ؛ وقائل يقول : ابن الزبير ؛ فقال لهم : ورأيي اتّباع أهلِ الشأم ، ولكن كيف لى بذلك ، وليس قبيلة تسكُن الشأم إلّا وقد وَتَرْتُها ، ولستُ بتارك عشيرتى وأهل مصرى[1] ! فأقبل إلى مُصعَب ، فلما بلغ مصعبًا إقباله[2] بعث المهلب إلى عمله ، وهى[3] السنة التى نزل فيها المهلب على الفُرات .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو علْقمة الخَثعميّ أنّ المُصعَب بَعثَ إلى أمّ ثابت بنتِ سَمُرة بنِ جُندَب امرأةِ المُختار وإلى عَمْرة بنت النعمان بن بَشير الأنصاريّ — وهى امرأةُ المختار — فقال لهما : ما تقولان فى المختار ؟ فقالت أمّ ثابت : ما عسينا أن نقول ! ما نقول فيه إلّا ما تقولون فيه أنتم ، فقالوا لها : اذهبى ، وأما عَمرة فقالت : رحمة الله عليه ، إنه كان عبدًا من عبادِ الله الصالحين ، فرَفعها مصعب إلى السجن ، وكتب فيها إلى عبدِ الله بن الزّبير إنها تزعم أنه نبيّ ، فكتَب إليه أن أخرِجْها فاقتُلها. فأخرَجها بين الحيرة والكُوفة بعد العتَمة ، فضَرَبها مَطَرٌ ثلاثَ ضَربات بالسيف — ومطَرٌ تابعٌ لآل قَفَل من بنى تَيْم الله بنِ ثَعْلبة ، كان يكون مع الشُّرَط — فقالت : يا أبتاه ، يا أهلاه ، يا عَشيرتاه ! فسمع بها بعضُ الأنصار ، وهو أبان بنُ النعمان بن بشير ، فأتاه فلطمه وقال له : يابن الزّانية ، قطعتَ نفسَها قطع اللهُ يمينَك ! فلزمه حتى رفعه إلى مصعب ، فقال : إنّ أمى مسلمة ، وادّعى شهادة بنى قَفَل ، فلم يَشهَد له أحد ؛ فقال مصعب : خلّوا سبيلَ الفتى فإنه رأى أمرًا فظيعًا ، فقال عمرُ بنُ أبى ربيعة القُرَشيّ فى قتل مصعب عَمْرةَ بنتَ النعمان بن بشير :

٧٤٤/٢

إنَّ مِن أَعْجَبِ العجائبِ عِندِى ... قَتْلَ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عُطْبولِ[3]

قُتِلَتْ هكذا على غيرِ جُرْمٍ ... إنَّ للهِ دَرَّها من قَتيلِ

كُتِبَ القَتلُ والقِتَالُ علينا ... وعلى المحْصنَاتِ جَرُّ الذُّيولِ

٧٤٥/٢

قال أبو مخنف : حدثنى محمد بنُ يوسفَ ، أنّ مصعبًا لقِىَ عبدَ الله بن

(١) ف : « ولا أهل مصرى ». (٢) بعدها فى ف : « إليه ». (٣) ملحق ديوانه ٤٩٨.

عمر فسلّم عليه ، وقال له : أنا ابنُ أخيك مصعب ، فقال له ابنُ عمر : نعم ، أنتَ القاتلُ سبعةَ آلاف من أهل القبلة فى غَداة واحدة ! عِشْ ما استطعتَ ! فقال مصعب : إنهم كانوا كفرة سَحَرة ؛ فقال ابنُ عمر : واللهِ لو قتلت عدّتهم غَنَماً من تُراثِ أبيك لكان ذلك سَرَفاً ، فقال سعيد بن عبدِ الرّحمن بن حسّان بن ثابت فى ذلك :

أَتى راكبٌ بالأَمر ذى النَّبَإِ العجبْ ... بقتلِ ابنَة النعمانِ ذِى الدِّين والحسَبْ

بقتل فَتَاةٍ ذاتِ دلٍّ سَتِيرَةٍ ... مُهَذَّبة الأَخلاقِ والخِيم والنسَبْ

مطهَّرةٍ من نَسْل قوم أَكارمٍ ... من المُؤْثِرين الخيرَ فى سالِفِ الحِقَب

خليلُ النبىِّ المصطفَى ونَصِيرُهُ ... وصاحبُه فى الحَرْب والنّكْبِ والكُرَب

أَتانِى بأَنَّ المُلْحِدِين توافَقوا ... على قَتلِها لاجُنِّبُوا القتلَ والسَّلَبْ

فلا هَنَأَتْ آلَ الزبير معيشةٌ ... وذاقُوا لباسَ الذُّلِّ والخوفِ والحَرَبْ

كأَنَّهمُ إذ أَبرزُوها وقُطِّعَتْ ... بأَسيافِهمْ فازُوا بِمَملكة العَرَبْ

أَلم تَعجَبِ الأَقوامُ من قَتلِ حُرَّةٍ ... من المُحْصَنات الدّين محمودةِ الأَدبْ !

من الغافلاتِ المؤمناتِ ، بَرِيئةٍ ... من الذَّمّ والبُهْتان والشَّكّ والكذِبْ

علينا كتابُ القَتل والبأْسِ واجبٌ ... وهُنَّ العفَافُ فى الحِجَال وفى الحُجُب

على دِينِ أَجدادٍ لها وأُبوَّةٍ ... كِرام مَضَت لم تُخْزِ أَهلا ولم تُرِبْ

من الخفِرات لا خَرُوجٌ بَذِيَّةٌ ... مُلائِمَة تَبغِى على جَارِهَا الجُنبْ

ولا الجارِ ذى القُرْبَى ولم تَدْرِ ما الخنا ... ولم تزدَلِف يوماً بسُوءٍ ولم تجِبْ

عَجِبْتُ لها إذ كُفِّنَتْ وَهْىَ حَيَّةٌ ... أَلَا إنَّ هذا الخَطْبَ من أَعجَبِ العجَب

٧٤٦/٢

حدّثت عن علىّ بن حرْب الموْصلىّ ، قال : حدّثنى إبراهيمُ بنُ سليمانَ الحنفىّ ، ابن أخى أبى الأحْوص ، قال : حدّثنا محمد بن أبان ، عن علقمة بن مرْثد ، عن سُويد بن غَفَلة ، قال : بيْنا أنا أسيرُ بظهر النّجف إذ لحقنى رجل فطعننى بمِخْصَرة مِن خلْفى ، فالتفتّ إليه ، فقال :

٧٤٧/٢

ما قولُك فى الشيخ ؟ قلتُ : أىّ الشيوخ ؟ قال : علىّ بنُ أبى طالب ؛ قلتُ : إنى أشهد أنى أحبّه بسَمعي وبصرى وقلبي ولسانى ؛ قال : وأنا أشهدك أنى أبغضه بسَمْعي وبصرى وقلبي ولسانى . فسِرْنا حتى دخلْنا الكوفة ، فافترقْنا ، فمكَث بعد ذلك سنينَ — أو قال : زَمانًا — قال : ثمّ إنى لفى المسجد الأعظم إذ دخل رجلٌ معتمّ يتصفّح وجوهَ الحاق ، فلم يزل ينظرُ فلم يرَ لُحىً أحمق من لُحىَ همْدان ، فجلس إليهم ، فتحوّلتُ فجلستُ معهم ، فقالوا : من أين أقبلتَ ؟ قال : من عند أهلِ بيتِ نبيّكم ، قالوا : فماذا جئتَنا به ؟ قال: ليس هذا موضع ذلك ، فوعدهم من الغد موعدًا ، فغَدَا وغدوت ، فإذا قد أخرج كتابًا معه فى أسفله طابع من رصاص ، فدفعه إلى غلام ، فقال له : يا غلام ، اقرأه — وكان أميًّا لا يكتب — فقال الغلام : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، هذا كتابٌ للمختار بنِ أبى عُبيد كتبه له وصىّ آلِ محمد ؛ أمّا بعد فكذا وكذا .

فاستفرَغَ القوم البُكاء ، فقال : : يا غلام ، ارفَع كتابَك حتى يُفيق القوم ؛ قلتُ : معاشر هَمْدان ، أنا أشهَد بالله لقد أدركنى هذا بظَهر النّجف ، فقَصَصتُ عليهم قصّتَه ، فقالوا: أبَيْتَ واللهِ إلاّ تَشْبيطا عن آلِ محمد ، وتَزْييناً لنَعْثَلٍ شقّاقِ المَصاحِف . قال : قلتُ : معاشرَ همْدان ، لا أحدّثكم إلّا ما سمِعته أذُناى ، ووعاه قلبى من علىّ بنِ أبى طالب عليه السلام ، سمعتُه يقول : لاتُسمّوا عثمانَ شقّاقَ المَصاحف ، فوالله ما شقّقها إلّا عن ملإ منّا أصحاب محمد ، ولو وليتُها لعَمِلتُ فيها مثلَ الذى عمل ؛ قالوا : آللهَ أنتَ[1] سمعتَ هذا من علىّ ؟ قلت : والله لأنا سمعتُه منه[2] ، قال: فتفرّقوا عنه ، فعند ذلك مالَ إلى العبيد ، واستعان بهم ، وصنع ما صنع .

٢/٧٤٨

قال أبو جعفر : واقتصّ الواقدىّ من خبر المختارِ بنِ أبى عُبَيد بعض ما ذكرْنا ، فخالف فيه مَنْ ذكرنا خبره ، فزعم أنّ المختار إنما أظهر الخلاف لابن الزّبير عند قُدومِ مُصعَب البَصْرة ، وأنّ مُصعبًا لما

---

(١) ف : « أنك » . (٢) ا : « والله ما قلت إلا ما سمعته منه » .

سار إليه فبلغه مسيرُه إليه بعث إليه أحمرُ بنُ شُميط البَجَلىّ، وأمرَه أن يواقِعَه بالمَذَار، وقال: إنّ الفتح بالمَذار؛ قال: وإنما قال ذلك المختار لأنه قيل: إن رجلا من ثَقيف يُفْتَح عليه بالمَذار فتحٌ عظيمٌ، فظنّ أنه هو، وإنما كان ذلك للحجّاج بن يوسفَ فى قتاله عبدَ الرّحمن بنَ الأشعث. وأمر مصعبٌ صاحبَ مقدّمته عبّاد الحَبَطىّ أن يسيرَ إلى جَمْع المُختار فتقدّم وتقدّم معه عُبيدُ الله بنُ علىّ بن أبى طالب، ونزل مصعب، نهرَ البصريِّين على شطّ الفرات، وحَفَرَ هُنالك نهراً فسُمِّىَ نهر البصريِّين من أجلِ ذلك. قال: وخرج المختارُ فى عشرين ألفًا حتى وقف بإزائهم وزحف مصعبٌ ومَن معه، فوافَوْه مع الليل على تعبية، فأرسل إلى أصحابه حين أمسَى: لا يَبرحنّ أحدٌ منكم موقفَه حتى يسمع منادياً ينادى: يا محمّد، فإذا سمعتموه فاحمِلوا. فقال رجل من القوم من أصحاب المختار: هذا والله كذّاب على الله، وانحازَ ومَنْ معه إلى المصعب، فأمهل المُختار حتى إذا طلع القمرُ أمَرَ منادَياً، فنادى: يا محمد؛ ثمّ حَمَلوا على مُصعَب وأصحابه فهَزَموهم، فأدخلوه عسكرَه، فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبحَ المختارُ وليس عنده أحد، وإذا أصحابُه قد وَغَلوا فى أصحاب مصعب، فانصرف المختارُ منهزماً حتى دخل قصر الكوفة، فجاء أصحابُ المُختار حين أصبحوا، فوَقَفوا مَلِيّاً، فلم يروا المختار، فقالوا: قد قُتِل، فهَرَب منهم مَن أطاقَ الهَرَب، واختَفَوْا فى دُور الكوفة، وتوجّه منهم نحوَ القصر ثمانية آلاف لم يَجِدوا مَنْ يقاتل بهم، ووجدوا المختارَ فى القَصْر، فدخَلوا معه، وكان أصحاب المختار، قتلوا[1] فى تلك الليلة من أصحابِ مصعب[1] بشراً كثيراً، فيهم محمد بنُ الأشعث، وأقبلَ مُصعبٌ حينَ أصبح حتى أحاط بالقصر، فأقام مصعبٌ يُحاصِره أربعةَ أشهُر يَخرُج إليهم فى كلّ يوم فيقاتلهم فى سوق الكوفةِ من وجه واحد، ولا يُقدَر عليه حتى قُتِل المختار، فلما قُتِل المختار بعث مَن فى القصر يَطلب الأمان، فأبى مصعب حتى نزلوا على حُكْمه، فلما نزلوا على حُكْمه قَتَل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك، وسائرُهم

٧٤٩/٢

(١ - ١) ف: «من أصحاب مصعب فى تلك الليلة».

من العَجم ؛ قال : فلما خرجوا أراد مُصعَب أن يَقتُل العجم ويترك العَرَب ، فكلمه من معه ، فقالوا : أيّ دِينٍ هذا ؟ وكيف ترجو النصرَ وأنت تَقتُل العَجَم وتَترُك العَرَب ودِينُهم واحد ! فقدّمهم فضرَبَ أعناقَهم .

قال أبو جعفر : وحدّثني عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : لما قُتِل المختار شاور مصعبٌ أصحابَه فى المحصورين الذين نزلوا على حكمه ، فقال عبدُ الرحمن بنُ محمد بنِ الأشعث ومحمد بنُ عبد الرحمن ابنِ سعيد بنِ قيس وأشباهُهم ممّن وَترهم المُختار : اقتُلهم ، وضَجّت ضَبّةُ ، وقالوا : دَمُ مُنذِر بن حسان ؛ فقال عبيد الله بن الحُرّ : أيّها الأمير ، اِدفعْ كلَّ رجل فى يديك إلى عشيرته تمنّ عليهم بهم ، فإنهم إن كانوا قَتَلونا فقد قَتَلناهم ، ولا غِنى بنا عنهم فى ثغورنا ، وادفع عبيدَنا الذين فى يديك إلى مواليهم فإنهم لأيتامنا وأرامِلنا وضُعفائنا ، يردّونهم إلى أعمالهم ، واقتل هؤلاء الموالى ، فإنهم قد بدا كفرُهم ، وعظُم [(١)] كِبرُهم ، وقلّ شُكرُهم . فَضَحِك مُصعَب وقال للأحنف : ما تَرَى يا أبا بَحْر ؟ قال : قد أرادنى زيادٌ فعَصيْته — يعرّض بهم — فأمرَ مصعب بالقوم جميعًا فقُتِلوا ، وكانوا ستة آلاف ، فقال عُقْبة الأسَدىّ :

٧٥٠/٢

قَتلتمْ ستَّةَ الآلافِ صَبْرًا مع العَهْد الموثَّقِ مكتَفِينَا
جعلتمْ ذِمّة الحَبَطِىّ جسْرًا ذَلولاً ظَهرُهُ لِلواطِئينَا
وما كانوا غَدَاةَ دُعُوا فغُرُّوا [(٢)] بعَهْدِهِمُ بأَوَّلِ حائِنِينَا
وكنتُ أَمرتُهمْ لو طاوَعُونى بضَرْبٍ فى الأَزِقّة مُصْلتِينا

وقُتِل المختارُ — فيما قيل — وهو ابنُ سبع وستين سنة ، لأربع عشرةَ خلَتْ من شهر رمضان فى سنة سبع وستين .

فلما فرَغ مصعب [(٣)] من أمر المختار وأصحابه ، وصار إليه إبراهيم ابنُ الأشتر وجّه المهلب بنُ أبى صُفْرة على المَوْصِل والجزيرة وآذَرْبِيجان وأرْمِينِيَةَ وأقام بالكوفة .

---

(١) ف : « وظهر » . (٢) ف : « ففروا » . (٣) ف : « المصعب » .

[خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب]

وفى هذه السنة عزل عبدُ اللهِ بن الزبير أخاه مصعبَ بنَ الزّبير عن البصرة ، وبَعَث بابنه حمزةَ بن عبد الله إليها ، فاختُلِف فى سبب عزله إيّاه عنها ، وكيف كان الأمر فى ذلك . ٧٥١/٢

فقال بعضُهم فى ذلك ما حدّثنى به عمر ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد قال : لم يزل المُصْعب على البَصرة حتى سار منها إلى المختار ، واستَخلف على البصرة عُبيد الله بن مَعمر ، فقُتِل المختار ، ثمّ وفد إلى عبد الله بنِ الزبير فعزله وحبسه عنده ، واعتَذَر إليه مِن عَزْله ، وقال : واللهِ إنى لأعلم أنّك أحرَى وأكفى من حَمزةَ ، ولكنى رأيتُ فيه رأى عثمانَ فى عبد الله بنِ عامر حين عَزَل أبا موسى الأشعرىّ وولاّه .

وحدّثنى عمرُ ، قال : حدّثنى علىّ بنُ محمد ، قال : قَدِم حمزةُ البَصرةَ واليًا ، وكان جوادًا سَخيًّا مخلّطاً ، يجود أحيانًا حتى لا يَدَع شيئًا يملِكه ، ويمنع أحيانًا ما لايمنع مِثلُه ، فظهرتْ منه بالبَصرة خِفّة وضعف ، فيقال : إنه ركب يومًا إلى فَيْض البَصْرة ، فلما رآه قال : إنّ هذا الغَدِير إن رَفقُوا به ليكفينّهم صَيْفَهم ، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقهُ جازرًا ، فقال : قد رأيت هذا ذاتَ يوم ، وظننت أن لن يكفيَهم ، فقال له الأحنف : إنّ هذا ماءٌ يأتينا ثمّ يَغيض عنّا . وشخص إلى الأهواز ، فلما رأى جبلَها قال : هذا قُعَيْقِعان — لموضع بمكة — فسُمّى الجبلُ قُعَيْقعانَ ، وبعث إلى مَرْدانشاه فاستحثّه بالخراج ، فأبطأ به ، فقام إليه بسَيْفه فضربه فقتله ، فقال الأحنف : ما أحدّ سيفَ الأمير !

حدّثنى عمرُ ، قال : حدّثنى علىّ بنُ محمد ، قال : لما خلّط حمزةُ بالبصرة وظهر منه ما ظهر ، وهَمّ بعبد العزيز بنِ بِشْر أن يضربَه ، كتب الأحنف إلى ابن الزبير بذلك ، وسأله أن يعيد مُصعبًا . قال : وحمزة الذى عقد لعبد الله بن عُمير الليثىّ على قتال النّجدّية بالبَحْرين . ٧٥٢/٢

حدّثني عمرُ، قال : حدّثنا عليّ بنُ محمد، قال: لما عزل ابنُ الزّبير حمزةَ احتمَل مالا كثيرًا من مال البصرة، فعرَض له مالكُ بنُ مسْمَع، فقال : لا ندعك تخرج بأعْطياتِنا . فضمِن له عُبيدُ الله بنُ عُبيدِ بنِ معمرَ العطاءَ ، فكَفّ ، وشخص حمزةُ بالمال ، فترك أباه وأتى المدينة ، فأودَع ذلك المال رجالا ، فذَهبوا به إلاّ يهوديًّا كان أودَعه فوفَى له ، وعلِم ابنُ الزّبير بما صنع ، فقال : أبعَده الله ! أردتُ أن أباهيَ به بنى مرْوان فنكَص .

وأمّا هشام بنُ محمد فإنه ذَكر عن أبى مخنف فى أمر مُصعَب وعزلِ أخيه إيّاه عن البَصْرة وردّه إياه إليها غيرَ هذه القصّة ، والذى ذكر من ذلك عنه فى سياقِ خبر حُدّثتُ به عنه[1] ، عن أبى المُخارِق الرّاسِبيّ ، أنّ مُصعبًا لما ظَهَر على الكُوفة أقامَ بها سنة معزولا عن البصرة ، عزله عنها عبدُ الله ، وبعث ابنَه حمزَةَ ، فمكَث بذلك سنة ؛ ثمّ إنه وَفد على أخيه عبد الله بمكة ، فردّه على البَصْرة .

وقيل : إنّ مصعبًا لما فرغ من أمرِ المُختار انصرَف إلى البصرة وولّى الكوفةَ الحارثَ بنَ عبدِ الله بنِ أبى ربيعة . قال : وقال محمد بنُ عمر : لما قتل مُصعبٌ المختارَ ملَكَ الكُوفة والبصرة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بنُ الزّبير . وكان عاملَه على الكُوفة مصعبٌ ، وقد ذَكرتُ اختلافَ أهلِ السيَر فى العامل على البصرة .

٧٥٣/٢ وكان على قَضاء الكُوفة عبدُ الله بنُ عُتبةَ بن مسعود ، وعلى قَضاءِ البَصْرة هِشامُ بنُ هُبيرة ، وبالشأم عبدُ الملك بن مرْوان

وكان على خُراسان عبدُ الله بنُ خازم السُّلَمىّ .

(١) ا : « حدث عنه » .

ثم دخلت سنة ثمان وستين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأُمور الجليلة

فمن ذلك ما كان من ردّ عبدِ الله أخاه مُصعبَاً إلى العراق أميرًا ، وقد ذكرْنا السبب فى ردّ عبدِ الله أخاه مُصعبَاً إلى العراق أميرًا بعد عزله إياه ، ولما ردّه عليها أميرًا بعث مصعبٌ الحارثَ بنَ أبى ربيعة على الكُوفة أميرًا ، وذلك أنه بدأ بالبصرة مَرجِعَه إلى العراق أميرًا بعد العزل ، فصار إليها .

* * *

[ذكر الخبر عن رجوع الأَزارقة من فارس إلى العراق]

وفى هذه السنة كان مَرجِعُ الأزارِقة من فارسَ إلى العِراقِ حتى صاروا إلى قرب الكوفة ، ودخلوا المَدائن .

* ذكر الخبر عن أمرِهم ومسيرهم ومَرجِعهم إلى العِراق :

ذكر هشامٌ ، عن أبى مِخنَف ، قال : حدّثنى أبو المخارق الراسبيّ ، أنّ مُصْعبًا وجّه عمرَ بنَ عُبيد الله بن مَعمرَ على فارسَ أميرًا ، وكانت الأزارِقةُ لحقت بفارسَ وكرمانَ ونواحى أصْبَهان بعد ما أوقَع بهم المهلب بالأهْواز ، فلما شخص المهلَّبُ عن ذلك الوجه ووُجِّه إلى المَوْصل ونواحيها عاملاً عليها ، وعمر بن عبيد الله بن معمر على فارسَ ، انحطّت الأزارقةُ مع الزّبير بن الماحوز على عُمَر بن عبيد الله بفارسَ ، فلقيَهم بسَابورَ ، فقاتَلَهم قتالا شديدًا ، ثم إنه ظَفر بهم ظَفَرًا بيّناً ، غيرَ أنه لم يكن بينهم كثير[1] قَتْلَى ، وذهبوا[2] كأنهم على حامية ، وقد تركوا على ذلك المَعرَكة .

٧٥٤/٢

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى شيخٌ للحىِ بالبَصْرة ، قال : إنى لأسمعُ قراءةَ كتابِ عمرَ بنِ عُبيد الله[3] :

---

(١) ف : « كبير » . (٢) ف : « فركبوا » .
(٣) بعدها فى ف : « ابن معمر » .

بسم الله الرّحمن الرّحيم . أما بعد ، فإنى أخبرُ الأميرَ أصلَحه الله أنى لقيتُ الأزارقة التى مَرَقَتْ من الدّين واتبعتْ أهواءها بغيرِ هُدًى من الله ، فقاتلتُهم بالمسلمين ساعةً من النهار أشدَّ القتال . ثمّ إنّ الله ضرب وُجوهَهم وأدبارَهم ، ومنحنا أكتافَهم ، فقتل اللهُ منهم مَن خابَ وخَسِر ، وكلٌّ إلى خُسْران . فكتبتُ إلى الأمير كتابى هذا وأنا على ظَهْر فرَسى فى طلب القوم ، أرجُو أن يَجُذَّهم (١) الله إن شاء الله ؛ والسلام .

ثم إنّه تَبِعهم ومضَوْا من فورهم ذلك حتّى نزلوا إصْطَخْرَ ، فسار إليهم حتّى لقيَهم على قنطرة طَمَسْتانَ (٢) ، فقاتلهم قتالا شديدًا ، وقُتل ابنُه . ثمّ إنه ظَفِر بهم ، فقَطعوا قنطرةَ طَمَسْتانَ ، وارتفعوا إلى نحو من أصبهان وكِرْمان ، فأقاموا بها حتّى اجْتَبَروا وقَوُوا ، واستعدّوا وكَثُروا ، ثمّ أقبَلوا حتّى مرّوا بفارسَ وبها عُمرُ بنُ عُبيد الله بنِ معْمر ، فقَطعُوا أرضَه من غيرِ الوَجْه الّذى كان فيه أخذوا على سابور ، ثمّ خرجوا على أرَّجانَ ، فلمّا رأى عمرُ بنُ عُبيد الله أنْ قد قطعت الخوارجُ أرضَه متوجّهة إلى البَصْرة خشىَ ألّا يحتملها له مُصعَب بنُ الزبير ، فشمّر فى آثارهم مُسرِعًا حتى أتى أرّجان ، فوجدهم حين خرجوا منها متوجهين قِبَل الأهواز ، وبلَغ مُصعبًا (٣) إقبالُهُم ، فخرَج فعسكر بالناس بالجِسر الأكبر ، وقال : واللهِ ما أدرى ما الّذى أغنَى عنّى أنْ وضعتُ عمرَ بنَ عُبيد الله بفارسَ ، وجعلتُ معهُ جُندًا أجرِى عليهم أرزاقَهم فى كلّ شهر ، وأوَفّيهم أعطياتِهم فى كل سنة ، وآمرُهم من المَعاون فى كلّ سنة بمثلِ الأعْطيات ، تَقطَع أرضَه الخوارج إلىّ ! وقد قطعتُ علّته فأمددتُه بالرّجال وقوّيتُهم ، والله لو قَاتَلَهم ثم فرّ كان أعذَرَ له عندى ، وإن كان الفارّ غيرَ مقبولِ العذر ، ولا كريم الفعل .

٧٥٥/٢

وأقبلت الخوارجُ وعليهم الزبيرُ بن الماحُوز حتّى نزلوا الأهواز ، فأتتْهم عيونهم أن عمر بن عُبيد الله فى أثرهم ، وأنّ مصعَب بن الزّبير قد خرج من البصْرة إليهم ، فقام فيهم الزُّبيرُ فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّ

(١) س : « ويخزيهم » . (٢) س : « طمسيان » ، ف : « طميسان » ، وفى ا من غير نقط . (٣) ف : « وبلغ ذلك مصعبا » .

مِن سوء الرأى والحَيرة(١) وقُوعكُم فيما بين هاتَيْن الشَّوْكتَين ، انْهضوا بنا إلى عَدُوّنا نَلقَهم من وجه واحد . فسار بهم حتَّى قطع بهم أرضَ جُوخَى ، ثمّ أخذ على النَّهْرَوانات ، ثمّ لزم شاطئَ دِجْلة حتى خرج على المدائن وبها كرْدَم بنُ مَرثَد بن نجبَة الفَزَارىّ ، فَشنّوا الغارَة على أهل المَدائن ، يُقتلون الولدان والنساءَ والرّجال ، ويبقَرون الحَبالى ، وهرب كردم ، فأقبلوا إلى ساباطَ فوضعوا أسيافَهم فى النَّاس ، فقتَلوا أمّ ولد لربيعة ابن ماجد (٢) ، وقتلوا بُنانة ابنة أبى يزيد بن عاصم الأزدىّ ، وكانت قد قرأت القرآن ، وكانت من أجملِ النَّاس ، فلمَّا غشوها(٣) بالسيوف قالت : ويْحكُم! هل سمعتم بأنّ الرجال كانوا يُقتّلون النساء! ويْحكم! تَقتلون من لا يبسط إليكم يدًا ، ولا يريدُ بكم ضرًّا ، ولا يَملِك لنفسه نَفعًا ! أتقتلون من يُنشَّأ فى الحِلْية وهو فى الخِصام غيرُ مُبِين ! فقال بعضُهم : اقتلُوها ، وقال رجل منهم : لو أنكم تركتموها ! فقال بعضُهم : أعجَبَك جمالُها يا عدوّ الله ! قد كفرت وافتَتَنْت ، فانصرف الآخرُ عنهم وتركَهم ، فظنَنَّا أنَّه فارَقَهم ، وحملوا عليها فقتلوها ، فقالت رَيْطةُ بنتُ يزيدَ : سبحان الله ! أترَوْن اللهَ يَرضى بما تَصْنَعون ! تَقتُلون النساء والصّبيان ومَن لم يُذنب إليكم ذَنبًا ! ثمّ انصرفتْ وحملوا عليها وبين يديها الرَّواع بنتُ إياس بن شُرَيح الهَمْدانىّ ، وهى ابنة أخيها لأمّها ، فحمَلوا عليها فضَرَبُوها على رأسِها بالسيف ، ويصيب ذُبابُ السيفِ رأسَ الرّوَاع فسقطتا جميعًا إلى الأرضَ ، وقاتلهم إياسُ بنُ شُرَيح ساعةً ، ثمّ صُرِع فوقَع بين القَتلى ، فنَزَعوا عنه وهم يرَون أنَّهم قد قَتَلوه ، وصُرِع منهم رجل من بكر ابن وائل يقال له : رَزين بن المتوكِّل .

فلمَّا انصرَفوا عنهم لم يَمت غيرُ بُنَانة بنت أبى يزيد ، وأمّ ولد ربيعة ابن ناجد ، وأفاقَ سائرُهم ، فسقَى بعضُهم بعضًا من الماء ، وعصبوا جراحاتِهم ثم استأجرُوا دوابّ ، ثمّ أقبلوا نحوَ الكوفة .

قال أبو مِخْنَف : فحدّثتْنى الرّواع ابنةُ إياس ، قالت : ما رأيتُ

(١) س : «والحين» . (٢) ف : «ناجد» ، س : «ناجز» . (٣) ف : «أن غشوها» .

رجلاً قطّ كان أجبن من رجل كان معنا وكانت معه ابنته ، فلمّا غُشِينا ألقاها إلينا وهرب عنها وعنّا[١] ولا رأينا رجلا قطُّ كانَ أكرم من رجل كان معنا ، ما نعرفه ولا يَعرفنا ، لمّا غُشِينا قاتَل دونَنا حتّى صُرِع بيننا ، وهو رُزين بنُ المتوكّل البَكْرىّ . وكان بعد ذلك يزورُنا ويُواصلنا . ثمّ إنّه هلك فى إمارة الحَجّاج ، فكانت وَرَثَتَه الأعرابُ ، وكان من العِباد الصالحين .

قال هشام بنُ محمّد — وذكره عن أبى مِخنَف — قال : حدّثنى أبى ، عن عمّه أنّ مُصعَب بنَ الزّبير كان بعث أبا بكر بن مِخنَف على إسْتان العال ، فلمّا قَدِم الحارثُ بنُ أبى ربيعة أقصاه ، ثم أقرّه بعد ذلك على عَمَله السّنة الثانية ، فلمّا قَدِمت الخوارجُ المدائِنَ سرّحوا إليه عصابةً منهم ، عليها صالحُ بنُ مِخراق ، فلقِيَه[٢] بالكرخ فقاتَله ساعةً ، ثم تَنازَلوا فنَزل أبو بكر ونَزَلت الخَوارج ، فقُتل أبو بكر ويَسار مولاه وعبدُ الرّحمن بنُ أبى جِعال ، ورجل من قومِه ، وانهَزَم سائرُ أصحابِه ، فقال سُراقةُ بنُ مِرْداس البارقىّ فى بطنٍ مِنَ الأزْد :

أَلا يا لقَومى للهُمومِ الطَّوارِقِ ... وللحَدَث الجائِى بإحدَى الصَّفائِقِ[٣]

٧٥٨/٢

ومَقْتَل غِطْريفٍ كريمٍ نِجارُهُ ... من المُقْدِمين الذّائدِين الأَصادِقِ[٤]

أتانى دُوَيْنَ الخَيْف قتلُ ابنِ مِخنَفٍ ... وقد غَوَّرَتْ أُولى النُّجوم الخَوافِقِ

فقُلتُ : تَلَقَّاكَ الإلهُ برحمةٍ ... وصلَّى عليكَ اللهُ ربُّ المَشارِقِ

لحا اللهُ قوماً عَرَّدُوا عنكَ بُكرةً ... ولم يَصبِرُوا لِلامِعاتِ البَوارِقِ

تولَّوْا فأَجْلَوْا بالضُّحَى عن زَعِيمِنا ... وسَيِّدِنا فى المأْزِقِ المُتضايِقِ

فأنت مَتى ما جِئتَنا فى بُيوتنا ... سمِعْتَ عَويلاً مِنْ عَوانٍ وعاتِقِ

---

(١) ف : « عنا وعنها » . (٢) ف : « فلقيهم » .

(٣) ديوانه ٥٣ – ٥٦ ، مع اختلاف فى الرواية .

(٤) ا : « المقدمين الباسلين » .

يُبَكِّينَ محمودَ الضَّرِيبة ماجدًا صَبورًا لدَى الهَيْجاءِ عندَ الحقائق

لقد أَصبَحتْ نفسِي لذاكَ حَزِينةً وشابتْ لِمَا حمّلتُ منه مفارِقِى

قال أبو مِخنَف : فحدّثني حَدْرة بن عبدِ الله الأزْدىّ ، والنَّضر ابنُ صالح العَبْسىّ ، وفضيل بن خَدِيج ، كلهم أخبرنيه[1] أن الحارث بن أبي ربيعة [الملقب بالقُباع][2] أتاه أهلُ الكوفة ، فصاحوا إليه وقالوا له : اخرُج فإنّ هذا عدوّ لنا قد أظَلّ علينا[3] ليست له تقيَّة ، فخرج وهو يكدّ كدًّا[4] حتّى نزل النُّخيلة ، فأقامَ بها أيّامًا ، فوَثب إليه إبراهيمُ بنُ الأشتر ، فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ثمّ قال : أمَّا بعد ، فإنّه سار إلينا عدوّ ليست له تَقيَّة[5] ، يقتل الرجل والمرأة والمولود ، ويُخيف السَّبيل ، ويُخرّب البلادَ ، فانْهض بنا إليه ، فأمُر بالرّحيل . فخرَج فنزل[6] دَير عبدِ الرحمن ، فأقام فيه حتّى دخل إليه شَبَث بن رِبْعىّ ، فكلَّمه بنحو ممَّا كلَّمه به ابنُ الأشتر ، فارتحل ولم يكدّ ، فلمَّا رأى الناسُ بُطْء سَيْره رَجزوا به فقالوا :

سَار بنا القُبَاعُ سَيْرًا نُكْرَا يَسِيرُ يوماً ويُقِيمُ شَهْرَا

فأشخصوه من ذلك المكان ، فكلَّما نزل بهم منزلا أقامَ بهم حتّى يضجّ الناسُ به من ذلك ، ويَصيحوا به حولَ فُسْطاطه ، فلم يَبلُغ الصَّراةَ إلّا فى بِضعةَ عشرَ يومًا ، فأتى الصَّراةَ وقد انتهَى إليها طَلائعُ العَدُوّ وأوائلُ الخُيول ، فلما أتتهم العيونُ بأنّه قد أتاهم جماعةُ أهلِ المِصر قطَعوا الجِسْر بينهم وبينَ النَّاس ، وأخذ الناسُ يرتَجزون:

إنَّ القُباعَ سارَ سَيْرًا مَلْسَا بينَ دَبِيرَى ودَبَاهَا خَمْسَا

قال أبو مِخنَف : وحدّثني يونسُ بنُ أبي إسحاق ، عن أبيه ، أنّ رجلاً من السَّبِيع كان به لَمَم ، وكان بقرية يقال لها جَوْبَر[7] عند الحَرّارة ،

(١) ف : « وأخبروا جميعاً ». (٢) من ف .
(٣) س : « أقبل الينا » ، ف : « أظلنا ». (٤) ف : « بكذا وكذا » .
(٥) ط : « بقية» . (٦) ف : « حتى نزل . (٧) س : « جوبن » .

٧٥٩/٢
٧٦٠/٢

وكان يُدعَى سِماكَ بنَ يزيد ، فأتت الخوارجُ قريتَهُ فأخذوه وأخذوا ابنتَه ، فقدّموا ابنتَه فقتلوها ، وزعم لى أبو الرّبيع السَّلولىّ أنّ اسم ابنته أمّ يزيد ، وأنّها كانت تقول لهم : يا أهلَ الإسلام ، إنّ أبى مُصاب فلا تَقتلوه ، وأمّا أنا فإنّما أنا جارية ، والله ما أتيتُ فاحشةً قطّ ، ولا آذيتُ جارة لى قطّ ، ولا تطلّعتُ ولا تشرّفتُ قطّ . فقدّموها ليقتلوها ، فأخذتْ تُنادى : ما ذَنْبى ما ذَنْبى ! ثمّ سقطتْ مَغشيًّا عليها أو ميّتة ، ثمّ قطّعوها بأسيافهم . قال أبو الرّبيع : حدّثتْنى بهذا الحديث ظِئْرٌ لها نَصْرانيّةٌ من أهل الخَوَرْنَق كانت معها حين قُتلتْ .

قال أبو مِخْنَف : حدّثنى يونسُ بنُ أبى إسحاق ، عن أبيه ، أنّ الأزارقة جاءت بِسماكِ بن يزيد معهم حتّى أشرَفوا على الصَّراة . قال : فاستقبل عسكرَنا ، فرأى جماعة الناس وكثرتهم ، فأخذ يناديِنا ويرفع صوتَه : اعبرُوا إليهم فإنّهم فَلٌّ خبيث ، فضربوا عند ذلك عُنقَه وصلبوه ونحن نَنظُر إليه . قال : فلمّا كان الليلُ عبرتُ إليه وأنا رجل من الحىّ . فأنزَلْناه فدَفنّاه .

٧٦١/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى أبى أنّ إبراهيمَ بنَ الأشتر قال للحارث بن أبى ربيعة : اندب معى الناسَ حتّى أعبر إلى هؤلاء الأكلُب ، فأجيئك برءوسِهم الساعةَ ؛ فقال شَبَث بن رِبْعىّ وأسماءُ بنُ خارجة ويزيدُ ابن الحارث ومحمّد بن الحارث ومحمّد بن عُمَير : أصلحَ الله الأمير ! دَعْهم فليذْهبوا ، لا تَبدأهم ؛ قال : وكأنّهم حَسَدوا إبراهيمَ ابنَ الأشتر .

قال أبو مِخْنَف : وحدّثنى حَصيرةُ بن عبدِ الله وأبو زهير العَبْسىّ أنّ الأزارقةَ لمّا انتهوا إلى جِسْر الصّراة فرأوْا أنّ جماعة أهل المِصر قد خرجوا إليهم ، قطعوا الجِسرَ ، واغتنَم ذلك الحارث ، فتحبّس . ثم إنّه جلس للناس فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ، ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّ أوّل القِتال الرّمْيًا بالنّبل ، ثمّ إشراع الرّماح ، ثمّ الطعن بها شَزْرًا ؛ ثمّ السَّلّة آخر ذلك كلّه .

قال: فقام إليه رجل فقال، قد أحسَن الأمير أصلَحه الله الصَّنعة، ولكنْ حتّام نَصْنع هذا وهذا البحر بيننا وبين عدوّنا ! مُرْ بهذا الجِسْر فليُعقَدْ (١) كما كان، ثم اعبُرْ بنا إليهم، فإنّ الله سيريك فيهم ما تُحبّه، فأمر بالجسر فأعيدَ، ثم عبر الناسُ إليهم فطاروا حتّى انتَهوْا إلى المَدائن، وجاء المسلمون حتّى انتَهوْا إلى المدائن، وجاءت خيل لهم فطاردت خيلاً للمسلمين طَرْداً ضَعيفاً عند الجِسْر. ثمّ إنّهم خرجوا منها فأتبعهم (٢) الحارثُ بنُ أبي ربيعةَ عبدَ الرّحمن بنَ مِخنَف في ستّة آلاف ليُخرجهم من أرض الكوفة، فإذا وَقَعوا في أرضِ البصرة خلّاهم (٣) فأتبعهم حتّى إذا خرَجوا من أرضِ الكوفة ووقعوا إلى أصبهان انصرف (٤) عنهم ولم يقاتلهم، ولم يكن بينه وبينهم قِتال، ومضوا حتّى نزلوا بعَتّاب بنِ وَرْقاء بجَيّ، فأقاموا عليه وحاصروه، فخرج إليهم فقاتلهم فلم يُطِقهم، وشدّوا على أصحابه حتّى دخلوا المدينة، وكانت أصبهان يومئذ طُعْمةً لإسماعيل بن طَلحة من (٥) مُصعَب بن الزبير، فبعث عليها عتّاباً، فصَبَر لهم عتّاب، وأخذ يخرج إليهم في كلّ يوم (٦) فيُقاتِلهم على باب المدينة، ويَرمُون من السور بالنَّبْل والنشّاب والحجارة، وكان مع عتّاب رجل من حَضْرَمَوْت يقال له أبو هُرَيرة بنُ شريح، فكان يَخرُج مع عتّاب، وكان شجاعاً، فكان يَحمِل عليهم ويقول:

كيف ترَوْن ياكِلابَ النَّارِ   شَدَّ أَبي هُرَيْرَةَ الهَرَّارِ
يهِرُّكم باللَّيلِ والنهارِ   يابن أَبي الماحوزِ والأَشْرارِ
* كيف تُرَى جَيَّ على المِضْمارِ ! *

فلمّا طال ذلك على الخوارج من قوله كَمَن له رجل من الخوارج يظنون أنّه عَبيدة بن هلال، فخرج ذات يوم فصنع كما كان يصنع، ويقول كما كان يقول، إذ حَمَل عليه عَبيدة بنُ هِلال فضرَبه بالسيف ضربةً على حبل عاتقِه فصرعه، وحَمَل أصحابُه عليه فاحتملوه فأدخلوه

٧٦٢/٢
٧٦٣/٢

(١) ف: «فليعقد». (٢) ف: «وأتبعهم». (٣) ف: «جلاهم».
(٤) ف: «فانصرف». (٥) ا، ط: «بن»، وانظر الفهرس. (٦) ط: «أيام».

وداوَوْه ، وأخذَت الأزارقةُ بعد ذلك تُناديهم يقولون[١] : يا أعداءَ الله، ما فعَل أبو هُرَيرة الهرّار[٢] ؟ فينادونهم : يا أعداء الله، والله ما عليه من بأس ، ولم يَلبَث أبو هُرَيرة أن بَرِئَ ، ثمّ خرج عليهم بعدُ ، فأخذوا يقولون : يا عدوّ الله ، أما والله لقد رجونا أن نكون قد أزَرْناكَ أمّك ؛ فقال لهم : يا فسّاق ، ما ذكركم أمّي ! فأخذوا يقولون : إنه ليغضب لأمّه ، وهو آتيها عاجلا . فقال له أصحابهُ : وَيْحك ! إنّما يَعنُون النّارَ ، فَفطِن فقال : يا أعداء الله ، ما أعقّكم بأمّكم حين تنتفون منها ! إنّما تلك أمكم ، وإليها مَصيرُكم .

ثمّ إنّ الخوارجَ أقامت عليهم أشهرًا حتى هلك كُراعُهم ، ونفِدَت أطعمتُهم ، واشتدّ عليهم الحِصار ، وأصابهم الجَهْد الشديد ، فدعاهم عتّاب بنُ ورقاء فحَمِد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أمّا بعد أيّها الناس ، فإنه قد أصابكم من الجَهْد ما قد تَرَون ، فوالله إن بقي إلا أن يموتَ أحدُكم على فِراشه فيجيءَ أخوه فيَدفِنه إن استطاع ؛ وبالحرَى أن يَضعُف عن ذلك ، ثمّ يموت هو فلا يجد من يَدفِنه ، ولا يصلّي عليه ، فاتّقوا الله ، فوالله ما أنتم بالقليل الّذين تهُون شوكتُهم على عدوّهم ، وإنّ فيكم لَفُرسانُ أهلِ المِصْر ، وإنّكم لصُلَحاءُ . من أنتم منه ! اخرجوا بنا إلى هؤلاء القومِ وبكم حَياة وقُوّة قبلَ ألّا يستطيعَ رجلٌ منكم أن يمشي إلى عدوّه من الجَهْد ، وقبلَ ألّا يستطيعَ رجلٌ أن يمتنع من امرأة لو جاءتْه ، فقَاتلَ رجلٌ عن نفسه وصبر وصدق ، فوالله إني لأرجو إنْ صَدقتموه أن يُظفركم الله بهم ، وأن يُظهِركم عليهم . فناداه الناسُ من كل جانب : وُفِّقتَ وأصبتَ ، اخرُج بنا إليهم ، فجمع إليه الناس من الليل ، فأمرَ لهم بعَشاء كثير ، فعَشِيَ الناسُ عنده ؛ ثم إنّه خرج بهم حين أصبح على راياتهم ، فصبّحهم في عسكرهم[٣] وهم آمِنون من أن يُؤتَوا في عسكرهم ، فشَدّوا عليهم في جانبه ، فضاربوهم فأخلوا عن وجه العسكر حتّى انتَهوْا إلى الزّبير بن الماحوز ، فنزل في عِصابة من أصحابه فقاتَل حتّى قُتِل ، وانحازت الأزارقةُ إلى قَطَريّ ، فبايعوه ،

٢/٧٦٤

(١) ف : « ويقولون » . (٢) ف : « الفرار » .

(٣) ف : « وهم في عسكرهم » .

وجاء عَتَّاب حتَّى دخل مدينتَه،وقد أصاب مِن عسكرهم ماشاء ، وجاء قَطَرِىّ فى أثره كأنَّه يريد أن يقاتله ، فجاء حتى نزل فى عسكر الزّبير بن الماحُوز ، فتزعم الخوارجُ أنّ عيْناً لقَطَرِىّ جاءه فقال : سمعتُ عتَّاباً يقول : إنّ هؤلاء القومَ إنْ رَكِبوا بَنات شَحَّاج ، وقادُوا بَنات صهَّال ، ونزلوا اليومَ أرضًا وغداً أخرى ، فبالحَرِىّ أن يبقوا ؛ فلمَّا بلغ ذلك قَطَرِيًّا خرج فذهب وخلّاهم .

قال أبو مِخنَف : قال أبو زهير العبْسىّ وكان معهم : خرجْنا إلى قَطرىّ من الغد مُشاةً مُصْلِتين بالسيوف ؛ قال : فارتحلوا والله فكان آخر العهد بهم . قال: ثمّ ذهب قَطَرِىّ حتَّى أتى ناحيةَ كِرْمان فأقام بها حتَّى اجتمعت إليه جموعٌ كثيرة ، وأكل الأرض واجتبى المال وقوىَ ، ثم أقبَل حتَّى أخذ فى أرض أصبهان . ثم إنَّه خرج من شِعْب ناشِط إلى أيذَج ، فأقام بأرضِ الأهواز والحارث بن أبى ربيعة عامل المُصعَب بن الزبير على البصرة،فكتب إلى مصعب يُخبره أنّ الخوارجَ قد تحدّرتْ إلى الأهْواز ، وأنّه ليس لهم إلا المهلَّب ، فبعث إلى المهلَّب وهو على المَوْصِل والجزيرة . فأمرَه بقتال الخوارج والمَسير إليهم ، وبعث إلى عمَله إبراهيمَ بنَ الأشتر ، وجاء المهلَّب حتَّى قَدِم البصرة ، وانتخَب الناس، وسار بمن أحَبّ ، ثمّ توجّه نحو الخَوارج ، وأقبَلوا إليه حتَّى التقَوا بسُولافَ ، فاقتتلوا بها ثمانيةَ أشهُر أشدّ قِتال رآه الناس ، لا يَنقع بعضهم لبعض من الطّعن والضَّرب ما يَصُدّ بعضهم عن بعض . ٧٦٥/٢

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه السَّنة كان القَحْطُ الشديدُ بالشأم حتَّى لم يَقدِروا من شِدّته على الغَزْو .

وفيها عَسكر عبدُ الملك بنُ مروانَ ببُطنان حَبيب من أرضِ قِنَّسْرِين ، فمُطِروا بها ، فكَثُر الوحل فسمَّوْها بُطْنان الطّين ، وشَتَا بها عبدُ الملك ، ثمّ انصرَفَ منها إلى دِمَشق .

وفيها قتل عبيد الله بن الحرّ .

[ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحرّ]

* ذكر الخبر عن مقتله والسبب الذى جرّ ذلك عليه :

رَوَى أحمدُ بنُ زهير ، عن علىّ بنِ محمّد ، عن علىّ بن مجاهد ، أنّ عُبيدَ الله بن الحُرّ كان رجلاً من خيار قومه صَلاحًا وفضلاً ، وصلاةً واجتهادًا ، فلمّا قُتل عثمانُ وهاجَ الهيْجُ بين علىّ ومعاوية ، قال : أما إن الله ليعلم أنى أحبّ عثمانَ ، ولأنصُرنّه ميّتًا . فخرج إلى الشأم ، فكان مع معاوية ، وخرج مالكُ بنُ مِسمَع إلى معاوية على مثل ذلك الرأى فى العثمانيّة ، فأقام عُبيدُ الله عندَ معاوية ، وشهِد معه صِفّين ، ولم يزل معه حتّى قُتل علىّ عليه السلام ، فلمّا قُتِل علىّ قَدِم الكوفةَ فأتى إخوانَه ومن قد خَفّ فى الفتْنة ، فقال لهم : يا هؤلاء ، ما أرَى أحدًا ينفَعه اعتزالُه ، كنّا بالشأم ، فكان من أمرِ معاوية كَيْتَ وكَيْت . فقال له القوم : وكان من أمرِ علىّ كَيْت وكَيْت ، فقال : يا هؤلاء ، إنْ تُمكِننا الأشياء فاخلعوا عُذُرَكم ، واملِكوا[1] أمرَكم ؛ قالوا : سنلتقِى ، فكانوا يلتقون على ذلك .

٧٦٦/٢

فلما مات معاوية هاج ذلك الهيْج فى فتنة ابن الزبير ، قال : ما أرى قريشًا تنصِف ، أين أبناءُ الحرائر ! فأتاه خَليعُ كلّ قبيلة ، فكان معه سبعمائة فارس ، فقالوا : مُرْنا بأمرك ، فلمّا هرَب عُبيدُ الله بنُ زياد وماتَ يَزيدُ بنُ معاوية ، قال عُبيدُ الله بن الحرّ لفتْيانه : قد بيّن الصّبْحُ لذِى عَيْنَيْن ، فإذا شئتم ! فخرج إلى المدائن فلم يَدع مالاً قُدّم من الجبَل للسّلطان إلّا أخذه ، فأخذ منه عطاءَه وأعطية أصحابه ، ثم قال : إنّ لكم شركاءَ بالكوفة فى هذا المال قد استوجبُوه ، ولكن تعجّلوا عطاءَ قابلٍ سَلَفًا ، ثم كتب لصاحبِ المال براءةً بما قبض من المال ، ثمّ جعل يتقصّى الكُوَر على مثل ذلك . قال : قلت : فهل كان يتناول أموال الناس والتّجار ؟ قال لى : إنّك لغيرُ عالِم بأبى الأشْرس[2] ، والله ما كان فى الأرض

(١) ف : « فاملكوا » . (٢) ف : « الأشوس » .

٧٦٧/٢ عَرَبِىٌّ أغْيَرَ عَنْ حُرَّة ولا أكفُّ عن قبيح وعن شَراب منه ، ولكن إنَّما وضعه عند الناس شِعْرُه ، وهو من أشعر الفتيان[1] . فلم يَزَل على ذلك من الأمر حتَّى ظهر المُختار ، وبلَغه[2] ما يَصنَع بالسَّواد ، فأمر[3] بامرأته أمّ سلَمة الجُعفيّة فحُبِست ، وقال : والله لأقتلَنَّه أو لأقتلنّ أصحابه ، فلمَّا بلغ ذلك عُبيدَ الله بنَ الحُرّ أقبلَ فى فِتْيانه حتَّى دخل الكوفة لَيْلا ، فكَسَر بابَ السجن ، وأخرَج امرأتَه وكلّ امرأة ورجلٍ كان فيه ، فبعث إليه المختار مَن يقاتله ، فقاتلهم حتَّى خرج من المِصْر ، فقال حينَ أخرج امرأتَه من السجن :

ألم تَعْلَمِى يا أُمَّ توبَةَ أنَّنِى	أنَا الْفَارِسُ الحَامِى حَقَائِقَ مَذْحِج
وأنِّى صَبَحتُ السِّجْنَ فى سوْرة الضُّحَى	بكلِّ فَتًى حامى الذِّمار مُدَجَّجِ
فما إنْ بَرِحْنَ السجنَ حتى بدا لنا	جَبِينٌ كقَرْنِ الشمس غَيْرُ مُشَنَّجِ
وخدٌّ أَسِيل عن فَتَاةٍ حَيِيَّةٍ	إلَينا سقاها كل دانٍ مُثَجّجِ
فما العيش إلا أن أَزُورَكِ آمِنًا	كعادتِنا من قبْل حَرْبى ومُخْرَجى
وما أَنْتِ إلا همَّةُ النفس والهوى	علَيْكِ السلامُ من خليط مُسَحِّجِ
وما زلتُ مَحْبوساً لحبسكِ وَاجِماً	وإنِّى بما تَلْقَيْن من بَعْدِهِ شَجِ
فبالله هَلْ أبْصَرْتِ مِثْلِىَ فارِساً	وقد وَلجُوا فى السجن من كُلّ مَوْلِجِ !
ومثلى يُحامى دون مِثْلِكِ إنَّنى	أَشُدُّ إذا ما غَمْرَة لم تفرَّجِ
أضاربهم بالسيف عَنْكِ لترجعِى	إلى الأَمن والعيش الرفيعِ المُخَرفَجِ
إذا ما أحاطوا بِى كررتُ عليْهمُ	ككَرِّ أَبى شِبْلين فى الخِيس مُحْرَج
دعوتُ إلىّ الشاكرىَّ ابنَ كامل	فوَلَّى حَثِيثاً رَكْضُهُ لم يُعَرِّجِ
وإن هتَفُوا باسمى عَطَفْتُ عَلَيْهِمُ	خُيُولَ كِرَامِ الضرب أكثرُهَا الوَجى
فلا غَرْوَ إلّا قولَ سَلْمَى ظَعينَتى :	أما أَنْتَ يابن الحُرِّ بالمُتَحرِّجِ !

٧٦٨/٢

(١) ف : « القبيل » . (٢) ف : « فبلغ المختار » . (٣) س : « أمر » .

دَعِ القَوْمَ لا تَقْتُلهُمُ وانجُ سالماً وشَمِّرْ هَدَاكَ ٱللهُ بالخَيل فاخْرُج
وإنى لأَرجُو يـابنة الخَير أَن أُرَى على خير أَحْوَال المُؤَمِّلِ فارتجى
أَلا حبَّذا قولى لأَحْمَر طَيِّئٍ ولابن خُبَيْب قد دنا الصبْح فادلج
وقولِى لهذا سِرْ وقَولى لذا ارتحِلْ وقولى لذا من بعد ذلك أَسرج

٢/٧٦٩

وجعل يعبث بعُمّالِ المختارِ وأصحابه ، ووَثبتْ هَمْدان مع المختار فأحرقوا دارَه ، وانتهبوا ضيْعته بالجُبّةِ والبُداة ، فلما بلغه ذلك سار إلى مَاه إلى ضِياع عبدِ الرحمن بنِ سعيدِ بنِ قيس ، فأنهبها وأنهب ما كان لهمْدانَ بها ، ثمّ أقبل إلى السَّواد فلم يدع مالا لهمْدانىّ إلا أخذَه ، ففى ذلك يقول :

وما تركَ الكذَّابُ مِنْ جُلِّ مالِنَا ولا الزرقُ من همدَانَ غيْرَ شريدِ
أَفى الحَق أَن تَنْهبْ ضياعِىَ شاكرٌ[1] وتأْمنَ عندى ضَيْعَة ابنِ سَعيدِ !
أَلم تَعْلَمى يا أُمَّ توبَةَ أَنَّنى على حدثان الدهر غَيْرُ بَليدِ
أَشُدُّ حيازِيمى لكلّ كريهَةٍ وإنى على ما ناب جدُّ جَليدِ
فإن لم أُصَبِّحْ شاكرًا بكتيبَةٍ فعالجتُ بالكفَّين غُلَّ حَديدِ
هُمُ هدموا دارى وقادوا حليلتى إلى سِجْنِهِمْ والمسلمون شهُودى
وهم أَعجلوها أَن تَشُدَّ خمارَها فياعَجباً هلِ الزمان مقيدى !
فما أَنا بابن الحُرّ إن لم أَرُعْهُمُ بِخَيلٍ تعادى بالكماةِ أُسودِ
وما جَبُنَتْ خيلى ولكن حَملتُها على جَحْفلٍ ذى عُدّة وعَديدِ

٢/٧٧٠

وهى طويلة . قال : وكان يأتى المَدائنَ فيمرّ بعمَّال جُوخَى فيأخذ ما معهم من الأموال ، ثمّ يميل إلى الجبَل ، فلم يزَل على ذلك حتّى قُتِل المختار ، فلما قُتِل المختار قال الناس لمصعب فى ولايته الثانية : إن ابن الحُرّ شاقّ ابنَ زياد والمختار ، ولا نأمَنُه أن يثب بالسواد كما كان يفعل ، فحبسه مُصعَب فقال ابن الحُرّ :

---

(١) فى الأخبار الطوال ٢٩٧ : « أفى الحق أن يجتاح مالى كله » .

من مُبلغُ الفِتْيَانِ أَنَّ أَخـاهُمُ ... أَتَى دونَهُ بابٌ شَديدٌ وحاجبُهْ
بمنْزلة ما كان يرْضى بمثلِهَا ... إذا قام عنَّتْه كبولٌ تجَاوِبُهْ
على الساق فوق الكعب أَسْوَدُ صامتٌ ... شديدٌ يُدانى خَطْوَهُ ويُقَارِبُهْ
وما كان ذا من عُظم جُرْمٍ جَنيْتُهُ ... ولكن سَعى الساعى بما هُوَ كاذِبُهْ
وقد كان فى الأَرض العرِيضَةِ مسلكٌ ... وأَىُّ امرئٍ ضاقَتْ عليه مذاهِبُهْ! ٢/٧٧١
وفى الدهر والأَيّام للمرْءِ عِبْرَةٌ ... وفيما مضى إن ناب يَوْماً نوائبُهْ

فكلَّم عُبيدُ الله قومًا من مَذحِجَ أن يأتوا مُصعبًا فى أمرِه ، وأرسل إلى وجوههم ، فقال : ائتوا مصعبًا فكلّموه فى أمرى ذاته ، فإنَّه حبَسَنى على غير جُرْم ، سعى بى قومٌ كذَبةٌ وخوّفُوه ما لم أكن لأفعَله ، وما لم يكن من شأنى . وأرسل إلى فِتيان من مَذْحِج وقال : البَسوا السلاح ، وخُذُوا عدّة القتال ، فقد أرسلتُ قومًا إلى مُصعب يكلمونه فى أمرى ، فأقيموا بالباب ، فإن خرج القومُ وقد شفّعهم فلا تَعرِضوا لأحد ، وليَكُنْ سلاحُكم مكفَّرًا بالثياب ، فجاء قوم[1] من مَذحِج فدخلوا على مُصعب فكلموه ، فشفّعهم ، فأطلَقَه . وكان ابنُ الحُرّ قال لأصحابه : إن خرجوا ولم يشفّعهم فكابروا السجن فإنى أعينكم من داخل ، فلما خرج ابنُ الحُرّ قال لهم : أظهِروا السلاحَ ، فأظهَروه ، ومضى لم يَعرِض له أحد، فأتَى منزلَه ، وندم مصعب على إخراجِه ، فأظهر ابنُ الحُرّ الخلافَ ، وأتاه الناسُ يهنّئونه ، فقال : هذا الأمر لا يصلح إلا لمثل خُلفائكم الماضين ، وما نرَى لهم فينا نِدًّا ولا شَبيهًا فنُلقِى إليه أزمّتنا ، ونمحّضه نصيحتنا ، فإن كان إنّما هو مَنْ عَزَّ بَزّ ، فعلامَ : نَعقد لهم فى أعناقنا بَيعةً ، وليسوا بأشجَعَ منّا لقاءً ، ولا أعظمَ منّا غناء[2] ! وقد عَهِد إلينا رسول الله صلّى الله عليه وسلم : ألّا طاعةَ لمخلوق فى معصيةِ الخالق ، وما رأيْنَا بعدَ الأربعةِ الماضين إمامًا صالحًا ، ولا وزيرًا تقيًّا ، كلهم عاصٍ مخالِف ، قوىّ الدنيا ، ضعيفُ ٢/٧٧٢

(١) ف : « فجاءوا » .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط « غنى » .

الآخرة ، فعلام تُستحَلّ حرمتنا ، ونحن أصحاب النُّخيلة والقادسيّة وجَلولاء ونِهاوَند! نَلقَى الأسنّة بنُحورنا والسيوفَ بجِباهِنا ، ثم لا يعرف لناحقّنا وفضلنا ؛ فقاتلوا عن حريمكم ، فأىّ الأمرِ ماكان فلكُم فيه الفضل ، وإنى قد قلبت ظهرالمِجَنّ ، وأظهرتُ لهم العداوة ، ولا قُوّة إلاّ بالله . وحاربهم فأغار فأرسل إليه مصعبٌ سيفَ بن هانئ المُرادىّ ، فقال له : إنّ مصعبًا يُعطِيك خراج بادوريا على أن تُبايع وتدخل فى طاعته ؛ قال : أوَليسَ لى خَراجُ بادوريا وغيرها ! لست قابلاً شيئًا ، ولا آمَنُهم على شىء ، ولكنى أراك يا فتى — وسيفٌ يومئذ حدَثٌ — حَدَثًا ، فهل لك أن تَتْبَعَنى وأموّلك ! فأبى عليه ، فقال ابن الحُرّ حين خرج من الحَبْس :

لا كُوفَةٌ أُمِّى ولا بَصْرَةٌ أَبِى ولا أَنَا يَثْنِينِى عن الرحْلَة الكَسَلْ

- قال أبو الحسن : يُروَى هذا البيتُ لسُحَيْم بن وثيل الرِّياحىّ —

فلا تحْسَبَنّى ابنَ الزُّبَيْرِ كَناعِسٍ إذا حَلَّ أَغْفَى أَو يقال لَهُ ٱرتحِلْ

فإنْ لم أُزِرْكَ الخَيلَ تَرْدِى عوابِساً بفُرْسانِها لا أُدْعَ بالحازِمِ البَطَلْ

وإن لم تَرَ الغارَاتِ مِنْ كُلِّ جانبٍ عليك فَتَنْدَمْ عاجلاً أَيُّها الرَّجلْ

فلا وضعَتْ عندى حصَانٌ قناعهَا ولا عِشْتُ إلاّ بالأَمانِىِّ والعِلَلْ

وهى طويلة .

٧٧٣/٢

فبعث إليه مُصعَب الأبردَ بن قرة الرياحىّ فى نفر ، فقاتله فهزَمَه ابنُ الحُرّ ، وضَرَبه ضربةً على وجهه ، فبعث إليه مصعبٌ حُرَيْثَ ابنَ زَيْد — أو يزيدَ — فبارَزَه ، فقتَلَه عُبيدُ الله بنُ الحُرّ ، فبعث إليه مصعب الحجّاج بن جارية[1] الخثعمىّ ومُسلِم بن عَمرو ، فلَقياه بنهر صرْصر ، فقاتَلهم فهزَمَهم ، فأرسل إليه مصعب قومًا يدعونه إلى أن يؤمّنه ويصِله ، ويولّيه أىَّ بلد شاء ، فلَم يَقبَل ، وأتى نَرْسَى ففرّ دِهقانُها ظيزجشْنَس بمال الفَلُّوجة ، فتبعه ابنُ الحُرّ حتّى مرّ بعَين التّمر وعليها بِسْطام بنُ مَصقَلة بن هُبيرة الشّيبانىّ ، فتعوّذ بهم الدّهقان ، فخرجوا إليه فقاتَلوه — وكانت خيلُ بِسطام خَمْسين ومائةَ فارس — فقال يونس بن

(١) ط : « حارثة » وانظر الفهرس .

هاعان الهَمْدانيّ من خَيْوان، ودعاه ابنُ الحرّ إلى المُبارَزة : شَرٌّ دهر آخره، ما كنتُ أحسَبُني أعيش حتى يدعونى إنسانٌ إلى المبارزة ! فبارَزَه فضرَبَه ابنُ الحرّ ضربةً أثخنته ، ثمّ اعتنقا فخرّا جميعًا عن فرسيْهما ، وأخذ ابنُ الحرّ عمامةَ يونسَ وكتّفه بها ثمّ ركب ،ووافاهم الحجّاج بن حارثة الخثْعَميّ ، فحمَل عليه الحجّاج فأسره أيضًا عُبيد الله[1] ، وبارز بِسطام بن مصقلة المجشّرَ، فاضطربا حتّى كره كلٌّ واحد منهما صاحبَه ، وعلاه بِسطام، فلمّا رأى ذلك ابنالحرّ حمَل على بِسْطام واعتنقه بسطامٌ ، فسقَطا إلى الأرض ، وسقَط ابنُ الحرّ على صدرِ بِسطام فأسره، وأسر يومئذ ناسًا كثيرًا ، فكان الرجل يقول : أنا صاحبُك يومَ كذا ،ويقول الآخر : أنا نازلٌ فيكم ، ويمُتّ كلّ واحد منهم بما يرَى أنّه ينفعه، فيخلّى سبيله ، وبعثَ فوارسَ من أصحابه عليهم دَلْهَمٌ المُراديّ يَطلبون الدّهقان ، فأصابوه ، فأخذوا المالَ قبلَ القتال ، فقال ابنُ الحرّ :

لوْ أنَّ لى مِثلَ جَريرٍ أرْبَعَهْ ... صبحْتُ بَيْتَ المالِ حتى أجْمَعَهْ

ولم يُهلنى مُصْعبٌ ومنْ مَعَهْ ... نِعْمَ الفَتَى ذلكُمُ ابن مَشْجَعَهْ

ثم إن عُبيدَ الله أتى تكْريتَ ، فهرَب عاملُ المهلّب عن تكريتَ ، فأقام عُبيد الله يجبي الخراج ، فوجّه إليه مصعبٌ الأبردَ بن قرّة الرّياحيّ والجوْن بنَ كعْب الهَمْدانيّ فى ألف ، وأمدّهُما المهلّب بيزيد بن المغفّل فى خمسمائة ، فقال رجلٌ من جُعْفيّ لعبيد الله : قد أتاكَ عددٌ كثير ، فلا تُقاتلْهم ، فقال :

يَخَوِّفُنى بالقتْل قومِى وإنّما ... أمُوتُ إذا جاءَ الكتابُ المؤَجّلُ

لَعلَّ القنا تُدْنى بأطرافِها الغِنَى ... فنحْيَا كِراماً أو نكُرُّ فنقْتَلُ

فقال للمجشّر ودَفَع إليه رايتَه، وقدّم معه دَلهَماً المراديّ ، فقاتلهم يومين وهو فى ثلثمائة ، فخرج جرير بنُ كريب ، وقُتِل عمرو بن جُندَب الأزديّ وفرسان كثير من فرْسانه ، وتحاجزوا عندَ المساء ،

٢/٧٧٤ ٢/٧٧٥

(١) بعدها فى ف : « ابن الحر » .

وخرج عُبيدُ الله من تكريتَ فقال لأصحابه: إنى سائرٌ بكم إلى عبد الملك ابن مرْوان ، فتهيئّوا ، وقال : إنى أخاف(١) أن أفارقَ الحياةَ ولم أذعر مُصعبًا وأصحابه، فارجِعوا بنا إلى الكوفة. قال : فسار إلى كسْكَر فنَفَى عاملِها، وأخذ بيت ما لِهَا ، ثمّ أتى الكوفة فنزل لحّام جرير، فبعث إليه مُصعبٌ عمرَ بن عُبيد الله بن معمر ، فقاتَلَه ، فخرَج إلى ديْر الأعور ، فبعث إليه مُصْعَبٌ حجّار بن أبجر ، فانهزم حجّار ، فشتَمه مصعبٌ وردّه ، وضمَ إليه الجوْن بن كعب الهَمْدانىّ وعمر بن عُبيد الله بن معمر ، فقاتلُوه بأجمعهم ، وكثرت الجراحات فى أصحاب ابن الحُرّ وعُقِرتْ خيُولهم، وجُرح المجشّر، وكان معه لواءُ ابن الحُرّ، فدَفعه إلى أحْمَر طيِّئ، فانهزَم حجّار بن أبجر ثم كرّ ، فاقتتلوا قِتالاً شديدًا حتّى أمسَوْا ، فقال ابنُ الحُرّ :

لو أنَّ لِى مِثلَ الفتى المُجَشِّرِ ثلاثةً بَيّتُّهُمْ لَا أَمتَرِى

ساعَدنى لَيْلَةَ دَيْر الأَعْوَرِ بالطَّعن والضَّربِ وعندَ المَعبَرِ

لَطاحَ فيها عُمر بنُ مَعمر

وخرج ابنُ الحُرّ من الكوفة ، فكتَب مصعبٌ إلى يزيدَ بن الحارث بن رُؤيم الشَّيْبانىّ – وهو بالمَدائن – يأمره بقتال ابن الحُرّ ، فقدّم ابنه حَوْشبًا فلَقِيَه بباجِسْرى ، فهزَمَه عُبيدُ الله وقَتِل فيهم ، وأقبل ابنُ الحُرّ فدخل المَدائن، فتَحصّنوا ، فخرج عبيدُ الله فوجَّه إليه الجون بن كَعْب الهَمْدانىّ وبِشْر بن عبد الله الأسدىّ ، فنزل الجون حَوْلاَيَا ، وقَدم بِشر إلى تَامَرًّا فلقِىَ ابنَ الحُرّ، فقَتَله ابنُ الحُرّ، وهزم أصحابه، ثمّ لقى الجون بن كعب بحَوْلايا ، فخرج إليه عبدُ الرحمن بنُ عبد الله ، فحَمل عليه ابنُ الحُرّ فطعَنه فقتَله وهزم أصحابَه ، وتَبِعهم ، فخرج إليه بشير بنُ عبد الرّحمن بن بشير العِجْلىّ ، فالتَقوا بسُورًا فاقتتَلوا قتالا شديدًا ، فانحاز بشيرعنه ، فرجع إلى عمله ، وقال: قد هزمتُ ابنَ الحُرّ ، ٧٧٦/٢

(١) ف : « خائف » .

فبلغ قولُه مُصعبًا ، فقال : هذا من الذين يُحبّون أن يُحمَدوا بما لم يَفعلوا . وأقامَ عُبيد الله فى السَّواد[١] يُغير ويجبى الخراج ، فقال ابنُ الحُرّ فى ذلك :

سَلُوا ابن رُؤيم عن جِلادى ومَوْقِفى ... بإيوانِ كسرى لا أُولّيهمُ ظَهْرى
أكُرُّ عليهمْ مُعْلِمًا وتَراهُمُ ... كمِعْزَى تحنّى خَشيةَ الذئب بالصَّخْرِ
وبَيَّتُّهُمْ فى حِصنِ كِسرَى بنِ هُرْمُزٍ ... بِمَشْحوذةٍ بِيضٍ وخَطِّيّةٍ سُمْرِ
فأَجزيتُهُم طعنًا وضربًا تراهُمُ ... يَلوذُون منا مَوْهِنًا بذُرَا القَصْرِ[٢]
يَلُوذون مِنّى رَهبةً ومَخافةً ... لواذًا كما لاذ الحمائمُ من صَقْرِ ٢/٧٧٧

ثم إنّ عُبيدَ الله بن الحُرّ — فيما ذكر — لحق بعبد المَلِك بن مَرْوان ، فلمّا صار إليه وجّهه فى عشرة نفر نحوَ الكُوفة ، وأمره بالمسير نحوَها حتّى تلحقه الجنودُ ، فسار بهم ، فلمّا بلغ الأنْبار وجّه إلى الكوفة من يُخبِر أصحابَه بقدومه ، ويَسألهم أن يخرجوا إليه ، فبلغ ذلك القيسيّة ، فأتَوا الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة عامل ابن الزّبير على الكُوفة ، فسألوه أن يبعث معهم جيشًا ، فوجّه معهم ، فلمّا لقُوا عُبيد الله قاتَلَهم ساعة ، ثم غرِقَت فرسُه ، وركب معبرًا فوَثب عليه رجلٌ من الأنْباط فأخذ بعَضُدَيه وضرَبَه الباقون بالمَرادِىّ ، وصاحوا : إنّ هذا طلبةُ أمير المؤمنين ، فاعتَنَقا فغرِقا ، ثمّ استخرَجوه فجَزّوا رأسَه ، فبَعَثوا به إلى الكُوفة ثمّ إلى البَصْرة .

قال أبو جعفر : وقد قيل فى مَقتله غيرُ ذلك من القول ؛ قيل : كان سببُ مَقتَل عُبيد الله بن الحُرّ أنّه كان يغشَى بالكوفة مُصعَبًا ، فرآه يُقدّم عليه أهلَ البصرة ، فكتب إلى عبد الله بنِ الزّبير — فيما ذُكر — قصيدةً يعاتِب بها مُصعَبًا ويخوّفُه مَسيرَه إلى عبدِ الملك بنِ مَروان ، يقول فيها :

---

(١) ف : « بالسواد » .
(٢) ف : « يلوذون منا يومنا » .

أَبْلِغْ أَميرَ المومنينَ رِسالةً فلَسْتُ على رأيٍ قبيحٍ أُوارِبُهْ

٧٧٨/٢ أَفى الحقّ أَن أُجْفَى ويَجعَلَ مُصْعَبٌ وَزِيرَيْهِ مَن قد كنتُ فيه أُحارِبُهْ!

فكيفَ وقد أَبليتُكم حقَّ بيْعتى وحقِّىَ يُلْوَى عندكُم وأُطالِبُهْ

وأَبليتُكُمْ مَالاً يُضَيَّعُ مِثلُهُ وآسيْتُكم والأَمرُ صَعْبٌ مَراتبُهْ

فلمّا ٱستنار الملكُ وٱنقادَتِ العِدَا وأُدْرِكَ مِن مال العراقِ رغائبُهْ

جَفا مُصعَبٌ عنّى ولو كان غيرَهُ لأَصبَحَ فيما بيننا لا أُعاتِبُهْ

لقد رابَنى من مُصعب أَنَّ مُصْعَباً أَرَى كُلَّ ذِى غِشٍّ لنا هو صاحبُه

وما أَنا إِنْ حَلَّأْتُمونى بِوارِدٍ على كَدرٍ قد غُصّ بالصَّفْو شاربُهْ

وما لِامرِئٍ إِلَّا الَّذى الله سائقٌ إِليه وما قد خَطَّ فى الزَّبْر كاتِبُهْ

إِذا قمتُ عند الباب أَدْخِلَ مُسْلمٌ ويمنعُنى أَن أَدخُلَ البابَ حاجبُهْ

وهى طويلة .

وقال لمُصعَب وهو فى حَبْسه، وكان قد حُبس معه عطيّة بنُ عَمرو البَكْرىّ ، فخرج عطيّة ، فقال عُبيد الله :

أَقولُ له صبرًا عَطِىُّ فإِنَّما هو السجن حتَّى يَجعلَ اللهُ مَخرَجا

٧٧٩/٢ أَرَى الدّهرَ لى يوْمين يوماً مطرَّدًا شَريدًا ويوماً فى المُلوك مُتَوَّجَا

أَتَطْعَنُ فى دِينى غَدَاةَ أَتيتُكمْ وللدّين تُدْنى الباهلىَّ وحَشْرَجَا !

أَلَمْ تر أَنَّ الملكَ قد شِينَ وَجهُهُ ونَبْعُ بلادِ الله قدصارَ عَوْسَجَا !

وهى طويلة .

وقال أيضًا يُعاتب مُصعَباً فى ذلك ، وَيذكُر له تقريبَه سُوَيد ابن مَنْجوف ، وكان سُوَيد خفيفَ اللحية :

بأَىّ بلاءٍ أَمْ بأَيةِ نعمة تَقدَّمُ قَبْلى مُسلمٌ والمهلَّبُ

ويُدعَى ابن منْجوف إمامى كأَنه　　خصىٌّ أَتى للماءِ والعَيْر يَسرُبُ
وشيخُ تَميمٍ كالثَّغَامةِ رأْسُهُ　　وعَيْلان عنَّا خائفٌ مُترَقّبُ
جَعلتُ قُصور الأَزْدِ ما بينَ منبجٍ　　إلى الغافِ من وادِى عُمانَ تصوّبُ
بلادٌ نَفَى عنها العدوَّ سُيوفنا　　وصُفرةُ عنها نازحُ الدّار أَجْنبُ

وقال قصيدةً يهجو فيها قيس عَيْلان ، يقول فيها :

٧٨٠/٢

أَنا ٱبنُ بنى قَيْس فإِنْ كنتَ سائلا　　بقيسٍ تَجِدْهُم ذروَةً فى القبائلِ
أَلم تَر قيساً قيس عَيلان برقَعَتْ　　لِحاها وباعتْ نَبْلَها بالمغازِلِ !
وما زِلتُ أَرجو الأَزْدَ حتَّى رأَيتُها　　تُقَصِّرُ عن بُنْيانِها المتطاولِ

فكتب زُفَر بنُ الحارث إلى مُصعَب : قد كَفَيتك قِتَال ابن الزّرقاء وابن الحُرّ يهجو قيساً . ثمّ إنّ نَفرًا من بنى سُلَيم أخذوا ابنَ الحُرّ فأسَروه ، فقال : إنى إنّما قلت :

أَلم تر قَيْساً قيسَ عَيلانَ أَقبلَتْ　　إِلينا وسارتْ بالقَنا والقنابلِ

فقتله رجلٌ منهم يقال له عَيَّاش فقال زُفَر بن الحارث :

لما رأَيتُ الناسَ أَولاد عَلَّةٍ　　وأَغرق فينا نَزْغةً كُلُّ قائلِ
تكلَّمَ عنَّا مَشْيُنا بسُيوفِنا　　إلى الموتِ وٱستِنْشاطِ حَبْلِ المَراكِلِ
فلو يَسأَلُ ٱبنُ الحرّ أُخْبِرَ أَنَّها　　يمانيَة لا تُشتَرَى بالمَغازِلِ
وأُخْبِرَ أَنَّا ذَاتُ عِلمٍ سُيوفُنا　　بأَعناقِ ما بينَ الطُّلَى والكواهِلِ

وقال عبدُ الله بنُ هَمّام :

٧٨١/٢

تَرنَّمْتَ يا بنَ الحُرِّ وحدَكَ خالِيًا　　بقولِ ٱمرئٍ نَشوانَ أَو قولِ ساقِطِ
أَتذكُرُ قوماً أَوجَعَتْك رِماحُهُمْ　　وذَبّوا عَنِ الأَحسابِ عندَ المآقِطِ
وتَبكى لِما لاقَت ربيعةُ منهمُ　　وما أَنتَ فى أَحسابِ بكرٍ بواسطِ !
فهلّا بِجُعْفىٍّ طَلبْتَ ذُحولَها　　ورهْطك دُنْيا فى السّنينَ الفَوارِطِ !
تَركناهُمُ يومَ الثَّرىّ أَذلَّةً　　يلوذُون من أَسيافِنا بالعَرَافِطِ

وخالَطكم يومَ النُّخَيْل بجَمْعِه عُمَيرٌ فما استبشَرتمُ بالمُخالِطِ
ويوم شراحيلٍ جَدعْنا أنوفَكُمْ وليس علينا يومَ ذاكَ بقاسط
ضَرَبنا بحدِّ السَّيْف مفرِق رأسِه وكان حديثاً عهْدُهُ بالمَواشِط
فإن رغمتْ من ذاك آنفُ مَذحجٍ فرغمًا وسخْطاً للأُنوف السَّواخِطِ

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه السَّنة وافَت عرَفات أربعةُ ألويَة ، قال محمَّد بن عُمر: حدّثنى شُرَحبيل بنُ أبى عَوْن، عن أبيه، قال : وقفتْ فى سنة ثمان وستين بعرَفات أربعةُ ألوية : ابنُ الحنفيَّة فى أصحابه فى لواء قام عند جبل المُشاة ، وابنُ الزّبير فى لواء ، فقام مَقامَ الإمام اليومَ ، ثمّ تَقدّمَ ابنُ الحنفيَّة بأصحابه حتَّى وقفوا حذاءَ ابن الزبير ،ونجدةُ الحَروريّ خلفَهما ، ولواءُ بنى أميَّة عن يسارهما ، فكان أوّل لواء انفضّ لواءُ محمَّد ابن الحنفيَّة ، ثم تَبعه نَجدة ، ثمّ لواء بنى أميَّة ، ثمّ لواءُ ابن الزّبير ، واتَّبعه الناس . ٧٨٢/٢

قال محمد : حدّثنى ابن نافع ، عن أبيه ، قال : كان ابنُ عمرَ لم يدفع تلك العشيَّة إلّا بدَفعة ابنِ الزّبير ، فلمَّا أبطأ ابنُ الزّبير وقد مضى ابنُ الحنفيَّة ونَجدةُ وبنو أميَّة— قال ابن عمر : ينتظر ابنُ الزبير أمر الجاهلية — ثمّ دَفَع ، فدَفَع ابنُ الزّبير على أثره .

قال محمَّد : حدّثنى هشامُ بنُ عُمارة ، عن سعيد بنِ محمَّد بن جُبيَر ، عن أبيه، قال: خفتُ الفتنَة ، فمشيت إليهم جميعًا ، فجئت محمَّدَ بن عليّ فى الشِّعْب، فقلتُ : يا أبا القاسم ، اتَّق الله فإنَّا فى مَشعَر حَرام ، وبلد حرام ، والناس وفدُ الله إلى هذا البيت ، فلا تُفسد عليهم حَجَّهم ؛ فقال : واللهِ ما أريد ذلك ، وما أحول بين أحد وبين هذا البيت ، ولا يُؤتَى أحدٌ من الحاجّ من قِبَلى ، ولكنى رجلٌ أدفَع عن نفسى من ابن الزبير ؛ وما يروم منّى ، وما أطلب هذا الأمر إلا ألّا يختلف علىّ فيه اثنان ! ولكن ائتِ ابنَ الزبير فكلّمه ، وعليك بنَجْدة ، قال

محمّد: فجئتُ ابنَ الزبير فكلّمته بنحو ما كلّمتُ به ابن الحنفيّة ، فقال : أنا رجل قد اجتمع علىّ الناسُ وبايَعونى ، وهؤلاء أهلُ خلاف ، فقلت : أرَى خيرًا[1] لك الكَفّ ؛ قال[1] : أفعَل ، ثمّ جئتُ نَجدةَ الحَرورىّ ٧٨٣/٢ فأجدُه فى أصحابه ، وأجدُ عكرمةَ غلامَ ابنَ عبّاس عندَه ، فقلت له : استأذِن لى على صاحبك ؛ قال: فدخل، فلم ينشَب أن أذِن لى ، فدخلتُ فعظّمتُ عليه، وكلّمته كما كلّمت الرّجلين ، فقال : أمّا أن ابتدئ أحدًا بقتال فلا ، ولكنْ مَن بدأ بقتال قاتلتُه ؛ قلتُ : فإنى رأيتُ الرّجلين لا يُريدان قتالَك ، ثمّ جئتُ شيعَة بنى أميّة فكلّمتهم بنحو ما كلّمت به القوم ، فقالوا : نحن على ألا نُقاتلَ أحدًا إلّا أن يقاتلَنا ، فلم أرَ فى تلك الألوية قومًا أسكَنَ[2] ولا أسلَمَ دفعةً من ابن الحنفيّة .

قال أبو جعفر : وكان العاملُ لابن الزّبير فى هذه السنة على المَدينة جابرُ ابنُ الأسوَد بن عوف الزّهرىّ، وعلَى البَصرة والكوفة أخوه مُصعَب ، وعلى قضاءِ البَصْرة هشامُ بنُ هُبيرة ، وعلى قضاء الكوفة عبدُ الله بنُ عتبة بن مسعود ، وعلى خُراسانَ عبدُ الله بن خازم السُّلَمىّ ، وبالشأم عبدُ الملك ابنُ مَرْوان .

---

(١) ف : « الكف خير لك ، فقال » . (٢) ا : « أمكن » .

ثم دخلت سنة تسع وستّين

[ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو]

ففيها كان خروجُ عبد الملك بن مَرْوان – فيما زَعَم الواقديّ – إلى عينِ وَرْدة ، واستَخلف عمرَو بنَ سعيد بنِ العاص على دِمَشق فتحصّن بها ، فبَلَغ ذلك عبدَ الملك ، فرجع إلى دِمَشق ، فحاصره – قال : ويقال: خرج معه – فلمّا كان ببُطْنانِ حَبيب ، رجع إلى دِمَشق فتحصّن فيها ، ورجع عبدُ الملك إلى دِمَشق .

وأمّا عَوانة بن الحَكَم فإنّه قال – فيما ذكَر هشام بن مُحمّد عنه: – إنّ عبدَ الملك بن مَرْوان لمّا رجع من بُطْنَانِ حبيبٍ إلى دِمَشق مَكَث بدِمَشق ما شاء الله ، ثمّ سار يريد قَرقيسياءَ ، وفيها زُفَر بنُ الحارث الكلابيّ ومعه عَمرُو بنُ سعيد ، حتّى إذا كان ببُطنانِ حَبيب فَتَك عَمرُو بنُ سعيد ، فرجع لَيْلا ومعه حُمَيد بن حُرَيث بنِ بَحْدل الكلبيّ وزُهَير بن الأبرد الكلبيّ ، حتّى أتى دِمَشقَ وعليها عبدُ الرّحمن ابن أمّ الحَكَم الثّقَفيّ قد استَخلَفه عبدُ الملك، فلمّا بلغه رجوعُ عَمرو ابن سعيد هَرَب وتَرَك عملَه ، ودخَلَها عمرو فَغلَب عليها وعلى خَزائنها .

٧٨٤/٢

* * *

وقال غيرُهما: كانت هذه القصّة فى سنة سبعين . وقال : كان[1] مسير عبدِ المَلك من دِمَشقَ نحوَ العراق يريد مُصعَبَ بنَ الزّبير ، فقال له عمرو بنُ سعيد بن العاص : إنّك تَخرُج إلى العراق، وقد كان أبوك وعَدَنى هذا الأمرَ مِن بعده ، وعلى ذلك جاهدت معه ، وقد كان من بلائى معه ما لم يَخفَ عليك، فاجعل لى هذا الأمر من بَعدِك، فلم يُجبه عبدُ الملك إلى شىء ، فانصرف عنه عمرو راجعًا إلى دِمَشقَ ، فرجع عبدُ الملك فى أثَره حتّى انتهى إلى دمَشق .

---

(١) ا : «وكان» .

رجع الحديث إلى حديثِ هشام ، عن عوانة ، قال : ولمّا غلب عمرو على دِمَشق طلب عبدَ الرحمن بنَ أمّ الحَكَم فلم يُصِبه ، فأمر بداره فهُدِمت واجتمع الناسُ ، وصعِدَ المنبرَ فحَمِدَ اللهَ وأثنَى عليه ، ثم قال :

أيها الناس، إنّه لم يقُم أحد من قريش قبلى على هذا المِنبَر إلّا زعم أنّ له جنةً ونارًا ، يُدخِل الجنّةَ من أطاعه ، والنارَ من عصاه ، وإنى أخبِركم أنّ الجنة والنارَ بيَدِ الله ، وأنّه ليس إلىّ من ذلك شىءٌ ، غيرَ أن لكم علىّ حُسنَ المؤاساة والعطيّة . ونزل .

٧٨٥/٢ وأصبَح عبد الملك، ففقد عمروسعيد ، فسأل عنه ، فأخبِر خبَره ، فرجع عبدُ الملك إلى دِمَشق ، فإذا عمرو قد جلّل دِمَشق المُسوحَ فقاتَلَه بها أيّامًا ، وكان عَمرو بنُ سعيد إذا أخرَج حميد بنَ حُرَيث الكلبىّ على الخَيْل أخرَج إليه عبدُ الملك سُفْيانَ بن الأبردِ الكَلْبىّ ، وإذا أخرج عَمرو بنَ سعيد زهيرَ بن الأبرد الكلبىّ أخرَج إليه عبد الملك حسّانَ بن مالك بنَ بَحْدل الكلبىّ .

قال هشام حدّثنى عوانة ، أنّ الخيلين تواقَفتا ذاتَ يوم ، وكان مع عَمرو بنِ سعيد رجلٌ من كَلْب يقال له رَجاء بن سرَاج ، فقال رجاء : يا عبدَ الرّحمن بنَ سليم ، ابرُز — وكان عبدُ الرحمن معِ عبدِ الملك — فقال عبدُ الرحمن : قد أنْصف القَارَةَ من رامَاها ، وبَرز له ، فاطّعَنا وانقَطَع ركابُ عبدِ الرحمن ، فَنجَا منه ابنُ سراج ، فقال عبدُ الرحمن : واللهِ لولا انقطاع الرّكاب لرميت بما فى بطنِك من تبْن ، وما اصطلح عمرو وعبدُ الملك أبدًا ، فلمّا طال قِتالُهم جاءَ نساءُ كَلْب وصِبْيانُهم فبَكَيْن وقُلْن لسُفيانَ بن الأبرد ولابن بَحْدل الكلبىّ : عَلام تَقتُلون أنفسَكم لسلطانِ قُرَيش ! فَحلَف كلّ واحد منهما ألّا يرجع حتّى يرجع صاحبُه ، فلمّا أجمَعوا على الرّجوع نظروا فوَجَدوا سُفيان أكبرَ من حُرَيث ، فطلبوا إلى حُرَيث ، فرجع . ثمّ إنّ عبدَ الملك وعمرًا اصطَلَحا ، وكَتبا بينهما كتابًا ، وآمَنَه عبدُ الملك وذلك عشيّة الخميس .

٧٨٦/٢ قال هِشام : فحدّثنى عَوانة أنّ عَمرو بنَ سعيد خرج فى الخَيْل

متقلّداً قوساً سوداء ، فأقبل حتّى أوطأ فرسه أطناب سُرادق عبدِ الملك ، فانقطعتْ الأطنابُ وسقط السرادق ، ونزل عمرٌو فجلس وعبدُ الملك مُغضَب ، فقال لعمرو : يا أبا أميّة ، كأنّك تَشَبَّهُ بتقلّدك هذه القوسَ بهذا الحيّ من قيس ! قال : لا ، ولكني أتشبّه بمن هو خيرٌ منهم ؛ العاص بن أميّة . ثمّ قام مغضباً والخيلُ معه حتّى دخل دمَشق ، ودخل عبدُ الملك دمَشق يومَ الخميس ، فبعث إلى عَمرو أن أعطِ النّاس أرزاقَهم ، فأرسل إليه عمرو : إنّ هذا لك ليسَ ببلَد فاشخص عنه . فلمّا كان يوم الاثنين وذلك بعد دخولِ عبدِ الملك دِمَشق بأربع بعَث إلى عَمرو وأن ائتني — وهو عند امرأتهِ الكلبية ، وقد كان عبدُ الملك دعا كُريب بنَ أبرهة بنَ الصبّاح الحميريّ فاستشاره فى أمر عَمرو بنِ سعيد ، فقال له : فى هذا هلكت حِمْيرٌ ، لا أرَى لك[1] ذلك ، لا ناقَتِي فى ذَا ولا جملي — فلمّا أتى رسولُ عبدِ الملك عمرًا يدعوه صادف الرسولُ عبدَ الله بن يزيد بن معاوية عند عمرو ، فقال عبد الله لعمرو بن سعيد : يا أبا أميّة ، والله لأنت أحبُّ إلىّ من سَمْعي وبصري ، وقد أرى هذا الرّجل قد بعث إليك أن تأتيَه ، وأنا أرَى لك ألّا تَفعل ، فقال له عمرو : ولِم ؟ قال : لأنّ تُبيع ابن امرأة كَعْب الأحبار قال : إنّ عظيماً من عظماءِ ولدِ إسماعيل يَرجع فيُغلق أبواب دِمَشق ، ثمّ يَخرج منها ، فلا يلبث أن يُقتل ؛ فقال له عمرو : واللهِ لو كنتُ نائماً ما تخوّفت أن ينبّهني ابنُ الزّرقاء ، ولا كان ليجترئُ على ذلكَ مني ، مع أنّ عثمانَ بنَ عفّان أتاني البارحة فى المنام فألبسني قميصه — وكان عبدُ الله بنُ يزيدَ زوج أم موسى بنت عمر و بن سعيد — فقال عمرو للرسول : أبلغه السلام ، وقل له : أنا رائح إليك العشيّةَ إن شاء الله. فلمّا كان العشيّ لبس عمرٌو دِرْعاً حَصينَة بين قباء قُوهيّ[2] وقميص قُوهيّ ، وتَقلّد سيفَه وعندَه امرأتهُ الكلْبيّة ، وحُميد بن حُرَيث بن بَحْدل الكلبيّ ، فلمّا نهض متوجّهاً ، عثر بالبساط ، فقال له حميد : أما والله لئن[3] أطعتَني لم تأته ، وقالت له امرأتهُ تلك المقالةَ ، فلم يلتفتْ إلى قولهم ، ومضى فى مائة رجل من مواليه ، وقد بعث عبدُ الملك إلى بني مَرْوان فاجتمَعوا عندَه ، فلمّا بلغ عبد الملك

٧٨٧/٢

(١) ف : « لا رأى لى فى ذلك » . (٢) قوهى : نسبة إلى قوهستان .
(٣) ف : « لو » .

أنَّه بالباب أمر أن يُحبَس مَن كان معه ، وأذن له فدَخل ، ولم تزَل أصحابُه يُحْبَسون عند كلّ باب حتى دخل عمرٌو قاعةَ الدّار ، وما معه إلاّ وصيف له ، فرَمَى عمرٌو ببصره نحوَ عبد الملك، فإذا حوله بنو مروان، وفيهم حسَّان ابنُ مالك بن بَحْدل الكلبيّ وقبيصة بن ذُؤيب الخُزاعي، فلما رأى جماعتَهم أحسّ بالشرّ ؛ فالتفت إلى وصيفه فقال : انطلق ويْحك إلى يَحيي بن سعيد، فقل له يأتيني. فقال له الوصيف ولم يَفهَم ما قال له : لبّيك ! فقال له : اغرُب عنّي في حرق الله وناره. وقال عبدُ الملك لحسَّان وقبيصة : إذا شئتما فقُوما فالتقَيا وعمرًا في الدار ، فقال عبدُ الملك لهما كالمازح ليطمئنّ عمرو بن سعيد : أيّكما أطولُ ؟ فقال حسَّان : قَبيصةُ يا أمير المؤمنين أطولُ مني بالإمرة ، وكان قبيصةُ على الخاتم . ثمّ التفت عَمرو إلى وصيفه فقال : انطلقْ إلى يحيي فمُرْه أن يأتيَني ، فقال له : لبَّيك ، ولم يفهم عنه ، فقال له عمرو : اغرُب عني ، فلمَّا خرج حسَّان وقبيصة أمَر بالأبواب فغلّقتْ ، ودخل عمرو فرّحب به عبدُ الملك ، وقال : ها هنا يا أبا أميّة ، يَرحمك الله ! فأجلسَه معه على السَّرير ، وجعل يحدّثه[1] طويلا ، ثم قال : يا غلام ، خذ السَّيف عنه ، فقال عمرو : إنَّا لله يا أميرَ المؤمنين ! فقال عبدُ الملك : أوَ تطمع أن تَجلس معي متقلّدًا سيفَك ! فأخذ السيف عنه ، ثمّ تحدَّثا ما شاء الله ، ثمّ قال له عبدُ الملك : يا أبا أميّة ؛ قال : لبَّيك يا أمير المؤمنين ؛ فقال : إنَّك حيث خلعتَني آليتُ بيمين إنْ أنا ملأتُ عيني منك وأنا مالكٌ لك أن أجمعَك في جامعة، فقال له بنو مَرْوان : ثمّ تُطلقه يا أمير المؤمنين ؟ قال : ثمّ أطلقه ، وما عسيتُ أن أصنَع بأبي أميَّة ! فقال بنو مَرْوان : أبِرّ قَسم أميرِ المؤمنين ، فقال عمرو : قد أبرّ الله قسمك يا أمير المؤمين ، فأخرج من تحت فراشه جامعةً فطرحها إليه ، ثمّ قال : يا غلام ، قم فاجمعْه فيها ؛ فقام الغلام فجمَعه فيها ، فقال عمرو : أذكّرك الله يا أميرَ المؤمنين أن تُخرِجني فيها على رءوس الناس ! فقال عبدُ الملك : أمكرًا أبا أميَّة عند الموت ! لا ها الله إذًا ! ما كنَّا

٧٨٨/٢

---

(١) ف : « يحادثه » .

لنُخرِجَنَّك فى جامعة على رءوس الناس ، ولمـَّا نخرجها منك إلا صُعدًا . ثمّ اجتبذه اجتباذةً أصاب فمـَه السريرُ فكَسَر ثَنيـَّته[١] ، فقال عمرو : أذكِّرك الله يا أمير المؤمنين أن يدعوك إلى كسر عظم منّى أن تركب[٢] ما هو أعظم من ذلك . فقال له عبدُ الملك : والله لو أعلم أنك تُبقى علىّ إن أبقِيَ عليك وتصلح قريش لأطلقتُك ، ولكن ما اجتمع رجلان قطّ فى بلدة على مثل ما نحن عليه إلّا أخرج أحدُهما صاحبه . فلمـّا رأى عمرو أنّ ثنيـَّته قد اندقـَّت[٣] وعرف الّذى يريد عبدالملك ، قال : أغدرًا يا بن الزّرقاء !

٧٨٩/٢

* * *

وقيل : إنّ عبد الملك لمـَّا جذب عمراً فسقطتْ ثَنيـَّته جعل عمرٌو يمسّها ، فقال عبدُ الملك له : أرى ثنيـَّتك قد وقعتْ[٤] منك موقعاً لا تطيب نفسُك بعدَها . فأمر به فضُرِبَ عنقه .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عوانة . وأذّن المؤذّنُ العصرَ ، فخرج عبدُ الملك يصلّى بالناس ، وأمر عبدَ العزيز بنَ مروان أن يقتله ، فقام إليه عبدُ العزيز بالسَّيف ، فقال له عمرو : أذكِّرُك اللهَ والرّحِمَ أن تلىَ أنتَ قتْلى ، وليتولّ ذلك مَنْ هو أبعَد رحِمـًا منك ! فألقى عبد العزيز السيفَ وجلس ، وصلّى عبدُ الملك صلاةً خفيفة ، ودخل ، وغُلّقت الأبواب ورأى الناسُ عبدَ الملك حيث خرج وليس عمرٌو معه ، فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد فأقبل فى النـّاس حتـّى حلّ بباب عبد الملك ومعه ألفُ عبد لعمرو ، وأناس بعدُ من أصحابه كثير ، فجعل من كان معه يصيحون : أسمِعْنا صوتَك يا أبا أميـّة ! وأقبل مع يحيى بن سعيد حُميد بن حُرَيث وزُهَير بن الأبْرد فكسروا بابَ المقصورة ، وضربوا الناسَ بالسيوف ، وضرب عبدٌ لعَمْرو بن سعيد يقال له مصْقَلة الوليدَ بنَ عبد الملك ضربةً على رأسه ، واحتمله إبراهيم ابنُ عربىّ صاحبُ الديوان فأدخله بيتَ القراطيس ، ودخل عبدُ الملك حين صلّى فوجد عمرًا حيـًّا ، فقال لعبد العزيز : ما منعك من أن تقتُله ! قال :

٧٩٠/٢

---

(١) ف : « ثنيتيه » .
(٢) بعدها فى ف : « منى » .
(٣) ف : « أن ثنيتيه اندقتا » .
(٤) ف : « أرى أن ثنيتيك اندقتا » .

منعني أنّه ناشدنى اللهَ والرّحِمَ فرقَقْتُ له . فقال له عبدُ الملك : أخزَى الله أمّكَ البوّالة على عقبيها ، فإنّك لم تُشبه غيرَها — وأمّ عبدالملك عائشةُ بنتُ معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أميّة ، وكانت أمّ عبد العزيز ليلى ، وذلك قول ابن الرُّقيّات :

ذاك ابنُ لَيلَى عبدُ العزيزِ ببا بِلْيون تَغـدُو جِفَانُهُ رُذُمَا[1]

ثم إنّ عبد الملك قال : يا غلام ، ائتني بالحَرْبة. فأتاه بالحرْبة فهزّها ، ثمّ طعنه بها فلم تجز ، ثمّ ثنّى فلم تجز ، فضرب بيده إلى عَضُد عمرو ، فوجَد مسّ الدِّرْع ، فضحك ، ثمّ قال : ودارِعٌ أيضًا يا أبا أميّة ! إن كنت لمعدًّا ! يا غلام ، ائتنى بالصّمصامة ، فأتاه بسيفه ، ثمّ أمر بعمْرو فصُرِع ، وجلَس على صدره فذبَحه وهو يقول :

يا عمرُو إن لا تَدَعْ شَتْمِي ومَنْقَصَتى أضربْك حيثُ تقولُ الهامةُ اسقُونى[2]

وانتفَض عبدُ الملك رِعْدةً — وكذلك الرجلُ زعموا يُصيبُه إذا قتَل ذا قرَابة له — فحُمل عبدُ الملك عن صدره فوُضع على سريره ، فقال : ما رأيتُ مثلَ هذا قطّ ، قتَلَه صاحبُ دُنْيا ولا طالبُ آخرة . ودخل يحيى ابنُ سعيد ومن معه على بنى مرْوان الدارَ فجرّحوهم ومن كان معهم من مواليهم ، فقاتَلوا يحيى وأصحابَه ، وجاء عبدُ الرحمن بنُ أمّ الحكَم الثّقَفى فدفَع إليه الرأس ، فألقاه إلى النّاس ، وقامَ عبدُ العزيز بنُ مروان فأخذَ المال فى البدور ، فجعل يُلقيها إلى الناس ، فلمّا نظر الناسُ إلى الأموال ورأوا الرأسَ انتهبُوا الأموالَ وتفرّقوا . وقد قيل : إنّ عبدَ الملك ابن مروانَ لمّا خرج إلى الصّلاة أمر غلامَه أبا الزُّعَيْزِعَة بقتلِ عمرو ، فقتَله وألقَى رأسَه إلى النّاس وإلى أصحابه .

٧٩١/٢

٧٩٢/٢

قال هشام : قال عَوانةُ : فحدّثتُ أنّ عبد الملك أمرَ بتلك الأموال التى طُرحتْ إلى الناس فجُبيَتْ حتّى عادت كلّها إلى بيت المال ، ورُمِي يحيى بنُ سعيد يومئذ فى رأسه بصخرة ، وأمر عبدُ الملكِ بسريرِه فأبرز إلى

(١) ديوانه ١٥٢ . رذما : ملاء . وبابليون : اسم لموضع الفسطاط .

(٢) لذى الإصبع ، من المفضّلية ٣١ .

المسجد ، وخرج فجلس عليه ، وفُقِد الوليد بن عبد الملك فجعل يقول : ويحكم ! أين الوليد ؟ وأبيهمْ لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم ، فأتاه إبراهيمُ بنُ عربيّ الكنانيّ فقال : هذا الوليد عندى ، قد أصابتْه جراحة ، وليس عليه بأس ، فأتِيَ عبدُ الملك بيحيي بن سعيد ، فأمر به أن يُقتَل ، فقام إليه عبدُ العزيز ، فقال : جعلَني الله فداك يا أميرَ المؤمنين ! أتُراك قاتلاً بنى أميَّة فى يوم واحد ! فأمر بيحيي فحُبِس ، ثم أتى بعنبسة بن سعيد ، فأمر به أن يقتَل ، فقام إليه عبد العزيز فقال : أذكّرك الله يا أميرَ المؤمنين فى استئصال بنى أميَّة وهلاكها ! فأمر بعنبسة فحبس ، ثم أُتِىَ بعنبسة بن سعيد فأمر به أن يقتل ، فقام إليه عبد العزيز بن مروان ، فقال : اذكرك الله يا أمير المؤمنين فى استئصال بنى أمية وهلاكها ! فأمر بعنْبسة فحُبِس ، ثمّ أتِيَ بعامر بنِ الأسود الكلبيّ فضرب رأسَه عبدُ الملك بقَضيب خيْزُران كان معه ، ثم قال : أتقاتلنى مع عمرو وتكون معه علىّ ! قال : نعم ، لأنّ عَمراً أكرَمنى وأهنتَنى ، وأدنانى وأقصيتنى ، وقرّبنى وأبعدْتنى ، وأحسن إلىّ وأسأتَ إلىّ ، فكنتُ معه عليك . فأمر به عبدُ الملك أن يُقتَل ، فقام عبدُ العزيز فقال : أذكرك الله يا أميرَ المؤمنين فى خالى ! فوهَبه له . وأمر ببنى سعيد فحُبِسوا ، ومكث يحيى فى الحَبْس شهرًا أو أكثر . ثمّ إنّ عبدالملك صَعِد المنبر ، فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ، ثم استشار الناس فى قتله ، فقام بعضُ خطباء الناس فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هل تلد الحيّةُ إلاّ حيَّة ! نرى والله أن تَقتُله فإنّه منافق عدوّ . ثمّ قام عبدُ الله بن مَسعَدةَ الفَزاريّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ يحيى ابنُ عمّك ، وقرابتُه ما قد علمت ، وقد صنعوا ما صنعوا ، وصنعتَ بهم ما قد صنعتَ ، ولست لهم بآمن ، ولا أرَى لك قتلهم ، ولكن سيّرهم إلى عدوّك ، فإن هم قُتِلوا كنتَ قد كُفيت أمرهم بيَد غيرك ، وإن هم سَلِموا ورجعوا رأيتَ فيهم رأيك .

٧٩٣/٢

فأخذ برأيه ، وأخرَجَ آلَ سعيد فألحقَهم بمُصعَب بن الزبير ، فلمّا قدِموا عليه دخل يحى بنُ سعيد ، فقال له ابن الزبير : انفلتّ وانحصّ الذَّنَب ، فقال : والله إن الذنَب لَبِهُلْبِه . ثمّ إنّ عبد الملك بعث إلى امرأةِ عمرٍو الكلبيَّة : ابعثى إلىّ بالصّلح الّذى كنتُ كتبته

لعمرو ، فقالت لرسوله : ارجع إليه فأعلمه أنى قد لففتُ ذلك الصلحَ معه فى أكفانه ليُخاصمك به عند ربّه ، وكان عمرو بنُ سعيد وعبدُ الملك يلتقيان فى النّسب إلى أميّة ، وكانت أمّ عمرو أمّ البنين ابنةُ الحكم ابن أبى العاص عمّةَ عبد الملك .

قال هشام : فحدّثنا عوانة أنّ الّذى كان بين عبدِ الملك وعمرو كانَ شرًّا قديمًا ، وكان ابنا سعيد أمّهما أمّ البنين ، وكان عبدُ الملك ومعاويةُ ابنى مرْوان ، فكانوا وهم غلْمان لا يزالون يأتون أمّ مرْوان بن الحكم الكنانيّة يتحدّثون عندها ، فكان ينطلق مع عبدِ الملك ومعاوية غلام لهم أسوَد ، وكانت أمّ مروانَ إذا أتَوْها هيّأتْ لهم طعامًا ، ثمّ تأتيهم به فتضع بين يدىْ كلّ رجل صَحفةً على حدَة ، وكانت لا تزال تؤرّش بين معاويةَ ابن مروان ومحمّد بن سعيد ، وبين عبد الملك وعمرو بنِ سعيد ، فيقتتلون ويتصارمون الحين ، لا يكلّم بعضُهم بعضًا ، وكانت تقول : إن لم يكن عند هذين عقل فعند هذين ، فكان ذلك دأبها كلّما أتَوْها حتّى أثبتت الشّحْناء فى صدورهم . ٧٩٤/٢

وذكر أنّ عبدَ الله بن يزيد القَسْرىّ أبا خالد كان مع يحيى ابن سعيد حيث دخل المسجد فكسر بابَ المقصورة ، فقاتل بنى مرْوان ، فلمّا قتِل عمرو وأخرِج رأسه إلى النّاس ركب عبدُ الله وأخوه خالد فلحقوا بالعراق ، فأقام مع وُلد سعيد وهم مع مُصعَب حتّى اجتمعت الجماعةُ على عبد الملك ، وقد كانت عينُ عبد الله بن يزيد فُقِئت يوم المرْج ، وكان مع ابن الزبير يُقاتِل بنى أميّة ، وإنه دخل على عبد الملك بعد الجماعة ، فقال : كيف أنتم آلَ يزيدَ ؟ فقال عبد الله : حُرباء حُرباء ، فقال عبد الملك : ذلك بما قدّمتْ أيديكم ، وما اللهُ بظلاّم للعبِيد .

قال هِشام عن عوانة : إنّ وُلْد عمرو بن سعيد دخلوا على عبد الملك بعد الجماعة وهم أربعة : أميّة ، وسعيد ، وإسماعيل ، ومحمّد ، فلمّا نظر إليهم عبدُ الملك قال لهم : إنّكم أهل بيْت لم تزالوا ترَوْن لكم على جميع قومِكم فضْلا لم يجعلْه الله لكم ، وإنّ الّذى كان بينى وبين أبيكم لم ٧٩٥/٢

يكن حديثًا ، بل كان قديمًا فى أنفُس أوّليكم على أوّلينا فى الجاهليّة . فأقطع بأميّة بن عمرو — وكان أكبرهم — فلم يقدر أن يتكلّم ، وكان أنبلَهم وأعقلَهم ، فقام سعيدُ بنُ عمرو وكان الأوسطَ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما تَنعى علينا أمرًا كان فى الجاهليّة ، وقد جاء الله بالإسلام فهَدم ذلك ، فوعَدَنا جنّة ، وحذّرنا نارًا ! وأمّا الّذى كان بينك وبين عَمرو فإنّ عَمرًا ابن عمك ، وأنت أعلَم وما صنعت ، وقد وَصَل عَمرٌو إلى الله ، وكَفَى بالله حسيبًا ، ولعَمرى لئن أخذتَنا بما كان بينك وبينَه لبطن الأرض خيرٌ لنا من ظَهرها. فرقّ لهم عبدُ الملك رقّةً شديدة ، وقال : إنّ أباكم خيّرنى بين أن يقتلَنى أو أقتلَه ، فاخترتُ قتلَه على قتلى ، وأمّا أنتم فما أرغبنى فيكم ، وأوصلنى لقرابتكم ، وأرعانى لحقّكم ! فأحسن جائزتَهم ، ووصلَهم وقرّبهم .

وذكر أنّ خالد بنَ يزيدَ بنَ معاوية قال لعبد الملك ذات يوم : عجبٌ منك ومِن عَمرو بن سعيد ، كيف أصبت غِرّته فقتلتَه ! فقال عبد الملك :

دَانَيتُه مِنّى لِيَسكنَ رُوعُه فأَصُولَ صَولَةَ حازِمٍ مُسْتَمكِنِ
غَضَباً ومحمِيةً لدِينى إنّه لَيسَ المُسِيءُ سبيلُه كالمُحسِنِ

٧٩٦/٢ قال عَوانة : لقىَ رجلٌ سعيدَ بنَ عَمرو بن سعيد بمكّة ، فقال له : وربّ هذه البَنيّة ، ما كان فى القوم مِثل أبيك ، ولكنّه نازع القومَ ما فى أيديهم فعَطِب .

وكان الواقدىّ يقول : إنّما كان فى سنة تسع وستّين بين عبد الملك ابن مروانَ وعَمرو بن سعيد الحصار ، وذلك أنّ عمرو بنَ سعيد تَحصّن بدمَشق فرجَع عبدُ الملك إليه من بُطنان حَبيب ، فحاصَرَه فيها ، وأمّا قتلُه إيّاه فإنّه كان فى سنة سبعين .

* * *

وفى هذه السّنة[1] حكّم محكّم من الخوارج بالخَيْف من مِنًى فقُتِل عند الجمرة ، ذكر محمّد بنُ عمرَ أن يحيى بنَ سعيد بن دينار حدّثه عن

(١) قبلها فى ا : « قال أبو جعفر » .

أبيه، قال: رأيته عند الجمرة سَلَّ سيفه، وكانوا جماعةً فأمسَكَ اللهُ بأيديهم، وبَدَرَ هو من بينهم، فحكم، فمال الناسُ عليه فقَتَلوه.

وأقام الحجَّ للناس فى هذه السنة عبدُ الله بنُ الزبير.

وكان عاملَه فيها على المصرَين: الكوفة والبَصْرة[1] أخوه مصعب بن الزبير[2]. وكان على قضاء الكوفة شُرَيح[2] وعلى قضاء البَصْرة هِشام بنُ هُبيرة، وعلى خُراسانَ عبدُ الله بنُ خازم.

(١) ب، ف: «البصرة والكوفة».
(٢ — ٢) ب، : «وعلى الكوفة شريح يتولى قضاءها».

ثم دخلت سنة سبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فى هذه السَّنة ثارت الرّوم ، واستجاشوا على مَن بالشأم من ذلك من المسلمين ؛ فصالح عبدُ الملك ملكَ الروم ، على أن يؤدّى إليه فى كلّ جمعة ألفَ دينار خوفًا منه على المسلمين .

* * *

وفيها شخص — فيما ذَكر [1] محمّدُ بن عمرَ — مصعبُ بن الزبير إلى مكّة فقدمها بأموال عظيمة ، فقسمها فى قومه وغيرهم ، وقدِم بدوابّ كثيرة وظَهْر وأثقال ، فأرسل إلى عبد الله بن صَفْوانَ وجُبَير بن شَيْبة ، وعبد الله بن مطيع ٧٩٧/٢ مالاً كثيرًا ، ونحر بُدْنًا كثيرة .

* * *

وحجّ بالنّاس فى هذه السَّنة عبدُ الله بن الزّبير .

وكان عُمّاله على الأمصار فى هذه السنة عمّاله فى السنة الّتى قبلها على المعاون والقضاء .

---

(١) ب ، ف : « زعم » .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مسيرُ عبد الملك بن مَرْوان فيها إلى العراق لحرب مُصعب بن الزبير ، وكان عبد الملك — فيما قيل — لا يزال يقرب من مُصعب ، حتَّى يبلغ بُطنان حَبيب ، ويخرج مصعب إلى بَاجُمَيرًا ، ثم تهجُم الشتاء فيرجع كلّ واحد منهما إلى موضعه ، ثم يعودان ؛ فقال عديّ بن زيد بن عديّ بن الرّقاع العامليّ :

لعمْرى لقدْ أَصحرَتْ خيلُنا ... بأَكْناف دِجْلةَ للمُصعَبِ(1)

إذا ما مُنافق أَهل العِرَا ... قِ عُوتب ثُمّتَ لم يُعْتَبِ(2)

دَلفنْا إليهِ بذى تُدْرَإٍ ... قليل التَّفَقُّدِ للغُيَّب(3)

يهزُّون كلَّ طويل القَنا ... ةِ مُلْتَئِم النَّصْلِ والثَّعْلَبِ(4)

كأَنَّ وعَاهُمْ إذا ماغَدوْا ... ضجيجُ قَطًا بلدٍ مُخصبِ

فقدَّمنا واضحٌ وجْهُهُ ... كريم الضَّرائب والمنْصِبِ

أُعِينَ بِنَا ونُصِرْنا بِهِ ... ومن يَنْصُر اللهُ لم يُغلَبِ(5)

٧٩٨/٢

(١) الأغانى ٩ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
(٢) هذا البيت والذى يليه لم يرد فى رواية الأغانى .
(٣) ذو تدرأ . مدافع ذو عز ومنعة . وفى المسعودى : « لدى موقف » .
(٤) الثعلب هنا : رأس الرمح .
(٥) الأبيات برواية الأغانى :

لعمرِى لقد أَصحرتْ خيلُنَا ... بأَكناف دِجْلةَ للمُصْعبِ

يهزُّون كلَّ طَويل القنا ... ةِ لدْنٍ ومعتدِلِ الثعلَبِ

فداؤُك أمّى وأَبناؤُها ... وإن شئتَ زدت عليها أَبى

وما قُلتُها رَهْبةً إنما ... يحلّ العِقَاب على المذنب

إذا شِئْتُ نازلت مستقتلا ... أزاحم كالجمل الأَجرَبِ

فمن يكُ منّا يبت آمناً ... ومن يكُ من غيرنا يهرُب

فحدّثني عمر بن شبّة ، قال : حدّثني عليّ بن محمد ، قال : أقبل عبدُ الملك من الشأم يريد مُصعباً — وذلك قبل هذه السنة ، في سنة سبعين — ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسِيد ، فقال خالد لعبد الملك : إن وجّهتَني إلى البصرة وأتبعتَني خيلا يسيرة رجوتُ أن أغلب لك عليها . فوجّهه عبد الملك ، فقدمها مستخفيّاً في مواليه وخاصّته ، حتّى نزل على عمرو بن أصمع الباهليّ .

قال عمر : قال أبو الحسن : قال مسلمة بن محارب : أجار عمرو بن أصمع خالداً ، وأرسل إلى عبّاد بن الحُصين وهو على شُرطة ابن معمَر — وكان مُصعب إذا شخص عن البصرة استخلَف عليها عبيدَ الله بن عبيد الله بن معمر — ورجا عمرو بن أصمع أن يبايعه عبّاد بن الحُصين — بأنّي قد أجرْتُ خالداً فأحببت أن تعلم ذلك لتكون لي ظَهراً . فوافاه رسولُه حين نزل عن فرسه ، فقال له عبّاد : قل له : والله لا أضع لبدَ فرسي حتّى آتيَكَ في الخيل . فقال عمرو لخالد : إني لا أغرّك ، هذا عبّاد يأتينا الساعة ، ولا والله ما أقدر على منعك ؛ ولكن عليك بمالك بن مِسْمَع .

قال أبو زيد : قال أبو الحسن : ويقال إنّه نزل على عليّ بن أصمع ، فبلغ ذلك عبّاداً[1] فأرسل إليه عبّاد : إني سائر إليك . ٧٩٩/٢

حدّثني عُمر [بن شبّة][2] ، قال : حدّثني عليّ بن محمد ، عن مسلمة وعَوانة[3] أنّ خالداً خرج من عند ابن أصمع يركُض ، عليه قميص قُوهيّ رقيق ، قد حَسَره عن فخذيه ، وأخرَج رجليه من الرّكابين ؛ حتّى أتى مالكاً ، فقال : إني قد اضطررتُ إليك ، فأجِرْني ، قال : نعم ، وخرج هو وابنه ، وأرسل إلى بكْر بن وائل والأزد ؛ فكانت أوّل راية أتته رايةُ بني يشكرُ . وأقبل عبّاد في الخيل ، فتواقَفُوا ، ولم يكن بينهم ، فلما كان من الغد غدوْا إلى حُفْرة نافع بن الحارث التي نُسبت بعدُ إلى خالد، ومع خالد رجال من بني تميم قد أتوْه ؛ منهم صعصعة بن معاوية ، وعبد العزيز بن

(١) ب ، ف : « فقال » . (٢) من ب ، ف .
(٣) ب ، ف : « عن عوانة » .

بشر ، ومرّة بن محكان ، فى عدد منهم ؛ وكان أصحاب خالد جفرية ينسبون إلى الجفرة ، وأصحاب ابن معمر زُبيرية ؛ فكان من الجفرية عبيد الله بن أبى بكرة وحمران والمغيرة بن المهلّب ، ومن الزبيرية قيس بن الهيثم السُّلَمىّ ؛ وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه ، فتقاضاه رجل أجرةً فقال : غداً أعطيكها ، فقال غطفان بن أنيف ، أحد بنى كعب بن عمرو :

لَبِئسَ ما حكَمتَ يا جلاجِلُ النَّقْدُ دَيْنٌ والطِّعانُ عاجِلُ

* وأَنْتَ بالبابِ سميرٌ آجِلُ *

وكان قيس يعلّق[1] فى عنق فرسه جلاجل ، وكان على خيل بنى حنظلة عمرو بن وبرة القحيفىّ[2] ؛ وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كلّ يوم ، فيعطيهم عشرة عشرة ، فقيل له : ٢/٨٠٠

لبئس ما حكمت يا بنَ وَبَرَهْ تُعطَى ثلاثينَ وتُعْطِى عَشَرَهْ

ووجّه المصعب زَحْر بن قيس الجُعْفىّ مَدداً لابن مَعمَر فى ألف ، ووجّه عبدُ الملك عُبيدَ الله بنَ زياد بن ظَبْيانَ مدداً لخالد ، فكَره أن يدخلَ البَصرة ، وأرسل مطرَ بنَ التوءم فرجع إليه فأخبره بتفرّق الناس ، فلحق بعبد الملك .

قال أبو زيد : قال أبو الحسن : فحدّثنى شيخٌ من بنى عرين ، عن السكن بن قَتادة ، قال : اقتتلوا أربعةً عشرين يوماً ، وأصيبتْ عين مالك ، فضجر من الحرب ، ومشت السفراء ، بينهم يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبى العاص ، فصالحه ، على أن يُخرج خالداً وهو آمن ، فأخرج خالداً من البصرة ، وخاف ألا يجيز المُصعبُ أمانَ عُبيد الله ، فلحق مالك بثأج ، فقال الفرَزدق يذكر مالكاً ولحوقَ التميميّة به وبخالد :

عجِبْتُ لأقوامٍ تميمٌ أبوهُمُ وهُمْ فى بنى سعدٍ عِظامُ المَبارِكِ[3]

---

(١) كذا فى ا ، س ، وفى ط : « يعلم » .

(٢) ب : « الجعيفى » ، س : « العجيفى » . (٣) ديوانه ٦٠٠ .

وكانوا أعزَّ الناسِ قبل مَسيرِهِمْ إلى الأَزْد مُصْفَرًّا لِحاها ومالكِ
٢/٨٠١ فما ظَنُّكم بابن الحَوارِىِّ مُصْعَبٍ إذا افترّ عن أنيابهِ غيْرَ ضاحِكِ
ونحنُ نفَيْنا مالكاً عن بِلادِهِ ونحن فَقَأْنا عَيْنَهُ بالنَّيَازِك

قال أبو زيد : (١)قال أبو الحسن : حدّثنى مسلمة(١) أنّ المُصعَب لمّا انصرَف عبدُ الملك إلى دمَشق لم يكن(٢) له همّة إلّا البصرة ، وطَمِع أن يُدرِك بها خالدًا ، فوجده قد خرج ، وأمّن ابنُ معمَر النّاس ، فأقام أكثرهم ، وخاف بعضهم مُصعبًا فشخص ، فغضب مُصعب على ابن معمَر ، وحلَف ألّا يوليه ، وأرسل إلى الجُفْرِيّة فسبّهم وأنّبهم .

قال أبو زيد : فزعم المدائنىّ وغيرُه من رُواة أهل البَصْرة أنّه أرسل إليهم فأتِىَ بهم ، فأقبل على عُبيد الله بن أبى بكْرة ، فقال : يابنَ مَسْروح ، إنّما أنت ابن كَلْبة تعاوَرُها الكلاب ، فجاءت بأحمر وأسوَد وأصفرَ من كلّ كلب بما يُشبهه ، وإنّما كان أبوك عبدًا نزَل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم من حصن الطائف ، ثم أقمتم البيّنة تدّعون أن أبا سُفْيانَ زنى بأمّكم ، أما والله لئن بقيتُ لألحقنّكم بنَسبكم . ثمّ دعا بحُمْران فقال : يابن اليهوديّة ، إنّما أنت علْج نبَطىّ سُبيت من عيْن التّمر . ثمّ قال للحكَم بن المنذر بن الجارود : يابنَ الخَبيث ، أتدرى مَن أنت ومن الجارودُ ! إنّما كان الجارودَ علْجًا بجزيرة ابن كاوَان فارسيًّا ، فقطع إلى
٢/٨٠٢ ساحل البحر ، فانتمى إلى عبد القيس ، ولا والله ما أعرف حيًّا أكثرَ اشتمالا على سوْءة منهم . ثمّ أنكَح أختَه المُكَعْبِر الفارسىّ فلم يُصب شرَفًا قطّ أعظم منه ، فهؤلاء ولدُها يابن قُباذ . ثمّ أتِىَ بعبد الله بن فضالة الزّهرانىّ فقال : ألستَ من أهل هَجَر ، ثمّ من أهل سَماهيج ! أما والله لأردّنّك إلى نَسبك . ثمّ أتِى بعلىّ بن أصمع ، فقال : أعبْد لبنى تميم مرّةً وعَزْىٌّ من باهلة ! ثمّ أتِىَ بعبد العزيز بن بشْر بن حنّاط فقال : يا بن المشتور ، ألم يسرق عمُّك عنزًا فى عهد عمرَ ، فأمر به فسيّر ليقطعه ! أما والله ما أعنتَ إلّا

(١ – ١) ب ، ف : « عمر بن شبة عن أبى الحسن المدائنى عن مسلمة » .
(٢) ب ، ف : « لم تكن » .

من يَنكح أختَك — وكانت أختُه تحت مقاتل بن مِسمَع — ثم أُتِيَ بأبى حاضر الأسدىّ فقال : يابن الإصْطَخرِيّة ، ما أنتَ والأشراف ! وإنما أنت من أهل قطَر دَعِيٌّ فى بنى أسَد ، ليس لك فيهم قريب ولا نسيب . ثم أُتِيَ بزياد بن عمرو فقال : يابن الكَرْمانىّ ، إنّما أنت علْج من أهل كَرْمان قطعت إلى فارسَ فصرتَ مَلاّحًا ، مَا لَكَ وللحَرْب ! لأنتَ بجَرّ القَلْس[1] أحذَقُ . ثمّ أُتِيَ بعبد الله بن عثمانَ بن أبى العاص فقال : أعلَيّ تُكَثِّر وأنتَ علْج من أهل هَجَر ، لحق أبوك بالطّائف وهم يضمّون من تأشّب إليهم يتعزّزون به! أما والله لأردّنّك إلى أصلك . ثمّ أُتِيَ بشَيْخ بن النُّعْمان فقال : يابن الخبيث ، إنّما أنت علْج من أهل زَنْدَوَرْد ، هَرَبت أمك وقُتِل أبوك ، فتزوّج أختَه رجلٌ من بنى يشكر ، فجاءت بغلامين ، فألحقَاك بنسبِهما ، ثم ضربهم مائةً مائةً ، وحلّق رءوسهم ولحاهم ، وهدمَ دُورهم ، وصَهرَهم فى الشّمس ثلاثًا ، وحملهم على طلاق نسائهم ، وجمّر أولادَهم فى البُعوث ، وطاف بهم فى أقطار البصرة ، وأحلفهم ألّا يَنكحوا الحرائر . وبعث مُصعبٌ خداشَ بنَ يزيدَ[2] الأسَدىَّ فى طلب من هَرَب من أصحاب خالد ، فأدرك مُرّة بن مَحْكانَ فأخذه ، فقال مُرّةُ :

٨٠٣/٢

بنى أَسَدٍ إن تَقْتلونى تُحارِبُوا ... تميماً إذا الحرب العَوانُ اشمَعَلَّتِ
بنى أسد هَلْ فيكمُ من هَوَادَةٍ ... فتَعْفُونَ إنْ كانَتْ بِيَ النَّعلُ زَلَّتِ
فلا تَحْسبِ الأَعْدَاءُ إذغبتُ عَنهُمُ ... وأُورِيتُ مَغْناً أَنَّ حربىَ كلَّت
تَمشّى خِدَاشٌ فى الأَسِكَّة آمِناً ... وقد نَهَلَتْ مِنِّى الرِّماحُ وعَلَّتِ

فقرّبه خداش فقتله — وكان خداش على شُرْطة مُصعب يومئذ — وأمر مصعب سنانَ بن ذهل أحد بنى عمرو بن مَرْثَد بدار مالك بن

(١) القلس : حبل غليظ من حبال السفن .

(٢) ب ، ف : « مرثد » .

مسمَع فهدَمها ، وأخذ مُصعب ما كان فى دار مالك ، فكان فيما أخذ جارية ولدتْ له عمرَ بن مُصعَب . قال : وأقام مُصعَب بالبصرة حتى[1] شخص إلى الكوفة ، ثم لم[2] يزل بالكوفة حتى خرج[3] لحرب عبد الملك ، ونزل عبدُ الملك مسكِن ، وكتب عبدُ الملك إلى المرْوانيّة من أهل العراق ، فأجابه كلُّهم وشرطُوا عليه ولاية أصبهان. فأنعَم بها لهم كلّهم ، منهم حَجّار ابنُ أبجَر ، والغَضْبان بن القبَعْثرَى ، وعتّاب بن ورقاء ، وقَطَن بنُ عبد الله الحارثىّ ، ومحمّدُ بن عبدالرحمن بن سعيد بن قيس ، وزَحْر بن قيس ، ومحمّد ابن عُمَير ، وعلى مقدّمته محمّد بن مروان ، وعلى ميمنته عبدُ الله بنُ يزيدَ بن معاوية ، وعلى ميسرته خالدُ بن يزيدَ ، وسار إليه مصعب وقد خذَله أهلُ الكوفة .

٢/٨٠٤

قال عروة بن المغيرة بن شُعْبة : فخرج يسيرُ متّكئا على معَرفة دابّته ، ثمّ تَصفّح[4] الناس يمينًا وشمالا فوقعت عينُه علىّ ، فقال : يا عُرْوة ، إلىّ ، فدنوتُ منه ، فقال : أخبرنى عن الحسين بن علىّ ، كيف صنَع بإبائه النزول على حُكم ابن زياد وعَزمه على الحرب ؟ فقال :

إنَّ الأُلَى بالطَّف من آلِ هاشِمٍ تـأسَّوْا فسَنُّوا للكرَام التأسِّيا[5]

قال : فعلمتُ أنه لا يَرِيمُ حتَّى يُقتَل ، وكان عبدُ الملك — فيما ذَكَر محمّد بنُ عمر عن عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن أبى قرّة ، عن إسحاقَ ابن عبد الله بن أبى فَرْوة ، عن رَجاء بن حَيْوَة — قال : لمَّا قتَل عمرو بن سعيد وضع السيف فقتل من خالفه ، فلمَّا أجمع بالمسير إلى مُصعب وقد صفت له الشأمُ وأهلها خطَب الناسَ وأمرهم بالتهيُّؤ إلى مصعب ، فاختلف عليه رؤساء أهل الشأم من غير خلاف لما يريده ، ولكنهم أحبُّوا أن يقيمَ ويقدّم الجيوش ، فإن ظفروا فذاك ، وإن لم يظفروا أمدّهم بالجيوش خشيةً على الناس إن أصيب فى لقائه مصعبًا لم يكن وراءه ملك ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، لو أقمتَ مكانَك وبعثتَ على هؤلاء الجيوش رجلاً من أهل بيتك ، ثمّ

٢/٨٠٥

(١) ب ، ف : « ثم » .
(٢) ب ، ف : « ولم » . (٣) ب ، ف : « شخص » .
(٤) ب ، ف : « يتصفح » .
(٥) اللسان (أسى) من غير نسبة ، وروايته : « التآسيا » .

سرّحتَه إلى مصعب ! فقال عبدُ الملك : إنّه لا يقوم بهذا الأمر إلاّ قرشىّ له رأى، ولعلّى أبعث من له شجاعة ولا رأى له ، وإنى أجد فى نفسى أنى بصيرٌ بالحرب ، شجاعٌ بالسّيف إنْ أُلجِئتُ إلى ذلك ، ومصعب فى بيت شجاعة ، أبوه أشجع قريش . وهو شجاع ولا علم له بالحرب ، يُحبّ الخفض ، ومعه من يُخالفه ، ومعى من ينصح لى . فسار عبد الملك حتّى نزل مَسْكِن ، وسار مصعب إلى باجُمَيْرا ، وكتب عبدُ الملك إلى شيعته من أهل العراق ، فأقبل إبراهيمُ بنُ الأشتر بكتاب عبد الملك مختومًا لم يقرأه ، فدفعه إلى مصعب ، فقال : ما فيه ؟ فقال : ما قرأته ، فقرأه مصعب فإذا هو يدعوه إلى نفسه ، ويجعل له ولاية العراق ، فقال لمصعب : إنّه والله ما كان من أحد آيس[1] منه منى ، ولقد كتب إلى أصحابك كلّهم بمثل الّذى كتب إلىّ ، فأطعْنى فيهم فاضربْ أعناقهم . قال : إذًا لا تُناصحُنا عشائرُهم . قال : فأوقرْهم حديدًا وابعث بهم إلى أبيض كسرى فاحبسْهم[2] هنالك ، ووكّل بهم من إن غُلِبْتَ ضرب أعنقهم ، وإن غَلَبت مَننتَ بهم على عشائرهم . فقال : يا أبا النعمان ، إنى لَفى شغل عن ذلك ، يرحَم اللهُ أبا بَحْر ، إنْ كان ليحذّرنى غدرَ أهل العراق ، كأنّه كان ينظُر إلى ما نحن فيه !

٢/٨٠٦

حدّثنى عمر، قال : حدّثنا محمّد بن سُلاّم ، عن عبد القاهر بن السّرىّ، قال : همّ أهلُ العراق بالغَدْر بمُصعَب ، فقال قيسُ بنُ الهيثم : ويحكم ! لا تُدخلوا أهلَ الشأم عليكم ، فوالله لئن تَطعَّموا بعيشكم ليُضَيِّقُنّ عليكم منازلكم ، والله لقد رأيتُ سيّدَ أهل الشأم على باب الخليفة يفرح إن أرسلَه فى حاجة ، ولقد رأيتُنا فى الصّوائف وأحدُنا على ألف بعير ، وإنّ الرجلَ من وجوههمْ ليَغزُو على فرَسه وزادُه خلْفَه .

قال : ولمّا تدانَى العسكران بدَيْر الجاثَليق من مَسْكِنَ ، تقدّم إبراهيمُ بنُ الأشتر فحمَل على محمّد بن مرْوان فأزالَه عن موضعه ، فوجّه عبدُ الملك بن مروانَ عبدَ الله بنَ يزيد بن معاوية ، فقرب من محمد بن

(١) ب ، ف : « آنس » . (٢) ب ، ف : « واحبسهم » .

مروان . والتقى القومُ فقُتل مُسلم بن عَمرو الباهليّ ، وقتل يَحيى ابن مبشّر ، أحد بنى ثعلبة بن يَربوع ، وقتل إبراهيم بن الأشتر ، فهرب عتّاب ابنُ ورْقاء — وكان على الخيل مع مصعَب — فقال مصعب لقطَن بن عبد الله الحارثىّ : أبا عثمان ، قدِّم خيلك ، قال : ما أرى ذلك ، قال : ولِمَ ؟ ٢/٨٠٧ قال : أكرَه أن تُقتَل مذحجٌ فى غير شىء ، فقال لحجّار بن أبجَر : أبا أسيد ، قدّم رايتَك ؛ قال : إلى هذه العَذِرة ! قال : ما تتأخّر إليه والله أنتن وألأم ؛ فقال لمحمّد بنِ عبد الرّحمن بنِ سعيد بنِ قَيس مثل ذلك ، فقال : ما أرَى أحداً فعَل ذلك فأفعله ، فقال مصعب : يا إبراهيم ولا إبراهيمَ لىَ اليوم !

حدّثنى أبو زيد ، قال : حدّثنى محمّد بنُ سَلاّم ، قال : أخبر ابنُ خازم بمسير مُصعب إلى عبدِ الملك ، فقال : أمَعَه عمر بنُ عُبيد الله بن معمر ؟ قيل : لا ، استَعمله على فارس ، قال : أفمعَه المهلّب بنُ أبى صفرة ؟ قيل : لا ، استعمله على الموصل ، قال : أفمعَه عبّاد بن الحُصين ؟ قيل : لا ، استخلفه على البصرة ، فقال : وأنا بخُراسان !

خُذِينِى فجُرِّينِى جَعَارِ وأَبْشِرِى بلَحْمِ آمرِئٍ لم يَشْهَدِ اليوْمَ ناصِرُهْ

فقال مصعب لابنه عيسى بنِ مُصعَب : يا بُنىّ ، اركَب أنتَ ومن معك إلى عمّك بمكّة فأخبره ما صنع أهلُ العراق ، ودَعنى فإنى مَقْتول . فقال ابنُه : والله لا أخبر قريشاً عنك أبداً ، ولكن إن أردت ذلك فالحقْ بالبصرة فهم على الجماعة ، أو الحَقْ بأمير المؤمنين . قال مصعب : واللهِ لا تتحدّث قريش أنى فررت بما صنعتْ ربيعةُ من خذلانها حتى أدخُل ٢/٨٠٨ الحرمَ مُنهزِماً ، ولكن[1] أقاتل ، فإنْ[2] قُتلت فلعَمْرى ما السَّيف بعار ، وما الفرار لى بعادة ولا خُلُق ، ولكن إن أردت أن ترجع فارجع فقاتلْ . فرجع فقاتل حتّى قتل .

قال علىّ بنُ محمّد عن يحيى بن سعيد بن أبى المُهاجر ، عن أبيه

(١) ب ، ف : « ولكنى » . (٢) ب ، ف : « فلئن » .

إن عبد الملك أرسل إلى مصعب مع أخيه محمد بن مروان : إنّ ابنَ عمِّك يعطيك الأمان ، فقال مصعب : إنّ مثلي لا ينصرف عن مثلِ هذا الموقف إلاّ غالبًا أو مغلوبًا .

وقال الهيثْم بنُ عَدِيّ : حدّثنا عبدُ الله بن عُيَّاش ، عن أبيه ، قال : إنّا لوُقُوفٌ مع عبد الملك بنِ مروان وهو يُحارب مصعبًا إذْ دنا زياد بن عمرو ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ إسماعيلَ بنَ طَلْحَة كان لى جارَ صدق ، قلّما أرادَنى مُصعَب بسوء إلّا دَفَعَه عنى ، فإن رأيتَ أن تؤمّنَه على جرمه ! قال : هو آمن ، فمضى زياد — وكان ضَخمًا على ضَخم — حتّى صار بين الصفّين ، فصاح : أين أبو البختَرىّ إسماعيلُ بنُ طَلْحة ؟ فخرج إليه ، فقال : إنى أريد أن أذكرَ لك شيئًا ، فدَنا حتّى اختلفت أعناقُ دوابّهما — وكان الناسُ ينتطقون بالحوَاشِي المحشوّة — فوَضَع زياد يده فى منطَقة إسماعيلَ ، ثمّ اقتلَعه عن سرْجه — وكان نَحيفًا — فقال : أنشدك الله يا أبا المغيرة ، إنّ هذا ليس بالوفاء لمصعب ، فقال : هذا أحبّ إلىّ من أن أراك غدًا مقتولا .

ولمّا أبى مصعب قبول الأمان نادَى محمّد بن مُروان عيسى بن مصعب وقال له : يا بن أخى ، لا تقتل نفسك ، لك الأمان ، فقال له مُصعب : قد آمنَك عمُّك فامض إليه ، قال : لا تتحدّث نساءُ قريش أنى أسلَمتك للقتل ؛ قال : فتقدّم بين يدَىَّ أحتَسِبْك ، فقاتل بين يديه حتّى قتل ، وأثخِن مصعب بالرّمْى ، ونظر إليه زائدة بن قدامةَ فشَدّ عليه فطعنه ، وقال : يا لثارات المختار ! فصرعه ، ونزل إليه عُبيد الله ابنُ زياد بنِ ظَبْيانَ ، فاحتزّ رأسَه ، وقال : إنّه قتَل أخى النابئَ بن زياد . فأتِىَ به عبد الملك بن مروان فأثابَه ألف دينار ، فأبَى أن يأخذها ، وقال : إنى لم أقتله على طاعتك ، إنما قتلتُه على وِتْرٍ صنَعه بِى ، ولا آخذُ فى حمْل رأس مالاً . فترَكه عند عبد الملك . ٨٠٩/٢

وكان الوِتْر الذى ذكَرَه عُبيدُ الله بن زياد بن ظبيانَ أنه قتل عليه مصعبًا أنّ مصعبًا كان وَلى فى بعضِ وِلايتهِ شرطه مطرّف بن سيدان الباهلىّ ثم أحد بنى جأوة .

فحدّثني عمرُ بنُ شَبَّة ، قال : حدّثني أبو الحسن المَدائنيّ ومَخلَد بنُ يحيي بن حاضر ، أنّ مطرّفاً أتِيَ بالنابئ بن زياد بن ظَبْيان ورجل من بنى نُمَير قد قطعا الطريق ، فقتل النابئ ، وضرب النميرىّ بالسياط فتركه ، فجمع له عبيدُ الله بنُ زياد بن ظَبْيان جَمْعاً بعد أن عزله مُصعب عن البصرة وولاه الأهواز، فخرج يريده ، فالتقيا فتواقفا وبينهما نهر، فعبر مطرّف إليه النَّهرَ، وعاجَله ابنُ ظَبْيانَ فطعنه فقتَله ، فبعث مصعبٌ مكرم بن مطرّف فى طَلَب ابن ظبْيانَ ، فسار حتّى بلغ عسكرَ مُكرَم ، فنُسِب إليه ، ولم يلقَ ابنَ ظَبْيان . ولحق ابن ظَبْيان بعبد الملك لمَّا قُتِل أخوه ، فقال البَعيثُ اليَشْكُرىّ بعد قتل مُصعَب يَذكُر ذلك : ٢/٨١٠

ولما رأينا الأمرَ نكساً صُدُورُهُ ... وهمّ الهوَادِى أَنْ تكُنَّ تواليِا[1]

صَبَرْنا لأَمر الله حتّى يُقيمَهُ ... ولم نَرْضَ إلاَّ مِنْ أُمَيَّةَ واليا

ونحْنُ قَتَلنا مُصْعَباً وَابنَ مُصْعبٍ ... أَخَا أَسدٍ والنَّخَعِىَّ اليانِيَا

ومرّتْ عُقَابُ الموتِ مِنَّا بمِسلِمٍ ... فأَهْوَتْ له ناباً فأَصبحَ ثَاوِيَا

سقَيْنا ابن سيدانٍ بكأْسٍ روِيَّةٍ ... كَفَتَنْا ، وخيرُ الأَمر ما كان كافيا

حدّثني أبو زيد ، قال : حدّثني علىّ بنُ محمد ، قال : مرّ ابنُ ظَبْيَانَ بابنة مطرّف بالبصرة ، فقيل لها : هذا قاتلُ أبيك ، فقالت: فى سبيل الله أبى ، فقال ابنُ ظَبْيان :

فلا فى سبيلِ اللهِ لاقَى حِمَـامَهُ ... أَبُوكِ ولكنْ فى سبيلِ الدَّرَاهِمِ

فلمَّا قُتل مُصعب دعا عبدُ الملك بنُ مروان أهلَ العراق إلى البيعة ، فبايَعوه ، وكان مُصعَب قُتل على نهر يقال له الدُجَيْل عند دَيْر الجاثَليق فلمَّا قُتل أمرَ به عبدُ الملك وبابنه عيسى فدُفِنا . ٢/٨١١

ذكر الواقدىّ عن عثمان بن محمّد، عن أبى بكر بن عُمَر ، عن عروة

---

(١) ا : « أن تكون » .

قال : قال عبدُ الملك حين قُتِل مُصعَب : وارُوهُ فقد والله كانت الحُرْمة بيننا وبينَه قديمةً ، ولكن هذا المُلْك عقيم .

قال أبو زيد : وحدّثني أبو نعيم، قال : حدّثني عبدُ الله بنُ الزّبير أبو أبي أحمد ، عن عبد الله بن شريك العامريّ ، قال : إني لَواقفٌ إلى جنب مصعب بن الزّبير فأخرجتُ له كتابًا من قَبائي ، فقلتُ له : هذا كتابُ عبد الملك ، فقال : ما شئتَ ، قال : ثم جاء رجلٌ من أهل الشأم فدخل عسكره، فأخرجَ جارية فصاحت : واذُلّاه ! فنظر إليها مُصعَب ، ثمّ أعرَض عنها .

قال : وأتِيَ عبدُ الملك برأس مُصعب ، فنظر إليه فقال : متى تَغذو قريشٌ مِثلَك ! وكانا يتحدّثان إلى حُبَّى ، وهما بالمدينة ، فقيل لها : قُتِل مصعب ، فقالتْ : تَعِس قاتِلُه ! قيل : قتله عبدُ الملك بنُ مروان ، قالت : بأبِي القاتلُ والمقتول !

قال : وحَجّ عبدُ الملك بعدَ ذلك ، فدخلتْ عليه حُبَّى ، فقالت : ٢/٨١٢
أقتلتَ أخاك مُصعَبًا ؟ فقال :

من يذُقِ الحرْبَ يَجِد طَعْمَهَا ... مُرًّا وتَتْرُكهُ بجعجاعِ[1]

وقال ابن قيس الرُقيّات :

لقد أَوْرَثَ المِصريْنِ خِزيًا وذِلَةً ... قتيلٌ بدَيْر الجاثَلِيقِ مُقيمُ[2]

فما نصحتْ لله بكرُ بنُ وائلٍ ... ولا صَبرتْ عندَ اللِّقَاءِ تميمُ

ولو كان بكْرِيًّا تَعطَّفَ حَوْلَهُ ... كتائبُ يَغلِي حَمْيُها ويَدُومُ

ولكنّه ضاعَ الذمامُ وَلمْ يكن ... بهـا مُضَرِيٌّ يَوْمَ ذاكَ كريم ٢/٨١٣

جزَى الله كُوفيًّا هنـاك ملامَةً ... وبَصْرِيَّهم إنَّ المُلِيمَ مُلِيم

وإنَّ بنِي العَلّاتِ أَخلَوْا ظُهورَنا ... ونحن صريح بيْنَهُمْ وصميمُ

---

(١) لأبي قيس بن الأسلت ، من المفضلية ٧٥ . والجعجاع : المحبس في المكان الخشن أو الضيق . (٢) ديوانه ١٩٦ ، وبعده في رواية الديوان :

تولى قتال المارقين بنَفْسِهِ ... وقد أَسلماه مُنقذٌ وحَمِيمُ

فإن نَفْنَ لا يَبْقَوْا ولاَ يَكُ بعْـدَنا لِذِى حُرْمةٍ فى المسلمين حَرِيمُ(١)

* * *

قال أبو جعفر : وقد قيل : إنّ ما ذكرتُ من مَقتَل مصعب والحرب الّتى جرتْ بينه وبين عبد الملك كانت فى سنة اثنتين وستين ، وأن أمر خالد ابن عبد الله بن خالد بن أسيد ومصيره إلى البَصْرة من قِبَل عبد الملك كان فى سنة إحدى وسبعين ، وقُتِل مصعب فى جُمادَى الآخرة .

* * *

[ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة]

وفى هذه السَّنة دخل عبدُ الملك بنُ مروانَ الكوفةَ وفرّق أعمالَ العراق والمصرَيْن الكوفة والبصرة على عُمَّاله فى قول الواقدىّ ؛ وأمَّا أبو الحسن فإنَّه ذكَر أنّ ذلك فى سنة اثنتين وسبعين .

وحدّثنى عمرُ ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : قُتِل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلتْ من جُمادَى الأولى أو الآخرة سنة اثنتين وسبعين.

ولمَّا أتَى عبدُ الملك الكوفةَ — فيما ذكر — نزل النُّخَيلة ، ثمّ دعا النّاسَ إلى البيعة ، فجاءت قُضاعةُ ، فرأى قِلَّة ، فقال : يا معشر قُضاعة ، كيف سَلِمتم من مُضَرَ مع قِلَّتكم ! فقال : عبدُ الله بنُ يَعلى النّهدىّ : نحن أعزّ منهم وأمنَع ؛ قال : بِمَن ؟ قال : بمن معك منَّا يا أميرَ المؤمنين . ثمّ جاءت مَذْحِج وهَمْدان فقال : ما أرَى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيئًا . ثمّ جاءت جُعفِىٌّ ، فلمَّا نظر إليهم عبدُ الملك قال : يا معشر جعفىّ ، اشتَملْتم على ابن أختكم ، وواريتموه ؟ يعنى يحيَى بنَ سعيد بن العاص — قالوا : نعم ، قال : فهاتوه ؛ قالوا : وهو آمنٌ ؟ قال : وتَشترطون أيضًا ! فقال رجل منهم : إنا والله ما نشترط جهْلا بحقِّك ، ولكنَّا نتسحَّب عليه تَسحُّب الولد على والِده ، فقال : أما والله لَنِعمَ الحىّ أنتم ؛ إن كنتم لَفُرسانًا فى الجاهليَّة والإسلام ، هو آمن ، فجاءوا به وكان يُكنى أبا أيوب ، فلمَّا نظر إليه عبدُ الملك قال أبا قبيح ، بأىّ وجهٍ تَنظُر إلى ربِّك وقد

٢/ ٨١٤

(١) كذا ورد البيت فى ا .

خلعتَنى ! قال : بالوجه الّذى خلقه ، فبايع ثمّ ولى فنظر عبدُ الملك فى قَفاه فقال : لله دَرّه ! أىّ ابن زَوْمَلَةَ هو! يعنى غَريبة .

وقال علىّ بن مُحمّد : حدّثنى القاسم بن مُعْن وغيرُه أنّ مَعْبَد بن خالد الجَدَلىّ قال : ثمّ تقدّمْنا إليه معشرَ عَدْوان ، قال : فقدّمنا رجلا وَسيما جَميلاً ، وتأخّرتُ — وكان مَعبَد دميما — فقال عبدُ الملك: من ؟ فقال الكاتب: عَدْوان ، فقال عبدُ الملك :

٨١٥/٢

عذيرَ الحىِّ من عَدْوا نَ كانوا حَيَّةَ الأَرضِ

بغى بعضُهُمُ بَعْضاً فَلَم يرْعَوْا على بَعضِ

ومنهمْ كانتِ السّادَا تُ والمُوفُون بالقَرْضِ

ثمّ أقبَل على الجميل فقال : إيه ! فقال : لا أدرى ، فقلتُ مِن خلفه :

ومنهمْ حَكَمٌ يقضِى فلا يُنقَض ما يَقضِى

ومنهمْ من يجيزُ الحجَّ بالسُّنة والفَرْضِ[1]

وَهُمْ مُذْ ولِدوا شَبّوا بسِر النسب المحضِ

قال: فتركنى عبدُ الملك ، ثمّ أقبَل على الجميل فقال : مَن هو؟ قال : لا أدرى ؛ فقلتُ مِن خلفه : ذو الإصبع ؛ قال : فأقبَل على الجميل فقال : ولِمَ سمّى ذا الإصبع ؟ فقال : لا أدرى ؛ فقلتُ مِن خلفه : لأنّ حيّةً عضّت إصبَعَه فقطَعَتْها ؛ فأقبَل على الجميل فقال : ما كان اسمُه ؟ فقال : لا أدرى ؛ فقلتُ مِن خلفه : حُرْثان بن الحارث ؛ فأقبَل على الجميل، فقال : من أيّكُم كان؟ قال : لا أدرى ؛ فقلت مِن خلفه : من بنى ناج ، فقال :

أَبَعْدَ بنى ناجٍ وسَعْيِك بينهم[2] فلا تُتْبِعنْ عَيْنَيك ما كان هالِكَا

---

(١) قال أبو الفرج : « قوله : « ومنهم من يجيز الناس » فإن إجازة الحج كانت لخزاعة ، فأخذتها عدوان ، فصارت لرجل فيهم يقال له سيارة » . الأغانى ٣ : ٨٩ (٢) رواية الأغانى :

* وَأَمّا بَنُو ناجٍ فَلاَ تَذْكرَنَّهُمْ *

٨١٦/٢

إذا قُلْتُ مَعْرُوفاً لأُصلَح بينهمْ يقول وُهَيْبٌ : لا أُصالح ذَلكا
فأَضحي كظَهْر العَيْر جُبّ سَنَامُهُ تُطيفُ به الوِلدانُ أَحدبَ بَارِكا

ثمّ أقبَل على الجميل، فقال: كم عطاؤك؟ قال: سَبْعمائة، فقال لى: فى كَمْ أنتَ؟ قلتُ: فى ثلثمائة؛ فأقبل على الكاتبَيْن، فقال: حُطّاً من عطاء هذا أربعمائة، وزيداها فى عطاء هذا، فرجعتُ وأنا فى سبعمائة، وهو فى ثلثمائة. ثم جاءت كِنْدة فنظر إلى عبد الله بن إسحاقَ بن الأشعث، فأوصَى به بِشْراً أخاه، وقال: اجعَلْه فى صَحابتك. وأقبَل داودُ بنُ قَحْذَم فى مائتين من بَكر بن وائل، عليهم الأقْبية الداوديّة، وبه سُمّيَتْ، فجلس مع عبد الملك على سريره، فأقبل عليه عبدُ الملك، ثمّ نهض ونهضوا معه، فأتبعهم عبدُ الملك بصره، فقال: هؤلاء الفُسّاق، والله لولا أنّ صاحبهم جاءنى ما أعطانى أحدٌ منهم طاعة[١].

ثمّ إنّه ولّى – فيما قيل – قَطَنَ بنَ عبد الله الحارثىّ الكوفةَ أربعين يوماً ثمّ عزَله، وولّى بِشْرَ بنَ مَرْوان وصَعِد مِنبرَ الكُوفة فخَطَب فقال:

إنّ عبدَ الله بنَ الزبير لو كان خليفةً كما يزعم لخرج فآسى بنفسه، ولم يغرزْ ذَنبَه فى الحرَم. ثم قال: إنى قد استعملتُ عليكم بِشرَ بنَ مروان، وأمرْته بالإحسان إلى أهل الطاعة، والشدّة على أهل المعصية، فاسمعوا له وأطيعوا.

٨١٧/٢

واستَعمَل محمّد بنَ عُمَير على هَمَذان، ويَزيدَ بنَ رُوَيم على الرّىّ، وفرّق العُمّالَ، ولم يف لأحد شرَط[٢] عليه ولايةَ أصبهان؛ ثم قال: علىّ هؤلاء الفُسّاق الّذين أنْغَلُوا الشأم، وأفسدوا العراق، فقيل: قد أجارهم رؤساءُ عشائرهم، فقال: وهل يجير علىّ أحد! وكان عبدُ الله بن يزيد بنَ أسد لجأ إلى علىّ بن عبد الله بن عبّاس، ولجأ إليه أيضاً يحيى بن مَعْيُوف الهمدانىّ، ولجأ الهذَيل بنُ زُفرَ بن الحارث وعمرو بن زيد[٣] الحكَمىّ إلى خالد بن يزيدَ بن معاوية، فآمَنهم عبدُ الملك، فظَهروا.

---

(١) انظر الأغانى، ٣: ٩١، ٩٢. (٢) ب، ف: «يشرط».
(٣) س، ابن الأثير: «يزيد».

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة تنازَع الرّياسة بالبصرة عُبيدُ الله بنِ أبى بكرة وحُمران بن أبان، فحدّثنى عمرُ بنُ شبَّة قال: حدّثنى علىّ بنُ محمّد قال : لمّا قُتِل المُصعَب وثب حُمرانُ بن أبان وعُبيد الله بنُ أبى بَكْرة فتنازَعا فى ولاية البَصرة ، فقال ابن أبى بكرة : أنا أعظم غناءً منك ، أنا كنتَ أنْفِق على أصحاب خالد يوم الجُفْرة . فقيل لحُمران : إنّك لا تقوَى على ابن أبى بَكْرة ، فاستَعِنْ بعبد الله بن الأهتم، فإنّه إن أعانك لم يقْو عليك ابنُ أبى بَكْرة، ففعل، وغلب حُمْران على البَصْرة وابنُ الأهتمِ على شُرَطها .

وكان لحُمْرَان منزلةٌ عند بنى أميّة ؛ حدثنى أبو زيد قال : حدّثنى أبو عاصم النَّبيل قال : أخبرنى رجلٌ قال: قَدِم شيخٌ أعرابىّ فرأى حُمرانَ فقال : من هذا ؟ فقالوا : حُمْران ؛ فقال : لقد رأيتُ هذا وقد مال رِداؤه عن عاتقه فَابتدره مروان وسعيدُ بنُ العاص أيّهما يسوّيه . قال أبو زيد : قال أبو عاصم : فحَدَّثتُ بذلك رجلاً من ولَد عبدِ الله بنِ عامر، فقال: حدّثنى أبى أنّ حُمْرانَ مَدّ رجلَه فابتدر معاوية وعبد الله بنَ عامر أيّهما يَغمِزها .

٨١٨/٢

* * *

[ذكر خبر ولاية خالد بن عبد الله على البصرة]

وفى هذه السنة بعث عبدُ الملك خالدَ بنَ عبد الله على البَصرة والياً ، حدّثنى عمر، قال : حدّثنى علىّ بنُ محمّد ، قال : مكث حمرانُ على البصرة يسيراً ، وخرج ابن أبى بَكرة حتّى قَدِم على عبدِ الملك الكوفة بعد مقتل مُصعَب ، فولّى عبدُ الملك خالدَ بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالِها، فوجّه خالدٌ عُبيدَ الله بن أبى بَكْرة خليفَته على البصرة ، فلمّا قَدِم على حُمْران ، قال : أقَدْ جئت لا جئت ! فكان ابنُ أبى بَكْرة على البَصْرة حتّى قدِم خالد .

* * *

وفى هذه السنة رَجَع عبدُ الملك — فيما زَعَم الواقدىّ — إلى الشأم .

قال : وفيها نَزَع ابنُ الزبير جابرَ بنَ الأسوَد بنِ عوف عن المدينة ، واستعمل عليها طلحة بن عبد الله بن عوف . قال : وهو آخر والٍ لابن الزّبير على المدينة ، حتّى قدم عليها طارقُ بنُ عَمرو مولى عثمان ، فتَهرّب طلحة ، وأقام طارقٌ بالمدينة حتّى كتب إليه عبد الملك .

وحَجَّ بالناس فى هذه السّنة عبدُ الله بنُ الزّبير فى قول الواقدىّ .

[خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب]

وذكر أبو زيد عن أبى غَسّانَ محمّد بن يحيى ، قال : حدّثنى مصعب ابنُ عثمانَ ، قال: لمّا انتَهَى إلى عبد الله بنِ الزبير قتلُ مُصعب قام فى الناس فقال :

الحمد لله الّذى له الخلق والأمر ، يؤتى الملك من يشاء، ويَنزِع الملك ممّن يشاء ، ويُعِزُّ من يشاء ، ويُذلّ من يشاء . ألا وإنّه لم يُذْلل اللهُ من كان الحقّ معه وإن كان فرداً ، ولم يُعزِزْ من كان وليُّه الشّيطان وحِزْبُه وإن كان[(١)] معه الأنام طُرّاً. ألا وإنّه قد أتانا من العراق خبرٌ حزننا وأفرَحنا ، أتانا قَتل مصعب رحمةُ الله عليه ، فأما الّذى أفرَحنا فعلمُنا أنّ قتلَه له شهادة ، وأمّا الذى حَزَننا فإنّ لفراقِ الحميم لوعة يَجِدها حميمُه عند المصيبة ، ثمّ يَرْعَوِى مِنْ بَعدِها ذو الرأى إلى جميل الصبرِ وكريمِ العَزاء، ولئن أصِبت بمصعب لقد أصبت بالزبير قبلَه ، وما أنا من عثمانَ بخلْوِ مصيبة ، وما مصعب إلّا عبدٌ من عَبيد الله وعَونٌ من أعوانى . ألا إنّ أهلَ العراق أهلُ الغَدْر والنفاق ، أسلَموه وباعُوه بأقلّ الثمن ، فإنْ يُقتلْ فإنّا والله ما نموت على مَضاجِعنا كما تموت بنو أبى العاص ، والله ما قُتِل منهم رجلٌ فى زَحْف فى الجاهلّية ولا الإسلام ، وما نموت إلاّ قَعْصاً[(٢)] بالرّماح ، وموتاً تحت ظِلال السيوف. ألا إنّما الدنيا عاريّة من المَلك الأعلى الّذى لا يزول سلطانُه، ولا يَبيدُ مُلكُه ، فإن تُقبِل لا آخذها أخذَ الأشِر البَطِر ، وإن تُدْبر لا أبْكِ عليها بكاءَ الحَرِق المَهِين ؛ أقول قولى هذا وأستغفرُ اللهُ لى ولكم.

٨١٩/٢

* * *

(١ – ١) ف : « الناس معه طرا » . (٢) القعص : الموت السريع .

٨٢٠/٢ وذكر أنّ عبدَ الملك لمّا قتل مصعبًا ودخل الكوفة أمرَ بطعام كثير فصُنِع ، وأمر به إلى الخَوَرْنَق ، وأذِن إذنًا عامًّا ، فدخل الناسُ فأخذوا مجالسهم ، فدخل عمرو بن حُرَيْث المخزوميّ فقال : إلىّ وعلى سريرى ، فأجلسَه معه ، ثم قال : أىّ الطعام أكلتَ أحبّ إليك وأشهى عندك ؟ قال : عَناق[1] حمراء قد أجيد تمليحُها ، وأحكِم نضجها ، قال : ما صنعتَ شيئًا ، فأين أنتَ من عُمْروس[2] راضع قد أجيدَ سَمطُه ، وأحكِم نُضجُه ، اختلجتَ إليك رِجْلَه ، فأتبعتَها يدَه ، غُذِى بشَرِيجَيْن من لبن وسمن . ثمّ جاءت الموائد فأكلوا ، فقال عبدُ الملك بنُ مرْوان : ما ألذّ عيشَنا لو أنّ شيئًا يدوم ! ولكنّا كما قال الأوّل :

وكلّ جديدٍ ياأُمَيمَ إلى بِلًى وكلُّ امرئٍ يَوْماً يَصيرُ إلى كانْ

فلما فرغ من الطعام طاف عبدُ الملك فى القصر يقول لعمرو بن حُرَيث : لِمَنْ هذا البيت ؟ ومَنْ بَنَى هذا البيت ؟ وعمرو يُخبِره ، فقال عبدُ الملك :

وكلُّ جديدٍ ياأُمَيمَ إلى بِلًى وكلُّ امرئٍ يومًا يصيرُ إلى كانْ

ثمّ أتى مجلسَه فاستلقى ، وقال :

٨٢١/٢ اعْمل على مَهَلٍ فإنّك مَيّتٌ واكدَحْ لنفْسِك أيّها الإنسانْ
فكأنّ ما قد كان لم يكُ إذ مضَى وكأنّ ما هو كائنٌ قد كانْ

* * *

وفى هذه السنة افتتَح عبدُ الملك — فى قول الواقدىّ — قَيْساريّة .

---

(١) العناق : الأنثى من أولاد المعزى .

(٢) فى اللسان : « وفى حديث عبد الملك بن مروان : أين أنت من عمروس راضع ! العمروس بالضم : الخروف أو الجدى إذا بلغا العدو » .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأَحداث الجليلة

قال أبو جعفر : فمن ذلك ما كان من أمر الخوارج وأمر المهلّب بن أبى صُفْرة وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

ذكَر هِشامُ بنُ محمّد ، عن أبى مِخْنَف أنّ حَصيرة بن عبد الله وأبا زُهير العبسىّ حدّثاه أنّ الأزارقة والمهلّب بعدما اقتتلوا بسُولافَ ثمانيةَ أشهر أشدّ القتال ، أتاهم أنّ مصعب بن الزّبير قد قُتِل ، فبلغ ذلك الخوارجَ قبل أن يبلغ المهلّب وأصحابه ، فناداهم الخوارجُ : ألا تُخبِرونَنا ما قولكم فى مُصعَب ؟ قالوا : إمام هُدًى ؛ قالوا : فهو وليّكم فى الدنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم ، قالوا : وأنتم أولياؤه أحياءً وأمواتًا ؟ قالوا : ونحن أولياؤه أحياءً وأمواتًا ؛ قالوا : فما قولُكم فى عبد الملك بن مرْوان ؟ قالوا : ذلك ابنُ اللّعين ، نحن إلى الله منه بُراء ، هو عندنا أحلّ دمًا منكم ، قالوا : فأنتم منه بُراء فى الدّنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم كبراءتنا منكم ؛ قالوا : وأنتم له أعداءٌ أحياءً وأمواتًا ؟ قالوا : نعم نحن له أعداء كعداوتنا لكم ، قالوا : فإنّ إمامكم مُصعَبًا قد قتله عبدُ الملك بنُ مروان ، ونراكم ستجعلون غدًا عبد الملك إمامكم ، وأنتم الآن تتبرّءون منه ، وتلعَنون أباه ! قالوا : كذبتم يا أعداء الله . فلما كان من الغد تبيّن لهم قتلُ مصعَب ، فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فأتتهم الخوارجُ فقالوا : ما تقولون فى مصعَب ؟ قالوا : يا أعداء الله ؛ لا نخبركم ما قولنا فيه ، وكرهوا أن يكذّبوا أنفسَهم عندهم ، قالوا : فقد أخبرتمونا أمسِ أنه وليّكم فى الدنيا والآخرة ، وأنكم أولياؤه أحياءً وأمواتًا ، فأخبرونا ما قولكم فى عبدِ الملك ؟ قالوا : ذاك إمامنا وخليفتُنا — ولم يجدوا إذ بايعوه بُدًّا من أن يقولوا هذا القول — قالت لهم الأزارقة : يا أعداء الله ، أنتم أمسِ تتبرّءون منه فى الدّنيا والآخرة ، وتزعمون أنكم له أعداء أحياءً وأمواتًا ، وهو اليوم إمامكم وخليفتكم ، وقد قتل إمامكم الذى كنتم

٨٢٢/٢

تولّونه ! فأيهما المحقّ ، وأيهما المهتدى ، وأيهما الضالّ ! قالوا لهم : يا أعداء الله ، رضينا بذاك إذ كان ولىّ[1] أمورنا ، ونرضى بهذا كما رضينا بذاك ، قالوا : لا والله ولكنّكم إخوان الشياطين ، وأولياء الظالمين ، وعَبيدُ الدنيا . وبعث عبدُ الملك بنُ مروان بشرَ بن مروان على الكوفة ، وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البَصْرة . فلما قدم خالد أثبت المهلب على خراج الأهواز ومَعُونتها ، وبعث عامر بن مِسْمع على سابُور ، ومُقاتِل بن مسمع على أرْدشيرْ خُرَّه ، ومِسمَع بن مالك بن مِسمَع على فَسَا ودرابْجِرْد ، والمغيرة بن المهلب على إصطخر .

ثمّ إنه بعث إلى مُقاتِل فبعَثَه على جيش ، وألحقَه بناحية عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة ، فانحطّوا عليه من قِبَل كَرْمان حتى أتَوْا دَرَابْجِرد ، فسار نحوَهم . وبعث قَطَرىٌّ مع صالح بن مخْراق تسعمائة فارس ، فأقبل يسيرُ بهم حتى استقبَل عبدَ العزيز وهو يسير بالناس ليلا ، يجرون على غير تعبية ، فهزم الناس ، ونزَل مُقاتِل بن مِسمَع فقاتل حتى قُتِل ، وانهزم عبدُ العزيز بنُ عبد الله ، وأخِذت امرأتُه ابنة المنذر بن الجارود ، فأقيمت فيمن يزيد ، فبلغت مائةَ ألف — وكانت جميلةً — فغار رجلٌ مِن قومها كان من رءوس الخوارج يقال له : أبو الحديد الشَّنّىّ ، فقال : تنحّوا هكذا ، ما أرَى هذه المُشرِكة إلّا قد فتنتْكم ، فضرب عنقَها . ثمّ زعموا أنه لَحِق بالبَصْرة ، فرآه آلُ منذر فقالوا : واللهِ ما ندرى أنحمَدُك أم نَذُمّك ! فكان يقول : ما فعلتُه إلّا غيْرة وحَمِيّة . وجاء عبدُ العزيز حتى انتهَى إلى رامَهُرْمُز ، وأتَى المهلّب فأخبِر به ، فبعث إليه شيخًا من أشْياخ قومه كان أحدَ فُرْسانه ، فقال : ائته فإن كان منهزمًا فعزّه وأخبره أنه لم يَفعَل شيئًا لم يَفعَله الناسُ قَبلَه ، وأخبره أنّ الجنود تأتيه عاجلا ، ثمّ يُعزّه الله ويَنصُره . فأتاه ذلك الرجل ، فوجدوه نازلاً فى نحو من ثلاثين رجلا كئيبًا حزينًا ، فسلم عليه الأزْدىّ ، وأخبره أنه رسول المهلّب ، وبلّغه ما أمَره به ، وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة . ثمّ انصرف إلى المهلب فأخبره الخبر ، فقال له المهلب : الحق الآنَ بخالد بالبصرة فأخبرْه الخبرَ ،

٨٢٣/٢ ، ٨٢٤/٢

(١) ف : « يتولى » .

فقال: أنا آتيه أخبرُه أنّ أخاه هُزِم! والله لا آتيه، فقال المهلّب[1]: لا والله لا يأتيه غيرُك، أنتَ الذى عاينتَه ورأيته، وأنت كنتَ رسولى إليه، قال: هو إذًا بِيهدِيك[2] يامهلّب أن ذهبَ إليه العامَ، ثمّ خرج. قال المهلّب: أمّا أنت والله فإنك لى آمن، أمّا والله لو أنك مع غيرى، ثمّ أرسلك على رجليك خرجت تشتد! قال له وأقبَل عليه: كأنك إنما تمنّ علينا بحِلْمك! فنحن والله نُكافئكَ بل نزيد؛ أما تعلَم أنا نُعرِّض أنفسنا للقتل دُونَك، ونحميك من عدوِّك! ولو كنا والله مع من يتجهّل علينا، ويبعثنا فى حاجاته على أرْجُلِنا، ثمّ احتاج إلى قتالنا ونُصْرتنا جعلناه بيننا وبين عدوِّنا، ووقينا به أنفسنا. قال له المهلّب: صدقتَ صدقتَ. ثم دعا فتىً من الأزْد كان معه فسرّحه إلى خالد يخبره خبر أخيه، فأتاه الفتى الأزدىّ وحوله الناسُ، وعليه جُبّةٌ خضراءُ ومُطرَفٌ أخضَر، فسلم عليه، فردّ عليه، فقال: ما جاءَ بك[3]؟ قال: أصلحك الله! أرسلنى إليك المهلب لأخبرَك خبرَ ما عاينتُه، قال: وما عاينتَ؟ قال: رأيت عبدَ العزيز برامَهُرمُز مهزومًا، قال: كذبت، قال: لا، والله ما كذبتُ، وما قلتُ لك إلّا الحقّ، فإن كنتُ كاذبًا فاضربْ عنُقى، وإن كنتُ صادقًا فأعطِنى أصلحك الله جُبّتَك ومُطرفَك. قال: وَيْحكَ! ما أيسَر ماسألت، ولقد رضيت مع[4] الخطر العظيم إن كنت كاذبًا بالخطر الصّغير إن كنت صادقًا. ٨٢٥/٢ فحبَسه وأمر بالإحسان إليه حتى تبيّنتْ له هزيمةُ القوم، فكتَب إلى عبد الملك:

أما بعد، فإنى أخبر أميرَ المؤمنين أكرمه الله أنى بعثتُ عبدَ العزيز بنَ عبد الله فى طلب الخوارج، وأنهم لقُوه بفارسَ، فاقتتلوا قتالا شديدًا، فانهزَم عبدُ العزيز لما انهزَم عنه الناس، وقتِل مقاتل بنُ مِسمَع، وقدم الفَلّ إلى الأهْواز. أحببتُ أن أعلِم أميرَ المؤمنين ذلك ليأتيَنى رأيُه وأمرُه أنزل عندَه إن شاء الله، والسلام عليك ورحمةُ الله.

---

(١) أ، ب، ف: «قال: فقال له المهلب». (٢) كذا فى ا، فى ط «يهديك».

(٣) ب، ف: «ما حاجتك». (٤) ب، ف: «من».

فكتَب إليه :

أما بعد، فقد قَدِم رسولُك فى كتابِك، تُعلِمنى فيه بَعْثَتك أخاك على قتال الخوارج ، وبهزيمة مَنْ هُزم ، وقَتْل مَن قُتِل ، وسألتُ رسولك عن مكان المهلّب ، فحدّثنى أنه عاملٌ لك على الأهواز ، فقبّح الله رأيك حين تبْعث أخاك أعرابيًّا من أهل مكّة على القتال ، وتدَع المهلب إلى جنبك يَجبى الخَراج ، وهو المَيْمونُ النقيبةُ، الحَسَن السياسة ، [1]البصير بالحَرْب، المُقاسى لها[1] ، ابنها وابنُ أبنائها ! انظر أن تنهض بالناس حتى تَستقبِلهم بالأهواز ومِن وراء الأهواز . وقد بَعثتُ إلى بِشْر أن يُمدّك بجَيْش من أهل الكوفة ، فإذا أنت لقيتَ عدوَّك فلا تَعمَل فيهم برأى حتى تَحضره المهلّب ، وتستشيره فيه إن شاء الله . والسلامُ عليكَ ورحمةُ الله .

فشَقّ عليه أنّه فيَّل رأيَه فى بِعثة أخيه[2] وتَرْكِ المهلب، وفى أنه لم يَرضَ رأيَه خالصًا حتى قال : أحضرْه المهلّبَ واستشرْه فيه .

٨٢٦/٢

وكَتَب عبدُ الملك إلى بِشْر بنِ مَرْوان :

أما بعد، فإنى قد كتبتُ إلى خالد بنِ عبد الله آمُرُه بالنّهوض إلى الخوارج ، فسرِّحْ إليه خمسةَ آلاف رجل ، وابعثْ عليهم رجلا من قِبَلك ترضاه ، فإذا قضَوْا غزاتَهم تلك صرفْتَهم إلى الرّىّ فقاتَلُوا عدوَّهم ، وكانوا فى مَسالِحهم ، وجَبَوْا فيئهم حتى تأتى أيام عقَبهم فتُعقبهم[3] وتبعث آخرين مكانَهم .

فقطع على أهل الكوفة خمسةَ آلاف ، وبعث عليهم عبدَ الرحمن بنَ محمد بن الأشعث ، وقال : إذا قضيتَ غزاتَك هذه فانصرفْ إلى الرَّىّ . وكتب له عليها عهدًا . وخرج خالدٌ بأهل البصرة حتى قَدِم الأهواز ، وجاء عبد الرحمن بنُ محمّد ببعث أهل الكوفة حتّى وافاهم بالأهواز ،

(١ – ١) ب ، ف : « المقاسى للحرب » . (٢) ب ، ف : « بعثه بأخيه » .
(٣) س : « فتعفيهم » .

وجاءت الأزارقة حتّى دنَوْا من مدينة الأهواز ومن مُعسكَر القوم ، وقال المهلَّب لخالد بنِ عبد الله : إني أرَى هاهنا سُفُناً كثيرة ، فضُمَّها إليك ، فوالله ما أظُنّ القومَ إلاّ مُحرِقيها . فما لبث إلّا ساعةً حتَّى ارتفعتْ خيلٌ من خيلهم إليها فحرّقتْها . وبعث خالد بن عبد الله على مَيمَنته المهلَّبَ ، وعلى ميْسَرَته داود بن قَحذَم من بنى قيس بن ثعلبة ، ومرّ المهلَّب على عبد الرحمن بنِ محمَّد ولم يُخندق ، فقال : يابن أخى ، ما يَمنعك من الخَنْدق! فقال : واللهِ لهمْ أهوَنُ علىّ من ضَرْطة الجَمَل[1] ، قال : فلا يَهُونوا عليك يابن أخى ، فإنّهم سِباعُ العَرَب ، لا أبرح أو[2] تَضرِب عليك خندقاً؛ ففعل .

٨٢٧/٢

وبلغ الخوارجَ قول عبد الرحمن بن محمَّد لهم : «أهوَنُ علىَّ مِن ضَرْطة الجمل » ، فقال شاعرُهم :

يا طالبَ الحقِّ لا تُستَهْو بالأَمَلِ فإنَّ من دون ما تَهوَى مَدَى الأَجلِ
وٱعمَل لربِّك وٱسأله مَثوبَتَهُ فإنَّ تَقْواه فٱعلمْ أفضلُ العملِ
واغْزُ المَخانيثَ فى الماذِىِّ مُعْلِمَةً[3] كيما تُصبِّح غَدْوًا ضَرْطَةَ الجملِ

فأقاموا نحوًا من عشرين ليلةً . ثمّ إن خالدًا زَحَف إليهم بالناس ، فرأوا أمرًا هالهم مِن عَدَد الناس وعُدّتِهم ، فأخذوا يَنْحازُون ، واجترأ عليهم الناس ، فكَرّت عليهم الخيل ، وزحف إليهم فانصرفوا كأنّهم على حامية وهم مولُّون لا يروْن لهم طاقة بقتال جماعة الناس ، وأتبعهم خالدُ بنُ عبد الله داودَ بن قحذَم فى جيش من أهل البصرةِ ، وانصرف خالد إلى البصرة ، وانصرف عبدُ الرحمن بنُ محمَّد إلى الرَّىّ وأقام المهلَّب بالأهواز ، فكتب خالدُ بنُ عبدِ الله إلى عبد الملك :

أمَّا بعد ، فإنى أخبِر أميرَ المؤمنين أصلحه الله أنى خرجتُ إلى الأزارقة الّذين مرقوا من الدِّين ، وخرجوا من وِلاية المسلمين ، فالتقيْنا بمدينة الأهْواز

(١) الميدانى ٢ : ٤٠٩ (٢) ب ، ف : « حتى » .
(٣) ا : « معملة » .

فتناهضْنا فاقتتلنا كأشدّ قتال كان فى الناس . ثمّ إنّ الله أنزَل نصرَه على المؤمنين والمسلمين ، وضربَ الله وجوه أعدائه ، فاتبعهم المسلمون يقتّلونهم ، ولا يَمنعون ولا يمتنِعون ، وأفاءَ الله ما فى عسكرهم على المسلمين ، ثمّ ٢/٨٢٨ أتبعتُهم داودَ بنَ قَحْذَم ، والله إن شاءَ مهلِكهم ومستأصِلهم ؛ والسلام عليك .

فلمَّا قَدم هذا الكتاب على عبد الملك كتب عبدُ الملك إلى بشْر ابن مرْوان :

أما بعد ، فابعث من قِبَلك رجلا شجاعًا بصيرًا بالحرب فى أربعة آلاف فارس ، فلْيَسيروا إلى فارس فى طلب المارقة ، فإنّ خالدًا كتب إلىّ يخبرنى أنّه قد بعث فى طلبهم داود بن قَحْذَم ، فمُرْ صاحبك الّذى تَبعث ألا يُخالف داودَ بنَ قَحْذَم إذا مَا التقَيا ، فإنّ اختلافَ القوم بينهم عَوْن لعدوّهم عليهم . والسلامُ عليك .

فبعث بشر بنُ مروان عتّاب بنَ ورقاء فى أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة ، فخرجوا حتّى التقَوا هم وداودُ بنَ قَحْذم بأرض فارسَ ، ثمّ اتّبعوا القوم يطلبونهم حتّى نَفقتْ خيولُ عامّتهم ، وأصابهم الجهد والجوع ، ورَجع عامّةُ ذَيْنك الجيْشَين مُشاةً إلى الأهواز ، فقال ابن قيسِ الرّقيّات — من بنى مخزوم — فى هزيمة عبد العزيز وفِرارِه عن امرأته :

عبدَ العزيزِ فَضحْتَ جَيْشَك كلَّهمْ	وتركتَهم صرعى بكلِّ سبيل[1]
من بين ذِى عَطَشٍ يجودُ بنفْسِه	ومُلَحَّبٍ بين الرِّجال قَتِيل[2]
هلاَّ صبرْتَ مع الشهيد مقاتِلا	إذ رُحْت منتكث القُوَى بأَصيل
وتركت جيْشَك لا أَمير عليهمُ	فأَرجع بِعارٍ فى الحياةِ طَوِيل ٢/٨٢٩
ونَسيتَ عِرسك إذ تُقَادُ سَبيَّةً	تُبكى العيونَ برنَّةٍ وعَوِيلِ

* * *

(١) ديوانه ١٩٠ .
(٢) ملحب : قطعه السيف .

[خروج أبى فُدَيك الخارجىّ وغلبته على البحرين]

وفى هذه السنة كان خروج أبى فُدَيك الخارجىّ ، وهو من بنى قَيْس ابن ثعلبة ، فغلب على البحرين ، وقتل نجدةَ بنَ عامر الحَنَفىّ ، فاجتمع على خالد بن عبد الله نزُول قَطَرىّ الأهواز وأمرُ أبى فُديك ، فبعث أخاه أميّة بنَ عبد الله على جُند كثيف إلى أبى فُدَيك ، فهزمه أبو فُدَيك ، وأخذ جاريةً له فاتّخذها لنفسه ، وسار أميّةُ على فرس له حتّى دخل البَصْرة فى ثلاثة أيّام ، فكتب خالدٌ إلى عبد الملك بحالِه وحال الأزارقة .

* * *

[خبر توجيه عبد الملك الحجّاج لقتال ابن الزبير]

وفى هذه السنة وجّه عبدُ الملك الحجّاجَ بن يوسفَ إلى مكة لقتال عبد الله ابن الزّبير، وكان السبب فى توجيهه الحَجّاجَ إليه دونَ غيره — فيما ذُكر — أن عبدَ الملك لمّا أراد الرّجوع إلى الشأم ، قام إليه الحجّاج بنُ يوسفَ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنى رأيتُ فى منامى أنى أخذتُ عبدَ الله بنَ الزبير فسلَخْته ، فابْعثْنى إليه ، وولّنى قتالَه . فبعثه فى جيش كثيف من أهل الشام ، فسار حتّى قَدِم مكّة ، وقد كتب إليهم عبدُ الملك بالأمان إنْ دخلوا فى طاعته .

فحدّثنى الحارثُ، قال : حدّثنى محمّد بن سَعْد، قال : أخبَرَنا محمّد بن عمرَ ، قال : حدّثنا مُصعَب بنُ ثابت ، عن أبى الأسوَد ، عن عبّاد بن عبد الله بنِ الزبير ، قال : بعث عبدُ الملك بنُ مروان حين قُتِل مُصعَب ابن الزبير الحجّاجَ بنَ يوسف إلى ابن الزّبير بمكّة ، فخرج فى ألفين من جُند أهل الشأم فى جُمَادى من سنة اثنتين وسبعين ، فلم يَعرِض للمدينة ، وسلَك طريقَ العِراق ، فنزل بالطّائف ، فكان يَبْعَث البُعوثَ إلى عرَفَة فى الخيل[1] ، ويبعث ابن الزّبير بَعْثاً فيقتتِلون هنالك ، فكلّ ذلك تُهزَم خيل ابنِ الزّبير وتَرجع خيلُ الحجّاج بالظَّفَر . ثمّ كتب الحجّاج إلى عبدِ الملك يستأذنه فى حصار ابن الزبير ودخولِ الحرَم عليه ، ويُخبِره أنّ

٢/٨٣٠

(١) كذا فى ا ، ب ، ف وفى ط : «الحل» .

شوكتَه قد كلّت ، وتفرّق عنه عامّة أصحابه ، ويسأله أن يمدّه برجال ، فجاءه كتابُ عبدِ الملك ، وكتب عبدُ الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه من الجند بالحجّاج ، فسار فى خمسة آلاف من أصحابه حتّى لحق بالحجّاج . وكان قدومُ الحجّاجِ الطائفَ فى شعبان سنة اثنتين وسبعين . فلمّا دخل ذو القعدة رحل الحجّاج من الطائف حتّى نزل بئرَ ميمون وحصرَ ابن الزّبير .

حجّ الحجّاجُ بالناس فى هذه السنة ، وابن الزبير محصور ، وكان قدومُ طارق مكّة لهلالِ ذى الحجّة ، ولم يطُف بالبيت ، ولم يصل إليه وهو مُحرِم ، وكان يلبس السلاح ، ولا يقرب النساء ولا الطيب إلى أن قُتل عبدُ الله بنُ الزبير . ونحرَ ابنُ الزّبير بدنًا بمكّة يومَ النحر ، ولم يحجّ ذلك العامَ ولا أصحابه لأنّهم لم يقفوا بعرفة .

قال محمّد بنُ عمر : حدّثنى سعيد بنُ مسلم بن بابك ، عن أبيه ، قال : حججتُ فى سنة اثنتين وسبعين فقدمْنا مكّة ، فدخلناها من أعلاها ، فنجدُ أصحابَ الحجّاج وطارق فيما بين الحجون إلى بئرِ ميمون ، فطفْنا بالبيت وبالصّفا والمروة ، ثمّ حجّ بالناس الحجّاجُ ، فرأيته واقفًا بالهضبات من عرفة على فرس ، وعليه الدّرع والمغفر ، ثم صدر فرأيتهُ عدل إلى بئرِ ميمون ، ولم يطفْ بالبيت وأصحابه متسلّحون ، ورأيتُ الطّعام عندهم كثيرًا ، ورأيت العير تأتى من الشأم تحمل الطّعام ؛ الكعك والسّويق والدّقيق ؛ فرأيتُ أصحابَه مخاصيبَ ، ولقد ابتعنا من بعضهم كعكًا بدرهم ، فكفانا إلى أن بلغنا الجحفة وإنّا لثلاثة نفر .

قال محمّد بن عمر : حدّثنى مصعب بنُ ثابت ، عن نافع مولى بنى أسد ، قال — وكان عالمًا بفتنة ابنِ الزّبير — قال : حُصر ابنُ الزبير ليلةَ هلالِ ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين . ٨٣١/٢

* * *

[أمر عبد الله بن خازم السُّلمىّ مع عبد الملك]

وفى هذه السنة كتَب عبدُ الملك إلى عبدِ الله بن خازم السُّلَمىّ يدعوه إلى بَيْعته ويُطعِمه خُراسانَ سبعَ سنين ، فذَكر علىُّ بن محمّد أنّ المفضّل بنَ محمّد ويحيى بن طُفَيل وزُهيرَ بنَ هُنَيد حدّثوه — قال : وفى خبرِ بعضِهم زيادةٌ على خبر بعض — أنّ مُصعَب بنَ الزبير قُتِل سنة اثنتين وسبعين وعبدُ الله بنُ خازم بأبْرشَهْر يُقاتِل بحِير بن وَرْقاء الصُّرَيمىّ صُرَيم بن الحارث ؛ فكتَب عبدُ الملك بنُ مروان إلى ابن خازم مع سورة بن أشْيم النُّمَيرىّ : إنّ لك خُراسانَ سبعَ سنين على أن تُبايع لى . فقال ابنُ خازم لسَوْرة : لولا أن أضرّب بين بنى سُلَيم وبنى عامر لقتلتُك ولكن كلْ هذه الصحيفة ، فأكلها . ٨٣٢/٢

قال : وقال أبو بكر بن محمّد بن واسع : بل قدِم بعهد عبد الله بنِ خازم سوادةُ بنُ عُبيد الله النُّمَيرىّ .

وقال بعضُهم : بعَث عبدُ الملك إلى ابن خازم سِنانَ بن مكمّل الغَنوىّ ، وكتب إليه : إنّ خُراسان طُعْمة لك ، فقال له ابن خازم : إنما بعَثك أبو الذِّبّان(١) لأنك مِن غَنِىّ ، وقد علم أنى لا أقتُل رجلا من قيس ، ولكن كُلْ كِتابَه .

قال : وكتب عبدُ الملك إلى بكير بن وشاح أحدِ بنى عَوْف بن سعد — وكان خليفة ابن خازم على مَرْوَ — بعهده على خراسان ووعده ومنّاه ، فخلع بكيرُ بن وشاح عبدَ الله بن الزبير ، ودعا إلى عبد الملك بنِ مروان ، فأجابه أهلُ مَرْوَ ، وبلغ ابنَ خازم فخاف أن يأتيَه بُكَير بأهلِ مَرْو ، فيجتمع عليه أهلُ مَرْو وأهل أبْرشَهْر ، فترك بَحيرًا ، وأقبل إلى مرْو يريد أن يأتىَ ابنه بالتِّرمِذ ، فأتبعه بحير ، فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية : «شاهميغد» ، بينها وبين مَرْو ثمانية فَراسخ .

قال : فقاتله ابن خازم ، فقال مولًى لبنى ليث : كنت قريبًا من معترك

(١) ب : « الذبان » .

القوم فى منزل ، فلما طَلعت الشمسُ تهايجَ العسكران ، فجعلتُ أسمَع وقْعَ السيوف ، فلمَّا ارتفَع النهارُ خفيَت الأصواتُ ، فقلتُ : هذا لارتفاع النَّهار ، ٢/٨٣٣ فلمَّا صلَّيت الظهر — أو قبلَ الظهر — خرجتُ ، فتلقَّانى رجلٌ من بنى تميم ، فقلتُ : ما الخبر ؟ قال : قتلتُ عدوَّ الله ابن خازم وها هو ذا ، وإذا هو محمول[١] على بغل ، وقد شدّوا فى مَذاكيره حَبْلاً وحجراً وعدلوه به على البَغْل .

قال : وكان الَّذى قتله وَكيعُ بنُ عُمَيْرة القُرَيعىّ وهو ابن الدَّوْرَقيَّة ، اعتَوَر عليه بحير بن وَرْقاء وعمَّار بنُ عبد العزيز الجُشمىّ ووكيع ، فطعَنوه فصرَعوه ، فقعد وكيع على صدره فقتَله ، فقال بعضُ الوُلاة لوَكيع : كيف قتلتَ ابنَ خازم ؟ قال : غلبتُه بفَضْل القَنا ، فلمَّا صُرِع قعدتُ على صدره ، فحاول القيامَ فلَم يَقدِر عليه ، وقلتُ : يا لَثارات دُوَيلة ! ودُوَيْلةُ أخٌ لوَكيع لأمّه ، قُتِل قبل ذلك فى غير تلك الأيَّام .

قال وكيع : فتَنخَّم فى وجهى وقال : لعنك الله ! تقتل كبش مضَر ، بأخيك ، علْج لا يساوى كفًّا من نوًى — أو قال : مِن تراب — فما رأيت أحدًا أكثر ريقًا منه على تلك الحال عند الموت .

قال : فذَكَر ابنُ هُبيرة يومًا هذا الحديثَ فقال : هذه واللهِ البَسالة.

قال : وبعث بَحير ساعةَ قُتِل ابن خازم رجلا من بنى غُدانة إلى عبد الملك ابن مَرْوانَ يُخبره بقتل ابن خازم ، ولم يَبعث بالرأس ، وأقبل بُكَير بنُ وشاح فى أهل مَرْو فوافاهم حين قتل ابن خازم ، فأراد أخذ رأس ابن خازم ، فمنعه بَحيرٌ ، فضربه بكير بعمود ، وأخذ الرأسَ وقَيَّد بحيرًا وحبسه ، وبعث بكير ٢/٨٣٤ بالرأس إلى عبد الملك ، وكتب إليه يُخبره أنَّه هو الذى قتله ، فلمَّا قُدِم بالرأس على عبد الملك دعا الغُدانىّ رسولَ بَحير وقال : ما هذا ؟ قال : لا أدرى ، وما فارقتُ القومَ حتَّى قُتِل ، فقال رجل من بنى سُلَيم :

أَلَيْلَتَنَا بنيسابُورَ رُدِّى   علىَّ الصبحَ وَيْحك أو أَنِيرِى

كواكبُها زَوَاحِفُ لاغِبَاتٌ   كأَنَّ سماءَها بيدى مُدِيرِ

---

(١) ب ، ف : « معارض » .

تَلومُ عَلى الحوادثِ أُمُّ زيدٍ وهل لكِ فى الحوادثِ من نَكيرِ!
جَهلن كَرامتى وصَدَدنَ عنِّى إلى أَجل من الدّنيا قصير
فلو شهدَ الفوارسُ من سُلَيْمٍ غَدَاةَ يُطَاف بالأَسَدِ العَقِيرِ
لنازَلَ حولهُ قومٌ كِرامٌ فعَزَّ الوترُ فى طلب الوُتورِ
فقد بَقِيتْ كلابٌ نابحاتٌ وما فى الأَرضِ بعدَك من زَئيرِ

فولى الحجّ بالناس فى هذه السنة الحجّاج بن يوسف .

وكان العامل على المدينة طارقٌ مولى عثمان من قِبَل عبد الملك، وعلى الكوفة بِشْر بنُ مروان ، وعلى قضائها عُبيد الله بنُ عبد الله بن عُتبةَ بن مسعود . وعلى البصرة خالدُ بنُ عبد الله بن خالد بن أسِيد ، وعلى قضائها هشام ابنُ هُبيرة . وعلى خُراسان فى قول بعضهم عبدُ الله بنُ خازم السُلَمىّ ، وفى قولِ بعض : بكير بن وِشاح . وزعم مَن قال : كان على خُراسانَ فى سنة اثنتين وسبعين عبدُ الله بنُ خازم أنّ عبدالله بنَ خازم إنّما قتل بعد ما قتل عبد الله بن الزبير ، وأنّ عبد الملك إنّما كتب إلى عبد الله بن خازم يدعوه إلى الدخول فى طاعته على أن يُطْعِمه خُراسان عشرَ سنين بعد ما قتِل عبدُ الله بنُ الزُّبير ، وبعث برأسه إليه ، وأنّ عبد الله بنَ خازم حلَف لمّا ورد عليه رأسُ عبد الله بنِ الزبير ألّا يُعطيه طاعةً أبدًا ، وأنّه دعا بطست فغَسل رأسَ ابن الزبير ، وحَنَّطه وكفّنه ، وصلّى عليه ، وبعث به إلى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة ، وأطعم الرسول الكتاب ، وقال : لولا أنّك رسولٌ لضربتُ عنقك . وقال بعضهم : قطع يَدَيه ورجلَيه وضرَبَ عنقَه .

٨٣٥/٢

* * *

فصل نذكر فيه الكتّاب من بدء أمر الإسلام (١)

روى هشام وغيره أنّ أوّل من كتب من العرب حرب بن أميّة بن عبدِ شمس بالعربيّة ، وأنّ أوّل من كتب بالفارسيّة بيوراسب ، وكان فى زمان إدريس. وكان أول من صنّف طبقاتِ الكتّاب وبيّن منازلهم لهراسب ابن كاوغان بن كيمُوس .

(١) هذا الفصل ساقط من ا .

وحُكِيَ أن أبروَيْز قال لكاتبه : إنما الكلام أربعةُ أقسام : سؤالُك الشيءَ ، وسؤالُك عن الشيء ، وأمرُك بالشيء ، وخبرك عن الشيء ؛ فهذه دعائمُ المقالات إن التُمس لها خامس لم يوجَد ، وإن نقص منها رابعٌ لم تَتِمّ ، فإذا طلبتَ فأسجح ، وإذا سألتَ فأوضح ، وإذا أمرْت فاحتِم ، وإذا أخبرت فحقّق . ٢/٨٣٦

وقال أبو موسى الأشعرىّ : أوّل من قال: أما بعدُ داود ، وهى فصلُ الخِطاب الذى ذكره الله عنه .

وقال الهَيْثم بنُ عَدِىّ : أوّل مَن قال : أما بعدُ قسّ بنُ ساعدةَ الإيادىّ .

أسماء من كتب للنبىّ صلّى الله عليه وسلم

علىّ بن أبى طالب عليه السلام وعثمان بن عفان ، كانا يكتبان الوحْىَ ؛ فإن غابا كتبه أبىُّ بنُ كعب وزيدُ بنُ ثابت .

وكان خالد بنُ سعيد بن العاص ومعاوية بن أبى سفْيان يَكتُبان بين يديه فى حوائجه .

وكان عبدُ الله بنُ الأرقم بن عبد يَغُوثَ والعلاءُ بن عُقبة يَكتُبان بين القوم فى حوائجهم ، وكان عبدُ الله بنُ الأرقم ربّما كتب إلى الملوك عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم .

* * *

[أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة]

وكتَب لأبى بكر عثمانُ ، وزيدُ بنُ ثابت ، وعبدُ الله بنُ الأرقم وعبدُ الله بنُ خلَف الخُزاعىّ ، وحَنْظلة بن الربيع .

وكَتَب لعمرَ بن الخطاب زيدُ بنُ ثابت ، وعبدُ الله بنُ الأرقم ، وعبدُ الله بنُ خلَف الخُزاعىّ أبو طلحة الطلَحات على ديوان البَصْرة ، وكتب له على ديوان الكوفة أبو جَبيرةَ بن الضحّاك الأنصارىّ .

وقال عمرُ بنُ الخطّاب لكتّابه وعُمّاله : إنّ القوّة على العمل ألّا

تؤخِّروا عملَ اليوم لغَد ، فإنكم إذا فعلتم ذلك تذاءَبتْ[١] عليكم الأعمال ،
فلا تَدْرون بأيها تبدءون ، وأيَّها تأخذون . وهو أوّلُ مَنْ دوَّن الدَّواوين ٢/٨٣٧
فى العَرَب فى الإسلام .

وكان يكتُب لعثمانَ مروانُ بنُ الحَكَم ، وكان عبدُ الملك يكتُب له
على ديوان المدينة ، وأبوجَبِيرة الأنصاريّ على ديوان الكوفة ، وكان أبو غطفان
ابن عوف بن سعد بن دينار من بنى دُهمانَ من قيس عَيْلان يَكتُب له ،
وكان يَكتُب له أهيبُ مولاه ، وحمران[٢] مولاه .

وكان يكتُب لعلىّ عليه السلام سعيدُ بنُ نِمْران الهمدانىّ ، ثمّ ولِىَ
قضاءَ الكوفة لابن الزّبير . وكان يكتب له عبد الله بن مسعود ، ورُوِى أنّ
عبد الله بنَ جُبير كتب له . وكان عُبيدُ الله بنُ أبى رافع يكتُب له . واختلف
فى اسم أبى رافع ، فقيل : اسمُه إبراهيم، وقيل : أسلم، وقيل : سنان ، وقيل :
عبدُ الرحمن .

وكان يَكتُب لمعاوية على الرّسائل عبيد[٣] بنُ أوْس الغَسّانىّ .
وكان يَكتب له على ديوان الخَراج سَرجُون بنُ منصور الرّومىّ . وكتب له
عبدُ الرحمن بنُ دَرّاج ، وهو مَولَى معاوية ، وكَتَب على بعض دواوينه
عُبيدُ الله بنُ نصر بن الحجاج بن عِلاء السُّلَمىّ .

وكان يَكتُب لمعاويةَ بن يزيدَ الرّيانُ بنُ مسلم ، ويَكتُب له على
الديوان سرجُون . ويُروَى أنه كتب له أبو الزعَيْزِعة .

وكَتَب لعبد الملك بن مروان قبيصةُ بنُ ذؤيب بن حَلجلة الخُزاعىّ ،
ويُكْنى أبا إسحاق . وكَتَب على ديوان الرسائل أبو الزعَيْزعة[٤]
مولاه .

وكان يَكتُب للوليد القَعقاعُ بنُ خالد ــ أو خُلَيد العبْسىّ ، وكتب له على
ديوان الخراج سليمانُ بنُ سعد الخُشَنىّ ، وعلى ديوان الخاتَم شُعيبُ

---

(١) تذاءبت الأعمال : اجتمعت وتراكمت .

(٢) ط : « عمران » ، وانظر الفهرس .

(٣) ط : « عبيد الله » وانظر الفهرس .

(٤) ب : « الزعيزيعة » .

العُمَانيّ مولاه ، وعلى ديوان الرّسائل جناح مولاه ، وعلى المستَغلاّت نُفَيع ابنُ ذُؤَيب مولاه . ٨٣٨/٢

وكان يَكتُب لسليمان سليمانُ بنُ نعيم الحِمْيريّ .

وكان يَكتُب لمسلَمة سميع مولاه، وعلى ديوان الرسائل اللّيث بن أبى رُقَيَّة مولَى أمّ الحَكَم بنت أبى سُفْيان ، وعلى ديوان الخراج سليمانُ بنُ سعد الخُشَنىّ، وعلى ديوان الخاتَم نُعَيمُ بنُ سلامة مَولًى لأهل اليمن من فِلَسْطين ؛ وقيل : بل رجاء بن حَيْوَة كان يتقلّد الخاتَم .

وكان يَكتب ليزيدَ بن المهلب المغيرةُ بنُ أبى فَرْوة .

وكان يكتب لعمرَ بن عبدالعزيز اللّيثُ بنُ أبى رقيّة[1] مولى أمّ الحَكَم بنت أبى سُفْيان، ورَجاء بن حَيْوة . وكتب له إسماعيلُ بن أبى حكيم مولى الزّبير ، وعلى ديوان الخراج سليمانُ بنُ سعد الخُشَنىّ ، وقلّد مكانَه صالح بن جُبير الغَسانى — وقيل : الغُدَانىّ — وعَدىّ بنُ الصبّاح بن المثنى ، ذكَر الهيثمُ بنُ عَدىّ أنه كان من جِلّة كُتّابه .

وكَتَب ليزيدَ بن عبد الملك قبل الخلافة رجلٌ يقال له يزيد بن عبد الله ، ثمّ استكتب أسامةَ بنَ زيد السَّلِيحىّ .

وكَتَب لهشام سعيدُ بنُ الوليد بن عمرو بن جَبَلة الكلبىّ الأبْرَش ، ويُكنَى أبا مخاشع ، وكان نصر بن سَيّار يتقلّد ديوان خراج خُرَاسان لهشام . وكان من كتّابه بالرُّصافة شعيبُ بنُ دينار .

وكان يكتب للوليد بن يزيدَ بكير بن الشمّاخ ، وعلى ديوان الرسائل سالمُ مولَى سعيد بن عبد الملك ، ومن كتّابه عبدُ الله بنُ أبى عمرو ، ويقال : عبد الأعلى بن أبى عمرو ، وكتب له على الحضرة عَمْرو بنُ عُتْبة . ٨٣٩/٢

وكَتَب ليزيد بن الوليد الناقص عبدُ الله بنُ نُعَيم ، وكان عَمرو ابنُ الحارث مولى بنى جُمَح يتولّى له ديوانَ الخاتَم، وكان يتقلد له ديوانَ

---

(١) ط : « ابن أبى فروة » ، وانظر تصويبات ط .

الرسائل ثابتُ بنُ سليمانَ بنِ سعدٍ الخُشَنىّ – ويقال الرّبيع بن عرعرة الخُشَنىّ – وكان يتقلّد له الخراجَ والدّيوانَ الذى للخاتَم الصغير النّضْرُ بنُ عَمْرو من أهل اليَمَن .

وكَتَبَ لإبراهيمَ بن الوليد ابنُ أبى جمعة ، وكان يتقلّد له الديوانَ بفلسطين ، وبايع الناس إبراهيم – أعنى ابنَ الوليد – سوى أهل حِمْصَ ، فإنهم بايعوا مروانَ بنَ محمد الجَعْدىّ .

وكَتَبَ لمروانَ عبدُ الحميد بنُ يحيى مولى العلاء بن وَهْب العامرىّ ، ومُصعَب بن الربيع الخَثْعمىّ ، وزيادُ بنُ أبى الوَرْد . وعلى ديوان الرسائل عثمانُ بنُ قيس مولى خالد القَسْرىّ . وكان من كتّابه مخلَد بن محمد بن الحارث – ويُكْنى أبا هاشم – ومن كتّابه مُصعَب بن الرّبيع الخَثْعمىّ ، ويُكْنَى أبا موسى . وكان عبدُ الحميد بنُ يحيى من البلاغة فى مكان مَكين ، ومما اختِير له من الشعر :

تَرحّلَ ما ليس بالقَافِلِ وأَعقَبَ ما ليْسَ بالزّائلِ
فلَهفى على الخَلَفِ النازلِ ولَهفى على السلفِ الراحلِ
أُبكِّى على ذا وأَبكِى لذا بكاءَ مُولَّهةٍ ثاكِلِ
تُبَكِّى من ٱبن لها قاطعٍ وتبكى على ٱبنٍ لها واصلِ
فليستْ تفَتَّرُ عن عَبْرةٍ لها فى الضّمير ومن هامِل
تقضّت غَواياتُ سُكْرِ الصِّبَى وردَّ التُّقَى عَنَنَ الباطِلِ

٨٤٠/٢

وكَتَبَ لأبى العباس خالدُ بنُ بَرْمَك ، ودفع أبو العباس ابنَته رَيْطة إلى خالد بن بَرْمك حتى أرضعتْها زوجتُه أم خالد بنت يزيد بلبان بنت لخالد تُدعَى أمّ يحيى ، وأرضعت أم سلمة زوجة أبى العبّاس أمّ يحيى بنت خالد بلبان ابنتها رَيطة . وقلّد ديوان الرسائل صالح بن الهَيْثم مولى رَيْطة بنت أبى العبّاس .

وكَتَب لأبى جعفر المنصور عبدُ الملك بنُ حُميد مولى حاتم بن النّعمان الباهلىّ من أهل خُراسان ، وكتب له هاشم بنُ سعيد الجُعْفىّ وعبدُ الأعلى بن أبى طَلْحة من بنى تميم بواسِطَ . ورُوى أنّ سليمانَ بنَ مخلد كان يَكتُب لأبى جعفر ، وممّا كان يَتمثّل به أبو جعفر المنصور :

وما إنْ شَفَى نفساً كأَمرٍ صريمةٍ   إذا حاجةٌ فى النفس طالَ اعتراضُها

وكَتَب له الرّبيع . وكان عُمارةُ بنُ حَمزةَ من نُبلاء الرّجال ، وله :

لا تَشْكوَنْ دهْرًا صَححْتَ بهِ   إنَّ الغِنَى فى صِحّة الجسمِ
هَبْك الإمامُ أَكنتَ منتفِعاً   بغضارةِ الدّنيا مع السُّقْم !

وكان يتمثّل بقول عبد بنى الحَسْحاس :

أَمِنْ أُميّةَ دمعُ العين مَذْروفُ   لو أنَّ ذا منكَ قبلَ اليوم معروفُ[1]
لا تُبكِ عينَك إنَّ الدّهرَ ذو غِيَرٍ   فيه تفرّقَ ذو إلْفٍ ومألوفُ

وكَتَب للمهدىّ أبو عُبيد الله وأبانُ بنُ صَدَقة على ديوان رسائله ، ومحمّد بن حُمَيد الكاتب على ديوان جُنْده ويعقوب بن داود ، وكان اتّخذه على وَزارته وأمْره ، وله : ٨٤١/٢

عَجبـاً لتصريفِ الأُمو   رِ محبّـةً وكراهيَـهْ
والدّهرُ يَلعَب بالرِّجا   ل له دوائرُ جـاريَهْ

ولابنه عبد الله بن يعقوب — وكان له محمّدٌ ويعقوبُ ، كلاهما شاعرٌ مجيدٌ :

وزع المَشيبُ شراستى وغَرامى   ومَرَى الجفونَ بمُسْبَلٍ سَجّامِ

(١) ديوانه ٦٢ ، ٦٣ ؛ وهى أبيات ثلاثة روايتها هناك :

أَمِنْ سُميّةَ دمْعُ العيْن مَذْرُوفُ   لو أَنَّ ذا منكِ قبْلَ اليَوْم معروف
المال مالكُمُ والعَبْد عبدُكُمُ   فهل عذابُكِ عنّى اليوم مَصْروفُ!
كأَنَّها يَوم صدّتْ ما تكلِّمنا   ظبىٌ بعُسفانَ ساجى الطرف مطروف

ولقد حَرَصتُ بأَن أُوارِى شخصه عن مقلتىَّ فرُمْتُ غَيرَ مرام
وصبغتُ ما صَبَغَ الزمانُ فلم يدمْ صِبغى ودامت صبغةُ الأَيام
لا تَبعــدنَّ شبيبةٌ ذيّالةٌ فارقتُها فى سالفِ الأَعوام
ما كان ما اَستصحَبْت من أَيّامها إلّا كبعضِ طوارقِ الأَحلامِ

ولأَبيه :

طَلِّق الدنيا ثلاثاً واتّخِذ زَوْجًا سِواها
إنَّها زَوْجةُ سَوْءٍ لا تُبالى مَنْ أَتاها

واستوزر بعدَه الفَيْض بنَ أبى صالح ، وكان جواداً .

وكتب للهادى موسى عُبيدُ الله بن زياد بن أبى ليلى ومحمَّد بن حُمَيد .

وسأل المهدىّ يومًا أبا عُبيد الله عن أشعار العرب ، فصنَّفها له ، فقال :
٨٤٢/٢ أحكمُها قولُ طَرَفة بن العَبْد :

أَرى قبر نحامٍ بخيلٍ بماله كقَبْرِ غَوِىٍّ فى البَطالة مُفسدِ[١]
ترى جُثوتَيْنِ من تُرابٍ عليهما صفائحُ صُمٌّ من صفيحٍ مصمَّدِ[٢]
أَرَى الموتَ يعْتام الكرامَ وَيَصطفِى عقيلةَ مالِ الفاحِشِ المتشدِّدِ[٣]
أَرَى العَيْشَ كنزًا ناقصاً كلَّ ليلة وما تَنقُص الأَيام والدهر يَنفَدِ
لعمرُك إنَّ الموتَ ما أَخطأَ الفتى لكالطوَلِ المُرْخَى وثِنْياه باليَدِ[٤]

وقوله :

وقد أَرانا كِلَانا هَمَّ صاحبِه لو أَنَّ شيئاً إذا ما فاتَنا رَجعَا
وكان شىءٌ إلى شىءٍ ففرَّقَه دَهرٌ يكرُّ على تفريقِ ما جمَعا

---

(١) ديوانه ٥٢ – ٥٤ . (٢) الجثوتان ، مثنى جثوة ؛ وهى كومة التراب .
(٣) يعتام : يختار ؛ وكذلك يصطفى . وعقيلة كل شىء : خياره .
(٤) الطول : الحبل الذى يطوّل للدابة فترعى به .

وقول لبيد :

أَلا تَسأَلانِ المرءَ ماذا يُحاوِلُ — أَنَحْبٌ فيُقضَى أم ضلالٌ وباطلُ(١)

أَلاَ كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ — وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

أَرَى الناسَ لا يدرون ما قدرُ أَمرِهِمْ — بلى كلُّ ذى رأيٍ إلى الله واسِلُ

وكقول النابغة الجَعْدىّ :

وقد طالَ عهدى بالشَّباب وأَهلِه — ولاقيتُ رَوْعات تُشيبُ النَّواصيَا(٢)

فلم أَجِدِ الإخوانَ إلاَّ صحــابةً — ولم أَجِدِ الأَهلين إلاَّ مثاويا

أَلم تعْلمى أَن قد رُزِئتُ مُحارِباً — فما لكِ منه اليوم شىءٌ ولا لِيا

وكقول هُدْبَة بن خَشْرَم :

ولستُ بِمفراحٍ إذا الدهرُ سرَّنى — ولا جازعٍ من صَرفه المتقلِّبِ(٣)

ولا أَبتغى الشرَّ والشرُّ تاركى — ولكن مَتَى أُحمَلْ على الشَّرِّ أَركبِ(٤) ٢/٨٤٣

وما يَعرف الأَقوامُ للدَّهر حَقَّــهُ — وما الدَّهرُ مِما يكرهون بمُعتِبِ

وللدهر فى أَهل الفتى وتِلادِهِ — نصيب كَحزِّ الجازِرِ المتشعِّبِ

وكقول زيادة بن زيد ؛ وتمثَّل به عبدُ الملك بن مروان :

تذكَّر عن شَحْطٍ أُميمةَ فارْعَوى — لها بعد إكثارٍ وطُول نحيبِ

وإنَّ امرأً قد جرَّب الدهر لم يخَفْ — تقلُّبَ عَصْرَيه لغيرُ لبيبِ

هل الدهرُ والأَيام إلاَّ كما تَرَى — رزيئةُ مالٍ أَو فراقُ حبيبِ

وكلّ الذى يأتى فأَنتَ نَسيبُهُ — ولستَ لشىءٍ ذاهبٍ بنَسيبِ

---

(١) ديوانه ٢٥٤ ، ٢٥٦ .

(٢) أبيات منها فى الحماسة – بشرح المرزوقى برقمى ٣٣٥ ، ٣٧٥ ، وأبيات منها أيضًا فى خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ١٢ ، ١٣ .

(٣) الكامل ٤ : ٨٦ ، مع اختلاف فى الرواية . (٤) بعده فى الكامل :

وَحَرَّبنى مَوْلاىَ حتَّى غَشِيتُه — مَتَى ما يحرِّبْك ابن عَمِّكَ تَحْرَبِ

وليس بعيدٌ ما يجىء كمقبِلٍ ولا ما مَضَى من مُفْرِحٍ بقَريبِ

وكقول ابن مُقبِل[1] :

لَمَّا رأَت بَدل الشَّبابِ بكتْ له والشَّيب أَرْذلُ هذه الأَبدالِ
والناس همهُمُ الحياةُ ولا أَرَى طول الحياة يَزيدُ غير خَبالِ
وإذا افتقرتَ إلى الذَّخائر لم تَجِدْ ذُخرًا يكون كصالحِ الأَعمال

ووزر له يحيى بن خالد . ووَزَر للرشيد ابنه جعفر بن يحيى بن خالد ، فمن مَلِيح كلامه : الخَطّ سِمَة الحِكمة ، به تفصَّل شُذورُها ، ويُنظَم منثورُها . قال ثُمامة : قلتُ لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ فقال : أن يكون الاسم محيطًا بمعناك ، مُخبِرًا عن مَغْزاك ، مُخرِجًا من الشركة ، غير مستعان عليه بالفِكرة . قال الأصمعىّ : سمعتُ يحيى بنَ خالد يقول : الدنيا دُوَل ، والمال عاريّة ، ولنا بمن قَبلَنا أسْوة ، وفينا لمن بعدنا عِبْرة .

ونأتى بتسمية باقى كتاب خلفاء بنى العباس إذا انتهيْنا إلى الدّولة العبّاسيّة إن شاء الله تعالى .

---

(١) كذا فى الأصول ؛ والأبيات من قصيدة للأخطل فى ديوانه ١٥٩ – ١٦٣ ، ومطلعها :

لمن الديار بجابلٍ فوُعـالِ دَرَسَتْ وغيّرها سِنونُ خوال

ونسب المبرد فى الكامل ٣ : ١٤ البيت الثالث إلى الخليل بن أحمد .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

ذكر الكائن الذى كان فيها من الأُمور الجليلة

[خبر مقتل عبد الله بن الزبير]

فمن ذلك مقتل عبد الله بن الزبير .

* ذكر الخبر عن صفة ذلك :

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بنُ سعد ، قال : أخبرنا محمّد بنُ عمر . قال : حدّثنى إسحاق بنُ يحيى ، عن عُبيد الله بن القبطيّة ، قال : كانت الحرب بين ابن الزّبير والحجّاج ببطن مكّة ستّة أشهر وسبعَ عشرةَ ليْلة .

قال محمّد بنُ عمر : وحدّثنى مصعب بنُ ثابت ، عن نافع مولى بنى أسد — وكان عالماً بفتنة ابن الزبير — قال : حُصِر ابن الزّبير ليلةَ هلالِ ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وقتل لسبع عشرةَ ليلةً خلتْ من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وكان حصرُ الحجّاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبعَ عشرة ليلة .

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بنُ سعد ، قال : أخبرَنا محمّد ابن عمر : قال : حدّثنى إسحاقُ بنُ يحيى ، عن يوسفَ بن ماهَك ، قال : رأيتُ المَنجنيقَ يُرمَى به ، فرعدت السماء وبرقت ، وعلا صوتُ الرّعد والبرق على الحجارة ، فاشتمل عليها ، فأعظم ذلك أهلُ الشأم ، فأمسكوا بأيديهم ، فرفع الحجّاج بِرْكة قَبائه فغرَزَها فى مِنطَقته ، ورفع حجر المَنجنيق فوضعه فيه ، ثم قال : ارموا ، ورمى معهم . قال : ثمّ أصبحوا ، فجاءت صاعقة تتبعها أخرى ، فقتلتْ من أصحابه اثنَى عشرَ رجلا ، فانكسر أهلُ الشأم ، فقال الحجّاج : يا أهل الشأم ، لا تُنكروا هذا فإنى ابن تِهامة ، هذه صواعقُ تِهامة ، هذا الفتح قد حضر فأبشِروا ، إنّ القوم يُصيبهُم مثل ما أصابكم ، فصعقت من الغد . فأصيب من أصحاب ابن الزبير عِدّة ؛ فقال الحجّاج : ألا تَرَوْن أنّهم يصابون وأنتم على الطّاعة ، وهم على خلاف

الطاعة ! فلم تزل الحربُ بينَ ابنِ الزبير والحجّاج حتّى كان قُبيلَ مَقتله وقد تفرّق عنه أصحابه ، وخرج عامّة أهلِ مكّة إلى الحجّاج فى الأمان .

حدّثنى الحارث، قال : حدّثنا ابنُ سعد، قال : أخبرنا محمّد بنُ عمر، قال : حدّثنى إسحاق بنُ عبدالله[١] ، عن المنذر بنِ جَهْم الأسَدىّ، قال : رأيتُ ابنَ الزبير يوم قُتِل وقد تفرّق عنه أصحابُه وخذله من معه خذلاناً شديداً ، وجعلوا يخرجون إلى الحجّاج حتّى خرج إليه نحوٌ من عشرةِ آلاف .

وذكِر أنّه كان ممّن فارقه وخرج إلى الحجّاج ابناه حَمزة وخُبيب ، فأخذا منه لأنفسهما أماناً ، فدخل على أمّه أسماء — كما ذكر محمّد بنُ عمرَ عن أبى الزّناد ، عن مَخرَمة بن سليمان الوالبىّ ، قال : دخل ابنُ الزبير ٢/٨٤٦ على أمّه حين رأى من الناس ما رأى من خِذْلانهم ، فقال : يا أمّه ؛ خذَلنى الناسُ حتّى ولدى وأهلى ، فلم يَبق معى إلّا اليسير ممّنْ[٢] ليس عنده من الدّفع أكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا ، فما رأيُك ؟ فقالت : أنتَ واللهِ يا بُنىَّ أعلم بنفسك، إن كنتَ تعلم أنّك على حقّ وإليه تدعو فامضِ له ، فقد قُتل عليه أصحابك، ولا تُمكّن من رقبتك يتلعّب بها غِلمانُ أميّة ، وإن كنتَ إنّما أردتَ الدّنيا فبئس العبدُ أنتَ ! أهلكتَ نفسَك ، وأهلكت من قُتِل معك . وإن قلتَ : كنتُ على حق فلمّا وَهَن أصحابى ضعُفتُ ، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدّين ، وكم خلودُكَ فى الدنيا ! القتلُ أحسن . فدنا ابن الزبير فقبّل رأسها وقال : هذا واللهِ رأيى ، والذى قمتُ به داعياً إلى يومى هذا ما ركَنْت إلى الدنيا ، ولا أحببتُ الحياةَ فيها ، وما دعانى إلى الخروج إلّا الغضب لله أن تُستحَلّ حُرَمه ، ولكنّى أحببتُ أن أعلم رأيك، فزدْتِنى[٣] ، بصيرةً مع بصيرتى . فانظرى يا أمّهْ فإنى مقتول من يومى هذا ، فلا يشتدّ حُزْنك، وسلّمى الأمر لله، فإنّ ابنَك لم يتعمّد إتيان[٤] مُنكَر، ولا عَملا بفاحشة، ولم يَجُرْ فى

---

(١) ط : « عبيد » ، وصوابه من ا . (٢) ب : « ومن » ، ا ، ف : « من » .
(٣) ب ، ف : « فقد زدتنى » . (٤) ب ، ف : « إيثار » .

حكم الله ، ولم يغدر فى أمان ، ولم يتعمَّد ظُلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغنى ظلم عن عُمَّالى فرضيتُ به بل أنكرتُه ، ولم يكن شىءٌ آثَرَ عندى[١] من رِضَا رَبِّى . اللهمّ إنى لا أقول هذا تزكية منّى لنفسى ، أنت أعلمُ بى ، ولكن أقولُه تعزية لأمّى لتسلوَ عنّى . فقالت أمه : إنى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حَسَنًا إن تقدّمتَنى ، وإن تقدّمْتُك فى نفسى ، اخرج حتّى أنظر إلى ما يصير أمرك . قال : جزاكِ الله يا أمَّه خيرًا ، فلا تَدَعى الدّعاء لى قبلُ وبعدُ . فقالت : لا أدَعه أبدًا ، فمن قُتِل على باطل فقد قُتِلتَ على حقّ . ثم قالت : اللّهمّ ارحمْ طول ذلك القيام فى اللّيل الطويل ، وذلك النَّحيب والظَمَأ فى هَواجِرِ المدينة ومكّة ، وبرّه بأبيه وبى . اللّهمّ قد سلّمته لأمرك فيه ، ورضيتُ بما قضيتَ ، فأثِبْنى فى عبد الله ثوابَ الصابرين الشاكرين[٢] . ٨٤٧/٢

قال مصعب بنُ ثابت : فما مكثتْ بعدَه إلّا عَشْرًا ، ويقال : خمسة أيّام .

قال محمد بنُ عمر : حدّثنى موسى بنُ يعقوب بن عبد الله ، عن عمّه قال : دخل ابنُ الزبير على أمه وعليه الدّرع والمِغفَر ، فوقف فسلّم ، ثمّ دنا فتناول يدها فقبّلها[٣] . فقالت : هذا وداع فلا تَبعَد ، قال ابن الزبير : جئت مودّعا ، إنى لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمرّ بى ، واعلمى[٤] يا أمَّه أنى إن قُتِلت فإنّما أنا لحم لا يضرّنى ما صُنِع بى ، قالت : صدقتَ يا بُنَىَّ ، أتمِم على بصيرتك ، ولا تُمكِّن ابنَ أبى عَقِيل منك ، وادنُ منى أوَدّعْك ، فدنا منها فقبّلها وعانَقَها ، وقالت حيث مَسّت الدِّرْع : ما هذا صنيعُ من يريد ما تريد ! قال : ما لبستُ هذا الدّرع إلّا لأشدّ منك ، قالت العجوز : فإنّه لا يشدّ منّى ، فنَزَعها ثمّ أدرج كمّيْه ، وشدّ أسفَل قميصه ، وجُبَّة خزّ تحت القميص فأدخلَ أسفلَها فى المِنطقة ، وأمّه تقول : البَس ثيابَك مشمَّرةً . ثمّ انصرَف ابن الزبير وهو يقول : ٨٤٨/٢

---

(١) ب ، ف : « عندى آثر » . (٢) ب ، ف : « الشاكرين الصابرين » .
(٣) ف : « يديها فقبلهما » . (٤) ب : « وأعلم » .

إنّى إذَا أَعْرِف يومِى أَصبِرْ إذ بَعْضُهمْ يَعْرِفُ ثم يُنكِرْ

فسمعت العجوزُ قولَه، فقالت : تَصبَّر واللهِ إنْ شاء الله، أبوك أبو بكر والزّبير، وأمّك صفيّة بنتُ عبد المطّلب .

حدّثني الحارث، قال : حدّثنى ابنُ سعد، قال: أخبرنى محمّد بنُ عمر، قال : أخبرنا ثورُ بنُ يزيدَ، عن شيخ من أهلِ حِمْصَ شهد وقعة ابن الزبير مع أهل الشأم، قال: رأيتُه يوم الثّلاثاء وإنّا لنطلع عليه أهل حمص خمسمائة خمسمائة من باب لنا نَدخلُه ؛ لا يدخله غيرُنا ، فيخرج إلينا وحدَه فى أثرنا ، ونحن منهزِمون منه ، فما أنسىَ أرجوزةً له :

إنِّى إذَا أَعْرِفُ يومِى أَصبِرْ وإنَّما يَعْرِف يَوْمَيْهِ الحُرّْ

* إذْ بعضُهمْ يَعرِف ثم يُنكِرْ *

فأقول : أنتَ واللهِ الحرّ الشريف ، فلقد رأيتُه يقف فى الأبْطح ما يدنو منه أحدٌ حتَّى ظننّا أنّه لا يقتَل .

٢/٨٤٩ حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرَنا محمّد بنُ عمر ، قال : حدّثنا مصعب بن ثابت ، عن نافع مولى بنى أسد ، قال : رأيتُ الأبوابَ قد شُحِنت من أهل الشأم يوم الثلاثاء ، وأسلَم أصحابُ ابن الزّبير المحارس ، وكثُرهم القومُ فأقاموا على كلّ باب رجالا وقائدًا وأهل بلد ، فكان لأهل حمص الباب الّذى يواجه بابَ الكعبة ، ولأهل دِمَشق باب بنى شَيْبة ، ولأهلِ الأرْدُنّ باب الصّفا ، ولأهل فِلَسطين باب بنى جُمَح ، ولأهل قِنّسْرِين باب بنى سَهْم ، وكان الحجّاج وطارق بن عمرو جميعًا فى ناحية الأبطح إلى المروة ، فمرّة يحمِل ابنُ الزبير فى هذه الناحية ، ومرة فى هذه الناحية، فلكأنّه أسدٌ فى أجَمة ما يُقدِم عليه الرّجال ، فيعدو فى أثَر القوم وهم على الباب حتّى يُخرِجَهم وهو يرتجز :

إنّى إذَا أَعْرِف يومِى أَصبرْ وإنّما يَعرف يومَيْه الحُرّْ

ثم يصيح : يا أبا صَفوان(٤) ، ويلُ أمّه فَتْحًا لو كان له رجال !

---

(١) ا : « أباصفوان » وهو عبد الله بن صفوان وانظر ص ١٩٢ .

* لو كانَ قِرْنِي وَاحِدًا كفَيْتُه[(١)] *

قال ابن صفوان : إى والله وألف .

حدّثني الحارث، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال: أخبرَنا محمّد بنُ عمرَ ، قال : فحدّثني ابنُ أبي الزّناد وأبو بكر بنُ عبدالله بنِ مصعب، عن أبي المنذر[(٢)] . وحدّثنا نافع موْلى بني أسد، قالا : لمّا كان يوم الثلاثاء صبيحةَ سبع عشرة من جُمادَى الأولى سنة ثلاث وسبعين وقد أخذ الحجّاجُ على ابن الزبير بالأبواب ، بات ابنُ الزّبير يصلّي عامّةَ اللّيل، ثمّ احتبَى بحمائلِ سيفه فأغفى ، ثمّ انتبه بالفجر فقال : أذّن يا سعد ، فأذّن عند المقام ، وتوضّأ ابنُ الزبير ، وركع ركعتى الفجر ، ثم تقدّم ، وأقام المؤذّن فصلّى بأصحابه، فقرأ ﴿ نٓ والقلم ﴾ حرْفًا حرفًا ، ثمّ سلّم ، فقام فحمِد اللهَ وأثنَى عليه ثم قال : ٢/٨٥٠

اكشفوا وجوهَكم حتّى أنظر، وعليهم المغافر والعمائم، فكَشفوا وجوهَهم فقال : يا آل الزبير ، لو طِبتم لى نَفْسًا عن أنفسكم كنّا أهلَ بيت من العرب اصطُلِمْنا فى الله لم تصبْنا زبّاءُ بتّة . أمّا بعد يا آل الزبير ، فلا يرُعْكم وقعُ السيوف ، فإنى لم أحضر موطنًا قطّ إلّا ارتثِثْتُ فيه من القتل، وما أجدُ من أدواء جراحها أشدّ ممّا أجد من ألمِ وقعِها . صونوا سيوفَكم كما تصونون وجوهَكم ، لا أعلم امرأً كَسَر سيفَه ، واستَبقَى نفسَه ، فإنّ الرجلَ إذا ذهب سلاحُه فهو كالمرأة أعزل، غُضوا أبصارَكم عن البارقة، وليَشْغَلْ كلّ امرئٍ قِرْنَه ، ولا يُلهينّكم السؤالُ عنّى، ولا تقولُنّ: أين عبدُ الله بنُ الزبير ؟ ألا من كان سائلا عنّى فإنى فى الرَّعيل الأوّل .

أَبَى لابن سَلْمَى أنَّهُ غيرُ خالِدٍ مُلاقى المنايا أَىَّ صَرْفٍ تيمَّمَا[(٣)]
فلَسْتُ بمُبتاعِ الحَياة بسُبَّةٍ ولا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الموتِ سُلَّمَا[(٤)]

(١) لدويد بن زيد ، وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ٢٨ .
(٢) ط : « ابن » وصوابه من ا ، وهو أبو المنذر هشام بن محمد الكلبى .
(٣) للحصين بن الحمام المرى ، من المفضلية ١٢ . (٤) المفضليات : « ولا مبتغ » .

احملوا على بركة الله .

٨٥١/٢ ثمّ حمل عليهم حتّى بلغ بهم الحَجُون ، فرُمِي بآجُرّة فأصابته فى وجهِه فأرعِش لها ، ودمى وجهُه ، فلمّا وَجد سخونةَ الدّم يسيل على وجهه ولحيتهِ قال :

فَلسْنَا على الأَعقاب تَدْمَى كُلُومُنا ولكنْ على أَقدامِنَـا تَقْطُرُ الدّما[1]

وتغاوَوْا عليه .

قالا : وصاحت مولاة لنا مجنونة : وا أميرَ المؤمنيناه ! قالا : وقد رأتـه حيث هوى ، فأشارتْ لهم إليه ، فقتل وإنّ عليه ثيابَ خَزّ . وجاء الخبر إلى الحجّاج ، فسجد وسار حتّى وقف عليه وطارق بنُ عمرو ، فقال طارق : ما وَلَدت النساءُ أذكرَ من هذا ؛ فقال الحجّاج : تَمدَح مَن يُخالف طاعةَ أمير المؤمنين ! قال : نعم ، هو أعذَر لنا ، ولولا هذا ما كان لنا عُذر ، إنّا مُحاصروه وهو فى غير خَندَق ولا حصن ولا مَنَعة منذ سبعة أشهر ينتصف منّا ، بل يفضل علينا فى كلّ ما التقينا نحن وهو ؛ فبلغ كلامُهما عبدَ الملك ، فصوّب طارقًا .

حدّثنا عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن رجاله ، قال : كأنى أنظر إلى الزبير وقد قتل غلامًا أسوَد ، ضَرَبه فعرقَبه ، وهو يمرّ فى حملتِه عليه ويقول : صَبْرًا يا بن حام ، فى مِثلِ هذه المواطن تَصْبر الكرام !

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرَنا محمّد ابنُ عمر ، قال : حدثنى عبد الجبار بنُ عُمَارة ، عن عبد الله بن أبى بكر

٨٥٢/٢ ابنِ محمّد بنِ عمرو بنِحزْم ، قال : بعث الحجّاجُ برأس ابنِ الزّبير ورأسِ عبدِ الله بنِ صفْوان ورأس عُمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبتْ بها ، ثم ذُهِب بها إلى عبد الملك بنِ مروان ، ثمّ دخل الحجّاج

---

[1] للحصين بن الحمام المرى ، ديوان الحماسة — بشرح المرزوقى ١ : ١٩٢ ، وفى ط : « لسنا » وأثبت ما فى ب ، ف ، وهو يوافق ما فى الحماسة .

مكّة ، فبايع(١) مَن بها مِن قريش لعبد الملك بنِ مروان .

***

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة ولّى عبدُ الملك طارقًا مولى عثمانَ المدينة فوليَها خمسةَ أشهر .

وفى هذه السنة تُوفِّىَ بِشرُ بنُ مروانَ فى قول الواقدىّ ، وأمّا غيرُه فإنّه قال : كانت وفاته فى سنة أربع وسبعين .

وفيها أيضًا وَجّه — فيما ذُكر — عبد الملك بن مروان عمرَ بن عبيد الله بن معمَر لقتال أبى فُدَيك ، وأمره أن يندب معه من أحبّ من أهل المِصْرين ، فقدِم الكوفة فندب أهلها ، فانتدب معه عشرةُ آلاف ، ثم قَدِم البَصْرة فندب أهلها ، فانتدب معه عشرةُ آلاف ، فأخرج لهم أرزاقَهم وأعطياتِهم ، فأعطُوها . ثمّ سار بهم عمرُ بن عُبيد الله ، فجَعل أهلَ الكوفة على الميمنة وعليهم محمّد بن موسى بن طلحة ، وجَعل أهلَ البصرة على الميسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عُبيد الله ، وجعل خيلَه فى القلب ، حتّى انتهَوْا إلى البحرَيْن ، فصفّ عمر بنُ عبيد الله أصحابه ، وقَدِم الرَّجّالة فى أيديهم الرِّماح قد ألزَموها الأرض ، واستتروا بالبراذع . فحَمل أبو فُدَيك وأصحابُه حملةَ رجل واحد ، فكَشفوا ميسرة عُمرَ بن عبيد الله حتّى ذهبوا فى الأرض إلا المغيرةَ بن المهلّب ومَعْن بن المغيرة ومُجّاعة بن عبد الرحمن وفُرسان الناس فإنّهم مالوا إلى صَفّ أهل الكوفة وهم ثابتون ، وارتُثّ عمرُ بن موسى بن عبيد الله ، فهو فى القتلى قد أثخِن جراحةً . فلمّا رأى أهلُ البصرة أهلَ الكوفة لم ينهزموا تذمّموا ورجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير حتى مرّوا بعمر بن موسى بنُ عبيد الله جريحًا فحملوه حتّى أدخلوه عسكرَ الخوارج وفيه تبْن كثير فأحرقوه . ومالت عليهم الرّيح . وحمل أهلُ الكوفة وأهلُ البصرة حتّى استباحوا عسكرَهم وقتلوا أبا فُدَيك . وحَصَروهم فى المُشَقَّر ، فنزلوا على الحكم ، فقَتل عمرُ بنُ عُبيدِ الله منهم — فيما ذُكر — نحوًا من ستّة آلاف ، وأسَر ثمانمائة ، وأصابوا جارية أميّة بن عبد الله حُبْلَى من أبى فديك وانصرَفوا إلى البَصْرة . ٨٥٣/٢

(١) ب : «فبايعه» ، ا ، س : «فبايع بها» .

وفى هذه السنة عزَل عبدُ الملك خالدَ بنَ عبد الله عن البَصرة ووَلّاها أخاه بِشْر بن مروان ، فصارت ولايتُها وولايةُ الكوفة إليه ، فشخص بِشر لمَّا وُلِّيَ مع الكوفة البصرة إلى البصرة واستَخلف على الكوفة عمرو بنَ حرَيث .

وفيها غزا محمّد بنُ مروانَ الصائفة ، فهزم الرّوم .

وقيل : إنّه كان فى هذه السنة وقعةُ عثمانَ بنِ الوليد بالرّوم فى ناحية أرْمينيَةَ وهو فى أربعة آلاف والروم فى ستين ألفًا ، فهَزَمَهم وأكثرَ القَتلَ فيهم .

٨٥٤/٢ وأقام الحجّ فى هذه السَّنة للناس الحجّاج بن يوسف وهو على مكّة واليمن واليمامة ، وعلى الكوفة والبصرة — فى قول الواقدىّ — بشر بن مُروان ، وفى قولِ غيرِه على الكوفة بِشْر بن مَرْوان . وعلى البصْرة خالد بن عبد الله بن خالدِ بن أسِيد ، وعلى قضاء الكوفة شُرَيح بن الحارث ، وعلى قَضَاء البَصْرة هشامُ ابنُ هُبيرة ، وعلى خُراسانَ بُكَير بن وِشاح .

ثمّ دخلت سنة أربع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأَحداث الجليلة

[قال أبو جعفر :] فمما كان فيها من ذلك عزْلُ عبدِ الملك طارقَ بن عمرو عن المدينة ، واستعمالُه عليها الحجَّاج بن يوسف ، فقدِمها — فيما ذكر — فأقام بها شهراً ثمّ خرج معتمراً .

وفيها كان — فيما ذُكر — نَقْضُ الحجَّاج بن يوسفَ بنيان الكعبة الّذى كان ابنُ الزبير بناه ، وكان إذ بناه أدخل فى الكعبة الحِجْر ، وجعل لها بابَيْن ، فأعادها الحجَّاجُ على بنائها الأوّل فى هذه السنة ، ثمّ انصرف إلى المدينة فى صفر ، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبَّث بأهل المدينة ويتعنَّتهم ، وبنى بها مسجداً فى بنى سلِمة ، فهو يُنسَب إليه .

واستخفّ فيها بأصحاب رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فختَم فى أعناقهم ؛ فذَكَر محمَّد بنُ عمرانَ بن أبى ذئب ، حدّثه عمّن رأى جابرَ بنَ عبد الله مختوماً فى يده .

وعن ابن أبى ذئب ، عن إسحاق بن يزيد ، أنه رأى أنس بن مالك مختوماً ٢/٨٥٥ فى عنقه ، يريد أن يُذِلّه بذلك .

قال ابن عمر : وحدّثنى شُرَحبيل بن أبى عون ، عن أبيه ، قال : رأيتُ الحجَّاج أرسل إلى سهل بن سعد فدعاه ، فقال : ما منعك أن تنصُر أميرَ المؤمنين عثمانَ بنَ عفَّان ! قال : قد فعلتُ . قال : كذبتَ ، ثمّ أمَر به فختم فى عنقه برَصاص .

وفيها استقْضَى عبدُ الملك أبا إدريسَ الخَوْلانىَّ — فيما ذَكَر الواقدىّ .

وفى هذه السنة شَخَص فى قول بعضِهم بِشر بنُ مروان من الكوفة إلى البَصْرة واليًا عليها .

* * *

[ذكر الخبر عن حرب المهلب للأَزارقة]

وفى هذه السنة وُلِّىَ المهلَّبُ حرْبَ الأزارقة مِن قِبَل عبدِ الملك .

* ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها :

ولمّا صار بِشْر بالبصرة كتب عبدُ الملك إليه — فيما ذكَر هشامٌ عن أبي مِخنَف ، عن يونسَ بن أبي إسحاق ، عن أبيه :

أمّا بعد ، فابعث المهلَّب فى أهل مصره[1] إلى الأزارقة ، ولْينتخب من أهل مِصْره وجوههم وفُرسانهم وأولى الفَضْل والتجربة منهم[1] ، فإنّه أعرف بهم ، وخلِّه ورأيه فى الحرب ، فإنى أوثَقُ شىء بتجربته ونصيحته للمسلمين . وابعثْ من أهل الكوفة بَعْثا كثيفًا ، وابعثْ عليهم رجلا معروفًا شريفًا ، حسيبًا صليبًا ، يُعرَف بالبأس والنَّجْدة والتَّجربة للحَرْب ، ثمّ أنهِضْ إليهم أهلَ المِصْرين فلْيتبِعوهم أىَّ وجهٍ ما توجّهوا حتّى يُبيدَهم الله[2] ويستأصلَهم . والسلام عليك[3] . ٢/٨٥٦

فدعا بِشْرٌ المهلّبَ فأقرأه الكتاب ، وأمره أن ينتخب مَنْ شاء ، فبعث بجُديع بن سَعيد بن قَبِيصة بن سرّاق الأزْدى — وهو خالُ يزيدَ ابنه — فأمره أن يأتى الدّيوان فينتخب الناسَ ، وشقّ على بشر أنّ إمرَة المهلّب جاءتْ مِن قِبَل عبد الملك ، فلا يستطيع أن يبعث غيره ، فأوغرتْ صدَره عليه حتّى كأنّه كان له إليه ذنب . ودعا بِشر بنُ مروانَ عبدَ الرحمن بنَ مِخْنفَ فبَعثه على أهل الكوفة ، وأمره أن ينتخب فُرسانَ الناس ووجوهَهم وأولى الفَضْل منهم والنَّجْدة .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى أشياخ الحىّ ، عن عبد الرحمن بن مِخنَف قال : دعانى بِشر بنُ مروانَ فقال لى : إنّك قد عرفتَ منزلتَك منّى ، وأثَرتَك عندى ، وقد رأيتُ أن أولِّيَك هذا الجيش للّذى عرفتُ من جَزئك وغَنائك وشَرَفِك وبأسِك ، فكن عند أحسن ظنى بك . انظرْ هذا الكذا كذا — يقع فى المهلب — فاستبدّ عليه بالأمر ، ولا تقبلنّ له مشورة ولا رأياً ، وتَنَقَّصْه وقَصِّر به .

قال : فترَك أن يُوصِينى بالجُنْد ، وقتالِ العدُوّ ، والنَّظر لأهل

(١ – ١) ب ، ف : « ووجوههم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم إلى الأزارقة ولينتخب من أحب » . (٢) ب ، س : « يبيرهم » . (٣) بعدها فى ف : « ورحمة الله وبركاته » .

الإسلام ، وأقبل يُغريني بابن عمّي كأني من السُّفهاء أو ممّن يُستَصْبى ويُستجهَل ، ما رأيتُ شيخاً مِثْلي في مِثْل هيئي ومنزلتي طُمِع منه في مِثْلِ ما طَمع فيه هذا الغلامُ مِنّي ، شَبَّ عَمرو عن الطَّوْق .

٨٥٧/٢ قال : ولمّا رأى أني لستُ بالنَّشيط[1] إلى جوابه قال لي : مَا لَك ؟ قلتُ : أصلحَك الله ! وهل يَسعني إلّا إنفاذ أمرِك في كلّ ما أحببت وكرهت ! قال : امضِ راشداً . قال : فودّعتُه وخرجتُ مِن عنده ، وخرج المهلّب بأهل البصرة حتّى نزل رامَ مَهُرْمُز فلقَى بها الخوارج ، فخندق عليه ، وأقبل عبدُ الرحمن بنُ مخنف بأهل الكوفة على ربع أهل المدينة معه[2] بِشْر بنُ جرير ، وعلى ربع تميم وهَمْدان محمّد بنُ عبدِ الرحمن بن سعيد بن قيس ، وعلى ربع كِنْدَةَ وربيعةَ إسحاقُ بنُ محمّد بن الأشعث ، وعلى ربع مَذْحِج وأسَد زَحْر بن قيس . فأقْبَل عبدُ الرحمن حتّى نزل من المهلّب على مِيل أو مِيل ونصف . حيث تراءى العسكران برَام مَهُرْمُز ، فلم يلبَث الناسُ إلّا عشراً حتّى أتاهم نعيّ بِشر بن مروان ، وتُوفّيَ بالبصرة ، فارفضّ ناس كثيرٌ من أهل البصرة وأهلِ الكوفة ، واستَخلف بشر خالدَ بنَ عبد الله ابن أسيد ، وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حُرَيث ، وكان الّذين انصرفوا من أهل الكوفة زَحْر بن قيس وإسحاق بن محمّد بن الأشعث ومحمّد بن ابن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، فبعث عبدُ الرحمن بنُ مخنف ابنَه جعفراً في آثارهم ، فردّ إسحاقَ ومحمّداً ، وفاتَه زحْر بن قيس ، فحبسهما يومين ، ثمّ أخذ عليهما ألاّ يفارقاه ، فلم يلبثا إلّا يوما[3] حتى انصرفا ، فأخذا[4] غير الطريق ، وطُلبا فلم يُلحَقا ، وأقبَلا حتى لحقا زَحْر بنَ قيس بالأهواز ،

٧٥٨/٢ فاجتمع بها ناس كثير ممّن يريد البَصْرة ، فبلغ ذلك خالد بن عبد الله ، فكتب إلى الناس كتاباً[5] وبعث رسولاً يضرب وجوهَ الناس ويردّهم[5] ، فقدم بكتابه مولًى له ، فقرأ الكتاب على الناس ؛ وقد جُمِعوا له :

---

(١) ب ، ف : « بنشيط » . (٢) ب ، ف : « ومعه » .

(٣) ب ، ف : « يومين » . (٤) س : « انصرفوا فأخذوا » .

(٥ — ٥) ب ، ف : « وبعث رسلا تضرب وجوه الناس وتردهم » .

بسم الله الرّحمن الرحيم ، من خالد بن عبد الله ، إلى من بلغه كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين . سلامٌ عليكم ، فإنى أحمد إليكم الله الّذى لا إله إلاّ هو . أمّا بعد ، فإنّ الله كتب على عباده الجهاد ، وفرض طاعة وُلاة الأمر ، فمن جاهد فإنّما يُجاهد لنفسه ، ومن ترك الجهاد فى الله كان الله عنه أغنى ، ومن عصَى وُلاةَ الأمر والقُوّام بالحق أسخط اللهَ عليه ، وكان قد استحقّ العُقوبة فى بشره ، وعرّض نفسه لاستفاءة ماله وإلقاء عطائه ، والتسيير إلى أبعد الأرض وشرّ البلْدان . أيّها المسلمون ، اعلموا[1] على من اجترأتم ومن عصيتم ! إنّه عبدُ الملك بنُ مروان أميرُ المؤمنين ، الذى ليست فيه غميزة ، ولا لأهل المعصية عنده رُخْصة ، سوْطه على مَن عصَى ، وعلى مَن خالف سيفُه ، فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلا ، فإنى لم آلُكُم نصيحةً . عبادَ الله ، ارجعوا إلى مكتبكم[2] وطاعة خليفتكم ، ولا ترجعوا عاصين مخالفين فيأتيكم ما تكرهون . أقسم بالله لا أثقف عاصيًا بعد كتابى هذا إلّا قتلتُه إن شاء الله ؛ والسلام عليكم ورحمة الله .

وأخذ كلما قرأ عليهم سطرًا أو سطرين قال له زحْر : أوْجز ؛ فيقول له مولى خالد : والله إنى لأسمع كلامَ رجل ما يريد أن يفهم ما يَسمع . أشهد لا يعيج[3] ، بشىء مما فى هذا الكتاب . فقال له : اقرأ أيها العبد الأحمر ما أمرتَ به ، ثم ارجع إلى أهلك ، فإنك لا تدرى ما فى أنفسنا .

٨٥٩/٢

فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناسُ إلى ما فى كتابه ، وأقبل زَحْر[4] وإسحاقُ بنُ محمد ومحمد بن عبد الرحمن حتى نزلوا قريةً لآل الأشعث إلى جانب الكوفة ، وكتبوا إلى عمرو بن حُرَيث :

أما بعد ، فإنّ الناس لمّا بلغهم وفاةُ الأمير رحمةُ الله عليه تفرّقوا فلم يَبقَ معنا أحد ؛ فأقبلنا إلى الأمير والى مصرِنا ، وأحببنا ألّا ندخل الكوفة إلّا بإذن الأمير وعلمه .

---

(١) ب ، ف : « أتعلمون » . (٢) ب ، ف : « أمكنتكم » .
(٣) لا يعيج : لا يكترث . وفى ب ، ف : « لا تهيج فتنة إلا كنت رأسها » .
(٤) بعدها فى ب ، ف : « وأصحابه » .

فكتب إليهم :

أما بعد، فإنكم تركتم مكتَتَبكم(١) وأقبلتم عاصين مخالفين، فليس لكم عندنا إذْن ولا أمان .

فلما أتاهم ذلك انتظروا حتى إذا كان الليل دخلوا إلى رحالهم ، فلم يزالوا مقيمين حتى قَدِم الحجاج بن يوسف .

* * *

[عزل بكير بن وشاح عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله عليها]

وفى هذه السنة عزل عبدُ الملك بُكيرَ بن وشاح عن خُراسان وولّاها أميةَ بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

* ذكر الخبر عن سبب عزل بُكَير وولايةِ أميّة :

وكانت ولايةُ بُكَير بن وِشاح خُراسان إلى حينِ قدم(٢) أمية عليها والياً سنتين فى قول أبى الحسَن، وذلك أن ابن خازم قتِل سنة ثلاث وسبعين وقدم أميّة سنة أربع وسبعين .

وكان سبب عزل بُكير عن خُراسان أنّ بحيرًا — فيما ذكَر علىّ عن المفضّل — حبَسه بُكير بن وشاح لما كان منه فيما ذكرت فى رأس ابن خازم ٢/٨٦٠ حين قتله، فلم يزل محبوسًا عنده حتى استعمل عبدُ الملك أميّة بنَ عبد الله ابن خالد بن أسِيد ، فلما بلغ ذلك بُكيرًا أرسل إلى بَحِير ليصالحَه ، فأبى عليه وقال : ظنّ بُكير أنّ خُراسان تبقى له فى الجماعة ! فمشت السفراء بينهم ، فأبى بَحِير ، فدخل عليه ضِرار بن حصين الضّبىّ ، فقال : ألا أراك مائقًا ! يُرسل إليك ابنُ عمّك يعتذر إليك وأنت أسيرُه ، والمَشْرَفىّ فى يده — ولو قتلك ما حبَقَتْ فيك عنز — ولا تَقبل منه! ما أنت بموفّق(٣) . اقبَل الصّلح ، واخرج وأنت على أمرك . فقبل مشورته ، وصالح بُكيرا ، فأرسل إليه بكير بأربعين ألفاً، وأخذ على بَحير ألّا يقاتله . وكانت تميم قد اختلفت بخُراسان ، فصارت مُقاعس والبطونُ يتعصّبون له ، فخاف أهلُ خُراسان أن تعود الحربُ وتَفسد البلاد ، ويقهرهم عدوّهم من المشركين ، فكتبوا إلى

(١) ب ، ف : « أمكنتكم » . (٢) ب ، ف : « قدوم » .
(٣) ب ، ف : « بموثق » .

عبد الملك بن مرْوان : إنّ خُراسان لا تصلح بعد الفتنة إلاّ على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصّبون عليه ، فقال عبد الملك : خُراسان ثغْر المَشرق ، وقد كان به من الشرّ ما كان ، وعليه هذا التميميّ ، وقد تعصّب الناس وخافوا أن يصيروا إلى ما كانوا عليه ، فيَهلك الثّغر ومَنْ فيه ، وقد سألوا أنْ أولّيَ أمرَهم رجلا من قريش فيسمعوا له ويطيعوا ، فقال أميّة بنُ عبد الله : يا أمير المؤمنين ، تداركهم برجل منك ، قال : لولا انحيازُك عن ٨٦١/٢ أبي فُدَيك كنت ذلك الرجل . قال : يا أمير المؤمنين ، والله ما انحزْتُ حتى لم أجدْ مُقاتَلاً ، وخذَلني الناس ، فرأيت أنّ انْحيازى إلى فئة أفضل من تعريضى عصبةً بقيتْ من المسلمين للهلكة ، وقد علم ذلك مرّار بن عبدالرحمن بن أبى بَكْرة ، وكتبَ إليك خالدُ بن عبدالله بما بلَغه من عُذْرى — قال : وكان خالد كتب إليه بعذره ، ويُخبره أنّ الناس قد خذلوه — فقال مرّار: صدق أميّة يا أمير المؤمنين ، لقد صبر حتى لم يَجد مقاتَلاً ، وخذَلَه الناس . فولاّه خُراسان ، وكان عبدُ الملك يُحبّ أميّة ، ويقول : نتيجتى ، أى لِدَتى ، فقال الناس : ما رأيْنا أحدًا عُوّض من هزيمة ما عُوّض أمية ، فرّ من أبى فُدَيْك فاستُعْمل على خراسان؛ فقال رجل من بكر بن وائل فى مَحبس بُكَير بن وشاح :

أَتَتْكَ العِيسُ تَنْفخُ فى بُراها ... تُكشَّفُ عَنْ مَنَاكِبِها القُطوعُ(١)
كأَنَّ مَواقعَ الأَكوارِ منها(٢) ... حَمَامُ كَنَائِسٍ بُقْعٌ وُقوعُ
بأَبيْضَ من أُميَّةَ مضرحِيٍّ ... كأَنَّ جبينَهُ سَيْفٌ صنيعُ(٣)

وبَحير يومئذ بالسِّنْج يَسأل عن مسير أميّة ؛ فلما بلغه أنه قد قارب ٨٦٢/٢ أبرْشَهر قال لرجل من عجم أهل مروْ يقال له رُزَين — أو زرير : دُلّنى

(١) الأغانى ١٣ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ونسب الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص ؛ وذكر البيت الأول ، ثم الثالث . العيس : النوق البيض يخالط بياضها شقرة . والبرى ؛ جمع برة ، وهى حلقة من فضة أو صفر أو شعر تجعل فى أنف البعير . والقطوع ، بضم القاف : جمع قطع ؛ وهو الطنفسة تحت الرحل على كتفى البعير . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « الأكرار »

(٣) المضرحى : السيد الكريم . والصنيع : السيف الأبيض المجلو .

على طريق قريب لألقى الأميرَ قبل قدومه، ولك كذا وكذا، وأجزل لك العطية؛ وكان عالماً بالطريق، فخرج به فسار من السِّنج إلى أرض سَرَخْس َ فى ليلة، ثمّ مضى به إلى نيسابورَ فوافَى أميّة حين قدم أبرَشَهْر، فلقيَه فأخبره عن خُراسان وما يُصلح أهلَها وتَحسُن به طاعتُهم، ويخف على الوالى مئونتهم، ورفع عن(١) بُكَير أموالاً أصابها، وحذّره غدرَه.

قال: وسار معه حتى قدم مَرْو، وكان أمية سيّداً كريماً، فلم يَعرِض لبُكَير ولا لعماله، وعرض عليه أن يوليَه شُرطتَه، فأبى بُكَير، فولاّها بَحير بن وَرْقاء، فلام بُكيراً رجالٌ من قومه، فقالوا: أبيتَ أن تلِى، فولّى بَحيراً وقد عرفتُ ما بينكما! قال: كنتُ أمس والىَ خُراسانَ تُحمَل الحرابُ بين يدىّ، فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحربة!

وقال أمية لبُكَير: اختَر ما شئت من عَمل خُراسانَ، قال: طُخارِسْتان، قال: هى لك. قال: فتجهزَ بُكَير وأنفَق مالا كثيراً، فقال بحير لأمية: إنْ أتى بُكَير طُخارِسْتانَ خلعك، فلم يزل يحذّره حتى حذِر، فأمَره بالمُقام عندَه.

* * *

وحجَّ بالناس فى هذه السنة الحجّاج بنُ يوسفَ. وكان وَلى قضاءَ المدينة عبدَ الله بنَ قيس بن مَخرَمة قبل شخُوصِه إلى المدينة كذلك، ذُكِر ذلك عن محمّد بن عمر.

وكان على المدينة ومكّةَ الحجّاجُ بنُ يوسف، وعلى الكوفة والبَصرة بشْرُ بنُ مَرْوان، وعلى خُراسانَ أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى قضاء الكُوفة شُرَيح بن الحارث، وعلى قضاء البصرة هشامُ بنُ هُبَيرة، ٨٦٣/٢ وقد ذُكر أنّ عبدَ الملك بن مروانَ اعتمر فى هذه السنة، ولا نَعلَم صحّةَ ذلك.

---

(١) ط: «على».

ثمّ دخلت سنة خمس وسبعين

ذكرُ الخبر عمّا كان فيها من الأَحداث

فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قِبَل مَرْعَش .

وفى هذه السنة ولّى عبدُ الملك يحيى بن الحكم بن أبى العاص المدينة .

وفى هذه السنة وَلّى عبدُ الملك الحَجّاجَ بنَ يوسفَ العراقَ دون خُراسان وسِجِسْتان .

* * *

[ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته فى أهلها]

وفيها قَدِم الحجّاج الكوفة . فحدّثنى أبو زيد ، قال : حدّثنى محمد ابنُ يحيى أبو غَسّان ، عن عبد الله بن أبى عُبيدَة بن محمّد بن عمّار ابن ياسر ، قال[1] : خرج الحجّاج بن يوسف من المدينة حين أتاه كتاب عبد الملك بن مروانَ بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مَرْوان فى اثنى عشر راكبًا على النّجائب حتى دخل الكوفة حين انتَشَر النهار فجاءةً[2] ، وقد كان بِشْر بعث المهلّب إلى الحَرورِيّة ، فبدأ بالمسجد فدَخَله ، ثمّ صعِد المنبرَ وهو متلثّم بعمامة خَزّ حمراء ، فقال : علىّ بالناس ، فحسبوه وأصحابَه خارجةً[3] ، فهَمّوا به ، حتى إذا اجتَمَع إليه الناسُ قام فكشف عن وجهه وقال : ٨٦٤/٢

أنا ابنُ جَلَا وطَلَّاعُ الثَّنَايا مَتَى أَضَعِ العِمامَة تَعْرفونى[4]

---

(١) الخبر وما تضمنه من خطبة الحجاج أورده الجاحظ فى البيان والتبيين ٢ : ٣٠٧ – ٣١٠ بهذا السند أيضاً ، والخطبة أيضاً فى الكامل ١ : ٣٨٠ – ٣٨٢ ، والعقد ٤ : ١١٩ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٤٣ .

(٢) البيان : « فجأة » . (٣) البيان : « خوارج » .

(٤) من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحى ، رواها الأصمعى فى الأصمعيات ٧٣ (ليبسك) .

أمـا واللهإنّـى (١ لأحمـل ١) الشرَّ محملـَه ، وأحذُوه بنعله ، وأجزيه بمثله ، وإنى لأرى رءوسًا قد أينَعَتْ وحانَ قِطافُها ، وإنى لأنظر إلى الدِّماء بين العمائم واللِّحَى .

* قد شَمَّرَتْ عن ساقِهَا تَشْميرا(٢) *

هذا أوان الشَّد فاشتدِّى زِيَمْ قد لَفَّها الليلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ(٣)

لَيسَ براعِى إبلٍ ولا غَنَمْ ولا بجزَّارٍ على ظهرِ وَضَمْ(٤)

قد لَفَّها الليْلُ بعصْلَبِيِّ(٥) أَرْوَعَ خَرّاجٍ من الدّوِّىِّ

* مُهَاجِرٍ لَيْسَ بأَعْرَابِىِّ *

ليس أوان يكْره الخِلاطُ جاءَت به والقُلُص الأَعلاطُ

* تَهوِى هُوِىَّ سابقِ الغَطاطِ *

وإنى واللهِ ياأهل العراق ماأغمَزكتَغْماز التّين (٦) ، ولا يقعْقَع لى بالشِّنان ولقد فُرِرْت عن ذَكاء(٧) ، وجرَيْت إلى الغاية القصوى(٨) . إن أمير المؤمنين، عبدَ الملك نَثَر كنانتَه ثمّ عَجَم عيدانَها فوجدنى أمرَّها عُوداً ، وأصلبَها ٨٦٥/٢ مَكسراً ، فوجّهنى إليكم ؛ فإنكم طالما أوضعْتم (٩) فى الفتَن ، وسنَنتُم سنن الغىّ . أما واللهِ لألحُوَنّكم لَحْوَ العود ، ولأعصبنّكم عَصْب السلَمة ،

(١ - ١) البيان : « لأحتمل الشر بحمله » .

(٢) البيان : « فشمرا » ، العقد : « فشمرى » .

(٣) الرجز لرويشد بن رميض العنبرى ؛ كما فى حواشى الكامل واللسان (حطم) ؛ والأغانى ١٥ : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، قال : « الشعر لرشيد بن رميض العنزى يقوله فى الحطم ، وهو شريح بن ضبيعة . وكان شريح قد غزا اليمن ، فغنم وسبى ، ثم أخذ على طريق مفازة فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ، وهلك منهم ناس كثير بالعطش ، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقاً عنيفاً حتى نجوا ووردوا الماء ، فقال فيه رشيد الرجز مادحاً ، فلقب الحطم بذلك الرجز » .

(٤) الوضم : كل ما قطع عليه اللحم .

(٥) الرجز فى اللسان (عصلب) . والعصلبى : الشديد القادر على المشى والعمل .

(٦) البيان : « تغماز التين » .

(٧) فر الدابة : كشف عن أسنانه ليعرف بذلك عمره . والذكاء : نهاية الشباب وتمام السن .

(٨) الغاية : قصبة تنصب فى الموضع الذى تكون المسابقة إليه ليأخذها السابق . وفى العقد : « وأجريت إلى الغاية القصوى » .

(٩) الإيضاع : ضرب من السير .

ولأضربنكم ضربَ غرائب[١] الإبلِ . إنى والله لا أعِد إلّا وَفيْت ، ولا أخلُق إلّا فَرَيْت. فإيّاى وهذه الجماعات وقيلاً وقالا ، وما يقول[٢] ، [و[٣]] فيم أنتم وذاكَ ؟ والله لتستقيمُنّ على سُبُلِ الحق أو لأدعَنّ لكلّ رجل منكم شُغْلا فى جَسَدِه . مَن وَجَدتُ بعد ثالثة من بَعْثِ المهلب سَفكْتُ دَمَه ، وأنهبْتُ مالَه .

ثم دخل منزله ولم يزدْ على ذلك .

قال : ويقال : إنه لما طال سكوتُه تَناوَل محمد بنُ عُمَير حَصًى فأراد أن يَحصبه بها ، وقال : قاتله الله ! ما أعيَاه وأدمّه ! والله إنّى لأحسَب خبرَه كرُوَائه . فلما تكلم الحجاج جَعل الحَصَى يَنتثر من يدِه ولا يعقل به ، وأنّ الحجاج قال فى خُطْبته :

شاهت الوجوه ! إنّ الله ضَرَبَ ﴿ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ ، فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[٤] ، وأنتم أولئك وأشباه أولئك ، فاستوثقوا واستقيموا . فوالله لأذيقنّكم الهوان حتّى تَدِرُّوا[٥] ، ولأعصبنّكم عَصْبَ السَّلَمة حتّى تنقادوا ، أقسم بالله لتقبلُنّ على الإنصاف ، ولتَدعُنّ الإرجاف ، وكان وكان ، وأخبرنى فلان عن فلان ، والهبْرَ وما الهبْر ! أو لأهبُرنكم[٦] بالسّيف هبْراً يدَع النساءَ أيامَى ، والولدان يتامى ، وحتّى تمشوا السُّمّهَى ، وتقلعوا عَن هَاوهَا . إيّاى وهذه الزّرافاتِ ، لا يركَبَنّ الرجلُ منكم إلّا وحدَه . ألا إنّه لو ساغ لأهل المعصية معصيتُهم ماجُبِى فىءٌ ولا قُوتِل عدوّ ، ولعُطّلت الثغور ، ولولا أنّهم يُغزَون كَرْهاً ما غزوا طَوْعًا ، وقد بلَغَنى رَفْضكم المهلّب ، وإقبالُكم على مصركم عُصاةً مخالفين ، وإنى أقسم لكم بالله لا أجد أحدًا بعد ثالثة إلاّ ضربتُ عنقَه .

٨٦٦/٢

---

(١) الإبل إذا وردت الماء ودخل فيها غريبة من غيرها ضربت وطردت .

(٢) البيان « ما يقولون » .

(٣) من البيان .

(٤) سورة النحل:١١٢ .

(٥) ب ، ف : « تذروا العصيان » .

(٦) س ، ف : « ولأ هبرنكم » .

ثمّ دعا العُرَفاءَ فقال : ألحقُوا الناس بالمهلّب ، وأتُونى بالبراءات بمُوافاتِهم ولا تُغلقنّ أبوابَ الجسْر ليلاً ولا نهارًا حتّى تنقضِيَ هذه المدّة .

تفسير الخُطْبة : قولُه : «أنا ابنُ جَلاَ» ، فابنُ جلا الصُّبْح لأنّه يجلو الظُّلمة . والثنايا : ما صَغُر من الجبال ونَتأ . وأينَع الثّمر : بلغ إدْراكه . وقولُه : «فاشتدّى زِيَم» ، فهى اسمٌ للحَرْب . والحُطَم : الّذى يَحطم كلّ شىء يَمُرّ به . والوَضَمُ : ما وُقى به اللّحم من الأرض . والعَصْلَبىّ : الشديد . والدَّوّيّة : الأرض الفضاء الّتى يُسمَع فيها دَوِىُّ أخفاف الإبل . والأعلاط : الإبلُ الّتى لا أرسانَ عليها . أنشَدَ أبو زيد الأصمعىّ :

واعرَوْرَت العُلُطُ العُرْضىُّ تركضُهُ ... أُمُّ الفوارس بالدِّيدَاءِ والرَّبَعَهْ

والشِّنان ، جمعَ شَنَّة : القِرْبة الباليَة اليابسة ، قال الشاعر :

كأنَّك مِنْ جِمالِ بَنِى أُقَيْشٍ ... يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجلَيْه بِشَنِّ

وقولُه : «فعَجَم عِيدانَها» ، أى عَضّها ، والعَجَم بفتح الجيم : حَبّ الزبيب ، قال الأعشى : ٨٦٧/٢

* ومَلفوظُها كلَقيط العَجَمْ *

وقوله : «أمَرّها عُودًا» ، أى أصلَبها ، يقال : حبْل مُمَرّ ، إذا كان شديدَ الفتْل . وقولُه : «لأعصِبنّكم عَصْب السَّلَمَة» ، فالعَصْب القَطْع ، والسَّلَمَة : شجرةٌ من العِضاه . وقولُه : «لا أخلُق إلاّ فَرَيْت» ، فالخَلْق : التّقدير ، قال الله تعالى : ﴿ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقة وغير مُخَلَّقةٍ ﴾[1] ، أى مقدّرة وغير مقدّرة ، يعنى ما يتمّ وما يكون سِقْطاً ، قال الكُمَيت يصف قِرْبة :

لم تَجْشَم الخالقاتُ فِرْيتَها ... ولم يَفِضْ مِن نِطاقِها السَّرَبُ

(١) سورة الحج:٥ ، وفى الأصول : «من نطفة» ، وهو خطأ .

وإنّما وصف حواصل الطّير ، يقول : ليست كهذه . وصَخْرة خَلْقاء ، أي مَلْساء ، قال الشاعر :

وبَهْوٌ هَواءٌ فوقَ مَورٍ كأنَّه من الصَّخْرة الخَلْقاءِ زُحْلوقُ مَلعَبِ

ويقال: فَرِيتَ الأديم إذا أصلحتَه ، وأفرَيْت ، بالألف إذا أنتَ أفسدْته . والسُّمَّهَى : الباطل ، قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : وأصله ما تُسمّيه العامّةُ مُخاطَ الشَّيطان ، وهو لُعاب الشّمس عند الظّهيرة ، قال أبو النّجم العجْلىّ :

وذَابَ للشَّمسِ لُعَابٌ فنزَلْ وقامَ مِيزانُ الزَّمان فاعتدَلْ

والزّرافات : الجماعات . تمّ التفسير .

٢/٨٦٨ قال أبو جعفر : قال عمر : فحدّثنى محمّد بن يحيى ، عن عبد الله بن أبى عُبيدَة ، قال : فلمّا كان اليومُ الثالث سمع تكبيرًا فى السّوق ، فخرج حتّى جلس على المنبر ، فقال :

يا أهلَ العراق ، وأهلَ الشّقاق والنفاق ، ومساوئ الأخلاق ، إنى سمعتُ تكبيرًا ليس بالتّكبير الّذى يراد اللهُ به فى التّرغيب ، ولكنّه التكبيرُ الّذى يُراد به التّرهيب ، وقد عرفتُ أنّها عَجاجةٌ تحتَها قَصْف . يا بنى اللّكيعة وعَبيد العصا ، وأبناء الأيامَى ، ألا يَربَع رجلٌ منكم على ظَلْعه ، ويُحْسن حَقْن دمه ، ويبصر موضعَ قدمه ! فأقسم بالله لأوشكُ أن أوقعَ بكم وقعةً تكون نكالا لما قَبْلها ، وأدبًا لما بَعدَها .

قولُه : «تحتَها قَصْف» ، فهو شدّة الرّيح . واللّكعاء : الوَرْهاء ، وهى الحَمْقاء من الإماء . والظّلع : الضّعْف والوَهن من شدّة السير . وقوله : «تَهوِى هُوِىّ سابق الغُطاط» ، فالغُطاط بضم الغين : ضربٌ من الطير . قال الأصمعىّ : الغَطَاط بفتح الغَين : ضربٌ من الطّير ، وأنشد لحسّان ابن ثابت[1] :

---

(١) ديوانه ٣٠٩ .

يُغْشَوْن حتى ما تَهرُّ كلابُهُمْ لا يَسأَلون عن الغَطَاطِ المُقْبِل[1]

بفتح الغين . قال : والغُطاط بضم الغين : اختلاط الضوء بالظلمة من آخر الليل ، قال الراجز : ٨٦٩/٢

قامَ إلى أَدْمَاءَ فى الغُطَاطِ يَمْشى بِمِثْلِ قَائِم الفُسْطاطِ

تمّ التفسير .

قال : فقام إليه عُمَيْر بنُ ضابئ التَّميمىّ ثمّ الحنظَلىّ فقال : أصلَح اللهُ الأمير ! أنا فى هذا البعث ، وأنا شيخٌ كبير عليل ، وهذا ابنى ، وهو أشَبّ منى ؛ قال : ومَنْ أنت ؟ قال : عُمَير بنُ ضابئ التَّميمىّ ، قال : أسمعتَ كلامنا بالأمس ؟ قال : نعم ، قال : ألستَ الّذى غزا أميرَ المؤمنين عثمانَ ؟ قال : بلى ؛ قال : وما حملك على ذلك ؟ قال : كان حَبَس أبى ، وكان شيخًا كبيرًا ، قال : أوَليس يقول :

هَمَمْتُ وَلم أَفعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتنِى تَرَكْتُ على عثمانَ تَبكى حَلَائلُهْ

إنى لأحسَب فى قتلك صلاح المِصرَيْن ، قم إليه يا حرَسىّ فاضرب عنقَه ؛ فقام إليه رجلٌ فضرَب عنقَه ، وأنهَب[2] ماله .

ويقال : إنّ عَنبَسة بنَ سعيد قال للحجّاج : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، قال : هذا أحدُ قَتَلة أمير المؤمنين عثمان ؛ فقال الحجّاج : يا عدوّ الله ، أفلا إلى أمير المؤمنين بعثتَ بديلا ! ثمّ أمر بضرْب عنقِه ، وأمر مناديًا فنادَى : ألا إنّ عُمَير بنَ ضابئ أتَى بعد ثالثة ؛ وقد كان سَمِع النداء ، فأمرنا بقَتْله . ألا فإنّ ذمّة الله بريئةٌ ممّن بات الليلة من جُنْد المهلَّب . ٨٧٠/٢

فخرج الناسُ فازدَحموا على الجِسْر ، وخرجت العُرَفاء إلى المهلَّب وهو برامَهُرْمُز فأخذوا كتُبَه بالمُوافاة ، فقال المهلَّب : قدم العراقَ اليومَ رجل ذَكَر : اليومَ قُوتِل العدوّ .

قال ابن أبى عُبيدة فى حديثه : فعَبَر الجِسْر تلك الليلة أربعةُ آلاف من مَذْحج ؛ فقال المهلَّب : قدم العراقَ رجل ذَكَر .

---

(١) الديوان : « السواد المقبل » . (٢) أنهب ماله : جعله نهباً لغيره .

قال عمر عن أبي الحسن ، قال : لمَّا قرأ عليهم كتابَ عبد الملك قال القارئ : أمَّا بعد ، سلامٌ عليكم فإنى أحمدَ إليكم الله . فقال له : اقطع ، يا عبيد العصا ، أيسلّم عليكم أميرُ المؤمنين فلا يَردّ رادٌّ منكم السَّلام ! هذا أدبُ ابن نِهية[1] ، أما والله لأؤدبنَّكم غير هذا الأدب ، ابدأ بالكتاب ، فلمَّا بلغ إلى قوله : « أما بعد ، سلامٌ عليكم » ، لم يَبق منهم أحدٌ إلاّ قال : وعلى أمير المؤمنين السَّلام ورحمة الله .

قال عمر : حدّثنى عبدُ الملك بنُ شيبان بن عبد الملك بن مِسمَع ، قال : حدّثنى عمرو بن سعيد ، قال : لمَّا قدم الحجَّاجُ الكوفة خطبهم فقال : إنَّكم قد أخللتم بعسكر المهلَّب ، فلا يُصبِحنّ بعد ثالثة من جُنْده أحدٌ ، فلمَّا كان بعد ثالثة أتى رجلٌ يستدمى ، فقال : مَن بك ؟ قال : عمير بنُ ضابئ البُرْجُمىّ ، أمرتُه بالخروج إلى مُعسكَره فضربنى — وكَذَب عليه . ٨٧١/٢ فأرسل الحجَّاج إلى عُمير بن ضابئ ، فأُتِىَ به شيخًا كبيرًا ، فقال[2] له : ما خلَّفك عن مُعسكَرك ؟ قال : أنا شيخ كبيرٌ لا حراك بى ، فأرسلتُ ابنى بديلا فهو أجلد منّى جَلَدًا ، وأحدَث منى سنًّا ، فسلْ عما أقول لك ، فإن كنتُ صادقًا وإلّا فعاقبنى . قال : فقال عَنْبسة بنُ سعيد : هذا الّذى أتى عثمان قتيلا ؛ فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه ، فأمر به الحجّاجُ فضربتْ عنقه . قال عمرو بنُ سعيد : فوالله إنى لأسير بينَ الكوفة والحيرة إذ سمعتُ رَجَزًا مُضَريًّا ، فعدلْت إليهم فقلت : ما الخبر ؟ فقالوا : قَدِم علينا رجل مِن شرّ أحياء العرَب من هذا الحىّ من ثمود ، أسْقف الساقين[3] ، ممْسُوح الجاعِرتين[4] ، أخفَش العينين[5] ، فقدّم سيّد الحىّ عميرَ بن ضابئ فضرَبَ عنقَه .

---

[1] فى زيادات الكامل ١ : ٣٨٢ : « زعم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج » .
[2] ب ، ف : « قال » .
[3] فى اللسان : «السقف : أن تميل الرجل على وحشيّها» ووحشى الرِّجل : جانبها .
[4] الجاعرتان : حرفا الوركين المشرفان على الفخذين ، وفى اللسان : « وفى كتاب عبد الملك إلى الحجاج : قاتلك الله ، أسود الجاعرتين ! قيل : هما اللذان يبتدئان الذنب .
[5] الخفش : ضعف فى البصر مع ضيق فى العين .

ولما قَتَل الحجاج عمير بنَ ضابئ لقي إبراهيمُ بنُ عامر أحد بني غاضرةَ من بني أسَد عبدَ الله بن الزّبير في السوق فسأله عن الخبر ، فقال ابن الزّبير :

أَقُولُ لإبراهِيمَ لمَّا لقِيتُهُ ... أَرَى الأَمرَ أَمْسَى مُنْصِباً متشَعِّبا[1]

تَجَهَّزْ وأَسْرِعْ والحق الجَيْشَ لا أرى ... سِوَى الجيْش إلَّا في المَهالِكِ مَذْهَبَا

تَخَيَّرْ فإما أن تزور ابنَ ضابئٍ ... عُمَيرًا وإمَّا أَن تزور المهَلَّبا

هما خُطَّتا كرهٍ نَجَاؤكَ مِنهُما[2] ... رُكُوبُكَ حَوْليًا من الثَّلج أَشْهَبَا[3] ٨٧٢/٢

فحالَ ولو كانت خُراسَان دونَه ... رآها مَكان السّوقِ أَوْ هِيَ أَقْربا

فكائنْ تَرَى من مُكْرِهِ العَدْوِ مُسْمنٍ[4] ... تَحَمَّمَ حِنْوَ السَّرْج حتَّى تحنَّبا[5]

وكان قُدومُ الحجاج الكوفة — فيما قيل — في شهر رمضانَ من هذه السنة ، فوجّه الحكم بن أيوب الثّقَفيّ على البَصْرة أميرًا ، وأمره أن يشتدّ على خالد بن عبد الله ، فلما بلغ خالدًا الخبرُ خرج من البَصْرة قبل أن يدخلَها الحكَمَ ، فنزل الجلْحاءَ وشيَّعه أهلُ البصرة ، فلم يبرَح مُصَلاّه حتى قسّم فيهم ألف ألف .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ الملك بنُ مَرْوان ، حدّثني بذلك أحمَد ابنُ ثابت عمّن حدّثه، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبي معشر . ووَفَد يحيى بن الحكَم في هذه السنة على عبد الملك بن مروان ، واستخلف على عمله بالمدينة أبان بنَ عثمان، وأمر عبدُ الملك يحيى بنَ الحكم أن يقرّ على عمله على ما كان عليه بالمدينة. وعلى الكوفة والبصرة الحجّاج بن يوسف. وعلى خُراسانَ ٨٧٣/٢

(١) الكامل ١ : ٣٨٣ مع اختلاف في الرواية .

(٢) الكامل : « هما خطتا خسف » .

(٣) الحوليّ : المهر أتى عليه الحول . وقوله : « من الثلج أشهبا » ، يريد أن لونه أشد شهبة من الثلج .

(٤) ا : « وكائن » .

(٥) ا : « يحمم » .

أميّة بن عبد الله . وعلى قضاء الكوفة شُرَيح ، وعلى قضاء البَصْرة زُرارة ابن أوْفى .

* * *

وفى هذه السنة خرج الحجّاجُ من الكوفة إلى البَصْرة ، واستَخْلَفَ على الكوفة أبا يَعْفُور عُروَة بن المغيرة بن شُعْبة ، فلم يزل عليها حتى رَجَع إليها بعد وَقْعة رُستقْباذ .

* * *

[ذكر الخبر عن ثورة الناس بالحجّاج بالبصرة]

وفى هذه السنة ثار الناسُ بالحجّاج بالبَصْرة .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به :

ذكر هِشام، عن أبى مخنف ، عن أبى زهير العَبْسىّ ، قال : خرج الحجّاج بنُ يوسفَ من الكوفة بعد ما قدمها ، وقتل ابن ضابئ من فوره ذلك حتّى قدم البصرة ، فقام فيها بخُطْبة مِثل التى قام بها فى أهْل الكوفة، وتوعدهم مِثْل وعيده إياهم، فأتِىَ برجل من بنى يَشْكرَ فقيل : هذا عاصٍ ، فقال : إنّ بى فتْقاً ، وقد رآه بِشر فعذَرَنى ، وهذا عطائى مَرْدود فى بيت المال ، فلم يقبل منه وقتله. ففزع لذلك أهل البَصْرة ، ٨٧٤/٢ فخرجوا حتى تداكئوا[1] على العارض بقَنْطرة رامَهُرْمز ، فقال المهلب : جاء الناسَ رجلٌ ذَكَر .

وخرج الحجّاج حتى نزل رُسْتقْباذَ فى أوّل شعبان سنة خمس وسبعين فثارَ الناسُ بالحجاج، عليهم عبد الله بنُ الجارود، فقتل عبد الله بن الجارود ، وبعث بثمانية عشر رأساً[2] فنُصبتْ برامَهُرْمُز للناس ، فاشتدّت ظهورُ المسلمين ، وساء ذلك الخوارج ، وقد كانوا رَجوْا أن يكونَ من الناس فُرقة واختلاف ، فانصرَف الحَجاج إلى البَصْرة .

وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود أنّ الحجاج لما ندب الناسَ إلى

---

(١) س : « تداركوا » ، والمداكأة : التزاحم على المكان ، وفى ا : « تذاكروا » ، وفى ط « تداكوا » تصحيف .

(٢) ب ، ف : « وبعث الحجاج ثمانية » .

اللحاق بالمهلب بالبصرة فشخصوا سار[١] الحجاج حتى نزل رستقُباذ قريبًا من دَسْتَوَى فى آخِر شعبانَ ومعه وجوهُ أهل البصرة ، وكان بينه وبين المهلّب ثمانيةَ عشرَ فَرْسَخًا ، فقام فى الناس ، فقال : إنّ الزيادة التى زادكم ابنُ الزبير فى أعطِياتكم زيادة فاسِق منافق ، ولستُ أجيزُها . فقام إليه عبدُ الله بن الجارود العَبْدىّ فقال : إنها ليست بزيادة فاسق منافق ، ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتَها لنا . فكذّبه وتوعّده ، فخرج ابنُ الجارود على الحَجّاج وتابعَه وجوهُ الناس ، فاقتتلوا قتالا شديدًا ، فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه . وبعث برأسه ورءوس عشرة من أصحابه إلى المهلب ، وانصرفَ إلى البَصْرة ، وكتَب إلى المهلب وإلى عبد الرحمن ٢/٨٧٥ ابن مخنف : أما بعد ، إذا أتاكم كتابى هذا فناهِضوا الخوارجَ ؛ والسلام .

* * *

[نفى المهلَّب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز]

وفى هذه السنة نفى المهلّب وابنُ مخنَف الأزارقةَ عن رامَهُرْمُز .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهم فى هذه السنة :

ذكر هشام عن أبى مخنف ، عن أبى زهير العبسىّ ، قال : ناهض المهلب وابنُ مخنف الأزارقة برَامَهُرْمز بكتاب الحجّاج إليهما لعشر بقِين من شعبان يومَ الاثنين سنة خمس وسبعين ، فأجلوهم عن رامَهُرْمُز من غير قتال شديد ، ولكنهم زَحفوا إليهم حتى أزالوهم ، وخرج القوم كأنهم على حامية ، حتى نزلوا سابُورَ بأرض منها يقال لها كازَرُون ، وسار المهلب وعبدُ الرحمن بنُ مخنَف حتى نزلوا بهم فى أول رمضانَ ، فخندقَ المهلب عليه ، فذكر أهلُ البصرة أنّ المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف : إنْ رأيتَ أن تُخندق عليك فافعَلْ ؛ وإنّ أصحاب عبد الرحمن أبَوْا عليه وقالوا : إنما خندقُنا سيُوفنا . وإن الخوارج زحفوا إلى المهلب ليلاً ليُبيّتوه ، فوجدوه قد أخذ حِذْره ، فمالُوا نحوَ عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخندق ،

---

(١) ب ، ف : « شخصوا فسار » .

فقاتلوه ، فانهزم عنه أصحابُه ، فنزل فقاتل فى أناس من أصحابه فقُتِل ، وقتِلوا حوله[1] ، فقال شاعرهم :

لمن العسْكَرُ المكلَّلُ بالصَّرْ عى فَهُمْ بين ميِّتٍ وقَتِيلِ
فتَرَاهُم تَسْفِى الرياحُ عليهمْ حاصِبَ الرَّمْلِ بَعْدَ جَرِّ الذُّيولِ

٨٧٦/٢ وأما أهل الكوفة فإنهم ذكروا أنّ كتاب الحجاج بن يوسفَ أتى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف ؛ أنْ ناهِضَا الخوارجَ حين يأتيكما كتابى . فناهضاهم يومَ الأربعاء لعشر بقِين من رمضانَ سنة خمس وسبعين واقتتَلوا قتالاً شديداً لم يكن بينهم فيما مضى قتالٌ كان أشدَّ منه ، وذلك بعد الظهر ، فمالت الخوارجُ بحدّها على المهلب بن أبى صُفْرة فاضطروه إلى عَسْكره ، فسرّح إلى عبد الرحمن رجالا من صلحاء الناس ، فأتَوْه ، فقالوا : إنّ المهلب يقول لك : إنما عدوُّنا واحد ، وقد ترَى ما قد لقِىَ المسلمون ، فأمِدَّ إخوانك يرحمك الله . فأخذ يُمِدّه بالخيل بعد الخيل ، والرّجال بعد الرّجال ، فلما كان بعد العصر ورأت الخوارجُ ما يجىء من عسكر عبد الرحمن من الخيل والرّجال إلى عسكر المهلب ظنوا أنه قد خفّ أصحابه ، فجعلوا خمس كتائبَ أو ستًّا تُجاهَ عَسكر المهلب ، وانصرفوا بحدّهم وجمعهم إلى عبد الرحمن بن مخنَف ، فلما رآهم قد صمدوا له نزل ونزل معه القُرَّاء ، عليهم أبو الأحوص صاحبُ عبد الله بن مسعود ، وخُزَيمة بن نصر أبو نصر ابن خُزَيمة العبسىّ الذى قُتل مع زيد بن علىّ وصُلب معه بالكُوفة ، ونزل معه من خاصّة قومه أحدٌ وسبعون رجلا ، وحملت عليهم الخوارجُ فقاتلتْهم قتالا

٨٧٧/٢ شديداً . ثمّ إنّ الناس انكشفوا عنه ، فبقى فى عِصابة من أهل الصّبر ثبتوا معه ، وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه إلى المهلب ، فنادَى فى الناس ليتْبعوه إلى أبيه ، فلم يتْبعه إلاّ ناس[2] قليل ، فجاء حتى إذا دنا من أبيه حالت الخوارجُ بينه وبين أبيه ، فقاتل حتى ارتُثّه الخوارج ، وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تلّ مُشرف حتى ذهب نحوٌ من ثُلُثى الليل ، ثمّ قُتل فى تلك العصابة ، فلما أصبحوا جاء المهلب حتى

(١) بعدها فى ب ، ف : « كلهم » . (٢) ب ، ف : « أناس » .

أتاه ، فدَفَنه وصلّى عليه ، وكتب بمُصابه إلى الحجّاج ، فكتب بذلك الحجاج إلى عبد الملك بن مَرْوان ، فنعى عبد الرحمن بِمنًى ، وذمَّ أهلَ الكوفة ، وبعثَ الحجّاجُ على عسكر عبد الرحمن بن مخنف عتّابَ بن وَرقاء ، وأمره إذا ضمّتْهما الحَرْب أن يَسمَع للمهلّب ويطيع ، فساءه ذلك ، فلم يجدْ بُدًّا من طاعة الحجاج ولم يَقدِر على مراجعته ، فجاء حتى أقام فى ذلك العسكر ، وقاتل الخوارج وأمرُه إلى المهلب ، وهو فى ذلك يَقضى أمورَه ، ولا يكاد يستشير المهلب فى شىء . فلما رأى ذلك المهلب اصطَنع رجالا من أهل الكوفة فيهم بِسطامُ بن مَصْقَلة بن هُبيرة ، فأغراهم بعَتّاب .

قال أبو مخنف عن يوسفَ بن يزيد : إن عتّابا أتى المهلّب يسأله أن يرزق أصحابَه ، فأجلسَه المهلّب معه على مجلسه ، قال : فسأله أن يرزق أصحابه سؤالاً فيه غِلظة وتجهّم ، قال : فقال له المهلب : وإنّك لها هنا يابن اللّخناء! فبنو تميم يَزعمون أنّه رَدَّ عليه ، وأمّا يوسفُ بنُ يزيدَ وغيرُه فيَزعمون أنّه قال : والله إنّها لمعمّةٌ مُخْوِلَةٌ ، ولوَددتُ أن الله فرّق بينى وبينك . قال : فجرى بينهما الكلام حتّى ذهب المهلّب ليرفع القضيب عليه ، فوثب عليه ابنُه المغيرة ، فقَبض على القضيب وقال : أصلح الله الأمير! شيخٌ من أشياخ العرب ، وشريفٌ من أشرافهم ، إنْ سمعتَ منه بعضَ ما تكرهه فاحتمِلْه له ، فإنّه لذلك منك أهل ، ففعل . وقام عَتّاب فرجع من عنده ، واستقبله بسطامُ بنُ مَصقلَة يشتُمه ، ويَقع فيه . ٨٧٨/٢

فلما رأى ذلك كتَب إلى الحجّاج يشكو إليه المهلّب ويُخبِره أنّه قد أغرى به سُفهاءَ أهل المصر ، ويسأله أن يضمّه إليه ، فوافق(١) ذلك من الحجّاج حاجةٌ إليه فيما لقى أشرافُ الكوفة من شبيب ، فبعث إليه أن اقدَمْ واترك أمر ذلك الجيش إلى المهلّب ، فبعث المهلّب عليه حبيب بنَ المهلّب .

وقال حُمَيد بنُ مسلم يرثى عبدَ الرحمن بنَ مخنف :

إن يقتُلوك أَبا حكيم غُدوةً   فلقدْ تَشُدُّ وتَقتُل الأَبطالَا

(١) ا : « ووافق » .

أو يُثْكِلُونا سيدًا لمُسوَّدٍ سَمْحَ الخليقةِ ماجِدًا مِفضالَا

فلَمِثْل قتلك هَدَّ قومَكَ كلَّهُمْ مَن كان يَحمِلُ عنهمُ الأثقالَا

من كان يَكشِفُ غُرمهم وقتالَهُم يوماً إذا كان القتالُ نِزالَا !

أقسمتُ ما نِيلَتْ مَقاتِلُ نفسِه حتى تَدَرَّعَ من دَمٍ سِرْبالَا

٨٧٩/٢ وتناجَزَ الأبْطالُ تحتَ لوائِه بالمَشْرَفيَّة فى الأكُفّ نِصالَا

يوماً طويلاً ثمّ آخرَ لِليلِهِم حين ٱستبانوا فى السماءِ هِلالَا

وتكشَّفَتْ عنه الصُّفُوف وخَيلُهُ فهنُالكَ نالَتْهُ الرِّماحُ فمالَا

وقال سُراقة بن مِرْداس البارقيّ :

أعَيْنَىَّ جُودَا بالدُّموع السواكبِ وكُونَا كَواهِي شَنَّةٍ معَ راكبِ[1]

على الأزْدِ لمّا أن أصِيب سَراتُهُمْ فنُوحَا لعيشٍ بعدَ ذلك خائبِ

نُرجِّى الخلودَ بعدهمْ وتَعُوقنا عوائقُ موتٍ أو قِرَاعُ الكَتَائبِ

وكنَّا بخيرٍ قبلَ قَتل ٱبنِ مِخْنفٍ وكلُّ امرئٍ يوماً لبعضِ المذاهب

أمارَ دُموعَ الشِّيبِ من أهل مِصرِهِ وعَجَّل فى الشُّبّان شَيْب الذّوائبِ

وقَاتَل حتى ماتَ أكرَمَ مِيتةٍ وخَرَّ على خَدٍّ كَرِيم وحاجبِ

وضَارَب عنه المارِقينَ عصابةٌ مِنَ الأزْدِ تمشى بالسّيوف القَواضبِ

فلا ولَدَتْ أُنثَى ولا آبَ غائبٌ إلى أهلِه إنْ كان ليسَ بآيبِ

٨٨٠/٢ فياعينُ بَكِّى مِخنفاً وٱبنَ مخنفٍ وفُرسانَ قومِى قُصْرَةً وأقاربى[2]

وقال سُراقة أيضًا يرثى عبدَ الرحمن بن مخنَف :

ثَوَى سيّدُ الأزْدِيْن أزْد شَنُوءةٍ وأزد عُمانَ رهن رَمْسٍ بكازِرِ[3]

وضارب حتّى ماتَ أكرم مِيتةٍ بأبيضَ صافٍ كالعقيقة باترِ

وصُرِّعَ حولَ التّلّ تحتَ لوائه كِرامُ المَساعى من كِرام المعاشِر

---

(١) ديوانه ٨٥ ، ٨٦ (٢) قصرة ، أى اللواق فى النسب (٣) ديوانه ٤٣

قضَى نحبَهُ يومَ اللِّقاء ابنُ مِخنفٍ وأدبَر عنه كلُّ ألْوَثَ دَاثر
أمدَّ فلم يُمدَدْ فراحَ مُشَمِّرًا إلى الله لم يَذهبْ بأَثواب غَادِرِ

وأقامَ المهلّب بسابُورَ يقاتِلُهم نحوًا من سنة .

وفى هذه السَّنة تحرَّك صالح بنُ مُسَرِّح أحدُ بنى امرئ القيس ، وكان يرى رأيَ الصُّفْريّة . وقيل : إنّه أوّل من خرج من الصُّفْرِيّة .

***

ذكر الخبر عن تحرُّك صالح للخروج
وما كان منه فى هذه السنة

ذكر أنّ صالح بن مسرّح أحد بنى امرئ القيس حجّ سنة خمس وسبعين ومعه شبيبُ بنُ يزيدَ وسُوَيد والبَطين وأشباهُهم .

٨٨١/٢

وحجَّ فى هذه السنة عبدُ الملك بنُ مروان ، فهمّ شبيب بالفتْك به ، وبلغه ذَرْءٌ من خبرَهم ، فكتب إلى الحجّاج بعد انصرافه يأمره بطَلبهم ، وكان صالح يأتى الكوفةَ فيقيم بها الشَّهْرَ ونحوه فيلقَى أصحابه ليَعِدَهم ، فنبتْ بصالح الكوفة لَمّا طلبه الحجّاج ، فتنكّبَها .

ثم دخلت سنة ست وسبعين

ذكر الكائن من الأحداث فيها

فمن ذلك خروج صالح بن مسرّح .

ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرّح وعن سبب خروجه

وكان سببُ خروجه — فيما ذَكَر هشام، عن أبي مِخْنف، عن عبد الله ابن علقمة، عن قَبيصة بن عبد الرّحمن الخَثْعميّ — أنّ صالح بنَ مسرّح التميميّ كان رجلا ناسكًا مُخبِتًا مصفرّ الوجه، صاحب عبادة، وأنه كان بدَارَا وأرض المَوْصل والجزيرة له أصحابٌ يُقرئهم القرآن ويفقّههُم ويقصّ عليهم، فكان قبيصة بنُ عبد الرحمن حدّث أصحابنا[1] أنّ قصص صالح بن مسرّح عنده، وكان ممّن يرى رأيَهم، فسألوه أن يبعث بالكتاب إليهم، ففعل . ٨٨٢/١

وكان قصصه : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾[2] . اللهمّ إنّا لا نَعدل بك، ولا نحفِد إلّا إليك، ولا نَعبُد إلّا إيّاك، لك الخَلْق والأمر، ومنك النّفع والضرّ، وإليك المصير . ونَشهد أنّ محمّدًا عبدُك الّذى اصطفيتَه، ورسولُك الّذى اختَرْتَه وارتضَيْتَه لتبليغ رسالاتك، ونصيحة عبادك، ونَشهد أنّه قد بلّغ الرسالة، ونَصح للأمّة، ودعا إلى الحقّ، وقام بالقِسْط، ونصر الدّين، وجاهد المشركين، حتّى توفّاه الله صلّى الله عليه وسلم . أوصيكم بتقوى الله والزّهدِ في الدنيا، والرّغبةِ في الآخرة، وكثرةِ ذكر الموت، وفراقِ الفاسقين، وحبِّ المؤمنين[3]، فإنّ الزّهادة في الدنيا تُرغّب العبدَ فيما

(١) ب، ف : « يحدث أصحابه » . (٢) سورة الأنعام : ١ .

(٣) ب، ف : « وحبّ المؤمنين وفراق الفاسقين » .

عند الله ، وتُفرّغ بدنَه لطاعة الله ، وإنّ كثرةَ ذكر الموت يُخيف العبد من ربّه حتى يَجأرَ إليه ، ويستكين له ، وإن فراق الفاسقين حقٌّ على المؤمنين ، قال الله فى كتابه : ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1] .

وإن حُبّ المؤمنين للسّبب[2] الّذى تُنال به كرامة الله ورحمته وجنّتُه ، جعلنا الله وإيّاكم من الصادقين الصابرين . ألا إنّ مِن نعمة[3] الله على المؤمنين أنْ بعث فيهم رسولاً من أنفسِهم ، فعلّمهم الكتابَ والحكمة وزكّاهم وطهّرهم ٨٨٣/٢ وفقّهم فى دِينهم ، وكان بالمؤمنين رءوفًا رحيمًا ، حتّى قبضه الله ، صلواتُ الله عليه ، ثمّ ولىَ الأمر من بعدِه التقىّ الصدّيق على الرّضا من المسلمين ، فاقتدى بِهديه ، واستنّ بسُنّته ، حتى لحِق بالله — رحمه الله — واستخلف عمرَ ، فولاّه الله أمر هذه الرعيّة ، فعَمِل بكتاب الله ، وأحيا سُنة رسولِ الله ، ولم يُحنِقْ فى الحقّ على جِرّته[4] ، ولم يخفْ فى الله لومة لائم ، حتى لَحِقَ به رحمةُ الله عليه ، وولىَ المسلمين مِن بعده عثمان ، فاستأثر بالفَىء ، وعطّل الحدُود ، وجارَ فى الحُكْم ، واستذَلّ المؤمن ، وعزّز المجرِم ، فسار إليه المسلمون فقتلوه ، فبرئ الله منه ورسولُه وصالحُ المؤمنين[5] ؛ وولّى أمر الناس من بعده علىّ بنُ أبى طالب ، فلم ينشب أن حكّمَ فى أمر الله الرّجال ، وشكّ فى أهل الضلال ، وركن وأدْهن ، فنحن من علىّ وأشياعِه بُراء ، فتيسّروا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتحزّبة ، وأئمة الضلال الظّلمة ولِلخروج من دارِ الفناء إلى دار البقاء ، واللّحاق بإخواننا المؤمنبن الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة ، وأنفقوا أموالَهم التماس رضوان الله فى العاقبة ، ولا تجزعوا من القتل فى الله ، فإنّ القتل أيْسرُ مِن الموت ، والموتُ نازِلٌ بكم غير ما ترجُم الظنون ، فمفرّق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم ، وحلائلِكم ٨٨٤/٢ ودنياكم ، وإن اشتدّ لذلك كُرْهكم وجزعكم . ألاَ فبِيعوا اللهَ أنفسكم

---

(١) سورة التوبة ٨٤ . (٢) ب ، ف : « السبب » .

(٣) ب ، ف : « نعم » . (٤) س : « جربه » ، ب ، ف : « حزبه » .

(٥) ف : « وصالحو المؤمنين » .

طائعين وأموالكم تدخلوا الجنة آمنين ، وتعانقوا الحُور العين ، جعلنا الله وإيّاكم من الشاكرين الذاكرين ، الذين يَهْدون بالحقّ وبه يَعدِلون .

قال أبو مِخْنَف : فحدّثنى عبدُ الله بنُ عَلْقمة ، قال : بينا أصحابُ صالح يختلفون إليه إذْ قال لهم ذاتَ يوم : ما أدرى ما تنتظرون ! حتّى متى أنتم مقيمون ! هذا الجوْر قد فشا ، وهذا العدْل قد عفا ، ولا تزداد هذه الولاةُ على الناس إلاّ غُلوًّا وعُتُوًّا ، وتباعدًا عن الحقّ ، وجرأةً على الربّ ؛ فاستعِدّوا وابعثوا إلى إخوانكم الذين يريدون من إنكار الباطل والدعاء إلى الحقّ مثلَ الذى تريدون ، فيأتوكم فنلتقى وننظر فيما نحن صانعون ، وفى أىّ وقت إنْ خرجْنا نحن خارجون .

قال : فتَراسل أصحابُ صالح ، وتلاقَوا فى ذلك ، فبَيْناهم فى ذلك إذْ قَدِم عليهم المحلّل بن وائل اليَشْكُرىّ بكتاب من شَبيب إلى صالح بن مسرّح :

أما بعد ، فقد علمتُ أنّك كنت أردتَ الشخوص[1] ، وقد كنتَ دعوتَنى إلى ذلك فاستجبْتُ لك ، فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأنتَ شيخُ المسلمين ، ولن نَعدِل بك منّا أحدًا ، وإن أردت تأخيرَ ذلك اليوم أعلَمْتَنى ؛ فإنّ الآجال غادِية ورائحة ، ولا آمَن أن تخترِمَنى المنيّةُ ولما أجاهِد الظالمين . ٨٨٥/٢ فيالَه غَبْنًا ، ويالَه فَضْلا متروكًا! جعَلَنا الله وإيّاك ممن يريد بعَمله اللهَ[2] ورضوانَه ، والنظر إلى وجهه ، ومرافقةَ الصالحين فى دار السلام . والسلام عليك .

قال : فلما قَدِم على صالح المحلّل بن وائل بذلك الكتابِ من شبيب كتب إليه صالح :

أما بعد ، فقد كان كتابُك وخبرُك أبطآ عنى حتى أهمَّنى ذلك ، ثمّ إنّ امرأً من المسلمين نبّأنى بنبإ مُخرجِك ومَقدَمك ، فنَحمَد الله على قضاء ربّنا . وقد قَدِم علىّ رسولُك بكتابك ، فكلّ ما فيه قد فهمتُه ، ونحن

---

(١) ب ، ف : « الخروج والشخوص » .

(٢) ا : « بفعله الله » ، وبعدها فى ب ، ف : « والدار الآخرة » .

فى جهاز واستعداد للخروج ، ولم يمنعنى من الخروج إلّا انتظارك ، فأقبل إلينا ، ثمّ اخرج بنا متى ما أحببْت ، فإنك ممن لا يُستغنَى عن رأيه ، ولا تُقضَى دونَه الأمور . والسلام عليك .

فلما قَدِم على شبيب كتابُه بعث إلى نفر من أصحابه فجمعهم إليه ؛ منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نُعيم ، والمحلل بن وائل اليَشْكُرىّ ، والصقر ابن حاتم من بنى تَيم بن شيبان ، وإبراهيم بن حجر أبو الصُّقير من بنى مُحلَّم ، والفضل بنُ عامر من بنى ذُهْل بن شَيْبان ، ثمّ خرج حتى قَدِم على صالح بن مسرّح بِدارَا ، فلمّا لقَيه قال : اخرُج بنا رحمك الله ! فوالله ما تزداد السنّة إلّا دُروسًا ، ولا يَزداد المجرمون إلاّ طُغْيانًا . فبثّ صالحٌ رسله فى أصحابه ، وواعدهم الخروج فى هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ستٍّ وسبعين . فاجتمع بعضُهم إلى بعض، وتهيّئوا ، وتيسروا للخروج فى تلك اللّيلة ، واجتمعوا جميعًا عنده فى تلك الليلة لِميعاده .

٨٨٦/٢

قال أبو مِخنف : فحدّثنى فَرْوة بن لقيط الأزْدىّ ، قال : والله إنى لَمعَ شبيب بالمَدائن إذْ حدّثنا عن مخرجهم ، قال : لما هممنا بالخروج اجتمعْنا إلى صالح بنِ مسرّح ليلة خرج ، فكان رأيى استعراضُ الناس لِمَا رأيتُ من المنكر والعدوان والفساد فى الأرض ، فقمتُ إليه فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، كيف تَرَى فى السيرة فى هؤلاء الظلَمة؟ أنقتلهم قبل الدّعاء ، أم ندعوهم قبلَ القتال ؟ وسأخبرك برأيى فيهم قبل أن تُخبرَنى فيهم برأيك ؛ أمّا أنا فأرَى أن نَقتُل كلّ من لا يرى رأيَنا قريبًا كان أو بعيدًا ، فإنانخرج على قوم غاوين طاغين باغِين قد تركوا أمر الله ، واستحوذ عليهم الشيطان . فقال : لا بل ندعوهم، فلعمْرى لا يُجيبك إلّا من َ يرى رأيَك وليقاتِلنَّك مَنْ يزرِى عليك ، والدعاءُ أقطع لحجّتِهم ، وأبلغ فى الحجة عليهم . قال : فقلت له : فكيف ترى فيمن قاتَلنَا فظفرْنا به ؟ ما تقول فى دِمائهم وأموالهم ؟ فقال : إن قتلنا وغنمنا فلنا ، وإن تجاوزنا وعفونا فوسّع علينا ولنا . قال : فأحسن القول وأصابَ ، رحمة الله عليه وعلينا .

قال أبو مخنف : فحدّثنى رجلٌ من بنى محلّم أنّ صالحَ بنَ مسرح

قال لأصحابه ليلةَ خرج : اتّقوا الله عبادَ الله ، ولا تعجلوا إلى قتال أحد من الناس إلّا أن يكونوا قومًا يريدونكم ، وينصبون لكم ، فإنكم إنّما خرجتم غضبًا لله حيث انتُهكتْ محارمه ، وعُصِي فى الأرض ، فسُفكت الدماء بغير حلّها ، وأخذتْ الأموال بغير حقّها ، فلا تَعيبوا على قوم أعمالا ثمّ تعملوا بها ، ٨٨٧/٢ فإن كلّ ما أنتم عاملون أنتم عنه مسئولون ، وإنّ عُظْمَكم رجّالة ، وهذه دوابّ لمحمّد بن مروان فى هذا الرُّسْتاق ، فابدءوا بها ، فشُدّوا عليها ، فاحملوا أراجلَكم[1] ، وتقوّوا بها على عدوّكم .

فخرجوا فأخذوا تلك الليلة الدوابّ فحمَلوا رَجّالتهم عليها ، وصارت رجّالتُها فُرسانًا ، وأقاموا بأرضِ دارا ثلاثَ عَشْرَةَ ليلة ، وتَحصّن منهم أهل دارا وأهلُ نَصيبِين وأهلُ سِنْجار ، وخرج صالحٌ ليلةَ خرجَ فى مائة وعشرين — وقيل فى مائة وعشرة — قال : وبلغ مخرجهُم محمد بن مروان وهو يومئذ أميرُ الجزيرة ، فاستخفّ بأمرهم ، وبعث إليهم عدىّ بن عدىّ بن عُميرة من بنى الحارث بن معاوية بن ثور فى خَمسمائة ، فقال له : أصلح الله الأمير ! أتَبعثنى إلى رأس الخوارج منذ عشرين سنة ! قد خرج معه رجالٌ من ربيعة قد سُمّوا لى ، كانوا يعازّوننا ، الرجلُ منهم خيرٌ من مائة فارس فى خمسمائة رجل . قال له : فإنى أزيدك خمسمائة أخرى ، فسر إليهم فى ألف ، فسار من حرّان فى ألف رجل ، فكان أوّل جيش سار إلى صالح وسار إليه عدىّ ، وكأنّما يساق إلى الموت ، وكان عدىّ رجلا يتنسّك ، فأقبَل حتى إذا نزل دوْغانَ نزل بالنّاس وسرّح إلى صالح بنِ مسرّح رجلا دَسّه إليه ٨٨٨/٢ من بنى خالد من بنى الورْثة ، يقال له : زِياد بن عبد الله ، فقال : إنّ عديًّا بَعثَنى إليك يسألُك أن تخرج من هذا البلد وتأتىَ بلداً آخر فتُقاتِلَ أهلَه ؛ فإنّ عديًّا للقتال كاره ، فقال له صالح : ارجع إليه ، فقل له : إن كنتَ ترى رأينا[2] فأرِنا من ذلك ما نَعرِف[3] ، ثمّ نحن مُدلجون عنك من هذا البلد إلى غيره ، وإن كنتَ على رأى الجبابرة وأئمة السَّوء[4] رأيْنا رأينا ، فإن شئنا

(١) ط : « أرجلكم » ، وانظر ابن الأثير . (٢) بعدها فى ب ، ف : « فأنت آمن » .
(٣) ب ، ف : « ما نعرفه » . (٤) ب ، ف : « العدوان » .

بدأنا بك، وإن شئنا رحلنا إلى غيرك . فانصرف إليه الرسولُ فأبلَغه ما أرسِل به ، فقال له : ارجعْ إليه فقل له : إنى والله ما أنا على رأيك ، ولكنى أكره قتالَك وقتال غيرك ، فقاتِلْ غيرى ، فقال صالح لأصحابه : اركبوا ، فركبوا وحبَس الرجلَ عنده حتى خرجوا ، ثمّ تركه ومضَى بأصحابه حتى يأتىَ عدىّ بن عدىّ بن عميرة فى سُوقِ دَوغان وهو قائمٌ يصلّى الضّحى ، فلم يَشعرُ إلاّ والخيل طالعةٌ عليهم ، فلما بَصُروا بها تنادوا ، وجعل صالحٌ شبيباً فى كتيبة فى ميمنة أصحابه ، وبعث سويد بن سليم الهندىّ من بنى شيبان فى كتيبة فى ميسرةِ أصحابه ، ووَقَف هو فى كتيبة فى القَلْب ، فلما دنا منهم رآهم على غير تعبِية، وبعضهم يجول فى بعض ، فأمرَ شبيباً فحمل عليهم ، ثمّ حمل سويد عليهم فكانت هزيمتهم ولم يُقاتلوا ، وأتِىَ عدىّ بن عدىّ بدابّته وهو يصلّى فركبها ومضى على وجهه ، وجاء صالحُ ابنُ مسرّح حتى نزل عسكره وحوى ما فيه ، وذهب فلُّ عَدِىّ وأوائلُ أصحابه حتى دخلوا على محمّد بنِ مروان ، فغَضِبَ ، ثم دعا خالدَ بن جَزْء السُّلَمِىّ فبعثه فى ألف وخمسمائة ، ودعا الحارث بنَ جَعْوَنة من بنى ربيعة بن عامر بن صعصَعْة فبعثه فى ألف وخمسمائة ، ودعاهما ، فقال : اُخرُجا إلى هذه الخارجة القليلة الخبيثة ، وعجِّلا الخروج ، وأغِذّا السيْر ، فأيّكما سبق فهو الأمير على صاحبه ؛ فخرجا من عنده فأغَذّا السير ، وجعلاَ يسألان عن صالح بن مسرّح فيقال لهما : إنّه توجّه نحو آمِدَ ، فأتبعاه حتى انتهيا إليه ، وقد نزل على أهل آمد فنزلا ليلا ، فخندَقا وانتهيَا إليه وهما متساندان كلّ واحد منهما فى أصحابه على حدته ، فوجّه صالح شَبيباً إلى الحارث بنِ جَعْونة العامرىّ فى شطر أصحابه ، وتوجّه هو نحو خالد بن جَزْء السُّلَمىّ . ٨٨٩/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى المُحَلّمىّ ، قال : انتهوا إلينا فى أوّل وقت العصر ، فصلّى بنا صالح العصر ، ثمّ عبّانا لهم فاقتتلْنا كأشدِّ قتال اقتتله قومٌ قطّ ، وجعلنا والله نرى الظفَر يحمل الرجل منّا على العشرة منهم فيهزمهم ، وعلى العشرين فكذلك ، وجَعلتْ خيلهُم لا تَثبت لخَيلنا .

فلما رأى أميراهُم ذلك ترجّلا وأمرا جُلّ من معهما فترجّل ، فعند ذلك جعلنا لا نَقدِر منهم على الذى نريد ، إذا حمَلْنا عليهم استقبلتْنا رَجّالتهم بالرّماح ، ونضحتنا رماتُهم بالنَّبل ، وخيلُهم تُطاردنا فى خلال ذلك ، فقاتلناهم إلى المَساء [١] حتى حالَ الليلُ بيننا وبينهم ، وقد أفشَوْا فينا الجراحة ، وأفشيْناها فيهم ، وقد قتلوا منا نحواً من ثلاثين رجُلاً ، وقتلْنا منهم أكثرَ من سبعين ، والله ما أمسينا حتى كرهناهم وكرهونا ، فوقفْنا مُقابِلَهم ما يَقْدمون علينا وما نَقدُم عليهم ، فلما أمسوا رجعوا إلى عسكرهم، ورجعْنا إلى عسكرنا فصلّينا وتروّحْنا وأكلنا من الكِسَر .

٢/٨٩٠

ثمّ إنّ صالحاً دعا شبيباً ورءوسَ أصحابه فقال : يا أخلاّئى ، ماذا ترون ؟فقال شبيب : أرَى أنّا قد لقينا هؤلاء القومَ فقاتلناهم ، وقد اعتصموا بخندقهم ، فلا أرى أن نقيم عليهم ، فقال صالح : وأنا أرى ذلك ، فخرجوا من تحت ليلتهم سائرين ، فمضوا حتى قطعوا أرض الجزيرة ، ثمّ دخلوا أرضَ المَوصِل فساروا فيها حتى قطعوها ومضَوا حتى قطعوا الدّسْكرَة .

فلما بلغ ذلك الحجّاج سرّح إليهم الحارث بنَ عميرة بن ذى المِشعار الهَمْدانىّ فى ثلاثة آلاف رجل من أهل الكوفة ، ألف من المقاتلة الأولى ، وألفَين من الفَرْض الذى فرض لهم الحجّاج . فسار حتى إذا دنا من الدّسْكرة خرج صالح بن مسرّح نحو جلَولاءَ وخانِقِين ، وأتبعه الحارثُ ابن عميرةَ حتى انتهى إلى قرية يقال لها المدبّج من أرض الموصِل على تُخومِ ما بينها وبين أرض جُوخَى ، وصالح يومئذ فى تسعين رجلا ، فعبّى الحارث ابن عميرةِ يومئذ أصحابه، وجعل على ميمنته أبا الرّوّاغ [٢] الشاكرىّ، وعلى ميسرَته الزّبير بن الأروَح التميمىّ ، ثمّ شدّ عليهم — وذلك بعد العصر — وقد جعل أصحابه ثلاثَة كراديس؛ فهو فى كُرْدوس، وشبيب فى كُرْدوس فى ميمنَته ، وسُوَيد بن سليم فى كرْدوس فى الميسرة ، فى كل كُرْدوس منهم ثلاثون رجلا .

٢/٨٩١

فلما شدّ عليهم الحارثُ بن عميرة فى جماعة أصحابِه انكشف سُوَيد

(١) ب ، ف : « المسى » . (٢) ط : « الرداع » تحريف .

ابن سليم ، وثبت صالح بنُ مسرّح فقُتِل ، وضارب شبيبٌ حتى صُرِع ، فوقع فى رجّالة ، فشدّ عليهم فانكشفوا ، فجاء حتى انتهى إلى موقف صالح ابن مسرّح فأصابه قتيلا ، فنادى: إلىّ يا معشر المسلمين ؛ فلاذُوا به ، فقال لأصحابه : ليَعجِّل كلّ واحد منكم ظهرَه إلى ظهر صاحبه ، وليطاعِن عدوَّه إذا أقدَم عليه حتى ندخل هذا الحِصن ، ونرى رأينا ؛ ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلا بشَبيب ، وأحاط بهم الحارثُ بنُ عميرة مُمْسِياً ، وقال لأصحابه : احرقوا الباب ، فإذا صار جَمْرًا فدعوه فإنهم لا يَقدِرون على أن يخرجوا منه حتّى نصبّحهم فنقتلهم . ففعلوا ذلك بالباب ، ثمّ انصرَفوا إلى عسكرهم ، فأشرَف شبيب عليهم وطائفةٌ من أصحابه ، فقال بعضُ أولئك الفرَض : يا بنى الزّوانى ، ألم يُخزِكم الله ! فقالوا : يا فُسّاق ، نعم تقاتلوننا لقتالِنا إيّاكم إذْ أعماكُم الله عن الحقّ الّذى نحن عليه ، فما عذْركم عند الله فى الفرْيِ على أمّهاتِنا ! فقال لهم حلَماؤهم[1] : إنّما هذا من قول شباب فينا سفهاء ، والله ما يُعجِبنا قولهم ولا نستحلّه .
وقال شبيب لأصحابه : يا هؤلاء ، ما تَنتظِرون ! فوالله لئن صبّحكم هؤلاء غُدْوةً إنّه لَهَلاكُكم ، فقالوا له : مرنا بأمرك ، فقال لهم : إنّ اللّيل أخفَى للوَيْل ، بايعونى و مَن شئتم [٢] منكم ، ثم اخرجوا [٢] بنا حتّى نشُدّ عليهم فى عسكرهم ، فإنّهم لذلك منكم آمنون ، وأنا أرجو أن ينصرَكم الله عليهم . قالوا : فابسُطْ يدك فلنبايعْك ، فبايَعوه ، ثمّ جاءوا ليخرجوا ، وقد صار بابُهم جمرًا ، فأتوا باللُّبود فبلّوها بالماء ، ثمّ ألقَوْها على الجَمْر ، ثمّ قطعوا عليها ، فلمَ يشعرُ الحارث بن عميرة ولا أهلُ العسكر إلاّ وشبيب وأصحابُه يضربونهم[٣] بالسيوف فى جوفِ عسكرِهم[٤] ، فضارب الحارث حتّى صُرِع ، واحتملَه أصحابُه وانهزموا ، وخلّوْا لهم العسكر وما فيه ، ومضَوا حتّى نزلوا المدائن ، فكان ذلك الجيشُ أوّلَ جيش هزَمَه شبيب ، وأصيب صالحُ بن مسرّح يومَ الثلاثاء لثلاثَ عشرة بقيتْ من جُمادَى الأولى من سنته .

٨٩٢/٢

(١) ب ، ف : « علماؤهم » . (٢ – ٢) ب ، ف : « من أصحابكم واخرجوا » .
(٣) ب ، ف : « يضاربونهم » . (٤) ب ، ف : « العسكر » .

[خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من أمره مع الحجّاج]

وفى هذه السنة دخل شبيب الكوفةَ ومعه زوجتُه غزَالة.

* ذكر الخبر عن دخولِه الكوفة وما كان من أمرِه وأمرِ الحجّاج بها والسبب الّذى دعا شبيباً إلى ذلك:

وكان السبب فى ذلك – فيما ذكر هشام، عن أبى مخنَف، عن عبد الله ابن علقمة، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثْعمىّ – أنّ شبيباً لمّا قُتِل صالحُ بنُ مسرّح بالمدبَّج وبايعه أصحابُ صالح، ارتفع إلى أرض الموْصل ٨٩٣/٢ فلقىَ سلامة بن سيّار بن المضاء التَّيْمىّ تَيْم شيبان، فدعاه إلى الخروج معه، وكان يَعرفه قبل ذلك إذ كانا[1] فى الدّيوان والمغازى، فاشترَط عليه سلامةُ أن ينتخِب ثلاثين فارساً، ثم لا يغيب عنه إلّا ثلاثَ ليال عدداً. ففعل، فانتخب ثلاثين فارساً، فانْطلق بهم نحو عنَزة، وإنّما أرادهم ليَشفى نفسه منهم لقتلِهم أخاه فضالة، وذلك أنّ فضالة كان خرج قبل ذلك فى ثمانية عشر نَفْساً حتّى نزل ماءً يقال له الشّجرة من أرضِ الجبال، عليه أثَلة عظيمة، وعليه عنَزة، فلمّا رأتْه عنَزة قال بعضهم لبعض: نقتلهم ثمّ نغدو بهم إلى الأمير فنُعطَى ونُحبَى، فأجمعوا على ذلك، فقال بنو نصر أخوالُه: لعَمر الله لا نساعدكم على قتل ولَدنا. فنهضتْ عنَزةُ إليهم فقاتلوهم فقتلوهم، وأتَوا برءوسهم عبدَ الملك بنَ مروان، فلذلك أنزَلهم بانقِيا، وفرض لهم، ولم تكن لهم فرائضُ قبلَ ذلك إلّا قليلة، فقال سلامة بنُ سيّار، أخو فضالة يذكُر قتل أخيه وخِذلان أخوالِه إيّاه:

وَمَا خِلْتُ أَخْوَالَ الفَتَى يُسلمونَهُ   لِوَقْعِ السلاحِ قبلَ ما فَعَلتْ نَصْرُ

قال: وكان خروج أخيه فضالةَ قبل خروج صالح بنِ مسرّح وشَبيب.

---

(١) كذا فى ا، وفى ط: «كان».

فلمّا بايع سلامةُ شبيباً اشترط عليه هذا الشرط ، فخرج فى ثلاثين فارسًا حتّى انتهى إلى عَنَزة ، فجعل يقتل المحلّة منهم بعد المحلة حتّى انتهى ٨٩٤/٢ إلى فريق منهم فيهم خالته ، وقد أكبّت على ابنٍ لها وهو غلام حين احتلم ، فقالت وأخرجتْ ثدييها إليه : أنشدك بِرَحِم هذا يا سلامة ! فقال : لا والله ، ما رأيتُ فضالة مذ أناخ بعُمْر الشّجرة — يعنى أخاه — لتقومِنّ عنه ، أو لأجمعنّ حافّتك بالرّمح ، فقامت عن ابنها عند ذلك فقتله .

قال أبو مخنف : فحدّثنى المفضّل بن بكر من بنى تَيْم بنِ شيبان أنّ شبيباً أقبل فى أصحابه نحو رَاذانَ ، فلمّا سمعتْ به طائفة من بنى تَيم ابنِ شيبانَ خرجوا هُرّاباً منه ، ومعهم ناس من غيرهم قليل ، فأقبلوا حتى نزلوا دَير خرّزاد إلى جنب حَوْلايا ، وهم نحو من ثلاثةِ آلاف ، وشبيب فى نحو من سبعين رجلا أو يزيدون قليلا ، فنزل بهم ؛ فهابوه وتحصّنوا منه . ثمّ إنّ شبيباً سَرَى فى اثنى عشرَ فارسًا من أصحابه إلى أمه ، وكانت فى سَفْحِ ساتيدَما نازلةً فى مَظلّة من مَظالّ الأعراب : فقال : لآتينّ بأمّى فلأجعلنّها فى عسكرى فلا تفارقنى أبدًا حتّى أموتَ أو تموت . وخرج رجلان من بنى تَيم بن شيبانَ تخوّفَا على أنفسهما فنزلا من الدّير ، فلحِقا بجماعة من قومهما وهم نُزول بالجالِ منهم على مسيرةِ ساعة من النهار ، وخرج شبيبٌ ، فى أولئك الرّهط فى أوّلهم وهم اثنا عشر ، يريد أمّه بالسفح ، فإذا ٨٩٥/٢ هو بجماعة من بنى تَيْم بن شيبان غارّين فى أموالهم مقيمين ، لا يرَوْن أنّ شبيبًا يمرّ بهم لمكانهم الّذى هم به ، ولا يشعر بهم ، فحمل عليهم فى فرْسانه تلك ، فقتل منهم ثلاثين شيخًا ؛ فيهم حَوْثرةُ بنُ أسَد ووَبَرة بن عاصم اللّذان كانا نزَلا من الدّير ، فلحقا بالجبال ، ومَضى شبيب إلى أمه فحملها من السّفح ، فأقبل بها ، وأشرف رجلٌ من أصحاب الدّير من بكرِ بن وائل على أصحابِ شبيب ، وقد استخلف شبيب أخاه على أصحابه مصاد بن يزيد ، ويقال لذلك الرّجل الّذى أشرف عليهم سلاّمُ بن حيان ، فقال لهم : يا قوم ، القرآن بيننا وبينكم ، ألم تسمعوا قول الله : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ .

قالوا : بلى ، قال لهم : فكفّوا عنّا حتّى نُصبح ، ثمّ نخرج إليكم على أمان لنا منكم ، لكيلا تَعرِضوا لنا بشيء نكرهه حتّى تَعرضوا علينا أمركم هذا ، فإن نحن قَبلناه حرُمتْ عليكم أموالنا ودماؤنا ، وكنّا لكم إخوانًا ، وإن نحن لم نقبَلْه رددْتمونا إلى مأمَننا ، ثمّ رأيتم رأيكم فيما بيننا وبينكم ؛ قالوا لهم : فهذا لكم . فلما أصبحوا خرجوا إليهم ، فعَرَض عليهم أصحابُ شبيب قولَهم ، ووصفوا لهم أمرَهم ، فقَبِلوا ذلك كلّه ، وخالطوهم ، ونزلوا إليهم ، فدخل بعضُهم إلى بعض ، وجاء شبيب وقد اصطلحوا ، فأخبرَه أصحابُه خبرَهم ، فقال : أصبتم ووُفّقتم وأحسنتم . ٨٩٦/٢

ثمّ إن شبيبًا ارتحل فخرجت معه طائفة وأقامتْ طائفةٌ جانحة ، وخرج يومئذ معه إبراهيمُ بنَ حَجَر المحلّميّ أبو الصُّقَير كان مع بنى تَيْم بن شيبان نازلاً فيهم ، ومضى شبيب فى أدانى أرض المَوْصل وتخُوم أرض جُوخَى ، ثمّ ارتفع نحو أذرَبيجانَ ، وأقبل سفيان بن أبى العالية الخَثْعميّ فى خيل قد كان أمر أن يدخل بها طَبَرِسْتان ، فأمِر بالقُفول ، فأقبلَ راجعًا فى نحو من ألف فارس ، فصالح صاحب طَبَرستانَ .

قال أبو مخنف : فحدّثنى عبدُ الله بنُ علقمة عن سفيان بن أبى العالية الخثعميّ أنّ كتاب الحجّاجِ أتاه : أما بعد ، فسرْ حتّى تنزل الدّسْكرة فيمن معك ، ثمّ أقِم حتّى يأتيَك جيشُ الحارث بن عميرة الهَمْدانىّ بن ذى المِشعار ، وهو الّذى قتَل صالحَ بنمسرّح وخيل المناظر ، ثمّ سِرْ إلى شبيب حتّى تُناجزَه . فلمّا أتاه الكتابُ أقبَل حتّى نزل الدّسْكرة ، ونُوديَ فى جيشِ الحارثِ بنِ عميرة بالكوفة والمَدائن : أنْ بَرِئت الذّمّة من رجل من جيش الحارث بنِ عميرة لم يُواف سُفيان بن أبى العالية بالدّسْكرة .

قال : فخرجوا حتّى أتوه ، وأتته خيلُ المناظر ، وكانوا خمسمائة ، عليهم سَوْرة بن أبْجَر التميميّ من بنى أبَان بنِ دارم ، فوافَوْه إلا نحوًا من خمسين رجلا تخلّفوا عنه ، وبعث إلى سُفيان بن أبى العالية ألّا تبرح العسكَر حتّى آتيَك . فعَجل سفيانُ فارتحل فى طلب شبيب ، فلَحِقه بخانِقِين فى سَفْح جبل على ميمنته خازمُ بن سُفيان الخثعميّ من بنى ٨٩٧/٢

عمرو بن شَهْران، وعلى ميسرته عدىّ بن عميرة الشَّيبانىّ، وأصحَر لهم شبيب، ثم ارتفع عنهم حتّى كأنّه يكره لقاءَه، وقد أكمن له أخاه مصادًا معه خمسون فى هَزْم(١) من الأرض.

فلمَّا رأوْه جمَع أصحابَه ثمّ مضى فى سفح الجبل مُشرِّقًا فقالوا: هرب عدوّ الله فاتّبعوه، فقال لهم عدىّ بن عميرة الشَّيبانىّ: أيّها الناس، لا تعجلوا عليهم حتّى نَضرب فى الأرض ونسير بها، فإن يكونوا قد أكمنوا لنا كمينًا كنّا قد حَذِرْناه، وإلّا فإنّ طلبهم لن يفوتنا. فلم يسمع منه الناس، وأسرعوا فى آثارهم. فلمّا رأى شبيب أنّهم قد جازوا الكَمينَ عَطَف عليهم.

ولما رأى الكَمينُ أن قد جاوَزُوهم خرَجوا إليهم، فحمل عليهم شبيب من أمامِهم، وصاح بهم الكمين مِن ورائهم، فلم يقاتلهم أحد، وكانت الهزيمة، فثبت ابنُ أبى العالية فى نحو من مائتى رجل، فقاتلهم قتالا شديدًا حسنًا؛ حتّى ظنّ أنّه انتصف من شبيب وأصحابه. فقال سُويد بن سُليم لأصحابه: أمِنْكم أحد يَعرف أميرَ القوم ابنَ أبى العالية؟ فوالله لئن عَرَفْتُه لأجهدَنّ نفسى فى قتْله، فقال شبيبٌ: أنا مِن أعرَف الناس به، أما تَرَى صاحب الفرس الأغرّ الّذى دونَه المُرامية! فإنّه ذلك، فإن كنت تريدُه فأمهِلْه قليلاً. ثمّ قال: يا قعنب، اخرج فى عشرين فأتهم من ورائهم، فخرج قعنب فى عشرين فارتفع عليهم.

٨٩٨/٢

فلمَّا رأوه يريدُ أن يأتيَهم من ورائهم جعلوا يتنقّضون ويتسلّلون، وحمل سُوَيد بنُ سُليم على سُفيان بن أبى العالية فطاعنه، فلم تصنع رُمْحاهما شيئًا، ثم اضطربا بِسيَفْيهما ثمّ اعتنق كل منهما صاحبه، فوقعا إلى الأرض يعتركان؛ ثم تحاجزوا وحَمَل عليهم شبيب فانكشفوا، وأتى سُفيان غلامٌ له يقال له غَزْوان، فنزل عن بِرْذَونه، وقال: اركبْ يا مولاى، فركب سفيان، وأحاط به أصحاب شبيب، فقاتَل دونَه غَزْوان فقُتل، وكانت معه رايتُه. وأقبل سُفيانُ بن أبى العالية حتّى انتهى إلى بابل مَهْرُوذ،

(١) الهزم: ما اطمأن من الأرض.

فنزل بها ، وكتب إلى الحجّاج :

أمّا بعد ، فإني أخبر الأميرَ أصلحه الله أني اتّبعت هذه المارقةَ حتّى لحقتُهم بخانقين فقاتلتهم ، فضرَبَ الله وجوههم ، ونصرنا عليهم ، فبينا نحن كذلك إذْ أتاهم قوم كانوا غُيَّبًا عنهم ، فحملوا على الناس فهزموهم ، فنزلتُ فى رجال من أهل الدّين والصّبر فقاتلتهم ، حتّى خررتُ بين القتلى ، فحُمِلت مرتثًّا ، فأُتِىَ بى بابل مهروذ ، فهأنذا بها والجند الّذين وجّهَهم إلىّ الأمير وافَوا إلا سَوْرَةَ بن أبْجَر فإنه لم يأتنى ولم يشهد معى حتّى إذا ما نزلت بابل مَهْروذ أتانى يقول ما لا أعرُف[1] ، ويَعتذر بغير العُذْر . والسلام .

٨٩٩/٢ فلمّا قرأ الحجّاجُ الكتاب قال : مَنْ صنع كما صنع هذا ، وأبلى كما أبلى فقد أحسن . ثم كتب إليه :

أمّا بعد ، فقد أحسَنْتَ البلاء ، وقضيتَ الّذى عليك ، فإذا خفّ عنك الوجع فأقبِل مأجورًا إلى أهْلِك . والسلام .

وكتب إلى سَوْرة بن أبجَر :

أمّا بعد فيابن أمّ سَوْرَة ، ما كنتَ خليقاً أن تجترئ على ترك عهدى وخذلان جُندى ، فإذا أتاك كتابى فابعث رَجُلا ممّن معك صَليبًا إلى الخيل الّتى بالمدائن ، فلينتخِب منهم خمسمائة رجل ، ثمّ ليُقدم بهم عليك ، ثمّ سِرْ بهم حتّى تلقى هذه المارقة . واحزمْ فى أمرك ، وكدْ عدوّك ، فإنّ أفضل أمر الحرب حسن المكيدة . والسلام .

فلمّا أتَى سَوْرَةَ كتابُ الحجّاج بعث عدىّ بن عميرة إلى المدائن ، وكان بها ألفُ فارس ، فانتخب منهم خمسمائة ، ثمّ دخل على عبد الله بن أبى عُصَيْفِير — وهو أميرُ المدائن فى إمارته الأولى — فسلّم عليه ، فأجازه بألف درْهم ، وحمله على فرس ، وكساه أثوابًا . ثم إنّه خرج من عنده ، فأقبل بأصحابه حتّى قدم بهم على سَورة بن أبجر ببابل مَهْروذ ، فخرج فى طلب شبيب ، وشبيب[2]

(١) ب ، ف : « أعرفه » . (٢) ا : « وخرج شبيب » .

يجول فى جوخى وسورة فى طلبه، فجاء شبيب حتّى انتهى إلى المدائن، فتحصّن منه أهلُ المدائن وتحرّزوا، ووهى أبنية المدائن الأولى، فدخل المدائن، فأصاب بها دوابّ جند كثيرة[1]، فقتل مَن ظهر له ولم يدخلوا البيوت، فأُتِيَ فقيل له: هذا سَوْرة بنُ أبجر قد أقبل إليك. فخرج فى أصحابه حتّى انتهى إلى النّهروان، فنزلوا به وتوضّئوا وصلّوا، ثمّ أتوْا مصارعَ إخوانهم الذين قتلهم علىّ بنُ أبى طالب عليه السلام، فاستغفروا لإخوانهم، وتبرّءوا من علىّ وأصحابه، وبكوْا فأطالوا البكاءَ، ثم خرجوا فقطعوا جِسْرَ النّهروان، فنزلوا من جانبه الشرقىّ، وجاء سَوْرة حتّى نزل بقطراثا، وجاءته عُيونه فأخبرتْه بمنزل شبيب بالنّهروان، فدعا رءوس أصحابه فقال: إنّهم قلّما يُلْقَوْن مُصحِرين أو على ظَهر إلّا انتصفوا منكم، وظهروا عليكم، وقد حُدّثت أنّهم لا يزيدون على مائة رجل إلّا قليلا، وقد رأيتُ أن أنتخبكم فأسيرَ فى ثلثمائة رجل منكم من أقويائكم وشُجْعانكم فآتيهم الآن إذْ هم آمنون لبَياتكم؛ فوالله إنى لأرجو أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم الّذين صُرِعوا منهم بالنّهروان مِن قبلُ. فقالوا: اصْنع ما أحببتَ. فاستعمل على عسكره حازم بنَ قُدامة الخثعمىّ، وانتخب من أصحابه ثلثمائة رجل من أهل القوّة والجَلَد والشّجاعة، ثمّ أقبل بهم نحو النّهروان، وبات شبيب وقد أذكى الحرَس، فلمّا دنا أصحابُ سَوْرة منهم نَذِروا بهم، فاستوَوا على خُيولهم وتعبّوا تعبيتهم.

فلمّا انتهى إليهمْ سَوْرة وأصحابُه أصابوهم قد حَذِروا واستعدّوا، فحمل عليهم سورة وأصحابه فثبتوا لهم، وضارَبوهم حتّى صدّ عنهم سَوْرة وأصحابه، ثمّ صاح شبيب بأصحابه، فحمل عليهم حتّى تركوا له العرصة، وحمَلوا عليهم معه، وجعَل شبيب يَضرب ويقول:

من يَنِكِ العَيْرَ يَنِكْ نَيّاكَا جَنْدَلَتانِ اصْطَكّتا اَصطِكَاكَا

فرَجع سَوْرة إلى عسكره وقد هُزِم الفُرْسان وأهلُ القُوّة، فتحمّل بهِم حتّى أقبل بهم نحوَ المدائن، فدفع إليهم وقد تَحمّل وتعدّى الطريق الذى

(١) ا: «فأصاب دواب من دواب الجند».

فيه شبيب ، واتبعه شبيب وهو يرجو أن يَلحقه فيُصيب عسكره ، ويصيب بهزيمته أهل العسكر ، فأغَذّ السير فى طلبهم ، فانتَهوْا إلى المدائن فدَخلوها ، وجاء شبيب حتّى انتهى إلى بيُوت المدائن ، فدفع إليهم وقد دخل الناس ، وخرج ابن ُ أبى عُصَيْفير فى أهل المَدائن فرماهم الناس بالنَّبْل ، ورمَوا من فوق البيوت بالحجارة ، فارتفع شبيب بأصحابه عن المدائن ، فمرّ على كَلْواذا فأصاب بها دوابّ كثيرةً للحجّاج فأخذَها ، ثمّ خرج يسيرُ فى أرض جُوخَى ، ثم مضَى نحو تَكْريت ، فبينا ذلك الجُنْد فى المدائن إذ أرجفَ الناسُ بينهم ، فقالوا : هذا شبيب قد دَنا ، وهو يريد أن يبيِّت أهلَ المدائن اللّيلة ، فارتَحل عامّة الجُنْد . فلَحقوا بالكوفة .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبدُ الله بنُ عَلْقمة الخَثْعَمىّ ، قال : والله لقد هربوا من المدائن وقالوا : نُبيَّتُ اللّيلة ، وإنّ شبيبًا لبتَكْريتَ ، قال : ولمّا قَدِم الفَلّ على الحَجّاج سرَّح الجَزْل بن سعيد بن شُرَحبيل بن عَمرو الكندىّ .

٩٠٢/٢

قال أبو مخنف : حدّثنا النَّضر بنُ صالح العَبْسىّ وفُضيلُ بنُ خَديج الكِندىّ أنّ الحجّاج لمّا أتاه الفَلّ قال : قبح الله سَوْرة! ضَيّع العسكر والجُنْد ، وخرج يبيِّت الخَوارِج ، أمّا والله لأسُوءنّه ، وكان بعدُ قد[1] حبَسَه ثمّ عفَا عنه .

قال أبو مخنف : وحدّثنى فضَيل بن خديج أنّ الحجّاج دعا الجزْل — وهو عثمان بنُ سعيد — فقال له : تيسّر للخروج إلى هذه المارقة ، فإذا لقيتَهم فلا تعجلْ عجلةَ الخَرِق ، ولا تُحجِم إحجامَ الوانى الفَرِق ، هل فهمتَ ؟ لله أنتَ يا أخا بنى عمرو بن معاوية ! فقال : نعم أصلَح الله الأمير قد فهمت ؛ قال له : فاخرج فعسكِر بدير عبد الرحمن حتّى يخرج إليك الناس ، فقال : أصلَحَ الله الأمير! لا تبعثْنّ معى أحدًا من أهل هذا الجُنْد المفلول المهزوم ، فإنّ الرعب قد دخل قلوبَهم ، وقد خشيتُ ألّا ينفعك والمسلمين منهم أحد ؛ قال له : فإنّ ذلك لك ، ولا أراك إلّا قد أحسنْتَ الرأى ووُفّقتَ . ثمّ دعا أصحابَ الدّواوين فقال : اضربوا على

(١) ا : « بعده » .

الناس البَعْث ، فأخرجوا أربعة آلاف من الناس ، من كلّ رُبع ألف رجل ، وعجّلوا ذلك ، فجُمِعت العُرفاء ، وجلس أصحابُ الدّواوين ، وضَربوا البعث فأخرجوا أربعةَ آلاف ، فأمرهم بالعسكر فعَسْكروا ، ثمّ نودى فيهم بالرّحيل ، ثم ارتحلوا ونادى منادى الحَجّاج : أن بَرِئت الذّمّة من رجل أصبْناه من هذا البعث متخلّفاً ؛ قال : فمضى الجَزْل بنُ سعيد، وقد قدم بين يديه عياض بن أبى لينة الكِنْدىّ على مُقدّمته ، فخرج حتّى أتى المدائنَ ، فأقام بها ثلاثًا ، وبعث إليه ابنُ أبى عُصَيْفير بفرس وبِرْذَوْن وبغلين وألفىْ درهم ، ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتّى ارتحلوا ، فأصاب الناس ما شاءوا من تلك الجزر والعَلَف الّذى وَضَع لهم ابْنُ أبى عُصيْفير . ثمَّ إنّ الجزل بنَ سعيد خرج بالناس فى أثر شبيب ، فطَلَبه فى أرض جُوخَى ، فجعل شَبيب يُريه الهيبة ، فيَخرج من رُسْتاق إلى رُسْتاق ، ومن طَسّوج إلى طَسّوج ، ولا يقيم له إرادة أن يفرّق الجزل أصحابه ، ويتعجّل إليه فيلقاه فى يسير من الناس على غير تعبية ، فجعل الجَزْل لا يسير إلّا على تعبية ، ولاينزل إلّا خندق على نفسه خندقًا ، فلمّا طال ذلك على شبيب أمرَ أصحابه ذاتَ ليلة فسرَوْا .

قال أبو مخنف : فحدّثنى فروة بنُ لَقَيط أنّ شبيبًا دعانا ونحن بدير بيرما ستون ومائة رجل ، فجعل على كلّ أربعين من أصحابه رجلا ، وهو فى أربعين ، وجعل أخاه مصادًا فى أربعين ، وبعث سُوَيد بن سُلَيم فى أربعين ، وبعث المحلّل بن وائل فى أربعين ، وقد أتتْه عيونُه فأخبرتْه أنّ الجزل بن سعيد قد نزل ديرَيزدَجِرْد ، قال : فدعانا عند ذلك فعبّأنا هذه التعبية ، وأمرنا فعلّقْنا على دوابنا ، وقال لنا : تيسّروا فإذا قضمتْ دوابُّكم فاركبوا ، ولْيسر كلّ امرئٍ منكم مع أميره الّذى أمّرناه عليه ، ولْينظر كل امرئٍ منكم ما يأمرُه أميرُه فليتّبعه . ودعا أمراءنا فقال لهم : إنى أريد أن أبيّت هذا العسكرَ اللّيلة ، ثم قال لأخيه مصاد : إيتهم فارتفعْ من فوقهم حتّى تأتيَهم من ورائهم من قِبَل حُلوان ، وسآتيهم أنا من أمامى من قِبَل الكوفة ، وأْتِهم أنتَ يا سُوَيد من قِبَل المشرق ، وأْتِهم أنتَ يا محلّل من قِبَل المغرب ، ولْيَلج

كلّ امرئ منكم على الجانب الّذى يَحمِل عليه ، ولا تُقلِعوا عنهم ، تَحمِلون وتكرّون عليهم ، وتصيحون بهم حتّى يأتيَكم أمرى . فلم نزل على تلك التعبية ، وكنتُ أنا فى الأربعين الّذين كانوا معه ، حتى إذا قَضِمتْ دوابُّنا — وذلك أوّل اللّيل أوّل ماهدأت العيون — خرجْنا حتى انتَهينا إلى دَيْر الخرّارة ، فإذا للقوم مَسلَحة ، عليهم عِياض بنُ أبى لينة ، فما هو إلا أن انتهَينا إليهم ، فحَمَل عليهم مصاد أخو شبيب فى أربعين رجلا ، وكان أمام شبيب ، وقد كان أراد أن يَسبِق شبيبًا حتّى يرتفع عليهم ويأتيهم من ورائهم كما أمره ، فلمّا لقِيَ هؤلاء قاتَلهم فصبروا ساعةً ، وقاتلوهم . ثمّ إنّا دفعنا إليهم جميعًا ، فَحَمَلْنا عليهم فهزمناهم ، وأخذوا الطريق الأعظم ، وليس بينهم وبين عسكرهم بدَيْر يَزْدَجِرد إلّا قَريب من مِيل .

٢/٩٠٥ فقال لنا شبيب : اركبوا معاشر المسلمين أكتافهم حتّى تدخُلوا معهم عسكرَهم إن استطعتم ؛ فاتّبعناهم والله مُلِظّين[1] بهم ، ملحّين عليهم ، ما نرفّه عنهم وهم منهزمون ، ما لهم همّة إلّا عسكرهم ، فانتهوا إلى عسكرهم ، ومنعهم أصحابُهم أن يدخلُوا عليهم ، ورَشَقونا بالنَّبْل ، وكانت عيون لهم قد أتتْهم فأخبرتْهم بمكاننا ، وكان الجَزْل قد خندق عليه ، وتحرّز ووضع هذه المسلحة الّذين لقِيناهم بدَيْر الخرّارة ، ووَضَع مسلحةً أخرى ممّا يلى حُلوان على الطريق ، فلمّا أن دفعنا إلى هذه المسلَحة التى كانت بدَيْر الخرّارة فألحقْناهم بعسكر جماعتهم ورجعت المسالح الأخر حتى اجتمعت ، منعها أهل العسكر دخول العسكر وقالوا لهم : قاتِلوا ، وانضحوا عنكم بالنّبل .

قال أبو مخنف : وحدّثنى جَرير بن الحسين الكنديّ ، قال : كان على المَسلحتَيْن الأخريَيْن عاصمُ بنُ حجر على الّتى تلى حُلْوان ، وواصلُ ابنُ الحارث السّكونىّ على الأخرى . فلمّا أن اجتمعتْ المَسالحُ جَعَل شبيبٌ يَحْمل عليها حتّى اضطرّها إلى الخندَق ، ورَشَقَهم أهلُ العسكر بالنّبل حتّى ردّوهم عنهم . فلمّا رأى شبيب أنّه لا يصل إليهم قال لأصحابه : سِيروا ودَعُوهم ، فمضى على الطريق نحو حُلْوان حتّى إذا كان قريبًا

(١) ملظّين ، بمعنى ملحين .

من موضع قِباب حسين بن زُفَر من بنى بَدْر بن فزارة — وإنّما كانت قبابُ حُسين بن زُفَر بعد ذلك — قال : قال : لأصحابه : انزلوا فاقضِموا وأصلِحوا نَبلَكم وتروّحوا وَصلّوا ركعتين، ثمّ اركبوا ؛ فنزلوا ففعلوا ذلك . ثمّ إنّه أقبل بهم راجعًا إلى عسكر أهل الكوفة أيضًا ، وقال : سيروا على تعبيتِكم التى عبأتكم عليها بديربيرما أوّل الليل ، ثمّ أطِيفوا بعسكرهم كما أمرتُكم ، فأقبلوا . قال : فأقبلْنا معه وقد أدخل أهلُ العسكر مَسالِحهم إليهم ، وقد أمّنونا فما شعروا حتى سمعوا وَقع حَوافِر خيولنا قريبًا منهم ، فانتهينا إليهم قُبيلَ الصّبح فأحَطْنا بعسكرهم ، ثم صيّحنا[1] بهم من كلّ جانب ، فإذا هم يُقاتلوننا من كلّ جانب ، ويرموننا بالنّبل . ثم إنّ شبيبًا بعث إلى أخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أنْ أقبِل إلينا وخلّ لهم سبيل الطريق إلى الكُوفة ، فأقبل إليه ، وترك ذلك الوجه ، وجعلنا نقاتلهم من تلك الوجوه الثلاثة ؛ حتّى أصبحْنا ، فأصبحنا ولم نستفِل منهم شيئًا ، فسرنا وتركناهم ، فجعلو يصيحون بنا : أين يا كلاب النار ! أينَ أيّتها العِصابة المارقة ! أصبِحوا نخرجْ إليكم ، فارتفعنا عنهم نحوًا من مِيل ونصف، ثم نزلْنا فصلّينا الغَداةَ،ثمّ أخذْنا الطريق على براز الرُّوذ ، ثمّ مَضينا إلى جَرجَرايا وما يليها ، فأقبلوا فى طلبنا . ٩٠٦/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى مولى لنا يُدعَى غاضرة أو قيصر ،قال : كنت مع الناس تاجرًا وهم فى طلب الحَروريّة، وعلينا الجَزْل بنُ سعيد ، فجعل يتبعهم فلا يسير إلّا على تعبية ، ولّا يَنزل إلا على خندق ، وكان شبيبٌ يَدعه ويَضرب فى أرض جُوخَى وغيرها يكسر الخَراج ، وطال ذلك على الحجّاج ، فكتب إليه كتابًا ، فقرئ على الناس : ٩٠٧/٢

أما بعد ، فإنى بعثتُك فى فرسان أهل المِصر ووجوه الناس ، وأمرتُك بإتباع هذه المارقة الضّالة المُضلّة حتّى تلقاها ، فلا تُقلِع عنها حتّى تَقتلها وتُفنيها ؛ فوجدتَ التعريسَ فى القُرَى والتّخييمَ فى الخَنادق أهوَن عليك من المُضىّ لما أمرتك به من مناهَضتهم ومناجَزتِهم . والسّلام .

فقرئ الكتابُ علينا ونحن بقطراثا ودَيْر أبى مَرْيم ، فشَقّ ذلك على

---

(١) ا : « صحنا » .

الجَزْل ، وأمَرَ الناسَ بالسَّير ، فخرجوا فى طلب الخوارج جادّين ، وأرجَفنا بأميرنا وقلنا : يُعزَل .

قال أبو مخنف : فحدّثنى إسماعيلُ بنُ نعيم الهَمْدانىّ ثمّ البُرسمىّ أنّ الحجّاج بعثَ سعيد بنَ المجالد على ذلك الجيش ، وعَهِد إليه إن لقيتَ المارقةَ فازحفْ إليهم ولا تُناظِرْهم ولا تُطاوِلْهم وواقِفْهم واستَعِن بالله عليهم ، ولا تصنع صنيع الجزْل، واطلبهم طلبَ السَّبُع ، وحِدْ عنهم حَيَدان الضَّبع . وأقبلَ الجزْل فى طلب شبيب حتّى انتهوا إلى النَّهْرَوان فأدركوه فلزم عسكرَه ، وخندق عليه . وجاء إليه سعيدُ بن المجالد حتّى دخل عسكرَ أهل الكوفة أميرًا ، فقام فيهم خطيبًا فحمِد الله وأثنَى عليه ثمّ قال :

٩٠٨/٢

يا أهلَ الكوفة ، إنّكم قد عجزتم ووَهَنتم وأغضبتم عليكم أميرَكم . أنتم فى طلب هذه الأعاريب العُجُف منذ شهرين ، وهم قد خرّبوا بلادكم ، وكسروا خراجكم ، وأنتم حاذرون فى جَوْف هذه الخنادق لا تزايلونها إلّا أن يَبلُغكم أنّهم قد ارتحلوا عنكم ، ونزلوا بلدًا سوى بلدكم ، فاخرجوا على اسم الله إليهم .

فخرج وأخرج الناس معه ، وجمع إليه خيول أهل العسكر ، فقال له الجزل : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أقدم على شبيب فى هذه الخيل ، فقال له الجزْل : أقِمْ أنت فى جماعة الجيش ؛ فارسِهم وراجلهم ، وأصحِرْ له ؛ فوالله ليقدمنّ عليك ، فلا تُفرّق أصحابك ؛ فإنّ ذلك شرّ لهم وخيرٌ لك . فقال له : قف أنت فى الصفّ ، فقال : يا سعيد بن مجالد ، ليس لى فيما صنعتَ رأى ، أنا برىءٌ من رأيك هذا ، سَمِع اللهُ ومَن حضر من المسلمين . فقال : هو رأيى إن أصبتُ ؛ فالله وفّقنى له ، وإن يكن غيرَ صواب فأنتم منه بُراء ، قال : فوقف الجزل فى صفّ أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق ، وجعل على ميمنتهم(٢) عياض بن أبى لينة الكِنْدىّ ، وعلى ميسرتِهم عبد الرحمن بن عوف أبا حُميد الرّواسىّ ، ووقف الجزل فى جماعتهم

(١) ب ، ف : « كصنيع » . (٢) ا : « ميمنته » .

واستقدم سعيد بن مجالد ، فخرج وأخرج الناسَ معه ، وقد أخذ شبيبٌ إلى ٢/٩٠٩ بَرَاز الرُّوز ، فنزل قَطُفتا(١) ، وأمر دهقانَها أن يشترِيَ لهم ما يُصلحهم ، ويتّخذ لهم غَداءً ، ففعل ، ودخل مدينة قَطُفتا(١) وأمر بالباب فأغلِق ، فلم يَفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد بنُ مجالد فى أهل ذلك العسكر ، فصعد الدّهقان السور فنظر إلى الجُنْد مقبلين قد دنَوا من حِصْنه ، فنزل وقد تغيّر لونُه ، فقال له شبيب : ما لى أراك متغيّر اللون ! فقال له الدّهقان : قد جاءتك الجنود من كلّ ناحية ، قال : لا بأس ، هل أدرَك غداؤنا ؟ قال : نعم ، قال : فقرّبْه ، وقد أغلَق الباب ، وأُتِيَ بالغداء ، فتغدّى وتوضّأ وصلّى ركعتين ، ثمّ دعا ببغل له فركبه .

ثمّ إنّهم اجتمعوا على باب المدينة ، فأمر بالباب فَفُتح ، ثمّ خرج على بغله فحمَل عليهم . وقال : لا حكمَ إلّا لِلحَكَم الحكيم ، أنا أبو مدلّه ، اثبتوا إن شئتم . وجعل سعيد يجمَع قومه وخيلَه ، ويُزلِفها(٢) فى أثرَه ، ويقول : ما هؤلاء ! إنّما هم أكلَةُ رأس ، فلمّا رآهم شبيب قد تقطّعوا وانتشروا لفّ خيله كلّها ، ثمّ جمعها ، ثم قال(٣) : استعرضوهم استعراضًا ، وانظروا ٢/٩١٠ إلى أميرهم ، فوالله لأقتلنّه أو يقتلنى . وحمَل عليهم مستعرضًا لهم ، فهزَمهم وثبت سعيد بن المجالد ، ثمّ نادى أصحابه : إلىّ إلىّ ، أنا ابن ذى مُرّان ! وأخذ قَلَنْسُوَته فوضعها على قَرَبوس سَرْجه ، وحمَل عليه شبيب فعمّمه بالسيف ، فخالط دماغَه ، فخرّ ميتًا ، وانهزم ذلك الجيش ، وقتِلوا كلّ قِتْلة ، حتّى انتهوا إلى الجَزْل ، ونزل الجزل ونادَى : أيها الناس ، إلىّ . وناداهم عِياضُ بن أبى لينة : أيها الناس ، إن كان أميركم القادم قد هلَك فأميركم الميمونُ النّقيبة المبارك حىٌّ(٤) لم يمت ، فقاتل الجزل قتالا شديدًا حتّى حُمِل من بين القتلَى ، فحُمِل إلى المدائن مرتثًّا ، وقَدِم فلّ أهل ذلك العسكر الكوفة ، وكان من أشدّ الناس بلاءً يومئذ خالدُ بن

(١) كذا فى ابن أبى الحديد ٤ : ٢٤١ ، وهو الصواب ، وانظر مراصد الاطلاع .

(٢) ا : « يدلفها » . (٣) ب ، ف : « فقال » .

(٤) ب ، ف : « حى وهو الأمير المبارك » .

نَهيك من بنى ذُهْل بن معاوية وعياض بن أبى لِينة ، حتى استنقذاه وهو مرتَثّ . هذا حديثُ طائفة من الناس ، والحديث الآخرُ قتالهم فيما بين دَيْر أبى مريم إلى بَراز الرّوز . ثمّ إنّ الجَزْل كتب إلى الحجاج .

قال : وأقبَل شبيب حتّى قَطع دجْلة عند الكَرْخ ، وبعث إلى سوق بغداذ فآمنهم ، وذلك اليوم يوم سُوقهم ، وكان بلغه أنّهم يخافونه ، فأحَبّ أن يؤمّنهم ، وكان أصحابُه يريدون أن يشتروا من السوق دوابّ وثياباً وأشياءَ ليس لهم منها بُدّ ، ثمّ أخذ بهم نحو الكوفة ، وساروا أول الليل حتّى نزلوا عُقْر المَلِك الّذى يلى قصر ابن هُبَيرة . ثمّ أغَذّ السَّيرَ من الغد ،

٢/٩١١ فبات بين حمّام عمر بن سعد وبين قُبِّينَ . فلمّا بلغ الحجّاج مكانه بعث إلى سُوَيد بن عبد الرحمن السعدىّ ، فبعثه فى ألفى فارس نقاوَة ، وقال له : اخرُج إلى شبيب فالقه ، واجعل ميمنةً ومَيسَرة ، ثمّ انزل إليه فى الرّجال فإن استطرد ذلك فدعه ولا تتبعه . فخرج فعسكر بالسَّبَخة ، فبلغه أنّ شبيباً قد أقبل ، فأقبل نحوه وكأنّما يساقُون إلى الموت ، وأمر الحجّاج عثمان ابنَ قَطَن فعسكَر بالناس بالسَّبَخة[1] ، ونادى : ألا بَرِئت الذّمّة من رجل من هذا الجند باتَ اللّيلة بالكوفة لم يَخرُج إلى عثمانَ بن قَطَن بالسَّبَخة ! وأمر سُوَيد بن عبد الرحمن أن يسيرَ فى الألفين اللّذين معه حتّى يلقى شبيباً فعَبّر بأصحابه إلى زُرارة وهو يعبّئهم ويحرّضهم إذ قيل له : قد غشيَك شبيب ، فنزل ونزل معه جُلُّ أصحابه ، وقَدّم رايتَه ومضى إلى أقصى زُرارة ، فأخبِر أن شبيباً قد أخبِر بمكانك فتركك ، ووجد مخاضةً فعبر الفُرات وهو يريد الكوفة من غير الوجه الّذى أنت به . ثم قيل له : أما تراهم ! فنادى : فى أصحابه ، فركبوا فى آثارهم .

وإنّ شبيباً أتى دارَ الرّزق[2] ، فنزَلها ، فقيل : إن أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون بالسَّبَخة ، فلمّا بلغهم مكانُ شبيب صاح[3] بعضهم ببعض

---

(١) ب ، ف : « فى السيخة » :
(٢) ف : « الزرق » .
(٣) ا : « ماج » .

وجالوا ، وهَمّوا أن يَدخلوا الكوفة حتَّى قيل لهم : إنّ سويد بن عبد الرحمن فى آثارهم قد لحقهم وهو يقاتِلُهم فى الخيل .

٩١٢/٢ قال هشام : وأخبرَنى عمرُ بنُ بشير، قال : لمَّا نزل شبيب الدَّير أمر بغَنَم تُهيَّأ له ، فصَعِد الدّهقان ، ثمّ نزل وقد تغيَّر لونُه ، فقال : ما لك ! قال : قد والله جاءك جمعٌ كثير ؛ قال : أبلَغ الشِّواءُ بعدُ ؟ قال : لا ، قال : دَعْه. قال : ثمّ أشرف إشرافةً أخرى ، فقال : قد والله أحاطُوا بالجَوْسق ، قال : هات شِواءَك ، فجعل يأكل غير مكترِث لهم ، فلما فرغ توضّأ وصلّى بأصحابه الأولى ، ثمّ تقلّد سَيفين بعدما لبس درْعه ، وأخذ عمود حديد ثمّ قال : أسرجوا لى البغلة ، فقال أخوه مصاد : أفى هذا اليوم تُسرَج بغلة ! قال : نعم أسرِجوها ، فركبها ، ثم قال : يا فلان، أنت على المَيْمنَة وأنت يا فلان على الميسرة ، وقال لمصاد : أنت فى القلب ، وأمر الدّهْقان ففتح الباب فى وجوههم . قال : فخرج إليهم وهو يُحكِّم ، فجعل سعيد وأصحابه يرجعون القَهقَرى حتَّى صار بينهم وبين الدَّير نحوٌ من مِيل . قال : وجعل سعيد يقول : يا معشر هَمْدان ، أنا ابن ذى مُرّان ، إلىّ إلىّ . ووجَّه سِرْباً مع ابنه وقد أحسّ أنَّها تكون عِليه ، فنظَر شبيب إلى مصاد فقال : أثكَلَنِيك الله إنْ لم أثكله ولَده . قال : ثمّ علاه بالعَمود ، فسَقَطَ ميتاً ، وانهزم أصحابهُ وما قُتِل بينهم يومئذ إلّا قتيل واحد . قال : وانكشف أصحابُ سعيد بن مجالد حتَّى أتَوا الجَزْل ، فناداهم الجزل : أيها الناس ، إلىّ إلىّ . وناداهم عِياض بنُ أبى لينة : أيها الناس ، إنْ يكن أميرُكم هذا القادمُ قد هلك فهذا أميرُكم الميمون النقيبة ، أقبِلوا إليه ، ٩١٣/٢ وقَاتِلوا معه ؛ فمنهم من أقبل إليه ، ومنهم من ركب رأسَه منهزماً ، وقاتل الجَزْلُ قتالا شديداً حتَّى صُرِع ، وقاتل عنه خالدُ بن نهيك وعياض ابن أبى لِينة حتَّى استنقَذاه وهو مُرْتَثّ ، وأقبَل الناسُ منهزمين حتَّى دخلوا الكوفة ، فأتِى بالجَزْل حتى أدخِل المدائن ، وكُتب إلى الحجّاج بن يوسف .

قال أبو مِخنَف : حدّثنى بذلك ثابتٌ مولى زُهير :

أمَّا بعد ، فإنى أخبر الأمير أصلَحه الله أنى خرجت فيمن قبَلى من الجند الَّذى وجَّهنى إلى عدوّه ، وقد كنت حفظتُ عهدَ الأمير إلىّ فيهم ورأيَه ، فكنتُ أخرجُ إليهم إذا رأيت الفُرْصة ،وأحبِس الناس عنهم إذا خشيت الوَرْطة ، فلم أزل[1] كذلك ،ولقد أرادنى العدوّ بكلّ رِيدة[2] فلم يُصِب منّى غِرّةً ،حتَّى قدم علىّ سعيدُ بنُ مجالد رحمة الله عليه، ولقد أمرته بالتؤدَة ، ونهيته عن العَجلة ، وأمرتُه ألّا يقاتلهم إلّا فى جماعة الناس عامَّةً فعصانى ، وتعجَّل إليهم فى الخيل ، فأشهدتُ عليه أهل المِصْرَيْن أنّى برىءمن رأيه الَّذى رأى،وأنى لا أهوى ما صَنع . فمضى فأصيب تجاوز الله عنه ، ودُفِع الناس إلىّ ، فنزلتُ ودعوتُهم إلىّ، ورفعتُ لهم رايتى ، وقاتلتُ حتّى صُرِعتُ ، فحملنى أصحابى من بين القَتلى ، فما أفقت إلا وأنا على أيديهم على رأسِ مِيل من المعركة ، فأنا اليومَ بالمدائن فى جراحة قد يموت الرجلُ من دونِها ويُعافَى مِن مِثلها . فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتى له ولجنده ، وعن مكايدتى عدوّه ، وعن موقفى يومَ البأس ، فإنه يستبين له عند ذلك أنى قد صَدقتهُ ونصحتُ له . والسلام . ٢/٩١٤

فكتب إليه الحجَّاج :

أمَّا بعد ، فقد أتانى كتابُك وقرأته ، وفهمتُ كلّ ما ذكرتَ فيه ، وقد صدّقتُك فى كلّ ما وصفتَ به نفسَك من نصيحتك لأميرك ، وَحيْطتك على أهلِ مصْرك ، وشدّتك على عدوّك ، وقد فهمتُ ما ذكرتَ[3] من أمر سعيد وعجلته إلى عدوّه ، فقد رضيتُ عَجَلتَه وتُؤَدَتك ، فأمَّا عجلته فإنَّها أفضت به إلى الجنَّة ،وأمَّا تُؤَدَتُك فإنَّها لم تَدَع الفرصة إذا أمكنتْ، وترْك الفرصة إذا لم تُمكِن حَزْمٌ ، وقد أصبتَ وأحسنتَ البلاء ،وأجِرْتَ[4] ، وأنتَ عندى من أهل السمع والطاعة والنَّصيحة ، وقد أشخصتُ إليك حيَّان

---

(١) ب ، ف : « فإذا لم » .

(٢) أى بكل نوع من أنواع الإرادة . وفى ط: « إرادة » وأثبت ما فى ا .

(٣) ب ، ف : « ذكرته » .

(٤) أجرت ، أى لقيت الأجر .

ابن أبجر ليداويك ويعالجَ جراحتك ، وبعثتُ إليك بألفَىْ درهم فأنفقْها في حاجتك[1] وما ينوبك . والسلام .

فقدِم عليه حيّان بنُ أبجر الكنانيّ من بنى فِراس –وهم يعالِجون الكَىّ وغيرَه– فكان يداويه ، وبعث إليه عبد الله بن أبى عُصَيفير بألف درهم ، وكان يعوده ويتعاهدُه باللّطف والهديّة . قال : وأقبل شبيب نحوَ المدائن ، فعلم أنّه لا سبيل له إلى أهلها مع المدينة ، فأقبل حتّى انتهى إلى الكرْخ ، فعبر دِجلة إليه ، وبعث إلى أهل سُوق بغْداذ وهو بالكَرْخ أن اثبتُوا في سُوقكم فلا بأس عليكم – وكان ذلك يوم سوقهم – وقد كان بلغه أنّهم يخافونه . ٩١٥/٢ قال : ويَخرُج سُويد حتّى جعل بيوتَ مُزَينة وبنى سُلَيم في ظهره وظهور أصحابه ، وحمل عليهم شبيب حملةً منكرة ، وذلك عند المساء ، فلم يقدِر منهم على شىء ، فأخذ على بيوت الكُوفة نحو الحِيرة ، وأتبعه سُويد لا يفارقه حتّى قطع بيوتَ الكوفة كلّها إلى الحِيرة ، وأتبعه سُوَيد حتى انتهى إلى الحيرة ، فيَجده قد قَطَع قنطرَة الحِيرة ذاهبًا ، فترَكه وأقام حتى أصبح . وبعث إليه الحجّاج أن أتبعه فأتبعه ، ومَضى شبيب حتّى أغار في أسفل الفُرات على من وجد من قَوْمه ، وارتفع في البرّ من وراء خَفَّان في أرض يقال لها الغلطة[2] ، فيصيب رجالا من بنى الوِرْثة ، فَحَمل عليهم ، فاضطرّهم إلى جَدَد من الأرض ، فجعلوا يَرْمونه وأصحابَه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولَهم ، فلمّا نَفِدَت وصل إليهم فقتل منهم ثلاثةَ عشر رجلا ، منهم حنظلة بن مالك ومالكَ بن حنظلة وحمران بن مالك ؛ كلّهم من بنى الوِرْثة .

قال أبو مِخْنَف : حدّثنى بذلك عطاءُ بنُ عَرْفَجة بن زياد بن عبد الله الوِرثىّ . ومضى شبيب حتّى يأتى بنى أبيه على اللصف (ماءٌ لرَهْطه) وعلى ذلك الماء الفِزْر بنُ الأسود ، وهو أحد بنى الصَّلْت ، وهو الّذى كان يَنهَى شبيبًا عن رأيه ، وأن يُفسِد بنى عمه وقومه ، فكان شبيب يقول : والله لئن ملكتُ سبعةَ أعنّة لأغزُوَنّ الفِزْر . فلمّا غشيَهم شبيب ٩١٦/٢

---

(١) ب ، ف : « جراحتك » .
(٢) ب ، ف : « العلطة » .

فى الخيل سأل عن الفِزْر فاتّقاه الفِزْر ، فخرج على فرس لا تُجارَى من وراء البيوت ، فذهب عليها فى الأرض ، وهرب منه الرجال ، ورجع وقد أخاف أهلَ البادية حتّى أخذ على القُطقُطانة ؛ ثمّ على قصر مُقاتِل ، ثمّ أخذ على شاطئ الفُرات حتّى أخذ على الحَصّاصة ، ثمّ على الأنبار ، ثمّ مضى حتّى دخلَ دقُوقاء ، ثمّ ارتفع إلىَ أدانى آذْربيجان . فتركه الحجّاج وخرج إلى البَصْرة ، واستَخلَف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، فما شعر الناس بشىء حتّى جاء كتابٌ من ماذرواسب دِهقان بابل مَهْرُوذ وعظيمها إلى عُروَة بن المغيرة بن شُعْبة أنّ تاجرًا من تجّار الأنْبار من أهل بلادى أتانى فذَكَر أنّ شبيبًا يريد أن يدخُل الكوفة فى أوّل هذا الشهر المستقبل ، أحببتُ إعلامَك ذلك لتَرى رأيك ، ثمّ لم ألبث إلّا ساعةً حتّى جاءنى جابِيان من جُبّانى فحدّثانى أنّه قد نزل خانِيجار . فأخذ عروة كتابَه فأدْرَجَه وسَرّح به إلى الحجّاج بالبصرة ، فلمّا قرأه الحجّاج أقبل جوادًا إلى الكُوفة ، وأقبَل شبيب يسيرُ حتّى انتهى إلى قرية يقال لها حَرْبَى على شاطئ دِجْلة فعبر منها ، فقال : ما اسمُ هذه القرية ؟ فقالوا : حَرْبَى ؛ فقال : حرْب يَصْلَى بها عدوّكم ، وحرَب تُدخِلونه بُيوتهم ، إنّما يتطيّر من يَقُوف ويَعيِف ، ثم ضرب رايتَه وقال لأصحابه : سيروا ؛ فأقبَل[1] حتّى نزل عَقْرقُوفَا ، فقال له سُويد بن سُليم : يا أميرَ المؤمنين ، لو تَحوّلتَ بنا من هذه القرية المشئومة الاسم ! قال : وقد تطيّرتَ أيضًا ! والله لا أتحوّل عنها حتّى أسيرَ إلى عدوّى منها ، إنّما شؤمُها إن شاء الله على عدوّكم تَحمِلون عليهم فيها ، فالعَقْر لهم . ٢/٩١٧

ثمّ قال لأصحابه : يا هؤلاء ، إنّ الحجّاج ليس بالكوفة ، وليس دون الكوفة إن شاء الله شىءٌ ، فسيروا بنا . فخرج يُبادِر الحجّاج إلى الكوفة ، وكتب عُروةُ إلى الحجّاج أنّ شبيبًا قد أقبل مسرعًا يريد الكوفة ، فالعجلَ العجلَ . فطوى الحجّاج المنازل ، واستبَقا إلى الكوفة ، ونزلها الحجّاج صلاةَ الظهر ، ونزل شبيبٌ السَّبَخة صلاةَ المغرب ، فصلّى المغرب والعِشاء ، ثمّ أصاب هو وأصحابه من الطّعام شيئًا يسيرًا ، ثمّ ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة ، فجاء شبيبٌ حتّى انتهى إلى السوق ، ثمّ شدّ حتى ضربَ بابَ القصر بعموده .

(١) ا : « وأقبل » .

قال أبو المنذر: رأيت ضربةَ شبيب بباب القصر قد أثّرتْ أثرًا عظيماً، ثمّ أقبل حتّى وقف عند[1] المَصْطبة، ثم قال:

وكأنَّ حافِرَها بكلِّ خَمِيلَةٍ كَيْلٌ يَكِيلُ به شَحِيحٌ مُعْدِمُ
عَبْدٌ دَعِيٌّ من ثمودٍ أَصلُه لا بل يُقال أَبُو أَبيهمْ يَقْدُمُ

ثمّ اقتحموا المسجد الأعظم وكان كبيرًا لا يفارقه قومٌ يصلّون فيه، فقتل عقيلَ بن مصعب الوادعيّ وعديّ بنَ عمرو الثّقفيّ وأبا ليث بن أبي ٩١٨/٢ سُلَيم مولى عَنْبسة بن أبي سُفْيان، وقتلوا أزهرَ بنَ عبد الله العامريّ، ومرّوا بدار حَوْشب وهو على الشُّرَط فوقفوا على بابه وقالوا: إنّ الأمير يدعو حَوْشباً، فأخرج ميمون غلامه بِرْذَونَ حَوْشب ليركبه حَوْشب، فكأنّه أنكرهم فظنّوا أنّه قد اتّهمهم، فأراد أن يدخل، فقالوا له: كما أنت، حتّى يَخرُجَ صاحبُك. فسمع حَوْشب الكلامَ، فأنكرَ القوم، فخرج إليهم، فلمّا رأى جماعتَهم أنكرَهم، وذهب لينصرِف، فعجّلوا نحوه، ودخل وأغلَقَ الباب، وقتلوا غلامَه ميموناً، وأخذوا بِرْذَوْنه ومَضوا حتى مرّوا بالجحّاف ابن نبيط الشَّيْبانيّ من رَهْط حَوْشب، فقال له سويد: انزلْ إلينا، فقال له: ما تَصنع بنُزولي! قال له سويد: أقضِيك ثمنَ البَكْرة الّتى كنتُ ابتعتُ منك بالبادية، فقال له الجحّاف: بئس ساعةُ القَضاء هذه الساعة، وبئس قَضاءُ الدَّين هذا المكان! أما ذكرتَ أمانتَك إلّا واللّيل مظلم، وأنت على ظهر فرسِك! قبّح الله يا سويد ديناً لا يَصلُح ولا يتمّ إلا بقتل ذوى القَرابة وسفك دماء هذه الأمّة.

قال: ثمّ مضَوا فمرّوا بمسجد بنى ذُهْل فلقوا ذُهَل بن الحارث، وكان يصلّى فى مسجد قومه فيُطيلُ الصلاة، فصادفوه منصرفًا إلى منزله، فشدّوا عليه ليقتُلوه، فقال: اللهمّ إنى أشكو إليك هؤلاء وظلمَهم وجَهلَهم. اللّهمّ إنى عنهم ضعيف، فانتصرْ لى منهم! فضربوه حتّى قتلوه، ثمّ مضَوا ٩١٩/٢ حتّى خرجوا من الكوفة متوجّهين نحو المردَمة.

(١) ب، ف: «على متن».

قال هشام : قال أبو بكر بنُ عَيَّاش : واستقبلَه النَّضرُ بنُ قَعقَاع ابن شوْر الذّهْليّ ، وأمّه ناجية بنت هانئ بن قَبيصة بن هانئ الشّيبانيّ فأبطَره حين نظر إليه — قال : يعني بقوله : «أبطرَه» أفزعه[١] — فقال : السلام عليكَ أيّها الأمير ورحمة الله ؛ قال له[٢] سويد مبادرًا : أميرَ المؤمنين ، وَيْلكَ ! فقال : أمير المؤمنين . حتّى خرجوا من الكوفة متوجّهين نحو المردمة ، وأمر الحجّاج المنادىَ فنادَى : يا خيلَ الله اركبى وأبْشِرى ، وهو فوق بابِ القَصْر ، وثَمّ مصباحٌ مع غلام له قائم ، فكان أوّل من جاء إليه من الناس عثمان بن قَطَن بن عبد الله بن الحصين ذى الغُصّة ، ومعه مواليه ، وناس من أهله ، فقال : أنا عثمان بن قَطَن ، أعلموا الأمير مكانى ، فليأمر[٣] بأمره ، فقال له ذلك الغلام : قفْ مكانك حتّى يأتيَك أمرُ الأمير ، وجاء الناسُ من كلّ جانب ، وبات عثمانُ فيمن اجتمع إليه من الناس حتّى أصبح .

ثمّ إن الحجّاج بعث بُسْرَ بن غالب الأسَدىّ من بنى والبة فى ألفى رجل ، وزائدة بن قدامةَ الثقفىّ فى ألفَىْ رجل ، وأبا الضريس مولى بنى تميم فى ألف من الموالى ، وأعيَن — صاحب حمّام أعيَن مَولى بِشْر بن مروان — فى ألف رجل ، وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمّد بن موسى بن طلحة على ٩٢٠/٢ سجِسْتان ، وكتب له عليها عهده ، وكتب إلى الحجّاج : أمّا بعد ، فإذا قدم عليك محمد بن موسى فجهّز معه ألفَىْ رجل إلى سجِسْتان ، وعجّلْ سَراحه . وأمَر عبد الملك محمّد بن موسى بمكاتبة الحجّاج ، فلمّا قدم محمّد ابنُ موسى جعل يتحبّس فى الجَهاز ، فقال له نصحاؤه : تعجّل أيّها الأمير[٤] إلى عَمَلك ؛ فإنّك لا تَدرى ما يكون من أمر الحَجّاج ! وما يبدو له . فأقام على حالِه ، وحدَث من أمرِ شبيب ما حدثَ ، فقال الحجّاج لمحمّد ابن موسى بن طلحة بن عبيد الله : تلقى شبيبًا وهذه الخارجةَ فتجاهِدْهم ثمّ تَمضي إلى عملك ، وبعث الحجّاج مع هؤلاء الأمَراء أيضًا عبد الأعلى بن

---

(١) ب ، ف : «أمهله» .
(٢) ب ، ف : «فقال» .
(٣) ب ، ف : «بمكانى فليأمرنى» .
(٤) ب ، ف : «الرجل» .

عبد الله بن عامر بن كُرَيز القُرَشىّ وزياد بن عمرو العَتَكىّ ، وخرج شبيبٌ حيث خرج من الكوفة ، فأتى المردمة وبها رجل من حضرمَوْت على العُشور يقال له ناجية بن مَرْثد الحضرمىّ ، فدخل الحمّام ودخل عليه شبيب فاستخرجه فضرب عنقه ، واستقبل شبيب النضرَ بن القَعْقَاع بن شَوْر — وكان مع الحجّاج حين أقبلَ من البصرة ، فلمّا طوى الحجّاجُ المنازل خلّفه وراءه — فلما رآه شبيب ومعه أصحابه عرفه ، فقال له شبيب : يا نضر بن القَعْقَاع ، لا حُكم إلّا لله — وإنّما أراد شبيب[1] بمقالته له تَلقينَه ، فلم يفهم النّضر — فقال : ﴿ إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، فقال أصحاب شبيب : يا أمير المؤمنين ؛ كأنّك إنّما تريد بمقالتك أن تلقّنَه . فشدّوا على نضر فقتلوه . ٩٢١/٢

قال : واجتمعتْ تلك الأمراء فى أسفل الفرات ، فترك شبيب الوجهَ الذى فيه جماعةُ أولئك القوّاد ، وأخذ نحو القادسيّة ، ووجّه الحجّاج زَحْر بن قيس فى جَريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس ، وقال له : أتْبع شبيباً حتى تواقعَه حيثما أدركْتَه ، إلّا أن يكون منطلقاً ذاهباً فاتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك ، فلا تبرحْ إن هو أقام حتّى تواقعه ، فخرج زَحْر حتى انتهى إلى السَّيْلحين ، وبلغ شبيباً مَسيرُه إليه ، فأقبل نحوه فالتقيا ، فجعَل زَحْر على ميمنته عبد الله بن كَنّاز النَّهدىّ ، وكان شجاعاً ، وعلى ميسرته عدىّ بن عدىّ بن عميرة الكندىّ الشيبانىّ ، وجمع شبيب خيلَه كلّها كَبْكَبةً واحدة ، ثمّ اعترض بها الصفّ ، فوجف وجيفاً ، واضطرب حتّى انتهى إلى زَحْر بن قيس ، فنزل زَحْر بن قيس ، فقاتل زَحْر حتّى صُرِع ، وانهزم أصحابُه ، وظنّ القومُ أنّهم قد قتلوه ، فلما كان فى السَّحَر وأصابَه البرد قام يتمشّى حتّى دخل قريةً فبات بها ، وحُمل منها إلى الكوفة وبوَجْهه ورأسه بضع عشرة جراحة ما بين ضربة وطعنة ، فمكث أيّاماً ، ثمّ أتى الحجّاج وعلى وجْهه وجراحه القُطن ، فأجْلسه الحجّاج معه على السَّرير ، وقال لمن حوله : مَن سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّةِ يمشى بين الناس وهو ٩٢٢/٢

(١) ب ، ف : « تلقينه بمقالتك هذه » .

شَهِيد فلينظرْ إلى هذا . وقال أصحابُ شبيب لشبيب وهم يظنّون أنّهم قد قتلوا زَحْرًا : قد هزمنا لهم جُنْدًا ، وقَتَلنا لهم أميراً من أمرائهم عظيمًا ، انصرِفْ بنا الآن وافرين ، فقال لهم : إنّ قتلنا هذا الرجل ، وهزيمتنا هذا الجند، قد أرْعبتْ هذه الأمراء والجنود التى بُعِثَتْ فى طلبكم ، فاقصِدوا بنا قصْدَهم ؛ فوالله لئن نحن قتلناهم ما دون الحجّاج من شىء وأخْذ الكوفة إن شاء الله . فقالوا : نحن لرأيك سمع تَبع ،ونحن طوع يديك .

قال : فانقضّ بهم جوادًا حتّى يأتى نَجْران — وهى نَجْران الكوفة ناحية عَيْن التّمر — . ثمّ سأل عن جماعة القوم فخُبّر باجتماعهم برُوذبار فى أسفل الفُرات فى بِهقُباذ الأسفل ، على رأس أربعة وعشرين فرسخًا من الكُوفة . فبلغ الحجّاجَ مسيره إليهم ، فبعث إليهم عبد الرحمن بن الغَرِق مولى ابن أبى عَقِيل — وكان على الحجّاج كريمًا — فقال له : الحقِ بجماعتهم — يَعنِى جماعةَ الأمراء — فأعلِمْهم بمسير المارقة إليهم ، وقل لهم : إنْ جمعكم قتالٌ فأميرُ الناس زائدة بن قدامة، فأتاهم ابن الغرِق فأعْلمهم ذلك ، وانصرَفَ عنهم .

٩٢٣/٢ قال أبو مِخنَف : فحدّثنى عبد الرحمن بن جُنْدب قال : انتهى إلينا شَبيب وفينا سَبعة أمراء على جماعتهم زائدةُ بن قدامة، وقد[1] عبّى كلّ أمير أصحابه على حِدَة ، فى ميمنتنا زيادُ بن عمرو العتكىّ ، وفى ميسرتنا بِشْر بن غالب الأسدىّ ، وكلّ أمير واقف فى أصحابه . فأقبل شبيبٌ حتّى وقف على تَلّ ، فأشرف على الناس وهو على فرس له كُمَيت أغرّ ، فنظر إلى تعبيتهم ، ثمّ رجع[2] إلى أصحابه، فأقبل فى ثلاث كتائب يوجفون ، حتّى إذا دنا من الناس مضتْ كتيبةٌ فيها سُوَيد بن سُليم ، فتقف فى ميمنتنا ، ومضت كتيبة فيها مَصاد أخو شبيب ، فوقفتْ على ميسرتنا ، وجاء شبيبٌ فى كتيبة حتّى وقف مُقابِل القلب . قال : وخرج زائدةُ ابنُ قدامة يسيرُ فى الناس فيما بين ميمنتهم إلى ميسرتهم يحرّض الناس ويقول :

---

(١) ب ، ف : « فعبى » . (٢) ب ، ف : « ورجع » .

يا عبادَ الله ، أنتم الكثيرُون الطيبّون ، وقد نزل بكم القليلون الخبيثون ، فاصبروا — جُعِلت لكم الفِداء — لكرّتَين أو ثلاث تكرّون عليهم ، ثم هو النّصر ليس بينه حاجز ولا دونه شيء . ألا ترْون إليهم والله ما يكونون مائتي رجل ، إنّما هم أكلَة رأس ، إنّما هم السّرّاق المُرّاق ، إنّما جاءوكم ليُهَرِيقوا دماءكم ، ويأخذوا فَيئَكم ، فلا يكونوا على أخذه أقوَى منكم على منْعه ، وهم قليل وأنتم كثير ، وهم أهلُ فُرْقة وأنتم أهلُ جماعة ، غُضّوا الأبصار ، واستقبلوهم بالأسنّة ، ولا تَحملوا عليهم حتى آمركم ، ٩٢٤/٢ ثمّ انصرف إلى مَوْقفه .

قال : ويَحْمِل سُوَيد بنُ سليم على زياد بن عَمرو ، فانكشف صفّهم ، وثَبَت زياد في نحو من نصف أصحابه ، ثمّ ارتفع عنهم سُوَيد قليلا ، ثم كرّ عليهم ثانيةً ، ثمّ اطّعنوا ساعة .

قال أبو مِخنَف : فحدّثني فروة بن لقيط ، قال : أنا والله فيهم يومئذ ، قال : اطّعَنّا ساعةً وصبروا لنا حتّى ظننتُ أنّهم لن يزولوا ، وقاتل زياد بنُ عمرو قتالا شديداً ، وجعل[1] ينادي : يا خيلي ، ويشُدّ بالسيف فيقاتِل قتالا شديداً ، فلقد رأيتُ سويدَ بنَ سليم يومئذ وإنّه لأشجع العرب وأشدّه قتالاً ، وما يُعرض له . قال : ثمّ إنا ارتفَعْنا عنهم آخِراً فإذا هم يتقوّضون ، فقال له أصحابه : ألا تراهم يتقوّضون ! احْمِل عليهم ، فقال لهم شبيب : خلّوهم حتّى يَخِفّوا ، فتركُوهم قليلا ، ثم حمل عليهم الثالثة فانهزموا . فنظرت إلى زياد ابن عمرو وإنّه ليُضرَب بالسيف[2] وما مِن سيف يُضْرَب به إلّا نبا عنه وهو مجفّف ، ولقد رأيته اعتوره أكثرُ من عشرين سيفاً فما ضرّه من ذلك شيء . ثمّ إنه انهزم وقد جُرِح جراحةً يسيرة ، وذلك عند المساء .

قال : ثمّ شدَدْنا على عبد الأعلى بن عبدِ الله بن عامر فهزمناه ، وما قاتَلَنا كثيرَ قتال ، وقد ضارب ساعةً ، وقد بلغني أنه كان جُرِح ثمّ لحق بزياد بن عمرو ، فمضينا منهزمين حتى انتهينا إلى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب ، فقاتلنا قتالاً شديداً وصبر لنا . ٩٢٥/٢

---

(١) ب ، ف : « وحمل » . (٢) ب ، ف : « بالسيوف » .

ذكر هشامٌ عن أبي مِخنَف ، قال : حدّثني عبد الرحمن بن جندَب وفروة بن لقيط ،أن أخا شبيب مصاداً حمل على بِشْر بن غالب وهو في الميسرة ، فأبْلَى وكرُم واللهِ وصبر ، فنزل ونزل معه رجالٌ من أهل الصَّبر نحوٌ من خمسين ، فضارَبوا بأسيافهم حتّى قُتِلوا عن آخِرهم ، وكان فيهم عروة بنُ زهير بنِ ناجذ الأزْديّ ، وأمه زارة امرأة ولدتْ في الأزْد ، فيقال لهم بنو زارة ، فلمّا قَتلوه وانهزَم أصحابُه مالُوا فشدّوا على أبي الضُّرَيْس مولى بني تميم ، وهو يلي بِشر بن غالب ، فهزموه حتى انتهَى إلى موقف أعيَن، ثمّ شدّوا عليه وعلى أعيَن جميعاً فهزموهما حتّى انتهوا بهما إلى زائدةَ بن قدامة ، فلمّا انتهوا إليه نزل ونادى : يا أهل الإسلام ، الأرضَ الأرض، إليّ إليّ! لا يكونوا على كُفْرهم أصبر منكم على إيمانِكم؛ فقاتلهم عامّةَ اللّيل حتّى كان السّحَر . ثمّ إنّ شبيباً شدّ عليه في جماعة من أصحابه فقتَله وأصحابه وتركهم رِبْضةً حولَه من أهلِ الحِفاظ .

قال أبو مخنف : وحدّثني عبد الرحمن بن جندب قال : سمعتُ زائدةَ ابنَ قدامة ليلتئذ رافعاً صوتَه يقول : يأيها الناس ، اصبروا وصابِروا ، ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾. ثمّ والله ما برَح يقاتلُهم مقبلا غيرَ مدبر حتّى قُتِل .

٩٢٦/٢

قال أبومِخنَف : وحدّثني فروة بنُ لَقيط أنّ أبا الصُّقَيْر الشّيبانيّ ذكر أنه قتَل زائدة بن قدامة ، وقد حاجّه في ذلك آخر يقال له الفَضْل ابن عامر . قال : ولمّا قتَل شبيبٌ زائدةَ بنَ قدامة دخل أبو الضُّرَيس وأعيَن جَوْسَقاً عظيماً ، وقال شبيب لأصحابه : ارفَعوا السيف عن الناس وادعوهم إلى البَيْعة ، فدَعَوْهم إلى البيعة عند الفَجْر .

قال عبدُ الرحمن بن جُنْدَب : فكنتُ فيمن قدم إليه فبايعه وهو واقفٌ على فرس وخيلُه واقفة دونه ، فكلّ من جاء ليبايِعه نُزِع سيفُه عن عاتقِه ، وأخِذ سلاحُه منه ، ثم يُدْنَى من شبيب فيسلّم عليه بإمرة المؤمنين ، ثم يخلّى سبيله . قال : وإنّا لكذلك إذ انفجر الفَجْر ومحمّد بن

موسى بن طلحة بن عبيد الله فى أقصى العسكر ، معه عصابةٌ من أصحابه قد صبروا ، فلمَّا انفجر الفجر أمر مؤذِّنه فأذّن ، فلمَّا سَمِع شبيب الأذان قال : ما هذا ؟ فقال : هذا محمَّد بن موسى بن طلحة بن عُبيد الله لم يبرَح ؛ فقال : قد ظننت أنّ حُمقه وخُيَلاءه سيحمله على هذا ؛ نَحُّوا هؤلاء عنَّا وانزلوا بنا فلنُصلِّ . قال : فنزل فأذّن هو ، ثمّ استقدم فصلَّى بأصحابه ، فقرأ : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[1] ، و ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾[2] ، ثم سلَّم ، ثم ركبوا فحَمَل عليهم فانكشفت طائفة من أصحابه ، وثبتتْ طائفة . قال فروة : فما أنسى قوله وقد غَشيْناه وهو يقاتل بسيفه وهو يقول : ﴿ آلم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[3] . ٩٢٧/٢

قال : وضارب حتَّى قتِل . قال : فسمعتُ أصحابى يقولون : إنّ شبيبًا هو الَّذى قتله. ثمّ إنَّا نزلْنا فأخذنا ما كان فى العسكر من شىء ، وهرب الذّين كانوا بايعوا شبيبًا ، فلم يبق منهم أحد .

* * *

وقد ذكر من أمر محمَّد بن موسى بن طلحة غيرُ أبى مِخنَف أمرًا غير الَّذى ذكرته عنه ، والذى ذكر من ذلك أنّ عبدَ الملك بن مروان كان ولّى محمَّدَ بن موسى بن طلحة سِجِستان ، فكتب إليه الحجَّاج : إنك عامل كلّ بلد مررت به ، وهذا شبيب فى طريقك . فعدل إليه محمَّد ، فأرسل إليه شبيب : إنك امرؤ مخدوع ، قد اتَّقى بك الحجَّاج ، وأنت جارٌ لك حقّ ، فانطلِقْ لِما أمِرتَ به ولك الله لا آذَيْتك ، فأبى إلّا محاربته ، فواقفه شبيب ، وأعاد إليه الرسول ، فأبى إلّا قتاله ، فدعا إلى البراز ، فبرز إليه البطين ثم قعنب ثم سويد ، فأبى إلّا شبيبًا ، فقالوا لشبيب : قد رغب عنا إليك ، قال : فما ظنّكم هذه[4] الأشراف ! فبرز إليه شبيب ، وقال[5] : إنى أنشدُكَ اللهَ فى دَمِكَ ، فإنّ لك جِوارًا . فأبى إلّا قِتاله ، فحَمَل عليه شبيبٌ فضربه بعصا حديدٍ

---

(١) سورة الهمزة:١ . (٢) سورة الماعون:١ .
(٣) سورة العنكبوت:١ – ٣ . (٤) ا ، ب ، ف : « هاهم » .
(٥) ب ، ف : « فقال » .

فيها اثنا عشرَ رطلا بالشأميّ ، فهشم بها بيضة عليه ورأسه فسقط ، ثم كفّنه ودفنه ، وابتاع ما غنموا من عسكره ، فبعث به إلى أهله ، واعتذر إلى أصحابه ٢/٩٢٨ وقال : هو جارى بالكوفة ، ولى أن أهَبَ ما غنمتُ لأهل الرِّدّة .

قال عمرُ بنُ شبّة : قال أبو عبيدة : كان محمّد بنُ موسى مع عمر ابن عبيدالله بن معمر بفارس ، وشهدمعه قتال أبى فُدَيك وكان على ميمنته ، وشُهِر بالنَّجْدة[1] وشدة البأس[2] وزوّجه عمر بن عُبيدالله بن معمر ابنتَه أمّ عثمان وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان — فولاه سِجِسْتان ، فمرّ بالكوفة وبها[3] الحجّاج بن يوسف ، فقيل للحجّاج : إن صار هذا إلى سِجِسْتان مع نجدته وصهْره لعبد الملك فلجأ إليه أحد ممّن تطلب ، مَنَعَك منه ؛ قال : فما الحيلة ؟ قيل : تأتيه وتسلّم عليه ، وتذكر نجدته وبأسه وأنّ شبيبًا فى طريقه ، وأنّه قد أعياك ، وأنّك ترجو أن يريحَ الله منه على يده ، فيكون له ذكر ذلك وشهرته . ففعل ، فعدل إليه محمّد بن موسى بن طلحة بن عُبيد الله ، فواقعه شبيب ، فقال له شبيب : إنى قد علمتُ خِداعَ الحجّاج ، وإنّما اغترّك ووَقى بك نفسَه ، وكأنى بأصحابك لو قد التقَتْ حَلْقَتَا البِطان قد أسلَموك ، فصُرعتَ مَصرع أصحابك ؛ فأطِعْنى وانطلِق لشأنِك ، فإنى أنفسُ بك عن الموت ؛ فأبَى محمّد بن موسى ، فبارَزَه شبيب فقتله .

* * *

٢/٩٢٩ رجع الحديث إلى حديث أبى مِخنَف . قال عبدُ الرحمن : لقد كان فيمن بايعَه تلك الليلة أبو بُرْدة بن أبى موسى الأشعرىّ ، فلمّا بايعه قال له شبيب : ألَسْتَ أبا بردة ! قال : بلى ؛ قال شبيب لأصحابه : يا أخلاَّئى ، أبو هذا أحد الحَكَمين ، فقالوا : ألا نقتل هذا ؟ فقال : إنّ هذا لا ذنبَ له فيما صنع أبوه ؛ قالوا : أجل قال : وأصبح شبيب : فأتى مُقبِلا نحوَ القَصْر الّذى فيه أبو الضُّريس وأعيَن

---

(١) ب : « وكان مشهوراً » . (٢) ب ، ف : « واليأس » .

(٣) ب ، ف : « وفيها » .

فرَموه بالنَّبل ، وتحصَّنا منه ، فأقام ذلك اليوم عليهم ، ثمّ شخص عنهم ، فقال له أصحابُه : ما دون الكوفة أحد يمنعنا ؛ فنظر فإذا أصحابُه قد جُرِحوا[١] ؛ فقال لهم : ما عليكم أكثر ممَّا قد فعلتم ، فخرج بهم على نِفَّر ، ثمّ على الصَّراة ، ثمّ على بَغْداد ، ثم خرج إلى خانيجار فأقام بها .

قال : ولمَّا بلغ الحجَّاجَ أن شبيبًا قد أخذ نحو نِفَّر ظَنّ أنَّه يريد المدائن — وهى باب الكوفة ، ومَن أخذ المدائن كان ما فى يده من أرض الكوفة أكثر — فهال ذلك الحجَّاج ، وبعث إلى عثمان بن قَطَن ، ودعاه وسرّحه إلى المدائن ، وولّاه منبرها والصّلاة ومعونة جُوخى كلّها وخراجَ الأسْتان . فخرج مسرعًا حتَّى نزل المدائن ، وعزل الحجَّاجُ عبدَ الله بن أبى عُصَيفير ؛ وكان بها الجَزْل مقيمًا أشهرًا يُداوِى جراحتَه ، وكان ابن أبى عصيفير يعوده ويكرمه ، فلمَّا قدم عثمانُ بن قطن المدائن لم يَعُدْه ، ولم يكن يتعاهده ولا يُلطِفه بشىء ، فقال الجزل : اللّهمّ زِد ابنَ عصيفير جودًا وكرمًا وفضلا ، وزد عثمان بن قطن ضيقًا وبخلا . قال : ثم إن الحجَّاج دعا عبدَ الرّحمن بنَ محمد بن الأشعث فقال : انتخِب الناس ، واخرجْ فى طلب هذا العدوّ ، فأمره بنُخْبة ستَّة آلاف ، فانتخب فُرْسان الناس ووجوههم ، وأخرج من قومِه ستَّمائة من كِنْدة وحَضْرَموت ، واستحثَّه الحجَّاجُ بالعسكر ، فعسكر بدير عبد الرحمن ، فلمَّا أراد الحجَّاج إشخاصَهُم كتب إليهم : ٩٣٠/٢

أما بعد ، فقد اعتدتُم عادةَ الأذلّاء ، ووليّتم الدُّبر يومَ الزَّحْف ، وذلك دأب الكافرين ، وإنى قد صفحتُ عنكم مرّة بعد مرّة ، ومرّة بعد مرّة . وإنى أقسِم لكم بالله قَسَمًا صادقًا لئن عدتم لذلك لأوقِعنّ بكم إيقاعًا أكون أشدّ عليكم من هذا العدوّ الذى تَهرُبون منه فى بطون الأودية والشِّعاب ، وتَستترون منه بأثناء الأنهار وألْواذ[٢] الجبال ، فخافَ من له مَعقولٌ على نفسه ، ولم يَجعل عليها سبيلاً ، وقد أعذَر من أنذَر

وقد أسمعتَ لَوْ ناديتَ حَيًّا ولكنْ لا حياةَ لمن تُنادِى[٣]

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « حرجوا » . (٢) لوذ الجبل : جانبه .

(٣) لعمرو بن معد يكرب ، سرح العيون ٤٦٦ .

والسلامُ عليكم .

قال : ثمّ سرّح ابن الأصمّ مؤذّنَه ، فأتى عبدَ الرحمن بن محمّد ابن الأشعث عندَ طلوع الشمس ، فقال له : ارتحِلْ الساعةَ ونادِ فى الناس : أن برئتِ الذّمّةُ من رجل من هذا البَعْث وَجَدْناه متخلفاً . فخرج عبدُ الرّحمن بنُ محمد بن الأشعَث فى الناس حتّى مَرّ بالمدائن فنزل يوماً وليلةً ، وتشرّى أصحابه حوائجَهم ، ثمّ نادَى فى الناس بالرّحيل ، فارتَحلوا ، ثمّ أقبلوا حتى دَخل على عثمان بن قَطن ، ثم أتى الجَزْلَ فسَأله عن جِراحَته ، وسأله ساعةً وحدثه . ثم إنّ الجَزْل قال له : يا بن عمّ : إنّك تسير إلى فُرْسان العَرَب وأبناءِ الحرب ، وأحْلاس الخيل ، واللهِ لكأنّما خُلِقوا من ضُلوعها ، ثم بُنوا على ظهورِها ، ثم هم أسْد الأجَم ، الفارسُ منهم أشدّ من مائة ، إن لم تبدأ به بدأ ، وإن هُجْهِج أقدَم ، فإنى قد قاتلتُهم وبلَوْتُهم ، فإذا أصحرتُ لهم انتَصفوا مِنّى ، وكان لهم الفضل علىّ ، وإذا خَندقت علىّ وقاتلتُهم فى مَضيق نلتُ منهم بعضَ ما أحِبّ ، وكان لى عليهم الظّفَر ، فلا تلقهم وأنت تستطيع إلا فى تعبيةٍ أو فى خندق . ثمّ إنه ودّعه ، فقال له الجَزْل : هذه فَرَسى الفُسَيْفِساء ، خُذْها فإنّها لا تجارَى . فأخَذَها ثمّ خرج بالناس نحو شبيب ، فلمّا دنا منه ارتفع عنه شبيبٌ إلى دَقُوقاء وشَهْرَزُور ، فخرج عبدُ الرحمن فى طلبه ، حتّى إذا كان على التخوم أقام ، وقال : إنمّا هو فى أرض المَوْصِل ، فليقاتِلوا عن بلادهم أو ليَدَعوه ، فكتب إليه الحجّاج بنُ يوسف :

أمّا بعد ، فاطلب شبيباً واسلُكْ فى أثَرِه أين سلَك حتّى تُدرِكَه فتقتله أو تَنفِيَه ، فإنّما السلطان سلطانُ أميرِ المؤمنين والجندُ جندُه . والسلام .

فخرج عبدُ الرحمن حين قرأ كتابَ الحجّاج فى طلب شبيب ، فكان شبيبٌ يدَعه حتى إذا دنا منه بيّته ، فيجده قد خندق على نفسه وحَذِر ، فيمضِي ويَدَعُه ، فيتبعه عبد الرحمن ، فإذا بلغه أنّه قد تحمّل وأنّه يسير أقبل فى الخيل ، فإذا انتهى إليه وجَده قد صَفّ الخيل والرّجال وأدنى

٩٣١/٢
٩٣٢/٢

المرامية ، فلا يصيبُ له غِرّة ولا له عِلَّة ، فيمضِي ويدعه .

قال : ولمَّا رأى شبيب أنَّه لا يصيب لعبد الرحمن غِرّةً ولا يصل إليه ، جعل يَخرُج إذا دنا منه عبد الرحمن فى خيله ، فينزل على مسيرةِ عشرين فرسخًا ، ثمّ يقيم فى أرض غَليظة حَزْنة[1] ، فيجىء عبد الرحمن ، فإذا دنا من شبيب ارتحل شبيب فسار خمسةَ عشرَ أوعشرين فرسخًا ، فنزل منزلا غليظًا خَشِنًا ، ثم يقيم حتَّى يدنوَ عبد الرحمن .

قال أبو مخنف : فحدّثنى عبد الرحمن بن جُندب أنّ شبيبًا كان قد عَذّب ذلك العسكرَ وشقّ عليهم ، وأحفى دوابَّهم ، ولَقُوا منه كلّ بلاء ، فلم يزل عبد الرحمن يتَّبعه حتَّى مرّ به على خانِقين ثمّ على جلولاء ثم على تامرّا ، ثمّ أقبَل حتَّى نزل البتّ — قرية من قُرَى المَوْصل على تُخوم المَوْصِل ، ليس بينها وبين سواد الكوفة إلّا نهر يسمَّى حَولايا — قال : وجاء عبدُ الرحمن بنُ محمَّد بن الأشعث حتَّى نزل فى نهر حولايا وفى راذان[2] الأعلى من أرض جُوخَى ، ونزل عَواقيل من النَّهر ، ونزلها عبدُ الرحمن حيث نزلها وهى تُعجِبه ، يرى أنَّها مثل الخندق والحصن . قال : ٩٣٣/٢ وأرسل شبيب إلى عبد الرحمن : إنّ هذه الأيام أيامُ عيدٍ لنا ولكم ، فإن رأيتم أن تُوادِعونا حتَّى تمضى هذه الأيَّام فافعلوا . فقال له عبدُ الرحمن : نعم ، ولم يكن شىء أحبّ إلى عبدِ الرحمن من المطاولة والموادعة . قال : وكتب عثمان بنُ قَطَن إلى الحجَّاج :

أمَّا بعد ، فإنى أخبِر الأميرَ أصلَحه الله أنّ عبد الرحمن بنَ محمَّد قد حَفر جُوخَى كلَّها خَندَقًا واحدًا ، وخلَّى شبيبًا وكسر خَراجها وهو يأكل أهلَها . والسلام .

فكتب إليه الحجَّاج :

أمَّا بعد ، فقد فهمتُ ما ذكرتَ لى عن عبد الرحمن ، وقد لَعَمرى فعل

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « جدبة » . (٢) ب ، ف : « وهو فى رازان » .

ما ذكرت ، فسِرْ إلى الناس فأنتَ أميرُهم ، وعاجِل المارقةَ حتّى تلقاهم ، فإن الله إن شاء الله ناصِرُك عليهم . والسلام .

قال : وبعث الحجّاج إلى المدائن مطرّف بن المغيرة بن شعبة ، وخرج عثمان حتى قدِم على عبد الرحمن بن محمّد ومَنْ معه من أهل الكوفة وهم مُعسكرون على نهر حَوْلايا قريبًا من البتّ ، عشيّة الثلاثاء ، وذلك يوم التّروية ، فنادى الناس وهو على بغلة : أيّها الناس ، اخرجوا إلى عدوّكم . فوثب إليه الناس ، فقالوا : نُنْشِدك اللهَ ، هذا المساءُ قد غَشِينا ، والناس لم يُوطِّنوا أنفسهم على القتال ، فبت الليلة ثمّ اخرج بالناس على تعبية . فجعل يقول : لأناجزنّهم ، ولتكوننّ الفرصة لى أوْ لهم . فأتاهم عبد الرحمن فأخذ بعنان دابّته ، وناشده الله لمّا نزل ، وقال[1] له عَقيلُ بنُ شدّاد السّلُولىّ : إن الّذى تريد من مُناجزتهم الساعةَ أنت فاعلُه[2] غدًا ، وهو غدًا خيرٌ لك وللناس . إن هذه ساعة رِيح وغُبْرة ، وقد أمسيت فانزل ، ثمّ أبكِرْ بنا إليهم غُدْوةً . فنزل ، فسَفت عليه الريحُ ، وشقّ عليه الغُبارُ . ودعا صاحب الخراج العُلُوج فبَنوا له قُبّةً فبات فيها ، ثمّ أصبح يومَ الأربعاء ، فجاء أهلُ البتّ إلى شبيب — وكان قد نزل ببِيعتهم — فقالوا : أصلحك الله! أنت ترحم الضّعفاء وأهلَ الجِزْية ، ويكلّمك مَنْ تلى عليه ، ويَشْكون إليك ما نزل بهم فتنظر لهم ، وتكفّ عنهم ، وإنّ هؤلاء القوم جبابرة لا يُكلّمون ولا يَقْبَلون العُذْر ، والله لئن بَلغهم أنّك مقيم فى بيعتنا لَيقتلُنّنا إن قُضِى لك أن ترتَحِل عنّا ، فإن رأيتَ فانزل جانبَ القَرْية ولا تجعل لهم علينا مقالًا ، قال : فإنى أفعل ذلك بكم ، ثمّ خرج فنزل جانبَ القَرْية . قال : فباتَ عثمان ليلتَه كلّها يحرّضهم ؛ فلمّا أصبح — وذلك يومَ الأربعاء — خرج بالنّاس فاستقبلتهم ريحٌ شديدة وغبرة ، فصاحَ الناس إليه ، فقالوا[3] : نُنْشدُك الله أن تخرج بنا فى هذا اليوم ، فإنّ الريح علينا ! فأقام بهمْ ذلك اليوم ، وأراد شبيبٌ قتالهم ، وخرجَ أصحابُه ، فلمّا رآهم لم يَخرجُوا إليه أقام ، فلمّا كان

٩٣٤/٢

---

(١) س : « فقال » . (٢) ب ، ف : « قادر عليه » .

(٣) ب ، ف : « وقالوا له » .

ليلة الخميس خرج عثمانُ فعبّى الناسَ على أرباعِهم ، فجعل كلّ رُبْع فى جانب العسكر ، وقال لهم : اخرُجوا على هذه التعبية ، وسألهم : من كان على ميمنتكم ؟ قالوا : خالدُ بنُ نَهيك بن قيس الكِنْدىّ ، وكان على ميسرتنا عَقِيل بنُ شدّاد السَّلولىّ ، فدعاهما فقال لهما : قفا مواقفكما الّتى كنتما بها ، فقد ولّيتكما المجنّبتيْن ، فاثبتا ولا تَفرّا ، فوالله لا أزول حتّى يزول نَخْل راذان عن أصوله . فقالا : ونحن والله الّذى لا إله إلا هو لا نَفِرّ[١] حتّى نظفر أو نُقتَل[١] ، فقال لهما : جزاكما اللهُ خيرًا . ثمّ أقام حتّى صلّى بالناس الغداة ، ثمّ خرج فجعل ربْع أهل المدينة تميم وهَمْدان نحوَ نهر حَوْلايا فى الميسَرة ، وجعل ربع كِندة وربيعةَ ومَذحِج وأسَد فى الميمنة ، ونزل يمشى فى الرّجال ، وخرج شبيب وهو يومئذ فى مائة وأحد وثمانين رجلا ، فقطع إليهم النّهر ، فكان هو فى ميمنة أصحابه ، وجعل على ميسرته سُوَيد بن سُليم ، وجعل فى القلب مصاد بن يزيدَ أخاه ، وزحفوا وسما[٢] بعضُهم لبعض . ٩٣٥/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى النّضر بنُ صالح العبسىّ أنّ عثمان كان يقول فيُكثر : ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٣] . أين المحافظون على دينهم ، المحامون عن فيئهم! فقال عَقيل بن شَدّاد بن حُبْشى السَّلُولىّ : لعلّى أن أكون أحدَهم ، قتِل أولئك يومَ رُوذْبار . ثم قال شبيب لأصحابه : إنى حاملٌ على ميسرتهم ممّا يلى النهر ، فإذا هزمتُها فليحمِل صاحبُ ميسرتى على ميمنتهم ، ولا يبرح صاحب القلب حتى يأتيَه أمرى . وحمل فى ميمنة أصحابه ممّا يلى النّهر على ميسرة عثمانَ بن قَطَن فانهزموا ، ونزل عقيل بنُ شدّاد فقاتلَ حتّى قُتِل ، وقُتل يومئذ مالكُ بنُ عبد الله الهمْدانىّ ثمّ المرُهبىّ[٤] ، عمّ عيّاش بن عبد الله بن عيّاش المنْتوف ، وجعل يومئذ عَقيل بنُ شَدّاد يقول وهو يُجالِدهم : ٩٣٦/٢

لأَضْرِبَنّ بالحُسَام الباتِرِ ضَربَ غُلَامٍ مِنْ سَلُولٍ صابر

(١-١) ب ، ف : « لا نفر نشهد الله الذى لا إله إلا هو علينا بذلك » .
(٢) ب ، ف : « وتسمى » . (٣) سورة الأحزاب: ١٦ .
(٤) ب ف ، «الموهبى » .

ودخل شبيب عسكرَهم ، وحمل سُويد بن سليم فى مَيسَرة شبيب على ميمنة عثمان بن قَطَن فهزَمها ، وعليها خالد بن نهيك بن قيس الكندىّ ، فنزل خالد فقاتل [(١)] قتالاً شديداً ، وحمل عليه شبيبٌ من ورائه وهو على ربْع كِندة وربيعةَ يومئذ ، وهو صاحب الميمنة ، فلم ينثنِ شبيبٌ حتى علاه [(٢)] بالسيف فقتله ، ومضى عثمان بن قَطَن وقد نزلت معه العُرَفاء وأشرافُ الناس والفُرسان نحو القلب ، وفيه أخو شبيب فى نحو من ستين راجلا ، فلمّا دنا منهم عثمانُ بنُ قطَن شدّ عليهم فى الأشراف وأهلِ الصبر فضاربوهم حتّى فرّقوا بينهم ، وحمل شبيب بالخيل من ورائهم ، فما شعروا إلّا والرّماح فى أكتافهم تُكبّهم لوجُوهِهم ، وعطَف عليهم سُوَيد بنُ سليم أيضاً فى خيْله ، ورجع مصاد وأصحابُه ، وقد كان شبيب رَجّلهم ، فاضطربوا ساعةً ، وقاتل عثمان بن قَطَن فأحسنَ القتال. ثم إنّهم شدّوا عليهم فأحاطوا به ، وحمَل عليه مصاد أخو شَبيب فضربه ضربةً بالسيف استدارَ لها ، ثمّ قال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ [(٣)] . ثمّ إنّ الناس قتلوه ، وقُتل يومئذ الأبْرَد بنُ ربيعة الكِنْدىّ ، وكان على تَل ، فألقى سلاحه إلى غلامه وأعطاهُ فرسه ، وقاتل حتى قُتِل . ووقع عبدُ الرحمن فرآه ابن أبى سَبْرة الجُعفىّ وهو على بغلة فعرَفه ، فنزل إليه فناوَله الرّمح وقال له : اركب ، فقال عبد الرحمن ابن محمّد : أيُّنا الرَّديف ؟ قال ابنُ أبى سَبْرة : سبحانَ الله ! أنت الأمير تكون المقدّم ، فركب وقال لابن أبى سَبْرة : ناد فى الناس : الحقوا بدَيْر أبى مَرْيم ، فنادَى ، ثمّ انطلقَا ذاهبَين ، ورأى واصلُ بن الحارث السَّكونىّ فرسَ عبدِ الرحمن الّذى حمله عليه الجزْلُ يَجُول فى العسكر ، فأخذها بعضُ أصحاب شبيب ، فظَنّ أنّه قد هلك ، فطلبه فى القتلى فلم يجدْه ، وسأل عنه فقيل له : قد رأيْنا رجلاقد نزل عن دابّته فحمَله عليها ، فما أخلقه أن يكون إيّاه ؛ وقد أخذ هاهنا آنفاً . فأتبعه واصلُ بنُ الحارث على بِرذَوْنه ومع واصلٍ غلامُه على بغْل ، فلمّا دَنوا منهما قال محمّد بن أبى سَبْرة لعبد الرحمن : قد واللهِ لَحِق بنا فارسان ، فقال عبدُ الرحمن : فهل

٩٣٧/٢

(١) ب ، ف : « وقاتل » .
(٢) ب ، ف : « عطف » .
(٣) الأحزاب : ٣٧ .

غيرُ اثنين ؟ فقال : لا ، فقال عبد الرحمن : فلا يعجز اثنان عن اثنين .
قال : وجعل يحدّث ابن أبى سَبْرة كأنّه لا يكترث بهما ، حتّى لحقهما الرجلان ، فقال له ابنُ أبى سَبْرة : رحمك الله ! قد لحِقَنَا الرّجلان ، فقال له : فانزل بنا ، فنزلا فانتضيا سيفَيهما ، ثمّ مضَيا إليهما ، فلما رآهما ٩٣٨/٢ واصِل عرَفهما ، فقال[1] لهما : إنّكما قد تركتما النزول فى موضعه ، فلا تَنزلا الآن ، ثمّ حسَر العمامةَ عن وجهه ، فعرفاه فرحّبا به ، وقال لابن الأشعث : إنى لمّا رأيتُ فرسك يجولُ فى العسكر ظننتُك راجلا ، فأتيتك ببِرْذَونى هذا لتركَبه ، فترك لابن أبى سَبْرة بغلته ، وركب البِرْذَون ، وانطلق عبدُ الرحمنُ بنُ الأشعث حتّى نزل دَيْر اليعار ، وأمرَ شبيبٌ أصحابَه فرفعوا عن الناس السّيف ، ودعاهم إلى البَيْعة ، فأتاه من بقى من الرّجّالة فبايعوه ، وقال له أبو الصُّقَيْر[2] المحلّمىّ : قتلت من الكوفيّين سبعةً فى جوف النّهر كان آخرهم رجلا تعلّق بثوبى وصاح ، ورهّبنى حتّى رهبْتُه ، ثمّ إنى أقدَمْت عليه فقتَلتُهُ . وقُتل من كندة مائة وعشرون يومئذ وألفٌ من سائرِ الناس أو ستّمائة ، وقُتِل عُظْم العُرَفاء يومئذ .

قال أبو مِخنَف : حدّثنى قُدامة بن حازم بن سُفْيان الخثْعمىّ أنّه قتَل منهم يومئذ جماعةً ، وبات عبد الرحمن بنُ محمّد تلك الليلة بدَير اليعار ، فأتاه فارسان فصعِدا إليه فوقَ البيت ، وقام آخرُ قريبًا منهما فخلا أحدُهما بعبد الرحمن طويلا يناجيه ، ثمّ نزل هو وأصحابُه ، وقد كان الناسُ يتحدّثون أنّ ذلك كان شبيبًا ، وأنّه قد كان كاتبه ، ثمّ خرج عبد الرحمن آخر الليل فسار حتى أتى دَيْرَ أبى مريم ، فإذا هو بأصحاب الخيل قد وَضع ٩٣٩/٢ لهم محمّد بن عبدالرحمن بن أبى سَبْرة صُبَرَ الشّعير والقَتّ بعضهُ على بعض كأنه القُصور ، ونحر لهم من الجزر[3] ما شاءوا ، فأكلوا يومئذ ، وعلفوا دوابّهم ، واجتمع الناسُ إلى عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث فقالوا له : إنْ سمعَ شبيبٌ بمكانك أتاك وكنتَ له غنيمة ، قد ذهب الناس وتفرّقوا وقُتِل خيارهم فالحقْ أيها الرجل بالكوفة . فخرج إلى الكوفة ورجع الناسُ أيضًا ، وجاء

(١) ب ، ف : « وقال » . (٢) ط : « الصفر » . (٣) ا : « الجزور » .

فاختبأ من الحجّاج حتّى أخذ الأمانَ بعد ذلك .

* * *

[نقش الدنانير والدراهم بأمر عبد الملك بن مروان]

وفى هذه السّنة أمر عبدُ الملك بن مروان بنَقْش الدّنانير والدّراهم . ذكَر الواقدىّ : أنّ سعدَ بن راشد حدّثه عن صالح بن كَيْسان بذلك .

قال : وحدّثنى ابن أبى الزّناد ، عن أبيه ، أنّ عبدَ الملك ضرب الدراهمَ والدّنانير عامئذ ، وهو أوّل من أحدَث ضرْبَها .

قال : وحدّثنى خالدُ بنُ أبى ربيعة، عن أبى هلال ، عن أبيه ، قال : كانت مثاقيلُ الجاهلية الّتى ضرَبَ عليها عبدُ الملك اثنين وعشرين قيراطًا إلاّ حبّةً ، وكان العشرةُ وزنَ سبْعة .

قال : وحدّثنى عبد الرحمن بن جرير اللّيْثىّ عن هلال بن أسامة قال : سألتُ سعيدَ بن المسيّب فى كَمْ تَجِب الزكاة من الدّنانير ؟ قال : فى كلّ عشرين مثقالاً بالشأمىّ نصفُ مثقال ، قلت : ما بالُ الشأمى من المصرىّ ؟ ٩٤٠/٢ قال : هو الّذى تُضرب عليه الدّنانير . وكان ذلك وزنْ الدّنانير قبل أن تُضرَب الدّنانير ، كانت(٢) اثنين وعشرين قيراطًا إلاّ حبّة، قال سعيد . قد عرفتهُ، قد أرسلتُ بدَنانيرَ إلى دِمَشق فضُرِبتْ على ذلك .

* * *

وفى هذه السّنة : وفد يحيى بن الحَكَم على عبدِ الملك بنِ مرْوان ووَلِىَ أبانُ بنُ عثمانَ المدينةَ فى رجب.

وفيها استُقضِىَ أبانُ بنُ نوفل بن مُساحِق بن عَمرو بنِ خِداش من بنى عامر بن لؤىّ .

وفيها وُلِد مروانُ بنُ محمّد بن مرْوان .

وأقام الحجّ للناس فى هذه السنة أبانُ بنُ عثمانَ وهو أميرٌ على المدينة ، حدّثنى بذلك أحمدُ بنُ ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاقَ بنِ عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ .

وكان على الكوفة والبصرة الحجّاج بن يُوسف ، وعلى خُراسانَ أميّة بنُ عبدالله بن خالد ، وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح ، وعلى قضاء البَصْرة زُرارة بن أوْفى .

ثم دخلتْ سنة سبع وسبعين

[محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حَوِية وقتلهما]

فى هذه السنة قتل شبيبٌ عتَّاب بن ورقاءَ الرِّياحىّ وزُهرة بنَ حَوِيّة

* ذكر الخبر عن سبب مقتلهما :

وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام[1] عن أبى مخنف ، عن عبد الرحمن ابن جندَب وفَرْوة بن لَقِيط ، أنّ شبيبًا لمَّا هزم الجيشَ الّذى كان الحجّاج وجَّهَه[2] مع عبد الرحمن بن محمَّد بن الأشعث إليه ، وقتَل عثمان ابن قطن ، وذلك فى صَيْف وحرّ شديد ، اشتدّ الحرّ عليه وعلى أصحابه ، فأتَى ماه بَهْزاذان فتصيَّف بها ثلاثة أشهر ، وأتاه ناسٌ كثير ممَّن يطلب الدُّنيا فلَحِقُوا به ، وناس ممَّن كان الحجّاج يَطلبهم بمال أو تَباعات ؛ كان منهم رجلٌ من الحىّ يقال له الحرّ بنُ عبد الله بن عَوْف ، وكان دِهْقانان من أهل نهر دُرْقيط قد أساءَا إليه وضَيَّقَا عليه ، فشدّ عليهما فقتَلهما ، ثم لَحِق بشبيب فكان معه بماه ، وشَهِد معه مواطنَه حتّى قُتل ، فلمَّا آمن الحجَّاجُ كلَّ مَنْ كان خرَج إلى شبيب من أصحاب المال والتِّباعات — وذلك بعد يوم السَّبَخة — خرج إليه الحرّ فيمن خرج ، فجاء أهلُ الدّهقانَين يَستعدُون عليه الحجَّاج ، فأتِىَ به فدخل ، وقد أوصى ويئِس من نفسه ، فقال له الحجّاج : يا عدوّ الله ، قتلتَ رَجُلين من أهل الخراج ! فقال له : قد كان أصلَحَك الله ما هو أعظم من هذا ، فقال : وما هو ؟ قال : خروجى من الطاعة وفراق الجماعة ، ثمّ آمنتَ كلَّ من خرج إليك ، فهذا أمانى وكتابُك لى . فقال له الحجَّاج : أوْلى لك ! قد لَعَمْرى فعلتُ ، وخلَّى سبيلَه .

٩٤١/٢

٩٤٢/٢

قال : ولمَّا انفسخ الحرّ عن شبيب خرج من ماه فى نحو من ثمانمائة رجل ، فأقبل نحو المَدائن وعليها مُطرّف بنُ المغيرة بن شُعْبة ، فجاء

---

(١) ب ، ف بعدها : « بن محمد » . (٢) ب ، ف : « وجهه الحجاج » .

حتّى نزل قناطرَ حُذيفةَ بن اليمَان، فكتب ماذرواسب عظيم بابل مهروذ إلى الحجّاج :

أمّا بعد : فإنى أخبِر الأميرَ أصلَحه اللهُ أنّ شبيبًا قد أقبل حتى نزل قناطر حُذَيفة، ولا أدرى أين يُريد !

فلمّا قرأ الحجّاج كتابَه قام فى الناس فحَمِد اللهَ وأثنى عليه ثمّ قال :

أيها الناس، والله لتقاتِلُنّ عن بلادكم وعن فَيْئكم أو لأبعثنّ إلى قوم هم أطوع وأسمَع وأصبرُ على اللأواء والغيظ منكم، فيقاتلون عدوّكم، ويأكلون فيئكم .

فقام إليه الناس من كلّ جانب، فقالوا : نحن نُقاتِلُهم ونُعتِب الأميرَ، فليندبنا الأميرُ إليهم فإنّا حيث سرّه . وقام إليه زُهْرة بن حَوِيّة وهو شيخ كبيرٌ لا يستتمّ قائمًا حتّى يؤخَذ بيَدِه . فقال له : أصلح اللهُ الأميرَ ! إنّك إنّما تَبعَث إليهم الناسَ متقطّعين، فاستنفِر الناسَ إليهم كافةً فليَنفروا إليهم كافّة[1]، وابعثْ عليهم رجلا ثَبْتًا شُجاعًا مجرّبًا للحرب ممّن يرى الفِرارَ هَضْمًا وعارًا والصبرَ مجدًا وكرمًا . فقال الحجّاج : فأنت ذاك فاخرج، فقال : أصلح الله الأميرَ ! إنما يصلح للناس فى[2] هذا رجل يَحْمِل الرّمح والدّرع، ويهزّ السيفَ، ويَثبت على مَتن الفرس، وأنا لا أطيق من هذا شيئًا، وقد ضعف بصرى وضعفتُ، ولكن أخرِجْنى فى الناس مع الأمير، فإنى إنما أثبت على الراحلة[3] فأكون مع الأمير فى عسكره وأشيرَ عليه برأيى . فقال له الحجّاج : جزاك الله عن الإسلام وأهلِه فى أوّل الإسلام خيرًا، وجزاك اللهُ عن الإسلام فى آخرِ الإسلام خيرًا، فقد نصحت وصدقتَ، أنا مُخرِجُ الناسَ كافّة . ألَا فسيروا أيّها الناس . فانصرف الناسُ فجعلوا يَسيرون وليس يَدرون مَنْ أميرُهم !

٩٤٣/٢

وكتب الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان :

أمّا بعد، فإنى أخبِر أميرَ المؤمنين أكرَمه الله أنّ شبيبًا قد شارف المدائن وإنّما يريد الكوفة، وقد عجز أهلُ الكوفة عن قتاله فى مواطن كثيرة، فى

---

(١) كذا فى ا، وفى ط : « فلينفر إليهم » (٢) ا، س : « الناس فى هذا » .
(٣) س : « الرجالة » .

كلها يَقتُلُ أمراءَهم ، ويَفُلّ جنودهم ؛ فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يبعثَ إلى أهل الشأم فيُقاتِلوا[١] عدوَّهم ويأكلوا بلادَهم فلْيَفعل ، والسلام .

فلمَّا أتى عبدَ الملك كتابُه بعث إليه سفْيان بن الأبرد فى أربعة آلاف ، وبعث إليه حبيبَ بنَ عبدالرحمن الحكَمىّ[٢] من مَذْحج فى ألفين ، فسرَّحهم حين أتاه الكتاب إلى الحجَّاج ، وجعل أهلُ الكوفة يتجهّزون إلى شبيب ولا يدرون مَن أميرُهم ! وهم يقولون : يبعث فلانًا أو فلانًا ، وقد بعث الحجَّاج إلى عتَّاب بن وَرْقاء ليأتيَه وهو على خيْل الكوفة مع المهلَّب ، وقد كان ذلك الجيش من أهل الكوفة هم الَّذين كان بِشْر بنُ مروانَ بعث عبد الرحمن بن مخنَف عليهم إلى قطرىّ ، فلم يلبث عبدُ الرحمن بنُ مخنَف إلّا نحوًا من شهرين حتَّى قدم الحجَّاج على العراق ، فلم يلبثْ عليهم عبدُ الرحمن بنُ مخنف بعد قدوم الحجَّاج إلّا رَجبَ وشعبان ، وقَتَل قطرىٌّ عبدَ الرحمن فى آخرِ رمضان ، فبعث الحجَّاج عتَّاب بنَ ورقاءَ على ذلك الجيش من أهلِ الكوفة الَّذين أصيب فيهم عبدُ الرحمن ابنُ مخنف ، وأمر الحجَّاجُ عتَّابًا بطاعةِ المهلَّب ، فكأنّ ذلك قد كَبُر على عتّاب ، ووقع بينَه وبين المهلَّب شرّ ، حتَّى كتب عتَّاب إلى الحجَّاج يَستعفِيه من ذلك الجيش ويضمُّه إليه ، فلمَّا أن جاءه كتابُ الحجَّاج بإتيانه سُرَّ بذلك .

قال : ودعا الحجَّاج أشرافَ أهل الكوفة ؛ فيهم زُهرةُ بن حَوِيَّة السَّعْدىّ من بنى الأعرَج ، وقَبيصة بن والق التَّغلَبىّ ، فقال لهم : مَن تَرْون أن أبعثَ على هذا الجيش ؟ فقالوا : رأيُك أيّها الأمير أفضل ؛ قال : فإنى قد بعثتُ إلى عتَّاب بنِ ورقاء ؛ وهو قادمٌ عليكم الليلة أو القابلة ، فيكون هو الَّذى يسير فى النَّاس[٣] ؛ قال زُهْرة بن حَوِيَّة : أصلحَ اللهُ الأميرَ! رَمَيْتَهُمْ بحَجَرِهم ، لا واللهِ لا يَرجع إليك حتَّى يَظفَر أو يُقتَل . وقال له قَبيصةُ بن وَالق : إنى مُشيرٌ عليك برأيى ، فإن يكن خطأً فبعدَ

(١) ب ، ف : « فليقاتلوا » . (٢) بعدها فى ب ، ف : « من حكم سعد العشيرة » .
(٣) ب ، ف : « بالناس » .

اجتهادى فى النصيحة لأمير المؤمنين وللأمير ولعامّة المسلمين ، وإن يك صَوابًا فالله سدّدنى له ؛ إنّا قد تحدّثنا وتحدّث الناسُ أنّ جيشًا قد فصل إليكَ من قِبَل الشأم ، وأن أهلَ الكوفة قد هُزِموا وفُلُّوا واستخَفّوا بالصبر ، وهان عليهم عارُ الفِرار ، فقلوبهم كأنّها ليست فيهم ، كأنّما هى فى قوم آخرين ، فإنْ رأيتَ أن تبعث إلى جيشك الّذى أمْدِدتَ به من أهل الشأم. فيأخذوا حِذْرَهم ، ولا يبيتُوا إلّا وهم يرون أنّهم مُبيَّتون فعلت ، فإنك تُحارِب حُوَّلا قُلَّبًا ، ظَعّانًا رَحّالا ، وقد جهّزتَ إليه أهل الكوفة ولستَ واثقًا بهم كلّ الثقة ، وإنما إخوانهم هؤلاء القوم الّذين بُعثوا إليك من الشأم. إنّ شبيبًا بينا هو فى أرض إذْ هو فى أخرى ، ولا آمن أن يأتيَهم وهم غارّون فإن يَهلِكوا نَهلك ويهلك العراق . فقال : لله أنت! ما أحسن ما رأيت! وما أحسن ما أشرت به علىّ !

قال : فبعث عبد الرحمن بن الغرق مَولى عَقيل إلى مَنْ أقبل من أهل الشأم ، فأتاهم وقد نزلوا هِيتَ بكتاب من الحجّاج :

أمّا بعد ، فإذا حاذَيْتم هِيتَ[1] فدَعُوا طريقَ الفُرات والأنبار ، وخذوا على عين التّمر حتّى تقدمُوا الكوفة إن شاء الله ؛ وخذوا حذركم ، وعجّلوا السَّيرَ . والسلام .

٩٤٦/٢

فأقبل القومُ سِراعًا . قال : وقدم عتّاب بنُ وَرْقاء فى اللّيلة الّتى قال الحجّاج إنّه قادم عليكم فيها ؛ فأمرَه الحجّاج فخرج بالناس فعسكر بهم بحَمّام أعيَنَ ، وأقبل شبيب حتى انتهى إلى كَلْوَاذَا فقطع منها دِجلة ، ثمّ أقبل حتّى نَزَل مدينة بَهُرَسير الدّنيا ؛ فصار بينه وبين مطرّف بن المغيرة ابن شُعْبة جِسر دِجْلة .

فلمّا نزل شبيب مدينةَ بَهُرَسير قَطَع مطرِّف الجِسْر ، وبعث إلى شبيب : أن ابعثْ إلىّ رجالا من وجوه أصحابك أدارِسهم القرآن ، وأنظر فيما تدعو إليه . فبعث إليه شبيب رجالاً من وجوهِ أصحابه ؛ فيهم قَعْنَب وسُوَيد والمحلّل ، فلمّا أرادوا أن ينزِلوا فى السفينة بعث إليهم شبيب ألّا

---

(١) ا : « فإذا حاربتم بهيت » .

تدخلوا السفينة حتّى يَرجع إلىّ رسولى من عند مطرّف ، فرجع الرسولُ. وبعث إلى مطرّف أن ابعث إلىّ من أصحابِك بعَدَدِ أصحابى يكونوا رهناً فى يدى حتى تردّ علىّ أصحابى . فقال مطرّف لرسوله : القَه وقل له : كيف آمَنك أنا على أصحابى إذا أنا بعثتُهم الآن إليك ، وأنتَ لا تأمننى على أصحابك! فرجع الرسولُ إلى شبيب فأبلغَه ، فأرسَل إليه شبيب : إنّك قد علمتَ أنّا لا نستحلّ الغَدْر فى دِيننا ، وأنتم تفعلونه وتستحِلّونه ، فبعث إليه مطرِّف الرّبيعَ بنَ يزيد الأسَدىّ وسليمانَ بن حذيفة بن هلال بن مالك المُزَنىّ ويزيد بن أبى زياد مولاه وصاحب حرَسه ، فلمّا صاروا فى يدى[1] شَبيب سرّح إليه أصحابه ، فأتوا مطرّفا فمكثوا أربعة أيّام يتراسلون ، ثمّ لم يتّفقوا على شىء ، فلمّا تبيّن لشبيب أنّ مطرّفًا غير تابعِه ولا داخل معه تهيّأ للمسير إلى عتّاب بن وَرْقاء وإلى أهل الشأم . ٩٤٧/٢

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى فَروة بنُ لَقيط أنّ شبيبًا دعا رءوس أصحابِه فقال لهم : إنّه لم يثبِّطنى على رأى قد كنتُ رأيتُه إلّا هذا الثّقَفىّ منذ أربعة أيّام ، قد كنتُ حدّثتُ نفسى أن أخرُجَ فى جريدةِ خيل حتّى ألقَى هذا الجيش المُقْبِل من الشأم رجاءَ أن أصادِفَ غِرّتهم أو يَحذَروا فلا أبالى كنت ألقاهم منقطعين من المِصْر ، ليس عليهم أمير كالحجّاج يَستندون إليه ولا مِصْرٌ كالكوفة يَعتصمون به ؛ وقد جاءتْنى عيونى اليوم فخبّرونى أن أوائلَهم قد دخلوا عَيْنَ التّمر ، فهم الآن قد شارفوا الكوفة ، وجاءتْنى عُيونى من نحو عَتّاب بنِ وَرْقاء فحدّثونى أنه قد نزل بجماعة أهلِ الكُوفةالصّراة ، فما أقرب مابيننا وبينهم! فتيسّروا بناللمَسيرِ إلىعَتّاب بنِ وَرْقاء.

قال : وخاف مطرّف أن يَبلُغ خبرُه وما كان من إرساله إلى شبيب الحجّاج ، فخرج نحو الجبال ، وقد كان أراد أن يقيمَ حتّى ينظر ما يكون بين شبيب وعَتّاب ، فأرسل إليه شبيب : أمّا إذ لم تُبايعنى فقد نبذتُ إليك على سَواء ، فقال مطرّف لأصحابه : اخرجوا بنا وافرين فإنّ الحجّاج سيقاتِلُنا ، فيقاتلناوبنا قوّةٌ أمثلُ . فخرج ونزل المدائن ؛ فعَقَد شبيبالجِسْر ، ٩٤٨/٢

(١) ب ، ف : « يد شبيب » .

وبعث إلى(١) المدائن أخاه مصادًا ، وأقبل إليه عتّاب حتّى نزل بسُوق حَكَمة ، وقد أخرج الحجّاج جماعةَ أهلِ الكوفة مقاتلتهم ، ومن نَشِط إلى الخروج(٢) من شبابِهم(٣) ، وكانت مقاتلتهم أربعين ألفًا سوى الشّباب ، ووافى مع عتّاب يومئذ أربعون ألفًا من المقاتِلة وعشرة آلاف من الشّباب بِسُوقِ حَكَمة ، فكانوا خمسين ألفًا ، ولم يَدَع الحجّاج قُرَشيًّا ولا رجلا من بُيوتاتِ العَرَب إلّا أخرَجه .

قال أبو مِخنَف : فحدّثني عبدُ الرحمن بنُ جُندَب ، قال : سمعتُ الحجّاج وهو على المِنبَر حين وجّه عتّابًا إلى شبيب في الناس وهو يقول : يا أهل الكوفة ، اخرُجوا مع عتّاب بنِ ورْقاء بأجمَعكم ، لا أرخّص لأحد من الناس فى الإقامة إلّا رجلا قد ولّيناه من أعمالنا . ألَا إنّ للصابر المجاهِد الكرامة والأثَرة ، ألا وإنّ للناكل الهارِب(٤) الهَوانَ والجَفْوة . والّذى لا إله غيره لئن فعلتم فى هذا الموطنِ كفِعلِكم فى المواطن الّتى كانت لأولينّكم كنفًا خَشنًا ، ولأعرُكنّكم بِكَلكلٍ ثقيل .
ثم نزل ، وتَوافَى الناس مع عتّاب بسُوقِ حَكَمة .

٩٤٩/٢ قال أبو مِخنَف : فحدّثني فَروةُ بنُ لقيط ، قال : عرضَنا شبيبٌ بالمدائن فكنّا ألف رجل ، فقام فينا فحَمِد اللهَ وأثنى عليه ثمّ قال : يا معشرَ المسلمين ، إنّ الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان وأكثر من ذلك قليلا ، وأنقَص منه قليلا ، فأنتم اليومَ مئون ومئون ، ألا إنى مصلٍّ الظهرَ ثمّ سائِر بكم . فصلّى الظهر ثمّ نُودِى فى الناس : يا خيلَ الله اركبى وأبشِرى ، فخرج فى أصحابه ، فأخذوا يتخلّفون ويتأخّرون ، فلمّا جاوَزْنا ساباطَ ونزلنا معه قَصّ علينا وذَكّرنا بأيّام الله ، وزهّدنا فى الدنيا ، ورغّبنا فى الآخرة ساعةً طويلة ، ثمّ أمر مؤذّنه فأذّن ، ثمّ تقدّم فصلّى بنا العصر ، ثمّ أقبَلَ حتّى أشرف بنا على عتّاب بنِ ورْقاء وأصحابِه ، فلما أن رآهم من ساعتِه نزل وأمر مؤذّنه فأذّن ، ثمّ تقدّم فصلّى بنا المغرب ،

(١) ا : «على المدائن» . (٢) ب ، ف : «للخروج» . (٣) ب ، ف : «من شبانهم» .
(٤) ب ، ف : «للناكل وللهارب» : ا «للناكب الهارب» .

وكان مؤذّنه سلاّم بنُ سَيَّار الشَّيبانىّ ، وكانت عيونُ عَتّاب بن وَرْقاء قد جاءوه فأخبَروه أنّه قد أقبل إليه ، فَخرَج بالناس كلّهم فعبّأهم ، وكان قد خندَق أوّل يوم نزل ، وكان يُظهِر كلّ يوم أنّه يريد أن يسير[١] إلى شبيب بالمدائن[١] ، فبلغ ذلك شبيبًا ، فقال : أسيرُ إليه أحَبّ إلىّ من أن يسير إلىّ ، فأتاه ، فلمّا صَفّ عَتّاب الناسَ بعثَ على ميمنته محمّد بن عبدِ الرحمن بنِ سعيد بنِ قيس ، وقال : يابن أخى ، إنّك شريف فاصبر وصابِر ، فقال : أمّا أنا فوالله لأقاتلنّ ما ثَبت معى إنسان. وقال لقَبيصةَ بنِ والق — وكان يومئذ على ثُلُث بنى تَغلِب : اكفِنى المَيسرَة ، فقال : أنا شيخٌ كبير ، كثيرٌ منى أن أثبت[٢] تحت رايتى ، قد انبتّ منى[٣] القيام ، ما أستَطِيع القيام إلّا أن أقام ؛ ولكنّ هذا عبيد الله بن الحُليس ونُعَيم بن عُلَيم التَغلَبيّان — وكان كل واحد منهما على ثُلُث من أثلاث تَغلِب — فقال : ابعثْ أيّهما أحببتَ ، فأيّهما بعثت فلتبعثنّ ذا حَزم وعَزْم[٤] وغَناء. فبعث نُعيم بن عُلَيم على ميسرته ، وبعث حنظلة بن الحارث اليربوعىّ — وهو ابن عم عَتّاب شيخ أهل بيته — على الرَّجّالة ، وصفّهم ثلاثَةَ صُفُوف : صفٌّ فيهم الرجال معهم السيوف ، وصفّ وهم[٥] أصحاب الرّماح ، وصفّ فيه المُرامِية ، ثمّ سار فيما بين الميمنة إلى الميسرة يمرّ بأهلِ راية راية ؛ فيحثّهم على تَقوى الله ، ويأمُرهم بالصّبر ويَقص عليهم .

٢/٩٥٠

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى حَصيرة بنُ عبد الله أن تميم بن الحارث الأزدىّ قال : وَقف علينا فَقصّ علينا قصصًا كثيرًا ، كان ممّا حفِظتُ منه ثلاثَ كلمات ؛ قال : ياأهلَ الإسلام ، إنّ أعظم الناس نصيبًا فى الجنّة الشهداء ، وليس الله لأحد من خلقهِ بأحمَدَ منه للصّابرين ، ألا تَرَون أنّه يقول : ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٦] ! فمن حمِد اللهُ فعلَه فما أعظم

٢/٩٥١

(١ – ١) ب ، ف : « يلقى شبيباً بالمدائن وأن يسير إليه » .

(٢) ا : « أبيت » . (٣) ب ، ف : « فقد انبت » .

(٤) ا : « وحد » (٥) ب ، ف : « قبلهم » . (٦) سورة الأنفال: ٤٦ .

درجته ، وليس اللهُ لأحد أمقَتَ منه لأهلِ البَغْيِ ؛ ألا ترون أنّ عدوّكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه ، لا يرون إلّا أنّ ذلك لهم قُرْبَةٌ عند الله ! فهم شِرار أهلِ الأرض وكِلاب أهلِ النار ، أين القصاص ؟ قال ذلك فلم يُجِبْه واللهِ أحدٌ مِنّا ؛ فلمّا رأى ذلك ، قال : أين مَنْ يَروِى شعرَ عَنْتَرَة ؟ قال : فلا والله ماردّ عليه إنسان كلمةً . فقال : إنّا لله ! كأنى بكم قد فررْتُم عن عَتّاب بن ورْقاء وتركتموه تَسفِى فى استه الرِّيح .

ثم أقبل حتى جلس فى القلب معه زُهْرة بن حَوِيّة جالس وعبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث وأبو بكربن محمدبن أبى جَهْم العَدوىّ. وأقبل شبيبٌ وهو فى ستّمائة وقد تخلّف عنه من الناس أربعمائة ، فقال : لقد تخلّف عنّا من لا أحبّ أن يُرَى فينا . فبعث سُوَيد بن سُلَيم فى مائتين إلى المَيْسرة ، وبعث المحلّل بن وائل فى مائتين إلى القلب ، ومضى هو فى مائتين إلى المَيْمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمرُ ، فناداهم : لِمَن هذه الرايات ؟ قالوا : راياتُ ربيعة . فقال : شبيب : راياتٌ طالمَا نصرت الحقّ ، وطالما نصرت الباطل ، لها فى كلّ نصيبٌ ، والله لأجاهدنّكم محتسبًا للخير فى جِهادِكم ، أنتم ربيعة وأنا شبيب ، أنا أبو المدلّه ، لا حُكْم إلا للحَكَم ، اثبتُوا إن شئتمْ . ثمّ حَمَل عليهم وهو على[1] مسنّاة أمامَ الخَندق فَفضّهم ، فثبت أصحابُ رايات قَبِيصةَ بن والق وعبيد بن الحُلَيْس ونُعَيم بن عليم ، فقُتلوا ، وانهزمت الميسرة كلّها وتَنادَى أناس من بنى تَغلِب : قُتِل قبيصة بن والق . فقال شبيب : قتلتم قبيصةَ بن والق التغلبىّ يا مَعشَر المسلمين! قال الله :

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[2] ، هذا مثل ابن عمّكم قبيصة بن والق ، أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فأسلَم ، ثمّ جاء يُقاتلكم مع الكافرين! ثمّ وقف عليه فقال : وَيْحَك! لو ثبتَّ على إسلامك الأوّل سعدتَ ، ثمّ حمل من الميسرة على عَتّاب بنِ ورْقاءَ ، وحمل سُوَيد بن سليم على الميمنة وعليها محمّد بن عبد الرحمن ،

٩٥٢/٢

(١) ا : « فى مسناة » .
(٢) سورة الأعراف : ١٧٥ .

فقاتَل فى الميمنة فى رجال من بنى تميم وهَمْدان ، فأحسنوا القتال ، فما زالوا كذلك حتَّى أتُوا فقيل لهم : قُتِل عتَّاب بن ورقاء ، فانفضّوا ، ولم يزل عتَّاب جالسًا على طِنْفِسة فى القلب وزُهرة بن حَوِيَّة معه ، إذ غشيهم شبيب ، فقال له عتَّاب : يا زُهرة بن حَوِيَّة ، هذا يومٌ كثُر فيه العدد ، وقلّ فيه الغَناء ، والهفى على خمسمائة فارس من نحو رجال تميم معى من جميع الناس! ألا صابرٌ لعدُوّه ! ألا مُؤاسٍ بنفْسه ! فانفضّوا عنه وتركوه ، ٩٥٣/٢ فقال له زهرة : أحسنتَ يا عتَّاب ، فعلتَ فعلَ مثلك ، والله والله لو منحتَهم كتفَك ما كان بقاؤك إلاّ قليلاً ، أبشر فإنى أرجو أن يكون اللهُ قد أهدى إلينا الشَّهادة عند فناء أعمارنا ؛ فقال له : جزاك الله خيرًا ما جزَى آمرًا[1] بمعروف وحاثًّا على تقوَى .

فلمَّا دنا منه شبيب وثب فى عصابة صبرتْ معه قليلة ، وقد ذهب الناسُ يمينًا وشمالاً ، فقال له عمَّار بنُ يزيدَ الكلبىّ من بنى المدينة : أصلحَك الله ! إنّ عبدَالرحمن بن محمَّد قدهرَب عنك فانصفَق[2] معه أناسٌ كثير ، فقال له : قد فرّ قبل اليوم ، وما رأيتُ ذلك الفتى يُبالِى ما صنع ، ثمّ قاتلهم ساعة وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم قطّ موْطنًا لم أبتَل بمثله قطّ أقلّ مقاتلا ولا أكثر هاربًا خاذلا ؛ فرآه رجلٌ من بنى تغلب من أصحاب شبيب من بنى زيد بن عمرو يقال له عامر بن عمرو بن عبد عمرو ، وكان قد أصابَ دمًا فى قومه ، فلحِق بشبيب ، وكان من الفُرسان ، فقال لشبيب : والله إنى لأظنّ هذا المتكلّم عتَّابَ بنَ ورْقاء ! فحمل عليه فطعنَه ، فوقَع فكان هو ولِىَ قتلَهُ . ووطِئَتِ الخيلُ زُهرة بن حَوِيَّة ، فأخذ يذُبّ بسيفه وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يقومَ ، فجاء الفضلُ بنُ عامر الشَّيبانىّ فقتله ، فانتهى إليه شبيب فوجَده صريعًا فعرَفه ، فقال : مَنْ قتَل هذا ؟ فقال الفضل : أنا قتلتُه ، فقال شبيب : هذا زهْرة حَوِيّة ، أما والله لئن كنتَ ٩٥٤/٢ قتِلت على ضلالة لربَّ يوم من أيّامِ المسلمين قد حَسُن فيه بلاؤك ، وعظم فيه غَناؤكَ ! ولربّ خيلٍ للمشركين قد هزمْتَها ، وسَرِيَّة لهم قد

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « أمر المعروف » . (٢) ب ، ف : « وانصفق عنك » .

ذعرتها[١] وقرية من قراهم جَمّ[٢] أهلُها قد افتتحتَها ، ثم كان فى عِلم الله أن تُقتَل ناصرًا للظّالمين !

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى فَرْوة بنُ لقَيط قال : رأيناه والله توجّع له ، فقال رجل من شُبّان بكر بنِ وائل : والله إنّ أمير المؤمنين منذ اللّيلة ليتوجّع لرجل من الكافرين ! قال : إنّك لستَ بأعرف بضلالتهم منّى ، ولكنى أعرف من قديم أمرِهم ما لاتعرف ؛ ما لو ثبتوا عليه كانوا إخوانًا . وقُتِل فى المعركة عمّار بن يزيدَ الكلبىّ ، وقُتل أبو خَيْثمة بن عبد الله يومئذ ، واستَمكن شبيبٌ من أهل العسكر والناس ، فقال : ارفعوا عنهم السيف ، ودعا إلى البيعة ، فبايعه الناس من ساعتهم ، وهربوا من تحت ليلتهم ، وأخذ شبيب يُبايعهم ، ويقول : إلى ساعة يَهْرُبُون. وحوى شبيب على ما فى العسكر ، وبعث إلى أخيه ، فأتاه من المدائن ، فلمّا وافاه بالعسكر أقبَل إلى الكوفة وقد أقام بعسكره ببيت قرّة يومين ، ثم توجّه نحو وجه أهلِ الكوفة ، وقد دخل سُفْيان بنُ الأبرد الكلبىّ وحبيب بن عبد الرحمن الحكمىّ من مَذْحِج فيمن معهما من أهل الشأم الكوفة ، فشدّوا للحجّاج ظهرَه ، فاستغنى بهما عن أهل الكوفة ، فقام على منبر الكوفة فحَمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد يا أهل الكوفة ، فلا أعزّ اللهُ من أراد بكم العِزّ ، ولا نَصَر من أراد بكم النّصْر ، اخرُجوا عنّا ، ولا تَشهَدوا معنا قتال عدوّنا ، الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ، ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملا ، ومن لم يكن شَهِدَ قتالَ عتّاب بنِ ورْقاء . ٢/٩٥٥

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى فروة بن لقيط ،قال : والله لَخرَجْنا نَتْبَع آثارَ الناس ، فانتهى إلى عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث ومحمّد بن عبد الرحمن بن سعيد بنِ قيس الهمْدانىّ ،وهما يَمشِيان كأنى أنظر إلى رأسِ عبد الرحمن قد امتلأ طينًا ، فصددتُ عنهما ، وكرهت أن أذْعَرَهما ، ولو أنى أوذِن بهما أصحاب شبيب لقُتِلامكانَهما ، وقلت فى نفسى : لئن سُقْت إلى مِثْلِكما من قومى القتلَ ما أنا برشيدِ الرأى ؛ وأقبل شبيبٌ حتّى نزل الصّراة .

---

(١) كذا فى ا ،وفى ط : « أغرتها » ،وفى ب ، ف : « فللتها » . (٢) ا : « حم أهلها » .

قال أبو مِخْنَف : فحدّثنى موسى بن سوار أنّ شبيباً خرج يريدُ الكوفةَ ، فانتهى إلى سُورا ، فندبَ الناس ، فقال : أيُّكم يأتينى برأسِ عامل سُورا ؟ فانتـدب له بَطِينٌ وقَعْنَب وسُوَيد ورجُلان من أصحابه ، فساروا مُغِذِّين حتّى انتهوا إلى دار الخَراج والعُمّال فى سَمَرّجة[١] فدخلوا الدارَ وقد كادُوا الناسَ بأن قالوا : أجيبوا الأميرَ ، فقالوا : أىّ الأمراء ؟ قالوا : أميرٌ خرج من قِبَل الحجّاج يريد هذا الفاسق شبيباً ، فاغترّ بذلك العامل منهم . ثم إنهم شَهَرُوا السيوف وحَكَّموا حين وصلوا إليه فضربوا عنقَه ، وقبضوا على ما كان من مال ، ولحقوا بشبيب ، فلمّا انتهوا إليه قال : ما الّذى أتيتُمونا به ؟ قالوا : جئناك برأس الفاسق وما وجدنا من مال[٢] ، والمال على دابّة فى بُدوره ، فقال شبيب : أتيتمونا بفتنة للمسلمين ، هلُمّ الحَرْبة يا غلام ، فخرّق بها البُدور ، وأمر فنُخِس بالدّابة والمالُ يتناثر من بدوره حتّى وردت الصَّراة ، فقال : إن كان بقى شىء فاقذفه فى الماء . ثمّ خرج إليه سُفْيان بن الأبرد مع الحجّاج ، وكان أتاه قبلَ خروجه معه ، فقال : ابعثْنى أستقبِله قبل أن يأتيَك ، فقال : ما أحِبّ أن نفترق حتى ألقاه فى جماعتكم والكُوفةُ فى ظهورنا والحصنُ فى أيدينا .

٩٥٦/٢

* * *

[ذكر الخبر عن دخول شبيب الكوفة مرة ثانية]

وفى[٣] هذه السنة دَخَل شبيبٌ الكوفةَ دَخْلتَهُ الثانية .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربه بها الحجّاج :

قال هشام : حدّثنى أبو مِخْنَف ، عن موسى بن سوار ، قال : قَدِم سَبْرة بنُ عبد الرحمن بن مِخْنَف من الدّسْكرة الكوفةَ بعد ما قدم جيشُ الشأم الكوفة ، وكان مُطَرّف بن المغيرة كَتَب إلى الحجّاج : إنّ شبيباً قد أطلّ علىّ ، فابعث إلى المَدَائن بَعْثاً . فبعث إليه سبْرة بن عبد الرحمن ابن مخنف فى مائتى فارس ، فلمّا خرج مطرّف يريد الجبل خرج بأصحابه

(١) فى اللسان : « السمرّج يوم جباية الخراج » . (٢) ب ، ف : « أمواله » .
(٣) قبلها فى ا : « قال محمد بن جرير » .

معه وقد أعلمهم ما يريد ، وكتم ذلك سَبْرة ، فلمّا انتهى إلى دَسْكرة الملك دعا سَبْرةَ فأعلمه ما يريد ، ودعاه إلى أمره ، فقال له : نعم أنا معك ، فلمّا خرج من عنده بعث إلى أصحابه فجمعَهم ، وأقبَل بهم فصادف[1] عتّاب ابنَ ورْقاء قد قُتِل وشبيبًا قد مضى إلى الكوفة ، فأقبل حتى انتهى إلى قرية يقال لها بيطرى ، وقد نزل شبيب حمّام عُمر ، فخرج سَبْرة حتّى يعبر الفرات فى معبر قرية شاهى ، ثم أخذ الظّهر حتّى قدِم على الحجّاج ، فوجد أهل الكوفة مَسْخوطًا عليهم ، فدخل على سُفْيان بن الأبرَد ، فقصّ قصّته عليه[2] وأخبره بطاعته وفراقه مُطَرّفًا ، وأنه لم يشهد عتّابًا ولم يشهد هزيمةً فى موطن من مواطن أهلِ الكوفة ، ولم أزل للأمير عاملا ، ومعى مائتا رجل لم يشهدوا معى هزيمةً قطّ ، وهم على طاعتهم[3] ولم يدخلوا فى فتنة . فدخل سُفيانُ إلى الحجّاج فخبَّره بخبر[4] ما قصّ عليه سَبْرة بن عبد الرحمن ، فقال : صَدَقَ وبرّ ! قُلْ له : فليَشْهد معنا لقاءَ عدوّنا ، فخرج إليه فأعلَمه ذلك . وأقبلَ شبيب حتّى نزل موضعَ حمّام أعيَن ، ودعا الحجّاج الحارث بن معاوية بن أبى زرعة بن مسعود الثّقَفىّ فوجّهه فى ناس من الشّرَط لم يكونوا شهدوا يوم عتّاب ، ورجالا كانوا عمّالا فى نحو من مائتى رجل[5] من أهل الشأم ، فخرج فى نحو من ألف ، فنزل زُرارةَ ، وبلغ ذلك شبيبًا ، فتعجّل إليه فى أصحابه ، فلمّا انتهى إليه حمل عليه فقتَلَه ، وهزَم أصحابه ، وجاءت المنهزمة فدخلوا الكوفة . وجاء شبيب حتّى قطع الجِسر ، وعسكر دونه إلى الكوفة ، وأقام شبيب فى عسكره ثلاثةَ أيّام ؛ فلم يكن فى أول يوم إلّا قتل الحارث بنُ معاوية ، فلمّا كان فى اليوم الثانى أخرج الحجّاج مواليَهُ وغلمانَه عليهم السلاح ، فأخذوا[6] بأفواهِ السّكك ممّا يلى الكُوفَة ، وخرج أهلُ الكوفة فأخذوا بأفواه سِكَكهم ، وخشوا إن لم يخرجوا مَوْجدةَ الحجّاج وعبدِ الملك بن مروان . وجاء شبيب

٩٥٧/٢

٩٥٨/٢

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « فيصادف » . (٢) ب ، ف : « فقص عليه قصته » .
(٣) ف : « طاعته » . (٤) ب ، ف : « فأخبره بخبر هؤلاء وبخبر ما قص عليه » .
(٥) ب ، ف : « فارس » . (٦) ب ، ف : « وأخذوا » .

حتى ابْتنى مسجدًا فى أقصى السَّبَخة مما يلى موقفَ أصحاب القتّ عند الإيوان ، وهو قائمٌ حتَّى الساعة ، فلمَّا كان اليومِ الثالث أخرَج الحجَّاج أبا الوَرْد مولًى له عليه تِجْفاف ، وأخرج مجفّفة كثيرة وغِلمانًا له ، وقالوا : هذا الحجاج ، فحَمَل عليه شبيبٌ فقتله ، وقال : إن كان هذا الحجَّاج فقد أرَحْتُكم منه .

ثم إن الحجَّاج أخرج له غلامه طُهمانَ فى مِثلِ تلك العُدّة على مثل تلك الهيئة ، فحَمَل عليه شبيبٌ فقتله ، وقال : إن كان هذا الحجَّاج فقد أرَحْتُكم منه .

ثمّ إنّ الحجّاج خرج ارتفاعَ النهار من القَصْر فقال : ائتونى ببَغْل أركبُه ما بيْنى وبين السَّبَخة ، فأُتِىَ ببغل محجَّل ، فقيل له : إنّ الأعاجمَ أصلحك الله تَطيَّرُ[1] أن تركَبَ فى مثل هذا اليوم مثلَ هذا البغل ، فقال : أدنُوه منّى ، فإنّ اليوم يومٌ أغرّ محجَّل ؛ فركبه ثمّ خرج فى أهل الشأم حتَّى أخذ فى سكة البريد ، ثمّ خرج فى أعلى السَّبَخة ، فلمَّا نظر الحجَّاج إلى شبيب[2] وأصحابه نزل ، وكان شبيب فى ستِّمائة فارس ، فلما رأى الحجَّاج قد خرج إليه أقبل بأصحابه ، وجاء سبْرة بنُ عبد الرحمن إلى الحجَّاج فقال : أين يأمرنى الأمير أن أقف ؟ فقال : قِفْ على أفواه السكك ، فإن جاءوكم فكان فيكم قِتالٌ فقاتِلوا ، فانطلَق حتَّى وقف فى جماعة الناس ، ودَعا الحجَّاج بكرسىّ له فقعَد عليه ؛ ثمّ نادَى : يا أهل الشأم ، أنتم أهلُ السَّمع والطاعة والصَّبر واليَقين ، لا يغلبنّ باطلُ هؤلاء الأرجاس حقَّكم ، غضّوا الأبصار ، واجثُوا على الرُّكَبِ ، واستقبلوا القوم بأطراف الأسنَّة ، فجثَوا على الركب ، وأشرَعوا الرّماح ، وكأنَّهم حَرّة سوداء ، وأقبَل إليهم شبيب حتَّى إذا دنا منهم عبّى أصحابه ثلاثةَ كَراديسَ ، كتيبة معه ، وكتيبة مع سُويد بن سُليم ، وكتيبة مع المحلّل بن وائل ، فقال لسويد : احمِل عليهم فى خيلِك ، فحمَل عليهم ، فثبتوا له ، حتَّى إذا غَشِىَ أطراف الأسنَّة وَثبوا فى وجهه ووجوه أصحابه ، فطعَنوهم[3] قُدُمًا حتَّى انصرَف ،

٩٥٩/٢

(١) ا : « تتطير » . (٢) ب ، ف : « فلما رأى الحجاج شبيباً » . (٣) ب ، ف : « فطعنوه » .

وصاحَ الحجَّاج: يا أهلَ السَّمع والطاعة، هكذا فافعلوا. قدِّم كُرسىَّ يا غلام، وأمر شبيب المحلّل فَحمَل عليهم، ففعلوا به مِثلَ ما فعلوا بسُويد، فناداهم الحجَّاج: يا أهلَ السمعِ والطاعة؛ هكذا فافعلوا، قدِّمْ كُرسىَّ يا غلام [١].

ثمّ إنّ شبيبًا حمَل عليهم فى كتيبته فَثبتُوا له، حتّى إذا غشى أطراف الرِّماح وَثَبوا فى وجهه، فقاتَلَهم طويلا. ثمّ إنّ أهل الشأم طعَنوه قُدُمًا حتّى ألحَقُوه بأصحابه، فلمَّا رأى صبرَهم نادى: يا سويد، احمِــل فى خَيْلك على أهل هذه السكة — يَعنِى سِكّة لحّام جرير — لعلك تزيل أهلَها عنها، فتأتى الحجّاجَ من ورائه، ونَحمل نحن عليه من أمامه. فانفرد سُوَيد بن سُلَيم فحَمَل على أهل تلك السكة؛ فرمى من فوق البُيوت وأفواه السكك، فانصرَف، وقد كان الحجّاج جعل عروةَ بن المغيرة بن شعبة فى نحو من ثلثمائة رجل من أهل الشأمِ ردْءًا له ولأصحابه لئلاّ يُؤْتَوا من وَرائه [٢].

٢/٩٦٠

قال أبو مخنف: فحدّثنى فَروة بن لَقيط: إنّ شبيبًا قال لنا يومئذ: يا أهل الإسلام إنَّما شرينْا الله، ومن شرى اللهَ لم يكبر[٣] عليه ما أصابه من الأذَى والألم فى جَنْب الله. الصَّبرَ الصَّبر؛ شَدّة كشَدّاتكم فى مواطنِكم الكريمة. ثمّ جمع أصحابَه، فلمّا ظنّ الحجّاج أنه حاملٌ عليهم قال لأصحابه: يا أهل السمع والطاعة، اصبِروا لهذه الشّدّة الواحدة، ثمّ وربِّ السماء ما شىءٌ دونَ الفتح. فَجثَوا على الرُّكَب، وحَمَل عليهم شبيب بجميع أصحابه، فلمَّا غشيهم نادى الحجّاج بجماعة الناس، فوثبوا فى وجهه، فما زالوا يَطعنُون ويَضربون قُدمًا ويَدفَعون شبيبًا وأصحابَه وهو يقاتِلُهم حتّى بلغوا موضع بُسْتان زائدة، فلما بلغ ذلك المكان نادى شبيب أصحابَه: يا أولياءَ الله، الأرضَ الأرض، ثمّ نزل وأمر أصحابه فنزل نصفُهم وترك نصفهم مع سُوَيد بن سليم، وجاء الحجّاج حتى انتهى إلى مسجد شبث، ثم قال: يا أهل الشأم، يا أهل السَّمع والطاعة، هذا

(١) ساقطة من م. (٢) ب، ف: «ورائهم». (٣) ا: «لم يكثر».

أوّل الفَتْح والّذى نفسُ الحَجّاج بيَده ! وصَعد المسجد معه نحوٌ من عشرين رجلامعهم النَّبْل، فقال: إن دَنَوْا منا فارشقوهم، فاقتتلوا عامّة النهار من أشدّ قتال فى الأرض، حتّى أقرّ كل واحد من الفريقين لصاحبه. ثمّ إنّ خالد بن عتّاب قال للحجّاج: ائذَنْ لى فى قتالهم فإنى مَوْتور، وأنا ممّن لا يُتَّهم فى نصيحة[1]، قال: فإنى قد أذنْت لك، قال: فإنى آتيهم من ورائهم حتّى أغيرَ على عسكرهم؛ فقال له: افعل ما بدا لك، قال: فخرج معه بعصابة من أهل الكوفة حتّى دخل عسكرَهم من ورائهم، فقتَل مصَاداً أخا شَبيب، وقتَل غزالَة امرأته، قتلَها فروةُ بنُ الدّفان الكلبيّ، وحرّق فى عسكره، وأتَى ذلك الخبرُ الحَجّاج وشبيبًا، فأمّا الحجّاج وأصحابه فكبّروا تكبيرة واحدة، وأمّا شبيب فوثب هو وكلّ راجل معه على خيولهم، وقال الحجّاج لأهل الشأم: شُدّوا عليهم فإنّه قد أتاهم ما أرعب قلوبَهم. فشَدّوا عليهم فهَزَموهم، وتخلّف شبيب فى حامِيَة الناس.

قال هشام: فحدّثنى أصغر الخارجىّ، قال: حدّثنى من كان مع شبيب قال: لما انهزم الناسُ فخرج من الجسْر تَبِعه[2] خيل الحجّاج، قال: فجعل يَخفِق برأسه، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، التَفِت فانظرْ مَن خلفَك؛ قال: فالتفت غيرَ مكترث، ثمّ أكبّ يخفِق برأسه؛ قال: ودنَوا منّا؛ فقلنا: يا أمير المؤمنين، قد دنَوا منك، قال: فالتفت واللهِ غيرَ مكترِث، ثمّ جعل يخفق برأسه. قال: فبعث الحجّاج إلى خيله أن دعوه فى حرق الله ونارِه، فتَركوه ورجعوا.

قال هشام: قال أبو مِخنَف: حدّثنى أبو عمرو العذرىّ[3]، قال: قَطَع شبيب الجِسْر حين عَبَر. قال: وقال لى فَرْوة: كنتُ معه حين انهزمْنا فما حَرّك الجِسر، ولا اتّبعونا حتّى قَطَعنَا الجِسر. ودخل الحجّاج الكُوفَة، ثمّ صَعِد المِنبرَ فحَمِد الله، ثمّ قال: واللهِ ما قُوتِل شبيب

٩٦١/٢

٩٦٢/٢

---

(١) ب، ف: «نصيحته». (٢) ف، ف: «الجيش تبعته».
(٣) ب: «العدوى».

قبلها ، وَلّى والله هاربًا ، وترك امرأته يُكسَر فى آستها القَصَب .

وقد قيل فى قتال الحجّاج شبيبًا بالكوفة ما ذكره عمر بنُ شبّة قال : حدّثنى عبدُ الله بنُ المغيرة بن عطيّة، قال : حدّثنى أبى، قال : حدّثنا مزاحم بن زُفر بن جسّاس التّيميّ، قال : لما فَضّ شبيبٌ كتائبَ الحجّاجِ أذن لنا فدخلنا عليه فى مجلسه الّذى يبيت فيه وهو على سرير عليه لِحاف ، فقال : إنى دعوتكم لأمر فيه أمان ونظر ، فأشيروا علىّ ؛ إنّ هذا الرجل قد تبحبح بُحبُوحتكم ، ودخل حريمكم ، وقتل مُقاتِلتكم ، فأشيروا علىّ ؛ فأطرَقوا . وفصَل رجل من الصّفّ بكرسيّه فقال : إنْ أذِن لى الأميرُ تكلّمت ، فقال : تكلم ، فقال : إنّ الأمير والله ما راقبَ اللهَ، ولا حفِظ أميرَ المؤمنين ، ولا نَصَح للرعيّة، ثمّ جلس بكرسيه فى الصفّ . قال : وإذا هو قُتَيبة، قال : فغضِب الحجّاج وألقَى اللحاف ، ودلّى قدَميه من السرير كأنى أنظر إليهما ؛ فقال : مَن المتكلّم ؟ قال : فخرج قُتيبةُ بكُرسيّه من الصّفّ فأعاد الكلامَ ، قال : فما الرأى ؟ قال : أن تخرُج إليه فتحاكمَه ؛ قال : فارتد لى مُعسكرًا ثم اغدُ إلىّ ، قال : فخرجْنا نَلعَن عَنْبسة بنَ سعيد ، وكان كلّم الحجّاج فى قُتيبة ، فجعله من أصحابه ، فلمّا أصبحْنا وقد أوصيْنا جميعًا ، غدونا فى السلاح ، فصلّى الحجّاج الصّبح ثم دخل، فجعل رسوله يخرج ساعةً بعد ساعة فيقول : أجاء بعدُ ؟ أجاء بعدُ ؟ ولا ندرى مَن يريد ! وقد أفعمت المقصورةُ بالناس ، فخرَج الرسولُ فقال : أجاء بعدُ ؟ وإذا قُتيبةُ يمشِي فى المسجد عليه قباء هرويّ أصفر ، وعمامة خزّ أحمر ، متقلّدًا سيفًا عريضًا قصيرَ الحمائل كأنّه فى إبطه ، قد أدخل بِرْكة قَبائه فى منطَقته ، والدّرع يصفق ساقَيْه فَفُتح له الباب فدخل ولم يُحْجَب ، فلَبِث طويلا ثمّ خرج ، وأخرج معه لِواءً منشورًا ، فصلّى الحجّاج ركعتين ، ثم قام فتكلّم ، وأخرج اللواء من باب الفيل ، وخرج الحجّاج يتبعه ، فإذا بالباب بغلة شقراء غرّاءُ محجّلة فركبها ، وعارضه الوُصَفاء بالدّوابّ ، فأبَى غيرَها ، وركب النّاسُ .

وركب قُتَيبة فرسًا أغرّ محجَّلا كُمَيتاً كأنَّه فى سَرْجه رُمّانة من عُظْم السَّرج ، فأخذ فى طريق دارِ السقاية حتّى خرج إلى السَّبَخة وبها عسكر شبيب ، وذلك يوم الأربعاء ، فتواقفوا ، ثمّ غَدَوْا يومَ الخميس للقتال ، ثمّ غادوهم يوم الجمعة ، فلمّا كان وقت الصلاة انهزَمت الخوارج .

* * *

قال أبو زيد: حدّثنى خلاّد بن يزيد ، قال : حدّثنا الحجَّاج بنُ قتيبة ، قال : جاء شبيبٌ وقد بعث إليه الحجّاجُ أميرًا فقتَله ، ثم آخر [1] فقتَله ، أحَدُهما أعيَنُ صاحبُ حَمّام أعيَن ، قال : فجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزالة ، وقد كانت نذرتْ أن تُصلِّيَ فى مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران . قال : ففعلتْ . قال : واتّخذ شبيب فى عسكره أخْصاصًا ، فقام الحجّاج فقال : لا أراكم تَناصَحون [2] فى قتال هؤلاء القوم يا أهلَ العراق ! وأنا كاتبٌ إلى أمير المؤمنين ليُمدّنى بأهل الشأم . قال : فقام قُتيبة فقال : إنّك لم تنصح لله ولا لأمير المؤمنين فى قتالهم . ٩٦٤/٢

قال عمرُ بنُ شَبّة : قال خلاّد : فحدّثنى محمّد بنُ حفص بن موسى ابن عُبيد الله بنِ معمر بن عثمان التميمىّ أنّ الحجّاج خنَق قُتيبة بعِمامته خنْقًا شديدًا .

* * *

ثمّ رَجعَ الحديثُ إلى حديث الحجّاج وقُتَيبة . قال : فقال : وكيف ذاك ؟ قال : تَبعث الرجل الشريف وتبعث معه رَعاعًا من الناس فينهزمون عنه ، ويَستحيي فيقاتل حتّى يُقتَل ؛ قال : فما الرأى ؟ قال : أن تَخرج بنفسك ويخرج معك نظراؤك فيؤاسُونك بأنفسهم . قال : فلعنه مَنْ ثَمّ . وقال الحجّاج : والله لأبرُزنّ له غدًا ؛ فلمّا كان الغدُ حضرَ الناس . فقال قتيبة : اذكرْ يمينَك أصلح الله الأمير ! فلعنوه أيضًا ، وقال الحجّاجُ : اخرج فارتدْ لى مُعسكَرًا ، فذهب وتهيّأ هو وأصحابُه فخرجوا ، فأتى على موضع فيه بعضُ القَذَر ، موضع كُناسة ،

---

(١) ب ، ف : « أميراً » . (٢) ب ، ف : « تتناصحون » .

فقال : ألقُوا لى هاهنا . فقيل : إنّ الموضع قَذِر ، فقال : ما تَدعوننى إليه أقذَر ، الأرض تحتَه طيِّبة ، والسماءُ فوقه طيِّبة . قال : فنزل وصَفّ الناس وخالد بن عَتّاب بن ورْقاء مسخوط عليه فليس فى القوم ، وجاء شبيب وأصحابه فقرّبوا دوابّهم ، وخرجوا يمشون ، فقال لهم شبيب : الهُوا عن رَمْيكم ، ودِبُّوا تحت تِراسكم ، حتّى إذا كانت أسنّتهم[1] فوقَها ، فأزلِقوها صُعُدًا ، ثمّ ادخُلوا[2] تحتَها لتستقِلوا فتَقطعوا أقدامهم ، وهى الهزيمة بإذن الله . فأقبلوا يدِبّون إليهم . وجاء خالد بنُ عَتّاب فى شاكِريّته ، فدار من وراء عسكرهم ، فأضرم أخْصاصَهم بالنار ، فلمّا رأوْا ضوءَ النار وسمعوا مَعْمَعتَها التفتوا فرأوها فى[3] بيوتهم ، فولّوا[4] إلى خَيْلهم وتَبِعهم الناسُ ، وكانت الهزيمة . ورضِيَ الحجّاج عن خالد ، وعَقَدَ له على قتالهم.

٢/٩٦٥

قال : ولمّا قَتَل شبيبٌ عَتّابًا أراد دخول الكوفة ثانية ، فأقبَل حتى شارَفها فوجّه إليه الحجّاج سيف بن هانئ ورجلاً معه ليأتياه بخبر شبيب ، فأتيا عسكره ، ففطن بهما ، فقتل الرجل ، وأفلت سيفٌ ، وتَبِعه رجلٌ من الخوارج ، فأوثب سيفٌ فرسه ساقية ، ثمّ سأل الرجلَ الأمان على أن يُصدقه ، فآمنه ، فأخبره أنّ الحجّاج بعثه وصاحبَه ليأتياه بخبر شبيب .

قال : فأخبرْه أنا نأتيه يوم الاثنين . فأتى سيف الحجّاج فأخبره ؛ فقال : كَذَب وماق ، فلمّا كان يومَ الاثنين توجّهوا يريدون الكوفة ، فوجّه إليهم الحجّاجُ الحارثَ بن معاوية الثّقَفِىّ ، فلقيه شبيب بزُرارة فقتله ، وهزم أصحابَه ودنا من الكوفة فبعث البَطين فى عشرة فوارس يرتاد له مَنزلا على شاطئ الفرات فى دارِ الرّزْق ، فأقبل البَطين وقد وجّه الحجّاج حَوْشبَ بنَ يزيدَ فى جمع من أهل الكوفة ، فأخذوا بأفواهِ السِّكَك ، فقاتَلَهم البَطين فلم يقْوَ عليهم ، فبعث إلى شبيب فأمدّه بفوارس ، فعَقَروا فرس حَوْشب وهزموه ونجا ، ومضَى البَطين إلى دار الرّزق ، وعسكر على شاطئ الفرات ، وأقبَل شبيب فنزل دون الجِسْر ، فلم يوجّه إليه الحجّاج أحدًا ، فمضى فنزل

٢/٩٦٦

---

(١) ب ، ف : « أسنتكم » . (٢) ب ، س : « ادخلوها » .
(٣) ب ، ف : « فرأوا ما فى بيوتهم » . (٤) ب ، ف : « ولوا » .

السَّبَخة بين الكُوفة والفُرات ، فأقام ثلاثًا لا يوجّه إليه الحجّاج أحدًا ، فأشير على الحجّاج أن يخرج بنفسه ، فوجّه قتيبةَ بنَ مسلم ، فهيّأ له عسكرًا ثم رجع ، فقال : وجدتُ المأتى سهْلا ، فسِرْ على الطائر الميمون ؛ فنادى فى أهل الكوفة فخرجوا ، وخرج معه الوجوهُ حتّى نزلوا فى ذلك العسكر[1] وتواقفوا ، وعلى ميْمنة شبيب البَطين ، وعلى ميسرته قَعْنب مولًى بنى أبى ربيعة بن ذهل ، وهو فى زُهاء مائتين ، وجعل الحجّاج على ميمنته مطرَ بن ناجية الرّياحىّ ، وعلى ميسرته خالد بن عتّاب بن ورْقاء الرّياحىّ فى زُهاء أربعة آلاف ، وقيل له : لا تُعرّفْه موضعَك ، فتنكّر وأخفى مكانَه ، وشبّه له أبا الورد مولاه ، فنظر إليه شبيب ، فحمل عليه ، فضربه بعمود وزنُه خمسة عشر رِطْلاً فقتله ، وشبّه له أعيَن صاحب حمّام أعيَن بالكوفة ، وهو مولًى لبكر[2] بن وائل فقتَله ، فركب الحجّاج بغلةً غرّاء محجّلة ، وقال : إن الدّين أغرُّ محجّل ، وقال لأبى كعب : قدّم لواءك ، أنا ابن أبى عقيل . وحمل شبيب على خالد بن عتّاب وأصحابه ، فبلغ بهم الرَّحبَة ، وحملوا على مطر بن ناجية فكشفوه ، فنزل عند ذلك الحجّاج وأمرَ أصحابَه فنزلوا ، فجلس على عباءة ومعه عنْبسة بن سعيد ، فإنّهم على ذلك إذْ تناول مَصقلة بن مُهلهل الضّبىّ لجامَ شبيب ؛ فقال : ما تقول فى صالح بن مُسرّح ؟ وبمَ تشهد عليه ؟ قال : أعلَى هذه الحال ، وفى هذه الحزّة[3] ! والحجّاج ينظرُ ، قال : فبرئ من صالح ، فقال مصقلة : برئَ اللهُ منكَ ، وفارقوه إلا أربعين فارسًا هم أشدّ أصحابه ، وانحاز الآخَرون إلى دار الرّزْق ؛ وقال الحجّاج : قد اختلفوا ، وأرسل إلى خالد بن عتّاب فأتاهم فقاتلهم ، فقُتلت غزالةُ ، ومرّ برأسها إلى الحجّاج فارسٌ فعرفه شبيبٌ ، فأمر علْوان فشدّ على الفارس فقتلَه وجاء بالرأس ، فأمر به فغُسل ودفنه وقال : هى أقرب إليكم رُحْمًا — يعنى غزالة .

٩٦٧/٢

ومضى القومُ على حاميتهم ، ورجع خالدٌ إلى الحجّاج فأخبره بانصراف

(١) ب ، ف : « المعسكر » . (٢) ف : « البكير » .
(٣) الحزّة : الشدّة .

القوم ، فأمرَه أن يحمل على شبيب فحمل عليهم، وأتبعه ثمانية ، منهم قعنب والبَطِين وعُلْوان وعيسى والمهذَّب وابن عُوَيمر وسنان ، حتّى بلغوا به الرّحبة ، وأتِىَ شبيب فى موقفه بخُوط بن عُمَير السّدوسىّ ، فقال له شبيب : يا خُوط ، لا حُكْمَ إلاّ لله ، فقال : لا حُكم إلاّ لله ، فقال شبيب : خُوط من أصحابكم ، ولكنّه كان يخاف ، فأطلقه . وأتِىَ بعُمَير بن القَعْقَاع ، فقال له : لا حُكم إلاّ لله يا عُمَير ، فجعل لا يفقه عنه ، ويقول : فى سبيل الله شبابى ، فردّد عليه شبيبٌ : لا حُكْمَ إلاّ لله ، ليتخلّصه(١) ، فلم يفقهْ ، فأمر بقتله ، وقُتل مصاد أخو شَبيب ، وجعل شبيب ينتظِر النّفرَ الّذين تبعوا خالدًا فأبطئوا ، ونعس شبيب فأيقظَه حبيب بن خدرة ، وجعل أصحابُ الحجّاج لا يُقدِمون عليه هيبةً له ، وسار إلى دار الرّزْق ، فجمع رثّة(٢) مَن قُتل من أصحابه ، وأقبل الثمانية إلى موضع شبيب فلم يجدوه ، فظنوا أنّهم قتلوه ، ورجع مطرٌ وخالدٌ إلى الحجّاج فأمَرهما فأتبعا الرّهط الثمانية ، وأتبع الرّهط شبيبًا ، فمضوْا جميعًا حتّى قطعوا جسر المدائن ، فدخلوا دَيْرًا هنالك وخالد يَقْفُوهم ، فحصرهم فى الدَّير ، فخرجوا عليه فهزموه نحوًا من فرسخين حتّى ألقَوْا أنفسَهم فى دِجْلة بخَيلهم ، وألقَى خالدٌ نفسَه بفرسه فمرّ به ولواؤه فى يده ، فقال شبيب : قاتله الله فارسًا وفرَسَه ! هذا أشدّ الناس ، وفرسُه أقوى فرس فى الأرض ؛ فقيل له : هذا خالدُ بن عتّاب ، فقال : مُعْرَقٌ له فى الشجاعة ؛ والله لو علمتُ لأقحمتُ خلفه ، ولو دَخَل النار .

* * *

٩٦٩/٢ رجع الحديث إلى حديثِ أبى مِخنَف . عن أبى عَمرو العُذْرىّ ، أن الحجّاج دخل الكوفةَ حين انهزَم شبيب ، ثمّ صَعِد المنبر ، فقال : والله ما قُوتِل شَبيب قطّ قبلَها مثلَها ، وَلّى والله هاربًا ، وترك امرأته يُكسَر فى آستها القصب . ثمّ دعا حبيب بن

(١) ف : « ليخلصه » . (٢) الرثة : المتاع .

عبد الرحمن الحكميّ فبعثه فى أثره فى ثلاثة آلاف من أهل الشأم ، فقال له الحجّاج : احذَر بياتَه ، وحيثما لقيتَه فنازِله ، فإن الله قد فَلَّ حَدَّه ، وقصم نابَه . فخرج حبيبُ بنُ عبد الرحمن فى أثر شبيب حتّى نزل الأنبار ، وبعث الحجّاج إلى العمّال أن دُسُّوا إلى أصحاب شبيب أنّ مَنْ جاءنا منهم فهو آمِن ؛ فكان كلّ من ليست له تلك البصيرة ممّن قد هدّه القتال يجىء فيؤمن ، وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجّاج يومَ هُزِموا : إنّ من جاءنا منكم فهو آمِن ، فتفرّق عنه ناس كثير من أصحابه ، وبلغ شبيبًا مَنْزَلُ حبيب بنِ عبد الرحمن الأنبارَ ، فأقبَل بأصحابه حتّى إذا دنا من عسكرِهم نَزَل فصلّى بهم المغرب .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى أبو يزيدَ السكسَكىّ ، قال : أنا والله فى أهل الشأم ليلةَ جاءنا شبيب فبيّتَنا . قال : فلمّا أمسَيْنا جَمعَنا حبيبُ بنُ عبد الرحمن فجعلَنا أرباعًا ، وقال لكل رُبْع منا : ليُجزِئ كلّ رُبْع منكم جانبَه ، فإن قاتل هذا الرّبع فلا يُغثهم [1] هذا الرّبْع الآخَر ، فإنّه قد بلغنى أنّ هذه الخوارج منّا قريب ، فوطّنوا أنفسَكم على أنّكم مبيَّتون ومقاتَلون؛ فما زِلنا على تعبيتَنا حتّى جاءنا شبيب فبيّتنا ، فشدّ على رُبْع منّا ، عليهم عثمانُ بنُ سعيد العذرىّ فضاربهم طويلا ، فما زالتْ قدمُ إنسان منهم ، ثمّ تركهم وأقبلَ على الرّبْع الآخر . وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامرىّ فقاتلهم ، فما زالت قدم إنسان منهم ، ثمّ تركهم وأقبَل على الرّبع [2] الآخر وعليهم النعمان بن سَعْد الحميرىّ فما قدر منهم على شىء ، ثمّ أقبل على الربع الآخَر وعليهم ابنُ أقيصِر الخَثْعَمىّ فقاتلهم طويلا ، فلم يَظفر بشىء ، ثم أطاف بنا يحمِل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع اللّيل ، وألزّ بنا حتى قلنا ، لا يُفارِقنا ، ثم نازلنا راجلا طويلا ، فسقطتْ والله بيننا وبينهم الأيدى ، وفُقئت الأعيُن ، وكثرت القتلى ، قتلنا منهم نحوًا من ثلاثين ، وقتلوا منّا نحوًا من مائة ، والله لو كانوا فيما نرى يزيدون على مائة رجل لأهلَكونا ، وايمُ الله على ذلك ما فارَقونا حتّى مَلِلناهم وملّونا ، وكرِهونا وكرهناهم ،

٩٧٠/٢

(١) س : « يغنهم » ، ف : « يعنهم » . (٢) ف : « الرابع » .

ولقد رأيت الرجل منّا يضرب بسيفه الرجل منهم فما يضرّه شيء من الإعياء والضّعف ، ولقد رأيت الرّجل منّا يقاتل جالساً ينفح بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء[١] ، فلمّا يئسوا منّا ركب شبيب ثمّ قال لمن كان نزل من أصحابه : اركبوا ، فلمّا استووا على متون خيولهم وجّه[٢] منصرفاً عنّا .

٩٧١/٢

قال أبو مخنف : حدّثني فروة بن لقيط ، عن شبيب ، قال : لمّا انصرفنا عنهم وبنا كآبة شديدة ، وجراحة ظاهرة ، قال لنا : ما أشدّ هذا الّذي بنا لو كنّا إنما نطلب الدنيا ! وما أيسرَ هذا في ثواب الله! فقال أصحابُه : صدقت يا أمير المؤمنين ، قال : فما أنسَى منه إقبالَه على سُويد بن سليم ولا مقالتَه له : قتلتُ منهم أمس رجلين : أحدُهما أشجع الناسِ ، والآخر أجبَن الناس ، خرجتُ عشيّة أمس طليعةً لكم فلقيتُ منهم ثلاثةَ نفر دخلوا قريةً يشترون منها حوائجَهم ، فاشترى أحدُهم حاجتَه ، ثمّ خرج قبل أصحابه وخرجتُ معه ، فقال : كأنّك لم تشترِ علَفاً ، فقلت : إنّ لي رُفَقاءَ قد كفَوْني ذلك ، فقلت له : أين ترَى عدوّنا هذا نزَل ؟ قال : بلغني أنّه قد نزل منّا قريباً ، وايم الله لودِدْت أنّي قد لقيتُ شبيبَهم هذا ، قلت : فتحبّ ذلك؟ قال : نعم ، قلت : فخذ حِذْرَك ، فأنا والله شبيب ، وانتضَيْت سيْفي ، فخرّ والله ميّتاً ، فقلت له : ارتفِع ويْحَك[٣] ! وذهبتُ أنظُر فإذا هو قد مات ، فانصرفتُ راجعاً ، فأستقبِل الآخر خارجاً من القرية ، فقال : أين تذهب هذه الساعة ؟ وإنّما يرجع الناس إلى عسكرهم ! فلم أكلّمه ، ومضيتُ يقرِّب بي فرسي ، وأتبعني حتّى لحقني ، فقطعت عليه فقلت له : ما لَك ؟ فقال : أنتَ والله من عدوّنا ؟ فقلتُ : أجل والله ، فقال : والله لا تبرح حتّى تقتلني أو أقتلَك ، فحملت عليه وحمَل عليّ ، فاضطربْنا بسيْفينا ساعةً ، فوالله ما فضلْتُه في شدّة نفْس ولا إقدام إلا أن سيفي كان أقطَع من سيفه ، فقتلْتُه ؛ قال : فمضَينا حتّى قطعنا دِجلة ، ثم أخذْنا في أرض جُوخَى حتى قطعْنا دجلة مرّة أخرى من

٩٧٢/٢

(١) ب ، ف : « من الإعياء والضعف » . (٢) ب : « وجد » .
(٣) ب ، ف : « ارفع ويحك رأسك » .

عند واسِط ، ثم أخذنا إلى الأهواز ثمّ إلى فارس ، ثم ارتفعْنا إلى كِرْمان .

* * *

[ذكر الخبر عن مهلك شبيب]

وفى هذه السنة هلك شبيبٌ فى قولِ هشامِ بنِ محمّد . وفى قول غيرِه كان هلاكُه سنة ثمان وسبعين .

* ذكر سبب هلاكه :

قال هشام ، عن أبى مِخنَف : قال : حدّثنى أبو يزيدَ السَّكْسَكىّ ، قال : أقفَلنا الحَجّاج إليه — يعنى إلى شبيب — فقسَّم فينا مالاً عظيماً ، وأعطَى كل جريح منا وكل ذى بلاء ، ثمّ أمر سفيان بن الأبرد أن يسيرَ إلى شبيب ، فتجهّز سفُيان ، فشقّ ذلك على حبيب بن عبد الرحمن الحكمىّ ، وقال : تبعث سفُيْانَ إلى رجل قد فللتَه وقتلتَ فُرسانَ أصحابه ! فأمضى سفيان بعدَ شهرين ، وأقام شبيب بكِرْمان ، حتّى إذا انجبر واستراش هو وأصحابُه أقبل راجعاً ، فيستقبله سفُيْان بجِسْر دُجيل الأهواز ، وقد كان الحجّاج كتب إلى الحكَم بن أيّوب بن الحكَم بن أبى عقيل ، وهو زوج ابنة الحجّاج وعاملُه على البَصْرة . ٩٧٣/٢

أما بعد ، فابعثْ رجلا شجاعاً شريفاً من أهل البصْرة فى أربعةِ آلاف إلى شبيب ، ومُرْه فليَلْحق بسفُيْان بن الأبرد ، وليَسْمع له ولْيُطعْ .

فبعث إليه زياد بن عَمْرو العتَكىّ فى أربعة آلاف ، فلم ينته إلى سفُيان حتى التقى سفُيْان وشبيب ، ولمّا أن التقيا بجِسْر دجيل عبر شبيب إلى سفُيان فوجد سفُيانَ قد نزَل فى الرجال ، وبعث مُهاصر[1] بن صيفىّ العُذرىّ على الخيل ، وبعث على ميمنته بِشر بن حسّان الفِهْرىّ ، وبعث على ميسرته عمر بن هُبَيرة الفزارىّ ، فأقبل شبيب فى ثلاثة كراديسَ من أصحابه ، هو فى كتيبة وسُوَيد فى كتيبة ، وقَعنَب المُحلّمىّ فى كتيبة ، وخلّف المحلّل بن وائل فى عسكرِه . قال : فلمّا حمل سُويد وهو فى ميمنته

(١) ف : « مضاهر » .

على ميسرة سُفْيانَ ، وقعنبٌ وهو فى ميسرته على ميمنته حَمَل هو على سُفْيان ، فاضْطَرَبْنا طويلا من النهار ، حتّى انحازوا فرجعوا إلى المكان الّذى كانوا فيه ، فكرّ علينا هو وأصحابه أكثرَ من ثلاثين كَرّة ، كلّ ذلك لا نزول من صفّنا . وقال لنا سُفْيان بنُ الأبرد: لاتتفرّقوا ، ولكن لِتزحَف الرجالُ إليهم زحفًا ، فوالله ما زلْنا نطاعِنُهم ونضاربهم حتّى اضطررناهم إلى الجِسْر ، فلمّا انتهى شبيب إلى الجِسْر نزل ونزل معه نحوٌ من مائة رجل ، فقاتَلْناهم حتى المساء أشدّ قتال قاتله قومٌ قطّ ، فما هو إلا أن نزلوا فأوقعوا لنا من الطّعن والضّرب شيئًا ما رأينا مِثلَه من قوم قطّ . فلمّا رأى سفيانُ أنّه لا يَقدِر عليهم ، ولا يأمن مع ذلك ظفرهم ، دعا الرّماةَ فقال : ارشقُوهم بالنّبل ، وذلك عند المساء ، وكان التقاؤهم نصفَ النهار ، فرماهم أصحابُ النّبل بالنّبل عند المساء ، وقد صَفّهم سُفْيان بن الأبرد على حِدَة ، وبعث على المُرامِية رجلا ، فلمّا رشقوهم بالنّبل ساعةً شدّوا عليهم ، فلمّا شدّوا على رُماتنا شَدَدْنا عليهم ، فشغَلْناهم عنهم ، فلما رموا بالنّبل ساعةً ركب شبيب وأصحابُه ثمّ كَرُّوا على أصحاب النّبل كرّةً صُرِع منهم أكثرُ من ثلاثين رجلا ، ثمّ عطف بخَيْله علينا ، فمشى عامدًا نحونا ؛ فطاعَنّاه حتّى اختَلط الظلام ، ثمّ انصَرَف عنّا ، فقال سُفيان لأصحابه : أيُّها الناس ، دَعُوهم لا تتّبعوهم حتى نُصبِّحهم غُدْوة . قال : فكَفَفْنا عنهم وليس شىء أحبّ إلينا من أن ينصرفوا عنّا .

٩٧٤/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى فَرْوة بنُ لَقيط ، قال : فما هو إلاّ أن انتهَينا إلى الجِسْر ، فقال : اعبرُوا معاشرَ المسلمين ، فإذا أصبَحْنا باكَرْناهم إن شاء الله ، فعَبَرْنا أمامَه ، وتخلّف فى أخرانا ، فأقبل على فرسه ، وكانت بين يديه فرس أنثى ماذيانة ، فنزا فرسُه عليها وهو على الجِسر فاضطربَت الماذيانة ، ونزل حافرُ رجل فرس شبيب على حرف السّفينة ، فَسقَط فى الماء ، فلمّا سَقَط قال : ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ . فارتمس[1] فى الماء ، ثمّ ارتفَع فقال : ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ .

٩٧٥/٢

(١) ارتمس فى الماء . إذا انغمس فيه حتى يغيب رأسه وجميع جسده فيه .

قال أبو مخنَف : فحدثني أبو يزيد السَّكْسكيّ بهذا الحديث — وكان ممَّن يقاتله من أهل الشأم، وحدّثني فَروة بنُ لقيط ، وكان ممَّن شهد مواطنَه — فأمَّا رجل من رهطه من بنى مُرّة بن همَّام فإنّه حدّثنى أنه كان معه قومٌ يقاتلون من عشيرته ، ولم يكن لهم تلك البصيرةُ النافذة، وكان قد قتل من عشائرهم رجالا كثيرًا ، فكأن ذلك قد أوجع قلوبَهم ، وأوغَرَ صدورَهم ؛ وكان رجلٌ يقال له مُقاتل من بنى تيم بن شَيْبان من أصحاب شبيب ، فلمَّا قتل شبيبٌ رجالاً من بنى تَيم بن شيبانَ أغار هو على بنى مُرّة بن همَّام فأصاب منهم رجلا ، فقال له شبيب : ما حمَلك على قَتلِهم بغيرِ أمرى ! فقال له : أصلحك الله ! قتلتُ كفَّار قومى، وقتلتَ كفَّار قومك، قال : وأنت الوالى علىّ حتَّى تقطع الأمور دُونى ! فقال : أصلَحك الله ! أليس من دِيننا قتل مَنْ كان على غير رأينا، منَّا كان أو مِنْ غيرِنا ! قال: بلى، قال : فإنَّما فعلت ما كان ينبغى ، ولا والله يا أمير المؤمنين ما أصبت من رهطك عُشر ما أصبت من رهطى ، وما يحلّ لك يا أمير المؤمنين أن تَجِد من قَتْل الكافرين ؛ قال : إنى لا أجِد من ذلك . وكان معه رجال كثير قد أصاب من عشائرهم ، فزعموا أنَّه لمَّا تخلَّف فى أخْريات أصحابِه قال بعضُهم لبعض: هل لكم أن نقطع به الجِسْر فندْركَ ثأرَنا الساعة ! فقطعوا الجِسْر ، فمالت السفُن، فَفزِع الفرس ونفر ، ووقع فى الماء فغرِق . ٩٧٦/٢

قال أبو مخنَف : فحدّثنى ذلك المُرّىّ بهذا الحديث ، وناسٌ من رَهْط شبيب يَذْكرون هذا أيضًا ؛ وأمَّا حديث العامَّة فالحديثُ الأوّل .

قال أبو مِخنَف : وحدّثنى أبو يزيدَ السَّكْسَكىّ ، قال : إنَّا واللهِ لنتهيَّأ للانصراف إذ جاء صاحبُ الجسر فقال : أين أميرُكم ؟ قلنا : هو هذا ، فجاءه فقال : أصلَحك الله ! إن رجلاً منهم وقع فى الماء ، فتنادَوا بينهم : غَرِق أميرُ المؤمنين ! ثمّ إنَّهم انصرفوا راجعين ، وتركوا عسكرَهم ليس فيه أحد ، فكبَّر سفُيانُ وكبَّرنا ، ثمّ أقبل حتَّى انتهى إلى الجسر ، وبعث مُهاصِر بن صَيْفىّ فعبر إلى عسكرهم ، فإذا ليس فيه منهم صافِرٌ

ولا آثِر[١] ، فنزل فيه ، فإذا أكثرُ عسكر خلقِ الله خيرًا ، وأصبَحْنا فطلبنا شبيبًا حتّى استخرَجْناه وعليه الدّرْع ، فسمعتُ النّاس يزْعمون أنه شَقّ بطنَه فأخرج قلبَه ، فكان مجتمِعا صُلْبًا كأنّه صَخْرة ، وإنّه كان يَضرِب به الأرض فيَثِب قامةَ إنسان ؛ فقال سفيان : احْمَدوا الله الّذى أعانكم فأصبح عسكرهم فى أيدينا .

قال أبو زيد عُمر بنُ شَبّة : حدّثنى خلاّد بنُ يزيد الأرقط ، قال : كان شبيب يُنْعَى لأمّه فيقال : قتِل فلا تَقبل قال : فقيل لها : إنّه غرِق ، فقَبِلتْ ، وقالت : إنى رأيتُ حين ولدتُه أنّه خرج مِنّى شِهاب نار ، فعَلِمتُ أنه لا يُطفِئه إلاّ الماء .

٩٧٧/٢ قال هِشام عن أبى مِخنَف : حدّثنى فَرْوة بن لقَيط الأزْدىّ ثمّ الغامرىّ أن يزيد بن نُعيْم أبا شبيب كان ممّن دخل فى جيش سَلْمان بن ربيعة إذ بعث به وبمن معه[٢] الوليد بن عُقْبة عن أمرِ عثمانَ إيّاه بذلك مَدَدا لأهل الشأم أرض الروم ، فلمّا قَفَل المسلمون أقيمَ السَّبى للبيع ، فرأى يزيد ابن نُعَيم أبو شبيب جاريةً حمراءَ ، لا شَهْلاء ولا زَرْقاء طويلةً جميلةً تأخُذُها العين ، فابتاعَها ثم أقبل بها ، وذلك سنة خمس وعشرين أوّل السنة ، فلمّا أدخلَها الكوفة قال : أسلِمى ، فأبتْ عليه ، فضربها فلم تزدَد إلا عصيانًا ، فلمّا رأى ذلك أمر بها فأصلِحت ، ثمّ دعا بها فأدخِلَتْ عليه ، فلما تغَشّاها تَلَقّتْ منه بحَمْل فولدتْ شبيبًا ، وذلك سنة خمس وعشرين فى ذى الحجّة فى يومِ النّحر يومَ السبت . وأحبّت مولاها حُبًّا شديدًا — وكانت حَلوثة[٣] — وقالت : إن شئت أجبتُك إلى ما سألتَنى من الإسلام ، فقال لها : شئتُ ، فأسلَمَت ، وولدتْ شبيبًا وهى مُسْلمة ، وقالت : إنى رأيت فيما يَرَى النائم أنّه خرج من قُبُلى شِهابٌ فثقب يسطع حتّى بلغ السماءَ وبَلغ الآفاقَ كلّها ، فبينا هو كذلك إذ وقع فى ماء كثير جارٍ فخبا ، وقد ولدتُه فى يومِكم هذا الّذى تُهريقون فيه الدماء ، وإنى

---

(١) يقال : ما فى الدار من صافر ، أى أحد يصفر ، وهو مثل .

(٢) ا : « معد الوليد بن عقبة » . (٣) كذا فى ا ، وفى ط : « تحدثه » .

قد أوّلْتُ رؤيايَ هذه أنى أرى ولِدى هذا غلامًا، أراه سيكون صاحب دماء يُهَرِيقها، وإنى أرى أمره سيعلو ويَعظم سريعًا. قال: فكان أبوه يَختلف ٢/٩٧٨ به وبأمّه إلى البادية إلى أرضِ قومه على ماء يُدعَى اللّصَف.

قال أبو مِخنَف: وحدّثنى موسى بنُ أبى سُوَيد بن رادِى أنّ جُنْدَ أهل الشام الّذين جاءوا حملوا معهم الحَجَر فقالوا: لا نفرّ من شبيب حتّى يفرّ هذا الحجر؛ فبلغ شبيبًا أمرُهم، فأراد أن يكيدهم، فدعا بأفراس أربعة، فربط فى أذنابها ترَسة فى ذَنَب كلّ فرس تُرْسَيْن، ثمّ ندب معه ثمانيةَ نفر من أصحابه، ومعه غلامٌ له يقال له حيّان، وأمره أن يحمل معه إداوةً من ماء، ثم سار حتّى يأتى ناحيةً من العسكر، فأمر أصحابه أن يكونوا فى نواحى العسكر، وأن يجعلوا مع كلّ رجلين فرسًا، ثم يُمِسُّوها الحديدَ حتّى تجد حرّه ويخلّوها فى العسكر، وواعدهم تلعةً قريبةً من العسكر، فقال: من نجا منكم فإنّ موعده هذه التّلْعة؛ وكره أصحابُه الإقدامَ على ما أمرهم به، فنزل حيثُ رأى ذلك منهم حتى صنع بالخَيْل مِثلَ الّذى أمرهم، ثمّ وغلتْ فى العسكر، ودخل يَتْلوها مُحكّمًا فضرب الناسُ بعضُهم بعضًا، فقام صاحبُهم الّذى كان عليهم، وهو حبيب بن عبد الرحمن الحَكَمىّ، فنادى: أيها الناس، إنّ هذه مكيدة، فالزَموا الأرض حتّى يتبيّن لكم الأمرُ، ففعلوا وبقى شبيب فى عسكرهم، فلزم الأرض حيث رآهم قد سكنوا، وقد أصابتْه ضَربةُ عمود أوهنتْه، فلمّا أن هدأ الناسُ ورجعوا إلى أبنيتهم خرج فى غِمارهم حتّى أتى التلعة، ٢/٩٧٩ فإذا هو بحيّان، فقال: أفرِغ يا حيّان على رأسى من الماء؛ فلمّا مدّ رأسه ليصبّ عليه من الماء همّ حيّان أن يَضرِب عنقه، فقال لنفسه: لا أجد لى مكرُمةً ولاذِكرًا أرفعَ مِن قتلِى هذا، وهو أمانى عند الحجّاج، فاستقبلتْه الرِّعْدة حيثُ همّ بما همّ به، فلمّا أبطأ بحَلّ الإداوة قال: ما يُبطئك بحلّها! فتناوَل السّكين من مَوْزَجه(١) فخرَقها به، ثمّ ناولها إياه، فأفرَغ عليه من الماء. فقال حيان: منعَنى واللهِ الجُبْن وما أخذَنى من

(١) الموزج: الخف، فارسى معرب. الجواليق ٣١١.

الرِّعدة أن أضرِب عُنقه بعد ما هممتُ به . ثمّ لَحِق شبيب بأصحابه فى عسكره .

* * *

[خروج مطرّف بن المغيرة على الحجّاج وعبد الملك]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة خرج مُطَرّف بن المغيرةِ بن شُعْبة على الحجّاج ، وخلع عبد الملك بن مروان ولحق بالجبال فقُتل .

* ذكر السبب الذى كان عند خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان :

قال هشامٌ عن أبى مخنَف ، قال : حدّثنى يوسفُ بنُ يزيدَ بن بكر الأزْدىّ أنّ بنى المغيرة بن شعبة كانوا صُلَحاء نُبَلاء ، أشرافًا بأبدانهم سوى شَرف أبيهم ومنزلتِهم[1] فى قومهم . قال : فلمّا قدم الحجاج فلقوه وشافَهَهم عَلِم أنّهم رجال قومه وبنو أبيه ، فاستعمل عُروةَ بنَ المغيرة على الكوفة ، ومطرّفَ بنَ المغيرة على المدائن ، وحمزة بن المغيرة على هَمَذان . ٩٨٠/٢

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى الحُصَين بن يزيد بن عبدالله بن سعد بن نُفَيل الأزْدىّ ، قال : قَدِم علينا مطرّف بنُ المغيرة بنِ شُعْبة المدائن فصَعِد المنبرَ فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ثمّ قال : أيّها الناس ، إن الأمير الحجّاجَ أصلحه الله قد ولّانى عليكم ، وأمَرَنى بالحُكْم بالحق ، والعدل فى السيرة ، فإن عملتُ بما أمَرنى به فأنا أسعدُ الناس ، وإن لم أفعلْ فنفسى أوبَقْتُ ، وحظّ نفسى ضيّعت ، ألَا [2] إنى جالس لكم العَصْرين ، فارفَعوا إلىّ حوائجكم[2] ، وأشيروا علىّ بما يصلحكم ويُصلح بلادَكم ، فإنى لن آلُوكم خيرًا ما استَطعتُ . ثمّ نزل .

وكان بالمدائن إذ ذاك رجالٌ من أشراف أهل المصْر وبيوتات الناس ، وبها مقاتلة لا تسعُها عدّة ، إن كان كَوْنٌ بأرض جُوخَى أو بأرض الأنبار . فأقبل مطرّف حين نزل حتّى جلس للناس فى الإيوان ، وجاء حكيمُ بنُ الحارث الأزدىّ يمشى نحوه ، وكان من وجوه الأزد وأشرافِهم ، وكان الحجّاج قد

---

(١) ا : « وميراثهم » .
(٢ – ٢) ب ، ف : « ارفعوا إلى حوائجكم فإنى جالس لكم العصرين » .

استعمله بعد ذلك على بيت المال — فقال له: أصلحك الله ! إنى كنتُ منك نائيًا حين تكلّمتَ ، وإنى أقبلتُ نحوك لأجيبَك ، فوافَق ذلك نزولك، إنّا قد فهمنا ما ذكرتَ لنا ، أنّه عهد إليك ، فأرشد اللهُ العاهدَ والمعهودَ إليه، وقد منّيتَ من نفسك العَدل ، وسألتَ المعونة على الحقّ، فأعانك الله على ٢/٩٨١ ما نويتَ ، إنّك تُشبه أباك فى سيرته برضا الله والناس ، فقال له مطرّف : ها هنا إلىّ؛ فأوسَع له فجلَس إلى جَنْبِه .

قال أبو مخنَف : فحدّثنى الحُصَين بن يزيدَ أنّه كان من خير عامل قدم عليهم قطّ ، أقمعه لمُريب ، وأشدّه إنكارًا للظلم ، فَقدِم عليه بشر بن الأجْدَع الهَمْدانىّ ، ثم الثورىّ ، وكان شاعرًا فقال :

إنى كلِفتُ بَخَود غيرِ فاحشةٍ غَرَّاءَ وَهْنَانَةٍ حُسَّانَةِ الجِيدِ
كأنَّها الشمس يومَ الدَّجْنِ إذ برَزَتْ تمشى مَعَ الآنُسِ الهيفِ الأَماليدِ
سلِّ الهوى بعَلَنْدَاةٍ مُذَكَّرَةٍ عنها إلى المُجْتَدَى ذى العُرْف والجود
إلى الفتى الماجِدِ الفيَّاضِ نَعرفهُ فى الناس ساعةَ يُحْلَى كلّ مردُود
منَ الأَكارم أنْسَاباً إذا نُسِبُوا والحامِل الثِّقْل يومَ المغرَم الصِّيدِ
إنى أعِيذُكَ بالرحمنِ مِن نَفَرٍ حمر السِّبال كأُسْدِ الغابةِ السُّودِ
فُرسانُ شَيْبان لم نسمعْ بِمثلِهِم أَبناءُ كلِّ كريم النَّجلِ صِنديدِ ٢/٩٨٢
شَدُّوا على ابنِ حُصينٍ فى كَتِيبَتِهِ فغادَرُوهُ صريعاً ليلةَ العِيدِ
وابنُ المجالِدِ أَرْدَتْهُ رمَاحُهُمُ كأنَّما زَلَّ عن خَوصاءَ صَيْخُودِ
وكلُّ جَمعٍ بروذابارَ كان لهمْ قد فُضَّ بالطَّعن بينَ النَّخلِ والبيدِ

فقال له: وَيْحَك! ماجئت إلالترغّبنا . وقدكان شبيب أقبل من ساتِيدما ، فكتب مطرّف إلى الحجّاج :

أمّا بعد ، فإنى أخبِر الأميرَ أكرَمه الله أنّ شبيبًا قد أقبل نحونا ، فإن رأى الأميرُ أن يُمِدّنى برجال أضبط بهم المَدائن فعَل ، فإن المدائن بابُ الكوفة وحصنُها .

فبعث إليه الحجّاجُ بنُ يوسفَ سَبْرَة بن عبد الرحمن بن مِخنَف فى مائتين وعبد الله بنَ كنّاز فى مائتين ، وجاء شبيب فأقبل حتّى نزل قناطرَ حُذَيفة ، ثمّ جاء حتّى انتهى إلى كَلْوَاذا ، فعَبر منها دِجلة ، ثم أقبل حتى نزل مدينة بَهُرَسير ومطرّف بن المغيرة فى المدينة العتيقة الّتى فيها منزل كِسْرى والقَصْر الأبيض ، فلمّا نزل شبيب بَهُرَسير قطع مطرّف الجِسر فيما ٩٨٣/٢ بينه وبين شبيب ، وبعث إلى شبيب أن ابعثْ إلىّ رجالا من صُلَحاء أصحابك أدارِسْهم القرآن ، وأنظر ما تَدْعون إليه ، فبعث إليه رجالا ؛ منهم سويد بن سُليم وقعْنب والمحلّل بن وائل ، فلما أدنِيَ منهم المِعْبر وأرادوا أن يَنزِلوا فيه أرسَل إليهم شبيب ألّا تدخلوا السَّفينة حتّى يرجع إلىّ رسولى من عند مطرّف ، وبعث إلى مطرّف : أن ابعثْ إلىّ بعِدّة من أصحابك حتّى تردّ علىّ أصحابى ، فقال لرسوله : القَه فقل له : فكيف آمنُكَ على أصحابى إذا بعثتُهم الآن إليك ، وأنتَ لا تأمنى على أصحابك! فأرسَلَ إليه شبيب : إنّك قد علمتَ أنّا لا نستحلّ فى دِيننا الغَدْر ، وأنتم تفعلونه وتهوّنونه . فسَرّح إليه مطرّف الربيعَ بنَ يزيدَ الأسدىّ ، وسليمان بن حُذَيفَة بنَ هلال بن مالك المزَنىّ ، ويزيدَ بن أبى زياد مولى المغيرة — وكان على حَرَس مطرّف — فلمّا وقعوا فى يديه بعث أصحابَه إليه .

قال أبو مِخنَف :

حدثنى النّضرُ بنُ صالح ، قال : كنت عند مطرّف بن المغيرة ابن شُعْبة فما أدرى أقال : إنى كنت فى الجنـد الّذين كانوا معه ، أو قال : كنت بإزائه حيث دخلتْ عليه رُسُلُ شبيب ! وكان لى ولأخى وَدّاً مكرمًا ، ولم يكن ليستر منّا شيئًا ، فدخلوا عليه وما عنده أحدٌ من ٩٨٤/٢ الناس غيرى وغير أخى حلاّم بن صالح ، وهم ستّة ونحن ثلاثة ، وهم شاكُون فى السلاح ، ونحن ليس علينا إلا سيوفنا ، فلمّا دَنوا قال سُوَيد : السَّلام على من خاف مقام ربه وعرفَ الهُدَى وأهلَه ، فقال له مطرّف : أجَلْ ، فسلّم الله على أولئك ، ثم جلس القومُ ، فقال لهم

مطرّف : قُصّوا علىّ أمرَكم ، وخبّرونى ما الّذى تَطلُبون ؟ وإلامَ تَدْعون ؟ فحَمِدَ الله سُويدُ بن سُليم وأثنى عليه ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّ الذى نَدْعو إليه كتاب الله وسنّة محمد صلّى الله عليه وسلّم ، وإنّ الذى نقمنا على قومنا الاستئثار بالفَىْء وتعطيل الحدود والتسلّط بالجبريّة . فقال لهم مطرّف : ما دعوتم إلا إلى حقّ ، ولا نقَمْتم إلا جَوْرًا ظاهرًا ، أنا لكم على هذا متُابع ، فتابِعونى إلى ما أدعوكم إليه ليجتمعَ أمرى وأمرُكم ، وتكون يدى وأيديكم واحدة ، فقالوا : هاتِ ، اذكر ما تريد أن تَذكُر ، فإن يكن ما تدعونا إليه حقًّا نُجِبْك ؛ قال : فإنى أدعوكم إلى أن نقاتل هؤلاء الظَّلَمَةَ العاصين على إحداثهم الّذى أحدثوا[1] ، وأن ندعوَهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ، وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين ، يؤمّرون عليهم من يرضوْن لأنفسهم على مثل الحال التى تركهم عليها عمرُ بنُ الخطّاب ؛ فإنّ العرب إذا علمتْ أنّ ما يراد بالشورَى الرِّضا من قريش رَضُوا ، وكثر تبعُكم منهم وأعوانُكم على عدوّكم ، وتمّ لكم هذا الأمر الّذى تريدون .

قال : فوَثَبوا مِن عنده ، وقالوا : هذا ما لا نجيبك إليه أبدًا ، فلمّا مَضَوْا فكادوا أن يخرجوا من صُفّة البيت التفت إليه سُويد بن سليم ، فقال : يابن المغيرة ، لوكان القوم عُداةً غُدُرًا كنتَ قد أمكنتَهم من نفسك ، ففَزِع لها مطرّف ، وقال : صدقتَ وإله موسى وعيسى . ٢/٩٨٥

قال : ورجعوا إلى شبيب فأخبروه بمَقالته ، فطَمع فيه ، وقال لهم : إنْ أصبحتم فليأتِه أحدُكم ؛ فلمّا أصبحوا بعث إليه سُويدًا وأمَرَه بأمره ، فجاء سُوَيد حتّى انتهى إلى باب مطرّف ، فكنتُ أنا المستأذِن له ، فلمّا دخل وجلس أردتُ أن أنصرفَ ، فقال لى مطرّف : اِجلسْ فليس دونَك سِتر ؛ فجلستُ وأنا يومئذ شابّ أغيَد ، فقال له سويد : مَن هذا الذى ليس لك دونَه سِتْر ؟ فقال له : هذا الشّريف الحسيب ، هذا ابنُ مالك بنِ زُهير بنِ جَذِيمة ، فقال له : بَخ أكرمت فارتبِط ، إن كان دِينُه على

---

(١) ا ، س : « على أحداثهم التى أحدثوا » .

قدْر حسبه فهو الكامل ، ثم أقبل عليه فقال : إنَّا لقينا أميرَ المؤمنين بالَّذى ذكرتَ لنا ، فقال لنا : القَوْه فقولوا له : ألستَ تعلَم أنّ اختيار المسلمين منهم خيرَهم لهم فيما يرون رأىٌ رشيد ! فقد مضتْ به السنة بعدَ الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم ، فإذا قال لكم : نعم ، فقولوا له : فإنّا قد اختَرنا لأنفسنا أرضَانا فينا ، وأشدّنا اضطلاعًا لِمَا حُمّل ، فما لم يغيِّر ولم يُبدّل فهو ولىُّ أمرِنا . وقال لنا : قُولوا له فيما ذكرت لنا من الشورى حين قلتَ : إنّ العرب إذا علمتْ أنّكم إنّما تريدون بهذا الأمر قُرَيشًا[1] كان أكثر لتبعكم منهم ؛ فإنّ أهلَ الحقّ لا ينقُصُهم عند الله أن يقِلّوا ، ولا يزيد الظالمين خيرًا أن يَكثُروا ، وإن تركنا حقَّنا الّذى خرجْنا له ، ودخولنا فيما دعوتنا إليه من الشورى خطيئةٌ وعَجْز ورُخصةٌ إلى نصر الظالمين ووَهْن ، لأنّا لا نرى أنّ قريشًا أحقّ بهذا الأمر من غيرها من العرب . وقال[2] : فإن زعم أنّهم أحقّ بهذا الأمر من غيرِها من العرب فقولوا له : ولم ذاك ؟ فإن قال : لقرابة محمَّد صلَّى الله عليه وسلم بهم فقولوا[3] له : فوالله ما كان يَنبغِى إذًا لأسلافنا الصالحين من المهاجرين الأوّلين أن يتولَّوا على أسْرة محمَّد ، ولا على ولد أبى لَهَب لو لم يبقَ غيرُهم ؛ ولولا أنّهم علموا أنّ خيرَ الناس عندَ الله أتقاهم ، وأنّ أوْلاهم بهذا الأمر أتْقاهم وأفضلهم فيهم ، وأشدّهم اضطلاعًا بحَمْل أمورهم ما تَولَّوا أمور الناس ، ونحن أوّل مَن أنكر الظلم وغيَّر الجَوْر وقاتَل الأحزاب ، فإن اتَّبَعنا فله ما لنا وعليه ما علَيْنا ، وهو رجلٌ من المسلمين ، وإلا يفعلْ فهو كبعضِ من نُعادِى ونُقاتِل من المشركين .

فقال له مطرّف : قد فهمتُ ما ذكرتَ ، ارجع يومَك هذا حتَّى تنظرَ فى أمرنا .

فرجع ، ودعا مطرّف رجالاً من أهل ثِقاتِه وأهلِ نُصائحه ؛ منهم سليمانُ بنُ حذيفة المُزَنىِ ، والرّبيع بنُ يزيدَ الأسَدىّ . قال النّضر بن صالح : وكنتُ أنا ويزيد بن أبى زياد مولَى المغيرة بن شُعْبة قائمَين على

(١) ب : « قريشياً » . (٢) ط : « فقال له » . (٣) ط : « فقل » .

رأسه بالسَّيف ، وكان على حرَسه ، فقال لهم مطرِّف : يا هؤلاء ، إنَّكم نُصحائى وأهلُ مودّتى ومَن أثق بصلاحه وحسن رأيه ، والله ما زلتُ لأعمال هؤلاء الظَّلَمة كارهاً ، أنكرها بقلبى ، وأغيّرها ما استطعتُ بفعلى وأمرى ، فلمَّا عظمتْ خطيئتُهم ، ومرّ بى هؤلاء القومُ يجاهدونهم ، لم أرَ أنَّه يسعنى إلا مناهَضتَهم وخِلافَهم إنْ وجدتُ أعوانًا عليهم ، وإنى دعوتُ هؤلاء القومَ فقلت لهم كَيْتَ وكَيْت ، وقالوا لى كيتَ وكَيت ، فلستُ أرى القتالَ معهم ، ولو تابَعونى على رأيى وعلى ما وصفتُ لهم لخلعتُ عبدَ الملك والحجَّاج ، ولسرْت إليهم أجاهدهم . فقال له المزَنىّ : إنَّهم لن يُتابِعوك ، وإنَّك لن تُتابِعَهم فأخْفِ هذا الكلامَ ولا تُظهِرْه لأحد ، وقال له الأسَدىّ مثل ذلك ، فجثَا مولاه ابن أبى زِياد على ركبتيْه ثمّ قال : والله لا يَخفَى ممَّا كان بينَك وبينَهم على الحجَّاج كلمة واحدة ، ولَيُزادَنّ على كلّ كلمة عشرة أمثالها ، والله أن لو كنتَ فى السَّحاب هاربًا من الحجَّاج ليلتمسنّ أن يصل إليك حتَّى يُهلِكك[1] أنتَ ومَنْ معك ؛ فالنَّجاءَ النجاء من مكانك هذا ، فإنّ أهلَ المَدائن من هذا الجانب ومن ذاك الجانب ، وأهل عسكر شبيب يتحدّثون بما كان بينك وبين شبيب ، ولا تمس من يومك هذا حتَّى يَبْلُغَ الخبرُ الحجَّاج ؛ فاطلبْ دارًا غيرَ المَدائن . فقال له صاحباه : ما نرَى الرأى إلا كما ذكرلك[2] ، قال لهما مطرّف : فما عندكما ؟ قالا : الإجابَة إلى ما دعوْتَنا إليه والمؤاساة لك بأنفسنا على الحجَّاج وغيره . قال : ثمّ نظر إلىّ ، فقال : ما عندَكَ ؟ فقلت : قتال عدوّك ، والصَّبر معك ما صبرتَ ، فقال لى : ذاك الظَّنّ بك .

٢/٩٨٨

قال : ومكث حتَّى إذا كان فى اليوم الثالث أتاه قعنب فقال له : إنْ تابعتَنا فأنتَ منَّا ، وإن أبيت فقد نابذْناك ، فقال : لا تعجلوا اليومَ فإنَّا ننظر .

قال : وبعث إلى أصحابه أن ارحلوا اللَّيلةَ من عند آخركم حتَّى توفُوا الدّسْكرة معى لحدَث حدث هنالك .

---

(١) ب ، ف : « تهلك » . (٢) ب ، ف ، « ما قال » .

ثم أدلجَ وخرج أصحابُه معه حتّى مرَّ بدَيْر يَزْدَجِرد فنزله ، فلقيه قَبيصةُ بنُ عبد الرحمن القحافيّ من خَثْعم ، فدعاه إلى صُحبته ، فصَحِبه فكَساه وحَمَلَه ، وأمرَ له بنَفقة ، ثم سَار حتى نزل الدَّسكرة ، فلمّا أراد أن يرتحل منها لم يجد بدًّا من أن يُعلِمَ أصحابَه ما يريد ، فجمع إليه رءوسَ أصحابِه ، فذكر الله بما هو أهلُه وصلَّى على رسوله ، ثم قال لهم : أمَّا بعد ، فإنّ الله كتب الجهاد على خَلْقه ، وأمر بالعدل والإحسان ، وقال فيما أنزَل علينا : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1] وإنى أشهِد اللهَ أنى قد خلعتُ عبدَ الملك بنَ مروانَ والحجّاجَ بن يوسفَ ، فمن أحبّ منكم صُحبتى وكان على مثل رأيى فليُتابعْنى ، فإن له الأسوة وحُسن الصّحبة ، ومَن أبى فليذهب حيث شاء ، فإنى لست أحبّ أن يتّبعني من ليست له نيّةٌ فى جهادِ أهلِ الجَوْر ، أدعوكم إلى كتابِ الله وسنّة نبيّه وإلى قِتال الظّلمة ، فإذا جمع الله لنا أمرَنا كان هذا الأمرُ شُورَى بين المسلمين يرتَضون لأنفسهم مَن أحبُّوا . ٩٨٩/٢

قال : فوثَب إليه أصحابُه فبايعوه ، ثمّ إنّه دخل رحلَه وبعث إلى سَبْرة بن عبد الرحمن بن مِخنَف وإلى عبد الله بن كنّاز النّهدىّ فاستخلاهما ، ودعاهما إلى مثل ما دعا إليه عامّة أصحابه ، فأعطَياه الرّضَا ، فلمّا ارْتَحَل انصرفا بمن معهما من أصحابِه حتّى أتيَا الحجّاج فوجداه قد نازَل شبيبًا ، فشهِدا معه وقعة شبيب . قال : وخرج مطرّف بأصحابه من الدَّسْكرة موجّهًا نحو حُلْوان ، وقد كان الحجّاج بعث فى تلك السنة سُويد بن عبدالرحمن السّعدىّ على حُلوان وماسبذان ؛ فلمّا بلَغه أنّ مطرّف بن المغيرة قد أقبل نحو أرضِه عرَف أنّه إن رَفَق فى أمره أو داهَن لا يَقبل ذلك منه الحجّاج ، فجمع له سُويد أهلَ البلد والأكراد ، فأما الأكراد فأخذوا عليه ثَنيّة حُلْوان ، وخرج إليه سُويد وهو يحبّ أن يَسلَم من قتاله ، وأن يُعافَى من الحجّاج ، فكان خروجُه كالتعذير .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى عبدُ الله بنُ علقمة الخَثعمىّ أنّ

(١) سورة المائدة: ٢ .

الحجّاج بن جارية الخثعمىّ حين سمع بخروج مطرّف من المدائن نحو الجبل أتبعه فى نحو من ثلاثين رجلا من قومه وغيرهم . قال : وكنت فيهم فلحقناه بحلوانَ ، فكنّا ممّن شهد معه قتال سُوَيد بن عبد الرحمن . ٩٩٠/٢

قال أبو مخنف : وحدثنى بذلك أيضًا النّضْر .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبدُ الله بنُ علقمة . قال : ما هو إلا أن قدمنا على مطرّف بن المغيرة ، فسُرّ بمَقدَمنا عليه ، وأجلس الحجّاج ابنَ جارية معه على مجلسه .

قال أبو مخنف : وحدّثنى النضرُ بن صالح ، وعبدُ الله بنُ علقمة ، أنّ سُويداً لمّا خرج إليهم بمن معه وقف فى الرّجال ولم يخرج بهم من البُيوت ، وقدِم ابنهُ القَعقاع فى الخَيْل ، وما خيلُه يومئذ بكثير .

قال أبو مخنف : قال النّضر بنُ صالح : أراهم كانوا مائتين ، وقال ابن عُلقمة : أراهم كانوا ينقصون عن[1] الثلثمائة . قال : فدعا مطرّف الحجّاج بن جارية فسرّحه إليهم فى نحو من عِدّتهم[2] ، فأقبَلوا نحوَ القَعْقاع وهم جادّون فى قتاله ، وهم فرسان متعالمون ، فلمّا رآهم سُويد قد تيسّروا[3] نحوَ ابنه أرسل إليهم غلامًا له يقال له رُستم — قُتل معه بعد ذلك بدَيْر الجماجم — وفى يده رايةُ بنى سعد ، فانطلق غلامُه حتّى انتهى إلى الحجّاج بن جارية ، فأسرّ إليه : إن كنتم تريدون الخروجَ من بلادنا هذه إلى غيرها فاخرجوا عنّا ، فإنّا لا نريد قتالكم ، وإن كنتم إيّانا تريدون فلا بدّ من منْع ما فى أيدينا . فلمّا جاءه بذلك قال له الحجّاج بنُ جارية : ائتِ أميرَنا فاذكرْ له ما ذكرتَ لى ، فخرج حتى أتى مطرّفاً فذكر له مثل الّذى ذكر للحجّاج بن جارية ، فقال له مطرّف : ما أريدكم ولا بلادكم ، فقال له : فالزمْ هذا الطريقَ حتّى تخرُج من بلادنا ، فإنّا لا نجد بدًّا من أن يرَى الناسُ وتسمع بذلك أنّا قد خرجْنا إليك . قال : فبعث مطرّف إلى الحجّاج فأتاه ، ولزموا الطريقَ حتى مرّوا بالثّنيّة فإذا الأكرادُ بها ، فنزل مطرّف ونزل معه عامّة أصحابه ٩٩١/٢

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : «من» . (٢) ا : «عددهم» . (٣) ا ، س : «سيلوا» .

وصَعِد إليهم فى الجانب الأيمن الحجّاجُ بنُ جارية، وفى الجانب[1] الأيسر سليمانُ بنُ حُذَيفة، فهزَماهم[2] وقتَلاهم، وسلِم مطرّف وأصحابُه فمضَوا حتّى دنَوْا من همَذان، فترَكَها وأخذَ ذاتَ اليسار إلى ماه دينار، وكان أخوه حمزة بن المغيرة على هَمَذان، فكَرِه أن يدخلَها فيُتَّهمَ أخوه عند الحجّاج، فلمّا دخل مطرّف أرضَ ماه دينار كتب إلى أخيه حمزة:

أمّا بعد، فإن النَّفقة قد كَثُرت والمؤنة قد اشتدّت، فأمدِد أخاك بما قدَرتَ عليه من مال وسلاح.

وبعث إليه يزيدَ بن أبى زياد مولى المغيرة بن شُعبة، فجاء حتّى دخل على حمزةَ بكتاب مطرّف ليلاً، فلمّا رآه قال له: ثكلتك أمُّك! أنت قتلتَ مطرّفاً؟ فقال له: ما أنا قتلتُه جُعلتُ فداك! ولكنّ مطرّفاً قتل نفسَه وقتلَني، وليتَه لا يقتلُك، فقال له: وَيْحَك! مَن سوّل له هذا الأمر! فقال: نفسُه سوّلتْ هذا[3] له. ثمّ جلس إليه فقصّ عليه القصص، وأخبَرَه بالخبر، ودفع كتابَ مطرّف إليه، فقرأه ثمّ قال: نعم، وأنا باعثٌ إليه بمال وسلاح، ولكن أخبرنى ترَى ذلك يَخفَى لى؟ قال: ما أظنّ أن يخفى، فقال له حمزة: فوالله لئن أنا خذلته فى أنفع النَّصرَين له نصر العلانية، لا أخذلُه فى أيسر النَّصْرين نصر السَّريرة. قال: فسرّح إليه مع يزيد بن أبى زياد بمال وسلاح، فأقبل به حتّى أتى مطرّفاً ونحن نزولٌ فى رُسْتاق من رَساتيق ماه دينار، يقال له: سامان مُتاخِم أرضَ أصبهان، وهو رُسْتان كانت الحمراءُ تنزله.

٢/٩٩٢

قال أبو مخنَف: فحدّثنى النّضرُ بنُ صالح، قال: والله ماهو إلاّ أن مضى يزيدُ بنُ أبى زياد، فسمعتُ أهلَ العسكر يتحدّثون أنّ الأمير بَعث إلى أخيه يسأله النفقة والسلاح، فأتيتُ مطرّفاً فحدّثته بذلك، فضرب بيده على جَبهته ثمّ قال: سبحان الله! قال الأوّلُ: ما يخفى إلا مالا يكون[4]،

---

(١) ب، ف: «فى الجانب». (٢) س: «فهزموهم».
(٣) ب، س: «له هذا». (٤) كذا فى ا، وهو الصواب، وفى ط: «قال».

قال : وما هو إلا أن قدم يزيدُ بن أبى زياد علينا ، فسار مطرّف بأصحابه حتى نزل قُمّ وقاشان وأصبهان.

قال أبو مِخْنَف : فحدّثنى عبدُالله بنُ علقمة أنّ مطرّفًا حين نزل قُمّ وقاشانَ واطمأنّ ، دعا الحجّاج بن جارية فقال له: حدّثنى عن هزيمة شبيب يومَ السَّبَخة أكانت وأنتَ شاهدَها ، أم كنتَ خرجتَ قبل الوَقْعة ؟ قال: لا ، بل شهدتُها[1] ؛ قال : فحدّثنى حديثَهم كيف كان ؟ فحدّثه ، فقال : إنى كنتُ أحبّ أن يَظفر شبيب وإن كان ضالًّا فيقتل ضالًّا . قال : فظننت أنه تمنى ذلك لأنه كان يرجو أن يتمّ له الذى يَطلُب لو هلك الحجّاج . قال: ثمّ إنّ مطرّفاً بعث عمّاله .

قال أبو مِخْنَف : فحدثنى النّضرُ بنُ صالح أنّ مطرّفًا عمل عملا ٩٩٣/٢ حازمًا لولا أنّ الأقدار غالبة . قال : كتب[2] مع الرّبيع بن يزيد إلى سُويد ابن سرحانَ الثقفىّ ، وإلى بكير بن هارونَ البَجَلىّ :

أما بعد ، فإنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه ، وإلى جهادِ مَنْ عَنَدَ عن الحقّ ، واستأثر بالفَىء ، وترَك حُكم الكتاب ، فإذا ظهر الحق ودُمِغ الباطل ، وكانت كلمةُ الله هى العليا ، جعلْنا هذا الأمرَ شُورَى بين الأمة يرتضى المسلمون لأنفسهم الرضا ، فمَن قَبِل هذا منّا كان أخانا فى ديننا ، ووليّنا فى محيانا ومماتنا ، ومَن ردّ ذلك علينا جاهدْناه واستنصرْنا اللهَ عليه فكفَى بنا عليه حجة ، وكفى بتركه الجهادَ فى سبيل الله غَبْنًا ، وبمُداهنة الظالمين فى أمر الله وَهْنًا ! إن الله كتب القتال على المسلمين وسماه كُرْهًا ، ولن يُنالَ رضوانُ الله إلا بالصّبر على أمر الله ، وجهادِ أعداء الله . فأجيبوا رحمَكم الله إلى الحقّ ، وادعوا إليه مَن ترجون إجابتَه ، وعرّفوه ما لا يَعرِفه ، وليقْبِل إلىّ كلٌّ من رأى رأينا ، وأجاب دعوتَنا ، ورأى عدوّه عدوّنا . أرشدنا الله وإياكم ، وتاب علينا وعليكم ، إنه هو التّواب الرحيم . والسلام .

---

(١) ب ، ف : « شاهدتها » . (٢) ب ، ف : « وكتب ».

فلما قَدِم الكتابُ على ذَيْنك الرجلين دَبَّا فى رجال من أهل الرىّ ودَعَوا من تابعَهما ، ثمّ خرجا فى نحو من مائة من أهل الرّى سرًّا لا يُفطَن[1] بهم ، فجاءوا حتى وافوا مطرّفًا. وكتب البراءُ بنُ قبيصة ، وهو عامل الحجّاج على أصبَهانَ :

٢/٩٩٤

أما بعد ، فإن كان للأمير أصلحه الله حاجةٌ فى أصبهانَ فليبعث إلى مطرّف جيشًا كثيفًا يستأصله ومن معه ، فإنه لا تزال عصابة قد انتفحتْ له من بلدة من البلدان حتى تُوافيَه[2] بمكانه الذى هو به ، فإنه قد استكثَف وكَثُر تبَعه ، والسلام .

فكتب إليه الحجّاج :

أما بعد ، إذا أتاك رسولى[3] فعَسْكِرْ بمن معك ، فإذا مرّ بك عَدِىّ ابن وتّاد فاخرج معه فى أصحابك ، واسمع له وأطِع . والسلام .

فلما قرأ كتابَه خرج فعسكَر ، وجعل الحجاج بن يوسف يسرّح إلى البراء بن قَبيصة الرّجالَ على دوابّ البريد[4] عشرين عشرين ، وخمسة عشر خمسةَ عشر ، وعشرة عشرة ، حتى سرّح اليه نحوًا من خمسمائة ، وكان فى ألفين .

وكان الأسوَد بن سعد الهمذانى[5] أتى الرّىّ فى فتح الله على الحجّاج يومَ لقى شبيبًا بالسَّبَخة ، فمرّ بهمَذان والجبال ، ودخل على حمزةَ فاعتذر إليه ، فقال الأسوَد : فأبلغت الحجّاج عن حمزة ، فقال : قد بلغنى ذاك ، وأراد عزلَه ، فخشى أن يَمكر به ، وأن يمتنع منه ، فبعث إلى قيس بن سعد العِجْلىّ — وهو يومئذ على شُرْطة[6] حمزة بن المغيرة ولبنى عِجْل ورَبيعةَ عددٌ بهمَذان — فبعث إلى قيس بن سعد بعَهْده على همَذان ، وكتب إليه أن أوثِقْ حمزةَ ابن المغيرة فى الحديد[7] ، واحبسْه قِبَلك حتى يأتيك أمرى .

٢/٩٩٥

فلما أتاه عهده وأمرُه أقبل ومعه ناس من عشيرته كثير ، فلما دخل المسجد وافق الإقامة لصلاة العصر ، فصلّى حمزة[8] ، فلما انصرف حمزة انصرف معه

(١) ب ، ف : « ففطن ».
(٢) ب : « يواقيه » .
(٣) ب : ف : « كتابى ورسولى » .
(٤) ب : « البرد » .
(٥) كذا فى ا ، وفى ط : « الهمدانى » .
(٦) ب ، ف : « شرط » .
(٧) ب ، ف : « بالحديد » .
(٨) ا : « وصلى مع حمزة » .

قيس بن سعد العجلىّ صاحب شُرَطه ، فأقرأه كتابَ الحجّاج إليه ، وأراه عهدَه ، فقال حمزة . سمعًا وطاعة ؛ فأوثقه وحبَسه فى السجن ، وتولى أمر هَمَذان ، وبعث عمّاله عليها ، وجعل عماله كلهم من قومه ؛ وكتب إلى الحجاج :

أما بعد ، فإنى أخبر الأميرَ أصلحه الله ، أنى قد شددتُ حمزةَ بنَ المغيرة فى الحديد ، وحبَسْته فى السجن ، وبعثتُ عمّالى على الخرَاج ، ووضعتُ يدى فى الجِباية ، فإن رأى الأميرُ أبقاه الله أن يأذَن لى فى المَسير إلى مطرّف أذن لى حتى أجاهدَه فى قومى ، ومن أطاعَنى من أهل بلادى ؛ فإنى أرجو أن يكون الجهادُ أعظمَ أجراً من جباية الخرَاج . والسلام .

فلما قرأ الحجاج كتابَه ضَحِك ثمّ قال : هذا جانب آثراً سًا قد أمّناه . وقد كان حمزة بهَمَذَان أثقلَ ما خلق الله على الحجّاج مخافة أن يمدّ أخاه بالسلاح والمال ، ولا يدرى لعله يبدو له فيعقّ ، فلم يزل يكيدُه حتى عزله ؛ فاطمأنّ وقصد قصْد مطرّف .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى مطرّف بن عامر بن واثلة أنّ الحجاج لما قرأ كتابَ قيس بنِ سعد العِجْلىّ وسمع قولَه : إنْ أحبَّ الأميرُ سرت إليه حتى أجاهدَه فى قومى ، قال : ما أبغض إلىّ أن تَكثُر العربُ فى أرض الخَرَاج . قال : فقال لى ابن الغرق : ما هو إلا أن سمعتها من الحجّاج فعلمتُ أنه لو قد فَرَغ له قد عَزَله . ٩٩٦/٢

قال : وحدّثنى النَّضر بن صالح أنّ الحجاج كتب إلى عدىّ بن وتّاد الإيادىّ وهو على الرّىّ يأمره بالمسير إلى مطرّف بن المغيرة وبالممرّ على البرَاء ابن قبيصَة ، فإذا اجتمعوا فهو أميرُ الناس .

قال أبو مِخنَف : وحدّثنى أبى عن عبدالله بن زهير ، عن عبدِ الله بن سُليم الأزْدىّ ، قال : إنّى لَجالسٌ مع عدىّ بن وتّاد على مجلسه بالرّىّ إذ أتاه كتاب الحجّاج ، فقرأه ثمّ دفعه إلىّ ، فقرأته فإذا فيه :

أما بعد ، فإذا قرأتَ كتابى هذا فانهض بثلاثة أرباعِ مَن معك من أهل الرّىّ ، ثمّ أقبِل حتى تمرّ بالبراء بن قبيصَة بجَىّ ، ثم سيرَا جميعًا ، فإذا

لقيتهما فأنتَ أمير الناس حتى يَقتل الله مطرّفاً ، فإذا كَفَى الله المؤمنينَ مؤُنتَه فانصرِف إلى عملك فى كَنَف من الله وكَلاءتِه وستره . فلما قرأته ُ قال لى : قمْ وتجهزْ .

قال : وخرج فعسكَرَ ، ودعا الكتّاب فضرَبوا البَعْث على ثلاثة أرباع الناس ، فما مضت جُمُعة حتى سرنا فانتهيْنا إلى جَىّ ، ويُوافينا بها قبَيصة القُحافىّ فى تِسعمائة من أهل الشأم ، فيهم عُمر بنُ هُبيرة ، قال : ولم نلبث بجَىّ إلا يومين حتى نهض عدىّ بن وتّاد بمن أطاعه من الناس ومعه ثلاثة آلافِ مُقاتِل من أهل الرّىّ وألف مُقاتِل مع البرّاء بن قبيصة بعثهم إليه الحجّاج من الكوفة ، وسبعمائة من أهل الشأم ، ونحو ألف رجل من أهل أصبَهان والأكراد ، فكان فى قريب من ستة آلاف مُقاتِل ، ثمّ أقبلَ حتى دخل على مطرّف بن المغيرة .

٢/٩٩٧

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى النّضر بنُ صالح ، عن عبد الله بن علقمة ، أن مطرّفًا لما بلغه مسيرُهم إليه خَندَق على أصحابه خَنْدقاً ، فلم يزالوا فيه حتى قدموا عليه .

قال أبو مِخنَف : وحدّثنى يزيدُ مولى عبد الله بنِ زهير ، قال : كنتُ مع مولاى إذ ذاك ؛ قال : خرج عدىّ بن وتّاد فعبّى الناسَ ، فجعل على ميمنتِه عبدَالله بنَ زهير ، ثمّ قال للبرّاء بن قبيصة : قُمْ فى الميسرَة ، فغَضب البراء ، وقال : تأمرنى بالوقوف فى الميسرة وأنا أمير مِثلك! تلك خَيْلى فى الميسرة ، وقد بعثتُ عليها فارسَ مُضَرَ الطُّفَيل بن عامر بن واثلة ؛ قال : فأنْهِىَ ذلك إلى عدىّ بن وتّاد ، فقال لابن أقيصر الخثعمىّ : انطلِق فأنت على الخيل ، وانطلِق إلى البَراء بن قبيصة فقل له : إنك قد أمِرت بطاعتى ، ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرّجالة فى شىء ، إنما عليك أن تؤمَر فتُطيع ، ولا تَعرض لى فى شىء أكرهه فأتنكّر لك — وقد كان له مُكرِمًا .

ثمّ إنّ عديًّا بعث على الميسرة عمرَ بنَ هبيرة ، وبعثه فى مائة من أهل الشأم ، فجاء حتى وقف برايته ، فقال رجل من أصحابه للطُّفيل بن عامر :

خَلّ رايتَك وتَنحَّ عنّا، فإنما نحن أصحابُ هذا الموقف ؛ فقال الطُّفَيل : إنّى لا أخاصمكم، إنما عقد لى هذه الراية البَراء بن قبيصة، وهو أميرُنا، وقد علمْنا أنّ صاحبَكم على جماعة الناس ، فإن كان قد عَقَد لصاحبكم ٢/٩٩٨ هذا فبارَكَ الله له، ما أسمَعَنا وأطوَعنا! فقال لهم عمرُ بنُ هبيرة: مهلا ، كُفّوا عن أخيكم وابن عمِّكم، رايتنا رايتك ، فإن شئتَ آثرْناك بها . قال : فما رأينا رجلَين كانا أحلمَ منهما فى موقفهما ذلك. قال : ونزل عدىّ بن وتّاد ثمّ زحف نحو مطرّف .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى النّضر بنُ صالح وعبدُالله بنُ علقمة أنّ مطرّفاً بعث على ميمنته الحجّاج بنَ جارية ، وعلى ميسرته الرّبيع بن يزيدَ الأسدىّ، وعلى الحامية سليمان بن صخر المُزَنىّ(١) ، ونزل هو يمشى فى الرّجال ، ورأيتُه مع يزيد بن أبى زياد مولَى أبيه المغيرة بن شُعبة . قال : فلما زحف القوم بعضهم إلى بعض وتدانَوْا قال لبكير بن هارونَ البَجَلىّ : اخرُج إليهم فادعهم إلى كتاب الله وسُنة نبيه ، وبَكّتْهم بأعمالهم الخبيثة . فخرج إليهم بكير بن هارونَ على فرس له أدهمَ أقرح ذنوب عليه الدِّرع والمغفَر والساعدان ، فى يده الرمح، وقد شدّ درعَه بعصابة حَمراءَ من حواشى البرُود ، فنادى بصوت له عال رفيع : يا أهلَ قِبلتنا، وأهلَ مِلّتنا، وأهلَ دعوتِنا ، إنا نسألكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى علمه بما تُسرّون مثل علمه بما تُعلنون لمّا أنصفتمُونا وصدَقتمونا ، وكانت نَصيحتُكم لله لا لخَلقه، وكنتم شهداءَ لله على عباده بما يعلَمُه الله من عباده . خبّرونى عن عبد الملك بن مروان ، ٢/٩٩٩ وعن الحجّاج بن يوسف ، ألستم تعلمونهما جبّارَيْن مستأثرَيْن يتّبعان الهوَى ، فيأخذان بالظِّنّة ، ويَقتُلان على الغَضَب . قال : فتنادَوْا من كل جانب: ياعدوّ الله كذبتَ، ليسا كذلك، فقال لهم : ويْلَكم ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾(٢) ويْلَكم ، أوَ تعلمون من الله ما لا يعلم، إنى قد استشهدتكم وقد قال الله فى الشهادة : ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (٣)،

---

(١) ا : « المرّى » . (٢) سورة طه:٦١ . (٣) سورة البقرة:٢٨٣ .

فخرج إليه صارمٌ مولَى عدىّ بن وتّاذ وصاحب رايته، فحمل على بُكَير ابن هارونَ البجَلىّ ، فاضطربَا بسيفَيهما ، فلم تعمل ضربةُ مولَى عدىّ شيئًا ، وضربه بكير بالسيف فقتَله ، ثمّ استقدم، فقال : فارس لفارس، فلم يخرج إليه أحدٌ ، فجعل يقول :

صَارِمُ قَدْ لَاقَيْتَ سيْفاً صَارِمَا وأَسَدًا ذا لِبْدَة ضُبَارِمَا[1]

قال : ثمّ إنّ الحجّاج بن جارية حَمل وهو فى الميمنة على عُمر بن هبيرةَ وهو فى الميسرة ، وفيها الطُّفَيل بن عامر بن واثلة، فالتقى هو والطُّفيل — وكانا صديقَين متؤاخيَين — فتعارَفا ، وقد رفَع كُلّ واحد منهما السيفَ على صاحبه ، فكفَّا أيديَهما ، واقتتلوا طويلا . ثمّ إنّ ميسرةَ عدىّ بن وتّاد زالت غيرَ بعيد ، وانصرف الحجاج بنُ جارية إلى موقفه . ثمّ إن الربيع بنَ يزيد حَمَل على عبد الله بن زُهير ، فاقتتلوا طويلا ، ثمّ إن جماعة الناس حملتْ على الأسَدّى فقتلتْه ، وانكشفتْ ميسرةُ مطرّف ابن المغيرة حتى انتهت إليه . ثمّ إنّ عمرَ بنَ هُبيرة حمل على الحجاج بن جارية وأصحابه فقاتَلَه قتالا طويلا ، ثمّ إنه حدّره حتى انتهى إلى مطرّف ، وحمل ابن أقيصر الخثعمىّ فى الخَيْل على سليمان بن صخر المُزَنىّ فقتَله ، وانكشفت خيلُهم، حتى انتهى إلى مطرّف ، فثَمّ اقتتلتْ الفُرسان أشدّ قتال رآه الناس قطّ ، ثمّ إنه وصل إلى مطرّف .

٢/١٠٠٠

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى النَّضْرَبن صالح أنه جعل يناديهم يومئذ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2] .

قال : ولم يزل يقاتل حتى قُتل، واحتزّ رأسَه عُمر بنُ هبيرة ، وذكر أنه قتله ، وقد كان أسرع إليه غيرُ واحد ، غير أنّ ابن هُبيرة احتزّ رأسه وأوفده

(١) الضبارم : الشديد الخلق من الأسد . (٢) سورة آل عمران: ٦٤ .

إلى عديّ بن وتّاد وحظيَ به ، وقاتل عُمر بن هبيرة يومئذ وأبلى بلاءً حسناً .

قال أبو مخنف : وقد حدّثني حكيم بن أبي سفيان الأزديّ أنه قتل يزيد بن زياد مولى المغيرة بن شعبة ، وكان صاحب راية مطرّف . قال : ودخلوا عسكر مطرّف ، وكانْ مطرّف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزديّ ، فقتِل ، وكانْ صالحاً ناسكاً عفيفاً .

أبومخنف : حدثني زيد مولاهم أنه رأى رأسه مع ابن أقيصر الخثعميّ ، فما ملكتُ نفسي أن قلت له : أما والله لقد قتلتَه من المصلّين العابدين الذاكرين الله كثيراً . قال : فأقبل نحوى وقال : منْ أنت ؟ فقال له مولاى : هذا غلامى ما له؟ قال : فأخبره بمقالتى ؛ فقال : إنه ضعيف العقل ؛ قال : ثم انصرفنا إلى الرّىّ مع عدى بن وتاد . قال : وبعث رجالا من أهلِ البلاء إلى الحجّاج ، فأكرمهم وأحسن إليهم . قال : ولما رجع إلى الرى جاءت بجيلة إلى عدىّ بن وتّاد فطلبوا لبكير بن هارون الأمان فآمنه ، وطلبت ثقيف لسُويد بن سرحان الثقفيّ الأمان فآمنه ، وطلبت فى كلّ رجل كان مع مطرّف عشيرتُه ، فآمنهم وأحسن فى ذلك ، وقد كان رجال من أصحاب مطرّف أحيط بهم فى عسكر مطرف ، فنادوا : يابرّاء ، خذ لنا الأمان ، يا براء ، اشفَع لنا . فشَفَع لهم ، فتُرِكوا ، وأسَر عدىٌ ناسًا كثيراً فخلّى عنهم .

٢/١٠٠١

قال أبو مخنف : وحدثني النّضر بن صالح أنه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بحلوان ، فأكرمه وأحسن إليه ، ثم إنه انصرف بعد ذلك إلى الكوفة.

قال أبو مِخنَف : وحدّثني عبدُ الله بن علقمة أنّ الحجّاج بن جارية الخَثْعميّ أتى الريّ وكان مُكْتَتِبُه بها ، فطُلب إلى عديّ فيه ، فقال : هذا رجلٌ مشهور قد شُهِر مع صاحبه ، وهذا كتابُ الحجاج إلىّ فيه .

قال أبو مِخنَف : فحدّثني أبي عن عبد الله بن زُهير ، قال : كنت فيمن كلمه فى الحجّاج بن جارية ، فأخرج إلينا كتابَ الحجّاج بن يوسف :

أما بعد: فإن كان الله قتلَ الحجّاجَ بن جارية فبُعْدًا له . فذاك ما أهوَى وأحِبّ ؛ وإن كان حيًّا فاطلبه قبَلَك حتى توثِقَه ، ثمّ سَرّح به إلىّ إن شاء الله . والسلام .

١٠٠٢/٢

قال : فقال لنا : قد كُتِب إلىّ فيه ، ولا بدّ من السمع والطاعة ، ولو لم يُكتَب إلىّ فيه آمنته لكم ، وكففتُ عنه فلم أطلبْه . وقمنا من عنده . قال : فلم يزل الحجّاج بن جارية خائفًا حتى عُزِل عديّ بن وتّاد، وقدم خالد ابن عتّاب بن ورْقاء ، فمشيتُ إليه فيه ، فكلّمته فآمنه . وقال حبيب بن خِدْرَة مولى لبنى هلال بنِ عامر :

هل أتى فائدَ عن أيسارِنا إذ خَشِينَا مِنْ عَدُوٍّ خرُقَا

إذ أتانا الخَوْفُ من مأْمَنِنا[1] فَطَوينا فى سَوادٍ أُفُقَا

وَسَلِي هَدْيَة يَوْمًا هل رَأتْ بشَرًا أكرَمَ منّا خُلُقا !

وَسليها أعَلَى العهدِ لنا أو يُصِرُّونَ علينا حَنَقَا !

ولكَمْ من خُلّة من قَبلِها قَدْ صَرَمْنَا حَبلَهَا فانطَلَقَا

قَدْ أصَبْنَا العَيْشَ عَيْشًا ناعمًا وأصَبْنَا العَيْشَ عَيْشًا رَنَقَا

وأصَبْتُ الدَّهْرَ دهرًا أشْتَهِى طبَقًا منه وألوى طبَقَا

وشَهِدْتُ الخيل فى مَلْمُومَةٍ ما ترى منهنّ إلا الحَدَقَا

يَتَسَاقَوْنَ بأطرافِ القَنَا من نَجيعِ الموتِ كأسًا دَهقا

فطِرادُ الخيلِ قد يُؤْنِقُنى ويردّ اللهْوُ عنى الأنَقَا

بمُشيح البَيْض حتّى يَتركوا لسُيوفِ الهِنْد فيها طُرُقَا

فكأنّى من غدٍ وافقتها مثل ما وافَقَ شَنٌّ طَبَقَا

١٠٠٣/٢

***

[ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الأزارقة]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب

---

(١) ا : « هل أتانا الخوف » ، وسقط البيت الأول .

قَطَرِىّ بن الفُجاءَة، فخالفه بعضهم واعتزلَه، وبايع عبد ربّه[1] الكبير، وأقام بعضُهم على بيعة قطرىّ.

* ذكر الخبر عن ذلك، وعن السبب الذى من أجله حدث الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم إلى الهلاك:

ذكر هشامٌ عن أبى مِخْنَف، عن يوسف بن يزيد، أنّ المهلّب أقام بسابورَ فقاتَل قَطَرِيًّا وأصحابه من الأزارقة بعد ماصرف الحجّاج عتابَ بن وَرْقاء عن عسكره نحواً من سنة. ثمّ إنه زاحفَهم يوم البُسْتان فقاتلَهم قتالا شديداً، وكانت كِرْمانُ فى أيدى الخوارج، وفارس فى يد المهلّب، فكان قد ضاق عليهم مكانُهم الذى هم به، لا يأتيهم من فارس مادّة، وبَعُدَتْ[2] ديارهم عنهم، فخرجوا حتى أتوا كرمانَ وتبعهم المهلب حتى نزل بجيرَفْتَ — وجيرفْتُ مدينة كرمان — فقاتلَهم بها أكثر من سنة قتالا شديداً، وحازهم عن فارسَ كلها، فلما صارت فارسُ كلُّها فى يدى المهلب بعث الحجّاج عليها عمّالَه وأخذها من المهلّب، فبلغ ذلك عبد الملك، فكتب إلى الحجّاج:

أما بعد، فدَعْ بيَد المهلّب خراجَ جبالِ فارسَ، فإنه لا بد للجيش من قوّة، ولصاحب الجيش من معونة، ودعْ له كُورَة فَسَاوَدَرَابجِرْدَ، وكورةِ إصْطَخْر. ٢/١٠٠٤

فتركَها للمهلّب، فبعث المهلّب عليها عمّالَه، فكانت له قوّةٌ على عدّوه وما يصلحه، ففى ذلك يقول شاعرُ الأزْد وهو يعاتِب المهلب:

نقاتِلُ عن قُصورِ دَرَابَجِرد ونَجْبِى للمُغيرَةِ والرُّقَادِ

وكان الرُّقاد بنُ زياد بن همّام — رجل من العَتيك — كريمًا على المهلّب، وبعث الحجاج إلى المهلب البراءَ بنَ قبيصة، وكتب إلى المهلب:

أما بعد، فإنك والله لو شئت فيما أرى لقد اصطلمتَ هذه الخارجة المارقةَ، ولكنّك تحبّ طول بقائهم لتأكل الأرضَ حولَك، وقد بعثتُ إليك البراء بن

(١) كذا فى ا، وفى ط: «عبد رب». (٢) ا، ط، «بعد»، وأثبت ما فى ب، ف.

قبيصة ليُنهضك إليهم ، فانهض إليهم إذا قَدِم عليك بجميع المسلمين ، ثمّ جاهدهم أشدّ الجهاد ، وإيّاك والعِلَلَ والأباطيلَ ، والأمورَ التى ليست لك عندى بسائغة ولا جائزة ؛ والسلام .

فأخرَج المهلب بنيه ؛ كلّ ابن له فى كتيبة ،وأخرج الناسَ على راياتهم ومَصافّهم وأخماسهم ، وجاء البَرَاء بن قبيصة فوقف على تل قريب منهم حيث يراهم . فأخذتْ الكتائبُ تحمل على الكتائب ، والرّجالُ على الرجال ، فيقتتلون أشدّ[1] قتال رآه الناس من صلاة الغداة إلى انتصاف النهار ، ثم انصرفوا. فجاء البَرَاء بنُ قبيصةَ إلى المهلب فقال له : لا والله ما رأيت كبنيك فُرساناً قطّ ، ولا كفُرسانك من العرب فُرساناً قطّ ، ولا رأيت مثلَ قوم يقاتلونك قطّ أصبرَ ولا أبأسَ ، أنتَ والله المعذور . فرجع بالناس المهلّب ، حتى إذا كان عند العصر خرج إليهم بالناس وبنيه فى كتائبهم ، فقاتلوه كقتالهم فى أول مرّة .

١٠٠٥/٢

قال أبو مخنَف : وحدّثنى أبو المغلّس الكنانىّ ، عن عمه أبى طلحة ، قال : خرجت كتيبةٌ من كتائبهم لكتيبة من كتائبنا ، فاشتدّ بينهما القتال ، فأخذتْ كلٌّ واحدة منهما لا تصُدّ عن الأخرى ، فاقتتلتا حتى حجَزَ الليلُ بينهما ، فقالت إحداهما للأخرى : ممن أنتم ؟ فقال هؤلاء : نحن من بنى تميم ؛ وقال هؤلاء : نحن من بنى تميم ؛ فانصرَفوا عند المساء ، قال المهلّب للبرّاء : كيف رأيت ؟ قال : رأيتُ قوماً والله ما يعينك عليهم إلاّ الله . فأحسَنَ إلى البراء بن قبيصة وأجازه ، وحملَه وكساه ، وأمر له بعشرة آلاف دِرهم ، ثمّ انصرف إلى الحجاج فأتاه بعذر المهلّب ، وأخبره بما رأى ، وكتب المهلّب إلى الحجّاج :

أما بعد ، فقد أتانى كتابُ الأمير أصلحه الله ، واتهامه إيّاى فى هذه الخارجة المارقة ، وأمرنى الأميرُ بالنهوض إليهم ، وإشهادِ رسولِه ذلك ، وقد فعلت ، فليسألْه عما رأى ، فأما أنا فوالله لو كنت أقدِر على استئصالهم و إزالتهم عن مكانهم ثمّ أمسكتُ عن ذلك لقد غششتُ المسلمين ، وما وفّيتُ

١٠٠٦/٢

(١) بعدها فى ب ، ف : « وأعظم » .

لأمير المؤمنين ، ولا نصحتُ للأميرِ (١) — أصلحه الله — فمعاذ الله أن يكون هذا من رأيى ، ولا مما أدين اللهَ به ، والسلام .

ثمّ إنّ المهلب قاتلهم بها ثمانية عشر شهراً لا يستقلّ منهم شيئًا ، ولا يرى فى موطن يُنْقِعون له ولمن معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يَرْدَعُونهم به ويَكفّونهم عنهم .

ثمّ إنّ رجلاً منهم كان عاملا لقَطَرِىّ على ناحية من كِرْمان خرج فى سَرِيّة لهم يُدعَى المُقَعْطَرَ من بنى ضَبَّة، فقَتَل رجلا قد كان ذا بأس من الخوارج ، ودخل منهم فى ولاية ، فقتله المُقَعْطرُ ، فوثَبت الخوارج إلى قَطَرِىّ ، فذكروا له ذلك، وقالوا: أمْكِنّا من الضّبىّ نقتله بصاحبنا، فقال لهم: ما أرى أن أفعل ؛ رجلٌ تأوّل فأخطأ فى التأويلَ ما أرى أن تقتلوه ، وهو من ذوِى الفضل منكم ، والسابقة فيكم ، قالوا : بلى ؛ قال لهم : لا ، فوقع الاختلاف بينهم ، فولّوا عبدَ ربّه الكبير ، وخلعوا قَطَرِيًّا ، وبايع قطريًّا منهم عصابةٌ نحواً من ربعهم أو خمسهم ، فقاتلهم نحواً من شهر غُدوةً وعَشية .

فكتب بذلك المهلّبُ إلى الحجّاج :

أما بعد ، فإن الله قد ألقى بأسَ الخوارج بينهم ، فخلع عظمهُم قطريًّا وبايعوا عبدَ ربّ ، وبقيت عصابة منهم مع قطرىّ ، فهم يقاتل بعضهم بعضًا غُدُوًّا وعشيًّا ، وقد رجوتُ أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم إن شاء الله ؛ والسلام . ١٠٠٧/٢

فكتب إليه :

أما بعد فقد بلغنى كتابُك تَذكر فيه اختلافَ الخوارج بينها ، فإذا أتاك كتابى هذا فناهِضْهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا ، فتكونَ مئُونتهم عليك أشدّ ، والسلام .

فكتب إليه :

أما بعد ، فقد بلغنى كتابُ الأمير ، وكلّ ما فيه قد فهمتُ ، ولستُ أرى أن أقاتلهم ما داموا يَقتلُ بعضُهم بعضًا ، وينقص بعضُهم عَدَدَ بعض ، فإن تموا على ذلك فهو الذى نريد وفيه هلاكهُم ، وإن اجتمعوا لم

(١) ا : « الأمير » .

يجتمعوا إلا وقد رقّق بعضُهم بعضًا ، فأناهِضُهم على تفيئة[1] ذلك ، وهم أهوَن ما كانوا وأضعفُه شوكةً ، إن شاء الله ، والسلام .

فكفّ عنه الحجّاج ، وتركهم المهلب يقتتلون شهراً لا يحرّكهم .

ثمّ إنّ قَطَرِيًّا خرج بمن اتبعه نحو طَبَرستانَ ، وبايع عامّتهم عبد ربّه الكبير ، فنهض إليهم المهلّب ، فقاتلوه قتالا شديداً . ثمّ إنّ الله قتلهم فلم ينجُ منهم إلاّ قليل ، وأخذ عسكرهم وما فيه وسُبُوا ، لأنهم كانوا يَسبون المسلمين . وقال كعبٌ الأشقريّ — والأشقَر بطنٌ من الأزد — يذكر يومَ رامَهُرْمُز ، وأيام سابورَ ، وأيام جِيرَفْتَ[2] :

١٠٠٨/٢

يا حفصَ إنى عَدَانى عنكم السفرُ ... وَقدْ أَرِقتُ فآذَى عَيْنِيَ السهرُ[3]
عُلّقْتَ يا كعبُ بعد الشَّيبِ غانِيَةً ... والشَّيبُ فيه عن الأهواء مزدَجرُ
أممْسكٌ أنتَ عنها بالّذى عَهِدَتْ ... أم حَبْلها إذ نَأَتْكَ اليومَ مُنبَتِرُ
عُلّقْتُ خَوْدًا بأعْلى الطَّف مَنزِلُهَا ... فى غُرفَة دونها الأبوابُ والحَجَرُ[4]
دُرْماً مَناكِبُهَا رَيًّا مآكِمُهَا ... تكاد إذ نهَضَتْ للمشى تنبَتِرُ
وقد تركْتُ بِشطِّ الزَّابِيَيْنِ لها ... دارًا بها يَسْعَدُ البَادُونَ والحَضَر
واختَرْتُ دارًا بها حىٌّ أسَرُّ بِهِمْ ... ما زال فيهم لمن نختارُهُمْ خِيَرُ
لمَّا نَبَتْ بى بِلادى سِرْتُ مُنتجِعاً ... وطَالِبُ الخير مُرْتادٌ ومُنتَظِرُ

١٠٠٩/٢

أبا سعيد فإنى جئت مُنتجِعاً ... أرجُو نَوالَكَ لمّا مَسّنى الضّررُ
لولا المهلَّبُ ما زُرْنا بلادَهُمُ ... ما دامت الأرض فيها الماءُ والشجرُ
فما من الناس من حىٍّ عَلِمتُهُمُ ... إلا يُرَى فِيهم من سَيْبِكم أثرُ
أحيَيْتَهُم بِسجَال مِن نَداكَ كما ... تحيَا البلادُ إذا ما مسَّها المطرُ

---

(١) أى بعد ذلك . (٢) بعدها فى ب ، ف : « قصيدة » .

(٣) مطلع القصيدة فى الكامل ٣ : ٤٠٣ ، وأبيات منها فى الأغانى ١٤ : ٢٨٤ ، ٢٨٥ . وفى الكامل : «وقد سهرت فأودى عينى السهر » . وعدانى : صرفنى وشغلنى .

(٤) فى الأغانى : « ذكرت خودًا » .

إنى لأَرجو إذا ما فاقَةٌ نزلَتْ ... فضلا من الله فى كفَّيك يَبْتَدِرُ
فاجبرْ أَخاً لك أَوهَى الفقر قوَّته ... لعلَّهُ بعد وهْى العظْمِ ينجبرُ
جَفَا ذَوُو نَسَبِي عنِّى وأَخلفَنى ... ظنى فللهِ دَرِّى كيف آتمِرُ
يا واهِبَ القَينةِ الحَسناءِ سُنَّتُها ... كالشمس هِرْكولةٌ فى طَرْفِها فَترُ[1]
وما تزال بُدُورٌ منك رائحــة ... وآخرون لهم من سَيْبك الغُرَر
نمــاك للمجد أَملاكٌ وَرِثْتَهُمُ ... شُمٌّ العَرانينِ فى أَخلاقهمْ يَسَرُ
ثارُوا بقَتْلَى وأَوتارٍ تُعدِّدُها ... فى حِين لا حَدَثٌ فى الحرب يَتَّئِرُ ٢/١٠١٠
واستسلم الناسُ إذ حلَّ العدوُّ بهم ... فما لأَمرِهِمُ وِردٌ ولا صَدَرُ
وما تجاوَزَ بابَ الجسر من أَحد ... وعَضَّتِ الحربُ أَهلَ المصرِ فانجحَروا
وأُدخل الخوفُ أَجوافَ البيوت على ... مِثلِ النساءِ رِجال ما بهم غِيَرُ
واشتدَّتِ الحربُ والبَلوَى وحلَّ بنا ... أَمرٌ تُشَمَّرُ فى أَمثالِهِ الأُزُر
نظلّ من دون خفض مُعصِمِين بهم ... فَشمَّر الشيخُ لما أَعظَمَ الخَطَر
كنا نهَوِّنُ قَبلَ اليومِ شأْنَهُمُ ... حتى تفاقَمَ أَمرٌ كان يُحتَقرُ
لمّا وَهَنَّا وقد حلُّوا بساحتِنَا ... واستُنفر الناسُ تاراتٍ فما نَفَرُوا
نادَى امرؤٌ لا خلافَ فى عَشِيرَتِه ... عَنه وليس به فى مِثلِهِ قِصَر
أَفشى هنالك ممَّا كان مذ عصروا ... فيهم صنائع مما كان يُدَّخَــرُ ٢/١٠١١
تلبَّسُوا لقِراعِ الحربِ بِزَّتَهــا ... فأَصبَحُوا من وراءِ الجسر قد عَبرُوا
ساروا بأَلوِيَة للمجدِ قد رُفِعَت ... وتحتَهُنَّ لُيُوثٌ فى الوغَى وُقُــرُ
حتى إذا خَلَّفُوا الأَهوازَ واجتمعوا ... بِرامَهُرْمُزَ وافاهُمْ بهــا الخبرُ
نَعِيٌّ بِشرٍ فجال القومُ وانصدعوا ... إلا بَقَايا إذا ما ذُكِّرُوا ذَكَرُوا
ثم استمرَّ بنا راضٍ ببَيعتِه ... يَنوِى الوفاءَ ولم نغْدِرْ كما غَدَرُوا

---

(١) الهركولة : الحسنة الجسم والخلق والمشية .

حتى اجتمعنا بسَابورِ الجنود وقد شُبَّتْ لنا ولهم نارٌ لهـا شَررُ
نَلقَى مساعِيرَ أَبطالاً كأَنهمُ جِنٌّ نقارِعُهُمْ ما مثلُهم بَشَرُ
نُسْقَى ونَسْقِيهمُ سَمًّا عَلَى حنَقٍ مُستأْنِفِى الليْلِ حتّى أَسْفَرَ السَّحَرُ
٢/١٠١٢ قَتْلَى هنالك لا عقلٌ ولا قَـوَدٌ مِنَّا ومنهم دِماءٌ سَفكهَا هـدَرُ
حتى تَنَحَّوْا لنا عنها تسُوقهُمُ منَّا ليوث إذا ما أَقدَموا جَسروا
لم يُغنِ عنهم غدَاةَ التلِّ كيدُهُمُ عند الطِّعان ولا المكرُ الذى مَكَرُوا
باتَتْ كتائبُنا تَرْدِى مسوَّمَةً حولَ المهلَّبِ حتى نَوَّرَ القمرُ
هناك ولَّوْا خِزَاناً بعد ما فَرِحوا وحالَ دونهُم الأَنهارُ والجدُرُ
عبَّوْا جنودَهمُ بالسَّفح إذ نَزلوا بكازَرُونَ فما عزُّوا ولا ظفروا[1]
وقد لقوا مَصْـدَقاً منا بمنزلةٍ ظنُّوا بأَن يُنصَرُوا فيها فما نُصِرُوا
بدَشْت بارينَ يومَ الشِّعْبِ إذ لُحقتْ أُسد بسفكِ دماءِ الناس قد زَئِرُوا
٢/١٠١٣ لَاقَوْا كتائبَ لا يُخلونَ ثَغْرَهُمُ فيهمْ على من يقاسى حربهم صَعَرُ
المقْدِمين إذ ما خيلهم وردَتْ والعاطفين إذا ما ضيِّع الدَّبرُ
وفى جُبيْرِينَ إذ صفُّوا بزَحفهم ولَّوا خَزَايَا وقد فلُّوا وقد قُهِرُوا
واللهِ ما نزلوا يوماً بساحَتِنا إلاَّ أَصابَهمُ من حربنا ظَفَرُ
نَنْفِيهمُ بالقَنا عن كلِّ منزِلةٍ تَرُوحُ منا مساعِيرٌ وتَبْتَكرُ
ولوا حذارًا وقد هَزُّوا أَسِنَّتَنَا نحو الحروب فما نجّاهمُ الحذَرُ
صَلْتُ الجبين طويلُ الباعِ ذو فُرَحٍ ضَخْمُ الدَّسيعَة لا وَانٍ ولا غُمُرُ[2]
مُجَرّبُ الحربِ ميمونٌ نَقِيبتُـهُ لا يُسْتَخَفُّ ولا من رأيِهِ البَطَرُ
٢/١٠١٤ وفى ثلاثِ سنين يَستدِيمُ بنا يُقارِعُ الحربَ أَطوارًا ويأْتمرُ

---

(١) الأغانى : « وما نصروا » .
(٢) الدسيعة : مجتمع الكتفين ، يقال ذلك للرجل الجواد .

يقولُ إنَّ غدًا مُبْدٍ لناظرِهِ — وفى الليالى وفى الأَيام مُعْتَبَرُ
دعوا التَّتابُعَ والإسراع وارتَقبُوا — إنَّ المُحارِبَ يَستأْنِى ويَنتظِرُ
حتى أَتته أُمورٌ عندها فرجٌ — وقد تبيَّن ما يأْتى وما يذَرُ
لما زَوَاهمْ إلى كَرمانَ وانصدعوا — وقد تقاربتِ الآجالُ والقدرُ
سرنا إليهم بمثل الموج وازدَلَفوا — وقبلَ ذلك كانت بيننا مِئِرُ(١)
وزادَنَا حَنقاً قَتلَى نُذَكِّرُها — لا تَسْتَفِيقُ عيونٌ كلَّما ذُكِرُوا
إذا ذكَرنا جَرُوزًا والذينَ بها — قتلى مضى لهمُ حولانِ ما قُبِرُوا
تأْتى علينا حزَازَاتُ النفوسِ فما — نُبقِى عليهم وما يبقون إن قَدَرُوا ٢/١٠١٥
ولا يُقِيلونَنَا فى الحرب عَثرَتَنا — ولا نقيلُهمُ يوماً إذا عثَرُوا
لا عُذْرَ يُقبَلُ منَّا دون أَنفسِنا — ولا لهم عندنا عذرٌ لوِ اعتذَرُوا
صفَّانِ بالقاع كالطَّودينِ بينهما — كالبرقِ يَلمعُ حتى يَشْخَصَ البصَرُ
على بصائرَ كلٌّ غيرُ تارِكها — كلاَ الفريقين تُتلى فيهم السُّوَرُ
يَمشون فى البَيض والأَبدان إذ وردُوا — مَشْى الزوامل تهدى صفَّهمْ زُمَرُ(٢)
وشيخنـــا حوله منَّا مُلمْلَمةٌ — حيٌّ من الأَزْد فيما نابَهُمْ صبُرُ
فى موطنٍ يقطعُ الأَبطال مَنظَرُهُ — تُشاطُ فيه نُفوسٌ حين تَبتكر
ما زال منَّا رجالٌ ثَمَّ نَضْرِبهُمْ — بالمشرفىّ ونارُ الحرب تَسْتَعِرُ
وباد كلُّ سلاحٍ يُستعان به — فى حَومة الموت إلا الصارم الذَّكَرُ ٢/١٠١٦
نَدُوسُهُمْ بعَناجيجٍ مُجَفَّفَة — وبيننا ثَمَّ من صُمِّ القَنا كِسَرُ
يغشَيْنَ قتلى وعَقرَى ما بها رَمَقٌ — كأَنمـــا فوقها الجادىُّ يُعتَصرُ
قتلى بقتلى قِصاصٌ يُستقَادُ بها — تَشفِى صُدُورَ رجال طالمـــا وُترُوا

(١) المئر : جمع مئرة؛ وهى الذحل والعداوة .

(٢) الزوامل : جمع زاملة ؛ وهو البعير يحمل الطعام والمتاع .

مُجاورينَ بها خَيلاً مُعَقَّرَةً ... للطيرِ فيها وفى أجسادهم جَزَرُ
فى معْرَكٍ تَحْسَبُ القتلى بساحَتِهِ ... أعجازَ نخلٍ زَفَتْهُ الريحُ يَنعقِرُ
وفى مواطِنَ قبلَ اليومِ قد سَلَفتْ ... قد كان للأزد فيها الحمدُ والظَّفَر
فى كلِّ يومٍ تُلاقِى الأزدُ مُفظِعةً ... يَشيبُ فى ساعةٍ من هولها الشعرُ
والأزدُ قومى خيارُ القوم قد علموا ... إذا قُرومُهم يومَ الوغى خطروا
٢/١٠١٧ فيهم مَعاقِلُ من عِزٍّ يلاذُ بها ... يوماً إذا شَمّرَتْ حربٌ لها دِرَرُ
حىٌّ بأسيافِهمْ يَبغونَ مَجدَهُمُ ... إنَّ المكارمَ فى المكروهِ تُبْتَدَرُ
لولا المهلَّب للجيش الَّذى وردوا ... أنهارَ كَرْمَانَ بعد اللهِ ما صدرُوا
إنَّا اعتَصَمْنَا بحبلِ اللهِ إذ جحَدوا ... بالمُحْكَمَاتِ ولم نكْفُرْ كما كَفَرُوا
جاروا عن القصد والإسلام واتَّبعوا ... دِيناً يُخَالفُ ما جاءَت به النُّذُرُ

وقال الطفَيلُ بنُ عامر بن واثلة وهو يذكر قتلَ عبد ربّه[1] الكبير وأصحابه، وذهاب قَطَرىّ فى الأرض واتّباعهم إيّاه ومراوغته إيّاهم :

لقد مسَّ منَّا عبدَ ربّ وجندَهُ ... عقابٌ فأمسى سَبْيُهُمْ فى المقاسمِ
سما لهمُ بالجيشِ حتى أزَاحَهُم ... بكرمانَ عن مثوًى من الأرض ناعِمِ
وما قَطَرِىٌّ الكُفر إلَّا نَعامَة ... طريدٌ يَدوّى ليله غيرَ نائِمِ
إذا فرّ منّا هارباً كان وَجْهُهُ ... طريقاً سوى قصدِ الهُدى والمعالِم
فليس بمنجيهِ الفرارُ وإنْ جَرَتْ ... به الفُلْكُ فى لُجٍّ من البحرِ دائم

* * *

[ذكر الخبر عن هلاك قطرىّ وأصحابه]

٢/١٠١٨ قال أبو جعفر : وفى هذه السنة كانت هَلَكَة قَطَرىّ وعبيدة بن هلال وعبد ربّ الكبير ومن كان معهم من الأزارقة .

---

(١) كذا فى م ، وفى ط : « عبد رب » .

* ذكرُ سببِ مهلَكِهم[١] :

وكان سبب ذلك أنّ أمرَ[٢] الذين ذكرْنا خبرَهم من الأزارقة لما تشتّت بالاخْتلاف الذى حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبد ربّه الكبير وبعضهم مع قطرىّ ووهَى أمرُ قطرىّ ، توجّه يريد طَبَرِستان ، وبلغ أمرُه الحجّاج ، فوجّه — فيما ذكر هشامٌ عن أبى مِخنف ، عن يونس بن يزيدَ — سفيانَ بن الأبرد ، ووجّه معه جيشًا من أهل الشأم عظيماً[٣] فى طلب قَطَرىّ ، فأقبل سفيانُ حتى أتى الرّىّ ثمّ أتبعهم . وكتب الحجّاج إلى إسحاقَ بن محمد ابن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة بطَبَرستان ، أن اسمَع وأطِع لسُفيان . فأقبَلَ إلى سفيان فسار معه فى طَلَب قطرىّ حتى لحقوه فى شِعْب من شِعاب طَبَرِستان ، فقاتلوه ، فتفرّق عنه أصحابُه ، ووقع عن دابته فى أسفل الشعب فتَدَهدى[٤] حتى خرّ إلى أسفله ، فقال معاوية بن مِحصن الكندىّ : رأيتُه حيث هَوَى ولم أعرفْه ، ونظرت إلى خمس عشرَة امرأةً عربيّة هنّ فى الجمال والبَزازة وحُسن الهيئة كما شاء ربُّك ، ما عدا عجوزاً فيهنّ ، فحملتُ عليهنّ فصرفتهنّ إلى سُفيانَ بن الأبرد .

فلما دنوتُ بهنّ منه انتحتْ لى بسيفها[٥] العجوزُ فتَضرِب به عنقى ، فقطعَت المِغْفر ، وقطعَت جلدةً من حلْقى ، وأختلِج السيفَ فأضرب به وجهَها ، فأصاب قِحفَ رأسِها ، فوقعت ميّتةً ، وأقبلتُ بالفتَيات حتى دفعتهنّ إلى سُفيان وإنه ليضحك من العجوز ، وقال : ما أردت[٦] إلى قتل هذه أخزاها الله — فقلت : أوَما رأيتَ أصلحك الله ضربتَها إيّاى ! والله إن كادت لتقتلنى ؛ قال : قد رأيتُ . فوالله ما ألومك على فعلك ، أبعدَها الله . ويأتى قطريًّا حيث تَدهدَى من الشعب عِلجٌ من أهل البلد ، فقال له قطرىّ : اسقِنى من الماء — وقد كان اشتدّ عطشه — فقال : أعطنى شيئًا حتى أسقيَك ، فقالَ : وَيْحَك ، والله ما معى إلا ما ترى من سلاحى ، فأنا مُؤتيكَه إذا

١٠١٩/٢

(١) ا : « هلكهم » ، ب ، ف : « هلاكهم » .
(٢) ف : « الأمراء » .
(٣) ب ، ف : « عظيماً من أهل الشام » .
(٤) ب ، ف : « فتهدهد » ، ا ، س : « فتدهده » .
(٥) س : « سيفها » .
(٦) ب : « أردت » .

أتيتني بماء ، قال : لا ، بل أعطِنيه الآن ، قال : لا ، ولكن ائتنى بماء قبلُ ، فانطلق العِلْج حتى أشرف على قَطَرىّ ، ثمّ حدر عليه حَجَراً عظيماً من فوقه دَهْدَاه عليه ، فأصاب إحدى وَرِكيه فأوْهته ، وصاح بالناس ، فأقبلوا نحوَه . والعلْجُ حينئذ لا يعرف قَطَرِيًّا ، غيرَ أنه يظنّ أنه من أشرافهم لحسن هيئته ، وكمال سلاحِه . فدفع إليه نفرٌ من أهل الكوفة فابتَدروه فقتلوه ، منهم سَوْرة بن أبجر التميميّ ، وجعفر بن عبد الرحمن بن مِخنَف ، والصباح بن محمّد بن الأشعث ، وباذام مولَى بنى الأشعث ، وعمر بن أبى الصَّلْت بن كنارا مولَى بنى نصر بن معاوية ، وهو من الدّهاقين ، فكل هؤلاء ادّعَوا قتلَه . فدفع إليهم أبو الجَهْم بن كنانة الكلبىّ — وكلهم يزعم أنه قاتله — فقال لهم : ادفعوه إلىّ حتى تصطلحوا ، فدفعوه إليه .

١٠٢٠/٢

فأقبل به إلى إسحاق بن محمد — وهو على أهل الكوفة — ولم يأتِه جعفر لشىء كان بينه وبينه قبل ذلك — وكان لا يكلمه ، وكان جعفر مع سُفيان بن الأبرد ، ولم يكن معه إسحاق . وكان جعفر على ربع أهل المدينة بالرىّ ، فلما مرّ سفيان بأهل الرّىّ انتخب فرسانهم بأمر الحجاج . فسار بهم معه ، فلما أتى القومُ بالرأس فاختصموا فيه إليه وهو فى يدى[1] أبى الجَهْم[2] بن كنانة الكلبىّ ، قال له : امضِ به أنت ، ودَعْ هؤلاء المختلفين ، فخرج برأس قَطَرىّ حتى قدم به على الحجّاج ، ثمّ أتى به عبد الملك بن مروان ، فألحق فى ألفين ، وأعطى فطما[3] — يعنى أنه يفرض للصّغار فى الدّيوان — وجاء جعفر إلى سُفْيان فقال له : أصلحك الله ! إن قَطَرِيًّا كان أصاب والدى فلم يكن لى همّ غيره ، فاجمع بينى وبين هؤلاء الذين ادّعَوا قتلَه ، فسَلْهم ، ألم أكن أمامهم حتى بدرتُهم فضربتُه ضربةً فصرعتُه ، ثمّ جاءونى بعد ، فأقبلوا يضربونه بأسيافهم ! فإن أقرّوا لى بهذا فقد صَدَقوا ، وإن أبَوا فأنا أحلف بالله أنى صاحبه ، وإلا فليَحلفوا بالله أنهم أصحابه الذين قتلوه ، وأنهم لا يعرفون ما أقول ، ولا حق لى فيه . قال : جئت الآن وقد سرّحنا بالرأس . فانصرَفَ عنه فقال له أصحابه : أما والله إنك لأخلق القوم أن تكون صاحبه .

---

(١) ب ، ف : « يد » .
(٢) س : « جهم » .

ثمّ إنّ سُفيانَ بنَ الأبرد أقبل منصرفًا إلى عسكر عبيدة بن هلال ، وقد تحصّن فى قصر بقُومِسَ ، فحاصره فقاتلَه أيامًا . ثمّ إنّ سُفيان بن ١٠٢١/٢ الأبرد سار بنا إليهم حتى أحطْنا بهم ، ثمّ أمر منادِيَه فنادى فيهم : أيّما رجل قتل صاحبَه ثمّ خرج إلينا فهو آمن ؛ فقال عبيدة بن هلال :

لَعَمرى لقد قام الأَصَمُّ بخطبةٍ ... لذى الشّكّ منها فى الصُّدُورِ غَليلُ
لَعَمرى لئن أَعطيتُ سفيان بَيْعَتى ... وفارقْتُ دِينى إنّنى لجهولُ
إلى الله أشكو ما ترى بجيادِنا ... تَساوَكُ هزلَى مُخّهنّ قليلُ[1]
تعاوَرَها القُذّافُ مِن كلّ جانبٍ ... بقُومِسَ حتى صَعْبُهُنّ ذَلولُ
فإنْ يكُ أفناها الحِصارُ فرُبّما ... تَشَحَّطَ فيما بينهنّ قتيلُ
وقد كنّ ممّا إن يُقَدْنَ على الوَجَى ... لهنّ بأبوابِ القِبابِ صَهيلُ

فحاصرَهم حتى جهدوا ، وأكلوا دوابَّهم . ثمّ إنهم خرجوا إليه فقاتَلوه ، فقتلهم وبعث برءوسهم إلى الحجّاج ، ثمّ دخل إلى دُنباوَنْد وطَبَرِسْتان ، فكان هنالك حتى عزلَه الحجّاج قبل الجَماجم .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة قَتَلَ بُكيرُ بنُ وِشاح السعدىّ أميةَ بنَ ١٠٢٢/٢ عبد الله بن خالد بن أسيد :

* ذكر سبب قتله إيّاه .

وكان سبب ذلك — فيما ذكر علىّ بن محمد، عن المفضّل بن محمد — أنّ أمية بن عبد الله وهو عاملُ عبدِ الملك بنِ مروانَ على خُراسان ، ولّى بكيراً غزوَ ما وراءِ النهر ، وقد كان ولاه قبل ذلك طُخارستْان ، فتجهّز للخروج إليها ، وأنفق نفقةً كثيرةً ، فوشى به إليه بحير بن ورقاء الصُّرَيمىّ على ما بيّنت قبلُ ، فأمرَه أميّة بالمقام .

(١) التساوك : السير الضعيف ، والبيت فى اللسان (سوك) بنسبته إلى عبيد الله بن الحر الجعفى .

فلما ولاّه غزوَ ما وراء النهر تجهّز وتكلف الخيل والسلاح، وادّان من رجالِ السُّغْد وتجارِهم، فقال بحير لأميّة: إنْ صار بينك وبينه النهر ولقى الملوك خلع الخليفة ودعا إلى نفسه، فأرسل إليه أمية: أقم لعلى أغزو فتكون معى، فغضب بكير وقال: كأنه يُضارّنى. وكان عتّابُ اللِّقْوة الغُدانىّ

٢/١٠٢٣ استدان ليخرج مع بكير، فلما أقام أخذه غرماؤه، فحبس فأدّى عنه بُكير وخرج، ثمّ أجمع أميّة على الغَزْو. قال: فأمر بالجهاز ليغزوَ بخارَى، ثمّ يأتى موسى بن عبد الله بن خازم بالتِّرْمِذ، فاستعدّ الناسُ وتجهّزوا، واستخلف على خُراسانَ ابنَه زياداً، وسار معه بكير فعسكَر بكُشْماهَن، فأقام أياماً، ثمّ أمر بالرحيل، فقال له بحير: إنّى لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبُكَير: فلتكن فى الساقة ولتحشر الناس. قال: فأمَره أميّة فكان على الساقة حتى أتى النهر، فقال له أمية: اقطع يا بكير؛ فقال عتّاب اللّقوة الغُدانىّ: أصلَحَ الله الأمير! اعبر ثمّ يَعبرُ الناسُ بعدَك. فعبَر ثمّ عَبَر الناس، فقال أمية لبكير: قد خفت ألّا يضبط ابنى عمله وهو غلام حدَث، فارجع إلى مروَ فاكفِنيها فقد ولّيتُكَها، فزيّن ابنى وقم بأمره. فانتخب بكير فُرساناً من فرُسان خُراسان قد كان عرفهم ووثق بهم وعبرَ، ومضى أمية إلى بُخارَى وعلى مقدّمته أبو خالد ثابت مولى خُزاعة. فقال عتّاب اللقوة لبكير لما عبر وقد مضى أمية: إنا قتلْنا أنفسَنا وعشائرَنا حتى ضبطْنا خُراسان، ثم طلبنا أميراً من قُريش يجمع أمرنا، فجاءنا أميرٌ يلعَب بنا يحوّلنا من سجن

٢/١٠٢٤ إلى سجن، قال: فما ترى؟ قال: أحرق[1] هذه السفن، وامضِ إلى مَرْوَ فاخلع أمية، وتقيم بمروَ تأكلها إلى يوم ما؛ قال: فقال الأحنف بن عبدالله العنبرىّ: الرأىُ ما رأى عتّاب، فقال بكير: إنّى أخاف أن يَهلِك هؤلاء الفُرسان الذين معى، فقال: أتخاف عدم الرّجال! أنا آتيك من أهل مروَ بما شئت إنْ هلك مِنْ هؤلاء الذين معك، قال: يهلك المسلمون؛ قال: إنما يكفيك أن ينادى منادٍ: مَن أسلمَ رفعْنا عنه الخَراج فيأتيك خمسون ألفاً من المصلين أسمَع لك من هؤلاء وأطوَع؛ قال: فيهلك أميةُ ومَن معه؛ قال: ولِمَ يَهلِكون ولهم عُدّة وعَدَد ونَجْدة وسلاح ظاهر وأداة كاملة، ليقاتلوا عن

(١) ا: «اخرق».

أنفسهم حتى يبلغوا الصين ! فأحرَق بكير السفُن ، ورجع إلى مَرْوَ ، فأخذ ابن أمية فحبسه ، ودعا الناسَ إلى خلع أمية فأجابوه ، وبلغ أمية ، فصالح أهلَ بُخارى على فِدْية قليلة ، ورجع فأمر باتخاذ السفن ، فاتُّخذت له وجُمعت ، وقال لمن معه من وجوه تميم : ألا تعجبون من بكير ! إنّى قدمتُ خُراسانَ فحذّرته ، ورُفع عليه وشُكِى منه ، وذكروا أموالا أصابها ، فأعرضت عن ذلك كله ، ثم لم أفتشه عن شيء ولا أحداً من عُمّاله ، ثمّ عرضت عليه شرطتى فأبَى ، فأعفيته ، ثمّ وليته فحذَّرته ، فأمرتُه بالمُقام وما كان ذلك إلا نظراً له ، ثمّ رددته إلى مروَ ، وولّيته الأمر ، فكفر ذلك كلّه ، وكافأنى بما ترون . فقال له قوم : أيها الأمير ، لم يكن هذا من شأنه ، إنما أشار عليه بإحراق السفن عتابُ اللِّقوة ، فقال : وما عتّاب ! وهل[1] عتاب إلا دجاجة حاضنة ، فبلغ قولُه[2] عتابًا ، فقال عتاب فى ذلك : ٢/١٠٢٥

إنَّ الحَوَاضِنَ تلقاهــا مجفَّفَةً ... غُلْبَ الرِّقاب على المنسوبةِ النُّجُبِ

تركتَ أمرَك من جُبْنٍ ومن خَوَرٍ ... وجئتَنَــا حُمُقاً يا ألأَمَ العربِ

لما رَأَيتَ جبالَ السُّغْدِ مُعْرِضةً ... ولَّيتَ موسى ونوحاً عُكْوةَ الذَّنَبِ

وجئتَ ذيخاً مُغِذًّا ما تُكلمُنا ... وطِرْتَ من سَعَفِ البحرينِ كالخَرِبِ

أوعِدْ وعِيدكَ إنى سوف تَعرِفنى ... تحتَ الخوافِقِ دون العارضِ اللجِبِ

يَخُبُّ بى مشرفٌ عار نواهقــهُ ... يغْشَى الكتيبةَ بين العَدْوِ والخبَبِ

قال : فلمّا تهيأت السفن ، عبَرَ أمية وأقبَل إلى مروَ ، وترك موسى بن عبد الله ، وقال : اللهمّ إنى أحسنت إلى بُكير ، فكفَر إحسانى ، وصنع ما صنع ، اللهم اكفنيه .

فقال شمّاس بن دِثار — وكان رجع من سجِسْتانَ بعد قتل ابن خازم ، فغزا مع أمية : أيها الأمير ، أنا أكفيكه إن شاء الله . فقدَّمه أمية فى ثمانمائة ، فأقبل حتى نزل باسان وهى لبنى نصر ، وسار إليه بكيرٌ ومعه مُدركُ بن أنيف وأبوه ٢/١٠٢٦

---

(١) ب ، ف : « وما » . (٢) ف : « ذلك » .

مع شماس ، فقال : أما كان فى تميم أحدٌ يحاربنى غيرك ! ولامَه . فأرسل إليه شماس : أنت ألوَم وأسوأ صنيعاً منى ، لم تَفِ لأمية ولم تشكر له صنيعَه بك ؛ قَدم فأكرمك ولم يَعرِض لك ولا لأحد من عمّالك .

قال : فبيّته بكير ففرّق جمعَه وقال : لا تَقتلُوا منهم أحداً ، وخذوا سلاحَهم ، فكانوا إذا أخذوا رجلا سلَبوه وخلّوا عنه ، فتفرّقوا ، ونَزَل شماس فى قرية لطيّئ يقال لها : بُويَنَه ، وقدِم أمية فنزل كَشْماهن ، ورجع إليه شمّاس بنُ دِثار فقدّم أمية ثابتَ بن قطبة مولَى خُزاعة ، فلقيَه بكير فأسر ثابتاً وفرّق جمعَه ، وخلى بكير سبيلَ ثابت لِيَد كانت له عنده . قال : فرجع إلى أمية ، فأقبل أمية فى الناس ، فقاتله بكيرٌ وعلى شُرطة بكير أبو رُستم الخليل بن أوْس العَبْشَمىّ ، فأبلى يومئذ ، فنادَوه : يا صاحب شرطة عارمةَ — وعارمةُ جاريةُ بكير — فأحجمَ ، فقال له بكير : لا أبَالَك ، لا يَهدّك نداءُ هؤلاء القوم ، فإنّ للعارمة فَحْلا يمنعها ، فقدّمْ لواءَك ، فقاتلوا حتى انحاز بكيرٌ فدخل الحائط ، فنزل[1] السوقَ العتيقة ، ونزل أمية بَاسَانَ فكانوا يلتقون فى ميدان يَزيدَ ، فانكشفوا يوماً ، فحماهم بكير ، ثمّ التقَوا يوماً آخر فى الميدان ، فضرب رجلٌ من بنى تميم على رجله فجعل يَسحَبها ، وهُريم يَحميه ، فقال الرجل : اللهمّ أيدْنا فأمِدّنا بالملائكة ، فقال له هُريم : أيها الرّجل ، قاتلْ عن نفسك ، فإنّ الملائكة فى شُغُل عنك ، فتَحامَلَ ثمّ أعاد قولَه : اللهمّ أمِدّنا بالملائكة ، فقال هُريم : لتكُفنّ عنى أو لأدعنّك والملائكة ، وحماهُ حتى ألحقَه بالناس . قال : ونادى رجلٌ من بنى تميم : يا أميةُ ، يا فاضحَ قريش ؛ فآلى أمية إنْ ظَفِر به أن يذبحه ، فظَفِر به فذبحه بين شُرفَتَيْن من المدينة ، ثمّ التقَوا يوماً آخر ، فضرب بكير بن وشاح ثابتَ بن قطبة على رأسه وانتمَى : أنا ابنُ وِشاح ؛ فحمل حُريث بن قطبة أخو ثابت على بكير ، فانحاز بكير ، وانكشف أصحابُه ، وأتبع حُريث بكيراً حتى بلغ القنطرة ، فناداه : أين يا بكير ؟ فكرّ عليه ، فضرَبَه حريثٌ على رأسه ، فقطع المِغفَر ، وعَضّ

١٠٢٧/٢

---

(١) ا : « فترك » .

السيفُ برأسه ، فصُرِع ، فاحتملَه أصحابُه ، فأدخلوه المدينة .

قال : فكانوا على ذلك يقاتلونهم ، وكان أصحابُ بكير يَغدُون متفضِّلين في ثياب مصبَّغة ، وملاحفَ وأزُر صُفْر وحُمْر ، فيجلسون على نواحي المدينة يتحدّثون، وينادي منادٍ : مَن رَمى بسهم رَميْنا إليه برأس رجل من ولدِه وأهلِه ؛ فلا يرميهم أحدٌ .

قال : فأشفق بكير ، وخاف إن طال الحصار أن يخذُله الناس ، فطلب الصّلح ، وأحبّ ذلك أيضًا أصحابُ أمية لمكان عيالاتهم بالمدينة ، فقالوا لأمية : صالِحه — وكان أمية يحبّ العافية — فصالحه على أن يقضيَ عنه أربعمائة ألف، ويَصِلَ أصحابَه ويولّيه أيضًا أيّ كُوَر خُراسانَ شاء ، ولا يسمع قولَ بَحير فيه ، وإن رابَه منه رَيْب فهو آمِن أربعين يومًا حتى يخرج عن مروَ ، فأخذ الأمان لبكير من عبد الملك ، وكَتَب له كتابًا على باب سِنْجان[1] ، ودخل أميّةُ المدينة . ١٠٢٨/٢

قال : وقوم يقولون : لم يخرج بكير مع أمية غازيًا ، ولكنّ أمية لما غزا استخلفه على مروَ فخلعه ، فرجع أميةُ فقاتَله ، ثمّ صالحه ودخَل مروَ ووفَى أميةُ لبكير ، وعاد إلى ما كان عليه من الإكرام وحُسْن الإذْن ، وأرسَل إلى عتّاب اللقوة ، فقال : أنت صاحبُ المَشُورة ؛ فقال : نعَم أصلَح الله الأمير ! قال : ولِمَ ؟ قال : خفّ ما كان في يدى ، وكَثُر دَيْني ، وأعديت على غرمائي ؛ قال : وَيْحك! فضرَبْت بين المسلمين ، وأحرقت السفن والمسلمون في بلاد العدوّ ، وما خفت الله ! قال : قد كان ذلك ، فأستغفِر الله ، قال : كم دَينُك ؟ قال : عشرون ألفًا ؛ قال : تكفّ عن غِشّ المسلمين وأقضي دينَك ؟ قال : نعم ، جعلني الله فِداك ! قال : فضَحِك أميّة وقال : إنّ ظني بك غير ما تقول ، وسأقضي عنك . فأدّى عنه عشرين ألفًا ، وكان أمية سهلا لينًا سخيًّا ، لم يُعط أحدٌ من عُمال خُراسانَ بها مثل عطاياه ؛ قال : وكان مع ذلك ثقيلا عليهم ، كان فيه زَهْو شديد ، وكان يقول : ما أكتفِي بخُراسان[2] وسِجِسْتان لمَطْبخي . وَعزَل أميةُ بَحيرًا

---

(١) ا ، ب ، ف : « شنجار » . (٢) بعدها في ب ، ف : « كلها » .

٢/١٠٢٩ عن شرطته ، وولاّها عطاءَ بن أبي السائب ، وكتب إلى عبدالملك بما كان من أمرِ بكير وصفحه عنه . فضرب عبدُ الملك بَعْثاً إلى أميّة بخُراسان ، فتَجاعَلَ الناس ، فأعطَى شقيق بن سَليل الأسديّ جعالَته رَجُلاً من جَرْم ، وأخذ أمية الناسَ بالخراج ، واشتدّ عليهم فيه ، فجلس بكير يوماً فى المسجد وعنده ناسٌ من بنى تميم ، فذكروا شِدّة أمية على الناس ، فذمّوه ، وقالوا : سلّط علينا الدّهاقين فى الجباية وبَحير وضِرار بن حُصَين وعبد العزيز بن جارية ابن قُدامة فى المسجد ، فنقل بَحير ذلك إلى أميةَ فكذّبه فادّعى شهادة هؤلاء ، وادّعى شهادة مُزاحِم بن أبي المُجشر السلميّ ، فدعا أميةُ مزاحماً فسأله فقال : إنما كان يَمزَح ، فأعرض عنه أمية ، ثمّ أتاه بحير فقال : أصلح الله الأمير ! إنّ بُكَيراً والله قد دعانى إلى خَلْعك ، وقال : لولا مَكانك لقتلتُ هذا القرشيّ وأكلتُ خُراسانَ ؛ فقال أميّة : ما أصدّق بهذا وقد فعل ما فعل ؛ فآمنتُه ووصَلْته .

قال : فأتاه بضِرار بن حُصين وعبدِ العزيز بنِ جارية فشهدا أنّ بكيراً قال لهما : لو أطعتُمانى لقتلتُ هذا القرشيّ المخنَّث ، وقد دعانا إلى الفَتْك بك . فقال أمية : أنتم أعلم وما شهِدتم ، وما أظُنّ هذا به وإن تركه ، وقد شهدتم بما شهدتم عجزٌ ؛ وقال لحاجبه عبيدة ولصاحبِ حَرَسه عطاء بن أبي السائب : إذا دخل بكير ، وبدل وشمردل ابنا أخيه ، فنهضتُ فخذوهم . ٢/١٠٣٠ وجلس أمية للناس ، وجاء بكير وابنا أخيه ، فلما جلسوا قام أمية عن سريره فدخل ، وخرج الناس وخرج بكير ، فحبسوه وابنَيْ أخيه ، فدعا أمية ببكير فقال : أنت القائل كذا وكذا ؟ قال : تَثَبّتْ أصلحك الله ولا تسمعنّ قول ابنِ المحلوقة ! فحبَسه ، وأخذ جاريته العارمةَ فحبَسها ، وحبَس الأحنف ابن عبد الله العنبريّ ، وقال : أنت ممن أشار على بُكَير بالخَلْع .

فلما كان من الغد أخرج بُكَيراً فشهد عليه بحيرٌ وضِرار وعبد العزيز بن جارية أنه دعاهم إلى خَلْعه والفتك به ، فقال : أصلحك الله ! تثبّتْ فإنّ هؤلاء أعدائى ، فقال أمية لزياد بن عُقْبة — وهو رأسُ أهل العالية — ولابن والان العدوىّ — وهو يومئذ من رؤساء بنى تميم — ليعقوب بن خالد الذّهْلى :

أتقتلونه ؟ فلم يجيبوه ؛ فقال لبَحير : أتقتُلُه ؟ قال : نعم ، فدفعه إليه ، فنهض يعقوبُ بن القَعْقاع الأعلم الأزْدىّ من مجلسه — وكان صديقاً لبُكير — فاحتَضَن أميّة ، وقال : أذكّرك اللهَ أيها الأمير فى بكير ، فقد أعطيتَه ما أعطيتَه من نفسك ، قال : يا يعقوب ما يقتله إلا قومه ، شهدوا عليه ، فقال عطاءُ بن أبى السائب الليثىّ وهو على حَرَس أميّة : خلّ عن الأمير ؛ قال : لا ، فضَرَبه عطاء بقائم السيف ، فأصاب أنفَه فأدماه ، فخرج ، ثمّ قال لبحير : يا بحير ، إنّ الناس أعطوا بكيرًا ذمّتهم فى صلحه ، وأنت منهم ، فلا تخفر ذمّتك ؛ قال : يا يعقوب ، ما أعطيته ذمّةً . ثمّ أخذ بحير سيفَ بكير الموصول الذى كان أخذه من أسوار الترجمان تَرْجُمان ابن خازم ، فقال له بكير : يا بحير ، إنك تُفرّق أمرَ بنى سعد إن قتلْتنى ، فدَعْ هذا القرشىّ يلى منى ما يريد ؛ فقال بحير : لا واللهِ يابن الإصبهانية لا تصلح بنو سعد ما دُمنْا حيَّيْن ، قال : فشأنك يابن المحلوقة ، فقتَلَه ، وذلك يوم جمعـــة . ١٠٣١/٢

وقتَل أمية ابنى أخى بكير ، ووهب جارية بكير العارمةَ لبَحير ، وكلّمَ أمية فى الأحنف بن عبد الله العنبرىّ ، فدعا به من السجن ، فقال : وأنتَ ممن أشار على بُكَير ، وشَتَمه ، وقال : قد وهبتُك لهؤلاء . قال : ثمّ وجّه أميّةُ رجلا من خُزاعة إلى موسى بن عبد الله بن خازم ، فقَتَله عمرو بن خالد بن حُصين[1] الكلابىّ غِيلةً ، فتفرّق جيشُه ؛ فاستأمن طائفةٌ منهم موسى ، فصاروا معه ، ورجع بعضُهم إلى أمية .

* * *

وفى هذه السنة عبر النهرَ ، نهرَ بَلْخ أمية للغَزْو ، فحُوصِر حتى جُهِد هو وأصحابه ، ثمّ نجوْا بعد ما أشرَفوا على الهلاك ؛ فانصرف والذين معه من الجُنْد إلى مروَ . وقال عبد الرحمن بنُ خالدِ بن العاص بنِ هشام بن المغيرة يهجو أميّة :

أَلا أَبلغْ أُميةَ أَنْ سيُجزَى ... ثَوابَ الشَّرِّ إنَّ له ثَوابَـــا

ومَن يَنظر عتابَكَ أَو يُرِدْهُ ... فلستُ بناظر منكَ العِتَابَا

(١) ط : « حصن » ، وانظر الفهرس .

محا المعروفَ منك خلالُ سَوْءٍ مُنحتَ صَنِيعَهَا باباً فبابَا

ومَن سَمَّاكَ إذْ قسمَ الأَسامِي أُميَّةَ إذ وُلِدتَ فقد أصابا

* * *

قال أبو جعفر : وحجّ بالناس فى هذه السنة أبان بن عثمان ، وهو أميرٌ على المدينة ، وكان على الكوفة والبَصْرة الحجّاج بن يوسف ، وعلى خُراسانَ أمية ابن عبد الله بن خالد بن أسيد .

١٠٣٢/٢

وحدّثنى أحمدُ بنُ ثابت ، عمن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، قال : حجّ أبانُ بن عثمانَ وهو على المدينة بالناس حجّتين سنة ستّ وسبعين وسنة سبع وسبعين .

وقد قيل : إنّ هلاكَ شبيب كان فى سنة ثمان وسبعين ، وكذلك قيل فى هلاك قَطَرىّ وعبيدة بن هلال وعبد ربه[1] الكبير .

* * *

وغَزا فى هذه السنة الصائفةَ الوليدُ .

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « عبد رب » .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ذكر الخبر عن الكائن فى هذه السنة من الأحداث الجليلة

فمن ذلك عزْلُ عبدِ الملك بن مروان أميّة بن عبد الله عن خُراسان وضمّه خُراسان وسِجستانَ إلى الحجّاج بن يوسف. فلما ضمّ ذلك إليه فرّق فيه عمّاله[1].

* * *

ذِكر الخبر عن العمّال الذين ولاّهم الحجّاج خُراسان وسجستان وذِكر السّبب فى توليته مَن ولاّه ذلك وشيئاً منه

ذُكر أنّ الحجاج لما فرغ من شَبيب ومطرّف شَخَص من الكُوفة إلى البَصْرة، واستَخلَف على الكوفة المغيرةَ بنَ عبد الله بن أبى عقيل — وقد قيل: إنه استخلف عبدَالرحمن بن عبد الله بن عامر الحَضْرَمىّ، ثمّ عزلَه، وجعل مكانَه المغيرة بن عبد الله — فقدِم عليه المهلّبُ بها، وقد فرغ من [أمر][2] الأزارقة. ٢/١٠٣٣

فقال هشام: حدّثنى أبو مِخنَف عن أبى المُخارِق الراسبىّ، أنّ المهلّب بن أبى صُفْرة لما فرغ من الأزارقة قَدِم على الحجاج — وذلك سنة ثمان وسبعين — فأجلَسه معه، ودعا بأصحاب البلاء من أصحاب المهلّب، فأخذ الحجّاج لا يَذكَر له المهلّب رجلا من أصحابه ببلاء حَسَن إلا صدّقة الحجّاج بذلك، فحملَهم الحجّاج وأحسَنَ عطاياهم، وزاد فى أعطِياتهم، ثمّ قال: هؤلاء أصحاب الفِعال، وأحقّ بالأموال، هؤلاء حُماةُ الثغور، وغيظ الأعداء.

قال هشام عن أبى مِخنَف: قال يونسُ بنُ أبى إسحاق: وقد كان الحجّاج ولى المهلّب سِجستانَ مع خُراسان، فقال له المهلّب: ألا أدلّك على رجل هو أعلَم بسِجِستانَ منّى، وقد كان ولىَ كابُل وزابُل، وجَباهم

(١) «عماله فيها». (٢) من ا.

وقاتلتهم وصالحتهم ؟ قال له : بلى، فمن هو ؟ قال عبيد الله بن أبى بكْرة .

ثمّ إنه بعث المهلّب على خُراسان وعبيدالله بن أبى بكْرة على سجستان ، وكان العامل هنالك أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية، وكان عاملا لعبد الملك بن مروان ، لم يكن للحجاج شىءٌ من أمره حين بُعث على العراق حتى كانت تلك السنة ، فعزلَه عبدُالملك وجمع سلطانه للحجّاج ، فمضى المهلب إلى خُراسانَ ، وعبيد الله بن أبى بكرة إلى سجستان ، فمكث عُبيد الله بن أبى بكْرة بقية سنته .

فهذه رواية أبى مخنف عن أبى المخارق ، وأما علىّ بن محمد فإنه ذكر عن المفضّل بن محمد أن خُراسان وسجستانَ جُمِعتا للحجّاج مع العراق فى ٢/١٠٣٤ أول سنة ثمان وسبعين بعد ما قتل الخوارج ، فاستعمل عبيد الله بن أبى بكْرة على خراسان ، والمهلّب بن أبى صفرة على سجستان، فكره المهلب سجستان ، فلقىَ عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبْشَمىّ — وكان على شُرْطة الحجاج — فقال : إنّ الأمير ولاّنى سجستان ، وولى ابنَ أبى بكْرة خُراسان ، وأنا أعرَف بخراسانَ منه ، قد عرفتها أيام الحكَم بن عمرو الغفارىّ ، وابنُ أبى بكْرة أقوى على سجستانَ منّى ، فكلِّم الأميرَ يحوّلنى إلى خُراسان، وابن أبى بكْرة إلى سجستان؛ قال : نعم ، وكلِّم زاذانَ فرُّوخ يُعينُنى ؛ فكلمه ، فقال : نعم ، فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجّاج : وليتَ المهلب سجستان وابن أبى بكْرة أقوى عليها منه، فقال زاذان فرّوخ : صدَق ، قال : إنّا قد كتبنا عهدَه ؛ قال زاذان فروخ : ما أهْوَن تحويلَ عهده ! فحوّل ابن أبى بكرة إلى سجستانَ ، والمهلّب إلى خُراسان ، وأخذ المهلّب بألف ألف من خرَاج الأهواز ، وكان ولاها إيّاه خالد بن عبد الله ، فقال المهلب لابنه المغيرة : إنّ خالداً ولاّنى الأهواز ، وولاّك إصْطَخْر ، وقد أخذنى الحجاج بألف ألف ، فنصفٌ علىّ ونصف عليك ، ولم يكن عند المهلّب مالٌ ، كان إذا عزل استقرَض ؛ قال : فكلم أبا ماويَّة مولى عبد الله بن عامر — وكان أبو ماويّة على بيتِ مال عبدالله بن عامر — فأسلف المهلّب ثلثمائة ألف[1] ،

---

(١) ب ، ف : « ألف ألف » .

فقالت خَيْرَةُ القُشَيْرية امرأة المهلب : هذا لا يفى[1] بما عليك ؛ فباعت حُلِيًّا لها ومتاعًا ، فأكمَل خمسمائة ألف ، وحمل المغيرة إلى أبيه خمسمائة ألف[2] فحملها إلى الحجّاج ، ووجّه المهلب ابنه حبيبًا على مقدّمته ، فأتى الحجّاج فودّعه ، فأمر الحجّاج له بعشرة آلاف وبغلة خضراء ، قال : فسار حبيبٌ على تلك البغلة حتّى قَدِم خُراسانَ هو وأصحابُه على البريد ، فسار عشرين يومًا ، فتلقاهم حين دخلوا حملُ حطب ، فنَفرَت البغلة فتعجّبوا منها ومن نِفارها بعد ذلك التّعب وشدة السير . فلم يعرض لأمية ولا لعمّاله ، وأقام عشرةَ أشهر حتّى قدم عليه المهلّب سنة تسع وسبعين . ١٠٣٥/٢

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة الوليدُ بنُ عبد الملك ، حدّثنى بذلك أحمدُ ابنُ ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

وكان أميرَ المدينة فى هذه السنة أبانُ بنُ عثمان ، وأميرَ الكوفة والبَصرة وخُراسان وسِجستان وكِرمان الحجّاجُ بن يُوسف ، وخليفتَه بخُراسان المهلّبُ ، وبسجستان عُبيد الله ابن أبى بَكْرة ، وعلى قضاء الكوفة شُريح ، وعلى قضاء البَصرة — فيما قيل — موسى بن أنَسَ .

* * *

وأغزَى عبد الملك فى هذه السنة يَحيى بنَ الحكَم .

---

(١) ب ، ف : « لا يفى هذا » .

(٢) ب ، ف : « ألف ألف » .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

١٠٣٦/٢ فمن ذلك ما أصاب أهل الشأم فى هذه السنة من الطّاعون حتى كادوا يفنَوْن من شدّته ، فلم يغزُ فى تلك السنة أحدٌ — فيما قيل — للطاعون الذى كان بها ، وكثرة الموت .

وفيها — فيما قيل — : أصابت الرّومُ أهلَ أنطاكية .

* * *

[ذكر الخبر عن غزو عبيد الله بن أبى بكرة رتْبيل]

وفيها غزا عُبيد الله بنُ أبى بكرة رُتْبِيل.

ذكر الخبر عن غزوته إيّاه :

قال هشام : حدّثنى أبو مِخْنَف ، عن أبى المُخارِق الراسبىّ ، قال : لما ولّى الحجّاجُ المهلّبَ خُراسان، وعبيد الله بن أبى بكرة سِجستانَ ، مضى المهلّب إلى خُراسانَ وعبيد الله بن أبى بَكْرة إلى سجستان ، وذلك فى سنة ثمان وسبعين ، فمكث عبيدُ الله بن أبى بَكْرة بقيّة سنته . ثمّ إنه غزا رُتْبِيل وقد كان مصالحًا ، وقد[1] كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خَراجًا ، وربّما امتنع فلم يفعل، فبعث الحجّاج إلى عُبيد الله بن أبى بَكْرة أنْ ناجزْه بمن معك من المسلمين فلا ترجع حتى تستبيحَ أرضَه ، وتَهدِم قِلاعَه ، وتَقتُل مُقاتِلَته ، وتَسبىَ ذرّيته . فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهلِ البَصرة ، وكان على أهل الكوفة شُرَيح بن هانئ الحارثىّ ثمّ الضّبابىّ ، وكان من أصحاب علىّ ، وكان عُبيد الله على أهل البَصْرة ، وهو أمير الجماعة ، فمضى حتى وَغَل فى بلاد رُتْبِيل ، فأصاب من البقر والغنم والأموال ما شاء وَهدّم قِلاعًا وحُصونًا ، وغلب على أرض من أرضهم كثيرة ، وأصحاب[2]

١٠٣٧/٢ رُتْبيل من الترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض ، حتى أمعَنوا فى بلادهم

---

(١) ساقطة من ا . (٢) ب ، ف : « وأصاب » .

ودنَوا من مدينتهم ، وكانوا منها ثمانية عشرَ فرسخًا ، فأخذوا على المسلمين العقابَ والشِّعاب ، وخلّوهم والرَّساتيق ، فسُقط فى أيدى المسلمين ، وظنوا أنْ قد هلكوا ، فبعث ابن أبى بكْرة إلى شُرَيح بن هانئ : إنّى مصالح القوم على أن أعطيَهم مالا ، ويخلّوا بيني وبين الخروج ، فأرسل إليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم ، فلقيَه شُريح فقال : إنك لا تصالح على شىء إلا حَسَبه السلطان عليكم فى أعطِياتكم ، قال : لو مُنِعنا العطاءَ ما حَيِينا كان أهوَن علينا من هلاكنا ؛ قال شُريح : والله لقد بلغتُ سِنًّا ، وقد هلكتْ لِداتى ، ما تأتى علىّ ساعة من ليل أو نهار فأظنّها تمضى حتى أموت ، ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان ، ولئن فاتتنى اليومَ ما إخالنى مُدْرِكها حتى أموت ، وقال : يا أهل الإسلام ، تعاونوا على عدوّكم ؛ فقال له ابنُ أبى بكْرة : إنك شيخ قد خرِفْتَ ، فقال شريح : إنما حسبك أن يقال : بُستان ابن أبى بكْرة وحَمام ابن أبى بكْرة ، يا أهل الإسلام ، من أراد منكم الشهادَة فإلىّ . فاتبعه ناسٌ من المتطوّعة غير كثير ، وفُرسان الناس وأهل الحفاظ ، فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلا ، فجعل شُريح يرتجز يومئذ ويقول :

٢/١٠٣٨

أَصبحتُ ذا بَثٍّ أقاسى الكِبرَا قد عِشتُ بين المشركين أَعصُرَا

ثمَّتَ أَدركتُ النبيَّ المُنذِرا وبعــدَه صِدِّيقَهُ وعُمرَا

ويومَ مِهرانَ ويومَ تُستَرَا والجَمْعَ فى صِفِّينِهِم والنَّهَرَا

وباجُمَيْرَاتِ مع المُشَقَّرا هيهاتَ ما أطوَلَ هذا عُمُرا

فقاتل حتى قُتِل فى ناس من أصحابه ، ونجا من نجا ، فخرجوا من بلاد رُتْبيل حتى خرجوا منها ، فاستقبلَهم مَن خرجوا إليهم من المسلمين بالأطعمة ، فإذا أكلَ أحدُهم وشبِع مات ، فلما رأى ذلك الناسُ حذِروا يطعمونهم ، ثمّ جعلوا يطعمونهم السَّمْن قليلا قليلا ، حتى استمرءوا . وبلغ ذلك الحجاج ، فأخذه ما تقدّم وما تأخّر ، وبلغ ذلك منه كلّ مبلغ ، وكتب إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإنّ جُند أمير المؤمنين الذين بسِجستان أصيبوا فلم

يَنجُ منهم إلا القليل ، وقد اجترأ العدوّ بالذى أصابه على أهل الإسلام فدخلوا بلادَهم ، وغلبوا على حصونهم وقصورِهم ، وقد أردت أن أوجّه إليهم جنداً كثيفاً من أهل المِصرَين ، فأحببتُ أن أستطلع رأىَ أمير المؤمنين فى ذلك ، فإنْ رأى لى بعثةَ ذلك الجند أمضيتُه ، وإن لم يَرَ ذلك فإن أميرَ المؤمنين أولَى بجنده ، مع أنى أتخوّف إن لم يأت رُتْبيلَ ومن معه من المشركين جندٌ كثيف عاجلا أن يستوْلوا على ذلك الفَرْج كلّه . ١٠٣٩/٢

* * *

وفى هذه السنة قَدِم المهلّب خُراسانَ أميراً ، وانصرف عنها أمية بن عبد الله ، وقيل استعفَى شُريح القاضى من القضاء فى هذه السنة ، وأشار بأبى بُردَة بن أبى موسى الأشعرىّ ، فأعفاه الحجّاج وولّى أبا بُرْدة .

* * *

وحَجَّ بالناس فى هذه السنة – فيما حدّثنى أحمدُ بن ُ ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر – أبانُ بن عثمان ، وكذلك قال الواقدىّ وغيرُه من أهل السيَر .

وكان أبان هذه السنة أميراً على المدينة مِن قِبَل عبدِ الملك بن مروان وعلى العراق والمَشرِق كلّه الحجّاج بن يوسف .

وكان على خُراسانَ المهلب من قبَل الحجاج .

وقيل : إنّ المهلب كان على حربها ، وابنه المغيرة على خَراجها ، وعلى قضاء الكوفة أبو بُرْدة بن أبى موسى ، وعلى قضاء البَصرة موسى بن أنَس[1] .

(١) بعدها فى ا : « وهو آخر الجزء السادس والأربعون » .

ثم دخلت سنة ثمانين

ذكر الأحداث الجليلة التى كانت فى هذه السنة

(١ وفى هذه السنة جاء ١) — فيما حدّثت عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر الواقدىّ — سيل بمكة ذهب بالحُجّاج ، فغَرِقت بيوتُ مكة فسمّى ذلك العامُ عامَ الجُحَاف ، لأنّ ذلك السيل جَحَف كلّ شىء مرّ به . ٢/١٠٤٠

قال محمد بن عمر : حدّثنى محمد بن رفاعة بن ثعلبة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : جاء السيلُ حتى ذهب بالحُجّاج ببطن مكة ، فسمى لذلك عامَ الجُحاف ، ولقد رأيتُ الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء تَمرّ بهم ما لأحد فيهم حِيلة ، وإنى لأنظر إلى الماء قد بلغ الركنَ وجاوَزَه .

وفى هذه السنة كان بالبَصرة طاعونُ الجارف ، فيما زعم الواقدىّ .

***

[ذكر خبر غزو المهلّب ما وراء النهر]

وفى هذه السنة قطع المهلب نهرَ بَلْخ فنزل على كِسّ ، فذكر علىّ بنُ محمد، عن المفضّل بن محمد وغيره أنه كان على مقدّمة المهلب حين نزل على كِسّ أبو الأدهم زيادُ بنُ عَمرو الزِّمّانىّ فى ثلاثة آلاف وهم خمسةُ آلاف إلا أنّ أبا الأدهم كان يُغنِى غَناءَ ألفَيْن فى البأس والتدبير والنصيحة . قال : فأتى المهلب وهو نازل على كِسّ ابن عمّ ملك الخُتَّل ، فدعاه إلى غزو الخُتَّل ، فوجّه معه ابنه يزيد ، فنزل فى عسكره ، ونزل ابن عمّ الملك — وكان الملك يومئذ اسمه السَّبَل(٢) — فى عسكره على ناحية ، فبيّت السَّبَل ابن عمه ، فكبر فى عسكره ، فظن ابن عمّ السبَل أنّ العرب قد غدَرُوا به ، وأنهم خافُوه على الغدر حين اعتزل عسكرَهم ، فأسره السبَلُ ، فأتى به قلعتَه فقتله . قال : فأطاف يزيدُ بنُ المهلب بقلعة السَّبَل ، فصالحوه على فِدْية حَمَلوها إليه ، ورجع(٣) إلى المهلب فأرسلت أمّ الذى قتله السبل إلى أمّ السبَل : كيف تَرجين ٢/١٠٤١

(١ – ١) ب ، ف : « ففيها » . وقبلها فى ا : « قال أبو جعفر » .

(٢) ط : « كس » ، صوابه من ا . (٣) ابن الأثير : « رجع » .

بقاء السبل بعد قتل ابن عمه ، وله سبعة إخوة قد وَتَرهم ! وأتت أمّ واحد فأرسلت إليها : إن الأسْدَ تَقِلّ أولادُها ، والخنازير كثير أولادها .

ووجّه المهلب ابنه حبيبًا إلى رَبِنْجَن [1] فوافى صاحبَ بُخارَى فى أربعين ألفًا ، فدعا رجلٌ من المشركين إلى المبارزة ، فبرز له جَبَلة غلام حبيب ، فقتل المشْرك ، وحمل على جمعهم ، فقتل منهم ثلاثةَ نفر ، ثمّ رجع ورجع العسكر ، ورجع العدوّ إلى بلادهم ، ونزلتْ جماعةٌ من العدوّ قريةً ، فسار إليهم حبيب فى أربعة آلاف ، فقاتلَهم فظَفر بهم ، فأحرقَها ، ورجع إلى أبيه فسميت المحترِقة . ويقال إن الذى أحرقها جَبَلة غلام حبيب .

قال : فمكث المهلب سنتين مقيمًا بكسّ ، فقيل له : لو تقدّمتَ إلى السغْد وما وراء ذلك ! قال : ليتَ حظّى من هذه الغزْوة سلامة هذه الجُنْد ، حتى يرجعوا إلى مَرْوَ سالمين .

قال : وخرج رجلٌ من العدوّ يومًا ، فسأله البراز ، فبرز إليه هريم بن عدىّ ، أبو خالد بن هريم وعليه عمامةٌ قد شدّها فوق البَيْضة ، فانتهى إلى جَدْول ، فجاولَه المشرك ساعة فقتله هُرَيم وأخذ سلَبه ، فلامَه المهلب ، وقال : لو أصبت ثم أمددتُ بألفِ فارس ما عدَلوكَ عندى ، واتهم المهلبُ وهو بكِسْ قومًا من مضرَ فحبسهم بها ، فلما قفل وصار صُلْحٌ خلّاهم ، فكتب إليه الحجاج : إن كنت أصبتَ بحبسهم فقد أخطأتَ فى تخليتهم ؛ وإن كنتَ أصبت بتخليتهم فقد ظلمتَهم إذ حبستَهم . فقال المهلب : خفْتُهم فحبستهم ، فلما أمنتُ خلّيتهم .

٢/١٠٤٢

وكان فيمن حبَس عبدالملك بن أبى شيخ القشيرىّ . ثم صالح المهلبُ أهلَ كِسْ على فدية ، فأقام ليقبضها ، وأتاه كتابُ ابن الأشعث بخَلْع الحجاج ويدعوه إلى مساعدته على خلْعه ، فبعث بكتاب ابن الأشعث إلى الحجّاج .

***

[تسيير الجنود مع ابن الأشعث لحرب رُتبيل]

وفى هذه السنة وجّه الحجاج عبدالرحمن بنَ محمد بن الأشعث إلى سِجستانَ لحرب رُتْبيل صاحِب الترك ؛ وقد اختلف أهل السيرَ فى سبب

(١) ا : « صاحب ربنجن » .

توجيهه إياه إليها ، وأين كان عبدُ الرحمن يومَ ولّاه الحجّاج سجستانَ وحرب رُتْبيل ؛ فأما يونس بن أبى إسحاق — فيما حدّث هشام ، عن أبى مِخْنَف عنه — فإنه ذَكَر أنّ عبدالملك لما ورد عليه كتابُ الحجّاج بن يوسف بخبر الجيش الذى كان مع عُبيد الله بن أبى بَكْرة فى بلاد رُتْبيل وما لَقُوا بها كتب إليه :

أما بعد ، فقد أتانى كتابُك تَذكُر فيه مُصابَ المسلمين بسجستانَ ، وأولئك قومٌ كَتَب الله عليهم القتل فبرَزوا إلى مَضاجعهم ، وعلى الله ثوابهم . وأما ما أردتَ أن يأتيَك فيه رأيى من توجيه الجنود وإمضائها إلى[1] ذلك الفَرْج الذى أصيب فيه المسلمون أو كفّها ، فإنّ رأيى فى ذلك أن تُمضِيَ رأيَك راشداً موفَّقًا . ١٠٤٣/٢

وكان الحجّاج وليس بالعراق رجلٌ أبغضَ إليه من عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث ، وكان يقول : ما رأيتُه قطّ إلا أردتُ قتلَه .

قال أبو مِخْنَف : فحدّثنى نمير بن وَعْلة الهَمْدانىّ ، ثمّ اليناعىّ ، عن الشعبىّ ، قال : كنتُ عند الحجاج جالسًا حين دخل عليه عبدُ الرحمن بنُ محمد بن الأشعث ، فلما رآه الحجاج قال : انظر إلى مِشيَتِه ، والله لهممتُ أن أضربَ عنقه . قال : فلما خرج عبدالرّحمن خرجت فسبقتُه وانتظرته على باب سعيد بن قيس السَّبيعىّ ، فلما انتهى إلىّ قلت : ادخل بنا الباب ، إنى أريد أن أحدّثك حديثًا هو عندَك بأمانة الله أن تذكرَه ما عاش الحجّاج . فقال : نعم ، فأخبرتُه بمقالة الحجاج له ؛ فقال : وأنا كما زعم الحجاج إن لم أحاوِل أن أزيلَه عن سلطانه ، فأجهَد الجهد إذ طال بى وبه بقاء .

ثمّ إنّ الحجاج أخذ فى جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة ، وعشرين ألف رجل من أهل البَصْرة ، وجدّ فى ذلك وشمّر ، وأعطَى الناسَ أعطياتِهم كمَلًا[2] ، وأخذهم بالخيول الرّوائع ، والسلاحِ الكامل ، وأخذ فى عرض الناس ، ولا يرى رجلا تُذكَر منه شجاعةٌ إلا أحسَنَ معونَته ، فمرّ عبيد الله بن أبى مِحْجن الثقَفىّ على عبّاد بن الحصين الحَبَطىّ ، وهو مع الحجاج يريد عبد الرحمن بن أم الحَكَم الثقفىّ ، وهو يَعرِض الناس ، فقال ١٠٤٤/٢

---

(١) ا : « فى ذلك الفرج » . (٢) يقال : أعطاه المال كملا ، أى كاملا .

عبّادٌ : ما رأيتُ فرساً أرْوَعَ ولاأحسنَ من هذا(١) ، وإنّ الفرس قوّة وسلاح وإنّ هذه البغلة عَلَنْداة ، فزاده الحجاج خمسين وخمسمائة درهم ، ومرّ به عطية العنبرىّ ، فقال له الحجاج : يا عبدَ الرّحمن ، أحسِنْ إلى هذا .
فلما استتَبّ له أمرُ ذَيْنِك الجندَين ، بعث الحجاج عطارد بن عمَر التميمىّ فعَسكَر بالأهواز ، ثمّ بعث عُبيدَ الله بن حجَر بن ذى الجوشن العامرىّ من بنى كلاب . ثم بدا له ، فبعث عليهم عبدَ الرحمن بن محمد بن الأشعث وعزل عُبيد الله بن حجر ، فأتى الحجاجَ عمُّه إسماعيلَ بن الأشعث ، فقال له : لا تبعثه فإنى أخاف خلافَه ، والله ما جازَ جِسر الفرات قطّ فرأى لوالٍ من الوُلاة عليه طاعةً وسلطاناً . فقال الحجاج : ليس هناك ، هُولى أهيَبُ وفىّ أرغَب من أن يخالف أمرى ، أو يخرج من طاعتى ؛ فأمضاه على ذلك الجيش ، فخرج بهم حتى قدم سِجستانَ سنة ثمانين ؛ فجمع أهلَها حين قَدِمَها .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى أبو الزّبير الأرحَبىّ — رجل من هَمْدان كان معه — أنه صَعِد منبرَها فحمِد الله وأثنَى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنّ الأمير الحجّاج ولّانى ثغرَكم ، وأمرَنى بجهاد عدوّكم الذى استباح بلادكم وأباد خيارَكم ، فإياكم أن يتخلّف منكم رجل فيُحِلّ بنفسه العقوبة ، اخرجُوا إلى معسكركم فعسكِروا به مع الناس . فعسكر الناسُ كلهم فى معسكرهم ووُضِعت لهم الأسواق ، وأخذ الناسُ بالجهاز والهيئة بآلة الحرب ، فبلغ ذلك رُتْبيل ، فكتَب إلى عبد الرحمن بن محمد يعتذر إليه من مُصاب المسلمين ويخبره أنه كان لذلك كارهاً ، وأنهم ألجئوه إلى قتالهم ، ويسأله الصّلح ويَعرِض عليه أن يقبلَ منه الخَراج ، فلم يُجِبه ، ولَم يقبَل منه . ولم يَنشَب عبدُ الرحمن أن سار فى الجنود إليه حتى دخل أوّل بلاده ، وأخذ رُتْبيل يضمّ إليه جندَه ، ويدع له الأرض رُسْتاقاً رستاقاً ، وحصْناً حصْناً ، وطفق ابن الأشعث كلما حوىَ بلَداً بعث إليه عاملا ، وبعَثَ معه أعواناً ، ووضع

٢/١٠٤٥

(١) ا : « من ذا » .
(٢) العلنداة : الغليظة .

البُرُدَ فيما بين كلّ بلد وبلد، وجعل الأرصادَ على العِقاب والشعاب، ووضع المَسالح بكلّ مكان مَخوف ، حتى إذا جاز من أرضه أرضًا عظيمة ، وملأ يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة ، حبس الناسَ عن الوُغول فى أرض رُتْبيل وقال : نكتفى بما أصبْناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ، وتجترئ المسلمون على طُرُقها ، ثمّ نتعاطى فى العام المقبل ما وراءها ، ثم لم نزل ننتقصهم فى كلّ عام طائفةً من أرضهم حتى نقاتلَهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريّهم ، وفى أقصى بلادهم ، ونمتنعَ حصونهم ، ثمّ لا نزايل بلادَهم حتى يُهلكهم الله . ١٠٤٦/٢

ثم كتب إلى الحجّاج بما فتح الله عليه من بلاد العدوّ ، وبما صنع الله للمسلمين ، وبهذا الرأى الذى رآه لهم .

وأما غيرُ يونسَ بن أبى إسحاق وغيرُ من ذكرت الرواية عنه فى أمر ابن الأشعث فإنه قال فى سبب ولايته سِجستانَ ومسيره إلى بلاد رُتْبيل غير الذى رويت عن أبى مِخنَف ، وزَعم أنّ السبب فى ذلك كان أن الحجاج وجّه هِميان بن عدىّ السدُوسىّ إلى كرمانَ ، مَسلَحة لها ليمد عاملَ سجستانَ والسِّنْد إن احتاجا إلى مَدَد ، فعصى هِميانُ ومن معه ، فوجّه الحجاج ابن الأشعث فى محاربته ، فهزمه ، وأقام بموضعه .

ومات عُبيد الله بن أبى بَكْرة ، وكان عاملاً على سِجِستان ، فكتب الحجاج عهدَ ابن الأشعث عليها ، وجهّز إليها جيشًا أنفَق عليهم ألفَى ألف سوى أعطياتهم ، كان يُدعَى جيشَ الطواويس ، وأمره بالإقدام على رُتْبيل .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة أبان بنُ عثمانَ ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال محمّد بنُ عمر الواقدىّ . ١٠٤٧/٢

وقال بعضهم : الذى حجّ بالناس فى هذه السنة سليمان بن عبد الملك .

وكان على المدينة فى هذه السنة أبانُ بنُ عثمان ، وعلى العراق والمشرق كلّه

الحجّاجُ بن يوسف ، وعلى خُراسانَ المهلّب بنُ أبى صُفْرة من قِبَل الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة أبو بُرْدة بن أبى موسى ، وعلى قضاء البَصْرة موسى بنُ أنَس

* * *

وأغزَى عبدُ الملك فى هذه السنة ابنه الوليد .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فى هذه السنة كان فتح قاليقلا ، حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا علىّ ابن محمد ، قال : أغزَى عبدُ الملك سنة إحدى وثمانين ابنه عُبيدَ الله بن عبد الملك ، ففتح قاليقلا .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل بَحِير بن ورقاء بخُراسان]

وفى هذه السنة قُتِل بحير بن ورقاء الصُّرَيمىّ بخُراسانَ .

ذكر الخبر عن مقتله :

وكان سببُ قتله أنّ بحيراً كان هو الذى تولى قتل بُكَير بن وشاح بأمر أمية بن عبد الله إياه بذلك ، فقال عثمان بنُ رجاء بن جابر بن شدّاد أحدُ بنى عوف بن سعد من الأبناء يحضّ رجلا من الأبْناء من آل بُكَير بالوِتْر :

لعَمْرى لَقَدْ أَغْضَيْتَ عَيْناً عَلَى القَذَى ... وبِتَّ بَطِينًا من رَحِيقٍ مُرَوَّقِ
وخَلَّيْتَ ثَأْرًا طُلَّ واخترْتَ نَوْمَةً ... ومَن شربَ الصَّهْبَاءَ بالوِتْرِ يُسْبَقِ (١)
فلو كنْتَ مِنْ عوْفِ بن سعدٍ ذُؤابَةً ... تَرَكْتَ بَحِيرًا فى دَم مُتَرَقرقِ ٢/١٠٤٨
فقل لبَحِيرٍ نَمْ ولا تخشَ ثائرًا ... بعَوفٍ فعوفٌ أهلُ شاةٍ حَبَلَّقِ (٢)
دَعِ الضأْنَ يوماً قد سُبِقْتُم بوِترِكمْ ... وصرتُم حَدِيثاً بيْنَ غَربٍ ومَشْرقِ
وَهُبّوا فلو أمسى بُكَيْرٌ كعَهْدِهِ ... صحيحاً لَغَاداهم بِجَأْواءَ فَيلَقِ (٣)

وقال أيضًا :

فلو كان بكرٌ بارِزًا فى أَدَاتِهِ ... وذى العَرْشِ لم يُقْدِم عليهِ بَحِيرُ

---

(١) ابن الأثير : « ومن يشرب » . (٢) الحبلّق : صغار الغنم .

(٣) فى اللسان : « كتيبة جأواء : بينة الجأى ، وهى التى يعلوها لون السواد لكثرة الدروع » .

فِى الدهر إنْ أَبقَانِىَ الدَّهرُ مَطلَبٌ   وفى الله طَلَّابٌ بذاكَ جَدِيرُ

وبلغ بَحِيرًا أنّ الأبناء يتوّعدونه ، فقال :

توَعَّدنى الأَبناءُ جَهْلاً كأَنَّما   يَرَون فِنائِى مُقْفِرًا من بنى كعبِ

رفَعْتُ له كفِّى بحدِّ مُهَنَّد[1]   حُسامٍ كلونِ المِلح ذى رَوْنَقٍ عَضْبِ[2]

١٠٤٩/٢ فذكر علىّ بنُ محمد ، عن المفضّل بن محمد ، أن سبعة عشر رجلا من بنى عوف بن كعب بن سعد تَعاقَدوا على الطلب بدم بُكَير ، فخرج فتًى منهم يقال له الشَمَرْدَل من البادية حتّى قدِم خُراسان ، فنظر إلى بحِير واقفًا ، فشدّ عليه فطعنه فصرَعه ، فظن أنه قد قتله ، وقال الناس : خارجىّ ، فراكَضَهم ، فعَثَر فرسُه فنَدر عنه فقُتِل .

ثمّ خرج صَعْصعة بن حَرب العَوْفىّ ، ثمّ أحد بنى جُندُب ، من البادية وقد باع غُنَيْمات له ، واشترى حماراً ، ومضى إلى سِجستانَ فجاور قَرابةً لبَحير هناك ولاطَفَهم ، وقال : أنا رجل من بنى حنيفة من أهل اليمامة ، فلم يَزَلْ يأتيهم ويجالسُهم حتّى أنِسوا به ، فقال لهم : إنّ لى بخُراسان ميراثًا قد غُلبتُ عليه ، وبلغنى أنّ بَحيرًا عظيمُ القَدْر بخُراسان ، فاكتُبوا لى إليه كتابًا يُعينُنى على طلب حقّى ، فكتبوا إليه ، فخرج فقَدِم مَرْوَ والمهلّب غازٍ . قال : فلقِىَ قومًا من بنى عوف ، فأخبرَهم أمرَه ، فقام[3] إليه مولًى لبكير صَيْقَل[4] ، فقبّل رأسه ، فقال له صعصعة : اتخذ لى خِنْجَراً ، فعمل له خنجراً وأحماه وغَمَسه فى لَبَنِ أتانٍ مِراراً ، ثمّ شخَص من مَرْوَ فقطع النهر حتّى أتى عسكَر المهلب وهو بأخرون يومئذ ، فلقى بَحيرًا بالكتاب ، وقال : إنى رجل من بنى حنيفة ، كنتُ من أصحاب ابن أبى بَكْرة ، وقد ذهب ١٠٥٠/٢ مالى بسِجستان ، ولى ميراثٌ بمَرْو ، فقدِمْت لأبيعَه ، وأرجع إلى اليمامة . قال : فأمر له بنَفَقة وأنزله معه ، وقال له : استعِن بى على ما أحببتَ ، قال : أقيمُ عندَك حتّى يقفُل الناسُ ، فأقام شهراً أو نحوًا من شهر يَحضُر

---

(١) ب ، ف : « بعضب » .   (٢) ابن الاثير : « كلون الثلج » .
(٣) ب ، ف : « فأقبل » .   (٤) الصقيل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

معه بابَ المهلّب ومجلسه حتى عرف به . قال : وكان بحير يخاف الفتْك به ، ولا يأمن أحدًا ، فلما قَدِم صعصعةُ بكتابِ أصحابه قال : هو رجلٌ من بكر بن وائل ، فأمنه ، فجاء يومًا وبحير جالس فى مجلس المهلّب ، عليه قميص ورداء ونعلان ، فقعد خلفَه ، ثمّ دنا منه ، فأكبّ عليه كأنه يكلمه ، فوَجأه بخنجره فى خاصرته ، فغيّبه فى جوفه ، فقال الناس : خارجىّ ! ، فنادَى : يالثّارات بُكير ، أنا ثائر ببكير ! فأخذه أبو العَجْفاء بن أبى الخرْقاء ، وهو يومئذ على شُرَط المهلب ، فأتىَ به المهلّب فقال له : بؤسًا لك ! ما أدركتَ بثأرك ، وقتلتَ نفسك ، وما على بَحير بأس ، فقال : لقد طعنته طعنةً لو قُسِمتْ بين الناس لماتُوا ، ولقد وجدتُ ريح بطنِه فى يدى ، فحبَسه فدخل عليه السجنَ قومٌ من الأبناء فقبّلوا رأسَه . قال : ومات بَحير من غد عند ارتفاع النهار ، فقيل لصَعْصعة : مات بَحير ، فقال : اصنَعوا بى الآنَ ما شئتم ، وما بدا لكم ، أليس قد حلّت نُذورُ نساء بنى عوف ، وأدركتُ بثأرى ! لا أبالى ما لقيت ، أما والله لقد أمكننى ما صنعتُ خاليًا غيْرَ مرّة ، فكرهت أن أقتله سرًّا ؛ فقال المهلّب : ما رأيتُ رجلا أسخَى نفسًا بالموت صبرًا من هذا ؛ وأمَر بقتله أبا سُوَيقة ابن عمّ لبَحير ، فقال له أنس بن طلق : ويحك ! قتِل بحير فلا تقتلوا هذا ، فأبى وقتَله ، فشتَمه أنَس . ١٠٥١/٢

وقال آخرون : بعث به المهلّب إلى بَحير قبل أن يموت ، فقال له أنَس ابن طلْق العَبْشَمىّ : يا بحير ، إنك قتلتَ بكيراً ، فاستحْيِ هذا ، فقال بحير : أدنوه منّى ، لا والله لا أموت وأنتَ حىّ ، فأدنَوْه منه ، فوضع رأسَه بين رجليه وقال : اصبِر عفاق ، إنه شرّ باق ، فقال ابن طلحة لبَحير : لعنك الله ! أكلّمك فيه وتقتله بين يدىّ ! فطعنه بَحير بسيفه حتى قتَلَه ومات بَحير ، فقال المهلب : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غزْوة أصيبَ فيها بَحير ؛ فغَضب عوف بنُ كعب والأبناء وقالوا : علامَ قُتِل صاحبنا ، وإنما طلب بثأره ! فنازعتهم مُقاعس والبُطون حتى خاف الناس أن يَعظُم البأس ، فقال أهلُ الحِجَى : احمِلوا دمَ صَعْصعة ، واجْعَلوا دمَ بحير بَواءً ببُكيْر

فوَدَوا صَعْصعة ، فقال رجل من الأبناء يَمدَح صعصعة :

لله دَرٌّ فتًى تجاوَزَ هَمّهُ دونَ العِراق مَفاوِزًا وبُحُورَا
ما زال يَدْأَبُ نَفْسَهُ ويكُدُّها حتَّى تَناوَلَ فى خَرُونَ بَحيرَا

قال : وخرج عبدُ ربّه الكبير أبو وَكيع ، وهو من رَهْط صَعْصعة إلى البادية ، فقال لرَهْط بُكَير : قُتِل صعصعة بطَلَبه بدمِ صاحبكم ، فودَوْه ، فأخذ لصعصعة دِيتَين .

* * *

[ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجّاج]

١٠٥٢/٢ قال أبو جعفر : وفى هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الحجّاجَ ومَن معه مِن جُنْد العراق ، وأقبلوا إليه لحربه فى قول أبى مِخنَف، وروايته لذلك عن أبى المخارِق الراسبىّ ، وأما الواقدىّ فإنه زعم أنّ ذلك كان فى سنة اثنتين وثمانين .

* ذكر الخبر عن السبب الذى دعا عبد الرحمن بن محمّد إلى ما فعل من ذلك وما كان من صنيعه بعد خلافه الحجّاج فى هذه السنة :

قد ذكرْنا فيما مضى قبلُ ما كان من عبد الرحمن بن محمد فى بلاد رُتْبيل، وكتابه إلى الحجّاج بما كان منه(١ هناك ، وبما عُرِض١) عليه من الرأى فيما يستقبل من أيامه فى سنة ثمانين(٢) ، ونذكر الآن ما كان من أمره فى سنة إحدى وثمانين فى روايةِ أبى مِخنَف ، عن أبى المخارِق .

ذَكَر هشامٌ عن أبى مِخنَف قال : قال أبو المُخارِق الراسبىّ : كتب الحجّاج إلى عبد الرحمن بن محمد جوابَ كتابه :

أما بعد ، فإن كتابك أتانى ، وفهمتُ ماذكرتَ فيه ، وكتابُك كتاب امرئ يحبّ الهدْنة ، ويستريح إلى الموادَعة ، قد صانع عدوًّا قليلا ذليلا ، قد أصابوا من المسلمين جُنداً كان بلاؤهم حسَنًا ، وغَناؤهم فى الإسلام عظيمًا .

١٠٥٣/٢ لَعمرُك يابن أمّ عبد الرحمن ؛ إنك حيث تكفّ عن ذلك العدوّ بجُندى وحَدّى

(١ – ١) ب ، ف : « هنالك وما عزم » .

(٢) انظر ص ٣٢٦ وما بعدها .

لسخِيُّ النفس عمّن أصيب من المسلمين . إنى لم أعدد رأيكَ الذى زعمت أنك رأيتَه رأىَ مكيدة ، ولكنى رأيتُ أنه لم يحملك عليه إلا ضَعفك ، والتياثُ رأيك ، فامضِ لما أمرتك به من الوغول فى أرضهم ، والهدمِ لحصونهم ، وقتلِ مُقاتلتِهم ، وسَبْى ذراريِّهم .

ثم أردفَه كتاباً فيه :

أما بعد ، فمُرْ مَن قِبلَك من المسلمين فلْيحرُثوا وليقيموا ، فإنها دارُهم حتى يفتحَها الله عليهم .

ثمّ أردفه كتاباً آخر فيه :

أما بعد ، فامضِ لما أمرتكَ به من الوغول فى أرضهم ، وإلاّ فإن إسحاق ابنَ محمّد أخاك أمير الناس ، فخلّه وما وُلِّيتَه .

فقال حين قرأ كتابَه : أنا أحمل ثِقل إسحاق ؛ فعرَض له ، فقال : لا تفعَل ، فقال : وربِّ هذا — يعنى المُصحَف — لئن ذكرتَه لأحد لأقتلنّك . فظنّ أنه يريد السيف ، فوضع يَده على قائم السيف ، ثمّ دعا الناسَ إليه، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال : أيها الناس، إنى لكم ناصح ، ولصلاحِكم مُحِبّ ، ولكم فى كل ما يُحيط بكم نفعُه ناظر ، وقد كان من رأيى فيما بينكم وبين عدوّكم رأىٌ استشرتُ فيه ذوى أحلامِكم ، وأولى التجربة للحَرْب[1] منكم ، فرضُوه لكم رأياً ، ورأوْه لكم فى العاجل والآجل صلاحاً ، وقد كتبت[2] إلى أميركم الحجّاج ، فجاءنى منه كتاب يعجّزنى ويضعّفنى ، ويأمُرنى بتعجيل الوغول بكم فى أرض العدوّ ، وهى البلاد التى هلك إخوانكم فيها[3] بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضَيتم ، وآبَى إذا أبيتم . فثارَ إليه الناسُ فقالوا : لا ، بل نأبَى على عدوّ الله ، ولا نَسمَع له ولا نطيع .

٢/١٠٥٤

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى مطرّف بن عامر بن واثلة الكنانىّ أنّ أباه كان أوّل متكلّم يومئذ ، وكان شاعراً خطيباً ، فقال بعدَ أنْ حمِد الله وأثنى عليه :

أما بعد ، فإنّ الحجّاج واللهِ ما يَرَى بكم إلا ما رأى القائل الأوّل إذ قال

(١) ب ، ف : « منكم للحرب » . (٢) بعدها فى ب ، ف : « بذلك » .
(٣) ب ، ف : « فيها إخوانكم » .

لأخيه: احمل عبدك على الفرس، فإن هلك هلك، وإن نجا فلك. إن الحجاج والله ما يبالى أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة اللهوب واللصوب[1]، فإن ظفرتم فغنمتم أكل البلاد وحاز المال، وكان ذلك زيادة فى سلطانه، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذى لا يبالى عنتهم، ولا يبقى عليهم، اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا عبد الرحمن، فإنى أشهدكم أنى أول خالع. فنادى الناس من كل جانب، فعلنا فعلنا، قد خلعنا عدو الله، وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعى التميمى ثانياً — وكان على شرطته حين أقبل — فقال: عباد الله، إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم، وجمركم تجمير فرعون الجنود، فإنه بلغنى أنه أول من جمر البعوث، ولن تعاينوا الأحبة[2] فيما أرى أو يموت أكثركم[2]. بايعوا أميركم، وانصرفوا إلى عدوكم فانفوه عن بلادكم، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه، فقال: ١٠٥٥/٢ تبايعونى على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصرة لى وجهاده معى حتى ينفيه الله من أرض العراق. فبايعه الناس، ولم يذكر خلع عبد الملك إذ ذاك بشىء.

قال أبو مخنف: حدثنى عمر بن ذر القاص أن أباه كان معه هنالك، وأن ابن محمد كان ضربه وحبسه لانقطاعه كان إلى أخيه القاسم بن محمد، فلما كان من أمره الذى كان من الخلاف دعاه فحمله وكساه وأعطاه، فأقبل معه فيمن أقبل، وكان قاصاً خطيباً.

قال أبو مخنف: حدثنى سيف بن بشر العجلى، عن المنخل بن حابس العبدى أن ابن محمد لما أقبل من سجستان أمر على بست عياض ابن هميان البكرى، من بنى سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمى ثم الدارمى، ثم بعث إلى رتبيل، فصالحه على أن ابن الأشعث إن ظهر فلا خراج عليه أبداً ما بقى، وإن هزم فأراده ألجأه عنده.

---

(١) اللهوب: جمع لهب، وهو وجه من الجبل لا يمكن ارتقاؤه، واللصوب: جمع لصب، وهو مضيق الوادى. (٢ — ٢) ب، ف: «فيما أرى أو يموت أكثرهم».

قال أبو مِخْنَف : حدّثنى خُشَيْنة بنُ الوَليد العبسىّ أنّ عبد الرحمن لمّا خرج من سِجِستانَ مقبلا إلى العراق سار بين يديه الأعشَى على فرس، وهو يقول :

١٠٥٦/٢

شَطَّت نَوَى مَنْ دارُهُ بالإيوانْ إيوانِ كِسْرى ذى القُرَى والرَّيحانْ[1]

مِن عاشِقٍ أَمسَى بزَابُلِسْتانْ إنَّ ثقيفاً منهمُ الكذَّابانْ

كذَّابُهَا الماضِى وكذابٌ ثانْ أمكَنَ ربِّى مِن ثقيفٍ هَمْدَانْ

يوماً إلى الليلِ يُسَلِّى ما كان إنَّا سَمَوْنا للكَفُور الفَتَّانْ

حين طَغَى فى الكفر بعدَ الإيمانْ بالسَّيِّد الغِطْرِيفِ عبدِ الرّحمٰنْ

سارَ بجمْعٍ كالدَّبَى من قَحْطانْ[2] ومِن مَعَدٍّ قد أَتى ابنُ عَدْنانْ

بِجَحْفَل جَمٍّ شديدِ الإرْنانْ[3] فقلْ لحجَّاجٍ ولىّ الشيطانْ

يثبُتْ لَجمْعِ مَذْحِجٍ وهَمْدانْ فإنّهمْ ساقُوه كأْسَ الذَّيْفَانْ

* ومُلحِقُوهُ بقُرَى ابنِ مَرْوَانْ *

١٠٥٧/٢

قال : وبعَث على مقدمته عطية بن عَمرو العنبرىّ ، وبعث الحجاج إليه الخيل، فجعل لا يلقَى خيلا إلّا هزمَها ، فقال الحجاج : مَن هذا ؟ فقيل له : عطيّة ، فذلك قولُ الأعشى :

فإذا جَعلتَ دُرُوب فا رِسَ خَلفَهُمْ درْباً فدَرْبَا[4]

فابْعَثْ عطِيَّةَ فى الخُيو لِ يُكِبُّهُنَّ عَلَيْكَ كَبَّا

ثمّ إن عبد الرحمن أقبل يسير بالناس ، فسأل عن أبى إسحاق السَّبيعىّ ، وكان قد كتبه فى أصحابه ، وكان يقول : أنت خالى ، فقيل له : ألا تأتيه فقد سأل عنك ! فكرِه أن يأتيَه ، ثمّ أقبل حتى مرّ بكَرْمان فبعث عليهم خَرَشة ابن عمرو التميمىّ ، ونزل أبو إسحاق بها ، فلم يدخل فى فتنته حتى كانت

---

(١) هو أعشى همدان ، وانظر الأغانى ٦ : ٥٩ ، ٦٠ ، فهناك رواية مخالفة .

(٢) الدبى : الجراد ، وفى الأغانى : «كالقطا» .

(٣) الإرنان : الضوضاء والجلبة .

الجماجم ، ولما دخل الناسُ فارسَ اجتمع الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا : إنا إذا خلعنا الحجّاجَ عاملَ عبد الملك فقد خلعْنا عبدَ الملك، فاجتمعوا إلى عبد الرحمن ، فكان أول الناس .

قال أبو مِخْنَف فيما حدّثني أبو الصّلت التيميّ : خلَع عبدَ الملك بن مروان تيحانُ بن أبْجر من بني تيم الله بن ثعلبة ، فقام فقال : أيها الناس ، إني خلعت أبا ذِبّان(١) كخلْعي قميصي ، فخلعه الناسُ إلّا قليلا منهم، ووثبوا إلى ابن محمد فبايعوه ، وكانت بيعتُه : تُبايعون على كتاب الله وسنة نبيه وخلع أئمة الضلالة(٢) وجهادِ المحلِّين ، فإذا قالوا : نعم بايَعَ . فلما بلغ الحجّاج خلعُه كتب إلى عبد الملك يخبره خبرَ عبدِ الرحمن بن محمد بن الأشعث ، ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه ، وبعث كتابه إلى عبدِ الملك يتمثّل في آخره بهذه الأبيات ، وهي للحارث بنِ وَعْلة : ١٠٥٨/٢

سَائِلْ مُجَاوِرَ جَرْمٍ هل جَنَيْتُ لهمْ ... حَرْباً تُفَرِّقُ بين الجِيرَةِ الخُلُطِ(٣)

وهلْ سَمَوْتُ بِجَرَّارٍ له لَجِبٌ(٤) ... جَمِّ الصَّوَاهِلِ بين الجمّ والفُرُط(٥)

وهل تركتُ نساءَ الحَيِّ ضاحيةً ... في سَاحَةِ الدّارِ يَسْتَوْقِدْنَ بالغُبُطِ.(٦)

وجاء حتى نزل البصْرة . وقد كان بلغ المهلبَ شقاق عبد الرحمن وهو بسِجسْتان ، فكتب إليه :

أما بعد ، فإنك وضعتَ رجْلك يا بن محمد في غَرْز طويل الغَيّ على أمة محمد صلى الله عليه وسلم . اللهَ اللهَ فانظر(٧) لنفسك لا تُهلِكْها ؛ ودماء المسلمين فلا تَسفِكْها ، والجماعة فلا تفرّقها ، والبَيعة فلا تَنكُثْها ، فإن قلتَ : أخاف الناسَ على نفسي فاللهُ أحقّ أن تخافه عليها من الناس ، فلا تُعرّضها لله في سَفْك دم ، ولا استحلال محرّم والسلام عليك . ١٠٥٩/٢

(١) أبو ذبان ، كنيته عبد الملك بن مروان ؛ وكان ينبز بها . وانظر ثمار القلوب ٢٤٦
(٢) ب ، ف : « وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم » .
(٣) الأغاني ١٩ : ١٤٠ . (٤) الأغاني : « أم هل علوت » .
(٥) الأغاني : « يغشى المحارم بين السهل والفرط » .
(٦) الأغاني : « حتى تركت » . (٧) ب ، ف : « انظر » .

وكتبَ المهلّب إلى الحجّاج :

أما بعد فإنّ أهلَ العراق قد أقبلوا إليك وهم مِثل السَّيْل المنحدر من عَل ، وليس شيء يردّه حتى ينتهى إلى قراره ، وإنّ لأهل العراق شِرّةً فى أوّل مخرجهم ، وصَبابة إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شىء يردّهم حتى يَسقُطوا إلى أهليهم ، ويشمّوا أولادهم ، ثمّ واقِفهم عندها ، فإنّ الله ناصرُك عليهم إن شاء الله .

فلما قرأ كتابَه قال : فعَل الله به وفعَل ، لا والله ما لى نَظَر . ولكنْ لابن عمّه نَصَح . لما وقع كتابُ الحجاج إلى عبد الملك هاله ثمّ نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بنِ معاوية ، ودعاه فأقْرَأه الكتاب ، ورأى ما به من الجَزَع ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنْ كان هذا الحدث من قِبَل سجستان ، فلا تَخفْه ، وإن كان من قِبَل خُراسانَ تخوّفته . قال : فخرج إلى الناس فقام فيهم فحمِد اللهَ وأثنَى عليه ثم قال : ١٠٦٠/٢

إن أهل العراق طال عليهم عُمرى فاستعجَلوا قَدَرى . اللهم سلط عليهم سيوفَ أهل الشأم حتى يَبلغوا رضاك ، فإذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا إلى سُخْطك. ثمّ نزل .

وأقام الحجّاجُ بالبَصْرة وتجهّز ليَلقَى ابنَ محمّد ، وترك رأىَ المهلب وفُرسان(١) الشأم يَسقُطون إلى الحجاج ، فى كلّ يوم مائة وخمسون وعشرة وأقلّ على البُرد من قِبَل عبد الملك ، وهو فى كلّ يوم تَسقُط إلى عبدِ الملك كُتُبُه ورُسله بخبر ابن محمد أىَّ كورة نَزَل ، ومن أىّ كورة يرتحِل ، وأىُّ الناس إليه أسرَع .

قال أبو مِخنَف : حدّثنى فُضيل بن خديج أنّ مكتبه كان بكَرْمان ، وكان بها أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة ، فلما مرّ بهم ابن محمد بن الأشعث ، انجَفلوا معه ، وعزم الحجاج رأيه على استقبال ابن الأشعث ، فساربأهل الشأم حتى نزل تُستَر ، وقدم بين يديه مطهر بن حرّ العكّىّ — أو الجُذامىّ — وعبد الله بن رُمَيْثه الطائىّ ، ومطهّر على الفريقين ، فجاءوا حتى انتهَوْا إلى دُجَيْل ، وقد قطَع عبد الرحمن بن محمد خيلا له ،

---

(١) ب ، ف : « وسار » .

عليها عبد الله بن أبان الحارثىّ فى ثلثمائة فارس — وكانت مَسلحةً له وللجُنْد — فلما انتهى إليه مطهّر بن حرّ أمَرَ عبد الله بن رُمَيثة الطائىّ فأقدَمَ عليهم ، فهزمتْ خيلُ عبد الله حتى انتهتْ إليه ، وجُرح أصحابه . ٢/١٠٦١

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى أبو الزبير الهَمْدانىّ ، قال : كنتُ فى أصحاب ابن محمد إذ دعا الناس وجمعهم إليه ثمّ قال : اعبُروا إليه من هذا المكان ، فأقحم الناسُ خيولَهم دُجَيل من ذلك المكان الذى أمرهم به ، فوالله ما كان بأسرَع من أن عَبَر عُظْم خيولنا ، فما تكاملت حتى حملْنا على مطهّر بن حرّ والطائىّ فهزمناهما يوم الأضحى فى سنة إحدى وثمانين وقتلناهم قَتْلا ذريعًا ، وأصبنا عسكرَهم ، وأتت الحجاجَ الهزيمةُ وهو يخطُب ، فصَعِد إليه أبو كعب بن عُبيد بن سَرْجِس فأخبرَه بهزيمة الناس ، فقال : أيّها الناس ، ارتحِلوا إلى البصرة إلى معسكر ومقاتَل وطعام ومادّة ، فإنّ هذا المكان الذى نحن به لا يَحمل الجند . ثمّ انصرَف راجعًا وتبعتْه خيولُ أهل العراق ، فكلما أدركوا منهم شاذًّا قتَلوه ، وأصابوا ثِقْلا حووْه ، ومضى الحجاج لا يَلوى على شىء حتى نزل الزاوية ، وبعث إلى طعام التجار بالكلّاء [1] فأخذه فحمَله إليه ، وخلّى البَصرةَ لأهل العراق . وكان عامله عليها الحَكَم ابن أيوب بن الحكم بن أبى عقيل الثقفىّ . وجاء أهل العراق حتى دخلوا البصرة . وقد كان الحجاج حين صدم تلك الصّدمةَ وأقبل راجعًا دعا بكتاب المهلّب ، فقرأه ثمّ قال : لله أبوه ! أىّ صاحب حرب هو ! أشار علينا بالرأى ، ولكنّا لم نقبل .

* * *

وقال غيرُ أبى مِخنَف : كان عامل البصرة يومئذ الحَكم بن أيّوب على الصّلاة والصدقة ، وعبد الله بن عامر بن مِسمع على الشُّرَط ، فسار الحجاج فى جيشه حتى نزل رُسْتُقْباذ وهى من دَسْتَوَى من كور الأهواز ، فعَسكر بها ، وأقبل ابنُ الأشعث فنزل تُستَر ، وبينهما نهر ، فوجّه الحجاج مُطَهّر ابنَ حرّ العَكىّ فى ألفى رجل ، فأوقعوا بمسلحة لابن الأشعث ، وسار ابن ٢/١٠٦٢

(١) الكلاء : سوق بالبصرة .

الأشعث مبادراً ، فواقَعهم ، وهي عشيّةُ عرفَة من سنة إحدى ، وثمانين فيقال : إنهم قتلوا من أهل الشأم ألفًا وخمسمائة ، وجاءه الباقون منهزمين ، ومعه يومئذ مائةٌ وخمسون ألف ألف ، ففرّقها في قوّاده ، وضمّنهم إياها ، وأقبل منهزماً إلى البَصْرة ، وخطب ابن الأشعث أصحابَه فقال : أما الحجّاج فليس بشيء ، ولكنا نريد غزو عبدِ الملك ، وبلغ أهلَ البصرة هزيمةُ الحجّاج ، فأراد عبدُ الله بنُ عامر بنِ مِسمَع أن يقطع الجسر دونَه ، فرشاه الحكَم ابن أيّوبَ مائة ألف ، فكفّ عنه . ودخل الحجاج البَصرة ، فأرسل إلى ابن عامر فانتزع المائةَ الألف منه . .

* * *

رَجْع الحديث إلى حديث أبي مِخنَف عن أبي الزّبير الهَمْدانيّ .

فلما دخل عبدُ الرحمن بنُ محمد البَصرة بايعه على حرب الحجاج ، وخلْع عبدِ الملك جميعُ أهلها من قُرّائها وكُهولها ، وكان رجل من الأزد من الجَهاضِم يقال له عُقْبة بن عبد الغافر له صحابة ، فنزا فبايع[1] عبدالرحمن مستبصراً في قتال الحجاج ، وخَنْدق الحجّاجُ عليه ، وخندقَ عبدُ الرحمن على البصرة . وكان دخولُ عبدِ الرحمن البَصرة في آخر ذي الحجة من سنة إحدى وثمانين . ١٠٦٣/٢

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة سليمانُ بنُ عبد الملك ، كذا حدّثني أحمدُ ابنُ ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبي مَعشَر . وكذلك قال الواقديّ ، وقال : في هذه السنة وُلِد ابنُ أبي ذئب .

وكان العاملَ في هذه السنة على المَدينة أبانُ بنُ عثمان ، وعلى العراق والمشرِق الحجاجُ بنُ يوسف ، وعلى حرب خُراسانَ المهلّب ، وعلى خَراجها المغيرة بن مهلب من قِبَل الحجاج ، وعلى قَضاء الكوفة أبو بُرْدة بن أبي موسى ، وعلى قَضاء البَصرة عبد الرحمن بن أذَينة .

---

(١) ب ، ف : « فرأى أن يبايع » .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

ذكر الخبر عن الكائن من الأحداث فيها

* * *

[خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية]

فمن ذلك ما كان بين الحجاج وعبدِ الرحمن بن محمد من الحروب بالزّاوية.

ذكر هشامُ بنُ محمد، عن أبي مِخنَف، قال: حدّثني أبو الزّبير الهَمْدانيّ قال: كان دخولُ عبد الرحمن البصرة فى آخر ذى الحِجة، واقتتلوا فى المحرّم من سنة اثنتين وثمانين، فتزاحفوا ذاتَ يوم، فاشتدّ قتالهم. ثمّ إن أهل العراق هزموهم حتى انتهوْا إلى الحجاج، وحتى قاتلوهم على خنادِقهم، وانهزمتْ عامة قريش وثَقيف، حتى قال عبيد بن مَوهَب مولى الحجاج وكاتبه: ٢/١٠٦٤

فر البَراءُ وابن عَمِّهِ مُصْعبٌ وفرَّتْ قريشٌ غيْرَ آل سَعيد

ثمّ إنهم تَزاحَفوا فى المحرّم فى آخره فى اليوم الذى هزمَ فيه أهلُ العراق أهلَ الشام، فنكصتْ ميمنتهم وميسرتهم، واضطربتْ رِماحهم، وتقوّض صفّهم؛ حتى دَنوا منّا، فلما رأى الحجاج[1] ذلك جثا على ركْبتيه، وانتَضى نحواً من شِبر من سَيْفه، وقال: لله دَرّ مُصْعَب! ما كان أكرمه حين نزل به ما نَزَل! فعلمت أنه والله لا يريد أن يفرّ. قال: فغمزتُ أبى بعينى ليأذن لى فيه فأضربَه بسيفى، فغمزَنى غمزةً شديدة، فسكنت[2]، وحانتْ منى التفاتة، فإذا سفُيان بنُ الأبرد الكلبيّ قد حَمل عليهم فهَزَمهم من قِبَل الميمنة، فقلتُ: أبشر أيّها الأمير، فإنّ الله قد هَزَم العدوّ. فقال لى: قم فانظر؛ قال: فقمتُ فنظرت؛ فقلتُ: قد هزمهم الله، قال: قُمْ يازياد فانظر؛ قال: فقام فنظر فقال: الحقّ أصلحك الله يقيناً[3] قد هُزِموا، فخرّ ساجداً، فلما رجعت شتمنى أبى وقال: أردتَ أن تُهلِكنى وأهل بيتى. ٢/١٠٦٥

(١) ب، ف: «فلما رأى ذلك الحجاج». (٢) س: «فسكت».
(٣ - ٣) ب، ف: «أيها الأمير أصلحك الله».

وقتل فى المعركة عبد الرحمن بن عَوْسجة أبو سُفْيان النِّهمىّ ، وقتِل عقبة ابن عبد الغافر الأزدىّ ثمّ الجهضمىّ ، فى أولئك القرّاء فى رِبْضة[1] واحدة ، وقُتِل عبد الله بن رِزام الحارثىّ ، وقُتِل المنذرُ بنُ الجارود ، وقُتل عبد الله ابن عامر بن مِسمَع ، وأتِىَ الحجاجُ برأسه ، فقال : ما كنتُ أرى هذا فارقنى حتى جاءنى الآن برأسه ؛ وبارز سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص رجلاً يومئذ فقتَلَه ، وزعموا أنه كان مولًى للفضل[2] بن عباس بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ، كان شجاعاً يُدعَى نُصَيرًا ، فلما رأى مِشيتَه بين الصفَّين ، وكان يلومه على مِشْيته قال : لا ألومُه على هذه المِشْيَة أبداً .

وقتِل الطفيل بن عامر بن واثلة ، وقد كان قال وهو بفارسَ يُقبل مع عبد الرحمن من كَرْمانَ إلى الحجاج :

أَلا طَرَقَتْنا بالغَرِيَّيْنِ بَعْدَمَا ... كَلِلْنَا على شَحْطِ المَزَارِ جَنُوبُ

أَتوْكَ يقُودُون المَنَايا وإنَّمَا ... هَدَتْها بأَولانَا إليك ذُنُوبُ

ولا خيْرَ فى الدُّنيا لِمن لَم يكُن لَهُ ... مِنَ اللهِ فى دَارِ القَرَارِ نصيبُ

أَلا أَبلِغ الحجّاج أَنْ قَدْ أَظَلَّهُ ... عذاب بأَيْدِى المؤمنينَ مُصيبُ ٢/١٠٦٦

متى نَهْبطِ المصرَيْنِ يهْرُبْ مُحمّدٌ ... ولَيْسَ بِمُنْجِى ابنِ اللعين هُرُوبُ

قال : منيّتَنا أمراً كان فى علم الله أنّك أولَى به ، فعجّلَ لك فى الدنيا ، وهو معذبلك فى الآخرة . وانهزَم الناسُ ، فأقبل عبد الرحمن نحوَ الكوفة وتبعه من كان معه من أهلِ الكوفة ، وتَبِعه أهلُ القوّة من أصحاب الخيل من أهل البَصْرة .

ولما مضى عبدُ الرحمن نحوَ الكوفة وَثَب أهل البَصرة إلى عبد الرحمن ابن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتَل بهم خمسَ ليال الحجّاج أشدّ قتال رآه الناس ، ثمّ انصرف فلَحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البَصْرة فلَحِقوا به ، وخرج الحَريش بن هلال السعدىّ وهو من بنى أنف الناقة — وكان جريحاً — إلى سَفَوانَ فماتَ من جراحته ،

---

(١) الربضة بكسر الراء وسكون الباء : مقتل كل قوم قتلوا فى بقعة واحدة .

(٢) ط : « المفضل » ، تصحيف .

٢/١٠٦٧ وقُتِل فى المعركة زِيادُ بنُ مقاتل بن مِسمَع من بنى قيس بن ثعلبة ، فقامت حَمِيدة ابنتُه تَندبُه ، وكان على خُمس بكرِ بن وائل مع ابن الأشعث وعلى الرّجال ، فقالت :

وحامَى زيادٌ على رايَتِهِ[1] وفرَّ جُدَىٌّ بنى العَنبَرِ

فجاء البلتَع السعدىّ فسمعها وهى تَندُب أباها ، وتعيب التميمىّ ، فجاء وكان يبيع سَمْنًا بالمِربَد، فترك سَمْنه عند أصحابه ، وجاء حتى قام تحتها فقال :

علامَ تَلومينَ من لم يُلِمْ تَطاول لَيْلكِ من مُعْصِرِ !
فإنْ كَانَ أَردى أَباكِ السِّنانُ فقَدْ تلْحَقُ الخَيْلُ بالمدْبِرِ
وَقَدْ تَنْطَحُ الخَيْلُ تحْتَ العَجا ج غيْرَ البرىّ ولا المُعْذِرِ
ونَحْنُ منَعْنا لواءَ الحُرَيشِ وطاح لواءُ بنى جحْدرِ

فقال عامر بن واثلة يرثى ابنَه طُفيلا :

٢/١٠٦٨ خلَّى طُفيلٌ عَلَىَّ الهمَّ فانشَعَبا وَهَدَّ ذلك رُكنِى هَدَّةً عجبًا[2]
وابْنَىْ سُمَيَّةَ لا أنساهما أَبَدًا فيمن نسيتُ وكل كان لى نَصَبًا[3]
وأَخْطَأَتْنِى المنايا لا تُطَالِعُنى حتى كبِرْتُ ولم يَتْرُكنَ لِى نَشَبا
وكنْتُ بَعْدَ طُفَيْلٍ كالذى نَضَبَتْ عنه المِيَاه وفاض الماءُ فانْقَضَبا
فلا بَعِيرَ لَهُ فى الأَرْضِ يَركَبُهُ وإن سَعى إثر مَنْ قَدْ فاتَهُ لَغِبَا
وسارَ من أرضِ خاقانَ الَّتى غلَبت أبناءُ فارِس فى أرْبائها غلَبَا
ومنْ سجِستَانَ أسبابٌ تُزَيّنُها لك المَنِيَّةُ حَيْناً كان مُجْتلَبَا
٢/١٠٦٩ حتى وَرَدت حياض الموتِ فانكَشَفتْ عنك الكتائِبُ لا تخفى لها عقبا
وَغَادَرُوكَ صريعاً رهْن مَعْركَةٍ تَرَى النُّسورُ على القتلى بها عُصَبا

---

(١) ط : « حامى » . (٢) الأغانى ١٥ : ١٥٣ ، مع اختلاف فى الرواية .
(٣) الأغانى : « وصبا » .

تعاهَدُوا ثمَّ لَمْ يُوفُوا بما عَهِدُوا وأَسلَمُوا لِلعَدُوِّ السَّبْىَ والسَّلَبَا
يا سَوْءَةَ القَوْمِ إذْ تُسْبَى نِسَاؤُهُمُ وهُمْ كثِيرٌ يَرَوْنَ الخزىَ والحَرَبَا

قال أبو مخنَف : فحدّثنى هشام بنُ أيوب بن عبد الرحمن بن أبى عقيل الثقفىّ أنّ الحجّاج أقام ببقيّة المحرّم وأوّل صفر ، ثم استعمل على البَصرة أيّوب ابن الحكم بن أبى عقيل ، ومضى ابن الأشعث إلى الكوفة ، وقد كان الحجاج خلّف عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحَضْرمىّ ، حليف حَرْب ابن أمية على الكوفة .

قال أبو مِخنَف – كما حدّثنى يونس بن أبى إسحاق : إنه كان على أربعة آلاف من أهل الشأم .

قال أبو مخنَف : فحدّثنى سهمُ بنُ عبد الرحمن الجُهَنىّ أنهم كانوا ألفين ، وكان حنظلة بنُ الورّاد من بنى رِياح بن يَرْبوع التميمىّ وابن عتّاب ابن ِ وَرْقاء على المدائن ، وكان مطرُ بن ناجية من بنى يَرْبوع على المعونة ، فلما بلغه ما كان من أمر ابن الأشعث أقبَل حتى دنا من الكوفة ، فتحصّن منه ابنُ الحَضْرمىّ فى القصر ، ووثب أهلُ الكوفة مع مطر بن ناجية بابن الحَضْرمىّ ومن معه من أهل الشأم فحاصَرَهم ، فصالحوه على أن يخرجوا ويخلّوه والقصر ، فصالحهم . ٢ / ١٠٧٠

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى يونسُ بنُ أبى إسحاقَ أنه رآهم يتنزِلون من القصر على العَجَل ، وفتِح باب القصر لمطر[1] بن ناجية ، فازدَحَم الناسُ على باب القصر ، فزُحِم مطَر على باب القصر ، فاخترط سيفَه ، فضرَب به جَحْفَلة بغل من بغالِ أهل الشأم وهم يخرجون من القصر ، فألقى جَحْفلته ودخل القَصْر ، واجتمع الناس عليه فأعطاهم مائتى ِ درْهم . قال يونس : وأنا رأيتها تُقسَم بينهم ، وكان أبو السقر فيمن أعطِيَها . وأقبل ابنُ الأشعث منهزمًا إلى الكوفة ، وتبِعه الناسُ إليها .

---

(١) ب ، ف : « لمطرف » .

[وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة كانت وقعة دَيْر الجَماجم بين الحجّاج وابن الأشعث فى قول بعضهم . قال الواقدىّ : كانت وقعةُ دَيْر الجَماجم فى شعبانَ من هذه السنة ، وفى قول بعضهم : كانت فى سنة ثلاث وثمانين .

* ذكر الخبر عن ذلك وعن سبب مصير ابن الأشعث إلى دَيْر الجماجم وذكر ما جرى بينه وبين الحجّاج بها :

ذكر هشام عن أبى مخنَف، قال : حدّثنى أبو الزبير الهَمْدانىّ ثمّ الأرحبىّ، قال : كُنت قد أصابتْنى جِراحة ، وخرج أهل الكوفة يستقبلون ابنَ الأشعث حين أقبَل ، فاستقبلوه بعد ما جازَ قنطرَة زبارا[1] ، فلما دنا منها قال لى : إن رأيتَ أن تعدل عن الطريق — فلا يرى الناسُ جِراحتَك فإنى لا أحبّ أن يستقبلهمَ الجرحى — فافعل . فعدلتُ ودخل الناسُ ، فلما دخل الكوفة مالَ إليه أهلُ الكوفة كلهم ، وسبقتْ همْدان إليه ، فحفّت به عند دارِ عمرو بن حُرَيث إلّا طائفةً من تميم لَيْسوا بالكثير قد أتَوا مطرَ بنَ ناجية، فأرادوا أن يقاتلوا دونَه، فلم يُطيقوا قتالَ الناس . فدعا عبد الرحمن بالسلاليم والعَجَل، فوُضِعتْ ليَصعَد الناسُ القَصْر ، فصعِد الناسُ القصر فأخذوه ، فأُتِىَ به عبد الرحمن بن محمد ، فقال له : استبقِنى فإنى أفضلُ فُرسانِك وأعظمُهم عنك غَنَاء ؛ فأمر به فحُبِس ، ثمّ دعا به بعد ذلك فعفا عنه . وبايَعه مَطَرٌ ، ودخلَ الناس إليه فبايعوه ، وسَقَط إليه أهلُ البصرة ، وتَقَوَّضَتْ إليه المَسالِحِ والثغور ، وجاءه فيمن جاءه من أهل البصرة عبد الرحمن ابنُ العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وعرِف بذلك ، وكان قد قاتل الحجاج بالبَصْرة بعد خروج ابن الأشعث ثلاثاً ، فبلغ ذلك عبدالملك ابنُ مروان ، فقال : قاتل الله عُدَىّ الرَّحْمن ، إنه قد فرّ ! وقاتل غلمانٌ من غلمان قريش بعده ثلاثاً . وأقبل الحجاج من البصرة فسار فى البرّ حتى مرّ بين القادسيّة والعُذَيب ، ومَنَعوه من نزول القادسيّة ، وبعث إليه عبدُ الرحمن بنُ محمد بن الأشعث عبد الرحمن بن العبّاس فى خيل عظيمة من خيل المِصرَيْن

(١) ب : « زبارا » ، س : « دبارا » .

فمنعوه من نزول القادسيّة ، ثم سايروه حتى ارتفعوا على وادى السباع ، ثمّ تسايروا حتى نزل الحجاج ديرَ قُرَّة ، ونزل عبدُ الرحمن بنُ العباس ديرَ الجماجم ، ثمّ جاء ابن الأشعث فنزل بديرِ الجماجم والحجاج بدير قُرَّة ، فكان الحجاج بعد ذلك يقول : أما كان عبدُالرحمن يزْجُر الطيرَ حيث رآنى نزلتُ ديرَ قُرَّة ، ونزل ديرَ الجماجم !

واجتمع أهلُ الكوفة وأهلُ البَصْرة وأهلُ الثغور والمسالح بدَيْر الجماجم والقرّاء من أهل المِصرَين ، فاجتمعوا جميعًا على حرب الحجاج ، وجمَعَهم عليه بغضُهم والكراهية له ، وهم إذ ذاك مائة ألف مُقاتل ممن يأخذ العطاء ، ومعهم مثلهم من مَواليهم . وجاءت الحجاجَ أيضًا أمدادُه[1] من قِبَل عبد الملك من قبل أن ينزل ديرَ قُرَّة ، وقد كان الحجاج أراد قبل أن يَنزِل ديرَ قُرَّة أن يرتفع إلى هِيتَ وناحية الجزيرة إرادةَ أن يقترب من الشأم والجزيرة فيأتيَه المددُ من الشأم من قريب ، ويقترب من رَفاغة سِعْر الجزيرة ، فلما مرّ بدَيْر قرة قال : ما بهذا المنزل بُعدٌ من أمير المؤمنين ، وإنّ الفلاليج وعين التمر إلى جَنْبنا . فنزل فكان فى عسكره مخندِقًا وابن محمد فى عسكره مخندقًا ، والناس يخرجون فى كلّ يوم فيقتتلون ، فلا يزال أحدهما يُدنِى خَندقَه نحو صاحبه ، فإذا رآه الآخر خندقَ أيضًا ، وأدنَى خندقه من صاحبه . واشتدّ القتال بينهم . فلما بلغ ذلك رءوس قريش وأهلُ الشأم قِبَل عبدِ الملك ومَواليه قالوا : إن كان إنما يُرضِى أهل العراق أن يُنزَعَ عنهم الحجاج ، فإنّ نزع الحجاج أيسرُ من حَرْب أهلِ العراق ، فانزعْه عنهم تَخْلُص لك طاعتُهم ، وتحقن به دِماءنا ودماءَهم . فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وبعث إلى أخيه محمد بن مروان بأرض المَوْصل يأمره بالقدوم عليه ، فاجتمَعا جميعًا عنده ؛ كلاهما فى جُنْدَيهما ، فأمرهما أن يَعرِضا على أهل العراق نزعَ الحجّاج عنهم ، وأن يُجرِىَ عليهم أعطياتِهم كما تُجرَى على أهل الشأم ، وأن ينزل ابن محمد أىّ بلد من عراق شاءَ ، يكون عليه واليًا ما دام حيًّا ، وكان عبد الملك واليًا ؛ فإن هم قبلوا ذلك عُزِل عنهم الحجاج ، وكان محمد بن مروان

٢ / ١٠٧٣

---

(١) ب ، ف : « أمداد » .

أمير العراق ، وإن أبَوا أن يقبلوا فالحجّاج أميرُ جماعة أهل الشأم وولىّ القتال ، ومحمد بن مروانَ وعبدُ الله بن عبد الملك فى طاعته. فلم يأتِ الحجاجَ أمرٌ قطّ كان أشدّ عليه ولا أغيَظ له ولا أوجعَ لقلْبه منه مخافةَ أن يقبلوا فيُعزَلَ عنهم ، فكتَب إلى عبد الملك :

يا أميرَ المؤمنين ، والله لئن أعطيتَ أهلَ العراق نَزْعى لا يلبثون إلّا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدهم ذلك إلّا جرأةً عليك ، ألم تر وتَسمع بوُثوب أهلِ العراق مع الأشتر على ابن عفّان ، فلما سألهم ما يريدون قالوا : نزعَ سعيد بن العاص ، فلما نزعه لم تتمّ لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ! إنّ الحديدَ بالحديدِ يُفْلَح . خارَ الله لك فيما ارتأيتَ . والسلام عليك . ٢ / ١٠٧٤

فأبَى عبدُ الملك إلّا عرضَ هذه الخِصال على أهل العراق إرادةَ العافية من الحَرْب . فلما اجتمعا مع الحجاج خرج عبدُالله بن عبد الملك فقال : يا أهل العراق ، أنا عبدُالله بنُ أمير المؤمنين ، وهو يُعطيكم كذا وكذا ، فذكَر هذه الخصالَ التى ذكرْنا . وقال محمد بنُ مروان : أنا رسولُ أمير المؤمنين إليكم ، وهو يَعرِض عليكم كذا وكذا ، فذكَر هذه الخصالَ . قالوا : نرجع العشيّة ، فرجعوا فاجتمعوا عند ابن الأشعث ، فلم يَبقَ قائدٌ ولا رأس قوم ولا فارسٌ إلاّ أتاه ، فحمِد اللهَ ابنُ الأشعث وأثنَى عليه ثمّ قالَ :

أما بعد ، فقد أعطِيتم أمراً انتهازكم اليوم إياه فرصة ، ولا آمن أن يكون على ذى الرّأى غداً حَسْرة ، وإنكم اليومَ على النّصف وإن كانوا اعتدّوا بالزاوية فأنتم تعتدّون عليهم بيَوْم تُسْتَرَ ، فاقبلوا ما عرَضوا عليكم وأنتم أعزّاءُ أقوياءُ ، والقومُ لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون[1]. فلا واللهِ[2] لا زِلتم عليهم جُرّاء ، ولا زلتم عندَهم أعزّاء ، إن أنتم قبلتم أبدًا ما بقيتم . ٢ / ١٠٧٥

فوثَب الناسُ من كل جانب ، فقالوا : إنّ الله قد أهلكهم ، فأصبحوا فى

(١) ب : « متنقصون » .

(٢) ب ، ف : « فوالله » .

الأزْل والضَّنْك والمجاعة والقلّة والذلّة ، ونحن ذوو العَدَد الكثير ، والسعر الرفيغ (١) والمادّة القريبة ، لا والله لا نقبل .

فأعادوا خلعَه ثانية . وكان عبد الله بن ذَواب السلميّ وعمَير بن تيحان أوّل من قام بخلعه فى الجمَاجم ، وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم (٢) أجمع من خلعهم إياه بفارسَ .

فرجع محمد بنُ مروانَ وعبد الله بن عبد الملك إلى الحجاج فقالا : شأنَك بعَسْكرك وجندِك فاعمل برأيك ، فإنا قد أمِرْنا أن نَسمَع لك ونطيع ، فقال : قد قلتُ لكما : إنه لا يُراد بهذا الأمر غيرُكما ، ثم قال : إنما أقاتل لكما ، وإنما سلطانى سلطانُكما ، فكانا إذا لَقِياه سلّما عليه بالإمرة ، وقد زَعَم أبو يزيدَ السَّكْسَكيّ أنه إنما كان أيضًا يسلّم عليهما بالإمرة إذا لقيَهما ، وخلّياه والحرب فتولّاها .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى الكلبيّ محمد بن السائب أنّ الناس لما اجتمعوا بالجماجم سمعتُ عبد الرحمن بن محمد وهو يقول : ألا إنّ بنى مَرْوان يعيَّرون بالزّرقاء ، والله ما لهم نسبٌ أصحّ منه إلا أن بنى أبى العاص أعلاجٌ من أهل صَفّوريَة ، فإن يكنْ هذا الأمر فى قريش فعنّى فُقِئتْ بَيضة قريش ، وإن يَك فى العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس — ومدّ بها صوتَه يُسمِع الناسَ — وبَرَزوا للقتال ، فجعل الحجّاجُ على ميمنته عبدَ الرحمن ابنَ سُليم الكلبيّ ، وعلى مَيسرته عُمارة بن تميم اللّخميّ ، وعلى خَيله سُفْيان ابن الأبرد الكلبى ، وعلى رجاله عبد الرحمن (٣) بن حبيب (٤) الحكميّ ، وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجّاج بن جارية الخثعميّ ، وعلى ميسَرته الأبرد بن قرّة التميميّ ، وعلى خَيله عبد الرّحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث الهاشميّ ، وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبى وَقّاص ، وعلى مجفّفته (٥) عبدالله بن رِزَام الحارثيّ ، وجعل على القرّاء جَبَلة بن زَحْر بن قيس الجعفيّ ، ٢ / ١٠٧٦

(١) السعر الرفيغ : السهل . (٢) ب ، ف : « بدير الجماجم » .
(٣) ب ، ف : « الله » . (٤) ابن الأثير : « خبيب » .
(٥) الخيل المجففة : التى عليها التجفاف ، وهو ما جلل به من سلاح .

وكان معه خمسةَ عشرَ رجلا من قريش ، وكان فيهم عامر الشعبىّ ، وسعيد ابن جبير ، وأبو البخترىّ الطائىّ ، وعبد الرحمن بن أبى ليلى .

ثم إنهم أخذوا يتزاحفون فى كلّ يوم ويقتتلون ؛ وأهل العراق تأتيهم موادّهم من الكوفة ومن سوادِها فيما شاءوا من خِصبِهم ، وإخوانهم من أهل البَصْرة وأهل الشأم فى ضيق شديد ، قد غلتْ عليهم الأسعار ، وقلّ عندهم الطعام ، وفقدوا اللحم ، وكانوا كأنهم فى حصار ، وهم على ذلك يُغادون أهلَ العراق ويراوحونهم ، فيقتتلون أشدّ القتال ، وكان الحجاج يُدنى خندقه مرّة وهؤلاء أخرى ، حتى كان اليوم الذى أصيبَ فيه جبَلة بن زحْر . ثمّ إنه بعث إلى كُمَيل بن زياد النخعىّ وكان رَجُلاً رَكينًا وقوراً عند الحرب ، له بأس وصوتٌ فى الناس ، وكانت كتيبتُه تُدعى كتيبةَ القرّاء ، يُحمل عليهم فلا يكادون يبرحون ، ويَحملون فلا يكذبون ، فكانوا قد عرفوا بذلك ، فخرجوا ذاتَ يوم كما كانوا يخرجون ، وخرج الناسُ ، فعبّى الحجاج أصحابَه ، ثمّ زحف فى صُفوفه ، وخرج ابن محمّد فى سبعة صفوف بعضها على أثَر بعض ، وعبّى الحجاج لكتيبة القرّاء التى مع جبَلة بن زَحْر ثلاث كتائب ، وبعث عليها الجرّاح بن عبد الله الحَكَمىّ ، فأقبلوا نحوَهم .

٢/١٠٧٧

قال أبو مخنَف : حدّثنى أبو يزيد السَّكْسَكىّ ، قال : أنا والله فى الخيل التى عُبِّيَت لجبلةَ بن زَحْر ، قال : حملْنا عليه وعلى أصحابه ثلاث حملات ، كلّ كتيبة تحمل حمْلة ، فلا والله ما استنقَصْنا منهم شيئًا .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المغيرة بن المهلّب]

وفى هذه السنة تُوُفّى المغيرةُ بنُ المهلّب بخُراسانَ .

ذكَر علىّ بنُ محمد ، عن المفضل بن محمد ، قال : كان المغيرةُ بنُ المهلب خليفةَ أبيه بمَرْو على عَمَله كله ، فمات فى رجَب سنة اثنتين وثمانين ، فأتى الخبر يزيد ، وعلمَه أهلُ العسكر فلم يُخبِروا المهلّب ، وأحبّ يزيد أن يبلّغه ، فأمر النساء فصرَخْن ، فقال المهلّب : ما هذا ؟ فقيل : مات المغيرة ،

فاسترْجَع ، وجَزِع حتى ظهر جزَعُه عليه ، فلاَمه بعضُ خاصّته ، فدعا يزيدَ فوجّهه إلى مَرْوَ ، فجعل يُوصيه بما يَعمَل ودموعه تَنْحدِر على لحيته . وكتب الحجّاج إلى المهلب يعزّيه عن المغيرة ، وكان سيداً ، وكان ٢/١٠٧٨ المهلب يومَ مات المغيرة مقيماً بكِس ّ وراء النهر لحرْب أهلِها .

قال : فساريزيدُ فى ستين فارسًا — ويقال : سبعين — فيهم مُجّاعة بن عبد الرحمن العتَكىّ ، وعبد الله بن مُعمَّر بن سُمير اليَشكرىّ ، ودينار السجِسْتانىّ ، والهيثم بن المنخّل الجرُمْوزىّ ، وغَزوان الإسكاف صاحب زَمّ — وكان أسلَمَ على يد المهلب — وأبو محمد الزّمىّ ، وعطية — مولى لعتيك — فلقيَهم خمسمائة من الترك فى مَفازة نَسَفَ ، فقالوا : ما أنتم ؟ قالوا : تجّار ؛ قالوا : فأين الأثقال ؟ قالوا : قدّمناها ؛ قالوا : فأعطُونا شيئًا ، فأبى يَزيد ، فأعطاهم مُجّاعة ثوبًا وكرابيسَ وقَوسًا ، فانصرَفوا ثمّ غَدرُوا وعادوا إليهم ، فقال يزيد : أنا كنتُ أعلمُ بهم فقاتِلوهم ، فاشتدّ القتال بينهم ، ويزيدُ على فرس قريب من الأرض، ومعه رجلٌ من الخَوارج كان يزيدُ أخذَه ، فقال : استَبْقِنى ؛ فمنّ عليه ، فقال له : ما عندَك ؟ فحمَل عليهم حتى خالطهم وصارمن ورائهم وقد قَتلَ رجلا ، ثمّ كرّ فخالطهم حتى تقدّمهمَ وقتَل رجلا ثمّ رجع[1] إلى يزيدَ . وقتَل يزيدُ عظيماً من عظمائهم . ورُمى يزيدُ فى ساقه ، واشتدّت شوكتهم ، وهرب أبو محمد الزّمىّ ، وصبر لهم يزيدُ حتى حاجَزوهم ، وقالوا : قد غَدرنا ، ولكن لا ننصرف حتى نموتَ جميعًا أو تموتوا أو تُعطونا شيئًا ، فحلف يزيدُ لا يعطيهم شيئًا ، فقال مُجّاعة : أذكّرك ٢/١٠٧٩ اللهَ ، قد هلك المغيرة ، وقد رأيتَ ما دخل على المهلب من مصابه ، فأنشُدك الله أن تصابَ اليوَم !

قال : إنّ المغيرة لم يَعْدُ أجلَه ، ولستُ أعدو أجَلى . فرمى إليهم مُجّاعة بِعمامة صفراءَ فأخذوها وانصرَفوا ، وجاء أبو محمد الزّمىّ بفوارسَ وطعام ، فقال له يزيد : أسلَمتنايا أبا محمد ؛ فقال : إنما ذهبتُ لأجيئكم بمَدَد وطعام ، فقال الراجز :

---

(١) س : « ورجع » .

يزيدُ يا سَيفَ أَبى سعيدْ قد علمَ الأقوامُ والجنودْ
والجمعُ يَوم المجمع المشهودْ أنك يوم التُّركِ صَلبُ العودْ

وقال الأشقرىّ :

والتُّرك تعلمُ إذ لَاقى جُموعَهُمُ أَنْ قد لقوهُ شِهاباً يَفرِج الظُّلَمَا
بفِتيَةٍ كأُسُودِ الغابِ لم يَجِدوا غيرَ التأسِّى وغيرَ الصبرِ مُعتَصَمَا
نرى شَرائجَ تَغشى القومَ من علقٍ وما أَرى نبوةً منهمْ ولا كَزَما
وتحتَهُمْ قرَّحٌ يَرْكبْنَ ما ركِبوا من الكريهة حتّى ينْتلعن دَمَا ٢/١٠٨٠
فى حازَّةِ الموتِ حتى جَنَّ لَيْلُهُمُ كِلاَ الفريقين ما وَلَّى ولا انهزما

* * *

وفى هذه السنة صالَح المهلب أهل كسّ[1] على فِديْة، ورحلَ عنها يريد مَرْوَ .

ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلَّب عن كِسّ

ذكر علىّ بنُ محمد، عن المفضّل بن محمد، أن المهلب اتّهم قومًا من مُضرَ فحبسهم وقَفَل من كِسّ وخلّفهم، وخلّف حريث بنَ قُطْبة مولَى خزاعة، وقال : إذا استوفيتَ الفِديْة فرُدَّ عليهم الرُّهُن . وقطع النّهر فلما صار ببَلْخَ أقام بها وكتَب إلى حُرَيث : إنى لستُ آمَن إن رددت عليهم الرّهُن أن يغيروا عليك، فإذا قبضتَ الفِدْية فلا تخلّى الرُّهُن حتى تقدم أرض بلخ . فقال حُرَيث للملك كِسّ : إنّ المهلب كتب إلىّ أن احبس الرُّهُن حتى أقدم أرض بلخ، فإن عجّلت لى ما عليك سلّمتُ إليك رهائنك، وسرت فأخبرتُه أن كتابه ورد، وقد استوفيتُ ما عليكم، ورددتُ عليكم الرهُن؛ فعجّل لهم صُلحَهم، وردّ عليهم من كان فى أيديهم منهم . وأقبَل فعرَض لهم الترك، فقالوا : افْدِ نفسَك ومن معك، فقد لقينا

---

(١) ط : « كش »، وكس مدينة تقارب سمرقند .

يزيدَ بن المهلّب ففَدَى نفسه. فقال حُرَيث: ولدَتْنى إذاً أمّ يزيد! وقاتَلَهم فقَتَلهم، وأسرَ منهم أسرَى ففَدَوْهم، فمنّ عليهم وخلّاهم، وردّ عليهم الفِداء. وبلغ المهلّبَ قولُه: ولدتْنى أمّ يزيدَ إذاً، فقال: يأنف العبدُ أن تَلده رَحِمُه! وغَضِب. ٢/١٠٨١

فلما قدم عليه بَلخَ قال له: أين الرّهُن؟ قال: قبضتُ ماعليهم وخلّيتهُم، قال: ألم أكتبْ إليك ألّا تخلّيَهم! قال: أتانى كتابُك وقد خليتُهم، وقد كُفيتُ ما خفتَ؛ قال: كذبتَ، ولكنك تقرّبت إليهم وإلى مَلكِهم فأطلعتَه على كتابى إليك. وأمَرَ بتجريده، فجَزِع من التجريد حتى ظنّ المهلبُ أن به برصًا، فجرّده وضرَبه ثلاثين سَوْطًا. فقال حُرَيث: وَدِدتُ أنه ضربنى ثلثمائة سَوْط ولم يجرّدنى، أنَفًا واستِحياء من التجريد، وحلف ليَقتلنّ المهلّب.

فركِب المهلب يومًا وركِب حُرَيث، فأمر غلامين له وهو يَسير خلفَ المهلّب أن يضرباه، فأبى أحدُهما وتَرَكه وانصرف، ولم يجترئ الآخَر لمّا صار وحده أن يُقدمَ عليه، فلما رجع قال لغلامه: ما منعك منه؟ قال: الإشفاق والله عليك، وواللهِ ما جزعتُ على نفسى، وعلمتُ أنا إنْ قتلناه أنك ستُقتَل ونقتَل، ولكن كان نظرى لك، ولو كنت أعلم أنك تسلم مِن القَتل لقتلتُه.

قال: فترك حُرَيث إتيانَ المهلّب، وأظهرأنه وَجِعٌ، وبلغ المهلّب أنه تمارَض وأنه يريد الفتك به، فقال المهلب لثابت بن قطبة: جئنى بأخيك، فإنما هو كبعض ولدى عِندى، وما كان ما كان منّى إليه إلّا نظراً له وأدبًا، ولربما ضربتُ بعضَ ولدى أؤدِّبه. فأتى ثابت أخاه فناشَدَه، وسأله أن يركَبَ إلى المهلب، فأبى وخافَه وقال: واللهِ لا أجيئُه بعد ما صنَع بى ما صنَع، ولا آمنُه ولا يأمنُنى. فلما رأى ذلك أخوه ثابت قال له: أما إنْ كان هذا رأيُك فاخرج بنا إلى موسى بنِ عبد الله بن خازم، وخاف ثابت أن يَفتك حريثٌ بالمهلّب فيُقتلون جميعًا؛ فخرجا فى ثلثمائة من شاكريّتهما والمنقطِعين إليهما من العرب. ٢/١٠٨٢

[خبر وفاة المهلّب بن أبى صفرة]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة توفِّىَ المهلب بنُ أبى صُفْرة .

* ذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته :

قال علىّ بن محمد : حدّثنى المفضّل، قال : مضى المهلب منصرَفَهُ من كِسّ يريد مَرْوَ، فلما كان بزاغولَ من مَرْوالرُّوذ أصابتْه الشَّوْصة — وقوم يقولون: الشوْكة[1] — فدعا حبيبًا ومَن حَضَره من ولده، ودعا بسهام فحُزِمتْ، وقال : أترونكم كاسريها مجتمعةً ؟ قالوا : لا ، قال : أفترَوْنكم كاسريها متفرّقة ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فهكذا الجماعة ، فأوصيكم بتقوَى الله وصلة الرّحِم ، فإن صلةَ الرّحِم تُنسئ فى الأجل، وتُثْرى المال ، وتُكثر العدَد؛ وأنهاكم عن القطيعة ، فإن القطيعة تُعْقِب النار ، وتورِث الذلّة والقِلّة، فتحابّوا وتواصَلوا، وأجمِعوا أمركم ولا تختلفوا، وتبارُّوا تجتمعْ أمورُكم ؛ إنّ بنى الأمّ يختلفون ، فكيف ببنى العَلّات ! وعليكم بالطاعة والجماعة ، وليكن فعالُكم أفضل من قولِكم ، فإنى أحبّ للرجل أن يكون لعمله فضلٌ على لسانه ، واتقوا الجوَابَ وزَلّة اللسان، فإنّ الرجل تزِلّ قدمُه فينتعش من زَلته ، ويزِلّ لسانُه فيَهلِك . اعرِفوا لمَن يغشاكم حقّه ، فكفى بغُدوّ الرجل ورَواحه إليكم تذكرةً له، وآثروا الجُودَ على البُخْل ، وأحِبّوا العرَب واصطنعوا العُرْف ، فإنّ الرجل من العرب تَعِدُه العِدةَ فيموتَ دونَك ، فكيف الصنيعة عندَه ! عليكم فى الحرب بالأناة والمكيدة ، فإنها أنفع فى الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، فإنْ أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوّه قيل : أتى الأمرَ من وَجْهه ، ثمّ ظفِر فحُمد ، وإن لم يَظفر بعد الأناة قيل: ما فرّط ولا ضيّع ، ولكنّ القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن ، وتعليم السنَن ، وأدب الصّالحين، وإياكم والخِفّة وكثْرَة الكلام فى مجالسكم، وقد استخلفتُ عليكم يزيدَ ، وجعلتُ حبيبًا على الجُنْد حتّى يَقدم بهم على يزيد، فلا تُخالفوا يزيدَ، فقال له المفضّل: لو لم تقدّمه لقدّمناه.

٢/١٠٨٣

(١) فى اللسان :«الشوصة : ريح تأخذ الإنسان فى لحمه تجول مرة هنا ومرة هنا ، ومرة فى الجنب ومرة فى الظهر ومرة فى الحواقن» . وفيه أيضاً : « الشوكة داء كالطاعون » .

ومات المهلّب وأوصى إلى حبيب، فصلّى عليه حبيب، ثمّ سار إلى مَرْوَ. وكتب يزيدُ إلى عبد الملك بوَفاةِ المهلب واستخلافه إياه، فأقرّه الحجّاج[1]. ويقال: إنه قال عند موته ووصيّته: لو كان الأمرُ إلىّ لولّيتُ سيد ولدى حبيبًا. قال: وتوفّى فى ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين، فقال نَهارُ بنُ تَوسِعة التميمىّ: ٢/ ١٠٨٤

أَلَا ذَهبَ الغزوُ المُقَرِّبُ للغِنَى ... ومات النَّدى والجُودُ بعد المهلَّبِ[2]

أَقامَا بمروَالرُّوذِ رَهنَىْ ضريحِهِ ... وقد غُيِّبَا عن كلّ شرقٍ ومغربِ

إذا قيلَ أَىُّ الناسِ أَولى بنعمةٍ ... على الناسِ؟ قلناه ولم نَتَهَيَّبِ

أَبَاحَ لنا سهلَ البلادِ وحزنَها ... بخيلٍ كأَرسال القَطَا المُتَسَرِّبِ

يُعرِّضُها للطَّعنِ حتّى كأَنَّما ... يُجلِّلها بالأرجُوان المُخضَّبِ

تُطيفُ به قَحطانُ قد عُصِّبتْ به ... وأَحلافُها من حىّ بكرٍ وتَغلِبِ

وحَيًّا مَعدٍّ عُوَّذٌ بِلِوائه ... يُفَدُّونَه بالنفس والأم والأَب

* * *

وفى هذه السنة ولى الحجّاجُ بن يوسفَ يزيدَ بنَ المهلب خُراسانَ بعد موت المهلّب. ٢/ ١٠٨٥

وفيها عَزَل عبدُ الملك أبانَ بن عثمان عن المدينة؛ قال الواقدىّ: عزله عنها لثلاث عشرة ليلة خلتْ من جُمادَى الآخرة.

قال: وفيها ولّى عبدُ الملك هشامَ بن إسماعيلَ المخزومىّ المدينة. وعَزَل هشامُ بن إسماعيل عن قضاء المدينة لما وليها نوفَلَ بن مُساحق العامرىّ، وكان يحيى بن الحَكم هو الذى استقضاه على المدينة، فلما عَزل يحيى ووَلِيَها أبانُ ابنُ عثمان أقرّه على قضائها؛ وكانت ولاية أبانَ المدينةَ سبع سنينَ وثلاثةَ أشهر وثلاث عشرةَ ليلة، فلما عَزَل هشامُ بنُ إسماعيلَ نوفَلَ بن مُساحق عن القضاء ولّى مكانَه عَمرو بن خالد الزُّرَقىّ.

---

(١) ابن الأثير: «فلما توفى كتب ابنه يزيد إلى الحجاج يعلمه بوفاته، فأقر يزيد على خراسان».

(٢) البيت الأول والثانى فى كتاب المعمرين ١٤٣.

وحَجّ بالناس فى هذه السنة أبانُ بنُ عثمان ، كذلك حدّثنى أحمدُ بنُ ثابت عمّن ذكره، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبى معشر .

وكان على الكوفة والبَصْرة والمَشرِق الحجّاجُ ، وعلى خُراسانَ يزيدُ بنُ المهلب من قِبَل الحجّاج .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

ذكر الأحداث التى كانت فيها

* * *

[خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم]

فمما كان فيها من ذلك هزيمةُ عبدِ الرحمن بن محمد بن الأشعث بدَيْر الجمَاجم . ٢/١٠٨٦

* ذكر الخبر عن سبب انهزامه :

ذكر هشام بن محمد، عن أبى مِخنَف، قال: حدّثنى أبو الزّبير الهمْدانىّ، قال: كنتُ فى خَيْل جبَلَة بن زحْل، فلما حَمَل عليه أهلُ الشأم مرة بعد مرّة، نادانا[١] عبد الرحمن بن أبى ليلى الفقيه فقال: يا معشرَ القرّاء، إنّ الفِرار ليس بأحد من الناس بأقبحَ منه بكم؛ إنى سمعتُ عليًّا[٢] — رفع الله درجتَه فى الصّالحين، وأثابَه[٣] أحسنَ ثوَاب الشهداء والصدّيقين[٣] — يقول يومَ لقينا أهل الشأم: أيها المؤمنون، إنه مَن رأى عُدواناً يُعمَل به، ومُنكَراً يُدعَى إليه، فأنكرَه بقَلْبه فقد سَلِم وبَرِئ، ومن أنكر بلِسانه فقد أجِر، وهو أفضلُ من صاحبه، ومَن أنكَره بالسيف لتكون كلمةُ الله العُليَا وكلمةُ الظالمين السفْلَى، فذلك الذى أصابَ سبيلَ الهُدى، ونوّر فى قلبه اليقين[٤]. فقاتِلوا هؤلاء المُحِلّين المُحدِثين المبتدِعين الذين قد جهلوا الحقّ فلا يعرفونه، وعَمِلوا بالعدوان فليس يُنْكِرونه.

وقال أبو البَخْترىّ: أيّها الناس، قاتلوهم على دِينكم ودُنْياكم، فوالله لئن ظهَروا عليكم ليُفسِدُنّ عليكم دِينَكم، وليَغلِبُنّ على دنياكم.

وقال الشعبىّ: يا أهل الإسلام، قاتِلوهم ولا يأخذْكم حَرَجٌ من قتالهم،

---

(١) ب: «نادى يا»، ابن الأثير: «نادى جبلة يا».

(٢) ب: «على بن أبى طالب». (٣ – ٣) ب: «ثواب الصديقين والشهداء».

(٤) نهج البلاغة ٢: ٢٢٤.

فوالله ما أعلم قوماً على بَسيطِ الأرض أعمَل بِظُلم ، ولا أجَورَ منهم فى الحكَم[١] ، فليكن بهم البدار .

٢/١٠٨٧

وقال سعيد بنُ جُبير : قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنيّة ويقين ، وعلى آثامهم قاتِلوهم على جَوْرِهم فى الحُكْم ، وتجبّرهم فى الدين ، واستذلالِهم الضّعفاء ، وإماتتهم الصّلاة .

قال أبو مخنَف ، قال أبو الزّبير : فتهيّأنا للحَمْلة عليهم ، فقال لنا جبَلة : إذا حملتم عليهم فاحملوا حملةً صادقة ، ولا تردّوا وجوهكم عنهم حتى تُواقِعوا صفّهم . قال : فحملنا عليهم حملةً بجدّ منّا فى قتالِهم ، وقوّة منا عليهم ، فضربنا الكتائبَ الثلاث حتى اشفترّت[٢] ، ثمّ مضينا حتى واقعْنا صفّهم فضربناهم حتى أزلْناهم عنه ، ثمّ انصرفْنا فمررنا بجبَلة صريعاً لا ندرى كيف قُتل .

قال : فهدّنا ذلك وجبُنّا فوقَفْنا موقفنا الذى كنّا به ، وإنّ قُرّاءنا لمتوافِرون ، ونحن نتَنَاعى جبلةَ بن زَحْر بيننا ، كأنما فقدَ به كلّ واحد منا أباه أو أخاه ، بل هو فى ذلك المَوطِن كان أشدّ علينا فَقداً . فقال لنا أبو البَخْترىّ الطائىّ : لا يستبينَنّ فيكم قتلُ جبَلة بن زَحْر ، فإنما كان كرجل منكم أتتْه منيّته ليَومها ، فلم يكن ليتقدّم يومُه ولا ليتأخّر عنه ، وكلّكم ذائق ما ذاقَ ، ومدعوّ فمجيب . قال : فنظرتُ إلى[٣] وجوه القُرّاء فإذا الكآبةُ على وجوههم بيّنة ، وإذا ألسنتهم منقطِعة ، وإذا الفَشَل فيهم قد ظَهَر ، وإذا أهلُ الشأم قد سُرّوا وجَذِلوا ، فنادَوا[٤] : يا أعداءَ الله ، قد هَلَكتم ، وقد قَتَل الله طاغُوتكم[٥] .

٢/١٠٨٨

قال أبو مخنَف : فحدّثنى أبو يَزيد السَّكسكىّ أنّ جبَلة حين حَمل هو وأصحابُه علينا انكشفْنا ، وتبعونا ، وافترقتْ منا فِرقة فكانت[٦] ناحيةً ، فنظرْنا فإذا أصحابه يتبعون أصحابَنا ، وقد وقف لأصحابه ليرجعوا إليه على

---

(١) ب : « بحكم » . (٢) اشفترت : افترقت . (٣) ب : « فى » . (٤) ب ، ف : « فنادونا » . (٥) ب ، ف : « طاغيتكم » . (٦) ب ، ف : « فقامت » .

رأس رَهْوة ، فقال بعضُنا ، هذا والله جَبَلة بن زَحْر ، احملوا عليه ما دام أصحابه مشاغيلَ بالقِتال عنه لعلّكم تصيبونه. قال : فحملْنا عليه ، فأشهدُ ما ولّى ، ولكن حمَل علينا بالسيف . فلمّا هبط من الرّهوة[١] شجرْناه بالرّماح فأذْرَيناه عن فرسه فوقع قتيلا ، ورجع أصحابُه ، فلما رأيناهم مقبلين تنحيْنا عنهم ، فلما رأوْه قتيلاً رأينا من استرجاعهم وجزعِهم ما قرّت به أعينُنا؛ قال : فتبينّا ذلك فى قتالهم إيانا وخروجِهم إلينا .

* * *

قال أبو مخنَف : حدّثنى سهم بنُ عبد الرحمن الجُهَنىّ ، قال : لما أصيب جَبلَة هدّ الناسَ مَقتلُه ، حتى قدم علينا بِسطام بن مَصقَلة بن هُبيرة الشيبانىّ ، فشجع الناسَ مَقدمُه ، وقالوا : هذا يقوم مقامَ جَبَلة ، فسَمِع هذا القولَ من بعضهم أبو البَختَرىّ ، فقال : قُبِّحتم ! إن قتل منكم رجل[٢] واحد ظننتمْ أن قد أحيط بكم ، فإن قُتل الآن ابنَ مصقَلة ألقيتم بأيديكم إلى التهلكة ، وقلتم : لم يَبقَ أحد يقاتل معه ! ما أخلَقكم أن يُخلَفَ رجاؤنا فيكم ! وكان مَقدَم بِسطام من الرّىّ ، فالتقى هو وقتيبة فى الطريق ، فدعاه قُتيبة إلى الحجّاج وأهل الشأم ، ودعاه بِسطام إلى عبدالرحمن وأهل العراق ، فكلاهما أبى على صاحبه ، وقال بِسطام : لأن أموتَ مع أهل العراق أحبّ إلىّ من أن أعيشَ مع أهل الشأم، وكان قد نزل ماسبَذانَ ؛ فلمّا قَدِم قال لابن محمد : أمّرْنى على خيل ربيعةَ ؛ ففعل ، فقال لهم : يا معشر ربيعة، إنّ فىّ شَرسَفةً عند الحرب فاحتملوها لى — وكان شُجاعًا — فخرج الناسُ ذاتَ يوم ليَقتتلوا، فَحمل فى خيلِ ربيعةَ حتى دخل عسكرَهم، فأصابوا فيهم نحوًا من ثلاثين امرأةً من بين أمَة وسُرّيّة، فأقبل بهنّ حتى إذا دنا من عسكره ردّهنّ ، فجئن ودخلْنَ عسكر الحجاج ، فقال : أوْلَى لهم! منَع القومُ نساءَهم ،أما لولم يردّوهن لسبيت نساؤهم غداً إذا ظَهرت. ثم اقتَتلوا يومًا آخَر بعد ذلك ، فحمَل عبدُالله بن مُلَيل الهَمْدانىّ فى خيل له حتى دخل

٢ / ١٠٨٩

(١) ب ، ف : « الرهو » ، والرهو : ما اطمأن من الأرض وارتفع ما حوله .
(٢) ب ، ف : « رجل واحد منكم » .

عسكرهم فسبا ثمانىَ عشرةَ امرأةً ، وكان معه طارقُ بنُ عبد الله الأسَدىّ — وكان راميًا — فخرج شيخٌ من أهل الشأم من فُسْطاطِه ، فأخذ الأسدِىّ يقول لبعض أصحابه : استرْ منّى(١) هذا الشيخَ لعلّنى أرميه أو أحمل عليه فأطعنه، فإذا الشيخ يقول رافعًا صوتَه: اللهمّ لُمّنا وإيّاهم بعافية ؛ فقال الأسَدىّ : ما أحبّ أن أقتَل مِثلَ هذا ، فتركه ، وأقبَل ابنُ مليل بالنساء غيرَ بعيد، ثمّ خلّى سبيلَهنّ أيضًا ، فقال الحجّاج مِثلَ مقالتِه الأولى .

٢/١٠٩٠

قال هشام : قال أبى : أقبل الولَيد بن نُحيتْ الكلبىّ من بنى عامر فى كتيبة إلى جبَلَة بن زحْر ، فانحطّ عليه الوليد من رابية — وكان جسيمًا ،وكان جبَلَة رجلا رَبْعةً — فالتَقَيا ، فضربَه على رأسه فسَقَط ، وانهزَم أصحابُه وجِىء برأسِه .

قال هشام : فحدّثنى بهذا الحديث أبو مِخنَف وعَوانة الكلبىّ، قال: لمّا جىء برأس جبلة بن زَحْر إلى الحجاج حَمَلَه على رمحين ثمّ قال : يا أهل الشأم ، أبشِروا؛ هذا أوّل الفتح ، لا والله ما كانت فِتنة قطّ فخبَتْ حتى يُقتل فيها عظيمٌ من عظماء أهل اليَمَن ، وهذا من عظمائهم . ثمّ خرجوا ذاتَ يوم فخرج رجلٌ من أهل الشأم يدعو إلى المبارَزة، فخرج إليه الحجّاج ابن جارية ، فحمل عليه ، فطعنَه فأذْراه ، وحمل أصحابُه فاستنقَذوه ، فإذا هو رجل من خَثْعَم يقال له أبو الدّرداء ، فقال الحجاج بن جارية : أما إنّى لم أعرفه حتى وقع ، ولو عرفتُه ما بارزته ، ما أحِبّ أن يصابَ من قومى مِثله . وخرج عبد الرحمن بن عوف الرّؤاسىّ أبو حميد فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه ابن عمّ له من أهل الشأم ، فاضطربا بسيْفَيهما ، فقال كلّ واحد منهما : أنا الغلام الكلابىّ ، فقال كلّ واحد منهما لصاحبه : مَنْ أنت ؟ فلمّا تساءَلا تحاجَزَا . وخرج عبدُالله بنُ رِزام الحارثىّ إلى كَتيبة الحجّاج ، فقال : اخرُجوا إلىّ رجلا رجلا ، فأخرج إليه رجلٌ، فقَتلَه ثمّ فعل ذلك ثلاثة أيام، يقتُل كلّ يوم رجلا ، حتى إذا كان اليوم الرابع

٢/١٠٩١

(١) ب ، ف : « استراعنى » .

أقبَل ، فقالوا : قد جاء لا جاء الله به ! فدعا إلى المبارَزة ، فقال الحجاج للجرّاح : اخرُج إليه ، فخرج إليه ، فقال له عبدُالله بنُ رِزام — وكان له صديقًا : وَيْحكَ يا جرّاح ! ما أخرجك إلىّ ! قال : قد ابتُليتُ بك ، قال : فهل لك فى خير ؟ قال : ما هو ؟ قال : أنهزِم لك فترجع إلى الحجاج وقد أحسنتَ عندَه وحَمِدَك ، وأما أنا فإنى أحتمل مقالَة الناس فى انهزامى عنك حُبًّا لسلامتك ، فإنى لا أحبّ أن أقتلَ مِن قومى مثلك ؛ قال : فافعل ، فحَملَ عليه فأخذ يستَطرد له — وكان الحارثىّ قد قطعتْ لهاتُه ، وكان يَعطَش كثيراً ، وكان ... ...مٌ له معه إداوةٌ من ماء ، فكلّما عَطِش سقاهُ الغلام — فاطَّرد له الحارثىّ ، وحَمَل عليه الجرّاح حملةً بجدٍّ لا يريد إلّا قتله ، فصاح به غُلامُه : إنّ الرجل جادٌّ فى قتلك ! فعَطَف عليه فضربه بالعمود على رأسه فصرَعه ، فقال لغلامه : انضَحْ على وجهه من ماءِ الإداوة ، واسقِه ؛ ففعلَ ذلك به ، فقال : يا جرّاح ، بِئْسَما ما جزَيْتَنى ، أردتُ بك العافية وأردتَ أن تُزيرنى المنيّة ! فقال : لم أرِدْ ذلك ، فقال : انطلِقْ فقد تركتُك للقرابة والعشيرة .

قال محمّد بن عمر الواقدىّ : حدّثنى ابن أبى سَبْرة ، عن صالح بن كَيْسان ، قال : قال سعيد الحَرَشىّ : أنا فى صفّ القتال يومئذ إذ خرج رجلٌ من أهل العراق ، يقال له : قدامة بن الحَريش التميمىّ ، فوقف بين الصفّين ، فقال : يا معشر جَرامِقة أهلِ الشأم ، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة رسوله ، فإن أبيتم فليَخرج إلىّ رجلٌ ، فخرج إليه رجلٌ من أهل الشأم فقتَله ، حتى قتل أربعة ، فلما رأى ذلك الحجاج أمر مناديًا فنادَى : لا يَخرج إلى هذا الكَلْب أحد ، قال : فكفّ الناس . قال سعيد الحَرَشىّ : فدنوتُ من الحجاج فقلت : أصلحَ الله الأمير ! إنك رأيتَ ألّا يَخرُج إلى هذا الكلب أحد ، وإنما هلك مَن هلك مِن هؤلاء النفر بآجالهم ، ولهذا الرجل أجَلٌ ، وأرجو أن يكون قد حضر ، فأْذن لأصحابى الذين قَدِموا معى فليخرج إليه رجل منهم ، فقال الحجّاج : إن هذا الكلب لم يزل هذا(1) له عادة

٢ / ١٠٩٢

(١) بعدها فى ب ، ف : « الدعاء » .

وقد أرعب الناس ، وقد أذنت لأصحابك ، فمن أحبَّ أن يقوم فليَقم .
فرجع سعيد الحَرشيّ إلى أصحابه فأعلمهم ، فلما نادى ذلك الرجل بالبراز بَرَز
إليه رجل من أصحاب الحَرشيّ ، فقتله قدامةُ ، فشقّ ذلك على سعيد ، وثَقُل
عليه لكلامه الحجاج ، ثم نادى قدامة : مَن يُبارِز ؟ فدنا سعيد من الحجاج ،
فقال : أصلَحَ الله الأمير ! ائذَن لى فى الخروج إلى هذا الكَلْب ، فقال :
وعندَك ذلك ؟ قال سعيد : نعم ، أنا كما تحبّ[1] ؛ فقال الحجاج : أرِنى
سيفَك ، فأعطاه إياه ، فقال الحجاج : معى سيفٌ أثقَل من هذا ، فأمر ٢/١٠٩٣
له بالسيف[2] ، فأعطاه إياه ، فقال الحجّاج – ونظر إلى سعيد فقال : ما أجوَدَ
درعَك وأقوى فرسك ! ولا أدرى كيف تكون مع هذا الكلب ! قال سعيد :
أرجو أن يُظفِرنى الله به ؛ قال الحجاج : اخرج على بَرَكة الله . قال سعيد :
فخرجتُ إليه ، فلما دنوتُ منه ، قال : قِفْ يا عدوّ الله ، فوقفتُ ، فسرّنى
ذلك منه ، فقال : اختَر إما أن تُمكِننى فأضربَك ثلاثاً ، وإما أن أمكِنك
فتضربَنى ثلاثاً ، ثم تُمكِننى . قلت : أمكِنّى ، فوَضَع صدرَه على قَرَبوسه
ثمّ قال : اضربْ ، فجمعتُ يدىّ على سَيْفى ، ثمّ ضربتُ على المِغفَر
متمكِّناً ، فلم يصنع شيئاً ، فساءنى ذلك من سيفى ومِن ضَرْبتى ، ثمّ أجمع
رأيى أن أضربَه على أصل العاتق ، فإما أن أقطع وإما أن أوهن يدَه عن ضربتِه ،
فضربتُه فلم أصنع شيئاً ؛ فساءنى ذلك ومن غاب عنى ممّن هو فى ناحية العسكر
حين بلغه ما فعلت ، والثالثةَ كذلك . ثمّ اخترط سيفاً ثم قال : أمكِنّى ،
فأمكَنْته ، فضربنى ضربةً صَرَعَنى منها ، ثم نزل عن فرسه وجلس على
صَدْرى ، وانتَزَع من خُفّيْه خِنْجراً أو سكّيناً فوضعها على حَلْقى يريد
ذَبْحى ، فقلتُ له : أنشُدُك الله ! فإنك لست مصيباً من قتلى الشرف
والذكر مثلَ ما أنت مصيب من تَرْكى ، قال : ومن أنتَ ؟ قلت : سعيد
الحَرشىّ ، قال : أوْلى يا عدوّ الله ! فانْطلِق فأعلِم صاحبك[3] ما لقيت .
قال سعيد : فانطلقتُ أسعَى حتى انتهيتُ إلى الحجاج ، فقال : كيف ٢/١٠٩٤

---

(١) ب ، ف : « كما يحب الأمير » . (٢) ب ، ف : « بسيف » .
(٣) ب ، ف : « أصحابك » .

رأيتَ ! فقلتُ : الأميرُ كان أعلَم بالأمر[١] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مِخنَف ، عن أبي يزيد[٢] ، قال : وكان أبو البَختَريّ الطائيّ وسعيد بن جُبَير يقولان : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً...﴾[٣] إلى آخر الآية ، ثم يَحمِلان حتى يُواقِعا الصّفّ.

قال أبو المُخارِق : قاتلْناهم مائةَ يوم سَوَاء أعدّها عدًّا . قال : نَزَلْنا ديرَ الجماجم مع ابن محمد غداةَ الثلاثاء لليلة مضتْ من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانين ، وهُزِمنا يوم الأربعاء لأربع عشرة مضتْ من جُمادى الآخرة عند امتداد الضّحى ومُتُوع النهار ، وما كنا قطّ أجرأ عليهم ولا هم أهوَن علينا منهم فى ذلك اليوم .

قال : خرجْنا إليهم وخرجوا إلينا يومَ الأربِعاء، لأربع عشرة مضتْ من جُمادى الآخِرة ، فقاتلْناهم عامّة النهار أحسنَ قتال قاتلناهُمُوه قَطّ ، ونحن آمنون من الهزيمة ، عالُون للقوم ، إذ خرج سُفيان بنُ الأبرد الكلبيّ فى الخيل من قِبَل ميمنة أصحابه ، حتى دنا من الأبرد بن قُرّة التميميّ ، وهو على مَيْسرة عبدِ الرحمن بن محمد ، فوالله ما قاتَلَه كبير قتال حتى انهزم ، فأنكَرها الناسُ منه ، وكان شجاعًا ، ولم يكن الفِرار له بعادة ، فظنّ الناسُ أنه قد كان أومِن ، وصُولح على أن يَنهزم بالناس ، فلما فعلها تقوّضَت الصفوفُ من نحوه ، وركِب الناس وجوههم[٤] وأخذوا فى كلّ وجه ، وصَعِد عبد الرحمن بن محمد المِنبَر ، فأخذ[٥] يُنادِى الناس : عبادَ الله ، إلىّ أنا ابنُ محمد ؛ فأتاه عبدُ الله بن رزام الحارثىّ ، فوقف تحت منبره ، وجاء عبدُ الله بن ذؤاب السُّلَمىّ فى خيل له[٦] ، فوقف منه قريبًا ، وثبت حتى دنا منه أهلُ الشأم ، فأخذتْ نَبلُهم تحوزُه ، فقال : يا بن رِزام ، احمِل على هذه الرجال والخيل ، فحمل عليهم حتى أمعنوا . ثمّ جاءت

٢ / ١٠٩٥

(١) بعدها فى ب ، ف : « منى » .
(٢) أول الحديث ص ٣٥٨ .
(٣) سورة آل عمران: ١٤٥ .
(٤) ب ، ف : « رءوسهم » .
(٥) ب ، ف : « وأخذ » .
(٦) ب ، ف : « لهم خيل » .

خيل لهم أخرى ورَجّالة ، فقال : احمل عليهم يا بن ذُؤاب ، فحمَل عليهم حتى أمعَنوا ، وثبت لا يبرَح مِنبرَه ، ودخل أهل الشأم العسكر ، فكبَّروا[١] ، فصَعِد إليه عبدُالله بن يزيد بن المغفَّل الأزديّ — وكانت مُليكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن — فقال : انزل ، فإنى أخافُ عليك إن لم تنزل أن تؤسَر ، ولعلك إن انصرفْتَ أن تجمع لهم جَمْعاً يُهلكهُم الله به بعد اليوم . فنزل وخلَّى أهل العراق العسكر ، وانهزَموا لا يلوُون على شيء ، ومضى عبدُالرحمن بنُ محمد مع ابن جَعدة بن هُبيرة ومعه أناس من أهل بيته ؛ حتى إذا حاذَوا قريةَ بنى جَعْدة بالفلّوجة دعوا بِمعبَر ، فعبَرَوا فيه ، فانتهى إليهم بِسطام بنُ مَصقَلة ، فقال : هل فى السفينة عبدُ الرحمن بن محمد ؟ فلم يكلّموه ، وظنّ أنه فيهم ، فقال :

* لا وألَتْ نفس عليها تُحاذِرُ *

ضَرَّمَ قَيْسٌ علىَّ البِلاَ ... دَ حتى إذا اضْطرَمت أجْذَمَا[٢] ٢/١٠٩٦

ثم جاء حتى انتهى إلى بيته وعليه السلاح ، وهو على فرسه لم يَنزِل عنه ، فخرجتْ إليه ابنتُه فالتزمها ، وخرج إليه أهلُه يبكون ، فأوصاهم بوصيّة وقال : لا تبكُوا ، أرأيتم إن لم أترككم ، كم عسَيتُ أن أبقَى معكم حتى أموت ! وإن أنا متّ فإن الذى رزَقكم الآن حىٌّ لا يموت ، وسيَرْزقكم بعدَ وَفاتى كما رزَقكم فى حياتى ؛ ثمّ ودّع أهلَه وخرج من الكوفة .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى الكلبىّ محمد بن السائب ، أنهم لما هُزِموا ارتفاعَ النهار حين امتدّ ومتَع ، قال : جئتُ أشتدّ ومعى الرمح والسيف والتّرس حتى بلغتُ أهلى من يومى ، ما ألقيتُ شيئاً من سلاحى ، فقال الحجاج : اتركوهم فليتبدّدوا ولا تتبعوهم ، ونادى المنادى : مَن رجع فهو آمِن . ورجع محمد بنُ مروانَ إلى الموصل ، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشأم بعد الوقعة ، وخلّيا الحجّاج والعراق ، وجاء الحجّاج حتى دخل الكوفة ، وأجلس مَصقَلة ابن كرب بن رَقَبة العبدىّ إلى جَنْبه ، وكان خطيباً ، فقال : اشتم كلّ

(١) س : «فكثروا» . (٢) من أبيات للربيع بن زياد ، ديوان الحماسة بشرح التبريزى ٢ : ٦١ .

امرئ بمافيه ممّن كُنّا أحسنا إليه، فاشتمه بقلّة شكره، ولؤم عهده؛ ومن علمتَ منه عيبًا فعبْه بما فيه، وصغّرْ إليه نفسَه. وكان لا يبايعه أحدٌ إلّا قال له: أتشهد أنك قد كفرتَ؟ فإذا قال: نعم، بايَعه وإلّا قَتَلَه، فجاء إليه رجل ٢/١٠٩٧ من خَثْعَم قد كان مُعتزِلًا للناس جميعًا من وراء الفُرات، فسأله عن حاله فقال: ما زلتُ معتَزلا وراءَ هذه النّطفة، منتظرًا أمرَ الناس حتى ظهرتَ، فأتيتُك لأبايعَك مع الناس؛ قال: أمتربّص! أتَشْهَد أنك كافر؟ قال: بئسَ الرّجل أنا إن كنتُ عبدتُ الله ثمانين سنةً ثمّ أشهد على نفسي بالكفر؛ قال: إذاً أقتُلَكَ؛ قال: وإن قتلتَني فوالله ما بقي من عُمْرى إلاّ ظِمءُ حِمار، وإني لأنتظر الموتَ صباحَ مساءَ، قال: اضربوا عنقه، فضُربتْ عنقه، فزَعموا أنه لم يبق حولَه قرشيّ ولاشأميّ ولا أحد من الحزْبَيْن إلاّ رحمه ورَثى له من القَتْل.

ودَعَا بكُميل بن زياد النَّخَعيّ فقال له: أنت المقتصّ من عثمانَ أمير المؤمنين؟ قد كنت أحبّ أن أجدَ عليك سبيلا، فقال: والله ما أدرى على أيّنا أنتَ أشدّ غضبًا؟ عليه حين أقادَ من نفسه، أم عليّ حين عفوتُ عنه؟ ثمّ قال: أيّها الرجل من ثَقيف، لا تَصرِف عليّ أنيابَك، ولا تهدَّمْ عليّ تهدُّم الكَثيب، ولا تكشِرْ كَشْرانَ الذئب، والله ما بقي من عمرى إلّا ظِمْءُ الحمار، فإنه يشرب غُدوةً ويموت عشيّة، ويشرب عشيّة ويموت غُدْوة، اقضِ ما أنتَ قاض، فإنّ الموعد اللهُ، وبعد القتل الحساب. قال الحجاج: فإنّ الحُجة عليك، قال: ذلك إن كان القضاء إليك، قال: بلى، كنتَ فيمن قتلَ عثمانَ، وخلعتَ أميرَ المؤمنين، اقتلوه. ٢/١٠٩٨ فَقُدِّم فقُتل، قَتلَه أبو الجَهْم بن كنانة الكلبيّ من بنى عامر بن عوف، ابن عمّ منصور بن جمهور.

وأتِيَ بآخرَ من بعده، فقال الحجّاج: إني أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكُفر، فقال: أَتخادِعى عن نفسي! أنا أكفَر أهلِ الأرض، وأكفَر من فرعون ذِي الأوتادِ، فضحك الحجاج وخلّى سبيلَه.

وأقام بالكوفة شهراً، وعَزَل أهلَ الشأم عن بيوت أهل الكوفة.

[هزيمة ابن الأشعث وأصحابه فى وقعة مسكن]

وفى هذه السنة كانت الوقعة بمَسْكن بين الحجّاج وابن الأشعث بعدما انهزم من دير الجماجم.

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وعن صفتها:

قال هشام: حدّثنى أبو مِخنَف، عن أبى يزيدَ السَّكْسَكىّ، قال: خرج محمّد بن سعد بن أبى وقّاص بعد وَقْعة الجماجم حتى نزل المدائن، واجتمع إليه ناسٌ كثير، وخرج عُبيد الله بنُ عبد الرّحمن بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس القُرَشىّ حتى أتى البَصرة وبها أيّوب بن الحكَم بن أبى عَقيل، ابن عمّ الحجاج، فأخذها، وخرج عبد الرّحمن بن محمد حتى قدم البَصرة وهو بها، فاجْتمَعَ الناسُ إلى عبد الرحمن ونزل، فأقبل عُبيد الله حينئذ إلى ابن محمد بن الأشعث، وقال له: إنى لم أرِد فِراقَك، وإنما أخذتها لك. وخرج الحجاج فبدأ بالمدائن، فأقام عليها خَمساً حتى هيأ الرجال فى المعَابر، فلما بلغ محمد بن سعد عبورُهم إليهم خرجوا حتى لحِقوا بابن الأشعث جميعاً. وأقبَل نحوَهم الحجاج، فخرج الناسُ معه إلى مَسكِن على دُجَيل، وأتاه أهلُ الكوفة والفُلول من الأطراف، وتَلاوم الناسُ على الفِرار، وبايع أكثرهم بِسطام بن مَصقَلة على الموت، وخَندَقَ عبدُ الرحمن على أصحابه، وبَثَق الماء من جانب، فجعل القتال من وجه واحد، وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله القَسْرىّ من خُراسان فى ناس من بَعْث الكوفة، فاقتَتَلوا خمسَ عشرةَ ليلةً[1] من شعبان أشدَّ القتال حتى قُتِل زيادُ بن غُنيم القَينىّ، وكان على مَسالِح الحجّاج، فهدّه ذلك وأصحابَه[2] هدًّا شديداً.

قال أبو مِخنَف: حدّثنى أبو جَهْضَم الأزْدىّ، قال: بات الحجّاج ليلَه كلّه يسير فينا يقول لنا: إنكم أهل الطاعة، وهم أهل المعصية، وأنتم تَسعَوْن فى رضوان الله، وهم يَسعَون فى سُخْط الله، وعادة الله عندكم فيهم

(١) ب: «خمسة عشر يوماً».
(٢) ب: «وهد أصحابه».

١٠٩٩/٢

حَسَنَة ؛ ما صدقتمُوهم فى موطِن قطّ ولا صبرتُم لهم إلّا أعقبَكم الله النصرَ عليهم والظفَر بهم ؛ فأصبِحوا إليهم عادِين جادِّين ، فإنى لست أشكّ فى النصر إن شاء الله .

٢/١١٠٠ قال : فأصبَحْنا[١] ، وقد عبّأنا فى السَّحَر ، فباكرناهم[٢] فقاتَلْناهم أشدّ قتال قاتلناهُمُوه قطّ ، وقد جاءنا عبدُالملك بن المهلب مجفّفاً ، وقد كُشفتْ خيل سُفيان بن الأبرد ، فقال له الحجاج : ضمّ إليك يا عبد الملك هذا النّشَر[٣] لعلى أحمِل عليهم ، ففعَل ، وحمل الناسُ من كلّ جانب ، فانهزم أهلُ العراق أيضًا ، وقتِل أبو البَخْتَرىّ الطائىّ وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، وقالا قبل أن يُقتَلا : إنّ الفِرار كلّ ساعة بنا لَقبيح . فأصيبا .

قال : ومشى بِسطام بن مَصقَلَة الشيبانىّ فى أربعة آلاف من أهل الحِفاظ من أهل المصرَيْن ، فكَسَروا جفونَ السيوف ، وقال لهم ابن مَصقَلَة : لو كنا إذا فررنا بأنفسنا من الموت نجوْنا منه فرَرنا ، ولكنا[٤] قد علمنا أنه نازل بنا عما قليل ، فأين المَحيد عما لا بدّ منه! ياقوم إنكم مُحِقون ، فقاتِلوا على الحقّ ، والله لو لم تكونوا على الحقّ لكان موتٌ فى عزّ خيراً من حياة فى ذُلّ . فقاتَلَ هو وأصحابُه قتالا شديداً كَشَفوا فيه أهلَ الشأم مراراً ، حتى قال الحجّاج : علىّ بالرماة لا يقاتلهم غيرُهم ، فلما جاءتْهم الرّماة وأحاطَ بهم الناس من كلّ جانب قُتلوا إلّا قليلاً ، وأخِذ بكير بن ربيعة بن ثَرْوان[٥] الضّبىّ أسيراً ، فأتِىَ به الحجاج فقتله .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى أبو الجَهْضَم ، قال : جئت بأسير كان الحجاج يعرفه بالبأس ، فقال الحجاج : يا أهل الشأم ، إنه من صُنْع الله ٢/١١٠١ لكم أنّ هذا غلام من الغِلْمان جاء بفارس أهل العراق أسيراً ، اضرب عنقَه ، فقتله .

قال : ومضى ابن الأشعث والفَلّ من المنهزِمين معه نحو سِجِسْتانَ فأتْبَعهم الحجّاج عمارة بن تميم اللخمىّ ومعه ابنه محمد بن الحجاج وعمارة أميرٌ

(١) بعدها فى ب : « إليهم » . (٢) ب : « وباكرناهم » .
(٣) النشر : القوم المتفرقون لا يجمعهم رئيس . وفى ب : « البشر » .
(٤) ب : « لكنا » . (٥) ط : « أبى ثروان » ، والصواب ما أثبته .

على القوم؛ فسار عمارة بن تميم إلى عبد الرّحمن فأدركه بالسوس، فقاتَلَه ساعةً من نهار، ثمّ إنه انهزَم هو وأصحابه فمضَوا حتّى أتَوا سابور، واجتمعت إلى عبد الرحمن بن محمد الأكرَادُ مع من كان معه من الفُلول، فقاتَلَهم عمارة بن تميم قتالا شديداً على العَقَبَة حتى جُرِح عمارة وكثيرٌ من أصحابه، ثمّ انهزم عمارة وأصحابه وخلَّوْا لهم عن العَقَبَة، ومضى عبدُالرحمن حتى مرّ بكَرمان.

قال الواقدىّ: كانت وقعة الزاوية بالبَصرة فى المحرّم سنة ثلاث وثمانين.

قال أبو مِخنَف: حدّثنى سيف بن بِشْر العِجْلىّ، عن المنخّل بن حابس العبدىّ، قال: لما دخل عبد الرحمن بن محمد كَرْمان تلقاه عَمرو بن لَقيط العبدىّ — وكان عاملَه عليها — فهيأ له نُزُلا فنَزَل، فقال له شيخ من عبد القيس يقال له مَعقِل: واللهِ لقد بلَغنا عنك يابن الأشعث أن قد كنت جبانًا، فقال عبدُالرحمن: والله ما جَبُنْتُ، والله لقد دلَفْتُ الرّجال بالرّجال، ولففتُ الخيلَ بالخيل، ولقد قاتلتُ فارسًا، وقاتلت راجلاً، وما انهزمتُ، ولا تركتُ العرْصة للقوم فى مَوْطِن حتى لا أجِد مُقاتَلا ولا أرى معى مُقاتِلا، ولكنى زاولتُ مُلْكا مؤجلا. ثمّ إنه مضى بمن معه حتى فوّز فى مَفازةِ كرْمان. ٢/١١٠٢

قال أبو مِخنَف: فحدّثنى هشام بن أيّوبَ بن عبد الرحمن بن أبى عَقِيل الثقفىّ، قال: لما مضى ابن محمد فى مفازة كرَمان وأتْبعه أهلُ الشأم دخل بعضُ أهل الشأم قصرًا فى المَفازة، فإذا فيه كتاب قد كَتَبه بعضُ أهل الكوفة من شِعْر أبى جلدة اليَشكُرىّ، وهى قصيدة طويلة:

أَيا لَهْفاً ويا حَزَناً جميعاً ... ويا حَرَّ الفؤاد لِمَا لَقِينَا!

تركنا الدّينَ والدنيا جميعاً ... وأَسلمْنا الحلائلَ والبنِينا

فما كنّا أُناساً أَهلَ دينٍ ... فَنَصبِرَ فى البلاءِ إذا ابتلينا

وما كنَّا أُناساً أَهل دنْيَا ... فنمْنَعَهَا وَلَوْ لم نرجُ دينا

تركنا دُورنا لطَغَامٍ عَكٍّ وأَنباطِ القُرَى والأَشعَرِينا(١)

ثمّ إنّ ابن محمد مضى حتى خرج على زَرَنْج مدينة سِجِستانَ ، وفيها رجل من بنى تميم قد كان عبد الرحمن استعملَه عليها ، يقال له عبد الله بن عامر البعّار من بنى مُجاشع بن دارِم ، فلما قَدِم عليه عبد الرّحمن بن محمد ٢ / ١١٠٣ منهزماً أغلَق باب المدينة دونَه ، ومنعه دخولَها ، فأقام عليها عبد الرّحمن أياماً رجاءَ افتتاحها ودخولها . فلما رأى أنه لا يصل إليها خرج حتى أتى بُسْتَ ، وقد كان استعمل عليها رجلا من بكر بن وائل يقال له عِياض بنُ هِمْيان أبو هِشام بن عياض السدوسىّ ، فاستقبلَه ، وقال له : انزِل ، فجاء حتى نزل به ، وانتظر حتى إذا غفَل أصحاب عبد الرحمن وتفرّقوا عنه وثب عليه فأوثَقَه ، وأراد أن يأمَن بهاعند الحجاج ، ويتخذ بهاعندَه مكاناً . وقد كان رُتْبيل سمع بمقدم عبد الرّحمن عليه ، فاستقبله فى جنوده ، فجاء رُتْبيل حتى أحاط ببُسْت ، ثمّ نزل وبعث إلى البكرىّ : والله لئن آذيتَه بما يُقذِى عينَه ، أو ضررته ببعض المضرّة ، أو رزأته حبْلا من شعَر لا أبرح العرْصة حتى أستنزلَك فأقتلَك وجميعَ من معك ، ثمّ أسبى ذراريَّكم ، وأقسم بين الجند أموالَكم . فأرسل إليه البكرىّ أن أعطنا أماناً على أنفسنا وأموالنا ، ونحن ندفعه إليك سالمًا ، وما كان له من مال مُوَفّراً . فصالحهم على ذلك ، وآمنهم ، ففتَحوا لابن الأشعث الباب وخلّوا سبيلَه ، فأتى رُتْبيل فقال له : إنّ هذا كان عاملى على هذه المدينة ، وكنتُ حيث ولّيته واثقاً به ، مطمئنًّا إليه ، فغدَرَ بى وركب منى ما قد رأيتَ ، فأذَنْ لى فى قتْله ، قال : قد آمنتُه وأكرَه أن أغدِر به ، قال : فأذَنْ لى فى دفْعه ولَهزِه(٢) ، والتصغير ٢ / ١١٠٤ به ، قال : أمّا هذا فنعم . ففعَل به عبدُ الرحمن بن محمد ، ثمّ مضى حتى دخل مع رُتْبيل بلاده ، فأنزله رُتْبيل عنده وأكرمه وعظّمه ، وكان معه ناس من الفَلّ كثير .

ثمّ إن عُظْم الفُلول وجماعةَ أصحاب عبد الرحمن ومن كان لا يرجو

(١) انظر : الأغانى ١١ : ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٢) اللهز : الضرب .

الأمان؛ من الرّءوس والقادة الذين نصبوا للحجّاج فى كلّ موطن مع ابن الأشعث، ولم يقبلوا أمانَ الحجّاج فى أوّل مرّة، وجهدوا عليه الجهدَ كلَّه، أقبلوا فى أثر ابن الأشعث وفى طلبه حتى سقطوا بسجستانَ، فكان بها منهم وممن تبعهم من أهل سجستان وأهل البلد نحو من ستّين ألفًا، ونزلوا على عبد الله بن عامر البعّار فحصروه، وكتبوا إلى عبد الرحمن يخبرونه بقدومهم وعددهم وجماعتهم، وهو عند رُتْبيل. وكان يصلى بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فكتبوا إليه: أن أقبِلْ إلينا لعلنا نسير إلى خُراسان، فإنّ بها منا جُنْداً عظيمًا، فلعلّهم يبايعوننا على قتال أهل الشأم، وهى بلادٌ واسعة عريضة، وبها الرّجال والحصون. فخرج إليهم عبد الرحمن بن محمد بمن معه، فحصروا عبد الله بن عامر البعّار حتى استنزلوه، فأمر به عبد الرحمن فضُرِب وعُذّب وحُبِس. وأقبل نحوَهم عمارة بن تميم فى أهل الشأم، فقال أصحابُ عبد الرحمن بن محمد لعبد الرحمن: اخرُج بنا عن سجستانَ فلندعها[1] له ونأتى خُراسان، فقال عبدُ الرحمن بن محمد: على خُراسان يزيد بن المهلب، وهو شابّ شجاع صارم، وليس بتارك لكمْ سلطانَه، ولو دخلتمُوها وجدتموه إليكم سريعًا، ولن يدع أهل الشأم اتّباعكم، فأكره أن يجتمعَ عليكم أهلُ خُراسان وأهل الشأم، وأخاف ألّا تنالوا ما تطلبون[2]، فقالوا: إنما أهل خُراسانَ منّا، ونحن نرجو أن لو قد دخلناها أن يكون من يتبعنا منهم أكثر ممن يقاتلنا، وهى أرضٌ طويلة عريضة ننتحِى[3] فيها حيث شئنا، ونمكث حتى يُهلِك الله الحجّاج أو عبد الملك، أو نرى من رأينا. فقال لهم عبد الرحمن: سيرُوا على اسم الله.

٢/١١٠٥

فساروا حتى بلغوا هَراةَ، فلم يشعُروا بشىء حتى خرج من عسكره عُبيد الله بنُ عبد الرحمن بن سَمُرة القرشىّ فى ألفين، ففارقَه، فأخذ طريقًا سوى طريقِهم، فلمّا أصبح ابن محمد قام فيهم فحمِد اللهَ وأثنى عليه، ثمّ قال:

أما بعد، فإنى قد شهدتكم فى هذه المواطن، وليس فيها مشهدَ

---

(١) ب: «ولندعها». (٢) ب: «ألا تنالوا ما تطلبونه». (٣) ب «نتنحى».

إلّا أصبر لكم فيه نفسى حتى لا يَبقَى منكم فيه أحد ، فلما رأيتُ أنكم لا تقاتلون ، ولا تَصبرون ، أتيتُ ملجأ ومأمنًا فكنتُ فيه ، فجاءتْنى كتبُكم بأن أقبِل إلينا ، فإنا قد اجتمعْنا وأمرُنا واحد ، لعلنا نقاتل عدوّنا ، فأتيتكم فرأيت أن أمضىَ إلى خُراسان وزعمتم أنكم مجتمعون لى ، وأنكم لن تفرّقوا عنى . ثمّ هذا عبيد الله بن عبد الرّحمن قد صنع ما قد رأيتم ، فحَسبى منكم يومى هذا فاصنعوا ما بدا لكم ، أما أنا فمنصرف إلى صاحبى الذى أتيتكم من قبَله ، فمن أحبّ منكم أن يتبعنى فليتبعْنى ، ومن كرِه ذلك فليذهبْ حيث أحبّ فى عياذ من الله . ٢/١١٠٦

فتفرّقتْ منهم طائفة ، ونزلتْ معه طائفة[1] ، وبقى عُظْم العسكر ، فوثَبوا إلى عبد الرحمن بن العبّاس لما انصرَف عبدُ الرحمن ، فبايعوه . ثمّ مضى ابن محمد إلى رُتْبيل ومضَوا هم إلى خُراسان حتى انتَهوا إلى هَرَاةَ ، فلقوا بها الرّقاد الأزدىّ من العَتيك ، فقَتلوه ، وسار إليهم يزيد بن المهلب .

وأما علىّ بن محمد المدائنىّ فإنه ذكر عن المفضّل بن محمد أنّ ابن الأشعث لما انهزَم من مَسكِن مضى إلى كابُل ، وأنّ عبيد الله بن عبد الرّحمن بن سَمُرة أتى هَرَاةَ ، فذمّ ابنَ الأشعث وعابَه بفراره ، وأتى عبد الرّحمن بن عباس سِجِسْتان فانضمّ إليه فَلّ ابنِ الأشعث ، فسار إلى خُراسانَ فى جمع يقال فى[2] عشرين ألفًا ، فنزَل هَرَاةَ ولقوا الرُّقّاد بن عبيد العَتَكى فقتلوه ، وكان مع عبد الرحمن من عبد القيس عبدُ الرحمن بن المنذر بن الجارود ، فأرسل إليه يزيدُ بن المهلّب : قد كان لك فى البلاد متّسعٌ ، ومن هو أكلّ منى حدًّا وأهونُ شوْكة ، فارتحِلْ إلى بلد ليس فيه سلطان ، فإنى أكره قتالَك ، وإن أحببتَ أن أمدّك بمال لسفرك أعنتُك به ؛ فأرسَلَ إليه : ما نزلنْا هذه البلادَ لمحاربة ولا لمقام ، ولكنا أردنا أن نريحَ ، ثمّ نَشخَص إن شاء الله ، وليست بنا حاجةٌ إلى ما عرضتَ . فانصرَفَ رسولُ يزيدَ إليه ، وأقبل الهاشمىّ على الجباية ، وبلغ يزيدَ ، فقال : من أراد أن يُريحَ ثمّ يجتازَ لم يجْبِ الخَراجَ ؛ فقدّم المفضّل فى أربعة آلاف — ويقال فى ستة آلاف — ٢/١١٠٧

(١) ب : « طائفة معه » . (٢) كذا فى ب .

ثمّ أتبعه فى أربعة آلاف ، ووزَن يزيدُ نفسَه بسلاحِه ، فكان أربعَمائة رطل، فقال : ما أرانى إلّا قد ثَقُلت عن الحرب، أىّ فرس يحملنى! ثمّ دعا بفرسه الكامل فركِبه ، واستخلَف على مرو خالَه جُدَيع بن يزيد، وصيّر طريقَه على مَرْوَ الرُّوذ ، فأتى قبرَ أبيه فأقام عندَه ثلاثة أيام، وأعطى مَن معه مائةَ درهم مائةَ دِرهم، ثمّ أتى هَراةَ فأرسل إلى الهاشمىّ: قد أرحْتَ وأسمنْتَ وجبَيْتَ ، فلك ما جبَيْتَ ، وإن أردتَ زيادةً زِدناك ، فاخرج فوالله ما أحِبّ أن أقاتلَك . قال : فأبى إلّا القتالَ ومعه عُبيد الله بنُ عبد الرحمن بن سَمُرة، ودسّ الهاشمىّ إلى جندِ يزيدَ يمنّيهم ويدعوهم إلى نفسِه ، فأخبر بعضهم يزيدَ ، فقال : جَلّ الأمرُ عن العتاب ، أتغدَّى بهذا قبل أن يتعشّى بى ؛ فسار إليه حتى تَدانَى العسكران ، وتأهّبوا للقتال ، وأُلقِىَ ليزيدَ كرسىّ فقعد عليه، وولّى الحربَ أخاه المفضّل ، فأقبل رجلٌ من أصحاب الهاشمىّ — يقال له خُلَيد عَيْنَيْنِ من عبد القيس — على ظَهْر فرَسه ، فرفع صوتَه فقال[1] : ٢/١١٠٨

دَعتْ يا يَزيدَ بنَ المهلَّب دَعْوَةً لها جَزَعٌ ثم استهلَّتْ عيُونُها
ولو يُسمِع[2] الداعى النِّداءَ[3] أَجابهَا بِصُمِّ القَنَا والبيض تُلْقَى جفُونُها
وقدْ فَرَّ أشرافُ العِرَاق وغادَرُوا بها بقَرًا للحيْنِ جُمًّا قُرونُها[4]

وأراد أن يحضّ يزيد ، فسكت يزيدُ طويلا حتى ظنّ الناس أن الشّعر قد حرّكه، ثمّ قال لرجل : نادِ وأسمِعْهم ، جَشّموهم ذلك ، فقال خُلَيد :

لبئس المنادِى والمنوَّهُ باسمِه تُنَادِيهِ أبكارُ العِراقِ وعُونُها
يَزيدُ إذا يُدعَى لِيَوْم حَفيظَةٍ ولا يَمْنَعُ السَّوْآتِ إلاَّ حُصُونها
فإنّى أراه عن قليلٍ بنفسِهِ يُدانُ كما قد كان قَبْلُ يَدِينُها
فلا حُرَّةٌ تَبكِيهِ لكنْ نوائحٌ تُبكّى عليه البُقْعُ منها وَجُونُها

---

(١) ب : « وقال » . (٢) ر : « تسمع » .
(٣) ب : « يزيد » . (٤) ب : « بها نفر » .

فقال يزيدُ للمفضّل: قدّم خيلَك ، فتقدّم بها ، وتهايَجوا فلم يكن بينهم كبيرُ قتال حتى تفرّق الناس عن عبد الرحمن ، وصبر وصبرتْ معه طائفةٌ من أهل الحفاظ ، وصبر معه العبديّون ، وحمل سعد بن نجد القُرْدوسيّ على حُلَيس[1] الشيبانيّ وهو أمام عبد الرحمن ، فطعنه حُلَيس فأذراه عن فرسه ، وحماه أصحابُه ، وكثرهم الناس فانكشفوا ، فأمر يزيدُ بالكَفّ عن اتباعهم ، وأخذوا ما كان في عسكرهم ، وأسَروا منهم أسرَى ، فولى يزيدُ عطاءَ بنَ أبي السائب العسكر ، وأمَرَه بضمّ ما كان فيه ، فأصابوا ثلاثَ عشرةَ امرأة ، فأتوا بهن يزيدَ ، فدفعهنّ إلى مرّة بن عطاء بن أبي السائب ، فحملَهنّ إلى الطَّبَسَين ، ثمّ حملهنّ إلى العراق . وقال يزيد لسعد بن نجد: مَن طعنَك ؟ قال : حليس الشيبانيّ ، وأنا والله راجلا أشدّ منه وهو فارس . قال : فبلغ حُليسًا ، فقال : كذب والله ، لأنا أشدُّ منه فارسًا وراجلاً . وهرب عبد الرحمن بنُ منذر بن بِشر بن حارثة فصار إلى موسى بن عبد الله بن خازم . قال : فكان في الأسرى محمد بن سعد بن أبي وقّاص ، وعمرو بن موسى بن عبيد الله بن معَمر ، وعيّاش بن الأسوَد بن عوف الزّهريّ والهلقام بن نُعيم بن القَعقاع بن مَعبد بن زُرارة ، وفَيروز حصين ، وأبو العِلْج مولَى عُبيدِ الله بن معمَر ، ورجل من آل أبي عقيل ، وسَوّار بن مروان ، وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خلَف ، وعبد الله بن فَضالة الزّهرانيّ. ولحق الهاشميّ بالسِّند ، وأتى ابنُ سَمُرة مروَ ، ثمّ انصرف يزيدُ إلى مروَ وبعث بالأسرى إلى الحجاج مع سَبْرة بن نَخْف بن أبي صُفْرة ، وخلى عن ابن طلحة وعبدِ الله بن فضَالة ، وسعى قومٌ بعُبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة ، فأخذه يزيدُ فحبسه .

٢ / ١١٠٩

٢ / ١١١٠

وأمّا هشام فإنه ذكر أنه حدّثه القاسم بن محمد الحضرميّ ، عن حفص ابن عمرو بن قبَيصة ، عن رجل من بني حنيفة يقال له جابر بن عمارة ، أنّ يزيدَ بنَ المهلب حبس عندَه عبدَ الرحمن بن طلحة وآمنَه ، وكان الطلحيّ قد آلَى على يمينٍ ألا يرَى يزيدَ بنَ المهلب في موقف إلّا أتاه حتى يقبّل يدَه شكراً لما أبْلاه . قال : وقال محمد بن سعد بن أبي وقاص ليزيدَ : أسألك

(١) ب : « حلبس » .

بدعوةِ أبى لأبيك ! فخلَّى سبيلَه . ولقول محمد بن سعد ليزيدَ : « أسألك بدعوةِ أبى لأبيك » حديثٌ فيه بعضُ الطول .

قال هِشام : حدّثنى أبو مِخْنَف ، قال : حدّثنى هشام بن أيّوب بن عبد الرحمن بن أبى عَقِيل الثقفىّ ، قال : بعث يزيد بن المهلب ببقية الأسرى إلى الحجاج بن يوسفَ؛ بعمَر بن موسى بن عُبيد الله بن مَعمَر، فقال :

٢/ ١١١١ أنت صاحبُ شرطة عبد الرحمن ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! كانت فتنةٌ شملت البَرَّ والفاجر ، فدخلنا فيها ، فقد أمكنَكَ الله منا ، فإنْ عفوتَ [١]فبحلمك وفضلك[١] ، وإن عاقبْتَ عاقبتَ ظَلَمَةً مذنبين ، فقال[٢] الحجّاج : أما قولك : « إنها شملتِ البرّ والفاجرَ » فكذبتَ، ولكنها شملت الفُجّارَ ، وعُوفىَ منها الأبرار ، وأما اعترافك بذَنبك فعسى أن ينفَعك . فعُزِل ، ورجا الناس له العافية حتى قَدِم بالهلقام بن نعيم ، فقال له الحجاج : أخبِرْنى عنك ، ما رجوتَ من إتباع عبد الرحمن بن محمد ؟ أرجوتَ أن يكون خليفةً ؟ قال : نعم ، رجوتُ ذلك ، وطمعت[٣] أن يُنزلنى منزلتَك من عبد الملك، قال : فغضب الحجاج وقال : اضربوا عنقَه ، فقُتل . قال : ونظر إلى موسى بن عمر بن عبيد الله بن مَعمَر وقد نُحِّى عنه فقال : اضربُوا عُنقَه ، وقتل بقيّتهم. وقد كان آمن عَمرو بن أبى قرّة الكندىّ ثمّ الحجْرىّ وهو شريف وله بيتٌ قديم ، فقال : يا عمرو ، كنت تُفضى إلىّ وتحدّثنى أنك ترغب عن ابن الأشعث وعن الأشعث قبله ، ثمّ تبعتَ عبد الرّحمن بن محمد بن الأشعث ؛ والله ما بك عن اتّباعهم رغبةٌ ، ولا نَعمةَ عين لك ولا كرامة .

قال : وقد كان الحجاجُ حين هُزِم الناس بالجماجم نادى مناديه :

٢/ ١١١٢ مَن لحِق بقتَيْبة بن مسلم بالرىّ فهو أمانُه ، فلحق ناسٌ كثير بقتيبة [٤]، وكان [٥] فيمن لحق به عامر الشّعبىّ ، فذكر الحجّاجُ الشعبىَّ يومًا فقال : أين هو ؟ وما فعل ؟ فقال له يزيد بنُ أبى مسلم : بلغنى أيها الأمير أنه لحق بقتيبة بن مسلم بالرّىّ ، قال : فابعث إليه فلنُؤتَ[٦] به،

(١ – ١) ب : « فبفضلك وحلمك » . (٢) بعدها فى ب : « له » .
(٣) ب : « فطمعت فيه » . (٤) ب : « بأرض قتيبة » .
(٥) ب : « فكان » . (٦) ر : « فليؤت » .

فكَتَبَ الحجّاج إلى قتيبة : أمّا بعد ، فابعث إلىّ بالشعبىّ حين تَنظُر فى كتابى هذا ؛ والسّلام عليك ؛ فسُرّح إليه .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى السرّىّ بن إسماعيل عن الشعبىّ ، قال : كنتُ لابن أبى مسلم صَديقًا ، فلما قُدِمَ بى[1] على الحجاج لقيتُ ابن أبى مسلم فقلتُ : أشِرْ علىّ ؛ قال : ما أدرى ما أشيرُ به عليك[2] غير أن أعتَذِر ما استطعت من عذر[3] ! وأشار بمثلِ ذلك علىّ نُصَحائى وإخوانى ، فلما دخلتُ عليه رأيتُ واللهِ غيرَ ما رأوا لى ، فسلّمت عليه بالإمرة[4] ثم قلت : أيّها الأمير ، إنّ الناس قد أمرونى أن أعتذرَ إليك بغير ما يَعلم الله أنه الحقّ ، وايمُ الله لا أقول فى هذا المقام إلّا حقًّا ، قد والله سوّدنا[5] عليك ، وحرّضنا وجهدنا عليك كلّ الجهد ، فما آلونا[6] ، فما كنا بالأقوياء الفَجَرة ، ولا الأتقياء[7] البرَرَة ، ولقد نصرك اللهُ علينا ، وأظفرَك بنا ، فإن سطوتَ فبذُنوبنا وما جرّت إليه أيدينا ، وإن عفوتَ عنا فبحلمك ، وبعد الحجة[8] لك علينا ، فقال له الحجاج : أنت والله أحبّ إلىّ قولا ممن يدخل علينا يَقطر سيفُه من دمائنا ثمّ يقول : مافعلتُ ولاشهدتُ ؛ قد أمِنتَ عندنا يا شَعبىُّ ، فانصرِفْ. قال : فانصرفتُ ، فلما مَشَيتُ قليلا قال : هلمّ يا شعبىّ ؛ قال : فوَجِل لذلك قلبى ، ثمّ ذكرتُ قولَه : «قد أمِنْت يا شَعبىّ» ، فاطمأنت نفسى ، قال : كيف وجدتَ الناس يا شَعبىّ بعدنا ؟ قال — وكان لى مكرمًا : فقلتُ : أصلَح اللهُ الأمير ! اكتحلتُ واللهِ بعدَك السّهَر ، واستوعَرْتُ الجَناب ، واستحلَسْتُ الخوف ، وفقدْتُ صالح الإخوان ، ولم أجد من الأمير خَلَفاً . قال : انصرِف يا شَعبىّ ، فانصرَفْتُ .

٢ / ١١١٣

قال أبو مِخنَف : قال خالد بن قَطَن الحارثىّ : أتِىَ الحجّاجُ بالأعشى ، أعشىَ هَمْدانَ ، فقال : إيهِ ياعَدُوَّ الله ! أنشِدْنى قولَك : « بين الأشجّ وبين

---

(١) ب : « قدمت » . (٢) ب : « عليك به » . (٣) ب : « بعذر » .

(٤) ر : « فلما دخلت عليه سلمت » . (٥) ب : « تمردنا » . (٦) ب : « وما آلونا » .

(٧) ب : « ولا بالأتقياء » .

(٨) ب : « فالحجة » .

قيس » ، أنفِذْ بيتَك ، قال : بل أنشُدك ما قلتُ لك ؛ قال : بل أنشدْنى هذه ؛ فأنشَدَه :

أَبى اللهُ إلا أَن يُتَمِّمَ نُـورَهُ ... ويُطْفِئَ نُورَ الفَاسِقِينَ فَيَخْمُدا[1]

ويُظهِرَ أَهْلَ الحَقِّ فى كلِّ مَوْطِنٍ ... ويُعْدِلَ وقْعَ السَّيْفِ من كان أَصيَدا

٢/١١١٤ ويُنْزِلَ ذُلّا بالعِرَاقِ وأَهـلِهِ ... لِما نَقَضُوا العَهْدَ الوثيقَ الموكَّدَا[2]

وما أَحْدَثوا مِنْ بِدْعَةٍ وعظيمةٍ[3] ... من القوْلِ لم تَصْعدْ إلى اللهِ مَصْعدا[4]

وما نكَثوا مِنْ بَيْعةٍ بعْد بَيْعَـةٍ ... إذَا ضَمِنُوها اليَوْمَ خَاسُوا بها غَدَا

وجُبْناً حشَاهُ رَبهُمْ فى قلوبِهِمْ ... فما يقْرِبُونَ الناس إلا تَهدُّدا

فلَا صِدْقَ فى قَولٍ ولا صَبْرَ عِندَهمْ ... ولكِنَّ فخرًا فيهِمُ وتَزيُّدا

فكَيْفَ رأَيت اللهَ فَرَّقَ جَمْعَهُمْ ... ومَزَّقهُمْ عَرْضَ البلادِ وشرَّدَا !

فَقَتْلَاهمِ قَتلَى ضَلَالٍ وفتْنةٍ ... وحيُّهُمُ أَمسى ذَلِيلا مُطرَّدا[5]

ولما زَحَفْنَا لابنِ يُوسُفَ غُـدْوةً[6] ... وأَبْرَقَ مِنّا العَارِضَانِ وأَرْعَدا

٢/١١١٥ قَطَعْنَا إليه الخندقَين وإِنَّما ... قطَعْنا وأَفضينا إلى الموت مُرْصِدا[7]

فكافَحَنَا الحجّاجُ دُونَ صُفُوفِنَا[8] ... كِفاحاً ولَمْ يضْرِبْ لذلك مَوْعِدَا

بِصَفٍّ كأَنَّ البَرقَ فى حَجَرَاتِهِ ... إذا ما تجَلَّى بيْضُهُ وتوقّـدا

دلفْنَا إليه فى صُفُوفٍ كأَنَّها ... جِبَالُ شَرَوْرَى لو تُعـانُ فتَنْهَدا

فما لَبثَ الحجّاجُ أَنْ سَلَّ سَيْفَهُ ... علينَا فولَّى جَمْعُنا وتَبَدَّدَا

وما زاحَفَ الحجّاجُ إلا رأَيْتَهُ ... مُعَـاناً مُلَقًّى لِلْفتُوحِ مُعَوَّدَا

---

(١) الأغانى ٦ : ٥٩ — ٦١ ، المسعودى ٣ : ١٦٢

(٢) الأغانى : « كما نقضوا » . (٣) المسعودى : « وضلالة » .

(٤) ابن الأثير : « لم يصعد » . (٥) ابن الأثير : « وجيشهم أمسى » .

(٦) الأغانى : « ضلة » . (٧) مرصداً : مترقباً .

(٨) الأغانى : « فصادفنا الحجّاج » .

وإنَّ ابْنَ عباسٍ لفى مرجَحِنَّةٍ نُشبّهُهَا قِطْعاً من الليْل أَسْوَدا
فما شَرَعُوا رُمْحاً ولا جَرَّدُوا له ألا رُبَّمَا لاقى الجَبانُ فَجَرَّدا ٢/١١١٦
وكرَّتْ عَلَيْنَا خَيْلُ سُفيْانَ كَرَّةً بفُرْسانها والسَمْهَرِىِّ مُقَصدَا
وسُفْيَان يَهْدِيها كأَنَّ لواءَهُ من الطعن سِندٌ باتَ بالصِّبغ مُجْسدَا
كُهولٌ ومُرْدٌ مِنْ قُضاعَةَ حَوْلَهُ مَسَاعيرُ أَبطال إذا النِّكْسُ عَرَّدا
إذا قال شُدُّوا شَدَّةً حملوا مَعًا فأَنْهَلَ خِرْصانَ الرِّماح وأَوردَا
جُنُودُ أَمير المؤمنينَ وخَيْلهُ وسلطَانُهُ أمسى عزيزًا مؤيَّدَا
فيَهْنِى أَميرَ المؤمنينَ ظُهُورُه على أمّة كانوا بُغاةً وحُسّدا
نزَوْا يَشتكونَ البغْىَ من أمرائِهمْ وكانوا هُمُ أَبغَى البغاةِ وأَعنَدَا
وجَدْنا بَنِى مروَانَ خَيْرَ أَئمّةٍ وأَفضلَ هذِى النّاسِ حِلْماً وسُودَدا
وخَيْرَ قُريشٍ فى قريش أَرُومَةً وأَكرمَهمْ إلا النبىَّ مُحَمّدا ٢/١١١٧
إذَا ما تَدَبَّرنَا عَواقِبَ أَمرهِ وَجَدْنا أَمير المؤمنين مُسَدَّدَا
سيُغلَب قوم غالبُوا الله جَهرةً[1] وإن كايَدُوهُ كانَ أَقوَى وأَكْيَدا
كذاك يضِلُّ اللهُ من كان قلبُه مريضاً ومَنْ وَالى النِّفَاقَ وأَلْحدَا
فقد تركوا الأَهلِينَ والمالَ خلفَهُمْ وَبيضاً عليهنَّ الجلابيب خُرَّدَا
يُناديِنهم مُسْتَعْبِراتٍ إليهِمِ ويُذْرِينَ دَمعاً فى الخُدُودِ وإثمِدَا
فإلّا تُناوِلْهُنَّ مِنكَ برحْمةٍ يكنَّ سَبايَا والبُعُولَةُ أعبُدَا
أَنَكثًا وعِصْيَاناً وغَدْرًا وذِلّةً أَهان الإلٰهُ من أَهانَ وأَبْعَدَا
لقد شَأَم المِصْريْنِ فَرْخُ مُحَمدٍ بحقّ وما لاقى من الطَير أَسْعدَا[2]

---

(١) الأغانى : « سيغلب قوماً » .

(٢) رواية الأغانى :

لَقَدْشِمْتَ يابنَ الأَشعثِ العام مِصْرَنا فظلّوا وما لاقوا من الطَّير أسعُدَا

٢/١١١٨ كما شأَمَ اللهُ النُّجَيْرَ وأهلَهُ بجَدٍّ لهُ قد كانَ أشقى وأنكدَا

فقال أهل الشأم : أحْسَنَ ، أصلح الله الأمير ! فقال الحجّاج : لا ، لم يحْسن ، إنكم لا تدرون ما أراد بها ، ثمّ قال : يا عدوّ الله ، إنا لسنا نحمَدُكَ على هذا القول ، إنما قلت : تأسُّفَ ألا يكون ظَهَرَ وظَفِر ، وتحريضاً لأصحابك علينا ، وليس عن هذا سألناك ، أنفِذْ لنا قولَك :

* بيْنَ الأشجّ وبيْنَ قيْسٍ باذخٌ * [1]

فأنفَذَها ، فلما قال :

* بَخْ بخْ لوالِدِه وَللمَوْلودِ *

قال الحجاج : لا والله لا تُبَخْبِخ بعدَها لأحد أبداً ، فقدّمه فضرَب عُنقَه .

وقد ذُكر من أمر هؤلاء الأسرى الذين أسَرَهم يزيدُ بن المهلب ووجّههم إلى الحجّاج ومن فُلول ابن الأشعث الذين انهزَموا يومَ مسكِنٍ أمرٌ غيرَ ما ذكره أبو مِخنَف عن أصحابه . والذى ذُكِر عنهم من ذلك أنه لما انهزم ابنُ الأشعث مضى هؤلاء مع سائر الفَلّ إلى الرّىّ ، وقد غلب عليها عُمر بن

٢/١١١٩ أبي الصّلت بن كنارا مولى بنى نَصْر بن معاوية ، وكان من أفرَس الناس ، فانضمّوا إليه ، فأقبَل قتيبةُ بن مُسلم إلى الرّىّ من قِبَل الحجاج وقد ولاّه عليها . فقال النفرُ الذين [2] ذكرت أنّ يزيد بن المهلّب وجّههم إلى الحجاج مقيّدين وسائر فلّ ابن الأشعث الذين صاروا إلى الرىّ لعمرَ بن أبي الصّلت : نولّيك أمرَنا وتحارب بنا قتيبة ؛ فشاور عُمر أباه أبا الصّلت ، فقال له أبوه : والله يا بُنَىّ ما كنتُ أبالى إذا سار هؤلاء تحت لوائك أن تُقتَل من غد . فعقد لواءه ، وسار فهُزِم وهُزِم أصحابه ، وانكشفوا إلى سجِستانَ ، واجتمعتْ بها الفُلول ، وكتبوا إلى عبد الرحمن بن محمد وهو عند رُتْبيل ، ثمّ كان من أمرهم وأمرِ يزيدَ بن المهلب ما قد ذكرتُ .

---

(١) المسعودى ٣ : ١٦٣ .

(٢) ب : « الذى » .

وذكَر أبو عُبيدة أنّ يزيدَ لما أراد أن يوجّه الأسرى إلى الحجّاج قال له أخوه حبيب : بأىّ وجه تَنظر إلى اليمانية وقد بعثت ابن طلحة ! فقال يزيدُ : هو الحجاج ، ولا يُتعرّض له ! وقال : وَطِّن نفسَك على العَزْل ، ولا تُرسل به ، فإنّ له عندنا بلاءً ، قال : وما بلاؤه ؟ قال لُزِم المهلب فى مسجد الجماعة بمائتى ألف ، فأدّاها طلحة عنه . فأطلَقه ، وأرسل بالباقين ، فقال الفرزدق :

وَجَد ابنُ طلحةَ يومَ لاقى قومَه قَحطانَ يوم هَراةَ خيرَ المعشَرِ

وقيل : إنّ الحجاج لما أُتِى بهؤلاء الأسرى من عند يزيد بن المهلب قال لحاجبه : إذا دعوتُك بسيّدهم فأتنى بفَيْرُوز ، فأبرز سريره — وهو حينئذ بواسِط القَصَب قبل أن تُبنَى مدينة واسِط — ثمّ قال لحاجبه : جئنى بسيّدهم ؛ فقال لفَيْروز : قم ؛ فقال له الحجاج : أبا عثمان ، ما أخرَجك مع هؤلاء ؟ فوالله ما لحمُك من لحومِهم ، ولا دَمُك من دمائهم ! قال : فتنةٌ عمّت الناس ، فكنّا فيها ، قال : اكتبْ لى أموالَك ، قال : ثمّ ماذا ؟ قال : اكتبها أوّل ؛ قال : ثمّ أنا آمِن على دمى ؟ قال : اكتبها ، ثمّ أَنظُر ؛ قال : اكتبْ يا غلام ، ألف ألف ألفىْ ألف ، فذَكَر مالاً كثيراً ، فقال الحجاج : أين هذه الأموال ؟ قال : عندى ، قال : فأدّها ؛ قال : وأنا آمِن على دمى ؟ قال : والله لتؤدّينها ثمّ لأقتلنك ؛ قال : والله لا تَجمَع مالى ودمى ، فقال الحجاج للحاجب : نَحِّه ، فنحّاه .

٢ / ١١٢٠

ثمّ قال : ائتنى بمحمد بن سعد بن أبى وقّاص ، فدعاه ، فقال له الحجاج : إيهاً ياظِلّ الشيطان أعظمَ الناس تِيهًا وكِبراً ، تأبَى بيعةَ يزيد بن معاوية ، وتشبّه بحسين وابن عُمر ، ثمّ صرتَ مؤذنًا لابن كنارا[1] عبد بنى نصر — يَعْنى عمر بن أبى الصَّلت — وجعل يَضرِب بعُود فى يده رأسَه حتى أدماه ؛ فقال له محمد : أيها الرجل ، مَلَكتَ فأسجحْ ! فكَفّ يدَه ، فقال : إن رأيتَ أن تكتبَ إلى أمير المؤمنين فإن جاءك عفوٌ كنتَ شريكًا فى ذلك محموداً ، وإن جاءك غيرُ ذلك كنتَ قد أعذَرتَ . فأطرق مَلِيًّا ثمّ قال : اضرب عنقَه ، فضُربت عنُقه .

---

(١) ط : « كناز » ، وانظر التصويبات .

٢/١١٢١ ثمّ دعا بعمرَ بن موسى فقال : يا عبدَ المرأة ، أتقوم بالعَمود على رأس ابن الحائك[1] ، وتَشرَب معه الشراب فى حمّام فارسَ ، وتقول المقالَة التى قلت ! أين الفرزدق ؟ قم فأنشِدْه ما قلت فيه ، فأنشَدَه :

خَضَبْتَ أيْرَكَ للزِّناءِ ولم تكنْ يومَ الهِيَاجِ لِتَخْضِبَ الأَبطالَا

فقال : أما والله لقد رفعتُه عن عقائلِ نِسائلك ، ثمّ أمَر بضَرْب عنقه .

ثمّ دعا ابنَ عبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة ، فإذا غلام حَدَث ، فقال : أصلَحَ الله الأمير ! ما لى ذنبٌ ، إنما كنت غلامًا صغيراً مع أبى وأمى لا أمرَ لى ولا نَهْى ، وكنت معهما حيث كانا ، فقال : وكانت أمُّك مع أبيك فى هذه الفِتَن كلّها ؟ قال : نعم ، قال : على أبيك لعنةُ الله .

ثمّ دعا بالهِلْقام بن نعيم فقال : اجعل ابنَ الأشعث طلَبَ ما طلَب ، ما الذى أمّلت أنتَ معه ؟ قال : أمّلتُ أن يملك فيولّينى العراقَ كما ولّاك عبدُ الملك . قال : قم يا حَوْشَب فاضربْ عنقَه ، فقام إليه ، فقال له الهِلْقام : يا بن لقيطة[2] ، أتَنْكَأ القرح ! فضرب عنقه .

ثمّ أُتِىَ بعبد الله بن عامر ، فلما قام بين يديه قال : لا رأتْ عيناك ياحجّاج الجنة إن أقلتَ ابنَ المهلب بما صَنَع . قال : وما صَنَع ؟ قال :

لأنَّه كاس فى إطلاقِ أُسرتِهِ وقادَ نحوكَ فى أغلالها مُضَرَا

وَقَى بقومِكَ ورد الموتِ أسرتَه وكان قومُك أدنى عندَه خَطَرا

فأطْرَق الحجّاج مَلِيًّا ووَقرتْ فى قلبه ، وقال : وما أنتَ وذاك ! اضرِب عنقَه . فضُربتْ عنقُه . ولم تزل فى نفس الحجّاج حتى عَزَلَ يزيدَ عن

٢/١١٢٢ خُراسانَ وحبَسه .

ثمّ أمر بفَيْروزَ فعذّب ، فكان فيما عُذّب به أن كان يُشدّ عليه القصب الفارسىّ المشقوق ، ثم يجرّ عليه حتى يخرّق جسدَه ، ثم يُنْضَح عليه الخَلّ والمِلح ، فلما أحسّ بالموت قال لصاحب العذاب : إن الناس لا يَشُكّون أنى قد قُتلتُ ، ولى ودائع وأموال عند الناس ، لا تؤدَّى

(١) ابن الحائك ، هو محمد بن الأشعث ، وكان يعير بذلك .

(٢) كذا فى ب ، س ، وفى ط : « لطيفة » .

إليكم أبداً ، فأظهِرونى للناس لِيعلَموا أنى حىّ فيؤدّوا المالَ . فأعلِم الحجّاج، فقال : أظهروه، فأخرِج إلى باب المدينة ، فصاحَ فى الناس : مَن عرَفَنى فقد عرَفَنى ، ومن أنكرَنى فأنا فيروزُ حصين ؛ إنّ لى عند أقوام مالاً ، فمن كان لى عندَه شىء فهو له ، وهو منه فى حِلّ ، فلا يؤدينّ منه أحد درهمًا، ليُبلّغ الشاهدُ الغائبَ . فأمر به الحجاج فقُتِل. وكان ذلك ممّا روَى الوليدُ بنُ هشام بن قحذم ، عن أبى بكر الهُذَلىّ .

وذكر ضَمْرة بن ربيعة، عن أبى شَوْذب، أنّ عمّال الحجّاج كتبوا إليه: إنّ الخَراج قد انكسر ، وإنّ أهلَ الذّمة قد أسلموا ولَحقوا بالأمصار ، فكتَب إلى البَصْرة وغيرِها أنّ من كان له أصلٌ فى قرية فليخرج إليها . فخرج الناسُ فعسكَروا، فجعلوا يَبكون ويَنادُون : يا محمّداه يا محمّداه! وجعلوا لا ـ ـون أين يذهبون! فجعل قرّاء أهل البصرة يخرجون إليهم متقنّعين فيبكون لِما يَسمعون منهم ويَروْن . قال : فقدِمَ ابنُ الأشعثِ على تَفيِئة ذلك ، واستبْصَر قرّاء أهلِ البَصْرة فى قتال الحجّاج مع عبد الرحمن ابن محمّد بن الأشعث . ١١٢٣/٢

وذكر عن ضَمرة بن ربيعَة عن الشيْبانىّ ، قال : قتَل الحجاجُ يوم الزاوية أحدَ عشر ألفًا ، ما استحيَا منهم إلّا واحداً، كان ابنهُ فى كُتّاب الحجاج ، فقال له : أتحبّ أن نَعفوَ لك عن أبيك؟ قال : نعم ، فتركَه لابنه ؛ وإنما خدعَهم بالأمان، أمر مناديًا فنادى عند الهزيمة : ألا لا أمانَ لفلان ولا فلان، فسمّى رجالا من أولئك الأشراف ، ولم يَقل: الناس آمنون، فقالت العامّة : قد آمَن الناس كلهم إلّا هؤلاء النفَر ، فأقبلوا إلى حُجرْته فلما اجتمعوا أمرَهم بوَضْع أسلِحتِهم ، ثم قال : لآمرنّ بكم اليومَ رجلا ليس بينكم وبينه قرابة ، فأمر بهم عُمارة بن تميم اللخمىّ فقرّبهم فقتَلهم .

ورُوِى عن النّضر بن شُميل ، عن هشام بن حسّان ، أنه قال : بلغ

---

(١) ب : « فانتصر » .

ما قَتَلَ الحجّاجُ صبراً مائةٌ وعشرين ، أو مائةٌ وثلاثين ألفاً .

وقد ذُكر فى هزيمة ابن الأشعث بمَسكِن قولٌ غيرُ الذى ذكره أبو مخنَف ؛ والذى ذُكِر من ذلك أنّ ابن الأشعث والحجّاج اجتمَعا بمَسكِن من أرض أبزقباذ ، فكان عسكرُ ابن الأشعث على نهر يُدعَى خداش مؤخّر النهر ، نهر تِيرَى ، ونزل الحجاج على نهر أفريذ والعسكران جميعًا بين دِجلَة والسَّيْب والكَرْخ ، فاقتتَلوا شَهْراً — وقيل : دون ذلك — ولم يكن الحجّاج يَعرِف إليهم طريقًا إلّا الطريق الذى يلتَقُون فيه ، فأُتِىَ بشَيْخ كان راعيًا يُدعَى زَوْرَقًا ، فدلّه على طريق من وراءِ الكَرْخ طولُه ستّة فراسخ ، فى أجَمة وضَحْضاح من الماء ، فانتخب أربعة آلاف من جِلّة أهلِ الشأم ، وقال لقائدهم : لِيكُن هذا العِلْج أمامَك ، وهذه أربعةُ آلافِ دِرْهم معك ، فإن أقامَكَ على عسكرهم فادفع المالَ إليه ، وإن كان كَذِبًا فاضربْ عنقَه ، فإن رأيتَهم فاحملْ عليهم فيمن معك، وليكنْ شِعارُكم : يا حجّاج يا حجّاج. فانطلق القائدُ صلاةَ العصر ، والتَقَى عسكرُ الحجاج وعسكرُ ابن الأشعث حين فَصَل القائد بمن معه ، وذلك مع صلاة العصر ، فاقتَتَلوا إلى الليل ، فانكشف الحجّاج حتى عبر السَّيب — وكان قد عقده — ودخل ابنُ الأشعث عسكرَه فانتَهبَ ما فيه ، فقيل له: لو اتبعتَه ُ؟ فقال : قد تعبنا ونَصِبْنا ، فرَجَع إلى عسكرِه فألقَى أصحابُه السلاحَ ، وباتوا آمِنين فى أنفسِهم لهم الظَّفَر . وهجم القومُ عليهم نصفَ الليل يصيحون بشِعارهم ، فجعل الرجلُ من أصحاب ابن الأشعث لا يدرى أين يتوجّه ! دُجَيل عن يساره ودِجلة أمامَه ، ولها جُرْف منكَر ، فكان منَ غَرِق أكثر ممن قُتِل . وسمع الحجاج الصوتَ فعبر السَّيبَ إلى عسكره، ثمّ وجّه خيلَه إلى القوم فالتقى العسكران على عسكر ابن الأشعث ، وانحازَ فى ثلثمائة ، فمضى على شاطئ دِجلةَ حتى أتى دُجَيلا فعبرَه فى السفن ، وعَقَروا دوابَّهم ، وانحدَروا فى السفن إلى البَصْرة ، ودخل الحجاج عسكرَه فانتهب ما فيه ، وجعل يقتُل مَن وجد حتى قتَل أربعةَ آلاف ؛ فيقال : إنّ فيمن قُتِل عبد الله

٢/١١٢٤

٢/١١٢٥

ابن شدّاد بن الهاد ؛ وقتل فيهم بِسْطام بن مَصْقلَة بن هُبيرة ، وعمر (١) ابن ضُبيْعة الرّقاشيّ ، وبشر بن المنذر بن الجارود والحكَم بن مَخرَمة العبديَّيْن ، وبُكَير بن ربيعة بن ثَرْوان الضّبيّ ؛ فأُتِي الحجاجُ برءوسهم على تُرْس ، فجعل يَنظُر إلى رأس بِسطامَ ويتمثّل :

إذا مرَرْتَ بوادِي حَيَّةٍ ذَكَرٍ فاذهبْ ودَعْني أقاسي حيةَ الوادِي

ثم نظر إلى رأس بُكَير ، فقال : ما ألقى هذا الشقيّ مع هؤلاء . خُذْ بأذنه يا غلام فألقِه عنهم . ثمّ قال : ضَعْ هذا الترس بين يدىْ مسمَع بن مالك ابن مِسمَع ، فوُضع بين يديه ، فبكى ، فقال له الحجّاج : ما أبكاك ؟ أحزنًا عليهم ؟ قال : بل جزَعًا لهم من النار .

* * *

[ذكر خبر بناءِ مدينة واسط]

وفي هذه السنة : بَنَى الحجّاج واسطاً ، وكان سبب بنائه ذلك – فيما ذُكِر – أنّ الحجاج ضرب البَعْث على أهل الكوفة إلى خُراسان ، فعسكروا بحمّام عُمر . وكان فتًى من أهل الكوفة من بني أسَد حديثُ عَهد بعُرس بابنة عمّ له ، انصرف من العسكر إلى ابنة عمّه ليلًا ، فطرق البابَ طارقٌ ودقّه دقًّا شديداً ، فإذا سكرانُ من أهل الشأم ، فقالت للرجل ابنةُ عمّه : لقد لقينا من هذا الشأمي شرًّا ، يفعل بنا كلّ ليلة ما ترَى ، يريد المكروهَ ، وقد شكوته إلى مشيخة أصحابه ، وعرَفوا ذلك(٢) ، فقال : ائذنوا له ، ففعلوا ، فأغلق البابَ ، وقد كانت المرأة نجّدت منزلها وطيّبتْه ، فقال الشاميّ : قد آن لكم ، فاستقنأه الأسديّ ، فأندرَ رأسَه (٢) ، فلما أذّن بالفجْر خرج الرّجل إلى العسكر وقال لامرأته : إذا صلّيت الفجر فابعثي إلى الشاميّين أن أخرِجوا صاحبكم ، فسيأتون بكِ الحجاجَ ، فاصدقيه الخبرَ على وجهه ؛ ٢/١٢٦

(١) ابن الاثير : «عمرو» .

(٢ – ٢) ابن الأثير : «فقال لها زوجها : ائذني له ، فأذنت له ، فقتله زوجها» . وفي اللسان : «أقنأت الرجل : حملته على القتل» .

ففعلتْ ، ورُفع القتيلُ إلى الحجاج ، وأدخلت المرأة عليه وعنده عنْبَسة ابن سعيد على سريره، فقال لها : ما خَطْبُكِ ؟ فأخبرتْه، فقال : صدَقْتِني. ثم قال لوُلاة الشامىّ : ادفنوا صاحبَكم فإنه قتيلُ الله إلى النار ، لا قَوَدَ له ولا عَقْل ، ثمّ نادى مناديه : لا ينزلنّ أحدٌ على أحد، واخرُجوا فعَسكروا. وبعث رُوّادًا يرتادون له مَنزِلا ، وأمعن (١) حتى نزل أطراف كَسْكَر ، فبينا هو فى موضع واسِط إذا راهبٌ قد أقبل على حمار له وعبرَ دِجلةَ ، فلما كان فى موضع واسطَ تفاجّت الأتان فبالتْ، فنزل الراهبُ، فاحتفر ذلك البول، ثمّ احتمَلَه فرمى به فى دِجْلة ، وذلك بعَيْن الحجّاج ، فقال : علىّ به ، فأتى به ، فقال : ما حمَلك على ما صنعتَ ؟ قال : نجد فى كُتُبنا أنه يُبْنى فى هذا الموضع مَسجدٌ يُعْبد اللهُ فيه ما دامَ فى الأرض أحدٌ يوحّده . فاختطّ الحجّاج مدينةَ واسِطَ ، وبنَى المسجدَ فى ذلك الموضع .

* * *

٢/١١٢٧ وفى هذه السنة عزَلَ عبدُ الملك — فيما قال الواقدىّ — عن المدينة أبانَ بنَ عثمان ، واستعمَل عليها هشامَ بنَ إسماعيل المخزومىّ .

وحجّ بالناس فى هذه السنة هِشامُ بنُ إسماعيلَ ، حدّثنى بذلك أحمدُ ابن ثابت ، عمن حدّثه ، عن إسحاق بنِ عيسى ، عن أبى معشر .

وكان العمّال فى هذه السنة على الأمصار سِوَى المدينة هم العمّال الذين كانوا عليها فى السنة التى قبلَها ؛ وأمّا المدينة فقد ذكرنا من كان عليها فيها(٢) .

---

(١) ب : « فأبعد » .

(٢) ب : « فيها عليها » س : « عليها فى السنة التى قبلها » .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوةُ عبد الله بن عبد الملك بن مرْوانَ الرّوم ، ففتَح فيها المَصِّيصَة ، كذلك ذكَر الواقديّ .

* * *

[خبر قتل الحجّاج أيوب بنَ القِرِّية]

وفيها قتَل الحجّاجُ أيوبَ بن القِرّيَّة ، وكان ممن كان مع ابن الأشعث ، وكان سبب قتله إياه –فيما ذُكر– أنه كان يدخل على حَوْشب بن يزيد بعد انصرافه من دَيْر الجَماجم– وحَوْشب على الكوفة عامل للحجاج[1] –فيقول حَوْشب : انظروا إلى هذا الواقف معى ، وغداً أو بعدَ غد يأتى[2] كتاب من الأمير لا أستطيع إلا نفاذَه ، فبينا هو ذاتَ يوم واقف إذ أتاه كتابٌ من الحجّاج :

أما بعد، فإنك قد صرت كَهْفاً لمُنافِقِى أهلِ العراق ومأوًى، فإذا نظرتَ فى كتابى هذا فابعثْ إلىّ بابن القِرّيَّة مشدودة يدُه إلى عنقه ، مع ثقة مِن قِبَلك . ٢/١١٢٨

فلما قرأ حوشب الكتابَ رَمى به إليه ، فقرأه فقال : سمعًا وطاعة ؛ فبعث به إلى الحجاج مُوثَقًا ، فلما دخل الحجّاج قال له : يابن القِرّيَّة ، ما أعددتَ لهذا الموقف ؟ قال : أصلح الله الأمير ! ثلاثةَ حروف كأنهنّ رَكْبٌ وُقوف ، دنيا ، وآخرةٌ ، ومعروف . قال : اخرج مما قلتَ ، قال : أفعلُ ، أما الدنيا فمالٌ حاضر ، يأكلُ منه البرّ والفاجر ، وأما الآخرة فميزان عادِل ، ومَشهد ليس فيه باطل ، وأما المعروف فإن كان علىّ اعترفتُ ، وإن كان لى اغترفْتُ . قال : إمّا لا فاعترف بالسيف إذا وَقَع بك . قال : أصلح الله الأمير! أقِلْنى عَثْرتى ، وأسغنى[3] رِيقى ؛ فإنه ليس جوادٌ إلا له

(١) ب : « الحجاج » . (٢) ب : « يأتينى ».
(٣) ط : « واسقنى »

كَبْوة ، ولا شجاعٌ إلا له هَبْوة [1]. قال الحجّاج : كلا والله لأُرِيَنّك [2] جهنّم ، قال : فأرِحْنى فإنّى أجد حرَّها ، قال : قدّمْه يا حَرَسِىّ فاضربْ عنقَه . فلما نظر إليه الحجّاج يتشحّط فى دمِه قال : لو كنّا تركْنا ابنَ القِرِيّة حتى نَسمعَ من كلامه ! ثمّ أمر به فأخرِج فرُمِىَ به .

٢/١١٢٦ قال هشام : قال عوانة : حين منَع الحجاجُ من الكلام ابنَ القِرِيّة ، قال له ابنُ القِرِيَّة : أما والله لو كنتُ أنا وأنت على السوّاء لسكنا جميعًا ، أو لألفيْتَ منيعًا .

* * *

[فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس]

وفى هذه السنة فتَحَ يزيدُ بنُ المهلّب قلعَة نيزك ببَاذَغيس .

* ذكر سبب فتحه إيّاها :

ذَكَر علىّ بنُ محمد ، عن المفضّل بن محمد ، قال : كان نِيزَك ينزل بقلْعة باذغيس ، فتحيّن يزيدُ غزوَه ، ووَضَع عليه العيون ، فبلغه خروجُه ، فخالفه يزيدُ إليها ، وبلغ نيزك فرجع ، فصالَحه على أن يدفع إليه ما فى القلعة من الخزائن ، وَيرتحِل عنها بعِياله ، فقال كَعْب بنُ معْدانَ الأشقَرِىّ :

وباذَغيسُ التى مَن حل ذُرْوَتها ... عزَّ الملوكَ فإن شَا جَار أَوْ ظَلَما
مَنيعةٌ لم يَكِدْها قبله ملكٌ ... إلا إذا وَاجَهَتْ جيشاً له وجَما
تخَالُ نيرانها من بُعد مِنظرها ... بعضَ النّجوم إذا ماليلُهــا عَتَما
لمّا أطافَ بها ضاقتْ صدورهُمُ ... حتى أقرّوا له بالحُكم فاحتكما
فذلَّ ساكِنَها من بَعدِ عِزَّتهِ ... يُعطى الجِزَى عارفاً بالذل مُهتضَما
٢/١٢٣٠ وبعد ذلك أياماً نعــدّدها ... وقبلها ما كَشَفْتَ الكرب والظلما
أعطاك ذاك ولىُّ الرزق يَقْسِمُهُ ... بين الخلائق والمحرومُ من حُرما

(١) البيان والتبيين ١ : ١١٢ ، ٣٥٠ . (٢) ابن الأثير : «لأزيرنك» .

يداك إحداهما تُسقى العدو بها ... سَمًّا وأُخرى نداها لم يزَلْ دِيَمَا
فهل كَسَيْبِ يزيدَ أَوْ كنائِلِهِ ... إلا الفراتُ وإلا النِّيلُ حين طَما
ليسا بأَجْوَد منه حينَ مَدِّهِما ... إذ يعلوَانِ حداب الأَرض والأَكَما

وقال :

ثَنائى على حىٍّ العتيك بأَنَّها ... كِرامٌ مقاريها، كِرامٌ نصابُها
إذا عقدوا للجارِ حَلَّ بِنجْوَةٍ ... عزيز مَراقيها، منيع هضَابُها
نَفَى نيزَكاً عن باذَغيسَ ونيزكٌ ... بمنزلة أعيا الملوكَ اغتِصابُها
مُحَلِّقَة دونَ السماءِ كأَنها ... غمَامةُ صَيف زلّ عنها سحابُها
ولا يبلُغ الأَرْوى شماريخَها العلا ... ولا الطيرُ إلّا نسرُها وعُقابُها ٢/١١٣١
وما خُوفَتْ بالذئب وِلْدانُ أَهلها ... ولا نَبحَتْ إلا النجومَ كِلَابُها
تمنّيتُ أَن أَلقى العتيكَ ذوى النُّهَى ... مُسلّطة تُحمى بملكٍ ركابُها
كمايتمنى صاحبُ الحرثِ أُعطشَت ... مَزارِعُهُ غيثاً غَزيرًا رَبابُها
فَأُسْقِىَ بعد اليأس حتى تحَيَّرَتْ ... جِدَاولها رِيًّا وَعبّ عبابُها
لقد جمع الله النوى وتَشعَّبَتْ ... شعُوبٌ مِنَ الآفاق شَتى مآبها

قال : وكان نيزك يُعظِّم القلعة إذا رآها سَجَد لها. وكَتَبَ يزيدُ بن المهلب إلى الحجاج بالفَتْح ، وكانت كُتُب يزيد إلى الحجاج يكتبها يحيى بن يَعمر العَدْوانىّ ، وكان حليفًا لهُذيل ، فكتب : إنا لَقِينا العدوَّ فمنحَنا الله أكتافَهم ، فقتلْنا طائفةً ، وأسرْنا طائفة ، ولحقتْ طائفة برءوس الجبال وعَراعِرِ الأودية ، وأهضام ِ الغيطان وأثناء ِ الأنهار[١] ؛ فقال الحجّاج : من يكتب ليزيدَ ؟ فقيل : يحيى بن يَعمر ، فكَتَبَ إلى يزيدَ فحمَلَه على البريد ، فقَدِم عليه أفصحَ الناس ، فقال له : أينَ وُلِدتَ ؟ قال : بالأهواز ؛ ٢/١١٣٢ قال : فهذه الفَصاحة؟ قال : حفظتَ كلامَ أبي وكان فصيحًا[٢] . قال : مِن

(١) العرعرة قلة الجبل ، وجمعها عراعر ، والأهضام : أحضان الأودية وأسافلها .
(٢) الفائق ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

هناك فأخبرنى هل يَلحَن عنبسة بن سعيد ؟ قال : نَعَم كثيراً ، قال: ففُلان ؟ قال : نعم ، قال : فأخبرنى عنّى أألحَن ؟ قال : نعم تلحَن لحْنا خفيًّا ؛ تزيد حرفًا وتَنقص حرفًا ، وتجعَل أنْ فى موضع إنْ ، وإنْ فى موضع أنْ . قال : قد أجّلتك ثلاثًا ، فإن أجدْك بعَد ثلاث بأرض العراق قتلْتك . فرَجَع إلى خُراسان .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزومىّ ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذَكَره ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبى معشر .

وكانت عمّال الأمصار فى هذه السنة عمّالها الذين سمّيتُ قبلُ فى سنة ثلاث وثمانين .

ثمّ دخلت سنة خمس وثمانين
ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر هلاك عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث]

ففيها كان هلاكُ عبدِ الرحمن بن محمد بن الأشعث .

* ذكر السبب الذى به هلك ، وكيف كان :

ذَكَرهشام بنُ محمد ، عنأبى مِخنَف ، قال : لما انصرفَ ابنُ الأشعث من هرَاةَ راجعاً إلى رُتبيل[1] كان معه رجلٌ من أوْد يقال له علْقمة بن عمرو ، فقال له : ما أريد أن أدخُل معك ؛ فقال له عبد الرحمن : لمَ ؟ قال : لأنى[2] أتخوّف عليك وعلى من معك ، والله لكأنى بكتاب الحجاج قد جاء ، فوقع إلى رُتْبيل يُرغّبه ويُرهّبه ، فإذا هو قد بعث بك سَلْماً أو قتلكم . ولكنها هنا خمسمائة قد تبايعْنا على أن ندخل مدينةً فنتحصّن[3] فيها ، ونقاتلَ حتى نُعطَى أماناً أو نموتَ كراماً . فقال[4] له عبد الرّحمن : أما لو دخلتَ معى لآسيتُك[5] وأكرمتك ، فأبى عليه علقمةُ ، ودخل عبد الرّحمن بنُ محمد إلى رُتْبيل . وخرج هؤلاء الخمسمائة فبعثوا عليهم مودوداً النَّضْرىّ ، وأقاموا حتى قدم عليهم عُمارة بن تميم اللّخمىّ فحاصرَهم ، فقاتلوه وامتنعوا منه حتى آمنهم ، فخرجوا إليه فوَفى لهم .

١١٣٣/٢

قال : وتتابعتْ كُتُب الحجاج إلى رُتْبيل فى عبد الرحمن بن محمد أن ابعث به إلىّ ، وإلا فوالذى لا إله إلا هو لأوطِئنّ أرضَك ألفَ ألف مُقاتِل . وكان عند رُتْبيل رجلٌ من بنى تميم ثمّ من بنى يَربوع يقال له عُبيد بن أبى سُبيع ، فقال لرُتبيل : أنا آخذُ لك من الحجّاج عهداً ليكفّن الخراجَ

---

(١) بعدها فى ب : « ملك الترك » . (٢) س : « إنى » .
(٣) ب : « نتحصن » . (٤) ب : « قال » .
(٥) ب : « لآمنتك » .

عن أرضك سبعَ سنينَ على أن تَدفَعَ إليه عبدَ الرحمن بن محمّد . قال رُتبيل لعبيد : فإن فعلتَ فإنّ لك عندى ما سألتَ .

فكتَب إلى الحجّاج يُخبِره أنّ رُتبيلَ لا يعصيه، وأنه لن يَدَع رُتْبيل حتى يَبعَث إليه بعبد الرحمن بن محمد ، فأعطاه الحجّاج على ذلك مالاً وأخذ من رُتْبيل عليه مالاً ، وبعث رُتْبيل برأس عبد الرحمن بن محمد إلى الحجّاج ، وترك له الصلح الذى كان يأخذه منه سبعَ سنين . وكان[1] الحجّاج يقول : بعث إلىّ رُتْبيل بعدوّ الله . فألقَى نفسه من فوق إجّار فمات.[2] ١١٣٤/٢

قال أبو مِخنَف : وحدّثنى سليمان بنُ أبى راشد . أنه سمع مُليكةَ ابنة يَزيدَ تقول : والله لَماتَ عبدُ الرحمن وإنّ رأسَه لعلى فَخِذى ، كان السلّ قد أصابه . فلما مات وأرادوا دفنَه بعث إليه رُتْبيل فَحزّ رأسَه ، فبعث به إلى الحجاج ، وأخذ ثمانية عشرَ رجلا من آل الأشعث فحبَسهم عندَه ، وترك جميعَ من كان معه من أصحابه . وكتب إلى الحجّاج بأخذه الثمانية عشر رجلا من أهل بيت عبد الرّحمن، فكتب إليه : أن اضرِب رقابَهم ، وابعث إلىّ برءوسهم ، وكره أن يُؤتَى بهم إليه أحياءً فيُطلبَ فيهم إلى عبد الملك ، فيترك منهم أحداً .

وقد قيل فى أمر بنِ أبى سُبيع وابن الأشعث غير ما ذكرتُ عن أبى مِخنَف ، وذلك ما ذكر عن أبى عُبيدة مَعمَر بن المثنّى أنه كان يقول : زعم أن عُمارة بن تميم خرج من كَرْمان فأتَى سجستانَ وعليها رجلٌ من بنى العنبر يُدعَى مودوداً ، فحصَره ثمّ آمنه ، ثم استولى على سِجِسْتانَ ، وأرسل إلى رُتْبيل . وكتَب إليه الحجّاج : أما بعد ، فإنى قد بعثتُ إليك عُمارةَ بن تميم فى ثلاثين ألفًا من أهل الشأم لم يخالِفوا طاعة ، ولم يَخلَعوا خليفة، ولم يتّبعوا إمامَ ضلالة ، يُجرى على كل رجل منهم فى كلّ شهر مائة دِرْهم ، يستطعِمون الحربَ استطعامًا، يَطلُبون ابن الأشعث . فأبى رتبيل أن يسلمه . وكان مع ابن الأشعث عُبيد بن أبى سُبيع التميمىّ قد خصّ به ، ١١٣٥/٢

---

(١) ب : « فكان » .

(٢) كذا فى ط، وانظر الصفحة التالية . والإجار : سطح المنزل .

وكان رسولُه إلى رُتْبيل ، فخصّ برتبيل أيضًا ، وخفّ عليه . فقال القاسم ابن محمد بن الأشعث لأخيه عبدِ الرحمن : إنى لا آمن غدرَ التميمىّ ، فاقتلْه ، فهمّ به ، وبلغ ابن أبى سُبيع ، فخافَه فوشَى به إلى رُتْبيل ، وخوّفه الحجّاج ، ودعاه إلى الغَدْر بابن الأشعث فأجابه ، فخرج سرًّا إلى عُمارة بن تميم ، فاستعجل فى ابن الأشعث ، فجعل له ألفَ ألف ، فأقام عندَه ، وكتَب بذلك عُمارة إلى الحجّاج ، فكتب إليه أن أعطِ عبيداً ورُتْبيلَ ما سألاك واشترطْ[1] ، فاشترط رُتبيلُ ألاّ تغزى بلادُه عشر سنين ، وأن يؤدّىَ بعد العشر سنينَ فى كلّ سنة تسعمائة ألف ، فأعطى رُتْبيل وعبيدًا[2] ما سألا ، وأرسَل رتبيل إلى ابن الأشعث فأحضره وثلاثين من أهل بيته ، وقد أعدّ لهم الجوامع والقيود ، فألقى فى عنقِه جامعةً ، وفى عنق القاسم جامعة ، وأرسل بهم جميعًا إلى أدنى مَسالح عمارة منه ، وقال لجماعة من كان مع ابنِ الأشعث من الناس : تفرّقوا إلى حيث شئتم ، ولما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقَى نفسَه من فوق قَصْر فمات ، فاحتزّ رأسه ، فأتى به وبالأسرى عمارة ، فضرب أعناقَهم ، وأرسل برأس ابن الأشعث وبرءوس أهلِه وبامرأته إلى الحجّاج ، فقال فى ذلك بعضُ الشعراء :

هيهات موضعُ جُثّةٍ من رأسِها ... رأسٌ بمصرَ وجثّة بالرَّخَّجِ[3] ١١٣٦/٢

وكان الحجاج أرسل به إلى عبدِ الملك ، فأرسل[4] به عبد الملك إلى عبد العزيز وهو يومئذ على مِصر .

وذكر عمر بن شبّة أن ابن عائشةَ حدّثه قال : أخبرَنى سعد بن عُبيد الله قال : لما أتِى عبدُ الملك برأسِ ابن الأشعث أرسَل به مع خصىّ إلى امرأة منهم كانت تحتَ رجل من قريش ، فلما وُضع بين يديْها قالت : مرحبًا بزائر لا يتكلّم ؛ مَلِك من الملوك طلَب ما هو أهلُه فأبت المقادير . فذهب الخَصِىّ يأخذ الرأس فاجتذبتْه من يدِه ، قالت : لا واللهِ حتى أبلغ

---

(١) كذا فى ب ، وفى ط : « فاشترط » .
(٢) ر : « وعبيد الله » .
(٣) ر : « بالرخح » ، س : « بالرجح » .
(٤) ب : « وأرسل » .

حاجتى ، ثمّ دعت بخَطمىّ فَغسلَتْه وغلّفتْه ثمّ قالت : شأنَك به الآن . فأخذه ، ثم أخبر عبد الملك ، فلمّا دخل عليه زوجُها ، قال : إن استطعتَ أن تصيبَ منها سَخْلة .

وذكر أنّ ابن الأشعث نظر إلى رجل من أصحابه وهو هارِبٌ إلى بلاد رتْبيلَ فتمثّل :

يطردُه الخَوف فهُو تائهٌ[1] كذاكَ مَنْ يكرَهُ حَرَّ الجِلادِ
منُخَرقُ الخُفَّين يشكو الوَجَا تنكبُهُ أطراف مَرْوٍ حِـداد
قد كان فى الموت له راحــةٌ والموتُ حَتْمٌ فى رقابِ العبادِ

فالتفت إليه فقال : يالحية ، هلاّ ثبتَّ فى موطن من المواطن فنَموت بين يديك ، فكان خيراً لك مما صرتَ إليه !

١١٣٧/٢ قال هشام : قال أبو مِخنَف : خرج الحجّاج فى أيامه تلك يسير ومعه حُمَيد الأرْقَط وهو يقول :

ما زالَ يَبنى خَنْدقاً ويَهدمُهْ[2] عن عسكرٍ يقودُه فيُسلمُهْ
حتّى يصيرَ فى يدَيْكَ مَقسِمهْ هيهاتَ من مصفّه منُهزَمُـهْ
* إنَّ أَخَا الكِظاظِ من لا يسأَمُهْ *

فقال الحجّاج : هذا أصدَقُ من قولِ الفاسق أعشَى هَمْدان :

نُبِّئت أنّ بُنَىّ يو سف خرَّ من زَلَقٍ فتبَّا

قد تبيّن له من زَلِقَ وتبَّ وَدحَض فانكبَّ ، وخاف وخابَ ، وشكّ وارتاب ؛ ورفع صوته فما بقى أحدٌ إلا فَزِع لغضبه ، وسَكت الأرَيقط ، فقال له الحجّاج : عدْ فيما كنت فيه ، ما لَك يا أرْقط ! قال : إنى جُعلت فداكَ أيّها الأمير وسلطان الله عزيز ، ما هو إلا أن رأيتُك غضبتَ فأرعدَتْ خصائلى ، واحزألّتْ مَفاصلى ، وأظلم بَصَرى ، ودارت بى الأرض . قال له

---

(١) ب : « طرده الخوف » . (٢) ر : « وتهدمه » .

الحجاج : أجلْ ، إنّ سلطان الله عزيز ، عدْ فيما كنتَ فيه ، ففعَل .

وقال الحجاج وهو ذاتَ يوم يسيرُ ومعه زياد بنُ جَرير بن عبد الله البَجَلىّ وهو أعوَر ، فقال الحجّاج للأريقط : كيف قلتَ لابن سَمُرة؟ قال : قلت :

يا أعورَ العَيْن فَدَيْتُ العُورَا[1] كنتَ حَسِبْت الخَنْدَقَ المحْفورا
يرُدُّ عنْك القدَرَ المقـدورا ودائرات السَّوْءِ أن تَدورا

وقد قيل : إنّ مَهلك عبد الرّحمن بن محمّد كان فى سنة أربع وثمانين . ١١٣٨/٢

* * *

[عزل يزيد بن المهلّب عن خراسان]

وفى هذه السنة عزَل الحجّاج بن يوسف يزيدَ بن المهلّب عن خُراسان وولّاها المفضّل بن المهلّب أخا يزيد .

* ذكر السبب الذى من أجله عزله الحجاج عن خُراسان واستعمل المفضّل :

ذكَر علىّ بنُ محمد ، عن المفضّل بن محمد ، أن الحجاج وَفَد إلى عبد الملك ، فمرّ فى مُنصرَفه بدير فنزَلَه ، فقيل له : إنّ فى هذا الدَّيْر شيخاً من أهل الكُتُب عالمًا ، فدعا به فقال : يا شيخ ، هل تجدون فى كُتُبكم ما أنتم فيه ونحن ؟ قال : نعم ، نجد ما مضى من أمْرِكم وما أنتم فيه وما هو كائن ؛ قال : أفمسمًّى أم موصوفًا ؟ قال : كلّ ذلك ؛ موصوف بغير اسم ، واسم بغير صفة ، قال : فما تجدون صفةَ أمير المؤمنين ؟ قال : نجده فى زماننا الذى نحن فيه ؛ ملك أقرَع ، مَن يقم لسبيله يُصرَع ، قال : ثمّ من ؟ قال : اسم رجل يقال له الوَليد ، قال : ثمّ ماذا ؟ قال : رجل اسمه اسمُ نبىّ يفتَح به على الناس ، قال : أفتعرفنى ؟ قال : قد أُخْبِرت بك . قال : أفتعلم ما أَلِى ؟ قال : نعم ، قال : فمن يَلِيه بَعدى ؟ قال : رجلٌ يقال له يزيد ، قال : فى حياتى أم بعد موتى ؟ قال : لا أدرى ، قال : أفتعرف صفتَه ؟ قال : يغدر غَدرةً ؛ لا أعرف غير هذا . ١١٣٩/٢

---

(١) ب : « قذيت » .

قال : فوقَع فى نفسه يزيدُ بنُ المهلّب ، وارتحل فسار سَبْعًا وهو وَجِل من قولِ الشيخ ؛ وقَدِم فكتَب إلى عبد الملك يستعفيه من العراق ، فكتب إليه : يا بنَ أمّ الحجاج ، قد علمتُ الذى تغزو ، وأنك تريد أن تعلَم رأيى فيك ، ولعَمرى إنى لأرَى مكانَ نافع بنِ علْقمة ، فالْهُ عن هذا حتى يأتىَ الله بما هوَ آت ؛ فقال الفرزدق يَذكُر مسيرَه :

لو أنَّ طيْرًا كُلِّفتْ مثلَ سَيْره ... إلى واسطٍ من إيلياءَ لمَلَّتِ[1]

سَرى بالمَهارِى منْ فِلَسطينَ بعدما ... دنا الليلُ من شمس النهار فولَّتِ[2]

فما عاد ذاك اليومُ حتى أناخها ... بمَيْسان قدْ ملَّتْ سُراها وكلَّتِ[3]

كأنَّ قُطاميًّا على الرَّحْل طاوياً ... إذا غمْرةُ الظَّلماء عنْه تجلَّت[4]

قال فبينا[5] الحجّاج يومًا خال[6] إذ دعا عبيدَ[7] بنَ مَوْهب ، فدخل وهو يَنكُتُ فى الأرض ، فرفع رأسَه فقال : ويحَك يا عُبيد ! إن أهل الكتب يَذكُرون أنّ ماتحت يدى يليه رجلٌ يقال له يزيد ، وقد تذكرت يزيدَ بنَ أبى كبشة ، ويزيدَ بنَ حُصَين بن نُمَير ، ويزيد بن دينار ، فليسوا هناك ، وما هوَ إن كان إلا يزيد بن المهلب ؛ فقال عبيد : لقد شرّفتَهم وأعظمت[8] ولايتَهم ، وإنّ لهم لعَدَداً وجَلَداً ، وطاعة وحظًّا ، فأخلِقْ به . فأجمع على عزل يزيد فلم يَجِد له شيئًا حتى قدم الخيار بن أبى سَبْرة بن ذُؤيب بن عَرْفجة بن محمد بن سُفيان بن مُجاشع — وكان من فُرسان المهلب — وكان مع يزيد — فقال له الحجاج : أخبرْنى عن يزيدَ ، قال : حَسَن الطاعة ، ليّن السيرة ، قال : كذبت ، أصدِقْنى عنه ، قال : اللهُ أجلّ وأعظم ، قد أسرج ولم يُلجم ، قال : صدقتَ ، واستعمل الخيارَ على عُمان بعد ذلك .

٢/١١٤٠

---

(١) ديوانه ١٣٧ .

(٢) الديوان : « دنا النوء » .

(٣) الديوان : « قد حلت عراها وملت » .

(٤) بعده فى الديوان :

وقَدْ علم الأَقوامُ أن ابن يوسُفٍ ... قطوبٌ إذا ما المشرفيةُ سُلَّتِ

(٥) ب : « فبينما » .

(٦) ب : « خاليا » .

(٧) ب : « بعبيد » .

(٨) ب : « وعظمت » .

قال : ثمّ كتَب إلى عبد الملك يذمّ يزيدَ وآلَ المهلّب بالزبيريّة، فكتب إليه عبدُ الملك: إنى لا أرى نقْصا بآل المهلب طاعتهم لآل الزّبير ، بل أراه وفاء منهم لهم ، وإنّ وَفاءهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لى . فكتَب إليه الحجّاج يخوّفه غدرَهم لما أخبره به الشيخ. فكتب إليه عبدُ الملك: قد أكثرتَ فى يزيدَ وآل المهلب، فسمّ لى رجلاً يَصلُح لخُراسان؛ فسَمَّى له مُجّاعة بن سعر السعدىّ ، فكتب إليه عبدُ الملك : إنّ رأيك الذى دعاك إلى استفساد آل المهلب هو الذى دعاك إلى مُجّاعة بن سعر ، فانظر لى رجلا صارماً ، ماضياً لأمرك، فسَمَّى قتيبة بن مسلم، فكتب إليه: ولّه . وبلغ يزيد أنّ الحجاج عزلَه ، فقال لأهل بيته : مَن ترْون الحجاج يولى خُراسانَ ؟ قالوا : رجلا من ثقيف ، قال : كلاّ ، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعَهْده ، فإذا قدمتُ عليه عزلَه وولى رجلاً من قيس ، وأخلِق بقتيبة ! قال : فلما أذن عبد الملك للحجّاج فى عَزْل يزيدَ كرِه أن يكتب إليه بعزله، فكتب إليه أن استخلف المفضّل وأقبِل . فاستشار يزيدُ حُضَينَ بنَ المنذر ، فقال له : أقم واعتلّ ، فإنّ أميرَ المؤمنين حسَنَ الرأى فيك ، وإنما أتيتَ من الحجاج ، فإنْ أقمتَ ولم تَعجل رجوتُ أن يكتب إليه أن يقرّ يزيد ، قال : إنّا أهلُ بيت بُورِك لنا فى الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف ؛ فأخذ فى الجهاز ، وأبطأ ذلك على الحجّاج، فكتب إلى المفضّل : إنى قد ولّيتُك خُراسانَ ، فجعل المفضّل يستحِثّ يزيدَ ، فقال له يزيد : إنّ الحجّاج لا يُقرّك بعدى ، وإنما دعاه إلى ما صنَع مخافةُ أن أمتَنِعَ عليه ، قال : بل حسدتَنى ، قال يزيد : يا بن بَهلة ، أنا أحسدُك! ستعلم . وخرج يزيدُ فى ربيع الآخر سنة خمس وثمانين. فعزل الحجاجُ المفضّل ، فقال الشاعر للمفضّل وعبد الملك وهو أخوه لأمّه :

٢/١١٤١

يا بَنِىْ بَهَلَةَ إنَّما أَخْزَاكما ... رَبِّى غَدَاةَ غَدَا الهُمَامُ الأَزْهَرُ
أَحَفَرْتُمُ لأَخيكم فَوَقَعْتُمْ ... فى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ أَخُوها المُغْوِرُ
جُودُوا بتَوْبَةِ مُخْلِصينَ فإنَّما ... يَأْبَى ويَأْنَف أَن يَتُوبَ الأَخسَرُ

٢/١١٤٢

وقال حُضَين ليزيد :

أَمَرْتك أَمْرًا حازماً فَعَصَيْتَنى ... فأَصْبحْتَ مَسْلوب الإمارَةِ نادِما
فما أَنَا بالبَاكى عَليكَ صَبَابَةً ... وما أَنا بالدَّاعى لتَرْجعَ سَالِمَا

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين : كيف قلت ليزيد ؟ قال : قلت :

أَمَرْتكَ أَمْرًا حازماً فعصيتنى ... فَنَفْسَكَ أَوْلِ اللوْمَ إنْ كُنْتَ لائما
فإن يَبلغ الحجَّاجَ أَنْ قَدْ عَصَيْتَهُ ... فإنَّك تَلْقى أَمْرَهُ متَفَاقما

قال : فماذا أمرتَه به فعصاك ؟ قال : أمرتُه ألَّا يَدَع صفراءَ ولا بيضاءَ إلا حَملَها إلى الأمير ، فقال رجل لعياض بن حضين : أما أبوك فوجَده قتيبةُ حين فرّه قارِحًا بقوله : « أمرته ألّا يدعَ صَفْراء ولا بيضاءَ إلا حملها إلى الأمير » .

قال علىّ : وحدّثنا كُلَيب بن خلَف ، قال : كتب الحجّاج إلى يزيدَ أن اغزُ خُوارزم ، فكتَب إليه : أيها الأمير ، إنها قليلة السَّلَب ، شديدةُ الكَلَب . فكتَب إليه الحجّاج : استخلِف واقدم ، فكتَب إليه : إنى أرِيد أن أغزوَ خُوارزم . فكتَب إليه : لا تَغزُها فإنها كما وصَفت ؛ فغزا ولم يُطِعه ، فصالَحه أهلُ خُوارزم ، وأصاب سَبْيًا مما صالحوه ، وقفَل فى الشتاء ، فاشتدّ عليهم البردُ ، فأخذ الناس ثيابَ الأسرَى فلبِسوها ، فمات ذلك السبيُ من البَرْد . قال : ونزل يزيدُ بلستانة ، وأصاب أهلَ مَرْو الرُّوذ طاعونٌ ذلك العام ، فكتب إليه الحجاج : أن اقدم ، فقَدِم ، فلم يمرّ ببلد إلا فرَشوا له الرَّياحين . وكان يزيدُ ولى سنة اثنتين وثمانين ، وعزل سنة خمس وثمانين ، وخرج من خُراسان فى ربيع الآخِر سنة خمس وثمانين ، وولى قتيبة .

١١٤٣/٢

وأما هشام بن محمد ، فإنه ذكر عن أبى مخنَف فى عزل الحجّاج يزيدَ عن خُراسان سببًا غير الذى ذكره علىّ بنُ محمد ، والذى ذُكر من ذلك عن أبى مخنَف أن أبا المُخارق الراسبىّ وغيره حدّثوه أن الحجّاج لم يكن له حين فرَغ من عبد الرّحمن بن محمد همٌّ إلا يزيدَ بنَ المهلّب وأهل بيته — وقد

كان الحجاج أذلّ أهلَ العراق كلّهم إلا يزيد وأهل بيته ومَن معهم من أهل المِصْرَين بخُراسان ، ولم يكن يتخوّف بعدَ عبدِ الرحمن بن محمد بالعراق غيرَ يزيد بن المهلب — فأخذ الحجاجُ فى مواربة يزيد ليستخرجَه من خُراسان ، فكان يبعث إليه ليأتيه ، فيعتلّ عليه بالعدوّ وحَرْب خُراسان ، فمكث بذلك[١] حتى كان آخرَ سلطان عبدِ الملك . ثمّ إنّ الحجّاج كتب إلى عبدالملك يشير عليه بعَزْل يزيدَ بن المهلب ، ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزّبير ، وأنه لا وفاءَ لهم ؛ فكتب إليه عبدُ الملك : إنّى لا أرى تقصيراً بوَلَد المهلب طاعتَهم لآل الزبير ووفاءهم لهم ، فإنّ طاعتهم ووفاءَهم لهم ، هو دعاهم إلى طاعتى والوفاء لى . ٢/١١٤٤

ثمّ ذكر بقيّة الخبر نحوَ الذى ذَكَره علىّ بن محمّد .

* * *

[غزو المفضّل باذغيس وأخْرون]

وفى هذه السنة غزا المفضّل باذَغيس ففتَحها .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذَكَر علىّ بنُ محمد ، عن المفضّل بن محمد ، قال : عزل الحجّاج يزيد ، وكَتَب إلى المفضّل بولايته على خُراسان سنة خمس وثمانين ، فوليَها تسعةَ أشهر ، فغزا باذغيسَ ففتَحها وأصاب مغنماً ، فقسَمه بين الناس ، فأصاب كلّ رجل منهم ثمانمائة درهم ، ثمّ غزا أخْرون وشُومان ، فظَفِر وغَنِم ، وقَسمَ ما أصاب بين الناس ، ولم يكن للمفضّل بيت مال ، كان يُعطِى الناسَ كلّما جاءه شىء ، وإن غنم شيئًا قسَمَه بينهم ، فقال كعبٌ الأشقرىّ يمدح المفضّل :

تَرى ذا الغِنَى والفَقر من كلّ مَعشَرٍ[٢] عصَائِبَ شتَّى ينْتَوُونَ المفضَّــلا
فمن زائرٍ يرجُو فَواضِلَ سَيْبِه وآخَرَ يَقضِى حاجَهُ قد ترحَّلَا[٣]

(١) ب : « كذلك » .
(٢) ب : « نرى ذا الغنى » .
(٣) ب : « ترجلا » .

إذا ما انتوَينا غيْر أرضكَ لم نَجِد ... بهــا منتوًى خَيْرًا ولا مُتَعَلَّلَا
إذا ما عَدَدنا الأكرَمين ذَوِى النُّهى ... وقد قدّموا من صالحٍ كنت أوّلَا
لعَمْرى لقد صال المفضَّلُ صَوْلَةً ... أَباحَتْ بشُومانَ المناهل والكلا
ويوم ابن عبَّاس تناولتَ مثلها ... فكانت لنا بين الفَريقين فَيْصَلَا
صَفَتْ لك أخلاقُ المُهَلَّبِ كُلُّها ... وسُرْبِلْتَ من مَسْعاته ما تَسَرْبَلَا
أَبُوك الذى لم يَسْع ساعٍ كسعيِه ... فأَوْرثَ مَجْدًا لم يكن مُتَنحَّلا[1]

٢/١١٤٥

* * *

[خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالتِّرمذ]

وفى هذه السنة قُتِل موسى بنُ عبد الله بن خازم السُّلَمىّ بالتِّرمِذ .

* ذكر سبَبِ قتلِه ومصيره إلى التِّرمذ حتى قُتِل بها :

ذُكر أن سبب مصيره إلى التِّرمذ كان أنّ أباه عبد الله بن خازم لما قَتَل مَنْ قَتَل من بنى تميم بفرْتَنا — وقد مَضَى ذِكرى خبرَ قتلِه إيّاهم — تفرّقَ عنه عُظمُ من كان بقىَ معه منهم ، فخرج إلى نيسابورَ وخاف بنى تميم على ثقله بمَرْو ، فقال لابنه موسى : حوّل ثقَلى عن مَرْو ، واقطع نهرَ بَلْخَ حتى تلجأ إلى بعض الملوك أو إلى[2] حصن تقيم[3] فيه . فشَخَص موسى من مرَو فى عشرين ومائتى فارس ، فأتى آمُل وقد ضوى إليه قومٌ من الصَّعاليك ، فصار فى أربعمائة ، وانضمّ إليه رجال من بنى سُلَيم ، منهم زُرْعة بن علقمة ، فأتى زمّ فقاتلوه ، فظَفِر بهم وأصاب[4] مالا ، وقطع النهر ، فأتى بُخارَى فسأل صاحبها أن يلجأ إليه ، فأبى وخافَه ، وقال : رجل فاتك ، وأصحابُه مثله أصحاب حرْب وشَرّ ، فلا آمنه . وبعث إليه بصلة عين ودوابّ وكُسْوة ، ونزل على عظيم من عظماء أهل بُخارَى فى نوقان ، فقال له : إنه

٢/١١٤٦

(١) ب : « متنخلا » .
(٢) ب : « وإلى » .
(٣) ابن الأثير : « تقوم » .
(٤) ب : « فأصاب » .

لا خيرَ فى المُقام فى هذه البلاد ، وقد هابَك القومُ وهم لا يأمَنونك . فأقام عند دهْقان نوقانَ أشهراً ، ثمّ خرج يلتمس ملِكا يَلجأ إليه أو حِصْنًا ، فلم يأت بلداً إلا كرِهوا مُقامَه فيهم ، وسألوه أن يخرج عنهم .

قال علىّ بن محمد: فأتى سمرقَنْد فأقام بها، وأكرمَه طَرْخونُ ملِكُها، وأذِن له فى المُقام ، فأقام ما شاء الله ، ولأهل الصُّغد مائدةٌ يوضَع عليها لحم وَدِك[1] وخُبْز وإبريق شراب، وذلك فى كلّ عام يوماً، يُجعل ذلك لفارس الصّغْد فلا يَقربه أحد غيرُه ، هو طعامه فى ذلك اليوم ، فإنْ أكل منه أحدٌ غيرُه بارَزَه فأيُّهما قَتَل صاحبَه فالمائدةُ له ، فقال رجلٌ من أصحاب موسى: ما هذه المائدة ؟ فأخبِر عنها ، فسكت ، فقال صاحب موسى : لآكلنّ ما على هذه المائدة ، ولأبارزنّ فارسَ الصُّغْد ، فإن قتلتُه كنتُ فارسَهم . فجلس فأكل ما عليها ، وقيل لصاحب المائدة ، فجاء مُغضَبًا ، فقال : ياعربىّ ، بارِزْنى ، قال : نعم ، وهل أريدُ إلا المُبارزَة ! فبارَزَه فقتَلَه صاحب موسى ، فقال ملِك الصّغد: أنزلتُكم وأكرمتُكم فقتلتم فارسَ الصّغد! لولا أنّى أعطيتُك وأصحابَك الأمان لقتلتُكم ، اخرُجوا عن بلدى ، ووَصَله . فخرج موسى فأتى كِسَّ فكتَب صاحبُ كِس إلى طَرْخونَ يستنصره ، فأتاه، فخرج إليه موسى فى سبعمائة فقاتَلهم حتى أمسَوْا ، وتَحاجَزوا وبأصحاب موسى جراحٌ كثيرة ، فلما أصبحو أمرهم موسى فحلّقوا رءوسَهم كما يَصنَع[2] الحوارج ، وقطعوا صفِنات أخبِيَتهم كما يصنع العَجَم إذا استماتوا .

١١٤٧/٢

وقال موسى لِزُرْعة بن علقمة : انطلِق إلى طَرْخون فاحتلْ له . فأتاه ، فقال له طَرخون: لِمَ صَنَع أصحابُك ما صنَعوا ؟ قال : استقتلوا فما حاجتك إلى أن تَقتل أيّها الملك موسى وتُقتَل! فإنك لا تصل إليه حتى يقتل مِثل عدّتهم منكم ، ولو قتلتَه وإياهم جميعًا ما نلت حظًّا ، لأنّ له قَدْراً فى العرَب ، فلا يلى أحدٌ خُراسانَ إلا طالبَك بدمه ، فإن سلمتَ من واحد لم تَسلَم من آخَر ؛ قال : ليس إلى تَرْك كِسّ فى يدِه سبيل ؛ قال : فكُفَّ عنه حتى

---

(١) لحم ودك : فيه دسم .

(٢) ب : « تصنع » .

يترتحل ، فكفّ وأتى موسى الترْمِذ وبها حصن يُشرِف على النهر إلى جانب منه ، فنزل موسى على بعض دهاقين الترمِذ خارجًا من الحصْن والدهقان مُجانِب لِترْمِذشاه ، فقال لموسى : إنّ صاحبَ الترمِذ متكرّم شديدُ الحياء ، فإن ألطفْتَه[1] وأهدَيْت إليه أدخلَكَ حِصنَه ، فإنه ضعيف ، قال : كلّا ، ولكنّى أسألُه أن يُدخِلنى حِصنَه ، فسأله فأبَى ، فكاكَرَه موسى وأهدى له[2] وألطفَه، حتّى لطف الذى بينهما، وخرج فتصيّد معه، وكثر إلطاف موسى له ، فصنَع صاحبُ الترمذ طعامًا وأرسل إليه : إنّى أحِبّ أن أكرِمَك، فتغدّ عندى ، وائتنى فى مائة من أصحابك . فانتخَب موسى من أصحابه مائةً ، فدخلوا على خُيولهم ، فلما صارت فى المدينة تصاهلَتْ ، فتطيّر أهلُ الترْمذ وقالوا لهم : انزِلوا ، فنزَلوا ، فأدخِلوا بيتًا، خمسين فى خمسين ، وغدّوهم .

فلما فرَغوا من الغَداء اضطجع موسى ، فقالوا له : اخرُج ، قال : لا أصيب منزِلا مِثلَ هذا ، فلستُ بخارج منه حتى يكون بيتى أو قَبْرى . وقاتلُوهم فى المدينة ، فقُتِل من أهلِ الترمِذ عدّة ، وهرب الآخَرون فدخلوا منَازِلهم، وغلب موسى على المدينة، وقال لِترمِذ شاه: اخرج، فإنّى لستُ أعرِض لك ولا لأحد من أصحابك. فخرج المَلِك وأهلُ المدينة فأتَوا الترْكَ يستنصرونهم، فقالوا: دخل إليكم مائةُ رجل فأخرجوكم عن بلادكم، وقد قاتلناهم بِكسّ، فنحن لا نقاتل هؤلاء . فأقام ابن خازم بالترمِذ ، ودخل إليه أصحابُه ، وكانوا سبعمائة، فأقام، فلمّا قُتِل أبوه انضمّ إليه من أصحاب أبيه أربعمائة فارس ، فقوى ، فكان يخرج فيُغير على مَن حولَه . قال : فأرسل الترك قومًا إلى أصحاب موسى ليَعلَموا عِلمَه ، فلما قَدِموا قال موسى لأصحابه : لابدّ من مَكيدة لهؤلاء — قال : وذلك فى أشدّ الحرّ — فأمر بنار فأجّجَتْ، وأمرَ أصحابَه فلَبسوا ثيابَ الشتاء ، ولبسوا فوقَها لُبودًا، ومدّوا أيديَهم إلى النار كأنهم يصطَلُون . وأذن موسى للترك فدخلوا، ففَزِعوا ممّا رأوا ، وقالوا:

٢/١١٤٨ (هامش، بإزاء السطر السادس)
٢/١١٤٩ (هامش، بإزاء السطر الأخير)

---

(١) ب : « لاطفته » .

(٢) ب : « إليه » .

لِمَ صنعتم هذا ؟ قالوا : نجد البَرْد فى هذا الوقت ، ونجد الحرّ فى الشتاء ، فرجعوا وقالوا : جِنٌّ لا نُقاتِلهم . قال : وأراد صاحبُ الترك أن يغزوَ موسى ، فوجّه إليه رُسُلا ، وبعث بسمّ ونُشّاب فى مسك ، وإنما أراد بالسمّ أنّ حربهَم شديدة ، والنشّاب الحرب ، والمسك السلم ، فاخترْ الحربَ أو السلم ، فأحرق السمّ ، وكسر النشاب ، ونثر المِسْك ، فقال القوم : لم يريدوا الصّلح ، وأخبر أنّ حربهم مثل النار ، وإنه يَكْسِرُنا ، فلم يَغزُهم .

قال : فولى بُكَيْرُ بن وشاح خُراسانَ فلم يَعرِض له ، ولم يوجّه إليه أحداً ، ثمّ قدم أميّة[1] فسار بنفسِه يريدُه ، فخالَفَه بكير ، وخلع ، فرجع إلى مرْو ، فلما صالح أمية بكيراً أقام عامَه ذلك ، فلما كان فى قابِل وجّه إلى موسى رجلاً من خُزاعَة فى جَمع كثير ، فعاد أهلُ الترمذ إلى الترك فاستنصَروهم فأبَوا ، فقالوا لهم : قد غزاهم قومٌ منهم وحصروهم ، فإنْ أعنّاهم عليهم ظفِرْنا بهم . فسارت الترْك مع أهل الترْمذ فى جمع كثير ، فأطاف بموسَى الترك والخُزَاعىّ ، فكان يُقاتِل الخُزاعىّ أول النهار والتركَ آخر النهار ، فقاتَلَهم شهرين أو ثلاثة ، فقال موسى لعمرو بن خالد بن حصين[2] الكلابىّ — وكان فارساً : قد طال أمرُنا وأمرُهؤلاء ، وقد أجمعتُ أن أبيّتَ عسكرَ الخُزاعىّ ، فإنهم للبيات آمنون ، فما ترى ؟ قال : البيَات نِعمّا هو ، وليكن ذلك بالعَجَم ، فإنّ العرب أشدّ حَذَراً ، وأسرَع فَزَعاً ، وأجرأ على الليل مِن العَجَم ، فبَيِّتْهم فإنّى أرجو أن ينصرَنا الله عليهم ، ثمّ ننفردَ لقتالِ الخُزاعىّ فنحن فى حصن وهم بالعَراء ، وليسوا بأوْلَى بالصبر ، ولا أعلم بالحرْب منّا . قال : فأجمَعَ موسى على بياتِ الترك ، فلما ذهب من الليل ثُلثُه خرج فى أربعمائة ، وقال لعمرو بنِ خالد : اخرجوا بعدَنا وكونوا منّا قريباً ؛ فإذا سمعتم تكبيرَنا فكبّروا ، وأخذ على شاطئ النهر حتى ارتفع فوق العسكر ، ثمّ أخذ من ناحية كفتان ، فلمّا قرُبَ من عسكرهم جعل أصحابَه أرباعاً ، ثمّ قال : أطيفوا بعسكرِهم ؛ فإذا سمعتم تكبيرَنا فكبّروا ، وأقبَل

٢/١١٥٠

(١) هو أمية بن عبدالله بن خالد بن الوليد .

(٢) ب ، ر : « حصن » .

وقدَّم عَمْراً بين يديه ومشَوْا خلفَه ، فلما رأتْه أصحاب الأرصاد قالوا : من أنتم ؟ قالوا : عابِرى سبيل .

قال : فلما جازوا الرَّصَد تفرّقوا وأطافوا بالعسكر وكبّروا ، فلم يشعر الترك إلا بوَقْع السيوف ، فثاروا يقتل بعضهم بعضًا وولَّوا ، وأصيب من المسلمين ستّة عشر رجلاً ، وحَوَوا عسكرَهم وأصابوا سلاحًا ومالاً ، وأصبح الخُزاعىّ وأصحابه قد كسرَهم ذلك[1] ، وخافوا مِثلها من البيَات ، فتحذّروا[2] .

٢/١١٥١ فقال لموسى عمرو بن خالد : إنك لا تَظفر[3] إلا بمكيدة[4] ولهم أمداد وهم يكثرون ، فدَعْنى آتِهم لعلّى أصيب من صاحبهم فرصة ؛ إنى[5] إن خلوتُ به قتلتُه ، فتناوَلْنى بضرب ، قال : تتعجّل الضّرب وتتعرّض للقتل ! قال : أما التعرّض للقَتْل فأنا كلّ يوم متعرِّضٌ له ، وأما الضرب فما أيْسَرَهُ فى جَنْب ما أريد . فتناوَلَه بضرب ؛ ضربه خمسين سَوْطًا ، فخرج من عسكر موسى فأتى عسكر الخُزاعىّ مستأمِنًا وقال : أنا رجل من أهل اليَمَن كنتُ مع عبد الله بن ِ خازم ، فلما قُتِل أتيتُ ابنَه فلم أزل معه ، وكنتُ أوّل من أتاه ، فلما قدمت اتهمَنى ، وتعصّب علىّ ، وتنكّر لى وقال لى : قد تعصّبت لعدّونا ، فأنت عينٌ له ، فضرَبنى ، ولم آمَن القَتْل ، وقلت : ليس بعد الضرب إلا القتل ، فهربت منه ، فآمنه الخُزاعىّ وأقام معه .

قال : فدخل يومًا وهو خال ٍ ولم يرَ عنده سلاحًا ، فقال كأنه يَنصَح له : أصلَحَك الله ! إنّ مِثلَكَ فى مِثل ِ حالك لا ينبغى أن يكون فى حال من أحواله بغيرِ سلاح ، فقال : إنّ معى سلاحًا ، فرفَع صدر فراشه فإذا سَيفٌ منتضًى ، فتناوَله عَمرو فضرَبَه فقتله ، وخرج فركب فرسَه ، ونَذِروا به بعد ما أمعَن ، فطلبوه ففاتَهم ، فأتى موسى وتفرّق ذلك الجيش ، فقطع بعضُهم النهر ، وأتى بعضُهم موسى مستأمِنًا ، فآمنه ، فلم يوجّه إليه أميّةُ أحدًا .

قال : وعُزِل أميّة ، وقَدِم المهلب أميراً ، فلم يَعرِض لابن خازم ،

---

(١) ب : « ذاك » .
(٢) ب : « فتحرزوا » .
(٣) ب : « إنكم لا تظفرون » .
(٤) ب : « لمكيدة » .
(٥) ب : « فإنى » .

وقال لبنيه : إياكم وموسى ، فإنكم لا تزالون وُلاةَ هذا الثغر ما أقام هذا الثطّ[١] بمكانه ، فإنْ قُتِل كان أوّل طالع عليكم أميراً على خُراسان رجلٌ من قيس . فماتَ المهلب ولم يوجّه إليه أحداً ، ثم تولى[٢] يزيدُ بنُ المهلب فلم يَعرِض له . وكان المهلب ضرب حُرَيْثَ بن قُطْبة الخُزاعىّ ، فخرج هو وأخوه ثابت إلى موسى ، فلما ولى يزيد بن المهلب أخذ أموالَهما وحرَمَهما وقَتَل أخاهما لأمهما ؛ الحارث بن مُنقِذ ، وقَتل صِهراً لهما كانت عندَه أمّ حفص ابنةُ ثابت ، فبلَغهما ما صنع يزيد .

قال : فخرج ثابت إلى طَرْخون فَشَكا إليه ما صنع به — وكان ثابت محبَّبًا فى العَجَم ، بعيدَ الصَّوت ، يعظمونه ويثقون به ، فكان الرّجل منهم إذا أعطَى عهداً يريدُ الوَفاء به حلفَ بحياة ثابت فلا يَغدِر — فغَضِب له طَرْخون وَجمَع له نَيْزك والسَّبَل وأهلَ بخارى والصَّغَانيان ، فقَدِموا مع ثابت إلى موسى بن عبد الله ، وقد سقَط إلى موسى فَلّ عبد الرحمن بن العباس مِن هَراةَ ، وفلّ ابن الأشعث من العِراق ومن ناحية كابُل ، وقومٌ من بنى تميم ممن كان يقاتل ابنَ خازم فى الفتنة من أهل خُراسان ، فاجتمع إلى موسى ثمانية آلاف من تميم وقيس وربيعة واليمن ، فقال له ثابت وحرَيْث : سرْ تقطع النهر فتُخرِج يزيدَ بنَ المهلب عن خُراسان ؛ ونوليك ، فإنّ طَرْخون ونَيزك والسبل وأهلَ بُخارَى معك ، فهمّ أن يفعَل ، فقال له أصحابه :

إنّ ثابتاً وأخاه خائفان ليزيد ، وإن[٣] أخرجت يزيدَ عن خُراسان وأمِنَا تولّيا الأمر وغَلَبَاك على خُراسان ، فأقِمْ مكانَك . فقبل رأيَهم ، وأقام بالتِّرْمِذ . وقال لثابت : إنْ أخرجْنا يزيدَ قَدِم عاملٌ لعبدِ الملك ، ولكنا نخرِج عمّال يزيدَ من وراء النهر مما يلينا ، وتكون هذه الناحية لنا نأكلها . فرضِىَ ثابت بذلك ، وأخرج من كان من عمال يزيدَ من وراء النهر ، وحُملت إليهم الأموالُ ، وقوىَ أمرُهم وأمرُ موسى ، وانصرف طرخون ونيزك وأهل بخارى والسبل إلى بلادهم ، وتَدْبير الأمر لحريْث وثابت ، والأميرُ موسى ليس له غيرُ الاسم ،

---

(١) الثط : الثقيل البطن ، أو الكوسج الذى عرى وجهه من الشعر .

(٢) ر : « ولى » ، س : « نزل » .

(٣) ب : « فإن » .

فقال لموسى أصحابُه : لسنا نرى من الأمر فى يديك شيئاً أكثرَ من اسم الإمارة ، فأمَّا التدبير فلِحرُيث وثابت ، فاقتُلْهما وتولَّ الأمرَ. فأبى وقال : ما كنت لأغدر بهما وقد قوّيا أمرى ، فحسَدُوهما وألحّوا على موسى فى أمرهما حتى أفسَدوا قلبَه ، وخوّفوه غدرَهما ، وهمّ بمتابَعتهم على الوثُوب بثابت وحرُيث . واضطرَب أمرُهم ؛ فإنهم لفى ذلك إذ خرجتْ عليهم الهَياطِلة والتُّبَّت والتُّرك ، فأقبلوا فى سبعين ألفاً لا يعدُّون الحاسرَ ولا صاحبَ بَيْضة جمّاء ، ولا يعدون إلاّ صاحبَ بَيْضة ذات قَوْنَس . قال : فخرج ابنُ خازم إلى رَبَض المدينة فى ثلثمائة راجل وثلاثين مجفّفاً ، وأُلقِيَ له كرسىٌّ فقعد عليه . قال : فأمر طَرْخون أن يثلم[1] حائطَ الرَّبض ، فقال موسى : دَعُوهم ، فهدموا ودخل أوائلهم ، فقال : دعُوهم يكثرون ، وجعل يقلّب طَبَرْزيناً بيده ، فلما كثروا قال : الآن امنعوهم ، فركب وحمل[2] عليهم فقاتلَهم حتى أخرَجهم عن الثُّلمة ، ثمّ رجع فجلس على الكرسىّ وذمّر الملكُ أصحابه ليعودوا ، فأبَوْا ، فقال لفرسانه : هذا الشيطان، منْ سرّه أن ينظرَ إلى رستم فلينظرْ إلى صاحب الكرسىّ ، فمن أبى فليقدَم عليه . ثمّ تحوّلت الأعاجم إلى رُسْتاق كفتان . قال : فأغاروا على سَرْح موسى ، فاغتمّ ولم يَطعم ، وجعلَ يَعبثُ بلِحيته ، فسار ليلا على نهر فى حافتَيْه[3] نبات لم يكن فيه ماء، وهو يُفضِي إلى خَنْدَقهم ، فى سبعمائة ، فأصبحوا عند عسكرهم ، وخرج السَّرْح فأغار عليه فاستاقه ، وأتبعه قومٌ منهم ، فعطف عليه سَوّار، مولًى لموسى ، فطعن رجلاً منهم فصرَعَه ، فرجعوا عنهم وسَلِم موسى بالسَّرح . قال : وغاداهم العَجَم القتال، فوقف مَلِكُهم على تلّ فى عشرة آلاف فى أكمل عُدّة ، فقال موسى : إن أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشىء . فقصد لهم حرُيْثُ بن قُطْبة فقاتلَهم صدرَ النهار، وألحّ عليهم حتى أزالوهم عن التلّ ، ورُمى يومئذ حرُيث بنُشابة فى جبهته ، فتحاجزوا، فبَيّتَهم موسى ، وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل إلى شمعة مَلِكهم ،

١١٥٤/٢

---

(١) ب : « يستلم » .

(٢) ب : « وركب فحمل » .

(٣) ب : « ناحيتيه » .

فوجأ رجلاً منهم بقَبِيعة[1] سيفه ، فطعن فرَسه ، فاحتملَه فألقاه فى نهر بَلْخ فغَرِق ، وعليه درْعان ، فقتل العجمَ قتْلاً ذريعًا ، ونجا منهم من نجا بشرّ ، ومات حُرَيث بن قطبة بعد يومين ، فدُفن فى قبّته . ٢/١١٥٥

قال : وارتحل موسى ، وحملوا الرءوسَ إلى التِّرْمذ ، فبنَوا من تلك الرءوس جَوْسَقَين ، وجعلوا الرءوسَ يقابل بعضها بعضًا . وبلغ الحجاجَ خبرُ الوقعة ، فقال : الحمد لله الذى نصَر المنافقين على الكافرين ، فقال أصحاب موسى : قد كُفِينا أمرَ حُرَيث ، فأرحْنا من ثابت ، فأبَى وقال : لا . وبلغَ ثابتاً بعضُ مايخوضون فيه ، فدسّ محمد بن عبد الله بن مَرْثَد الخُزاعىّ ، عمّ نَصْر بن عبد الحميد عامل أبى مسلم على الرّىّ — وكان فى خدمة موسى بن عبد الله — وقال له : إياك أن تتكلم بالعربية ، وإن سألوك من أين أنتَ ! فقل : من سَبْى الباميان[2] ، فكان يَخدُم موسى وَينقُل إلى ثابت خبرَهم ، فقال له : تحفّظْ ما يقولون . وحَذِر ثابت فكان لا ينام حتى يرجعَ الغلام ، وأمر قومًا من شاكريّته يحرسونه وَيبيتون عندَه فى داره ، ومعهم قوم من العرَب ، وألحّ القوم على موسى فأضجَروه ، فقال لهم ليلةً : قد أكثرتم علىّ ، وفيم تريدون هلاكَكم ، وقد أبرَمْتمونى ! فعلى أىّ وجه تَفتِكون به ، وأنا لا أغدِر به ! فقال نوح بن عبد الله أخو موسى : خلِّنا وإياه ، فإذا غدا إليك غُدوةً عدَلْنا به إلى بعض الدّور ، فضربْنا عنقَه فيها قبل أن يصلَ إليك ، قال : أمَا والله إنه لهَلاككم ، وأنتم أعلم — والغلام يَسمع — فأتى ثابتاً فأخبرَه ، فخرج من ليلته فى عشرين فارسًا ، فمضى ، وأصبحوا وقد ذهب فلم يَدْروا من أين أُتوا ، وفقَدوا الغلام ، فعلموا أنه كان عَيْناً له عليهم ، ولحق ثابت بحشورا فنزل المدينة ، وخرج إليه قومٌ كثير من العرَب والعَجَم ، فقال موسى لأصحابه : قد فتحتم على أنفسكم بابًا فسُدّوه ، وسار إليه موسى[3] ، فخرج إليه ثابت فى جمع كثير فقاتلَهم ، فأمر موسى بإحراق السور ، وقاتلَهم حتى ألجئوا ثابتًا وأصحابَه إلى المدينة ، وقاتلوهم عن المدينة . ٢/١١٥٦

---

(١) القبيعة : ما يكون على طرف مقبض السيف ، تكون من فضة أو حديد .

(٢) ر : « البابيان » . (٣) ب : « موسى إليه » .

فأقبل رقبة بن الحرّ العَنبرىّ حتى اقتحم النار[1] ؛ فانتهى إلى باب المدينة ورجل من أصحاب ثابت واقفٌ يَحمى أصحابَه ، فقتَلَه ، ثمّ رجع فخاض النار وهى تَلتهب ، وقد أخذتْ بجوانب نَمَط عليه ، فرَمى به عنه ووقَفَ ، وتحصّن ثابت فى المدينة ، وأقام موسى فى الرَّبَض ، وكان ثابت حين شَخَص إلى حشورا أرسَل إلى طَرْخون ، فأقبَل طرْخون مُعينًا له ، وبلغ موسى مجىءُ طَرْخون ، فرجع إلى التِّرْمِذ ، وأعانه أهلُ كِس ونَسَف وبُخارَى ، فصار ثابت فى ثمانين ألفًا ، فحصَروا موسى وقطعوا عنه المادّة حتى جُهِدوا .

قال : وكان أصحابُ ثابت يَعبرُون نهرًا إلى موسى بالنهار — ثمّ يرجعون بالليل إلى عسكرهم ، فخرج يومًا رَقَبة — وكان صديقًا لثابت ، وقد كان يَنهى أصحاب موسى عمّا صنعوا — فنادى ثابتًا ، فبرَز له — وعلى رَقَبة قَباء خزّ — فقال له : كيف حالك يا رقَبة ؟ فقال : ما تسأل عن رَجل عليه جُبّة خزّ فى حَمارَّة القَيْظ ! وشكا إليه حالهم ، فقال : أنتم صنعتم هذا بأنفسكم ، فقال : أما والله ما دخلتُ فى أمرِهم ، ولقد كرهتُ ما أرادوا ، فقال ثابت : أين تكون حتى يأتيَك ما قُدِّر لك ؟ قال : أنا عند المُحلّ الطفاوىّ — رجلٌ من قيس من يَعْصُر — وكان المحلّ شيخًا صاحب شراب — فنزل رَقَبة عندَه . ١١٥٧/٢

قال : فبعث ثابت إلى رَقَبة بخمسمائة درهم مع علىّ بن المهاجر الخُزاعىّ ، وقال : إنّ لنا تجّاراً قد خرجوا من بَلْخَ ، فإذا بلغك أنهم قد قَدِموا فأرسلْ إلىّ تأتِكَ حاجتُك . فأتى على باب المُحِلّ ، فدخل فإذا رَقَبة والمُحلّ جالسان بينهما جَفْنة فيها شراب ، وخِوانٌ عليه دَجاج وأرغفة ، ورَقبة شَعِث الرأس ، متوشّح بمِلحفة حمراء ، فدفع إليه الكيس ، وأبلَغَه الرسالة وما كلمه ، وتناوَلَ الكيس وقال له بيَدِه ، اخرجْ ، ولم يكلّمه . قال : وكان رقبةُ جَسيماً كبيراً ، غائرَ العينين ، ناتئ الوَجْنَتين ، مفلّج ، بين كلّ سِنَّيْن له موضع سنّ ، كأنّ وجهه تُرْس .

---

(١) ب : « الباب » .

قالَ : فلمّا أضاق أصحابُ موسى واشتدّ عليهم الحصار قال يزيد بنُ هزيل : إنما مقَام هؤلاء مع ثابت والقَتْل أحسَنُ من الموت جوعًا ، والله لأفتكنّ بثابت أو لأموتَنّ . فخرج إلى ثابت فاستأمنَه ، فقال له ظُهير : أنا أعرَفُ بهذا منك ، إنّ هذا لم يأتِك رغبةً فيك ولا جَزَعاً لك ، ولقد جاءك بغَدْرَة ، فاحذَرْه وخَلّنى وإياه ، فقال : ما كنتُ لأقدِم على رَجل أتانى ، لا أدرى أكذلك هو أم لا . قال : فدَعْنى أرتهن منه رَهْنًا ، فأرسل ثابت إلى يزيدَ فقال : أما أنا فلم أكن أظنّ رجلا يَغدِر بعد ما يَسأل الأمان ، وابنُ عمِّك أعلَم بك منى ، فانظر ما يُعامِلك عليه ، فقال يزيد لظُهير : أبيتَ يا أبا سعيد إلا حَسَداً ! قال : أما يكفيك ما تَرَى من الذُّلّ ! تشرّدتُ عن العِراق وعن أهلى ، وصرتُ بخُراسان فيما ترى ، أفما تَعطِفك الرَّحمُ ! فقال له ظُهير : أما والله لو تُرِكْتُ ورأيى فيكَ لما كان هذا ، ولكن أرْهِنّا ابنيْك قُدامة والضحّاك . فدَفَعهما[1] إليهم ، فكانا فى يدىْ ظُهير .

قال : وأقام يزيدُ يَلتَمس غِرّةَ ثابت ، لا يَقدِر منه على ما يريد ، حتى مات ابنٌ لزياد القصير الخُزاعىّ ، أتى أباه نَعيّه من مَرْوَ ، فخرج متفضّلا إلى زياد ليعزّيه ، ومعه ظُهير ورَهطٌ من أصحابه ، وفيهم يزيد بن هُزَيل ، وقد غابت الشمس ، فلما صار على نهر الصغَانيان تأخّر يزيدُ بن هزيل ورجلان معه ، وقد تقدم ظُهير وأصحابه ، فدنا يزيد من ثابت فضربه فعضّ السيف برأسه ، فوصل إلى الدماغ . قال : ورمى يزيد وصاحباه بأنفسهم فى نَهْر الصَّغانيان ، فرمَوْهم ، فنجا يزيدُ سباحة وقُتِل صاحباه ، وحُمِل ثابت إلى منزله ، فلما أصبح طَرْخون أرسَل إلى ظهير : ائتنى بابنَىْ يزيدَ ، فأتاه بهما ، فقدّم ظهيرٌ الضّحاك بنَ يزيدَ فقَتَله ، ورمى به وبرأسه فى النهر ، وقدّم قدامةَ ليقتلَه ، فالتفتَ فوقَع السيف فى صَدْره ، ولم يُبِنْ ، فألقاه فى النهر حيًّا فغَرِق ، فقال طرخون : أبوهما قتلهما وغدرُه . فقال يزيد بن هزيل : لأقتلنّ يابنىّ كلّ خُزاعىّ بالمدينة ، فقال له عبدُالله بنُ بُدَيل بنِ عبد الله بن بُدَيل بنِ وَرْقاء — وكان ممن أتىَ موسى من فَلّ ابن الأشعث :

١١٥٨/٢

---

(١) ب « فدفعهم » .

لو رُمْتَ ذاكَ من خزاعة لَتصعُب عليكَ . وعاش ثابت سبعةَ أيام ثمَّ مات . وكان يزيدُ بن هزيل سخيّاً شجاعًا شاعراً ، ولى أيّام ابن زياد جزيرةَ ابن كاوان ، فقال : ٢/١١٥٩

قد كنتُ أدعو الله فى السرّ مخلصاً ليُمْكنّنى من جزيةٍ ورِجالِ[1]
فأتركَ فيها ذِكْرَ طَلحةَ خاملًا ويُحمَدُ فيها نائلى وفِعالى

قال : فقام بأمرِ العَجَم بعد موت ثابت طَرْخون ، وقام ظُهَير بأمر أصحابِ ثابت ، فقاما قيامًا ضعيفًا ، وانتَشَر أمرُهم ، فأجمع موسى على بَياتِهم ، فجاء رجلٌ فأخبرَ طرخون ، فضَحِك وقال : موسى يَعجز أن يدخل متوضّأه ، فكيف يبيّتنا ! لقد طار قلْبك ، لا يحرسنّ الليلة أحدٌ العَسكَر . فلما ذهب من الليل ثُلثُه خرج موسى فى ثمانمائة قد عبّاهم من النهار ، وصيّرهم[2] أرباعًا . قال : فصيّر على رُبْع رَقَبة بن الحرّ وعلى رُبْع أخاه نُوح بن عبد الله بن خازم ، وعلى رُبْع يزيدَ بن هزيل ، وصار هو فى ربع ، وقال لهم : إذا دخلتم[3] عسكرَهم فتفرّقوا ، ولا يمُرَّن أحدٌ منكم بشيء إلا ضربه ، فدخلوا عسكرَهم من أربع نواحٍ لا يمرّون بدابّة ولا رجل ولا خِباء ولا جوالق إلا ضَرَبوه . وسمع الوجبَة نَيْزك فلَبس سلاحَه ، ووقف فى ليلة مظلمة ، وقال لعلىّ بنِ المُهاجر الخُزاعىّ : انطلق إلى طرْخونَ فأعلِمه مَوقِفى ، وقل له : ما ترَى أعمل به ، فأتى طرخونَ ، فإذا هو فى فازة[4] قاعدٌ على كرسىّ وشاكريّته قد أوقَدوا النيرانَ بين يديْه ، فأبلغه رسالةَ نَيزَك ، فقال : اجلسْ ، وهو طامح ببصره نحوَ العسكر والصّوت ، إذا أقبل مَحْمِيَةُ السُّلَمىّ وهو يقول : «حم لا يُنْصَرونَ» ، فتفرّق فى الشاكريّة ، ودخل مَحمِيَةُ الفازة ، وقام إليه طرْخون فبدَره فضرَبه ، فلم يُغنِ شيئًا ، ٢/١١٦٠ قال : وطَعنَه طرْخون بذُباب السيف فى صَدْرِه فصرَعه ، ورجع إلى الكرسىّ فجلس عليه ، وخرج مَحمية يَعدُو .

---

(١) ب ، ر : « حربه وحلالى » . (٢) ب : « وميزهم » .
(٣) ب : « ادخلوا » . (٤) الفازة : مظلة تمد بعمود .

قال : ورجعت الشاكرِيّة ، فقال لهم طَرْخون : فَرَرْتم من رجل ! أرأيتم لو كان نارًا هل كانت تَحرِق منكم أكثرَ من واحد ! فما فَرَغ من كلامه حتى دخل جواريه الفازَة ، وخرَج الشاكرِيّة هُرّابًا ، فقال للجوارى : اجلِسْن ، وقال لعلىّ بن المهاجر : قُمْ ، قال : فخرجا فإذا نوح بنُ عبد الله ابن خازم فى السُّرادق ، فتجاوَلا ساعة ، واختلَفا ضربتيْن ، فلم يَصنَعا شيئًا ، وولّى نوح وأتبعَه طَرْخون ، فطَعَن فرسَ نُوح فى خاصِرَته فشَبّ ، فسَقَط نُوح والفَرَس فى نهر الصَّغانيان ، ورجع طَرْخون وسيفُه يَقطُر دمًا ، حتى دخل السرادق وعلىّ بن المهاجِر معه ، ثمّ دخلا الفازة .

وقال طَرْخون للجوارى : ارجعن ، فرَجَعن إلى السرادق ؛ وأرسَل طرخون إلى موسى : كُفّ أصحابَك ؟ فإنا نرتحل إذا أصبحْنا ، فرجَع موسى إلى عسكره ، فلما أصبحوا ارتَحَل طَرْخون والعَجَم جميعًا ، فأتى كلّ قوم بلادهم . قال : وكان أهلُ خُراسانَ يقولون : ما رأيْنا مِثلَ موسى ابن عبد الله بن خازم، ولا سَمِعنا به، قاتَلَ مع أبيه سنتين ، ثمّ خرج يسير فى بلاد خُراسان حتى أتى مَلِكا فغلَبه على مدينته وأخرجَه منها ، ثمّ سارت إليه الجنُود من العَرَب والتّرك فكان يُقاتِلَ العَرب أوّل النهار والعَجَم آخر النهار ، وأقام فى حِصنه خمسَ عشرةَ سنة ، وصار ما وراءَ النهر لموسى ، لا يُعازّه فيه أحدٌ .

١١٦١/٢

قال : وكان بقُومِسَ رجلٌ يقال له عبد الله، يَجتمِع إليه فِتيانٌ يتنادَمون عندَه فى مؤونته ونفَقَته ، فلزِمه دَيْن ، فأتىَ موسى بن عبد الله ، فأعطاه أربعةَ آلاف ، فأتَى بها أصحابَه ، فقال الشاعر يُعاتِب رجلا يقال له موسى :

فما أنتَ مُوسَى إذ يُناجِى إلٰهَهُ ولاوَاهِبِ القَيْنَاتِ موسَى بنُخازِمِ

قال : فلما عُزِل يزيدُ ووُلّىَ المفضّل خُراسانَ أراد أن يحظى عند الحجّاج بقِتال موسى بن عبد الله ، فأخرج عثمانَ بنَ مسعود — وكان يزيدُ حبَسَه — فقال : إنى أريد أن أوجّهَك إلى موسى بن عبد الله، فقال : والله لقد وَتَرنى ، وإنّى لثائر بابن عمّى[1] ثابت وبالخُزاعىّ ، وما يَد أبيك

(١) س : « عمى » .

وأخيك عندى وعندَ أهل بيتى بالحسنة ، لقد حبستمونى وشرّدتم بنى عمّى ، واصطفَيْتم أموالهم . فقال له المفضّل : دَعْ هذا عنك ، وسِرْ فأدْرِكْ بثأرِك ، فوجّهه فى ثلاثة آلاف ، وقال له : مُرْ مناديًا فليُناد : مَن لحق بنا فله ديوان ، فنادَى بذلك فى السوق ، فسارَعَ إليه الناس . وكتب المفضّل إلى مُدرِك وهو ببَلْخ أن يسيرَ معه ، فخرج ، فلما كان ببلْخ خرج ليلةً يطوف فى العسكر ، فسَمِع رجلا يقول : قتلتُه واللهِ ، فرَجَع إلى أصحابه ، فقال : قتلتُ موسَى وربَّ الكعبة ! ١١٦٢/٢

قال : فأصبَح فسار مِنْ بَلْخ وخرج مدرك معه مُتثاقِلاً ، فقطع النهرَ فنَزَل جزيرةً بالترمِذ يقال لها اليومَ جزيرة عثمان — لنزول عثمانَ بها فى خمسة عشر ألفًا — وكتب إلى السَّبَل وإلى طرْخونَ فقَدِموا عليه ، فحصَروا موسى ، فضيَّقوا عليه وعلى أصحابه ، فخرج موسى ليلاً فأتى كفتان ، فامتار منها ، ثمّ رجع فمكث شهرين فى ضِيق ، وقد خندَق عثمان وحذر البيَات ، فلم يقدِر موسى منه على غِرَّة ، فقال لأصحابه : حتى متى ! اخرُجوا بنا فاجعلوا يومكم ؛ إما ظفرتم وإما قُتِلتم . وقال لهم : اقصِدوا للصُّغْد والترك ، فخرج وخلّف النضرَ بنَ سليمان بن عبد الله بن خازم فى المدينة ، وقال له : إن قُتِلتُ فلا تدفعنّ المدينةَ إلى عثمان ، وادفعْها إلى مُدرِك بن المهلّب . وخرج فصيّر ثُلثَ أصحابه بإزاء عثمان وقال : لا تهايجوه إلا أن يقاتلكم ، وقصد لطرْخون وأصحابه ، فصدقوهم ، فانهزم طرْخونُ والترك ، وأخذوا عسكرَهم فجعلوا ينقلُونه ، ونظر معاويةُ بن خالد بنِ أبى برْزة إلى عثمانَ وهو على بِرْذَوْن لخالد بن أبى برْزة الأسلَمىّ ، فقال : انزِل أيها الأمير ، فقال خالد : لا تنزلْ فإنّ معاوية مشئوم . وكرّت الصُّغْد والترك[1] راجعةً ، فحالوا بين موسى وبين الحصن ، فقاتلَهم ، فعُقِر به فسقَط ، فقال لمولًى له : احملنى ، فقال : الموتُ كَرِيه ، ولكن ارتدِف ، فإنْ نجوْنا نجوْنا جميعًا ، وإن هلكْنا هلكنا جميعًا . قال : فارتَدَف ، فنظر إليه عثمانُ حين وثَب فقال : وَثْبةُ موسى وربِّ الكعبة ! وعليه مِغفَر له مُوشًّى بخزّ أحمر ١١٦٣/٢

---

(١) ب : « الترك والصغد » .

فى أعلاه[1] ياقوتة اسما نَجُونِيَّة، فخرج من الخندق فكَشَفوا أصحابَ موسى. فقصد لموسى، وعثرتْ دابة موسى فسَقَط هو ومَوْلاه، فابتدَرُوه فانطَوَوا عليه فقتلوه، ونادى منادِى عثمان: لا تَقتُلوا أحداً، من لقيتموه فخُذوه أسيراً.

قال: فتفرّق أصحابُ موسى، وأسِر منهم قومٌ، فعُرِضوا على عثمان، فكان إذا أُتِىَ بأسير من العرب قال: دماؤُنا لكم حلال، ودماؤكم علينا حرام! ويأمر بقتلِه، وإذا أتِىَ بأسير من الموَالى شتَمه، وقال: هذه العربُ تقاتلنى، فهَلّا غضبتَ لى! فيأمر به فيُشدَخ. وكان فَظًّا غليظًا، فلم يسلّم عليه يومئذ أسيرٌ إلا عبد الله بنَ بُدَيل بنِ عبد الله بن بُدَيل بن ورْقاء؛ فإنه كان مولاه، فلما نظر إليه أعرَض عنه وأشارَ بيده أن خَلّوا عنه، ورَقَبة بن الحرّ لما أُتِىَ به نَظَر إليه وقال: ما كان من هذا إلينا كبيرُ ذَنْب، وكان صديقًا لثابت، وكان مع قوم فَوَفى لهم، والعَجَب كيف أسرْتُموه! قالوا: طُعن فرسُه فسَقَط عنه فى وهدة فأسِر؛ فأطلَقه وحَمله، وقال لخالد بن أبى بَرْزة: ليكُنْ عندَك. قال: وكان الذى أجهَز على موسى ابنِ عبد الله واصِلُ بن طَيْسلة العَنْبرىّ.

ونظر يومئذ عثمانُ إلى زُرعة بن عَلْقمة السُّلَمىّ والحجاج بن مروان وسِنان الأعرابىّ ناحيةً فقال: لكم الأمان، فظنّ الناسُ أنه لم يؤمنهم حتى كاتبوه.

٢/١١٦٤ قال: وبقيت المدينةُ فى يَدَى النضْرِ بنِ سليمان بن عبد الله بن خازم، فقال: لا أدفعُها إلى عثمانَ، ولكنى أدفعُها إلى مُدرِك، فدفعَها إليه وآمنه، فدفعَها مُدرِك إلى عثمانَ. وكتب المفضّل بالفَتْح إلى الحجّاج، فقال الحجّاج: العجب من ابن بَهْلة! آمرُه بقتْل ابن سَمُرة فيكتب إلىّ أنه لمآبه ويكتب إلى: إنه قَتَل موسى بن عبد الله بن خازم، قال: وقُتِل موسى سنة خمس وثمانين، فذكَر البحترىّ أن مَغْراء بن المغيرة بن أبى صُفْرة قَتَلَ موسى فقال:

وقد عَرَكتْ بالتِّرمذ الخيلُ خازماً ونوحاً وموسى عَرْكةً بالكَلاكل

---

(١) ب: «وفى أعلا».

قال : فضرب رجل من الجند ساقَ موسى ، فلما ولّى قتيبة أخبِر عنه فقال : ما دعاك إلى ما صنعتَ بفتى العرب بعد مَوْته ! قال : كان قَتَل أخى ، فأمَر به قُتَيبة فقُتِل بين يديه .

* * *

[عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز]

وفى هذه السنة أراد عبدُ الملك بنُ مروانَ خلعَ أخيه عبدِ العزيز بنِ مَرْوان .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهما فيه :

ذكَر الواقدىّ أنّ عبدَ الملك همّ بذلك ، فنهاه عنه قَبيصةُ بن ذُؤَيب ، وقال : لا تَفعلْ هذا ، فإنك باعثٌ على نفسك صوتَ نعّار[1] ، ولعلّ الموتَ يأتيه فتستريحَ منه ! فكفّ عبدُ الملك عن ذلك ونفسُه تُنازِعه إلى أن يَخلَعه. ودخل عليه رَوْح بنُ زِنْباع الجُذامىّ — وكان أجلّ الناسِ عندَ عبدِ الملك — فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لو خلعتَه ما انتَطَح فيه عنْزان ، فقال : ترَى ذلك يا أبا زرْعة ؟ قال : إى واللهِ ، وأنا أوّلُ من يُجيبُك إلى ذلك ؛ فقال : نَصبِحُ[2] إن شاء الله . قال : فبينا هو على ذلك وقد نامَ عبدُ الملك ورَوْح ابنُ زِنْباع إذ دخل عليهما قَبِيصة بن ذُؤيب طروقاً ، وكان عبدُ الملك قد تقدّم إلى حُجّابه فقال : لا يُحجب عنّى قبيصة أىّ ساعة جاءَ من ليل أو نهار ، إذا كنت خاليًا أو عندى رجل واحد ، وإن كنت عند النساء أدخِل المجلسَ وأعلِمتُ بمكانه فَدخَل ، وكان الخاتَمُ إليه ، وكانت السكّة إليه ، تأتيه الأخبارُ قبل عبدِ الملك ، ويَقرأ الكتبَ قبلَه ، ويأتى بالكتاب إلى عبدِ الملك مَنْشوراً فيقرؤه ، إعظامًا لقبيصة — فدخل عليه فسلم عليه وقال : آجرَك اللهُ يا أميرَ المؤمنين فى أخيك عبدِ العزيز ! قال : وهل تُوفّى ؟ قال : نعم ، فاسترجَع عبدُ الملك ، ثمّ أقبَل على رَوْح فقال : كفانا الله أبا زُرْعة ما كنا نريد وما أجمَعْنا عليه ، وكان ذلك مخالفًا لك يا أبا إسحاق ، فقال قَبيصة : ما هو ؟ فأخبَره بما كان ؛ فقال قبيصة : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الرأى كله

٢/١١٦٥

(١) ابن الأثير : « عار » . (٢) ابن الأثير : « نصبح » .

فى الأناة، والعجلةُ فيها ما فيها ، فقال عبدُ الملك : ربما كان فى العَجَلة خيرٌ كثير ، رأيتَ أمرَ عمرو بنِ سعيد ، ألم تكن العَجَلة فيه خيراً من التأنّى!

* * *

[خبر موت عبد العزيز بن مروان]

وفى هذه السنة تُوفِّىَ عبدُ العزيز بنُ مَروانَ بمصرَ فى جُمادَى الأولى، فضمّ عبد الملك عَملَه إلى ابنه عبدِ الله بن عبد الملك ، وولّاه مصرَ .

٢/١١٦٦

وأما المدائنىّ فإنه قال فى ذلك ما حدّثنا به أبو زيد عنه، أنّ الحجّاج كتَب إلى عبد الملك يزيّن له بيعةَ الوليد، وأوفَدَ وفداً فى ذلك عليهم عمرانُ ابن عِصام العَنَزىّ ، فقام عِمْران خطيباً ، فتكلّم وتكلّم الوَفْد وحثّوا عبدَ الملك ، وسألوه ذلك ، فقال عمران بنُ عِصام :

أميرَ المُؤْمنينَ إليك نُهدِى ... على النأْىِ التحيَّةَ والسلاما[1]

أَجِبْنى فى بَنيكَ يكُنْ جوابى ... لهمْ عادِيّةً ولنا قِوَامَا

فلو أنَّ الوليدَ أُطاعُ فيه ... جَعلتَ له الخلافةَ والذِّماما[2]

شَبيهُكَ حَولَ قُبَّتِهِ قريشٌ ... به يَستَمطِرُ الناسُ الغماما

ومثلك فى التُّقى لم يَصْبُ يوماً ... لدُنْ خَلَعَ القلائدَ والتِّماما

فإن تُؤثِرْ أخاكَ بها فإنّا ... وجَدّكَ لا نُطِيقُ لها اتّهاما

ولكنّا نُحاذرُ من بَنيه ... بَنِى العَلّاتِ مأْثَرَةً سَمَامَا

ونخشى إن جَعلتَ المُلكَ فيهمْ ... سَحَاباً أن تَعودَ لهم جَهَامَا

فلا يَكُ ما حَلبْتَ غداً لقومٍ ... وبعدَ غدٍ بَنُوكَ هُمُ العِيامَا

فأُقسِمُ لو تَخطَّأنى عِصَامٌ ... بذلك ما عَذَرتُ به عِصَاما

ولو أنِّى حَبَوتُ أخاً بفضلٍ ... أُريدُ به المقالةَ والمقاما

---

(١) الأغانى ١٦ : ٥٨ (ساسى) وفيه : «على الشحط» .

(٢) الأغانى : «جعلت له الإمامة» .

١١٦٧/٢

لعَقَّبَ في بَنِيَّ على بنيه كذلك أو لَرُمتُ له مرامًا[١]
فَمَن يَكُ في أقاربه صُدُوع فصَدعُ الملكِ أبطؤهُ التئامَا

فقال عبدُ الملك : يا عِمرانُ ، إنه عبد العزيز ، قال : احتَلْ له يا أميرَ المؤمنين .

قال عليّ : أراد عبدُ الملك بيعةَ الوليدِ قبل أمرِ ابن الأشعث ، لأنّ الحجّاج بعثَ في ذلك عمرانَ بن عصام ، فلما أبى عبدُ العزيز أعرض عبدُالملك عمّا أراد حتى ماتَ عبدُ العزيز ، ولما أراد أن يَخلَع أخاه عبدَ العزيز ويُبايعَ لابنه الوليد كتب إلى أخيه : إن رأيت أن تصيِّر هذا الأمر لابن أخيك ! فأبى ، فكتَبَ إليه : فاجعلْها له من بعدك ، فإنه أعزّ الخلق على أمير المؤمنين . فكتب إليه عبد العزيز : إني أرَى في أبي بكر بنِ عبد العزيز ما تَرَى في الوليد ، فقال عبدُ الملك : اللهمّ إنّ عبد العزيز قَطعَني فاقطعْه . فكتب إليه عبدُ الملك : احمل خراجَ مصرَ . فكتَبَ إليه عبدُ العزيز : يا أميرَ المؤمنين ، إني وإيّاكَ قد بلَغْنا سِنًّا لم يبلغْها أحدٌ من أهلِ بيتك إلا كان بقاؤه قليلا ، وإنّي لا أدري ولا تَدرِي[٢] أيُّنا يأتيه الموتُ أوّلا ! فإن رأيتَ ألّا تغثّث[٣] عليّ بقيةَ عمري فافعلْ .

١١٦٨/٢

فرقّ له عبدُ الملك وقال : لَعمْرِي لا أغثّث عليه بقية عُمرِه ، وقال لابنَيه : إن يُرد الله أن يُعطيكموها لا يَقدِرْ أحدٌ من العباد على ردّ ذلك . وقال لابنيه : الوليد وسليمان : هل قارفْتُما حرامًا قطّ ؟ قالا : لا واللهِ ، قال : اللهُ أكبر ، نِلتُماها ورب الكعبة !

قال : فلما أبى عبدُ العزيز أن يجيبَ عبدَ الملك إلى ما أراد ، قال عبدُ الملك : اللهمّ قد قَطعَني فاقطَعْه ، فلما مات عبدُ العزيز قال أهلُ الشأم : رَدّ على أمير المؤمنين أمرَه ، فدعا عليه ، فاستُجيب له .

قال : وكتب الحجاج إلى عبدِ الملك يشيرُ عليه أن يستكتب محمد بن يزيدَ الأنصاريّ ، وكتب إليه : إن أردتَ رجلا مأمونًا فاضلا عاقلا وَدِيعًا مُسلِمًا

---

(١) ب : « أو لزمت » . (٢) ب : « ولا أرى » . (٣) لا تغثث عليّ : أي لا تفسد .

كَتُوماً تتّخذه لنفسِك، وتَضَع عندَه سِرَّك، وما لا تحبّ أن يَظهَر، فاتَّخذْ محمد بن يزيدَ . فكتب إليه عبدُ الملك: احمله إليّ. فحَمله ، فاتّخذه عبدُ الملك كاتباً . قال محمد : فلم يكن يأتيه كِتابٌ إلا دفعه إليّ ، ولا يَستُرُ شيئاً إلا أخبَرَني به وكتَمه الناسَ ، ولا يكتبُ إلى عامل من عماله إلا أعلَمنيه ، فإني لجالسٌ يوماً نِصفَ النهار إذا ببَريد قد قَدِم من مصرَ ، فقال : الإذن على أمير المؤمنين . قلتُ : ليست هذه ساعة إذن ، فأعلمني ما قد قدمتَ له ، قال : لا . قُلت : فإن كان معك كتاب فادفعه إليّ . قال : لا ، قال : فأبلغَ بعضُ من حضرَني أميرَ المؤمنين ، فخرج فقال : ما هذا ؟ قلتُ : رسولٌ قَدِم من مصرَ ، قال : فخُذ الكتاب ، قلتُ : زَعَم أنه ليس معه كتاب ، قال : فسَلْه عما قَدِم له ، قلتُ : قد سألتهُ فلم يُخبِرْني ، قال أدخِلْه ، فأدخَلته ، فقال : آجرَك الله يا أميرَ المؤمنين في عبد العزيز ! فاسترْجَع وبَكَى ووَجَم ساعةً ثمّ قال : يَرحَم الله عبدَ العزيز ! مَضَى واللهِ عبدُ العزيز لشأنِه ، وتركَنَا وما نحن فيه ، ثمّ بكى النساءُ وأهل الدار ، ثمّ دعاني من غَد ، فقال : إنّ عبدَ العزيز رحمه الله قد مَضَى لسبيله ، ولا بدّ للناس من عَلَم وقائم يقومُ بالأمْرِ من بَعدي ، فمن تَرَى ؟ قلت : يا أميرَ المؤمنين ، سيّد الناس وأرضاهم وأفضلُهم الوليدُ بن عبد الملك ، قال : صدقتَ وفّقك الله ! فمَن تَرى أن يكون بعده[1] ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، أين تَعدِلها عن سليمانَ فتَى العرب ! قال : وفّقتَ ، أما إنّا لو تركْنا الوليدَ وإياها لجعلَها لبنيه ، اكتُب عهداً للوليد وسُليمانَ من بَعدِه ، فكتبتُ بيعةَ الوليد ثم سليمان من بعدِه . فغَضب عليّ الوليدُ فلم يُولِّني شيئاً حين أشرْتُ بسليمان من بعدِه .

قال عليّ ، عن ابن جُعْدُبة[2] : كتب عبدُ الملك إلى هِشام بن إسماعيلَ المخزوميّ أن يدعوَ الناس لبيعة الوليد وسليمان ، فبايعوا غيرَ سعيد بن المسيِّب ، فإنه أبى ، وقال : لا أبايع وعبد الملك حيّ ؛ فضرَبه هشام ضرْباً

---

(١) ب : « ثم من » ، ر : « ثم قال من » .

(٢) ب : « ابن جعدة » . ر : « عن أبي جعدبة » .

مُبرِّحًا وألبَسَه المسُوحَ ، وسرّحه إلى ذباب – ثنيّة بالمدينة كانوا يُقتلون ٢/١١٧٠ عندَها ويُصلَبون فظنّ أنهم يريدون قتلَه ، فلما انتهَوا به إلى ذلك الموضع رَدّوه ، فقال : لو ظننت أنهم لا يَصْلبونى ما لبستُ سراويلَ مُسوح ، ولكن قلتُ : يصلبونى فيسترنى . وبلغ عبدَ الملك الخبرُ ، فقال : قبح الله هشامًا ! إنما كان ينبغى أن يدعوه إلى البيعة ، فإن أبى يَضرِب عنقَه ، أو يكفّ عنه .

* * *

[بيعة عبد الملك لابنيه: الوليد ثم سليمان]

وفى هذه السنة بايع عبدُ الملك لابنَيه : الوليد ، ثمّ من بعدهِ لسليمان ، وجعلَهما وليّىْ عهدِ المسلمين ، وكتب ببَيعتِه لهما إلى البُلدان ، فبايع الناس ، وامتنع من ذلك سعيدُ بنُ المسيَّب ، فضربه هشام بن إسماعيل – وهو عامل عبد الملك على المدينة – وطافَ به وحبَسه ، فكتب عبدُ الملك إلى هشام يلومُه على ما فَعَل من ذلك ، وكال ضربه ستّين سَوْطًا ، وطاف به فى تُبّان[١] شعَر حتى بلغ به رأس الثنيّة .

وأما الحارث فإنه قال : حدّثنى ابن سَعْد ، عن محمد بن عمَر الواقدىّ ، قال : حدثنا عبدُ الله بنُ جعفر وغيرُه من أصحابنا قالوا : استعمَل عبدُ الله ابنُ الزبير جابرَ بن الأسود بنَ عوف الزّهرى على المدينة ، فدَعا الناسَ إلى البَيْعة لابن الزبير ، فقال سعيدُ بنُ المسيِّب : لا ، حتى يجتَمعَ الناسُ ؛ فضرَبَه ستّين سَوْطًا ، فبلَغ ذلك ابن الزبير ، فكتَب إلى جابر يلومُه ، وقال : ما لَنا ولسعيد ، دَعْه !

وحدّثنى الحارث ، عن ابن سعد ، أنّ محمد بنَ عمَر أخبَره ، قال : ٢/١١٧١ حدّثنا عبدُ الله بنُ جعفر وغيره من أصحابنا أن عبدالعزيزَ بن مروانَ تُوفّىَ بمصرَ فى جمادى سنة أربع وثمانين ، فعقد عبدُ الملك لابنيه الوليد وسليمان العهد ، وكتب بالبَيعة لهما إلى البُلْدان ، وعاملُه يومئذ هشامُ بنُ إسماعيل المخزومىّ ،

(١) التبّان : سراويل صغير يستر العورة .

فدعا الناسَ إلى البَيعة ، فبايَع الناسُ ، ودعا سعيد بن المسيّب أن يبايع لهما ، فأبى وقال : لا حتى أنظر ، فضرَبه هشام بنَ إسماعيل ستين سوْطًا ، وطاف به فى تُبّان شعَر حتى بلغ به رأسَ الثنيّة ، فلما كرّوا به قال : أين تكُرّون[1] بى ؟ قالوا : إلى السجْن ؛ قال : والله لولا أنى[2] ، ظننتُ أنه الصَّلْب لما لَبِست هذا التُّبّان أبداً. فردّه[3] إلى السجن ، وحبَسه[4] وكتَب إلى عبد الملك يُخبِره بخِلافه[5] ، وما كان من أمره ، فكتب إليه عبدُ الملك يلومُه فيما صنَع ويقول : سعيدٌ والله كان أحوَجَ أن تَصل رحمَه من أن تَضربَه ، وإنا لنعلم ما عندَه من شِقاق ولا خِلاف .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة هِشامُ بن إسماعيل المخزومىّ ، كذلك حدّثنا أحمدُ بنُ ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

وكذلك قال الواقدىّ .

وكان العامل على المَشرق فى هذه السنة مع العِراق الحجّاج بن يوسف .

---

(١) ر : « تكررون » . (٢) ب : « إننى » .

(٣) ب : « فردوه » . (٤) ب : « فحبسه » .

(٥) ب : « بخبر خلافته » .

١١٧٢/٢

ثمّ دخلت سنة ستّ وثمانين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر وفاة عبد الملك بن مروان]

فممّا كان فيها من ذلك هلاكُ عبدِ الملك بن مروان، وكان مهلكه في النصف من شوّال منها. حدّثني أحمدُ بن ثابت عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: توفّي عبدُ الملك بنُ مروانَ يومَ الخميس للنّصف من شوّال سنة ستٍّ وثمانين[1]، فكانت خلافتُه ثلاثَ عشرَة سنَة وخمسةَ أشهر[2].

وأما الحارث فإنه حدّثني عن ابن سعد، عن محمد بن عمَر، قال: حدّثني شُرَحبيل بن أبي عَوْن، عن أبيه، قال: أجمَعَ[3] الناسُ على عبدِ الملك بنِ مَرْوان سنة ثلاث وسبعين.

قال ابنُ عمر: وحدّثني أبو معشر نَجيح، قال: مات عبدُ الملك بنُ مروانَ بدِمشقَ يومَ الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين، فكانت[4] ولايتُه منذ[5] يوم بُويع إلى يوم تُوفّيَ إحدى وعشرين سنةً وشهراً ونصفًا، كان[6] تسع سنين منها يقاتِل فيها عبدَ الله بنَ الزبير، ويسلَّم عليه بالخلافة بالشأم، ثمّ بالعراق بعد مَقتَل مصعب، وبقيَ بعد مَقتَل عبدِ الله بنِ الزبير واجتماع الناسِ عليه ثلاثَ عشرةَ سنةً وأربعةَ أشهر إلا سبعَ ليال.

١١٧٣/٢

وأما عليّ بن محمد المدائنيّ، فإنه – فيما حدّثنا أبو زيد عنه – قال: مات عبد الملك سنة ست وثمانين بدِمشق، وكانت ولايتُه ثلاثَ عشرَة سنةً وثلاثة أشهُر وخمسةَ عشَر يومًا.

---

(١) بعدها فى س: «بدمشق».
(٢) بعدها فى س: «وذلك بعد موت ابن الزبير».
(٣) ب: «اجتمع».
(٤) ب: «وكانت».
(٥) ب: «من يوم بويع».
(٦) ب: «وكان».

ذكر الخبر عن مبلغ سنِّه يومَ توُفّى

اختلَف أهلُ السِّيَر فى ذلك، فقال أبو معشر فيه — ما حدّثنى الحارثُ عن ابن سعد، قال: أخبَرنا محمد بنُ عمَر، قال: حدّثنى أبو معشر نَجيح. قال: مات عبدُ الملك بنُ مروانَ وله ستّون سنةً.

قال الواقدىّ: وقد رُوِى لنا أنه مات وهو ابن ثمان وخمسين سنةً. قال: والأوّل أثبَت. وهو على مولِده، قال: وولد سنة ست وعشرين فى خلافة عثمانَ ابن عفّان رضى الله عنه، وشَهِد يومَ الدار مع أبيه وهو ابنُ عشر سنين.

وقال المدائنىّ علىّ بنُ محمد — فيما ذكر، أبو زيد عنه: ماتَ عبدُ الملك وهو ابنُ ثلاثٍ وستّين سنة.

ذكر نسبه وكنيته

أمّا نسبُه، فإنه عبدُ الملك بنُ مروانَ بن الحكَم بن أبى العاص بن أميّة ابن عبد شمس بن عبد مناف. وأمّا كنيتُه فأبو الوليد. وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أميّة، وله يقول ابن قيس الرُّقَيّات:

أَنْتَ ابْنُ عائِشَةَ الَّتى فَضَلَتْ أُرُومَ نسَائِها[1]
لم تَلتَفِتْ لِلِدَاتهَا ومَضَتْ على غُلَوائِها

* * *

ذكر أولاده وأزواجه

منهم الوَليد، وسليمان، ومَرْوان الأكبر — دَرَجَ[2] — وعائشة؛ أمّهم ولّادة بنت العبّاس بن جَزْء بن الحارث بن زهير بن جَذِيمة بن رَوَاحة بن ١١٧٤/٢

(١) ديوانه ١١٧.
(٢) درج، أى مات صغيراً.

ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغِيض .

ويزيد، ومَرْوان، ومعاوية — دَرَج — وأمّ كُلْثوم، وأمّهم عاتكة بنت يَزيدَ بن معاوية بن أبي سُفْيان .

وهشام، وأمّه أمّ هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ . وقال المدائنيّ : اسمها عائشة بنت هشام .

وأبو بكْر، واسمُه بكار، أمّه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عُبَيْدالله، والحكَم — دَرَج — أمه أمّ أيّوب بنت عمرو بن عثمانَ بن عفّان .

وفاطمة بنت عبدِ الملك، أمّها أمّ المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص ابن هِشام بن المغيرة .

وعبد الله ومَسلَمة والمنذر وعَنْبسة ومحمد وسعيد الخير والحجّاج ؛ لأمهاتِ أولاد .

* * *

قال المَدائنيّ : وكان له من النساء — سوى من ذكرْنا — شقراءُ بنتُ سَلَمة ابن حلبَس الطائيّ، وابنة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأمّ أبيها بنت عبد الله بن جعفر .

وذَكَر المدائنيّ، عن عوانة وغيرِه أنّ سَلَمة بن زيد بن وهب بن نُباتَة الفَهميّ دخل على عبدِ الملك فقال له : أيّ الزمان أدركتَ أفضل ؟ وأيّ الملوك أكمَل ؟ قال : أما الملوك فلَمْ أرَ إلا ذامًّا وحامدًا ؛ وأما الزمان فيَرفَع أقوامًا ويَضَع أقوامًا، وكلهم يَذُمّ زمانَه لأنه يُبلي جديدَهم، ويُهرِم صغيرَهم، وكلّ ما فيه منقطِع غير الأمل ؛ قال : فأخبِرْني عن فَهْم ، قال : هم كما قال مَن قال : ١١٧٥/٢

دَرَج الليْلُ والنَّهارُ على فَهـ ـمِ بنِ عَمْرو فأَصبحُوا كالرَّميمِ

وَخلَتْ دارُهُمْ فأَضحتْ يَبَاباً بَعْدَ عِزٍّ وثَرْوَة ونعيمِ

كَذَاك الزمانُ يَذْهَبُ بالنا س وتبْقَى دِيَارُهُمْ كالرُّسومِ

قال : فمن يقول منكم[١] :

رأَيتُ الناسَ مذ خُلقُوا وكانوا يُحبُّون الغَنِىَّ من الرجالِ
وإن كان الغَنىُّ قليلَ خيْرٍ بَخيلاً بالقليل من النوالِ
فما أَدْرى عَلَامَ وفِيمَ هـذا وماذا يَرْتَجُون من البِخَال[٢]!
أَلِلدّنيا ؟ فلَيْسَ هُنَاك دنْيا ولا يُرْجى لحادثَةِ اللَّيَالى

قال : أنا .

قال علىّ : قال أبو قطيفة عَمرو بن الوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيْط لعبدِ المَلِك بنِ مَرْوان :

نبِّئتُ أنَّ ٱبنَ القَلَمَّس عابَنى ومَن ذا من النَّاس الصحيحُ المسَلَّمُ[٣]!
فأَبصرَ سُبْلَ الرشدِ سيِّدُ قومه وقد يُبْصِرُ الرشْدَ الرئيسُ المعَمَّمُ
فَمن أنتمُ؟ ها خَبّرونا منَ ٱنتمُ؟ وقد جعلت أشياءُ تبْدُو وتُكْتَمُ

٢/١١٧٦

فقال عبد الملك : ما كنتُ أرى أنّ مِثلَنا يقال له : مَن أنتمْ! أما واللهِ لولا ما تَعلم لقلتُ قَوْلا ألحقكم بأصلكم الخبيث ، ولضربتُك حتى تموت .

وقال عبدُ الله بنُ الحجّاج الثعلبىّ لعبدِ الملك :

يا بنَ أَبى العاص ويا خيرَ فَتَى أنتَ سِدادُ الدِّينِ إن دِينٌ وَهَى[٤]
أَنتَ الَّذى لا يَجعلُ الأَمرَ سُدَى جيبتْ قريش عنكمُ جَوْبَ الرَّحَى
إنّ أَبا العاصِى وفى ذاك ٱعْتَصَى أَوْصَى بَنيهِ فوَعَوْا عنه الوَصَى
إنْ يَسعروا الحرْبَ ويأْبوا ما أَبَىَ الطاعِنِين فى النُّحورِ والكُلَى
شَزْرًا ووصْلاً للسيوف بالخُطَا إلى القتال فَحوَوْا ما قد حَوَى

---

(١) ب : «فيكم» . (٢) البخال : جمع بخيل ، مثل كريم وكرام .
(٣) الأغانى ١ : ٣٤ ، والقلمس : الرجل الداهية . (٤) الأغانى ١٣ : ١٦٩ ، مع اختلاف فى الرواية .

٢/١١٧٧ وقال أعشَى بنى شَيْبان :

عرفتْ قرَيشٌ كلُّهـــا لِبَنى أَبِى العاص الإمَارهْ
لأَبَرِّهــــا وأَحَقِّهـــا عند المَشورَةِ بالإشَارَهْ
المانعـــين لِمَا وَلُوا والنافِعِين ذوِى الضَّرارهْ
وَهُمُ أَحَقُّهُمُ بهـــا عند الحلاوة والمرارهْ

وقال عبد الملك : ما أعلم مكانَ أحد أقوَى على هذا الأمر منّى ، وإنّ ابنَ الزّبير لطويلُ الصّلاة ، كثيرُ الصّيام ، ولكنْ لبخله لا يَصلُح أن يكون سائسًا .

خلافة الوليد بن عبد الملك

وفى هذه السنة بُويع للوليد بن عبد الملك بالخلافة، فذُكر أنه لما دفن أباه وانصرف عن قبره، دخل المسجد فصعد المنبر، واجتمع إليه الناس، فخطب فقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون! والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين، والحمدُ لله على ما أنعم به علينا من الخلافة. قوموا فبايعوا.

فكان أوّل مَن قام لبيعته عبدُالله بن همّام السّلوليّ، فإنه قام وهو يقول:

اللهُ أعْطاكَ الّتى لا فَوْقَهَا ... وقد أراد المُلْحدُون عَوْقَهَا

عَنْكَ ويأبى اللهُ إلّا سَوْقَها ... إليكَ حتى قَلَّدُوك طَوْقَها

فبايعه، ثمّ تتابع الناسُ على البيعة. ٢/١١٧٨

وأما الواقديّ فإنه ذكر أنّ الوليدَ لمّا رجع من دفْن أبيه، ودُفن خارج باب الجابية، لم يدخُل منزلَه حتى صعد على مِنبرِ دِمشقَ، فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهلُه، ثمّ قال:

أيّها الناسُ، إنه لا مُقدّم لِما أخّر الله، ولا مؤخّر لِما قدّم الله، وقد كان من قضاء الله وسابِق عِلمه وما كتَب على أنبيائه وحمَلة عرشه الموت. وقد صار إلى منازل الأبرار وليّ هذه الأمة الذى يحقّ عليه لله من الشدّة على المُريب، واللّين لأهل الحقّ والفضل، وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام وأعلامه؛ مِن حجّ هذا البيت، وغزْو هذه الثغور، وشنّ هذه الغارة على أعداء الله، فلم يكن عاجزاً ولا مُفرِّطاً. أيها الناس، عليكم بالطاعة، ولزومِ الجماعة، فإنّ الشيطان مع الفرد. أيها الناس، مَن أبدَى لنا ذاتَ نفسِه ضرَبْنا الذى فيه عيْناه، ومن سكَت مات بدائه.

ثمّ نزَل، فنظَر إلى ما كان من دوابّ الخلافة فحازه، وكان جبّاراً عنيداً.

[ولاية قتيبة بن مسلم على خُراسان من قِبَل الحجاج]

وفى هذه السنة قَدِم قتيبةُ بنُ مسلم خُراسانَ واليًا عليها من قِبَل الحجّاج ، فذكر علىّ بن محمد أنّ كُليب بن خلَف، أخبرَه عن طُفَيل ابن مِرْداس العمىّ[١] والحسَن بن رُشيد ، عن سليمان بن كثير العمىّ ، قال : أخبرَنى عمّى قال : رأيت قُتيبةَ بنَ مُسلِم حين قَدِم خُراسانَ فى سنة ست وثمانين ، فقَدِم والمفضّلُ يَعرِض الجُند ، وهو يريد أن يغزُوَ أخرون وشُومان، فخَطَب الناسَ قتيبة ، وحثّهم على الجهاد ، وقال : ٢/١١٧٩

إنّ الله أحلّكم هذا المحَلّ ليُعزّ دينَه، ويذبّ بكم عن الحُرُمات، ويزيد بكم المال استفاضة، والعدوّ وَقَما[٢] ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلّم النصر بحديث صادق ، وكتاب ناطق ، فقال : ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[٣]. ووعَدَ المجاهدين فى سبيله أحسنَ الثواب ، وأعظَمَ الذُّخْر عندَه فقال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللهِ ﴾، إلى قوله: ﴿ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٤] . ثم أخبر عمن قُتِل فى سبيله أنه حىّ مرزوق ، فقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[٥] . فتنجّزوا موعودَ ربّكم ووطّنوا أنفسكم على أقصَى أثر وأمضَى ألم ، وإيّاى والهُوَيْنى .

* * *

ذكر ما كان من أمر قتيبة بخُراسان فى هذه السنة

ثمّ عرَض قُتيبةُ الجُندَ فى السلاح والكُراع ، وسار واستخلَفَ بمرْوَ على حرْبها إياسَ بنَ عبد الله بن عمرو ، وعلى الخَراج عثمان بن السعدىّ[٦] ، فلما كان بالطالَقان تلقّاه دهاقينُ بَلْخَ وبعضُ عُظَمائهم فساروا معه ، فلما قَطَع النهرَ تلقّاه تيش[٧] الأعورَ مَلِكُ الصَّغانيان بهَدايا ومِفتاح من ٢/١١٨٠

(١) ب : « القمى » . (٢) الوقم : الذل . (٣) سورة الصف: ٩ .
(٤) سورة التوبة: ١٢٠ ، ١٢١ (٥) سورة آل عمران: ١٦٩ .
(٦) ابن الأثير : « عثمان السعيدى » . (٧) ط : « بيش » .

ذهب ، فدعاه إلى بلاده ، فأتاه وأتى ملك كفتان بهدايا وأموال ، ودعاه إلى بلاده ، فمضى مع بيش إلى الصَّغانيان ، فسلَّم إليه بلادَه ، وكان ملك أخرون وشُومان قد أساءَ جوارَ تيش وغزاه وضيَّق عليه ، فسار قُتيبةُ إلى أخْرون وشُومان — وهما من طُخارستانَ ، فجاءه غشتاسبان(١) فصالحه على فِدْية أدّاها إليه ، فقبِلها قتيبة ورضىَ ، ثمّ انصرف إلى مَرْوَ ، واستخلفَ على الجند أخاه صالحَ بنَ مسلم ، وتقدّم جندَه فسبقَهم إلى مَرْوَ ، وفتَح صالح بعد رجوع قتيبةَ باسارا ، وكان معه نصر بن سيّار فأبلَى يومئذ ؛ فوهَب له قريةً تُدْعَى تنجانة ، ثمّ قَدِم صالح على قُتيبةَ فاستعملَه على الترمذ .

قال : وأما الباهليّون فيقولون : قَدِم قتيبةُ خُراسانَ سنة خمس وثمانين فعرَض الجندَ ، فكان جميعُ ما أحصَوا من الدرّوع فى جُنْد خُراسان ثلثمائة وخمسين دِرْعًا ، فغزا أخْرون وشُومان ، ثمّ قفَل فركبَ السفُن فانحدرَ إلى آمُل ، وخلّف الجُنْد ، فأخذوا طريقَ بَلْخ إلى مَرْو ، وبلغ الحجّاج ، فكتَب إليه يلومه ويعجّز رأيَه فى تخليفه الجندَ ، وكتب إليه : إذا غزوتَ فكنْ فى مُقدَّم الناس ، وإذا قفلتَ فكن فى أخرَياتهم وساقتِهم . ٢ / ١١٨١

وقد قيل : إنّ قتيبةَ أقامَ قبلَ أن يقطَع النهر فى هذه السنة على بَلْخ ، لأنّ بعضها كان منتقضًا عليه ، وقد ناصَبَ المسلمين ، فحارَبَ أهلَها ، فكان ممن سبَى امرأة برْمك ، أبى خالد بن برْمك — وكان برمَك على النُّوبَهار — فصارت لعبد الله بن مسلم الذى يقال له الفقير ، أخى قُتيبة بن مسلم ، فوقَع عليها ، وكان به شىء من الجُذام . ثمّ إنّ أهلَ بَلْخ صالحوا من غَد اليوم الذى حاربَهم قُتيبةُ ، فأمَر قتيبة بردّ السَّبْى ، فقالت امرأة برْمَك لعبد الله بن مسلم : يا تازى ، إنّى قد علِقْتُ منك . وحضرتْ عبد الله بن مسلم الوفاةُ ، فأوصَى أن يُلحق به ما فى بطنها ، ورُدّت إلى برْمَك ، فذكر أنْ ولدَ عبدِ الله بن مُسلم جاءوا أيامَ المهدىّ حين قَدِم الرّىَّ إلى خالد ، فادّعَوْه ، فقال لهم مُسلِم بنُ قتيبة : إنه لا بدّ لكم إن

(١) ط : « غيسلشتان » .

استلْحَقْتموه فَفَعَلَ مِنْ أن تُزَوّجوه ، فتركوه وأعرضوا عن دَعْواهم .
وكان بَرْمَكُ طبيبًا ، فداوَى بعد ذلك مَسلمةَ من عِلّة كانت به .

* * *

وفى هذه السنة غزا مَسْلمة بن عبد الملك أرضَ الرّوم .

٢/١١٨٢ وفيها حَبَس الحجّاج بنُ يوسفَ يزيدَ بنَ المهلَّب ،وعَزَل حبيبَ بن المهلَّب عن كرمانَ ، وعبد الملك بن المهلب عن شُرْطته .

* * *

وحَجّ بالناس فى هذه السنة هِشامُ بنُ إسماعيلَ المخزوميّ ، كذلك حدّثنى أحمد بنُ ثابت ،عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر. وكذلك قال الواقدىّ .

وكان الأمير على العِراق كله والمَشرِق كلّه الحجاج بنُ يُوسف . وعلى الصّلاة بالكُوفة المغيرة بن عبد الله بن أبى عقَيل . وعلى الحرب بها من قبل الحجّاج زِيادُ بنُ جريرِ بن عبد الله . وعلى البَصْرة أيّوب بن الحكَم . وعلى خُراسانَ قُتيبة بن مُسلِم .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأَحداث

ففى هذه السنة عزَل الوليدُ بنُ عبد الملك هشامَ بنَ إسماعيل عن المدينة ، وورَدَ عزلُه عنها — فيما ذُكر — ليلةَ الأحد لسبعِ ليال خلَوْن من شهر ربيع الأوّل سنة سبع وثمانين . وكانت إمْرته[1] عليها أربعَ سنين غيرَ شهر أو نحوه .

* * *

[خبر إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة]

وفى هذه السنة ولّى الوليدُ عمرَ بنَ عبد العزيز المدينةَ . قال الواقدىّ : قدِمَها والياً فى شهر ربيع الأوّل ؛ وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ووُلد سنة اثنتين وستّين .

قال : وقَدِم على ثلاثين بعيراً ، فنَزَل دارَ مَروانَ . قال : فحدّثنى عبدُ الرحمن بن أبى الزِّناد، عن أبيه، قال : لما قَدِم عمر بنُ عبد العزيز المدينةَ ونَزَل دارَ مروانَ دخل عليه الناسُ فسلّموا ، فلما صلّى الظهرَ دعا عشرةً من فُقهاء المدينة: عُرْوةَ بنَ الزبير ، وعبيدَ الله بن عبدِ الله بن عُتبة ، وأبا بكر بن عبد الرحمن ، وأبا بكر بن سليمان بن أبى حثمة[2] ، وسليمان بن يَسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عبد الله ابن عمرو ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زَيْد ؛ فدخلوا عليه فجلسوا، فحمِد اللهَ وأثنَى عليه بما هو أهلُه ، ثمّ قال : 2/1183

إنى إنما دعوتكم لأمرٍ تؤجَرون عليه ، وتكونون فيه أعوانًا على الحقّ ، ما أريد أن أقطَع أمراً إلاّ برأيكم أو برأيِ من حَضَر منكم، فإن رأيتم أحداً

---

(1) ساقطة من ب .

(2) ط : « خيثمة » ، وانظر الفهرس .

يتعدّى ، أو بلَغكم عن عامل لى ظُلامة ، فأحرّجُ الله على مَنْ بلغه ذلك إلا بلّغنى .

فخرجوا يُجزُونه خيراً ، وافترقوا .

قال : وكتَب الوليدُ إلى عمرَ يأمرُه أنْ يقف هشامَ بن إسماعيلَ للناس ، وكان فيه سيِّئ الرأى .

قال الواقدىّ : فحدّثنى داودُ بن جُبير ، قال : أخبرتْنى أمّ وَلد سعيد بن المسيّب أن سعيداً دعا ابنَه ومواليَه فقال : إنّ هذا الرجل يُوقف للناس — أو قد وُقف — فلا يتعرّضْ له أحدٌ ولا يؤذِه بكلمة ، فإنا سنترُكُ ذلك لله وللرّحِم ، فإن كان ما علمتُ لسيِّئ النظر لنفسِه ، فأمّا كلامُه فلا أكلِّمه أبداً .

قال : وحدّثنى محمد بنُ عبد الله بنِ محمد بن عمَر ، عن أبيه ، قال : كان هشامُ بنُ إسماعيلَ يسىء جِوارَنا ويؤذِينا ، ولقىَ منه علىّ بنُ الحسين أذًى شديداً ، فلما عزُل أمَرَ به الوليدُ أن يُوقَف للناس ، فقال : ما أخاف إلا من علىّ بنِ الحسين . فمَرّ به علىّ وقد وُقِف عند دارِ مرْوان ، وكان علىّ قد تقدّم إلى خاصّته ألّا يَعرِض له أحد منهم بكلمة ؛ فلما مرّ ناداه هشامُ بنُ إسماعيل : اللهُ أعلَم حيث يجعَل رِسالاته .

٢/١١٨٤

* * *

[خبر صلح قتيبة ونيزك]

وفى هذه السنة قَدِم نَيزَك على قُتيبة ، وصالَح قتيبةُ أهلَ باذَغيس على ألّا يَدخُلها قتيبة .

* ذكر الخبرِ عن ذلك :

* ذَكَر علىّ بنُ محمد أن أبا الحسَن الجُشَمىّ أخبرَه عن أشياخ من أهل خُراسانَ ، وجبلة بن فرّوخ عن محمد بن المثنّى ، أنّ نيزك طَرْخان كان فى يديه أسراءُ مِن المسلمين ، وكتب إليه قُتيبة حينَ صالحَ مَلِكَ شُومان فيمن فى يدَيه مِن أسرَى المسلمين أن يُطلِقهم ، ويهدّده[1] فى كتابه ،

(١) ب : « وتهدده » .

فخافَه[١] نيزك ، فأطلَق الأسرى ، وبَعث بهم إلى قتيبة ، فوجّه إليه قتيبة سُليماً الناصح مولَى عُبيدِ الله بنِ أبى بَكرة يدعوه إلى الصّلح وإلى أن يؤمِّنه ، وكتب إليه كتاباً يَحلِف فيه بالله: لئن لم يقدم عليه ليغزونّه ، ثمّ ليطلبنّه حيث كان ، لا يُقلع عنه حتى يَظفَر به أو يموتَ قبل ذلك . فقَدِم سُلَيم على نَيزَك بكتاب قتيبة — وكان يَستنصحه — فقال له : ياسليم ، ما أظنّ عند صاحبك خيراً ، كَتَب إلىّ كتاباً لا يُكتَب إلى مِثلِى ! قال له سليم : يا أبا الهَيّاج ، إنّ هذا رجل شديد فى سلطانه ، سَهْل إذا سُوهِل ، صعب إذا عُوسِر ، فلا يمنعْك منه غِلظة كتابه إليك ، فما أحسنَ حالَك عندَه وعندَ جميع مُضَر ! فقَدِم نيزك مع سُلَيم على قُتيبة ، فصالَحه أهلُ باذَغيس فى سنة سبع وثمانين على ألّا يَدخُل باذَغيس .

١١٨٥/٢

* * *

[خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أَرض الروم]

وفى هذه السنة غزا مَسلَمة بنُ عبد الملك أرضَ الرّوم ، ومعه يزيدُ بن جُبَير ، فلقى الرّومَ فى عدد كثير بسُوسَنة من ناحية المَصّيصَة .

قال الواقدىّ : فيها لاقَى مسلمةُ مَيْموناً الجُرْجمانىّ ومع مَسلمة نحوٌ من ألفِ مُقاتِل من أهل أنطاكيةَ عند طُوانَة ، فقَتَل منهم بَشَراً كثيراً ، وفَتَح الله على يديه حُصوناً .

وقيل : إنّ الذى غَزَا الرّوم فى هذه السنة هشامُ بن عبد الملك ، ففَتَح الله على يديه حِصْنَ بولَق وحِصن الأخرم وحِصْن بولس وقمقم ، وقَتَل من المُستعرِبة نحواً من ألفِ مُقاتِل ، وسبَى[٢] ذراريَّهم ونساءَهم .

* * *

[خبر غزو قتيبة بِيكَنْد]

وفى هذه السنة غزا قتيبة بِيْكَنْد .

* ذكر الخبر عن غَزْوَته هذه :

---

(١) ب : « مخافة » .

(٢) ر : « وساق » .

٢/١١٨٦ ذكَر عليّ بنُ محمّد أن أبا الذّيال أخبرَه عن المهلّب بن إياس، عن أبيه، عن حسين(١) بن مُجاهِد الرّازيّ وهارون بن عيسى، عن يونس ابن أبي إسحاق وغيرهم، أن قتيبة لما صالَح نيزك أقام إلى وَقْت الغَزْو، ثمّ غزا فى تلك السنة – سنة سبع وثمانين – بيكند، فسار من مَرْوَ وأتى مَرْوَ الرُّوذ، ثمّ أتى آمُل، ثمّ مضى إلى زَمّ فقَطَع النهر، وسار إلى بِيكَنْد – وهى أدنى مدائن بُخارَى إلى النهر، يقال لها مدينة التجّار على رأس المَفازة من بُخارَى – فلما نزل بعَقْوَتهم استنصَروا الصُّغْد، واستمدّوا مَن حَولهم، فأتَوْهم فى جمع كثير، وأخذوا بالطريق، فلم ينفذ لقتيبة رسولٌ، ولم يَصِل إليه رسول، ولم يجرِ له خبرٌ شَهرَين، وأبطأ خبرُه على الحجّاج، فأشفَق الحجّاج على الجند، فأمر الناسَ بالدّعاء لهم فى المساجد، وكتب بذلك إلى الأمصار وهم يَقتَتِلون فى كلّ يوم.

قال: وكان لقُتيبة عينٌ يقال له تنذر(٢) من العَجَم، فأعطاه أهل بُخارَى الأعلى مالاً على أن يَفثأ عنهم قتيبة؛ فأتاه، فقال: أخْلنى، فنَهَض الناسُ واحتَبَس قتيبةُ ضِرارَ بنَ حصين الضّبّىّ، فقال تنذر: هذا عاملٌ يَقدُم عليك، وقد عُزِل الحجاج، فلو انصرفتَ بالناس إلى مروَ! فدعا قُتيبة سِيَاه مولاه، فقال: اضرِب عُنُقَ تنذر، فقَتَله، ثم قال لضرار: لم يبق أحدٌ يَعلَم هذا الخبر غَيْرى وغيرك، وإنّى(٣) أعطِى اللهَ عَهْداً إن ظَهَر هذا الحديثُ من أحد حتى تَنقَضىَ حربُنا هذه لألحقنّك به؛ فاملِكْ لسانَك، فإنّ انتشار هذا الحديث يَفُتّ فى أعضاد الناس. ثمّ أذِن للناس. ٢/١١٨٧

قال: فدخلوا، فَراعَهم قَتلُ تنذر، فوَجَموا وأطرَقوا، فقال قتيبة: ما يَروعُكم مِن قتل عبد أحانَه الله! قالوا: إنا كنا نظنّه ناصحًا للمسلمين، قال: بل كان غاشًّا(٤) فأحانَه الله بذنْبه، فقد مضى لسبيلِه، فاغدُوا على

---

(١) ب: «وحصين».
(٢) ر: «تيذر».
(٣) ب: «فإنى».
(٤) بعدها فى ب: «لهم».

قتال عدوّكم ، والقَوْهم بغيرِ ما كنتم تلقَونهم به . فغدا الناسُ متأهِّبين ، وأخذوا مَصافَّهم ، ومَشَى قُتيبة فحضّ أهلَ الرايات، فكانت بين الناس مُشاوَلة[1] ، ثم تزاحَفوا[2] والتقَوا، وأخذتِ السيوفُ مأخذَها، وأنزلَ اللهُ على المسلمين الصبرَ ، فقاتلوهم حتى زالت الشمس ، ثمّ مَنَحَ اللهُ المسلمين أكتافَهم ، فانهزَموا يريدون المدينة ، واتبعهم المسلمون فشَغَلوهم عن الدّخول فتفرّقوا ، وركِبهم المسلمون قَتْلا وأسراً كيف شاءوا، واعتصَم مَن دَخَل المدينة بالمدينة، وهم قليل، فوَضَع قتيبةُ الفَعَلَة فى أصلها ليَهدِموها ، فسألوه الصلحَ فصالحهم، واستعمل عليهم رجلا من بنى قُتيبة .

وارتَحل عنهم يريدُ الرّجوع ، فلما سار مَرحلةً أو ثنتَين ،وكان منهم على خَمسة فراسخ نَقَضوا وكَفَروا ، فقتلوا العاملَ وأصحابَه ، وجدّعوا آنُفَهم وآذانَهم ، وبلغ قتيبة فرجع إليهم ، وقد تحصّنوا ، فقاتَلَهم شهراً ، ثمّ وضع الفعلة فى أصل المدينة فعلّقَوها[3] بالخَشَب، وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتَنهدِم ، فسقط الحائط وهم يعلّقونه، فقتل أربعين من الفَعَلَة ، فطلبوا الصّلح ، فأبى وقاتَلَهم ، فظَفِر بهم عَنْوة ، فقتل من كان فيها من المُقاتِلة، وكان فيمن أخذُوا فى المدينة رَجُل أعوَر كان هو الذى استجاش التُّرْكَ على المسلمين ، فقال لقتيبة : أنا أفدى نفسى ، فقال له سُلَيم الناصح : ما تَبذُل؟ قال : خمسةَ آلاف حريرة صينية قيمتُها ألف ألف ، فقال قتيبة : ما تَرَون ؟ قالوا : نرى أنّ فداءه زيادة فى غنائم المسلمين ، وما عسى أن يبلغ من كَيْد هذا ! قال : لا والله لا تُروِّع بك مسلمةٌ أبداً ، وأمَرَ به فقُتِل .

٢ / ١١٨٨

قال علىّ : قال أبو الذّيال ، عن المهلّب بن إياس ، عن أبيه والحسن ابن رُشيد ، عن طُفَيل بن مِرْداس ، أنّ قتيبة لما فتح بِيكَنْد أصابوا فيها من آنيةِ الذهب والفضّة ما لا يُحصَى، فولىَ الغنائمَ والقَسْمَ عبد الله بن وَألان العدوىّ أحد بنى مَلَكان– وكان قتيبة يسمّيه الأمينَ ابنَ الأمين– وإياس بن

(١) ب : « مساواة » . والمشاولة : القتال بالرماح . (٢) ب : « تراجعوا » .
(٣) ب : « فعقلها » .

بَيْهَسَ الباهليّ، فأذابا الآنيةَ والأصنامَ فرفَعاه إلى قتيبةَ، ورفَعا إليه خَبَثَ ما أذابَا، فوهبه لهما، فأعطِيا به أربعين ألفًا، فأعلماه فرَجع فيه وأمرَهما أن يُذيباه فأذاباه، فخرج منه خمسون ومائة ألف مِثقال — أو خمسون ألف مثقال — وأصابوا فى بِيكَنْد شيئًا كثيراً، وصار فى أيدى المسلمين من بِيكَنْد شىء لم يُصيبوا مِثلَه بخُراسان. ورجع قتيبة إلى مروَ، وقَوِىَ المسلمون، فاشترَوا السلاح والخيلَ، وجُلبتْ إليهم الدّوابّ، وتَنافَسوا فى حُسن الهيئَة والعُدّة، وغالَوْا بالسلاح حتى بلَغ الرّمح سبعين؛ وقال الكُمَيت: ٢/١١٨٩

ويومَ بِيكَنْدَ لا تُحصَى عجائبهُ وما بُخارَاءُ ممّا أخطأَ العَدَدُ

وكان فى الخزائن سِلاحٌ وآلةٌ من آلة الحرب كثيرة، فكَتَب قتيبةُ إلى الحجّاج يستأذِنه فى دَفْع ذلك السلاح إلى الجُنْد، فأذن له، فأخرجوا ما كان فى الخزائن من عُدّة الحرب وآلة السّفَر، فقَسَمه فى الناس، فاستعدّوا، فلما كان أيامُ الربيع ندب الناسَ وقال: إنّى أغزيكم قبل أن تحتاجوا إلى حَمْل الزاد، وأنتقلكم قبل أن تحتاجوا إلى الإدْفاء؛ فسار فى عُدّة حَسَنة من الدّوابّ والسلاح، فأتى آمُلَ، ثم عبرَ من زَمّ إلى بُخارَى، فأتى نومُشكَث — وهى من بُخارَى — فصالحوه.

قال علىّ: حدّثنا أبو الذّيال، عن أشياخ من بنى عَدِىّ، أنّ مسلمًا الباهلىَّ قال لِوَألانَ: إنّ عندى[1] مالًا أحبّ أن أستودِعَكَه، قال: أتريد أن يكون مكتوماً أو لا تكره أن يَعلَمه الناسَ؟ قال: أحِبّ أن تَكتُمه؛ قال: ابعث به مع رجل تَثِق به إلى موضع كذا وكذا، ومُرْه إذا رأى رجلا فى ذلك الموضع أن يَضَع ما معه ويَنصرِف؛ قال: نعم، فجَعَل مسلم المال فى خُرْج، ثمّ حَمَله على بغل وقال لمولًى له: انطلِق بهذا البغل إلى مَوضع كذا وكذا، فإذا رأيت رجلاً جالسًا فخلِّ عن البَغْل وانصَرِف. فانطلَق الرجلُ بالبَغْل، وقد كان وَألان أتى الموضعَ لمِيعاده، ٢/١١٩٠

---

(١) ب: «عندى مال».

فأبطأ عليه رسولُ مسلم، ومضى الوقتُ الذى وَعدَه، فظنّ أنه قد بدا له، فانصرف، وجاء رجلٌ من بنى تَغلِبَ فجلس فى ذلك الموضع، وجاء مولَى مسلم فرأى الرجل جالسًا، فخلّى عن البغل ورَجعَ، فقام التغلبىُّ إلى البَغْل، فلما رأى المال ولم يَرَ مع البَغْل أحدًا قادَ البغلَ إلى منزله، فأخذ البغلَ وأخذَ المال، فظنّ مسلم أن المال قد صار إلى وَألان، فلم يسأل عنه حتى احتاج إليه، فلَقيَه فقال: مالى! فقال: ما قبضت شيئًا، ولا لك عندى مال. قال: فكان مُسلِم يشكوه ويتنقّصه. قال: فأتى يومًا مجلس بنى ضُبَيْعة فشكاه والتغلبىُّ جالسٌ، فقام إليه فخلَا به وسأله عن المال، فأخبرَه، فانطلَق به إلى منزِله، وأخرج الخُرْج فقال: أتعرِفه؟ قال: نَعَم، قال: والخاتَم؟ قال: نعم؛ قال: اِقبض مالَكَ، وأخبرَه الخبَر، فكان مسلم يأتى الناسَ والقبائلَ التى كان يشكو إليهم وألان فيَعذِره ويُخبرهم الخبَر، وفى وألان يقول الشاعر:

ولَسْتَ كَوَألَانَ الَّذى سَادَ بالتُّقى ... ولستَ كعمرانٍ وَلَا كالمُهلَّبِ ٢/١١٩١

وعِمْرانُ: ابنُ الفصيل البُرْجُمىّ.

***

وحجّ بالناس فى هذه السنة – فيما حدّثنى أحمد بن ثابت، عمّن ذكرَه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبى مَعشَر – عمَر بن عبد العزيز، وهو أميرٌ على المدينة.

وكان على قضاء المدينة فى هذه السنة أبو بكر بن عَمْرو بن حَزْم من قِبَل عُمَر بن عبد العزيز.

وكان على العراق والمَشرِق كلّه الحجّاج بن يوسف، وخليفته على البَصْرة فى هذه السنة – فيما قيل – الجَرّاح بن عُبد الله الحَكَمىّ. وعلى قضائها عبدالله ابن أذَينة، وعامِله على الحَرْب بالكوفة زياد بن جَرير بن عبد الله، وعلى قَضائِها أبو بكر بن أبى موسى الأشعرىّ، وعلى خُراسانَ قُتيبة بن مسلم.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

[ذكر ما كان فيها من الأَحداث]

* * *

[خبر فتح حصن طُوانة من بلاد الرّوم]

فمن ذلك ما كان مِن فَتْح الله على المسلمين حِصْنًا من حصون الرّوم يُدعَى طُوانة في جُمادَى الآخرة [1] ، وشتَوا بها ، وكان على الجيش مَسْلمة بنُ عبد الملك ، والعبّاس بن الوليد بن عبد الملك .

٢/١١٩٢ فذكر محمّد بن عمَر الواقديّ أن ثورَ بنَ يزيدَ حدّثه عن أصحابه قال : كان فَتْح طُوانَة على يَدَيْ مَسلَمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد ، وَهزَم المسلمون العدوّ يومئذ هزيمةً صاروا إلى كنيستهم ، ثمّ رَجَعوا فانهزَم الناس حتى ظَنّوا ألا يجتبروها أبداً ، وبقِيَ العباس معه نُفَير ؛ منهم ابن مُحَيْرِيز الجُمَحيّ ، فقال العباس لابن مُحَيرِيزَ : أين أهلُ القرآن الذين يريدون الجنة ؟ فقال ابنُ مُحَيريز : نادِهِم يأتوك ؛ فنادَى العبّاس : يا أهلَ القرآن ! فأقبَلوا جميعًا ، فهزَم الله العدوّ حتى دخلوا طُوانة .

وكان الوليدُ بنُ عبد الملك ضرب البَعْث على أهل المدينة في هــذه السنة . فذَكَر محمّد بنُ عمَر ، عن أبيه ، أنّ مَخرَمة بن سليم الوالبيّ قال : ضرب عليهم بعث ألفين . وأنهم تجاعَلوا فخرج ألف وخمسمائة ، وتخلّف خمسمائة ، فغَزوا الصائفة مع مَسلَمة والعبّاس ، وهما على الجيش . وإنهم شتَوا بطُوانة وافتتَحوها .

* * *

وفيها وُلِد الوليدُ بنُ يزيدَ بن عبد الملك .

* * *

---

(١) ب وابن الأثير : « الأولى منها » .

[ذكر عمارة مسجد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم]

وفيها أمَرَ الوليدُ بنُ عبد الملك بهَدْم مسجدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهدمِ بيوت أزْواج رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وإدخالها فى المسجد ، فذَكَر محمد بنُ عمر ، أنّ محمد بن جعفر بن وِرْدان البنّاء قال : رأيتُ الرسولَ الذى بعثَه الوليدُ بن عبدالملك قَدِم فى شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وثمانين ، قدم مُعتجِراً ، فقال الناس : ما قَدِم به الرسول ! فدَخَل على عمَر بن عبد العزيز بكتاب الوليدِ يأمره بإدخال حُجَر أزْواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد رسولِ الله ، وأن يشتريَ ما فى مؤخّره ونواحيه حتى يكون مائتى ذراع فى مائتى ذراع ويقول له : قدِّم القِبْلة إنْ قدَرت ، وأنت تقدر لمكان أخوالك ، فإنهم لا يخالفونك ، فمن أبى منهم فمرْ أهل المصر فليقوّموا له قيمة عدل ، ثم اهدمْ عليهم وادفَع إليهم الأثمان ، فإنّ لك فى ذلك سلَف صدق ؛ عمر وعثمانَ فأقرأهم كتابَ الوليد وهم عندَه ، فأجاب القوم إلى الثمن ، فأعطاهم إياه ، وأخذَ فى هدْم بيوتِ أزواج النبىّ[1] صلى الله عليه وسلّم وبناء المسجد ، فلم يَمكُث إلا يَسيراً[2] حتى قَدِم الفَعَلَة ، بعَث بهم الوليد .

قال محمد بنُ عمَر : وحدّثنى موسى بن يعقوبَ ، عن عمّه ، قال : رأيت عمَر بنَ عبد العزيز يَهدِم المسجدَ ومعه وجوهُ الناس : القاسم ، وسالم ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن عبد اللهِ بن عمَر ، يُرُونه أعلاماً فى المسجد ويقدّرونه ، فأسّسوا أساسَه .

قال محمّد بنُ عمر : وحدّثنى يحيى بنُ النعمان الغِفارىّ ، عن صالح بن كَيْسان ، قال : لما جاء كتابُ الوليد من دِمشقَ وسار[3] خمس عشرةَ بهدم المسجد ، تجرّد عمرُ بنُ عبدالعزيزَ . قال صالح : فاستعملنى على هَدْمه وبنائه ، فهدَمْناه بعمّال المدينة ، فبدأنا بهَدْم بيوت أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلّم حتى قَدِم علينا الفَعَلة الذين بعَث بهم الوليد .

٢/١١٩٣ ٢/١١٩٤

(١) ب : « رسول الله » . (٢) ب : « قليلا » .
(٣) ط : « سار » .

قال محمد : وحدّثنى موسى بنُ أبى بكر ، عن صالح بن كَيْسان، قال : ابتدأنا بهَدْم مسجدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم فى صَفَر من سنة ثمان وثمانين، وبعَثَ الوليدُ إلى صاحب الرّوم يُعلِمه أنه أمر بهدم مَسجد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأن يُعينَه فيه ، فبعث إليه بمائة ألفِ مثقال ذهب ، وبَعث إليه بمائة عامل ، وبعث إليه من الفُسَيْفِساء بأربعين حِمْلا ، وأمر أن يتتبّع الفُسَيْفِساء فى المدائن التى خُرّبت ، فبعث بها إلى الوليد ، فبعث بذلك الوليد إلى عمرَ بنِ عبد العزيز .

وفى هذه السنة ابتدأ عمرُ بنُ عبد العزيز فى بناء المسجد .

* * *

وفيها غزَا أيضًا مَسلمَةُ الرّوم ، ففُتِح على يديه حُصونٌ ثلاثة : حِصن قُسْطَنْطِينة ، وغَزَالة ، وحِصْن الأخْرم. وقتل من المستَعربة نحوٌ من ألف مع سَبْيِ الذرّيّة وأخذِ الأموال .

* * *

[ذكر غزو قتيبة نومُشْكَث ورامِيثَنه]

وفى هذه السنة غزا قتيبة نومُشكَث ورامِيثَنه .

* ذكر الخبر عما كان من خبر غزوته هذه :

٢/١١٩٥ ذكَر علىّ بنُ محمد، أنّ المفضّل بن محمد أخبَره عن أبيه ومصعب بن حيّان ، عن مولًى لهم أدرك ذلك، أن قتيبة غزا نومشكَث فى سنة ثمان وثمانين ، واستَخلَف على مرْو بشّار بن مُسلم ، فتلقّاه أهلُها ، فصالَحهم ، ثم صار إلى راميثنه فصالَحه أهلُها ، فانصرَف عنهم[1] وزحَفَ إليه الترْك، معهم[2] السُّغْد وأهلُ فَرْغانة ، فاعترَضوا المسلمين فى طريقِهم ، فلَحقوا عبدَ الرحمن ابن مسلم الباهلىّ وهو على الساقة ، بينه وبين قُتيبة وأوائلِ العسكر مِيلٌ ، فلما قربوا منه أرسل رسولاً إلى قتيبةَ بخبره ، وغشِيَه الترك فقاتَلُوه ، وأتى الرسولُ قتيبةَ فرَجَع بالناس، فانتهى إلى عبد الرحمن وهو يقاتلُهم، وقد كاد

(١) ب : « عنها » . (٢) ب : « ومعهم » .

التُّرْك يستعمِلُونهم، فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصَبَروا ، وقاتلوهم إلى الظهر ، وأبلَى يومئذ نيزكُ وهو مع قتيبة ، فهَزَم اللهُ الترك ، وفضّ جَمعهم ، ورجع قتيبةُ يُريدُ مَرْوَ، وقطع النهر من التِّرْمِذ يريد بَلْخ ، ثم أتى مَرْوَ . وقال الباهِليّون : لقى التُّرْك المسلمين عليهم كُور مغانون[1] التركىّ ابن أخت مَلِك الصّين فى مائتى ألف ، فأظهر اللهُ المُسلِمين عليهم .

* * *

[ذكر ما عمل الوليد من المعروف]

وفى هذه السنة كتب الوليد بنُ عبد الملك إلى عمرَ بن عبد العزيز فى تسهيل الثنايا وحَفْر الآبار فى البُلْدان .

قال محمد بنُ عمر : حدّثنى ابنُ أبى سَبْرة ، قال : حدّثنى صالح بن كَيْسان، قال : كتب الوليدُ إلى عمَر فى تسهيل الثنايا وحَفْر الآبار بالمدينة، وخرجتْ كتبُه إلى البُلْدان بذلك ، وكتب الوليدُ إلى خالِد بن عبد الله بذلك . قال : وحَبَس المجذّمين عن أن يخرجوا على الناس ، وأجرَى عليهم أرزاقًا ، وكانت[2] تُجرَى عليهم . ١١٩٦/٢

وقال ابن أبى سَبْرة ، عن صالح بن كَيْسان ، قال : كتب الوليدُ إلى عمَر ابن عبد العزيز أن يعمل الفوّارة التى عند دار يزيدَ بن عبد الملك اليومَ ، فعَمِلها عمرُ وأجرَى ماءَها ، فلما حجّ الوليد وَقَف عليها ، فنظر إلى بيت الماء والفوّارة ، فأعجبتْه ، وأمَرَ لها بقُوّام يَقُومون عليها ، وأن يُسقَى أهلُ المَسجِد منها ، ففُعِل ذلك .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز فى رواية محمّد بن عمر . ذكَر أنّ محمد بن عبد الله بن جُبير — مولًى لبنى العباس — حدّثه عن صالح بن كَيْسان، قال : خرج عمرُ بن عبد العزيز تلك السنة — يعنى سنة ثمان وثمانين — بعدّة من قريش ، أرسل إليهم بِصلات وظَهْر للحُمولة ، وأحرموا معه من ذى الحُلَيْفة ، وساق معه بُدْنا ، فلما كان بالتّنعيم لقيَهم نَفَر

(١) ط : « كور بغانون » . (٢) ب : « فكانت » .

من قريش، منهم ابن أبى مُلَيكة وغيره ، فأخبروه أنّ مكّة قليلة الماء، وأنهم يخافون على الحاجّ العَطَش ، وذلك أن المطر قلّ ، فقال عمر : فالمَطْلب هاهنا بيِّن ، تعالوا نَدْعُ الله . قال : فرأيتُهم دَعَوْا ودعا معهم ، فألحّوا فى الدّعاء . قال صالح : فلا(١) واللهِ إن وصلنا إلى البيت ذلك اليوم إلا مع المطر حتّى كان مع الليل ، وسَكَبت السماء ، وجاء سَيْلُ الوادى ، فجاء أمرٌ خافَه أهلُ مكة ، ومُطرت عَرَفةُ ومِنًى وجُمْعٌ ؛ فما كانت إلا عُبُراً ، قال : ونبتت مَكّة تلك السنة للخِصْب . ٢/١١٩٧

وأمّا أبو مَعشَر فإنه قال : حجّ بالناس سنة ثمان وثمانين عمرُ بنُ الوليد ابن عبدِ الملك ، حدّثنى بذلك أحمدُ بنُ ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاقَ ابن عيسى عنه .

وكانت العمّال على الأمصار فى هذه السنة العمّال الذين ذكرْنا أنهم كانوا عمّالها فى سنة سبع وثمانين .

---

(١) ب : « فوالله » ، س : « ولا والله » .

ثمّ دخلت سنة تسع وثمانين

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

* * *

[خبر غزو مسلمة أرض الرّوم]

فن ذلك افتتاحُ المسلمين فى هذه السنة حصنَ سُورية ، وعلى الجيش مَسلَمة بن عبد الملك ، زَعم الواقدىّ أنّ مَسلَمة غزا فى هذه السنة أرضَ الرّوم ، ومعه العبّاس بنُ الوليد ودخلاها جميعاً ثمّ تفرّقا ، فافتتح مَسلَمة حصنَ سُورية ، وافتتح العبّاس أذرولية ، ووافق من الرّوم جمْعاً فهزَمهم.

وأما غيرُ الواقدىّ فإنه قال : قصد مَسلمة عَمورّية فوافق بها للرّوم جَمعاً كثيراً ، فهزَمهم الله ، وافتتح هِرَقْلةَ وقمودية . ٢/١١٩٨

وغزا العبّاس الصائفة من ناحية البُدَنْدُون .

* * *

[خبر غزو قتيبة بخارى]

وفى هذه السنة غزا قُتيبةُ بُخارَى ، ففتح راميثنه . ذكر علىّ بنُ محمّد عن الباهليّين أنهم قالوا ذلك ، وأن قتيبة رَجَع بعد ما فتحها فى طريق بَلْخ ، فلمّا كان بالفارياب أتاه كتاب الحجّاج : أن رِدْ وَرْدان خُذَاه . فرجَع قتيبة سنة تسع وثمانين ، فأتى زَمّ ، فقطع النهر ، فلقيَه السُّغد وأهل كِسّ ونَسَف فى طريق المفَازة ، فقاتلوه ، فظَفر بهم ومَضَى إلى بُخارَى ، فنزل خرْقانة السفْلى عن يمين وَرْدان ، فلقوه بجمع كثير ، فقاتلَهم يومَين وليلتَين ، ثمّ أعطاه الله الظّفَر عليهم ؛ فقال نَهار بن تَوسعة :

وباتت لَهُمْ منّا بخَرْقانَ لَيْلة وليْلَتُنا كانت بِخَرْقانَ أَطْوَلا

قال علىّ : أخبرَنا أبو الذيّال عن المهلّب بن إياس ، وأبو العلاء عن

٢/١١٩٩ إدريس بن حنظلة ، أنّ قتيبة غزا وَرْدانَ خُذَاه[١] ملك بُخارَى سنة تسع وثمانين فلم يُطِقْه، ولم يَظفر من البلد بشيء ، فرجع إلى مَرْو ، وكَتَب إلى الحجاج بذلك ، فكَتَب إليه الحجاج : أنْ صَوِّرْها لى، فبعث إليه بصُورتها ، فكتَبَ إليه الحجّاج : أن ارجِع إلى مَراغِتك[٢] فتُبْ إلى الله مما كان منك ، وأْتِها من مكانِ كذا وكذا .

وقيل : كَتَب إليه الحجاج أن كِسْ بكسّ وانسفْ نَسف وِرِدْ وَرْدان ، وإيّاك والتحويط[٣] ، وَدعْنى من بُنيّاتِ الطريق[٤] .

* * *

[خبر ولاية خالد القسرىّ على مكة]

وفى هذه السنة ولىَ خالد بن عبد الله القَسْرىّ مكّة فيما زعم الواقدىّ ، وَذكَر أنّ عمَر بن صالح حدّثه عن نافع مولًى بنِى مخزوم، قال : سمعت خالدَ بنَ عبد الله يقول على مِنبرِ مكّة وهو يخطب :

أيّها الناس ، أيّهما أعظَم ؟ أخليفةُ الرّجل على أهلِه ، أمْ رسوله إليهم ؟ واللهِ لو لم تَعلَموا فَضْل الخَليفة ، إلا أنّ إبراهيمَ خليلَ الرّحمن استَسْقى فسَقاه ملْحًا أجاجًا، واستسقاه[٥] الخليفةُ فَسقاه عَذبًا فراتًا ، بِئراً حفَرَها الوليد بنُ عبد الملك بالثَّنيّتين — ثَنِيّة طوًى وثنيّة الحَجُون[٦] — فكان ينقَل ماؤها فيوضَع فى حوض من أدَم إلى جَنْب زمزمَ ليُعْرف فضلُه على زَمْزَم . ٢/١٢٠٠

قال : ثمّ غارت البئر فذهبتْ فلا يُدرَى أين هىَ اليوم .

---

(١) ب : « خداه » .

(٢) المراغة فى الأصل: متمرّغ الدابة ؛ أراد بها بخارى أى أن يفتحها ويتخذها معقلا يتقلب فيه كما تتقلب الدابة فى مراغها .

(٣) حوّط حول الأمر ، أى دار ، وأصله من حوط كرمه تحويطاً ، أى بنى حوله حائطاً؛ يريد : إياك والدوران فى القول وكثرة المراجعة فيه .

(٤) بنيّات الطريق : الطرق الصغار تتشعب من الجادّة ، أى اسلك الطريق المستقيم الذى لا تعريج فيه .

(٥) ب: « واستسق » .

(٦) ابن الأثير : « بثنية طوى فى ثنية الحجون » .

* * *

وفيها غَزَا مَسْلمة بنُ عبد الملك التُّرْكَ حتى بلغ البابَ من ناحية أذْرَبيجان ، ففَتَحَ حُصونًا ومدائنَ هنالك .

* * *

وحَجَّ بالناس فى هذه السنة عمر بنُ عبد العزيز ، حدّثنى بذلك أحمدُ ابنُ ثابت ، عمّن ذَكَره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى مَعشَر .

وكان العمّال فى هذه السنة على الأمصار العمال فى السنة التى قَبْلَها ، وقد ذكرناهم قَبْل .

ثمّ دخلت سنة تسعين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

في هذه السنة غزا مَسْلمةُ أرضَ الرّوم -فيما ذكَر محمد بن عُمَر- من ناحية سُورِية، ففتَح الحصونَ الخمسةَ التي بسُورِية.

وغزا فيها العباس بن الوليد؛ قال بعضهم: حتى بلَغ الأرزَن؛ وقال بعضُهم: حتى بلَغ سُورِية. وقال محمد بن عُمر: قولُ مَن قال: حتى بلَغ سُورِية أصحّ.

وفيها قتَل محمدُ بن القاسم الثقفيّ داهرَ بن صصّة ملِك السِّند، وهو على جيش من قِبَل الحجّاج بن يوسف.

وفيها استعمَل الوليدُ قُرّةَ بن شريك على مصرَ موضع عبدِ الله بن عبد الملك.

١٢٠١/٢ وفيها أسرت الرّومُ خالدَ بن كَيْسان صاحب البحر، فذهبوا به إلى ملِكهم، فأهداه ملك الروم إلى الوَليد بن عبد الملك.

* * *

[خبر فتح بخارى]

وفيها فتَح قُتيبةُ بُخارَى، وهزَم جُموعَ العدوّ بها.

* ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر عليّ بنُ محمد أن أبا الذّيال أخبرَه عن المهلّب بن إياس؛ وأبا العلاء عن إدريس بن حنْظلة؛ أنّ كِتاب الحجّاج لمّا ورد على قتيبة يأمره بالتوبة مما كان، من انصرافه عن وَرْدانَ خُذاه ملك بُخارَى قبل الظفر به والمصيرِ إليه، ويعرّفه الموضَع الذي ينبغي له أن يأتيَ بلده منه، خرج قُتيبة إلى بُخارَى في سنة تسعين غازيًا، فأرسَل وَرْدان خذاه إلى السُّغْد والتُّرْك ومَن حولَهم

يستنصرونهم (١)، فأتوهم وقد سبق إليها قتيبة فحصرهم، فلما جاءتهم أمدادهم خرجوا إليهم ليقاتلوهم، فقالت الأزد: اجعلونا على حدة (٢)، وخلّوا بيننا وبين قتالهم. فقال قتيبة: تقدّموا؛ (٣فتقدّموا يقاتلونهم٣) وقتيبة جالس، عليه رداء أصفر فوق سلاحه، فصبروا جميعاً مليًّا، ثمّ جال المسلمون، وركبهم المشركون فحطموهم حتى دخلوا في عسكر قتيبة وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين، فكرّوا راجعين، وانطوت مجنّبتا المسلمين على الترك، فقاتلوهم حتى ردّوهم إلى مواقفهم، فوقف الترك على نشز، فقال قتيبة: من يزيلهم لنا عن هذا الموضع (٤)؟ فلم يقدم عليهم أحد، (٥والأحياء كلّها وقوف٥).

٢٠٢/٢

فمشى قتيبة إلى بنى تميم، فقال: يا بنى تميم، إنكم أنتم بمنزلة الحطميّة، فيوم كأيّامكم، أبى (٦) لكم الفداء! قال: فأخذ وكيع اللواء بيده، وقال: يا بنى تميم، أتسلموننى اليوم؟ قالوا: لا يا أبا مطرّف - وهريم بن أبى طلحة المجاشعىّ على خيل بنى تميم ووكيع رأسهم، والناس وقوف - فأحجموا جميعاً، فقال وكيع: يا هريم، قدّم (٧)، ودفع إليه الراية، وقال: قدّم خيلك فتقدّم هريم، ودبّ وكيع فى الرجال، فانتهى هريم إلى نهر بينه وبين العدوّ فوقف، فقال له وكيع: اقحم يا هريم؛ قال: فنظر هريم إلى وكيع نظر الجمل الصئول (٨) وقال: أنا أقحم (٩) خيلى هذا النهر، فإن انكشفت كان هلاكها! والله إنك لأحمق؛ قال: يا بن اللخناء، ألا أراك تردّ أمرى! وحذفه بعمود كان معه، فضرب هريم فرسه فأقحمه، وقال: ما بعد هذا أشدّ من هذا، وعبر هريم فى الخيل، وانتهى (١٠) وكيع إلى النهر، فدعا بخشب، فقنطر النهر وقال لأصحابه: من وطّن منكم نفسه على الموت فليعبر، ومن لا فليثبت مكانه؛ فما عبر معه إلا ثمانمائة

(١) ب: «يستصرخهم فأتوه».
(٢) ب: «ناحية».
(٣ - ٣) ب: «فقاتلهم».
(٤) ب: «الموقف».
(٥ - ٥) ب: «والأحياء من العرب كلهم وقوف».
(٦) ر: «إنى».
(٧) ابن الاثير: «قدم خيلك».
(٨) ب: «الهائج».
(٩) ابن الأثير: «أأقحم».
(١٠) ب: «فانتهى».

راجل [١] ، فدبّ فيهم حتى إذا أعيوا [٢] أقعدَهم فأراحوا حتى دنا من العدوّ ، فجعل[٣] الخيلَ مجنّبتين ، وقال لهريم: إني مُطاعن القوم ، فاشغلْهم عنّا بالخيل ، وقال للناس : شُدّوا ، فحملوا فما انثنَوْا حتى خالطوهم ، وحمل هُريم خيلَه عليهم فطاعنوهم بالرّماح ، فما كفّوا عنهم حتى حدّروهم عن موقفهم ، ونادى قتيبة : أما ترَون العدوّ منهزمين ! فما عبرَ أحدٌ ذلك النهر حتى ولّى العدوّ منهزِمين ، فأتبعهم الناسُ ، ونادى قتيبة : مَن جاء برأس فله مائة .

١٢٠٣/٢

قال : فزعم موسى بن المتوكّل القُريْعيّ ، قال : جاء يومئذ أحدَ عشرَ رجلا من بني قُرَيع ، كلّ رجل يجيء برأس ، فيقال له : من أنت ؟ فيقول : قُريعيّ . قال : فجاء رجل من الأزْد برأس فألقاه ، فقالوا له : مَن أنت ؟ قال: قُريعيّ ؛ قال: وجَهْم بنُ زَحْر قاعد، فقال: كَذَبَ والله أصلحك الله ! إنه لابن عَمّي ؛ فقال له قُتيبة : وَيحك ! ما دعاك إلى هذا ؟ قال : رأيتُ كلّ من جاء قُريعيّ : فظننتُ أنه ينبغي لكلّ من جاء برأس أن يقول : قُريعيّ. قال : فضحك قُتيبة .

قال : وجُرح [٤] يومئذ خاقان وابنُه ، ورجع قتيبةُ إلى مَرْوَ ، وكتب إلى الحجّاج : إني بعثتُ عبدَ الرحمن بنَ مسلم ، ففتح الله على يديه .

قال : وقد كان شهد الفتحَ مولًى للحجّاج ، فقَدِم فأخبرَه الخبر ، فغضِب الحجّاج على قتيبة ، فاغتمّ لذلك [٥] ، فقال له الناس . ابعثْ وَفْداً من بني تميم وأعطِهم وأرضِهم يُخبروا الأميرَ أنّ الأمرَ على ما كتبْتَ ، فبعَث رجالاً فيهم عُرام بن شُتَير الضّبّيّ ، فلمّا قدموا على الحجّاج صاح بهم وعاتبهم ودعا بالحجّام بيَده مِقراض فقال: لأقطّعنّ ألسنتكم أو لتصدقُنّني ، قالوا : الأميرُ قتيبة ، وبعث عليهم عبدَ الرحمن ، فالفتح [٦] للأمير والرأسِ الذي يكون على الناس ، وكلّمه بهذا عُرام بن شُتَير ، فسَكن الحجّاج .

١٢٠٤/٢

---

(١) ب : « رجل » .
(٢) ب : « عبروا » .
(٣) ب : « وجعل » .
(٤) ب ، ر : « وخرج » .
(٥) ب : « كذلك » .
(٦) ب : « بالفتح » .

[خبر صلح قتيبة مع السُّغْد]

وفى هذه السنة جدّد قتيبةُ الصلحَ بينه وبين طَرْخون مَلِك السُّغْد .

* ذكر الخبر عن ذلك :

قال علىّ : ذَكَر أبو السَّرِىّ عن الجَهم الباهلىّ ، قال : لما أوقع قتيبة بأهل بُخارَى ففَضّ جمعهم هابَه أهلُ السُّغْد ، فرجع طَرْخون مَلك السُّغد ومعه فارسان حتى وقف قريباً من عسكر قُتيبة ، وبينهما نَهر بُخارى ، فسأل أن يَبعث إليه رجلاً يكلمه ، فأمر قتيبةُ رجلاً فدنا منه .

وأما الباهليّون فيقولون : نادى طَرْخونُ حيّانَ النَّبَطِىّ فأتاه ، فسألهم الصّلح على فِدْية يؤدّيها إليهم ، فأجابه قتيبة إلى ما طَلَب ، وصالحه ، وأخذَ منه رَهْناً حتى يَبعثَ إليه بما صالحه عليه ، وانصرف طرخون إلى بلاده ، ورجع قتيبةُ ومعه نيزَك .

* * *

[غدر نِيزَك]

وفى هذه السنة غَدَرَ نيزَك ، فنقض الصّلح الذى كان بينه وبين المسلمين وامتنعَ بقلعته ، وعاد حَرْباً ، فغَزاه قُتيبة .

* ذكر الخبر عن سبب غدرِه وسببِ الظّفَر به :

قال علىّ : ذَكَر أبو الذّيال ، عن المهلّب بن إياس والمفضّل الضّبىّ ، عن أبيه ، وعلىّ بن مجاهد وكُلَيب بن خَلَف العمىّ ؛ كلّ قد ذكر شيئاً فألّفته ؛ وذَكَر الباهليّون شيئاً فألحقتُه فى خَبَر هؤلاء وألفتُه ؛ أنّ قتيبة فَصَل مِن بخارَى ومعه نيزَك وقد ذَعَره ما قد رأى من الفُتوح ، وخاف قتيبة ، فقال : لأصحابه وخاصّته : مُتّهَم أنا مع هذا ، ولستُ آمَنُه ؛ وذلك أنّ العربىّ بمنزلة الكَلْب ؛ إذا ضربتَه نَبَح ، وإذا أطعَمْته بَصْبَص واتّبعك ، وإذا غَزَوْته ثم أعطيتَه شيئاً رضىَ ، ونسىَ ماصنعتَ به ، وقد قاتَلَه طرْخونُ مراراً ، فلما أعطاه فدية قبِلها ورضىَ ، وهو شديد السَّطْوة فاجر

١٢٠٥/٢

فلو استأذنت[1] رجعتُ كان الرأى ، قالوا : استأذِنه . فلما كان قتيبة بآمُل استأذَنَه فى الرّجوع إلى تُخارِسْتان ، فأذن له ، فلما فارق عسكرَه متوجّهًا إلى بَلْخَ قال لأصحابه : أغذُّوا السَّيرَ ؛ فساروا[2] سيرًا شديدًا حتى أتَوا النّوبَهار[3] ، فنزَل يصلّى فيه وتبرّك به . وقال لأصحابه : إنى لا أشكّ أنّ قتيبة قد ندم حين فارقَنا عسكرَه على إذنه لى ، وسيَقدَم الساعةَ رسولُه على المغيرة بن عبد الله يأمرُه بحبْسى ، فأقيموا ربيئةً تنظر ، فإذا رأيتم الرسولَ قد جاوَز المدينةَ وخرج من الباب فإنه لا يبلغ البرُوقان حتى نبلغ تخارِستان ، فيبعث المغيرة رجلا فلا يُدرِكنا حتى ندخلَ شِعبَ خُلْم ؛ ففعلوا .

قال : وأقبل رسولٌ من قِبَل[4] قتيبة إلى المغيرة يأمُرُه بحبس نيزَك . فلما مرّ الرّسول إلى المغيرة وهو بالبُروقان — ومدينة بَلْخ يومئذ خَراب — ركب نيزَك وأصحابه فمضَوا ، وقَدِم الرسولُ على المغيرة فركب بنفسه فى طلبه ، فوجَده قد دخَل شِعب خُلْم ، فانصرف المغيرة ، وأظهَر نيزَك الخلع ، وكتب إلى أصبهبذ بَلْخ وإلى باذام مَلِك مَرْوَروذ ، وإلى سهرب[5] مَلِك الطالقان ، وإلى ترسُل ملك الفارياب ، وإلى الجُوزجانىّ ملك الجُوزجان يدعوهم إلى خَلْع قتيبة ، فأجابوه ، وواعَدَهم الرّبيع أن يجتمعوا ويغزُوا قتيبة . وكتب إلى كابل شاه يستظهِر به ، وبعث إليه بثَقَله وماله ، وسأله أنْ يأذَن له إن اضطر إليه أن يأتيَه ويؤمّنَه فى بلاده ، فأجابه إلى ذلك وضمّ ثقَلَه .

قال : وكان جبْغويه مَلِك تخارستان ضعيفًا ، واسمه الشذّ ، فأخذه نيزَك فقيّده بقَيْد من ذهَب مخافة أن يَشغَب عليه — وجبغويه ملك تخارستان ونيزَك من عبيده — فلما استوثق منه وضَعَ عليه الرّقباء ، وأخرج عاملَ قُتيبةَ من بلاد جبْغويه ، وكان العامل محمد بن سُلَيم الناصح ، وبلغ قتيبة خلعَه قبل الشتاء ، وقد تفرّق الجند فلم يَبقَ مع قتيبة إلا أهل مَرْو ، فبعث عبد الرّحمن أخاه إلى بَلْخ فى اثنىْ عشرَ ألفًا إلى البروقان ، وقال : أقم بها ،

١٢٠٦/٢ ، ١٢٠٧/٢

(١) ب : « استأذنته » . (٢) ب : « وسار » .
(٣) ب : « التوبهار » . (٤) ب : « عند » .
(٥) ط : « سهرك » ، وانظر الطبرى ٢ : ١٥٦٦ ، ١٥٦٩ (أوربا) .

ولا تُحدِث شيئًا، فإذا حَسَر الشتاء فعَسْكِر وسِرْ نحو تخارستان، واعلم أنى قريب منك، فسار عبدُ الرّحمن فنزل البروقان، وأمهل قتيبة حتى إذا كان فى آخر الشتاء كَتَب إلى أبرشهر وبِيوَرْد وسَرَخْس وأهل هَرَاة ليقدَموا قبل أوانِهم الّذى كانوا يَقدَمون عليه فيه.

* * *

[خبر فتح الطالقان]

وفى هذه السنة، أوقع قتيبة بأهل الطالَقان بخراسان — فيما قال بعض أهل الأخبار — فقتل من أهلها مقتلةً عظيمة، وصلب منهم سِمَاطيْن أربعة فراسخَ فى نظام واحد.

* ذكر الخبر عن سبب ذلك:

وكان السبب فى ذلك — فيما ذُكر — أنّ نيزَك طرخان لما غدر وخَلَع قتيبة وعَزَم على حَربه، طابَقَه على حربه مَلِك الطالَقان، وواعَدَه المصيرَ إليه مَن استجاب للنهوض معه من الملوك لحرب قُتيبة، فلما هَرَب نيزَك من قتيبة ودخل شِعب خُلْم الذى يأخذ إلى طُخارِستان عَلِم أنه لا طاقةَ له بقُتيبة، فهَرَب، وسار قُتيبةُ إلى الطالقان فأوقع بأهلها، ففعل ما ذكرتُ فيما قبل.

وقد خُولِف قائلُ هذا القول فيما قال من ذلك، وأنا ذاكرُه فى أحداث سنة إحدى وتسعين.

* * *

١٢٠٨/٢

وحَجّ بالنّاس فى هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز، كذلك حدّثنى أحمد ابن ثابت عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبى مَعشَر. وكذلك قال محمد بن عمر.

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز فى هذه السنة عامل الوليد بن عبد الملك على مكّة والمدينة والطائف. وعلى العراق والمشرِق الحجّاج بن يوسف، وعامل الحجّاج على البَصْرة الجرّاح بن عبد الله. وعلى قَضائها عبد الرحمن بن أذينة، وعلى الكوفة زياد بن جَرير بن عبد الله. وعلى قضائها أبو بكر بن أبى موسى. وعلى خُراسان قتيبة بن مُسلِم. وعلى مصرَ قُرّة بن شَرِيك.

[هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج]

وفى هذه السنة هَرَب يزيدُ بن المهلّب وإخوته الذين كانوا معه فى السجن مع آخرين غيرهم، فلَحِقوا بسُليمانَ بن عبد الملك مستجِيرين به من الحجّاج ابن يوسف، والوليدِ بنِ عبد الملك.

* ذكر الخبر عن سبب تخلّصهم من سجن الحجّاج ومسيرِهم إلى سليمان :

قال هشام : حدّثنى أبو مِخنَف، عن أبى المُخارِق الراسبىّ، قال :
١٢٠٩/٢ خرج الحجّاج إلى رُسْتُقْباذ للبَعْث، لأنّ الأكرادَ كانوا قد غلبوا على عامة أرضِ فارسَ، فخرج بيزيدَ وبإخوته المفضّل وعبد الملك حتى قَدِم بهم رستقْباذ؛ فجعلهم فى عسكرِه، وجعل عليهم كهَيْئة الخَنْدق، وجَعلَهم فى فُسطاط قريبًا من حُجْرته، وجعل عليهم حَرَسًا من أهل الشأم، وأغرَمَهم ستّة آلافِ ألف، وأخذ يعذّبهم، وكان يزيدُ يَصبِر صبراً حَسَنًا، وكان الحجّاج يَغيظُه ذلك، فقيل له : إنه رُمى بنُشابة فثبَتت نصلُها فى ساقه، فهو لا يمسّها شىء إلا صاح، فإن حرّكت أدنى شىء سمعْت صوتَه، فأمَر أن يعذَّب ويُدهَق[١] ساقُه، فلما فُعل ذلك به صاحَ، وأخته هند بنت المهلّب عند الحجّاج، فلما سمعتْ صِياحَ يزيدَ صاحتْ وناحتْ، فطلّقها. ثمّ إنه كفّ عنهم، وأقبَل يستأديهم، فأخذُوا يؤدّون وهم يَعمَلون فى التخلّص من مكانهم، فبعثوا إلى مروانَ بن المهلب وهو بالبَصْرة يأمرونه أن يضمّر لهم الخيل، ويُرِى الناسَ أنه إنما يريد بيعَها ويَعرِضها على البيع، ويُغلى بها لئلّا تُشتَرى فتكون لنا عُدَّة إن نحن قَدرنا على أن ننجوَ مما هاهنا. ففعل ذلك مَروان، وحبيب بالبَصرة[٢] يعذَّب أيضًا، وأمر يزيدُ بالحَرَس فصُنع لهم طعام كثير فأكلَوا؛ وأمَر بشراب فسُقُوا، فكانوا متشاغِلين به، ولبِسَ يزيدُ ثيابَ طبّاخه، ووَضَع على لحيته لحية

---

(١) الدهق : شد الساق بخشبتين . (٢) ب : « يعذب بالبصرة » .

بَيْضاء ، وخرج فرآه بعضُ الحرس فقال : كأنّ هذه مِشْية يزيد ! فجاء حتى استعرض وجهَه ليلا ، فرأى بياضَ اللّحية ، فانصرف عنه ، فقال : هذا شيخ . وخرج المفضَّل على أثره ، ولم يُفطَن له ، فجاءوا إلى سُفنهم وقد هيَّئوها في البطائح ، وبينهم وبين البَصرة ثمانية عشرَ فَرْسخًا ، فلما انتهَوا إلى السفن أبطأ عليهم عبدُ الملك وشُغِل عنهم ، فقال يزيد للمفضّل : اركَب بنا فإنه لاحقٌ ، فقال المفضّل — وعبد الملك أخوه لأمّه — وهي بهلة ، هنديّة : لا والله ، لا أبرَح حتى يجيء ولو رجعتُ إلى السجن . فأقام يزيدُ حتى جاءهم عبدالملك ، وركبوا عند ذلك السفُن ، فساروا ليلتَهم حتى أصبحوا ، ولما أصبح الحرَس علِموا بذَهابهم ، فرُفع ذلك إلى الحجّاج ، وقال الفرزدق في خروجهم[1] :

٢/١٢١٠

فلمْ أرَ كالرَّهْط الذينَ تَتَابعــوا على الجِذْع والحرَّاسُ غيرُ نِيامِ
مَضوْا وهُمُ مُسْتَيْقنُونَ بأنَّهمْ إلى قَدَرٍ آجالُهمْ وحِمَــامِ
وإنْ منهمُ إلا يُسَكِّن جأْشَهُ[2] بعَضْب صقيلٍ صارمٍ وحُسام
فلمَّا التقَوْا لم يلتَقوا بمُنَفَّه[3] كبيرٍ ولا رَخْصِ العظام غلام
بمثلِ أَبيهمْ حين تمّت لِدَاتُهمْ لخمسين قلْ فى جُرْأَةٍ وتمام

٢/١٢١١

ففزع له الحجّاج ، وذهبَ وهمه أنّهم ذَهبوا قِبَل خرُاسان ، وبعث البريدَ إلى قتيبة بن مسلم يحذِّره قدومَهم ، ويأمُره أن يستعدّ لهم ، وبعث إلى أمَراء الثغور والكُوَر أن يرصدوهم ، ويستعدّوا لهم ، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك يُخبِره بهرَبهم ، وأنه لايراهم أرادوا إلا خرُاسان . ولم يزل الحجّاج يظنّ بيزيدَ ما صنع ، كان يقول : إنى لأظنه يحدِّث نفسَه بمِثل الذى صنع ابنُ الأشعث .

ولمّا دنا يزيدُ من البطائح ، من مَوْقُوع[4] استقبلتْه الخيل قد هُيِّئت له ولإخوته ، فخرجوا عليها ومعهم دليلٌ لهم من كَلْب يقال له : عبد الجبّار بن يزيدَ بن الربعة ، فأخذ بهم على السَّمَاوَة ، وأتِيَ الحجّاج بعد يومين ، فقيل

(١) ديوانه ٨١٦ — ٨١٧ . (٢) الديوان : « وما منهم » .
(٣) كذا فى ب والديوان ، والمنفّه : الضعيف من العلة . وفى ط : « بمنقه » .
(٤) موقوع : ماء بناحية البصرة .

له : إنما أخذ الرجل طريقَ الشأم ، وهذه الخيلُ حَسْرَى فى الطريق ، وقد أتى من رآهم موجِّهين فى البرّ ، فبعث إلى الوليد يُعلِمه ذلك ، ومَضَى يزيدُ حتى قَدِم فِلَسطين ، فنَزَل على وهيب بن عبد الرّحمن الأزْدىّ — وكان كريمًا على سليمان — وأنزل بعضَ ثَقَله وأهلِه على سُفْيان بن سليمان الأزدىّ ، وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سليمان ، فقال : هذا يزيدُ بن المهلَّب ، وإخوتُه فى منزلى ، وقد أتوك هُرّابًا من الحجّاج متعوِّذين بك ؛ قال : فأتِنى بهم فهم آمِنون لا يُوصَل إليهم أبداً وأنا حىّ . فجاء بهم حتى أدخلَهم عليه ، فكانوا فى مكان آمِن . وقال الكلبىّ[1] دليلهُم فى مَسيرِهم : ١٢١٢/٢

أَلا جَعَلَ اللهُ الأَخــلاَّءَ كلَّهُمْ فداءً على ما كان لابنِ المُهلَّبِ
لَنِعْمَ الفتى يا مَعْشَر الأَزْد أَسعَفتْ رِكابُكُمْ بالوهب شَرْقِىَّ مَنْقَبِ[2]
عَدَلْنَ يَميناً عنهمُ رَمْلُ عالِجٍ وذات يمينِ القومِ أَعلامُ غُرَّبِ[3]
فَإِلَّا تُصَبِّحْ بعدَ خَمْسٍ ركابُنا سليمانَ مِن أَهل اللِّوى تتأَوَّبِ[4]
تَقَرُّ قَرار الشَّمس ممّا وراءَنا[5] وتذْهَبُ فى داجٍ مِنَ الليلِ غَيْهَب
بِقومٍ هُمُ كانوا الملوكَ هَدَيْتُهُمْ[6] بِظَلْماءَ لم يُبْصَرْ بها ضَوءُ كوكب
ولا قَمرٍ إِلَّا ضَئيلاً كأَنه سِوارٌ حَنَاهُ صائغ السُّور مُذْهَب

قال هشام : فأخبرَنى الحسَن بن أبَان العُلَيمىُّ ، قال : بينا عبد الجبار ابن يزيدَ بن الرّبعة يَسرِى بهم فسقطتْ عِمامةُ يزيدَ ، ففقَدَها فقال : يا عبدَ الجبار ، ارجعْ فاطلُبْها لنا ، قال : إنّ مِثلى لا يُؤمَر بهذا ، فأعاد؛ فأبى ، فتناولَه بالسوط ، فانتَسَب له ، فاستحيا منه ، فذلك قولُه : ١٢١٣/٢

أَلاَ جعلَ اللهُ الأَخــلاّءَ كلَّهمْ فداءً على ما كان لابن المهلَّبِ

---

(١) ب : « وقد قال ابن » .
(٢) ب : « ركابهم بالوهد » .
(٣) ب : « عزب » ، ر : « عرب » .
(٤) ب : « نتأوب » .
(٥) ب : « نفر فرار » .
(٦) ب : « بقوم من أبناء الملوك » .

وكتب الحجّاج : إن آل المهلب خانوا مالَ الله وهربوا منّى ولحقوا بسليمان ، وكان آل المهلّب قدموا على سليمان ، وقد أمر الناس أن يحصّلوا ليسرّحوا إلى خراسان ، لا يرون إلا أنّ يزيدَ توجّه إلى خُراسان ليفتن مَن بها . فلما بلغ الوليدَ مكانُه عند سليمان هوّن عليه بعضَ ما كان فى نفسه ، وطار غضباً للمال الذى ذهَب به . وكتب سليمانُ إلى الوليد : إنّ يزيدَ بنَ المهلب عندى وقد آمنته ، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف ، كان الحجّاج أغرمهم ستّة آلاف ألف فأدَّوْا ثلاثة آلاف ألف ، وبقى ثلاثة آلاف ألف ، فهىَ علىّ . فكتب إليه : لا والله لا أؤمّنه حتى تبعث به إلىّ . فكتب إليه : لئن أنا بعثتُ به إليك لأجيئنّ معه ، فأنشدُك اللهَ أن تفضحنى ولا أن تُخفِرنى . فكتب إليه : والله لئن جئتَنى لا أؤمنه . فقال يزيد : ابعثنى إليه ، فوالله ما أحبّ أن أوقع بينك وبينه[1] عداوةً وحرْباً ، ولا أن يتشاءم بى لكما الناسُ ، ابعث إليه بى[2] ، وأرسل معى ابنك ، واكتُب إليه بألطف ما قدرتَ عليه . فأرسلَ ابنه أيوب معه . وكان الوليد أمرَه أن يبعث به إليه فى وثاق ، فبعث به إليه ، وقال لابنه : إذا أردتَ أن تدخُل عليه فادخلْ أنتَ ويزيد فى سلسلة ١٢١٤/٢ ثمّ ادخُلا جميعاً على الوليد ، ففعل ذلك به حين انتهيا إلى الوليد ، فدخلا عليه ، فلما رأى الوليدُ ابنَ أخيه فى سلسلة ، قال : والله لقد بلغْنا من سليمان ! ثمّ إنّ الغلام دفَع كتابَ أبيه إلى عمّه وقال : يا أميرَ المؤمنين ، نفسى فداؤُك ! لا تُخفر ذِمّة أبى ، وأنت أحقّ من منَعها ، ولا تقطع منّا رجاءَ من رجا السلامة فى جوارنا لمكاننا منك ، ولا تُذِلّ من رجا العزّ فى الانقطاع إلينا لعزّنا بك . وقرأ الكتاب :

لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سُليمان بن عبد الملك . أما بعدُ يا أميرَ المؤمنين ، فوالله إن كنتُ لأظنّ لو استجار بى عدوّ قد نابذك وجاهدك فأنزلتُه وأجرْتُه أنك لا تُذلّ جارى ، ولا تُخفر جِوارى ، بلْه لم أجِرْ إلا سامعاً مطيعاً حسَنَ البلاء والأثر فى الإسلام هو وأبوه وأهل بيته ، وقد بعثتُ به إليك ، فإنْ كنتَ إنما تغزو قطيعتى والإخفار لذمّتى ، والإبلاغ فى مساءتى ، فقد

(١) ب : « بينه وبينك » . (٢) ب : « بى إليه » .

قدرتَ إن أنت فعلت . وأنا أعيذُك بالله من احتراد(١) قَطيعتى ، وانتهاكِ حُرْمتى وترك بِرّى وصلتى ، فوالله يا أميرَ المؤمنين ما تَدرِى ما بقائى وبقاؤك ، ولا متى يُفرّق الموت بينى وبينك! فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سرورَه ألا يأتى علينا أجلُ الوَفاة إلا وهو لى واصل ، ولحقّى مؤدّ ، وعن مساءتى نازع ، فليَفعل . والله يا أميرَ المؤمنين ما أصبحتُ بشىء من أمر الدنيا بعد تَقوَى الله فيها بأسَرَّ منّى برِضاك وسرورِك . وإنّ رضاك مما ألتمِس به رضوانَ الله ، فإنْ كنتَ يا أميرَ المؤمنين تريد يومًا من الدّهر مسرّتى وصِلتى وكَرامَتى وإعظامَ حقّى فتجاوزْ لى عن يزيدَ ، وكلّ ما طلَبْته به فهو علىّ .

١٢١٥/٢

فلما قرأ كتابَه ، قال : لقد شَققنا على سليمانَ ! ثمّ دعا ابنَ أخيه فأدناه منه . وتكلّم يزيدُ فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه وصلى على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قال :

يا أميرَ المؤمنين ، إنّ بلاءكم عندنا أحسنُ البَلاء ، فمن يَنْسَ ذلك فلَسنا ناسيه ، ومن يَكْفُر فلَسنا كافريه ، وقد كان من بلائنا أهلَ البيت فى طاعتكم والطعن فى أعين أعدائكم فى المواطن العِظام فى المشارق والمَغارب ما إنّ المنة علينا فيها عظيمة .

فقال له : اجْلس ، فجلس فآمَنه وكفّ عنه ، ورجع إلى سليمانَ وسَعى إخوتُه فى المال الذى عليه ، وكَتَب إلى الحجّاج :

إنى لم أصِل إلى يزيدَ وأهلُ بيته مع سليمان ، فاكفُف عنهم ، والْهُ عن الكتاب إلىّ فيهم .

فلما رأى ذلك الحجاج كفّ عنهم . وكان أبو عُيَينة بن المهلّب عند الحجّاج عليه ألف ألف درْهم ، فتَركها له ، وكفّ عن حبيب بن المهلب . ورَجَع يزيدُ إلى سليمانَ بن عبد الملك فأقام عندَه يُعلّمه الهَيْئة ، ويَصنَع له طيّبَ الأطعمة ، ويُهدِى له(٢) الهَدايا العِظام . وكان من أحسن الناس عنده منزلةً ، وكان لا تأتى يزيدَ بنَ المهلب هدّية إلا بعث بها إلى سليمان ، ولا تأتى سليمانَ هدّيةٌ ولا فائدةٌ إلا بعث بنصفها إلى يزيدَ بن المهلّب ،

١٢١٦/٢

(١) الاحتراد : من الحرد ؛ وهو القصد ، وفى ابن خلكان ٢ : ٢٧٠ : « اختيار » .
(٢) ب : « إليه » .

وكان لا تُعجِبه جاريةٌ إلا بعث بها إلى يزيدَ إلا خطيئة الجارية . فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك ، فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة الأشعرىّ ، فقال : انطلِق إلى سليمان فقل له : يا خالفةَ أهلِ بيته ، إن أمير المؤمنين قد بلغه[1] أنه لا تأتيك هديّة ولا فائدةٌ إلا بعثتَ إلى يزيدَ بنِصفها ، وإنك تأتى الجاريةُ من جواريك فلا ينقضى[2] طُهرُها حتى تبعثَ بها إلى يزيدَ ، وقبّحْ ذلك عليه ، وعيِّرْه به ، أتراك مبلّغاً ما أمرتُك به ؟ قال : طاعتُك طاعة ، وإنما أنا رسول ؛ قال : فأته فقل له ذلك ، وأقِمْ عندَه ، فإنى باعث إليه بهدية فادفعها إليه ، وخُذْ منه البراءة بما تَدفَع إليه .

ثمّ أقبلَ فمَضَى حتى قَدِم عليه وبين يديه المُصحَف ، وهو يقرأ ، فدخل عليه فسلّم ، فلم يردّ عليه السلام حتى فرغ من قراءته ، ثمّ رفع رأسَه إليه فكلّمه[3] بكلّ شىء أمرَه به الوليدُ ، فتمعّر وجهُه ، ثمّ قال : أما والله لئن قدرتُ عليكَ يوماً من الدهر لأقطعنّ منك طابقاً ! فقال له : إنما كانت علىّ الطاعة .

ثمّ خرج من عنده . فلما أتى بذلك الذى بعث به الوليدُ إلى سليمانَ ، دخل عليه[4] الحارثُ بنُ ربيعة الأشعرىّ وقال له : أعطِنى البراءَة بهذا الذى دفعتُ إليك ، فقال : كيف قلتَ لى ؟ قال : لا أعيدُه عالماً أبداً[5] ، إنما كان علىّ فيه الطاعة . فسكَن ، وعلِم أن قد صدَقه الرّجل ، ثمّ خرج وخرجوا معه ، فقال : خُذُوا نصفَ هذه الأعدال وهذه الأسفاط[6] وابعثوا بها إلى يزيدَ[7] .

١٢١٧/٢

قال : فعلِم الرجُل أنه لا يطيع فى يزيدَ أحداً ، ومكث يزيدُ بن المهلب عند سليمانَ تسعةَ أشهر .

وتُوفّى الحجاج سنة خمس وتسعين فى رمضانَ لِتسع بقين منه فى يوم الجمعة .

---

(١) ب : « إنه قد بلغ أمير المؤمنين » .
(٢) ب : « يقضى » .
(٣) ب : « وكلمه » .
(٤) ب : « له » .
(٥) ر : « إليك أبداً » .
(٦) ب : « ونصف هذه الأسفاط » .
(٧) ب : « يزيد بن المهلب » .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا — فيما ذكر محمد بن عمر وغيره — الصائفة عبدُ العزيز بن الوليد، وكان على الجيش مَسلَمة بن عبد الملك .

وفيها غزا أيضًا مَسلَمة الترْك ؛ حتى بلغ البابَ من ناحية أذْرَبيجان ، ففُتِح على يديه مدائنُ وحُصون .

وفيها غزا موسى بن نُصَير الأندلس ، ففُتح على يديه أيضا مَدائنُ وحصون .

* * *

٢/١٢١٨ وفى هذه السنة قَتَل قتيبةُ بنُ مسلم نيزَكَ طَرْخان .

* * *

[تتمَّة خبر قتيبة مع نيزك]

رجع الحديث إلى حديث علىّ بن محمد وقصّة نيزَك وظَفَر قُتيبة به حتى قتله . ولما قدم مَنْ كان قتيبةُ كتَبَ إليه يأمره بالقُدوم عليه من أهل أبْرَشَهْر وبِيوَرْد وسرْخس وهَراةَ على قتيبة، سار بالناس إلى مَرْوَرّوذ واستَخلَف على الحرب حمّاد بن مسلم، وعلى الخَراج عبد الله بن الأهتم . وبلغ مَرزُبان مَرْوَرّوذ إقبالُه إلى بلاده ، فهَرَب إلى بلاد الفُرْس . وقَدِم قتيبة مَرْوَرّوذ فأخذ ابنين له فقتَلَهما وصلَبهمَا ، ثمّ سار إلى الطالَقان فقام صاحبُها ولم يحارِبْه ، فكفّ عنه ، وفيها لصوص، فقتلهم قتيبة وصلبهم، واستعمل على الطالقان عَمْرو بن مسلم، ومَضى إلى الفارياب، فخرج إليه مَلِك الفارياب مُذْعِناً مقرًّا بطاعته ، فرضىَ عنه ، ولم يَقتل بها أحداً ، واستعمَل عليها رجلا من باهِلةَ . وبلغ صاحبُ الجُوزجان خبرُهم، فترَك أرضَه وخرَج إلى الجبال هاربًا ، وسار قتيبةُ إلى الجُوزجان فلقيه أهلها سامعِين مطيعِين ،

فقَبِل منهم ، فلم يَقتُل فيها [١] أحداً ، واستعمل عليها عامرَ بنَ مالك الحِمّانىّ ، ثمّ أتى بَلْخَ فلقيَه الأصبهْبَذ فى أهلِ بَلْخ ، فدخلها فلم يُقِم بها إلاّ يوماً واحداً .

١٢١٩/٢ ثم مضى يتبَع عبدَ الرحمن حتى أتى شعب خُلْم ، وقد مضى نيزَك فعسكَر ببَغْلان ، وخلف مُقاتِلةً على فم الشّعب ومَضايقه يمنعونه [٢] ، ووضع مُقاتِلةً فى قَلْعة حصينة من وراء الشِّعب ، فأقام قتيبة أيّاماً يقاتلهم على مَضيق الشِّعب لا يقدر منهم على شىء ، ولا يَقدِر على دخوله ، وهو مَضيقٌ ، الوادى يجرِى وسَطه ، ولا يَعرف طريقاً يُفضِى به [٣] إلى نيزَك إلاّ الشِّعب أو مفازة لا تحتَمل العساكر ، فبقى متلدِّداً يلتمس الحِيَل .

قال : فهو فى ذلك إذْ قَدِم عليه الرّوب خان مَلِك الرّوب وسِمِنْجان ، فاستأمَنَه على أن يدلّه على مَدخَل القَلْعة التى وراءَ هذا الشِّعب ، فآمنه قتيبةُ ، وأعطاه ما سأله ، وبعث معه رجالا ليلاً ، فانتهى بهم إلى القَلْعة التى من وراء شِعْب خُلْم ، فطرَقُوهم وهم آمنون فقتَلوهم ، وهرب مَنْ بقِىَ منهم ومن كان فى الشِّعب ، فدخل قتيبة والناسُ الشِّعب ، فأتى القلعة ثمّ مضى إلى سِمِنْجان ونيزَك ببَغْلان بعين تدعى فَنْج جاه ، وبين سِمِنْجان وبَغْلان مفَازة ليست بالشديدة

قال : فأقام قتيبة بسِمِنْجانَ أياماً ، ثمّ سار نيزَك ، وقدّم أخاه عبد الرحمن ، وبلغ نيزَك فارتحَل من منزله حتى قطع وادىَ فَرْغانة ، ووجّه ثَقَلَه وأموالَه إلى كابُل شاه ، ومضى حتى نَزَل الكرْز وعبد الرّحمن بن مسلم يتبَعه ، فنزل عبدُ الرحمن وأخذ بمضايق الكرز ، ونزل قُتيبة أسكيمشت بينه [٤] وبين عبد الرحمن فَرْسخان . فتحرّز نيزَك فى الكرز وليس إليه ١٢٢٠/٢ مَسلَك إلا من وجه واحد ، وذلك الوجه صَعْب لا تُطيقه الدّوابّ ، فحصَرَه قتيبة شهرَين حتى قلّ ما فى يد نيزَك من الطعام ، وأصابهم الجُدَرِىّ وجُدِّر جبغويه ، وخاف قتيبة الشتاء ، فدعا سُليماً الناصح ، فقال : انطلِق إلى نيزَك

---

(١) ب : « ولم يقتل بها » . (٢) ر : « يمنعون » .

(٣) ب : « فيه » . (٤) ب : « وبينه » .

واحتَلْ لأنْ تأتيَنى به بغيرِ أمان ، فإنْ أعياكَ وأبَى فآمِنه ، واعلم أنى إن عاينتُك وليس هو معك صلبتُك ؛ فاعمل لنفسك . قال : فاكتب لى إلى عبد الرحمن لا يُخالِفنى ؛ قال : نعم . فكتب له إلى عبد الرحمن فقَدِم عليه ، فقال له : ابعثْ رِجالاً فليكونوا على فَمِ الشِّعب ، فإذا خرجت أنا ونِيزَك فلْيَعطِفوا من ورائنا فيَحُولوا بينَنا وبين الشِّعب . قال : فبعث عبدُ الرحمن خَيْلا فكانوا حيث أمَرَهم سُلَيم ، ومَضَى سُليم وقد حمل معه من الأطعمة التى تبقى أياماً والأخبِصة أوقاراً ، حتى أتى نِيزَك ، فقال له نِيزَك : خذلْتَنى يا سليم ، قال : ما خذلْتُك ، ولكنك عصيتَنى وأسأتَ بنفسك ، خلعتَ وغدرتَ ، قال : فما الرأى ؟ قال : الرأىُ أن تأتيَه فقد أمحكْته[1] ، وليس ببارح موضَعه هذا ، قداعتزم على أن يَشتُوَ بمكانِه[2] ؛ هلك أو سلم ؛ قال : آتيه [3] على غيرِ أمان ! قال : ما أظنه يؤمنك لما فى قلبه عليك ، فإنك قد ملأتَه غيظاً ، ولكنى أرى ألّا يَعلم بك حتى تَضعَ يدَك فى يده ، فإنى أرجو إن فعلتَ ذاكَ أن يستحيَ ويعفوَ عنك ، قال : أترى ذلك[4] ؟ قال : نعم ؛ قال : إنّ نفسى لتأبَى هذا ، وهو إنْ رآنى قتلَنى ، فقال له سليم : ما أتيتُك إلا لأشيرَ عليك بهذا ، ولو فعلتَ لرجوتُ أن تَسلَم وأن تعودَ [5] حالُك عندَه إلى ما كانت ؛ فأما إذْ أبيتَ فإنى منصرِف . قال : فنغدّيك [6] إذاً ، قال : إنى لأظنكم فى شُغْل عن تَهيئةِ الطعام ، ومعنا طعامٌ كثير .

٢/١٢٢١

قال : ودعا سليم بالغَداء فجاءُوا بطَعام كثير لا عَهدَ لهم بِمثله منذ حصِروا ، فانتهبَه الأتراك ، فغمّ ذلك نِيزَك ، وقال سليم : يا أبا الهيّاج ، أنا لك من الناصِحين ، أرى أصحابَك قد جُهِدوا ، وإن طال بهم الحصار وأقمتَ على حالك لم آمَنهم أن يستأمِنوا بك ، فانطَلِق وأتِ قُتيبة ، قال : ما كنتُ لآمنَه على نفسى ، ولا آتيه على غير [7] أمان ؛ فإنّ ظنّى به أنه

---

(١) المحك : الغضب والمشارة .
(٢) ب : « مكانه » .
(٣) ب : « أفآتيه » .
(٤) ب : « ذاك » .
(٥) ب : « ويعود » .
(٦) ب : « فيغديك » .
(٧) ب : « بغير » .

قاتلى وإن آمننى ، ولكنّ الأمان أعذَر لى وأرجَى ، قال : فقد آمنك أفتتّهمنى ! قال : لا ، قال : فانطلِق معى ، قال له أصحابه : اقبَل قولَ سليم ، فلم يكن ليقولَ إلا حقًّا ، فدعا بدوابّه وخرج مع سليم ، فلما انتهى إلى الدرجة التى يُهبط منها إلى قرار الأرض قال : يا سليم ، من كان لا يَعلم متى يَموت فإنى أعلَم متى أموت ، أموتُ إذا عاينتُ قُتيبة ؛ قال : كلّا أيقتلُك مع الأمان ! فركِب ومضَى معه جبغويه — وقد برَأ من الجُدَرِىّ — وصُولُ وعثمانُ ابنا أخى نيزَك — وصول طَرْخان خليفة جبْغويه ، وخنس طرخان صاحب شرطه [١] — قال : فلما خرج [٢] من الشِّعب عطفَت الخيلُ التى خلفها سليم علَى فوّهة [٣] الشعب ، فحالوا بين الأتراك وبين الخروج ، فقال نيزَك لسُلَيم : هذا أوّل الشرّ ؛ قال : لا تفعل ، تخلُّف هؤلاء عنك خيرٌ لك . ١٢٢٢/٢

وأقبَل سليم ونيزَك ومن خرج معه حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مُسلِم ، فأرسل رسولاً إلى قتيبة يُعلِمه ، فأرسَل قتيبةُ عَمرو بن أبى مِهْزَم إلى عبدالرحمن : أن اقدم بهم علىّ ، فقَدِم بهم عبدُ الرحمن عليه ، فحبَس أصحابَ نيزَك ، ودفع نيزَك إلى ابن بسّام الليْثى ، وكتب إلى الحجّاج يستأذنه فى قتل نيزَك ، فجعل ابن بسام نيزَك فى قُبّته ، وحفَر حولَ القبة خَنْدقاً ، ووَضع عليه حرَسًا . ووجّه قتيبةُ معاويةَ بن عامر بن علقمة العُلَيمىّ ، فاستخرج ما كان فى الكُرز مِنْ متاع ومن كان فيه ، وقدِم به على قتيبة ، فحبسهم ينتظِر كتابَ الحجاج فيما كتب إليه ، فأتاه كتابُ الحجاج بعد أربعين يومًا يأمُره بقتْل نيزَك . قال : فدعا به فقال : هل لك عندى عَقْد أوعند عبد الرحمن أو عند سليم ؟ قال : لى عند سليم ؛ قال : كذبتَ ، وقام فدَخل وردّ نيزَك إلى حبْسه ، فمكث ثلاثةَ أيام لا يَظهَر للناس . قال : فقام [٤] المهلب ابنُ إياس العدوىّ ، وتكلّم فى أمْر نيزَك ، فقال بعضهم : ما يَحِلّ له أن يقتُله ، وقال بعضهم : ما يَحلّ له ترَكُه ، وكثرت الأقاويلُ فيه .

---

(١) ب : « شرطته » . (٢) ب : « خرجوا » .
(٣) ب : « فم الشعب » . (٤) ب : « خرجوا » .
(٥) كذا فى ر ، وفى ط : « فقال » .

وخرج قتيبة اليومَ الرابعَ فجلس وأذِن للناس، فقال: ما تَرَوْن فى قَتْل نيزَك؟ فاختلَفوا، فقال قائلٌ: اقتلْه، وقال قائل: أعطيتَه عَهْداً فلا تَقتُلْه؛ وقال قائل: ما نأمنه[1] على المسلمين. ودخل ضِرار بن حُصين الضّبىّ فقال: ما تقول يا ضرار؟ قال: أقول: إنّى سمعتك تقول: أعطيتُ اللهَ عَهْداً إنْ أمكنَكَ منه أن تقتُلَه، فإن لم[2]تفعَل لا ينصرنّك[2] الله عليه أبداً. فأطرَق قُتيبةُ طويلا، ثمّ قال: والله لو لم يَبقَ من أجَلى إلا ثلاث كلمات لقلتُ: اقتُلُوه، اقتُلُوه، اقتُلوه؛ وأرسَل إلى نيزَك فأمر بقتلِه وأصحابه[3] فقتِل مع سبعمائة.

١٢٢٣/٢

وأما الباهليّون فيقولون: لم يؤمنه ولم يؤمنه سُلَيم، فلما أراد قتلَه دعا به ودعا بسَيْف حَنَفىّ فانتضاه[4] وطوّل كميّه[5] ثمّ ضرب عنقَه بيَده، وأمرَ عبد الرحمن فضرَب عنقَ صول، وأمر صالحًا فقتَل عثمان — ويقال: شُقْران ابن أخى نيزَك — وقال لبَكر بن حبيب السهْمىّ من باهِلَة: هل بك قوّة؟ قال: نعم، وأريد — وكانت فى بكر أعرابيّة — فقال: دونَك هؤلاء الدّهاقين. قال: وكان إذا أتِىَ برجل ضَرَب عنقَه وقال: أوردوا ولا تُصدروا، فكان مَن قتل يومئذ اثنا عشر ألفًا فى قول الباهليّين، وصلب نيزَك وابنى أخيه فى أصل عين تُدعَى وخْش خاشان فى أسكيمشت، فقال المغيرة بن حَبْناء[6] يَذكُر ذلك فى كلمة له طويلة:

لعَمْرى لَنِعْمَتْ غَزْوةُ الجُندغَزْوَةً ... قَضَتْ نَحْبَهَا من نِيزكٍ وتَعلَّتِ

قال علىّ: أخبرَنا مصعَب بن حيّان، عن أبيه، قال: بعث قتيبة برأس نيزَك مع محفّن بن جزْء الكلابىّ، وسوّار بن زَهْدم الجَرْمىّ، فقال الحجاج: إن كان قُتيبة لحقيقًا أن يَبعث برأس نيزَك مع وَلَدِ مُسْلم، فقال سوّار:

١٢٢٤/٢

---

(١) ب: «تأمنه».
(٢ – ٢) ب: «يفعل فلا ينصرك».
(٣) ب: «فقتل وقتل أصحابه».
(٤) ب: «فانتضى».
(٥) ب: «كمه».
(٦) ابن الأثير: «نهار بن توسعة».

أقولُ لِمحفَنٍ وجَرى سنيحٌ وآخَرُ بارح مِنْ عَنْ يَمينى
وَقَدْ جَعلَتْ بوائقُ من أمـورٍ ترفَّع حولَه وتكفّ دونى
نشدْتُكَ هَلْ يسُرّك أنَّ سَرْجى وسَرْجك فوق أبغُل باذيينِ

قال : فقال محفَن: نعم وبالصّين .

قال علىّ : أخبرَنا حمزة بنُ إبراهيم وعلىّ بنُ مجاهد، عن حنْبل بن أبى حريدة ؛ عن مرْزبان قهستْان وغيرِهما ، أنّ قتيبة دعا يومًا بنيزَك وهو محبوس ، فقال : ما رأيُك فى السَّبَل والشذ؟ أتراهما يأتيان إن أرسلتُ إليهما ؟ قال : لا ؛ قال : فأرسَل إليهما قتيبة فقدِما عليه ، ودعا نيزَك وجبغويه فدخلا ، فإذا السَّبَل والشذّ بين يديه على كرسيّين ، فجلسا بإزائهما ، فقال الشذّ لقتيبة: إن جبغويه — وإن كان لى عدوًّا — فهو أسنّ منّى ، وهو الملِك وأنا كعبْده ، فأذن لى أدنُ منه ، فأذن له، فدنا منه ، فقبّل يده وسجد له ، قال : ثم استأذنه فى السَّبَل، فأذن له فدنا منه فقبّل يده ، فقال نيزك لقتيبة : ائذن لى أدن من الشذّ ، فإنى عبْدُه ، فأذن له، فدنا منه فقبّل يده، ثمّ أذن قتيبة للسَّبَل والشذّ[1] فانصرفا إلى بلادهما، وضم إلى الشذّ الحجّاج القينىّ، وكان من وُجوه أهلِ خُراسان. وقتل قتيبةُ نيزَك، فأخذ الزبيرُ مولى عابس الباهلىّ خُفًّا لنيزَك فيه جوهر ، وكان أكثرَ من فى بلاده مالاً وعقاراً؛ من ذلك الجوهر الذى أصابه فى خُفّه . فسوّغه إياه قُتيبة، فلم يزَل موسِراً حتى هلَك بكابُل فى ولاية أبى داود .

١٢٢٥/٢

قال : وأطلق قتيبة جبغويه ومنّ عليه ، وبعث به إلى الوليد ، فلم يزل بالشأم حتى مات الوليد . ورجع قتيبة إلى مرْو ، واستعمل أخاه عبدَ الرحمن على بلْخ ، فكان الناسُ يقولون : غدَر قتيبة بنيزَك ، فقال ثابتُ قُطنة :

لا تحْسبَنَّ الغَدْرَ حزماً فربَّما ترقَّتْ به الأقدامُ يوْماً فزلَّت

وقال: وكان الحجّاج يقول: بعثتُ قتيبةَ فتًى غِرًّا فما زدتُه ذراعًا إلا

---

(١) ب : « للشذ والسبل » .

زادني باعًا .

قال عليّ : أخبرَنا حمزةُ بنُ إبراهيم ، عن أشياخ من أهلِ خُراسان ، وعليّ بن مجاهد ، عن حَنْبل بن أبي حريدة ، عن مَرْزُبان قُهِسْتان وغيرِهما ، أن قتيبة بنَ مسلم لما رجع إلى مَرْوَ وقَتَل نيزَك طَلَب ملِكَ الجُوزجان — وكان قد هَرَب عن بلاده — فأرسَل يطلب الأمانَ ، فآمنه على أن يأتيَه فيصالحَه ، فطلبَ رُهُناً يكونون في يديه ويُعطِي رهائن ، فأعطَى قتيبةُ حبيب بن عبد الله بن عمرو بن حُصَين الباهليّ ، وأعطى مَلِكُ الجوزجان رَهائنَ من أهل بيته ، فَخلّف مَلِك الجوزجان حبيبًا بالجُوزجان في بعض[1] حُصونِه ، وقَدِم على قتيبة فصالَحه ، ثمّ رجع فمات بالطالقان . فقال أهلُ الجُوزجان : سمّوه ، فَقَتَلوا حبيبًا ، وقتل قتيبة الرُّهُن الذين كانوا عندَه ، فقال نَهار بنُ تَوسِعة لقتيبة :

١٢٢٦/٢

أراك اللهُ في الأتراك حُكماً ... كحُكْمٍ في قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ
قضَاءٌ من قُتيبةَ غَيْرُ جوْر ... بهِ يُشفَى الغليلُ من الصُدُورِ
فإن يرَ نيزكٌ خزياً وذُلاًّ ... فكمْ في الحَرب حُمّق من أمير!

وقال المغيرة بنُ حَبْناء يَمدَح قتيبة ويذكر قتلَ نيزَك ووصول ابن أخي نيزَك وعثمان — أو شُقْران :

لِمَن الدّيارُ عفَتْ بسَفح سَنَامِ ... إلا بقيـةَ أيصَرٍ وثُمـامِ
عَصَفَ الرياحُ ذُيولَهَا فَمحَونَها ... وجَرَينَ فوق عِرَاصِهَا بتَمام
دارٌ لِجَارِيَةٍ كأَنَّ رُضـابَها ... مِسكٌ يُشَابُ مزاجُهُ بِمُدَامِ
أَبلغ أَبا حَفصٍ قُتَيبَةَ مِدحتِي ... واقرأ عليه تحيّتِي وسلامِي
يا سيفُ أَبلغهَا فإنَّ ثَنَاءَها ... حسَنٌ وإنَّك شاهدٌ لمقامي
يسْمو فتَتَّضِعُ الرِّجالُ إذا سما ... لِقُتَيْبَةَ الحَامِي حِمَى الإسلام

---

(١) ب : « وبعض » .

لأغرَّ مُنتجبٍ لكلِّ عظيمَةٍ نحْرٍ يباح به العدُوُّ لُهامِ[(١)]
يمضى إذا هابَ الجبانُ وأحمِشَتْ[(٢)] حربٌ تَسَعَّرُ نارُها بضِرَامِ
تُروَى القَنَاةُ مع اللواءِ أَمامه تحتَ اللوامع والنحُورُ دوَامِ[(٣)]
والهامُ تفريهِ السُّيُوفُ كأَنَّهُ بالقاع حينَ تَرَاهُ قَيْضُ نَعامِ[(٤)] ٢/١٢٢٧
وترى الجيادَ مَعَ الجيَادِ ضَوامِرًا بفنَائه لِحَوادث الأَيام
وبهنّ أَنزلَ نِيزَكًا من شاهق والكرز حَيْثُ يَرُوم كُلَّ مرامِ
وأَخاهُ شقرَاناً سَقَيْتَ بكأْسهِ[(٥)] وسقَيْتَ كأْسَهُمَا أَخا باذَام
وتَرَكْتَ صولا حِينَ صال مُجَدَّلا يرْكَبْنَهُ بدوَابر وحَوَامِ

* * *

(خبر غزو قتيبة شومان وكسّ ونسف)

وفى هذه السنة — أعنى سنة إحدى وتسعين — غزا قتيبة شُومان وكسّ ونَسَف غزْوَتَه الثانية وصالَحَ طَرخان[(٦)].

* ذكر الخبر عن ذلك :

قال علىّ : أخبَرنا بِشْر بن عيسى عن أبى صَفْوان ، وأبو السرّى وجَبَلَة بن فرّوخ عن سليمان بن مجالد ، والحسن بن رشيد عن طُفيل بن مِرْداس العمىّ ، وأبو السرىّ المَرْوَزى عن عمه ، وبشْر بن عيسى وعلىّ ابن مجاهد ، ، عن حَنبل بن أبى حريدة عن مَرْزُبان قِهِسْتان ، وعيَّاش ابن عبد الله الغَنَوىّ ، عن أشياخ من أهلِ خُراسان ، قال : وحدّثنى ظَنْرى — كلٌّ قد ذكَر شيئًا ، فألفته ، وأدخلتُ من حديث بعضِهم فى حديث بعض — أنّ فيلسنشب باذق — وقال بعضهم : قيسبشتان[(٧)] مَلِك شومان — طرد عاملَ قتيبة ومَنَعَ الفِدْية التى صالح عليها قتيبة ، فبعث إليه قُتيبةُ عيّاشا الغَنَوىّ ومعه رجلٌ من نُسّاك أهل خُراسان يدعوان مَلِك شومان إلى أن يؤدّىَ الفِدْية ٢/١٢٢٨

(١) النحر : العاقل المجرب .
(٢) ب : « وأحمست » .
(٣) ب : « دوامى » .
(٤) ر : « بيض نعام » .
(٥) ر : « وأخوه شقرانا سقيت » .
(٦) ط : « طرخان » .
(٧) ط : « قيسلشتان » .

على ما صالح عليه قُتيبة، فقَدِمَا البلدَ، فخرجوا إليهما فرموهما، فانصرف الرجلُ وأقام عيّاش الغَنَويّ فقال: أما هاهنا مسلمٌ! فخرج إليه رجلٌ من المدينة فقال: أنا مسلم، فما تريد؟ قال: تُعينُني على جهادِهم، قال: نعم، فقال له عيّاش: كن خلْفي لتمنعَ لي ظَهْري، فقام خلفه — وكان اسمُ الرجل المهلب — فقاتلَهم عيّاش، فحمَل عليهم، فتفرّقوا عنه، وحمَل المهلَّبُ على عياش من خلفه فقتَلَه، فوجدوا به ستّين جراحةً، فغمّهم قتله، وقالوا: قتلْنا رجلاً شجاعًا.

وبلغ قتيبة، فسار إليهم بنفسه، وأخذ[1] طريقَ بَلْخ، فلما أتاها قدّم أخاه عبد الرحمن، واستعمل على بَلْخ عَمرو بن مسلم، وكان مَلِك شومان صديقًا لصالح بن مسلم، فأرسَل إليه صالح رجلاً يأمره بالطاعة، ويَضمنُ له رِضَا قتيبة إن رجع إلى الصّلح، فأبى وقال لرسول صالح: ما تخوّفني به من قتيبة، وأنا أمنعُ المُلوك حصْنًا أرْمى أعلاه، وأنا أشدُّ الناس قوسًا وأشدّ الناس رَمْيًا[2]، فلا تَبلغُ نُشابتى نصف حِصْني، فما أخاف من قتيبة! فمضى قتيبة من بلْخَ فعبَر النهر، ثم أتى شومان وقد تحصّن ملِكُها فوضع عليه المجانيقَ، ورَمى حصنه فهشَمه، فلما خاف أن يَظهَر عليه، ورأى ما نَزلَ به جَمَع ما كان له من مال وجَوْهر فرَمى به في عيْن في وَسَط القلعة لا يُدرَك قعرُها.

قال: ثم فتَح القلعة وخرج إليهم فقاتَلهم فقُتل، وأخذ قتيبةُ القلعة عنوة، فقتَل المُقاتلة وسبَى الذرّية[3]، ثم رجع إلى باب الحديد فأجاز منه إلى كِس ونَسَف، وكتَب[4] إليه الحجاج، أنْ كس بكسّ وانسفْ نسَف[5]، وإيّاك والتحويط. ففتَح كسّ ونَسَف، وامتنَع عليه فِرْياب[6] فحرّقها فسمّيت المحترقة. وسرّح قتيبة من كِس ونَسَف أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلى السُّغد[7]، إلى طرخون، فسار حتى نزل بمرْج قريبًا منهم، وذلك في وقت

٢ / ١٢٢٩

(١) ب: «فأخذ».
(٢) كذا في ب، وفي ط: «أشده».
(٣) ب: «من فيها».
(٤) ب: «فكتب».
(٥) ب: «نسفا».
(٦) ب: «قريات».
(٧) ب: «الصغد».

العَصْر ، فانتَبذ الناسُ وشَرِبوا حتى عبثوا وعاثُوا وأفسدوا ، فأمر عبدُ الرحمن أبا مرضيّة — مولًى لهم — أن يَمنَع الناس من شُرْب العصير ، فكان يضربهم ويكسر آنيتهم ويصبّ نبيذَهم ، فسال فى الوادى ، فسُمِّى مَرْج النبيذ ، فقال بعضُ شعرائهم :

أَمّا النَّبيذُ فلستُ أَشرَبُه ... أَخشَى أَبا مرضيَة الكَلْبِ
مُتعَسفاً يسْعَى بشِكَّتِه ... يتَوَثَّب الحِيطانَ للشُّرْب

فقَبَض عبدُ الرحمن من طرخون شيئًا كان قد صالَحه عليه قُتيبة ، ودفع إليه رُهُنا كانوا معه ، وانصرف عبد الرحمن إلى قتيبة وهو ببُخارَى ، فرجعوا إلى مَرْو ، فقالت السُّغد لطَرخون : إنك قد رضيتَ بالذلّ واستطبْت[١] الجزْية ، وأنت شيخٌ كبير فلا حاجةَ لنا بك[٢]. قال : فولُّوا من أحبَبْتم . قال : فولّوا غَوْزَك[٣] ، وحَبَسوا طرخون ؛ فقال طرخون : ليس بعد سَلْب المُلْك إلا القتل ، فيكون ذلك بيَدى أحبّ إلىّ من أن يليَه منى غيرى ، فاتّكأ على سيفه حتى خرج من ظَهْره . قال : وإنما صنعوا بطرخون هذا[٤] حين خرج قتيبةُ إلى سِجِستان وولوا غوزك. ٢ / ٢٣٠

وأما الباهليّون فيقولون : حَصَر قتيبةُ ملك شومان ، ووَضَع على قَلْعته المَجانيق ، ووَضَع منجنيقًا كان يسميها الفَحْجاء ، فرَمَى بأوّل حَجَر فأصاب الحائط ، ورَمَى بآخَر فوقع فى المدينة ، ثمّ تتابَعت الحجارةُ فى المدينة فوَقَع حَجَر منها فى مجلس المَلِك ، فأصاب رجلاً فقَتَله ، ففتح القلعة عَنْوَةً ، ثم رجع إلى كسّ ونسَف ، ثمّ مضى إلى بُخارَى فنَزلَ قريةً فيها بيتُ نار وبيتُ آلهة ، وكان فيها طَواويس ، فسمَّوه مَنزل الطَّواوِيس ، ثمّ سار إلى طرخون بالسُّغْد ليقبِض منه ما كان صالَحه عليه ، فلما أشرَف على وادى السُّغْد فرأى حُسنَه تمثّل :

---

(١) ر : « وأعطيت » .
(٢) ب : « فيك » .
(٣) ويقال . « غورك » .
(٤) ب : « هذا بطرخون » .

وَادٍ خَصِيبٌ عَشيبٌ ظَـلٌّ يمنَعُهُ مِنَ الأَنِيسِ حذارُ اليوم ذى الرَّهَج(١)
وَرَدتُهُ بعَنَـانيجٍ مُسَوَّمَةٍ يَرْدِينَ بالشُّعْثِ سفَّاكينَ للمُهَج(٢)

قال: فقبض من طرخون صُلحه، ثمّ رجع إلى بُخارَى فملّك بُخارَى خُذاه غلامًا حدَثًا، وقتل من خاف أن يُضادّه، ثمّ أخذ على آمُل ثمّ أتى مَرْوَ.

قال: وذكر الباهليّون عن بشار بن عمرو، عن رجل من باهلة، قال: لم يفرُغ الناسُ من ضَرْب أبنيتهم حتى افتُتِحت القلعة.

* * *

[ولاية خَالِد بن عبدالله القسْريّ على مكة]

٢/١٢٢١ وفى هذه السنة ولّى الوليدُ بنُ عبد الملك مكةَ خالدَ بنَ عبد الله القسْريّ فلم يزلْ واليًا عليها إلى أن مات الوليد. فذكر محمدبن عمرَ الواقدىّ أنّ إسماعيلَ بنَ إبراهيم بن عُقْبة حدّثه عن نافع مولَى بنى مَخزوم، قال: سمعتُ خالدَ بنَ عبد الله يقول:

يأيّها الناس، إنكم بأعظمِ بلادِ الله حُرمة، وهى التى اختار الله من البُلْدان، فوَضَع بها بيتَه، ثم كتب على عباده حَجّه من استطاع إليه سبيلاً. أيها الناس، فعليكم بالطاعة، ولزومِ الجماعة، وإياكم والشبهات، فإنى واللهِ ما أوتَى بأحد يَطعَن على إمامِه إلا صلبتُه فى الحَرَم. إنّ الله جعل الخلافَة منه بالموضع الذى جعلَها، فسلّموا وأطيعوا، ولا تقولوا كيْتَ وكيْتَ. إنه لا رأيَ فيما كتَب به الخليفة أو رآه إلا إمضاؤه، واعلموا أنه بلغنى أن قومًا من أهل الخلاف يقدمون عليكم، ويقيمون فى بلادكم، فإياكم أن تُنزِلوا أحداً ممن تعلمون أنه زائغ عن الجماعة، فإنى لا أجد أحداً منهم فى منزل أحد منكم إلا هدَمتُ منزله(٣)، فانظروا من تنزلون فى منازِلكم، وعليكم بالجماعة والطاعة، فإنّ الفُرقة هى البلاءُ العظيم.

قال محمد بن عمرو: حدّثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ، عن موسى بن عُقْبة

---

(١) ب: «الموت والرهج». (٢) العناجيج: جمع عنجوج؛ وهى الخيل النجيبة.
(٣) ب: «هدمته».

عن أبي حَبيبة ، قال : اعتمرتُ فنزلتُ دورَ بنى أسَد فى منازل الزّبير ، فلم أشعر إلا به يدعونى ، فدخلت عليه ، فقال : من أنت ؟ قلت : من أهل المدينة ؛ قال : ما أنزلَك(١) فى مَنازل المُخالِف للطاعة ! قلت : إنما مُقامى إن أقمتُ يومًا أو بعضَه ، ثم أرجع إلى منزلى وليس عندى خلاف ، أنا ممن يُعظم أمرَ الخلافة ، وأزعُم أن من جَحَدها فقد هَلك . قال : فلا علَيكَ ما أقمتَ ، إنما يُكره(٢) أن يُقيمَ مَن كان زاريًا على الخليفة ، قلت : معاذ الله ! ١٢٣٢/٢

وسمعتُه يومًا يقول : واللهِ لو أعلمُ أنّ هذه الوحْش التى تأمَن فى الحَرَم لو نطقتْ لم تقِرّ بالطاعة لأخرجتُها من الحَرَم . إنه لا يَسْكن حرمَ الله وأمْنَه مخالفٌ للجماعة ، زارٍ عليهم . قلتُ : وفق الله الأمير .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة الوليدُ بنُ عبد الملك ، حدّثنى أحمدُ بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبى مَعشَر ، قال : حجّ الوليد بنُ عبد الملك سنة إحدى وتسعين .

وكذلك قال محمد بن عمَر : حدّثنى موسى بن أبى بكر ، قال : حدّثنا صالح بنُ كَيْسان ، قال : لما حضر قدوم الوليد أمرَ عمرُ بنُ عبد العزيز عشرين رجلاً من قريش يَخرجُون معه ، فيتلقَّوْن الوليدَ بنَ عبد الملك ، منهم أبو بكر بنُ عبد الرحمن بن عبد الحارث بنِ هشام ، وأخوه محمد بنُ عبد الرحمن ، وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، فخرجوا حتى بلَغوا السوَيْداء ، وهم مع عمر بنِ عبد العزيز — وفى الناس يومَئذ دوابٌّ وخَيْلٌ — فلقوا الوليدَ وهو على ظَهْر ، فقال لهم الحاجب : انزِلوا لأمير المؤمنين ، فنَزَلوا ، ثمّ أمرهم فركِبوا ، فدعا بعمَر بن عبد العزيز فسايرَه حتى نزل بذى خُشُب ، ثم أحضِروا ، فدعاهم رجلاً رجلا ، فسلموا عليه ، ودعا(٣) بالغَداء ، فتغدَّوا عندَه ، وراح من ذى خُشُب ، فلما دخل المدينةَ غَدا إلى المسجد يَنظُر إلى بنائه ، فأخرِج الناس منه ، فما تُرِكَ

(١) ب : « فما أنزلك » . (٢) ر : « نكره » .
(٣) ب : « ثم دعا » .

٢/١٢٣٣ فيه أحدٌ، وبقى سعيد بنُ المسيّب ما يجترئ أحد من الحرَس[١] أن يخرجه، وما عليه إلا رَيْطتان ما تساويان إلا خمسةَ دراهم فى مُصَلّاه، فقيل له: لو قمتَ! قال: والله لا أقوم حتى يأتىَ الوقتُ الذى كنتُ أقوم فيه. قيل: فلو سلّمتَ على أمير المؤمنين! قال: والله لا أقوم إليه. قال عمرُ بنُ عبد العزيز: فجعلتُ أعدِل بالوليد فى ناحية المسجد رجاءَ ألّا يرى سعيداً حتى يقومَ، فحانت من الوليد نَظْرة إلى القِبْلة، فقال: مَنْ ذلك الجالس؟ أهو الشيخ سعيدُ بنُ المسيّب؟ فجعل عمرُ يقول: نَعَم يا أميرَ المؤمنين ومِنْ حاله ومِنْ حاله... ولو علِم بمكانك لقامَ فسلّم عليك، وهو ضعيف البَصَر. قال الوليد: قد علمتُ حالَه، ونحن نأتيه فنسلم عليه، فدارَ فى المسجد حتى وَقَف على القبر، ثمّ أقبل حتى وقف على سَعِيد فقال: كيف أنتَ أيها الشيخ؟ فوالله ما تَحرّك سعيد ولا قام، فقال: بخير والحمد لله، فكيف أميرُ المؤمنين وكيفَ حالُه؟ قال الوليد: خير والحمدُ لله. فانصرَف وهو يقول لعمرَ: هذا بقيّة الناس، فقلت: أجل يا أميرَ المؤمنين.

قال: وقَسّم الوليد بالمدينة رَقيقًا كثيراً عُجْماً بين الناس، وآنيةً من ذهب وفضّة، وأموالاً وخَطَب بالمدينة فى الجُمُعة وصلى بهم.

قال محمد بنُ عمر: وحدّثنى إسحاقُ بن يحيى، قال: رأيتُ الوليد يَخطب على مِنبرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يومَ الجمعة عامَ حَجّ، قد صَفّ له جُنْدُه صَفّين من المِنبر إلى جدار مؤخر المسجد، فى أيديهم

٢/١٢٣٤ الجِرَزَة وعُمُد الحديد على العواتق، فرأيتُه طَلَع فى دُرّاعة وقَلَنْسُوَة، ما عليه رداء، فصَعِد المنبرَ، فلما صَعِد سلم ثمّ جلس فأذن[٢] المؤذّنون، ثم سكتوا، فخَطَب الخطبةَ الأولى وهو جالس، ثم قام فخَطَب الثانية قائمًا، قال إسحاق: فلقيتُ رَجاءَ بنَ حَيْوَة وهو معه، فقلتُ: هكذا يَصنعون[٣]! قال: نَعَم، وهكذا صَنَع معاوية فهلمّ جرًّا، قلتُ: أفلا تكلّمه؟ قال: أخبرَنى قَبِيصةُ بن ذُؤَيب أنه كلّم عبدَ الملك بنَ مروان

---

(١) ر: «الناس». (٢) ب: «وجلس وأذن».
(٣) ابن الاثير: «تصنعون».

فأبَى أن يَفعل ؛ وقال: هكذا خَطَب عثمان ، فقلتُ: والله ما خَطَب هكذا ، ما خَطَب عثمان إلا قائمًا . قال رجاء : رُوى لهم هَذا فأخذوا به .

قال إسحاق: لم نَر منهم أحداً أشدّ تجبّراً منه .

قال محمد بن عمر : وقَدِم بِطيب مسجدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَمجمَرِه وبكسْوَة الكَعْبة فنُشِرت وعُلقتْ على حبال فى المسجد من دِيباج حَسَن لم يُرَ مثلُه قطّ ، فنَشَرها يومًا وطُوِى[1] ورفع .

قال : وأقام الحجّ الوليد بن عبد الملك .

وكانت عمّال الأمصار فى هذه السنة هم العمّال الذين كانوا عمالَها فى سنة تسعين ، غير مكة فإنّ عاملَها كان فى هذه السنة خالد بن عبدِ الله القَسْرىّ فى قول الواقدىّ .

وقال غيرُه : كانت ولايَة مكّة فى هذه السنة أيضًا إلى عمر بنِ عبد العزيز .

---

(١) ب : «ثم طوى» .

۱۲۳۵/۲

ثمّ دخلت سنة اثنتين وتسعين

ذكر الأحداث التى كانت فيها

فمِن ذلك غَزْوة مَسلمةَ بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرضَ الرّوم ، ففُتِح على يَدَىْ مَسلمةَ حُصون ثلاثة ، وجَلَا أهلُ سُوسَنَة إلى جَوْف أرض الرّوم .

* * *

[فتح الأندلس]

وفيها غزا طارقُ بنُ زياد مولَى موسى بن نصير الأندلسَ فى اثنىْ عشرَ ألفًا ، فلقى مَلِك الأندلس – زَعَم الواقدىّ أنه يقال له أدرينوق ، وكان رجلاً من أهل أصبهان ، قال : وهم مُلُوك عَجَم الأندلس – فزَحَف له طارق بجَميع مَنْ معه ، فزحف الأدرينوق فى سَرِير الملك ، وعلى الأدرينوق تاجُه وقُفَّازُه وجميعُ الحلْيَة التى كان يَلبَسها الملوك ، فاقتَتلوا قِتالاً شديداً حتى قَتَل الله الأدرينوق ، وفَتَحَ الأندلس سنة اثنتين وتسعين .

* * *

وفيها غَزَا – فيما زَعَم بعضُ أهلِ السيَر – قتيبةُ سِجِسْتانَ يريد رُتبيل الأعظم والزّابل ، فلما نَزَل سِجِسْتانَ تلقته رُسُلُ رُتبيلَ بالصُّلح ، فَقَبِل ذلك وانصرف ، واستَعمَل عليهم عبد ربّه بن عبد الله بن عُميرَ اللّيْثىّ .

* * *

وحَجّ بالناس فى هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز وهو على المدينة ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى مَعشَر . ۱۲۳٦/۲
وكذلك قال الواقدىّ وغيرُه .

وكان عُمّال الأمصار فى هذه السنة عمّالها فى السنة التى قَبْلَها .

ثمّ دخلت سنة ثلاث وتسعين

ذكر الأَحداث التى كانت فيها

فممّا كان فيها من ذلك غَزْوة العبّاس بن الوليد أرضَ الرّوم، فَفتَح الله على يديه سَمَسْطِيَّة .

وفيها كانت أيضًا غَزْوة مَرْوان بن الوليد الرّومَ ، فَبلَغ خَنْجَرة .

وفيها كانت غزوة مَسلَمة بن عبد الملك أرضَ الرّوم ، فافتَتح ماسةَ وحصنَ الحديد وغَزالةَ وبرجمَة من ناحيةَ مَلَطية .

* * *

[صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام جرد]

وفيها قَتَل قتيبة ملك خام جرد ، وصالَحَ ملكَخُوارَزْم صُلْحًا مجدّدًا .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه :

ذَكَر عليُّ بنُ محمد أن أبا الذّيال أخبَرَه عن المهلّب بن إياس والحسَن بن رشيد ، عن طُفَيل بن مِرْداس العَمّىّ وعلىّ بن مجاهد، عن حَنبل ابن أبى حريدة ، عن مَرْزُبان قُهِسْتان وكليب بن خلَف والباهليّين وغيرهم — وقد ذكر بعضُهم ما لم يَذكُر بَعض فألفْته — أنّ مَلِك خُوارزْم كان ضعيفًا، فغلَبه أخُوه خُرَّزاذ على أمرِه — وخرّزاذ أصغَر منه — فكان إذا بَلغه أنّ عند أحد ممن هو منقطِع إلى المَلِك جاريةً أو دابةً أو متاعًا فاخراً أرسَل فأخذَه، أو بلَغه أنّ لأحد منهم بنتًا أو أختًا أو امرأةً جميلة أرسل إليه فَغصَبه ، وأخذ ما شاء ، وحبس ما شاء ، لا يَمتنع عليه أحد ، ولا يَمنَعه الملكُ، فإذا قيل له ، قال: لا أقوَى عليه ، وقد ملأه مع هذا غَيْظاً ، فلما طال ذلك منه عليه كتَب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه يريد أن يسلّمها إليه ، وبعث إليه بمفاتيح مدائنِ خُوارزم، ثلاثة مفاتيح من ذهب، واشترط عليه أن يَدفَع إليه أخاه وكلّ مَن كان يُضادّه، يَحكُم فيه بما يَرَى . وبعث فى ذلك رُسُلا ، ولم يُطلِع أحدًا من مَرازِبته ولا دَهاقينِه على ما كتَب به

٢/١٢٣٧

إلى قُتيبة ، فقَدِمتْ رسلُه على قتيبةَ فى آخر الشتاء ووقت الغَزْو ، وقد تهيّأ للغَزْو ، فأظهَر قتيبة أنه يريد السُّغْد ، ورجع رُسُل خوارزم شاه إليه بما يُحِبّ من قِبَل قتيبة ، وسار واستخلف على مَرْوَ ثابتاً الأعوَر مولَى مُسلم.

قال : فَجمَع ملوكَه وأحبارَه ودهاقِينه فقال : إنّ قتيبة يريدُ السُّغْد ، وليس بِغازيكم ، فهلمّ نتنعَّم فى ربيعِنا هذا . فأقبلوا [١] على الشرب [٢] ، والتنعم ، وأمنوا عند أنفسِهم الغَزْو .

٢/١٢٣٨ قال : فلم يشعروا حتى نزل قتيبةُ فى هَزَارَسْب دُون النهر ، فقال خُوارَزْم شاه لأصحابه : ما تَرَوْن؟ قالوا : نَرَى أنْ نقاتِله [٣] ، قال : لكنى لا أرى ذلك ، قد عجز عنه من هو أقوَى منا وأشدّ شوكَةً ؛ ولكنى أرَى أن نَصرِفه بشىء نؤديه إليه ، فنصرِفه عامنا [٤] هذا ، ونرى رأيَنا . قالوا : ورأينا رأيك . فأقبَل خُوارَزم شاه فنَزل فى مدينة الفِيل من وراء النهر .

قال : ومدائن خوارزم شاه ثلاث مدائن يطيف بها فارقين واحد ، فمدينة الفيل أحصنهن ، فنزلها خوارزم شاه — وقتيبة فى هزارسب دون النهر لم يعبره بينه وبين خوارزم شاه نهر بلخ — فصالحه على عشرة آلاف رأس ، وعين ومَتاع ، وعلى أن يُعينَه على ملك خام جرد ، وأن يَفِيَ له بما كَتَب إليه ، فقبل ذلك منه قتيبة ، ووَفى له . وبعث قتيبة أخاه إلى مَلِك خام جرد ، وكان يُعادى خوارزم شاه ، فقَاتلَه ، فقتَلَه عبدُ الرحمن ، وغَلَب على أرضه وقَدِم منهم على قتيبة بأربعة آلاف أسير ، فقتَلَهم ، وأمر قتيبةُ لمّا جاءه بهم [٥] عبد الرحمن بسريره فأخرِج وبَرَز للناس . قال : وأمر بقتل الأسرى فقتِل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وخلْف ظهره ألف . قال : قال المهلَّب بن إياس : أخِذتْ يومئذ سيوف الأشراف ٢/١٢٣٩ فضُرِبَ بها الأعناق ، فكان فيها ما لا يَقطَع ولا يَجرَح ، فأخذوا سَيْفى فلم يُضْرَب به شىء إلا أبانه ، فحَسَدَنى بعضُ آل قتيبة ، فغمز الذى يضرب أن أصفح به ، فصفَح به قليلا ، فوقَع فى ضِرسْ المقتول فثَلَمه .

قال أبو الذّيال : والسيف عندى . قال : ودفع قتيبةُ إلى خوارزم شاه أخاه

---

(١) ب : « فهلموا » . (٢) ر : « الشراب » . (٣) ب : « نقاتل » .
(٤) ب : « عامتنا » . (٥) كذا فى ب ، وفى ط : « لما جاءه بهم أخاه عبد الرحمن » .

ومَن كان يخالفُه فقَتلَهم ، واصطَفَى أموالَهم فبعث بها إلى قتيبة ، ودخل قتيبة مدينةَ فيل ، فقَبِل من خوارزم شاه ما صالَحه عليه ، ثم رَجَع إلى هزارسبَ . وقال كَعْب الأشْقَرىّ :

رَمَتْكَ فِيلٌ بما فيها ومَا ظَلَمَتْ ورامَهاقبلك الفَجْفَاجَةُ الصَّلِفُ[1]
لا يُجْزِئُ الثَّغْرَ خَوَّارُ القَنَاة وَلَا هَشُّ المكاسِر والقَلبُ الذى يَجِفُ
هل تَذْكُرونَ ليالى التُّرك تَقتُلُهمْ ما دون كازَةَ والفَجْفَاجُ مُلتَحِف
لم يَركَبُوا الخيلَ إلا بعد ما كبروا فَهمْ ثِقَال على أكتافِها عُنُفُ
أنتم شباس ومرداذان محتقرٌ وبسْخرَاء قبُورٌ حشْوُهَا القُلَف[2] ٢ / ١٢٤٠
إنى رأيتُ أبا حفص تُفَضِّلُهُ أيامُهُ ومَسَاعِى الناسِ تختَلِفُ
قيْس صَريح وبعضُ الناسِ يجْمَعُهمْ قُرًى وريف فمنسوبٌ ومُقْتَرَف
لو كنتَ طاوَعتَ أهلَ العجزِ ماقتَسمُوا سبعِين ألفاً وعزُّ السُّغْدِ مُؤْتَنِفُ
وفى سمرقندَ أُخرى أنت قاسِمُهَا لئن تأَخَّر عن حوبائك التَّلَفُ
ما قَدَّمَ الناسُ من خيرٍ سبقتَ به ولا يَفوتُك مما خلَّفُوا شَرَفُ

قال : أنشدنى علىُّ بنُ مجاهد :

* رَمَتْكَ فيلٌ بما دون كاز ... *

قال : وكذلك قال الحسنُ بنُ رشيد الجُوزجانىّ ؛ وأمَّا غيرُهما فقال :

* رمتك فيلٌ بما فيها ... *

وقالوا : فيلُ مدينة سَمَرْقَنْد؛قال : وأثبتُها عندى قولُ علىّ بن مجاهد .

قال : وقال الباهليّون : أصاب قتيبةُ مِن خُوارزم مائة ألفِ رأس . قال : وكان خاصّةُ قتيبَة كلموه سنة ثلاث وتسعين وقالوا : الناس كانوا قدموا ٢ / ١٢٤١

---

(١) الأغانى ١٤ : ٢٩٩، ياقوت ٦ : ٤١٤ . والفجفاجة : الكثير الكلام .
(٢) رواية البيت فى الأغانى :

منهمْ شنَاسُ ومرداذاء نعرفه وفسخراء قبورٌ حَشْوها القلُفُ

قال فى شرحه « : شناس اسم أبى صفرة ، فغيره وتسمى ظالماً ، ومرداذاء : أبو أبى صفرة ، وسموه بسراق لما تعربوا . وفسخراء : جده وهم قوم من الحوز من أعمال أهل عمان ، نزلوا الأزد ثم ادعوا أنهم صلبية صرحاء منهم » .

من سِجِسْتانَ فأجمَّهم عامَهم هذا، فأبى. قال: فلمّا صالح أهل خُوارزم سارَ إلى السُّغْد ، فقال الأشقرىّ :

لو كنتُ طاوعتُ أهَلَ العَجْزِ ما اقتَسموا سبعين ألفا وعزُّ السُّغْد مُؤتَنف

***

[فتح سمرقند]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة غزا قُتيبة بنُ مُسلم منصرفَه من خُوارزم سَمَرْقند ، فافتتَحها .

* ذكر الخبر عن ذلك :

قد تقدّم ذكرى الإسناد عن القوم الذين ذكر علىّ بن محمد أنه أخذ عنهم حين صالَح قتيبة صاحب خُوارزم ، ثمّ ذكر مدرِجا فى ذلك أنّ قتيبة لمّا قبض صُلحَ خوارزم قَام إليه المجشّر[1] بن مُزاحم السُّلَمىّ فقال: إنّ لى حاجةً ، فأخلِنى ، فأخلاه ، فقال : إن أردتَ السُّغد يومًا من الدهر فالآن، فإنهم آمنون من أن تأتيَهم من عامِك هذا ، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام . قال : أشار بهذا عليك أحد ؟ قال : لا ، قال : فأعلمتَه أحداً ؟ قال : لا ، قال : والله لئن تكلم به أحد لأضربنّ عنقَك . فأقام يومَه ذلك ، فلما أصبح من الغد دعا عبدَ الرحمن فقال : سِرْ فى الفُرْسان والمُرامية ، وقدّم الأثقالَ إلى مَرْو ، فوُجّهت الأثقال إلى مَرْو ، ومضى عبدُ الرحمن يتْبع الأثقال يريدُ مَرْو يومَه كلّه ، فلما أمسَى كتب إليه : إذا أصبحتَ فوجِّه الأثقالَ إلى مَرْوَ وسِرْ فى الفُرسان والمُرامية نحو السُّغْد، واكتُم الأخبار ، فإنى بالأثَر . ٢/١٢٤٢

قال : فلما أتى عبدَ الرحمن الخبرُ أمَرَ أصحابَ الأثقال أن يمضوا إلى مَرْوَ ، وسار حيث أمرَه ، وخَطَب قتيبةُ الناسَ فقال :

إن الله قد فتَح لكم هذه البلدة فى وقت الغَزْوُ فيه ممكن ، وهذه[2] السُّغد شاغرَةٌ برِجْلها ، قد نقَضوا العَهْد الذى كان بيننا، منعونا ما كنّا

(١) ط : « المجر » ، تحريف . (٢) ب : « هذه » .

صالَحْنا عليه طرخونَ ، وصَنعوا به ما بلَغكم ، وقال الله : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾[1] ، فسيرُوا على بَرَكة الله، فإنّى أرجو أن يكون خَوارزم والسُّغْد كالنَّضير وقُرَيظة ، وقال الله : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾[2] .

قال : فأتى السُّغْد وقد سَبَقَه إليها عبدُ الرحمن بن مسلم فى عشرين ألفًا ، وقَدم عليه قتيبةُ فى أهل خُوارزم وبُخارَى بعد ثلاثة أو أربعة من نزول عبدالرحمن بهم ، فقال : إنا إذا نزَلنا بِساحة قوم ﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾[3]. فحصرَهم شهْراً ، فقاتَلُوا فى حِصارهم مِراراً من وجهٍ واحد .

وكتب أهلُ السُّغْد وخافوا طولَ الحصار إلى ملك الشاش وإخشاذ فَرْغانة : إن العرب إنْ ظفروا بنا عادوا[4] عليكم بمِثل ما أتَوْنا به ، فانظُروا لأنفسكم. فأجمَعوا على أن يأتوهم، وأرسَلوا إليهم : أرسِلوا مَن يشغلهم حتى نبيِّت عسكرَهم .

قال : وانتخبوا فُرْساناً من أبناء المَرازِبة والأساوِرة والأشدّاء الأبطال فوجّهوهم وأمَروهم أن يبيِّتوا عسكرَهم، وجاءت عيونُ المسلمين فأخبَروهم . فانتخَب قتيبة ثلثمائة أو ستمائة من أهل النَّجْدة، واستعمل[5] عليهم صالح ابن مسلم، فصيّرهم فى الطريق الذى يخاف أن يُؤتَى منه. وبعث صالحٌ عيونًا يأتونه بخَبر القوم ، ونزل على فرسَخَين من عسكر القوم ، فرجعتْ إليه عيونُه فأخبروه أنهم يَصِلون إليه من ليلتِهم ، ففرّق صالحٌ خيلَه ثلاثَ فِرَق؛ فجعل كَمِينًا فى موضعَيْن ، وأقام على قارعةِ الطريق ، وطرقَهم المشركون ليلا ، ولا يَعلمون بمكان صالح ، وهم آمنون فى أنفسِهم من أن يَلقاهم أحدٌ دونَ العسكر ، فلم يَعلَموا بصالح حتى غَشوه . قال : فشدّوا عليه حتى إذا اختَلَفتِ الرماح بينهم خرج الكَمينان فاقتَتَلوا . قال : وقال رجلٌ من البَراجم : حضرتُهم فما رأيتُ قطّ قومًا كانوا أشدَّ قتالا من أبناء أولئك الملوك ولا أصبَر ، فقتَلْناهم فلم يُفلِتْ منهم إلاّ نفرٌ يسير ، وحَوَيْنا

٢ / ١٢٤٣

(١) سورة الفتح : ١٠ . (٢) سورة الفتح : ٢١ . (٣) سورة الصافات : ١٧٧
(٤) ب : « أغاروا » . (٥) ب : « فاستعمل » .

سلاحَهم، واحتززْنا رءوسَهم، وأسَرْنا منهم أسرَى، فسألناهم عمّن قَتَلْنا، فقالوا: ما قتلتم إلا ابن مَلِك، أو عظيماً من العُظماء، أو بَطلاً من الأبطال؛ ولقد قتلتم رجالا إنْ كان الرجل ليُعدَل بمائة رجل. فكتَبْنا على آذانهم، ثمّ دخلْنا العسكرَ حين أصبحْنا وما منا رجل إلا معلِّق رأساً معروفاً باسمه، وسَلَبنا من جيّد السلاح وكريمِ المتاع ومناطق الذهب ودوابَّ فُرَّهة، فنفّلنا قتيبةَ ذلك كله. وكسَر ذلك أهلَ السُّغد، ووضع قتيبة عليهم المجانيق، فرماهم بها، وهو فى ذلك يُقاتلهم لا يُقلع عنهم، وناصحَه مَن معه من أهل بُخارَى وأهلِ خُوارزم، فقاتلوا قِتالا شديداً، وبذلوا أنفسَهم. ٢/١٢٤٤

فأرسَل إليه غوزك: إنما تقاتلنى بإخوتى وأهلِ بيتى من العَجَم، فأخرجْ إلىّ العَرَبَ، فغَضب قتيبة ودعا الجدلىّ فقال: اعرِض الناس، وميِّز، أهل البأس فجمعَهم، ثمّ جلس قتيبة يَعرِضهم بنفسه، ودعا العُرَفاءَ فجعل يدعو برجل رجل. فيقول: ما عندَك؟ فيقول العريف: شجاع، ويقول: ما هذا؟ فيقول: مختصر، ويقول: ما هذا؟ فيقول: جَبان، فسمى قتيبة الجُبَناء الأنتان، وأخذ خيلَهم وجيّدَ سلاحِهم فأعطاه الشُّجعان والمختصرين، وتَرك لهم رَثّ السلاح، ثمّ زحف بهم فقاتَلَهم بهم فُرساناً ورجالاً، ورَمَى المدينة بالمجانيق، فثَلَم فيها ثُلْمةً فسدّوها بغرائر الدُّخن، وجاء رجل حتى قام على الثّلْمة فشتَم قتيبةَ، وكان مع قتيبة قومٌ رُماة، فقال لهم قتيبة: اختاروا منكم رجلين، فاختاروا، فقال: أيّكما يَرمِى هذا الرجل، فإنْ أصابَه فله عشرةُ آلاف، وإن أخطأه قُطعتْ يده؟ فتلكّأ أحدُهما وتقدّم الآخرُ، فرماه فلم يُخطِئْ عينَه، فأمَر له بعَشرة آلاف.

قال: وأخبرَنا الباهليُّون، عن يحيى بنِ خالد، عن أبيه خالد بن باب مولَى مُسلِم بنِ عمرو، قال: كنتُ فى رُماة قتيبة، فلما افتتَحنا المدينةَ صعدتُ السور فأتيتُ مُقامَ ذلك الرّجل الذى كان فيه فوجدتُه ميّتاً على الحائط، ما أخطأتِ النُّشابة عينَه حتى خرجتْ من قَفاه، ثمّ أصبحوا من ٢/١٢٤٥

غد فرمَوا المدينَة ، فثلَموا فيها . وقال قتيبة : ألِحّوا عليها حتى تعبُروا الثلْمة ، فقاتلوهم حتى صاروا على ثُلْمة المدينة ، ورماهم السّغد بالنشّاب ، فوَضَعوا تِرَستهم (١) فكان الرجل يضعُ ترسَه على عيْنه ، ثمّ يَحمِل(٢) حتى صاروا على الثلمة ، فقالوا له : انصرِفْ عنا اليومَ حتى نصالحَك غداً .

فأما باهلة فيقولون : قال قُتيبة : لا نصالحهم إلا ورجالُنا على الثلْمة ، ومجانيقُنا تَخطِر على رءوسِهم ومدينتِهم .

قال : وأما غيرُهم فيقولون : قال قتيبة : جَزِعَ العبيدُ ، فانصرفوا على ظفرِكُم ، فانصرَفوا ، فصالَحهم من الغد على ألفي ألف ومائتَي ألف(٣) في كلّ عام ، على أن يُعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأسٍ ، ليس فيهم صبيّ ولا شَيْخ ولا عيب ، على أن يُخلُوا المدينةَ لقُتيبة فلا يكون لهم فيها مُقاتِل ، فيُبنَى له فيه مسجد فيدخل ويصلى ، ويُوضَع له فيها مِنبَر فيَخطب ، ويتغدّى ويَخرِج .

قال : فلما تمّ الصّلح بعث قتيبةُ عشرةً ، من كلّ خُمس برجلين ، فقبَضوا ما صالحوهم عليه ، فقال قتيبة : الآن ذلّوا حين صار إخوانهم وأولادهم في أيديكم . ثمّ أخلَوا المدينة وبنَوا مسجداً ووَضَعوا مِنبراً ، ودخلَها في أربعة آلاف انتخَبهم ، فلما دخلَها أتَى المسجدَ فصلّى وخطَب ثمّ تَغدّى ، وأرسل إلى أهل السُّغْد : من أراد منكم أن يأخذَ متاعَه فليأخُذْه ؛ فإني لستُ خارجًا منها ، وإنما صنعتُ هذا لكم ، ولستُ آخذُ منكم أكثرَ مما صالحتُكم عليه ، غير أنّ الجُنْد يقيمون فيها .

١٢٤٦/٢

قال : أما الباهليّون فيقولون : صالَحَهم قتيبةُ على مائة ألف رأس ، وبيوت النيران وحِلية الأصنام ، فقبَض ما صالحهم عليه ، وأتىَ بالأصنام فسُلِبتْ ؛ ثم وُضعتْ بين يديه ، فكانت كالقَصْر العظيم حين جُمعت ، فأمَر بتحريقها ، فقالت الأعاجم : إنّ فيها أصنامًا مَنْ حرّقها هلَك ، فقال قتيبة . أنا أحرّقها بيدى ، فجاء غوزك ، فجثَا بين يديه وقال :

---

(١) ب : « ترسهم » . (٢) ب : « ويحمل » . (٣) بعدها في ب : « مثقال » .

أيها الأمير، إنّ شكرك عليّ واجب، لا تَعرِض لهذه الأصنام؛ فَدَعا قتيبة بالنار وأخَذَ شُعْلة بيَدِه، وخرج فكبر، ثم أشعَلها، وأشعَل الناس فاضطرمتْ، فوجَدُوا من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضّة خمسين ألف مثقال.

* * *

قال: وأخبرَنا مَخلَد بن حمزة بن بَيض، عن أبيه، قال: حدّثني من شَهِد قتيبة وفَتْح سَمرقند أو بعض كُوَر خُراسان فاستخرَجوا منها قدُوراً عظاماً من نُحاس، فقال قتيبة لحضين: يا أبا ساسانَ، أتُرَى رقاشِ كان لها مِثل هذه القُدُور؟ قال: لا، لكن كان لعَيْلان قِدْر مِثل هذه القدور، فضَحِك قتيبة وقال: أدركتَ بثأرك.

قال: وقال محمد بنُ أبي عُيَينة لسَلْم بنِ قتيبة بين يدَي سليمانَ بن عليّ: إنّ العَجَم ليعيِّرون قتيبةَ الغدرَ إنه غدر بخُوارَزْم وسَمرقَنْد.

قال: فأخبرَنا شيخٌ من بني سَدُوسَ عن حَمزةَ بن بيض قال: أصابَ قتيبةُ بخُراسانَ بالسُّغد جاريةً من ولد يَزدجِرد، فقال: أتَرَوْن ابنَ هذه يكون هَجيناً؟ فقالوا: نعم، يكون هَجيناً من قِبَل أبيه، فبعث بها إلى الحجاج، فبعث بها الحجّاج إلى الوليد، فولدت له يزيدَ ابن الوليد. ٢/١٢٤٧

قال: وأخبرَنا بعضُ الباهليِّين، عن نَهشَل بن يزيدَ، عن عمه — وكان قد أدرَكَ ذلك كلّه — قال: لما رأى غوزكُ إلحاحَ قتيبةَ عليهم كتَب إلى ملك الشاش وإخشاذ فَرْغانة وخاقَان: إنا نحن دونَكم فيما بينَكم وبين العرب، فإن وصل إلينا كنتم أضعَفَ وأذَلّ، فمهما كان عندَكم من قوّة فابذُلوها؛ فنظروا في أمْرِهم فقالوا: إنما نُؤتَى من سَفِلَتنا، وإنهم لا يَجِدون كوَجْدنا، ونحن مَعشرَ الملُوك المعنيّون بهذا الأمر، فانتخبوا أبناءَ الملوك وأهل النجدة من فِتْيان ملوكهم، فليخرجوا حتى يأتوا عسكرَ قُتيبة فليبيّت، فإنه مشغول بحصار السُّغْد، ففعلوا، وولوا عليهم ابناً لخاقان، وسارُوا وقد

أجمَعوا أن يبيّتوا العسكر ، وبلغ قتيبةُ فانتَخَب أهلَ النّجْدة والبأس ووجوه الناس ، فكان شعبة بن ظهير وزُهَير بن حيّان فيمن انتُخب ، فكانوا أربعمائة ، فقال لهم : إنّ عدوّكم قد رأوا بلاءَ الله عندكم ، وتأييدَه إياكم في مُزاحَفَتِكم ومُكاثَرَتِكم ، كلّ ذلك يُفلجكم الله عليهمْ ، فأجمعوُا على أن يحتالوا غِرّتكم وبَياتَكم ، واختاروا دَهاقينهم ومُلوكَهم ، وأنتم دَهاقينُ العَرب وفُرسانُهم ، وقد فضّلكم الله بدينه ، فأبلُوا اللهَ بلاءً حسناً تستوجبون به الثواب ، مع الذّبّ عن أحسابكم . ٢ / ١٢٤٨

قال : ووَضَع قتيبةُ عيوناً على العدوّ حتى إذا قَرُبوا منه قَدْرَ ما يَصلُون إلى عسكره من الليل أدخَل الذين انتَخَبهم ، فكلّمهم وحَضّهم ، واستَعمَل عليهم صالح بن مسلم ، فخرجوا من العسكر عند المغرب ، فساروا ، فنزلوا على فَرسَخَين من العسكر على طريق القوم الذين وَصَفوا لهم ، ففرّق صالح خيلَه ، وأكمن كَميناً عن يمينه ، وكَميناً عن يساره ، حتى إذا مَضَى نصفُ الليل أو ثلثاه ، جاء العدوّ باجتماع وإسراع وصَمت ، وصالحٌ واقفٌ في خَيْله ، فلما رأوْه شدّوا عليه ، حتى إذا اختلفت الرماح شدّ الكَمينان عن يمين وعن شِمال ، فلَم نَسمعْ إلا الاعتزاء ، فلم نَرَ قوماً كانوا أشدّ منهم .

قال : وقال رجلٌ من البَراجم : حدّثني زُهير أو شُعبة قال : إنا لنختَلف عليهم بالطعن والضّرب إذ تبينت تحتَ الليل قُتَيبةَ ، وقد ضربتُ ضربةً أعجبتْني وأنا أنظر إلى قتيبة ، فقلت : كيف ترى بأبي أنت وأمي ! قال : اسكُت دَقّ اللهُ فاك ! قال : فقتلناهم فلم يُفلِت منهم إلا الشريد ، وأقمنا نَحوِى الأسلابَ ونحتزّ الرءوسَ حتى أصبحْنا ، ثم أقبلْنا إلى العسكر ، فلم أر جماعةً قطّ جاءوا بمثل ما جئنا به ، ما مِنّا رجلٌ إلاّ معلّق رأساً معروفاً باسمه ، وأسير في وَثاقه .

قال : وجئنا قُتيبةَ بالرءوس ، فقال : جزاكم الله عن الدِّين والأعراض خيراً. ٢ / ١٢٤٩ وأكرَمني قتيبة من غير أن يكون باحَ لي بشيء ، وقرن بي في الصّلة والإكرام حيّانَ العَدَويّ وحُلَيساً الشيبانيّ ، فظننتُ أنه رأى منهما مِثلَ الذّى رأى

منّى ، وكسر ذلك أهل السُّغْد، فطلبوا الصلْح ، وعرَضوا الفِدْية فأبى ، وقال : أنا ثائر بدم طَرْخون ، كان مولاى وكان من أهل ذمتى .

قالوا : حدّث عمرُو بنُ مسلم ، عن أبيه ، قال : أطال قتيبةُ المُقامَ ، وثُلمتِ الثلمة فى سَمرقَند . قال : فنادى منادٍ فصيح بالعربية يَشتُم قتيبة ؛ قال : فقال عمرو بن أبى زَهْدم : ونحنُ حولَ قتيبةَ ، فحين سمعنا الشتم خرجْنا مسرِعين ، فمكثْنا طويلا وهو مُلِحٌّ بالشتم ، فجئتُ إلى رِواق قُتيبةَ فاطّلعت ، فإذا قتيبةُ مُحْتَبٍ بشَمْلة يقول كالمناجِى لنفسه : حتى متَى يا سمرقَنْد يعشش فيك الشيطان ! أما والله لئن أصبحتُ لأحاولنّ مِن أهلِك أقصى غاية ، فانصرفتُ إلى أصحابى ، فقلت : كم من نفس أبيّة ستموت غداً منّا ومنهم ! وأخبرتُهم الخبَر .

قال : وأما باهلة فيقولون : سارَ قتيبةُ فجعل النهرَ يمينَه حتى وردَ بُخارَى ، فاستنهَضَهم معه ، وسار حتى إذا كان بمدينة أرْبِنْجَن ، وهى التى تُجلَب منها اللبود الأربنْجَنيّة ، لقيهم غوزك صاحبُ السُّغد فى جمع عظيم من الترك وأهل الشاش وفَرْغانة ، فكانت بينهم وقائعُ من غير مُزاحفة ، كلّ ذلك يَظهر المسلمون ، ويَتحاجَزون حتى قَرُبوا من مدينة سَمرْقند ، فتَزاحفوا يومئذ ، فحمل السُّغد على المسلمين حملةً حَطَموهم حتى جازُوا عسكرهم ، ثمّ كرّ المسلمون عليهم حتى رَدّوهم إلى عسكرهم ، وقَتَل الله من المشركين عَدداً كثيراً ، ودخلوا مدينةَ سمرقند فصالَحوهم . ٢ / ١٢٥٠

قال : وأخبرنا الباهليون عن حاتم بن أبى صَغيرة ؛ قال : رأيت خيلا يومئذ تُطاعِنُ خيلَ المسلمين ، وقد أمر يومئذ قتيبةُ بسَريره فأبرز ، وقَعد عليه ، وطاعَنوهم حتى جازوا قتيبة ، وإنه لمُحْتَبٍ بسيفه ما حلّ حَبْوَته ، وانطوتْ مجنّبتا المسلمين على الذين هَزَموا القَلْب ، فهزَموهم حتى رَدّوهم إلى عسكرهم ، وقُتِل من المشركين عددٌ كثير ، ودخلوا مدينةَ سمرقنْد فصالَحوهم . وصنع غوزك طعامًا ودعا قُتيبةَ ، فأتاه فى عدد من أصحابه ، فلما تَغدّى استوهَبَ منه سمرقنْد ، فقال للمَلِك : انتقِلْ عنها ، فانتَقل عنها ، وتلا قُتَيبة : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾[1] .

(١) سورة النجم : ٥٠ ، ٥١ .

قال : وأخبرَنا أبو الذّيال ، عنْ عمرَبن عبد الله التميمىّ ، قال : حدّثنى الذى سرّحه قُتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقَنْد ، قال : قدمتُ على الحجّاج فوَجهنى إلى الشأم ، فقدمْتها فدخلت مسجدَها ، فجلستُ قبل طلوع الشمس وإلى جنْبى رجلٌ ضَرير ، فسألتُه عن شىء من أمر الشأم ، فقال : إنك لغريب ، قلتُ : أجَل ؛ قال : من أىّ بلد أنت ؟ قلتُ : من خُراسان . قال : ما أقدَمك ؟ فأخبرتُه ؛ فقال : والذى بعثَ محمّداً بالحقّ ما افتتحتموها إلا غدْراً ، وإنكم يا أهلَ خُراسانَ لَلّذين تَسلُبون بنى أمية مُلكَهم ، وتَنقُضُون دمشقَ حَجَراً حَجَراً . ١٢٥١/٢

قال : وأخبرَنا العلاءُ بن جَرير ، قال : بلغَنى أن قتيبةَ لما فتحَ سمرقند وَقَف على جبَلها فنظر إلى الناس متفرّقين فى مُروج السُّغْد ، فتمثَّل قولَ طَرَفة :

وأَرْتَعَ أَقوام ولولا مَحَلُّنا ... بمَخشِيَةٍ ردُّوا الجمال فَقَوَّضُوا

قال : وأخبرَنا خالدُ بن الأصْفَح ، قال : قال الكُمَيْت :

كانت سمرقندُ أَحقاباً يَمانيةً ... فاليوم تَنْسُبُهَا قَيْسيةً مُضَرُ

قال : وقال أبو الحسن الجُشَمىّ : فدعا قتيبةُ نهارَ بنَ تَوْسِعة حين صالَح أهلَ السُّغْد ، فقال : يا نهارُ ، أين قولك :

أَلا ذَهَبَ الغزْوُ المُقَرِّبُ للغنَى ... وماتَ النَّدَى والجودُ بَعْدَ المهلَّبِ

أَقَاما بِمرْوِ الرُّوذ رَهْنَ ضَريحهِ ... وقَدْ غُيِّبا عن كلِّ شَرْقٍ ومغْرِب

أفغَزْوٌ هذا يا نهارُ ؟ قال : لا ، هذا أحسنُ[1] ، وأنا الذى أقول :

ومَا كانَ مُذْ كُنَّا ولا كان قَبلَنا ... ولا هو فيما بعدَنَا كابن مُسلمِ

أَعمَّ لأَهل الترْك قَتْلاً بسيْفِهِ ... وأَكثرَ فينا مَقْسِماً بعدَ مَقسِمِ

(١) فى الشعر والشعراء ٥٢٣ : « إن الذى أنت فيه ليس بالغزو ولكنه الحرب » .

١٢٥٢/٢ قال : ثمّ ارتحل قتيبة راجعًا إلى مروَ ، واستخلف على سمرقند عبدَالله ابنَ مسلم ، وخلّف عنده جنداً كثيفًا ، وآلةً من آلة الحرب كثيرةً ، وقال : لا تَدعَنّ مُشرِكًا يدخل بابًا من أبواب سمرقند إلا مختوم اليد ، وإن جفّت الطينة قبل أن يَخرُج فاقتُله ، وإن وجدتَ معه حديدةً ؛ سكينًا فما سواه فاقتلْه ، وإن أغلقْتَ البابَ ليلاً فوجدتَ فيها أحداً منهم فاقتله ، فقال كَعْب الأشقريّ – ويقال رجلٌ من جُعْفيّ :

كُلّ يَوْمٍ يَحْوِي قتيبــةُ نَهباً ويَزيدُ الأموالَ مَالاً جدِيدَا

باهليٌّ قد أُلبِسَ التاجَ حتّى شاب مِنْهُ مَفَارِقٌ كنَّ سُودَا

دَوَّخ السُّغدَ بالكتائِب حتَّى تركَ السُّغد بالعراءِ قُعُودَا

فَوَليدٌ يبكي لفَقْدِ أَبيهِ وأَبٌ مُوجَعٌ يُبَكِّي الوليدا

كلما حَلَّ بلدَةً أَو أَتَاهَا تَرَكتْ خَيْلُهُ بها أخدُودَا

قال : وقال قتيبةُ : هذا العَداء لا عداءُ عَيرَين ، لأنه فتَح خوارزم وسَمرقَنْد في عام واحد ؛ وذلك أنّ الفارس إذا صرَع في طلق واحد عَيرَين

١٢٥٣/٢ قيل : عادَى بينَ عَيْرَين . ثم انصرَف عن سمرقَند فأقام بمَرْو .

* * *

وكان عامله على خوارزم إياسُ بنُ عبد الله بن عمرو على حَرْبها ، وكان ضعيفًا . وكان على خَراجها عُبيد الله بن أبي عُبيد الله مولَى بني مسلم . قال : فاستَضعف أهلُ خُوارزم إياسًا ، وجَمَعوا له ، فكتَب عُبيدُ الله إلى قتيبة ، فبعث قتيبةُ عبدَالله بن مسلم في الشتاء عاملا ، وقال : اضرِبْ إياسَ بنَ عبد الله وحيّان النَّبَطيّ مائةً مائة ، واحلِقْهما ، وضمّ إليك عُبيدَالله بن أبي عُبيد الله ، مَولَى بني مسلم ، واسمَعْ منه فإنّ له وفاءً . فمضى حتى إذا كان من خُوارزم على سِكّة ، فدَسّ إلى إياس فأنذَرَه فتنحّى ، وقَدِم فأخذَ حيّان فضرَبه مائةً وحلَقَه .

قال : ثمّ وجّه قتيبةُ بعد عبدِ الله المغيرَة بن عَبد الله في الجنود إلى خُوارَزم ، فبلَغهم ذلك ، فلما قَدِم المغيرةُ اعتزَل أبناء الذين قتَلَهم

خُوارزم شاه، وقالوا: لا نعينك، فَهَرب إلى بلاد التُرْك. وقدِم المغيرةُ فسَبَى وقَتَل، وصالَحَه الباقون، فأخذ الجِزْية. وقَدِم على قتيبة، فاستعمله على نَيْسابور.

* * *

[فتح طليطلة]

وفى هذه السنة عَزَل موسى بنُ نُصَير طارقَ بنَ زياد عن الأندلس ووجهه إلى مدينة طليطلة.

* ذكر الخبر عن ذلك:

ذَكَر محمد بنُ عمَر أنّ موسى بن نُصير غَضِب على طارق فى سنة ثلاث وتسعين، فشَخَص إليه فى رجب منها، ومعه حبيب بنُ عُقْبة بن نافع الفِهْرىّ، واستخلف حين شَخَص على إفريقيّة ابنَه عبدَ الله بن موسى بن نُصير، وعَبَر موسى إلى طارق فى عشرةِ آلاف، فتلقّاه، فترضّاه فَرضِيَ عنه، وقَبِل منه عذرَه، ووجّهه منها إلى مدينة طُلَيْطلةَ — وهى من عظام مَدائن الأندلس، وهى مِن قُرطُبَة على عشرين يوما[1] — فأصاب فيها مائدةَ سُلَيمان بن داود، فيها من الذّهَب والجَوْهر ما اللهُ أعلمُ به. ١٢٥٤/٢

* * *

قال: وفيها أجدَبَ أهلُ إفريقيّة جَدْباً شديداً، فخرج موسى بنُ نُصير فاستسْقَى، ودعا يومئذ حتى انتصَف النهارُ، وخَطَب الناسَ، فلما أراد أن يَنزِل قيل له: ألا تَدْعو لأميرِ المؤمنين! قال: ليس هذا يوم ذاك؛ فسُقُوا سَقْياً كَفاهمْ حِيناً.

* * *

[خبر عزل عمر بن عبدالعزيز عن الحجاز]

وفيها عُزِل عمر بنُ عبد العزيز عن المدينة.

* ذكر سبب عزل الوليد إيّاه عنها:

وكان سبب ذلك — فيما ذُكِر — أنّ عمَر بنَ عبد العزيز كَتَب إلى الوليد يُخبره بعَسْف الحجاج أهلَ عمله بالعراق، واعتدائه عليهم، وظلمه لهم بغير حقّ ولا جِناية، وأنّ ذلك بلغ الحجاج، فاضطَغنه على عمَر، وكتب إلى الوليد: إنّ مَنْ قِبَلى من مُرّاق أهلِ العراق وأهلِ الشقاق قد جَلَوْا عن

---

(١) بعدها فى ابن الأثير: «ففتحها».

العراق ، ولجئوا إلى المدينة ومكّة ، وإنّ ذلك وَهْن .

فكتب الوليدُ إلى الحجّاج : أن أشِرْ عليّ برجلين ، فكتب إليه يشير عليه بعثمانَ بن حيّان وخالد بن عبد الله ، فولى خالدًا مكّة وعثمان المدينة ، وعزلَ عمَر بن عبد العزيز .

قال : محمد بنُ عمر : خرج عمرُ بنُ عبد العزيز من المدينة فأقامَ بالسوَيداء وهو يقول لمزاحم : أتخاف أن تكون ممن نفَتْه طيبة !

* * *

١٢٥٥/٢ وفيها ضربَ عمرُ بن عبد العزيز خُبيبَ بنَ عبد الله بن الزبير بأمر الوليد إيّاه ، وصبّ على رأسه قِربةً من ماء بارد . ذكر محمد بنُ عمَر ، أن أبا المليح حدّثه عمّن حضر عمَر بنَ عبد العزيز حين جلَد خُبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سَوْطاً ، وصَبّ على رأسِه قِربةً من ماء فى يوم شاتٍ ، ووَقفه على باب المسجد ، فمكَث يومَه ثم مات .

* * *

وحَجّ بالناس فى هذه السنة عبدُ العزيز بنُ الوليد بن عبد الملك ، حدّثنى بذلك أحمد بنُ ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشَر .

وكانت عُمّال الأمصار فى هذه السنة عُمالها فى السنة التى قبلها ، إلاّ ما كان من المدينة ، فإنّ العاملَ عليها كان عثمان بن حيّان المُرّىّ ، ولِيَها — فيما قيل — فى شعبانَ سنة ثلاث وتسعين .

وأما الواقدىّ فإنه قال : قَدِم عثمانُ المدينةَ لليلتين بقيتا من شوّال سنة أربع وتسعين .

وقال بعضهم : شَخَص عمرُ بنُ عبد العزيز عن المدينة معْزولا فى شَعبانَ من سنة ثلاث وتسعين وغَزَا فيها ، واستخلف عليها حين شَخَص عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصارىّ . وقَدِم عثمانُ بنُ حيّان المدينة لليلتين بقيَتا من شوّال .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غَزْوة العباس بن الوليد أرضَ الرّوم ، فقيل : إنه فتَح فيها أنطاكية .

وفيها غزَا – فيما قيل – عبدُ العزيز بنُ الوليد أرضَ الرّوم حتى بلغ غزالة. ٢ / ١٢٥٦

وبلغ الوليد بن هشام المعيطيّ أرضَ بُرْج الحمام ، ويزيد بن أبي كَبْشة أرضَ سُورِية .

وفيها كانت الرَّجْفة[1] بالشأم[2] .

وفيها افتتَح القاسمُ بنُ محمد الثقَفيّ أرضَ الهِند .

* * *

[غزو الشاش وفرغانة]

وفيها غزَا قُتيبةُ شاش وفَرْغانة حتى بلغ خُجَنْدَة وكاشانَ؛ مدينتَي فَرْغانة .

* ذكر الخبر عن غزوة قُتَيبة هذه :

ذكَر عليُّ بن محمد، أن أبا الفوارس التميميّ، أخبرَه عن ماهانَ ويونس ابن أبي إسحاق ، أنّ قتيبة غزا سنة أربع وتسعين . فلما قطع النّهر فرض على أهل بُخارَى وكسّ ونسَف وخُوارزم عشرين ألفَ مُقاتِل. قال : فساروا معه إلى السُّغْد ، فوجّهوا إلى الشاش ، وتوجّه هو إلى فَرْغانة، وسار حتى أتى خُجَنْدَةَ ،فجمع له أهلها . فلقوه فاقتتلوا مراراً ، كلّ ذلك يكون الظفر للمسلمين . ففرغ الناسُ يوماً فركِبوا خيولَهم ، فأوفَى رجلٌ على نَشَزٍ فقال : تالله ما رأيت كاليوم غِرّةً ، لو كان هَيْجٌ اليومَ ونحنُ على ما أرى

(١) ب : « الزحفة » .

(٢) ابن الأثير : « وفيها كانت الزلازل بالشام، ودامت أربعين يوماً، فخربت البلاد ؛ وكان عظم ذلك في أنطاكية » .

من الانتشار لكانت الفضيحة ، فقال له رجل إلى جنبه : كلا ، نحن كما قال عوف بن الخرع :

٢/١٢٥٧

نؤمّ البلادَ لحُب اللِّقَا ... ولا نَتَّقى طائرًا حَيثُ طارَا
سنيحاً ولا جارِياً بارِحاً ... على كلّ حالٍ نُلاقِى اليسارا[1]

وقال سحبان وائل يذكر قتالَهم بخُجَنْدَة :

فَسَلِ الفَوَارِسَ فى خُجَنْ ... دَةَ تحتَ مُرهَفَةِ العَوَالِى
هل كُنتُ أَجمَعُهُم[2] إذا ... هُزِموا وأُقدِمُ فى قِتالى
أَم كنْتُ أَضْرِبُ هامَةَ الْ ... عَاتى[3] وَأَصبِرُ للعَوَالى
هذا وأنتَ قَرِيعُ قَيْ ... سٍ كُلِّهَا ضَخْمُ النَّوَالِ
وفَضَلتَ قيسًا فى النَّدَى ... وأبوك فى الحِجَج الخَوالى
ولقَد تَبَيَّنَ عَدلُ حُكْ ... مِكَ فيهمُ فى كلِّ مال
تمَّتْ مروءتُكُمْ وَنا ... غى عِزُّكُم غُلبَ الجِبَالِ

قال : ثمّ أتى قتيبةُ كاشانَ مدينةَ فرغانة ، وأتاه الجنودُ الذين وجّههم إلى الشاش وقد فتحوها وحرّقوا أكثرها ، وانصرف قتيبةُ إلى مرْوَ. وكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفىّ أنْ وجّه مَن قِبلَكَ من أهل العراق إلى قتيبة ، ووَجِّه إليهم جهْم بن زَحْر بن قيس ، فإنه فى أهل العراق خيرٌ منه فى أهل الشأم . وكان محمد وادًّا لجَهْم بن زَحْر ، فبعث سليمان بن صَعْصعة وجَهْم بن زَحْر ، فلما ودّعه جهمٌ بكى وقال : يا جَهْم ، إنه لَلْفراق ؛ قال : لا بدّ منه .

قال : وقَدِم على قتيبة سنة خمس وتسعين .

* * *

(١) ر : « النسارا » . (٢) ب : « أحميهم » . (٣) ب : « العانى » .

[ولاية عثمان بن حيّان المرّىّ على المدينة]

وفى هذه السنة قَدِم عثمانُ بنُ حيّانَ المرّىّ المدينةَ والِيًا عليها من قِبَل الوليد بنِ عبد الملك . ٢/١٢٥٨

* ذكر الخبر عن ولايته :

قد ذكرْنا قبلُ سببَ عزْل الوليد عمرَ بنَ عبد العزيز عن المدينة ومكّة وتأميره على المدينة عثمان بن حيّان ، فزعم محمد بنُ عمر أن عثمان قدم المدينة أميراً عليها لليلتين بقيتَا من شوّال سنة أربع وتسعين ، فنزل بها دارَ مرْوان وهو يقول : محلّة واللهِ مِظعانٌ ، المغرور من غرّ بلك. فاستقضى أبا بكر بن حزْم .

قال محمد بنُ عمر : حدّثنى محمد بنُ عبد الله بن أبى حُرّة ، عن عمه قال : رأيتُ عثمانَ بنَ حيّانَ أخذ رِياحَ بنَ عبيد الله ومُنقِذاً العِراقىّ فحبَسَهم وعاقَبَهم ، ثمّ بعث بهم فى جوامع إلى الحجّاج بن يوسف ، ولم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق تاجراً ولا غيرَ تاجر ، وأمر بهم أن يُخرَجوا من كلّ بلد ، فرأيتُهم فى الجوامع ، وأتبع أهل الأهواء ، وأخذ هَيْصَما فقطعه ، ومنحوراً — وكان من الخوارج — قال : وسمعتُه يخطُب على المِنبَر يقول بعد حمد الله :

أيها الناس ، إنا وجدناكم أهلَ غِشٍّ لأمير المؤمنين فى قديمِ الدّهر وحديثه ، وقد ضوَى إليكم من يَزيدكم خبَالا . أهلُ العِراق هم أهْلُ الشقاق والنفاق ، هم والله عُشّ النفاق وبَيْضَته التى تفلّقتْ عنه . والله ما جرّبتُ عِراقيًّا قطّ إلا وجدتُ أفضلَهم عند نفسه الذى يقول فى آل ٢/١٢٥٩ أبى طالب ما يقول ، وما هم لهم بشيعة ، وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم ، ولكن لما يريد الله من سَفْك دمائهم فإنى والله لا أوتَى بأحد آوَى أحداً منهم ، أو أكْراه منزِلا ، ولا أنزَلَه ، إلا هدمتُ منزلَه ، وأنزلتُ به ماهو أهلُه . ثمّ إنّ البلْدانَ لما مصّرها عُمر بنُ الخطاب وهو مجتهِد على ما يُصلِح رعيّته جعل يمرّ عليه من يريد الجهاد فيستشيره : الشأم أحبّ إليك أم العراق ؟ فيقول : الشأم أحب إلىّ . إنى رأيتُ العراقَ داءً عُضالا ، وبها فرّخ الشيطان . والله

لقد أعضَلوا[١] بى ، وإنى لأرانى سأفرّقهم فى البُلْدان، ثم أقول: لو فرّقتهم لأفسَدوا مَن دخلوا عليه بجَدَل وحِجاج ، وكَيفَ ؟ ولِمَ ؟ وسُرعة وَجيف فى الفِتنة ، فإذا خُبِروا عند السيوف لم يخبر منهم طائل[٢]. لم يصلحوا على عثمان ، فلَقى منهم الأمَرّين [٣] ، وكانوا أولَ الناس فَتَقَ هذا الفَتْقَ العظيم ، ونَقَضوا عُرَى الإسلام عُرْوةً عُرْوة ، وأنغلوا[٤] البُلدان. والله إنى لأتقرّب إلى الله بكل ما أفعل بهم لِمَا أعرِف من رأيهم ومَذاهبهم . ثمّ وليهم أمير المؤمنين معاوية فدامَجهم [٥] فلَم يَصلحوا عليه، ووَلِيهم رجلُ الناس [٦] جلداً فبَسَط عليهم السيف ، وأخافَهم ، فاستقاموا له أحبّوا أو كرهوا ، وذلك أنه خَبَرهم وعرَفَهم .

أيها الناس ، إنا والله ما رأينا شِعاراً قطّ مِثلَ الأمْن ، ولا رأينا حِلساً[٧] قطّ شرًّا من الخَوْف ، فالزَموا الطاعة ، فإنّ عندى يا أهلَ المدينة خِبرةً من الخِلاف . والله ما أنتم بأصحاب قِتال ، فكونوا من أحْلاس بيوتكم ، وعَضّوا على النواجذ ، فإنى قد بعثتُ فى مجالسكم مَن يَسمَع فيبلّغنى عنكم . إنكم فى فضول كلام غيرُه ألزَم لكم ، فَدعُوا عَيبَ الوُلاة ، فإنّ الأمر إنما يُنقض شيئًا شيئًا حتى تكونَ الفتنة وإنّ الفِتنة مِن البلاء . والفِتَن تَذهَب بالدين وبالمال والوَلَد .

قال : يقول القاسمُ بن محمد: صدَق فى كلامه هذا الأخير، إنّ الفتنة لهكذا.

قال محمد بن عمر : وحدّثنى خالدُ بن القاسم ، عن سعيد بن عمرو الأنصارىّ ، قال : رأيتُ منادِىَ عثمانَ بن حيّانَ ينادِى عندنا: يا بنى أمية بنَ زيد ، برِئَتْ ذمة ممن آوَى عِراقيًّا — وكان عندَنا رجلٌ من أهل البَصرة له فضلٌ

٢ / ١٢٦٠

(١) عضل به الأمر وأعضل : اشتد . (٢) الطائل والطائلة والطول : الفضل والقدرة .
(٣) الأمران : الفقر والهرم ؛ وهما كناية عن اشتداد الأمر .
(٤) أنغلوا : أفسدوا ، من نغل الأديم إذا فسد فى الدباغ ، وأنغله : أفسده .
(٥) داجهم : وافقهم ؛ من المداجة وهى مثل المداجاة .(٦) رجل الناس ، يريد الحجاج .
(٧) الحلس فى الأصل : كساء على ظهر بعير يوضع تحت رحله ؛ والمراد لزوم الشىء .

يقال له أبو سَوادةَ ، من العُبَّاد — فقال: والله ما أحبّ أن أدخل عليكم مكروهًا ، بلغوني[١] مَأمَني ؛ قلت: لا خيرَ لك فى الخروج ، إنّ الله يَدْفع عنا وعنك . قال : فأدخلتُه بيتى ، وبلغ عثمان بن حَيّانَ فبعث أحراسًا فأخرجْته إلى بيت أخى ، فما قدَروا على شىء ، وكان الذى سعَى بى عدُوًّا ، فقلت للأمير : أصلحَ الله الأمير ! يُؤتَى بالباطل فلا تُعاقب عليه . قال : فضرَب الذى سَعَى بى عشرين سوطًا . وأخرَجْنا العراقىّ ، فكان يصلّى معنا ما يغيبُ يومًا واحدًا ، وحَدِب عليه أهلُ دارِنا ، فقالوا : نموتُ دونَك ! فما برِح حتى عُزِل الخبيث .

قال محمد بنُ عمر: وحدّثنا عبدُ الحكيم[٢] بن عبد الله بن أبى فَروة ، قال : إنما بَعَث الوليدُ عثمانَ بنَ حيّان إلى المدينة لإخراج مَن بها من العراقيّين ٢ / ١٢٦١ وتفريقِ أهلِ الأهواء ومن ظَهر[٣] عليهم أو علا بأمرهم[٤] ، فلم يبعثه واليًا ، فكان لا يَصعد المِنبَر ولا يَخطُب عليه ، فلما فعل فى أهلِ العراق ما فعل ، وفى مَنْحور وغيرِه أثبتَه على المدينة ، فكان يَصعد على المِنبَر .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جُبَيْر]

وفى هذه السنة قَتَل الحجاجُ سعيد بنَ جُبَيْر .

ذكر الخبر عن مقتله :

وكان سبب قتل الحجاج إياه خروجه عليه مع مَن خرَج عليه . مع عبدِ الرحمن بنِ محمد بنِ الأشعث ، وكان الحجاج جعله على عَطاء الجُنْد حين وجّه عبدَ الرحمن إلى رُتْبيل لقتاله ، فلما خلع عبدُ الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلَعه معه ، فلما هُزِم عبدُ الرحمن وهرَب إلى بلاد رُتْبيل هرَب سعيد .

فحدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عياش ، قال: كتب الحجاج إلى فلان وكان على أصبهان — وكان سَعيد ، قال الطبرىّ : أظنه أنه لما هرَب

(١) ب : « بلغوا بى » . (٢) ط : « الحكم » ، تصحيف
(٣) ب : « طعن » . (٤) ب : « عاب أمرهم » .

من الحجاج ذهب إلى أصبهان فكتب إليه —: إن سعيداً عندك فخذه .
فجاء الأمر إلى رجل تحرج ، فأرسل إلى سعيد : تحول عنى ، فتنحى عنه ،
فأتى أذربيجان ، فلم يزل بأذربيجان فطال عليه السنون ، واعتمر
فخرج إلى مكة فأقام بها ، فكان أناس من ضربه يستخفون فلا يخبرون
بأسمائهم .قال : فقال أبو حصين[1] وهو يحدثنا هذا : فبلغنا أن فلاناً قد أمر ١٢٦٢/٢
على مكة ، فقلت له : يا سعيد ، إن هذا الرجل لا يؤمن ، وهو رجل
سوء ، وأنا أتقيه عليك ، فاظعن واشخص ، فقال : يا أبا حصين ، قد
والله فررت حتى استحييت من الله ! سيجيئني ما كتب الله لى . قلت :
أظنك والله سعيداً كما سمتك أمك .قال : فقدم ذلك الرجل إلى مكة ،
فأرسل فأخذ فلان له وكلمه ، فجعل يديره .

وذكر أبو عاصم عن عمر بن قيس ، قال : كتب الحجاج إلى
الوليد : إن أهل النفاق والشقاق قد لجئوا إلى مكة ، فإن رأى
أمير المؤمنين أن يأذن لى فيهم! فكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسرى ؛
فأخذ عطاء وسعيد بن جبير ومجاهد وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار ؛
فأما عمرو بن دينار وعطاء فأرسلا لأنهما مكيان ، وأما الآخرون فبعث بهم
إلى الحجاج ، فمات طلق فى الطريق ، وحبس مجاهد حتى مات الحجاج،
وقتل سعيد بن جبير .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر ، قال : حدثنا الأشجعى ،
قال : لما أقبل الحرسيان بسعيد بن جبير نزل منزلا قريباً من الربذة ،
فانطلق أحد الحرسيين فى حاجته وبقى الآخر ، فاستيقظ الذى عنده ،
وقد رأى رؤيا ، فقال : يا سعيد ، إنى أبرأ إلى الله من دمك ! إنى رأيت
فى منامى ؛ فقيل لى : ويلك ! تبرأ من دم سعيد بن جبير . اذهب ١٢٦٣/٢
حيث شئت لا أطلبك أبداً ؛ فقال سعيد : أرجو العافية وأرجو ، وأبى حتى

(١) هو أبو حصين عثمان بن عاصم ، روى عنه أبو بكر بن عياش ، وانظر الجزء الأول
ص ٣٥٤ ، وتهذيب التهذيب ١٢ : ٣٤ .

جاء ذاك؛ فنزلا من الغد، فأرى مثلها، فقيل: ابرأ من دم سعيد. فقال: يا سعيد، اذهبْ حيثُ شئتَ، إنى أبرأ إلى الله من دمك، حتى جاء به.

فلما جاء به إلى داره التى كان فيها سعيد وهى دارهم هذه، حدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا أبو بكر، قال: حدّثنا يزيدُ بنُ أبى زياد مولَى بنى هاشم قال: دخلتُ عليه فى دار سعيد هذه، جىءَ به مقيَّداً فدخل عليه قرّاءُ أهل الكوفة. قلتُ: يا أبا عبد[1] الله، فحدّثكم؟ قال: إى والله ويضحك، وهو يحدّثنا، وبُنَيّة له فى حجره. فنظرتْ نظرةً فأبصرت القيدَ فبكتْ، فسمعتُه يقول: أىْ بُنَيّة لا تَطيَّرى، إيّاك– وشقّ والله عليه – فاتبعناه نشيعه، فانتهينا به إلى الجسر، فقال الحرسيان: لا نَعبُر به أبداً حتى يعطينَا كفيلاً، نخاف أن يُغرِق نفسه. قال: قلنا: سَعيدٌ يُغرّق نفسه! فما عبروا حتى كفلنا به.

قال وَهْب بن جرير: حدّثنا أبى، قال: سمعتُ الفضْل بن سُوَيد قال: بعثنى الحجاج فى حاجة، فجىء بسعيد بن جُبَير، فرجعتُ فقلت: لأنظرنّ ما يصنع، فقمتُ على رأس الحجاج، فقال له الحجاج: يا سعيد، ألم أشرِكْك فى أمانتى! ألم أستعمِلْك! ألم أفعَل! حتى ظننتُ أنه يخلى سبيله؛ قال: بلى، قال: فما حمَلك على خروجك علىّ؟ قال: عُزِم علىّ، قال: فطار غضَباً وقال: هيه! رأيت لعزمة عدوّ الرحمن عليك حقًّا، ولم تر لله ولا لأمير المؤمنين ولا لِى عليكَ حقًّا! اضرِبا عنقَه، فضربت عُنقُه، فندَر رأسه عليه كُمّة بيضاء لا طية صغيرة.

٢ / ١٢٦٤

وحُدّثت عن أبى غسانَ مالك بن إسماعيل، قال: سمعتُ خلفَ بن خليفةَ يذكُر عن رجل قال: لما قُتِل سعيدُ بنُ جبير فندرَ رأسُه لله، هلّل ثلاثًا: مرّة يُفصِح بها، وفى الثنتين يقول. مثلَ ذلك فلا يُفصِح بها.

وذكر أبو بكر[2] الباهلىّ، قال: سمعتُ أنسَ بنَ أبى شيخ، يقول: لما

(١) أبو عبد الله كنية يزيد بن أبى زياد. تهذيب التهذيب.
(٢) ط: «بكرة»، وانظر الفهرس.

أتِيَ الحجاجُ بسَعيد بن جبير ، قال : لعن اللهُ ابنَ النصرانية — قال : يعني خالداً القَسْرى ، وهو الذى أرسَل به من مكة — أما كنتُ أعرف مكانَه ! بلى والله والبيت الذى هو فيه بمكة . ثمّ أقبَل عليه فقال : يا سعيد ، ما أخرجك علىّ ؟ فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ! إنما أنا امرؤٌ من المسلمين يُخطئ مرّة ويُصيبُ مرّة ، قال : فطابت نفسُ الحجاج ، وتَطلّق وجهُه ، ورجا أن يتخلّص من أمره ، قال : فعاوَدَه فى شىء ، فقال له : إنما كانت له بيْعة فى عُنقى ؛ قال : فغَضب وانتفَخ حتى سَقَط أحد طَرَفى ردائه عن مَنكبيه ، فقال : يا سعيد ، ألم أقدَم مكة فقتلتُ ابنَ الزّبير ، ثم أخذت[1] بيعةَ أهلها ، وأخذتُ بيعتَك لأمير المؤمنين عبدِ الملك! قال : بلى ، قال : ثم قدمتُ الكوفَة واليًا على العراق فجدّدت لأمير المؤمنين البيعة ، فأخذتُ بَيعتَك له ثانيةً ! قال : بلى ؛ قال : فتَنكُث[2] بيعتَين لأمير المؤمنين ، وتَفِى بواحدة للحائك ابنِ الحائك ! اضربا عنقَه ؛ قال : فإياه عَنى جرير بقوله :

يارُبَّ نَاكِثِ بَيعَتَينِ تَرَكتَهُ ... وخِضَابُ لحيَتِهِ دَمُ الأَوداجِ[3]

وذكَر عتّاب بن بِشْر ، عن سالم الأفطس ، قال : أتِىَ الحجاج بسَعيد بن جُبَير وهو يريد الركوب ، وقد وَضع إحدى رِجْليه فى الغَرْز — أو الركاب — فقال : واللهِ لا أركب حتى تَبوءَ مَقعَدك من النار ، اضربوا عنقَه . فضُربت عنقُه ، فالتبس مكانَه ، فجعل يقول : قيودُنا قيودُنا ، فظنّوا أنه قال : القيود التى على سَعيد بن جبير ، فقَطعُوا رِجْليه من أنصاف ساقَيْه وأخذُوا القيود .

٢/١٢٦٥

قال محمد بن حاتم : حدّثنا عبدُ الملك بن عبد الله عن هلال بن خبّاب[4] قال : جىء بسعيد بنِ جُبَير إلى الحجاج فقال : أكتَبْتَ إلى مصعب ابن الزبير ؟ قال : بل كتَب إلىّ مصعَب ؛ قال : والله لأقتلنك ؛ قال :

(١) ب : « وأخذت » .
(٢) ب : « فنكثت » .
(٣) ديوانه ٩٠.
(٤) ط : « جناب » ، وانظر الفهرس .

إنّى إذًا لَسعيد كما سمّتنى أمى! قال : فقتله ؛ فلم يَلْبَث بعدَه إلاّ نحواً من أربعين يومًا ، فكان إذا نام يراه فى منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول : يا عدوّ الله ، لِمَ قتلتنى ؟ فيقول : مالى ولسعيد بن جُبير! مالى ولسعيد ابن جُبير ! ٢/١٢٦٦

* * *

قال أبو جعفر : وكان يقال لهذه السنة سنةُ الفُقَهاء ، ماتَ فيها عامّة فُقَهاء أهلِ المدينة ، مات فى أوّلها علىّ بنُ الحُسَين عليه السلام[1] ، ثمّ عُرْوة بن الزّبير ، ثم سعيدُ بن المسيّب ، وأبو بكر بنُ عبد الرّحمن بن الحارث بن هِشام .

واستقضَى الوليدُ فى هذه السنة بالشأم سليمانَ بنَ حبيب .

واختُلف فيمن أقامَ الحجّ للناس فى هذه السنة ، فقال أبو معشر — فيما حدّثنى أحمدُ بنُ ثابت عمن ذكره ، عن إسحاقَ بن عيسى عنه — قال : حجّ بالناس مَسلمة بنُ عبدِ الملك سنة أربع وتسعين .

وقال الواقدىّ : حجّ بالناس سنة أربع وتسعين عبدُ العزيز بنُ الوليد بن عبد الملك — قال : ويقال : مَسلَمة بن عبد الملك .

وكان العاملُ فيها على مكة خالد بن عبد الله القَسْرىّ ، وعلى المدينة عثمان بن حيّان المُرّىّ ، وعلى الكوفة زياد بن جَرير ، وعلى قَضائها أبو بكر ابن أبى موسى . وعلى البَصْرة الجرّاح بن عبد الله . وعلى قضائها عبد الرحمن ابن أذينة . وعلى خُراسانَ قتيبة بنُ مسلم ، وعلى مصرَ قرّة بن شريك ، وكان العِراق والمَشرِق كله إلى الحجاج[2] .

---

(١) ب : «على بن الحسين بن على صلى الله عليهم » .
(٢) بعده فى ب : « بن يوسف » .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

ذكر الأحداث التى كانت فيها

٢/١٢٦٧ ففيها كانت غَزْوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرضَ الرّوم ، ففتَح اللهُ على يديه ثلاثةَ حُصون فيما قيل ، وهى : طولس ، والمرزبانين ، وهِرَقْلة.

وفيها فتح آخر الهند إلا الكَيْرَج والمَنْدَل .

وفيها بُنِيتْ واسِط القَصَب فى شهر رمضانَ .

وفيها انصرَفَ موسى بنُ نُصَير إلى إفريقيَّة من الأندلس، وضَحَّى بقَصْر الماء – فيما قيل – على مِيل من القَيْروان .

* * *

[بقية الخبر عن غزو الشاش]

وفيها غزا قُتيبة بنُ مُسلِم الشاش .

* ذكر الخبر عن غزوته هذه :

رجع الحديث إلى حديث علىّ بن محمد ، قال : وبعث الحجاج جيشاً من العراق فقدموا على قتيبة سنة خمس وتسعين ، فغزا ، فلما كان بالشاش – أو بكُشماهَن – أتاه موتُ الحجاج فى شوّال ، فغمَّه ذلك، وقَفَل راجعًا إلى مَرْوَ ، وتمثل :

لَعَمرى لنِعمَ المرءُ من آلِ جَعفَرٍ بحَورَانَ أمسى أعلَقَتْهُ الحَبَائلُ[1]

فإنْ تَحْىَ لا أملَلْ حياتى وإن تَمُتْ فما فى حَيَاة بَعد مَوتِكَ طَائلُ

قال : فرجع بالناس ففرّقهم، فخلَّف فى بخارَى قومًا ، ووجّه قومًا إلى كسّ ونَسَف ، ثمّ أتَى مَرْوَ فأقام بها ، وأتاه كتابُ الوليد : قد عرَف أميرُ المؤمنين بلاءَك وجِدك[2] فى جهادِ أعداء المسلمين ، وأميرُ المؤمنين[3] ٢/١٢٦٨

(١) للحطيئة ، ديوانه ١٠٠ ، وذكروا أنه خرج يريد علقمة بن علاثة وهو بحوران ، فمات علقمة قبل أن يصل إليه الحطيئة ؛ فقال أبياتاً منها هذان البيتان . (٢) ب : « وجهادك » .

(٣) ب : « المسلمين » .

رافعُك وصانع بك كالذى يجب لك ، فالم مَغازِيك ، وانتظرْ ثوابَ ربك ، ولا تغيب[١] عن أمير المؤمنين كتبَك ؛ حتى كأنى أنظرُ إلى بلادك[٢] والثغر الذى أنتَ به[٣] .

* * *

وفيها مات الحجاج بنُ يوسفَ فى شوّال — وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة وقيل : ابن ثلاث وخمسين سنة — وقيل : كانت وفاتُه فى هذه السنة لخمسٍ ليال بقين من شهرِ رمضان .

وفيها استخلف الحجاج لما حضرتْه الوفاةُ على الصلاة ابنَه عبدَ الله بن الحجاج . وكانت إمرةُ الحجاج على العِراق فيما قال الواقدىّ عشرين سنة .

وفى هذه السنة افتتَح العبّاس بنُ الوليد قِنَّسْرِين .

وفيها قُتِلَ الوضّاحىّ بأرض الرّوم ونحوٌ من ألفِ رجل معه .

وفيها — فيما ذكر — وُلد المنصور عبد الله بن محمد بن علىّ .

وفيها ولّى الوليدُ بنُ عبدِ الملك يزيدَ بنَ أبى كَبْشة على الحَرْب والصلاة بالمِصرَين[٤] : الكوفةَ والبَصْرة ، وولّى خراجَهما يزيدَ بنَ أبى مسلم .

وقيل : إن الحجاج كان استخْلَف حين حضرتْه الوَفاة على حرب البلدين والصّلاة بأهلهما يزيد بنَ أبى كَبْشة ، وعلى خراجهما يزيدَ بنَ أبى مسلم ، فأقرّهما الوليد بعدَ موتِ الحجاج على ما كان الحجاج استخلَفهما عليه . وكذلك فعل بعمال الحجاج كلهم ، أقرّهم بعدَه على أعمالهم التى كانوا عليها فى حيَاته . ٢/١٢٦٩

* * *

وحَجّ بالناس فى هذه السنةِ بشر بنُ الوليد بن عبدِ الملك ، حدّثنى

(١) ب : « تغيب » . (٢) ب : « بلائك » .
(٣) ب : « فيه » .
(٤) ب : « على المصرين » .

بذلك أحمدُ بنُ ثابت عمّن ذكره، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبي مَعشر .

وكذلك قال الواقديّ .

* * *

وكان عُمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها ، إلا ما كان من الكُوفة والبَصْرة ، فإنهما ضُمّتَا إلى مَن ذكرتُ بعد موتِ الحجّاج .

ثم دخلت سنة ستّ وتسعين

ذكر الأحداث التى كانت فيها

ففيها كانت — فيما قال الواقدىّ — غَزْوَة بِشْر بن الوَليد الشاتية ، فقَفَل وقد ماتَ الوليد .

* * *

[ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك]

وفيها كانت وَفاةُ الوَليد بن عبدِ الملك، يومَ السبت فى النّصف من جُمادَى الآخِرة سنة ست وتسعين فى قولِ جميعِ أهلِ السيَر .

واختُلف فى قَدْر مدّة خلافته، فقال الزُّهْرىّ فى ذلك — ما حُدّثت عن ابن وَهْب عن يونس عنه : مَلَكَ الوليدُ عشرَ سنين إلا شهراً .

وقال أبو معشر فيه ، ما حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكَرَه ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عنه: كانت خلافةُ الوليدِ تسعَ سنينَ وسبعةَ أشهر .

وقال هشامُ بنُ محمد: كانت ولايةُ[1] الوَليد ثمان سنين وستة[2] أشهر .

وقال الواقدىّ : كانت خلافتهُ تسعَ سنين وثمانيةَ أشهر وليلتين .

واختُلف أيضًا فى مبلَغ عمره ، فقال محمد بنُ عمر : توفى بدِمَشق وهو ابنُ ست وأربعين سنة وأشهر .

وقال هشامُ بنُ محمد : توفى وهو ابنُ خمس وأربعين سنة .

وقال علىّ بنُ محمد : تُوُفِّى وهو ابنُ اثنتين وأربعين سنةً وأشهر .

وقال على : كانت وفاةُ الوليدِ بدَير مُرّان، ودُفِنَ خارجَ باب الصّغير . ويقال : فى مَقابِر الفَرادِيس .

ويقال : إنه توفى وهو ابنُ سبع وأربعين سنة .

وقيل : صلى عليه عمرُ بنُ عبد العزيز .

---

(١) ب : « خلافة » .

(٢) ب : « ثمانية » .

وكان له — فيما قال عليّ — تسعةَ عشر ابناً : عبدالعزيز ، ومحمّد ، والعباس ، وإبراهيم ، وتمّام ، وخالد ، وعبد الرحمن ، ومبشّر ، ومسرور ، وأبو عُبيدة ، وصَدَقة ، ومنصور ، ومروان ، وعَنْبسة ، وعمر ، ورَوْح ، وبِشْر ، ويزيد ، ويحيى ؛

أمُّ عبد العزيز ومحمد وأمّ البنين بنتَ عَبد العزيزابن مَرْوان ، وأم أبي عُبيدة فزاريّة ، وسائرهم لأمهات شتّى .

* * *

* ذكر الخبرعن بعض سيره :

٢/ ١٢٧١ حدّثني عُمَر ، قال : حدّثني عليّ ، قال : كان الوليدُ بنُ عبد الملك عند أهل الشأم أفضل خلائفهم ، بنى المساجد مسجدَ دمَشق ومسجدَ المدينة ، ووَضَع المَنار ، وأعطَى الناسَ ، وأعطَى المُجَذَّمين ، وقال : لا تسألوا الناس . وأعطَى كلّ مُقْعَد خادماً ، وكلّ ضَرير قائداً . وفُتِحَ فى ولايته فتُوحٌ عِظام ؛ فتَحَ موسى بنَ نُصير الأندلسَ ، وفتَح قتيبة كاشْغَر ، وفتَح محمد بنُ القاسم الهند .

قال : وكان الوليدُ يمرّ بالبقال فيَقِف عليه فيأخذ حُزْمة البَقْل فيقول : بكَمْ هذه ؟ فيقول . بفَلْس ؛ فيقول : زدْ فيها .

قال : وأتاه رجلٌ من بنى مخزوم يَسألُه فى دَيْنه ، فقال : نعم ، إن كنت مستحقّاً لذلك ، قال : يا أميرَ المؤمنين ، وكيف لا أكون مستحقّاً لذلك مع قرابتى ! قال : أقَرأت القرآن ؟ قال : لا ، قال : ادْنُ منى ، فدَنا منه ، فنَزَع عمامتَه بقَضيب كان فى يده ، وقَرَعه قَرَعات بالقَضيب ، وقال لرجل : ضُمّ هذا إليك ، فلا يُفارقك حتى يقرأ القرآن ، فقام إليه عثمانُ ابنُ يزيدَ بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ عليّ دَيْناً ، فقال : أقرأتَ القرآن ؟ قال : نعم ، فاستقرأه عشرَ آيات من الأنفال ، وعشْرَ آيات من براءة ، فقرأ ، فقال : نَعَم ، نَقْضى[1] عنكم ،

٢/ ١٢٧٢ ونَصِل أرحامكم على هذا .

(١) ب : « يقضى » .

قال : ومَرِض الوليدُ فرهقتْه غَشْيَة ، فمكث عامّة يومِه عندَهم ميتًا ، فبُكِىَ عليه ، وخرجت البُرُد بموته ، فقدِم رسول على الحجاج ، فاسترْجَع ، ثمّ أمر بحبل فشُدّ فى يديه ، ثم أوثِق إلى أسطوانة ، وقال : اللهمّ لا تسلط علىّ من لا رحمةَ له ، فقد طالما سألتُك أن تجعَل منيّتى قبل منيته ! وجعل يدعُو ، فإنه لكذلك إذ قدِم عليه بريدٌ بإفاقته .

قال علىّ : ولما أفاق الوليدُ قال : ما أحدٌ أسَرَّ بعافية أميرِ المؤمنين[1] من الحجاج ؛ فقال عمرُ بنُ عبد العزيز : ما أعظمَ نعمةَ الله علينا بعافيتك ، وكأنى بكتاب الحجاج قد أتاكَ يذكُر فيه أنه لما بلغه برؤُك خرّ لله ساجداً ، وأعتق كلّ مملوكٍ له ، وبعث بقوارير من أنْبَجِ الهِند . فما لَبث إلا أيامًا حتى جاء الكتابُ بما قال .

قال : ثمّ لم يَمُت الحجّاجُ حتى ثَقُل على الوليد ، فقال خادمٌ للوليد : إنى لأوضّئ الوليدَ يومًا للغَداء ، فمدّ يدَه ، فجعلتُ أصبّ عليه الماء ، وهو ساهٍ والماءُ يَسيلُ ولا أستطيعُ أن أتكلم ، ثمّ نَضَح الماءَ فى وجهى ، وقال : أناعسٌ أنتَ ! ورفَع رأسه إلىّ وقال : ما تَدْرى ما جاء الليلة ؟ قلتُ : لا ؛ قال : وَيْحَك ! ماتَ الحجاج ! فاسترجعتُ . قال : اسكُتْ ما يُسرّ مولاك أنّ فى يده تفاحةً يشُمّها .

قال علىّ : وكان الوليد صاحب بناء واتّخاذ للمصانع والضِّياع ، وكان الناس يلتقون فى زَمانه ، فإنما يسأل بعضُهم بعضًا عن البِناء والمَصانع . فولى سليمان ، فكان صاحب نكاح وطعام ، فكان الناس يَسأل بعضُهم بعضاً عن التزويج والجَوارِى . فلما ولِىَ عمرُ بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وِرْدك الليلة ؟ وكم تَحفَظ من القرآن ؟ ومتَى تَختِم ؟ ومتى ختَمْتَ ؟ وما تَصومُ من الشهر ؟ ورثَى جرير الوليدَ فقال : ٢/١٢٧٣

يا عَين جُودِى بِدمعٍ هَاجَهُ الذِّكَرُ فما لدمعِكِ بَعْد اليوم مُدَّخَرُ[2]

(١) س : « الوليد » .
(٢) ديوانه ٢٩٦ .

إنَّ الخليفةَ قد وَارَتْ شَمَائِلَهُ غَبرَاءُ مُلحَدَةٌ فى جُولِهَا زَوَرُ[١]

أَضحى بَنُوه وقد جَلَّت مُصِيبَتُهُم مِثل النّجوم هَوَى مِن بينِها القمرُ

كانوا جميعاً فلَم يَدفع مَنِيَّتَهُ عبدُ العزيزِ ولا رَوحٌ ولا عمرُ[٢]

حدّثنى عمرُ، قال: حدّثنا علىّ، قال : حجّ الوليدُ بنُ عبد الملك، وحجّ محمد بنُ يوسفَ من اليَمَن ، وحَمَل هدايا للوليد ، فقالت أمّ البنين للوليد : يا أميرَ المؤمنين ، اجعَلْ لى هديّةَ محمد بن يوسف ، فأمرَ بصرْفها إليها ، فجاءت رسلُ أمّ البنين إلى محمّد فيها ، فأبى وقال: يَنظُر إليها أميرُ المؤمنين فيرَى رأيَه — وكانت هدايا كثيرةً — فقالت: يا أميرَ المؤمنين ، إنك أمرتَ بهدايا محمد أن تُصرَف إلىّ ، ولا حاجةَ لى بها ، قال : ولِمَ ؟ قالت : بلَغنى أنه غَصَبها الناسَ ، وكلّفهم عَملَها ، وظَلمهم . وحَملَ محمد المتاعَ إلى الوليد، فقال: بلَغنى أنكأصبتَها غَصْبًا ، قال، مَعاذَ الله! فأمر فاستُحلِف بينَ الرّكن والمقام خمسين يَمينًا بالله ما غَصَب شيئًا منها ، ولَا ظَلَم أحداً، ولا أصابَها إلا من طَيّب ؛ فَحلَف، فقَبلَها الوليدُ ودفَعها إلى أمّ البنين ، فمات محمد بنُ يوسفَ باليَمَن ، أصابه داءٌ تَقطّع منه . ٢/١٢٧٤

وفى هذه السنة كان الوليد أرادَ الشخوصَ إلى أخيه سليمانَ لخلعه ، وأراد البَيْعةَ لابنه مِن بعدِه ، وذلك قبلَ مَرْضتِه التى مات فيها .حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : كان الوليدُ وسليمان وَلِيَىْ عهد عبد الملك ، فلما أفضَى الأمرُ إلى الوليد ، أرادَ أن يبايعَ لابنه عبد العزيز وَيخلَع سليمان ، فأبى سليمان ، فأراده على أن يجعَله له من بعدِه ، فأبى ، فعَرض عليه أموالاً كثيرة ، فأبى ، فكَتَب إلى عمالهِ أن يبايعوا لعبد العزيز ،

(١) الديوان: « غبراء ملحودة » . وأجوال البئر : نواحيها .والزور : الاعوجاج .

(٢) بعده فى الديوان .

وخالِدٌ لو أَراد الدَّهْرُ فديتَهُ أَغْلوْا مخاطرةً لو يقبَلُ الخطَر

قد شفَّنِى روعة العباسِ من فزعٍ لما أَتاه بديْر القسطل الخبرُ

ودعا الناسَ إلى ذلك ؛ فلم يُجبه أحد إلا الحجاجَ وقتيبةَ وخَواصّ من الناس . فقال عبّاد بن زياد: إنّ الناس لا يُجيبونك إلى هذا ، ولو أجابوك لم آمَنهم على الغَدْر بابنك ، فاكتبْ إلى سليمانَ فليقدم عليك ، فإنّ لك عليه طاعة ، فأرِدْه على البَيْعة لعبدِ العزيز مِن بعده ، فإنه لا يَقدِر على الامتناع وهو عندَك ، فإنْ أبى كان الناسُ عليه .

فكتب الوليدُ إلى سليمانَ يأمُره بالقدوم[1] ، فأبطأ ، فاعتَزَم الوليدُ على المسير إليه وعلى أن يَخلَعه ، فأمر الناسَ بالتأهب ، وأمر بحُجَره فأخرِجتْ ، فمرِض ، وماتَ قبل أن يَسير[2] وهو يريد ذلك .

قال عمر : قال عليّ : وأخبَرنا أبو عاصم الزّيادىّ عن الهِلْواث الكلبىّ ، قال : كنا بالهِنْد مع محمد بن القاسم ، فقَتَل الله داهِراً[3] ، وجاءنا كتابٌ من الحجاج أن اخلَعوا سليمانَ ، فلما ولى سليمانُ جاءنا كتابُ سليمانَ ، أن ازرَعوا واحرُثوا ، فلا شأمَ لكم ، فلم نزلْ بتلك البلاد حتى قام عمرُ بنُ عبد العزيز فأقفَلنا . ٢ / ١٢٧٥

قال عمر : قال عليّ : أراد الوليد أن يبنيَ مَسجدَ دمشق ، وكانت فيه كنيسة ، فقال الوليد لأصحابه: أقسمتُ عليكم لمَّا أتانى كلّ رجل منكم بلَبِنة ، فَجعل كلّ رجل يأتيه بلَبنة ، ورجل من أهل العراق يأتيه بلَبِنتَين ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : مِن أهل العراق ؛ قال : يا أهل العراق ، تُفرطون فى كلّ شىء حتى فى الطاعة ! وهَدموا الكنيسةَ وبناها مسجداً ، فلما ولى عمر بنُ عبد العزيز شكَوا ذلك إليه ، فقيل : إنّ كل ما كان خارجًا من المدينة افتُتِح عَنْوة ، فقال لهم عمر : نردّ عليكم كنيستَكم ونَهدِم كنيسة تُوما ، فإنها فُتِحت عنوة ، نبنيها مسجداً ، فلما قال لهم ذلك قالوا : بل نَدَع لكم هذا الذى هَدَمه الوليد ، ودَعُوا لنا كنيسةَ تُوما . ففَعَل عمرُ ذلك .

---

(١) بعدها فى ب : « عليه » .
(٢) بعدها فى ب : « إليه » .
(٣) داهر ، ملك مكران .

[فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين]

وفى هذه السنة افتتح قتيبةُ بنُ مسلم كاشغر، وغَزَا الصين.

* ذكر الخبر عن ذلك:

رَجْع الحديث إلى حديث علىّ بن محمد بالإسناد الذى ذكرتُ قبلُ. قال: ثمّ غزا قتيبةُ فى سنة ست وتسعين، وحَمَل مع الناس عيالهم وهو يريد أن يُحرِز عيالَه فى سَمرقَنْد خوفًا من سليمان، فلما عبر النهر استعمل رجلاً من مواليه يقال له الخُوارَزْمِىّ على مَقطَع النهر، وقال: لا يجوزَنّ أحدٌ إلا بجَواز؛ ومَضَى إلى فَرْغانة، وأرسَل إلى شِعْب عصام من يُسَهّل له الطريق إلى كاشغر، وهى أدنَى مدائن الصين، فأتاه موتُ الوَليد وهو بفَرْغانة. ١٢٧٦/٢

قال: فأخبَرنا أبو الذّيال عن المهلب بن إياس، قال: قال إياس بن زُهير: لما عبَر قتيبةُ النهرَ أتيتُه فقلت له: إنك خرجتَ ولم أعلم رأيَك فى العِيال فنأخذَ أهبَتَ ذلك، وبَنِىّ الأكابر معى، ولى عيال قد خلّفْتهم وأم عجوز، وليس عندهم مَن يقوم بأمرهم، فإن رأيتَ أن تكتُب لى كتابًا مع بعض بَنِىّ أوجّهه فيقدم علىّ بأهلى! فكَتَب، فأعطانى الكتابَ فانتهيت إلى النهر وصاحب النهر من الجانب الآخَر، فألوَيت بيدى، فجاء قومٌ فى سفينة فقالوا: مَن أنتَ؟ أين جَوازك؟ فأخبرتُهم، فقَعدَ معى قومٌ وردّ قومٌ السفينةَ إلى العامل، فأخبروه. قال: ثمّ رجعوا إلىّ فحملونى، فانتهيت إليهم وهم يأكلون وأنا جائعٌ، فرمَيتُ بنفسى، فسألَنى عن الأمر، وأنا آكلُ لا أجيبه، فقال: هذا أعرابىّ قد ماتَ من الجوع، ثمّ ركبتُ فمضيتُ فأتيتُ مروَ، فحملت أمى، ورجعتُ أريدُ العسكر، وجاءنا موتُ الوَليد، فانصرفتُ إلى مرْو.

وقال: وأخبَرَنا أبو مخنف، عن أبيه، قال: بعث قتيبةُ كثير بن فلان إلى كاشغَر، فسبَى منها سَبْيًا، فختم أعناقَهم مما أفاء الله على قُتيبة، ثمّ رجع قتيبةُ وجاءهم موتُ الوليد.

قال: وأخبَرَنا يحيى بن زَكرياء الهَمْدانىّ عن أشياخ من أهل خُراسان

والحكم بن عثمان ، قال : حدثني شيخ من أهل خراسان . قال : وغل قتيبة ٢/١٢٧٧
حتى قرب[١] من الصين . قال : فكتب إليه ملك الصين أن ابعث إلينا رجلاً
من أشراف من معكم يخبرنا عنكم ، ونسائله عن دينكم . فانتخب قتيبة
من عسكره اثني عشر رجلا – وقال بعضهم : عشرة – من أفناء القبائل ، لهم جمال
وأجسام وألسن وشعور وبأس ، بعد ما سأل عنهم فوجدهم من صالح من هم
منه . فكلمهم قتيبة ، وفاطنهم فرأى عقولا وجمالا ، فأمر لهم بعدة حسنة
من السلاح والمتاع الجيد من الخز والوشي واللين من البياض والرقيق[٢]
والنعال[٣] والعطر ، وحملهم على خيول مطهمة تقاد معهم ، ودواب
يركبونها[٤] . قال : وكان هبيرة بن المشمرج الكلابي مفوها بسيط اللسان ،
فقال : يا هبيرة ، كيف أنت صانع ؟ قال : أصلح الله الأمير ! قد كفيت
الأدب وقل ما شئت أقله . وآخذ به ، قال : سيروا على بركة الله ، وبالله التوفيق .
لا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد ، فإذا دخلتم عليه فأعلموه أني قد
حلفت ألا أنصرف حتى أطأ بلادهم ، وأختم ملوكهم ، وأجبي خراجهم .

قال : فساروا ، وعليهم هبيرة بن المشمرج ، فلما قدموا أرسل إليهم
ملك الصين يدعوهم ، فدخلوا الحمام ، ثم خرجوا فلبسوا ثيابا بيضا[٦] تحتها
الغلائل ، ثم مسوا الغالية ، وتدخنوا[٥] ولبسوا النعال والأردية ، ودخلوا عليه
وعنده عظماء أهل مملكته ، فجلسوا ، فلم يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه
فنهضوا ، فقال الملك لمن حضره : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قوما ٢/١٢٧٨
ما هم إلا نساء ، ما بقي منا أحد حين رآهم ووجد رائحتهم إلا انتشر
ما عنده .

قال : فلما كان الغد أرسل إليهم فلبسوا الوشي وعمائم الخز والمطارف ،
وغدوا عليه . فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجعوا ، فقال لأصحابه : كيف

---

(١) ب : « بلغ قرب » . (٢) ب : « الرقاق » .
(٣) ب : « والبغال » . (٤) ب : « يربطونها » .
(٥) في اللسان : « الدخنة : بخور يدخن به الثياب أو البيت ، وقد تدخن بها ودخن غيره » .
(٦) ط : « بياضاً » .

رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا : هذه الهيئة أشبَهُ بهيئة الرّجال من تلك الأولى ، وهم أولئك ، فلما كان اليوم الثالث أرسَلَ إليهم فشَدّوا عليهم سلاحَهم ، ولَبِسوا البَيْضَ والمَغافِرَ ، وتقلّدوا السيوف ، وأخذوا الرّماح ، وتنكبوا القسِيّ ، وركِبوا خيولَهم ، وغَدَوا فنَظَر إليهم صاحبُ الصين فرأى أمثالَ الجبال مُقْبِلة ، فلما دَنوا ركزوا رِماحَهم ، ثمّ أقبَلوا نحوَهم مشمّرين ، فقيل لهم قبلَ أن يدخلوا : ارجعوا ، لِما دَخَل قلوبَهم من خَوْفهم .

قال : فانصرَفوا فرَكِبوا خيولهم ، واختلَجوا رِماحَهم ، ثم دفعوا خيولَهم كأنهم يتطارَدون بها ، فقال المَلِك لأصحابه : كيف ترونهم ؟ قالوا : ما رأينا مثلَ هؤلاء قطّ . فلما أمسَى أرسَل إليهم الملك ، أن ابعثوا إلىّ زعيمَكم وأفضلَكم رجلاً ، فبَعثوا إليه هُبَيرة ، فقال له حين دخل عليه : قد رأيتم[1] عظيمَ مُلْكى ، وإنه ليس أحدٌ يَمنَعكم منى ، وأنتم فى بلادى ، وإنما أنتم بمنزلة البَيْضة فى كفّى . وأنا سائلك[2] عن أمر فإنْ لم تَصدقنى[3] قَتلتُكم . قال : سَل ؛ قال : لِمَ صَنعتم ما صنعتم من الزىّ فى اليوم الأول والثانى والثالث ؟ قال : أما زيُّنا الأوّل فلِباسنا فى أهالينا[4] وريحنا عندَهم ، وأما يومُنا الثانى فإذَا أتينا أمراءَنا ، وأما اليومُ الثالث فزَيُّنا لعدّونا ، فإذا هاجَنا هيْج وفزع[5] كنا هكذا . قال : ما أحسَن ما دبّرتم دهْرَكم ! فانصرِفوا إلى صاحبكم فقولوا له : يَنصرِف ، فإنى قد عرفتُ حِرصَه وقلة أصحابه ، وإلا بعثتُ عليكم من يُهلِككم ويُهلِكه ، قال له : كيف يكون قليلَ الأصحاب مَنْ أوّل خيلِه فى بلادك وآخرها فى منابت الزّيتون ! وكيف يكون حَرِيصًا من خلّف الدنيا قادراً عليها وغَزاك ! وأما تخويفك إيانا بالقتل فإنّ لنا آجالا إذا حَضَرَت فأكرمها القتلُ ، فلسْنا نَكرَهه ولا نَخافُه ؛ قال : فما الذى يُرضِى صاحبَك ؟ قال : إنه قد حلف ألّا ينصرف حتى يطأ أرضَكم ، ويختم ملوكَكم ، ويُعطَى الجِزْية ، قال : فإنا نخرجه من يمينه ، نبعث إليه

١٢٧٩/٢

---

(١) ب : « أرأيتم » .
(٢) ب : « أسائلك » .
(٣) ب : « تصدقونى » .
(٤) ب : « أهلنا » .
(٥) ب : « أو فزع » .

بتراب من تراب أرضِنا فيطؤه ، ونَبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث إليه بجزية يرضاها . قال : فدعا بصِحاف من ذهب فيها تُرابٌ ، وبعث بحرير وذهب وأربعةِ غِلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجازهم فأحسَنَ جوائزهم ، فساروا فقَدِموا بما بعَث به ، فقَبِل قتيبةُ الجزْية ، وختم الغِلْمة وردّهم ، ووَطئ التراب ، فقال سوادة بنُ عبد الله السَّلُولىّ :

لا عَيبَ فى الوَفْدِ الذينَ بَعَثْتَهُمْ ... للصين إنْ سَلكوا طريقَ المَنهَج

كسرُوا الجفونَ على القذَى خوفَ الرَّدَى ... حَاشَا الكريم هُبَيرةَ بن مُشمرَجِ

لَم يَرضَ غيرَ الخَتْمِ فى أعناقِهم ... ورهائنٍ دُفِعَتْ بِحَملِ سَمَرَّج

أدَّى رسالتَك التى استرعَيتَهُ ... وأتاك مِن حِنثِ اليمين بمخرجِ

٢/١٢٨٠

قال : فأوفَد قتيبةُ هبيرةَ إلى الوليد ، فمات بقريةَ[1] من فارِسَ ، فرَثاه سوادَةُ ، فقال :

للهِ قبرُ هُبيرَة بن مُشمرَجِ ... ماذا تَضمَّنَ من نَدًى وجَمَال !

وبديهةٍ يَعيَا بها أبناؤُها ... عند احتفالِ مَشاهدِ الأقوال

كان الربيعَ إذا السّنون تَتَابعَت ... والليثَ عند تكعكع الأبطالِ

فَسَقَتْ بقَربةَ حيثُ أمسى قبرُه ... غُرٌّ يَرُحنَ بمسبلٍ هطَّالِ

بكَتِ الجيادُ الصافناتَ لفَقدِه ... وبَكاه كلُّ مُثقَّف عَسَّالِ

وبكتْهُ شُعْثٌ لم يجدنَ مُواسِياً ... فى العام ذى السَّنَوات والإمحالِ

قال : وقال الباهليّون : كان قتيبة إذا رجع من غَزاته كلّ سنة اشترَى اثنَىْ عشر فرسًا من جِياد الخَيل ، واثنى عشرَ هجيناً ، لا يُجاوِز بالفرَس أربعة آلاف ، فيقام عليها إلى وقت الغزو ، فإذا تأهب للغزو وعَسكَر قيِّدت وأضمِرتْ ، فلا يَقطَع نهراً بخَيل حتى تخفّ لُحومُها ، فيَحمِل عليها من يَحمِله فى الطلائع . وكان يبعث فى الطلائع الفُرسان من الأشراف ، ويبعث معهم رجالا من العَجَم ممن يَستنصِح على تلك الهجُن ، وكان إذا بعث

(١) قرية : اسم موضع .

بطَليعة[1] أمَر بلَوْح فنُقِش ، ثمّ يشقه شقّتين فأعطاه شقّة ، واحتبس شقة ، لئلا يمثَل مثلها ، ويأمره أن يَدفِنها فى موضع يصفُه له من[2] مخاضَة معروفة ، أو تحتَ شجرة معلومة ، أو خربة ، ثمّ يبعث بعده من يستبريها ليعلم أصادِقٌ فى طليعته أم لا .

٢/ ١٢٨١

وقال ثابت قُطنة العَتَكيّ يذكر مَنْ قُتِل من ملوك الترك :

أَقَرَّ العَينَ مقتلُ كارزنكٍ ... وكَشْبيز وما لاقَى بيار

وقال الكُميتُ يَذكُر غَزوة السُّغْد وخُوارزْم :

وبعدُ فى غزوةٍ كانت مُبارَكةً ... تَردِى زراعةَ أقوامٍ وتَحتَصِدُ

نالتْ غَمامتُها فِيلاً بَوابِلِهَا ... والسُّغْد حين دنا شؤبُوبُها البَرِدُ

إذ لا يزالُ له نَهبٌ يُنَفِّلهُ ... مِنَ المقاسِمِ لا وَخْشٌ ولا نَكَدُ

تلك الفُتوحُ التى تُدْلى بِحُجّتِها ... على الخليفةِ إنَّا معشرٌ حُشُدُ

لَم تَشْنِ وجهَكَ عن قومٍ غَزوتَهُم ... حتى يُقالَ لهم : بُعدًا وقد بعِدُوا

لم‌ترضَ مِن حِصنهمْ إن كان‌ممتَنِعاً ... حتى يُكَبِّرَ فيه الواحدُ الصَّمَدُ

---

(١) ب : « طليعة » .

(٢) ب : « فى » .

خلافة سليمان بن عبد الملك

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة بُويِع سليمانُ بنُ عبد الملك بالخلافة ، وذلك فى اليوم الذى تُوفِّى فيه الوليدُ بنُ عبدِ الملك ، وهو بالرَّمْلة .

وفيها عَزَل سليمانُ بنُ عبد الملك عثمانَ بن حيّان عن المدينة ، ذكر محمد بن عمر ، أنه نزعه عن المدينة لسبع بقين من شهر رمضان سنة ستّ[1] وتسعين . ٢/١٢٨٢

قال : وكان عملُه على المدينة ثلاثَ سنين . وقيل : كانت إمرتُه عليها سنتين غير سَبْعِ[2] ليال .

قال الواقدىّ : وكان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم قد استأذن عثمانَ أن ينام فى غد ، ولا يَجلس للناس ليقوم ليلة إحدى وعشرين ، فأذن له . وكان أيوب بنُ سلمة المخزومىّ عندَه ، وكان الذى بين أيّوب بن سلمة وبين أبى بكر بن عَمرو بن حَزْم سيّئًا ، فقال أيوب لعثمان : ألم تَرَ إلى ما يقول هذا ؟ إنما هذا منه رِئاء ؛ فقال عثمان : قد رأيتُ ذلك ، ولستُ لأبى إن أرسلتُ إليه غُدوةً ولم أجده جالسًا لأجلدنه مائة ، ولأحلقنّ رأسه ولحيته .

قال أيوب : فجاءنى أمرٌ أحبه ، فَعجّلت من السحَر ، فإذا شَمْعة فى الدار ، فقلتُ : عَجِلِ المرّىّ ، فإذا رسولُ سليمانَ قد قَدِم على أبى بكر بتأميره وعَزْلِ عثمانَ وحدَه .

قال أيوب : فدخلتُ دارَ الإمارة ، فإذا ابنُ حَيّان جالس ، وإذا بأبى بكر على كرسىّ يقول للحدّاد : اِضربْ فى رِجْل هذا الحديدَ ، ونظر إلىّ عثمانُ فقال[3] :

آبُوا على أدبارهم كُشُفاً والأمرُ يَحدُثُ بعده الأمرُ

---

(١) ب : « فى سنة » .

(٢) ط : « سبعة » ، والصواب ما أثبته من ب .

(٣) بعدها فى ب : « متمثلا » .

وفى هذه السنة عـَزَل سليمانُ يزيدَ بنَ أبى مسلم عن العراق ، وأمّر عليه يزيدَ بن المُهلّب ، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخـَراج، وأمَره أن يـَقتـُل آل أبى عقيل ويـَبسُط عليهم العـَذاب . فحدّثنى عمرُ بن شبّة ، قال : حدّثنى على بن محمد ، قال : قـَدِم صالح العراقَ على الخـَراج ، ويزيدُ على الحرْب ، فبعث يزيد زيادَ بن المهلب على عُمان ، وقال له : كاتبْ صالحاً ، وإذا كتبتَ إليه فابدأ باسمه ، وأخذ صالح آلَ أبى عـُقيل فكان يـُعذبهم ، وكان يلِى عذابـَهم عبدُ الملك بن المهلب . ٢/١٢٨٣

* * *

[خبر مقتل قتيبة بن مسلم]

وفى هذه السنة قـُتـِل قتيبة بنُ مسلِم بخـُراسان .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

وكان سبب ذلك أن الوليد بنَ عبد الملك أراد أن يجعَل ابنـَه عبدَ العزيز ابن الوليد ولىّ عهدِه ، ودسّ فى ذلك إلى القوّاد والشعراء ، فقال جرير فى ذلك :

إذا قيلَ أىّ الناس خيرُ خليفةٍ؟ أشارَتْ إلى عبدِ العزيزِ الأَصابعُ(١)

رَأَوْهُ أحقَّ الناس كلِّهم بهـا وما ظَلَموا ، فبايَعوه وسَـارعُوا(٢)

وقال أيضًا جرير يحضّ الوَليد على بـَيعة عبد العزيز :

إلى عبد العزيزِسَمَت عيونُ الـرَّ عيّةِ إذ تَحيَّرَت الرِّعـاءُ(٣)

إليه دَعتْ دَواعِيهِ إذا مَا عِمَادُ المُلكِ خَرَّت والسَّماءُ

وقال أُولو الحكومةِ من قُرَيشٍ علينا البيعُ إن بلغ الغلاءُ(٤)

---

(١) ديوانه ٣٥٧ .

(٢) ب : « إذ بايعوه وسارعوا » ، ر : « فبايعوه وسارعوا » .

(٣) ديوانه ٩ .

(٤) الديوان : « إذ بلغ الغلاء » .

رَأَوْا عبدَ العزيز ولىَّ عَهْدٍ … وما ظلموا بذاكَ ولا أَسَاءُوا

فماذا تنظرونَ بها وفيكمْ … جُسُورٌ بالعظائم واعتلاءُ !

فَزَحلِفها بِأَزْمَلِهَا إليــه … أميرَ المؤمنين إذا تَشاءُ[1]

فإنَّ الناسَ قد مَدُّوا إليــه … أَكُفَّهُمْ وقد بَرِحَ الخفاءُ

ولو قد بَايعوك ولِيَّ عهــدٍ … لقام الوزنُ واعتدَلَ البنــاءُ[2]

٢ / ١٢٨٤

فبايَعَه على خَلْع سليمانَ الحجاجُ بن يوسفَ وقتيبة ، ثم هلك الوليد وقامَ سليمانُ بنُ عبد الملك ، فخافه قتيبة .

قال علىّ بن محمد : أخبَرنا بِشْر بن عيسى والحسَن بنُ رشيد وكُلَيب ابن خلَف ، عن طُفَيل بن مِرْداس، وَجَبلة بن فَرّوخ ، عن محمد بن عزيز الكِنْدىّ، وجبلَة بنأبى روّاد[3] ومسلمة بن محارب ، عنالسَّكن بن قَتادة ؛ أن قتيبةَ لما أتاه موتُ الوليد بنِ عبد الملك وقيامُ سليمانَ ،أشفَقَ من سليمانَ لأنه كان يَسعَى فى بَيْعة عبد العزيز بنِ الوليد مع الحجاج ، وخاف أن يولّىَ سليمانُ يزيدَ بنَ المهلب خُراسان . قال : فكتب إليه كتاباً يُهنّئه بالخلافة ، ويعزّيه على الوليد ، ويُعلمه بلاءَه وطاعتَه لعبد الملك والوليد ، وأنه له على مِثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يَعزِلْه عن خُراسان . وكتب إليه كتابًا آخرَ يُعلِمه فيه فتُوحَه ونِكايتَه وعظمَ قَدرِه عند مُلوك العَجَم ، وهيبته فى صدورهم ، وعظم صوته فيهم ، ويذمّ المهلب وآلَ المهلّب ، ويحلف بالله لئن استعمل يزيدَ على خُراسان ليخلعنّه . وكتب كتابًا ثالثًا فيه خَلْعُه ، وبعث بالكُتُب الثلاثةِ مع رجل من باهِلة[4] ، وقال له : ادفع إليه هذا الكتاب ، فإن كان يزيدُ بنُ المهلب حاضراً ، فقرأه ثم ألقاه إليه ، فادفع إليه هذا الكتاب ، فإن قَرَأه وألقاه إلى يزيدَ فادفع إليه هذا الكتاب ، فإن قرأ الأوّل ولم يدفعْه إلى يزيد فاحتبس الكتابَين الآخَرين .

٢ / ١٢٨٥

(١) زحلفها إليه ، أى ادفعها . وقوله : « بأزملها » ، أى بأجمعها .
(٢) الديوان : «لقام القسط». (٣) ط : «دواد»، تحريف. (٤) ب : «أهله».

قال : فقَدِم رسولُ قتيبةَ فدخل على سليمانَ وعندَه يزيدُ بن المهلب ، فدفَعَ إليه الكتاب ، فقرأه ، ثم ألقاه إلى يزيد ، فدفع إليه كتاباً آخَر فقرأه ، ثمّ رَمَى به إلى يزيدَ ، فأعطاه الكتاب الثالث ، فقرأه فتمعّر لونُه[1] ، ثم دَعَا بطِين فختمه ثم أمسكه بيده .

* * *

وأما أبو عُبيدَة مَعمَر بنُ المثنى ، فإنه قال — فيما حدّثت عنه : كان فى الكتاب الأوّل وَقيعة فى يزيد بن المهلب ، وذكرُ غدرِه وكفرِه وقلة شكرِه ، وكان فى الثانى ثناء على يزيد ، وفى الثالث : لئن لم تُقرّنى على ما كنتُ عليه وتؤمّننى لأخلعنك خلعَ النّعل ، ولأملأنّها عليك خَيْلا ورِجالاً . وقال أيضًا : لما قرأ سليمانُ الكتابَ الثالث وضعَه بين مثالَين من المُثُل التى تحتَه ولم يُحِرْ فى ذلك مرجوعًا .

* * *

رجع الحديث إلى حديث علىّ بن محمد . قال : ثمّ أمر — يعنى سليمان — برسولِ قتيبةَ أن يُنزَل ، فحوِّل إلى دار الضيافة ، فلما أمسَى دعا به سليمانَ ، فأعطاه صُرّةً فيها دنانير ، فقال : هذه جائزتُك ، وهذا عهدُ صاحبِك على خُراسان فسرْ ، وهذا رسولى معك بعَهْده . قال : فخرج الباهلىّ ، وبعث معه سليمانُ رجلاً من عبد القيس ، ثمّ أحد بنى لَيْث يقال له صَعْصعة — أو مُصعَب — فلما كان بحُلوانَ تلقّاهم الناسُ بخَلْع قُتيبة ، فرجع العبدىّ ، ودفع العهدَ إلى رسول قتيبة ، وقد خلع ؛ واضطرب الأمرُ ، فدفع إليه عهدَه ، فاستشار إخوتَه ، فقالوا : لا يَثق بك سليمانُ بعدَ هذا .

٢/١٢٨٦

قال علىّ : وحدّثنى بعضُ العَنبريين ، عن أشياخ منهم ، أنّ تَوْبةَ ابن أبى أسيد العَنْبرى ، قال : قَدِم صالح العراقَ ، فوجّهنى إلى قتيبة ليُطلِعنى[2] طِلْعَ ما فى يده ، فصَحِبَنى رجل من بنى أسد ، فسألنى عمّا خرجتُ فيه ، فكاتمتُه أمرى ، فإنا لنسير إذ سنَحَ لنا سانح ؛ فنظر إلىّ رفيقى

---

(١) تمعّر لونه ، أى تغيّر .
(٢) ب : « ليطلع » .

فقال : أراك فى أمر جسيم وأنت تكتمنى ! فمضيتُ ، فلما كنت بحُلوان تلقانى الناسُ بقتل قتيبة .

قال علىّ : وذكر أبو الذّيال وكُلَيب بن خلَف وأبو علىّ الجُوزجانىّ عن طُفيل بن مِرْداس، وأبو الحسن الجشَمىّ ومصعَب بن حيّان [١] عن أخيه مقاتِل بن حيّان ، وأبو مخنَف وغيرهم ، أن قتيبة لما همّ بالخلْع استشار إخوتَه، فقال له عبدالرحمن : اقطع بعثًا فوجِّه فيه كلّ من تخافه ، ووجِّه قومًا إلى مَرْو ، وسِرْ حتى تنزلَ سَمَرْقَنْد ، ثم قل لمن معك : مَن أحبّ المقامَ فله المواساة ، ومن أراد الانصرافَ فغيرُ مستكرَه ولا متْبوعٍ بسوء ، فلا يقيم معك إلا مناصح . وقال له عبد الله : اخلعه مكانك ، وادع الناس إلى خلعِه ، فليس يختلف عليك رجلان . فأخذ برأى عبدِ الله ، فخلع سليمان ، ودعا الناسَ إلى خلْعه ، فقال للناس : ٢ / ١٢٨٧

إنى قد جمعتكم من عين التمر وفيْض البحر فضممت الأخ إلى أخيه ، والولدَ إلى أبيه ، وقسمتُ بينكم فيئكم ، وأجريْت عليكم أعطياتِكم غير مكدّرة ولا مؤخّرة ، وقد جرّبتم الوُلاة قبلى ؛ أتاكم أمية [٢] فكتب إلى أمير المؤمنين إنّ خراجَ خُراسانَ لا يقوم [٣] بمطبخى ، ثمّ جاءكم أبو سعيد [٤] فدوّم بكم [٥] ثلاثَ سنينَ لا تدْرون أفى طاعة أنتم أم فى معصية ! لم يَجْب فيْئًا ، ولم ينْكأ عدوًّا ، ثمّ جاءكم بنُوه بعدَه ؛ يزيد ، فحل تبارَى إليه النساء ، وإنما خليفتُكم يزيدُ بن ثروان هبَنّقةُ القيْسىّ [٦] .

قال : فلم يُجبه أحد ، فغضب فقال : لا أعزّ اللهُ من نصرتم ، والله لو اجتمعتم على عنْز ما كسرتم قرنها ، يا أهل السافلة — ولا أقول أهلَ العالية — يا أوباشَ الصّدَقة ، جمعتُكم كما تُجمَع إبلُ الصدقة من كلّ أوْب . يا معشرَ بكر بن وائل ، يا أهل النفخ والكذب والبُخْل ، بأىّ

(١) ط : « حبان » ، تحريف . (٢) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العاص بن أمية ، عامل عبد الملك على خراسان حتى سنة ٧٨ . (٣) ط : « لا يقيم » ، وفى البيان : « لوكان فى مطبخه لم يكفه » . (٤) أبو سعيد كنية المهلب بن أبى صفرة .
(٥) ب : « فرزم فيكم » .
(٦) هو يزيد بن ثروان بن هبنقة ذو الودعات القيسى ، المضروب به المثل فى الحمق .

يومَيْكم تَفخَرون ؟ بيَوم حرْبكم ، أو بيوم سلمِكم ! فوالله لأنا أعزّ منكم . يا أصحاب مُسيلمة ، يا بنى ذَميم — ولا أقول تَميم — يا أهل الخَوَر [١] والقَصْف والغَدْر ، كنتم تسمّون الغَدْر فى الجاهلية كَيْسان [٢] . يا أصحاب سَجَاح ، يا معشر عبد القيس القُساة ، تبدّلتم بأبْر النّحل [٣] أعنّةَ الخيل . يا معشر الأزْد ، تبدّلتم بقُلُوس [٤] السفن أعنة الخيل الحُصُن ؛ [٥] إن هذا لَبدعة فى الإسلام ! والأعراب ، وما الأعراب ! لعنةُ الله على الأعراب ! يا كناسةَ المصرَيْن ، جمعتُكم من منابت الشيح والقَيْصوم ومَنابت القِلقِل [٦] ، تركبون البَقَر والحُمُر فى جزيرة ابن كاوانَ ، حتى إذا جمعتُكم كما تُجمع قَزَع الخريف [٧] قلتم كَيتَ وكَيْت ! أما والله إنى لابن أبيه ! وأخو أخيه ، أما والله لأعصبنّكم عَصْبَ السَّلَمة . إنّ حَوْل الصِّلِّيان الزمْزَمة [٨] . يا أهل خُراسانَ ، هل تدرون مَن وليُكم ؟ وليُكم يزيدُ بنُ ثَرْوان . كأنى بأمير مزجاء [٩] ، وحَكَمَ قد جاءكم فغَلَبكم على فيئكم وأظلالِكم . إن ها هنا ناراً ارمُوها أرْمِ معكم ، ارمُوا غرضكم الأقصى . قد استُخْلف عليكم أبو نافع ذو الوَدَعات . إنّ الشأم أبٌ مَبرور ، وإن العراقَ أبٌ مكفور . حتى متى يتبطح [١٠] أهلُ الشأم بأفنيتكم وظِلال دياركم ! يا أهل خُراسانَ ، انسبُونى تَجدونى عراقىّ الأمّ ، عراقىّ الأب ، عراقىّ المولِد ، عراقىّ الهوَى والرأىِ والدين [١١] ، وقد أصبحتم اليومَ فيما تَرَون من الأمْن والعافية قد فَتَح الله لكم البلاد ، وآمن سُبُلَكم ، فالظّعينة تَخرُج من مَرْوَ إلى بَلْخَ بغير جَواز ،

٢ / ١٢٨٨

---

(١) ب : « الجور » . (٢) البيان : « وأما هذا الحى من تميم ، فإنهم كانوا يسمون الغدر كيسان » . (٣) أبر النحل : إصلاحه ، وفى ب : « تأبير » .
(٤) القلوس : جمع قلس ؛ وهو حبل ضخم من ليف أو خوص أو غيرهما من قلوس سفن البحر . (٥) الحصن : جمع حصان . (٦) الشيح والقيصوم والقلقل ، من منابت البادية .
(٧) ط : « فزع » تحريف : والقزع : كل شىء يكون قطعاً متفرقة ؛ ومنه قطع السحاب .
(٨) الصليان : نبت من أفضل المرعى ، يختلى للخيل التى لا تفارق الحى . والزمزمة ، يعنى صوت الفرس إذا رآه ؛ وهو مثل يضرب للرجل يخدم لثروته . قال الميدانى ١ : ٢٠٦ : « ويروى : « حول الصلبان الزمزمة » ؛ جمع صليب ، والزمزمة : صوت عابديها ؛ يضرب لمن يحوم حول الشىء لا يظهر مرامه » . (٩) مزجاء للمطى ، أى كثير الإزجاء لها ، زجاها وأزجاها : ساقها .
(١٠) س : « يتنطح » . (١١) ب : « الرأى والهوى » .

فاحمدوا اللهَ على النعمة ، وسَلوه الشكرَ والمزيدَ[١] . ١٢٨٩/٢

قال : ثمّ نزل فدخل منزلَه ، فأتاه أهلُ بيته فقالوا : ما رأيْنا كاليوم قطّ ، واللهِ ما اقتصرتَ علىأهل العالية وهم شِعارُك ودِثارُك ، حتى تناولتَ بَكراً وهم أنصارُك ، ثمّ لم ترض بذلك حتى تناولتَ تميماً وهم إخوتُك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولْتَ الأزْد وهم يدك ! . فقال : لما تكلمتُ فلم يجبْني أحدٌ غضبت ، فلم أدرِ ما قلتُ ؛ إنّ أهل العالية كإبل الصَّدَقة قد جُمِعتْ من كل أوْب ، وأمّا بَكْر فإنها أمَة لا تمنَع يَد لامِس ، وأما تميم فَجمَل أجرَب ، وأما عبد القيس فما يضرب العير بذَنَبه ، وأما الأزْد فأعلاجٌ، شرارُ مَنْ خَلَق الله ، لو ملكتُ أمرَهم لوسمتهم .

قال: فغضب الناسُ وكَرِهوا خَلْعَ سليمان ، وغضبَت القبائلُ مِن شَتْم قتيبة ، فأجمَعوا على خلافه وخَلْعِه ، وكان أوّل من تكلم فى ذلك الأزْد ، فأتَوا حُضَين بن المنذر فقالوا : إنّ هذا قد دعا إلى ما دعا إليه من خَلْع الخليفة ، وفيه فسادُ الدين والدنيا ، ثمّ لم يَرضَ بذلك حتى قصّر بنا وشَتَمنا ، فما تَرَى يا أبا حفص ؟ وكان يُكتَنَى فى الحرب بأبى ساسان ، ويقال : كُنْيتُه أبو محمد — فقال لهم : حُضين : مُضَرُ بخُراسان تَعدل هذه الثلاثة الأخماس ؛ وتميم أكثر الخمسَيْن ، وهم فُرسانُ خُراسان ، ولا يرضَوْن أن يصيرَ الأمرُ فى غير مُضَرَ ، فإن أخرجتْموهم من الأمر أعانوا قتيبة ؛ قالوا : إنه قد وتر بنى تميم بقتل ابن الأهتم ، قال : لا تنظروا إلى هذا فإنهم يتعصّبون للمُضَريّة ، فانصرفوا رادّين لرأى حُضَين ، فأرادوا أن يولّوا عبدَ الله بن حَوْذان الجَهْضَميّ ، فأبى ، وتَدافَعوها، فرجعوا إلى ١٢٩٠/٢ حُضَين، فقالوا: قد تدافَعنا الرياسة، فنحن نولّيك أمرَنا، وربيعةُ لا تخالفك، قال : لا ناقةَ لى فى هذا ولا جَمل ؛ قالوا : ما تَرَى ؟ قال : إن جعلتمْ هذه الرياسةَ فى تميم تمّ أمرُكُم ، قالوا : فمَن تَرى من تميم ؟ قال : ما أرَى أحداً غيرَ وكيع ، فقال حيّان مولى بنى شَيبان : إنّ أحداً لا يتقلد هذا الأمرَ فيَصْلَى بحَرّه ، ويَبذل دمَه ، ويتعرّض للقتل ، فإنْ قَدِم أميرٌ

---

(١) أورد الجاحظ خطبة قتيبة فى ثلاث خطب متفرقة، فى البيان والتبيين ٢ : ١٣٢ — ١٣٥ .

أخذه بما جنى وكان المهنأ لغيره إلا هذا الأعرابىّ وكيع ؛ فإنه مِقدام لا يبالى ما ركب ، ولا ينظر فى عاقبة ، وله عشيرة كثيرة تطيعه، وهو موتور يطلب قتيبة برياسته التى صرفها عنه وصيّرها لضرار بن حُصين بن زيد الفوارس بن حُصين بن ضرار الضبّىّ . فمشى الناس بعضهم إلى بعض سرًّا ، وقيل لقتيبة : ليس يفسد أمر الناس إلا حيّان ، فأراد أن يغتاله — وكان حيّان يلاطف حشم الولاة فلا يخفون عنه شيئًا — قال : فدعا قتيبة رجلا فأمره بقتل حيّان ، وسمعه بعض الخدم، فأتى حيّان فأخبره ، فأرسل إليه يدعوه ، فحذر وتمارض ، وأتى الناس وكيعاً فسألوه أن يقوم بأمرهم ؛ فقال : نعم ، وتمثّل قول الأشهب بن رُميلة :

سأجنى ماجنَيت وإنَّ رُكْنِى لمعتمدٌ إلى نَضَدٍ رَكينِ

قال : وبخراسان يومئذ من المقاتلة من أهل البصرة من أهل العالية تسعة آلاف ، وبكر سبعة آلاف ، رئيسهم الحضين بن المنذر ، وتميم عشرة آلاف عليهم ضرار بن حُصين الضبّىّ ، وعبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن علوان عوذىّ (١) ، والأزد عشرة آلاف رأسهم عبد الله ابن حوذان ، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جهم بن زحر — أو عبيد الله بن علىّ — والموالى سبعة آلاف عليهم حيّان — وحيّان يقال إنه من الديلم ، ويقال : إنه من خراسان ، وإنما قيل له نبطىّ للكنته — فأرسل حيّان إلى وكيع : أرأيت إنْ كففتُ عنك وأعنتك تجعل لى جانب نهر بلخ وخراجه ما دمت حيًّا ، وما دمتُ واليًا ؟ قال : نعم ؛ فقال للعجم : هؤلاء يقاتلون على غير دين ، فدعوهم يقتل بعضهم بعضًا ؛ قالوا : نعم ، فبايعوا وكيعا سرًّا ، فأتى ضرارُ بن حُصين قتيبة ، فقال : إنّ الناس يختلفون إلى وكيع ، وهم يبايعونه — وكان وكيع يأتى منزل عبد الله بن مسلم الفقير فيشرب عنده — فقال عبد الله : هذا يحسُد وكيعاً ، وهذا الأمر باطل ، هذا وكيع فى بيتى يشرب ويسكر ويسلح فى ثيابه ؛ وهذا يزعم أنهم يبايعونه . قال : وجاء وكيع إلى قتيبة فقال : احذرْ ضراراً فإنى

٢/١٢٩١

(١) س : « عودى » .

لا آمَنُه عليك ، فأنزل قتيبةُ ذلك منهما على التحاسد . وتمارَض وَكيع .
ثمّ إنّ قتيبةَ دسّ ضِرارَ بنَ سِنان الضَّبىّ إلى وكيع فبايَعَه سرًّا ، فتبيّن لقُتيبة
أنّ الناس يبايعونه ، فقال لضِرار : قد كنتَ صَدَقْتَنى ، قال : إنى لم أخبرْك
إلا بعِلم ، فأنزلتَ ذلك منى على الحسَد ، وقد قضيتُ الذى كان علىّ ، قال : ٢ / ١٢٩٢
صدقتَ . وأرسَل قتيبةُ إلى وَكيع يدْعوه (١ فوجَده رسولُ قُتيبة قد طَلَى
على رِجْله مَغْرة ، وعلى ساقه١) خرَزاً وودَعًا ، وعنده رجلان من
زَهران يَرقِيان رِجْلَه ، فقال له : أجِب الأميرَ ، قال : قد ترَى ما برِجلى .
فرجع الرسولُ إلى قتيبةَ فأعاده إليه ، قال : يقول لك : ائتنى محمولا على
سَرير ، قال : لا أستطيع . قال قتيبة لشريك بن الصّامت الباهلى أحد
بنى وائل — وكان على شرطته — ورجلٌ من غنىّ انطلِقا إلى وَكيع فأتيانى به ،
فإنْ أبَى فاضرِبا عنقَه ؛ ووجّه معهما خيلا ، ويقال : كان على شُرَطه
بخُراسان ورْقاءُ بن نَصرْ الباهلىّ .

قال علىّ : قال أبو الذّيال : قال ثُمامة بن ناجذ العَدَوىّ : أرسل قتيبةُ
إلى وكيع مَنْ يأتيه به ، فقلت : أنا آتيك به أصلحَك الله ! فقال : ائتنى
به ، فأتيتُ وَكيعاً — وقد سبَقَ إليه الخبر أنّ الخيل تأتيه — فلما رآنى قال :
يا ثُمامة ، نادِ فى الناس ؛ فناديتُ ، فكان أوّل من أتاه هُرَيْم بن
أبى طَحْمَةَ فى ثمانية .

قال : وقال الحسن بن رَشيد الجُوزَجانىّ : أرسَل قتيبةُ إلى وكيع ،
فقال هُرَيم : أنا آتيك به ، قال : فانطلق . قال هُرَيم : فركبتُ برْذَونى
مخافةَ أن يردّنى ، فأتيتُ وكيعاً وقد خرج .

قال : وقال كُليب بن خلَف : أرسل قتيبةُ إلى وكيع شُعبةَ بنَ ظهير
أحد بنى صَخْر بن نَهشَل ، فأتاه ، فقال : يا بنَ ظهير :

* لبِّث قليلاً تلحَق الكتائب *

ثمّ دعا بسكين فقطع خرَزاً كان على رِجْليه ، ثمّ لَبِس سلاحَه ، وتمثّل : ٢ / ١٢٩٣

شُدُّوا علىَّ سُرَّتى لا تَنْقَلِف يومٌ لهَمْدانَ ويومٌ للصَّدِفْ

(١ — ١) ب : « فوجده قد طلى رجليه بمغرة وعلق على رأسه » . والمغرة : طين أحمر يصبغ به .

وخرج وحدَه ، ونظر إليه نسوةٌ فقُلن : أبو مطرِّف وحدَه ؛ فجاء هُريم بن أبي طَحْمة فى ثمانية ، فيهم عميرة البَريد بن رَبيعة العُجَيفى .

قال حمزة بن إبراهيم وغيرُه : إن وَكيعًا خرج فتلقّاه رجلٌ ، فقال : ممن أنت ؟ قال : من بنى أسَد ؛ قال : ما اسمُك ؟ قال : ضِرْغامة ؛ قال : ابنُ مَن ؟ قال : ابن لَيْث ، قال : دونَك هذه الراية .

قال المفضَّل بن محمد الضّبّىّ : ودفَع وكيع رايتَه إلى عُقبة بن شهاب المازنىّ ؛ قال : ثم رجع إلى حديثهم ، قالوا : فخرج وَكيع وأمر غلمانَه ، فقال : اذهَبوا بثَقَلى إلى بنى العمّ ، فقالوا : لا نَعرف موضعهم ، قال : انظروا رُمْحين مجموعين أحدُهما فوقَ الآخَر ، فوقَهما مِخْلاة ، فهمْ بنو العمّ . قال : وكان فى العسكر منهم خمسمائة ؛ قال : فنادَى وَكيع فى الناس ، فأقبَلوا أرْسالا من كلّ وجه ، فأقبلَ فى الناس يقول :

قَرْمٌ إذا حُمِّلَ مَكْروهَةً ... شَدَّ الشَّراسِيفَ لها والحزيمْ (١)

وقال قومٌ : تمثّل وَكيعٌ حينَ خرج :

أَنحنَ بلُقْمانَ بنِ عاد فَجُشْنَه ... أَرِينى سلاحى لن يَطيروا بأَعزَلِ

واجتمع إلى قتيبةَ أهلُ بيته ، وخواصّ من أصحابه وثقاته ، فيهم إياس ابن بَيْهس بن عَمرو، ابن عمّ قتيبة دُنْيا ، وعبد الله بن وَألان العدوىّ، وناسٌ من رهْطِه ، بنى وائل . وأتاه حيّان بن إياس العدوىّ فى عشرة، فيهم عبدُ العزيز بن الحارث ، قال : وأتاه مَيْسرة الجدلىّ — وكان شجاعًا — فقال : إن شئتَ أتيتُك برأسِ وكيع ، فقال : قفْ مكانَك . وأمر قتيبةُ رجلا ، فقال : نادِ فى الناس ، أين بنو عامر ؟ فنادَى : أين بنو عامر ؟ فقال محفن بن جَزْء الكلابىّ — وقد كان جَفاهم : حَيْث وَضَعْتَهم ؛ قال : نادِ أذكّركم اللهَ والرّحِم ! فنادَى محفن : أنتَ قطعتَها ، قال : نادِ لكُم العُتْبى ، فناداه محفن أو غيره : لا أقالَنا اللهُ إذاً ، فقال قتيبة :

يا نَفْسُ صبرًا على مَا كان من أَلمٍ ... إذْ لم أَجد لفُضول القوم أَقْرانَا

(١) الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التى تشرف على البطن . والحزيم : موضع الحزام من الصدر والظهر .

ودعا بعمامة كانت أمّه بعثتْ بها إليه ، فاعتمّ بها ، كان يعتمّ بها فى الشدائد ، ودعا ببِرْذَوْن له مدرّب ، كان يتطيّر إليه فى الزّحوف ، فقرِّب إليه ليركبه ، فجعل يتقمّص حتى أعياه . فلما رأى ذلك عاد إلى سريره فقعدَ عليه وقال : دعُوه ؛ فإنّ هذا أمرٌ يُراد . وجاء حيّان النَّبطىّ فى العَجَم ، فوقف وقُتيبة واجدٌ عليه ، فوقف معه عبدُ الله بنُ مسلم ، فقال عبدُ الله لحيّان : احمل على هذين الطَّرَفين ، قال : لم يأنِ لذلك ، فغضب عبدُ الله ، وقال : ناولْنى قوْسى ، قال حيّان : ليس هذا يوم قوس ، فأرسل وكيع إلى حيّان : أين ما وعدتنى ؟ فقال حيّانُ لابنه : إذا رأيتنى قد حوّلتُ قَلَنْسُوتى ، ومضيتُ نحوَ عسكرِ وكيع ، فمِلْ بمن معك فى العَجَم إلىّ . فوقف ابنُ حيّان مع العجَم ، فلما حوّل حيّان قلنسُوته مالت الأعجام إلى عسكرِ وكيع ، فكبّر[1] أصحابُه . وبعث قتيبةُ أخاه صالحاً إلى الناس فرماه رجلٌ من بنى ضبّة يقال له سليمان الزنجبيرج — وهو الخُرْنُوب ، ويقال : بل رماه رجل من بلْعَم — فأصاب هامتَه — فحمل إلى قتيبةَ ورأسُه مائل ، فوُضع فى مُصلاّه ، فتحوّل قتيبةُ فجلس عنده ساعة ، ثمّ تحوّل إلى سريره .

١٢٩٥/٢

قال : وقال أبو السّرىّ الأزْدىّ : رمى صالحاً رجلٌ من بنى ضبّة فأثقله ، وطعنه زياد بنُ عبد الرحمن الأزدىّ ، من بنى شريك بن مالك .

قال : وقال أبومخنَف : حمل رجلٌ من غنىّ على الناس فرأى رجلا مجفّفاً فشبّهه بجهْم بن زُحَر بن قيس فطعنه ؛ وقال :

إنَّ غنيًّا أهلُ عِزٍّ ومَصدَقٍ ... إذا حاربوا والناسُ مُفْتَتِنُونا

فإذا الذى طُعِن عِلْج . وتهايَج الناسُ . وأقبل عبدُ الرحمن بنُ مسلم نحوَهم ، فرماه أهلُ السوق والغَوْغاء ، فقتلوه ، وأحرقَ الناسُ موضعاً كانت فيه إبلٌ لقتيبة ودوابّه ، ودنوا منه ، فقاتلَ عنه رجلٌ من باهلةَ من بنى وائل ، فقال له قتيبةُ : انجُ بنفسك ، فقال له : بئس ما جزيتُك إذاً ،

---

(١) ب : « فكثر » .

وقد أطعمتني الجَرْدَق(١) وألبستني النَّرمق(٢) !

قال: فدعا قتيبةُ بدابّة ، فأتِي ببِرْذَوْن فلم يقرّ ليركبه ، فقال: إنّ له لشأناً ؛ فلم يركبْه . وجلسَ وجاءَ الناسُ حتى بلغوا الفُسْطاط ، فخرج إياسُ بنُ بَيْهَس وعبدُ الله بن وَألان حين بلغ الناس الفُسْطاط وتركا قُتيبة . وخرج عبدُ العزيز بن الحارث يطلب ابنَه عَمْراً — أو عُمَر — فلقيَه الطائيّ فحذِره ، ووجد ابنَه فأردَفَه . قال : وفَطِن قتيبةُ للهَيْثم بن المنخَّل وكان ممن يعين عليه ، فقال : ٢/١٢٩٦

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كلَّ يَومٍ فلَمَّا اَشتدّ ساعِدُهُ رَماني

قال: وقتِل معه إخوتُه عبدُ الرحمن وعبدُ الله وصالح وحُصَين وعبدالكريم، بنو مسلم ، وقتِل ابنه كثير بنُ قُتيبة وناسٌ من أهل بيته ، ونجا أخوه ضِرار ، استنقذَه أخوالُه ، وأمّه غرّاء بنت ضِرار بن القَعْقاع بن مَعبَد بن زُرارة . وقال قوم : قُتِل عبدُالكريم بن مسلم بقَزْوين . وقال أبو عبيدة : قال أبو مالك: قتَلوا قتيبةَ سنة ست وتسعين ، وقتِل من بني مسلم أحد عشر رجلاً ، فصلبَهم وكيع ، سبعة منهم لصُلب مسلم وأربعةٌ من بني أبنائهم: قتيبةُ ، وعبد الرحمن ، وعبد الله الفَقير ، وعبيد الله ، وصالح ، وبَشّار ، ومحمّد بنُو مسلم . وكثير بن قتيبة ، ومغلّس بن عبد الرّحمن ، ولم ينجُ من صُلب مسلم غيرُ عمرو — وكان عامل الجوزجان — وضِرار ، وكانت أمه الغرّاء بنت ضِرار بن القَعْقاع بن معبد بن زُرَارة ، فجاء أخوالُه فدفَعوه حتى نحّوه ، ففي ذلك يقول الفرزدق : ٢/١٢٩٧

عَشِيَّةَ ما وَدَّ ابنُ غَرَّةَ أنَّهُ له من سِوَانا إذ دعا أَبَوانِ(٢)

وضُرب إياس بن عمرو — ابن أخي مُسلم بن عمرو — على ترقُوته فعاش . قال : ولما غشيَ القومُ الفُسْطاط قطعوا أطنابَه . قال زهير : فقال جَهْم ابن زَحْر لسعد : انزِل ، فحزّ رأسَه ، وقد أثخِن جراحًا ، فقال : أخاف

---

(١) الجردق : الرغيف ، بالفارسية . والنّرمق : الليّن ، وهو فارسي أيضاً . وفي ب : «النمرق» .

(٢) ديوانه ٨٧٢ .

أن تَجُولَ الخيلُ ، قال : تخاف وأنا إلى جَنْبك ! فنزل سعد فشق صَوْقَعةَ(١) الفُسطاط ، فاحتزّ رأسه ، فقال حُضَيْن بن المنذر :

وإنَّ ابن سَعد وابن زَحْرٍ تَعاوَرَا ... بسيفَيهما رَأسَ الهُمَام المُتَوَّج

عَشيَّة جئنَا بابنِ زَحْر وجِئتمُ ... بأَدغَمَ مَرقُوم الذراعين دَيزَجِ

أَصَمَّ غُدَانيٌّ كأَنَّ جبينَه ... لطاخةُ نِقْسٍ في أَدِيمٍ مُمَجمَجِ

قال : فلما قتل مسلمةُ يزيدَ بن المهلب استُعمِل على خُراسانَ سَعيدُ بن خُذَينَةَ بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص . فحبس عمال يزيدَ ، وحبَس فيهم جَهم بن زَحْر الجُعْفيّ ، وعلى عذابه رجلٌ من باهلةَ ، فقيل له : هذا قاتلُ قتيبةَ ، فقتلَه في العذاب ، فلامه سعيدٌ ، فقال : أمرتَني أن أستخرِج منه المالَ فعذّبته فأتى علَى أجلِه .

قال : وسقطتْ على قتيبةَ يومَ قُتِل جاريةٌ له خُوارزميّة ، فلما قُتل خرجتْ ، فأخذَها بعد ذلك يزيدُ بن المهلب ، فهي أمّ خُلَيدة . ٢ / ١٢٩٨

قال عليّ : قال حمزة بن إبراهيم وأبو اليقظان : لما قُتِل قتيبةُ صَعِد عُمارة بن جنية الرياحيّ المنبرَ فتكلم فأكثر ، فقال له وكيع : دعْنا من قَذَرك وهَذَرك ، ثمّ تكلّم وكيع فقال : مَثلي ومَثَلُ قُتيبةَ كما قال الأوّل :

* من يَنِكِ العَيْرَ يَنِكْ نيَّاكا *

أراد قتيبةُ أن يقتلَني وأنا قتّال .

قد جَرَّبوني ثمّ جرّبوني ... من غلوتَيْن ومِن المِئينِ

حتّى إذا شِبتُ وشيَّبوني ... خلَّوا عِنَاني وتنَكَّبُوني

أنا أبو مطرّف .

قال : وأخبرَنا أبو معاوية ، عن طلحة بن إياس ، قال : قال وكيع يوم قتِل قُتَيبة :

---

(١) صوقعة الفسطاط ، أي أعلاه .

أنا ابن خِنْدِفَ تَنْمِينِى قَبَائِلُهَا للصالحات وعَمّى قَيسُ عَيلانَا

ثم أخذ بِلحيْته ثمّ قال :

شيخٌ إذا حُمّل مَكْرُوهَــةً شَدَّ الشراسِيفَ لها والحَزِيمْ

والله لأقتلنّ ، ثم لأقتلنّ ، ولأصلبنّ ، ثم لأصلبنّ ؛ إنى والغٌ دماً ، إن مَرْزُبانكم هذا ابنُ الزانية قد أغلَى عليكم أسعارَكم ، والله ليصيرنّ القفيزُ فى السوق غداً بأربعة أو لأصلبنه ، صلّوا على نبيّكم . ثمّ نزل .

٢/١٢٩٩ قال علىّ : وأخبرَنا المفضَّل بن محمَّد وشيخٌ من بنى تميم ، ومسْلمة بن محارب ، قالوا : طلب وكيع رأسَ قُتيبة وخاتمَه ، فقيل له : إنّ الأزْد أخذتْه ، فخرج وكيع وهو يقول : دُهْ دُرِّين ، سَعدُ القَين :

فى أىِّ يومَىَّ مِنَ المَوتِ أَفِــرّ أيومَ لم يُقْدَر أَمْ يومَ قُدِرْ

لا خيرَ فى أحزَمِ جُيّاد القَرَعْ فى أىِّ يومٍ لم أَرِعْ ولم أُرَعْ

والله الذى لا إله غيرُه لا أبرَح حتى أوتَى بالرأس ، أو يُذْهَب برأسى مع رأس قتيبة . وجاء بخَشْب فقال : إنّ هذه الخيل لا بدّ لها من فُرْسان ــ يتهدّدُ بالصَّلْب ــ فقال له حُضَين : يا أبا مطرِّف ، تؤتَى به فاسكن . وأتى حضينٌ الأزدَ فقال : أحمقَى أنتم! بايعْناه وأعطيْناه المقادة ، وعرض نفسَه ، ثم تأخذون الرأسَ ! أخرجوه لعنَه الله من رأس ! فجاءوا بالرأس فقالوا : يا أبا مطرّف . إن هذا هو احتزّه ، فاشكمْه ؛ قال : نعم ، فأعطاه ثلاثةَ آلاف ، وبعث بالرّأس مع سَلِيط بن عبد الكريم الحنَفىّ ورجال من القبائل وعليهم سليط ، ولم يبعث من بنى تميم أحداً .

قال : قال أبوالذّيال : كان فيمن ذهب بالرأس أنَيف بن حسان أحد بنى عدىّ .

٢/١٣٠٠ قال أبو مخنَف : وفَى وكيع لحيَّان النَّبطىّ بما كان أعطاه . قال : قال خُريم بن أبى يحيى ، عن أشياخ من قيس ، قالوا : قال سليمان للهُذيل

ابن زُفَر حين وُضع رأسُ قتيبة ورءوسُ أهل بيته بين يديه : هل ساءك هذا يا هُذيل ؟ قال : لو ساءنى ساء قومًا كثيراً ؛ فكلّمه خُرَيم بن عَمرو والقَعْقاع ابن خُليد ، فقال : ائذَن فى دَفْن رءوسهم ، قال : نعم ، وما أردت هذا كله .

قال علىّ : قال أبو عبد الله السلمىّ ، عن يزيدَ بن سُوَيد ، قال : قال رجلٌ من عَجَم أهلِ خُراسان : يا معشر العَرَب . قَتَلتم قتيبةَ ، والله لو كان قتيبةُ منا فماتَ فينا جَعلْناه فى تابوت فكُنّا نستفتح به إذا غَزَوْنا ، وما صنع أحد قطّ بخُراسانَ ما صنع قتيبة ، إلا أنه قد غَدَر ، وذلك أنّ الحجاج كتب إليه أن اختلهم واقتلْهم فى الله .

قال : وقال الحسن بنُ رشيد : قال الإصْبهبَذ لرَجُل : يا معشر العَرَب ، قتلتم قتيبةَ ويزيدَ وهما سيّدَا العرب ! قال : فأيّهما كان أعظم عندكم وأهيَب ؟ قال : لو كان قتيبة بالمغرب بأقصى جُحْرٍ به فى الأرض مكبَّلا بالحديد ، ويزيد معنا فى بلادنا والٍ علينا لكان قتيبةُ أهيَب فى صدورنا وأعظم من يزيد .

قال علىّ : قال المفضّل بن مُحمد الضّبىّ جاء رجل إلى قتيبةَ يومَ قُتِل وهو جالس ، فقال : اليوم يُقتَل ملك العَرَب — وكان قتيبةُ عندهم مَلِكَ العرب — فقال له : اجلِس .

قال : وقال كُلَيب بن خَلَف : حدّثنى رجل ممن كان مع وكيع حين قُتِل قتيبة ، قال : أمر وكيعٌ رجُلا فنادَى : لا يُسلَبَنّ قتيل ، فمَرّ ابنُ عبيد الحَجَرىّ على أبى الحجر الباهلىّ فسلَبه ، فبلَغ وكيعاً فضرَب عنقَه .

٢ / ١٣٠١

قال أبو عبيدة : قال عبد الله بن عُمَر ، من تَيْم اللات : رَكِب وكيع ذاتَ يوم ، فأتَوْه بسَكرانَ ، فأمر به فقُتِل ، فقيل له : ليس عليه القَتْل ، إنما عليه الحدّ ، قال : لا أعاقِب بالسياط ، ولكنّى أعاقِب بالسيف ، فقال نَهار بن تَوسِعة :

وكنا نُبَكِّى منَ البَاهِلِىِّ فهذا الغُدَانِىُّ شَرٌّ وشَرُّ

وقال أيضًا :

ولما رأينا البَاهِلِيَّ ابنَ مسلمٍ تجَبرَ عمَّمْناه عَضْباً مُهَنَّدا

وقال الفرزْدَق يَذكُر وقعةَ وكيع :

ومنَّا الذى سلَّ السيوفَ وشَامَهَا عشّيةَ باب القَصر مِن فَرْغانِ[1]

عشيّةَ لم تمنَع بَنيهَا قَبيلةٌ بعِزٍّ عِراقِيّ ولا بِيمَانِ

عشيَّةَ ما وَدَّ ابنُ غَـرَّاءَ أنه له من سِوَانا إذ دعا أبوانِ

عشّية لم تَسترْ هَوازِنُ عامرٍ ولا غطَفَانُ عورَةَ ابنِ دُخانِ

عشيَّةَ وَدَّ النّاسُ أنهمُ لنا عبِيدٌ إذِ الجمعان يَضطَرِبانِ

رأَوا جَبلا يَعلُو الجِبالَ إذا التقَتْ رءُوسُ كَبِيرَيْهِنَّ يَنتَطِحَانِ

٢/١٣٠٢ رِجالٌ على الإسلامِ إذْ مَا تَجَالدُوا على الدينِ حتَّى شَاعَ كلَّ مكانِ

وحتى دعا فى سُورِ كلّ مَدِينةٍ مُنادٍ ينادِى فوقَها بأَذَانِ

سيجزى وكيعاً بالجماعة إذْ دعا إليها بسيفٍ صارمٍ وبَنانِ

جزاءً بأَعمالِ الرجالِ كما جَرى ببَدرٍ وباليَرمُوك فىءُ جَنَانِ

وقال الفرزدق فى ذلك أيضًا :

أتانى ورَحْلِى بالمدينةِ وقعةٌ لآلِ تميم أقعدت كلَّ قائمِ[2]

وقال علىّ : أخبرَنا خُرَيم بن أبى يحيى ، عن بعض عمومته قال : أخبرَنى شيوخ من غسان قالوا : إنا لَبِثَنِيَّة العُقاب إذ نحن برجل يشبه الفُيُوج[3] معه عصًا وجِراب ، قلنا : من أين أقبلتَ ؟ قال : مِن خُراسان ؛ قلنا : فهل كان بها من خبَر ؟ قال : نعم ، قُتل قتيبةُ بن مسلم أمسْ ، فتعجَّبْنا لقوله ، فلما رأى إنكارَنا ذلك قال : أين ترونَنى الليلةَ من إفريقيّة ؟ ومضى واتبعناه على خيولنا ، فإذا شىء يَسبِق الطَّرْف . وقال الطرِمّاح :

لولا فوارسُ مَذْحِجَ ابنةَ مذحجٍ والأَزدِ زُعزِعَ واستبيح العسكرُ

---

(١) ديوانه ٨٧٢ . (٢) ديوانه ٨٥٣ .

(٣) الفيوج : جمع فيج وهو رسول السلطان .

وتَقَطَّعَتْ بهم البلادُ ولم يَـؤُبْ منهمْ إلى أهل العراقِ مُخَبِّرُ
واسْتضلعَتْ عُقَدَ الجماعة وازدرى أمرُ الخليفةِ واستُحِلَّ المنكرُ
قومٌ هُمُ قَتَلوا قُتيبـةَ عَنْوَةً والخيلُ جانحةٌ عليها العِثْيَرُ
بالمَرج مرج الصِّينِ حيثُ تَبَيَّنت مُضَرُ العراق مَنِ الأعَزُّ الأكبرُ !
إذْ حَالَفَت جزَعاً ربيعـةُ كلها وتفَرَّقَتْ مُضَرٌ ومَن يَتَمَضَّرُ ٢ / ١٣٠٣
وتَقدَّمَتْ أزْدُ العِرَاق ومـذحِجٌ للموتِ يَجمعُهَـا أبوها الأكبرُ
قَحطانُ تضرب رأْس كلِّ مدجَّجٍ تحمِى بصائرَهُنَّ إذ لا تبصرُ
والأزْدُ تعلمُ أنَّ تحتَ لوائِهـا مُلكاً قُرَاسِيَةً ومَوتٌ أحمرُ
فبِعِزِّنا نُصِرَ النبيُّ محمّـدٌ وبنا تثبّتَ فى دمشقَ المنبرُ

وقال عبد الرحمن بن جُمانةَ الباهلىّ :

كأنَّ أبا حفصٍ قتيبة لم يَسِرْ بجيشٍ إلى جيشٍ ولم يَعلُ مِنبرَا
ولم تخْفِقِ الرَّاياتُ والقومُ حَـوْلَهُ وقوفٌ ولم يَشْهَدْ له الناسُ عسكرَا
دَعَتْهُ المنايا فاستجاب لربِّه وراحَ إلى الجَنَّاتِ عَفًّـا مُطَهّرَا
فمـا رُزِئَ الإسلامُ بعدَ محمّدٍ بمثلِ أبِى حَفْص فَبَكّيهِ عَبْهَـرا

— يعنى أمّ وَلَد له .

وقال الأصمّ بنُ الحجّاج يرثِى قتيبة :

ألَمْ يَأْنِ للأحْيَاءِ أن يَعرفـوا لنا بلى نحنُ أوَلَى الناسِ بالمجْدِ والفخرِ
نَقُودُ تميمًا والموالِى ومَذْحِجًا وأزْدَ وعبد القيْسِ والحىَّ من بكرِ
نقَتِّل مَن شئنا بعِزَّةِ مُلكنَا ونَجْبُرُ مَنْ شئنا على الخسف والقَسْرِ ٢ / ١٣٠٤
سُليمان كم مِن عسكرٍ قد حَوَت لكمْ أسِنَّتُنَا والمُقْرَبَاتُ بنا تجرى
وكم من حصون قد أبَحْنَـا منيعةٍ ومن بلدٍ سَهْلٍ ومن جبل وعْرِ
ومن بلدةٍ لم يغْزُها الناسُ قَبْلَنَا غَزَونا نَقُودُ الخيلَ شهرًا إلى شهرِ

مرَنَّ على الغزو الجرور ووُقّرتْ … على النَّفرِ حتى ما تُهالُ من النَّفرِ
وحتى لو أنَّ النارَ شُبَّتْ وأكرِهَتْ … على النارِ خاضَتْ فى الوغى لهَبَ الجمرِ
تلاَعِبُ أَطرافَ الأَسِنةِ والقنــا … بلبَّاتِهَا والموت فى لجج خضْرِ
بهنَّ أَبحْنَا أَهلَ كلِّ مدينــةٍ … من الشرك حتى جاوزتْ مطلع الفجرِ
ولو لم تُعَجّلنا المنايا لجــاوزتْ … بنارَدْمَ ذِى القرنيْن ذا الصَّخْرِ والقَطْرِ
ولكنَّ آجالاً قُضِينَ ومُــدَّةً … تَناهَى إليها الطَّيِّبُونَ بنو عَمرِو

* * *

٢ / ١٣٠٥ وفى هذه السنة عزَل سليمانُ بنُ عبد الملك خالدَ بنَ عبد الله القَسرىّ عن مكّة ، وولاّها طَلْحة بنَ داودَ الحضْرَمىّ .

وفيها غزا مَسلَمة بن عبد الملك أرضَ الرّوم الصائفةَ ، ففتح حِصْنًا يقال له حِصْن عَوْف .

وفى هذه السنة تُوُفِّى قرّة بن شريك العَبْسىّ وهو أميرُ مصرَ فى صفر فى قول بعض أهل السِّيَر .

وقال بعضهم : كان هلاكُ قرّة فى حياة الوليد فى سنة خمس وتسعين فى الشهر الذى هلك فيه الحجّاج .

وحجّ بالناس فى هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزْم الأنصارىّ ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت عمّن ذكَرَه ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ وغيرُه .

وكان الأميرُ على المدينة فى هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزْم ، وعلى مكة عبدُ العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى حرْب العراق وصلاتها يزيد بن المهلّب ، وعلى خراجها صالح بن عبد الرّحمن . وعلى البَصرة سفْيان بنُ عبد الله الكِنْدىّ من قبَل يزيد بن المهلّب ، وعلى قضاء البَصْرة عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبى موسى ، وعلى حرْب خراسانَ وكيعُ بن أبى سُود .

ثمّ دخلت سنة سبع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوشَ إلى القُسْطنطينيّة واستعماله ابنَه داودَ بن سليمان على الصائفة ، فافتتح حصنَ المرأة . ٢/١٣٠٦

وفيها غزا – فيما ذكَر الواقديّ – مسلمةُ بنُ عبد الملك أرضَ الرّوم ، ففتح الحصْن الذى كان فتَحه الوضّاح صاحب الوضّاحيّة .

وفيها غزا عمر(١) بنُ هُبيرة الفَزاريّ فى البحر أرضَ الرّوم ، فشتا بها .

وفيها قُتِل عبد العزيز بن موسى بن نُصَير بالأندلس ، وقدِم برأسه على سليمانَ حبيبُ بن أبى عُبيد الفِهْرىّ .

***

[ولاية يزيد بن المهلّب على خراسان]

وفيها ولّى سليمانُ بنُ عبد الملك يزيدَ بنَ المهلّب خُراسانَ .

* ذكر الخبر عن سبب ولايته خراسان :

وكان السبب فى ذلك أنّ سليمان بنَ عبد الملك، لما أفضَت الخلافةُ إليه ولّى يزيدَ بن المهلّب حربَ العراق والصّلاة وخراجها .

فذكَر هشام بنُ محمد، عن أبى مخنَف، أنّ يزيدَ نظر لمّا ولّاه سليمانُ ما ولّاه من أمر العراق فى أمر نفسه ، فقال : إنّ العراقَ قد أخربها الحجاجُ ، وأنا اليومَ رجاءُ أهل العراق ، ومتى قدمتُها وأخذتُ الناسَ بالخَراج وعذّبتُهم عليه صرتُ مِثلَ الحجّاج أدْخل على الناس الحربَ ، وأعيدُ عليهم تلك السجون التى قد عافاهم الله منها ، ومتى لم آتِ سليمانَ بمثل ما جاء به الحجّاج لم يقبَل منى . فأتى يزيدُ سليمانَ فقال : أدلّك على رجل بصير بالخَراج توليه إياه ، فتكونَ أنت تأخذُه به ؟ صالح بن عبد الرّحمن ، مولى بنى تميم . ٢/١٣٠٧

فقال له : قد قبِلنا رأيك ، وأقبل يزيدُ إلى العراق .

---

(١) ط : « عمرو » ، تحريف .

وحدّثني عمرُ بنُ شبّة، قال: قال عليّ: كان صالح قَدِم العراق قبل قُدوم يزيدَ، فنزل واسطًا. قال عليّ: فقال عباد بن أيوب: لما قدم يزيد خَرجَ الناسُ يتلقّونه، فقيل لصالح: هذا يزيد، وقد خرج الناس يتلقّونه، فلم يخرج حتى قَرُب يزيدُ من المدينة، فخرج صالحٌ، عليه دُرّاعة ودبوسيّة صفراء صغيرة، بين يديه أربعمائة من أهل الشأم، فلقِي يزيدَ فسايَرَه، فلما دخل المدينةَ قال له صالح: قد فرّغت لكَ هذه الدار — فأشار له إلى دار — فنزل يزيد، ومضى صالح إلى منزله. قال: وضيّق صالحٌ على يزيدَ فلم يملّكه شيئًا، واتّخذ يزيدُ ألف خوان يُطعِم الناسَ عليها، فأخذها صالح، فقال له يزيد: اكتبْ ثمنَها عليّ، واشترى مَتاعًا كثيرًا، وصكّ صِكاكًا إلى صالح لباعَتِها[1] منه، فلم يُنفِذه، فرجعوا إلى يزيدَ، فغضب وقال: هذا عَمَلى بنفسى، فلم يَلبث أن جاء صالحٌ، فأوْسَع له يزيد، فجلس وقال ليزيد: ما هذه الصِّكاك؟ الخَراجُ لا يقوم لها، قد أنفذتُ لك منذ أيام صَكًّا بمائة ألف، وعَجلت لك أرزاقَك، وسألتَ مالًا للجُند، فأعطيتُك، فهذا لا يقوم له شىء، ولا يَرضَى أميرُ المؤمنين به، وتؤخذ به! فقال له يزيد: يا أبا الوليد، أجزْ هذه الصِّكاك هذه المرة، وضاحَكَه. قال: فإنى أجيزُها، فلا تُكثِرنّ عليّ، قال: لا[2].

٢/١٣٠٨

قال عليّ بنُ محمد: حدّثنا مَسلَمة بن مُحارِب وأبو العَلاء التَّيْميّ والطفيل بن مِرْداس العمّى وأبو حفص الأزْديّ عمّن حدّثه عن جَهْم ابن زَحْر بن قيس، والحسن بن رشيد عن سليمانَ بن كثير، وأبو الحسن الخُراسانىّ عن الكَرْمانىّ، وعامر بن حفص وأبو مخنَف عن عثمانَ ابن عَمرو بن محصَن الأزدىّ وزهير بن هنيد وغيرهم — وفى خبر بعضهم ما ليس فى خبر بعض، فألّفت ذلك — أنّ سليمان بنَ عبد الملك ولى يزيدَ ابنَ المهلَّب العِراقَ ولم يولّه خُراسان، فقال سليمان بن عُبدالملك لعبد الملك ابن المهلب وهو بالشأم ويَزيدُ بالعراق: كيف أنتَ يا عبدَ الملك إنْ وليتُك خُراسانَ؟ قال: يَجِدنى أميرُ المؤمنين حيث يُحِبّ، ثمّ أعرضَ سليمانُ عن

(١) ابن خلكان: «ليبتاعها». (٢) الخبر فى ابن خلكان ٢: ٢٧١، نقله عن الطبرى.

ذلك . قال : وكتب عبدُ الملك بنُ المهلب إلى جرير بن يزيدَ الجَهْضَميّ وإلى رجال من خاصّته : إنّ أميرَ المؤمنين عَرَض عليّ ولاية خُراسانَ . فبلغ الخبرُ يزيدَ بنَ المهلَّب ، وقد ضَجِر بالعراق ، وقد ضَيّق عليه صالح ابنُ عبد الرحمن ، فليس يَصِل معه إلى شيء ، فدعا عبد الله بن الأهتم ، فقال : إني أريدك لأمر قد أهمّني ، فأحبّ أن تَكفِينيه ، قال : مُرْني بما أحببْت ، قال : أنا فيما ترى من الضيق ، وقد أضجرَني ذلك ، وخُراسان شاغِرةٌ برِجلها ، وقد بَلَغني أنّ أميرَ المؤمنين ذكَرَها لعبدِ المَلِك بن المهلب ، فهل من حيلة ؟ قال : نعم ، سرِّحني[1] إلى أميرِ المؤمنين ، فإني أرجو أن آتيَك بعَهْدك عليها . قال : فاكتم ما أخبرْتُك به . وكتب إلى سليمانَ كتابَين : أحدهما يَذكُر له فيه أمرَ العراق ، وأثنى فيه على ابن الأهتم وذكَر له عِلمه بها ، ووجّه ابن الأهتم وحمَله على البَريد ، وأعطاه ثلاثين ألفًا . فسار سبعًا ، فقَدِم بكتاب يزيدَ على سليمان . فدخل عليه وهو يتغدّى ، فجلس ناحيةً ، فأتِيَ بدَجاجتَين فأكلَهما .

٢ / ١٣٠٩

قال : فدخل ابنُ الأهتم فقال له سليمان : لك مجلسٌ غيرُ هذا تعود[2] إليه . ثمّ دعا به بعدَ ثالثة ، فقال له سليمان : إنّ يزيدَ بنَ المهلب كتب إليّ يذكُر عِلمَك بالعراق وبخُراسان ، ويُثْني عليك ، فكيف عِلمُك بها ؟ قال : أنا أعلَم الناس بها ؛ بها وُلدتُ ، وبهانشأتُ ، فلي بها وبأَصْلِها خبر وعِلْم . قال : ما أحوَجَ أميرَ المؤمنين إلى مِثلك يُشاوره في أمرها ! فأشرْ عليّ برَجُل أولِّيه خُراسان ؛ قال : أميرُ المؤمنين أعلم بمن يريد يولي ، فإن ذكر منهم أحداً أخبرتُه برأيي فيه ، هل يَصلُح لها أو لا ؛ قال : فسمَّى سليمانُ رجلاً من قريش ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، ليس من رجال خُراسان ، قال : فعبدُ الملك بنُ المهلب ، قال : لا ، حتى عدّد رجالا ، فكان في آخِر مَن ذَكر وَكيع بن أبي سُود ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، وكيعٌ رجلٌ شجاعٌ صارم بَئِيس[3] مِقدام . وليس بصاحبها[4] مع هذا ، إنه لم

٢ / ١٣١٠

(١) ب : « تسرحني » . (٢) ابن خلكان : « نعود » .

(٣) ب : « رئيس » . والبئيس : الشديد . (٤) ب : « لصاحبها » .

يقْـد ثلثمائة قطّ فرأى[1] لأحد عليه طاعة . قال : صدقتَ وَيْحك ، فمن لها ! قال : رجلٌ أعلمه لم تُسمّه[2] ، قال : فمن هو ؟ قال لا أبوح باسمه إلا أن يَضمن لى أميرُ المؤمنين ستر ذلك ، وأن يُجيرنى منه إنْ علم ؛ قال : نعم ، سَمّه مَن هو ؟ قال : يزيدُ بنُ المهلب ؛ قال : ذاك بالعراق ، والمُقام بها أحبّ إليه من المقام بخُراسان ، قال : قد علمتُ يا أميرَ المؤمنين ، ولكن تُكرِهه على ذلك ، فيَستخلِف على العراق رجلا ويسير ؛ قال : أصبتَ الرأىَ . فكَتَب عهدَ يزيد على خُراسان ، وكتب إليه كتابًا : إن ابنَ الأهتم كما ذكرتَ فى عَقْله ودِينه وفضله ورأيه. ودفع الكتابَ وعَهْد يزيدَ إلى ابن الأهتم ، فسار سَبْعاً ، فقدم على يزيدَ فقال له : ما وراءك ؟ قال : فأعطاه الكتاب ، فقال : وَيْحك ! أعندَك خير ؟ فأعطاه العهد ، فأمر يزيدُ بالجهاز للمسير من ساعته ، ودعا ابنه مخلَداً فقدّمه إلى خُراسان . قال : فسار من يومه ، ثمّ سار يزيدُ واستخلف على واسطَ الجَرّاح بنَ عبد الله الحَكَمىّ ، واستعمل على البَصْرة عبدَالله بن هلال الكلابىّ. وصيّر مَروانَ ابن المهلب على أمواله وأموره بالبَصرة ، وكان أوثَقَ إخوته عندَه ، ولمروان يقول أبو البَهاء الإيادىّ :

رأيتُ أبا قبيصةَ كلَّ يومٍ ... على العَلاتِ أكرَمَهُمْ طِباعَا
إذَا ما هُمْ أبوْا أن يَسْتطيعوا ... جَسِيمَ الأَمْرِ يحْمِلِ ما اسْتَطاعَا
وإنْ ضاقت صدُورُهُمُ بأَمرٍ ... فَضلتَهُمُ بذاك ندًى وبَاعَا

٢/١٣١١

* * *

وأمّا أبو عُبيدَة مَعمَر بنُ المثنىّ فإنه قال فى ذلك : حدّثنى أبو مالك أنّ وَكيع بنَ أبى سُود بعث بطاعته وبرأسِ قُتيبةَ إلى سليمانَ ، فوقَع ذلك من سليمان كلّ موقع ، فجعل يزيدُ بنُ المهلب لعبد الله بن الأهتم مائةَ ألف على أن ينقُر[3] وكيعًا عنده ، فقال : أصلَح اللهُ أمير المؤمنين ! والله ما أحدٌ

(١) ب : « ولا رأى » . (٢) ب : « لم يسمه أمير المؤمنين » .
(٣) ب : « ينفر » ، س : « يبقر » ويقال : نقر الرجل ينقره ، أى عابه ووقع فيه .

أوجَبَ شكراً، ولا أعظَمَ عندى يداً من وكيع ، لقد أدرك بثأرى ، وشفانى من عَدُوّى ، ولكن أميرَ المؤمنين أعظمُ وأوجَبُ علىّ حَقًّا ، وإنّ النصيحةَ تلزَمنى لأمير المؤمنين ؛ إنّ وكيعاً لم يَجتمع له مائة عنان قطّ إلا حدّث نفسَه بغدرة؛ خامل فى الجماعة ، نابه فى الفتنة ، فقال : ما هوَ إذاً ممن نستعين به — وكانت قيسٌ تَزعُم أن قتيبة لم يخلع — فاستعمل سليمانُ يزيد ابنَ المهلب على حَرْب العراق ، وأمَره إن أقامت قيسٌ البيّنة أن قتيبة لم يَخلَع فينزَع يداً من طاعة ، أن يُقيد وكيعاً به . فَغدَرَ يزيدُ ، فلم يُعطِ عبدَ الله ابن الأهتم ما كان ضَمِن له ، ووجّه ابنَه مخلدَ بنَ يزيد إلى وكيع .

* * *

رَجْع الحديث إلى حديث علىّ . قال علىّ : أخبرَنا أبو مخنَف عن عثمانَ بن عمرو بن محصن ، وأبو الحسن الخُراسانىّ عن الكرمانىّ ، قال : وجه يزيدُ ابنَه مَخلَداً إلى خُراسان فقدّم مَخلَدُ عَمرَو بن عبد الله بن سِنان العَتَكىّ ، ثم الصُّنَابحىّ[1] ، حين دَنَا من مَرْوَ ، فلما قدمها أرسل إلى وكيع أن الْقَنى ، فأبى ، فأرسَل إليه عَمرو ، يا أعرابىّ أحمقَ جِلفًا جافياً ، انطَلِق إلى أميرك فَتلقه . وخرَج وجوهٌ من أهل مَرْوَ يتلقَّوْن مَخلَداً ، وتثاقَل وكيعٌ عن الخروج ، فأخرَجَه عَمرو الأزْدىّ ، فلما بلغوا مَخلَدا نزل الناسُ كلّهم غير وكيع ومحمد بن حمران السعدىّ وعبّاد بن لَقيط أحد بنى قيس بنِ ثعلبة ، فأنزَلوهم ، فلما قَدِم مروَ حبس وكيعاً فعذَّبه ، وأخذ أصحابه فعذّبهم قبل قُدوم أبيه .

٢/١٣١٢

قال علىّ عن كُليب بن خلَف ، قال : أخبرنا إدريسُ بنُ حنظلة ، قال : لما قَدِم مَخلَدخُراسان حبَسَنى ، فجاءنى ابن الأهتم فقال لى : أتريد أن تَنجُوَ ؟ قلت : نعم ، قال : أخرج الكتبَ التى كتَبَها القَعْقاع بن خُلَيد العَبْسىّ وخُرَيم بن عَمرو المرّىّ إلى قُتيبةَ فى خلْع سليمانَ ، فقلت له : يا بنَ الأهتم ،

(١) ب : « الصدابحى » .

إيّاى تَخدع عن دِينى ! قال : فدعا بطُومار وقال : إنك أحمق. فكتَب كُتُباً عن لِسان القَعْقاع ورجال من قَيْس إلى قُتيبة، أنّ الوليد بنَ عبد الملك قد مات ، وسليمان باعث هذا المَزُونىّ على خُراسان فاخلَعه . فقلتُ : يابنَ الأهتم ، تُهلِك والله نفسَك ! والله لئن دخلتُ عليه لأعلمنّه أنك كتبتَها .

* * *

وفى هذه السنة شَخَص يزيدُ بنُ المهلّب إلى خُراسانَ أميرًا عليها ، فذكر علىّ بن محمد ، عن أبى السرىّ المروزىّ الأزْدىّ ،عن عمه ،قال : وَلىَ وكيع خُراسانَ بعد قتل قُتيبةَ تسعةَ أشهر أو عشرة . وقدم يَزيدُ بنُ المهلب سنة سبع وتسعين .

۱۳۱۳/۲

قال علىّ : فذكَر المفضّل بنُ محمد عن أبيه ، قال : أدنَى يزيدُ أهلَ الشأم وقومًا من أهل خُراسان ، فقال نهارُ بنُ تَوْسِعة :

وما كنّا نُؤمِّلُ من أَمِيرٍ كما كُنَّا نؤمّلُ من يزِيدِ
فأَخطأَ ظنُّنَا فيه وقِدْماً زَهِدْنا فى معاشَرَة الزَّهيد
إذا لم يُعطِنا نَصَفاً أَميرٌ مَشَيْنَا نحْوَهُ مِثلَ الأُسُودِ
فمهلاً يا يَزيدُ أَنِبْ إلينا ودَعْنَا من معَاشَرَةِ العبيدِ
نَجِيءُ فلا نَرَى إلاّ صُدودًا على أَنا نُسَلم من بَعيدِ
ونَرجعُ خائبينَ بلا نوالٍ فما بَالُ التجَهُّمِ والصُّدُودِ !

قال علىّ : أخبَرَنا زيادُ بن الرّبيع ، عن غالب القطّان ، قال : رأيتُ عمَر بنَ عبد العزيز واقفًا بعَرفات فى خلافة سليمان ، وقد حَجّ سليمان عامئذ وهو يقول لعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد : العَجَب لأمير المؤمنين ، استَعمَل رجلاً على أفضل ثَغْر للمسلمين ! فقد بلَغنى عمّن يقدم من التجار من ذلك الوَجْه أنه يُعطِى الجاريةَ من جواريه مثل سهم ألفِ رجل . أما والله

ما اللهَ أراد بولايته — فعرفتُ أنه يعني يزيدَ والجهنية — فقلتُ: يشكر بلاءَهم أيام الأزارقة .

قال : ووَصَل يزيدُ عبدَالملك بنَ سلام السَّلُولىّ فقال:

ما زال سيْبُكَ يا يزيدُ بَحوبَتى حتَّى آرتوَيتُ وَجُودكُمْ لا يُنكَرُ

أنتَ الرَّبيع إذا تكون خَصَاصَةٌ عاش السَّقِيم به وعاش المُقتِرُ

عمَّت سَحَابَتُهُ جَمِيعَ بِلادِكمْ فروَوْا وأَغدَقَهُم سَحَابٌ مُمطِر ٢/١٣١٤

فسقَاكَ رَبكَ حَيْثُ كنتَ مَخيلةً ريًّا سَحَائِبها تَروحُ وتُبكِر[1]

* * *

وفى هذه السنة حجّ بالناس سليمانُ بنُ عبد الملك ، حدّثنى بذلك أحمدُ ابن ثابت عمن ذكَره ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبى معشر .

وفيها عزَل سليمانُ طلحةَ بن داودَ الحضْرمىّ عن مكة ، قال الواقدىّ : حدّثنى إبراهيمُ بنُ نافع ، عن ابن أبى مُلَيكة ، قال : لما صدَر سليمانُ ابنُ عبد الملك من الحجّ عزَل طلحةَ بنَ داودَ الحضْرمىّ عن مكة ، وكان عَمَلُه عليها ستة أشهر ، وولى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبدِ مناف .

وكانت عُمّال الأمصار فى هذه السنة عمالها فى السنة التى قبلها إلا خراسان، فإن عامِلَها على الحرْب والخَراج والصّلاة يزيدُ بنُ المهلب .

وكان خليفته على الكوفة —فيما قيل— حرْملة بن عُمير اللَّخْمىّ أشهرًا ، ثمّ عزَلَه وولّاها بشير بن حسّان النَّهْدىّ .

---

(١) ب : « ريّا سحابتها » .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية]

فمن ذلك ما كان من توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مَسلَمة بن عبد الملك إلى القُسْطَنْطِينيّة ، وأمره أنْ يقيمَ عليها حتى يفتحها أو يأتيَه ، فشتّا بها وصاف . فذَكَر محمد بن عمر أنّ ثور بنَ يزيدَ حدّثه عن سليمان بن موسى ، ٢/١٣١٥ قال: لما دنا مَسلَمة من قُسْطَنْطينية أمرَ كلّ فارس أن يحمل على عَجُز فرسه مُدْيين (١) من طعام حتى يأتيَ به القُسْطَنْطينية ، فأمر بالطعام فأُلقيَ في ناحية مثل الجبال ، ثمّ قال للمسلمين : لا تأكلوا منه شيئاً ، أغيرُوا في أرضهم، وازدرعوا(٢) . وعمِل بيوتاً من خشب ، فَشتا فيها ،وزَرَع الناسُ ، ومَكَث ذلك الطعام في الصحراء لا يكنّه شيء ، والناس يأكلون مما أصابوا منَ الغارات ، ثمّ أكلوا من الزّرع ، فأقام مَسلَمة بالقُسْطَنطينية قاهراً لأهلِها ، معه وجوهُ أهل الشأم : خالد بن مَعْدان ، وعبد الله بن أبي زكرياء الخُزاعيّ ، ومجاهد بن جَبْر ؛ حتى أتاه موتُ سليمانَ فقال القائل :

* تحْمِل مُدْيَيْهَا ومُدْيَيْ مَسلَمهْ *

حدّثني أحمد بن زُهير ، عن عليّ بن محمد ، قال : لما وليَ سليمانُ غزَا الرّوم فنزل دابِقَ ، وقدّم مَسلَمة فهابتَه الرّوم ، فَشخَص إليُونُ من أرْمِينِيَة ، فقال لمَسلَمة: ابعث إليّ رجلا يكلّمني ،فبعث ابنَ هُبيرة ، فقال له ابنُ هبيرة : ما تَعُدّون الأحمَق فيكم ؟ قال : الذى يملأ بطنه من كلّ شيء يجِده ، فقال له ابن هُبَيرة: إنّا أصحاب دين ، ومِن دِيننا طاعةُ

---

(١) المدى : مكيال ضخم لأهل الشام ومصر .

(٢) ازدرعوا ، أى اتخذوا لأنفسكم زرعاً لكم ، وفى ب : « وازرعوا » .

أمرائنا ؛ قال : صدقت ، كنا وأنتم نُقاتِل على الدين ونَغضَب له ، فأما اليومَ فإنا نُقاتِل على الغَلَبة والمُلْك ، نُعطيك عن كلّ رأس ديناراً . ٢/١٣١٦
فرجع ابنُ هُبيرة إلى الرّوم من غده ، وقال : أبى أن يَرضَى ، أتيتُه وقد تغدّى وملأ بطنه ونامَ ، فانتَبه وقد غَلَب عليه البلغم ، فلم يدرِ ما قلتُ .
وقالت البطارقة لإليون: إن صرفت عنا مَسلَمة ملّكناك. فوثّقوا له، فأتى مَسلَمة فقال : قد علِم القومُ أنك لا تَصدقهم القتال ، وأنك تُطاولهم ما دام الطعام عندَك، ولو أحرقتَ الطعامَ أعطوْا بأيديهم ، فأحرَقه ، فقوى العدّو ، وضاقَ المسلمون حتى كادوا يَهلكون ، فكانوا على ذلك حتى مات سليمان . قال : وكان سليمانُ بنُ عبد الملك لما نزل دابق أعطَى الله عَهْداً ألا ينصرف حتى يدخل الجيش الذى وجهه إلى الروم القسطنطينيّة .

قال: وهَلَك مَلِك الرّوم، فأتاه إليون فأخبرَه، وضَمِن له أن يَدفع إليه أرضَ الرّوم ، فوجه معه مسلمة حتى نزل بها ، وَجَمع كلّ طعام حولها وحَصَر أهلَها[1] وأتاهم إليون فملّكوه[2] ، فكتب إلى مَسلَمة يُخبره بالذى كان ، ويسأله أن يُدخِل من الطعام مما يعيش به القوم ، ويُصدّقونه بأنّ أمرَه وأمرَ مَسلَمة واحد، وأنهم فى أمان من السباء والخروج من بلادهم، وأن يأذَن لهم ليلةً فى حَمْل الطعام،وقد هيّأ إليون السفُن والرّجال، فأذِن له ، فما بقىَ فى تلك الحظائر إلا ما لا يُذكَر ؛ حُمل فى ليلة ، وأصبح إليون محاربًا، وقد خدعه خديعة لو كان امرأةً لعيبَ بها ، فلقى الجنْد ما لم يَلْقَ جيشٌ؛حتى إن كان الرجُل ليَخافُ أنْ يَخرُج من العَسكَر وحدَه، وأكلوا الدّوابّ والجُلود وأصولَ الشجر والورَق ، وكلّ شىء غير التراب ، ٢/١٣١٧
وسليمان مقيمٌ بدابِق ، ونزل الشتاءُ فلم يقدر يُمِدّهم حتى هَلَك سليمان .

* * *

[مبايعة سليمان لابنه أيوب وليًّا للعهد]

وفى هذه السنة بَايَع سليمانُ بنُ عبد الملك لابنهِ أيوبَ بن سليمان وجَعلَه ولىّ عهدِه ، فحدّثنى عمر بن شبّة ، عن علىّ بن محمد، قال: كان عبدُ الملك أخَذ على الوليد وسليمانَ أن يُبايعا لابن عاتِكة ولمروانَ بنِ عبدالملك

(١) ب : « حصرهم » . (٢) ب : « فكلموه » .

من بعده ، قال : فحدّثني طارقُ بنُ المبارك ، قال : ماتَ مروانُ بنُ عبدِ الملك في خلافة سليمانَ منصَرفه من مكة ، فبايع سليمان حين ماتَ مَروانُ لأيوبَ ، وأمسَك عن يزيدَ وتربَّص به ، ورَجا أن يهلك ، فهلَك أيّوب وهو وليّ عهده .

* * *

وفي هذه السنة فُتحتْ مدينَة الصّقالِبة ، قال محمد بنُ عمر : أغارتْ بُرْجان في سنة ثمان وتسعين على مَسلَمة بن عبد الملك وهو في قِلّة مِن الناس ، فأمَدّه سليمانُ بنُ عبد الملك بمَسْعدة – أو عَمْرو بن قَيْس – في جَمْع فمكَرتْ بهم الصّقالبة ، ثمّ هزمَهم اللهُ بعد أن قتَلوا شرَاحيلَ بن عبدة ابن عَبدَة[1] .

وفي هذه السنة – فيما زعم الواقديّ – غَزا الوليد بنُ هشام وعَمرُو بنُ قَيس ، فأصيبَ ناسٌ من أهل إنطاكية ، وأصابَ الوليدُ ناسًا من ضَواحي الرّوم وأسَر منهم بَشَراً كثيراً .

* * *

[غزو جرجان وطبرستان]

وفي هذه السنة غزا يزيدُ بن المهلب جرُجْان وَطَبرِسْتان ، فذَكَر هِشامُ بن محمد، عن أبي مخنَف، أنّ يزيد بن المهلب لما قدم خراسانَ أقام ثلاثة أشهر أو أربعةً ، ثمّ أقبَل إلى دِهِسْتانَ وجرُجْانَ ، وبعث ابنه مَخلَدا على خرُاسان ، وجاء حتى نزل بدهستان ، وكان أهلُها طائفةً من الترك ، فأقام عليها ، وحاصَر أهلَها ، معه أهلُ الكوفة وأهلُ البَصْرة وأهلُ الشأم ووجوه أهل خرُاسان والرّيّ ، وهو في مائة ألف مُقاتل سوى المَوالِي والمَماليك والمتطوّعين ، فكانوا يَخرُجون فيُقاتِلون الناسَ ، فلا يُلبثهم الناسُ أن يَهزِموهم فيَدخُلون حصنَهم ، ثمّ يخرجون أحيانًا فيُقاتِلون فيشتدّ قِتالهم . وكان جَهْم وجمال ابنا زَحْر من يزيد بمكان ، وكان يُكرمهما ، وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبي سَبْرة الجُعْفيّ له لسان وبأس، غير أنه كان يُفسد نفسَه بالشراب ، وكان لا يُكثِر غِشْيان يزيدَ وأهل بيته ، وكأنه

٢/١٣١٨

---

(١) ط : « شراحيل بن عبدة » ، والصواب ما أثبته ، وهو أبو عامر الشعبي .

أيضًا حَجَزه[١] عن ذلك مَا رَأى من حُسْن أثَرهم على ابنى زَحْر جَهْم وَجمال . وكان إذا نادى المنادِى : يا خيلَ الله ارْكَبى وأبشرِى كان أول فارس من أهل العسكر يَبْدُر[٢] إلى موقِف البَأس عند الرّوع محمد بن عبد الرحمن بن أبى سَبْرة ، فنُودِىَ ذات يوم فى الناسِ ، فبدر[٣] الناس ابنُ أبى سَبْرة ، فإنه لواقفٌ على تَل إذ مَرّ به عثمانُ بنُ المفضّل ، فقال له : يابنَ أبى سَبْرة ، ما قدرتُ على أن أسبقَك إلى الموقِف قَطّ ، فقال : وما يُغنِى ذلك عنى ، وأنتم تُرشّحون غِلمانَ مَذحِج ، وتَجهَلون حقّ ذوى الأسنان والتجارب والبَلاء ! فقال : أما إنك لو تريد ما قِبلَنا لم نَعدل[٤] عنك ما أنتَ له أهل . ٢ / ١٣١٩

قال : وخرج الناسُ فاقتتَلوا قتالاً شديداً ، فحمل محمد بن أبى سَبْرة على تركىّ قد صدّ الناسَ عنه ، فاختلَفا ضربتَين ، فثبتَ سيفُ التركىّ فى بَيضة ابن أبى سبرة ، وضربَه ابنُ أبى سَبْرة فقتَله ، ثمّ أقبل وسيفُه[٥] فى يَدِه يَقطُر دَمًا ، وسيفُ التُّركىّ فى بَيضَته ، فنظر الناسُ إلى أحسَن مَنظَر رأوه من فارس ، ونظر يزيد إلى ائتلاق السَّيْفين والبَيضة والسلاح فقال : مَن هذا ؟ فقالوا : ابنُ أبى سَبْرة ، فقال : لله أبوه ! أىّ رجل هو لولا إسرافُه على نفسِه !

وخرج يزيد بعد ذلك يومًا وهو يرتادُ مَكانًا يَدخُل منه على القوم ، فلم يَشعُر بشىء حتى هَجَم عليه جماعةٌ من الترك — وكان معه وجوه الناس وفُرسانُهم ، وكان فى نحو من أربعمائة ، والعدوّ فى نحو من أربعة آلاف — فقَاتلَهم ساعةً ، ثمّ قالوا ليزيد : أيّها الأمير ، انصرِف ونحنُ نُقاتِل عنك ، فأبَى أن يَفعَل ، وغَشِىَ القِتال يومئذ بنفسه ، وكان كأحدهم ، وقاتل ابنُ أبى سبرَة وابنا زَحْر والحجّاجُ بن جارية[٦] الخَثعَمىّ وجُلّ أصحابه ، فأحسنوا القِتال ، حتى إذا أرادوا الانصراف جَعَل الحجّاجَ بن جارية على

---

(١) ب : « فكأنه إنما كان يحجزه » . (٢) ب : « ينهد » .
(٣) ب : « فبادر » . (٤) ب : « ما عدلنا » .
(٥) ب : « سيفه » بدون واو . (٦) ب : « سارية » .

الساقة ، فكان يُقاتِل مَن وراءه حتى انتهى إلى الماء ، وقد كانوا عَطِشوا فشرِبوا ، وانصرَف عنهم العدوّ ، ولم يَظفَروا منهم بشيء ، فقال سُفيانُ ابن صَفْوان الخَثْعميّ :

٢ / ١٣٢٠ لولا ابنُ جارِيَةَ الأغرُّ جَبينُهُ لَسُقِيتَ كأساً مُرَّةَ المُتَجَرَّعِ
وحَمَاكَ فى فُرْسَانِهِ وخُيُولِهِ حتَّى وَرَدتَ الماءَ غَيْرَ مُتَعتَعِ

ثم إنّه ألحّ عليها[١] وأنزل الجنود[٢] من كلّ جانب حولَها ، وقَطَع عنهم الموادّ ، فلمّا جُهِدوا[٣] ، وعَجَزوا عن قتالِ المسلمين ، واشتدّ عليهم الحصار والبلاء ، بعث صُول دِهْقان دِهستانَ إلى يزيدَ : إنى أصالحك على أن تؤمنَنى على نفسى وأهل بيتى ومالِى ، وأدفعَ إليك المدينة وما فيها وأهلَها . فصالَحه ، وقَبِل منه ، ووَفَى له ، ودَخَل المدينةَ فأخذ ما كان فيها من الأموال والكُنوز ومِن السَّبى شيئًا لا يُحصَى ، وقَتَلَ أربعةَ عشر ألف تُركىّ صَبْراً ، وكتَب بذلك إلى سليمانَ بن عبد الملك .

ثمّ خرَج حتى أتى جُرْجانَ ، وقد كانوا يُصالحون أهلَ الكوفة على مائة ألف ، ومائتى ألف أحيانًا ، وثلثمائة ألف ، وصالحوهم عليها ، فلما أتاهم يزيدُ استقبلوه بالصّلح ، وهابوه وزادُوه ، واستخلَف عليهم رجلاً من الأزد يقال له : أسدُ بنُ عبد الله ، ودخل يزيدُ إلى الإصبهبَذ فى طَبَرِسْتانَ فكان معه الفَعَلَة يَقطَعون الشَّجر ، ويُصلِحون الطرق ، حتى انتهوْا إليه ، فنَزل به فحصَرَه[٤] وغَلَب على أرضِه ، وأخذ الإصبهبذ يَعرِض على يزيدَ الصلح ويريده على ما كان يُؤخَذ منه ، فيأبَى رجاء[٥] افتتاحها . فبعث ذاتَ يوم أخاه أبا عُيينة فى أهل المِصريْن[٦] ، فأصعَد فى الجَبَل إليْهم ، وقد بعث الإصبهبذ إلى الدّيلم ، فاستجاشَ بهم ، فاقتتلوا ، فحازهم المسلمون

٢ / ١٣٢١ ساعةً وكَشفوهم ، وخرج رأسُ الدّيلم يَسأل المُبارَزة ، فخرج إليه ابن أبى سَبْرة فَقتَله ، فكانت هزيمتُهم حتى انتَهى المسلمون إلى فَمِ الشِّعب ؛

---

(١) ب : « عليهم وعليها » .
(٢) ب : « الخيول » .
(٣) ب : « أجهدوا » .
(٤) ب : « وحصره » .
(٥) ب : « رجال » .
(٦) ب : « العسكر » .

فذهبوا ليصعدوا فيه ، وأشرف عليهم العدوّ يرشقونهم بالنشاب ، ويرمونهم بالحجارة ، فانهزم الناسُ من فم الشِّعب من غير كبير قتال ولا قوّة من عدوّهم على إتباعهم وطلبهم ، وأقبلوا يركب بعضهم بعضاً ، حتى أخذوا يتساقطون فى اللّهوب ، ويتدهدى الرجلُ من رأس الجبل حتى نزلوا إلى عسكر يزيد لا يعبئون بالشرّ شيئاً .

وأقام يزيدُ بمكانه على حاله ، وأقبل الإصبهبذ يكاتب أهلَ جرجان ويسألهم أن يثبوا بأصحاب يزيد، وأن يقطعوا عليه مادّته والطرق فيما بينه وبين العرب ، ويعدهم أن يكافئهم على ذلك ، فوثبوا بمن كان يزيد خلّف من المسلمين ، فقتلوا منهم من قدروا عليه ، واجتمع بقيّتهم فتحصّنوا فى جانب ،فلم يزالوا فيه حتى خرج إليهم يزيد ، وأقام يزيدُ على الإصبهبذ فى أرضه حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف نقداً ومائتى ألف وأربعمائة حمار موقرة زعفراناً ، وأربعمائة رجل ، على رأس كلّ رجل برنس ، على البرنس طيلسان ولجام من فضّة وسرقة[1] من حرير ، وقد كانوا صالحوا قبل ذلك على مائتى ألف درهم . ثمّ خرج منها يزيدُ وأصحابُه كأنهم فلّ ، ولولا ما صنع أهلُ جرجانَ لم يخرج من طبرستانَ حتى يفتحها .

٢/١٣٢٢

وأما غيرُ أبى مخنف ، فإنه قال فى أمر يزيدَ وأمر أهل جرجان ماحدّثنى أحمد بنُ زهير ، عن علىّ بن محمد ، عن كليب بن خلف وغيره ؛ أنّ سعيدَ بنَ العاص صالح أهلَ جرجان ، ثمّ امتنعوا وكفروا ، فلم يأت جرجان بعدَ سعيد أحد ، ومنعوا ذلك الطريق ، فلم يكن يسلك طريقَ خراسانَ من ناحيته أحدٌ إلا على وجل وخوف من أهل جرجان ؛ كان الطريق إلى خراسانَ من فارسَ إلى كرمانَ ، فأوّل من صيّر الطريقَ من قومس قتيبة بن مسلم حينَ ولىَ خراسانَ . ثم غزا مصقلة خراسانَ أيام معاويةَ فى عشرة آلاف ، فأصيب وجنده بالرويان ، وهى متاخمةُ طبرستان

---

(١) السرقة : شقة الحرير الأبيض .

فهلكوا فى وادٍ من أوديتها ، أخذ العدوّ عليهم بمضايقه ، فقتلوا جميعاً ، فهو يُسمّى وادى مَصقلة .

قال : وكان يُضرَب به المَثَل:حتى يَرجعَ مصقلة من طَبرستان ، قال علىّ،عن كُليب بن خلَف العَمىّ ، عن طُفَيل بن مِرْداس العمىّ وإدريس بن حنظلة : إنّ سعيدَ بنَ العاص صالَح أهل جُرْجان،فكانوا يجبئون أحياناً مائة ألف ، ويقولون: هذا صلحنا، وأحياناً مائتى ألف ،وأحياناً ثلثمائة ألف ؛ وكانوا ربما أعطَوا ذلك ، وربما منَعوه ، ثم امتنعوا وكفَروا فلم يُعطُوا خَراجاً ، حتى أتاهُم يزيدُ بن المهلب فلم يُعازّه أحدٌ حين قَدِمها ، فلما صالح صول وفتح البُحيرة ودِهِسْتان صالَح أهلَ جُرْجانَ على صُلْح سعيد بن العاص . ٢ / ١٣٢٣

حدّثنى أحمد ، عن علىّ،عن كُلَيب بن خلَف العمىّ،عن طُفَيل بن مِرْداس ، وبِشر بن عيسى عن أبى[1] صَفْوان،قال علىّ : وحدّثنى أبو حفص الأزْدىّ عن سليمانَ بن كثير ، وغيرهم؛أنّ صولا التركىّ كانَ ينزل دِهِستان والبُحيرة ــ جزيرة فى البَحْر بَينَها وبين دِهِسْتانَ خمسة فراسخ ، وهما من جُرجَان مما يلى خُوارَزم ــ فكان صول يُغير على فيروزَ بن قول،مَرْزبان جُرْجان،وبينهم خمسة وعشرون فَرْسخاً،فيصيب من أطرافهم ثمّ يرجع إلى البُحيرة ودِهِسْتان ، فوقع بين فَيْروز وبينَ ابن عمّ له يقال له المَرْزُبان مُنازعة، فاعتزَله المَرْزُبان ، فنزل البياسان ، فخاف فيروز أن يُغيرَ عليه الترك ، فخرج إلى يزيد بن المهلب بخُراسان ، وأخذ صُول جُرْجان ، فلما قَدِم على يزيدَ بن المهلب قال له : ما أقدَمك ؟ قال : خفتُ صُولا ، فهرَبْتُ منه ، قال له يزيد : هل مِن حيلة لِقتاله ؟ قال : نَعم ، شىء واحد ، إن ظفرتُ به قتلتَه ، أو أعطى[2] بيده ، قال : ما هوَ ؟ قال : إن خرَج مِنْ جرجان حتى يَنزِل[3] البُحَيرة، ثم أتيتَهُ ثَمّ فحاصرْتَهُ بها ظفرتَ به،فاكتب إلى الإصبهبذ كتاباً تسأله فيه أن يحتالَ

(١) ساقطة من ط (٢) ب : « وأعطى » . (٣) ب : « يترك » .

لصول حتى يقيمَ بجُرْجان ، واجعلْ له على ذلك جُعْلا ، ومنّه ، فإنه يبعث بكتابك إلى صول يتقرّبُ به إليه لأنه يعظمه ، فيتحوّل عن جُرجانَ ، فينزل البُحيرة .

٢/١٣٢٤ فكتب يزيدُ بنُ المهلب إلى صاحب طبَرِستان : إنى أريد أن أغزوَ صولا وهو بجُرْجان ، فخفتُ إنْ بلَغه أنى أريدُ ذلك أن يتحوّل إلى البحيرة فينزلها ، فإن تحوّل إليها لم أقدر[1] عليه ؛ وهو يَسمع منك[2] ويَستنصحك ، فإن حبَستَه العامَ بجُرجانَ فلم يأت البُحيرة حملتُ إليك خمسينَ ألفَ مثقال ، فاحتلْ له حيلةً تحبسه بجُرجان ، فإنه إن أقام بها ظفِرتُ به . فلما رأى الإصبهبذُ الكتابَ أراد أن يتقرّب إلى صُول ، فبعث بالكتاب إليه ، فلما أتاه الكتابُ أمَر الناسَ بالرّحيل إلى البُحيرة وحمل الأطعِمة ليتحصّن فيها . وبلَغ يزيدَ أنه قد سار من جُرْجان إلى البحيرة ، فاعتزَم على السَّيْر إلى الجُرْجان ، فخرج فى ثلاثين ألفًا ، ومعه فَيروزُ ابنُ قُول ، واستخلَف[3] على خُراسانَ مخلَد بن يزيد ، واستخلَف على سمَرقَنْد وكِسّ ونَسَف وبُخارَى ابنه معاوية بن يزيد ، وعلى طخارِستان حاتمَ بنَ قبيصة بن المهلب ، وأقبَل حتى أتى جُرْجان — ولم تكن يومئذ مدينة إنما هى جبال مُحيطةٌ بها ، وأبوابٌ ومَخارم ، يقوم الرجلُ على باب منها فلا يَقدم عليه أحدٌ — فدخلها يزيد لم يعازّه أحد ، وأصابَ أموالاً ، وهرَب المرْزُبان ، وخرج يزيد بالناس إلى البُحيرة ، فأناخَ على صول ، وتمثّل حينَ نزَل بهم :

فخرّ السيفُ وارْتَعشَتْ يَداهُ وكانَ بنَفسِهِ وُقِيَتْ نُفُوسُ

قال : فحاصَرَهم ، فكانَ يخرُج إليه صُول فى الأيّام فيُقاتِله ثمّ يرجع إلى حِصْنه ، ومع يزيد أهلُ الكوفة وأهلُ البَصْرة . ثم ذكر من قصة جَهْم ابن زَحْر وأخيه محمد نحواً مما ذكره هِشام ، غير أنه قال فى ضَرْبة التركى ٢/١٣٢٥ ابنَ أبى سَبْرة : فنَشَب سيْفُ التركى فى دَرَقة ابن أبى سَبْرة .

---

(١) ب : « لم يقدر عليه » . (٢) ب : « منا » .
(٣) ب : « واستعمل » .

قال علىّ بنُ محمد ، عن علىّ بن مجاهد ، عن عَنْبسة ، قال : قاتَلَ محمد بن أبى سَبْرة الترك بجرجانَ فأحاطوا به واعتَوروه بأسيافهم ، فانقطع فى يده ثلاثة أسياف .

ثم رَجَع إلى حديثهم ؛ قال : فمكثوا بذلك – يعنى الترْك – محصورين يَخْرجون فيقاتِلون ، ثمّ يرجِعون إلى حِصْنهم ستة أشهر ، حتى شربوا ماءَ الأحْساء ، فأصابهم داءٌ يسمَّى السؤاد[1] ، فوقَع فيهم الموتُ ، وأرسَل صُول فى ذلك يَطلبُ الصّلح ، فقال يزيدُ بنُ المهلب : لا ، إلا أن ينزل على حُكْمى ، فأبى . فأرسَل إليه : إنى أصالِحُك على نفسِى ومالِى وثلثمائة من أهلِ بيتى وخاصّتى ، على أن تؤمّننى فتنزل البُحيرة . فأجابَه إلى ذاك يزيدُ ، فخرج بمالِه وثلثمائة ممن أحَبّ ، وصار مع يزيدَ ، فقتَلَ يزيدُ من الأتراك أربعةَ عشر ألفًا صَبْرًا ، ومنّ على الآخَرين فلم يَقتُل منهم أحداً . وقال الجُنْد ليزيدَ : أعطنا أرزاقَنا ، فدَعَا إدريس بن حنظلةَ العمّىّ ، فقال : يابن حَنْظلة ، أحْصِ لنا ما فى البُحَيرة حتى نُعطِىَ الجندَ ، فدَخَلها إدريسُ ، فلم يَقدر على إحصاء ما فيها ، فقال ليزيد : فيها ما لا أستَطيع إحصاءَه ، وهو فى ظُروف ، فنُحصِى الجواليق ونعلّم مافيها ، ونقول للجند : ادْخلُوا فخذُوا ، فمن أخَذَ شيئًا عرَفنا ما أخَذ من الحنطة والشعير والأرز والسمسم[2] والعَسَل . قال : نعم ما رأيت ، فأحصَوا الجَواليق عَدَداً ، وعلّموا كلّ جوالق[3] ما فيه ، وقالوا[4] للجند : خُذُوا ، فكان الرجلُ يخرُج وقد[5] أخذ ثيابًا[6] أو طعامًا أو ما حَمَل[6] من شىء فيُكتَب على كلّ رجل ما أخَذ ، فأخذوا شيئًا كثيراً .

٢ / ١٣٢٦

قال علىّ : قال أبو بكر الهذلىّ : كان شَهْر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب ، فرفعوا عليه أنه أخذَ خَرِيطةً ، فسأله يزيدُ عنها ، فأتاه بها ، فدعا يزيدُ الذى رَفَع عليه فشتَمه ؛ وقال لشَهر : هى لك ، قال : لا حاجةَ لى فيها ، فقال القُطامىّ الكلبىّ – ويقال : سِنان بن مكمِّل النّميرىّ :

---

(١) فى القاموس : « السؤاد ، كغراب : داء يأخذ الإنسان والإبل والغنم من شرب الماء الملح » .

(٢) ب : « والسمن » .

(٣) ب : « على جوالق » .

(٤) ب : « وقال » .

(٥) ر : « قد » .

(٦–٦) ب : « وطعاماً وما » .

لقد بَاعَ شَهرٌ دِينَــهُ بِخَرِيطَةٍ فمن يأْمَنُ القرَّاءَ بَعدَك يا شَهْرُ؟!

أَخَذْتَ به شيئاً طَفِيفــاً وبِعْتَهُ من ابن جونبوذ إنَّ هذا هو الغَدْرُ

وقال مرة النَّخَعيّ لشَهْر :

يا بن المُهَلَّبِ ما أَرَدتَ إلى امْرِئٍ لولَاكَ كان كصالح القُرَّاءِ

قال عليّ : قال أبو محمد الثَّقَفيّ : أصاب يزيدُ بن المهلب تاجًا بجُرْجان فيه جَوْهر ، فقال : أتَرون أحداً يزَهد فى هذا التاج ؟ قالوا : لا ، فدعا محمد بن واسع الأزديّ، فقال: خذْ هذا التاجَ فهو لك ؛ قال : لا حاجة لى فيه ، قال : عزمتُ عليك ، فأخذَه ، وخرج فأمَر يزيدُ رجلاً ينظر ما يَصنع به ، فلقِيَ سائلاً فدَفَعه إليه ، فأخذ الرجلُ السائل ، فأتَى به يزيدَ وأخبرَه الخبر ، فأخذ يزيدُ التاجَ ، وعوَّض السائل مالاً كثيراً . ١٣٢٧/٢

قال عليّ : وكان سليمانُ بن عبد الملك كلما افتَتح قتيبةُ فَتْحاً قال ليزيد بن المهلب : أما تَرَى ما يَصنَع الله على يدىْ قُتيبة ؟ فيقول ابنُ المهلب : ما فعلَتْ جُرْجانُ التى حالت بين الناس والطريق الأعظم ، وأفسدَت قُومِس وأبرشَهْر ! ويقول: هذه الفتوحُ ليستْ بشىء ، الشأنُ فى جُرجانَ . فلما ولى يزيدُ بنُ المهلب لم يكن له همة غير جُرْجان . قال : ويقال : كان يزيدُ بنُ المهلب فى عشرين ومائة ألف ، معه من أهل الشأم ستون ألفًا .

قال عليّ فى حديثه، عمّن ذكَر خبَرَ جُرْجانَ عنهم : وزاد فيه عليّ ابن مجاهد ، عن خالد بن صبيح أنّ يزيدَ بن المهلب لما صالح صولا طَمع فى طَبرستان أن يَفتَحها، فاعتزَم على أن يسيرَ إليها، فاستعمل عبدَ الله بن المعَمَّر اليشكرىّ على البياسان ودهستان ، وخلف معه أربعة آلاف ، ثم أقبل إلى أدانى جُرْجان مما يلى طَبَرِستان ، واستَعمَل على أندرِسْتان أسد ابن عمرو — أو ابن عبد الله بن الرّبعة — وهى مما يلى طَبَرِسْتان، وخلّفه فى أربعة آلاف ، ودخل يزيدُ بلادَ الإصبهَبْذ، فأرسل إليه يسأله الصّلح ،

٢/١٣٢٨ وأن يَخرُج من طَبَرسْتان ، فأبى يزيدُ ورَجا أن يَفتحها ، فوجّه أخاه أبا عُيينة من وجه ، وخالدَ بنَ يزيد ابنه من وجه ، وأبا الجَهْم الكلبيّ من وجه ، وقال : إذا اجتمعتم فأبو عُيينة على الناس . فسار أبو عُيينة فى أهل المِصْرين ومَعه هُرَيم بن أبى طحمة . وقال يزيد لأبى عُيينة : شاوِرْ هُرَيماً فإنه ناصِح . وأقام يزيد معسكراً .

قال : واستجاش الإصبهبذ بأهل جِيلانَ وأهل الدَّيْلم ، فأتَوْه فالتقوا فى سَنَد جبل ، فانهزَم المشركون ، وأتبعهم المسلمون حتى انتَهوا إلى فَم الشِّعب فدخله المسلمون ، فصَعد المشركون فى الجَبَل ، وأتبعهم المسلمون ، فرماهم العدوّ بالنّشاب والحجارة ، فانهزَم أبو عُيينة والمسلمون ، فركب بعضُهم بعضاً يتساقطون من الجبل ، فلم يَثْبتُوا حتى انتهَوْا إلى عسكر يزيدَ ، وكَفّ العدوّ عن اتّباعهم ، وخافَهم الإصبهبذُ ، فكتب إلى المَرْزبان ابن عمّ فَيروز بن قُول وهو بأقصى جُرْجان ممايلى البياسان : إنا قد قتلنا يزيد وأصحابه فاقتُلْ مَن فى البياسان من العَرَب . فخرج إلى أهل البياسان والمسلمون غارُّون فى منازلِهم ، قد أجمَعوا على قتلِهم ، فقُتِلوا جميعاً فى ليلة ، فأصبَح عبدُ الله بن المعمّر مقتولاً وأربعة آلاف من المسلمين لم يَنجُ منهم أحدٌ ، وقُتِل من بنى العمّ خَمْسون رجلاً ؛ قُتِل الحسينُ بن عُبد الرحمن وإسماعيل ابن إبراهيم بن شمّاس. وكَتَب إلى الإصبهبذ يأخذُ بالمَضايق[1] والطرق. وبلغ يزيدَ قتلُ عبد الله بن المَعمّر وأصحابه ، فأعظَموا ذلك، وهالَهم ، فَفزِع يزيدُ إلى حيّان النَّبطىّ . وقال : لا يمنعْك ما كان منّى إليك من ٢/١٣٢٩ نَصيحة المسلمين ، قد جاءنا عن جُرْجان ما جاءنا ، وقد أخذ هذا بالطرق ، فأعمل فى الصّلح ؛ قال : نَعَمْ ، فأتى حيّانُ الإصبهبذَ فقال : أنا رجلٌ منكم ، وإن كان الدّين قد فرّق بينى وبينَكم ، فإنى لكم[2] ناصح ، وأنت أحبّ إلىّ من يزيد ، وقد بعث يَستمدّ ، وأمدادُه منه قريبة ، وإنما أصابوا منه طَرَفاً ، ولستُ آمَن أن يأتيك ما لا تقومُ له ، فأرحْ نفسَك منه ، وصالحْه

---

(١) ب : « المضايق » .

(٢) كذا فى ب ، وفى ط : « فأنا لك » .

فإنك إن صالَحته صيَّر حدَّه على أهل جُرْجان ، بغَدرهم وقتلهم مَن قتلوا ، فصالَحه على سبعمائة ألف — وقال علىّ بنُ مجاهد : على خمسمائة ألف — وأربعمائة وقْر زَعفران أو قيمته من العَيْن ، وأربعمائة رجل ، على كل رجل بُرْنُس وطَيْلَسان ، ومع كلّ رجل جام فضّة وسَرَقة خزّ وكِسْوة .

ثم رجع إلى يزيدَ بن المهلب فقال : ابعث من يَحمِل صُلحهم الذى صالحتُهم عليه ، قال : مِن عندِهم أومِن عِندنا ؟ قال : من عندهم . وكان يزيدُ قد طابتْ نفسُه على أن يُعطيَهم ما سألوا ، ويَرجع إلى جُرْجان فأرسَل يزيدُ من يَحمِل ما صالَحهم عليه حيّان ، وانصرَف إلى جُرْجَان ، وكان يزيد قد غرّم حيّاناً مائتى ألف ، فخاف ألّا يُناصِحه .

والسبب الذى له أغرم حيّان فيه ما حدّثنى علىّ بن مجاهد ، عن خالد بن صبيح ، قال : كنتُ مؤدبًا لولَد حيّان ، فدعانى فقال لى : اكتبْ كتاباً إلى مَخلَد بن يزيد — ومَخلَد يومئذ ببَلْخَ ، ويزيدُ بمَرْوَ — فتناولتُ القِرْطاس ، فقال : اكتب : مِنْ حَيّانَ مولى مصقلة إلى مخلد بن يزيدَ . فغمزَنى مُقاتِل ابن حيان ألّا تَكتُب ، وأقبلَ على أبيه فقال : يا أبتِ تَكتُب إلى مَخلَد وتَبدأ بنفسك ! قال : نَعَم يا بنىّ ، فإن لم يَرضَ لقى ما لقى قتيبة . ثمّ قال لى : اكتُب ، فكتبتُ ، فبعَثَ مَخلَد بكتابه إلى أبيه ، فأغرَم يزيدُ حيّان مائتى ألف دِرْهم .

٢ / ١٣٣٠

* * *

[فتح جرجان]

وفى هذه السنة فَتَح يزيدُ جُرْجانَ الفتحَ الآخر بعد غدرِهم بجُنْده ونقضِهم العَهْد ، قال علىّ ، عن الرّهط الذين ذكَر أنهم حدّثوه بخبر جُرجانَ وطَبَرِستان : ثمّ إنّ يزيد لما صالح أهل طَبَرِسْتانَ قَصَد لجرْجان ، فأعطى اللهَ عَهْداً ؛ لئن ظَفِر بهم ألّا يقلِع عنهم ، ولا يَرفَع عنهم السيفَ حتى يطحن بدمائهم ، ويختبزَ من ذلك الطحين ، ويأكل منه ،

فلما بلغ المَرْزبانَ أنه قد صالح الإصبهبذ وتوجه إلى جُرجانَ ، جَمَعَ أصحابَه وأتَى وجاه ، فتحصّن فيها ، وصاحبها لا يحتاج إلى عُدّة من طعام ولا شَراب . وأقبَل يزيدُ حتى نَزَل عليها وهم متحصّنون فيها ، وحولها غِياض فليس يُعرَف لها إلا طريق واحد ، فأقام بذلك سبعةَ أشهر لا يَقدر منهم على شيء ، ولا يَعرف لهم مَأتًى إلا مِنْ وجه واحد ، فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتِلونه ويَرجِعون إلى حِصْنهم ، فَبَيْناهُم على ذلك إذْ خرج رجلٌ من عَجَم خُراسانَ كان مع يزيد يتصيّدُ ومعه شاكريّةٌ له . ٢/١٣٣١

وقال هِشام بنُ محمد ، عن أبي مِخنَف : فخَرَج رجل من عسكرِه من طيّئٍ يتصيّد ، فأبصَر وَعِلاً يَرقى في الجَبَل ، فاتّبعه ، وقال لمن معه : قِفوا مَكانَكم ، ووَقَل في الجَبَل يقتصّ الأثر ، فما شَعَر بشيء حتى هَجَم على عسكرِهم ، فرجع يريدُ أصحابَه ، فخاف ألّا يهتدىَ ، فجعل يُخرّق قَباءَه ويَعقِد على الشجر علامات ، حتى وَصَل إلى أصحابه ، ثم رجع إلى العسكر . ويقال : إنّ الذى كان يتصيد الهيّاج بن عبد الرحمن الأزديّ من أهل طُوس ، وكانَ منْهومًا بالصّيد ، فلما رجع إلى العسكر أتَى عامرَ بن أيثم الواشجيّ صاحب شرْطة يَزيد، فَمنَعوه من الدّخول، فصاح: إنّ عندى نَصيحة .

وقال هِشام عن أبي مِخنَف : جاء حتى رَفعَ ذلك إلى ابنى زَحْر بن قيس ، فانطَلَق به ابنا زَحْر حتى أدخلاه على يزيد، فأعلَمه، فضَمن له بضَمان الجُهنيّة — أمّ ولد كانت ليزيد — على شيء قد سمّاه .

وقال عليّ بن محمد في حديثه عن أصحابه : فدعا به يزيد فقال : ما عندَك ؟ قال : أتريد أن تدخل وجاه بغيرِ قِتال ؟ قال : نعَم ، قال : جَعَالتى ؟ قال: احتَكِمْ ،قال : أربعة آلاف ؛ قال : لك دِيَة ، قال : عَجّلوا لى أربعة آلاف ، ثم أنتم بعدُ مِن وراء الإحسان . فأمَر له بأربعة آلاف ، ونَدَب الناس ، فانتدب ألف وأربعمائة ، فقال : الطريق لا يَحمِل هذه الجماعة لالتفاف الغِياض ، فاختار منهم ثلثمائة ، فوجّههم، واستعمل عليهم جَهْم بن زَحْر . ٢/١٣٣٢

وقال بعضهم : استعمَل عليهم ابنه خالد بن يزيد ، وقال له : إن غُلبتَ على الحياة فلا تُغلَبنّ على الموت ، وإياك أن أراكَ عندى منهزمًا ، وضمّ إليه جَهْم بن زَحْر ، وقال يزيد للرجل الذى نَدَب الناسَ معه : متى تَصلُ إليهم ؟ قال : غداً عند العَصْر فيما بين الصّلاتين ، قال : امضُوا على بركة الله ؛ فإنى سأجهَد على مناهَضتهم غداً عند صلاة الظهر . فساروا ، فلما قارب انتصاف النهار من غد أمَر يزيدُ الناس أن يُشعلوا النارَ فى حَطَب كان جمعَه فى حصاره إياهم ، فصيّره آكاماً ، فأضرَموه ناراً ؛ فلم تَزُل الشمس حتى صارَ حولَ عسكره أمثال الجبال من النيران ، ونَظَر العدوّ إلى النار ، فهالَهم ما رأوا من كثْرتها ، فخرجوا إليهم . وأمَرَ يزيدُ الناسَ حين زالت الشمس فصلّوْا ، فجمعوا بينَ الصّلاتين ، ثمّ زَحفوا إليهم فاقتتَلوا ، وسار الآخرون بقيّةَ يومهم والغَد ، فهَجَموا على عسكر الترك قُبَيْل العَصْر ، وهم آمِنون من ذلك الوجه ، ويزيدُ يُقاتِل من هذا الوجه ، فما شَعروا إلا بالتكبير من ورائهم ، فانقطَعوا جميعًا إلى حِصْنهم ، وركِبَهُم المسلمون ، فأعطَوْا بأيديهم ، ونَزلَوا على حُكْم يزيدَ ، فسبى ذراريَّهم ، وقتَل مقاتِلتَهم ، وصلبهم فَرَسَخين عن يمين الطريق ويساره ، وقاد منهم اثنى عشرَ ألفًا إلى الأندرهز — وادى جرْجان — وقال : مَنْ طلبهم بثأر فليقتُل ، فكان الرجلُ من المسلمين يَقتلُ الأربعة والخمسةَ فى الوادى ، وأجرِى الماء فى الوادى على الدّم ، وعليه أرحاء ليطحَن بدمائهم ، ولتبرّ يمينُه ، فطَحَن واختَبز وأكَل وبَنَى مدينةَ جُرْجان . وقال بعضهم : قَتَل يزيدُ من أهل جُرجان أربعين ألفًا ، ولم تكن قبلَ ذلك مدينة ورَجع إلى خُراسانَ واستعمَل على جُرجانَ جَهْم بن زَحْر الجعفىّ . ٢ / ١٣٢٣

وأمّا هشام بنُ محمد فإنه ذَكَر عن أبى مخنَف أنه قال : دعا يزيد جهمَ ابنَ زَحْر فبعث معه أربعمائة رجل حتى أخذوا فى المكان الذى دُلّوا عليه وقد أمَرَهم يزيدُ فقال : إذا وَصَلتم إلى المدينة فانتَظِروا ، حتى إذا كان فى السَّحر فكَبِّروا ، ثم انطلِقوا نحوَ باب المدينة ، فإنكم تجدونى وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها ؛ فلما دخل ابن زَحْر المدينةَ أمهل حتى إذا كانت

السّاعَةُ التي أمره يزيدُ أن يَنهضَ فيها مَشَى بأصحابه، فأخذَ لا يَستقبل من أحراسِهم أحداً إلا قتله . وكَبَّر، ففَزِع أهلُ المدينة فزَعًا لم يَدخلُهم مثلُه قطّ فيما مضى ، فلم يَرُعهم إلا والمسلمون معهم في مَدينتهم يكبّرون فدُهِشوا، فألقَى اللهُ في قلوبهم الرّعب، وأقبَلوا لا يَدْرون أين يتوجّهون ! غيرَ أنّ عِصابةً منهم ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جَهْم بن زَحْر ، فقاتَلوا ساعةً ، فدُقّت يدُ جَهْم ، وصبر لهم هو وأصحابُه، فلم يَلبثوهم أنْ قتلوهم إلا قليلا . وسمع يزيدُ بنُ المهلب التكبيرَ، فوثَب في الناس إلى الباب ، فوجدوهم قد شغَلهم جَهْم بن زَحْر عن الباب ، فلَم يَجدْ عليه من يَمنعُه ولا مَن يَدفَع عنه كبير دَفع ، ففَتَح الباب ودخلَها من ساعته ، فأخرَج من كان فيها من المُقاتِلة ، فنَصب لهم الجُذوعَ فرْسَخين عن يمين الطريق ويسارِه ، فصلَبهم أربعةَ فراسخ ، وسَبى أهلَها، وأصاب ما كان فيها .

٢/١٣٣٤

قال عليّ في حديثه ، عن شيوخه، الذين قد ذكرتُ أسماءَهم قبلُ ، وكتب يزيدُ إلى سليمانَ بن عبد الملك :

أما بعد، فإن الله قد فتَح لأمير المؤمنين فتْحاً عظيماً ،وصنَع للمسلمين أحسَنَ الصُّنْع ، فلِربّنا الحمدُ على نِعمه وإحسانِه ، أظهر في خلافة أميرِ المؤمنين على جُرْجان وطَبَرستان،وقد أعيَا ذلك سابُورَ ذا الأكْتاف وكِسرى بن قُباذ وكسرى بن هُرْمُز ، وأعيَا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان ومَنْ بعدهما من خلفاءِ الله، حتى فتَح الله ذلك لأمير المؤمنين ؛ كرامةً من الله له،وزيادة في نِعمه عليه . وقد صار عندى من خُمس ما أفاءَ اللهُ على المسلمين بعد أن صار إلى كلّ ذى حقّ حقه من الفَىء والغَنيمة ستةُ آلاف ألف، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله .

فقال له كاتبه المغيرة بنُ أبي قرّة مولَى بني سَدُوس : لا تَكتُب بتسميةِ مال ، فإنك مِنْ ذلك بين أمرين : إما استَكثَرَه فأمرَك بحَمْله ، وإما سَخَتْ نفسُه لكَ به فسوّغَكَه فتكلفت الهديّة ، فلا يأتيه من قبَلك شيء إلا استقبله، فكأني بك قد استغرقْت ما سمّيت

٢/١٣٣٥

ولم يقع منه موقعًا ، ويبقى المالُ الذى سميت مخلّداً عندهم عليك فى دواوينهم ، فإن وَلِيَ والٍ بعدَه أخذَك به ، وإن وَلِى من يتحامَل عليك لم يَرضَ منك بأضعافه ، فلا تمضِ كتابَك ، ولكن اكتب بالفتح ، وسَلْه القُدومَ فتُشافِهَه بما أحببتَ مُشافهةً ، ولا تقصّر ، فإنك إن تقصّر عما أحببتَ أحرَى من أن تكثّر .

فأبى يَزيدُ وأمضَى . وقال : بعضُهم كان فى الكتاب أربعة آلاف ألف .

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة توفّى أيوب بنُ سليمانَ بن عبد الملك ، فحدّثت عن علىّ بن محمد ، قال : حدثنا علىّ بن مجاهد ، عن شيخ من أهل الرّىّ أدركَ يزيدَ ، قال : أتَى يزيدُ بن المهلب الرّى حين فرَغ من جُرْجانَ ، فبلغه وفاةُ أيوب بنِ سليمان وهو يسيرُ فى باغ أبى صالح على باب الرّىّ ، فارتجَز راجزٌ بين يَدَيْه فقال :

إن يَكُ أيّوبُ مَضَى لشانِهِ   فإنَّ داودَ لفِى مَكانِهِ

* يقيمُ ما قدْ زَال مِنْ سُلْطَانِهِ *

وفى هذه السنة فُتِحتْ مدينة الصّقالِبة .

وفيها غزا داوُد بنُ سليمانَ بن عبدالملك أرضَ الرّوم ، فَفتَح حِصْنَ المرأة مما يلىَ مَلَطيَة .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبدُ العزيز بنُ عبد الله بن خالد بن أسيد وهو يومئذ أميرٌ على مكة ، حدّثنى بذلك أحمدُ بن ثابت ، عمن ذكَره ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبى معشر . ١٣٣٦/٢

وكان عمال الأمصار فى هذه السنة هم العمال الذين كانوا عليها سنة سَبْع ، وقد ذكَرْناهم قبلُ ، غير أنّ عامل يزيد بنَ المهلب على البَصْرة فى هذه السنة كان — فيما قيل — سُفْيان بن عبد الله الكِنْدىّ .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[وفاة سليمان بن عبد الملك]

فمن ذلك وَفاةُ سليمانَ بن عبد الملك، تُوفِّيَ - فيما حُدِّثت عن هشام، عن أبي مِخنَف - بِدَابِق من أرض قِنَّسْرين يوم الجمعة لعشرٍ ليال بَقين من صفر، فكانت ولايتُه سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام.

وقد قيل: توفّى لعشرٍ ليال مضَين من صفر. وقيل: كانت خلافتُه سَنَتين وسبعة أشهر وقيل: سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام.

وقد حدّث الحسن بن حماد، عن طلحة أبي محمد، عن أشياخه، أنهم قالوا: استخلفَ سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاثَ سِنين. وصلى عليه عمرُ بنُ عبد العزيز.

وحدثني أحمدُ بنُ ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي مَعشَر، قال: توفّيَ سليمانُ بنُ عبد الملك يومَ الجمعة لعشر خلوْنَ من صفر سنة تسع وتسعين، فكانت خلافتُه ثلاثَ سنين إلا أربعة أشهر.

* * *

٢/١٣٣٧

* ذكر الخبر عن بعض سيره:

حدّثتُ عن عليّ بن محمد، قال: كان الناسُ يقولون: سليمانُ مفتاحُ الخَيْر، ذهَب عنهم الحجاج، فولي سليمانُ، فأطلق الأسارى، وخلّى أهلَ السجون، وأحسَنَ إلى الناس، واستخلف عمر بنَ عبد العزيز، فقال ابن بِيض:

حاز الخلافة والداكَ كلاهُمَا ... من بَيْنِ سُخْطَةِ سَاخِطٍ أو طَائعِ

أَبَوَاكَ ثمّ أَخُوكَ أَصْبَحَ ثالثاً ... وعَلى جَبِينِكَ نورُ مُلكِ الرابعِ

وقال عليّ: قال المفضّل بنُ المهلّب: دخلتُ على سليمانَ بدابِقَ يومَ

جمعة ، فدعا بثياب فلَبسها ، فلم تُعجبه ، فدعا بغيرها بثياب خُضْر سُوسِيّة بَعَث بها يزيدُ بن المهلب ، فلبسها واعتمّ وقال : يا بن المهلَّب ، أعجبتْك ؟ قلتُ : نَعَم ، فحَسَر عن ذراعَيه ثم قال : أنا المَلِك الفتِيّ ، فصلَّى الجُمعة ، ثمّ لم يُجمِّع بعدَها ، وكتب وَصِيّته ، ودَعَا ابنَ أبي نُعَيم صاحب الخاتَم فختَمه .

قال عليّ : قال بعضُ أهل العِلم : إن سليمانَ لبس يومًا حُلة خضراءَ وعمامةً خضراءَ ونَظَر في المرآة فقال : أنا المَلِك الفتِيّ ، فما عاشَ بعد ذلك إلا أسبوعًا .

قال عليّ : وحدّثنا سُحَيم بنُ حَفْص ، قال : نظرتْ إلى سليمانَ جاريةٌ له يومًا ، فقال : ما تنظرين ؟ فقالت :

أنتَ خيْرُ المَتَاعِ لو كنتَ تبْقَى ... غيْرَ أنْ لا بَقَاءَ للإنسَانِ
لَيْسَ فيما عَلِمْتُهُ فيكَ عَيْبٌ ... كانَ في الناس غيْرَ أنّكَ فانِ ٢ / ١٣٣٨

فنَفَض عمامتَه .

قال عليّ : كان قاضيَ سليمانَ سليمانُ بنُ حَبيب المحاربيّ ، وكان ابن أبي عُيَيْنة يقُصّ عندَه .

وحُدّثتُ عن أبي عُبيدة ، عن رُؤْبة بن العَجاج ، قال : حجّ[1] سليمان بنُ عبد الملك ، وحجّ الشعراء معه ، وحججتُ معهم ، فلما كان بالمدينة راجعاً تَلَقّوه بنحو من أربعمائة أسير من الرّوم ، فقَعد سليمانُ ، وأقرَبُهم منه مَجلساً عبدُ الله بنُ الحسَن بن الحسَن بن عليّ بن أبي طالب صلَوات الله عليهم ، [2] فقدّمَ بِطْريقُهم فقال : يا عبدَ الله ، اضرب عنُقه[2] ، فقام فما أعطاه أحدٌ سَيْفًا حتى دَفَع إليه حرَسيّ سَيْفه فضرَبه فأبَانَ الرأسَ ، وأطنّ الساعد[3] وبعض الغُلّ ، فقال سليمان : أمَا والله ما مِن جودة السيف

---

(١) الخبر في الأغاني ١٥ : ٣٤١ ، ٣٤٢ ، بسنده عن قتادة ، عن أبي عبيدة في كتاب النقائض ، عن رؤبة بن العجاج ؛ وهو أيضاً في النقائض ٣٨٣ .

(٢ - ٢) الأغاني : « وعليه ثوبان ممصران ، وهو أقربهم منه مجلساً ، فأدنوا إليه بطريقهم وهو في جامعة ، فقال لعبد الله بن الحسن : قم فاضرب عنقه » .

(٣) أطنه : قطعه .

جادَت الضّربة ، ولكن لحسَبِه[1] ، وجعل يَدْفع البقيّة إلى الوجُوه وإلى الناس يقتلونهم حتى دفع إلى جرير رَجُلا منهم ، فدسّت إليه بنو عَبْس سَيْفًا فى قِراب أبيَض ، فضرَبه فأبانَ رأسَه ، ودُفع إلى الفرَزْدق أسيرٌ فلم يَجِد سَيفًا ، فدَسّوا له سَيْفًا ددانا[2] مثنيًّا[3] لا يقطع ، فضرَب به الأسير ضَرَبات ، فلم يَصنع شيئًا ، فضحِك سليمانُ والقَوْم ، وشَمِت بالفرَزدق بنو عَبْس أخوال سليمانَ ، فألقَى السيفَ وأنشأ يقول ، ويعتذر إلى سليمانَ ، ويأتسى بنبُوّ سَيْف وَرْقاءَ عن رأسِ خالد :

١٣٣٩/٢

إن يكُ سيفٌ خَانَ أو قَدرٌ أَتى ... بتأخير نفسٍ حَتْفُها غيرُ شاهدِ[4]

فسيفُ بنى عبسٍ وقد ضَربوا به ... نَبَا بيَدَىْ ورقاءَ عن رأسِ خالد

كذاك سُيُوفُ الهند تَنْبُو ظُبَاتها ... وتَقطَعُ أحياناً مَناط القلائدِ

وورقاء هو وَرْقاء بنُ زُهَير بن جَذيمة العَبْسىّ ، ضربَ خالدَ بنَ جَعْفر بنِ كلاب ، وخالد مُكِبٌّ على أبيه زُهَير، قد ضَرَبه بالسَّيف وصَرَعه ، فأقبَل وَرْقاء بنُ زهير فضرَب خالدًا ، فلم يَصنَع شيئًا ، فقال ورقاء ابنُ زُهير :

رأيتُ زهيرًا تحت كَلْكَلِ خالدٍ ... فأَقبلتُ أَسعَى كالعَجُولِ أُبادِرُ[5]

فشُلَّت يمينى يومَ أَضرِبُ خالدًا ... ويُحْصِنُهُ مِنّى الحديدُ المظاهرُ[6]

وقال الفرَزْدَق فى مُقامه ذلك :

أَيَعْجَبُ النّاسُ أَنْ أَضحَكتُ خَيْرَهُمُ ... خليفةَ اللهِ يُستَسْقَى به المطرُ[7]

فما نبَا السيفُ عن جُبْنٍ ولا دَهَشٍ ... عند الإمام ولكن أَخَّرَ القَدَرُ

---

(١) فى الأغانى : « فقال له سليمان : اجلس ، فوالله ما ضربته بسيفك ، ولكن بحسبك » ، وفى النقائض : « والله ما هو من جودة السيف أجاد الضربة ، ولكن بجودة حسبه وشرف مركبه » .

(٢) الددان ، السيف الكليل : وفى الأغانى : « فدست إليه القيسية سيفاً كليلا » .

(٣) ط : « متينا » .   (٤) ديوانه ١٨٦ .

(٥) الأغانى ١١ : ٧٤ .   (٦) الأغانى : « ويمنعه منى الحديد » .

(٧) النقائض ٣٨٤ ، الأغانى ١٥ : ٣٤٤ . وفيه : « أيضحك الناس »

ولو ضربْتُ على عَمرٍو مُقَلَّدَهُ لخَرَّ جُثمانُهُ ما فوقه شَعَرُ[1]
وما يُعَجِّلُ نفساً قبلَ مِيتَتِها[2] جمعُ اليدين ولا الصَّمْصَامةُ الذَّكَرُ ٢ / ١٣٤٠

وقال جرير فى ذلك :

بسيفِ أبى رَغوَانَ سيفِ مجاشعٍ ضربْتَ ولم تضرب بسيف ابن ظالِمِ[3]
ضربتَ به عند الإمام فأُرْعِشَتْ يداك ، وقالوا مُحدَثٌ غيرُ صارِمِ

حدثنى عبدُ الله بنُ أحمد ، قال : حدّثنى ، أبى قال : حدّثنى سليمان قال : حدّثنى عبد الله بن محمد بن عُيَيْنة ، قال : أخبرنى أبو بكر بنُ عبد العزيز بن الضحاك بن قيس ، قال : شهد سليمانُ بنُ عبد الملك جنازةً بدابِق ، فدُفنتْ فى حقل ، فجعَل سليمانُ يأخذ من تلك التربة فيقول : ما أحسنَ هذه التربة ! ما أطيبَها ! فما أتى عليه جمعةٌ - أو كما قال - حتى دُفن إلى جنب ذلك القبر .

---

(١) لم يرد فى النقائض . وفى الأغانى : « ولو ضربت به عمراً مقلده » .
(٢) الأغانى : « وما يقدم » .
(٣) الأغانى ١٥ : ٣٤٣ ، وروى : « أن الفرزدق قال لسليمان : يا أمير المؤمنين ، هب لى هذا الأسير ، فوهبه له فأعتقه ، وقال الأبيات التى تقدم ذكرها . ثم أقبل على رواته وأصحابه وقال : كأنى بابن المراغة وقد بلغه خبرى ، فقال - وذكر البيتين - قال : فما لبثنا غير مدة يسيرة حتى جاءتنا القصيدة وفيها هذان البيتان ، فعجبنا من فطنة الفرزدق » .

خلافة عمر بن عبد العزيز

وفى هذه السنة استُخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكَم .

* ذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان إياه :

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى الهيثم بن واقد ، قال : استُخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يومَ الجمعة لعشر مضَين من صفر سنة تسع وتسعين .

٢/١٣٤١ قال محمد بن عمر : حدّثنى داود بن خالد بن دينار ، عن سهيل بن أبى سهيل قال : سمعت رجاء بن حَيْوة ، يقول : لما كان يوم الجمعة لبس سليمانُ بن عبد الملك ثيابًا خُضراً من خزّ ، ونظر فى المرآة ، فقال : أنا والله الملك الشابّ ، فخرج إلى الصّلاة [١] فصلى بالناس الجمعة ، فلم يرجع حتى وعك ، فلما ثقُل[٢] عهدَ فى كتاب كتبَه لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلُغ فقلت : ما تصنع يا أميرَ المؤمنين ! إنه مما يحفظ الخليفة فى قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح . فقال سليمان : أنا أستخير الله وأنظرُ فيه . ولم أعزم عليه ، قال : فمكث يومًا أو يومين ، ثم خرّقه ، فدعانى ، فقال : ما ترى فى داودَ بن سليمان ؟ فقلت : هو غائب عنك بقُسْطنطينية وأنت لا تدرى أحَىٌّ هو أم ميت ! فقال لى : فمن ترى ؟ قلت : رأيَك يا أمير المؤمنين ، وأنا أريد أنظر من يذكر ، قال : كيف ترى فى عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلَمُه والله خيراً فاضلا مسلمًا ؛ فقال : هو والله على ذلك ، ثم قال : والله لئن وليته ولم أولّ أحداً سواه لتكوننّ فتنة ، ولا يتركونه أبداً يلى عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعدَه ، ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم ، قال : فيزيد ابن عبد الملك أجعلُه [٣] بعدَه ، فإن ذلك مما يسكنهم ويرضَوْن به ؛ قلتُ : رأيك . قال : فكتب . ٢/١٣٤٢

(١) ر : « مصلاه » .
(٢) ثقل ، أى أشتد مرضه .
(٣) بعدها فى ب : « يومئذ » .

بسم الله الرّحمن الرّحيم . هذا كتابٌ من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعُمَر بن عبد العزيز[١] ، إنى قد ولّيتك الخلافةَ من بعدى ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك؛ فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيُطمَعَ فيكم .

وختم الكتاب ، وأرسل إلى كعب بن حامد العبسىّ صاحب شُرَطه فقال : مُرْ أهلَ بيتى فليجتمعوا ؛ فأرسل كعب إليهم[٣] أن يجتمعوا فاجتمعوا ، ثمّ قال سليمانُ لرجاء بعد اجتماعهم : اذهبْ بكتابى هذا إليهم فأخبرهم أنّ هذا كتابى ، وأمُرهم فليبايعوا من وليت فيه ؛ ففعل رجاء ، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا : ندخل فنسلّم على أمير المؤمنين؟ قال : نعم ؛ فدخلوا فقال لهم سليمانُ فى هذا الكتاب — وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه فى يد رجاء ابن حَيْوة — عهدى ، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سمّيتُ فى هذا الكتاب ؛ فبايَعوه رجلا رجلا ، ثمّ خرج بالكتاب مختومًا فى يد رجاء بن حَيْوة .

قال رجاء : فلما تفرّقوا جاءنى عمر بنُ عبد العزيز فقال : أخشى أن يكون هذا أسندَ إلىّ شيئًا من هذا الأمر ، فأنشدك اللهَ وحُرْمتى ومَوَدّتى إلا أعْلَمتَنى إن كان ذلك حتى أستعفيَه الآن قبل أن تأتىَ حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة ! قال رجاء : لا والله ما أنا بمُخبرك حَرْفًا ؛ قال : فذهب عمرُ غضبان .

١٣٤٣/٢

قال رجاء : لقينى هشام بنُ عبد الملك، فقال : يا رجاء ، إنّ لى بلك حُرمةً ومودّةً قديمةً ، وعندى شكر ، فأعلِمْنى هذا الأمر ، فإن كان إلىّ علمتُ ، وإن كان إلى غيرى تكلّمتُ ، فليس مثلى قصّر به ، فأعلِمْنى فلك اللهُ علىّ ألّا أذكر من ذلك شيئًا أبداً . قال رجاء : فأبيت فقلت : والله لا أخبرك حرفًا واحداً مما أسرّ إلىّ .

قال : فانصرف هشام وهو قد يئس ، ويضرب[٤] بإحدى يديه على الأخرى وهو يقول: فإلى من إذاً نُحِّيَتْ عنى ؟ أتخرج من بنى عبد الملك ؟ قال رجاء : ودخلتُ على سليمان فإذا هو يموت ، فجعلتُ إذا أخذَتْه السَّكْرة من

(١) بعدها فى س : « ابن مروان » . (٢) ب : « شرطته » .
(٣) ب : « إليهم كعب » . (٤) ب : « وهو يضرب » .

سَكَرات الموت حرّفتُه إلى القبلة ، فجعل يقول حين يُفيق : لم يأنِ لذلك بعدُ يا رجاء ، ففعلت ذلك مرّتين ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئًا ، أشهدُ أن لا إله إلاّ الله ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله . قال : فحرّفته ومات ؛ فلما غمّضته سجّيته بقطيفة خضراءَ ، وأغلقتُ البابَ . وأرسلت إلىّ زوجتُه تقول : كيف أصبَح ؟ فقلتُ : نائم ، وقد تَغطّى ، فنظر الرّسول إليه[1] مغطًّى بالقطيفة ، فرجع فأخبَرَها فقبِلَتْ ذلك ، وظنّتْ أنه نائم ، قال رجاء : وأجلستُ على الباب من أثق به ، وأوصيتُه ألاّ يبرح حتى آتيَه ، ولا يدخل على الخليفة أحد . ٢/ ١٣٤٤

قال : فخرجتُ فأرسلتُ إلى كعب بن حامد العبسىّ ، فجمَعَ أهل بيت أمير المؤمنين ، فاجتمعوا فى مسجد دابِق ، فقلت : بايِعوا ، فقالوا : قد بايعنا مرّة ونبايع أخرى ! قلتُ : هذا عهد أمير المؤمنين ، فبايِعوا على ما أمَرَ به ومن سمّى فى هذا الكتاب المختوم ، فبايَعوا الثانية ؛ رجلا رجلا . قال رجاء : فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيتُ أنى قد أحكمتُ الأمر ، قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وقرأتُ الكتاب عليهم ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشامُ بن عبد الملك : لانبايعه أبداً ، قلتُ : أضرب والله عنقَك ، قُم فبايِع ، فقام يجرّ رجليه .

قال رَجاء : وأخذتُ بضَبْعَىْ عمر بن عبد العزيز فأجلستُه لما وقع فيه وهشام يسترجع على المِنبر وهو يسترجع لما أخطأه ، فلما انتهى هشام إلى عمر قال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ! حين صارت إلىّ لكراهته [إياها][2] ، والآخَر يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، حيث نُحّيَتْ عنى .

قال : وغُسل سليمانُ وكفّن وَصلّى عليه عمرُ بنُ عبد العزيز ؛ قال رجاء : فلما فُرِغ من دفنه أتِىَ بمراكب الخلافة : البَراذِين والخيل والبغال ولكلّ دابة سائس ، فقال : ما هذا ! قالوا : مَركَب[3] الخلافة ، قال :

---

(١) ب : « إليه الرسول » .
(٢) من ب .
(٣) ب : « مراكب » .

٢/١٣٤٥ دابتى أوفق لى ، وركب دابته . قال : فصرفت تلك الدوابّ[١] ، ثمّ أقبل سائراً ، فقيل : منزل الخلافة ، فقال : فيه عيال أبى أيوب وفى فسطاطى كفاية حتى يتحوّلوا ، فأقام فى منزله حتى فرّغوه بعدُ ؛ قال رجاء : فلما كان المساء من ذلك اليوم قال : يا رجاء ، ادعُ لى كاتباً ، فدعوتُه وقد رأيتُ منه كلّ ما سرّنى[٢] ، صنع فى المراكب ما صنع ، وفى منزل سليمان ؛ فقلتُ : كيف يصنع الآن فى الكتاب ؟ أيصنع نُسخاً ، أم ماذا ؟ فلما جلس الكاتب أملى عليه كتاباً واحداً من فيه إلى يد الكاتب بغير نُسخة ، فأملى أحسنَ إملاء وأبلغَه وأوجزَه ، ثمّ أمر بذلك الكتاب أن يُنسخ إلى كلّ بلد .

وبلغ عبدَ العزيز بن الوليد –وكان غائباً– موتُ سليمان بن عبد الملك ، ولم يعلم ببيعة الناس عُمَر بن عبد العزيز ، وعهدِ سليمان إلى عمر ، فعقد لواء ، ودعا إلى نفسه ، فبلغتْه بيعة الناس عمر بعهْد سليمان ، فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : قد بلغنى أنك كنتَ بايعتَ من قِبَلك ، وأردتَ دخولَ دمشق ، فقال : قد كان ذاك ، وذلك أنه بلغنى أنّ الخليفة سليمان لم يكن عقَد لأحد ، فخِفت على الأموال أن تُنتهَب ، فقال عمر : لو بويعتَ وقمتَ بالأمر ما نازعتُك ذلك ، ولقعدتُ فى بيتى ، فقال عبد العزيز : ما أحبّ أنه ولى هذا الأمر غيرُك . وبايع عمر بن عبد العزيز . قال : فكان يُرجى لسليمان بتوليته عمرَ بن عبد العزيز وترك ولده .

* * *

٢/١٣٤٦ وفى هذه السنة وجّه عمر بن عبد العزيز إلى مَسلَمة وهو بأرض الروم وأمرَه بالقُفول منها بمن معه من المسلمين ، ووجّه إليه خيلا عِتاقاً وطعاماً كثيراً ، وحثّ الناس على معونتهم ، وكان الذى وجّه إليه الخيل العِتاق – فيما قيل – خمسمائة فَرس .

* * *

وفى هذه السنة أغارت الترك على أذْربيجان ، فقتلوا من المسلمين جماعةً ، ونالوا منهم ، فوجّه إليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلىّ ،

---

(١) ر : « الخيول » .　(٢) ب : « يسرنى » .

فقتل أولئك الترك ، فلم [1] يُفلت منهم إلا اليسير ، فقدم منهم على عمرَ بُخناصرةَ بخمسين أسيراً .

***

وفيها عزل عمرُ يزيدَ بن المهلّب عن العراق ، ووجّه على البصرة وأرضها عدىّ بن أرطاة الفزارىّ ، وبعث على الكوفة وأرضِها عبدَ الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب الأعرج القرشىّ ، من بنى عدىّ بن كعب ، وضمّ إليه أبا الزّناد ، فكان أبو الزّناد كاتب عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وبعث عدىّ فى أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوجيه الحميرىّ .

***

وحجّ بالناس فى هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان عامل عمر على المدينة .

وكان عامل عمر على مكة فى هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله ابن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة وأرضِها عبد الحميد بن عبد الرّحمن ، وعلى البَصرة وأرضها عدىّ بن أرطاة ، وعلى خُراسانَ الجرّاح بن عبد الله .

٢/١٣٤٧ وعلى قَضاء البَصرة إياس بن معاوية بن قرّة المُزَنىّ ، وقد ولى فيما ذكر قبلَه الحسن بن أبى الحسن ، فشكا [2] ، فاستقصى إياس بن معاوية .

وكان على قضاء الكوفة — فى هذه السنة فيما قيل — عامر الشعبىّ . وكان الواقدىّ يقول : كان الشعبىّ على قضاء الكوفة أيامَ عمر بن عبد العزيز من قبَل عبد الحميد بن عبد الرحمن ، والحسن بن أبى الحسن البَصْرىّ على قضاء البَصْرة من قبَل عدىّ بن أرطاة ، ثمّ إن الحسن استعفَى من القضاء عَدِيًّا ، فأعفاه وولّى إياساً .

---

(١) ابن الأثير « ولم » .
(٢) ر : « فتشكى » .

ثم دخلت سنة مائة

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك خروج الخارجة التى خرجتْ على عمَر بن عبدالعزيز بالعراق .

* ذكر الخبر عن أمرهم :

ذكر محمد بن عمرَ أنّ ابن أبى الزّناد حدّثه ، قال :خرجتْ حَرُوريّة بالعراق ، فكتب عمرُ بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرّحمن بن زيد ابن الخطّاب عامل العِراق يأمرهأن يدعوهم إلى العمَل بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم . فلما أعذَر فى دعائهم بعث إليهم عبدُ الحميد جيشاً فهزمتْهم الحروريّة ، فبلغ عمر ، فبعث إليهم مَسلَمة بن عبد الملك فى جيش من أهل الشأم جهّزهم من الرّقة ، وكتب إلى عبد الحميد : قد بلغنى ما فعلَ جيشُك جيشُ السوء ، وقد بعثتُ مَسلَمة بنَ عبد الملك ، فخلِّ بينه وبينهم . فلقيهم مَسلَمة فى أهل الشأم ، فلم يَنْشَب أن أظهره الله عليهم . ۱۳٤۸/۲

* * *

[خبر خروج شوذب الخارجىّ]

وذكر أبو عُبيدةَ مَعمَر بن المثنى أنّ الذى خرج على عبد الحميد بن عبد الرّحمن بالعراق فى خلافة عمر بن عبد العزيز شَوْذَب – واسمه بِسطام من بنى يَشكُر– فكان مُخرَجه بجوخَى فى ثمانين فارساً أكثرُهم من ربيعة ، فكتب عمرُ بن عبد العزيز إلى عبد الحميد : ألّا تحرّكهم إلا أن يسفكوا دماً ، أو يُفسدوا فى الأرض ، فإن فعلوا فحُلْ بينهم وبين ذلك ، وانظر رجلاً صَليباً حازماً فوجّهْه إليهم ، ووجّه معه جنداً ، وأوصه بما أمرتك به . فعقد عبد الحميدُ لمحمد بن جرير بن عبد الله البَجَلىّ فى ألفَيْن من أهل الكوفة ،وأمره بما أمره به عمر ،وكتب عمر إلى بِسْطام يدعوه ويسأله عن مُخرَجه ، فقدم كتاب عمرَ عليه ، وقد قدم عليه محمد بن جرير ، فقام بإزائه لا يحرّكه

---

(۱) ب : « يلبث » .

ولا يهيّجه ، فكان فى كتاب عمر إليه : إنه بلغنى أنك خرجتَ غَضَبا لله ولنبيّه ، ولستَ بأولى بذلك منّى ، فهلمّ أناظرْك فإن كان الحقّ بأيدينا دخلْتَ فيما دخل فيه الناس ، وإن كان فى يدك نظرْنا فى أمرنا . فلم يحرّك بسطام شيئاً ، وكتب إلى عمر : قد أنصفت ، وقد بعثتُ إليك رجلين يُدارِسانك ويناظرانك — قال أبو عُبيدة : أحد الرّجلين اللذَين بعثهما شوذَب إلى عمر مَمْزوج مولَى بنى شيبان ، والآخر من صليبة بنى يَشكُر — قال : فيقال : أرسل نَفَراً فيهم هذان ، فأرسل إليهم عمر : أن اختاروا رجلين ، فاختاروهما ، فدخَلا عليه فناظَراه ، فقالا له : أخبِرْنا عن يزيد لِمَ تُقرّه خليفةً بعدَك ؟ قال : صيَّره غيرى ، قالا : أفرأيت لو وَلِيت مالاً لغيرك ثمّ وكَّلتَه إلى غير مأمون عليه ، أتُراك كنتَ أدّيت الأمانة إلى من ائتمَنَك ! قال : فقال : أنظِرانى ثلاثاً ، فخرجا مِن عندِه ، وخاف بنو مروان أن يُخرِج ما عندهم وفى أيديهم من الأموال ، وأن يَخلَع يزيدَ ، فدسوا إليه مَنْ سقاه سُمًّا ، فلم يَلبثْ بعد خروجهما من عندِه إلا ثلاثاً حتى مات .

٢/١٣٤٩

* * *

وفى هذه السنة أغزَى عمرُ بن عبد العزيز الوليدَ بن هشام المُعَيْطىّ وعمرَو ابن قيس الكِندىّ من أهل حِمص الصائفةَ .

وفيها شخَصَ عمرُ بن هُبيرة الفَزارىّ إلى الجزيرة عاملا لعمرَ عليها .

* * *

[خبر القبض على يزيد بن المهلّب]

وفى هذه السنة حُمل يزيد بن المهلب من العِراق إلى عمرَ بن عبد العزيز .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك ، وكيف وصل إليه حتى استوثق منه :

٢/١٣٥٠

اختَلَف أهلُ السيَر فى ذلك ، فأما هشام بنُ محمد فإنه ذكر عن أبى مخنَف أنّ عمر بنَ عبد العزيز لما جاء يزيدُ بنُ المهلب فنزل واسطاً ، ثم ركب السفن يريد البَصْرة ، بعث عدىّ بن أرطاة إلى البصرة أميراً ، فبعث عدىٌّ موسى بن الوجيه الحميرىّ ، فلحقه فى نَهر مَعقِل عند الجِسر ، جِسر

البَصرة فأوثَقه ، ثمّ بعث به إلى عمرَ بن عبد العزيز ، فقَدِم به عليه موسى ابن الوجيه ، فدعا به عمر بنُ عبد العزيز — وقد كان[١] عمر يَبغَض يزيدَ وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جَبابرة ، ولا أحبّ مِثلَهم ، وكان يزيد بن المهلب يَبغَض عمرَ ويقول : إنى لأظنه مرائيًا ، فلما ولى عمر عرف يزيدُ أن عمَر كان من الرّياء بعيداً . ولما دعا عمر يزيدَ سأله عن الأموال التى كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال : كنتُ من سليمان بالمكان الذى قد رأيت ، وإنما كتبتُ إلى سليمانَ لأسمِع الناسَ به ، وقد علمتُ أن سليمان لم يكن ليأخذَنى بشىء سمعت ، ولا بأمر أكرهه ، فقال له : ما أجد فى أمرك إلا حبسَك ، فاتّق الله وأدّ ما قِبلَك ، فإنها حقوقُ المسلمين ، ولا يَسَعُنى تَركُها ، فَردّه إلى مَحبِسه[٢] ، وبعث إلى الجرّاح بن عبد الله الحَكَمى فسرّحه إلى خُراسان ، وأقبل مخلد بن يزيدَ من خُراسان يُعطى الناسَ ، ولا يمرّ بكُورة إلا أعطاهم فيها أموالا عظامًا . ثمّ خرج حتى قدم على عمَر بن عبد العزيز ، فدخل عليه فحمِد الله وأثنى عليه ثمّ قال : إنّ الله يا أميرَ المؤمنين صنَع لهذه الأمة بِولايتك عليها ، وقد ابتُلينا بك ، فلا نكن أشقَى الناسِ بولايتك ، علاَم تَحبس هذا الشيخَ ! أنا أتحمل ما عليه ، فصالحْنى على[٣] ما إياه تسأل ، فقال عمر : لا . إلا أن تحمل جميعَ ما نسألُه إيّاه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كانت لك بيّنة فخذْ بها ، وإن لم تكن بيّنة فصدّق مقالَة يزيد ، وإلا فاستحلِفه ، فإن لم يفعل فصالحه . فقال له عمر : ما أجِد إلا أخذَه بجميع المال . فلما خرج مَخلَد قال : هذا خيرٌ عندى من أبيه ، فلم يَلبَث مخلد إلا قليلا حتى مات ، فلما أبى يزيد أن يؤدّىَ إلى عمرَ شيئًا ألبسه جُبّةً من صوف ، وحَمَلَه على جَمَل ، ثمّ قال : سيروا به إلى دَهْلَك ، فلما أخرِج فمُرّ به على الناس أخذ يقول : ما لى عشيرة ، ما لى يُذهَب بى إلى دَهْلَك ! إنما يُذهَب إلى دَهْلَك بالفاسق المُريب الخارب ، سبحان الله ! أما لى عشيرة ! فدخل على عمر سلامة بن نعيم

٢ / ١٣٥١

(١) س : « وكان » . (٢) ب ، س : « مجلسه » .
(٣) س : « عما إياه » .

الخولانىّ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ارْدُدْ يزيد إلى محبسه ؛ فإنى أخاف إن أمضيتَه أن ينتزعه قومه[١] ؛ فإنى قد رأيتُ قومَه غَضِبوا له. فردّه إلى محبسه ، فلم يزل فى محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر . ٢ / ١٣٥٢

وأما غير أبى مخنف فإنه قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدىّ ابن أرطاة يأمره بتوجيه يزيد بن المهلب ،ودفعه إلى مَنْ بعين التمر من الجند ، فوجّهه عدىّ بن أرطاة مع وكيع بن حسان بن أبى سُود التميمىّ مغلولا مقيّداً فى سفينة ، فلما انتهى به إلى نهر أبان ، عرض لوكيع ناس من الأزد لينتزعوه منه ، فوثب وكيع فانتضى سيفَه ، وقطع قَلْس السفينة ، وأخذ سيف يزيد ابن المهلب ، وحلَف بطَلاق امرأته ليضربنّ عنقه إن لم يتفرقوا ، فناداهم يزيد بن المهلب ، فأعلمهم يمين وكيع ، فتفرّقوا، ومضى به حتى سلّمه إلى الجند الذين بعيْن التّمر ، ورجع وكيع إلى عدىّ بن أرطاة ، ومضى الجند الذين بعين التّمْر بيزيد بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز ، فحبسه فى السجن .

* * *

[عزل الجرّاح بن عبد الله عن خراسان]

قال أبوجعفر : وفى هذه السنة عزل عمر بن عبدالعزيز الجرّاح بن عبد الله عن خراسان، وولاها عبد الرحمن بن نعيم القشيرىّ[٢]، فكانت ولاية الجرّاح بخراسان سنة وخمسة أشهر ، قدمها سنة تسع وتسعين ، وخرج منها لأيام بقيت من شهر رمضان سنة مائة .

* ذكر سبب عزل عمر إياه :

وكان سبب ذلك – فيما ذكر علىّ بن محمد عن كليب بن خلف، عن إدريس بن حنظلة ، والمفضّل عن جدّه ، وعلىّ بن مجاهد عن خالد ابن عبد العزيز ؛ أن يزيد بن المهلب ولّى جَهْم بن زَحْر جُرجان حين شخص عنها ، فلما كان من أمر يزيد ما كان وجّه عامل العراق من العراق واليًا على جرجان، فقدم الوالى عليها من العراق ، فأخذه جَهْم فقيّده وقيّد ٢ / ١٣٥٣

(١) ب : « أهله » .
(٢) هو عبد الرحمن بن نعيم الغامدى الأزدى ،وانظر ص ٥٦١.

رهطًا قدموا معه ، ثم خرج فى خمسين من اليمن يريد الجرّاح بخراسان ، فأطلق أهل جُرجان عاملَهم ، فقال الجراح لجهم : لولا أنك ابنُ عمِّى لم أسوّغك هذا ، فقال له جَهْم : ولولا أنك ابنُ عمى لم آتك — وكان جهم سِلْفَ الجراح من قِبَل ابنتى حصين بن الحارث وابن عمّه ، لأنّ الحكم وجعفىّ ابنا سعد — فقال له الجرّاح : خالفتَ إمامك ، وخرجت عاصيًا ، فاغزُ لعلك أن تظفر ، فيصلح أمرك عند خليفتك . فوجّهه إلى الخُتَّل ، فخرج ، فلما قرب منهم سار متنكِّراً فى ثلاثة ، وخلّف فى عسكره ابن عمّه القاسم بن حبيب —وهو ختَنُه على ابنته أم ّالأسود — حتى دخل على صاحب الخُتَّل فقال له : أخْلِنى ، فأخلاه ، فاعتزى ، فنزل صاحب الخُتَّل عن سريره وأعطاه حاجته — ويقولون : الخُتل موالى النعمان—وأصاب مغنماً ؛ فكتب الجرّاح إلى عمر : وأوفد وفداً ؛ رجلين من العرب ، ورجلا من الموالى من بنى ضَبَّة ، ويكنى أبا الصيداء واسمه صالح بن طريف ، كان فاضلا فى دينه . وقال بعضهم : المولّى سعيد أخو خالد أو يزيد[1] النحوىّ . فتكلّم العربيان والآخر جالس ، فقال له عمرُ : أما أنت من الوفد ؟ قال : بلى ، قال : فما يمنعك من الكلام ! قال : يا أمير المؤمنين ، عشرون ألفًا من الموالى يَغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذّمة يُؤخذون بالخراج ، وأميرنا عصبىّ جافٍ يقوم على منبرنا ، فيقول : أتيتكم حفيًّا ، وأنا اليوم عصبىّ ! والله لرجلٌ من قومى أحبّ إلىّ من مائة من غيرهم . وبلغ من جفائه أنّ كُمّ درعه يبلغ نصف درعه ، وهو بعد سيف من سيوف الحجاج ، قد عمل بالظلم والعدوان . فقال عمر : إذن مثلك فليوفَد . ٢ / ١٣٥٤

وكتب عمر إلى الجرّاح : انظر مَنْ صلّى قِبَلَك إلى القبلة ، فضع عنه الجزية . فسارع الناس إلى الإسلام ، فقيل للجرّاح : إنّ الناس قد سارعوا إلى الإسلام ، وإنما ذلك نفوراً من الجزية ؛ فامتحنهم بالختان .

فكتب الجرّاح بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إن الله بعث محمداً صلى الله عليه داعيًا ولم يبعثه خاتنًا . وقال عمر : ابغونى رجلا صدوقًا ،

---

(١) ب : « ويزيد » .

أسأله عن خراسان ، فقيل له : قد وجدته ، عليك بأبى مجلز . فكتب إلى الجرّاح : أن أقبل واحمل أبا مجلز وخلّف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نُعَيم الغامدىّ(١). وعلى جزيتها عبيد الله — أو عبد الله — بن حبيب .

فخطب الجرّاح فقال : يا أهل خراسان ، جئتكم فى ثيابى هذه التى علىّ وعلى فرسى ، لم أصب من مالكم إلا حلية سيفى — ولم يكن عنده إلا فرس قد شاب وجهه ، وبغلة قد شاب وجهها ؛ فخرج فى شهر رمضان واستخلف عبد الرحمن بن نعيم ، فلما قدم(٢) قال له عمر : متى خرجت ؟ قال : فى شهر رمضان ، قال : قد صدق مَن وَصَفك بالجفاء ، هلاّ أقمت حتى تُفْطِرَ ثمّ تخرج ! وكان الجرّاح يقول : أنا والله عصبىّ عقبىّ — يريد من العصبيّة .

١٣٥٥/٢

وكان الجرّاح لما قدم خراسان كتب إلى عمر : إنى قدمت خراسان فوجدت قومًا قد أبطرتهم الفتنة فهم يَنزُون فيها نزواً ، أحبّ الأمور إليهم أن تعود ليمنعوا حقّ الله عليهم ، فليس يكفّهم إلا السيف والسوط ، وكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك . فكتب إليه عمر :

يا بن أمّ الجرّاح ، أنت أحرصُ على الفتنة منهم ؛ لا تضربنّ مؤمنًا ولا معاهداً سوطًا إلاّ فى حقّ ، واحذر القصاص فإنك صائر إلى من يَعْلم خائنة الأعيُنِ وما تخْفى الصُّدور ، وتقرأ كتابًا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

ولما أراد الجرّاح الشخوص من خراسان إلى عمر بن عبد العزيز أخذ عشرين ألفًا . وقال بعضهم : عشرة آلاف من بيت المال . وقال : هى علىّ سلفًا حتى أؤديها إلى الخليفة ، فقدم على عمر ، فقال له عمر : متى خرجت ؟ قال : لأيام بقِين من شهر رمضان ، وعلىّ دين فاقضه ؛ قال : لو أقمت حتى تفطِر ثم خرجت قضيت عنك . فأدى عنه قومه فى أعطياتهم(٣) .

* * *

(١) ب : « العامرى » .
(٢) ب : « خرج » .
(٣) ب : « وأعطى أعطياتهم » .

٢/١٣٥٦

ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبدَ الرحمن بن نعيم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيريّ خُراسان

وكان سبب ذلك — فيما ذُكِر لى — أنّ الجرّاح بن عبد الله لما شُكِيَ، واستقدمه عمر بن عبد العزيز، فقدم عليه عزّله عن خراسان لما قد ذكرت قبل.

ثم إنّ عمر لما أراد استعمال عامل على خراسان، قال — فيما ذكر علىّ ابن محمد عن خارجة بن مصعب الضبعىّ وعبد الله بن المبارك وغيرهما: ابغونى رجلا صدوقًا أسأله عن خُراسان، فقيل له: أبو مِجْلز لاحق بن حميد، فكتب فيه، فقدم عليه — وكان رجلا لا تأخذه العين — فدخل أبو مِجْلز على عمر فى جَفَّة[1] الناس، فلم يُثْبِتْه[2] عمرُ. وخرج مع الناس فسأل عنه فقيل: دخل مع الناس ثم خرج، فدعا به عمر فقال: يا أبا مِجْلز، لم أعرفك، قال: فهلا أنكرتَنى إذ لم تعرفنى! قال: أخبرْنى عن عبد الرحمن بن عبد الله، قال: يكافئ الأكفاء، ويعادى الأعداء، وهو أمير يفعل ما يشاء، ويقدم إن وجد من يساعده. قال: عبد الرحمن بن نعيم، قال: ضعيف ليّن يحبّ العافية، وتأتى له، قال: الذى يحبّ العافية وتأتى له أحبّ إلىّ، فولاه الصّلاة والحرب، وولّى عبد الرحمن القشيرىّ، ثم أحد بنى الأعور بن قشير الخراج، وكتب إلى أهل خراسان: إنى استعملتُ عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله على خراجكم عن غير معرفة منى بهما ولا اختيار، إلا ما أخبِرتُ عنهما؛ فإن كانا على ما تحبّون فاحمدوا الله، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢/١٣٥٧

قال علىّ: وحدّثنا أبو السرىّ الأزدىّ، عن إبراهيم الصائغ، أن عمر ابن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم:

أما بعدُ، فكن عبداً ناصحًا لله فى عباده، ولا يأخذك فى الله لومة لائم؛ فإنّ الله أوْلى بك من الناس، وحقّه عليك أعظم، فلا تولّينّ شيئًا من أمر المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيما استُرعِيَ،

---

(١) جفة الناس: جماعتهم.　(٢) لم يثبته: لم يعرفه حق المعرفة.

وإياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحقّ ، فإنّ الله لا تخفى عليه خافية ، ولا تذهبنّ عن الله مذهبًا ؛ فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه .

قال عليّ ، عن محمد الباهليّ وأبى نهيك بن زياد وغيرهما : إن عمر بن عبد العزيز بعث بعهد عبد الرحمن بن نُعَيم على حرب خراسان وسجستان مع عبد الله بن صخر القرشيّ ، فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز ، وبعد ذلك حتى قُتل يزيد بن المهلّب ، ووجّه مسلمة سعيدَ بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم ، فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف ، وليَها فى شهر رمضان من سنة مائة ، وعزل سنة اثنتين ومائة ، بعد ما قتل يزيد بن المهلب .

قال عليّ : كانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستّة عشر شهراً .

* * *

أوّل الدّعوة

٢ / ١٣٥٨

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة — أعنى سنة مائة — وجّه محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس من أرض الشراة مَيْسرة إلى العراق ، ووجّه محمد بن خُنَيْس وأبا عكرمة السراج - وهو أبو محمد الصادق - وحيّان العطار خال إبراهيم ابن سلمة إلى خراسان ، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكميّ من قِبَل عمر بن عبد العزيز ، وأمرهم بالدّعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا مَن لقوا ، ثم انصرفوا بكُتُبِ مَن استجاب لهم إلى محمد بن عليّ ، فدفعوها إلى ميسرة ، فبعث بها مَيْسرة إلى محمد بن عليّ ، واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن عليّ اثنى عشر رجلا ، نُقباء[1] ، منهم سليمان ابن كثير الخزاعيّ ، ولاهز بن قريظ التميميّ ، وقحطبة بن شبيب الطائيّ ، وموسى بن كعب التميميّ ، وخالد بن إبراهيم أبو داود ، من بنى عمرو بن شيبان بن ذُهْل ، والقاسم بن مجاشع التميميّ وعمران بن إسماعيل أبو النجم ، مولًى لآل أبى مُعيط ومالك بن الهيثم الخزاعيّ وطلحة ابن رُزَيْق الخزاعى وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى لخزاعة . وشِبْل بن طهمان أبو عليّ الهرويّ ؛ مولًى لبنى حنيفة ، وعيسى بن أعين مولى خزاعة ؛ واختار . سبعين رجلا ، فكتب إليهم محمد بن عليّ كتابًا ليكون لهم مثالا وسيرة يسيرون بها .

---

(١) س : « نقيباً » .

* * *

وحج بالناس فى هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، حدّثنى ٢ / ١٣٥٩ بذلك أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر .

وكذلك قال الواقدىّ .

وكان عمّال الأمصار فى هذه السنة العمال فى السنة التى قبلها ، وقدذكرناهم قبلُ ما خلا عامل خراسان؛ فإنّ عاملها كان فى آخرها عبد الرحمن بن نُعيم على الصّلاة والحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج .

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر هرب يزيد المهلب من سجنه]

فمن ذلك ما كان من هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز .

* ذكر الخبر عن سبب هربه منه وكيف كان هربه منه :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مِخنَف ، أن عمر بن عبد العزيز لما كُلِّم في يزيد بن المهلب حين أراد نفيَه إلى دَهْلَك ، وقيل له : إنا نخشى أن ينتزعه قومه ، ردّه إلى محبسه . فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر ، فأخذ يعمل بعد في الهرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك ؛ لأنه كان قد عذّب أصهاره آل أبي عَقِيل — كانت أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف عند يزيد بن عبد الملك ، فولدت له الوليد بن يزيد المقتول — فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعنّ منه طابقًا فكان يخشى ذلك ، فبعث يزيد بن المهلب ١٣٦٠/٢ إلى مواليه ، فأعدّوا له إبلا ؛ وكان مرض عمر في دَيْر سَمْعان ، فلما اشتدّ مرض عمر أمر بإبله ، فأُتِيَ بها ، فلما تبيّن له أنه قد ثقُل نزل من محبسه ، فخرج حتى مضى إلى المكان الذي واعدهم فيه ؛ فلم يجدهم جاءوا ، فجزِع أصحابه وضجروا ، فقال لأصحابه : أترَوْنني أرجع إلى السجن ! لا والله لا أرجع إليه أبداً . ثم إن الإبل جاءت ، فاحتمل ، فخرج ومعه عاتكة امرأته ابنة الفرات ابن معاوية العامرية من بني البكّاء في شقّ المحمل ، فمضى .

فلما جاز كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إني والله لو علمتُ أنك تبقى ما خرجتُ من محبسي ؛ ولكني لم آمن يزيدَ بن عبد الملك . فقال عُمر : اللهمّ إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شرًّا فاكفهم شرّه ، واردد كيده في نحره . ومضى يزيد بن المهلب حتى مرّ بحدث الزّقاق ، وفيه الهذيل بن زُفر معه قيس ،

فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مرّ بهم ، فأصابوا طَرَفاً من ثَقَله وغِلْمة من وصفائه ، فأرسل الهذيل بن زُفَر فى آثارهم ، فردّهم فقال : ما تطلبون ؟ أخبرونى ، أتطلبون يزيد بن المهلّب أو أحداً من قومه بتَبْل ؟ فقالوا : لا ، ٢ / ١٣٦١ قال : فما تريدون ؟ إنما هو رجل كان فى إسارٍ ، فخاف على نفسه فهرب .

وزعم الواقدىّ أن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر .

* * *

[خبر وفاة عمر بن عبد العزيز]

وفى هذه السنة توفِّىَ عمر بن عبد العزيز ، فحدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، قال : توفىَ عمر بن عبد العزيز لخمس ليال بقِين من رجب سنة إحدى ومائة .

وكذلك قال محمد بن عمر ، حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى عمرو بن عثمان ، قال : مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة .

وقال هشام عن أبى مخنف : مات عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لخمس بقِين من رجب بدير سَمْعان فى سنة إحدى ومائة ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر . ومات بدير سَمْعان .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى عمّى الهيثم بن واقد ، قال : وُلدتُ سنة سبع وتسعين ، واستخلف عمر بن عبد العزيز بدابِق يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين ، فأصابنى من قسمه ثلاثة دنانير ، وتوفى بخُناصرة يوم الأربعاء لخمس ليال ٢ / ١٣٦٢ بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وكان شَكْوُه عشرين يومًا ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، ودفن بدير سَمْعان .

وقد قال بعضهم : كان له يوم توفّى تسع وثلاثون سنة ، وخمسة أشهر .

وقال بعضهم : كان له أربعون سنة .

وقال هشام : توفى عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر ، وكان يكنى أبا حفص وله يقول عـُويف القوافى . وقد حضره فى جنازة شهدها معه :

أَجِبْنِى أَبا حفصٍ لَقِيتَ محمَّدًا   على حَوْضِهِ مُسْتَبْشِرًا ورَآكَا[1]
فأَنت امْرُؤٌ كِلتَا يديك مُفِيدَةٌ   شمالكَ خيرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَا

وأمّه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان يقال له : أشجّ بنى أمية ، وذلك أن دابة من دوابّ أبيه كانت شجّته فقيل له : أشجّ بنى أميّة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا سليمان بن حرب ، قال : حدّثنا المبارك بن فضالة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، قال : كنتُ أسمع ابن عمر كثيراً يقول : ليت شعرى مَنْ هذا الذى مِنْ ولد عمر ، فى وجهه علامة ، يملأ الأرض عدلا !

وحُدّثت عن منصور بن أبى مزاحم ، قال : حدّثنا مروان بن شجاع ، عن سالم الأفطس ، أن عمر بن عبد العزيز رمحته[2] دابة وهو غلام بدمشق ، فأتيتْ به أمه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، فضَمّتْه إليها ، وجعلت تمسح الدم عن وجهه[3] . ودخل أبوه عليها على تلك الحال ، فأقبلت عليه تعذُله وتلومه ، وتقول : ضيّعت ابنى ، ولم تضمّ إليه خادمًا ولا حاضنًا[4] يحفظه من مثل هذا ! فقال لها : اسكتى يا أمّ عاصم ، فطوباك إذ كان أشجّ بنى أمية ! ١٣٦٣/٢

* * *

ذكر بعض سِيَره

ذكر علىّ بن محمد أن كليب بن خلف حدّثهم عن إدريس بن حنظلة ، والمفضل ، عن جدّه ، وعلىّ بن مجاهد عن خالد : أن عمر بن عبد العزيز كتب حين ولى الخلافة إلى يزيد بن المهلّب :

---

(١) الأغانى ١٧ : ١١٠ . (٢) س : « وضحته » .
(٣) ب : « من وجهه » . (٤) ب : « حاضنا ولا خادماً » .

أما بعد ، فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله أنعم الله عليه ، ثم قبضه واستخلفني ، ويزيد بن عبد الملك من بعدي إن كان ، وإن الذي ولاني الله من ذلك وقدّر لي ليس علىّ بهيّن ، ولو كانت رغبتي في اتخاذ أزواج واعتقاد[١] أموال ، كان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلقه ، وأنا أخاف فيما ابتليتُ به حساباً شديداً ، ومسألة غليظة ، إلا ما عافى الله ورحم ، وقد بايع مَنْ قِبَلَنا فبايع مَنْ قِبَلَك.

فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب ، ألقاه إلى أبي عيينة ، فلما قرأه قال : لستُ من عمّاله ، قال : ولم ؟ قال : ليس هذا كلام مَنْ مضى من أهل بيته ، وليس يريد أن يسلك مسلكهم . فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا[٢] . ١٣٦٤/٢

قال : ثم كتب عمر إلى يزيد استخلف على خراسان ، وأقبل ، فاستخلف ابنه مخلداً .

قال علىّ : وحدثنا علىّ بن مجاهد ، عن عبد الأعلى بن منصور ، عن ميمون بن مِهران ، قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أنّ العَمَل والعلم قريبان ، فكن عالماً بالله عاملاً له ، فإنّ أقواماً علموا ولم يعملوا ، فكان علمُهم عليهم وبالاً .

قال وأخبرنا مصعب بن حيّان ، عن مقاتل بن حيّان ، قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن :

أما بعد ، فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين .

قال علىّ : أخبرنا كليب بن خلف ، عن طفيل بن مرداس ، قال : كتب عمر إلى سليمان بن أبي السرىّ ، أن اعمل خانات في بلادك فمن مرّ بك من المسلمين فاقرُوهم يوماً وليلة ، وتعهّدوا دوابّهم ، فمن كانت به علة فاقْرُوه يومين وليلتين ، فإن كان منقطعاً به فقوّوه بما يصل به إلى بلده .

فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان : إن قتيبة غَدَر بنا ، وظلمنا وأخذ بلادنا ، وقد أظهر الله العدل والإنصاف ، فائذن لنا فليفِدْ[٣] منّا وفد

(١) ب وابن الأثير : « اعتقال » . (٢) ب : « فبايعوه » .
(٣) ب : « فليقدم » .

إلى أمير المؤمنين يشكون ظُلامتنا ، فإن كان لنا حق أعطيناه ، فإنّ بنا إلى ذلك حاجة . فأذن لهم ، فوجّهوا منهم قومًا ، فقدموا على عمر ، فكتب لهم عمر إلى سليمان ابن أبى السرىّ :

٢/١٣٦٥

إن أهل سمرقند قد شكَوا إلىّ ظلمًا أصابهم . وتحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم ، فإذا أتاك كتابى فأجلس لهم القاضى ، فلينظر فى أمرهم ، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة .

قال : فأجلس لهم سليمان جُمَيْع بن حاضر القاضى الناجىّ ، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء ، فيكون صلحًا جديدًا أو ظفرًا عنوةً ، فقال أهل السُّغْد : بل نرضى بما كان ، ولا نجدّد حربًا . وتراضوا بذلك ، فقال أهل الرأى : قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم ، وأمِنونا وأمنّاهم ، فإن حُكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندرى لمن يكون الظفر . وإن لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة فى المنازعة . فتركوا الأمر على ما كان ، ورضوا ولم ينازعوا .

قال : وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقفال مَنْ وراء النهر من المسلمين بذراريّهم . قال : فأبوا وقالوا : لا يسعنا مَرْو . فكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه عمرُ : اللهمّ إنى قد قضيت الذى علىّ ، فلا تغزُ بالمسلمين ، فحسْبُهم الذى قد فتح الله عليهم .

٢/١٣٦٦

قال : وكتب إلى عقبة بن زرعة الطائىّ – وكان قد ولّاه الخراج بعد القُشَيْرِىّ : إنّ للسلطان أركانًا لا يثبت إلا بها ، فالوالى رُكنٌ ، والقاضى ركنٌ ، وصاحب بيت المال ركنٌ ، والركن الرابع أنا ، وليس من ثغور المسلمين ثغر أهمّ إلىّ ، ولا أعظم عندى من ثغر خُراسان ، فاستوعِب الخراج وأحرِزْه فى غير ظلم ، فإن يك كَفافًا لأعطياتهم فسبيل ذلك ، وإلا فاكتب إلىّ حتى أحمل إليك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم .

قال : فقدم عُقْبة فوجد خراجهم يفضُل عن أعطياتهم ، فكتب إلى

عمر فأعلمه ، فكتب إليه عمر : أن اقسم الفضل فى أهل[١] الحاجة .

وحدّثنى عبد الله بن أحمد بن شبّوية ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : سمعت عبد الله يقول عن محمد بن طلحة ، عن داود ابن سليمان الجُعفىّ ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز[٢] :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد ، سلام عليك ؛ أما بعد ؛ فإنّ أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدّة وجَوْر فى أحكام الله وسنّة خبيثة استنّها[٣] عليهم عمال السوء ، وإن قَوام الدّين العدلُ والإحسان ، فلا يكوننّ شىء أهمّ إليك من نفسك ؛ فإنه لا قليلَ من الإثم . ولا تحمل خرابًا على عامر ، ولا عامراً على خراب ، انظر الخراب[٤] فخذ منه ما أطاق ، وأصلحه حتى يعمر ، ولا يؤخذ[٥] من العامر إلا وظيفة الخراج فى رِفْق وتسكين لأهل الأرض ، ولا تأخذنّ فى الخراج إلا وزن سبعة ليس لها آيين ولا أجور الضرابين ، ولا هدّية النيروز والمِهرجان[٦] ، ولا ثمن الصُّحُف ، ولا أجور الفيوج[٧] ، ولا أجور البيوت ، ولا دراهم النكاح ، ولا خراجَ على من أسلم من أهل الأرض ؛ فاتّبع فى ذلك أمرى ؛ فإنى قد وليتك من ذلك ما ولّانى الله ، ولا تعجل دونى بقطع ولا صلب ؛ حتى تراجِعَنى فيه ، وانظر مَن أراد من الذرّية أن يحجّ ، فعجل له مائة يحجّ بها ، والسلام .

١٣٦٧/٢

حدّثنا عبد الله بن أحمد بن شبّوية ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدّثنا سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن شهاب بن شريعة المجاشعىّ ، قال : ألحق عمر بن عبد العزيز ذرارىّ الرّجال الذين فى العطايا[٨] أقرِع بينهم ، فمن

---

(١) ب : « ذوى » .
(٢) بعدها فى ب : « كتاباً » .
(٣) ابن الأثير : « سنها » ، وفى ط « اسنتها » ، تحريف .
(٤) ب : « إلى الخراب » . (٥) ب : « ولا يؤخذن » .
(٦) النيروز : اسم أول يوم فى السنة ؛ وهو عند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل ، وعند القبط أول توت ، معرب « نوروز » ، أى اليوم الجديد . والمهرجان : عيد للفرس عند نزول الشمس أول الميزان .
(٧) الفيوج : جمع فيج ؛ وهو رسول السلطان الذى يسعى بالكتب .
(٨) س : « العطاء » .

أصابته القُرعة جعله فى المائة ، ومَنْ لم تُصبه القُرعة جعله فى الأربعين ، وقسم فى فقراء أهل البصرة كلّ إنسان ثلاثة دراهم ؛ فأعطى الزّمنَى خمسين خمسين . قال : وأراه رزق الفَطْم[1] .

حدّثنى عبد الله ، قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنا الفُضيل ، عن عبدالله قال : بلغنى أنّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الشأم :

١٣٦٨/٢ سلام عليكم ورحمة الله ، أمّا بعد ؛ فإنه مَنْ أكثر ذكر الموت قل كلامُه ، ومن علم أن الموت حقّ رضى باليسير ، والسلام[2] .

قال علىّ بن محمد : وقال أبو مجْلز لعمر : إنك وضعتنا بمنقطع التراب ، فاحمل إلينا الأموال . قال : يا أبا مجلز : قلبتَ الأمر ، قال : يا أمير المؤمنين أهو لنا أم لك ؟ قال : بل هو لكم إذا قَصّر خراجكم عن أعطياتكم ، قال : فلا أنت تحمله إلينا ، ولا نحمله إليك ، وقد وضعت بعضه على بعض . قال : أحمله إليكم إن شاء الله .

ومرض من ليلته فمات من مرضه . وكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهراً .

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة توفى عمارة بن أكيْمة الليثىّ ، ويكنى أبا الوليد ، وهو ابن تسع وسبعين .

* * *

زيادة فى سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبى جعفر

إلى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهْمى ، قال : حدّثنا رجل فى مسجد الحُنابذ ، أنّ عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخُناصِرة ، فقال : أيّها الناس ، إنكم لَمْ تُخْلَقوا عَبَثًا ، ولن تُترَكوا سُدًى ؛ وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم ، وقد خاب وخسر مَنْ خرج من رحمة الله التى وسِعت كلّ شىء ، وحُرِم الجنة التى عرضُها السمواتُ والأرضُ . ألا واعلَموا

---

(١) ب : « الفطر » . (٢) ب : « السلام عليكم » .

١٣٦٩/٢ أنما الأمان غداً لمن حذر الله وخافه ، وباع نافداً[1] بباق ، وقليلا بكثير ، وخوفًا بأمان . ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك حتى ترد[2] إلى خير الوارثين ! وفى كل يوم تشيعون غادياً ورائحًا إلى الله قد قضى نحبَه ، وانقضى أجله ، فتغيّبونه فى صَدْع من الأرض ، ثم تَدَعونه غير موسَّد ولا ممهَّد ، قد فارق الأحبّة ، وخلع الأسبابَ ، فسكن التراب وواجه الحساب ، فهو مرتهَن بعمله ، فقير إلى ما قدّم ، غنىّ عمّا ترك . فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه . وايم الله إنى لأقولُ لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى ؛ فأستغفر الله وأتوب إليه . وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة إلا أحببت أن أسدّ من حاجته ما قدرتُ عليه ، وما منكم أحد يسعه ماعندنا إلا وددتُ أنه سَدَاى[3] ولحمتى ، حتى يكون عيشنا وعيشه سواء . وايم الله أن لو أردت غير هذا من الغَضارة والعيش ؛ لكان اللسان منى به ذلولا عالمًا بأسبابه ، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنّة عادلة ، يدلّ فيها على طاعته ، وينهى عن معصيته .

ثم رفع طرف ردائه فبكى حتى شهق وأبكى النّاس حوله ، ثم نزل فكانت إياها لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله[4] .

١٣٧٠/٢ روى خلف بن تميم ، قال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن سعد ، قال : بلَغَنى أنّ عمر بن عبد العزيز مات ابنٌ له ، فكتب عامل له يعزّيه عن ابنه ، فقال لكاتبه : أجبه عنى ، قال : فأخذ الكاتب يبرِى القلم ، قال : فقال للكاتب : أدِقّ القَلم ، فإنه أبقى للقرطاس ، وأوجز للحروف ، واكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإنّ هذا الأمر أمرٌ قد كنا وطّنّا أنفسنا عليه ، فلمّا نزل لم ننكره[5] ، والسلام .

روى منصور بن مزاحم ، قال : حدّثنا شعيب — يعنى ابن صفوان — عن ابن عبد الحميد ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : مَنْ وصل أخاه بنصيحة له فى دينه ، ونظر له فى صلاح دنياه ، فقد أحسن صلته ، وأدّى واجب

(١) البيان والتبيين : « فانتا » . (٢) البيان : « تردوا » .
(٣) ط : « ساواى » . البيان : « إن يده مع يدى ، ولحمى الذين يلوننى » .
(٤) البيان والتبيين ٢ : ١٢١ . (٥) ط : « نذكره » .

حقّه ؛ فاتقوا الله، فإنها نصيحة لكم فى دينكم ، فاقبلوها ، وموعظة منجية فى العواقب فالزموها . الرزق مقسوم فلن يغدر المؤمن ما قسم له ، فأجملوا فى الطلب ، فإنّ فى القنوع سـَعة وبُلْغة وكـَفافًا ، إن أجل الدنيا فى أعناقكم ، وجهم أمامكم، وما ترون ذاهب ، وما مضى فكأن لم يكن ، وكلٌ أمواتٌ عن قريب ، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق ؛ وبعد فراغه وقد ذاق الموت ، والقوم حوله يقولون: قد فرغ رحمه الله! وعاينتم تعجيلَ إخراجه، وقسمة تُراثه ووجهه مفقود ، وذكره منسىّ ، وبابه مهجور ، وكأن لم يخالط إخوان الحفاظ ، ولم يعمر الديار ، فاتّقوا هول يوم لا تُحْقَر فيه مثقال ذرّة فى الموازين .

روى سهل بن محمود ؛ قال : حدّثنا حرملة بن عبد العزيز ، قال : حدّثنى أبى ، عن ابن لعمر بن عبد العزيز ، قال : أمرنا عمرُ أن نشترى موضع قبره ، فاشتريناه من الراهب ، قال : فقال بعض الشعراء[1] : ٢ / ١٣٧١

أقولُ لما نعَى النّاعُونَ لى عمَرا ... لا يَبعَدَنَّ قِوامُ العدْل والدِّين

قَدْغادَرَ القومُ باللحد الذى لحدوا ... بِدَيْر سَمْعَان قسطاسَ الموازِينِ

روى عبد الرحمن بن مهدىّ، عن سفيان ، قال : قال عمر بن عبدالعزيز : من عمِل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومَنْ لم يعدّ كلامه من عمله كثرت ذنوبه، والرّضا قليل، ومُعـَوّل المؤمن الصبر ، وما أنعم الله على عبد نعمةً ثم انتزعها منه فأعاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [2].

وقدم كتابُه على عبد الرحمن بن نعيم :

٢/١٣٧٢ لا تهدموا كنيسة ولا بِيعة ولا بيت نار صولحتم عليه ، ولا تُحدِثنّ كنيسة ولا بيت نار ، ولا تجرّ الشاة إلى مذبحها، ولا تحدّوا الشّفْرة على رأس الذّبيحة، ولا تجمعوا بين الصلاتين إلا من عُذْر .

روى عفّان بن مسلم ، عن عثمان بن عبد الحميد ، قال : حدّثنا أبى ،

---

(١) ابن الأثير : « فقال كثير عزة » . وهما من ثلاثة أبيات فى الكامل ٢ : ٢٧٧ من غير نسبة .

(٢) سورة الزمر: ١٠ .

قال : بلغنا أنّ فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت : اشتدّ علَزُه[١] ليلةً ، فسهر وسهرنا معه ، فلما أصبحنا أمرت وصيفًا له يقال له مرثِد ، فقلتُ له : يا مرثِد ، كنْ عند أمير المؤمنين ، فإن كانت له حاجة كنتَ قريبًا منه . ثم انطلقنا فضربنا برءوسنا لطول سهرنا ، فلما انفتح النهار استيقظت فتوجهت إليه ، فوجدت مرثِداً خارجًا من البيت نائمًا ، فأيقظته فقلت : يا مرثِد ، ما أخرجك؟ قال : هو أخرجني ، قال : يا مرثِد ؛ اخرج عني ! فوالله إني لأرى شيئًا ما هو بالإنس ولا جان ، فخرجت فسمعته يتلو هذه الآية : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢] ، قال : فدخلت عليه فوجدته قد وجّه نفسه ، وأغمض عينيه ، وإنه لميّت . رحمه الله[٣] .

---

(١) فى اللسان : « العلز : شبه رعدة تأخذ المريض أو الحريص على الشيء ، كأنه لا يستقر فى مكانه من الوجع » .
(٢) سورة القصص : ٨٣ .
(٣) فى حاشية ب : « تم الفصل من الزيادة وعاد ترتيب أبى جعفر من ها هنا » .

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

وفيها ولى يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وكنيته أبو خالد ، وهو ابن تسع وعشرين سنة فى قول هشام بن محمد ؛ ولما ولى الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، وولّاها عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفهرىّ ، فقدمها — فيما زعم الواقدىّ — يوم الأربعاء لليال بقين من شهر رمضان فاستقضى عبدُالرحمن سلمةَ بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومىّ . ١٣٧٣/٢

وذكر محمد بن عمر أنّ عبد الجبار بن عُمارة حدّثه عن أبى بكر بن حزْم، أنه قال : لما قدِم عبدُ الرحمن بن الضحاك المدينةَ وعزلنى ، دخلت عليه ، فسلّمتُ فلم يُقبل علىّ ، فقلتُ : هذا شىء لا تملكه قريش للأنصار[1] ، فرجعت إلى منزلى وخفتُه — وكان شابًّا مقدامًا — فإذا هو يبلغنى عنه أنه يقول : ما يمنع ابن حزْم أن يأتيى إلا الكِبْر ، وإنى لعالم بخيانته ؛ فجاءنى ما كنت أحذر وما أستيقن من كلامه ، فقلت للذى جاءنى بهذا : قل له : ما الخيانة لى بعادة ، وما أحبّ أهلها ، والأمير يحدّث نفسه بالخلود فى سلطانه ، كم نزل هذه الدار من أمير وخليفة قبل الأمير فخرجوا منها وبقيت آثارهم أحاديث إن خيراً فخيراً وإن شرًّا فشرًّا ! فاتّق الله ولا تسمع قول ظالم أو حاسد على نعمة .

فلم يزل الأمر يترقى بينهما ، حتى خاصم إليه رجل من بنى فِهْر وآخر من بنى النجّار — وكان أبو بكر قضى للنجارىّ على الفِهرىّ فى أرض كانت بينهما نصفين ، فدفع أبو بكر الأرضَ إلى النجارىّ — فأرسل الفهرىّ إلى النّجارىّ وإلى أبى بكر بن حزم ، فأحضرهما ابنُ الضّحاك ، فتظلم الفِهرىّ من أبى بكر بن حزم ، وقال : أخرَج مالِى من يدى ، فدفعه إلى هذا النجارىّ ، فقال أبو بكر : اللهمّ غَفْراً ! أما رأيتنى سألتُ أياماً فى أمرك وأمر صاحبك ، فاجتمع لى على إخراجها من يدك ، وأرسلتك[2] إلى من أفتانى بذلك : سعيد بن المسيّب وأبى بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فسألتَهما ؟ فقال الفهرىّ : بلَى ، ١٣٧٤/٢

---

(١) كذا فى ب ، وفى ط : « الأنصار » .

(٢) ب : « فأرسلك » .

وليس يلزمنى قولهما . فانكسر ابن الضحاك فقال : قوموا ، فقاموا ، فقال للفهرىّ : تقرّ له أنك سألت مَنْ أفتاه بهذا ، ثم تقول رُدّها علىّ ! أنت أرعنُ ، اذهب فلاحقّ لك ؛ فكان أبو بكر يتّقيه ويخافه ، حتى كلم ابنُ حيّان[1] يزيدَ أن يُقيده من أبى بكر ؛ فإنه ضربه حدّين ، فقال يزيد : لا أفعل ، رجل اصطنعه أهل بيتى ؛ ولكنى أولّيك المدينة . قال : لا أريد ذلك ، لو ضربتُه بسلطانى لم يكن لى قَوَداً . فكتب يزيد إلى عبد الرحمن بن الضحاك كتاباً :

أما بعد ، فانظر فيما ضرب ابنُ حزم ابنَ حيّان ، فإن كان ضربه فى أمر بيّن فلا تلتفت إليه ، وإن كان ضربه فى أمر يختلف فيه فلا تلتفت إليه ، فإن كان ضربه فى أمر غير ذلك فأقِدْه منه .

١٣٧٥/٢ فقدم بالكتاب على عبد الرحمن بن الضحّاك ، فقال عبد الرحمن : ما جئتَ بشىء ، أترى ابن حزْم ضربك فى أمر لا يختلف فيه ! فقال عثمان لعبد الرحمن : إن أردت أن تحسن أحسنتَ ، قال : الآن أصبتَ المطلب ، فأرسل عبد الرحمن إلى ابن حزْم فضربه حدّين فى مقام واحد ، ولم يسأله عن شىء . فرجع أبو المغراء[2] بن حيّان وهو يقول : أنا أبو المغراء بن الحيّان ، والله ما قربت النساء من يوم صنع بى ابن أبى حزم ماصنع حتى يومى هذا ، واليوم أقرب النساء !

* * *

[مقتل شوذب الخارجىّ]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة قُتِل شوذَب الخارجىّ .

* ذكر الخبر عن مقتله :

قد ذكرنا قبل الخبرَ عمّا كان من مراسلة شَوْذب عمرَ بن عبد العزيز لمناظرته فى خلافه عليه . فلما مات عمر أحبّ — فيما ذكر معمر بن المثنّى — عبدُ الحميد بن عبد الرحمن أن يحظَى عند يزيد بن عبد الملك ، فكتب إلى

(١) هو عثمان بن حيان المرىّ

(٢) ط : « المعزا » .

محمد بن جرير يأمره بمحاربة[١] شَوْذب وأصحابه، ولم يرجع رسولا شوذب ، ولم يعلم بموت عمر ، فلمّا رأوا محمد بن جرير يستعدّ للحرب : أرسل إليه شوذب : ما أعجلك [٢] قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم ! أليس قد تواعدنا إلى أن يرجع رسولا شوذب ! فأرسل إليهم محمد : إنه لا يسعنا ترككم على هذه الحالة — قال غير أبي عبيدة : فقالت الخوارج : ما فعل هؤلاء هذا[٣] إلا وقد مات الرجل الصالح .

١٣٧٦/٢ قال معمر بن المثنى : فبرز لهم شوذب ، فاقتتلوا ، فأصيب من الخوارج نفر ، وأكثروا فى أهل القبلة القتل ، وتولوا منهزمين ، والخوارج فى أعقابهم تقتل حتى بلغوا أخصاص الكوفة ، ولجئوا إلى عبد الحميد ، وجرح محمد بن جرير فى استه ، ورجع شوذب إلى موضع فأقام ينتظر صاحبيه ، فجاءاه فأخبراه بما صار عليه عمَر، وأنْ قد مات. فأقرّ يزيدُ عبدَ الحميد على الكوفة ، ووجّه من قِبله تميم بن الحُباب فى ألفين ، فراسلهم وأخبرهم أنّ يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر ، فلعنوه ولعنوا يزيد ، فحاربهم فقتلوه وهزموا أصحابه، فلجأ بعضهم إلى الكوفة ورجع الآخرون إلى يزيد ، فوجّه إليهم نَجْدة بن الحكم الأزدىّ فى جمْع فقتلوه ، وهزموا أصحابه ، فوجّه إليهم الشحّاج بن وداع فى ألفين ، فراسلهم وراسلوه ، فقتلوه، وقتل منهم نفراً فيهم هُدْبة اليشكرىّ، ابن عمّ بِسطام — وكان عابدًا — وفيهم أبو شُبَيل مقاتل ابن شيبان — وكان فاضلا عندهم— فقال أبو ثعلبة أيوب بن خَوَلىّ يرثيهم :

١٣٧٧/٢
تَرَكنا تميماً فى الغُبَارِ مُلَحَّبًا ... تُبَكِّى عليْهِ عِرْسُهُ وَقَرَائبُهْ
وقد أَسلَمَتْ قَيْسٌ تميماً ومالــكاً ... كما أَسلَمَ الشحّاجَ أَمسِ أَقارِبُه
وأَقبلَ مِنْ حَرّانَ يَحْمِلُ رَايَــةً ... يغالِبُ أَمرَ اللهِ واللهُ غَالِبُهْ
فَيَاهُدْبَ للهَيْجَا ، وياهُدْبَ للندَى، ... ويَاهُدْب للخَصْمِ الأَلَدِّ يُحَارِبُه!
وياهدب كم من مُلحم قد أجبته[٥] ... وقد أَسلَمَتْهُ للرِّماح جَوَالِبُهْ

(١) ابن الأمير : « بمناجزة » . (٢) اب : « ما أعجلكم » . (٣) ر : « ما فعلوا » .
(٤) ط : « صادراً » . ب : « صارا » . (٥) ابن الأثير : « كم من ملجم » .

وكان أبُو شَيْبَانَ خيْرَ مُقَاتِلٍ ... يُرجَّى وَيَخشَى بأْسَهُ من يحاربه
ففَازَ ولاقى اللهَ بالخير كُلِّهِ ... وخَذَّمَه بالسَّيْفِ فى اللهِ ضارِبُهْ
تَزوَّدَ مِنْ دُنيَاهُ دِرْعاً ومِغْفَرًا ... وعَضْبًا حُسَاماً لم تَخُنْهُ مَضَارِبُهْ
وأجْرَدَ مَحبُوكَ السرَاةِ كأَنَّهُ ... إذَا انقَضَّ وا فى الرِّيشِ حُجْنٌ مَخالِبُه

١٣٧٨/٢

فلما دخل مسلمة الكوفة شكا إليه أهلُها مكانَ شوذب ، وخوّفهم منه وما قد قتل منهم ، فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحَرشىّ — وكان فارسًا — فعقد له على عشرة آلاف ، ووجّهه إليه[1] وهو مقيم بموضعه ، فأتاه ما لا طاقةَ له به . فقال شوذب لأصحابه : مَن كان يريد الله فقد جاءته الشهادة ، ومَن كان إنما خرج للدنيا فقد ذهبت الدنيا ، وإنما البقاء فى الدّار الآخرة ؛ فكسروا أغماد السيوف[2] وحملوا ، فكشفوا سعيدًا وأصحابه مراراً ؛ حتى خاف الفضيحة فذمَّر أصحابه ، وقال لهم : أمِنْ هذه الشرذمة لا أبا لكم تفرّون ! يا أهل الشأم يومًا كأيّامكم !

قال : فحملوا عليهم ، فطحنوهم[3] طحناً لم يبقوا منهم أحداً ، وقتلوا بِسْطاماً وهو شوذَب وفرسانه ، منهم الرّيان بن عبد الله اليشكرىّ ، وكان من المخبتين[4] ، فقال أخوه شِمر بن عبد الله يرثيه :

ولَقَدْ فجِعْتُ بِسَادَةٍ وَفَوَارِسٍ ... للحَرْبِ سُعْرٍ مِنْ بَنِى شَيْبَانِ
اِعْتَاقَهُمْ رَيْبُ الزّمَانِ فَغَالَهُمْ ... وَتُرِكْتُ فَرْدًا غَيْرَ ذى إخْوَانِ
كمِدًا تَجلْجَلُ فِى فؤادِىَ حَسْرَةٌ ... كالنَّارِ مِنْ وَجْدٍ على الرَّيَّانِ
وفَوَارِسٍ باعُوا الإلٰهَ نُفوسَهُمْ ... مِنْ يَشْكُرٍ عِنْدَ الوغَى فرْسان

وقال حسان بن جَعْدة يرثيهم :

يا عَيْنُ أذرِى دُمُوعاً مِنكِ تَسْجَامَا ... وَابكِى صحابَةَ بِسْطَامٍ وَبِسْطاما
فَلَنْ تَرَىْ أبَدًا ما عِشتِ مِثلَهُمُ ... أتقَى وأكمَلَ فى الأحلامِ أحلاما

---

(١) س : « إليهم » .
(٢) ب : « سيوفهم » .
(٣) ط : « فطحهم » ، وما أثبته من ب .
(٤) ط : «المحثين ».وأخبت إلى ربه ، أى اطمأن .

٢/١٣٧٩ بِسِيِّهِم قد تأسَّوْا عِندَ شِدَّتِهِم ولَم يُرِيدُوا عن الأَعْدَاءِ إحجاما
حَتى مَضَوا لِلذى كانوا لهُ خَرَجوا فأُورثونا مَنَاراتٍ وأَعلامَا
إنِّى لأَعلمُ أَنْ قد أُنزلُوا غُرَفاً مِن الْجِنانِ ونالوا ثَمَّ خُدَّاما
أَسقَى الإِله بِلاداً كانَ مَصْرعُهمْ فيها سَحَاباً من الوَسْمىّ سَجَّاما

* * *

[خبر خلع يزيد بن المهلّب يزيدَ بن عبد الملك]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة لحق يزيد بن المهلّب بالبصرة ، فغلب عليها، وأخذ عامل يزيد بن عبدالملك عليها عدىّ بن أرطاة الفزارىّ، فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك وماكان من أمره وأمر يزيد فى هذه السنة :

قد مضى ذكرى خبرَ هرب يزيد بن المهلّب من محبسه الذى كان عمر بن عبد العزيزحبسه فيه، ونذكر الآن ما كان من صنيعه بعد هرَبه فى هذه السنة — أعنى سنة إحدى ومائة .

ولما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك فى اليوم الذى مات فيه عمر ، وبلغه هرب يزيد بن المهلب ، فكتب إلى عبد الحميد بن عبدالرحمن يأمره أن يطلبه ويستقبله ، وكتب إلى عدىّ بن أرطاة يعلمه هربه ، ويأمره أن يتهيأ لاستقباله ، وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته .

فذكر هشام بن محمد ، عن أبى مخنف ، أنّ عدىّ بن أرطاة أخذهم وحبسهم، وفيهم المفضّل وحبيب ومروان بنو المهلب، وأقبل يزيد بن المهلب حتّى مرّ بسعيد بن عبد الملك بن مروان ، فقال يزيدُ لأصحابه : ألا نعرض لهذا فنأخذه فنذهب به معنا ! فقال أصحابه: لا بل امض بنا ودعه . وأقبل ٢/١٣٨٠ يسير حتّى ارتفع فوق القُطقُطانة ، وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن هشام ابن مساحق بن عبد الله بن مخرمة بن عبد العزيز بن أبى قيس بن عبدوُدّ بن

نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى القرشىّ ، فى ناس من أهل الكوفة من الشرَط ووجوه الناس وأهل القوّة ، فقال له : انطلق حتّى تستقبله فإنه اليوم يمرّ بجانب العـُذَيب . فمشى هشام قليلا ، ثم رجع إلى عبد الحميد ، فقال : أجيئك به أسيرًا أم آتيك برأسه ؟ فقال : أىّ ذلك ما شئت ، فكان يعجب لقوله ذلك من سمعه ، وجاء هشام حتى نزل العـُذَيب ، ومرّ يزيد منهم غير بعيد ، فاتقوا الإقدام عليه ، ومضى يزيد نحو البصرة ، ففيه يقول الشاعر :

وسارَ ابنُ المُهلَّبِ لم يُعَرِّجْ وعَرَّسَ ذو القَطيفَةِ من كِنَانَهْ
ويَاسَرَ والتَّيَاسُرُ كان حَـزماً ولم يقرَبْ قُصُورَ القُطقُطَانَهْ

ذو القَطيفة هو محمد بن عمرو[1] ، وهو أبو قَطيفة بن الوليد بن عُقْبة بن أبى معيط ، وهو أبو قطيفة ؛ وإنما سمى ذا القطيفة ، لأنه كان كثير شعر اللحية والوجه والصّدر . ومحمد يقال له ذو الشامة .

فلما جاء يزيد بن المهلّب انصرف هشام بن مساحق إلى عبد الحميد ، ومضى يزيد إلى البَصْرة ، وقد جمع عدىّ بن أرطاة إليه أهل البصرة وخندق عليها ، وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبى عقيل الثقفىّ . وكان عدىّ بن أرطاة رجلا من بنى فَزارة . وقال عبد الملك بن المهلب لعدىّ بن أرطاة : خُذ ابنى حميداً فاحبسه مكانى ، وأنا أضمن لك أن أردّ يزيد عن البصرة حتّى يأتى فارس ، ويطلب لنفسه الأمان[2] ولا يقربك[3] فأبى عليه ، وجاء يزيد ومعه أصحابه[4] الذين أقبل فيهم[5] ، والبَصْرة محفوفة بالرجال ، وقد جمع محمد بن المهلب – ولم يكن ممن حبس – رجالا وفتية من أهل بيته وناسًا من مواليه ، فخرج حتّى استقبله ، فأقبل فى كتيبة تهول من رآها ، وقد دعا عدىّ أهلَ البصرة ، فبعث على كلّ خمس من أخماسها رجلاً ، فبعث على خُمُس الأزد المغيرة بن زياد بن عمرو العتكىّ ، وبعث على خُمس بنى تميم محرز بن حُمران السعدىّ من بنى مِنقَر ، وعلى خُمس بكر بن وائل عمران بن عامر

٢/ ١٣٨١

---

(١) وهو ، أى عمرو ، وفى ط : « وأبو قطيفة » ، وهو خطأ .
(٢) ب : « الأمان لنفسه » . (٣) ب : « ولا يغرك » .
(٤) س : « وجاء يزيد وأصحابه » . (٥) س : « بهم » .

ابن مسمع من بنى قيس بن ثعلبة. فقال أبومنقر – رجل من قيس بن ثعلبة – : إن الراية لا تصلح إلا فى بنى مالك بن مِسمع ، فدعا عدىّ نوحَ بن شيبان ابن مالك بن مِسْمع ، فعقد له على بَكْر بن وائل ، ودعا مالكَ بن المنذر بن الجارود ، فعقد له على عبد القيس ، ودعا عبدَ الأعلى بن عبد الله بن عامر القُرشىّ ، فعقد له على أهل العالية – والعالية قريش وكنانة والأزْد وَبجيلة وخثعم وقيس عَيْلان كلها ومُزَينة – وأهل العالية بالكوفة يقال لهم ربْعُ أهل المدينة وبالبصرة[1] خمس أهل العالية ، وكانوا بالكوفة أخماسًا ، فجعلهم زياد بن عبيد أرباعًا .

١٣٨٢/٢

قال هشام عن أبى مخنف : وأقبل يزيد بن المهلب لا يمرّ بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحَّوْا له عن السبيل[2] حتى يمضى ، واستقبله المغيرة ابن عبد الله الثقفىّ فى الخيل ، فحمل عليه محمد بن المهلّب فى الخيل ، فأفرج له عن الطريق هو وأصحابه ، وأقبل يزيد حتّى نزل داره ، واختلف[3] الناس إليه ، وأخذ يبعث إلى عدىّ بن أرطاة أن ادفع[4] إلىّ إخوتى وأنا أصالحك على البصرة ، وأخلّيك وإيّاها حتّى آخذ لنفسى ما أحبّ من يزيد بن عبدالملك ، فلم يقبل منه ، وخرج[5] إلى يزيد بن عبد الملك حُمَيد بن عبد الملك بن المهلّب ، فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالدَ بن عبد الله القسرىّ وعمر بن يزيد[6] الحكَمىّ بأمان يزيد بن المهلب وأهل بيته ، وأخذ يزيد بن المهلب يعطى مَن أتاه من الناس ، فكان يقطع لهم قِطَع الذهب وقطع الفضة ، فمال الناس إليه ، ولحق به عمران بن عامر بن مسمَع ساخطًا على عدىّ بن أرطاة حين نزع منه رايته ، راية بكر بن وائل ، وأعطاها ابن عمه ، ومالت إلى يزيد ربيعة وبقيّة تميم وقيس وناس بعد ناس[7] ؛ فيهم عبد الملك ومالك ابنا مِسمع ومعه ناس من أهل الشأم ، وكان عدىّ لا يعطى إلا درهمين درهمين ، ويقول :

١٣٨٣/٢

---

(١) س : « والبصرة » .
(٢) ابن الأثير : « عن طريقه » .
(٣) ابن الأثير : « فاختلف » .
(٤) ب وابن الأثير : « أن أبعث » .
(٥) ب : « فسار » .
(٦) ب : « زيد » .
(٨) ب : « من الناس » .

لا يحلّ لى أن أعطيكم من بيت المال درهماً إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ، ولكن تبلّغوا بهذا[١] حتى يأتى الأمرُ فى ذلك[٢] . فقال الفرزدق فى ذلك :

أظُنُّ رِجالَ الدِّرهَمَينِ يسُوقُهمْ إلى الموتِ آجالٌ لَهُمْ ومَصارِعُ[٣]
فأحزَمهُم من كان فى قَعر بَيتِهِ[٤] وأيقَنَ أنَّ الأمر لا شكَّ واقِعُ[٥]

وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدىّ ، فنزلوا المِرْبد ، فبعث إليهم يزيد بن المهلب مولًى له يقال له دارس ؛ فحمل عليهم فهزمهم ، فقال الفرزدق فى ذلك :

تَفرَّقَتِ الحَمْرَاءُ إذ صَاحَ دَارِسٌ ولم يصبروا تحتَ السُّيُوفِ الصَّوَارِمِ[٦]
جزَى اللهُ قيساً عَن عَدِىٍّ مَلامَةً ألا صَبَرُوا حَتَّى تكونَ مَلاحِمُ

وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس ، حتى نزل جبّانة بنى يشكُر — وهو المنصف[٧] فيما بينه وبين القصر — وجاءته بنو تميم وقيس[٨] وأهل الشأم ، فاقتتلوا هُنَيْهَةً ، فحمل عليهم محمد بن المهلب ، فضرب مِسْوَر بن عبّاد الحبَطىّ بالسيف فقطع أنف البيضة ، ثمّ أسرع السيف إلى أنفه[٩] ، وحمل على هُرَيم بن أبى طلحة من بنى نهشل بن دارم ، فأخذ بمنطِقته ، فحذفه عن فرسه[١٠] ؛ فوقع فيما بينه وبين الفرس ، وقال : هيهات هيهات! عمك أثقل من ذلك . وانهزموا ، وأقبل يزيد بن المهلب إثرَ القوم يتلوهم حتى دنا من القصر ،

١٣٨٤/٢

(١) ابن الأثير : « بهذه » . (٢) ب : « بذلك » .
(٣) ديوانه ٥١٦ ، وروايته : « إلى قدر آجالهم » .
(٤) الديوان : « من قرّ فى قعر بيته » .
(٥) الديوان : « وأيقن أن العزم لا بد واقع » .
(٦) ديوانه ٧٧٨ ، والرواية فيه :

تصدّعتِ الجعراءُ إذْ صاحَ دارِسٌ ولم يصبروا عند السيوف الصّوارم
جَزَى الله قيساً عَنْ عدىٍّ ملامةً وَخَصَّ بِها الأدنين أَهل الملاوم
هُمُ قتلُوا مولاهمُ وأميرَهمْ ولمْ يصبروا للموت عند الملاحِم

(٧) ابن الأثير : « النصف » . (٨) ابن الأثير : « فلقيه قيس وتميم » .
(٩) ب : « فى أنفه » . (١٠) حذفه عن فرسه ، أى رماه عنه .

فقاتلوهم وخرج إليه عدىّ بنفسه فقتِل من أصحابه الحارث بن مصرّف الأودىّ — وكان من أشراف أهل الشأم وفرسان الحجاج — وقتل موسى بن الوجيه الحميرىّ ثم الكَلاعىّ ، وقتِل راشد المؤذن ، وانهزم أصحاب عدىّ ، وسمع إخوة يزيد وهم فى محبس عدىّ الأصوات تدنو ، والنشاب تقع فى القصر ، فقال لهم عبدالملك : إنى أرى النّشاب تقع فى القصر ، وأرى الأصوات تدنو ، ولا أرى يزيد إلا قد ظهر ، وإنى لا آمن مَن مع عدىّ من مُضر ومن أهل الشأم أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد إلى الدار ، فأغلقوا الباب ثم ألقوا عليه ثيابًا . ففعلوا فلم يلبثوا إلا ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولى ابن عمر[1] ، وكان على حرس عدىّ — فجاء يشتدّ إلى الباب هو وأصحابه ، وقد وضع بنو المهلب متاعاً على الباب ، ثم اتّكوا عليه ، فأخذ الآخرون يعالجون الباب ، فلم يستطيعوا الدّخول ، وأعجلهم الناس فخلّوا عنهم .

٢/١٣٨٥

وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل دار سلْم بن زياد بن أبى سفيان إلى[2] جانب القصر[3] ، وأُتِىَ بالسلالِم ، فلم يلبث عثمان أن فتح القصر ، وأُتِىَ بعدىّ ابن أرْطاة ، فجىء به وهو يتبسّم ، فقال له يزيد : لم تضحك ؟ فوالله إنه لَينبغى أن يمنعك من الضحك خَصلتان : إحداهما الفِرار من القِتْلة الكريمة حتى أعطيتَ بيدك إعطاء المرأة بيدها ، فهذه واحدة ، والأخرى أنى أُتِيت بك تُتَلّ كما يتلّ[4] العبد الآبق إلى أربابه ، وليس معك منى عهد ولا عَقْد ، فما يؤمِّنك أن أضرب عنقك ! فقال عدىّ : أما أنت فقد قَدرت علىّ ، ولكنى أعلم أنّ بقائى بقاؤك ، وأنّ هلاكى مطلوب به من جرّته يدُه ؛ إنك قد رأيت جنودَ الله بالمغرب ، وعلمت بلاء الله عندهم فى كلّ موطن من مواطن الغدْر والنكث ، فتدارك فَلْتتَك وزلّتك بالتوبة واستقالة العثْرة ، قبل أن يرمى إليك البحر بأمواجه ، فإن طلبتَ الاستقالة حينئذ لم تُقَلْ ، وإن أردت الصلح وقد أشخصت القوم إليك وجدتهم لك مباعِدين ، وما لم يشخص القوم إليك فلم

---

(١) ط : « عامر » ، وانظر الفهرس .

(٢) ط : « سالم » ، وانظر الفهرس .

(٣) ب وابن الأثير : « إلى جنب » .

(٤) يتل ، أى يقاد .

يمنعوك شيئًا طلبت فيه الأمان على نفسك وأهلك ومالك .

فقال له يزيد : أما قولك : إنّ بقاءك بقائى ؛ فلا أبقانى الله حَسْوة طائر مذعور إن كنتُ لا يبقينى إلا بقاؤك ؛ وأما قولك : إنّ هلاكك مطلوب به من جرّرتَنْه يدُه ؛ فوالله لو كان فى يدى من أهل الشأم عشرة آلاف إنسان ليس فيهم[1] رجل إلا أعظم منزلة منك فيهم ، ثم ضربت أعناقهم فى صعيد واحد ، لكان فراقى إيّاهم وخلافى عليهم أهولَ عندهم وأعظم فى صدورهم من قتل أولئك ، ثم لوشئتُ أن تُهدَر لى دماؤهم ، وأن أحكَّم فى بيوت أموالهم ، وأن يجوّزوا لى عظيماً من سلطانهم ، على أن أضع الحرب فيما بينى وبينهم لفعلوا ؛ فلا يخفينّ عليك أن القوم ناسوك لو قد وقعت أخبارنا إليهم ، وأن أعمالهم وكيدهم لا يكون إلا لأنفسهم ، لا يذكرونك ولا يحلفون بك . وأما قولك : تدارك أمرَك واستقله وافعل وافعل ؛ فوالله ما استشرتُك ، ولا أنت عندى بوادّ ولا نصيح ؛ فما كان ذلكَ منك إلا عجزاً وفضلا ؛ انطلقوا به ، فلما ذهبوا به ساعة قال : ردُّوه ، فلما رُدّ قال : أما إنّ حبسِى إياك ليس إلا لحبسك بنى المهلب وتضييقك عليهم فيما كنّا نسألك التسهيل فيه عليهم ، فلم تكن تألوما عسّرتَ وضيّقتَ وخالفت ؛ فكأنه لهذا القول حين سمعه أمِنَ على نفسه ، وأخذ عدىّ يحدث به كلّ من دخل عليه .

١٣٨٦/٢

وكان رجل يقال له السميدع الكندىّ من بنى مالك بن ربيعة من ساكنى عُمان يرى رأىَ الخوارج ، وكان خرج وأصحاب يزيد وأصحاب عدىّ مصطفّون فاعتزل ومعه ناس من القرّاء ، فقال طائفةٌ من أصحاب يزيد وطائفة من أصحاب عدىّ : قد رضينا بحكم السَّمَيدع . ثم إنّ يزيد بعث إلى السميدَع فدعاه إلى نفسه ، فأجابه ، فاستعملوا يزيد على الأبُلَّة ، فأقبل على الطِّيب والتخلّق والنعيم ، فلما ظهر يزيد بن المهلب هرب رءوس أهل البصرة من قيس وتميم ومالك بن المنذر ، فلحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة ، ولحق بعضهم بالشأم ، فقال الفرزدق :

١٣٨٧/٢

(١) س : « معهم » .

فداءٌ لِقَوم مِنْ تميمٍ تَتَابَعُوا ... إلى الشأم لم يرضَوْا بحكم السَّمَيْدَعِ[1]
أَحُكمُ حَرورِىٍّ مِنَ الدينِ مارِقٍ ... أَضلُّ وأَغوَى مِنْ حِمَارٍ مُجَدَّعِ

فأجابه خليفةُ الأقطع :

وَمَا وجُّوهَا نحوَه عن وِفادةٍ ... وَلَا نُهزةٍ يُرْجَى بها خيرُ مَطْمَعِ
ولكنّهم رَاحُوا إليهــا وأَدْلَجُوا ... بأَقرَعِ أستاهٍ تَرَى يوم مَقْرَعِ
وهُمْ من حِذَارِ القوم أن يَلحقوا بهمْ ... لهم نَزْلَةٌ فى كلّ خمسٍ وأربع

وخرج الحوارىّ[2] بن زياد بن عمرو العتكىّ يُريد يزيد بن عبد الملك هاربًا من يزيد بن المهلّب ، فلقىَ خالد بن عبد الله القَسْرىّ وعمرو بن يزيد الحكَمىّ ومعهما حُمَيد بن عبد الملك بن المهلب قد أقبلوا من عند يزيد بن عبد الملك بأمان يزيد بن المهلب ، وكلّ شىء أراده ، فاستقبلهما ، فسألاه عن الخبر ، فخلا بهما حين رأى معهما حُمَيد بن عبد الملك ، فقال : أين تريدان ؟ فقالا : يزيد بن المهلب ، قد جئناه بكلّ شىء أراده ، فقال : ما تصنعان بيزيد شيئًا ، ولا يصنعه بكما ؛ قد ظهر على عدوّه عدىّ بن أرطاة ، وقتل القتلى وحبس عديًّا ، فارجعا أيّها الرجلان . ويمرّ رجل من باهلة يقال له مسلم بن عبد الملك ، فلم يقف عليهما ، فصايحاه وساءلاه ، فلم يقف عليهما ، فقال القسرىّ : ألا تردّه فتجلده مائة جلدة ! فقال له صاحبُه : غرّبه عنك ، وأمّلا لينصرف .

٢/١٣٨٨

ومضى الحوارىّ بن زياد إلى يزيد بن عبد الملك ، وأقبلا بحُميد بن عبد الملك معهما ، فقال لهما حميد : أنشدكما الله أن تخالفا أمر يزيد ما بُعثتما به ! فإنّ يزيد قابلٌ منكما ؛ وإنّ هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا أعداء ، فأنشدكما الله أن تقبلا مقالته ؛ فلم يقبلا قوله ، وأقبلا به حتى دفعاه إلى عبد الرحمن بن سليم[3] الكلبىّ ، وقد كان يزيد بن عبد الملك بعثه إلى خُراسان عاملا عليها . فلما بلغه خلع يزيد بن عبد الملك كتب إليه : إنّ جهاد من خالفك أحبُّ إلىّ

(١) ديوانه ٥٠٨ ، وفيه : « فدى لرءوس من تميم » .
(٢) ابن الأثير : « المغيرة » .
(٣) ط : « سليمان » ، وانظر الفهرس .

من عملي على خُراسان، فلا حاجة لى فيها ، فاجعلنى ممن توجّهنى إلى يزيد بن المهلب ، وبعث بحُميد بن عبد الملك إلى يزيد ، ووثب عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب على خالد بن يزيد بن المهلب ، وهو بالكوفة وعلى حمّال بن زَحْر الجُعفىّ ، وليسا ممن كان ينطق بشىء إلا أنهم عرفوا ما كان بينه وبين بنى المهلب، فأوثقهما وسرّحهما[1] إلى يزيد بن عبد الملك ، فحبسهما جميعًا ، فلم يفارقوا السجْن حتى هلكوا فيه . وبعث يزيد بن عبد الملك رجالاً من أهل الشأم إلى الكوفة يسكّنونهم ، ويثنون عليهم بطاعتهم ، ويُمَنّونهم الزيادات منهم القُطامىّ بن الحصين ، وهو أبو الشرْقىّ ، واسم الشرْقى الوليد ، وقد قال القطامىّ حين بلغه ما كان من يزيد بن المهلب : ١٣٨٩/٢

لَعلَّ عينى أَنْ تَرى يَزِيدا ... يَقودُ جَيشاً جَحْفَلا شديدَا

تَسْمَعُ للأَرضِ به وَئيدَا ... لا بَرَماً هِدًّا وَلَا حسودا

وَلَا جَبَاناً فى الوغى رِعْدِيدا ... تَرَى ذَوِى التَّاجِ له سُجُودا

مُكَفِّرِينَ خاشِعينَ قُودَا ... وآخرينَ رَحَّبُوا وُفُودا

لا يَنقضُ العهدَ ولا المعهودَا ... مِنْ نَفَرٍ كانوا هِجَاناً صِيدَا

ترى لهم فى كلِّ يومٍ عِيدا ... من الأَعادى جَزَرًا مقصودا

ثم إن القُطامىّ سار بعد ذلك إلى العَقْر حتى شهد قتال يزيد بن المهلب مع مسلمة بن عبد الملك، فقال يزيد بن المهلّب : ما أبعد شعر القُطامىّ من فعله !

ثم إنّ يزيد بن عبد الملك بعث العباس بن الوليد فى أربعة آلاف فارس؛ جريدة خيل، حتى وافَوا الحيرة يبادر إليها يزيد بن المهلب ، ثم أقبل بعد ذلك مسلمة بن عبدالملك وجنود أهل الشأم ، وأخذ على الجزيرة وعلى شاطئ الفرات ، فاستوثق أهلُ البصرة ليزيد بن المهلب ، وبعث عماله على الأهواز وفارس وكِرْمان، عليها الجرّاح بن عبد الله الحكَمىّ حتى انصرف إلى عمر بن ١٣٩٠/٢

(١) ابن الأثير : « وسيرهما » .

عبد العزيز ، وعبد الرحمن بن نعيم الأزدىّ فكان على الصّلاة . واستخلف يزيد بن عبد الملك عبدَ الرحمن القشيرىّ على الخَراج ، وجاء مُدْرِك بن المهلب حتى انتهى إلى رأس المفازة ، فدسّ عبدُ الرحمن بن نعيم إلى بنى تميم أنّ هذا مدرك بن المهلب يريد أن يُلقِى بينكم الحرب ، وأنتم فى بلاد عافية وطاعة وعلى جماعة ، فخرجوا ليلا يستقبلونه ، وبلغ ذلك الأزْد ، فخرج منهم نحو من ألفى فارس حتى لحقوهم قبل أن ينتهوا إلى رأس المفازة ، فقالوا لهم : ماجاء بكم؟ وماأخرجكم إلى هذا المكان ؟ فاعتلّوا عليهم بأشياء ، ولم يُقرّوا لهم أنهم خرجوا ليتلقوا مدرك بن المهلب ، فقال لهم الآخرون ، بل قد علمنا أن تخرجوا لتلقى صاحبنا ، وها هو ذا قريب ؛ فما شئتم .

ثم انطلقتِ الأزْد حتى تلقَّوْا مدرك بن المهلب على رأس المفازة ، فقالوا له : إنك أحبّ الناس إلينا ، وأعزّهم علينا ، وقد خرج أخوك ونابذَه ، فإن يظهره الله فإنما ذلك لنا ، ونحن أسرع الناس إليكم أهلَ البيت وأحقه بذلك ؛ وإن تكن الأخرى فوالله ما لك فى أن يغشانا ما يعرّنا فيه من البلاء راحة . فعزم له رأيه على الانصراف ، فقال ثابت قُطنة ، وهو ثابت بن كعب ، من الأزد من العَتِيك :

٢/١٣٩١

أَلمْ تَرَ دَوْسَرًا مَنَعَتْ أخاها ... وقد حَشَدَتْ لِتقتلَهُ تميمُ

رَأَوْا من دونه الزُّرْقَ العَوالِى ... وحَيًّا ما يُباحُ لهمْ حريمُ

شَنُوءتَها وعمرانُ بنُ حزمٍ ... هناك المجدُ والحسبُ الصَّميمُ

فما حمَلوا ولكن نَهْنَهَتْهُمْ ... رِماحُ الأَزدِ والعزُّ القديمُ

رَدَدنَا مُدْركاً بمَرَدِّ صِدْقٍ ... وليسَ بوجهه منكمْ كُلومُ

وخَيلٍ كالقِداحِ مُسَوَّماتٍ ... لَدى أَرضٍ مغانيها الجميمُ

عليها كلُّ أَصْيَدَ دَوْسَرِىٍّ ... عزيزٍ لا يَفِرُّ وَلَا يَرِيمُ

بهمْ تُسْتَعْتَبُ السفهاءَ حتَّى ... ترى السفهاءَ تَرْدَعُهَا الحُلومُ

قال هشام: قال أبو مِخْنف: فحدّثني معاذ بن سعد أنّ يزيد لمّا استجمع له البَصرة، قام فيهم فحمِد الله وأثنى عليه، ثم أخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، ويحثّ على الجهاد، ويزعم أنّ جهاد أهل الشأم أعظم ثوابًا من جهاد التّرك والديلم.

قال: فدخلت أنا والحسن البصري وهو واضع يده على عاتقِي، وهو يقول: انظر هل ترى وجه رجل تعرفه؟ قلت: لا والله، ما أرى وجه رجل أعرفه، قال: فهؤلاء والله الغُثاء[١]، قال: فمضينا حتى دنوْنا من المنبر. قال: فسمعته يذكُر كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم رفع صوته[٢]، فقال: والله لقد رأيناكَ والياً وموَلًّى[٣] عليك، فما ينبغي لك ذلك. قال: فوثبنا عليه، فأخذنا بيده وفمه وأجلسناه؛ فوالله ما نشكّ أنه سمعه؛ ولكنه لم يلتفت إليه ومضى في خطبته. ١٣٩٢/٢

قال: ثم إنا خرجنا إلى باب المسجد، فإذا على باب المسجد النضر بن أنس ابن مالك يقول: يا عباد الله، ما تنقمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم! فوالله ما رأينا ذلك ولا رأيتموه منذ ولدتم إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز، فقال الحسن: سبحان الله! وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضًا.

قال هشام: قال أبو مخنف: وحدّثني المثنى بن عبد الله أنّ الحسن البصريّ مرّ على الناس وقد اصطفوا صفّيْن، وقد نصبوا الرّايات والرماح، وهم ينتظرون خروج يزيد، وهم يقولون: يدعونا يزيد إلى سنّة العُمَرَين، فقال الحسن: إنما كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترونْ، ثم يسرِّح بها إلى بني مروان، يريد بهلاك هؤلاء رضاهم. فلما غضب غضبة نصب قَصَبًا، ثم وضع عليها خِرَقًا، ثم قال: إني قد خالفتهم فخالفوهم. قال هؤلاء: نعم. وقال: إني أدعوكم إلى سنّة العُمَرَين، وإنّ من سنّة العُمَرَين أن يوضع قيد في رجله، ثم يردّ إلى محبس عمر الذي فيه حبسه، فقال له ناس من أصحابه

---

(١) ط: «الأعثاء»، والصواب ما في الأصول.

(٢) ابن الأثير: «وكان حسن البصري يسمع، فرفع رأسه».

(٣) ط: «موليا» تحريف.

ممن سمع قوله : والله لكأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشأم، فقال : أنا راض عن أهل الشأم قبحهم الله وبرّحهم! أليس هم الذين أحلّوا حرَم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقتلون أهله ثلاثة أيام[١] وثلاث ليال! قد أباحوهم[٢] ١٣٩٣/٢ لأنباطهم وأقباطهم، يحملون الحرائر ذوات الدّين، لا يتناهوْن عن انتهاك حرمة. ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام، فهدموا الكعبة ، وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها، عليهم لعنة الله وسوء الدار!

قال : ثمّ إنّ يزيد خرج من البصرة، واستعمل عليها مرْوان بن المهلّب، وخرج معه بالسلاح وبيت المال، فأقبل حتى نزل واسطًا ، وقد استشار أصحابه حين توجه نحو واسط ، فقال : هاتوا الرّأى ، فإنّ أهل الشأم قد نهضوا إليكم، فقال له حبيب ، وقد أشار عليه غير حبيب أيضًا فقالوا : نرى أن تخرج وتنزل بفارس ، فتأخذ بالشِّعاب وبالعِقاب ، وتدنو من خراسان ، وتطاول القوم ، فإنّ أهل الجبال ينفضّون إليك وفى يديك القِلاع والحصون. فقال : ليس هذا برأيي، ليس يوافقنى هذا ؛ إنما تريدون أن تجعلونى طائراً على رأس جبل . فقال له حبيب : فإنّ الرّأى الذى كان ينبغى أن يكون فى أوّل الأمر قد فات ، قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجّه خيلا عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة ، فإنما هو[٣] عبد الحميد بن عبد الرحمن ، مررتَ به فى سبعين رجلا فعجز عنك ؛ فهو عن خيلك أعجز فى العدّة ، فنسبق إليها أهل الشأم وعظماء أهلها يرون رأيك، وأن تلى عليهم أحبّ إلى جُلّهم من أن يلى عليهم أهل الشأم، فلم تُطعنى ، وأنا أشير الآن برأى ؛ سرّح مع أهل بيتك خيلا ١٣٩٤/٢ من خيلك عظيمة فتأتى الجزيرة ، وتبادر إليها حتى ينزلوا حصنًا من حصونها[٤] ، وتسير فى أثرهم ، فإذا أقبل أهل الشأم يريدونك لم يدَعوا جندًا من جنودك بالجزيرة ؛ ويقبلون إليك فيقيمون عليهم، فكأنهم حابستُهم عليك[٥] حتى تأتيَهم فيأتيك منْ بالموصل من قومك ، وينفضّ إليك أهلُ العراق وأهل الثغور ، وتقاتلهم فى أرض رفيغة[٦] السعر ، وقد جعلتَ العراق كله وراء ظهرك.

---

(١) ابن الأثير : « ثلاثاً » .
(٢) ابن الأثير : « أباحوها » .
(٣) ابن الأثير : « بها » .
(٤) ابن الأثير : « حصونهم » .
(٥) ابن الأثير : فيحبسونهم عنك » .
(٦) ابن الأثير : « رخيصة » .وفى ط : « رفيعة » تحريف .

فقال : إنّى أكره أن أقطع جيشى وجندى . فلما نزل واسِطًا أقام بها أيامًا يسيرة .

* * *

قال أبو جعفر : وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الرحمن بن الضّحاك ابن قيس الفهرىّ، حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال محمد بن عمر .

وكان عبد الرحمن عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة ، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسِيد . وكان على الكوفة عبد الحميد ابن عبد الرحمن ، وعلى قضائها الشّعبىّ ، وكانت البصرة قد غلب عليها يزيد ابن المهلّب ، وكان على خُراسان عبد الرحمن بن نُعَيم .

ثم دخلت سنة اثنتين ومائة

[ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأَحداث]

١٣٩٥/٢ فمن ذلك ما كان فيها من مَسير العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة ابن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب بتوجيه يزيد بن عبد الملك إيّاهما لحربه .

* * *

وفيها قتل يزيد بن المهلّب ، فى صَفر .

ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب

ذكر هشام ، عن أبى مِخْنف : أن مُعاذ بن سعيد حدّثه أنّ يزيد بن المهلب استخلف على واسط حين أراد الشخوص عنها للقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس ابنَه معاويةَ ، وجعل عنده بيت المال والخزائن والأُسراء ، وقدّم بين يديه أخاه عبد الملك ، ثم سار حتى مرّ بفَم النيل[1] ، ثم سار حتى نزل العَقْر . وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات حتى نزل الأنبار ، ثم عقد عليها الجسر . فعَبر من قِبَل قرية يقال لها فارط ، ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب ، وقد قدّم يزيد أخاه نحو الكوفة ، فاستقبله العباس بن الوليد بسُورا ، فاصطفّوا ، ثم اقتتل القوم ، فشدّ عليهم أهل البصرة شدّة كشفوهم فيها ، وقد كان معهم ناس من بنى تميم وقيس ممّن انهزم من يزيد بالبصرة ، فكانت لهم جماعة حسنة مع العباس ، فيهم هُرَيم بن أبى طَحْمة المجاشعىّ . فلما انكشف أهل الشأم تلك الانكشافة ، ناداهم هُرَيم بن أبى طَحْمة : يا أهلَ الشأم ، اللهَ اللهَ أن تُسلِموننا ! وقد اضطرهم أصحاب عبد الملك إلى نَهْر[2] فأخذوا ينادونه : لا بأسَ عليك ، إن لأهل الشأم جَوْلَةً فى أول القتال ،

١٣٩٦/٢ أتاك الغوث .

---

(١) ابن الأثير : « وسار على فم النيل » .

(٢) ابن الأثير : « النهر » .

قال : ثم إنّ أهل الشأم كرّوا عليهم ، فكُشف أصحاب عبد الملك وهُزموا ، وقتِل المنتُوف من بَكْر بن وائل ، مولى لهم ، فقال الفرزدق يحرّض بكر بن وائل :

تُبَكّى على المنتوفِ بكرُ بنُ وائلٍ وتَنهَى عَن ابنى مِسْمَع مَنْ بَكاهُمَا[1]
غلامَينِ شَبّا فى الحروبِ وأدركا كِرَامَ المساعى قبلَ وصلِ لحاهُمَا[2]
ولو كانَ حَيًّا مالكٌ وابنُ مالكٍ إذًا أوقَدُوا نَارينِ يَعلو سَنَاهُمَا

وابنا مسمع : مالك وعبد الملك ابنا مسمع ، قتلهم معاوية بن يزيد بن المهلب فأجابه الجَعْد بن درهم مولى . . . . من هَمْدان[3] :

نُبكى على المنتوف فى نصر قومِهِ ولَسنَا نُبكّى الشائِديْنِ أَباهُمَا
أَرَادَ فِنَاءَ الحَىِّ بكرِ بن وائلٍ فعِزّ تميم لو أُصِيبَ فِناهُمَا
فلا لقِيَا رَوحاً مِنَ اللهِ سَاعةً ولا رَقَأَتْ عَينا شَجِىٍّ بكاهما
أَفِى الغِشِّ نَبكى إنْ بَكَينَا عليهما وقد لقيا بالغِشِّ فينا رَدَاهما ١٣٩٧/٢

وجاء عبد الملك بن المهلب حتى انتهى إلى أخيه بالعَقْر ، وأمر عبد الله ابن حيّان العبدىّ ، فعبر إلى جانب الصّراة الأقصى — وكان الجسر بينه وبينه — ونزل هو وعسكره وجمعٌ من جموع يزيد ، وخندق عليه ، وقطع مسلمة إليهم الماء وسعيد بن عمرو الحَرَشىّ ، ويقال : عبر إليهم الوضاح ، فكانوا بإزائهم . وسقط إلى يزيد ناس من الكوفة[4] كثير ، ومن الجبال ، وأقبل إليه ناس من الثغور ، فبعث على أرباع أهل الكوفة الذين خرجوا إليه ورُبْع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدىّ ، وبعث على ربع مذحِج وأسد النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعىّ ، وبعث على رُبْع كندة وربيعة محمد

---

(١) الكامل للمبرد ١ : ٢١٩ ، ٢٢٠ .
(٢) الكامل : « غلامان » ، وبعده فى الكامل :

ولو قُتِلاَ من جذمِ بكر بن وائِل لكانَ على الناعِى شديدا بُكاهما

(٣) كذا فى ط ، وفى ابن القيسرانى ٣١ : « والجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة » .
(٤) ابن الأثير : « من أهل الكوفة » .

ابن إسحاق بن محمد بن الأشعث ، وبعث على ربع تميم وهَمْدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميميّ ، وجمعهم جميعًا مع المفضّل بن المهلّب .

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف : حدّثني العلاء بن زُهير ، قال : والله إنا لجُلوس عند يزيد ذات يوم إذ قال : ترَوْن أنّ في هذا العسكر ألف سيف يُضرب به ؟ قال حنظلة بن عتّاب : إى والله وأربعة آلاف سيف ، قال : إنهم والله ما ضربوا ألف سيف قطّ ، والله لقد أحصى ديواني مائة وعشرين ألفًا ، والله لوددتُ أنّ مكانهم الساعة معي مَن بخراسان من قومي . ١٣٩٨/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : ثم إنه قام ذات يوم فحرّضَنا ورغّبَنا في القتال ثم قال لنا فيما يقوله : إنّ هؤلاء القوم لن يرُدّهم عن غيّهم إلا الطعْن في عيونهم ، والضّرْب بالمشرَفيّة على هامهم . ثم قال : إنه قد ذُكر لي أن هذه الجراده الصفراء — يعني مسلمة بن عبد الملك — وعاقر ناقة ثمود ؛ يعني العباس ابن الوليد ، وكان العباس أزرق أحمر، كانت أمّه رومية — والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه حتى كلمته فيه فأقرّه على نسبه ؛ فبلغني أنه ليس همّهما إلا التماسي في الأرض ، والله لو جاء أهل الأرض جميعًا وليس إلا أنا ، ما برحت العَرْصة حتى تكون لي أو لهم . قالوا : نخاف أن تعنّينا كما عنّانا عبد الرحمن ابن محمد ، قال : إنّ عبد الرحمن فضح الذّمار ، وفضح حسَبَه ، وهل كان يعدو أجله ! ثم نزل .

قال : ودخل علينا عامر بن العمَيْثَل — رجل من الأزْد — قد جمع جموعًا فأتاه فبايعه ؛ فكانت بيْعة يزيد : تبايعون على كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى ألّا تطأ الجنودُ بلادَنا ولا بيضتَنا ، ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجّاج ، فمن بايعنا على ذلك قبلنا منه ، ومَنْ أبى جاهدناه ، وجعلنا الله بيننا وبينه ، ثم يقول : تبايعونا ؟ فإذا قالوا : نعم ، بايعهم .

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنُّخَيلة ، وبعث إلى المياه فبثقها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب ، لئلاّ يصل إلى الكوفة ، ووضع على الكوفة مَناظرَ وأرصاداً لتحبس أهل الكوفة عن الخروج إلى يزيد ، وبعث ١٣٩٩/٢

عبد الحميد بعثًا من الكوفة عليهم سيف بن هانئ الهمْدانىّ حتى قدموا على مسلمة ، فألطفهم مسلمة ، وأثنى عليهم بطاعتهم ، ثم قال : والله لقلّ ما جاءنا من أهل الكوفة . فبلغ ذلك عبد الحميد ، فبعث بعثًا هم أكثر من ذلك ، وبعث عليهم سَبْرة بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدىّ ، فلما قدم أثنى عليه ، وقال : هذا رجل لأهل بيته طاعة وبلاء ، ضمّوا إليه من كان ها هنا من أهل الكوفة . وبعث مسلمة إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن فعزله ، وبعث محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة — وهو ذو الشامة — مكانه . فدعا يزيد بن المهلب رءوس أصحابه فقال لهم : قد رأيتُ أن أجمع اثنى عشر ألف رجل ، فأبعثهم مع محمد ابن المهلب حتى يبيّتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والأكُف والزبُل لدفن خندقهم ، فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقيّة ليلتهم ، وأمِدّه بالرّجال حتى أصبح ، فإذا أصبحتُ نهضتُ إليهم أنا بالناس ، فنناجزهم ، فإنى أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم .

قال السَّمَيدع : إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد زعموا أنهم قابلوا هذا منا ، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر ، ولا نريدهم بسوء حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا .

٢/١٤٠٠ قال أبو رؤبة — وكان رأسَ طائفة من المرجئة ، ومعه أصحاب له : صدَق ، هكذا ينبغى . قال يزيد : ويحكم ! أتصدّقون بنى أمية ؛ أنّهم يعملون بالكتاب والسنة ، وقد ضيّعوا ذلك منذ كانوا ! إنهم يقولون لكم : إنا نقبل منكم ، وهم يريدون ألّا يعملوا بسلطانهم إلا ما تأمرونهم به ، وتدعونهم إليه ؛ لكنهم أرادوا أن يكفّوكم عنهم ؛ حتى يعملوا فى المكر ، فلا يسبقوكم إلى تلك ، ابدءوهم بها ، إنى قد لقيت بنى مَرْوان فوالله ما لقيت رجلا هو أمكر ولا أبعد غورًا من هذه الجرادة الصّفراء — يعنى مسلمة — قالوا : لانرى أن نفعل ذلك ، حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منّا . وكان مرْوان بن المهلب وهو بالبصرة يحثّ الناس على حَرْب أهل الشأم ، ويسرّح الناس إلى يزيد ، وكان الحسن البصرىّ يثبّط الناس عن يزيد ابن المهلب .

قال أبو مخنف : فحدّثني عبد الحميد البصريّ ، أنّ الحسن البصريّ كان يقول في تلك الأيام :

أيّها الناس، الزموا رحالكم ، وكفّوا أيديكم ، واتقوا الله مولاكم ، ولا يقتل بعضُكم بعضًا على دنيا زائلة، وطمع فيها يسير ليس لأهلها بباق، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براضٍ ؛ إنه لم تكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التّيه والخُيَلاء ، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفيّ والمعروف التقيّ ، فمن كان منكم خفيًّا فليلزم الحقّ ، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدّنيا ، فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفًا ؛ وكفى له بها[١] من الدّنيا خلَفًا؛ ومَنْ كان منكم معروفًا شريفًا ، فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا إرادةَ الله بذلك، فواهًا لهذا ! ما أسعده وأرشدَه وأعظم أجره وأهدى سبيله ! فهذا غداً — يعني يوم القيامة — القرير عينًا ، الكريم عند الله مآباً .

٢/١٤٠١

فلما بلغ ذلك مروان بن المهلب قام خطيبًا كما يقوم ، فأمر الناس بالجِدّ والاحتشاد ، ثم قال لهم :

لقد بلغني أنّ هذا الشيخ الضالّ المرائي — ولم يسمّه — يثبّط الناس ، والله لو أنّ جاره نزع من خُصّ داره قَصَبةً لظلّ يرعُف أنفه ؛ أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب حقّنا[٢] ، وأن ننكر مظلمتنا ! أما والله لَيكُفّنّ عن ذكرنا وعن جمعه إلينا سُقّاط[٣] الأبلّة وعلُوج فُرات البصرة — قومًا ليسوا من أنفسنا، ولا ممن جرت عليه النعمة من أحدنا — أو لأنحيَنّ عليه مِبْرَداً خشنًا .

فلما بلغ ذلك الحسن قال : والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه . فقال ناس من أصحابه : لو أرادك ثمّ شئت لمنعناك ، فقال لهم : فقد خالفتُكم إذاً إلى ما نهيتكم عنه ! آمركم ألّا يقتل بعضكم بعضًا مع غيري ، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضًا دوني ! فبلغ ذلك مَرْوان بن المهلّب ، فاشتدّ عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرّقوا . ولم يدَع الحسنُ كلامه ذلك ، وكفّ عنه مروان بن المهلب .

---

(١) ط : « به » . (٢) ط : « خيرنا » .

(٣) سقاط : جمع ساقط ؛ وهو اللئيم في حسبه ونسبه .

وكانت إقامة يزيد بن المهلب منذ أجمع هو ومسلمة ثمانية أيام ، حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشرة خلتْ من صفر ، بعث مسلمة إلى الوضّاح أن يخرج بالوضّاحيّة والسفن حتى يحرّق الجسر ، ففعل . وخرج مسلمة فعبّى جنود أهل الشأم ، ثم ازدلف بهم نحو يزيد بن المهلب ، وجعل على ميمنته جبلة بن مخرمة الكنديّ ، وجعل على ميسرته الهذيل بن زُفر بن الحارث العامريّ ، وجعل العباس على ميمنته سيف بن هانئ الهمْدانيّ ، وعلى ميسرته سويد بن القعقاع التميميّ ومسلمة على الناس ، وخرج يزيد بن المهلب ، وقد جعل على ميمنته حبيب بن المهلب ، وعلى ميسرته المفضّل بن المهلب ، وكان مع المفضّل أهل الكوفة وهو عليهم ، ومعه خيل لربيعة معها عدد حسن ، وكان مما يلي العباس بن الوليد . ١٤٠٢/٢

قال أبو مخنف : فحدّثني الغنويّ — قال هشام : وأظنّ الغنويّ العلاء ابن المنهال — أنّ رجلاً من الشأم خرج فدعا إلى المبارزة ، فلم يخرج إليه أحد ، فبرز له محمد بن المهلب ، فحمل عليه ، فاتقاه الرّجل بيده ، وعلى كفّه كفّ من حديد ، فضربه محمد فقطع كفّ الحديد وأسرع السيف في كفّه ، واعتنق فرسه ، وأقبل محمد يضربه ، ويقول : المنجَل أعود عليك . قال : فذكر لي أنه حيّان النَّبَطيّ .

قال : فلما دنا الوضّاح من الجسر ألهب فيه النار ، فسطع دخانه ؛ وقد اقتتل[1] الناس ونشبت الحرب ، ولم يشتدّ القتال ، فلما رأى الناس الدخان ، وقيل لهم : أحرِق الجسر انهزموا ، فقالوا ليزيد : قد انهزم الناس . قال : وممّ انهزموا ؟ هل كان قتال يُنهزم من مثله ! فقيل له : قالوا : أحرِق الجسر فلم يثبت أحد ، قال : قبحهم الله ! بَقٌّ دُخِّن عليه فطار . فخرج وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه ، فقال : اضربوا وجوهَ مَنْ ينهزم ، ففعلوا ذلك بهم ، حتى كثُروا عليه ، فاستقبلهم منهم مثل الجبال ، فقال : دعوهم ، فوالله إني لأرجو ألّا يجمعني الله وإياهم في مكان واحد أبداً ؛ دعوهم يرحمهم الله ، غَنَمٌ عدا في نواحيها الذئب ، وكان ١٤٠٣/٢

(١) ابن الأثير : « وقد أقبل » .

يزيد لا يحدّث نفسه بالفرار ، وقد كان يزيد بن الحكم بن أبي العاص — وأمه ابنة الزبرقان السّعديّ — أتاه وهو بواسط قبل أن يصل إلى العقر ، فقال[1] :

إنّ بنى مَرْوانَ قد بَادَ مُلكُهُمْ   فإنْ كنتَ لم تَشعُرْ بذلك فاشعُرِ

قال يزيد : ما شعرت . قال : فقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفيّ :

فَعِش مَلِكاً أو مُتْ كريماً وإن تمتْ[2]   وَسيفُكَ مشهورٌ بِكفِّكَ تُعْذَرِ

قال : أمّا هذا فعسى .

ولما خرج يزيد إلى أصحابه واستقبلته الهزيمة ، فقال : يا سَمَيْدَع ، أرأيي أم رأيك ؟ ألم أعلمك ما يريد القوم ! قال : بلى والله ، والرأيَ كان رأيُك ، وأناذا معك لا أزايلك ، فمُرْنى بأمرك ؛ قال : إمّا لا فانزل ، فنزل فى أصحابه ، وجاء يزيدَ بن المهلب جاءٍ فقال : إن حبيبًا قد قتل . ١٤٠٤/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدّثنى ثابت مولى زهير بن سلمة الأزدى ، قال : أشهد أنى أسمعه حين قال له ذلك ، قال : لا خيرَ فى العيش بعد حبيب ! قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة ؛ فوالله ما ازددت له إلا بغضًا ، امضوا قُدماً . فعلمنا والله أن قد استقتل ؛ فأخذ مَن يكره القتال ينكص ، وأخذوا يتسلّلون ، وبقيت معه جماعة حسنة ، وهو يزدلف ، فكلّما مرّ بخَيْل كشفها ، أو جماعة من أهل الشأم عدلوا عنه وعن سنن أصحابه ، فجاء أبو رؤبة المرجئ ، فقال : ذهب الناس — وهو يشير بذلك إليه وأنا أسمعه — فقال : هل لك أن تنصرف إلى واسط ؛ فإنها حصن فتنزلها ويأتيك مَدَدُ أهل البصرة ، ويأتيك أهل عُمان والبحرين فى السفن ، وتضرب خندقاً ؟ فقال له : قبّح الله رأيك ! ألِى تقول هذا ! الموت أيسر علىّ من ذلك ، فقال له : فإنّى أتخوّف عليك لِمَا ترى ، أما ترى ما حولك من جبال الحديد ! وهو يشير إليه ، فقال له : أما أنا فما أباليها ؛ جبال حديد كانت أم جبال نار ، اذهب عنّا إن كنت لا تريد قتالا معنا . قال : وتمثّل قول حارثة بن بدر الغُدانىّ — قال أبو جعفر أخطأ هذا ؛ هو للأعشى — :

---

(١) ابن الأثير : « فقال له » . (٢) ابن الأثير : « فعش » .

أَبِالموتِ خَشَّتني عُبَادٌ وإنَّما رأيتُ مَنَايَا الناسِ يَشقى ذَلِيلُها ٢/١٤٠٥
فما مِيتَةٌ إن مُتُّها غيرَ عاجزٍ بعَارٍ إذا ما غالَتِ النفسَ غُولُها

وكان يزيد بن المهلّب على بِرْذون له أشهب ، فأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره ؛ حتى إذا دنا منه أدنى مسلمة فرسَه ليركب ، فعطف عليه خيول أهل الشأم، وعلى أصحابه ، فقتِل يزيد بن المهلب . وقتِل معه السَّمَيدع ، وقتِل معه محمد بن المهلب . وكان رجل من كلْب من بنى جابر بن زهير بن جناب الكلبىّ يقال له القَحْل بن عيّاش لما نظر إلى يزيد قال : يا أهلَ الشأم ، هذا والله يزيد ، والله لأقتلنّه أو ليقتلنّى ، وإن دونه ناسًا ، فمن يحمل معى يكفينى أصحابه حتى أصلَ إليه ؟ فقال له ناس من أصحابه : نحمل نحن معك ، ففعلوا ، فحملوا بأجمعهم ، واضطربوا[1] ساعةً ، وسطع الغبار ، وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلا ، وعن القَحْل بن عياش بآخر رمق . فأومى إلى أصحابه يريهم مكان يزيد ؛ يقول لهم : أنا قتلتُه ، ويومى إلى نفسه إنه هو قتلنى . ومرّ مسلمة على القحل بن عياش صريعًا إلى جنب يزيد ، فقال : أما إنى أظن هذا هو الذى قتلنى . وجاء برأس يزيد مولى لبنى مُرّة ، فقيل له : أنت قتلته ؟ فقال : لا ، فلما أتى به مسلمة لم يعرف ولم ينكر ، فقال له الحوارىّ بن زياد ابن عمرو العتكى : مُرْ برأسه فليُغسل ثم ليعمّم ، ففُعل ذلك به ، فعرَفه، فبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط . ٢/١٤٠٦

قال أبو مخنف : فحدّثنى ثابت مولى زهير ، قال : لقد قتِل يزيد وهُزِم الناس ، وإن المفضّل بن المهلب ليقاتل أهلَ الشأم ما يدرى بقتل يزيد ولا بهزيمه الناس ؛ وإنّه لعلَى بِرْذون شديد قريب من الأرض، وإنّ معه لمجفّفة أمامه ، فكلما حمل عليها نكصَت وانكشفت وانكشف ، فيحمل فى ناس من أصحابه حتى يخالط القوم ثم يرجع حتى يكون من وراء أصحابه ، وكان لا يرى منّا مُلتفتًا إلا أشار إليه بيده ألاّ يلتفت ليُقبِل القومُ بوجوههم على عدوّهم ، ولا يكون لهم همٌّ غيرهم .

---

(١) ابن الأثير : « فاقتتلوا » .

قال : ثم اقتتلنا ساعة ؛ فكأنى أنظر إلى عامر بن العَمَيْثَل الأزدىّ وهو يضرب بسيفه ، ويقول :

قد عَلِمتْ أمُّ الصَّبىِّ المولودْ أنّى بِنَصْل السَّيفِ غَيْرُ رِعْدِيدْ

قال : واضطربنا والله ساعة ، فانكشفت خيل ربيعة ؛ والله ما رأيتُ عند أهل الكوفة من كبير صبر ولا قتال ، فاستقبل ربيعةَ بالسيف يناديهم : أى معشر ربيعة ، الكرّةَ الكرّة ! والله ما كنتم بكُشُف ولا لئام ، ولا هذه لكم بعادة ، فلا يؤتينّ أهل العراق اليوم من قبَلكم . أىْ ربيعة ، فدَتكم نفسى ، اصبروا ساعة من النهار .

قال : فاجتمعوا حوله ، وثابوا إليه [١] ، وجاءت كُوَيْفتك [٢] .

قال : فاجتمعنا ونحن نريد الكرّة عليهم ، حتى أتى ، فقيل له : ما تصنع ها هنا وقد قتِل يزيد وحبيب ومحمد ، وانهزم الناس منذ طويل ؟ وأخبر الناس بعضهم بعضًا ، فتفرّقوا ومضى المفضّل ، فأخذ الطريق إلى واسط ، فما رأيت رجلاً من العرب مثل منزلته كان أغشى للناس بنفسه ، ولا أضرب بسيفه ، ولا أحسن تعبئة لأصحابه منه .

١٤٠٧/٢ قال أبو مخنف : فقال لى ثابت مولى زهير : مررت بالخندق ، فإذا عليه حائط ، عليه رجال معهم النَّبل ، وأنا مجفَّفٌ ، وهم يقولون : يا صاحب التَّجفاف ، أين تذهب ؟ قال : فما كان شىء أثقلَ علىّ من تِجفافى ، قال : فما هو إلا أن جُزتُهم ، فنزلت فألقيته لأخفّف عن دابّتى . وجاء أهل الشأم إلى عسكر يزيد بن المهلب ، فقاتلهم أبو رؤبة صاحب المرجِئة ساعة من النهار حتى ذهب عُظْمهم ، وأسر أهل الشأم نحواً من ثلثمائة رجل ، فسرّحهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم . وكان على شُرطه العُريان بن الهيثم . وجاء كتاب من يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو : أن اضرب رقابَ الأسَراء ، فقال للعُريان بن الهيثم : أخرجهم عشرين عشرين ، وثلاثين ثلاثين . قال : فقام نحوٌ من ثلاثين رجلاً من بنى تميم ، فقالوا :

---

(١) ابن الأثير : « فرجعوا إليه » .

(٢) كذا فى ط .

نحن انهزمنا بالناس ، فاتقوا الله وابدءوا بنا ، أخرجونا قبل الناس ، فقال لهم العُريان : اخرجوا على اسم الله ، فأخرجهم إلى المصطبة ، وأرسلَ إلى محمد بن عمرو يخبره بإخراجهم ومقالتهم ، فبعث إليه أن اضرب أعناقهم .

قال أبو مخنف : فحدّثني نَجِيح أبو عبد الله مولى زهير ، قال : والله إنى لأنظر إليهم يقولون : إنا لله ! انهزمنا بالناس ، وهذا جزاؤنا ، فما هو إلا أن فرغ منهم ، حتى جاء رسول من عند مسلَمة فيه عافية الأسَراء والنهى عن قتلهم ، فقال حاجب بن ذُبيان من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم : ٢/١٤٠٨

لَعَمرى لقد خاضَتْ معيطٌ دِماءَنَا بأَسيافها حتى انتهى بهمُ الوحلُ
وما حُمل الأَقْوامُ أَعظمَ من دَمٍ حرامٍ ولَا ذَحْلٍ إذا التُمس الذَّحْلُ[1]
حَقَنْتم دِماءَ المُصْلتين عليكمُ وجُرَّ على فُرْسانِ شيعتك القتلُ
وَقَى بهمُ العُريانُ فُرسانَ قومِه فياعجباً أَينَ الأَمانة والعدلُ!

وكان العُريان يقول : والله ما اعتمدتُهم ولا أردتُهم حتى قالوا : ابْدُ بنا ، أخرجنا ، فما تركت حين أخرجتهم أن أعلمتُ المأمور بقتلهم ، فما يَقبل حُجّتهم ، وأمر بقتلهم ، والله على ذلك ما أحبّ أن قتل من قومى مكانهم رجلٌ ، ولئن لامونى ما أنا بالذى أحفل لائمتهم ، ولا تكبر علىّ .

وأقبل مسلمة حتى نزل الحِيرة ، فأتى بنحو من خمسين أسيراً ، ولم يكونوا فيمن بعث به إلى الكوفة ، كان أقبل بهم معه ، فلما رأى الناس أنه يريد أن يضربَ رقابهم ، قام إليه الحصين بن حماد الكلبىّ فاستوهبه ثلاثة : زياد بن عبد الرحمن القشيرىّ ، وعتبة بن مسلم ، وإسماعيل مولى آل بنى عقيل بن مسعود ، فوهبهم له ، ثم استوهب بقيّتهم أصحابُه ، فوهبهم لهم ، فلما جاءت هزيمة يزيد إلى واسط ، أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيراً كانوا ٢/١٤٠٩

---

(١) فى الحاشية : « الذحل بالذال معجمة : الحقد ، وبغير معجمة : الحفر فى الأرض » .

فى يده ، فضرب أعناقهم : منهم عدىّ بن أرطاة ،ومحمد بن عدىّ بن أرطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وعبد الله بن عـَزْرة البصرى ، وعبد الله بن وائل ، وابن أبى حاضر التميمىّ من بنى أسيِّد بن عمرو بن تميم ،وقد قال له القوم: ويحك! إنا لا نراك إلا تقتلنا ؛ إلا أن أباك قد قتل ، وإنّ قتلنا ليس بنافع لك فى الدنيا ، وهو ضارّك فى الآخرة ؛ فقتل الأسارى كلَّهم غير ربيع بن زياد بن الربيع ابن أنس بن الريّان ، تركه ،فقال له ناس : نسيتَه ؟ فقال : ما نسيته ؛ ولكن لم أكن لأقتله ؛ وهو شيخ من قومى له شرف ومعروف وبيت عظيم ، ولست أتّهمه فى وُدّ ، ولا أخاف بغيَه . فقال ثابت قطنة فى قتل عدىّ بن أرطاة :

مَا سَرّنى قَتْلُ الفَزَارِىِّ وابنِهِ عَدِىٌّ ولَاأَحْبَبْتُ قتلَ ابن مِسْمَعِ
ولكنها كانت مُعَاوِىَّ زَلَّةً وضعْت بها أمرى على غيرِ موضع

١٤١٠/٢ ثم أقبل حتّى أتى البصرة ومعه المال والخزائن ، وجاء المفضّل بن المهلّب ، واجتمع جميع آل المهلّب بالبصرة ، وقد كانوا يتخوّفون الذى كان من يزيد ، وقد أعدّوا السفن البحرّية ، وتجهزوا بكلّ الجهاز ، وقد كان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حـُميد الأزدىّ على قـَنْدابيل أميراً ، وقال له : إنى سائر إلى هذا العدوّ ، ولو قد لقيتُهم لم أبرح العـَرْصة حتى تكون إلىّ أولهم ، فإن ظفرت أكرمتُك ، وإن كانت الأخرى كنت بقـَنْدابيل حتى يقدم عليك أهل بيتى ، فيتحصّنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً ، أما إنى قد اخترتك لأهل بيتى من بين قومى ؛ فكن عند حسن ظنى ، وأخذ عليه أيمانًا غلاظًا لـيـُناصحنّ أهل بيته ، إن هم احتاجوا ولجئوا إليه ، فلما اجتمع آل المهلب بالبصْرة بعد الهزيمة حملوا عيالاتهم وأموالهم فى السفن البحرية ، ثم لجـَجوا فى البحر حتى مرّوا بهرِم ابن القرار العبدىّ — وكان يزيد استعمله على البحرين — فقال لهم : أشير عليكم ألّا تفارقوا سفنكم ، فإن ذلك هو بقاؤكم ، وإنى أتخوّف عليكم إن خرجتم من هذه السفنِ أن يتخطفكم الناس ،وأن يتقرّبوا بكم إلى بنى مروان . فمضوا حتى إذا كانوا بجبال كرْمان خرجوا من سفنهم ، وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدوابّ.

وكان معاوية بن يزيد بن المهلّب حين قدم البصرة قدمها ومعه الخزائن وبيت المال ؛ فكأنّه أراد أن يتأمّر عليهم ، فاجتمع آل المهلب وقالوا للمفضّل : أنت أكبرنا وسيّدنا ، وإنما أنت غلام حديث السنّ كبعض فتيان أهلك ، فلم يزل المفضّل عليهم حتى خرجوا إلى كَرْمان ، وبكرمان فلول كثيرة ، فاجتمعوا إلى المفضّل ، وبعث مسلمة بن عبد الملك مدرك بن ضبّ الكلبيّ فى طلب آل المهلب وفى أثر الفَلّ[1] . فأدرك مدرك المفضّل بن المهلب ، وقد اجتمعت إليه الفلول بفارس فتبعهم ، فأدركهم فى عَقَبَة ، فعطفوا عليه ، فقاتلوه واشتدّ قتالهم إيّاه ، فقتِل مع المفضل بن المهلب النّعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعيّ ومحمد بن إسحاق ابن محمد بن الأشعث ، وأخِذ ابن صُول ملك قهُستان أسيراً ، وأخذت سُرّية المفضل العالية ، وجُرِح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحة شديدة ، وهرب حتى انتهى إلى حُلوان ، فدُلّ عليه ، فقتل وحُمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة ، ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب ، فطلبوا الأمان ، فأومِنوا ؛ منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، والورد بن عبد الله بن حبيب السعديّ من تميم ، وكان قد شهد مع عبد الرحمن بن محمد مواطنه وأيّامه كلها ، فطلب له الأمان محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان إلى مسلمة بن عبد الملك عمّه وابنةُ مسلمة تحته – فأمّنه ، فلما أتاه الورد وقفه مسلمة فشتمه قائمًا ، فقال : صاحب خلاف وشقاق ونفاق ونِفار فى كلّ فتنة ، مرّة مع حائك كندة ، ومرّة مع ملاح الأزْد ؛ ما كنت بأهل أن تؤمّن ؛ قال : ثم انطلق . وطلب الأمان لمالك بن إبراهيم بن الأشتر الحسنُ بن عبد الرحمن بن شراحيل – وشراحيل يلقّب رستم الحضرميّ – فلما جاء ونظر إليه ، قال له الحسن بن عبد الرحمن الحضرميّ : هذا مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، قال له : انطلق ، قال له الحسن : أصلحك الله ! لِمَ لم تشتمه كما شتمت صاحبه ! قال : أجللتكم عن ذلك ، وكنتم أكرم عليّ من أصحاب الآخر وأحسن طاعة . قال : فإنه أحبّ إلينا أن تشتمه ، فهو والله أشرف أباً وجدًّا ، وأسوأ أثراً من أهل الشأم من الورد بن عبد الله ؛ فكان الحسن يقول بعد أشهر : ما تركه إلا حسداً من أن يعرف

١٤١١/٢

١٤١٢/٢

(١) الفل : الجماعة المنهزمون .

صاحبنا ، فأراد أن يُرينا أنه قد حقره . ومضى آل المهلّب ومن سقط منهم من الفُلول حتى انتهوا إلى قندابيل ، وبعث مسلمة إلى مدرك بن ضبّ الكلبيّ فردّه ، وسرّح فى أثرهم هلال بن أحوز التميميّ ، من بنى مازن بن عمرو بن تميم فلحقهم بقندابيل ، فأراد آل المهلب دخول قندابيل ، فمنعهم وداع بن حميد . وكاتَبه هلال بن أحوز ، ولم يباين آل المهلب[1] فيفارقهم ، فتبين لهم فراقه لما التقوا وصفُّوا ،كان وداع بن حميد على الميمنة ، وعبد الملك بن هلال على الميسرة ١٤١٣/١ وكلاهما أزديّ ، فرفع لهم راية الأمان ، فمال إليهم وداع بن حميد وعبد الملك ابن هلال ، وارفضّ عنهم الناس فخلّوهم . فلما رأى ذلك مروان بن المهلّب ذهب يريد أن ينصرف إلى النساء ، فقال له المفضّل : أين تريد ؟ قال : أدخل إلى نسائنا فأقتلهنّ ، لئلا يصل إليهنّ هؤلاء الفسّاق ، فقال : ويحك ! أتقتل أخواتك ونساء أهل بيتك ! إنا والله ما نخاف عليهنّ منهم . قال : فردّه عن ذلك ، ثم مشوا بأسيافهم ، فقاتلوا حتى قتِلوا من عند آخرهم[2] ، إلا أبا عيينة ابن المهلب ، وعثمان بن المفضل فإنهما نَجَوا ، فلحقا بخاقان ورتبيل ، وبعث بنسائهم[3] وأولادهم إلى مسلمة بالحِيرة ، وبعث برءوسهم إلى مسلمة ، فبعث بهم مسلمة إلى يزيد بن عبد الملك ، وبعث[4] بهم يزيد بن عبد الملك إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك ، وهو على حلَب ، فلما نُصبوا خرج لينظر إليهم ، فقال لأصحابه : هذا رأس عبد الملك ، هذا رأس المفضّل ، والله لكأنه جالس معى يحدثنى .

وقال مسلمة : لأبيعن ذريّتهم وهم فى دار الرزق ، فقال الجرّاح بن عبد الله[5] : فأنا أشتريهم منك لأبرّ يمينك ، فاشتراهم منه بمائة ألف ، قال : ١٤١٤/ هاتها ، قال : إذا شئت فخذها ، فلم يأخذ منه شيئاً ، وخلى سبيلهم ، إلا تسعة فتية

---

(١) ابن الأثير : « وكان هلال بن أحوز لم يباين آل المهلب » .

(٢) أضاف ابن الأثير : « وهم المفضل وعبد الملك وزياد ومروان بنو المهلب ، ومعاوية ابن يزيد بن المهلب ، والمنهال بن أبى عيينة بن المهلب ، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، وحملت رءوسهم وفى أذن كل واحد رقعة فيها اسمه»

(٣) ابن الأثير : « وبعث هلال بن أحوز بنسائهم » .

(٤) ابن الأثير : « فسيرهم » .

(٥) بعدها فى ابن الأثير : « الحكمى » .

منهم أحداث بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك ، فقدم بهم عليه ، فضرب رقابهم ، فقال ثابت قُطْنة[1] حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه :

أَلا يا هند طالَ علَيَّ ليلى ... وعاد قصيرُهُ ليلا تماماً
كأنِّى حين حَلَّقَتِ الثريَّا ... سُقِيتُ لُعَابَ أَسودَ أَو سَمامَا
أَمَرَّ علَىَّ حُلوَ العيش يَوْمٌ ... مِنَ الأَيام شَيَّبنِى غلاماَ
مُصابُ بنى أَبيكِ وَغِبتُ عنْهُمْ ... فلم أَشهدهمُ ومضَوا كراما
فلا واللهِ لَا أَنسَى يزيداً ... ولا القَتلَى التى قُتِلَت حَرامَا
فَعلَىَّ أَن أَبُو بأَخيك يومــاً ... يزيدًا أَو أَبوءَ به هِشَامَا
وعَلَىَّ أَنْ أَقودَ الخيل شُعْثاً ... شَوَازِبَ ضُمَّرًا تَقِصُ الإِكامَا
فأُصبِحَهُنَّ حِمْيَرَ من قريب ... وعكًّا أَو أُرُعْ بهما جُذاما
وَنَسقِى مَذْحِجًا والحىَّ كلباً ... منَ الذَّيفَان أَنفاساً قَوَاما
عشائرنا التى تبغى علينا ... تَجُرِّبُنا زَكَا عاماً فعاماَ
ولولاهمْ وما جَلَبُوا علينا ... لأَصبح وَسْطَنَا مَلِكا هُمَامَا

وقال أيضًا يرثى يزيد بن المهلّب :

أَبَى طُولُ هذا اللَّيْل أَنْ يَتَصَرَّمَا ... وَهَاجَ لك الهَمُّ الفؤاد المُتَيَّمَا
أَرِقتُ وَلَمْ تأْرَقْ مَعِى أُمُّ خالد ... وقد أَرِقَتْ عيناىَ حَوْلاً مُجرَّمَا
على هَالِكٍ هَدَّ العشيرة فَقْــدُهُ ... دعته المنايا فاستجاب وَسَلَّمَا ١٤١٥/٢
على مَلِكٍ يا صَاح بِالعَقْر جُبِّنَتْ ... كتائبه واسْتَوْرَدَ الموت مُعلِما

---

(١) فى ابن الأثير : « قطنة ؛ بالنون ؛ وهو ثابت بن كعب بن جابر العتكى الأزدى ، أصيبت عينه بخراسان ، فجعل عليها قطنة ، فعرف بذلك ؛ وهو يشتبه بثابت قطبة ، بالباء الموحدة ، وهو خزاعى ، وذاك عتكى » .

أُصيب ولم أشهد ولو كنتُ شاهدًا تَسلَّيْتُ إن لم يجْمَع الحىُّ مأْتمَا
وفى غِيَرِ الأيّام يا هِنْدُ فاعلمى لِطَالِبِ وِترٍ نظرة إن تلوَّمَا
فعلِّىَ إن مالت بىَ الريح مَيْلَةً عَلى ابن أَبى ذِبَّانَ أن يَتَنَدَّمَا
أَمَسْلمَ إن يَقْدِرْ عليك رِماحُنا نُذِقْكَ بها قَىْءَ الأَسَاوِدِ مُسلَمَا
وإن نلقَ للعباس فى الدهر عثرةً نُكافِئه باليوم الذى كان قَدَّما
قصاصاً ولا نَعدُو الذى كانَ قَد أَتى إلينا وإن كان ابن مروانَ أظلَمَا
ستَعلَمُ إن زلَّت بك النَّعل زلةً وأَظهَرَ أقوام حياءً مجَمجَمَا
١٤١٦/٢ من الظالم الجَانِى على أَهل بيته إذا أُحْضِرَت[١] أَسباب أَمر وَأَبهمَا
وَإنا لَعطَّافُونَ بالحلم بعد مَا نرَى الجهلَ من فرطِ اللئيم تكرُّما
وإنا لحَلاَّلونَ بالثَّغرِ لا نرى به ساكِناً إلا الخميس العَرَمرَمَا
نرى أَنَّ لِلجِيرَانِ حاجاً وَحُرمَةً إذَا النَّاسُ لم يَرْعَوْا لدى الجارِ مَحرمَا
وَإنَّا لنَقرِى الضيف من قَمعِ الذُّرَى إذَا كانَ رفدُ الرافدين تجَشُّمَا
وراحت بصُرَّادٍ مُلِثٌّ جليدُه عَلى الطلحِ أرماكاً من الشهب صُيَّمَا
أَبونا أَبُو الأَنصار عَمْرُو بنُ عامِرِ وَهُمْ وَلَدُوا عوفاً وكعباً وَأَسلَمَا
وقد كانَ فى غَسَّانَ مجدٌ يَعُــدُّهُ وَعَادِيَّةٌ كانت مِنَ المجدِ مُعظمَا

* * *

[ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق وخراسان]

١٤١٧/٢ فلما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرْب يزيد بن المهلب ، جمع له[٢] يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخُراسان فى هذه السنة ، فلما ولّاه يزيد ذلك ،ولّى مسلمة الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وقام بأمر البصرة بعد أن خرج منها آل المهلب — فيما قيل — شبيبُ بن الحارث التميمىّ ، فضبطها ، فلمّا ضُمّت إلى مسلمة بعث عاملا

(١) ابن الأثير : « أحضرت » .

(٢) ابن الأثير : « له أخوه » .

عليها عبد الرحمن بن سليم الكلبيّ ، وعلى شُرْطتها وأحداثها عمر بن يزيد التميميّ ، فأراد عبد الرحمن بن سليم أن يستعرِض أهلَ البصرة ، وأفشى ذلك إلى عمر بن يزيد ، فقال له عمر : أتريد أن تستعرض أهل البصرة ولم تَمْن حصناً بكويفة ، وتدخل من تحتاج إليه ! فوالله لو رَماك أهل البصرة وأصحابك بالحجارة لتخوّفت أن يقتلونا ؛ ولكن أنظرنا عشرة أيام حتى نأخذ أهبة ذلك . ووجه رسولا إلى مسلمة يخبره بما همّ به عبد الرحمن ، فوجّه مسلمة عبد الملك ابن بشر بن مروان على البصرة ، وأقرّ عمر بن يزيد على الشرْطة والأحداث .

* * *

[ذكر استعمال مسلمة سعيد خذينة على خراسان]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة وجّه مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبد العزيز ابن الحارث بن الحكم بن أبى العاص ، وهو الذى يقال له سعيد خُذَينة — وإنما لقب بذلك — فيما ذكر — أنه كان رجلاً ليناً سهلا متنعماً[١] ، قدم خراسان على بختيّه معلقاً سكيناً فى منطقته[٢] ، فدخل عليه[٣] ملك أبغَر، وسعيد متفضّل فى ثياب مصبّغة، حوله[٤] مرافق مصبّغة ، فلما خرج[٥] من عنده قالوا له : كيف رأيت الأمير ؟ قال : خذينيّة ، لمّتْه سُكينيّة ؛ فلقب خذينة وخذينة هى الدهقانة ربّة البيت ، وإنما استعمل مسلمة سعيدَ خذينة على خراسان لأنه كان ختَنه على ابنته ، كان سعيد متزوجاً بابنة مسلمة .

١٤١٨/٢

ولما ولى مسلمة سعيد[٦] خذينة خراسان ، قدم إليها قبل شخوصه سَوْرَة ابن الحرّ من بنى دارم ، فقدمها قبل سعيد — فيما ذكر — بشهر ، فاستعمل شعبة بن ظُهَير النهشليّ على سَمَرْقند ، فخرج إليها فى خمسة وعشرين رجلا من أهل بيته ، فأخذ على آمُل ، فأتى بخارى، فصحبه منها مائتا رجل ، فقدم

---

(١) ف : « منعما » .
(٢) ب : « منطقة » .
(٣) ح : « على » .
(٤) ابن الاثير : « وحوله » .
(٥) ح : « خرجوا » .
(٦) ب : « سعيدا » .

السُّغْد ، وقد كان أهلها كفروا فى ولاية عبد الرحمن بن نعيم الغامدىّ، ووليها ثمانية عشر شهراً ، ثم عادوا إلى الصُّلح ، فخطب شعبة أهل السُّغْد ، ووبَّخ سكانها من العرب وعيَّرهم بالجُبْن ، فقال[1] : ما أرى فيكم جريحًا ، ولا أسمع فيكم أنةً . فاعتذروا إليه بأن جبَّنوا عاملهم عِلباء بن حبيب العبدى ، وكان على الحرب. ثم قدم سعيد ، فأخذ عمّال عبد الرحمن بن عبد الله القشيرىّ الذين وُلُّوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم ، فكلّمه فيهم عبد الرحمن بن عبدالله[2] القُشيرىّ ، فقال له سعيد : قد رُفِع عليهم أن عندهم أموالاً من الخراج . قال : فأنا أضمنه ، فضمِن عنهم[3] سبعمائة ألف ، ثم لم يأخذه بها . ٢/١٤١٩

ثمّ إنّ سعيداً رفع إليه — فيما ذكر علىّ بن محمد — أن جهم بن زَحْر الجعفىّ وعبدالعزيز بن عمرو بن الحجاج الزّبيدىّ والمنتجع بن عبد الرحمن الأزدىّ والقعقاع الأزدىّ ولُّوا ليزيد بن المهلب وهم ثمانية[4] ، وعندهم أموال قد اختانوها من فىء المسلمين . فأرسل إليهم ، فحبسهم فى قُهُنْدُز مَرْو ، فقيل له : إن هؤلاء لا يؤدّون إلا أن تبسط عليهم . فأرسل إلى جَهْم بن زَحْر ، فحمِل على حمار من قهندز مَرْو ، فمرّوا به على الفيض بن عمران ، فقام إليه فوجأ أنفه ، فقال له جهم : يا فاسق ، هلاّ فعلت هذا حين أتوْنى بك سكران قد شربت الخمر ، فضربتك حدًّا ! فغضب سعيد على جَهْم فضربه مائتى سوط ، فكبّر أهل السوق حين ضرِب جَهْم بن زَحْر ، وأمر سعيد بجهم والثمانية الذين كانوا فى السجن فدُفعوا[5] إلى ورقاء بن نصر الباهلىّ ، فاستعفاه فأعفاه . ٢/١٤٢٠

وقال عبد الحميد بن دِثار — أو عبد الملك بن دِثار — والزّبير بن نشيط مولى باهلة ، وهو زوج أم سعيد خذينة : ولّنا محاسبتهم ، فولاهم فقتلوا فى العذاب جهماً ، وعبد العزيز بن عمرو والمنتجع ، وعذبوا القعقاع وقومًا حتى أشرفوا على الموت . قال : فلم يزالوا فى السجن حتى غزتهم الترك وأهل السّغد ، فأمر سعيد بإخراج

---

(١) ابن الاثير : « وقال » .
(٢) ب : « عبد الله بن عبد الرحمن » .
(٣) ح : « عليه » .
(٤) ابن الأثير : « فى ثمانية نفر » .
(٥) ب : « فرفعوا » ، ابن الاثير : « فسلموا » .

مَنْ بقى منهم ، فكان سعيد يقول : قبّح الله الزُّبير ، فإنه قتل جهماً !

***

وفى هذه السنة غزا المسلمون السُّغْد والتُّرك، فكان فيها الوقعة بينهم بقصر الباهلىّ.

***

وفيها عزل سعيد خذينة شعبة بن ظُهَيْر عن سمرقند .

ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شُعْبَةَ وسبب هذه الوقعة وكيف كانت :

ذكر علىّ بن محمد ، عن الذين تقدم ذكرى خبره عنهم ، أنّ سعيد خذينة لما قدم خُراسان ، دعا قومًا من الدّهاقين ، فاستشارهم فيمن يوجّه إلى الكُور ، فأشاروا إليه بقوم من العرب ، فولّاهم ، فشكُوا إليه ، فقال للناس يومًا وقد دخلوا عليه : إنى قدمت البلد ، وليس لى علم بأهله ، فاستشرت فأشاروا[١] علىّ بقوم ، فسألتُ عنهم فحمِدوا ، فولّيتهم، فأحرّج عليكم لمّا أخبرتمونى عن عمّالى . فأثنى عليهم القوم خيراً ، فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيرىّ : لو لم تُحرّج[٢] علينا لكففتُ[٣] ، فأما إذ حرّجتَ علينا فإنك شاورت المشركين فأشاروا عليك بمنْ لا يخالفهم وبأشباههم[٤] ؛ فهذا علمنا فيهم . ٢/١٤٢١

قال : فاتّكأ سعيد ثم جلس ، فقال : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ، قوموا .

قال : وعزل سعيد شعبة بن ظهير عن السُّغد ، وولّى حربها عثمانَ بن عبد الله بن مطرِّف بن الشِّخِّير ، وولّى الخراج سليمان بن أبى السَّرِىّ مولى بنى عُوافة ، واستعمل على هَراة معقِل بن عروة القشيرىّ ، فسار إليها . وضعّف الناس سعيداً وسمّوه خذينة ، فطمع فيه التّرك ، فجمع له خاقان التّرك ،

---

(١) ب : « فأشار » . (٢) ح : « تخرج » .
(٣) ب : « للكففنا » .
(٤) ب : « ولا بأشباههم » .

ووجّههم إلى السُّغد ، فكان على الترك كورصول ، وأقبلوا حتّى نزلوا قصر الباهليّ .

وقال بعضهم : أراد عظيمٌ من عظماء الدّهاقين أن يتزوّج امرأة من باهلة ، وكانت فى ذلك القصر ، فأرسل إليها يخطبها ، فأبت ، فاستجاش ورجا أن يسبُوا مَنْ فى القصر ، فيأخذ المرأة ، فأقبل كورصول حتّى حصر أهل القصر ، وفيه مائة أهل بيت بذراريّهم ، وعلى سمرقند عثمان بن عبد الله[1] وخافوا أن يبطئ عنهم المدد ، فصالحوا الترك على أربعين ألفًا ، وأعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة ، وندب عثمان بن عبد الله الناس ، فانتدب المسيّب بن بشر الرياحيّ ٢/١٤٢٢ وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل ، فقال شعبة بن ظهير : لو كان ها هنا خيول خُراسان ما وصلوا إلى غايتهم[2] .

قال : وكان فيمن انتدب من بنى تميم شُعْبة بن ظُهَير النهشليّ وبلعاء بن مجاهد العنْزيّ ، وعميرة بن ربيعة أحد بنى العُجَيف — وهو عميرة الثريد — وغالب بن المهاجر الطائىّ — وهو عمّ أبى العباس الطوسىّ — وأبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائىّ ، وثابت قُطنة ، وأبو المهاجر بن دارة من غطفان ، وحُليس[3] الشيبانىّ ، والحجاج بن عمرو الطائىّ ، وحسان بن مَعْدان الطائىّ ، والأشعث أبو حطامة وعمرو بن حسّان الطائيّان . فقال المسيّب بن بشر لما عسكروا : إنكم تقدمون على حَلْبة الترك ، حلْبة خاقان وغيرهم ، والعِوَض إن صبرتم الجنة ، والعقاب النار إن فررتم ، فمن أراد الغزو والصبر فليقدم .

فانصرف عنه ألف وثلثمائة ، وسار فى الباقين ، فلما سار فرسخًا قال للناس مثل مقالته الأولى ، فاعتزل ألف ، ثم سار فرسخًا آخر فقال لهم مثل ذلك ، فاعتزل ألف ، ثم سار — وكان دليلهم الأشهب بن عبيد الحنظلىّ — حتى إذا كان على فرسخين من القوم نزل فأتاهم ترك خاقان ملك قِيّ فقال : إنه لم يبقَ هاهنا دِهْقان ٢/١٤٢٣ إلا وقد بايع الترك غيرى ، وأنا فى ثلثمائة مقاتل فهم معك ، وعندى الخبر ، قد كانوا صالحوهم على أربعين ألفًا ؛ فأعطوهم سبعة عشر رجلا ؛ ليكونوا رَهْنًا

(١) بعدها فى ب : « ابن مطرف » .

(٢) ب : « إغاثتهم » .

(٣) ط : « جليس » ، بالجيم ، تحريف .

فى أيديهم(١) حتّى يأخذوا صلحَهم ؛ فلما بلغهم مسيركم إليهم قتل الترك مَنْ كان فى أيديهم من الرهائن .

قال : وكان فيهم نهشل بن يزيد الباهلىّ فنجا لم يقتَل ، والأشهب بن عبيد الله الحنظلىّ ؛ وميعادهم أن يقاتلوهم(٢) غداً أو يفتحوا القَصْر ، فبعث المسيّب رجلين : رجلا من العرب ورجلاً من العجم من ليلته على خيولهم ، وقال لهم : إذا قربتم فشُدّوا دوابّكم بالشّجَر ، واعلموا علم القوم . فأقبلا فى ليلة مظلمة ، وقد أجْرَت(٣) الترك الماء فى نواحى القصر ؛ فليس يصل إليه أحدٌ ، ودنوا من القصر ؛ فصاح بهما الربيئة ، فقالا : لا تصِحْ وادعُ لنا عبد الملك ابن دثار ، فدعاه فقالا له : أرسلنا المسيّب ، وقد أتاكم الغِياث ، قال : أين هو ؟ قال : على فرسخين ؛ فهل عندكم امتناع ليلتك وغداً ؟ فقال : قد أجمعنا على تسليم(٤) نسائنا وتقديمهم للموت أمامنا ؛ حتى نموت جميعًا غداً .

فرجعا إلى المسيّب ، فأخبراه فقال المسيّب للذين معه : إنى سائر إلى هذا العدوّ ، فمن أحبّ أن يذهب فليذهب ، فلم يفارقه أحدٌ ؛ وبايعوه على الموت .

فسار وقد زاد الماء الذى أجروه حول المدينة(٥) تحصيناً ، فلمّا كان بينه وبينهم نصف فرسخ نزل ، فأجمع على بياتهم ؛ فلما أمسى أمر الناس فشدّوا على خيولهم ، وركب فحثّهم على الصبر ، ورغّبهم فيما يصير إليه أهل الاحتساب والصّبْر ، وما لهم فى الدنيا من الشرف والغنيمة إن ظفروا ، وقال لهم : اكعَموا(٦) دوابّكم وقُودوها(٧) ، فإذا دنوتم من القوم فاركبوها ، وشدّوا شدّةً صادقة وكبّروا ، وليكن شعاركم : يامحمد ؛ ولا تتبعوا موليًا ، وعليكم بالدوابّ فاعقِروها ، فإنّ الدوابّ إذا عُقِرت كانت أشدّ عليهم منكم ، والقليل الصابر خيرٌ من الكثير الفشِل ؛ وليست بكم قِلّة ، فإنّ سبعمائة سيف لا يُضرب بها فى عسكر إلا أوهنوه وإن كثُر أهله .

١٤٢٤/٢

(١) ب : « بأيديهم » . (٢) ح : « يقاتلهم » ، ابن الأثير : « يقاتلوا » .
(٣) ب وابن الاثير : « أخذت » .
(٤) ح : « تسليح » ، ابن الأثير : « على تقديم نسائنا إلى الموت » .
(٥) ح : « الذى أحرفه للمدينة » .
(٦) الكعام : شىء يجعل على فم البعير ؛ وكعم البعير : شد فاه بالكعام فى هياجه لئلا يعض أو يأكل .
(٧) كذا فى ب ، وفى ط : « قودوهم » .

قال : وعبّأهم وجعل على الميمنة كثيّر بن الدّبوسىّ ، وعلى الميسرة رجلا من ربيعة يقال له ثابت قُطْنة ، وساروا حتى إذا كانوا منهم على غلوتين كبروا وذلك فى السحَر ، وثار الترك ، وخالط المسلمون العسكر ، فعقروا الدوابّ ، وصابرهم الترك ، فجال المسلمون وانهزموا حتى صاروا إلى المسيّب ، وتبعهم الترك وضربوا عَجُز دابة المسيّب فترجّل رجال من المسلمين ، فيهم البَختَرىّ أبو عبد الله المرائىّ ، ومحمد بن قيس الغَنَوىّ — ويقال : محمد بن قيس العنبرىّ — وزياد الأصبهانىّ ، ومعاوية بن الحجاج ، وثابت قطنة . فقاتل البَختَرىّ فقطعت[1] يمينه ، فأخذ السيف بشماله فقطعت ، فجعل يذبّ بيديه حتى ٢/١٤٢٥ استشهد . واستشهد أيضًا محمد بن قيس العنبرىّ أو الغَنَوىّ وشبيب بن الحجاج الطائىّ .

قال : ثم انهزم المشركون ، وضرب ثابت قُطْنة عظيمًا من عظمائهم ، فقتله ، ونادى منادى المسيّب : لا تتبعوهم[2] ؛ فإنهم لا يدرون من الرّعب اتّبعتموهم أم لا ! واقصدوا القَصْر ، ولا تحملوا شيئًا من المتاع إلا المال ، ولا تحمّلوا من يقدر على المشى .

وقال المسيّب : مَنْ حمل امرأة أو صبيًّا أو ضعيفًا حِسْبَةً فأجرُه على الله ، ومَنْ أبى فله أربعون درهمًا ، وإن كان فى القصر أحدٌ من أهل عَهْدكم فاحملوه . قال : فقصدوا جميعًا القَصْر ، فحملوا مَنْ كان فيه ، وانتهى رجلٌ من بنى فُقَيم إلى امرأة ، فقالت : أغِثْنى أغاثك الله ! فوقف وقال : دونك وعجز الفرس ، فوثبت فإذا هى على عَجُز الفرس ؛ فإذا هى أفرَسُ من رجل ، فتناول الفقيمىّ بيد ابنها ، غلامًا صغيراً ، فوضعه بين يديه ، وأتَوْا ترك خاقان ، فأنزلهم قصره وأتاهم بطعام ، وقال : الحقوا بسمرقَنْد ، لا يرجعوا فى آثاركم . فخرجوا نحو سمرقند ، فقال لهم : هل بقى أحد ؟ قالوا : هلال الحريرىّ ، قال : لا أسلمه ، فأتاه وبه بضع وثلاثون جراحة ، فاحتمله ، فبرأ ، ثم أصيب يوم الشعب مع الجنيد .

قال : فرجع الترك من الغدِ ، فلم يروا فى القَصْر أحداً ، ورأوا

---

(١) ب : « حتى قطعت » . (٢) ط : « تتبعهم » ، وما أثبته من ب .

قتلاهم ، فقالوا : لم يكن الّذين جاءوا من الإنس ، فقال ثابت قطنة :

فَدَتْ نفسى فوارسَ مِن تميم غَدَاةَ الرَّوع فى ضَنْكِ المقامِ ١٤٢٦/٢
فدت نفسِى فوارسَ أكنفونى على الأَعداءِ فى رَهَج القَتَامِ
بِقَصْرِ الباهلىِّ وقد رأوْنِى أُحَامِى حيثُ ضَنَّ به المُحامى[1]
بسيفى بَعدَ حَطْمِ الرُّمحِ قُدْماً أَذُودُهُم بذى شُطَبٍ جُسَامِ
أَكُرُّ عليهمُ اليَحْمُومَ كَرًّا ككرِّ الشَّرْبِ آنيَةَ المُدامِ
أَكُرُّ به لدَى الغمراتِ حتى تَجلَّتْ لاَ يَضيقُ بها مَقامِى
فلوْلا اللهُ ليس له شَرِيكٌ وضَرْبِى قَوْنَسَ الملكِ الهمامِ
إذًا لَسعَتْ نساءُ بنى دِثَارٍ أمامَ الترك باديةَ الخِدَامِ !
فمَنْ مِثْلُ المسيّبِ فى تميمٍ أَبى بِشْرٍ كَقادِمةِ الحمامِ

وقال جرير يذكر المسيّب :

لولا حِمايَةُ يربُوعٍ نساءَكُمُ كانت لغيركمُ منهنَّ أَطهارُ[2] ١٤٢٧/٢
حَامى المسيّبُ والخيلان فى رَهَجٍ إذ مازنٌ ثَمَّ لا يُحمَى لها جارُ[3]
إذْ لا عِقَالُ يُحَامِى عن ذمارِكُمُ ولا زُرَارَةُ يَحْمِيها ووزّارُ

قال : وعوّر تلك الليلة أبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائىّ ، وشُلّت يدُه ، وقد كان ولى ولاية قِبَل سعيد ، فخرج عليه شىء مما كان بقَى عليه ، فأخذ به ، فدفعه سعيد إلى شدّاد بن خُليد الباهلىّ ليحاسبه ويستأديه[4] فضيّق عليه شدّاد ، فقال : يا معشرَ قيس ، سرتُ إلى قصر الباهلىّ وأنا شديد البَطْش ، حديد البصر ، فعُوّرتُ وشَلّتْ يدى ، وقاتلت مع مَنْ قاتل

(١) ابن الأثير : « حيث ضربه » .
(٢) ديوانه ١٩٨ .
(٣) الديوان : « أزمان شبة لا يحمى ونعار » .
(٤) ابن الأثير : « ويستأذنه » .

حتّى استنقذناهم بعد أن أشرفوا[١] على القتل والأسْر والسَّبى ، وهذا[٢] صاحبكم يصنع بى ما يصنع[٣] ، فكفُّوه عنى ، فخلاّه .

قال : وقال عبد الله بن محمد عن رجل شهد ليلة قصر الباهلىّ قال : كنا فى القصر ، فلما التقوا ظننا أنّ القيامة قد قامت لما سمعنا من هَمَاهم القوم ووقْع الحديد وصهيل الخيل . ١٤٢٨/٢

* * *

[ذكْر الخبر عن غزو سعيد خذينة السُّغْد]

وفى هذه السنة قطع سعيد خذينة نهر بلْخ وغزا السُّغْد[٤] ، وكانوا نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين .

* ذكر الخبر عما كان من أمر سعيد والمسلمين فى هذه الغزوة :

وكان سبب غزو[٥] سعيد هذه الغزوة — فيما ذُكر — أنّ الترك عادوا إلى السُّغْد ، فكلم الناس سعيداً وقالوا : تركت الغزو ، فقد أغار الترك ، وكفر أهل السُّغْد ، فقطع النهر ، وقصد للسغْد ، فلقيَه الترك وطائفة من أهل السُّغْد فهزمهم المسلمون ، فقال سعيد : لا تتبعوهم ؛ فإن السُّغْد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتموهم ؛ أفتريدون بوارَهم ! وقد قاتلم يا أهل العراق الخلفاء غير مرّة فهل أباروكم[٦] ! .

وسار المسلمون ، فانتهوْا إلى وادٍ بينهم وبين المرْج ، فقال عبد الرحمن ابن صُبح : لا يقطعنّ هذا الوادى مُجفِّف ولا راجل ، وليعبر مَنْ سواهم. فعبروا[٧] ، ورأتهم الترك ، فأكمنوا كميناً ، وظهرت لهم خيل المسلمين فقاتلوهم ، فانحاز الترك فأتبعوهم حتى جازُوا الكمين ، فخرجوا عليهم ، فانهزم المسلمون حتّى انتهوْا إلى الوادى ، فقال لهم عبد الرحمن بن صبح : سابقوهم ، ولا تقطعوا فإنكم إن قطعتم أبادوكم . فصبروا لهم حتى انكشفوا عنهم ، فلم يتبعوهم ، فقال ١٤٢٩/٢

---

(١) ب وابن الأثير : « ما أشرفوا » .
(٢) ب : « فهذا » .
(٣) ح : « صنع » .
(٤) ب وابن الأثير : « الصغد » .
(٥) ح : « غزوة » .
(٦) ابن الأثير : « أبادوكم » .
(٧) ب : « فساروا » .

قوم : قُتِل يومئذ شُعْبة بن ظُهَيْر وأصحابه ، وقال قوم : بل انكشف الترك منهم يومئذ منهزمين ، ومعهم جمع من أهل السُّغْد . فلما كان الغد ، خرجت مَسلحة للمسلمين – والمسلحة يومئذ من بنى تميم – فما شعروا إلا بالترك معهم ، خرجوا عليهم من غيضة وعلى خيل بنى تميم شعبة بن ظُهَير ، فقاتلهم شعبة فقُتل ؛ أعجلوه عن الركوب . وقتِل رجل من العرب ، فأخرجت جاريته حِنّاء ، وهى تقول : حتى متى أعدّ لك مثل هذا الخضاب ، وأنت مختضب بالدم ! مع كلام كثير ، فأبكت أهلَ العسكر . وقتِل نحو من خمسين رجلا ، وانهزم أهلُ المسلحة ، وأتى الناسَ الصّريخ ، فقال عبد الرحمن بن المهلب العدوىّ : كنت أنا أوّل مَن أتاهم لما أتانا الخبر ، وتحتى فرس جواد ، فإذا عبد الله بن زهير إلى جنْب شجرة كأنه قُنفذ من النشّاب ؛ وقد قتل ، وركب الخليل بن أوس العبشمىّ – أحد بنى ظالم ، وهو شابّ – ونادى : يابنى تميم ، أنا الخليل ؛ إلىّ ! فانضمّت[1] إليه جماعة – فحمل بهم على العدوّ ، فكفّوهم ووزَعوهم عن الناس حتى جاء الأمير والجماعة ، فانهزم العدوّ ، فصار الخليل على خيل بنى تميم يومئذ ، حتى ولى نصر بن سيار ؛ ثم صارت رياسة بنى تميم لأخيه الحكم بن أوس .

١٤٣٠/٢ وذكر علىّ بن محمد ، عن شيوخه ؛ أن سورة بن الحُرّ قال لحيّان : انصرف يا حيّان ، قال : عقيرة الله أدَعُها وأنصرف قال : يا نبطىّ قال : أنبط الله وجهك !

قال : وكان حيّان النبطىّ يكنى فى الحرب أبا الهيّاج ، وله يقول الشاعر :

إنَّ أَبا الهَيّاج أَرْيَحِىٌّ لِلرِّيحِ فى أَثوَابِه دَوِىٌّ

قال : وعبر سعيد النَّهر مرتين ، فلم يجاوز سَمَرْقند ، نزل فى الأولى بإزاء العدوّ ، فقال له حيّان مولى مصقَلة بن هبيرة الشيبانىّ : أيها الأمير ، ناجز أهل السُّغد ، فقال : لا ، هذه بلاد أمير المؤمنين ، فرأى دخاناً ساطعاً ، فسأل عنه فقيل له : السُّغْد قد كفروا ومعهم بعض الترك . قال : فناوشهم ، فانهزموا

---

(١) ابن الأثير : « فاجتمع » .

فألحُّوا فى طلبهم ، فنادى منادى سعيد : لا تطلبوهم ؛ إنما السُّغد بستان أمير المؤمنين ، وقد هزمتموهم ، أفتريدون بوارَهم ! وأنتم يا أهل العراق قد قاتلتم أمير المؤمنين غير مرّة ، فعفا عنكم ولم يستأصلكم ورجع ، فلما كان العام المقبل بعث رجالاً من بنى تميم إلى وَرَغْسَر ، فقالوا : ليتنا نلقى العدوّ فنطاردهم — وكان سعيد إذا بعث سريّة فأصابوا وغنموا [١] وسبوا ردّ ذرارىّ السَّبْى وعاقب السريّة ، فقال الهجرىّ وكان شاعراً :

١٤٣١/٢ سريت إلى الأَعْداءِ تلهُو بلعبة وأيْرُك مسلولٌ وسيفك مُغْمَدُ
وأنتَ لِمن عادَيتَ عِرْسٌ خَفِيَّةٌ وَأَنتَ علَينا كالحُسَام المُهَنَّدِ
فللّه دَر السّغدِ لما تَحَزّبُوا [٢] وَيا عجَباً من كَيْدكَ المُتَرَدّدِ !

قال : فقال سورة بن الحرّ لسعيد — وقد كان حفظ عليه ، وحقد عليه قوله : «أنبط الله وجهك» — : إنّ هذا العبد أعدى الناس للعرب والعمال ، وهو أفسد خراسان على قتيبة بن مسلم ، وهو واثب بك ، مفسد عليك خراسان ؛ ثم يتحصّن [٣] فى بعض هذه القلاع . فقال : ياسورة [٤] لا تُسمِعنّ هذا أحداً . ثم مكث أيامًا ، ثم دعا فى مجلسه بلبَن ، وقد أمر بذهب فسحِق ، وألْقِىَ فى إناء حيَّان فشربه ، وقد خلط بالذهب ، ثم ركب ، فركب الناس أربعة فراسخ إلى بارْكث ؛ كأنه يطلب عدوًّا ، ثم رجع فعاش حيّان أربعة أيام ومات فى اليوم الرابع ، فثقُل سعيد على الناس وضعّفوه ، وكان رجل من بنى أسد يقال له إسماعيل منقطعاً إلى مَرْوان بن محمد ، فذُكر إسماعيل عند خُذَينة ١٤٣٢/٢ ومودّته لمروان ، فقال سعيد : وما ذاك الملِط ! فهجاه إسماعيل ، فقال :

زَعمت خُذَينَةُ أَننى مِلطٌ [٥] لِخُذينَـةَ المرآةُ والمُشْطُ
وَمَجَامِرٌ ومكاحِلٌ جُعلت ومَعَازِفٌ وَبخدّها نُقط

---

(١) ابن الأثير : «أوغنموا» .
(٢) ح : «تحربوا» .
(٣) ب : «نتحصن» .
(٤) ابن الاثير : «فقال سعيد : لا أسمعن هذا أحداً» .
(٥) الملط : الذى لا يعرف له نسب ولا أب .

أفذاكَ أَم زَغَفٌ مُضاعَفَةٌ ومُهَنَّدٌ من شأْنه القَطُّ

لمُقَرِسٍ ذَكرٍ أَخِى ثِقَةٍ لم يَغذهُ التَّأْنِيث واللَّقْطُ

أَغَضِبتَ أَن باتَ ابن أُمّكُمُ بِهم وَأَن أَباكُمُ سقط

إنى رأَيت نِبَالَهُمْ كُسِيتْ ريش اللُّؤَّامِ ونَبلَكم مُرْط

وَرَأَيْتُهُمْ جعلوا مكاسِرَهُمْ عندَ النَّدىِّ وأَنتُمُ خِلْط

* * *

[عزل مسلمة عن العراق وخراسان]

وفى هذه السنة عُزِل مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وانصرف إلى الشام .

* ذكر الخبر عن سبب عزله وكيف كان ذلك :

وكان سبب ذلك — فيما ذكر علىّ بن محمد — أنّ مسلمة لما ولىَ ما ولىَ من أرض العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيئًا ، وأنّ يزيد بن عاتكة أراد عزلَه فاستحيا منه ، وكتب إليه أن استخلف على عملك ، وأقبل .

١٤٣٣/٢

وقد قيل إنّ مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان فى الشخوص إلى ابن عاتكة ليزورَه ، فقال له : أمن [١] شوق بك إليه ! إنك لطَرُوب ، وإنّ عهدك به لقريب ، قال : لا بدّ من ذلك ، قال : إذاً لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالى عليه ، فشخص ؛ فلما بلغ دُورين لقيه عمر بن هبيرة على خمس[٢] من دوابّ البريد ، فدخل عليه ابن هبيرة ، فقال : إلى أين يابن هبيرة ؟ فقال : وجّهنى أمير المؤمنين فى حيازة أموال بنى المهلب . فلما خرج من عنده أرسل إلى عبد العزيز فجاءه ، فقال : هذا ابن هبيرة قد لقينا كما ترى ، قال : قد أنبأتك ، قال : فإنه إنما وجّهه لحيازة أموال بنى المهلب ، قال : هذا[٣] أعجب من الأوّل ؛ يصرف عن الجزيرة ، ويوجّه فى حيازة أموال

---

(١) ف : « من » .
(٢) ح : «فى خمسين » .
(٣) ب : « فإن هذه » .

بنى المهلب ، قال : فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق :

رَاحَت بِمَسلمَةَ الرِّكابُ مُودِّعا فارعَىْ فَزَارَة لا هناكِ المرتَعُ[١]
عُزِلَ ابن بِشرٍ وابن عمرٍو قبلَهُ وأَخُو هَرَاةَ لِمِثلِهَا يَتوَقَّعُ[٢]
وَلَقَدْ علِمتُ لئنْ فَزَارَة أُمِّرَتْ أَنْ سَوْفَ تَطمَعُ فى الإِمارَةِ أَشجَع
من خَلق رَبِّكِ ما هُمُ ولمِثلهمْ فى مثل ما نالَتْ فَزَارَةُ يطمَعُ[٣]

١٤٣٤/٢ يعنى[٤] بابن بشر عبد الملك بن بشر بن مروان ، وبابن عمرو محمداً ذا الشامة بن عمرو بن الوليد ، وبأخى هراة سعيد خُذَينة بن عبد العزيز ، كان عاملا لمسلمة على خراسان .

وفى هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الرُّوم بأرمينية ، فهزمهم وأسر منهم بشراً كثيراً قيل سبعمائة أسير .

* * *

[بدء ظهور الدعوة]

وفيها وجّه — فيما ذكر ميسرةُ — رسلَه من العراق إلى خراسان وظهر أمر الدعوة[٥] بها ، فجاء رجل من بنى تميم يقال له عمرو بن بحير بن ورقاء السعدىّ إلى سعيد خذينة ، فقال له : إن ها هنا قومًا قد ظهر منهم كلام قبيح ، فبعث إليهم سعيد ، فأُتِىَ بهم ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : أناس من التجار ؟ قال : فما هذا الذى يحكى عنكم ؟ قالوا : لا ندرى ، قال : جئتم دعاة ؟ فقالوا :

(١) ديوانه ٥٠٩ ، وفيه : « ومضت لمسلمة » .
(٢) الديوان : « نزع ابن بشر » .
(٣) موضعه فى الديوان :

إنّ القِيَامَة قد دنَتْ أَشْراطها حَتّى أُميّة عن فَزَارة تنزع

(٤) ف : « ويعنى » . (٥) ب : « فظهر أمر الدعاة » .

إن لنا فى أنفسنا وتجارتنا شغلا عن هذا ، فقال : مَن يعرف هؤلاء ؟ فجاء أناس من أهل خراسان ، جُلُّهم ربيعة واليمن ، فقالوا : نحن نعرفهم ، وهم علينا إن أتاك منهم شيء تكرهه ، فخلّى سبيلهم .

* * *

[ذكر خبر قتل يزيد بن أبى مسلم بإفريقية]

وفيها – أعنى سنة اثنتين ومائة – قتل يزيد بن أبى مسلم بإفريقية وهو وال عليها. ٢/١٤٣٥

* ذكر الخبر عن سبب قتله :

وكان سبب ذلك أنه كان – فيما ذكر – عزم أن يسير بهم [1] بسيرة الحجّاج بن يوسف فى أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ، ممن كان أصله من السّواد من أهل الذّمة ، فأسلم بالعراق ممن ردّهم إلى قُراهم [2] ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم ، فلما عزم [3] على ذلك تآمروا فى أمره ، فأجمع [4] رأيهم – فيما ذكر – على قتله فقتلوه ، وولوا على أنفسهم الذى كان عليهم قبل يزيد بن أبى مسلم ؛ وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار ، وكان فى جيش يزيد بن أبى مسلم ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك : إنا لم نخلعْ أيدَينا من الطاعة ؛ ولكن يزيد بن أبى مسلم سامنا ما لا يرضى [5] الله والمسلمون ، فقتلناه ، وأعدْنا عاملك .

فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك : إنى لم أرض ما صنع يزيد بن أبى مسلم ، وأقرّ محمد بن يزيد على إفريقية .

* * *

وفى هذه السنة استعمل عمر بن هبيرة بن مُعَيَّة بن سكين بن خَدِيج بن مالك بن سعد بن عدىّ بن فزارة على العراق وخراسان . ٢/١٤٣٦

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك ؛ كذلك قال أبو معشر والواقدىّ .

---

(١) ب وابن الأثير : « فيهم » . (٢) ف : « قرارهم » .
(٣) ح : « عزموا » ، ابن الأثير : « فلما عزم يزيد » .
(٤) ب : « وأجمع » . (٥) ب وابن الأثير : « يرضاه » .

وكان العامل على المدينة عبد الرحمن بن الضّحّاك ، وعلى مكة عبد العزيز ابن عبد الله بن خالد بن أسيد . وعلى الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة ، وعلى قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان ، وعلى خراسان سعيد خُذينة ، وعلى مصر أسامة ابن زيد .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأَحداث

* * *

[عَزْل سعيد خذينة عن خراسان]

فمما كان فيها من ذلك عزل عمر بن هبيرة سعيد خُذينة عن خراسان ، وكان سبب عزله عنها – فيما ذكر علىّ بن محمد عن أشياخه – أن المجشّر بن مُزاحم السُّلَمىّ وعبد الله بن عُمير الليْثىّ قدِما على عمر بن هبيرة ، فشكواه فعزله ، واستعمل سعيد بن عمرو بن الأسود بن مالك بن كعب بن وَقْدان بن الحَرِيش [1] بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وخذينة غازٍ [2] بباب سمرقند ، فبلغ الناس عزلُه ، فقفل خذينة ، وخلّف بسمَرْقَند ألفَ فارس ، فقال نَهار بن تَوْسِعة :

فمن ذا مُبلغٌ فتيان قومِى [3] ... بأَنَّ النَّبلَ رِيشَتْ كُلَّ رَيْش
بأَنَّ اللهَ أَبْدلَ من سعيدٍ ... سعيدًا لا المُخَنَّثَ من قرَيش

١٤٣٧/٢

قال : ولم يعرض سعيد الحَرَشىّ لأحدٍ من عمال خُذَينة ، فقرأ رجل عهده فلحن فيه ، فقال سعيد : صه ، مهما سمعتم فهو من الكاتب ، والأمير منه برىء ، فقال الشاعر يضعّف الحَرَشىّ فى هذا الكلام :

تَبَدَّلْنَا سعِيدًا مِنْ سعيدٍ ... لجَدِّ السُّوءِ والقَدَرِ المُتاحِ

* * *

قال الطبرىّ : وفى هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة [4] يقال لها رسلة .

وفيها أغارت الترك عن اللان .

---

(١) ب : « فدان بن الحريش » .
(٢) ابن الأثير : « كان » .
(٣) ب وابن الأثير : « فهل من مبلغ » .
(٤) بعدها فى ف : « منها » .

وفيها ضمّت مكة إلى عبد الرحمن بن الضحاك الفهرىّ ، فجمعت له مع المدينة .

وفيها ولى عبد الواحد بن عبد الله النضرىّ، الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة .

وفيها أمر عبد الرحمن بن الضّحّاك أن يجمع بين أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعثمان بن حيّان المُرىّ ، وكان من أمره وأمرهما ما قد مضى ذكره قبل .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرىّ ، كذلك قال أبو معشر والواقدى . ١٤٣٨/٢

وكان عامل يزيد بن عاتكة فى هذه السنة على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك، وعلى الطائف عبد الواحد بن عبد الله النّضْرىّ (١) . وعلى العراق وخراسان عمر بن هبيرة ، وعلى خراسان سعيد بن عمرو الحرشىّ من قِبَل عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى .

* * *

[استعمال ابن هبيرة سعيدًا الحَرشىّ على خراسان]

وفيها استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحَرَشىّ على خراسان .

* ذكر الخبر عن سبب استعماله الحَرَشىّ على خراسان :

ذكر علىّ بن محمد عن أصحابه أنّ ابن هبيرة لما ولى العراق ، كتب إلى يزيد بن عبد الملك بأسماء من أبلَى يوم العَقْر ، ولم يذكر الحرَشىّ ، فقال يزيد بن عبد الملك : لِمَ لم يذكر الحرشىّ ؟ فكتب إلى ابن هبيرة : ولّ الحرشىّ خراسان . فولّاه ، فقدم الحرشىّ على مقدمته المجشّر بن مزاحم السلمىّ سنة ثلاث ومائة ، ثم قدم الحَرَشىّ خراسان ، والناس بإزاء العدوّ ، وقد كانوا نُكبوا ، فخطبهم وحثّهم على الجهاد ، فقال : إنكم لا تقاتلون عدوّ الإسلام بكثرة

(١) ب : « البصرى » ، ف : « النصرى » .

ولا بعُدّة ، ولكن بنصر الله وعزّ الإسلام ، فقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله .
وقال :

فلَسْتُ لعامر إنْ لم تَروني ... أمامَ الخَيلِ أَطعَنُ بالعوالى[1]
فأَضرِبُ هامَةَ الجَبَّارِ منهُمْ ... بعَضْب الحدِّحودِثَبالصَّقالِ[2]
فما أنا فى الحُرُوبِ بِمُستكِينٍ ... ولا أَخشى مُصاوَلَةَ الرِّجالِ
أَبَى لِى والدِى من كلِّ ذَمٍّ ... وخالِى فى الْحوادِثِ خَيْرُ خال
إذَا خطَرَتْ أَمامى حىٌّ كَعْب ... وزَافَتْ كالجِبالِ بنُو هِلالِ

١٤٣٩/٢

* * *

[ارتحال أهل السُّغد عن بلادهم إلى فرغانة]

وفى هذه السنة ارتحل أهل السُّغْد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمرو الحَرَشىّ فلحقوا بفَرغانة ، فسألوا ملكها معونتهم على المسلمين .

* ذكر الخبر عمّا كان منهم ومن صاحب فَرْغانة :

ذكر علىّ بن محمد عن أصحابه ، أنّ السغْد كانوا قد أعانوا الترك أيام خُذينة ، فلما وليهم الحَرَشىّ خافوا على أنفسهم ، فأجمع عظماؤهم على الخروج عن بلادهم ، فقال لهم ملكهم : لا تفعلوا ، أقيموا واحملوا إليه خراج ما مضَى ، واضمنوا له خراج ما تستقبلون ، واضمنوا له عمارة أرَضيكم[3] والغزو معه إن أراد ذلك ، واعتذِروا مما كان منكم ، وأعطوه رهائن يكونون فى يديه . قالوا : نخاف ألّا يرضى ، ولا يقبل منّا ، ولكنا نأتى خُجَنْدَة ، فنستجير ملكَها ، ونرسل إلى الأمير فنسأله الصفح عما كان منا ، ونوثّق له ألّا يرى أمرًا يكرهه ، فقال : أنا رجل منكم ، وما أشرتُ به عليكم كان خيرًا لكم ، فأبوْا ، فخرجوا إلى خُجَنْدة ، وخرج كارزنج وكشِّين وبَيَارْكَث وثابت بأهل إشْتِيخَن ، فأرسلوا إلى ملك فَرْغانة الطار يسألونه أن يمنَعهم وينزلهم

١٤٤٠/٢

(١) ابن الأثير : « نطعن » . (٢) حودث ، أى جلى .
(٣) ح : « أرضكم » ، ابن الأثير : « الأرض » .

مدينته. فهمّ أن يفعل، فقالت له أمّه: لا تُدخل هؤلاء الشياطين مدينتَك، ولكن فرّغ لهم رستاقًا يكونون فيه، فأرسل إليهم: سمُّوا لى رستاقاً[1] أفرّغه لكم، وأجِّلونى أربعين يومًا – ويقال: عشرين يومًا – وإن شئتم فرّغت لكم شعب عصام بن عبد الله الباهلىّ – وكان قتيبة خلّفه فيهم – فقبلوا شعب عصام. فأرسلوا إليه[2]: فرغه لنا، قال: نعم، وليس لكم علىّ[3] عقد ولا جِوار حتى تدخلوه؛ وإنْ أتتكم العرب قبل أن تدخلوه لم أمنعْكم، فرضوا؛ ففرّغ لهم الشِّعب.

وقد قيل: إن ابن هُبيرة بعث إليهم قبل أن يخرجوا من بلادهم يسألهم أن يقيموا، ويستعمل عليهم من أحبُّوا، فأبوا وخرجوا إلى خُجَنْدة وشِعب عصام من رُستاق أسفَرة – وأسفرة يومئذ ولىّ عهد ملك فرغانة بلاذا، وبيلاذا أنوجور ملكها.

وقيل: قال لهم كارزنج: أخيّركم ثلاث خصال، إن تركتموها هلكتم: إنّ سعيداً فارس العرب، وقد وجّه على مقدمته عبد الرحمن بن عبد الله القشيرىّ[4] ٢/١٤٤١ فى حماة أصحابه، فبيّتوه فاقتلوه؛ فإنّ الحَرَشىّ إذا أتاه خبره لم يغزُكم، فأبوْا عليه، قال: فاقطعوا نهر الشاش، فسلوهم ماذا تريدون؟ فإن أجابوكم وإلا مضيتم إلى سوياب، قالوا: لا، قال: فأعطوهم.

قال: فارتحل كارزنج وجلنج بأهل قِىّ، وأبار بن ماخنون وثابت بأهل إشتيخنَ، وارتحل أهل بياركث وأهل سَبَكْث بألف رجل عليهم مناطق الذّهب مع دهاقين بزْماجن، فارتحل الديواشنى بأهل بُنْجيكث إلى حصن أبْغَر، ولحق كارزنج وأهل السُّغد بخُجَنْدة.

* * *

تم الجزء السادس من تاريخ الطبرى

ويليه الجزء السابع، وأوله: ذكر حوادث سنة أربع ومائة

---

(١) بعدها فى ابن الأثير: « تكونون فيه حتى »، (٢) ب: « وقالوا له ».
(٣) ح: « عندى ». (٤) ب، ح: « القشرى ».

نموذج من نسخة (ا)

عزوه ٥ ثم وجه ابو العباس بعد ذلك اسمعيل بن علي واليا على فارس
وفي هذه السنة وجه ابو العباس اخاه ابا جعفر واليا على الجزيره
واذربيجان وارمينيه ووجه اخاه يحيى بن محمد بن علي واليا على الموصل
وفيها عزل عمه داود بن علي عن الكوفه وسوادها وولاه المدينه
ومكه واليمن واليمامه وولى موضعه وما كان اليه من عمل الكوفه
وسوادها عيسى بن موسى ٥ وفيها عزل مروان وهو بالخيرة عن المدينه
الوليد بن عروه وولاها اخاه يوسف بن عروه فذكر الواقدي
انه قدم المدينه لاربع خلون من شهر ربيع الاول وفيها استقضى
عيسى بن موسى على الكوفه ابن ابي ليلى ٥ وكان العامل على البصره
في هذه السنة سفين بن معويه المهلبي ٥ وعلى قضائها الحجاج بن ارطاه
وعلى فارس محمد بن الاشعث ٥ وعلى السند منصور بن جمهور ٥
وعلى الجزيره وارمينيه واذربيجان عبد الله بن محمد ٥ وعلى الموصل يحيى بن محمد
وعلى كور الشام عبد الله بن علي ٥ وعلى مصر ابو عون عبد الملك
ابن يزيد ٥ وعلى خراسان والجبال ابو مسلم ٥ وعلى ديوان الخراج
خالد بن برمك ٥ وحج بالناس في هذه السنة داود بن علي بن عبد الله
ابن عباس ٥ ثم دخلت سنة ثلث وثلثين ومايه ٥
انتهى الجزء الحادي عشر من التاريخ بعون الله وحسن توفيقه
يتلوه في الجزء الثاني عشر سنة ثلث وثلثين ومايه
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي واله وصحبه وسلم تسليما
وحسبنا الله ونعم الوكيل ٥

نموذج آخر من نسخة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم

ثم دخلت سنة ثلث وثلثين ومائة

ذكر ما كان في هذه السنة من الاحداث

فمن ذلك ما كان من توجيه ابي العباس عمه سليمان بن علي واليا على البصرة واعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان ومهرجانقذق وتوجيهه ايضا عمه اسمعيل بن علي على كور الاهواز ٥ وفيها قتل داود بن علي من كان اخذ من بني امية بمكة والمدينة ٥ وفيها مات داود ابن علي بالمدينة في شهر ربيع الاول منها ٥ وكانت ولايته فيما ذكر ثلثة اشهر واستخلف داود بن علي حين حضرته الوفاة على عمله ابنه موسى ولما بلغت ابا العباس وفاته وجه على المدينة ومكة والطائف واليمامة خاله زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي ووجه محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد المدان على اليمن فقدم اليمن في جمادى الاولى فاقام زياد بالمدينة ومضى محمد الى اليمن ثم وجه زياد بن عبيد الله من المدينة ابرهيم بن حسان السلمي وهو ابو حماد الابرص الى المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة وهو باليمامة فقتله وقتل اصحابه ٥ وفيها كتب ابو العباس الى ابن عون باقراره على مصر واليا عليها ٥ والى عبد الله بن علي على اجناد الشام ٥ وفيها وجه محمد بن الاشعث الى افريقية فقاتلهم قتالا شديدا حتى فتحها ٥ وفيها خرج شريك

نموذج من نسخة (ت)

أخبرني بذلك أبو ضمرة أنس بن عياض قال وكذا فيمن السنة ثم بحوث
أسمى قال العباس قال هرون وحدثني غير واحد من أصحابنا أن عبد
الواحد استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على
الناس أن يخرجوا فلما كانوا بالحرة لقيتهم جزر منحورة فمضوا قال
أبو جعفر وحج بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن سليمن
ابن عبد الملك بن مروان حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره
عن إسحق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر وكان
العامل على مكة والمدينة والطائف في هذه السنة عبد الواحد
ابن سليمن وعلى العراق عمر بن يزيد بن هبيرة وعلى قضاء الكوفة
الحجاج بن عاصم المحاربي فيما ذكر وعلى قضاء البصرة عباد بن
منصور وعلى خراسان نصر بن سيار

ثم دخلت سنة ثلثين ومائة

ذكر الأحداث التي كانت فيها

قال أبو جعفر فمما كان فيها من ذلك دخول أبي مسلم حائط
مرو ونزوله دار الإمارة بها ومطابقة علي بن جديع الكرماني
إياه على حرب نصر بن سيار

ذكر الخبر عن سبب ذلك

ذكر

نموذج من نسخة (هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة أربع ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الوقعة بين الحرشىّ والسُّغْد]

ففى هذه السنة كانت وقعة الحرَشىّ بأهل السُّغْد وقتله مَنْ قتل من دهاقينها

* ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فى هذه الوقعة :

ذكر علىّ عن أصحابه أن الحرشىّ غزا فى سنة أربع ومائة فقطع النهر ، وعرض الناس، ثم سار فنزل قصر الريح على فرسخين من الدَّبُوسيَة ، ولم ١٤٤٢/٢ يجتمع إليه جنده .

قال : فأمر الناس بالرّحيل ، فقال له هلال بن عُلَيم الحنظلىّ : ياهناه ، إنك وزيرًا خيرٌ منك أميرًا ، الأرض حربٌ[1] شاغرة برجْلها، ولم يجتمع لك جندُك ، وقد أمرتَ بالرحيل ! قال : فكيف لى ؟ قال : تأمر بالنزول ، ففعل .

وخرج النَّيلان ابن عمّ ملك فرغانة إلى الحرشىّ ، وهو نازل على مُغون[2] فقال له : إن أهل السغد بخُجَندة ؛ وأخبره خبرهم[3] وقال : عاجلهم قبل أن يصيروا إلى الشِّعب ، فليس لهم علينا جوار حتى يمضى الأجل . فوجّه الحرَشىّ مع النيلان عبد الرحمن القشيرىّ وزياد بن عبد الرحمن القُشيرىّ فى جماعة ، ثم ندم على ما فعل[4] فقال : جاءنى عِلْجٌ لا أدرى صدق أم كذب ، فغرّرتُ بجند من المسلمين. وارتحل[5] فى أثرهم حتى نزل فى أشْرُوسَنة ، فصالحهم بشىء يسير ، فبينا هو يتعشىّ إذ قيل له : هذا عطاءٌ الدَّبُوسىّ — وكان فيمن وجهه مع القشيرىّ — ففزع وسقطت اللُّقْمة من يده ، ودعا

---

(١) ف : « جرت » .
(٢) ب : « معون » .
(٣) ابن الأثير : « بخبرهم » .
(٤) ب : « لما فعلوا » .
(٥) ب : « فارتحل » .

بعطاء ، فدخل عليه ، فقال : ويلك ! قاتلتم أحداً ؟ فقال : لا ، قال : الحمد لله، وتعشّى ، وأخبره بما قدم له عليه . فسار جوادًا[1] مغـذًّا ، حتى لحق القشيرىّ بعد ثالثة ، وسارَ فلما انتهى إلى خُجَنْدة، قال للفضل[2] بن بسّام : ما ترى ؟ قال : أرى المعاجلة ، قال : لا أرى ذلك ، إن جرح رجُلٌ فإلى أين يرجع ! أو قتل قتيل فإلى مَن يُحمَل ! ولكنى أرى النزول والتأنى والاستعداد للحرب ، فنزل فرفع[3] الأبنية وأخذ فى التأهب ، فلم يخرج أحد من العدوّ ، فجبَّن الناسُ الحرشىّ، وقالوا : كان هذا يُذكر بأسه بالعراق ورأيه، فلما صار بخراسان ماقَ[4]. قال : فحمل رجلٌ من العرب ، فضرب باب خجندة بعمود ففُتح الباب ، وقد كانوا حفروا فى رَبَضهم وراء الباب الخارج خندقًا ، وغطّوْه بقصب ، وعلَّوه بالتراب مكيدة ، وأرادوا إذا التقوا إن انهزموا أن يكونوا قد عرفوا الطريق ، ويشكل على المسلمين فيسقطوا فى الخندق .

١٤٤٣/٢

قال : فلما خرجوا قاتلوهم فانهزموا، وأخطئوهم الطريق ، فسقطوا فى الخندق فأخرجوا من الخندق أربعين رجُلاً ، على الرّجل دِرْعان دِرْعان ، وحصرهم الحرشىّ ، ونصب عليهم المجانيق ، فأرسلوا إلى ملك فَرْغانة : غدرْتَ بنا ، وسألوه أن ينصرهم ، فقال لهم : لم أغير ولا أنصركم ؛ فانظروا لأنفسكم ؛ فقد أتوكم قبل انقضاء الأجل ، ولستم فى جوارى . فلما أيسوا من نصره طلبوا الصُّلح ، وسألوا الأمان وأن يردّهم إلى السُّغْد، فاشترط عليهم أن يردّوا مَن فى أيديهم من نساء العرب وذراريّهم ، وأن يؤدوا[5] ما كسروا من الخراج ، ولا يغتالوا أحداً، ولا يتخلّف منهم بخجَندة أحد، فإن أحدثوا حدثًا حلّت دماؤهم .

١٤٤٤/٢

قال : وكان السَّفير فيما بينهم موسى بن مشكان[6] مولى آل بسام ،

---

(١) ف : « جراداً » .
(٢) ب : « الفضل » .
(٣) ف : « ورفع » .
(٤) ماق ، أى حمق .
(٥) ح ، ف : « يردوا » .
(٦) ح : « مسكان » ، ف : « مشكام » .

فخرج إليه كارزنج ، فقال له : إنّ لى حاجةً أحبّ أن تشفّعنى فيها ، قال : وما هى ؟ قال : أحبّ إن جنى منهم رجل جناية بعد الصلح ألاّ تأخذنى بما جنى ، فقال الحرَشىّ : ولى حاجة فاقضِها ، قال : وما هى؟ قال : لا يلحقنى فى شرَطى ما أكره . قال : فأخرجَ الملوكَ والتجار من الجانب الشرقىّ، وترك أهل خُجَندة الذين هم أهلها على حالهم ، فقال كارزنج للحَرَشىّ : ما تصنع ؟ قال : أخاف عليكم معرّة الجند . قال : وعظماؤهم مع الحرشىّ فى العسكر نزلوا على معارفهم من الجند ، ونزل كارزنج على أيوب بن أبى حسان ، فبلغ الحَرَشىّ أنهم قتلوا امرأة من نساءٍ كنّ فى أيديهم ، فقال لهم : بلغنى أن ثابتاً الأشتيخنىّ قتل امرأة ودفنها تحتَ حائط ، فجحدوا فأرسل الحرشىّ إلى قاضى خُجَندة ، فنظروا فإذا المرأة مقتولة . قال : فدعا الحرشىّ بثابت ، فأرسل كارزنج غلامَه إلى باب السرادق ليأتيَه بالخبر ، وسأل الحرشىّ ثابتاً وغيره عن المرأة ، فجحد ثابت وتيقّن الحرشىّ أنه قتلها فقتله . فرجع غلام كارزنج إليه بقتل ثابت ، فجعل يقبِض على لحيته ويقرضها بأسنانه ، وخاف كارزنج أن يستعرضهم[1] الحرشىّ ، فقال لأيوب بن أبى حسان : إنى ضيفُك وصديقك ، فلا[2] يجمل بك أن يقتل صديقك[3] فى سراويل خَلَق، قال : فخذ سراويلى . قال : وهذا لا يجمل ، أقتَل فى سراويلاتكم ! فسرّح غلامك إلى جلنج ابن أخى يجيئونى بسراويل جديد — وكان قد قال لابن أخيه : إذا أرسلت إليك أطلب سراويل فاعلم أنه القتل — فلما بعث بسراويل أخرج فرندة خضراء فقطّعها عصائبَ، وعصبها برءوس شاكريّته ، ثم خرج هو وشاكريّته ، فاعترض الناس فقتل ناساً ، ومرّ بيحيى بن حُضَين فنفحه نفحة[4] على رجله ، فلم يزل يخمَعُ منها[5] . وتضعضع أهل العسكر ، ولقى الناس منه شرّاً، حتى انتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود فى طريق ضيق، فقتله ثابت بسيف عثمان بن مسعود . وكان فى أيدى السُّغد أسراء من المسلمين فقتلوا منهم خمسين ومائة ، ويقال : قتلوا منهم أربعين ؛ قال : فأفلت منهم غلام فأخبر

١٤٤٥/٢

(١) ابن الأثير : « أن يقتل » .
(٢) ب : « ولا » .
(٣) ب : « ضيفك » .
(٤) نفحه ، أى ضربه .
(٥) يخمع ، أى يعرج .

الحَرَشىّ — ويقال : بل أتاه رجل فأخبره — فسألهم فجحدوا ، فأرسل إليهم مَن علم علمهم ، فوجد الخبر حقًّا ، فأمر بقتلهم ، وعزل التجار عنهم — وكان التجار أربعمائة ، كان معهم مالٌ عظيم قدِموا به من الصين — قال : فامتنع أهل السُّغد، ولم يكن لهم سلاح ، فقاتلوا بالخشَب ، فقتِلوا عن آخرهم . فلما كان الغد دعا الحراثين — ولم يعلموا ما صنع أصحابهم — فكان يختم فى عُنق الرجل ويخرُج من حائط إلى حائط فيقتل ، وكانوا ثلاثة آلاف — ويقال سبعة آلاف — فأرسل جرير بن هميان والحسن بن أبى العَمَرّطة[١] ويزيد بن أبى زينب فأحصوا أموال التجار — وكانوا اعتزلوا وقالوا : لا نقاتل — فاصطفى أموال السغد[٢] وذراريّهم ، فأخذ منها ما أعجبه ، ثم دعا مسلم بن بُدَيل العدوىّ ؛ عدىّ الرّباب ، فقال : قد وليتك المقسم ، قال : بعد ما عمل فيه عمالك ليلة ! ولِّه غيرى ؛ فولاّه عبيد الله بن زهير بن حيّان العدوىّ ، فأخرج الخمس ، وقسّم الأموال ؛ وكتب الحرشىّ إلى يزيد بن عبد الملك ، ولم يكتب إلى عمر بن هبيرة ، فكان هذا مما وجَد فيه عليه عمر بن هبيرة ، فقال ثابت قُطْنة يذكر ما أصابوا من عظمائهم :

٢/١٤٤٦

أَقَرَّ العَيْنَ مَصْرَعُ كارزنجٍ وكشّينٍ وما لاقى بيارُ[٣]
وَدِيْواشْنى وما لاقى جلنجٌ بحِصْنِ خُجَنْدَ إذ دَمَروا فبارُوا[٤]

ويروى : «أقرّ العين مصرع كارزنج ، وكشكيش» ؛ ويقال : إن ديواشنى دِهْقان أهل سَمَرْقند ، واسمه ديواشنج فأعربوه ديواشنى .

٢/١٤٤٧

ويقال : كان على أقْباض خُجَندة عِلْباء بن أحمر اليشكرىّ ، فاشترى رجل منه جُونة بدرهمين ، فوجد فيها سبائك ذهب ، فرجع وهو واضعٌ يده على عينه كأنه رمد ، فردّ الجُونة ، وأخذ الدرهمين ، فطلب فلم يوجد .

(١) ح : «العرطة» .
(٢) ب : «أموال أهل السغد» .
(٣) ابن الأثير : «بياد» .
(٤) ابن الأثير : «فبادوا» .

قال : وسرّح الحَرَشىّ سليمان بن أبى السرىّ مولى بنى عُوافة إلى قلعة لا يُطيف بها وادى السُّغد إلاّ من وجه واحد . ومعه شوكر بن حميك وخوارزم شاه وعورم صاحب أخرون وشومان ؛ فوجّه سليمان بن أبى السرىّ على مقدّمته المسيّب بن بشر الرياحىّ ، فتلقّوْه من القلعة على فرسخ فى قرية يقال لها كوم ، فهزمهم المسيّب حتى ردّهم إلى القلعة فحصرهم سليمان ، ودِهْقانها يقال له الديواشنى .

قال : فكتب إليه الحَرَشىّ فعرض عليه أن يمدّه ، فأرسل إليه : ملتقانا ضيّق فسر(١) إلى كِسّ ؛ فإنا فى كفاية الله إن شاء الله . فطلب الديواشنى أن ينزل على حكم الحرشىّ ، وأن يوجّهه مع المسيّب بن بشر إلى الحرشىّ ، فوفى له سليمان ووجّهه إلى سعيد الحَرَشىّ ، فألطفه وأكرمه مكيدةً ، فطلب أهل القلعة الصُّلْح بعد مسيره على ألاّ يعرض لمائة أهل بيت منهم ونسائهم(٢) وأبنائهم ويُسلمون القَلْعة . فكتب سليمان إلى الحرشىّ أن يبعث الأمناء فى قبض ما فى القلعة .

قال : فبعث محمدَ بن عزيز الكندىّ وعِلباء بن أحمر اليشكرىّ ، فباعوا ما فى القلعة مزايدةً ، فأخذ الخمس ، وقسم الباقى بينهم . وخرج الحرشىّ إلى كِسّ فصالحوه على عشرة آلاف رأس . ويقال : صالح دهقان كِسّ ، واسمه ويك — على ستة آلاف رأس ، يوفيه فى أربعين يومًا على ألاّ يأتيه فلما فرغ من كِسّ خرج إلى رَبِنْجَن ، فقتل الديواشنىّ ، وصلبه على ناووس وكتب على أهل ربنجن كتابًا بمائة إن فُقد من موضعه ؛ وولّى نصر بن سيار قبضَ صلح كِسّ ، ثم عزل سَوْرة بن الحرّ وولّى نصر بن سيار ، واستعمل سليمان بن أبى السرىّ على كِسّ ، ونَسَف حربها وخراجها ، وبعث برأس الديواشنى إلى العراق ، ويده اليسرى إلى سليمان بن أبى السرىّ إلى طخارستان .

١٤٤٨/٢

قال : وكانت خُزَار منيعة ، فقال المجشّر بن مُزاحم لسعيد بن عمرو الحَرَشىّ : ألا أدلك على مَن يفتحها لك بغير قتال ؟ قال : بلى ، قال : المسرْبَل بن الخرّيت بن راشد الناجىّ ، فوجّهه إليها — وكان المسربل صديقاً لملكها ، واسم الملك سبقرى . وكانوا يحبّون المسربل — فأخبر الملك ما صنع

(١) ب : « ولكن سر » .

(٢) ب : « ولا نسائهم » .

الحرشيّ بأهل خُجَندة وخوّفه،قال: فما ترى ؟ قال : أرى أن تنزل بأمان، قال : فما أصنع بمن لحق بي من عوامّ الناس ؟ قال : نصيّرهم معك في أمانك، ١٤٤٩/٢ فصالحهم فآمنوه(١) وبلاده .

قال : ورجع الحَرَشيّ إلى مَرْو ومعه سبقرى،فلما نزل أسنان وقدم مهاجر بن يزيد الحَرَشيّ ، وأمره أن يوافيه ببرذون بن كُشانيشاه قتل سبقرى وصلبه ومعه أمانه — ويقال : كان هذا دِهْقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة فأخذ أمانًا لأهل السُّغد ، فحبسه الحَرَشيّ في قهندز مَرْو ،فلما قدم مَرْوَ دعا به ، وقتله وصلبه في الميدان ، فقال الراجز :

إذا سَعِيدٌ سارَ في الأَخماسِ في رَهَجٍ يَأْخُذُ بالأَنفاسِ
دارَتْ على التُّرْكِ أَمَرُّ الكاسِ وطَارَتِ التُّرْكُ على الأَحلاسِ
* ولَّوْا فِرارًا عُطَّلَ القياسِ *

* * *

وفي هذه السنة عزَل يزيدُ بن عبد الملك عبدَالرحمن بن الضّحاك بن قيس الفهريّ عن المدينة ومكة ، وذلك للنصف من شهر ربيع الأوّل ،وكان عاملَه على المدينة ثلاث سنين .

وفيها ولّى يزيدُ بن عبد الملك المدينة عبدَ الواحد النَّضْريّ(٢) .

ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبدَ الرحمن ابن الضحاك عن المدينة وما كان ولاه من الأعمال

وكان سبب ذلك — فيما ذكر محمد بن عمر ،عن عبد الله بن محمد بن أبي ١٤٥٠/٢ يحيى — قال : خطب عبدُالرحمن بن الضّحاك بن قيس الفِهريّ فاطمة ابنة الحسين، فقالت : والله ما أريد النكاح ، ولقد قعدت على بنيّ هؤلاء ؛

(١) ح : « فأمنه » .
(٢) ب ،ح : « البصرى » .

وجعلت تحاجزه وتكره أن تنابذه لما تخاف منه . قال : وألحّ عليها وقال : والله لئن لم تفعلى لأجلدنّ أكبر بنيك فى الخمر – يعنى عبد الله بن الحسن – فبينا هو كذلك ؛ وكان على ديوان المدينة ابن هرمز (رجل من أهل الشام) ، فكتب إليه يزيد أن يرفع حسابه ، ويدفع[1] الديوان ، فدخل على فاطمة بنت الحسين يودّعها ، فقال : هل من حاجة ؟ فقالت : تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضّحاك ، وما يتعرّض منّى . قال : وبعثت رسولاً بكتاب إلى يزيد تخبره وتذكر قرابتها ورحمها ، وتذكر ما ينال ابنُ الضحاك منها ، وما يتوعّدها به .

قال : فقدم ابن هرمز والرّسول معًا . قال : فدخل ابن هرمز على يزيد ، فاستخبره عن المدينة ، وقال : هل كان من مغرّبة خبر ؟ فلم يذكر ابن هُرمز من شأن ابنة الحسين ، فقال الحاجب : أصلح الله الأمير ! بالباب رسول فاطمة بنت الحسين ، فقال ابن هرمز : أصلح الله الأمير ! إنّ فاطمة بنت الحسين يوم خرجت حمّلتنى[2] رسالة إليك ، فأخبره الخبر . ١٤٥١/٢

قال : فنزل من أعلى فراشه ، وقال : لا أمّ لك ! ألم أسألك هل من مغرّبة خبر ، وهذا عندك[3] لا[4] تخبرنيه[5] ! قال : فاعتذر بالنسيان . قال : فأذن للرسول فأدخله ، فأخذ الكتاب ، فاقترأه . قال : وجعل[6] يضرب بخيزران فى يديه[7] وهو يقول : لقد اجترأ ابن الضّحاك ! هل من رجل يُسمعنى صوته فى العذاب وأنا على فراشى ؟ قيل له : عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النَّضْرىّ . قال : فدعا بقرطاس ، فكتب بيده :

إلى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النَّضْرىّ وهو بالطائف : سلام عليك ؛ أما بعد فإنى قد ولّيتُك المدينة ، فإذا جاءك كتابى هذا فاهبط واعزل عنها ابن الضحاك ، وأغرِمْه أربعين ألف دينار ، وعذّبه حتى أسمع صوتَه وأنا على فراشى .

قال : وأخذ البريد الكتاب ، وقدِم به المدينة ، ولم يدخل على ابن الضّحاك

---

(١) ب : « ويحمل » .
(٢) ب : « حملتنى يوم خرجت » .
(٣) ح : « معك » .
(٤) ب : « فلا » .
(٥) ح : « تخبرنى إياه » .
(٦) ب : « فجعل » .
(٧) ف وابن الأثير : « يده » .

وقد أوجستْ نفس ابن الضحاك ، فأرسل إلى البريد ، فكشف له عن طرف المفرش ، فإذا ألف دينار ، فقال: هذه ألف دينار لك ولك العهد والميثاق ؛ لئن أنت أخبرتنى خبرَ وجهك هذا دفعتُها إليك ، فأخبره ، فاستنظر البريد ثلاثًا حتى يسير ، ففعل. ثم خرج ابنُ الضحاك ، فأغذّ السَّيْر حتى نزل ٢/١٤٥٢ على مسلمة بن عبد الملك ، فقال : أنا فى جوارك ، فغدا مسلمة على يزيد فرقّقه[1] وذكر حاجة جاء لها[2] ، فقال : كلّ حاجة تكلمت فيها هى فى يدك ما لم يكن ابن الضحاك ، فقال : هو والله ابن الضّحاك! فقال : والله لا أعفيه أبداً وقد فعل ما فعل ، قال : فردّه إلى المدينة إلى النَّضْرىّ .

قال عبد الله بن محمد: فرأيتُه فى المدينة[3] عليه جُبّة من صوف يسأل الناس ، وقد عذّب ولقى شرًّا ، وقدم النَّضْرىّ يوم السبت للنصف من شوال سنة أربع ومائة .

قال محمد بن عمر : حدّثنى إبراهيم بن عبد الله بن أبى فَرْوة ، عن الزّهرىّ ، قال : قلت لعبد الرحمن بن الضحاك : إنك تقدم على قومك وهم ينكرون[4] كلّ شىء خالف فعلهم ، فالزم ما أجمعوا عليه ، وشاور القاسم ابن محمد وسالم بن عبد الله ؛ فإنهما لا يألوانك رشداً . قال الزهرىّ: فلم يأخذ بشىء من ذلك ، وعادى الأنصار طرًّا ، وضرب أبا بكر بن حزم ظلمًا وعدوانًا فى باطل ، فما بقى منهم شاعر إلا هجاه ، ولا صالح إلّا عابه وأتاه بالقبيح ، فلما ولى هشام رأيتُه ذليلاً .

وولى المدينة عبد الواحد بن عبدالله بن بِشْر فأقام بالمدينة لم يقدم عليهم وال أحبّ عليهم منه ، وكان يذهب مذاهب الخير ، لا يقطع أمراً إلا استشار فيه القاسم وسالماً[5] .

* * *

٢/١٤٥٣ وفى هذه السنة غزا الجرّاح بن عبد الله الحكَمىّ — وهو أمير على أرمينيَة وأذْرَبيجان — أرضَ التّرك ففُتح على يديه بَلَنْجَر ، وهزم التّرك وغرّقهم وعامة

(١) ب : « فرفقه » .
(٢) ب : « بها » .
(٣) ف : « بالمدينة » .
(٤) ب : « ينظرون » .
(٥) فى ابن الأثير : « القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر » .

ذراريّهم[1] فى الماء ، وسبوا ما شاءوا ، وفتح الحصون التى تلى بلَنْجر وجلا عامة أهلها .

وفيها ولد — فيما ذكر — أبو العباس عبد الله بن محمد بن علىّ فى شهر ربيع الآخر .

وفيها دخل أبو محمد الصادق وعِدّة من أصحابه من خُراسان إلى محمد ابن علىّ ، وقد ولد أبو العباس قبل ذلك بخمس عشرة ليلة ، فأخرجه إليهم فى خِرْقة ، وقال لهم : والله ليتمنّ هذا الأمر حتى تدركوا ثأركم من عدوّكم .

* * *

وفى هذه السنة عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحَرَشىّ عن خُراسان ، وولّاها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة الكلابىّ

ذكر الخبر عن سبب عزل عمر بن هبيرة سعيدَ بن عمرو الحَرَشىّ عن خراسان

ذُكر أنّ سبب ذلك كان من موجِدة[2] وجَدها عمر على الحَرَشىّ فى أمر الديواشنىّ ، وذلك أنه كان كتب إليه يأمره بتخليته وقتله ، وكان[3] يستخفّ بأمر ابن هبيرة ، وكان البريد والرّسول[4] إذا ورد من العراق قال له : كيف أبو المثنّى ؟ ويقول لكاتبه : اكتب إلى أبى المثنّى ولا يقول : « الأمير » ، ويكثر أن يقول : قال أبو المثنّى وفعل أبو المثنّى ، فبلغ ذلك ابن هبيرة فدعا جُمَيل بن عمران ، فقال له : بلغنى أشياء عن الحَرَشىّ ، فاخرج إلى خراسان ، وأظهر أنك قدمت[5] تنظر فى الدواوين ، واعلم لى علمه . فقدِم جُميل ، فقال له الحَرَشىّ : كيف تركت أبا المثنى ؟ فجعل ينظر فى الدواوين . فقيل للحَرَشىّ : ما قدم جميل لينظر فى الدواوين ، وما قدم إلا ليعلم عِلْمَك ، فسمّ بِطّيخةً ، وبعث بها إلى جميل ، فأكلها فمرض ، ٢/١٤٥٤

(١) ح : « وذراريهم » .
(٢) ب : « كان موجدة » .
(٣) ب : « وإنه كان » .
(٤) ف : « أو الرسول » .
(٥) ب : « خرجت » .

وتساقط شَعَره ، ورجع إلى ابن هبيرة ، فعولج واستبلّ[١] وصحّ ، فقال لابن هبيرة : الأمر أعظم مما بلغك ؛ ما يرى سعيد إلاّ أنك عامل من عماله . فغضب عليه وعزله وعذبه ، ونفح فى بطنه النمل[٢] ، وكان يقول حين عزله : لو سألنى عُمر درهمًا يضعه فى عينه ما أعطيته ؛ فلما عذب أدّى ، فقال له رجل : ألم تزعم أنك لا تعطيه درهمًا ! قال : لا تعنّفنى ؛ إنه لما أصابنى الحديد جزعت ، فقال أذَينة بن كليب — أو كليب بن أذيْنة :

تَصَبَّرْ أَبا يحيى فَقَدْ كنْتَ علمْنا — صَبُورًا وَنَهَّاضاً بِثقْلِ المغارِمِ

وقال علىّ بن محمد : إنّما غضب عليه ابن هبيرة أنه وجه معقل بن عروة إلى هَرَاة ؛ إما عاملا وإما فى غير ذلك من أموره ، فنزل قبل أن يمرّ على الحَرَشىّ ، وأتى هَرَاة ، فلم ينفذ له ما قدم فيه ، وكتب إلى الحَرَشىّ ، فكتب الحَرَشىّ إلى عامله : أن احمل إلىّ معقلا ، فحمله ، فقال له الحَرَشىّ : مامنعك من إتيانى قبل أن تأتى هَرَاة ؟ قال : أنا عامل لابن هُبيرة ولاّنى كما ولاّك ، فضربه مائتين وحلّقه[٣] . فعزله ابن هبيرة ، واستعمل على خُراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة ، فكتب إلى الحَرَشى يلخِّنه ، فقال سعيد : بل هو ابن اللّخناء . وكتب إلى مسلم أن احمِل إلىّ الحَرَشىّ مع معقِل بن عروة ، فدفعه إليه ، فأساء به وضيّق عليه ، ثم أمره يومًا فعذّبه ، وقال : اقتله بالعذاب . فلما أمسَى ابن هُبيرة سمَر فقال : مَنْ سيد قيس ؟ قالوا : الأمير ، قال : دعوا هذا ، سيّد قيس الكَوْثر بن زفر ، لو بوّق بليلٍ لوافاه عشرون ألفًا ، لا يقولون : لم[٤] دعوتنا ولا يسألونه ، وهذا الحمار الذى فى الحبْس — قد أمرت بقتله — فارسُها ؛ وأما خيرُ قيس لها فعسَى أن أكونه ؛ إنه لم يعرض إلىّ أمرٌ أرى أنى أقدر فيه على منفعة وخير إلا جررته[٥] إليهم ، فقال له أعرابىّ من بنى فَزارة : ما أنت كما تقول ، لو كنتَ كذلك ما أمرت بقتل فارسها . فأرسل إلى معقل أن كُفّ عما كنتُ أمرتك به .

(١) استبل ، أى برئ وشفى .
(٢) النمل هنا : بثور صغار مع ورم يسير .
(٣) حلقه : وسمه بحلقة فى فخذه .
(٤) ط : « لما » .
(٥) ح : « لأجزرته » .

١٤٥٦/٢ قال علىّ : قال مسلم بن المغيرة : لمّا هرب ابنُ هبيرة أرسل خالد فى طلبه سعيد بن عمرو الحَرَشىّ ، فلحقه بموضع من الفُرات يقطعه إلى الجانب الآخر فى سفينة ، وفى صدر السفينة غلام لابن هبيرة يقال له قُبَيْض ، فعرَفه الحَرَشىّ فقال له: قُبيض ؟ قال : نعم ، قال : أفى السفينة أبو المثنى ؟ قال : نعم . قال : فخرج إليه ابنُ هبيرة ، فقال له الحَرَشىّ : أبا المثنى ، ما ظنُّك بى ؟ قال : ظنى بك أنك لا تدفع رجلا من قومك إلى رجل من قريش ، قال : هو ذاك ، قال : فالنّجاء .

قال علىّ : قال أبو إسحاق بن ربيعة : لما حبس ابن هبيرة الحَرَشىّ دخل عليه معقل بن عروة القُشيرىّ ، فقال : أصلح الله الأمير ! قيّدت فارس قيس وفضحته ، وما أنا براضٍ[١] عنه ؛ غير أنى لم أحبّ أن تبلغ منه[٢] ما بلغت ، قال : أنت بينى وبينه ، قدمتُ العراق فوليته البصرة ، ثم وليته خراسان ، فبعث إلىّ ببرذون حَطِم[٣] واستخفّ بأمرى ، وخان فعزلتُه ، وقلت له : يابن نَسْعة ، فقال لى : يابن بُسرة . فقال معقل : وفعل ابن الفاعلة ! ودخل على الحَرَشىّ السجن ، فقال : يابن نَسعة ، أمك دخلت واشتُريت بثمانين عَنْزاً جرباً ، كانت مع الرّعاء ترادفها[٤] الرجال[٥] مطية الصادر والوارد[٦] ، تجعلها ندًّا لبنت الحارث بن عمرو بن حَرَجة ! وافترى ١٤٥٧/٢ عليه ، فلما عُزِل ابن هبيرة ، وقدم[٧] خالد العراق استعدَى الحَرَشىّ على معقل ابن عروة ، وأقام البيّنة أنه قذفه ، فقال للحَرَشىّ : اجلده ، فحدّه ، وقال : لولا أنّ ابن هبيرة وهّن فى عضدى لنقبت عن قلبك ، فقال رجل من بنى كلاب لمعقل : أسأتَ إلى ابن عمك وقذفتَه ، فأداله الله منك ، فصرتَ لا شهادةَ لك فى المسلمين ، وكان معقِل حين ضرِب الحدّ قذف الحرَشىّ أيضًا ، فأمر خالد بإعادة الحدّ ، فقال القاضى : لا يُحَدّ . قال : وأمّ عمر ابن هبيرة بُسرة بنت حسان ، عدوّية من عدىّ الرِّباب .

---

(١) ب : « عنه براض » .
(٢) ب : « يبلغ به » .
(٣) الحطم : داء فى قوائم الدابة .
(٤) ف : « يراد فيها » .
(٥) ط : « الرعاء » .
(٦) ب : « الوارد والصادر » .
(٧) ح : « ودخل » .

[ولاية مسلم بن سعيد على خراسان]

وفى هذه السنة ولّى عمرُ بن هبيرة مسلَم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة بن عمرو بن خُوَيْلِد الصّعِق خراسان بعد ما عزل سعيد بن عمرو الحَرَشيّ عنها .

* ذكر الخبر عن سبب توليته إياها :

ذكر علىّ بن محمد أنّ أبا الذيّال وعلىّ بن مجاهد وغيرهما حدّثوه ، قالوا : لما قتِل سعيد بن أسلم ضمّ الحجّاج ابنَه مسلم بن سعيد مع ولده ، فتأدّب ونَبُل ، فلما قدِم عدىّ بن أرطاة أراد أن يولّيَه ، فشاور كاتبه ، فقال : ولّه ولايةً خفيفة ثم ترفعه ، فولاّه ولاية ، فقام بها وضبطها وأحسن ؛ فلما وقعت فتنة يزيد بن المهلب حمل تلك الأموال إلى الشام ، فلما قدم عمر بن هبيرة أجمع على أن يولّيَه ولاية ، فدعاه ولم يكن شاب بعد ، فنظر فرأى شيبةً فى لحيته ، فكبّر .

٢/١٤٥٨

قال : ثم سمر [١] ليلة ومسلم فى سَمَرِه ، فتخلّف مسلم بعدالسُّمّار ، وفى يد ابن هبيرة سفَرْجلة ، فرمى بها ، وقال : أيسُرّك [٢] أن أولّيَك خراسان ؟ قال : نعم ، قال : غدوة إن شاء الله . قال : فلما أصبح جلس ، ودخل الناس ؛ فعقد لمسلم على خراسان وكتب عهده ، وأمره بالسير ، وكتب إلى عمال الخراج أن يكاتبوا مسلم بن سعيد ، ودعا بجبَلة بن عبد الرحمن مولَى باهلة فولاّه كِرْمان ، فقال جبلة : ما صنعت بى المولوّية ! كان مسلم يطمع [٣] أن ألِىَ ولايةً عظيمة فأولّيه كورة ، فعُقد له على خُراسان وعقد لى على كرمان ! قال : فسار مسلم فقدم خراسان فى آخر سنة أربع ومائة — أو ثلاث ومائة — نصف النهار ، فوافق باب دار الإمارة مغلقًا ، فأتى دار الدوابّ فوجد الباب مغلقًا فدخل المسجد ، فوجد باب المقصورة مغلقًا ، فصلى . وخرج وصيفٌ من باب المقصورة فقيل له : الأمير ، فمشى بين يديه حتى أدخله مجلس الوالى فى دار الإمارة ، وأعلِم الحَرَشىّ ، وقيل له : قدم مسلم بن سعيد ابن أسلم ، فأرسل إليه : أقدمت أميراً أو وزيراً أو زائراً ؟ فأرسل إليه : مثلى لا يقدم خراسان زائراً ولا وزيراً ، فأتاه الحَرشىّ فشتمه وأمر بحبسه ، فقيل له : إن أخرجته نهاراً قتِل ، فأمر بحبسه عنده حتى أمسى ، ثم حبسه ليلا

٢/١٤٥٩

(١) ح : « سهر » . (٢) ح : « أبشرك » . (٣) كذا فى ب ، وفى ط : « ينبغى يطمع ».

وقيّده ، ثم أمر صاحب السجن أن يزيده قَيْداً . فأتاه حزينًا ، فقال : مالك ؟ فقال : أُمِرْتُ أن أزيدك قيداً ، فقال لكاتبه : اكتب إليه : إنّ صاحب سجنك ذكر أنك أمرته أن يزيدني قيداً ، فإن كان أمرًا ممن فوقك فسمعا وطاعة ، وإن كان رأيًا رأيته فسيرك الحَقْحقة[1] ، وتمثّل :

هُمُ إن يَثْقفونى يقتلونى ومن أَثْقفْ فليس إلى خلود[2]

ويروى :

فإمّا تَثقَفُونى فاقتلونى فَمَن أَثقفْ فليس إلى خُلود

هُمُ الأَعداءُ إن شَهدُوا وغابوا أُولو الأَحقَادِ والأَكبادُ سودُ

أَريغُونى إرَاغَتَكُمْ فإنى وَحَذْفةَ كالشَجَا تحتَ الوريدِ

ويروى : « أريدونى إرادتكم » .

قال : وبعث مسلم على كُوره رجلا من قِبَله على حربها .

قال : وكان ابنُ هبيرة حريصًا ، أخذ قَهرمانًا[3] ليزيد بن المهلب ، له علم بخراسان وبأشرافهم[4] ، فحبسه فلم يَدَع منهم شريفًا إلاّ قَرَفه[5] ، فبعث أبا عبيدة العنبرىّ ورجلا يقال له خالد ، وكتب إلى الحَرَشِىّ وأمره أن يدفع الذين سمّاهم إليه يستأديهم فلم يفعل ، فردّ رسول ابن هُبيرة ، فلما استعمل ابن هبيرة مسلم بن سعيد أمره بجباية تلك الأموال ، فلمّا قدم مسلم أراد أخذ الناس بتلك الأموال التى قرفت[6] عليهم ، فقيل له : إن فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار ، وإن لم تعمل فى هذا حتى توضَع عنهم فسدَتْ عليك وعليهم خراسان ؛ لأنّ هؤلاء الذين تريد أن تأخذهم بهذه الأموال أعيان البلد قُرِفوا بالباطل؛ إنما كان على مَهْزَم بن جابر ثلثمائة ألف فزادوا مائة ألف فصارت أربعمائة ألف ، وعامّة من سُمّوا لك ممن كثر عليه بمنزله .

١٤٦٠/٢

(١) الحقحقة : أرفع السير وأتعبه للظهر .
(٢) من أبيات لخالد بن جعفر بن كلاب ، ذكرها صاحب الأغانى فى ١١ : ٨٣ ، وفى اللسان : ثقفته ثقفًا ، أى صادفته .
(٣) ب : « ترجمانًا » .
(٤) ب : « بأهل خراسان وأشرافهم » .
(٥) قرفه : اتهمه ورماه .
(٦) ط : « قرفت » ، وأثبت ما فى الأصول .

فكتب مسلم بذلك إلى ابن هُبيرة ، وأوفد وفداً فيهم مِهْزَم بن جابر ، فقال له مِهْزم بن جابر : أيها الأمير؛ إنّ الذى رُفِع إليك الظلم والباطل، ما علينا من هذا كله لو صدق إلا القليل الذى لو أخذنا به أدّيناه، فقال ابن هبيرة: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ ، فقال: اقرأ ما بعدها: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (١) . فقال ابن هبيرة : لا بُدّ من هذا المال ، قال : أما والله لئن أخذتَه لتأخذنّه من قوم شديدة شوكتهم ونكايتهم فى عدوّك ، وليضرّنّ ذلك بأهل خراسان فى عدّتهم وكُراعهم وحَلْقتهم ؛ ونحن فى ثغر نُكابد فيه عدواً لا ينقضى حربهم ؛ إنّ أحدنا ليلبس الحديد حتى يخلص صدؤه إلى جلده ، حتى إن الخادم التى تخدم الرجل لتصرف وجهها عن مولاها وعن الرجل الذى تخدُمه لريح الحديد ؛ وأنتم فى بلادكم متفضّلون فى الرِّقاق وفى المعصفرة؛ والذين قرفوا بهذا المال وجوه أهل خراسان وأهل الولايات والكلف العظام فى المغازى : وقِبَلنا قوم قدِموا علينا من كلّ فجّ عميق، فجاءوا على الحُمُرات، فوُلُّوا الولايات ، فاقتطعوا الأموال ؛ فهى عندهم موفَّرة جمة .

٢/١٤٦١

فكتب ابن هبيرة إلى مسلم بن سعيد بما قال الوفد ، وكتب إليه أن استخرج هذه الأموال ممن ذكَر الوفد أنها عندهم . فلما أتى مسلماً كتابُ ابن هبيرة أخذ أهلَ العهد بتلك الأموال ، وأمر حاجب بن عمرو الحارثىّ أن يعذّبهم ، ففعل وأخذ منهم ما فرّق عليهم .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النَّضْرىُّ ؛ كذلك حدثنى أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ .

وكان العامل على مكة والمدينة والطائف فى هذه السنة عبدُ الواحد بن عبد الله النَّضْرىّ ، وعلى العراق والمشرق عمر بن هُبيرة ، وعلى قضاء الكوفة حسين بن الحسن الكِندىّ ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يَعْلَى .

(١) سورة النساء آية ٥٨ .

١٤٦٢/٢

ثم دخلت سنة خمس ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوة الجرّاح بن عبد الله الحكَميّ اللّان؛ حتى جاز ذلك إلى مدائن وحصون من وراء بَلَنْجَر ، ففتح بعض ذلك ، وجلّى[1] عنه بعض أهله ، وأصاب غنائم كثيرة .

وفيها كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرضَ الروم ، فبعث سريّة فى نحو من ألف مقاتل ، فأصيبوا –فيما ذكر– جميعاً .

وفيها غزا مسلم بن سعيد الترك ، فلم يفتح شيئاً ، فقفل[2] ثم غزا أفشينَة (مدينة من مدائن السُّغد) بعد فى هذه السنة ، فصالح ملكها وأهلها .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر علىّ بن محمد عن أصحابه ، أنّ مسلم بن سعيد مَرْزَبَ بهرام سيس فجعله المرزبان . وأنّ مسلماً غزا فى آخر الصيف من سنة خمس ومائة ، فلم يفتح شيئاً وقفل ، فاتّبعه الترك فلحقوه ، والنّاس يعبرون نهر بلْخ وتميم على الساقة ، وعبيد الله بن زهير بن حيّان على خيل تميم ، فحاموا عن الناس حتى عبروا . ومات يزيد بن عبد الملك ، وقام[3] هشام ، وغزا مسلم أفشين فصالَح ملكها[4] على ستة آلاف رأس ، ودفع إليه القلعة ، فانصرف لتمام سنة خمس ومائة .

١٤٦٣/٢

* * *

[ذكر موت يزيد بن عبد الملك]

وفى هذه السنة[5] مات الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مرْوان ، لخمس ليال بقين من شعبان منها ؛ حدثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ .

---

(١) ب : « وخلى » .
(٢) ب : « وقفل » .
(٣) ب : « وولى هشام » .
(٤) ب وابن الأثير : « أهلها » .
(٥) ب : « وفيها » .

وقال الواقدىّ : كانت وفاته ببلْقاء من أرض دمشق ، وهو يوم مات ابن ثمان[١] وثلاثين سنة .

وقال بعضهم : كان ابنَ أربعين سنة .

وقال بعضهم : ابن ست وثلاثين سنة ؛ فكانت خلافته فى قول أبى معشر وهشام بن محمد وعلىّ بن محمد أربعَ سنين وشهراً ، وفى قول الواقدىّ أربع سنين .

وكان يزيد بن عبد الملك يكنَّى أبا خالد ؛ كذلك قال أبو معشر وهشام ابن محمد والواقدىّ وغيرهم .

وقال علىّ بن محمد : توفِّىَ يزيد بن عبد الملك وهو ابن خمس وثلاثين سنة أو أربع وثلاثين سنة فى شعبان يوم الجمعة لخمس بقين منه سنة خمس ومائة .

وقال : ومات بأربَد من أرض البلقاء ، وصلّى عليه ابنه الوليد وهو ابن خمس عشرة سنة ، وهشام بن عبد الملك يومئذ بحِمْص؛ حدثنى بذلك عمر ابن شبّة ، عن علىّ .

وقال هشام بن محمد : توفّى يزيد بن عبد الملك، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

قال علىّ: قال أبو ماوية أو غيره من اليهود ليزيد بن عبد الملك : إنك تملك[٢] أربعين سنة ، فقال رجل من اليهود : كذب لعنه الله ، إنما رأى أنه يملك أربعين قَصَبَة ، والقصبة شهر ، فجعل الشهر سنة . ٢/١٤٦٤

* * *

ذكر بعض سيره وأموره

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : كان يزيد بن عاتكة من فِتْيانهم ، فقال يوماً وقد طرب ، وعنده حبَابة وسلاّمة : دعُونى أطِير ، فقالت حبَابة: إلى من تَدَعُ الأمّة ! فلما مات قالت سلاّمة القَسّ :

(١) ب : « ومات وهوابن » .

(٢) ب : « تمكث » .

لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا أو هَمَمْنا بالخشوعِ (١)
قد لَعَمْرى بِتُّ لَيلى كأخى الدَّاءِ الوَجيعِ
ثم باتَ الهمُّ منّى دونَ مَن لِى من ضَجيعِ (٢)
للذى حلَّ بنا اليو مَ من الأمرِ الفَظيعِ
كلّما أبصرتُ رَبْعاً خاليًا فاضَتْ دُمُوعى
قد خلا من سيِّدٍ كا نَ لنا غيرَ مُضيعِ

ثم نادت : وا أمير المؤمنيناه ! والشعر لبعض الأنصار .

قال علىّ : حجّ يزيد بن عبد الملك فى خلافة سليمان بن عبد الملك فاشترى حَبابة – وكان اسمها العالية – بأربعة آلاف دينار من عثمان بن سهل ابن حُنيف ، فقال سليمان : هممت أن أحجر على يزيد؛ فردّ يزيد حَبابة فاشتراها رجل من أهل مصر ، فقالت سَعْدة ليزيد : يا أمير المؤمنين ، هل بقى من الدنيا شىء تتمناه بعد ؟ قال : نعم حَبابة ، فأرسلت سَعدة رجلا فاشتراها بأربعة آلاف دينار ، وصنّعتها (٣) حتى ذهب عنها كَلال السفر ، فأتت بها يزيد ، فأجلستها من وراء الستر ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أبقى شىء من الدنيا تتمناه ؟ قال : ألم تسألينى عن هذا مرّة فأعلمتُك ! فرفعت الستر ، وقالت : هذه حَبَابة ، وقامت وخلّتها عنده ، فحظيت سَعْدة عند يزيد وأكرمها وحباها . وسَعدة امرأة يزيد ، وهى من آل عثمان ابن عفان (٤) .

١٤٦٥/٢

قال علىّ عن يونس بن حبيب : إن حبابة جارية يزيد بن عبد الملك غنّت يومًا :

بين التراقى واللهَاةِ حرارةٌ ما تطمئنّ وَمَا تَسُوغُ فَتَبرُدُ

---

(١) الأغانى ٨ : ٣٤٦ – ٣٤٨ ، قال : « والشعر للأحوص والنوح لمعبد ، صنعه لسلامة وناحت به على يزيد » .

(٢) فى رواية الأغانى :

ونجى الهم مِنّى باتَ أَدنَى من ضلوعى

(٣) صنعتها ؛ أى زينتها ونظفتها .

(٤) الخبر فى الأغانى ١٥ : ١٢٤ ؛ مع اختلاف فى الرواية .

فأهوى ليطير فقالت : ياأمير المؤمنين ، إن لنا فيك حاجةً[١] ، فمرضت وثقلت[٢] ، فقال : كيف أنت يا حبابة ؟ فلم تجبه ، فبكى وقال :

لئن تَسلُ عنكِ النفسُ أو تَذهَل الهوى[٣] فباليأْس يَسلُو القلب لَا بالتَّجلّدِ

وسمع جارية لها تتمثل :

كفى حَزَناً بِالهائِم الصَّبّ أَن يَرَى منازل مَن يَهوَى مُعطَّلَةً قَفْرَا

فكان يتمثّل بهذا .

١٤٦٦/٢ قال عمر : قال علىّ : مكث يزيد بن عبد الملك بعد موت حَبابة سبعة أيام لا يخرج إلى الناس ؛ أشار عليه بذلك مَسلمة ، وخاف أن يظهر منه شىء يسفهه عند الناس .

---

(١) ح : « لحاجة » .
(٢) ثقلت ، أى اشتد مرضها .
(٣) يقال : ذهل الشىء وعن الشىء ، أى تركه . وفى ب : « تدع الهوى » .

خلافة هشام بن عبد الملك

وفى هذه السنة استُخلف هشام بن عبد الملك لليالٍ بقين من شعبان منها، وهو يوم استخلف ابن أربع وثلاثين سنة وأشهر .

حدثنى عمر بن شبّة ، قال : حدثنى علىّ ، قال : حدّثنا أبو محمد القرشىّ وأبو محمد الزيادىّ والمنهال بن عبد الملك وسُحيم بن حفص العُجيفىّ ، قالوا : وُلد هشام بن عبد الملك عامَ قُتِل مُصعب بن الزبير سنة اثنتين وسبعين. وأمّه عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، وكانت حمقاء ، أمرها أهلها ألاّ تكلم عبد الملك حتى تلد ، وكانت تثنى الوسائد وتركب الوِسادة وتزجرها كأنها دابّة ، وتشترى الكُنْدُر [١] فتمضغه وتعمل منه تماثيل ، وتضع التماثيل على الوسائد [٢] ، وقد سمّت كل تمثال باسم جارية ، وتنادى : يا فلانة ويا فلانة ؛ فطلقها عبد الملك لحمقها . وسار عبد الملك إلى مُصعب فقتله ، فلما قتله بلغه مولد هشام ، فسمّاه منصوراً ، يتفاءل بذلك ، وسمّته أمه باسم أبيها هشام ، فلم ينكر ذلك عبد الملك ، وكان هشام يكنى أبا الوليد .

وذكر محمد بن عمر عمّن حدّثه أنّ الخلافة أتت هشاماً وهو بالزّيتونة في منزله فى دُويرة له هناك . ١٤٦٧/٢

قال محمد بن عمر : وقد رأيتها صغيرة ، فجاءه البريد بالعصا والخاتم ، وسلّم عليه بالخلافة ، فركب هشام من الرُّصافة حتى أتى دمشق .

* * *

وفى هذه السنة قدم بكير بن ماهان من السِّند — وكان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن ترجماناً له — فلما عُزل الجنيد بن عبد الرحمن ، قدم الكوفة ومعه أربع لبِنات من فضة ولبِنة من ذهب ، فلقى أبا عكْرمة الصادق وميسرة ومحمد بن خنيس وسالماً الأعين وأبا يحيى مولى بنى سلمة ؛ فذكروا له أمر

(١) الكندر : اللبان . (٢) ب : « الوسادة » .

دعوة بنى هاشم ، فقبِل ذلك ورضيَه، وأنفق ما معه عليهم ، ودخل إلى محمد ابن علىّ . ومات ميسرة فوجه محمد بن علىّ بُكَير بن ماهان إلى العراق مكان ميسرة ، فأقامه مقامه .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، والنضرىّ على المدينة .

قال الواقدىّ : حدّثنى إبراهيم بن محمد بن شُرحبيل ، عن أبيه ، قال : كان إبراهيم بن هشام بن إسماعيل حجّ، فأرسل إلى عطاء بن [أبى] رباح : متى أخطب بمكة ؟ قال : بعد الظهر ،قبل التّروية بيوم ، فخطب قبل الظهر ، وقال : أمرنى رسولى بهذا عن عطاء ، فقال عطاء : ما أمرتُه إلاّ بعد الظهر ، قال : فاستحيا إبراهيم بن هشام يومئذ ، وعدّوه منه جهلا .

* * *

[ذكر ولاية خالد القسرىّ على العراق]

وفى هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عمرَ بن هُبيرة عن العراق وما كان إليه من عمل المشرق، وولّى ذلك كلّه خالد بن عبد الله القسرىّ فى شوال . ٢/١٤٦٨

ذكر محمد بن سلام الجُمحىّ ، عن عبد القاهر بن السرىّ ، عن عمر بن يزيد بن عُمير الأسيّدىّ (١) قال : دخلت على هشام بن عبد الملك، وعنده خالد بن عبد الله القسرىّ ، وهو يذكر طاعة أهل اليمن ، قال : فصفّقت تصفيقةً بيدى دقّ الهواء منها، فقلت : تالله ما رأيتُ هكذا خطأ ولا مثله خَطَلاً ! والله ما فتِحَتْ فتنة فى الإسلام إلا بأهل اليمن، هم قتلوا أميرَ المؤمنين عثمان ، وهم خلعوا أمير المؤمنين عبد الملك ، وإنّ سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب . قال : فلما قمت تبعنى رجلٌ من آل مروان كان حاضراً ، فقال : يا أخا بنى تميم ، ورتْ بك زِنادى ، قد سمعت مقالتك، وأمير المؤمنين مولٍّ خالداً العراق ، وليست لك بدار .

---

(١) فى ابن الأثير : «الأسيدى ، بضم الهمزة وتشديد الياء ؛ هكذا يقول المحدثون ، وأما النحاة فإنهم يخففون الياء؛ وهى عند الجميع نسبة إلى أسيد بن عمرو بن تميم بضم الهمزة وتشديد الياء».

ذكر عبد الرزاق أنّ حماد بن سعيد الصنعانيّ أخبره قال : أخبرنى زياد ابن عبيد الله ، قال : أتيت الشّأم ، فاقترضت ؛ فبينا أنا يومـًا على الباب باب هشام ، إذ خرج علىّ رجل من عند هشام ، فقال لى : ممّن أنت يا فتى ؟ قلت : يمانٍ ، قال : فمن أنت ؟ قلت : زياد بن عبيد الله بن عبد المَدان ، قال : فتبسم ، وقال : قم إلى ناحية العسكر فقل لأصحابى : ارتحلوا فإنّ أمير المؤمنين قد رضى عنى ، وأمرنى بالمسير ، ووكّل بى من يخرجنى قال : قلت : مَنْ أنت يرحمك الله ؟ قال : خالد بن عبدالله القسرىّ ، قال : ومُرْهم يا فتى أن يعطوك منديل ثيابى وبرْذونى الأصفر . فلما جُزْت قليلاً نادانى ، فقال : يا فتى ، وإن سمعت بى قد وُلّيت العراق يومـًا فالحق بى . قال : فذهبتُ إليهم ، فقلت : إنّ الأمير قد أرسلنى إليكم بأنّ أمير المؤمنين قد رضى عنه ؛ وأمره بالمسير . فجعل هذا يحتضننى وهذا يقبِّل رأسى ، فلما رأيتُ ذلك منهم ، قلت : وقد أمرنى أن تعطونى منديل ثيابه وبِرْذونه الأصفر ، قالوا : إى والله وكرامةً ، قال : فأعطونى منديل ثيابه وبرذونه الأصفر ، فما أمسى بالعسكر أحد أجودَ ثياباً[1] منّى ، ولا أجوَد مركبا منّى ، فلم ألبث إلا يسيراً حتى قيل : قد وُلِّىَ خالد العراق ، فركبنى من ذلك همّ ، فقال لى عريف لنا : ما لى أراك مهمومـًا ! قلت : أجل قد وُلّى خالد كذا وكذا ، وقد أصبتُ ها هنا رُزَيقا عشت به ، وأخشى أن أذهب إليه فيتغيَّر علىّ فيفوتنى ها هنا وها هنا ، فلست أدرى كيف أصنع ! فقال لى : هل لك فى خصلة ؟ قلت : وما هى ؟ قال : توكّلنى بأرزاقك وتخرج ، فإن أصبتَ ما تحبّ فلى أرزاقك ، وإلاّ رجعتَ فدفعتها إليك ، فقلت نعم .

٢/١٤٦٩

وخرجت ، فلما قدمت الكوفة لبست من صالح ثيابى . وأذِن للناس ، فتركتُهم حتى أخذوا مجالسَهم ، ثم دخلت فقمت بالباب ، فسلمت ودعوت وأثنيت ، فرفع رأسه ، فقال : أحسنت بالرّحب[2] والسعة ، فما رجعتُ إلى منزلى حتى أصبت ستمائة دينار بين نَقْد وعَرْض[3] .

٢/١٤٧٠

ثم كنت أختلفُ إليه ، فقال لى يومـًا : هل تكتب يا زياد ؟ فقلت :

---

(١) ب : « ثوباً » . (٢) ف : « بالقرب » . (٣) العرض : ما سوى النقدين من المتاع .

أقرأ ولا أكتب ، أصلح الله الأمير ! فضرب بيده على جبينه ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! سقط منك تسعة أعشار ما كنت أريده منك ، وبقى لك واحدة فيها غنى الدّهر قال : قلت : أيها الأمير ، هل فى تلك الواحدة ثمن غلام ؟ قال : وماذا حينئذ ! قلت : تشترى غلاماً كاتباً تبعث به إلىّ فيعلّمنى ، قال : هيهات ! كبرتَ عن ذلك ، قال : قلت : كلاّ ، فاشترى غلاما كاتباً حاسباً بستين ديناراً ، فبعث به إلىّ ، فأكببتُ على الكتاب ، وجعلت لا آتيه إلا ليلاً ، فما مضت إلا خمس عشرة ليلة حتى كتبتُ ما شئت وقرأت ما شئت . قال : فإنّى عنده ليلةً ، إذ قال : ما أدرى هل أنجحت من ذلك الأمر شيئاً ؟ قلت : نعم ، أكتب ما شئت ، وأقرأ ما شئت ، قال : إنّى أراك ظفرت منه بشىء يسير فأعجبك ، قلت : كلا ، فرفع شاذَكونه[1] ، فإذا طومار ، فقال : اقرأ هذا الطومار ، فقرأت ما بين طرفيه ، فإذا هو من عامله على الرىّ ، فقال : اخرج فقد ولّيتك عملَه ، فخرجت حتى قدمت الرّىّ ، فأخذت عامل الخراج ، فأرسل إلىّ : إن هذا أعرابىّ مجنون ، فإنّ الأمير لم يولّ على الخراج عربيًّا قطّ ، وإنما هو عامل المعونة ، فقل له : فليقرّنى على عملى وله ثلثمائة ألف ، قال : فنظرتُ فى عهدى ، فإذا أنا على المعونة ، فقلت : والله لا انكسرت ، ثم كتبت إلى خالد : إنك بعثتنى على الرّىّ، فظننت أنك جمعتها لى . فأرسل إلىّ صاحب الخراج أن أقرّه على عمله ويعطينى ثلثمائة ألف درهم . فكتب إلىّ أن اقبل ما أعطاك، واعلم أنّك مغبون . فأقمت بها ما أقمت ، ثم كتبت : إنى قد اشتقت إليك فارفعنى إليك ، ففعل ، فلما قدمت عليه ولاّنى الشرطة . ١٤٧١/٢

* * *

وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة والطائف عبد الواحد بن عبد الله النضْرىّ وعلى قضاء الكوفة حسين بن حسن الكِندىّ ، وعلى قضاء البَصْرة موسى بن أنس . وقد قيل إنّ هشاماً إنما استعمل خالد بن عبد الله القسرىّ على العراق وخراسان فى سنة ست ومائة ، وإن عامله على العراق وخراسان فى سنة خمس ومائة كان عمر بن هبيرة .

(١) ط : « شادكونه » ؛ وفى القاموس : « الشاذكونة ، بفتح الذال : ثياب غلاظ مضرية تعمل باليمن ؛ وإلى بيعها نسب أبو أيوب الحافظ ؛ لأن أباه كان يبيعها » .

ثم دخلت سنة ست ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأَحداث

فى هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عن المدينة عبدَ الواحد بن عبد الله النضْرىّ وعن مكة والطائف ، وولّى ذلك كله خالَه إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومىّ ، فقدم المدينة يوم الجمعة لسبع عشرة[١] مضت من جمادى الآخرة سنة ست ومائة ، فكانت ولاية النَّضْرىّ على المدينة سنة وثمانية أشهر .

وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة . ١٤٧٢/٢

وفيها غزا الحجاج بن عبد الملك اللّان ، فصالح أهلَها ، وأدّوا الجزْية .

وفيها ولد عبد الصمد بن علىّ فى رجب .

وفيها مات الإمام طاوس مولى بَحِير بن رَيْسان الحميرىّ بمكة وسالم ابن عبد الله بن عمر ، فصلّى عليهما هشام . وكان موت طاوس بمكة وموت سالم بالمدينة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى عبد الحكيم بن عبد الله بن أبى فروة ، قال : مات سالم بن عبد الله سنة خمس ومائة فى عقِب ذى الحجة ، فصلى عليه هشام بن عبد الملك بالبَقيع ، فرأيت القاسم بن محمد بن أبى بكر جالسًا عند القبر وقد أقبل هشام ما عليه إلا دُرّاعة[٢] ، فوقف على القاسم فسلم عليه ، فقام إليه القاسم فسأله هشام : كيف أنت يا أبا محمد ؟ كيف حالك ؟ قال : بخير ، قال : إنى أحبّ والله أن يجعلكم بخير . ورأى فى الناس كثْرة ، فضرب[٣] عليهم بعث أربعة آلاف ؛ فسمّى عام الأربعة الآلاف .

وفيها استقضى إبراهيم بن هشام محمد بن صفوان الجُمحىّ ثم عزله ، واستقضى الصّلت الكندىّ .

* * *

(١) ح : « لتسع عشرة » .
(٢) ح : « درعه » .
(٣) ح : « فبعث » .

[ذكر الخبر عن الحرب بين اليمانية والمضرية وربيعة]

وفى هذه السنة كانت الوقعة التى كانت بين المضرية واليمانية وربيعة بالبَرُوقان من أرض بلْخ .

١٤٧٣/٢ * ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة :

وكان سبب ذلك — فيما قيل — أنّ مسلم بن سعيد غزا ، فقطع النّهر ، وتباطأ الناس عنه؛ وكان ممّن تباطأ عنه البخْتَرىّ بن درهم ، فلما أتى النّهر ردّ نصر بن سيار وسليم بن سليمان بن عبد الله بن خازم وبلعاء بن مجاهد بن بلعاء العنبرىّ وأبا حفص بن وائل الحنظلىّ وعُقبة بن شهاب المازنىّ وسالم بن ذؤابة إلى بلْخ ، وعليهم جميعاً نصْر بن سيار ، وأمرهم أن يخرجوا النّاس إليه . فأحرق نصر باب البَخْترىّ وزياد بن طريف الباهلىّ ، فمنعهم عمرو بن مسلم من دخول بلْخ — وكان عليها — وقطع مسلم بن سعيد النهر فنزل نصر البَرُوقان ، فأتاه أهل صَغَانيَان ، وأتاه مسلمة العُقْفانىّ من بنى تميم ، وحسان بن خالد الأسدىّ ؛ كلّ واحد منهما فى خمسمائة ، وأتاه سنان الأعرابىّ وزُرْعة بن علقمة وسلمة بن أوس والحجاج بن هارون النميرىّ فى أهل بيته ، وتجمّعت بكْر والأزد بالبَرُوقان ، رأسهم البخترىّ ، وعسكر بالبَرُوقان على نصف فرسخ منهم ، فأرسل نصْر إلى أهل بلْخ : قد أخذتم أعطياتكم فالحقوا بأميركم ، فقد قطع النّهر . فخرجت مُضَر إلى نصر ، وخرجت ربيعة والأزْد إلى عمرو ابن مسلم ، وقال قوم من ربيعة : إنّ مسلم بن سعيد يريد أن يخلع ؛ فهو يكرهنا على الخروج . فأرسلت تَغلب إلى عمرو بن مسلم : إنك منا ، وأنشدوه[(١)] ١٤٧٤/٢ شعراً قاله رجل عزا باهلة إلى تَغْلب[(٢)] — وكان بنو قتيبة من بَاهلة — فقالوا : إنّا من تغلب ، فكرهتْ بكْر أن يكونوا فى تَغلب فتكثر تغلب ، فقال رجل منهم :

زَعمَتْ قتيبةُ أنها مِنْ وَائِل ... نَسَبٌ بعيدٌ ياقتيبةُ فاصْعَدِى

وذكر أن بنى مَعن من الأزد يُدْعَوْن باهلة ، وذكر عن شريك بن

---

(١) ب : «وأنشدوا» . (٢) ابن الأثير : «قاله رجل من باهلة إلى تغلب» .

أبى قيلة المعنىّ أن عمرو بن مسلم كان يقف على مجالس بنى معْن، فيقول: لئن لم نكن منكم ما نحن بعرب؛ وقال عمرو بن مسلم حين عَزَاه التّغلبىّ إلى بنى تغلِب: أما القرابة فلا أعرفها، وأما المنع فإنى سأمنعكم؛ فسفر الضّحاك بن مزاحم ويزيد بن المفضل الحُدّانىّ، وكلما نصراً وناشداه فانصرف. فحمل أصحاب عمرو بن مسلم والبختَرىّ على نصر، ونادوا: يالَ بكر! وجالوا، وكرّ نصر عليهم؛ فكان أوّلَ قتيل رجلٌ من باهلة، ومع عمرو بن مسلم البخترىُّ وزياد بن طَريف الباهلىّ، فقتِل من أصحاب عمرو بن مسلم فى المعركة ثمانية عشر رجلا، وقتِل كردان أخو الفُرافِصَة ومَسْعَدة ورجل من بكر بن وائل يقال له إسحاق، سوى مَن قتِل فى السكك، وانهزم عمرو بن مسلم إلى القصر وأرسل إلى نصر: ابعث إلى بلْعاء بن مجاهد، فأتاه بلعاء، فقال: خذْ لى أماناً منه، فآمنه نصر، وقال: لولا أنى أُشمِت بك بكر بن وائل لقتلتك. ١٤٧٥/٢

وقيل: أصابوا عمرو بن مسلم فى طاحونة، فأتوا به نصراً فى عُنقه حَبْل، فآمنه نصر (١)، وقال له ولزياد بن طريف والبختَرىّ بن دِرْهَم: الحقوا بأميركم.

وقيل: بل التقى نصر وعمرو بالبرُوقان، فقتِل من بكر بن وائل واليمن ثلاثون، فقالت بكر: علام نقاتل إخواننا وأميرنا، وقد تقرّبنا إلى هذا الرجل فأنكر قرابتنا! فاعتزلوا. وقاتلت الأزْد، ثم انهزموا ودخلوا حصناً فحصرهم نصر، ثم أخذ عمرو بن مسلم والبخترىّ أحد بنى عبّاد وزياد بن طريف الباهلىّ، فضربهم نصر مائة مائة، وحلَق رءوسهم ولحاهم، وألبسهم المُسوح. وقيل: أخذ البَخترىّ فى غيضة كان دخلها، فقال نصر فى يوم البرُوقان:

أَرَى العينَ لجَّتْ فى ابتدارٍ وما الذى (٢) ... يَرُدُّ عليها بالدموعِ ابتدارُها!
فما أنا بالوانى إذا الحربُ شَمّرَتْ ... تَحَرَّقُ فى شَطْرِ الخميسَين نارُها
وَلكنَّنى أَدعو لها خِندِفَ التى ... تطلَّعُ بالعِبء الثَّقيلِ فِقارها (٣) ١٤٧٦/٢

(١) ب: «فانصرف».
(٢) ب: «فما الذى».
(٣) ب، ح: «قفارها».

وَمَا حَفظتْ بكرٌ هنالك حِلفَهــا فصار عليها عارُ قيسٍ وعارُهــا
فإن تكُ بَكرٌ بالعِراقِ تَنَزَّرَتْ ففى أَرضِ مَرْوٍ عَلُّها وازْوِرارُهــا
وقد جَرَّبَتْ يَومَ البَرُوقان وقعــةً لِخِندِفَ إذ حَانَتْ وآنَ بوارُهــا
أَتتنى لِقَيْسٍ فى بَجِيلةَ وقعةٌ وقد كان قبلَ اليومِ طالَ انتظارُها

يعنى حين أخذ يوسف بن عمر خالداً وعياله[١] .

وذكر علىّ بن محمد أن الوليد بن مسلم قال: قاتل عمرو بن مسلم نصر بن سيار فهزمه عمرو، فقال لرجل من بنى تميم كان معه: كيف ترى أستاه قومك يا أخا بنى تميم ؟ يعيِّره بهزيمتهم ، ثم كرّت تميم فهزموا أصحاب عمرو ، فانجلى الرَّهج وبلعاء بن مجاهد فى جمع من بنى تميم يشُلُّهم ، فقال التميمىُّ لعمرو : هذه أستاه قومى . قال : وانهزم عمرو ، فقال بلعاء لأصحابه: لا تقتلوا ١٤٧٧/٢ الأسرى ولكن جَرِّدوهم ، وجوبوا سراويلاتهم عن أدبارهم، ففعلوا ، فقال بيان العنبرىّ يذكر حربهم بالبَرُوقان :

أَتانى وَرَحْلى بالمدينةِ وقعــةٌ لِآلِ تميمٍ أَرْجَفَتْ كلَّ مُرجَفِ
تَظَلُّ عُيونُ البُرْشِ بكرِ بن وائِلٍ إذا ذُكِرَت قتلى البَرُوقانِ تَذْرِفُ
هُمُ أَسلموا للموتِ عَمْرو بنَ مسلِمٍ وَوَلَّوْا شِلَالاً والأَسنةُ تَرْعُف
وكانت من الفتيانِ فى الحربِ عادة ولم يصبرُوا عندَ القنا المُتَقَصِّفِ

* * *

[خبر غزو مسلم بن سعيد الترك]

وفى هذه السنة غزا مُسلم بن سعيد التّرك؛ فورد عليه عزله من خراسان من خالد بن عبد الله، وقد قطع النّهر لحربهم وولاية أسد بن عبد الله عليها .

* ذكر الخبر عن غزوة مسلم بن سعيد هذه الغزوة :

ذكر علىّ بن محمد عن أشياخه أنّ مسلماً غزا فى هذه السنة ، فخطب الناس فى ميدان يزيد، وقال : ما أُخلِّفُ بعدى شيئاً أهمّ عندى من قوم

(١) ب : « وعماله » .

يتخلّفون بعدى مخلِّقِى الرقاب، يتواثبون الجُدران على نساء المجاهدين؛ اللهمّ افعل بهم وافعل ! وقد أمرتُ نصراً ألاّ يجد متخلّفاً إلاّ قتله، وما أرى لهم من عذاب ينزله الله بهم[1] — يعنى عمرو بن مسلم وأصحابه — فلما صار ببخارى أتاه كتاب من خالد بن عبد الله القسرىّ بولايته على العراق ، وكتب إليه : أتمِمْ غزاتك . فسار إلى فَرْغانة ، فقال أبو الضحاك الرَّوَاحىّ — أحد بنى رَوَاحة من بنى عبس ، وعِداده فى الأزد ، وكان ينظر فى الحساب : ليس على متخلّفٍ العامَ معصية ، فتخلّف أربعة آلاف . وسار مسلم بن سعيد ، فلما صار بفَرْغانة بلغه أن خاقان قد أقبل إليه، وأتاه شُمَيْل — أو شُبَيْل — بن عبد الرحمن المازنىّ ،فقال : عاينت عسكر خاقان فى موضع كذا وكذا ، فأرسل إلى عبد الله بن أبى عبد الله الكرْمانىّ مولى بنى سليم ، فأمره[2] بالاستعداد للمسير ، فلما أصبح ارتحل بالعسكر ، فسار ثلاث مراحل فى يوم ؛ ثم سار من غد حتى قطع وادى السَّبوح، فأقبل إليهم خاقان، وتوافت إليه الخيل ؛ فأنزل عبد الله بن أبى عبد الله قوماً من العُرَفاء والموالى ، فأغار الترك على الذين أنزلهم عبد الله ذلك الموضع فقتلوهم ،وأصابوا دوابّ لمسلم وقتِل المسيّب بن بشر الرِّياحىّ ، وقتِل البراء — وكان من فرسان المهلّب — وقتل أخو غوْزك ، وثار النّاس فى وجوههم ،فأخرجوهم من العسكر ، ودفع[3] مسلم لواءه إلى عامر بن مالك الحِمَّانىّ، ورحل بالناس فساروا ثمانية أيام ، وهم مطِيفون بهم ؛ فلما كانت الليلة التاسعة أراد النزول ، فشاور الناس فأشاروا عليه بالنزول ، وقالوا : إذا أصبحنا وردنا الماء ، والماءُ منا غير بعيد ؛ وإنك إن نزلت المرْج تفرّق الناس فى الثمار ، وانتُهِب عسكرك ، فقال لسورة بن الحرّ : يا أبا العلاء ، ما ترى ؟ قال : أرى ما رأى الناس ونزلوا . قال : ولم يرفع بناء فى العسكر ، وأحرق الناس ما ثقل من الآنية والأمتعة ، فحرّقوا قيمة ألف ألف ، وأصبح الناس فساروا ، فوردوا الماء فإذا دون النّهر أهلُ فرغانة والشّاش ، فقال مسلم بن سعيد : أعزِم على كلّ رجل إلاّ اخترط سيفه ؛ ففعلوا فصارت الدنيا كلها سيوفاً ، فتركوا الماء وعبروا ، فأقام يوماً ،

(١) ح : « عليهم » . (٢) ب : « فأمر » .
(٣) ب : « ورفع » .

ثم قطع من غد ، وأتبعهم ابن الخاقان . قال : فأرسل حُميد بن عبد الله وهو على الساقة إلى مسلم : قف ساعةً فإنّ خلفى مائتى رجل من الترك حتى أقاتلهم —وهو مثقَلٌ جراحةً— فوقف الناس ، فعطف على الترك، فأسر أهل السُّغد وقائدهم وقائد الترك فى سبعة ، وانصرف البقيّة ، ومضى حميد ورُمى بنشّابة فى ركبته ، فمات .

٢/١٤٨٠ وعطش الناس، وقد كان عبد الرحمن بن نعيم العامرى حمل عشرين قربة على إبله ، فلما رأى جهد الناس أخرجها ، فشربوا جُرَعًا ، واستسقى يوم العطش مسلم بن سعيد فأتوْه بإناء، فأخذه جابر —أو حارثة[1]— بن كثير أخو سليمان بن كثير من فيه ، فقال مسلم : دعوه ، فما نازعنى شَرْبَتى إلا من حرّ دَخَلَه ، فأتوا خُجَنْدة ، وقد أصابتهم مجاعة وجَهد ، فانتشر الناس فإذا فارسان يسألان عن عبد الرحمن بن نعيم ،فأتياه بعهده على خُراسان من أسد بن عبد الله ، فأقرأه عبد الرحمن مسلمًا ، فقال : سمعاً وطاعة،قال : وكان عبد الرحمن أوّل من اتخذ الخيام فى مفازة آمُل .

قال : وكان أعظم الناس غنًى يوم العطش إسحاق بن محمد الغُدانىّ ، فقال حاجب الفيل لثابت قُطْنة ، وهو ثابت بن كعب :

نقْضى الأُمورَ وبكرٌ غَيرُ شاهدها بين المجاذِيفِ والسُّكانِ مشغولُ
مَا يَعْرِفُ الناسُ منه غيرَ قُطْنَتِـه وما سواها مِنَ الآباءِ مجْهُولُ

وكان لعبد الرحمن بن نعيم من الولد نُعَيم وشَديد وعبد السلام وإبراهيم والمِقْداد ، وكان أشدَّهم نُعَيم وشَديد ، فلما عزُل مسلم بن سعيد ؛ قال

٢/١٤٨١ الخزرج التغلبىّ : قاتلنا الترك ، فأحاطوا بالمسلمين حتى أيقنوا بالهلاك ؛ فنظرت إليهم وقد اصفرّت وجوههم ، فحمل حَوْثرة بن يزيد بن الحرّ بن الُحنَيف بن نصر بن يزيد بن جَعْوَنة على الترك فى أربعة آلاف ، فقاتلهم ساعة ثم رجع ، وأقبل نصر بن سيار فى ثلاثين فارساً ، فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم ، وحمل الناس عليهم ؛ فانهزم الترك .

قال : وحوثرة هذا هو ابن أخى رَقَبة بن الحرّ . قال : وكان عمر بن

---

(١) ح : « أو جارية » ، ابن الأثير : « وحارثة » .

هبيرة قال لمسلم بن سعيد حين ولاّه خراسان : ليكن حاجبُك من صالح مواليك ، فإنه لسانك والمعبّر عنك ، وحُثّ صاحب شُرطتك على الأمانة ، وعليك بعمال العذر . قال : وما عمال العُذْر ؟ قال : مُرْ[1] أهلَ كلّ بلد أن يختاروا لأنفسهم ، فإذا اختاروا رجلاً فولّه ، فإن كان خيراً كان لك ، وإن كان شرًّا كان لهم دونك ؛ وكنت معذوراً .

قال : وكان مسلم بن سعيد كتب إلى ابن هُبيرة أن يوجه إليه توبة بن أبى أسيْد مولى بنى العنبر ، فكتب ابن هبيرة إلى عامله بالبصرة : أحمل إلىّ توبة بن أبى أسيْد ، فحمله فقدم – وكان رجلا جميلا جهيراً له سَمْتٌ – فلما دخل على ابن هبيرة ، قال ابن هبيرة : مثل هذا فليولّ ، ووجّهه[2] به إلى مسلم ، فقال له مسلم : هذا خاتمى فاعمل برأيك ؛ فلم يزل معه حتى قدم ٢/١٤٨٢ أسد بن عبد الله ، فأراد توبة أن يشخص مع مسلم ، فقال له أسد : أقم معى فأنا أحوَج إليك من مسلم . فأقام معه ، فأحسن إلى الناس وألان جانبه ، وأحسن إلى الجند وأعطاهم أرزاقهم ، فقال له أسد : حلّفهم بالطلاق فلا[3] يتخلف أحد عن مغزاه ، ولا يدخل بديلاً ، فأبى ذلك توبة فلم يحلفهم بالطلاق .

قال : وكان الناس بعد توبة[4] يُحلّفون الجند بتلك الأيمان ، فلما قدم عاصم ابن عبد الله أراد أن يحلّف الناس بالطلاق فأبوا ، وقالوا : نحلف بأيمان توبة . قال : فهم يعرفون ذلك ، يقولون : أيمان توبة .

* * *

[حجّ هشام بن عبد الملك]

وحجّ بالناس فى هذه السنة هشام بن عبد الملك ؛ حدّثنى بذلك أحمد ابن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ وغيره ، لا خلاف بينهم فى ذلك .

قال الواقدىّ : حدّثنى ابن أبى الزّناد ، عن أبيه ، قال : كتب إلىّ

(١) ابن الأثير : « تأمر » . (٢) ب : « ووجهه إلى مسلم » .
(٣) كذا فى ح وفى ط : « ولا » . (٤) ح : « موته » .

هشام بن عبد الملك قبل أن يدخل المدينة أن اكتب لى سُنَن الحج ، فكتبتها له ، وتلقاه أبو الزناد . قال أبو الزّناد : فإنى يومئذ فى الموكب خلفه ، وقد لقيَه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان ، وهشام يسير ، فنزل له ، فسلم عليه ، ثم سار إلى جَنْبه ، فصاح هشام : أبو الزناد ! فتقدّمتُ ، فسرت إلى جنبه الآخر ، فأسمع سعيداً يقول : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الله لم يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين ، وينصر خليفته المظلوم ، ولم يزالوا يلعنون فى هذه المواطن الصالحة أبا تراب ، فأمير المؤمنين ينبغى له أن يلعنه فى هذه المواطن الصالحة ؛ قال : فشقّ على هشام ، وثقل عليه كلامه ، ثم قال : مَا قدمنا لشتم أحد ولا للعنه ، قدمنا حجّاجاً . ثم قطع كلامه وأقبل علىّ فقال : يا عبد الله بن ذكوان ، فرغتَ مما كتبتُ إليك ؟ فقلت : نعم ، فقال أبو الزناد : وثقُل على سعيد ما حضرته يتكلم به عند هشام ، فرأيته منكسراً[١] كلما رآنى .

١٤٨٣/٢

وفى هذه السنة كلّم إبراهيم بن محمد بن طلحة هشامَ بن عبد الملك — وهشام واقف قد صلّى فى الحِجْر — فقال له : أسألك بالله وبحُرْمة هذا البيت والبلد الذى خرجتَ معظِّماً لحقه ، إلا رددتَ علىّ ظلامتى ! قال : أىّ ظلامة ؟ قال : دارى ، قال : فأين كنت عن أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : ظلمنى والله ، قال : فعن الوليد بن عبد الملك ؟ قال : ظلمنى والله ، قال : فعن سليمان ؟ قال : ظلمنى ، قال : فعن عمر بن عبد العزيز ؟ قال : يرحمه الله ، ردّها والله علىّ ، قال : فعن يزيد بن عبد الملك ؟ قال : ظلمنى والله ، هو قبضها منى بعد قبضى لها ، وهى فى يديك . قال هشام : أما والله لو كان فيك ضربٌ لضربتك ، فقال إبراهيم : فىّ والله ضرب بالسيف والسوط . فانصرف هشام والأبرش خلفه فقال : أبا مجاشع ، كيف سمعتَ هذا اللسان ؟ قال : ما أجود هذا اللسان ! قال : هذه[٢] قريش وألسنتها ، ولا يزال فى الناس بقايا[٣] ما رأيتَ مثل هذا .

١٤٨٤/٢

(١) ابن الأثير : « وكان منكسراً » .
(٢) ط : « هذا » ، وما أثبته من ب .
(٣) ف : « الناس فى بقايا » .

وفى هذه السنة قدم خالد بن عبد الله القسرىّ أميراً على العراق .

* * *

[ولاية أَسد بن عبد الله القسرىّ على خراسان]

وفيها استعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله أميراً على خراسان ، فقدمها ومسلم بن سعيد غازٍ بفرغانة ، فذكر عن أسد أنه لما أتى النهر ليقطع ، منعه الأشهب بن عبيد التميمىّ أحد بنى غالب، وكان على السفن بآمُل ، فقال له أسد : أقطِعنى ، فقال : لا سبيل إلى إقطاعك ؛ لأنى نُهِيت عن ذلك ، قال : لاطفوه وأطمعوه[1] ، فأبى ؛ قال : فإنى الأمير ، ففعل ، فقال أسد : اعرفوا هذا حتى نَشْرَكه فى أمانتنا ، فقطع النهر ، فأتى السُّغد ، فنزل مرْجها[2] ، وعلى خراج سَمرقند هانئ بن هانئ ، فخرج فى الناس يتلقى[3] أسداً ، فأتوه بالمرْج ، وهو جالس على حَجَر ، فتفاءل الناس ، فقالوا : أسد على حَجر ! ما عند هذا خير . فقال له هانئ : أقدمتَ أميراً فنفعل بك ما نفعل بالأمراء ؟ قال : نعم ، قدمتُ أميراً . ثم دعا بالغداء فتغدّى بالمرْج ، وقال : مَن ينشط بالمسير وله أربعة عشر درهماً - ويقال : قال ثلاثة عشر درهمًا- وها هى ذى فى كمىّ ؟ وإنه ليبكى ويقول : إنما أنا رجل مثلكم[4] . وركب فدخل سَمَرْقند وبعث رجلين معهما عهد عبد الرحمن بن نعيم على الجند ، فقدم الرّجلان على عبد الرحمن بن نعيم ، وهو فى وادى أفشين[5] على السّاقة — وكانت الساقة على أهل سَمَرْقند الموالى[6] وأهل الكوفة — فسألا عن عبد الرحمن فقالوا : هو فى الساقة ، فأتياه بعهد وكتاب بالقَفْل والإذن لهم فيه ، فقرأ الكتاب . ثمّ أتى به مسلمًا وبعهده ، فقال مسلم : سمعًا وطاعة ، فقام عمرو ابن هلال السدوسىّ — ويقال التيمىّ — فقنّعه سوطين لما كان منه بالبَرُوقان إلى بكر بن وائل ، وشتمه حسين بن عثمان بن بشر بن المحتفز ، فغضب

٢/١٤٨٥

---

(١) ب : « وأطيعوه »

(٢) ابن الأثير : « بالمرج » .

(٣) ف : « ليلقى » .

(٤) ح : « منكم » .

(٥) ح : « أدانى أفشين » .

(٦) ب : « والموالى » .

عبد الرحمن بن نعيم ، فزجرهما ثم أغلظ لهما ، وأمر بهما فدفعا ، وقفل بالناس وشخص معه مسلم .

فذكر علىّ بن محمد عن أصحابه ، أنهم قدموا على أسد ، وهو بسمرقند ، فشخص أسد إلى مَرْو ، وعزل هانئاً . واستعمل على سمرقند الحسن بن أبى العَمَرّطة الكندىّ من ولد آكل المُرار . قال : فقدِمت على الحسن امرأته الجَنوب ابنة القعقاع بن الأعلم رأس الأزد ، ويعقوب بن القعقاع قاضى خراسان ؛ فخرج يتلقاها ، وغزاهم الترك ، فقيل له : هؤلاء الترك[1] قد أتوك — وكانوا[2] سبعة آلاف — فقال : ما أتَوْنا بل أتيناهم وغلبناهم على بلادهم واستعبدناهم ، وايمُ الله مع هذا لأدنينّكم منهم ، ولأقرننّ[3] نواصى خيلكم بنواصى خيلهم . ١٤٨٦/٢

قال : ثم خرج فتباطأ حتى أغاروا وانصرفوا ، فقال الناس : خرج إلى امرأته يتلقاها مسرعاً ، وخرج إلى العدوّ متباطئاً . فبلغه فخطبهم ، فقال : تقولون وتعيبون ! اللهمّ اقطع آثارهم وعجّل أقدارهم ، وأنزل بهم الضّراء وارفع عنهم السراء ! فشتمه الناس فى أنفسهم .

وكان خليفته حين خرج إلى الترك ثابت قُطْنة ، فخطب الناس فحصر فقال : من يطع اللهَ ورَسُوله فقد ضلّ ، وأرتِج عليه ، فلم ينطق بكلمة ، فلما نزل عن المنبر قال :

إنْ لم أكنْ فيكمْ خطيباً فإننى بسيفى إذا جَدَّ الوغى لخَطيبُ[4]

فقيل له : لو قلت هذا على المنبر ، لكنت خطيباً ، فقال حاجب الفيل اليشكرىّ يعيره حَصَرَه :

أبا العَلاءِ لقد لاقيتَ مُعْضِلةً يَومَ العَرُوبة مِنْ كَربٍ وتَخنِيق
تَلوِى اللسانَ إذا رُمتَ الكلامَ به كما هوى زَلَقٌ منْ شاهِقِ النِّيق

---

(١) ب : « الأتراك » . (٢) ح : « وهم » .
(٣) ابن الأثير : « ولأقربن » .
(٤) أورد الجاحظ الشعر فى البيان والتبيين ١ : ٢٣١ ، وروايته :

فإلاَّ أكُنْ فيهمْ خِطيباً فإنَّنى بسُمْرِ القَنا والسَّيْفِ جدُّ خطيب

لمَّا رَمَتْكَ عُيُونُ النَّاسِ ضَــاحِيَةً أَنشأْتَ تَجْرَضُ لمَّا قمتَ بالرِّيق ١٤٨٧/٢
أَمَّا القرانُ فَلا تُهدَى لِمُحْكَمَةٍ مِنَ القرانِ وَلَا تُهْدَى لِتَوْفِيقِ

وفي هذه السنة ولد عبد الصمد بن عليّ في رجب .

* * *

وكان العامل على المدينة ومكة والطائف في هذه السنة إبراهم بن هشام المخزوميّ . وعلى العراق وخراسان خالد بن عبد الله القسريّ ، وعامل خالد على صلاة البصرة عقبة بن عبد الأعلى ، وعلى شُرْطتها مالك بن المنذر بن الجارود ، وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله بن أنس ، وعلى خُراسان أسد بن عبد الله .

ثم دخلت سنة سبع ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خروج عبّاد الرُّعَيْنىّ باليمن محكِّماً، فقتله يوسف ابن عمر ، وقتل معه أصحابه كلهم وكانوا ثلثمائة .

وفيها غزا الصّائفة معاوية بن هشام ، وعلى جيش الشأم ميمون بن مهران ، فقطع البحر حتى عبر إلى قُبرُس، وخرج معهم البَعْث الذى هشام كان أمر به فى حجته سنة ستّ، فقدموا فى سنة سبع على الجعائل[1] ، غزا منهم نصفهم[2] وقام النصف . وغزا البرّ[3] مسلمة بن عبد الملك .

٢/١٤٨٨

وفيها وقع بالشأم طاعون شديد .

وفيها وجّه بكير بن ماهان أبا عِكْرمة وأبامحمد الصّادق ومحمد بن خنيس وعمار العبادىّ فى عِدّة من شيعتهم ، معهم زياد خال الوليد الأزرق دعاة إلى خراسان ، فجاء رجل من كندة إلى أسد بن عبد الله ، فوَشى بهم إليه ، فأتى بأبى عكرمة ومحمد بن خُنيس وعامة أصحابه ، ونجا عمّار ، فقطع أسد أيدى مَن ظفر به منهم وأرجلهم ، وصلبهم . فأقبل عمار إلى بكير بن ماهان ، فأخبره الخبر ، فكتب به إلى محمد بن علىّ ، فأجابه : الحمد لله الذى صدّق مقالتكم ودعوتكم ، وقد بقيت منكم قتلى ستُقتل .

وفى هذه السنة حُمل مسلم بن سعيد إلى خالد بن عبد الله ، وكان أسد ابن عبد الله له مكرِّماً بخراسان لم يعرض له ولم يحبسه ، فقدم مسلم وابن هبيرة مُجْمعٌ على الهرب ، فنهاه عن ذلك مسلم ، وقال له : إن القوم فينا أحسن رأياً منكم فيهم .

وفى هذه السنة غزا أسد جبال نَمرون ملك الغَرْشِسْتان مما يلى جبال الطالقان ، فصالحه نمرُون وأسلم على يديه ، فهم اليوم يتولوْن اليمن .

٢/١٤٨٩

* * *

[غَزو الغُور]

وفيها غزا أسد الغُور وهى جبال هَراة .

(١) ب : « الجعال » . (٢) ح : « النصف » . (٣) ابن الأثير : « فى البر » .

* ذكر الخبر عن غزوة أسد هذه الغزوة :

ذكر عليّ بن محمد عن أشياخه ،أنّ أسدًا غزا الغُور ، فعمد أهلُها إلى أثقالهم فصيّروها فى كهف ليس إليه طريق ، فأمر أسد باتّخاذ توابيت ووضع فيها الرجال ، ودلّاها بالسلاسل ، فاستخرجوا ما قدروا عليه ، فقال ثابت قُطْنة :

أَرَى أَسَدًا تَضَمَّنَ مُفْظِعَاتٍ تَهيَّبَهَا الملوكُ ذَوُو الحجابِ
سَمَا بالخيل فى أكنافِ مرو وتوفِزُهُنَّ بين هلَا وهَابِ
إلى غُورين حيثُ حَوى أَزَبٌّ وصلكٌ بالسُّيوفِ وبالحرابِ
هَـدانا اللهُ بالقتلى تَراها مُصَلَّبَةً بأفواهِ الشِّعابِ
مَلاحِمُ لم تَدَعْ لِسراةِ كلبٍ مُهـاترَةً وَلَا لبنى كِلاَب
فأوردها النِّهابَ وآبَ منها بأَفضلِ ما يصابُ مِنَ النهابِ
وكان إذا أَناخَ بِدارِ قومٍ أَراها المُخزياتِ من العذاب
أَلم يُزرِ الجبالَ جبال مُلع ترى من دونها قِطَعَ السَّحابِ
بِأَرْعَنَ لم* يدع لهمُ شَرِيدًا وعاقَبَهَا المُمِضَّ مِنَ العقابِ

* وملع من جبال خُوط فيها تعمل الحزُم الملعيّة . ١٤٩٠/٢

* * *

وفى هذه السنة نقل أسد مَن كان بالبَرُوقان من الجند إلى بلْخ، فأقطع كلّ مَن كان له بالبَرُوقان مسكنٌ مسكنًا بقدر مسْكنه ، ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكنًا ، وأراد أن ينزلهم على الأخماس ، فقيل له : إنهم يتعصّبون ، فخلط بينهم ، وكان قسم لعمارة مدينة بلْخ الفَعَلة على كلّ كُورة على قدر خراجها ، وولّى بناء مدينة بلْخ برمك أبا خالد بن برمك ، — وكان البَرُوقان منزل الأمراء وبين البَرُوقان وبين بلْخ فرسخان وبين المدينة والنوبهار قدر غَلْوتين — فقال أبو البريد فى بنيان أسد مدينة بلْخ :

شَعفَتْ فؤادكَ فالهوى لك شاعِفُ رِئمٌ على طِفل بحَوْمَلَ عاطفُ

تَرعَى البَريرَ بجانبَيْ مُتَهدِّلٍ رَيَّانَ لا يَعْشُو إليه آلِفُ
بمَحاضِرٍ مِنْ مُنْحنًى عَطفَتْ له بَقَرٌ تَرَجَّحُ زانَهنَّ رَوادِفُ
إنَّ المباركةَ التى أَحْصنتَها عُصِمَ الذَّلِيلُ بها وقَرَّ الخائِفُ
١٤٩١/٢ فأَراك فيها ما رَأَى مِنْ صَالحٍ فتحاً وأَبوابُ السماءِ رَواعِفُ
فمضى لكَ الإسمُ الذى يَرضى به عنك البصيرُ بما نويتَ اللَّاطف
يا خيْرَ ملكٍ ساسَ أَمرَ رَعِيَّــة إنى على صِدْقِ اليمينِ لحالِفُ
اللهُ آمنَها بصُنعِكَ بَعــدَما كانت قلوبٌ خَوفهنّ رَواجِفُ

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام، حدثنى بذلك أحمد بن ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبى معشر. وكذلك قال الواقدىّ وهشام وغيرهما .

وكانت عمال الأمصار فى هذه السنة عمالها الذين ذكرناهم قبل فى سنة ست ومائة .

ثم دخلت سنة ثمان ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية، مدينة الروم مما يلي الجزيرة، ففتحها الله على يديه.

وفيها أيضاً غزا إبراهيم بن هشام ففتح أيضاً حصناً من حصون الروم.

وفيها وجّه بكير بن ماهان إلى خراسان عدّة؛ فيهم عمّار العبادىّ؛ ١٤٩٢/٢ فوشى بهم رجل إلى أسد بن عبد الله، فأخذ عمّاراً فقطع يديه ورجليه ونجا أصحابه، فقدموا على بكير بن ماهان فأخبروه الخبر، فكتب بذلك إلى محمد بن علىّ، فكتب إليه فى جواب الكتاب: الحمد لله الذى صدّق دعوتكم ونجّى شيعتكم.

وفيها كان الحريق بدابق؛ فذكر محمد بن عمر أنّ عبد الله بن نافع حدّثه عن أبيه، قال: احترق المرعى حتى احترق الدوابّ والرجال.

* * *

[غزو الخُتَّل]

وفيها غزا أسد بن عبد الله الختَّل؛ فذكر عن علىّ بن محمد أن خاقان أتى أسداً وقد انصرف إلى القوادَيان، وقطع النهر، ولم يكن بينهم قتال فى تلك الغزاة. وذكر عن أبى عبيدة، أنه قال: بل هزموا أسداً وفضحوه؛ فتغنّى عليه الصبيان:

أَزْ خُتَّلاَن آمذِى بِرُو تَبَاهْ آمذِى[1]

قال: وكان السبْل محارباً له، فاستجلب خاقان، وكان أسد قد أظهر أنه يشتو بسُرْخ درَه، فأمر أسد الناس فارتحلوا، ووجه راياته، وسار فى ليلة ١٤٩٣/٢ مظلمة إلى سرخ دره، فكبّر الناس، فقال أسد: ما للناس؟ قالوا:

---

(١) شعر فارسى معناه: «لقد قدم من بلاد الختل عليه الخزى والعار».

هذه علامتهم إذا قفلوا ، فقال لعروة المنادى : نادِ إنّ الأمير يريدغورين ؛ ومضى وأقبل خاقان حين انصرفوا إلى غورين النهر فقطع النهر ، فلم يلتق هو ولا هم ، ورجع إلى بلْخ ، فقال الشاعر فى ذلك يمدح أسد بن عبد الله :

نَدبْتُ لى من كل خُمسٍ أَلفيْن[1] من كلّ لحّاف عريضِ الدَّفّيْنِ

قال : ومضى المسلمون إلى الغُوريان فقاتلوهم يومًا ، وصبروا لهم ، وبرز رجل من المشركين ، فوقف أمام أصحابه وركز رمحه ، وقد أعلِم بعصابة خضراء — وسَلْم بن أحوَز واقف مع نصر بن سيّار — فقال سلم لنصر : قد عرفت رأى أسد ، وأنا حامل على هذا العِلْج ؛ فلعلى أن أقتله فيرضى . فقال : شأنك ، فحمل عليه ، فما اختلج رمحه حتّى غشيه سلم فطعنه ، فإذا هو بين يدى فرسه ، ففحص برجله ، فرجع سلم فوقف ، فقال لنصر : أنا حامل حملة أخرى ؛ فحمل حتّى إذا دنا منهم اعترضه رجل من العدوّ ، فاختلفا ضربتيْن ، فقتله سلْم ، فرجع سلم جريحًا ، فقال نصر لسلم : قفْ لى حتّى أحمل عليهم ، فحمل حتّى خالط العدوّ ، فصرع رجلين ورجع جريحًا ، فوقف فقال : أترى ما صنعنا يرضيه ؟ لا أرضاه الله ! فقال : لا والله فيما أظنّ . وأتاهما رسول أسد فقال : يقول لكما[2] الأمير : قد رأيت موقفكما منذ اليوم وقلة غنائكما عن المسلمين ، لعنكما الله ! فقالا : آمين إن عدنا لمثل هذا . وتحاجزوا يومئذ ، ثم عادوا من الغد فلم يلبث المشركون أن انهزموا ، وحوى المسلمون عسكرهم ، وظهروا على البلاد فأسروا وسبوا وغنموا ، وقال بعضهم رجع أسد فى سنة ثمان ومائة مفلولا من الختَّل ، فقال أهل خراسان :

١٤٩٤/٢

أَز ختّلان آمذى * برو تباه آمذى * بيـدَل فَراز آمذى[3]

قال : وكان أصاب الجند فى غزاة الختّل جوع شديد ، فبعث أسد

(١) كذا فى ح ، وفى ط : « ندبت » ، وفى ب : « بديت » .
(٢) ب : « لكم » .
(٣) مثل سابقه وزاد عليه ما معناه : « رجع مكسور الخاطر » .

بكبشين مع غلام له ، وقال : لا تبعْهما بأقلّ من خمسمائة ، فلما مضى الغلام ، قال أسد : لا يشتريهما إلا ابن الشِّخِّير ، وكان فى المسلحة ، فدخل ابن الشِّخِّير حين أمسى ، فوجد الشاتين فى السوق ، فاشتراهما بخمسمائة ، فذبح إحداهما وبعث بالأخرى إلى بعض إخوانه ، فلما رجع الغلام إلى أسد أخبره بالقصة ، فبعث إليه أسد بألف درهم .

قال : وابن الشخّير هو عثمان بن عبد الله بن الشِّخّير ، أخو مطرّف بن عبد الله بن الشِّخِّير الحَرَشىّ .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام وهو على المدينة ومكة والطائف . حدثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال محمد بن عمر الواقدىّ . ١٤٩٥/٢

وكان العمّال فى هذه السنة على الأمصار فى الصلاة والحروب والقضاء هم العمال الذين كانوا فى السنة التى قبلها ، وقد ذكرناهم قبل .

ثم دخلت سنة تسع ومائة

ذكر الأحداث التى كانت فيها

فممّا كان فيها من ذلك غزوة عبد الله بن عقبة بن نافع الفهرىّ على جيش فى البحر وغزوة معاوية بن هشام أرض الروم ، ففتح حصنًا بها يقال له طيبة ، وأصيب معه قوم من أهل أنطاكية

* * *

[خبر مقتل عمر بن يزيد الأُسيّدىّ]

وفيها قتل عمر بن يزيد الأسيّدىّ ؛ قتله مالك بن المنذر بن الجارود .

* ذكر الخبر عن ذلك :

وكان سبب ذلك – فيما ذكر – أن خالد بن عبد الله شهد عمر بن يزيد أيام حرب يزيد بن المهلب ، فأعجب به يزيد بن عبد الملك ، وقال : هذا رجل العراق ، فغاظ ذلك خالدًا ، فأمر مالك بن المنذر وهو على شُرْطة البصرة أن يعظّم عمر بن يزيد ، ولا يعصى له أمراً حتى يعرّفه الناس ، ثم أقبل يعتلّ عليه حتى يقتله ، ففعل ذلك ، فذكر يومًا عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، فافترى عليه مالك ، فقال له عمر بن يزيد : تفترى على مثل عبد الأعلى ! فأغلظ له مالك ، فضربه بالسياط حتى قتله . ١٤٩٦/٢

* * *

[غزو غورين]

وفيهاغزا أسد بن عبد الله غُورين ، وقال ثابت قُطْنة :

أَرَى أَسَدًا فى الْحَربِ إِذْ نَزَلَتْ به ... وقَارَعَ أَهْلَ الحَرْبِ فازَ وأَوجبَا

تَنَاوَل أَرضَ السَّبْل ، خاقانُ رِدؤه ... فَحَرَّقَ ما استَعصَى عليه وخَرَّبا

أَتَتْكَ وُفودُ التّرْك ما بَيْنَ كابلٍ ... وغُورِينَ إذ لم يَهْرُبُوا منْكَ مَهْرَبا

فما يَغْمُرُ الأَعداءَ من ليْثِ غابَة ... أَبِى ضارِياتٍ حَرَّشُوهُ فَعَقَّبا

أَزَبَّ كأَنَّ الوَرْسَ فَوْقَ ذِراعِــهِ كَرِيهَ المُحَيَّا قَدْ أَسنَّ وجرَّبا
أَلم يَكُ فى الحِصْنِ المبارَكِ عصمةٌ لِجندِكَ إذ هابَ الْجَبانُ وأَرْهبا !
بنى لكَ عَبْدُ اللهِ حِصناً وَرِثتَــهُ قَدِماً إذا عُدَّ القديمُ وأَنجَبا ١٤٩٧/٢

* * *

وفى هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن خُراسان وصرف أخاه أسداً عنها .

* ذكر الخبر عن عزل هشام خالداً وأخاه عن خراسان :

وكان سبب ذلك أن أسداً أخا خالد تعصّب حتى أفسد الناس ، فقال أبو البريد ــ فيما ذكر علىّ بن محمد لبعض الأزد : أدخلنى على ابن عمّك عبد الرحمن ابن صبح ، وأوصِهِ بى ، وأخبِرْه عنى ، فأدخله عليه ــ وهو عامل لأسد على بلْخ ــ فقال : أصلح الله الأمير ! هذا أبو البريد البكرىّ أخونا وناصرنا ، وهو شاعر أهل المشرق ، وهو الذى يقول :

إنْ تَنقُضِ الأَزدُ حِلْفاً كان أَكَّدَهُ فى سالف الدَّهر عَبَّادٌ ومَسْعُود
ومالكٌ وَسُوَيدٌ أكّداه معاً لما تُجَرَّدُ فيها أَىَّ تجريدِ
حتى تَنادوْا أَتاكَ اللهُ ضاحيَةً وفى الجُلود من الإِيقاع تَقْصيدُ

قال : فجذب أبو البريد يدَه ، وقال : لعنك الله من شفيع كذب ! أصلحك الله ! ولكنى الذى أقول : ١٤٩٨/٢

الأَزْدُ إِخْوَتُنا وَهُمْ حُلَفَاؤنا ما بيْنَنَا نكْثٌ ولا تَبْدِيلُ

قال : صدقت ، وضحك . وأبو البريد من بنى عِلْباء بن شيبان بن ذُهل ابن ثعلبة .

قال : وتعصّب على نصر بن سيار ونفر معه من مُضر ، فضربهم بالسياط ، وخطب فى يوم جمعة فقال فى خطبته : قبح الله هذه الوجوه ! وجوه أهل الشقاق والنفاق ، والشغَب والفساد . اللهم فرّق بينى وبينهم ، وأخرجنى إلى مهاجرى ووطنى ، وقلّ مَن يروم ما قِبَلى أو يترمرم ، وأمير المؤمنين خالى ، وخالد بن عبد الله أخى ، ومعى اثنا عشر ألف سيف يمانٍ .

ثم نزل عن منبره، فلما صلى ودخل عليه الناس ، وأخذوا مجالسهم ، أخرج كتابًا من تحت فراشه، فقرأه على الناس ، فيه ذكر نَصْر بن سيار وعبد الرحمن بن نعيم الغامدىّ وسوْرة بن الحرّ الأبانىّ — أبان بن دارم — والبَختَرىّ بن أبى درهم من بنى الحارث بن عبَّاد، فدعاهم فأنّبهم ، فأزم القوم، فلم يتكلم منهم أحد ، فتكلم سوْرة ، فذكر حاله وطاعتَه ومناصحته، وأنه ليس ينبغى له أن يقبل قول عدوّ مبطل، وأن يجمع بينهم وبين من قَرَفهم[1] بالباطل . فلم يقبل قولَه، وأمر بهم فجُرّدوا، فضرب عبد الرحمن بن نعيم، فإذا رجل عظيم البطن، أرسح[2] ؛ فلما ضرب التوى، وجعل سراويله يزل[3] عن موضعه ، فقام رجل من[4] أهل بيته، فأخذ رداء له هَرَوِيًّا ، وقام مادًّا ثوبه بيده ، وهو ينظر إلى أسَد، يريد أن يأذن له فيؤزّره . فأومَى إليه أن افعل، فدنا منه فأزّره — ويقال بل أزّره أبو نميلة — وقال له: اتَّزر أبا زهير ، فإن الأمير والٍ مؤدب . ويقال : بل ضَرَبهم فى نواحى مجلسه .

١٤٩٩/٢

فلما فرغ قال : أين تيس بنى حِمّان ؟ — وهو يريد ضربه؛ وقد كان ضربه قبل — فقال: هذا تيس بنى حِمان؛ وهو قريب العَهْد بعقوبة الأمير ، وهو عامر بن مالك بن مسلمة بن يزيد بن حجر بن خيْسق بن حِمّان بن كعب بن سعد . وقيل إنه حلقهم بعد الضّرب، ودفعهم إلى عبد ربه بن أبى صالح مولى بنى سليم — وكان من الحرس — وعيسى بن أبى بُرَيق، ووجّههم إلى خالد ، وكتب إليه : إنّهم أرادوا الوثوب عليه ؛ فكان ابن أبى بريق كلما نبت شعر أحدهم حلَقه ، وكان البختَرىّ بن أبى درهم، يقول : لَوَددت أنه ضربنى وهذا شهراً — يعنى نصر بن سيار لما كان بينهما[5] بالبرُوقان — فأرسل بنو تميم إلى نصْر : إن شئتم انتزعناكم من أيديهم، فكفّهم نصر، فلما قدم بهم على خالد لام أسداً وعنّفه ، وقال : ألا بعثت برءوسهم ! فقال عرفجة التميمىّ :

١٥٠٠/٢

فكَيفَ وأنصارُ الخَليفَةِ كُلّهُمْ عُناةٌ وأعداءُ الخَليفَةِ تُطْلَقُ!

(١) ح ، ف : « فرقهم » .
(٢) الرسح : قلة لحم العجز والفخذين .
(٣) ب : « ينزل » .
(٤) ح ، ف : « من بعض أهل بيته » .
(٥) ح ، ف : « بينهم » .

بكَيْتُ ولم أملك دُمُوعى وَحُقَّ لى ... ونَصْرٌ شهابُ الحَرْبِ فى الغلّ موثقُ

وقال نصر :

بَعَثَتْ بالعِتابِ فى غَيْرِ ذَنْبٍ ... فى كتاب تَلومُ أُم تميم

إنْ أكُن موثقاً أَسِيرًا لديْهِمْ ... فى هُمُومٍ وكُربَة وَسُهوم

رهْنَ قَسْرٍ فما وَجَدْتَ بَلاءً ... كإسارِ الكِرَامِ عندَ اللئيم

أبلغِ المُدّعينَ قسرًا وقَسْرٌ ... أَهلُ عود القناةِ ذاتِ الوُصوم

هَلْ فطِمْتُمْ عنِ الخيانَةِ والغدْ ... رِ أَم أَنتمْ كالحاكرِ المُسْتَدِيم؟

وقال الفرزدق :

أخالِدُ لَوْلا اللهُ لَمْ تعطَ طاعَةً ... ولولا بنو مروانَ لمْ توثقُوا نصرَا

إذًا للقِيتُمْ دُونَ شَدِّ وِثاقِهِ ... بنِى الحرْب لا كُشْفَ اللقاءِ ولا ضُجْرَا

وخطب أسد بن عبد الله على مِنْبر بلْخ ، فقال فى خطبته : يا أهل بلْخ ، لقبتمونى الزّاغ والله لأزيغنّ قلوبكم .

فلما تعصّب أسد وأفسد الناس بالعصبية، كتب هشام إلى خالد بن عبد الله : اعزلْ أخاك ، فعزله فاستأذن له فى الحجّ ، فقفل أسد إلى العراق ومعه دهاقين خراسان ، فى شهر رمضان سنة تسع ومائة ، واستخلف أسدٌ على خراسان الحكم بن عوانة الكلبىّ ، فأقام الحكم صيفيّة ، فلم يغز . ٢/ ١٥٠١

* * *

[ذكر الخبر عن دعاة بنى العباس]

وذكر علىّ بن محمد أنّ أوّل من قدِم خراسان من دعاة بنى العباس زياد أبو محمد مولى هَمْدان فى ولاية أسد بن عبد الله الأولى ، بعثه محمد بن علىّ ابن عبد الله بن العباس ، وقال له : ادع الناس إلينا وانزِلْ فى اليمن ، والطف بمُضر[1] . ونهاه عن رجل من أبرشهر[2] ، يقال له غالب ؛ لأنه كان مفرطًا فى حبّ بنى فاطمة .

(١) ابن الأثير : « مضر » .
(٢) ابن الأثير : « نيسابور » .

ويقال : أوّل من جاء أهل خراسان بكتاب محمد بن علىّ حرْب بن عثمان ، مولى بنى قيس بن ثعلبة من أهل بَلْخ .

قال : فلما قدم زيادأبو محمد، ودعا إلى بنى العباس، ذكر سيرة بنى مروان وظلمهم، وجعل يُطعم الناس الطعام، فقدم عليه غالب من أبرشهر ؛ فكانت بينهم منازعة ؛ غالب يفضّل آل أبى طالب وزياد يفضّل بنى العباس. ففارقه غالب، وأقام زياد بمرْو شتوةً ، وكان يختلف إليه من أهل مَرْو يحيى بن عقيل الخُزاعىّ وإبراهيم بن الخطاب العدوىّ .

قال : وكان ينزل بِرَزْن سويد الكاتب فى دور آل الرقاد، وكان على خراج مَرْو الحسن بن شيخ، فبلغه أمرُه ، فأخبر به أسد بن عبد الله ، فدعا به[1]ـ وكان معه رجل يكنى أبا موسى ـ فلما نظر إليه أسد، قال له: أعرّفلك ؟ قال : نعم، قال له أسد: رأيتك فى حانوت بدمشق ، قال : نعم، قال لزياد: فما هذا الذى بلغنى عنك؟ قال : رُفع إليك الباطل ، إنما قدمت خراسان فى تجارة ، وقد فرّقت مالى على الناس ، فإذا صارَ إلىّ خرجت . قال له أسد : اخرج عن بلادى، فانصرف ، فعاد إلى أمره[2]، فعاود الحسن أسداً ، وعظّم عليه أمره ، فأرسل إليه ، فلما نظر إليه، قال: ألم أنهلك عن المقام بخراسان! قال :[3] ليس عليك أيها الأمير منى بأس، فأحفظه وأمر بقتلهم ، فقال له أبو موسى : فاقض[4] ماأنْتَ قاض . فازداد غضبا ، وقال له : أنزلتَنى منزلة فرعون ! فقال له :ما أنزلتُك ولكن الله أنزلك . فقتِلوا ، وكانوا عشرة من أهل بيت الكوفة، فلم ينجُ منهم يومئذ إلاّ غلامان استصغرهما ، وأمر بالباقين فقتلوا بكشانشاه.

١٥٠٢/٢

وقال قوم : أمر أسد بزياد أن يُحطّ وسطه، فقُدّ بين اثنين ، فضرب فنبا السيف عنه، فكبّر أهل السوق ، فقال أسد: ماهذا؟ فقيل له، لم يحِك السيف فيه ، فأعطى أبا يعقوب سيفًا ، فخرج فى سراويل ، والناس قد اجتمعوا عليه ، فضربه ، فنبا السيف، فضربه ضربة أخرى، فقطعه باثنتين .

(١) ابن الأثير : « فدعاه » .
(٢) ح : « مرو » .
(٣) ح ، ف : « فقال له زياد » .
(٤) ب ، ف : « اقض » .

وقال آخرون: عرض عليهم البراءة، فمن تبرّأ منهم مما[1] رفع عليه خلّى سبيله، فأبى البراءة ثمانية منهم، وتبرّأ اثنان. ١٥٠٣/٢

فلما كان الغد أقبل أحدهما وأسد فى مجلسه المشرف على السوق بالمدينة[2] العتيقة، فقال: أليس هذا أسيرنا بالأمس! فأتاه، فقال له: أسألك أن تلحقنى بأصحابى، فأشرفوا به على السوق، وهو يقول: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا[3]؛ فدعا أسد بسيف بُخاراخُذاه، فضرب عنقه بيده قبل الأضحى بأربعة أيام، ثم قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يسمّى كثيراً، فنزل على أبى النجم، فكان يأتيه الذين لقوا زياداً فيحدّثهم ويدعوهم، فكان على ذلك سنة أو سنتين، وكان كثير أميًّا، فقدم عليه خدّاش، وهو فى قرية تدعى مرعم، فغلب كثيراً على أمره. ويقال: كان اسمه عمار فسمّى خدّاشًا، لأنه خدش الدين.

وكان أسد استعمل عيسى بن شداد البُرْجُمىّ إمرته الأولى فى وجه وجّهه على ثابت قطنة، فغضب، فهجا أسداً، فقال:

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَعْرِفونَ أَباهُمُ ... وأَبُو بَجِيلَةَ بَيْنَهُمْ يَتَذَبْذَبُ
إنى وجَدْتُ أَبِى أَباكَ فلا تكنْ ... إلْباً علَّ معَ العَدُوّ تُجَلِّبُ
أَرْمى بِسهْمِى من رماكَ بسَهْمِهِ ... وعدُوّ من عادَيتَ غَيْرُ مكَذَّبِ
أَسدُ بن عبدِ اللهِ جلَّلَ عفْوُهُ ... أَهلَ الذنوبِ فكَيف من لم يُذْنِبِ!
أَجعلتَنِى للبُرْجُمِىِّ حَقِيبَــةً ... والبُرْجُمِىُّ هو اللئيمُ المُحْقَبُ
عبدٌ إذا استَبقَ الكِرامُ رَأَيتَهُ ... يأْتى سُكَينًا حاملاً فى الموكِبِ ١٥٠٤/٢
إنى أَعُوذُ بقَبْرِ كرز أن أُرَى ... تَبَعاً لِعَبْدٍ من تَمِيمٍ مُحْقَبِ

* * *

[ولاية أشرس بن عبد الله على خراسان]

وفى هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان أشرسَ

(١) ح: «ممن».
(٢) ح، ف: «فى المدينة».
(٣) ف: «إماما».

ابن عبد الله السُّلمىّ، فذكر علىّ بن محمد، عن أبى الذيّال العدوىّ ومحمد بن حمزة، عن طرخان ومحمد بن الصلت الثقفىّ أن هشام بن عبد الملك عزل أسد ابن عبد الله عن خراسان، واستعمل أشرس بن عبد الله السُّلمىّ عليها، وأمره أن يكاتب خالد بن عبد الله القسرىّ — وكان أشرس فاضلا خيّراً، وكانوا يسمونه الكامل لفضله عندهم — فسار إلى خُراسان، فلما قدمها فرحوا بقدومه، فاستعمل على شُرطته عميرة أبا أمية اليشكرىّ ثم عزله وولّى السمط، واستقضى على مرْو أبا المبارك الكندىّ، فلم يكن له عِلم بالقضاء، فاستشار مقاتل بن حيّان، فأشار عليه مقاتل بمحمد بن زيد فاستقضاه، فلم يزل قاضياً حتى عزل أشرس.

وكان أول من اتخذ الرابطة بخراسان واستعمل على الرابطة عبد الملك بن دثار الباهلىّ، وتولى أشرس صغير الأمور وكبيرها بنفسه.

قال: وكان أشرس لما قدم خراسان كبَّر الناس فرحًا به، فقال رجل:

١٥٠٥/٢

لَقَدْ سَمِعَ الرَّحْمٰنُ تكْبِيرَ أُمَّةٍ غداةَ أَتاها من سليمٍ إمامُها
إمامُ هُدًى قَوَّى لهم أَمرَهُمْ بِهِ وكانت عجافاً ما تُمِخُّ عظامُها[1]

وركب[2] حين قدم حماراً، فقال له حيّان النبطىّ: أيها الأمير، إن كنت تريد أن تكون والى خراسان فاركب الخيل، وشدّ حزام فرسك، وألزم السوط خاصرته حتى تقدم النار، وإلاّ فارجع. قال: أرجع إذن،[3] ولا أقتحم النار يا حيّان. ثم أقام وركب الخيل.

قال علىّ: وقال يحيى بن حُضَين: رأيتُ فى المنام قبل قدوم أشرس قائلا يقول: أتاكم الوعْر الصّدر، الضّعيف الناهضة، المشئوم الطائر، فانتبهت فزعًا ورأيت فى الليلة الثانية: أتاكم الوعْر الصدر، الضعيف الناهضة، المشئوم الطائر، الخائن قومه؛ جغر، ثم قال:

لقد ضاعَ جَيْشٌ كانَ جَغرٌ أَميرَهُم فَهَل من تلافٍ قبل دَوْس القبَائِلِ!

---

(١) ب: «تمج»، ح، فت: «تصح». (٢) ح، ف: «فركب».
(٣) ح، ف: «إذاً أرجع».

فإن صُرِفَتْ عنْهُم به فلَعلّهُ وَإلا يكونوا من أَحادِيثِ قائلِ

وكان أشرس يلقب جَغْراً بخراسان .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام ، كذلك حدثنى أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

وقال الواقدىّ: خطب الناس إبراهيم بن هشام بمنًى فى هذه السنة الغد من يوم النحر بعد الظهر . فقال سلونى ، فأنا ابن الوحيد ، لا تسألون أحداً أعلَم منى . فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية ؛ أواجبةٌ[1] هى أم لا ؟ فما درى أىّ شىء يقول له ! فنزل . ١٥٠٦/٢

* * *

وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بن هشام ، وعلى البصرة والكوفة خالد بن عبد الله ، وعلى الصلاة بالبصرة أبان بن ضُبارة اليزنىّ ، وعلى شُرْطتها بلال بن أبى بُردة ، وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله الأنصارىّ ؛ من قِبَل خالد بن عبد الله ، وعلى خُراسان أشرس بن عبد الله.

---

(١) ح ، ف : « واجبة هى » .

ثم دخلت سنة عشر ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوة مَسلمة بن عبد الملك التّرك؛ سار إليهم نحو باب اللاّن حتى لقِيَ خاقان في جموعه، فاقتتلوا قريباً من شهر، وأصابهم مطر شديد، فهزم الله خاقان، فانصرف، فرجع مَسْلمة فسلك على مسجد ذى القرنين.

وفيها غزا - فيما ذُكر - معاوية بن هشام أرضَ الروم، ففتح صَماله[١].

١٥٠٧/٢ وفيها غزا الصائفةَ عبدُالله بن عُقْبة الفِهْرىّ. وكان على جيش البحر - فيما ذكر الواقدىّ - عبدُ الرحمن بن معاوية بن حُديج.

وفى هذه السنة دعا الأشرس أهلَ الذّمة من أهل سمرْقَنْد ومَن وراء النهر إلى الإسلام، على أن تُوضَع عنهم الجزية، فأجابوا[٢] إلى ذلك، فلما أسلموا وضع عليهم الجزية، وطالبهم[٣] بها، فنصبوا له الحرب.

* * *

ذكر الخبر عمّا كان من أمْر أشْرس وأمر أهل سمرقند ومن وليهم فى ذلك

ذكِر أن أشرس قال فى عَمله بخراسان: ابغونى رجلاً له ورع وفضل أوجّهه إلى مَن وراء النهر، فيدعوهم[٤] إلى الإسلام. فأشاروا عليه بأبى الصّيداء صالح بن طريف، مولى بنى ضبّة، فقال: لستُ بالماهر بالفارسيّة، فضموا معه[٥] الربيع بن عمران التميمىّ، فقال أبو الصيداء: أخرج على شريطة أنّ مَن أسلم لم يؤخذ منه الجزية، فإنما خراج خُراسان على رءوس الرجال، قال أشرس: نعم، قال أبو الصيداء لأصحابه: فإنى أخرج فإن لم يف العمال أعنتمونى عليهم، قالوا: نعم.

(١) ح: «صملة».
(٢) ح: «فأجابوه».
(٣) ح: «وطلبهم».
(٤) ح، ف: «يدعوهم».
(٥) ح، ف: «إليه».

فشخص إلى سَمَرْقند ، وعليها الحسن بن أبى العَمَرّطة الكندىّ على ٢/١٥٠٨ حربها وخراجها[١] ، فدعا أبو الصيداء أهلَ سمرْقند ومَن حولها إلى الإسلام، على أن تُوضع عنهم الجِزية ، فسارع الناس ، فكتب غوزك إلى أشرس: إنّ الخراج قد انكسر ؛ فكتب أشرس إلى ابن أبى العمرّطة : إنّ فى الخراج قوّة للمسلمين ؛ وقد بلغنى أنّ أهل السُّغد وأشباههم لم يُسلموا رغبة ، وإنما دخلوا فى الإسلام تعوّذا من الجِزْية ؛ فانظر من اختتن وأقام الفرائض وحَسُن إسلامه ، وقرأ سورةً من القرآن ، فارفع عنه خراجَه . ثم عزل أشرس ابنَ أبى العمرّطة عن الخراج ، وصيّره إلى هانئ بن هانئ ، وضم إليه الأشحيذ ، فقال ابنُ أبى العمرّطة لأبى الصيداء : لستُ من الخراج الآن فى شىء ، فدونك هانئًا والأشحيذ ؛ فقام أبو الصيداء يمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم ، فكتب هانئ: إنّ الناس قد أسلموا وبنوا المساجدَ . فجاء دهاقين بُخارى إلى أشرس فقالوا: ممن تأخذ الخراج ، وقد صار الناس كلهم عربًا ؟ فكتب أشرس إلى هانئ وإلى العمال : خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه ، فأعادوا الجِزْية على مَن أسلم ، فامتنعوا ، واعتزل من أهل السُّغد سبعة آلاف ، فنزلوا على سَبْعة فراسخ من سَمَرْقند ، وخرج إليهم أبو الصّيداء وربيع بن عمران التميمىّ والقاسم[٢] الشيبانىّ وأبو فاطمة الأزدىّ وبِشر بن جرموز الضبّىّ وخالد بن عبدالله النحوىّ وبشر بن زنبور الأزدىّ وعامر بن قشير — أو بشير ، ٢/١٥٠٩ الخُجَندىّ[٣] ، وبيان[٤] العنبرىّ وإسماعيل بن عُقْبة ، لينصروهم .

قال : فعزل أشرسُ ابنَ أبى العمرّطة عن الحرب ، واستعمل مكانه المجشّر بن مزاحم السلمىّ ، وضمّ إليه عُمَيرة بن سعد الشيبانىّ .

قال : فلما قدم المجشّر كتب إلى أبى الصيداء يسأله أن يقدم عليه هو وأصحابُه ، فقدم أبو الصيداء وثابت قطنة ، فحبسهما ، فقال أبو الصيداء: غدرتم[٥] ورجعتم[٦] عما قلتم ! فقال له هانئ : ليس بغدر

---

(١) ف : « وعلى خراجها » .
(٢) فى ابن الأثير : « والهيثم الشيبانى » .
(٣) ابن الأثير : « وبحير الخجندى » .
(٤) ابن الأثير : « بنان » .
(٥) ب : « أغدرتم » .
(٦) ح ، ف : « ثم رجعتم » .

ما كان فيه حَقْن الدماء . وحمل أبا الصيداء إلى الأشرس ، وحبس ثابت قطنة عنده ؛ فلما حُمل أبو الصيداء اجتمع أصحابُه وولوا أمرهم أبافاطمة ، ليقاتلوا هانئاً ، فقال لهم : كفّوا حتى أكتبَ إلى أشرس فيأتينا رأيُه فنعمل بأمره . فكتبوا إلى أشرس ، فكتب أشْرس : ضعوا عليهم الخراج ، فرجع أصحاب أبي الصّيداء ، فضعف أمرهم ، فتُتبِّع الرّؤساء منهم فأخذوا ، وحملوا إلى مَرْو ، وبقى ثابت محبوساً ، وأشرك أشرس مع هانئ بن هانئ سليمانَ بن أبي السريّ مولى بني عوافة في الخراج ، فألحّ هانئ والعمال في جباية الخراج ، واستخفّوا بعظماء العجم ، وسلّط المجشّر عميرة بن سعد على الدّهاقين ، فأقيموا وخُرّقت ثيابهم ، وألقِيت مناطقهم في أعناقهم ، وأخذوا[1] الجِزْية ممن أسلم من الضُّعفاء ، فكفرت السُّغْد وبُخارى ، واستجاشوا الترك ، فلم يزل ثابت قطنة في حبس المجشّر ، حتى قدم نصر بن سيار والياً على المجشّر ، فحمل ثابتاً إلى أشرس مع إبراهيم بن عبد الله الليثيّ فحبسه . وكان نصر بن سيّار ألطفه ، وأحسن إليه ، فمدحه ثابت قُطْنة ، وهو محبوس عند أشرس فقال :

١٥١٠/٢

ما هاجَ شوقك من نؤْيٍ وأَحجارِ ... ومنْ رُسُومٍ عفاها صَوبُ أَمطارِ !

لم يَبقَ منها وَمِنْ أعلام عَرْصتِها ... إلا شَجِيجٌ وإلاّ موقَدُ النارِ

ومائِلٌ في ديار الحَيّ بعدَهُمُ ... مثلُ الرَّبيئة في أَهدامِهِ العاري

دِيارُ ليلَى قِفارٌ لا أَنيسَ بها ... دونَ الْجَحُونِ وأَينَ الحجن مِنْ دَارِي ![2]

بُدِّلتُ منها وقد شَطَّ المَزَارُ بها ... وَادِيَ المخافة لا يَسْرى بها السارى

بَيْنَ السَّماوة في حَزمٍ مُشرَّقةٍ ... ومُعْنَقٌ دوننـا آذيُّهُ جار[3]

نُقارِعُ التركَ ما تَنفَكّ نائحةٌ ... مِنَّا وَمِنهُم على ذى نَجْدةٍ شار

إن كانَ ظني بنصر صادِقاً أَبَدًا ... فيما أُدبِّرُ مِنْ نَقْضى وَإمرارِى

يَصْرفُ الجُنْدَ حتى يَسْتَفِيءَ بهم ... نهباً عظِيماً وَيَحْوِى مُلكَ جبَّار

١٥١١/٢

(١) ف : « وأخذت الجزية » .
(٢) ف : « واين الحجر » .
(٣) ب : « ومغرق » .

وَتَعثُرُ الخَيْلُ فى الأَقيادِ آونَةً ... تحْوى النِّهابَ إلى طُلاَّبِ أَوتار

حتى يَرَوْها دُوَيْنَ السَّرْحِ بارِقَةً ... فيها لواءٌ كَظِلِّ الأَجدَلِ الضارِى

لا يَمْنعُ الثَّغْرَ إلا ذُو مُحافَظةٍ ... مِنَ الخَضارِمِ سبّاق بأَوتارِ

إنى وإن كُنْتُ مِنْ جَذْمِ الذى نَضُرتْ ... منْهُ الفروعُ وَزَنْدِى الثاقِبُ الوارِى

لذاكِرٌ مِنْكَ أمرًا قَدْ سَبقْتَ بِهِ ... من كان قَبْلَكَ يا نَصْر بن سَيَّار

ناضَلْتَ عَنِّى نِضالَ الحُرِّ إذْ قَصرَتْ ... دونى العَشِيرَةُ واسْتَبْطَأْتُ أَنصارِى

وصارَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمُلهُ ... أَلباً عَلَىَّ وَرَثَّ الْحَبْلُ من جارِى ١٥١٢/٢

وَما تَلبَّسْتُ بالأَمْرِ الذى وَقَعُوا ... بِهِ علىَّ وَلا دَنَّسْتُ أَطمارِى

ولا عَصَيْتُ إماماً كان طاعَتُهُ ... حَقًّا علىَّ ولا قَارفْتُ من عار

قال علىّ : وخرج أشْرس غازياً فنزل آمُل ، فأقام ثلاثة أشهر ، وقدّم قطَن بن قُتَيبة بن مسلم فعبر النهر فى عشرة آلاف ، فأقبل أهلُ السُّغْد وأهلُ بُخارى ؛ معهم خاقان والترك ، فحصروا قطَن بن قتيبة فى خَنْدقه ، وجعل خاقان ينتخب كلّ يوم فارسًا ، فيعبرُ فى قطعة من الترك النهر . وقال قوم : أقحموا دوابّهم عُرْياً ، فعبروا وأغاروا على سرْح الناس ، فأخرج أشرس ثابت قُطْنة بكفالة عبدالله بن بِسْطام بن مسعود بن عمرو ، فوجّهه مع عبد الله بن بِسطام فى الخيل[1] فاتبعوا الترك ، فقاتلوهم بآمُل حتى استنقذوا ما بأيديهم ؛ ثم قطع الترك النهر إليهم راجعين ، ثم عبر أشرس بالناس إلى قطن بن قتيبة ، ووجّه أشرس رجلاً يقال له مسعود — أحد بنى حيّان — فى سريّة ، فلقيهم العدوّ ، فقاتلوهم ، فأصيب[2] رجال من المسلمين وهزم مسعود ؛ حتى رجع إلى أشرس ، فقال بعض شعرائهم : ١٥١٣/٢

خابَتْ سَرِيَّة مَسْعُودٍ وما غنِمَتْ ... إلا أَفانِينَ من شَدٍّ وتَقْرِيبِ

حَلُّوا بأَرضٍ قِفَارٍ لا أَنِيسَ بها ... وَهُنَّ بالسَّفح أَمثالُ اليعاسيبِ

---

(١) ب : « فى خيل » .
(٢) ح ، ف : « وأصيب » .

وأقبل العدوّ ، فلما كانوا بالقرب لقيَهم المسلمون فقاتلوهم ، فجالوا جَوْلة ، فقتِل فى تلك الجوْلة رجال من المسلمين ، ثم كرّ المسلمون وصبروا لهم ، فانهزم المشركون. ومضى أشرس بالناس ؛ حتى نزل بِيكَنْد ، فقطع العدوّ عنهم الماء ، فأقام أشرس والمسلمون فى عسكرهم يومَهم ذلك وليلتَهم ، فأصبحوا وقد نفد ماؤهم ، فاحتفروا فلم يُنبطوا ، وعطشوا فارتحلوا إلى المدينة التى قطعوا عنهم المياه منها ، وعلى مقدّمة المسلمين قطن بن قُتيبة ، فلقيَهم العدوّ فقاتلوهم ، فجهِدوا من العطش ، فمات منهم سبعمائة ، وعجز الناس عن القتال ، ولم يبقَ فى صفّ الرّباب إلا سبعة ، فكاد ضرار بن حصين يؤسَر من الجهد الذى كان به ، فحضّ الحارث بن سُريج[1] الناس ، فقال : أيها الناس ، القتل بالسيْف أكرم فى الدنيا وأعظم أجراً عند الله من الموت عطشاً . فتقدّم الحارث بن سُريج وقَطَن بن قُتيبة وإسحاق بن محمد ، ابن أخى وكيع ، فى فوارس من بنى تميم وقيس ، فقاتلوا حتى أزالوا الترك عن الماء ، فابتدره الناس فشربوا وارتووا . ١٥١٤/٢

قال : فمرّ ثابت قُطْنة بعبد الملك بن دثار الباهلىّ ، فقال له : ياعبدالملك ، هل لك فى آثار الجهاد ؟ فقال : أنظِرنى ريثما أغتسل وأتحنّط ، فوقف له حتى خرج ومضيا ، فقال ثابت لأصحابه : أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم ، وحضّهم ، فحملوا على العدوّ[2] ، واشتدّ القتال ، فقُتِل ثابت فى عدّة من المسلمين ؛ منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبدىّ وعبدالملك بن دثار الباهلىّ والوجيه الخُراسانىّ والعقّار بن عقبة العودىّ . فضمّ قطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد بن حسان[3] خيلاً من بنى تميم وقيس ؛ تبايعوا على الموت ، فأقدموا على العدوّ ، فقاتلوهم فكشفوهم ؛ وركبهم المسلمون يقتلونهم ؛ حتى حجزهم الليل ، وتفرّق العدوّ . فأتى أشرس بُخارى فحصر أهلها .

قال علىّ بن محمد ، عن عبد الله بن المبارك : حدّثنى هشام بن عُمارة

(١) سريج ، ضبطها ابن الأثير : « بالسين المهملة والجيم » ؛ وفى ب : « شريح » .
(٢) ح : « فحملهم على لقاء العدوّ » .
(٣) ابن الأثير : « إسحاق بن محمد بن حبان » .

وتسرّبوا الأوّل فالأوّل ؛ فلما رآهم الترك يتسرّبون شدّوا عليهم فى مضايق ؛ وكانوا هم أعلم بالطريق من الترك، وسبقوهم إلى الباب فلحقوهم عنده ، فقتلوا رجلاً كان يقال له المهلب ، كان حاميتهم ، وهو رجل من العرب ، فقاتلوهم فغلبوهم على الباب الخارج من الخندق فدخلوه ، فاقتتلوا ، وجاء رجلٌ من العرب بحُزمةِ قصب قد أشعلها[١] ، فرمى بها وُجوههم فتنحّوْا ، وأخلَوْا ١٥١٨/٢ عن قتلى وجرحى ، فلما أمسوْا انصرف الترك ، وأحرق العربُ القنطرة ، فأتاهم خُسرو بن يَزْدَجِرْد فى ثلاثين رجلاً ، فقال : يا معشَر العرب ، لم تقتلون أنفسكم وأنا الذى جئت بخاقان ليرد علىّ مملكتى ، وأنا آخذ لكم الأمان ! فشتموه ، فانصرف .

قال : وجاءهم[٢] بازغرى فى مائتين — وكان داهية — من وراء النهر ، وكان خاقان لا يخالفه ، ومعه رجلان من قرابة خاقان ، ومعه أفراس من رابطة أشرس ، فقال : آمِنونا حتى ندنُوَ منكم ، فأعرِض[٣] عليكم ما أرسلنى إليكم به خاقان . فآمنوه ، فدنا من المدينة ، وأشرفوا عليه ومعه أسَراء من العرب ، فقال بازغرى : يا معشَر العرب ، أحدِروا إلىّ رجلا منكم أكلمه برسالة خاقان ، فأحدروا حبيبًا مولى مَهرة من أهل درقين ، فكلموه فلم يفهم ، فقال : أحدِروا إلىّ رجلا يعقل عنى ، فأحدروا يزيد بن سعيد الباهلىّ ، وكان يشدُو شدواً من التركية[٤] ، فقال : هذه خيل الرابطة ووجوه العرب معه أسراء . وقال : إن خاقان أرسلنى إليكم ؛ وهو يقول لكم : إنى أجعل مَنْ كان عطاؤه منكم ستّمائة ألفًا ، ومَن كان عطاؤه ثلثمائة ستّمائة ؛ وهو مجمع بعد هذا على الإحسان إليكم ، فقال له يزيد : هذا أمر لا يلتئم ؛ كيف ١٥١٩/٢ يكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شاءٌ ! لا يكون بيننا وبينكم[٥] صلح . فغضب بازغرى ، فقال التركيان اللذان معه : ألا نضرب عنقه ؟ قال : لا ، نزل إلينا[٦] بأمان . وفهم ما قالا له يزيد ، فخاف فقال : بلى يا بازغرى إلاّ أن

---

(١) ب : « فأشعلها » . (٢) ابن الأثير : « وأتاهم » .
(٣) ب : « وأعرض » . (٤) ابن الأثير : « وكان يفهم بالتركية يسيراً » .
(٥) ب : « وبينهم » .
(٦) « ابن الأثير : إنه نزل إلينا بأمان » .

تجعلونا نصفين ، فيكون نصفٌ فى أثقالنا ويسير النِّصف معه؛ فإن ظفر خاقان فنحن معه ؛ وإن كان غير ذلك كنا كسائر مدائن أهل السُّغد .

فرضى بازغرى والتركيان بما قال ، فقال له : أعرض على القوم ما تراضينْا به ، وأقبل فأخذ بطرَف الحبْل فجذبوه حتى صار على سُور المدينة ، فنادى : يا أهل كَمَرْجَة، اجتمعوا ، فقد جاءكم قوم يدعونكم إلى الكفر بعد الإيمان ، فما ترون ؟ قالوا : لا نجيب ولا نرضى ، قال : يدعونكم إلى قتال المسلمين مع المشركين ، قالوا : نموت جميعًا قبل ذلك . قال : فأعلموهم .

قال : فأشرفوا عليهم ،وقالوا : يا بازغرى ،أتبيع الأسرى فى أيديكم فنفادى بهم ؟ فأما ما دعوتَنا إليه فلا نجيبكم إليه، قال لهم : أفلا تشترون أنفسكم منا ؟ فما أنتم عندنا إلاّ بمنزلة مَن فى أيدينا منكم – وكان فى أيديهم الحجاج بن حُميد النضرىّ – فقالوا له : يا حجاج ، ألا تكلّم ؟ قال : علىّ رقباءُ ، وأمر خاقان بقطْع الشجر[1] ، فجعلوا يلقُون الحطب الرّطب ، ويلقى أهل كَمَرْجة الحطَب اليابس، حتى سوّى الخندق ، ليقطعوا إليهم[2] ، فأشعلوا ١٥٢٠/٢ فيه النيران ، فهاجت ريحٌ شديدة – صُنْعاً من الله عزّ وجلّ – قال : فاشتعلت النار فى الحطب ، فاحترق ما عملوا فى ستة[3] أيام فى ساعة من نهار ، ورميناهم فأوجعناهم وشغلناهم بالجراحات . قال :وأصابتْ بازغرى نُشابة فى سرّته، فاحتقن بوله ،فمات من ليلته، فقطع أتراكه آذانَهم،وأصبحوا بشرّ،منكّسين رءوسهم يبكونه ، ودخل عليهم أمر عظيم . فلما امتدّ النهار جاءوا بالأسْرى وهم مائة ؛ فيهم أبو العوْجاء العتَكىّ وأصحابه ، فقتلوهم ، ورمَوْا إليهم برأس الحجاج ابن حُميد النضرىّ . وكان مع المسلمين مائتان من أولاد المشركين كانوا رهائن فى أيديهم ، فقتلوهم واستماتوا ، واشتدّ القتال ، وقاموا على باب الخندق فسار على السور خمسة أعلام ، فقال كليب : مَنْ لى بهؤلاء ؟ فقال ظهير بن مقاتل الطُّفاوىّ : أنا لك بهم؛فذهب يسعى . وقال لفتيان : امشوا خلْفِى ، وهو جريح ، قال : فقتل يومئذ من الأعلام اثنان ، ونجا ثلاثة . قال : فقال ملك من الملوك لمحمد بن وساج : العجَب أنه لم يبقَ ملِك فيما وراء النهر إلاّ

---

(١) ابن الأثير : « وأمر خاقان فقطع الشجرة » . (٢) ح ، ف : « ليقطعوا النهر » .
(٣) ابن الأثير : « سبعة أيام » .

قاتل بكَمَـرْجة غيرى ، وعزّ علىّ ألا أقاتل مع أكفائى ولم يُرَ مكانى . فلم يزل أهلُ كَمَـرْجة بذلك ؛ حتى أقبلت جنود العرب ، فنزلت فَرْغانة .

فعيّر خاقانُ أهلَ السُّغد وفرغانة والشاش والدهاقين ، وقال لهم : زعمتم أن فى هذه خمسين حماراً ، وأنّا نفتحها فى خمسة أيام ؛ فصارت الخمسة الأيام شهريْن . وشتمهم وأمرهم بالرحلة ، فقالوا : ما ندع جُهدًا ، ولكن أحضرنا غداً فانظر ؛ فلما كان من الغد جاء خاقان فوقف ، فقام إليه ملك الطاربَنْد ؛ فاستأذنه فى القِتال والدّخول عليهم ، قال : لا أرى أن تقاتل فى هذا الموضع — وكان خاقان يعظّمه — فقال : اجعل لى جاريتيْن من جوارى العرب ، وأنا أخرج عليهم ؛ فأذن له ، فقاتل فقتل منهم ثمانية ، وجاء حتى وقف على ثُلْمة وإلى جنب الثلمة بيت فيه خَرْق يفضى إلى الثلْمة ، وفى البيت رجلٌ من بنى تميم مريض ، فرماه بكَلُّوب[1] فتعلق بدرعه ، ثم نادى النساء والصبيان ، فجذبوه فسقط لوجهه وركبته ؛ ورماه رجلٌ بحجَر ؛ فأصاب أصلَ أذنه فصُرِع ، وطعنه رجل فقتله . وجاء شابّ أمرد من الترك ، فقتله وأخذ سلبه وسيفه ، فغلبناهم على جسده — قال : ويقال : إنّ الذى انتدب لهذا فارس أهل الشاش—فكانوا قد اتخذوا صنَاعًا ، وألصقوها[2] بحائط الخندق ، فنصبوا قبالة ما اتخذوا أبوابًا له ؛ فأقعدوا الرُّماة وراءها ؛ وفيهم غالب بن المهاجر الطائىّ عمّ أبى العباس الطوسىّ ورجلان ، أحدُهما شيبانىّ والآخر ناجىّ ، فجاء فاطلع فى الخندق ، فرماه الناجىّ فلم يخطئْ قَصبةَ أنفه ، وعليه كاشخودة تبّتيّة ، فلم تضرّه الرمية ، ورماه الشيبانىّ وليس يرى منه غير عينيه ؛ فرماه غالب ابن المهاجر ، فدخلت النشابة فى صدره ، فنكس فلم يدخل خاقانَ شَىءٌ أشدّ منه .

٢/١٥٢١

٢/١٥٢٢

قال : فيقال : إنه إنما قتل الحجاج وأصحابه يومئذ لما دخله من الجزَع ، وأرسل إلى المسلمين أنه ليس مِنْ رأينا أن نرتحل عن مدينة ننزلها دون افتتاحها ، أو ترحُّلهم عنها . فقال له كليب بن قَنَان : وليس من ديننا أن نعطى

(١) الكلوب : المهماز .

(٢) ف : « فألصقوها » .

بأيدينا حتّى نُقْتَل ، فاصنعوا ما بدا لكم ؛ فرأى الترك أن مقامهم عليهم ضرر ، فأعطوهم الأمان على أن يرحل هو وهم عنهم بأهاليهم وأموالهم إلى سَمَرْقند أو الدَّبُوسيَة ، فقال لهم : اختاروا لأنفسكم فى خروجكم من هذه المدينة .

قال : ورأى أهل كَمَرْجة ما هم فيه من الحصار والشدّة ، فقالوا : نشاور أهل سَمَرْقند ، فبعثوا غالب بن المهاجر الطائىّ ، فانحدر فى موضع من الوادى ، فمضى إلى قصر يسمى فرزاونة ، والدّهقان الذى بها صديق له ، فقال له : إنّى بُعِثت إلى سَمَرْقند ؛ فاحمِلْنِى ، فقال : ما أجد دابة إلا بعض دوابّ خاقان، فإن له فى روضة خمسين دابة ؛ فخرجا جميعًا إلى تلك الرَّوْضة ، فأخذ برذوناً فركبه، وكان إلْفه برْذون آخر ، فتبعه فأتى سَمَرْقند من ليلته، فأخبرهم بأمرهم ، فأشاروا عليه بالدّبُوسيَة ، وقالوا : هى أقرب ، فرجع إلى أصحابه ، فأخذوا من الترك رهائن ألاّ يعرِضوا لهم ، وسألوهم رجلا من الترك يتقوَّوْن به مع رجال منهم ، فقال لهم الترك : اختاروا مَنْ شئتم ، فاختاروا كورصول يكون معهم ، فكان معهم حتّى وصلوا إلى حَيْث أرادوا . ويقال : إن خاقان لما رأى أنه لا يصل إليهم شتم أصحابَه ، وأمرهم بالارتحال عنهم ؛ وكلمه المختار بن غوزك وملوك السُّغْد وقالوا : لا تفعل أيها الملك ؛ ولكن أعطِهم أمانًا يخرجون عنها ، ويروْن أنك إنما فعلت ذلك بهم من أجل غوزك أنه مع العرب فى طاعتها ، وأن ابنه المختار طلب إليك فى ذلك مخافة على أبيه ؛ فأجابهم إلى ذلك ، فسرّح إليهم كورصول يكون معهم ، يمنعهم ممن أرادهم .

١٥٢٣/٢

قال : فصار الرّهن من الترك فى أيديهم ، وارتحل خاقان ، وأظهر أنه يريد سَمَرْقند — وكان الرّهن الذى فى أيديهم من ملوكهم — فلما ارتحل خاقان — قال كور صول للعرب : ارتحلوا ، قالوا : نكره أن نرتحل والترك لم يمضوا ، ولا نأمنهم أن يعرضوا لبعض النساء فتحمى العرب فنصير إلى مثل ما كنا فيه من الحرب .

قال : فكفّ عنهم ؛ حتّى مضى خاقان والترك ، فلما صلوا الظهر أمرهم

كورصول بالرحلة ، وقال : إنما الشدّة والموت والخوف حتى تسيروا فرسخين ، ثم تصيروا إلى[1] قرى متصلة ؛ فارتحلوا وفى يد الترك من الرّهن من العرب نفر ، منهم شعيب البكرىّ أو النصرىّ ، وسباع بن النعمان وسعيد بن عطية ، وفى أيدى العرب من الترك خمسة ، قد أردفوا خلف كلّ رجل من الترك رجلا من العرب معه خنجر ، وليس على التركىّ غير قَباء ، فساروا بهم .

١٥٢٤/٢

ثم قال العجم لكورصول : إنّ الدبوسيّة فيها عشرة آلاف مقاتل ؛ فلا نأمن أن يخرجوا علينا ، فقال لهم العرب : إن قاتلوكم قاتلناهم معكم . فساروا ، فلما صار بينهم وبين الدّبوسيّة قدر فرسخ أو أقلّ نظر أهلها إلى فرسان وبياذقة[2] وجمْع . فظنوا أن كَمَرْجة قد فُتحت ، وأنّ خاقان قصد لهم . قال : وقربنا منهم وقد تأهّبوا للحرب ؛ فوجّه كليب بن قَنان رجلاً من بنى ناجية يقال له الضّحاك على برذْون يركض ، وعلى الدبوسيّة عَقيل بن ورّاد السّغدىّ ، فأتاهم الضّحاك وهم صفوف ؛ فرسان ورجّالة ، فأخبرهم الخبر ، فأقبل أهل الدبوسيّة يركُضون ، فحمل مَن كان يضعف عن المشى ومَنْ كان مجروحاً .

ثمّ إن كليباً أرسل إلى محمد بن كرّاز ومحمد بن درْهَم ليُعلِما سِباع ابن النعمان وسعيد بن عطية أنهم قد بلغوا مأمنهم ، ثم خلّوا عن الرّهن ؛ فجعلت العرب ترسل رجلاً من الرّهن الذين فى أيديهم من الترك ، وترسل الترك رجلا من الرّهن الذين فى أيديهم من العرب ؛ حتى بقىَ سِباع بن النعمان فى أيدى الترك ، ورجل من الترك فى أيدى العرب ، وجعل كلّ فريق منهم يخاف على صاحبه الغَدْر ، فقال سِباع : خلّوا رهينة الترك ، فخلّوه وبقى سِباع فى أيديهم ، فقال له كورصول : لمَ فعلت هذا ؟ قال : وثقتُ برأيك فىّ ، وقلت : ترفَعُ نفسك عن الغدْر فى مثل هذا ؛ فوصله وسلّحه وحمله على برْذون ، ورده إلى أصحابه .

١٥٢٥/٢

قال : وكان حصار كَمَرْجة ثمانية وخمسين يوماً ، فيقال إنهم لم يسقوا إبلَهم خمسة وثلاثين يوماً .

---

(١) ح : « فى » . (٢) البياذقة : الرجالة ، وفى ط : « بيارقة » .

قال : وكان خاقان قسَم فى أصحابه الغنم ، فقال : كُلُوا لحومها واملئوا جلودها ترابًا ، واكبسوا خندقكم ؛ ففعلوا فكبسوه ، فبعث الله عليهم سحابة فمطرت ، فاحتمل المطر ما ألقوا ، فألقاه فى النهر الأعظم .

وكان مع أهل كَمَرْجة قومٌ من الخوارج ، فيهم ابن شُنْجٍ مولى بنى ناجية .

* * *

[ذكر ردّة أهل كرْدر]

وفى هذه السنة ارتدّ أهل كُرْدر ، فقاتلهم المسلمون وظفروا بهم ؛ وقد كان الترك أعانوا أهل كُرْدَر ؛ فوجّه أشرس إلى مَنْ قرب من كُرْدَر من المسلمين ألف رجل ردْءاً لهم ؛ فصاروا إليهم ، وقد هزم المسلمون الترك ، فظفِروا بأهل كردر . وقال عرْفجة الدارمىّ :

نحْن كَفَينا أَهْلَ مروٍ وغَيْرَهُمْ ونحنُ نَفَيْنا التُّرْكَ عن أَهْلِ كُرْدَرِ
فإن تجعَلوا ما قد غَنِمْنَا لِغَيْرِنا فَقَدْ يُظلمُ المَرءُ الكَرِيمُ فيَصْبر ٢/١٥٢٦

* * *

وفى هذه السنة جعل خالد بن عبد الله الصّلاة بالبصرة مع الشّرْطة والأحداث والقضاء إلى بلال بن أبى بُردة ؛ فجمع ذلك كلّه له ، وعزل به ثُمامة بن عبد الله بن أنس عن القضاء .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ؛ كذلك قال أبو معشر والواقدىّ وغيرهما ؛ حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بن هِشام ، وعلى الكوفة والبصرة والعراق كلها خالد بن عبد الله ، وعلى خُراسان أشرس ابن عبد الله .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصّائفة اليسرى وغزوة سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيساريّة .

قال الواقدىّ : غزا سنة إحدى عشرة ومائة على جيش البحر عبد الله بن أبى مريم ، وأمّر هشام على عامّة الناس من أهل الشأم ومصر الحكمَ بن قيس ابن مخرَمة بن المطلب بن عبد مناف .

وفيها سارت الترك إلى أذْربيجان ، فلقيهم الحارث بن عمرو فهزمهم .

وفيها ولّى هشام الجرّاحَ بن عبد الله الحكَمىّ على أرمينيَة .

وفيها عزل هشام أشرَس بن عبدالله السُّلمىّ عن خُراسان ، وولاها الجُنيدَ ابن عبد الرحمن المرّىّ[1] . ١٥٢٧/٢

* * *

ذكر السبب الذى من أَجله عزل هشام أَشرس
عن خراسان واستعماله الجنيد

ذكر علىّ بن محمد ، عن أبى الذّيال ، قال : كان سببُ عزل أشرس أنّ شدّاد بن خالد[2] الباهلىّ شخص إلى هشام فشكاه ، فعزله واستعمل الجُنَيْد بن عبد الرحمن[3] على خراسان سنة إحدى عشرة ومائة .

قال : وكان سبب استعماله إيّاه أنه أهدى لأمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جوهر ، فأعجبت هشاماً ، فأهدى لهشام قلادة أخرى ، فاستعمله على خراسان ، وحمله على ثمانية من البريد ؛ فسأله أكثرَ من تلك الدوابّ فلم يفعل ؛ فقدم خراسان فى خمسمائة — وأشرسُ بن عبد الله

(١) ط : « المزنى » ، تحريف . (٢) ابن الأثير : « خويلد » .

(٣) فى ابن الأثير : « وهو الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث بن خارجة بن سنان ابن أبى حارثة المرى » .

يقاتل أهلَ بخارى والسُّغْد — فسأل عن رجل يسير معه إلى ما وراء النهر ، فدُلّ على الخَطّاب[١] بن محرز السلَمىّ خليفة أشرس ، فلما قدم آمُل أشار عليه الخطاب أن يقيم ويكتب إلى من بزَمّ ومن حواله ؛ فيقدَموا عليه ، فأبى وقطع النهر ، وأرسل إلى أشرس أن أمِدّنى بخيل ، وخاف أن يقتطع قبل أن يصل إليه ، فوجّه إليه أشرس عامرَ بن مالك الحِمّانىّ ، فلما كان فى بعض الطريق عرض له الترك والسُّغدليقطعوه قبل أن يصل إلى الجُنيد ، فدخل عامر حائطًا حصينًا ، فقاتلهم على ثُلْمة الحائط ، ومعه وَرْد بن زياد بن أدهم بن كلثوم ؛ ابن أخى الأسود بن كلثوم ؛ فرماه رجل من العدوّ بنُشّابة ، فأصاب عَرْض منخره ، فأنفذ المنخرين ، فقال له عامر بن مالك : يا أبا الزاهرية ؛ كأنك دجاجة مقرّق[٢]. وقتِل عظيم من عظماء الترك عند الثلمة ، وخاقان على تلّ خلفه أجمَةٌ ، فخرج عاصم بن عمير السَّمَرقندىّ وواصل بن عمرو القيسىّ فى شاكريّة ، فاستدارا حتى صارا من وراء ذلك الماء ، فضمّوا خشباً وقصباً وما قدروا عليه ، حتى اتّخذوا رَصَفاً[٣] ، فعبَروا عليه فلم يشعر خاقان إلا بالتكبير ، وحمل واصل والشاكريّة على العدوّ فقاتلوهم ؛ فقُتِل تحت واصل برذون ، وهُزم خاقان وأصحابه .

١٥٢٨/٢

وخرج عامر بن مالك من الحائط ، ومضى إلى الجُنيد وهو فى سبعة آلاف ؛ فتلقى الجنيد وأقبل معه ، وعلى مقدّمة الجنيد عُمارة بن حُرَيم . فلما انتهى إلى فرسخين من بِيكَنْد ، تلقته خيل الترك فقاتلهم ؛ فكاد الجنيد أن يهلك ومن معه ، ثم أظهره الله ؛ فسار حتى قدم العسكر . وظفر الجنيد ، وقتل الترك ، وزحف إليه خاقان فالتقوا دون زَرْمان[٤] من بلاد سَمَرْقند ؛ وقطَن ابن قتيبة على ساقة الجنيد ، وواصل فى أهل بخارى — وكان ينزلها — فأسر[٥] ملك الشاش ، وأسرَ الجُنَيد من الترك ابن أخى خاقان فى هذه الغزاة ؛ فبعث به إلى الخليفة ، وكان الجنيد استخلف فى غزاته هذه مجشّر بن مزاحم على مَرْو ،

١٥٢٩/٢

---

(١) ابن الأثير : « حطاب بن محرز السلمى » .
(٢) القرق : صوت الدجاجة ، والدجاجة تقع على الذكر والأنثى والتاء دخلته على أنه الواحد .
(٣) الرصف : مايرصف بعضه إلى بعض فى مسيل ؛ خشب أو حجارة .
(٤) ابن الأثير : « رزمان » . (٥) كذا فى ح ، وفى ط : « فأسم » .

وولّى سورة بن الحُرّ من بنى أبان بن دارم بلْخ ، وأوفد لما أصاب فى وجهه ذلك عُمارة بن معاوية العدوىّ ومحمد بن الجرّاح العبدىّ وعبد ربّه بن أبى صالح السُّلمىّ إلى هشام بن عبد الملك ثم انصرفوا؛ فتواقفوا بالتِّرمذ ، فأقاموا بها شهرين .

ثم أتى الجُنيد مَرْو وقد ظفر ، فقال خاقان : هذا غلام مترَف ، هزَمَنى العامَ وأنا مهلكه فى قابل؛ فاستعمل الجنيد عُمّاله ، ولم يستعمل إلا مُضَريًّا ؛ استعمل قَطَن بن قتيبة على بُخارى ، والوليد بن القعقاع العبسىّ على هَراة ، وحبيب بن مرّة العبسىّ على شرَطه ، وعلى بلْخ مسلم بن عبدالرحمن الباهلىّ . وكان نصر بن سيار على بلْخ ؛ والذى بينه وبين الباهليّين متباعد لما كان بينهم بالبَرُوقان ، فأرسل مسلم إلى نصر فصادفوه نائمًا ، فجاءوا به فى قميص ليس عليه سَراويل ، ملبَّبًا ، فجعل يضمّ عليه قميصَه ، فاستحيا مسلم ، وقال : شيخ من مُضَر جئتم به على هذه الحال ! ثم عزل الجُنيد مسلمًا عن بَلْخ ، وولاّها يحيى بن ضُبَيعة ، واستعمل على خراج سَمرْقند شداد بن خالد الباهلىّ ، وكان مع الجنيد السَّمْهرىّ بن قَعْنب . ١٥٣٠/٢

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومىّ ؛ وكان إليه من العمل فى هذه السنة ما كان إليه فى السنة التى قبلها ؛ وقد ذكرت ذلك قبل .

وكان العامل على العراق خالد بن عبد الله ، وعلى خراسان الجُنيد بن عبد الرحمن .

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة ومائة

ذكر ما كان فيها من الأَحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفةَ فافتتح خَرْشَنَة، وحرق فرنديّة من ناحية مَلَطْيَة.

* * *

[ذكر خبر قتل الجراح الحكمى]

وفيها سار التّرك من اللّان، فلقيهم الجرّاح بن عبد الله الحكَمىّ فيمن معه من أهل الشأم وأذْرَبيجان، فلم يتتامّ إليه جيشُه؛ فاستُشهد الجرّاح ومن كان معه بمرج [1] أردبيل؛ وافتتحت التّرك أردبيل؛ وقد كان استخلف أخاه الحجاج بن عبد الله على أرمينيَة. ١٥٣١/٢

ذكر محمد بن عمر أنّ التّرك قتلت الجراح بن عبد الله ببَلَنْجَر، وأن هشامًا لما بلغه خبرُه دعا سعيد بن عمرو الحَرَشىّ، فقال له: إنه بلغنى أن الجرّاح قد انحاز عن المشركين، قال: كلّا يا أمير المؤمنين، الجرّاح أعرف بالله من أن ينحاز عن العدوّ، ولكنه قُتِل، قال: فما الرأى؟ قال: تبعثنى على أربعين دابة من دوابّ البريد؛ ثم تبعث إلىّ كلّ يوم أربعين دابّة عليها أربعون رجلا، ثم اكتب إلى أمراء الأجناد يوافوننى. ففعل ذلك هشام.

فذُكر أن سعيد بن عمرو أصاب للترك ثلاثةَ جموع وفوداً إلى خاقان بمَنْ أسَروا من المسلمين وأهل الذّمة، فاستنقذ الحرَشىّ ما أصابوا وأكثروا القتل فيهم.

وذكر علىّ بن محمد أنّ الجنيد بن عبد الرحمن قال فى بعض ليالى حربه [2] التّرك بالشِّعب: ليلةٌ كليلة الجراح ويومٌ كيومه؛ فقيل له: أصلحك الله!

(١) ب «بأرض». (٢) ح: «حروبه».

إنّ الجرّاح سِيرَ إليه فقتِل أهل الحجى والحفاظ ، فجنّ عليه الليل ، فانسلّ الناس من تحت الليل إلى مدائن لهم بأذْرَبيجان ، وأصبح الجرّاح فى قلة فقتل .

* * *

١٥٣٢/٢ وفى هذه السنة وجّه هشام أخاه مسلمة بن عبد الملك فى أثر الترك فسار فى شتاء شديد البرد والمطر والثلوج فطلبهم — فيما ذكر — حتى جاز الباب فى آثارهم، وخلّف الحارث بن عمرو الطائىّ بالباب .

* * *

[ذكر وقعة الجنيد مع الترك]

وفى هذه السنة كانت وقعة الجنيد مع الترك ورئيسهم خاقان بالشِّعب . وفيها قتل سَوْرة بن الحرّ؛ وقد قيل إن هذه الوقعة كانت فى سنة ثلاث عشرة ومائة .

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها وكيف كانت :

ذكر علىّ بن محمد عن أشياخه أن الجنيد بن عبد الرحمن خرج غازياً فى سنة اثنتى عشرة ومائة يريد طَخارستان ، فنزل على نهر بَلْخ ، ووجّه عُمارة ابن حُرَيم إلى طَخارستان فى ثمانية عشر ألفاً وإبراهيم بن بسام الليثىّ فى عشرة آلاف فى وجه آخر ، وجاشت الترك فأتوْا سَمَرْقند ، وعليها سَوْرة بن الحُرّ ؛ أحد بنى أبان بن دارم، فكتب سَوْرة إلى الجنيد : إن خاقان جاش بالترك ، فخرجتُ إليهم فما قدرتُ أن أمنع حائط سَمَرْقند ؛ فالغوْث[1] !

فأمر الجنيد الناس بالعُبور ، فقام إليه المجشّر بن مزاحم السلمىّ وابن بسطام الأزْدىّ وابن صُبْح الخَرَقىّ ، فقالوا : إن التُّرك ليسوا كغيرهم ، لا يلقوْنك صفًّا ولا زحفًا ، وقد فرّقت جندك، فمسلم بن عبد الرحمن بالنّيْروذ، والبخترىّ بهراة، ولم يحضرك أهل الطالَقان، وعمارة بنُ حَريم غائب[2] . وقال له ١٥٣٣/٢ المجشِّر : إن صاحب خراسان لا يعبر النهر فى أقلّ من خمسين ألفاً؛ فاكتب إلى

(١) ابن الأثير : « فالغوث الغوث » . (٢) بعدها فى ابن الأثير : « بطخارستان » .

عمارة فليأتك، وأمهل ولا تعجَل[١]، قال: فكيف بسَوْرة ومَن معه من المسلمين! لو لم أكن إلّا فى بنى مُرّة، أو من طلع معى من أهل الشأم لعبرتُ. وقال:

أَليس أَحقَّ الناسِ أَن يَشهَدَ الوغى[٢] وأَن يقتلَ الأَبطال ضَخْمٌ على ضخم[٣]

وقال:

ما عِلَّتِى ما علّتى ما عِلّتى! إنْ لم أقاتِلْهُمْ فجُزّوا لِمَّتِى

قال: وعبر فنزل كِسّ؛ وقد بعث الأشهب بن عبيد الحنظلىّ ليعلم علمَ القوم، فرجع إليه وقال: قد أتوْك فتأهبْ للمسير.

وبلغ الترك فعَوّروا[٤] الآبار التى فى طريق كِسّ وما فيه من الركايا، فقال الجُنيد: أىّ الطريقين إلى سَمَرْقند أمثل؟ قالوا: طريق المحترقة. قال المجشِّر بن مزاحم السلمىّ: القتل بالسيف أمثلُ من القتل بالنار؛ إن طريق المحترقة فيه الشّجر والحشيش ولم يُزْرَع منذ سنين، فقد تراكم بعضه على بعض، فإن لقيتَ خاقان أحرق ذلك كله، فقتلنا بالنار والدخان؛ ولكن خذ طريق العَقَبة، فهو بيننا وبينهم سواء. ٢/١٥٣٤

فأخذ الجُنيد طريقَ العَقَبة، فارتقى فى الجبل، فأخذ المجشّر بعنان دابته، وقال: إنه كان يقال: إنّ رجلا من قيس مترَفًا يهلك على يديه جند من جنود خراسان؛ وقد خِفْنا أن تكونه. قال: أفْرِخْ رَوْعاك، فقال المجشِّر: أمّا إذا كان بيننا مثلك فلا يُفْرَخ. فبات فى أصل العقبة، ثم ارتحل حين أصبح؛ فصار الجُنيد بين مرتحل ومقيم؛ فتلقى فارسًا، فقال: ما اسمك؟ فقال: حرب؛ قال: ابن مَنْ؟ قال: ابن محرَبة، قال: من بنى مَن؟ قال: من بنى حَنْظلة، قال: سلط الله عليك الحرْب والحرَب والكلَب. ومضى بالناس حتى دخل الشِّعب وبينه وبين مدينة سَمَرْقند أربعة[٥] فراسخ، فصبّحه خاقان فى جمع عظيم[٦]، وزحف إليه أهلُ السُّغد والشاش وفَرْغانة وطائفة من الترك. قال: فحمل خاقان على المقدّمة وعليها[٧] عثمان

(١) «تستعجل». (٢) ف: «أن يشهدوا». (٣) كذا فى ح، ف، وفى ط: «ضخماً على ضخم». (٤) فى اللسان عن شمر: «عورت عيون المياه إذا دفنتها وسددتها، وعورت الركية إذا كبستها بالتراب حتى تنسد عيونها». (٥) ط: «أربع». (٦) ب: «كبير». (٧) ح: «عليها».

ابن عبدالله بن الشّخّير ، فرجعوا إلى العسكر والتّرك تتبعهم ؛ وجاءوهم من كلّ وجه ؛ وقد كان الإخْريد قال للجنيد : ردّ النّاس إلى العسكر ؛ فقد جاءك جمع كثير ؛ فطلع أوائل العدوّ والناس يتغدّوْن ، فرآهم عبيد الله بن زهير بن حيّان ، فكره أن يُعلِم النّاس حتى يفرغوا من غدائهم ؛ والتفت أبو الذّيال ، فرآهم ، فقال : العدوّ ! فركب النّاس إلى الجنيد ، فصيّر تميماً والأزد فى الميمنة وربيعة فى الميسرة مما يلى الجبل ؛ وعلى مجفّفة[1] خيل بنى تميم عبيد الله بن زهير بن حَيّان ، وعلى المجرّدة عمر — أو عمرو— بن جرْفاس[2] بن عبد الرحمن بن شقران المنقرىّ ، وعلى جماعة بنى تميم عامر ابن مالك الحِمّانىّ ، وعلى الأزد عبد الله بن بِسْطام بن مسعود بن عمرو المعنىّ ؛ وعلى خيلهم : المجفّفة والمجردّة فُضَيل بن هناد وعبد الله بن حوْذان ؛ أحدهما على المجفّفة ، والآخر على المجرّدة — ويقال : بل كان بشر بن حوذان أخو عبد الله بن حوذان الجهضمىّ —فالتقوْا وربيعة ممّا يلى الجبَل فى مكان ضيّق ؛ فلم يقدم عليهم أحد ؛ وقصد العدوّ للميمنة وفيها تميم والأزْد فى موضع واسع فيه مجال للخيل . فترجّل حيان بن عبيد الله بن زهير بين يدى أبيه ، ودفع بِرذونه إلى أخيه عبد الملك ، فقال له أبوه : يا حيّان ، انطلق إلى أخيك فإنه حَدَث وأخاف عليه . فأبى ، فقال : يا بُنىّ ، إنك إن قُتِلت على حالك هذه قُتِلت عاصياً . فرجع إلى الموضع الذى خلّف فيه أخاه والبرذوْن ؛ فإذا أخوه قد لحق بالعسكر ، وقد شدّ البرذون ، فقطع حيّان مِقوَده وركبه ؛ فأتى العدوّ ؛ فإذا العدوّ قد أحاط بالموضع الذى خلف فيه أباه وأصحابه ، فأمدّهم الجُنيد بنصر بن سيار فى سبعة معه ؛ فيهم جميل بن غزوان العدوىّ ، فدخل عبيد الله بن زهير معهم ، وشدّوا على العدوّ فكشفوهم ثم كرّوا عليهم ؛ فقتلوا جميعاً ، فلم يفلت منهم أحد ممن كان فى ذلك الموضع ، وقُتل عبيد الله بن زهير وابن حوذان وابن جِرْفاس والفُضيل بن هنّاد .

١٠٣٥/٢

١٠٣٦/٢

وجالت الميمنة والجُنيد واقف فى القلْب ، فأقبل إلى الميمنة ، فوقف تحت

---

(١) يقال : فرس مجفف ، عليه تجفاف ، وهو ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح .
(٢) ابن الأثير : « جرقاش » .

راية الأزْد — وقد كان جفاهم — فقال له صاحب راية الأزد: ماجئتنا لتحبوَنا ولا لتكرمنا؛ ولكنّك قد علمت أنه لا يوصَل إليك ومنّا رجل حيّ؛ فإن ظفرنا كان لك؛ وإن هلكنا لم تبْك علينا . ولعمري لئن ظفرنا وبقيتُ لا أكلّمك كلمة أبداً . وتقدّم فقتِل . وأخذ الرّاية ابن مُجّاعة فقُتِل، فتداول الرّاية ثمانية عشر رجلا منهم فقتلوا ، فقتِل يومئذ ثمانون رجلاً من الأزْد .

قال : وصبَر الناس يقاتلون حتى أعيَوْا؛ فكانت السيوف لا تحيك ولا تقطع شيئاً ، فقطع عبيدُهم الخشب يقاتلون به ، حتّى ملّ الفريقان فكانت المعانقة ، فتحاجزوا ، فقتل من الأزد حمزة بن مُجّاعة العتَكيّ ومحمد بن عبد الله بن حَوْذان الجهضميّ ، وعبدالله بن بِسطام المعنيّ وأخوه زُنيم والحسن ابن شيخ والفُضيل الحارثيّ — وهو صاحب الخيل — ويزيد بن المفضّل الحُدّانيّ؛ ٢/١٥٣٧ وكان حجّ فأنفق في حجه ثمانين ومائة ألف ؛ فقال لأمه وحشيّة : ادعِي الله أن يرزقني الشهادة ، فدعتْ له ، وغُشِي عليه ؛ فاستُشهد بعد مَقْدَمه من الحج بثلاثة عشر يوماً ، وقاتل معه عبدان له ؛ وقد كان أمرهما بالانصراف فقتِلا ؛ فاستُشهدا .

قال : وكان يزيد بن المفضّل حمل يوم الشّعب على مائة بعير سويقاً للمسلمين ؛ فجعل يسأل عن الناس ، ولا يسأل عن أحد إلا قيل له : قد قتل ؛ فاستقدم وهو يقول : لا إله إلا الله ؛ فقاتل حتى قُتِل .

وقاتل يومئذ محمد بن عبد الله بن حَوْذان وهو على فرس أشْقر ، عليه تِجفاف مذهّب ، فحمَل سبع مرات يقتل في كلّ حملة رجلاً ، ثم رجع إلى موقفه ، فهابه مَن كان في ناحيته ، فناداه تَرجمان للعدوّ[1] : يقول لك الملك : لا تقبل وتحوّل إلينا ؛ فنرفض صنَمنا الذى نعبده ونعبدك ؛ فقال محمد : أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الأصنام وتعبدوا الله وحده . فقاتل واستُشهد .

وقتِل جُشَم بن قرط الهلاليّ من بني الحارث ، وقُتِل النَّضْر بن راشد العبديّ ؛ وكان دخل على امرأته والناس يقتتلون ، فقال لها : كيف أنت إذا أتيت بأبي ضمرة في لبد مضرّجا بالدماء ؟ فشقّت جيبها ودعت بالويْل ؛ ٢/١٥٣٨

(١) ح ، ف : « ترجمان الملك » .

فقال : حسبك ، لو أعولتْ علىّ كلّ أنثى لعصيتُها شوقاً إلى الحُور العين ؛ ورجع فقاتل حتى استُشهد رحمه الله . قال : فبينا النّاس كذلك إذ أقبل رَهَج ، فطلعت فُرسان؛ فنادى منادى الجُنيد : الأرضَ ، الأرضَ ! فترجّل وترجّل الناس ، ثم نادى منادى الجُنيد: ليخندقْ كلّ قائد على حياله ؛ فخندق الناس . قال : ونظر الجُنيد إلى عبد الرحمن بن مكيّة يحمل على العدوّ، فقال : ما هذا الخرطوم السائل ؟ قيل له : هذا ابن مكيّة ، قال : ألسان البقرة ! لله درّه أىّ رجل هو ! وتحاجزوا ، وأصيب من الأزْد مائة وتسعون .

وكانوا لقوا خاقان يوم الجمعة ، فأرسل الجنيد إلى عبد الله بن معمر بن سُمَير اليشكرىّ أن يقف فى الناحية التى تلى كِس ويحبس مَن مرّ به ، ويحوز الأثقال والرّجالة ؛ وجاءت الموالى رجّالة ، ليس فيهم غير فارس واحد والعدوّ يتبعونهم ؛ فثبت عبد الله بن معمَر للعدوّ ، فاستُشهد فى رجال من بكْر ، وأصبحوا يوم السَّبت ، فأقبل خاقان نصفَ النهار ؛ فلم ير موضعاً للقتال فيه أيسر من موضع بكر بن وائل ، وعليهم زياد بن الحارث ، فقصد لهم ، فقالت بكر لزياد : القوم قد كَثَرونا ، فخلّ عنا نحمل عليهم قبل أن يحملوا علينا ، فقال لهم : قد مارست[1] سبعين سنة ، إنكم إن حملتم عليهم فصعدتم انهزمتم ؛ ولكن دعوهم حتى يقربوا . ففعلوا ، فلما قربوا منهم حملوا عليهم فأفرجوا لهم ، فسجد الجُنيد ، وقال خاقان يومئذ : إنّ العرب إذا أحرِجوا استقتلوا ؛ فخلّوهم حتى يخرجوا ؛ ولا تَعرّضوا لهم ؛ فإنكم لا تقومون لهم . ١٥٣٩/٢

وخرج جوارٍ للجنيد يولولْنَ ؛ فانتدب رجال من أهل الشأم، فقالوا : الله الله يأهلَ خراسان ! إلى أين ؟ وقال الجنيد : ليلة كليلة الجرّاح ، ويوم كيومه .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل سورة بن الحرّ]

وفى هذه السنة قتل سَوْرة بن الحرّ التميمىّ .

---

(١) بعدها فى ح ، ف : « منذ » .

* ذكر الخبر عن مقتله :

ذكر عليّ عن شيوخه ، أن عبيد الله بن حبيب قال للجنيد : اختر بين أن تهلك أنت أو سوْرة ، فقال : هلاك سَوْرة أهون عليّ ، قال : فاكتب إليه فليأتك فى أهل سَمَرْقند ؛ فإن الترك إن بلغهم أن سَوْرة قد توجّه إليك انصرفوا إليه فقاتلوه . فكتب إلى سورة يأمره بالقدوم – وقيل : كتب أغثنى – فقال عبادة بن السليل المحاربىّ أبو الحكم بن عبادة لسَوْرة : انظر أبْرَد بيت بسَمَرْقند فنمْ فيه ، فإنك إن خرجت لا تبالى أسخط عليك الأمير أم رضى . وقال له حُلَيْس بن غالب الشيبانىّ : إن الترك بينك وبين الجنيد ؛ فإن خرجت كرّوا عليك فاختطفوك .

٢/١٥٤٠ فكتب إلى الجنيد : إنى لا أقدر على الخروج ؛ فكتب إليه الجُنيد : يابن اللخناء ، (١تخرج وإلا وجّهت إليك١) شدّاد بن خالد[٢] الباهلىّ – وكان له عدوًّا – فاقدَم وضع فلانًا بفرخشاذ فى خمسمائة ناشب ، والزم الماء فلا تفارقه .

فأجمع على المسير ، فقال الوَجَف بن خالد العبدىّ : إنك لمهلك نفسَك والعرب بمسيرك ؛ ومهلِك من معك ، قال : لا يُخْرَج حمَلى[٣] من التنّور حتى أسير ؛ فقال له عبادة وحُليس : أما إذ أبيتَ إلا المسير فخذ على النهر ، فقال : أنا لا أصل إليه على النهر فى يوميْن ، وبينى وبينه من هذا الوجه ليلة فأصبّحه ؛ فإذا سكنت الزُّجَل[٤] سرتُ فأعبره[٥] .

فجاءت عيون الأتراك فأخبروهم ، وأمر سَوْرة بالرحيل ؛ واستخلف على سَمَرْقند موسى بن أسود ؛ أحد بنى ربيعة بن حنظلة ، وخرج فى اثنى عشر ألفًا ، فأصبح على رأس جبل ؛ وإنما دلّه على ذلك الطريق عِلْج يسمى كارتقبد ؛ فتلقّاه خاقان حين أصبح وقد سار ثلاثة فراسخ ، وبينه وبين

(١ – ١) ح ، ف : « لتقدمن أو لأوجهن » .

(٢) ابن الأثير : « خليد » . (٣) ح : « حمل » .

(٤) الزجل : جمع زجلة ؛ وهى الجماعة من الناس ، وفى ابن الأثير : « سكنت الرجل » ، وما أثبته من تصويبات ط .

(٥) ح ، ف : « فأصبحه » .

الجنيد فرسخ : فقال أبو الذيّال : قاتلهم فى أرض خَوّارة ، فصبر وصبروا حتى اشتدّ الحرّ .

وقال بعضهم : قال له غوزك : يومك يوم حارّ فلا تقاتلهم حتى تحمَى عليهم الشمس وعليهم السلاح تثقلهم . فلم يقاتلهم خاقان ؛ وأخذ برأى غوزك ، وأشعل النار[١] فى الحشيش ، وواقفهم وحال بينهم وبين الماء ، فقال سَوْرة لعبادة : ما ترى يا أبا السليل ؟ قال : أرى والله أنه ليس من الترك أحد إلا وهو يريد الغنيمة ؛ فاعقِرْ هذه الدوابّ وأحرق هذا المتاع ، وجرّد السيف ؛ فإنهم يُخلّون لنا الطريق . قال أبو الذيال : فقال سَوْرة لعبادة : ما الرأى ؟ قال : تركت الرأى ، قال : فما ترى الآن ؟ قال : أن ننزل فنُشرع الرّماح ، ونزحف زحفًا ، فإنما هو فرسخ حتى نصل إلى العسكر ، قال : لا أقوى على هذا ؛ ولا يقوى فلان وفلان . . . وعدّد رجالاً ؛ ولكن أرى أن أجمع الخيل ومَنْ أرى أنه يقاتل فأصكّهم ؛ سلمتُ أم عَطِبتُ ؛ فجمع الناس وحملوا فانكشفت الترك ، وثار الغُبار فلم يبصروا ، ومن وراء الترك اللِّهبُ[٢] ؛ فسقطوا فيه ، وسقط فيه العدوّ والمسلمون ، وسقط سَوْرة فاندقّت فخذه ، وتفرّق الناس ، وانكشفت الغمة والناس متفرّقون ، فقطعتهم الترك ، فقتلوهم فلم ينجُ منهم غير ألفين — ويقال : ألف — وكان ممن نجا عاصم بن عمير السَّمَرقندىّ ، عرفه رجل من الترك فأجاره ؛ واستُشهد حُليس بن غالب الشيبانىّ ، فقال رجل من العرب : الحمد لله ؛ استُشهد حُلَيس ، ولقد رأيته يرمى البيت أيام الحجاج ويقول : درّى عُقاب ، بلبن وأخشاب ؛ وامرأة قائمة ، فكلّما رمى بحَجر قالت المرأة : يا ربّ بى ولا ببيتك ! ثم رُزق الشهادة .

١٥٤١/٢

١٥٤٢/٢

وانحاز المهلّب بن زياد العِجلىّ فى سبعمائة ومعه قريش بن عبد الله العبدىّ إلى رُستاق يسمى المرغاب ؛ فقاتلوا أهل قَصْر من قصورهم ؛ فأصيب المهلّب بن زياد ، وولَّوْا أمرهم الوجَف بن خالد ، ثم أتاهم الأشكند صاحب نَسف فى خَيْل ومعه غوزك ، فقال غوزك : يا وَجَف ، لكم الأمان ، فقال

---

(١) ب : « النيران » .

(٢) اللهب : الصدع فى الجبل ، أو الشعب الصغير فيه .

قريش : لا تثقوا بهم ؛ ولكن إذا جنّنا الليل خرجنا عليهم حتى نأتى سَمَرْقند ؛ فإنا إن أصبحنا معهم قتلونا .

قال : فعصوْه وأقاموا ، فساقوهم إلى خاقان ؛ فقال : لا أجيز أمان غَوْزك ، فقال غوزك للوجَف : أنا عبد لخاقان من شاكريّته ، قالوا : فلمَ غَرَزتنا [١] ؟ فقاتلهم الوجف وأصحابه ، فقُتلوا غير سبعة عشر رجلا دخلوا الحائط . وأمسوا ، فقطع المشركون شجرة فألقوْها على ثلمة الحائط ؛ فجاء قريش بن عبد الله العبدىّ إلى الشجَرة فرمى بها ؛ وخرج فى ثلاثة فباتوا فى ناووس [٢] فكمنوا [٣] فيه وجبن الآخرون فلم يخرجوا ، فقتلوا حين أصبحوا . وقتِل سَوْرة ؛ فلما قُتل خرج الجنيد من الشِّعب يريد سمرقند مبادراً ، فقال له خالد بن عبيد الله بن حبيب : سِرْ سِر [٤] ، ومجشّر بن مزاحم السّلمىّ يقول : أذكرك الله أقم ؛ والجنيد يتقدّم ، فلما رأى المجشِّر ذلك نزل فأخذ بلجام الجنيد ، فقال : والله لا تسير ولتنزلنّ طائعًا أو كارهًا ، ولا ندعك تُهلكنا بقول هذا الهجرىّ ، انزل . فنزل ونزل الناس فلم يتتامّ [٥] نزولهم حتى طلع الترك ، فقال المجشّر : لو لقونا ونحن نسير ، ألم يستأصلونا ! فلما أصبحوا تناهضوا ، فانكشفت طائفة ، وجال الناس ، فقال الجنيد : أيّها الناس ؛ إنها النّار ؛ فتراجعوا . وأمر الجنيد رجلاً فنادى : أيّ عبد قاتَلَ فهو حرّ ؛ فقاتل العبيد قتالاً شديداً عجب الناس منه ؛ جعل أحدهم يأخذ اللِّبد فيجوبه ويجعله فى عنقه ، يتوقّى به . فسرّ الناس بما رأوْا من صبرهم ، فكرّ العدوّ ، وصبر الناس حتى انهزم العدوّ . فمضوا ، فقال موسى بن النعر [٦] للناس : أتفرحون بما رأيتم من العبيد ! والله إنّ لكم منهم ليومًا أرْوَنان [٧] . ومضى الجُنيد فأخذ العدوّ رجلا من عبد القيس فكتفوه ، وعلّقوا فى عنقه رأس بلعاء العنبرىّ بن مجاهد بن بلعاء ؛ فلقيه الناس فأخذ بنو تميم الرأس فدفنوه ، ومضى الجُنيد إلى سَمَرْقند ؛ فحمل

٢/١٠٤٣ ٢/١٠٤٤

(١) ب : « عرضتنا » . (٢) ح ، ف : « فأتوا ناووساً » .
(٣) ب : « كمنوا » . (٤) ابن الأثير : « سرو أسرع » .
(٥) ابن الأثير : « فلم يستتم » . (٦) ابن الأثير : « النعراء » .
(٧) يوم أرونان ، قال فى اللسان : الشديد فى كل شىء من حر أو برد أو جلبة أو صياح ، قال النابغة الجعدى :

فظلّ لنسوة النعمان منّــا على سفوان يومٌ أَرونانُ

عيال مَن كان مع سَوْرة إلى مَرْو ، وأقام بالسُّغْد أربعة أشهر ؛ وكان صاحبَ رأى خراسان فى الحرب المجشِّر بن مزاحم السُّلَمىّ وعبد الرحمن بن صبح الخَرَقىّ وعبيد الله بن حبيب الهجرىّ ، وكان المجشِّر يُنزل الناس على راياتهم ، ويضع المسالح ليس لأحد مثل رأيه فى ذلك ، وكان عبد الرحمن ابن صبح إذا نزل الأمر العظيم فى الحرب لم يكن لأحد مثل رأيه ؛ وكان عبيد الله بن حبيب على تعبئة القتال ، وكان رجال من الموالى مثل هؤلاء فى الرّأى والمشورة والعلم بالحرب ؛ فمنهم الفضل بن بسّام مولى بنى ليث وعبد الله ابن أبى عبد الله مولى بنى سليم والبَخترىّ بن مجاهد مولى بنى شيبان .

قال : فلما انصرف التّرك إلى بلادهم بعث الجُنيد سيفَ بن وصّاف العجلىّ من سَمَرْقند إلى هشام ، فجبُن عن السير وخاف الطريق ، فاستعفاه فأعفاه ؛ وبعث نهار بن تَوْسعة أحد بنى تيم اللات وزُمَيْل بن سُوَيد[1] المرّىّ؛ مرّة غطفان، وكتب إلى هشام: إن سَوْرة عصانى، أمرتُه بلزوم الماء فلم يفعل، فتفرّق عنه أصحابه، فأتتنى طائفة إلى كِسّ ، وطائفة إلى نَسَف ، وطائفة إلى سَمَرْقند ، وأصيب سَوْرة فى بقيّة أصحابه . ٢/١٥٤٥

قال : فدعا هشام نهارَ بن توسعة ، فسأله عن الخبر فأخبره بما شهد ، فقال نهار بن توسعة :

لعمرُكَ ما حابَيْتنى إذْ بَعَثتَنى ... ولكنَّما عَرّضْتنى للمَتالِفِ
دعوتَ لها قوماً فهابوا ركوبَها ... وكنتُ امْرَأً رَكَّابَةً للمَخاوفِ[2]
فأيقنتُ إنْ لم يَدْفَع اللهُ أننى ... طَعامُ سِباعٍ أو لطَيْرٍ عوائفِ
قَرينُ عرَاكٍ وهوَ أَيسَرُ هالك ... عليك وقد زَمَّلْتَهُ بِصَحَائفِ
فإنى وإن آثرتَ منه قَرابَةً ... لأَعظمُ حظًّا فى حِبَاءِ الخلائف
على عهدِ عثمانٍ وفَدْنا وقبْلَهُ ... وكنَّا أُولى مجد تليدٍ وطارِفِ

قال : وكان عراك معهم فى الوفد ، وهو ابن عمّ الجنيد ، فكتب إلى الجنيد : قد وجّهت إليك عشرين ألفا مدداً ؛ عشرة آلاف من أهل البصرة عليهم عمرو بن مسلم ، ومن أهل الكوفة عشرة آلاف عليهم عبد الرحمن

(١) ابن الأثير : « وزبل بن سويد » .
(٢) ط : « ركابه للمخاوف »

ابن نُعيم ، ومن السلاح ثلاثين ألف رمح ومثلها تِرَسة ، فافرض فلا غاية لك فى الفريضة لخمسة عشر ألفًا .

قال : ويقال إن الجُنيد أوفد الوفد إلى خالد بن عبد الله، فأوفد خالد إلى هشام : إنّ سَوْرة بن الُحرّ خرج يتصيّد مع أصحاب له فهجم عليهم التّرك، فأصيبوا. فقال هشام حين أتاه مصاب سورة : إنا لله وإنا إليه راجعون ! مُصاب سَوْرة بن الحرّ بخراسان والجرّاح بالباب! وأبْلى[1] نصر بن سيّار يومئذ بلاء حسنًا ، فانقطع سيفه، وانقطع سيور ركابه ؛ فأخذ سيور ركابه ؛ فضرب بها رجلا حتى أثخنَه ، وسقط فى اللّهْب مع سَوْرة يومئذ عبد الكريم ابن عبد الرحمن الحنفىّ وأحد عشر رجلا معه . وكان ممّن سلم من أصحاب سَوْرة ألف رجل ، فقال عبد الله بن حاتم بن النعمان : رأيت فساطيطَ مبنيّة بين السماء والأرض ؛ فقلت : لمن هذه ؟ فقالوا : لعبد الله بن بسْطام وأصحابه ، فقتلوا من غدٍ ؛ فقال رجل : مررت فى ذلك الموضع بعد ذلك بحين فوجدت رائحة المسك ساطعة . قال : ولم يشكر الجُنيد لنصر ما كان من بلائه ، فقال نصر :

٢/١٥٤٦

إنْ تحسُدُونى على حُسن البلاءِ لكُمْ — يوماً ، فمِثْلُ بَلائى جَرَّ لِى الحَسَدَا

يأْبَى الإلهُ الذى أَعلى بقـــدرتِهِ — كَعبِى عليكمْ وأَعطى فوقَكم عَضُدا

وضَرْبىَ التركَ عنكم يوم فَرْقِكُمُ — بالسَّيفِ فى الشِّعبِ حتى جاوزَ السَّنَدَا

قال : وكان الجُنيد يوم الشِّعب أخذ فى الشِّعب ، وهو لا يرى أنّ أحداً يأتيه من الجبال، وبعث ابنَ الشِّخِّير فى مقدمته ، واتخذ ساقةً[2] ؛ ولم يتخذ مجنِّبتين .

٢/١٥٤٧

وأقبل خاقان فهزم المقدّمة ، وقتل مَنْ قتل منهم ، وجاءه خاقان من قبَل ميسرته وجبغويه من قبَل الميمنة، فأصيب رجال من الأزْد وتميم، وأصابوا له سرادقات وأبنية ، فأمر الجنيد حين أمسى رجلا من أهل بيته ، فقال له : امش فى الصفوف والدرّاجة ، وتسمّع ما يقول الناس ؛ وكيف حالهم ؛ ففعل

---

(١) ب : « فأبلى » . (٢) ب : « ساقته » .

ثم رجع إليه ، فقال : رأيتهم طيبةً أنفسهم ، يتناشدون الأشعار ، ويقرءون القرآن ؛ فسرّه ذلك ، وحمد الله .

قال : ويقال نهضت العبيد يوم الشِّعب من جانب العسكر وقد أقبلت الترك والسُّغد ينحدرون ؛ فاستقبلهم العبيد وشدّوا عليهم بالعَمَد ، فقتلوا منهم تسعة ، فأعطاهم الجنيد أسلابهم .

وقال ابن السِّجْف فى يوم الشِّعب ؛ ويعنى هشامًا :

آذكُرْ يَتامَى بأَرضِ التُّركِ ضائعَةً ... هَزْلَى كأَنهُمُ فى الحائطِ الحَجَلُ
وارحم ، وَإِلاَّ فهَبْهَا أمةً دَمِرَتْ ... لا أَنفُسٌ بَقِيَتْ فيها ولا ثَقَلُ
لا تأمُلَنَّ بقاءَ الدَّهر بَعدَهَمُ ... والمَرْءُ ما عاشَ ممْدودٌ له الأَمَلُ
لاَقَوْا كتائِبَ مِنْ خاقانَ مُعْلِمَةً ... عنهم يَضيقُ فضاءُ السَّهلِ والجبلُ
لَمَّا رَأَوهُمْ قَليلاً لَا صَرِيخَ لهمْ ... مَدُّوا بأَيديهمُ للهِ وابْتَهَلوا
وَبَايَعُوا رَبَّ موسى بيعةً صَدَقت ... ما فى قُلوبِهمُ شكٌّ وَلَا دَغَلُ

١٠٤٨/٢

قال : فأقام الجُنيد بسَمَرْقَنْد ذلك العام ، وانصرف خاقان إلى بُخارى وعليها قَطَن بن قتيبة ، فخاف الناس الترك على قَطَن ، فشاورهم الجنيد ، فقال قوم : الزم سَمَرْقند ، واكتب إلى أمير المؤمنين يمدّك بالجنود . وقال قوم : تسير فتأتى رَبِنْجَن ، ثم تسير منها إلى كِس ، ثم تسير منها إلى نَسَف ، فتصل منها إلى أرض زَم ؛ وتقطع النهر وتنزل آمُل ، فتأخذ عليه بالطريق .

فبعث إلى عبد الله بن أبى عبد الله ، فقال : قد اختلف الناس علىّ — وأخبره بما قالوا — فما الرأى ؟ فاشترط عليه ألاّ يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال أو نزول أو قتال ، قال : نعم ؛ قال : فإنى أطلب إليك خصالاً ، قال : وما هى ؟ قال : تخندق حيثما نزلْت ؛ ولا يفوتنّك حمل الماء ولو كنت على شاطئ نهر ، وأن تطيعنى [١] فى نزولك وارتحالك . فأعطاه ما أراد . قال : أما ما أشار به عليك فى مُقامك بسَمَرْقند حتى يأتيك الغياث ، فالغياث يبطئ عنك [٢] ، وإن سرتَ فأخذت بالناس غيرَ الطريق فتتّ فى أعضادهم ؛

١٠٤٩/٢

(١) ح : « وألا تعصينى » . (٢) ح ، ف : « عليك » .

فانكسروا عن عدوّهم ، فاجترأ عليك خاقان ؛ وهواليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له ، فإن أخذت بهم غير الطريق تفرّق الناس عنك مبادرين إلى منازلهم ، ويبلغ أهل بخارى فيستسلموا لعدوّهم ؛ وإن أخذت الطريق الأعظم هابك العدوّ؛ والرأى لك أن تعمِد إلى عيالات مَنْ شهِد الشِّعب من أصحاب سَوْرة فتقسّمهم على عشائرهم وتحملهم معك ؛ فإنى أرجو بذلك أن ينصرك الله على عدوّك ، وتعطى كلّ رجل تخلف بسمرقند ألف درهم وفرسًا .

قال : فأخذ برأيه ، فخلّف فى سمرقند عثمان بن عبد الله بن الشِّخِّير فى ثمانمائة : أربعمائة فارس وأربعمائة راجل ، وأعطاهم سلاحًا . فشتم الناس عبدَ الله بن أبى عبدالله مولى بنى سليم ، وقالوا : عرّضنا لخاقان والترك ، ما أراد إلا هلاكنا !

فقال عبيد[1] الله بن حبيب لحرب بن صبح : كم كانت لكم الساقة اليوم ؟ قال : ألف وستمائة ، قال : لقد عُرِّضنا للهلاك . قال : فأمر الجنيد بحمْل العيال . ٢/١٥٥٠

قال : وخرج والناس معه ، وعلى طلائعه الوليد بن القعقاع العبسىّ وزياد ابن خَيران الطائىّ ، فسرّح الجُنيد الأشهب بن عبيد[2] الحنظلىّ ، ومعه عشرة من طلائع الجند ، وقال له : كلما مضيت مرحلة فَسَرِّحْ إلىّ رجلا يعلمنى الخبر .

قال : وسار الجُنيد ؛ فلما صار بقصْر الريح[3] أخذ عطاء الدّبُوسىّ بلجام الجُنيد وكبحَه ، فقرع رأسه هارون الشاشىّ مولى بنى حازم بالرّمح حتى كسره على رأسه ، فقال الجنيد لهارون : خلّ عن الدبوسىّ ، وقال له : مالك يا دبوسىّ ؟ فقال : انظر أضعفَ شيخ فى عسكرك فسلّحه سلاحًا تامًّا ، وقلِّدْه سيفًا وجعبة وتِرْسا ، وأعطه رمحًا ، ثم سِرْ بنا على قدر مشيه ؛ فإنا لا نقدر على السوْق والقتال وسرعة السير ونحن رجّالة . ففعل ذلك الجُنيد ؛

---

(١) ط : « عبد » ؛ وما أثبته من تصويبات ط .
(٢) ط : « عبيد الله » ؛ وأثبت ما فى التصويبات .
(٣) ح : « الرمح » .

فلم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الأماكن المخوفة ، ودنا من الطواويس ، فجاءتنا الطلائع بإقبال خاقان ، فعرضوا له بكَرْمينيَة ، أوّل يوم من رمضان .
فلما ارتحل الجُنيد من كرْمينيَة قدم محمد بن الرُّنديّ فى الأساورة آخر الليل ؛ فلما كان فى طرف مفازة كَرْمينيَة رأى ضعف العدوّ ؛ فرجع إلى الجنيد فأخبره ؛ فنادى منادى الجنيد : ألا يخرج المكتَّبون [١] إلى عدوّهم ؟ فخرج الناس ، ونشبت الحرب ، فنادَى رجل : أيها الناس ، صرتم حروريّة فاستقتلتم . وجاء عبد الله بن أبى عبد الله إلى الجنيد يضْحك ، فقال له الجنيد : ما هذا بيوم ضحك ! فقيل له : إنه ضحِك تعجّبًا ، فالحمد لله الذى لم يلقك هؤلاء إلا فى جبال معطّشة ؛ فهم على ظهر وأنت مخندق آخر النهار ، كالّين وأنت معك الزّاد ؛ فقاتلوا قليلا ثم رجعوا . وكان عبد الله بن أبى عبد الله قال للجُنيد وهم يقاتلون : ارتحل ، فقال الجنيد : وهل من حيلة ؟ قال : نعم ، تمضى برايتك قَدْر ثلاث غِلاء [٢] ، فإنّ خاقان ودّ أنك أقمت فينطوى عليك إذا شاء . فأمر بالرحيل وعبد الله بن أبى عبد الله على الساقة . فأرسل إليه : انزل ، قال : أنزل على غير ماء ! فأرسل إليه : إن لم تنزل ذهبت خراسان من يدك ؛ فنزل وأمر الناس أن يسقوا ، فذهب الناس الرّجالة والناشبة ؛ وهم صَفّان ؛ فاستقوْا وباتوا ، فلما أصبحوا ارتحلوا ، فقال عبد الله ابن أبى عبد الله : إنكم معشَر العرب أربعة جوانب ؛ فليس يعيب بعضهم بعضًا ؛ كلّ ربع لا يقدر أن يزول عن مكانه : مقدّمة — وهم القلب — ومجنّبتان وساقة ؛ فإن جمع خاقان خيله ورجاله ثم صدم جانبًا منكم — وهم الساقة — كان بوارُكم ، وبالحَرَى أن يفعل ؛ وأنا أتوقّع ذلك فى يومى ، فشدّوا الساقة بخيل . فوجّه الجُنَيد خيل بنى تميم والمجفّفة ، وجاءت الترك فمالت على الساقة ؛ وقد دنا المسلمون من الطواويس فاقتتلوا ، فاشتدّ الأمر بينهم ، فحمل سلْم بن أحوَز على رجل من عظماء الترك فقتله . قال : فتطيّر الترك ، وانصرفوا من الطوَاويس ؛ ومضى المسلمون ؛ فأتوا بُخَارى يوم المهرجان . قال : فتلقّوْنا بدراهم بخارية ، فأعطاهم عشرة عشرة ، فقال عبد المؤمن بن خالد : رأيتُ

١٥٥١/٢ ١٥٥٢/٢

---

(١) ب : « المكذبون » . (٢) غلاء : جمع غلوة ؛ وهى مرمى السهم .

عبدَ الله بن أبي عبد الله بعد وفاته في المنام ، فقال : حدَّث الناس عني برأيي يوم الشِّعب .

قال : وكان الجُنيد يذكر خالد بن عبد الله ، ويقول : رَبَذَة من الرَّبَذ[١] ، صنبور ابن صنبور[٢] ، قُلّ ابن قلّ ، هيْفة من الهيف — وزعم أن الهيْفة الضَّبُع ، والعُجْرة الخنزيرة ، والقلّ : الفرد — قال : وقدمت الجنود مع عمرو بن مسلم الباهليّ في أهل البصرة وعبدالرحمن بن نعيم الغامديّ[٣] في أهل الكوفة وهو بالصّغانيان ، فسرح معهم الحوثرة بن يزيد[٤] العنبريّ فيمن انتدب معه من التجار وغيرهم ، وأمرهم أن يحملوا ذراريّ أهل سمرقند ، ويدَعوا فيها المقاتلة . ففعلوا . ١٥٥٣/٢

قال أبو جعفر : وقد قيل : إنّ وقعة الشِّعب بين الجُنيد وخاقان كانت في سنة ثلاث عشرة ومائة .

وقال نصر بن سيّار يذكر يوم الشِّعب وقتال العبيد :

إنِّي نَشأْتُ وحُسَّادِي ذَوُو عَدَدٍ ... ياذا المعارجِ لا تَنقصْ لهمْ عَدَدَا
إن تحسدوني على مثل البلاءِ لكُمْ ... يوماً فمثلُ بلائي جَرَّ لِي الحَسدَا
يـأْبَى الإلهُ الذي أَعلَى بقدرته ... كعبي عليكم وأَعطى فوقكم عُددا
أَرْمِي العَدُوَّ بـأَفراسٍ مُكلَّمَةٍ ... حتى اتخذْنَ على حُسَّادِهنَّ يدا[٥]
من ذا الذي منكُمُ في الشِّعبِ إذ وردُوا ... لَمْ يَتَّخِذْ حَوْمة الأَثقالِ مُعْتَمَدَا !
فما حفظتمْ منَ اللهِ الوَصاة ولا ... أَنتم بصَبْرٍ طَلَبتُمْ حُسْنَ ماوَعَدَا
ولا نَهاكمْ عَنِ التَّوثابِ في عتَبٍ ... إلَّا العَبِيدُ بضَرْبٍ يَكسِرُ العَمَدا
هَلَّا شكرتمْ دِفاعِي عَنْ جُنَيدِكُمُ[٦] ... وَقْعَ القَنَا وشِهابُ الحربِ قدَ وقَدا !

---

(١) في اللسان عن اللحياني : « إنما أنت ربذة من الربذ ، أي منتن لاخير فيك » .
(٢) في ابن الأثير : « الصنبور الذي لا أخ له . وقيل : الملصق » .
(٣) ط : « العامري » ، وما أثبته من تصويبات ط .
(٤) ابن الأثير : « زيد » . (٥) ط : «حسادها» ، وهو خطأ وصوابه في ابن الأثير .
(٦) ابن الأثير : « هلا شهدتم » .

وقال ابن عرس العبدىّ ، يمدح نَصرًا يوم الشِّعب ويذّم الجُنيد ؛ لأن نصراً أبلى يومئذ : ٢/١٥٥٤

يا نصرُ أنت فتى نزارٍ كُلِّها فَلكَ المآثِرُ والفَعالُ الأَرفَعُ
فَرَّجْتَ عَنْ كلِّ القَبائل كُربَةً بالشِّعبِ حِينَ تَخاضَعُوا وتَضعْضَعُوا
يَومَ الجُنَيدِ إذِ القنا مُتَشاجرٌ والنَّحرُ دامٍ والخَوافِقُ تَلمَعُ[1]
ما زلتَ تَرمِيهمْ بنفسٍ حُرّةٍ حتى تَفَرَّجَ جَمعُهُمْ وتَصَدَّعُوا
فالناسُ كُلٌّ بَعْدَها عُتَقاؤُكمْ ولكَ المكارمُ والمعالِى أَجْمَعُ

وقال الشرعبىّ الطائىّ :

تَذَكَّرتُ هِندًا فى بِلادٍ غَرِيبَةٍ فيالكَ شَوْقاً ، هل لِشَملِكَ مَجْمَع!
تذكَّرتُهَا والشاشُ بَيْنِى وبينها وَشِعْبُ عِصامٍ والمنايا تَطلَّعُ
بلادٌ بها خاقانُ جَمٌّ زُحُوفُهُ وَنيلانُ فى سبعينَ أَلفاً مُقَنَّعُ
إذا دَبّ خاقانٌ وسارت جنودُهُ أَتتنَــا المَنايا عندَ ذلك شُرَّعُ
هنالك ـ هندُ ـ مالَنا النِّصفُ منهمُ وما إنْ لنا ياهندُ فى القومِ مَطْمَعُ ٢/١٥٥٥
أَلَا رُبَّ خَوْدٍ خَدْلَةٍ قد رأَيتُهــا يَسُوق بها جَهمٌ مِنَ السُّغدِ أَصْمَعُ
أُحامِى عليها حين وَلَّى خليلُها تُنادِى إليها المسلمينَ فتُسمعُ[2]
تنادى بأَعلى صوتِها صَفَّ قومِها أَلَا رجلٌ منكم يَغارُ فَيَرجعُ!
أَلا رجلٌ منكُم كَريمٌ يَرُدُّنِى يَرَى الموت فى بعضِ المواطنِ ينفع!
فما جاوبُوها غير أَنَّ نَصيفَهَا بكَفِّ الفتى بين البرازيق أَشْنَعُ
إلى اللهِ أَشكُو نَبوَةً فى قلوبهــا وَرُعباً مَلا أَجوافها يَتَوَسَّعُ
فَمَن مُبْلِغٌ عَنّى أَلوكاً صحيفةً إلى خالِدٍ مِنْ قبلِ أَن نَتَوزَّعُ
بأَنَّ بقايانا وأَنَّ أَميرنا إذا ما عَدَدْناهُ الذَّلِيلُ المُوَقَّعُ

---

(١) ابن الأثير : « والبحر دام » . (٢) ح : « تنادى إليها المسلمون » .

٢/١٠٥٦ هُمُ أطْمَعُوا خاقانَ فينا وَجُنْدَهُ ... ألَا ليتَنَا كُنَّا هَشِيماً يُزَعْزَعُ

وقال ابن عرس – واسمه خالد بن المعارك من بنى غَنْم بن وديعة بن لكيز بن أفصى . وذكر علىّ بن محمد عن شيخ من عبد القيس أنّ أمه كانت أمَة، فباعه أخوه تميم بن معارك من عمرو بن لقيط أحد بنى عامر بن الحارث؛ فأعتقه عمرو لما حضرته الوفاة ، فقال : يا أبا يعقوب ؛ كم لى عندك من المال ؟ قال : ثمانون ألفًا ، قال : أنت حُرّ وما فى يديك لك . قال : فكان عمرو ينزل مَرْو الرّوذ ؛ وقد اقتتلت عبد القيس فى ابن عُرْس ؛ فردّوه إلى قومه ، فقال ابنُ عرس للجُنيد :

أَينَ حُماةُ الحرب مِنْ معشَرٍ ... كانوا جَمالَ المنسَرِ الحاردِ!
بَادُوا بآجالٍ تَوَافَوْا لهــا ... والعــائِرُ المُمْهَلُ كالبائِدِ
فالعينُ تُجرِى دَمْعها مُسْبَلاً ... ما لِدُمُوعِ العينِ من ذائد
انظرْ ترى للميْتِ مِنْ رَجْعَةٍ ... أَمْ هل ترى فى الدهر من خالد !
٢/١٠٥٧ كنَّا قديمــاً يُتَّقى بأسُــنا ... وَنَدْرَأُ الصَّادِرَ بالوارِدِ
حتى مُنِينــا بالذى شامَنا ... من بعدِ عِزٍّ ناصرٍ آئِدِ
كعاقِرِ الناقةِ لا يَنثنِى ... مُبْتَدِئاً ذِى حَنَقٍ جاهِدِ
فَتَقْتَ ما لم يلتئِم صَدْعُهُ ... بالجَحْفَلِ المحْتَشِدِ الزائدِ
تَبكى لها إنْ كَشَفَت ساقَها ... جَــدْعاً وَعَقرًا لك من قائدِ !
تركْتَنا أجزاءَ مَعْبُوطــةً ... يَقسِمُها الجازرُ للناهِدِ
تَرقّتِ الأسيافُ مَسْلولَةً ... تُزِيلُ بينَ العَضْدِ والساعدِ
تَساقَطُ الهاماتُ من وقعِها ... بينَ جَناحَىْ مُبرِقٍ راعــد
إذْ أنت كالطفْلةِ فى خِدرِها ... لَمْ تَدرِ يومًا كَيْدَةَ الكائِدِ
٢/١٠٥٨ إنَّا أناسٌ حَرْبُنا صَعبَةٌ ... تَعصِفُ بالقائِمِ والقَاعد
أضحَتْ سمرْقندُ وأشياعُها ... أُحدوثَةَ الغائِبِ والشاهِدِ

وكم ثَوَى فى الشِّعبِ من حازمٍ جَلدِ القُوَى ذى مِرَّةٍ ماجد
يَستَنجِدُ الخَطْبَ ويَغشَى الوغى لا هائبٍ غُسٍّ ولا ناكِدِ(١)
لَيتَكَ يومَ الشِّعْب فى حُفرَةٍ مرمُوسَةٍ بالمَدَرِ الجامِدِ
تلعبْ بك الحربُ وأبناؤهـا لَعْبَ صُقُورٍ بِقَطًا واردِ
طارَ لها قلبُكَ من خيفَةٍ ما قلبك الطائرُ بالعائِدِ
لا تَحسِبَنَّ الحربَ يومَ الضحى كَشَربِكَ المُزَّاءَ بالبارِدِ(٢)
أَبغَضتُ من عَينِكَ تَبْرِيجَها وصورةً فى جسدٍ فاسِدِ
جُنيدُ ما عِيصُكَ منسوبُهُ(٣) نَبْعاً ولَا جَدُّكَ بالصَّاعد
خمسون ألفاً قُتِلوا ضِيعَةً وأَنتَ منهم دعوة الناشد ٢/١٥٥٩
لا تَمرِيَنَّ الحربَ من قابِلٍ ما أَنتَ فى العَدوَةِ بالحامد(٤)
قَلَّدتُه طَوْقاً على نحرِهِ طوق الحمامِ الغرِدِ الفارِد
قصيدَةً حبَّرَهَا شاعِرٌ تسعَى بها البُرْدُ إلى خالِدِ

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومىّ ؛ كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

وقد قيل : إن الذى حجّ بالناس فى هذه السنة سليمان بن هشام .

وكانت عمّال الأمصار فى هذه السنة عمّالها الذين كانوا فى سنة إحدى عشرة ومائة ، وقد ذكرناهم قبل .

---

(١) الغس : الضعيف اللئيم .
(٢) المزاء : الخمر اللذيذة الطعم ، سميت بذلك للذعها فى الفم .
(٣) منسوبه ، بالرفع بدل اشتمال مما قبله .
(٤) ب وابن الأثير : « بالجامد » .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[قتل عبد الوهاب بن بخت]

فممّا كان فيها من ذلك هلاك عبد الوهاب بن بُخت ، وهو مع البطّال عبد الله بأرض الرّوم ؛ فذكر محمد بن عمر ، عن عبد العزيز بن عمر ؛ أن عبد الوهاب بن بُخْت غزا مع البطّال سنة ثلاث عشرة ومائة، فانهزم الناس عن البطّال وانكشفوا، فجعل عبد الوهاب يكرّ فرسه وهو يقول [١] : ما رأيتُ فرسًا أجبَن منه ، وسَفَكَ الله دمى إن لم أسفك دمك . ثم ألقى بيضته عن رأسه وصاح : أنا عبد الوهاب بن بُخت ؛ أمِن الجنة تفرّون ! ثم تقدّم فى نحور العدوّ ؛ فمرّ برجل وهو يقول : واعطشاه ! فقال : تقدّم ؛ الرِّىّ أمامك ؛ فخالط القوم فقُتِل وقُتل فرسه .

١٥٦٠/٢

* * *

ومن ذلك ما كان من تفريق مسلمة بن عبد الملك الجيوشَ فى بلاد خاقان ففتِحت مدائن وحصون على يديه، وقتل منهم، وأسر وسبَى، وحرَق خلق كثير من الترك أنفسَهم بالنار ؛ ودان لمسلمة مَن كان وراء جبال بلنجر وقتل ابن خاقان .

ومن ذلك غَزْوة معاوية بن هشام أرضَ الروم فرابط من ناحية مَرْعش ثم رجع .

وفى هذه السنة صار من دُعاة بنى العباس جماعة[٢] إلى خراسان ، فأخذ الجنيد بن عبد الرحمن رجلا منهم فقتله، وقال : من أصيب[٣] منهم فدمه هدرٌ .

* * *

(١) ب ، ح : « ويقول » .
(٢) ف : « دعاة » .
(٣) ابن الأثير : « أصبت » .

وحجّ بالناس فى هذه السنة — فى قول أبى معشر — سليمان بن هشام بن ١٥٦١/٢
عبد الملك؛ حدثنى بذلك أحمد بن ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى
عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ .

وقال بعضهم : الذى حجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومىّ .
وكان عمّال الأمصار فى هذه السنة هم الذّين كانوا عمّالها فى سنة إحدى عشرة
واثنتى عشرة ؛ وقد مضى ذكرنا لهم .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

ذكر الإخبار عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفةَ اليسرى وسليمان بن هشام على الصّائفة اليمنى ؛ فذُكر أنّ معاوية بن هشام أصاب رَبَض[١] أقرن، وأن عبدالله البطال التقى وقسطنطين فى جَمْعٍ فهزمهم ؛ وأسر قسطنطين ؛ وبلغ سليمان ابن هشام قيساريّة .

* * *

وفى هذه السنة عزلَ هشام بن عبد الملك إبراهيمَ بن هشام عن المدينة ، وأمّر عليها خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم . قال الواقدىّ : قدم خالد بن عبد الملك المدينة للنصف من شهر ربيع الأول ؛ وكانت إمْرة إبراهيم ابن هشام على المدينة ثمانى سنين .

وقال الواقدىّ : فى هذه السنة ولِىَ محمد بن هشام المخزومىّ مكة .

وقال بعضُهم : بل ولِىَ محمد بن هشام مكة سنة ثلاث عشرة ومائة ، فلما عزل إبراهيم أقرّ محمد بن هشام على مكة .

وفى هذه السنة وقع الطاعون — فيما قيل — بواسط .

وفيها قفل[٢] مسلمة بن عبد الملك عن الباب بعد ما هزم خاقان وبنى الباب فأحكم ما هنالك . ٢/١٥٦٢

وفى هذه السنة ولّى هشام مروانَ بن محمد أرمينيَة وأذْرَبيجان .

* * *

واختلف فيمَن حجّ بالناس فى هذه السنة ، فقال أبو معشر — فيما حدثنى أحمد بن ثابت ، عمّن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه : حجّ بالناس سنة أربع عشرة ومائة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ؛ وهو على المدينة .

---

(١) الربض : سور المدينة .

(٢) ابن الأثير : «أقبل» .

وقال بعضهم : حجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام ؛ وهو أمير مكة ، فأقام خالد بن عبد الملك تلك السنة ، لم يشهد الحجّ .

قال الواقدىّ : حدثنى بهذا الحديث عبد الله بن جعفر ، عن صالح بن كيسان .

قال الواقدىّ : وقال لى أبو معشر : حجّ بالناس سنة أربع عشرة ومائة خالد بن عبد الملك ، ومحمد بن هشام على مكة . قال الواقدىّ : وهو الثَّبَت عندنا .

* * *

وكان عمّال الأمصار فى هذه السنة هم العمّال الذين كانوا فى السنة التى قبلها ؛ غير أنّ عامل المدينة فى هذه السنة كان خالد بن عبد الملك ، وعامل مكة والطائف محمد بن هشام ، وعامل أرمينيَة وأذْرَبيجان مروان بن محمد .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

ذكر الإخبار عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام أرضَ الروم .

١٠٦٢/٢ وفيها وقع الطاعون بالشام .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل ؛ وهو أمير مكة والطائف ، كذلك قال أبو معشر ، فيما حدثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وكان عمّال الأمصار فى هذه السنة عمّالها فى سنة أربع عشرة ومائة ، غير أنه اختُلف فى عامل خراسان فى هذه السنة ، فقال المدائنىّ : كان عاملها الجنيد بن عبد الرحمن ، وقال بعضهم : كان عاملها عمارة بن حُريم المرّىّ . وزعم الذى قال ذلك أنّ الجنيد مات فى هذه السنة ، واستُخلف عمارة بن حُرَيم . وأما المدائنىّ فإنه ذكر أن وفاة الجنيد كانت فى سنة ست عشرة ومائة.

* * *

وفى هذه السنة أصاب الناس بخُراسان قحط شديد ومجاعة ، فكتب الجُنيد إلى الكور : إنّ مرْو كانت آمِنة مطمئنّة يأتيها رزقُها رغداً من كلّ مكان ، فكفرت بأنعُم الله ، فاحملوا إليها الطعام .

قال علىّ بن محمد : أعطى الجُنيد فى هذه السنة رجلاً درهماً ، فاشترى به رغيفاً ، فقال لهم : تشكون الجوع ورغيف بدرهم ! لقد رأيتُنى بالهند وإن الحبّة من الحبوب لتباع عدداً بالدرهم ؛ وقال : إنّ مَرْو كما قال الله عز وجل : ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾[1] .

(١) سورة النحل آية ١١٢ .

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

١٥٦٤/٢

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزوْة معاوية بن هشام أرض الرّوم الصائفة .
وفيها كان طاعونٌ شديد بالعراق والشأم ؛ وكان أشدّ ذلك – فيما ذكر – بواسط .

* * *

[وفاة الجنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله خراسان]

وفيها كانت وفاة الجُنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالىّ خراسان .

* ذكر الخبر عن أمرهما :

ذكر علىّ بن محمد، عن أشياخه ، أنّ الجُنيد بن عبد الرحمن تزوّج الفاضلة بنت يزيد بن المهلّب ، فغضب هشام على الجُنيد، وولّى عاصم بن عبد الله خراسان؛ وكان الجُنيد سَقِىَ[1] بطنُه، فقال هشام لعاصم : إن أدركتَه وبه رمَق فأزهقْ نفسه ، فقدم عاصم وقد مات الجنيد .

قال : وذكروا أنّ جبلة بن أبى روّاد دخل على الجُنيد عائداً، فقال : يا جبلة ، ما يقول الناس ؟ قال : قلت يتوجّعون[2] للأمير ؛ قال : ليس عن هذا سألتك ، ما يقولون ؟ وأشار نحو الشأم بيده . قال : قلت : يقدم على خراسان يزيد بن شجرة الرَّهاوىّ، قال : ذلك سيّد أهل الشأم ، قال : ومن ؟ قلت : عصمة أو عصام ، وكنّيت عن عاصم ، فقال : إن قدِم عاصم فعدوّ جاهد ؛ لا مرحباً به ولا أهلا .

١٥٦٥/٢

قال : فمات فى مرضه ذلك فى المحرّم سنة ست عشرة ومائة، واستخلف عمارة بن حُرَيم . وقدم عاصم بن عبد الله ، فحبس عُمارة بن حُرَيم وعمال الجنيد وعذّبهم . وكانت وفاته بمرْو ، فقال أبو الجُوَيرية عيسى ابن عصمة يرثيه :

---

(١) ح : « يشكو بطنه » ، والسّق : ماء أصفر يقع فى البطن ، يقال : سق بطنه ، أى اجتمع فيه ماء أصفر .
(٢) ب : « يتوجمون » .

هلك الجُودُ والجنيدُ جميعاً فعلى الجود والجُنيدِ السّلامُ
أَصبحا ثاوِيَيْن فى أَرضِ مَرْوٍ ماتَغَنَّتْ على الغُصونِ الحمامُ[1]
كنتُمَا نُزْهَةَ الكرامِ فلما مِتّ ماتَ النَّدَى وماتَ الكِرامُ

ثم إنّ أبا الجويرية أتى خالد بن عبد الله القسرىّ وامتدحه ، فقال له خالد : ألست القائل :

* هلك الجود والجُنيد جميعاً *

مالك عندنا شىء ، فخرج فقال :

تظَلّ لامِعَة الآفاقِ تَحْمِلُنَا إلى عُمارَةَ والقُودُ السَّراهِيدُ

قصيدة امتدح بها عُمارة بن حُرَيم ، ابنَ عمّ الجنيد ؛ وعُمارة هو جدّ أبى الهَيْذام صاحب العصبيّة بالشأم .

قال : وقدم عاصم بن عبدالله فحبس عمارة بن حُرَيم وعمال الجنيد وعذّبهم .

* * *

[ذكر خلع الحارث بن سريج]

وفى هذه السنة خُلع الحارث بن سُرَيج ، وكانت الحرب بينه وبين عاصم بن عبد الله .

* ذكر الخبر عن ذلك : ١٥٦٦/٢

ذكر علىّ عن أشياخه ، قال : لما قدم عاصم خراسان واليًا ، أقبل الحارث ابن سُرَيج من النّخُذ حتى وصل إلى الفارِياب ، وقدم أمامه بشر بن جُرْمُوز . قال : فوجّه عاصم الخطّابَ بن محرز السُّلمىّ ومنصورَ بن عمر بن أبى الخَرْفاء السُّلمىّ وهلال بن عُليم التميمىّ والأشهبَ الحنظلىّ وجرير بن هميان السدوسىّ ومقاتل بن حيّان النبَطىّ مولى مصقلة إلى الحارث ؛ وكان خطّاب ومقاتل بن حيّان قالا : لا تلقوْه إلا بأمان ، فأبى عليهما القوم ؛ فلما انتهوا إليه بالفارياب قيّدهم وحبَسهم ، ووكّل بهم رجلا يحفظهم . قال : فأوثقوه وخرجوا من السّجن ، فركبوا دوابّهم ، وساقوا دوابّ البريد ، فمرُّوا بالطالَقان

---

(١) ح ، ف : « ما تغنى » .

فهم سهرب صاحب الطالقان بهم ، ثم أمسك وتركهم . فلما قدموا مرْو أمرهم عاصم فخطبوا وتناولوا الحارث ، وذكروا خبث سيرته وغدره . ثم مضى الحارث إلى بلْخ وعليها نصر ، فقاتلوه ؛ فهزم أهل بلْخ ومضى نصر إلى مرْو .

١٥٦٧/٢ وذكر بعضهم : لما أقبل الحارث إلى بلخ وكان عليها التُّجيبي بن ضُبَيعة المرّى ونصر بن سيار ، وولاّهما الجنيد . قال : فانتهى إلى قنطرة عطاء وهى على نهر بلْخ على فرسخين من المدينة ، فتلقّى نصر بن سيار فى عشرة آلاف والحارث بن سُريج فى أربعة آلاف ، فدعاهم الحارث إلى الكتاب والسنّة والبيعة للرضا ؛ فقال قطن بن عبد الرحمن بن جُزىّ الباهلىّ : يا حارث ؛ أنت تدعو إلى كتاب الله والسنّة ؛ والله لو أنّ جبريل عن يمينك وميكائيل عن يسارك ما أجبتُك ؛ فقاتلهم فأصابته رمية فى عينه ؛ فكان أوّلَ قتيل . فانهزم أهلُ بلخ إلى المدينة ، وأتبعهم الحارث حتّى دخلَها ؛ وخرج نصر من باب آخر ، فأمر الحارثَ بالكفّ عنهم ، فقال رجل من أصحاب الحارث : إنى لأمشى فى بعض طرق بلْخ إذ مررت بنساء يبكين وامرأة تقول : يا أبتاه ! ليت شعرى من دهاك ! وأعرابىّ إلى جَنْبى يسير ؛ فقال : مَنْ هذه الباكية ؟ فقيل له : ابنة قَطَن بن عبد الرحمن بن جزىّ ، فقال الأعرابىّ : أنا وأبيك دهيْتُك ، فقلت : أنت قتلته ؟ قال : نعم .

قال : ويقال : قدم نصر والتُّجيبىّ على بلْخ ، فحبسه نصر ، فلم يزل محبوساً حتى هزم الحارث نصراً ؛ وكان التُّجيبىّ ضرب الحارث أربعين سوطاً فى إمْرة الجنيد ، فحوّله الحارث إلى قلعة باذكر بزَمّ ، فجاء رجل من بنى حَنيفة فادّعى عليه أنه قتل أخاه أيام كان على هَراة ، فدفعه الحارث إلى الحنفىّ ، ١٥٦٨/٢ فقال له التُّجيبىّ : أفتدى منك بمائة ألف ، فلم يقبل منه وقتله . وقوم يقولون : قُتِل التُّجيبىّ فى ولاية نصر قبل أن يأتيَه الحارث .

قال : ولما غلب الحارث على بلْخ استعمل عليها رجلاً من ولَد عبد الله ابن خازم ، وسار ، فلما كان بالجُوزجان دعا وابصة بن زُرارة العبدىّ ، ودعا دجاجة ووحشاً العجليَّيْن وبشر بن جُرموز وأبا فاطمة ، فقال :

ما ترون ؟ فقال أبو فاطمة : مَرْو بَيْضة خراسان ؛ وفرسانهم كثير ؛ لو لم يلقوْك إلاّ بعبيدهم لانتصفوا منك ، فأقم فإنْ أتوْك قاتلتَهم وإن أقاموا قطعت المادة عنهم ، قال : لا أرى ذلك ، ولكن[١] أسير إليهم . فأقبل الحارث إلى مَرْو ، وقد غلب على بلْخ والجُوزجان والفارياب والطالَقان ومرْو الرّوذ ، فقال أهل الدين[٢] من أهل مَرْو : إن مضى إلى أبرشهر ولم يأتنا فرّق جماعتنا ، وإن أتانا نكب[٣] .

قال : وبلغ عاصمًا أن أهل مَرْو يكاتبون الحارث ، قال : فأجمع على الخروج وقال : يا أهل خراسان ، قد بايعتم الحارث بن سُريج[٤] ، لا يقصد مدينة إلا خلّيتموها له ، إني لاحق بأرض قومي أبرشهر ، وكاتبٌ منها إلى أمير المؤمنين حتى يمدّني بعشرة آلاف من أهل الشأم . فقال له المجشّر بن مزاحم : إن أعطوْك بيعتَهم بالطلاق والعَتاق فأقم ، وإن أبوْا فسرحتى تنزل أبرشهر ، وتكتب إلى أمير المؤمنين فيمدّك بأهل الشأم . فقال خالد بن هريم أحد بني ثعلبة بن يربوع وأبو محارب هلال بن عُلَيْم : والله لا نخلّيك والذهاب ، فيلزمنا دَيْنك عند أمير المؤمنين ، ونحن معك حتى نموت إن بذلت الأموال . قال : أفعل ، قال يزيد بن قرّان الرّياحيّ : إن لم أقاتل معك ما قاتلتَ فابنةُ الأبرد بن قُرّة الرياحيّ طالق ثلاثًا — وكانت عنده — فقال عاصم : أكلّكم على هذا ؟ قالوا : نعم . وكان سلمة بن أبي عبد الله صاحب حَرَسه يحلّفهم بالطلاق .

١٥٦٩/٢

قال : وأقبل الحارث بن سُريج إلى مَرْو في جمع كثير — يقال في ستين ألفًا — ومعه فرسان الأزْد وتميم ؛ منهم محمد بن المثنّى وحمّاد بن عامر ابن مالك الحِمانيّ وداود الأعسر وبشْر بن أنَيف الرياحيّ وعطاء الدّبُوسيّ . ومن الدهاقين الجوزجان وترسل دهقان الفارياب[٥] وسهرب[٦] ملك الطّالقان ، وقرياقس دهقان مَرْو ، في أشباههم .

قال : وخرج عاصم في أهل مَرْو وفي غيرهم ؛ فعسكر بجياسر عند البيعة ،

---

(١) ح : « ولكني » . (٢) ابن الأثير : « أهل الرأى » .
(٣) ب : « نكث » . (٤) ط : « شريح » والصواب ما أثبته من التصويبات .
(٥) ط : « لفارياب » .
(٦) ط : « سهرك » ، وانظر ص ٩٥ س ١ .

وأعطى الجند ديناراً ديناراً ، فخفّ عنه الناس ، فأعطاهم ثلاثة دنانير ثلاثةدنانير ، وأعطى الجند وغيرهم ؛ فلما قرب بعضهم من بعض أمر بالقناطر فكسرت ، وجاء أصحاب الحارث فقالوا: تحصروننا فى البرّيّة! دعونا نقطع إليكم فنناظركم فيما خرجنا له ، فأبَوْا وذهب رجّالتهم يُصلحون القناطر ، فأتاهم رجّالة أهل مَرْو فقاتلوهم ؛ فمال محمد بن المثنّى الفراهيذىّ برايته إلى عاصم فأمالها فى ألفين فأتى الأزْد ؛ ومال حماد بن عامر بن مالك الحِمّانىّ إلى عاصم ، وأتى بنى تميم . ١٥٧٠/٢

قال سلمة الأزدىّ : كان الحارث بعث إلى عاصم رسلًا — منهم محمد ابن مسلم العنبرىّ — يسألونه العملَ بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم . قال : والحارث بن سريج يومئذ على السواد . قال : فلمّا مال محمد بن المثنى بدأ أصحاب الحارث بالحملة ، والتقى الناس ؛ فكان أوّل قتيل غياث بن كلثوم من أهل الجارُود ، فانهزم أصحاب الحارث ، فغرِق بشر كثير من أصحاب الحارث فى أنهار مَرْو والنهر الأعظم ، ومضت الدّهاقين إلى بلادهم ؛ فضُرِب يومئذ خالد بن علباء[1] بن حبيب بن الجارود على وجهه ، وأرسل عاصم بن عبد الله المؤمنَ بن خالد الحنفىّ وعِلباء بن أحمر اليشكرىّ ويحيى بن عَقِيل الخُزاعىّ ومقاتل بن حَيّان النبَطى إلى الحارث يسأله ما يريد؟ فبعث الحارث محمدَ بن مسلم العنبرىّ وحدَه ، فقال لهم : إنّ الحارث وإخوانكم يقرءونكم السلام ، ويقولون لكم : قد عطشنا وعطشت دوابّنا ، فدعونا ننزل الليلة ، وتختلف الرّسل فيما بيننا ونتناظر ؛ فإن وافقناكم على الذى تريدون وإلاّ كنتم مِنْ وراء أمركم ؛ فأبوا عليه وقالوا مقالا غليظًا ؛ فقال مقاتل ابن حيّان النبطىّ : يا أهلَ خراسان ؛ إنا كنا بمنزلة بيت واحد وثغرنا واحد ؛ ويدنا على عدوّنا واحدة ؛ وقدأنكرنا ما صنع صاحبكم ؛ وجّه إليه أميرنا بالفقهاء والقرّاء من أصحابه، فوجّه رجلاً واحدًا . قال محمد : إنما أتيتُكم مبلّغًا ، نطلب كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وسيأتيكم الّذى تطلبون من غد إن شاء الله تعالى . ١٥٧١/٢

(١) ف : «غلباء» .

وانصرف محمّد بن مسلم إلى الحارث ، فلما انتصف الليل سار الحارث فبلغ عاصمًا ، فلما أصبح سار إليه فالتقوْا ، وعلى ميمنة الحارث رابض بن عبدالله بن زرارة التغلبىّ ، فاقتتلوا قتالا شديدًا ، فحمل يحيى بن حُضَين — وهو رأس بكر بن وائل ، وعلى بكر بن وائل زياد بن الحارث بن سريج — فقتلوا قتالاً ذريعًا ، فقطع الحارث وادى مَرْو ؛ فضرب رواقاً عند منازل الرّهبان ، وكفّ عنه عاصم . قال : وكانت القتلى مائة ، وقتِل سَعيد بن سعد بن جزء الأزدىّ ، وغرق خازم بن موسى بن عبد الله بن خازم — وكان مع الحارث بن سُريج — واجتمع إلى الحارث زُهاء ثلاثة آلاف ، فقال القاسم بن مسلم : لما هُزِم الحارث كفّ عنه عاصم ، ولو ألحّ عليه لأهلكه . وأرسل إلى الحارث : إنى رادّ عليك ما ضمنت لك ولأصحابك ؛ على أن ترتحل ؛ ففعل .

١٥٧٢/٢

قال : وكان خالد بن عبيد الله بن حبيب أتى الحارث ليلة هزم ، وكان أصحابه أجمعوا على مفارقة الحارث ، وقالوا : ألم تزعم أنه لا يردّ لك راية ! فأتاهم فسكّنهم .

وكان عطاء الدّبوسىّ من الفُرسان، فقال لغلامه يوم زَرْق : أسرِج لى برذَوْنى لعلّى ألاعب هذه الحمارة ، فركب ودعا إلى البراز ، فبرز له رجل من أهل الطالَقان ، فقال بلغته : إى كيرِخَر .

* * *

قال أبو جعفر الطبرىّ رحمه الله : وحجّ بالناس فى هذه السنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وهو ولىّ العهد ؛ كذلك حدثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

١٥٧٣/٢

وكانت عمال الأمصار فى هذه السّنة عمالها فى التى قبلها إلاّ ما كان من خُراسان فإن عاملها فى هذه السنة عاصم بن عبد الله الهلالىّ .

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها غزوة معاوية بن هشام الصّائفة اليسرى وغزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصّائفةَ اليمنى من نحو الجزيرة ، وفرّق سراياه فى أرض الروم .

وفيها بعَث مرْوان بن محمد — وهو على أرمينيَة — بعثيْن ، فافتتح أحدهما حصونًا ثلاثة من اللاّن ونزل الآخر على تُومانشاه ، فنزل أهلها على الصلح .

وفيها عزل هشام بن عبد الملك عاصمَ بن عبد الله عن خراسان، وضمها إلى خالد بن عبد الله ، فولاّها خالد أخاه أسدَ بن عبد الله .

وقال المدائنىّ : كان عزل هشام عاصمًا عن خراسان وضمّ خراسان إلى خالد بن عبد الله فى سنة ستّ عشرة ومائة .

* * *

ذكر الخبر عن سبب عزل هشام عاصمًا وتوليته خالدًا خراسان

وكان سبب ذلك — فيما ذكر علىّ عن أشياخه — أنّ عاصم بن عبد الله كتب إلى هشام بن عبد الملك : أمّا بعد يا أمير المؤمنين ، فإنّ الرائد لا يكذب أهله ؛ وقد كان من أمر أمير المؤمنين إلىّ ما يحقّ به علىّ نصيحته ؛ وإنّ خراسان لا تصلح إلاّ أن تضمّ إلى صاحب العراق ؛ فتكون موادُّها ومنافعها ومعونتها[١] فى الأحداث والنوائب[٢] من قريب ؛ لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطؤ غياثه عنها . ٢/١٥٧٤

فلما مضى كتابه خرج إلى أصحابه يحيى بن حُضَين والمجشّر بن مزاحم وأصحابهم ، فأخبرهم ، فقال له المجشّر بعد ما مضى الكتاب : كأنّك بأسد قد طلع عليك . فقدم أسد بن عبد الله ؛ بعث به هشام بعد كتاب عاصم بشهر ، فبعث الكُميت بن زيد الأسدىّ إلى أهل مَرْو بهذا الشعر :

---

(١) ح : « وبعوثها » . (٢) ب : « المصائب » .

أَلا أَبْلغْ جماعَةَ أَهْلِ مَرْوٍ على ما كانَ مِنْ نـأْىٍ وَبُعْدِ[1]
رِسالةَ ناصِحٍ يُهْدِى سَلاماً ويَأْمُرُ فى الذى رَكِبُوا بِجَدِّ
وأَبْلِغْ حارثاً عَنَّا اعْتِذاراً إِلَيْهِ بِأَنَّ مَنْ قِبَلى بجُهْدِ
وَلَوْلا ذاك قَدْ زارَتْك خَيْلٌ مِنَ المِصْرَينِ بالفُرْسانِ تُرْدِى
فلا تهِنُوا ولا ترْضَوْا بِخَسْفٍ ولا يَغْرُرْكُمُ أَسدٌ بعَهْدِ
وَكونوا كالبَغايا إنْ خُدِعْتُمْ وإنْ أَقررْتُمُ ضَيْماً لِوَغْدِ
١٥٧٥/٢ وَإلاَّ فارْفَعُوا الراياتِ سُوداً على أَهلِ الضلالَةِ والتَّعَدِّى
فَكَيْف وأَنتُمُ سَبْعُونَ أَلْفاً رَماكُمْ خالِدٌ بِشبيهِ قِرْدِ
وَمَنْ وَلَّى بذِمَّتِهِ رَزِيناً وَشِيعَتَهُ وَلَمْ يُوفِ بِعَهْدِ
ومَنْ غَشَّى قُضَاعَةَ ثَوْبَ خِزْىٍ بِقَتْلِ أَبى سلامَانَ بْنِ سَعْدِ
فَمَهلا يا قُضَاعَ فلَا تكونى تَوابعَ لا أُصولَ لَهَا بِنَجْدِ
وكنْتَ إذا دَعَوْتَ بَنى نِزارٍ أَتاكَ الدُّهْمُ مِنْ سَبْطٍ وَجَعْدِ
فجُدِّعَ مِنْ قُضاعَةَ كلُّ أَنفٍ ولا فازَتْ عَلى يَوْمٍ بمَجْدِ

قال : ورَزِين الذى ذُكِر كان خرج على خالد بن عبد الله بالكوفة ، فأعطاه الأمان ثم لم يَفِ به .

وقال فيه نصر بن سيّار حين أقبل الحارث إلى مَرْو وسوّد راياته — وكان الحارث يرى رأى المرجِئة :

دَعْ عَنكَ دُنيا وَأَهْلاً أَنْتَ تارِكُهمْ ما خَيْرُ دُنيَا وأَهْلٍ لا يَدُومُونا!
إلا بَقيَّةَ أَيامٍ إلى أَجَلٍ فاطلُبْ مِنَ اللهِ أَهلا لا يَمُوتونا
أَكثِر تقَى اللهِ فى الإِسْرارِ مُجْتَهِداً إنَّ التُّقَى خَيْرُهُ ما كان مكْنُونا
واعْلَم بأَنَّكَ بالأَعمالِ مُرْتَهَنٌ فكن لذاكَ كثِيرَ الهَمِّ مَحْزُونا
إنى أَرَى الغَبَنَ المُرْدِى بصاحِبِهِ مَنْ كان فى هٰذه الأَيّامِ مَغْبُونا

---

(١) ط : «من ناه» ، وأثبت ما فى التصويبات .

تكونُ للمَرءِ أَطْوارًا فَتَمنَحُهُ[1] يَوماً عِثارًا وطَوْرًا تمنحُ اللينا[2]

بَينا الفَتَى فى نعيمِ العَيْشِ حَوّلَهُ دَهْرٌ فأمسى به عَنْ ذاك مَزبُونا ١٥٧٦/٢

تحْلو له مَرَّةً حَتَّى يُسَرَّ بها حِينــاً وتُمقِرُهُ[3] طَعماً أَحايِينا

هل غابرٌ مِنْ بَقَايا الدَّهرِ تَنْظُرُهُ إلاَّ كما قد مضى فيما تُقَضُّونا

فامْنحْ جهادَكَ مَنْ لم يَرْجُ آخِرَةً وكن عَدُوًّا لِقَومٍ لا يُصَلُّونا

واقتُلْ مُواليَهمُ مِنَّا ونَاصِرَهُمْ حيناً تكفِّرُهُمْ والعَنْهُمُ حينا

وَالعَائبينَ علينا دِينَنَا وَهُمُ شَرُّ العِبادِ إذا خابَرْتَهُمْ دِينا

والقائلينَ سَبيلُ اللهِ بغْيَتُنــا لَبُعدَ ما نكَبُوا عَمَّا يَقُولونا

فاقتُلهُمُ غَضَباً للهِ مُنْتَصِرًا مِنهُم بِهِ وَدَعِ المُرتاب مَفْتُونا

إِرْجاؤُكُم لزَّكُمْ والشرْكَ فى قَرَنٍ فأَنتُمُ أَهْلُ إشراكٍ وَمُرْجُونا

لا يُبْعِدِ اللهُ فى الأَجْداثِ غَيْرَكُمُ إذ كَانَ دِينكُمُ بالشِّرْكِ مَقْرُونا

أَلقَى بِهِ اللهُ رُعباً فى نُحُورِكمُ واللهُ يَقضِي لنَا الحُسْنى وَيُعْلينا

كَيْما نكُونَ المُوَالِي عِندَ خائِفَةٍ عمَّا تَرُومُ به الإِسْلَام والدينا

وهَلْ تَعيبُونَ مِنَّا كاذِبين بِهِ غالٍ وَمُهتَضِمٍ ، حَسْبي الذى فينا

يـأْبَى الذى كانَ يُبْلِي اللهُ أَوّلَكُمْ على النِّفاقِ وما قد كانَ يُبْلينا

قال : ثم عاد الحارث لمحاربة عاصم ، فلمّا بلغ عاصمًا أن أسد بن عبد الله ١٥٧٧/٢ قد أقبل ، وأنّه قد سيّر على مقدمته محمد بن مالك الهمْدانيّ ، وأنه قد نزل الدندانقان ، صالح الحارث ، وكتب بينه وبينه كتاباً على أن ينزل الحارث أيّ كور خراسان شاء ، وعلى أن يكتبا جميعًا إلى هشام ؛ يسألانه كتاب الله وسنة نبيه ؛ فإن أبى اجتمعا جميعًا عليه . فختم على الكتاب بعض الرؤساء ، وأبى يحيى

(١) ف : « أحياناً » .

(٢) ب : « منها عثاراً » .

(٣) تمقره : أى تمر الطعم له .

ابن حُضَين أن يَختم ، وقال : هذا خَلْعٌ لأمير المؤمنين ؛ فقال خَلَف بن خليفة ليحيى :

أَبَى هَمٌّ قلبِكَ إلاَّ اجتماعا ... ويَأْبَى رُقادُكَ إلا امْتناعَا
بِغيرِ سماعٍ ولم تَلقَنِى ... أُحاوِلُ مِنْ ذَاتِ لهوٍ سماعا
حَفِظنا أُميةَ فى مُلْكِها ... ونَخْطِرُ مِنْ دونها أَنْ تُراعَى
نُدافِعُ عنها وعَنْ مُلْكِهَا ... إذَا لم نَجِدْ بِيَدَيْها امتِناعا
أَبى شَعْبُ ما بينَنَا فى القديمِ ... وبَينَ أُمَيَّةَ إلا انصِداعا
أَلَمْ نَختَطِفْ هامَةَ ابنِ الزُّبيرِ ... ونَنتَزِعِ المُلكَ منه انتِزاعا
جعلنا الخِلافَةَ فى أَهلِها ... إذا اصطَرَعَ الناسُ فيها اصطراعا
نَصرْنا أُميةَ بالمَشْرَفِىِّ ... إذا انْخلَعَ الملكُ عنها انخلاعا
ومنَّا الذى شَدَّ أَهلَ العراق ... ولو غَابَ يَحيَى عن الثَّغْرِ ضاعا
على ابنِ سُرَيجٍ نَقَضْنَا الأُمورَ ... وقد كان أَحكَمَها ما استَطاعا
حَكيمٌ مقالَتُهُ حِكْمَةٌ ... إذا اشتّت القومِ كانت جِماعا
عَشيَّةَ زَرْقٍ وقد أَزمَعُوا ... قَمَعْنا مِنَ الناكِثِينَ الزَّماعا
ولولَا فتى وائِلٍ لَمْ يكنْ ... لِيُنضِجَ فيها رَئيسٌ كُراعا
فَقلْ لأُميّةَ تَرْعَى لنا ... أَيادِىَ لم نُجْزَها واصْطِناعا
أَتَلهِينَ عَنْ قتلِ ساداتِنا ... ونَأْبَى لحقكِّ إلاَّ اتّباعا
أَمَنْ لَمْ يُبِعْكِ مِنَ المُشتَرينَ ... كآخَرَ صادَفَ سُوقاً فَباعا !
أَبى ابنُ حُضَيْنٍ لِما تَصْنَعينَ ... إلاَّ اضطلاعا وإلّا اتّباعا
ولو يَأْمَنُ الحارثُ الوائلينَ ... لراعكِ فى بعضِ مَنْ كان راعا
وقد كانَ أَصْعَرَ ذَا نَيْرَبٍ ... أَشاعَ الضَّلالةَ فيما أَشاعا
كَفَيْنَا أُميةَ مَختُومةً ... أَطاعَ بها عاصمٌ مَنْ أَطاعا

١٥٧٨/٢

فلولا مَرَاكزُ راياتِنــا ... مِن الجندخافَ الجنودُ الضَّياعا
وَصَلْنَا القَدِيمَ لَهَا بالحَدِيث ... وتأْبَى أمَيَّةُ إلا انْقطَاعا
ذَخائِرُ فى غَيْرِنَا نَفْعُها ... وما إنْ عَرَفنا لَهُنّ انتفاعا
وَلَوْ قَدَمَتْها وَبَانَ الحجا ... بُلارْتَعْتِ بِيْنَ حشماكِ ارتياعا
فأَين الوَفَاءُ لأَهْلِ الوَفَاءِ ... والشُّكْرُ أَحْسَنُ مِنْ أَن يُضاعا!
وَأَيْنَ ادِّخارُ بَنِى وائلٍ ... إذاالذُّخرُفى الناس كان ارتجاعا!
أَلَمْ تعلَمِى أَنَّ أَسيافَنَا ... تُداوِى العَلِيلَ وتَشْفِى الصُّداعا! ١٥٧٩/٢
إِذَا ابْنُ حُضَيْنٍ غَدا باللواءِ ... أَسلمَ أَهلُ القِلاعِ القِلاعا
إذا ابنُ حُضَينٍ غدَا باللــواءِ ... أشارَ النُّسُورَ به والضِّباعا
إذا ابن حضينٍ غدا باللواءِ ... ذَكَّى وكانَتْ مَعَدٌّ جُداعا

قال : وكان عاصم بن سليمان بن عبد الله بن شَراحيل اليشكرىّ من أهل الرّأى ، فأشار على يحيى بنقض الصحيفة ؛ وقال له : « غمراتٌ ثم ينجلينَ » ، وهى المغمِّضات ، فغمّض .

قال : وكان عاصم بن عبدالله فى قرية بأعلى مَرْو لكندة ، ونزل الحارث قرية لبنى العنبر ؛ فالتقوْا بالخيل والرّجال ، ومع عاصم رجل من بنى عَبْس فى خمسمائة من أهل الشأم وإبراهيم بن عاصم العُقَيلىّ فى مثل ذلك ؛ فنادى منادى عاصم : مَنْ جاء برأسٍ فله ثلثمائة درهم ؛ فجاء رجل من عمّاله برأس وهو عاضّ على أنفه ، ثم جاءه رجل من بنى ليث — يقال له ليث بن عبد الله — برأس ، ثم جاء آخر برأس ، فقيل لعاصم : إن طمع الناس فى هذا لم يَدَعوا ملاّحا ولا عِلْجاً إلا أتوْك برأسه ؛ فنادى مناديه : لا يأتنا أحد برأس ؛ فمن أتانا به فليس له عندنا شىء ؛ وانهزم أصحابُ الحارث فأسروا منهم أسارَى ، ١٥٨٠/٢ وأسروا عبد الله بن عمرو المازنىّ رأس أهل مَرْو الرّوذ . وكان الأسراء ثمانين ؛ أكثرهم من بنى تميم ، فقتلهم عاصم بن عبد الله على نهر الداندانقان . وكانت اليمانية بعثت من الشأم رجلا يعدل بألف يكنى أبا داود ، أيّام العصبيّة فى

خمسمائة ؛ فكان لا يمرّ بقرية من قُرى خراسان إلا قال : كأنكم بى قد مررتُ راجعًا حاملا رأس الحارث بن سُريج ؛ فلما التقوْا دعا إلى البراز ، فبرز له الحارث بن سُريج ؛ فضربه فَوْق منكبه الأيسر فصرعه ، وحامى عليه أصحابه فحملوه فخولط ؛ فكان يقول : يا أبرشهر الحارث بن سريجاه ! يا أصحاب المعموراه ! ورمِىَ فرس الحارس بن سريج فى لَبَانه، فنزع النّشابة؛ واستحضره وألحّ عليه بالضّرب حتى نزّقه[١] وعرّقه ، وشغله عن ألم الجراحة .

قال : وحمل عليه رجل من أهل الشأم ؛ فلما ظنّ أن الرمح مخالطُه ؛ مال عن فرسه واتّبع الشأمىّ، فقال له : أسألك بحرمة الإسلام فى دمى ! قال : انزل عن فرسك ؛ فنزل وركبه الحارث ، فقال الشأمىّ : خذ السرج ؛ فوالله إنه خير من الفرس، فقال رجل من عبد القيس :

تَوَلَّتْ قرَيشٌ لَذَّةَ العَيْشِ وَاتَّقَتْ ... بِنا كُلَّ فَجٍّ من خُراسان أَغْبَرا

١٥٨١/٢ فلَيتَ قُرَيشاً أَصبحوا ذات ليلَةٍ ... يَعومُونَ فى لُجٍّ من البحرِ أخضَرا

قال : وعظّم أهل الشأم يحيى بن حُضَين لما صنع فى أمر الكتاب الذى كتبه عاصم ، وكتبوا كتابًا ، وبعثوا مع محمد بن مسلم العنبرىّ ورجل من أهل الشأم ، فلقوا أسد بن عبد الله بالرّىّ — ويقال : لقوه ببيْهق — فقال: ارجعوا فإنى أصلح هذا الأمر، فقال له محمد بن مسلم : هُدمتْ دارى ، فقال : أبنيها لك ، وأردّ عليكم كلّ مظلمة .

قال : وكتب أسد إلى خالد ينتحل أنه هزم الحارث ، ويخبره بأمر يحيى . قال : فأجاز خالد يحيى بن حُضين بعشرة آلاف دينار وكساه مائة حلّة[٢] . قال : وكانت ولاية عاصم أقلّ من سنة — قيل كانت سبعة أشهر — وقدم أسد ابن عبد الله وقد انصرف الحارث ، فحبس عاصمًا وسأله عمّا أنفق ، وحاسبه فأخذه بمائة ألف درهم ، وقال : إنك لم تغزُ ولم تخرج من مَرْو ، ووافق عمارة بن حُرَيم[٣] وعمّال الجُنيد محبوسين عنده؛ فقال لهم : أسير فيكم بسيرتنا أم بسيرة قومكم ؟ قالوا: بسيرتك ، فخلّى سبيلَهم .

(١) نزقة : ضربه ضرباً شديداً . (٢) ابن الأثير : « ومائة من الخيل » .
(٣) ابن الأثير : « وأطلق عمارة بن حريم » .

قال عليّ عن شيوخه : قالوا : لما بلغ هشامَ بن عبد الملك أمرُ الحارث ٢/١٥٨٢ ابن سريج ، كتب إلى خالد بن عبد الله : ابعث أخاك يصلح ما أفسد ؛ فإن كانت رجيّة فلتكن به . قال : فوجّه أخاه أسدًا إلى خراسان ، فقدِم أسد وما يملك عاصم من خراسان إلاّ مَرْو وناحية أبرشهر ، والحارث بن سريج بمرْو الرّوذ وخالد بن عبيد الله الهجريّ بآمُل ، ويخاف[1] إن قصد للحارث بمرْو الروذ دخل خالد بن عبيد الله مَرْو من قِبَل آمُل ، وإن قصد لخالد دخلها الحارث من قِبَل مَرْو الرّوذ ، فأجمع على أن يوجّه عبد الرحمن بن نُعيم الغامديّ فى أهل الكوفة وأهل الشام فى طلب الحارث إلى ناحية مَرْو الرّوذ . وسار أسد بالناس إلى آمُل، واستعمل على بنى تميم الحَوْثرة بن يزيد العنبريّ، فلقيهم خيل لأهل آمُل ، عليهم زياد القرشيّ مولى حيّان النَّبَطيّ عند ركايا عثمان ، فهزمهم حتى انتهوْا إلى باب المدينة ، ثم كرُّوا على الناس ، فقتِل غلام لأسد بن عبدالله يقال له جَبَلة ؛ وهو صاحب عَلَمه ، وتحصّنوا فى ثلاث مدائن لهم .

قال : فنزل عليهم أسد وحصَرهم، ونصب عليهم المجانيق ، وعليهم خالد ابن عبيد الله الهجريّ من أصحاب الحارث، فطلبوا الأمان، فخرج إليهم رويد ابن طارق القطعيّ ومولى لهم ، فقال: ما تطلبون ؟ قالوا : كتاب الله وسنة نبيه ٢/١٥٨٣ صلى الله تعالى عليه وسلم ، قال : فلكم ذلك، قالوا : على ألاّ تأخذ أهل هذه المدن بجنايتنا . فأعطاهم ذلك ، واستعمل عليهم يحيى بن نعيم الشيبانيّ أحد بنى ثعلبة بن شيبان، ابن أخى مصقلة بن هبيرة. ثم أقبل أسد فى طريق زمّ يريد مدينة بلْخ ؛ فتلقاه مولًى لمسلم بن عبد الرحمن، فأخبره أنّ أهل بلخ قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم . فقدم بلخ، واتّخذ سفنًا وسار منها إلى التّرمذ ، فوجد الحارث محاصراً سنانًا الأعرابىّ السُّلَمِيّ ، ومعه بنو الحجّاج بن هارون النميريّ، وبنو زُرْعة وآل عطية الأعور النّضريّ فى أهل التّرمذ، والسبل مع الحارث ، فنزل أسد دون النّهر ،ولم يطق القطوع إليهم ولا أن يمدّهم ، وخرج أهل التِّرمذ من المدينة، فقاتلوا الحارث قتالا شديداً ، وكان الحارث استطرد لهم ، ثم كرّ عليهم ، فانهزموا فقتل يزيد بن الهيثم بن

(١) ب : « يخاف » ، ابن الأثير : « فخاف » .

المنخّل وعاصم بن معوّل النّجليّ فى خمسين ومائة من أهل الشأم وغيرهم؛ وكان بشر بن جُرموز وأبو فاطمة الأيادىّ ومن كان مع الحارث من القرى يأتون أبواب التِّرمذ، فيبكون ويشكون بنى مَرْوان وجَوْرَهم؛ ويسألونهم النُّزول إليهم على أن يمالئوهم على حَرْب بنى مروان فيأبوْن عليهم؛ فقال السّبل وهو مع الحارث: يا حارث؛ إن الترمذ قد بُنيت بالطبول والمزامير؛ ولا تُفتَح بالبكاء وإنما تفتح بالسيف، فقاتِل إن كان بك قتال. وتركه السبل وأتى بلاده. ٢/١٥٨٤

قال: وكان أسد حين مرّ بأرض زَمّ تعرّض للقاسم الشيبانىّ وهو فى حصن بزَمّ يقال له باذكر؛ ومضى حتى أتى التّرْمذ، فنزل دون النهر، ووضع سريره على شاطئ النهر؛ وجعل الناس يعبرون؛ فمن سفلت سفينته عن سفن المدينة قاتلهم الحارث فى سفينة؛ فالتقوْا فى سفينة فيها أصحاب أسَد، فيهم أصغر بن عيناء الحميرىّ، وسفينةُ أصحاب الحارث فيها داود الأعسر، فرمى أصغر فصكّ السفينة، وقال: أنا الغلام الأحمرىّ، فقال داود الأعسر: لأمْرٍ ما انتميت إليه، لا أرض لك! وألزق سفينته بسفينة أصغر فاقتتلوا؛ وأقبل الأشكند — وقد أراد الحارث الانصراف — فقال له: إنما جئتك ناصراً لك؛ وكمن الأشكند وراء دير؛ وأقبل الحارث بأصحابه؛ وخرج إليه أهل التِّرمذ، فاستطرد لهم فاتّبعوه، ونصر مع أسد جالس ينظر؛ فأظهر الكراهيَة، وعرف أنّ الحارث قد كادهم، فظنّ أسد أنه إنما فعل ذلك شفقة على الحارث حين ولّى؛ فأراد أسد معاتبة نصر؛ فإذا الأشكند قد خرج عليهم؛ فحمل على أهل التِّرمذ فهربوا. وقتِل فى المعركة يزيد بن الهيثم بن المنخّل الجرموزىّ من الأزْد وعاصم بن معوّل — وكان من فرسان أهل الشأم — ثم ارتحل أسد إلى بلْخ، وخرج أهل التِّرمذ إلى الحارث فهزموه؛ وقتلوا أبا فاطمة وعِكْرمة وقومًا من أهل البصائر، ثم سار أسد إلى سَمَرْقند فى طريق زَمّ؛ فلما قدم زَمّ بعث إلى الهيثم الشيبانىّ — وهو فى باذكر؛ وهو من أصحاب الحارث — فقال: إنّكم إنما أنكرتم على قومكم ما كان من سوء سيرتهم؛ ولم يبلغ ذلك النّساء ولا استحلال الفُروج ولا غلبة المشركين على مثل سمَرْقند؛ وأنا أريد سمَرْقند؛ ٢/١٥٨٥

وعلىّ عهد الله وذمّته ألّا يبدأك منى شرٌّ ؛ ولك المؤاساة واللطف والكرامة والأمان ولمن معك ؛ وأنت إن غمصت ما دعوتُك إليه فعلىّ عهد الله وذمّة أمير المؤمنين وذمّة الأمير خالد إن أنت رميتَ بسهم ألّا أؤمّنك بعده؛ وإن جعاتُ لك ألف أمان لا أفِى لك به . فخرج إليه على ما أعطاه من الأمان فآمنه ، وسار معه إلى سَمَرْقند فأعطاهم عطاءين ، وحملهم على ما كان من دوابّ ساقها معه ، وحمل معه طعامًا من بُخارى، وساق معه شاءً كثيرة ٢/١٥٨٦ من شاء الأكراد قسمها فيهم ؛ ثم ارتفع إلى ورغسَر وماءُ سمرقند منها ، فسكر الوادى وصرفه عن سَمَرْقند ؛ وكان يحمل الحجارة بيديه حتى يطرحها فى السّكْر[1] ، ثم قفل من سَمَرْقند حتى نزل بلْخ .

وقد زعم بعضُهم أن الذى ذكرت من أمر أسد وأمر أصحاب الحارث كان فى سنة ثمان عشرة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السّنة خالد بن عبد الملك .

وكان العامل فيها على المدينة ، وعلى مكة والطائف محمد بن هشام بن إسماعيل ، وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله ، وعلى أرمينيَة وأذربيجان مروان بن محمد .

وفيها توفّيت فاطمة بنت علىّ وسكينة ابنة الحسين بن علىّ .

* * *

[أمر أسد بن عبد الله مع دعاة بنى العباس]

وفى هذه السنة أخذ أسد بن عبد الله جماعة من دُعاة بنى العباس بخراسان ، فقتل بعضهم، ومثّل ببعضهم، وحبس بعضهم؛ وكان فيمن أخذ سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ وخالد بن إبراهيم وطلحة بن رُزَيق ؛ فأتِىَ بهم، فقال لهم: يا فسَقة، ألم يقل الله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ! [2]

---

(١) سكر النهر ؛ سد فاه . والسكر : الشق ومنفرج الماء .

(٢) سورة المائدة الآية ٩٥ .

فذُكر أن سليمان بن كثير قال : أتكلم أم أسكت ؟ قال : بل تكلّم ،
٢/١٥٨٧ قال : نحن والله كما قال الشاعر :

لو بغير الماءِ حَلْقِى شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ ؛ بالماءِ اعْتِصارِى[١]

تدرى ما قصتنا ؟ صِيدت والله العقارب بيدك أيّها الأمير ؛ إنا أناس من قومك ، وإن هذه المضريّة إنما رفعوا إليك هذا لأنا كنا أشدّ الناس على قتيبة بن مسلم ؛ وإنما طلبوا بثأرهم . فتكلّم ابنُ شريك بن الصامت الباهلىّ ، وقال : إنّ هؤلاء القوم قد أخِذُوا مرّة بعد مرّة ، فقال مالك بن الهيثم : أصلح الله الأمير ! ينبغى لك أن تعتبر كلام هذا بغيره ؛ فقالوا : كأنك يا أخا باهلة تطلبنا بثأر قتيبة ! نحن والله كنا أشدّ الناس عليه ؛ فبعث بهم أسد إلى الحبس ، ثم دعا عبد الرحمن بن نُعيم فقال له : ما ترى ؟ قال : أرى أن تمنّ بهم على عشائرهم ؛ قال : فالتميميان اللذان معهم ؟ قال : تخلّى سبيلهما ، قال : أنا إذاً من عبد الله بن يزيد نفِىّ ، قال : فكيف تصنع بالرّبعىّ ؟ قال : أخلّى والله سبيله . ثم دعا بموسى بن كعب وأمر به فألجم[٢] بلجام حمار ، وأمر باللجام أن يجذب فجذِب حتى تحطّمت أسنانه ، ثم قال : اكسروا وجهه ، فدُقّ أنفه ، ووجأ لحيته ، فنَدَر ضرس له . ثم دعا
٢/١٥٨٨ بلاهز بن قريط ، فقال لاهز : والله ما فى هذا الحق[٣] أن تصنع بنا هذا ، وتترك اليمانيّين والربَعيين ، فضربه ثلثمائة سوط ، ثم قال : اصلبوه ، فقال الحسن بن زيد الأزدىّ : هو لى جار وهو برىء مما قُذِف به ؛ قال : فالآخرون ؟ قال : أعرفهم بالبراءة ، فخلّى سبيلهم .

---

(١) لعدى بن زيد ، الأغانى ٢ : ١٦٤ . والاعتصار أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر الماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا .
(٢) ح : « وألجم » . (٣) ابن الأثير : « ما هذا بحق » .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك غزوة معاوية وسليمان ابنى هشام بن عبد الملك أرض الروم .

* * *

[ولاية عمار بن يزيد على شيعة بنى العباس بخراسان]

وفيها وجّه بكير بن ماهان عمّار بن يزيد إلى خُراسان واليًا على شيعة بنى العباس ؛ فنزل – فيما ذكر – مرْو ، وغيّر اسمه وتسمى بخِداش ، ودعا إلى محمد بن علىّ ؛ فسارع إليه الناس ، وقبلوا ما جاءهم به ؛ وسمعوا إليه وأطاعوا ، ثم غيّر ما دعاهم إليه ، وتكذّب وأظهر دين الخُرَّميّة ؛ ودعا إليه ورخّص لبعضهم فى نساء بعض ؛ وأخبرهم أن ذلك عن أمر محمد بن علىّ ؛ فبلغ أسد بن عبد الله خبرُه ، فوضع عليه العيون حتى ظفر به ، فأُتِىَ به ؛ وقد تجهّز لغزو بلخ ؛ فسأله عن حاله ، فأغلظ خِداش له القول ، فأمر به فقطِعت يده ، وقلع لسانه وسُملت عينه .

* * *

[ذكر ما كان من الحارث بن سريج مع أصحابه]

فذكر علىّ بن محمد عن أشياخه ، قال : لما قدم أسد آمُل فى مبدئه ، أتوه بخِداش صاحب الهاشميّة ، فأمر به قَرْعة الطبيب ، فقطع لسانه ، وسمل عينه ، فقال : الحمد لله الذي انتقم لأبى بكر وعمر منك ! ثم دفعه إلى يحيى بن نعيم الشّيبانىّ عامل آمُل . فلما قفل من سَمَرْقند كتب إلى يحيى فقتله وصلبه بآمُل ، وأتِىَ أسد بحَزَوّر مولى المهاجر بن دارة الضّبّىّ ، فضرب عنقه بشاطئ النهر . ثم نزل أسد منصرفَه من سَمَرْقند بلْخ ، فسرّح جُدَيْعاً الكِرمانىّ إلى القلعة التى فيها ثَقَل الحارث وثقل أصحابه – [1] واسم القلعة التَّبوشكان من طخارستان العليا ، وفيها بنو بَرْزَى التّغلبيّون ، وهم أصهار الحارث – فحصرهم الكرمانىّ حتى فتحها ، فقتل مقاتلَتهم وقتل بنى بَرْزَى ، ١٠٨٩/٢

---

(١) من هنا تبدأ المقابلة على نسخة ا ، الجزء الحادى عشر من تجزئة هذه النسخة .

وسبى عامّة أهلها من العرب والموالى والذرارىّ، وباعهم فيمن يزيد فى سوق بلخ، فقال علىّ بن يَعْلَى — وكان شهد ذلك : نقم على الحارث أربعمائة وخمسون رجلاً من أصحابه ؛ وكان رئيسهم جرير بن ميمون القاضى ؛ وفيهم بشر بن أنيف الحنظلى وداود الأعسر[1] الخوارزمىّ . فقال الحارث : إن كنتم لا بد مفارقىّ
٢/١٥٩٠ وطلبتم الأمان ، فاطلبوه وأنا شاهد ؛ فإنه أجدر أن يجيبوكم ، وإن ارتحلتُ قبل ذلك لم يعطوا الأمان ، فقالوا : ارتحل أنت وخلّنا . ثم بعثوا بشر بن أنيف ورجلا آخر ، فطلبوا الأمان فأمّنهما أسد ووصلهما ، فغدروا بأهل القلْعة ، وأخبراه أنّ القوم ليس لهم طعامٌ ولا ماءٌ ، فسرّح أسد الكرمانىّ فى ستة آلاف ؛ منهم سالم بن منصور البَجَلىّ[2] ، على ألفين ، والأزهر بن جُرموز النميرىّ فى أصحابه ، وجند بلْخ وهم ألفان وخمسمائة من أهل الشأم ؛ وعليهم صالح بن القعقاع الأزدىّ ؛ فوجّه الكِرمانىّ منصور بن سالم فى أصحابه ، فقطع نهر ضرغام ؛ وبات ليله[3] وأصبح ، فأقام حتى متَع النهار ؛ ثم سار يومَه قريبًا من سبعة عشر فرسخًا ، فأتعب خيله ، ثم انتهى إلى كشّم من أرض جبغويه ؛ فانتهى إلى حائط فيه زَرْع قد قُصّب ، فأرسل أهل العسكر دوابّهم فيه ، وبينهم وبين القلعة أربعة فراسخ . ثم ارتحل فلما صار إلى الوادى جاءته الطلائع فأخبرته بمجىء القوم ورأسهم المهاجر بن ميمون ؛ فلما صاروا إلى الكِرمانىّ كابدهم[4] فانصرفوا ، وسار حتى نزل جانبًا من القلعة ؛ وكان أول ما نزل فى زهاء[5] خمسمائة فى مسجد كان الحارث بناه ؛ فلما أصبح تتامّت إليه الخيل، وتلاحقت من أصحاب الأزهر وأهل بلْخ .

٢/١٥٩١ فلما اجتمعوا خطبهم الكرمانىّ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يأهلَ بلخ ؛ لا أجد لكم مثلا غيرَ الزّانية ؛ مَنْ أتاها أمكنته[6] من رجلها[7] ؛ أتاكم الحارث فى ألف رجل من العجم فأمكنتموه من مدينتكم ، فقتل أشرافكم ، وطرد أميرَكم ، ثم سرتم معه من مكانفيه إلى مَرْو فخذلتموه ، ثم انصرف إليكم منهزمًا فأمكنتموه من المدينة ؛ والذى نفسى بيده لا يبلغنى عن رجل

---

(١) ا : « الأعشر » . (٢) ح ، ف : « العجلىّ » .
(٣) ا : « ليلته » . (٤) ح ، ف : « كاتبهم » .
(٥) ف : « رهط » . (٦) ف : « مكنته » . (٧) ا : « رحلها » .

منكم كتب كتابًا إليهم فى سَهْم إلا قطعتُ يده ورجله وصلبته ؛ فأما مَن كان معى من أهل مَرْو فهم خاصتى ، ولست أخاف غدرهم ، ثم نهد إلى القلعة فأقام بها يومًا وليلة من غير قتال ؛ فلما كان من الغد نادى مناد : إنا قد نَبَذْنا إليكم بالعهد ؛ فقاتلوهم ؛ وقد عطش القوم وجاعوا ؛ فسألوا أن ينزلوا على الحكم ويُترك لهم نساؤهم وأولادهم ، فنزلوا على حكم أسد ، فأقام أيامًا . وقدم المهلب بن عبد العزيز العتكىّ بكتاب أسد ، أن احملوا إلىّ خمسين رجلا منهم ؛ فيهم المهاجر بن ميمون ونظراؤه من وجوههم ؛ فحملوا إليهم فقتلهم ؛ وكتب إلى الكرمانىّ أن يصيّر الذين بقوا عنده أثلاثًا ، فثلث يصلّبهم ، وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم ، وثلث يقطع أيديهم ؛ ففعل ذلك الكِرمانىّ ، وأخرج أثقالهم فباعها فيمن يزيد ، وكان الذين قتلهم وصلبهم أربعمائة. واتّخذ أسد مدينة بلخ دارًا فى سنة ثمان عشرة ومائة ، ونقل إليها الدواوين واتخذ المصانع ، ثم غزا طَخارستان ثم أرض جبْغويه ، ففتح وأصاب سَبْيًا .

* * *

وفى هذه السنة عزل هشام خالدَ بن عبد الملك بن الحارث بن الحكَم عن المدينة ، واستعمل عليها محمد بن هشام بن إسماعيل . ذكر الواقدىّ أن أبا بكر بن عمرو بن حَزْم يوم عزل خالد عن المدينة جاءه كتاب بإمْرته[1] على المدينة ؛ فصعد المنبر ، وصلى بالنّاس ستّة أيام ، ثم قدم محمد بن هشام من مكة عاملا على المدينة . ١٥٩٢/٢

* * *

وفى هذه السنة مات علىّ بن عبد الله بن العباس؛ وكان يكنى أبا محمد ، وكانت وفاته بالحُمَيْمة من أرض الشأم؛ وهو ابن ثمان ـ أو سبع ـ وسبعين سنة. وقيل إنه ولد فى الليلة التى ضرب فيها علىّ بن أبى طالب وذلك ليلة سبع عشرة من رمضان من سنة أربعين ، فسمّاه أبوه عليًّا ، وقال : سميته باسم أحبّ الخلق إلىّ ، وكناه أبا الحسن ، فلما قدم على عبد الملك بن مروان أكرمه وأجلسه على سريره ، وسأله عن كنيته فأخبره ، فقال : لا يجتمع فى عسكرى هذا

---

(١) ف : « أمرته » .

الاسم والكنية لأحد ؛ وسأله : هل وُلِدَ له من ولد ؟ وكان قد ولد له يومئذ محمد بن علىّ ، فأخبره بذلك ، فكناه أبا محمد .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة والمدينة والطائف .

وقد قيل إنما كان عامل المدينة فى هذه السنة خالد بن عبد الملك ، وكان إلى محمد بن هشام فيها مكة والطائف ؛ والقول الأول قول الواقدىّ .

١٥٩٣/٢ وكان على العراق خالد بن عبدالله ، وإليه المشرق كله ، وعامله على خُراسان أخوه أسد بن عبد الله ، وعامله على البصرة وأحداثها وقضائها والصّلاة بأهلها بلال بن أبى بُرْدة ، وعلى أرمينيَة وأذْرَبيجان مَرْوان بن محمد بن مروان .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأَحداث

فمن ذلك غزوة الوليد بن القعقاع العبسىّ أرضَ الروم .

وفيها غزا أسد بن عبد الله الخُتَّل ، فافتتح قلعة زغرزك ؛ وسار منها إلى خِداش ، وملأ يديه من السّبى والشاء ؛ وكان الجيش قد هرب إلى الصين .

* * *

[ذكر غزو الترك ومقتل خاقان]

وفيها لقى أسد خاقان صاحب التّرك فقتله ، وقتل بشرًا كثيراً من أصحابه ، وسلم أسد والمسلمون ، وانصرفوا بغنائم كثيرة وسَبْى .

ذكر الخبر عن هذه الغزوة :

ذكر علىّ بن محمد عن شيوخه ؛ أنهم قالوا : كتب ابن السائجىّ إلى خاقان أبى مُزاحم — وإنما كنى أبا مزاحم لأنه كان يزاحم العرب — وهو مُوالث(١) ، يعلمه دخول أسد الختّل وتفرّق جنوده فيها ؛ وأنه بحال مَضيعة (٢) . ١٥٩٤/٢
فلما أتاه كتابه أمر أصحابه بالجهاز — وكان لخاقان مرْج وجبل حِمًى لا يقربهما أحد ، ولا يتصيّد فيهما ، يتركان للجهاد فضاء ، ما كان فى المرْج ثلاثة أيام ، وما فى الجبل ثلاثة أيام — فتجهّزوا وارتعوا ودبغوا مُسوك الصّيد ؛ واتخذوا منها أوعية ؛ واتخذوا القسىّ والنّشّاب ، ودعا خاقان ببرذون مسرَج ملجَم ، وأمر بشاة فقُطِعت ثم علّقت فى المعاليق ، ثم أخذ شيئًا من مِلْح فصيّره فى كيس ، وجعله فى منطقته ؛ وأمر كلّ تركىٍّ أن يفعل مثل ذلك ، وقال : هذا زادكم حتى تلقوا العرب بالخُتّل .

وأخذ طريق خُشوراغ ؛ فلما أحسّ ابن السائجىّ أنّ خاقان قد أقبل بعث إلى أسد : اخرج عن الختّل فإن خاقان قد أظلّك . فشتم رسولَه ، ولم يصدّقه ؛ فبعث صاحب الخُتّل : إنّى لم أكذبك ؛ وأنا الذى أعلمته دخولك ؛

(١) كذا فى ا ، والولث : العهد . (٢) المضيعة : الهوان .

وتفرّق جندك ، وأعلمته أنها فُرْصة له ، وسألته المدد ، غير أنك أمعرت[١] البلاد ، وأصبت الغنائم ؛ فإن لقيك على هذه الحال ظفِر بك ؛ وعادتنى العرب أبدًا ما بقيت . واستطال علىّ خاقان واشتدّت مؤونته ؛ وامتنّ علىّ بقوله : أخرجتُ العرب من بلادك ، ورددت عليك ملكك ؛ فعرف أسد أنه قد صدَقه ، فأمر بالأثقال أن تُقدَّم ، وولّى عليها إبراهيم بن عاصم العقيلىّ ٢/١٥٩٥ الجَزرىّ ، الذى كان ولىَ سجستان بعدُ ، وأخرج معه المشيخة ، فيهم كَثير ابن أمية وأبو سليمان بن كثير الخُزاعىّ وفُضَيل بن حيّان المهرىّ وسنان بن داود القطعىّ ، وكان على أهل العالية سِنان الأعرابىّ السُّلمىّ ، وعلى الأقباض عثمان ابن شباب الهمَذانىّ ، جدّ قاضى مَرْو ، فسارت الأثقال ؛ فكتب أسد إلى داود بن شُعيب والأصبغ بن ذؤالة الكلبىّ — وقد كان وجّههما فى وجه : إنّ خاقان قد أقبل ، فانضمّا إلى الأثقال ؛ إلى إبراهيم بن عاصم .

قال : ووقع إلى داود والأصبغ رجل دَبُوسىّ ، فأشاع أنّ خاقان قد كسر[٢] المسلمين ، وقتل أسداً .

وقال الأصبغ : إن كان أسد ومَن معه أصيبوا فإنّ فينا هشامًا ننحاز إليه ؛ فقال داود بن شعيب : قبح الله الحياة بعد أهل خراسان ! فقال الأصبغ : حبّذا الحياة بعد أهل خراسان ! قتِل الجرّاح ومن معه فما ضرّ المسلمين كثير ضرّ ، فإن هلك أسد وأهل خراسان فلن يخذل الله دينَه ، وإنّ الله حىّ قيوم ؛ وأمير المؤمنين حىّ وجنود المسلمين كثير . فقال داود : أفلا ننظر ما فعل أسد فنخرج على علم ! فسارا حتى شارفا عسكر إبراهيم فإذا هما بالنِّيران ، فقال داود : هذه نيران المسلمين أراها متقاربة ونيران الأتراك متفرّقة ؛ فقال الأصبغ : هم فى مَضيق . ودنَوا فسمعوا نهيق الحمير ، ٢/١٥٩٦ فقال داود : أما علمت أنّ الترك ليس لهم[٣] حمير ! فقال الأصبغ : أصابوها بالأمس ؛ ولم يستطيعوا أكلها فى يوم ولا اثنين ؛ فقال داود : نسرّح فارسين فيكبِّران ؛ فبعثا فارسين ؛ فلما دنوَا من العسكر كبّرا ، فأجابهما[٤] العسكر

---

(١) أمعرت البلاد ، أى سلبت ما فيها .
(٢) ح ، ف : « هزم » .
(٣) ب : « لها » .
(٤) ا : « فأجابهم » .

بالتكبير ، فأقبلوا إلى العسكر الذى فيه الأثقال ؛ ومع إبراهيم أهل الصغانيان وصَغان خُذاه ؛ فقام إبراهيم بن عاصم مبادراً .

قال : وأقبل أسد[1] من الختّل نحو جبل المِلْح يريد أن يخوض نهر بَلْخ ، وقد قطع إبراهيم بن عاصم بالسّبي وما أصاب . فأشرف أسد على النهر وقد أتاه أن خاقان قد سار من سوياب[2] سبع عشرة ليلة ، فقام إليه أبو تمام بن زَحْر وعبد الرحمن بن خنفر الأزديّان ، فقالا : أصلح الله الأمير ! إنّ اللهُ قد أحسن بلاءك فى هذه الغزوة فغنمت وسلمت فاقطعْ هذه النّطفة ، واجعلها وراء ظهرك . فأمر بهما فوُجِئَت رقابهما ، وأُخرِجا من العسكر وأقام يومه . فلما كان من الغد ارتحلَ وفى النّهر ثلاثة وعشرون موضعاً يخوضه النّاس ، وفى موضع مجتمع ماء يبلغ دفّتى السرّج ، فخاضه الناس ، وأمر أن يحمل كلّ رجل شاة ، وحمل هو بنفسه شاة ؛ فقال له عثمان بن عبد الله بن مطرّف ابن الشّخّير : إنّ الذى أنت فيه من حمل الشاة ليس بأخطر مما تخاف ؛ وقد فرّقتَ الناس وشغلتهم ، وقد أظلك عدوّك ، فدَعْ هذا الشاء[3] لعنة الله عليه ، وأمر الناس بالاستعداد . فقال أسد : والله لا يعبُر رجل ليست معه شاة حتى تفنى هذه الغنم إلا قطعت يدَه ، فجعل الناس يحملون الشّاء ؛ الفارس يحملها بين يديه والراجل على عُنقه ؛ وخاض الناس . ويقال : لما حفرت سنابك الخيل النهر صار بعض المواضع سباخة[4] فكان بعضهم يميل فيقع عن دابته ، فأمر أسد بالشاء أن تقذف ، وخاض الناس ، فما استكملوا العبور حتى طلعت عليهم الترك بالدّهْم ؛ فقتلوا مَن لم يقطع ، وجعل الناس يقتحمون النّهر — ويقال كانت المسلحة على الأزْد وتميم ، وقد خلّف ضَعفة الناس — وركب أسد النّهر ، وأمر بالإبل أن يقطع بها إلى ما وراء النهر ، حتى تحمل عليها الأثقال ؛ وأقبل رَهَجٌ من ناحية الخُتَّل ؛ فإذا خاقان ؛ فلما توافَى معه صدْر من جنده حمل على الأزْد وبنى تميم فانكشفوا ، وركض أسد حتى انصرف إلى معسكره ، وبعث إلى أصحاب الأثقال الذين كان سرّح أمامه . أن انزلوا وخندقوا مكانكم فى بطن الوادى . قال : وأقبل خاقان ، فظنّ المسلمون

١٥٩٧/٢

(١) ا : « إبراهيم » .
(٢) ط : « سويات » ، وما أثبته من التصويبات .
(٣) ف : « الشاة » .
(٤) ط : « سباحة » .

أنه لا يقطع إليهم وبينهم وبينه النهر ؛ فلما نظر خاقان إلى النّهر أمر الأشكند — وهو يومئذ أصبهبذ نسف[1] — أن يسير فى الصفّ حتى يبلغ أقصاه ، ويسأل الفرسان وأهل البَصَر بالحرب والماء : هل يطاق قطوع النهر والحمل على أسد ؟ فكلّهم يقول : لا يطاق ؛ حتى انتهى إلى الأشتيخَن ، فقال : بلى يطاق ، لأنّا خمسون ألف فارس ؛ فإذا نحن اقتحمنا دفعة واحدة ردّ بعضنا عن بعض الماء فذهب جِرْيته . قال : فضربوا بكوساتهم[2] فظنّ أسد ومن معه أنه منهم وعيد ، فأقحموا دوابّهم ، فجعلت تنخر أشدّ النخير ؛ فلما رأى المسلمون اقتحامَ الترك ولّوا إلى العسكر ، وعبرت الترك فسطع رَهَجٌ عظيم لا يبصر الرّجل دابّته ، ولا يعرف بعضهم بعضًا ؛ فدخل المسلمون عسكَرهم وحَوَوْا ما كان خارجًا ، وخرج الغلمان بالبراذِع والعَمَد ، فضربوا وجوه الترك ؛ فأدبروا ، وبات أسد ؛ فلما أصبح — وقد كان عبّأ أصحابه من الليل تخوّفًا مِن غَدْر خاقان وغدْوه عليه ، ولم ير شيئًا — دعا وجوه الناس فاستشارهم ، فقالوا له : اقبل العافية ، قال : ما هذه عافية ، بل هى بليّة ، لقينا خاقان أمس فظفر بنا وأصاب من الجند والسلاح ؛ فما منعه منّا اليوم إلا أنه قد وقع فى يديه أسراء فأخبروه بموضع الأثقال أمامنا ، فترك لقاءنا طمعًا فيها . فارتحل فبعث أمامه الطلائع ، فرجع بعضهم فأخبره أنه عاين طوقات[3] الترك وأعلامًا من أعلام الإشكند ، فى بشر قليل . فسار والدوابّ مثقلة ، فقيل له : انزل[4] أيها الأمير واقبل العافية ، قال : وأين العافية فأقبلَها! إنما هى بليّة وذهاب الأنفس والأموال . فلما أمسى أسد صار إلى منزل ، فاستشار الناس : أينزلون أم يسيرون ؟ فقال الناس : اقبل العافية ؛ وما عسى أن يكون ذهاب المال بعافيتنا وعافية أهل خراسان ! ونصر بن سيار مطرق ، فقال أسد : مالك يابن سيار مطرقًا لا تتكلم ! قال : أصلح الله الأمير ! خَلّتان كلتاهما لك ، إن تَسِرْ تُغِثْ مَنْ مع الأثقال وتخلّصهم ، وإن أنت انتهيت إليهم وقد هلكوا فقد قطَعتَ قُحْمة لا بدّ من قطوعها . فقبل رأيه وسار يومه كلّه .

٢/١٥٩٨ — ٢/١٥٩٩

---

(١) ط : « نسا » ؛ وأثبت ما فى التصويبات . (٢) الكوس : الطبل .
(٣) فى اللسان : الطاق : ضرب من الملابس ، قيل هو الطيلسان الأخضر . (٤) ب : « أقبل » .

قال : ودعا أسد سعيداً الصغير — وكان فارساً مولى باهلة ، وكان عالماً بأرض الخُتّل — فكتب كتاباً إلى إبراهيم يأمره بالاستعداد ؛ فإنّ خاقان قد توجّه إلى ما قِبَلك ، وقال : سِرْ بالكتاب إلى إبراهيم حيث كان قبل الليل ؛ فإن لم تفعل فأسد برىء من الإسلام إن لم يقتلْك ؛ وإن أنت لحقت بالحارث فعلى أسد مثلُ الذى حلَف ، إن لم يبع امرأتك الدلاّلُ فى سوق بلْخ وجميع أهلِ بيتك . قال سعيد: فادفع إلىّ فرسك الكُمَيت الذَّنوب [١] قال : لعمرى لئن جُدْتَ بدمك ، وبخلتُ عليك بالفرس إنى للئيم . فدفعه إليه ، فسار على دابّة من جنائبه ، وغلامه على فرس له ، ومعه فرس أسد يجنُبه؛ ٢ / ١٦٠٠ فلمّا حاذى [٢] الترك وقد قصدوا الأثقال طلبته طلائعهم ؛ فتحوّل على فرس أسد ، فلم يلحقوه ، فأتى إبراهيم بالكتاب ، وتَبِعه بعض الطلائع — يقال عشرون رجلا — حتى رأوْا عسكر إبراهيم [٣] ، فرجعوا إلى خاقان فأخبروه . فغدا خاقان على الأثقال ، وقد خندق إبراهيم خندقاً ؛ فأتاهم وهم قيام عليه ؛ فأمر أهل السُّغد بقتالهم ؛ فلما دنوا من مسلحة المسلمين ثاروا فى وجوههم فهزموهم ، وقتلوا منهم رجلاً ، فقال خاقان : اركبوا ، وصعد خاقان تلاً فجعل ينظر العورة ، ووجّه القتال ، قال : وهكذا كان يفعل ؛ ينفرد فى رجلين أو ثلاثة ، فإذا رأى عَوْرة أمر جنوده فحملت من ناحية العَوْرة . فلما صعد التلّ رأى خلف العسكر جزيرة دونها مخاضة ، فدعا بعض قوّاد الترك ، فأمرهم أن يقطعوا فوق العسكر فى مقطع وصفه حتى يصيروا إلى الجزيرة ، ثم ينحدروا فى الجزيرة حتى يأتوا عسكر المسلمين من دُبُر ، وأمرهم أن يبدءوا بالأعاجم وأهل الصغانيان ، وأن يدَعوا غيرهم ؛ فإنهم من العرب ، وقد عرفهم بأبنيتهم وأعلامهم ، وقال لهم : إن أقام القوم فى خندقهم فأقبلوا إليكم دخلنا نحن خندقهم ؛ وإن ثبتوا على خندقهم فادخلوا من دُبُره عليهم . ففعلوا ودخلوا عليهم من ناحية الأعاجم ، فقتلوا صغان خُذاه وعامّة أصحابه ، واحتووا ٢ / ١٦٠١ على أموالهم ، ودخلوا عسكر إبراهيم فأخذوا عامة ما فيه ، وترك المسلمون التعبئة واجتمعوا فى موضع ، وأحسوا بالهلاك ، فإذا رهج قد ارتفع وتربة سوداء ؛

(١) الكميت : الذى خالط حمرته قنوء . والذنوب : الفرس الوافر الذنب .
(٢) ب : « حاذته » . (٣) ب : « إبراهيم وعسكره » .

فإذا أسد فى جنده قد أتاهم ، فجعلت الترك ترتفع عنهم إلى الموضع الذى كان فيه خاقان ، وإبراهيم يتعجب من كفّهم وقد ظفروا وقتلوا مَن قتلوا وأصابوا ما أصابوا ، وهو لا يطمع فى أسد .

قال : وكان أسد قد أغذّ السير ، فأقبل حتى وقف على التلّ الذى كان عليه خاقان ، وتنحّى خاقان إلى ناحية الجبل ، فخرج إليه مَن بقى ممّن كان مع الأثقال ، وقد قتِل منهم بشرٌ كثير ؛ قتل يومئذ بركة بن خولىّ الراسبىّ وكثير بن [1] أمية ومشيخة من خزاعة . وخرجت امرأة صَغانخذاه إلى أسد ، فبكت زوجها ، فبكى أسد معها حتى علا صوته ، ومضى خاقان يقود الأسراء من الجند فى الأوهاق [2] ويسوق الإبل موقَرة والجوارى .

قال : وكان مصعب بن عمرو الخزاعىّ ونفر من أهل خراسان قد أجمعوا على مواقفتهم ، فكفّهم أسد ، وقال : هؤلاء قوم قد طابت لهم الرّيح واستكلبوا ، فلا تعرّضوا لهم . وكان مع خاقان رجل من أصحاب الحارث بن سُريج فأمره فنادى : يا أسد ؛ أما كان لك فيما وراء النهر مغزى ! إنك لشديد الحرْص ، ٢/١٦٠٢ قد كان لك عن الختّل مندوحةٌ ؛ وهى أرض آبائى وأجدادى . فقال أسد : كان ما رأيت ؛ ولعلّ الله أن ينتقم منك . قال كورمغانون — وكان من عظماء الترك : لم أرَ يوماً كان أحسن من يوم الأثقال ، قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : أصبت أموالا عظيمة ، ولم أر عدوًّا أسمجَ من أسراء العرب ؛ يعدو أحدهم فلا يكاد يبرح مكانه .

وقال بعضهم : سار خاقان إلى الأثقال ، فارتحل أسد ؛ فلما أشرف على الظّهر ، ورأى المسلمين الترك امتنعوا ، وقد كانوا قاتلوا المسلمين فامتنعوا ، فأتوا الأعاجم الذين كانوا مع المسلمين فقاتلوهم ، فأسروا أولادهم .

قال : فأردف كلّ رجل منهم وصيفًا أو وصيفة ، ثم أقبلوا إلى عسكر أسد عند مغيب الشمس . قال : وسار أسدٌ بالنّاس ، حتى نزل مع الثقل . وصبّحوا أسداً من الغدِ ؛ وذلك يوم الفطر ، فكادوا يمنعونهم من الصلاة . ثم انصرفوا ومضى أسد إلى بلخ ؛ فعسكر فى مَرْجها حتى أتى الشتاء ، ثم

---

(١) ط : « أبو » ، وانظر الفهرس .
(٢) الوهق : الحبل .

تفرّق الناس فى الدور ، ودخل المدينة ، فى هذه الغَزاة قيل له بالفارسية :

أزْ خُتَّلانْ آمديه بَرُوتبـاهْ آمَديه[1]

آبار بـازْ آمَديه خُشك نِزار آمَديه

١٦٠٣/٢

قال : وكان الحارث بن سريج بناحية طَخارستان؛ فانضمّ إلى خاقان؛ فلمّا كان ليلة الأضحى قيل لأسد : إنّ خاقان نزل جزّة ،فأمر بالنّيران فرفعت على المدينة ، فجاء الناس من الرّساتيق إلى مدينة بلْخ ، فأصبح أسد فصلّى وخطب الناس ، وقال : إن عدوّ الله الحارث بن سُريج استجلب طاغيته ليطفئ نور الله ، ويبدّل دينه ، والله مذلّه إن شاء الله . وإن عدوّكم الكلب أصاب من إخوانكم مَنْ أصاب ، وإن يُرِدِ الله نصركم لم يضرّكم قلّتكم وكثرتُهم ، فاستنصروا الله . وقال : إنه بلغنى أن العبد أقربُ ما يكون إلى الله إذا وضع جبهته لله ؛ وإنى نازل وواضع جبهتى ، فادعوا الله واسجدوا[2] لربّكم ، وأخلصوا له الدعاء . ففعلوا ثم رفعوا رءوسهم ، وهم لا يشكّون فى الفتح ، ثم نزل عن المنبر . وضحّى وشاوَر الناس فى المسير إلى خاقان، فقال قوم : أنت شابٌّ ، ولستَ ممن تخوّف من غارة ، على شاة ودابة تخاطر بخروجك . قال : والله لأخرجنّ ؛ فإما ظَفَر وإما شهادة .

١٦٠٤/٢

ويقال : أقبل خاقان ، وقد استمدّ مَن وراء النهر وأهل طَخَارستان وجَبْغويه الطُّخارىّ بملوكهم وشاكريّتهم بثلاثين ألفًا ، فنزلوا خُلْم ، وفيها مسلَحة ؛ عليها أبو العوجاء بن سعيد العبدىّ ، فناوشهم فلم يظفروا منه بشىء ، فساروا على حاميتهم فى طريق فيروزبخشين من طخارستان . فكتب أبوالعوجاء إلى أسد بمسيرهم . قال : فجمع الناس ، فأقرأهم كتاب أبى العوجاء وكتاب الفُرافِصة صاحب مسلحة جزّة بعد مرور خاقان به ، فشاور أسد الناس ، فقال قوم : تأخذ بأبواب مدينة بلْخ ، وتكتب إلى خالد والخليفة تستمدّه . وقال آخرون : تأخذ فى طريق زمّ ، وتسبق خاقان إلى مَرْو .

وقال قوم : بل تخرج إليهم وتستنصر الله عليهم ؛ فوافق قولُهم رأىَ أسد

---

(١) انظر ص ٤٣ و ٤٤ من هذا الجزء .

(٢) ف : « فاسجدوا » .

وما كان عزم عليه من لقائهم . ويقال : إن خاقان حين فارق أسداً ، ارتفع حتى صار بأرض طخارستان عند جبغويه ، فلمّا كان وسط الشتاء أقبل فمرّ بجزّة ، وصار إلى الجوزجان وبثّ الغارات ؛ وذلك أن الحارث بن سريج ١٦٠٥/٢ أخبره أنه لا نهوض بأسد ، وأنه لم[1] يبق معه كبير[2] جند ؛ فقال البختري ابن مجاهد مولى بنى شيبان : بل بثّ الخيول حتى تنزل الجوزجان . فلما بثّ الخيل ، قال له البختريّ : كيف رأيت رأيى ؟ قال : وكيف رأيتَ صنع الله عز وجل حين أخذ برأيك ! فأخذ أسد من جبلة بن أبى روّاد عشرين ومائة ألف درهم ، وأمر للناس بعشرين عشرين ، ومعه من الجنود من أهل خراسان وأهل الشأم سبعة آلاف رجل ، واستخلف على بَلْخ الكرمانىّ بن علىّ ، وأمره ألاّ يدع أحداً يخرج من مدينتها ، وإن ضرب الترك باب المدينة . فقال له نصر بن سيار الليثىّ والقاسم بن بُخيت المراغىّ من الأزد وسليم بن سليمان السُّلمىّ وعمرو بن مسلم بن عمرو ومحمد بن عبد العزيز العتكىّ وعيسى الأعرج الحنظلىّ والبختريّ بن أبى درهم البكرىّ وسعيد الأحمر وسعيد الصغير مولى باهلة : أصلح الله الأمير ؛ ائذن لنا فى الخروج ، ولا تهجنّ طاعتنا . فأذن لهم ثم خرج فنزل باباً من أبواب بلْخ وضُربت له قُبّةٌ ؛ فازتان[3] ، وألصق إحداهما بالأخرى ، وصلى بالناس ركعتين طوّلهما ، ثم استقبل القبلة ونادى فى الناس : ١٦٠٦/٢ ادعوا الله ؛ وأطال فى الدعاء ، ودعا بالنّصر ، وأمّن الناس على دعائه ؛ فقال : نُصرتم وربّ الكعبة ! ثم انفتل من دعائه فقال : نصرتم وربّ الكعبة إن شاء الله ، ثلاث مرات ، ثم نادى مناديه : برئتْ ذمّة الله من رجل حمل امرأة ممّن كان من الجند ، قالوا : إنّ أسداً إنما خرج[4] هارباً ، فخلّف أمّ بكر أمّ ولده وولده ؛ فنظر فإذا جارية على بعير ، فقال : سلوا لمن هذه الجارية ؟ فذهب بعض الأساورة فسأل ثم رجع ، فقال : لزياد بن الحارث البكرىّ — وزياد جالس — فقطّب أسد ، وقال : لا تنتهون حتى أسطوَ بالرجل منكم يكرُم علىّ ، فأضربِ ظهره وبطنه ، فقال زياد : إن كانت لى فهى حـرّة ،

---

(١) ح : « ولم يبق » . (٢) ح : « كثير » .

(٣) الفازة : بناء من خرق وغيرها يبنى للعساكر (٤) ب : « جاء » .

لا والله أيّها الأمير ما معى امرأة ، فإنّ هذا عدوّ حاسد .

وسار أسدٌ ، فلما كان عند قنطرة عطاء ، قال لمسعود بن عمرو الكرمانىّ ، وهو يومئذ خليفة الكرمانىّ على الأزد : ابغنى خمسين رجلاً ودابّة أخلفهم على هذه القنطرة ، فلا تَدَعْ أحداً ممن جازها أن يرجع إليها ، فقال مسعود : ومِنْ أين أقدر على خمسين رجلاً ! فأمر به فصُرِع عن دابّته ، وأمر بضرب عنقه ، فقام إليه قومٌ فكلّموه فكفّ عنه ؛ فلما جاز القنطرة نزل منزلاً ، فأقام فيه حتى أصبح ؛ وأراد المقام يومه ، فقال له العُذافر[1] بن زيد : ليأتمر الأمير على المقام يومه حتى يتلاحق الناس . قال : فأمر بالرحيل وقال : لا حاجة ٢/١٦٠٧ لنا[2] إلى المتخلّفين ، ثم ارتحل ، وعلى مقدّمته سالم بن منصور البَجَلىّ فى ثلثمائة ، فلقى ثلثمائة من الترك طليعة لخاقان ، فأسر قائدهم وسبعة منهم معه ، وهرب بقيّتهم ، فأتى به أسد . قال : فبكى التركىّ ، قال : ما يبكيك ؟ قال : لستُ أبكى لنفسى ، ولكنى أبكى لهلاك خاقان ، قال : كيف ؟ قال : لأنه قد فرّق جنوده فيما بينه وبين مَرْو .

قال : وسار أسد ؛ حتى نزل السِّدْرة — قرية ببلخ — وعلى خيل أهل العالية ريحان بن زياد العامرىّ العبدلىّ من بنى عبد الله بن كعب . قال : فعزله ، وصيّر على أهل العالية منصور بن سالم ، ثم ارتحل من السِّدرة ، فنزل خريستان ، فسمع أسد صهيل فرس ، فقال : لمن هذا ؟ فقيل : للعقّار بن ذُعَيْر ، فتطيّر من اسمه واسم أبيه ، فقال : ردّوه ، قال : إنى مقتول بجرأتى[3] على الترك ، قال : أسد : قتلك الله ! ثم سار حتى إذا شارف العَيْن الحارّة استقبله بشْر بن رزين — أو رزين بن بشر — فقال بشارة ورزانة ؛ ما وراءك يا رزين ؟ قال : إن لم تغثنا غلبنا على مدينتنا ، قال : قل للمقدام بن عبدالرحمن يطاول رمحى ، فسار فنزل[4] من مدينة الجُوزجان بفرسخين ، ثم أصبحنا ٢/١٦٠٨ وقد تراءتْ الخِيلان ، فقال خاقان للحارث : مَنْ هذا ؟ فقال : هذا محمد ابن المثنى ورايته ؛ ويقال : إن طلائع لخاقان انصرفت إليه فأخبرته . أنّ رهجًا

---

(١) ط : « الغدافر » ، تصحيف . (٢) ابن الأثير : « بنا » .
(٣) كذا فى ا ، وفى تصويبات ط : « أنى تفوئل بحرارتى » . (٤) ف : « ونزل » .

ساطعًا طلع من قِبَل بلْخ ، فدعا خاقان الحارث ، فقال : ألم تزعم أنّ أسداً ليس به نهوض ! وهذا رَهَج قد أقبل من ناحية بلْخ ، قال الحارث : هذا اللصّ الذى كنت قد أخبرتُك أنه من أصحابى . فبعث خاقان طلائع ، فقال : انظروا هل ترون على الإبل سريراً وكراسىّ ؟ فجاءته الطلائع ، فأخبروه أنّهم عاينوها ، فقال خاقان : اللصوص لا يحملون الأسرّة والكراسىّ ، وهذا أسد قد أتاك . فسار أسد غَلْوة فلقيه سالم بن جناح ، فقال : أبشر أيّها الأمير ، قد حزرتُهم ولا يبلغون أربعة آلاف ، وأرجو أن يكون[1] عقيرة الله . فقال المجشّر بن مزاحم ، وهو يسايره : أنزِلْ أيّها الأمير رجالك ؛ فضرب وجْه دابته ، وقال : لو أطِعْتَ يا مجشّر ما كنّا قدمنا هاهنا ، وسار غير بعيد ، وقال : يأهلَ الصّباح ، انزلوا ، فنزلوا وقرّبوا دوابّهم ، وأخذوا النَّبْل والقسىّ . قال : وخاقان فى مرْج قد بات فيه تلك الليلة .

قال : وقال عمرو بن أبى موسى : ارتحل أسد حين صلّى الغداة ، فمرّ بالجوزجان وقد استباحها خاقان حتّى بلغت خيله الشُّبُورقان . قال : وقصور الجوزجان إذ ذاك ذليلة. قال : وأتاه المقدام بن عبد الرحمن بن نُعيم الغامدىّ فى مقاتلته وأهل الجوزجان — وكان عاملها — فعرضوا عليه أنفسهم ، فقال : أقيموا فى مدينتكم ، وقال للجوزجان بن الجوزجان : سِرْ معى ؛ وكان على التعبئة القاسم بن بُخَيت المرَاغىّ ؛ فجعل الأزد وبنى تميم والجوزجان بن الجوزجان وشاكريّته ميمنته[2] ، وأضاف إليهم أهل فلسطين ، عليهم مصعب بن عمرو الخزاعىّ ، وأهل قنّسرين عليهم صغراء بن أحمر ، وجعل ربيعة ميسرة ، عليهم يحيى بن حُضَين ، وضمّ إليهم أهل حِمْص عليهم جعفر بن حنظلة البهْرانىّ ، وأهل الأزد وعليهم سليمان بن عمرو المقرئ من حِمْيَر ؛ وعلى المقدّمة منصور بن مسلم البَجَلىّ ، وأضاف إليهم أهلَ دمشق عليهم حملة بن نُعيم الكلبىّ ، وأضاف إليهم الحرس والشرطة وغلمان أسد .

٢/١٦٠٩

قال : وعبّى خاقان الحارث بن سُرَيج وأصحابه وملك السُّغد وصاحب الشّاش وخرا بُغْرة أبا خاناخرّة ، جدّ كاوس وصاحب الخُتّل وجبغويه ، والتّرك

(١) بعدها فى ابن الأثير : « خاقان » .
(٢) ب : « ميمنة » .

كلهم ميمنة. فلمّا التقوا حمل الحارث ومَن معه من أهل السُّغد والبابيّة[1] وغيرهم على الميسرة ، وفيها ربيعة وجندان من أهل الشأم ؛ فهزمهم فلم يردّهم شيء دون رواق أسد؛ فشدّت عليهم الميمنة— وهم الأزْد وبنو تميم والجوزجان— فما وصلوا إليهم حتى انهزم الحارث والأتراك ، وحمل الناس جميعاً ، فقال أسد : اللهمّ إنهم عصوْنى فانصرهم ؛ وذهب التُّرك فى الأرض عباديد لا يلوون على أحد ، فتبعهم النّاس مقدار ثلاثة فراسخ يقتلون مَن يقدرون عليه ، حتّى انتهوْا إلى أغنامهم ؛ فاستاقوا أكثر من خمس وخمسين[2] ومائة ألف شاة ودوابّ كثيرة . وأخذ خاقان طريقاً غير الجادّة فى الجبل ، والحارث بن سُرَيج يحميه ، ولحقهم أسد عند الظهر . ويقال : لما واقف أسد خاقان يوم خريستان كان بينهم نهر عميق ، فأمر أسد برواقه فرفع ، فقال رجل من بنى قيس بن ثعلبة : يأهلَ الشأم ؛ أهكذا[3] رأيكم ، إذا حضر الناس رفعتم الأبنية[4]! فأمر به فحُطّ ، وهاجت ريح الحرب التى تسمى الهفّافة ، فهزمهم الله ، واستقبلوا القبلة يَدْعون الله ويكبّرون . وأقبل خاقان فى قريب من أربعمائة فارس عليهم الحُمرة ، وقال لرجل يقال له سورى : إنما أنت ملك الجُوزجان إن أسلمتَ العرب ، فمن رأيت من أهل الجوزجان مولّياً[5] فاقتله . وقال الجوزجان لعثمان بن عبد الله الشِّخِّير : إنى لأعلم ببلادى وطُرقها ؛ فهل لك فى أمر فيه هلاك خاقان ولك فيه ذكرٌ ما بقيت ؟ قال : ما هو ؟ قال : تتبعنى ؛ قال : نعم ؛ فأخذ طريقاً يسمّى ورادك ، فأشرفوا على طوقات خاقان وهم آمنون ، فأمر خاقان بالكُوسات فضربت ضربة الانصراف . وقد شبّت الحرب ، فلم يقدر التّرك على الانصراف ، ثم ضربت الثانية فلم يقدروا ، ثم ضربت الثالثة فلم يقدروا لاشتغالهم ، فحمل ابن الشِّخِّير والجوزجان على الطوقات ، وولّى خاقان مدبراً منهزماً ، فحوى المسلمون عسكرهم وتركوا قدورهم تغلى ونساء من نساء العرب والمواليات ومن نساء التّرك ، ووحل بخاقان برْذونه فحماه الحارث بن سريج . قال : ولم يعلم الناس أنه

١٦١٠/٢

١٦١١/٢

---

(١) ف : « والشاتبه » .
(٢) ح ، ف : « خمسين » .
(٣) ح ، ف : « هكذا » .
(٤) ف : « الألوية » .
(٥) كذا فى ا ، ب ، وهو الصواب ، وفى ط : « قد أتاه » .

خاقان، ووجد عسكر التّرك مشحونًا من كلّ شىء من آنية الفضة وصنّاجات التّرك. وأراد الخصىّ أن يحمل امرأة خاقان، فأعجلوه عن ذلك، فطعنها بخنجر فوجدوها تتحرّك، فأخذوا خفّها وهو من لُبود(١) مضرَّب.

قال: فبعث أسد بجوارى التّرك إلى دهاقين خُراسان، واستنقذ مَن كان فى أيديهم من المسلمين.

قال: وأقام أسد خمسة أيام. قال: فكانت الخيول التى فرّق تقبِل فيصيبهم أسد، فاغتنم الظفر وانصرف إلى بلْخ يوم التاسع من خروجه، فقال ابن السِّجْف المجاشعىّ:

لو سرْتَ فى الأَرْضِ تقِيس الأَرْضَا تَقِيسُ منها طُولَها والعَرْضا
لَمْ تَلْقَ خَيْرًا مِرَّةً ونقْضا مِنَ الأَميرِ أَسدٍ وَأَمْضَى
أَفْضَى إِلَيْنا ، الخَيْرُ حِين أَفضى وَجَمَعَ الشَّملَ وكانَ رَفْضا
ما فاتَهُ خاقانُ إلا رَكْضا قد فُضَّ مِنْ جُمُوعِهِ مافُضَّا
يابْنَ سُرَيج قَدْ لَقِيتَ حَمْضَا حَمْضًا بِهِ يُشْفَى صُداعُ المرضى

٢/١٦١٢

قال: وارتحل أسد، فنزل جزّة الجوزجان من غد، وخاقان بها، فارتحل هاربًا منه. وندب أسد الناس، فانتدب ناسٌ كثير من أهل الشأم وأهل العراق، فاستعمل عليهم جعفر بن حنظلة البهرانىّ، فساروا ونزلوا مدينة تسمّى ورد من أرض جزّة، فباتوا بها فأصابهم ريح ومطر — ويقال: أصابهم الثّلج — فرجعوا. ومضى خاقان فنزل على جبغويه الطخارىّ، وانصرف البهرانىّ إلى أسد، ورجع أسد إلى بلْخ، فلقوا خيل التّرك التى كانت بمرْو الرّوذ منصرفة لتغير على بلْخ، فقتلوا مَنْ قدروا عليه منهم؛ وكان التّرك قد بلغوا بيعة مَرْو الرّوذ، وأصاب أسد يومئذ أربعة آلاف دِرْع؛ فلّما صار ببلْخ أمر الناس بالصّوم لافتتاح الله عليهم.

قال: وكان أسد يوجّه الكرمانىّ فى السرايا، فكانوا لا يزالون يصيبون الرّجل والرجلين والثلاثة وأكثر من التّرك؛ ومضى خاقان إلى طخارستان العليا،

---

(١) فى اللسان: كل شعر أو صوف متلبد بعضه على بعض فهو لبد ولبدة، والجمع ألباد ولبود على توهم طرح الماء».

فأقام عند جبغويه الخَزْلخِىّ تعززاً به ، وأمر بصنيعة الكُوسات ، فلما جفّت وصلَحت(١) أصواتها ارتحل إلى بلاده ؛ فلما ورد شروسنة ، تلقّاه خرابغره ١٦١٣/٢ أبو خاناخره ، جدّ كاوس أبى أفشين بالتعّابين ، وأعدّ له هدايا ودوابّ له ولجنده — وكان الذى بينهما متباعداً — فلما رجع منهزمًا أحبّ أن يتخذ عنده يداً ، فأتاه بكلّ ما قدر عليه . ثم أتى خاقان بلاده ، وأخذ فى الاستعداد للحرب ومحاصرة سَمرْقند ، وحَمل الحارث بن سُرَيج وأصحابه على خمسة آلاف بِرْذون ، وفرّق براذين فى قوّاد الترك ، فلاعب خاقان يومًا كُورصُول بالنّرد على خَطَر(٢) تُدْرجة ، فقمرَ كورصول الترقشىّ ، فطلب منه التُّدرجة ، فقال : أنثى ، فقال : الآخر ذكر ؛ فتنازعا ، فكسر كُورصول يَد خاقان ، فحلف خاقان ليكسرنّ يد كُورصُول ؛ وبلغ كورصول ، فتنحّى وجمع جمعًا من أصحابه ، فبيّت خاقان فقتله ؛ فأصبحت الترك فتفرقوا عنه وتركوه مجرّداً ، فأتاه زُريق بن طُفَيل الكُشانىّ وأهل بيت الحموكيّين — وهم من عظماء الترك — فحمله ودفنه ، وصنع به ما يصنع بمثله إذا قتل . فتفرّقت الترك فى الغارات بعضها على بعض ، وانحاز بعضهم إلى الشّاش ؛ فعند ذلك طمع أهل السُّغد فى الرَّجعة إليها . قال : فلم يسلمْ من خَيْل الترك ١٦١٤/٢ التى تفرّقت فى الغارات إلّا زرّ بن الكسىّ ، فإنه سلم حتى صار إلى طَخَارستان ، وكان أسد بعث من مدينة بلخ سيفَ بن وصّاف العجلىّ على فرس ، فسار حتى نزل الشُّبورقان(٣) . قال : وفيها إبراهيم بن هشام مسلحة ، فحمله منها على البريد حتى قدم على خالد بن عبد الله ، فأخبره ، ففظع به هشام فلم يصدّقه ، وقال للربيع حاجبه : ويحك ! إن هذا الشيخ قد أتانا بالطامّة الكبرى إذا كان صادقًا ؛ ولا أراه صادقًا ، اذهب فعِدْه ثم سله عمّا يقوله وأْتنى بما يقول . فانطلق إليه ففعل الذى أمره به ، فأخبره بالذى أخبر به هشامًا . قال : فدخل عليه أمر عظيم ؛ فدعا به بعد ، فقال : من القاسم بن بُخَيت منكم ؟ قال : ذلك صاحب العسكر ، قال : فإنه قد أقبل ، قال : فإن كان قد أقبل فقد

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « صلح » .

(٢) الخطر : السبق يتراهن عليه .

(٣) ب : « النسور » ، ح : « السبوريان » ، ف : « البشوريان » .

فتح الله على أمير المؤمنين — وكان أسد وجّهه حين فتح الله عليه — فأقبل القاسم بن بُخيت ، فكبّر على الباب ، ثم دخل يكبّر وهشام يكبّر لتكبيره ، حتى انتهى إليه ، فقال : الفتح يا أميرَ المؤمنين ؛ وأخبره الخبر ، فنزل هشام عن سريره فسجد سجدة الشكر ؛ وهى واحدة عندهم . قال : فحسدت القيسيّة أسداً وخالداً ؛ وأشاروا على هشام أن يكتب إلى خالد بن عبد الله ، ٢/١٦١٥ فيأمرَ أخاه أن يوجّه مقاتل بن حيّان ، فكتب إليه ، فدعا أسد مقاتل بن حيّان على رءوس الناس ، فقال : سر إلى أمير المؤمنين فأخبِرْه بالذى عاينت وقل الحقّ ؛ فإنك لا تقول غير الحقّ إن شاء الله ، وخذ من بيت المال حاجتك. قالوا : إذاً لا يأخذ شيئاً[1] ، قال : أعطه من المال كذا وكذا ، ومن الكسوة كذا وكذا ، وجهّزه .

فسار فقدم[2] على هشام بن عبد الملك وهو والأبرش جالسان ، فسأله فقال : غزونا الخُتّل ، فأصبنا أمراً عظيماً ، وأنذر أسد بالترك فلم نحفل بهم حتى لحقوا واستنقذوا من غنائمنا ، واستباحوا[3] بعض عسكرنا ، ثم دفعونا دفعة قريباً من خُلْم ، فانتهى الناس إلى مشاتيهم ، ثم جاءنا مسير خاقان إلى الجوزجان ، ونحن قريبو العهد بالعدوّ[4] ؛ فسار بنا حتى التقينا برُستاق بيننا وبين أرض الجُوزجان ، فقاتلناهم وقد حازوا ذراريّ من ذراريّ المسلمين ، فحملوا على ميسرتنا فكشفوهم . ثم حملت ميمنتنا عليهم ، فأعطانا الله عليهم الظّفر ، وتبعناهم فراسخ حتى استبحنا عسكر خاقان ؛ فأُجْلِيَ عنه — وهشام متّكئ فاستوى جالساً عند ذكره عسكر خاقان — فقال ثلاثاً : أنتم استبحتم عسكر خاقان! قال : نعم ، قال : ثمّ ماذا ؟ قال : دخلوا الخُتّل وانصرفوا[5].
٢/١٦١٦ قال هشام : إن أسداً لضعيف ، قال : مهلا يا أمير المؤمنين ؛ ما أسدٌ بضعيف وما أطاق فوق ما صنع ، فقال له هشام : حاجتَك ؟ قال : إنّ يزيد بن المهلب أخذ من أبى حيّان مائة ألف درهم بغير حقّ ؛ فقال له هشام : لا أُكلفك شاهداً ، احلف بالله إنه كما قلت ، فحلفَ ، فردّها عليه من بيت

(١) ساقطة من ح ، ف .
(٢) ب : « وقدم » .
(٣) ف : « واستباحونا » .
(٤) ب : « عهد بغزو » .
(٥) كذا فى ا ، ب .

مال خراسان ؛ وكتب إلى خالد أن يكتب إلى أسد فيها ؛ فكتب إليه، فأعطاه أسد مائة ألف درهم ، فقسمها بين ورثة حيّان على كتاب الله وفرائضه .
ويقال : بل كتب إلى أسد أن يستخبر عن ذلك ، فإن كان ما ذكر حقًّا أعطى مائة ألف درهم .

وكان الذى جاء بفتح خراسان إلى مَرْو عبد السلام بن الأشهب بن عتبة الحنظلىّ . قال : فأوفد أسد إلى خالد بن عبد الله وفدًا فى هزيمته يوم سان، ومعهم طوقات خاقان ورءوس مَنْ قُتِلوا منهم ،فأوفدهم خالد إلى هشام ، فأحلفهم أنهم صَدقوا ، فحلفوا ، فوصلهم ، فقال أبو الهندىّ الأسدىّ لأسد يذكر وقعة سان :

أَبا مُنذِرٍ رُمْتَ الأُمُورَ فَقِسْتَها[(١)] وساءَلْتَ عَنْها كالحريصِ المُساوِمِ
فَما كانَ ذو رَأْيٍ من الناسِ قِسْتَهُ برَأْيِكَ إلا مِثْلَ رَأْيِ البهائِمِ ١٦١٧/٢
أَبا مُنْذِرٍ لوْلَا مَسِيرُكَ لم يَكُن عِراقٌ وَلا انْقادَتْ مُلوكُ الأَعاجِمِ
وَلا حَجَّ بَيْتَ اللهِ مذْ حُجَّ راكبٌ[(٢)] ولا عَمَر البَطْحاءَ بَعْدَ المَواسِمِ
فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ بَيْنَ سانٍ وَجَزَّةٍ كثِيرِ الأَيادى من مُلوكٍ قَماقِمِ[(٣)]
تَرَكْتَ بأَرْضِ الجوْزَجانِ تزُورُهُ سِباعٌ وعِقْبانٌ لِحَزِ الغَلاصِمِ
وَذى سُوقَةٍ فيه منَ السيفِ خُطّةٌ بهِ رَمَقٌ حامتْ عَلَيْهِ الحَوائمُ[(٤)]
فمن هارِبٍ مِنَّا وَمِنْ دَائِنٍ لنا أَسيرٍ يُقَاسِى مُبْهَمَاتِ الأَداهِمِ[(٥)]
فلدْتْكَ نُفُوسٌ من تميمٍ وعامِرٍ وَمِن مُضَرَ الحَمْراءِ عِنْدَ المَآزِمِ
هُمُ أَطْمَعُوا خاقانَ فينا فأَصبحَتْ جلائبهُ ترْجو احْتِواءَ المغانِمِ[(٦)] ١٦١٨/٢

قال : وكان السّبل أوصى عند موته ابنَ السائجىّ حين استخلفه بثلاث خصال ، فقال : لا تستطل على أهل الخُتّل استطالتى التى كانت عليهم ؛

---

(١) ابن الأثير : « وقستها » . (٢) ابن الأثير : « من حج » .
(٣) ابن الأثير : « كسير الأيادى » بالسين .
(٤) ابن الأثير : « به رمق ملتى لحوم الحوائم » .
(٥) ابن الأثير : « مهمهات الأداهم » .
(٦) ابن الأثير : « حلائبه ترجو خلوّ المغانم » .

فإني ملِك ولستَ بملِك ؛ إنما أنت رجل منهم ، فلا يحتملون لك ما يحتلمون للملوك ، ولا تدَعْ أن تطلب الجيش[١] حتى تردّه إلى بلادكم ، فإنه الملك بعدى والملوك هم النظّام ، والناس ما لم يكن لهم نظام طَغام ، ولا تحاربوا العرب واحتالوا لهم كلّ حيلة تدفعونهم بها عن أنفسكم ما قدرتم . فقال له ابن السائجىّ : أما ما ذكرت من تركى الاستطالة على أهل الختَّل فإنى قد عرفت ذلك ، وأما ما أوصيتَ من ردّ الجيش[٢] فقد صدق الملك ، وأما قولك : لا تحاربوا العرب ، فكيف تنهى عن حربهم ، وقد كنتَ أكثر الملوك لهم محاربة ! قال : قد أحسنتَ إذ سألتَ عمّا لا تعلم ؛ إنى قد جرّبت قوّتكم بقوّتى ، فلم أجدكم تقعون منى موقعًا ، فكنت إذا حاربتُهم لم أفلِت منهم إلا جَريضًا ، وإنكم إن حاربتموهم هلكتم فى أول محاربتكم إياهم .

١٦١٩/٢ قال وكان الجيش[٢] ، قد هرب إلى الصين ، وابن السائجى الذى أخبر أسد بن عبد الله بمسير خاقان إليه ، فكره محاربة أسد .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل المغيرة بن سعيد ونفر معه]

وفى هذه السنة خرج المغيرة بن سعيد وبيان فى نفر ، فأخذهم خالد فقتلهم .

* ذكر الخبر عن مقتلهم :

أما المغيرة بن سعيد ، فإنه كان — فيما ذكِر — ساحراً . حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا جرير ، عن الأعمش ، قال : سمعت المغيرة بن سعيد ، يقول : لو أردتُ أن أحيِيَ عاداً أو ثمودًا وقرونًا بين ذلك كثيراً لأحييتهم . قال الأعمش : وكان المغيرة يخرج إلى المقبرة فيتكلّم ، فيُرى مثل الجراد[٣] على القبور ؛ أو نحو هذا من الكلام .

وذكر أبو نعيم ، عن النّضر بن محمد ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، قال : قدم علينا رجلٌ من أهل البَصْرة يطلب العلم ؛ فكان عندنا ، فأمرتُ جاريتى يومًا أن تشترىَ لى سمكًا بدرهمين ، ثم انطلقت أنا

---

(١) ابن الأثير : « الخنيش » ، والعبارة فيه : « اطلب الخنيش حتى ترد إلى بلادكم ؛ فإنه الملك بعدى — وكان الخنيش هرب إلى الصين » .

(٢) ابن الأثير : « الخنيش » . (٣) ا ، ب : « الجرى » .

والبصرىّ إلى المغيرة بن سعيد ، فقال لى : يا محمد، أتحب أن أخبرك، لم افترق حاجباك ؟ قلت : لا ، قال أفتحبّ أن أخبرك لم سماك أهلك محمداً ؟ قلت : لا ، قال : أما إنك قد بعثت خادمك يشترى لك سمكًا بدرهمين . قال : ٢/١٦٢٠ فنهضنا عنه . قال أبو نعيم : وكان المغيرة قد نظر فى السحر ، فأخذه خالد القسرىّ فقتله وصلبه .

وذكر أبو زيد أن أبا بكر بن حفص الزهرىّ ، قال : أخبرنى محمد بن عقيل ، عن سعيد بن مرادابند، مولى عمرو بن حُرَيث ، قال : رأيتُ خالداً حين أتِىَ بالمغيرة وبيان فى ستّة رهط أو سبعة ، أمر بسريره فأخرِج إلى المسجد الجامع ، وأمر بأطنان[1] قصب ونِفْط فأحضرا ، ثم أمر المغيرة أن يتناول طنًّا فكعّ عنه وتأنّى ، فصبّت السياط على رأسه ، فتناول طنًّا فاحتضنه ، فشُدّ عليه ، ثم صُبّ عليه وعلى الطنّ نِفط ، ثم ألهبت فيهما النار فاحترقا ، ثم أمر الرهط ففعلوا ، ثم أمر بيانًا آخرهم فقدِم إلى الطنّ مبادراً فاحتضنه ، فقال خالد : ويلكم ! فى كل أمر تحمُقون ، هلا رأيتم هذا المغيرة ! ثم أحرقه .

قال أبو زيد : لما قتل خالد المغيرة وبيانًا أرسل إلى مالك بن أعين الجُهَنىّ فسأله فصدّقه عن نفسه ، فأطلقه ، فلما خلا مالك بمن يثق به — وكان فيهم أبو مسلم صاحب خراسان — قال :

ضَرَبْتُ له بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ لاحبًا ... وَطِنْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسَ فيمَنْ يطينُها

وأَلقيْتهُ فى شبْهَةٍ حِينَ سالنى ... كما اشتَبَهَا فى الخَطِ سِينٌ وشينُها ٢/١٦٢١

فقال أبو مسلم حين ظهر أمره : لو وجدته لقتلته بإقراره على نفسه .

قال أحمد بن زهير ، عن علىّ بن محمد ، قال : خرج المغيرة بن سعيد فى سبعة نفر ، وكانوا يُدعون الوصفاء ، وكان خروجهم بظهر الكوفة ، فأخبِر خالد القسرىّ بخروجهم وهو على المنبر ، فقال : أطعمونى ماء ، فنعَى ذلك عليه ابن نوفل[2] ، فقال :

أخالد لا جزَاكَ اللهُ خيْرًا ... وأَيْرٌ فى حِرِ امكَ مِنْ أَمِير

---

(١) أطنان : جمع طن ؛ وهو حزمة القصب .

(٢) هو يحيى بن نوفل ، والشعر فى البيان والتبيين ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، مع اختلاف فى الرواية .

تَمَنَّى الفَخْرَ فى قَيْس وقَسْر ... كأَنَّكَ من سَراةِ بنِى جَرِير
وأُمُّكَ عِلجَةٌ وَأَبُوكَ وَغْــدٌ ... وما الأَذنابُ عِدْلاً للصُّدُورِ
جَرِيرٌ مِنْ ذوى يَمَنٍ أَصيلٌ ... كَريمُ الأَصل ذوخطرٍكبيرِ
وأنتَ زعمْتَأنكَ مِنْ يزيدٍ ... وَقدْ أُدْحِقْتُمُ دحق العبُورِ[1]
وكُنْتَ لدَى المُغِيرَةِ عَبْدَسوْءٍ ... تَبُول مِن المَخافَة للزَّئيرِ
وَقلتَ لِما أَصابكَ : أَطعِمُونى ... شَراباً ثُمَّ بُلتَ على السريرِ
لأَعلاج ثمانيَة وَشيخٍ ... كَبيرِ السن ليْسَبذِى نَصِيرِ

١٦٢٢/٢

* * *

[خبر مقتل بهلول بن بشر]

وفى هذه السنة حكّم بُهلول بن بشر الملقب كثارة فقتِل .

* ذكر الخبر عن مخرجه ومقتله :

ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنّى أن بُهْلولا كان يتألّه[2] ، وكان له قوت دانق ، وكان مشهوراً بالبأس عند هشام بن عبد الملك ، فخرج يريد الحجّ ، فأمر غلامه أن يبتاع له خلاًّ بدرهم ، فجاءه غلامه بخمر ، فأمر بردّها وأخذ الدراهم ، فلم يُجَب إلى ذلك ، فجاء بُهلول إلى عامل القرية — وهى من السواد — فكلّمه ، فقال العامل : الخمر خير منك ومن قومك ؛ فقضى بهلول فى حَجّه حتى فرغ منه ، وعزم على الخروج على السلطان ، فلقِىَ بمكة مَن كان على مثل رأيه ، فاتّعدوا قرية من قرى الموصل ، فاجتمع بها أربعون رجلا ، وأمّروا عليهم البهلول ، وأجمعوا على ألاّ يمرّوا بأحد إلا أخبروه أنّهم أقبلوا من عند هشام على بعض الأعمال ، ووجّههم[3] إلى خالد ليُنفِذهم فى أعمالهم ، فجعلوا لا يمرّون بعامل إلا أخبروه بذلك . وأخذوا دوابّ من دوابّ البريد ، فلما انتهوا إلى القرية التى كان ابتاع فيها الغلام الخلّ فأعطِىَ خمراً ، قال بهلول : نبدأ بهذا العامل الذى قال ما قال ؛ فقال له أصحابه : نحن نريد قتل خالد ؛ فإن

١٦٢٣/٢

(١) الدحق : الدفع . (٢) يتأله : يتعبد . (٣) كذا فى ح ، وفى ط : « وجههم » .

بدأنا بهذا شُهِرنا وحذِرَنا خالد وغيره ؛ فننشدك الله أن تقتل[١] هذا فيفلت منا خالد الذى يهدم المساجد ؛ ويبنى البيَع والكنائس ، ويولّى المجوس على المسلمين ، ويُنكح أهلَ الذّمة المسلمات ؛ لعلنا نقتله فيريح الله منه . قال : والله لا أدَعُ ما يلزمنى لما بعده ؛ وأرجو أن أقتل هذا الذى قال لى ما قال وأدرك خالداً فأقتله ؛ وإن تركتُ هذا وأتيتُ خالداً شُهر أمرنا فأفلت هذا ، وقد قال الله عز وجل : ﴿قاتِلوا الَّذِين يلونكمْ مِنَ الْكُفَّارِ ولْيجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[٢] ، قالوا : أنت ورأيك . فأتاه فقتله ، فنذِر بهم الناس وعلموا أنهم خوارج ، وابتدروا إلى الطريق هرّاباً ، وخرجت البرُد إلى خالد فأخبروه[٣] أن خارجةً قد خرجت ؛ وهم لا يدرون حينئذ مَن رئيسهم .

فخرج خالد من واسط حتى أتى الحيرة وهو حينئذ فى الحلَق[٤] ، وقد قدم فى تلك الأيام قائد من أهل الشأم من بنى القَيْن فى جيش قد وُجّهوا مدداً[٥] لعامل خالد على الهند ، فنزلوا الحيرة ، فلذلكَ قصدها خالد ، فدعا رئيسهم فقال : قاتلْ هؤلاء المارقة ؛ فإنّ من قتل منهم رجلاً أعطيته عطاء سوى ما قبض بالشأم ، وأعفيته من الخروج إلى أرض الهند — وكان الخروج إلى أرض الهند شاقّاً عليهم — فسارعوا إلى ذلك ، فقالوا : نقتل هؤلاء النّفر ونرجع إلى بلادنا . فتوجّه القيْنىّ إليهم فى ستمائة ، وضمّ إليهم خالد مائتين من شُرَط الكوفة ، فالتقوا على الفُرات ، فعبّأ القَيْنىّ أصحابه ، وعزل شرط الكوفة ، فقال : لا تكونوا معنا — وإنما يريد فى نفسه أن يخلوَ هو وأصحابه بالقوم فيكون الظفر لهم دون غيرهم لما وعدهم خالد — وخرج إليهم بُهلول ، فسأل عن رئيسهم حتى عرف مكانه ، ثم تنكّر[٦] له ، ومعه لواء أسود ، فحمل عليه فطعنه فى فرْج درعه ؛ فأنفذه . فقال : قتلتَنى قتلك الله ! فقال بهلول : إلى النار أبعدك الله .

١٦٢٤/٢

وولّى أهل الشأم مع شرط أهل الكوفة منهزمين حتى بلغوا باب الكوفة ، وبُهلول وأصحابه يقتلونهم . فأما الشاميون فإنهم كانوا على خيل جياد ففاتوه ؛ وأما شُرَط الكوفة فإنه لحقهم ، فقالوا : اتق الله فينا فإنا مكرهون مقهورون ؛

(١) ف : « تفعل » . (٢) سورة التوبة : ١٢٣ (٣) ابن الأثير : « فأعلموه » .
(٤) ط : « الخلق » . (٥) ح : « أمداداً » . (٦) كذا فى ا .

فجعل يقرع رءوسهم بالرّمح، ويقول : الحقوا! النّجاء النّجاء ! ووجد البهلول مع القينيّ بَدْرة فأخذها .

وكان بالكوفة ستة نفر يرون رأى البهلول، فخرجوا إليه يريدون اللّحاق به فقتلوا، وخرج إليهم البُهلول وحمل البَدْرة بين يديه، فقال : مَنْ قتل هؤلاء النفر حتى أعطيه هذه الدراهم ؟ فجعل هذا يقول[1] : أنا، وهذا يقول : أنا ؛ حتى عرفهم ؛ وهم يرون أنه من قِبَل خالد جاء ليعطيهم مالاً لقتلهم مَنْ قتلوا . فقال بُهلول لأهل القرية : أصَدق هؤلاء، هم قتلوا النفر[2] ؟ قالوا: نعم ؛ وخشى بهلول أنهم ادّعوا ذلك طمعاً فى المال، فقال لأهل القرية : انصرفوا أنتم ؛ وأمر بأولئك فقُتِلوا، وعاب عليه أصحابه فحاجّهم، فأقرّوا له بالحجّة .

١٦٢٥/٢

وبلغت هزيمةُ القوم خالداً وخبر مَنْ قُتِل من أهل صَرِيفين، فوجّه قائداً من بنى شَيْبان أحد بنى حوْشب بن يزيد بن رويم ؛ فلقيهم فيما بين الموصل والكوفة، فشدّ عليهم البُهلول، فقال: نشدتك بالرحم ! فإنى جانح مستجير ! فكفّ عنه؛ وانهزم أصحابه، فأتوْا خالداً وهو مقيم بالحيرة ينتظر، فلم يرعْه إلا الفَلّ قد هجم عليه ؛ فارتحل البُهلول من يومه يريد الموصل ؛ فخافه عامل الموصل، فكتب إلى هشام: إنّ خارجةً خرجت فعاثت وأفسدت ؛ وأنه لا يأمن على ناحيته، ويسأله جنداً يقاتلهم به ؛ فكتب إليه هشام : وجّه إليهم كُثارة بن بشر — وكان هشام لا يعرف البهلول إلا بلقبه — فكتب إليه العامل : إن الخارج هو كُثارة .

١٦٢٦/٢

قال : ثم قال البهلول لأصحابه : إنا والله ما نصنع بابن النصرانيّة شيئاً — يعنى خالداً — وما خرجت إلا لله، فلمَ لا نطلب الرأس الّذى يسلط[3] خالداً وذوى خالد ! فتوجّه يريد هشاماً بالشام، فخاف عمّال هشام مَوْجِدته إن تركوه يجوز بلادهم حتى ينتهى إلى الشأم، فجنّد له خالد جنداً من أهل العراق، وجنّد له عامل الجزيرة جنداً من أهل الجزيرة، ووجّه إليه هشام جنداً من أهل الشأم ؛ فاجتمعوا بدير بين الجزيرة والموصل، وأقبل بُهلول حتى انتهى

---

(١) ف : « يقول هذا » . (٢) ا : « قتلوا من قتلوا من النفر » .

(٣) ابن الأثير : « سلط » .

إليهم — ويقال : التقوْا بالكُحَيل دون الموصل — فأقبل بهلول ، فنزل على باب الدَّيْر ، فقالوا له : تزحزح عن باب الدير حتى نخرج إليك ، فتنحّى وخرجوا ؛ فلما رأى كثرتهم وهو فى سبعين جعل من أصحابه ميمنة وميسرة ، ثم أقبل عليهم فقال : أكلّكم يرجو أن يقتلنا ثم يأتى بلده وأهله سالمًا ؟ قالوا : إنا نرجو ذلك إن شاء الله ، فشدّ على رجل منهم فقتله ، فقال : أما هذا فلا يأتى أهله أبداً ؛ فلم يزل ذلك ديدنَه حتى قتل منهم ستة نفر ؛ فانهزموا ، فدخلوا الدّير فحاصرهم ، وجاءتهم الأمداد فكانوا عشرين ألفًا ، فقال له أصحابه : ألاَ نعقر دوابّنا ، ثم نشدّ عليهم شدة واحدة ؟ فقال : لا تفعلوا حتى نبلى الله عذراً ما استمسكنا[١] على دوابّنا ، فقاتلوهم يومهم ذلك كله إلى جنح العصر حتى أكثروا[٢] فيهم القتل والجراح .

١٦٢٧/٢

ثم إن بهلولا وأصحابه عقروا دوابّهم وترجّلوا ، وأصلتوا لهم السيوف ، فأوجعوا فيهم ؛ فقتِل عامة أصحاب بُهلول وهو يقاتل ويذود عن أصحابه ، وحمل عليه رجل من جَدِيلة قيس يكنى أبا الموت ، فطعنَه فصرعه ، فوافاه مَن بقى من أصحابه ، فقالوا له : وَلِّ أمرنا مِن بعدَك من يقوم به ، فقال : إن هلكت فأمير المؤمنين دِعامة الشيبانىّ ، فإن هلك دعامة فأمير المؤمنين عمرو اليشكرىّ ، وكان أبو الموت إنما ختل البهلول . ومات بهلول من ليلته ، فلما أصبحوا هرب دِعامة وخلاّهم ، فقال رجل من شعرائهم :

لبئس أَميرُ المؤمنينَ دِعامةٌ [٣] دِعامَةُ فى الهَيْجاءِ شَرُّ الدَّعائم

وقال الضحاك بن قيس يَرثى بُهلولا ، ويذكر أصحابه :

بُدِّلتُ بعد أَبى بِشر وصحبتِه قوماً علىَّ معَ الأَحزاب أَعوانا
كأَنهمْ لم يكونوا من صَحَابتِنا ولم يكونوا لنا بالأَمسِ خُلاَّنا
يا عينُ أَذرى دُمُوعاً منك تَهتانا وابكى لنا صحبةً بانوا وإِخوانا
خَلَّوا لنا ظاهِرَ الدنيا وباطنَها وأَصبحوا فى جنان الخلد جيرانا

قال أبو عبيدة : لما قتل بهلول خرج عمرو اليشكرىّ فلم يلبث أن قتل . ثم

(١) ب : « ما استمكنا » . (٢) ف : « فأكثروا » .
(٣) ا : « معترفاً به » .

خرج العنزىّ صاحب[1] الأشهب — وبهذا كان يعرف — على خالد فى ستّين ،
فوجّه إليه خالد السّمط بن مسلم[2] البَجلىّ فى أربعة آلاف ، فالتقوا بناحية ٢/١٦٢٨
الفرات ، فشدّ العنزىّ على السّمط ، فضربه بين أصابعه فألقى سيفه ، وشلّت
يده ، وحمل عليهم فانهزمت الحَرورية فتلقاهم عَبيد أهل الكوفة وسفلتهم ،
فرموْهم بالحجارة حتى قتلوهم .

قال أبو عبيدة : ثم خرج وزير السختيانىّ على خالد فى نفر ؛ وكان
مخرجه بالحيرة ، فجعل لا يمرّ بقرية إلا أحرقها ، ولا أحد إلا قتله ؛ وغلب
على ما هنالك وعلى بيت المال ، فوجّه إليه خالد قائداً من أصحابه وشُرَطاً
من شُرَط الكوفة ، فقاتلوه وهو فى نفير ؛ فقاتل حتى قتِل عامة أصحابه ،
وأثخِن بالجراح ؛ فأخِذ مرتثًّا ، فأتِىَ به خالد ، فأقبل على خالد فوعظه ، وتلا
عليه آيات من القرآن . فأعجب خالداً ما سمع منه ، فأمسك عن قتله
وحبسه عنده ، وكان لا يزال يبعث إليه فى الليالى فيؤتَى به فيحادثه ويسائله ،
فبلغ ذلك هشاماً وسُعِى به إليه ، وقيل : أخذ حروريًّا قد قتَل وحرق وأباح
الأموال ، فاستبقاه فاتّخذه سميراً . فغضب هشام ، وكتب إلى خالد يشتمه ،
ويقول : لا تستبق فاسقاً قتَل وحرق ، وأباح الأموال ؛ فكان خالد يقول :
إنى أنفس به عن الموت لما كان يسمع من بيانه وفصاحته . فكتب فيه إلى هشام
يرقّق من أمره — ويقال : بل لم يكتب ولكنه كان يؤخّر أمره ويدفع عنه — ٢/١٦٢٩
حتى كتب إليه هشام يؤنبه ويأمره بقتله وإحراقه ؛ فلما جاءه أمر عزيمة لا يستطيع
دفعه بعث إليه وإلى نفر من أصحابه كانوا أخِذوا معه ؛ فأمر بهم فأدخلوا
المسجد ، وأدخلت أطنان القَصب فشُدّوا فيها ، ثم صبّ عليهم النّفْط ، ثم
أخرِجوا فنصبوا فى الرّحبة ، ورُموا بالنّيران ؛ فما منهم أحد إلا من اضطرب وأظهر
جَزَعاً ، إلا وزيراً فإنه لم يتحرك ، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات .

* * *

وفى هذه السنة غزا أسد بن عبد الله الخُتّل . وفيها قتل أسد بدرطرخان
ملك الخُتّل .

(١) ابن الأثير : « وخرج البخترى صاحب الأشهب » .
(٢) ابن الأثير : « الشمط بن مسلم » .

ذكر الخبر عن غزوة أسد

الخُتّل هذه الغزوة وسبب قتله بدر طرخان

ذكر علىّ بن محمد عن أشياخه الذين ذكرناهم قبل أنهم قالوا : غزا أسد ابن عبد الله الختّل وهى غزوة بدر طرخان ، فوجّه مصعب بن عمرو الخزاعىّ إليها ، فلم يزل مصعب يسير حتى نزل بقرب بدر طرخان ؛ فطلب الأمان على أن يخرج إلى أسد . فأجابه مصعب ، فخرج إلى أسد فطلب منه أشياء[1] فامتنع ، ثم سأله بدرطرخان أن يقبل منه ألف ألف درهم ، فقال له أسد : إنك رجل غريب من أهل الباميان ، اخرج من الختّل كما دخلتها. فقال له بدر طرخان : دخلتَ أنت خراسان على عشرة من المحذّفة[2] ، ولو خرجت منها اليوم لم تستقلّ على خمسمائة بعير ؛ وغيرُ ذلك أنى[3] دخلت الختّل بشىء فارْدُدْه علىّ حتى أخرج منها كما دخلتها . قال : وما ذاك ؟ قال : دخلتُها شابّا[4] فكسبت المال بالسيف ، ورزق الله أهلاً وولداً ، فاردد علىّ شبابى حتى أخرج منها ؛ هل ترى أن أخرج من أهلى وولدى ! فما بقائى بعد أهلى وولدى ! فغضب أسد .

٢/١٦٣٠

قال : وكان بدرطرخان يثق بالأمان ، فقال له أسد : أختم فى عنقك ؛ فإنى أخاف عليك معرّة الجند ، قال : لستُ أريد ذلك ؛ وأنا أكتفى من قِبَلك برجل يبلغ[5] بى مصعباً . فأبى أسد إلاّ أن يختم فى عنقه ، فختم فى رقبته ودفعه إلى أبى الأسد مولاه ، فسار به أبو الأسد ، فانتهى إلى عسكر المصعب عند المساء . وكان سلمة بن أبى عبد الله فى الموالى مع مُصعب ، فوافى أبو الأسد سلمةَ ، وهو يضع الدّراجة[6] فى موضعها ، فقال سلمة لأبى الأسد : ما صنع الأمير فى أمر بدر طرخان ؟ فقصّ الذى عرض عليه بدر طرخان وإباء أسد ذلك ، وسرّحه معه إلى المصعب ليدخله الحصن ، فقال سلمة : إن الأمير لم يُصِبْ

(١) ح ، ف : « أسيافاً » .
(٢) ابن الأثير : « الدواب » .
(٣) ابن الأثير : « فإنى » .
(٤) ح : « سباباً » .
(٥) ب : « يبلغنى » .
(٦) الدراجة : العجلة التى يدب الشيخ والصبى عليها.

٢/١٦٣١ فيما صنع ، وسينظر فى ذلك ويندم؛ إنما كان ينبغى له أن يقبض ما عرض عليه أو يحبسه فلا يدخله حصنه ؛ فإنا إنما دخلناه[١] بقناطر اتّخذناها، ومضايق أصلحناها ؛ وكان يمنعه أن يغير علينا رجاءُ الصلح ؛ فأما إذ يئس من الصّلح فإنه لايدَع الجهد . فدعْه الليلة فى قُبّتى ؛ ولا تنطلق به إلى مصعب ؛ فإنه ساعة ينظر إليه يُدخله حصنه .

قال : فأقام أبو الأسد وبدر طرخان معه فى قبّة سلمة، وأقبل أسدٌ بالناس فى طريق ضيّق، فتقطّع[٢] الجند، ومضى أسد حتى انتهى إلى نهر وقد عطِش — ولم يكن أحد من خدَمه — فاستسقى ؛ وكان السُّغدىّ بن عبد الرحمن أبو طعمة الجرمىّ معه شاكرىّ له، ومع الشاكرىّ قَرْن تبُتّىّ؛ فأخذ السُّغدىّ القرن ؛ فجعل فيه سَويقا ، وصبّ عليه ماء من النهر ، وحرّكه وسقى أسداً وقوماً من رؤساء الجند ، فنزل أسد فى ظلّ شجرة ، ودعا برجل من الحرَس ، فوضع رأسه فى فخذه ، وجاء المجشّر بن مُزاحم السُّلمىّ يقود فرَسه حتى قعد تُجاهه حيث ينظر أسداً ، فقال أسد : كيف أنت يا أبا العَدَبَّس ؟ قال : كنتُ أمسِ أحسنَ حالا منّى اليوم ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : كان بدر طرخان فى أيدينا وعرض ما عرض ؛ فلا الأمير قبِل منه ما عرض عليه

٢/١٦٣٢ ولا هو شدّ يده عليه ؛ لكنه خلّى سبيله ؛ وأمر بإدخاله حصنه لما عنده — زعم — من الوفاء . فندم أسد عند ذلك ، ودعا بدليل من أهل الختّل ورجل من أهل الشأم نافذ، فاره الفرسِ فأتى بهما ، فقال للشامىّ: إن أنت أدركتَ بدر طرخان قبل أن يدخل حصنه فلك ألف درهم ؛ فتوجّها حتى انتهيا إلى عسكر مُصعب ؛ فنادى الشامىّ: ما فعل العِلْج ؟ قيل : عند سلمة ، وانصرف الدّليل إلى أسد بالخبر ، وأقام الشامىّ مع بدر طرخان فى قُبّة سلَمة ، وبعث أسد إلى بَدر طرخان فحوّله إليه فشتمه ، فعرف بدر طرخان أنه قد نقض عهده ، فرفع حصاة فرمى بها إلى السماء ، وقال : هذا عهد الله ؛ وأخذ أخرى فرمى بها إلى السماء ، وقال : هذا عهد (محمد صلى الله عليه) ، وأخذ يصنع كذلك بعهد أمير المؤمنين وعهد المسلمين ؛ فأمر أسد بقطع يده ، وقال أسد : مَنْ ها هنا من أولياء

---

(١) ب : « دخلنا » . (٢) ا : « نقطع » .

أبي فديك ؟ (رجل من الأزد قتله بدر طرخان)، فقام رجل من الأزد فقال: أنا ، قال: اضرب عنقه ؛ ففعل . وغلب أسد على القلعة العظمى ، وبقيت قلعة فوقها صغيرة فيها ولده وأمواله ، فلم يوصل إليهم[1] ، وفرّق أسد الخيل في أودية الخُتّل .

١٦٢٣/٢ قال : وقدم أسد مَرْو ، وعليها أيّوب بن أبي حسان التميميّ[2] ، فعزله واستعمل خالد بن شديد ، ابن عمه. فلما شخص إلى بلْخ بلغه أنّ عمارة بن حُرَيم[3] تزوّج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب ، فكتَب إلى خالد بن شديد: احمل عُمارة على طلاق ابنة يزيد ؛ فإن أبي فاضربه مائة سوط ؛ فبعث إليه فأتاه وعنده العذافر بن زيد التميميّ ، فأمره بطلاقها ، ففعل بعد إباء منه ؛ وقال عذافر : عمارة والله فتى قيس وسيّدها ، وما بها عليه أبّهة؛ أي ليست بأشرف منه . فتوفّيَ خالد بن شديد، واستخلف الأشعث بن جعفر البَجَليّ .

* * *

[ظهور الصحاري بن شبيب الخارجيّ]

وفيها شرى[4] الصحاريّ بن شبيب ، وحكم بجبُّل .

* ذكر خبره :

ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن الصحاريّ بن شبيب أتى خالداً يسأله الفريضة ، فقال : وما يصنع ابن شبيب بالفريضة ! فودّعه ابن شبيب ، ومضى ، وندم خالد وخاف أن يفتق عليه فتقاً ، فأرسل إليه يدعوه ، فقال : أنا كنت عنده آنفًا ؛ فأبوْا أن يدَعوه، فشدّ عليهم بسيفه ، فتركوه فركب وسار[5] حتى جاوز واسطًا ، ثم عقَر فرسه وركب زورقًا ليخفى مكانه ، ثم ١٦٢٤/٢ قصد إلى نفر من بني تَيْم اللات بن ثعلبة ، كانوا بَجبُّل ، فأتاهم متقلداً سيفًا فأخبرهم خبره وخبر خالد ، فقالوا له : وما كنت ترجو بالفريضة ! كنتَ لأن تخرج إلى ابن النصرانيّة فتضربه بسيفك أحرَى. فقال: إني والله ما أردت

---

(١) ابن الأثير : « إليها » . (٢) ب : « التيمى» .
(٣) ف : « خزيم » .
(٤) شرى ؛ أي اتخذ مذهب الشراة ؛ وهم الخوارج؛ وفي الأثير : « خرج الصحارى » .
(٥) ح ، ف : « فسار » .

الفريضة ، وما أردت إلا التوصّل إليه لئلا ينكرنى ، ثم أقتل ابن النصرانيّة غيلة بقتله فلانًا — وكان خالد قَبْل ذلك قد قتل رجلا من قَعَدة الصُّفْرّية صَبْرًا — ثم دعاهم الصحارىّ إلى الوثوب معه فأجابه بعضهم ، وقال بعضهم : ننتظر (١) ، وأبى بعضهم وقالوا : نحن فى عافية ، فلما رأى ذلك قال :

لم أُرِدْ منه الفريضةَ إلَّا(٢) طَمَعاً فى قتله أَنْ أنالا
فأُرِيحَ الأرضَ منه وممّن عاثَ فيها وعَنِ الحقِّ مالا
كُلّ جبارٍ عنيدٍ أَراهُ تَرَكَ الحق وَسَنَّ الضلالا
إنَّنى شَارٍ بنفسى لربّى تَارِكٌ قِيلا لديهمْ وقالا
بَائعٌ أهلى ومَالِىَ أرجو فى جنانِ الخلدِ أهلاً ومالا

قال : فبايعه نحو من ثلاثين ، فشرى بجَبُّل ، ثم سار حتى أتى المبارَك . فبلغ ذلك خالداً ، فقال : قد كنت خفتُها منه . ثم وجه إليه خالد جنداً ، فلقوه بناحية المنَاذِر ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، ثم انطووا عليه فقتلوه وقتلوا جميع أصحابه(٣) .

* * *

٢/١٦٣٥ قال أبو جعفر : وحجّ بالناس فى هذه السنة أبو شاكر مسلمة بن هشام ابن عبد الملك ، وحجّ معه ابن شهاب الزُّهرىّ فى هذه السنة .

وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام ، وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله القسرىّ ، وعامل خالد على خراسان أخوه أسد بن عبد الله .

وقد قيل : إنّ أخا خالد أسداً هلك فى هذه السنة ، واستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهرانىّ .

وقيل : إن أسداً أخا خالد بن عبد الله إنّما هلك فى سنة عشرين ومائة .

وكان على أرْمينِيَة وأذرَبيجان مَرْوان بن محمد .

---

(١) ب : « ننظر » .
(٢) ب : «لم أرد قولى الفريضة » .
(٣) ح ، ف : « فقتلوه وجميع أصحابه » .

ثم دخلت سنة عشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأَحداث

فمن ذلك غزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصّائفة وافتتاحه — فيما ذكر — سندرة ، وغزوة إسحاق بن مسلم العُقيليّ وافتتاحه قلاع تُومانشاه وتخريبه أرضه ، وغزوة مَرْوان بن محمد أرض الترك .

* * *

[خبر وفاة أسد بن عبد الله القسريّ]

وفيها كانت وفاة أسد بن عبد الله فى قول المدائنىّ .

* ذكر الخبر عن سبب وفاته :

وكان سبب ذلك أنه كانت به — فيما ذكر — دُبَيلة[1] فى جوفه ؛ فحضر المِهرجان وهو ببلْخ ، فقدم عليه الأمراءُ والدّهاقين ؛ فكان ممن قدم عليه إبراهيم بن عبد الرحمن الحنفىّ عامله على هَراة وخُراسان ، ودهقان هراة ؛ فقدِما بهديّة قُوّمت بألف ألف ؛ فكان فيما قَدِما به قَصْران : قصر من فضّة وقصر من ذهب ، وأباريق من ذهب وأباريق من فضّة وصحاف[2] من ذهب وفضة ؛ فأقبلا وأسد جالس على السرير ، وأشراف خُراسان على الكراسىّ ، فوضعا القَصْرين ؛ ثم وضعا خلْفهمَا الأباريق والصِّحاف[3] والديباج المروىّ والقوهىّ والهروىّ وغير ذلك ؛ حتى امتلأ السماط ؛ وكان فيما جاء به الدّهقان أسداً كُرَةَ[4] من ذهَب ؛ ثم قام الدهقان خطيباً ، فقال : أصلح الله الأمير ! إنّا معشر العَجم ؛ أكلنا الدّنيا أربعمائة سنة ؛ أكلناها بالحلْم والعقل والوقار ؛ ليس فينا كتاب ناطق ، ولا نبىّ مرسل ؛ وكانت الرّجال عندنا ثلاثة : ميمون النقيبة أينما توجه فتح الله على يده ، والذى يليه رجل تمتّ مُروّته فى بيته فإن كان كذلك رُجِىَ[5] وعُظِّم ، وقوّد وقدّم ؛ ورجل رحُب صدره ، وبسط

١٦٣٦/٢

---

(١) الدبيلة : دمل كبير يظهر فى الجوف . (٢) ح ، ف : « وصحائف » .
(٣) ح ، ف : « والصحائف » . (٤) ا : « أكرة » ، وهما بمعنى ، واللغة الجيدة « كرة » .
(٥) كذا فى ا ، ب وفى ط : « رحب وحيى » .

يده فُرجِيَ ؛ فإذا كان كذلك قُوِّد وُقدِّم؛ وإن الله جعل صفات هؤلاء الثلاثة الذين أكلنا الدّنيا بهم أربعمائة سنة فيك أيها الأمير؛ ومانعلم أحداً هو أتمّ كَتَخُدانيَّة منك ؛ إنك[1] ضبطتَ أهل بيتِك وحشمك ومواليك ؛ فليس منهم أحد يستطيع أن يتعدّى على صغير ولا كبير ، ولا غنيّ ولا فقير ، فهذا تمام الكَتْخدانيّة ، ثم بنيتَ الإيوانات فى المفاوز ؛ فيجيءُ الجائى من المشرق والآخر من المغرب ؛ فلا يجدان عيباً إلا أن يقولا : سبحان الله ما أحسن ما بُنى ! ومِن يُمن نقيبتك أنك لقيت خاقان وهو فى مائة ألف ، معه الحارث ابن سريج فهزمتَه وفللتَه[2] ، وقتلت أصحابَه، وأبحت عسكره . وأما رُحْب صدرِك وبَسْط يدك ، فإنّا ما ندرى أىّ المالين أقرّ لعينك؟ أمالٌ قدم عليك ، أم مال خرج من عندك! بل أنتَ بما خرج أقرّ عيناً . فضحك أسد، وقال: أنت خير دهاقين خُراسان وأحسنهم هديّة، وناوله تفاحة كانت فى يده ؛ وسجد له دِهْقانُ هَراة ، وأطرق أسد ينظر إلى تلك الهدايا ؛ فنظر عن يمينه ، فقال : يا عُذافر بن يزيد ، مُرْ من يحمل هذا القَصْر الذهب ، ثم قال : يا معن بن أحمر رأس قيس — أو قال قنّسرين — مرْ بهذا القصر يحمَل ، ثم قال : يا فلان خذ إبريقاً ، ويا فلان خذ إبريقاً ، وأعطى الصِّحاف[3] حتى بقيت صحفتان ، فقال : قم يابن الصيداء ، فخذ صُحيفة[4] ، قال : فأخذ واحدةفرزنها[5] فوضعها، ثم أخذ الأخرى فرزنها، فقال له أسد: مالك؟ قال : آخذ أرزنهما ، قال : خذهما جميعاً ؛ وأعطى العُرَفاء وأصحاب البلاء ؛ فقام أبو اليعفور — وكان يسير أمام صاحب خراسان فى المغازى — فنادى : هلمّ إلى الطريق ، فقال أسد : ما أحسن ما ذكّرت بنفسك ! خذ ديباجتين ، وقام ميمون العذّاب فقال: إلىّ، إلى يساركم، إلى الجادّة؛ فقال: ما أحسن ما ذكّرت نفسك ! خذ ديباجة ، قال : فأعطى ما كان فى السِّماط كلّه ، فقال نهر بن تَوْسِعة :

تقِلّون إنْ نادى لِرَوعٍ مُثوِّبٌ وأنتم غَداةَ المهرَجانِ كثيرُ

١٦٣٧/٢ ، ١٦٣٨/٢

(١) ا ، ب : « لأنك » . (٢) ابن الأثير : « وقتلته » .
(٣) ح ، ف : « الصحائف » . (٤) ا ، ح : « صحفة » .
(٥) رزن الشيء : رفعه لينظر ما ثقله .

ثم مرض أسد ، فأفاق إفاقة فخرج يوماً ، فأتِيَ بكمّثرى أوّل ما جاء ، فأطعمَ الناس منه واحدة واحدة ؛ وأخذ كُمّثراة فرمى بها إلى خراسان دهقان هراة ، فانقطعت الدُّبَيلة ، فهلك . واستخلف جعفرًا البهرانيّ ، وهو جعفر بن حنظلة سنة عشرين ومائة فعمل أربعة أشهر ، وجاء عهد نصر بن سيّار فى رجب سنة إحدى وعشرين ومائة ، فقال ابن عِرْس العبدىّ :

نَعَى أَسَدَ بنَ عبد اللهِ نَاعٍ ... فَرِيعَ القلبُ للملِكِ المُطاعِ

ببَلخٍ وافَقَ المِقدارُ يُسْرِى ... وما لقضاءِ ربك مِنْ دَفاعِ

فجودِى عَينُ بالعَبَراتِ سَحًّا ... أَلم يُحْزِنْكِ تَفريقُ الجماعِ !

أَتَاهُ حِمامُهُ فى جوف صِيغٍ[1] ... وكم بالصيغِ من بطل شجاعِ !

كتائبُ قد يُجيبُونَ المنادى ... على جُرْدٍ مسوّمة سِراعِ

سُقِيتَ الغيث إنَّك كنت غيثاً ... مَريعاً عِندَ مُرْتَاد النَّجاعِ

وقال سليمان بن قتّة مولى بنى تيم بن مرة — وكان صديقاً لأسد :

سَقَى اللهُ بلْخاً ، سَهْلَ بلخ وحَزْنَها ... ومَرْوَىْ خُراسانَ السَّحابَ المُجمَّمَا

ومَا بِى لِتُسْقاهُ ولكنَّ حُفرَةً ... بها غَيَّبُوا شِلْوًا كريماً وأَعظُمَا

مُرَاجِمَ أَقوامٍ ومُرْدِى عَظِيمةٍ ... وطَلَّابَ أَوتارٍ عِفَرْناً عَثَمثَما

لقد كان يُعطِى السَّيْفَ فى الرَّوْعِ حقَّهُ ... ويُرْوِى السنانَ الزَّاغِبىَّ المُقَوَّما

٢/١٦٣٩

* * *

[أمر شيعة بنى العباس بخراسان]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة وجّهت شيعة بنى العباس بخراسان إلى محمد بن علىّ بن العباس سليمانَ بن كثير ليعلمه أمرهم وما هم عليه .

* ذكر الخبر عن سبب توجيههم سليمان إلى محمد :

وكان السبب فى ذلك موجِدة كانت من محمد بن علىّ علَى مَنْ كان بخُراسان من شيعته من أجل طاعتهم ، كانت لخداش الذى ذكرنا خبره قبل وقبولهم منه ما روى عليه من الكذب ؛ فترك مكاتبتهم ؛ فلما أبطأ عليهم

٢/١٦٤٠

(١) ا : «صبغ» .

كتابُه ، اجتمعوا فذكروا ذلك بينهم ؛ فأجمعوا على الرِّضا بسليمان بن كَثير ليلقاه بأمرهم ، ويخبره عنهم ، ويرجع إليهم بما يردّ عليه ؛ فقدم — فيما ذكر — سليمان بن كَثير على محمد بن علىّ وهو متنكّر لمن بخُراسان من شيعته ، فأخبره عنْهم ، فعنّفهم فى اتّباعهم خداشاً وما كان دعا إليه ، وقال : لعن الله خداشا ومَنْ كان على دينِه ! ثم صرف سليمان إلى خراسان ، وكتب إليهم معه كتاباً ، فقدم عليهم ، ومعه الكتاب مختوماً ، فَفَضّوا خاتمه فلم يجدوا فيه شيئاً ، إلاّ : «بسم الله الرحمن الرحيم» ، فغلظ ذلك عليهم وعلموا أنّ ما كان خداش أتاهم به لأمره مخالف .

وفى هذه السنة وجّه محمد بن علىّ بكير بن ماهان إلى شيعته بخُراسان بعد منصرَف سليمان بن كَثير من عنده إليهم ، وكتب معه إليهم كتاباً يعلمهم أنّ خِداشاً حمل شيعته على غير مِنهاجه . فقدم عليهم بكير بكتابه فلم يصدّقوه واستخفّوا به ؛ فانصرف بكير إلى محمد بن علىّ ، فبعث معه بعصىّ مضبّبة بعضها بالحديد وبعضها بالشَّبَه ؛ فقدم بها بكير وجمع النقباء والشّيعة ، ودفع إلى كلّ رجل منهم عصًا ، فعلموا أنهم مخالفون لسيرته ، فرجعوا وتابوا .

* * *

١٦٤١/٢ وفى هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالدَ بن عبد الله عن أعماله التى كان ولاه إياها كلّها .

ذكر سبب عزل هشام خالدًا

قد قيل فى ذلك أقوال ، نذكر ما حضرنا من ذلك ذكره ؛ فممّا قيل فى ذلك : إن فَرّوخ أبا المثنى كان قد تقبّل[1] من ضياع هشام بن عبد الملك بموضع يقال له رُستاق الرّمان أو نهر الرّمان — وكان يُدعى بذلك فرّوخ الرّمانىّ — فثقل مكانه على خالد ، فقال خالد لحسان[2] النَّبَطىّ : ويحك ! اخرج إلى أمير المؤمنين فزِدْ على فرّوخ ، فخرج فزاد عليه

(١) التقبل : أن يأخذ العامل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى .
(٢) فى ابن الأثير : «لحيان» ؛ وكذلك فى كل ما يأتى بعد .

ألف ألف درهم ؛ فبعث هشام رجلين من صُلحاء أهل الشأم، فحازَا الضياع ؛ فصار حسان أثقلَ على خالد من فرّوخ ؛ فجعل يضرّ به ، فيقول له حسّان: لا تفسدنى وأنا صنيعتك ! فأبى إلاّ الإضرار به ، فلما قدم عليه بثق البثوق على الضّياع ، ثم خرج إلى هشام، فقال : إن خالداً بشَق البثُوق على ضياعك . فوجّه هشام رجلا ، فنظر إليها ثم رجع إلى هشام فأخبره ، فقال حسان لخادم مِن خدم هشام : إن تكلّمتَ بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام، فلك عندى ألف دينار ، قال : فعجّل لى الألف وأقول ما شئت ، قال : فعجّلها له وقال له : بَكّ صبيّاً من صبيان هشام ؛ فإذا بكى فقل له : اسكت ؛ والله لكأنك ابنُ خالد القسرىّ الذى غلّته ثلاثة عشر ألف ألف . فسمعها هشام فأغضى عليها . ثم دخل عليه حسّان بعد ذلك ، فقال له هشام : ادنُ منى فدنا منه ، فقال : كم غلّة خالد ؟ قال : ثلاثة عشر ألف ألف ، قال : فكيف لم تخبرنى بهذا ! قال : وهل سألتَنى ؟ فوقرَتْ فى نفس هشام ، فأزمع على عزله . ٢/١٦٤٢

وقيل : كان خالد يقول لابنه يزيد : ما أنت بدون مسلمة بن هشام ؛ فإنّك لتفخر علَى الناس بثلاث لا يفخر بمثلها أحدٌ : سكَرْتُ دجلة ولم يتكلّف ذلك أحد ، ولى سِقايةٌ بمكة ، ولى ولاية العراق .

وقيل : إنّما أغضب هشامًا على خالد أنّ رجلا من قريش دخل على خالد فاستخفّ به وعضّه بلسانه ، فكتب إلى هشام يشكوه ، فكتب هشام إلى خالد :

أمّا بعد ؛ فإنّ أمير المؤمنين — وإن كان أطلق لك يدك ورأيك فيمن استرعاك أمره ، واستحفظك عليه ، للّذى رجا من كفايتك، ووثِق به من حسن تدبيرك — لم يُفرشك[1] غُرّة أهل بيته لتطأه بقدميك، ولا تحدّ إليه بصرك ؛ فكيف بك وقد بسطت على غُرّتهم بالعراق لسانَك بالتوبيخ ؛ تريد بذلك تصغير خَطَرِه[2]، واحتقار قدره ؛ زعمت بالنّصفة[3] منه حتى

(١) كذا فى ا ، ب ، وفى ط : «لم يفترشك» . ولم يفرشك ؛ أى لم يجعلهم لك بساطاً لتبسط نفوذك عليهم . (٢) الخطر : القدر ؛ وفى ب : « حظه » .
(٣) النصفة : الانتصاف .

٢/١٦٤٣ أخرجك ذلك إلى الإغلاظ فى اللفظ عليه فى مجلس العامة ، غير متحلحل[١] له حين رأيتَه مقبلا من صدر مهادك الذى مهد له الله، وفى قومك مَن يعلوك بحسبه ، ويغمرُك بأوّليته، فنلتَ مهادَك بمارفع به آل عُمرو من ضَعتك خاصةً ، مساوين بك فروع غُرَر القبائل وقرومها[٢] قِبَل أمير المؤمنين ؛ حتى حللتَ هضبةً أصبحتَ تنحو[٣] بها عليهم مفتخراً . هذا إن لم يدهده بك قلة شكرك متحطِّماً وقيذاً[٤] . فهلاّ — يابن مجرِّشة[٥] قومك — أعظمت رجُلتهم عليك داخلا ، ووسَّعت مجلسه إذ رأيتَه إليك مقبلاً ، وتجافيتَ له عن صدر فراشك مكرّماً، ثم فاوضتَه مقبلا ببِشْرك ، إكراماً لأمير المؤمنين، فإذا اطمأنّ به مجلسه نازعته بجِيِّ السرار[٦] ، معظِّماً لقرابتَه، عارفاً لحقّه؛ فهو سِنّ البيتيْن ونابهم[٧] ، وابن شيخ آل أبى العاص وحَرْب وغُرّتهم . وبالله يقسم أمير المؤمنين لك لولا ما تقدّم من حُرْمتك وما يكره من شماتة عدوّك بك لوضع[٨] منك ما رفع ؛ حتى يردّك إلى حال تفقد بها أهلَ الحوائج بعراقك ، وتزاحم المواكب ببابك[٩] . وما أقربنى من أن أجعلك

٢/١٦٤٤ تابعاً لمن كان لك تَبعاً ؛ فانهض على أىّ حال ألفاك رسولُ أمير المؤمنين وكتابُه، من ليل أو نهار، ماشياً على قدمك بمن معك من خوَلك[١٠] ؛ حتى تقف على باب ابن عمرو صاغراً[١١] ، مستأذناً عليه، متنصلا إليه ؛ أذِن لك أو منعك؛ فإن حرّكته عواطف رحمة احتملك، وإن احتملته أنَفة وحميّة[١٢] من دخولك عليك فقِف ببابه حَوْلا غير متحلحل ولا زائل؛ ثم أمرُك بعدُ إليه؛ عزل[١٣] أو ولّى، انتصر[١٤] أو عفا؛ فلعنك الله من متّكل عليه بالثقة؛ ما أكثر هفواتك ، وأقذع[١٥] لأهل الشرف ألفاظك ؛ التى لا تزال تبلغ أمير المؤمنين

---

(١) غير متحلحل ؛ أى غير متزحزح ؛ يقال : حلحله ؛ إذا أزاله عن مكانه .
(٢) القروم : جمع قرم ؛ وهو السيد . (٣) تنحو بها ؛ أى تطل وتشرف .
(٤) دهده الحجر فتدهده : دحرجه فتدحرج ، والوقيذ : الصريع .
(٥) المجرشة : الماشطة ؛ يقال : جرش رأسه بالمشط ؛ إذا حكه .
(٦) السرار : المسارة ؛ أى جادلته فى سرار مقرون بالحياء .
(٧) ناب القوم : سيدهم . (٨) ح : « لحط» .
(٩) ف : « على بابك » . (١٠) الخول : الحاشية .
(١١) صاغراً : ذليلا . (١٢) ح ، ف : « حميته وأنفته» .
(١٣) ف : « عزلك » . (١٤) ح : « وانتصر » .
(١٥) القذع : الخنا والفحش .

من إقدامك بها علَى مَنْ هو أولى بما أنت فيه من ولاية مِصْرَيِ العراق ، وأقدم وأقوم . وقد كتب أمير المؤمنين إلى ابن عمّه بما كتب به إليك من إنكاره عليك ، ليرى فى العفو عنك والسخط عليك رأيه ، مفوّضًا ذلك إليه مبسوطة فيه يدُه ، محموداً عند أمير المؤمنين على أيّهما آتى إليك ، موفقًا إن شاء الله تعالى .

وكتب إلى ابن عمرو[1] :

أما بعد ، فقد بلغ أميرَ المؤمنين كتابُك ، وفهِم ما ذكرت من بَسْطِ خالد عليك لسانَه فى مجلسَ العامة محتقِراً لقَدْرك ، مستصغراً لقرابتك من أمير المؤمنين ، وعواطف رحِمه عليك وإمساكِك عنه ، تعظيماً لأمير المؤمنين وسلطانه ، وتمسكًا بوثائق عِصَم[2] طاعته، مع مؤلم ما تداخلك من قبائح ألفاظه وشرارة منطقه ، وإكبابه عليك عند إطراقك عنه ، مروّياً فيما أطلق أمير المؤمنين من لسانه[3] ،وأطالَ من عنانه، ورفع من ضعته، ونوّه من خموله ؛ وكذلك أنتم آل سعيد فى مثلها عند هَذْر الذّنابى[4] وطائشة أحلامها ، صُمْتٌ من غير إفحام، بل بأحلام تَخِفّ بالجبال[5] وزناً . وقد حمِد أمير المؤمنين تعظيمَك إياه ، وتوقيرك سلطانه وشكره ؛ وقد جعل أمر خالد إليك فى عزلك إياه أو إقراره[6] ؛ فإن عزلتَه أمضى عزلك إيّاه، وإن أقررتَه فتلك منّة لك عليه لا يشركك أمير المؤمنين فيها . وقد كتب إليه أمير المؤمنين بما يطرد عنه سِنَة الهاجع عند وصوله إليه، يأمره بإتيانك راجلاً على أيّة حال صادفه كتابُ أمير المؤمنين فيها ، وألفاه رسولُه الموجّه إليه من ليله أو نهاره، حتى يقف ببابك ؛ أذنت له أو حجبته ، أقررتَه أو عزلته ، وتقدّم أمير المؤمنين إلى رسوله فى ضربه بين يديك على رأسه عشرين سوطًا إلا أن تكره أن يناله

١٦٤٥/٢

(١) فى ابن الأثير : «رجل من آل عمرو بن سعيد بن العاص» ، وهو القرشى الذى دخل على خالد ، وانظر ص ١٤٣ .
(٢) العصم : جمع عصمة ؛ وهى ما يعتصم به من عقد أو سبب .
(٣) الشرارة : مصدر ؛ كالشر ، وأكب عليه : حمل وكر ، وروى فى الأمر : نظر وفكر .
(٤) هذر فى كلامه ، كضرب ونصر : هذى ، والذنابى : أذناب الناس وسفلتهم .
(٥) أى تخف وزن الجبال ؛ وفى ط : « تحف » ، تحريف .
(٦) ح : « وإقراره » .

ذلك بسببك لحرمة خدمته؛ فأيّهما رأيت إمضاءه كان لأمير المؤمنين فى برّك وعظم حُرْمتك وقرابتك وصلة رحمك موافقًا ، وإليه حبيبًا ، فيما ينوى من قضاء حقّ آل أبى العاص وسعيد . فكاتبْ أميرَ المؤمنين فيما بدا لك مبتدئًا ومجيبًا[1] ومحادثًا وطالبًا ؛ ما عسى أن يُنزل بك أهلك من أهل بيت أمير المؤمنين من حوائجهم التى تقعد بهم الحشمة عن تناولها من قبَله لبعد دارهم عنه ، وقلة إمكان الخروج لإنزالها به؛ غير محتشم من أمير المؤمنين ، ولا مستوحشٍ من تكرارها عليه ، على قَدْرِ قرابتهم وأديانهم[2] وأنسابهم ، مستمنحاً[3] ومسترفداً ، وطالبًا مستزيداً. تجد أمير المؤمنين إليك سريعًا بالبرّ لما يحاول من صلة قرابتهم ، وقضاء حقوقهم ، وبالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوى ، وإليه يرغب فى العَوْن على قضاء حقّ قرابته ، وعليه يتوكّل ، وبه يثق. والله وليّه ومولاه . والسلام . ١٦٤٦/٢

* * *

وقيل : إنّ خالداً كان كثيراً ما يذكر هشامًا ، فيقول : ابن الحمقاء. وكانت أم هشام تستحمق ، وقد ذكرنا خبرها قبلُ .

وذكر أنه كتب إلى هشام كتابًا غاظَه ، فكتب إليه هشام : يا بن أمّ خالد؛ قد بلغنى أنك تقول : ما ولاية العراق لى بشرف ؛ فيابن اللخناء، كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفًا ، وأنت مِنْ بَجيلة القليلة الذليلة ! أما والله إنى لأظنّ أنّ أوّل من يأتيك صغير من قريش ؛ يشدّ يديْك إلى عنقك .

وذكر أن هشاماً كتب إليه : قد بلغنى قولك : أنا خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز ؛ ما أنا بأشرف الخمسة. أما والله لأردّنّك إلى بَغْلتك وطَيْلسانك الفيروزىّ . ١٦٤٧/٢

وذكر أن هشاماً بلغه أنه يقول لابنه : كيف أنت إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين ! فظهر الغضب فى وجهه .

وقيل : إن هشاماً قدم عليه رجل من أهل الشأم ، فقال : إنى سمعت خالداً ذكر أمير المؤمنين بما لا تنطلق به الشفتان ؛ قال : قال : الأحول ؟ قال : لا ، بل قال أشدّ من ذلك ، قال : فما هو ؟ قال : لا أقوله أبداً ،

(١) ب : « ومجنباً » . (٢) ب « وأذنابهم » ، ف : « وأربابهم » .
(٣) ف : « مستميحاً » .

فلم يزل يبلغه عنه ما يكره حتى تغيّرله[1] .

وذكر أن دهقاناً دخل على خالد، فقال: أيّها الأمير، إنّ غلة ابنك قد زادت على عشرة آلاف ألف؛ ولا آمنُ أن يبلغ هذا أمير المؤمنين فيستكثره[2]. وإنّ الناس يحبون جسدَك، وأنا أحبّ جسدك وروحَك؛ قال: إن أسد بن عبد الله قد كلّمنى بمثل هذا، فأنت أمرته؟ قال: نعم، قال: ويحك! دع ابنى، فلربما طلب الدّرْهم فلم يقدر عليه.

ثم عزم هشام – لما كثر عليه ما يتّصل به عن خالد من الأمور التى كان يكرهها – على عزله؛ فلما عزم على ذلك أخفى ما قد عزم له عليه من أمره.

* * *

ذكر الخبر عن عمل هشام في عزل خالد حين صحّ عزمُه على عزله

ذكر عمر أن عُبيد بن جنّاد حدّثه أنه سمع أباه وبعض الكتبة يذكر أن هشاماً أخفى عزْل خالد، وكتب إلى يوسف بخطّه – وهو على اليمن – أن يُقبِل فى ثلاثين من أصحابه. فخرج يوسف حتى صار إلى الكوفة، فعرّس قريباً منها، وقد ختن طارق – خليفة خالد على الخراج – ولدَه؛ فأهدى له ألف عتيق وألف وصيف وألف وصيفة؛ سوى الأموال والثياب وغير ذلك؛ فمرّ العاسّ بيوسف وأصحابه ويوسف يصلى ورائحة الطيب تنفح من ثيابه، فقال: ما أنتم؟ قالوا: سفّار[3]؛ قال: فأين تريدون؟ قالوا: بعض المواضع، فأتوا طارقاً وأصحابَه، فقالوا: إنا رأينا قوماً أنكرناهم، والرأى أن نقتلهم، فإن كانوا خوارجَ استرحنا منهم؛ وإن كانوا يريدونكم عرفتم ذلك فاستعددتم على أمرهم. فنهوْهم عن قتلهم؛ فطافوا؛ فلما كان فى السَّحر وقد انتقل يوسف وصار إلى دور ثَقيف، فمرّ بهم العاسّ، فقال: ما أنتم؟ فقالوا: سفّار، قال: فأين تريدون؟ قالوا: بعض المواضع، فأتوا طارقاً وأصحابه، فقالوا: قد صاروا إلى دور ثَقيف والرأى أن نقتلهم، فمنعوهم وأمر يوسف بعض الثّقفيّين، فقال: اجمع لى مَن بها من مُضر. ففعل، فدخل المسجد مع

٢/١٦٤٨

(١) ف: «عليه». (٢) ب: «فيتنكر له ويستكثره».
(٣) كذا فى ا، ب، وفى ط: «أسفار»، وأسفار وسفار: ذوو سفر.

١٦٤٩/٢ الفجر ، فأمر المؤذّن بالإقامة ، فقال : حتى يأتى الإمام ؛ فانتهره فأقام ، وتقدّم يوسف فقرأ : « إذا وقعت الواقعة » ، و« سأل سائل » ، ثم أرسل إلى خالد وطارق وأصحابهما ، فأخذوا وإنّ القدور لتغلى .

قال عمر : قال علىّ بن محمد ، قال : قال الربيع بن سابور مولى بنى الحريش — وكان هشام جعل إليه الخاتم مع الحرس : أتى هشاماً كتابُ خالد فغاظه[1] ، وقدم عليه فى ذلك اليوم جندب مولى يوسف بن عمر بكتاب يوسف ، فقرأه ثم قال لسالم مولى عنبسة بن عبد الملك : أجِبْه عن لسانك ، وكتب هو بخطّه كتاباً صغيراً ، ثم قال لى : ائتنى بكتاب سالم — وكان سالم على الديوان — فأتيتُه به ، فأدرج فيه الكتاب الصّغير ، ثم قال لى : اختمه ففعلت ، ثم دعا برسول يوسف ، فقال : إن صاحبك لمتعدٍّ طورَه ، ويسأل فوق قدره ؛ ثم قال لى : مزِّق ثيابه . ثم أمر به فضرب أسواطاً ، فقال : أخرجه عنّى وادفع إليه كتابه . فدفعتُ إليه الكتاب ، وقلت له : ويلك ! النّجاء ! فارتاب بشير بن أبى ثلجة من أهل الأردنّ ، وكان خليفة سالم وقال : ١٦٥٠/٢ هذه حيلة ؛ وقد ولّى يوسف العراق ؛ فكتب إلى عامل لسالم على أجَمَة سالم ، يقال له عياض : إنّ أهلك قد بعثوا إليك بالثّوب اليمانىّ ؛ فإذا أتاك فالبسه واحمد الله ، وأعلم ذلك طارقاً . فبعث عياض إلى طارق بن أبى زياد بالكتاب ، وندم بشير على كتابه ، وكتب إلى عياض : إنّ أهلك قد بدا لهم فى إمساك الثوب[2] فلا تتكل عليه ؛ فجاء عياض بالكتاب الآخر إلى طارق ، فقال طارق : الخبر فى الكتاب الأوّل ؛ ولكن صاحبك ندم وخاف أن يظهر الخبر فكتب بهذا . وركب طارق من الكوفة إلى خالد وهو بواسط ؛ فسار يوماً وليلة ، فصبّحهم ، فرآه داود البربرى — وكان على حجابة خالد وحرسه وعلى ديوان الرسائل — فأعلم خالداً ، فغضب ، وقال : قدم بغير إذن ؛ فأذن له ، فلمّا رآه قال : ما أقدمك ؟ قال : أمرٌ كنت أخطأت فيه ؛ قال : وما هو ؟ قال : وفاة أسد رحمه الله ، كتبتُ إلى الأمير أعزّيه عنه ، وإنما كان ينبغى لى أن آتيه ماشياً . فرقّ خالد ودمعت عيناه ، وقال : ارجع إلى عملك ؛

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « غاظه » .
(٢) ابن الأثير : « إرسال الثوب » .

قال : أردت أن أذكر للأمير أمراً أسِرُّه ، قال : ما دون داود سرّ ، قال : أمر من أمرى ، فغضب داود وخرج ، وأخبر طارق خالداً ، قال : فما الرأى ؟ قال : تركب إلى أمير المؤمنين فتعتذر إليه من شىء إن كان بلغه عنك . قال : فبئس الرجل أنا إذاً إن ركبت إليه بغير إذنه ، قال : فشىء آخر ، قال : وما هو ؟ قال : تسير فى عملك، وأتقدّمك[1] إلى الشأم ، فأستأذِنه لك ؛ فإنك لا تبلغ أقصى[2] عملك حتى يأتيَك إذنه ، قال : ولا هذا ، قال : فأذهب فأضمن لأمير المؤمنين جميعَ ما انكسر فى هذه السنين وآتيك بعهدك مستقبلا[3] ، قال : وما يبلغ[4] ذاك ؟ قال : مائة ألف ألف ، قال : ومِن أين آخذ[5] هذا ! والله ما أجدُ عشرة آلاف درهم ، قال : أتحمّل أنا وسعيد بن راشد أربعين ألف ألف درهم ، والزينبىّ وأبان بن الوليد عشرين ألف ألف ؛ وتفرّق الباقى على العمال ، قال : إنى إذاً للئيم ، أن كنت سوّغتُ قوماً شيئاً ثم أرجع فيه ، فقال طارق : إنما نقيك ونقى أنفسنا بأموالنا ونستأنف الدنيا ، وتبقى النعمة عليك وعلينا خير من أن يجىء مَن يطالبنا بالأموال ؛ وهى عند تجار أهل الكوفة ، فيتقاعسون ويتربّصون بنا فنقتل ، ويأكلون تلك الأموال . فأبى خالد فودّعه طارق وبكَى ، وقال : هذا آخر ما نلتقى فى الدنيا ؛ ومضى .

١٦٥١/٢

ودخل داود ، فأخبره خالد بقول طارق ، فقال : قد علم أنك لا تخرج بغير إذن ؛ فأراد أن يختلك ويأتى الشأم ، فيتقبّل بالعراق هو وابن أخيه سعيد بن راشد . فرجع طارق إلى الكوفة ، وخرج خالد إلى الحَمّة[6] .

قال : وقدم رسول يوسف عليه اليمن ، فقال له : ما وراءك ؟ قال : الشرّ ، أمير المؤمنين ساخط ، وقد ضربنى ولم يكتب جواب كتابك ، وهذا كتاب سالم صاحب الديوان . ففضّ الكتاب فقرأه ، فلما انتهى إلى آخره قرأ كتاب هشام بخطه : أن سرْ إلى العراق فقد وليتك إياه ، وإياك أن يعلم بذاك أحد ؛ وخذ ابنَ النصرانيّة وعمّاله فاشفنى منهم ؛ فقال يوسف : انظروا

١٦٥٢/٢

(١) ف : « وأتقدمه » .
(٢) ب : « آخر » .
(٣) ب : « مستقلا » .
(٤) ف : « بلغ » .
(٥) ف : « أجد » .
(٦) ابن الأثير : « الجمة » ؛ وكذلك ما بعدها .

دليلاً عالمًا بالطريق ، فأتِى بعدّة ، فاختار منهم رجلا وسار من يومه ، واستخلف على اليمن ابنَه الصّلت فشيّعه ؛ فلما أراد أن ينصرف سأله : أين تريد ؟ فضربه مائة سوط ، وقال : يابن اللخناء ، أيخفى عليك إذا استقرّ بى منزل ، فسار ، فكان إذا أتى إلى طريقين سأل ، فإذا قيل : هذا إلى العراق ، قال : أعرِق ، حتى أتى الكوفة .

قال عمر : قال علىّ عن بشر بن عيسى ، عن أبيه ، قال : قال حسان النّبَطىّ : هيأتُ لهشام طيباً ، فإنى لبين يديه وهو ينظر إلى ذلك الطّيب إذ قال لى : يا حسان ، فى كم يقدم القادم من العراق إلى اليمن ؟ قال : قلتُ : لا أدرى ، فقال :

أَمَرْتُكَ أَمرًا حازِماً فَعَصَيْتَنِى فأَصبَحْتَ مَسلوبَ الإمارَة نادِما

قال : فلم يلبث إلا قليلا حتى جاء كتاب يوسف من العراق قد قدمها ؛ وذلك فى جمادى الآخرة سنة عشرين ومائة .

قال عمر : قال علىّ : قال سالم زنبيل : لما صرنا إلى النّجف قال لى يوسف : انطلق فأتنى بطارق ؛ فلم أستطع أن آبَى عليه ، وقلت فى نفسى : مَنْ لى بطارق فى سلطانه ! ثم أتيتُ الكوفة ، فقلت لغلمان طارق : استأذنوا لى علىَ طارق ، فضربونى فصِحْتُ له : ويلك يا طارق ! أنا سالم رسول يوسف ، وقد قدم على العراق . فخرج فصاح بالغلمان ، وقال : أنا آتيه .

١٦٥٣/٢

قال : وروى أنّ يوسف قال لكيسان : انطلق فأتنى بطارق ؛ فإنْ كان قد أقبل فاحمله على إكاف ، وإن لم يكن أقبل فأت بِهِ سَحبًا . قال : فأتيته بالحيرة دارعبد المسيح — وهو سيّد أهل الحيرة — فقلت له : إنّ يوسف قد قدم على العراق ؛ وهو يأمرك أن تشدّ طارقاً وتأتيَه به ؛ فخرج هو وولده وغلمانه حتى أتوْا منزل طارق — وكان لطارق غلام شجاع معه غلمان شجعاء لهم سلاح وعدّة — فقال لطارق : إن أذِنْتَ لى خرجت إلى هؤلاء فيمن معى فقتلتُهم ، ثم طرتَ على وجهك . فذهبتَ حيث شئت . قال : فأذن لكيسان ، فقال : أخبِرْنى عن الأمير ، يريد المال ؟ قال : نعم ؛ قال : فأنا أعطيه ما سأل ؛ وأقبلوا إلى يوسف فتوافوْا بالحيرة ، فلما عاينه ضربه ضربًا مبرّحًا

— يقال خمسمائة سوط — ودخل الكوفة، وأرسل عطاء بن مقدّم إلى خالد بالحمّة.

قال عطاء: فأتيتُ الحاجب فقلتُ: استأذنْ لى على أبى الهيثم، فدخل وهو متغيّر الوجه[1]، فقال له خالد: مالك؟ قال: خير، قال: ما عندك خير، قال: عطاء بن مقدّم، قال: استأذن لى على أبى الهيثم، فقال: ائذن له، فدخلت[2]: فقال: ويل أمها سُخْطَة! قال: فلم أستقرّ حتى دخل الحكم بن الصلْت، فقعد معه، فقال له خالد: ما كان ليلى على أحد هو أحبّ إلىّ منكم.

١٦٥٤/٢

وخطب يوسف بالكوفة، فقال: إن أمير المؤمنين أمرنى بأخذ عمال ابن النصرانيّة، وأن أشفيه منهم، وسأفعل وأزيد والله يا أهل العراق؛ ولأقتلنّ منافقيكم بالسيف وجُناتكم بالعذاب وفسّاقكم. ثم نزل ومضى إلى واسط، وأتِىَ بخالد وهو بواسط.

قال عمر: قال حدثنى الحكم بن النّضر: قال: سمعت أبا عبيدة يقول: لما حبس يوسف خالداً صالحه عنه أبان بن الوليد وأصحابُه على تسعة آلاف ألف درهم، ثم ندم يوسف، وقيل له: لو لم تفعل لأخذتَ منه مائة ألف ألف درهم. قال: ما كنت لأرجع وقد رهنت لسانى بشىء. وأخبر أصحاب خالد خالداً، فقال: قد أسأتم حين أعطيتموه عند أوّل وَهْلة تسعة آلاف ألف، ما آمن أن يأخذها ثم يعود عليكم، فارجعوا. فجاءوا فقالوا: إنا قد أخبرنا خالداً فلم يرضَ بما ضمنّا، وأخبرنا أنّ المال لا يمكنه، فقال: أنتم أعلم وصاحبكم؛ فأما أنا فلا أرجع عليكم؛ فإن رجعتم لم أمنعكم، قالوا: فإنا قد رجعنا، قال: وقد[3] فعلتم! قالوا: نعم، قال: فمنكم أتى النقض؛ فوالله لا أرضى بتسعة آلاف ألف ولا مثليْها ولا مثلها، فأخذ أكثر من ذلك. وقد قيل: إنه أخذ مائة ألف ألف.

١٦٥٥/٢

وذكر الهيثم بن عدىّ، عن ابن عياش، أنّ هشامًا أزمع على عزْل خالد، وكان سبب ذلك أنه اعتقد بالعراق أموالا وحفر أنهاراً؛ حتى بلغت

---

(١) ابن الأثير: «اللون». (٢) ا، ب: «فدخل».

(٣) ف: «أفقد».

غَلّته عشرين ألف ألف ؛ منها نهر خالد ، وكان يُغلّ خمسة آلاف ألف وباجَوّى وبارُمّانا والمبارك والجامع وكُورة سابور والصِّلح ، وكان كثيراً ما يقول : إنى والله مظلوم ؛ ما تحت قدمىّ من شىء إلا وهو لى — يعنى أن عمر جعل لبَجِيلة ربع السواد .

قال الهيثم بن عدىّ : أخبرنى الحسن بن عمارة ، عن العُريان بن الهيثم ، قال : كنت كثيراً ما أقول لأصحابى: إنّى أحسب[١] هذا الرجل قد تخلّى منه ؛ إن قريشاً لا تحتمل هذا ونحوه[٢] ؛ وهم أهل حسد ، وهذا يُظهر ما يُظهر ، فقلتُ له يوماً : أيها الأمير ؛ إنّ الناس قد رمَوْك بأبصارهم ، وهى قريش ، وليس بينك وبينها إلّ[٣] ، وهم يجدون منك بُدّاً ؛ وأنت لا تجد منهم بُدّاً ؛ فأنشدك الله إلا ما كتبت إلى هشام تخبره عن أموالك ، وتعرض عليه منها ما أحبّ ؛ فما أقدرك على أن تتخذ مثلها ؛ وهو لا يستفسدك ؛ وإن كان حريصاً على ذلك فلعمرى لأنْ يذهب بعض ويبقى بعض خير من أن تذهب كلها ؛ وما كان يستحسن فيما بينك وبينه أن يأخذها كلها ، ولا آمن أن يأتيَه باغ أو حاسد[٤] فيقبل منه ؛ فلأنْ تعطيَه طائعاً خير من أن تعطيَه كارهاً . فقال : ما أنت بمتّهم ؛ ولا يكون ذلك أبداً . قال: فقلت أطعنى واجعلنى رسولك ، فوالله لا يحلّ عقدةً إلا شددتها ، ولا يشدّ عقدة إلا حللتها . قال : إنّا والله لا نعطى على الذلّ ، قال : قلتُ: هل كانت لك هذه الضياع إلا فى سلطانه! وهل تستطيع الامتناع منه إن أخذها ! قال : لا ، قلتُ : فبادره ، فإنه يحفظها لك ويشكرك عليها ؛ ولو لم تكن له عندك يد إلاّ ما ابتدأك به كنت جديراً أن تحفظه ، قال : لا والله لا يكون ذلك أبداً ، قال : قلتُ فما كنتَ صانعاً إذا عزلك وأخذ ضياعك فاصنعه ، فإنّ إخوته وولده وأهل بيته قد سبقوا[٥] لك ، وأكثروا عليه فيك ، ولك صنائع تعود عليهم بما بدا لك ، ثم استدرك استتمام ما كان منك إلى صنائعك من هشام . قال : قد أبصرتُ ما تقول وليس إلى ذلك سبيل . وكان العريان يقول : كأنكم به قد عُزِل ، وأخذ ما له

١٦٥٦/٢ — ١٦٥٧/٢

(١) ف : « لأحسب » . (٢) ح ، ف : « ولا نحوه » . (٣) الإل : الحلف والعهد .
(٤) ب ، ح : « وحاسد » . (٥) ا : « شنعوا » .

وتجُنّيَ عليه ثم لا ينتفع بشيء . قال: فكان كذلك .

قال الهيثم : وحدّثنى ابن عيّاش ، أنّ بلال بن أبى بردة كتب إلى خالد وهو عامله على البصرة حين بلغه تعتّب هشام عليه : إنّه حدَث أمر لا أجد بدًّا من مشافهتك فيه [1] ؛ فإن رأيتَ أن تأذن لى ؛ فإنما هى ليلة ويومها إليك ، ويوم عندك، وليلة ويومها منصرفًا . فكتب إليه[2] : أن أقبِلْ إذا شئت . فركب هو ومولیان له الجمّازات؛ فسار يومًا وليلة ، ثم صلى المغرب بالكوفة ؛ وهى ثمانون فرسخًا ، فأخبِر خالد بمكانه ، فأتاه وقد تعصّب ، فقال : أبا عمرو ، أتعبتَ نفسك ، قال : أجل ، قال : متى عهدُك بالبصرة ؟ قال : أمسِ ، قال : أحقٌّ ما تقول ! قال : هو والله ما قلت ، قال : فما أنصبك؟ قال : ما بلغنى من تعتّب أمير المؤمنين وقوله، وما بغاك به ولدُه وأهل بيته؛ فإنْ رأيت أن أتعرّض له وأعرض عليه بعض أموالنا ، ثم ندعوه منها إلى ما أحبّ وأنفسنا به طيّبة، ثم أعرض عليه مالك، فما أخذ منه فعلينا العوض منه بعد . قال : ما أتّهمك وحتى أنظر ؛ قال : إنى أخاف أن تعاجَل[3] ، قال : كلا ، قال : إن قريشاً من قد عرفتَ ، ولا سيما سرعتهم إليك قال : يا بلال ؛ إنى والله ما أعطى شيئاً قسراً أبداً . قال أيها الأمير ، أتكلم ؟ قال : نعم ، قال : إن هشاماً أعذر منك ، يقول : استعملتُك . وليس لك شيء، فلم تر من الحق عليك أن تعرض علىّ بعض ما صار إليك ؛ وأخاف أن يزيّن له حسان النّبطىّ ما لا تستطيع إدراكه ، فاغتنم هذه الفترة . قال : أنا ناظر فى ذلك فانصرف راشداً . فانصرف بلال وهو يقول : كأنكم بهذا الرجل قد بُعث إليه رجل بعيد أتىّ[4] ، به حمَز[5] ، بغيض النفس سخيف الدّين، قليل الحياء، يأخذه بالإحَن والترات . فكان كما قال .

١٦٥٨/٢

قال ابن عياش : وكان بلال قد اتخذ داراً بالكوفة ، وإنما استأذن خالدًا لينظر إلى داره ، فما نزلها إلّا مقيّداً، ثم جُعلت سِجْنًا إلى اليوم .

---

(١) ف : « به » . (٢) ح : « فاكتب » .
(٣) ا ، ح : « يعاجل » . (٤) الأتىّ : الدخيل فى القوم .
(٥) الحمز : الشدة .

قال ابن عيّاش : كان خالد يخطب فيقول : إنكم زعمتم أنّى أُغْلِى أسعاركم ؛ فعلى مَن يغليها لعنة الله ! وكان هشام كتب إلى خالد لا تبيعنّ من الغلّات شيئًا حتّى تباع غلّات أمير المؤمنين حتّى بلغت كيلجة درهمًا[1] .

قال الهيثم ، عن ابن عياش : كانت ولاية خالد فى شوال سنة خمس ومائة ثم عزل فى جُمادى الأولى سنة عشرين ومائة .

* * *

وفى هذه السنة قدم يوسف بن عمر العراق واليًا عليها ، وقد ذكرت قبل سبب ولايته عليها .

٢/١٦٥٩ وفى هذه السنة ولّى خُراسانَ يوسفُ بن عمر جُدَيْعَ بن علىّ الكِرْمانىّ وعزل جعفر بن حنظلة .

وقيل : إنّ يوسف لما قدم العراق أراد أن يولّىَ خراسان سَلْم بن قُتيبة ، فكتب بذلك إلى هشام ، ويستأذنه فيه ، فكتب إليه هشام : إنّ سلم بن قتيبة رجل ليس له بخراسان عشيرة ؛ ولو كان له بها عشيرة لم يقتَل بها أبوه .

وقيل إنّ يوسف كتب إلى الكِرمانىّ بولاية خُراسان مع رجل من بنى سُليم وهو بمَرْو ؛ فخرج إلى الناس يخطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر أسداً وقدومه خراسان ، وما كانوا فيه من الجهد والفتنة ، وما صُنع لهم على يديه . ثم ذكر أخاه خالداً بالجميل ، وأثنى عليه ؛ وذكر قدوم يوسف العراق ، وحثّ الناس على الطاعة ولزوم الجماعة ، ثم قال : غفر الله للميت — يعنى أسداً — وعافى الله المعزول ، وبارك للقادم . ثم نزل .

* * *

وفى هذه السنة عُزل الكِرمانىّ عن خراسان ، ووليَها نصر بن سيار بن ليث بن رافع بن ربيعة بن جُرَىّ بن عوف بن عامر بن جُندع بن ليْث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وأمّه زينب بنت حسان من بنى تَغْلِب .

* * *

ذكر الخبر عن سبب ولاية نصر بن سيَّار خُراسان

٢/١٦٦٠ ذكر علىّ بن محمد عن شيوخه أنّ وفاة أسد بن عبد الله لما انتهت إلى

(١) الكيلجة : مكيال عندهم .

هشام بن عبد الملك استشار أصحابَه في رجل يصلح لخُراسان ؛ فأشاروا عليه بأقوام ، وكتبوا له أسماءهم ؛ فكان ممن كتِب له عثمان بن عبد الله بن الشِّخِّير ويحيى بن حضين بن المنذر الرقاشيّ ونصر بن سيار الليثيّ وقَطن بن قتيبة بن مسلم والمجشّر بن مزاحم السُّلميّ أحد بني حَرَام ؛ فأما عثمان بن عبد الله ابن الشِّخِّير ، فقيل له : إنه صاحب شراب ، وقيل له : المجشّر شيخ ِهمّ ، وقيل له : ابن حُضَين رجل فيه تيه وعَظَمة ، وقيل له : قطن بن قتيبة موتور ؛ فاختار نصر بن سيّار ؛ فقيل له : ليست له بها عشيرة ، فقال هشام : أنا عشيرته . فولاّه وبعث بعهده مع عبد الكريم بن سليط بن عقبة الهِفانِيّ ؛ هفان بن عديّ بن حنيفة . فأقبل عبد الكريم بعهده ، ومعه أبو المهند كاتبه مولى بني حَنيفة ، فلما قدم سَرَخْس ولا يعلم به[1] أحد ، وعلى سَرَخْس حفص بن عمر بن عبّاد التيميّ أخو تميم بن عمر ، فأخبره أبو المهند ، فوجّه حفص رسولاً ، فحمله إلى نصر ، ونفذ ابن سليط إلى مَرْو ، فأخبر أبو المهند الكرمانيّ ، فوجّه الكرمانيّ نصر بن حبيب بن بحر بن ماسك بن عمر الكرمانيّ إلى نصر بن سيار ، فسبق رسول حفص إلى نصر بن سيار ؛ فكان أوّل مَنْ سلم عليه بالإمْرة ، فقال له نصر : لعلك شاعر مكّار ! فدفع إليه الكتاب . وكان جعفر بن حنظلة ولّى عمرو بن مسلم مَرْو ، وعزل الكرمانيّ وولّى منصور بن عمر[2] أبرشهر ، وولّى نصر بن سيار بخارى ، فقال جعفر ابن حنظلة : دعوتُ نصراً قبل أن يأتيه عهده بأيام ؛ فعرضتُ عليه أن أولّيه بخارى ، فشاور البختريّ بن مجاهد ، فقال له البختريّ ، وهو مولى بني شيبان : لا تقبلها ، قال : ولمَ ؟ قال : لأنك شيخ مُضَر بخُراسان ؛ فكأنك بعهدك قد جاء على خُراسان كلها ؛ فلما أتاه عهده بعث إلى البختريّ فقال البختري لأصحابه : قد ولي نصر بن سيار خُراسان ؛ فلما أتاه سلم عليه بالإمْرة ، فقال له : أنّى علمت ؟ قال : لما بعثتَ إليّ ، وكنتَ قبل ذلك تأتيني ، علمتُ أنك قد وليت .

٢/١٦٦١

قال : وقد قيل إنّ هشاماً قال لعبد الكريم حين أتاه خبرُ أسد بن عبد الله بموته : مَنْ ترى أن نولّيَ خراسان ، فقد بلغني أنّ لك بها وبأهلها علماً ؟

---

(١) ا : « بها » . (٢) ط : « عمرو » ؛ وهو خطأ .

قال عبد الكريم : قلت : يا أميرَ المؤمنين ؛ أمّا رجلُ خراسان حزماً ونجْدة فالكِرمانىّ ؛ فأعرض بوجهه ، وقال : ما اسمه ؟ قلت : جُدَيع بن علىّ ، قال : لا حاجة لى فيه ؛ وتطيّر ، وقال : سَمّ لى غيره ، قلت : اللسِن[1] المجرّب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانىّ أبو الميلاء ، قال : ربيعة لا تُسَدّ بها الثغور – قال عبد الكريم : فقلت فى نفسى : كرِه ربيعة واليمن ، فأرميه بمُضَر – فقلت : عقيل بن معقل الليثىّ ، إن اغتفرت هَنَةً ، قال : ما هى ؟ قلت : ليس بالعفيف ، قال : لا حاجة لى به ، قلت : منصور بن أبى الخرقاء السُّلمىّ ، إن اغتفرت نكره فإنه مشئوم ، قال : غيره ، قلت : المجشّر بن مزاحم السلمىّ ، عاقل[2] شجاع ، له رأى مع كذب فيه ، قال : لا خير فى الكذب ، قلت : يحيى بن حُضَين ، قال : ألم أخبرك أنّ ربيعة لا تسدّ بها الثغور ! قال : فكان إذا ذكرت له ربيعة ، واليمن أعرض . قال عبد الكريم : وأخّرت نصراً وهو أرجلُ القوم وأحزمهم وأعلمهم بالسياسة ، فقلت : نصر بن سيار الليثىّ ، قال : هو لها ، قلت : إن اغتفرتَ واحدة ؛ فإنه عفيف مجرّب عاقل ، قال : ما هى ؟ قلت : عشيرته بها قليلة ، قال : لا أبا لك ، أتريد عشيرة أكثر منى ! أنا عشيرته .

٢/١٦٦٢

وقال آخرون : لما قدم يوسف بن عمر العراق قال : أشيروا علىّ برجل أولّه خُراسان ، فأشاروا عليه بمسلمة بن سليمان بن عبد الله ابن خازم وقُدَيد بن منيع المنقرىّ ونصر بن سيّار وعمرو بن مسلم ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم ومنصور بن أبى الخرقاء وسلْم بن قُتيبة ويونس بن عبد ربّه وزياد بن عبد الرحمن القُشيرىّ ؛ فكتب يوسف بأسمائهم إلى هشام ، وأطرَى القيسيّة ، وجعل آخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكنانىّ ، فقال هشام : ما بال الكنانىّ آخرهم ! وكان فى كتاب يوسف إليه : يا أميرَ المؤمنين ، نصر بخُراسان قليلُ العشيرة . فكتب إليه هشام : قد فهمت كتابَك وإطراءك القيسيّة . وذكرت نصراً وقلة عشيرته ، فكيف يقلّ مَنْ أنا عشيرته ! ولكنك تقيّست علىّ ، وأنا متخندف عليك ؛ ابعث بعهد نصر ؛ فلم يقلّ مَن عشيرته

٢/١٦٦٣

(١) ابن الأثير : « المسن » .

(٢) ح ، ف : « عامل » .

أمير المؤمنين ؛ بلْه َ ما إن تميماً أكثر أهل خراسان. فكتب إلى نصر أن يكاتبَ يوسف بن عمر ، وبعث يوسف سَلْماً وافداً إلى هشام ؛ وأثنى عليه فلم يولّه ، ثم أوفد شريك بن عبد ربه النُّميرىّ ، وأثنى عليه ليولّيه َ خراسان ، فأبى عليه هشام.

قال : وأوفد نصرٌ مِنْ خُراسان الحكم بن يزيد بن عمير الأسدىّ إلى هشام ، وأثنى عليه نصر ، فضربه يوسف ومنعه من الخروج إلى خراسان ؛ فلما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة استعمل الحكم بن يَزيد على كِرْمان ، وبعث بعهد نصر مع عبد الكريم الحنفىّ — ومعه كاتبه أبو المهند مولى بنى حنيفة — فلما أتى سَرَخْس وقع الثلْج ، فأقام ونزل على حفص بن عمر بن عباد التيمىّ ، فقال له : قدمتُ بعهد نَصْر على خُراسان ؛ قال : وهو عامل يومئذ على سَرَخْس — فدعا حفص غلامه ، فحمله على فرس وأعطاه مالاً ، وقال له : طِرْ واقتل الفرس ، فإن قام عليك فاشترِ غيرَه حتى تأتى نصرًا . قال : فخرج الغلامُ حتى قدِم[1] على نصر ببلْخ ، فيجده فى السوق ، فدفع إليه الكتاب ، فقال : أتدرِى ما فى هذا الكتاب ؟ قال : لا ، فأمسكه بيده ، وأتى منزله ، فقال الناس : أتى نصراً عهده على خراسان ، فأتاه قوم من خاصّته ، فسألوه فقال : ما جاءنى شىء ، فمكث يومَه ، فدخل عليه من الغد أبو حفص بن علىّ ، أحد بنى حنظلة — وهو صهره ؛ وكانت ابنته تحت نَصْر ، وكان أهوج كثير المال ؛ فقال له : إنّ الناس قد خاضُوا وأكثروا فى ولايتك ؛ فهل جاءك شىء؟ فقال : ما جاءنى شىء ، فقام ليخرج. فقال : مكانَك ؛ وأقرأه الكتاب ، فقال : ما كان حفص ليكتب إليك إلا بحقّ ، قال : فبينا هو يكلمه إذ استأذن عليه عبدُ الكريم ، فدفع إليه عهده ، فوصله بعشرة آلاف درهم . ثم استعمل نصر على بَلْخ مسلمَ بن عبد الرحمن بن مسلم ، واستعمل وشاح ابن بكير بن وشاح على مَرْو الروذ ، والحارث بن عبد الله بن الحشرج على هراة ، وزياد بن عبد الرحمن القُشيرىّ على أبرشهر[2] ، وأبا حفص بن علىّ ختنه على خوارزم ، وقطن بن قُتيبة على السُّغْد . فقال رجل من أهل الشأم من اليمانية : ما رأيتُ عصبيّة مثل هذه ! قال : بلى ، التى كانت قبل هذه .

٢/١٦٦٤

(١) ح ، ف : « فقدم » .
(٢) ابن الأثير : « نيسابور » .

٢/١٦٦٥ فلم يستعمل أربع سنين إلا مُضريًّا، وعَمرت خُراسان عمارة لم تعمر قبل ذلك مثلَها، ووضع الخراج، وأحسن الوِلاية والجباية، فقال سَوّار بن الأشعر:

أضْحتْ خُراسانُ بَعدَ الخوفِ آمنَةً ... مِنْ ظُلمِ كلِّ غشُوم الحكمِ جَبّار
لما أتى يُوسُفاً أخبارُ ما لقِيتْ ... اختَارَ نَصْرًا لها، نَصْرَ بنَ سَيّار

وقال نصْر بن سيار فيمن كره ولايته:

تَعَزَّ عنِ الصَّبابةِ لا تُلَامُ ... كذلك لا يلُمّ بك احتِمامُ
أأنْ سَخِطَتْ كبيرةُ بعد قُرْبٍ ... كلِفْتَ بها وباشَرَكَ السَّقام!
تُرَجّى اليومَ ما وعَدَتْ حديثاً ... وقد كُذِبَتْ مواعِدَها الكرامُ
ألمْ تَرَ أنَّ ما صَنَعَ الغَوَانِى ... عَسِيرٌ لا يَريعُ به الكلامُ
أبَتْ لى طاعَتِى وأَبَى بَلَائى ... وفَوْزِى حينَ يَعْتَرِكُ الخصامُ
وإنَّا لا نُضِيعُ لنا مُلِمًّا ... ولا حَسَباً إذا ضاعَ الذِّمامُ
ولا نُغْضِى على غَدْرٍ وإنَّا ... نُقيمُ على الوفاء فلا نُلَامُ
خليفتُنا الذى فازتْ يَداهُ ... بقِدْحِ الحمدِ والمَلِكُ الهمامُ
نَسُوسُهُمُ به ولنـا عليهم ... إذا قلنا مَكارِمُهُ جِسَامُ
٢/١٦٦٦ أبو العاصِى أبُوهُ وعبدُ شَمسٍ ... وحَرْبٌ والقَماقِمَةُ الكرامُ
ومروانٌ أبو الخلفاء عالٍ ... عليه المجدُ فهو لهم نِظامُ
وبيت خليفةِ الرحمن فينا ... وبَيْتاهُ المُقَدَّسُ والحرامُ
ونحنُ الأكرمُونَ إذا نُسِبنا ... وعِرْنِينُ البَريّة والسَّنامُ
فأمْسَيْنا لنا من كلِّ حَىٍّ ... خراطِيمُ البريّة والزِّمامُ
لنا أَيدٍ نريش بها ونبْرى ... وأيدٍ فى بوادرِها السِّمامُ
وبأْسٌ فى الكريهةِ حين نلقى ... إذا كانَ النَّذيرُ بها الحسامُ[1]

(١) ا: «المدير لها».

قال : وأتى نصراً عهده فى رجب من سنة عشرين ومائة ، وقال له البختَرىّ : اقرأ عهدك واخطب الناس ؛ فخطب الناس فقال فى خطبته : استمسكوا أصحابنا بجِدّتكم ، فقد عرفنا خيرَكم وشرّكم .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

وقد قيل : إن الذى حجّ بهم فيها سليمان بن هشام .

وقيل : حجّ بهم يزيد بن هشام .

وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام ، وعلى العراق والمشرق كله يوسف بن عمر ، وعلى خراسان نصر بن سيار — وقيل جعفر بن حنظلة — وعلى البصرة كثير بن عبد الله السلمىّ من قِبَل يوسف بن عمر ، وعلى قضائها عامر بن عَبيدة الباهلىّ ، وعلى أرمينيَة وأذرَبيجان مَرْوان بن محمد ، وعلى قضاء الكوفة ابن شبرُمة .

١٦٦٧/٢

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزْوة مسلمة بن هشام بن عبد الملك الرّوم ، فافتتح بها مطامير .
وغَزْوة مرْوان بن محمد بلاد صاحب سَرِير الذهب ، فافتتح قلاعه وخرّب أرضه ، وأذعن له بالجزْية ، فى كلّ سنة ألف رأس يؤدّيه إليه، وأخذ منه بذلك الرّهن ، وملّكه مروان على أرضه .

وفيها ولد العباس بن محمد .

* * *

[ذكر الخبر عن ظهور زيد بن علىّ]

وفيها قُتل زيد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب فى قول الواقدىّ فى صفر ؛ وأما هشام بن محمد فإنه زعم أنه قتل فى سنة اثنتين وعشرين ومائة ، فى صفر منها .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله وأموره وسبب مخرجه :

اختُلف فى سبب خروجه ؛ فأما الهيثم بن عدىّ فإنه قال — فيما ذكر عنه، عن عبد الله بن عياش — قال : قدم زيد بن علىّ ومحمد بن عمر بن علىّ بن أبي طالب وداود بن علىّ بن عبدالله بن عباس على خالد بن عبدالله وهو على العراق ، فأجازهم ورجعوا إلى المدينة ؛ فلما ولّى ابن يوسفَ بن عمر كتب إلى هشام بأسمائهم وبما أجازهم به، وكتب يذكر أن خالداً ابتاع من زيد بن علىّ أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار ، ثم ردّ الأرض عليه . فكتب هشام إلى عامل المدينة أن يسرّحَهم إليه ففعل ، فسألهم هشام فأقرّوا بالجائزة ، وأنكروا ما سوى ذلك ، فسأل زيداً عن الأرض فأنكرها ، وحلفوا لهشام فصدّقهم . ١٦٦٨/٢

وأما هشام بن محمد الكلبىّ ، فإنه ذكر أن أبا مخنف حدّثه أن أوّل أمر زيد بن علىّ كان أنّ يزيد بن خالد القسْرىّ ادّعى مالاً قِبَل زيدَ بن علىّ ومحمد بن عمر بن علىّ بن أبى طالب وداود بن علىّ بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب وإبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرىّ وأيوب بن

سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومىّ ، فكتب فيهم يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك — وزيد بن علىّ يومئذ بالرُّصافة يخاصم بنى الحسن ابن الحسن بن علىّ بن أبى طالب فى صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحمد بن عمر بن علىّ يومئذ مع زيد بن علىّ — فلما قدِمت كتب يوسف ابن عمر على هشام بن عبد الملك بعث إليهم فذكَر لهم ما كتب به يوسف ابن عمر إليه مما ادّعى قبَلهم يزيدُ بن خالد ، فأنكروا ، فقال لهم هشام : فإنا باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينه ، فقال له زيد بن علىّ : أنشدك الله والرّحم أن تبعث بى إلى يوسف بن عمر ! قال : وما الذى تخاف[1] من يوسف بن عمر ؟ قال : أخاف أن يعتدىَ علىّ ، قال له هشام : ليس ذلك له ، ودعا هشام كاتبه فكتب إلى يوسف بن عمر :

١٦٦٩/٢

أما بعد ، فإذا قدِم عليك فلان وفلان ، فاجمعْ بينهم وبين يزيد بن خالد القسرىّ ، فإن هم أقرُّوا بما ادّعى عليهم فسرِّح بهم إلىّ ، وإن هم أنكروا فسله بيِّنةً ، فإن هو لم يُقِم البيِّنة فاستحلفْهم بعد العصر بالله الذى لا إله إلا هو ؛ ما استودعهم يزيد بن خالد القسرىّ وديعةً ، ولا له قبلهم[2] ، شىءٌ ! ثم خلّ سبيلهم .

فقالوا لهشام : إنا نخاف أن يتعدّى كتابَك ، ويطول علينا ، قال : كلاّ ، أنا باعث معكم رجلاً من الحرَس يأخذه بذلك ؛ حتى يعجّل الفراغ ، فقالوا : جزاك الله والرّحم خيراً ؛ لقد حكمتَ بالعدل . فسرّح بهم إلى يوسف ، واحتبس أيوب بن سلمة ؛ لأن أمّ هشام بن عبد الملك ابنة هشام ابن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومىّ ، وهو فى[3] أخواله ، فلم يؤخذ بشىءٍ من ذلك القَرْف .

فلما قدموا على يوسف ، أدخِلوا[4] عليه ، فأجلس زيدَ بن علىّ قريباً منه ، وألطفه فى المسألة ، ثم سألهم عن المال ، فأنكروا جميعاً ، وقالوا : لم يستودعنا مالاً ، ولا له قِبلنا حقّ ، فأخرج يوسف يزيدَ بن خالد إليهم ، فجمع بينه وبينهم ، وقال له : هذا زيد بن علىّ ، وهذا محمد بن عمر بن علىّ ،

١٦٧٠/٢

(١) ف : « فقال له : ما تخاف ؟ » . (٢) ح ، ف : « قبلكم » .
(٣) ا : « من » . (٤) كذا فى ا ، وفى ط : « فأدخلوا » .

وهذا فلان وفلان الذين كنتَ ادّعيت عليهم ما ادّعيت ، فقال : مالى قِبَلهم قليل ولا كثير ، فقال يوسف : أفبِى[1] تهزأ أم بأمير المؤمنين! فعذّبه يومئذ عذاباً ظنّ أنه قد قتله ، ثم أخرجهم إلى المسجد بعد صلاة العصر ، فاستحلفهم فحلفوا له ، وأمر بالقوم فبسط عليهم ؛ ما عدا زيدَ بن علىّ فإنه كفّ عنه فلم يقتدر[2] عند القوم على شىء . فكتب إلى هشام يُعلمه الحال ، فكتب إليه هشام : أن استحلفْهم ، وخلّ سبيلهم ، فخلّى عنهم فخرجوا فلحقوا بالمدينة ، وأقام زيد بن علىّ بالكوفة[3] .

* * *

وذكر عُبيد بن جنّاد ، عن عَطاء بن مُسْلم الخفّاف أنّ زيد بن علىّ رأى فى منامه أنه أضرَم فى العراق ناراً ، ثم أطفأها ثم مات . فهالَتْه ، فقال لابنه يحيى : يا بنىّ ، إنى رأيت رؤيا قد راعتنى ، فقصّها عليه . وجاءه كتاب هشام بن عبد الملك يأمره بالقدوم عليه ، فقدِم ، فقال له : الحق بأميرك يوسف ، فقال له : نشدتُك بالله يا أمير المؤمنين ، فوالله ما آمن إن بعثتَنى إليه ألّا أجتمع أنا وأنت حيّين على ظهر الأرض بعدها ، فقال : الحق بيوسف كما تؤمر ؛ فقدم عليه .

١٦٧١/٢ وقد قيل : إن هشام بن عبد الملك إنما استقدم زيداً من المدينة عن كتاب يوسف بن عمر ؛ وكان السبب فى ذلك — فيما زعم أبو عبيدة — أن يوسف بن عمر عذّب خالد بن عبد الله ، فادّعى خالد أنه استودع زيد بن علىّ وداود بن علىّ ابن عبد الله بن عباس ورجليْن من قريش : أحدهما مخزومىّ والآخر جُمَحىّ مالاً عظيماً ، فكتب بذلك يوسف إلى هشام ، فكتب هشام إلى خاله إبراهيم ابن هشام — وهو عامله على المدينة — يأمره بحملهم إليه . فدعا إبراهيم بن هشام زيداً وداود ، فسألهما عما ذكر خالد ، فحلفا ما أودعهما خالد شيئاً ، فقال : إنكما عندى لصادقان ؛ ولكن كتاب أمير المؤمنين قد جاء بما تريان ، فلا بدّ من إنفاذه . فحملهما إلى الشأم ، فحلفا بالأيمان الغِلاظ ما أودعهما خالد شيئاً قطّ . وقال داود : كنت قدِمت عليه العراق ، فأمر لى بمائة ألف

---

(١) ح : « أبى » . (٢) ا ، ح : « يقدر » .
(٣) انظر بقية خبر هشام ص ١٦٦ .

درهم ، فقال هشام : أنتما عندى أصدق من ابن النصرانيّة ، فاقدَما على يوسف ، حتى يجمع بينكما وبينه فتكذّباه فى وجهه .

وقيل : إن زيداً إنما قدِم على هشام مخاصمًا ابنَ عمّه عبدالله بن حسن بن حسن بن علىّ ، ذُكِر ذلك عن جُويرية بن أسماء ، قال : شهدتُ زيد بن علىّ وجعفر بن حسن بن حسن يختصمان فى ولاية وقوف علىّ ، وكان زيد يخاصم عن بنى حُسيْن ، وجعفر يخاصم عن بنى حسن ؛ فكان جعفر وزيد يتبالغان بين يدى الوالِى إلى كلّ غاية ، ثم يقومان فلا يُعيدان مما كان بينهما ٢/١٦٧٢ حرفًا ، فلما مات جعفر قال عبد الله : من يكفينا زيداً؟ قال حسن بن حسن بن حسن : أنا أكفيكه ، قال : كلاّ ، إنا نخاف لسانَك ويدَك ؛ ولكنى أنا(١) ، قال : إذن لا تبلغ حاجتَك وحُجّتك ، قال : أما حُجّتى فسأبلغُها ؛ فتنازعا إلى الوالى — والوالى يومئذ عندهم فيما قيل إبراهيم بن هشام — قال : فقال عبد الله لزيد : أتطمع أن تنالها وأنتَ لأمَةٍ سِنديّة ! قال : قد كان إسماعيل لأمَة ؛ فنال أكثر منها ؛ فسكت عبد الله ، وتبالغا يومئذ كلّ غاية ؛ فلما كان الغد أحضرهم الوالى ، وأحضر قريشًا والأنصار ، فتنازعا ، فاعترض رجل من الأنصار ، فدخل بينهما ، فقال له زيد : وما أنت والدخول بيننا ، وأنت رجل من قحطان ! قال : أنا والله خيرٌ منك نفسًا وأبًا وأمًّا . قال : فسكت زيد ، وانبرى له رجلٌ من قريش فقال : كذبتَ ، لعمرُ الله لهو خير منك نفسًا وأباً وأمًّا وأوّلا وآخرًا ، وفوق الأرض وتحتها ، فقال الوالى : وما أنت وهذا ! فأخذ القرشىّ كفًّا من الحصى ، فضرب به الأرض وقال : والله ما على هذا من صَبْر ، وفطن عبد الله وزيد لشماتة الوالى بهما ، فذهب عبدُ الله ليتكلّم ، فطلب إليه زيد فسكت ، وقال زيد للوالى : أمَا والله لقد جمعتَنا لأمر ما كان أبو بكر ولا عمر ليجمعانا على مثله ؛ وإنى أشهِد ٢/١٦٧٣ الله ألّا أنازعَه إليك محقًّا ولا مبطلاً ما كنتُ حيًّا . ثم قال لعبد الله : انهض يابن عمّ ؛ فنهضا وتفرّق الناس .

وقال بعضهم : لم يزل زيد ينازع جعفَر بن حسن ثم عبد الله بعده ؛

---

(١) ا : « فأكثر » .

حتى ولّى هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة ، فتنازعا ، فأغلظ عبد الله لزيد ، وقال : يابن الهندكيّة[١] ! فتضاحك زيد ، وقال : قد فعلتها يا أبا محمد ! ثم ذكر أمّه بشيء .

وذكر المدائنيّ أن عبد الله لما قال ذلك لزيد قال زيد : أجلْ والله ، لقد صبرتْ بعد وفاة سيّدها فما تعتّبتَ بابها إذ لم يصبر غيرُها . قال : ثم ندم زيد واستحيا من عمته ، فلم يدخل عليها زماناً ، فأرسلت إليه : يابن أخي ، إني لأعلم أنّ أمّك عندك كأمّ عبد الله عنده .

وقيل : إن فاطمة أرسلتْ إلى زيد : إن سبّ عبد الله أمّك فاسببْ أمّه ؛ وأنها قالت لعبد الله : أقلت لأمّ زيد كذا وكذا ؟ قال : نعم ، قالت : فبئس والله ما صنعت ! أما والله لنعم دخيلة القوم كانت !

فذكر أن خالد بن عبد الملك، قال لهما : اغدُوَا علينا غداً ، فلستُ لعبد الملك إن لم أفصل بينكما . فباتت المدينة تغلى كالمرجل[٢] ، يقول قائل : كذا وقائل كذا ؛ قائل يقول قال زيد كذا ، وقائل يقول: قال عبد الله كذا . ٢/١٦٧٤ فلما كان الغدُ جلس خالد فى المجلس فى المسجد ، واجتمع الناس ، فمن شامت ومن مهموم ، فدعا بهما خالد ، وهو يحبّ أن يتشاتما ، فذهب عبد الله يتكلم ، فقال زيد : لا تعجَل يا أبا محمد ، أعتق زيد ما يملك إن خاصمك إلى خالد أبداً ؛ ثم أقبل على خالد فقال له: يا خالد ؛ لقد جمعتَ[٣] ذرّية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمرٍ ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر ؛ قال خالد : أما لهذا السفيه أحدٌ ! فتكلم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم، فقال : يابن أبي تراب وابن حسين السفيه ، ما ترى لوالٍ[٤] عليك حقّاً ولا طاعة ! فقال زيد: اسكت أيّها القحطانيّ ، فإنا لا نجيب مثلك ، قال : ولِمَ ترغب عنى ! فوالله إنى لخير منك ، وأبى خير من أبيك ، وأمّى خير من أمك ! فتضاحك زيد، وقال: يا معشرَ قريش، هذا الدين قد ذهب ، أفذهبت الأحساب ! فوالله إنه ليذهب دينُ القوم وما تذهب أحسابهم .

---

(١) ب وابن الأثير : « السندية » .
(٢) ب : « كالمراجل » .
(٣) ابن الأثير : « أجمعت » .
(٤) ابن الأثير : « للوالى » .

فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال : كذبت والله أيّها القحطانيّ ؛ فوالله لهو خير منك نفساً وأبا وأمًّا ومحتداً ، وتناوله بكلام كثير ؛ قال القحطانيّ : دعْنا منك يابن واقد ؛ فأخذ ابن واقد كفًّا من حصًى ، فضرب بها الأرض ، ثم قال له : والله ما لنا على هذا صبر ، وقام . ١٦٧٥/٢

وشخص[١] زيد إلى هشام بن عبد الملك ، فجعل هشام لا يأذن له ، فيرفع إليه القصص ؛ فكلّما رفع إليه قصّة كتب هشام فى أسفلها : ارجع إلى أميرك[٢] ؛ فيقول زيد : والله لا أرجع إلى خالد أبداً ، وما أسأل مالاً ؛ إنما أنا رجل مخاصِم ؛ ثم أذن له يوماً بعد طول حبْس .

فذكر عمر بن شبّة ، عن أيوب بن عمر بن أبى عمرو[٣] ، قال : حدّثنى محمد بن عبد العزيز الزهريّ قال : لما قدم زيد بن علىّ علَى هشام بن عبد الملك أعلمه حاجبُه بمكانه ، فرقِيَ هشام إلى عِلّيّة له طويلة ، ثم أذن له ، وأمر خادماً أن يتبعه ، وقال : لا يرينّك ، واسمع ما يقول . قال : فأتعبته[٤] الدّرَجة — وكان بادناً — فوقف فى بعضها ، فقال : والله لا يحبّ الدنيا أحد إلا ذلّ ، فلما صار إلى هشام قضى حوائجه ، ثم مضى نحو الكوفة ، ونسى هشام أن يسأل الخادم حتى مضى لذلك أيام ، ثم سأله فأخبره ، فالتفت إلى الأبرش . فقال : والله ليأتينّك خلعه أوّلَ شىء ، وكان كما قال .

وُذكِر عن زيد أنه حلف لهشام على أمر ؛ فقال له : لا أصدّقك ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنّ الله لم يرفع قَدْر أحدٍ عن أن يرضى بالله ، ولم يضع قَدْرَ أحدٍ عن ألاّ يُرْضى بذلك منه ، فقال له هشام : لقد بلغنى يا زيدُ أنك تذكر الخلافة وتتمنّاها ، ولستَ هناك وأنت ابن أمة ! فقال زيد : إن لك يا أمير المؤمنين جواباً ، قال : تكلم ، قال : ليس أحدٌ أولَى بالله ، ولا أرفع عنده منزلة من نبىّ ابتعثه ؛ وقد كان إسماعيل من خير الأنبياء ، وولد خيرَهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، وكان إسماعيل ابنَ أمَة وأخوه ابنَ صريحة مثلك ؛ فاختاره الله عليه ، وأخرج منه خير البشر ؛ وما على أحد من ١٦٧٦/٢

(١) ابن الأثير : « فشخص » . (٢) ب وابن الأثير : « منزلك » .
(٣) كذا فى ب ، وهو الصواب ، وفى ط : « عمر » .
(٤) كذا فى ا ، والدرجة : المرقاة .

ذلك جدُّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانت أمه [أمَةً] (١) . فقال له هشام : اخرج ، قال : أخرج ثم لا ترانى إلّا حيث تكره ، فقال له سالم : يا أبا الحسين ؛ لا يظهرنّ هذا منك .

* * *

رجع الحديث إلى حديث هشام بن محمد الكلبىّ عن أبى مخنف (٢) . قال : فجعلت الشيعة تختلف إلى زيد بن علىّ ، وتأمره بالخروج ، ويقولون : إنا لنرجو أن تكون المنصورَ ، وأن يكون هذا الزمان الذى يهلِك فيه بنو أمية . فأقام بالكوفة ، فجعل يوسف بن عمر يسأل عنه ، فيقال : هو هاهنا ، فيبعث إليه أن اشخص ، فيقول : نعم ؛ ويعتلّ له بالوَجع . فمكث ما شاء الله ، ثم سأل أيضًا عنه فقيل له : هو مقيمٌ بالكوفة بعدُ لم يبرح ، فبعث إليه ، ٢/١٦٧٧ فاستحثّه بالشخوص ، فاعتلّ عليه بأشياء يبتاعُها ، وأخبره أنه فى جهازه ، ورأى جدّ يوسف فى أمره فتهيّأ ، ثم شخص حتى أتى القادسيّة . وقال بعض الناس : أرسل معه رسولاً حتى بلّغه العُذَيب ، فلحقتْه الشّيعة ، فقالوا (٣) له : أين تذهب عنّا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة ، يضربون دونَك بأسيافهم غداً وليس قبَلك من أهل الشأم إلا عدّة قليلة ، لو أن قبيلة من قبائلنا نحو مذحِج أو همْدان أو تميم أو بكْر نصبت لهم لكفتكهم (٤) بإذن الله تعالى ! فننشدك الله لمَّا رجعتَ ؛ فلم يزالوا به حتى ردُّوه إلى الكوفة .

* * *

وأما غير أبى مخنف ، فإنه قال ما ذكر عُبيد بن جنّاد ، عن عطاء بن مسلم ، أن زيد بن علىّ لما قدِم على يوسف ، قال له يوسف : زعم خالد أنه قد أودعك مالا ، قال : أنّى يودعنِى مالا وهو يشتم آبائى على منْبره ! فأرسل إلى خالد ، فأحضره فى عباءة ، فقال له : هذا زيد ، زعمتَ أنك قد أودعته مالاً ، وقد أنكر ؛ فنظر خالد فى وجههما ، ثم قال : أتريد أن تجمع مع إثمك

(١) تكملة من ا ، وما هنا مصدرية . (٢) انظر أول الخبر ص ١٦٠ .
(٣) ح : « فقالت » .
(٤) ف « لكفتهم » .

فىّ إثماً فى هذا ! وكيف أودِعه مالاً وأنا أشتمه وأشتم آباءه على المنبر !
قال : فشتمه يوسف ، ثم ردّه .

١٦٧٨/٢ وأما أبو عبيدة ، فذكِر عنه ، أنه قال : صدّق هشامٌ زيداً ومَن كان يوسف قرفه بما قرفه به ، ووجّههم إلى يوسف ، وقال : إنهم قد حلفوا لى ، وقبلتُ أيمانهم وأبرأتُهم من المال ، وإنما وجهتُهم إليك لتجمع بينهم وبين خالد فيكذّبوه . قال : ووصلهم هشام ؛ فلما قدموا على يوسف أنزلهم وأكرمهم ، وبعث إلى خالد فأتِىَ به ، فقال : قد حلف القوم ، وهذا كتاب أمير المؤمنين ببراءتهم ، فهل عندك بيّنة بما ادعيت ؟ فلم تكن له بيّنة ، فقال القوم لخالد : ما دعاك إلى ما صنعت ؟ قال : غلّظ علىّ العذاب فادّعيت ما ادعيت ، وأمّلْت أن يأتىَ الله بفرج قبل قدومكم . فأطلقهم يوسف ، فمضى القرشيّان : الجمحىّ والمخزومىّ إلى المدينة ؛ وتخلّف الهاشميّان : داود بن علىّ وزيد ابن علىّ بالكوفة .

وذكر أن زيدًا أقام بالكوفة أربعة أشهر أو خمسة ويوسف يأمره بالخروج ، ويكتب إلى عامله على الكوفة وهو يومئذ بالحيرة يأمره بإزعاج[1] زيد، وزيد يذكر أنه ينازع بعض آل طلحة بن عبيد الله فى مال بينه وبينهم بالمدينة ، فيكتب العامل بذلك إلى يوسف ، فيقرّه أياماً ، ثم يبلغه أنّ الشيعة تختلف إليه ؛ فيكتب إليه أن أخرجه ولا تؤخّره ؛ وإن ادّعى أنه ينازع فليُجرّ جرّاً[2] ، وليوكّل مَنْ يقوم مقامه فيما يطالب به ؛ وقد بايعه جماعة منهم سلمة بن ١٦٧٩/٢ كهيل ونصر بن خزيمة العبسىّ ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصارىّ وحجيّة بن الأجْلح الكندىّ وناس من وجوه أهل الكوفة ؛ فلمّا رأى ذلك داود ابن علىّ قال له : يابنَ عمّ ، لا يغرنّك هؤلاء من نفسك ؛ ففى أهل بيتك لك عبرة ، وفى خذلان هؤلاء إياهم . فقال : يا داود ، إنّ بنى أمية قد عتوْا وقست قلوبهم ؛ فلم يزل به داود حتى عزم على الشخوص ، فشخصا حتى بلغا القادسيّة .

وذكر عن أبى عبيدة ، أنه قال : اتّبعوه إلى الثعلبيّة وقالوا له : نحن أربعون

(١) الإزعاج : نقيض الإقرار.
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « جرياً » .

ألفًا ، إن رجعت إلى الكوفة لم يتخلّف عنك أحد ، وأعطوه المواثيق والأيمان المغلّظة ، فجعل يقول : إنى أخاف أن تخذلونى وتسلمونى كفعلكم بأبى وجدّى . فيحلفون له ، فيقول داود بن علىّ : يابن عمّ ، إن هؤلاء يغرّونك من نفسك[١] ! أليس قد خذلوا مَن كان أعزّ عليهم منك ؛ جدّك علىّ بن أبى طالب حتى قتل ! والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه ، وانتهبوا فُسطاطه ، وجرَحوه ! أوَ ليس قد أخرجوا جدّك الحسين ، وحلَفوا له بأوكد الأيمان ثم خذلوه وأسلموه ، ثم لم يرضَوا بذلك حتى قتلوه ! فلا تفعلْ ولا ترجع معهم . فقالوا : إن هذا لا يريد أن تظهر أنتَ ، ويزعم أنه وأهل بيته أحقّ بهذا الأمر منكم ، فقال : زيد لداود : إن عليًّا كان يقاتله معاوية بدهائه[٢] ونكرائه بأهل الشأم ، وإنّ الحسين قاتله يزيد بن معاوية والأمر عليهم مقبل ؛ فقال له داود : إنى لخائف إن رجعتَ معهم ألاّ يكون أحد أشدّ عليك منهم ؛ وأنت أعلم . ومضى داود إلى المدينة ورجع زيد إلى الكوفة .

٢/١٦٨٠

وقال عبيد بن جنّاد ، عن عطاء بن مسلم الخفّاف ، قال : كتب هشام إلى يوسف أن أشخِصْ زيداً إلى بلده ، فإنه لا يقيم ببلد غيره فيدعُوَ أهله إلا أجابوه ، فأشخصه ، فلما كان بالثعلبيّة — أو القادسية — لحقه المشائيم — يعنى أهل الكوفة — فردّوه وبايعوه ، فأتاه سلمة بن كُهَيل ، فأستاذن عليه ، فأذن له ، فذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقه فأحسن . ثم تكلم زيد فأحسن ، فقال له سلمة : اجعل لى الأمانَ ، فقال : سبحان الله ! مثلك يسأل مثلى الأمان! وإنما أراد سلمة أن يسمع ذلك أصحابه ، ثم قال : لك الأمان ، فقال : نشدتُك بالله ، كم بايعك ؟ قال : أربعون ألفًا ، قال : فكم بايع جدّك ؟ قال : ثمانون ألفًا ، قال : فكم حصل معه ؟ قال : ثلثمائة ، قال : نشدتُك الله أنت خير أم جدّك ؟ قال : بل جدّى ، قال : أفقَرْنُك الذى خرجتَ فيهم خير أم القَرْن الذى خرج فيهم جدّك ؟ قال : بل القَرْن الذى خرج فيهم جدّى ، قال : أفتطمع أن يفىَ لك هؤلاء ، وقد غدر أولئك بجدّك ! قال : قد بايعونى ، ووجبت البيعة فى عنقى وأعناقهم ،

٢/١٦٨١

(١) ب ، ح : « فى نفسك » .
(٢) ابن الأثير : « بدهيه » .

قال : أفتأذن[١] لى أن أخرج من البلد ؟ قال : لمَ ؟ قال : لا آمن أن يحدث فى أمرك حدثٌ فلا أملك نفسى ، قال : قد أذنتُ لك ، فخرج إلى اليمامة ، وخرج زيد فقتل وصلب . فكتب هشام إلى يوسف يلومه على تركه سلمة ابن كُهيل يخرج من الكوفة ، ويقول : مقامه كان خيراً من كذا وكذا من الخيل تكون معك .

وذكر عمر عن أبى إسحاق — شيخٌ من أهل أصبهان حدّثه — أن عبدالله ابن حسن كتب إلى زيد بن علىّ : يابن عمّ ؛ إن أهلَ الكوفة نُفخ العلانية ، خور السريرة ، هُوج [٢] فى الرخاء ، جُزُع فى اللقاء ، تقدمهم ألسنتهم ، ولا تشايعهم قلوبُهم ، لا يبيتون بعُدّة فى الأحداث ، ولا ينوءون بدولة مرجوّة ؛ ولقد تواترت إلىّ كتبهم بدعوتهم ، فصممْتُ عن ندائهم ؛ وألبست قلبى غشاءً عن ذكرهم ؛ يأساً منهم واطّراحاً لهم ؛ وما لهم مَثَل إلا ما قال علىّ بن أبى طالب : إن أهمِلتم خضتم ، وإن حُوربتم خُرْتم ، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم ، وإن أجبتم إلى مشاقّة نكصتم .

٢/١٦٨٢

وذكِر عن هشام بن عبد الملك ، أنه كتب إلى يوسف بن عمر فى أمر زيد بن علىّ : أما بعد فقد علمت بحالِ أهل الكوفة فى حبّهم أهلَ هذا البيت ، ووضعهم إيّاهم فى غير مواضعهم ؛ لأنهم افترضوا على أنفسهم طاعتَهم ، ووظّفوا[٣] عليهم شرائع دينهم ، ونحلوهم[٤] علم ما هو كائن ؛ حتى حملوهم من تفريق الجماعة على حال استخفّوهم فيها إلى الخروج ، وقد قدم زين بن علىّ على أمير المؤمنين فى خصومة عمر بن الوليد ، ففصَل أمير المؤمنين بينهما ، ورأى رجلا جَدِلاً لسِناً خليقاً بتمويه الكلام وصَوْغه ، واجترار الرجال بحلاوة لسانه ، وبكثرة مخارجه فى حججه ، وما يدلى به عند لَدَد[٥] الخِصام من السطوة على الخصم بالقوّة الحادّة لنيل الفَلَج[٦] ؛ فعجّل إشخاصَه إلى الحجاز ، ولا تخلّه والمُقام قِبَلك ؛ فإنه إن أعاره القوم أسماعَهم فحشاها

(١) ح : « فتأذن » . (٢) كذا فى ا . (٣) الوظيفة : ما يقدر بين عمل ورزق وطعام . (٤) نحله الشىء : نسبه إليه . (٥) اللدد : شدة الخصومة .
(٦) الفلج : الفوز والظفر .

١٦٨٣/٢ من لَيِّن لفظه ، وحلاوة منطقه ، مع ما يدلى به من القرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدَهم ميَّلاً إليه ؛ غيرَ متّئدة قلوبهم ولا ساكنة أحلامهم ، ولا مصونة عندهم أديانُهم ؛ وبعض التحامل عليه فيه أذى له ، وإخراجه وتركه مع السلامة للجميع والحقن للدماء والأمن للفرقة أحبّ إلىّ من أمر فيه سفكُ دمائهم ، وانتشار[١] كلمتِهم وقطع نسلِهم ؛ والجماعةُ حبْلُ الله المتين ، ودين الله القويم وعروته الوثقى ؛ فادع إليك أشرافَ أهلِ المصْر ، وأوعدهم العقوبة فى الأبشار[٢] ، واستصفاء[٣] الأموال ؛ فإن من له عقد أو عهد منهم سيبطئ عنه ، ولا يخفّ معه إلاّ الرّعاع وأهل السَّواد ومَن تنهضه الحاجة ؛ استلذاذاً للفتنة ؛ وأولئك ممن يستعبد إبليس ؛ وهو يستعبدهم . فبادهم[٤] بالوعيد. وأعْضِضهم بسوطِك[٥] ، وجرّد فيهم سيفك ، وأخِف الأشراف قبل الأوساط ، والأوساطَ قبْل السّفلة . واعلم أنك قائم على باب ألْفة ، وداع إلى طاعة ، وحاضّ على جماعة ، ومشمّر لدين الله ؛ فلا تستوحش لكثرتِهم ، واجعل معقلَك الذى تأوي إليه ، وصَغْوَك[٦] الذى تخرج منه الثقةَ بربّك ، والغضب لدينك ، والمحاماة عن الجماعة ، ومناصبة مَن أراد

١٦٨٤/٢ كَسْر هذا الباب الذى أمرهم الله بالدخول فيه ، والتشاحّ[٧] عليه ؛ فإن أمير المؤمنين قد أعذر إليه وقضى من ذمامه[٨] ، فليس له منزًى[٩] إلى ادعاء حقّ هو له ظُلِمَه من نصيب نفسه ، أو فىء ، أو صلة لذى قربى ، إلا الذى خاف أمير المؤمنين من حمْل بادرة السفلة على الذى عسى أن يكونوا به أشقىَ وأضلّ ؛ ولهم أمرّ ، ولأمير المؤمنين أعزّ وأسهل إلى حياطة الدّين والذبّ عنه ، فإنه لا يحبّ أن يرى فى أمته حالاً متفاوتًا نكالاً لهم مفنيًا ؛ فهو يستديم النظِرة ، ويتأتّى للرشاد ، ويجتنبهم على المخاوف ، ويستجرّهم إلى

(١) انتشار الكلمة : تفرقها .
(٢) البشرة : ظاهر الجلد والجمع بشر ، وجمع الجمع أبشار.
(٣) استصفى المال : أخذ صفوه .　(٤) بادهم : جاهرهم .
(٥) ب : « بسطوتك » .
(٦) صغوك ، أى ميلك ، وفى ف « صفوك » .
(٧) التشاح : الحرص ، يقال : تشاحوا على الأمر ؛ أى شح بعضهم على بعض .
(٨) أعذر إليه ؛ أى إلى زيد بن على ، وأعذر : صار ذا عذر ، والذمام : الحق والحرمة .
(٩) منزى ، مفعل ، من نزا ينزو ؛ إذا وثب .

المراشد ، ويعدل بهم عن المهالك ؛ فعلَ الوالد الشفيق على ولده ، والرّاعى الحدِب على رعيّته .

واعلم أنّ من حجّتك عليهم فى استحقاق نصر الله لك عند معاندتهم توفيتَك أطماعَهم ، وأعطية ذرّيتهم ، ونهيَك جندَك أن ينزلوا حريمَهم ودورَهم ؛ فانتهز رضا الله فيما أنت بسبيله ؛ فإنه ليس ذنبٌ أسرع تعجيل عقوبة مِن بغى ؛ وقد أوقعهم الشيطان ، ودلاّهم فيه ، ودلّهم عليه ؛ والعصمة بتارك البغى أوْلى ؛ فأمير المؤمنين يستعين الله عليهم وعلى غيرهم من رعيّته ، ويسأل إلهه ومَوْلاه ووليّه أن يصلح منهم ما كان فاسداً ، وأن يسرع بهم إلى النّجاة والفَوْز ؛ إنه سميع قريب . ٢/١٦٨٥

* * *

رجع الحديث إلى حديث هشام[1] . قال : فرجع زيد إلى الكوفة ، فاستخفى ، قال : فقال له محمد بن عمر بن علىّ بن أبى طالب حيث أراد الرجوع إلى الكوفة : أذكّرك الله يا زيد لمّا لحقتَ بأهلك ؛ ولم تقبلْ قولَ أحد من هؤلاء الذين يدعونَك إلى ما يدعونك إليه ؛ فإنهم لا يفُون لك ؛ فلم يقبل منه ذلك ، ورجع .

قال هشام : قال أبو مخنف : فأقبلت الشيعة لما رجع إلى الكوفة يختلفون إليه ، ويبايعون له ، حتى أحصى ديوانُه خمسة عشر ألف رجل ، فأقام بالكوفة بضعة عشر شهراً ؛ إلاّ أنه قد كان منها بالبصرة نحو شهرين ، ثم أقبل إلى الكوفة ، فأقام بها ، وأرسل إلى أهل السَّواد وأهلِ الموصل رجالاً يدعون إليه .

قال : وتزوّج حيثُ قدم الكوفة ابنةَ يعقوب بن عبد الله السُّلمىّ ، أحد بنى فرقد ، وتزوج ابنة عبد الله بن أبى العَنْبَس الأزدىّ . قال : وكان سبب تزوّجه إياها أنّ أمها أم عمرو بنت الصَّلْت كانت ترى رأى الشّيعة ، فبلغها مكانُ زيد ، فأتته لتسلّم عليه – وكانت امرأة جسيمة جميلة[2] لحيمة ، قد دخلت فى السنّ ، إلا أن الكِبَر لا يستبين عليها – ٢/١٦٨٦

---

(١) انظر صفحة ١٦٦ . (٢) ف : « جميلة جسيمة » .

فلمّا دخلت على زيد بن علىّ فسلمت عليه ظنّ أنها شابّة، فكلمته فإذا أفصح الناس لسانًا، وأجمله منظرًا، فسألها عن نسبها فانتسبتْ له، وأخبرتْه ممن هى، فقال لها: هل لك رحمك الله أن تتزوّجينى؟ قالت: أنت والله — رحمك الله — رغبةٌ لو كان من أمرى التزويج، قال لها: وما الذى يمنعك؟ قالت: يمنعنى من ذلك أنى قد أسنَنْتُ، فقال لها: كلاّ قد رضيتُ، ما أبعدك من أن تكونى قد أسننت! قالت: رحمك الله، أنا أعلم بنفسى منك؛ وبما أتى علىّ من الدهر؛ ولو كنت متزوجة يومًا من الدهر لما عدَلتُ بك؛ ولكن لى ابنة أبوها ابن عمى؛ وهى أجمل منى، وأنا أزوّجكها إن أحببتَ، قال: رضيتُ أن تكونَ مثلك، قالت له: لكنّ خالقَها ومصوّرها لم يرض أن يجعلها مثلى، حتى جعلها أبيضَ وأوسَم وأجسم، وأحسن منى دَلًّا وشِكْلًا[1]. فضحك زيد، وقال لها: قد رزقتِ فصاحة ومنطقًا حسنًا، فأين فصاحتها من فصاحتك؟ قالت: أما هذا فلا علم لى به؛ لأنى نشأتُ بالحجاز، ونشأت ابنتى بالكوفة، فلا أدرى لعلّ ابنتى قد أخذت لغة أهلها. فقال زيد: ليس ذلك بأكرَه إلىّ، ثم واعدها موعداً فأتاها فتزوّجها، ثم بنى بها فولدت له جاريةً. ثم إنها ماتت بعدُ؛ وكان بها معجَبًا. ١٦٨٧/٢

قال: وكان زيد بن علىّ ينزل بالكوفة منازلَ شتى، فى دار امرأته فى الأزْدِ مرّة، ومرّة فى أصهاره السُّلَميِّين، ومرّةً عند نصر بن خزيمة فى بنى عَبْس، ومرّة فى بنى غُبَر. ثم إنه تحوّل من بنى غُبَر إلى دار معاوية ابن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصارىّ فى أقصى جبّانة سالم السلولىّ، وفى بنى نَهْد وبنى تغلب عند مسجد بنى هلال بن عامر، فأقام يبايع أصحابه؛ وكانت بيعته التى يبايع عليها الناس: «إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وجهاد الظالمين، والدّفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقَسْم هذا الفىء بين أهله بالسواء، وردّ الظالمين، وإقفال المجمَّر[2] ونصرِنا أهل البيت على من نَصب لنا وجهل حقنا»، أتبايعون على ذلك؟

(١) الشكل: غنج المرأة ودلها.
(٢) جمر الأمير الجند، أى أبقاهم فى ثغر العدو ولم يقفلهم.

فإذا قالوا : نعم ، وضع يده على يده ، ثم يقول : عليك عهدُ الله وميثاقه وذمّته وذمّة رسوله، لتفينّ ببيعتى ولتقاتلنّ عدوّى ولتنصحنّ فى السرّ والعلانية ؟ فإذا قال : نَعَمْ مسحَ يده على يده ، ثم قال[1] : اللهمّ اشهد . فمكث بذلك ٢/١٦٨٨ بضعة عشر شهراً ؛ فلما دنا خروجه أمر أصحابه بالاستعداد والتهيّؤ ، فجعل من يريد أن يفى ويخرج معه يستعدّ لو يتهيّأ ، فشاع أمره فى الناس .

* * *

[ذكر الخبر عن غزوة نصر بن سيّار ما وراء النهر]

وفى هذه السنة غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرّتين ، ثم غزا الثالثة ، فقتل كور صُول .

* ذكر الخبر عن غزواته هذه :

ذكَر علىّ عن شيوخه، أن نصرًا غزا من بَلْخ ما وراء النهر من ناحية باب الحديد ؛ ثم قفل إلى مَرْو ، فخطب[2] الناس ، فقال : ألا إن بهرامسيس كان مانحَ المجوس ، يمنحهم ويدفع عنهم ، ويحمل أثقالهم على المسلمين ؛ ألا إنّ اشبداد بن جريجور كان مانح النصارى ؛ ألا إن عقيبة اليهودىّ كان مانح اليهود يفعل ذلك . ألا إنى مانح المسلمين ، أمنحهم وأدفع عنهم، وأحمل أثقالهم على المشركين ؛ ألا إنه لا يُقبل منى إلا تَوَفّى الخراج على ما كتِب ورفع . وقد استعملتُ عليكم منصور بن عمر بن أبى الخَرْقاء ، وأمرتُه بالعدل عليكم ، فأيما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه ، أو ثُقِّل عليه فى خراجه ، وخفّف مثل ذلك عن المشركين ، فليرفع ٢/١٦٨٩ ذلك إلى المنصور بن عمر ، يحوّله عن المسلم إلى المشرك . قال : فما كانت الجمعة الثانية ، حتى أتاه ثلاثون ألف مُسلِم ، كانوا يؤدّون الجزية عن رءوسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد ألقِيت عنهم جزيتهم[3] ، فحوّل ذلك عليهم[4] ، وألقاه عن المسلمين[5] . ثم صنّف الخراج حتى وضعه مواضعه ، ثم وظّف الوظيفة التى جَرَى عليها الصُّلح . قال : فكانت مَرْو يؤخذ منها

---

(١) ح : « يقول » .
(٢) ح : « وخطب » .
(٣) ح : « الجزية » .
(٤) ب ، ح : « عنهم » .
(٥) ح : « حتى ألقاه على المشركين » .

مائة ألف سوى الخراج أيام بنى أميـّة . ثم غزا الثانية إلى وَرَغْسَر وسمرقند ثم قفل ، ثم غزا الثالثة إلى الشاش من مَرْو ، فحال بينه وبين قطوع النهر (نهر الشاش) كورصول فى خمسة عشر ألفًا ، استأجر كلّ رجل منهم فى كلّ شهر بشِقّة حرير ؛ الشقّة يومئذ بخمسة وعشرين درهمًا ، فكانت بينهم مراماة ، فمنع نصرًا من القطوع إلى الشاش . وكان الحارث بن سُرَيج يومئذ بأرض الترك ، فأقبل معهم ؛ فكان بإزاء نصر ، فرمى نصرًا ؛ وهو على سريره على شاطئ النهر بِحُسْبان[1] ، فوقع السهم فى شِدْق وصيف لنصر يوضّئه ، فتحوّل نصر عن سريره ، ورمى فرسًا لرجل من أهل الشأم فنفق . وعبر كورصول فى أربعين رجلًا ، فبيّت أهل العسكر ، وساق شاء لأهل بُخارى ، وكانوا فى الساقة ، وأطاف بالعسكر فى ليلة مظلمة ؛ ومع نصر أهل بخارى وسمرقند وكِسّ وأُشْرُوسنة ، وهم عشرون ألفًا ، فنادى نصر فى الأخماس : ألا لا يخرجنّ أحدٌ من بنائه ، واثبتوا على مواضعكم . فخرج عاصم بن عمير وهو على جُنْد أهل سمرقند ، حتى مرّت خيل كورصول ، وقد كانت الترك صاحتْ صيحة ، فظنّ أهلُ العسكر أنّ الترك قد قطعوا كلُّهم . فلما مرّت خيل كورصول على ذلك حمل على آخرهم ، فأسر رجلا ؛ فإذا هو مَلِك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبّة ، فجاءوا به إلى نصر ، فإذا هو شيخ يسحب درعه شِبْرًا ، وعليه رانا ديباج فيهما حلَقٌ ، وقباء فرند مُكفّف[2] بالديباج ، فقال له نصر : من أنت ؟ قال : كورصول ، فقال نصر : الحمد لله الذى أمكن منك يا عدوّ الله ! قال : فما ترجو من قَتْل شيخ ، وأنا أعطيك ألف بعير من إبل الترك ، وألف برْذون تقوّى بها جندك ، وخلّ سبيلى! فقال نصر لمن حوله من أهل الشأم وأهل خراسان : ما تقولون ؟ فقالوا: خلّ سبيله ، فسأله عن سنّه ، قال : لا أدرى ، قال : كم غزوت ؟ قال : اثنتين وسبعين غزوة ، قال : أشهدتَ يوم العطَش ؟ قال : نعم ، قال : لو أعطيتنى ما طلعتْ عليه الشمس ما أفلتّ[3] من يدى بعد ما ذكرت من مشاهدك . وقال لعاصم بن عمير السغدىّ : قم إلى سَلَبه فخذه ؛ فلما

٢/١٦٩٠

٢/١٦٩١

---

(١) الحسبان : السهام الصغار . (٢) ب : « مكلل » .

(٣) ح ، ف : « انفلت » .

أيقن بالقتل ، قال : مَنْ أسرني ؟ قال نصر وهو يضحك : يزيد بن قُرّان الحنظليّ – وأشار إليه – قال : هذا لا يستطيع أن يغسل استَه – أو قال : لا يستطيع أن يتمّ بوله – فكيف يأسرني ! فأخبِرْني مَنْ أسرني ؛ فإني أهلٌ أن أقتَل سبع قتلات ، قيل له : عاصم بن عمير ، قال : لستُ أجد مسّ القتل إذ كان الذي أسرني فارساً من فرسان العرب . فقتله وصلبه على شاطئ النهر . قال : وعاصم بن عمير هو الهزارمرد ، قتِل بنهاوند أيام قحطبة .

قال : فلما قتِل كورصول تخدّرت التّرك وجاءوا بأبنيته فحرقوها ، وقطعوا آذانهم ، وجردّوا[1] وجوهَهم ، وطفِقوا يبكون عليه ؛ فلما أمسى نصر وأراد الرحلة ، بعث إلى كورصول بقارورة نِفْط ، فصبّها عليه ، وأشعل فيه النار لئلا يحملوا عظامه . قال : وكان ذلك أشدّ عليهم من قتله .

وارتفع نصر إلى فَرْغانة ، فسبى منها ثلاثين ألف رأس ، قال : فقال عنبر بن بُرْعُمة الأزدي : كتب يوسف بن عمر إلى نصر : سرْ إلى هذا الغارز[2] ذَنبه بالشاش – يعني الحارث بن سُريج – فإن أظفرك الله به وبأهل الشاش ، فخرّب بلادهم ، واسب ذراريّهم ؛ وإياك وورْطة[3] المسلمين . ٢/١٦٩٢

قال : فدعا نصرٌ الناس ، فقرأ عليهم الكتاب ، وقال : ما ترون ؟ فقال يحيى بن حُضَين : امض لأمر أمير المؤمنين وأمر الأمير ، فقال نصر : يا يحيى ، تكلمتَ لياليَ عاصم بكلمة ؛ فبلغت الخليفة فحظيتَ بها ، وزيد في عطائك ، وفرِض لأهل بيتك ، وبلغتَ الدّرجة الرفيعة ، فقلتَ : أقول مثلَها . سرْ يا يحيى ، فقد ولّيتُك مقدّمتي ؛ فأقبل الناس على يحيى يلومونه ، فقال نصر يومئذ : وأيّ ورطة أشدّ من أن تكون في السفر وهم في القرار !

قال : فسار إلى الشاش ، فأتاه الحارث بن سُريج فنصب عرّادتين[4] تلقاء بني تميم ؛ فقيل له : هؤلاء بنو تميم ، فنقلهما فنصبهما على الأزْد – ويقال : على بكر بن وائل – وأغار عليهم الأخرم ، وهو فارس التّرك ، فقتله المسلمون ، وأسروا سبعة من أصحابه ، فأمر نصر بن سيار برأس الأخرم ، فرمى به في عسكرهم بمنجَنيق ، فلما رأوه ضجوا ضجة عظيمة ، ثم ارتحلوا

---

(١) ف : « وخددوا » .
(٢) ح وابن الأثير : « الغادر دينه » .
(٣) ح : « وورطة » ، بدون واو .
(٤) العرادة : شبه المنجنيق ، صغيرة .

منهزِمين ، ورجع نصر ، وأراد أن يعبُر ، فحِيل بينه وبين ذلك ، فقال أبو نميلة صالح بن الأبَّار :

١٦٩٣/٢
كنا وَأَوْبَةُ نصر عندَ غيبته كراقِبِ النَّوْءِ حتى جاده المطَرُ
أَوْدَى بأَخْرَم منه عارضٌ بَرِدٌ مُسْتَرْجِفٌ بمنايا القوم مُنْهَمِرُ

وأقبل نصر فنزل سَمَرْقند فى السنة التى لقى فيها الحارث بن سريج ، فأتاه بخارا خُذاه منصرفًا ؛ وكانت المسلحة عليهم ، ومعهم دهقانان من دهاقين بُخارى ، وكانا أسلما على يدى نصر ، وقد أجمعا على الفَتْك بواصل بن عمرو القيسى عامل بُخارى وببخاراخُذاه يتظلّمان من بخاراخذاه ، ــ واسمه طوق شياده[1] ــ فقال بخاراخُذاه لنصْر : أصلح الله الأمير! قد علمت أنهما قد أسلما على يديك ، فما بالهما معلِّقى الخناجر عليهما! فقال لهما نصر : ما بالكما معلِّقى الخناجر وقد أسلمتما ! قال : بيننا وبين بخاراخذاه عَداوةٌ فلا نأمنه على أنفسنا . فأمر نصر هارون بن السياوش مولَى بنى سليم ــ وكان يكون على الرابطة ــ فاجتذبهما فقطعهما ، ونهض بخاراخُذاه إلى نصر يسارّه فى أمرهما ، فقالا : نموت كريمَيْن ؛ فشدّ أحدهما على واصل ابن عمرو فطعنه فى بطنه بسكين ، وضربه واصل بسيفه على رأسه ؛ فأطار قَحْف رأسه فقتله ، ومضى الآخر إلى بخاراخُذاه ــ وأقيمت الصّلاة ،

١٦٩٤/٢
وبخاراخُذاه جالس على كرسىّ ــ فوثب نصر ، فدخل السرادق ، وأحضر بخاراخُذاه ، فعثر عند باب السرادق فطعَنه ، وشدّ عليه الجوزجان بن الجوزجان ، فضربه بجرُز كان معه فقتله ، وحُمل بخاراخُذاه فأدخل سرادق نصر ، ودعا له نصر بوسادة فاتّكأ عليها ، وأتاه قرعة الطبيب ، فجعل يعالجه وأوصى إلى نصر ، ومات من ساعته ، ودفن واصل فى السرادق ، وصلى عليه نصر . وأما طوْق شياده[1] فكشطوا عنه لَحمه ، وحملوا عظامه إلى بخارى .

قال : وسار نصر إلى الشّاش ، فلما قدم أشروسنَة عَرض دهقانها أباراخرّه مالاً ، ثم نفذ إلى الشاش ، واستعمل على فَرْغانة محمد بن خالد الأزدىّ ، وجّهه إليها فى عشرة نفر ، وردّ من فَرْغانة أخاجيش فيمن كان

(١) ط : « سياده » .

معه من دهاقين الخُتَّل وغيرهم ، وانصرف منها بتماثيل كثيرة ، فنصبها فى أشروسنة .

وقال بعضهم : لما أتى نصر الشاش تلقّاه قدر ملكها بالصُّلح والهديّة والرّهن ، واشترط عليه إخراجَ الحارث بن سُريج من بلده ، فأخرجه إلى فاراب ؛ واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص ، ثم سار حتى نزل قُبَاء من أرض فرغانة ، وقد كانوا أحسوا بمجيئه ، فأحرقوا الحشيش وحبسوا الميرة . ووجّه نصر إلى ولىّ عهد صاحب فرغانة فى بقية سنة إحدى وعشرين ومائة ، فحاصروه فى قلعة من قلاعها ، فغفل عنهم المسلمون ، فخرجوا على دوابّهم فاستاقوها ، وأسروا ناسًا من المسلمين ، فوجّه إليهم نصر رجالاً من بنى تميم ، ومعهم محمد بن المثنى — وكان فارسًا — فكايدهم المسلمون ، فأهملوا دوابّهم وكمنوا لهم ، فخرجوا فاستاقوا بعضَها ، وخرج عليهم المسلمون فهزموهم ، وقتلوا الدّهقان ، وأسروا منهم أسراء ، وحمل ابن الدهقان المقتول على ابن المثنى ، فختله محمد بن المثنىّ ، فأسره ، وهو غلام أمرد ، فأتى به نصراً ، فضرب عنقه .

١٦٩٥/٢

وكان نصر بعث سليمان بن صول إلى صاحب فَرْغانة بكتاب الصلح بينهما . قال سليمان : فقدمتُ عليه فقال لى : مَنْ أنت ؟ قلت : شاكرىٌّ خليفةُ كاتب الأمير ، قال : فقال : أدخلوه الخزائن ليرى ما أعددنا ، فقيل له : قم ، قال : قلت ليس بى مَشْى ، قال : قدّموا له دابة يركبها ، قال : فدخلت خزائنَه ، فقلت فى نفسى : يا سليمان ، شمت بك إسرايل وبشر بن عُبَيد ؛ ليس هذا إلاّ لكراهة الصلح ، وسأنصرف بخُفَّىْ حُنَيْن . قال : فرجعت إليه ، فقال : كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم ؟ قلت : سهلاً كثير الماء والمرعى ؛ فكره ما قلت له ، فقال : ما علمك ؟ فقلت : قد غزوت غَرْشِسْتان وغُور والختّل وطَبَرِستان ، فكيف لا أعلم ! قال : فكيف رأيت ما أعددنا ؟ قلت : رأيت عُدّة حسنة ؛ ولكن أما علمت أن صاحب الحصار لا يسلم من خصال ! قال : وما هُنّ ؟ قلت : لا يأمن أقربَ الناس إليه وأحبَّهم إليه وأوثقَهم فى نفسه أن يثب به يطلب مرتبته ، ويتقرّب بذلك ، أو يفنى ما قد جمع ، فيسلم برُمَّته ، أو يصيبه داء فيموت .

١٦٩٦/٢

فقطّب وكره ما قلت له وقال : انصرف إلى منزلك ، فانصرفت فأقمت يومين ، وأنا لاأشكّ فى تركه الصلح ، فدعانى فحملتُ كتاب الصّلح مع غلامى ، وقلت له : إن أتاك رسولى يطلب الكتاب فانصرف إلى المنزل ، ولا تظهر الكتاب ، وقل لى : إنى خلفتُ الكتاب فى المنزل . فدخلت عليه ، فسألنى عن الكتاب ، فقلت : خلّفتُه فى المنزل . فقال : ابعث مَنْ يجيئك به ، فقبل الصُّلح ، وأحسن جائزتى ، وسرّح معى أمّه ، وكانت صاحبة أمره .

قال : فقدمتُ على نصْر ؛ فلما نظر إلىّ قال : ما مثلك إلا كما قال الأوّل :

* فأرْسِل حكيمًا ولا تُوصِه[1] *

فأخبرته ، فقال : وُفِّقت ، وأذن لأمه عليه ، وجعل يكلمها والترجمان يعبّر عنها ، فدخل تميم بن نصر ، فقال للترجمان : قل لها : تعرفين هذا ؟ فقالت : لا ، فقال : هذا تميم بن نصر ، فقالت : والله ما أرى له حلاوة الصّغير ، ولا نُبْل الكبير .

٢/١٦٩٧

قال أبو إسحاق بن ربيعة : قالت لنصر : كل مَلِك لا يكون عنده ستة أشياء فليس بملِك : وزيرٌ يباثّه[2] بكتاب نفسه وما شجر فى صدره من الكلام ، ويشاوره ويثق بنصيحته ، وطباخ إذا لم يشته الطعام اتخذ له ما يشتهى ، وزوجة إذا دخل عليها مغتمًّا فنظر إلى وجهها زال غمّه ، وحصن إذا فزع أو جُهد فزع إليه فأنجاه – تعنى البرذون – وسيف إذا قارع الأقران لم يخش خيانته ، وذخيرة إذا حملها فأين وقع بها من الأرض عاش بها .

ثم دخل تميم بن نصر فى الأزفلة[3] وجماعة ، فقالت : من هذا ؟ قالوا : هذا فتى خراسان ، هذا تميم بن نصر ، قالت : ما له نُبْل الكبار ولا حلاوة الصغار .

ثم دخل الحجاج بن قتيبة فقالت : مَنْ هذا ؟ فقالوا : الحجاج بن قتيبة ، قال : فحيّته ، وسألت عنه ؛ وقالت : يا معشر العرب ، ما لكم وفاء ؛ لا يصلح بعضكم لبعض . قتيبة الذى وطّن لكم ما أرى ، وهذا ابنه تُقعده دونك ! فحقك أن تجلسه هذا المجلس ، وتجلس أنت مجلسه .

---

(١) الأغانى ٦ : ٨٢ ، وصدره * إذا كنتَ فى حاجةٍ مرسلاً *
(٢) كذا فى ا ، وفى ابن الأثير : « يبث إليه ما فى نفسه » .
(٣) الأزفلة : الجماعة من الناس . وفى ط : « مرفلة » تحريف ، صوابه من ا .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومىّ — ١٦٩٨/٢
كذلك قال أبو مَعْشر ، حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن
إسحاق بن عيسى ، عنه . وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

وكان عامل هشام بن عبد الملك على المدينة ومكة والطائف فى هذه السنة
محمد بن هشام ، وعامله على العراق كلّه يوسف بن عمر ، وعامله على أذرَبيجان
وأرمينيَة مَرْوان بن محمد ، وعلى خراسان نصر بن سيّار ، وعلى قضاء البصرة
عامر بن عُبيدة ، وعلى قضاء الكوفة ابن شُبرُمة .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من أحداث

* * *

[خبر مقتل زيد بن علىّ]

فمن ذلك مقتل زيد بن علىّ .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكَر هشام عن أبى مخنف ، أنّ زيد بن علىّ لما أمَر أصحابه بالتأهّب للخروج والاستعداد ، أخذ مَن كان يريد الوفاء له بالبيعة فيما أمرهم به من ذلك ، فانطلق سليمان بن سُراقة البارقىّ إلى يوسف بن عمر ، فأخبره خبره ، وأعلمه أنه يختلف إلى رجل منهم يقال له عامر ، وإلى رجل من بنى تميم يقال له طُعْمَة ؛ ابن أختٍ لبارق ؛ وهو نازل فيهم. فبعث يوسف يطلب[1] زيد بن علىّ فى منزلهما فلم يوجد عندهما ، وأخذ الرّجلان ، فأُتىَ بهما ، فلما كلّمهما استبان له أمرُ زيد وأصحابه. وتخوّف زيد بن علىّ أن يُؤخذ ، فتعجّل[2] قبل الأجل الذى جعله بينه وبين أهل الكوفة . قال : وعلى أهل الكوفة يومئذ الحكَم بن الصلْت ، وعلى شُرَطه عمرو بن عبد الرحمن (رجل من القارة) ؛ وكانت ثقيف أخواله ؛ وكان فيهم ومعه عبيد الله بن العباس الكندىّ ، فى أناس[3] من أهل الشأم ، ويوسف بن عمر بالحيرة. قال : فلما رأى أصحابُ زيد بن علىّ الذين بايعوه[4] أنّ يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد ، وأنه يدس إليه ، ويستبحث عن أمره ، اجتمعت إليه جماعة من رءوسهم ، فقالوا : رحمَك الله ! ما قولك فى أبى بكر وعمر ؟ قال زيد : رحمهما الله وغفر لهما ، ما سمعتُ أحداً من أهل بيتى يتبرّأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً ، قالوا : فلمَ تطلب[5] إذاً بدم أهل هذا البيت ؛ إلّا أن وثبا على سلطانكم[6]

٢/١٦٩٩

---

(١) ح ، ف : « فطلب » ، ابن الأثير : « فى طلب » .
(٢) ب ، ح : « فيعجل » .
(٣) ب وابن الأثير : « فى ناس » .
(٤) ف : « بايعوا » .
(٥) ف : « نطلب » .
(٦) ب ، ح « سلطانكما » .

فنزعاه من أيديكم ! فقال لهم زيد : إن أشدّ ما أقول فيما ذكرتم أنّا كنا أحقّ بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس أجمعين ، وإنّ القوم استأثروا علينا ، ودفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً ، قد وُلّوا فعدَلوا فى الناس ، وعملوا بالكتاب والسنة . قالوا : فلم يظلمك هؤلاء ! وإن كان أولئك لم يظلموك ، فلمَ تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين ! فقال : وإنّ هؤلاء ليسوا كأولئك ؛ إنّ هؤلاء ظالمون لى ولكم ولأنفسهم ؛ وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإلى السنن أن تُحيا ، وإلى البِدَع أن تُطفأ ؛ فإن أنتم أجبتمونا سعِدتم ، وإن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل . ففارقوه ونكثوا بيعتَه ، وقالوا : سبق الإمام — وكانوا يزعمون أنّ أبا جعفر محمد بن علىّ أخا زيد بن علىّ هو الإمام ، وكان قد هلك يومئذ — وكان ابنه جعفر بن محمد حيًّا ، فقالوا : جعفر إمامنا اليومَ بعد أبيه ؛ وهو أحقّ بالأمر بعد أبيه ؛ ولا نتّبع زيد بن علىّ فليس بإمام . فسمّاهم زيد الرّافضة ، فهم اليوم يزعمون أن الذى سماهم الرافضة المغيرة[1] حيث فارقوه . وكانت منهم طائفة قبل خروج زيد مرّوا إلى جعفر بن محمد بن علىّ ، فقالوا له : إن زيد بن علىّ فينا يبايع ؛ أفترى لنا أن نبايعه ؟ فقال لهم : نعم بايعوه ؛ فهو والله أفضلُنا وسيدنا وخيرُنا فجاءوا ، فكتموا ما أمرهم به .

١٧٠٠/٢

قال : واستتبّ لزيد بن علىّ خروجه ، فواعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة .

١٧٠١/٢

وبلغ يوسفَ بن عمر أنّ زيداً قد أزمع على الخروج ، فبعث إلى الحكَم ابن الصلت ، فأمره أن يجمع أهل الكوفة فى المسجد الأعظم يحصرُهم فيه ، فبعث الحكم إلى العُرَفاء والشُّرط والمناكب[2] والمقاتلة ؛ فأدخلهم المسجد ، ثم نادى مناديه : ألا إنّ الأمير يقول : مَن أدركناه فى رحلة فقد برئت منه الذّمّة ؛ ادخلوا المسجد الأعظم . فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم ، وطلبوا زيداً فى دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصارىّ ، فخرج ليلاً ؛ وذلك ليلة الأربعاء ، فى ليلة شديدة البرد ، من دار معاوية بن

---

(١) هو المغيرة بن سعيد العجلى ، وانظر ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) المناكب : قوم دون العرفاء ، وفى حديث النخعى : كان يتوسط العرفاء والمناكب .

إسحاق ، فرفعوا الهرادىّ[1] فيها النيران ، ونادوا : يا منصور أمتْ ، أمتْ يامنصور .
فكلما أكلت النار هُرْديًّا رفعوا آخر ، فما زالو كذلك حتى طلع الفجر ؛ فلما
أصبحوا بعث زيد بن علىّ القاسم التِّنْعىّ ثم الحضرمىّ ورجلا آخر من أصحابه ،
يناديان بشعارهما ، فلما كانوا فى صحراء عبد القيس لقيهم جعفر بن العباس
الكندىّ ، فشدُّوا عليه وعلى أصحابه ، فقتِل الرجل الذى كان مع القاسم
التِّنعىّ ، وارتُثّ القاسم ، فأتِىَ به الحكم ، فكلمه فلم يردّ عليه شيئًا ، فأمر به
فضربتْ عُنُقه على باب القصر ؛ فكان أوّل مَنْ قتِل من أصحاب زيد
١٧٠٢/٢ ابن علىّ هو وصاحبه. وأمر الحكم بن الصلت بدروب[2] السوق فغلقت ،
وغلقت أبواب المسجد على أهل الكوفة . وعلى أرباع الكوفة يومئذ ؛ على رُبْع
أهل المدينة إبراهيم بن عبد اللهبن جرير البجلىّ ، وعلى مَذْحج وأسد عمرو
ابن أبى بذْل العبدىّ ، وعلى كِنْدة وربيعة المنذر بن محمد بن أشعث بن
قيس الكندىّ ، وعلى تميم وهمْدان محمد بن مالك الهمْدانى ثم الخَيْوانىّ .

قال : وبعث الحكم بن الصّلت إلى يوسف بن عمر ، فأخبره الخبر ، فأمر
يوسف مناديهفنادى فى أهل الشأم : مَنْ يأتى الكوفة فيقترب من هؤلاء القوم
فيأتينى بخبَرهم ؟ فقال جعفر بن العباس الكندىّ : أنا ، فركب فى خمسين
فارساً ، ثم أقبل حتى انتهى إلى جبّانة سالم السَّلولىّ ، فاستخبرهم ، ثم رجع
إلى يوسف بن عمر فأخبره ، فلما أصبح خرج إلى تلّ قريب من الحيرة ،
فنزل عليه ومعه قريش وأشراف الناس ؛ وعلى شُرْطته يومئذ العباس بن سعيد
المُزَنىّ ، فبعث الرّيان بن سلَمة الإراشىّ فى ألفين ومعه ثلثمائة من القِيقانيّة
رُجّالًا معهم النُّشاب .

وأصبح زيد بن علىّ ، فكان جميعُ مَنْ وافاه تلك الليلة مائتى رجل وثمانية
عشر رجلا ، فقال زيد : سبحان الله ! أين الناس! فقيل له : هم فى المسجد
١٧٠٣/٢ الأعظم محصورون ، فقال : لا والله ما هذا لمن بايَعنا بعذر . وسمع نصر
ابن خزيمة النداء ، فأقبل إليه ، فلقى[3] عمر بن عبد الرحمن صاحب شرطة
الحكم بن الصّلت فى خيله من جُهينة عند دار الزّبير بن أبى حكمة فى الطريق

(١) فى اللسان : « الهردية : قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم تحمل عليها قضبانه » .
(٢) الدرب : الباب الأكبر . (٣) ح ، ف : « فتلقاه » .

الذى يخرج إلى مسجد بنى عدىّ ، فقال نصر بن خزيمة : يا منصور أمتْ ؛ فلم يردّ عليه شيئاً ، فشدّ عليه نصر وأصحابه ، فقتل عمر بن عبد الرحمن ، وانهزم مَن كان معه ، وأقبل زيد بن علىّ من[1] جبّانة سالم حتى انتهى إلى جبّانة الصائديّين ، وبها خمسمائة من أهل الشأم ، فحمل عليهم زيد بن علىّ فيمن معه فهزمهم . وكان تحت زيد بن علىّ يومئذ بِرْذَوْن أدْهَم بهيم ؛ اشتراه رجل من بنى نَهْد بن كهمس بن مروان النجّارىّ بخمسة وعشرين ديناراً ، فلما قتِل زيد بعد ذلك أخذه الحكم بن الصّلت .

قال : وانتهى زيد بن علىّ إلى باب دار رجل من الأزْد ، يقال له أنس ابن عمرو — وكان فيمن بايعه — فنودى وهو فى الدار فجعل يجيب ، فناداه زيد يا أنَس : اخرج إلىّ رحمك الله ، فقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا . فلم يخرج إليه ، فقال زيد : ما أخلفكم ! قد فعلتموها ، الله حسيبكم! ٢ / ١٧٠٤

قال : ثم إنّ زيداً مضى حتى انتهى إلى الكُناسة ، فحمل على جماعة بها من أهل الشأم فهزمهم ؛ ثم خرج حتى ظهر إلى الجبّانة ويوسف بن عمر على التلّ ينظر إليه هو وأصحابه ، وبين يديه حِزام بن مرة المزنىّ وزمزم بن سُلَيم الثعلبىّ ؛ وهما على المجفّفة ، ومعه نحو من مائتى رجل ؛ والله لو أقبل على يوسف لقتله ، والرّيان بن سلَمة يتبع أثر زيد بن علىّ بالكوفة فى أهل الشأم .

ثم إن زيداً أخذ ذات اليمين على مصلّى خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة ، وكانت فرقة من أصحاب زيد بن علىّ حيث وجّه إلى الكُناسة قد انشعبتْ[2] نحو جبّانة مِخْنف بن سُلَيم . ثم قال بعضهم لبعض : ألا ننطلق[3] نحو جبّانة كِنْدة ! قال : فما زاد الرّجل على أن تكلم بهذا الكلام . وطلع أهلُ الشأم ؛ فلما رأوهم دخلوا زُقاقاً فمضَوْا فيه ، وتخلّف رجل منهم ، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم خرج إليهم فقاتلهم ساعة . ثم إنهم صرَعُوه ، فجعلوا يضربونه بأسيافهم ؛ فنادى رجل منهم مقنّع بالحديد : أن اكشفوا المِغفر ثم اضربوا رأسه بعمود حديد ؛ ففعلوا ، وقتِل وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه وقد قتل ، وانصرف أهل الشأم ؛ وقد اقتطعوا

---

(١) ابن الأثير : « على » .
(٢) ب ، ح : « اتسعت » .
(٣) ف : « ألا تنطلقوا » .

رجلا ، ونجا سائرهم . فذهب ذلك الرّجل حتّى دخل دار عبد الله بن عوْف ،
٢/١٧٠٥ فدخل أهل الشأم عليه فأسروه ، فذهب به إلى يوسف بن عمر فقتله .

قال : وأقبل زيد بن علىّ ، وقد رأى خِذلان الناس إيّاه ، فقال : يا نصر بن خزيمة ، أتخاف[1] أن يكون قد جعلوها حسينيّة ! فقال له : جعلنى الله لك الفداء ! أما أنا فوالله لأضربنّ معك بسيفى هذا حتّى أموت ؛ فكان قتاله يومئذ بالكوفة . ثم إن نصر بن خزيمة قال لزيد بن علىّ : جعلنى الله لك الفداء ! إنّ الناس فى المسجد الأعظم محصورون ، فامض بنا نحوهم ، فخرج بهم زيد نحو المسجد ، فمرّ على دار خالد بن عرْفطة . وبلغ عبيدَ الله ابن العباس الكندىّ إقبالُه ، فخرج فى أهل الشأم ، وأقبل زيد فالتقوْا على باب عمر بن سعد بن أبى وقّاص ، فكعّ[2] صاحب لواء عبيد الله — وكان لواؤه مع سلمان مولاه — فلما أراد عبيد الله الحملة ورآه قد كعّ عنه ، قال : احمل يابن الخبيثة ! فحمل عليهم ، فلم ينصرف حتى خُضِب لواؤه بالدّم .

ثم إن عبيد الله برز فخرج إليه واصل الحنّاط ، فاضطربا بسيفهما ، فقال للأحول : خذها منّى وأنا الغلام الحنّاط ! وقال الآخر : قطع الله يدى
٢/١٧٠٦ إن كِلْتَ بقفيزٍ أبداً . ثم ضربه فلم يصنع شيئاً . وانهزم عبيد الله بن العباس وأصحابُه ، حتى انتهوْا إلى دار عمرو بن حُرَيث . وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوْا إلى بابِ الفيل ؛ فجعل أصحابُ زيد يُدخلون راياتِهم من فوق الأبواب ، ويقولون : يا أهلَ المسجد ، اخرجوا . وجعل نصر بن خُزَيمة يناديهم ، ويقول : يا أهل الكوفة ، اخرجوا من الذلّ إلى العزّ ، اخرجوا إلى الدين والدنيا ؛ فإنكم لستم فى دين ولا دنيا . فأشرف عليهم أهلُ الشأم ، فجعلوا يرمُونهم بالحجارة من فوق المسجد — وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة فى نواحيها ، وقيل فى جبّانة سالم — وانصرف الرّيان بن سلَمة إلى الحيرة عند المساء ، وانصرف زيد بن علىّ فيمن معه ، وخرج إليه ناس من أهل الكوفة ، فنزل دار الرزق ، فأتاه الرّيان بن سلمة ، فقاتله عند دار الرزق قتالاً شديداً ، فجرح من أهل

---

(١) ابن الأثير : « أنا أخاف » .
(٢) كع : جبن وضعف .

الشأم وقتل منهم ناس كثير ، وتبعهم أصحاب زيد من دار الرّزق ؛ حتى انتهوْا إلى المسجد ؛ فرجع أهلُ الشأم مساء يوم الأربعاء أسوأ شىء ظنًّا ؛ فلما كان من الغد غداة يوم الخميس ، دعا يوسف بن عمر الرّيان بن سلمة ، فلم يوجَد حاضراً تلك الساعة .

١٧٠٧/٢ وقال بعضُهم : بل أتاه وليس عليه سلاحه فأفَّفَ به ، وقال له : أفٍّ لك من صاحب خيل ! اجلس . فدعا العباس بن سعيد المُزنىّ صاحب شرطته ، فبعثه فى أهل الشأم ، فسار حتى انتهى إلى زيد بن علىّ فى دار الرزق ، وثَمّ خشب للتجار[١] كثير ، فالطريق متضايق . وخرج زيد فى أصحابه ، وعلى مجنّبتيه نصر بن خزيمة العبسىّ ومعاوية بن إسحاق الأنصارىّ ، فلما رآهم العباس – ولم يكن معه رجال – نادى : يا أهلَ الشأم ، الأرضَ والأرضَ ! فنزل ناسٌ كثير ممن معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فى المعركة . وقد كان رجل من أهل الشأم من بنى عَبْس يقال له نائل بن فَرْوة قال ليوسف بن عمر : والله لئن أنا ملأتُ عينى من نصر بن خزيمة لأقتلنّه أو ليقتلنّى ، فقال له يوسف : خذ هذا السيف ؛ فدفع إليه سيفاً لا يمرّ بشىء إلا قطعه . فلما التقى أصحاب العباس بن سعيد وأصحاب زيد واقتتلوا ، بصُر نائل بن فروة بنصر بن خزيمة ، فأقبل نحوه ، فضرب نصراً فقطع فَخِذه ، وضربه نصر ضربةً فقتله ؛ فلم يلبث نصر أن مات ، واقتتلوا قتالاً شديداً .

ثم إن زيد بن علىّ هزمهم وقتل من أهل الشأم نحواً من سبعين رجلا ، فانصرفوا وهم بشرّ حال . وقد كان العباس بن سعيد نادى فى أصحابه أن اركبوا ؛ فإن الخيل لا تطيق الرجال فى المضيق فركبوا ، فلما كان العشىّ ١٧٠٨/٢ عبّأهم يوسف بن عمر ثم سرّحهم ، فأقبلوا حتى التقوْا هم وأصحاب زيد ، فحمل عليهم زيد فى أصحابه فكشفهم ، ثم تبعهم حتى أخرجهم إلى السَّبَخة ، ثم شدّ عليهم بالسبَخة حتى أخرجهم إلى بنى سُليم ، ثم تبعهم فى خيله ورجاله ؛ حتى أخذوا على المسنّاة[٢] .

ثم إنّ زيداً أظهر[٣] لهم فيما بين بارق ورُؤَاس ، فقاتلهم هنالك قتالا شديداً .

---

(١) ط : « للنجار » ، وما أثبته من ح . (٢) المسناة : ضفيرة تبنى للسيل لترد الماء .
(٣) ط : « أظهر » ، وما أثبته من ا .

وصاحب لوائه يومئذ رجل يقال له عبد الصمد بن أبى مالك بن مسروح ، من بنى سعد بن زيد ، حليف العباس بن عبد المطلب ، وكان مسروح السعدىّ تزوّج صفية بنت العباس بن عبد المطلب ، فجعلت خيلُهم لا تثبُت لخيله ورجله ، فبعث العباس إلى يوسف بن عمر يعلمه ذلك ، فقال له : ابعث إلىّ الناشبة ، فبعث إليهم سليمان بن كيسان الكلبىّ فى القيقانيّة والبُخاريّة ؛ وهم ناشبة ، فجعلوا يرمون زيداً وأصحابه ، وكان زيد حريصًا على أن يصرفهم حين انتهوا إلى السَّبَخة ، فأبوْا عليه ، فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصارىّ بين يدى زيد بن علىّ قتالا شديداً ، فقتل بين يديه ، وثبت زيد بن علىّ ومَنْ معه حتى إذا جنح الليل رُمِىَ بسهم فأصاب جانب[1] جبهته اليسرى ، فتشبّث[2] فى الدّماغ ، فرجع ورجع أصحابه ؛ ولا يظنُّ أهلُ الشأم أنهم رجعوا إلا للمساء والليل . ١٧٠٩/٢

قال : فحدّثنى سلمة بن ثابت الليثىّ — وكان مع زيد بن علىّ ، وكان آخر من انصرف من الناس يومئذ ، هو وغلام لمعاوية بن إسحاق — قال : أقبلتُ أنا وصاحبى نقصُّ أثر زيد بن علىّ ، فنجدُه قد أنزل ؛ وأدخل بيت حرّان ابن كريمة (مولى لبعض العرب فى سكّة البريد فى دور أرْحَب وشاكر). قال سلمة بن ثابت : فدخلت عليه ، فقلت له : جعلنى الله فداك أبا الحسين ! وانطلق أصحابُه فجاءوا بطبيب يقال له شُقَير (مولًى لبنى رُؤاس) فانتزع النَّصل من جبهته ، وأنا أنظر إليه ، فوالله ما عدا أن انتزعه جعل يصيح ، ثم لم يلبث أن قضى ؛ فقال القوم : أين ندفُنه ، وأين نواريه ؟ فقال بعض أصحابه : نلبّسه درعَه ونطرحُه فى الماء ، وقال بعضهم : بل نحتزّ رأسَه ونضعه بين القتلى ، فقال ابنه يحيى : لا والله لا تأكل لحم أبى الكلاب . وقال بعضهم : لا بل نحمله إلى العباسيّة فندفنه .

قال سلمة : فأشرتُ عليهم أن ننطلق به إلى الحُفْرة التى يؤخذ منها الطين فندفنه فيها ، فقبلوا رأيى وانطلقنا ، وحفرنا له بين حُفْرتَين ، وفيه حينئذ ماء كثير ؛ حتى إذا نحن أمكنّا له دفنّاه ، وأجرينا عليه الماء[3] ، وكان معنا ١٧١٠/٢

---

(١) ح : « حاجب » . (٢) ابن الأثير : « فثبت » .
(٣) ح ، ف : « الماء عليه » .

عبد له سندىٌّ . قال : ثم انصرفنا حتى نأتى جبّانة السبيع ، ومعنا ابنه ، فلم نزل بها ، وتصدّع الناس عنا ، وبقيت فى رهط معه لا يكونون[1] عشرة ، فقلت له : أين تريد ؟ هذا الصبح قد غشيك — ومعه أبو الصبّار العبدىّ — قال : فقال : النّهرين ، فظننتُ أنه يريد أن يتشطّط الفرات ويقاتلهم — فقلتُ له : لا تبرح مكانَك ، تقاتلهم حتى تُقتل ، أو يقضى الله ماهو قاض . فقال لى : أنا أريد نهرَىْ كربلاء . فقلت له : فالنّجاء قبل الصبح ، فخرج من الكوفة ، وأنا معه وأبو الصبّار ورْهط معنا ، فلمّا خرجنا من الكوفة سمعنا أذان المؤذّنين ، فصلينا الغَداة بالنُّخيلة ، ثم توجّهنا سراعاً قِبَل نِينَوَى ، فقال لى : إنى أريد سابقاً مولى بشر بن عبد الملك بن بِشْر ، فأسرع السير ، وكنتُ إذا لقيت القوم أستطعمهم فأطعَمُ الأرغفة فأطعِمها إياه ، فيأكل ونأكل معه ؛ فانتهينا إلى نِينَوَى وقد أظلمنا ، فأتينا منزل سابق ، فدعوتُ على الباب ، فخرج إلينا فقلت له : أما أنا فآتى الفيّوم ، فأكون به ؛ فإذا بدا لك أن ترسل إلىّ فأرسل . قال : ثم إنى مضيت وخلّفته عند سابق ؛ فذلك آخر عهدى به .

قال : ثم إنّ يوسف بن عمر بعث أهل الشأم يطلبون الجرحَى فى دور أهل الكوفة ، فكانوا يخرجون النساء إلى صحن الدار ، ويطوفون البيت يلتمسون الجرحَى . ١٧١١/٢

قال : ثم دلّ غلام زيد بن علىّ السندىُّ يوم الجمعة على زيد ، فبعث الحكم بن الصَّلت العباسَ بن سعيد المزنىّ وابنَ الحكم بن الصَّلت ، فانطلقا فاستخرجاه ، فكره العباس أن يغلب عليه ابن الحكم بن الصّلت . فتركه وسرّح بشيراً إلى يوسف بن عمر غداة يوم الجمعة برأس زيد بن علىّ مع الحجاج بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عقِيل ، فقال أبو الجُوَيرِيَة مولى جُهَينة :

قُلْ للذينَ انتهكوا المحارمْ ورفعوا الشَّمْعَ بصَحْرا سالِمْ

كيف وَجَدْتم وقعةَ الأكارمْ يا يوسفَ بنَ الحكمِ بنِ القاسمِ !

قال : ولما أتى يوسفَ بن عمر البشيرُ ، أمر بزيد فصلب بالكُناسة ،

---

[1] (١) كذا فى ح ، وفى ط : « لا تكون » .

هو ونصر بن خُزيمة ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاريّ وزياد النهديّ ؛ وكان يوسف قد نادى : مَن جاء برأسٍ فله خمسمائة درهم ، فجاء محمد بن عبّاد برأس نصر بن خُزيمة ، فأمر له يوسف بن عمر بألف درهم ، وجاء الأحول مولى الأشعريّين برأس معاوية بن إسحاق ؛ فقال : أنت قتلتَه ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! ليس أنا قتلته ؛ ولكني رأيتُه فعرفته ، فقال : أعطوه سبعمائة درهم ، ولم يمنعه أن يتمّ له ألفًا ، إلاّ أنه زَعم أنه لم يقتله .

١٧١٢/٢ وقد قيل : إنّ يوسف بن عمر لم يعلم بأمر زيد ورجوعه من الطريق إلى الكوفة بعد ما شخص إلاّ بإعلام هشام بن عبد الملك إياه ، وذلك أن رجلاً من بني أمية كتب — فيما ذكر — إلى هشام ، يذكر له أمر زيدٍ ، فكتب هشام إلى يوسف يشتمه ويجهّله ، ويقول : إنك لَغافل ، وزيد غارز ذَنبه بالكوفة يبايَع له فألحِحْ[1] في طلبه ، فأعطه الأمان فإن لم يقبل فقاتله. فكتب يوسف إلى الحكَم بن الصّلت من آل أبي عَقيل وهو خليفته على الكوفة بطلبه ، فطلبه فخفيَ عليه موضعُه ، فدسّ يوسف مملوكًا خُراسانيًّا ألكَن ، وأعطاه خمسة آلاف درهم ، وأمره أن يلطف لبعض الشّيعة فيخبره أنه قد قدم من خُراسان حبًّا لأهل البيت ؛ وأنّ معه مالاً يريد أن يقوّيَهم به ؛ فلم يزل المملوك يلقَى الشيعة ، ويخبرهم عن المال الذي معه حتى أدخلوه على زيد ، فخرج فدَلّ يوسف على موضعه ، فوجّه يوسف إليه الخيل ، فنادى أصحابه بشعارهم ، فلم يجتمع إليه منهم إلا ثلثمائة أو أقلّ ، فجعل يقول : كان داود ابن عليّ أعلَم بكم ؛ قد حذّرني خِذلانكم فلم أحذر !

وقيل : إنّ الذي دَلّ على موضع زيد الذي كان دُفن فيه — وكان دفن في نهر يعقوب فيما قيل ، وكان أصحابُه قد سكروا[2] النهر ثم حفروا

١٧١٣/٢ له في بطنه ، فدفنوه في ثيابه ثم أجرْوا عليه الماء — عَبْدٌ[3] قصّار كان به ، فاستجعل جُعلا على أن يدلّهم على موضعه ، ثم دلّهم ، فاستخرجوه ، فقطعوا رأسَه ، وصلبوا جسده ؛ ثم أمروا بحراسته لئلا يُنزل ، فمكث يُحرَس زمانًا .

---

(١) ط : « فألحج » . (٢) سكروا النهر : سدوا فاه .
(٣) كذا في ب ، وفي ط « عند » ، تصحيف .

وقيل إنه كان فيمن يحرُسه زهير بن معاوية أبو خيثمة ، وبُعث برأسه إلى هشام فأمر به فنصب على باب مدينة دمشق ، ثم أرسل به إلى المدينة ، ومكث البدن مصلوبًا حتى مات هشام ، ثم أمر به الوليد فأنزل وأحرق . وقيل : إن حكيم ابن شريك كان هو الذى سعى بزيد إلى يوسف .

فأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال فى أمر يحيى بن زيد : لما قُتل زيد عمد رجلٌ من بنى أسد إلى يحيى بن زيد ، فقال له : قد قتل أبوك ، وأهلُ خراسان لكم شيعةٌ ، فالرأى أن تخرج إليها . قال : وكيف لى بذلك ؟ قال : تتوارى حتى يكفّ عنك الطلب ثم تخرج ، فواراه عنده ليلة ، ثم خاف فأتى عبد الملك بن بشر بن مرْوان ، فقال له : إن قرابة زيد بك قريبة ، وحقّه عليك واجب ، قال له : أجل ؛ ولقد كان العفو عنه أقربَ إلى التقوى ، قال : فقد قتل وهذا ابنه غلامًا حدَثًا[(١)] لا ذنب له ؛ وإن علم يوسف بن عمر بمكانه قتله ، فتُجيره وتواريه عندك ، قال : نعم وكرامة . فأتاه به فواراه عنده . فبلغ الخبر يوسف ، فأرسل إلى عبد الملك : قد بلغنى مكان هذا الغلام عندك ، وأعطى الله عهداً ؛ لئن لم تأتنى به لأكتبنّ فيك إلى أمير المؤمنين ، فقال له عبد الملك : أتاك الباطل والزور ؛ أنا أوارى مَنْ ينازعنى سلطانى ويدّعى فيه أكثر من حقى ! ما كنت أخشاك على قبول مثل هذا علىّ ولا الاستماع من صاحبه ، فقال : صدق والله ابن بِشْر ؛ ما كان ليوارى مثل هذا ، ولا يستتر[(٢)] عليه ؛ فكفّ عن طلبه ؛ فلما سكن الطلبُ خرج يحيى فى نفر من الزيديّة إلى خُراسان .

٢/١٧١٤

وخطب يوسف بعد قتل[(٣)] زيد بالكوفة فقال :

يا أهل الكوفة ، إن يحيَى بن زيد يتنقّل فى حِجال نسائكم كما كان يفعل أبوه ؛ والله لو أبدى[(٤)] لى صفحته لعرقتُ خصييه كما عرقت خصيَى أبيه .

وذكر عن رجل من الأنصار قال : لما جىء برأس زيد فصُلب بالمدينة فى سنة ثلاث وعشرين ومائة ، أقبل شاعر من شعراء الأنصار فقام بحياله ، فقال :

---

(١) ابن الأثير : « غلام حدث » . (٢) ب : « يستره » .

(٣) ف : « بعد ما قتل زيد » . (٤) ط : « بدى » ، وما أثبته من ف .

أَلا يا ناقِضَ الميثا قِ أَبشرْ بالذى ساكا
نقَضْتَ العهْدَ والميثا قَ قِدْماً كان قدْماكا
لقد أَخلَفَ إبليس الّ ذى قد كان مَنّاكا

٢/١٧١٥ قال : فقيل له : ويلك ! أتقول هذا لمثل زيد ! فقال : إن الأمير غضبان فأردتُ أن أرضَيه ، فردّ عليه بعض شعرائهم :

أَلا يا شاعرَ السوْءِ لقد أَصْبَحْت أَفّاكا
أَتَشْتُمُ ابنَ رسول الله يُرْضِى مَنْ تَولاكا(١)
أَلَا صَبّحَكَ اللهُ بخِزيٍ ثم مَسّاكا
ويوم الحشر لا شكَّ بأَن النَّارَ مثواكا

وقيل : كان خِراش بن حَوْشب بن يزيد الشيبانىّ على شُرَط يوسف ابن عمر ؛ فهو الذى نَبَشَ زيداً ، وصلَبه ، فقال السيّد :

بتّ ليلى مُسهدَا ساهِرَ الطَّرفِ مُقصَدا
ولقد قلتُ قولةً وأَطَلتُ التَّبلّدا
لَعنَ اللهُ حَوْشَباً وخِراشاً ومزْيَدا
ويَزيدًا فإنه كان أَعْتَى وأَعْندا
أَلفَ أَلف وأَلفَ أَلْفٍ من اللعْن سَرمدا
إنهم حاربوا الإلٰه وآذوْا محمدا
شركوا فى دَمِ المطهَّرِ زيد تَعَنُّدا
ثم عالوه فوقَ جِذْعٍ صريعاً مُجَرَّدا
يا خِراشَ بنَ حوشَبٍ أَنت أَشقَى الورَى غدَا

(١) ورد هذا البيت محرفاً مضطرباً فى ط ، وأثبت صوابه من ا .

قال أبو مخنف : ولما قتَل يوسف زيدَ بن عليّ أقبل حتى دخل الكوفة فصعِد المنبر ، فقال : ٢/١٧١٦

يا أهلَ المدَرة الخبيثة ، إنى والله ما تقرَن بى الصَّعْبَة ، ولا يقعقَع لى بالشّنان ، ولا أخوَّف بالذنب(١) . هيهات ! حُبِيت بالساعد الأشدّ ، أبشروا يا أهلَ الكوفة بالصَّغار والهوان ، لا عطاء لكم عندنا ولا رزق ؛ ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم ، وأحرمكم أموالكم . أمَا والله ما علوت منبرى إلا أسمعتُكم ما تكرهون عليه ، فإنكم أهلُ بغى وخلاف ، ما منكم إلا مَن حارب الله ورسوله ؛ إلا حكيم بن شريك المحاربىّ ؛ ولقد سألت أميرَ المؤمنين أن يأذن لى فيكم ؛ ولو أذن لقتلتُ مقاتلتكم ، وسبيت ذراريّكم .

* * *

وفى هذه السنة قتل كلثوم بن عياض القُشيرىّ الذى كان هشام بن عبد الملك بعثه فى خيول أهل الشأم إلى إفريقيّة ؛ حيث وقعت الفتنة بالبربر .

وفيها قتل عبد الله البطّال فى(٢) جماعة من المسلمين بأرض الروم .

وفيها ولد الفضل بن صالح ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ .

وفيها وجّه يوسف بن عمر بن شُبرمة على سِجِسْتان ، فاستقضى ابنَ أبى ليلى . ٢/١٧١٧

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام المخزومىّ ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحق بن عيسى ، عن أبى معشر ؛ وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

وكانت عمال الأمصار فى هذه السنة العمال فى السنة التى قبلها ، وقد ذكرناهم قبل ؛ إلا أنّ قاضى الكوفة كان — فيما ذكر — فى هذه السنة محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى .

---

(١) كذا فى ا ، ح ، وفى ط : « الذئب » .

(٢) ف : « وجماعة » .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر صلح نصر بن سيار مع السُّغْد]

فمن ذلك ما جَرى بين أهل السُّغد ونَصْر بن سيار من الصّلح .

* ذكر الخبر عن ذلك وسببه :

ذكر علىّ بن محمد ، عن شيوخه ، أن خاقان لما قُتل فى ولاية أسد ، تفرّقت الترك فى غارة بعضها على بعض ؛ فطمع أهل السُّغد فى الرَّجْعة إليها ، وانحاز قوم منهم إلى الشاش ، فلما ولى نصر بن سيار أرسل إليهم يدعوهم إلى الفيئة والمراجعة إلى بلادهم ، وأعطاهم كلّ ما أرادوا .

قال : وكانوا سألوا شُروطاً أنكرها أمراء خُراسان ؛ منها ألّا يعاقب مَن كان مسلماً وارتدّ عن الإسلام ، ولا يعدّى عليهم فى دَين لأحد من الناس ، ولا يؤخذون بقَبالة عليهم فى بيت المال ، ولا يؤخذ أسراء المسلمين من أيديهم إلا بقضيّة قاض وشهادة العدول[1] ؛ فعاب الناس ذلك على نصر ، وكلّموه فقال : أما والله لو عاينتم شَوْكتهم فى المسلمين ونِكايتهم مثل الذى عاينت ما أنكرتم ذلك ! فأرسل رسولا إلى هشام فى ذلك ؛ فلما قدم الرّسول أبى أن ينفذ ذلك لنصر ، فقال الرسول : جرّبت يا أمير المؤمنين حرْبنا وصُلْحنا ، فاختر لنفسك . فغضب هشام ، فقال الأبرش الكلبىّ : يا أمير المؤمنين ، تألّف القوم واحمل لهم ؛ فقد عرفْتَ نكايتهم كانت فى المسلمين ، فأنفذ هشام ما سأل .

١٧١٨/١

* * *

وفى هذه السنة أوفد يوسفُ بن عمر الحكَمَ بن الصّلت إلى هشام بن عبد الملك ، يسأله ضمّ خراسان إليه وعَزْل نصر بن سيّار .

---

(١) ابن الأثير : « عدول » .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما كان من الأمر فيه :

ذكر عليّ عن شيوخه ، قال : لما طالت ولاية نَصْر بن سيار ، ودانت له خُراسان ، كتب يوسف بن عمر إلى هشام حسداً له : إن خُراسان دَبَرة دبِرة[1] فإن رأى أمير المؤمنين أن يضمّها إلى العراق فأسرّح إليها الحكَم بن الصلت ؛ فإنه كان مع الجُنيد ، وولىَ جسيم أعمالها ، فأعمر بلاد أمير المؤمنين بالُحكم . وأنا باعث بالحكَم بن الصَّلْت إلى أمير المؤمنين ، فانه أديب أريب ، ونصيحته لأمير المؤمنين مثل نصيحتنا ومودّتنا أهلَ البيت .

فلما أتى هشاماً كتابُه بعث إلى دار الضيافة ، فوجد فيها مقاتل بن عليّ السُّغديّ ، فأتوْه به ، فقال : أمِن خراسان أنت ؟ قال : نعم ، وأنا صاحب الترك — قال : وكان قدم على هشام بخمسين ومائة من الترك — فقال : أتعرف الحكم بن الصلت ؟ قال : نعم ، قال : فما ولىَ بخراسان ؟ قال : ولىَ قرية يقال لها الفارَياب ، خراجها سبعون ألفاً ، فأسره الحارث بن سُريج ، قال : ويحك ! وكيف أفلتَ منه ! قال : عرك أذنه ، وقفَده[2] وخلّى سبيله . قال : فقدم عليه الحكم بعدُ بخراج العراق ، فرأى له جمالاً وبياناً ، فكتب إلى يوسف : إنّ الحكَم قدم وهو على ما وصفت ، وفيما قبَلك له سعةٌ ، وخلّ الكنانيّ وعمله .

* * *

وفى هذه السنة غزا نصر فرغانة غزوتَه الثانية ، وأوفد مغراء بن أحمر إلى العراق ، فوقع فيه عند هشام .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من هشام ويوسف بن عمر فيه :

ذكر أن نصراً وجّه مَغْراءَ بن أحمر إلى العراق وافداً ، منصرفَه من غَزْوتِه الثانية فَرْغانة ، فقال له يوسف بن عمر : يابن أحمر ؛ يغلبكم ابن الأقطع يا معشر قيس على سلطانكم ! فقال : قد كان ذلك أصلح الله الأمير ! قال : فإذا قدمتَ على أمير المؤمنين فابقر بطنه . فقدموا على هشام ، فسألهم عن أمر خُراسان ، فتكلّم مغراء ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر ١٧٢٠/٢

(١) الدبرة ، بالتحريك : قرحة الدابة ، ودبرت فهى دبرة ، كفرحة ، أى أنها موطن للقلاقل .

(٢) القفد : صفع الرأس ببسط الكف .

يوسف بن عمر بخير ، فقال : ويحك! أخبرنى عن خُراسان ، قال : ليس لك جند يا أمير المؤمنين أحدّ[١] ولا أنجد منهم ، من سُواذق[٢] فى السماء وفرسان[٣] مثل الفيلة ؛ وعُدّة وعَدد من قوم ليس لهم قائد ، قال : ويحك ! فما فعل الكنانىّ ؟ قال : لا يعرف ولَده من الكِبَر . فردّ عليه مقالته ، وبعث إلى دار الضيافة ، فأتِىَ بشُبَيل بن عبد الرحمن المازنىّ ، فقال له هشام : أخبرنى عن نَصْر ، قال : ليس بالشيخ يُخشى خَرَفه ، ولا الشابّ يُخشى سفهُه ، المجرِّب المجرَّب ، قد ولى عامّة ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته . فكتِب إلى يوسف بذلك ، فوضع يوسف الأرصاد ، فلما انتهوا إلى الموْصِل تركوا طريق البَريد ، وتكأّدُوا حتى قدموا بيْهق — وقد كتِب إلى نصر بقول شُبَيل — وكان إبراهيم بن بسام فى الوفْد ، فمكر به يوسف ، ونعَى له نصراً ، وأخبره أنه قد ولّى الحكم بن الصّلت بن أبى عقيل خُراسان . فقسم له إبراهيم أمر خُراسان كله ؛ حتى قدم عليه إبراهيم بن زياد رسول نصر ؛ فعرف أنّ يوسف قد مكرَ به وقال : أهلكنى يوسف . ٢/١٧٢١

وقيل : إن نصراً أوفد مغراء ، وأوفد معه حَمَلة بن نعيم الكلبىّ ، فلما قدموا على يوسف ، أطمع يوسف مغراء ، إن هو تنقّص نصراً عند هشام أن يوليَه السند . فلما قدما عليه ذكر مَغْراء بأس نصر ونجدته ورأيه ، وأطنب فى ذلك ، ثم قال : لو كان الله متّعنا منه ببقيّة ! فاستوى هشام جالساً ، ثم قال : ببقيّة ماذا ؟ قال : لا يَعْرِف الرّجل إلا بجِرْمه ، ولا يفهم عنه حتى يُدنَى منه ، وما يكاد يُفهم صوته من الضّعف لأجل كِبَره . فقام حَمَلة الكلبىّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، كذب والله ، ما هو كما قال ؛ هو هو . فقال هشام : إن نصرًا ليس كما وصف ، وهذا أمر يوسف بن عمر حسدٌ لنصر ؛ وقد كان يوسف كتب إلى هشام يذكر كِبَر نصر وضعفَه ، ويذكر له سَلْم بن قتيبة . فكتب إليه هشام : الْهُ عن ذكر الكنانىّ ، فلما قدم مغراء على يوسف ، قال له : قد علمتَ بلاء نصر عندى ، وقد صنعتُ به ٢/١٧٢٢

---

(١) ا ، ب : « أعد » .
(٢) السواذق : الصقر .
(٣) كذا فى ا وفى ط : « فراسية » .

ما قد علمتَ ، فليس لى فى صحبته خير ، ولا لى بخراسان مقام ؛ فأمره[١] بالمقام . وكتب إلى نصر : إنى قد حوّلت اسمَه ، فأشخص إلىّ مَن قِبَلك من أهله .

وقيل : إنّ يوسف لما أمر مغراء بعيب نَصْر ، قال : كيف أعيبه مع بلائه وآثاره الجميلة عندى وعند قومى ! فلم يزل به ، فقال : فبِمَ أعيبه ؟ أعيب تجربته أم طاعته ؟ أم يُمْن نقيبته أم سياسته ؟ قال : عِبْه بالكِبَر . فلما دخل على هشام تكلم مغراء ، فذكر نصرًا بأحسن ما يكون ، ثم قال فى آخر كلامه : لولا ... ، فاستوى هشام جالسًا ، فقال : ما لولا ! قال : لولا أنّ الدهر قد غلب عليه ، قال : ما بلغ به ويحك الدهرُ ! قال : ما يعرِف الرّجل إلا من قريب ، ولا يعرفه إلا بصوته ، وقد ضعُف عن الغَزْو والرّكُوب . فشقّ ذلك على هشام . فتكلّم حَمَلَة بن نُعيم . فلما بلغ نصراً قول مغْراء بعث هارون بن السياوش إلى الحكم بن نُميلة ، وهو فى السرّاجين يعرض الجند ، فأخذ برجله فسحبه عن طِنفسة له ، وكسر لواءه على رأسه ، وضرب بطِنْفسته وجهه ، وقال : كذلك يفعل الله بأصحاب[٢] الغدر !

١٧٢٣/٢ وذكر علىّ بن محمد ، عن الحارث بن أفلح بن مالك بن أسماء بن خارجة : لما ولِىَ[٣] نصر خراسان أدنى مغراء بن أحمر بن مالك بن سارية النميرىّ والحكم ابن نُمَيلة بن مالك والحجاج بن هارون بن مالك ؛ وكان مغراء بن أحمر النميرىّ رأس أهل قِنَّسرين ، فآثر نصر مغراء وسنَّى منزلته ، وشفَّعه فى حوائجه ، واستعمل ابنَ عمه الحكم بن نُميلة على الجُوزَجان ، ثم عقد للحكم على أهل العالية ، وكان أبوه بالبصرة عليهم ؛ وكان بعده عُكَابة بن نُمَيلة ، ثم أوفد نصر وفداً من أهل الشأم وأهل خراسان ، وصيّر عليهم مغراء ؛ وكان فى الوفد حَمَلَة بن نعيم الكلبىّ ، فقال عثمان بن صدقة بن وثاب لمسلم بن عبدالرحمن ابن مسلم عامل طُخارستان :

خيَّرَنِى مسْلمٌ مراكِبَــهُ فقُلْتُ حَسْبى مِنْ مُسْلِمٍ حكَما

(١) كذا فى ا ، وهو الصواب ، وفى ط : « فأمرنى » . (٢) ا ، ف : « بأهل » .
(٣) ح ، ف : « تولى » .

هٰذَا فتَى عامر وسَيِّدُها كفَى بمَنْ سادَ عامرًا كرما

يعنى الحكم بن نُمَيْلة .

قال : فتغيّر نصر لقيس وأوحشه ما صنع مغراء . قال : وكان أبو نُمَيلة صالح الأبّار مولى بنى عبس ، خرج مع يحيى بن زيد بن علىّ بن حسين ، فلم يزل معه حتى قُتل بالجُوزَجان . وكان نصر قد وَجد عليه لذلك ، فأتى عبيد الله بن بسام صاحب نصر ، فقال :

٢/١٧٢٤ قد كُنْتُ فى هِمَّةٍ حَيْرَانَ مكْتَئِباً حتَّى كفانى عُبَيْدُ اللهِ تَهْمامِى

نادَيْتُهُ فسَما للمَجْدِ مُبْتَهِجاً[1] كغُرَّة البَدْرِ جَلَّى وَجْه إظلام

فاسْمُ برَأىِ أَبى لَيْثٍ وصَوْلَتِهِ إن كنتَ يَوْمَ حفاظٍ بامرئٍ سامِ

تظفرْ يَداكَ بمنْ تَمَّتْ مُرُوَّتُهُ واخْتَصَّهُ رَبُّهُ مِنْهُ بإكرامِ

ماضى العزائمِ ليْثىٍّ مَضاربُهُ على الكَرِيهَةِ يَوْمَ الرَّوْعِ مِقْدام

لا هَذِرٌ ساحَةَ النَّادى ولا مَـذِلٌ فيه ولا مُسْكِتٌ إسكاتَ إفحامِ

له مِنَ الحِلمِ ثوْباهُ ومجْلِسُهُ إذا المجالِسُ شانَتْ أَهلَ أَحلام

قال : فأدخله عبيد الله على نصر ، فقال أبو نُمَيلة : أصلحك الله ! إنى ضعيف ؛ فإن رأيت أن تأذن لراويتى ! فأذن له ، فأنشده :

فاز قِدْحُ الكلبىّ فاعْتقَدَتْ مَغ راءَ فى سعْيِهِ عُرُوقُ لئيم

فأَبينِى نُمَيْرُ ثُمَّ أَبِينِى أَلَعَبْدٍ مغراءُ أَمْ لِصَمِيم

فلئِنْ كان منكمُ ما يكُونُ ال غدرُ والكفْر مِنْ خصالِ الكريمِ

٢/١٧٢٥ ولئنْ كان أَصلُه كان عبْدا ما عليْكمْ مِنْ غدْرِهِ مِنْ شتيم

وليتـه لَيْثٌ وأَىُّ وُلاةٍ بـأَيادٍ بيضٍ وأَمْرٍ عظيمِ !

أَسمنتْهُ حتى إذا راحَ مَغْبُو طاً بخيْرٍ مِنْ سَيْبِها المَقْسومِ

(١) ح ، ف : « ناجيته فسما » .

كادَ ساداتِهِ بأَهْونِ مِنْ نَهـ ـقَةِ عَيْرٍ بقَفْرَةٍ مَرْقومِ

فضرَبنا لِغيْرنا مَثلَ الكلـ ـبِ ذميا والذَّمُّ للمَنْمُومِ

وحَمِدنا ليثاً ويَأْخُذُ بالفَضـ ـلِ ذَوُو الجود والنَّدَى والحُلُومِ

فاعلَمُنْ يَا بنى القَساورةِ الغُلـ ـبِ وأَهلِ الصَّفا وأَهلَ الحَطِيمِ

أَن فى شكرِ صالِحِينا لَمَا يَدْ حَضُ قَوْلَ المرهَّقِ المَوصُومِ

قد رأَى اللهُ ما أَتيْتَ ولنْ يَنْـ ـقَصَ نبْحُ الكلابِ زُهْرَ النُّجُومِ

فلما فرغ قال نصر : صدقت ، وتكلمت القيسية واعتذروا . قال : وأهان نصر قيساً وباعدهم حين فعل مغراء ما فعل ، فقال فى ذلك بعض الشعراء :

لقدْ بَغَّض اللهُ الكِرامَ إِليكمُ كما بغَّضَ الرَّحمنُ قيْساً إِلى نَصرِ

رَأَيْتُ أَبا لَيْث يُهينُ سَرَاتهُمْ ويُدْنِى إِليْه كلَّ ذى والثٍ غُمْرِ

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك ؛ كذلك حدثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ؛ وكذلك قال الواقدىّ أيضًا .

وكان عُمّال الأمصار فى هذه السنة هم العمال الذين كانوا فى السَّنة التى قبلها ، وقد ذكرتهم قبل .

١٧٢٦/٢

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة

ذكر الإخبار عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ابتداء أمر أبي مسلم الخُراسانيّ]

فمما كان فيها من ذلك مَقْدَم جماعة من شيعة بني العباس الكوفةَ يريدون مكّة ، وشرَى(١) بُكَير بن ماهان — في قول بعض أهل السير — أبا مسلم صاحبَ دعْوة بني العباس من عيسى بن معقل العجليّ .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وقد اختُلف في ذلك ؛ فأمّا عليّ بن محمد ، فإنه ذكر أن حمزة بن طلحة السّلميّ حدثه عن أبيه ، قال : كان بُكير بن ماهان كاتبًا لبعض عمّال السند ، فقدمها(٢) ، فاجتمعوا بالكوفة في دار ، فغُمِز(٣) بهم فأخذوا ، فحبس بكير وخُلِّيَ عن(٤) الباقين ، وفي الحبس يونس أبو عاصم وعيسى بن معقل العجليّ ، ومعه أبو مسلم يخدُمه ، فدعاهم بُكير فأجابوه إلى رأيه ، فقال لعيسى بن معقل : ما هذا الغلام ؟ قال : مملوك ، قال : تبيعه ؟ قال : هو لك ، قال : أحبّ أن تأخذ ثمنه ، قال : هو لك بما شئت ؛ فأعطاه أربعمائة درهم ، ثم أُخرِجوا من السجن ، فبعث به إلى إبراهيم فدفعه إبراهيم إلى أبي موسى السراج ، فسمع منه وحفظ ، ثم صار إلى أن اختلف إلى خراسان .

١٧٢٧/٢

وقال غيره : توجّه سليمان بن كثير ومالك بن الهيْثم ولاهز بن قريظ ، وقَحطبة بن شَبيب من خراسان ، وهم يريدون مكة في سنة أربع وعشرين ومائة ، فلما دخلوا الكوفة أتوْا عاصم بن يونس العِجليّ ؛ وهو في الحبس ، قد اتُّهم بالدّعاء إلى ولد العباس ، ومعه عيسى وإدريس ابنا معقل ؛ حبسهما يوسف بن عمر فيمن حبس من عُمّال خالد بن عبد الله ، ومعهما أبو مسلم يخدُمهما ؛ فرأوْا فيه العلامات ، فقالوا : مَن هذا ؟ قالوا : غلام معنا من

(١) شراه يشريه شرى : ملكه بالبيع ، مثل اشترى . (٢) ا ، ف : « فقدم » .
(٣) غمز بهم ، أي سعى بهم شرًّا . (٤) كذا في ا ، وفي ط : « من » .

السّراجين — وقد كان أبو مسلم يسمع عيسى وإدريس يتكلمان فى هذا الرأى فإذا سمعهما بكى — فلما رأوا ذلك منه دعوْه إلى ماهم عليه، فأجاب وقبِل .

* * *

وفى هذه السنة غزا سليمان بن هشام الصائفة ، فلقى أليون ملك الروم فسلم وغنم .

وفيها مات — فى قول الواقدىّ — محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل ؛ كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ .

وحجّ فى هذه السنة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك معه امرأته أمّ سلمة بنت هشام بن عبد الملك .

وذكر محمد بن عمر أن يزيد مولى أبى الزّناد حدّثه ، قال : رأيت محمد ابن هشام على بابها يرسل بالسلام وألطافه على بابها كثيرة ، ويعتذر فتأبى ؛ حتى كان يأيس من قبول هديّته ، ثم أمرت بقبضها . ١٧٢٨/٢

* * *

وكان عمّال الأمصار فى هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها فى سنة اثنتين وعشرين ومائة وفى سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وقد ذكرناهم قبل .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة .

* * *

[خبر وفاة هشام بن عبد الملك]

ومن ذلك وفاة هشام بن عبد الملك بن مرْوان فيها ، وكانت وفاته — فيما ذكر أبو معشر — لستّ ليال خلوْن من شهر ربيع الآخر ؛ كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ؛ عنه .

وكذلك قال الواقديّ والمدائنيّ وغيرهما ؛ غير أنهم قالوا : كانت وفاتُه يوم الأربعاء لستّ ليال خلوْن من شهر ربيع الآخر ، فكانت خلافتُه في قول جميعهم تسعَ عشرةَ سنة ، وسبعة أشهر وأحدًا وعشرين يومًا في قول المدائنيّ وابن الكلبيّ ، وفي قول أبي معشر : وثمانية أشهر ونصفًا ، وفي قول الواقديّ : وسبعة أشهر وعشر ليالٍ .

١٧٢٩/٢ واختلف في مبلغ سنه ، فقال هشام بن محمد الكلبيّ : توفّيَ وهو ابن خمس وخمسين سنة . وقال بعضهم : توفّيَ وله اثنتان وخمسون سنة .

وقال محمد بن عمر : كان هشام يوم تُوفّيَ ابنَ أربع وخمسين سنة .
وكانت وفاته بالرُّصافة وبها قبره ، وكان يكنى أبا الوليد .

* * *

ذكر الخبر عن العلة التي كانت بها وفاته

حدّثني أحمد بن زُهير ، قال : حدّثني عليّ بن محمد ، قال : حدثني شيبة بن عثمان ، قال : حدّثني عمرو بن كليع ؛ قال : حدّثني سالم أبو العلاء ، قال : خرج علينا هِشام بن عبد الملك يومًا وهو كئيب ، يعرَف ذلك فيه ،

مسترخٍ عليه ثيابه ، وقد أرخى عنان دابّته ، فسار ساعةً ثم انتبه، فجمع ثيابه وأخذ بعِنان دابته ، وقال للرّبيع : ادعُ الأبرش ، فدُعِيَ فسار بيني وبين الأبرش، فقال له الأبرش : يا أميرَ المؤمنين ؛ لقد رأيتُ منك شيئًا غمّني ، قال: وما[١] هو ؟ قال: رأيتك قد خرجت على حال غمّني[١] ، قال: ويحك يا أبرش ! وكيف لا أغتمّ وقد زعم أهل العلم أنى ميت إلى ثلاثة وثلاثين يومًا ! قال سالم : فرجعت إلى منزلى، فكتبت فى قرطاس : «زعم أمير المؤمنين يوم كذا وكذا أنه يسافر إلى ثلاثة وثلاثين يومًا». فلمّا كان فى الليلة التى استكمل فيها ثلاثة وثلاثين يومًا إذا خادم يدقّ الباب يقول: أجِبْ أميرَ المؤمنين ، واحمِل معك دواء الذُّبَحة — وقد كان أخذه مرّة فتعالج فأفاق — فخرجتُ ومعى الدواء فتغرغَر به ، فازداد الوجعُ شِدّة ، ثم سكن فقال لى : يا سالم ، قد سكن بعض ما كنت[٢] أجد ؛ فانصرفْ إلى أهلك ، وخلّف الدواء عندى. فانصرفت ، فما كان إلا ساعة حتى سمعت الصُّراخ عليه ، فقالوا : مات أمير المؤمنين ! فلما مات أغلق الخزّان الأبواب ، فطلبوا قُمقمًا يسخّن فيه الماء لغسله ، فما وجدوه حتى استعاروا قُمقماً من بعض الجيران ، فقال بعض من حضر ذلك : إن فى هذا لمعتبَراً لمن اعتبر . وكانت وفاته بالذُّبَحَة ، فلما مات صلى عليه ابنه مَسْلمَة بن هشام .

٢ / ١٧٣٠

* * *

ذكر بعض سِيَر هشام

حدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، عن وَسْنان الأعرجىّ ، قال : حدّثنى ابن أبى نُحَيلة ، عن عقّال بن شَبّة ، قال : دخلتُ على هشام ، وعليه قَباء فنَك[٣] أخضر ، فوجّهنى إلى خُراسان ، وجعل يوصينى وأنا أنظر إلى القَباء ، ففطِن ، فقال : ما لك؟ قلت : رأيت عليك قبل أن تلى الخلافة قَباء فَنَك أخضر ، فجعلت أتأمّل هذا ، أهو ذاك أم غيره ؟ فقال : هو والله الذى لا إله إلا ، هو ذاك ، ما لى قَباء غيره . وأما ما ترَوْن من جمعى هذا المال وصونه فإنه لكم . قال : وكان عقّال مع

٢ / ١٧٣١

(١-١) ساقط من ا ، ب . (٢) ح : « بعض الذى » .
(٣) الفنك : دابة فروتها أطيب أنواع الفراء .

هشام . فأما شبّة أبو عقّال ؛ فكان مع عبد الملك بن مروان، وكان عقّال يقول : دخلت على هشام ، فدخلت على رجل محشوّ عقْلاً .

حدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنى علىّ ، قال : قال مروان بن شجاع ؛ مولى لمروان بن الحكم : كنت مع محمد بن هشام بن عبد الملك ، فأرسل إلىّ يوماً ، فدخلتُ عليه ، وقد غضب وهو يتلهّف ، فقلتُ :ما لك ؟ فقال : رجل نصرانىٌّ شجّ غلامى – وجعل يشتمه – فقلت له : على رِسْلك ! قال : فما أصنع ؟ قلت : ترفعه إلى القاضى ، قال : وما غير هذا ! قلت : لا ، قال خصىّ له : أنا أكفيك ، فذهب فضربه . وبلغ هشاماً فطلب الخصىّ ، فعاذ بمحمد ، فقال محمد بن هشام : لم آمرك ، وقال الخصىّ : بلى والله لقد أمرتَنى ، فضرب هشام الخصىّ وشتم ابنه .

وحدثنى أحمد ، قال علىّ : لم يكن أحدٌ يسير فى أيام هشام فى موكب إلّا مسلمة بن عبد الملك . قال : ورأى هشام يوماً سالماً فى موكب ، فزجره وقال : لأعلمنّ متى سرتَ فى موكب . وكان يقدم الرجل الغريب فيسير معه ، فيقف سالم ، ويقول : حاجتك، ويمنعه أن يسير معه ، وكان سالم كأنه هو أمّر هشاماً .

قال : ولم يكن أحدٌ من بنى مَرْوان يأخذ العطاء إلا عليه الغزْو ؛ فمنهم مَنْ يغزو ، ومنهم من يُخرج بدلا . ١٧٣٢/٢

قال : وكان لهشام بن عبد الملك مولًى يقال له يعقوب، فكان يأخذ عطاء هشام مائتى دينار وديناراً، يفضّل بدينار ، فيأخذها يعقوب ويغزو . وكانوا يصيّرون أنفسَهم فى أعوان الدّيوان ، وفى بعض ما يجوّز لهم المقام[1] به ، ويوضع به الغزْو عنهم . وكان داود وعيسى ابنا علىّ بن عبد الله بن عباس – وهما لأمّ – فى أعوان السّوق[2] بالعراق لخالد بن عبد الله ، فأقاما عنده ، فوصلهما ، ولولا ذلك لم يستطع أن يحبسهما ، فصيّرهما[3] فى الأعوان ، فسمرا ، وكانا يسامرانه ويحدّثانه .

---

(١) ف : « القيام » .
(٢) كذا فى ا ، ب ، وفى ط : « الشرق » .
(٣) ب : « فيصيرها » .

قال : فولّى[١] هشام بعض مواليه ضيعةً له ، فعمّرها فجاءت بغلّة عظيمة كبيرة[٢] ثم عمّرها أيضًا ، فأضعفت الغلّة ، وبعث بها مع ابنه ، فقدم بها على هشام ، فأخبره خبر[٣] الضّيْعة فجزاه خيراً ، فرأى منه انبساطًا ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن لى حاجة ، قال : وما هى[٤] ؟ قال : زيادة عشرة دنانير فى العطاء ، فقال : ما يخيّل إلى أحدكم أن عشرة دنانير فى العطاء إلا بقدر الجوْز ! لا لعمرى لا أفعل .

حدّثنى أحمد ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : قال جعفر بن سليمان : قال لى عبد الله بن علىّ : جمعتُ دواوين بنى مروان ، فلم أرَ ديوانًا أصحّ ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان[٥] هشام .

حدثنا أحمد ، قال : قال علىّ : قال غسان بن عبد الحميد : لم يكن أحدٌ من بنى مَرْوان أشدّ نظراً[٦] فى أمر أصحابه ودواوينه ، ولا أشدّ مبالغة فى الفحْص عنهم من هشام .

١٧٣٣/٢

حدّثنى أحمد ، قال : حدثنا علىّ ، قال : قال حماد الأبحّ : قال هشام لغيْلان : ويحك ياغيلان ! قد أكثر الناس فيك ، فنازعْنا بأمرك ، فإن كان حقًّا اتّبعناك ، وإن كان باطلا نزعتَ عنه ، قال : نعم ، فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلّمه ، فقال له ميمون : سلْ ؛ فإنّ أقوى ما تكونون إذا سألتم ، قال له : أشاء الله أن يُعصَى ؟ فقال له ميمون : أفعُصِى كارهًا ! فسكت ، فقال هشام : أجبه فلم يجبه ، فقال له هشام : لا أقالنى الله إن أقلتُه ؛ وأمر بقطع يديه ورجليه .

حدّثنى أحمد ، قال : حدّثنا علىّ عن رجل من غَنِىّ ، عن بِشْر مولى هشام ، قال : أُتِىَ هشامٌ برجل عنده قِيان وخَمْر وبَرْبَط ، فقال : اكسروا الطنبور[٧] على رأسه وضربه ، فبكى الشيخ . قال بِشر : فقلت له

(١) ح : « وولى » . (٢) ح ، ف : « كثيرة » .
(٣) ح ، ف : « وأخبره عن الضيعة » . (٤) ا ، ح ، ف : « ما هى » ، بدون واو .
(٥) ح : « دواوين » . (٦) ط : « حصراً » ، وما أثبته من ا ، ح .
(٧) الطنبور : من آلات الطرب ؛ ذو عنق طويل وستة أوتار ، والبربط : العود .

ـ وأنا أعزّيه : عليك بالصبر ، فقال : أترانى أبكى للضّرب ! إنما أبكى لاحتقاره للبـَرْبـَط إذ سماه طنبوراً !

قال : وأغلظ رجل لهشام ، فقال له هشام : ليس لك أن تـُغلظ لإمامك !

قال : وتفقـّد هشام بعض ولده ـ ولم يحضر الجمعة ـ فقال له : ما منعك من الصلاة ؟ قال : نفـَقـَتْ دابتى ، قال : أفعجزتَ عن المشى فتركت الجمعة ! فمنعه الدّابـّة سنـَة .

قال : وكتب سليمان بن هشام إلى أبيه : إنّ بغلتى قد عجزت عنى ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمُرلى بدابـّة فعل . فكتب إليه : قد فهم أميرُ المؤمنين كتابك ، وما ذكرتَ من ضَعـْف دابـّتك ، وقد ظنّ أمير المؤمنين أن ذلك من قلة تعهـّدك لعلـَفها ، وأنّ علفها يضيع ، فتعهـّد دابـّتـَك فى القيام عليها بنفسك ، ويرى أمير المؤمنين رأيه فى حُملانك[1] . ٢/١٧٣٤

قال : وكتب إليه بعض عمـّاله : إنى قد بعثت إلى أمير المؤمنين بسلـّة دُراقن[2] ؛ فليكتب إلىّ أميرُ المؤمنين بوصولها . فكتب إليه : قد وصل إلى أمير المؤمنين الدّراقن الذى بعثتَ به فأعجبه ، فزدْ أمير المؤمنين منه ، واستوثق من الوعاء .

قال : وكتب إلى بعض عُمـّاله : قد وصلتِ الكـَمـْأة التى بعثتَ بها إلى أمير المؤمنين ؛ وهى أربعون ، وقد تغيـّر بعضُها ، ولم تـُؤتَ فى ذلك إلا من حـَشْوها ، فإذا بعثتَ إلى أمير المؤمنين منها شيئاً فأجد حـَشْوَها فى الظـَّرْف الذى تجعلها فيه بالرّمل ؛ حتى لا تضطرب ولا يصيب بعضُها بعضاً .

حدّثنى أحمد ، قال : حدثنى علىّ ، قال : حدّثنا الحارث بن يزيد ، قال : حدّثنى مولى لهشام ، قال : بعث معى مولى لهشام كان على بعض ضياعه بطيـْرين ظريفين ، فدخلت إليه وهو جالس على سرير فى عـَرْصة الدار ، فقال : أرسلهما فى الدار ، قال : فأرسلتهـُما فنظر إليهما ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، جائزتى ، قال : ويلك ! وما جائزة طيرين ؟ قلتُ : ما كان ، قال : خذ أحـَدهما ، فعدوْتُ فى الدار عليهما ، فقال : ما لك ؟ قلت : ٢/١٧٣٥

---

(١) حملانك ؛ أى حملك .

(٢) الدراقن : المشمش أو الخوخ ؛ شامية .

أختار خيرَهما ، قال : أتختار أيضًا خيرهما وتدع شرّهما لى ! دعْهما ونحن نعطيك أربعين درهمًا أو خمسين درهمًا .

قال : وأقطـع هشام أرضًا يقال لها دورين ، فأرسل فى قَبْضها ؛ فإذا هى خراب ، فقال لذُوَيْد (كاتب كان بالشأم) : ويحك ! كيف الحيلة ؟ قال : ما تجعل لى ؟ قال : أربعمائة دينار ، فكتب « دورين وقراها » ، ثم أمضاها فى الدواوين ، فأخذ شيئًا كثيراً ، فلما ولى هشام دخل عليه ذُوَيد ، فقال له هشام : دورين وقراها ! لا والله لا تلى لى ولاية أبداً ، وأخرجه من الشأم .

حدّثنى أحمد ، قال : حدّثنا علىّ ، عن عمير بن يزيد ، عن أبى خالد ، قال : حدّثنى الوليد بن خليد ، قال : رآنى هشام بن عبد الملك ، وأنا على برْذون طُخَارىّ[1] ، فقال : يا وليد بن خليد ، ما هذا البرذون ؟ قلت : حملنى عليه الجُنيد ، فحسدنى وقال : والله لقد كثرت الطُّخَاريّة ، لقد مات عبد الملك فما وجدنا فى دوابه برذونًا طُخاريًّا غير واحد ، فتنافسه بنو عبد الملك أيهم يأخذه ؛ وما منهم أحدٌ إلاّ يرى أنه إن لم يأخذه لم يرث من عبد الملك شيئًا .

قال : وقال بعض آل مروان لهشام : أتطمع فى الخلافة وأنت بخيل جبّان[2] ؟ قال : ولمَ لا أطمع فيها وأنا حليم عفيف !

١٧٣٦/٢

قال : وقال هشام يومًا للأبرش : أوَضَعَتْ أعنزك ؟ قال : إى والله ، قال : لكن أعنزى تأخّر ولادها ، فاخرج بنا إلى أعنزك نُصِبْ من ألبانها ، قال : نعم ، أفأقدّم قومًا ؟ قال : لا ، قال : أفأقدّم خباءً حتى يضرب لنا ؟ قال : نعم ، فبعث برجلين بخباء فضُرب ، وغدا هشام والأبرش وغدا الناس ، فقعد هشام والأبرش ؛ كلّ واحد منهما على كرسىّ ، وقدّم إلى كلّ واحد منهما شاة ، فحلب هشام الشاة بيده ، وقال : تعلّم يا أبرش أنى لم أبسّ[3] الحلبَ ! ثم أمر بملّة فعُجنت وأوقد النار بيده ، ثم فحصها وألقى الملّة ، وجعل يقلّبها بالمحراث ، ويقول : يا أبرش ، كيف ترى رفقى ! حتى نضجت ثم أخرجها ،

---

(١) برذون طخارى ، أى عتيق فاره . (٢) ح : « جبار » وجبان كشداد : هيوب للأشياء لا يقدم عليها . (٣) الإبساس : التلطف فى حلب الشاة بأن يقال لها : بس بس .

وجعل يقلّبها[١] بالمحراث ، ويقول : جبينك جبينك . والأبرش يقول : لبّيك لبيك — وهذا شيء تقوله الصبيان إذا خُبزت لهم المَلّة — ثم تغدّى وتغدّى الناس ورجع .

قال : وقدم علباء بن منظور الليثيّ على هشام ، فأنشده :

قالت عُليَّةُ واعْتزمْتُ لِرَحْلة ... زَوْرَاءَ بالأُذْنَيْن ذاتِ تَسَدُّرِ[٢]

أينَ الرحيلُ وأهلُ بيتكَ كلّهُمْ ... كَلٌّ عليك كبيرهُمْ كالأَصْغرِ !

فأَصاغِرٌ أَمثالُ سِلكانِ القطَا ... لا فى ثرَى مالٍ ولا فى مَعْشر

إنى إلى ملكِ الشَّآم لَراحِــلٌ ... وإليه يَرْحَلُ كُلُّ عبد مُوقَر

١٧٣٧/٢ فلأتركَنَّكِ إن حيِيتُ غَنِيّةً ... بِنَدَى الخليفةِ ذى الفَعالِ الأَزهرِ

إنّا أُناسٌ مَيّتٌ دِيوَانُنــا ... ومتى يُصِبْهُ نَدَى الخليفة ينشرِ

فقال له هشام : هذا الذى كنت تحاول ، وقد أحسنتَ المسألة . فأمر له بخمسمائة درْهم ، وألحق له عَيْلاً[٣] فى العطاء .

قال : وأتى هشاماً محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال : ما لك عندى شيء ، ثم قال : إيّاك أن يغرّك أحد فيقول : لم يعرفك أمير المؤمنين ؛ إنى قد عرفتُك ؛ أنت محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، فلا تقيمنّ وتُنفق ما معك ، فليس لك عندى صلة ، فالحق بأهلك .

قال : ووقف هشام يوماً قريباً من حائط فيه زَيْتون ، ومعه عثمان بن حَيّان المرّىّ ، وعثمان قائم يكاد رأسه يوازِى رأسَ أمير المؤمنين وهو يكلمه إذ سمع نفض الزيتون ، فقال لرجل : انطلق إليهم فقل لهم : القطوه لقطاً ، ولا تنفضوه نفضاً ، فتتفقّأ عيونُه ، وتتكسّر غصونه .

قال : وحجّ هشام ، فأخذ الأبرش مخنّثين ومعهم البرابط ، فقال هشام : احبسوهم وبيعوا متاعهم — وما درى ما هو — وصيّروا ثمنه فى بيت المال ، فإذا صلحوا فردّوا عليهم الثمن[٤] .

وكان هشام بن عبد الملك ينزل الرُّصافة — وهى فيما ذكر — من أرض قنّسرين .

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « يضربها » .
(٢) ا : « ذات تشدر » .
(٣) العيل : الزيادة .
(٤) ح ، ف : « الثمن عليهم » .

وكان سبب نزوله إياها — فيما حدّثنى أحمد بن زهير بن حرب ، عن علىّ بن محمد — قال : كان الخلفاء وأبناء الخلفاء يتبدّوْن[1] ويهربون من الطاعون ، فينزلون البرّيّة خارجًا عن الناس ، فلما أراد هشام أن ينزل الرُّصافة قيل له : لا تخرج ؛ فإنّ الخلفاء لا يُطعنون[2] ؛ ولم نرَ خليفة طُعِن ، قال : أتريدون أن تجرّبوا بى ! فنزل الرُّصافة وهى برّيّة ، ابتنى بها قصرين. والرّصافة مدينة رُوميّة بنتْها الروم . ١٧٣٨/٢

وكان هشام أحول ، فحدثنى أحمد ، عن علىّ ، قال : بعث خالد بن عبد الله إلى هشام بن عبد الملك بحادٍ فحدَا بين يديه بأرجوزة أبى النجم :

والشمسُ فى الأُفْقِ كعَين الأَحولِ صَغْواءُ قد هَمَّتْ ولَمَّا تفعَلِ

فغضب هشام وطرده .

وحدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : حدثنا أبو عاصم الضبىّ ، قال : مرّ بى معاوية بن هشام ، وأنا أنظر إليه فى رَحْبة أبى شَرِيك — وأبو شَريك رجل من العجم كانت تنسب إليه وهى مزرعة — وقد أختبز خبزة ، فوقف علىّ ، فقلتُ : الغداء ! فنزل وأخرجتها ، فوضعتها فى لَبن ، فأكل ثم جاء الناس ، فقلت : مَنْ هذا ؟ قالوا : معاوية بن هشام ، فأمر لى بصِلة . وركب وثار بين يديه ثعلب ، فركض خلفه ، فما تبعه غَلْوة ؛ حتى عثر به فرسه فسقَط فاحتملوه ميّتًا ، فقال هشام : تالله لقد أجمعتُ أن أرشّحه للخلافة ، ويتبع ثعلبًا ! ١٧٣٩/٢

قال : وكانت عند معاوية بن هشام ابنة إسماعيل بن جرير وامرأة أخرى ، فأخرج هشام كلّ واحدة منهما من نصف الثمن بأربعين ألفًا .

حدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا ، علىّ ، قال : قال قحذم كاتب يوسف : بعثنى يوسف بن عمر إلى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفّى ، وحبّة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحبّ ، فدخلت عليه فدنوت منه ، فلم أر وجهه من طول السرير وكثرة الفرُش ، فتناول الحجَر والحبّة ، فقال :

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « يتنبذون » .
(٢) لا يطعنون ؛ أى لا يصابون بالطاعون .

أكتب معك بوزنهما ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ؛ هما أجلّ عن أن يُكتب بوزنهما ، ومن أين يوجد مثلهما ! قال : صدقت ، وكانت الياقوتة للرائقة جارية خالد بن عبد الله ، اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار .

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ ، قال : حدّثنا حسين بن يزيد ، عن شهاب بن عبد ربّه ، عن عمرو[1] بن عليّ ، قال : مشيتُ مع محمد بن عليّ إلى داره عند الحمّام ، فقلت له : إنه قد طال مُلك هشام وسلطانه ، وقد قرب من العشرين . وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربّهُ مُلكًا لاينبغي لأحد من بعده ، فزعم الناس أنها العشرون ، فقال : ما أدرى ما أحاديث الناس ! ولكن أبي حدّثني عن أبيه ، عن عليّ ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن يعمّر الله مَلِكًا في أمّة نبيّ مضَى قبله ما بلغ بذلك النبيّ من العمر » .

١٧٤٠/٢

* * *

وفي هذه السنة ولي الخلافَة بعد موت هشام بن عبد الملك الوليدُ بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان ، وليَها يوم السبت في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة في قول هشام بن محمد الكلبيّ .

وأما محمد بن عمر فإنه قال : استُخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء لست خلوْن من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين ومائة.

وقال في ذلك عليّ بن محمد مثل قول محمد بن عمر .

(١) ا : « عمر بن علي » .

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

* * *

ذكر الخبر عن بعض أسباب ولايته الخلافة

قد مضى ذكرى سبب عقد أبيه يزيد بن عبد الملك بن مروان له الخلافةَ بعد أخيه هشام بن عبد الملك ؛ وكان الوليدُ بن يزيد يومَ عَقد له أبوه يزيد ذلك ابنَ إحدى عشرة سنة ، فلم يمُتْ يزيد حتى بلغ ابنُه الوليد خمس عشرة سنة ، فندم يزيد على استخلافه هشامًا أخاه بعده ؛ وكان[1] إذا نظر إلى ابنه الوليد ، قال : الله بيني وبين مَنْ جعل هشامًا بيني وبينك ! فتوفِّيَ يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة . وولى هشام وهو للوليد مكرّم معظم مقرّب ؛ فلم يزل ذلك من أمرهما حتى ظهر من الوليد بن يزيد مجون وشرب الشراب ؛ حمله على ذلك — فيما حدّثني أحمد بن زهير ، عن علىّ ابن محمد ، عن جُويرية بن أسماء وإسحاق بن أيوب وعامر بن الأسود وغيرهم — عبدُ الصمد بن عبدالأعلى الشبّانىّ[2] أخو عبد الله بن عبد الأعلى — وكان مؤدّب الوليد — واتّخذ الوليد ندماء ، فأراد هشام أن يقطعهم عنه فولاه الحجَّ سنة تسع عشرة ومائة[3] ، فحمل معه كلابًا فى صناديق ، فسقط منها صندوق — فيما ذكر علىّ بن محمد عمّن سميتُ من شيوخه — عن البعير وفيه كلب ، فأجالوا على الكرىّ[4] السِّياط ، فأوجعوه ضربًا . وحمل معه قبّة عملها على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة ، وحمل معه خمراً ، وأراد أن ينصب القبّة على الكعبة ؛ ويجلس فيها ؛ فخوّفه أصحابه وقالوا : لا نأمن الناس عليك وعلينا معك ؛ فلم يحرّكها . وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف به ، وبلغ ذلك هشامًا فطمع فى خلعه والبيعة لابنه مسلمة بن هشام ، فأراده على أن يخلعها ويبايع لمسلمة ؛ فأبى ، فقال له : اجعلها له مِنْ بعدك ؛ فأبَى ، فتنكّر له هشام وأضرّ به ، وعمل سرًّا فى البيعة لابنه ؛ فأجابه قوم .

٢/١٧٤١ ٢/١٧٤٢

(١) ا ، ح ، ف : « فكان » . (٢) ط : « الشيبانى » ، تحريف .
(٣) ابن الأثير : « سنة ست عشرة ومائة » . (٤) الكرى والمكارى ، هوالذى يكرى دابته .

قال : فكان ممّن أجابه خالاه : محمد وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل المخزومىّ ، وبنو القعقاع بن خليد العبسىّ وغيرهم من خاصّته .

قال : وتمادى الوليدُ فى الشراب وطلب اللذات فأفرط ، فقال له هشام : ويحك ياوليد ! والله ما أدرى أعلى الإسلام أنت أم لا ! ما تَدع شيئاً من المنكر إلا أتيْتَه غير متحاشٍ ولا مستتر به ! فكتب إليه الوليد :

يُأَيُّها السائل عن دينِنا نحن على دين أَبى شاكِر[1]

نشْربُها صِرْفاً وممزوجــةً بالسُّخْنِ أَحياناً وبالفاتِر

فغضب هشام على ابنه مَسلمة — وكان يكنى أبا شاكر — وقال له : يعيّرنى بك الوليد وأنا أرشّحك للخلافة ! فالزم الأدب واحضر الجماعة .

وولاّه الموسم سنة تسع عشرة ومائة ، فأظهر النسك والوقار واللين ، وقسم بمكة والمدينة أموالاً ، فقال مولى لأهل المدينة :

يـأيّهــا السائل عن دينِنا نحنُ على دين أَبى شاكِر

الواهبِ الجُرْدَ بأرسانها[2] ليس بزِنديق ولا كافِر

يعرّض بالوليد .

وأمّ مسلمة بن هشام أمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبى العاص . فقال الكميت :

إنّ الخلافة كائنٌ أَوتادُها بعدَ الوليد إلى ابن أُمّ حكيم

١٧٤٣/٢

فقال خالد بن عبد الله القسرىّ : أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكر ؛ فغضب مسلمة بن هشام على خالد ، فلما مات أسد بن عبد الله أخو خالد ابن عبدالله ، كتب أبو شاكر إلى خالد بن عبدالله بشعر هجا به [يحيى][3] بن نوفل خالداً وأخاه أسداً حين مات :

أَراحَ مِن خالدٍ وأَهلــكه ربٌّ أَراح العبادَ منْ أَسدِ

أَمّا أَبوهُ فكان مؤتَشِباً عبدًا لئيماً لأَعْبُد قُفُدِ[4]

---

(١) فى الأغانى ٧ : ٣ ، وقال : « بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونحله إياه » .
(٢) الأغانى : «الواهب البزل» . (٣) من ا .
(٤) مؤتشب ؛ أى غير صريح فى نسبه . والعبد الأقفد : الكز اليدين والرجلين القصير الأصابع .

وبعث بالطومار مع رسول على البريد إلى خالد ؛ فظنّ أنه عزّاه عن أخيه ، ففضّ الخاتم ، فلم ير فى الطُّومار غير الهجاء ، فقال : ما رأيت كاليوم تعزية !

وكان هشام يعيب الوليدَ ويتنقَّصه ، وكَثُر عبثه به وبأصحابه وتقصيره به ، فلمّا رأى ذلك الوليد خرج وخرج معه ناس من خاصّته ومواليه ، فنزل بالأزرق ؛ بين أرض بَلْقَيْن وفَزارة ، على ماء يقال له الأغدف ، وخلَّف كاتبه عيَاض ابن مسلم مولى عبد الملك بن مروان بالرّصافة ، فقال له : اكتب إلىّ بما يحدث قبلكم . وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى ، فشربوا يوماً فلما أخذ فيهم الشراب ، قال الوليد لعبد الصمد : يا أبا وهب ، قل أبياتاً ، فقال[1] : ١٧٤٤/٢

أَلم تَر لِلنجم إذ شُيِّعا[2] يُبادِرُ فى بُرجِه المَرْجِعا
تحيَّرَ عنْ قصدِ مَجْراتِهِ أَتى الغوْر والتَمس المَطْلَعا[3]
فقلتُ وأَعْجبَنِى شأْنُه وقد لاحَ إذ لاحَ لِى مُطمِعا :
لعَلَّ الوليدَ دنا مُلكُهُ فأَمسى إليه قدِ استُجمعَا
وكنَّا نؤَمِّلُ فى ملكِه كتأْميلِ ذى الجدْبِ أَن يُمْرِعاً
عقَدنا له محْكَماتِ الأُمو رِ طوعاً فكان لها مَوْضعَا

ورُوى الشعر[4] ؛ فبلغ هشاماً ، فقطع عن الوليد ما كان يُجرى عليه ، وكتب إلى الوليد : بلغنى عنك أنك اتّخذتَ عبدالصمد خِدناً ومحدّثاً ونديماً ؛ وقد حقّق ذلك عندى ما بلغنى عنك ، ولم أبرّئك من سوء ، فأخرِج عبدالصمد مذموماً مدحوراً . فأخرجه ، وقال فيه :

لقد قَذفوا أَبا وهْبٍ بأَمرٍ كبير بل يزيدُ على الكَبيرِ[5]
فأَشهَدُ أَنهم كَذبوا عليه شهادةَ عالِمٍ بِهِم خبيرِ

وكتب الوليد إلى هشام يُعْلمه إخراج عبد الصمد ، واعتذر إليه مما بلغه

---

(١) الأغانى ٧ : ٨ .
(٢) الأغانى : « سبعا » .
(٣) الأغانى : « إلى الغور » .
(٤) الأغانى : « وروى هذا الشعر » .
(٥) الأغانى ٧ : ٩ .

٢/١٧٤٥ من منادمته، وسأله أن يأذن لابن سهيل فى الخروج إليه — وكان ابن سهيل من أهل اليمن وقد ولى دمشق غير مرّة ، وكان ابن سهيل من خاصّة الوليد — فضرب هشام ابنَ سُهيل وسيّره ، وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد، وبلغه أنه يكتب بالأخبار إلى الوليد ، فضربه ضربًا مبرّحًا ، وألبسه المُسوح . فبلغ الوليد ، فقال : مَنْ يثق بالناس ، ومن يصطنع المعروف! هذا الأحول المشئوم قدّمه أبى على أهل بيته فصيّره ولىّ عهده ، ثم يصنع بى ما ترون؛ لا يعلم أنّ لى فى أحد هوًى إلا عبث به ، كتب إلىّ أن أخرِج عبد الصمد فأخرجتُه إليه، وكتبت إليه أن يأذن لابن سهيل فى الخروج إلىّ ، فضربه وسيّره، وقد علم رأيى فيه ، وقد علم انقطاع عياض بن مسلم إلىّ ، وتحرّمه بى ومكانه منى وأنه كاتبى ، فضربه وحبسه ، يضارّنى بذلك ؛ اللهم أجرنى منه! وقال :

أنا النذيرُ لِمسْدِى نعمة أَبدًا ... إلى المقاريف ما لَم يَخبُرِ الدّخَلاَ[1]

إن أَنْت أَكرمتهُمْ أَلفيْتهُم بُطُرًا ... وإنْ أَهَنْتهُمُ أَلفيتهمْ ذُلُلا

أَتشمُخونَ ومنّا رأسُ نعمتِكمْ ... ستعلَمُونَ إذا كانت لنا دُولا[2]

انظرْ فإن كنت لم تَقدِرْ على مَثَل ... له سوى الكلب فاضربْه له مَثلا

٢/١٧٤٦ بينا يُسمِّنُهُ للصيدِ صاحبُهُ ... حتى إذ ماقوى مِنْ بَعدِ ما هُزِلا

عدَا عليه فلم تَضرُرْهُ عَدْوَتُهُ ... ولو أَطاقَ له أكلا لقد أَكلاَ

وكتب إلى هشام :

لقد بلغنى الذى أحدث أمير المؤمنين من قَطْع ما قطع عنّى ، ومحو ما محا من أصحابى وحُرَمى[3] وأهلى ، ولم أكن أخاف أن يبتلِيَ الله أمير المؤمنين بذلك ولا أبالى به منه ؛ فإن يكن ابن سُهَيل كان منه ما كان فبحسب العيْر أن يكون قدر[4] الذئب ؛ ولم يبلغ من صنيعى فى ابن سُهيل واستصلاحه، وكتابى إلى أمير المؤمنين فيه كُنْه ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتى ؛ فإن يكن ذلك لشىء فى نفس أمير المؤمنين علىّ ، فقد سبّب الله لى من العهد ، وكتب لى

---

(١) الأغانى ٧ : ١٠ . المقاريف : الأنذال. (٢) الأغانى : « إذا أبصرتم الدولا » .
(٣) الأغانى : « وأنه حرمى وأهلى » . (٤) الأغانى : « قرب الذئب » .

من العمر ، وقسم لى من الرزق ما لا يقدر أحد دون الله على قطع شىء منه دون مُدَّته ، ولا صرف شىء عن مواقعه ؛ فقدَر الله يجرى بمقاديره فيما أحبَّ الناس أو كرهوا ، ولا تأخيرَ لعاجله ولا تعجيل لآجله ؛ فالناس بين ذلك يقترفون الآثام على نفوسهم من الله ، ولا [1] يستوجبون العقوبة عليه ؛ وأمير المؤمنين أحقّ أمته بالبصر بذلك والحفظ له ، والله الموفّق لأمير المؤمنين بحسن القضاء له فى الأمور [2] . ٢/١٧٤٧

فقال هشام لأبى الزبير : يا نَسطاس ، أترى الناس يرضون بالوليد إن حدث بى حدث ؟ قال : بل يطيل الله عمرَك يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك ! لا بدّ من الموت ؛ أفترى الناس يرضَوْن بالوليد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنّ له فى أعناق الناس بَيْعةً ، فقال هشام : لئن رضى الناس بالوليد ما أظنُّ الحديث الذى رواه الناس : « إن من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار » ، إلا باطلاً .

وكتب هشام إلى الوليد :

قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قَطْع ما قَطَع عنك وغير ذلك ؛ وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجرى عليك ؛ ولا يتخوّف على نفسه اقتراف المآثم فى الذى أحدث من قطع ما قطع ، ومحو من محا من صحابتك ، لأمرين : أمّا أحدُهما فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجرى عليك ؛ وهو يعلم وضعَك له وإنفاقكه فى غير سبيله ، وأما الآخر فإثبات [3] صحابتك ، وإدرار أرزاقهم عليهم ؛ لا ينالهم ما ينال المسلمين فى كلّ عام من مكروه عند قطع البعوث ، ٢/١٧٤٨

---

(١) الأغانى : «بما» (٢) الأغانى ٧ : ١٢ ، ١٣ . وبعدها هناك : «وكتب له الوليد فى آخر كتابه :

أَلَيْسَ عظيماً أَن أَرَى كُلَّ واردٍ حياضك يوماً صادراً بالنّوافلِ

فأَرجعَ محمودَ الرجاءِ مُصَرَّداً بتحلْئة عن وِرْد تلك المناهِلِ

فأَصْبَحْتُ ممّن كنتُ آمُلُ مِنكُمُ وليس بلاقٍ ما رجا كلُّ آملِ

كمقتبض يوماً على عُرْض هَبْوَة يَشُدُّ عَلَيْهَا كفَّهُ بالأَنامِلِ

(٣) ح : « إيثار » .

وهم معك تجُول بهم فى سَفهك ؛ وَلأمير[(١)] المؤمنين أحرى فى نفسه للتقصير فى القتْرِ عليك منه للاعتداء عليك فيها ؛ مع أن الله قد نصر أمير المؤمنين فى قَطْع ما قطع عنك من ذلك ما يرجو به تكفير ما يتخوّف مما سلف فيه منه[١)] . وأما ابنُ سُهيل فلعمرى لئن كان نزل منك بما نزل ، وكان أهلا أن تُسرّ فيه أو تساء ؛ ما جعله الله كذلك ؛ وهل زاد ابنُ سهيل — لله أبوك — على أن كان مغنيًا زفّانًا[(٢)] ، قد بلغ فى السفه غايته ! وليس ابن سهيل مع ذلك بشرّ ممّن تستصحبه فى الأمور التى يكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها ، مما كنتَ لَعمر الله أهلا للتوبيخ به ؛ ولئن كان أمير المؤمنين على ظنك به فى الحرص على فسادك ؛ إنك إذاً لغير آل [(٣)] عن هوى أمير المؤمنين من ذلك .

وأما ما ذكرتَ مما سبّب الله لك ؛ فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك ، واصطفاه له ؛ والله بالغٌ أمره . لقد أصبح أمير المؤمنين وهو على اليقين من ربّه ؛ أنه لا يملك لنفسه فيما أعطاه من كرامته ضرًّا ولا نفعًا ؛ وإن الله ولىّ ذلك منه ؛ وإنه لا بدّ له من مزايلته ؛ والله أرأف بعباده وأرحم من أن يولى أمرهم غير الرضىّ له منهم . وإنّ أمير المؤمنين من[(٤)] حسن ظنه بربّه لعلَى أحسن الرّجاء أن يوليه تسبيب[(٥)] ذلك لمن هو أهله فى الرضا له به ولهم ؛ فإنّ بلاءَ الله عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يبلغه ذكره ، أو يؤديه[(٦)] شكره ؛ إلا بعون منه ؛ ولئن كان قُدِّرَ لأمير المؤمنين تعجيل وفاة ، إنّ فى الذى هو مفضٍ إليه إن شاء الله من كرامةِ الله لخلَفًا من الدنيا . ولعمرى إن كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبتَ به لغيرُ مستنكَر من سفهك وحمقك ، فاربَع على نفسك من غُلوائها ، وارقأ على ظَلْعك[(٧)] ؛ فإن لله سطواتٍ وعيناً ؛ يصيب بذلك من يشاءُ ، ويأذن فيه لمن يشاء ممن شاء الله ؛ وأميرُ المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحبّ الأمور إليه وأرضاها له .

١٧٤٩/٢

فكتب الوليد إلى هشام :

(١—١) كذا فى ا ، ط ؛ و ، وفى الأغانى : « وأمير المؤمنين يرجو أن يكفر الله عنه ما سلف من إعطائه إياك باستئنافه قطعه عنك » .

(٢) الزفان : الرقاص . (٣) ط : « بغير إل » . (٤) الأغانى : « مع » .

(٥) ح والأغانى : « بسبب » . (٦) الأغانى : « يوازيه » .

(٧) الأغانى : « فأبق على نفسك ، وقصر من غلوائها ، واربع على ظلعك » .

رَأَيتُكَ تبْنِى جاهدًا فى قَطِيعَتِى[١] فَلَوْكنْتَ ذَا إِرْبٍ لَهَدَّمْت ماتبْنِى
تُثِيرُ على الباقِينَ مَجْنَى ضَغِينةٍ فَوَيلٌ لهُمْ إنْ مِتَّ مِنْ شَرّ ما تجنى!
كأَنى بهمْ واللَّيْتُ أَفْضلُ قوْلِهِمْ[٢] أَلَا لَيْتَنا واللَّيْت إذ ذاكَ لا يُغْنِى
كفَرْتَ يَدًا مِنْ مُنْعِمٍ لو شَكَرْتَها جَزاكَ بها الرَّحمنُ ذو الفضل والمنِّ ١٧٥٠/٢

قال: فلم يزل الوليد مُقيمًا فى تلك البرّيّة حتى مات هشام؛ فلما كان صبيحةُ اليوم الذى جاءته فيه الخلافة، أرسل إلى أبى الزّبير المنذر بن أبى عمرو، فأتاه فقال له: يا أبا الزبير؛ ما أتت علىّ ليلة منذ عقلت عقلى أطولَ من هذه الليلة؛ عرضت لى هموم، وحدّثت نفسى فيها بأمور من أمر هذا الرجل؛ الذى قد أولع بى — يعنى هشامًا — فاركب بنا نتنفّس؛ فركبا، فسارا ميلين؛ ووقف على كثيب، وجعل يشكو هشامًا إذ نظر إلى رَهج، فقال: هؤلاء رسُل هشام؛ نسأل الله من خيرهم، إذ بدا رجلان على البريد مقبلان؛ أحدهما مولًى لأبى محمد السفيانىّ، والآخر جَرْدَبَة.

فلما قربا أتيا الوليد، فنزلا يعدوان حتى دنَوَا منه؛ فسلما عليه بالخلافة، فوَجَم، وجعل جردبة يكرّر عليه السلام بالخلافة، فقال: ويحك! أمات هشام! قال: نعم؛ قال فممّن كتابك؟ قال: من مولاك سالم بن عبدالرحمن صاحب ديوان الرسائل. فقرأ الكتاب وانصرفا، فدعا مولى أبى[٣] محمد السّفيانىّ، فسأله عن كاتبه عياض بن مسلم، فقال: يا أمير المؤمنين؛ لم يزل محبوسًا حتى نزل بهشام أمرُ الله. فلما صار فى حدّ لا تُرجَى الحياة لمثله أرسل عياض إلى الخُزّان؛ أن احتفظوا بما فى أيديكم، فلا يصلنّ أحدٌ منه إلى شىء. وأفاق هشام إفاقةً، فطلب شيئًا فمنعوه فقال: أرانا كنا خُزّانًا للوليد! ومات من ساعته. وخرج عياضٌ من السجن، فختم أبواب الخزائن، وأمر بهشام فأنزِل عن فرشه؛ فما وجدوا له قُمقمًا يسخّن له فيه الماء حتى استعاروه، ولا وجدوا كفنًا من الخزائن؛ فكفّنه غالب مولى هشام؛ فكتب ١٧٥١/٢

(١) الأغانى ٧ : ٨ . وفى ابن الأثير : «تبنى دائمًا».
(٢) الأغانى : «كأنى بهم يومًا وأكثر قولهم».
(٣) ب : «فدعوا مولى».

الوليد إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أن يأتىَ الرُّصافة ، فيحصىَ ما فيها من أموال هشام وولده ، ويأخذ عمّاله وحشَمه ؛ إلا مسلمة بن هشام ؛ فإنه كتب إليه ألاّ يعرض له ، ولا يدخل منزله ؛ فإنه كان يكثر أن يكلم أباه فى الرّفق به ، ويكفّه عنه . فقدم العباس الرُّصافة فأحكم ما كتب به إليه الوليد ؛ وكتب إلى الوليد بأخذ بنى هشام وحشمه وإحصاء أموال هشام ، فقال الوليد :

لَيْتَ هِشاماً كان حَيًّا يَرَى مِحْلَبَهُ الأَوْفَرَ قَدْ أُترِعا[1]

ويروى :

لَيْت هشاماً عاشَ حتى يرى مِكْيالَهُ الأَوْفَرَ قَدْ طُبِّعا

كِلْناهُ بالصاعِ الذى كاله[2] وما ظَلَمْنَاهُ به إِصْبَعا[3]

١٧٥٢/٢

وما أتينا ذاك عَنْ بِدعَةٍ أَحَلَّهُ الفُرقانُ لى أَجْمَعا

فاستعمل الوليد العمّال ، وجاءته بيعته من الآفاق ؛ وكتب إليه العمّال ، وجاءته الوفود ؛ وكتب إليه مروان بن محمد :

بارك الله لأمير المؤمنين فيما أصاره إليه[4] من ولاية عباده ، ووراثة بلاده ؛ وكان من تَغشّى غَمْرة سكرة الولاية ما حمل هشاماً على ما حاول من تصغير ما عظّم الله من حقّ أمير المؤمنين ، ورام من الأمر المستصعَب عليه ؛ الذى أجابه إليه المدخولون[5] فى آرائهم وأديانهم ؛ فوجد ما طمع فيه مستصعباً ، وزاحمته الأقدار بأشدّ مناكبها . وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه حتى أزّره بأكرم مناطق الخلافة ، فقام بما أراه الله له أهلا ، ونهض مستقلاًّ بما حُمِّل منها ، مثبتة ولايته فى سابق الزُّبُر[6] بالأجل المسمى ، وخصّه الله بها على خلْقه وهو يرى حالاتِهم ، فقلّده طَوقها ، ورمى إليه بأزمّة الخلافة ، وعِصم الأمور .

١٧٥٣/٢

فالحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين لخلافته ، ووثائق عُرَى دينه ، وذبّ

---

(١) الأغانى ٧ : ١٨ . (٢) الأغانى : «كلنا له الصاع التى كالها» .
(٣) الأغانى : «أصوعا» . (٤) ا : «صار إليه» .
(٥) المدخول : من فى عقله دخل ؛ أى فساد . (٦) الزبر : جمع زبور ؛ وهو الكتاب .

له عما كاده فيه الظالمون ، فرفعه ووضعهم ؛ فمن أقام على تلك الخسيسة من الأمور أوْبق[1] نفسه ، وأسخطَ ربَّه ، ومن عدلتْ به التوبة نازعًا عن الباطل إلى حقّ وجد الله توّابًا رحيمًا .

أخبِرُ أميرَ المؤمنين أكرمه الله أنى عند ما انتهى إلىّ من قيامه بولاية خلافة الله ، نهضتُ إلى منبرى ؛ علىّ سيفان مستعدًّا بهما لأهل الغشّ ، حتى أعلمت مَنْ قِبَلى ما امتنّ الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين ، فاستبشروا بذلك ، وقالوا : لم تأتنا ولاية خليفة كانت آمالنا فيها أعظم ولا هى لنا أسرّ من ولاية أمير المؤمنين ؛ وقد بسطتُ يدى لبيعتك فجدّدتها ووكّدتها بوثائق العهود وترداد المواثيق وتغليظ الأيمان ، فكلهم حسُنت إجابتُهم وطاعتُهم ؛ فأثبْهم يا أميرَ المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذى آتاك ؛ فإنك أجودُهم جوداً وأبسطهم يداً ؛ وقد انتظروك راجين فضلَك قِبَلهم بالرّحم الذى استرحموك ، وزدْهم زيادة يفضل بها مَنْ كان قِبَلك ؛ حتى يظهر بذلك فضلُك عليهم وعلى رعيّتك ؛ ولولا ما أحاول من سدّ الثغر[2] الذى أنا به ، لخفتُ أن يحملنى الشوق إلى أمير المؤمنين أن أستخلف رجلا على غير أمره ، وأقدمَ لمعاينة أمير المؤمنين ؛ فإنها لا يعدلها عندى عادل نعمة وإن عظمت ؛ فإنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى المسير إليه لأشافهه بأمور كرهتُ الكتاب بها فعل .

١٧٥٤/٢

فلما ولىَ الوليد أجرى على زَمْنَى أهل الشأم وعميانهم وكساهم ، وأمر لكل إنسان منهم بخادم ؛ وأخرج لعيالات الناس الطيبَ والكسوة ؛ وزادهم على ما كان يخرج لهم هشام ، وزاد الناس جميعًا فى العطاء عشرة عشرة ، ثم زاد أهل الشأم بعد زيادة العشرات عشرة عشرة ؛ لأهل الشأم خاصّة ، وزاد مَن وفد إليه من أهل بيته فى جوائزهم الضّعْف ، وكان وهو ولىّ عهد يُطعِم من وفد إليه من أهل الصائفة قافلاً ، ويُطعِم من صدَر عن الحجّ بمنزل يقال له زِيزاء ثلاثة أيام ، ويعلف دوابّهم ، ولم يقُلْ فى شى[3] يُسأله : لا ، فقيل

(١) أوبق نفسه ؛ أى أهلكها .
(٢) الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان .
(٣) ا : « شىء » .

له : إن فى قولك : أنظُر، عِدَةً ما يقيم عليها الطالب ؛ فقال : لاأعوّد لسانى شيئاً لم أعتَده ، وقال :

ضَمِنْتُ لكم إنْ لم تعُقْنِى عَوائِقٌ بأَنَّ سَماءَ الضُرِّ عَنكم سَتُقْلِعُ[1]
سَيُوشِكُ إلحاقٌ مَعاً وزيادةٌ وأَعطِيَةٌ مِنّى عَليكُمْ تَبَرَّعُ
مُحرَّمكُمْ دِيوانُكُمْ وعطاؤكُمْ به يكْتُبُ الكتّابُ شَهْراً وتَطبَعُ ١٧٥٥/٢

* * *

وفى هذه السنة عقد الوليد بن يزيد لابنيْه الحكَم وعثمان البَيْعة من بعده ، وجعلهما وليَّىْ عهده ؛ أحدهما بعد الآخر ، وجعل الحكم مقدّماً على عثمان ، وكتب بذلك إلى الأمصار ؛ وكان ممن كتب إليه بذلك يوسف بن عمر ، وهو عامل الوليد يومئذ على العراق ، وكتب بذلك يوسف إلى نَصْر بن سيار ؛ وكانت نسخة الكتاب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من يوسف بن عمر إلى نَصْر بن سيّار ؛ أما بعد فإنى بعثت إليك نسخةَ كتاب أمير المؤمنين الذى كتب به إلى مَنْ قِبَلى فى الذى ولّى الحكَم ابن أمير المؤمنين وعثمان ابن أمير المؤمنين من العهد بعده مع عقال بن شَبّة التميمىّ وعبد الملك القينىّ ، وأمرتهما بالكلام فى ذلك ؛ فإذا قدما عليك فاجمع لقراءة كتاب أمير المؤمنين الناس ، ومُرْهم فليحشُدوا له ، وقُمْ فيهم بالذى كتب أمير المؤمنين ؛ فإذا فرغت فقم بقراءة الكتاب ، وأذن لمن أراد أن يقوم بخطبة ، ثم بايع الناس لهما على اسم الله وبركته ، وخذ عليهم العهد والميثاق[2] على الذى نسختُ لك فى آخر[3] كتابى هذا الذى نسخ لنا أمير المؤمنين فى كتابه ، فافهمه وبايع عليه ، نسأل الله أن يبارك لأمير المؤمنين ورعيّته[4] فى الذى قضى لهم على لسان أمير المؤمنين ، وأن يصلح الحكَم وعثمان ، ويبارك لنا فيهما ؛ والسلام عليك . ١٧٥٦/٢

وكتب النَّضْر يوم الخميس للنصف من شعبان سنة خمس وعشرين ومائة .

---

(١) الأغانى ٧ : ٢١ .
(٢) ط : « بالمواثيق » .
(٣) ا ، ح : « أسفل » .
(٤) ح : « فى رعيته » .

بسم الله الرحمن الرحيم . تبايع لعبد الله الوليد أمير المؤمنين والحكَم ابن أمير المؤمنين إن كان من بعده وعثمان ابن أمير المؤمنين إن كان بعد الحكم على السمع والطاعة ؛ وإن حدَث بواحد منهما حدث فأميرُ المؤمنين أملك فى ولده ورعيته، يقدّم من أحبّ ، ويؤخر مَنْ أحبّ . عليك بذلك عهد الله وميثاقه ؛ فقال الشاعر فى ذلك :

نبايع عُثمانَ[1] بَعْدَ الوَلِيـ ـد لِلعَهْدِ فينا ونرْجُو يَزِيدا
كما كان إذ ذاك فى ملكهِ يَزِيدُ يُرَجَّى لذاك الوَليدا
عَلَى أَنَّها شَسَعَتْ شَسْعَةً فنحْنُ نومّلُهـا أن تَعُودا
فإنْ هِىَ عَادَت فأَرْضِ القَريـ ـب عنها لِيؤيِسَ منها البَعِيدا[2]

قال أحمد: قال علىّ عن شيوخه الذين ذكرت : فقدِم عقّال بن شبّة وعبد الملك بن نُعيم على نَصْر ، وقدما بالكتاب وهو :

أما بعدُ ؛ فإنّ الله تباركتْ أسماؤه ، وجلّ ثناؤه ، وتعالى ذكره ، اختار الإسلام دينًا لنفسه ، وجعله دين[3] خيرته من خلْقه ، ثم اصطفى من الملائكة رُسُلا ومن الناس ؛ فبعثهم به ، وأمرهم به ؛ وكان بينهم وبين مَن مضى من الأمم ، وخلا من القرون قرْناً فقرْناً ؛ يدعون إلى التى هى أحسن ، ويهدون إلى صراط مستقيم ؛ حتى انتهت كرامة الله فى نبوّته إلى محمد صلوات الله عليه ؛ على حين دُروسٍ من العلم ، وعمًى من الناس ، وتشتيت من الهوى ، وتفرّقٍ من السبُل ، وطموسٍ من أعلام الحقّ ؛ فأبان الله به الهُدَى ، وكشف به العمى ، واستنقذ به من الضلالة والرّدَى ، وأبهج به الدين ، وجعله رحمةً للعالمين ، وختم به وحيَه ، وجمع له ما أكرم به الأنبياء قبله ؛ وقفّى به على آثارهم ؛ مصدّقًا لما نزل معهم ، ومهيمنًا عليه ، وداعيًا إليه ، وآمراً به ؛ حتى كان مَنْ أجابه من أمته ، ودخل فى الدين الذى أكرمهم الله به ، مصدّقين لما سلف من أنبياء الله فيما يكذّبهم فيه قومُهم ، منتصحين لهم فيما يُنهونه[4] ، ذابّين لحُرمهم عما كانوا منتهكين ؛ معظّمين منها لما كانوا

١٧٥٧/٢

(١) كذا فى ا ، ح ، ف ، وفى ط : «نؤمل» . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : «فأوصى القريب» .
(٣) كذا فى ا ، ف . (٤) أنهى الشىء : أبلغه .

مصغَّرين [١] ؛ فليس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحدٌ كان يسمع [٢] لأحد من أنبياء الله فيما بعثه الله به مكذبًا ، ولا عليه فى ذلك طاعنًا ، ولا له مؤذيًا ، بتسفيه له ، أو ردٍّ عليه ؛ أوجحْد ما أنزل الله عليه ومعه ، فلم يبقَ كافر إلا استحلّ بذلك دَمه ، وقطع الأسباب التى كانت بينه وبينه ؛ وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أوعشيرتَهم . ثم استخلف خلفاءه على منهاج نبوّته ؛ حين قبض نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، وختَم به وحيَه لإنفاذ حكمه [٣] ، وإقامة سنّته وحدوده ، والأخذ بفرائضه [٤] وحقوقه ، تأييداً بهم للإسلام ، وتشييداً بهم [٥] لعُرَاه ؛ وتقويةً بهم لقوى حبله ، ودفعًا بهم عن حريمه ، وعَدْلاً بهم بين عباده ، وإصلاحًا بهم لبلاده ؛ فإنه تبارك وتعالى يقول :

١٧٥٨/٢

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ ولٰكِنَّ ٱللهَ ذُو فَضلٍ علَى العَالِمين﴾ [٦] ، فتتابع خلفاء الله على ما أورثَهم الله عليه من أمرِ أنبيائه ، واستخلفهم عليه منه ؛ لا يتعرّض لحقهم أحد إلا صَرَعه الله ، ولا يفارق جماعتهم أحدٌ إلاّ أهلكه الله ؛ ولا يستخفّ بولايتهم ، ويتّهم قضاء الله فيهم أحدٌ إلا أمكنَهم الله منه ، وسلّطهم عليه ، وجعله نكالا وموعظة لغيره ؛ وكذلك صنع الله بمن فارقَ الطاعة التى أمر بلزومها والأخذ بها ، والأثرة لها ؛ والتى قامت السموات والأرض بها ؛ قال الله تبارك وتعالى :
﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِين﴾ [٧] ، وقال عزّ ذكره : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَالَا تَعْلَمُون﴾ [٨]

١٧٥٩/٢

فبالخلافة أبقى الله مَنْ أبقى فى الأرض من عباده ، وإليها صيّره ، وبطاعة مَنْ ولّاه إياها سعد من ألهمها ونصرها ؛ فإن الله عزّ وجلّ علم أنْ لا قوام

(١) ا ، ب : « مضيعين » .
(٢) ح ، ف : « أسمع » .
(٣) ف : « حكمته » .
(٤) ح ، ف : « حقه » .
(٥) ح : « منهم » .
(٦) سورة البقرة ٢٥١ .
(٧) سورة فصلت ١١ .
(٨) سورة البقرة ٣٠ .

لشىء ، ولا صلاح له إلا بالطاعة التى يحفظ الله بها حقه ، ويُمضى بها أمره ، ويُنْكِل[١] بها عن معاصيه ، ويوقف عن محارمه ، ويذبّ عن حرُماته ؛ فمن أخذ بحظه منها كان لله وليًّا ولأمره مطيعًا ، ولرشده مصيبًا ، ولعاجل الخير وآجله مخصوصًا ؛ ومَن تركها ورغب عنها وحادّ[٢] الله فيها أضاع نصيبه ، وعصى ربّه ، وخسر دنياه وآخرته ؛ وكانَ ممن غلبت عليه الشِّقْوة ، واستحوذت عليه الأمور الغاوية ، التى تورد أهلها أفظعَ المشارع[٣] ، وتقودهم إلى شرّ المصارع ، فيما يحلّ الله بهم فى الدنيا من الذلة والنقمة ، ويصيّرهم فيما عندهم من العذاب والحسْرة .

والطاعة رأس هذا الأمر وذِرْوته وسنامه ومِلاكه وزمامه ، وعصمته وقوامه ، بعد كلمة الإخلاص التى ميّز الله بها بين العباد . وبالطاعة نال المفلحون من الله منازلهم ، واستوجبوا عليه ثوابهم ، وفى المعصية مما يحلّ بغيرهم من نقماته ، ويُصيبهم عليه ، ويحقّ[٤] من سخطه وعذابه ، وبترك الطاعة والإضاعة لها والخروج منها والإدبار عنها والتبذّل [للمعصية][٥] بها ، أهلك الله مَن ضلّ وَعتا ، وعمى وغلا ، وفارق مناهج[٦] البرّ والتقوى . ١٧٦٠/٢

فالزموا طاعة الله فيما عَراكم ونالكم ؛ وألمّ بكم من الأمور ، وناصحوها واستوثقوا عليها ، وسارعوا إليها وخالصوها ، وابتغوا القُرْبة إلى الله بها ؛ فإنكم قد رأيتم مواقع الله لأهلها فى إعلائه إياهم ، وإفلاجه[٧] حجّتهم ، ودفعه باطل مَنْ حادّهم وناوأهم وساماهم ، وأراد إطفاء نور الله الذى معهم . وخُبّرتُم مع ذلك ما يصير إليه أهل المعصية من التّوبيخ لهم والتقصير بهم ؛ حتى يؤولَ أمرُهم إلى تبار وصَغار ، وذلة وبوار ؛ وفى ذلك لمن كان له رأى وموعظة عبرة يُنتفع بواضحها ، ويتمسَّك بحظوتها ؛ ويعرف خيرة قضاء الله لأهلها .

ثم إن الله – وله الحمد والمنّ والفضل – هدى الأمة لأفضل الأمور عاقبةً لها فى حَقْن دمائها ، والتئام ألفتها ، واجتماع كَلِمتها ، واعتدال عَمُودها ،

---

(١) أنكله عن حاجته : دفعه عنها . (٢) ج ، ف : « أوحاد » .
(٣) المشارع : جمع مشرعة ؛ وهو مورد الشاربة .
(٤) كذا فى ا ، وفى ط : « وينزل » . (٥) من ا .
(٦) ف : « منهاج » . (٧) أفلج الله حجته : نصرها وأظهرها.

وإصلاح دهمائها[١]؛ وذخر النعمة عليها فى دنياها، بعد خلافته التى جعلها لهم نظامًا، ولأمرهم قوامًا؛ وهو العهد الذى ألهم الله خلفاءه توكيدَه والنظر للمسلمين فى جسيم أمرهم فيه؛ ليكون لهم[٢] عند ما يحدث بخلفائهم ثقةً فى المفزع وملتجأ فى الأمر، ولمًّا للشَّعَث، وصلاحًا لذات البَيْن، وتثبيتاً لأرجاء الإسلام، وقطعًا لنزغات الشيْطان؛ فيما يتطلع إليه أولياؤه، ويُوثبهم عليه من تلَف هذا الدين وانصداع[٣] شَعْب أهله، واختلافهم فيما جمعهم الله عليه منه؛ فلا يريهم الله فى ذلك إلّا ما ساءهم، وأكذب أمانيَّهم، ويجدون الله قد أحكم بما قضى لأوليائه من ذلك عُقَد أمورهم، ونفى عنهم من أراد فيها إدغالاً أو بها إغلالا، أو لما شدّد الله منها توهيناً؛ أو فيما تولّى الله منها اعتماداً، فأكمل الله بها لخلفائه وحِزْبه البرّ الذين أودعهم طاعته أحسن الذى عوّدَهم، وسبّب لهم من إعزازه وإكرامه وإعلائه وتمكينه؛ فأمْرُ هذا العهد من تمام الإسلام، وكمال ما استوجب الله على أهله من المنَن العظام؛ ومما جعل الله فيه لمن أجراه على يدَيْه، وقضى به على لسانه، ووفّقه لمن ولّاه هذا الأمر عنده أفضلَ الذُّخر؛ وعند المسلمين أحسن الأثر فيما يؤثِر بهم من منفعته، ويتّسع لهم من نعمته، ويستندون إليه من عِزّه، ويدخلون فيه من وزره الذى يجعل الله لهم به منَعة، ويحرزهم به من كلّ مهلَكة، ويجمعهم به من كلّ فُرقة، ويقمع به أهل النّفاق، ويعصِمهم به من كلّ اختلاف وشقاق. فاحمَدوا الله ربّكم الرءوف بكم، الصانع لكم فى أموركم على الذى دلّكم عليه من هذا العهد؛ الذى جعله لكم سكناً ومعوّلا تطمئنون إليه، وتستظلون فى أفنانه؛ ويستنهج[٤] لكم به مثْنَى أعناقكم، وسِمات وجوهكم، وملتَقى نواصيكم فى أمر دينكم ودنياكم؛ فإنّ لذلك خطرًا عظيماً من النعمة؛ وإنّ فيه من الله بلاء حسناً فى سعة العافية؛ يعرفه ذوو الألباب والنيات المريّئون[٥] من أعمالهم فى العواقب، والعارفون منارَ مناهج الرّشد؛ فأنتم حقيقون بشكْر الله فيما حفظ به دينكم وأمر جماعتكم من ذلك، جديرون بمعرفة كنه واجب حقه فيه، وحمده

٢/١٧٦١ ٢/١٧٦٢

---

(١) الدهماء: جماعة الناس.

(٢) ا: «أمرهم».

(٣) ب: «واتساع».

(٤) ا: «ويستبهج».

(٥) ريأ فى الأمر ترئية: نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بالجواب.

على الذى عزم لكم منه ؛ فلتكن منزلة ذلك منكم ، وفضيلته فى أنفسكم على قَدْر حسن بلاء الله عندكم فيه إن شاء الله ، ولا قوّة إلا بالله .

ثم إنّ أمير المؤمنين لم يكن منذ استخلفه الله بشىء من الأمور أشدّ اهتماماً وعنايةً منه بهذا العهد ؛ لعلمه بمنزلته من أمر المسلمين ، وما أراهم الله فيه من الأمور التى يغتبطون بها ، ويكرمهم بما يقضى لهم ويختار له ولهم فيه جهده ؛ ويستقضى له ولهم فيه إلهه ووليّه ؛ الذى بيده الحكْم وعند الغيب ، وهو على كل شىء قدير . ويسأله أن يعينه[1] من ذلك على الذى هو أرشد له خاصة وللمسلمين[2] عامّة . ٢/١٧٦٣

فرأى أمير المؤمنين أن يعهَد لكم عهداً بعد عهد ، تكونون فيه على مثل الذى كان عليه من كان قبلكم ، فى مُهْلة من انفساح الأمل وطُمأنينة النفس ، وصلاح ذات البين ؛ وعِلْم موضع[3] الأمر الذى جعله الله لأهله عصمةً ونجاةً وصلاحًا وحياة ، ولكل منافق وفاسق يحبّ تلف هذا الدّين وفساد أهله وقْماً وخسارًا وقَدْعًا[4] . فولّى أمير المؤمنين ذلك الحكَم ابن أمير المؤمنين ، وعثمان ابن أمير المؤمنين من بعده ، وهما ممّن يرجو أمير المؤمنين أن يكون الله خلقه لذلك وصاغه ، وأكمل فيه أحسنَ مناقب من كان يوليه إياه ، فى وفاء الرّأى وصحة الدين ، وجزالة المروءة والمعرفة بصالح الأمور ، ولم يألُكم أمير المؤمنين ولا نفسه فى ذلك اجتهاداً وخيراً .

فبايعوا للحكَم ابن أمير المؤمنين باسم الله وبركتِه ولأخيه من بعده ؛ على السمع والطاعة ، واحتسبوا فى ذلك أحسَن ما كان الله يُريكم ويبليكم ويعوّدكم ويعرّفكم فى أشباهه فيما مضى ، من اليسر الواسع والخير العام ، والفضل العظيم الذى أصبحتم فى رَجائه وخفضه[5] وأمنه ونعمته ، وسلامته وعصمته . فهو الأمر الذى استبطأتموه واستسرعتم إليه ، وحمدتم الله على إمضائه إياه ، وقضائه لكم ، وأحدثتم فيه شكرًا ، ورأيتموه لكم حظًّا ، تستبقونه وتجهدون أنفسكم فى أداء حقّ الله عليكم ، فإنه قد سبق لكم فى ذلك من نِعَم الله وكرامته ٢/١٧٦٤

---

(١) ح ، ف : « يغلب » .
(٢) ح ، ف : « وعلى المسلمين » .
(٣) ح : « مواضع » .
(٤) الوقم : الإذلال ، والقدع : الكف .
(٥) ب ، : « وحفظه » .

وحسن قَسْمه ما أنتم حقيقون أن تكون رغبتكم فيه ، وحَدَبكم عليه، على قَدْر الذى أبلاكم الله ، وصنع لكم منه .

وأمير المؤمنين مع ذلك إن حدث بواحد من وليّيْ عهده حَدَثٌ، أَوْلَى بأن يجعل مكانه وبالمنزل الذى كان به مَن أحبّ أن يجعل من أمته أو ولده ، ويقدّمه بين يدى الباقى منهما إن شاء، أو أن يؤخره بعده . فاعلموا ذلك وافهموه.

نسأل الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أن يبارك لأمير المؤمنين ولكُم فى الذى قضى به على لسانه من ذلك وقدّر منه ؛ وأن يجعل عاقبته عافيةً وسروراً وغبطة ؛ فإن ذلك بيده ولا يملكه إلا هُوَ ، ولا يرغب فيه إلا إليه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وكتب سَمّال يوم الثلاثاء لثمان بقين من رجب سنة خمس وعشرين ومائة .

* * *

[تولية الوليد نصرَ بن سيار على خراسان وأمره مع يوسف بن عمر]

١٧٦٥/٢ وفى هذه السنة ولّى الوليدُ نصرَ بن سيّار خراسان كلها ، وأفرده[1] بها .

وفيها وفد يوسف بن عمر على الوليد ، فاشترى نصراً وعماله منه ، فردّ إليه الوليد ولاية خراسان .

وفى هذه السنة كتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيّار يأمره بالقدوم عليه ، ويحمل معه ما قَدَر عليه من الهدايا والأموال .

* ذكر الخبر عما كان من أمر يوسف ونصر فى ذلك :

ذكر علىّ عن شيوخه ؛ أن يوسف كتب إلى نَصْر بذلك ، وأمرَه أن يقدَم معه بعياله أجمعين ، فلما أتى نصرًا كتابه ، قسّم على أهل خراسان الهدايا وعلى عُمّاله ، فلم يدعْ بخُراسان جاريةً ولا عبداً ولا بِرذَوْنا فارهًا إلا أعدّه ، واشترى ألف مملوك ، وأعطاهم السلاح ، وحملهم على الخيل .

قال : وقال بعضهم : كان قد أعدّ خمسمائة وَصيفة ، وأمر بصنعة أباريق الذّهب والفِضّة وتماثيل الظباء ورءوس السّباع والأيايل وغير ذلك ؛ فلما فرغ من ذلك كله كتب إليه الوليد يستحثّه ، فسرّح الهدايا حتى بلغ

(١) ح : « وأفرد » .

أوائلها بـبَيْهق ؛ فكتب إليه الوليد يأمره أن يبعث إليه ببرابط وطنابير ، فقال بعض شعرائهم :

فأَبْشِرْ يا أَمِينَ اللهِ أَبْشِرْ بتَباشِيرْ
بإِبْل يُحْمَلُ المالُ عليهـا كالأَنابيرْ
بِغالٌ تَحْملُ الخمرَ حَقائِبهـا طَنابِيرْ
ودَلُّ البَرْبَرِيَّاتِ بِصَوتِ البَمِّ والزيرْ[1]
وقَرْعُ الدُّفِّ أَحيانا ونَفْـخٌ بالمزامِيرْ[2]
فهذا لك فى الدنيا وفى الجَنَّـةِ تَحْبيرْ

١٧٦٦/٢ قال : وقدم الأزرق بن قرّة المِسمَعىّ من التِّرمذ أيام هشام على نصر ، فقال لنصر : إنى أريتُ[3] الوليد بن يزيد فى المنام ؛ وهو ولىّ عهد ، شبه الهارب من هشام ، ورأيتُه على سرير ، فشرب عسلا وسقانى بعضَه . فأعطاه نصر أربعة آلاف دينار وكُسوة ، وبعثه[4] إلى الوليد ، وكتب إليه نصر . فأتى الأزرقُ الوليد ، فدفع إليه المال والكسوة ، فسُرّ بذلك الوليد ، وألطف الأزرق ، وجزى نصراً خيراً ، وانصرف الأزرق ، فبلغه قبل أن يصل إلى نَصْر موتُ هشام ، ونصر لا علمَ له بما صنع الأزرق ، ثم قدم عليه فأخبره ؛ فلمّا ولِى الوليدُ كتب إلى الأزرق وإلى نصر ، وأمر رسوله أن يبتدئ بالأزرق فيدفع إليه كتابه ، فأتاه ليلا ، فدفع إليه كتابه وكتاب نصر ، فلم يقرأ الأزرق كتابه ، وأتى نصراً بالكتابين ؛ فكان فى كتاب الوليد إلى نصر يأمره أن يتّخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة ، وأن يجمع له كلّ صَنّاجة بخراسان يقدر عليها ، وكلّ بازى وبِرْذون فاره ، ثم يسير بذلك كله بنفسه فى وجوه أهل خراسان . فقال رجل من باهلة : كان قوم من المنجّمين يُخبرون نصراً بفتنة تكون ؛ فبعث نصر إلى صدقة بن وَثّاب وهو ببلْخ — وكان منجماً — وكانَ عنده . وألحّ عليه يوسف بالقدوم ؛ فلم يزل يتباطأ ، فوجّه يوسف ١٧٦٧/٢

---

(١) ح : « عليها البم » .
(٢) ح ، ف : « فى المزامير » .
(٣) ح : « رأيت » .
(٤) ح ، ف : « وبعث به » .

رسولاً وأمره بلزومه يستحثه بالقدوم ، أو ينادى[1] فى الناس أنه قد خلع ؛ فلما جاءه الرسول أجازه وأرضاه ، وتحوّل إلى قصره الذى هو دار الإمارة اليوم ؛ فلم يأت لذلك إلا يسير حتى وقعت الفتنة ، فتحوّل نصر إلى قصره بماجان ، واستخلف عصمة بن عبد الله الأسدىّ على خراسان ، وولّى المهلبَ بن إياس العدوىّ الخراج ، وولّى موسى بن ورقاء الناجىّ الشاش ، وحسان من أهل صغانيان الأسدىّ سمرقند ، ومقاتل بن علىّ السُّغدىّ آمُل ، وأمرهم إذا بلغهم خروجه من مرو أن يستحلبوا[2] الترك ، وأن يغيروا[3] على ما وراء النهر ؛ لينصرف إليهم بعد خروجه ، يعتلّ بذلك ، فبينا هو يسير يوماً إلى العراق طرقه ليلاً مولًى لبنى ليث ؛ فلمّا أصبح أذن للناس ، وبعث إلى رسل الوليد ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد كان فى مسيرى[4] ما قد علمتم ، وبعثى بالهدايا ما رأيتم ؛ فطرقنى[5] فلان ليلاً ، فأخبرنى أنّ الوليد قد قُتل ، وأن الفتنة قد وقعت[6] بالشأم ؛ وقدم منصور بن جمهور العراق ، وقد هرب يوسف ابن عمر ، ونحن فى بلاد قد علمتم حالَها وكثرة عدوّنا . ثم دعا بالقادم فأحلفه إنّ ماجاء به لحقّ ! فحلف ؛ فقال سلْم بن أحوز : أصلح الله الأمير ، لو حلفتُ لكنت صادقاً ؛ إنه بعض مكايد قريش ، أرادوا تهجين طاعتك ، فسِرْ ولا تهجنّا[7] . قال : يا سلم أنتَ رجل لك علم بالحروب[8] ، ولك مع ذلك[9] حسن طاعة لبنى أمية ؛ فأمّا مثل هذا من الأمور فرأيك فيه رأى أمَة هتماء[10] .

١٧٦٨/٢

ثم قال نصر : لم أشهد بعد ابن خازم أمراً مفظعاً إلّا كنتُ المفزِعَ فى الرأى ؛ فقال الناس : قد علمنا ذلك ، فالرأى رأيك .

* * *

[تولية الوليد بن يزيد خاله يوسفَ الثقفىّ على المدينة ومكة]

وفى هذه السنة وجّه الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفىّ

(١) ب : « وينادى » .
(٢) ابن الأثير : « أن يستجلبوا » .
(٣) ابن الأثير : « ليعبروا على ما وراء النهر » .
(٤) ابن الأثير : « من مسيرى » .
(٥) ح : « وقد طرقنى » .
(٦) ابن الأثير : « ووقعت الفتنة » .
(٧) ابن الأثير : « ولا تمتحنا » .
(٨) ح وابن الأثير : « بالحرب » .
(٩) ح ، ف : « هذا » .
(١٠) الهتماء : التى انكسرت ثنيتها .

واليًا على المدينة ومكة والطائف، ودفع إليه إبراهيم ومحمد ابنى هشام بن إسماعيل المخزومى موثَقَيْن فى عباءتين، فقدم بهما المدينة يوم السبت لاثنتى عشرة بقيت من شعبان سنة خمس وعشرين ومائة، فأقامهما للناس بالمدينة. ثم كتب الوليد إليه يأمره أن يبعث بهما إلى يوسف بن عمر، وهو يومئذ عامله على العراق؛ فلما قدما عليه عذّبهما حتى قتلهما؛ وقد كان رُفع عليهما عند الوليد أنهما أخذا مالا كثيراً.

* * *

وفى هذه السنة عزَل يوسف بن محمد سعد بن إبراهيم عن قضاء المدينة، وولاهما يحيي بن سعيد الأنصارىّ.

* * *

[غزو قبرس]

١٧٦٩/٢ وفيها غزّى(١) الوليد بن يزيد أخاه الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك، وأمّر على على جيش البحر الأسودَ بن بلال المحاربىّ، وأمره أن يسير(٢) إلى قبرس فيخيّرهم بين المسير إلى الشأم إن شاءوا، وإن شاءوا إلى الروم، فاختارت طائفة منهم جوار المسلمين، فنقلهم الأسود إلى الشأم؛ واختار آخرون أرض الروم فانتقلوا إليها.

* * *

وفيها قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قُريظ وقحطبة بن شبيب مكة، فلقوا – فى قول بعض أهل السيَر – محمد بن علىّ فأخبروه بقصّة أبى مسلم وما رأوْا منه؛ فقال لهم: أحرٌّ هو أم عبد؟ قالوا: أما عيسى فيزعم أنّه عبد، وأما هو فيزعم أنه حرٌّ، قال: فاشترُوه وأعتقوه؛ وأعطوا محمد بن علىّ مائتى ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم، فقال لهم: ما أظنّكم تلقونى بعد عامى هذا، فإن حدَث بى حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمد، فإنى أثق به وأوصيكم به خيراً، فقد أوصيته بكم. فصدروا من عنده.

وتوفّى محمد بن علىّ فى مستهلّ ذى القعدة وهو ابن ثلاث وستين سنة؛ وكان بين وفاته وبين وفاة أبيه علىّ سبع سنين.

---

(١) ابن الأثير: «أغزى».
(٢) ب، ح: «أن يصير».

٢/١٧٧٠ وحجّ بالناس فى هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف الثقفىّ ، حدثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن زيد بن علىّ]

وفى هذه السنة قتل يحيى بن زيد بن علىّ بخُراسان .

* ذكر الخبر عن مقتله :

قد مضى ذكرُنا قبلُ أمرَ مصير يحيى بن زيد بن علىّ إلى خراسان . وسبب ذلك ؛ ونذكر الآن سبب مقتله ؛ إذ كان ذلك فى هذه السنة .

ذكر هشام بن محمد الكلبىّ عن أبى مخنف ، قال : أقام يحيى بن زيد بن علىّ عند الحَريش بن عمرو بن داود ببَلْخ حتى هلك هشام بن عبد الملك ، وولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك . فكتب يوسف بن عمر إلى نَصْر بن سيّار بمسير يحيى بن زيد وبمنزله الذى كان ينزل[1] ؛ حتى أخبره أنه عند الحَريش ، وقال له : ابعث إليه وخُذْه أشدّ الأخذ . فبعث نصر بن سيّار إلى عَقيل بن معقِل العجلىّ ، يأمره أن يأخذ الحريش ولا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه بيحيى بن زيد بن علىّ . فبعث إليه عقيل ، فسأله عنه ، فقال : لا عِلْمَ[2] لى به ، فجلده ستمائة سَوْط ، فقال له الحَريش : والله لو أنه كان تحت قدمىّ ما رفعتُهما لك عنه ؛ فلما رأى ذلك قُرَيش بن الحَريش أتى عَقيلا ، فقال : لا تقتل أبى وأنا أدلك عليه ، فأرسل معه فدلّه عليه ، وهو فى بيت فى جوف بيت ، فأخذه ومعه يزيد بن عمر والفضل مولى عبد القيس — كان أقبل معه من الكوفة — فأتى به نصر بن سيّار فحبسه ، وكتب إلى يوسف بن عمر يخبره بذلك ؛ فكتب بذلك يوسف إلى الوليد بن يزيد ، فكتب الوليد إلى نصر بن سيّار ، يأمره أن يؤمِنَه ويخلّى سبيله وسبيل أصحابه ، فدعاه نصر ابن سيّار ، فأمره بتقوى الله وحذّره الفتنة ، وأمره أن يلحق بالوليد بن يزيد ، وأمر له بألفى درهم وبغلين ، فخرج هو وأصحابه حتى انتهى إلى سَرَخْس ، فأقام بها وعليها عبد الله بن قيس بن عُبَاد ، فكتب إليه نصر بن سيّار أن

٢/١٧٧١ (موضع الهامش بجانب السطر «لى به ، فجلده ستمائة سوط»)

(١) ب : « نزل » .
(٢) ب : « ما لى علم » .

يشخصه عنها ، وكتب إلى الحسن بن زيد التميمى[١] – وكان رأس بنى تميم ، وكان على طُوس – أن انظر يحيى بن زيد ، فإذا مرّ بكم فلا تَدَعه يقيم بطوس حتى يخرج منها ، وأمرهما إذا هو مرّ بهما ألّا يُفارقاه حتى يدفعاه إلى عمرو بن زرارة بأبْرَشهر . فأشخصه عبد الله بن قيس من سَرَخْس ، ومرّ بالحسن بن زيد فأمره أن يمضى ، ووكّل به سرحان بن فرّوخ بن مجاهد بن بلعاء العنبرىّ أبا الفضل ، وكان على مَسْلَحة .

١٧٧٢/٢

قال : فدخلتُ عليه ، فذكر نصرَ بن سيّار وما أعطاه ؛ فإذا هو كالمستقلّ له ؛ فذكر أمير المؤمنين الوليد بن يزيد ، فأثنى عليه ، وذكر مجيئه بأصحابه معه ، وأنه لم يأت بهم إلا مخافة أن يُسَمّ أو يُغتَمّ ، وعرّض بيوسف ؛ وذكر أنه إياه يتخوّف[٢] ، وقد كان أراد أن يقع فيه ثم كفّ ، فقلت له : قُل ما أحببت رحمك الله ؛ فليس عليك منى عين ؛ فقد أتى إليك ما يستحقّ أن تقول فيه . ثم قال : العجَب من هذا الذى يقيم الأحراس أو أمر الأحراس ، قال – وهو حينئذ يتفصّح : والله لو شئتُ أن أبعث إليه ؛ فأوتَى به مربوطًا . قال : فقلتُ له : لا والله ما بك صُنع هذا ؛ ولكن هذا شىء يصنع فى هذا المكان أبداً ، لمكان بيت المال . قال : واعتذرتُ إليه من مسيرى معه ، وكنت أسير معه على رأس فرْسخ ، فأقبلنا معه حتى وقعنا إلى عمرو بن زُرارة ، فأمر له بألف درهم ، ثم أشخصه حتى انتهى إلى بَيْهق ، وخاف اغتيال يوسف إياه ، فأقبل من بَيْهق – وهى أقصى أرض خراسان ، وأدناه من قُومِس – فأقبل فى سبعين رجلا إلى عمرو بن زرارة ، ومرّ به تجار ، فأخذ دوابّهم ، وقال : علينا أثمانها . فكتب عمرو بن زرارة إلى نصر بن سيار ، فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس وإلى الحسن بن زيد أن يمضيا إلى عمرو بن زرارة ، فهو عليهم ، ثم ينصبوا ليحيى بن زيد فيقاتلوه . فجاءوا حتى انتهوْا إلى عمرو بن زرارة ، واجتمعوا فكانوا عشرة آلاف ، وأتاهم يحيى بن زيد ؛ وليس هو إلّا فى سبعين رجلاً ، فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة ، وأصاب دوابّ كثيرة . وجاء يحيى بن زيد حتى مرّ بهَراة ، وعليها مغلّس بن زياد العامرىّ ، فلم

١٧٧٣/٢

(١) ا : « الحريش بن يزيد التميمى » .
(٢) ا : « متخوف » .

يعرض واحد منهما لصاحبه ، فقطعها يحيى بن زيد ، وسرّح نصر بن سيّار سلم بن أحوز فى طلب يحيى بن زيد ، فأتى هَرَاة حين خرج منها يحيى بن زيد فأتبعه فلحقه بالجوزجان بقرية منها ، وعليها حماد بن عمرو السُّغدىّ .

قال : ولحق بيحيى بن زيد رجل من بنى حنيفة يقال له أبو العجلان[1] ، فقتِل يومئذ معه ، ولحق به الحَسْحاس الأزدىّ فقطع نصر بعد ذلك يدَه ورجله .

قال : فبعث سلم بن أحوز[2] سَوْرة بن محمد بن عزيز الكندىّ على ميمنته ، وحمّاد بن عمرو السغدىّ على ميسرته ، فقاتله[3] قتالاً شديداً ، فذكروا أن رجلاً من عَنَزَة يقال له عيسى ، مولى عيسى بن سليمان العَنَزىّ رماه بنُشّابة ، فأصاب جبهته . ٢/١٧٧٤

قال : وقد كان محمد شهد ذلك اليوم ، فأمره سلم بتعبئة الناس ، فتمارض عليه ، فعبّى الناس سوْرة بن محمد بن عزيز الكندىّ ، فاقتتلوا فقُتلوا من عند آخرهم . ومرّ سوْرة بيحيى بن زيد فأخذ رأسه ، وأخذ العَنَزىّ سلَبه وقميصَه ، وغلبه سوْرة على رأسه .

فلما قتل يحيى بن زيد وبلغ خبرُه الوليد بن يزيد ، كتب — فيما ذكر هشام عن موسى بن حبيب ؛ أنه حدثه — إلى يوسف بن عمر : إذا أتاك كتابى هذا ، فانظر عجل العراق فأحرقه ثم انسفه فى اليمّ نسفاً . قال : فأمر يوسف خراش بن حوشب ، فأنزله من جِذْعه وأحرقه بالنار ، ثم رضّه فجعله فى قَوْصرة ، ثم جعله فى سفينة ، ثم ذرّاه فى الفرات .

وكانت عمّال الأمصار فى هذه السنة عمالها فى السنة التى قبلها ، وقد ذكرناهم قبـــل .

---

(١) ا : « ابن العجال » .
(٢) ابن الأثير : « سالم بن أحوز » .
(٣) ب : « فقاتلا » .

١٧٧٥/٢

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

* * *

[ذكر بقية أخبار يزيد بن الوليد بن عبد الملك]

فمن ذلك ما كان من قتل يزيد بن الوليد الذى يقال له الناقص الوليدَ ابن يزيد .

* ذكر الخبر عن سبب قتله إياه وكيف قُتِل :

قد ذكرنا بعض أمر الوليد بن يزيد وخلاعته ومجانته ، وما ذكر عنه من تهاونه واستخفافه بأمر دينه قبل خلافته ولما ولى الخلافة وأفضت إليه، لم يزدد فى[1] الذى كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد[2] وشرب النبيذ ومنادمة الفُسَّاق إلا تمادياً وحدّاً[3] — تركت الأخبار الواردة عنه بذلك كراهة إطالة الكتاب بذكرها — فثقل ذلكَ من أمره على رعيته وجنده ، فكرهوا أمرَه .

وكان من أعظم ما جنى على نفسه حتى أورثه ذلك هلاكه إفساده[4] على نفسه بنى عمّيه بنى هشام وولد الوليد ، ابنى عبد الملك بن مروان ، مع إفساده على نفسه اليمانيـة ، وهم عُظْم جند أهل الشأم .

١٧٧٦/٢

* ذكر بعض الخبر عن إفساده بنى عمّيه هشام والوليد :

حدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا علىّ ، عن المنهال بن عبد الملك ، قال : كان الوليد صاحبَ لهو وصيد ولذّات ؛ فلما ولى الأمر جعل يكره المواضع التى فيها الناس حتى قُتل ؛ ولم يزل ينتقل ويتصيد ، حتى ثقل على الناس وعلى جنده ، واشتدّ على بنى هشام ؛ فضرَب سليمان بن هشام مائة سوط وحلَق رأسه ولحيته ، وغرّبه إلى عَمّان فحبسه بها ؛ فلم يزل بها محبوساً حتى

(١) كذا فى ا ب ، ف وفى ط : « من » . (٢) ا : « إلى الصيد » .
(٣) كذا فى ا ، ب ، ف . والحد : منتهى الشىء ، وفى ط : « وجدّاً » .
(٤) ح : « فساده » .

قتل الوليد . قال : وأخذ جارية كانت لآل الوليد ، فكلّمه عمر بن الوليد ، فيها فقال : لا أردّها ، فقال : إذن تكثر الصّواهل حول عسكرك . قال : وحبس الأفقم يزيدَ بن هشام ، وأراد البيعة لابنيْه الحكَم وعثمان فشاور سعيد بن بَيْهس بن صُهيب ، فقال : لا تفعل ؛ فإنهما غلامان لم يحتلما ؛ ولكن بايع لعَتيق بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، فغضب وحبسه حتى مات فى الحبس . وأراد خالدَ بن عبد الله على البَيْعة لابنيه فأبى ، فقال له قوم من أهله : أرادك أمير المؤمنين على البَيْعة لابنيه فأبيتَ ، فقال : ويحكم ! كيف أبايع مَنْ لا أصلّى خلفه ، ولا أقبل شهادته ! قالوا : فالوليد تُقبل شهادته مع مُجونه وفسقه ! قال : أمْر الوليد أمر غائب عنى ولا أعلمه[1] يقيناً ؛ إنما هى أخبار الناس ؛ فغضب الوليد على خالد .

١٧٧٧/٢

قال : وقال عمرو بن سعيد الثقفىّ : أوفدنى يوسف بن عمر إلى الوليد فلما قدمتُ قال لى : كيف رأيتَ الفاسقَ ؟ يعنى بالفاسق الوليد — ثم قال : إياك أن يسمع هذا منك أحدٌ ، فقلت : حبيبة بنت عبد الرحمن بن جُبير طالق إن سمعتْه أذنى ما دمتَ حيًّا ؛ فضحك . قال : فثقل الوليدُ على الناس ، ورماه بنو هشام وبنو الوليد بالكُفر وغشيان أمّهات أولاد أبيه ، وقالوا : قد اتخذ مائة جامعة ؛ وكتب على كلّ جامعة اسمَ رجل من بنى أمية ليقتلَه بها . ورموْه بالزّندقة ؛ وكان أشدّهم فيه قولاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان الناسُ إلى قوله أميل ؛ لأنه كان يُظهر النسك ويتواضع ، ويقول : ما يسعنا الرضَا بالوليد ؛ حتى حمل الناس على الفَتْك به .

* * *

حدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا علىّ ، عن يزيد بن مصَاد الكلبىّ ، عن عمرو بن شَرَاحيل ، قال : سيّرنا هشام بن عبد الملك إلى دَهْلك ؛ فلم نزل بها حتى مات هشام ، واستُخلف الوليد ، فكُلِّم فينا فأبى ، وقال : والله ما عمل هشام عملا أرْجَى له عندى أن تناله المغفرة به من قَتْله القَدَريّة[2] وتسييره إياهم . وكان الوالى علينا الحجاج بن بشر بن فيروز الديلمىّ ، وكان

(١) ح : « لا أعلمه » ، بدون واو . (٢) ب : « الغدرة » .

٢/١٧٧٨

يقول : لا يعيش الوليد إلا ثمانية عشر شهراً حتى يقتل ؛ ويكون قتلُه سبب هلاك أهل بيته . قال : فأجمع على قتل(١) الوليد جماعة من قُضاعة واليمانيّة من أهل دمشق خاصّة ، فأتى حُرَيث وشبيب بن أبى مالك الغسانىّ ومنصور بن جُمْهُور ويعقوب بن عبد الرحمن وحِبّال بن عمرو ؛ ابن عمّ منصور ، وحميد بن نصر اللخمىّ والأصبغ بن ذؤالة وطُفيل بن حارثة والسَّرىّ بن زياد بن عِلاقة ، خالدَ بن عبد الله ، فدعوْه إلى أمرهم فلم يجبهم ، فسألوه أن يكتم عليهم ، فقال : لا أُسمّى أحداً منكم . وأراد الوليد الحجّ ، فخاف خالد أن يفتِكوا به فى الطريق ، فأتاه فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أخّر الحجّ العام ، فقال : ولم ؟ فلم يخبره ، فأمر بحبسه وأن يُستأدَى ما عليه من أموال العراق .

وقال علىّ عن الحكم بن النعمان ، قال : أجمع الوليد على عزل يُوسف واستعمال عبد الملك بن محمد بن الحجّاج ، فكتب إلى يوسف : إنك كتبتَ إلى أمير المؤمنين تذكر تخريبَ ابن النصرانيّة البلاد ، وقد كنتَ على ما ذكرت من ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل ، وقد ينبغى أن تكون قد عَمرت(٢) البلاد حتى رددتَها إلى ما كانت عليه ؛ فاشخص إلى أمير المؤمنين ، فصدّق ظنَّه بك فيما تحمل إليه لعمارتك البلاد ، وليعرف أمير المؤمنين فضلَك على غيرك ؛ لما جعل الله بينك وبين أمير المؤمنين من القَرابة ؛ فإنك خالُه ، وأحقّ الناس بالتوفير عليه ، ولما قد علمتَ ممّا أمر به أمير المؤمنين لأهل الشأم وغيرهم من الزّيادة فى أعطياتهم ، وما وصل به أهلَ بيته لطول جَفْوة هشام إياهم ، حتى أضرّ ذلك ببيوت الأموال . قال : فخرج يوسف واستخلف ابنَ عمّه يوسف بن محمد ، وحمل من الأموال والأمتعة والآنية ما لم يحملْ من العراق مثله . فقدم — وخالد بن عبد الله محبوس — فلقيه حسّان النَّبَطىّ ليلاً ، فأخبره أنّ الوليد عازم على تولية عبد الملك بن محمد ابن الحجاج ، وأنه لا بدّ ليوسف فيها من إصلاح أمر وزرائه ، فقال : ليس عندى فضل درهم ، قال : فعندى خمسمائة ألف درهم ، فإن شئتَ فهى

٢/١٧٧٩

(١) ح ، ف : « قتال » .
(٢) ف : « غمرت » .

لك ، وإن شئت فاردُدْها إذا تيسرت . قال : فأنت أعرفُ بالقوم ومنازلهم من الخليفة منى، ففرّقْها على قدر علْمِك فيهم؛ ففعل . وقدم يوسف والقوم يعظّمونه ، فقال له حسان : لا تَغْدُ على الوليد ؛ ولكن رُحْ إليه رواحًا ؛ واكتب على لسان خليفتك كتابًا إليك : إنّى كتبت إليك ولا أملك إلا القَصْر . وادخل على الوليد والكتابُ معك متحازنًا (١) ، فأقْرِئه الكتاب ، ومُرْ أبان ابن عبد الرحمن النميرىّ يشترى خالداً منه بأربعين ألف ألف . ففعل يوسف ، فقال له الوليد : ارجع إلى عملك ، فقال له أبان : ادفع إلىّ خالداً وأدفع إليك أربعين ألف ألف درهم ، قال : ومن يضمن عنك ؟ قال : يوسف ، قال : أتضمن عنه ؟ قال : بل ادفعه إلىّ ، فأنا أستأديه خمسين ألف ألف ، فدفعه إليه ، فحمله فى محمل بغير وِطاء . ١٧٨٠/٢

قال محمد بن محمد بن القاسم : فرحمتُه ، فجمعت ألطافًا كانت معنا من أخبصة يابسة وغيرها فى منديل ، وأنا على ناقة فارهة ، فتغفّلتُ يوسفَ ، فأسرعتُ ودنوتُ من خالد ، ورميتُ بالمنديل فى محمله ، فقال لى : هذا من متاع عُمان — يعنى أن أخى الفَيْض كان على عُمَان ، فبعث إلىّ بمال جسيم — فقلت فى نفسى : هذا على هذه الحالة وهو لا يَدع هذا ! ففطن يوسف بى فقال لى : ما قلتَ لابن النصرانيّة ؟ فقلت : عرضتُ عليه الحاجة ، قال : أحسنتَ ، هو أسير ؛ ولو فطن بما ألقيتُ إليه للقينى منه أذًى .

وقدم الكوفة فقتله فى العذاب ؛ فقال الوليد بن يزيد — فيما زعم الهيثم بن عدىّ — شعراً يُوبّخ به أهل اليمن فى تركهم نُصرة خالد بن عبد الله .

وأما أحمد بن زهير ، فإنه حدّثه عن علىّ بن محمد؛ عن محمد بن سعيد العامرىّ ، عامر كلب ، أنّ هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد يحرّض عليه اليمانية : ١٧٨١/٢

أَلَمْ تهتجْ فتَذّكرَ الوِصالاَ (٢) وحَبْلاً كان مُتَّصِلاً فزالا

بَلَى فالدّمعُ منك له سِجَامٌ كماءِ المُزن يَنسَجِلُ انسجالا

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « مختوماً متحازناً » . (٢) ط : « فتذكر » .

فَدَعْ عنك ادِّكارَك آلَ سُعْدَى ... فنحن الأَكثُرونَ حصًى ومالا
ونحن المالكون الناس قسْرًا ... نَسُومهُمُ المذَلّةَ والنكالا
وَطِئنا الأَشعرينَ بعِزّ قيسٍ ... فيالك وطأَةً لن تُستَقالا !
وهذا خالِدٌ فينا أَسِيرًا[1] ... أَلَا منعوه إنْ كانوا رجالا !
عَظِيمُهُمُ وسيِّدُهُمْ قديماً ... جعلنا المُخْزِياتِ له ظلالا
فلو كانت قبائلَ ذاتَ عِزٍّ ... لَما ذهَبَتْ صَنائِعُهُ ضَلالا
ولا تركوهُ مسلوباً أَسيرًا ... يُسامِرُ من سَلاسِلِنا الثقالا

— ورواه المدائنيّ : « يعالج من سلاسلنا[2] » —

وكِنْدَةُ والسّكون فماستقالوا[3] ... ولا برِحَتْ خُيولهمُ الرِّحَالا
بها سُمْنا البَرِيَّةَ كُلَّ خَسْفٍ ... وهَدَّمنا السُّهُولَةَ والجبالا
ولكنّ الوقائع ضَعْضَعتهمْ ... وجَذَّتهُمْ ورَدَّتهُمْ شِلالا
فما زالوا لنا أَبَدًا عَبيدًا[4] ... نَسُومُهُمُ المذلَّةَ والسِّفالا
فأَصبحتُ الغداة علىَّ تاجٌ ... لمُلكِ الناس ما يَبغى انتِقالا

فقال عمران بن هلباء الكلبيّ يجيبه :

قِفِى صدْرَ المَطِيَّةِ يا حلالا ... وجذّى حَبْلَ مَنْ قطعَ الوصالا
أَلَمْ يحْزُنْكِ أَنَّ ذوِى يَمانٍ ... يُرَى مَنْ حاذَ قَيْلهم جُلالا
جَعلنا للقبائِلِ مِنْ نزارٍ ... غَداة المَرْج أَياماً طِوالا
بنا مَلكَ المُملّكُ من قريش ... وأَوْدَى جَدّ مَنْ أَودَى فَزالا
متى تلقَ السَّكُون وتلق كلبًا ... بعَبْسٍ تَخْشَ مِنْ ملكٍ زوالا
كذاكَ المرءُ ما لم يُلفَ عَـدْلاً ... يكونُ عليه منطِقُهُ وَبالا

١٧٨٢/٢

---

(١) ابن الأثير : « أسير » . (٢) وكذلك فى ابن الأثير .
(٣) ا : « فما استفاقوا » ، وابن الأثير : « فما استقاموا » .
(٤) ابن الأثير : « بلداً عبيداً » .

أَعِدُّوا آلَ حِمْيَرَ إِذْ دُعِيتُمْ ... سُيُوفَ الهندِ والأَسَلَ النهالا[١]

وكلَّ مُقلَّصٍ نَهدٍ القُصَيْرَى ... وذا فَوْدَينِ والقُبَّ الجبالا[٢]

يَذَرْنَ بكلِّ مُعْتَرَكٍ قتيلا ... عليه الطيرُ قد مَذِلَ السؤالا

لِئن عَيرْتمونا ما فعلنا ... لقد قلتمْ وجَدِّكُمُ مَقالا

لإِخوانُ الأَشاعِثِ قَتَّلوهمْ ... فما وُطِئوا ولا لاقَوْا نكالا

وأَبناءُ المهلّبِ نحنُ صُلنا ... وقائِعَهُمْ وما صُلتُمْ مَصالا

وقد كانَتْ جُذَامُ على أَخيهمْ ... ولخمٌ يقتُلونهُمُ شلالا

هربنا أَن نُساعِدَكُمْ عليهمْ ... وقد أَخطا مُسَاعِدُكمْ وفالا

فإِن عُدْتُمْ فإِنَّ لنا سُيوفاً ... صَوارِمَ نَسْتَجِدُّ لها الصقالا

سَنَبكِي خالِدًا بِمُهنَّداتٍ ... ولا تَذْهَبْ صَنائِعُهُ ضَلالا

أَلمْ يَكُ خالدٌ غَيثَ اليَتامى ... إِذا حَضَرُوا وكنتَ لهم هُزالا !

يُكفِّنُ خالدٌ مَوْتَى نِزار ... ويُثرِى حَيَّهمْ نَشَباً ومالا

لو أَنَّ الجائِرينَ عليه كانوا ... بساحةِ قومِهِ كانوا نَكالا

ستَلقَى إِن بَقِيتَ مُسَوّماتٍ ... عوابِسَ لا يُزايِلنَ الحِلالا

٢/١٧٨٣

فحدَّثني أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد ، قال : فازداد الناس على الوليد حَنَقًا لمّا روى هذا الشعر ، فقال ابن بِيض :

وَصَلتَ سَماءَ الضُّرِّ بالضرِّ بعد ما ... زعمْتَ سَماءُ الضر عنا سَتُقلَعُ

فليت هشاماً كان حيًّا يَسُوسُنا ... وكنَّا كما كنَّا نُرَجِّى ونَطمَعُ[٣]

---

(١) ا : « الطوالا » .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « الحبالا » .

(٣) ابن الأثير : « وقال أيضاً :

يا وَلِيدَ الخنَى تركتَ الطَّريقَا ... واضحاً وارتكبتَ فجًّا عميقاً

وتماديْت واعتديتَ وأسرفْـ ... ـتَ وأَغويْتَ وانبعثْتَ فسوقَا

أَبدًا هاتِ ثمّ هاتِ وهاتى ... ثمّ هاتى حتّى تَخرّ صَعِيقا

أَنتَ سَكرانُ ما تفيقُ فما ترْ ... تقِ فتقًا وقدْ فتقْتَ فتُوقَا

وكان هشام استعمل الوليد بن القعقاع على قِنَّسرين وعبد الملك بن القعقاع على حِمْص ، فضرب الوليد بن القعقاع ابنَ هبيرة مائة سوط ؛ فلما قام الوليد هرب بنو القعقاع منه ، فعاذوا بقبْر يزيد بن عبد الملك ؛ فبعث إليهم ، فدفعهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة — وكان على قنَّسرين — فعذّبهم ، فمات في العذاب الوليد بن القعقاع وعبد الملك بن القعقاع ورجلان معهما من آل القعقاع ، واضطغن على الوليد آل الوليد وآل هشام وآل القعقاع واليمانية بما صنع بخالد بن عبد الله . فأتت اليمانية يزيدَ بن الوليد، فأرادوه على البَيْعة ، فشاور عمرو بن يزيد الحكميّ ، فقال : لا يبايعك الناس على هذا ، وشاور أخاك العباس بن الوليد ؛ فإنه سيّد بني مروان ؛ فإنْ بايعك لم يخالفْك أحد ، وإن أبى كان الناسُ له أطوَع ، فإن أبيتَ إلّا المضيّ على رأيك فأظهِرْ أنّ العباس قد بايعك . وكانت الشأم تلك الأيام وبيّة ، فخرجوا إلى البوادِي ؛ وكان يزيد بن الوليد متبدّياً ، وكان العباس بالقَسْطل بينهما أميال يسيرة . ٢/١٧٨٤

فحدّثني أحمد بن زهير ، قال : حدّثني عليّ ، قال : أتى يزيد أخاه العباس ، فأخبره وشاوره ، وعاب الوليد ، فقال له العبّاس : مهلاً يا يزيد ؛ فإنّ في نقض عهد الله فساد الدين والدنيا . فرجع يزيد إلى منزله ، ودبّ في الناس فبايعوه سرًّا ، ودسّ الأحنفَ الكلبيّ ويزيدَ بن عنبسة السكسكيّ وقوماً من ثِقاته من وجوه الناس وأشرافهم ؛ فدعوا الناس سرًّا ، ثم عاود أخاه العباس ومعه قَطن مولاهم ، فشاوره في ذلك ، وأخبره أنّ قوماً يأتونه يريدونه على البَيْعة ، فزَبرَه العباس ، وقال : إن عدتَ لمثل هذا لأشدّنّكَ وثاقاً ، ولأحملنّك إلى أمير المؤمنين ! فخرج يزيد وقَطَن ، فأرسل العباس إلى قَطَن ، فقال : ويحك يا قطن ! أترى يزيد جادًّا ! قال : جُعلتُ فداك ! ما أظنّ ذاك ؛ ولكنه قد دخله مما صنع الوليد ببني هشام وبني الوليد وما يَسمع مع الناس من الاستخفاف بالدين وتهاونه ما قد ضاق به ذرعاً . قال : أما والله إني لأظنّه أشأم سَخْلة في بني مروان ؛ ولولا ما أخاف من عَجَلة الوليد مع تحامُله علينا لشددتُ يزيد وَثاقاً ، وحملته إليه ؛ فازجُرْه عن أمره ؛ فإنه يسمع إليك . فقال يزيد لقَطَن : ما قال لك العباس حين رآك ؟ فأخبره ، فقال له : والله لا أكفّ . ٢/١٧٨٥

وبلغ معاويةَ بن عمرو بن عتبة خوضُ الناس ؛ فأتى الوليدَ فقال : يا أميرَ المؤمنين، إنك تبسط لسانى بالأنس بك، وأكفُّه بالهيبة لك، وأنا أسمع ما لا تسمع وأخاف عليك ما أراك تأمن ، أفأتكلم ناصحًا ، أو أسكت مطيعًا ؟ قال : كلٌّ مقبول منك ؛ ولله فينا علم غَيْب نحن صائرون إليه ؛ ولو علم بنو مرْوان أنهم إنما يوقِدون على رَضْف[1] يلقوْنه فى أجوافهم مافعلوا ، ونَعود ونسمع منك .

وبلغ مَرْوانَ بن محمد بأرمينيَة أنّ يزيد يؤلّب الناس ، ويدعو إلى خَلْع الوليد ؛ فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مَرْوان يأمره أن ينهَى الناس ويكفّهم

١٧٨٦/٢ — وكان سعيد يتألّه : إنّ الله جعل لكل أهل بيت أركانًا يعتمدون عليها ، ويتّقوُن بها المخاوف ، وأنت بحمد ربّك ركْنٌ من أركان أهل بيتك ؛ وقد بلغنى أنّ قومًا من سفهاء أهلِ بيتك قد استنّوا أمرًا — إن تمّت لهم رَوِيّتُهم فيه على ما أجمعوا عليه من نقضِ بيعتهم — استفتحوا بابًا لن يغلِقه الله عنهم حتى تُسفك دماء كثيرة منهم ؛ وأنا مشتغل بأعظم ثغور المسلمين فُرَجًا ، ولو جَمَعتَنِى وإياهم لَرممْتُ فسادَ أمرهم بيدى ولسانى ، ولخفت الله فى ترك ذلك ؛ لعلمى ما فى عواقب الفُرْقة من فساد الدين والدنيا ؛ وأنه لن ينتقل سلطان قوم قطُّ إلا بتشتيت كلمتهم ؛ وإنّ كَلمتهم إذا تشتّت طمع فيهم عدُوهم . وأنت أقربُ إليهم منّى ، فاحتل لعلم ذلك وإظهار المتابَعة لهم ؛ فإذا صرت إلى علم ذلك فتهدّدْهم بإظهار أسرارهم ، وخُذْهم بلسانك ، وخوّفهم العواقب ؛ لعلّ الله أن يردّ إليهم ما قد عزب عنهم من دينهم وعقولهم ؛ فإنّ فيما سعَوْا فيه تغيّر النّعم وذهاب الدّولة ، فعاجل الأمر وحبْل الألفة مشدودٌ ، والناس سكون ، والثّغور محفوظة ؛ فإنّ للجماعة دَوْلة من الفُرْقة وللسَّعة دافعًا من الفقر ، وللعدد منتقصًا ، ودُوَل الليالى مختلفة على

١٧٨٧/٢ أهل الدنيا ، والتقلّب مع الزيادة والنقصان ؛ وقد امتدّت بنا — أهل البيت — متتابعات من النعم ، قد يعيبها[2] جميع الأمم وأعداء النعم وأهل الحسد لأهلها ؛ وبحسد إبليس خرج آدم من الجنة . وقد أمّل القومُ فى الفتنة أملا ؛ لعلّ أنفسهم تهلك دون ما أمّلوا ، ولكلّ أهل بيت مشائيم يُغيّر الله النعمة بهم —

---

(١) الرضف : الحجارة المحماة .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « يعنى بها » .

فأعاذك الله من ذلك — فاجعلني من أمرهم على علم . حفظ الله لك دينَك ، وأخرجَك مما أدخلك فيه ، وغلب لك نفسك على رشدك .

فأعظم سعيد ذلك ، وبعث بكتابه إلى العباس ، فدعا العباس يزيدَ فعذَله وتهدّده ، فحذّره يزيد ، وقال : يا أخي ، أخاف أن يكون بعض مَن حسدنا هذه النعمة من عدوّنا أراد أن يُغْرِيَ بيننا ؛ وحلَف له أنه لم يفعل. فصدّقه.

حدّثني أحمد ، قال : حدثنا عليّ ، قال : قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك : دخل [1] أبي بشرُ بن الوليد على عمّي العباس ، فكلّمه في خلع الوليد وبيعة يزيد ، فكان العباس ينهاه ، وأبي يرادّه ، فكنت أفرح وأقول في نفسي : أرى أبي يجترئ أن يكلم عمي ويردّ عليه قوله ! وكنت أرى أنّ الصواب فيما يقول أبي ، وكان الصّواب فيما يقول عمّي ، فقال العباس : يا بني مروان ؛ إني أظنّ الله قد أذن في هلاككم [2] ؛ وتمثّل قائلا [3] :

٢/١٧٨٨

إني أُعِيذُكُمُ باللهِ مِنْ فِتَنٍ ... مثلِ الجبالِ تَسامَى ثم تندَفعُ
إنَّ البريَّةَ قد مَلَّتْ سِياسَتَكُمْ ... فاسْتَمْسِكُوا بِعَمُود الدينِ وارتَدِعُوا
لا تلحِمُنَّ ذِئابَ الناسِ أنفُسَكُم [4] ... إنَّ الذئابَ إذا ما أُلحِمتْ رَتَعُوا
لا تَبْقُرُنَّ بأَيديكم بُطونَكمُ ... فثَمّ لا حَسرةٌ تغْنِى ولا جَزعُ

قال : فلما اجتمع ليزيد أمره وهو متبدّ ، أقبل إلى دمشق وبينه وبين دمشق أربع ليال ، متنكراً في سبعة نفر على حمير [5] ، فنزلوا بجَرود على مَرْحلة من دمشق ، فرمى يزيد بنفسه فنام. وقال القوم لمولًى لعباد بن زياد : أما عندك طعام فنشتريه ؟ قال : أما لبيعٍ فلا ، ولكن عندي قراكم وما يسعكم [6] . فأتاهم بدَجاج وفراخ وعسل وسمن وشوانيز [7] ، فطعموا . ثم سار فدخل

---

(١) الخبر في الأغاني ٧ : ٧٥ — ٧٧ ؛ بروايته عن أحمد بن الحارث عن المدائني ، عن جويرية بن أسماء . وبروايته أيضاً عن ابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه عن جويرية بن أسماء ؛ عن ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك .

(٢) ب : « إهلاككم » .

(٣) ب : « وقال هذا الشعر » ، ف : « وقال » ، ابن الأثير ، « ثم تمثل » ؛ الأغاني : « ثم قال العباس » .

(٤) ألحمت القوم : أطعمهم اللحم .

(٥) ا : « على جمال » ، وفي الأغاني : « على حمر » .

(٦) الأغاني : « من قراكم ما يشبعكم » .

(٧) الشوانيز : التوابل ، وفي ط : « شوازير » وأثبت ما في الأغاني .

دمشق ليلا ، وقد بايع ليزيد أكثرُ أهل دمشق سرًّا، وبايع أهل المِزّة غير
٢/١٧٨٩ معاوية بن مصاد الكلبىّ — وهو سيد أهل المِزّة — فمضى يزيد من ليلته إلى
منزل معاوية بن مَصاد ماشيًا فى نُفير من أصحابه — وبين دمشق وبين المِزّة
ميل أو أكثر — فأصابهم مطر شديد ، فأتوْا منزل معاوية بن مَصاد ، فضربوا
بابه ، ففتح لهم ، فدخلوا[1] ، فقال ليزيد: الفراشَ أصلحك الله ! قال: إن فى رجلى
طينًا ، وأكره أن أفسد بساطك ، فقال : الذى تريدنا عليه أفسدُ . فكلّمه
يزيد فبايعه معاوية — ويقال هشام بن مصاد — ورجع يزيد إلى دمشق ؛ فأخذ
طريق القناة ، وهو على حمار أسود ؛ فنزل دار ثابت بن سليمان[2] بن سعد
الخُشنىّ ، وخرج الوليد بن رَوْح ، وحلف لا يدخل دمشق إلّا فى السلاح ،
فلبس سلاحه ، وكَفَّر عليه الثياب ، وأخذ طريق النَّيْرَب — وهو على فرس
أبلق — حتى وافى يزيد ، وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف
فخاف الوباء ، فخرج فنزل قَطَنًا ، واستخلف ابنه على دمشق ، وعلى شُرْطته
أبو العاج كثير بن عبدالله السُّلَمىّ ، فأجمع يزيد على الظهور ، فقيل للعامل[3] :
إنّ يزيد خارج ، فلم يصدّق . وأرسل يزيد إلى أصحابه بين المغرِب والعشاء
٢/١٧٩٠ ليلة الجمعة سنة ست[4] وعشرين ومائة ، فكمنوا عند باب الفراديس حتى أذّنوا
العتَمة[5] ، فدخلوا المسجد ، فصلَّوْا — وللمسجد حَرَسٌ قد وُكّلوا بإخراج
الناس من المسجد بالليل — فلمّا صلّى الناس صاح بهم الحَرس ، وتباطأ أصحاب
يزيد ، فجعلوا يخرجون من باب المقصورة ويدخلون من باب آخر حتى
لم يبق فى المسجد غيرُ الحرس وأصحاب يزيد ، فأخذوا الحَرَس ، ومضى يزيد بن
عَنْبَسَة إلى يزيد بن الوليد ، فأعلمه وأخذ بيده ، وقال : قم يا أمير المؤمنين
وأبشر بنصر الله وعَوْنه ، فقام وقال : اللهمّ إن كان هذا لك رضًا فأعنّى
عليه وسدّدْنى له ؛ وإن كان غير ذلك فاصرفه عنّى بموت .

وأقبل فى اثنى عشر رجلاً ، فلمّا كان عند سوق الحُمُر لقوا أربعين رجلا
من أصحابهم ، فلمّا كانوا عند سوق القمح لقيهم زُهاء مائتى رجل من

---

(١) كذا فى ا وهو الصواب ، وفى ط : «فدخل» . (٢) الأغانى : «ثابت بن سليمان الحسنى» .
(٣) الأغانى : « لعامل دمشق » . (٤) الأغانى : «سنة سبع وعشرين ومائة» .
(٥) ابن الأثير : « أذن العشاء » .

أصحابهم ؛ فمضوْا إلى المسجد فدخلوه ، فأخذوا بابَ المقصورة فضربوه وقالوا : رسل الوليد ؛ ففتح لهم الباب خادم فأخذوه ودخلوا ، وأخذوا أبا العاج وهو سكْران ، وأخذوا خزّان بيت المال وصاحب البريد ، وأرسل إلى كلّ مَنْ كان يحذره فأخذ . وأرسل يزيد من ليلته إلى محمد بن عبيدة — مولى سعيد ابن العاص وهو على بعلبكّ — فأخذه ، وأرسل من ليلته إلى عبد الملك بن محمد بن الحجّاج بن يوسف ، فأخذه ووجّه إلى الثنيّة إلى أصحابه ليأتوه ، ١٧٩١/٢ وقال للبوّابين : لا تفتحوا الباب غدوةً إلا لمن أخبركم بشعارنا[1]. فتركوا الأبواب بالسلاسل . وكان فى المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة ، ولم يكن الخزّان قبضوه ، فأصابوا سلاحًا كثيرًا ، فلما أصبحوا جاء أهل المزّة وابن عصام ، فما انتصف النهار حتى تبايع الناس ، ويزيد يتمثل [قول النّابغة] [2] :

إذا اسْتُنْزِلوا عَنْهُنَّ لِلطَّعْنِ أَرْقَلوا إلى المَوْتِ إرْقالَ الجمالِ المصاعِبِ

فجعل أصحاب يزيد يتعجّبون ، ويقولون : انظروا إلى هذا ؛ هو قبيل الصبح يُسبّح ، وهو الآن ينشد الشعر !

حدّثنى أحمد بن زُهير ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدثنا عمرو بن مروان الكلبىّ ، قال : حدّثنى رَزين بن ماجد ، قال : غَدَوْنا مع عبدالرحمن ابنَ مصاد ، ونحن زُهاء ألف وخمسمائة ؛ فلما انتهينا إلى باب الجابية ووجدناه مغلقًا ، ووجدنا عليه رسولاً للوليد ، قال : ما هذه الهيئة وهذه العُدّة ! أما والله لأعلمنّ أمير المؤمنين . فقتله رجل من أهل المزّة ، فدخلنا من باب الجابية ، ثم أخذنا فى زُقاق الكلبيّين ، فضاق عنا ، فأخذ ناس منا سوق القمح ؛ ثم اجتمعنا على باب المسجد ، فدخلنا على يزيد ، فما فرغ ١٧٩٢/٢ آخرُنا من التّسليم عليه ؛ حتى جاءت السّكاسك فى نحو ثلثمائة ، فدخلوا من باب الشرقىّ حتى أتوا المسجد ، فدخلوا من باب الدّرَج ، ثم أقبل يعقوب ابن عُمير بن هانئ العبسىّ فى أهل داريّا ، فدخلوا من باب دمشق الصغير ، وأقبل عيسى بن شبيب التغلبىّ فى أهل دُومة وحرَسْتا ، فدخلوا من باب

(١) الأغانى : « إلا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا » .
(٢) من الأغانى ، والبيت فى ديوانه ٣ .

تُوما ، وأقبل حُميد بن حبيب اللخمىّ فى أهل دير المُرّان والأرْزَة وسَطْرا ، فدخلوا من باب الفراديس ، وأقبل النَّضْر بن الجَرَشىّ فى أهل جَرَش وأهل الحديثة وَديْر زكَّا ، فدخلوا من باب الشرقىّ ، وأقبل رِبْعىّ بن هاشم الحارثى فى الجماعة من بنى عُذْرة وسَلامان ، فدخلوا من باب تُوما ، ودخلت جُهَيْنة ومَنْ والاهم مع طلحة بن سعيد ، فقال بعض شعرائهم :

فجاءتهُمُ أنصارهُمْ حين أصْبَحُوا ... سَكاسِكُها أهلُ البُيُوتِ الصَّنادِدِ
وكلبٌ فجاءوهُمْ بِخَيلٍ وعُدَّةٍ ... مِنَ البَيْضِ والأبدانِ ثمّ السَّواعِدِ
فأكرِمْ بهم أحياءَ أنصار سُنَّةٍ ... هُمُ مَنَعُوا حُرُماتِها كلَّ جاحدِ
وجاءتهُمُ شعبان والأزْدُ شُرَّعاً ... وعَبْسٌ ولخمٌ بين حامٍ وذائدِ
وَغسّانُ والحَيَّانِ قيسٌ وتَغْلِبٌ ... وأحْجَمَ عنها كل وانٍ وزاهِدِ
فما أصْبَحُوا إلا وهُمْ أهلُ مُلكِها ... قَدِ استَوثَقوا من كلّ عاتٍ ومارِدِ

١٧٩٣/٢

حدثنى أحمد بن زهير ، عن علىّ بن محمد ، عن عمرو بن مروان الكلبىّ ، قال : حدّثنى قُسَيْم بن يعقوب ورَزين بن ماجد وغيرهما ، قالوا : وجّه يزيد بن الوليد عبدَ الرحمن بن مَصاد فى مائتى فارس أو نحوهم إلى قَطَن ؛ ليأخذوا عبدَ الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ، وقد تحصّن فى قصره[1] ، فأعطاه الأمانَ فخرج إليه ، فدخلْنا القصر ، فأصبنا فيه خُرْجَيْن ، فى كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار . قال : فلما انتهينا إلى المِزّة قلت لعبد الرحمن بن مَصاد : اصرف أحد هذين الخُرْجين إلى منزلك أو كليهما ، فإنك لا تصيب من يزيد مثلهما أبداً ، فقال : لقد عجلتُ إذاً بالخيانة ، لا والله لا يتحدّث العرب أنى أوّل من خان فى هذا الأمر ، فمضى به إلى يزيد بن الوليد . وأرسل يزيد بن الوليد إلى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فأمره فوقف بباب الجابية ، وقال : مَن كان له عطاء فليأتِ إلى عطائه ، ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معُونة . وقال لبنى الوليد بن عبد الملك ومعه منهم ثلاثة عشر : تفرّقوا فى الناس يَرَوْنكم وحضُورهم ، وقال للوليد بن رَوْح بن الوليد : أنزل الرّاهبَ ، ففعل .

١٧٩٤/٢

---

(١) ا : « فى قطن » .

وحدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال : حدّثني دُكين بن الشّماخ الكلبيّ وأبو عِلاقة بن صالح السّلامانيّ أن يزيد بن الوليد نادى بأمره مناد : من ينتدب إلى الفاسق وله ألف درهم ؟ فاجتمع إليه أقلّ من ألف رجل ، فأمر رجلاً فنادى : مَن ينتدب إلى الفاسق وله ألف وخمسمائة ؟ فانتدب إليه يومئذ ألف وخمسمائة ، فعقد لمنصور بن جُمْهور على طائفة ، وعقد ليعقوب بن عبد الرحمن بن سُليم الكلبيّ على طائفة أخرى ، وعقد لهَرِم ابن عبد الله بن دِحْية على طائفة أخرى ، وعقد لحُميد بن حبيب اللخميّ على طائفة أخرى ، وعليهم جميعاً عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فخرج عبد العزيز فعسكر بالحِيرة[1] . ٢/١٧٩٥

وحدّثني[2] أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال : حدّثني يعقوب بن إبراهيم بن الوليد أنّ مولًى للوليد لما خرج يزيد بن الوليد ، خرج على فرس له ، فأتى الوليد من يومه ، فنفق فرسُه حين بلغه ، فأخبر الوليد الخبر ، فضربه مائة سوط وحبسه ، ثم دعا أبا محمد ابن عبد الله بن يزيد بن معاوية فأجازه ، ووجّهه إلى دمشق ، فخرج أبو محمد ، فلما انتهى إلى ذَنَبَةَ أقام ، فوجّه يزيد بن الوليد إليه عبد الرحمن بن مصاد ، فسالمه أبو محمد ، وبايع ليزيد بن الوليد وأتى الوليد الخبر ، وهو بالأغدف — والأغدف من عمّان — فقال بيْهس بن زُميل الكلابيّ — ويقال قاله يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية : يا أميرَ المؤمنين ، سر حتى تنزل حمص فإنها حصينة ، ووجّه الجنود إلى يزيد فيُقتَل أو يؤسر . فقال عبد الله بن عنبسة ابن سعيد بن العاص : ما ينبغي للخليفة أن يدَع عسكره ونساءه قبل أن يقاتل ويُعذر ، والله مؤيدٌ أمير المؤمنين وناصرُه . فقال يزيد بن خالد : وماذا يخاف على حرمه ! وإنما أتاه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وهو ابن عمهنّ ، فأخذ بقول ابن عنبسة ، فقال له الأبرش سعيد بن الوليد الكلبي : يا أمير المؤمنين ، تَدْمُر حصينة ، وبها قومي يمنعونك ، فقال : ما أرى أن نأتي تَدْمُر وأهلها بنو عامر ؛ وهم الذين خرجوا عليّ ؛ ولكن دُلّني على منزل ٢/١٧٩٦

(١) الأغانى ٧ : ٨٧ .

(٢) الأغانى ٧ : ٧٩ وما بعدها .

حصين ، فقال : أرى أن تنزل القرية ، قال : أكرهها ، قال : فهذا الهَزِيم ، قال : أكره اسمه ، قال : فهذا البَخْراء ، قصرُ النعمان بن بشير ، قال : ويحك ! ما أقبح أسماء مياهكم ! فأقبل فى طريق السماوة ، وترك الرِّيف ، وهو فى مائتين ، فقال :

إذا لَم يكنْ خَيْرٌ معَ الشرّ لَمْ تَجِدْ نصيحًا ولا ذا حاجة حينَ تَفْزَعُ
إذا ما هُمُ هَمّوا بإحْدَى هَنَاتِهِمْ حَسَرْتُ لهم رَأسى فلا أتقَنَّعُ

فمرّ بشبكة الضَّحاك بن قيس الفهرىّ ؛ وفيها مِنْ ولده و ولد ولده أربعون رجلا ، فساروا معه وقالوا : إنا عُزْل ؛ فلو أمرتَ لنا بسلاح ! فما أعطاهم سيفًا ولا رُمحًا ، فقال له بيهس بن زُمَيل : أمّا إذْ أبيتَ أن تمضِىَ إلى حِمْص وتَدْمُر فهذا الحصن البَخْراء فإنه حَصِين ، وهو من بناء العجم فانزله ، قال : إنى أخاف الطاعون ، قال : الذى يُراد بك أشدّ من الطاعون ؛ فنزل حصن البَخراء .

١٧٩٧/٢

قال : فندب يزيد بن الوليد الناسَ إلى الوليد مع عبد العزيز ، ونادى مناديه : مَن سار معه فله ألفان ، فانتدب ألفا رجل ، فأعطاهم ألفيْن ألفيْن ، وقال : موعدكم بذَنَبة ، فوافَى بذَنَبَة ألف ومائتان ، وقال : موعدكم مصنعة بنى عبد العزيز بن الوليد بالبرّيّة ، فوافاه ثمانمائة ، فسار ، فتلقاهم ثَقَل[1] الوليد فأخذوه ، ونزلوا قريبًا من الوليد ، فأتاه رسول العباس بن الوليد : إنى آتيك ، فقال الوليد : أخرجوا سريراً ، فأخرجوا سريراً فجلس عليه وقال : أعلىّ توثّب الرجال ، وأنا أثِبُ على الأسد وأتخصّرُ[2] الأفاعى ! وهم ينتظرون العباس ، فقاتلهم عبد العزيز ، وعلى الميمنة عمرو بن حُوَىّ السَّكْسَكىّ وعلى المقدّمة منصور بن جُمهور وعلى الرَّجالة عُمارة بن أبى كلثم الأزدىّ ، ودعا عبد العزيز ببغل له أدْهم فركبه ، وبعث إليهم زياد بن حصين الكلبىّ يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيّه ، فقتله قطرىّ مولى الوليد ، فانكشف أصحابُ يزيد ، فترجّل[3] عبد العزيز ، فكرّ أصحابه ، وقد قتل من أصحابه عدّة ، وحملت

١٧٩٨/٢

(١) الثقل : المتاع .
(٢) تخصر : أخذ المخصرة بيده .
(٣) ح ، ف : « فدخل » .

رءوسهم إلى الوليد وهو على باب حصن البَخْراء قد أخرج لواء مروان بن الحكم الذى كان عقده بالجابية ، وقتل من أصحاب الوليد بن يزيد عثمان الخَشَبىّ ، قتله جناح بن نعيم الكلبىّ ، وكان من أولاد الخشبيّة الذين كانوا مع المختار .

وبلغ عبدَ العزيز مسيرُ العباس بن الوليد ، فأرسل منصور بن جُمهور فى خيل[1] ، وقال : إنكم تلقون العباس فى الشِّعْب ، ومعه بنوه [فى الشِّعب][2] فخذوهم . فخرج منصور فى الخيل فلما صاروا بالشِّعب إذا هم بالعباس فى ثلاثين من بنيه ، فقالوا له : اعدل إلى عبد العزيز ، فشتَمهم ، فقال له منصور : والله لئن تقدّمتَ لأنفُذنّ حَصيَنك — يعنى درعك — وقال نوح بن عمرو بن حُوَىّ السكسكىُّ : الذى لقى العباسَ بن الوليد يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم الكلبىّ — فعدل به إلى عبد العزيز ، فأبى عليه فقال : يابن قُسْطنْطين ؛ لئن أبيتَ لأضربنّ الذى فيه عيناك ، فنظر العباس إلى هَرِم بن عبد الله بن دحية ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم ، قال : أما والله إن كان لبغيضًا[3] إلى أبيه أن يقف ابنُه هذا الموقف ؛ وعدل به إلى عسكر عبد العزيز ، ولم يكن مع العباس أصحابه ، كان تقدّمهم مع بنيه ، فقال : إنا لله ! فأتوا به عبد العزيز ، فقال له : بايع لأخيك يزيد بن الوليد ، فبايع ووقف ونصبوا راية ، وقالوا : هذه راية العباس بن الوليد ، وقد بايع لأمير المؤمنين يزيد بن الوليد ، فقال العباس : إنا لله! خُدْعَةٌ من خُدَع الشيطان! هلك بنو مروان . فتفرّق النّاس عن الوليد ، فأتوا العباس وعبد العزيز وظاهر الوليد بين دِرْعين . وأتوه بفرسيْه : السندىّ والزّائد ، فقاتلهم قتالا شديداً ، فناداهم رجل : اقتلوا عدوّ الله قِتْلة قوم لوط ، ارموه بالحجارة[4] .

١٧٩٩/٢

---

(١) فى الأغانى : «جريدة خيل» ، والجريدة : الجماعة من الخيل .

(٢) من الأغانى . (٣) ب : «إلا بغيضاً» .

(٤) بعدها فى الأغانى ٧ : ٧٩ : «فرموه بالحجارة ؛ فلما سمع ذلك دخل القصر ، وأغلق الباب ، وقال :

دعُوا لى سُلَيمَى والطِّلاءَ وَقَيْنَةً وكأْساً ألا حسبى بذلك مالا =

فلما سمع ذلك دخل القصر ، وأغلق الباب ، وأحاط عبد العزيز وأصحابه بالقصر ، فدنا الوليد من الباب ، فقال . أمَا فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلّمه ! فقال له يزيد بن عنبسة السَّكسكىّ : كلمنى ، قال له : من أنت ؟ قال : أنا يزيد بن عنبسة ، قال : يا أخا السكاسكك ، ألم أزِدْ فى أعطياتكم ! ألم أرفع المؤَن عنكم ! ألم أعطِ فقراءكم ! ألم أخدم زَمْنَاكم[1] ! فقال : إنا ما ننقم عليكَ فى أنفسنا ، ولكن ننقِم عليك فى انتهاك ما حرّم الله وشُرْب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله ؛ قال : حسبُك يا أخا السكاسك ، فلعمرى لقد أكثرت وأغرقت[2] ؛ وإن فيما أحِلّ لى لسعةً عمّا ذكرت . ورجع إلى الدار فجلس وأخذ مصحفاً ، وقال : يومٌ كيوم[3] عثمان ؛ ونشر المصحف يقرأ ، فعَلَوُا الحائط ، فكان أوّل من علا الحائط يزيد بن عنبسة السَّكْسَكىّ ، فنزل إليه وسيف الوليد إلى جَنْبه ، فقال له يزيد : نحِّ سيفك ، فقال له الوليد : لو أردتُ السيف لكانتْ لى ولك حالة فيهم[4] غير هذه ، فأخذ بيد الوليد ؛ وهو[5] يريد أن يحبسه ويؤامَر فيه . فنزل من الحائط عشرة : منصور بن جمهور وحبال بن عمرو الكلبىّ وعبد الرحمن بن عَجْلان مولى يزيد بن عبد الملك وحميد بن نصر اللخْمىّ والسرىّ بن زياد بن أبى كبشة وعبد السلام اللخْمىّ ، فضربه عبد السلام على رأسه ، وضربه السرىّ على وجهه ، وجرّوه بين خمسة ليخرجوه[5] . فصاحت امرأة كانت معه فى الدار ، فكفّوا عنه ولم يخرجوه ، واحتزّ أبو علاقة القُضاعىّ رأسه ، فأخذ عَقَباً[6]

٢/١٨٠٠

= إذا ماصَفا عَيْشٌ برملة عالجٍ وعانقتُ سلمى لا أُريد بِدالا
خذوا ملككم ، لا ثبّتَ الله ملككُمْ ثباتًا يساوى ماحَييتِ عِقالا
وخَلُّوا عِنانى قبل عَيْرٍ وما جَرَى ولا تحسدونى أن أموت هُزَالا

(١) بعدها فى الأغانى : « ودفعت عنكم المؤن ! » .
(٢) فى الأغانى : « لقد أغرقت فأكثرت » . (٣) يريد عثمان بن عفان فإنه لما قتل كان يقرأ فى المصحف ، وجرى دمه عليه . (٤) من الأغانى .
(٥ - ٥) الأغانى : « وهو يريد أن يدخله بيتاً ويؤامر فيه ، فنزل من الحائط عشرة ؛ فيهم منصور بن جمهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسرى بن زياد بن أبرهة ، فضربه عبد الرحمن السلمى على رأسه ضربة ، وضربه السرى بن زياد على وجهه ، وجروه بين خمسة ليخرجوه » .
(٦) العقب : العصب الذى تعمل منه الأوتار .

فخاط الضَّرْبة التى فى وجهه ، وقدم بالرأس على يزيد رَوْح بن مقبل ، وقال : أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق الوليد وأسْرِ من كان معه ، والعباسِ — ويزيد يتغدّى — فسجد ومَن كان معه ، وقام يزيد بن عنبسة السَّكسكيّ ، وأخذ بيد يزيد ، وقال : قم يا أمير المؤمنين ، وأبشر بنصر الله ، فاختلج يزيد يده من كفّه ، وقال : اللهمّ إن كان هذا لك رضًا فسدّدنى ، وقال ليزيد بن عنبسة : هل كلّمكم الوليد ؟ قال : نعم ، كلّمنى من وراء الباب ، وقال : أما فيكم[1] ذو حسب فأكلّمه ! فكلمته ووبّخته ، فقال : حسبُك ، فقد لعمرى أغرقت وأكثرت ، أما والله لا يُرْتَقُ فتقكم ، ولا يُلَمّ شعثكم ، ولا تجتمع كلمتكم .

١٨٠١/٢

حدّثنى أحمد عن علىّ ، عن عمرو بن مروان الكلبىّ ، قال : قال نوح ابن عمرو بن حوىّ السكسكىّ : خرجنا إلى قتال الوليد فى ليالٍ ليس فيها قمر ؛ فإن كنت لأرى الحصى فأعرف أسوَده من أبيضه . قال : وكان على ميسرة الوليد بن يزيد الوليدُ بن خالد ، ابن أخى الأبرش الكلبىّ فى بنى عامر — وكانت بنو عامر ميمنة عبد العزيز — فلم تقاتل ميسرة الوليد ميمنةَ عبد العزيز ، ومالوا جميعًا إلى عبد العزيز بن الحجاج . قال : وقال نوح بن عمرو : رأيت خدَم الوليد بن يزيد وحشَمه يوم قُتِل يأخذون بأيدى الرجال ، فيدخلونهم عليه .

وحدّثنى أحمد عن علىّ ، عن عمرو بن مَرْوان الكلبىّ ، قال : حدّثنى المثنّى بن معاوية ، قال : أقبل الوليد فنزل اللؤلؤة ، وأمر ابنه الحكَم والمؤمّل ابن العباس أن يفرضا لمن أتاهما ستين ديناراً فى العطاء ، فأقبلتُ أنا وابن عمّى سليمان بن محمد بن عبد الله إلى عَسْكر الوليد ، فقرّبنى المؤمّل وأدنانى . وقال : أدخلك على أمير المؤمنين ، وأكلّمه حتى يفرض لك فى مائة دينار .

١٨٠٢/٢

قال المثنّى : فخرج الوليد من اللؤلؤة فنزل المليكة ، فأتاه رسول عمرو بن قيس من حِمْص يخبره أن عمرًا قد وجّه إليه خمسمائة فارس ، عليهم عبد الرحمن بن أبى الجَنوب البهرانىّ ، فدعا الوليد الضّحاك بن أيمن من

(١) خ : « ما » .

بنى عوف بن كلب ، فأمره أن يأتىَ ابن أبى الجَنوب ــ وهو بالغُوَير ــ فيستعجله ، ثم يأتى الوليد بالمليكة . فلما أصبح أمر الناس بالرّحيل ، وخرج على برْذون كُمَيت ، عليه قبَاء خزّ وعمامة خزّ ، محتزمًا بريْطة رقيقة قد طواها ، وعلى كتفيه ريْطة صفراء فوق السيف ، فلقيه بنو سليم بن كيسان فى ستة عشر فارسًا ، ثم سار قليلاً ، فتلقّاه بنو النعمان بن بشير فى فوارس ، ثم أتاه الوليد ابن أخى الأبرش فى بنى عامر من كَلْب ، فحمله الوليد وكساه ، وسار الوليد على الطريق ثم عدل فى تَلْعة يقال لها المشبهة ، فلقيه ابنُ أبى الجنوب فى أهل حِمْص . ثم أتى البَخْراء ، فضجّ أهلُ العسكر ، وقالوا : ليس معنا علَف لدوابنا ، فأمر رجلاً فنادى : إن أمير المؤمنين قد اشترى زُروع القرية ، فقالوا : ما نصنع بالقصيل[1] ! تضعف عليه دوابّنا ؛ وإنما أرادوا الدراهم . ١٨٠٣/٢

قال المثنّى : أتيت الوليد ، فدخلت من مؤخّر الفُسطاط ، فدعا بالغَداء ، فلما وُضع بين يديه أتاه رسولُ أمّ كُلْثوم بنت عبد الله بن يزيد بن عبدالملك يقال له عمرو بن مُرّة ، فأخبره أنّ عبد العزيز بن الحجاج ؛ قد نزل اللؤلؤة ، فلم يلتفت إليه ، وأتاه خالد بن عثمان المخراش ــ وكان على شُرَطه ــ برجل من بنى حارثة بن جناب ، فقال له : إنّى كنتُ بدمشق مع عبد العزيز ، وقد أتيتك بالخبر ؛ وهذه ألف وخمسمائة قد أخذتها ــ وحلّ هِمْيانًا من وسطه ، وأراه ــ وقد نزل اللؤلؤة ؛ وهو غاد منها إليك ، فلم يجبه والتفَت إلى رجل إلى جَنْبه ، وكلمه بكلام لم أسمعْه ، فسألت بعض مَنْ كان بينى وبينه عمّا قال ، فقال : سأله عن النهر الذى حفره بالأردنّ : كم بقى منه ؟ وأقبل عبد العزيز من اللؤلؤة ، فأتى المليكة فحازَها ، ووجّه منصور بن جمهور ، فأخذ شرقىّ القرى ــ وهو تلّ مشرف فى أرض مَلْساء على طريق نِهْيا إلى البَخْراء ــ وكان العباس بن الوليد تهيأ فى نحو من خمسين ومائة من مواليه وولده ، فبعث العباس رجلاً من بنى ناجية يقال له حُبيش إلى الوليد يخيّره بين أن يأتيَه فيكون معه ؛ أو يسير إلى يزيد بن الوليد . فاتّهم الوليد العباس ، فأرسل إليه يأمره أن يأتيَه ١٨٠٤/٢

---

(١) القصيل : ما اقتصل من الزرع أخضر .

فيكون معه ، فلقى منصور بن جمهور الرّسول ، فسأله عن الأمر فأخبره ، فقال له منصور : قل له : والله لئن رحلتَ من موضعك قبل طلوع الفجر لأقتلنّك ومَنْ معك ؛ فإذا أصبح فليأخذْ حيث أحبّ . فأقام العباس يتهيّأ ؛ فلما كان فى السَّحَر سمعنا تكبير أصحاب عبد العزيز قد أقبلوا إلى البَخْراء ، فخرج خالد بن عثمان المِخْراش ، فعبّأ الناس ؛ فلم يكن بينهم قتال حتّى طلعت الشمس ؛ وكان مع أصحاب يزيد بن الوليد كتاب معلّق فى رمح ، فيه : إنا نَدْعُوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن يصير الأمر شورى . فاقتتلوا فقتِل عثمان الخشبىّ ، وقُتِل من أصحاب الوليد زهاءُ ستين رجلا ، وأقبل منصور بن جُمهور على طريق نِهْيا ، فأتى عسكر الوليد مِن خلفهم ، فأقبل إلى الوليد وهو فى فُسطاطه ؛ ليس بينه وبين منصور أحد . فلما رأيتُه خرجتُ أنا وعاصم بن هبيرة المَعَافرىّ خليفة المخراش ، فانكشف أصحاب عبد العزيز ، ونكص أصحاب منصور ، وصُرِع سُمىّ بن المغيرة وقُتِل ، وعدل منصور إلى عبدالعزيز . وكان الأبرش على فرس له يدعى الأديم ، عليه قَلَنسوة ذات أذنين ، قد شدّها تحت لحيته ؛ فجعل يصيح بابن أخيه : يابن اللخناء ، قدّمْ رايتَك ، فقال له : لا أجدُ متقدّمًا ، إنها بنو عامر .

١٨٠٥/٢

وأقبل العباس بن الوليد فمنَعه أصحاب عبد العزيز ، وشدّ مولى لسليمان بن عبد الله بن دحْية — يقال له التركىّ — على الحارث بن العباس بن الوليد ، فطعنه طعنة أذْراه عن فرسه ؛ فعدل العباس إلى عبد العزيز ، فأسقِط فى أيدى أصحاب الوليد وانكسروا . فبعث الوليد بن يزيد الوليدَ بن خالد إلى عبد العزيز بن الحجاج بأن يعطيَه خمسين ألف دينار ، ويجعل له ولاية حِمْص ما بقى ، ويؤمّنه على كلّ حَدَث ، على أن ينصرف ويكفّ ؛ فأبى ولم يجبه ، فقال له الوليد : ارجعْ إليه فعاودْه أيضًا ، فأتاه الوليد فلم يجبه إلى شىء ، فانصرف الوليد ؛ حتّى إذا كان غيرَ بعيد عطف دابّته ، فدنا من عبد العزيز ، فقال له : أتجعل لى خمسة آلاف دينار وللأبرش مثلها ، وأن أكون كأخصّ رجل من قومى منزلة وآتيك ، فأدخل معك فيما دخلت فيه ؟ فقال له عبد العزيز : على أن تحمل الساعة على أصحاب الوليد ؛ ففعل . وكان

١٨٠٦/٢ على ميمنة الوليد معاوية بن أبى سفيان بن يزيد بن خالد، فقال لعبد العزيز : أتجعل لى عشرين ألف دينار وولاية الأردنّ والشركة فى الأمر على أن أصير معكم ؟ قال : على أن تحمل على أصحاب الوليد من ساعتك ، ففعل ، فانهزم أصحاب الوليد . وقام الوليد فدخل البَخْراء ، وأقبل عبد العزيز فوقف على الباب وعليه سلسلة ، فجعل الرّجل بعد الرّجل يدخل من تحت السلسلة . وأتى عبدَ العزيز عبد السلام بن بكير بن شمّاخ اللخمىّ ، فقال له : إنه يقول : أخرج على حُكْمك ، قال : فليخرج ؛ فلما ولّى قيل له : ما تصنع بخروجه! دعه يكفيكه الناس . فدعا عبد السلام فقال : لا حاجة لى فيما عَرَض علىّ ، فنظرت إلى شابّ طويل على فرس ، فدنا من حائط القَصْر فعلاه ، ثم صار إلى داخل القصر . قال : فدخلت القصر ، فإذا الوليد قائم فى قميص قَصَب وسراويل وَشْى ، ومعه سيف فى غمد والناس يشتمونه ، فأقبل إليه بشر بن شيبان مولى كنانة بن عمير ؛ وهو الذى دخل من الحائط ، فمضى الوليد يريد الباب – أظنه أراد أن يأتى عبد العزيز – وعبد السلام عن يمينه ورسول عمرو بن قيس عن يساره ، فضربه على رأسه ؛ وتعاوره الناس بأسيافهم فقتِل ، فطرح عبد السلام نفسَه عليه يحتزُّ رأسه – وكان يزيد بن الوليد قد جعل فى رأس الوليد[1] مائة ألف –

١٨٠٧/٢ وأقبل أبو الأسد مولى خالد بن عبد الله القسرىّ فسلخ من جلد الوليد قَدْر الكفّ ، فأتى بها يزيدَ بن خالد بن عبد الله ، وكان محبوسًا فى عسكر الوليد ، فانتهب الناس عسكر الوليد وخزائنه ، وأتانى يزيد العُلَيمىّ أبو البَطريق بن يزيد ؛ وكانت ابنته عند الحكم بن الوليد ، فقال : امنع لى متاع ابنتى ، فما وصل أحدٌ إلى شىء زعم أنه له .

قال أحمد : قال علىّ : قال عمرو بن مَروان الكلبىّ : لما قُتل الوليد قُطعت كفّه اليسرى ، فبُعث بها إلى يزيد بن الوليد ، فسبقت الرّأس ؛ قُدِم بها ليلة الجمعة ، وأتِىَ برأسه من الغد ، فنصبه للناس بعد الصلاة . وكان أهل دمشق قد أرجفوا بعبد العزيز ، فلما أتاهم رأس الوليد سكتوا وكفّوا . قال : وأمر يزيد بنصب الرأس ، فقال له يزيد بن فروة مولى بنى مروان :

---

(١) ا : « راسه » .

إنما تنصب رءوس الخوارج ، وهذا ابنُ عمّك ؛ وخليفة ، ولا آمنُ إن نصبتَه أن ترقّ له قلوب الناس ، ويغضب له أهل بيته ؛ فقال : والله لأنصبنّه ، فنصبه على رمح ، ثم قال له : انطلق به ، فطُفْ به في مدينة دمشق ؛ وأدخله دار أبيه . ففعل ، فصاح الناس وأهل الدار ، ثم ردّه إلى يزيد ، فقال : انطلق به إلى منزلك ؛ فمكث عنده قريبًا من شهر ، ثم قال له : ادفعه إلى أخيه سليمان — وكان سليمان أخو الوليد ممن سعى على أخيه — فغسل ابن فروة الرّأس ، ووضعه في سَفَط ، وأتى به سليمان ، فنظر إليه سليمان ، فقال : بُعداً له ! أشهد أنه كان شَرُوبًا للخمر ، ماجنًا فاسقًا ؛ ولقد أرادني على نفسي الفاسق . فخرج ابن فروة من الدار ، فتلقّته مولاة للوليد ، فقال لها : ويحكِ ! ما أشدّ ما شتمه ! زعم أنه أراده على نفسه ! فقالت : كذب والله الخبيث ، ما فعل ، ولئن كان أراده على نفسه لقد فَعَل ؛ وما كان ليقدر على الامتناع منه .

١٨٠٨/٢

وحدثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال : حدثني يزيد بن مَصَاد عن عبد الرحمن بن مصاد ، قال : بعثني يزيد بن الوليد إلى أبي محمد السفيانيّ — وكان الوليد وجّهه حين بلغه خبر يزيد واليًا على دمشق وأتى ذَنَبَة ؛ وبلغ يزيد خبره ، فوجّهني إليه — فأتيته ، فسالم وبايع ليزيد . قال : فلم نرِمْ حتى رُفع لنا شخص مُقبلٌ من ناحية البَرّيّة ، فبعثت إليه ، فأُتِيت به فإذا هو الغُزَيِّل أبو كامل المغنّي ، على بغلة للوليد تدعى مريم ، فأخبرنا أنّ الوليد قد قتل ، فانصرفت إلى يزيد ، فوجدت الخبر قد أتاه قبل أن آتيَه .

حدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو(١) بن مروان الكلبيّ ، قال : حدّثني دُكَين بن شَمّاخ الكلبيّ ثم العامريّ ، قال : رأيت بشر بن هلباء العامريّ يوم قُتِل الوليد ضرب باب البَخْراء بالسيف ، وهو يقول :

١٨٠٩/٢

سَنَبكِي خالدًا بِمُهَنَّداتٍ ولا تَذْهَبْ صَنائعُهُ ضَلالا

وحدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن أبي عاصم الزّياديّ ، قال : ادّعى قتلَ الوليد عشرة ، وقال : إني رأيتُ جلدةَ رأس الوليد في يدِ وَجْه الفَلَس ،

(١) ف : « عمر » .

فقال : أنا قتلته ، وأخذت هذه الجلدة ، وجاء رجل فاحتزّ رأسه ، وبقيت هذه الجلدة فى يدى . واسم وجه الفَلْس عبد الرحمن ؛ قال : وقال الحكم بن النعمان مولى الوليد بن عبد الملك : قدم برأس الوليد على يزيد منصور بن جمهور فى عشرة ؛ فيهم رَوْح بن مُقْبِل ، فقال رَوْح : يا أميرَ المؤمنين ؛ أبشر بقتل الفاسق وأسرِ العباس ؛ وكان فيمن قدم بالرأس عبد الرحمن وَجْه الفَلْس [1] ، وبشر مولى كنانة من كلْب ؛ فأعطى يزيد كلّ رجل منهم عشرة آلاف . قال : وقال الوليد يوم قُتِل وهو يقاتلهم : مَنْ جاء برأس فله خمسمائة ؛ فجاء قوم بأرؤس ، فقال الوليد : اكتبوا أسماءهم ، فقال رجل من مواليه ممن جاء برأس : يا أميرَ المؤمنين ؛ ليس هذا بيوم يُعْمَل فيه بنسيئة !

قال : وكان مع الوليد مالك بن أبى السمح المغنّى وعمرو الوادى ؛ فلما تفرّق عن الوليد أصحابُه ، وحُصِر ، قال مالك لعمرو : اذهب بنا ، فقال عمرو : ليس هذا من الوفاء ؛ ونحن لا يُعْرَضُ لنا لأنا لسنا ممن يقاتل ، فقال مالك : ويلك ! والله لئنْ ظفروا بنا لا يقتَل أحد قبلى وقبلك ؛ فيوضع رأسه بين رأسينا ؛ ويقال للناس : انظروا مَن كان معه فى هذه الحال ؛ فلا يعيبونه بشىء أشدّ من هذا ؛ فهربا. ٢/١٨١٠

* * *

وقتل الوليد بن يزيد يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادَى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، كذلك قال أبو معشر ؛ حدثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه . وكذلك قال هشام بن محمد ومحمد ابن عمر الواقدىّ وعلىّ بن محمد المدائنىّ .

واختلفوا فى قَدْر المدة التى كان فيها خليفةً ؛ فقال أبو معشر : كانت خلافته سنة وثلاثة أشهر ، كذلك حدثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وقال هشام بن محمد : كانت خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يومًا .

---

(١) هو عبد الرحمن بن الخطاب ، وانظر الفهرس .

واختلفوا أيضًا فى مبلغ سنّه يوم قتل ، فقال هشام بن محمد الكلبىّ : قتل وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وقال محمد بن عمر : قتل وهو ابن ست وثلاثين سنة ، وقال بعضهم : قتل وهو ابن اثنتين وأربعين سنة . وقال آخرون : وهو ابن إحدى وأربعين سنة ، وقال آخرون: ابن خمس وأربعين سنة ، وقال بعضهم : وهو ابن ست وأربعين سنة .

وكان يكنى أبا العباس، وأمه أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفىّ ؛ وكان شديد البَطْش، طويل أصابع الرجلين ؛ كان[١] يوتَد له سكة حديد فيها خيط ويُشدّ الخيط فى رجله ، ثم يثب على الدابة ، فينتزع السكة ويركب ، ما يمسّ الدابة بيده . ٢/١٨١١

وكان شاعراً شَروبًا للخمر ؛ حدّثنى أحمد، قال: حدّثنا علىّ، عن ابن أبى الزّناد، قال: قال أبى : كنتُ عندهشام وعنده الزُّهرىّ، فذكرا الوليدَ، فتنقّصاه وعاباه عَيْبًا شديداً، ولم أعرض فى شىء مما كانا فيه؛ فاستأذن الوليد، فأذن له، وأنا أعرف الغضب فى وجهه ، فجلس قليلاً ، ثم قام . فلما مات هشام كتب فىّ فحملت إليه فرحّب بى، وقال : كيف حالك يابن ذكوان ؟ وألطف المسألة بى ، ثم قال : أتذكُر يوم الأحول وعنده الفاسق الزهرىّ ، وهما يعيبانى ؟ قلت : أذكر ذلك ؛ فلم أعرض فى شىء مما كانا فيه ، قال : صدقت ؛ أرأيتَ الغلام الذى كان قائمًا على رأس هشام ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه نمّ[٢] إلىّ بما قالا ؛ وايمُ الله لو بقىَ الفاسق — يعنى الزُّهرىّ — لقتلته ، قلتُ : قد عرفتُ الغضب فى وجهك حين دخلت . ثم قال : يابن ذكوان ، ذهب الأحول بعمرى ، فقلت : بل يطيل الله لك عمرك يا أمير المؤمنين ، ويمتّع الأمة ببقائك ؛ فدعا بالعَشاء فتعشينا ، وجاءت المغرب فصلينا ، وتحدّثنا حتى جاءت العشاء الآخرة فصلينا وجلس ، وقال : اسقنى ؛ فجاءوا بإناء مغطًّى ، وجاء ثلاث جوار فصُففن[٣] بين يديه ، بينى وبينه ، ثم شرب ؛ وذهبنا فتحدّثنا ، واستسقى فصنعن مثل ما صنعن أولا ؛ قال : فما زال على ٢/١٨١٢

---

(١) ب ، ح : « وكان » .
(٢) ط : « نمى » ، وما أثبته من .
(٣) ط : « فصففن » ، تصحيف .

ذلك يتحدّث ويستسقى ويصنعن مثل ذلك حتّى طلع الفجر ، فأحصيتُ له سبعين قدحاً .

* * *

[خبر قتل خالد بن عبد الله القسرىّ]

وفى هذه السنة قتِل خالد بن عبد الله القسرىّ .

* ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك :

قد تقدّم ذكرنا الخبر عن عزل هشام إياه عن عمله وولايته العراق وخراسان واستعماله على العراق يوسف بن عمر ؛ وكان — فيما ذكر — عمل لهشام على ذلك خمس عشرة سنة غير أشهر ؛ وذلك أنه — فيما قيل — ولى العراق لهشام سنة خمس ومائة، وعـُزل عنها فى جمادى الأولى سنة عشرين ومائة . ولما عزله هشام وقدم عليه يوسف واسطاً أخذه وحبسه بها ، ثم شخص يوسف بن عمر إلى الحِيرة ؛ فلم يزل محبوساً بالحيرة تمام ثمانية عشر شهراً مع أخيه إسماعيل بن عبد الله وابنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر بن أسد بن عبد الله . واستأذن يوسف هشاماً فى إطلاق يدِه عليه وتعذيبه ، فلم يأذن له حتى أكثر عليه ، واعتلّ عليه بانكسار الخراج وذهاب الأموال ، فأذن له مرّة واحدة ، وبعث حرسيًّا يشهد ذلك ؛ وحلف : لئن أتى على خالد أجلُه وهو فى يده ليقتلنّه ؛ فدعا به يوسف ؛ فجلس على دُكان بالحيرة وحضر الناس ، وبسط[1] عليه ؛ فلم يكلّمه واحدةً حتى شتمه يوسف ، فقال : يابنَ الكاهن — يعنى شِقّ بن صعب الكاهن — فقال له خالد : إنك لأحمق ، تعيّرنى بشرفى ! ولكنك يابن السبّاء ، إنما كان أبوك سبّاء خمر — يعنى يبيع الخمر — . ثم ردّه إلى حبسه ، ثم كتب إليه هشام يأمره بتخلية سبيله فى شوال سنة إحدى وعشرين ومائة ، فنزل خالد فى قصر إسماعيل بن عبد الله بدُوران ، خلْف جسر الكوفة ، وخرج يزيد بن خالد وحده ؛ فأخذ على بلاد طيّئ ؛ حتى ورد دمشق ، وخرج خالد ومعه إسماعيل والوليد ؛ قد جهّزهم عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ابن العاص ، وبعث بالأثقال إلى قصر بنى مقاتل ، وكان يوسف قد بعث خيلا ، فأخذت الزاد والأثقال والإبل وموالى لخالد كانوا فيها ، فضرب وباع

١٨١٣/٢

(١) ب : «وبسطه» .

ما أخذ لهم ، وردّ بعض الموالى إلى الرّقّ ، فقدم خالد قصر بنى مقاتل ؛ وقد أخذ كل شىء لهم ، فسار إلى هِيت ، ثم تحمّلوا إلى القرية — وهى بإزاء باب الرُّصافة — فأقام بها بقيّة شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرّم وصَفر ؛ لا يأذن لهم هشام فى القدوم عليه ؛ والأبْرَشُ يكاتب خالداً . وخرج زيد بن علىّ فقُتِل .

قال الهيثم بن عدىّ — فيما ذكر عنه — : وكتب يوسف إلى هشام : إن أهلَ هذا البيت من بنى هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً ؛ حتى كانت همّةُ أحدهم قوت عياله ؛ فلما ولى خالد العراق أعطاهم الأموال فقَوُوا بها حتى تاقت أنفسهم إلى طلَب الخلافة ، وما خرج زيد إلا عن رأى خالد ؛ والدليل على ذلك نزولُ خالد بالقرية على مَدْرَجة العراق يستنشى[1] أخبارها .

٢/١٨١٤

فسكت هشام حتى فرغ من قراءة الكتاب ، ثم قال للحكم بن حَزْن القينىّ — وكان على الوفد ، وقد أمره يوسف بتصديق ما كتَب به ، ففعل — فقال له هشام : كذبت وكذبَ مَنْ أرسلك ؛ ومهما اتّهمنا خالداً فلسنا نتّهمه فى طاعة ؛ وأمر به فوجِئَتْ عنقه . وبلغ الخبرُ خالداً فسار حتى نزل دمشق فأقام حتى حضرت الصائفة ، فخرج فيها ومعه يزيد وهشام ابنا خالد بن عبد الله ؛ وعلى دمشق يومئذ كلثوم بن عِياض القسرىّ ، وكان متحاملا على خالد ؛ فلما أدربوا[2] ظهر فى دور دمشق حريق ؛ كلّ ليلة يلقيه رجل من أهل العراق يقال له أبو العمرّس وأصحاب له ؛ فإذا وقع الحريق أغاروا يسرِقون . وكان إسماعيل بن عبد الله والمنذر بن أسد بن عبد الله وسعيد ومحمد ابنا خالد بالساحل لحدث كان من الروم ؛ فكتب كلثوم إلى هشام يذكر الحريق ، ويخبره أنه لم يكن قطّ ؛ وأنه عمَلُ موالى[3] خالد ؛ يريدون الوثوب على بيت المال . فكتب إليه هشام يأمره أن يحبس آل خالد ؛ الصغير منهم والكبير ، ومواليهم والنساء؛ فأخِذ إسماعيل والمنذر ومحمد وسعيد من الساحل فقدِم بهم فى الجوامع ومَن كان معهم من مواليهم ؛ وحبس أمّ جرير بنت

٢/١٨١٥

---

(١) يستنشى الأخبار : يبحث عنها .
(٢) يقال : أدرب القوم ؛ إذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم .
(٣) ب : « موال لخالد » .

خالد والرّائقة وجميع النساء والصبيان ؛ ثم ظهر على أبى العمرّس ؛ فأخذ ومَن كان معه . فكتب الوليد بن عبد الرحمن عامل خراج دمشق إلى هشام يخبره بأخذ أبى العمرّس ومَن كان معه ؛ سماهم رجلا رجلا ، ونسبهم إلى قبائلهم وأمصارهم ، ولم يُذكر فيهم أحد من موالِى خالد ، فكتب هشام إلى كلثوم يشتِمه ويعنّفه ، ويأمره بتخلية سبيل جميع من حبس منهم ، فأرسلهم جميعًا واحتبس الموالى رجاء أن يكلمه فيهم خالد إذا قدم من الصائفة . فلما أقبل الناس وخرجوا عن الدّرب بلغ خالداً حبسُ أهله ، ولم يبلغه تخليتُهم ؛ فدخل يزيد بن خالد فى غمار الناس حتى أتى حمص ، وأقبل خالد حتى نزل منزله من دمشق ، فلما أصبح أتاه الناس ، فبعث إلى ابنتيه : زينب وعاتكة ؛ فقال : إنى قد كبِرت وأحببت أن تليَا خدمتى ؛ فسُرَّتا بذلك — ودخل عليه إسماعيل أخوه ويزيد وسعيد ابناه ، وأمر بالإذن ، فقامت ابنتاه لتتنحّيا ، فقال : وما لهما تَتنحّيان ، وهشام فى كلّ يوم يسوقهنّ إلى الحبس ! فدخل الناس ، ١٨١٦/٢ فقام إسماعيل وابناه دون ابنتيه يستّرونهما ، فقال خالد : خرجتُ غازيًا فى سبيل الله ؛ سامعًا مطيعًا ، فخُلفتُ فى عقِبى ، وأخِذ حُرَمى وحُرَم أهل بيتى ؛ فحبِسوا مع أهل الجرائم كما يفعل بأهل الشرْك ! فما منع عصابةً منكم أن تقوم فتقول : علامَ حُبس حُرَم هذا السامع المطيع ! أخفتم أن تقتلوا جميعًا ! أخافكم الله ! ثم قال : مالى ولهشام ! ليكفنّ عنى هشام أو لأدعونّ إلى عراقىّ الهوى شأمىّ الدار حجازىّ الأصل — يعنى محمد بن علىّ بن عبدالله ابن عباس — وقد أذنت لكم أن تبلّغوا هشامًا . فلما بلغه ما قال ، قال : خرِفَ أبو الهيثم .

وذكر أبو زيد أن أحمد بن معاوية حدّثه عن أبى الخطاب ، قال : قال خالد : أما والله ، لئن ساء صاحب الرُّصافة — يعنى هشامًا — لننصبنّ لنا الشأمىّ الحجازىّ العراقىّ ، ولو نخر نخرةً تداعتْ من أقطارها .

فبلغت هشاماً ، فكتب إليه : إنك هذّاءَةٌ هُذَرَةٌ[1] ، أبِبَجيلة القليلة

---

(١) هذأه بلسانه ، إذا أسمعه ما يكره ، والهذر : الكلام الباطل .

الذليلة تتهدّدنى ! قال : فوالله ما نصره أحد بيدٍ ولا بلسان إلاّ رجل من عبس، فإنه قال :

أَلَا إِنَّ بَحْرَ الجُودِ أَصْبحَ سَاجِيًا أَسِيرَ ثَقيفٍ مُوثَقاً فى السَّلاَسِلِ ١٨١٧/٢

فإنْ تَسْجُنوا القسرىَّ لا تَسْجنوا اسمه ولا تسجنوا معْروفَهُ فى القبائل

فأقام خالد ويزيد وجماعة أهل بيته بدمشق ، ويوسف ملحٌّ على هشام يسأله أن يوجّه إليه يزيد . وكتب هشام إلى كُلثوم بن عياض يأمره بأخْذ يزيد والبعثة به إلى يوسف ، فوجه كلثوم إلى يزيد خيلاً وهو فى منزله ، فشدّ عليهم يزيد ، فأفرجوا له ، ثم مضى على فرسه ، وجاءت الخيل إلى كُلثوم فأخبروه ، فأرسل إلى خالد الغدَ من يوم تنحّى يزيد خيلا ، فدعا خالد بثيابه فلبسَها . وتصارخ النساء ، فقال رجل منهم : لو أمرتَ هؤلاء النسوة فسكتن ! فقال : ولمَ ؟ أمَا والله لولا الطاعة لعَلِم عبد بنى قَسْر أنه لا ينال هذه منى ، فأعلِموه مقالتى ؛ فإن كان عربيًّا كما يزعم ؛ فليطلب جَدّه منى . ثم مضى معهم فحبس فى حَبْس دمشق . وسار إسماعيل من يومه حتى قدم الرُّصافة على هشام ، فدخل على أبى الزبير حاجبه فأخبره بحبس خالد ، فدخل أبو الزُّبير على هشام فأعلمه ، فكتب إلى كُلثوم يعنّفه ، ويقول : خليت عمّن أمرتك بحبسه ، وحبست من لم آمرك بحبسه. ويأمره بتخلية سبيل خالد ، فخلاّه. ١٨١٨/٢

وكان هشام إذا أراد أمراً أمَرَ الأبرش فكتب به إلى خالد ، فكتب الأبرش : إنه بلغ أمير المؤمنين أنّ عبد الرحمن بن ثويب الضِّنّىّ — ضِنة سعد إخوة عُذْرة ابن سعد — قام إليك ، فقال : يا خالد إنى لأحبك لعشر خصال : إنّ الله كريم وأنت كريم ، والله جواد وأنت جواد ، والله رحيم وأنت رحيم ، والله حليم وأنت حليم ... حتى عدّ عشراً ؛ وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن تحقق عنده ذلك ليستحلنّ دَمك ؛ فاكتب إلىّ بالأمر على وجهه لأخبر به أمير المؤمنين . فكتب إليه خالد : إن ذلك المجلس كان أكثر أهلا من أن يجوز لأحد من أهل البغى والفجور أن يحرّف ما كان فيه إلى غيره ؛ قام[1] إلىّ عبد الرحمن ابن ثُويب ، فقال : يا خالد أنى لأحبّك لعشر خصال : إن الله كريم يحبّ

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « فأم » .

كلّ كريم ، والله يحبك وأنا أحبك لحبّ الله إياك ؛ حتى عدّد عشر خصال ؛ ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شقى الحميرىّ إلى أمير المؤمنين ، وقوله : يا أمير المؤمنين ، خليفتك فى أهلك أكرمُ عليك أم رسولك ؟ فقال أمير المؤمنين : بل خليفتى فى أهلى ، فقال ابنُ شقى : فأنت خليفة الله ومحمد رسوله ؛ ولعمرى لضلالة رجل من بَجيلة إن ضلّ أهون على العامة والخاصّة من ضلال أمير المؤمنين . فأقرأ الأبرش هشاماً كتابه ، فقال خَرِفَ أبو الهيثم . ٢/١٨١٩

فأقام خالد بدمشق خلافةَ هشام حتى هلَك ، فلما هلك هشام ، وقام الوليد ، قدم عليه أشراف الأجناد ؛ فيهم خالد ؛ فلم يأذن لأحد منهم . واشتكى خالد ، فاستأذن فأذِن له ، فرجع إلى دمشق ، فأقام أشهراً ، ثم كتب إليه الوليد : إنّ أمير المؤمنين قد علِم حال الخمسين الألف ألف ؛ التى تعلم ، فاقدم على أمير المؤمنين مع رسوله ؛ فقد أمره ألّا يُعجلك عن جِهاز .

فبعث خالد إلى عدّة من ثقاته ، منهم عُمارة بن أبى كلثم الأزدىّ ، فأقرأهم الكتاب ، وقال : أشيروا علىّ ؛ فقالوا : إنّ الوليد ليس بمأمون عليك ؛ فالرأى أن تدخل دمشق ، فتأخذ بيوت الأموال وتدعوَ إلى من أحببت ؛ فأكثرُ الناس قومُك ؛ ولن يختلف عليك رجلان ، قال : أو ماذا ؟ قالوا : تأخذ بيوت الأموال ، وتقيم حتى تتوثّق لنفسك ، قال : أو ماذا ؟ قالوا : أو تتوارى . قال : أما قولكم : تدعو إلى من أحببت ؛ فإنى أكره أن تكون الفرقة والاختلاف على يدى ، وأما قولكم : تتوثّق لنفسك ؛ فأنتم لا تأمنون علىّ الوليد ؛ ولا ذنب لى ، فكيف ترجون وفاءه لى وقد أخذتُ بيوت الأموال ! وأما التوارى ؛ فوالله ما قنّعت رأسى خوفاً من أحد قطّ ؛ فالآن وقد بلغت من السنّ ما بلغت ! لا ، ولكن أمضى وأستعين الله .

فخرج حتى قدم على الوليد ، فلم يدعُ به[1] ، ولم يكلّمه وهو فى بيته[2] ؛ معه مواليه وخدمُه ، حتى قُدِم برأس يحيى بن زيد من خُراسان ، فجمع الناس فى رِواق ، وجلس الوليد ، وجاء الحاجب فوقف ، فقال له خالد : إن حالى ما ترى ؛ لا أقدر على المشى ؛ وإنما أحمَل فى كرسىّ ، فقال ٢/١٨٢٠

---

(١) ب : « فلم يدعه » . (٢) ا ، ح : « ابنتيه » .

الحاجب : لا يدخل عليه أحد يُحمَل ، ثم أذن لثلاثة نَفَر ، ثم قال : قم يا خالد ، فقال : حالى ما ذكرت لك ، ثم أذن لرجل أو رجلين ؛ فقال : قم يا خالد ، فقال : إن حالى ما ذكرت لك ؛ حتى أذن لعشرة ، ثم قال : قم يا خالد ، وأذن للناس كلهم ، وأمر بخالد فحمِل على كرسيّه ؛ فدخِل به والوليد جالس على سريره ، والموائد موضوعة ، والناس بين يديه سماطان ، وشبّة ابن عقّال — أوعقّال بن شبّة — يخطب ، ورأس يحيى بن زيد منصوب ، فمِيل بخالد إلى أحد السماطين ، فلما فرغ الخطيب قام الوليد وصُرِف الناس ، وحُمل خالد إلى أهله ؛ فلما نزع ثيابه جاءه رسول الوليد فردّه ، فلما صار إلى باب السرادق وقف فخرج إليه رسول الوليد ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين : أين يزيد بن خالد ؟ فقال : كان أصابه من هشام ظفر ، ثم طلبه فهرب منه ، وكنا نراه عند أمير المؤمنين حتى [1] استخلفه الله ؛ فلما لم يظهر ظننّاه ببلاد قومه من السّراة [2] ، وما أوشكه . فرجع إليه الرسول ، فقال : لا ولكنك خلّفته طلباً للفتنة . فقال خالد للرسول : قد علم أمير المؤمنين أنّا أهلَ بيت طاعة ، أنا وأبى وجدى — قال خالد : وقد كنت أعلم بسرعة رجعة الرسول ؛ أنّ الوليد قريب حيث يسمع كلامى — فرجع الرّسول ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين ؛ لتأتينّ به أو لأزهقنّ نفسك . فرفع خالد صوتَه ، وقال : قل له : هذا أردتَ ، وعليه دُرْتَ ؛ والله لو كان تحت قدمىَّ ما رفعتُهما لك عنه ؛ فاصنع ما بدا لك ! فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبَسْط عليه ، وقال له : أسمعنى صوته ، فذهب به غَيْلان إلى رَحْله ، فعذّبه بالسلاسل ، فلم يتكلم ، فرجع غَيْلان إلى الوليد ، فقال : والله ما أعذّب إنساناً ؛ والله ما يتكلم ولا يتأوّه ، فقال : اكفُف عنه واحبسه عندك . فحبسه حتى قدم يوسف بن عمر بمال من العراق ، ثم أداروا الأمر بينهم ، وجلس الوليد للناس ويوسف عنده ؛ فتكلّم [3] أبان بن عبد الرحمن النميرىّ فى خالد ، فقال يوسف : أنا أشتريه بخمسين ألف ألف ، فأرسل الوليد إلى خالد : إنّ يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف ؛ فإن كنت تضمنها وإلاّ

١٨٢١/٢

(١) ا : « حين » .
(٢) ط : « الشراة » .
(٣) كذا فى ا ، و فى ط : « فكلم » .

دفعتُك إليه ، فقال خالد : ما عهدت العرب تُباع ؛ والله لو سألتنى أن أضمن هذا — ورفع عوداً من الأرض — ما ضمنتُه ، فرَ رأيك .

فدفعه إلى يوسف ، فنزع ثيابه ودرّعه عباءة ولحفه بأخرى[١] ، وحمله فى محمل بغير وطاء ، وزميله أبوقحافة المُرىّ ابن أخى الوليد بن تَلِيد — وكان عامل هشام على الموصل — فانطلق به حتى نزل المحدَثة ، على مرحلة من عسكر الوليد . ثم دعا به فذكر أمّه ، فقال : وما ذكر الأمهات لعنك الله ! والله لا أكلمك كلمة أبداً . فبسط عليه ، وعذّبه عذاباً شديداً [وهو][٢] لا يكلّمه كلمة . ثم ارتحل به حتى إذا كان ببعض الطريق بعث إليه زيد بن تميم القينىّ بشربة سويق حبّ رمّان مع مولى له يقال له سالم النفّاط ، فبلغ يوسف فضرب زيداً خمسمائة سوط ، وضرب سالماً ألف سوط . ثم قدم يوسف الحيرة فدعا به وبإبراهيم ومحمد ابنى هشام فبسط على خالد ، فلم يكلّمه ، وصبر إبراهيم ابن هشام وخَرِعَ[٣] محمد بن هشام . فمكث خالد يوماً فى العذاب ، ثم وَضع على صدره المضرّسة فقتله من الليل ، ودفن بناحية الحيرة فى عباءته التى كان فيها ، وذلك فى المحرّم سنة ست وعشرين ومائة فى قول الهيثم بن عدىّ ، فأقبل عامر بن سهلة الأشعرىّ فعقر فرسه على قبره ، فضربه يوسف سبعمائة سوط .

٢/١٨٢٢

قال أبو زيد : حدّثنى أبو نُعيم قال : حدّثنى رجل ، قال : شهدتُ خالداً حين أتِىَ به يوسف ، فدعا بعود فوضع على قدميه ، ثم قامت عليه الرّجال حتى كسرت قدماه ؛ فوالله ما تكلّم ولا عبس ، ثم على ساقيه حتى كُسِرتا ، ثم على فخذيه ثم على حَقْويه ثم على صدره حتى مات ، فوالله ما تكلم ولا عبس ، فقال خلف بن خليفة لما قتِل الوليد بن يزيد :

٢/١٨٢٣

لقد سَكَّنَتْ كلبٌ وأسباقُ مَذْحِجٍ ... صَدًى كان يَزْقو لَيْلَهُ غيرَ راقِدِ
تَرَكْنَ أميرَ المؤمنينَ بخالدٍ ... مُكِبًّا على خَيْشُومِهِ غيرَ ساجِدِ
فإنْ تَقْطَعُوا مِنّا مَناطَ قلادَةٍ ... قَطَعْنا به منكمْ مَناطَ قَلائِدِ

---

(١) ا : «أخرى» .
(٢) من ا .
(٣) ا ، ح «خرج» .

وَإنْ تَشْغَلُونا عن ندانا فإنَّنا شَغلنا الوليدَ عن غناءِ الولائد
وَإنْ سافَرَ القَسرىّ سَفْرَةَ هالكٍ فإنَّ أَبا العباسِ ليسَ بشاهِدِ

وقال حسان بن جعدة الجعفرىّ يكذّب خلف بن خليفة فى قوله هذا :

إنَّ امْرَأً يَدَّعِى قتلَ الوليدِ سِوَى أَعمامِهِ لَمَلِىء النفسِ بالكَذِب
ما كانَ إلا امْرَأً حانَتْ مَنِيَّتُهُ سَارتْ إليه بنو مرْوانَ بالعَرَبِ

وقال أبو محْجن مولى خالد :

سائلْ وَليدًا وسائلْ أَهلَ عسكَرِهِ غداة صَبَّحهُ شُؤبُوبُنا البَرِدُ
هلْ جاءَ مِنْ مُضَرٍ نَفْسٌ فتَمْنَعَهُ والخَيْلُ تحْتَ عجاجِ الموتِ تَطّرِدُ ٢/١٨٢٤
منْ يهْجُنا جاهِلاً بالشِّعْر نَنْقُضُهُ بالبيض إنا بِها نَهْجُو ونَفْتئدُ

وقال نصر بن سعيد الأنصارىّ :

أَبْلغْ يَزيدَ بَنِى كرْزٍ مُغَلْغَلَةً أَنى شُفيتُ بِغَيْب غَيْرَ مَوْتُور
قَطَعْتَ أَوْصال قَنُّورٍ على حَنَقٍ بصَارِمٍ مِنْ سُيُوفِ الهِنْدِ مَأْثورِ
أَمْسَتْ حلائلُ قَنُّورٍ مُجَدَّعَةً لِمَصْرَعِ العبدِ قنُّورِ بن قَنُّور
ظلّتْ كِلابُ دِمَشْقٍ وَهْىَ تَنْهَشُهُ كأَنَّ أَعضاءَهُ أَعضاءُ خنزِير
غادَرْنَ مِنْهُ بقايا عِنْدَ مَصْرَعِهِ أَنقاضَ شِلْوٍ على الأَطْنَابِ مَجْرور
حكّمْتَ سَيْفكَ إذلَمْ تَرْضَ حكمَهُمُ وَالسَّيْفُ يحكمُ حكْماً غَيْر تعذِير
لا تَرْضَ مِنْ خالد إنْ كُنْتَ مُتَّئرًا إلا بكلِّ عَظِيم المُلكِ مَشْهُورِ
أَسعرْتَ مُلكَ نِزَارٍ ثُمَّ رُعْتَهُمُ بالخيْلِ ترْكُضُ بالشّمّ المَغَاوير ٢/١٨٢٥
ما كانَ فى آل قَنُّور ولا وَلَدوا عَدْلاً لبدرْ سَماء ساطِعِ النّور

* * *

[ذكر بيعة يزيد بن الوليد الناقص]

وفى هذه السنة بويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك ؛ الذى يقال له يزيد الناقص؛ وإنما قيل: يزيد الناقص لنقصه الناس الزيادة التى زادهموها الوليد

ابن يزيد فى أعطياتهم ؛ وذلك عشرة عشرة ، فلما قتِل الوليد نقصهم تلك الزيادة ؛ وردّ أعطياتهم إلى ما كانت عليه أيام هشام بن عبد الملك.

وقيل: أوّل مَن سماه بهذا الاسم مروان بن محمد، حدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : شتم مروان بن محمد يزيدَ بن الوليد فقال : الناقص بن الوليد ؛ [١] فسمّاه الناس [١] الناقصَ لذلك .

* * *

[ذكر اضطراب أمر بنى مروان]

وفى هذه السنة اضطرب حبل بنى مروان وهاجت الفتنة .

• ذكر الخبر عما حدث فيها من الفتن :

فكان فى ذلك وثوب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد ما قتِل الوليد بن يزيد بعمّان . فحدثنى أحمد بن زهير، عن علىّ بن محمد قال : لما قتِل الوليد خرج سليمان بن هشام من السجن ، وكان محبوسًا بعَمّان ، فأخذ ما كان بعمّان من الأموال ، وأقبل إلى دمشق ، وجعل يلعن الوليد و يعيبه بالكفر .

* * *

[ذكر خلاف أهل حمص]

١٨٢٦/٢ وفيها كان وثوب أهل حِمْص بأسباب العباس بن الوليد وهدمهم داره وإظهارهم الطلب بدم الوليد بن يزيد .

• ذكر الخبر عن ذلك :

حدّثنى أحمد عن علىّ ، قال : كان مَرْوان بن عبد الله بن عبد الملك عاملاً للوليد على حِمْص ، وكان من سادة بنى مَرْوان نُبلاً وكرمًا وعقلاً وجمالاً ، فلما قُتِل الوليد بلغ أهلَ حمص قتلُه ، فأغلقوا أبوابها ، وأقاموا النوائح والبواكى على الوليد ، وسألوا عن قتله ، فقال بعض من حضرهم : مازلنا منتصفين من القوم قاهرين لهم ؛ حتى جاء العباس بن الوليد ، فمال إلى عبد العزيز بن الحجاج . فوثب أهل حمْص فهدموا دارَ العباس وانتهبوها وسلبوا حُرَمه ، وأخذوا بنيه فحبسوهم وطلبوه . فخرج إلى يزيد بن الوليد . وكاتبوا الأجناد ، ودعوْهم إلى الطلب بدم الوليد ؛ فأجابوهم . وكتب أهل

(١-١) كذا فى ا ، وفى ط : «فسماه الناقص ، فسماه الناس» .

حمص بينهم كتابا؛ ألاّ يدخلوا فى طاعة يزيد ؛ وإن كان وليًّا عهد الوليد حيَّين قاموا بالبيعة لهما وإلا جعلوها لخير من يعلمون؛ على أن يُعطيهم العطاء من المحرّم إلى المحرّم ، ويعطيهم للذرّية . وأمَّرُوا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين ، فكتب إلى مروان بن عبد الله بن عبد الملك وهو بحِمْص فى دار الإمارة ، فلما قرأه قال : هذا كتاب حَضَرَه من الله حاضر . وتابعهم على ما أرادوا .

فلما بلغ يزيدَ بنَ الوليد خبرهم ، وجّه إليهم رسُلاً فيهم يعقوب بن هانئ ، وكتب إليهم :إنه ليس يَدْعو إلى نفسه، ولكنه يدعوهم إلى الشورى . فقال عمرو بن قيس السَّكونىّ : رضينا بولىّ عهدنا — يعنى ابن الوليد بن يزيد — فأخذ يعقوبُ بن عمير بلحيته، فقال : أيها العَشَمة ، إنك قد فيّلت[1] وذهب عقلُك ؛ إن الذى تعنى لو كان يتيماً فى حِجْرك لم يحلّ لك أن تدفع إليه ماله ، فكيف أمر الأمَّة ! فوثب أهل حِمْص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم . ١٨٢٧/٢

وكان أمر حِمْص لمعاوية بن يزيد بن حُصَيْن ، وليس إلى مروان بن عبد الله من أمرهم شىء ، وكان معهم السّمط بن ثابت ، وكان الذى بينه وبين معاوية بن يزيد متباعداً . وكان معهم أبو محمد السفيانىّ فقال لهم : لوقد أتيتُ دمشق ، ونظر إلىّ أهلها لم يخالفونى[2] . فوجّه يزيد بن الوليد مَسْرُور ابن الوليد والوليد بن رَوْح فى جمع كبير ، فنزلوا حُوّارين ، أكثرهم بنو عامر من كلْب . ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام فأكرمه يزيد ، وتزوّج أخته أم هشام بنت هشام بن عبد الملك ، وردّ عليه ما كان الوليد أخذه من أموالهم ، ووجّهه إلى مسرور بن الوليد والوليد بن رَوْح ، وأمرهما بالسمع والطاعة له . وأقبل أهل حِمْص فنزلوا قرية لخالد بن يزيد بن معاوية .

حدّثنى أحمد ، قال : حدّثنا علىّ ، عن عمرو بن مروان الكلبىّ ، قال : حدّثنى عمرو بن محمد ويحيى بن عبد الرحمن البَهرانىّ ، قالا : قام مَرْوان بن عبد الله ، فقال : يا هؤلاء ؛ إنكم خرجتم لجهاد عدوّكم والطلب ١٨٢٨/٢

---

(١) شيخ عشمة ؛ أى كبير هرم يابس من الهزال . يقال: فال الرجل وفيل (بتشديد الياء)؛ إذا لم يصب فيه .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط : «وأنظر إلى أهلها لم تخالفنى» .

بدم خليفتكم ، وخرجتم مخرجاً أرجو أن يُعظِم الله به أجرَكم ، ويحسن عليه ثوابكم ، وقد نجم لكم منهم قَرْن ، وشال إليكم منهم عُنُق ، إن أنتم قطعتموه اتبعه ما بعده ، وكنتم عليه أحرى ، وكانوا عليكم أهون ، ولست أرى المضيّ إلى دمشق وتخليف هذا الجيش خلفكم . فقال السِّمط : هذا والله العدوّ القريب الدار ؛ يريد أن ينقض جماعتَكم ؛ وهو مُمَايل للقَدريَّة . قال : فوثب الناس على مروان بن عبد الله فقتلوه وقتلوا ابنه ، ورفعوا رأسيْهما للناس ؛ وإنّما أراد السِّمط بهذا الكلام خلافَ معاوية بن يزيد ، فلما قُتِل مروان بن عبد الله ولَّوْا عليهم أبا محمد السفيانيّ ، وأرسلوا إلى سليمان بن هشام : إنا آتوك فأقِم بمكانك ؛ فأقام . قال : فتركوا عسكر سليمان ذاتَ اليسار ، ومضوْا إلى دمشق ، وبلغَ سليمان مضيّهم ، فخرج مُغِذًّا ، فلقيهم بالسليمانية — مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء من دمشق على أربعة عشر ميلا .

قال عليّ : فحدثني عمرو بن مروان بن بشّار والوليد بن عليّ ، قالا : لما بلغ يزيدَ أمرُ أهل حِمْص دعا عبد العزيز بن الحجاج ، فوجّهه في ثلاثة آلاف ، وأمره أن يثبت على ثنيّة العُقاب ، ودعا هشام بن مصاد ، فوجّهه في ألف وخمسمائة ، وأمره أن يثبت على عقبة السلامة ، وأمرهم أن يُمِدّ بعضُهم بعضا .

قال عمرو بن مروان : فحدّثني يزيد بن مَصاد ، قال : كنت في عسكر سليمان ، فلحقنا أهل حِمْص ، وقد نزلوا السليمانيّة ، فجعلوا الزيتون على أيمانهم ، والجبَل على شمائلهم ، والجِباب خلفهم ؛ وليس عليهم مأتًى إلا من وجْه واحد ، وقد نزلوا أوّل الليل ، فأراحوا دوابّهم ، وخرجنا نسري ليلتَنا كلَّها ، حتى دفعنا إليهم ؛ فلما متَع [1] النهار واشتدّ الحرّ ، ودوابنا قد كلّت وثقل علينا الحديد ، دنوت من مسرور بن الوليد ، فقلت له — وسليمان يسمع كلامي : أنشدك الله يا أبا سعيد أن يُقدِم الأمير جندَه إلى القتال في هذه الحال! فأقبل سليمان فقال : يا غلام ، اصبر نفسَك ، فوالله لا أنزل حتى يقضيَ الله

١٨٢٩/٢

(١) متع النهار : طال وامتد .

بينى وبينهم ما هو قاض . فتقدّم وعلى ميمنته الطُّفيل بن حارثة الكلبىّ ، وعلى ميسرته الطُّفَيل بن زرارة الحبشىّ ، فحملوا علينا حَمْلةً ، فانهزمت الميمنة والميسرة أكثر من غَلْوتين ، وسليمان فى القلْب لم يزُل من مكانه ؛ ثم حمل عليهم أصحاب سليمان حتى ردّوهم إلى موضعهم ؛ فلم يزالوا يحملون علينا ونحمل عليهم مراراً ، فقتِل منهم زُهاء مائتى رجل ، فيهم حرب بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وأصيب من أصحاب سليمان نحوٌ من خمسين رجلاً ، وخرج أبو الهَلباء البَهْرانىّ – وكان فارسَ أهل حمْص – فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه حيّة بن سلامة الكلبىّ فطعنه طعنة أذراه عن فرسه ، وشدّ عليه أبو جعدة (مولًى لقريش من أهل دمشق) فقتله ، وخرج ثُبيت ابن يزيد البهرانىّ ، فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه إيراك السُّغدىّ ؛ من أبناء ملوك السُّغد كان منقطعاً إلى سليمان بن هشام – وكان ثبيت قصيراً ، وكان إيراك جسيماً – فلما رآه ثُبيت قد أقبل نحوه استطرد ، فوقف إيراك ورماه بسهم فأثبت[1] عضلة ساقه إلى لبْده . قال : فبينا هم كذلك إذ أقبل عبد العزيز من ثَنيّة العُقَاب ، فشدّ عليهم ، حتى دخل عسكرهم فقتَل ونفذ إلينا . ١٨٣٠/٢

[قال أحمد[2]] : قال علىّ : قال عمرو بن مروان : فحدّثنى سليمان بن زياد الغسانىّ قال : كنت مع عبد العزيز بن الحجاج ؛ فلما عاين عسكر أهل حمص ، قال لأصحابه : موعدكم التلّ الذى فى وسط عسكرهم ؛ والله لا يتخلّف منكم أحدٌ إلاّ ضربتُ عنقه . ثم قال لصاحب لوائه : تقدّم ، ثم حمل وحملنا معه ؛ فما عرض لنا أحد إلا قُتِل حتى صرنا على التلّ ، فتصدّع[3] عسكرهم ، فكانت هزيمتهم ، ونادى يزيد بن خالد بن عبد الملك القسرىّ : الله الله فى قومك ! فكفّ الناس ، وكره ما صنع سليمان وعبد العزيز ؛ وكاد يقع الشرّ بين الذّكوانيّة وسليمان وبين بنى عامر من كلْب ، فكفّوا عنهم ؛ علَى أن يبايعوا ليزيد ابن الوليد . وبعث سليمان بن هشام إلى أبى محمد السفيانىّ ويزيد خالد بن يزيد بن معاوية فأخِذا ، فمرّ بهما على الطُّفيل بن حارثة ، فصاحا به : يا خالاه ! ننشدك الله والرّحِم ! فمضى معهما إلى سليمان فحبسهما ، فخاف

(١) أثبته ، أى أصابه . (٢) من ا . (٣) ط : « فصدع » ، وما أثبته من ا .

بنو عامر أن يقتلـَهما ، فجاءت جماعة منهم ؛ فكانت معهما فى الفُسطاط ، ثم وجـّههما إلى يزيد بن الوليد ، فحبسهما فى الخـَضْراء مع ابنى الوليد ، وحبس أيضًا يزيد بن عثمان بن محمّد بن أبى سفيان ؛ خال عثمان بن الوليد معهم . ثم دخل سليمان وعبد العزيز إلى دمشق ؛ ونزلا بعذراء . واجتمع أمرُ أهل دمشق ، وبايعوا يزيد بن الوليد ، وخرجوا إلى دمشق وحِمْص وأعطاهم يزيد العـَطـَاء ، وأجاز الأشراف منهم معاوية بن يزيد بن الحصين والسِّمط بن ثابت وعمرو بن قيس وابن حُوَىّ والصقر بن صفوان ؛ واستعمل معاوية بن يزيد بن حصين من أهل حمص ، وأقام الباقون بدمشق ، ثم ساروا إلى أهل الأردنّ وفِلسطين وقد قتل من أهل حِمْص يومئذ ثلثمائة رَجُل . ١٨٣١/٢

* * *

[ذكر خلاف أهل الأردنّ وفلسطين]

وفى هذه السنة وثب أهلُ فلسطين والأردنّ على عاملهم فقتلوه[1] .

* ذكر الخبر عن أمرهم وأمر يزيد بن الوليد معهم :

حدّثنى أحمد ، عن علىّ بن محمد ، عن عمرو بن مروان الكلبىّ ، قال : حدثنى رجاء بن رَوْح بن سلامة بن رَوْح بن زنباع ، قال : كان سعيد بن عبد الملك عاملاً للوليد على فِلَسطين ، وكان حسَن السيرة ، وكان يزيد بن سليمان سيّد ولد أبيه ، وكان ولد سليمان بن عبد الملك ينزلون فلسطين ، فكان أهلُ فلسطين يحبّونهم لجوارهم ؛ فلما أتى قتلُ الوليد — ورأس أهل فلسطين يومئذ سعيد بن روْح بن زنباع — كتب إلى يزيد بن سليمان : إن الخليفة قد قُتِل فاقدم علينا نولّك أمرنا . فجمع له سعيد قومَه ، وكتب إلى سعيد بن عبد الملك — وهو يومئذ نازل بالسبْع : ارتحل عنّا ، فإنّ الأمر قد اضطرب ؛ وقد ولينا أمرنا رجلا قد رضينا أمره . فخرج إلى يزيد بن الوليد ، فدعا يزيد ابن سليمان أهلَ فلسطين إلى قتال يزيد بن الوليد ، وبلغ أهلَ الأردنّ أمرُهم ، فولـَّوْا عليهم محمد بن عبد الملك — وأمْرُ أهلِ فلسطين إلى سعيد بن رَوْح وضِبْعان بن رَوْح — وبلغ يزيدَ أمرُهم ، فوجّه إليهم سليمان بن هشام فى أهل دِمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفيانىّ .

---

(١) من نسخة على حاشية ا : « فطردوه » .

١٨٣٢/٢ قال عليّ : قال عمرو بن مروان : حدّثني محمد بن راشد الخُزاعيّ أنّ أهل دمشق كانوا أربعة وثمانين ألفاً ، وسار إليهم سليمان بن هشام . قال محمد بن راشد : وكان سليمان بن هشام يرسلني إلى ضِبْعان وسعيد ابنَيْ رَوْح وإلى الحكَم وراشد ابني جِرْو من بَلْقين ، فأعِدُهم وأمنّيهم على الدخول فى طاعة يزيد بن الوليد ، فأجابوا .

قال : وحدّثني عثمان بن داود الخوْلانيّ ، قال : وجّهني يزيد بن الوليد ومعي حذيفة بن سعيد إلى محمد بن عبدالملك ويزيد بن سليمان، يدعوهما إلى طاعته ، ويعدهما ويمنّيهما ، فبدأنا بأهل الأردنّ ومحمد بن عبد الملك ، فاجتمع إليه جماعة منهم ؛ فكلّمتُه فقال بعضهم : أصلح الله الأمير ! (١ اقتل هذا القدَريّ الخبيث ، فكفهم عنى الحكم بن جرو القيني. فأقيمت١) الصلاة فخلوتُ به ، فقلتُ: إنى رسول يزيد إليك ، والله ما تركت ورائى راية تُعْقَدُ إلاّ على رأس رجل من قومك، ولا درهم يخرج من بيت المال إلاّ فى يد رجل منهم ؛ وهو يحمل لك كذا وكذا . قال : أنت بذاك ؟ قلت : نعم: ثم خرجت فأتيت ضِبْعان بن رَوْح ، فقلت له مثل ذلك ، وقلت له : إنه يوليك فلسطين ما بَقِيَ ، فأجابني فانصرفت ، فما أصبحت حتى رَحل بأهل فلسطين .

حدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو بن مَرْوان الكلبيّ ، قال : سمعتُ محمد بن سعيد بن حسان الأردنيّ ، قال : كنت عَيْناً ليزيد بن الوليد بالأردنّ ، فلما اجتمع له ما يريد ولّى فى خراج الأردنّ ، فلما خالفوا يزيد بن الوليد أتيتُ سليمان بن هشام ، فسألته أن يوجّه معي خيلاً ، فأشنّ الغارة على طَبَريّة ، ١٨٣٣/٢ فأبى سليمان أن يوجّه معي أحداً ، فخرجت إلى يزيد بن الوليد ، فأخبرته الخبر ، فكتب إلى سليمان كتاباً بخطه ، يأمره أن يوجه معي ما أردت ؛ فأتيتُ به سليمان ، فوجه معي مسلم بن ذَكْوان فى خمسة آلاف ، فخرجت بهم ليلاً حتى أنزلتهم البطيحة ، فتفرّقوا فى القُرى ، وسرت أنا فى طائفة منهم نحو طبريّة ، وكتبوا إلى عسكرهم ، فقال أهل طَبَريّة : علام نقيم والجنود تجوس منازلنا وتحكم فى أهالينا ! ومضوا إلى حجرة يزيد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك ،

(١-١) ط : « أقبل هذا الفتى، أقيمت » ، والصواب ما أثبته من ا .

فانتهبوهما وأخذوا دوابّهما وسلاحهما ، ولحقوا بقراهم ومنازلهم ؛ فلما تفرّق أهلُ فلسطين والأردنّ ، خرج سليمان حتى أتى الصِّنَّبْرَة ، وأتاه أهل الأردنّ ، فبايعوا ليزيد بن الوليد ؛ فلما كان يوم الجمعة وجّه سليمان إلى طَبَريّة ، وركب مركباً فى البحيرة ، فجعل يسايرهم حتى أتى طبرية ، فصلى بهم الجمعة ، وبايع مَنْ حضر ثم انصرف إلى عسكره .

حدثنى أحمد ، قال : حدّثنا علىّ ، عن عمرو بن مَرْوان الكلبىّ ، قال : حدّثنى عثمان بن داود ، قال : لما نزل سليمان الصِّنَّبرة ، أرسلنى إلى يزيد بن الوليد ، وقال لى : أعلِمْه أنك قد علمت جفاء أهل فلسطين ، وقد كفى الله مئونتهم ، وقد أزمعت على أن أولِّىَ ابنَ سراقة فلسطين والأسود بن بلال المحاربىّ الأردنّ . فأتيت يزيد ، فقلت له ما أمرنى به سليمان ، فقال : أخبرنى كيف قلت لضِبْعان بن رَوْح ؟ فأخبرته ، قال : فما صنع ؟ قلت : ارتحلَ بأهل فلسطين ، وارتحل ابن جِرْو بأهل الأردنّ قبل أن يُصْبحا . قال : فليسا بأحقّ بالوفاء منا ، ارجع فمرْه ألّا ينصرف حتى ينزل الرمْلة ، فيبايعْ أهلها ، وقد استعملتُ إبراهيم بن الوليد على الأردنّ وضِبعان بن رَوْح على فلسطين ومسرور بن الوليد على قنَّسرين وابن الحصين على حِمْص . ١٨٣٤/٢

* * *

ثم خطب يزيد بن الوليد بعدقَتْل الوليد ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

أيها الناس ؛ إنى والله ما خرجتُ أشَراً ولا بطراً ولا حرصًا على الدنيا ، ولا رغبة فى الملك ، وما بى إطراء نفسى ؛ إنى لظلوم لنفسى إن لم يرحمْنى ربى [1] ؛ ولكنى خرجتُ غضباً لله ورسوله ودينه ، داعياً إلى الله وكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ لمّا هدمت معالم الهدى ، وأطفِئ نور أهل التقوى [2] ، وظهر الجبّار العنيد ، المستحلّ لكل حرمة ، والرّاكب لكلّ بدعة ؛ مع أنه والله ما كان يصدّق بالكتاب ، ولا يؤمن بيوم الحساب ؛ وإنه لابنُ عمّى فى الحسب ، وكفيِّى فى النسب [3] ؛ فلما رأيتُ ذلك استخرت الله فى أمره ، وسألته ألّا يكلنى إلى

---

(١) ا ، البيان : « وإنى لظلوم لها ، ولقد خسرت إن لم يرحمنى ربى » .

(٢) البيان : « نور التقى » . (٣) البيان : « لابن عمى فى النسب ، وكفيّ فى الحسب » .

نفسى ، ودعوت إلى ذلك مَن أجابنى من أهل ولايتى ، وسعيت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد بحوْل الله وقوّته ، لا بحوْلى وقوتى .

أيّها الناس ، إنّ لكم علىّ ألاّ أضع حجراً على حجر ، ولا لَبِنة على لَبِنة ؛ ولا أكْرِى[1] نهراً ، ولا أكثِر[2] مالا ، ولا أعطيه زوجة ولا ولدا ، ولا أنقل مالا من بلدة إلى بلدة حتى أسدّ ثغر ذلك البلد وخصاصة[3] أهله بما يُعينُهم ؛ فإن فَضل فضلٌ[4] نقلته إلى البلد الذى يليه ؛ ممن هو أحوج إليه ؛ ولا أجمّركم فى ثغوركم فأفتنَكم وأفتِن أهليكم ؛ ولا أغلِق بابى دونَكم ؛ فيأكل قويّكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جِزْيتكم ما يُجْليهم عن بلادهم ويقطع نسلهم ؛ وإنّ لكم أعطياتِكم عندى فى كلّ سنة وأرزاقكم فى كلّ شهر ؛ حتى تستدرّ المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصاهم كأدناهم ، فإن وفيتُ لكم بما قلت ؛ فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة ، وإن أنا لم أفِ فلكم أن تخلعونى ؛ إلا أن تستتيبونى ؛ فإن تبتُ قبلتم منى ، فإن علمتم أحداً ممن يُعرَفُ بالصلاح يُعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه ؛ فأنا أوّل مَن يبايعه ، ويدخل فى طاعته .

أيّها الناس ، إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، ولا وفاء له بنقض عهد ؛ إنما الطاعة طاعة الله ؛ فأطيعوه بطاعة الله ما أطاع ، فإذا عصى الله ودعا إلى المعصية ؛ فهو أهل أن يُعصَى ويُقتل . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم[5] .

ثم دعا الناس إلى تجديد البيعة له ، فكان أول مَن بايعه الأفقم يزيد بن هشام . وبايعه قيس بن هانئ العبسىّ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اتّق الله ، ودُمْ على ما أنت عليه ، فما قام مقامك أحدٌ من أهل بيتك ؛ وإن قالوا : عمر بن عبد العزيز فأنت أخذتها بحبل صالح ، وإن عمر أخذها بحبل سوء . فبلغ مروان بن محمد قولُه ، فقال : ما له قاتله الله ذمّنا جميعًا وذمّ عمر !

١٨٣٥/٢ — ١٨٣٦/٢

---

(١) كرى النهر : احتفره .
(٢) البيان : « ولا أكنز » .
(٣) الخصاصة : الفقر .
(٤) ط : « فضلة » .
(٥) الخطبة أوردها الجاحظ فى البيان والتبيين ٢ : ١٤١ ، ١٤٢ .

فلما ولىَ مروان بعث رجلا ، فقال : إذا دخلتَ مسجد دمشق فانظر قيس ابن هانئ ، فإنه طالما صلّى فيه ، فاقتله ؛ فانطلق الرجل ، فدخل مسجد دمشق ، فرأى قَيْسًا يصلى فقتله .

* * *

وفى هذه السنة عَزل يزيد بن الوليد يوسفَ بن عمر عن العراق وولاها منصورَ بن جُمْهور .

ذكر الخبر عَنْ عزل يوسف بن عمر وولاية منصور بن جُمْهور :

ولما استوثق ليزيد بن الوليد على الطاعة أهل الشأم، ندب — فيما قيل — لولاية العراق عبدَ العزيز بن هارون بن عبد الله بن دحية بن خليفة الكلبىّ ، فقال له عبد العزيز : لو كان معى جند لقبلت ، فتركه وولّاها منصور بن جمهور .

وأما أبو مِخنف، فإنه قال — فيما ذكر هشام بن محمد عنه : قتِل الوليد ابن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء، لِليلتين بقيَتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وبايع الناس يزيد بن الوليد بن عبد الملك بدمشق ، وسار منصور بن جمهور من البَخْراء فى اليوم الذى قتِل فيه الوليد بن يزيد إلى العراق ، وهو سابع سبعة ، فبلغ خبرُه يوسفَ بن عمر فهرب . وقدم منصور بن جمهور الحيرة فى أيام خَلَون من رجب، فأخذ بيوت الأموال ، فأخرج العطاء لأهل العطاءِ والأرزاق، واستعمل حُرَيث بن أبى الجهم على وَاسط ، وكان عليها محمد بن نُباتة، فطرقه ليلا فحبسه وأوثقه ، واستعمل جرير بن يزيد بن يزيد بن جرير على البصرة،وأقام منصور وولّى العمال ، وبايع ليزيد بن الوليد بالعراق ، وفى كورها ، وأقام بقيّة رجب وشعبان ورمضان، وانصرف لأيام بَقِينَ منه . ١٨٣٧/٢

وأما غيرُ أبى مخنف فإنه قال : كان منصور بن جمهور أعرابيًّا جافياً غَيْلانيًّا، ولم يكن من أهل الدّين؛ وإنما صار مع يزيد لرأيه فى الغَيْلانيّة، وحميّةً لقتل خالد، فشهد لذلك قتل الوليد ، فقال يزيد له لما ولاه العراق : قد وليتُك العراق فسر إليه ، واتّق الله ، واعلم أنى إنما قتلت الوليد لفسقه

ولِمَا أظهرَ من الجَوْر ؛ فلا ينبغى لك أن تركب مثل ما قتلناه عليه . فدخل على يزيد بن الوليد يزيدُ بن حجرة الغسانىّ — وكان دَيِّناً فاضلا ذا قَدْر فى أهل الشأم ، قد قاتل الوليد ديانةً — فقال : يا أمير المؤمنين ، أولّيتَ منصوراً العراق ؟ قال : نعم ، لبلائه وحسن معونته ، قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنه ليس هناك فى أعرابيّته وجفائه فى الدين . قال : فإذًا لمْ أولِّ منصوراً فى حسن معاونته فمَنْ أوَلِّى ! قال : تولِّى رجلاً من أهل الدين والصلاح والوقوف عند الشبهات ، والعلم بالأحكام والحدود ؛ ومالى لا أرى أحداً من قيس يغشاك ، ولا يقف ببابك ! قال : لولا أنه ليس من شأنى سفك الدماء لعاجلتُ قيساً ؛ فوالله ما عزَّتْ إلاّ ذلّ الإسلام .

ولما بلغ يوسفَ بن عمر قتلُ الوليد ، جعل يعمِد إلى مَن بحضرته من اليمانيّة فيلقيهم فى السُّجون ، ثم جعل يخلُو بالرجل بعد الرّجل من المضريّة ، فيقول له : ما عندك إن اضطرب حبل أو انفتق فَتْق ؟ فيقول : أنا رجل من أهل الشأم ، أبايع مَنْ بايعوا ، وأفعل ما فعلوا . فلم يرَ عندهم ما يحبّ ، فأطلَق مَنْ فى السجون من اليمانية ، وأرسل إلى الحجاج بن عبد الله البصرىّ ومنصور ابن نصير — وكانا على خَبَر ما بينه وبين أهل الشأم — فأمرهما بالكتاب إليه بالخَبر ، وجعل على طريق الشأم أرصادا ، وأقام بالحيرة وجلا . وأقبل منصور حتى إذا كان بالجمع ؛ كتب إلى سُليمان بن سُليم بن كيسان كتاباً : ٢/١٨٣٨

أما بعد ، فإن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ؛ وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له ؛ وإنّ الوليدَ بن يزيد بدّل نعمة الله كفراً ، فسفَك الدّماء ، فسفك الله دّمه ، وعجّله إلى النار ! وولى خلافته مَنْ هو خيرٌ منه ، وأحسن هدياً ؛ يزيد بن الوليد ، وقد بايعه الناس ، وولّى على العراق الحارثَ بن العباس بن الوليد ، ووجّهنى العباس لآخذ يوسف وعماله ، وقد نزل الأبيض ، ورائى على مرحلتين ؛ فخذ يوسف وعماله ، لا يفوتنّك منهم أحد ، فاحبسهم قِبَلك . وإياك أن تخالف ، فيحلّ بك وبأهل بيتك ما لاقِبَل لك به ؛ فاختر[١] لنفسك أو دَعْ .

---

(١) ا : « فانظر » .

وقيل إنه لما كان بعين التَّمْر كتب إلى مَنْ بالحيرة من قوّاد أهل الشأم يُخبرهم بقتل الوليد، ويأمرهم بأخذ يوسف وعماله . وبعث بالكتب كلها إلى سليمان بن سُليم بن كَيْسان ، وأمره أن يفرّقها على القوّاد، فأمسكها سليمان ، ودخل على يوسف ، فأقرأه كتاب منصور إليه ، فبَعِل به[1] .

١٨٣٩/٢ قال حُريث بنُ أبى الجهم : كان مكثى بواسط ؛ فما شعرت إلا بكتاب منصور بن جمهور قد جاءنى أن خذْ عمال يوسف ، فكنت أتولّى أمره بواسط ، فجمعت موالىّ وأصحابى ، فركبنا نحواً من ثلاثين رجلا فى السلاح ؛ فأتينا المدينة، فقال البوابون : مَنْ أنت ؟ قلتُ : حُرَيث بن أبى الجهم، فقالوا : نقسم بالله ما جاء بحريث إلا أمر مهمّ ؛ ففتحوا الباب فدخلنا ، فأخذنا العامل فاستسلم ، وأصبحنا فأخذنا البَيْعة من الناس ليزيد بن الوليد.

قال : وذكر عمر بن شجرة أنّ عمرو بن محمد بن القاسم كان على السِّند ، فأخذ محمد بن غزّان – أو عِزّان – الكلبىّ ، فضربه وبعث به إلى يوسف ، فضربه وألزمه مالاً عظيماً يؤدّى منه فى كل جمعة نجماً ، وإن لم يفعل ضرب خمسة وعشرين سوطاً ، فجفّت يده وبعض أصابعه ، فلما ولى منصور ابن جمهور العراق ولاّه السِّند وسجِسْتان ، فأتى سجِسْتان فبايع ليزيد ، ثم سار إلى السند ، فأخذ عمرو بن محمد ، فأوثقه وأمر به حرَساً يحرسونه ، وقام إلى الصلاة ، فتناول عمرو سيفاً مع الحرَس ، فاتّكأ عليه مسلولاً حتى خالط جوفه ، وتصايح الناسُ ؛ فخرج ابن غَزّان فقال : ما دعاك إلى ما صنعت ؟ قال : خفت العذاب ، قال : ما كنت أبلغ منك ما بلغتَه من نفسك . فلبث ثلاثاً ثم مات ، وبايع ابن غزّان ليزيد ؛ فقال يوسف بن عمر لسليمان بن سليم بن كيسان الكلبىّ حين أقرأه كتاب منصور بن جمهور : ما الرأى ؟ قال : ليس لك إمام تقاتل معه ، ولا يقاتل أهل الشأم الحارث بن العباس معك ، ولا آمن عليك منصور بن جمهور إن قدم عليك ، وما الرّأى

١٨٤٠/٢ إلا أن تلحق بشأمك ؛ قال : هو رأيى ، فكيف الحيلة ؟ قال : تظهر الطاعة

---

(١) بعل به ؛ أى تبرم فلم يدر ما يصنع ، والبعل : الضجر والتبرم بالشىء .

ليزيد ، وتدعو له فى خطبتك ؛ فإذا قرب منصور وجّهتُ معك مَن أثق به .
فلما نزل منصور بحيث يصبّح الناس(١) البلدَ ، خرج يوسف إلى منزل سليمان بن سليم ، فأقام به ثلاثًا ، ثم وجّه معه من أخذ به طريق السَّماوة حتى صار إلى البلْقاء .

وقد قيل إنّ سليمان قال له : تستخفى وتَدَع منصوراً والعملَ ، قال : فعند مَنْ ؟ قال : عندى ، وأضعك فى ثقة ؛ ثم مضى سليمان إلى عمرو بن محمد ابن سعيد بن العاص ، فأخبره بالأمر ، وسأله أن يؤوىَ يوسف ، وقال : أنت امرؤٌ من قريش ، وأخوالك بكر بن وائل ؛ فآواه . قال عمرو : فلم أر رجلاً كان مثل عتُوّه رُعب رُعْبَه ؛ أتيته بجارية نفيسة ، وقلت : تدفئه وتطيّب نفسه ، فوالله ما قربها ولا نظر إليها ، ثم أرسل إلىّ يومًا فأتيته ، فقال : قد أحسنتَ وأجملت ؛ وقد بقيتْ لى حاجة ، قلت : هاتها ، قال : تخرجنى من الكوفة إلى الشأم ، قلت : نعم . وصبّحنا منصور بن جمهور ، فذكر الوليد فعابه ، وذكر يزيد بن الوليد . فقرظه(٢) ، وذكر يوسف وجَوْره ، وقامت الخطباء فشعّثوا من الوليد ويوسف ، فأتيته فأقصصت قِصّتهم ، فجعلت لا أذكر رجلاً ممّن ذكره بسوء إلا قال : لله علىّ أن أضربه مائة سوط ، مائتى سوط ؛ ثلثمائة سوط ؛ فجعلت أتعجّب من طمعه فى الولاية بعد ؛ وتهدده الناس ، فتركه سليمان بن سُليم ، ثم أرسله إلى الشأم فاختفَى بها ، ثم تحوّل إلى البلقاء .

ذكر علىّ بن محمد أن يوسف بن عمر وجّه رجلا من بنى كلاب فى خمسمائة ، وقال لهم : إن مرّ بكم يزيد بن الوليد فلا تَدعُنّه يجوز . فأتاهم منصور بن جمهور فى ثلاثين ، فلم يهايجوه ، فانتزع سلاحهم منهم ، وأدخلهم الكوفة . قال : ولم يخرج مع يوسف من الكوفة إلّا سفيان بن سلامة بن سليم بن كيسان وغسّان بن قعاس العذرىّ ، ومعه من ولده لصلبه ستون بين ذكر وأنثى . ودخل منصور الكوفة لأيام خلَوْن من رجب ، فأخذ بيوت الأموال ، وأخرج العطاء والأرزاق ، وأطلق مَن فى سجون يوسف من العمال وأهل الخراج .

١٨٤١/٢

(١) ساقطة من ا .
(٢) ط : « فقرضه » ، والصواب ما أثبته من ا .

قال : فلما بلغ يوسف البلقاء حينئذ بلغ خبرُه إلى يزيد بن الوليد ؛ فحدّثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم خالد بن يزيد بن هريم ، قال : حدّثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح مولى عثمان بن عفان ، قال : سمعت محمد بن سعيد الكلبيّ — وكان من قوّاد يزيد بن الوليد — يقول : إنّ يزيد وجّهه فى طلب يوسف بن عمر حيث بلغه أنه فى أهله بالبلقاء ، قال : فخرجت فى خمسين فارسًا أو أكثر ، حتى أحطت بداره بالبلقاء ، فلم نزل نفتّش ، فلم نر شيئًا ، وكان يوسف قد لبس لُبسة النساء ، وجلس مع نسائه وبناته ، ففتشهنّ فظفر به مع النساء ، فجاء به فى وثاق ، فحبسه فى السجن مع الغلامين ابنى الوليد ، فكان فى الحبس ولايةَ يزيد كلها وشهرين وعشرة أيام من ولاية إبراهيم ؛ فلما قدم مروان الشأم وقرب من دمشق ولىَ قتلهم يزيد ابن خالد ، فأرسل يزيد مولى خالد — يكنى أبا الأسد — فى عدّة من أصحابه ؛ فدخل السجن لشدخ الغلامين بالعَمد ، وأخرج يوسف بن عمر فضرب عنقه . ١٨٤٢/٢

وقيل : إن يزيد بن الوليد لما بلغه مصيرُ يوسف إلى البَلْقاء وجّه إليه خمسين فارسًا ، فعرض له رجل من بنى نُمير ، فقال : يابن عمّ ، أنت والله مقتول فأطعنى وامتنع ، واثذن لى حتى أنتزعَك من أيادى هؤلاء ، قال : لا ، قال : فَدعْنى أقتلك أنا ، ولا يقتلك هذه اليمانية ؛ فتغيّظنا بقتلك ، قال : مالى فى واحدة مما عرضتَ علىّ خيار ، قال : فأنت أعلم .

ومضوا به إلى يزيد ، فقال : ما أقدمك ؟ قال : قدم منصور بن جمهور واليًا فتركته والعمل ، قال : لا ، ولكنك كرهت أن تلِيَ لى . فأمر بحبسه . وقيل : إن يزيد دعا مسلم بن ذكوان ومحمد بن سعيد بن مطرّف الكلبىّ ، فقال لهما ؛ إنه بلغنى أنّ الفاسق يوسف بن عمر قد صارَ إلى البلقاء ، فانطلِقا فأتيانى به ، فطلباه فلم يجداه : فرهّبا ابنًا له ، فقال : أنا أدلّكما عليه ، فقال : إنه انطلق إلى مَزرعة له على ثلاثين ميلا ، فأخذا معهما خمسين رجلا من جُنْد البلقاء ، فوجدوا أثره — وكان جالسًا — فلما أحسّ بهم هرب وترك نعليه ، ففتّشا فوجداه بين نسوة قد ألقيْن عليه قطيفة خزّ ، وجلسْنَ على حواشيها حاسرات ، فجرّوا برجله ، فجعل يطلب إلى محمد بن سعيد أن يُرضِيَ عنه

كلباً ، ويدفع عشرة آلاف دينار وديَةَ كلثوم بن عمير وهانئ بن بشر ، فأقبلا إلى يزيد ، فلقيه عاملٌ لسليمان على نوبة من نوائب الحرس ، فأخذ بلحيته فهزّها ، ونتف بعضها — وكان من أعظم الناس لحية وأصغرهم قامة — فأدخلاه على يزيد، فقبض على لحية نفسه — وإنها حينئذ لتجوز سرّته — ٢/١٨٤٣ وجعل يقول : نتف والله يا أمير المؤمنين لحيتى ، فما بقى فيها شعرة . فأمر به يزيد فحبُس فى الخَضْراء، فدخل عليه محمد بن راشد ، فقال له : أما تخاف أن يطّلع عليك بعض من قد وترت ، فيُلقى عليك حجراً ! فقال : لا والله ما فطنت إلى هذا ، فنشدتك الله إلاّ كلمتَ أمير المؤمنين فى تحويلى إلى مجلس غير هذا ؛ وإن كان أضيقَ منه ! قال : فأخبرت يزيد ، فقال : ما غاب عنك من حُمقه أكثر ، وما حبستُه إلا لأوجّهه إلى العراق ، فيقام للناس ، وتُؤخذ المظالم من ماله ودمه .

ولما قَتل يزيد بن الوليد الوليدَ بن يزيد، ووجّه منصور بن جمهور إلى العراق كتب يزيد بن الوليد إلى أهل العراق كتاباً يذكر فيه مساوئ الوليد، فكان مما كتب به — فيما حدّثنى أحمد بن زهير عن علىّ بن محمد : إنّ الله اختار الإسلام ديناً وارتضاه وطهّره، وافترض فيه حقوقاً أمر بها ، ونهى عن أمور حرّمها؛ ابتلاء لعباده فى طاعتهم ومعصيتهم، فأكمل فيه كلّ منقَبة خير وجسيم فضل ؛ ثم تولاّه ، فكان له حافظاً ولأهله المقيمين حدوده وليّاً ، يحوطهم ويعرّفهم بفضل الإسلام ، فلم يكرم الله بالخلافة أحداً يأخذ بأمر الله وينتهى إليه فيناوئه أحدٌ بميثاق أو يحاول[1] صرف ما حباه الله به، أو ينكث ناكث ، إلاّ كان كيدُه الأوْهن ، ومكرُه الأبور ؛ حتى يتمّ الله ما أعطاه ، ويدّخر له أجره ومثوبته ، ويجعل عدوّه الأضلّ سبيلا ، الأخسَر عملا . فتناسخت[2] خلفاء الله ولاة دينه، قاضين فيه بحُكْمه، متبعين فيه لكتابه؛ ٢/١٨٤٤ فكانت لهم بذلك من ولايته ونصرته ما تمّت به النعم عليهم، قد رضى الله بهم لها حتى توفى هشام .

---

(١) ط : « بحاول » تحريف ، صوابه من ا .
(٢) تناسخوا : أى تعاقبوا وتداولوا .

ثم أفضى الأمر إلى عدوّ الله الوليد، المنتهك للمحارم التى لا يأتى مثلها مُسلم، ولا يُقدِم عليها كافر؛ تكرُّماً عن غشيان مثلِها. فلما استفاض ذلك منه واستعلن، واشتدّ فيه البلاء، وسُفِكت فيه الدماء، وأخِذَت الأموال بغير حقها؛ مع أمور فاحشة، لم يكن الله ليملىَ للعاملين[1] بها إلا قليلا، سرتُ إليه مع انتظار مراجعته، وإعذار إلى الله وإلى المسلمين، منكراً لعمله وما اجترأ عليه من معاصى الله، متوخّيًا من الله إتمام الذى نويتُ؛ من اعتدال عمود الدين، والأخذ فى أهله بما هو رضًا، حتى أتيت جنداً، وقد وَغَرَتْ صدورهم على عدوّ الله، لما رأوا من عمله؛ فإنّ عدوّ الله لم يكن يرى من شرائع الإسلام شيئًا إلا أراد تبديلَه، والعمل فيه بغير ما أنزل الله؛ وكان ذلك منه شائعًا شاملاً، عريان لم يجعل الله فيه ستراً، ولا لأحد فيه شكًّا، فذكرتُ لهم الذى نَقِمتُ وخِفت من فساد الدين والدنيا، وحَضَضْتهم على تلافِى دينهم، والمحاماة عنه؛ وهم فى ذلك مُستريبون، قد خافوا أن يكونوا قد أبقوْا لأنفسهم بما قاموا عليه، إلى أن دعوتُهم إلى تغييره فأسرعوا الإجابة.

فابتعث الله منهم بعثًا يخبرهم، من أولى الدين والرضا، وبعثت عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، حتى لقى عدوّ الله إلى جانب قرية يقال لها البَخْراء، فدعوْه إلى أن يكون الأمر شورَى، ينظر المسلمون لأنفسهم مَنْ يقلدونه ممّن اتفقوا عليه، فلم يجب عدوّ الله إلى ذلك؛ وأبى إلاّ تتايُعًا فى ضلالته؛ فبدرهم الحملة جهالة بالله، فوجد الله عزيزاً حكيماً، وأخذَه أليماً شديداً، فقتله الله على سوء عمله وعُصبتَه؛ ممن صاحبوه من بطانته الخبيثة، لا يبلغون عشرة؛ ودخل مَنْ كان معه سواهم فى الحقّ الذى دُعوا إليه، فأطفأ الله جَمْرته وأراح العباد منه، فبُعداً له ولمن كان على طريقته!

١٨٤٥/٢

أحببت أن أعلمكم ذلك، وأعجّل به إليكم، لتحمدوا الله وتشكروه، فإنكم قد أصبحتم اليومَ على أمثل[2] حالكم؛ إذ ولاتكم خياركم، والعدل مبسوط لكم، لا يُسار فيكم بخلافه؛ فأكثروا على ذلك حمد ربّكم، وتابعوا منصور بن جمهور؛ فقد ارتضيتُه لكم؛ على أنّ عليكم عهد الله وميثاقه، وأعظم ما عهِد

---

(١) ط: «ليخلى العاملين»، وما أثبته من ا. (٢) أمثل: أفضل.

وعقد على أحد من خلقه ؛ لتسمعُنّ وتطيعنّ لى ، ولمن استخلفته من بعدى ، ممن اتفقت عليه الأمة ؛ ولكم علىّ مثل ذلك ؛ لأعملنّ فيكم بأمر الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، واتبع سبيلَ مَنْ سلف من خياركم ؛ نسأل الله ربّنا وليّنا أحسن توفيقه وخير قضائه .

* * *

[ذكر امتناع نصر بن سيار على منصور بن جمهور]

وفى هذه السنة امتنع نصر بن سيار بخُراسان من تسليم عمله لعامل منصور ابن جمهور ، وقد كان يزيد بن الوليد ولّاها منصوراً مع العراق .

قال أبو جعفر : قد ذكرت قبلُ من خبَر نصر؛ وما كان من كتاب يوسف ابن عمر إليه بالمصير إليه مع هدايا الوليد بن يزيد ، وشخوص نصر من خُراسان متوجهاً إلى العراق ، وتباطئه فى سفره ، حتى قدم عليه الخبر بقتل الوليد ؛ فذكر علىّ بن محمد أنّ الباهلىّ أخبره ، قال : قدم على نصر بشرُ بن نافع مولى سالم الليثىّ — وكان على سكك العراق — فقال : أقبل منصور بن جمهور أميراً على العراق ؛ وهرب يوسف بن عمر ؛ فوجّه منصور أخاه منظور بن جمهور على الرّىّ ، فأقبلتُ مع منظور إلى الرّى ، وقلت : أقدم على نصر فأخبرُه ، فلما صرتُ بنيسابور حبسنى حُميد مولى نصر ، وقال : لن تجاوزنى أو تخبرَنى ؛ فأخبرته ، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ألّا يخبر أحداً حتى أقدم على نصر فأخبره . ففعل ؛ فأقبلنا جميعًا حتى قدمنا على نصر ، وهو بقصره بماجان ، فاستأذنّا ، فقال خصىّ له : هو نائم ، فألحَحْنا عليه ، فانطلق فأعلمه ، فخرج نصر حتى قبض على يدى وأدخلنى ؛ فلم يكلمنى حتى صرتُ فى البيت ، فساءلنى فأخبرته ، فقال لحميد مولاه : انطلق به ؛ فأته بجائزة ؛ ثم أتانى يونس بن عبد ربّه وعبيد الله بن بسام فأخبرتهما ، وأتانى سلم بن أحْوَز فأخبرتُه . قال : وكان خبر يوسف عند نصر ، فأتوه حين بلغهم الخبر ، فأرسل إلىّ فلما أخبرتهم كذبونى ، فقلت : استوثق مِن هؤلاء ؛ فلما مضت ثلاث على ذلك ؛ جعل علىّ ثمانين رجلاً حَرَسًا ، فأبطأ الخبر على ما كنت قدّرت ، فلما كانت الليلة التاسعة — وكانت ليلة نوروز — جاءهم الخبر على ما وصفتُ ،

١٨٤٦/٢

فصرف إلىّ عامة تلك الهدايا ، وأمر لى ببرذون بسرجه ولجامه ، وأعطانى سَرْجًا صينيًّا ، وقال لى : أقم حتى أعطيَك تمام مائة ألف . قال : فلما تيقّن نصر قتل الوليد ردّ تلك الهدايا ، وأعتق الرقيق ، وقسم روقة(١) الجوارى فى ولده وخاصّته ، وقسم تلك الآنية فى عوامّ الناس ، ووجّه العمال ، وأمرهم بحسن السيرة .

قال : وأرجفت الأزد فى خراسان أن منظور بن جمهور قادم خراسان ؛ فخطب نصر ، فقال فى خطبته : إن جاءنا أميرٌ ظنين قطعنا يديه ورجليه . ثم باح به بعدُ ؛ فكان يقول : عبد الله المخذول المثبور . ١٨٤٧/٢

قال : وولّى نصر بن سيار ربيعة واليمن ، وولّى يعقوب بن يحيى بن حضين على أعلى طُخارستان ، ومسعدة بن عبدالله اليشكرىّ على خُوَارَزْم ؛ وهو الذى يقول فيه خلَف :

أَقولُ لأَصحابى مَعاً دون كَردَرٍ لمَسْعَدَةُ البكرىّ غَيثُ الأَرامِلِ

ثم أتبعه بأبان بن الحكم الزهرانىّ ؛ واستعمل المغيرة بن شعبة الجهضمىّ على قُهِستان وأمرهم بحسن السيرة ، فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه ، فقال فى ذلك :

أَقولُ لِنَصْرٍ وبايعتُهُ على جُلِّ بكرٍ وأَحلافِها
يَدِى لك رَهْنٌ بِبَكْرِ العرا قِ سَيِّدِها وابنِ وَصَّافِها
أَخَذْتُ الوثيقَةَ للمسلمينَ لأَهلِ البلاد وأُلاَّفِها
إذا آل يحيى إلى ما تُريدُ أَتتكَ الدِّماكُ بأَخفافِها(٢)
دَعَوْتَ الجنُودَ إلى بيعَـةٍ فأَنصَفْتَها كُلَّ إنصافِها
وَطَدْتَ خُراسانَ للمسلمينَ إنِ الأَرض هَمَّتْ بإرجافها
وإنْ جُمِعَتْ أُلفَةُ المسلمينَ صَرَفْتَ الضِّرَابَ لِأُلاّفِها
أَجارَ وَسَلَّمَ أَهلَ البـلا دِ والنازلينَ بأَطرافِهـا
فَصِرْتَ على الجندِ بالمشرقيْن لقوحاً لهمْ دَرُّ أَخلافِها

(١) روقة الجوارى ، أى حسانهم ، وفى ابن الأثير : « حسان الجوارى » .
(٢) الدموك : البكرة الصلبة ، وفى ط : « الرقال » .

١٨٤٨/٢
فنحن على ذاك حتى تبينَ مَناهِج سُبْلٍ لِعَرّافها
وحتّى تَبُوحَ قريشٌ بما تَجُنّ ضَمائرُ أجْوافِها
فأقسمتُ للمعْبَرَاتُ الرِّتا عُ لَلعروُ أوفى لأصوافِها
إلى ما تؤدّى قريشُ البِطَا حِ أخْلاَفُها بَعدَ أشرافِها[1]
فإنْ كان مَنْ عَزَّ بزَّ الضَّعِيفَ ضَربْنَا الخيولَ بأعْرافِها[2]
وجَدنا العَلائفَ أنّى يكو نُ يُحْمَى أوَارِىُّ أعلافها
إذا ما تَشارَكُ فيه كَبَتْ خَوَاصِرُها بَعْدَ إخطافِها
فنحن على عهدنا نَسْتَدِيمُ قُريشاً ونَرْضى بأحلافِها
سنَرْضَى بظِلكَ كنّا لها وظِلُّكَ مِنْ ظِلِّ أكنافِها
لَعَلّ قريشاً إذا ناضَلَت تُقَرْطسُ فى بعض أهدافها[3]
وتُلبِسُ أغْشيَةً بالعراقِ رَمَتْ دلوَ شَرقٍ بخُطّافِها
وبالأُسْد مِنّا وإنَّ الأُسودَ لها لِبَدٌ فوقَ أكتافِها
فإنْ حاذَرَتْ تَلَفاً فى النِّفا رِ فالدّهر أدْنى لإتلافها
فقد ثَبَتتْ بك أقدامُنا إذا انهارَ منهارُ أجْرافِها
وَجَدْناكَ بَرًّا رءُوفًا بنا كرأمَةِ أُمٍّ وإلطافِها
ولَمْ تكُ بَيْعَتُنا خُلسَةً لأسرَع نَسْفَةِ خَطّافِها
نِكاحَ التى أسْرَعَتْ بالحليـ ل قَبْلَ تَخَضُّبِ أطْرافِها
فكَشَّفَها البَعْل قبلَ الصَّدَا قِ فاسْتَقْبَلَتْه بمعْتافِها

١٨٤٩/٢
قال : وكان نصر ولّى عبدَ الملك بن عبد الله السلمىّ خُوارزم ؛ فكان يخطبهم ويقول فى خطبته : ما أنا بالأعرابىّ الجِلْف ، ولا الفزارىّ المستنبِط ؛ ولقد كرّمتنى الأمور وكرّمتها ، أمَا والله لأضعنّ السيف موضعه، والسوط

(١) كذا فى ا ، وفى نسخة بحاشيتها : « خلاقها بعض أشرافها » .
(٢) ا : « نصرنا » . (٣) ورد البيت ناقصاً فى ط ، وأكملته من ا .

موضعه ، والسجن مدخله ، ولتجدُنّى غشمشماً ، أغْشَى الشَّجر ، ولتستقيمُنّ لى على الطريقة ورفض البكّارة فى السنن الأعظم ، أو لأصكّنّكم صكّ القطامىّ القطا (١) القاربَ يصكّهنّ جانبًا فجانباً .

قال : فقدم رجل من بَلْقَين خراسان ، وجّهه منصور بن جمهور ، فأخذه مولًى لنصر، يقال له حميد ، كان على سكّة (٢) بنيسابور ؛ فضربه وكسر أنفه ، فشكاه إلى نصر ، فأمر له نصر بعشرين ألفًا وكساه ، وقال : إنّ الذى كسر أنفك مولًى لى وليس بكفء فأقصّك منه ، فلا تقلْ إلّا خيراً . [قال : ماقبلت جائزتك ، وأنا أريد ألا أذكر إلا خيراً] (٣) .

قال عصمة بن عبد الله الأسدىّ : يا أخا بَلْقَين ، أخبر مَنْ تأتى أنا قد أعددنا قيساً لربيعة وتميماً للأزد ، وبقيت كنانة ، ليس لها مَن يكافئها . فقال نصر : كلما أصلحتُ أمراً أفسدتموه !

قال أبو زيد عمر بن شبّة : حدثنى أحمد بن معاوية عن أبى الخطاب ، قال : قدم قدامة بن مصعب العبدىّ ورجلٌ من كندة على نَصْر بن سيّار من قِبَل منصور بن جمهور ، فقال : أمات أمير المؤمنين ؟ قالا : نعم ، قال : ووليَ منصور بن جمهور وهرب يوسف بن عمر عن سرير العراق ؟ قالا : نعم ، قال : أنا بجمهوركم من الكافرين ، ثم حبسهما ووسّع عليهما ، ووجّه رجلا حتى أتى فرأى منصوراً يخطب بالكوفة ، فأخرجهما ، وقال لقدامة : أوليَكم رجل من كلب ؟ قال : نعم ؛ إنما نحن بين قيس واليمن ، قال : فكيف لا يولاها رجل منكم ! قال : لأنا كما قال الشاعر : ١٨٥٠/٢

إذا ما خَشِينا مِنْ أَمِيرٍ ظُلاَمَةً دَعَوْنا أَبا غَسَّانَ يوماً فَعَسْكَرَا

فضحك نصر ، وضمّه إليه .

قال : ولما قدم منصور بن جمهور العراق ولّى عبيد الله بن العباس الكوفة — أو وجده واليًا عليها فأقرّه — وولّى شرطتَه ثمامة بن حوشب ثم عزله وولّى الحجاج بن أرطاة النخعىّ .

* * *

(١) كذا فى ا .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط « سكك » .

(٣) من ا .

[ذكر مخالفة مروان بن محمد]

وفى هذه السنة كتب مَرْوان بن محمد إلى الغَمْر بن يزيد ، أخى الوليد بن يزيد يأمره بدم أخيه الوليد .

ذكر نسخة ذلك الكتاب الذى كتب إليه :

حدّثنى أحمد عن علىّ ، قال : كتب مروان إلى الغَمْر بن يزيد بعد قتل الوليد :

أما بعد ، فإن هذه الخلافة من الله على مناهج نبوّة رسله ، وإقامة شرائع دينه ، أكرمهم الله بما قلّدهم ، يعزّهم ويعزّ من يعزّهم ، والحَيْن[1] على مَنْ ناوأهم فابتغى غير سبيلهم ، فلم يزالوا أهل رِعاية لما استودعهم الله منها ، يقوم بحقها ناهضٌ بعد ناهض ، بأنصار لها من المسلمين . وكان أهل الشأم أحسن خلقه فيه طاعة ، وأذبَّه عن حُرَمه وأوفاه بعهده ، وأشدّه نكاية فى مارِق مخالف ناكث ناكب[2] عن الحق ، فاستدرّت نعمة الله عليهم . قد عَمِر بهم الإسلام ، وكُبِت[3] بهم الشرك وأهله ، وقد نكثوا أمر الله ، وحاولوا نكثَ العهود ، وقام بذلك من أشعل ضرامَها ، وإن كانت القلوب عنه نافرة ، والمطلوبون بدم الخليفة ولايةٌ[4] من بنى أمية ؛ فإن دمه غير ضائع ؛ وإن سكنتْ بهم الفتنة ، والتأمت الأمور ؛ فأمرٌ أراده الله لامردّ له.

١٨٥١/٢

فاكتب بحالك فيما أبرموا وما تَرى ؛ فإنى مُطْرِق إلى أن أرى غِيَراً[5] فأسطو بانتقام ، وأنتقم لدين الله المنبوذة فرائضه ، المتروكة مجانة ، ومعى قوم أسكن الله طاعتى قلوبَهم ؛ أهلُ إقدام إلى ما قدِمت بهم عليه ، ولهم نظراء صدورهم مترعة ممتلئة لو يجدون منزعاً[7] ، والنّقمة دولة تأتى من الله ؛ ووقت مؤجل[8] ؛ ولم أشبه محمداً ولا مروان[9] — غير أن رأيت غِيَراً —

(١) الحين : الهلاك والمحنة . (٢) نكب عنه : عدل .
(٣) كبته : صرعه وأخزاه .
(٤) الولاية : الإمارة والسلطان ؛ والمعنى ذوو ولاية ؛ أى أمراء من بنى أمية .
(٥) غير الدهر : حوادثه المغيرة . (٦) ط : « المتبول » ، وما أثبته من ا .
(٧) المنزع : الموضع الذى يصعد فيه الدلو إذا نزع من البئر ؛ أى لو يجدون مجالا وفرصة للانتقام . (٨) ط : « موكل » ، والصواب ، ما أثبته من ا .
(٩) محمد أبوه ومروان جده .

إن لم أشمّر للقَـدرِيّة إزارى ، وأضربهم بسيفى جارحًا وطاعناً ، يرمى قضاء الله بى فى ذلك حيث أخذ ، أو يرمى بهم فى عقوبة الله حيث بلغ منهم فيها رضاه ؛ وما إطراقى إلّا لما أنتظر مما يأتينى عنك ، فلا تهِن عن ثأرك بأخيك ، فإنّ الله جارُك وكافيك ، وكفى بالله طالبًا ونصيراً .

حدثنى أحمد ، عن علىّ ، عن عمرو بن مروان الكلبىّ ، عن مسلم بن ذَكْوان ، قال : كلّمَ يزيد بن الوليد العباسَ بن الوليد فى طُفَيل بن حارثة الكلبىّ ، وقال : إنه حَمل حَمالة ، فإن رأيتَ أن تكتب إلى مروان بن محمد فى الوصَاة به ، وأن يأذن له أن يسأل عشيرته فيها — وكان مروان يمنعُ الناس أن يسألوا شيئًا من ذلك عند العطاء — فأجابه وحمله على البريد . وكان كتاب العباس ينفذ فى الآفاق بكلّ ما يكتب به . وكتب يزيد إلى مروان أنه اشترى من أبى عبيدة بن الوليد ضَيعَة بثمانية عشر ألف دينار ، وقد احتاج إلى أربعة آلاف دينار . قال مسلم بن ذكوان : فدعانى يزيد ، وقال : انطلق مع طُفَيل بهذا الكتاب[١] ، وكلّمه فى هذا الأمر . قال : فخرجنا ولم يعلم العباس بخروجى ، فلما قدمنا خِلاط ، لقينا عمرو بن حارثة الكلبىّ ، فسألَنا عن حالنا فأخبرناه ، فقال : كذبتما[٢] ؛ إن لكما ولمروان لقصّةً ، قلنا : وما ذاك؟ قال : أخلَا نى حين أردت الخروج ، وقال لى : جماعة أهل المِزّة يكونون ألفًا ؟ قلت : وأكثر ، قال : وكم بينها وبين دمشق ؟ قلت : يسمعهم المنادى ، قال : كم ترى عدّة بنى عامر ؟ (يعنى بنى عامر من كلْب) ، قلت : عشرون ألف رجل ، فحرّك أصبعه ، ولوى وجهه . قال مسلم : فلما سمعت ذلك طمعتُ فى مرْوان ، وكتبت إليه على لسان يزيد : أما بعد ، فإنى وجهت إليك ابنَ ذكوان مولاى بما سيذكره لك ، ويُنْهيه إليكَ ، فألق إليه ما أحببتَ ، فإنه من خيار أهلى وثقات موالىّ ؛ وهو شعب حصين ، ووعاء أمين ؛ إن شاء الله . فقدمنا على مرْوان ، فدفع طُفَيل كتاب العباس إلى الحاجب ، وأخبره أنّ معه كتاب يزيد بن الوليد ، فقرأه ، فخرج الحاجب ، وقال : أما معك كتاب غير هذا ، ولا أوصاك بشىء ! قلت : لا ، ولكنى معى مسلم بن

١٨٥٢/٢

(١) كذا فى ا ، وفى ط : «بهذه الكتب» . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : «كذابتم» .

ذكوان ، فدخل فأخبره ، فخرج الحاجب ، فقال : مرْ مولاه بالرَّواح .

قال مسلم : فانصرفت ، فلما حضرت المغرب أتيت المقصورة ؛ فلما صلَّى مروان انصرفتُ لأعيد الصلاة ، ولم أكن أعتدّ بصلاته ، فلما استويت قائماً جاءنى خَصِىّ ، فلما نظر إلىّ انصرفت وأوجزتُ الصلاة ، فلحقته ، فأدخلنى على مروان ؛ وهو فى بيت من بيوت النساء ، فسلمتُ وجلست ، فقال : من أنت ؟ فقلت : مسلم بن ذكوان مولى يزيد ، قال : مولى عتاقة أو مولى تباعة ؟ ١٨٥٣/٢ قلت : مولى عتاقة ، قال : ذاك أفضل ؛ وفى كلّ ذلك فضل ؛ فاذكر ما بدا لك . قلت : إن رأى الأميرُ أن يجعل لى الأمان على ما قلته ، أوافقه فى ذلك أو أخالفه ؛ فأعطانى ما أردت ، فحمِدت الله وصلَّيت على نبيّه ، ووصفت ما أكرم الله به بنى مَرْوان من الخلافة ورضا العامة بهم ، وكيف نقض الوليد العُرَى ، وأفسد قلوب الناس ، وذمَّتْه العامّة ؛ وذكرت حاله كلّها . فلما فرغت تكلم ؛ فوالله ما حمِد الله ولا تشهَّد ، وقال : قد سمعت ما قلت ، قد أحسنتَ وأصبت ، ولنعم الرأى رأى يزيد ؛ فأشهد الله أنى قد بايعته ، أبذل فى هذا الأمر نفسى ومالى ؛ لا أريد بذلك إلا ما عند الله ؛ والله ما أصبحت أستزيد الوليد ، لقد وصَل وفرض وأشرك فى ملكه ؛ ولكنى أشهد أنه لا يؤمن بيوم الحساب . وسألنى عن أمر يزيد ، فكبّرت الأمر وعظمته ، فقال : اكتم أمرك ؛ وقد قضيتُ حاجةَ صاحبك ، وكفيته أمر حَمالته ، وأمرت له بألف درهم . فأقمت أياماً ، ثم دعانى ذات يوم نصفَ النهار ، ثم قال : الحقْ بصاحبك ، وقل له : سدّدك الله ، امض على أمر الله ؛ فإنك بعين الله . وكتب جواب كتابى ، وقال لى : إن قدرتَ أن تطوى أو تطير فطِرْ ، فإنه يخرج بالجزيرة إلى ستّ ليال أو سبع خارجة ؛ وقد خفت أن يطول أمرهم فلا تقدر أن تجوز . قلت : وما علمُ الأمير بذلك؟ (١) فضحك ، وقال : ليس من أهل هوى إلاّ وقد أعطيتهم الرّضا حتى أخبرونى بذات أنفسهم . فقلت فى نفسى : أنا واحد من أولئك ، ثم قلت : لئن فعلت ذلك أصلحك الله ؛ إنه قيل لخالد بن يزيد بن معاوية : أنّى أصبت هذا العلم؟ قال : وافقتُ الرجال على أهوائهم ، ١٨٥٤/٢ ودخلت معهم فى آرائهم ؛ حتى بذلوا لى ما عندهم ، وأفضوْا لى بذات أنفسهم .

(١) ساقطة من ا .

فودّعته وخرجت . فلما كنت بآمِد لقيت البُرُد تتبع بعضها بعضًا بقتل الوليد ؛ وإذا عبدالملك بن مروان [بن محمد] [١] قدوثب على عامل الوليد بالجزيرة ، فأخرجه منها ، ووضع الأرصاد على الطريق ، فتركت البرُد ، واستأجرت دابّة ودليلا ، فقدمت على يزيد بن الوليد .

* * *

[ذكر الخبر عن عزل منصور بن جمهور عن العراق]

وفى هذه السنة عزل يزيد بن الوليد منصورَ بن جمهور عن العراق ، وولّاها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذُكِر عن يزيد بن الوليد أنه قال لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز : إن أهل العراق يميلون إلى أبيك فسرْ إليها فقد ولّيتُكها ؛ فذكر عن أبى عبيدة ، قال : كان عبد الله بن عمر متألّهًا متألمًا ، فقدّم حين شخص إلى العراق بين يديه رُسلاً وكتبًا إلى قوّاد الشأم الذين بالعراق ، وخاف ألّا يسلّم له منصور بن جمهور العمل ، فانقاد له كلهم ، وسلّم له منصور بن جمهور ، وانصرف إلى الشأم ، ففرق عبد الله بن عمر عماله فى الأعمال ، وأعطى الناسَ أرزاقهم وأعطياتهم ؛ فنازعه قوّاد أهل الشأم وقالوا : تقسم على هؤلاء فيئنا وهم عدوّنا ! فقال عبد الله لأهل العراق : إنى قد أردتُ أن أردّ فيئكم عليكم ، وعلمت أنكم أحقّ به ؛ فنازعنى هؤلاء فأنكروا علىّ . ١٨٥٥/٢

فخرج أهل الكوفة إلى الجبّانة ، وتجمّعوا ، فأرسل إليهم قوّاد أهل الشأم يعتذرون وينكرون ، ويحلفون أنهم لم يقولوا شيئًا مما بلغهم ، وثار غوغاء الناس من الفريقين ، فتناوشوا ، وأصيب منهم رهط لم يُعْرفوا ، وعبدُ الله بن عمر بالحيرة ، وعبيد الله بن العباس الكندىّ بالكوفة ؛ قد كان منصور بن جمهور استخلفه عليها فأراد[٢] أهل الكوفة إخراجه من القصر ، فأرسل إلى عمر بن الغضبان بن القبعثرىّ ، فأتاه فنحّى الناس عنه ، وسكّنهم وزجر سفهاءهم[٣] حتى تحاجزوا ، وأمن بعضهم بعضًا . وبلغ ذلك عبد الله بن عمر ، فأرسل إلى ابن الغَضْبان ،

---

(١) من ا. (٢) ط : « وأراد » . (٣) ط : « وزجرهم » .

فكساه وحَمله ، وأحسن جائزته ، وولاّه شُرَطه وخراج السواد والمحاسبات ، وأمره أن يفرض لقومه ، ففرض فى ستين وفى سبعين .

* * *

[ذكر وقوع الخلاف بين اليمانية والنزارية فى خراسان]

وفى هذه السنة وقع الاختلاف فى خراسان بين اليمانية والنزاريّة ، وأظهر الكِرمانىّ فيها الخلاف لنصر بن سيار ، واجتمع مع كلّ واحد منهما جماعة لنصرته.

* ذكر الخبر عما كان بينهما من ذلك وعن السبب الذى أحدث ذلك :

ذكر علىّ بن محمد عن شيوخه ؛ أن عبد الله بن عمر لمّا قدم العراق واليًا عليها من قِبَل يزيد بن الوليد ، كتب إلى نصر بعهده على خراسان ؛ قال : ويقال : بل أتاه كتابه بعد خروج الكرمانىّ من حَبْس نصر ، فقال المنجّمون لنصر : إنّ خراسان سيكون بها فتنة ؛ فأمر نصر برفع حاصل(١) بيت المال ، وأعطى الناس بعض أعطياتهم ورِقًا وذهبًا من الآنية التى كان اتخذها للوليد ابن يزيد ؛ وكان أوّل من تكلم رجل من كِندة ، أفوه طُوال ، فقال : العطاء العطاء ! فلما كانت الجمعة الثانية ، أمر نصر رجالا من الحرَس ، فلبسوا السلاح ، وفرّقهم فى المسجد مخافة أن يتكلم متكلم ، فقام الكندىّ فقال : العطاء العطاء! فقام رجل مولى للأزْد — وكان يلقب أبا الشياطين — فتكلم ، وقام حمّاد الصائغ وأبو السَّلِيل البكرىّ ، فقالا : العطاء العطاء ! فقال نصر : إياى والمعصية ؛ عليكم بالطاعة والجماعة ؛ فاتقوا الله واسمعوا ماتوعظون به .

٢/١٨٥٦

فصعد سَلْم بن أحوز إلى نصر وهو على المنبر فكلّمه ، فقال : مايغنى عنّا كلامك هذا شيئًا . ووثب أهل السوق إلى أسواقهم ؛ فغضب نصر وقال : ما لكم عندى عطاء بعد يومكم هذا ، ثم قال : كأنى بالرّجل منكم قد قام إلى أخيه وابن عمه ، فلطم وجهه فى جمل يُهْدَى له وثوب يكساه ، ويقول : مولاى وظئرى ؛ وكأنى بهم قد نبغ من تحت أرجلهم شرّ لا يطاق ، وكأنى بكم مطرّحين فى الأسواق كالجزُر المنحورة ؛ إنه لم تطل ولاية رجل إلا ملّوها ؛ وأنتم يا أهلَ خراسان ؛ مسلحة فى نحور العدوّ ، فإياكم أن

(١) الحاصل من كل شىء : ما بقى منه .

يختلف فيكم سيفان .

قال علىّ : قال عبد الله بن المبارك ، قال نصر فى خطبته : إنى لمكفَّر ومع ذاك لمظَلَّم ؛ وعسى أن يكون ذلك خيراً لى . إنكم تغشوْن[١] أمراً تريدون فيه الفتنة ، فلا[٢] أبقى الله عليكم ؛ والله لقد نشرتكم وطويتكم ، وطويتكم ونشرتكم ، فما عندى منكم عشرة ، وإنى وإياكم كما قال مَنْ كان قبلكم : ٢/١٨٥٧

اسْتَمْسِكُوا أَصحابَنا نَحدُو بكمْ فقد عرفنا خَيركم وشَرَّكمْ

فاتقوا الله ؛ فوالله لئن اختلف فيكم ليتمنَّينّ الرجل منكم أنه يُخلع من ماله وولده ولم يكن رآه . يا أهل خراسان ، إنكم غمطتم الجماعة ، وركنتم إلى الفرقة . أسلطانَ المجهول تريدون وتنتظرون! إن فيه لهلاككم معشر العرب ، وتمثَّل بقول النابغة الذبيانىّ :

فإنْ يَغْلِبْ شَقاؤكُمُ عليكمْ فإنى فى صَلَاحِكمُ سَعَيْتُ

وقال الحارث بن عبد الله بن الحشرج بن المغيرة بن الورد الجعدىّ :

أَبيتُ أَرعى النجومَ مرْتَفِقاً إذا استَقَلَّتْ تَجْرِى أَوائِلُها
مِنْ فِتنَةٍ أَصبحَتْ مجَلِّلَةً قد عَمَّ أَهلَ الصَّلاةِ شامِلُها
مَنْ بِخُرَاسانَ والعراقِ ومَنْ بالشأْمِ كلٌّ شَجاهُ شاغِلها
فالناسُ منها فى لونِ مَظلمةٍ دَهْماءَ ملتَجَّةٍ غَياطِلُها
يمْسِى السَّفِيه الذى يُعَنِّف بالْ جَهْلِ سواءً فيها وعاقلها
والناسُ فى كُرْبَةٍ يَكاد لها تَنبِذُ أَولادَها حَوامِلُها
يَغدونَ منها فى ظلّ مُبْهَمَةٍ عمياءَ تغتَالهم غوائلها
لا يَنظُر الناس فى عواقبِها إلّا التى لا يبين قائلهـــا
كرَغوَةِ البَكرِ أَوكَصَيْحَةِ حُبْ لى طَرَقتْ حولها قوابِلُها
فجاء فينا أَزرَى بِوجْهَتِهِ فيها خُطُوبٌ حُمْرٌ زَلازِلها ٢/١٨٥٨

(١) كذا فى ا ، وهو الصواب ، وفى ط : « ترشون » .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « ولا » .

قال : فلما أتى نصرًا عهده من قبَل عبد الله بن عمر قال الكرْمانىّ لأصحابه: الناس فى فتنة ؛ فانظروا لأموركم[(١)] رجلا — وإنما سُمّى الكرمانىّ لأنه ولد بكرْمان، واسمه جُدَيع بن علىّ بن شبيب بن بَرارى[(٢)] بن صُنيم المعنىّ — فقالوا : أنت لنا ، فقالت المضريّة لنصر : الكرمانىّ يفسد عليك ؛ فأرْسِل إليه فاقتله ، [أو فاحبسه] [(٣)] ، قال : لا ، ولكن لى أولاد ذكور وإناث ، فأزوّج بَنِىّ من بناته وبنيه من بناتى ؛ قالوا : لا ، قال : فأبعث إليه بمائة ألف درهم ، فإنه بخيل ولا يعطى أصحابه شيئًا ، ويعلمون بها فيتفرّقون عنه ، قالوا : لا ، هذه قوة له ، قال : فدَعوه على حاله يتّقينا ونتّقيه ، قالوا [لا ، قال] [(٣)] : فأرسل إليه فحبسه[(٤)] .

قال : وبلغ نصرًا أنّ الكرمانىّ يقول : كانت غايتى فى طاعة بنى مروان أن يقلّد ولدى[(٥)] السيوف فأطلبَ بثأر بنى المهلب ، مع مالقينا من نَصْر وجفائه وطول حرمانه ومكافأته إيانا بما كان من صنيع أسد إليه . فقال له عصمة ابن عبدالله الأسدىّ : إنها بدء فتنة ، فتجنّ عليه فاحشة ، وأظهر أنه مخالف واضرب عنقه وعنق سِباع بن النعمان الأزدىّ والفرَافصة بن ظهير البكرىّ ، فإنه لم يزل متغضّبًا على الله بتفضيله مضر على ربيعة .

وكان بخراسان. وقال جَميل بن النعمان : إنك قد شرّفته وإن كرهتَ قتله فادفعه إلىّ أقتله . وقيل : إنما غضب عليه فى مكاتبته بكْر بن فراس البَهرانىّ عامل جرْجان ، يعلمه حال منصور بن جمهور حين بعث عهد الكرمانىّ مع أبى الزّعفران مولى أسد بن عبد الله ، فطلبه نصر فلم يقدرْ عليه . والذى كتب إلى الكرمانىّ بقتل الوليد وقدوم منصور بن جمهور على العراق صالح الأثرم الحرار . وقيل : إن قومًا أتوا نصراً ، فقالوا : الكرمانىّ يدعو إلى الفتنة . وقال أصرم ابن قبيصة لنصر : لو أن جُديعًا لم يقدر على السلطان والملك إلا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهوّد . وكان نصر والكرمانىّ متصافيين ، وقد كان الكرمانىّ أحسنَ إلى نصر فى ولاية أسد بن عبد الله ، فلما ولِىَ نصر خراسان عزَل الكرمانىّ عن الرئاسة وصيّرها لحرب بن عامر بن أيثم الواشجىّ ، فمات حرب

١٨٥٩/٢

---

(١) كذا فى ا وابن الأثير ، وفى ط : « فى أموركم ». (٢) ا : «برادى بن صبى المغنى».
(٣) من ا . (٤) ط : « فاحبسه » . (٥) ط : «أن تقلدنى السيوف » .

فأعاد الكرمانىّ عليها ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى عزله ، وصيّرها لجميل بن النعمان . قال : فتباعد ما بين نصر والكرمانىّ فحبس الكرمانىّ فى القهندز وكان على القهندز مقاتل بن علىّ المرئىّ — ويقال المرىّ .

قال : ولما أراد نصر حبس الكرمانىّ أمر عبيد الله بن بسّام صاحب حرسه ؛ فأتاه به ، فقال له نصر : يا كرمانىّ ، ألم يأتنى كتاب يوسف بن عمر يأمرنى بقتلك ، فراجعتُه وقلت له : شيخ خراسان وفارسها، وحقنت دمك ! قال : بلى ، قال ألم أغرم عنك ما كان لزمك من الغرم وقسمتُه فى أعطيات الناس! قال: بلى، قال ألم أرِش[1] عليًّا ابنك على كرْه من قومك ! قال: بلى، قال : فبدّلت ذلك إجماعًا على الفتنة ! قال الكرمانىّ : لم يقل الأمير شيئًا ١٨٦٠/٢ إلاّ وقد كان أكثر منه ، فأنا لذلك شاكر ؛ فإنْ كان الأمير حقَن دمى فقد كان منّى أيام أسد بن عبد الله ما قد علم ، فليستأنِ الأمير ويتثبَّت فلست أحبّ الفتنة . فقال عصمة بن عبد الله الأسدىّ : كذبتَ ؛ وأنت تريد الشَّغب ، ومالا تناله . وقال سلم بن أحْوَز : اضرب عنقه أيها الأمير ، فقال المقدام وقدامة ابنا عبد الرحمن بن نُعَيم الغامدىّ : لَجلساء فرعون خير منكم، إذ قالوا : ﴿ أرْجِهْ وَأخَاهُ ﴾ [2] ، والله لا يقتَلن الكرمانىّ بقولك يابن أحوز [وعلت الأصوات، فأمر] [3] نصر سلمًا بحبس الكرمانىّ، فحبس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة ست وعشرين ومائة ، فكلمت الأزْد ، فقال نصر : إنّى حلفت أن أحبسه ولا يبدؤه[4] منى سوء ، فإن خشيتم عليه فاختاروا رجلاً يكون معه . قال : فاختاروا يزيد النحوىّ ؛ فكان معه فى القهندز ، وصيّر حرسه بنى ناجية أصحاب عثمان وجهْم ابنى مسعود . قال : وبعث الأزد إلى نصر المغيرة بن شعبة الجهضمىّ وخالد بن شعيب بن أبى صالح الُحدانىّ ، فكلّماه فيه . قال : فلبث فى الحبس تسعة وعشرين يومًا ؛ فقال علىّ بن وائل أحد بنى ربيعة بن حنظلة : دخلت على نَصْر ، والكرمانىّ

---

(١) ط: « ألم أرتش » .
(٢) سورة الأعراف ١١١ .
(٣) من ا .
(٤) ط : « ينداه » .

جالس ناحية ، وهو يقول : ما ذنبي إن كان أبو الزعفران جاء ! فوالله ما واريته ولا أعلم مكانه .

وقد كانت الأزد يوم حُبس الكِرمانيّ أرادت أن تنزعَه من رُسله ، فناشدهم الله الكرمانيّ ألاّ يفعلوا ، ومضى مع رسل سَلْم بن أحوز ، وهو يضحك ، فلما حبِس تكلّم عبد الملك بن حَرْملة اليَحْمَديّ والمغيرة بن شعبة وعبد الجبار بن شعيب بن عبّاد وجماعة من الأزْد ، فنزلوا نَوْش ، وقالوا : لا نرضى أن يحبَس الكرمانيّ بغير جناية ولا حَدَث ، فقال لهم شيوخ من اليحمَد : لا تفعلوا وانظروا ما يكون من أميركم ، فقالوا : لا نرضى ؛ ليَكفَّنّ عنا نصر أو لَنَبدأنّ بكم . وأتاهم عبد العزيز بن عبّاد بن جابر بن همام بن حنظلة اليحْمَديّ في مائة ، ومحمد بن المثنّى وداود بن شعيب ، فباتوا بنَوْش مع عبد الملك بن حَرْملة ومَن كان معه ، فلما أصبحوا أتوا حوْزان ، وأحرقوا منزل عزّة أمّ ولد نصر — وأقاموا ثلاثة أيام ، وقالوا : لا نرضى ؛ فعند ذلك صيَّروا عليه الأمناء ، فجعلوا معه يزيد النحويّ وغيره ، فجاء رجل من أهل نَسَف ، فقال لجعفر غلام الكِرمانيّ : ما تجعلون لي إن أخرجته ؟ قالوا : لك ما سألت ، فأتى مجرى الماء من القهندز فوسّعه ، وأتى ولد الكرمانيّ ، وقال لهم : اكتبوا إلى أبيكم يستعدّ الليلة للخروج ، فكتبوا إليه ، وأدخلوا الكتاب في الطعام ، فدعا الكرمانيّ يزيد النحويّ وحصين بن حكيم فتعشّيا معه وخرجا ، ودخل الكرمانيّ السرب ، فأخذوا بعَضُده ، فانطوت على بطنه حيّة فلم تضرّه ، فقال بعض الأزد : كانت الحيّة أزْدية فلم تضرّه .

قال : فانتهى إلى موضع ضيق فسحبوه فسُحج منكبه وجنبه ، فلما خرج ركب بغلته دوّامة — ويقال : بل ركب فرسه البشير — والقيْد في رجله ، فأتوْا به قرية تسمى غلَطان ، وفيها عبد الملك بن حَرْملة ، فأطلق عنه .

قال عليّ : وقال أبو الوليد زهير بن هنيد العدويّ : كان مع الكِرمانيّ غلامه بسّام ، فرأى خرقًا على القهندز ، فلم يزل يوسعه حتى أمكنه الخروج منه . قال : فأرسل الكِرمانيّ إلى محمد بن المثنى وعبد الملك بن حَرْملة : إني خارج

٢/١٨٦١ ٢/١٨٦٢

الليلة، فاجتمعوا، وخرج فأتاهم فَرْقد مولاه، فأخبرهم، فلقوه فى قرية حرْب ابن عامر، وعليه ملْحفة متقلدًا سيفًا، ومعه عبد الجبار بن شعيب وابنا الكرمانىّ: علىّ وعثمان، وجعفر غلامه، فأمر عمرو بن بكر(١) أن يأتىَ غَلْطان وأندَغ وأشْتُرْجَ معًا(٢)، وأمرهم أن يوافُوه على باب الرّيان بن سنان اليَحمدىّ بنَوْش فى المرج — وكان مصلاّهم فى العيد — فأتاهم فأخبرهم، فخرج القومُ من قراهم فى السلاح، فصلّى بهم الغَداة، وهم زهاء ألف، فما ترجّلت الشمس حتى صاروا ثلاثة آلاف، وأتاهم أهل السقادم، فسار على مَرْج نيران حتى أتى حَوْزان، فقال خلف بن خليفة:

أَصْحِروا لِلمَرْج أَجْلَى لِلعَمَى فلقد أَصْحَرَ أصحاب السَّرَبْ
إنَّ مَرْجَ الأَزدِ مَرْجٌ واسعٌ تَسْتَوِى الأَقدام فِيهِ والرُّكبْ

وقيل: إن الأزْد بايعت لعبد الملك بن حَرْملة على كتاب الله عزّ وجلّ ليلة خرج الكِرمانىّ، فلما اجتمعوا فى مَرْج نَوْش أقيمت الصلاة، فاختلف عبد الملك والكِرمانىّ ساعة، ثم قدمه عبد الملك، وصيّرا الأمر له، فصلى الكِرمانىّ. ولما هَرَب الكِرمانىّ أصبح نصر معسكراً بباب مَرْو الرّوذ بناحية إبردانةَ، فأقام يومًا أو يومين. ١٨٦٣/٢

وقيل: لما هرب الكِرمانىّ استخلف نصر عصمة بن عبد الله الأسدىّ، وخرج إلى القناطر الخمس بباب مَرْو الرّوذ، وخطب الناس، فنال من الكرمانىّ، فقال: وُلد بكرمان وكان كِرْمانيًّا، ثم سقط إلى هَرَاة فكان هَرَويًّا، والساقط بين الفراشَيْن لا أصل ثابت؛ ولا فرع نابت، ثم ذكر الأزْد، فقال: إن يستوثقوا فأذلّ قوم، وإن يأبوْا فهم كما قال الأخطل:

ضَفَادِع فى ظلماءِ لَيلٍ تجاوَبَتْ فَدلَّ عليها صَوْتُها حَيَّةَ البحر(٣)

ثم نَدِم على ما فرط منه، فقال: اذكروا الله؛ فإنّ ذكر الله شفاء، ذكر الله خيرٌ لا شرّ فيه، يُذهب الذنب، وذكرُ الله براءة من النفاق.

ثم اجتمع إلى نصر بَشَرٌ كثير، فوجّه سلم بن أحوَز إلى الكِرمانىّ فى

---

(١) ا: «بكير».
(٢) ط: «معنا».
(٣) ديوانه ١٣.

المجفّفة فى بشر كثير. فسفر الناس بين نصر والكرمانىّ ، وسألوا نصراً أن يؤمنه ولا يحبسه ، ويضمن عنه قومُه ألّا يخالفه . فوضع يده فى يد نصر فأمرَه بلزوم بيته، ثم بلغه عن نصر شىء ، فخرج إلى قرية له، وخرج نصر فعسكر بالقناطر[1] ، فأتاه القاسم بن نجيب ، فكلمه فيه فآمنه ، وقال له : إنْ شئت خرج لك عن خُراسان ، وإن شئت أقام فى داره — وكان رأى نصر إخراجه— فقال له سلم : إن أخرجته نوّهت باسمه وذكره ، وقال الناس : أخرجه لأنه[2] هابه ، فقال نصر : إن الذى أتخوّفه منه إذا خرج أيسر مما أتخوّفه منه وهو مقيم ، والرجل إذا نُفِىَ عن بلده صَغُر أمره . فأبوْا عليه ، فكفّ عنه ، وأعطى مَن كان معه عشرة عشرة . وأتى الكرمانىّ نصراً ، فدخل سرادقه فآمنه . ولحق عبد العزيز بن عبد ربّه بالحارث بن سُريج . وأتى نصراً عزلُ منصور بن جمهور وولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فى شوّال سنة ست وعشرين ومائة؛ فخطب الناس، وذكر ابن جمهور ، وقال : قد علمتُ أنه لم يكن من عمال العراق، وقد عزله الله ، واستعمل الطيب ابن الطيب ؛ فغضب الكرمانىّ لابن جمهور ، فعاد فى جمْع الرجال واتخاذ السلاح . وكان يحضر الجمعة فى ألف وخمسمائة وأكثر وأقلّ ، فيصلى خارجاً من المقصورة ثم يدخل على نَصْر ، فيسلم ولا يجلس . ثم ترك إتيانَ نَصر وأظهر الخِلاف ، فأرسل إليه نصر مع سلْم بن أحوز : إنّى والله ما أردت بك فى حَبْسك سوءاً ، ولكن خفتُ أن تفسِدَ أمر الناس ، فأتنى . فقال الكرمانىّ : لولا أنك فى منزلى لقتلتُك، ولولا ما أعرف من حُمقك أحسنتُ أدَبك ، فارجع إلى ابن الأقطع فأبلغه ما شئت من خَير وشرّ[3]. فرجع إلى نصر فأخبره ، فقال : عُدْ إليه، فقال : لا والله ، وما بى هيبة له ولكنى أكره أن يُسمِعَنى فيك ما أكره . فبعث إليه عصمة بن عبد الله الأسدىّ ، فقال : يا أبا علىّ ، إنى أخاف عليك عاقبَة ما ابتدأتَ به فى دينك ودنياك، ونحن نعرض عليك خِصالا ؛ فانطلق إلى أميرك يعرضها عليك، وما نريد

١٨٦٤/٢

١٨٦٥/٢

---

(١) ابن الأثير : « بباب مرو » . (٢) ط : « إنه » .

(٣) ابن الأثير : « أوشر » .

بذلك إلا الإنذار إليك . فقال الكِرمانىّ : إنى أعلم أن نصراً لم يقل هذا لك
ولكنك أردت أن يبلغه فتحظى ، والله لا أكلمك كلمة بعد انقضاء كلامى
حتى ترجع إلى منزلك ، فيرسل مَن أحب غَيرك . فرجع عصمة ، وقال :
ما رأيت عِلْجاً أعدى لطورِه من الكِرمانىّ ، وما أعجبُ منه ؛ ولكن من
يحيى بن حُصين لَعنهم الله! [والله لهم(١)] أشدّ تعظيماً له من أصحابه . قال سَلْم
ابن أحوز : إنى أخاف فساد هذا الثغر والناس ، فأرسل إليه قُدَيداً . وقال
نصر لقُديد بن مَنيع : انطلق إليه ، فأتاه فقال له : يا أبا علىّ ، لقد لججتَ
وأخاف أن يتفاقم الأمر فنهلك جميعًا ، وتشمَت بنا هذه الأعاجم ، فقال :
يا قُديد ؛ إنى لا أتهمك ؛ وقد جاء ما لا أثق بنصر معه ، وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : «البكرىّ أخوك ولا تثق به» ؛ قال : أما إذْ وقع هذا فى نفسك
فأعطه رهْنًا ، قال : من؟ قال : أعطه عليًّا وعثمان ، قال : فمن يعطينى ؟ ولا خير فيه ،
قال : يا أبا علىّ ، أنشدك الله أن يكون خراب هذه البلدة على يديك . ورجع
إلى نصر ، فقال لعَقيل بن معقل الليثىّ : ما أخوفَنى أن يقع بهذا الثّغر بلاء ،
فكلم ابن عمك ، فقال عَقيل لنصر : أيها الأمير ، أنشدك الله أن تشأم عشيرتك ؛
إن مَرْوان بالشأم تقاتله الخوارج ، والناس فى فتنة والأزْد سفهاء وهم جيرانك .
قال : فما أصنع ؟ إن علمتَ أمراً يُصلِح الناس فدونك ، فقد عزم أنه ١٨٦٦/٢
لا يثق بى . قال : فأتى عَقيل الكِرمانىّ ، فقال : أبا علىّ ، قد سننت سنة تُطلَبُ
بعدك من الأمراء ، إنى أرى أمراً أخاف أن تَذهب فيه العقول ، قال الكِرمانىّ :
إنّ نصراً يريد أن آتيَه ولا آمنه ، ونريد أن يعتزل ونعتزل ، ونختار رجلا من
بَكْر بن وائل ، نرضاه جميعًا ، فيلى أمرنا جميعًا حتى يأتىَ أمرٌ من الخليفة ؛
وهو يأبَى هذا . قال : يا أبا علىّ ، إنى أخاف أن يهلِك أهلُ هذا الثغر ،
فأت أميرك وقل ما شئت تُجَبْ إليه ، ولا تُطمِع سفهاء قومك فيما دخلوا
فيه ، فقال الكرمانىّ : إنى لا أتهمك فى نصيحة ولا عقْل ، ولكنّى لا أثق
بنصر ؛ فليحمل من مال خرَاسان ما شاء ويشخص . قال : فهل لك فى أمر
يجمع الأمر بينكما ؟ تتزوّج إليه ويتزوّج إليك ، قال : لا آمنه على حال ،

---

(١) من ا .

قال : ما بعد هذا خيرٌ ، وإنى خائف أن تهلك غداً بمَضْيَعة ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له عَقيل : أعود إليك ؟ قال : لا ؛ ولكن أبلغه عنى وقل له : لا آمن أن يحملك قوم على غير ما تريد ، فتركب منا ما لا بقيّة بعده ؛ فإن شئت خرجت عنك لا من هيبة لك ، ولكن أكره أن أشأم أهل هذه البلدة ، وأسفك الدّماء فيها . وتهيّأ ليخرج إلى جرجان .

* * *

[خبر الحارث بن سريج مع يزيد]

٢/١٨٦٧ وفى هذه السنة آمن يزيد بن الوليد الحارثَ بن سريج ، وكتب له بذلك ، فكتب إلى عبد الله بن عمر يأمره بردّ ما كان أخذ منه من ماله وولده .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذكر أنّ الفتنة لما وقعت بخراسان بين نَصْر والكرمانىّ ، خاف نصر قدوم الحارث بن سُرَيج عليه بأصحابه والترك ، فيكون أمره أشدّ عليه من الكرمانىّ وغيره ، وطمع أن يناصحه ، فأرسل إليه مقاتل بن حيّان النَّبَطىّ وثعلبة بن صفوان البنانىّ وأنس بن بَجَالة الأعرجىّ وهُدْبَة الشعراوىّ وربيعة القرشىّ ليردّوه عن بلاد الترك .

فذكر علىّ بن محمد عن شيوخه أن خالد بن زياد البدّىّ من أهل التّرمذ وخالد بن عمرو مولى بنى عامر ، خرجا إلى يزيد بن الوليد يطلبان الأمان للحارث بن سُرَيج ، فقدما الكوفة ، فلقيا سعيد خُذَينة ، فقال لخالد ابن زياد : أتدرى لم سمَّوْنى خُذَينة ؟ قال : لا ، قال : أرادونى على قتل أهل اليمن فأبيت . وسألا أبا حنيفة أن يكتب لهما إلى الأجْلح — وكان من خاصة يزيد بن الوليد — فكتب لهما إليه ، فأدخلهما عليه ، فقال له خالد بن زياد : يا أمير المؤمنين ، قتلت ابن عمك لإقامة كتاب الله ، وعمّالك يغشمون ويظلمون! قال : لا أجد أعواناً غيرهم ، وإنى لأبغضهم ، قال : يا أمير المؤمنين ، ولّ أهل البيوتات ، وضمّ إلى كلّ عامل رجالا من أهل الخير والفقه يأخذونهم بما فى عهدك ، قال : أفعل ، وسألاه أماناً للحارث بن سريج ، فكتب له :

٢/١٨٦٨ أما بعد ، فإنا غضبنا لله ، إذْ عُطلت حدوده ، وبُلغ بعباده كلّ مبلغ ،

وسفكت الدماء بغير حلّها، وأخذت الأموال بغير حقها، فأردنا أن نعمل فى هذه الأمة بكتاب الله جلّ وعزّ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولا قوّة إلا بالله؛ فقد أوضحنا لك عن ذات أنفسنا، فأقبل آمنًا أنت ومن معك ؛ فإنكم إخواننا وأعواننا . وقد كتبتُ إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بردّ ما كان اصطفى من أموالكم وذراريّكم .

فقدما الكوفة فدخلا على ابن عمر ، فقال خالد بن زياد : أصلح الله الأمير ! ألا تأمر عمالك بسيرة أبيك ؟ قال : أوليس سيرة عمر ظاهرة معروفة ! قال : فما ينفع النّاس منها ولا يُعمل بها ! ثم قدما مَرْو فدفعا كتاب يزيد إلى نصر ، فردّ ماكان أخذ لهمْ مما قدر عليه . ثم نفذا إلى الحارث ، فلقيا مقاتل بن حيّان وأصحابه الذين وجّههم نصر إلى الحارث . وكان ابن عمر كتب إلى نصر : إنك آمنت الحارث بغير إذنى ولا إذن الخليفة . فأسْقِط فى يديه، فبعث يزيد بن الأحمر وأمره أن يفتك بالحارث إذا صار معه فى السفينة . فلما لقيا مقاتلا بآمُل قطع إليه مقاتل بنفسه، فكفّ عنه يزيد. قال: فأقبل الحارث يريد مَرْو — وكان مقامه بأرض الشرْك اثنتى عشرة سنة — وقدم معه القاسم الشيبانىّ ومضرّس بن عمران قاضيه وعبد الله بن سنان. فقدم سمرقند وعليها منصور بن عمر فلم يتلقّه، وقال : أُحسِنْ بلائه ! وكتب إلى نصر يستأذنه فى الحارث أن يثبَ به، فأيّهما قتل صاحبه فإلى الجنة أو إلى النار . وكتب إليه: لئن قدم الحارث على الأمير وقد ضرّ ببنى أمية فى سلطانهم؛ وهو والغ فى دم بعد دم، قد طوى كشحًا عن الدنيا بعد أن كان فى سلطانهم أقراهم لضيف، وأشدهم بأسًا ، وأنفذهم غارة فى الترك ؛ ليفرّقن عليك بنى تميم . وكان سَرْدرخُداه محبوسًا عند منصور بن عمر ؛ لأنه قتل بياسان ، فاستعدى ابنُه جنده[1] منصوراً، فحبسه، فكلم الحارث منصوراً فيه، فخلّى سبيله، فلزم الحارث ووفى له .

١٨٦٩/٢

• • •

[كتاب إبراهيم الإمام إلى شيعة بنى العباس]

وفى هذه السنة — فيما زعم بعضهم — وجّه إبراهيم بن محمد الإمام أبا هاشم بُكير بن ماهان إلى خراسان ، وبعث معه بالسيرة والوصيّة . فقدم مَرْو ،

(١) هو جنده بن بياسان .

وجمع النقباء ومَنْ بها من الدّعاة، فنعى لهم الإمام محمد بن علىّ ، ودعاهم إلى إبراهيم ، ودفع إليهم كتاب إبراهيم ، فقبلوه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة ، فقدم بها بكير على إبراهيم بن محمد .

[ذكر بيعة إبراهيم بن الوليد بالعهد]

وفى هذه السنة أخذ يزيد بن الوليد لأخيه إبراهيم بن الوليد على الناس البيعة ، وجعله ولىّ عهده ، ولعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بعد إبراهيم ابن الوليد ؛ وكان السبب فى ذلك — فيما حدثنى أحمد بن زهير ، عن علىّ ابن محمد — أن يزيد بن الوليد مرض فى ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، فقيل له : بايع لأخيك إبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده. قال : فلم تزل القدَرِية يحثّونه على البيعة ، ويقولون له : إنه لا يحلّ لك أن تهمل أمْرَ الأمة فبايع لأخيك ؛ حتى بايع لإبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده .

وفى هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن المدينة ، ١٨٧٠/٢ وولاّها عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان . قال محمد بن عمر : يقال إن يزيد بن الوليد لم يولّه ، ولكنه افتعل كتاباً بولايته المدينة ، فعزله يزيد عنها ، وولاّها عبد العزيز بن عمر ، فقدمها لليلتين بقيتا من ذى القعدة .

[ذكر خلاف مروان بن محمد على يزيد]

وفى هذه السنة أظهر مَرْوان بن محمد الخلاف على يزيد بن الوليد ؛ وانصرف من أرمينيَة إلى الجزيرة ، مظهراً أنه طالبٌ بدم الوليد بن يزيد . فلما صار بحرّان بايع يزيد .

• ذكر الخبر عما كان منه فى ذلك وعن السبب الذى حمله على الخلاف ثم البيعة :

حدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن خالد ابن يزيد بن هريم ، قال : حدثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح مولى عثمان بن عفان — وسألته عما شهد مما حدثنا به فقال : لم أزل فى عسكر مَرْوان بن محمد — قال : كان عبد الملك بن مَرْوان بن محمد بن مروان حين

انصرف عن غـَزاته الصائفة مع الغَـمـْر بن يزيد بحرّان ، فأتاه قتلُ الوليد وهو بها ، وعلى الجزيرة عَـبْدة بن رباح الغسانىّ عاملا للوليد عليها ، فشخص منها — حيث بلغه قتلُ الوليد — إلى الشأم ، ووثب عبد الملك بن مـَرْوان بن محمدعلى حرّان ومدائن الجزيرة فضبطها ، وولاّها سليمان بن عبد الله بن عُلاثة ، وكتب إلى أبيه بأرمينيـَة يعلمه بذلك ، ويشير عليه بتعجيل السير والقدوم .فتهيـّأ مـَرْوان للمسير ، وأظهر أنه يطلب بدم الوليد ، وكره أن يـَدَع الثـَّغـْر معطـَّلا حتى يـُحكم أمـَره ؛فوجـَّه إلى أهل الباب إسحاق بن مسلم العقيلىّ — وهو رأس قيس — وثابت بن نـعيم الجـذامىّ من أهل فلـسطين — وهو رأس اليمن — وكان سبب صحبة ثابت إياه أن مروان كان خلـّصه من حبس هشام بالرُّصافة . وكان مـَرْوان يقدُم على هشام المرّة فى السنتين ، فيرفع إليه أمر الثـَّغـْر وحاله ومصلحة مـَنْ به من جنوده ، وما ينبغى أن يعمل به فى عدوّه .وكان سبب حبس هشام ثابتـًا ما قد ذكرنا قبل من أمره مع حـَنْظلة بن صفوان وإفساده عليه الجند الذين كان هشام وجههم معه لحرب البربر وأهل إفريقيـَة ؛ إذ قتلوا عامل هشام عليهم ، كـلثوم بن عياض القسرىّ ، فشكا ذلك من أمره حنظلة إلى هشام فى كتاب كتبه إليه ، فأمر هشام حنظلة بتوجيهه إليه فى الحديد ، فوجـّهه حنظلة إليه ، فحبسه هشام ، فلم يزل فى حبسه حتى قدم مروان بن محمد على هشام فى بعض وفاداته — وقد ذكرنا بعض أمر كـلثوم ابن عياض وأمر إفريقية معه فى موضعه فيما مضى من كتابنا هذا — فلما قدم مروان على هشام أتاه رءوس أهل اليمانية ؛ ممن كان مع هشام ، فطلبوا إليه فيه ؛ وكان ممن كلـّمه فيه كعب بن حامد العبسىّ صاحب شـرط هشام وعبد الرحمن بن الضخم وسليمان بن حبيب قاضيه ، فاستوهبه مـَرْوان منه فوهبه له ، فشخص إلى أرمينيـَة ، فولاّه وحبـَاه ، فلما وجـّه مروان ثابتـًا مع إسحاق إلى أهل الباب ، كتب إليهم معهما كتابـًا يعلمهم فيه حال ثغرهم وما لهم من الأجر فى لزوم أمرهم ومراكزهم ، وما فى ثبوتهم فيه من دفـْع مكروه العدوّ عن ذرارىّ المسلمين .

١٨٧١/٢

١٨٧٢/٢

قال : وحمل إليهم معهما أعطياتـِهم ، وولـّى عليهم رجلا من أهل

فلسطين يقال له حميد بن عبد الله اللخمىّ – وكان رضيًّا فيهم وكان وليهم قبل ذلك – فحمدوا ولايته. فقاما فيهم بأمره، وأبلغاهم رسالته، وقرآ عليهم كتابه، فأجابوا إلى الثبوت فى ثغرهم ولزوم مراكزهم. ثم بلغه أنّ ثابتًا قد كان يدسّ إلى قوّادهم بالانصراف من ثَغْرهم واللحاق بأجنادهم، فلما انصرفا إليه تهيّأ للمسير وعرض جنده، ودسّ ثابت بن نعيم إلى من معه من أهل الشأم بالانخزال عن مَرْوان والانضمام إليه ليسير بهم إلى أجنادهم، ويتولّى أمرهم؛ فانخزلوا عن عسكرهم مع من فرّ ليلا وعسكروا على حِدة. وبلغ مروان أمرُهم فبات ليلته ومن معه فى السلاح يتحارسون حتى أصبح؛ ثم خرج إليهم بمن معه ومن مع ثابت يضعفون على من مع مَرْوان، فصافّوهم ليقاتلوهم، فأمر مروان منادين فنادوْا بين الصّفين من الميمنة والميسرة والقلب، فنادوهم: يا أهل الشأم؛ ما دعاكم إلى الانعزال! وما الذى نقمتم علىّ فيه من سِيرَتى! ألم ألِكم بما تحبّون، وأحسن السيرة فيكم والولاية عليكم! ما الذى دعاكم إلى سفك دمائكم! فأجابوه بأنا كنا نطيعك بطاعة خليفتنا وقد قتِل خليفتنا وبايع أهل الشأم يزيد بن الوليد، فرضينا بولاية ثابت، ورأسناه ليسير بنا على ألويتنا حتى نردّ إلى أجنادنا. فأمر مناديه فنادى: أن قد كذبتم، وليس تريدون الذى قلتم؛ وإنما أردتم أن تركبوا رءوسكم، فتغصبوا من مررتم به من أهل الذّمة أموالَهم وأطعمتَهم وأعلافهم؛ وما بينى وبينكم إلا السيف حتى تنقادوا إلىّ، فأسير بكم حتى أورِدكم الفرات، ثم أخلّى عن كل قائد وجنده، فتلحقون بأجنادكم. فلما رأوا الجدّ منه انقادوا إليه ومالوا له، وأمكنوه من ثابت بن نعيم وأولاده؛ وهم أربعة رجال: رفاعة، ونعيم، وبكْر، وعمران. قال: فأمر بهم فأنزِلوا عن خيولهم، وسلِبوا سلاحهم، ووضع فى أرجلهم السلاسل. ووكّل بهم عدّة من حرَسِه يحتفظون بهم، وشخص بجماعة من الجند من أهل الشأم والجزيرة، وضمهم إلى عسكره، وضبطهم فى مسيره، فلم يقدر أحد منهم على أن يفسد ولا يظلم أحداً من أهل القرى، ولا يرزأه شيئًا إلا بثمن، حتى ورد حرّان. ثم أمرهم باللحاق بأجنادهم، وحبس ثابتًا معه،

١٨٧٣/٢

ودعا أهل الجزيرة إلى الفَرْض، ففرض لنيِّف وعشرين ألفاً من أهل الجَلَد منهم، وتهيَّأ للمسير إلى يزيد، وكاتبه يزيد على أن يبايعَه ويوليه ما كان عبد الملك بن مروان ولَّى أباه محمد بن مروان من الجزيرة وأرمينيَة والموصل وأذْربيجان، فبايع له مَرْوان، ووجَّه إليه محمد بن عبد الله بن عُلاثة ونفراً من وجوه الجزيرة.

* * *

[ذكر خبر وفاة يزيد بن الوليد]

١٨٧٤/٢ وفى هذه السنة مات يزيد بن الوليد، وكانت وفاته سلخ ذى الحجة من سنة ست وعشرين ومائة، قال أبو معشر ما حدثنى به أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه: توفِّىَ يزيد بن الوليد فى ذى الحجة بعد الأضحى سنة ست وعشرين ومائة، وكانت خلافته فى قول جميع من ذكرنا ستة أشهر، وقيل كانت خلافته خمسة أشهر وليلتين.

وقال هشام بن محمد: ولى ستة أشهر وأيامًا. وقال علىّ بن محمد: كانت ولايته خمسة أشهر واثنى عشر يومًا.

وقال علىّ بن محمد: مات يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة، وهو ابن ست وأربعين سنة.

وكانت ولايته فيما زعم ستة أشهر وليلتين، وتوفى بدمشق.

واختلف فى مبلغ سنه يوم توفِّى فقال هشام توفى وهو ابن ثلاثين سنه. وقال بعضهم: توفِّىَ وهو ابن سبع وثلاثين سنة. وكان يكنى أبا خالد وأمه أم ولد اسمها شاه آفْريد بنت فَيْرُوز بن يَزْدجِرْد بن شَهْرِيار ابن كسرى. وهو القائل:

أَنَا ابنُ كِسْرى وأبى مروانْ وقيصر جدّى وجدّ خاقانْ

وقيل: إنه كان قَدَريًّا. وكان — فيما حدثنى أحمد، عن علىّ بن محمد فى صفته — أسمر طويلا، صغير الرأس، بوجهه خال. وكان جميلاً من رجل، فى فمه بعض السعة، وليس بالمفرِط.

وقيل له يزيد الناقص لنقصه الناس العشرات التى كان الوليد زادها الناس فى قول الواقدىّ؛ وأما علىّ بن محمد فإنه قال: سبّه مروان بن محمد، فقال: الناقص ابن الوليد، فسمّاه الناس الناقص.

* * *

١٨٧٥/٢ وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مَرْوان فى قول الواقدىّ. وقال بعضهم: حجّ بالناس فى هذه السنة عمر بن عبد الله ابن عبد الملك، بعثه يزيد بن الوليد، وخرج معه عبدالعزيز وهو على المدينة ومكة والطائف.

وكان عامله على العراق فى هذه السنة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وعلى قضاء الكوفة ابن أبى لَيْلى، وعلى أحداث البصرة المسوَّر بن عمر بن عبّاد. وعلى قضائها عامر بن عبيدة، وعلى خراسان نصر بن سيار الكنانىّ.

* * *

خلافة أبى إسحاق إبراهيم بن الوليد

ثم كان إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك بن مروان غير أنه لم يتمّ له أمر. فحدثنى أحمد بن زهير، عن علىّ بن محمد، قال: لم يتمّ لإبراهيم أمره، وكان يسلّم عليه جمعة بالخلافة، وجمعة بالإمْرة؛ وجمعة لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالإمْرة؛ فكان على ذلك أمره حتى قدم مَرْوان بن محمد فخلعه وقتَل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.

وقال هشام بن محمد: استخلف يزيد بن الوليد أبا إسحاق إبراهيم بن الوليد؛ فمكث أربعة أشهر ثم خلِع فى شهر ربيع الآخر من سنة ست وعشرين ومائة، ثم لم يزل حيًّا حتى أصيب فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة أمه أمّ ولد.

حدثنى أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهم، قال: حدثنا أبو هاشم مخلَّد بن محمد، قال: كانت ولاية إبراهيم بن الوليد سبعين ليلة.

٢/١٨٧٦

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأَحداث

* * *

[ذكر مسير مروان إلى الشام وخلع إبراهيم بن الوليد]

فمما كان فيها من ذلك مسير مروان بن محمد إلى الشأم والحرب التى جرت بينه وبين سليمان بن هشام بعين الجَرّ.

* ذكر ذلك والسبب الذى كانت عنه هذه الوقعة:

قال أبو جعفر: وكان السبب ما ذكرتُ بعضه ؛ من أمر مسيرِ مروان بعد مقتل الوليد بن يزيد إلى الجزيرة من أرمينيَة ، وغلَبته عليها ، مظهراً أنه ثائر بالوليد ، منكرٌ قتله ، ثم إظهاره البيْعة ليزيد بن الوليد بعد ما ولّاه عمل أبيه محمد بن مروان ، وإظهاره ما أظهر من ذلك ، وتوجيهه وهو بحرّان محمد بن عبد الله بن عُلاثة وجماعة من وجوه أهل الجزيرة. فحدثنى أحمد، قال: حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا أبو هاشم مخلَّد بن محمد، قال : لما أتى مَرْوانَ موتُ يزيد أرسل إلى ابن عُلاثة وأصحابه فردّهم من مَنْبِج ، وشخص إلى إبراهيم بن الوليد ، فسار مَرْوان فى جند الجزيرة ، وخلّف ابنه عبد الملك فى أربعين ألف من الرَّابطة بالرقّة . فلما انتهى إلى قِنَّسرين ، وبها أخ ليزيد بن الوليد يقال له بشْر ، كان ولاه قنَّسرين فخرج إليه فصافّه ، فنادى الناس ، ودعاهم مرْوان إلى مبايعته ، فمال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة فى القيسيّة ، وأسلموا بشراً وأخاً له يقال له مسرور بن الوليد ؛ —وكان أخا بِشْر لأمه وأبيه— فأخذه مرْوان وأخاه مسرور بن الوليد ؛ فحبسهما

٢/١٨٧٧

وسار فيمن معه من أهل الجزيرة وأهل قِنَّسرين ، متوجّهاً إلى أهل حِمْص ؛ وكان أهل حمص امتنعوا حين مات يزيد بن الوليد أن يبايعوا إبراهيم وعبد العزيز ابن الحجاج ، فوجّه إليه إبراهيم عبدَ العزيز بن الحجاج وجندَ أهل دمشق ، فحاصرهم فى مدينتهم ، وأغذّ مَرْوان السَّير ، فلما دنا من مدينة حِمْص ، رحل عبد العزيز عنهم ، وخرجوا إلى مَرْوان فبايعوه ، وساروا بأجمعهم معه ،

ووجّه إبراهيم بن الوليد الجنودَ مع سليمان بن هشام، فسار بهم حتى نزل عين الجَرّ، وأتاه مروان وسليمان فى عشرين ومائة ألف فارس ومروان فى نحو من ثمانين ألفًا فالتقيا، فدعاهم مَرْوان إلى الكفّ عن قتاله، والتخلية عن ابنى الوليد: الحكَم وعثمان، وهما فى سجن دمشق محبوسان، وضمِن عنهما ألاّ يؤاخذاهم بقتلهم أباهما، وألّا يطلبا أحداً ممن ولى قتله؛ فأبوْا عليه، وجدُّوا فى قتاله؛ فاقتتلوا ما بين ارتفاع النهار إلى العصر، واستحرّ القتل بينهم؛ وكثر فى الفريقين. وكان مَرْوان مجرّباً مكايداً، فدعا ثلاثة نفر من قوّاده — أحدهم أخ لإسحاق بن مسلم يقال له عيسى — فأمرهم بالمسير خلف صَفّه فى خيله وهم ثلاثة آلاف، ووجّه معهم فَعَلة بالفئوس، وقد ملأ الصّفان من أصحابه وأصحاب سليمان بن هشام ما بين الجبلين المحيطين بالمرْج، وبين العسكرين نهر جرّار، وأمرهم إذا انتهوا إلى الجبل أن يقطعوا الشَّجَر، فيعقدوا جسوراً، ويجوزوا إلى عسكر سليمان، ويغيروا فيه.

٢/١٨٧٨ قال: فلم تشعر خيول سليمان وهم مشغولون بالقتال إلاّ بالخيل والبارقة[1] والتكبير فى عسكرهم من خلْفهم، فلما رأوْا ذلك انكسروا؛ وكانت هزيمتهم، ووضع أهل حمص السلاح فيهم لحردهم عليهم، فقتلوا منهم نحواً من سبعة عشر ألفًا، وكفّ أهلُ الجزيرة وأهل قنَّسرين عن قتلهم، فلم يقتلوا منهم أحداً، وأتوا مروان من أسرائهم بمثل عدّة القتلى وأكثر، واستبيح عسكرهم. فأخذ مَرْوان عليهم البَيْعة للغلامَين: الحكم وعثمان، وخلّى عنهم بعد أن قوّاهم بدينار دينار، وألحقهم بأهاليهم، ولم يقتل منهم إلاّ رجلين يقال لأحدهما يزيد بن العقّار وللآخر الوليد بن مَصاد الكلبيّان؛ وكانا فيمن سار إلى الوليد وولِىَ قتله. وكان يزيد بن خالد بن عبد الله القسرىّ معهم، فسار حتى هرب فيمن هرب مع سليمان بن هشام إلى دمشق؛ وكان أحدهما — يعنى الكلبيَّين — على حرس يزيد والآخر على شُرَطه؛ فإنه ضربهما فى موقفه ذلك بالسياط، ثم أمر بهما فحبسا فهلكا فى حبسه.

قال: ومضى سليمان ومَن معه من الفلّ حتى صبّحوا دمشق، واجتمع

(١) البارقة: السيوف؛ سميت بذلك لبريقها.

إليه وإلى إبراهيم وعبد العزيز بن الحجاج رءوس من معهم ،وهم يزيد بن خالد القسرىّ وأبو علاقة السكسكىّ والأصبَغ بن ذُؤالة الكلبىّ ونظراؤهم ؛ فقال بعضهم لبعض : إن بقى الغلامان ابنا الوليد حتى يقدم مروان ويخرجهما من الحبس ويصير الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قتَلة أبيهما ؛ والرأى أن نقتلهما. فولّوا ذلك يزيد بن خالد — ومعهما فى الحبس أبو محمد السفيانىّ ويوسف بن عمر — فأرسل يزيد مولًى لخالد يقال له أبا الأسد، فى عدّة من أصحابه، فدخل السجن، فشدَخ الغلامين بالعُمد؛ وأخرج يوسف بن عمر ليقتلوه، وضُربت عنقه. وأرادوا قتل أبى محمد السفيانىّ، فدخل بيتًا من بيوت السجن فأغلقه، وألقى خلفه الفرش والوسائد، واعتمد على الباب فلم يقدروا على فتحه، فدعوْا بنار ليحرقوه فلم يؤتوا بها، حتى قيل : قد دخلت خيل مروان المدينة وهرب إبراهيم بن الوليد، وتغيّب، وأنهب سليمان ما كان فى بيت المال وقسّمه فيمن معه من الجنود وخرج من المدينة .

١٨٧٩/٢

* * *

[ذكر ظهور عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة دعا إلى نفسه عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب بالكوفة، وحارب بها عبدَالله بن عمر بن عبد العزيز ابن مَرْوان، فهزمه عبدُالله بن عمر، فلحق بالجبال فغلب عليها .

* ذكر الخبر عن سبب خروج عبد الله ودعائه الناس إلى نفسه :

وكان إظهار عبد الله بن معاوية الخلاف على عبد الله بن عمر ونصبه الحرب له — فيما ذكر هشام عن أبى مخنف — فى المحرّم سنة سبع وعشرين ومائة. وكان سبب خروجه عليه — فيما حدّثنى أحمد، عن علىّ بن محمد، عن عاصم ابن حفص التميمىّ وغيره من أهل العلم — أنّ[1] عبد الله بن معاوية بن عبدالله ابن جعفر قدِم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز، يلتمس صلته،[2] لا يريد خروجًا، فتزوّج ابنة حاتم بن الشرقىّ بن عبد المؤمن بن شَبَث بن

١٨٨٠/٢

(١) الخبر فى الأغانى ١٢ : ٢٢٨ وما بعدها .
(٢) الأغانى : «مستميحاً» .

ربعىّ ، فلما وقعت العصبيّة قال له أهل الكوفة : ادعُ إلى نفسك ، فبنو هاشم أولى بالأمر من بنى مرْوان ، فدعا سرًّا بالكوفة وابن عمر بالحيرة ، وبايعه ابن ضَمْرة الخزاعىّ ، فدسّ إليه ابن عمر فأرضاه ، فأرسل إليه : إذا نحن التقيْنا بالناس انهزمتُ بهم . وبلغ ابن معاوية ، فلما التقى الناس قال ابن معاوية : إنّ ابن ضَمْرة قد غدَر ، ووعد ابن عمر أن ينهزم بالناس ؛ فلا يهولنّكم انهزامه ، فإنه عن غدْر يفعل . فلما التقوْا انهزم ابن ضَمْرة ، وانهزم الناس ، فلم يبق معه أحد ، فقال :

تَفَرَّقَتِ الظباءُ على خِداشٍ فما يَدْرِى خداش ما يَصِيدُ

فرجع ابنُ معاوية إلى الكوفة ؛ وكانوا التقوْا ما بين الحيرة والكوفة ، ثم خرج إلى المدائن فبايعوه ، وأتاه قوم من أهل الكوفة ، فخرج فغلب على حلْوان والجبال .

قال : ويقال قدم عبد الله بن معاوية الكوفة وجمع جمعًا ، فلم يعلم عبد الله بن عمر حتى خرج فى الجبّانة مجمعًا على الحرب ، فالتقوْا ، وخالد بن قطن الحارثىّ على أهل اليمن ، فشدّ عليه الأصبغ بن ذؤالة الكلبىّ فى أهل الشأم ، فانهزم خالد وأهل الكوفة وأمسكت نزار عن نزار ورجعوا ، وأقبل خمسون رجلا من الزّيديّة إلى دار ابن محرز القرشىّ يريدون القتال ، فقتلوا ، ولم يقتل من أهل الكوفة غيرهم .

قال : وخرج ابن معاوية من الكوفة مع عبد الله بن عباس التميمىّ إلى المدائن ، ثم خرج منها فغلب على الماهين وهمَذان وقومِس وأصبهان والرّىّ ، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة ، وقال : ٢/١٨٨١

فلا تَرْكَبَنَّ الصنيعَ الذى تَلُومُ أَخاكَ على مثلهِ[1]

---

(١) قبلهما فى الأغانى :

ألا تنزعُ القلْبَ عن جهله وعمّا تُؤنّب من أَجْلِهِ !
فأُبدِل بعد الصبا حلمَهُ وأَقصر ذو العذلِ عن عذِلِه

وَلا يُعْجِبَنَّكَ قَولُ امْرِئٍ يخالف ما قال فى فعله[١]

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنَّى ؛ فإنه زعم أن سبب ذلك أن عبد الله والحسن ويزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قدموا على عبد الله بن عمر ؛ فنزلوا فى النَّخَع ، فى دار مولى لهم ، يقال له الوليد بن سعيد ، فأكرمهم ابن عمر وأجازهم ، وأجرى عليهم كلّ يوم ثلثمائة درهم ، فكانوا كذلك حتى هلَك يزيد بن الوليد ، وبايع الناس أخاه إبراهيم بن الوليد ومن بعده عبد العزيز ابن الحجاج بن عبد الملك ، فقدِمت بيعتهما على عبد الله بن عمر بالكوفة ، فبايع الناس لهما ، وزادهم فى العطاء مائة مائة ؛ وكتب ببيعتهما إلى الآفاق ، فجاءته البيعة ، فبينا هو كذلك ؛ إذ أتاه الخبر بأنّ مروان بن محمد قد سار فى أهل الجزيرة إلى إبراهيم بن الوليد ، وأنه امتنع من البيعة له ، فاحتبس عبد الله بن عمر عبدَ الله بن معاوية عنده ، وزاده فيما كان يجرى عليه ، وأعدّه لمروان ابن محمد إن هو ظفر بإبراهيم بن الوليد ليبايع له ؛ ويقاتل به مَرْوان ؛ فماج الناس فى أمرهم ، وقرب مَرْوان من الشأم ، وخرج إليه إبراهيم فقاتله مروان ، فهزمه وظفر بعسكره وخرج هاربًا ، وثبت عبد العزيز بن الحجاج يقاتل حتى قـتِل . وأقبل إسماعيل بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله القسرىّ هاربًا حتى أتى الكوفة ؛ وكان فى عسكر إبراهيم ، فافتعل كتابًا على لسان إبراهيم بولاية الكوفة ، فأرسل إلى اليمانية ، فأخبرهم سرًّا أنّ إبراهيم بن الوليد ولّاه العراق ، فقبلوا ذلك منه ، وبلغ الخبرُ عبدَ الله بن عمر فباكره صلاةَ الغداة ، فقاتله مِن ساعته ، ومعه عمر بن الغَضْبان ؛ فلما رأى إسماعيل ذلك — ولا عهد معه وصاحبه الذى افتعل العهد على لسانه هارب منهزم — خاف أن يظهر أمره فيفتضح ويقتل ، فقال لأصحابه : إنى كارهٌ لسفك الدماء ؛ ولم أحسّ أن يبلغ الأمر ما بلغ ، فكفُّوا أيديَكم . فتفرّق القوم عنه ، فقال لأهل بيته : إنّ إبراهيم قد هرب ، ودخل مروان دمشق ، فحُكى ذلك عن

١٨٨٢/٢

(١) بعدها فى الأغانى :

ولا تُتبع الطّرفَ ما لا تنالُ ولكن سلِ الله من فضلِه
فكمْ من مقلٍّ ينال الغنَى ويحمد فى رزقِه كُلِّهِ

أهل بيته ، فانتشر الخبر ، واشرأبّت الفتنة ، ووقعت العصبيّة بين الناس .
وكان سبب ذلك أن عبد الله بن عمر كان أعطى مضَر وربيعة عطايا عظاماً ، ولم يعطِ جعفر بن نافع بن القعقاع بن شَوْر الذهليّ وعثمان بن الخَيبرِيّ أخا بنى تيم اللات بن ثعلبة شيئاً ، ولم يسوّهما بنظرائهما ؛ فدخلا عليه ؛ فكلّماه كلاماً غليظاً ، فغضب ابنُ عمر ، وأمر بهما ، فقام إليهما عبدالملك الطائىّ — وكان على شُرَطه يقوم على رأسه — فدفعهما ، فدفعاه وخرجا مغضَبيْن.
وكان ثمامة بن حَوْشب بن رُوَيم الشيبانىّ حاضرًا ، فخرج مغاضباً لصاحبيه ، فخرجوا جميعاً إلى الكوفة ، وكان هذا وابن عمر بالحيرة ، فلما دخلوا الكوفة نادوا : يا آل ربيعة ، فثارت إليهم ربيعة ، فاجتمعوا وتنمّرُوا ، وبلغ الخبرُ ابنَ عمر ، فأرسل إليهم أخاه عاصماً ، فأتاهم وهم بدير هند قد اجتمعوا وحشدوا ، فألقى نفسه بينهم ، وقال : هذه يدى لكم فاحكموا ؛ فاستحيَوْا وعظّموا عاصماً ، وتشكّروا له ، وأقبل على صاحبيْهم فسكتا وكفّا ، فلمّا أمسى ابنُ عمر ١٨٨٣/٢
أرسل من تحت ليلته إلى عمر بن الغَضْبان بمائة ألف ، فقسمها فى قومه بنى همام بن مرة بن ذُهْل بن شيبان ، وأرسل إلى ثُمامة بن حَوْشب بن رُوَيم بمائة ألف ، فقسّمها فى قومه ، وأرسل إلى جعفر بن نافع بن القعقاع بعشرة آلاف ، وإلى عثمان بن الخيبرىّ بعشرة آلاف .

قال أبو جعفر : فلما رأت الشيعة ضَعْفَه اغتمزوا فيه ، واجترءوا عليه وطمعوا فيه ودعوْا إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . وكان الذى ولى ذلك هلال ابن أبى الورد مولى بنى عجل ، فثاروا فى غوغاء الناس حتى أتوا المسجد ، فاجتمعوا فيه وهلال القائم بالأمر ، فبايعه ناس من الشيعة لعبد الله بن معاوية ، ثم مضوا من فَوْرهم إلى عبد الله ، فأخرجوه من دار الوليد بن سعيد ؛ حتى أدخلوه القصر ، وحالوا بين عاصم بن عمر وبين القصر ، فلحق بأخيه عبد الله بالحيرة ، وجاء ابنَ معاوية الكوفيون فبايعوه ، فيهم عمر بن الغضبان بن القبعثرىّ ومنصور بن جمهور وإسماعيل بن عبد الله القسرىّ ومَن كان من أهل الشأم بالكوفة له أهل وأصل ، فأقام بالكوفة أياماً يبايعه الناس ، وأتته البَيْعة من المدائن وفَمِ النيل ، واجتمع إليه الناس ، فخرج يريد عبد الله بن عمر بالحيرة ،

وبرز له عبد الله بن عمر فيمن كان معه من أهل الشأم ، فخرج رجل من أهل الشأم يسأله البِراز ، فبرز له القاسم بن عبد الغفار ، فقال له الشامىّ[1] : لقد دعوتُ حين دعوت ، وما أظنّ أن يخرج إلىّ رجل من بكر بن وائل ، والله ما أريد قتالك ، ولكن أحببتُ أن ألقى إليك ما انتهى إلينا ؛ أخبرك أنه ليس معكم رجل من أهل اليمن ؛ لا منصور ولا إسماعيل ولا غيرهما إلا وقد كاتب عبد الله بن عمر ، وجاءته كتب مضَر ، وما أرى لكم أيها الحىّ من ربيعة كتابًا ولا رسولاً ، وليسوا مواقعيكم يومكم حتى تُصْبِحوا فيواقعوكم ، فإن استطعتم ألّا تكون بكم الحزّة فافعلوا ، فإنى رجل من قيْس ، وسنكون غداً بإزائكم ؛ فإن أردتم الكتاب إلى صاحبنا أبلغتُه ، وإن أردتم الوفاء لمن خرجتم معه فقد أبلغتكم حالَ الناس . فدعا القاسم رجالاً من قومه ، فأعلمهم ما قال له الرجل ؛ وأنّ ميمنة ابن عمر من ربيعة ، ومضر ستقف بإزاء ميسرته وفيها ربيعة ، فقال عبد الله بن معاوية : إنّ هذه علامة ستظهر لنا إن أصبحنا ؛ فإن أحبّ عمر بن الغضبان فليلقَنى الليلة ؛ وإن منعه شغل ماهو فيه فهو عذْر[2] ؛ وقلْ له : إنى لأظن القيسىّ قد كذب ، فأتى الرّسول عمرَ بذلك ، فردّه إليه بكتاب يُعلِمه أن رسولى هذا بمنزلتى عندى ، ويأمره أن يتوثّق من منصور وإسماعيل ، وإنما أراد أن يعلمهما بذلك . قال : فأبى ابنُ معاوية أن يفعل ، فأصبح الناس غادين على القتال ، وقد جعل اليمن فى الميمنة ومضر وربيعة فى الميسرة ، ونادى مُنادٍ : من أتى برأس فله كذا وكذا ، أو بأسير فله كذا وكذا ، والمال عند عمر بنِ الغضبان .

١٨٨٤/٢

والتقى الناسُ واقتتلوا ، وحمل عمر بن الغضبان على ميمنة ابن عمر فانكشفوا ، ومضى إسماعيل ومنصور من فَوْرهما إلى الحيرة ، ورجمتْ[3] غوغاء الناس أهلَ اليمن من أهل الكوفة ، فقتلوا فيهم أكثر من ثلاثين رجلاً ، وقُتل الهاشمىّ العباس بن عبد الله زوج ابنة الملاة .

١٨٨٥/٢

ذكر عمر أن محمد بن يحيى حدّثه عن أبيه ، عن عاتكة بنت الملاة ،

---

(١) ابن الأثير : « فسأله الشامى فعرفه فقال » .
(٢) ط : « فهو غدر » ، وما أثبته من ا .
(٣) كذا فى ا ، وفى ط : « وزحمت » .

تزوّجت أزواجًا ، منهم العباس بن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قُتِل مع عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فى العصبيّة بالعراق . وقتل مبكر ابن الحوارىّ بن زياد فى غيرهم ؛ ثم انكشفوا وفيهم عبد الله بن معاوية حتى دخل نصر الكوفة ، وبقيت الميسرة من مُضَر وربيعة ومَنْ بإزائهم من أهل الشأم ، وحمل أهلُ القلب من أهل الشأم على الزيديّة فانكشفوا ، حتى دخلوا الكوفة ، وبقيَت الميسرة وهم نحو خمسمائة رجل ، وأقبل عامر بن ضُبارة ونُبَاتة ابن حنظلة بن قبيصة وعتبة بن عبد الرحمن الثعلبىّ والنضر بن سعيد بن عمرو الحرَشىّ ، حتى وقفوا على ربيعة ، فقالوا لعمر بن الغضبان : أمّا نحن يا معشر ربيعة ، فما كنا نأمنُ عليكم ما صنع الناس بأهل اليمن ، ونتخوّف عليكم مثلها ؛ فانصرفوا . فقال عمر : ما كنت ببارح أبداً حتى أموت ؛ فقالوا : إن هذا ليس بمغنٍ عنك ولا عن أصحابك شيئًا ، فأخذوا بعنان دابته فأدخلوه الكوفة .

قال عمر : حدثنى علىّ بن محمد ، عن سليمان بن عبد الله النوفلىّ ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنا خِرَاش بن المغيرة بن عطية مولى لبنى ليث ، عن أبيه ، قال : كنت كاتب عبد الله بن عمر ؛ فوالله إنى لعنده يومًا وهو بالحيرة إذ أتاه آت فقال : هذا عبد الله بن معاوية قد أقبل فى الخَلْق ، فأطرق مليًّا وجاءه رئيس خبّازيه ، فقام بين يديه كأنه يُؤذنه بإدراك طعامه ، فأومأ إليه عبدُ الله : أن هاته . فجاء بالطعام ، وقد شخصت قلوبُنا ، ونحن نتوقع أن يهجُم علينا ابن معاوية ونحن معه ، قال : فجعلت أتفقّده : هل أراه تغيّر فى شىء من أمره من مطعم أو مشرب أو منظر أو أمر أو نهى ؟ فلا والله ، ما أنكرت من هيئته قليلاً ولا كثيراً ؛ وكان طعامه إذا أُتِىَ به وُضع بين كلّ اثنين منا صَحفة . قال : فوضعت بينى وبين فلان صَحفة ، وبين فلان وفلان صحفة أخرى ؛ حتى عدّ مَن كان على خوانه ، فلما فرغ من غدائه ووضوئه ، أمر بالمال فأخرِج ؛ حتى أخرجت آنية من ذهب وفضة وكُسًا ، ففرّق أكثر ذلك فى قوّاده ، ثم دعا مولى له أو مملوكاً كان يتبرّك به ويتفاءل باسمه — إمّا يدعى ميموناً أو فتحًا أو اسماً من الأسماء المتبرّك بها — فقال له :

١٨٨٦/٢

خذلواءك ، وامض إلى تلّ كذا وكذا فاركزه [عليه] [١] ، وادع أصحابك ، وأقم حتى آتيك . ففعل وخرج عبدُ الله وخرجنا معه ؛ حتى صار إلى التلّ فإذا الأرض بيضاء من أصحاب ابنِ معاوية ، فأمر عبد الله مناديًا ، فنادى : من جاء برأس فله خمسمائة ؛ فوالله ما كان بأسرع من أن أُتِيَ برأس ، فوُضِع بين يديه ؛ فأمر له بخمسمائة ، فدفِعت إلى الذى جاء به ، فلما رأى أصحابه وفاءه لصاحب الرأس ، ثاروا [٢] بالقوم ؛ فوالله ما كان إلا هُنَيْهة حتى نظرت إلى نحو من خمسمائة رأس قد ألقيت بين يديه ؛ وانكشف ابنُ معاوية ومَن معه منهزمين ، فكان أوّل مَن دخل الكوفة من أصحابه منهزمًا أبو البلاد مولى بنى عبس وابنه سليمان بين يديه — وكان أبو البلاد متشيعًا — فجعل أهلُ الكوفة ينادونهم كلّ يوم ؛ وكأنهم يعيرونهم بانهزامه ؛ فجعل يصيح بابنه سليمان : امضِ ودع النّواضح [٣] ينفقن . قال : ومرّ عبد الله بن معاوية فطوى الكوفة ، ولم يعرّج بها حتى أتى الجبل .

١٨٨٧/٢

وأما أبو عُبيدة : فإنه ذكر أن عبد الله بن معاوية وإخوته دخلوا القصر فلما أمسَوْا قالوا لعمر بن الغضبان وأصحابه : يا معشرَ ربيعة ، قد رأيتم ما صنع الناس بنا ؛ وقد أعلَقْنا دماءَنا فى أعناقكم ؛ فإن كنتم مقاتلين معنا قاتلنا معكم ؛ وإن كنتم ترَوْن الناس خاذلينا وإيّاكم ؛ فخذوا لنا ولكم أمانًا ؛ فما أخذتم لأنفسكم فقد رضينا لأنفسنا ، فقال لهم عمر بن الغضبان : ما نحن بتاركيكم من إحدى خلّتين : إما أن نقاتل معكم ، وإما أن نأخذ لكم أمانًا كما نأخذ لأنفسنا ، فطِيبوا نفسًا ، فأقاموا فى القصر ، والزيديّة على أفواه السكك يَغْدُو عليهم أهل الشأم ويروحون ، يقاتلونهم أيامًا . ثم إن ربيعة أخذت لأنفسها وللزيديّة ولعبد الله بن معاوية أمانًا ؛ ألّا يتبعوهم ويذهبوا حيث شاءوا . وأرسل عبد الله بن عمر إلى عمر بن الغضبان يأمره بنزول القصر وإخراج عبد الله بن معاوية ، فأرسل إليه ابنُ الغضبان فرحّله ومَن معه من شيعته ومَن تبعه من أهل المدائن وأهل السواد وأهل

---

(١) من ا . (٢) ط : « نادوا » ، وأثبت ما فى ا .

(٣) النواضح : جمع ناضح ؛ وهو البعير أو الثور أو الحمار يستقى عليه .

الكوفة ، فسار بهم رسلُ عمر حتى أخرجوهم من الجَسْر فنزل عمر من القصر .

* * *

[ذكر خبر رجوع الحارث بن سريج إلى مَرْو]

٢/١٨٨٨ وفى هذه السنة وافى الحارث بن سريج مَرْو ، خارجًا إليها من بلاد الترك بالأمان الذى كتب له يزيد بن الوليد ، فصار إلى نصر بن سيار ، ثم خالفه وأظهر الخلاف له ، وبايعه على ذلك جمع كبير .

* ذكر الخبر عن أمره وأمر نصر بعد قدومه عليه :

ذكر علىّ بن محمد عن شيوخه ؛ أنّ الحارث سار إلى مَرْو ، مخرجَه[1] من بلاد الترك ، فقدمها يوم الأحد لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة ، فتلقاه سلم بن أحوز ، والناس بكشماهِن ، فقال محمد بن الفضل[2] ابن عطية العبسىّ : الحمد لله الذى أقرّ أعينَنا بقدومك ، وردّك إلى فئة الإسلام وإلى الجماعة . قال : يابنىّ ؛ أما علمت أنّ الكثير إذا كانوا على معصية الله كانوا قليلاً ، وأنّ القليل إذا كانوا على طاعة الله كانوا كثيراً ! وما قرّت عينى منذ خرجت إلى يومى هذا ، وما قرة عينى إلا أن يطاع الله . فلما دخل مَرْو قال : اللهمّ إنى لم أنوِ قطّ فى شىء مما بينى وبينهم إلاّ الوفاء ، فإن أرادوا الغدر فانصرْنى عليهم . ولقاه نصر فأنزله قَصْر بُخاراخُذاه ، وأجرى عليه نزُلاً خمسين درهمًا فى كلّ يوم ، وكان يقتصر على لون واحد ، وأطلق نصر مَن كان عنده من أهله ؛ أطلق محمد بن الحارث والألوف بنت الحارث وأمّ بكر ؛ فلما أتاه ابنه محمد ، قال : اللهمّ اجعله بارًّا تقيًّا .

قال : وقدم الوضاح بن حبيب بن بُدَيل على نَصْر بن سيّار من عند عبد الله بن عمر ، وقد أصابه برد شديد ، فكساه أثوابًا ، وأمر له بقسرّى وجاريتين ؛ ثم أتى الحارث بن سريج ، وعنده جماعة من أصحابه قيام على رأسه ، فقال له : إنّا بالعراق ، نشهر عظْم عمودك وثقله ؛ وإنى أحبّ أن أراه ، ٢/١٨٨٩ فقال : ما هو إلا كبعض ما ترى مع هؤلاء — وأشار إلى أصحابه — ولكنى إذا ضربت به [شهرت[3]] ضربتى ، قال : وكان فى عموده بالشأمى ثمانية عشر رطلاً .

---

(١) ا : « مقدمه » . (٢) ط : « الفضيل » ، وصوابه من ا . (٣) من ا .

قال : ودخل الحارث بن سريج على نَصْر ، وعليه الجوشن[1] الذى أصابه من خاقان ، وكان خيَّره بين مائة ألف دينار دنبكانيَّة وبين الجوشن ؛ فاختار الجوشن . فنظرت إليه المرزُبانة بنت قديد ؛ امرأة نصر بن سيار ، فأرسلت إليه بِجرْز لها سمُّور[2] ، مع جارية لها فقالت ، أقرئى ابنَ عمى السَّلام ، وقولى له : اليوم بارد فاستدفئْ بهذا الجِرْز السَّمُّور ، فالحمد لله الذى أقدمك صالحًا . فقال للجارية : أقرئى بنت عمّى السلام ، وقولى لها : أعاريَّة أم هدية ؟ فقالت : بل هديّة ؛ فباعه بأربعة آلاف دينار وقسمها فى أصحابه . وبعث إليه نصر بفرُش كثيرة وفرس ، فباع ذلك كلّه ، وقسّمه فى أصحابه بالسَّويّة . وكان يجلس على بَرْذعة ، وتُثْنَى له وسادة غليظة . وعرض نصر على الحارث أن يوليه ويعطيه مائة ألف دينار ، فلم يقبل ، وأرسل إلى نصر : إنى لستُ من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات ، ولا من تزويج عقائل العرب فى شىء ؛ وإنما أسأل كتاب الله عزّ وجلّ والعمل بالسنّة واستعمال أهل الخير والفَضْل ، فإن فعلت ساعدتك على عدّوك .

وأرسل الحارث إلى الكرمانىّ : إن أعطانى نصر العمل بكتاب الله وما سألته من استعمال أهل الخير والفضل عضَدتُه وقمتُ بأمر الله ، وإن لم يفعل استعنتُ بالله عليه ، وأعنتك إن ضمنت لى ما أريد من القيام بالعدل والسنة . ١٨٩٠/٢

وكان كلما دخل عليه بنو تُميم دعاهم إلى نفسه ، فبايعه محمد بن حمران ومحمد ابن حرب بن جِرْفاس المِنقريّان والخليل بن غَزْوان العدوىّ ، وعبد الله ابن مُجّاعة وهبيرة بن شَراحيل السعديّان ، وعبد العزيز بن عبد ربّه الليثىّ ، وبشر ابن جرموز الضبىّ ، ونهار بن عبد الله بن الُحتات المجاشعىّ ، وعبد الله النباتى[3] .

وقال الحارث لنصر : خرجت من هذه المدينة منذ ثلاث عشرة سنة إنكارًا للجوْر ، وأنت تريدنى عليه ! فانضمّ إلى الحارث ثلاثة آلاف .

* * *

(١) فى اللسان : « الجوشن من السلاح : زرد يلبس على الصدر » .

(٢) الجرز ، بالكسر : لباس النساء من الوبر والجلد . وفى اللسان : « السمور : دابة معروفة تسوى من جلودها فراء غالية الأثمان» .

(٣) ا : « البنانى » .

خلافة مروان بن محمد

وفى هذه السنة بويع بدمشق لمروان بن محمد بالخلافة :

* ذكر الخبر عن سبب البيعة له :

حدّثنى أحمد ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد مولى عثمان بن عفان ، قال : لما قيل : قد دخلت خيلُ مروان دمشق هرب إبراهيم بن الوليد وتغيّب ، فانتهب[١] سليمان ما كان فى بيت المال وقسّمه فيمن معه من الجند، وخرج من المدينة ، وثار مَنْ فيها من موالى الوليد بن يزيد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه ، ونبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية ، ودخل مَرْوان دمشق فنزل عالية ، وأُتِىَ بالغلامين مقتولَيْن وبيوسف بن عمر فأمر بهم فدفِنوا ، وأُتِى بأبى محمد السفيانىّ محمولاً فى كُبُوله ، فسلم عليه بالخلافة ، ومروان يومئذ يسلَّم عليه بالإمرة ، فقال له : مه ، فقال : إنهما جعلاها لك بعدهما ، وأنشده شعراً قاله الحكم فى السجن . ١٨٩١/٢

قال : وكانا قد بلغا ، ووُلد لأحدهما وهو الحكم والآخر قد احتلم قبل ذلك بسنتين ، قال : فقال الحكم :

أَلا مَنْ مبْلِغٌ مَرْوانَ عنّى ... وعَمى الغَمْرَ طالَ بذا حَنِينا[٢]
بأَنّى قد ظُلمتُ وَصارَ قَوْمِى ... على قَتْلِ الوَلِيدِ متابِعِينا[٣]
أَيذْهَب كلبهم بِدَمِى ومالِى[٤] ... فلا غَثًّا أَصبْتُ وَلا سمينا
ومَرْوانٌ بأَرْضِ بَنِى نِزارٍ ... كَليثِ الغاب مفْتَرِسٌ عَرِينا
أَلَمْ يَحْزُنكَ قَتْل فَتَى قريشٍ ... وَشَقُّهُمُ عصىَّ المسْلِمينا
أَلا فاقْرَ السَّلاَمَ على قُرَيْشٍ ... وقيْسٍ بالجَزِيرَةِ أَجْمَعينا
وسادَ الناقِصُ القَدَرِىّ فينا[٥] ... وأَلقَى الحَرْبَ بَيْنَ بَنِى أَبينا

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « فأنهب » . (٢) ابن الأثير : « طال به » .
(٣) ا : « مشايعينا » (٤) ابن الأثير : « أيذهب كلهم » .
(٥) ا : « وسار » .

فلوْ شَهِدَ الفَوَارِس من سلَيم ٍ وكعْب لَمْ أكنْ لهمُ رَهينا
وَلو شَهِدَتْ لُيوثُ بَنِى تمِيم ٍ لما بِعْنا تُرَاثَ بَنِى أبِينا
أتُنْكَثُ بَيْعَتِى منْ أجْل أُمِّى فقد بايعتُمُ قَبْلِى هَجينـــا
فلَيْتَ خُئُولتِى من غير كَلْب ٍ وكانت فى ولادَة آخَرينا
فإنْ أهلِكْ أنَا وَوَلِىُّ عَهْدِى فمرْوانٌ أَمِير المؤمِنِينـــا

١٨٩٢/٢ ثم قال : ابسط يدك أبايعلك ، وسمعه مَن مع مروان من أهل الشأم ؛ فكان أوّل من نهض معاوية بن يزيد بن الحُصين بن نمير ورءوس أهل حمص ، فبايعوه ، فأمرهم أن يختاروا لولاية أجنادهم ، فاختار أهلُ دمشق زامل بن عمرو الجبرانىّ ، وأهل حمص عبدَ الله بن شجرة الكندىّ ، وأهل الأردنّ الوليدَ بن معاوية بن مروان ، وأهل فلسطين ثابتَ بن نعيم الجذامىّ الذى كان استخرجه من سجن هشام وغدر به بأرمينيَة ، فأخذ عليهم العهود المؤكّدة والأيمان المغلظة على بيعته ، وانصرف إلى منزله من حرّان .

قال أبو جعفر : فلما استوتْ لمروان بن محمد الشأم وانصرف إلى منزله بحرّان طلب الأمان منه إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فآمنهم ، فقدم عليه سليمان — وكان سليمان بن هشام يومئذ بتدمر بمَن معه من إخوته وأهل بيته ومواليه الذكْوانيّة — فبايعوا مروان بن محمد .

* * *

[ذكر الخبر عن انتقاض أهل حمص على مروان]

وفى هذه السنة انتقض على مروان أهل حمص وسائر أهل الشأم فحاربهم .

* ذكر الخبر عن أمرهم وأمره وعن سبب ذلك :

حدّثنى أحمد[1] ، قال حدّثنى عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، قال : لما انصرف مرْوان إلى منزله من حرّان بعد فراغه من أهل الشأم لم يلبث إلا ثلاثة أشهر ؛ حتى خالفه أهل الشأم وانتقضوا عليه ؛ وكان الذى دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم ، وراسلَهم

(١) هو أحمد بن زهير (الراوى) .

وكاتبهم ، وبلغ مَرْوان خبرهم ، فسار إليهم بنفسه ، وأرسل أهل حمص إلى مَنْ بتدمر من كلْب ؛ فشخص إليهم الأصبغ بن ذؤالة الكلبيّ ومعه بنون ١٨٩٣/٢ له ثلاثة رجال : حمزة وذؤالة وفُرافصة ومعاوية السكسكيّ — وكان فارس أهل الشأم — وعصمة بن المقشعرّ وهشام بن مَصاد وطفيل بن حارثة ونحو ألف من فرسانهم ، فدخلوا مدينة حِمْص ليلة الفطر من سنة سبع وعشرين ومائة. قال : ومروان بحَماة ليس بينه وبين مدينة حِمْص إلا ثلاثون ميلاً ، فأتاه خبرهم صبيحة الفِطْر ، فجدّ فى السير ، ومعه يومئذ إبراهيم بن الوليد المخلوع وسليمان بن هشام ؛ وقد كانا راسلاه وطلبا إليه الأمان ، فصارا معه فى عسكره يكرمهما ويُدنيهما ويجلسان معه على غدائه وعشائه ، ويسيران معه فى مَوْكبه. فانتهى إلى مدينة حِمْص بعد الفِطْر بيومين ، والكلبيّة فيها قد ردموا أبوابها من داخل ، وهو على عُدّة معه روابطه ، فأحدقت خيله بالمدينة ، ووقف حذاء باب من أبوابها ، وأشرف على جماعة من الحائط ، فناداهم مناديه : ما دعاكم إلى النّكث ؟ قالوا : فإنا على طاعتك لم ننكث ، فقال لهم : فإن كنتم على ما تذكرون فافتحوا ، ففتحوا الباب ، فاقتحم منه عمرو بن الوضاح فى الوضّاحية [وهم] نحو من ثلاثة آلاف فقاتلوهم فى داخل المدينة ؛ فلما كثَرتهم خيلُ مروان ، انتهوْا إلى باب من أبواب المدينة يقال له باب تَدْمر ، فخرجوا منه والروابط عليه فقاتلوهم ، فقتِل عامتهم ، وأفلت الأصبغ بن ذؤالة والسكسكيّ وأسر ابنا الأصبغ : ذؤالة وفُرافصة فى نيّف وثلاثين رجلا منهم ، فأُتِيَ بهم مروان فقتلهم وهو واقف ، وأمر بجمع قتلاهم وهم خمسمائة أو ستمائة ، فصلبوا حول المدينة ، وهدم مِنْ حائط مدينتها نحواً من غَلْوة. وثار أهل الغوطة إلى ١٨٩٤/٢ مدينة دمشق ، فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو ، وولّوْا عليهم يزيد بن خالد القسريّ ، وثبت مع زامل المدينة وأهلها وقائد فى نحو أربعمائة ، يقال له أبو هبّار القرشى فوجّه إليهم مَرْوان من حِمْص أبا الورد بن الكوثر بن زُفَر بن الحارث — واسمه مجزأة — وعمرو بن الوضّاح فى عشرة آلاف ، فلما دنَوْا من المدينة حملوا عليهم ، وخرج أبو هبّار وخيله من المدينة ، فهزموهم واستباحوا عسكرهم وحرقوا المِزّة من قرى اليمانية ، ولجأ يزيد بن خالد وأبو عِلاقة إلى رجُلٍ من لخْم من أهل المِزّة ، فدُلّ عليهما زامل ، فأرسل إليهما ، فقتلا

قبل أن يوصل بهما إليه ، فبعث برأسيهما إلى مَرْوان بحِمْص ، وخرج ثابت ابن نُعَيم من أهل فلسطين ؛ حتى أتى مدينة طَبَرِيّة ، فحاصر أهلها ، وعليها الوليد بن معاوية بن مَرْوان ؛ ابن أخي عبد الملك بن مروان ، فقاتلوه أيامًا ، فكتب مَرْوان إلى أبي الورد أن يشخص إليهم فيمدّهم . قال : فرحل من دمشق بعد أيام ، فلما بلغهم دنوّه خرجوا من المدينة على ثابت ومَن معه ، فاستباحوا عسكرهم ، فانصرف إلى فِلَسطين منهزمًا ، فجمع قومه وجُنده ؛ ومضى إليه أبو الورد فهزمه ثانية ، وتفرّق مَن معه ، وأسِر ثلاثة رجال من ولده ؛ وهم نُعيم وبكْر وعمران ، فبعث بهم إلى مَرْوان فقُدِم بهم عليه ؛ — وهو بدير أيوب — جرحى ، فأمر بمداواة جراحاتهم ، وتغيّب ثابت بن نعيم ، فولّى الرُّماحس بن عبدالعزيز الكنانيّ فلسطين ، وأفلت مع ثابت من ولده رفاعة ابن ثابت — وكان أخبثَهم — فلحق بمنصور بن جمهور ، فأكرمه وولّاه وخلّفه مع أخ له يقال له منظور بن جمهور ؛ فوثب عليه فقتله ، فبلغ منصورًا وهو متوجِّه إلى المُلْتان[1] ، وكان أخوه بالمنصورة ، فرجع إليه فأخذه ، فبنى له أسطوانة من آجرّ مجوّفة ، وأدخله فيها ، ثم سمّره إليها ، وبنى عليه .

قال : وكتب مَرْوان إلى الرُّماحس في طلب ثابت والتلطف له ، فدلّ عليه رجل من قومه فأخذ ومعه نفر ، فأتِي به مَرْوان موثَقًا بعد شهرين ، فأمر به وببنيه الذين كانوا في يديه ، فقطِعت أيديهم وأرجلهم ؛ ثم حمِلوا إلى دمشق ، فرأيتهم مقطَّعين ، فأقيموا على باب مسجدها ؛ لأنه كان يبلغه أنهم يرجفون بثابت ، ويقولون : إنه أتى مصر ؛ فغلب عليها ، وقتل عامل مَرْوان بها . وأقبل مَرْوان من دير أيوب حتى بايع لابنيه عبيد الله وعبدالله ، وزوّجهما ابنتي هشام بن عبد الملك ؛ أمّ هشام وعائشة ، وجمع لذلك أهل بيته جميعًا ؛ من ولد عبد الملك محمد وسعيد وبكار وولد الوليد وسليمان ويزيد وهشام وغيرهم من قريش ورءوس العرب ، وقطع على أهل الشأم بعثًا وقوّاهم ، وولّى على كل جند منهم قائداً منهم ، وأمرهم باللّحاق بيزيد بن عمر بن هُبيرة . وكان قبل مسيره إلى الشأم وجهه في عشرين ألفاً من أهل قِنّسرين والجزيرة ، وأمره أن ينزل دورين إلى أن يقدم ، وصيّره

[1] (١) ا : « المليان » ، ومن نسخة بحاشيتها : « المظان » .

١٨٩٥/٢
١٨٩٦/٢

مقدّمة له ، وانصرف من دير أيوب إلى دمشق ؛ وقد استقامت له الشأم كلها ما خلا تدمر ، وأمر بثابت بن نعيم وبنيه والنّفر الذين قطعهم فقتلوا وصلبوا على أبواب دمشق ، قال : فرأيتُهم حين قتِلوا وصُلِبوا . قال : واستبقى رجلاً منهم يقال له عمرو بن الحارث الكلبيّ ، وكان — فيما زعموا — عنده علم من أموال كان ثابت وضعها عند قوم ، ومضى بمن معه ، فنزل القسطل من أرض حِمْص مما يلى تدمُر ؛ بينهما مسيرة ثلاثة أيام ؛ وبلغه أنهم قد عوّروا[١] ما بينه وبينها من الآبار ، وطمّوها بالصخر ؛ فهيّأ المزاد والقرب والأعلاف والإبل ، فحمل ذلك له ولمن معه ، فكلمه الأبرش بن الوليد وسليمان ابن هشام وغيرهما ، وسألوه أن يُعذِر إليهم ، ويحتجّ عليهم . فأجابهم إلى ذلك ، فوجّه الأبرش إليهم أخاه عمرو بن الوليد ، وكتب إليهم يحذّرهم ويعلمهم أنه يتخوّف أن يكون هلاكه وهلاك قومه ، فطردوه ولم يُجيبوه ، فسأله الأبرش أن يأذن له فى التوجّه[٢] إليهم ، ويؤجله أياماً ، ففعل ، فأتاهم فكلمهم وخوّفهم وأعلمهم أنهم حمقى ، وأنه لا طاقة لهم به وبمَن معه ، فأجابه عامّتهم ، وهرب مَن لم يثق به منهم إلى بريّة كلب وباديتهم ، وهم السكسكىّ وعِصمة بن المقشعرّ وطفيل بن حارثة ومعاوية بن أبى سفيان بن يزيد بن معاوية ، وكان صهر الأبرش على ابنته . وكتب الأبرش إلى مرْوان يعلمه ذلك ، فكتب إليه مرْوان : أن اهدم حائط مدينتهم ، وانصرف إلىّ بمن بايعك منهم .

فانصرف إليه ومعه [من] [٣] رءوسهم الأصبغ بن ذؤالة وابنه حمزة وجماعة من رءوسهم ، وانصرف مرْوان بهم على طريق البريّة على سورية ودير اللثق ، حتى قدم الرُّصافة ومعه سليمان بن هشام وعمه سعيد بن عبد الملك وإخوته جميعاً وإبراهيم المخلوع وجماعة من ولَد الوليد وسليمان ويزيد ، فأقاموا بها يوماً ، ثم شخص إلى الرّقة فاستأذنه سليمان ، وسأله أن يأذن له أن يقيم أياماً ليقوّى من معه من مواليه ، ويجمّ ظهره ثم يتبعه ، فأذن له ومضى مرْوان ، فنزل

١٨٩٧/٢

(١) عور البئر : أفسدها ؛ وفى اللسان : « وفى حديث على : « أمره أن يعور آبار بدر » ، أى يدفنها ويطمها » .

(٢) كذا ما فى ا وهو الصواب ، وفى ط : « التوجيه » .

(٣) من ا .

عند واسط على شاطئ الفرات فى عسكر كان ينزله ، فأقام به ثلاثة أيام ، ثم مضى إلى قَرْقيسيا وابنُ هبيرة بها ، ليقدمه إلى العراق لمحاربة الضحاك ابن قيس الشيبانىّ الحَرُورىّ ، فأقبل فى نحو عشرة آلاف ممن كان مَرْوان قطع عليهم البَعْث بدير أيّوب لغزو العراق مع قوّادهم حتى حلّوا بالرُّصافة ، فدعوا سليمان إلى خلع مروان ومحاربته .

* * *

وفى هذه السنة دخل الضّحاك بن قيس الشيبانىّ الكوفة .

ذكر الأخبار عن خروج الضحاك محكّماً ودخوله الكوفة ، ومن أين كان إقباله إليها

اختلف فى ذلك من أمره ، فأما أحمد[1] فإنه حدّثنى عن عبد الوهاب ابن إبراهيم ، قال : حدّثنى أبو هاشم مخلّد بن محمد ، قال : كان سبب خروج الضحاك أنّ الوليد حين قتل خرج بالجزيرة حَروريّ يقال له سعيد ابن بهدل الشيبانىّ فى مائتين من أهل الجزيرة ؛ فيهم الضحّاك ، فاغتنم قتلَ الوليد واشتغال مرْوان بالشأم ، فخرج بأرض كَفَرْتُوثا ، وخرج بِسطام البيهسىّ وهو مفارق لرأيه فى مثل عِدّتهم من ربيعة ، فسار كلّ واحد منهما إلى صاحبه ؛ فلما تقارب العسكران وجّه سعيد بن بهدل الخَيْبرىّ — وهو أحد قواده ، وهو الذى هزم مَرْوان — فى نحو من مائة وخمسين فارساً ليبيّته ، فانتهى إلى عسكره وهم غارُّون ، وقد أمر كلّ واحد منهم أن يكون معه ثوب أبيض يجلّل به رأسه ، ليعرف بعضهم بعضاً ، فبكّروا فى عسكرهم فأصابوهم فى غرّة ، فقال الخيبرىّ :

١٨٩٨/٢

إن يك بِسْطامٌ فإنى الخَيْبَرِى   أَضْرِبُ بالسَّيْفِ وأَحْمِى عَسْكَرى

فقتلوا بِسطاماً وجميعَ من معه إلاّ أربعة عشر ، فلحقوا بمروان ، فكانوا معه فأثبتهم فى روابطه ، وولّى عليهم رجلاً منهم يقال له مقاتل ، ويكنى أبا النعثل . ثمّ مضى سعيد بن بهدل نحو العراق لما بلغه من تَشَتّيت الأمر بها واختلاف أهل الشأم ، وقتال بعضهم بعضاً مع عبد الله بن عمر ،

(١) هو أحمد بن زهير (الراوى) .

والنّضْر بن سعيد الحرَشيّ — وكانت اليمانية من أهل الشأم مع عبد الله بن عمر بالحيرة ، والمضريّة ، مع ابن الحرشيّ بالكوفة ؛ فهم يقتتلون فيما بينهم غَدوة وعشيّة.

قال : فمات سعيد بن بهدل فى وجهه ذلك من طاعون أصابه ؛ واستخلف الضحاك بن قيس من بعده ؛ وكانت له امرأة تسمى حوْماء ، فقال الخيبريّ فى ذلك :

سَقَى اللهُ يا حَوْماءُ قَبْرَ ابْنِ بَهْدَلٍ   إذا رَحَلَ السارونَ لَمْ يَتَرَحَّلِ

قال : واجتمع مع الضّحاك نحوٌ من ألف ثمّ توجّه إلى الكوفة ، ومرّ بأرض الموصل ، فاتّبعه منها ومن أهل الجزيرة[1] نحوٌ من ثلاثة آلاف ، وبالكوفة يومئذ النَّضْر بن سعيد الحَرَشيّ ومعه المضريّة ، وبالحيرة عبد الله بن عمر فى اليمانية ، فهم متعصبون يقتتلون فيما بين الكوفة والحيرة ، فلما دنا إليه الضحاك فيمن معه من الكوفة اصطلح ابن عمر والحَرَشيّ ، فصار أمرهم واحداً ، ويداً على قتال الضحاك ، وخندقا على الكوفة ، ومعهما يومئذ من أهل الشأم نحوٌ من ثلاثين ألفاً ، لهم قوّة وعدّة ، ومعهم قائد من أهل قِنَّسْرين ، يقال له عبّاد بن الغُزَيِّل فى ألف فارس ، قد كان مروان أمدّ به ابن الحَرَشيّ ، فبرزوا لهم ، فقاتلوهم ، فقتِل يومئذ عاصم بن عمر بن عبد العزيز وجعفر بن عباس الكنديّ ، وهزموهم أقبح هزيمة ، ولحق عبد الله بن عمر فى جماعتهم بواسط ، وتوجّه ابنُ الحَرَشيّ — وهو النّضر — وجماعة المضريّة وإسماعيل ابن عبد الله القسْريّ إلى مَرْوان ، فاستولى الضحاك والحزريّة على الكوفة وأرضها ، وجَبَوُا السواد . ثم استخلف الضّحاك رجلا من أصحابه — يقال له مِلْحان — على الكوفة فى مائتى فارس ، ومضى فى عِظَمْ أصحابه إلى عبد الله ابن عمر بواسط ، فحاصره بها ؛ وكان معه قائد من قوّاد أهل قِنَّسرين يقال له عطية الثعلبيّ[2] — وكان من الأشدّاء — فلما تخوّف محاصرة الضّحاك خرج فى سبعين أو ثمانين من قومه متوجهاً إلى مَرْوان ، فخرج على القادسيّة ، فبلغ مِلْحان ممرُّه ، فخرج فى أصحابه مبادراً يريده ، فلقيه على قنطرة السَّيْلَحِين — ومِلْحان قد تسرع فى نحو من ثلاثين فارساً — فقاتله

١٨٩٩/٢

(١) ا : « السواد » .   (٢) ط : « التغلبى » ، تحريف .

فقتله عطية وناساً من أصحابه ، وانهزم بقيتهم حتى دخلوا الكوفة ، ومضى عطية حتى لحق فيمن معه مروان . ١٩٠٠/٢

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنّى ، فإنه قال : حدثنى أبو سعيد ، قال : لما مات سعيد بن بهدل المرّىّ ، وبايعت الشراة للضّحاك ، أقام بشهرزُور وثابت إليه الصُّفْريّة من كل وجه حتى صار فى أربعة آلاف ، فلم يجتمع مثلهم لخارجىّ قطّ قبله . قال : وهلك يزيد بن الوليد وعامله على العراق عبد الله بن عمر ، فانحطّ مروان من أرمينيَة حتى نزل الجزيرة ، وولّى العراق النَّضْر بن سعيد — وكان من قوّاد ابن عمر — فشخص إلى الكوفة ، ونزل ابن عمر الحيرة ، فاجتمعت المضريّة إلى النّضر واليمانية إلى ابن عمر ، فحاربه أربعة أشهر ، ثم أمدّ مروان النّضْر بابن الغزيّل ، فأقبل الضحاك نحو الكوفة وذلك فى سنة سبع وعشرين ومائة ، فأرسل ابن عمر إلى النّضْر : هذا لا يريد غيرى وغيرك ، فهلمّ نجتمع عليه [فتعاقدا عليه] (١) ، وأقبل ابن عمر ، فنزل تلّ الفتح وأقبل الضّحاك ليعبر الفرات ، فأرسل إليه ابن عمر حمزة بن الأصبغ بن ذؤالة الكلبىّ ليمنَعه من العبور ، فقال عبيد الله بن العباس الكندىّ : دعه يعبر إلينا ، فهو أهون علينا من طلبه . فأرسل ابن عمر إلى حمزة يكفّه عن ذلك ، فنزل ابنُ عمر الكوفة ، وكان يصلى فى مسجد الأمير بأصحابه ، والنضر بن سعيد فى ناحية الكوفة يصلّى بأصحابه ، لا يجامع ابنَ عمر ولا يصلى معه ؛ غير أنهما قد تكافآ واجتمعا على قتال الضّحاك ، وأقبل الضّحاك حين رجع حمزة حتى عَبَر الفرات ، ونزل النُّخَيلة يوم الأربعاء فى رجب سنة سبع وعشرين ومائة ، فخفّ إليهم أهلُ الشأم من أصحاب ابن عمر والنضر ، قبل أن ينزلوا ، فأصابوا منهم أربعة عشر فارساً وثلاث عشرة امرأة . ثم نزل الضّحاك وضرب عسكره ، وعبّى أصحابه ، وأراح ، ثم تغادوا يوم الخميس ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فكشفوا ابنَ عمر وأصحابَه ، وقتلوا أخاه عاصماً ؛ قتله البِرْذَون بن مرزوق(٢) الشيبانىّ ، فدفنه بنو الأشعث بن قيس فى دارِهم ، وقتلوا جعفر بن العباس الكندىّ أخا عبيد الله ، وكان جعفر على شُرْطة عبد الله بن عمر ، وكان ١٩٠١/٢

---

(١) من ا . (٢) ا : « مروق » .

الذى قتل جعفرا عبد الملك بن علقمة بن عبد القيس ، وكان جعفر حين رهقه عبد الملك نادى ابنَ عمٍّ له يقال له شاشلة ، فكرّ عليه شاشلة ، وضربه رجل من الصُّفْرِيّة ، ففلق وجهه .

قال أبو سعيد : فرأيته بعد ذلك كأنّ له وجهين ، وأكبّ عبد الملك على جعفر فذبحه ذبحًا ، فقالت أم البرذون الصُّفْرِيّة :

نَحْنُ قَتَلْنَا عاصماً وجَعْفَرا والفارِسَ الضَّبِّىَّ حِينَ أَصْحَرا
* ونَحْن جئنا الخَنْدق المقَعَّرا *

فانهزم أصحاب ابن عمر ، وأقبل الخوارج ، فوقفوا على خندقنا إلى الليل ثم انصرفوا ، ثم تغادينا يوم الجمعة ؛ فوالله ماتتامنا حتى هزَمُونا ، فدخلنا خنادقنا ، وأصبحنا يوم السبت ؛ فإذا الناس يتسللون ويهربون إلى واسط ، ورأوا قومًا لم يروْا مثلهم قطّ أشدّ بأسًا ؛ كأنهم الأسْد عند أشبالها ، فذهب ابن عمر ينظر أصحابَه ، فإذا عامّتهم قد هربوا تحت الليل ، ولحق عظْمهم بواسط ؛ فكان ممّن لحق بواسط النّضْر بن سعيد وإسماعيل بن عبد الله ومنصور ابن جمهور والأصبغ بن ذؤالة وابناه : حمزة وذؤالة ، والوليد بن حسان الغسانىّ وجميع الوجوه ، وبقى ابن عمر فيمن بقى من أصحابه مقيماً لم يبرح .

١٩٠٢/٢

ويقال : إنّ عبد الله بن عمر لمّا ولِىَ العراق ولّى الكوفة عبيد الله بن العباس الكندىّ وعلى شرَطه عمر بن الغضبان بن القبَعْثَرى ، فلم يزالا على ذلك حتى مات يزيد بن الوليد ، وقام إبراهيم بن الوليد ، فأقرّ ابنَ عمر على العراق ، فولّى ابنُ عمر أخاه عاصماً على الكوفة ، وأقرّ ابن الغضبان على شُرَطه ، فلم يزالوا على ذلك حتى خرج عبد الله بن معاوية فاتّهم عمر بن الغضبان ، فلما انقضى أمرُ عبد الله بن معاوية ولّى عبدُ الله بن عمر عمرَ بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الكوفةَ ، وعلى شُرَطه الحكم بن عتيبة الأسدىّ من أهل الشأم ، ثم عزل عمر بن عبد الحميد عن الكوفة ، ثم عزل عمر بن الغضبان عن شُرَطه وولى الوليد بن حسان الغسانىّ ، ثم ولّى إسماعيل بن عبد الله القسرىّ وعلى شرَطه أبان بن الوليد ، ثم عزل إسماعيل

وولّى عبد الصمد بن أبان بن النعمان بن بشير الأنصاريّ ، ثم عزل فولّى عاصم بن عمر ، فقدم عليه الضّحاك بن قيس الشيبانيّ .

١٩٠٣/٢ ويقال : إنما قدم الضحاك وإسماعيل بن عبد الله القسريّ فى القصر وعبد الله بن عمر بالحيرة وابن الحَرَشيّ بدير هند ، فغلب الضحاك على الكوفة ، وولّى مِلْحان بن معروف الشيبانيّ عليها ، وعلى شرطه الصُّفْر من بنى حنظلة — حَروريّ — فخرج ابن الحَرَشيّ يريد الشأم ، فعارضه مِلْحان ، فقتله ابنُ الحَرَشيّ فولى الضّحاك على الكوفة حسان فولّى حسان ابنه الحارث على شرَطه .

وقال عبد الله بن عمر يرثى أخاه عاصماً لما قتله الخوارج :

رَمَى غَرَضى رَيْبُ الزَّمانِ فلَمْ يَدَعْ ... غداةَ رَمَى للقَوْسِ فى الكَفِّ مِنزَعا

رَمى غَرَضى الأَقصى فأَقصَدَ عاصِماً ... أَخاً كانَ لى حِرْزًا ومَأْوًى ومَفْزَعَا

فإنْ تكُ أَحزانٌ وفائضُ عَبْرَةٍ ... أَذابَتْ عبيطاً من دَمِ الجَوْفِ منقعَا

تَجرَّعْتُها فى عاصِمٍ واحْتَسَيْتُها ... فأَعظَمُ منْها ما احْتَسَى وتَجَرَّعا

فلَيْتَ المنايا كُنَّ خلَّفْنَ عاصِماً ... فعِشْنا جَمِيعاً أَو ذَهَبْنَ بِنَا معا

وذكر أن عبد الله بن عمر يقول : بلغنى أنّ عين بن عين بن عين بن عين يقتل ميم بن ميم بن ميم بن ميم ، وكان يأمل أن يقتله ؛ فقتله عبد الله بن علىّ

١٩٠٤/٢ ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، فذكر أن أصحاب ابن عمر لما انهزموا فلحقوا بواسط ، قال لابن عمر أصحابُه : علام تقيم وقد هرب الناس ! قال : أتلوّم وأنظر ، فأقام يومًا أو يومين لا يرى إلا هاربًا ، وقد امتلأت قلوبهم رُعبًا من الخوارج ، فأمر عند ذلك بالرّحيل إلى واسط ، وجمع خالد بن الغُزَيّل أصحابَه ، فلحق بمرْوان وهو مقيم بالجزيرة ، ونظر عبيد الله بن العباس الكنديّ إلى ما لقىَ الناس ، فلم يأمن على نفسه ، فجنح إلى الضّحاك فبايعه ؛ وكان معه فى عسكره ، فقال أبو عطاء السنديّ يعيّره باتباعه الضحاك ، وقد قتل أخاه :

قُلْ لعُبَيد اللهِ لوْ كان جَعْفَرٌ[1] ... هوَ الْحَىّ لم يجنحْ وأَنْتَ قَتِيلُ

---

(١) ابن الأثير : «فقل» .

ولم يتبَع المرَّاقَ والثَّأْرُ فيهمُ ... وفى كفِّه عَضْبُ الذُّباب صَقِيل
إلى مَعْشَرٍ أرْدَوْا أَخاك وأَكفَرُوا[1] ... أَباك، فماذا بعد ذاك تَقُول!

ـ فلما بلغ عبيدَ الله بنَ العباس هذا البيت من قول أبى عطاء، قال أقول: أعضّك الله ببظر أمّك ـ

فلا وصلَتْك الرَّحْمُ من ذى قَرابَةٍ ... وطالِبِ وتْر، والذَّليلُ ذَليلُ
تركتَ أخا شَيْبَانَ يَسلبُ بَزَّهُ ... ونَجَّاك خَوَّارُ العنَانِ مَطولُ

قال: فنزل ابن عمر منزلَ الحجاج بن يوسف بواسط ـ فيما قيل ـ فى اليمانية ونزل النّضر وأخوه سليمان ابنا سعيد وحنظلة بن نُباتة وابناه محمد ونباتة فى المضرّية ذات اليمين إذا صعِدتَ من البصرة، وخلوا الكوفة والحيرة للضّحاك والشُّراة، وصارت فى أيديهم، وعادت الحرب بين عبد الله بن عمر والنّضْر ابن سعيد الحرَشىّ إلى ما كانت عليه قبل قدوم الضّحاك يطلب النضر أن يسلم إليه عبدالله بن عمر ولايةَ العراق بكتاب مَرْوان، ويأبى عبد الله بن عمر واليمانية مع ابن عمر والنزارية مع النّضْر؛ وذلك أن جند أهل اليمن كانوا مع يزيد الناقص تعصّبًا على الوليد حيث أسلم خالد بن عبد الله القسرىّ إلى يوسف بن عمر حتى قتله؛ وكانت القيسية مع مَرْوان، لأنه طلب بدم الوليد ـ وأخوال الوليد من قيس، ثم من ثقيف، أمّه زينب بنت محمد بن يوسف ابنة أخى الحجاج ـ فعادت الحرب بين ابن عمر والنّضر، ودخل الضحاك الكوفة فأقام بها، واستعمل عليها مِلْحَان الشيبانىّ فى شعبان سنة سبع وعشرين ومائة، فأقبل منقضًّا فى الشّراة إلى واسط، متبعًا لابن عمر والنضر، فنزل باب المِضْمار. فلما رأى ذلك ابنُ عمر والنضْر نكلا عن الحرب فيما بينهما، وصارت كلمتهما عليه واحدة؛ كما كانت بالكوفة؛ فجعل النضْر وقوّاده يعبرُون الجسر، فيقاتلون الضّحاك وأصحابه مع ابن عمر ثم يعودون إلى مواضعهم، ولا يقيمون مع ابن عمر؛ فلم يزالوا على ذلك: شعبان وشهر رمضان وشوال، فاقتتلوا يومًا من تلك الأيام، فاشتدّ قتالهم، فشدّ منصور بن جمهور على قائد

١٩٠٥/٢ — ١٩٠٦/٢

(١) ابن الأثير: «إلى معشر ردوا».

من قوّاد الضحاك ، كان عظيم القَدْر فى الشُّراة ، يقال له عكرمة بن شيبان ، فضربه على باب القورَج ، فقطعه باثنين فقتله . وبعث الضحاك قائداً من قوّاده يدعى شوالا من بنى شيبان إلى باب الزّاب ، فقال : اضرمْه عليهم ناراً ، فقد طال الحصار علينا ، فانطلق شوّال ومعه الخيبرىّ ؛ أحد بنى شيبان فى خيلهم ، فلقيَهم عبدُ الملك بن علقمة ، فقال لهم : أين تريدون ؟ فقال له شوّال : نريد باب الزّاب ، أمرنى أمير المؤمنين بكذا وكذا ، فقال : أنا معك ؛ فرجع معه وهو حاسر ، لا درَع عليه ؛ وكان من قوّاد الضّحاك أيضًا وكان أشدّ الناس ، فانتهوا إلى الباب فأضرموه ، فأخرج لهم عبد الله بن عمر منصورَ بن جمهور فى ستمائة فارس من كلْب ، فقاتلوهم أشدّ القتال ، وجعل عبد الملك بن علقمة يشدّ عليهم وهو حاسر ؛ فقتل منهم عِدّة ، فنظر إليه منصور بن جمهور ، فغاظه صنيعه ، فشدّ عليه فضربه على حبل عاتقه فقطعه حتى بلغ حَرْقفته ؛ فخرّ ميّتًا ، وأقبلت امرأة من الخوارج شادّة ؛ حتى أخذت بلجام منصور بن جمهور ، فقالت : يا فاسق ، أجب أمير المؤمنين ، فضرب يدها — ويقال : ضرب عنان دابته فقطعه فى يدها — ونجا. فدخل المدينة الخيبرىّ يريد منصوراً ، فاعترض عليه ابنُ عمّ له من كلْب ، فضربه الخيبرىّ فقتله ؛ [فقال حبيب بن خدرة مولى بنى هلال] —[1] وكان يزعم أنه من أبناء ملوك فارس — يرثى عبد الملك بن علقمة :

١٩٠٧/٢

وقائلة وَدَمْعُ العَيْن يجرى ... على روح ابن علقَمَةَ السَّلامُ
أَأَدْرَكَكَ الحِمامُ وأَنتَ سار ... وكلُّ فتًى لمصْرَعِهِ حِمام
فلا رَعشُ اليَدَيْنِ ولا هدانٌ ... ولا وَكَلُ اللقاءِ ولا كَهَام
وما قَتْلٌ عَلَى شار بعار ... ولكن يُقْتَلُونَ وهُمْ كِرامُ
طغامُ الناسِ لَيْسَ لَهُمْ سبيلٌ ... شجانِى يا بن علقَمَةَ الطغامُ

ثم إنّ منصوراً قال لابن عمر : ما رأيتُ فى الناس مثل هؤلاء قطّ — يعنى الشُّراة — فلمَ تحاربهم وتشغلهم عن مروان ؟ أعطهم الرّضا ، واجعلهم بينك وبين مرْوان ، فإنك إن أعطيتهم الرّضا خلّوْا عنا ومضوْا إلى مروان ،

---

(١) من ا .

فكان حدُّهم وبأسهم عليه ، وأقمتَ أنت مستريحًا بموضعك هذا ؛ فإن ظفروا بها كان ما أردْتَ وكنتَ عندهم آمنًا ، وإن ظفر بهم وأردت خلافَه وقتاله قاتلته جامًّا مستريحًا ؛ مع أن أمره وأمرهم سيطول ، ويوسعونه شرًّا . فقال ابن عُمر : لا تعجَل حتى نتلوّم وننظر ، فقال : أىّ شىء ننتظر ! فما تستطيع أن تطلع معهم ولا تستقرّ ، وإن خرجنا لم نقم لهم ، فما انتظارنا بهم ومروان فى راحة ، وقد كفيناه حدَّهم وشغلناهم عنه ! أما أنا فخارج لاحقٌ بهم . فخرج فوقف حيال صفّهم وناداهم : إنى جانحٌ أريد أن أسلِم وأسمع كلام الله — قال : وهى محنتهم[1] — فلحق بهم فبايعهم ، وقال : قد أسلمتُ ، فدعوْا له بغداء فتغدّى ، ثم قال لهم : من الفارس الذى أخذ بعنانى يوم الزّاب ؟ يعنى يوم ابن علقمة — فنادوا يا أمّ العنبر ، فخرجت إليهم ؛ فإذا أجمل الناس ، فقالت له : أنت منصور ؟ قال : نعم ، قالت : قبح الله سيفك ، أين ما تذكر منه ! فوالله ما صنع شيئًا ، ولا ترك — تعنى ألاّ يكون قتلها حين أخذت بعنانه فدخلت الجنة — وكان منصور لا يعلم يومئذ أنها امرأة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، زَوّجْنيها ، قال : إن لها زوجًا — وكانت تحت عبيدة بن سوّار التغلبىّ — قال : ثم إنّ عبد الله بن عمر خرج إليهم فى آخر شوّال فبايعه .

١٩٠٨/٢

* * *

[خبر خروج سليمان بن هشام على مروان بن محمد]

وفى هذه السنة — أعنى سنة سبع وعشرين ومائة — خلع سليمان بن هشام ابن عبد الملك بن مروانَ مروان بن محمد ونصب الحرب .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما جرى بينهما :

حدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنى عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدّثنى أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، قال : لما شخص مروان من الرُّصافة إلى الرّقة لتوجيه ابن هبيرة إلى العراق لمحاربة الضّحاك بن قيس الشيبانىّ استأذنه سليمان بن هشام فى مُقام أيام ، لإجمام ظهره وإصلاح أمره ؛ فأذن

(١) ابن الأثير : « حجتهم » .

له . ومضى مرْوان ، فأقبل نحو من عشرة آلاف ممن كان مَرْوان قطع عليه البعث بدير أيوب لغزو العراق مع قوّادهم ؛ حتى جاءوا (١) الرُّصافة ، فدعوْا سليمان إلى خَلْع مَرْوان ومحاربته ، وقالوا : أنت أرضى منه عند أهل الشأم وأوْلى بالخلافة ، فاستزلّه الشيطان ، فأجابهم ، وخرج إليهم بإخوته وولده ومواليه ، فعسكر [بهم] (٢) وسار بجمعهم (٣) إلى قِنَّسرين ، فكاتب أهل الشأم فانقضُّوا إليه من كلّ وجه وجند ؛ وأقبل مَرْوان بعد أن شارف قَرْقيسيا منصرفًا إليه ، ١٩٠٩/٢ وكتب إلى ابن هبيرة يأمره بالثبوت فى عسكره من دورين حتى نزل معسكرَه بواسط ، واجتمع مَن كان بالهَنِيّ من موالى سليمان وولد هشام ، فدخلوا حِصْنَ الكامل بذراريّهم فتحصّنوا فيه ، وأغلقوا الأبواب دونه ، فأرسل إليهم : ماذا صنعتم ؟ خلعتم طاعتى ونقضتم بيعتى بعد ما أعطيتمونى من العهود والمواثيق ! فردُّوا على رسله : إنا مع سليمان على مَن خالفه . فردّ إليهم : إنّى أحذّركم وأنذركم أن تعرضوا لأحد ممّن تبِعنى من جُنْدى أو يناله منكم أذًى ، فتحلُّوا بأنفسكم ؛ ولا أمانَ لكم عندى . فأرسلوا إليه : إنا سنكفّ . ومضى مرْوان ، فجعلوا يخرجون من حصنهم ، فيغيرون على من اتّبعه من أخريات الناس وشذّان الجند ؛ فيسلبونهم خيولَهم وسلاحَهم . وبلغه ذلك ، فتحرّق عليهم غيظًا . واجتمع إلى سليمان نحوٌ من سبعين ألفًا من أهل الشأم والذّكْوانية وغيرهم ، وعسكر فى قرية لبنى زفر يقال لها خُسّاف من قِنَّسرين من أرضها . فلما دنا منه مَرْوان قدّم السكسكىّ فى نحو سبعة آلاف ، ووجّه مرْوان عيسى بن مسلم فى نحو من عدّتهم ، فالتقوْا فيما بين العسكرين ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، والتقى السكسكىّ وعيسى ، وكلّ واحد منهما فارس بطل ، فاطّعنا حتى تقصّفت رماحهما ، ثم صارا إلى السيوف ، فضرب السكسكىُّ مقدّم فرس صاحبه ، فسقط بلجامُه فى صدره ، وجال به فرسه ، فاعترضه السَّكسكىّ ، فضربه بالعمود فصرعه ، ثم نزل إليه فأسره ، وبارز فارسًا من ١٩١٠/٢ فرسان أنطاكيَة ، يقال له سلساق قائد الصّقالبة . فأسره ، وانهزمت مقدّمة مروان وبلغه الخبر وهو فى مسيره ، فمضى وطوى على تعبية ، ولم ينزل حتى انتهى

(١) ا : «حلوا» . (٢) من ا .
(٣) ط : « بجميعهم » .

إلى سليمان ، وقد تعبأ له ، وتهيأ لقتاله ، فلم يناظره حتى واقعه[١] ، فانهزم سليمان ومن معه ، وأتبعتهم خيوله تقتلهم وتأسرهم ؛ وانتهوا إلى عسكرهم فاستباحوه ، ووقف مروان موقفًا ، وأمر ابنيه فوقفا موقفين ، ووقف كوثر صاحب شرطته فى موضع ، ثم أمرهم ألا يأتوا بأسير إلا قتلوه إلا عبداً مملوكًا ، فأحصِيَ مِنْ قتلاهم يومئذ نيف على ثلاثين ألفًا .

قال : وقُتِل إبراهيم بن سليمان أكبر ولده ، وأتِيَ بخال لهشام بن عبدالملك يقال له خالد بن هشام المخزومىّ — وكان بادنًا كثير اللحم — فأدنِيَ إليه وهو يلهث ، فقال له : يا فاسق ؛ أما كان لك فى خمر المدينة وقيانها ما يكفّك عن الخروج مع الحرّاء تقاتلنى ! قال : يا أمير المؤمنين ، أكرهنى ، فأنشدك الله والرّحم ! قال : وتكذب أيضًا ! كيف أكرهك وقد خرجتَ بالقيان والزقاق والبرابط معك فى عسكره ! فقتله[٢] . قال : وادّعى كثير من الأسراء من الجند أنهم رقيق ، فكفّ عن قتلهم ، وأمر ببيعهم فيمن يزيد مع ما بيع مما أصيب فى عسكرهم .

قال : ومضى سليمان مفلولاً حتى انتهى إلى حمص ؛ فانضمّ إليه من أفلت ممّن كان معه ، فعسكر بها ، وبنى ما كان مروان أمر بهدمه من حيطانها ، ووجّه مروان يوم هزمه قوّاداً وروابط فى جريدة خيل ، وتقدّم إليهم أن يسبقوا كلّ خبر ؛ حتى يأتوا الكامل ، فيحدقوا بها إلى أن يأتيهم ، حنقًا[٣] عليهم ، فأتوهم فنزلوا عليهم ، وأقبل مروان نحوهم حتى نزل معسكره من واسط ، فأرسل إليهم أن انزلوا على حكمى ، فقالوا : لا حتى تؤمّننا بأجمعنا ، فدلّف إليهم ، ونصب عليهم المجانيق ، فلما تتابعت الحجارة عليهم نزلوا على حكمه ، فمثّل بهم واحتملهم أهل الرّقة فآووهم ، وداووا جراحاتهم ، وهلك بعضهم وبقى أكثرهم ، وكانت عدّتهم جميعًا نحوًا من ثلثمائة . ثم شخص إلى سليمان ومن تجمّع معه بحمص ، فلما دنا منهم اجتمعوا ، فقال بعضهم لبعض : حتى متى ننهزم من مروان ! هلمّوا فلنتبايع على الموت ولا نفترق بعد معاينته حتى نموت جميعًا . فمضى على ذلك من فرسانهم من قد وطّن

١٩١١/٢

(١) ا : « دافعه » .
(٢) ا : « وقتله » .
(٣) ا : « حردًا » .

نفسه على الموت نحو من تسعمائة ، وولّى سليمان على شَطْرِهم معاوية السَّكسكيّ ، وعلى الشَّطر الثانى[١] ثُبيتًا البَهرانىّ. فتوجهوا إليه مجتمعين[٢] ، على أن يبيّتوه إن أصابوا منه غِرّة ، وبلغه خبرهم وما كان منهم ، فتحرّز وزحف إليهم فى الخنادق على احتراس وتعبية ، فراموا تبييته فلم يقدروا ، فتهيئوا له وكمنوا فى زيتون ظَهَر على طريقه ، فى قرية تسمى تَل منّس من جبل السّماق ، فخرجوا عليه وهو يسير على تعبيَة ، فوضعوا السلاح فيمن معه ، وانتبذ لهم ، ونادى خيولَه فثابت إليه من المقدمة والمجنّبتين والسّاقة ، فقاتلوهم من لَدُن ارتفاع النهار إلى بعد العَصْر ، والتقى السَّكسكِيّ وفارس من فرسان بنى سليم ، فاضطربا ، فصرعه السُّلمىّ عن فرسه ، ونزل إليه ، وأعانه رجل من بنى تميم ، فأتياه به أسيراً وهو واقف ؛ فقال : الحمد لله الذى أمكنَن منك فطالما بلغت منّا ! فقال : استبقنى فإنى فارس العرب ، قال : كذبت ؛ الذى جاء بك أفرسُ منك ، فأمر به فأوثق ، وقتل ممّن صبر معه نحو من ستة آلاف .

١٩١٢/٢

قال : وأفلت ثُبَيت ومَن انهزم معه ، فلما أتوْا سليمان خلف أخاه سعيد ابن هشام فى مدينة حِمْص ، وعرف أنه لا طاقة له به ، ومضى هو إلى تَدْمر ، فأقام بها ، ونزل مَرْوان على حِمْص ، فحاصرهم[٣] بها عشرة أشهر ، ونصب عليها نَيّفًا وثمانين مِنْجنيقًا ، فطرح عليهم حجارتها بالليل والنهار وهم فى ذلك يخرجون إليه كلّ يوم فيقاتلونه ، وربما بيّتوا نواحى عسكره ، وأغاروا على الموضع الذى يطمعون فى إصابة العوْرة والفرصة منه . فلما تتابع عليهم البلاء ، ولزمهم الذُّل سألوه أن يؤمّنهم على أن يمكنوه من سعيد بن هشام وابنيْه عثمان ومرْوان ومن رجل كان يسمى السكسكىّ ، كان يغير على عسكرهم ، ومن حبشىّ كان يشتمه ويفترى عليه ؛ فأجابهم إلى ذلك وقبِله .وكانت قصّة الحبشى أنه كان يشرف من[٤] الحائط ويربط فى ذكَره ذكَر حمار ، ثم يقول : يابنى سليم ، يا أولاد كذا وكذا ، هذا لواؤكم !

(١) ط : « الباقى » . (٢) ابن الأثير : « مجمعين » .
(٣) ا : « تحصرا » ، وفى ابن الأثير : « يرمى بها » .
(٤) ط : « على » ، وما أثبته من ا .

وكان يشتم مروان ، فلما ظفر به دفعه إلى بنى سُليم ، فقطعوا مذاكيرَه وأنفه ، ومثّلوا به ، وأمر بقتل المتسمّى السكسكىّ والاستيثاق من سعيد وابنيه ، وأقبل متوجّهـًا إلى الضحاك .

١٩١٣/٢

وأما غير أبى هاشم مخلّد بن محمد ، فإنه ذكر من أمر سليمان بن هشام بعد انهزامه من وقعة خُساف غير ما ذكره مخلّد ؛ والذى ذكره من ذلك أنّ سليمان بن هشام بن عبد الملك حين هزمه مَرْوان يوم خُساف أقبل هاربًا ؛ حتى صار إلى عبد الله بن عمر ، فخرج مع عبد الله بن عمر إلى الضّحاك ، فبايعه ، وأخبر عن مروان بفسق وجور وحضّض عليه ، وقال : أنا سائر معكم فى موالىّ ومَن اتبعنى ، فسار مع الضحاك حين سار إلى مروان ، فقال شُبيل ابن عَزْرة الضُّبَعىّ فى بيعتهم الضحاك :

أَلم ترَ أَنَّ اللهَ أَظهَرَ دينَــهُ ... فصَلَّتْ قرَيْشٌ خَلفَ بكْرِ بنِ وائِلِ

فصارت كلمة ابن عمر وأصحابه واحدة على النَّضر بن سعيد ، فعلم أنه لا طاقة له بهم ؛ فارتحل من ساعته يريد مَرْوان بالشأم .

وذكر أبو عبيدة أن بَيْهسًا أخبره : لما دخل ذو القعدة سنة سبع وعشرين ومائة ، استقام لمرْوان الشأم ونفى عنها مَن كان يخالفه ، فدعا يزيد بن عمر ابن هبيرة ، فوجّهَه عاملا على العراق ، وضمّ إليه أجناد الجزيرة ، فأقبل حتى نزل سعيد بن عبد الملك ، وأرسل ابن عمر إلى الضَّحاك يعلمه ذلك . قال : فجعل الضّحاكَ لنا مَيْسان وقال : إنها تكفيكم حتى ننظر عما تنجلى . واستعمل ابن عمر عليها مولاه الحكم بن النعمان .

فأما أبو مخنف فإنه قال – فيما ذكر عنه هشام : إن عبد الله بن عمر صالح الضّحاك على أنّ بيد الضحاك ما كان غلب عليه من الكوفة وسوادها ، وبيد ابن عمر ما كان بيده من كَسْكَر وميسان ودَسْتميسان وكور دجلة والأهواز وفارس ، فارتحل الضّحاك حتى لقى مروان بكَفَرْتُوثَا من أرض الجزيرة .

١٩١٤/٢

وقال أبو عبيدة : تهيّأ الضّحاك ليسير إلى مَرْوان ، ومضى النَّضْر يريد

الشأم ، فنزل القادسيّة ، وبلغ ذلك ملْحان[1] الشيبانيّ عامل الضّحاك على الكوفة ، فخرج إليه فقاتله وهو فى قلّة من الشُّراة ، فقاتله فصبر حتّى قتله النّضر . وقال ابن خدرة يرثيه وعبد الملك بن علقمة :

كائِنْ كمِلْحانَ مِنْ شارٍ أخِي ثِقَةٍ وَابْنِ علقَمَةَ المسْتَشهِدِ الشارِى
من صادِقٍ كُنْتُ أُصْفِيهِ مخالَصتى فباعَ دارى بأعلى صَفْقَةِ الدارِ
إخوان صِدْقٍ أُرَجِّيهمْ وأخذلُهُمْ أشْكو إلى اللهِ خذلانِى وإخفارِى

وبلغ الضّحاك قتل ملْحان ، فاستعمل على الكوفة المثنّى بن عمران من بنى عائذة ، ثم سار الضّحاك فى ذى القَعْدة ، فأخذ الموصل ، وانحطّ ابن هبيرة من نهر سعيد حتى نزل غزّة من عين التّمْر ، وبلغ ذلك المثنّى بن عمران العائذىّ ، عامل الضحاك على الكوفة ، فسار إليه فيمَن معه من الشراة ، ومعه منصور بن جمهور ، وكان صار إليه حين بايع الضّحاك خلافًا على مروان ، فالتقوا بغزّة ، فاقتتلوا قتالا شديداً أياماً متوالية ؛ فقتل المثنى وعزيز وعمرو — وكانوا من رؤساء أصحاب الضحاك — وهرب منصور ، وانهزمت الخوارج ، فقال مسلم حاجب يزيد :

١٩١٥/٢

أَرَتْ للمثنّى يَومَ غزّةَ حَتْفَهُ وأذرَتْ عُزَيرًا بينَ تلكَ الجَنادل
وعمرًا أزارَتْهُ المنِيَّةَ بَعْدَ ما أطافتْ بمَنْصُورٍ كِفاتُ الحَبائِلِ[2]

وقال غَيْلان بن حُرَيث فى مدحه ابن هبيرة :

نصرْتَ يَومَ العَيْنِ إذ لقيتَا كنَصْرِ داودٍ على جالُوتا

فلما قتل منهم مَنْ قتل فى يوم العين ، وهرب منصور بن جمهور ، أقبل لا يلوِى حتى دخل الكوفة ، فجمع بها جَمْعًا من اليمانية والصُفْرِيّة ومَن كان تفرّق منهم يوم قتل مَلْحان ومَنْ تخلف منهم عن الضحاك ، فجمعهم منصور جميعًا ، ثم سار بهم حتى نزل الرَّوْحاء ، وأقبل ابن هبيرة فى أجناده حتى لقيهم ، فقاتلهم أياماً ثم هزمهم ، وقتِل البرذَوْن بن

(١) ابن الأثير : « ملجان » .
(٢) ا : « لها فى الحبائل » .

مرزوق الشيبانىّ ، وهرب منصور فى ذلك يقول غيلان بن حُرَيث :

ويَوم رَوْحاءِ العُذَيْبِ دفَّفُوا على ابْنِ مرزُوقٍ سَمَامٌ مُزْعِفُ

قال : وأقبل ابن هبيرة حتّى نزل الكوفة ونفى عنها الخوارج ، وبلغ الضّحاك ما لقى أصحابه ، فدعا عبيدة بن سوّار التغلبىّ ، فوجّهه إليهم ، وانحطّ ابن هبيرة يريد واسطا وعبد الله بن عمر بها ، وولى على الكوفة عبد الرحمن بن بشير العجلىّ ، وأقبل عبيدة بن سوّار مغذًّا فى فرسان أصحابه ، حتى نزل الصّراة ، ولحق به منصور بن جمهور ؛ وبلغ ذلك ابن هبيرة فسار إليهم فالتقوا بالصّراة فى سنة سبع وعشرين ومائة . ١٩١٦/٢

* * *

وفى هذه السنة توجّه سليمان بن كثير ولاهز بن قُرَيظة وقحطبة بن شبيب — فيما ذكر — إلى مكة ، فلقوا إبراهيم بن محمد الإمام بها ، وأعلموه أن معهم عشرين ألف دينار ومائتى ألف درهم ومسْكا ومتاعاً كثيراً ، فأمرهم بدفع ذلك إلى ابن عروة مولى محمد بن علىّ ، وكانوا قدموا معهم بأبى مسلم ذلك العام ، فقال ابن كثير لإبراهيم بن محمد : إنّ هذا مولاك .

وفيها كتب بكير بن ماهان إلى إبراهيم بن محمد يخبره أنه فى أول يوم من أيام الآخرة ، وآخر يوم من أيام الدنيا ، وأنه قد استخلف حفص بن سليمان ، وهو رضاً للأمر . وكتب إبراهيم إلى أبى سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه ؛ وكتب إلى أهل خراسان يخبرهم أنه قد أسند أمرهم إليه ، ومضى أبو سَلَمة إلى خراسان فصدّقوه ، وقبلوا أمره ، ودفعوا إليه ما اجتمع قبلَهم من نَفقات الشيعة وخمس أموالهم . ١٩١٧/٢

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامل مَرْوان على المدينة ومكة والطائف ؛ حدثنى بذلك أحمد بن ثابت الرازىّ ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

وكان العامل على العراق النَّضر بن الحَرَشىّ ، وكان من أمره وأمر عبدالله ابن عمر والضحاك الحَرُورىّ ما قد ذكرت قبلُ . وكان بخراسان نصر بن سيار وبها من ينازعه فيها كالكرمانىّ والحارث بن سُرَيج .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة

* * *

[ذكر خبر قتل الحارث بن سريج بخراسان]

فمما كان فيها من الأحداث قتل الحارث بن سريج بخراسان .

* ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك :

قد مضى ذكر كتاب يزيد بن الوليد للحارث بأمانه، وخروج الحارث من بلاد الترك إلى خراسان ومصيره إلى نصر بن سيار ، وما كان من نَصْر إليه ، واجتماع مَن اجتمع إلى الحارث مستجيبين له . فذكر عليّ بن محمد عن شيوخه ، أنّ ابن هبيرة لما وَلِيَ العراق كتب إلى نصر بعهده ، فبايع لمرْوان ، فقال الحارث : إنما آمنني يزيد بن الوليد ، ومَرْوان لا يُجيز أمانَ يزيد ، فلا آمنه . فدعا إلى البيْعة ، فشتَم أبو السليل مَرْوانَ ، فلما دعا الحارث إلى البَيْعة أتاه سلْم بن أحوز وخالد بن هريم وقَطَن بن محمد وعبّاد[1] بن الأبرد بن قرّة وحمّاد بن عامر ، وكلموه وقالوا له : لِمَ يصيّر نصرٌ سلطانَه وولايته فى أيدى قومك ؟ ألم يخرجك من أرض الترك ومن حكم خاقان! وإنما أتى بك لئلا يجترئ عليك عدوّك فخالفتَه، وفارقتَ أمر عشيرتك، وأطمَعْتَ فيهم عدوّهم ، فنذكّرك الله أن تفرّق جماعتنا ! فقال الحارث : إنىّ لأرى فى يدى الكرمانىّ ولاية ، والأمر فى يد نصر ، فلم يجبْهم بما أرادوا ، وخرج إلى حائط لحمزة بن أبى صالح السلمىّ بإزاء قصر بخاراخذاه ، فعسكر وأرسل إلى نصر ، فقال له : اجعل الأمر شورى ، فأبى نصر . فخرج الحارث فأتى منازل يعقوب بن داود ، وأمر جَهْم بن صَفْوان ، مولى بنى راسب ، فقرأ كتاباً سيّر فيه الحارث على الناس ، فانصرفوا يكبّرون ، وأرسل الحارث إلى نصر : اعزل سلْم بن أحوز عن شُرَطك ، واستعمل بشْر بن بسْطام البرْجمىّ ، فوقع بينه وبين مغلّس بن زياد كلام ، فتفرقت[2] قيس وتميم ،

١٩١٨/٢

(١) ا : « عتاب » .
(٢) ط : « فقرت » ، وما أثبته من ا .

فعزله . واستعمل إبراهيم بن عبد الرحمن ، واختاروا رجالا يسمون لهم قوماً يعملون بكتاب الله. فاختار نصر مقاتلَ بن سليمان ومقاتل بن حيّان ، واختار الحارث المغيرةَ بن شعبة الجَهْضميّ ومعاذ بن جَبَلة ، وأمر نصرٌ كاتبه أن يكتب ما يرضوْن من السُّنَن ، وما يختارونه من العمال ، فيولِّيَهم الثَّغرين ؛ ثغر سَمَرْقند وطخارستان ، ويكتب إلى مَن عليهما ما يرضونه من السيَر والسنَن .

فاستأذن سلْم بن أحوز نصرًا فى الفتك بالحارث ، فأبى وولّى إبراهيم الصائغ ، ٢/١٩١٩ وكان يوجّه ابنه إسحاق بالفيروزج إلى مَرْو ، وكان الحارث يظهر أنه صاحب الرّايات السود ؛ فأرسل إليه نصر : إن كنتَ كما تزعم ، وأنكم تهدِمون سور دمشق ، وتزيلون أمر بنى أميّة ، فخذْ منى خمسمائة رأس ومائتى بعير ، واحمل من الأموال ما شئتَ وآلة الحرب وسرْ ؛ فلعمرى لئن كنتَ صاحب ما ذكرت إنى لنى يدك ؛ وإن كنت لستَ ذلك فقد أهلكتَ عشيرتك . فقال الحارث : قد علمتُ أن هذا حقٌّ ، ولكن لا يبايعنى عليه مَنْ صحبنى. فقال نصر: فقد استبان أنهم ليسوا على رأيك ، ولا لهم مثلُ بصيرتك ، وأنهم هم فساق ورَعاع ، فأذكرك الله فى عشرين ألفاً من ربيعة واليمن سيَهْلكون[١] فيما بينكم . وعرض نصر على الحارث أن يولّيَه ما وراء النهر ، ويعطيَه ثلثمائة ألف ؛ فلم يقبل ؛ فقال له نصر : فإن شئتَ فابدأ بالكرْمانىّ فإن قتلتَه فأنا فى طاعتك ، وإن شئت فخلِّ بينى وبينه ؛ فإن ظفرتُ به رأيت رأيك ، وإن شئتَ فسرْ بأصحابك[٢] ؛ فإذا جزت الرّىّ فأنا فى طاعتك .

قال : ثم تناظر الحارث ونصر ، فتراضيا أن يحكم بينهم[٣] مقاتل بن حيّان وجَهْم بن صفوان ، فحكما بأن يعتزل نصر ، ويكون الأمر شورى . فلم يقبل نصر . وكان جَهْم يقصّ فى بيته فى عسكر الحارث ، وخالف الحارث نصراً ، ففرض نصر لقومه من بنى سلمة وغيرهم ، وصيّر سَلْماً فى المدينة فى منزل ابن سوّار ، وضمّ إليه الرّابطة وإلى هدبة بن عامر الشعراوىّ ٢/١٩٢٠ فرساً ، وصيّره فى المدينة ، واستعمل على المدينة عبد السلام بن يزيد بن حيّان السُّلمىّ ، وحوّل السلاح والدّواوين إلى القهندز ، واتّهم قوماً من أصحابه

(١) ابن الأثير : « يهلكون » . (٢) ط : « بأصحابه » .
(٣) ابن الأثير : « ثم تراضيا بأن حكما » .

أنهم كاتبوا الحارث ، فأجلس عن يساره مَن اتّهم ممن لا بلاء له عنده ، وأجلس الّذين ولّاهم واصطنعهم عن يمينه ؛ ثم تكلم وذكر بنى مَرْوان ومَن خرج عليهم ؛ كيف أظفر الله به ؛ ثم قال : أحمدُ الله وأذمُّ مَن على يسارى ؛ وليتُ خراسان فكنتَ يا يونس بن عبد ربّه ممن أراد الهرب من كلف مئونات مَرْو ، وأنت وأهل بيتك ممن أراد أسد بن عبد الله أن يختم أعناقهم ، ويجعلهم فى الرّجالة ، فوليتكم إذ وليتكم واصطنعتكم وأمرتكم أن ترفعوا ما أصبتم إذا أردتُ المسير إلى الوليد ، فمنكم مَنْ رفع ألف ألف وأكثر وأقلّ ، ثم ملأتم الحارث علىّ ، فهلاّ نظرتم إلى هؤلاء الأحرار الذين لزمونى مؤاسين[1] على غير بلاء ! وأشار إلى هؤلاء الذين عن يمينه . فاعتذر القوم إليه ، فقبل عذرهم .

وقدم على نصر من كور خراسان حين بلغهم ما صار إليه من الفتنة جماعةٌ ؛ منهم عاصم بن عمير الصُّريمىّ وأبو الذّيال الناجىّ وعمرو الفادوسبان السُّغْدىّ البخارىّ وحسان بن خالد الأسدىّ من طُخارستان فى فوارس ، وعَقيل ابن مَعْقل الليثىّ ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم وسعد الصَّغير فى فرسان .

وكتب الحارث بن سريج سيرته ، فكانت تقرأ فى طريق مَرْو والمساجد فأجابه قوم كثير ؛ فقرأ رجل كتابه على باب نصر بماجان ، فضربه غلمان نصر ، فنابذه[2] الحارث ، فأتى نصراً هبيرة بن شرَاحيل ويزيد أبو خالد ، فأعلماه ، فدعا الحسن بن سعد مولى قريش ، فأمره فنادى : إن الحارث بن سريج عدوّ الله قد نابذ وحارب ، فاستعينوا الله ولا حوْل ولا قوّة إلا بالله . وأرسل من ليلته عاصم بن عمير إلى الحارث ، وقال لخالد بن عبد الرحمن : ما نفعل شعارنا غدا ؟ فقال مقاتل بن سليمان : إن الله بعث نبيًّا فقاتل عدوًّا له ، فكان شعاره « حٰم لا ينْصَرون » ، فكان شعارهم « حم لاينصرون » ، وعلامتهم علَى الرّماح الصوف .

١٩٢١/٢

وكان سلْم بن أحْوَز وعاصم بن عُمير وقَطَن وعَقيل بن معقل ومسلم

---

(١) ط : « مؤاسير » ، تحريف ، صوابه من ا .

(٢) المنابذة : نقض العهد .

ابن عبد الرحمن وسعيد الصغير وعامر بن مالك والجماعة فى طرف[1] الطخاريّة ويحيى بن حُضَين وربيعة فى البخاريّين. ودلّ رجل من أهل مدينة مَرْو الحارث على نَقْب فى الحائط، فمضى الحارث فنقّب الحائط، فدخلوا المدينة من ناحية باب بالين وهم خمسون، ونادوْا: يا منصور — بشعار الحارث — وأتوا باب نِيق، فقاتلهم جَهْم بن مسعود الناجىّ، فحمل رجل على جَهْم فطعنه فى فيه فقتله، ثم خرجوا من باب نِيق حتى أتوا قبة سلْم بن أحوز فقاتلهم عِصْمة بن عبد الله الأسدىّ وخضِر بن خالد والأبرد بن داود من آل الأبرد بن قرّة، وعلى باب بالين حازم بن حاتم، فقتلوا كلّ مَن كان يحرسه، وانتهبوا منزلَ ابن أحوز ومنزل قُدَيد بن منيع؛ ونهاهم الحارث أن ينتهبوا منزل ابن أحوز ومنزل قُدَيد بن مَنِيع ومنزل إبراهيم وعيسى ابنى عبد الله السلمىّ إلاّ الدوابّ والسلاح؛ وذلك ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة. ١٩٢٢/٢

قال: وأتى نصرًا رسولُ سلْم يخبره دنوّ الحارث منه، وأرسل إليه: أخِّرْه حتى نصبح، ثم بعث إليه أيضًا محمد بن قَطَن بن عمران الأسدىّ، أنه قد خرج عليه عامّة أصحابه، فأرسل إليه: لا تبدأهم.

وكان الذى أهاج القتال، أنّ غلاماً للنَّضْر بن محمد الفقيه يقال له عطية، صار إلى أصحاب سَلْم، فقال أصحاب الحارث: رُدُّوه إلينا[2]، فأبوْا، فاقتتلوا، فرمى غلاماً لعاصم فى عينه فمات؛ فقاتلهم ومعه عَقِيل بن مَعْقِل فهزمهم، فانتهوْا إلى الحارث وهو يصلىّ الغداةَ فى مسجد أبى بَكْرة، مولى بنى تميم؛ فلما قضى الصلاة دنا منهم، فرجعوا حتى صاروا إلى طَرَف الطُّخارِيَّة، فدنا منه رجلان، فناداهما عاصم: عَرْقِبا بِرْذونه؛ فضرب الحارث أحدَهما بعَمُوده فقتله، ورجع الحارث إلى سكة السُّغْد، فرأى أعينَ مولى حيّان، فنهاه عن القتال، فقاتل فقتِل، وعَدَل فى سكة بنى عصمة، فأتبعه حماد بن عامر الحمانىّ ومحمد بن زُرعة، فكسر رمحيْهما، وحمل على مرزوق مولَى سَلْم؛ فلما دنا منه رمى به فرسه؛ فدخل حانوتًا، وضرب بِرْذَوْنه على مؤخّره فنفق. قال: وركب سلْم حين أصبح إلى باب

(١) ا: «طرق». (٢) ا: «علينا».

نيق ، فأمرهم بالخندق ، فخندقوا وأمر مناديًا ، فنادى : مَن جاء برأس فله ثلثمائة ، فلم تطلع الشمس حتى انهزم الحارث ، وقاتلهم الليل كله ، فلما أصبحنا أخذ أصحاب نصر على الرزيق ، فأدركوا عبد الله بن مجّاعة بن سعد ، فقتلوه . وانتهى سلْم إلى عسكر الحارث ؛ وانصرف إلى نَصْر فنهاه نصر ، فقال : لست منتهيًا حتى أدخل المدينة على هذا الدبُّوسىّ ؛ فمضى معه محمد ابن قَطَن وعبيد الله بن بسام إلى باب دَرسْنكان — وهو القهندز — فوجده مردومًا ، فصعد عبد الله بن مَزْيَد الأسدىّ السور ومعه ثلاثة ، ففتحوا الباب ، ودخل بن أحْوَز ، ووكّل بالباب أبا مطهّر حرب بن سليمان، فقتل سلم يومئذ كاتب الحارث بن سرَيج ، واسمه يزيد بن داود ،وأتى[1] عبد ربه ابن سيسن فقتله ، ومضى سلْم إلى باب نيق ففتحه ،وقتل رجلاً من الجزّارين كان دلّ الحارث على النَّقْب ؛ فقال المنذر الرقاشىّ ابن عمّ يحيى بن حضين ، يذكر صبر القاسم الشيبانىّ :

١٩٢٣/٢

ما قاتَلَ القومَ منكُمْ غيرُ صاحِبِنا ... فى عُصْبَةٍ قاتلوا صَبرًا فما ذُعِرُوا
هُمْ قاتلوا عِندَ بابِ الحصنِ ما وَهَنُوا ... حتى أتاهُمْ غِياثُ اللهِ فانتَصَرُوا
فقاسِمٌ بَعدَ أَمْرِ اللهِ أحرَزَها ... وأنتَ فى معزِلٍ عن ذاكَ مقتَصِرُ

ويقال : لما غلظ أمر الكرمانىّ والحارث أرسل نَصْر إلى الكرمانىّ ، فأتاه على عهد، وحضرهم محمد بن ثابت القاضى ومقدام بن نعيم أخو عبد الرحمن ابن نعيم الغامدىّ وسلْم بن أحْوز ، فدعا نصرٌ إلى الجماعة ، فقال للكرْمانىّ : أنت أسعدُ الناس بذلك ؛ فوقع بين سَلْم بن أحْوَز والمقدام كلام ؛ فأغلظ له سَلْم ، فأعانه عليه أخوه ، وغضب لهما السُّغدىّ بن عبد الرحمن الحَزْمىّ، فقال سلْم : لقد هممتُ أن أضربَ أنفَكَ بالسيف ، فقال السُّغدىّ : لو مسستَ السَّيْف لم ترجع إليك يدُك ، فخاف الكرمانىّ أن يكون مكراً من نصْر ، فقام وتعلقوا به ، فلم يجلس ، وعاد إلى باب المقصورة .

١٩٢٤/٢

قال : فتلقوْه بفرسه ، فركب فى المسجد ، وقال نصر :أراد الغدر بى ، وأرسل الحارث إلى نصر : إنا لا نرضى بك إمامًا ، فأرسل إليه نصر : كيف

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « أمر » .

يكون لك عقل ، وقد أفنيتَ عمرك فى أرض الشرْك وغزوتَ المسلمين بالمشركين ! أترانى أتضرّع إليك أكثر مما تضرّعت ! . قال : فأسِر يومئذ جَهْم بن صفوان صاحب الجَهميّة ، فقال لسلم : إن لى وَلْثاً من ابنك حارث ؛ قال : ما كان ينبغى له أن يفعل ؛ ولو فعل ما آمنتك ، ولو ملأتَ هذه الملاءة كواكبَ ، وأبرأك إلىّ عيسى بن مريم ما نجوتَ ؛ والله لو كنتَ فى بطنى لشققتُ بطنى حتى أقتلك ؛ والله لا يقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمتَ ؛ وأمر عبد ربّه بن سِيَسن فقتله ، فقال الناس : قُتِل أبو محرِز – وكان جَهْم يكنى أبا محرز .

وأسِر يومئذ هبيرة بن شراحيل وعبد الله بن مجّاعة فقال : لا أبقى الله من استبقا كما ، وإن كنتما من تميم . ويقال : بل قُتل هبيرة ، لحقَتْه الخيل عند دار قدَيد بن منيع فقتِل . قال : ولما هزَم نصر الحارثَ ، بعث الحارث ابنَه حاتماً إلى الكرمانىّ ، فقال له محمد بن المثنّى : هما عدوّاك ، دعهما يضطربان ؛ فبعث الكرمانىّ السُّغدىَّ بن عبد الرحمن الحَزْمىّ معه ، فدخل السُّغدىّ المدينة من ناحية باب ميخان ، فأتاه الحارث ، فدخل فازة[1] الكِرْمانىّ ، ومع الكِرمانىّ داود ابن شعيب الجدّانىّ ومحمد بن المثنى ، فأقيمت الصلاة ، فصلى بهم الكرمانىّ ، ثم ركب الحارث ، فسار معه جماعة بن محمد بن عزيز أبو خلف ، فلما كان الغد سار الكِرمانىّ إلى باب ميدان يزيد ، فقاتل أصحابَ نصر ، فقتِل سعد بن سَلْم المراغىّ ، وأخذوا علَم عثمان بن الكرمانىّ ؛ فأوّل من أتى الكرمانىّ بهزيمة الحارث وهو معسكر بباب ماسَرْجَسان على فرسخ من المدينة النَّضْر ابن غَلاّق السُّغدىّ وعبد الواحد بن المنخّل . ثم أتاه سوادة بن سريج ، [وحاتم بن الحارث والخليل بن غزوان العذرىّ ، أتوه ببيعة الحارث بن سريج] [2]

وأول من بايع الكرمانىَّ يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانىّ ، فوجه الكرمانىّ إلى الحارث بن سريج سورة بن محمد الكندىّ [إلى أسمانير] [2] والسغدىَّ بن عبد الرحمن أبا طعمة وَصْعباً أو صُعيباً ، وصبّاحاً ، فدخلوا المدينة من باب ميخان ، حتى أتوْا باب ركَك ، وأقبل الكِرمانىّ إلى باب حَرْب بن عامر ،

١٩٢٥/٢

١٩٢٦/٢

---

(١) فى اللسان : الفازة مظلة تمد بعمود .

(٢) من ا .

ووجّه أصحابه إلى نصر يوم الأربعاء ، فتراموْا ثم تحاجزوا ، ولم يكن بينهم يوم الخميس قتال . قال : والتقوْا يوم الجمعة ، فانهزمت الأزْد؛حتى وصلوا إلى الكرمانيّ ، فأخذ اللواء بيده فقاتل به ، وحمل الخضر بن تميم وعليه تجْفافٌ ، فرموْه بالنّشاب ، وحمل عليه حبيش مولى نَصْر فطعنه فى حَلْقه ، فأخذ الخضر السّنان بشماله من خلفه ؛ فشبّ به فرسه ، وحمل فطعن حبيشاً فأذراه عن برْذونه ، فقتله رجّالة الكرمانيّ بالعصىّ .

قال : وانهزم أصحابُ نصر ، وأخذوا لهم ثمانين فرساً ، وصرِع تميم ابن نصر ، فأخذوا له برذَوْنين ؛ أخذ أحدهما السُّغدىّ بن عبد الرحمن ، وأخذ الآخر الخَضِر ، ولحق الخضر بسلم بن أحْوز ، فتناول من ابن أخيه عموداً فضربه فصرَعه ، فحمل عليه رجلان من بنى تميم فهرب ، فرمى سَلْم بنفسه تحت القناطر وبه بضع عشرة ضربة على بَيْضته فسقط ، فحمله محمد بن الحدّاد إلى عسكر نصر ، وانصرفوا ، فلما كان فى بعض الليالى خرج نصر من مَرْو ، وقُتِل عصمة بن عبد الله الأسدىّ ، وكان يحمى أصحاب نصر ؛ فأدركه صالح بن القعقاع الأزدىّ ، فقال له عصمة : تقدّم يا مَزُونىّ ، فقال صالح : أثبت يا خصِى — وكان عقيماً — فعطَف فرسه فشبّ فسقط ، فطعنه صالح فقتله .

١٩٢٧/٢ وقاتل ابن الديليمرىّ ، وهو يرتجز ؛ فقتِل إلى جنب عِصْمة . وقتل عبيد الله بن حوتمة[1] السلمىّ ، رمى مروان البهرانىّ بجُرْزة[2] ؛ فقتل ؛ فأتى الكرمانىّ برأسه فاسترجع — وكان له صديقاً — وأخذ رجل يمانى بعنان فرس مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم فعرفه فتركه . واقتتلوا ثلاثة أيام ، فهزمت آخرَ يوم المضرّيةُ اليمن ، فنادى الخليل بن غزوان : يا معشَر ربيعة واليمن ؛ قد دخل الحارثُ السوق ، وقتِل ابن الأقطع ؛ ففتّ فى أعضاد المضرّية . وكان أوّل مَن انهزم إبراهيم بن بسام الليثىّ ، وترجّل تميم بن نصر ، فأخذ برْذَوْنه عبد الرحمن بن جامع الكندىّ ، وقتلوا هَيّاجاً الكلبىّ ولقيط بن أخضر ؛ قتله غلام لهانئ البزّار .

(١) ا : « خزيمة » .

(٢) ا : « نحره » ، والجرز: عمود من حديد.

قال : ويقال : لما كان يوم الجمعة تأهَّبوا للقتال ، وهدموا الحيطان ليتَّسع لهم الموضع ، فبعث نصر محمد بن قطن إلى الكرمانىّ : إنك لست مثل هذا الدبّوسىّ ، فاتّق الله ، لا تشرع فى الفتنة . قال : وبعث تميم بن نصر شاكريّته ، وهم فى دار الجَنوب بنت القعقاع ؛ فرماهم أصحاب الكرمانىّ من السطوح ونذروا بهم ، فقال عقيل بن معقِل لمحمد بن المثنّى : علامَ نقتل أنفسنا لنصر والكرمانىّ ! هلمّ نرجع إلى بلدنا بطَخارستان ، فقال محمد : إنّ نصرًا لم يفِ لنا ، فلسنا ندَع حربه . وكان أصحاب الحارث والكرمانىّ يرمون نصرًا وأصحابه بعرّادة ، فضُرب سرادقه[1] وهو فيه فلم يحوّله ، فوجه إليهم سلْم ابن أحوز فقاتلهم ؛ فكان أوّل الظَّفَر لنصر ، فلما رأى الكرمانىّ ذلك أخذ لواءه من محمد بن محمد بن عَميرة ، فقاتل به حتى كَسَره . وأخذ محمد بن المثنى والزّاغ وحِطّان فى كارابكل ، حتى خرجوا على الرّزيق ، وتميم بن نصر على قنطرة النهر ، فقال محمد بن المثنى لتميم حين انتهى إليه : تنحّ يا صبىّ . وحمل محمد والزاغ معه راية صفراء ، فصرعوا أعين مولى نصر ، وقتلوه ؛ وكان صاحب دواة نصر ، وقتلوا نفراً من شاكريّته . وحمل الخضر بن تميم على سلْم بن أحوَز فطعنه ، فمال السنان ، فضربه بجُرْز على صدره وأخرى على منكبه ؛ وضربه على رأسه فسقط ، وحمى نصر أصحابه فى ثمانية ، فمنعهم من دخول السوق .

١٩٢٨/٢

قال : ولما هزَمت اليمانيّة مُضَر ، أرسل الحارث إلى نصر : إن اليمانيّة يعيّرونى بانهزامكم ، وأنا كافّ ؛ فاجعل حماة أصحابك بإزاء الكرْمانىّ ، فبعث إليه نصر يزيد النحوىّ أو خالداً[2] يتوثّق منه ؛ أن يفىَ له بما أعطاه من الكفّ . ويقال : إنما كفّ الحارث عن قتال نَصْر أن عمران بن الفضل الأزدىّ وأهل بيته وعبد الجبار العدوىّ وخالد بن عبيد الله بن حبيب[3] العدوىّ وعامة أصحابه نقِموا على الكِرْمانىّ فعلَه بأهل التبوشكان ؛ وذلك أن أسداً وجّهه [إليهم[4]] ، فنزلوا على حكْم أسد ، فبقر بطون خمسين رجلا وألقاهم فى نهر بَلْخ ، وقطع أيدى ثلثمائة منهم وأرجلهم ، وصلب ثلاثةً ، وباع أثقالهم فيمن يزيد ،

---

(١) ا : « رواقه » .
(٢) ط : « وخالدا » .
(٣) ط : « حية » .
(٤) من ا .

فنقموا على الحارث عوْنه الكرمانىّ ، وقتاله نصراً . فقال نصرٌ لأصحابه حين
تغير الأمر بينه وبين الحارث : إن مُضَرَ ، لا تجتمع لى ما كان الحارث مع ١٩٢٩/٢
الكرمانىّ ؛ لا يتفقان على أمر ، فالرأى تركهما ؛ فإنهما يختلفان . وخرج إلى
جُلْفَر فيجد عبد الجبار الأحول العدوىّ وعمر بن أبى الهيثم الصغدىّ ، فقال
لهما : أيسعكما المقام مع الكرمانىّ ؟ فقال عبد الجبار : وأنت فلا عدمت
آسياً ، ما أحلك هذا المحلّ !

فلما رجع نصر إلى مَرْو أمر به فضرب أربعمائة سوط ، ومضى نصر إلى
خَرَق ، فأقام أربعة أيام بها ، ومعه مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم وسلم بن
أحْوَز وسنان الأعرابىّ ، فقال نصر لنسائه : إنّ الحارث سيخلفنى فيكنّ
ويحميكنّ . فلما قرب من نيسابور أرسلوا إليه : ما أقدمك ، وقد أظهرت
من العصبية أمراً قد كان الله أطفأه ؟ وكان عامل نصر على نَيْسابور ضرار
ابن عيسى العامرىّ ، فأرسل إليه نصر بن سيار سناناً الأعرابىّ ومسلم بن
عبد الرحمن وسلم بن أحْوَز ، فكلموهم فخرجوا ، فتلقوْا نصراً بالمواكب
والجوارى والهدايا ، فقال سلم : جعلنى الله فداك ! هذا الحىّ من قيس ؛ فإنما
كانت عاتبة ، فقال نصر :

أَنَا ابْنُ خِنْدِفَ تنميني قبائِلُهَا للصالحات وعمِّى قيسُ عَيْلانا

وأقام عند نصر حين خرج من مَرْو يونس بن عبد ربّه ومحمد بن قَطَن
وخالد بن عبد الرحمن فى نظرائهم .

قال : وتقدّم عبّاد بن عمر الأزدىّ وعبد الحكيم بن سعيد العَوْذىّ
وأبو جعفر عيسى بن جرز على نَصْر من مكة بأبرشهر ، فقال نصر لعبد الحكيم : ١٩٣٠/٢
أما ترى ما صنع سفهاء قومك ؟ فقال عبد الحكيم : بل سفهاء قومك ؛ طالت
ولايتها فى ولايتك ، وصيّرت الولاية لقومك دون ربيعة واليمن فبطروا[١] ، وفى
ربيعة واليمن حلماء وسُفهاء فغلب السفهاء الحكماء[٢] . فقال عبّاد : أتستقبل
الأمير بهذا الكلام ! قال : دعْه فقد صدق ، فقال أبو جعفر عيسى بن جرز —
وهو من أهل قرية على نهر مَرْو : أيها الأمير ، حسبك من هذه الأمور والولاية ،

(١) ابن الأثير : « فنظروا » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « العلماء » .

فإنه قد أطلّ[1] أمرٌ عظيم ، سيقوم رجل مجهول النسب يُظهر السواد ، ويدعو إلى دوْلة تكون ، فيغلب على الأمر وأنتم تنظرون وتضطربون . فقال نصر : ما أشبه أن يكون[2] لقلة الوفاء ، واستجراح[3] الناس ، وسوء ذات البين . وجّهتُ إلى الحارث وهو بأرض الترك ، فعرضتُ عليه الولاية والأموال فأبى وشغب وظاهر علىّ . فقال أبو جعفر عيسى : إن الحارث مقتول مصلوب ، وما الكرمانىّ من ذلك ببعيد . فوصله نصر . قال : وكان سَلْم بن أحوز يقول : ما رأيت قومًا أكرم إجابةً ، ولا أبذل لدمائهم من قيس .

قال : فلما خرج نصر من مَرْو غلب عليها الكِرمانىّ ، وقال للحارث : إنما أريد كتاب الله ، فقال قحطبة : لو كان صادقًا لأمددتُه ألف عنان ، فقال مقاتل بن حيّان : أفى كتاب الله هدمُ الدور وانتهاب الأموال ! فحبسه الكرمانىّ فى خَيمة فى العسكر ، فكلّمه معمّر بن مقاتل بن حيّان — أو معمر بن حيان — فخلاه ، فأتى الكرمانىّ المسجدَ ، ووقف الحارث ، فخطب الكرمانىّ الناس ، وآمنهم غير محمد بن الزبير ورجل آخر ، فاستأمن لابن الزبير داود بن أبى داود بن يعقوب ، ودخل الكاتب فآمنه ؛ ومضى الحارث إلى باب دوران وسَرخس ، وعَسْكر الكرمانىّ فى مصلّى أسد ، وبعث إلى الحارث فأتاه ، فأنكر الحارث هَدْم الدُّور وانتهاب الأموال ، فهمّ الكِرمانىّ به ، ثم كفّ عنه ، فأقام أيامًا . وخرج بشر بن جرموز الضبىّ بخَرقان ، فدعا إلى الكتاب والسنّة ، وقال للحارث : إنما قاتلت معك طلبَ العدل ، فأمّا إذْ كنتَ[4] مع الكرمانىّ ، فقد علمتُ أنك إنما تقاتل ليقال : غلب الحارث ! وهؤلاء يقاتلون عصبيّة ، فلستُ مقاتلا معك . واعتزل فى خمسة آلاف وخمسمائة — ويقال فى أربعة آلاف — وقال : نحن الفئة العادلة ، ندعو إلى الحقّ ولا نقاتل إلّا مَن يقاتلنا . وأتى الحارث مسجد عياض ، فأرسل إلى الكرمانىّ يدعوه إلى أن يكون الأمر شورى ، فأبى الكرمانىّ ، وبعث الحارث ابنه محمداً فحمل ثقله من دار تميم بن نصر ، فكتب نصر إلى عشيرته ومُضر ؛ أن الزموا الحارث مناصحةً

١٩٣١/٢

(١) ابن الأثير : « أظلك » .
(٢) بعدها فى ابن الأثير : « كما تقول » .
(٣) ا : « استخراج » .
(٤) ابن الأثير : « إذ أنت » .

فأتوه؛ فقال الحارث : إنكم أصلُ العرب وفرعها ، وأنتم قريب عهد بالهزيمة ، فاخرجوا إلىّ بالأثقال ، فقالوا : لم نكن نرضى بشىء دون لقائه . وكان من مدبِّرى(١) عسكر الكِرمانىّ مقاتل بن سليمان ، فأتاه رجل من البُخاريّين ، فقال : أعطنى أجر المِنجنيق التى نصبتها ، فقال : أقم البيّنة أنك نصبتَها من منفعة المسلمين ، فشهد له شيبة بن شيخ الأزدىّ ، فأمر مقاتل فصُكّ له إلى بيت المال . قال : فكتب أصحاب الحارث إلى الكِرْمانىّ : نوصيكم بتقوى الله وطاعته وإيثار أئمة الهدى وتحريم ما حرّم الله من دمائكم ؛ فإن الله جعل اجتماعَنا كان إلى الحارث ابتغاء الوسيلة إلى الله ، ونصيحةً فى عباده ، فعرّضنا أنفسنا للحرب ودماءنا للسفك وأموالنا للتلف ، فصغُر ذلك كله عندنا فى جنْب ما نرجو من ثواب الله ؛ ونحن وأنتم إخوان فى الدين وأنصار على العدوّ ، فاتقوا الله وراجعوا الحقّ ، فإنا لا نريد سفك الدماء بغير حلها . ١٩٣٢/٢

فأقاموا أيامًا ، فأتى الحارث بن سُريج الحائط فثلَم فيه ثلمة ناحية نوبان عند دار هشام بن أبى الهيثم ، فتفرّق عن الحارث أهلُ البصائر وقالوا : غدرت . فأقام القاسم الشيبانىّ وربيع التيمىّ فى جماعة ، ودخل الكِرمانىّ من باب سرخس ، فحاذى الحارث ؛ ومرّ المنخّل بن عمرو الأزدىّ فقتله السَّميدع ؛ أحد بنى العَدويّة ، ونادى : يالثارات لَقيط ! واقتتلوا ، وجعل الكرمانىّ على ميمنته داود بن شعيب وإخوته : خالداً ومزيَداً والمهلب ، وعلى ميسرته سورة بن محمد بن عزيز الكِندىّ ، فى كندة وربيعة . فاشتدّ الأمر بينهم ، فانهزم أصحابُ الحارث وقُتلوا ما بين الثلمة وعسكر الحارث ، والحارث على بَغْل فنزل عنه ، وركب فرسًا فضربه ، فجرى وانهزم أصحابُه ، فبقى فى أصحابه ، فقتِل عند شجرة ، وقُتل أخوه سوادة وبشر بن جُرْموز وقَطن بن المغيرة بن عجرد ، وكَفّ الكرمانىّ ، وقُتل مع الحارث مائة ، وقُتل من أصحاب الكِرمانىّ مائة ، وصُلب الحارث عند مدينة مَرْو بغير رأس . وكان قُتل بعد خروج نصر من مَرْو بثلاثين يومًا ، قُتل يومَ الأحد لستّ بقين من رجَب . وكان يقال : إن الحارث يُقتل تحت زيتونة أو شجرة غُبَيْراءَ . فقتل كذلك سنة ثمان وعشرين ومائة . وأصاب الكِرمانىّ صفائح ذهب للحارث ١٩٣٣/٢

(١) ا : « وكان مدبر » .

فأخذها وحبس أمّ ولده ثم خلّى عنها ، وكانت عند حاجب بن عمرو بن سلمة بن سكن بن جون بن دبيب . قال : وأخذ أموال مَنْ خرج مع نصر ، واصطفى متاع عاصم بن عمير ، فقال إبراهيم : بمَ تستحل ماله ؟ فقال صالح من آل الوضاح : اسقِنِي دمه ، فحال بينه وبينه مقاتل بن سليمان ، فأتى به منزله .

قال عليّ : ، قال زهير بن الهُنيد : خرج الكرمانيّ إلى بِشْر بن جُرْموز ، وعسكر خارجًا من المدينة ؛ مدينة مَرْو ، وبشر فى أربعة آلاف ، فعسكر الحارث مع الكِرمانيّ ، فأقام الكرمانيّ أيامًا بينه وبين عسكر بِشْر فرسخان ، ثم تقدّم حتى قرب من عسكر بشر ، وهو يريد أن يقاتله ، فقال للحارث : تقدّم . وندم الحارث على اتباع الكرمانيّ ، فقال : لا تعجل إلى قتالهم ، فإنى أردّهم إليك ، فخرج من العسكر فى عشرة فوارس ؛ حتى أتى عسكر بِشْر فى قرية الدّرزِيجان ، فأقام معهم وقال : ما كنتُ لأقاتلكم مع اليمانيَة ، وجعل المضريّون ينسلّون من عسكر الكرمانيّ إلى الحارث حتى لم يبق مع الكِرمانيّ مضريّ غير سَلَمة بن أبى عبد الله ، مولى بنى سُلَيم ؛ فإنه قال : والله لا أتبع الحارث أبداً فإنى لم أره إلا غادراً والمهلّب بن إياس ، وقال : لا أتبعه فإنى لم أره قطّ إلا فى خيل تطّرد . فقاتلهم الكرمانيّ مراراً يقتتلون ثم يرجعون إلى خنادقهم ، فمرّةً لهؤلاء ومرّة لهؤلاء ، فالتقوْا يومًا من أيامهم ، وقد شرب مَرْثد بن عبد الله المجاشعيّ ، فخرج سكران على بِرْذون للحارث ، فطُعن فصُرع ، وحماه فوارس من بنى تميم ؛ حتى تخلص ، وعار البرذون ، فلما رجع لامه الحارث ، وقال : كدتَ تقتل نفسك ، فقال للحارث : إنما تقول ذلك لمكان بِرْذونك ، امرأتى طالق إن لم آتك ببرذَوْن أفرَه من برذونك من عسكرهم ، فالتقوا من غد ، فقال مرثد : أىّ برذون فى عسكرهم أفره ؟ قالوا : برذون عبد الله ابن دَيْسَم العَنَزىّ — وأشاروا إلى موقفه — حتى وصل إليه ، فلما غشَيه رمى ابن ديسم نفسه عن برْذوْنه ، وعلّق مرثد عنان فرسه فى رمحه ، وقاده حتى أتى به الحارث ، فقال : هذا مكان بِرْذونك ، فلقى مخلد بن الحسن مرثداً ، فقال له يمازحه : ما أهيأ برذون ابن ديسم تحتَك ! فنزل عنه ، وقال : خذه ، قال : أردت أن تفضحنى ! أخذتَه منا فى الحرب وآخذه فى السلم ! ومكثوا بذلك

١٩٣٤/٢

أياماً ، ثم ارتحل الحارث ليلا ، فأتى حائط مَرْو فنقب (١) باباً ، ودخل الحائط ، فدخل الكِرمانى ، وارتحل ، فقالت المضريّة للحارث : قد تركنا الخنادق فهو يومنا ، وقد فررت غير مرّة ، فترجّل . فقال : أنا لكم فارساً خير منى لكم راجلا ، قالوا : لا نرضى إلا أن تترجّل ، فترجّل وهو بين حائط مَرْو والمدينة ، فقتِل الحارث وأخوه وبشر بن جرموز وعدّة من فرسان تميم ، وانهزم الباقون ، وصُلِب الحارث وصَفَتْ مَرْو لليمن ، فهدموا دور المضريّة ، فقال نصر بن سيار للحارث حين قتِل : ١٩٣٥/٢

يا مُدْخِلَ الذلِّ على قومِهِ بعْدًا وسُحْقاً لك مِنْ هالِكِ!
شُؤمُكَ أَرْدَى مُضرًا كلَّها وغضَّ مِنْ قَومِكَ بالحارِكِ (٢)
ما كانتِ الأَزْدُ وأشياعُها تَطْمَعُ فى عمرو ولا مالكِ
ولا بَنِى سَعْدٍ إذا أَلجَمُوا (٣) كُلَّ طِمِرٍّ لونُهُ حالِكُ

ويقال : بل قال هذه الأبيات نصر لعثمان بن صدقة المازنىّ .
وقالت أم كثير الضبيّة :

لا بارَكَ اللهُ فى أُنثى وعذَّبَها تَزَوَّجَتْ مضريًّا آخِرَ الدهرِ
أَبْلغْ رجالَ تميمٍ قولَ مُوجَعَةٍ أَحلَلْتُمُوها بدار الذلِّ والفقر
إنْ أنتمُ لَمْ تكرُّوا بَعْدَ جَوْلتِكُمْ حَتَّى تُعِيدُوا رِجالَ الأَزْدِ فى الظُّهْر (٤)
إنِّى استَحَيْتُ لكُمْ من بَذْلِ طاعَتِكُمْ (٥) هذا المَزُونىَّ يَجْبيكُم على قَهْر (٦)

وقال عبّاد بن الحارث :

أَلا يا نَصْرُ قَدْ بَرِحَ الخَفاءُ وقد طالَ التَّمنِّى والرَّجاءُ
وأَصْبَحَتِ المَزُونُ بأَرْضِ مَرْوٍ تُقَضِّى فى الحكومَةِ ما تَشاءُ
يَجُوزُ قضاؤها فى كُلِّ حُكْمٍ على مُضَرٍ وَإنْ جارَ القضاءُ

---

(١) ابن الأثير : « فنقب سوراً » (٢) ابن الأثير : « وحز من قومك » .
(٣) ا : « ألحموا » . (٤) ابن الأثير : « حتى تعدوا » .
(٥) ابن الأثير : « من بعد طاعتكم » . (٦) ابن الأثير : « يجنيكم » .

وحِمْـــيَرُ فى مَجالِسِها قُعُودٌ تَرَقْرَقُ فى رِقابِهِمُ الدِّماءُ
فإنْ مُضَرٌ بذا رَضِيَتْ وَذلَّتْ فطالَ لها المَذَلَّةُ والشَّقاءُ
وإنْ هِىَ أَعتَبَتْ فيها وإلا فَحَلَّ على عساكِرِها العفاءُ

١٩٣٦/٢

وقال :

أَلا يا أَيهـــا المرءُ الـ ـذى قد شَفَّهُ الطَّرَبُ
أَفِقْ وَدَعِ الذى قَد كنْـ ـتَ تطلبُهُ ونَطَّلِبُ
فقد حَدَثَتْ بحَضْرَتنا أُمورٌ شأْنُها عجبُ
اَلأَزْدَ رَأَيْتُها عَزَّتْ بمَرْوَ وَذَلَّتِ العَرَبُ
فجَازَ الصُّفرُ لمَّا كا نَ ذاكَ وَبُهْرِجَ الذهَبُ

وقال أبو بكر بن إبراهيم لعلىّ وعثمان ابنى الكرمانىّ :

إنى لمُرْتَحِلٌ أُرِيدُ بمِدْحَتِى أَخوَيْن فَوْقَ ذُرَى الأَنامِ ذراهُما
سبقا الجيادَ فَلَمْ يزالا نُجْعَةً لا يَعْدَمُ الضَّيْفُ الغَرِيبُ قراهُما
يسْتَعْلِيَانِ ويَجْرِيانِ إلى العُلا ويَعِيشُ فى كنَفَيْهِمَا حَيَّاهُما
أَعْنِى عَلِيًّا إنَّهُ ووَزِيرَهُ عُثْمانَ لَيسَ يَذِلّ مَنْ والاهُما
جَرَيَا لكَيْمَا يلحَقا بأَبيهِمَا جَرْىَ الجيادِ من البعيدِ مَداهُما
فلئِنْ هُما لَحِقـــا بهِ لمُنَصَّبٍ يَسْتَعلِيانِ ويَلحَقانِ أَباهُما
وَلَئِنْ أَبَرَّ عليهِمَا فَلَطَـــالما جَرَيا فَبذَّهُما وبَذّ سِواهُما
فلأَمْدَحَنَّهُمَا بما قدْ عاينَت عَينِى وَإِنْ لَمْ أُحْصِ كلَّ نَداهُما [١]
فَهُما التَّقيَّانِ المُشارُ إليْهما الحَامِلانِ الكاملان كِلاهُما
وهُما أزالا عن عرِيكَةِ ملكهِ نَصْرًا ولاقى الذلَّ إذْ عاداهُما
نَفَيَا ابنَ أَقطعَ بعدَ قتل حُماتِهِ وتَقَسَّمْتَ أَسلابَهُ خَيلاهُمـــا

(١) ط : « أخص » .

والحارث بن سُرَيج إذ قَصَدُوا لَهُ حتى تعَاوَرَ رَأْسَهُ سَيفاهُمَا
أَخَــذا بِعَفْو أَبيهما فى قدرِهِ إذ عَزَّ قَوْمهُما ومن والاهما

* * *

١٩٣٧/٢ وفى هذه السنة وجّه إبراهيم بن محمد أبا مسلم إلى خراسان ، وكتب إلى أصحابه : إنى قد أمرته بأمرى ، فاسمعوا منه واقبلوا قوله ؛ فإنى قد أمّرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك ؛ فأتاهم فلم يقبلوا قوله ، وخرجوا من قابل ، فالتقوْا بمكة عند إبراهيم ، فأعلمه أبو مسلم أنهم لم ينفذوا كتابه وأمره ، فقال إبراهيم : إنى قد عرضت هذا الأمر على غير واحد فأبوْه علىّ ، وذلك أنه كان عَرَض ذلك قبلَ أن يوجّه أبا مسلم على سليمان بن كثير ، فقال : لا أَلِى(١) اثنين أبداً ، ثم عرضه على إبراهيم بن سلمة فأبى ، فأعلمهم أنه أجمع رأيه على أبى مسلم ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، ثم قال : يا عبد الرحمن ، إنك رجلٌ منّا أهل البيت ؛ فاحتفظ(٢) وصيّتى ، وانظر هذا الحىّ من اليمن فأكرمْهم(٣) ، وحُلَّ بين أظهرهم ؛ فإن الله لا يُتمّ هذا الأمر إلا بهم ؛ وانظر هذا الحىّ من ربيعة فاتّهِمْهم فى أمرهم ، وانظر هذا الحىّ من مضر ؛ فإنهم العدوّ القريب الدار ، فاقتل مَنْ شككت فى أمره ومن كان فى أمره شبهة ومَنْ وقع فى نفسك منه شىء ؛ وإن استطعت ألاّ تدع بخراسان لساناً عربيّاً فافعل ، فأيّما غلام بلغ خمسة أشبار تتّهمه فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ — يعنى سليمان بن كثير — ولا تعصِه ، وإذا أشكل عليك أمر فاكتفِ به منى .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل الضحاك الخارجىّ]

١٩٣٨/٢ وفى هذه السنة قُتِل الضحاك بن قيس الخارجىّ ، فيما قال أبو مخنف ، ذكر ذلك هشام بن محمد عنه .

---

(١) بعدها فى الأثير : « على » . (٢) ابن الأثير : « فاحفظ » .
(٣) ابن الأثير : « فالزمهم » .

* ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك :

ذكر أنّ الضحاك لما حاصر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط ، وبايعه منصور بن جُمْهور ، ورأى عبد الله بن عمر أنه لا طاقة له به ، أرسل إليه : إن مقامكم علىّ ليس بشيء[١] ؛ هذا مروان فسرْ إليه ؛ فإن قاتلته[٢] فأنا معك ، فصالحه على ما قد ذكرت من اختلاف المختلفين فيه .

فذكر هشام ، عن أبي مخنف ؛ أن الضحاك ارتحل عن ابن عمر حتى لقىَ مَرْوان بكفَرْتوثا من أرض الجزيرة ، فقتِل الضحاك يوم التقوْا .

وأما[٣] أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، فقال فيما حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم عنه أن الضّحاك لما قتل عطية التغلبىّ[٤] صاحبَه وعاملَه على الكوفة مِلْحان بقنطرة السَّيْلحين ، وبلغه خبرُ قتل ملحان وهو محاصر عبد الله بن عمر بواسط ، وجّه مكانه من أصحابه رجلا يقال له مطاعن ؛ واصطلح عبد الله بن عمر والضحاك عن أن يدخل فى طاعته ؛ فدخل وصلى خلفه ، وانصرف إلى الكوفة ، وأقام ابن عمر فيمن معه بواسط ، ودخل الضّحاك الكوفة ، وكاتبه أهلُ الموصل ودعوْه إلى أن يقدم عليهم فيمكّنوه منها ؛ فسار فى جماعة جنوده بعد عشرين شهراً ، حتى انتهى إليها ، وعليها يومئذ عامل لمرْوان ؛ وهو رجل من بنى شَيْبان من أهل الجزيرة يقال له القَطِران بن أَكْمَه ، ففتح أهل الموصل المدينة للضحاك وقاتلهم القطِران فى عدّة يسيرة من قومه وأهل بيته حتى قتِلوا ، واستولى الضّحاك على الموصل وكورها . وبلَغ مَرْوان خبرُه وهو محاصِرٌ حِمْص ، مشتغل بقتال أهلها ، فكتب إلى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة ، يأمره أن يسير فيمن معه من رَوابطه إلى مدينة نَصِيبين ليشغل[٥] الضحاك عن توسط الجزيرة ، فشخص عبد الله إلى نَصِيبين فى جماعة روابطه ؛ وهو فى نحو من سبعة آلاف أو ثمانية ، وخلّف بحرّان قائداً فى ألف أو نحو ذلك ؛ وسار الضحاك من الموْصِل إلى عبد الله

١٩٣٩/٢

(١) ابن الأثير : « بسيء » .
(٢) ا ، وابن الأثير : « قتلته » .
(٣) كذا فى ا .
(٤) ط : « التغلبى » من توجيه مصححه ، والصواب ما أثبته من الأصول .
(٥) كذا فى ا .

بنصيبين، فقاتله فلم يكن له قوّة لكثرة من مع الضحاك؛ فهم فيما بلغنا عشرون ومائة ألف، يرزق الفارس عشرين ومائة والراجل والبغال المائة والثمانين فى كلّ شهر ؛ وأقام الضحاك على نَصيبين محاصراً لها ، ووجّه قائدين من قوّاده يقال لهما عبد الملك بن بشر التغلبىّ، وبدر الذَّكوانىّ مولى سليمان بن هشام، فى أربعة آلاف أو خمسة آلاف حتى وردا الرّقة ، فقاتلهم مَنْ بها من خيل مروان ؛ وهم نحو من خمسمائة فارس ، ووجّه مَرْوان حين بلغه نزولهم الرّقة خيلا من روابطه ؛ فلما دنوا منها انقشع أصحابُ الضّحاك منصرفين إليه ، فاتبعتهم خيله ، فاستسقطوا من ساقتهم نيّفاً وثلاثين رجلا ، فقطعهم مَرْوان حين قدم الرّقة ، ومضى صامداً إلى الضّحاك وجموعه حتى التقيا بموضع يقال له الغزّ من أرض كَفَرْتوثا ، فقاتله يومَه ذلك ؛ فلما كان عند المساء ترجّل الضحاك وترجّل معه من ذوى الثبات من أصحابه نحو من ستة آلاف وأهل عسكره أكثرهم لا يعلمون بما كان منه ، وأحدقت بهم خيولُ مروان فألحّوا عليهم حتى قتلوهم عند العَتَمة ، وانصرف مَنْ بقى من أصحاب الضّحاك إلى عسكرهم ؛ ولم يعلم مروان ولا أصحاب الضحاك أن الضّحاك قد قُتِل فيمن قتل حتى فقدوه فى وسط الليل . وجاءهم بعض مَن عاينه حين ترجّل ، فأخبرهم بخبره ومقتله ، فبكوْه وناحوا عليه ، وخرج عبد الملك بن بشر التغلبىّ القائد الذى كان وجّهه فى عسكرهم إلى الرّقة حتى دخل عسكر مَرْوان ، ودخل عليه فأعلمه أنّ الضحاك قتِل ، فأرسل معه رسلا من حرَسه ، معهم النيران والشَّمْع إلى موضع المعركة ، فقلّبا القتلى حتى استخرجوه ، فاحتملوه حتى أتوْا به مَرْوان ، وفى وجهه أكثر من عشرين ضَرْبة ، فكبّر أهل عسكر مَرْوان ، فعرف أهل عسكر الضّحاك أنهم قد علموا بذلك ، وبعث مروان برأسه من ليلته إلى مدائن الجزيرة ، فطِيف به فيها .

٢/١٩٤٠

وقيل : إن الخيبرىّ والضحاك إنما قتِلا فى سنة تسع وعشرين ومائة .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل الخيبرىّ وولاية شيبان]

وفى هذه السنة كان أيضًا — فى قول أبى مخنف — قتل الخيبرىّ الخارجىّ ، كذلك ذكر هشام عنه .

* ذكر الخبر عن مقتله :

حدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثنى أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، قال : لما قتِل الضحاك أصبح أهل عسكره بايعوا[1] الخيبرىّ ، وأقاموا يومئذ وغادوه[2] من بعد الغد ، وصافّوه وصافّهم ، وسليمان بن هشام يومئذ فى مواليه وأهل بيته مع الخيبرىّ ؛ وقد كان قدم على الضحاك وهو بنَصيبين ؛ وهم فى أكثر من ثلاثة آلاف من أهل بيته ومواليه ، فتزوّج فيهم أخت شيبان الحَروريّ الذى بايعوه بعد قتل الخيبرىّ ، فحمل الخيبرىّ على مَرْوان فى نحو من أربعمائة فارس من الشُّراة ، فهزم مَرْوان وهو فى القلب ، وخرج مروان من المعسكر هاربًا ، ودخل الخيبرىّ فيمن معه عسكره ، فجعلوا ينادون بشعارهم : يا خيبرىّ يا خيبرىّ ، ويقتلون مَنْ أدركوا حتى انتهوا إلى حجرة مَرْوان ، فقطعوا أطنابها ، وجلس الخيبرىّ على فرشه ، وميمنة مروان عليها ابنه عبد الله ثابتة على حالها ، وميسرته ثابتة عليها إسحاق بن مسلم العُقَيلىّ ، فلما رأى أهل عسكر مَرْوان قلة من مع الخيبرى ثار إليه عبيد من أهل العسكر بعمد الخيام ، فقتلوا الخيبرىّ وأصحابه جميعًا فى حجرة مَرْوان وحولها ، وبلغ مروان الخبر وقد جاز العسكر بخمسة أميال أو ستة منهزمًا ، فانصرف إلى عسكره وردّ خيوله عن مواضعها ومواقفها ، وبات ليلته تلك فى عسكره . فانصرف أهل عسكر الخيبرىّ فولّوْا عليهم شيبان وبايعوه ، فقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس ، وأبطل الصفّ منذ يومئذ . وكان مروان يوم الخيبرىّ بعث محمد بن سعيد ، وكان من ثقاته وكتابه إلى الخيبرىّ ، فبلغه أنه مالأهم وانحاز إليهم يومئذ ، فأتِىَ به مروان أسيراً فقطع يده ورجله ولسانه .

١٩٤١/٢

* * *

وفى هذه السنة وجّه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب من بها من الخوارج .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبدُ العزيز بن عمر بن عبد العزيز ؛ كذلك قال أبو معشر — فيما حدثنى أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى

١٩٤٢/٢

(١) ابن الأثير : « فبايعوا » . (٢) ا : « وعاودوه » .

عنه . وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

وقال الواقدىّ : وافتتح مَرْوان حِمْص وهدم سورها ، وأخذ نُعيم بن ثابت الجُذامىّ فقتله فى شوال سنة ثمان ، وقد ذكرنا من خالفه فى ذلك قبل .

وكان العامل على المدينة ومكة والطائف — فيما ذكر — فى هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وبالعراق عمّال الضحاك وعبد الله بن عمر . وعلى قضاء البصرة ثُمامة بن عبد الله ، وبخراسان نَصْر بن سيّار وخراسان مفتونة .

* * *

[خبر أبى حمزة الخارجىّ مع عبد الله بن يحيى]

وفى هذه السنة لقى أبو حَمْزة الخارجىّ عبدَ الله بن يحيى طالب الحق فدعاه إلى مذهبه .

* ذكر الخبر عن ذلك :

حدثنى العباس بن عيسى العُقيلىّ ، قال : حدّثنا هارون بن موسى الفروىّ[1] ، قال : حدثنى موسى بن كثير مولى الساعديّيْن ، قال : كان أوّل أمر أبى حمزة — وهو المختار بن عوف الأزدىّ السَّليمىّ من البصرة — قال موسى : كان أول أمر أبى حمزة أنه كان يوافِى كلّ سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مَرْوان بن محمد وإلى خلاف آل مروان . قال : فلم يزل يختلف فى كلّ سنة حتى وافى عبد الله بن يحيى فى آخر سنة ثمان وعشرينَ ومائة ، فقال له : يا رجل ، أسمَعُ كلاما حسنًا ، وأراك[2] تدعو إلى حقّ ، فانطلق معى ، فإنى رجل مطاع فى قومى ، فخرج حتى ورد حَضْرَمَوْت ، فبايعه أبو حمزة على الخلافة ، ودعا إلى خلاف مَرْوان وآل مروان . ١٩٤٣/٢

وقد حدّثنى محمد بن حسن أن أبا حمزة مرّ بمعدن بنى سُليم وكثير بن عبد الله عامل على المعدن ، فسمع بعض كلامه ، فأمر به فجلِد سبعين سوطًا ، ثم مضى إلى مكّة ، فلما قدم أبو حمزة المدينةَ حين افتتحها تغيّب كثير حتى كان من أمرهم ما كان[3] .

---

(١) ط : « الغزوى » ، وصوابه من الأغانى . (٢) كذا فى ا و الأغانى .
(٣) الخبر فى الأغانى ٢٠ : ٩٩ .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر هلاك شيبان بن عبد العزيز الحرورىّ]

فمن ذلك ما كان من هلاك شيبان بن عبد العزيز اليشكرىّ أبى الدّلفاء.

* ذكر الخبر عن سبب مهلكه :

وكان سبب ذلك أنّ الخوارج الذين كانوا بإزاء مَرْوان بن محمد يحاربونه لمّا قتِل الضحاك بن قيس الشيبانىّ رئيس الخوارج والخيبرىّ بعده ، ولّوْا عليهم شيبان وبايعوه ؛ فقاتلهم مرْوان ، فذكر هشام بن محمد والهيثم بن عدىّ أنّ الخيبرىّ لما قُتل قال سليمان بن هشام بن عبد الملك للخوارج — وكان معهم فى عسكرهم : إنّ الذى تفعلون ليس برأى ؛ فإن أخذتم برأيى ، وإلا انصرفت عنكم . قالوا : فما الرأى ؟ قال : إنّ أحدكم يظفر ثم يستقتِل فيقتَل ، فإنى أرى أن ننصرف على حاميتنا حتّى ننزل الموصل ، فنخندق . ففعل وأتبعه مروان والخوارج فى شرقىّ دجلة ومروان بإزائهم ؛ فاقتتلوا تسعة أشهر ، ويزيد بن عمر بن هبيرة بقرقِيسيا فى جُنْد كثيف من أهل الشأم وأهل الجزيرة ، فأمره مروان أن يسير إلى الكوفة ، وعليها يومئذ المثنّى بن عمران ؛ من عائذة قريش من الخوارج . ١٩٤٤/٢

وحدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثنى أبو هاشم مخلّد بن محمد ، قال : كان مَرْوان بن محمد يقاتل الخوارج بالصّفّ ، فلما قتِل الخيبرىّ وبويع شيبان ، قاتلهم مَرْوان بعد ذلك بالكراديس ، وأبطل الصفّ منذ يومئذ ، وجعل الآخرون يكردِسون بكراديس مَرْوان كراديس تكافئهم وتقاتلهم ، وتفرّق كثير من أصحاب الطمع عنهم وخذلوهم ، وحصلوا فى نحو من أربعين ألفًا ، فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينصرفوا إلى مدينة الموصل ، فيصيّروها ظهراً وملجأً ومِيرةً لهم ، فقبلوا رأيه ، وارتحلوا

ليلا ، وأصبح مروان فأتبعهم ؛ ليس يرحلون عن منزل إلا نزله ؛ حتى انتهوْا إلى مدينة الموصل ، فعسكروا على شاطئ دِجْلة ، وخندقوا على أنفسهم ، وعقدوا جسوراً على دِجْلة من عسكرهم إلى المدينة ؛ فكانت ميرتهُم ومرافقهم منها ، وخندق مَرْوان بإزائهم ، فأقام ستة أشهر يقاتلهم بكْرة وعشيّة .

قال : وأتِيَ مَرْوان بابن أخ لسليمان بن هشام ، يقال له أمية بن معاوية بن هشام ، وكان مع عمه سليمان بن هشام فى عسكر شيبان بالموصل ؛ فهو مبارز رجلا من فرسان مَرْوان ، فأسره الرجل فأتِيَ به أسيراً ، فقال له : أنشدك الله والرحِم يا عمّ ! فقال : ما بينى وبينك اليوم من رَحِم ، فأمر به — وعمه سليمان وإخوته ينظرون — فقطِعَت يداه وضربت عنقه .

١٩٤٥/٢ قال : وكتب مَرْوان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قَرْقِيسيا بجميع مَن معه إلى عُبيدة بن سوّار خليفة الضّحاك بالعراق ، فلقى خيوله بعين التّمْر ، فقاتلهم فهزمهم ؛ وعليهم يومئذ المثنّى بن عمران من عائذة قريش والحسن بن يزيد ؛ ثم تجمّعوا له بالكوفة بالنُّخيلة ، فهزمهم ، ثم اجتمعوا بالصَّرَاة ومعهم عُبيدة ؛ فقاتلهم فقتِل عُبيدة ، وهزِم أصحابه ، واستباح ابن هبيرة عسكرَهم ، فلم يكن لهم بقيّة بالعراق ، واستولى ابنُ هبيرة عليها ، وكتب إليه مَرْوان بن محمد من الخنادق يأمره أن يمدّه بعامر بن ضبارة المُرّىّ ، فوجّهه فى نحو من ستة آلاف أو ثمانية ؛ وبلغ شيبان خبرهم ومن معه من الحَرُوريّة ، فوجّهوا إليه قائدين فى أربعة آلاف ، يقال لهما ابن غوث والجَوْن ، فلقوا ابن ضُبارة بالسنّ دون الموصل ، فقاتلوه قتالا شَديداً ، فهزمهم ابن ضُبارة ، فلما قدم فلّهم أشار عليهم سليمان بالارتحال عن الموصل ، وأعلمهم أنه لا مقام لهم إذ جاءهم ابنُ ضبارة من خلفهم ، وركبهم مروان من بين أيديهم ؛ فارتحلوا فأخذوا على حُلْوان إلى الأهواز وفارس ، ووجّه مروان إلى ابن ضُبارة ثلاثة نفر من قوّاده فى ثلاثين ألفًا من روابطه ؛ أحدهم مصعب بن الصّحصح الأسدىّ وشقيق وعطيف [السليمانى] [١] ، وشقيق الذى يقول فيه الخوارج :

قد علِمَتْ أخْتاك[٢] يا شقيقُ ... أنكَ مِنْ سُكْرِك ما تُفِيقُ

وكتب إليه يأمره أن يتبعهم ، ولا يقلع عنهم حتى يُبيرهم ويستأصلهم ،

(١) من ا .
(٢) ا : « خيلك » .

فلم يزل يتبعهم حتى وردوا فارس ، وخرجوا منها وهو فى ذلك يستسقط مَن لحق من أخريَاتهم ، فتفرّقوا ، وأخذ شيبان فى فرقته إلى ناحية البحرين ، فقتل بها ، وركب سليمان فيمن معه من مواليه وأهل بيته السفن إلى السند ، وانصرف مَرْوان إلى منزله من حرّان ، فأقام بها حتى شخص إلى الزّاب . ٢/١٩٤٦

وأمّا أبو مخنف فإنه قال — فيما ذكر هشام بن محمد عنه — قال : أمر مروان يزيد بن عمر بن هبيرة — وكان فى جنود كثيرة من الشأم وأهل الجزيرة بقَرْقيسيا — أن يسير إلى الكوفة ، وعلى الكوفة يومئذ رجل من الخوارج يقال له المثنَّى بن عمران العائذىّ ؛ عائذة قريش ، فسار إليه ابن هبيرة على الفُرات حتى انتهى إلى عين التَّمْر ، ثم سار فلقى المثنَّى بالرَّوْحاء ، فوافى الكوفة فى شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة ، فهزم الخوارج ، ودخل ابن هبيرة الكوفة ثم سار إلى الصَّراة ، وبعث شيبان عُبيدة بن سوّار فى خيل كثيرة ، فعسكر فى شرقىّ الصَّراة ، وابن هبيرة فى غربيّها ، فالتقوْا ، فقتل عُبيدة وعدّة من أصحابه ؛ وكان منصور بن جمهور معهم فى دَوْر الصراة ، فمضى حتى غلب على الماهَيْن وعلى الجبل أجمع ، وسار ابنُ هبيرة إلى واسط ؛ فأخذ ابن عمر فحبسه ، ووجّه نُباتة بن حنظلة إلى سليمان بن حبيب وهو على كُور الأهواز ، وبعث إليه سليمان داود بن حاتم ، فالتقوْا بالمريان[1] على شاطئ دُجيل ، فانهزم الناس ، وقتل داود بن حاتم . وفى ذلك يقول خلف بن خليفة :

نَفْسى لدَاوُدَ الفِدَا والحِمَى ... إذ أَسلَمَ الجَيْشُ أَبا حاتِمِ

مُهَلَّبِىٌّ مُشْرِقٌ وَجْهُهُ ... لَيسَ على المعرُوفِ بالنادِمِ

سأَلتُ من يعلَمُ لى علمَهُ ... حَقًّا [وما الجاهل كالعالِمِ[2]]

قالوا عَهِدْناهُ على مَرْقَبٍ ... يَحْمِلُ كالضِّرْغامَةِ الصّارِمِ ٢/١٩٤٧

ثمَّ انثنى منجَدِلا فى دَمٍ ... يُسفَحُ فَوْقَ البَدن الناعِمِ

وأَقبَلَ القِبطُ على رَأسِهِ ... واختصموا فى السَّيْفِ والخاتَمِ

وسار سليمان حتى لحق بابن معاوية الجعفرىّ بفارس. وأقام ابن هبيرة شهرًا .

---

(١) ابن الأثير : « بالمرتان » . (٢) من ا .

ثم وجّه عامر بن ضُبارة فى أهل الشأم إلى الموْصل ؛ فسار حتى انتهى إلى السنّ فلقيه بها الجون بن كلاب الخارجىّ ، فهزم عامر بن ضُبارة حتى أدخله السنّ فتحصّن فيها ، وجعل مرْوان يُمِدّه بالجنود يأخذون طريق البرّ ؛ حتى انتهوا إلى دِجْلة ، فقطعوها إلى ابن ضبارة حتى كثروا . وكان منصور بن جُمهور يمدّ شيبان بالأموال من كُور الجبل ؛ فلما كثر من يتبع [1] ابن ضُبارة من الجنود ؛ نهض إلى الجون بن كلاب فقتِل الجوْن ، ومضى ابن ضبارة مصعداً إلى الموصل . ؛ فلما انتهى خبر الجوْن وقتله إلى شيبان ومسير عامر بن ضُبارة نحوه ، كره أن يقيم بين العسكرين ؛ فارتحل بمَنْ معه وفرسان الشأم من اليمانية. وقدم عامر بن ضُبارة بمن معه على مرْوان بالموصل ، فضمّ إليه جنوداً من جنوده كثيرة ، وأمره أن يسير إلى شيبان ؛ فإن أقام أقام ؛ وإن سار سار ؛ وألّا يبدأه بقتال ؛ فإن قاتله شيبان قاتله ؛ وإن أمسك أمسك عنه ، وإن ارتحل اتّبعه ؛ فكان على ذلك حتى مرّ على الجبل ، وخرج على بيضاء إصطخر ، وبها عبد الله بن معاوية فى جموع كثيرة ؛ فلم يتهيّأ الأمرُ بينه وبين ابن معاوية ، فسار حتى نزل جيرَفت من كرْمان ، وأقبل عامر بن ضُبارة حتى نزل بإزاء ابن معاوية أياماً ، ثم ناهضه القتال ، فانهزم ابن معاوية ، فلحق بهَراة وسار ابن ضُبارة بمن معه ، فلقِىَ شيبان بجيرفت من كِرْمان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزمت الخوارج ، واستبيح عسكرهم ؛ ومضى شيبان إلى سِجِسْتان ، فهلك بها ؛ وذلك فى سنة ثلاثين ومائة .

١٩٤٨/٢

وأما أبو عبيدة فإنه قال : لما قتِل الخيبرىّ قام بأمر الخوارج شيبان بن عبد العزيز اليشكرىّ ، فحارب مرْوان ، وطالت الحرب بينهما ؛ وابن هبيرة بواسط قد قتل عُبيدة بن سوار ونفى الخوارج ومعه رءوس قوّاد أهل الشأم وأهل الجزيرة . فوجّه عامرَ بن ضُبارة فى أربعة آلاف مدداً لمرْوان ، فأخذ على باب المدائن ، وبلغ مسيرُه شيبان ، فخاف أن يأتيَهم مروان ، فوجّه إليه الجوْن بن كلاب الشيبانىّ ليشغله ، فالتقيا بالسنّ ، فحصر الجون عامراً أياماً .

قال أبو عبيدة : قال أبو سعيد : فأحرجناهم والله ، واضطررناهم إلى

---

(١) ابن الأثير : « من مع ابن ضبارة » .

قتالنا ؛ وقد كانوا خافونا وأرادوا الهرب منا ؛ فلم ندَع لهم مسلكًا . فقال لهم عامر : أنتم ميّتون لا محالة ؛ فموتوا كرامًا ، فصدمونا صدمة لم يقم لها شيء ، وقتلوا رئيسنا الجوْن بن كلاب ، وانكشفنا حتّى لحقنا بشيبان ، وابنُ ضبارة فى آثارنا ؛ حتّى نزل منّا قريبًا ؛ وكنا نقاتل من وجهين ؛ نزل ابن ضُبارة من ورائنا ممّا يلى العراق ، ومرْوان أمامنا مما يلى الشأم ؛ فقطع عنا المادّة والميرة ، فغلت أسعارنا ؛ حتّى بلغ الرغيف درهمًا ؛ ثم ذهب الرغيف فلا شيء يشترى بغالٍ ولا رخيص . فقال حبيب بن خدْرة لشيبان : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنك فى ضيق من المعاش ؛ فلو انتقلت إلى غير هذا الموضع ! ففعل ومضى شهرزور من أرض الموصل ، فعاب ذلك عليه أصحابُه ؛ فاختلفت كلمتهم . ٢/١٩٤٩

وقال بعضهم : لما ولى شيبان أمر الخوارج [رجع بأصحابه][(١)] إلى الموصل فاتّبعه مروان ينزل معه حيث نزل [فقاتله شهرًا ثم انهزم][(١)] شيبان حتّى لحق بأرض فارس ، فوجه مروان فى أثره عامر بن ضبارة [فقطع][(١)] إلى جزيرة ابن كاوان ، ومضى شيبان بمن معه حتّى صار إلى عُمان ، فقتله جلندَى بن مسعود ابن جيفر بن جلندى الأزدىّ .

* * *

[ذكر إظهار الدعوة العباسية بخراسان]

وفى هذه السنة أمر إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس أبا مسلم ، وقد شخص من خُراسان يريده حتّى بلغ قومِس ، بالانصراف إلى شيعته بخراسان ، وأمرهم بإظهار الدعوة والتسويد .

* ذكر الخبر عن ذلك وكيف كان الأمر فيه :

قال علىّ بن محمد عن شيوخه : لم يزل أبو مسلم يختلف إلى خُراسان ، حتّى وقَعت العصبيّة بها ؛ فلما اضطرب الحبل ، كتب سليمان بن كثير إلى أبى سلَمة الخلاّل يسأله أن يكتب إلى إبراهيم ، يسأله أن يوجّه رجلا من أهل بيته . فكتب أبو سلمة إلى إبراهيم ، فبعث أبا مسلم . فلما كان فى سنة تسع وعشرين ومائة ، كتب إبراهيم إلى أبى مسلم يأمره بالقدوم عليه ليسأله عن أخبار الناس ، فخرج فى النصف من جمادى الآخرة مع سبعين نفسًا ٢/١٩٥٠

(١) من ا .

من النقباء ، فلما صار بالدَّنْدانقان من أرض خُراسان عرض له كامل – أو أبو كامل – قال : أين تريدون ؟ قالوا : الحجّ ، ثم خلا به أبو مسلم ، فدعاه فأجابهم ، وكفَّ عنهم ، ومضى أبو مسلم إلى بِيوَرْد ، فأقام بها أياماً ، ثم سار إلى نَسا ؛ وكان بها عاصم بن قيس السُّلَميّ عاملا لنصر بن سيار الليثيّ ؛ فلما قرب منها أرسل الفَضْل بن سليمان الطوسيّ[1] إلى أسِيد بن عبد الله الخُزاعيّ ليعلمه قدومه ، فمضى الفضل فدخل قريةً من قرى نَسا ، فلقى رجلا من الشيعة يعرفه ، فسأله عن أسِيد ، فانتهره ، فقال : يا عبد الله، ما أنكرتَ من مسألتى عن منزل رجل ؟ قال : إنه كان فى هذه القرية شرّ ، سُعِيَ برجلين قدما إلى العامل ، وقيل إنهما داعيان ، فأخذهما ، وأخذ الأحجم بن عبد الله وغَيْلان بن فضالة وغالب بن سعيد والمهاجر بن عثمان ؛ فانصرف الفضل إلى أبى مسلم وأخبره ، فتنكَّب الطريق ، وأخذ فى أسفل القُرى ، وأرسل طرخان الجمّال[2] إلى أسِيد ، فقال : ادعُه لى ومَن قدرتَ عليه من الشيعة ، وإياك أن تكلم أحداً لم تعرفه ، فأتى طرخان أسيداً فدعاه ، وأعلمه بمكان أبى مسلم ، فأتاه فسأله عن الأخبار ، قال : نعم ، قدم الأزهر بن شعيب وعبد الملك بن سعد بكتبٍ من الإمام إليك ، فخلّفا الكتبَ عندى وخرجا ، فأخِذا فلا أدرى مَنْ سعى بهما ! فبعث بهما العامل إلى عاصم بن قيس ، فضرب المهاجر بن عثمان وناساً من الشيعة . قال : فأين الكتب ؟ قال : عندى ، قال : فأتنى بها [فأتاه بالكتب فقرأها][3] .

٢/١٩٥١

قال : ثم سار حتى أتى قُومِس ، وعليها بيهس بن بُديل العِجلىّ ، فأتاهم بَيْهس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : الحجّ ، قال : أفمعكم فضل بِرْذون تبيعونه ؟ قال أبو مسلم : أما بيعاً فلا ؛ ولكن خذ أىّ دوابّنا شئت ؛ قال : اعرضوها علىّ ، فعرضوها ، فأعجَبَه برْذون منها سَمَنْد ، فقال أبو مسلم : هو لك ، قال : لا أقبله إلّا بثمن ، قال : احتكم ، قال : سبعمائة ، قال : هو لك. وأتاه وهو بقومِس كتاب من الإمام إليه وكتاب إلى سليمان بن كثير ؛ وكان فى كتاب أبى مسلم : إنى قد بعثت إليك براية النصر فارجع من حيث ألفاك[4]

(١) فى ابن الأثير : « سليمان بن قيس السلمى » .
(٢) ابن الأثير : « الحمال » .
(٣) من ا .
(٤) ا : « لقيك » .

كتابي ، ووجّهْ إليّ قحطبة بما معك يوافني [1] به في الموسم . فانصرف أبو مسلم إلى خُراسان ، ووجّه قحطبة إلى الإمام ، فلما كانوا بنَسا عرض لهم صاحب مَسْلحه في قرية من قُرى نَسا ، فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : أردنا الحجّ ، فبلغنا عن الطريق شيء خفناه ، فأوصلهم إلى عاصم بن قيس السلَمىّ ، فسألهم فأخبروه ، فقال : [ارتحلوا وأمر] [2] المفضل بن الشرقىّ [3] السلمىّ — وكان على شُرطته — أن يزعجهم ، فخلا به أبو مسلم وعرض عليه أمرهم ، فأجابه ، وقال : ارتحلوا على مَهل ، ولا تعجلوا . وأقام عندهم حتى ارتحلوا .

٢/١٩٥٢ فقدم أبو مسلم مَرْو في أول يوم من شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومائة ، ودفع كتاب الإمام إلى سليمان بن كَثير ، وكان فيه أن أظهرْ دعوتك ولا تربّص ، فقد آن ذلك . فنصبوا أبا مُسلم ، وقالوا : رجل من أهل البيت ، ودعَوْا إلى طاعة بني العباس ، وأرسلوا إلى مَنْ قرب منهم أو بعد ممن أجابهم ، فأمروه بإظهار أمرهم والدعاء إليهم . ونزل أبو مُسلم قريةً من قرى خُزاعة يقال لها سفيذنج ، وشيبان والكِرمانىّ يقاتلان نصر بن سيار ، فبثّ أبو مسلم دعاتَه في الناس ، وظهر أمره ، وقال الناس : قدم رجل من بني هاشم ، فأتوْه من كلّ وجه ، فظهر يومَ الفطر في قرية خالد بن إبراهيم . فصلى بالناس يوم الفِطر القاسم بن مجاشع المَرَائىّ ، ثم ارتحل فنزل بالين — ويقال قرية اللين — لخزاعة ، فوافاه في يوم واحد أهلُ ستين قرية ، فأقام اثنين وأربعين يوماً ؛ فكان أوّل فتح أبي مسلم من قبَل موسى بن كعب في بيوَرْد ، وتشاغل بقتل عاصم بن قيس ، ثم جاء فتح من قبل مَرْوَرُوذ .

٢/١٩٥٣

قال أبو جعفر : وأما أبو الخطاب فإنه قال : كان مقدم أبي مسلم أرض مَرْو منصرفاً من قومِس ، وقد أنفذ من قُومِس قحطبة بن شبيب بالأموال التي كانت معه والعروض إلى الإمام إبراهيم بن محمد ، وانصرف إلى مَرْو ، فقدمها في شعبان سنة تسع وعشرين ومائة لتسع خلوْن منه يوم الثلاثاء ، فنزل قرية تدعى فنين على أبي الحكم عيسى بن أعين النّقيب ، وهي قرية أبي داود النقيب ، فوجّه منها أبا داود ومعه عمرو بن أعين إلى طخارستان فما دون بلْخ

---

(١) ا : « فيوافيني » . (٢) من ا .
(٣) ابن الأثير : « السرق » .

بإظهار الدّعوة فى شهر رمضان من عامهم، ووجّه النّضر[١] بن صبيح التميمىّ ومعه شريك بن غضىّ التميمىّ إلى مَرْو الرّوذ بإظهار الدّعوة فى شهر رمضان، ووجّه أبا عاصم عبد الرحمن بن سليم إلى الطالقان، ووجه أبا الجهم بن عطيّة إلى العلاء بن حريث بخوارزم بإظهار الدّعوة فى شهر رمضان لخمس بقين من الشهر، فإن أعجلهم عدوّهم[٢] دون الوقت، فعرض لهم بالأذى والمكروه فقد حلّ لهم أن يدفعوا عن أنفسهم، وأن يُظهِروا السيوف ويجرّدوها من أغمادها، ويجاهدوا أعداء الله ومَنْ شغلهم عدوّهم عن الوقت فلاحرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت.

ثم تحوّل أبو مسلم عن منزل أبى الحكم عيسى بن أعين، فنزل على سليمان ابن كثير الخُزاعىّ فى قريته التى تدعى سَفيذنج من رُبع خرقان لليلتين خلتا من شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة، فلما كانت ليلة الخميس لخمس بقين من شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومائة اعتقدوا اللواء ٢/١٩٥٤ الذى بعث به الإمام إليه الذى يُدعى الظلّ، على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً، وعقد الرّاية التى[٣] بعث بها الإمام التى تدعى السحاب على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً، وهو يتلو: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٤]، ولبس السوّاد هو وسليمان بن كثير وإخوة سليمان ومواليه ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفيذنج، منهم غيلان بن عبد الله الخُزاعىّ — وكان صهر سليمان على أخته أم عمرو بنت كثير — ومنهم حُمَيد بن رزين وأخوه عثمان بن رَزين، فأوقدوا النيران ليلتهم أجمع للشيعة من سكان ربع خرقان — وكانت العلامة بين الشيعة — فتجمعوا له حين أصبحوا مُغِذّين، وتأويل هذين الاسمين: الظلّ والسحاب، أن السحاب يطبّق الأرض؛ وكذلك دعوة بنى العباس، وتأويل الظلّ أن الأرض لا تخلو من الظلّ أبداً، وكذلك لا تخلو من خليفة عباسىّ أبد الدهر.

وقدم على أبى مسلم الدعاة من أهل مَرْو بمن أجاب الدعوة؛ وكان أوّل مَنْ قدم عليه أهل السقادم[٥] مع أبى الوضاح الهُرْمُزْفَرّىّ عيسى بن شُبيل ٢/١٩٥٥

(١) ابن الأثير: «نصر».
(٢) ا: «غزوهم».
(٣) كذا فى ا، وفى ط: «الذى».
(٤) سورة الحج ٣٩.
(٥) ا وابن الأثير: «التقادم».

فى تسعمائة رجل وأربعة فرسان، ومن أهل هُرْمُزْفَرّة سليمان بن حسان وأخوه يزدان بن حسان والهيثم بن يزيد بن كيسان، وبُوَيع (١) مولى نصر بن معاوية وأبو خالد الحسن وجردى ومحمد بن علوان، وقدم أهل السقادم مع أبى القاسم محرز بن إبراهيم الجوبانىّ فى ألف وثلثمائة راجل وستة عشر فارساً ، ومنهم من الدّعاة أبو العباس المرْوَزىّ وخدام بن عمّار وحمزة بن زُنَيم ، فجعل أهل السقادم يكبّرون من ناحيتهم وأهل السقادم مع محرِز بن إبراهيم يُجيبونهم بالتكبير ؛ فلم يزالوا كذلك حتى دخلوا عسكر أبى مسلم بسفيذنج ؛ وذلك يوم السبت من بعد ظهور أبى مسلم بيومين ، وأمر أبو مسلم أن يُرَمّ حصن سفيذنج ويحصّن ويدرّب ؛ فلما حضر العيد يوم الفطْر بسفيذنج أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلى به وبالشيعة ، ونصب له منبراً فى العسكر ، وأمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة — وكانت بنو أميّة تبدأ بالخطبة والأذان، ثم الصلاة بالإقامة على صلاة يوم الجمعة ، فيخطبون على المنابر جلوساً فى الجمعة والأعياد — وأمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يكبّر الركعة الأولى ستّ تكبيرات تِباعاً ، ثم يقرأ ويركع بالسابعة ، ويكبر فى الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعاً ، ثم يقرأ ويركع بالسادسة ، ويفتتح الخطبة بالتكبير ويختمها بالقرآن ، ١٩٥٦/٢
وكانت بنو أمية تكبر فى الرّكعة الأولى أربع تكبيرات يوم العيد ، وفى الثانية ثلاث تكبيرات . فلما قضى سليمان بن كثير الصلاة والخطبة انصرف أبو مُسلم والشيعة إلى طعام قد أعدّه لهم أبو مسلم الخراسانىّ ، فطعموا مستبشرين . وكان أبو مسلم وهو فى الخندق إذا كتب إلى نصر بن سيار يكتب : للأمير نصر ؛ فلما قوى أبو مسلم بمن اجتمع إليه فى خندقه من الشيعة بدأ بنفسه ، فكتب إلى نصر : أما بعد ، فإن الله تبارك أسماؤه وتعالى ذكره عيّر أقواماً فى القرآن فقال : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ

---

(١) ا : « بزيع » .

الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللهِ تَحوِيلاً﴾[١].

فتعاظم نصرٌ الكتاب وأنه بدأ بنفسه، وكسر له إحدى عينيه [وأطال الفكرة][٢] وقال: هذا كتاب له جواب. فلما استقرّ بأبى مسلم معسكره بالماخُوَان أمر محرز ابن إبراهيم أن يخندق خندقاً بجِيرَنْج، ويجتمع إليه أصحابه ومَنْ نزع إليه من الشيعة، فيقطع مادّة نصر بن سيار من مروروذ وبلخ وكُور طخارستان. ففعل ذلك محرز بن إبراهيم، واجتمع له فى خندق نحو من ألف رجل، فأمر أبو مسلم أبا صالح كامل بن مظفر أن يوجه رجلا إلى خندق محرز بن إبراهيم لعرض مَنْ فيه وإحصائهم فى دفتر بأسمائهم وأسماء آبائهم وقراهم، فوجّه أبو صالح حُميداً الأزرق لذلك، وكان كاتباً، فأحصى فى خندق محرز ثمانمائة رجل وأربعة رجال من أهل الكفّ؛ وكان فيهم من القوّاد المعروفين زياد بن سيّار الأزدىّ من قرية تدعى أسبِوادق من ربع خرقان، وخِذام بن عمار الكندىّ من ربع السقادِم ومن قرية تدعى بالأوايق، وحنيفة بن قيس من ربع السقادم، ومن قرية تدعى الشنج، وعبدويه الجردامذ بن عبد الكريم من أهل هَرَاة، وكان يجلب الغنم إلى مَرْو، وحمزة بن زُنيم الباهلىّ من ربع خرقان من قرية تدعى ميلاذ جرد[٣]، وأبو هاشم خَليفة بن مهران من ربع السقادم من قرية تدعى جُوبان وأبو خَديجة جيلان بن السغدىّ وأبو نُعيم موسى بن صبيح. فلم يزل محرز بن إبراهيم مقيماً فى خندقه حتى دخل أبو مسلم حائط مَرْو، وعطل الخندق بماخُوَان وإلى أن عسكر بمارسَرْجَس يريد نيسابور؛ فضمّ إليه محرز بن إبراهيم أصحابه؛ وكان من الأحداث، وأبو مسلم بسَفيذَنْج، وكان نصر بن سيار وجّه مولى له يقال له يزيد فى خيل عظيمة لمحاربة أبى مسلم بعد ثمانية عشر شهراً من ظهوره، فوجّه إليه أبو مسلم مالك ابن الهيثم الخُزاعىّ ومَعه مصعب بن قيس، فالتقوْا بقرية تدعى آلِين، فدعاهم مالك إلى الرّضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستكبروا

١٩٥٧/٢

عن ذلك، فصافّهم[٤] مالك وهو فى نحو من مائتين من أوّل النهار إلى وقت العصر.

١٩٥٨/٢

(١) سورة فاطر ٤٢، ٤٣.
(٢) من ا.
(٣) ط: «هتلادجور».
(٤) ا: «فصادمهم».

وقدم على أبى مسلم صالح بن سليمان الضّبىّ وإبراهيم بن يزيد وزياد بن عيسى فوجّههم إلى مالك بن الهيثم ، فقدموا عليه مع العصر ، فقوى بهم أبو نصر ، فقال يزيد مولى نصر بن سيار لأصحابه : إن تركنا هؤلاء الليلة أتتْهم الأمداد ، فاحملوا على القوم ؛ ففعلوا ، وترجّل أبو نصر وحضّ أصحابه، وقال : إنى لأرجو أن يقطع الله من الكافرين طرفًا ، فاجتلدوا جلاداً صادقًا ، وصبر الفريقان ، فقتِل من شيعة بنى مروان أربعة وثلاثون رجلا ، وأسر منهم ثمانية نفر ، وحمل عبدُ الله الطائىّ على يزيد مولى نصر عميد القوم فأسره ، وانهزم أصحابه ، فوجّه أبو نصر عبدَ الله الطائىّ بأسيره فى رجال من الشيعة ، ومعهم الأسرى والرءوس ، وأقام أبو نصر فى معسكره بسفيذنج ، وفى الوفد أبو حماد المروزىّ وأبو عمرو الأعجمىّ ، فأمر أبو مسلم بالرءوس فنُصبت على باب الحائط الذى فى معسكره ، ودفع يزيد الأسلمىَّ إلى أبى إسحاق خالد بن عثمان ، وأمره أن يعالج يزيد مولى نَصْر من جراحات كانت به ، ويحسن تعاهده ، وكتب إلى أبى نصر بالقُدوم عليه ، فلما اندمل يزيد مولى نصر من جِراحاته دعاه أبو مسلم ، فقال : إن شئت أن تقيم معنا وتدخل فى دعوتنا فقد أرشدك الله ، وإن كرهت فارجع إلى مولاك سالمًا ، وأعطنا عهد الله ألّا تحاربنا وألّا تكذب علينا ، وأن تقول فينا ما رأيت ؛ فاختار الرجوع إلى مولاه ، فخلى له الطريق . وقال أبو مسلم : إنّ هذا سيردّ عنكم أهل الورع والصلاح ، فإنّا عندهم على [غـَير] (١) الإسلام . ١٩٥٩/٢

وقدم يزيد على نصر بن سيار ؛ فقال : لا مرحبًا بك ؛ والله ما ظننت استبقاك القوم إلّا ليتخذوك حجة علينا ، فقال يزيد : فهو والله ما ظننتَ ، وقد استحلفونى ألّا أكذب عليهم ، وأنا أقول : إنهم يصلّون الصلوات لمواقيتها بأذان وإقامة ، ويتلون الكتاب ، ويذكرون الله كثيراً ، ويدعون إلى ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وما أحسب أمرهم إلا سيعلو ؛ ولولا أنك مولاى أعتقتنى من الرقّ ما رجعتُ إليك ، ولأقمت معهم . فهذه أول حرب كانت بين الشيعة وشيعة بنى مروان .

(١) من ا.

وفى هذه السنة غلب خازم بن خُزَيمة على مروَرُوذ ، وقتل عامل نصر بن سيّار الذى كان عليها ؛ وكتب بالفتح إلى أبى مسلم مع خُزَيمة بن خازم .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر علىّ بن محمد أن أبا الحسن الجُشَمىّ[1] وزهير بن هُنيد والحسن ابن رَشيد أخبروه أن خازم بن خزيمة لما أراد الخروج بمَرْوَرُوذ أراد ناس من تميم أن يمنعوه ، فقال : إنما أنا رجل منكم ، أريد مَرْو لعلى أن أغلب عليها[2] ؛ فإن ظفرتُ فهى لكم ، وإن قُتلت فقد كفيتكم أمرى . فكفّوا عنه ، فخرج فعسكر فى قرية يقال لها كَنْجَ رُستاه[3] ، وقدم عليهم من قِبَل أبى مسلم النضْر بن صُبيح وبسام بن إبراهيم . فلما أمسى خازم بيّت أهلَ مَرْوَرُوذ، فقتل بشر بن جعفر السعدىّ — وكان عاملا لنصر بن سيار على مَرْوَرُوذ — فى أول ذى القعدة ، وبعث بالفتح إلى أبى مسلم مع خُزَيمة بن خازم عبد الله بن سعيد وشبيب بن واج . ١٩٦٠/٢

* * *

قال أبو جعفر : وقال غير الذين ذكرنا قولهم فى أمر أبى مسلم وإظهاره الدّعوة ومصيره إلى خُراسان وشخوصه عنها وعودِه إليها بعد الشخوص قولاً خلاف قولهم ؛ والذى قال فى ذلك : أنّ إبراهيم الإمام زوّج أبا مسلم لما توجّه إلى خراسان ابنةَ أبى النجم ، وساق عنه صداقها ، وكتب بذلك إلى النقباء ، وأمرهم بالسمع والطاعة لأبى مسلم ، وكان أبو مسلم — فيما زعم — من أهل خُطَرْنِيَة ، من سواد الكوفة ، وكان قَهرماناً لإدريس بن معقل العِجْلِىّ ، فآل أمره ومنتهى ولائه[4] لمحمد بن علىّ ، ثم لإبراهيم بن محمد ، ثم للأئمة من أولاد محمد ابن علىّ فقدم خُراسان وهو حديث السنّ ، فلم يقبله سليمان بن كَثير وتخوّف ألّا يقوى على أمرهم ، وخاف على نفسه وأصحابه ، فردّوه — وأبو داود خالد بن إبراهيم غائب خَلْف نهر بَلْخ — فلما انصرف أبو داود ، وقدم

---

(١) ط : « الحسمى » ؛ وانظر الفهرس .
(٢) ابن الأثير : « أريد أن أغلب على مرو » .
(٣) ابن الأثير : « كنج رستان » .
(٤) ابن الأثير : « فصار أمره إلى ولاية » .

مَرْو أقرأه كتاب الإمام إبراهيم، فسأل عن الرجل الذى وجّهه، فأخبروه أنّ سليمان بن كثير ردّه، فأرسل إلى جميع النقباء، فاجتمعوا فى منزل عمران بن إسماعيل، فقال لهم أبو داود: أتاكم كتاب الإمام فيمن وجّهه إليكم وأنا غائب فرددتموه، فما حجّتكم فى ردّه؟ فقال سليمان بن كَثير: لحداثة سنه، وتخوّفاً ألّا يقدر على القيام بهذا الأمر، فأشفقنا على مَنْ دعونا إليه وعلى أنفسنا وعلى المجيبين لنا، فقال: هل فيكم أحد ينكر أن الله تبارك وتعالى اختار محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وانتخبه واصطفاه، وبعثه برسالته إلى جميع خلقه؟ فهل فيكم أحدٌ ينكر ذلك؟ قالوا: لا؛ قال: أفتشكون أنّ الله تعالى نزّل عليه كتابه فأتاه به جبريل الرّوح الأمين، أحلّ فيه حلاله، وحرّم فيه حرامه، وشرّع فيه شرائعه، وسنّ فيه سننه، وأنبأه فيه بما كان قبله، وما هو كائن بعده إلى يوم القيامة؟ قالوا: لا، قال: أفتشكون أن الله عزّ وجلّ قبضه إليه بعد ما أدّى ما عليه من رسالة ربه؟ قالوا: لا، قال: أفتظنّون أن ذلك العلم الذى أنزل عليه رُفع معه أو خلّفه؟ قالوا: بل خلّفه، قال: أفتظنونه خلّفه عند غير عِتْرته وأهل بيته، الأقرب فالأقرب؟ قالوا: لا، قال: فهل أحدٌ منكم إذا رأى من هذا الأمر إقبالاً، ورأى الناس له مجيبينَ بدا له أن يصرف ذلك إلى نفسه؟ قالوا: اللهم لا، وكيف يكون ذلك! قال: لستُ أقول لكم فعلتم؛ ولكن الشيطان ربما نَزَع النزعة فيما يكون وفيما لا يكون. قال: فهل فيكم أحدٌ بدا له أن يصرف هذا الأمر عن أهل البيت إلى غيرهم من عِتْرة النبى صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: لا، قال: أفتشكّون أنهم معدن العلم وأصحاب ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: لا، قال: فأراكم[١] شككتم فى أمرهم[٢] ورددتم عليهم علمهم؛ ولو لم يعلموا أن هذا الرجل هو الذى ينبغى له أن يقوم بأمرهم، لما بعثوه إليكم، وهو لا يتهم فى موالاتهم ونصرتهم والقيام بحقهم.

١٩٦١/٢

١٩٦٢/٢

فبعثوا إلى أبى مسلم فردوه من قومس بقول أبى داود؛ وولّوْه أمرهم وسمعوا له وأطاعوا. ولم[٣] تزل فى نفس أبى مسلم على سليمان بن كثير، ولم يزل

---

(١) ابن الأثير: «أراكم». (٢) ا: «أمركم». (٣) ا، ابن الأثير: «فلم».

يعرفها لأبى داود . وسمعت الشيعة من النقباء وغيرهم لأبى مسلم ، وأطاعوه وتنازعوا، وقبلوا ما جاء به ، وبثّ الدعاة فى أقطار خُراسان ؛ فدخل الناس أفواجاً ، وكثروا ، وفشت الدّعاة بخراسان كلها . وكتب إليه إبراهيم الإمام يأمره أن يوافيَه بالموسم فى هذه السنة — وهى سنة تسع وعشرين ومائة — ، ليأمره بأمره فى إظهار دعوته ، وأن يقدم معه بقَحْطبة بن شبيب ، ويحمل إليه ما اجتمع عنده من الأموال ؛ وقد كان اجتمع عنده ثلثمائة ألف وستون ألف درهم ، فاشترى بعامّتها عَروضاً من متاع التجار ؛ من القوهىّ والمرْوىّ والحرير والفِرِنْد ، وصيّر بقيته سبائك ذهب وفضة وصيّرها فى الأقبية المحشوّة ، واشترى البغال وخرج فى النصف من جمادى الآخرة ، ومعه من النقباء قحطبة بن شبيب والقاسم بن مُجاشع وطلحة بن رزيق ؛ ومن الشيعة واحد وأربعون رجلا ، وتحمّل من قُرى خزاعة ، وحمل أثقاله على واحد وعشرين بغْلاً ، وحمل على كلّ بغل رجلا من الشيعة بسلاحه ، وأخذ المفازة وعدا عن مسلحة نصر بن سيار حتى انتهوا إلى أبِيوَرْد .

٢/١٩٦٣ فكتب أبو مسلم إلى عثمان بن نَهيك وأصحابه يأمرهم بالقدوم عليه ، وبينه وبينهم خمسة فراسخ ، فقدم عليه منهم خمسون رجلا ، ثم ارتحلوا من أبِيوَرْد ؛ حتى انتهوْا إلى قرية يقال لها قافس ؛ من قرى نَسا ، فبعث الفضل ابن سليمان إلى أندومان — قرية أسِيد — فلقى بها رجلا من الشيعة ، فسأله عن أسيد ، فقال له الرّجل : وما سؤالك عنه ! فقد كان اليوم شرّ طويل من العامل أخِذ ، فأخِذَ معه الأحجم بن عبد الله وغَيْلان بن فَضالة وغالب ابن سعيد والمهاجر بن عثمان ، فحمِلوا إلى العامل عاصم بن قيس بن الحرورىّ، فحبسهم . وارتحل أبو مسلم وأصحابه حتى انتهوْا إلى أندومان ، فأتاه أبو مالك والشيعة من أهل نَسا ؛ فأخبره أبو مالك أنّ الكتاب الذى كان مع رسول الإمام عنده ، فأمره أن يأتيَه به ، فأتاه بالكتاب وبلواء وراية ؛ فإذا فى الكتاب إليه يأمره بالانصراف حيثما يلقاه كتابه ؛ وأن يظهر الدّعوة . فعقد اللواء الذى أتاه من الإمام على رمح ، وعقد الراية ، واجتمع إليه شيعة أهل نسا والدعاة والرءوس ، ومعه أهل أبِيوَرْد الذين قدموا معه .

وبلغ ذلك عاصمَ بن قيس الحَرورىّ ، فبعث إلى أبى مسلم يسأله عن حاله ، فأخبره أنه من الحاجّ الذين يريدون بيت الله ، ومعه عدّة من

أصحابه من التجار ، وسأله أن يخلِّيَ سبيل من احتبس من أصحابه حتى يخرج من بلاده ، فسألوا أبا مسلم أن يكتب لهم شرطًا على نفسه ؛ أن يصرف من معه من العبيد وما معه من الدوابّ والسلاح ، على أن يخلّوا سبيل أصحابه ٢/١٩٦٤ الذين قدموا من بلاد الإمام وغيرهم . فأجابهم أبو مسلم إلى ذلك ، وخلى سبيل أصحابه ؛ فأمر أبو مسلم الشيعة من أصحابه أن ينصرفوا ، وقرأ عليهم كتاب الإمام ؛ وأمرهم بإظهار الدعوة ؛ فانصرف منهم طائفة وسار معه أبو مالك أسيد بن عبد الله الخزاعىّ وزُرَيق بن شَوْذب ومَنْ قدم عليه من أبيوَرْد ، وأمر مَن انصرف بالاستعداد . ثم سار فيمن بقى من أصحابه ومعه[1] قحطبة ابن شبيب ؛ حتى نزلوا تُخوم جُرجان ؛ وبعث إلى خالد بن برْمك وأبى عون يأمرهما بالقدوم عليه بما قِبَلهما من مال الشّيعة ، فقدما عليه ؛ فأقام أيامًا حتى اجتمعت القوافل . وجهّز قحطبة بن شبيب ، ودفع إليه المال الذى كان معه ، والأحمال بما فيها ؛ ثم وجّهه إلى إبراهيم بن محمد ، وسار أبو مسلم بمَن معه حتى انتهى إلى نَسا ، ثم ارتحل منها إلى أبيوَرْد حتى قدِمها ؛ ثم سار حتى أتى مَرْو متنكرًا ، فنزل قرية تدعى فَنين من قرى خُزاعة لسبع ليال بقين من شهر رمضان ؛ وقد كان واعد أصحابه أن يوافُوه بمَرْو يوم الفِطْر . ووجّه أبا داود وعمرو بن أعين إلى طَخارستان ، والنضر بن صبيح إلى آمُل وبخُارى ومعه شريك بن عيسى ، وموسى بن كعب إلى أبيوَرْد ونَسا ، وخازم بن خزيمة إلى مَرْورُوذ ، وقدموا عليه ، فصلّى بهم القاسم بن مجاشع التميمىّ يوم العيد ؛ فى مصلّى آل قَنْبر ؛ فى قرية أبى داود خالد بن إبراهيم.

* * *

[ذكر تعاقد أهل خراسان على قتال أبى مسلم]

وفى هذه السنة تحالفت وتعاقدت عامة مَنْ كان بخراسان من قبائل ٢/١٩٦٥ العرب على قتال أبى مسلم ؛ وذلك حين كثر تُبّاع أبى مسلم وقوىَ أمره .

وفيها تحوّل أبو مسلم من معسكره بإسفيذَنْج إلى الماخُوان .

• ذكر الخبر عن ذلك والسبب فيه :

قال علىّ : أخبرنا الصبّاح مولى جبريل ، عن مسلمة بن يحيى ، قال :

---

(١) ط : « صحبة » .

لما ظهر أبو مسلم ، تسارع إليه الناس ، وجعل أهل مَرْو يأتونه ؛ لا يعرض لهم نصر ولا يمنعهم ؛ وكان الكِرمانىّ وشَيْبان لا يكرهان أمر أبى مسلم ؛ لأنه دعا إلى خلع مَرْوان بن محمد ، وأبو مسلم فى قرية يقال لها بالين فى خباء ليس له حرس ولا حجاب ، وعظم أمره عند الناس ، وقالوا : ظهر رجل من بنى هاشم ، له حلْم ووقار وسكينة ؛ فانطلق فتية من أهل مَرْو ، نساك كانوا يطلبون الفقه ، فأتوا أبا مسلم فى معسكره ، فسألوه عن نسبه ، فقال : خَبَرى[1] خير لكم من نسبى ، وسألوه عن أشياء من الفقه ، فقال : أمرُكُم بالمعروف ونهيُكم عن المنكر خير لكم من هذا ؛ ونحن فى شغل ، ونحن إلى عونِكم أحوجُ منا إلى مسألتكم ، فأعفونا . قالوا : والله ما نعرف لك نسباً ، ولا نظنك تبقى إلا قليلا حتى تقتل ؛ وما بينك وبين ذلك إلا أن يتفرّغ أحد هذين ؛ قال أبو مسلم : بل أنا أقتلهما إن شاء الله .

فرجع الفتية فأتوا نصر بن سيار فحدّثوه ، فقال : جزاكم الله خيراً ، مثلكم تفقّد هذا وعرفه . وأتوا شيبان فأعلموه ، فأرسل : إنا قد أشجى بعضنا بعضاً ؛ فأرسل إليه نصر : إن شئت فكفّ عنى حتى أقاتله ، وإن شئت فجامعْنى على حربه حتى أقتله أو أنفيَه ؛ ثم نعود إلى أمرنا الذى نحن عليه . فهمّ شيبانُ أن يفعل ، فظهر ذلك فى العسكر ، فأتت عيون أبى مسلم فأخبروه ، فقال سليمان : ما هذا الأمر الذى بلغهم ! تكلّمتم عند أحد بشىء ؟ فأخبره خبر الفتية الذين أتوْه ؛ فقال : هذا لذاك إذاً . فكتبوا إلى علىّ بن الكرمانىّ : إنك موتور ؛ قتِل أبوك ونحن نعلم أنك لست على رأى شيبان ؛ وإنما تقاتل لثأرك ؛ فامنع شيبان من صلح نصر ؛ فدخل على شيبان ، فكلمه فثناه عن رأيه ، فأرسل نصر إلى شيبان : إنك لمغرور ؛ وايم الله ليتفاقمنّ هذا الأمر حتى تستصغرَنى فى جنبه[2] .

١٩٦٦/٢

---

(١) ابن الأثير : « خيرى » .

(٢) ابن الأثير : « حتى يستصغر فى جنبه كل كبير » ، وزاد بعدها : « وقال شعراً يخاطب به ربيعة واليمن ، ويحثهم على الاتفاق معه على حرب أبى مسلم :

أَبْلِغْ ربيعةَ فى مَرْوٍ وفى يمنٍ ... أن اغضبوا قبل ألّا ينفع الغضبُ

ما بَالُكُمْ تَنْشبُون الحرْبَ بينكُمْ ... كأنّ أهل الحِجَى عن رأيكُمْ غيُبُ

فبينا هم فى أمرهم إذ بعث أبو مسلم النَّضر بن نُعَيم الضّبى إلى هَرَاة وعليها عيسى بن عَقيل الليثىّ، فطرده عن هَرَاة ، فقدم عيسى على نَصرٍ منهزمًا ، وغلب النَّضْر على هراة . قال : فقال يحيى بن نُعَيم بن هبيرة : اختاروا إما أن تهلكوا أنتم قبل مُضَر أو مضر قبلكم ، قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : إنّ هذا الرجل إنما ظهر أمرُه منذ شهر ، وقد صار فى عسكره مثل عسكركم ؛ قالوا : فما الرأى ؟ قال : صالحوا نَصْرًا ، فإنكم إن صالحتموه قاتلوا نصْرًا وتركوكم ؛ لأنّ الأمر فى مُضر ، وإن لم تصالحوا نصرًا صالحوه وقاتلوكم ، ثم عادوا عليكم . قالوا : فما الرأى ؟ قال : قدّموهم قبلكم ولو ساعة ؛ فتقرّ أعينكم بقتلهم . فأرسل شيبان إلى نصر يدعوه إلى الموادعة فأجابه ، فأرسل إلى سَلْم بن أحوز ، فكتب بينهم كتابًا ، فأتى شيبان وعن يمينه ابن الكِرمانىّ ، وعن يساره يحيى ابن نُعيم ، فقال سَلْم لابن الكِرمانىّ : يا أعْوَر ، ما أخلقك أن تكون الأعور الذى بلغنا أن يكون هلاك مضر على يديه ! ثم توادعوا سنة ؛ وكتبوا بينهم كتابًا ؛ فبلغ أبا مسلم ، فأرسل إلى شيبان : إنا نُوادعك أشهراً ، فتوادعنا ثلاثة أشهر ؛ فقال ابنُ الكرمانىّ : فإنى ما صالحت نصرًا ؛ وإنما صالحه شيبان ؛ وأنا لذلك كاره ، وأنا موتور ، ولا أدَع قتاله . فعاوده القتال ؛ وأبى شيبان أن يعينَه ، وقال : لا يحلّ الغدر . فأرسل ابنُ الكرمانىّ إلى أبى مسلم يستنصرُه على نَصْر بن سيار ، فأقبل أبو مسلم حتى أتى الماخُوان ، وأرسل إلى ابنِ الكرمانىّ شبلَ بن طهمان : إنى معك على نصر ، فقال ابنُ الكِرمانىّ : إنى أحبّ أن يلقانى أبو مسلم ، فأبلغه ذلك شبل ، فأقام أبو مسلم أربعة عشر يومًا ، ثم سار إلى ابن الكِرمانىّ ، وخلف عسكره بالماخُوان ، فتلقاه عثمان بن الكرمانىّ فى خيل ، وسار معه حتى دخل العسكر ؛ وأتى لحجرة علىّ فوقف ، فأذن له

١٩٦٧/٢

= وتتركونَ عَدُوًّا قدْ أَحاط بكُمْ ... مِمَّنْ تأَشبَ لا دينٌ ولا حَسَبُ
لاعرْب مثلكم فى النَّاسِ تَعْرِفُهُمْ ... ولا صريحُ موالٍ إن هُمُ نُسِبوا
مَنْ كان يَسْأَلُنِى عن أهل دينهمِ ... فإنّ دينهُمْ أَنْ تَهْلِكَ العربُ
قَوْمٌ يقولون قولاً ما سمعتُ بهِ ... عن النَّبِىِّ ولا جاءَت به الكُتُبُ

فدخل، فسلّم على علىّ بالإمرة، وقد اتخذ له على منزلا[١] فى قصر لمخلّد بن الحسن الأزدىّ، فأقام يومين، ثم انصرف إلى عسكره بالماخُوان؛ وذلك لخمس خلوْن من المحرّم من سنة ثلاثين ومائة.

وأما أبو الخطاب، فإنه قال: لما كثرت الشيعة فى عسكر أبى مسلم، ضاقت به سَفيذنج، فارتاد معسكراً فسيحاً، فأصاب حاجتَه بالماخُوان؛ — وهى قرية العلاء بن حُريث وأبى إسحاق خالد بن عثمان، وفيها أبو الجهم ابن عطية وإخوته — وكان مقامه بسفيذنج اثنين وأربعين يوماً، وارتحل من سفيذنج إلى الماخُوان، فنزل منزل أبى إسحاق خالد بن عثمان يوم الأربعاء، لتسعِ ليال خلوْن من ذى القعدة من سنة تسع وعشرين ومائة، فاحتفر بها خندقاً، وجعل للخندق بابين، فعسكر فيه والشيعة، ووكّل بأحد بابَى الخندق مُصعب بن قيس الحنفىّ وبهدل بن إياس الضبىّ، ووكّل بالباب الآخر أبا شراحيل وأبا عمرو الأعجمىّ، واستعمل على الشُّرَط أبا نصر مالك ابن الهيثم، وعلى الحرس أبا إسحاق خالد بن عثمان، وعلى ديوان الجند كامل ابن مظفر أبا صالح، وعلى الرسائل أسلم بن صُبيح؛ والقاسم بن مجاشع النقيب التميمىّ على القضاء، وضمّ أبا الوضاح وعدّة من أهل السقادم إلى مالك بن الهيثم، وجعل أهل نَوْشان — وهم ثلاثة وثمانون رجلا — إلى أبى إسحاق فى الحرس.

وكان القاسم بن مجاشع يصلى بأبى مسلم الصلَوات فى الخندق، ويقصّ القصص بعد العصر، فيذكر فَضْل بنى هاشم ومعايب بنى أميّة، فنزل أبو مسلم خندق الماخُوان، وهو كرجل من الشيعة فى هيئته؛ حتى أتاه عبد الله بن بِسْطام؛ فأتاه بالأرْوقة والفَساطيط والمطابخ والمعالف للدوابّ وحياض الأدم للماء؛ فأوّل عامل استعمله أبو مسلم على شىء من العمل داود بن كرّاز؛ فردّ أبو مسلم العبيد عن أن يضاموا فى خندقه، واحتفر لهم خندقاً فى قرية شوّال، وولى الخندق داود بن كرّاز. فلما اجتمعت للعبيد جماعة، وجّههم إلى موسى بن كعب بأبِيوَرْد، وأمر أبو مسلم كامل بن مظفر أن يعرض أهل الخندق بأسمائهم وأسماء آبائهم فينسبهم إلى القوى، ويجعل ذلك فى دفتر،

٢/١٩٦٨
٢/١٩٦٩

(١) كذا فى ا، وفى ط: «قصراً».

ففعل ذلك كامل أبو صالح ، فبلغت عدّتهم سبعة آلاف رجل ، فأعطاهم ثلاثة دراهم لكلّ رجل ، ثم أعطاهم أربعة أربعة على يدى أبى صالح كامل .

ثم إنّ أهل القبائل من مُضر وربيعة وقحطان توادعوا على وضع الحرب ، وعلى أن تجتمع كلمتهم على محاربة أبى مسلم ، فإذا نفوه عن مَرْو نظروا فى أمر أنفسهم وعلى ما يجتمعون عليه . فكتبوا على أنفسهم بذلك كتاباً وثيقاً . وبلغ أبامسلم الخبر ، فأفظعه ذلك وأعظمه، فنظر أبومسلم فى أمره، فإذا ماخوان سافلة الماء؛ فتخوّف أن يقطع عنه نصربن سيار الماء، فتحوّل إلى آلين — قرية أبى منصور طلحة بن رزيق النقيب — وذلك بعد مقامه أربعة أشهر بخندق الماخُوان ، فنزل آلين فى ذى الحجة من سنة تسع وعشرين ومائة، يوم الخميس لستّ خلون من ذى الحجة . فخندق بآلين خندقاً أمام القرية ؛ فيما بينها وبين بلاش جَرْد، فصارت القرية من خلف الخندق، وجعل وجه دار المحتفز بن عثمان ابن بشر المزنىّ فى الخندق، وشرب أهل آلين من نهر يدعى الخرقان، لا يمكّن نصر ابن سيار قطع الشرب عن آلين . وحضر العيدُ يوم النحر ، وأمر القاسم بن مجاشع التميمىّ فصلى بأبى مسلم والشيعة فى مصلى آلين ، وعسكر نصر بن سيّار على نهر عياض، ووضع عاصم بن عمرو ببلاش جَرْد، ووضع أبا الذّيال بطوسان ، ووضع بشر بن أنيف اليربوعىّ بجلفر ، ووضع حاتم بن الحارث ابن سريج بخرَق ؛ وهو يلتمس مواقعة أبى مسلم . فأمّا أبو الذيال فأنزل جنده على أهلها مع أبى مسلم فى الخندق ، فآذوا أهل طوسان وعسفوهُم وذبحوا الدجاج والبقر والحمام ، وكلفوهم الطعام والعلَف، فشكت الشيعة ذلك إلى أبى مسلم ، فوجّه معهم خيلا، فلقوا أبا الذّيال فهزموه، وأسروا من أصحابه ميموناً الأعسر الخوارزمىّ فى نحو من ثلاثين رجلا، فكساهم أبو مسلم ، وداوى جراحاتهم وخلّى لهم الطريق . ٢/١٩٧٠

* * *

[ذكر خبر مقتل الكرمانىّ]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة قُتِل جُديع بن علىّ الكِرمانىّ وصُلب .

• ذكر الخبر عن مقتله :

قد مضى قبلُ ذكرُنا مقتلَ الحارث بن سُريج ، وأنّ الكرمانىّ هو الذى قتله . ولما قتل الكرمانىّ الحارث ، خلَصت له مَرْو بقتله إياه ، وتنحّى نصر ابن سيّار عنها إلى أبرشهر ، وقوى أمرُ الكرمانىّ ، فوجّه نصر إليه ـ فيما قيل ـ سَلْم بن أحوز ، فسار فى رابطة نصر وفرسانه ؛ حتى لقِى أصحاب الكرمانىّ ، فوجد يحيى بن نُعَيم أبا الميلاء واقفاً فى ألف رجل من ربيعة ، ومحمد بن المثنّى فى سبعمائة من فرسان الأزْد ، وابن الحسن بن الشيخ الأزدىّ فى ألف من فتيانهم ، والحزمىّ السغْدىّ[١] فى ألف رجل من أبناء اليمن ، فلما تواقفوا قال سلم بن أحوز لمحمد بن المثنّى : يا محمّد بن المثنى ، مُرْ هذا الملاّح بالخروج إلينا ، فقال محمد لسلم : يابن الفاعلة ؛ لأبى علىّ تقول هذا ! ودلف القوم بعضهم إلى بعض ، فاجتلدوا بالسيوف ، فانهزم سلْم بن أحوز ، وقتِل من أصحابه زيادة على مائة ، وقتِل من أصحاب محمد زيادة على عشرين ، وقدم أصحاب نصر عليه فلولاً ، فقال له عَقِيل بن معقل : يا نصر شأمْتَ العرب ؛ فأما إذ صنعتَ ما صنعتَ فجُدَّ وشمر عن ساق ، فوجّه عصمة بن عبد الله الأسدىّ فوقف موقف سَلْم بن أحوز ، فنادى : يا محمد ، لتعلمنّ أن السمك لا يغلب اللُّخْم[٢] ؛ فقال له محمد : يابن الفاعلة ، قف لنا إذاً . وأمر محمد السغدىّ[٣] فخرج إليه فى أهل اليمن ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم عِصْمة حتى أتى نصر بن سيار ، وقد قتل من أصحابه أربعمائة .

ثم أرسل نصر بن سيّار مالك بن عمرو التميمىّ فأقبل فى أصحابه ، ثم نادى : يابن المثنى ، ابرز لى إن كنت رجلا ! فبرز له ، فضربه التميمىّ على حبل العاتِق فلم يصنع شيئاً ؛ وضربه محمد بن المثنّى بعمود فشدخَ رأسه ؛ فالتحم القتال ؛ فاقتتلوا قتالا شديداً كأعظم مايكون من القتال ، فانهزم أصحاب نصر ، وقد قتِل منهم سبعمائة رجل ، وقتِل من أصحاب الكرمانىّ ثلثمائة رجل ؛ ولم يزل الشرّ بينهم حتى خرجوا جميعاً إلى الخندقين ، فاقتتلوا قتالا شديداً ،

٢/١٩٧١
٢/١٩٧٢

(١) ابن الأثير : « والجرمى السعدى » .
(٢) فى ابن الأثير : « اللخم : دابة من دواب الماء ، تشبه السبع ، تأكل السمك » .
(٣) ابن الأثير : « السعدى » .

فلما استيقن أبو مسلم أنّ كلا الفريقين قد أثخن صاحبه؛ وأنه لا مدد لهم، جعل يكتب الكتب إلى شَيْبان، ثم يقول للرسول: اجعل طريقك على المضريّة، فإنهم سيعرضون لك، ويأخذون كتبَك، فكانوا يأخذونها فيقرءون فيها: إنى رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم، فلا تثقنّ بهم ولا تطمئنّ إليهم؛ فإنى أرجو أن يريَك الله ما تحبّ، ولئن بقيت لا أدَع لهم شَعرا ولا ظفُراً. ويرسل رسولا آخر فى طريق آخر بكتاب فيه ذكر المضريّة وإطراء اليمن بمثل ذلك؛ حتّى صار هوى الفريقين جميعًا معه؛ وجعل يكتب إلى نصر بن سيّار وإلى الكرمانىّ: إنّ الإمام قد أوصانى بكم، ولستُ أعدو رأيه فيكم. وكتب إلى الكُور بإظهار الأمر؛ فكان أول مَن سوّد — فيما ذكر — أسيد[1] ابن عبد الله بنسا، ونادى: يا محمد، يا منصور. وسوّد معه مقاتل بن حكيم وابن غزوان، وسوّد أهل أبِيوَرد وأهل مَرْو الرّوذ، وقرى مَرْو.

١٩٧٣/٢ وأقبل أبو مسلم حتّى نزل بين خندق نصر بن سيار وخندق جُديع الكرمانىّ، وهابه الفريقان، وكثر أصحابه، فكتب نصر بن سيار إلى مَرْوان ابن محمد يعلمه حال أبى مسلم وخروجه وكثرة مَن معه ومَن تبعه، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد، وكتب بأبيات شعر:

أَرَى بَيْنَ الرَّماد وَميضَ جَمْرٍ ... فأَحجِ بأَنْ يكُونَ لَهُ ضِرامُ[2]
فإنَّ النارَ بالعودَيْن تُذْكَى ... وإنَّ الحَرْبَ مَبْدؤها الكلامُ[3]
فقُلتُ من التَّعَجُّبِ: لَيْتَ شِعْرى ... أَأَيقاظٌ أميَّةُ أَمْ نِيامُ!

فكتب إليه: الشاهد[4] يرى ما لا يرى الغائب، فاحسم الثؤلول قِبَلك، فقال نصر: أما صاحبكم فقد أعلمكم ألاّ نصر عنده. فكتب إلى يزيد بن عمر بن هُبيرة يستمدّه، وكتب إليه بأبيات شعر:

أَبلغْ يَزِيدَ وخَيْرُ القَوْلِ أَصدَقُهُ ... وقد تبَيَّنْتُ أَلَّا خَيْرَ فى الكذب[5]

---

(١) ابن الأثير: «أسد بن عبد الله الخزاعى».
(٢) ابن الأثير: «وأخشى أن يكون لها ضرام».
(٣) ابن الأثير: «مبدؤها كلام».
(٤) ا: «إن الشاهد».
(٥) ابن الأثير: «تيقنت».

أَنَّ خُراسانَ أَرْضٌ قد رأَيْتُ بها بَيْضاً لوَافرَخَ قدحُدِّثْتَ بالعَجَبِ
١٩٧٤/٢ فِراخُ عامَيْنِ إلا أَنَّها كبِرَتْ لمّا يَطِرْنَ وقد سُرْبِلْنَ بالزَّغَبِ
فإنْ يَطِرنَ ولَمْ يُحْتَلْ لَهُنَّ بِها يُلْهِبْنَ نيرانَ حرْب أَيَّما لَهَب[1]

فقال يزيد : لا غلبة إلا بكثرة ؛ وليس عندى رجل . وكتب نصر إلى مَرْوان يخبره خبر أبى مسلم وظهورَه وقوّته ؛ وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد ، فألفى الكتاب مَرْوان وقد أتاه رسول لأبى مسلم إلى إبراهيم ؛ كان قد عاد من عند إبراهيم ، ومعه كتاب إبراهيم إلى أبى مسلم جواب كتابه ، يلعن فيه أبا مسلم ويسبّه ؛ حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرمانىّ إذ أمكناه ، ويأمره ألّا يدع بخُراسان عربيًّا إلا قتله . فدفع الرسول الكتاب إلى مَرْوان ، فكتب مروان ١٩٧٥/٢ إلى الوليدبن معاوية بن عبد الملك وهو على دمشق ، يأمره أن يكتب إلى عامل البَلْقاء ، فيسير إلى كرار الُحميمة ، فليأخذ إبراهيم بن محمد ويشدّه وثاقا ، وليبعث به إليه فى خيل ؛ فوجه الوليد إلى عامل البَلْقاء فأتى إبراهيم وهو فى مسجد القرية ، فأخذه وكتفه وحمله إلى الوليد ، فحمله إلى مَرْوان فحبسه مروان فى السجن .

* * *

رجع الحديث إلى حديث نصر والكرمانىّ . وبعث أبو مسلم حين عظم الأمر بين الكرمانىّ ونصر إلى الكرمانىّ : إنى معك ، فقبِل ذلك الكِرمانىّ وانضم إليه أبو مسلم ، فاشتدّ ذلك على نَصْر ، فأرسل إلى الكِرمانىّ : ويلك لا تغترر ! فوالله إنى لخائف عليك وعلى أصحابك منه ؛ ولكن هلمّ إلى الموادعة ، فتدخل مَرْو ، فنكتب بيننا كتابًا بصلح — وهو يريد أن يفرّق بينه وبين أبى مسلم — فدخل الكِرمانىّ منزله ، وأقام أبو مسلم فى المعسكر ، وخرج الكِرمانىّ حتى وقف فى الرَّحَبَة فى مائة فارس ، وعليه قرطق خشكشونة . ثم أرسل إلى نصر : اخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب ، فأبصر نصر منه غِرّة ، فوجه إليه

---

(١) ابن الأثير :

إلاَّ تدارَكْ بخيل اللهِ مُعْلِمَةً أَلْهبْن نيرانَ حَرْبٍ أَيَّمَا لهبِ

ابن الحارث بن سريج فى نحو من ثلثمائة فارس ، فالتقوا فى الرَّحَبة ، فاقتتلوا بها طويلاً .

ثم إنّ الكرمانىّ طُعِن فى خاصرته فخرّ عن دابّته ، وحماه أصحابُه حتى جاءهم ما لا قِبل لهم به ، فقتل نصر الكِرمانىّ وصلَبه ، ومعه سمكة ، فأقبل ابنه علىّ — وقد كان صار إلى أبى مسلم ، وقد جمع جمعاً كثيراً — فسار بهم إلى نصر بن سيار فقاتله حتى أخرجه من دار الإمارة ، فمال إلى بعض دور مَرْو ، وأقبل أبو مسلم حتى دخل مَرْو ، فأتاه علىّ بن جُديع الكرمانىّ ١٩٧٦/٢ فسلَّم عليه بالإمْرة ، وأعلمه أنه معه على مساعدته ، وقال : مُرْنى بأمرك ، فقال : أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بأمرى .

* * *

[غلبة عبد الله بن معاوية على فارس]

وفى هذه السنة غلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب على فارس .

* ذكر الخبر عن ذلك وعن السبب الذى وصل به إلى الغلَبة عليها :

ذكر علىّ بن محمد أنّ عاصم بن حفص التميمىّ وغيره حدّثوه أنّ عبد الله ابن معاوية لما هُزِم بالكوفة ، شخص إلى المدائن ، فبايعه أهلُ المدائن ، فأتاه قومٌ من أهل الكُوفة ، فخرج إلى الجبال فغلب عليها ، وعلى حُلْوان وقُومِس وأصبهان والرىّ ، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة ، فلمّا غلب على ذلك أقام بأصبهان ؛ وقد كان محارب بن موسى مولى بنى يَشْكر عظيم القدر بفارس ، فجاء يمشى فى نعلين إلى دار الإمارة بإصطخر ، فطرد العامل ؛ عامل ابن عمر عنها ، وقال لرجل يقال له عمارة : بايع الناس ، فقال له أهل إصطخر : علامَ نبايع[1] ؟ قال : على ما أحببتم وكرهتم . فبايعوه لابن معاوية ، وخرج محارب إلى كرمان فأغار عليهم ، وأصاب فى غارته إبلا لثعلبة بن حسان المازنىّ فاستاقها ورجع . فخرج ثعلبة يطلب إبِله فى قرية له تدعى أشهر — قال : ومع ثعلبة مولًى له — فقال له مولاه : هل لك أن نفتك بمحارب ؛ فإن شئت ضربتَه وكفيتنى الناس ؛ وإن شئت ضربتُه وكفيتَنى الناس؟ قال : ويحك! أردتَ أن تفتك[2] ١٩٧٧/٢

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « تبايع » . (٢) ا : « تقتل » .

[وتذهب الإبل ولم نلق] (١) الرجل ! ثم دخل على محارب فرحّب به، ثم قال : حاجتك ! قال : إبلى ، [قال : نعم ، لقد أخذت] (١) ، وما أعرفها ، وقد عرفتها ، فدونك إبلك فأخذها ، وقال لمولاه (٢) : [هذا خير ، وما أردت؟] (١) قال : ذلك لو أخذناها كان أشفى . وانضمّ إلى محارب القواد والأمراء من أهل الشأم : فسار إلى مسلم بن المسيّب وهو بشيراز ، عامل لابن عمر ؛ فقتله فى سنة ثمان وعشرين ومائة ، ثم خرج محارب إلى أصبهان ، فحوّل عبد الله بن معاوية إلى إصطخر ؛ واستعمل أخاه عبد الله أخاه الحسن على الجبال ، فأقبل فنزل فى دير على ميل من إصطخر ، واستعمل أخاه يزيد على فارس فأقام ، فأتاه النـــاس ؛ بنو هاشم وغيرهم ؛ وجبَى المال ، وبعث العمال ؛ وكان معه منصور بن جُمهور وسليمان بن هشام بن عبد الملك وشيبان بن الحِلْس بن عبد العزيز الشيبانىّ الخارجىّ ، وأتاه أبو جعفر عبد الله ، وعبد الله وعيسى ابنا علىّ . وقدم يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق ، فأرسل نباتة بن حنظلة الكلابىّ إلى عبد الله بن معاوية ؛ وبلغ سليمان بن حبيب أنّ ابن هُبيرة ولى نباتة الأهواز ، فسرّح داود بن حاتم ، فأقام بكربُج دينار ليمنع نباتة من الأهواز ، فقدم نُباتة ، فقاتله ، فقتل داود ، وهرب سليمان إلى سابور ؛ وفيها الأكراد قد غلبوا عليها ، وأخرجوا المسيح بن الحمارىّ ، فقاتلهم سليمان ، فطرد الأكراد عن سابور ، وكتب إلى عبد الله بن معاوية بالبيعة ، فقال : عبدالرحمن ابن يزيد بن المهلب : لا يفى لك ، وإنما أراد أن يدفعك عنه ؛ ويأكل سابور ؛ فاكتب إليه فليقدم عليك إن كان صادقاً . فكتب إليه فقدم ، وقال لأصحابه : ادخلوا معى ؛ فإن منعكم أحد فقاتلوه ، فدخلوا فقال لابن معاوية : أنا أطوع الناس لك ، قال : ارجع إلى عملك ، فرجع .

١٩٧٨/٢

ثم إن محارب بن موسى نافر ابنَ معاوية ، وجمع جمعاً ، فأتى سابور — وكان ابنه مخلد بن محارب محبوساً بسابور ، أخذه يزيد بن معاوية فحبسه — فقال لمحارب : ابنك فى يديه وتحاربه ! أما تخاف أن يقتل ابنك ! قال : أبعده الله ! فقاتله يزيد ، فانهزم محارب ، فأتى كِرمان ، فأقام بها حتى قدم محمد بن الأشعث ، فصار معه ، ثم نافَر ابن الأشعث فقتله وأربعة وعشرين

(١) من ١. (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « لولا » .

ابناً له . ولم يزل عبد الله بن معاوية بإصطخر حتى أتاه ابن ضُبارة مع داود ابن يزيد بن عمر بن هبيرة ، فأمر ابن معاوية فكسروا قنطرة الكوفة ، فوجّه ابن هبيرة معنَ بن زائدة من وَجْه آخر ، فقال سليمان لأبان بن معاوية بن هشام : قد أتاك القوم ، قال : لم أومَرْ بقتالهم ؛ قال : ولا تؤمر والله بهم أبداً ، وأتاهم فقاتلهم عند مَرْو الشاذان ، ومعن يرتجز :

١٩٧٩/٢ لَيْسَ أميرُ القَوْمِ بالْخَبِّ الخدَعْ فَرَّ من الموْتِ وفى الموْتِ وقَعْ

قال ابن المقفع أو غيره :

فرّ من الموت وفيه قد وقع .

قال : عمداً، قلت : قد عملت ، فانهزم ابن معاوية ، وكفّ معن عنهم ، فقتل فى المعركة رجل من آل أبى لهب ، وكان يقال : يقتل رجل من بنى هاشم بمَرْو الشاذان . وأسروا أسَراء كثيرة ، فقتَل ابن ضبارة عدّة كثيرة ؛ فيقال : كان فيمن قُتِل يومئذ حكيم الفرد أبو المجد ، ويقال : قتِل بالأهواز ، قتله نباتة .

ولما انهزم ابنُ معاوية هرب شيبان إلى جزيرة ابن كاوان ومنصور بن جمهور إلى السند ، وعبد الرحمن بن يزيد إلى عُمان ، وعمرو بن سهل بن عبد العزيز إلى مصر ؛ وبعث ببقيّة الأسرَاء إلى ابن هبيرة .

قال حميد الطويل : أطلق أولئك الأسراء فلم يقتل منهم غير حصين بن وعلة السدُوسىّ ، ولما أمر بقتله قال : أُقتَلُ من بين الأسراء ! قال : نعم ، أنت مشرِك ، أنت الذى تقول :

* وَلَوْ آمُرُ الشمْسَ لَمْ تُشْرِقِ *

ومضى ابنُ معاوية من وجهه إلى سِجستان . ثم أتى خراسان ومنصور بن جمهور إلى السند ، فسار فى طلبه معن بن زائدة وعطيّة الثعلبىّ وغيره من بنى ثعلبة ، فلم يدركوه ، فرجعوا . وكان حصين بن وَعْلة السدوسى مع يزيد بن

١٩٨٠/٢ معاوية ، فتركه [ولحق بعبد الله بن معاوية] فأسره مورع السلمىّ ، رآه دخل غيضة فأخذه فأتى به [معن بن زائدة] فبعث به معن إلى ابن ضُبارة ، فبعث به ابن ضبارة إلى واسط ؛ وسار ابن ضبارة إلى عبد الله بن معاوية بإصطخر ، فنزل بإزائه على نهر إصطخر ، فعبر ابن الصَّحْصَح فى ألف ، فلقيه من أصحاب

عبدالله بن معاوية أبان بن معاوية بن هشام فيمن كان معه من أهل الشأم، ممن كان مع سليمان بن هشام فاقتتلوا، فمال ابنُ نباتة إلى القنطرة، فلقيَهم مَن كان مع ابن معاوية من الخوارج، فانهزم أبان والخوارج، فأسر منهم ألفًا، فأتوْا بهم ابن ضُبارة، فخلى عنهم، وأخذ يومئذ عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن عباس فى الأسَراء، فنسبه ابن ضبارة، فقال: ما جاء بك إلى ابن معاوية، وقد عرفت خلافه أمير المؤمنين! قال: كان علىّ دين فأدّيته. فقام إليه حرب بن قطن الكنانىّ[1]، فقال: ابن اختنا، فوهبه له، وقال: ما كنت لأقدم على رجل من قريش. وقال له ابن ضبارة: إن الذى قد كنت معه قد عِيبَ بأشياء، فعندك منها علم؟ قال: نعم، وعابه ورمى أصحابه باللُّواط، فأتوا ابن ضبارة بغلمان عليهم أقبية قُوهيّة مصبّغة ألوانًا، فأقامهم للناس وهم أكثر من مائة غلام، لينظروا إليهم. وحمل ابن ضبارة عبدَ الله بن علىّ على البريد إلى ابن هبيرة ليخبره أخباره، فحمله ابن هبيرة إلى مَرْوان فى أجناد أهل الشأم، وكان يعيبه، وابن ضُبارة يومئذ فى مفَازة كِرمان فى طلب عبد الله ابن معاوية، وقد أتى ابن هبيرة مقتل نباتة، فوجّه ابن هبيرة كرَب بن مصقلة والحكم بن أبى الأبيض العبسىّ وابن محمد السكونىّ؛ كلهم خطيب، فتكلموا فى تقريظ ابن ضُبارة، فكتب إليه أن سِرْ بالناس إلى فارس، ثم جاءه كتاب ابن هبيرة: سر إلى أصبهان.

٢/١٩٨١

* * *

[مجىء أبى حمزة الخارجىّ الموسم]

وفى هذه السنة وافى الموسمَ أبو حمزة الخارجىّ، من قِبَل عبد الله ابن يحيى طالب الحق، محكِّمًا[2] مظهراً للخلاف على مَرْوان بن محمد.

* ذكر الخبر عن ذلك من أمره:

حدّثنى العباس بن عيسى العُقيلىّ، قال: حدّثنا هارون بن موسى الفروىّ قال: حدّثنا موسى بن كَثير مولى الساعديّين، قال: لما كان تمام سنة تسع وعشرين ومائة، لم يدر الناس بعَرَفة إلّا وقد طلعت أعلام عمائم سود

(١) ا، وابن الأثير: «الهلالى». (٢) ا: «فحكم».

حرقانيّة فى رءوس الرماح وهم فى سبعمائة ، ففزع الناس حين رأوْهم ، وقالوا : ما لكم ! وما حالكم ؟ فأخبروهم بخلافهم مَرْوان وآل مَرْوان والتبرُّؤ منه . فراسلهم عبد الواحد بن سليمان — وهو يومئذ على المدينة ومكة — فراسلهم فى الهُدنة ، فقالوا : نحن بحجّنا أضنّ ، ونحن عليه أشحّ . وصالحهم على أنهم جميعًا آمنون؛ بعضهم من بعض ، حتى ينفِر الناس النَّفْر الأخير، وأصبحوا[1] من الغد . فوقفوا على حِدة بعرفة ، ودفع بالناس عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، فلما كانوا بمنى ندّموا عبد الواحد ، وقالوا : قد أخطأتَ فيهم ، ولو حملت الحاجّ عليهم ما كانوا إلاّ أكلَة رأس . فنزل أبو حمزة بقُرين الثعالب ، ونزل عبد الواحد منزل السلطان ، فبعث عبد الواحد إلى أبى حمزة عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ ، ومحمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر ، وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وربيعة بن أبى عبد الرحمن ، فى رجال أمثالهم ، فدخلوا على أبى حَمْزة وعليه إزار قُطْن غليظ ، فتقدّمهم إليه عبد الله بن الحسن ومحمد بن عبدالله فنسبهما فانتسبا له ، فعبَس فى وجوههما ، وأظهر الكراهة لهما ، ثم سأل عبد الرحمن بن القاسم وعبيد الله بن عمر فانتسبا له ، فهشّ إليهما ، وتبسّم فى وجوههما ، وقال : والله ما خرجنا إلا لنسير بسيرة أبويْكما ، فقال له عبد الله بن حسن : والله ما جئنا لتفضّل بين آبائنا ، ولكنا بعثَنا إليك الأمير برسالة — وهذا ربيعة يخبرُكَها — فلما ذكر ربيعةُ نقْضَ العهد؛ قال بلج وأبرهة — وكانا قائدين له : الساعة الساعة ! فأقبل عليهم أبو حمزة ، فقال : معاذ الله أن ننقض العهد أو نحبِس ، والله لا أفعل ولو قطِعت رقبتى هذه؛ ولكن تنقضى الهدنة بيننا وبينكم . فلما أبى عليهم خرجوا ، فأبلغوا عبد الواحد، فلما كان النَّفْر نفر عبد الواحد فى النَّفْر الأول ، وخلى مكة لأبى حمزة ، فدخلها بغير قتال . قال العباس : قال هارون : فأنشدنى يعقوب بن طلحة الليثى أبياتًا هُجِىَ بها عبد الواحد — قال : وهى لبعض الشعراء لم أحفظ اسمه :

---

(١) ط : «ويصبحوا» .

١٩٨٢/٢ ١٩٨٣/٢

زارَ الحَجيجَ عصابَةٌ قَدْ خالفوا دِينَ الإلٰهِ فَفَرّ عبدُ الواحِدِ
تَرَكَ الحَلائلَ والإمارَةَ هارِباً ومضى يُخَبِّط كالبَعِيرِ الشّارِدِ
لو كان والِدُهُ تَنَصَّلَ عِرْقُه لَصَفَتْ مَضارِبُهُ بعِرْقِ الوالد

ثم مضى عبدُ الواحد حتى دخل المدينة ، فدعا بالدّيوان ، فضرب على الناس البَعْث ، وزادهم فى العطاء عشرة عشرة . قال العباس : قال هارون : أخبرنى بذلك أبو ضمرة أنس بن عياض ، قال : كنت فيمن اكتتب ، ثم محوْت اسمى .

قال العباس : قال هارون : وحدّثنى غير واحد من أصحابنا أنّ عبد الواحد استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان علَى الناس فخرجوا ؛ فلما كانوا بالحرّة لقيتهم جُزُر منحورة فمضوْا .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مَرْوان ٢/١٩٨٤ حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال محمد بن عمر وغيره .

وكان العامل على مكة والمدينة عبد الواحد بن سليمان ، وعلى العراق يزيد ابن عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربىّ — فيما ذكر — وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور ، وعلى خراسان نصر بن سيار ، والفتنة بها .

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائة

ذكر خبر الأحداث التى كانت فيها

* * *

[ذكر دخول أبى مسلم مَرْو والبيعة بها]

فممّا كان فيها من ذلك دخول أبى مسلم حائط مَرْو ونزوله دار الإمارة بها ، ومطابقة علىّ بن جُديع الكرمانىّ إيّاه على حرب نصر بن سيّار .

* ذكر الخبر عن ذلك وسببه :

ذكر أبو الخطاب أن دخولَ أبى مسلم حائط مَرْو ونزوله دار الإمارة التى ينزلها عمّال خراسان كان فى سنة ثلاثين ومائة لتسع خلوْن من جمادى الآخرة يوم الخميس ، وأن السبب فى مسير علىّ بن جُديع مع أبى مسلم كان أن سليمان ابن كثير كان بإزاء علىّ بن الكرمانىّ حين تعاقد هو ونصر على حَرْب أبى مسلم ؛ فقال سليمان بن كثير لعلىّ بن الكرمانىّ : يقول لك أبومسلم : أما تأنف من مصالحة نصر بن سيار ، وقد قتل بالأمس أباك وصلبه ! ما كنتُ أحسبك تجامع نصر بن سيار فى مسجد تصليان فيه ! فأدرك علىّ بن الكرمانىّ الحفيظة ، فرجع عن رأيه وانتقض صلح العرب . قال : ولما انتقض صلحُهم بعث نصر ابن سيار إلى أبى مسلم يلتمس منه أن يدخل مع مُضر ، وبعثت ربيعة وقحطان إلى أبى مسلم بمثل ذلك ، فتراسلوا بذلك أيامًا ، فأمرهم أبو مسلم أن يقدم عليه وفد الفريقين حتى يختار أحدهما ، ففعلوا . وأمر أبو مسلم الشيعة أن يختاروا ربيعة وقحطان ؛ فإنّ السلطان فى مُضَر ، وهم عمال مروان الجعدىّ ، وهم قتلة يحيى بن زيد . فقدم الوفدان ؛ فكان فى وفد مُضر عقيل بن معقل بن حسان الليثىّ وعبيد الله بن عبدربه الليثىّ والخطاب بن محرز[1] السُّلَمىّ ، فى رجال منهم . وكان فى وفد قحطان عثمان بن الكِرمانىّ ومحمد بن المثنى وسَوْرة بن محمد ابن عزيز الكندىّ ، فى رجال منهم ؛ فأمر أبو مسلم عثمان بن الكِرْمانىّ وأصحابه

١٩٨٥/٢

(١) ط : « محمد » ، وانظر الفهرس .

فدخلوا بستان المحتفز ، وقد بسط لهم فيه ؛ فقعدوا وجلس أبو مسلم فى بيت فى دار المحتفز ، وأذن لـَعقيل بن معقل وأصحابه من وفد مُضَر ، فدخلوا إليه ، ومع أبى مسلم فى البيت سبعون رجلاً من الشيعة ، قرأ على الشيعة كتاباً كتبه أبو مسلم ليختاروا أحد الفريقين ؛ فلما فرغ من قراءة الكتاب ، قام سليمان ابن كثير ، فتكلم — وكان خطيباً مفوّها — فاختار علىّ بن الكرمانىّ وأصحابه ، وقام أبو منصور طلحة بن رزيق النقيب فيهم — وكان فصيحاً متكلّماً — فقال كمقالة سليمان بن كثير ، ثم قام مزيد بن شقيق السلمىّ ، فقال : مضر قتلة آل النبى صلى الله عليه وسلم وأعوان بنى أمية وشيعة مَرْوان الجعدىّ ، ودماؤنا فى أعناقهم ، وأموالنا فى أيديهم ، والتّباعات قبَلهم ، ونصر بن سيار عامل مروان على خراسان يُنفذ أمورَه ، ويدعو له على منبره ، ويسمّيه أمير المؤمنين ؛ ونحن من ذلك إلى الله بُرآء وأن يكون مَرْوان أمير المؤمنين ، وأن يكون نصرٌ على هدًى وصواب ، وقد اخترنا علىّ بن الكرمانىّ وأصحابه من قَحطان وربيعة . فقال السبعون الذين جمعوا فى البيت بقول مزيد بن شقيق .

١٩٨٦/٢

فنهض وفْد مضر عليهم الذّلة والكآبة ؛ ووجّه معهم أبو مسلم القاسم بن مجاشع فى خيل حتى بلغوا مأمنهم ، ورجع وفد علىّ بن الكِرمانىّ مسرورين منصورين . وكان مقام أبى مسلم بآلين تسعة وعشرين يوماً ، فرحل عن آلين راجعاً إلى خندقه بالماخُوان ، وأمر أبو مسلم الشيعة أن يبتنوا[1] المساكن ، ويستعدّوا للشتاء فقد أعفاهم[2] الله من اجتماع كلمة العرب ، وصيرهم بنا إلى افتراق الكلمة ؛ وكان ذلك قَدَراً من الله مقدوراً .

وكان دخول أبى مسلم الماخُوان منصرفاً عن آلين سنة ثلاثين ومائة ، للنصْف من صفر يوم الخميس ، فأقام أبو مسلم فى خَنْدَقه بالماخُوان ثلاثة أشهر ؛ تسعين يوماً ، ثم دخل حائط مَرْو يوم الخميس لتسع خلَوْن من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة .

قال : وكان حائط مَرْو إذ ذاك فى يد نصر بن سيّار لأنّه عامل خراسان ،

(١) ابن الأثير : « أن يبنوا » .
(٢) ابن الأثير : « أغناهم الله » .

فأرسل علىّ بن الكرمانىّ إلى أبى مسلم أن أدخل الحائط مَن قِبَلك ، وأدخل ١٩٨٧/٢
أنا وعشيرتى من قِبَلى ، فنغلب على الحائط . فأرسل إليه أبو مسلم أن لست
آمَن أن يجتمع يدك ويد نصر على محاربتى ؛ ولكن ادخل أنت فانشب الحرب
بينك وبينه وبين أصحابه ؛ فدخل علىّ بن الكرمانىّ فأنشب الحرب ، وبعث
أبو مسلم أبا علىّ شبل بن طهمان النقيب فى جُند ، فدخلوا الحائط ، فنزل
فى قصر بخاراخذاه ؛ فبعثوا إلى أبى مسلم أن ادخل ، فدخل أبو مسلم من خندق
الماخُوان ، وعلى مقدّمته أسيد بن عبد الله الخزاعىّ ، وعلى ميمنته مالك بن
الهيثم الخزاعىّ ، وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع التميمىّ ؛ حتى دخل
الحائط ، والفريقان يقتتلان . فأمرهما بالكفّ وهو يتلو من كتاب الله :
﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فوَجد فيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذا
مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذا مِنْ عَدُوِّهِ﴾[1]. ومضى أبو مسلم حتى نزل قصر الإمارة
بمرْو الذى كان ينزله عمال خرُاسان ؛ وكان ذلك لتسع خلوْن من جُمادى
الأولَى سنة ثلاثين ومائة ، يوم الخميس .

وهرب نصر بن سيّار عن مَرْو الغد من يوم الجمعة لعشرٍ خلوْن من
جُمادى الأولى من سنة ثلاثين ومائة ، وصفت مَرْو لأبى مسلم . فلما دخل أبو مسلم
حائط مَرْو أمر أبا منصور طلحة بن رُزيق بأخذ البيعة على الجند من الهاشمية
خاصّة — وكان أبو منصور رجلاً فصيحًا نبيلاً مفوّهًا عالمًا بحجج الهاشمية
وغوامض أمورهم ؛ وهو أحد النقباء الاثنى عشر ؛ والنقباء الاثنا عشر هم الذين ١٩٨٨/٢
اختارهم محمد بن علىّ من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله
إلى خراسان سنة ثلاث ومائة أو أربع ومائة — وأمره أن يدعو إلى الرّضا ، ولا
يسمى أحداً ، ومثّل له مثالا ووصف من العدل صفة ، فقدمها فدعا
سرًّا ، فأجابه ناس ، فلما صاروا سبعين أخذ منهم اثنى عشر نقيبًا .
منهم من خُزاعة سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وزياد بن صالح
وطلحة ابن رُزيق وعمرو بن أعين ، ومن طيّئ قحطبة — واسمه زياد بن

---

(١) سورة القصص ١٥ .

شبيب بن خالد بن معْدان — ومن تميم موسى بن كعب أبو عيينة ولاهز بن قريظ والقاسم بن مجاشع ، كلُّهم من بنى امرئ القيس ، وأسلم بن سلام أبو سلام ؛ ومن بكر بن وائل أبو داود خالد بن إبراهيم من بنى عمرو بن شيبان أخى سدُوس وأبو علىّ الهروىّ .

ويقال: شبل بن طهمان مكان عمرو بن أعين . وعيسى بن كعب وأبو النجم عمران بن إسماعيل[1] مكان أبى علىّ الهرَوىّ ، وهو ختَن أبى مسلم .

ولم يكن فى النقباء أحد والده حىّ غير أبى منصور طلحة بن رزيق بن أسعد[2] ؛ وهو أبو زينب الخزاعىّ ، وقد كان شهد حرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وصحب المهلب بن أبى صفرة وغزا معه ؛ فكان أبو مسلم يشاوره فى الأمور ، ويسأله عمّا شهد من الحروب والمغازى ، ويسأله عن الكنية بأبى منصور : يا أبا منصور ، ما تقول ؟ وما رأيك ؟

١٩٨٩/٢ قال أبو الخطاب : فأخبرنا من شهد أبا منصور يأخذ البيعة على الهاشميّة : أبايعكم على كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، والطلاق والعتَاق ، والمشى إلى بيت الله ، وعلى ألّا تسألوا رزقًا ولا طعمًا[3] حتى يبدأكم به ولاتكم ؛ وإن كان عدوّ أحدكم تحت قدمه فلا تهيجوه إلا بأمر ولاتكم . فلما حبس أبو مسلم سَلْم بن أحْوز ويونس بن عبدربه[4] ، وعقيل ابن معقل ومنصور بن أبى الخرقاء وأصحابه ، شاور أبا منصور ، فقال : اجعل سوطك السيف ، وسجنك القبر ؛ فأقدمهم أبو مسلم فقتلهم ، وكانت عدّتهم أربعة وعشرين رجلا .

وأما علىّ بن محمد ، فإنه ذكر أن الصباح مولى جبريل ، أخبره عن مسلمة ابن يحيى ، أن أبا مسلم جعل على حرَسه خالد بن عثمان ، وعلى شُرَطه مالك

(١) ابن الأثير : « أبو النجم إسماعيل بن عمران ».
(٢) ابن الأثير : « سعد ». قال : « ورزيق ، بتقديم الراء على الزاى ».
(٣) ابن الأثير : « ولاطعما ». (٤) ابن الأثير : « عبدويه ».

ابن الهيثم ، وعلى القضاء القاسم بن مجاشع ، وعلى الديوان كامل بن مظفّر ، فرزق كلّ رجل أربعة آلاف ، وأنه أقام فى عسكره بالماخُوان ثلاثة أشهر ، ثم سار من الماخُوان ليلاً فى جمع كبير يريد عسكر ابن الكرْمانىّ ؛ وعلى ميمنته لاهز بن قريظ ، وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع ، وعلى مقدّمته أبو نصر مالك بن الهيثم . وخلّف على خندقه أبا عبدالرحمن الماخُوانىّ ، فأصبح فى عسكر شيبان ؛ فخاف نصر أن يجتمع أبو مسلم وابن الكرمانىّ على قتاله ؛ فأرسل إلى أبى مسلم يعرض عليه أن يدخل مدينة مَرْو ويوادعه ، فأجابه ، فوادع أبا مسلم نصر ، فراسل نصر بن أحوز يومَه ذلك كله ، وأبو مسلم فى عسكر شيبان ، فأصبح نصر وابن الكرمانىّ ، فغدوا إلى القتال ، وأقبل أبو مسلم ليدخل مدينة مَرْو ، فردّ خيل نصر وخيل ابن الكرمانىّ ، ودخل المدينة لسبعٍ — أو لتسع — خلوْن من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين ومائة ، وهو يتلو : ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فوَجَدَ فِيها رَجُلَيْن يَقْتَتِلانَ هَذا مِنْ شِيعَتِه. . .﴾[1] إلى آخر الآية .

١٩٩٠/٢

قال علىّ : وأخبرنا أبو الذّيال والمفضل الضبىّ ، قالا : لما دخل أبو مسلم مدينة مَرْو ، قال نصر لأصحابه : أرى هذا الرجل قد قوِىَ أمره ، وقد سارع إليه الناس ، وقد وادعتُه وسيتمّ له ما يريد ؛ فاخرجوا بنا عن هذه البلدة وخلّوه ، فاختلفوا عليه ، فقال بعضهم : نعم ، وقال بعضهم : لا ، فقال : أما إنكم ستذكرون قولى . وقال لخاصته من مضر : انطلقوا إلى أبى مسلم فالقوْه ، وخذوا بحظّكم منه ، وأرسل أبو مسلم إلى نَصْر لاهز بن قريظ يدعوه فقال لاهز : ﴿إن الملأ يأتمرُونَ بِكَ ليقتُلوك﴾[2] ، وقرأ قبلها آيات ، ففطن نصر ، فقال لغلامه : ضع لى وضوءاً ؛ فقام كأنه يريد الوضوء ، فدخل بستاناً وخرج منه ، فركب وهرب .

قال علىّ : وأخبرنا أبو الذّيال ، قال : أخبرنى إياس بن طلحة بن طلحة قال : كنت مع أبى وقد ذهب عمّى إلى أبى مسلم يبايعه ؛ فأبطأ حتى صلّيتُ

---

(١) سورة القصص ١٥ . (٢) سورة القصص ٢٠ .

١٩٩١/٢ العصر والنهار قصير ؛ فنحن ننتظره ؛ وقد هيّأنا له الغداء ؛ فإنى لقاعد مع أبى إذ مرّ نصر على بِرْذَوْن ؛ لا أعلم فى داره بِرْذَوْناً أسرى منه ، ومعه حاجبه والحكَم بن نُميلة النميرىّ. قال أبى : إنه لهارب ليس معه أحد، وليس بين يديه حرْبة ولا راية، فمرّ بنا ، فسلم تسليماً خفيًّا ، فلما جازَنا ضرَب بِرْذَوْنه ، ونادى الحكم بن نميلة غلمانه ، فركبوا واتبعوه .

قال علىّ : قال أبو الذيّال : قال إياس : كان بين منزلنا وبين مرو أربعة فراسخ ، فمرّ بنا نصر بعد العتَمة، فضجّ أهل القرية وهربوا، فقال لى أهلى وإخوانى : اخرج لا تُقْتَل ؛ وبكوْا؛ فخرجت أنا وعمّى المهلب بن إياس فلحقْنا نصراً بعد هدء الليل؛ وهو فى أربعين ، قد قام برذَوْنه ، فنزل عنه ، فحمله بشر بن بِسْطام بن عمران بن الفضل البُرْجِمىّ على بِرْذَوْنه ، فقال نصر : إنى لا آمن الطَّلَب ، فمن يسوق بنا ؟ قال عبد الله بن عرعرة الضبّىّ : أنا أسوق بكم ، قال : أنت لها ، فطرد بنا ليلتَه حتى أصبحنا فى بئر فى المفازة على عشرين فرسخاً أو أقل ، ونحن ستّمائة ؛ فسرْنا يومَنا فنزلنا العصر ، ونحن ننظر إلى أبيات سَرَخْس وقصورها ونحن ألف وخمسمائة ، فانطلقت أنا وعمّى إلى صديق لنا من بنى حَنيفة يقال له مسكين ، فبِتْنا نحن عنده لم نطعم شيئاً ، فأصبحنا، فجاءنا بثَريدة فأكلْنا منها ونحن جياع لم نأكل يومنا وليلتنا ؛ واجتمع الناس فصاروا ثلاثة آلاف ، وأقمنا بسَرَخْس يومين ؛ فلمّا لم يأتنا أحد صار نصر إلى طُوس ، فأخبرهم خبر أبى مسلم ، وأقام خمسة عشر يوماً ، ثم سار وسرنا إلى نيسابور فأقام بها ، ونزل أبو مسلم حين هرب

١٩٩٢/٢ نصر دار الإمارة ، وأقبل ابنُ الكرْمانىّ ، فدخل مَرْو مع أبى مسلم ، فقال أبو مسلم حين هرب نصر : يزعم نصرٌ أنى ساحر ؛ هو والله ساحر !

وقال غير من ذكرت قوله فى أمر نصر وابن الكرمانىّ وشيبان الحرورىّ : انتهى أبو مسلم فى سنة ثلاثين ومائة من معسكره بقرية سليمان بن كثير إلى قرية تدعى الماخُوان فنزلها ، وأجمع على الاستظهار بعلىّ بن جُديع ومَن معه من اليمن ، وعلى دعاء نَصْر بن سيار ومَن معه إلى معاونته ، فأرسل إلى الفريقين جميعاً ، وعرض على كلّ فريق منهم المسالمة واجتماع الكلمة والدخول

فى الطاعة ، فقبِل ذلك علىّ بن جُديع ، وتابعه على رأيه ، فعاقده عليه ، فلما وثق أبو مسلم بمبايعة علىّ بن جُديع إياه، كتب إلى نصر بن سيّار أن يبعث إليه وفداً يحضرون مقالته ومقالة أصحابه فيما كان وعده أن يميل معه ، وأرسل إلى علىّ بمثل ما أرسل به إلى نَصْر .

ثم وصف من خبر اختيار قوّاد الشيعة اليمانيّة على المضريّة نحواً مما وصف مَن قد ذكرنا الرواية عنه قبلُ فى كتابنا هذا، وذكر أنّ أبا مسلم إذْ وجّه شبل ابن طهمان فيمن وجّهه إلى مدينة مَرْو وأنزله قصر بخاراخذاه ؛ إنما وجهه مدداً لعلىّ بن الكرمانىّ .

قال : وسار أبو مسلم من خَنْدقه بالماخُوان بجميع مَن معه إلى علىّ ابن جُديع ، ومع علىّ عثمان وأخوه وأشراف اليمن معهم وحلفاؤهم من ربيعة ، فلما حاذى أبو مسلم مدينة مَرْو استقبله عثمان بن جُديع فى خيل عظيمة ، ومعه أشراف اليمن ومن معه من رَبيعة ؛ حتى دخل عسكر علىّ بن الكرمانىّ وشيبان بن سلمة الحرورىّ ومَن معه من النقباء ، ووقف على حجرة علىّ بن جُدَيع ، فدخل عليه وأعطاه الرضا ، وآمنه على نفسه وأصحابه ، وخرجا إلى حجرة شيبان، وهو يسلَّم عليه يومئذ بالخلافة، فأمر أبو مسلم عليًّا بالجلوس إلى جنب شَيْبان، وأعلمه أنه لا يحلّ له التسليم عليه . وأراد أبو مسلم أن يُسلِّم على علىّ بالإمْرة ، فيظنّ شيبان أنه يسلم عليه . ففعل ذلك علىّ ، ودخل عليه أبو مسلم ، فسلّم عليه بالإمارة ، وألطف لشيبان وعظمه ، ثم خرج من عنده فنزل قصر محمد بن الحسن الأزدىّ ، فأقام به ليلتيْن ، ثم انصرف إلى خندقه بالماخُوان ، فأقام به ثلاثة أشهر ، ثم ارتحل من خَنْدقه بالماخُوان إلى مَرْو لسبع خلوْن من ربيع الآخر ؛ وخلّف على جنده[1] أبا عبد الرحمن الماخُوانىّ ، وجعل أبو مسلم على ميمنته لاهز بن قريظ ، وعلى ميسرته القاسم ابن مجاشع ، وعلى مقدّمته مالك بن الهيثم، وكان مسيره ليلاً ، فأصبح على باب مدينة مَرْو ، وبعث إلى علىّ بن جُديع أن يبعث خيله حتى وقف على باب قصر الإمارة ، فوجد الفريقين يقتتلان أشدّ القتال فى حائط مَرْو ،

١٩٩٣/٢

(١) ا : « خندقة » .

فأرسل إلى الفريقين أن كُفّوا ، وليتفرّقْ كلّ قوم إلى معسكرهم ، ففعلوا . وأرسل أبو مسلم لاهز بن قريظ وقريش بن شقيق وعبد الله بن البَختريّ ، وداود بن كرّاز إلى نصر يدعوه إلى كتاب الله والطاعة للرّضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم .

فلما رأى نصر ما جاءه من اليمانية والرَّبَعية والعجم ، وأنه لا طاقة له بهم ؛ ولا بد إن أظهر قبول ما بعث به إليه أن يأتيه فيبايعه ، وجعل يريثهم لما همّ به من الغدر والهرب إلى أن أمسى ، فأمر أصحابه أن يخرجوا من ليلتهم إلى ما يأمنون فيه ؛ فما تيسّر لأصحاب نصر الخروج فى تلك الليلة . وقال له سَلْم بن أحوز : إنه لا يتيسّر لنا الخروج الليلة ؛ ولكنا نخرج القابلة ، فلما كان صبح تلك الليلة عبأ أبو مسلم كتائبَه ، فلم يزل فى تعبيتها إلى بعد الظهر ، وأرسل إلى نصر لاهز بن قريظ وقريش بن شقيق وعبد الله بن البَختريّ وداود بن كرّاز وعدّة من أعاجم الشيعة ، فدخلوا على نصر ، فقال لهم : لِشرّ ما عدتم ، فقال له لاهز : لا بدّ لك من ذلك ؛ فقال نصر : أما إذ كان لا بدّ منه ؛ فإنى أتوضأ وأخرج إليه ، وأرسل إلى أبى مسلم ؛ فإن كان هذا رأيه وأمره أتيتُه ونعمَى لعينه ، وأتهيأ إلى أن يجىء رسولى ، وقام نصر ، فلما قام قرأ لاهز هذه الآية : ﴿ إنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فاخرجْ إنى لَكَ من النَّاصحين ﴾[1] ، فدخل نصر منزله ، وأعلمهم أنه ينتظر انصرافَ رسوله من عند أبى مسلم ، فلما جنّه الليل ، خرج من خَلْف حجرته ، ومعه تميم ابنه والحكم بن نُميلة النميرىّ وحاجبه وامرأته ؛ فانطلقوا هُرّابًا ، فلما استبطأه لاهز وأصحابه دخلوا منزلَه ، فوجدوه قد هرب ؛ فلما بلغ ذلك أبا مسلم سار إلى معسكر نصر ، وأخذ ثقات أصحابه وصناديدهم فكتَفهم ؛ وكان فيهم سَلْم بن أحوز صاحبُ شرْطة نصر والبختريّ كاتبه ، وابنان له ويونس بن عبد ربّه ومحمد بن قطَن ومجاهد بن يحيى بن حُضين [والنضر بن إدريس ومنصور بن عمر بن أبى الحرقاء وعقيل بن معقل الليثىّ ، وسيار بن عمر السلمىّ ، مع رجال من رؤساء مُضَر][2] فاستوثق منهم بالحديد ، [ووكل بهم عيسى بن أعين][2] ، وكانوا فى الحبس عنده حتى أمر بقتلهم

(١) سورة القصص ٢٠ .
(٢) من ا .

جميعًا ، ونزل نصر سَرَخْس فيمن اتّبعه من المضريّة، وكانوا ثلاثة آلاف ، ومضى أبو مسلم وعلىّ بن جُديع فى طلبه ، فطلباه ليلتَهما حتى أصبحا فى قرية تدعى نصرانيّة ؛ فوجدا نصراً قد خلف امرأته المَرْزُبانة فيها ، ونجا بنفسه .

ورجع أبو مسلم وعلىّ بنُ جديع إلى مَرْو ، فقال أبو مسلم لمن كان وجّه إلى نصر : ما الذى ارتاب به منكم ؟ قالوا : لا ندرى ، قال : فهل تكلم أحد منكم ؟ قالوا : لاهز تلا هذه الآية : ﴿ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ قال : هذا الذى دعاه إلى الهرب ، ثم قال : يالاهز ؛ أتدغل فى الدين! فضرب عنقه .

* * *

[خبر مقتل شيبان بن سلمة الخارجىّ]

وفى هذه السنة قتِل شيبان بن سلَمة الحرورىّ.

* ذكر الخبر عن مقتله وسببه :

وكان سبب مقتله — فيما ذكر — أنّ علىّ بن جُديع وشيبان كانا مجتمعين على قتال نصر بن سيار لمخالفة شيبان نصرا ؛ لأنه من عمال مَرْوان بن محمد ، وأنّ شيبان يرى رأى الحوارج ومخالفة علىّ بن جُديع نصرًا ، لأنه يمان ونصر مضرىّ ، وأن نصرًا قتل أباه وصلبه ، ولِمَا بيْن الفريقين من العصبيّة التى كانت بين اليمانية والمُضريّة ؛ فلما صالح علىّ بن الكرمانىّ أبا مسلم ، وفارق شيبان، تنحّى شيبان عن مَرْو ، إذ علم أنه لا طاقة له بحرْب أبى مسلم وعلىّ ابن جُدَيع [مع اجتماعهما على] (١) خلافه، وقد هرب نصر من مَرْو [وسار إلى سرخس] (١) ١٩٩٦/٢

[فذكر علىّ بن محمد أن أبا حفص] (١) أخبره والحسن [بن رشيد وأبا الذيال أن المدة التى كانت بين أبى مسلم وبين شيبان] (١) لما انقضت، أرسل أبو مسلم إلى شيبان يدعوه إلى البَيْعة ، فقال شيبان : أنا أدعوك إلى بيعتى ؛ فأرسل إليه أبو مسلم : إن لم تدخل فى أمرنا فارتحلْ عن منزلك الذى أنت فيه ، فأرسل شيبان إلى ابن الكرمانىّ يستنصره ، فأبى . فسار شيبان إلى سَرَخْس ،

(١) من ا .

واجتمع إليه جمع كثير من بكر بن وائل . فبعث إليه أبو مسلم تسعةً من الأزْد ، فيهم المنتجع بن الزُّبير ؛ يدعوه ويسأله أن يكفّ ، فأرسل شيبان ، فأخذ رسل أبي مسلم فسجنهم ، فكتب أبو مسلم إلى بسام بن إبراهيم مولى بني ليث بأبيوَرْد ، يأمره أن يسير إلى شيبان فيقاتله . ففعل ، فهزمه بسّام ، واتبعه حتى دخل المدينة ، فقتل شيبان وعدّة من بكر بن وائل ، فقيل لأبي مسلم : إنّ بسامًا ثائر بأبيه ؛ وهو يقتل البريء والسقيم ، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه ، فقدم ، واستخلف على عسكره رجلًا .

قال عليّ : أخبرنا المفضل ، قال : لما قتل شيبان مرّ رجل من بكر بن وائل — يقال له خَفّاف — برسل أبي مسلم الذين كان أرسلهم إلى شيبان ، وهم في بيت ، فأخرجهم وقتلهم . ١٩٩٧/٢

وقيل : إن أبا مسلم وجّه إلى شيبان عسكراً من قِبَله ، عليهم خزيمة ابن خازم وبسام بن إبراهيم .

* * *

[ذكر خبر قتل عليّ وعثمان ابني جُدَيع]

وفي هذه السنة قَتل أبو مسلم عليًّا وعثمان ابني جُديع الكِرمانيّ .

* ذكر سبب قتل أبي مسلم إياهما :

وكان السبب في ذلك — فيما قيل — أن أبا مسلم كان وجّه موسى بن كعب إلى أبيوَرْد فافتتحها ، وكتب إلى أبي مسلم بذلك ، ووجّه أبا داود إلى بَلْخ وبها زياد بن عبد الرحمن القُشيريّ ، فلما بلغه قَصْد أبي داود بلْخ خرج في أهل بلْخ والترمذ وغيرهما من كُور طُخارستان إلى الجُوزجان ، فلما دنا أبو داود منهم ، انصرفوا منهزمين إلى الترمذ ، ودخل أبو داود مدينة بلْخ ، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه ، ووجّه مكانه يحيى بن نعيم أبا الميلاء [على بلخ ، فخرج] [1] أبو داود ، فلقيه كتاب من أبي مسلم يأمره بالانصراف ، فانصرف ، وقدم عليه أبو الميلاء ؛ فكاتب زيادَ [2] بن عبد الرحمن يحيى بن نعيم أبو الميلاء أن يصير أيديهم [3] واحدة ، فأجابه ، فرجع زياد بن عبد الرحمن القشيريّ ومسلم

(١) من ا .
(٢) ابن الأثير : « فكاتبه زياد » .
(٣) ابن الأثير : « أن يرجع ويصير » .

ابن عبد الرحمن بن مسلم الباهليّ وعيسى بن زُرْعة السُّلميّ وأهل بلْخ والترمذ وملوك طخارستان، وما خلْف النهر وما دونه، فنزل زياد وأصحابه على فرسخ من مدينة بلْخ ، وخرج إليه يحيى بن نعيم بمَن معه حتى اجتمعوا ، فصارت ١٩٩٨/٢ كلمتهم واحدة، مضريّهم ويمانيهم وربَعيُّهم ومَن معهم من الأعاجم على قتال المسوّدة ، وجعلوا الولاية عليهم لمقاتل بن حيّان النبَطيّ؛ كراهة أن يكون من الفرق الثلاثة ، وأمر أبو مسلم أبا داود بالعود ، فأقبل أبو داود بمَن معه حتى اجتمعوا على نهر السّرجَنان . وكان زياد بن عبد الرحمن وأصحابه قد وجّهوا أبا سعيد القرشيّ مسلحةً فيما بين العود وبين قرية يقال لها أمديان؛ لئلا يأتيَهم أصحاب أبي داود مِن خلفهم . وكانت أعلام أبي سعيد وراياته سوداً، فلما اجتمع أبو داود وزياد وأصحابهما، واصطفوا للقتال ، أمر أبو سعيد القرشيُّ أصحابَه أن يأتوا زياداً وأصحابه مِنْ خلفهم، فرجع وخرج عليهم من سكة العود وراياته سود ، فظنّ أصحاب زياد أنهم كمِين لأبي داود ، وقد نشب القتال بين الفريقين ، فانهزم زياد ومَن معه ، وتبعهم أبو داود ، فوقع عامة أصحاب زياد في نهر السرجنان ، وقتل عامة رجالهم المتخلّفين، ونزل أبو داود عسكرهم ، وحوَى ما فيه ، ولم يتبع زياداً ولا [أصحابه وأكثر من تبعهم سرَعان من سرَعان] (١) خيل أبي داود إلى مدينة [بلخ لم يجاوزها] (١) ومضى زياد ويحيى ومن معهما إلى الترمذ ، وأقام أبو داود يومه [ذلك ومن الغد، ولم يدخل مدينة بلخ] (١) واستصفى أموال من قتِل بالسرجنان ومن هرب من العرب وغيرهم ، واستقامت بلْخ لأبي داود .

ثم كتب إليه أبو مسلم يأمره بالقُدوم عليه ، ووجّه النضْر بن صُبيح ١٩٩٩/٢ المُرّيّ على بلخ . وقدم أبو داود ، واجتمع رأى أبي داود وأبي مسلم على أن يفرّقا بين عليّ وعثمان ابني الكرمانيّ ، فبعث أبو مسلم عثمان عاملا على بلْخ ، فلما قدمها استخلف الفُرافصة بن ظُهير العبسيّ على مدينة بلْخ ، وأقبلت المضريّة من تِرْمذ، عليهم مسلم بن عبد الرحمن الباهليّ ، فالتقوا وأصحاب عثمان بن جُديع بقرية بين البَرُوقان وبين الدَّسْتَجرد؛ فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم أصحاب عثمان بن جُديع ، وغلب المضريّة ومسلم بن عبد الرحمن

---

(١) من ا .

على مدينة بلْخ ، وأخرجوا الفُرافصة منها. وبلغ عثمان بن جُديع الخبر والنّضر ابن صُبيح ، وهما بمرْو الرّوذ ، فأقبلا نحوهم ، وبلغ أصحاب زياد بن عبدالرحمن فهربوا من تحت ليلتهم ، وعتّب النضر فى طلبهم ، رجاء أن يفوتوا ، ولقيهم أصحاب عثمان بن جُديع ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم أصحاب عثمان بن جُديع ، وأكثروا فيهم القتل ، ومضت المضريّة إلى أصحابها ، ورجع أبو داود من مَرْو إلى بلخ ، وسار أبو مسلم ومعه علىّ بن جُديع إلى نيسابور . واتّفق رأى أبى مسلم ورأى أبى داود على أن يقتل أبو مسلم عليًّا ، ويقتل أبو داود عثمان فى يوم واحد . فلما قدم أبو داود بلخ بعث عثمان عاملا على الخُتّل[1] فيمن معه من يمانى أهل مَرْو وأهل بلْخ وربَعيّهم. فلما خرج من بلخ خرج أبو داود [فاتبع الأثر فلحق عثمان على شاطئ نهر بوخش][2] من أرض الخُتّل ، فوثب أبو داود على عثمان وأصحابه ، فحبسهم جميعًا ثم ضرب أعناقهم صَبْرًا[3] . وقتل أبو مسلم فى ذلك اليوم علىّ بن الكرمانىّ ، وقد كان أبو مسلم أمره أن يسمّى له خاصته ليوليَهم ، ويأمر لهم بجوائز وكُسًا ، فسماهم له فقتلهم جميعًا .

٢٠٠٠/٢

* * *

[قدوم قحطبة بن شبيب على أبى مسلم]

وفى هذه السنة قدم قحطبة بن شبيب على أبى مسلم خراسان منصرفًا من عند إبراهيم بن محمد بن علىّ ، ومعه لواؤه الذى عقد له إبراهيم ، فوجّهه أبو مسلم حين قدِم عليه على مقدّمته ، وضمّ إليه الجيوش ، وجعل له العزلَ والاستعمال ، وكتب إلى الجنود بالسَّمْع والطاعة .

وفيها وجّه قحطبة إلى نيسابور للقاء نصر ؛ فذكر علىّ بن محمد أن أبا الذّيال والحسن بن رشيد وأبا الحسن الجُشَمىّ أخبروه أنّ شيبان بن سلمة الحَرُورىّ لما قتِل لحق أصحابه بنصر وهو بنيسابور ، وكتب إليه النابى بن سويد العجلىّ يستغيث ، فوجّه إليه نصر ابنَه تميم بن نصر فى ألفيْن ، وتهيأ نصر على أن يسير إلى طُوس ، ووجّه أبو مسلم قحطبة بن شبيب فى قُوّاد ، منهم القاسم

(١) ابن الأثير : « الجبل » . (٢) من ا .
(٣) صبراً ، أى حبساً .

ابن مجاشع وجَهْور بن مرّار ، فأخذ القاسم من قِبَل سرخس ، وأخذ جهور من قِبَل أبيورد ، فوجّه تميم عاصم بن عمير السغدىّ إلى جهْور ؛ وكان أدناهم منه ، فهزمه عاصم بن عمير ، فتحصّن فى كبادقان ، وأطلّ قحطبة والقاسم على النابى ، فأرسل تميم إلى عاصم أن ارحل عن جهور وأقبل ؛ فتركه ، وأقبل فقاتلهم قحطبة . ٢/٢٠٠١

قال أبو جعفر : فأما غيرُ الّذين روى عنهم علىّ بن محمد ما ذكرنا فى أمر قَحْطبة وتوجيه أبى مسلم إياه إلى نصر وأصحابه ، فإنه ذكر أن أبا مسلم لما قتل شيبان الخارجىّ وابنى الكِرمانىّ ، ونفى نصرًا عن مرْو ، وغلب على خُراسان ، وجّه عماله على بلادها ، فاستعمل سباع بن النعمان الأزدىّ على سَمَرْقند وأبا داود خالد بن إبراهيم على طخارستان ، ووجّه محمد بن الأشعث إلى الطَّبَسَيْن وفارس ، وجعل مالك بن الهيثم على شُرْطته ، ووجّه قحطبة إلى طُوس ، ومعه عدّة من القوّاد ؛ منهم أبو عون عبد الملك بن يزيد ومقاتل بن حكيم العكىّ وخالد بن بَرْمك وخازم بن خزيمة والمنذر بن عبد الرحمن وعثمان ابن نَهِيك وجَهْور بن مَرّار العجلىّ وأبو العباس الطوسىّ وعبد الله بن عثمان الطائىّ وسلَمة بن محمد وأبو غانم عبد الحميد بن رِبعىّ وأبو حُميد وأبو الجهم — وجعله أبو مسلم كاتبًا لقحطبة على الجند — وعامر بن إسماعيل ومحرز بن إبراهيم ، فى عدّة من القوّاد ، فلقى مَنْ بطوس فانهزموا ، وكان من مات منهم فى الزحام أكثر ممن قُتِل ؛ فبلغ عدّة القتلى يومئذ بضعة عشر ألفًا . ووجه أبو مسلم القاسم بن مجاشع إلى نيْسابور على طريق المحجة ؛ وكتب إلى قحْطبة يأمره بقتال تميم بن نصر بن سيّار والنابى بن سويد ، ومَنْ لجأ إليهما من أهل خُراسان ، وأن يصرف إليه موسى بن كعب من أبيَوْرد . فلما قدم قحطبة أبيورد صرف موسى بن كعب إلى أبى مسلم ، وكتب إلى مقاتل بن حكيم يأمره أن يوجّه رجلاً إلى نيسابور ، ويصرف منها القاسم بن مجاشع ؛ فوجّه أبو مسلم علىّ بن معقِل فى عشرة آلاف إلى تميم بن نصر ، وأمره [إذا دخل] [١] قحطبة طوس أن يستقبله بمَنْ معه وينضمّ إليه ؛ فسار علىّ بن معقل حتى نزل قرية يقال لها حُلْوان ، وبلغ قَحْطبة مسير علىّ [ونزوله حيث] [١] نزل ، فعجّل ٢/٢٠٠٢

(١) من ا .

السير إلى السوذقان ، وهو معسكر تميم بن نصر والنابى بن سويد ، ووجّه على مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعىّ فى [ثلاثة آلاف رجل من شيعة] (١) أهل نسا وأبيورد ، فسار حتى نزل قرية يقال [لها حبوسان ، فتعبأ تميم والنابى] (١) لقتاله . فكتب أسيد إلى قحطبة يعلمه [ما أجمعوا عليه من قتاله ، وأنه إن] (١) لم يعجل القدوم عليه حاكمهم إلى الله عز وجل ، وأخبره أنهمـا فى ثلاثين ألفًا من صناديد أهل خُراسان وفرسانهم . فوجّه قحطبة مقاتل بن حكيم العكىّ فى ألف وخالد بن برمك فى ألف ، فقدما على أسيد ؛ وبلغ ذلك تميمًا والنابى فكسرهما . ثم قدم عليهم قحطبة بمن معه ، وتعبّأ لقتال تميم ، وجعل على ميمنته مقاتل بن حكيم (٢) وأبا عون عبد الملك بن يزيد وخالد بن برمك ، وعلى ميسرته أسيد بن عبد الله الخُزاعىّ والحسن بن قحطبة والمسيّب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن ، وصار هو فى القلب ، ثم زحف إليهم ، فدعاهم إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم فلم يجيبوه ، فأمر الميمنة والميسرة أن يحملوا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً أشدّ ما يكون من القتال ، فقتِل (٣) تميم بن نصر فى المعركة ، وقتِل معه منهم مقتلة عظيمة ، واستبيح عسكرهم ، وأفلت النابى فى عدّة ، فتحصّنوا فى المدينة ، وأحاطت بهم الجنود ، فنقبوا الحائط ودخلوا إلى المدينة ، فقتلوا النابى ومَنْ كان معه ، وهرب عاصم بن عمير السمرقندىّ وسالم بن راوية السعيدىّ إلى نصر بن سيّار بنيسابور ، فأخبراه بمقتل تميم والنابى ومَن كان معهما ؛ فلما غلب قحطبة على عسكرهم بما فيه صيّر إلى خالد بن برْمك قبض ذلك ، ووجّه مقاتل بن حكيم العكىّ على مقدمته إلى نيسابور ؛ فبلغ ذلك نصر بن سيار ؛ فارتحل هاربًا فى أثر أهل إبْرَشهر حتى نزل قُومِس وتفرّق عنه أصحابه ، فسار إلى نُباتة بن حنظلة بجرجان ، وقدم قحطبة نيسابور بجنوده .

٢٠٠٣/٢

* * *

(١) من ا .
(٢) ا : « حيان » .
(٣) ا : « وقتل » .

[ذكر خبر قتل نباتة بن حنظلة]

وفى هذه السنة قُتل نباتة بن حنظلة عامل يزيد بن عمر بن هُبيرة على جُرجان .

• ذكر الخبر عن مقتله :

ذكر علىّ بن محمد أنّ زهير بن هُنيد وأبا الحسن الجُشمىّ وجبلة بن فَرّوخ ٢/٢٠٠٤ وأبا عبد الرحمن الأصبهانىّ أخبروه أن يزيد بن عمر بن هبيرة بعث نباتة بن حنظلة الكلابىّ إلى نصر ، فأتى فارس وأصبهان ، ثم سار إلى الرىّ ، ومضى إلى جُرجان ، ولم ينضمّ[١] إلى نصر بن سيار ، فقالت القيسيّة لنصر : لا تحملنا قومِس ، فتحوّلوا إلى جُرجان . وخندق نباتة ؛ فكان إذا وقع الخندق فى دار قوم رشَوه فأخَّره ، فكان خندقه نحواً من فرسخ .

وأقبل قحطبة إلى جرجان فى ذى القعدة من سنة ثلاثين ومائة ، ومعه أسِيد ابن عبد الله الخزاعىّ وخالد بن بَرْمك وأبو عون عبد الملك بن يزيد وموسى بن كعب المَرائىّ والمسيّب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدىّ ، وعلى ميمنته موسى بن كعب ، وعلى ميسرته أسِيد بن عبد الله ، وعلى مقدّمته الحسن بن قحطبة ، فقال قحطبة : يا أهلَ خُراسان ، أتدرون إلى من تسيرون ، ومن تقاتلون ؟ إنما تقاتلون بقيّة قوم أحرقوا بيت الله عزّ وجلّ . وأقبل الحسن حتى نزل تُخوم خُراسان ، ووجّه الحسن عثمان بن رُفيع ونافعاً المروزىّ وأباخالد المروروزىّ ومَسعدة الطائىّ إلى مسلحة نُبَاتة ، وعليها رجل يقال له ذُؤيب ، فبيّتوه[٢] ، فقتلوا ذؤيباً وسبعين رجلاً من أصحابه ، ثم رجعوا إلى عسكر الحسن ، وقدم قحطبة فنزلوا بإزاء نباتة وأهل الشأم فى عدّة لم يرَ الناس مثلها . فلما رآهم أهل خُراسان هابوهم حتى تكلّموا بذلك وأظهروه . وبلغ قحطبة ، فقام فيهم خطيباً فقال :

يا أهلَ خراسان ؛ هذه البلاد كانت لآبائكم الأولين ، وكانوا يُنصرون على عدوّهم بعدلهم[٣] وحسن سيرتهم ؛ حتى بدّلوا وظلموا ، فسخِط الله عزّ وجلّ ٢/٢٠٠٥ عليهم ، فانتزع سلطانَهم ، وسلط عليهم أذلّ أمة كانت فى الأرض عندهم ،

(١) ط : « يضم » . (٢) ابن الأثير : « فبيتوهم » .
(٣) ط : « لعدلهم » ، وما أثبته من ا .

فغلبوهم على بلادهم ، واستنكحوا نساءهم ، واسترقّوا أولادهم ؛ فكانوا بذلك يحكُمون بالعدل ويوفون بالعهد ، وينصرون المظلوم ، ثم بدّلوا وغيّروا وجاروا فى الحكم ، وأخافوا أهلَ البِرّ والتقوى من عِترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلّطكم عليهم لينتقم منهم بكم لتكونوا أشدّ عقوبة ؛ لأنكم طلبتموهم بالثأر . وقد عهد إلىّ الإمام أنكم تلقوْنهم فى مثل هذه العدّة فينصركم الله عزّ وجلّ عليهم فتهزمونهم وتقتلونهم .

وقد قرئ على قحطبة كتاب أبى مسلم . من أبى مسلم إلى قحطبة : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فناهض عدوّك ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ ناصرك ؛ فإذا ظهرتَ عليهم فأثخن فى القتل .

فالتقوْا فى مستهلّ ذى الحجة سنة ثلاثين ومائة فى يوم الجمعة ، فقال قحطبة : يا أهلَ خراسان . إن هذا اليوم قد فضّله الله تبارك وتعالى على سائر الأيام والعمل فيه مضاعف ؛ وهذا شهر عظيم فيه عيد من أعظم أعيادكم عند الله عزّ وجلّ ، وقد أخبرنا الإمام أنكم تُنصرون فى هذا اليوم من هذا الشهر على عدوكم ، فالقوْه بجدّ وصبر واحتساب ؛ فإنّ الله مع الصابرين . ثم ناهضهم وعلى ميمنته الحسن بن قحطبة ، وعلى ميسرته خالد بن بَرْمك ومقاتل بن حكيم العكّىّ ، فاقتتلوا وصبَر بعضهم لبعض ، فقتِل نباتة ، وانهزم أهل الشأم فقتل منهم عشرة آلاف ، وبعث قحطبة إلى أبى مسلم برأس نُباتة وابنه حيّة . ٢٠٠٦/٢

قال : وأخبَرنا شيخٌ من بنى عدىّ ، عن أبيه ، قال : كان سالم بن راوية التميمىّ ممن هرب من أبى مسلم ، وخرج مع نصر ، ثم صار مع نباتة ، فقاتل قَحْطبة بجرجان ، فانهزم الناس ، وبقِىَ يقاتل وحده ، فحمل عليه عبد الله الطائىّ — وكان من فُرْسان قحطبة — فضربه سالم بن راوية على وجهه ، فأندر عينه ، وقاتلهم حتى اضطر إلى المسجد ، فدخله ودخلوا عليه ، فكان لا يشدّ من ناحية إلا كشفهم ، فجعل ينادى : شَرْبة ! فوالله لأُنقعنّ لهم شرًّا يومى هذا . وحرّقوا عليه سقف المسجد ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه وجاءوا

برأسه إلى قحطبة، وليس فى رأسه ولا وجهه مصحّ؛ فقال قحطبة: ما رأيت مثل هذا قطّ!

* * *

[ذكر وقعة أبى حمزة الخارجىّ بقُديد]

قال أبو جعفر: وفى هذه السنة كانت الوقعة التى كانت بقُديد بين أبى حمزة الخارجىّ وأهل المدينة.

* ذكر الخبر عن ذلك:

حدّثنى العباس بن عيسى العَقيلىّ، قال: حدثنا هارون بن موسى الفرْوىّ، قال حدثنى غير واحد من أصحابنا، أنّ عبد الواحد بن سليمان استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس، فخرجوا، فلما كان بالحَرّة لقيتهم جُزُر مَنْحورة، فمضوْا، فلما كان بالعقيق تعلّق لواؤهم بسَمُرة، فانكسر الرمح، فتشاءَم الناس بالخروج؛ ثم ساروا حتى نزلوا قُدَيد، فنزلوها ليلا — وكانت قرية قُديد من ناحية القصر المبنىّ اليوم، وكانت الحياض هنالك، فنزل قوم مغترّون [1] ليسوا بأصحاب حرب، فلم يرعْهم إلا القوم قد خرجوا عليهم من القصر [2]. ٢٠٠٧/٢

وقد زعم بعضُ الناس أن خزاعة دلت أبا حمزة على عَوْرتهم، وأدخلوهم عليهم فقتلوهم؛ وكانت المقتلة على قريش، هم كانوا أكثر الناس، وبهم كانت الشوكة، وأصيب منهم عدد كثير.

قال العباس: قال هارون: وأخبرنى بعضُ أصحابنا أن رجلا من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن وهو يقول: الحمد لله الذى أقرّ عينى بمقتل قريش، فقال لابنه: يا بنىّ ابدأ به — وقد كان من أهل المدينة — قال: فدنا منه ابنه فضرب عنقه، ثم قال لابنه: أى بنىّ، تقدم؛ فقاتلا حتى قتلا. ثم ورد فُلّال الناس المدينة، وبكى الناس قتلاهم؛ فكانت المرأة تقيم على حميمها النّوَاح؛ فما تبرح النساء حتى تأتيهنّ الأخبار عن رجالهنّ فتخرج النساء امرأة

---

(١) ابن الأثير: «وكانوا مترفين».

(٢) كذا فى ا، وفى ط: «الفضل»، وهو موضع.

امرأة ، كل امرأة تذهب إلى حميمها [فتنصرف] [١] حتى ما تبقى عندها امرأة [٢] .

قال : وأنشدنى أبو ضَمْرة هذه الأبيات فى قَتْلَى قُديد الذين أصيبوا من قومه ، رثاهم بعض أصحابهم فقال :

يالَهفَ نَفْسِى ولَهْفِى غيْرَ كاذِبَةٍ [٣] على فوارِسَ بالبَطْحاءِ أنجادِ
عَمْرٌو وعَمْرٌو وعَبْدُ اللهِ بَيْنَهُما وابناهُما خامِسٌ والحارثُ السادِى

* * *

[ذكر خبر دخول أبى حمزة المدينة]

وفى هذه السنة دخل أبو حمزة الخارجىّ من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهرب عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشأم .

٢/٢٠٠٨ * ذكر الخبر عن دخول أبى حمزة المدينة وما كان منه فيها :

حدثنى العباس بن عيسى ، قال : حدثنا هارون بن موسى الفرْوىّ ، قال : حدّثنى موسى بن كثير ، قال : دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة ، ومضى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشأم ، فرقِىَ المنْبر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال :

يا أهل المدينة ، سألناكم [٤] عن ولاتكم هؤلاء ، فأسأتم لعمر الله فيهم القول ، وسألناكم : هل يقتلون بالظنّ ؟ فقلتم لنا : نعم ، وسألناكم : هل يستحلون المال الحرام والفَرْج الحرام ؟ فقلتم لنا : نعم ، فقلنا لكم : تعالوْا نحن وأنتم نناشدهم الله إلّا تنحّوا عنا وعنكم ، فقلتم : لايفعلون ، فقلنا لكم : تعالوْا نحن وأنتم نقاتلهم ؛ فإن نظهر نحن وأنتم [نأت] [٥] بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فقلتم : لا نقوى ، فقلنالكم : فخلّوا بيننا وبينهم ؛ فإن نظفر نعدلْ فى أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم [ونقسم] [٥] فيئكم بينكم ، فأبيتم ، وقاتلتمونا دونهم ، فقاتلناكم

(١) من الأغانى .
(٢) الأغانى ٢٠ : ١٠٠ (ساس) .
(٣) الأغانى : « نافعةٍ » .
(٤) ط : « سألتكم » .
(٥) من الأغانى .

فأبعدكم الله وأسحقكم (١) .

قال محمد بن عمر : حدّثنى حزام بن هشام ، قال : كانت الحَرُورية أربعمائة ، وعلى طائفة من الحروّية الحارث ، وعلى طائفة بكار بن محمد العدوىّ ؛ عدىّ قريش ، وعلى طائفة أبو حَمْزة ، فالتقوْا وقد تهيّأ الناس بعد الإعذار من الخوارج إليهم ، وقالوا لهم : إنا والله ما لنا حاجة بقتالكم ، دعونا نمض إلى عدّونا . فأبى أهل المدينة ، فالتقوا لسبع ٍ ليال خَلَوْن من صَفَر يوم الخميس سنة ثلاثين ومائة ، فقتِل أهل المدينه ، لم يفلت منهم إلا الشريد ، وقتِل أميرهم عبد العزيز بن عبد الله ، واتهمت قريش خُزاعة أن يكونوا داهنوا الحروريّة. فقال لى حزام : والله لقد آويتَ رجالاً من قريش منهم حتى آمن الناس ؛ فكان بَلْج على مقدّمتهم . وقدمت الحروريّة المدينة لتسع عشرة ليلة خلت من صفر . ٢٠٠٩/٢

حدثنى العباس بن عيسى ، قال : قال هارون بن موسى : أخبرنى بعض أشياخنا ، أن أبا حمزة لما دخل المدينة قام فخطب فقال فى خطبته :

يا أهلَ المدينة مررتُ [بكم] (٢) فى زمن الأحول هشام بن عبد الملك ، وقد أصابتكم عاهة فى ثماركم (٣) وكتبتم إليه تسألونه أن يضع أخراصكم (٤) عنكم ، فكتب إليكم يضعها عنكم ، فزاد الغنىّ غِنًى ، وزاد الفقير فقرًا ، فقلتم : جزاك الله خيراً ؛ فلا جزاكم الله خيراً ولا جزاه (٥) .

قال العباس : قال هارون : وأخبرنى يحيى بن زكريّاءَ أن أبا حمزة خطب بهذه الخطبة ، قال : رقى المنبر فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

تعلمون يا أهلَ المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشَرًا ولا بَطرًا ولا عبثًا ، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ، ولا لثأر قديم نِيل منا ؛ ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عُطلتْ ، وعنِّف القائل بالحق ، وقتِل القائم بالقسط : ضاقت علينا الأرض بما رحُبت ، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، فأجبنا داعىَ الله ﴿ وَمَنْ لاَ يُجِبْ داعىَ اللهِ فَلَيْسَ بِمعْجزٍ فى

(١) انظر الأغانى ٢٠ : ١٠٣ ، ونقل الخبر عن الطبرى .
(٢) من الأغانى . (٣) الأغانى : « فى ثماركم فركبتم » .
(٤) الأغانى : « خراجكم » . (٥) الأغانى ٢٠ : ١٠٤ .

٢٠١٠/٢ الأَرضِ ﴾(١) ، أقبلنا(٢) من قبائل شتى ، النفرمنَّا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم ، يتعاورون لِحافًا واحداً ، قليلون مستضعفون فى الأرض ؛ فآوانا وأيّدنا بنصره (٣) ، فأصبحنا والله جميعًا بنعمته إخوانًا ، ثم لقينا رجالكم بقُديد ، فدعوْناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكْم آل مروان ؛ فشتّان لعمر الله ما بين الرّشد والغيّ . ثم أقبلوا يهرعون يزفّون (٤) ، قد ضرب الشيطان فيهم بجِرانه ، وغلتْ بدمائهم مراجله ، وصدّق عليهم ظنه ، وأقبل أنصار الله عزّ وجلّ عصائب وكتائب ، بكل مهنّد ذى رَوْنق ، فدارت رحانا واستدارت رحاهم ، بضربٍ يرتاب منه المبطلون . وأنتم يا أهلَ المدينة ، إن تنصروا مرْوان وآل مرْوان يُسحتكم الله عزّ وجلّ بعذاب من عنده أو بأيدينا ، ويشْفِ صُدور قوم مؤمنين . يا أهلَ المدينة ، أوّلكم خيرُ أوّل وآخركم شرّ آخر . يا أهل المدينة ، الناس منا ونحن منهم ؛ إلا مشركًا عابدَ وثن ، أو مشرك أهل الكتاب ؛ أو إمامًا جائراً . يا أهل المدينة مَنْ زعم أنّ الله عز وجلّ كلف نفسًا فوق طاقتها ، أو سألها ما لم يُؤْتِها ، فهو لله عزّ وجلّ عدوّ ، ولنا حرب . يا أهل المدينة ، أخبرونى عن ثمانية أسهم فرضها الله عزّ وجلّ فى كتابه على القوىّ والضعيف ، فجاء تاسع ليس له منها (٥) ولا سهم واحد ، فأخذها [جميعها] (٦) لنفسه ، مكابراً محاربًا لربه . يا أهلَ المدينة ؛ بلغنى أنكم تنتقصون

٢٠١١/٢ أصحابِى ؛ قلتم : شباب أحداث ، وأعراب جُفاة ، ويلكم يا أهل المدينة ! وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شبابًا أحداثًا ! شباب والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيّة (٧) عن الشرّ أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أقدامهم ، قد باعوا الله عز وجل أنفسًا تموت بأنفس لا تموت ، قد خالطوا(٨) كلالهم بكلالِهم ، وقيام ليلهم بصيام نهارهم ، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مروا بآية [خوفٍ شهقوا خوفًا من النار ، وإذا مروا بآية] (٩)

(١) سورة الأحقاف ٣٢ .
(٢) الأغانى : « فأقبلنا » .
(٣) الأغانى : « فآوانا الله وأيدنا بنصره » .
(٤) يزفون : يسرعون ، وفى الأغانى : « ويزفون » .
(٥) ا : « فيها » .
(٦) من الأغانى .
(٧) الأغانى : « غضيضة » .
(٨) ا : « خلطوا » .
(٩) من ا .

شوق شهقوا شوقاً إلى الجنة، فلما نظروا إلى السيوف قد انتُضِيتْ[١] والرماح قد شرِعت[٢]، وإلى السهام قد فُوِّقَتْ، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت، استخفُّوا وعيد[٣] الكتيبة لوعيد الله عزّ وجل، ولم يستخفُّوا وعيد الله لوعيد الكتيبة[٤]، فطوبى لهم وحسن مآب! فكم من عين فى منقار طائر طالما فاضت فى جوف الليل من خوف الله عز وجل! وكم من يدٍ زالت عن مفصلها طالما اعتمد بها صاحبها[٥] فى سجوده لله، وكم من خدّ عتيق وجبين رقيق فُلِق بعَمد الحديد. رحمة الله على تلك الأبدان، وأدخل أرواحها الجنان. أقول قولى هذا وأستغفر الله من تقصيرنا، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب[٦].

حدثنى العباس، قال قال هارون: حدّثنى جدّى أبو علقمة، قال: سمعت أبا حمزة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: من زَنى فهو كافر، ومن شكّ فهو كافر، ومَنْ سرق فهو كافر، ومَنْ شكّ أنه كافر فهو كافر.

قال العباس: قال هارون: وسمعتُ جدّى يقول: كان قد أحسن السيرة فى أهل المدينة حتى استمال الناس حين سمعوا كلامه[٧]، فى قوله: «من زنى فهو كافر».

قال العباس: قال هارون: وحدّثنى بعض أصحابنا: لما رقى المنبر قال: برَح الخفاء، أين ما بك يذهب! مَنْ زنى فهو كافر، ومَنْ سرق فهو كافر، قال العباس: قال هارون: وأنشدنى بعضهم فى قُدَيد:

ما للزمان ومالِيَهْ ... أفْنتْ قُدَيدُ رجالِيَهْ[٨]
فَلأَبكِينّ سَرِيرَةً ... وَلأَبكينّ علانيه
ولأَبكِين إذا شَجِيتُ ... معَ الكلابِ العاويَهْ

(١) ط: «انتضت».
(٢) الأغانى: «أشرعت».
(٣) الأغانى: «لوعيد».
(٤) الأغانى: «عند وعيد».
(٥) الأغانى: «طالما بكى بها صاحبها من خشية الله، وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعاً وساجداً».
(٦) الأغانى ٢٠ : ١٠٤.
(٧) الأغانى: «حتى استمال الناس وسمع بعضهم كلامه».
(٨) الأغانى ٢٠ : ١٠٢.

فكان دخول أبى حمزة وأصحابه المدينة لثلاث عشرة بقَيتْ من صفر .

واختلفوا فى قدْر مدتهم فى مقامهم [بها] (١) ، فقال الواقدىّ : كان مقامهم بها ثلاثة أشهر . وقال غيره : أقاموا بها بقيّة صفر وشهرىْ ربيع وطائفة من جُمادى الأولى .

وكانت عِدّة من قُتِل من أهل المدينة بقُديد – فيما ذكر الواقدىّ – سبعمائة .

قال أبو جعفر : وكان أبو حمزة – فيما ذكر – قد قدّم طائفة من أصحابه ، عليهم أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن عمر القرشىّ ، ثم أحد بنى عدىّ بن كعب ، وبلْج بن عيينة بن الهيصم الأسدىّ من أهل البصرة ، فبعث مرْوان بن محمد من الشأم عبدَ الملك بن محمد بن عطيّة أحد بنى سعد فى خيول(٢) الشأم . فحدّثنى العباس بن عيسى ، قال : حدّثنى هارون بن موسى ، عن موسى بن كثير ، قال : خرج أبو حمزة من المدينة ، وخلّف بعضَ أصحابه ، فسار حتى نزل الوادى .

قال العباس : قال هارون : حدّثنى بعضُ أصحابنا ممن أخبرنى عنه أبو يحيى الزُّهرىّ ، أن مَرْوان انتخب من عسكره أربعة آلاف ، واستعمل عليهم ابنَ عطيّة ، وأمره بالجِدّ فى السير ، وأعطى كلّ رجل منهم مائة دينار ، وفرسًا عربيّة وبغلا لثَقَلِه ، وأمره أن يمضىَ فيقاتلهم ؛ فإن هو ظفر مضى حتى بلغ اليمن ويقاتل عبد الله بن يحيى ومَن معه ؛ فخرج حتى نزل بالعُلا – وكان رجل من أهل المدينة يقال له العَلاء بن أفلح مولى أبى الغيث ، يقول : لقينى وأنا غلام ذلك اليوم رجلٌ من أصحاب ابن عطيّة ؛ فسألنى : ما اسمك يا غلام ؟ قال : فقلت : العلاء ، قال : ابن مَن ؟ قلت : ابن أفلح ، قال : مولى مَن ؟ قلت : مولى أبى الغيث ، قال : فأين نحن ؟ قلت بالعُلا ، قال : فأين نحن غداً ؟ قلت : بغالب ، قال : فما كلّمنى حتى أردفنى وراءه ، ومضى بى حتى أدخلنى على ابن عطيّة ، فقال : سل هذا الغلام : ما اسمه ، ؟ فسألنى ، فرددت عليه القول الذى قلت ، قال : فسرّ

٢٠١٣/٢

(١) من ا . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « جول » .

بذلك ، ووهب لى دراهم [١] .

قال العبّاس : قال هارون : وأخبرنى عبد الملك بن الماجشون، قال : لما لقى أبو حمزة وابن عطيّة ، قال أبو حمزة : لا تقاتلوهم حتى تخبُروهم [٢] ، قال : فصاحوا بهم : ما تقولون فى القرآن والعمل به ؟ قال : فصاح ابنُ عطيّة : نضعه فى جوف الجُوالق ، قال : فما تقولون فى مال اليتيم ؟ قال : نأكل مالَه ونفجُر بأمّه ... فى أشياء بلغنى أنهم سألوهم عنها . قال : فلما سمعوا كلامهم ، قاتلوهم حتى أمسَوْا، فصاحوا : ويحك يابن عطية! إنّ الله عزّ وجلّ قد جعل الليل سَكَنًا ، فاسكن نسكن . قال : فأبى فقاتلهم حتى قتلهم .

قال العبّاس : قال هارون : وكان أبو حمزة حين خرج ودّع أهل المدينة للخروج إلى مروان يقاتله، قال : يا أهل المدينة ، إنا خارجون إلى مَرْوان؛ فإن نظفر نعدلْ فى أحكامكم ، ونحملكم على سنة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، ونقسم فيئكم بينكم ؛ وإن يكن ما تَمنّون ؛ فسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون . قال العباس : قال هارون : وأخبرنى بعضُ أصحابنا أنّ الناس وثبوا على أصحابه حين جاءهم قتلُه فقتلوهم . ٢٠١٤/٢

قال محمد بن عمر : سار أبو حَمْزة وأصحابه إلى مَرْوان ، فلقيهم خيلُ مرْوان بوادى القرى ؛ عليها ابن عطيّة السعدىّ، من قيس ، فأوقعوا بهم ، فرجعوا منهزمين منهم إلى المدينة ، فلقيهم أهلُ المدينة فقتلوهم . قال : وكان الذى قاد جيش مَرْوان عبد الملك بن محمدبن عطية السعدىّ سعد هوازن ، قدم المدينة فى أربعة آلاف فارس عربىّ ؛ مع كلّ واحد منهم بغل ، ومنهم مَن عليه درعان أو درْع وسنَّوْر [٣] وتجافيف ؛ وعدّة لم ير مثلها فى ذلك الزمان، فمضوْا إلى مكة .

وقال بعضهم : أقام ابنُ عطية بالمدينة حين دخلها شهراً ، ثم مضى إلى مكة ، واستخلف على المدينة الوليد بن عُروة بن محمد بن عطية ، ثم مضى إلى مكة وإلى اليمن واستخلف على مكة ابن ماعز ؛ رجلاً من أهل الشأم .

---

(١) الأغانى ٢٠ : ١٠٨ . (٢) ا : « تختبروهم » .
(٣) السنّور : الدرع فيه حلق ، وفى ط : « تنور » تحريف .

ولما مضى ابنُ عطيّة بلغ عبدُ الله بن يحيي — وهو بصنعاء — مسيرُه إليه، فأقبل إليه بمن معه فالتقى هو وابن عطية، فقتل ابن عطية عبد الله بن يحيي، وبعث ابنه بشير إلى مروان، ومضى ابن عطية فدخل صنعاء وبعث برأس عبد الله بن يحيي إلى مروان، ثم كتب مروان إلى ابن عطيّة يأمره أن يُغذّ السير، ويحجّ بالناس، فخرج فى نفر من أصحابه — فيما حدثنى العباس بن عيسى، عن هارون — حتى نزل الجُرْف — هكذا قال العباس — ففطن له بعض أهل القرية، فقالوا: منهزمين والله، فشدّوا عليه، فقال: ويحكم! عامل الحجّ؛ والله كتب إلىّ أمير المؤمنين.

٢/٢٠١٥

قال أبو جعفر: وأما ابن عمر، فإنه ذكر أنّ أبا الزبير بن عبد الرحمن حدّثه، قال: خرجتُ مع ابن عطية السعديّ؛ ونحن اثنا عشر رجلا، بعهد مَرْوان على الحجّ، ومعه أربعون ألف دينار فى خُرْجه، حتى نزل الجُرْف يريد الحجّ، وقد خلّف عسكره وخيله وراءه بصنعاء؛ فوالله إنا آمنون مطمئنون؛ إذ سمعتُ كلمة من امرأة: قاتَل الله ابنىْ جمانة ما أشأمهما! فقمت كأنى أهريق الماء، وأشرفت على نَشز من الأرض؛ فإذا الدُّهْم من الرجال والسلاح والخيل والقذّافات؛ فإذا ابنا جُمانة المراديّان واقفان علينا، قد أحدقوا بنا من كلّ ناحية، فقلنا: ما تريدون؟ قالوا: أنتم لصوص؛ فأخرج ابن عطية كتابه، وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين وعهده على الحجّ وأنا ابن عطية، فقالوا: هذا باطل، ولكنكم لصوص؛ فرأينا الشرّ. فركب الصفر[(١)] بن حبيب فرسه، فقاتل وأحسن حتى قتل؛ ثم ركب ابن عطية فقاتل حتى قُتِل، ثم قتل مَنْ معنا وبقيت، فقالوا: من أنت؟ فقلت: رجل من هَمْدان، قالوا: من أىّ همدان أنت؟ فاعتزيت إلى بطن منهم — وكنت عالمًا ببطون هَمْدان — فتركونى، وقالوا: أنت آمن؛ وكلّ ما [كان][(٢)] لك فى هذا الرحل فخذْه، فلو ادّعيتُ المال كله لأعطوْنى. ثم بعثوا معى فرسانًا حتى بلغوا بى صَعْدة، وأمنتُ ومضيتُ حتى قدمتُ مكة.

* * *

---

(١) ا: «الصقر».

(٢) من ا.

٢٠١٦/٢ قال أبو جعفر : وفى هذه السنة غزا الصّائفة — فيما ذكر — الوليد بن هشام، فنزل العمق وبنى حصن مَرْعش .

وفيها وقع الطاعون بالبصرة .

وفى هذه السنة قَتَل قَحْطبة بن شَبيب من أهل جُرجان مَنْ قتل من أهلها ؛ قيل إنه قتل منهم زُهاء ثلاثين ألفًا ؛ وذلك أنه بلغه — فيما ذكر — عن أهل جرجان أنه أجمع رأيهم بعد مقتل نباتة بن حنظلة على الخروج على قَحْطبة ، فدخل قحطبة لما بلغه ذلك من أمرهم ؛ واستعرضهم ، فقتل منهم مَنْ ذكرت . ولما بلغ نصرَ بن سيار قتلُ قحطبة نباتةَ ومن قتل من أهل جرجان وهو بقومِس ، ارتحل حتّى نزل خُوار الرّيّ .

وكان سبب نزول نصر قومس — فيما ذكر عليّ بن محمد — أن أبا الذيّال حدّثه والحسن بن رشيد وأبا الحسن الجشميّ ؛ أن أبا مسلم كتب مع المنهال ابن فتّان[١] إلى زياد بن زرارة القشيريّ بعهده على نيسابور بعدما قتل تميم بن نصر والنابى بن سويد العجليّ ، وكتب إلى قحطبة يأمره أن يتبع نصراً ؛ فوجه قحطبة العكّىّ على مقدّمته . وسار قحطبة حتى نزل نيسابور ، فأقام بها شهرين ؛ شهرى رمضان وشوال من سنة ثلاثين ومائة ، ونصر نازل فى قرية من قرى قُومِس يقال لها بذش ، ونزل مَن كان معه من قيس فى قرية يقال لها الممد[٢] ؛ وكتب نصر إلى ابن هبيرة يستمدّه وهو بواسط مع ناس من وجوه أهل خراسان ؛ يعظّم الأمر عليه ، فحبس ابن هبيرة رسلَه ، وكتب نَصْر إلى مروان : إنى وجّهت إلى ابن هبيرة قومًا من وجوه أهل خُراسان ليعلموه أمرَ الناس من قِبَلنا ، وسألته المدد فاحتبس رسلى ولم يمدّنى بأحد ؛ وإنما أنا بمنزلة من أخرج من بيته إلى حجرته ، ثم أخرج من حجرته إلى داره ، ثم أخرج من داره إلى فناء داره ؛ فإن أدركه مَنْ يعينه فعسى أن يعود إلى داره وتبقى له ؛ وإن أخرج من داره إلى الطريق فلا دار له ولا فِناء .

٢٠١٧/٢ فكتب مَرْوان إلى ابن هبيرة يأمره أن يمدّ نصراً ، وكتب إلى نصر يعلمه

---

(١) ا : « قنان » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « المدا » .

ذلك ، فكتب نصر إلى ابن هبيرة مع خالد مولى بنى ليث يسأله أن يعجّل إليه الجند ، فإنّ أهل خُراسان قد كذبتُهم حتى ما رجل منهم يصدّق لى قولا ؛ فأمدّنى بعشرة آلاف قبل أن تمدّنى بمائة ألف ، ثم لا تغنى شيئاً .

* * *

وحجّ فى هذه السنة بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان ؛ كذلك حدثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ؛ عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

وكانت إليه مكة والمدينة والطائف .

وكان فيها العراق إلى يزيد بن عمر بن هبيرة .

وكان على قضاء الكوفة الحجّاج بن عاصم المحاربىّ ، وكان على قضاء البصرة عبّاد بن منصور ، وعلى خُراسان نصر بن سيار ، والأمر بخراسان على ما ذكرتُ .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة ١/٣

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر موت نصر بن سيار]

فممّا كان فيها من ذلك توجيه قحطبة ابنه الحسن إلى نصر وهو بقومِس.

فذكر علىّ بن محمد ؛ أن زهير بن هنيد والحسن بن رشيد وجبلة بن فرّوخ التاجىّ ، قالوا: لما قُتِل نُباتة ارتحل نصر بن سيّار من بَذَش، ودخل خُوار وأميرها أبو بكر العقيلىّ ، ووجّه قحطبة ابنه الحسن إلى قُومِس فى المحرّم سنة إحدى وثلاثين ومائة ، ثم وجّه قحطبة أبا كامل وأبا القاسم محرز بن إبراهيم وأبا العباس المروزىّ إلى الحسن فى سبعمائة ، فلما كانوا قريبًا منه ، انحاز أبو كامل وترك عسكره ، وأتى نصراً فصار معه ، وأعلمه مكان القائد الذى خلّف ، فوجّه إليهم نصر جنداً فأتوْهم وهم فى حائط فحصروهم ، فنقب جميل بن مهران الحائط ، وهرب هو وأصحابُه ، وخلّفوا شيئًا من متاعهم فأخذه أصحاب نصر ، فبعث به نصر إلى ابن هُبيرة ، فعرض له عطيف ٢/٣ بالرىّ ، فأخذ الكتاب من رسول نصر والمتاع ، وبعث به إلى ابن هُبيرة ، فغضب[1] نصر ، وقال: أبِى يتلعّب[2] ابن هبيرة ! أيَشغَب علىّ بضَغابيس قيس [3] ! أما والله لأدعنّه فليعرفنّ أنه ليس بشىء ولا ابنه الذى تربّص له الأشياء . وسار حتى نزل الرىّ — وعلى الرىّ حبيب بن بُديل النهشلىّ — فخرج عطيف من الرّىّ حين قدمها نصر إلى همَذان ، وفيها مالك بن أدهم بن محرز الباهلىّ على الصَّحْصَحيَّة ، فلما رأى مالكاً فى همَذان عدل منها إلى أصبهان إلى عامر بن ضُبارة — وكان عُطَيف فى ثلاثة آلاف — وجّهه ابن هبيْرة إلى نَصْر ، فنزل الرىّ ، ولم يأت نصراً . وأقام نصر بالرىّ يومين ثم مرض ، فكان يُحْمل حَمْلا ؛ حتى إذا كان بساوَة قريبًا من همَذان مات بها ؛ فلما مات دخل أصحابه همَذان .

---

(١) ط : « فمتب » ، وما أثبته من ا. (٢) كذا فى ا.
(٣) الضغبوس : الرجل الضعيف .

وكانت وفاة نصر — فيما قيل — لمضىّ اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول ، وهو ابن خمس وثمانين سنة .

وقيل إن نصراً لما شخص من خُوار متوجّهاً نحو الرىّ لم يدخل الرىّ ولكنه أخذ المفازة التى بين الرّىّ وهمذان فمات بها .

* * *

رجع الحديث إلى حديث علىّ عن شيوخه . قالوا : ولما مات نصر بن سيّار بعث الحسن خازم بن خزيمة إلى قرية يقال لها سِمْنان ، وأقبل قَحْطبة من جُرْجان ، وقدّم أمامه زياد بن زرارة القشيرىّ ؛ وكان زياد قد ندم على اتباع أبى مسلم ، فانخزل[1] عن قحطبة ، وأخذ طريق أصبهان يريد أن يأتى[2] عامر بن ضُبارة ، فوجّه قحطبة المسيّب بن زهير الضبىّ ، فلحقه من غد بعد العصر فقاتله ، فانهزم زياد ، وقتِل عامة مَن معه ، ورجع المسيّب بن زهير إلى قحطبة ، ثم سار قَحْطبة إلى قومِس وبها ابنه الحسن ، فقدم خازم من الوجه الذى كان وجّهه فيه الحسن ، فقدّم قحطبة ابنه الحسن إلى الرىّ . وبلغ حبيب ابن بديل النهشلىّ ومَنْ معه من أهل الشأم مسير الحسن ، فخرجوا من الرىّ ودخلها الحسن ، فأقام حتى قدم أبوه .

٣/٢

وكتب قحطبة حين قدم الرىّ إلى أبى مسلم يعلمه بنزوله الرّىّ .

* * *

[أمر أبى مسلم مع قحطبة عند نزوله الرىّ]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة تحوّل أبو مسلم من مَرْو إلى نيسابور فنزلها .

ذكر الخبر عما كان من أمر أبى مسلم هنالك
ومن قَحْطبة بعد نزوله الرىّ :

ولما كتب قحطبة إلى أبى مسلم بنزوله الرّىّ ارتحل أبو مسلم — فيما ذكر — من مَرْو ، فنزل نيسابور وخندق بها ، ووجّه قحطبة ابنَه الحسن بعد نزوله الرّىّ بثلاث إلى هَمَذان ؛ فذكر علىّ عن شيوخه وغيرهم أنّ الحسن بن قحطبة لما توجّه إلى هَمَذان ؛ خرج منها مالك بن أدهم ومَن كان بها من أهل الشأم وأهل خُراسان إلى نَهاوَنْد ، فدعاهم مالك إلى أرزاقهم ، وقال : من

(١) ابن الأثير : « فانخذل » . (٢) بعدها فى ب : « على » .

كان له ديوان فليأخذْ رزقه ، فترك قوم كثير دواوينَهم ومضوا ، فأقام مالك ومَن بقىَ معه من أهل الشأم وأهل خُراسان ممّن كان مع نصر ، فسار الحسن من هَمَذان إلى نَهاوَنْد ، فنزل على أربعة فراسخ من المدينة ، وأمدّه قحطبة بأبى الجهْم بن عطيّة مولى باهلة فى سبعمائة ، حتى أطاف بالمدينة وحصرها[1] . ٤/٣

* * *

[ذكر خبر قتل عامر بن ضبارة ودخول قحطبة أصبهان]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة قتِل عامر بن ضبارة .

* ذكر الخبر عن مقتله وعن سبب ذلك :

وكان سبب مقتله أنّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر لما هزمه ابن ضُبارة مضى هاربًا نحو خراسان ، وسلك إليها طريق كِرْمان ، ومضى عامر بن ضُبارة فى أثره لطلبه ، وورد على يزيد بن عمر مقتلُ نباتة بن حنظلة بجُرجان ؛ فذكر علىّ بن محمد أن أبا السرىّ وأبا الحسن الجشمىّ والحسن ابن رشيد وجبلة بن فرّوج وحفص بن شبيب أخبروه ، قالوا : لما قُتِل نباتة كتب ابنُ هبيرة إلى عامر بن ضُبارة وإلى ابنه داود بن يزيد بن عمر أن يسيرا إلى قَحْطبة — وكانا بكرْمان — فسارا فى خمسين ألفًا حتى نزلوا أصبهان بمدينة جَىّ — وكان يقال لعسكر ابن ضُبارة عسكرالعساكر — فبعث قَحْطبة إليهم مقاتلا وأبا حفص المهلبىّ وأبا حمّاد المروزىّ مولى بنى سُليم وموسى بن عَقِيل[2] وأسلم بن حسان وذؤيب بن الأشعث وكُلثوم بن شبيب ومالك بن طريف والمخارق بن غفار والهيثم بن زياد ؛ وعليهم جميعًا العكىّ ، فسار حتى نزل قمّ . وبلغ ابنَ ضُبارة نزول الحسن بأهل نَهاوَنْد ، فأراد أن يأتيَهم مُعينًا لهم ، وبلغ الخبر العكىّ ، فبعث إلى قحطبة يعلمه ، فوجّه زهير بن محمد إلى قاشان ، وخرج العكىّ من قمّ وخلف بها طريف بن غَيْلان[3] ، فكتب إليه قحطبة يأمره أن يُقيم حتى يقدم عليه ، وأن يرجع إلى قمّ ، وأقبل قحطبة من الرّىّ ، وبلغه طلائع العسكرين ؛ فلما لحق قحطبة بمقاتل بن حكيم ٥/٣

(١) ب : « وحصرهم » . (٢) ط : « عقال » ، وانظر الفهرس . (٣) ا : « عجلان » .

العكىّ ضمّ عسكر العكىّ إلى عسكره ، وسار عامر بن ضُبارة إليهم وبينه وبين عسكر قَحْطبة فرسخ ، فأقام أيامًا ، ثم سار قَحْطبة إليهم ، فالتقوْا وعلى ميمنة قَحطبة العكىّ ومعه خالد بن بَرْمك ، وعلى ميسرته عبد الحميد بن رِبعىّ ومعه مالك بن طريف — وقحطبة فى عشرين ألفًا وابن ضبارة فى مائة ألف ، وقيل فى خمسين ومائة ألف — فأمر قَحطبة بمصحف فنُصِب على رُمْح ثم نادى : يا أهل الشأم ، إنا ندعُوكم إلى ما فى هذا المصحف ، فشتموه وأفحشوا فى القول ، فأرسل إليهم قحطبة : احملوا عليهم ، فحمل عليهم العكىّ ، وتهايج الناس ، فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم أهلُ الشأم ، وقُتِلوا قتلا ذريعًا ، وحَوَوْا عسكرهم ، فأصابوا شيئًا لا يُدْرَى عدده من السلاح والمتاع والرقيق ، وبعث بالفتح إلى ابنه الحسن مع شُريح بن عبد الله .

قال علىّ : وأخبرنا أبو الذّيال ، قال: لقى قحطبة عامر بن ضُبارة ؛ ومع ابن ضُبارة ناس من أهل خُراسان ؛ منهم صالح بن الحجاج النميرىّ وبشر ابن بِسطام بن عمران بن الفضل البرجمىّ وعبد العزيز بن شماس المازنىّ وابن ضُبارة فى خيل ليست معه رَجّالة، وقحطبة معه خيل ورجّالة . فرموا الخيل بالنُّشاب ، فانهزم ابن ضُبارة حتى دخل عسكره ، واتّبعه قحطبة ، فترك ابن ضُبارة العسكر ، ونادى : إلىّ ، فانهزم الناس وقتِل .

٦/٣ قال علىّ : وأخبرنا المفضّل بن محمد الضبىّ ، قال : لما لقى قحطبة ابنَ ضُبارة انهزم داود بن يزيد بن عمر ، فسأل عنه عامر ، فقيل : انهزم ، فقال : لعن الله شرّنا منقلباً ! وقاتل حتى قتل .

قال علىّ : وأخبرنا حفص بن شبيب ، قال : حدّثنى مَنْ شهد قَحْطبة وكان معه ، قال : ما رأيتُ عسكراً قطّ جَمَع ما جمع أهلُ الشأم بإصبهان من الخيل والسلاح والرقيق ، كأنا افتتحنا مدينة ؛ وأصبنا معهم ما لا يحصى من البرابط والطنابير والمزامير ؛ ولَقلّ بيت أو خِباء ندخله إلا أصبنا فيه زُكْرة أو زِقًا من الخمر ، فقال بعض الشعراء :

لما رَمَيْنَا مُضرًا بالقبّ قرْضَبَهُمْ قَحْطَبَةُ القِرْضَبٌّ
* يَدْعُونَ مَرْوانَ كَدَعْوَى الرَّبِّ *

[ذكر خبر محاربة قحطبة أهل نهاوند ودخولها]

وفى هذه السنة كانت وقعة قحطبة بنهاوند بمن كان لجأ إليها من جنود مروان بن محمد . وقيل : كانت الوقعة بجابَلْق من أرض أصبهان يوم السبت لسبع بقين من رجب .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

ذكر علىّ بن محمد أن الحسن بن رشيد وزهير بن الهنيد أخبراه أن ابن ضُبارة لما قتِل كتب بذلك قحطبة إلى ابنه الحسن ، فلما أتاه الكتاب كبّر وكبّر جنده ، ونادوا بقتله ، فقال عاصم بن عمير [1] السُّغدىّ : ما صاح هؤلاء بقتل ابن ضُبارة إلا وهو حقّ ، فاخرجوا إلى الحسن بن قحطبة وأصحابه ؛ فإنكم لا تقومون لهم ، فتذهبون حيث شئتم قبل أن يأتيَه أبوه أو مدده [2] . فقالت الرّجالة : تخرجون وأنتم فرسان على خيول فتذهبون وتتركوننا ! فقال لهم مالك ابن أدهم الباهلىّ : كتب إلىّ ابن هبيرة ولا أبرح حتى يقدم علىّ . فأقاموا وأقام قحطبة بأصبهان عشرين يومًا ، ثم سار حتى قدم على الحسن نهاوَنْد فحصرهم أشهراً ، ثم دعاهم إلى الأمان فأبوْا ، فوضع عليهم المجانيق ، فلما رأى ذلك مالك طلب الأمان لنفسه ولأهل الشأم — وأهلُ خراسان لا يعلمون — فأعطاه الأمان فوفَى له قَحْطبة ، ولم يقتل منهم أحداً ، وقتل من كان بنَهاوند من أهل خراسان ، إلا الحكَم بن ثابت بن أبى مسعر الحنفىّ ، وقتل من أهل خراسان أبا كامل وحاتم بن الحارث بن شُريح وابن نصر بن سيّار وعاصم بن عمير وعلىّ بن عقيل وبَيْهس بن بديل من بنى سليم ؛ من أهل الجزيرة ، ورجلا من قريش يقال له البخترىّ ، من أولاد عمر بن الخطاب — وزعموا أن آل الخطاب لا يعرفونه — وقَطَن بن حرب الهلالىّ . ٧/٣

قال علىّ : وحدّثنا يحيى بن الحكم الهمْدانىّ ، قال : حدّثنى مولى لنا قال : لمّا صالح مالك بن أدهم قَحْطبة قال بيهس بن بديل : إنّ ابنَ أدهم لمصالح [3] علينا ؛ والله لأفتكنّ به ؛ فوجد أهل خُراسان أن قد فتح لهم الأبواب ، ودخلوا وأدخل قَحْطبة من كان معه من أهل خراسان حائطًا .

(١) ب : « عمر » . (٢) ا : « مدد من قبله » . (٣) ط : « ليصالح » .

وقال غير عليّ : أرسل قَحْطبة إلى أهل خُراسان الذين فى مدينة نَهاوند يَدْعوهم إلى الخروج إليه ، وأعطاهم الأمان ، فأبوْا ذلك . ثم أرسل إلى أهل الشأم بمثل ذلك فقبلوا ، ودخلوا فى الأمان بعد أن حوصروا ثلاثة أشهر : شعبان ورمضان وشوّال ، وبعث أهل الشأم إلى قَحْطبة يسألونه أن يشغل أهل المدينة حتى يفتحوا الباب وهم لا يشعرون ، ففعل ذلك قَحْطبة ، وشغل أهل المدينة بالقتال ، ففتح أهل الشأم البابَ الذى كانوا عليه ؛ فلما رأى أهلُ خراسان الذين فى المدينة خروجَ أهل الشأم ، سألوهم عن خروجهم ، فقالوا : أخذنا الأمان لنا ولكم ، فخرج رؤساء أهلِ خراسان ، فدفع قحطبة كلَّ رجل منهم إلى رجُل من قوّاد أهل خراسان ، ثم أمر مناديه فنادى : مَن كان فى يده أسير ممّن خرج إلينا من أهل المدينة فليضرب عنقه ، وليأتنا برأسه . ففعلوا ذلك ، فلم يبق أحدٌ ممن كان قد هرب من أبى مسلم وصاروا إلى الحصن إلّا قتل ، ما خلا أهل الشأم فإنه خلّى سبيلَهم ، وأخذ عليهم ألا يمالئوا عليه عدوًّا . ٨/٣

* * *

رجع الحديث إلى حديث عليّ عن شيوخه الذين ذكرت : ولما أدخل قحطبة الذين كانوا بنَهاوند من أهل خُراسان ومن أهل الشأم الحائط ، قال لهم عاصم بن عمير : ويلكم! ألا تدخلون الحائط! وخرج عاصم فلبس درعه، ولبس سواداً كان معه ، فلقيه شاكريّ كان له بخراسان فعرَفه ، فقال : أبو الأسود ؟ قال : نعم ، فأدخله فى سَرَب ، وقال لغلام له : احتفظ به ولا تطلعنّ على مكانه أحداً، وأمَر قحطبة : مَن كان عنده أسيراً فليأتنا به . فقال الغلام الذى كان وُكّلَ بعاصم : إن عندى أسيراً أخاف أن أغلَب عليه ، فسمعه رجلٌ من أهل اليمن ، فقال : أرنيه ، فأراه إياه فعرفه ، فأتى قحطبة فأخبره ، وقال : رأس من رءوس الجبابرة ، فأرسل إليه فقتله ، ووفّى لأهل الشأم فلم يقتل منهم أحداً .

قال عليّ : وأخبرنا أبو الحسن الخُراسانيّ وجبلة بن فرّوخ ؛ قالا : لما قدم قحطبة نهاوند والحسن محاصرهم ، أقام قَحْطبة عليهم ، ووجّه الحسن إلى مَرْج القلعة ، فقدّم الحسن خازم بن خُزَيمة إلى حُلوان ، وعليها عبد الله ٩/٣

ابن العلاء الكِندىّ ، فهرب من حُلوان وخلاّها .

قال علىّ : وأخبرنا محرز بن إبراهيم ، قال : لما فتح قحطبة نَهاوند ، أرادوا أن يكتبوا إلى مَرْوان باسم قَحْطبة ، فقالوا : هذا اسم شنيع ، اقلبوه فجاء « هبط حقّ » ، فقالوا : الأول مع شنعته أيسر من هذا . فردّوه[1] .

* * *

[ذكر وقعة شهرزور وفتحها]

وفى هذه السنة كانت وقعة أبى عون بشهرزور .

• ذكر الخبر عنها وعمّا كان فيها :

ذكر علىّ أن أبا الحسن وجَبَلة بن فروخ ، حدّثاه قالا : وجّه قحطبة أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراسانىّ ومالك بن طريف[2] الخُراسانى فى أربعة آلاف إلى شهرزور ، وبها عثمان بن سفيان على مقدّمة عبد الله بن مَرْوان ، فقدم أبو عون ومالك ، فنزلا على فرسخيْن من شَهرزور ، فأقاما به يومًا وليلة ، ثم ناهضا عثمان بن سفيان فى العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وثلاثين ومائة فقتل عثمان بن سفيان ، وبعث أبو عون بالبشارة مع إسماعيل بن المتوكّل ، وأقام أبو عون فى بلاد الموصل .

وقال بعضهم : لم يُقتل عثمان بن سفيان ، ولكنّه هرب إلى عبد الله بن مَرْوان ، واستباح أبو عون عسكره ، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة بعد قتال شديد . وقال : كان قحطبة وجه أبا عون إلى شهرزور فى ثلاثين ألفًا بأمر أبى مسلم إياه بذلك . قال : ولما بلغ خبرُ أبى عون مروانَ وهو بحرّان ، ارتحل منها ومعه جنود الشأم والجزيرة والموصل ، وحشرت بنو أمية معه أبناءهم مقبلا إلى أبى عون ؛ حتى انتهى إلى الموصل ، ثم أخذ فى حفر الخنادق من خندق إلى خندق ؛ حتى نزل الزّاب الأكبر ، وأقام أبو عون بشهرزور بقيّة ذى الحجة والمحرّم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وفرض فيها لخمسة آلاف رجل . ١٠/٣

---

(١) ا : « فتركوه » .

(٢) ا و ب : « طراف » ، ابن الأثير : « طرافة » .

[ذكر خبر مسير قحطبة إلى ابن هبيرة بالعراق]

وفى هذه السنة سار قَحْطبة نحو ابن هبيرة ؛ ذكر علىّ بن محمد أن أبا الحسن أخبره وزهير بن هُنيد وإسماعيل بن أبى إسماعيل وجبلة بن فرّوخ، قالوا : لما قدم على ابن هبيرة ابنه منهزمًا من حلوان ، خرج يزيد بن عمر بن هبيرة ، فقاتل قحطبة فى عدد كثير لا يُحصى مع حوثرة بن سهيل الباهلىّ ، وكان مروان أمدّ ابنَ هبيرة به، وجعل على الساقة زياد بن سهل الغَطَفانىّ، فسار يزيد بن عمر بن هُبيرة ، حتّى نزل جَلُولاء الوقيعة وخندق ، فاحتفر الخندق الذى كانت العجم احتفرْته أيام وَقْعة جلولاء ؛ وأقبل قحطبة حتّى نزل قرماسين ، ثم سار إلى حُلوان ، ثم تقدّم من حلوان ، فنزل خانقين ، فارتحل قحطبة من خانقين ، وارتحل ابن هبيرة راجعًا إلى الدّسْكرة .

وقال هِشام عن أبى مخنف ، قال : أقبل قحطبة، وابنُ هبيرة بخندق بجلولاء ، فارتفع إلى عُكْبَراء ، وجاز قحطبة دِجْلة، ومضى حتّى نزل دممّا دون الأنبار [١] ، وارتحل ابنُ هبيرة بمَن معه منصرفًا مبادراً إلى الكوفة لقحطبة ، حتّى نزل فى الفرات فى شرقيّه ، وقدم حوثرة فى خمسة عشر ألفًا إلى الكوفة ، وقطع قحطبة الفرات من دِمّا ، حتّى صار من غربيّه ، ثم سار يريد الكوفة حتّى انتهى إلى الموضع الذى فيه ابن هبيرة .

* * *

١١/٣ وفى هذه السنة حجّ بالناس الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدىّ ؛ سعد هوازن ، وهو ابن أخى عبد الملك بن محمد بن عطية الذى قتل أبا حمزة الخارجىّ . وكان والى المدينة من قبَل عمه، حدثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

وقد ذكر أن الوليد بن عروة إنما كان خرج خارجًا من المدينة ، وكان مرْوان قد كتب إلى عمه عبد الملك بن محمد بن عطية يأمره أن يحجّ بالناس وهو باليمن؛ فكان من أمره ما قد ذكرت قبلُ ، فلمّا أبطأ عليه عمه عبد الملك

(١) ب : «مما دون الأنبار» .

افتعل كتاباً من عمّه يأمره بالحجّ بالناس ، فحجّ بهم .

وذكر أن الوليد بن عروة بلغه قتلُ عمهعبد الملك فمضى [إلى] الذين قتلوه ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبقَرَ بطون نسائهم ، وقتل الصبيان ، وحرّق بالنيران مَنْ قدر عليه منهم .

* * *

وكان عامل مكة والمدينة والطائف فى هذه السنة الوليد بن عروة السعدىّ من قبَل عمه عبد الملك بن محمد ، وعامل العراق يزيد بن عمر بن هبيرة .

وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربىّ، وعلى قضاء البصرة عبّاد ابن منصور الناجىّ .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة

١٢/٣ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن هلاك قحطبة بن شبيب]

فممّا كان فيها هلاك قحطبة بن شبيب .

* ذكر الخبر عن مهلكه وسبب ذلك :

فكان السبب فى ذلك أنّ قحطبة لما نزل خانقين مقبلاً إلى ابن هبيرة ، وابن هُبيرة بجَلولاء ، ارتحل ابن هُبيرة من جَلولاء إلى الدّسْكرة ، فبعث – فيما ذُكر – قحطبة ابنه الحسن طليعةً ليعلم له خبرَ ابن هبيرة ، وكان ابن هبيرة راجعًا إلى خندقه بجلولاء ، فوجد الحسن بنَ هبيرة فى خندقه ، فرجع إلى أبيه فأخبره بمكان ابن هُبيرة ؛ فذكر علىّ بن محمد ، عن زهير بن هنيد وجبلة ابن فرُّوخ وإسماعيل بن أبى إسماعيل والحسن بن رشيد ، أنّ قحطبة ، قال لأصحابه لما رجع ابنه الحسن إليه وأخبره بما أخبره به من أمر ابن هبيرة : هل تعلمون طريقًا يخرجنا إلى الكوفة ، لانمرّ بابنِ هُبيرة ؟ فقال خلف بن المورّع الهمَذانىّ ، أحد بنى تميم : نعم ، أنا أدلّك ، فعبر به تامرًا من رُوستُقُباذ ، ولزم الجادّة حتى نزل بزُرْج سابور ، وأتى عكْبراء ، فعبر دِجْلة إلى أوانا .

قال علىّ : وحدّثنا إبراهيم بن يَزيد الخراسانىّ ، قال : نزل قحطبة بخانقِين وابن هبيرة بجَلُولاء ؛ بينهما خمسة فراسخ ، وأرسل طلائعه إلى ابنِ هبيرة ليعلم علمه ، فرجعوا إليه ، فأعلموه أنه مقيم ، فبعث قَحْطبة خازمَ بن خزيمة ، وأمره أن يعبر دِجْلة ، فعبَر وسار بين دجلة وُدجَيْل ؛ حتى ١٣/٣ نزل كوثبا[١] ؛ ثم كتب إليه قحطبة يأمره بالمسير إلى الأنبار ، وأن يُحْدر إليه ما فيها من السفُن وما قدَر عليه يعبرها ، ويوافيه بها بد مِمّا ، ففعل ذلك خازم ، ووافاه قحطبة بدِ مِمّا ، ثم عبر قحطبة الفُرات فى المحرّم من سنة اثنتين وثلاثين

---

(١) ا : « كوثا » .

ومائة، ووجّه الأثقال فى البرّيّة ، وصارت الفرسان معه على شاطئ الفرات ، وابن هبيرة معسكر على فم الفرات من أرض الفلّوجة العليا ، على رأس ثلاثة وعشرين فرسخًا من الكوفة ، وقد اجتمع إليه فَلّ ابن ضُبارة، وأمدّه مَرْوان بحوثرة بن سهيل الباهلىّ فى عشرين ألفًا من أهل الشأم .

وذكر علىّ أن الحسن بن رشيد وجبلة بن فرّوخ أخبراه أنّ قحطبة لما ترك ابنَ هبيرة ومضى يريد الكوفة ، قال حوثرة بن سهيل الباهلىّ وناس من وجوه أهل الشأم لابن هبيرة : قد مضى قحطبة إلى الكوفة ، فاقصد أنت خراسان ، ودعْه ومروان فإنك تكسره ، فباْلحرَى أن يتبعك ، فقال : ما هذا برأى ، ما كان ليتبعنى ويدع الكوفة ؛ ولكنّ الرأى أن أبادره إلى الكوفة . ولما عبر قحطبة الفراتَ ، وسار على شاطئ الفرات ارتحل ابن هُبيرة من معسكره بأرض الفلّوجة ، فاستعمل على مقدّمته حوثرة بن سهيل ، وأمره بالمسير إلى الكوفة ، والفريقان يسيران على شاطئ الفرات ؛ ابن هُبيرة بين الفرات وسورا، وقحطبة فى غربيه مما يلى البرّ . ووقف قحطبة فعبر إليه رجل أعرابىّ فى زورق ، فسلّم على قحطبة ، فقال : ممن أنت ؟ قال : من طيّئ ، فقال الأعرابىّ لقحطبة : اشرب من هذا واسقنى سؤرك ، فغرف قَحْطبة فى قصعة فشرب وسقاه ، فقال : الحمد لله الذى نسأ أجلِى حتى رأيتُ هذا الجيش يشرب من هذا الماء . قال قحطبة : أتتك الرواية ؟ قال : نعم ؛ قال : ممن أنت ؟ قال : من طيّئ، ثم أحد بنى نَبْهان ، فقال قحطبة : صدقنى إمامى، أخبرنى أن لى وقعة على هذا النهر لى فيها النصر ، يا أخا بنى نبهان، هل ها هنا مخاضة ؟ قال : نعم ولا أعرفها ، وأدلك على مَنْ يعرفها ؛ السندىّ بن عصم . فأرسل إليه قحطبة ، فجاء وأبو السندىّ وعون ، فدلّوه على المخاضة وأمسى ووافتْه مقدّمة ابن هبيرة فى عشرين ألفًا ، عليهم حَوْثرة . ١٤/٣

فذكر علىّ، عن ابن شهاب العبدىّ، قال: نزل قحطبة الجبارية[1] فقال: صدقنى الأمام أخبرنى أن النصر بهذا المكان ، وأعطى الجند أرزاقهم ، فردّ عليه كاتبه ستة عشر ألف درهم ، فضل الدرهم والدرهمين وأكثر وأقل ، فقال : لا تزالون بخير ما كنتم على هذا . ووافته خيول الشأم ، وقد دلّوه على

(١) كذا فى ب وابن الأثير ، وفى ا ، ط « الحابرة » بدون نقط .

مخاضة فقال : إنما أنتظر شهر حرام وليلة عاشوراء، وذلك سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

* * *

وأما هشام بن محمد، فإنه ذكر عن أبى مخنف أنّ قحطبة انتهى إلى موضع مخاضة ذكِرَت له، وذلك عند غروب الشمس ليلة[1] الأربعاء؛ لثمان خلوْن من المحرّم سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فلما انتهى قحطبة إلى المخاضة اقتحمَ فى عِدّة من أصحابه، حتّى حمل على ابن هبيرة، وولى أصحابُه منهزمين؛ ثم نزلوا فم النيل، ومضى حوثرة حتى نزل قصرَ ابن هبيرة، وأصبح أهل خراسان وقد فقدوا أميرهم، فألقوا بأيدهم، وعلى الناس الحسن بن قحطبة.

* * *

١٥/٣ رجع الحديث إلى حديث علىّ عن ابن شهاب العبدىّ : فأما صاحب علَم قحطبة خيران أو يسار مولاه، فقال[2] له : اعبر، وقال لصاحب رايته مسعود بن علاج (رجل من بكر بن وائل) : اعبر، وقال لصاحب شرطته عبد الحميد بن ربعىّ أبى غانم أحد بنى نبهان من طيئ : اعبر يا أبا غانم، وأبشر بالغنيمة. وعبر جماعة حتى عبر أربعمائة، فقاتلوا أصحاب حوثرة حتى نحّوْهم عن الشريعة، ولقوا محمد بن نباتة فقاتلوه، ورفعوا النيران، وانهزم أهل الشأم، وفقدوا قحطبة فبايعوا حُميد بن قحطبة على كُره منه، وجعلوا على الأثقال رجلاً يقال له أبو نصر فى مائتين، وسار حُميد حتى نزل كربَلاء، ثم دير الأعور ثم العباسيّة.

قال علىّ : أخبرنا خالد بن الأصفح وأبو الذيّال، قالوا : وُجِد قحطبة فدفنه أبو الجهم، فقال رجل من عُرض الناس : من كان عنده عهْد من قحطبة فليخبرنا به، فقال مقاتل بن مالك العَكىّ : سمعت قحطبة يقول : إن حدَث بى حدث فالحسن أمير الناس، فبايع الناس حُميداً للحسن، وأرسلوا إلى الحسن، فلحقه الرسول دون قرية شاهى، فرجع الحسن فأعطاه أبو الجهم خاتم قحطبة، وبايعوه، فقال الحسن : إن كان قحطبة مات فأنا ابن قحطبة. وقتل فى هذه الليلة ابن نَبْهان السدوسىّ وحرب بن سلم بن

(١) ط : «عشية». (٢) ط : «قال».

أحوز وعيسى بن إياس العدوىّ ورجل من الأساورة، يقال له مصعب، وادّعى قتل قحطبة معن بن زائدة ويحيى بن حُضين . ١٦/٣

قال علىّ : قال أبو الذيّال : وجدوا قحطبة قتيلا فى جدول وحرب بن سلم بن أحوز قتيل إلى جنْبه ، فظنوا أن كلّ واحد منهما قتل صاحبه .

قال علىّ: وذكر عبد الله بن بدر قال : كنتُ مع ابن هبيرة ليلة قحطبة فعبروا إلينا ، فقاتلونا على مسنّاة عليها خمسة فوارس ؛ فبعث ابنُ هبيرة محمد بن نُباتة، فتلقّاهم فدفعناهم دفعًا، وضرب معن بن زائدة قحطبة على حبل عاتقه ، فأسرع فيه السيف ، فسقط قحطبة فى الماء فأخرجوه ، فقال: شدّوا يدىّ ، فشدّوها بعمامة، فقال : إن متّ فألقونى فى الماء لا يعلم أحد بقتلى . وكرّ عليهم أهل خراسان ، فانكشف ابن نباتة وأهل الشأم ، فاتبعونا وقد أخذ طائفة فى وجه ، ولحقنا قوم من أهل خراسان ، فقاتلناهم طويلا ، فما نجوْنا إلّا برجُلين من أهل الشأم قاتلوا عنا قتالا شديداً، فقال بعض الخراسانيّة: دعُوا هؤلاء الكلاب (بالفارسية) فانصرفوا عنا. ومات قحطبة وقال قبل موته: إذا قدمتم الكوفة فوزير الإمام أبو سلمة ؛ فسلموا هذا الأمرَ إليه . ورجع ابن هبيرة إلى واسط .

وقد قيل فى هلاك قحطبة قول غير الذى قاله مَن ذكرنا قوله من شيوخ علىّ بن محمد ؛ والذى قيل من ذلك أنّ قحطبة لما صار بحذاء ابن هُبيرة من الجانب الغربىّ من الفرات ، وبينهما الفرات ، قدّم الحسَن ابنه على مقدّمته ، ثم أمر عبد الله الطائىّ ومسعود بن علاج وأسد بن المرزبان وأصحابهم بالعبور على خيولهم فى الفرات ، فعبَروا بعد العصر ، فطُعِن أوّل فارس لقيهم من أصحاب ابن هبيرة ، فولّوا منهزمين حتّى بلغت هزيمتهم جسر سورا حتّى اعترضهم سويد صاحب شُرطة ابن هبيرة ، فضرب وجوههم ووجوه دوابّهم ١٧/٣ حتّى ردّهم إلى موضعهم ؛ وذلك عند المغرب ؛ حتّى انتهوْا إلى مسعود بن علاج ومن معه ؛ فكثروهم ، فأمر قحطبة المخارق بن غفار وعبد الله بسّام وسلمة ابن محمد — وهم فى جريدة خيل — أن يعبروا ، فيكونوا ردْءاً لمسعود بن علاج ،

فعبروا ولقيهم محمد بن نباتة ، فحصر سلمة ومَن معه بقرية على شاطئ الفرات ، وترجّل سلمة ومَن معه ، وحمِىَ القتال ، فجعل محمد بن نُباتة يحمل على سلمة وأصحابه ، فيقتل العشرة والعشرين ، ويحمل سلمة وأصحابه على محمد بن نباتة وأصحابه ، فيقتل منهم المائة والمائتين ، وبعث سلمة إلى قحطبة يستمدّه ، فأمدّه بقواده جميعًا ، ثم عبر قحطبة بفُرسانه ، وأمر كل فارس أن يردف رجلًا ؛ وذلك ليلة الخميس لليال خلون من المحرّم ، ثم واقع قحطبة محمدَ بن نباتة ومَن معه ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فهزمهم قَحْطبة حتى ألحقهم بابن هُبيرة ، وانهزم ابن هبيرة بهزيمة ابن نباتة ، وخلّوْا عسكرهم وما فيه من الأموال والسلاح والرِّثّة[1] والآنية وغير ذلك ؛ ومضت بهم الهزيمة حتى قطعوا جسر الصَّراة ، وساروا ليلتهم حتى أصبحوا بفم النيل ، وأصبح أصحاب قحطبة وقد فقدوه ؛ فلم يزالوا فى رجاء منه إلى نصف النهار ، ثم يئسوا منه وعلموا بغرَقه ، فأجمع القوّاد على الحسن بن قحطبة فولّوْه الأمر وبايعوه ، فقام بالأمر وتولاه ، وأمر بإحصاء ما فى عسكر ابن هُبيرة ، ووكّل بذلك رجلا من أهل خراسان يكنى أبا النضر[2] فى مائتى فارس ، وأمر بحمل الغنائم فى السفن إلى الكوفة ، ثم ارتحل الحسن بالجنود حتى نزل كرَبلاء ، ثم ارتحل فنزل سورا ، ثم نزل بعدها دير الأعور ، ثم سار منه فنزل العباسيّة. ١٨/٣
وبلغ حوثرةَ هزيمة ابن هبيرة ، فخرج بمن معه حتى لحق بابن هُبيرة بواسط .

وكان سبب قتل قحطبة — فيما قال هؤلاء — أنّ أحلم بن إبراهيم بن بسام مولى بنى ليث قال : لما رأيتُ قحطبة فى الفرات ، وقد سبَحتْ به دابته حتى كادت تعبر به من الجانب الذى كنت فيه أنا وبسام بن إبراهيم أخى — وكان بسام على مقدّمة قحطبة — فذكرت مَنْ قُتِل من ولد نصر بن سيار وأشياء ذكرتها منه ؛ وقد أشفقت على أخى بسام بن إبراهيم لشىء بلغه عنه ، فقلت : لا طلبتُ بثأر أبداً إن نجوتَ الليلة . قال : فأتلقاه وقد صعدت به دابّته لتخرج من الفرات وأنا على الشطّ ، فضربته بالسيف على جبينه ، فوثب فرسه ، وأعجله الموت ؛ فذهب فى الفرات بسلاحه. ثم أخبِر ابن حصين السعدىّ بعد موت

(١) الرثة : المتاع ، وفى ط : « الزينة » . (٢) ط : « النصر » .

أحلم بن إبراهيم بمثل ذلك ، وقال : لولا أنه أقرّ بذلك عند موته ما أخبرتُ عنه بشىء .

* * *

[ذكر خبر خروج محمد بن خالد بالكوفة مسوّداً]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة خرج محمد بن خالد بالكوفة ، وسوّد قبل أن يدخلها الحسن بن قحطبة ، وخرج عنها عامل ابن هبيرة ، ثم دخلها الحسن .

* ذكر الخبر عمّا كان من أمر من ذكرت :

ذكر هشام ، عن أبى مخنف ، قال : خرج محمّد بن خالد بالكوفة فى ليلة عاشوراء ، وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثىّ ، وعلى شُرَطه عبد الرحمن ابن بشير العِجلىّ ؛ وسوّد محمد وسار إلى القَصْر ، فارتحل زياد بن صالح وعبد الرحمن بن بشير العِجْلىّ ومَنْ معهم من أهل الشأم ، وخلّوا[1] القصر ، ١٩/٣ فدخله محمد بن خالد ، فلما أصبح يوم الجمعة — وذلك صبيحة اليوم الثانى من مهلك قحطبة — بلغه نزولُ حوثرة[2] ومَنْ معه مدينة ابن هبيرة ، وأنه تهيّأ للمسير إلى محمد ، فتفرّق عن محمد عامة مَن معه حيث بلغهم نزول حَوْثرة مدينة ابن هبيرة ، ومسيره إلى محمد لقتاله ؛ إلاّ فرساناً من فرسان أهل اليمن ، ممن كان هرب من مَرْوان ومواليه . وأرسل إليه أبو سلمة الخلال — ولم يظهر بعد — يأمره بالخروج من القصر واللحاق بأسفل الفرات ؛ فإنه يخاف عليه لقلة مَن معه وكثرة مَن مع حوثرة — ولم يبلغ أحداً من الفريقين هلاكُ قحطبة — فأبى محمد بن خالد أن يفعلَ حتى تعالى النهار ، فتهيّأ حوثرة للمسير إلى محمد بن خالد ؛ حيث بلغه قلّة مَن معه وخذلان العامة له ، فبينا محمد فى القصر إذْ أتاه بعض طلائعه ، فقال له : خيلٌ قد جاءت من أهل الشأم ، فوجّه إليهم عدّة من مواليه ، فأقاموا بباب دار عمر بن سعد ؛ إذ طلعت الرّايات لأهل الشأم ، فتهيّئُوا لقتالهم ، فنادى الشأميون : نحن بجَيلة ، وفينا مليح بن خالد البَجلىّ ، جئنا لندخل فى طاعة الأمير . فدخلوا ، ثم جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل بَحْدل ، فلما رأى ذلك حوثرة من صنيع

---

(١) ب : « ودخلوا » . (٢) ب : « الحوثرة » .

أصحابه ، ارتحل نحو واسط بمَن معه ، وكتب محمد بن خالد من ليلته إلى قَحْطبة ؛ وهو لا يعلم بهُلْكه ؛ يعلمه أنه قد ظفر بالكوفة ، وعجل به مع فارس ؛ فقدم على الحسن بن قحطبة ، فلما دفع إليه كتاب محمد بن خالد قرأه على الناس ، ثم ارتحل نحو الكوفة ، فأقام محمد بالكوفة يوم الجمعة والسبت والأحد وصبّحه الحسن يوم الاثنين ، فأتوا أبا سلمة وهو فى بنى سَلَمة[1] ٢٠/٣ فاستخرجوه ، فعسكر بالنُّخيلة يومين ، ثم ارتحل إلى حمّام أعين ، ووجّه الحسن ابن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هُبيرة .

وأما علىّ بن محمد ، فإنه ذكر أن عمارة مولى جبرائيل بن يحيى أخبره ، قال : بايع أهلُ خراسان الحسن بعد قحطبة ، فأقبل إلى الكوفة ، وعليها يومئذ عبد الرحمن بن بشير العِجلىّ ، فأتاه رجل من بنى ضَبّة ، فقال : إن الحسَن داخل اليوم أو غداً ؛ قال : كأنك جئتَ تُرهبنى ! وضربه ثلثمائة سوط . ثم هرب فسوّد محمد بن خالد بن عبد الله القسرىّ ، فخرج فى أحد عشر رجلاً ، ودعا الناس إلى البيعة ، وضبط الكوفة ، فدخل الحسن من الغد ، فكانوا يسألون فى الطريق : أين منزل أبى سلمة ، وزير آل محمد ؟ فدلّوهم عليه ، فجاءوا حتى وقفوا على بابه ، فخرج إليهم ، فقدّموا له دابة من دوابّ قحطبة فركبها ، وجاء حتى وقف فى جبّانة السَّبِيع ، وبايع أهل خراسان ، فمكث أبو سلمة حفص بن سليمان مولى السَّبِيع — يقال له وزير آل محمد — واستعمل محمد بن خالد بن عبد الله القسرىّ على الكوفة — وكان يقال له الأمير — حتى ظهر أبو العباس .

وقال علىّ : أخبرنا جبلة بن فرّوخ وأبو صالح المروزىّ وعُمارة مولى جبرائيل وأبو السرىّ وغيرهم ممّن قد أدرك أوّلَ دعوة بنى العباس ، قالوا : ثم وجّه الحسنَ ابن قحطبة إلى ابن هبيرة بواسط ، وضمّ إليه قُوّاداً ، منهم خازم بن خزيمة ومقاتل بن حكيم العكىّ وخفّاف بن منصور وسعيد بن عمرو وزياد بن مشكان والفَضْل بن سليمان وعبد الكريم بن مسلم وعثمان بن نَهِيك وزهير بن محمد ٢١/٣ والهيثم بن زياد وأبو خالد المروزىّ وغيرهم ، ستة عشر قائداً وعلى جميعهم

(١) ا ، ب : « فى بنى مسلمة » .

الحسن بن قحطبة. ووجّه حُميد بن قحطبة إلى المدائن فى قوّاد ؛ منهم عبد الرحمن بن نعيم ومسعود بن علاج ؛ كلّ قائد فى أصحابه. وبعث المسيّب بن زُهير وخالد بن بَرْمك إلى دَيْرقُنَّى ، وبعث المهلبيّ وشَراحيل فى أربعمائة إلى عَيْن التمر ، وبسّام بن إبراهيم بن بسام إلى الأهواز ، وبها عبد الواحد ابن عمر بن هبيرة. فلما أتى بسام الأهواز خرج عبد الواحد إلى البَصْرة ، وكتب مع حفص بن السَّبِيع إلى سفيان بن معاوية بعهده على البصرة ، فقال له الحارث أبو غسان الحارثيّ — وكان يتكهّن وهو أحد بنى الدّيان : لا ينفذُ هذا العهد. فقدم الكتاب على سفيان ، فقاتله سَلْم بن قتيبة ، وبطل عهد سفيان. وخرج أبو سلمة فعسكر عند حمّام أعيَن ، على نحو من ثلاثة فراسخ من الكوفة ، فأقام محمد بن خالد بن عبد الله بالكُوفة.

وكان سبب قتال سلم بن قتيبة سفيانَ بن معاوية بن يزيد بن المهلب — فيما ذُكِر — أن أبا سلمة الخلال وجّه إذ فرّق العمال فى البلدان بسّام بن إبراهيم مولى بنى ليث إلى عبد الواحد بن عمر بن هبيرة وهو بالأهواز ، فقاتله بسام حتى فضّه ، فلحق سلْم بن قتيبة الباهليّ بالبَصْرة ؛ وهو يومئذ عامل ليزيد بن عمر بن هبيرة. وكتب أبو سلمة إلى الحسن بن قحطبة أن يوجّه إلى سَلْم مَن أحبّ من قُوّاده ، وكتب إلى سُفيان بن معاوية بعهده على البَصْرة ، وأمره أن يظهِر بها دَعْوة بنى العباس ، ويدعو إلى القائم منهم ؛ وينفى[1] سلْم ابن قتيبة. فكتب سفيان إلى سلْم يأمره بالتحوّل عن دار الإمارة ، ويخبره بما أتاه من رأى أبى سلمة ؛ فأبى سلم ذلك ، وامتنع منه ، وحشد مع سفيان جميع اليمانيّة وحلفاءهم من ربيعة وغيرهم ، وجنح إليه قائد من قوّاد ابن هبيرة ؛ وكان بعثه مدداً لسلْم فى ألفى رجل من كلْب ، فأجمع السير إلى سلْم بن قتيبة ، فاستعدّ له سلْم ، وحشد معه مَن قدر عليه من قيس وأحياء مضر ومن كان بالبَصْرة من بنى أمية ومواليهم ، وسارعت بنو أمية إلى نَصْره.

٣/٢٢

فقدم سفيان يوم الخميس وذلك فى صفر ؛ فأتى المربد سَلْم ، فوقف منه عند سوق الإبل ، ووجّه الخيول فى سكة المرْبد وسائر سِكَك البصرة للقاء مَنْ وَجه إليه سفيان ، ونادى : مَنْ جاء برأس فله خمسمائة درهم ، ومن

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « يبق ».

جاء بأسير فله ألف درهم . ومضى معاوية بن سفيان بن معاوية فى ربيعة خاصةً، فلقيه خيلٌ[1] من تميم فى السكة التى تأخذ إلى بنى عامر فى سكّة المربد عند الدار التى صارت لعمر بن حبيب، فطعن رجلٌ منهم فرس معاوية، فشبّ به فصرعه؛ فنزل إليه رجل من بنى ضَبّة يقال له عياض، فقتله، وحمل رأسه إلى سَلْم بن قتيبة، فأعطاه ألف درهم، فانكسر سفيان لقتل ابنه، فانهزم ومَن معه، وخرج من فَوْره هو وأهل بيته حتى أتى القصر الأبيض فنزلوه، ثم ارتحلوا منه إلى كسكَر .

وقدِم على سلم بعد غلبته على البَصْرة جابر بن توبة الكلابىّ والوليد بن عتبة الفراسىّ، من ولد عبد الرحمن بن سَمُرة فى أربعة آلاف رجل، كتب ٢٣/٣ إليهم ابن هبيرة أن يصيروا مدداً لسَلْم وهو بالأهواز، فغدا جابر بمَن معه على دور المهلب وسائر الأزْد، فأغاروا عليهم، فقاتلهم مَن بقى من رجال الأزْد قتالاً شديداً حتى كثرت القتلَى فيهم؛ فانهزموا، فسبَى جابر ومَن معه من أصحابه النساءَ، وهدموا الدور وانتهبوا؛ فكان ذلك من فعلهم ثلاثة أيام؛ فلم يزل سَلْم مقيماً بالبصرة حتى بلغه قتلُ ابن هبيرة، فشخص عنها فاجتمع من البصرة من ولد الحارث بن عبد المطلب إلى محمد بن جعفر فولوه أمرهم فوليهم أياماً يسيرة، حتى قدم البصرة أبو مالك عبد الله بن أسيد الخُزاعىّ من قِبَل أبى مسلم، فوليَها خمسة أيام، فلما قام أبو عباس ولّاها سفيان بن معاوية .

* * *

قال أبو جعفر: وفى هذه السنة بويع لأبى العباس عبد الله بن محمد بن علىّ ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ليلة الجمعة لثلاث عشرة مضت من شهر ربيع الآخر؛ كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق ابن عيسى، عن أبى معشر. وكذلك قال هشام بن محمد. وأما الواقدىّ فإنه قال: بويع لأبى العباس بالمدينة بالخلافة فى جمادى الأولى فى سنة ثنتين وثلاثين ومائة.

قال الواقدىّ: وقال لى أبو معشر: فى شهر ربيع الأول سنة ثنتين وثلاثين ومائة؛ وهو الثّبت .

---

(١) ط: «رجل»، وما أثبته من ا.

خلافة أبي العباس عبد الله بن محمد بن عليّ ابن عبد الله بن عباس

ذكر الخبر عن سبب خلافته

وكان بدء ذلك – فيما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه – أنه أعلم العباسَ ابن عبد المطلب أنه تؤول الخلافة إلى ولدِه ، فلم يزل ولدُه يتوقّعون ذلك ، ويتحدّثون به بينهم . ٣/٢٤

وذكر عليّ بن محمد أن إسماعيل بن الحسن حدّثه عن رشيدبن كُريب ، أنّ أبا هاشم خرج إلى الشأم ، فلقى محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، فقال : يابن عمّ ، إن عندى عِلْمًا أنبذه إليك فلا تطلعنّ عليه أحداً ؛ إن هذا الأمر الذى يرتجيه الناس،فيكم . قال : قد علمتُ فلا يسمعنّه منك أحد .

قال عليّ : وأخبرنا سليمان بن داود ، عن خالد بن عجلان ، قال : لما خالف ابن الأشعث ، وكتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك ، أرسل عبدالملك إلى خالد بن يزيد فأخبره ، فقال : أما إذا كان الفَتْق من سِجِسْتَان فليس عليك بأس ؛ إنما كنا نتخوّف لو كان من خراسان .

وقال عليّ : أخبرنا الحسن بن رُشيد وجبلة بن فرّوخ التاجىّ ويحيى بن طفيل والنعمان بن سرىّ وأبو حفص الأزدى وغيرهم أن الإمام محمد بن عليّ ابن عبد الله بن عباس ، قال : لنا ثلاثة أوقات : موت الطاغية يزيد بن معاوية ، ورأس المائة ، وفتق[1] بإفريقيَة ، فعند ذلك يدعو لنا دعاة ، ثم يُقبل أنصارنا من المشرق حتى تردَ خيولهم المغرب ، ويستخرجوا ما كنز الجبّارون فيها .

فلمّا قتِل يزيد بن أبي مسلم بإفريقيَة ، ونقضت البربر ، بعث محمد بن عليّ رجلاً إلى خُراسان ، وأمره أن يدعوَ إلى الرضا ، ولا يسمّى أحداً .

وقد ذكرنا قبل خبر محمد بن عليّ ، وخبر الدّعاة الذى وجههم إلى خُراسان . ثم مات محمد بن عليّ وجعل وصيّه من بعده ابنه إبراهيم ؛ فبعث إبراهيم بن محمد إلى خُراسان أبا سلمَة حفص بن سليمان مولى السَّبِيع ، وكتب معه إلى النقباء بخراسان ، فقبِلوا كتبه وقام فيهم ، ثم رجع إليه فردّه ومعه ٣/٢٥

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « وفتح إفريقية » .

أبو مسلم . وقد ذكرنا أمر أبى مسلم قبل وخبره .

ثم وقع فى يد مَرْوان بن محمد كتاب لإبراهيم بن محمد إلى أبى مسلم ، جواب كتاب لأبى مسلم يأمره بقتل كل مَن يتكلم بالعربيّة بخراسان . فكتب مَرْوان إلى عامله بدمشق يأمره بالكتاب إلى صاحبه بالبَلْقاء أن يسيرَ إلى الُحميمة ، ويأخذ إبراهيم بن محمد ويوجّه به إليه . فذكر أبو زيد عمر بن شبّة أن عيسى ابن عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ بن أبى طالب ، حدّثه عن عثمان بن عروة ابن محمد بن عمار بن ياسر ، قال : إنى مع أبى جعفر بالُحميمة ومعه ابناه محمد وجعفر ، وأنا أرقّصهما ، إذ قال لى : ماذا تصنع ؟ أما ترى إلى ما نحن فيه ! قال : فنظرت فإذا رسل مروان تطلب إبراهيم بن محمد ، قال : فقلت : دعْنِى أخرج إليهم ، قال : تخرج من بيتى وأنت ابن عمار بن ياسر ! قال : فأخذوا أبواب المسجد حين صلوا الصبح ، ثم قالوا للشاميّين [(1)] الذين معهم : أين إبراهيم بن محمد ؟ فقالوا : هو ذا ، فأخذوه ؛ وقد كان مروان أمرهم بأخْذِ إبراهيم ، ووصف لهم صفة أبى العباس التى كان يجدها فى الكتب أنه يقتلهم ؛ فلما أتوه بإبراهيم ، قال : ليس هذه الصّفة التى وصفت لكم ، فقالوا : قد رأينا الصفة التى وصفت ، فردّهم فى طلبه ، ونُذروا ، فخرجوا إلى العراق هُرّابًا .

قال عمر : وحدّثنى عبد الله بن كثير بن الحسن العبدىّ ، قال : أخبرنى علىّ بن موسى ، عن أبيه ، قال : بعث مَرْوان بن محمد رسولاً إلى الُحميمة يأتيه بإبراهيم بن محمد ، ووصف له صفَته [(2)] ، فقدم الرّسُول فوجد الصفة صفة أبى العباس عبد الله بن محمد ، فلما ظهر إبراهيم بن محمد وأمِن قيل للرسول : إنما أمِرت بإبراهيم ؛ وهذا عبد الله ! فلما تظاهر ذلك عنده ترك أبا العباس وأخذ إبراهيم ، وانطلق به . قال : فشخصت معه أنا وأناس من بنى العباس ومواليهم ، فانطلق بإبراهيم ، ومعه أمّ ولد له كان بها معجبًا ، فقلنا له : إنما أتاك رجل ، فهلمّ فلنقتله ثم ننكفئ إلى الكوفة ، فهمْ لنا شيعة ، فقال : ذلك لكم ، قلنا : فأمهِلْ حتى نصيرَ إلى الطريق التى تُخرِجُنا إلى العراق . قال : فسرنا حتى صرنا إلى طريق تتشعّب إلى العراق ، وأخرى إلى الجزيرة ، فنزلنا منزلاً ؛ وكان إذا أراد التعريس اعتزل لمكان أمّ ولده ، فأتينا للأمر الذى

٢٦/٣

(١) ط : « ليستأمن » .   (٢) ط : « ووصفه » .

اجتمعنا عليه ، فصرَخْنا به ، فقام ليخرج فتعلقت به أم ولده ، وقالت : هذا وقت لم تكن تخرج فيه ؛ فما هاجك ! فالتوى عليها ، فأبت حتى أخبرها ، فقالت : أنشدك الله أن تقتلَه فتشأم أهلك ! والله لئن قتلته لا يُبقى مروانُ من آل العباس أحداً بالحُميمة إلّا قتله ؛ ولم تفارقه حتى حلف لها ألا يفعل ، ثم خرج إلينا وأخبرنا ، فقلنا : أنت أعلم .

قال عبد الله : فحدّثنى ابن لعبد الحميد بن يحيى كاتب مروان ، عن أبيه ، قال : قلت لمروان بن محمد : أتتهمنى ؟ قال : لا ، قلتُ : أفيَحُطُّك صهرُه ؟ قال : لا ، قلت : فإنى أرى أمره ينبغ عليك فأنكِحْه وأنكح إليه ، فإن ظهر كنتُ قد أعلقتَ بينك وبينه سبباً لا يريبك معه ، وإن كفيته لم يشنْك صهره . قال : ويحك ! والله لو علمته صاحب ذاك لسبقتُ إليه ؛ ولكن ليس بصاحب ذلك . ٢٧/٣

وذكر أن إبراهيم بن محمد حين أخِذ للمضىّ به إلى مَرْوان نعى إلى أهل بيته حين شيّعوه نفسَه ، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبى العباس عبد الله ابن محمد ، وبالسمع له وبالطاعة ، وأوصى إلى أبى العباس ، وجعله الخليفة بعده ؛ فشخص أبو العباس عند ذلك ومَن معه من أهل بيته ؛ منهم عبد الله ابن محمد وداود بن عيسى ، وصالح وإسماعيل وعبد الله وعبد الصمد بنو علىّ ويحيى ابن محمد وعيسى بن موسى بن محمد بن علىّ ، وعبد الوهاب ومحمد ابنا إبراهيم وموسى بن داود ويحيى بن جعفر بن تمام ؛ حتى قدموا الكوفة ، فى صَفَر ، فأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سَعْد مولى بنى هاشم فى بنى أوْد ، وكتم أمرهم نحواً من أربعين ليلة من جميع القوّاد والشيعة . وأراد — فيما ذكر — أبو سلمة تحويلَ الأمر إلى آل أبى طالب لما بلغه الخبر عن موت إبراهيم بن محمد ؛ فذكر علىّ بن محمد أنّ جبلة بن فرّوخ وأبا السرىّ وغيرهما قالا : قدم الإمام الكوفة فى ناس من أهل بيته ، فاختفوْا ، فقال أبو الجهم لأبى سلمة : ما فعل الإمام ؟ قال : لم يقدم بعد ، فألحّ عليه يسأله ، قال : قد أكثرتَ السؤال ، وليس هذا وقت خروجه [فكانوا بذلك] (١) ، حتى لقى أبو حُميد خادماً

---

(١) من ا .

لأبي العباس ، يقال له سابق الخوارزميّ ، فسأله عن أصحابه ، فأخبره أنهم بالكوفة ، وأنّ أبا سلَمة يأمرهم أن يختفوا ، فجاء به إلى أبي الجَهْم ، فأخبره خبرَهم ، فسرّح أبو الجهم أبا حُميد مع سابق حتى عرف منزلهم بالكوفة ، ثم رجع وجاء معه إبراهيم بن سلَمة (رجل كان معهم) ، فأخبر أبا الجهم عن منزِلهم ونزول الإمام في بني أوْد ، وأنه أرسل حين قدموا إلى أبي سلَمة يسأله مائة دينار ، فلم يفعل ، فمشى أبو الجهم وأبو حُميد وإبراهيم إلى موسى بن كعْب، ٣/٢٨ وقصُّوا عليه القصّة ، وبعثوا إلى الإمام بمائتي دينار ، ومضى أبو الجَهْم إلى أبي سلَمة ، فسأله عن الإمام ، فقال : ليس هذا وقت خروجه ؛ لأن واسطاً لم تفتح بعد ، فرجع أبو الجهم إلى موسى بن كعب فأخبره ، فأجمعوا على أن يلقوا الإمام ، فمضى موسى بن كعب وأبو الجهم وعبد الحميد بن رِبْعيّ وسلَمة ابن محمد وإبراهيم بن سلمة وعبد الله الطائيّ وإسحاق بن إبراهيم وشَراحيل وعبد الله بن بسام وأبو حُميد محمد بن إبراهيم وسليمان بن الأسود ومحمد بن الحصين إلى الإمام ، فبلَغ أبا سلمة ، فسأل عنهم فقيل : ركبوا إلى الكوفة في حاجة لهم .

وأتى القومُ أبا العباس، فدخلوا عليه فقالوا : أيّكم عبد الله بن محمد ابن الحارثية ؟ فقالوا : هذا ، فسلموا عليه بالخلافة ؛ فرجع موسى بن كعب وأبو الجَهْم الآخرين؛ فتخلفوا عند الإمام، فأرسل أبو سلمة إلى أبي الجهم : أين كنت ؟ قال : ركبتُ إلى إمامي . فركب أبو سلَمة إليهم، فأرسل أبو الجهم إلى أبي حميد أنّ أبا سلمة قد أتاكم ؛ فلا يدخلنّ على الإمام إلّا وحده ؛ فلما انتهى إليهم أبو سلمة منعوه أن يدخل معه أحدٌ ، فدخل وحده، فسلم بالخلافة على أبي العباس .

وخرج أبو العباس على بِرْذَون أبْلَق يوم الجمعة ، فصلّى بالناس ؛ فأخبرنا عَمارة مولى جبرئيل وأبو عبد الله السُّلَميّ أن أبا سلَمة لما سلّم على أبي العباس بالخلافة ، قال له أبو حُميد : علَى رَغْمِ أنفك يا ماصّ بظر أمّه ! فقال له أبو العباس : مَهْ ! ٣/٢٩

وذكر أنّ أبا العباس لما صعِد المنبر حين بويع له بالخلافة، قام فى أعلاه، وصعِد داود بن علىّ فقام دونه، فتكلم أبو العباس، فقال: الحمد لله الذى اصطفَى الإسلام لنفسه تكرِمة، وشرّفه وعظّمه، واختاره لنا وأيّده بنا، وجعلنا أهله وكهْفَه وحصنه والقوّام به، والذابّين عنه والناصرين له، وألزمَنا كلمه التقوى، وجعلنا أحقّ بها وأهلها، وخصّنا برحِم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقَرابته، وأنشأنا من آبائه، وأنبتنا من شجرته، واشتقّنا من نَبْعته؛ جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عَنِتْنا، حريصًا علينا بالمؤمنين رءوفًا رحيماً، ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يُتْلَى عليهم، فقال عزّ من قائل فيما أنزل من محكم القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١]، وقال: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٢] وقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٣]، وقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[٤]، وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[٥] فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، وأوجبَ عليهم حقنا ومودّتنا، وأجزل من الفىء والغنيمة نصيبنا تكرمةً لنا، وفضلاً علينا، والله ذو الفضل العظيم.

وزعمت السبئيّة[٦] الضُّلاّل، أن غيرنا أحقّ بالرياسة والسياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم! بم ولم أيّها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، ٣٠/٣ وبصّرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلَكتهم، وأظهر بنا الحقّ، وأدحض بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً، ورفع بنا الخسيسة، وتمّ بنا النقيصة، وجمع الفُرقة، حتى عاد الناس بعد العداوة أهلَ تعاطف وبرّ

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣.
(٢) سورة الشورى ٢٣.
(٣) سورة الشعراء ٢١٤.
(٤) سورة الحشر ٧.
(٥) سورة الأنفال ٤١.
(٦) ب: «الشامية».

ومواساة فى دينهم ودنياهم ، وإخواناً على سرُرٍ متقابلين فى آخرتهم ؛ فتح الله ذلك مِنّةً ومِنحةً لمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ فلما قبضه الله إليه ، قام بذلك الأمر من بعده أصحابه ، وأمرُهم شورى بينهم ، فحوَوْا مواريث الأمم ، فعدَلوا فيها ووضعُوها مواضعها ، وأعطوْها أهلها ، وخرجوا خِماصاً منها . ثم وثب بنو حَرْب ومَرْوان ، فابتزّوها وتداولوها(١) بينهم ، فجاروا فيها ، واستأثروا بها ، وظلموا أهلها ، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه ، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ، وردّ علينا حقّنَا ، وتدارك بنا أمّتنا ، وولى نصرَنا والقيام بأمرنا ، ليمنّ بنا على الذين استُضعفوا فى الأرض ؛ وختم بنا كما افتتح بنا . وإنى لأرجو ألّا يأتيَكم الجوْرمن حيث أتاكم الخيرُ ، ولاالفسادُ من حيث جاءكم الصلاح ؛ وما توفيقنا أهلَ البيت إلا بالله. يا أهل الكوفة ، أنتم محلّ محبّتنا ومنزل مودّتنا . أنتم الذين لم تتغيّروا عن ذلك ، ولمَ يُثنِكم عن ذلك تحامل أهل الجوْرعليكم ؛ حتى أدركتُم زمانَنا ، وأتاكم الله بدَوْلتِنَا ؛ فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا ؛ وقد زدتُكم فى أعطياتكم مائة درهم ، فاستعدُّوا ، فأنا السفاح المبِيح ، والثائر المبِير .

وكان موعوكًا فاشتدّ به الوعَك ، فجلس على المنبر ، وصعد داود بن علىّ فقام دونه على مراقى المنبر ، فقال : ٣١/٣

الحمد لله شكراً شكراً ؛ الذى أهلَك عدوّنا ، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه . أيّها الناس ، الآن أقشعت حنادس الدّنيا ، وانكشف غطاؤها ، وأشرقت أرضها وسماؤها ، وطلعت الشمس من مطلعها ، وبزغ القمر من مبزغه ؛ وأخذ القوس باريها ، وعاد السهم إلى منزَعه ، ورجع الحق إلى نصابه ؛ فى أهل بيت نبيّكم ، أهلِ الرأفة والرّحمة بكم والعطف عليكم . أيّها الناس ، إنا والله ما خرجْنا فى طلب هذا الأمر لنكثِر لُجيْناً ولا عقياناً ، ولا نحفرَ نَهراً ، ولا نبنىَ قصراً ؛ وإنما أخرجَنا الأنَفَةُ من ابتزازهم(٢) حقّنَا ، والغَضَبُ لبنى عمنا ، وما كرَثَنَا(٣) من أموركم ، وبَهظَنَا من شؤونكم ؛ ولقد كانت أموركم تُرمِضُنا ونحن على فُرشنا ، ويشتدّ علينا سوء

(١) ب : « وتداولوا » . (٢) ب : « انبزازهم » .
(٣) ابن الأثير : « ما كرهنا » .

سيرة بنى أمية فيكم ، وخُرْقهم[1] بكم ، واستذلالهم لكم ؛ واستئثارُهم بفَيْئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم . لكم ذمة الله تبارك وتعالى ، وذمة رسوله صلى الله عليه وآله ، وذمة العبّاس رحمه الله ؛ أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ، ونسير فى العامّة منكم والخاصّة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . تبًّا تبًّا لبنى حَرْب بن أمية وبنى مَرْوان! آثروا فى مُدّتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة ، والدارَ الفانية على الدار الباقية ، فركبوا الآثام ، وظلموا الأنام ، وانتهكوا المحارم ، وغَشُوا الجرائم ، وجاروا فى سيرتهم فى العباد ؛ وسنّتهم فى البلاد التى بها استلذّوا تسربُل الأوزار ، وتجلبب الآصار ، ومرحوا فى أعنّة المعاصى ، وركضوا فى ميادين الغىّ ؛ جهلا باستدراج الله ، وأمنًا لمكر الله ؛ فأتاهم بأس الله بياتًا وهم نائمون ، فأصبحوا أحاديث ، ومُزّقوا كلّ ممزّق ، فبعداً للقوم الظالمين ! وأدالنا الله من مروان ، وقد غرّه بالله الغَرُور ، أرسل لعدوّ الله فى عنانه حتى عثر فى فضل خِطامه ، فظنّ عدوّ الله أن لن نقدِر عليه ، فنادى حزبه ، وجمع مكايده ، ورمى بكتائبه ؛ فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله ، من مَكْر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله ، ومحق ضلالَه ، وجعل دائرة السوْء به ، وأحيا شرفَنا وعِزّنا ، وردّ إلينا حقنا وإرثنا . ٣٢/٣

أيّها الناس ؛ إن أمير المؤمنين نصره الله نصراً عزيزاً ، إنما عاد إلى المنبر بعد الصّلاة ؛ أنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن اسحنفر فيه شدّة الوَعْك ؛ وادْعُوا الله لأمير المؤمنين بالعافية ، فقد أبدلكم الله بمرْوان عدوّ الرحمن وخليفةِ الشيطان المتبعِ للسفلة الذين أفسدوا فى الأرض بعد صلاحِها بإبدال الدين وانتهاك حريم المسلمين ، الشابّ المتكهِّل المتمهل ، المقتدِى بسلفه الأبرار الأخيار ؛ الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها ، بمعالم الهدى ، ومناهج التقوى .

فعجّ الناس له بالدعاء . ثم قال :

يا أهلَ الكوفة ؛ إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقّنا ، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقّنا ، وأفلج بهم حجّتنا ، وأظهر بهم

---

(١) ب : « وحرفهم » .

دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم تنتظرون ، وإليه تتشوّفون ، فأظهر فيكم الخليفةَ من هاشم ، وبيّض به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشأم ، ونقل إليكم السلطان ، وعزّ الإسلام ، ومنّ عليكم بإمام منحه[1] العدالة ، وأعطاه حسن الإيالة[2] . ٣٣/٣
فخذوا ما آتاكم الله بشكر ، والزموا طاعتنا ، ولا تُخْدَعوا عن أنفسكم فإن الأمر أمركم ، وإنّ لكل أهل بيت مصراً ؛ وإنكم مصرُنا . ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين علىّ ابن أبى طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد — وأشار بيده إلى أبى العباس — فاعلموا أنّ هذا الأمر فينا ليس بخارج منّا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه ، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا .

ثم نزل أبو العباس وداود بن علىّ أمامه ؛ حتى دخل القصر ، وأجلس أبا جعفر ليأخذ البيْعة على الناس فى المسجد ، فلم يزل يأخذها عليهم ؛ حتى صلى بهم العصر ، ثم صلى بهم المغرب ، وجنّهم الليل ، فدخل .

وذكِر أن داود بن علىّ وابنه موسى كانا بالعراق أو بغيرها ، فخرجا يريدان الشُّراة فلقيَهما أبو العباس يريد الكوفة ، معه أخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد وعبد الله بن علىّ وعيسى بن موسى ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس ، ونفر من مواليهم بدَوْمة الجندل ، فقال لهم داود : أين تريدون ؟ وما قِصّتكم ؟ فقصّ عليه أبو العباس قِصّتهم ، وأنهم يريدون الكوفة ليظهروا بها ، ويظهروا أمرهم ، فقال له داود : يا أبا العباس ، تأتى الكوفة وشيخ بنى مروان[3] ؛ مَرْوان ابن محمد بحرّان مطلٌّ على العراق فى أهل الشأم والجزيرة ، وشيخ العرب يزيد بن عمر بن هبيرة بالعراق فى حلْبة العرب ! فقال أبو الغنائم : من أحبّ الحياة ذلّ ، ثم تمثل بقول الأعشى :

فما ميتَةٌ إن مِتُّها غيرَ عاجز بعارٍ إذا ما غالتِ النفسَ غُولُها

فالتفت داود إلى ابنه موسى فقال : صدق والله ابنُ عمك ، فارجع بنا معه نعش أعزّاء أو نمت كراماً ، فرجعوا جميعاً ، فكان عيسى بن موسى ٣٤/٣

---

(١) ب : « منحته » . (٢) ب : « الإنالة » .
(٣) ابن الأثير : « أمية » .

يقول إذا ذكر خروجهم من الُحميمة يريدون الكوفة : إن نفراً أربعة عشر رجلا خرجوا من دارهم وأهليهم يطلبون مطالبنا ، لعظيمٌ همّهم كبيرة أنفسهم ، شديدة قلوبهم .

* * *

ذكر بقيّة الخبر عما كان من الأحداث فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة

تمام الخبر عن سبب البيعة لأبى العباس عبد الله بن محمد بن علىّ وما كان من أمره :

قال أبو جعفر : قد ذكرنا من أمر أبى العباس عبد الله بن محمد بن علىّ ما حضرنا ذكره قبلُ ، عمّن ذكرنا ذلك عنه ؛ وقد ذكرنا من أمره وأمر أبى سلمة وسبب عقد الخلافة لأبى العباس أيضًا ما أنا ذاكره ؛ وهو أنه لما بلغ أبا سلمة قتلُ مروان بن محمد إبراهيمَ الذى كان يقال له الإمام ، بدا له فى الدعاء إلى ولد العباس وأضمر الدّعاء لغيرهم ؛ وكان أبو سلمة قد أنزل أبا العباس حين قدم الكوفة مع مَن قدم معه من أهل بيته فى دار الوليد بن سعد فى بنى أوْد ، فكان أبو سلمة إذا سئل عن الإمام يقول : لا تعجلوا ، فلم يزل ذلك من أمره وهو فى معسكره بحمّام أعين حتى خرج أبو حُميد ، وهو يريد الكُناسة ، فلقى خادمًا لإبراهيم يقال له سابق الخوارزمىّ ، فعرفه ، وكان يأتيهم بالشأم فقال له : ما فعل الإمام إبراهيم ؟ فأخبره أنّ مرْوان قتله غِيلة ، وأن إبراهيم أوصى إلى أخيه أبى العباس ، واستخلفه من بعده ، وأنه قدم الكوفة ومعه عامّة أهل بيته ، فسأله أبو حميد أن ينطلق به إليهم ، فقال له سابق : الموعدُ بينى وبينك غدًا فى هذا الموضع ، وكره سابق أن يدلّه عليهم إلا بإذنهم ، فرجع أبو حميد من الغد إلى الموضع الذى وعد فيه سابقًا ، فلقيه ، فانطلق به إلى أبى العباس وأهل بيته ، فلما دخل عليهم سأل أبو حُميد : مَن الخليفة منهم ؟ فقال داود بن علىّ : هذا إمامكم وخليفتكم — وأشار إلى أبى العباس — فسلم عليه بالخلافة ، وقبّل يديه ورجليه ، وقال : مُرنا بأمرك ، وعزّاه بالإمام إبراهيم. ٣٥/٣

وقد كان إبراهيم بن سلمة دخل عسكر أبى سلمة متنكّراً ، فأتى أبا الجهم فاستأمنه ، فأخبره أنه رسول أبى العباس وأهل بيته ، وأخبره بمن معه وبموضعهم ،

وأنّ أبا العباس كان سرّحه إلى أبى سلمة يسأله مائة دينار ، يعطيها للجمّال كراءَ الجمال التى قدِم بهم عليها ، فلم يبعث بها إليه ، ورجع أبو حميد إلى أبى الجَهْم ، فأخبره بحالهم ، فمشى أبو الجَهْم وأبو حُميد ومعهما إبراهيم بن سلمة ، حتى دخلوا على موسى بن كعب ، فقصّ عليه أبو الجهم الخبرَ ، وما أخبره إبراهيم بن سلمة ، فقال موسى بن كعب : عجِّل البعثة إليه بالدّنانير وسرّحه . فانصرف أبو الجَهْم ودفع الدنانير إلى إبراهيم بن سلمة ، وحمله على بَغْل وسرّح معه رجلين ، حتى أدخلاه[1] الكوفة ، ثم قال أبو الجهم لأبى سلمة ، وقد شاع فى العسكر أن مروان بن محمد قد قتل الإمام : فإن كان قد قُتِل كان أخوه[2] أبو العباس الخليفة والإمام من بعده ؛ فردّ عليه أبو سلمة : يا أبا الجهم ، اكفف أبا حميد عن دخول الكوفة ، فإنهم أصحاب إرجاف وفساد . ٣٦/٣

فلما كانت الليلة الثانية أتى إبراهيم بن سلمة أبا الجهم وموسى بن كعب ، فبلّغهما رسالة من أبى العباس وأهل بيته ، ومشى فى القوّاد والشيعة تلك الليلة ، فاجتمعوا فى منزل موسى بن كعب ؛ منهم عبد الحميد بن رِبعىّ وسلمة بن محمد وعبد الله الطائىّ وإسحق بن إبراهيم وشراحيل[3] وعبد الله بن بسام وغيرهم من القوّاد . فأتمروا فى الدخول إلى أبى العباس وأهل بيته ، ثم تسللوا من الغد حتى دخلوا الكوفة وزعيمهم موسى بن كعب وأبو الجهم وأبو حميد الحميرىّ — وهو محمد بن إبراهيم — فانتهوا إلى دار الوليد بن سعد ، فدخلوا عليهم ، فقال موسى ابن كعب وأبو الجهم : أيّكم أبو العباس ؟ فأشاروا إليه ، فسلموا عليه وعزّوه بالإمام إبراهيم ، وانصرفوا إلى العسكر ، وخلّفوا عنده أبا حميد وأبا مقاتل وسليمان بن الأسود ومحمد بن الحصين[4] ومحمد بن الحارث ونهار بن حُصين ويوسف بن محمد وأبا هريرة محمد بن فروخ .

فبعث أبو سلمة إلى أبى الجَهْم فدعاه ، وكان أخبره بدخوله الكوفة ، فقال : أين كنت يا أبا الجهم ؟ قال : كنت عند إمامى ، وخرج أبو الجهم فدعا حاجب بن صدّان ، فبعثه إلى الكوفة ، وقال له : ادخل ، فسلِّم على أبى العباس

(١) ط : « دخلا » ، ا : « أدخلوه » . (٢) ا : « فإن أخاه العباس » .
(٣) ا ، ب : « أبو شراحيل » . (٤) ا ، ط : « الحسين » .

بالخلافة ، وبعث إلى أبى حميد وأصحابه : إن أتاكم أبو سلمة فلا يدخل إلا وحدَه ؛ فإن دخل وبايع فسبيله ذلك؛ وإلا فاضربوا عنقه؛ فلم يلبثوا أن أتاهم أبو سلمة فدخل وحدَه ، فسلم على أبى العباس بالخلافة ، فأمره أبو العباس بالانصراف إلى عسكره، فانصرف من ليلته، فأصبح الناس قد لبسوا سلاحَهم، ٣٧/٣ واصطفّوا لخروج أبى العباس ، وأتوْه بالدوابّ ، فركب ومَن معه من أهل بيته حتّى دخلوا قصر الإمارة بالكوفة يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلَتْ من شهر ربيع الآخر . ثم دخل المسجد من دار الإمارة ، فصعِد المِنبر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وذكر عظمة الربّ تبارك وتعالى وفضل النبى صلى الله عليه ، وقاد الولاية والوراثة حتّى انتهيَا إليه ، ووعد الناس خيراً ثم سكت .

وتكلّم داود بن علىّ وهو على المنبر أسفلَ من أبى العباس بثلاث درجات ، فحمِد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : أيّها الناس، إنه والله ما كان بينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة إلا علىّ بن أبى طالب وأمير المؤمنين هذا الذى خلفى . ثم نزلا وخرج أبو العباس، فعسكر بحمام أعين فى عسكر أبى سلَمة ، ونزل معه فى حجرته ، بينهما ستر ، وحاجب أبى العباس يومئذ عبد الله بن بسام . واستخلف على الكوفة وأرضها عمّه داود بن علىّ ، وبعث عمه عبد الله بن علىّ إلى أبى عَوْن ابن يزيد ، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قَحْطبة ، وهو يومئذ بواسط محاصر ابنَ هبيرة ، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام ابن عباس إلى حُميد بن قحطبة بالمدائن ، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة ابن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز ، وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن طريف[1] ، وأقام أبو العباس فى العسكر أشهراً ثم ارتحل ، فنزل المدينة الهاشميّة فى قصر الكوفة ، وقد كان تنكّر لأبى سلمة قبل تحوّله حتّى عرف ذلك .

---

(١) ب وابن الأثير : « الطواف » .

[ذكر هزيمة مروان بن محمد بموقعة الزّاب]

٣٨/٣ وفى هذه السنة هُزم مروان بن محمد بالزّاب .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها وكيف كان ذلك :

ذكر علىّ بن محمد أن أبا السرىّ وجَبَلة بن فرّوخ والحسن بن رشيد وأبا صالح المروزىّ وغيرهم أخبروه أن أبا عون عبد الملك[1] بن يزيد الأزدىّ وجّهه قحطبة إلى شهرزُور من نهاوند ، فقتل عثمان بن سفيان ، وأقام بناحية الموْصِل ، وبلغ مَرْوان أن عثمان قد قُتِل ، فأقبل من حرّان ، فنزل منزلاً فى طريقه، فقال : ما اسم هذا المنزل ؟ قالوا : بَلْوى ، قال : بل عَلْوى وبُشرى . ثم أتى رأس العين ، ثم أتى الموصل، فنزل على دِجلة[2]، وحفر خندقاً فسار إليه أبو عَوْن ، فنزل الزّاب ، فوجّه أبو سلمة إلى أبى عون عيينة بن موسى والمنهال بن فتّان وإسحاق بن طلحة ؛ كلّ واحد فى ثلاثة آلاف ؛ فلما ظهر أبو العباس بعثَ سلمة بن محمد فى ألفيْن وعبد الله الطائىّ فى ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن رِبعىّ الطائىّ فى ألفيْن، ووداس بن نَضْلة فى خمسمائة إلى أبى عون . ثم قال : مَنْ يسير إلى مروان من أهل بيتى ؟ فقال عبد الله بن علىّ : أنا ، فقال : سِرْ على بركة الله ، فسار عبد الله بن علىّ ، فقدم على أبى عون ، فتحوّل له أبو عون عن سُرادقه وخلاّه وما فيه ، وصيّر عبد الله بن علىّ على شُرْطته حيّاش بن حبيب الطائىّ ، وعلى حَرَسه نصير بن المحتفز[3] ، ووجّه أبو العباس موسى بن كعب فى ثلاثين رجلاً على البريد إلى عبد الله بن علىّ ، فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، سأل

٣٩/٣ عبد الله بن علىّ عن مخاضة ، فدُلّ عليها بالزّاب ، فأمر عيينة بن موسى فعبَر فى خمسة آلاف ، فانتهى إلى عسكر مَرْوان ، فقاتلهم حتى أمسوْا ، ورُفعت لهم النيران فتحاجزوا ، ورجع عيينة فعبَر المخاضة إلى عسكر عبد الله ابن علىّ ؛ فأصبح مَرْوان فعقد الجسر ، وسرّح ابنه عبد الله يحفر خندقاً أسفلَ من عسكر عبد الله بن علىّ ، فبعث عبد الله بن على المخارق[4] بن غِفار فى أربعة آلاف ، فأقبل حتى نزل على خمسة أميال من عسكر عبد الله بن

---

(١) ب : « عبد الله » .
(٢) ا : « الفرات » .
(٣) ط : « المحتفر » ، وانظر الفهرس .
(٤) ب : « المخارق بن عفار » .

علىّ ، فسرّح عبد الله بن مَرْوان إليه الوليد بن معاوية ، فلقى المخارق ، فانهزم أصحابُه ، وأسِروا ، وقتل منهم يومئذ عِدّة ، فبعث بهم إلى عبد الله ، وبعث بهم عبد الله إلى مَرْوان مع الرءوس ، فقال مروان : أدخلِوا علىّ رجلا من الأسارَى ، فأتوْه بالمخارق — وكان نحيفًا — فقال : أنت المخارق ؟ فقال : لا ، أنا عبد من عبيد أهل العسكر ، قال : فتعرف المخارق ؟ قال : نعم ، قال : فانظر فى هذه الرءوس هل تراه ؟ فنظر إلى رأس منها ، فقال : هو هذا ، فخلّى سبيله ، فقال رجل مع مروان حين نظر إلى المخارق وهو لا يعرفه : لعن الله أبا مسلم حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم !

قال علىّ : حدثنا شيخ من أهل خراسان قال : قال مرْوان [للمخارق] [١] : تعرف المخارق إن رأيته؟ فإنهم زعموا أنه فى هذه الرءوس التى أتينا بها ، قال : نعم ، قال : اعرضوا عليه تلك الرءوس ، فنظر فقال : ما أرى رأسه فى هذه الرءوس ، ولا أراه إلاّ وقد ذهب ، فخلّى سبيله . وبلغ عبد الله بن علىّ انهزام المخارق ، فقال له موسى بن كعب : اخرج إلى مَرْوان قبل أن يصل الفَلّ إلى العسكر ، فيظهر ما لقى المخارق . فدعا عبد الله بن علىّ محمد بن صوْل ، فاستخلفَه على العسكر ، وسار على ميمنته أبو عون ، وعلى ميسرة مَرْوان الوليد بن معاوية ، ومع مروان ثلاثة آلاف من المحمرة ومعه الذكوانية [٢] والصّحصحية والرّاشدية ، فقال مروان لما التقى العسكران لعبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز : إن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم ؛ وإن قاتلونا قبل الزوال ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وأرسل مَرْوان إلى عبدالله بن علىّ يسأله الموادعة ، فقال عبدالله : كذب ابن زُريق ، ولا تزول الشمس حتى أوطِئه الخيل إن شاء الله . فقال مروان لأهل الشأم : قِفوا لا تبدءوهم بقتال ؛ فجعل ينظر إلى الشمس ، فحمل الوليد بن معاوية بن مروان وهو ختَن مروان على ابنته ، فغضب وشتمه . وقاتل ابنُ معاوية أهلَ الميمنة ، فانحاز أبو عون إلى عبد الله بن علىّ ، فقال موسى ابن كعب لعبد الله : مر الناس فلينزلوا ، فنودى : الأرض ، فنزل الناس ،

٤٠/٣

(١) من ا . (٢) ط : « الدوكانية » .

وأشرعوا الرماح ، وجثَوْا على الرّكَب ، فقاتلوهم ، فجعل أهل الشأم يتأخّرُون كأنهم يدفعون ، ومشى عبد الله قُدماً وهو يقول : يا ربّ ، حتى متى نُقْتَل فيك ! ونادى : يا أهل خُراسان ، يا لثارات إبراهيم ! يا محمد، يا منصور ! واشتدّ بينهم القتال . وقال مروان لقضاعة : انزلوا ، فقالوا : قل لبنى سليم فلينزلوا ، فأرسل إلى السكاسك أن احملوا ، فقالوا : قل لبنى عامر فليحملوا ، فأرسل إلى السّكون أن احملوا، فقالوا : قل لغطفان فليحملوا ، فقال لصاحب شُرَطه : انزل ، فقال : لا والله ما كنتُ لأجعَل نفسى غرَضاً . قال : أما والله لأسوءنّك ، قال : وددت والله أنك قدرت على ذلك . ثم انهزم أهلُ الشأم ، وانهزم مَرْوان، وقطع الجسر ، فكان مَنْ غرق يومئذ أكثر ممن قُتِل ، فكان فيمن غرق يومئذ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك [المخلوع] (١) ، وأمر عبد الله بن علىّ فعقد الجِسْر على الزّاب ، واستخرجوا الغرقَى [فأخرجوا ثلثمائة] (١) ، فكان فيمن أخرجوا إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، فقال عبد الله بن علىّ : ﴿ وإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البَحْر فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُم تَنْظُرون ﴾ (٢) .

٤١/٣

وأقام عبد الله بن علىّ فى عسكره سبعة أيام ، فقال رجل من ولد سعيد ابن العاص يعيّر مروان :

لَجَّ الفِرارُ بمروانٍ فقلتُ لَهُ ... عَادَ الظلومُ ظَليماً هَمُّــه الهَرَبُ

أين الفرارُ وتركُ المُلْكِ إذ ذهبت ... عنك الهُوَيْنَى فلا دين ولا حَسبُ

فراشَةُ الحِلم فِرْعَوْنُ العِقاب وإنْ ... تَطْلُبْ نَداهُ فكلبٌ دونه كَلِبُ

وكتب عبد الله بن علىّ إلى أمير المؤمنين أبى العباس بالفتح ، وهرب مروان وحوى عسكر مروان بما فيه ، فوجد فيه سلاحاً كثيراً وأموالاً ؛ ولم يجدوا فيه امرأةً إلا جارية كانت لعبد الله بن مروان؛ فلمّا أتى العباس كتابُ عبد الله ابن علىّ صلى ركعتين ، ثم قال : ﴿ فلمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بنَهَر ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعلَّمه مِمَّا يَشَاءُ ﴾(٣). وأمر لمن شهد الوقعة

(١) من ا . (٢) سورة البقرة ٥٠ .
(٣) سورة البقرة ٢٤٩ .

بخمسمائة خمسمائة ، ورفع أرزاقهم إلى ثمانين .

حدثنا أحمد بن زهير ، عن علىّ بن محمد ، قال : قال عبد الرحمن بن أميّة : كان مَرْوان لما لقيه أهلُ خُراسان لا يدبّر شيئًا إلا كان فيه الخلل والفساد . قال : بلغنى أنّه كان يوم انهزم واقفًا ، والناس يقتتلون ؛ إذ أمَر بأموال فأخرِجت ، وقال للناس : اصبروا وقاتلوا ، فهذه الأموال لكم ، فجعل ناسٌ من الناس يصيبون من ذلك المال ، فأرسلوا إليه : إنّ الناس قد مالوا على هذا المال ، ولا نأمنهم أن يذهبوا به . فأرسل إلى ابنه عبد الله أن سِرْ فى أصحابِك إلى مؤخّر عسكرك ، فاقتل مَنْ أخذ من ذلك المال وامنعْهم ؛ فمال عبد الله برايته وأصحابه ، فقال الناس : الهزيمة ؛ فانهزموا . ٤٢/٣

حدّثنا أحمد بن علىّ ، عن أبى الجارود السُّلمىّ ، قال : حدّثنى رجل من أهل خُراسان ، قال : لقينا مروان على الزّاب ، فحمل علينا أهل الشأم كأنهم جبال حديد ، فجثوْنا وأشرعنا الرماح ، فمالوا عنا[1] كأنهم سحابة ، ومَنحنا الله أكتافهم ، وانقطع الجِسْر مما يليهم حين عبروا ، فبقىَ عليه رجلٌ من أهل الشأم ، فخرج عليه رجل منا ، فقتله الشأمىّ ، ثم خرج آخر فقتله ؛ حتى والى بين ثلاثة ؛ فقال رجل منا : اطلبوا لى سيفًا قاطعًا ، وتُرْسًا صلبًا ، فأعطيناه ، فمشى إليه فضربه الشأمىّ فاتّقاه بالترس ، وضرب رِجْله فقطعها ، وقتله ورجع ؛ وحملناه وكبّرنا فإذا هو عبيد الله الكابلىّ .

وكانت هزيمة مَرْوان بالزّاب — فيما ذكر — صبيحة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلتْ من جمادى الآخرة .

* * *

[ذكر خبر قتل إبراهيم بن محمد بن علىّ الإمام]

وفى هذه السنة قتِل إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

اختلف أهلُ السِّيَر فى أمر إبراهيم بن محمد ، فقال بعضهم : لم يُقتل ولكنه مات فى سجن مَرْوان بن محمد بالطاعون .

---

(١) ا « عليناه »

* ذكر من قال ذلك :

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن خالد
٤٣/٣ ابن يزيد بن هريم . قال : حدثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، قال : قدم مروان بن محمد الرّقة حين قدمها متوجهًا إلى الضّحاك بسعيد بن هشام ابن عبد الملك وابنيه عثمان ومروان؛ وهم فى وثاقهم معه ؛ فسرّح بهم إلى خليفته بحرّان ، فحبسهم فى حَبْسها ، ومعهم إبراهيم بن علىّ بن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز والعباس بن الوليد وأبو محمد السفْيانىّ — وكان يقال له البيَنْطار — ، فهلك فى سجن حَرّان منهم فى وباء وقع بحرّان العباس ابن الوليد وإبراهيم بن محمد وعبد الله بن عمر . قال : فلمّا كان قبل هزيمة مَرْوان من الزّاب يوم هزمه عبد الله بن علىّ بجمعة ، خرج سعيد بن هشام ومَن معه من المحبّسين [١] ، فقتلوا صاحب السجن ، وخرج فيمن معه ، وتخلف أبو محمد السفيانىّ فى الحبس ، فلم يخرج فيمن خرج ، ومعه غيره لم يستحلّوا الخروج من الحبْس ، فقتَل أهل حَرّان ومَن كان فيها من الغوغاء سعيد ابن هشام وشَراحيل بن مسلمة بن عبد الملك وعبد الملك بن بشر [٢] التغلبىّ ، وبطريق أرمينية الرابعة — وكان اسمه كوشان — بالحجارة ، ولم يلبث مَرْوان بعد قتلهم إلا نحواً من خمس عشرة ليلة ؛ حتى قدم حرّان منهزمًا من الزّاب ، فخلّى عن أبى محمد ومَن كان فى حبسه من المحبّسين .

وذكر عمر أن عبد الله بن كثير العبدىّ حدثه عن علىّ بن موسى ، عن أبيه ، قال : هدم مروان على إبراهيم بن محمد بيتًا فقتله .

٤٤/٣ قال عمرو : وحدثنى محمد بن معروف بن سويد ، قال : حدثنى أبى عن المهلهل بن صفوان — قال عمر : ثم حدثنى المفضّل بن جعفر بن سليمان بعده ؛ قال : حدثنى المهلهل بن صفوان — قال : كنتُ أخدم [٣] إبراهيم بن محمد فى الحبس ؛ وكان معه فى الحبس عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وشراحيل بن مسلمة بن عبد الملك فكانوا يتزاورون ، وخصّ الذى بين إبراهيم وشَراحيل فأتاه رسوله يومًا بلبن ،

---

(١) ط : « المحبس » . (٢) ا : « بشير » .
(٣) ط : « مع » .

فقال : يقول لك أخوك : إنّى شربتُ من هذا اللبن فاستطبتُه فأحببتُ أن تشربَ منه ، فتناوله فشرب فتوصّب من ساعته وتكسر جسده[1] ، وكان يومًا يأتى فيه شراحيل ، فأبطأ عليه ، فأرسل إليه : جُعِلت فداك ! قد أبطأت فما حبسك ؟ فأرسل إليه : إنى لما شربت اللبن الذى أرسلته إلىّ أخلفنى ، فأتاه شراحيل مذعورًا وقال : لا والله الذى لا إله إلا هو ؛ ما شرِبْتُ اليوم لبنًا ، ولا أرسلت به إليك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ! احتيل لك والله . قال : فوالله ما بات إلاّ ليلته وأصبح من غد ميتًا ؛ فقال إبراهيم بن علىّ بن سلمة بن عامر ابن هرمة بن هذيل بن الربيع بن عامر بن صبيح بن عدىّ بن قيس — وقيس هو ابن الحارث بن فهر — يرثيه :

قد كنتُ أَحسِبُنى جَلدًا فَضَعْضَعَنى ... قبرٌ بحَرَّانَ فيه عِصْمَةُ الدينِ
فيه الإمامُ وخيرُ الناسِ كلِّهمُ ... بين الصفائح والأَحجار والطينِ
فيه الإمامُ الذى عَمَّتْ مُصيبتُه ... وعَيَّلَتْ كلَّ ذى مال ومِسكينِ
فلا عفا اللهُ عن مروانَ مظلمةً ... لكنْ عفا اللهُ عمَّن قال آمين

* * *

[ذكر الخبر عن قتل مروان بن محمد]

وفى هذه السنة قتِل مَرْوان بن محمد بن مروان بن الحكم .

* ذكر الخبر عن مقتله وقتاله من قاتله من أهل الشأم فى طريقه وهو هارب من الطلب :

حدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدّثنى أبو هاشم مخلد بن محمد ، قال : لما انهزم مَرْوان من الزّاب كنتُ فى عسكره . قال : كان لمروان فى عسكره بالزّاب عشرون ومائة ألف ؛ كان فى عسكره ستون ألفًا ، وكان فى عسكر ابنه عبد الله مثل ذلك ، والزّاب بينهم ، فلقيه عبد الله بن علىّ فيمن معه وأبى عون وجماعة قوّاد ، منهم حُمَيد بن قحطبة ؛ فلما هزموا سار إلى حَرّان وبها أبان بن يزيد بن محمد بن مَرْوان ، ٣/٤٥

(١) ب : نكس جسده .

ابن أخيه عامله عليها ، فأقام بها نيّفاً وعشرين يوماً . فلما دنا منه عبدُ الله بن علىّ حمل أهله وولده وعياله ، ومضى منهزماً ، وخلّف بمدينة حرّان أبان ابن يزيد ؛ وتحته ابنة لمروان يقال لها أمّ عثمان ، وقدم عبد الله بن علىّ ، فتلقاه أبان مسوّداً مبايعاً له ، فبايعه ودخل فى طاعته ، فآمنه ومَن كان بحرّان والجزيرة. ومضى مَرْوان حتى مرّ بِقِنَّسرين وعبدالله بن علىّ متبع له . ثم مضى من قنّسرين إلى حِمْص، فتلقاه أهلها بالأسواق وبالسمع والطاعة فأقام بها يومَين أو ثلاثة ، ثم شخص منها ؛ فلما رأوا قِلة مَن معه طمعوا فيه ، وقالوا : مرعوب منهزم ، فاتّبعوه بعد ما رحل عنهم ؛ فلحقوه على أميال ، فلما رأى غَبَرة خيلهم أكمن لهم فى واديين قائدين من مواليه ، يقال لأحدهما يزيد والآخر مخلّد ؛ فلما دنَوا منه وجازوا الكمينين ومضى الذرارىّ صافّهم فيمن معه وناشدهم، فأبوا إلا مكاثرته وقتاله، فنشب القتال بينهم ؛ وثار الكمينان[1] من خلْفهم ؛ فهزمهم وقتلتْهم خيلُه حتى انتهوا إلى قريب من المدينة.

قال : ومضى مَرْوان حتى مرّ بدمشق ، وعليها الوليد بن معاوية بن مروان ؛ وهو ختَن لمروان، متزوج بابنة له يقال لها أمّ الوليد ، فمضى وخلفه بها حتى قدم عبدُ الله بن علىّ عليه ، فحاصره أياماً ، ثم فتحت المدينة ، ودخلها عَنْوة معترضاً أهلها . وقتل الوليد بن معاوية فيمن قُتِل ، وهدَم عبد الله بن علىّ حائط مدينتها . ومرّ مروان بالأرْدنّ ، فشخص معه ثعلبة ابن سلامة العاملىّ ، وكان عامله عليها ، وتركها ليس عليها وال ، حتى قدم عبد الله بن علىّ فولى عليها ، ثم قدم فلسطين وعليها من قبله الرّماحس بن عبد العزيز . فشخص به معه ؛ ومضى حتى قدم مصر ، ثم خرج منها حتى نزل منزلا منها يقال له بوصير ؛ فبيّته عامر بن إسماعيل وشعبة ومعهما خيل أهل الموصل فقتلوه بها ، وهرب عبدالله وعبيدالله ابنا مروان ليلة بُيِّت مروان إلى أرض الحبشة ، فلقوا من الحبشة بلاءً وقاتلتهم الحبشة، فقتلوا عبيد الله ، وأفلت عبد الله فى عدّة ممن معه ؛ وكان فيهم بكر بن معاوية الباهلىّ ، فسلم حتى كان فى خلافة المهدىّ، فأخذه نصر بن محمد بن الأشعث عامل فلسطين، فبعث به إلى المهدىّ .

(١) ط : «وأثار الكمينين» .

وأما علىّ بن محمد ؛ فإنه ذكر أن بشر بن عيسى والنعمان أبا السرىّ ومحرز بن إبراهيم وأبا صالح المروزىّ وعمارة مولى جبريل[١] أخبروه أنّ مروان لقى عبد الله بن علىّ فى عشرين ومائة ألف وعبد الله فى عشرين ألفًا .

وقد خولف هؤلاء فى عدد من كان مع عبد الله بن علىّ يومئذ . فذكر مسلم بن المغيرة[٢] ، عن مصعب بن الربيع الخثعمىّ وهو أبو موسى ابن مصعب – وكان كاتبًا لمروان – قال : لما انهزم مروان ، وظهر عبد الله بن علىّ على الشأم ، طلبت الأمانَ فآمننى ، فإنى يومًا جالس عنده ؛ وهو متكئ إذ ذكر مروان وانهزامه ، قال : أشهدتَ القتال ؟ قلتُ : نعم أصلح الله الأمير ! فقال : حدّثنى عنه ؛ قال : قلت : لما كان ذلك اليوم قال لى : احزر القوم ، فقلت : إنما أنا صاحب قلم ؛ ولستُ صاحب حرب ؛ فأخذ يمنة ويسرة ونظر فقال : هم اثنا عشر ألفًا ، فجلس عبد الله ، ثم قال : ما له قاتله الله ! ما أحصى الديوان يومئذ فضلا على اثنى عشر ألف رجل ! ٣/٤٧

* * *

رجع الحديث إلى حديث علىّ بن محمد عن أشياخه : فانهزم مروان حتى أتى مدينة الموصل ؛ وعليها هشام بن عمرو التغلبىّ وبشر بن خزيمة الأسدىّ ، وقطعوا الجسر ، فناداهم أهل الشأم : هذا مروان ، قالوا : كذبتم ، أمير المؤمنين لا يفرّ ، فسار إلى بلد ، فعبر دجْلة ، فأتى حرّان ثم أتى دمشق ، وخلّف بها الوليد بن معاوية ، وقال : قاتلهم حتى يجتمع أهل الشأم . ومضى مَرْوان حتى أتى فلسطين ، فنزل نهر أبى فُطْرُس ، وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضَبْعان الجُذامىّ ، فأرسل مَرْوان إلى عبد الله بن يزيد بن روح بن زِنباع ، فأجازه ، وكان بيت المال فى يد الحكم . وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن علىّ يأمره باتباع مروان ، فسار عبد الله إلى الموصل ، فتلقاه هشام بن عمرو التغلبىّ وبشر بن خزيمة . وقد سوّدا فى أهل الموصل ، ففتحوا له المدينة ، ثم سار إلى حَرّان ، وولّى الموصل محمد بن صول ؛ فهدم الدّار التى حبس فيها إبراهيم

---

(١) كذا فى ب ، وفى ط : « جبرئيل ». (٢) ط : « المعرة » ، وما أثبته من ا .

ابن محمد ، ثم سار من حرّان إلى منبِج وقد سوّدوا ، فنزل مَنْبِج وولاها
أبا حميد المروروذيّ ، وبعث إليه أهل قنّسرين ببيعتهم إياه بما أتاه به عنهم
٣/٤٨ أبو أمية التغلبيّ. وقدم عليه عبد الصمد بن عليّ ، أمده به أبو العباس فى أربعة
آلاف ، فأقام يومين بعد قدوم عبد الصّمد، ثم سار إلى قنّسرين ، فأتاها
وقد سوّد أهلها ، فأقام يومين ، ثم سار حتى نزل حِمْص ، فأقام بها أيّامًا
وبايع أهلها ، ثم سار إلى بعلبكّ ، فأقام يومين ثم ارتحل؛ فنزل بعين الحرّ ،
فأقام يومين ثم ارتحل ، فنزل مِزّة (قرية من قرى دمشق) فأقام . وقدم عليه
صالح بن عليّ مَدَدًا ، فنزل مَرْج عذراء فى ثمانية آلاف ، معه بسام بن
إبراهيم وخفّاف وشعبة والهيثم بن بسام . ثم سار عبد الله بن عليّ ، فنزل على
الباب الشرقى ، ونزل صالح بن عليّ على باب الجابية ، وأبو عون على باب
كيسان ، وبسام على باب الصغير ، وحُميد بن قحطبة على باب توما ،
وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس — وفى
دمشق الوليد بن معاوية — فحصروا أهل دمشق والبلْقاء ، وتعصّب الناس
بالمدينة ، فقتل بعضهم بعضًا ، وقتلوا الوليد ، ففتحوا الأبواب يوم الأربعاء
لعشر مضين من رمضان سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، فكان أوّل مَنْ صعد
سور المدينة من الباب الشرقىّ عبد الله الطائىّ ، ومن قِبَل باب الصغير بسّام بن
إبراهيم ، فقاتلوا بها ثلاث ساعات ، وأقام عبد الله بن عليّ بدمشق خمسة
عشر يومًا ، ثم سار يريد فلسطين ، فنزل نهر الكُسوة ، فوجّه منها يحيى بن
جعفر الهاشمىّ إلى المدينة ، ثم ارتحل إلى الأردنّ ، فأتوْه وقد سوّدوا ، ثم نزل
بَيْسان ، ثم سار إلى مَرْج الرّوم ، ثم أتى نهر أبى فُطْرُس ، وقد هرب مَرْوان ،
فأقام بفلسطين ، وجاءه كتاب أبى العباس؛ أنْ وجّه صالح بن عليّ فى
طلب مروان ، فسار صالح بن عليّ من نهر أبى فطرس فى ذى القعدة سنة
٣/٤٩ اثنتين وثلاثين ومائة؛ ومعه ابن فتان وعامر بن إسماعيل وأبو عون ، فقدّم صالح
ابن عليّ أبا عون على مقدّمته وعامر بن إسماعيل الحارثىّ ، وسار فنزل الرّمْلة ،
ثم سار فنزلوا ساحل البحر ، وجمع صالح بن عليّ السفن وتجهز يريد مَرْوان ،
وهو بالفرَماء ، فسار على الساحل والسفن حذاءه فى البحر ؛ حتى نزل
العريش .

وبلغ مروان فأحرق ما كان حوله من علف وطعام وهرب ، ومضى صالح ابن علىّ فنزل الليل ، ثم سار حتى نزل الصعيد . وبلغه أن خيلاً لمرْوان بالساحل يحرقون الأعلاف ، فوجّه إليهم قوّادًا ، فأخذوا رجالاً ، فقدِموا بهم على صالح وهو بالفسطاط ، فعبر مَرْوان النيل ، وقطع الجسر ، وحرق ما حَوْله ، ومضى صالح يتبعه ، فالتقى هو وخيل لمرْوان على النيل فاقتتلوا ، فهزمهم صالح ، ثم مضى إلى خليج ، فصادف عليه خيلاً لمروان ، فأصاب منهم طرفًا وهزمهم ، ثم سار إلى خليج آخر فعبروا ، ورأوا رَهَجًا فظنوه مروان ، فبعث طليعة عليها الفضْل بن دينار ومالك ابن قادم ، فلم يلقوْا أحداً ينكرونه ، فرجعوا إلى صالح فارتحل ، فنزل موضعًا يقال له ذات الساحل ؛ ونزل فقدم أبوعون عامرَ بن إسماعيل الحارثىّ ، ومعه شعبة بن كثير المازنىّ ، فلقوا خيلا لمروان وافوهم ، فهزموهم وأسروا منهم رجالاً ، فقتلوا بعضهم ، واستحيوْا بعضًا ، فسألوا عن مروان فأخبروهم بمكانه ، على أن يؤمنوهم ، وساروا فوجدوه نازلا فى كنيسة فى بُوصير ، ووافوهم فى آخر الليل ، فهرب الجند وخرج إليهم مروان فى نفرٍ يسير ، فأحاطوا به فقتلوه .

قال علىّ : وأخبرنى إسماعيل بن الحسن ، عن عامر بن إسماعيل قال : لقينا مروان ببوصير ونحن فى جماعة يسيرة فشدوا علينا ، فانضوينا إلى نخل ولو يعلمون بقلّتنا لأهلكونا ، فقلت لمن معى من أصحابى : فإن أصبحنا فرأوْا قلّتنا وعددنا لم ينجُ منا أحد ؛ وذكرت قول بكير بن ماهان : أنت والله تقتل مروان ؛ كأنى أسمعك ، تقول «دهيد ياجوانكثان» ؛ فكسرت جَفْن سيفى ، وكسر أصحابى جفونَ سيوفهم ، وقلت : «دهيد ياجُوانكثان» ؛ فكأنها نار صُبّت عليهم ، فانهزموا وحمل رجل على مرْوان فضربه بسيفه فقتله . وركب عامر بن إسماعيل إلى صالح بن علىّ ، فكتب صالح بن علىّ إلى أمير المؤمنين أبى العباس : إنّا اتّبعنا عدوّ الله الجعدىّ حتى ألجأناه إلى أرض عدوّ الله شبيهه فرعون ، فقتلته بأرضه . ٥٠/٣

قال علىّ : حدثنا أبو طالب الأنصارىّ ، قال : طعن مروان رجلٌ من

أهل البصرة — يقال له المغود، وهو لا يعرفه — فصرعه، فصاح صائح : صُرِع أمير المؤمنين، وابتدروه، فسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان، فاحتزّ رأسه، فبعث عامر بن إسماعيل برأس مروان إلى أبي عَوْن، فبعث بها أبو عون إلى صالح بن عليّ، وبعث صالح برأسه مع يزيد بن هانئ — وكان على شرَطه — إلى أبي العباس يوم الأحد، لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة، ورجع صالح إلى الفسطاط، ثم انصرف إلى الشأم، فدفع الغنائم إلى أبي عَوْن، والسلاحَ والأموال والرّقيق إلى الفَضْل بن دينار، وخلّف أبا عون على مِصْر.

قال عليّ : وأخبرَنا أبو الحسن الخُراسانيّ، قال : حدّثنا شيخ من بكْر ابن وائل، قال : إني لبدير قنّى مع بكير بن ماهان ونحن نتحدّث ؛ إذ مرّ ٥١/٣ فتًى معه قربتان ؛ حتى انتهى إلى دِجْلة، فاستقى ماء، ثم رجع فدعاه بكير، فقال : ما اسمك يا فتى ؟ قال : عامر، قال : ابن مَنْ ؟ قال : ابنُ إسماعيل، من بَلْحارث، قال : وأنا من بَلْحارث، قال : فكن من بني مُسليَة، قال : فأنا منهم، قال : فأنت والله تقتل مَرْوان، لكأني والله أسمعك تقول : « ياجوانكثان دهيد ».

قال عليّ : حدثنا الكنانيّ، قال : سمعتُ أشياخنا بالكوفة يقولون : [بنو] مسلية قتلة مروان.

وقتِل مروان يوم قتل وهو ابن اثنتين وستين سنة في قول بعضهم، وفي قول آخرين : وهو ابن تسع وستين، وفي قول آخرين : وهو ابن ثمان وخمسين.

وقتِل يومَ الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة، وكانت ولايته من حين بويع إلى أن قتِل خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يومًا، وكان يكنى أبا عبد الملك. وزعم هشام بن محمد أن أمه كانت أم ولد كرديّة.

وقد حدثني أحمد بن زهير، عن عليّ بن محمد، عن عليّ بن مجاهد وأبي سِنان الجُهنيّ، قالا : كان يقال : إنّ أم مَرْوان بن محمد كانت لإبراهيم بن الأشتر ؛ أصابها محمد بن مروان بن الحكَم يوم قتل ابن الأشتر،

فأخذها من ثقله وهى تتنيّق(١) ، فولدت مَرْوان على فراشه ، فلما قام أبو العباس دخل عليه عبد الله بن عيّاش المنتوف ، فقال : الحمد لله الذى أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمَة النَّخَع ابنَ عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبد المطلب.

* * *

وفى هذه السنة قتل عبد الله بن علىّ مَن قتل بنهر أبى فطرس من بنى أمية ، وكانوا اثنين وسبعين رجلا .

وفيها خلَع أبو الورْد أبا العباس بقنّسرين ؛ فبيّض وبيّضوا معه .

* * *

٣/٥٢

ذكر الخبر عن تبيض أبى الورد
وما آل إليه أمره وأمر من بيّض معه

وكان سبب ذلك – فيما حدثنى أحمد بن زهير – قال : حدّثنى عبد الوهاب ابن إبراهيم ، قال : حدّثنى أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح ، قال : كان أبو الورْد – واسمه مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابىّ ، من أصحاب مَرْوان وقوّاده وفرسانه – فلما هُزِم مروان ، وأبو الورد بقنّسرين ، قدِمها عبد الله بن علىّ فبايعه ودخل فيما دخل فيه جندُه من الطاعة . وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاوِرين له ببالِس والناعورة ، فقدِم بالس قائد من قوّاد عبد الله ابن علىّ من الأزارمردين فى مائة وخمسين فارسًا ، فبعث بولد مسلَمة بن عبد الملك ونسائهم ، فشكا بعضهُم ذلك إلى أبى الورْد ، فخرج من مزرعة يقال لها زرّاعة بنى زفر – ويقال لها خُساف – فى عدّة من أهل بيته ؛ حتى هجَم على ذلك القائد وهو نازل فى حصن مسلمة ؛ فقاتله حتى قتله ومَن معه ، وأظهر التبييض والخَلْع لعبد الله بن علىّ ، ودعا أهل قنّسرين إلى ذلك ، فبيّضوا بأجمعهم ، وأبو العباس يومئذ بالحيرة وعبد الله بن علىّ يومئذ مشتغل بحرْب حبيب بن مرّة المرّىّ ، فقاتله بأرض البلْقاء والبثنيّة وحوران . وكان قد لقيه عبد الله بن علىّ فى جموعه فقاتلهم وكان بينه وبينهم وقعات ؛ وكان من قوّاد مَرْوان وفرسانه . وكان سبب تبييضه الخوف على نفسه وعلى قومه ، فبايعتْه قيس وغيرهم ممن يليهم من أهل تلك الكور ؛ البثنية وحُوران.

(١) كذا فى ط ، والتنيق : المبالغة فى الطعم واللبس . وموضع الكلمة فى ا غير واضح .

٣/ ٥٣ فلما بلغ عبدالله بن على تبييضُهُم ، دعا حبيب بن مرّة إلى الصلح فصالحه وآمنه ومن معه ، وخرج متوجّهاً نحو قنّسرين للقاء أبى الوَرْد، فمرّ بدمشق، فخلف فيها أبا غانم عبد الحميد بن ربعىّ الطائىّ فى أربعة آلاف رجل من جنده ؛ وكان بدمشق يومئذ امرأة عبد الله بن علىّ أمّ البنين بنت محمد بن عبد المطلب النوفليّة أخت عمرو بن محمد ، وأمهات أولاد لعبد الله وثَقَل له . فلما قدِم حِمْص فى وجهه ذلك انتقض عليه بعده أهلُ دمشق فبيّضوا ، ونهضوا مع عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدىّ . قال : فلقُوا أبا غانم ومَنْ معه ، فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة ، وانتهبوا ما كان عبد الله بن علىّ خلّف من ثَقَله ومتاعه ؛ ولم يعرِضوا لأهله ، وبيّض أهل دمشق واستجمعوا على الخلاف ، ومضى عبد الله بن علىّ — وقد كان تجمّع مع أبى الوَرْد جماعة أهل قنّسرين ، وكاتبوا مَنْ يليهم من أهل حِمْص وتَدْمر ، وقدمهم ألوف ، عليهم أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، فرأسوا عليهم أبا محمد ، ودعوا إليه وقالوا : هو السفيانىّ الذى كان يذكر وهم فى نحو من أربعين ألفاً — فلما دنا منهم عبد الله بن علىّ وأبو محمد معسكر فى جماعته بمرْج يقال له مرْج الأخرم — وأبو الورْد المتولى لأمر العسكر والمدبّر له وصاحب القتال والوقائع — وجّه عبد الله أخاه عبد الصمد بن علىّ فى عشرة آلاف من فرسان من معه ؛ فناهضهم أبو الورْد ، ولقيَهم فيما بين العسكرين ، واشتجر القتل فيما بين الفريقيْن وثبت القوم ، وانكشف عبد الصمد ومَن معه ، وقتِل

٣/ ٥٤ منهم يومئذ ألوف ، وأقبل عبد الله حيث أتاه عبد الصمد ومعه حُميد بن قحطبة وجماعة من معه من القوّاد ، فالتقوْا ثانية بمرْج الأخرم ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وانكشف جماعة ممّن كان مع عبد الله ، ثم ثابوا ، وثبت لهم عبد الله وحميد بن قحطبة فهزموهم ، وثبت أبو الورْد فى نحو من خمسمائة من أهل بيته وقومه ، فقتلوا جميعاً ، وهرب أبو محمد ومَن معه من الكلبيّة حتى لحقوا بتدْمُر ، وآمن عبد الله أهلَ قنّسرين ، وسوّدوا وبايعوه ، ودخلوا فى طاعته ؛ ثم انصرف راجعاً إلى أهل دمشق ، لما كان من تبييضهم عليه ، وهزيمتهم أبا غانم . فلما دنا من دمشق هرَب الناس وتفرقوا ، ولم يكن بينهم وقعة ، وآمن عبدالله أهلها ، وبايعوه ولم يأخذهم بما كان منهم .

قال: ولم يزَلْ أبو محمد متغيّبًا هاربًا، ولحق بأرض الحجاز . وبلغ زياد بن عبيد الله الحارثيّ عامل أبي جعفر مكانه الذى تغيّب فيه ، فوجّه إليه خيلاً ، فقاتلوه حتى قُتِل، وأخذ ابنيْن له أسيرين ، فبعث زياد برأس أبي محمد وابنيه إلى أبي جعفر أمير المؤمنين، فأمر بتخلية سبيلهما وآمنهما .

وأما عليّ بن محمد فإنه ذكر أنّ النعمان أبا السريّ حدّثه وجبلة بن فرّوخ وسليمان بن داود وأبو صالح[1] المروزيّ . قالوا: خلع أبو الورد بقنّسرين ، فكتب أبو العباس إلى عبد الله بن عليّ وهو بفُطْرُس أن يقاتلَ أبا الورد ، ثمّ وجّه عبد الصمد إلى قنّسرين في سبعة آلاف ، وعلى حرسه مخارق بن غفار ، وعلى شُرَطه كلثوم بن شبيب ؛ ثم وجّه بعده ذؤيب بن الأشعث فى خمسة آلاف ، ثم جعل يوجه الجنود، فلقيَ عبد الصمد أبا الورد فى جَمْع كثير ، ٣/٥٥ فانهزمَ الناس عن عبد الصمد حتى أتوا حِمْص ؛ فبعث عبد الله بن عليّ العباس بن يزيد بن زياد ومروان الجرجانيّ وأبا المتوكل الجرجانيّ ؛ كلّ رجل فى أصحابه إلى حِمْص ؛ وأقبل عبد الله بن عليّ بنفسه ، فنزل على أربعة أميال من حِمْص – وعبدالصمد بن عليّ بحمص – وكتب عبد الله إلى حُميد ابن قحطبة ، فقدم عليه من الأردنّ ، وبايع أهل قنسرين لأبى محمد السفيانيّ زياد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية وأبو الورد بن. . . ،[2] وبايعه الناس، وأقام أربعين يومًا ، وأتاهم عبد الله بن عليّ ومعه عبد الصّمد وحُميد بن قحطبة ، فالتقوْا فاقتتلوا أشدّ القتال بينهم، واضطرهم أبو محمد إلى شِعْب ضيّق ، فجعل الناس يتفرّقون ، فقال حُميد بن قحطبة لعبد الله بن عليّ : علامَ نقيم ؟ هم يزيدون وأصحابنا ينقصون ! ناجزهم ؛ فاقتتلوا يوم الثلاثاء فى آخر يوم من ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وعلى ميمنة أبى محمد أبو الوردْ وعلى ميسرته الأصبغ بن ذؤالة ، فجرح أبو الوَرْد ، فحمل إلى أهله فمات . ولجأ قوم من أصحاب أبي الورْد إلى أجَمة فأحرقوها عليهم ؛ وقد كان أهل حمص نقضوا، وأرادوا إيثار أبى محمد ؛ فلما بلغهم هزيمته أقاموا .

---

(١) ب : « عامر » .

(٢) بياض فى ط ، وفى ا : « حسنا » .

[ذكر خبر خلع حبيب بن مرّة المرّىّ]

وفى هذه السّنة خَلَع حبيب بن مرة المرّىّ وبيّض هو ومن معه من أهل الشأم .

* ذكر الخبر عن ذلك :

٣/٥٦ ذكر علىّ عن شيوخه، قال : بيّض حبيب بن مرّة المرىّ وأهل البثنيّة وحَوْران، وعبد الله بن علىّ فى عسكر أبى الوَرْد الذى قتِل فيه .

وقد حدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا أبو هاشم مخلَد بن محمد ، قال : كان تبييض حبيب بن مرة وقتاله عبدَالله بن علىّقبل تبييض أبى الوَرْد ، وإنما بيّض أبو الورد وعبد الله مشتغل بحرب حَبيب بن مرة المُرىّ بأرض البلقاء أو البثنية وحَوْران ، وكان قد لقيه عبد الله بن علىّ فى جموعه فقاتله ، وكان بينه وبينه وقَعات ، وكان من قوّاد مروان وفرسانه؛ وكان سبب تبييضه الخوف على نفسه وقومه ، فبايعه قيس وغيرهم ممّن يليهم من أهل تلك الكُور؛ البثنية وحَوْران، فلما بلغ عبدالله ابن علىّ تبييض أهل قنَّسرين ، دعا حبيب بن مرّة إلى الصلح فصالحه ، وآمنه ومَنْ معه ، وخرج متوجهاً إلى قنَّسرين للقاء أبى الورد .

* * *

[ذكر خبر تبييض أهل الجزيرة وخلعهم أبا العباس]

وفى هذه السنة بيّض أيضاً أهل الجزيرة وخلعوا أبا العباس .

* ذكر الخبر عن أمرهم وما آل إليه حالهم فيه :

حدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا أبو هاشم مخلد بن محمد ، قال : كان أهلُ الجزيرة بيّضوا ونقضوا ؛ حيثُ بلغهم خروجُ أبى الوَرْد وانتقاض أهل قِنَّسرين ، وساروا إلى حَرّان ، وبحرّان يومئذ موسى بن كعب فى ثلاثة آلاف من الجند ، فتشبّث بمدينتها ، وساروا إليه مبيّضين من كلّ وجه ، وحاصروه ومَن معه ؛ وأمرُهم مشتت ؛ ليس عليهم رأس يجمعهم .

٣/٥٧ وقدم على تفيئة(١) ذلك إسحاق بن مسلم من أرمينيَة – وكان شخص عنها حين بلغه هزيمة مرْوان – فرأسه أهل الجزيرة عليهم . وحاصر موسى بن كعب نحواً من شهرين ، ووجّه أبو العباس أبا جعفر فيمن كان معه من الجنود التى كانت بواسط محاصرة ابن هبيرة ، فمضى حتى مرّ بقَرْقيسيَا وأهلها مبيّضون، وقد غلّقوا أبوابها دونه . ثم قدم مدينة الرَّقة وهم على ذلك، وبها بكار بن مسلم ، فمضى نحو حرّان ، ورحل إسحاق بن مسلم إلى الرُّهاء – وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وخرج موسى بن كعب فيمن معه من مدينة حرّان ، فلقُوا أبا جعفر . وقدم بكار على أخيه إسحاق بن مسلم ، فوجّهه إلى جماعة ربيعة بدارا وماردين – ورئيس ربيعة يومئذ رجل من الحرورّية يقال له بُريكة – فصمَد إليه أبو جعفر ، فلقيَهم فقاتلوه بها قتالا شديداً ، وقتل بريكة فى المعركة ، وانصرف بكار إلى أخيه إسحاق بالرُّهاء فخلّفه إسحاق بها، ومضى فى عُظْم العسكر إلى سُمَيْساط ، فخندق على عسكره . وأقبل أبو جعفر فى جُموعه حتى قابله بكار بالرّهاء ؛ وكانت بينهما وقعات .

وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن علىّ فى المسير بجنوده إلى إسحاق بسُمَيْسَاط ، فأقبل من الشأم حتى نزل بإزاء إسحاق بسُمَيْسَاط ؛ وهم فى ستين ألفاً أهل الجزيرة جميعها ، وبينهما الفرات ، وأقبل أبو جعفر من الرُّهاء فكاتبهم إسحاق وطلب إليهم الأمان ، فأجابوا إلى ذلك وكتبوا إلى أبى العباس ، فأمرهم أن يؤمّنوه ومَن معه ، ففعلوا وكتبوا بينهم كتاباً ، ووثقوا له فيه ، فخرج إسحاق إلى أبى جعفر ، وتمّ الصلح بينهما ؛ وكان عنده من آثر أصحابه . فاستقام أهلُ الجزيرة وأهل الشأم ، وولّى أبو العباس أبا جعفر الجزيرة وأرمينيَة وأذربيجان ، فلم يزل على ذلك حتى استخلف .

٣/٥٨ وقد ذُكر أن إسحاق بن مسلم العقيلىّ هذا أقام بسُمَيْساط سبعة أشهر ، وأبو جعفر محاصره ، وكان يقول : فى عُنقى بَيْعة ، فأنا لا أدَعها حتى أعلم أنّ صاحبها قد مات أو قتل . فأرسل إليه أبو جعفر : إنّ مروان قد قتل ، فقال : حتى أتيقن ، ثم طلب الصلح ، وقال : قد علمتُ أن مرْوان قد قتل ، فآمنه أبو جعفر وصار معه ، وكان عظيم المنزلة عنده .

---

(١) أى عقب ذلك .

وقد قيل : إن عبد الله بن علىّ هو الذى آمنه .

* * *

[ذكر خبر شخوص أبى جعفر إلى خراسان]

وفى هذه السنة شخص أبو جعفر إلى أبى مسلم بخُراسان لاستطلاع رأيه فى قتل أبى سلمة حفص بن سليمان .

• ذكر الخبر عن سبب مسير أبى جعفر فى ذلك ، وما كان من أمره وأمر أبى مسلم فى ذلك :

قد مضى ذكرى قبلُ أمرَ أبى سلَمة ، وما كان من فعله فى أمر أبى العباس ومن كان معه من بنى هاشم عند قدومهم الكوفة ، الذى صار به عندهم متّهماً ؛ فذكر علىّ بن محمد أنّ جبلة بن فرُّوخ قال : قال يزيد بن أسيد : قال أبو جعفر : لما ظهر أبو العباس أمير المؤمنين سَمرنا ذات ليلة ، فذكرنا ما صنع أبو سلمة ، فقال رجل منا : ما يدريكم ، لعلّ ما صنع أبو سلمة كان عن رأىِ أبى مسلم ! فلم ينطق منّا أحدٌ ، فقال : أمير المؤمنين أبو العباس : لئن كان هذا عن رأى أبى مسلم إنا لَبِعَرض بلاء ؛ إلّا أن يدفَعه الله عنّا. وتفرّقنا . فأرسل إلىّ أبو العباس ، فقال : ما ترى ؟ فقلت : الرأى رأيُك ، فقال : ليس منا أحد أخصّ بأبى مسلم منك ، فاخرج إليه حتّى تعلم ما رأيه ، فليس يخفى عليك ؛ فلو قد لقيتَه ، فإن كان عن رأيه أخذنا لأنفسنا ، وإن لم يكن عن رأيه طابت أنفسُنا .

٣/٥٩ فخرجت على وجَل ؛ فلما انتهيت إلى الرىّ ، إذا صاحب الرىّ قد أتاه كتاب أبى مسلم : إنه بلغنى أن عبد الله بن محمد توجّه إليك ، فإذا قدم فأشخصه ساعةَ قدومه(١) عليك . فلما قدمت أتانى عامل الرىّ فأخبرنى بكتاب أبى مسلم ، وأمرنى بالرّحيل ، فازددت وجَلاً ، وخرجت من الرّىّ وأنا حَذِرٌ خائف فسرت ؛ فلما كنت بنيسابور إذا عاملُها قد أتانى بكتاب أبى مسلم : إذا قدم عليك عبد الله بن محمد فأشخصه ولا تَدَعه [يقيم] (٢) ، فإن أرضك أرض

---

(١) ا : « يقدم » . (٢) من ا .

خَوَارج ولا آمن عليه . فطابت نفسي وقلت : أراه يُعْنَى بأمرى . فسرتُ، فلما كنت من مَرْوَ على فرسخين ، تلقّانى أبو مسلم فى الناس، فلما دنا منّى أقبل يمشى إلىّ ؛ حتى قبّل يدى ، فقلت : اركب ، فركب فدخل مَرْو ، فنزلت داراً فمكثت ثلاثة أيام ، لا يسألنى عن شىء ، ثم قال لى فى اليوم الرابع : ما أقدمك ؟ فأخبرته ، فقال : فعلها أبو سلمة ! أكفيكموه ! فدعا مرّار ابن أنس الضبىّ ، فقال : انطلق إلى الكوفة ، فاقتل أبا سلمة حيث لقيته ؛ وانته فى ذلك إلى رأى الإمام . فقدم مرار الكوفة ؛ فكان أبو سلَمة يسمُر عند أبى العبّاس ، فقعد فى طريقه ، فلما خرج قتله فقالوا : قتله الخوارج .

قال علىّ : فحدثنى شيخ من بنى سليم ، عن سالم ، قال : صحبتُ أبا جعفر من الرّىّ إلى خُراسان ، وكنت حاجبَه ، فكان أبو مسلم يأتيه فينزل على باب الدّار ويجلس فى الدهليز ، ويقول : استأذِنْ لى ، فغضب أبو جعفر علىّ ، وقال : ويلك ! إذا رأيته فافتح له الباب ، وقل له يدخل على دابته . ففعلت وقلت لأبى مسلم : إنه قال كذا وكذا ، قال : نعم ، أعلم، واستأذن لى عليه .

٦٠/٣ وقد قيل : إنّ أبا العباس قد كان تنكّر لأبى سلَمة قبل ارتحاله من عسكره بالنُّخيلة ، ثم تحوّل عنه إلى المدينة الهاشميّة ، فنزل قصر الإمارة بها ، وهو متنكر له ، قد عرف ذلك منه ، وكتب إلى أبى مسلم يعلمه رأيه ، وما كان همّ به من الغِشّ ، وما يتخوّف منه ، فكتب أبو مسلم إلى أمير المؤمنين : إن كان اطلع على ذلك منه فليقتله ؛ فقال داود بن علىّ لأبى العباس : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فيحتجّ عليك بها أبو مسلم وأهلُ خراسان الذين معك ، وحاله فيهم حاله ؛ ولكن اكتب إلى أبى مسلم فليبعثْ إليه من يقتله ، فكتب إلى أبى مسلم بذلك ، فبعث بذلك أبو مسلم مرّار بن أنس الضبىّ ، فقدم على أبى العباس فى المدينة الهاشميّة ، وأعلمه سبب قدومه ، فأمر أبو العباس منادياً فنادى : إن أمير المؤمنين قد رضىَ عن أبى سلمة ودعاه وكساه ، ثم دخل عليه بعد ذلك ليلةً ، فلم يزل عنده حتى ذهب عامّة الليل ، ثم خرج منصرفاً

إلى منزله يمشى وحده ؛ حتى دخل الطاقات ، فعرض له مرّار بن أنس ومَن كان معه من أعوانه فقتلوه، وأغلقت أبواب المدينة، وقالوا : قتل الخوارج أبا سلمة . ثم أخرِج من الغد؛ فصلى عليه يحيى بن محمد بن علىّ، ودفن فى المدينة الهاشميّة، فقال سليمان بن المهاجر البَجلىّ :

إنَّ الوزيرَ وزيرَ آل محمد أَودَى فمن يَشْناك كان وزيرا

وكان يقال لأبى سلمة : وزير آل محمد ، ولأبى مسلم : أمين آل محمد . فلما قتِل أبو سلمة وجّه أبو العباس أخاه أبا جعفر فى ثلاثين رجلاً إلى أبى مُسلم ؛ فيهم الحجاج بن أرطاة وإسحاق بن الفضل الهاشمىّ . ٣/ ٦١

ولما قدم أبو جعفر على أبى مسلم سايَره عبيد الله بن الحسين الأعرج وسليمان بن كثير معه ، فقال سليمان بن كثير للأعرج : يا هـَذا؛ إنا كنّا نرجو أن يتمّ أمركم؛ فإذا شئتم فادعونا إلى ما تريدون، فظنّ عبيد الله أنه دسيس من أبى مسلم ، فخاف ذلك . وبلغ أبا مسلم مسايرةُ سليمان بن كثير إياه ، وأتى عبيد الله أبا مُسلم ، فذكر له ما قال سليمان ، وظنّ أنه إن لم يفعل ذلك اغتاله فقتله ، فبعث أبو مسلم إلى سليمان بن كثير ، فقال له : أتحفظ قول الإمام لى : مَن اتهمتَه فاقتله ؟ قال : نعم ، قال : فإنى قد اتّهمتك، فقال : أنشدك الله! قال : لا تناشدنى الله وأنت منطوٍ على غشّ الإمام ؛ فأمر بضرب عنقه . ولم يرَ أحداً ممن كان يضرب عنقه أبو مسلم غيره ، فانصرف أبو جعفر من عند أبى مسلم ، فقال لأبى العباس : لستَ خليفةً ولا أمرك بشىء إن تركتَ أبا مسلم ولم تقتله ، قال : وكيف ؟ قال : والله ما يصنع إلا ما أراد ، قال أبو العباس : اسكت فاكتمها .

* * *

[ذكر الخبر عن حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط]

وفى هذه السنة وجّه أبو العباس أخاه أبا جعفر إلى واسط لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة؛ وقد ذكرنا ما كان من أمر الجيش الذين لقوْه من أهل خُراسان مع قَحْطبة ، ثم مع ابنه الحسن بن قحطبة وانهزامه ولَحاقه بمن معه من جنود الشأم بواسط متحصّنًا بها ؛ فذكر علىّ بن محمد عن أبى عبد الله السُّلَمىّ

عن عبد الله بن بدر وزهير بن هنيد وبشر بن عيسى وأبى السرىّ أنّ ابن ٣/٦٢
هبيرة لما انهزم تفرّق الناس عنه، وخلّف على الأثقال قومًا، فذهبوا بتلك الأموال
فقال له حوثرة: أين تذهب وقد قتل صاحبهم[1] ! امض إلى الكوفة ومعك جند
كثير ، فقاتلهم حتى تقتل أو تظفر ، قال : بل نأتى واسطًا فننظر ، قال :
ما تزيد على أن تمكّنه من نفسك وتقتَل ، فقال له يحيى بن حضين : إنك
لا تأتى مروان بشىء أحبّ إليه من هذه الجنود ، فالزم الفُرات حتى تقدم
عليه ؛ وإياك وواسطًا ؛ فتصير فى حصار ، وليس بعد الحصار إلا القتل .
فأبى . وكان يخاف مروان لأنه كان يكتب إليه فى الأمر فيخالفه ؛ فخافه
إن قدم عليه أن يقتله، فأتى واسطًا فدخلها ، وتحصّن بها .

وسرّح أبو سلمة الحسن بن قحطبة، فخندق الحسن وأصحابه، فنزلوا فيما
بين الزّاب ودِجْلة؛ وضرب الحسن سرادقه حِيال باب المضْمار ، فأوّل وقعة
كانت بينهم يوم الأربعاء، فقال أهل الشأم لابن هبيرة : ائذن لنا فى قتالهم ،
فأذن لهم ، فخرجوا وخرج ابنُ هبيرة، وعلى ميمنته ابنه داود، ومعه محمد بن
نباتة فى ناس من أهل خراسان ، فيهم أبو العوْد الخراسانىّ، فالتقوْا وعلى ميمنته
الحسن خازم بن خزيمة ، وابن هبيرة قبالة باب المضمار ، فحمل خازم على
ابن هُبيرة، فهزموا أهل الشأم حتى ألجئوهم إلى الخنادق ، وبادر الناس باب
المدينة حتى غصّ باب المضمار ، ورمى أصحاب العرّادات بالعرّادات ٣/٦٣
والحسن واقف . وأقبل يسير فى الخيل فيما بين النهر والخندق ، ورجع أهل
الشأم، فكرّ عليهم الحسن ، فحالوا بينه وبين المدينة ، فاضطروهم إلى دجلة ،
فغرِق منهم ناس كثير، فتلقّوهم بالسفن، فحملوهم، وألقى ابن نباتة يومئذ سلاحه
واقتحم، فتبعوه بسفينة فركب وتحاجزوا ، فمكثوا سبعة أيام، ثم خرجوا إليهم
يوم الثلاثاء فاقتتلوا ، فحمل رجل من أهل الشام على أبى حفص هزار مرد ،
فضربه وانتمى : أنا الغلام السُّلَمىّ ، وضربه أبو حفص وانتمى : أنا
الغلام العتكىّ، فصرعه، وانهزم أهل الشأم هزيمة قبيحة ، فدخلوا المدينة ،
فمكثوا ما شاء الله لا يقتتلون إلا رميًا من وراء الفصيل .

(١) فى ابن الأثير : «يعنى قحطبة» .

وبلغ ابنَ هبيرة وهو فى الحصار أنّ أبا أميّة التغلبىّ قد سوّد ، فأرسل أبا عثمان إلى منزله ، فدخل على أبى أمية فى قُبّته ، فقال : إنّ الأمير أرسلنى إليك لأفتّش قبتك ، فإن كان فيها سواد علقته فى عنقك وحبلا ، ومضيت بك إليه ؛ وإن لم يكن فى بيتك سواد فهذه خمسون ألفاً صلة لك . فأبى أن يدَعه أن يفتش[1] قبّته ، فذهب به إلى ابن هبيرة فحبسه ، فتكلّم فى ذلك معن ابن زائدة وناس من ربيعة ، وأخذوا ثلاثةً من بنى فزارة ؛ فحبسوهم وشتموا ابنَ هبيرة ، فجاءهم يحيى بن حُضين ، فكلّمهم فقالوا : لا نخلى عنهم حتى يخلى عن صاحبنا ؛ فأبى ابنُ هبيرة ، فقال له : ما تفسد إلاّ على نفسك وأنت محصور ؛ خلّ سبيل هذا الرجل ، قال : لا ولا كرامة ؛ فرجع ابن حُضين ٣/٦٤ إليهم فأخبرهم ، فاعتزل معن وعبد الرحمن بن بشير العجلىّ ، فقال ابن حضين لابن هبيرة : هؤلاء فرسانك قد أفسدتهم ؛ وإن تماديت فى ذلك كانوا أشدّ عليك ممّن حصرك ؛ فدعا أبا أميّة فكساه ، وخلى سبيله ، فاصطلحوا وعادوا إلى ما كانوا عليه .

وقدم أبو نصر مالك بن الهيثم من ناحية سجستان ، فأوفد الحسن بن قحطبة وفداً إلى أبى العباس بقدوم أبى نصر عليه ، وجعل على الوفد غَيْلان ابن عبد الله الخُزاعىّ — وكان غيلان واجداً على الحسن لأنه سرّحه إلى رَوْح ابن حاتم مدداً له — فلما قدم على أبى العباس قال : أشهدُ أنك أمير المؤمنين ، وأنك حبلُ الله المتين ، وأنك إمام المتقين ؛ فقال : حاجتَك يا غيلان ؟ قال : أستغفرك ، قال : غفر الله لك ، فقال داود بن علىّ : وفّقك الله يا أبا فضالة ، فقال له غيلان : يا أميرَ المؤمنين ، مُنّ علينا برجل من أهل بيتك ، قال : أوَ ليس عليكم رجل من أهل بيتى ! الحسن بن قحطبة ؛ قال : يا أميرَ المؤمنين ، مُنّ علينا برجل من أهل بيتك ، فقال أبو العباس مثل قوله الأول ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ مُنّ علينا برجل من أهل بيتك ننظر إلى وجهه ، وتَقَرّ أعيننا به ، قال : نعم يا غيلان ؛ فبعث أبا جعفر ، فجعل غيلان على شُرَطه فقدم واسطاً ، فقال أبو نصر لغيلان : ما أردت لا ما صنعت ؟ قال : «به بود»[2]،

---

(١) ج : «ليفتش» (٢) به بود ، كلمة فارسية معناها «سلامة» .

فمكث أياماً على الشُّرَط ، ثم قال لأبي جعفر : لا أقوى على الشُّرَط ؛ ولكنى أدلك على مَن هو أجلد منى ، قال : مَنْ هو ؟ قال : جَهْوَر بن مَرّار ، ٦٥/٣ قال : لا أقدر على عزلك ؛ لأنّ أمير المؤمنين استعملك ، قال : اكتب إليه فأعلمه ، فكتب إليه ، فكتب إليه أبو العباس : أن اعمل برأى غَيْلان ، فولّى شُرَطه جَهْوراً . وقال أبو جعفر للحسن : ابغنى رجلا أجعله على حرسى ، قال : مَنْ قد رضيتُه لنفسى ؛ عثمان بن نَهيك ، فولّىَ الحرس .

قال بشر بن عيسى : ولما قدم أبو جعفر واسطاً ، تحوّل له الحسن عن حجرته ، فقاتلهم وقاتلوه ، فقاتلهم أبو نصر يوماً ، فانهزم أهلُ الشأم إلى خنادقهم ؛ وقد كمن لهم معن وأبو يحيى الجذامىّ ، فلما جاوزهم أهل خراسان ، خرجوا عليهم ؛ فقاتلوهم حتى أمسوا ، وترجّل لهم أبو نصر ؛ فاقتتلوا عند الخنادق ، ورفعت لهم النيران وابن هبيرة على بُرْج باب الخلاّ لين ، فاقتتلوا ما شاء الله من الليل . وسرّح ابن هبيرة إلى معن أن ينصرف ، فانصرف ومكثوا أياماً . وخرج أهلُ الشأم أيضاً مع محمد بن نُباتة ومعن بن زائدة وزياد بن صالح وفرسان من فرسان أهل الشأم ، فقاتلهم أهلُ خراسان ، فهزموهم إلى دِجْلة ، فجعلوا يتساقطون فى دِجْلة ، فقال أبو نصر : يا أهلَ خراسان « مردمانِ خائنه بيابان هستيدو برخزيد » ، فرجعوا وقد صُرِع ابنه ، فحماه روح بن حاتم ، فمرّ به أبوه ، فقال له بالفارسية : قد قتلوك يا بنىّ ؛ لعن الله الدنيا بعدك ! وحملوا على أهل الشأم فهزموهم حتى أدخلوهم مدينة واسط ، فقال بعضهم لبعض : لا والله لا تفلح بعدُ عيشتنا أبداً ؛ خرجنا عليهم ونحن فرسان أهلُ الشأم ، فهزمونا حتى دخلنا المدينة .

٦٦/٣ وقتِل تلك العشيّة من أهل خُراسان بكار الأنصارىّ ورجل من أهل خراسان ؛ كانا من فرسان أهل خراسان ؛ وكان أبو نصر فى حصار ابن هبيرة يملأ السفن حطباً ، ثم يضرمها بالنار لتحرق ما مرّت به ؛ فكان ابن هبيرة يهيّئ حَرّاقات[١] كان فيها كلاليب تجرّ تلك السفن ؛ فمكثوا بذلك أحدَ عشر شهراً ، فلما طال ذلك عليهم طلبوا الصلح ؛ ولم يطلبوه حتى جاءهم خبرُ

(١) الحراقة ، بالفتح والتشديد : ضرب من السفن فيها مرامى نيران يرمى بها العدو فى البحر .

قتل مروان ، أتاهم به إسماعيل بن عبد الله القسرىّ، وقال لهم : علام تقتلون أنفسكم ، وقد قتل مروان !

وقد قيل : إنّ أبا العباس وجّه أبا جعفر عند مقدمه من خراسان منصرفًا من عند أبى مسلم إلى ابن هبيرة لحربه ، فشخص أبوجعفر حتى قدم على الحسن ابن قحطبة ؛ وهو محاصر ابن هبيرة بواسط ، فتحوّل له الحسن عن منزله ، فنزله أبو جعفر ، فلما طال الحصار على ابن هبيرة وأصحابه تحنّى عليه أصحابه ، فقالت اليمانية : لا نُعين مروانَ وآثاره فينا آثارُه . وقالت النزاريّة : لا نقاتل حتى تقاتل معنا اليمانيَة ؛ وكان إنما يقاتل معه الصعاليك والفتيان ؛ وهمّ ابن هبيرة أن يدعو إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ؛ فكتب إليه فأبطأ جوابه ؛ وكاتب أبو العباس اليمانيّة من أصحاب ابن هبيرة ؛ وأطمعهم . فخرج إليه زياد بن صالح وزياد بن عبيد الله الحارثيان ؛ ووعدا ابن هبيرة أن يصلحا له ناحية أبى العباس فلم يفعلا ؛ وجرت [(١)] السفراء بين أبى جعفر وبين ابن هبيرة حتى جعل له أمانًا ، وكتب به كتابًا ، مكث يشاور فيه العلماء أربعين يومًا حتى رضيَه ابنُ هبيرة ، ثم أنفذه إلى أبى جعفر ، فأنفذه أبو جعفر إلى أبى العباس ، فأمره بإمضائه ؛ وكان رأى أبى جعفر الوفاء له بما أعطاه ، وكان أبو العباس لا يقطع أمرًا دون أبى مسلم ، وكان أبو الجهم عينًا لأبى مسلم على أبى العباس ، فكتب إليه بأخبارِه كلها ، فكتب أبو مسلم إلى أبى العباس : إنّ الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسَد ؛ لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة . ٦٧/٣

ولما تمّ الكتاب خرج ابن هُبيرة إلى أبى جعفر فى ألف وثلثمائة من البخاريّة ؛ فأراد أن يدخل الحجرة على دابته ، فقام إليه الحاجب سلاّم بن سليم ، فقال : مرحبًا بك أبا خالد ! انزل راشداً ؛ وقد أطاف بالحجرة نحو من عشرة آلاف من أهل خراسان ، فنزل ، ودعا له بوسادة ليجلس عليها ، ثم دعا بالقوّاد فدخلوا ، ثم قال سلاّم : ادخل أبا خالد ؛ فقال له : أنا ومن معى؟ فقال : إنما استأذنتُ لك وحدك ، فقام فدخل ، ووضِعتْ له وسادة ، فجلس عليها ، فحادثه ساعة ، ثم قام وأتبعه أبو جعفر بصرَه حتى غاب عنه ؛ ثم مكث يقيم عنه يومًا ، ويأتيه يومًا

(١) ب : « وجعلت » .

فى خمسمائة فارس وثلثمائة راجل ؛ فقال يزيد بن حاتم لأبى جعفر : أيّها الأمير ؛ إنّ ابن هبيرة ليأتى فيتضعضع له العسكر ؛ وما نقص من سلطانه شىء ، فإذا كان يسير فى هذه الفرسان والرّجالة ، فما يقول عبد الجبار وجهور ! فقال أبو جعفر لسلام : قل لابن هُبيرة يدع الجماعة ويأتينا فى حاشيته [نحواً من ثلاثين[1]] ، فقال له سلاّم ذلك ، فتغير وجهه ، وجاء فى حاشيته نحواً من ثلاثين ، فقال له سلاّم : كأنك تأتى مباهياً[2] ! فقال : إن أمرتم أن نمشى إليكم مشينا ، فقال : ما أردنا بك استخفافاً ، ولا أمَر الأمير بما أمر به إلا نظرًا لك ؛ فكان بعد ذلك يأتى فى ثلاثة . ٦٨/٣

وذكر أبو زيد أنّ محمد بن كثير حدّثه ، قال : كلّم ابن هبيرة يوماً أبا جعفر ، فقال : يا هناه — أو يأيّها المرء — ثم رجع ، فقال : أيها الأمير ؛ إنّ عهدى بكلام الناس بمثل ما خاطبتك به حديث ، فسبقنى لسانى إلى ما لم أرده . وألحّ أبو العباس على أبى جعفر يأمره بقتله وهو يراجعه ؛ حتى كتب إليه : والله لتقتلنّه أو لأرسلنّ إليه من يخرجه من حُجرتك[3] ، ثم يتولى قتله . فأزمع على قتله ، فبعث خازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة بن ظهير ؛ وأمرهما بختم بيوت الأموال . ثم بعث إلى وجوه مَن معه من القيسيّة والمضرّية ، فأقبل محمد ابن نباتة وحوثرة بن سُهيل وطارق بن قدامة وزياد بن سويد وأبو بكر بن كعب العُقيلىّ وأبان وبشر ابنا عبد الملك بن بشر ؛ فى اثنين وعشرين رجلا من قيس ، وجعفر بن حنظلة وهزّان بن سعد .

قال : فخرج سلاّم بن سليم ، فقال : أين حوثرة ومحمد بن نباتة ؟ فقاما ، فدخلا ، وقد أجلس عثمان بن نهيك والفضل بن سليمان وموسى بن عقيل فى مائة فى حُجْرة دون حجرته ، فنُزعت سيوفهمَا وكتّفا ، ثم دخل بشر وأبان ابنا عبد الملك بن بشر ، ففُعل بهما ذلك ؛ ثمّ دخل أبو بكر بن كعب وطارق ابن قدامة ، فقام جعفر بن حنظلة ، فقال : نحن رؤساء الأجناد ، ولمَ يكون هؤلاء يقدّمون علينا ؟ فقال : ممن أنت ؟ قال : من بَهْراء ، فقال : وراءك ٦٩/٣

---

(١) من ا .
(٢) ا : « متأهباً » .
(٣) ج : « منزلك » .

أوسع لك ، ثم قام هزّان ، فتكلم فأخرّ ، فقال روح بن حاتم : يا أبا يعقوب ، نزعت[1] سيوف القوم ، فخرج عليهم[2] موسى بن عقيل ، فقالوا له[3] : أعطيتمونا عهد الله ثم خِسْتم به ! إنا لنرجو أن يدرككم الله ؛ وجعل ابن نباتة يضرّط[4] فى لحية نفسه ، فقال له حوثرة : إنّ هذا لا يغنى عنك شيئًا ؛ فقال : كأنى كنت أنظر إلى هذا ، فقتِلوا . وأخذت خواتيمهم .

وانطلق خازم والهيثم بن شعبة والأغلب بن سالم فى نحو من مائة ، فأرسلوا إلى ابن هبيرة : إنا نريد حمْل المال ، فقال ابن هبيرة لحاجبه : يا أبا عثمان ، انطلق فدلّهم عليه ، فأقاموا عند كلّ بيت نفراً ، ثم جعلوا ينظرون فى نواحى الدّار ، ومع ابن هبيرة ابنه داود وكاتبه عمرو بن أيّوب وحاجبه وعدّة من مواليه ، وبُنىّ له صغير فى حِجْره ؛ فجعل ينكر نظرهم فقال : أقسم بالله إنّ فى وجوه القوم لشرًّا ، فأقبلوا نحوه ، فقام حاجبه فى وجوههم ، فقال : ما وراءكم ؟ فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه ، وقاتل ابنه داود فقتِل وقتل مواليه ، ونحّى الصبىّ من حِجره ، وقال : دونكم هذا الصبىّ ، وخرّ ساجداً فقتل وهو ساجد ، ومضوا برءوسهم إلى أبى جعفر ، فنادى بالأمان للناس إلّا للحكم بن عبد الملك بن بشر وخالد بن سلمة المخزومىّ وعمر بن ذرّ ، فاستأمن زياد بن عبيد الله لابن ذرّ فآمنه أبو العباس ، وهرب الحكم ، وآمن أبو جعفر خالداً ، فقتله أبو العباس ، ولم يُجزْ أمانَ أبى جعفر ، وهرب أبو علاقة وهشام ابن هشيم بن صفوان بن مزيد الفزاريّان ، فلحقهما حجر بن سعيد الطائىّ فقتلهما على الزّاب ، فقال أبو عطاء السِّندىّ يرثيه :

٧٠/٣

أَلَا إنَّ عيناً لم تجُدْ يوم واسِطٍ ... عليك بجارى دمعِها لَجَمُودُ[5]
عشيَّةَ قام النائحاتُ وشُقِّقَتْ ... جُيُوبٌ بأَيْدى مأْتمٍ وخُدودُ
فإن تُمْس مهجورَ الفِناءِ فربَّمَا ... أَقامَ به بعد الوفود وُفودُ
فإنك لم تَبْعُدْ على متعهِّدٍ ... بلى كلُّ مَن تحت الترابِ بعيدُ

---

(١) ا « تركت » .
(٢) ج : « إليهم » .
(٣) ج : « قد » .
(٤) ج : « يطرد فى لحم نفسه » .
(٥) ديوان الحماسة ٢ : ٢٩٥ – بشرح التبريزى .

وقال منقذ بن عبد الرحمن الهلالى يرثيه :

مَنَع العزاءَ حرارةُ الصَّدْر والحُزن عقدَ عزيمةِ الصبْرِ
لما سمِعْتُ بوَقعَةٍ شملتْ بالشيب لونَ مَفارقِ الشعْر
أَفنى الحُماة الغُرَّ أَنْ عَرَضَتْ دون الوفاءِ حَبائِلُ الغَدر
مالت حبائلُ أمرهم بفتًى مثلِ النجوم حَفَفْنَ بالبدرِ
عَالَى نعِيهَّمُ فقلت له هَلاَّ أَتيتَ بصَيْحةِ الحشرِ!
لله درّك مَنْ زعمتَ لنا أَن قد حَوَتْه حوادثُ الدهر
مَن للمنابر بعد مَهْلَكِهم أَو مَنْ يَسُدُّ مكارم الفخر!
فإذا ذكرتُهُمُ شكا أَلَماً قلبي لفَقد فوارس زُهْرِ
قَتلى بدِجْلةَ ما يَغُمُّهُمُ إلا عُبابُ زَواخرِ البحر
فَلتَبْكِ نِسْوَتنا فوارسهَا خيرَ الحماةِ ليالىَ الذُّعْرِ

وذكر أبو زيد أن أبا بكر الباهلى حدّثه ، قال : حدثنى شيخ من أهل خراسان ، قال : كان هشام بن عبد الملك خطب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ابنتَه على ابنه معاوية ، فأبى أن يزوّجه ، فجرى بعد ذلك بين يزيد بن عمر وبين الوليد بن القعقاع كلام ؛ فبعث به هشام إلى الوليد بن القعقاع ، فضربه وحبسه ، فقال ابن طَيْسلة : ٧١/٣

يا قَلَّ خيرُ رجالٍ لا عقولَ لهمْ مَنْ يَعدلون إلى المحبوس فى حَلَب
إلى امرئٍ لم تُصِبْهُ الدهرَ مُعْضِلةٌ إلا استقَلَّ بها مُسْتَرْخِيَ اللبَبِ

وقيل : إن أبا العباس لما وجّه أبا جعفر إلى واسط لقتال ابن هبيرة ، كتب إلى الحسن بن قحطبة : إن العسكر عسكرُك ، والقوّادَ قوّادُك ؛ ولكن أحببتُ أن يكون أخى حاضراً ، فاسمع له وأطع ، وأحسِن مؤازرته . وكتب إلى أبى نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك ؛ فكان الحسن المدبر لذلك العسكر بأمر المنصور .

وفى هذه السنة وجّه أبو مسلم محمد بن الأشعث على فارس ، وأمره أن يأخذ عمال أبى سلمة فيضرب أعناقهم . ففعل ذلك .

وفى هذه السنة وجه أبو العباس عمّه عيسى بن علىّ على فارس ، وعليها محمد بن الأشعث ، فهمّ به ، فقيل له : إن هذا لا يسوغ لك ، فقال : بلى ، أمرنى أبو مسلم ألا يقدمَ علىّ أحد يدّعى الولاية من غيره إلا ضربتُ عنقه . ثم ارتدع عن ذلك لما تخوّف من عاقبته ، فاستحلف عيسى بالأيمان المحرجة ألّا يعلو منبراً ، ولا يتقلدَ سيفاً إلّا فى جهاد ؛ فلم يَل عيسى بعد ذلك عملا ، ولا تقلد سيفاً إلّا فى غزْو . ثم وجه أبو العباس بعد ذلك إسماعيل بن علىّ واليًا على فارس . ٧٢/٣

وفى هذه السنة وجّه أبو العباس أخاه أبا جعفر واليًا على الجزيرة وأذْرَبيجان وأرمينيَة ، ووجه أخاه يحيى بن محمد بن علىّ واليًا على الموْصل .

وفيها عزل عمّه داود بن علىّ عن الكوفة وسوادها ، وولّاه المدينة ومكة واليمن واليمامة ، وولّى موضعه وما كان إليه من عمل الكوفة وسوادها عيسى بن موسى .

وفيها عزَل مروانُ — وهو بالجزيرة عن المدينة — الوليد بن عُروة ، وولاها أخاه يوسف بن عروة ؛ فذكر الواقدىّ أنه قدم المدينة لأربع خلوْن من شهر ربيع الأول .

وفيها استقضى عيسى بن موسى على الكوفة ابن أبى ليلى .

وكان العامل على البصرة فى هذه السنة سفيان بن معاوية المهلبىّ . وعلى قضائها الحجاج بن أرطاةَ ، وعلى فارس محمد بن الأشعث ، وعلى السند منصور بن جمهور ، وعلى الجزيرة وأرمينيَة وأذْرَبيجان عبد الله بن محمد ، وعلى الموْصل يحيى بن محمد ، وعلى كُور الشأم عبد الله بن علىّ ، وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد ، وعلى خُراسان والجبال أبو مسلم ، وعلى ديوان الخراج خالد بن برْمك .

وحجّ بالناس فى هذه السنة داود بن علىّ بن عبد الله بن العباس(١) .

(١) إلى هنا ينتهى الجزء الثانى عشر ؛ من نسخة أحمد الثالث ، وهى التى رمزها بالحرف (ا) .

٧٣/٣

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة*

ذكر ما كان فى هذه السنة من الأحداث

فن ذلك ما كان من توجيه أبى العباس عمّه سليمان بن علىّ واليًا على البصرة وأعمالها ، وكُور دجلة والبَحْرين وعُمان ومِهْرِجانقَذق ، وتوجيهه أيضًا عمه إسماعيل بن علىّ على كُور الأهواز .

وفيها قتَل داود بن علىّ من كان أخذ من بنى أميّة بمكة والمدينة .

وفيها مات داود بن علىّ بالمدينة فى شهر ربيع الأول ؛ وكانت ولايتُه — فيما ذكر محمد بن عمر — ثلاثةَ أشهر .

واستخلف داود بن على حين حضرته الوفاة على عمله ابنَه موسى ؛ ولما بلغت أبا العباس وفاتُه وجّه على المدينة ومكة والطائف واليمامة خاله زيادَ بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثىّ ، ووجّه محمد بن يزيد بن عبد الله ابن عبد المدان على اليمن ، فقدِم اليمن فى جمادى الأولى ، فأقام زياد بالمدينة ومضى محمد إلى اليمن . ثم وجّه زياد بن عبيد الله من المدينة إبراهيمَ بن حسان السُّلمىّ ؛ وهو أبو حماد الأبرص — إلى المثنّى بن يزيد بن عمر بن هبيرة وهو باليمامة ، فقتله وقتل أصحابه .

وفيها كتب أبو العباس إلى أبى عون بإقراره على مصر واليًا عليها ، وإلى عبد الله وصالح ابنى علىّ على أجناد الشأم .

وفيها توجّه محمد بن الأشعث إلى إفريقيّة فقاتلهم قتالا شديداً حتى فتحها .

٧٤/٣

وفيها خرج شُرَيك بن شيخ المهرىّ[2] بخُراسان على أبى مسلم ببخارَى ونقم[3] عليه ، وقال : ما على هذا اتّبعنا آل محمد ، على أن نسفك الدماء ، ونعمل بغير الحقّ . وتبعه على رأيه أكثرُ من ثلاثين ألفًا ، فوجّه إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخُزاعىّ فقاتله فقتله .

---

* من هنا تبدأ المقابلة على الجزء الثانى عشر من النسخة التيمورية ؛ وهى التى رمزت لها بالحرف (ت) .

(٢) ج : « الفهرى » .
(٣) ج : « ونقض عليه » .

وفيها توجّه أبو داود خالد بن إبراهيم من الوَخْش إلى الخُتّل، فدخلها ولم يمتنع عليه حنَش[1] بن السبل ملكها ، وأتاه ناس من دهاقين الخُتّل ، فتحصّنوا معه؛ وامتنع بعضهم فى الدُّروب والشعاب والقلاع . فلما ألحّ أبو داود على حنَش ، خرج من الحصن ليلاً ومعه دهاقينه وشاكريّتُه حتى انتهوْا إلى أرض فَرْغانة ؛ ثم خرج منها فى أرض الترك، حتى وقع إلى ملك الصين ؛ وأخذ أبو داود مَنْ ظفر به منهم ، فجاوز بهم إلى بَلْخ ، ثم بعث بهم إلى أبى مسلم .

وفيها قُتِل عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب ؛ قتله سليمان الذى يقال له الأسود ، بأمانٍ كتبه له .

وفيها وجّه صالح بن علىّ سعيدَ بن عبد الله لغزو الصّائفة؛ وراء الدروب .

وفيها عزِل يحيى بن محمد عن الموصِل، واستعمل مكانه إسماعيل بن علىّ .

* * *

٧٥/٣ وحجّ بالناس فى هذه السنة زياد بن عبيد الله الحارثىّ ؛ كذلك حدثنى أحمد ابن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ وغيرُه .

وكان على الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى قضائها ابنُ أبى ليلى ، وعلى البصرة وأعمالها وكُورِ دجْلة والبحرين وعُمان والعرْض ومهرجانقذق سليمان ابن علىّ ، وعلى قضائها عبّاد بن منصور ، وعلى الأهواز إسماعيل بن علىّ وعلى فارس محمد بن الأشعث ، وعلى السِّنْد منصور بن جمهور ، وعلى خراسان والجبال أبو مسلم ، وعلى قنّسرين وحِمْص وكور دمشق والأردّن عبد الله بن علىّ ، وعلى فلسطين صالح بن علىّ .

وعلى مصر عبد الملك بن يزيد أبو عون ، وعلى الجزيرة عبد الله بن محمد المنصور ، وعلى الموصل إسماعيل بن علىّ ، وعلى أرمينيَة صالح بن صبيح ، وعلى أذربيجان مجاشع بن يزيد .

وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك .

---

(١) ث : « جيش » .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خلع بسام بن إبراهيم]

ففيها خالف بسام بن إبراهيم بن بسام ، وخلَع ، وكان من فُرسان أهل خراسان . وشخص – فيما ذكر – من عسكر أبى العباس أمير المؤمنين مع جماعة ممّن شايعه على ذلك من رأيه ؛ مستسرّين[1] بخروجهم ، ففحص عن أمرهم وإلى أين صاروا ، حتى وقف على مكانهم بالمدائن ، فوجّه إليهم أبو العباس خازم بن خزيمة ، فلما لقى بساماً ناجزه القتال ، فانهزم بسام وأصحابُه وقتل أكثرهم ، واستبيح عسكره ، ومضى خازم وأصحابه فى طلبهم[2] ، فى أرض جوخى إلى أن بلغ ماه ، وقتل كلّ مَن لحقه منهزمًا ، أو ناصبه القتال ؛ ثم انصرف من وجهه ذلك ؛ فمرّ بذات المطامير – أو بقرية شبيهة بها – وبها من بنى الحارث بن كعب من بنى عبد المدان ؛ وهم أخوال أبى العباس ذَنَبة[3] فمرّ بهم وهم فى مجلس لهم – وكانوا خمسة وثلاثين رجلا منهم ومن غيرهم ثمانية عشر رجلا ، ومن مواليهم سبعة عشر رجلا – فلم يسلّم عليهم ، فلما جاز شتموه ؛ وكان فى قلبه عليهم ما كان لما بلغه عنهم من حال المغيرة بن الفزع[4] ، وأنه لجأ إليهم ، وكان من أصحاب بسام بن إبراهيم فكرّ راجعًا ، فسألهم عما بلغه من نزول المغيرة بهم ؛ فقالوا : مرّ بنا رجل مجتاز لا نعرفه ؛ فأقام فى قريتنا ليلة ثم خرج عنها ، فقال لهم : أنتم أخوال أمير المؤمنين ويأتيكم عدوّه ، فيأمن فى قريتكم ! فهلا اجتمعتم فأخذتموه ! فأغلظوا له الجواب ، فأمر بهم فضُرِبت أعناقهم جميعًا ، وهُدمت دورهم ، وانتهبت أموالهم ، ثم انصرف إلى أبى العباس ؛ وبلغ ما كان من فعل خازم اليمانية ، فأعظموا ذلك ؛ واجتمعت كلمتُهم ، فدخل زياد بن عبيد الله الحارثىّ على أبى العباس مع عبد الله بن

٧٦/٣

---

(١) ط : « مستبشرين » وما أثبته من ت . (٢) ج : « طلبه » .
(٣) ابن الأثير : « دنيا » . (٤) ت : « القرع » .

الربيع الحارثيّ وعثمان بن نهيك ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن ؛ وهو يومئذ على شُرْطة أبى العباس ؛ فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن خادماً اجترأ عليك بأمر لم يكن أحد[1] من أقرب ولد أبيك ليجترئ عليك به ؛ من استخفافه بحقّك ؛ وقتل أخوالك الذين قطعوا البلاد ، وأتوك معتزّين بك ، طالبين معروفك ؛ حتى إذا صاروا إلى دارك وجوارك ، وثب عليهم خازم فضرب أعناقهم ، وهدم دورهم ، وأنهب أموالهم ، وأخرب ضياعهم ؛ بلا حدث أحدثوه . فهمّ بقتل خازم ؛ فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطيّة ، فدخلا على أبى العباس ، فقالا : بلغنا يا أمير المؤمنين ما كان من تحميل[2] هؤلاء القوم إياك على خازم ؛ وإشارتهم عليك بقتله ؛ وما هممتَ به من ذلك ؛ وإنا نعيذك بالله من ذلك ؛ فإنّ له طاعةً وسابقة ؛ وهو يُحتمل له ما صنع ؛ فإنّ شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الأقارب من الأولاد والآباء والإخوان ؛ وقتلوا من خالفكم ، وأنت أحقّ من تعمد إساءة مسيئهم ؛ فإن كنتَ لا بد مجمعاً على قتله فلا تتولّ ذلك بنفسك ، وعرّضه من المباعث لما إن قتل فيه كنت قد بلغت الذى أردت[3] ، وإن ظفر كان ظفره لك . وأشاروا عليه بتوجيهه إلى مَن بعُمان من الخوارج إلى الجلندى وأصحابه ، وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكرىّ ، فأمر أبو العباس بتوجيهه مع سبعمائة رجل ؛ وكتب إلى سليمان بن علىّ وهو على البصرة بحملهم فى السفن إلى جزيرة ابن كاوان وعُمان فشخص .

٣/٧٧

* * *

[أمر الخوارج مع خزيمة بن خازم وقتل شيبان بن عبد العزيز]

وفى هذه السنة شخص خازم بن خزيمة إلى عُمان ، فأوقع بمَن فيها من الخوارج ، وغلب عليها وعلى ما قرُب منها من البلدان وقتل شيبان الخارجىّ .

٣/٧٨

* ذكر الخبر عما كان منه هنالك :

ذُكر أن خازم بن خزيمة شخص فى السبعمائة الذين ضمّهم إليه أبو العباس ، وانتخب من أهل بيته وبنى عمه ومواليه ورجال من أهل مَرو الرّوذ ، قد عرفهم

---

(١) ت : « رجل » . (٢) ت : « تحيل » .
(٣) ت : « قد أردت » .

ووثق بهم ؛ فسار إلى البَصْرة ، فحملهم سليمان بن علىّ ، وانضمّ إلى خازم بالبصرة عدّة من بنى تميم ، فساروا حتى أرسوْا بجزيرة ابن كاوان ، فوجّه خازم نضلة بن نعيم[1] النهشلىّ فى خمسمائة رجل من أصحابه إلى شيبان ، فالتقوْا فاقتتلوا قتالا شديداً ، فركب شيبان وأصحابه السفن ، فقطعوا إلى عُمَان — وهم صُفرية — فلما صاروا إلى عُمان نَصب لهم الجلندَى وأصحابه — وهم إباضية — فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقُتل شيبان ومَن معه ، ثم سار خازم فى البحر بمن معه ؛ حتى أرسوْا إلى ساحل عُمان ، فخرجوا إلى صحراء ، فلقيَهم الجلندَى وأصحابه ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكثُر القتل يومئذ فى أصحاب خازم ؛ وهم يومئذ على ضفة البحر ، وقتِل فيمن قُتِل أخٌ لخازم لأمه يقال له إسماعيل ، فى تسعين رجلاً من أهل مَرْو الروذ، ثم تلاقوْا فى اليوم الثانى ؛ فاقتتلوا قتالا شديداً ، وعلى ميمنته رجل من أهل مَرْو الروذ ، يقال له حميد الورتكانىّ، وعلى ميسرته رجل من أهل مَرْو الرّوذ يقال له مسلم الأرغدىّ، وعلى طلائعه نضلة بن نعيم النهشلىّ ، فقتل يومئذ من الخوارج تسعمائة رجل ، وأحرَقوا منهم نحواً من تسعين رجلا . ثم التقوْا بعد سبعة أيام من مَقْدَم خازم على رأى أشار به عليه رجلٌ من أهل الصُّغْد ، وقع بتلك البلاد ، فأشار عليه أن يأمر أصحابه فيجعلوا على أطراف أسنتهم المُشاقة[2] ويرووها بالنِّفط ، ويُشعِلوا فيها النيران ؛ ثم يمشوا بها حتى يضرموها فى بيوت أصحاب الجلندَى . وكانت من خشب وخِلاف ؛ فلما فعل ذلك وأضرمت بيوتُهم بالنيران وشغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم شدّ عليهم خَازم وأصحابه ؛ فوضعوا فيهم السيوف وهم غير ممتنعين منهم ، وقتِل الجلندَى فيمن قُتِل ، وبلغ عدّة مَنْ قتل عشرة آلاف ؛ وبعث خازم برءوسهم إلى البصرة ، فمكثت[3] بالبصرة أياماً ، ثم بعث بها إلى أبى العباس ، وأقام خازم بعد ذلك أشهراً ؛ حتى أتاه كتاب أبى العباس بإقفاله فقفلوا .

٧٩/٣

* * *

[ذكر غزوة كسّ]

وفى هذه السنة غزا أبو داود خالد بن إبراهيم أهل كسّ[4] فقتل الأخريد

(١) ابن الأثير : « فضلة بن نعيم». (٢) المشاقة من الكتان والقطن والشعر : ما خلص منه.
(٣) ط : « فمكث » . (٤) ط : « كش » ، وانظر الفهرس .

ملكها ؛ وهو سامع مطيع قدم عليه قبل ذلك بلْخ ، ثم تلقاه بكندك مما يلى كسّ ؛ وأخذ أبو داود من الأخريد وأصحابه حين قتلهم من الأوانى الصينيّة المنقوشة المذهبة التى لم يُرَ مثلها ، ومن السروج الصينيّة ومتاع الصين كله من الديباج وغيره ، ومن طُرَف الصين شيئًا كثيراً ، فحمله أبو داود أجمع إلى ٣/٨٠ أبى مسلم وهو بسَمَرْقَنْد ، وقتل أبو داود دهقان كسّ فى عدّة من دهاقينها واستحيا طاران أخا الأخريد وملّكه على كسّ ، وأخذ ابن النجاح وردّه إلى أرضه ، وانصرف أبو مسلم إلى مَرْو بعد أن قتل فى أهل الصّغْد وأهل بخارى ، وأمر ببناء حائط سَمَرْقند ، واستخلف زياد بن صالح على الصّغْد وأهل بخارى ، ثم رجع أبو داود إلى بلخ .

* * *

[ذكر قتال منصور بن جمهور]

وفى هذه السنة وجه أبو العباس موسى بن كعب إلى الهند[1] لقتال منصور ابن جمهور ، وفرض لثلاثة آلاف رجل من العرب والموالى بالبصرة ولألف من بنى تميم خاصّة ، فشخص واستخلف مكانه على شُرْطة أبى العباس المسيّب ابن زُهير حتى ورد السِّنْد ، ولقى منصور بن جمهور فى اثنى عشر ألفًا ، فهزمه ومَنْ معه ، ومضى فمات عطشًا فى الرمال .

وقد قيل : أصابه بطن ، وبلغ خليفة منصور وهو بالمنصورة هزيمة منصور ، فرحل بعيال منصور وثقله ، وخرج بهم فى عدّة من ثقاته ، فدخل بهم بلاد الخزر .

* * *

وفيها توفّى محمد بن يزيد بن عبد الله وهو على اليمن ، فكتب أبو العباس إلى علىّ بن الربيع بن عبيد الله الحارثىّ ، وهو عامل لزياد بن عبيد الله على مكة بولايته على اليمن فسار إليها[2] .

وفى هذه السنة تحوّل أبو العباس من الحيرة إلى الأنبار — وذلك فيما قال الواقدىّ وغيره — فى ذى الحجة .

---

(١) ابن الأثير : « إلى السند » . (٢) ح : « بأهلها » .

وفيها عـُزِل صالح بن صبيح عن أرمينيـَة ، وجعل مكانه يزيد بن أسيد. ٣/٨١
وفيها عـُزل مجاشع بن يزيد عن أذْرَبيجان ، واستعمل عليها محمد بن صول .

وفيها ضرَب المنار من الكوفة إلى مكة والأميال . وحجّ بالناس فى هذه السنة عيسى بن موسى ، وهو على الكوفة وأرضها .

وكان على قضاء الكوفة ابن أبى ليلَى ، وعلى المدينة ومكة والطائف واليمامة زياد بن عبيد الله ، وعلى اليمن علىّ بن الربيع الحارثىّ ، وعلى البصرة وأعمالها وكُور دجلة والبحرين وعُمان والعرْض ومهرجانقذق سليمان بن علىّ ، وعلى قضائها عباد بن منصور ، وعلى السند موسى بن كعب ، وعلى خراسان والجبال أبو مسلم ، وعلى فلسطين صالح ابن علىّ ، وعلى مصر أبوعوْن ، وعلى موصل إسماعيل بن على ، وعلىّ أرمينيـَة يزيد بن أسيد ، وعلى أذربيجان محمد بن صول.

وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك ، وعلى الجزيرة عبد الله بن محمد أبو جعفر وعلى قنّسرين وحِمْص وكور دمشق والأردنّ عبد الله بن علىّ .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خروج زياد بن صالح]

فمما كان فيها من ذلك خروجُ زياد بن صالح وراء نهر بلْخ، فشخص أبو مسلم من مَرْو مستعدًّا للقائه، وبعث أبو داود خالد بن إبراهيم نصرَ بن راشد إلى التِّرْمذ، وأمره أن ينزل مدينتَها، مخافةَ أن يبعث زياد بن صالح إلى الحصن والسفن فيأخذها؛ ففعل ذلك نصر، وأقام بها أيامًا، فخرج عليه ناس من الراونديّة من أهل الطالقان مع رجل يكنى أبا إسحاق، فقتلوا نصرًا، فلما بلغ ذلك أبا داود بعث عيسى بن ماهان فى تتبّع قتَلة نصر، فتتبعهم فقتلهم، فمضى أبو مسلم مسرعًا؛ حتّى انتهى إلى آمُل، ومعه سباع بن أبى النعمان الأزدىّ، وهو الذى كان قدم بعهد زياد بن صالح من قِبَل أبى العباس، وأمره إن رأى فرصة أن يَثِبَ على أبى مسلم فيقتلَه. فأخبِر أبو مسلم بذلك، فدفع سباع بن النعمان إلى الحسن بن الجُنيد عامله على آمُل، وأمره بحبسه عنده، وعبَر أبو مسلم إلى بخَارى، فلما نزلها أتاه أبو شاكر وأبو سعد الشروىّ فى قُوّاد قد خلعوا زيادًا، فسألهم أبو مسلم عن أمر زياد ومَنْ أفسده، قالوا: سباع بن النعمان، فكتب إلى عامله على آمُل أن يضرب سباعًا مائة سوط، ثم يضرب عنقه، ففعل.

٨٢/٣

ولما أسلم زيادًا قوّادُه ولحقوا بأبى مسلم لجأ إلى دِهقان بارْكَث، فوثب عليه الدهقان، فضرب عنقه، وجاء برأسه إلى أبى مسلم، فأبطأ أبو داود على أبى مسلم لحال الراونديّة الذين كانوا خرجوا، فكتب إليه أبو مسلم: أما بعد فليفرِخ[1] رَوْعك، ويأمن سِربك، فقد قتل الله زيادًا، فاقْدَم، فقدم أبو داود، كسّ[2]، وبعث عيسى بن ماهان إلى بسام، وبعث ابن النجاح إلى الإصبهبذ إلى شاوَغَر، فحاصر الحصن فأما أهل شاوغر فسألوا الصلح، فأجيبوا إلى ذلك.

٨٣/٣

---

(١) ط: «ليفرج» صوابه من ت. (٢) ط: «كش».

وأما بسام فلم يصل عيسى بن ماهان إلى شيء منه ؛ حتى ظهر أبو مسلم بستة عشر كتاباً وجدها من عيسى بن ماهان إلى كامل بن مظفّر صاحب أبى مسلم ، يعيب فيها أبا داود ، وينسبه فيها إلى العصبيّة وإيثاره العرب وقومَه على غيرهم من أهل هذه الدعوة ، وأن فى عسكره ستة وثلاثين سُرادقاً للمستأمنة ، فبعث بها أبو مسلم إلى أبى داود ، وكتب إليه : إنّ هذه كتب العِلْج الذى صَيَّرته عِدْل نفسك ، فشأنَك به . فكتب أبو داود إلى عيسى ابن ماهان يأمره بالانصراف إليه عن بسّام ، فلما قدم عليه حبسه ودفعه إلى عمر النغم ؛ وكان فى يده محبوساً ، ثم دعا به بعد يومين أو ثلاثة فذكّره صنيعتَه به وإيثاره إياه على ولده ، فأقرّ بذلك ، فقال أبو داود : فكان جزاء ما صنعتُ بك أن سعيتَ بى وأردتَ قتلى ، فأنكر ذلك ، فأخرج كتبه فعرفها ، فضربه أبو داود يومئذ حدّين : أحدهما للحسن بن حمدان . ثم قال أبو داود : أمّا إنى قد تركت ذنبَك لك ؛ ولكن الجند أعلم . فأخرج فى القيود ، فلما أخرج من السرّادق وثب عليه حرب بن زياد وحفص بن دينار مولى يحيى بن حُضين ، فضرباه بعمود وطَبَرْزين ، فوقع إلى الأرض ، وعدا عليه أهل الطالقان وغيرُهم ، فأدخلوه فى جوالق ، وضربوه بالأعمدة ، حتى مات ورجع أبو مسلم إلى مَرْو . ٨٤/٣

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة سليمان بن علىّ ، وهو على البصرة وأعمالها . وعلى قضائها عبّاد بن منصور .

وكان على مكة العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس ، وعلى المدينة زياد بن عبيد الله الحارثىّ ، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى قضائها ابن أبى ليلى ، وعلى الجزيرة أبو جعفر المنصور ، وعلى مصر أبو عون ، وعلى حمْص وقنّسرين وبعلبكّ والغُوطة وحَوْران والجوْلان والأردنّ عبد الله ابن علىّ ، وعلى البلقاء وفلسطين صالح بن علىّ ، وعلى الموصل إسماعيل بن علىّ ، وعلى أرمينيَة يزيد بن أسيد ، وعلى أذْرَبيجان محمد بن صَوْل ، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر قدوم أبى مسلم على أبى العباس]

ففى هذه السنة قدم أبو مسلم العراق من خُراسان على أبى العباس أمير المؤمنين.

* ذكر الخبر عن قدومه عليه وما كان من أمره فى ذلك:

ذكر علىّ بن محمد أن الهيثم بن عدىّ أخبره والوليد بن هشام، عن أبيه، قالا[١]: لم يزلْ أبو مسلم مقيماً بخراسان، حتّى كتب إلى أبى العباس يستأذنه فى القُدوم عليه، فأجابه إلى ذلك، فقدم على أبى العباس فى جماعة من أهل خُراسان عظيمة ومَنْ تبعه من غيرهم من الأنبار؛ فأمر أبو العباس النّاس يتلقونه، فتلقاه الناسُ، وأقبل إلى أبى العباس، فدخل عليه فأعظمه وأكرمه؛ ثم استأذن أبا العباس فى الحجّ فقال: لولا أن أبا جعفر يحجّ لاستعملتُك على الموسم. وأنزله قريبًا منه، فكان يأتيه فى كلّ يوم يسلم عليه، وكان ما بين أبى جعفر وأبى مسلم متباعداً؛ لأن أبا العباس كان بعث[٢] أبا جعفر إلى أبى مسلم وهو بنيسابور، بعد ما صفت له الأمور بعهده على خُراسان وبالبيعة لأبى العباس ولأبى جعفر من بعده؛ فبايع له أبو مسلم وأهل خراسان. وأقام أبو جعفر أيامًا حتّى فرغ من البيعة، ثم انصرف. وكان أبو مسلم قد استخفّ بأبى جعفر فى مقدمه ذلك، فلما قدم على أبى العباس أخبره بما كان من استخفافه به. ٣/٨٥

قال علىّ: قال الوليد عن أبيه: لما قدم أبو مسلم على أبى العباس، قال أبو جعفر لأبى العباس: يا أميرَ المؤمنين، أطعْنى واقتل أبا مسلم؛ فوالله إنّ فى رأسه لغَدْرة، فقال: يا أخى، قد عرفتَ بَلاءَه وما كان منه، فقال

(١) ط: «قال»، وما أثبته من ت. (٢) ت: «وجه».

أبو جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنما كان بدولتنا ؛ والله لو بعثتَ سنّوراً لقام مقامه . وبلغ ما بلغ فى هذه الدولة . فقال له أبو العباس : فكيف نقتله ؟ قال : إذا دخل عليك وحادثه وأقبل عليك دخلتُ فتغفلتُه فضربتُه من خلْفه ضربة أتيت بها على نفسه ، فقال أبو العباس : فكيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم ودنياهم ؟ قال : يئول ذلك كله إلى ما تريد ، ولو علموا أنه قد قُتل تفرّقوا وذلّوا ، قال : عزمتُ عليك إلاّ كففتَ عن هذا ، قال : أخاف والله إن لم تتغدّه اليوم أن يتعشاك غداً ، قال : فدونكه ، أنت أعلم . ٨٦/٣

قال : فخرج أبو جعفر من عنده عازماً على ذلك ، فندِم أبو العباس وأرسل إلى أبى جعفر : لا تفعل ذلك الأمر .

وقيل : إن أبا العباس لما أذِن لأبى جعفر فى قتل أبى مسلم ، دخل أبو مسلم على أبى العباس ، فبعث أبو العباس خصيًّا له ، فقال : اذهب فانظر مايصنع أبو جعفر ؛ فأتاه فوجده محتبياً بسيفه ، فقال للخَصىّ : أجالسٌ أمير المؤمنين ؟ فقال له : قد تهيّأ للجلوس ، ثم رجع الخصىّ إلى أبى العباس فأخبره بما رأى منه ، فردّه إلى أبى جعفر وقال له : قل له الأمر الذى عزمتَ عليه لا تُنفِذْه فكفّ أبو جعفر .

* * *

[حج أبى جعفر المنصور وأبى مسلم]

وفى هذه السنة حجّ أبو جعفر المنصور وحجّ معه أبو مسلم .

* ذكر الخبر عن مسيرهما وعن وصفة مقدمهما على أبى العباس :

أما أبو مسلم فإنه — فيما ذُكِر عنه — لما أراد القدوم على أبى العباس ، كتب يستأذنه فى القدوم للحجّ ، فأذن له ، وكتب إليه أن اقدم فى خمسمائة من الجُنْد ، فكتب إليه أبو مسلم : إنّى قد وترتُ الناس ولستُ آمن على نفسى . فكتب إليه أن أقبِلْ فى ألف ؛ فإنما أنت فى سلطان أهلِك ودولتك ، وطريق مكة لا تحتمل العسكر ؛ فشخص فى ثمانية آلاف فرّقهم فيما بين نيسابور والرىّ ، وقدِم بالأموال والخزائن فخلّفها بالرىّ ، وجمع أيضًا أموال الجبل ، وشخص منها فى ألف وأقبل ؛ فلما أراد الدّخُول تلقاه القوّاد وسائر الناس ، ثم استأذن ٨٧/٣

أبا العباس فى الحجّ ، فأذن له ، وقال : لولا أنّ أبا جعفر حاجّ لوليتك الموسم .

وأما أبو جعفر فإنه كان أميرًا على الجزيرة ، وكان الواقدىّ يقول : كان إليه مع الجزيرة أرمينيـة وأذربيجان ، فاستخلف على عمله مقاتل بن حكيم العكىّ ، وقدم على أبى العباس فاستأذنه فى الحج ؛ فذكر علىّ بن محمد عن الوليد بن هشام عن أبيه أن أبا جعفر سار إلى مكة حاجًّا ، وحجّ معه أبو مسلم سنة ست وثلاثين ومائة ، فلما انقضى [1] الموسم أقبل أبو جعفر وأبو مسلم ، فلما كان بين البستان وذات عِرْق أتى أبا جعفر كتابٌ بموت أبى العباس ؛ وكان أبو جعفر قد تقدّم أبا مسلم بمرحلة ، فكتب إلى أبى مسلم : إنه قد حدث أمرٌ فالعَجل العجل ، فأتاه الرسول فأخبره ، فأقبل حتى لحق أبا جعفر ، وأقبلا إلى الكوفة .

وفى هذه السنة عقد أبو العباس عبد الله بن محمد بن علىّ لأخيه أبى جعفر الخلافة مِنْ بعده ، وجعله ولىّ عهد المسلمين ، ومن بعد أبى جعفر عيسى ابن موسى بن محمد بن علىّ ، وكتب العهد بذلك ، وصيّره فى ثوب ، وختم عليه بخاتمه وخواتيم أهل بيته ، ودفعه إلى عيسى بن موسى .

* * *

[ذكر الخبر عن موت أبى العباس السفاح]

وفيها توفِّىَ أبو العباس أمير المؤمنين بالأنبار يوم الأحد، لثلاث عشرة خلَتْ من ذى الحجة . وكانت وفاته فيما قيل بالجدَرِىّ .

٨٨/٣ وقال هشام بن محمد : توفى لاثنتى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة .

واختلف فى مبلغ سنه يوم وفاته ، فقال بعضهم : كان له يوم توفِّىَ ثلاث وثلاثون سنة . وقال هشام بن محمد : كان يوم توفىَ ابن ست وثلاثين سنة ، وقال بعضهم : كان له ثمان وعشرون سنة .

وكانت ولايته من لَدُن قُتل مَرْوان بن محمد إلى أن تُوفىَ أربع سنين ، ومن لدن بويع له بالخلافة إلى أن مات أربع سنين وثمانية أشهر . وقال بعضهم : وتسعة أشهر . وقال الواقدّى : أربع سنين وثمانية أشهر منها ثمانية أشهر وأربعة

(١) ج : « فلما كان انقضاء » .

أيام يقاتل مروان .

وملك بعد مروان أربع سنين . وكان – فيما ذُكِر – ذاشعرة جَعْدة، وكان طويلا أبيض أقنَى الأنف ، حسنَ الوجه واللحية .

وأمه رَيْطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثىّ وكان وزيره أبو الجهم بن عطيّة .

وصلى عليه عمه عيسى بن علىّ ، ودفنه بالأنبار العتيقة فى قصره .

وكان – فيما ذكر – خلّف تسع جباب ، وأربعة أقمصَة ، وخمسة سراويلات ، وأربعة طيالسة ، وثلاثة مطارف خزّ .

* * *

خلافة أبى جعفر المنصور

وهو عبد الله بن محمد

وفى هذه السنة بويع لأبى جعفر المنصور بالخلافة ؛ وذلك فى اليوم الذى توفىَ فيه أخوه أبو العباس ، وأبو جعفر يومئذ بمكة ؛ وكان الذى أخذ البيعة بالعراق لأبى جعفر بعد موت أبى العباس عيسى بن موسى ، وكتب إليه عيسى يُعلمه بموت أخيه أبى العباس وبالبيعة له .

وذكر علىّ بن محمد ، عن الهيثم ، عن عبد الله بن عيّاش ، قال : لما حضرتْ أبا العباس الوفاة ، أمر الناس بالبيعة لعبد الله بن محمد أبى جعفر ، فبايع الناس له بالأنبار فى اليوم الذى مات فيه أبو العباس . وقام بأمر الناس عيسى بن موسى ، وأرسل عيسى بن موسى إلى أبى جعفر وهو بمكة محمد بن الحصين العبدىّ بموت أبى العباس ، وبالبَيْعة له ، فلقيَه بمكان من الطريق يقال له زكيّة ، فلما جاءه الكتاب دعا الناس فبايعوه ، وبايعه أبو مسلم ، فقال أبو جعفر : أين موضعنا هذا ؟ قالوا : زكيّة ، فقال : أمر يَزْكَى لنا إن شاء الله تعالى .

٨٩/٣

وقال بعضهم : ورد على أبى جعفر البيعة له بعد ما صدر من الحجّ ، فى منزل من منازل طريق مكة ؛ يقال له صُفَيّة ، فتفاءل باسمه ، وقال : صَفَتْ لنا إن شاء الله تعالى .

* * *

٣/٩٠ رجع الحديث إلى حديث علىّ بن محمد : فقال علىّ : حدّثنى الوليد ، عن أبيه ، قال : لما أتى الخبرُ أبا جعفر كتب إلى أبى مسلم وهو نازل بالماء ، قد تقدّمه أبو جعفر ، فأقبل أبو مسلم حتى قدم عليه .

* * *

وقيل إن أبا مسلم كان هو الذى تقدّم أبا جعفر ، فعرف الخبر قبله ، فكتب إلى أبى جعفر :

بسم الله الرحمن الرحيم . عافاك الله وأمتَع بك ؛ إنه أتانى أمر أفظعنى وبلَغ منى مبلغاً لم يبلغه شىء قطّ ، لقيَنى محمد بن الحصين بكتاب من عيسى بن موسى إليك بوفاة أبى العباس أمير المؤمنين رحمه الله ، فنسأل الله أن يعظم أجرَك ، ويُحسن الخلافة عليك ؛ ويبارك لك فيما أنت فيه ؛ إنه ليس من أهلك أحدٌ أشدّ تعظيماً لحقك وأصفى نصيحةً لك ، وحرصاً على ما يسرّك منى .

وأنفذ الكتاب إليه ، ثم مكث أبو مسلم يومه ومن الغد ، ثم بعث إلى أبى جعفر بالبَيْعة ؛ وإنما أراد ترهيب أبى جعفر بتأخيرها .

* * *

رجع الحديث إلى حديث علىّ بن محمد : فلما جلس أبو مسلم ، ألقى إليه الكتاب ، فقرأه وبكى واسترجع . قال : ونظر أبو مسلم إلى أبى جعفر ، وقد جزع جزعاً شديداً فقال : ما هذا الجزع وقد أتتك الخلافة ؟ فقال : أتخوّف شرّ عبد الله بن علىّ وشيعة علىّ ، فقال : لا تخفه ؛ فأنا أكفيك أمره إن شاء الله ؛ إنما عامة جُنده ومَن معه أهل خُراسان ؛ وهم لا يعصوننى . فسُرِّىَ عن أبى جعفر ما كان فيه . وبايع له أبو مسلم وبايع الناسُ ، وأقبلا حتى

٣/٩١ قدما الكوفة ، وردّ أبو جعفر زياد بن عبيد الله إلى مكة ، وكان قبل ذلك والياً عليها وعلى المدينة لأبى العباس .

وقيل : إن أبا العباس كان قد عزل قبل موته زياد بن عبيد الله الحارثىّ عن مكة ، وولاها العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس .

* * *

وفى هذه السنة قدِم عبد الله بن علىّ على أبى العباس الأنبار ، فعقد له

أبو العباس على الصّائفة فى أهل خراسان وأهل الشأم والجزيرة والموصل ، فسار فبلغ دلوك، ولم يُدْرِبْ حتى أتته وفاة أبى العباس .

وفى هذه السنة بعث عيسى بن موسى وأبو الجهم يزيدَ بن زياد أبا غسان إلى عبد الله بن علىّ ببيعة المنصور ، فانصرف عبدُ الله بن علىّ بمن معه من الجيوش ، قد بايع لنفسه حتى قدم حرّان .

* * *

وأقام الحجّ للناس فى هذه السنة أبو جعفر المنصور ؛ وقد ذكرنا ما كان إليه من العمل فى هذه السنة ؛ ومن استخلف عليه حين شخص حاجًّا .

وكان على الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى قضائها ابن أبى ليلى، وعلى البصرة وعملها سليمان بن علىّ ، وعلى قضائها عبّاد بن المنصور ، وعلى المدينة زياد بن عبيد الله الحارثى ، وعلى مكة العباس بن عبد الله بن معبد ، وعلى مصر صالح ابن علىّ .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة

٩٢/٣

ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خروج عبد الله بن علىّ وهزيمته]

فمما كان فيها من ذلك قدُوم المنصور أبى جعفر من مكة ونزولُه الحيرة ، فوجد عيسى بن موسى قد شخص إلى الأنبار ، واستخلف على الكوفة طَلْحه ابن إسحاق بن محمد بن الأشعث ، فدخل أبو جعفر الكُوفة فصلَّى بأهلها الجمعة يوم الجمعة ، وخطبهم وأعلمهم أنه راحل عنهم ؛ ووافاه أبو مسلم بالحِيرة ، ثم شخص أبو جعفر إلى الأنبار وأقام بها ، وجمع إليه أطرافه .

وذكر علىّ بن محمد عن الوليد ، عن أبيه ، أنّ عيسى بن موسى كان قد أحرز بيوت الأموال والخزائن والدّواوين ؛ حتى قدم عليه أبو جعفر الأنبار ، فبايع الناس له بالخلافة ، ثم لعيسى بن موسى من بعده ؛ فسلم عيسى بن موسى إلى أبى جعفر الأمْر ؛ وقد كان عيسى بن موسى بعث أبا غَسّان — واسمه يزيد بن زياد ، وهو حاجب أبى العباس — إلى عبد الله بن علىّ ببيعة أبى جعفر ؛ وذلك بأمرِ أبى العباس قبل أن يموت حين أمر الناس بالبيعة لأبى جعفر من بعده ، فقدم أبو غسان على عبد الله بن علىّ بأفواه الدروب ، متوجّهًا يريد الروم ؛ فلما قدم عليه أبو غسان بوفاة أبى العباس وهو نازل بموضع يقال له دُلُوك ، أمر مناديًا فنادى : الصلاة جامعة فاجتمع إليه القوّاد والجند ، فقرأ عليهم الكتاب بوفاة أبى العباس ، ودعا الناس إلى نفسه ؛ وأخبرهم أن أبا العباس حين أراد أن يُوجّه الجنود إلى مَرْوان بن محمد دعا بنى أبيه ؛ فأرادهم على المسير إلى مروان بن محمد ، وقال : من انتدب منكم فسار إليه فهو ولىّ عهدى ، فلم ينتدب له غيرى ؛ فعلى هذا خرجتُ من عنده ، وقتلتُ من قتلت .

٩٣/٣

فقام أبو غانم الطائىّ وخُفاف المروروذىّ فى عدّة من قوّاد أهل خُراسان ، فشهدوا له بذلك ؛ فبايعه أبو غانم وخُفاف وأبو الأصبَغ وجميعُ مَن كان معه

من أولئك القوّاد، فيهم حُمَيد بن قَحْطبة وخُفاف الجرجانىّ وحيّاش بن حبيب ومخارق بن غِفار وتُرَارخُدا وغيرهم من أهل خُراسان والشام والجزيرة، وقد نزل تلّ محمد، فلما فرغ من البَيْعة ارتحل فنزل حَرّان، وبها مُقاتل العكىّ - وكان أبو جعفر استخلفه لما قدِم على أبى العباس - فأراد مقاتلا على البيعة فلم يجبْه، وتحصّن منه، فأقام عليه وحصره حتّى استنزله من حِصْنه فقتله.

وسرّح أبو جَعفر لقتال عبد الله بن علىّ أبا مسلم؛ فلما بلغ عبدَ الله إقبالُ أبى مسلم أقام بحرّان، وقال أبو جعفر لأبى مسلم: إنما هو أنا أو أنت؛ فسار أبو مسلم نحو عبد الله بحَرّان، وقد جمع إليه الجنود والسلاح، وخندق وجمع إليه الطعام والعلوفة وما يصلِحه، ومضى أبو مسلم سائراً من الأنبار؛ ولم يتخلّف عنه من القوّاد أحدٌ، وبعث على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعىّ؛ وكان معه الحسن وحميد ابنا قحطبة، وكان حميد قد فارق عبد الله بن علىّ، وكان عبد الله أراد قتله، وخرج معه أبو إسحاق وأخوه وأبو حُميد وأخوه ٣/٩٤ وجماعة من أهل خراسان؛ وكان أبو مسلم استخلف على خراسان حيث شخص خالد بن إبراهم أبا داود.

قال الهيثم: كان حصار عبد الله بن علىّ مقاتلا العكىّ أربعين ليلة، فلما بلغه مسيرُ أبى مسلم إليه، وأنه لم يظفر بمقاتل، وخشى أن يهجم عليه أبو مسلم أعطى العكىّ أمانًا، فخرج إليه فيمن كان معه، وأقام معه أيامًا يسيرة، ثم وجّهه إلى عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدىّ إلى الرّقة ومعه ابناه، وكتب إليه كتاباً دفعه إلى العكىّ، فلما قدموا على عثمان قتَل العكىّ وحبس ابنيه، فلما بلغه هزيمة عبد الله بن علىّ وأهل الشأم بنصيبين أخرجهما فضرب أعناقهما.

وكان عبد الله بن علىّ خشى ألا يناصحه أهل خراسان، فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفًا؛ أمر صاحب شُرَطه فقتلهم؛ وكَتب لحميد بن قحطبة كتابًا ووجّهه إلى حلب، وعليها زُفَر بن عاصم وفى الكتاب: إذا قدم عليك حُميد بن قحطبة فاضرب عنقَه، فسار حميد حتّى إذا كان ببعض الطريق فكّر فى كتابه، وقال: إنّ ذهابى بكتاب ولا أعلم ما فيه لغَرَر، ففكّ

الطومار فقرأه ، فلما رأى ما فيه دعا أناساً من خاصته فأخبرهم الخبر ، وأفشى إليهم أمره ، وشاورهم ، وقال : مَن أراد منكم أن ينجوَ ويهرب فليَسِرْ معى ؛ فإنى أريد أن آخذ طريق العراق ، وأخبرهم ما كتب به عبد الله بن علىّ فى أمره ، وقال لهم : مَنْ لم يرد منكم أن يحمل نفسه على السير فلا يفشينّ سرّى ، وليذهب حيث أحبّ .

٣/٩٥

قال : فاتّبعه على ذلك ناس من أصحابه ، فأمر حميد بدوابّه فأنعلت [1] ، وأنعل أصحابه دوابّهم ، وتأهبوا للمسير معه ، ثم فوّز [2] بهم وبهرَجَ الطريق [3] فأخذ على ناحية من الرّصافة ؛ رصافة هشام بالشأم ، وبالرّصافة يومئذ مولى لعبد الله بن علىّ يقال له سعيد البربرىّ ، فبلغه أنّ حُميد بن قحطبة قد خالف عبد الله بن علىّ ، وأخذ فى المفازة ، فسار فى طلبه فيمن معه من فُرسانه ؛ فلحقه ببعض الطريق ، فلما بصر به حُميد ثنى فرَسه نحوه حتى لقيَه ، فقال له : ويحك ! أما تعرفنى ! والله ما لك فى قتالى من خَيْر فارجع ؛ فلا تقتل أصحابى وأصحابك ، فهو خير لك . فلما سمع كلامه عرف ما قال له ، فرجع إلى موضعه بالرُّصافة ، ومضى حُميد ومَن كان معه ، فقال له صاحب حَرَسه موسى بن ميمون : إن لى بالرُّصافة جاريةً ، فإن رأيتَ أن تأذنَ لى فآتيَها فأوصيها ببعض ما أريد ، ثم ألحقك ! فأذن له فأتاها ، فأقام عندها ، ثم خرج من الرُّصافه يريد حُميداً ، فلقيه سعيد البربرىّ مولى عبد الله بن علىّ ، فأخذه فقتله ؛ وأقبل عبد الله بن علىّ حتى نزل نَصيبين ، وخندق عليه .

وأقبل أبو مسلم . وكتب أبو جعفر إلى الحسن بن قحطبة — وكان خليفته بأرمينيَة — أن يوافىَ أبا مسلم ، فقدم الحسن بن قحطبة على أبى مسلم وهو بالمَوْصِل ، وأقبل أبو مسلم ، فنزل ناحية لم يعرِض له ، وأخذ طريق الشأم ، وكتب إلى عبد الله : إنى لم أومَر بقتالك ، ولم أوجَّه له ، ولكن أمير المؤمنين ولاّنى الشأم ؛ وإنما أريدها ؛ فقال مَنْ كان مع عبد الله من أهل الشأم لعبد الله : كيف نقيم معك وهذا يأتى بلادنا ، وفيها حرمُنا فيقتل من قدر عليه من رجالنا ، ويسبِى ذراريّنا !

٣/٩٦

(١) نعل الدابة : ما ولى به حافرها وخفها ؛ وأنعل الدابة : وضع لها ذلك النعل .
(٢) فوز : سلك المفازة .
(٣) بهرج الطريق : أى سلك بهم غير المحجة .

ولكنا نخرج إلى بلادنا فنمنعه حرَمنا وذراريّنا ونقاتله إن قاتلنا ، فقال لهم عبد الله بن علىّ : إنه والله ما يريد الشأم ، وما وُجّه إلا لقتالكم ، ولئن أقمتم ليأتينّكم . قال : فلم تطب أنفسهُم ، وأبوْا إلا المسير إلى الشأم .

قال : وأقبل أبو مسلم فعسكر قريبًا منهم ، وارتحل عبد الله بن علىّ من عسكره متوجّهًا نحو الشأم ، وتحوّل أبو مسلم حتى نزل فى معسكر عبد الله ابن علىّ فى موضعه ، وعوّر[١] ما كان حوله من المياه ، وألقى فيها الجيَف . وبلغ عبد الله بن علىّ نزول أبى مسلم معسكره ، فقال لأصحابه من أهل الشأم : ألم أقل لكم ! وأقبل فوجد أبا مسلم قد سبقه إلى معسكره ، فنزل فى موضع عسكر أبى مسلم الذى كان فيه ، فاقتتلوا أشهراً خمسة أو ستة ، وأهل الشأم أكثر فرسانًا وأكمل عُدّة ، وعلى ميمنة عبد الله بكار بن مسلم العقيلىّ ، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسدىّ ، وعلى الخيل عبد الصمد بن علىّ ، وعلى ميمنة أبى مسلم الحسن بن قحطبة ، وعلى الميسرة أبو نصر خازم بن خزيمة ، فقاتلوه أشهراً .

قال علىّ : قال هشام بن عمرو التّغلبىّ : كنت فى عسكر أبى مسلم ، فتحدّث الناس يومًا ، فقيل : أىُّ الناس أشدّ ؟ فقال : قولوا حتى أسمع ، فقال رجل: أهل خراسان . وقال آخر : أهل الشأم ، فقال أبو مسلم : كلّ قوم فى دولتهم أشدّ الناس . قال : ثم التقينا ، فحمل علينا أصحاب عبد الله بن علىّ فصدمونا صدمةً أزالونا بها عن مواضعنا ، ثم انصرفوا . وشدّ علينا عبد الصمد فى خيل مجرّدة ، فقتل منا ثمانية عشر رجلا ، ثم رجع فى أصحابه ، ثم تجمعوا[٢] فرموْا بأنفسهم : فأزالوا صفّنا وجُلْنا جوْلة ، فقلت لأبى مسلم : لو حرّكتُ دابتى حتى أشرف [على][٣] هذا التلّ فأصيح بالناس ، فقد انهزموا ! فقال : افعل ، قال : قلت : وأنت أيضًا فتحرّك دابتك ، فقال : إن أهل الحِجَى لا يعطفون دوابهم على هذه الحال ، نادِ : يا أهل خُراسان ارجعوا ؛ فإن العاقبة[٤] لمن اتقى . ٣/٩٧

(١) عور المياه : أى ردم العيون .
(٢) ابن الأثير : « ورجعوا » .
(٣) من ت .
(٤) ابن الأثير : « العافية » .

قال : ففعلت ، فتراجع الناس ، وارتجز أبو مسلم يومئذ فقال :

مَنْ كان ينوى أهله فلا رجَعْ فَرَّ مِنَ الموت وفى الموت وقَعْ

قال : وكان قد عُمِل لأبى مسلم عريش، فكان يجلس عليه إذا التقى الناس فينظر إلى القتال ، فإن رأى خللا فى الميمنة أو فى الميسرة أرسل إلى صاحبها : إنّ فى ناحيتِك[1] انتشاراً ، فاتّق ألّا نؤتَى من قِبَلك ؛ فافعل كذا ، قدّم خيلك كذا ، أو تأخّر[2] كذا إلى موضع كذا ، فإنما رسله تختلف إليهم برأيه حتى ينصرف بعضهم عن بعض .

قال : فلما كان يوم الثلاثاء — أو الأربعاء — لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ومائة — أو سبع وثلاثين ومائة — التقوْا فاقتتلوا قتالاً شديداً . فلما رأى ذلك أبو مسلم مكَر بهم ، فأرسل إلى الحسن بن قحطبة — وكان على ميمنته — أن أعْرِ الميمنة ، وضُمّ أكثرها إلى الميسرة ، وليكنْ فى الميمنة حماة أصحابك وأشدّاؤهم . فلما رأى ذلك أهلُ الشأم أعرَوْا ميسرتهم ، وانضموا إلى ميمنتهم بإزاء ميسرة أبى مسلم . ثم أرسل أبو مسلم إلى الحسن أن مُرْ أهل القلب فليحملوا مع مَنْ بقى فى الميمنة على ميسرة أهل الشأم ، فحملوا عليهم فحطموهم ، وجال[3] أهل القلب والميمنة .

٣/٩٨

قال : وركبهم أهلُ خراسان ، فكانت الهزيمة ، فقال عبد الله بن علىّ لابن سراقة الأزدىّ — وكان معه : يابن سراقة ، ما ترى ؟ قال : أرى والله أن تصبر وتقاتل حتى تموت ؛ فإنّ الفرار قبيح بمثلك ، وقبلُ عبتَه على مَرْوان ، فقلتَ : قبح الله مَرْوان ! جزع من الموت ففرّ ! قال : فإنى آتى العراق ، قال : فأنا معك ، فانهزموا وتركوا عسكرهم ، فاحتواه أبو مسلم ، وكتب بذلك إلى أبى جعفر . فأرسل أبو جعفر أبا الخصيب مولاه يُحصِى ما أصابوا فى عسكر عبد الله بن علىّ ، فغضب من ذلك أبو مسلم . ومضى عبد الله بن علىّ وعبد الصمد بن على ؛ فأما عبد الصمد فقدم الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى فآمنه أبو جعفر ، وأما عبد الله بن علىّ فأتى سليمانَ بن علىّ بالبصرة ، فأقام عنده . وآمن أبو مسلم الناسَ فلم يقتل أحداً ، وأمر بالكفّ عنهم .

---

(١) ب : « إن ناحيتك فيها » . (٢) ج : « وتأخر » . (٣) ج : «وحال» .

ويقال : بل استأمن لعبد الصمد بن علىّ إسماعيل بن علىّ .

وقد قيل : إن عبد الله بن علىّ لما انهزم مضى هو وعبد الصمد أخوه إلى رُصافة هشام ، فأقام عبد الصمد بها حتى قدِمت عليه خيول المنصور ، وعليها جهور[1] بن مرّار العجلىّ ، فأخذه فبعث به إلى المنصور مع أبى الخصيب مولاه موثَقًا ، فلما قدم عليه أمر بصْرفه إلى عيسى بن موسى ، فآمنه عيسى وأطلقه وأكرمه ، وحباه وكساه .

وأما عبد الله بن علىّ فلم يلبث بالرّصافة إلا ليلة ، ثم أدلَج فى قواده ومواليه حتى قدم البصرة على سليمان بن علىّ وهو عاملها يومئذ ، فآواهم سليمان وأكرمهم وأقاموا عنده زمانًا متوارين . ٣/٩٩

* * *

[ذكر خبر قتل أبى مسلم الخراسانىّ]

وفى هذه السنة قُتل أبو مسلم .

* ذكر الخبر عن مقتله وعن سبب ذلك :

حدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : حدّثنا سلمة بن محارب ومسلم بن المغيرة وسعيد بن أوس وأبو حفص الأزدىّ والنعمان أبو السرىّ ومحرز بن إبراهيم وغيرهم ، أن أبا مسلم كتب إلى أبى العباس يستأذنه فى الحجّ — وذلك فى سنة ست وثلاثين ومائة — وإنما أراد أن يصلى بالناس . فأذن له ، وكتب أبو العباس إلى أبى جعفر وهو على الجزيرة وأرمينيَة وأذْرَبيجان : إن أبا مسلم كتب إلىّ يستأذن فى الحجّ وقد أذنتُ له ؛ وقد ظننتُ أنه إذا قدم يريد أن يسألنى أن أولّيَه إقامة الحجّ للناس ، فاكتب إلىّ تستأذننى فى الحج ؛ فإنك إذا كنتَ بمكة لم يطمع أن يتقدّمك . فكتب أبو جعفر إلى أبى العباس يستأذنه فى الحجّ فأذن له ، فوافى الأنبار ، فقال أبو مُسلم : أما وجد أبو جعفر عامًا يحجّ فيه غيرَ هذا ! واضطغنها عليه .

* * *

قال علىّ : قال مسلم بن المغيرة : استخلف أبو جعفر على أرمينيَة فى تلك

(١) ج : « جمهور » .

السنة الحسن بن قحطبة . وقال غيره : استعمل رضيعه يحيى بن مسلم بن عُروة — وكان أسود مولًى لهم — فخرجا إلى مكة فكان أبو مسلم يصلح العِقَاب[1] ويكسو الأعراب فى كلّ منزل ، ويصلُ من سأله ، وكسا الأعراب البُتوت والملاحف ، وحفر الآبار ، وسهل الطرق ؛ فكان الصوت له ؛ وكان الأعراب ٣/١٠٠ يقولون : هذا المكذوب عليه ؛ حتى قدم مكة فنظر إلى اليمانيّة[2] فقال لنيزك — وضرب جنبه — : يا نيزكُ ، أىّ جند هؤلاء لو لقيهم رجل ظريف اللسان سريع الدمعة !

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث الأولين . قالوا : لما صدر الناس عن الموسم ، نفر أبو مسلم قبل أبى جعفر، فتقدّمه ، فأتاه كتابٌ بموت أبى العباس واستخلاف أبى جعفر ، فكتب أبو مسلم إلى أبى جعفر يعزّيه بأمير المؤمنين ؛ ولم يهنّئه بالخلافة ، ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع ؛ فغضب أبو جعفر فقال لأبى أيوب : اكتب إليه كتابًا غليظًا ؛ فلما أتاه كتاب أبى جعفر كتب إليه يهنئه بالخلافة ، فقال يزيد بن أسيد السُّلمىّ لأبى جعفر : إنى أكره أن تجامعه فى الطريق والناس جنده ؛ وهم له أطوعُ ، وله أهيب ، وليس معك أحدٌ . فأخذ برأيه ، فكان يتأخّر ويتقدّم أبو مسلم ، وأمر أبو جعفر أصحابَه فقدموا ، فاجتمعوا جميعًا وجمع سلاحهم ؛ فما كان فى عسكره إلّا ستة أذرع ، فمضى أبو مسلم إلى الأنبار ، ودعا عيسى بن موسى إلى أن يبايع له ؛ فأبى عيسى ، فقدم أبو جعفر فنزل الكوفة ؛ وأتاه أن عبد الله بن علىّ قد خلع ، فرجع إلى الأنبار ، فدعا أبا مسلم ، فعقد له ، وقال له : سِرْ إلى ابن علىّ ، فقال له أبو مسلم : إن عبد الجبار بن عبد الرحمن وصالح بن الهيثم يعيبانى فاحبسهما ، فقال ٣/١٠١ أبو جعفر : عبد الجبار على شُرَطِى — وكان قبل على شُرط أبى العباس — وصالح بن الهيثم أخو أمير المؤمنين من الرّضاعة ، فلم أكن لأحبسهما[3] لظنك بهما ؛ قال : أراهما آثرَ عندك منى ! فغضب أبو جعفر ، فقال أبو مسلم : لم أرد كلّ هذا .

(١) ب : « العفاة » . (٢) ج : « أهل اليمامة » .
(٣) ج : « أحبسهما » .

قال علىّ : قال مسلم بن المغيرة : كنت مع الحسن بن قحطبة بأرمينيَة فلما وجّه أبو مسلم إلى الشأم كتب أبو جعفر إلى الحسن أن يوافيَه ويسير معه ، فقدمنا على أبى مسلم وهو بالموصل فأقام[1] أياماً ، فلما أراد أن يسير ، قلت للحسن : أنتم تسيرون إلى القتال[2] وليس بك إلىّ حاجة ، فلو أذنتَ لى فأتيت العراق ، فأقمت حتى تقدموا إن شاء الله ! قال : نعم ؛ لكن أعلِمْنى إذا أردتَ الخروج ، قلت : نعم ، فلما فرغت وتهيأت[3] أعلمتُه ، وقلتُ : أتيتُك أودّعك ، قال : قف[4] لى بالباب حتى أخرُج إليك ، فخرجتُ فوقفتُ وخرج ، فقال : إنّى أريد أن ألقى إليك شيئاً لتبلغَه أبا أيوب ، ولولا ثقتى بك لم أخبرْك[5] ، ولولا مكانك من أبى أيوب لم أخبرْك ؛ فأبلغْ أبا أيوب أنى قد ارتبتُ بأبى[6] مسلم منذ قدمتُ عليه ، إنّه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرؤه ، ثم يلوى شِدقه ، ويرمى بالكتاب إلى أبى نصر ، فيقرؤه ويضحكان استهزاء ؛ قلتُ : نعم قد فهمت ؛ فلقيتُ أبا أيوب وأنا أرى أن قد أتيته بشىء ، فضحك ، وقال : نحن لأبى مسلم أشدّ تُهمةً منّا لعبد الله بن علىّ إلاّ أنا نرجو واحدةً ؛ نعلم أنّ أهل خُراسان لا يحبون عبد الله بن علىّ ، وقد قَتَل منهم من قَتَل ؛ وكان عبد الله بن علىّ حين خلَع خاف أهلَ خُراسان ، فقتل منهم سبعة عشر ألفاً ؛ أمر صاحب شرطته حيّاش بن حبيب فقتلهم . ٣/١٠٢

قال علىّ : فذكر أبو حفص الأزدىّ أن أبا مسلم قاتل عبد الله بن علىّ فهزمه ، وجَمَع ما كان فى عسكره من الأموال فصيّره فى حظيرة ، وأصاب عيناً ومتاعاً وجوهراً كثيراً ؛ فكان منثوراً فى تلك الحظيرة ؛ ووكّل بها وبحفظها قائداً من قُوّاده ، فكنت فى أصحابه ، فجعلها نوائب بيننا ، فكان إذا خرج رجل من الحظيرة فتّشه ، فخرج أصحابى يوماً من الحظيرة وتخلفت ، فقال لهم الأمير : ما فعل أبو حفص ؟ فقالوا : هو فى الحظيرة ، قال : فجاء فاطلع

---

(١) ج : « فأقمنا » .
(٢) ط : « والقتال » ، والصواب ما أثبته من ت .
(٣) ج : « فتهيأت فلما فرغت » .
(٤) ج : « فقف » .
(٥) ج : « لم أبلغك » .
(٦) ت : « رأى » .

من الباب ، وفطِنت له فنزعت خُفَّىَّ وهو ينظر ، فنفضتهما وهو ينظر ، ونفضت سراويلى وكُمَّى ، ثم لبست خفىّ وهو ينظر ، ثم قام فقعد فى مجلسه وخرجت ، فقال لى : ما حبسك ؟ قلت : خير ، فخلاّ نى ، فقال : قد رأيتُ ما صنعتَ فلِمَ صنعتَ هذا ؟ قلت : إنّ فى الحظيرة لؤلؤاً منثوراً ودراهم منثورة ؛ ونحن نتقلب عليها ، فخفت أن يكون قد دخل فى خُفّى منها شىء ، فنزعت خُفّىّ وجوربىّ ؛ فأعجبه ذلك وقال : انطلق ، فكنت أدخل الحظيرة مع من يحفظ فآخذ من الدراهم ومن تلك الثياب الناعمة فأجعل بعضها فى خفىّ وأشدّ بعضها على بطنى ، ويخرج أصحابى فيفتَّشُون ولا أفتَّش ، حتى جمعت مالا ، قال : وأما اللؤلؤ فإنّى لم أكن أمسّه .

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث الذين ذكر علىّ عنهم قصة أبى مسلم فى أول الخبر. قالوا : ولما انهزم عبد الله بن علىّ بعث أبو جعفر أبا الخصيب إلى أبى مسلم ليكتب له ما أصاب من الأموال، فافترى أبو مسلم على أبى الخصيب وهمّ بقتله ، فكلِّم فيه ؛ وقيل : إنما هو رسول ، فخلّ سبيلَه . فرجع إلى أبى جعفر ، وجاء القوّاد إلى أبى مسلم ، فقالوا : نحن ولينا أمر هذا الرجل ، وغنِمْنا عسكره، فلم يُسأل عما فى أيدينا ؛ إنما لأمير المؤمنين مِنْ هذا الخُمُس. فلما قدم أبو الخصيب على أبى جعفر أخبره أنّ أبا مسلم همّ بقتله . فخاف أن يمضىَ أبو مسلم إلى خُراسان ، فكتب إليه كتاباً مع يقطين ؛ أن[١] قد وليتك مصر والشأم ؛ فهى خير لك من خُراسان ، فوجّه إلى مِصر من أحببت ، وأقم بالشأم فتكون بقرب أمير المؤمنين ؛ فإن أحبّ لقاءك أتيتَه من قريب . فلما أتاه الكتاب غضب ، وقال : هو يولينى الشأم ومصر ، وخراسان لى ! واعتزم[٢] بالمضىّ إلى خراسان ، فكتب يقطين إلى أبى جعفر بذلك .

١٠٣/٣

وقال غير من ذكرت خبره : لما ظفِر أبو مسلم بعسكر عبد الله بن علىّ بعث المنصور يقطين بن موسى ، وأمره أن يحصىَ ما فى العسكر ، وكان أبو مسلم يسميه « يك دين » ، فقال أبو مسلم : يا يقطين ،

(١) ت : « إنى » . (٢) ط : « وأعتزم » .

أمين على الدماء خائن فى الأموال ! وشتم أبا جعفر ، فأبلغه يقطين ذلك .
وأقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمعًا على الخلاف ؛ وخرج من وجهه معارضًا يريد خراسان ؛ وخرج أبو جعفر من الأنبار إلى المدائن ؛ وكتب إلى أبى مسلم فى المصير إليه . فكتب أبو مسلم ، وقد نزل الزّاب وهو على الرّواح إلى طريق حُلوان : إنه لم يبق لأمير المؤمنين أكرمه الله عدوّ إلا أمكنه الله منه ؛ وقد كنّا نروِى عن ملوك آل ساسان : أنّ أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء ؛ فنحن نافرون من قربك ، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيتَ ، حريُّون بالسمع والطاعة ؛ غير أنها من بعيد [1] حيث تقارنها السلامة ، فإن أرضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك ؛ فإن أبيتَ إلا أن تعطىَ نفسك إرادتَها نقضتُ ما أبرمْت من عهدك ، ضنًّا بنفسى . فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب إلى أبى مسلم : قد فهمتُ كتابك ؛ وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغَشَشَة ملوكهم ، الذين يتمنوْن اضطراب حبْل الدولة لكثرة جرائمهم ؛ فإنما راحتُهم فى انتشار نظام الجماعة ؛ فلمَ سوّيْت نفسك بهم ، وأنت فى طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به ! وليس مع الشريطة التى أوجبتَ منك سمع [2] ولا طاعة . وحمّل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكُنَ إليها إن أصْغَيْت إليها ، وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك ؛ فإنه لم يجد باباً يفسد به نيتك أوكدَ عنده ، وأقرب من طِبّه [3] من الباب الذى فتحه عليك . ووجه إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلىّ ؛ وكان واحد أهل زمانه ، فخدعه وردّه ، وكان أبو مسلم يقول : والله لأقتلَنّ بالروم ؛ وكان المنجمون يقولون ذلك ؛ فأقبل والمنصور فى الرومية فى مضارب ، وتلقاه الناس وأنزله وأكرمه أيامًا .

٣/١٠٤

وأما علىّ فإنه ذكر عن شيوخه الذين تقدّم ذكرنا لهم أنهم قالوا : كتب أبو مسلم إلى أبى جعفر : أما بعد ؛ فإنى اتخذت رجلا [4] إمامًا ودليلا على ما افترضه الله على خلقه ؛ وكان فى مَحلّة العلم نازلا ، وفى قرابته من رسول الله صلى الله عليه

٣/١٠٥

(١) ت : « بعد » .
(٢) ط : « سماع » .
(٣) ب ، ت : « ظنه » . والطب هنا : السحر .
(٤) يعنى أخاه إبراهيم الإمام .

وسلم قريباً ؛ فاستجهلني بالقرآن فحرّفه عن مواضعه ، طمعاً في قليل قد تعافاه الله إلى خلقه ؛ فكان كالذي دُلِّيَ[١] بغرور ؛ وأمرني أن أجرّد السيف ، وأرفع الرحمة ، ولا أقبل المعذرة ، ولا أقيل العثرة ، ففعلت توطيداً[٢] لسلطانكم حتى عرّفكم الله من كان جهلكم ، ثم استنقذني الله بالتَّوْبة ؛ فإن يعف عني فقِدْماً عُرِف به ونسِب إليه ؛ وإن يعاقبني فبما قدّمت يداي وما الله بظلام للعبيد .

وخرج أبو مسلم يريد خُراسان مراغما مشاقّاً[٣] ، فلما دخل أرضَ العراق ، ارتحل المنصور من الأنْبار، فأقبل حتى نزل المدائن ، وأخذ أبو مسلم طريق حلْوان ؛ فقال : رُبّ أمرٍ لله دون حلْوان . وقال أبو جعفر لعيسى بن عليّ وعيسى بن موسى ومَنْ حضره من بني هاشم : اكتبوا إلى أبي مسلم ؛ فكتبوا إليه يعظمون أمره ، ويشكرون له ما كان منه ، ويسألونه أن يتمّ[٤] على ما كان منه وعليه من الطاعة ، ويحذّرونه عاقبة الغدر ، ويأمرونه بالرجوع إلى أمير المؤمنين ؛ وأن يلتمس رضاه . وبعث بالكتاب أبو جعفر مع أبي حميد المروروذيّ ، وقال له : كلم أبا مسلم بألين ما تكلّم به أحداً ، ومنّه وأعلمه أني رافعه وصانع به ما لم يصنعه أحد ، إن هو صلح وراجع ما أحبّ ؛ فإن أبى أن يرجع فقلْ له : يقول لك أمير المؤمنين : لستُ للعباس[٥] وأنا بريء من محمد ، إن مضيتَ مشاقّاً ولم تأتني ، إن وكلت أمرَك إلى أحد سواي ، وإن[٦] لم آلُ طلبك وقتالك بنفسي ؛ ولو خُضْتَ البحر لخضتُه ، ولو اقتحمتَ النار لاقتحمتُها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك . ولا تقولنّ له هذا الكلام حتى تأيس من رجوعه ، ولا تطمع منه في خير .

٣/١٠٦

فسار أبو حُميدٌ في ناس من أصحابه ممن يثق بهم ؛ حتى قدموا على أبي مسلم بحُلْوان ، فدخل أبو حميد وأبو مالك وغيرهما ، فدفع إليه الكتاب ، وقال له : إنّ الناس يبلّغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله ، وخلاف ما عليه رأيه فيك ؛ حسداً وبغياً ؛ يريدون إزالة النعمة وتغييرَها ؛ فلا تفسد ما كان

---

(١) دلى ، أي أطمع . (٢) ت : « توطئة » .
(٣) راغمهم : نابذهم وهجرهم وعاداهم ، وشاقهم : خالفهم .
(٤) أن يتم على ما كان منه ، أي يستمر عليه .
(٥) ابن الأثير : « من العباس» . (٦) : « ولم آل » .

منك ؛ وكلّمه . وقال : يا أبا مسلم ، إنك لم تزل أمينَ آل محمد ؛ يعرفك بذلك الناس ، وما ذخر الله لك من الأجر عنده فى ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك ، فلا تحبطْ أجرَك ، ولا يستهوينّك الشيطان ، فقال له أبو مسلم : متى كنتَ تكلّمنى بهذا الكلام ! قال : إنك دعوتَنا إلى هذا وإلى طاعة أهل بيت النبىّ صلى الله عليه وسلم بنى العباس ، وأمرتَنا بقتال مَن خالف ذلك ؛ فدعوتنا من أرَضين متفرّقة وأسباب مختلفة ، فجمعنا الله على طاعتهم ، وألف بين قلوبنا بمحبّتهم ، وأعزّنا بنصرنا لهم ، ولم نلق منهم رجلاً إلا بما قذف الله فى قلوبنا ، حتى أتيناهم فى بلادهم ببصائر نافذة ، وطاعة خالصة ؛ أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أمَلنا أن تُفسد أمرنا ، وتفرّق كلمتنا ؛ وقد قلت لنا : مَنْ خالفكم فاقتلوه ، وإن خالفتُكم فاقتلونى! فأقبَل على أبى نصر ، ١٠٧/٣ فقال : يا مالك ، أما تسمع ما يقول لى هذا ! ما هذا بكلامه يا مالك[1] ! قال : لا تسمع كلامه ، ولا يهولنك هذا منه ؛ فلعمرى لقد صدقتَ ما هذا كلامه ؛ ولَمَا بعد هذا أشدّ منه ؛ فامض لأمرك ولا ترجعْ ؛ فوالله لئن أتيتَه ليقتلنّك ؛ ولقد وقع فى نفسه منك شىء لا يأمنك أبداً . فقال : قوموا ، فنهضوا ، فأرسل أبو مسلم إلى نيزك ، وقال : يا نيزك ، إنى والله ما رأيت طويلاً أعقَل منك ، فما ترى ، فقد جاءت هذه الكتب ، وقد قال القوم ما قالوا ؟ قال : لا أرى أن تأتيَه ، وأرى أن تأتى الرّىّ فتقيم بها ، فيصير ما بين خراسان والرّى لك ؛ وهم جندُك ما يخالفك أحدٌ ؛ فإن استقام لك استقمتَ له ، وإن أبى كنتَ فى جندك ، وكانت خراسان من ورائك ، ورأيت رأيك . فدعا أبا حميد ، فقال : ارجع إلى صاحبك ، فليس من رأيى أن آتيَه . قال : قد عزمت على خلافه ؟ قال : نعم ، قال : لا تفعل ، قال : ما أريد أن ألقاه ؛ فلما آيسه من الرجوع ، قال له ما أمره به أبو جعفر ، فوجَم طويلا ، ثم قال : قم . فكَسره ذلك القول ورعّبه .

وكان أبو جعفر قد كتب إلى أبى داود — وهو خليفة أبى مسلم بخُراسان — حين اتّهم أبا مسلم : إنّ لك إمْرَة خراسان ما بقيتُ . فكتب

---

(١) هو مالك بن الهيثم الخزاعى أبو نصر ، وكان على شرط أبى مسلم .

أبو داود إلى أبى مسلم : إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيّه صلى الله عليه وسلم ، فلا تخالفنّ إمامك ولا ترجعنّ إلا بإذنه . فوافاه كتابه على تلك الحال ؛ فزاده رُعبًا وَهمًّا ، فأرسل إلى أبى حُميد وأبى مالك فقال لهما : إنى قد كنت معتزمًا على المضىّ إلى خراسان ، ثم رأيت أن أوجّه أبا إسحاق إلى أمير المؤمنين فيأتينى برأيه ؛ فإنه ممن أثق به فوجهه ، فلما قدم تلقاه بنو هاشم بكلّ ما يحبّ ، وقال له أبو جعفر : اصرفه عن وجهه ؛ ولك ولاية خراسان ؛ وأجازه .فرجع أبو إسحاق إلى أبى مُسلم ، فقال له : ما أنكرتُ شيئًا ، رأيتهم معظمين لحقك ، يرون لك ما يرون لأنفسهم . وأشار عليه أن يرجع إلى أمير المؤمنين ، فيعتذر إليه مما كان منه ، فأجمع على ذلك ، فقال له نيزك : قد أجمعتَ على الرجوع ؟ قال : نعم ، وتمثّل : ١٠٨/٣

ما للرجال مع القضاءِ مَحَالَةٌ ذَهَبَ القضاءُ بحيلة الأَقوامِ

فقال : أمّا[1] إذ اعتزمتَ على هذا فخار الله لك ؛ واحفظْ عنى واحدة ؛ إذا دخلتَ عليه فاقتله ثم بايع لمن شئت ؛ فإنّ الناس لا يخالفونك .وكتب أبو مسلم إلى أبى جعفر يخبره أنه منصرف إليه .

قالوا : قال أبو أيوب : فدخلتُ يومًا على أبى جعفر وهو فى خِباء شَعر بالروميّة جالساً على مُصلًّى بعد العصر ، وبين يديه كتاب أبى مسلم ، فرمى به إلىّ فقرأته ، ثم قال : والله لئن ملأت عينى منه لأقتلنّه ، فقلت فى نفسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ! طلبتُ الكتابة حتى إذا بلغتُ غايتها فصرتُ كاتبًا للخليفة ، وقع هذا بين الناس ! والله ما أرى أنا إن قُتِل يرض أصحابُه بقتله ، ولا يدَعُون هذا حيًّا ؛ ولا أحداً ممن هو بسبيل منه ؛ وامتنع منى النوم ، ثم قلتُ : لعلّ الرّجل يقدَم وهو آمن ؛ فإن كان آمنًا فعسى أن ينال ما يريد ؛ وإن قدم وهو حـَذِر لم يقدر عليه إلا فى شرّ ، فلو التمست حيلة ! فأرسلتُ إلى سلمة بن سعيد بن جابر ، فقلت له : هل عندك شكر ؟ فقال : نعم ، فقلت : إن وليتُك ولاية تصيب منها مثل ما يصيب صاحب العراق ، تدخل معك حاتم بن أبى سليمان أخى ؟ قال : نعم ، فقلت ـــ وأردت أن يطلع ولا ١٠٩/٣

---

(١) كذا فى ت ، وفى ط : « إذا عزمت » .

ينكر : وتجعل له النصف ؟ قال : نعم ، قلت : إنّ كَسْكَر كالت[١] عامَ أوّل كذا وكذا ، ومنها العام أضعاف ما كان عام أوّل ؛ فإن دفعتُها إليك بقَبالتها عامًا أوّل أو بالأمانة أصبتَ ما تضيق به ذرعًا ، قال : فكيف لى بهذا المال ؟ قلت : تأتى أبا مسلم ، فتلقاه وتكلمه غداً ، وتسأله أن يجعل هذا فيما يرفع من حوائجه أن تتولاّها أنت بما كانت فى العام الأوّل ؛ فإنّ أمير المؤمنين يريد أن يولّيَه إذا قدم ما وراء بابه ، ويستريح ويريح نفسه ، قال : فكيف لى أن يأذن أمير المؤمنين فى لقائه ؟ قلتُ : أنا أستأذن لك ؛ ودخلت إلى أبى جعفر[٢] ؛ فحدثته الحديث كله ، قال : فادع سلَمة ، فدعوته ، فقال : إن أبا أيوب استأذن لك ، أفتحب أن تلقى أبا مسلم ؟ قال : نعم ، قال : فقد أذنتُ لك ، فأقرئه السلام ، وأعلمه بشوقنا إليه . فخرج سلمة فلقيَه ، فقال : أميرُ المؤمنين أحسنُ الناس فيك رأيًا ، فطابت نفسه ؛ وكان قبل ذلك كئيبًا . فلما قدم عليه سلمة سرّه ما أخبره به وصدّقه ، ولم يزل مسروراً حتى قدم .

قال أبو أيوب : فلما دنا أبو مسلم من المدائن أمَر أميرُ المؤمنين الناس فتلقوْه ؛ فلما كان عشية قدم ، دخلت على أمير المؤمنين وهو فى خِباء على مصلًّى ، فقلت : هذا الرجل يدخل العشيّة ، فما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أقتله حين أنظر إليه ، قلت : أنشدك الله ؛ إنه يدخل معه الناس ؛ وقد علموا ما صنع ؛ فإن دخل عليك ولم يخرج لم آمن البلاء[٣] ؛ ولكن إذا دخل عليك فأذن له أن ينصرف ؛ فإذا غدا[٤] عليك رأيت رأيك . وما أردتُ بذلك إلا دفعه بها ، وما ذاك إلاّ من خوفى عليه وعلينا جميعًا من أصحاب أبى مسلم . فدخل عليه من عشيته وسلم ، وقام قائمًا بين يديه ، فقال : انصرف يا عبدَ الرحمن فأرِحْ نفسك ، وادخل الحمام ؛ فإن للسفر قَشَفًا ، ثم اغدُ علىّ ، فانصرف أبو مسلم وانصرف الناس . قال : فافترى علىّ أمير المؤمنين حين خرج أبو مسلم ؛ وقال : متى أقدر على مثل هذه الحال منه التى رأيته قائمًا على رجليه ، ولا أدرى ما يحدث فى ليلتى ! فانصرفت وأصبحت غادياً عليه ؛

٣/١١٠

(١) ابن الأثير : « كانت » .
(٢) ت ، ج : « على أبى جعفر » .
(٣) ج : « من البلاء » .
(٤) ج : « إذا دخل » .

فلما رآنى قال : يا بن اللخناء ؛ لا مرحباً بك ! أنت منعتَنى منه أمس ؛ والله ما غمضتُ الليلة ، ثم شتمنى حتى خفتُ أن يأمر بقتلى ، ثم قال : ادع لى عثمان بن نَهيك ، فدعوتُه ، فقال : يا عثمان ، كيف بلاء أمير المؤمنين عندك ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنما أنا عبدُك ؛ والله لو امرتَنى أن اتّكئ على سيفى حتى يخرج من ظهرى لفعلت ، قال : كيف أنت إن أمرتُك بقتل أبى مسلم ؟ فوجَم ساعةً لا يتكلم ، فقلت : مالك لا تتكلم ! فقال قولة ضعيفة : أقتله ؛ قال : انطلِق فجئ بأربعة من وجوه الحرس جُلْد ، فمضى ؛ فلما كان عند الرّواق ، ناداه : يا عثمان يا عثمان ؛ ارجع ؛ فرجع ، قال : اجلس ؛ وأرسِلْ إلى مَنْ تثق به من الحرس ؛ فأحضرْ منهم أربعة ، فقال لوصيف له انطلق : فادعُ شبيب بن واج ، وادعُ أبا حنيفة ورجلين آخرين ؛ فدخلوا ، فقال لهم أمير المؤمنين نحواً مما قال لعثمان ، فقالوا : نقتله ، فقال : كونوا خلْفَ الرواق ؛ فإذا صفّقت فاخرجوا فاقتلوه . ١١١/٣

وأرسل إلى أبى مسلم رسلاً بعضهم على إثر بعض ، فقالوا : قد ركب ، وأتاه وصيف ، فقال : أتى عيسى بن موسى ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، ألا أخرج فأطوف فى العسكر ، فأنظر ما يقول الناس ؟ هل ظن أحد ظَنّاً ، أو تكلم أحد بشىء ؟ قال : بلى ، فخرجتُ ، وتلقانِى أبو مسلم داخلاً ، فتبسّم وسلمت عليه ودخل ، فرجعت ؛ فإذا هو منبطحٌ[1] لم ينتظر به رجوعى . وجاء أبو الجهم ، فلما رآه مقتولا قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! فأقبلت على أبى الجهم ، فقلت له : أمرتَه بقتله حين خالف ، حتى إذا قُتِل قلتَ هذه المقالة ! فنبّهت به رجلا غافلا ، فتكلم بكلام أصلح ما جاءَ منه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ ألا أردّ الناس ؟ قال : بلى ، قال : فمُرْ بمتاع يحوّل إلى رواق آخر من أرواقك هذه ، فأمر بفرُش فأخرجت ؛ كأنه يريد أن يهيّئ له رواقاً آخر . وخرج أبو الجهم ، فقال : انصرفوا ، فإن الأمير يريد أن يقيل[2] عند أمير المؤمنين ، ورأوا المتاع ينقَل ، فظنوه صادقاً ، فانصرفوا ثم راحوا ، فأمر لهم أبو جعفر بجوائزهم ، وأعطى أبا إسحاق مائة ألف .

---

(١) ت ، ج : « مسطح » .
(٢) ب : « يقبل » .

قال أبو أيوب : قال لى أمير المؤمنين : دخل علىّ أبو مسلم فعاتبتُه ثم شتمتُه ، فضربه عثمان فلم يصنع شيئًا ، وخرج شبيب بن واج وأصحابه فضربوه فسقط ، فقال وهم يضربونه : العفو ، فقلت : يابن اللخناء ، العفو والسيوف قد اعتورتْك ! وقلت : اذبحوه ، فذبحوه .

١١٢/٣ قال علىّ عن أبى حفص الأزدىّ ، قال : كنت مع أبى مسلم ، فقدِم عليه أبو إسحاق من عند أبى جعفر بكتب من بنى هاشم ، وقال : رأيتُ القوم على غير ما ترى ؛ كلّ القوم يرون لك ما يرون للخليفة ، ويعرفون ما أبلاهم الله بك . فسار إلى المدائن ، وخلف أبا نصر فى ثَقَله ، وقال : أقم حتى يأتيك كتابى ، قال : فاجعل بينى وبينك آية أعرف بها كتابك ، قال : إن أتاك كتابى مختومًا[1] بنصف خاتم فأنا كتبتُه ، وإن أتاك بالخاتم[2] كلّه ؛ فلم أكتبه ولم أختمه . فلما دنا من المدائن تلقاه رجل من قوّاده ، فسلّم عليه ، فقال له : أطعْنى وارجع ؛ فإنه إن عاينك[3] قتلَك ، قال : قد قربتُ من القوم فأكره أن أرجع . فقدم المدائن فى ثلاثة آلاف ، وخلّف الناس بحُلْوان ، فدخل على أبى جعفر ، فأمره بالانصراف فى يومه ؛ وأصبح يريده ، فتلقاه أبو الخصيب فقال : أمير المؤمنين مشغولٌ ، فاصبر ساعة حتى تدخل خاليًا ، فأتى منزلَ عيسى بن موسى — وكان يحبّ عيسى — فدعا له بالغداء . وقال أمير المؤمنين للربيع — وهو يومئذ وصيف يخدم أبا الخصيب : انطلِق إلى أبى مسلم ؛ ولا يعلم أحدٌ ، فقل له : قال لك مرزوق : إن أردتَ أمير المؤمنين خاليًا فالعجل ، فقام فركب ؛ وقال له عيسى : لا تعجَل بالدّخول حتى أدخل معك ، فأبطأ عيسى بالوضوء ، ومضى أبو مسلم فدخل فقتِل قبل أن يجىءَ عيسى ، وجاء عيسى وهو مدرَج فى عَباءة ، فقال : أين أبو مسلم ؟ قال : مُدْرجٌ فى الكساء[4] ؛ قال : إنا لله ! قال : اسكت ، فما تمّ سلطانك وأمرُك إلّا اليوم ، ثم رمى به فى دجلة .

قال علىّ : قال أبو حفص : دعا أمير المؤمنين عثمان بن نَهيك وأربعة

---

(١) ج : « مكتوباً » . (٢) ح : « بخاتم » ، ت : « بخاتمى » .
(٣) ب : « عاتبك » . (٥) ج : « كساء » .

١١٣/٣ من الحرس ، فقال لهم : إذا ضربت بيدىّ[1] إحداهما على الآخرى ؛ فاضربوا عدوّ الله ، فدخل عليه أبو مسلم ، فقال له : أخبرنى عن نَصْلَيْن أصبتَهما فى متاع عبد الله بن علىّ ، قال : هذا أحدهما الذى علىّ ، قال : أرِنيه فانتضاه ، فناوله ، فهزّه أبو جعفر ، ثم وضعه تحت فراشه ، وأقبل عليه يعاتبه ، فقال : أخبرنى عن كتابك إلى أبى العباس تنهاه عن الموات ، أردتَ أن تعلّمنا الدّين ! قال : ظننتُ أخذه لا يحلّ ، فكتب إلىّ ، فلما أتانى كتابُه علمتُ أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم ، قال : فأخبرنى عن تقدّمك إياىَ فى الطريق ؟ قال : كرهتُ اجتماعنا على الماء فيضرّ ذلك بالناس ؛ فتقدّمتُك التماس الرّفق[2] ، قال : فقولك حين أتاك الخبر بموت أبى العباس لمن أشار عليك أن تنصرف إلىّ : نقدم فنرى من رأينا ؛ ومضيتَ فلا أنت أقمتَ حتى ألحقك[3] ولا أنت رجعت إلىّ ! قال : منعنِى من ذلك ما أخبرتُك من طلب الرّفق[2] بالناس ، وقلت : نقدم الكوفة فليس عليه منى خلاف ، قال : فجارية عبد الله بن علىّ أردتَ أن تتخذها ؟ قال : لا ؛ ولكنى خفتُ أن تضيع ، فحملتها فى قبّة ، ووكلتُ بها من يحفظها ، قال : فمراغمتك وخروجك إلى خراسان ؟ قال : خفتُ أن يكون قد دخلك منى شىء ، فقلت : آتى خراسان ، فأكتب إليك بعذرى ؛ وإلى ذلك ما قد ذهب ما فى نفسك علىّ ، ١١٤/٣ قال : تالله ما رأيتُ كاليوم قطّ ، والله ما زدتَنى إلا غضباً ؛ وضرب بيده ، فخرجوا عليه ؛ فضربه عثمان وأصحابه حتى قتلوه .

قال علىّ : قال يزيد بن أسيد : قال أمير المؤمنين : عاتبتُ عبدَ الرحمن ، فقلت : المال الذى جمعته بحرّان[4] ؟ قال : أنفقتُه وأعطيتُه الجند تقويةً لهم واستصلاحًا ، قلت : فرجوعُك إلى خراسان مراغمًا ؟ قال : دعْ هذا فما أصبحتُ أخاف أحداً إلا الله ؛ فغضبتُ فشتمته ، فخرجوا فقتلوه .

وقال غير من ذكرت فى أمر أبى مسلم : إنه لما أرسل إليه يوم قتِل ، أتى عيسى بن موسى ، فسأله أن يركب معه ، فقال له : تقدّم وأنت فى ذمّتى ؛

---

(١) ب : « يدى » .
(٢) كذا فى ت ، وفى ط : « المرفق » .
(٣) ط : « فلحقك » .
(٤) ابن الأثير : « بخراسان » .

فدخل مضرب أبى جعفر ؛ وقد أمر عثمان بن نَهيك صاحب الحرس ، فأعدّ له شبيب بن واج المروروذىّ (رجلا من الحَرَس) وأبا حنيفة حرب بن قيس ، وقال لهم : إذا صفقتُ بيدىَّ فشأنكم ؛ وأذن لأبى مسلم ، فقال لمحمد البواب النجارىّ : ما الخبر ؟ قال : خير ؛ يُعطينى الأمير سيفه ، فقال : ما كان يُصنَع بى هذا ! قال : وما عليك ! فشكا ذلك إلى أبى جعفر ، قال : ومَن فعل بك هذا قبحه الله ! ثم أقبل يعاتبه : ألستَ الكاتب إلىّ تبدأ بنفسك ، والكاتب إلىّ تخطب أمينة بنت علىّ[١] ، وتزعم أنك ابنُ سَليط بن عبد الله بن عباس! ما دعاك إلى قتل سليمان بن كثير مع أثره فى دعوتنا ؛ وهو أحد نقبائنا[٢] قبل أن نُدخلك فى شىء من هذا الأمر ؟ قال : أرادَ الخلافَ وعصانى فقتلتُه ، فقال المنصور : وحاله عندنا[٣] حاله فقتلتَه ، وتعصينى وأنت مخالف علىّ ! قتلنى الله إن لم أقتلك ! فضربه بعمود ، وخرج شبيبُ وحرب فقتلاه ، وذلك لخمس ليال بقين من شعبان من سنة سبع وثلاثين ومائة ، فقال المنصور : ١١٥/٣

زعمتَ أَنَّ الدَّين لا يُقْتَضَى فاسْتَوْفِ بالكَيْلِ أَبا مُجْرِمِ
سُقِيتَ كأْساً كنتَ تَسقِى بها أَمَرَّ فى الحَلق مِنَ العَلْقَمِ

قال : وكان أبو مسلم قد قَتَل فى دولته وحروبه ستمائة ألف صَبْراً .

وقيل : إن أبا جعفر لما عاتب أبا مسلم ، قال له : فعلتَ وفعلتَ ، قال له أبو مسلم : ليس يقال هذا لى بعد بلائى ، وما كان منّى ؛ فقال : يابن الخبيثة ؛ والله لو كانتْ أمَةٌ مكانك لأجزَتْ[٤] ناحيتها ؛ إنما عملتَ ما عملت فى دولتنا وبريحنا ؛ ولو كان ذلك إليك ما قطعتَ فتيلاً ، ألستَ الكاتبَ إلىّ تبدأ بنفسك ، والكاتبَ إلىّ تخطب أمينة بنت علىّ ، وتزعم أنك ابنُ سَليط بن عبد الله بن عباس ! لقد ارتقيت لا أمّ لك مُرْتَقًى صعبًا ! فأخذ أبو مسلم بيده يعركها ويقبّلها[٥] ويعتذر إليه .

وقيل : إن عثمان بن نَهيك ضرب أبا مسلم أوّل ما ضرب ضربة خفيفة

---

(١) ابن الأثير : «آمنة بنت على» .
(٢) ابن الأثير : «أحد فتياننا» .
(٣) ج : «عندك» .
(٤) ابن الأثير : «لأجزأت» .
(٥) ابن الأثير : «ويفتلها» .

بالسيف ؛ فلم يزد على أن قطع حمائل سيفه ؛ فاعتقل بها أبو مسلم . وضرب شبيب بن واج رجلَه ، واعتوره بقية أصحابه حتى قتلوه ، والمنصور يصيح بهم : اضربوا قطع الله أيديكم !

وقد كان أبو مسلم قال — فيما قيل — عند أول ضربة أصابته : يا أمير المؤمنين ، استبقنى لعدوّك قال : لا أبقانى الله إذاً ! وأىّ عدوٍّ لى أعدى منك !

١١٦/٣ وقيل : إن عيسى بن موسى دخل بعد[1] ما قُتِل أبو مسلم ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أين أبو مسلم ؟ فقال : قد كان ها هنا آنفاً ، فقال عيسى : يا أمير المؤمنين ، قد عرفتَ طاعته ونصيحته ورأىَ الإمام إبراهيم كان فيه ؛ فقال : يا أنوَك ؛ والله ما أعلم فى الأرض عدوًّا أعدى لك منه ؛ ها هو ذاك فى البِساط ، فقال عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وكان لعيسى رأى فى أبى مسلم، فقال له المنصور : خلع الله قلبك ؛ وهل كان لكم مُلْك أو سلطان أو أمر أو نهى مع أبى مسلم !

قال : ثم دعا أبو جعفر جعفر بن حنظلة ، فدخل عليه ، فقال : ما تقول فى أبى مسلم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كنت أخذتَ شعرة من رأسه فاقتلْ ثم اقتلْ ثم اقتلْ ؛ فقال المنصور : وفّقك الله ! ثم أمره بالقيام والنظر إلى أبى مسلم مقتولا ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، عُدّ من هذا اليوم لخلافتك . ثم استؤذن لإسماعيل بن علىّ ، فدخل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى رأيتُ فى ليلتى هذه كأنك ذبحتَ كبشاً وأنى توطّأته[2] برجلى ، فقال : نامت عينُك يا أبا الحسن ؛ قم فصدّق رؤياك ؛ قد قتل الله الفاسق ، فقام إسماعيل إلى الموضع الذى فيه أبو مسلم ، فتوطّأه .

ثم إنّ المنصور همّ بقتل أبى إسحاق صاحب حَرَس أبى مسلم وقتل أبى نصر مالك — وكان على شُرط أبى مسلم — فكلّمه أبو الجهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، جنده جندك ، أمرتهم بطاعته فأطاعوه. ودعا المنصور بأبى إسحاق ، فلما دخل عليه ولم[3] يرَ أبا مسلم ، قال له أبو جعفر : أنت المتابع[4] لعدوّ

(١) ج : « عند » . (٢) ج : « أتوطؤه » .
(٣) ب : « لم » . (٤) ب : « الهايع » ، ابن الأثير : « المانع » .

الله أبى مسلم على ما كان أجمع ؛ فكفّ وجعل يلتفت يمينًا وشمالا تخوّفًا من ٣/١١٧ أبى مسلم ، فقال له المنصور : تكلم بما أردت ، فقد قتل الله الفاسق ؛ وأمر بإخراجه إليه مقطّعًا ؛ فلما رآه أبو إسحاق خرّ ساجداً ، فأطال السجود ، فقال له المنصور : ارفع رأسك وتكلم ؛ فرفع رأسه وهو يقول : الحمدُ لله الذى آمننى بك اليوم ؛ والله ما أمنتُه يومًا واحداً منذ صحبتُه ، وما جئتُه يومًا قطّ إلا وقد أوصيتُ وتكفّنتُ وتحنّطتُ ؛ ثم رفع ثيابه الظاهرة فإذا تحتها ثيابُ كَتّان جُدُد ، وقد تحنّط . فلما رأى أبو جعفر حاله رحمه ، ثم قال : استقبل طاعةَ خليفتك ، واحمد الله الذى أراحك من الفاسق . ثم قال له أبو جعفر : فرِّق عنى هذه الجماعة . ثم دعا بمالك بن الهيثم فحدّثه[١] بمثل ذلك ، فاعتذر إليه بأنه أمره بطاعته ؛ وإنما خدمه وخفّ له الناسُ بمرضاته ، وأنه قد كان فى طاعتهم قبل أن يعرف أبا مسلم ، فقبِل منه وأمره بمثل ما أمر به أبا إسحاق من تفريق جند أبى مسلم .

وبعث أبو جعفر إلى عِدّة من قوّاد أبى مسلم بجوائز سنيّة ، وأعطى جميع جنده حتى رضُوا ، ورجع أصحابه وهم يقولون : بعنا مولانا بالدراهم . ثم دعا أبو جعفر بعد ذلك أبا إسحاق ، فقال : أقسِم بالله لئن قطعوا طنُبًا من أطنابى لأضربنّ عنقك ثم لأجاهدنّهم . فخرج إليهم أبو إسحاق فقال : يا كلاب انصرفوا .

قال علىّ : قال أبو حفص الأزدىّ : لما قُتِل أبو مسلم كتب أبو جعفر إلى أبى نصر كتابًا عن لسانِ أبى مسلم يأمره بحمل ثقله وما خلّف عنده ، وأن ٣/١١٨ يقدم ، وختم الكتاب بخاتم أبى مسلم ، فلما رأى أبو نصر نقْش الخاتم تامًّا ، علم أن أبا مسلم لم يكتب الكتاب ، فقال : أفعلتموها[٢] ! وانحدر إلى هَمَذان وهو يريد خراسان ، فكتب أبو جعفر لأبى نصر عهدَه على شهرزور ، ووجّه رسولاً إليه بالعهد ؛ فأتاه حين مضى الرسول بالعهد أنه قد توجّه إلى خراسان ، فكتب إلى زهير بن التركىّ — وهو على همذان : إن مرّ بك أبو نصر فاحبِسْه ، فسبق الكتاب إلى زهير وأبو نصر بهَمَذان ، فأخذه فحبسه فى القصْر ، وكان

---

(١) ت ، ج : « فكلمه » .
(٢) ابن الأثير : « فعلتموها » .

زهير مولًى لخزاعة، فأشرف أبو نصر على إبراهيم بن عريف — وهو ابن أخى أبى نصر لأمه — فقال : يا إبراهم ، تقتل عمّك! قال : لا والله أبداً ، فأشرف زهير فقال لإبراهيم : إنى مأمور والله ، إنه لمن أعزّ الخلق علىّ ؛ ولكنى لا أستطيع ردّ أمر أمير المؤمنين. ووالله لئن رمى أحدكم بسهم لأرمينّ إليكم برأسه. ثم كتب أبو جعفر كتاباً آخر إلى زهير : إن كنت أخذتَ أبا نصر فاقتله .

وقدم صاحبُ العهد على أبى نصر بعهده فخلّى زهير سبيله لهواه فيه ؛ فخرج ، ثم جاء بعد يوم الكتابُ إلى زهير بقتله ، فقال : جاءنى كتابٌ بعهده فخليتُ سبيله .

وقدم أبو نصر على أبى جعفر ، فقال : أشرتَ على أبى مسلم بالمضىّ إلى خراسان ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ كانت له عندى أيادٍ وصنائع فاستشارنى فنصحتُ له ، وأنت يا أمير المؤمنين إن اصطنعتَنى نصحتُ لك وشكرتُ . فعفا عنه ؛ فلما كان يوم الراونديّة قام أبو نصر على باب القصر ، وقال : أنا اليوم البوّاب ، لا يدخل أحد القصر وأنا حىٌّ . فقال أبو جعفر : أين مالك بن الهيثم ؟ فأخبروه عنه ، فرأى أنه قد نصح له . ١١٩/٣

وقيل : إن أبا نصر مالك بن الهيثم لما مضى إلى همذان كتب أبو جعفر إلى زهير بن التركىّ : إنّ لله دمك إن فاتك مالك ؛ فأتى زهير مالكاً ، فقال له : إنى قد صنعتُ لك طعاماً ، فلو أكرمتَنى بدخول منزلى ! فقال : نعم ، وهيّأ زهير أربعين رجلاً تخيَّرهم[1] ، فجعلهم فى بيتين يُفضيان إلى المجلس الذى هيأه ، فلما دخل مالك قال : يا أدهم ، عجّل طعامك ؛ فخرج أولئك الأربعون إلى مالك ، فشدّوه وثاقاً ، ووضع فى رجليه القيود . وبعث به إلى المنصور فمنّ عليه وصفح عنه واستعمله على الموصل .

* * *

وفى هذه السنة ولّى أبو جعفر المنصور أبا داود خالد بن إبراهيم خراسان وكتب إليه بعهده .

* * *

(١) ج : « فخيرهم » .

[ذكر خروج سنباذ للطلب بدم أبي مسلم ثم قتله]

وفيها خرج سُنباذ بخُراسان يطلب بدم أبى مسلم.

* ذكر الخبر عن سنباذ :

ذُكِر أن سنباذ هذا كان مجوسيًّا ، من أهل قرية من قُرى نيسابور يقال لها أهن[١] ، وأنه كثر أتباعُه لما ظهر ؛ وكان خروجه[٢] غضبًا لقتل أبى مسلم – فيما قيل – وطلباً بثأره ، وذلك أنه كان من صنائعه ، وغلَب حين خرج على نيسابور وقُومِس والرّىّ ، وتسمَّى فيروز أصبهبذ . فلما صار بالرّىّ قبض خزائن أبى مسلم ؛ وكان أبو مسلم خلف بها خزائنه حين شخص متوجهًا إلى أبى العباس ؛ وكان عامّة أصحاب سنباذ أهلَ الجبال . فوجَّه إليهم أبو جعفر جَهور بن مرّار العِجْلىّ فى عشرة آلاف ، فالتقوْا بين همذان والرّى على طرف[٣] المفازة ؛ فاقتتلوا ، فهُزِم سنباذ ، وقتِل من أصحابه فى الهزيمة نحوٌ من ستين ألفًا ، وسبى ذراريّهم ونساءهم . ثم قُتِل سنباذ بين طبرستان وقومِس ؛ قتله لونان الطبرىّ ، فصير المنصور أصبهبذة طبرستان إلى ونداهُرْمُز بن الفرخان ، وتوّجه . ١٢٠/٣

وكان بين مخرج سنباذ إلى قتْله سبعون ليلة .

* * *

[خروج ملبَّد بن حرملة الشيبانىّ]

وفى هذه السنة خرج ملبَّد بن حرملة الشيبانىّ ، فحكّم بناحية الجزيرة ، فسارت إليه روابط الجزيرة ؛ وهم يومئذ فيما قيل ألف[٤] ، فقاتلهم ملبَّد فهزمهم ، وقتَل مَنْ قتل منهم . ثم سارت إليه روابط الموصل فهزمهم ، ثم سار إليه يزيد بن حاتم المهلبىّ ، فهزمه ملبَّد بعد قتال شديد كان بينهما ؛ وأخذ ملبَّد جارية ليزيد كان يطؤها ، وقتل قائدٌ من قوّاده ، ثم وجّه إليه أبو جعفر مولاه المهلهل بن صفوان فى ألفين من نُخبة الجند ، فهزمهم ملبّد ، واستباح عسكرهم .

---

(١) ابن الأثير : « أهروانة » . (٢) ج : « خرج » .

(٣) ت : « طريق » . (٤) ابن الأثير : « وهم فى نحو ألف فارس » .

ثم وجـّه إليه نزاراً (قائداً من قوّاد أهل خراسان)، فقتله ملبّد، وهزم أصحابه، ثم وجه إليه زياد بن مشكان[1] فى جمع كثير، فلقيهم ملبّد فهزمهم. ثم وجّه إليه صالح بن صبيح فى جيش كثيف وخيل كثيرة وعدّة، فهزمهم. ثم سار إليه حُميد بن قحطبة وهو يومئذ على الجزيرة، فلقيه الملبّد فهزمه، وتحصّن منه حميدٌ، وأعطاه مائة ألف درهم على أن يكفّ عنه.

وأما الواقدىّ فإنه زعم أن ظهور ملبّد وتحكيمه كان فى سنة ثمان وثلاثين ومائة، ولم يكن للناس فى هذه السنة صائفة لشغْل السلطان بحرب سنباذ. ٣/١٢١

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إسماعيل بن علىّ بن عبد الله بن عباس، كذلك قال الواقدىّ وغيره؛ وهو على الموصل.

وكان على المدينة زياد بن عبيد الله، والعباس بن عبد الله بن معبد على مكة. ومات العباس عند انقضاء الموسم؛ فضمّ إسماعيل عمله إلى زياد بن عبيد الله؛ فأقرّه عليها أبو جعفر.

وكان على الكوفة فى هذه السنة عيسى بن موسى. وعلى البصرة وأعمالها سليمان بن علىّ، وعلى قضائها عمر بن عامر السُّلَمىّ. وعلى خراسان أبو داود خالد بن إبراهيم. وعلى الجزيرة حُميد بن قَحْطبة. وعلى مصر صالح بن علىّ بن عبد الله بن عباس.

---

(١) ج: «مسكان».

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك دخول قسطنطين طاغية الروم مَلَطْية عَنْوة وقهراً لأهلها وهدمه سورها ، وعفوُه عمّن فيها من المقاتلة والذّرّية .

ومنها غزو العباس بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس — فى قول الواقدىّ — الصائفة ، مع صالح بن علىّ بن عبد الله ، فوصله صالح بأربعين ألف دينار ، وخرج معهم عيسى بن علىّ بن عبد الله ، فوصله أيضًا بأربعين ألف دينار ، فبنى صالح بن علىّ ما كان صاحب الروم هدمه[1] من مَلَطْية . ١٢٢/٣

وقد قيل : إن خروج صالح والعباس إلى ملطْية للغزو كان فى سنة تسع وثلاثين ومائة .

وفى هذه السنة بايع عبد الله بن علىّ لأبى جعفر وهو مقيم بالبَصْرة مع أخيه سليمان بن علىّ .

* * *

[ذكر خلْع جهور بن مرّار المنصور]

وفيها خلع جَهْور بن مرّار العِجلىّ المنصور .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه :

وكان سببُ ذلك — فيما ذُكِر — أن جَهْور لما هزم سنباذ حوى ما فى عسكره ، وكان فيه خزائنُ أبى مسلم التى كان خلفها بالرَّىّ ، فلم يوجّهها إلى أبى جعفر ، وخاف فخلَع ، فوجّه إليه أبو جعفر محمد بن الأشعث الخُزاعىّ فى جيش عظيم ، فلقيه محمد ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ومع جَهْور نُخَب فرسان العجم ؛ زياد والأشتاخنج ، فهزِم جَهْور وأصحابه ، وقُتل من أصحابه خلْق كثير ، وأسر زياد والأشتاخنج ، وهرب جَهْور فلحق بأذْرَبيجان فأخِذ بعد ذلك باسباذْرُو فقتل .

---

(١) ب : « هدم » .

[ذكر خبر قتل ملبّد الخارجيّ]

وفى هذه السنة قتل الملبّد الخارجيّ .

* ذكر الخبر عن مقتله :

ذكِر أن أبا جعفر لما هزم الملبّد حميد بن قحطبة ، وتحصّن منه حُميد ، وجّه إليه عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار بن عبد الرحمن ، وضمّ إليه زياد بن مشكان ، فأكمن له الملبّد مائة فارس ، فلما لقيه عبد العزيز خرج عليه الكمين ؛ فهزموه ، وقتلوا عامّة أصحابه . فوجّه أبو جعفر إليه ١٢٣/٣ خازم بن خزيمة فى نحو من ثمانية آلاف من المروروذيّة[1] . فسار خازم حتى نزل الموصل ، وبعث إلى[2] الملبّد بعض أصحابه وبعث معهم الفعلة ، فسار إلى بلد فخندقوا ، وأقاموا له الأسواق ؛ وبلغ ذلك الملبّد ، فخرج حتى نزل ببلد ، فى خندق خازم ؛ فلما بلغ ذلك خازماً خرج إلى مكان من أطراف الموصل حريز فعسكر به ، فلما بلغ ذلك الملبّد عَبَر دجْلة من بلد ، وتوجه إلى خازم من ذلك الجانب يريد الموصل ؛ فلما بلغ خازماً ذلك ، وبلغ إسماعيل ابن علىّ — وهو على الموصل — أمر إسماعيل خازماً أن يرجع من معسكره حتى يعبُر من جسر الموصل ؛ فلم يفعل ، وعقد جسراً من موضع معسكره ، وعبَر إلى الملبّد ، وعلى مقدّمته وطلائعه نَضلة بن نعيم بن خازم بن عبد الله النهشلىّ ، وعلى ميمنته زُهير بن محمد العامرىّ ، وعلى ميسرته أبو حماد الأبرص مولى بنى سليم . وسار خازم فى القلْب ، فلم يزل يساير الملبّد وأصحابه حتى غشيَهم الليل ثم تواقفوا[3] ليلتَهم ، وأصبحوا يوم الأربعاء ، فمضى الملبّد وأصحابه متوجّهين إلى كورة حَزّة ، وخازم وأصحابه يسايرونهم حتى غشيهم الليل ، وأصبحوا يوم الخميس ، وسار الملبّد وأصحابه ، كأنه يريد الهرب من خازم ، فخرج خازم وأصحابه فى أثرهم ، وتركوا خندقهم ، وكان خازم تخندق عليه وعلى أصحابه بالحسَك ، فلما خرجوا من خندقهم كرّ عليهم الملبّد وأصحابه ؛ ١٢٤/٣ فلما رأى ذلك خازم ألقى الحسَك بين يديه وبين يدى أصحابه ، فحملوا

---

(١) ت ، ج : « المرورية » . (٢) ج : « إليه » .
(٣) كذا فى ت ، وفى ط : « توافقوا » ، وفى ابن الأثير : « توافوا » .

على ميمنة خازم وطووْها ، ثم حملوا على الميسرة وطَـوَوْها ، ثم انتهوا إلى القلْب ، وفيه خازم ، فلما رأى ذلك خازم نادى فى أصحابه : الأرضَ ، فنزلوا ونزل الملبِّد وأصحابه ، وعقروا عامة دوابّهم ، ثم اضطربوا بالسيوف حتى تقطعت ، وأمر خازم نَـضْلة بن نعيم أن إذا سطع الغبار ولم يبصر بعضُنا بعضًا فارجع إلى خيلك وخيل أصحابك فاركبوها ، ثم ارمُوا بالنشاب . ففعل ذلك ، وتراجع أصحاب خازم من الميمنة إلى الميسرة ، ثم رشقُوا الملبِّد وأصحابه بالنشاب ، فقُتل الملبِّد فى ثمانمائة رجل ممن ترجّل ، وقتل منهم قبل أن يترجلوا زهاء ثلثمائة ، وهرب الباقون ، وتبعهم نَـضْلة فقتل منهم مائة وخمسين رجلاً .

* * *

وحج بالناس فى هذه السنة الفَـضْل بن صالح بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، كذلك قال الواقدى وغيره . وذكر أنه كان خرج من عند أبيه من الشأم حاجًّا ، فأدركته ولايته على الموسم والحجّ بالناس فى الطريق ، فمرّ بالمدينة فأحرم منها .

وزياد بن عبيد الله على المدينة ومكة والطائف ، وعلى الكوفة وسوادها عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سليمان بن علىّ ، وعلى قضائها سوّار بن عبد الله ، وأبو داود خالد بن إبراهيم على خراسان ، وعلى مصر صالح بن علىّ .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

١٢٥/٣

فمن ذلك ما كان من إقامة صالح بن علىّ والعباس بن محمد بمَلَطْية؛ حتى استتمّا بناء مَلَطْية، ثم غزوا الصائفة من دَرْب الحديث، فوغَلا فى أرض الروم – وغَزَا مع صالح أختاه: أم عيسى ولبابة ابنتا علىّ؛ وكانتا نذرتا إن زال ملك بنى أميّة أن تجاهدا فى سبيل الله.

وغزا من درب مَلَطْية جعفر بن حنظلة البهرانىّ.

وفى هذه السنة كان الفداء الذى جرى بين المنصور وصاحب الرّوم؛ فاستنقذ المنصور منهم أسَراء المسلمين، ولم يكن بعد ذلك – فيما قيل – للمسلمين صائفة إلى سنة ست وأربعين ومائة، لاشتغال أبى جعفر بأمر ابنَىْ عبد الله بن الحسن؛ إلّا أن بعضَهم ذكر أن الحسن بن قحطبة غزا الصّائفة مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام فى سنة أربعين. وأقبل قسطنطين صاحب الرّوم فى مائة ألف، فنزل جَيْحَان، فبلغه كثْرة المسلمين فأحجم عنهم؛ ثم لم يكن بعدها صائفة إلى سنة ست وأربعين ومائة.

وفى هذه السنة سار عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مَرْوان إلى الأندلس، فملّكه أهلُها أمرَهم، فولده ولاتها إلى اليوم.

* * *

وفيها وسّع أبو جعفر المسجد الحرام، وقيل إنها كانت سنة خَصِبة فسمّيت سنة الخصب.

١٢٦/٣

وفيها عُزِل سليمان بن علىّ عن ولاية البصرة، وعمّا كان إليه من أعمالها. وقد قيل إنه عزل عن ذلك فى سنة أربعين ومائة.

وفيها ولّى المنصور ما كان إلى سليمان بن علىّ من عمل البصرة سفيان بن معاوية، وذلك – فيما قيل – يوم الأربعاء للنصف من شهر رمضان، فلما

عزل سليمان وولّى سفيان توارى عبد الله بن علىّ وأصحابه خوفًا على أنفسهم ؛ فبلغ ذلك أبا جعفر ، فبعث إلى سليمان وعيسى ابنى علىّ ، وكتب إليهما فى إشخاص عبد الله بن علىّ ، وعزم عليهما أن يفعلا ذلك ولا يؤخّراه ، وأعطاهما من الأمان لعبد الله بن علىّ ما رضياه له ووثقا به ، وكتب إلى سفيان بن معاوية يعلمه ذلك ، ويأمره بإزعاجهما واستحثاثهما بالخروج بعبد الله ومَن معه من خاصّته ، فخرج سليمان وعيسى بعبد الله وبعامّة قوّاده وخواصّ أصحابه ومواليه ، حتى قدموا على أبى جعفر ؛ يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجّة .

* * *

[ذكر خبر حبس عبد الله بن علىّ]

وفيها أمر أبو جعفر بحبس عبد الله بن علىّ وبحبس مَن كان معه من أصحابه وبقتل بعضهم .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ولما قدم سليمان وعيسى ابنا علىّ على أبى جعفر أذِن لهما ، فدخلا عليه ، فأعلماه حضورَ عبد الله بن علىّ ، وسألاه الإذن له . فأنعم لهما بذلك ، وشغلهما بالحديث ، وقد كان هيّأ لعبد الله بن علىّ محبساً[1] فى قصره ، وأمر به أن ينصرف[2] إليه بعد دخول عيسى وسليمان عليه[3] ، ففُعِل ذلك به ؛ ونهض[4] أبو جعفر من مجلسه ، فقال لسليمان وعيسى : سارعا بعبد الله ، فلما خرجا افتقدا عبد الله من المجلس الذى كان[5] فيه ، فعلما أنه قد حُبس ، فانصرفا ٣/١٢٧ راجعين إلى أبى جعفر ، فحِيل بينهما وبين الوصول إليه ، وأخذت عند ذلك سيوف مَنْ حضر من أصحاب عبد الله بن علىّ من عواتقهم وحبسوا . وقد كان خُفاف بن منصور حذّرهم ذلك ونَدِم على مجيئه ، وقال لهم : إن أنتم أطعتمونى شددنا شدّة واحدة على أبى جعفر ؛ فوالله لا يحول بيننا وبينه حائل حتى نأتى علَى نفسه ، ونشدّ على هذه الأبواب مصلِتين سيوفنا ، ولا

(١) ب ، ت : « مجلساً » ، ابن الأثير : « مكاناً » . (٢) ط : « يصرف » .
(٣) كذا فى ت . (٤) ت ، ح : « ثم نهض » . (٥) ت ،ج : « خلفاه » .

يعرض لنا عارض إلاّ أفاتنا[1] نفسه حتى نخرج وننجوَ بأنفسنا، فعصوْه . فلما أخذت السيوفُ وأمر بحبسهم جعل خفاف يضرَط فى لحيته ، ويتفل فى وجوه أصحابه. ثم أمر أبو جعفر بقتل بعضهم بحضرته؛ وبعث بالبقيّة إلى أبى داود خالد بن إبراهيم بخراسان فقتلهم بها .

وقد قيل إن حبس أبى جعفر عبد الله بن علىّ كان فى سنة أربعين ومائة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة العباس بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس.

وكان على مكة والمدينة والطائف زياد بن عبيد الله الحارثىّ، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية، وعلى قضائها سوّار بن عبد الله ، وعلى خراسان أبو داود خالد بن إبراهيم .

(١) ط : « أفتنا » .

١٢٨/٣

ثم دخلت سنة أربعين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر هلاك أبى داود عامل خراسان وولاية عبد الجبار]

فمن ذلك ما كان فيها من مهلك عامل خراسان .

* ذكر الخبر عن ذلك وسبب هلاكه :

ذكِر أن ناسًا من الجند ثاروا بأبى داود خالد بن إبراهيم بخُراسان وهو عامل أبى جعفر المنصور عليها فى هذه السنة ليلاً ، وهو نازل بباب كُشْماهَن من مدينة مَرْو ، حتى وصلوا إلى المنزل الذى هو فيه ، فأشرف أبو داود من الحائط[1] على حرف آجُرّة خارجة ، وجعل ينادى أصحابَه ليعرفوا صوتَه ، فانكسرت الآجُرّة عند الصبح ، فوقع على سُترة صُفّة كانت قدّام السطح فانكسر ظهره ، فمات عند صلاة العصر ، فقام عصام صاحب شُرْطة أبى داود بخلافة أبى داود ، حتى قدم عليه عبد الجبّار بن عبد الرحمن الأزدىّ .

وفيها ولّى أبو جعفر عبدَ الجبار بن عبد الرحمن خراسان فقدمها ، فأخذ بها ناسًا من القوّاد ذُكِر أنه اتهمهم بالدعاء إلى ولد علىّ بن أبى طالب ؛ منهم مجاشع بن حريث الأنصارىّ صاحب بخارى وأبو المغيرة ، مولى بنى تميم واسمه خالد بن كثير وهو صاحب قوهستان ، والحَريش بن محمد الذّهلىّ ، ابن عمّ داود ، فقتلهم ، وحبس الجنيد بن خالد بن هريم التغلبىّ ومعبد بن الخليل[2] المزنىّ بعد ما ضربهما ضربًا مبرّحًا ، وحبس عدّة من وجوه قوّاد أهل خراسان ، وألحّ على استخراج ما على عمال أبى داود من بقايا الأموال .

* * *

وفيها خرج أبو جعفر المنصور حاجًّا ، فأحرم من الحيرة ، ثم رجع بعد ما قضى حجه إلى المدينة ، فتوجّه منها إلى بيت المقدس .

١٢٩/٣

(١) ابن الأثير : « ليلا فوطئ » .

(٢) ج : « خليد المرى » .

وكان عمّال الأمصار فى هذه السنة عمالها فى السنة التى قبلها، إلاّ خُراسان فإن عاملها كان عبد الجبار .

ولما قدم أبو جعفر بيت المقدس صلى فى مسجدها ، ثم سلك الشأم فإن عاملها كان عبد الجبار .

ولما قدم أبو جعفر بيت المقدس صلّى فى مسجدها ؛ ثم سلك الشأم منصرفًا حتى انتهى إلى الرَّقة ، فنزلها، فأتى بمنصور بن جَعْوَنة بن الحارث العامرىّ ، من بنى عامر بن صعصعة ، فقتله، ثم شخص منها، فسلك الفرات حتى أتى الهاشميّة ، هاشميّة الكوفة .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن خروج الرّاوندية]

فمن ذلك خروج الراوندية ، وقد قال بعضهم : كان أمر الراوندية وأمر أبى جعفر الذى أنا ذاكره ، فى سنة سبع وثلاثين ومائة أو ستّ وثلاثين ومائة .

* ذكر الخبر عن أمرهم وأمر أبى جعفر المنصور معهم :

والرّاوندية قوم – فيما ذُكِر عن علىّ بن محمد – كانوا من أهل خُراسان على رأى أبى مسلم صاحب دعوة بنى هاشم ، يقولون – فيما زعم – بتناسخ الأرواح ، ويزعمون أن روح آدم فى عثمان بن نَهِيك ، وأن ربّهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية جبرئيل .

قال : وأتوا قصر المنصور ، فجعلوا يطوفون به ، ويقولون : هذا قصر ربّنا ؛ فأرسل المنصور إلى رؤسائهم ، فحبس منهم مائتين ، فغضب أصحابهم وقالوا : علام حُبسوا ! وأمر المنصور ألّا يجتمعوا ، فأعدّوا[1] نعشاً وحملوا السرير – وليس فى النّعش أحد – ثم مرّوا فى المدينة ، حتى صاروا على باب السجن ، فرموا بالنّعْش ، وشدّوا على الناس – ودخلوا السجن ، فأخرجوا أصحابهم ، وقصدوا نحو المنصور وهم يومئذ ستمائة رجل ، فتنادى الناس ، وغُلّقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد ، فخرج المنصور من القصر ماشياً ، ولم يكن فى القصر دابة ، فجعل بعد ذلك اليوم يرتبط فرساً يكون فى دار الخلافة[2] معه فى قصره . ١٣٠/٣

قال : ولما خرج المنصور أُتِيَ بدابّة فركبها وهو يريدهم ؛ وجاء معن ابن زائدة ، فانتهى إلى أبى جعفر ، فرمى بنفسه وترجّل ، وأدخل برْكة قبائه فى منطقته ، وأخذ بلجام دابة المنصور ، وقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين

(١) ت ، ج : « فاتخذوا » . (٢) ت : « الخليفة » .

إلاّ رجعت ؛ فإنك تُكْفَى . وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب القصر ، وقال : أنا اليوم بوّاب ، ونودى فى أهل السوق فرموْهم وقاتلوهم حتى أثخنوهم ، وفُتِح باب المدينة ، فدخل الناس .

وجاء خازم بن خزيمة على فرس محذوف[١] ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أقتلهم ؟ قال : نعم ، فحمل عليهم حتى ألجأهم إلى ظهر حائط ، ثم كرّوا على خازم فكشفوه وأصحابه ، ثم كرّ خازم عليهم فاضطرهم[٢] إلى حائط المدينة . وقال للهيثم بن شعبة : إذا كرّوا علينا فاسبِقْهم إلى الحائط ، فإذا رجعوا فاقتلهم . فحملوا على خازم ، فاطّرد لهم ، وصار الهيثم بن شعبة من ورائهم . فقتِلوا جميعاً .

١٣١/٣

وجاءهم يومئذ عثمان بن نَهيك ؛ فكلمهم ، فرجع فرموْه بنشابة فوقعت بين كتفيْه ؛ فمرض أياماً ومات منها ، فصلى عليه أبو جعفر ، وقام على قبره حتى دُفِن ، وقال : رحمك الله أبا يزيد[٣] ! وصيّر مكانه على حرسه عيسى بن نَهِيك ، فكان على الحرس حتى مات ؛ فجعل على الحرس أبا العباس الطوسىّ .

وجاء يومئذ إسماعيل بن علىّ ، وقد أغلقت الأبواب ، فقال للبواب : افتح ولك ألف درهم ؛ فأبى . وكان القعقاع بن ضرار يومئذ بالمدينة ؛ وهو على شُرَط عيسى بن موسى ، فأبلَى يومئذ ؛ وكان ذلك كله فى المدينة الهاشميّة بالكوفة .

قال : وجاء يومئذ الرّبيع ليأخذ بلجام المنصور ، فقال له معن : ليس هذا من أيامك ، فأبلى أبرويز بن المَصْمُغان ملك دُنبَاوَند — وكان خالف أخاه ، فقدم على أبى جعفر فأكرمه ، وأجرى عليه رزقاً ؛ فلما كان يومئذ أتى المنصور فكفّر له ، وقال : أقاتل هؤلاء ؟ قال له : نعم ، فقاتلهم ؛ فكان إذا ضرب رجلا فصرعه تأخّر عنه — فلما قُتِلوا وصلى المنصور الظهر دعا بالعشاء ، وقال : أطلعوا[٤] معن بن زائدة ، وأمسك عن الطعام حتى جاءه معن ؛ فقال لقُثَم : تحوّل إلى هذا الموضع ، وأجلس معناً مكان قُثَم ، فلما فرغوا من العشاء قال لعيسى بن علىّ : يا أبا العباس ، أسمعت بأشدّ

(١) فرس محذوف : مقصوص شعر الذنب .
(٢) ت ، ب : « فاضطروهم » .
(٣) ج : « زيد » .
(٤) ج : « اطلبوا » .

الرجال[1] ؟ قال : نعم ، قال : لو رأيتَ اليوم معناً علمتَ أنه من تلك الآساد ، قال معن : والله يا أمير المؤمنين لقد أتيتُك وإنى لوجِل القلب ، فلما رأيتُ ما عندك من الاستهانة بهمْ وشدّة الإقدام عليهم ، رأيت أمراً لم أره من خلْق ١٣٢/٣ فى حرب ؛ فشدّ ذلك من قلبى وحملنى على ما رأيت منى .

وقال أبو خزيمة : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ لهم بقيّة ، قال : فقد ولّيتُك أمرهم فاقتلهم ، قال : فأقتل رزاماً فإنه منهم ، فعاذَ رِزام بجعفر بن أبى جعفر ، فطُلب فيه فآمنه .

وقال علىّ عن أبى بكر الهُذلىّ ، قال : إنى لواقف بباب أمير المؤمنين إذ طلع فقال رجل إلى جانبى : هذا رب العزّة ! هذا الذى يطعمنا ويسقينا ؛ فلما رجع أمير المؤمنين ودخل عليه الناس دخلتُ وخلا وجهه ، فقلتُ له : سمعتُ اليوم عجباً ، وحدّثته ؛ فنكتَ فى الأرض ، وقال : ياهذلىّ ، يدخلهم الله النار فى طاعتنا ويَـقْتلهم[2] ، أحبُّ إلىّ مِنْ أن يدخلهم الجنة بمعصيتنا .

وذكر عن جعفر بن عبد الله ، قال : حدّثنى الفضل بن الربيع ، قال : حدثنى أبى ، قال : سمعت المنصور يقول : أخطأت ثلاث خطيّات وقانى الله شرّها : قتلتُ أبا مسلم وأنا فى خرق ومَنْ حولى يقدّم طاعته ويُؤثرها ولو هُتِكت الخرق لذهبتُ ضياعًا ، وخرجت يوم الراونديّة ولو أصابنى سهم غَرْب لذهبتُ ضياعاً ، وخرجت إلى الشأم ولو اختلف سيفان بالعراق ذهبَت الخلافةُ ضياعًا .

وذُكر أنّ معن بن زائدة كان مختفيًا من أبى جعفر ، لما كان منه من قتاله المسوّدة مع ابن هبيرة مرّة بعد مرّة ؛ وكان اختفاؤه عند مرزوق أبِى الخصيب ، وكان علَى أن يطلب له الأمان ، فلما خرج الراونديّة أتى الباب فقام عليه ، فسأل المنصور أبا الخصيب — وكان يلى حجابة المنصور يومئذ : مَنْ بالباب ؟ ١٣٣/٣ فقال : معن بن زائدة ، فقال المنصور : رجل من العرب ، شديد النفس ، عالم بالحرب كريم الحسب ؛ أدخِلْه ، فلما دخل قال : إيه يا معن ! ما الرأى ؟ قال : الرأى أن تنادى فى الناس وتأمر لهم بالأموال ، قال : وأين الناسُ والأموال ؟

---

(١) كذا فى ب ، ت ، وابن الأثير وفى ط : « أشد » . (٢) ت : « نقتلهم » .

ومَنْ يقدم على أن يعرض نفسه لهؤلاء العلوج ! لم تصنع شيئًا يا معن ؛ الرأىُ أن أخرج فأقف ؛ فإنّ الناس إذا رأوْنى قاتلوا وأبلَوْا وثابوا إلىّ ، وتراجعوا ، وإن أقمتُ تخاذلوا وتهاونوا . فأخذ معن بيده وقال : يا أمير المؤمنين ، إذاً والله تُقتَل الساعة ، فأنشدك الله فى نفسك ! فأتاه أبو الخصيب فقال مثلها ، فاجتذب ثوبه منهما ، ثم دعا بدابته ، فركب ووثب عليها من غير ركاب ثم سوّى ثيابه ، وخرج ومعن آخذ بلجامه وأبو الخصيب مع ركابه فوقف . وتوجّه إليه رجل فقال : يامعن دونك العِلْج[1] ؛ فشدّ عليه مَعن فقتله ، ثم والَى بين أربعة ، وثاب إليه الناس وتراجعوا ؛ ولم يكن إلاّ ساعة حتى أفنوْهم ، وتغيّب معن بعد ذلك ، فقال أبو جعفر لأبى الخصيب : ويلك ! أين معن ؟ قال : والله ما أدرى أين هو من الأرض ! فقال : أيظن أنّ أمير المؤمنين لايغفر ذنبه بعد ما كان من بلائه ! أعطِه الأمان وأدخله علىّ ، فأدخله ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وولاّه اليمن ، فقال له أبو الخصيب : قد فرّق صلته وما يقدر[2] على شىء ، قال : له لو أراد مثل ثمنك ألف مرّة لقدر عليه .

* * *

١٣٤/٣ وفى هذه السنة وجه أبو جعفر المنصور ولده محمداً — وهو يومئذ ولىّ عهد — إلى خُراسان فى الجنود ، وأمره بنزول الرّىّ ، ففعل ذلك محمد .

* * *

[ذكر خلْع عبد الجبار بخراسان ومسير المهدى إليه]

وفيها خلَع عبد الجبار بن عبد الرحمن عامل أبى جعفر على خُراسان ؛ ذكر علىّ بن محمد ، عمن حدّثه ، عن أبى أيوب الخوزىّ ، أن المنصور لما بلغه أن عبد الجبار يقتل رؤساء أهل خُراسان ، وأتاه من بعضهم كتاب فيه : قد نغِل الأديمُ ، قال لأبى أيوب الخزاعىّ : إن عبد الجبار قد أفنى شيعتنا ، وما فعل هذا إلاّ وهو يريد أن يخلع ، فقال له : ما أيسر حيلته ! اكتب إليه : إنك تريد غَزْو الرّوم ؛ فيوجّه إليك الجنود من خُراسان ، وعليهم فرسانهم ووجوههم ، فإذا خرجوا منها فابعثْ إليهم مَنْ شئت ؛ فليس به امتناع .

---

(١) ب : « والعلج » . (٢) ب : « ولم يقدر » .

فكتب بذلك إليه ، فأجابه : إنّ الترك قد جاشت ؛ وإن فرّقتُ الجنود ذهبت خراسان ، فألقى الكتاب إلى أبى أيّوب ، وقال له : ما ترى ؟ قال : قد أمكنك من قياده ، اكتب إليه : إن خراسان أهمّ إلىّ من غيرها ، وأنا موجّه إليك الجنود من قبَلى . ثم وجّه إليه الجنود ليكونوا بخُراسان ؛ فإنْ همّ بخلع أخذُوا بعنقه .

فلما ورد على عبد الجبار الكتاب كتب إليه : إنّ خُراسان لم تكن قطّ أسوأ حالاً منها فى هذا العام ؛ وإن دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من غلاء السعر . فلما أتاه الكتاب ألقاه إلى أبى أيوب ، فقال له : قد أبدى صفحته ، وقد خلَع فلا تناظره .

فوجّه إليه محمد بن المنصور ، وأمره بنزول الرّىّ؛ فسار إليها المهدىّ ، ووجّه لحربه خازم بن خزيمة مقدمةً له ، ثم شخص المهدى فنزل نيسابور . ١٣٥/٣ ولما توجّه خازم بن خزيمة إلى عبد الجبار ، وبلغ ذلك أهل مَرْو الرّوذ ؛ ساروا إلى عبد الجبار من ناحيتهم فناصبوه الحرْب ، وقاتلوه قتالا شديداً حتى هُزِم ، فانطلق هارباً حتى لجأ إلى مقطنة ، فتوارى فيها ، فعبَر إليه المجشر بن مزاحم من أهل مَرْو الرّوذ ؛ فأخذه أسيراً ؛ فلما قدِم خازم أتاه به ، فألبسه خازم مدرّعة صوف ، وحمله على بعير ، وجعل وجهه من قِبَل عجُز البعير ؛ حتى انتهى به إلى المنصور ومعه ولده وأصحابه ؛ فبسط عليهم العذاب ، وضُربوا بالسياط حتى استخرج منهم ما قدَر عليه من الأموال . ثم أمَر المسيّب بن زُهير بقطع يدىْ عبد الجبار ورجليْه وضرب عنقه ؛ ففعل ذلك المسيّب ، وأمر المنصور بتسيير ولده إلى دَهْلك — وهى جزيرة على ضفّة البحر بناحية اليمن — فلم يزالوا بها حتى أغار عليهم الهند ، فسبَوْهم فيمن سَبَوْا حتى فُودُوا بعد ، ونجا منهم من نجا ، فكان ممن نجا منهم واكتتب فى الديوان وصحِب الخُلَفاء عبدُ الرحمن بن عبد الجبار ، وبقى إلى أن توفّىَ بمصر فى خلافة هارون ، فى سنة سبعين ومائة .

* * *

وفى هذه السنة فُرِغ من بناء المصّيصة على يدى جبرئيل بن يحيى الخراسانىّ ،

ورابط محمد بن إبراهيم الإمام بمَلطْية .

واختلفوا فى أمر عبد الجبار وخبره ، فقال الواقدىّ: كان ذلك فى سنة ثنتين وأربعين ومائة ، وقال غيره : كان ذلك فى سنة إحدى وأربعين ومائة[1] .

٣/١٣٦ وذكر عن علىّ بن محمد أنه قال : كان قدوم عبد الجبار خراسان لعشر خلوْن من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائة ، ويقال لأربع عشرة ليلة ، وكانت هزيمته يوم السبت لستّ خلوْن من ربيع الأول سنة ثنتين وأربعين ومائة .

وذكر عن أحمد بن الحارث ، أن خليفة بن خياط حدّثه، قال: لما وجّه المنصور المهدىَّ إلى الرىّ – وذلك قبل بناء بغداد ؛ وكان توجيهه إياه لقتال عبد الجبار بن عبد الرحمن ، فكفى المهدىّ أمْرَ عبد الجبار بمن حاربه وظفر به – كره أبو جعفر أن تبطل تلك النفقات التى أنفقت على المهدىّ ؛ فكتب إليه أن يغزوَ طَبَرستان، وينزل الرىّ ، ويوجّه أبا الخصيب وخازم بن خزيمة والجنود إلى الأصبهبذ ؛ وكان الأصبهبذ يومئذ محاربًا للمصمُغان ملك دُنباوند معسكراً بإزائه؛ فبلغه أن الجنودَ دخلت بلاده ، وأن أبا الخصيب دخل سارية، فساء المصمُغان ذلك؛ وقال له: متى صاروا إليك صاروا إلىّ ؛ فاجتمعا على محاربة المسلمين ؛ فانصرف الأصبهبذ إلى بلاده ، فحارب المسلمين ، وطالت تلك الحروب ، فوجّه أبو جعفر عمر بن العلاء الذى يقول فيه بشار :

فقُلْ للخليفة إنْ جئتَـــهُ نَصيحاً ولا خَيْرَ فى المُتَّهَمْ
إذا أَيْقَظتْك حُروبُ العِدا فنَبِّهْ لها عُمَرًا ثمّ نَمْ
فَتًى لا يَنامُ على دِمْنَـــةٍ ولا يَشْرَبُ الماءَ إلا بِدمْ

وكان توجيهه إياه بمشورة أبْرويز أخى المصمُغان ، فإنه قال له : ٣/١٣٧ يا أميرَ المؤمنين ؛ إن عمر أعلم الناس ببلاد طَبَرِستان، فوجّهه ؛ وكان أبرويز قد عرف عمر أيام سنباذ وأيام الراونديّة، فضمّ إليه أبو جعفر خازم بن خزيمة، فدخل الرُّويان ففتحها ، وأخذ قَلْعة الطاق وما فيها ، وطالت الحرب ،

(١) ت : « سنة أربعين ومائة » .

فألحّ خازم على القتال، ففتح طبَرستان ، وقتل منهم فأكثر ، وصار الأصبهبذ إلى قلعته، وطلب الأمان على أن يسلم القلعة بما فيها من ذخائره[1] ، فكتب المهدىّ بذلك إلى أبى جعفر ، فوجّه أبو جعفر بصالح صاحب المصلى وعدّة معه ، فأحصوْا ما فى الحِصْن ، وانصرفوا . وبدا للأصبهبذ ، فدخل بلاد جِيلان من الدَّيْلم ، فمات بها ؛ وأخذت ابنته — وهى أمّ إبراهيم بن العباس بن محمد — وصمدت الجنود للمصمُغان ؛ فظفروا به وبالبحترية أم منصور بن المهدىّ ، وبصيمر أم ولد علىّ بن رَيْطة بنت المصمُغان . فهذا فتح طبرستان الأول .

قال : ولما مات المصمُغان تحوّز أهل ذلك الجبل فصاروا حَوْزيّة لأنهم توحّشوا كما توحّش حمر الوحش .

* * *

وفى هذه السنة عُزِل زياد بن عبيد الله الحارثىّ عن المدينة ومكة والطائف ، واستعمل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسرىّ ، فقدمها فى رجب . وعلى الطائف ومكة الهيثم بن معاوية العتكىّ[2] من أهل خراسان .

* * *

وفيها تُوفِّىَ موسى بن كعب ؛ وهو على شرط المنصور ، وعلى مصر والهند وخليفته على الهند عيينة ابنه . ١٣٨/٣

وفيها عُزل موسى بن كعب عن مصر ، ووليها محمد بن الأشعث ثم عزل عنها ، ووليها نَوفَل بن الفُرات .

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن علىّ بن عبد الله بن عباس وهو على قِنَّسرين وحمص ودمشق . وعلى المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسرىّ ، وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية ، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية . وعلى قضائها سوّار بن عبد الله ، وعلى خُراسان المهدىّ وخليفته عليها السرىّ بن عبد الله ، وعلى مصر نَوْفل بن الفرات .

---

(١) ت : « الذخائر » .

(٢) ب : « المعكى » ، ج : « المكى » .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسند]

فمما كان فيها خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسّند .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه :

ذُكر أن سبب خلعه ، كان أن المسيّب بن زهير كان خليفة موسى بن كعب على الشُّرَط ، فلما مات موسى أقام المسيّب على ما كان يلى من الشُّرَط[١] ، وخاف المسيّب أن يكتب المنصور إلى عُيَيْنة فى القدوم عليه فيوليه مكانه ؛ وكتب إليه ببيت شعر ولم ينسب الكتاب إلى نفسه :

١٣٩/٣ فأَرْضَكَ أَرْضَكَ إن تأْتِنا ... فَنَمْ نومَةً ليس فيها حُلُمْ

وخرج أبو جعفر لما أتاه الخبر عن عيينة بخلْعه حتّى نزل بعسكره من البصرة عند جسرها الأكبر ، ووجّه عمر بن حفص بن أبى صفرة العتكىّ[٢] عاملا على السند والهند ، محاربـًا لعيينة بن موسى ؛ فسار حتّى ورد السند والهند ، وغلب عليها .

* * *

[ذكر خبر نكث إصبهبذ طبرستان العهد]

وفى هذه السنة نقض إصبهبذ طَبَرستان العهد بينه وبين المسلمين ، وقتل من كان ببلاده من المسلمين .

* ذكر الخبر عن أمره وأمر المسلمين :

ذكر أن أبا جعفر لما انتهى إليه خبر الإصبهبذ وما فعل بالمسلمين ، وجّه إليه خازم بن خزيمة وروْح بن حاتم ومعهم مرزوق أبو الخصيب مولى

---

(١) ج : « الشرطة » . (٢) ب : « العكى » .

أبي جعفر ، فأقاموا على حصنه محاصرين له ولمن معه فى حصنه ، وهم يقاتلونهم حتّى طال عليهم المقام ، فاحتال أبو الخصيب فى ذلك فقال لأصحابه : اضربونى واحلقوا رأسى ولحيتى ؛ ففعلوا ذلك به ، ولحق بالإصبهبذ صاحب الحصن فقال له : إنى[1] رُكِبَ منى أمرٌ عظيم ؛ ضُرِبتُ وحُلِق رأسى ولحيتى . وقال له : إنما فعلوا ذلك بى تهمةً منهم لى أن يكون هواى معك ، وأخبره أنه معه ، وأنه دليل له على عورة عسكرهم . فقبل منه ذلك الإصبهبذ ، وجعله فى خاصّته وألطفه ؛ وكان باب مدينتهم من حجر يلقى إلقاء يرفعه الرجال ، وتضعه عند فتحه وإغلاقه ؛ وكان قد وكّل به الإصبهبذ ثقاتِ أصحابه ، وجعل ذلك نُوَبًا بينهم ، فقال له أبو الخصيب : ما أراك وثقت بى ، ولا قبلت نصيحتى ! ٣/١٤٠ قال : وكيف ظننتَ ذلك ؟ قال : لتركك الاستعانة بى فيما يعنيك ، وتوكيلى فيما لا تثق به إلّا بثقاتك ؛ فجعل يستعين به بعد ذلك ، فيرى منه ما يحبّ إلى أن وثق به ، فجعله فيمن ينوب فى فتح باب مدينته وإغلاقه ؛ فتولّى له ذلك حتّى أنس به . ثم كتب أبو الخصيب إلى رَوْح بن حاتم وخازم بن خزيمة ، وصيّر الكتاب فى نُشّابة ، ورماها إليهم ، وأعلمهم أن قد ظفر بالحيلة ، ووعدهم ليلة ، سمّاها[2] لهم فى فتح الباب . فلما كان فى[3] تلك الليلة فتح لهم ، فقتلوا مَن فيها من المقاتلة ، وسبَوا الذرارىّ ، وظُفر بالبحترّية . وهى أم منصور بن المهدى ، وأمّها باكند بنت الإصبهبذ الأصمّ — وليس بالإصبهبذ الملك ؛ ذاك أخو باكند — وظفر بشَكْلة أم إبراهيم بن المهدىّ ، وهى بنت خونادان[4] قَهرمان المصمُغان ، فمصّ الإصبهبذ خاتمًا له فيه سمّ فقتل نفسه .

وقد قيل : إن دخول رَوْح بن حاتم وخازم بن خزيمة طَبَرستان كان فى سنة ثلاث وأربعين ومائة .

* **

وفى هذه السنة بنى المنصور لأهل البصرة قبْلتهم التى يصلون إليها فى عيدهم بالحمّان ، وولى بناءه سلمة بن سعيد بن جابر ؛ وهو يومئذ على الفُرات والأبُلّة ٣/١٤١

---

(١) ج : « إنه » .
(٢) كذا فى ت ، وفى ط : « وسماها » .
(٣) ساقطة من ت .
(٤) كذا فى ت .

من قِبَل أبي جعفر ، وصام أبو جعفر شهر رمضان وصلى بها يوم الفطر .

* * *

وفيها تُوُفّى سليمان بن عليّ بن عبد الله بالبَصْرة ليلة السبت لتسع[1] بقين من جمادى الآخرة ، وهو ابن تسع وخمسين سنة ، وصلّى عليه عبد الصمد ابن عليّ .

وفيها عُزِل عن مصر نوفل بن الفرات ، ووليها محمد بن الأشعث ، ثم عُزل عنها محمد ووليها نوفل بن الفرات ، ثم عزل نَوْفل ووليها حميد ابن قحطبة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن العباس .

وكان العامل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله ، وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية ، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية ، وعلى قضائها سوّار بن عبد الله ، وعلى مصر حميد بن قحطبة .

* * *

وفيها — فى قول الواقدى — ولّى أبو جعفر أخاه العباس بن محمد الجزيرة والثغور وضمّ إليه عدّة من القوّاد ، فلم يزل بها حيناً .

---

(١) ج : «لسبع» .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[غزو الدّيلم]

فى هذه السنة ندب المنصور الناس إلى غزو الديلم .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر أن أبا جعفر اتصل به عن الدّيْلم إيقاعهم بالمسلمين وقتلهم منهم مقتلة ١٤٢/٣ عظيمة ، فوجّه إلى البصرة حبيب بن عبدالله بن رغبان[1] ، وعليها يومئذ إسماعيل ابن علىّ ، وأمره بإحصاء كل مَن له فيها عشرة آلاف درهم فصاعداً ، وأن يأخذ كلّ من كان ذلك له بالشخوص بنفسه لجهاد الدّيْلم ، ووجّه آخر لمثل[2] ذلك إلى الكوفة .

* * *

[عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف]

وفيها عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف ، وولّى ما كان إليه من ذلك السرىّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب ، وأتى[3] السرىّ عهده على ذلك وهو باليمامة ، فسار إلى مكة ، ووجّه أبو جعفر إلى اليمامة قُثَم ابن العباس بن عبد الله بن عباس .

* * *

[عزل حميد بن قحطبة عن مصر]

وفيها عُزِل حُميد بن قحطبة عن مصر ، ووليَها نوفل بن الفرات ، ثم عزل نوفل ووليَها يزيد بن حاتم .

---

(١) ب : « رعبان » .
(٢) ج : « مثل » .
(٣) ج : « وأبى » .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبيد الله[١] ابن عباس ، وكان يومئذ إليه ولاية الكوفة وسوادها .

وكان والى مكة[٢] فيها السرى بن عبد الله بن الحارث ، ووالى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية ، وعلى قضائها سوّار بن عبد الله ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

---

(١) ط : « عبد » .

(٢) ب : « مكة والمدينة » ، ت « المدينة » .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوُ محمد بن أبى العباس بن عبد الله بن محمد ابن على[1] الدّيلمَ فى أهل الكوفة والبصرة وواسط والموصل والجزيرة .

وفيها انصرف محمد بن أبى جعفر المهدىّ عن خُراسان إلى العراق، وشخص أبو جعفر إلى قرماسين ، فلقيه بها ابنُه محمد منصرفاً من خُراسان ، فانصرفا جميعًا إلى الجزيرة . ١٤٣/٣

وفيها بَنَى محمد بن أبى جعفر عند مقدَمه من خُراسان بابنة عمه رَيْطة بنت أبى العباس .

وفيها حجّ بالناس أبو جعفر المنصور ، وخلف على عسكره والميرة خازم ابن خُزَيمة .

* * *

[ولاية رياح بن عثمان على المدينة وأمر ابنى عبد الله بن حسن]

وفى هذه السنة ولّى أبو جعفر رياحَ بن عثمان المُرّىّ المدينة ، وعزَل محمد ابن خالد بن عبد الله القسرىّ عنها .

* ذكر الخبر عن سبب عزله محمد بن خالد واستعماله رياح بن عثمان وعزله زياد بن عبيد الله الحارثىّ من قبَل محمد بن خالد :

وكان سبب عزل زياد عن المدينة ، أنّ أبا جعفر همّه أمرُ محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب وتخلّفهما عن حضوره؛ مع مَن شهده من سائر بنى هاشم عام حجّ فى حياة أخيه أبى العباس ، ومعه أبو مسلم . وقد ذكر أن محمداً كان يذكر أنّ أبا جعفر ممّن بايع له ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمَنْ يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر بنى مرْوان مع سائر المعتزلة الذين كانوا معهم هنالك . فسأل عنهما ، فقال له زياد بن

(١) كذا فى ت ، وبعدها فى ط : « ابن أمير المؤمنين » .

عبيد الله : ما يهمّك من أمرهما ! أنا آتيك بهما ؛ وكان زياد يومئذ مع أبي جعفر عند مقدمه مكة سنة ست وثلاثين ومائة ، فردّ أبو جعفر زياداً إلى عمله ، وضمنه محمّداً وإبراهيم .

٣/١٤٤

فذكر أبو زيد عمر بن شبة أن محمد بن إسماعيل حدّثه ، قال : حدّثني عبد العزيز بن عمران[١] ، قال : حدّثني عبد الله بن أبي عُبيدة[٢] بن محمد ابن عمار بن ياسر ، قال : لما استُخلِف أبو جعفر لم تكن له همة إلا طلب محمد والمسألة عنه وما يريد[٣] ؛ فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً ؛ كلهم يُخْلِيه[٤] فيسألهم عنه ، فيقولون : يا أميرَ المؤمنين ؛ قد علم أنك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم ؛ فهو يخافك على نفسه ؛ وهو لا يريد لك خلافاً ، ولا يحبّ لك معصية ؛ وما أشبه هذه المقالة إلا حسن بن زيد ، فإنه أخبره خبره ، فقال : والله ما آمن وثوبه عليك ؛ فإنه للّذى لا ينام[٥] عنك، فرَ رأيك . قال ابن أبي عبيدة : فأيقظ مَنْ لا ينام[٦] .

وقال محمد : سمعت جدي موسى بن عبد الله ، يقول : اللهمّ اطلب حسن ابن زيد بدمائنا . قال موسى : وسمعت والله أبي يقول : أشهد لعرّفني أبو جعفر حديثاً ما سمعه مني إلا حسن بن زيد .

وحدّثني محمد بن إسماعيل ، قال : سمعت القاسم بن محمد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان ، قال : أخبرني محمد بن وهب السّلميّ ، عن أبي ، قال : عرّفني أبو جعفر حديثاً ما سمعه مني إلا أخي عبد الله بن حسن وحسن بن زيد ؛ فأشهد ما أخبره به عبد الله ؛ ولا كان يعلم الغيب .

٣/١٤٥

قال محمد : وسأل عنه عبد الله بن حسن عام حجّ ، فقال له مقالة الهاشميّين ، فأخبره أنه غير راضٍ أو يأتيه به .

قال محمد : وحدثتني أمي عن أبيها ، قال : قال أبي : قلت لسليمان بن

---

(١) الأغاني : « عمر » . (٢) الأغاني : « عبده » .
(٣) الأغاني : « ألح في طلب محمد والمسألة عنه » . (٤) أخلاه يخليه : كلمه خالياً .
(٥) الأغاني : « لا ينام » .
(٦) الخبر في الأغاني ١٨ : ٢٠٦ (ساسي) ؛ بروايته عن المتكي عن عمر بن شبة ؛ بالسند المذكور هنا .

علىّ : يا أخي صهرى بك صهرى، ورحِمِى بك رحمى، فما ترى؟ قال : والله لكأنّى أنظر إلى عبد الله بن علىّ حين حال السّتر[١] بيننا وبينه ؛ وهو يشير إلينا أنّ هذا الذى فعلتم بى ، فلو كان عافيًا عفا عن عمّه . قال : فقبل رأيه ، قال : فكان آل عبد الله يروْنها صِلةً من سُلَيْمان لهم .

قال أبو زيد : وحدّثنى سعيد بن هُرَيم ، قال : أخبرنى كلثوم المَرائىّ ، قال : سمعت يحيى بن خالد بن بَرْمك يقول : اشترى أبو جعفر رقيقاً من رقيق الأعراب ، ثم أعطى الرجل منهم البَعير ، والرجل البعيريْن ، والرجل الذود ، وفرّقهم فى طلب محمد فى ظهر المدينة ؛ فكان الرّجل منهم يرد الماء كالمارّ وكالضالّ ، فيَفرّون عنه ويتجسسون .

قال : وحدّثنى محمد بن عباد بن حبيب المهلبىّ ، قال : قال لى السندىّ مولى أمير المؤمنين : أتدرى ما رفع عُقْبة بن سَلْم عند أمير المؤمنين ؟ قلت : لا ، قال : أوفد عمّى عمر بن حفص وفْداً من السند فيهم عقبة ، فدخلوا على أبى جعفر ، فلما قضوْا حوائجهم نهضوا ، فاستردّ عقبة ؛ فأجلسه ، ثم قال له : مَنْ أنت ؟ قال : رجل من جُنْد أمير المؤمنين وخَدَمه ، صحبت عمر ابن حفص ، قال : وما اسمك؟ قال : عُقْبة بن سلم بن نافع ، قال : ممّن أنت؟ قال : من الأزْد ثم من بنى هُناءة ، قال : إنى لأرى لك هيئة وموضعًا ، وإنى لأريدك لأمر أنا به معنىّ ، لم أزل أرتاد له رجلا ، عسى أن تكونه إن كَفيتَنِيه رفعتُك ، فقال : أرجو أن أصدّق ظنّ أمير المؤمنين فىّ ، قال : فأخفِ شخصَك[٢] ، واستر أمرك ، وأتنى فى يوم كذا وكذا فى وقت كذا وكذا ؛ فأتاه فى ذلك الوقت ، فقال له : إن بنى عَمّنا هؤلاء قد أبوْا إلّا كيداً لملكنا واغتيالا له ، ولهم شيعة بخُراسان بقرية كذا ، يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم وألطاف من ألطاف بلادهم ، فاخرج بكسًا وألطاف وعَيْن حتى تأتيهم متنكراً بكتاب تكتبه[٣] عن أهل هذه القرية ، ثم تسبر ناحيتهم[٤] ؛ فإن كانوا قد نزعوا عن رأيهم فأحْبِبْ والله بهم وأقرِبْ ، وإن كانوا على

١٤٦/٣

---

(١) ج : « السير » ، ابن الأثير : « المنية » . (٢) ب : « سخطك » .
(٣) ب : « نكتبه » . (٤) ج : « ثم تسير إلى ناحيتهم » ت : « إلى بلادهم » .

رأيهم علمتُ ذلك، وكنتُ على حذرٍ واحتراس منهم ؛ فاشخص حتى تلقَى عبد الله ابن حسن متقشّفا متخشعاً ؛ فإن جبَهك — وهو فاعل — فاصبْر وعاوده ؛ فإن عاد فاصبر حتى يأنس بلك وتلين لك ناحيته ؛ فإذا ظهر لك ما فى قلبه[1] فاعجل علىّ . قال : فشخص حتى قدم على عبد الله ، فلقيه بالكتاب ، فأنكره ونهره ، وقال : ما أعرف هؤلاء القوم ؛ فلم يزل ينصرف ويعود إليه حتى قبِل كتابه وألطافه ، وأنس به ؛ فسأله عُقْبة الجواب ، فقال : أمّا الكتاب فإنى لا أكتب إلى أحد ، ولكن أنت كتابى إليهم ، فأقرِئهم السلام وأخبرهم أن ابنىَّ خارجان[2] لوقت كذا وكذا . قال : فشخص عُقْبة حتى قدم على أبى جعفر ، فأخبره الخبر[3] .

١٤٧/٣

قال أبو زيد : حدّثنى أيوب بن عمر ، قال : حدّثنى موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : ولّى أبو جعفر الفضلَ ابن صالح بن علىّ الموسم فى سنة ثمان وثلاثين ومائة ، فقال له : إن وقعت عيناك على محمد وإبراهيم ، ابنىْ عبد الله بن حسن ، فلا يفارقانك ؛ وإن لم ترهما فلا تسأل عنهما . فقدِم المدينة، فتلقاه أهلُها جميعًا ؛ فيهم عبد الله بن حسن وسائر بنى حسن إلاَّ محمداً وإبراهيم ابنىْ عبد الله بن حسن . فسكت حتى صدر عن الحجّ ، وصار إلى السيّالة ، فقال لعبد الله بن حسن : ما منع ابنيْك أن يلقيانى مع أهلهما ! قال : والله[4] ما منعهما من ذلك رِيبة ولا سوء ؛ ولكنهما منهومان بالصّيد واتّباعه ، لا يشهدان مع أهليهما خيراً ولا شرّا . فسكت الفضلُ عنه ، وجلس على دكان[5] قد بنى له بالسَّيَالة . فأمر عبد الله رعاته فسرّحوا عليه ظهره ، فأمر أحدهم فحلَب لبَنًا على عسل فى عُسّ عظيم ، ثم رقى به الدكان، فأوْمأ إليه عبد الله أن اسق الفضلَ بن صالح ، فقصد قصده ؛ فلما دنا منه صاح به الفضل صَيحةً مغضبًا : إليك يا ماصّ بَظْر أمّه ! فأدبر الرّاعى ، فوثب عبد الله — وكان من أرفق الناس — فتناول القعبَ ، ثم أقبل

(١) ت : « ما قبله » . (٢) ابن الأثير : « إننى خارج » .
(٣) الخبر فى الأغانى ١٨ : ٢٠٧ (ساسى) . (٤) ج : « لا والله » .
(٥) ج : « مكان » .

يمشي به إلى الفضل ، فلما رآه يمشي إليه استحيا منه ، فتناوله فشرب .

قال أبو زيد : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني أبي ، عن أبيه ، قال : كان لزياد بن عبيد الله كاتب يقال له حَفْص بن عمر من أهل الكوفة يتشيّع ، وكان يثبّط زياداً عن طلب محمد ، فكتب فيه عبد العزيز بن سعد إلى أبي جعفر فحدره إليه ، فكتب فيه زياد إلى عيسى بن عليّ وعبد الله بن الربيع الحارثيّ فخلّصاه حتى رجع إلى زياد . ١٤٨/٣

قال عليّ بن محمد : قدم محمد البصرة مختفياً في أربعين ، فأتَوْا عبدَ الرحمن ابن عثمان بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فقال له عبد الرحمن : أهلكتَني وشهرتَني ؛ فانزل عندي وفرّقْ أصحابك ، فأبى ، فقال : ليس لك عندي منزل ؛ فانزل في بني راسب ، فنزل في بني راسب .

وقال عمر [1] : حدّثني سليمان بن محمد الساريّ ، قال : سمعت أبا هبّار المُزَنيّ يقول : أقمنا مع محمد بن عبد الله بالبَصْرة يدعو الناس إلى نفسه .

قال : وحدثني عيسى بن عبد الله ، قال : قال أبو جعفر : ما طمعت في بغية لي قطّ إذا ذكرت مكان بني راسب بالبصرة .

قال : وحدّثني أبو عاصم النّبيل ، قال : حدثني ابن جَشِيب اللِّهْبِيّ ، قال : نزلتُ في بني راسب في أيام ابن معاوية ، فسألني فتًى منهم يوماً عن اسمي ، فلطمه شيخ منهم ، فقال : وما أنت وذاك ! ثم نظر إلى شيخ جالس بين يديه ، فقال : أترى هذا الشيخ نزل فينا أبوه أيام الحجاج ، فأقام حتى ولد له هذا الولد ، وبلغ هذا المبلغ ، وهذه السنّ ! لا [2] والله ما ندري ما اسمه ولا اسم أبيه ، ولا ممن هو !

قال : وحدّثني محمد بن الهذيل ، قال : سمعتُ الزّعفرانيّ يقول : قدم محمد ، فنزل على عبد الله بن شيبان أحد بني مُرّة بن عبيد ، فأقام ستة أيام ، ثم خرج فبلغ أبا جعفر مقدمُه البصرة ، فأقبل مُغِذًّا حتى نزل الجسر ١٤٩/٣

---

(١) ت : « أبو زيد » . (٢) ط : « ولا » ، وما أثبته من ت .

الأكبر ، فأردنا عمراً[1] على لِقائه ، فأبى حتى غلبناه ، فلقيَه فقال : يا أبا عثمان ، هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا ؟ قال : لا[1] قال : فأقتصرُ على قولك وأنصرف ؟ قال : نعم ؛ فانصرف ، وكان محمد قد خرج قبل مقدَم أبي جعفر .

قال عليّ بن محمد : حدّثني عامر بن أبي محمد ، قال : قال أبو جعفر لعمرو بن عبيد : أبايعتَ محمداً ؟ قال : أنا والله لو قلّدتْنِي الأمّة أمورها ما عرفتُ لهما موضعاً .

قال عليّ : وحدثني أيوب القَزّاز ، قال : قلت لعمرو : ما تقول في رجل رضي بالصبر على ذهاب دينه ؟ قال : أنا ذاك ، قلت : وكيف ؛ ولو دعوتَ أجابك ثلاثون ألفاً ! قال : والله ما أعرف موضع ثلاثة إذا قالوا وفَّوْا ، ولو عرفتُهُم لكنت لهم رابعاً .

قال أبو زيد : حدّثني عبيد الله بن محمد بن حفص ، قال : حدّثني أبي ، قال : وجِل محمد وإبراهيم بن أبي جعفر ، فأتيا عدَن ، ثم سارا إلى السند ثم إلى الكوفة ، ثم إلى المدينة .

قال عمر : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : تكفّل زياد لأمير المؤمنين بابنْي عبد الله أن يخرجهما له ، فأقرّه على المدينة ، فكان حسن بن زيد إذا علم من أمرهما علماً كفّ حتى يفارقا مكانهما ذلك ؛ ثم يخبر أبا جعفر ، فيجد الرَّسم الذى ذكر ، فيصدقه بما رفع إليه ؛ حتى كانت سنة أربعين ومائة ، فحجّ فقسّم قسوماً خصّ فيها آل أبي طالب فلم يظهر له ابنا عبد الله ؛ فبعث إلى عبد الله فسأله عنهما ، فقال : لا علم لي بهما ؛ حتى تغالظا ، فأمصّه[2] أبو جعفر ، فقال : يا أبا جعفر ، بأيّ أمهاتي تُمصّني ! أبفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم بفاطمة بنت

٣/١٥٠

(١ – ١) في ابن الأثير : «فلقيه عمرو بن عبيد ، فقال له : يا أبا عثمان ؛ هل بالبصرة أحد تخافه على أمرنا ؟ ، قال : لا » ؛ وهذه العبارة أوضح .

(٢) في اللسان : « مصان ومصانة : شتم للرجل يعير برضع الغنم من أخلافها بفيه . . . يعنون أنه يرضع الغنم من اللؤم ؛ لا يحتلبها فيسمع صوت الحلب ؛ ولهذا قيل : لئيم راضع ، ويقال : أمص فلان فلاناً ؛ إذا شتمه بالمصان » ، وفي الأغاني : « فأمضه » .

أسد ، أم بفاطمة بنت حسين ، أم أمّ إسحاق بنت طلحة ، أم خديجة بنت خويلد ؟ قال : لا بواحدة منهنّ ؛ ولكن بالجرباء بنت قسامة بن زهير — وهى امرأةٌ من طيّئ — قال : فوثب المسيّب بن زهير ، فقال : دعْنى يا أميرَ المؤمنين أضرب عنق ابن الفاعلة . قال : فقام زياد بن عبيد الله ، فألقى عليه رداءَه ، وقال : هبه لى يا أمير المؤمنين ؛ فأنا أستخرج[1] لك ابنيْه فتخلّصه منه[2] .

قال عمر : وحدثنى الوليد بن هشام بن قَحْذم ، قال : قال الحزين الدّيلىّ لعبد الله بن الحسن ينعيَ عليه ولادة الجرباء :

لعَلَّك بالجَرْباءِ أَو بحكاكةٍ تُفاخِرُ أُمَّ الفَضْل وابنَة مِشْرح[3]
وما منهما إلا حَصانٌ نجيبةٌ لها حَسَبٌ فى قومها مُترجّحُ

١٥١/٣ قال عمر : وحدثنى محمد بن عبّاد ، قال : قال لى السندىّ مولى أمير المؤمنين : لما أخبر عقبة بن سلم أبا جعفر، أنشأ الحجّ[4] وقال لعقبة : إذا صرت بمكان كذا وكذا لقيَنى بنو حسن ، فيهم عبد الله ، فأنا مبجّله ورافعٌ مجلسه وداع بالغداء ؛ فإذا فرغنا من طعامنا فلحظتُك فامثل بين يديه قائمًا ، فإنه سيصرف بصره عنك ، فدر[4] حتى تغمز ظهرَه بإبهام رجلك حتى يملأ عينه[5] منك ثم حسبُك ؛ وإياك أن يراك ما دام يأكل . فخرج حتى إذا تدفّع فى البلاد لقيه بنو حسن ، فأجلس عبدَ الله إلى جانبه ، ثم دعا بالطعام فأصابوا منه ؛ ثم أمر به فرفع ، فأقبل على عبد الله ، فقال : يا أبا محمد ، قد علمتَ ما أعطيتَنى من العهود والمواثيق ألاّ تبغيَنى سوءاً ، ولا تكيد لى سلطانًا ، قال : فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فلحظ أبو جعفر عُقْبة ، فاستدار حتى قام بين يديه ، فأعرض عنه ، فرفع رأسه حتى قام من وراء ظهره ؛ فغمزه بأصبعه ، فرفع رأسه فملأ عينه منه ، فوثب حتى جثا بين يدى أبى جعفر ، فقال : أقِلْنى يا أميرَ المؤمنين أقالك الله ! قال : لا أقالنى الله إن أقلتُك ، ثم أمر بحبسه[6] .

---

(١) الأغانى : « المستخرج » .
(٢) الخبر فى الأغانى ١٨ : ٢٠٧ (ساسى) .
(٣) ب : « فامثل » .
(٤) أى عزم على الحج .
(٥) الأغانى : « عينيه » .
(٦) الأغانى ١٨ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

قال عمر : وحدثنى بكر بن عبد الله بن عاصم مولى قُرَيبةَ بنت عبدالرحمن ابن أبى بكر الصديق ، قال : حدّثنى علىّ بن رَباح بن شبيب ، أخو إبراهيم ، عن صالح صاحب المصلّى ، قال : إنى لواقفٌ على رأس أبى جعفر وهو يتغدّى بأوْطاس ؛ وهو متوجّه إلى مكة ، ومعه على مائدته عبدُ الله بن حسن وأبو الكرام [الجعفرىّ] [١] وجماعة من بنى العباس ؛ فأقبل على عبدالله ، فقال : يا أبا محمد ، محمد وإبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتى ؛ وإنى لأحبّ أن يأنسا بى [٢] ، وأن يأتيانى فأصِلَهما وأخلطهما بنفسى — قال وعبد الله مطرِق [٣] طويلا ثم رفع رأسه — فقال [٤] : وحقّك يا أميرَ المؤمنين ، فما لى بهما ولا بموضعهما من البلاد علْم ؛ ولقد خرجا من يدى ؛ فيقول أبو جعفر : لا تفعل يا أبا محمد ، اكتب إليهما وإلى من يوصّل كتابك إليهما . قال : فامتنع أبو جعفر ذلك اليوم من عامّة غَدائه إقبالاً على عبد الله ، وعبد الله يحلف ما يعرف موضعهما وأبو جعفر يكرّر عليه : لا تفعل يا أبا محمد ، لا تفعل يا أبا محمد ، لا تفعل يا أبا محمد . قال : فكان شدّة هرب محمد من أبى جعفر أنّ أبا جعفر كان عقد له بمكة فى أناس من المعتزلة [٥] .

١٥٢/٣

قال عمر : حدثنى أيوب بن عمر — يعنى ابن أبى عمرو — قال : حدثنى محمد بن خالد [٦] بن إسماعيل بن أيوب بن سلَمة المخزومىّ ، قال : أخبرَنى أبى ، قال : أخبرنى العباس بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، قال : لما حجّ أبو جعفر فى سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن ؛ فإنهما وإياى لعنده ؛ وهو مشغول بكتاب ينظر فيه ؛ إذْ تكلم المهدىّ فلحن ، فقال عبد الله : يا أميرَ المؤمنين ، ألا تأمر بهذا مَنْ يعدّل لسانه ؛ فإنه يغفل [٧] غفل الأمَة ! فلم يفهم ؛ وغمزتُ عبد الله فلم ينتبه لها ، وعاد لأبى جعفر فاحتفظ [٨] من ذلك ، وقال : أين ابنك ؟ فقال : لا أدرى ، قال : لتأتينّى به ؛ قال : لو كان تحت قدمىّ ما رفعتهما عنه ، قال : يا ربيع قمْ به [٩] إلى الحبس [١٠] .

١٥٣/٣

---

(١) من الأغانى .
(٢) ط : « يأنسانى » ، والأجود ما أثبته من الأغانى وت .
(٣) الأغانى : « يطرق » .
(٤) الأغانى : « ثم يرفع رأسه ويقول » .
(٥) الأغانى ١٨ : ٢٠٧ (ساسى) .
(٦) الأغانى : « خلف » .
(٧) الأغانى : « يفعل فعل الأمة » .
(٨) الأغانى : « فاحفظ » .
(٩) الأغانى : « فر به » .
(١٠) الخبر فى الأغانى ١٨ : ٢٠٨ (ساسى) .

قال عمر : حدّثنى موسى بن سعيد بن عبد الرحمن الجُمحىّ ، قال : لما تمثّل عبد الله بن حسن لأبى العباس :

ألم تر حوشبًا أمسى يبنّى بيوتًا نفعها لبنى بُقَيْلهْ[1]

لم تزل فى نفس أبى جعفر عليه ؛ فلما أمر بحبسه ، قال : ألست القائل لأبى العباس :

أَلم تَرَ حَوْشَبًا أَمْسَى يُبَنِّى بُيُوتًا نَفعُها لبنى بُقَيْلهْ

وهو آمن الناس عليك ، وأحسنهم إليك صنيعًا !

قال عمر : حدّثنا محمد بن يحيى ، قال : حدثنى الحارث بن إسحاق عن أبى حُنَيْن ، قال : دخلتُ على عبد الله بن حسن وهو محبوس ؛ فقال : هل حدث اليوم مِنْ خبر ؟ قلت : نعم ، قد أمر ببيع متاعك ورقيقك ، ولا أرى أحداً يقدم على شرائه ، فقال : ويحك يا أبا حُنين ! والله لو خُرِج بى وببناتى مسترقّين لاشتُرِينا !

قال عمر : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنا الحارث بن إسحاق قال : شخص أبو جعفر ، وعبد الله بن حسن محبوس ، فأقام فى الحبس ثلاث سنين .

قال عمر : وحدثنى عبد الله بن إسحاق بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب ، قال : حدثنى أبو حَرْملة محمد بن عثمان ، مولى آل عمرو بن عثمان ، قال : حدّثنى أبو هبّار المُزنىّ ، قال : لما حجّ أبو جعفر سنة أربعين ومائة ، حجّ تلك السنة محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، وهما متغيبان ، ١٥٤/٣ فاجتمعوا بمكة ، فأرادوا اغتيال أبى جعفر ، فقال لهم الأشتر : عبد الله بن محمد ابن عبد الله ، أنا أكفيكموه ، فقال محمد : لا والله لا أقتله أبداً غِيلَةً حتى أدعوه ؛ قال : فنقض أمرَهم ذلك وما كانوا أجمعوا عليه . ؛ وقد كان دخل

---

(١) الأغانى ١٨ : ٢٠٦ (ساسى) ، وبعده يقول :

يؤمِّل أن يعمَّر عُمْرَ نوح وأمرُ الله يحدث كلَّ لَيْلَهْ

معهم فى أمرهم قائد من قوّاد أبى جعفر من أهل خُراسان . قال : فاعترض لأبى جعفر إسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج ، فنمّى إليه أمرَهم ، فأرسل فى طلب القائد فلم يظفرْ به، وظفِر بجماعة من أصحابه ، وأفلت الرَّجُل وغلام له بمال زُهاء ألفى دينار كانت مع الغلام ، فأتاه بها وهو مع محمد ، فقسَمها بين أصحابه . قال أبو هبّار : فأمرنى محمد ، فاشتريت للرَّجُل أباعر وجهَّزته وحملته فى قبّة وقطرته ، وخرجت أريد به المدينة حتى أوردتُه إياها . وقدم محمد فضمّه إلى أبيه عبد الله، ووجّههما إلى ناحية من خُراسان . قال : وجعل أبو جعفر يقتل أصحاب ذلك القائد الذى كان من أمره ما ذكرتُ .

قال عمر : وحدّثنى محمد بن يحيى بن محمد ، قال : حدّثنى أبى عن أبيه ، قال : غدوتُ على زياد بن عبيد الله وأبو جعفر بالمدينة ، قال : فقال: أخبركم عجبًا مما لقيته اللَّيلة؛ طرقنى رسلُ أميرِ المؤمنين نصفَ الليل — وكان زياد قد تحوّل لقدوم أمير المؤمنين إلى داره بالبلاط — قال : فدقّتْ علىّ رسله ، فخرجت ملتحِفًا بإزارى[1] ؛ ليس علىّ ثوب غيره ، فنبهت غلمانًا لى وخصيانًا فى سقيفة الدار ، فقلت لهم: إن هدموا الدار فلا يكلمهم منكم أحد؛ قال : فدقوا طويلا ثم انصرفوا ، فأقاموا ساعة ، ثم طلعوا بجُرْز[2] شبيه أن يكون معهم مثلـه ؛ مرّة أو مرّتين ، فدقوا الباب بجِرزَة الحديد ، وصيَّحوا فلم يكلمهم أحد ، فرجعوا فأقاموا ساعة ، ثم جاءوا بأمر ليس عليه صَبْر ؛ فظننت والله أن قد هدموا الدار علىّ ، فأمرت بفتحها ، وخرجت إليهم فاستحثونى وهمُّوا أن يحملونى ، وجعلت أسمع العزاء من بعضهم حتى أسلمونى إلى دار مَرْوان ، فأخذ رجلان بعضدى ، فخرّجانى على حال الدفيف[3] على الأرض أو نحوه ؛ حتى أتيا بى حجرة القبّة العظمى ؛ فإذا الربيع واقفٌ ، فقال: ويحك يا زياد ! ماذا فعلت بنا وبنفسك منذ الليلة ! ومضى بى حتى كشف سِتر باب القبّة ، فأدخلنى ووقف خلْفى بين البابين ؛ فإذا الشمع فى نواحى القبّة ، فهى تزهر ، ووصيف قائم فى ناحيتها ، وأبو جعفر محتَبٍ بحمائل سيفه على بساط

١٥٥/٣

(١) ب : « إزارى » .
(٢) الجرز : عمود من حديد .
(٣) الدفيف : الدبيب ، أو السير اللين .

ليس تحته وسادة ولا مصلّى ، وإذا هو منكسٌ رأسَه ينقر بجرْز فى يده . قال : فأخبرنى الربيع أنها حاله من حين صلى العتَمة إلى تلك الساعة . قال : فما زلتُ واقفاً[1] حتى إنى لأنتظر نداء الصبح ، وأجد لذلك فَرَجاً ؛ فما يكلمنى بكلمة ، ثم رفع رأسه إلىّ ، فقال : يا بن الفاعلة ، أين محمد وإبراهيم ؟ قال : ثم نكس رأسه ، ونكت أطْوَل مما مضى له ، ثم رفع رأسه الثانية ، فقال : يابن الفاعلة ، أين محمد وإبراهيم ؟ قتلنى الله إن لم أقتلك ! قال : قلت له : اسمع منى ودعْنى أكلّمك ، قال : قل لى : أنت نفّرتهما عنك ؛ بعثت رسولا بالمال الذى أمرت بقَسْمِه على بنى هاشم ، فنزل القادسيّة ، ثم أخرج سِكينا يحدّه ، وقال : بعثنى أمير المؤمنين لأذبحَ محمداً وإبراهيم ، فجاءتهما بذلك الأخبار ، فهربا . قال : فصرفَنى فانصرفتُ . ١٠٦/٣

قال عمر : وحدّثنى عبد الله بن راشد بن يزيد — وكان يلقب الأكّار ، من أهل فَيْد — قال : سمعت نصر بن قادم مولى بنى محول الحنّاطين : قال : كان عبدويه وأصحاب له بمكة فى سنة حجّها أبو جعفر . قال : فقال لأصحابه : إنى أريد أن أوجر أبا جعفر هذه الحربة بين الصّفا والمروة . قال : فبلغ ذلك عبد الله بن حسن فنهاه ، وقال : أنت فى موضع عظيم ؛ فما أرى أن تفعل . وكان قائد لأبى جعفر يدعى خالد بن حسان ، كان يدعى أبا العساكر على ألف رجل ، وكان قد مَالأ عبدويه وأصحابه ؛ فقال له أبو جعفر : أخبرنى عنك وعن عبدويه والعُطارديّ ، ما أردتم أن تصنعوا بمكة ؟ قال : أردنا كذا وكذا ، قال : فما منعكم ؟ قال : عبد الله بن حسن ، قال : فطمره فلم ير حتى الساعة .

قال عمر : حدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنا الحارث بن إسحاق ، قال : جدّ أبو جعفر حين حبس عبد الله فى طلب ابنيه ، فبعث عيناً له ، وكتب معه كتاباً على ألسن الشيعة إلى محمد ، يذكرون طاعتهم ومسارعتهم ؛ وبعث معه بمال وألطاف ، فقدم الرّجل المدينة ، فدخل على عبد الله بن حسن ، فسأله عن محمد ، فذكر له أنه فى جبل جُهينة ، وقال : امرر بعلىّ بن حسن ، ١٠٧/٣

(١) ت : « واقفا بين يديه » .

الرّجل الصالح الذى يدعى الأغرّ ؛ وهو بذى الأبر ؛ فهو يرشدك . فأتاه فأرشده . وكان لأبى جعفر كاتب على سرّه، كان متشيّعاً، فكتب إلى عبدالله ابن حسن بأمر ذلك العيْن ، وما بُعث له ، فقدم الكتاب على عبد الله فارتاعوا ، وبعثوا أبا هبّار إلى علىّ بن الحسن وإلى محمد ، فيحذّرهم الرجل ؛ فخرج أبو هبّار حتى نزل بعلىّ بن حسن ، فسأله فأخبره أن قد أرشده إليه . قال أبو هبّار : فجئت محمداً فى موضعه الذى هو به، فإذا هو جالس فى كَهْف ، معه عبد الله بن عامر الأسلمىّ وابنا شجاع وغيرهم ، والرجل معهم أعلاهم صوتاً ، وأشدّهم انبساطاً ؛ فلما رآنى ظهر عليه بعض النّكَرة ، وجلست مع القوم ؛ فتحدّثت مليًّا ، ثم أصغيت إلى محمد ، فقلت : إنّ لى حاجةً ، فنهض ونهضت معه ، فأخبرته بخبر الرجل ، فاسترجع ، وقال : فما الرأى ؟ فقلت : إحدى ثلاث أيها شئت فافعل ؛ قال : وما هى ؟ قلت : تَدَعنى فأقتل الرجل ، قال : ما أنا بمقارف دماً إلّا مكرهاً ، أو ماذا ؟ قلت : توقرُه حديداً وتنقله معك حيث انتقلت ، قال : وهل بنا فراغ له مع الخوف والإعجال ! أو ماذا ؟ قلت : تشدُّه وتوثقه وتودعه بعض أهل ثقتك من جهينة ؛ قال : هذه إذاً ؛ فرجعنا وقد نذِر الرجل فهرب ، فقلت : أين الرجل ؟ قالوا : قام بركْوة فاصطبّ ماء؛ ثم توارى بهذا الظَّرب[1] يتوضأ، قال : فجُلنا فى الجبل وما حوله ؛ فكأنّ الأرض التأمت عليه . قال : وسعى على قدميه حتى شرع على الطريق ، فمرّ به أعراب معهم حُمولة إلى المدينة ، فقال لبعضهم : فرّغ هذه الغِرارة وأدخلنيها أكن عِدْلا لصاحبتها ولك كذا وكذا ، قال : نعم؛ ففرّغها وحمله حتى أقدمه بالمدينة . ثم قدِم على أبى جعفر فأخبره الخبر كلّه ، وعمىَ عن اسم أبى هبار وكنيته، وعلّق وبراً . فكتب أبو جعفر فى طلب وَبر المُزنىّ ، فحُمل إليه رجل منهم يدعىَ وبراً ، فسأله عن قصّة محمد وماحكى له العين ؛ فحلف أنه ما يعرف من ذلك شيئاً ؛ فأمر به فضرِب سبعمائة سوط ، وحبُس حتى مات أبو جعفر .

١٥٨/٣

قال عمر : حدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : ألحّ أبو جعفر فى طلب محمد ، وكتب إلى زياد بن عبيد الله الحارثىّ

(١) ت : « ثم دخل هذا الظرب » .

يتنجزّه[١] ما كان ضمِن له ، فقدم محمد المدينة قَدمةً ، فبلغ ذلك زياداً ، فتلطّف له وأعطاه الأمان على أن يظهر وجهه للناس معه ، فوعده ذلك محمد ، فركب زياد مغلّساً ، ووعد محمداً سوق الظهر ، فالتقيا بها ، ومحمد معلنٌ غير مختفٍ ، ووقف زياد إلى جنبه ، وقال : يأيها الناس ؛ هذا محمد بن عبد الله ابن حسن ، ثم أقبل عليه ، فقال : الحقْ بأىّ بلاد الله شئت ، وتوارى محمد ، وتواترت الأخبار بذلك على أبى جعفر .

قال عمر : حدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : حدّثنى من أصدّق ، قال : دخل إبراهيم بن عبد الله على زياد ، وعليه درع حديد تحت ثوبه ، فلمسها[٢] زياد . ثم قال : يا أبا إسحاق ؛ كأنك اتّهمتَنى ! ذلك[٣] والله ما ينالك منى أبداً .

قال عُمر : حدثنى عيسى ، قال : حدّثنى أبى ، قال : ركب زياد بمحمد ؛ فأتى به السوق فتصايح أهل المدينة : المهدىّ المهدىّ ! فتوارى فلم يظْهر ؛ حتى خرج .

١٥٩/٣

قال عمر : حدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : لمّا أن تتابعت الأخبار على أبى جعفر بما فعل زياد بن عبيد الله ، وجّه أبا الأزهر (رجلاً من أهل خُراسان) إلى المدينة ، وكتب معه كتاباً ، ودفع إليه كتباً ، وأمره ألّا يقرأ كتابه إليه حتى ينزل الأعوص ، على بريد من المدينة ، فلما أن نزله قرأه ؛ فإذا فيه توليةُ عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المدينة — وكان قاضياً لزياد بن عبيد الله — وشدُّ زياد فى الحديد ، واصطفاء ماله ، وقبضُ جميع ما وجد له ، وأخذُ عمّاله وإشخاصُه وإياهم إلى أبى جعفر . فقدم أبو الأزهر المدينة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين ومائة ، فوجد زياداً فى موكب له ، فقال : أين الأمير ؟ فقيل : ركب ، وخرجت الرّسل إلى زياد بقدومه ، فأقبل مسرعاً حتى دخل دار مَرْوان ، فدخل عليه أبو الأزهر ، فدفع إليه كتاباً من أبى جعفر فى ثُلُث يأمره أن يسمع ويطيع ؛ فلما قرأه قال : سمعاً وطاعة ، فمرْ يا أبا الأزهر بما أحببت ؛ قال : ابعث إلى

---

(١) ج : « يتنجزه » . (٢) ج : « فحبسها » . (٣) ت : « ذاك » .

عبد العزيز بن المطلب . فبعث إليه ، فدفع إليه كتابا أن يسمع لأبى الأزهر ؛ فلما قرأه قال : سمعًا وطاعة ؛ ثم دفع إلى زياد كتابًا يأمره بتسليم العمل إلى ابن المطلب ، ودفع إلى ابن المطلب كتاباً بتوليته ، ثم قال لابن المطلب : ابعث إلىّ أربعة كبول وحدّادًا ، فأتِىَ بهما فقال : اشدد أبا يحيى ، فشُدّ فيها وقبض ماله — ووجد فى بيت المال خمسة وثمانين ألف دينار — وأخذ عماله ، فلم يغادر منهم أحداً ، فشخص بهم وبزياد، فلما كانوا فى طرف المدينة وقف له عماله يسلّمون عليه ، فقال : بأبى أنتم ! والله ما أبالى إذا رآكم أبو جعفر ما صنع بى ! أى من هيئتهم ومروّتهم . ١٦٠/٣

قال عمر : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، عن خاله علىّ بن عبد الحميد ، قال : شيّعنا زياداً ، فسرت تحت محمله ليلة ، فأقبل علىّ فقال : والله ما أعرف لى عند أمير المؤمنين ذنبًا ؛ غير أنى أحسبه وجَد علىّ فى ابنىْ عبد الله ، ووجَد دماء بنى فاطمة علىّ عزيزة . ثم مضوا حتّى كانوا بالشقراء ؛ فأفلت منهم محمد بن عبد العزيز ، فرجع إلى المدينة ، وحبس أبو جعفر الآخرين ، ثم خلّى عنهم .

قال : وحدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : حدّثنى مَنْ أصدّق ، قال : لما أنْ وجّه أبو جعفر مبهوتًا وابن أبى عاصية فى طلب محمد، كان مبهوت الذى أخذ زياداً ، فقال زياد :

أكلَّفُ ذنبَ قومٍ لستُ منهمْ وما جَنَتِ الشِّمال على اليمين

قال : وحدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال ، حدّثنى عبد الله بن عمران بن أبى فروة ، قال : كنت أنا والشعبانىّ — قائد كان لأبى جعفر — مع زياد بن عبيدالله نختلف إلى أبى الأزهر أيام بعثه أبو جعفر فى طلب بنى حسن ، فإنى لأسير مع أبى الأزهر يومًا إذْ أتاه آتٍ فلصق به ، فقال : إنّ عندى نصيحة فى محمد وإبراهيم ، قال : اذهب عنّا ، قال : إنها نصيحة لأمير المؤمنين ، قال : اذهبْ عنّا ، ويلك قد قتل [1] الخلق ! قال : فأبى أن ينصرف ، فتركه أبو الأزهر حتّى خلا الطريق ، ثم بعج بسيفه بطنه بَعْجةً ألقاه ناحية . ١٦١/٣

(١) ت : « قتلنا » .

ثمّ استعمل أبو جعفر على المدينة محمد بن خالد بعد زياد ؛ فذكر عمر أن محمد بن يحيى حدّثه ، قال : حدّثنا الحارث بن إسحاق ، قال : استعمل أبوجعفر على المدينة محمد بن خالد بعد زياد ، وأمره بالجِدّ فى طلب محمد ، وبسط يده فى النفقة فى طلبه . فأغذّ السير حتى قدم المدينة هلال رجب سنة إحدى وأربعين ومائة ، ولم يعلم به أهل المدينة حتى جاء رسوله من الشُّقرة — وهى بين الأعوص والطَّرَف على ليلتين من المدينة — فوجد فى بيت المال سبعين ألف دينار وألف ألف درهم ؛ فاستغرق ذلك المال ؛ ورفع فى محاسبته أموالاً كثيرة أنفقها فى طلب محمد ، فاستبطأه أبو جعفر واتّهمه ؛ فكتب إليه أبو جعفر يأمره بكشف المدينة وأعراضها ؛ فأمر محمد بن خالد أهلَ الديوان أن يتجاعلوا لمن يخرج ؛ فتجاعلوا رباع الغاضرىّ المضحك — وكان يداين الناس بألف دينار — فهلكت وتويت[1] ، وخرجوا إلى الأعراض لكشفها عن محمد ، وأمر القسرىّ أهل المدينة ؛ فلزموا بيوتهم سبعة أيام ، وطافت رسله والجند ببيوت الناس يكشفونها ؛ لا يحسون شيئاً ، وكتب القسرىّ لأعوانه صِكاكاً يتعزّزون بها ، لئلا يعرض لهم أحد ؛ فلمّا استبطأه أبو جعفر ورأى ما استغرق من الأموال عزله .

قال : وحدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : أخبرنى حسين بن يزيد ، عن ابن ضبّة ، قال : اشتدّ أمر محمد وإبراهيم على أبى جعفر ؛ فبعث فدعا أبا السعلاء من قيس بن عيلان ، فقال : ويلك ! أشر علىّ فى أمر هذين الرجلين ؛ فقد غمّنى أمرهما ، قال : أرى لك أن تستعمل رجلاً من ولد الزُّبير أو طلحة ؛ فإنهم يطلبونهما بذَحْل ؛ فأشهد لا يُلبثونهما أو يخرجوهما إليك . قال : قاتلك الله ؛ ما أجود رأياً جئت به ! والله ما غَبِىَ هذا علىّ ؛ ولكنى أعاهد الله ألاّ أثّئر من أهل بيتى بعدوّى وعدوّهم ؛ ولكنى أبعث عليهم صُعيليكاً[2] من العرب ، فيفعل ما قلت ، فبعث رياح بن عثمان بن حيّان .

١٦٢/٣

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى عبد الله بن يحيى ، عن

---

(١) تويت بمعنى هلكت .
(٢) ط : « صعليكا » .

موسى بن عبد العزيز ؛ قال : لما أراد أبو جعفر عزل محمد بن خالد عن المدينة ركب ذات يوم ؛ فلما خرج من بيته استقبله يزيد بن أسيد السلمىّ ، فدعاه فسايره . ثم قال : أما تدلّنى على فتًى من قيس مُقلّ ، أغنيه وأشرّفه وأمكّنه من سيد اليمن يلعب به ؟ يعنى ابن القسرىّ ؛ قال : بلى ، قد وجدته يا أمير المؤمنين ، قال : مَنْ هو ؟ قال : رياح بن عثمان بن حيّان المرىّ ، قال : فلا تذكرنّ هذا لأحد ، ثم انصرف فأمر بنجائب وكسوة ورحال ؛ فهيئت للمسير ؛ فلما انصرف من صلاة العتَمة دعا برياح ، فذكر له ما بلا من غشّ زياد وابن القسرىّ فى ابنَىْ عبد الله ، وولاه المدينة ؛ وأمر بالمسير من ساعته قبل أن يصل إلى منزله ، وأمره بالجدّ فى طلبهما ؛ فخرج مسرعًا ، حتى قدمها يوم الجمعة لسبع ليال بقين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين ومائة . ١٦٣/٣

قال : وحدّثنى محمد بن معروف ، قال : أخبرنى الفضل بن الربيع ، عن أبيه ، قال : لما بلغ أمر محمد وإبراهيم من أبى جعفر ما بلغ خرجت يومًا من عنده — أو من بيتى — أريده ؛ فإذا أنا برجل قد دنا منى ، فقال : أنا رسول رياح بن عثمان إليك ، يقول لك : قد بلغنى أمر محمد وإبراهيم وإدْهان الولاة فى أمرهما ؛ وإنْ ولّانى أمير المؤمنين المدينة ضَمنت له أحدهما ، وألاّ أظهرهما . قال : فأبلغتُ ذلك أميرَ المؤمنين . فكتب إليه بولايته ، وليس بشاهد .

ذكر عمر بن شبّة ، عن محمد بن يحيى ، عن عبد الله بن يحيى ، عن موسى ابن عبد العزيز ، قال : لما دخل رياح دار مَرْوان ، فصار فى سقيفتها ، أقبل على بعض مَن معه ، فقال : هذه دار مروان ؟ قالوا : نعم ، قال : هذه المحلال المظعان ، ونحن أوّل من يظعن منها .

قال عمر : حدّثنى أيوب بن عمر ، قال : حدّثنى الزبير بن المنذر مولى عبد الرحمن بن العوّام ، قال : قدم رياح بن عثمان ، فقدم معه حاجب له يكنى أبا البخترىّ — وكان لأبى صديقًا زمان الوليد بن يزيد . قال : فكنت

آتيه لصداقته لأبى — فقال لى يوماً: يا زُبير، إن رياحاً لما دخل دار مروان قال لى: هذه دار مَرْوان؟ أما والله إنها لَحْلال مِظْعان؛ فلما تكشف الناس عنه — وعبد الله محبوس فى قبة الدار التى على الطريق إلى المقصورة، حبَسه فيها زياد بن عبيد الله — قال لى: يا أبا البَخترىّ، خذ بيدى ندخل على هذا الشيخ، فأقبل متّكئاً علىّ حتى وقف على عبد الله بن حسن، فقال: أيّها الشيخ، إن أمير المؤمنين والله ما استعملنى لرحم قريبة، ولا يد [1] سلفت إليه؛ ١٦٤/٣ والله لا لعبتَ بى كما لعبت بزياد وابن القسرىّ، والله لأزهقنّ [2] نفسك أو لتأتينى بابنيْك محمد وإبراهيم! قال: فرفع رأسه إليه وقال: نعم، أما والله إنك لأزيْرق قيس المذبوح فيها كما تذبح الشاة. قال أبو البَخترىّ: فانصرف رياح والله آخذاً بيدى، أجد برد يده، وإنّ رجليه لتخطّان مما كلّمه، قال: قلت: والله إنّ هذا ما اطّلع على الغيب، قال: إيهاً ويلك! فوالله ما قال إلا ما سمع؛ قال: فذُبح والله فيها ذبح الشاة.

قال: وحدّثنى محمد بن يحيى، قال: حدّثنا الحارث بن إسحاق، قال: قدم رياح المدينة، فدعا بالقسرىّ، فسأله عن الأموال؛ فقال: هذا كاتبى هو أعلم بذلك منى، قال: أسألك وتحيلنى على كاتبك! فأمر به فوُجئت عنقه، وقنّع أسواطاً، ثم أخذ رزاماً كاتب محمد بن خالد القسرىّ ومولاه فبسط عليه العذاب، وكان يضربه فى كلّ غبّ خمسة عشر سوطاً، مغلولة [3] يده إلى عنقه من بُكرة إلى الليل؛ يتبع به أفناء المسجد والرّحبة، ودسّ إليه فى الرفع على ابن خالد فلم يجد عنده فى ذلك مساغاً، فأخرجه عمر بن عبد الله الجذامىّ — وكان خليفة صاحب الشُّرَط يوماً من الأيام — وهو يريد ضربه، وما بين قدميه إلى قرنه قرحة، فقال له: هذا يوم غبّك، فأين تحبّ أن نجلدك؟ قال: والله ما فى بدنى موضع لضرب؛ فإن شئتَ فبطون كفى، ١٦٥/٣ فأخرج كفّيه فضرب فى بطونهما خمسة عشر سوطاً. قال: فجعلت رسل رياح تختلف إليه، تأمره أن يرفع على ابن خالد ويخلّى سبيله، فأرسل إليه: مُرْ بالكفّ عنى حتى أكتب كتاباً، فأمر بالكفّ عنه، ثم ألحّ عليه وبعث إليه:

(١) ابن الأثير: «ولا ليد». (٢) ب: «لأرهقن». (٣) ب: «معلقة».

أن رُحْ بالكتاب العشيّة على رءوس الناس ، فادفعه إلىّ . فلما كان العشىّ أرسل إليه فأتاه وعنده جماعة فقال : أيّها الناس ، إن الأمير أمرنى أن أكتب كتاباً ، وأرفع على ابن خالد ؛ وقد كتبت كتاباً أتنجّى[1] به ، وأنا أشهدكم أن كلّ ما فيه باطل . فأمر به رياح فضرب مائة سوط ، ورُدّ إلى السجن .

قال عمر : حدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : حدّثنى عمى عبيد الله بن محمد بن عمر بن علىّ ، قال : لما أهبط الله آدم من الجنّة رفعه على أبى قُبيس ، فرفع له الأرض جميعًا حتى رآها وقال : هذه كلها لك ، قال : أىْ ربّ ، كيف أعلم ما فيها ؟ فجعل له النجوم ، فقال : إذا رأيت نجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، وإذا رأيت نجم كذا وكذا كان كذا وكذا ؛ فكان يعلم ذلك بالنجوم . ثم إن ذلك اشتدّ عليه ، فأنزل الله عزّ وجلّ مرآة من السماء يرى بها ما فى الأرض حتى إذا ما مات آدم عمَد إليها شيطان يقال له فقطس فكسرها ، وبنى عليها مدينة بالمشرق يقال لها جابرت ؛ فلما كان سليمان بن داود سأل عنها ، فقيل له : أخذها فقطس . فدعاه فسأله عنها ، فقال : هى تحت أواسى جابرت ، قال : فأتِنى بها ، قال ومَنْ يهدمها ؟ فقالوا لسليمان : قل له : أنت ، فقال سليمان : أنت ، فأتى بها سليمان ، فكان يجبر بعضها إلى بعض ثم يشدّها فى[2] أقطارها بسير ، ثم ينظر فيها ؛ حتى هلك سليمان ؛ فوثبتْ عليها الشياطين ؛ فذهبت بها وبقيت منها بقية ، فتوارثتْها بنو إسرائيل حتى صارت إلى رأس الجالوت ؛ فأتِىَ بها مَرْوان بن محمد ؛ فكان يحكّها ويجعلها على مرآة أخرى فيرى فيها ما يكره ، فرمى بها وضرب عنق رأس الجالوت ، ودفعها إلى جارية له ، فجعلتها فى كرسفة ، ثم جعلتها فى حجر ؛ فلما استخلف أبو جعفر سأل عنها فقيل له : هى عند فلانة ؛ فطلبها حتى وجدها ، فكانت عنده ؛ فكان يحكّها ويجعلها على مرآة أخرى فيرى فيها ؛ وكان يرى محمد ابن عبد الله ؛ فكتب إلى رياح بن عثمان : إنّ محمداً ببلاد فيها الأترجّ والأعناب فاطلبه بها . وقد كتب إلى محمد بعض أصحاب أبى جعفر : لا تقيمنّ فى موضع إلّا بقدْر مسير البريد من العراق إلى المدينة ؛ فكان يتنقّل فيراه

١٦٦/٣

(١) كذا فى ج ، وفى ط : « أتنحى » . (٢) ج : « من » .

بالبَيْضاء ، وهي من وراء الغابة على نحو من عشرين ميلا ؛ وهي لأشجع . فكتب إليه : إنه ببلاد بها الجبال والقِلاّت ، فيطلبه فلا يجده . قال : فكتب إليه إنه بجبل به الحبّ الأخضر والقَطِران ، قال : هذه رضوى ؛ فطلبه فلم يجده .

قال أبو زيد : حدّثني أبو صفوان نصر بن قُديد بن نصر بن سيار ، أنه بلغه أنه كان عند أبي جعفر مرآة يَرى فيها عدّوه من صديقه .

١٦٧/٣ قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : جدّ رياح في طلب محمد ، فأخبِر أنه في شِعْب من شِعاب رَضْوى — جبل جهينة ، وهي من عمل ينبُع — فاستعمل عليها عمرو بن عثمان بن مالك الجُهنيّ أحد بني جُشم ، وأمره بطلب محمد ، فطلبه فذُكِر له أنه بشِعْب من رَضْوَى ، فخرج إليه بالخيل والرّجال ، ففزع منه محمد ، فأحضر شدًّا ، فأفلت وله ابن صغير ، ولد في خوفه ذلك ؛ وكان مع جارية له ؛ فهوى من الجبل فتقطّع ، وانصرف عمرو بن عثمان .

قال : وحدّثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائيّ ، قال : لما سقط ابن محمد فمات ولقي محمد ما لقي ، قال :

منخرق السّربال يشكو الوَجَى تَنكُبُهُ أطرافُ مَرْوٍ حِدَادْ
شرّده الخوفُ فأزْرَى به كذاك مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجلادْ
قد كان في الموت له راحةٌ والموتُ حتمٌ في رقاب العبادْ

قال : وحدّثني عيسى بن عبد الله ، قال : حدّثني عمّي عبيد الله بن محمد ، قال : قال محمد بن عبد الله : بينا أنا في رَضْوَى مع أمَة لي أمّ ولد ، معها بُنيّ لي ترضعه ؛ إذا ابن سَنُوطَى (مولى لأهل المدينة)، قد هجم عليّ في الجبل يطلبني ؛ فخرجت هاربًا ، وهربت الجارية . فسقط الصبيّ منها فتقطّع ، فقال عبيد الله : فأتِيَ بابن سنوطى إلى محمد بعد حين ظهر ، فقال : ١٦٨/٣ يابن سنوطى ، أتعرف حديث الصبيّ ؟ قال : إي والله ؛ إني لأعرفه ، فأمر به فحُبس ؛ فلم يزل محبوسًا حتى قتِل محمد .

قال : وحدّثنى عبد العزيز بن زياد ، قال : حدّثنى أبى قال : قال محمد : إنى بالحرّة مصعد ومنحدر ، إذا أنا برياح والخيل ، فعدلتُ إلى بئر فوقفت بين قرنَيْها ، فجعلت أستقى ، فلقيَنى رياح صَفْحًا ، فقال : قاتله الله أعرابيًّا ما أحسن ذراعه !

قال : وحدّثنى ابن زبالة ، قال : حدّثنى عثمان بن عبد الرحمن الجُهنىّ عن عثمان بن مالك ، قال : أذلق[1] رياح محمدًا بالطلب ؛ فقال لى : اغدُ بنا إلى مسجد الفَتْح ندع الله فيه . قال : فصلّيتُ الصُّبح ، ثم انصرفت إليه ، فغدَونا وعلى محمد قميص غليظ ورداء قرقبىّ مفتول ؛ فخرجنا من موضع كان فيه ؛ حتى إذا كان قريبًا التفت ، فإذا رياح فى جماعة من أصحابه رُكْبان ، فقلت له : هذا رياح ؛ إنا لله وإنا اليه راجعون ! فقال غير مكترث به : امض ؛ فمضيت وما تنقلنى رجلاى ، وتنحّى هو عن الطريق ؛ فجلس وجعل ظهره مما يلى الطريق ، وسدّل هُدْب ردائه على وجهه — وكان جسيمًا — فلما حاذاه[2] رياح التفت إلى أصحابه ، فقال : امرأة رأتنا فاستحيتْ . قال : ومضيتُ حتى طلعت الشمس[3] ، وجاء رياح فصعد وصلى ركعتين ، ثم انصرف من ناحية بُطْحان ، فأقبل محمد حتى دخل المسجد ، فصلى ودعا ، ولم يزل محمد بن عبد الله ينتقل من موضع إلى موضع إلى حين ظهوره .

١٦٩/٣

ولما طال على المنصور أمرُه ؛ ولم يقدر عليه وعبد الله بن حسن محبوس ، قال عبد العزيز بن سعيد — فيما ذُكر عن عيسى بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمران بن أبى فروة — قال لأبى جعفر : يا أميرَ المؤمنين ، أتطمع أن يخرج لك محمد وإبراهيم وبنو حسن مخلّون ! والله للواحد منهم أهيب فى صدور الناس من الأسد . قال : فكان ذلك الذى هاجه على حَبْسهم . قال ؛ ثم دعاه فقال : من أشار عليك بهذا الرأى ؟ قال : فليح بن سليمان ، فلما مات عبد العزيز ابن سعد — وكان عينًا لأبى جعفر وواليًا على الصدقات — وضع فُليح بن سليمان فى موضعه ، وأمر أبو جعفر بأخذ بنى حسن .

قال عيسى : حدثنى عبد الله بن عمران بن أبى فروة ، قال : أمر أبو جعفر

(١) أذلقه : أقلقه . (٢) كذا فى ت . (٣) ت : « طلعت المسجد » .

رياحاً بأخذ بنى حسن ، ووجّه فى ذلك أبا الأزهر المهرىّ — قال : وقد كان حبَس عبد الله بن حسن فلم يزل محبوساً ثلاث سنين ؛ فكان حسن بن حسن قد نصَل خضابُه تسلّيًا على عبد الله ؛ فكان أبو جعفر يقول : مافعلت الحادّة ؟ قال : فأخذ رياح حسناً وإبراهيم ابنىْ حسن بن حسن ، وحسن بن جعفر بن حسن بن حسن ، وسليمان وعبد الله ابنىْ داود بن حسن بن حسن ، ومحمداً وإسماعيل وإسحاق ابنى إبراهيم بن حسن بن حسن ، وعباس بن حسن بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب ، أخذوه على بابه ؛ فقالت أمه عائشة ابنة طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر : دعونى أشمّه ، قالوا : لاوالله ؛ ما كنتِ حيةً فى الدنيا ؛ وعلىّ بن حسن بن حسن بن حسن العابد . ١٧٠/٣

قال : وحدّثنى إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم ، قال : حبس معهم أبو جعفر عبد الله بن حسن بن حسن أخا علىّ .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنا الحارث بن إسحاق ، قال : جهر رياح بشتم محمد وإبراهيم ابنىْ عبد الله ، وشتم أهل المدينة . قال : ثم قال يوماً وهو على المنبر يذكرهما : الفاسقين الخالعين الحاربيْن . قال : ثم ذكر ابنة أبى عبيدة أمهما ، فأفحش لها ، فسبّح الناس وأعظموا ما قال ، فأقبل عليهم ، فقال : إنكم لا كلنا[1] عن شتمهما ، ألصق الله بوجوهكم الذلّ والهوان ! أما والله لأكتبنّ إلى خليفتكم فلأعلمنّه غِشّكم وقلة نُصحكم . فقال الناس : لا نسمع منك يابن المحدود ؛ وبادروه بالحصى ، فبادر واقتحم دار مروان وأغلق عليه الباب ، وخرج الناس حتى صفّوا وجاهه[2] ، فرموه وشتموه ثم تناهوا وكفّوا .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الثقة عندى ، قال : حبس معهم موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ وعلىّ بن محمد ابن عبد الله بن حسن بن حسن عند مقدمه من مصر .

قال : وحدّثنى عبد الله بن عمر بن حبيب ، قال : وجّه محمد بن عبد الله ابنه عليًّا إلى مصر ، فدلّ عليه عاملها ، وقد همّ بالوثوب ، فشدّه وأرسل به ١٧١/٣

(١) كذا فى ط .
(٢) ت : « وجاهد » .

إلى أبى جعفر ؛ فاعترف له ، وسمّى أصحاب أبيه ، فكان فيمن سمّى عبد الرحمن ابن أبى الموالى وأبو حنين ؛ فأمر بهما أبو جعفر فحبِسا ، وضرِب أبو حنين مائة سوط .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : مرّ حسن بن حسن بن حسن على إبراهيم ابن حسن وهو يعلف إبلا له ؛ فقال : أتعلف إبلك وعبد الله محبوس ! أطلق عُقُلَها يا غلام ، فأطلقها ، ثم صاح فى أدبارها فلم يوجد منها واحدة .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى علىّ بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ ، قال : حضرنا باب رياح فى المقصورة ، فقال الآذن : مَنْ كان ها هنا من بنى حسين فليدخل ؛ فقال لى عمّى عمر بن محمد : انظر ما يصنع القوم ، قال : فدخلوا من باب المقصورة وخرجوا من باب مرْوان . قال : ثمّ قال : من ها هنا من بنى حسن فليدخل ؛ فدخلوا من باب المقصورة ودخل الحدّادون من باب مَرْوان ، فدعِىَ بالقيود .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى أبى ، قال : كان رياح إذا صلى الصُّبح أرسل إلى وإلى قدامة بن موسى فيحدّثنا ساعة ؛ فإنا لعنده يومًا ؛ فلما أسفرنا إذا برجل متلفّف فى ساجٍ له ؛ فقال له رياح : مرحبًا بك وأهلا ، ما حاجتك ؟ قال : جئت لتحبسنى مع قومى ؛ فإذا هو علىّ بن حسن بن حسن بن حسن ، فقال : أما والله ليعرفنّها لك أمير المؤمنين ، ثم حبسه معهم . ١٧٢/٣

قال : وحدّثنى يعقوب بن القاسم ، قال : حدّثنى سعيد بن ناشرة مولى جعفر بن سليمان ، قال : بعث محمد ابنه عليًّا ، فأخِذ بمصر ، فمات فى سجن أبى جعفر .

قال : وحدثنى موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه موسى بن عبد الله ، قال : لما حُبِسنا ضاق الحبس بنا ، فسأل أبى رياحاً أن يأذن له فيشترى دارًا ، فيجعل حبسنا فيها ، ففعل ، فاشترى أبى دارًا فنُقلنا إليها ، فلما امتدّ بنا الحبس أتى محمد أمه هنداً فقال : إنى قد حمّلت أبى وعمومتى ما لا طاقة لهم به ؛ ولقد هممت أن أضع يدى فى أيديهم ؛ فعسى أن يخلّى عنهم . قال : فتنكرتْ ولبستْ أطمارًا ، ثم جاءت

السجن كهيئة الرسول ، فأذِن لها ، فلما رآها أبى أثبتها ، فنهض إليها فأخبرته عن محمد ، فقال : كلاَّ بل نصبر ؛ فوالله إنى لأرجو أن يفتح الله به خيراً ، قولى له : فليدْعُ إلى أمره، وليجدَّ فيه، فإن فرجَنا بيد الله . قال: فانصرفت وتمَّ محمد على بغيته .

* * *

[ذكر حمل ولد حسن بن حسن إلى العراق]

وفى هذه السنة حمل ولد حسن بن حسن بن علىّ من المدينة إلى العراق .

* ذكر الخبر عن سبب حملهم إلى العراق وما كان من أمرهم إذ حُملوا :

ذكر عمر ، قال : حدّثنى موسى بن عبد الله ، قال : حدّثنى أبى عن أبيه ، قال : لما حجّ أبو جعفر أرسل محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ومالك بن أنس إلى أصحابنا ، فسألهم[1] أن يدفعوا محمداً وإبراهيم ابنى عبد الله، قال : فدخل علينا الرجلان وأبى قائم يصلّى ، فأبلغاهم رسالته، فقال حسن بن حسن : هذا عمل ابنَىِ[2] المشئومة، أما والله ما هذا برأينا ، ولا عن ملأ منا ؛ ولا لنا فيه حيلة . قال: فأقبل عليه إبراهيم ، فقال : علام تؤذى أخاك فى ابنيه وتؤذى ابن أخيك فى أمه ؟ قال : وانصرف أبى من صلاته ؛ فأبلغاه ، فقال : لا والله لا أردّ عليكما حرفًا ؛ إن أحبّ أن يأذن لى فألقاه فليفعل ؛ فانصرف الرجلان فأبلغاه ، فقال : أراد أن يسخّرنى ؛ لا والله لا ترى عينه عينى حتى يأتيَنى بابنيه . ١٧٣/٣

قال : وحدّثنى ابنُ زبالة ، قال : سمعتُ بعض علمائنا يقول : ما سارّ عبدُ الله بن حسن أحدًا قطّ إلا فتله[3] عن رأيه .

قال : وحدثنى موسى بن عبد الله ، عن أبيه عن جده ، قال : ثم سار أمير المؤمنين أبو جعفر لوجهه حاجًّا ، ثم رجع فلم يدخل المدينة ؛ ومضى إلى الرَّبذة حتى أتى ثنْىَ رهوتها[4] .

---

(١) ج : « يسألهم » .
(٢) ج : « أمى » .
(٣) ابن الأثير : « قلبه » .
(٤) ت : « حتى أتى بها ونحن بها » .

قال عمر : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى الحارث بن إسحاق ، قال : لم يزل بنو حسن محبوسين عند رياح حتى حجّ أبو جعفر سنة أربع وأربعين ومائة ، فتلقّاه رياح بالرَّبَذة ، فردّه إلى المدينة ، وأمره بإشخاص بنى حسن إليه ، وبإشخاص محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان — وهو أخو بنى حسن لأمهم . أمهم جميعاً فاطمة بنت حسين[1] بن علىّ بن أبى طالب — فأرسل إليه رياح — وكان بماله ببدْر — فحدرهم[2] إلى المدينة ، ثم خرج رياح ببنى حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو إلى الرّبَذة ، فلما صار بقصر نفيس على ثلاثة أميال من المدينة ، دعا بالحدّادين والقيود والأغلال ، فألقى كلّ رجل منهم فى كَبْل وغُلّ ، فضاقت حَلْقتا قيد عبد الله بن حسن بن حسن ، فعضّتاه فتأوّه ؛ فأقسم عليه أخوه علىّ بن حسن ليحوّلنّ حلقتيْه عليه إن كانتا أوسع ، فحوّلتا عليه ، فمضى بهم رياح إلى الرّبَذة .

١٧٤/٣

قال : وحدّثنى إبراهيم بن خالد ، ابن أخت سعيد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء — وهو خال أمه — قال : لما حُمِل بنو حسن إلى أبى جعفر أُتِىَ بأقياد يقيَّدون بها ، وعلىّ بن حسن بن حسن قائم يصلى . قال : وكان فى الأقياد قيد ثقيل ، فكلّما قرب إلى رجل منهم تفادى منه واستعفى . قال : فانفتل علىّ من صلاته ، فقال : لشدّ ما جزعتم ، شَرْعُه هذا[3] ، ثم مدّ رجليه فقُيِّد به .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى عبد الله بن عمران ، قال : الذى حدّرهم إلى الربَذة أبو الأزهر .

قال عمر : حدثنى ابن زبالة ، قال : حدثنى حسين بن زيد بن علىّ ابن حسين ، قال : غدوتُ إلى المسجد ، فرأيت بنى حسن يُخرَج بهم من دار مرْوان مع أبى الأزْهر يُراد بهم الرّبَذة ، فانصرفت ، فأرسل إلىّ جعفر ابن محمد فجئته ، فقال : ما وراءك ؟ فقلت : رأيت بنى حسن يُخرج بهم فى محامل ، قال : اجلس ، فجلست ، فدعا غلاماً له ، ثم دعا ربه دعاء كثيراً ، ثم قال لغلامه : اذهب ، فإذا حُملوا فأتِ فأخبِرْنى ، فأتاه الرّسول ، فقال : قد أقبل بهم . قال : فقام جعفر بن محمد ، فوقف من وراء ستر شَعَر

١٧٥/٣

(١) ب « حسن » . (٢) ط : « فحدره » . (٣) ت : « بسرعة هذا » .

يبصر مَن وراءه ولا يبصره أحد ؛ فطلع بعبد الله بن حسن فى محمَل معادلُه مسوّد ، وجميع أهل بيته كذلك . قال : فلما نظر إليهم جعفر هملتْ عيناه حتى جرت دموعه[1] على لحيته ، ثم أقبل علىّ فقال : يا أبا عبد الله ؛ والله لا يحفظ لله حرْمة بعد هؤلاء .

قال : وحدّثنى محمد بن الحسن بن زبالة ، قال : حدثنى مصعب بن عثمان ، قال : لما ذُهب ببنى حسن لقيهم الحارث بن عامر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بالرَّبَذة ، فقال : الحمد لله الذى أخرجكم من بلادنا ، قال : فاشرأبّ له حسن بن حسن ، فقال له عبد الله : عزمتُ عليك إلا سكتّ !

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدثنى ابن أبرود حاجب محمد بن عبدالله قال : لما حُمل بنو حسن ، كان محمد وإبراهيم يأتيان معتمّين كهيئة الأعراب ، فيسايران أباهما ويسائلانه ويستأذنانه فى الخروج ؛ فيقول : لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك ؛ ويقول : إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين ؛ فلا يمنعْكما أن تموتا كريمين .

قال عمر : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى الحارث بن إسحاق ، قال : لما صار بنو حسن إلى الرَّبَذة دخل محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على أبى جعفر ، وعليه قميصٌ وساجٌ[2] وإزار رقيق تحت قميصه ؛ فلما وقف بين يديه ، قال : إيهًا يادَيّوث[3] ! قال محمد : سبحان الله ! والله لقد عرفتَنى بغير ذلك صغيراً وكبيراً ، قال : فمِمّ حملت ابنتُك ؟ وكانت تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن — وقد أعطيتنى الأيمان بالطلاق والعتاق ألا تغشنى ولا تمالئ علىّ عدوًّا ، ثم أنت تدخل على ابنتك متخضّبة متعطّرة ، ثم تراها حاملاً فلا يروعك حملها ! فأنت بين أن تكون حانثًا أو ديّوثًا ؛ وايم الله إنى لأهمّ برجْمها . فقال محمد : أما أيمانى فهى علىّ إن كنت دخلت لك فى أمر غشّ علمته ، وأما ما رميتَ به هذه الجارية ، فإن الله قد أكرمها عن ذلك بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها ؛ ولكنى قد ظننت حين ظهر

١٧٦/٣

---

(١) ب : « جرى دمعه » . (٢) الساج : الطيلسان الأخضر .
(٣) الديوث ؛ من التديث ؛ وهو القيادة .

حملها أنّ زوجها ألمّ بها على حين غفلة منا . فاحتفظ أبو جعفر من كلامه ، وأمر بشق ثيابه ، فشق قميصه عن إزاره ، فأشفّ عن عورته ، ثم أمر به فضرب خمسين ومائة سوط ؛ فبلغت منه كلّ مبلغ ، وأبو جعفر يفترى عليه ولا يكنى [١] ؛ فأصاب سوط منها وجهه ، فقال له : ويحك ! اكفف عن وجهى فإنّ له حرمةً من رسول [٢] الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فأغرى أبو جعفر ، فقال للجلاد : الرأس الرأس ، قال : فضُرب على رأسه نحواً من ثلاثين سوطاً ، ثم دعا بساجور من خشب شبيه به فى طُوله — وكان طويلا — فشدّ فى عنقه ، وشُدّت به يده ، ثم أخرج به ملبَّباً ، فلما طلع به من حجرة أبى جعفر ؛ وثب إليه مولى له ، فقال : بأبى أنت وأمى ألا ألوثُك بردائى ! قال : بلَى جُزِيت خيراً ؛ فوالله لشُفوف إزارى أشدّ علىّ من الضرب الذى نالنى ؛ فألقى عليه المولى الثوب ، ومضى به إلى أصحابه المحبَّسين [٣] .

٣/١٧٧

قال : وحدّثنى الوليد بن هشام ، قال : حدّثنى عبد الله بن عثمان ، عن محمد بن هاشم بن البريد ، مولى معاوية ، قال : كنتُ بالرَّبذة ، فأتِىَ ببنى حسن مغلولين ، معهم العثمانىّ كأنه خُلق من فضّة ، فأقعِدوا ، فلم يلبثوا حتى خرج رجل من عند أبى جعفر ، فقال : أين محمد بن عبد الله العثمانى ؟ فقام فدخل ، فلم يلبث أن سمعنا وقْع السِّياط ، فقال أيوب بن سلمة المخزومىّ لبنيه : يا بَنِىّ ؛ إنى لأرى رجلا ليس لأحد عنده هوادةٌ ، فانظروا لأنفسكم ؛ لا تسقطوا بشىء . قال : فأخرِج كأنه [٤] زنجىّ قد غيَّرت السياطُ لونَه ، وأسالت دَمه ، وأصاب سوط منها إحدى عينيْه فسالتْ ، فأقعِد إلى جنب أخيه عبد الله بن حسن بن حسن ، فعطش فاستسقى ماء ، فقال عبد الله بن حسن : يا معشر الناس ، مَنْ يسقى ابن رسول الله شربة ماء ؟ فتحاماه الناس فما سقَوْه حتى جاء خُراسانىّ بماء ، فسلّه إليه فشرب ، ثم لبثنا هُنيهةً ، فخرج أبو جعفر فى شقّ محمل ، معادله الربيع فى شقّه الأيمن ، على بَغْلة شقراء ، فناداه عبد الله : يا أبا جعفر ؛ والله ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر ! قال : فأخسأه أبو جعفر ؛

---

(١) ط : « لا ينكى » ، تصحيف ؛ صوابه من ابن الأثير .
(٢) ج وابن الأثير : « برسول الله » .
(٣) ج : « المحبوسين » . (٤) ج : « كأنما » .

وتفل عليه ، ومضى ولم يعرّج .

وذكر أن أبا جعفر لما دخل عليه محمد بن عبد الله العثمانىّ سأله عن إبراهيم ، ٣/١٧٨ فقال : مالى به علْم ، فدقّ أبو جعفر وجهه بالجرْز .

وذكر عمر عن محمد بن أبى حرب ، قال : لم يزل أبو جعفر جميلَ الرأى فى محمد حتى قال له رياح : يا أمير المؤمنين ؛ أمّا أهلُ خراسان فشيعتُك وأنصارك ، وأما أهل العراق فشيعة آل أبى طالب ، وأما أهل الشأم فوالله ما علىّ عندهم إلا كافر ، وما يعتدّون بأحد من ولده ؛ ولكنّ أخاهم محمدُ بن عبد الله ابن عمرو ، ولو دعا أهل الشأم ما تخلف عنه منهم رجل . قال : فوقعت فى نفس أبى جعفر ، فلما حجّ دخل عليه محمد ، فقال : يا محمد ، أليس ابنتك تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن ؟ قال : بلى ؛ ولا عهد لى به إلا بمِنًى فى سنة كذا وكذا ، قال : فهل رأيتَ ابنتَك تختضِب وتمتشط ؟ قال : نعم ، قال : فهى إذاً زانية ، قال : مَهْ يا أمير المؤمنين ! أتقول هذا لابنة عَمّك ! قال : يابن اللخناء ، قال : أىّ أمهاتى تلخّن ! قال : يابن الفاعلة ، ثم ضرب وجهه بالجرْز وحدده [١] ؛ وكانت رقية ابنة محمد تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن ، ولها يقول :

خليلىَّ من قَيْسٍ دَعا اللومَ واقعدا ... يَسُرُّكما أَلَّا أنامَ وتَرْقُدَا
أَبيتُ كأَنِّى مُسْعَرٌ من تذكُّرِى ... رُقَيَّةَ جَمْرًا من غَضًا مُتَوقدَا

قال : وحدثنى عيسى بن عبد الله بن محمد ، قال : حدثنى سليمان بن داود بن حسن ؛ قال : ما رأيتُ عبدَ الله بن حسن جَزِع من شىء مما ناله إلّا يوماً واحداً ؛ فإنّ بعير محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمانَ انبعث وهو ٣/١٧٩ غافلٌ ، لم يتأهّب له ، وفى رجليه سلسلة ، وفى عنقه زَمّارة ، فهوى ، وعلقت الزّمارة بالمحمَل ، فرأيته منوطًا بعنقه يضطرب ؛ فرأيت عبدالله بن حسن قد بكى بكاء شديداً .

قال : وحدّثنى موسى بن عبد الله بن موسى ، قال : حدّثنى أبى عن أبيه ، قال : لما صرنا بالرَّبذة ، أرسل أبو جعفر إلى أبى أن أرسِلْ إلىّ أحدكم ؛

(١) حدده ، أى شق جلده .

واعلم أنه غير عائد إليك أبداً ، فابتدره بنو إخوته يعرِضون أنفسهم عليه ، فجزاهم خيراً ، وقال : أنا[1] أكره أن أفجعهم بكُمْ ؛ ولكن اذهب أنت يا موسى ، قال : فذهبتُ وأنا يومئذ حديث السنّ ، فلما نظر إلىّ قال : لا أنعم الله بك عيناً ؛ السياطَ يا غلام قال : فضُرِبتُ والله حتى غُشِيَ علىّ ، فما أدرى بالضَّرْب ، فرُفعت السياط عنى ، ودعانى فَقَرُبت منه واستقربنى . فقال : أتدرى ما هذا ؟ هذا فيض فاض منى ، فأفرغتُ منه سَجْلاً لم أستطع ردّه ؛ ومن ورائه الموت أو تفتدى منه . قال : فقلت : يا أميرَ المؤمنين ؛ والله إن ما لى ذنب ؛ وإنى لبمعزِل عن هذا الأمر . قال : فانطلقْ فأتنى بأخويك ، قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، تبعثنى إلى رياح بن عثمان فيضع علىّ العيون والرّصد ، فلا أسلك طريقاً إلا تبعنى له رسول ، ويعلم ذلك أخواى فيهربان منى ! قال : فكتب إلى رياح : لا سلطان لك على موسى ، قال : وأرسل معى حرساً أمرهم أن يكتبوا إليه بخبرى ، قال : فقدمت المدينة ، فنزلت دار ابن هشام بالبلاط ، فأقمتُ بها أشهراً ، فكتب إليه رياح : إنّ موسى مقيم بمنزله يتربّص بأمير المؤمنين الدوائر ؛ فكتب إليه : إذا قرأتَ كتابى هذا فاحْدِرْه إلىّ ، فحدرنى . ٣/١٨٠

قال : وحدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنى موسى ، قال : أرسل أبى إلى أبى جعفر : إنى كاتب إلى محمد وإبراهيم ؛ فأرسِل موسى عسى أن يلقاهما ؛ وكتب إليهما أن يأتياه ، وقال لى : أبلغهما عنّى فلا يأتياه أبداً . قال : وإنما أراد أن يفلتنى من يده — وكان أرقّ الناس علىّ ، وكنت أصغر ولد هند — وأرسل إليهما :

يا بَنِيْ أُمَيَّةَ إنى عنكما غانِ ... وما الغِنَى غيرَ أَنى مُرْعَشٌ فانِ
يا بَنِيْ أُمية إلاّ تَرْحَمَا كِبَرِى ... فإنما أَنتما والثُّكْلُ مِثْلانِ

قال : فأقمت بالمدينة مع رسل أبى جعفر إلى أن استبطأنى رياح ، فكتب إلى أبى جعفر بذلك ، فحدَرنى إليه .

---

(١) ج : «إنما» .

قال : وحدّثني يعقوب بن القاسم بن محمد، قال : أخبرني عمران بن محرز من بني البَكّاء ، قال : خرج ببني حسن إلى الرَّبَذة ، فيهم عليّ وعبد الله ابنا حسن بن حسن بن حسن، وأمّهما حُبابة ابنة عامر بن عبد الله بن عامر ابن بشر بن عامر ملاعب الأسنة ؛ فمات في السجن حسن بن حسن وعباس ابن حسن ، وأمّه عائشة بنت طلحة بن عمر بن عبيد الله وعبد الله بن حسن وإبراهيم بن حسن .

١٨١/٣ قال عمر : حدّثني المدائنيّ ، قال : لما خُرِج ببني حسن ، قال إبراهيم ابن عبد الله بن حسن ، قال عمر : وقد أنشدني غير أبي الحسن هذا الشعر لغالب الهمْدانيّ[1] :

ما ذِكْرُكَ الدِّمْنَةَ القِفارَ وأَهـ لَ الدارِ إمَّا نأَوْكَ أَو قربوا
إلّا سَفَاهاً وقد تفرَّعك الشّـيْبُ بلوْنٍ كأنّه العطبُ[2]
ومَرَّ خمسون مِنْ سِنيك كما عَدَّ لك الحاسِبون إذْ حَسبُوا
فَعَدِّ ذِكر الشبابِ لَسْتَ له[3] ولا إليك الشَّبابُ مُنقَلِب
إنى عَرَتْنى الهُموم فاحْتَضَرَ الـ همّ وِسادى فالقلبُ مُنشَعِبُ
وَاستُخْرِجَ النَّاس للشَّقاءِ وخُلِّـفْتُ لِدَهْرٍ بِظَهْرِهِ حَدَبُ[4]
أَعْوَجَ يَسْتَعْذِبُ اللئامُ به ويحْتَويهِ الكِرامُ إن سَرَبوا
نفْسى فَدَتْ شَيْبَةً هُناكَ وظُنْـبُوبًا به من قيوده نَدَبُ
وَالسَّادَةَ الغُرَّ من بَنيهِ فَما[5] رُوقِبَ فيه الإلٰهُ والنَّسَبُ
يا حلَقَ القَيْد ما تَضمَّنَ من حِلْم وَبرٍّ يَشُوبُهُ حَسَبُ
وأُمَّهاتٌ من العَواتِكِ أَخـ لَصْنكَ بِيضٌ عَقائل عُرُبُ
كيْفَ اعتِذارى إلى الإلٰهِ ولم يُشْهَرن فيك المَأْثُورَةُ القُضُبُ!

---

(١) ب : « الهمذانى » .
(٢) ب : « القطب » .
(٣) ت ، ج : « ليس له » .
(٤) ط : « وخلقت » .
(٥) ط : « والسارة الفر » .

ولم أقُد غارَةً مُلَملَمَةً فيها بَناتُ الصَّريحِ تَنْتحب
وَالسَّابِقَاتُ الجِيَادُ والأَسَلُ الذّ بَّلُ فيها أَسِنَّةٌ ذُرُبُ
حَتَّى نُوفِّى بنى نُتَيْلةَ بالـــقِسط بكيل الصاع الذى احتَلبُوا
بالقتْلِ قَتْلاً وَبالأَسيرِ الذى فى القِدِّ أَسْرى مَصْفُودَة سُلُبُ
أَصْبحَ آلُ الرَّسولِ أَحْمَدَ فى النَّـــاسِ كذى عُرَّةٍ به جَرَبُ
بُؤْسًا لهم ما جَنَتْ أَكفُّهُمُ وأَىَّ حَبْلٍ من أُمَّة قَضبُوا !
وأَىَّ حَبْل خَانُوا المَلِيكَ به شُدَّ بِمِيثَاقٍ عَقْدُهُ الكَذِبُ

١٨٢/٣

وذكر عبدُالله بن راشد بن يزيد ، قال : سمعتُ الجرّاح بن عمر وخاقان ابن زيد وغيرهما من أصحابنا يقولون : لما قدم بعبد الله بن حسن وأهله مُقَيَّدين فأشرِف بهم على النَّجَف ، قال لأهله : أما ترون فى هذه القرية مَن يمنعنا من هذا الطاغية ؟ قال : فلقيه ابنا أخى الحسن وعلىّ مشتمليْن على سيفين ، فقالا له : قد جئناك يابن رسول الله ، فمُرْنا بالذى تريد ، قال : قد قضيتُما ، ولن تُغنيا فى هؤلاء شيئًا فانصرفا .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى عبد الله بن عمران بن أبى فروة ، قال : أمر أبو جعفر أبا الأزهر فحبَس بنى حسن بالهاشميّة .

قال : وحدّثنى محمد بن الحسن ، قال : حدّثنى محمد بن إبراهيم ، قال : أتىَ بهم أبو جعفر ، فنظر إلى محمد بن إبراهيم بن حسن ، فقال : أنت الديباج الأصفر[1] ؟ قال : نعم ، قال : أما والله لأقتلنّك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك ، ثم أمر بأسطوانة مبنيّة ففرقت ، ثم أدخل فيها فبنى عليه وهو حىّ .

قال محمد بن الحسن : وحدّثنى الزُّبير بن بلال ، قال : كان الناس يختلفون إلى محمد ينظرون إلى حسنه .

قال عمر : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى عبد الله بن عمران ، قال :

---

(١) ط : « الأصغر » ، والصواب ما أثبته من ت .

أخبرنى أبو الأزهر ، قال : قال لى عبد الله بن حسن : ابغِنى حجّامًا ، فقد احتجتُ إليه ، فاستأذنت أميرَ المؤمنين ، فقال : آتيه بحجام مجيد[1] . ٣/١٨٣

قال : وحدّثنى الفَضْل بن دُكيْن أبو نعيم ، قال : حُبِس من بنى حسن ثلاثة عشر رجلاً ، وحُبِس معهم العثمانىّ وابنان له فى قصر ابن هبيرة ؛ وكان فى شرقىّ الكوفة مما يلى بغداد ؛ فكان أوّل مَنْ مات منهم إبراهيم ابن حسن ، ثم عبد الله بن حسن ، فدفنَ قريبًا من حيث مات ؛ وإلا يكن بالقبر الذى يزعم الناس أنه قبرُه ؛ فهو قريب منه .

وحدّثنى محمد بن أبى حرب ، قال : كان محمد بن عبد الله بن عمرو محبوسًا عند أبى جعفر ، وهو يعلم براءته ؛ حتى كتب إليه أبو عَوْن من خُراسان : أخبر أمير المؤمنين أنّ أهل خراسان قد تقاعسوا عنّى ، وطال عليهم أمر محمد بن عبد الله ؛ فأمر أبو جعفر عند ذلك بمحمّد بن عبد الله بن عمرو ، فضُرِبَتْ عنقُه ، وأرسل برأسه إلى خراسان ؛ وأقسم لهم أنه رأس محمد بن عبد الله ، وأنّ أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عمر : فحدّثنى الوليد بن هشام ، قال : حدّثنى أبى ، قال : لما صار أبو جعفر بالكوفة ، قال : ما أشتفى[2] من هذا الفاسق من أهل بيت فسق ، فدعا به ، فقال : أزوّجت ابنتك ابنَ عبد الله؟ قال : لا ، قال : أفليستْ بامرأته ؟ قال : بلى زوّجها إيّاه عمُّها وأبوه عبد الله بن حسن فأجزتُ نكاحه ، قال : فأين عهودك التى أعطيتنى ؟ قال : هى علىّ ، قال : أفلم تعلم بخضاب ! ألم تجد ريح طيب ! قال : لا علم لى ؛ قد علم القوم ما لك علىّ من المواثيق فكتمونى ذلك كله ، قال : هل لك أن تستقيلنى فأقيلك ، وتحدث لى أيْماناً مستقبلة ؟ قال : ما حنثت بأيْمانى فتجدّدها علىّ ، ولا أحدثت ما أستقيلك منه فتُقيلنى ؛ فأمر به فضرب حتى مات ، ثم احتزّ رأسه ؛ فبعث به إلى خُراسان ؛ فلما بلغ ذلك عبد الله بن حسن ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! والله إن كنّا لنأمن به فى سلطانهم ، ثم قد قُتل بنا فى سلطاننا . ٣/١٨٤

قال : وحدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : حدّثنى مسكين بن عمرو ،

(١) ت وابن الأثير : « حجام محمد » . (٢) ب ، ت : « أستبق » .

قال : لما ظهر محمد بن عبد الله بن حسن، أمر أبو جعفر بضرب عنق محمد ابن عبد الله بن عمرو ، ثم بعث به إلى خُراسان ؛ وبعث معه الرّجال يحلفون بالله إنه لمحمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال عمر : فسألت محمد بن جعفر بن إبراهيم ، فى أىّ سبب قتل محمد بن عمرو ؟ قال : احتيج إلى رأسه .

قال عمر : وحدّثنى محمد بن أبى حرب ، قال : كان عوْن بن أبى عون خليفةَ أبيه بباب أمير المؤمنين ؛ فلما قُتل محمد بن عبد الله بن حسن وجّه أبو جعفر برأسه إلى خُراسان ، إلى أبى عَوْن مع محمد بن عبد الله بن أبى الكرام وعَوْن بن أبى عَوْن ؛ فلما قدم به ارتاب أهلُ خُراسان ، وقالوا : أليس قد قُتل مرّة وأتينا برأسه ! قال : ثم تكشّف لهم الخبر حتى علموا حقيقته ؛ فكانوا يقولون : لم يُطَّلَع من أبى جعفر على كذبةٍ غيرها .

قال : وحدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : حدّثنى عبد الله بن عمران بن أبى فروة ، قال : كنا نأتى أبا الأزهر ونحن بالهاشميّة أنا والشعبانىّ ، فكان أبو جعفر يكتب إليه : من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى أبى الأزهر مولاه ، ويكتب أبو الأزهر إلى أبى جعفر : من أبى الأزهر مولاه وعبده ؛ فلما كان ذات يوم ونحن عنده — وكان أبو جعفر قد ترك له ثلاثة أيام لا ينوبها ؛ فكنّا نخلو معه فى تلك الأيام — فأتاه كتاب من أبى جعفر ، فقرأه ثم رمى به ، ودخل إلى بنى حسن وهم محبوسون . قال : فتناولتُ الكتاب وقرأته ؛ فإذا فيه : انظر يا أبا الأزهر ما أمرتك به فى مدلّه فعجّله وأنفذه . قال : وقرأ الشعبانىّ الكتاب فقال : تدرى مَن مدلّه ؟ قلتُ : لا ، قال : هو والله عبد الله بن حسن ، فانظر ما هو صانع . قال : فلم نلبث أن جاء أبو الأزهر ، فجلس فقال : قد والله هلك عبد الله بن حسن، ثم لبث قليلا ثم دخل وخرج مكتئبًا ، فقال : أخبرنى عن علىّ بن حسن ، أىُّ رجل هو ؟ قلت : أمصدّقٌ أنا عندك ؟ قال : نعم ، وفوق ذلك ؛ قال : قلت : هو والله خير من تقلّه هذه وتظلّه هذه ! قال : فقد والله ذهب . ١٨٥/٣

قال : وحدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : سمعتُ جدّى موسى بن عبدالله

يقول : ما كنّا نعرف أوقاتَ[١] الصلاة فى الحبس إلا بأحزاب كان يقرؤها علىّ بن حسن .

قال عمر : وحدّثنى ابنُ عائشة ، قال : سمعتُ مولًى لبنى دارم ، قال : قلت لبشير الرّحال[٢] ما يسرعك[٣] إلى الخروج علىّ هذا الرجل ؟ قال : إنه أرسل إلىّ بعد أخذه عبد الله بن حسن فأتيتُه ، فأمرنى يوماً بدخول بيت فدخلته ، فإذا بعبد الله بن حسن مقتولاً ، فسقطت مغشياً علىّ ، فلما أفقت أعطيت الله عهداً ألاّ يختلف فى أمره سيْفان إلا كنتُ مع الذى عليه منهما . ١٨٦/٣ وقلت للرسول الذى معى من قِبَله : لا تخبره بما لقيتَ ؛ فإنه إن علم قتلنى . قال عمر : فحدّثت به هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد من أهل هَمَذان . وهو العباسىّ أن أبا جعفر أمر بقتله ، فحلف بالله ما فعل ذلك ؛ ولكنّه دسّ إليه مَن أخبره أن محمداً قد ظهرَ فقتِل ، فانصدع قلبه ، فمات .

قال : وحدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : قال مَن بقى منهم : إنهم كانوا يسقَوْن ؛ فماتوا جميعاً إلا سليمان وعبد الله ابنى داود بن حسن بن حسن وإسحاق وإسماعيل ابنى إبراهيم بن حسن بن حسن ، وجعفر بن حسن ، فكان مَن قتل منهم إنما قتل بعد خروج محمد .

قال عيسى : فنظرتْ مولاةٌ لآل حسن إلى جعفر بن حسن ، فقالت : بنفسى أبو جعفر ! ما أبصره بالرجال حيث يطلِقك وقتل عبد الله بن حسن !

* * *

ذكر بقية الخبر عن الأحداث التى كانت فى سنة أربع وأربعين ومائة

فمن ذلك ما كان من حمل أبى جعفر المنصور بنى حسن بن حسن بن علىّ من المدينة إلى العراق .

---

(١) كذا فى ت ، وفى ط : « وقوت » .
(٢) ط : « الرجال » ، تحريف ، وصوابه من ت وابن الأثير .
(٣) ب ، ت : « تسرعك » .

* ذكر الخبر عن سبب حمله إياهم إلى العراق :

حدّثني الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا
١٨٧/٣ محمد بن عمر ، قال : لما ولّى أبو جعفر رياحَ بن عثمان بن َحيّان المرىّ المدينة ،
أمره بالجِدّ فى طلب محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن الحسن وقلة الغفلة عنهما .

قال محمد بن عمر : فأخبرنى عبد الرحمن بن أبى الموالى ؛ قال : فجدّ رياح فى طلبهما ولم يداهِنْ ، واشتدّ فى ذلك كلّ الشدّة حتى خافا ؛ وجعلا ينتقلان من موضع إلى موضع ، واغتَمّ أبو جعفر من تبغّيهما ؛ وكتب إلى رياح ابن عثمان : أن يأخذ أباهما عبد الله بن حسن وإخوته : حسن بن حسن وداود ابن حسن وإبراهيم بن حسن ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان — وهو أخوهم لأمهم فاطمة بنت حسين — فى عدّة منهم ، ويشدُّهم وَثاقاً ، ويبعث بهم إليه حتى يوافوه بالرَّبَذة . وكان أبو جعفر قد حجّ تلك السنة وكتب إليه أن يأخذنى معهم فيبعث بى إليه أيضًا . قال : فأدركتُ وقد أهللت بالحجّ ، فأخِذْت فطرِحت فى الحديد ، وعورض بى الطريق حتى وافيتهم بالرَّبذة .

قال محمد بن عمر : أنا رأيتُ عبد الله بن حسن وأهلَ بيته يُخرَجون من دار مَرْوان بعد العصْر وهم فى الحديد ؛ فيحملون فى المحامل ؛ ليس تحتهم وطاء ؛ وأنا يومئذ قد راهقتُ الاحتلام ، أحفظ ما أرى .

قال محمد بن عمر : قال عبد الرحمن بن أبى الموالى : وأخذ معهم نحو من أربعمائة ، من جُهَينة ومُزينة وغيرهم من القبائل ؛ فأراهم بالرَّبَذة مكتّفين فى الشمس . قال : وسُجنت مع عبد الله بن حسن وأهل بيته . ووافى أبو جعفر الرّبذة منصرفًا من الحجّ ، فسأل عبد الله بن حسن أبا جعفر أن يأذن له فى
١٨٨/٣ الدّخول عليه ، فأبى أبو جعفر ؛ فلم يره حتى فارق الدنيا . قال : ثم دعانى أبو جعفر من بينهم ، فأقعِدت حتى أدخلت — وعنده عيسى بن علىّ — فلما رآنى عيسى ، قال : نعم ؛ هو هو يا أمير المؤمنين ؛ وإنْ أنت شددتَ عليه أخبرك بمكانهم . فسلّمت ، فقال أبو جعفر : لا سَلّم الله عليك ! أين الفاسقان ابنا الفاسق ، الكذابان ابنا الكذاب؟ قال : قلت : هل ينفعنى الصدق يا أمير المؤمنين

عندك ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : امرأته طالق ، وعلىّ وعلىّ ، إن كنت أعرف مكانهما ! قال : فلم يقبل ذلك منى ، وقال : السياط ! وأقمت بين العُقابيْن ، فضربنى أربعمائة سوط ؛ فما عقلت بها حتى رفع عنى ، ثم حُملت إلى أصحابى على تلك الحال ، ثم بعث إلى الدّيباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفّان ؛ وكانت ابنته تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فلما أدخل عليه قال : أخبرْنى عن الكذّابيْن ما فعلا ؟ وأين هما ؟ قال : والله يا أميرَ المؤمنين ما لى بهما علم ، قال : لَتخبرنّى ، قال : قد قلت لك وإنى والله لصادق ؛ ولقد كنت أعلم علمَهما قبل اليوم ؛ وأما اليوم فما لى والله بهما علْم . قال : جرّدوه ، فجُرّد فضربه مائة سوط ، وعليه جامعة حديد فى يده إلى عنقه ؛ فلمّا فرغ من ضربه أخرج فألبس قميصًا له قُوهيًّا[1] على الضرب ، وأتىَ به إلينا ؛ فوالله ما قدروا على نزع القميص من لُصوقه بالدم ، حتى حلبوا عليه شاة ، ثم انتزِع القميص ثم داووه . فقال أبو جعفر : احدروا بهم إلى العراق ، فقدِم بنا إلى الهاشميّة ، فحبِسنا بها ؛ فكان أوّل من مات فى الحبس عبد الله ابن حسن ؛ فجاء السجان فقال : ليخرج أقربُكم به فليصلّ عليه ؛ فخرج أخوه حسن بن حسن بن حسن بن علىّ عليهم السلام ، فصلّى عليه . ثم مات محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فأخِذ رأسه ، فبعث به مع جماعة من الشّيعة إلى خراسان ؛ فطافوا فى كُور خراسان ، وجعلوا يحلفون بالله أنّ هذا رأس محمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه ؛ يوهمون الناس أنه رأس محمد بن عبد الله بن حسن ؛ الذى كانوا يجدون خروجه على أبى جعفر فى الرواية . ٣/١٨٩

* * *

وكان والى مكة فى هذه السنة السرىّ بن عبد الله ، ووالى المدينة رياح ابن عثمان المرّىّ ، ووالى الكوفة عيسى بن موسى ، ووالى البصرة سفيان بن معاوية .

وعلى قضائها سوّار بن عبد الله ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

---

(١) القوهى : ثياب بيض تنسب إلى قوهستان ؛ كورة بين نيسابور وهراة .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك خروج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ، وخروج أخيه إبراهيم بن عبد الله بعده بالبَصْرة ومقتلهما .

* * *

ذكر الخبر عن مخرج محمد بن عبد الله ومقتله

ذكر عمر أنّ محمد بن يحيى حدّثه ، قال : حدثنى الحارث بن إسحاق ، قال : (١لما انحدر أبو جعفر ببنى حسن١) ، رجع رياح إلى المدينة ، فألحّ فى الطلب ، وأخْرج محمداً حتى عزم على الظهور .

قال عمر : فحدّثت إبراهيم بن محمد بن عبد الله الجعفرىّ أن محمداً أُحرِج ، فخرج قبل وقته الذى فارق عليه أخاه إبراهيم ، فأنكر ذلك ، وقال : ما زال محمّد يُطلَب أشدّ الطلب حتى سقط ابنه فمات وحتى رهقه الطلب ، فتدلّى فى بعض آبار المدينة يناول أصحابه الماء ، وقد انغمس فيه إلى رأسه ، وكان بدنه لايخفى عِظَماً ؛ ولكنّ إبراهيم تأخّر عن وقته لجُدَرِىٍّ أصابه . ١٩٠/٣

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : تحدّث أهل المدينة بظهور محمد ؛ فأسرعنا فى شراء الطعام حتى باع بعضهم(٢) حلىّ نسائه ؛ وبلغ رياحاً أنّ محمداً أتى المذاد (٣) ، فركب فى جنده يريده وقد خرج قبلَه محمد يريده (٤) ، ومعه جُبَير بن عبد الله السلَمىّ وجُبَير ابن عبد الله بن يعقوب بن عطاء وعبد الله بن عامر الأسلمىّ ؛ فسمعوا سقّاءَةً تحدّث صاحبتها أنّ رياحاً قد ركب يطلب محمداً بالمَذَاد ، وأنه قد سار إلى السوق ، فدخلوا داراً لجُهينة وأجافوا بابها عليهم ، ومرّ رياح على الباب لا يعلم بهم ، ثم رجع إلى دار مَرْوان ؛ فلما حضرت العشاء الأخيرة صلى فى الدار ولم يخرج .

(١-١) ت ، ه : « لما أحدَر أبو جعفر بنى حسن » . (٢) ج : « أحدهم فى ذلك » .
(٣) ت ، وابن الأثير : « المذار » . (٤) كذا فى ت ، وفى ط : « يريد المذاد » .

وقيل : إنّ الذى أعلم رياحاً بمحمد سليمان بن عبد الله بن أبى سَبرة من بنى عامر بن لؤىّ .

وذكر عن الفضل بن دُكين ، قال : بلغنى أن عبيد الله بن عمرو بن أبى ذُؤيب وعبد الحميد بن جعفر دخلوا على محمد قبل خروجه ، فقالوا له : ما ننتظر بالخروج ! والله ما نجد فى هذه الأمة أحداً أشأم عليها منك . ما يمنعك أن تخرج وحدك !

قال : وحدثنى عيسى ، قال : حدّثنى أبى ، قال : بعث إلينا رياح فأتيته أنا وجعفر بن محمد بن علىّ بن حسين ، وحسين بن علىّ بن حسين بن علىّ ، وعلىّ بن عمر بن علىّ بن حسين بن علىّ ، وحسن بن علىّ بن حسين ابن علىّ بن حسين بن علىّ ورجال من قريش ؛ منهم إسماعيل بن أيوب ابن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة ، ومعه ابنه خالد ، فإنّا لعنده فى دار مَرْوان إذ سمعْنا التكبير قد حال دون كلّ شىء ، فظننناه من عند الحرَس ، وظنّ الحرَس أنه من الدار . قال : فوثب ابن مسلم بن عقبة — وكان مع رياح — فاتّكأ على سيفه ، فقال : أطعنى فى هؤلاء فاضرب أعناقهم ؛ فقال علىّ بن عمر : فكدنا والله تلك الليلة أن نطيح حتى قام حسين بن علىّ ، فقال : والله ما ذاك لك ؛ إنّا على السمع والطاعة . قال : وقام رياح ومحمد بن عبد العزيز ، فدخلا جنبذاً[1] فى دار يزيد ؛ فاختفيا فيه ، وقمنا فخرجنا من دار عبد العزيز ابن مروان حتى تسوّرنا على كِبًا[2] كانت فى زقاق عاصم بن عمرو ، فقال إسماعيل بن أيوب لابنه خالد : يا بنىّ ، والله ما تجيبنى نفسى إلى الوثوب ، فارفعنى ، فرفعه . ٣/١٩١

وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى عبد العزيز بن عمران ، قال : حدّثنى أبى قال : جاء الخبر إلى رياح وهو فى دار مَرْوان أنّ محمداً خارج الليلة ، فأرسل إلى أخى محمد بن عمران وإلى العباس بن عبد الله بن الحارث ابن العباس وإلى غير واحد . قال : فخرج أخى وخرجت معه ؛ حتى

(١) ه ، ب : « حنبدا » ، وفى ت من غير نقط . (٢) الكبا : المرتفع من الأرض .

دخلنا عليه بعد العشاء الآخرة ، فسلمنا عليه فلم يردّ علينا ، فجلسنا فقال
١٩٢/٣ أخى : كيف أمسى الأمير أصلحه الله ! قال : بخير — بصوت ضعيف —
قال : ثم صمت طويلا ثم تنبّه ، فقال : إيهًا يأهلَ المدينة ! أميرُ المؤمنين
يطلب بغيتَه فى شرق الأرض وغربها ؛ وهو ينتفق بين أظهركم ! أقسم
بالله لئن خرج لا أترك منكم أحداً إلا ضربت عنقه . فقال أخى : أصلحك
الله ! أنا عذيرك منه ، هذا والله الباطل ، قال : فأنت أكثر مَنْ ها هنا
عشيرة ؛ وأنت قاضى أمير المؤمنين ، فادعُ عشيرتك . قال : فوثب أخى
ليخرج ، فقال : اجلس ، اذهب أنت يا ثابت ، فوثبتُ ، فأرسلت إلى بنى زُهرة
ممن يسكن حَشّ طلحة ودار سعد ودار بنى أزهر : أن أحضِروا سلاحكم .
قال : فجاء منهم بِشر ، وجاء إبراهيم بن يعقوب بن سعد بن أبى وقاص
متنكبًا قوسًا — وكان من أرمى الناس — فلما رأيتُ كثرتهم ، دخلت على
رياح ، فقلت : هذه بنو زهرة فى السلاح يكونون معك ، ائذن لهم . قال :
هيهات! تريد أن تُدخل علىّ الرجال طروقاً[1] فى السلاح ، قل لهم : فليجلسوا
فى الرحبة ؛ فإن حدث شىء فليقاتلوا ، قال : قلت لهم : قد أبى أن يأذن لكم ،
لا والله ما ها هنا شىء ، فاجلسوا[2] بنا نتحدّث .

قال : فمكثنا قليلا ، فخرج العباس بن عبد الله بن الحارثِ فى خيل
يعسُ حتى جاء رأس الثنيَّة ، ثم انصرف إلى منزله وأغلقه عليه ؛ فوالله إنا
لعلى تلك الحال إذْ طَلع فارسان من قبَل الزَّوْرَاء يركضان ؛ حتى وقفا بين
دار عبد الله بن مُطيع ورحبة القضاء[3] فى موضع السقاية . قال : قلنا : شرّ
الأمر واللهِ جدّ . قال : ثم سمعنا صوتًا بعيداً ، فأقمنا ليلا طويلا ، فأقبل
١٩٣/٣ محمد بن عبد الله من المذاد ومعه مائتان وخمسون رجلا ، حتى إذا شرع على
بنى سَلِمة وبُطْحَان ، قال : اسلكوا بنى سَلِمة إن شاء الله . قال : فسمعنا
تكبيراً ؛ ثم هدأ الصوت فأقبل حتى إذا خرج من زُقاق ابن حبين[4] استبطن
السوق حتى جاء على التمّارين ؛ حتى دخل من أصحاب الأقفاص ، فأتى
السجن وهو يومئذ فى دار ابن هشام ، فدقّه ، وأخرج مَن كان فيه ، ثم

(١) طروقاً ، أى ليلا .
(٢) ج : « فادخلوا » ، ه: « فاخلوا » .
(٣) ت ، ج : « الفضاء » .
(٤) ت : « أبى » .

أقبل حتى إذا كان بين دار يزيد ودار أويس نظرنا إلى هَوْل من الهؤل [١] .

قال : فنزل إبراهيم بن يعقوب ، ونكب كنانته وقال : أرمى ؟ فقلنا : لا تفعل ، ودار محمد بالرحبة ، حتى جاء بيت عاتكة بنت يزيد ، فجلس على بابها ، وتناوش الناس حتى قتِل رجل سندىّ كان يستصبح فى المسجد ، قتله رجل من أصحاب محمد .

قال : وحدّثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، أخبرنى جهم بن عثمان ؛ قال : خرج محمد من المذاد على حمار ونحن معه ، فولّى خوّات بن بكير بن خوّات بن جبير الرّجالة ، وولّى عبد الحميد بن جعفر الحربة ، وقال : اكفنيها ، فحملها ثم استعفاه منها فأعفاه ؛ ووجّهه مع ابنه حسن بن محمد .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى جعفر بن عبد الله بن يزيد بن رُكانة قال : بعث إبراهيم بن عبد الله إلى أخيه بحِمْلَىْ سيوف ، فوضعها بالمذاد ، فأرسل إلينا ليلة خرج : وما نكون ؟ مائة رجل ! وهو على حمار أعرابىّ أسود ، فافترق طريقان : طريق بُطْحان وطريق بنى سَلمة ، فقلنا له : كيف نأخذ ؟ قال : على بنى سلِمة ، يسلمكم الله ؛ قال : فجئنا حتى صرنا بباب مَرْوان . ١٩٤/٣

قال : وحدّثنى محمد بن عمرو بن رُتبيل بن نهشل أحد بنى يربوع ، عن أبى عمرو المدينىّ — شيخ من قريش — قال : أصابتْنا السماء بالمدينة أيامًا ، فلما أقلعت خرجتُ فى غبّها متمطّرًا [٢] ، فانتسأت [٣] عن المدينة ؛ فإنّى لفى رَحْلى إذ اهبط علىّ رجل لا أدرى من أين أتى ، حتى جلس إلىّ ، وعليه أطمار له دَرِنة وعمامة رَثّة ، فقلت له : مِنْ أين أقبلت ؟ قال : من غُنَيمة لى أوصيتُ راعيَها بحاجة لى ، ثم أقبلت أريد أهلى . قال : فجعلت لا أسلك من العلم طريقًا إلا سبقنى إليه وكثّرنى فيه ، فجعلت أعجب له ولما يأتى به ، قلت : ممن الرجل ؟ قال : من المسلمين ، قلت : أجل ، فمن أيهم أنت ؟ قال : لا عليك ؛ ألا تريد [٤] ؟ قلت : بلى علىّ ذلك ؛ فمن أنت ؟ قال : فوثب وقال :

---

(١) الهؤل : جمع هول ؛ وهو موضع المخافة . (٢) تمطر فى مشيه ، أى أسرع .

(٣) انتسأت ، أى ابتعدت . (٤) ب : «تزيد» .

* منخرق الخُفَّيْن يشكو الوجى[١] *

الأبيات الثلاثة .

قال : ثم أدبر فذهب ؛ فوالله ما فات مدّى بصرى حتى ندمت على تركه قبل معرفته؛ فاتبعته لأسأله؛ فكأنّ الأرْض التأمت عليه، ثم رجعتُ إلى رَحْلى ، ثم أتيت المدينة فما غبرت إلاّ يومى وليلتى ؛ حتى شهدت صلاة الصبح بالمدينة ، فإذا رجل يصلّى بنا ، لا أعرِف صوته ، فقرأ : ﴿ إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبينًا ﴾ ، فلما انصرف صعد المنبر ، فإذا صاحبى ، وإذا هو محمد بن عبد الله بن حسن .

١٩٥/٣

قال : وحدّثنى إسماعيل بن إبراهيم بن هود مولى قريش ، قال : سمعت إسماعيل بن الحكم بن عوانة يخبر عن رجل قد سمّاه بشبيهة بهذه القصة[٢] .

قال إسماعيل : فحدّثت بها رجلا من الأنبار يكنى أبا عبيد ؛ فذكر أن محمداً — أو إبراهيم — وجّه رجلا من بنى ضَبّة — فيما يحسب إسماعيل بن إبراهيم بن هود — ليعلم له بعض علم أبى جعفر ، فأتى الرّجلُ المسيّبَ وهو يومئذ على الشُّرَط ، فتّ إليه برحِمه ، فقال المسيّب : إنه لا بدّ من رفعك إلى أمير المؤمنين . فأدخله على أبى جعفر فاعترف ، فقال : ما سمعتَه يقول ؟ قال :

شَرَّدَهُ الخَوْفُ فأَزرى به كذاكَ من يكرهُ حَرَّ الجلاد

قال أبو جعفر : فأبلغه أنا نقول :

وخُطَّةِ ذُلٍّ نجعلُ الموتَ دونها نقول لها للموت أهلا ومرحبًا

وقال : انطلق فأبلغه[٣] .

قال عمر : وحدثنى أزهر بن سعيد بن نافع — وقد شهد ذلك — قال : خرج محمد فى أول يوم من رجب سنة خمس وأربعين ومائة ، فبات بالمذاد هو وأصحابه ، ثم أقبل فى الليل ، فدقّ السجن وبيت المال ، وأمر برياح وابن مسلم فحُبِسا معًا فى دار ابن هشام .

---

(١) انظر ص ١٧٠ من هذا الجزء .

(٢) ت ، هـ : « سماه هذه القصة » .

(٣) ت ، ج ، هـ : « فأعلمنى » .

قال : وحدّثني يعقوب بن القاسم ، قال : حدّثني علىّ بن أبي طالب ، قال : خرج محمد لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة .

وحدّثني عمر بن راشد ، قال : خرج لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ، فرأيت عليه ليلة خرج قَلَنْسُوَة صفراء مضريّة وجبّة صفراء ، وعمامة قد شدّ بها حَقْوَيْه وأخرى قد اعتمّ بها ، متوشحًا سيفًا ، فجعل يقول لأصحابه : لا تقتلوا ، لا تقتلوا . فلما امتنعت منهم الدار ، قال : ادخلوا من باب المقصورة ، قال : فاقتحموا وحرّقوا باب الخَوْخة التي فيها ، فلم يستطع أحد أن يمرّ ، فوضع رزام مولى القسريّ تُرسه على النار ، ثم تخطّى عليه ، فصنع الناس ما صنع ، ودخلوا من بابها ، وقد كان بعض أصحاب رياح مارسوا على الباب ، وخرج مَن كان مع رياح في الدار من دار عبد العزيز من الحمام ، وتعلّق رياح في مشربَة في دار مَرْوان ، فأمر بدرجها فهُدمت ، فصعدوا إليه ، فأنزلوه وحبسوه في دار مَرْوان ، وحبسوا معه أخاه عباس بن عثمان . وكان محمد بن خالد وابن أخيه النذير بن يزيد ورزام في الحبْس ، فأخرجهم محمد ، وأمر النذير بالاستيثاق من رياح وأصحابه . ١٩٦/٣

قال : وحدّثني عيسى ، قال : حدّثني أبي ، قال : حبس محمد رياحاً وابن أخيه وابن مسلم بن عُقْبة في دار مروان .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن خاله راشد بن حفص ، قال : قال رزام للنذير : دَعْني وإياه فقد رأيتَ عذابَه إيايَ . قال : شأنك وإياه ، ثم قام ليخرج ، فقال له رياح : يا أبا قيس ؛ قد كنتُ أفعل بكم ما كنت أفعل ؛ وأنا بسؤددكم عالم . فقال له النذير : فعلتَ ما كنت أهله ، ونفعل ما نحن أهله ، وتناوله رزام فلم يزل به رياح يطلب إليه حتى كفّ ، وقال : والله إن كنتَ لبَطِرًا عند القدرة ، لئيماً عند البلية .

قال : وحدّثني موسى بن سعيد الجُمحيّ ، قال : حبس رياح محمد ابن مَرْوان بن أبي سليط من الأنصار ، ثم أحد بني عمرو بن عوف ، فمدحه وهو محبوس ، فقال : ١٩٧/٣

وما نَسِيَ الذِّمامَ كريمُ قيس ولا مُلقَى الرجالِ إلى الرجالِ
إذا ما الباب قَعْقَعَهُ سعيدٌ هَدَجنا نحوه هَدْجَ الرِّئال
دبيبَ الذَّر تُصْبحُ حين[1] يمشي قِصارَ الخطو غيرَ ذوى اختيال

قال : حدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى إسماعيل بن يعقوب التيمىّ قال : صعِد محمد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد أيها الناس؛ فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدوّ الله أبى جعفر ما لم يخفَ عليكم ؛ من بنائه القبّة الخضراء التى بناها معانداً لله فى ملكه ، وتصغيراً للكعبة الحرام ؛ وإنما أخذ الله فرعون حين قال : ﴿أنا ربُّكُم الأَعْلَى﴾[2] وإنّ أحقّ الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين . اللهمّ إنَّهم قد أحلّوا حرامَك ، وحرّموا حلالك ، وآمنوا من أخفت ، وأخافوا من آمنت . اللهمّ فأحصهم عدداً ، واقتلهم بدَداً ، ولا تغادر منهم أحداً . أيّها الناس إنى والله ما خرجت من بين أظهركم وأنتم عندى أهل قُوّة ولا شدّة . ولكنى اخترتكم لنفسى ؛ والله ما جئت هذه وفى الأرض مصْرٌ يعبَد الله فيه إلا وقد أخِذَ لى فيه البيْعة .

١٩٨/٣ قال : وحدّثنى موسى بن عبد الله ، قال : حدّثنى أبى عن أبيه ، قال : لما وجّهنى رياح بلغ محمداً فخرج من ليلته ؛ وقد كان رياحٌ تقدّم إلى الأجناد الّذين معى ، إن اطّلع عليهم من ناحية المدينة رجل أن يضربوا عنقى ؛ فلما أُتِيَ محمد برياح ، قال : أين موسى ؟ قال : لا سبيل إليه ، والله لقد حدرته إلى العراق . قال : فأرسل فى أثره فردّه . قال : قد عهدت إلى الجند الذين معه إن رأوا أحداً مقبلا من المدينة أن يقتلوه . قال : فقال محمد لأصحابه : مَنْ لى بموسى ؟ فقال ابن خضير: أنا لك به . قال : فانظر رجالاً ؛ فانتخب رجالا ثم أقبل . قال : فوالله ما راعنا إلّا وهو بين أيدينا ؛ كأنما أقبل من العراق ، فلما نظر إليه الجند قالوا : رسل أمير المؤمنين ، فلما خالطونا شَهروا السلاح ، فأخذنى القائد وأصحابه ، وأناخ بى وأطلقنى من وَثاقى ، وشخص بى حتى أقدمنى على محمد.

---

(١) ت ، ج : « حيث » .
(٢) سورة النازعات ٢٤ .

قال عمر : حدثنى علىّ بن الجعد ، قال : كان أبو جعفر يكتب إلى محمد عن ألسن قوّاده يدعونه إلى الظهور ، ويخبرونه أنهم معه ؛ فكان محمد يقول : لو التقينا مال إلىّ القوّاد كلهم .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : لما أخذ محمد المدينة استعمل عليها عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المخزومىّ ، وعلى الشَّرَط أبا القلمّس عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مخرمة ، وبعث إلى محمد بن عبد العزيز : إنى كنت لأظنك ستنصرنا ، وتقيم [1] معنا . فاعتذر إليه وقال : أفعل ؛ ثم انسلّ منه فأتى [2] مكة . ٣/١٩٩

قال : وحدّثنى إسماعيل بن إبراهيم بن هود ، قال : حدّثنى سعيد بن يحيى أبو سفيان الحميرىّ ، قال : حدّثنى عبد الحميد بن جعفر ، قال : كنت على شُرَط محمد بن عبد الله حتى وجّهنى [3] وجهًا ، وولى شرَطه الزبيرىّ .

قال : وحدّثنى أزهر بن سعيد بن نافع ، قال : لم يتخلّف عن محمد أحد من وجوه الناس إلّا نفر ؛ منهم الضحاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد بن حزام وعبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام ، وأبو سلمة بن عبيد الله ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب وخُبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير .

قال : وحدّثنى يعقوب بن القاسم ، قال : حدّثتنى جدّتى كلثم بنت وهب ، قالت : لما خرج محمد تنحَّى أهلُ المدينة ، فكان فيمن خرج زوجى عبد الوهاب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير إلى البَقيع ، فاختبأت عند أسماء بنت حسن [4] بن عبد الله بن عبد الله بن عباس . قالت : فكتب إلىّ عبد الوهاب بأبيات قالها ، فكتبت إليه :

رَحمَ اللهُ شبابًا قاتلوا يومَ الثنيّهْ [5]

---

(١) ج وابن الأثير : « وتقوم » .
(٢) ب : « وأتى » .
(٣) ج : « فوجهنى » .
(٤) ط ، « حسين » ؛ والصواب ما أثبته من ت ، هـ .
(٥) مقاتل الطالبين ٢٤٩ .

قاتلوا عنه : بُنيًّا ت وأحسابٌ نقيَّهْ[1]
فرَّ عنهُ الناسُ طُرًّا غيرَ خيلٍ أسديَّهْ

٣/٢٠٠ قالت[2] : فزاد الناس :

قتَلَ الرحمنُ عيسى قاتِل النفسِ الزَّكيّهْ

قال : وحدّثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم ابن سنان الحكمىّ أخُو الأنصار ، قال : أخبرنى غير واحد أنّ مالك بن أنس استُفتى فى الخروج مع محمد ، وقيل له : إنّ فى أعناقنا بيعةً لأبى جعفر ، فقال : إنما بايعتم مكرهين ، وليس على كل مكرَه يمين . فأسرع الناس إلى محمد ، ولزم مالك بيته .

وحدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنى ابنُ أبى مليكة مولَى عبدالله ابن جعفر ، قال : أرسل محمد إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر — وقد كان بلغ عُمْراً — فدعاه محمد حين خرج إلى البيعة، فقال : يابن أخى، أنت والله مقتول ، فكيف أبايعك ! فارتدع الناس عنه قليلا ، وكان بنو معاوية قد أسرعوا إلى محمد ، فأتته حمادة بنت معاوية ، فقالت : يا عمّ ، إن إخوتى قد أسرعوا إلى ابن خالهم ، وإنك إن قلت هذه المقالة ثبّطت عنه الناس ، فيقتل ابن خالى وإخوتى . قال : فأبى الشيخ إلاّ النهى عنه ؛ فيقال[3] : إنّ حمّادة عدتْ عليه فقتلته ؛ فأراد محمد الصلاة عليه ، فوثب عليه عبد الله بن إسماعيل ، فقال : تأمر بقتل أبى ثم تصلى[4] عليه ! فنحّاه الحرس ، وصلى عليه محمد .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدثنى أبى ، قال : أُتِىَ محمد بعبيد الله ٣/٢٠١ ابن الحسين بن علىّ بن الحسين بن علىّ مغمضًا عينيه ، فقال : إن علىّ يميناً إن رأيته لأقتلنّه . فقال عيسى بن زيد : دعنى أضرب عنقه، فكفّه عنه محمد .

قال : وحدّثنى أيوب بن عمر ، قال : حدّثنى محمد بن معن ، قال : حدّثنى محمد بن خالد القَسْرىّ ، قال : لما ظهر محمد وأنا فى حَبْس ابن

(١) ب ، ه : « تقية » . (٢) ج : « قلت » .
(٣) ب : « فقال » . (٤) ب : « وتصلى » .

حيّان أطلقنى ؛ فلما سمعت دعوته التى دعا إليها على المنبر ، قلت : هذه دعوة حقّ ؛ والله لأبلِيَنّ الله فيها بلاء حسنًا ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنك قد خرجت فى هذا (١) البلد ؛ والله لو وُقف على نَقْب من أنقابه مات أهلُه جوعاً وعطشًا ؛ فانهض معى ؛ فإنما هى عشر حتى أضربه بمائة ألف سيف . فأبى علىّ ؛ فإنى لعنده يومًا إذ قال لى : ما وجدنا من حُرّ المتاع شيئًا أجودَ من شىء وجدناه عند ابن أبى فَرْوة ، ختَن أبى الخصيب — وكان انتهبه — قال : فقلت : ألا أراك قد أبصرتَ حُرّ المتاع ! فكتبتُ إلى أمير المؤمنين فأخبرته بقلة مَنْ معه ، فعطف علىّ ، فحبسنى حتى أطلقنى عيسى بن موسى بعد قتله إياه .

قال : وحدّثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، قال : حدثتنى أختى بُريكةُ بنت عبد الحميد ، عن أبيها ، قال : إنى لعند محمد يومًا ورجله فى حِجْرى ؛ إذ دخل عليه خَوّات بن بكير بن خوّات بن جُبير ، فسلم عليه ، فردّ عليه سلامًا ليس بالقوىّ ، ثم دخل عليه شابٌّ من قريش ، فسلّم عليه فأحسن الردّ عليه ، فقلت : ما تدع عصبيّتَك بعد ! قال : وماذلك(٢) ؟ قلت : دخل عليك سيد الأنصار فسلم فرددت عليه ردًّا ضعيفًا ، ودخل عليك صُعلوك من صعاليك قريش فسلّم فاحتفلت فى الردّ عليه ! فقال : ما فعلتُ ذاك ؛ ولكنّك تفقدتَ منى ما لا يتفقد أحد من أحد . ٢٠٢/٣

قال : وحدّثنى عبد الله بن إسحاق بن القاسم ، قال : استعمل محمد الحسنَ بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على مكة ، ووجّه معه القاسم بن إسحاق واستعمله على اليمن .

قال : وحدثنى محمد بن إسماعيل عن أهله ، أن محمداً استعمل القاسم ابن إسحاق على اليمن وموسى بن عبد الله على الشأم ، يدعوان إليه ؛ فقُتل قبل أن يصلا .

قال : وحدّثنى أزهر بن سعيد ، قال : استعمل محمد حين ظهر عبدالعزيز ابن الدراوردىّ على السلاح .

---

(١) ت ، ج : « بهذا » . (٢) ت : « وما ذاك » .

قال : وأخبرنى محمد بن يحيى ومحمد بن الحسن بن زَبَالة وغيرهما ، قالوا[1] : لما ظهر محمد ، قال ابن هَرْمة — وقد أنشد بعضهم ما لم ينشد غيرُه لأبى جعفر :

غلبتَ على الخلافة مَن تمنّى ومنّاه المُضِلُّ بها الضُّلُولُ
فأهلك نفسَه سَفَهًا وجُبْنًا ولم يُقسَمْ له منها فتيلُ
ووازَرَهُ ذَوُو طَمَعٍ فكانوا غُثاءَ السَّيْل يجمعه السُّيولُ
دَعوا إبليسَ إذ كذبوا وجارُوا[2] فلم يُصْرِخْهمُ المُغوِى الخَذول
وكانوا أهلَ طاعتِهِ فولّى وسار وراءه منهم قبيل[3]
وهُمْ لم يُقصِرُوا فيها بحقّ على أثَرِ المُضِلِّ ولم يُطِيلوا
وما الناسُ احْتَبَوْك بها ولكن حَبَاك بذلك الملك الجليلُ
تراثُ محمد لكمُ وكنتمْ أصولَ الحقّ إذ نُفِيَ الأُصولُ[4]

٣/٢٠٣

قال : وحدّثنى محمود بن مَعْمر بن أبى الشدائد الفزارىّ وموهوب بن رشيد ابن حيّان الكلابىّ ، قال : قال أبو الشدائد لما ظهر محمد وتوجّه إليه عيسى :

أتتك النجائبُ والمُقْرَباتُ بعيسى بن موسى فلا تَعْجَلِ

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : كان محمد آدم شديد الأُدْمة ، أدلم[5] جسيماً عظيماً ؛ وكان يلقب القارىّ من أُدْمته ، حتى كان أبو جعفر يدعوه محمَّماً .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى إبراهيم بن زياد بن عنبسة ، قال : ما رأيتُ محمداً رَقِيَ المنبر قطّ إلا سمعت بقعقعة من تحته ؛ وإنى لبمكانى ذلك .

قال : وحدّثنى عبد الله بن عمر بن حبيب ، قال : حدثنى من حضر محمداً على المنبر يخطب ؛ فاعترض بَلْغَم فى حلقه فتنحنح ، فذهب ثم عاد فتنحنح ، فذهب ثم عاد فتنحنح ، ثم عاد فتنحنح ثم نظر فلم ير موضعاً ؛ فرمى بنُخامته سَقْف المسجد فألصقها به .

---

(١) ط : « قال » ، وما أثبته من ت . (٢) ب ، ت : « إذ كربوا » .
(٣) كذا فى ب ، ت ، ه ، وهو الصواب ، وفى ط : « وصار » .
(٤) ج : « إذ بقى » . (٥) الأدلم : الشديد السواد من الرجال .

قال : وحدّثني عبد الله بن نافع ، قال : حدّثني إبراهيم بن عليّ من آل أبي رافع ، قال : كان محمد تمتاماً ، فرأيته على المنبر يتلجلج الكلام في صدره ، فيضرب بيده على صَدْره ، ويستخرج الكلام .

قال : وحدثني عيسى ، قال : حدّثني أبي ، قال : دخل عيسى بن موسى يوماً على أبي جعفر ، فقال : سرّك الله يا أمير المؤمنين ! قال : فيم ؟ ٣/٢٠٤ قال : ابتعتُ وجه دار عبد الله بن جعفر من بني معاوية ؛ حسن ويزيد وصالح ، قال أتفرح ! أما والله ما باعوها إلاّ ليثبوا عليك بثمنها .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن عبد الله بن الربيع بن عبيد الله بن عبد المدان بن عبيد الله ، قال : خرج محمّد بالمدينة ، وقد خطّ المنصور مدينته بغداد بالقصب ، فسار إلى الكوفة وسرتُ معه ، فصيّح بي فلحقتُه ، فصَمتَ طويلا ثم قال : يابن الربيع ، خرج محمد ، قلت : أين ؟ قال : بالمدينة ، قلت : هلك والله وأهلك ؛ خرج والله في غير عدد ولا رجال يا أميرَ المؤمنين ؛ ألا أحدّثك حديثاً حدّثنيه سعيد بن عمرو بن جعدة المخزوميّ ؟ قال : كنت مع مَرْوان يوم الزّاب واقفاً ، فقال : يا سعيد ، مَن هذا الذي يقاتلني[1] في هذه الخيل ؟ قلتُ : عبد الله ابن عليّ بن عبد الله بن عباس ، قال : أيّهم هو ؟ عَرِّفْه ، قلت : نعم ، رجل أصفر حَسَن الوجه رقيق الذراعين ، رجل دخل عليك يشتم عبد الله بن معاوية حين هزِم ؛ قال : قد عرفته ، والله لوددت أن عليّ بن أبي طالب يقاتلني مكانه ؛ إن علياً وولده لا حظّ لهم في هذا الأمر ؛ وهذا رجل من بني هاشم وابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس ، معه ريح الشأم ونصر الشأم . يابن جعدة ، تدري ما حملني على أن عقدتُ لعبد الله وعبيد الله ٣/٢٠٥ ابني مروان ، وتركتُ عبدَ الملك وهو أكبر من عبيد الله ؟ قلتُ : لا ، قال : وجدتُ الذي يلي هذا الأمر عبد الله ؛ وكان عبيد الله أقربَ إلى عبد الله من عبد الملك ؛ فعقدتُ له . فقال : أنشدك الله ! أحدّثك هذا ابن جعدة ! قلت : ابنةُ سفيان بن معاوية طالق البتّة إن لم يكن حدثني ما حدثتك .

---

(١) ج : « يقابلني » .

قال عمر : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : خرج إلى أبى جعفر فى الليلة التى ظهر فيها محمد رجل من آل أويس ابن أبى سَرْح من بنى عامر بن لؤىّ ، فسار تسعاً من المدينة ، فقدم ليلاً ، فقام على أبواب المدينة ، فصاح حتى نُذِرَ به ، فأدخِل ، فقال له الربيع : ما حاجتك هذه الساعة وأمير المؤمنين نائم ! قال : لا بدّ لى منه ، قال : أعلمْنا نُعلمْه ، فأبى ، فدخل الرّبيع عليه فأعلَمه ، فقال : سلْه عن حاجته ثم أعلمنى ؛ قال : قد أبى الرّجُل إلا مشافهتك . فأذن له ، فدخل عليه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، خرج محمد بن عبد الله بالمدينة ، قال : قتلتَه والله إن كنت صادقاً ! أخبِرنى مَنْ معه ؟ فسمّى له مَن خرج معه من وجوه أهل المدينة وأهل بيته ، قال : أنتَ رأيتَه وعاينتَه ؟ قال : أنا رأيته وعاينته وكلمتُه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً . فأدخله أبو جعفر بيتاً ، فلما أصبح جاءه رسول لسعيد بن دينار ؛ غلام عيسى بن موسى كان يلى أموال عيسى بالمدينة ، فأخبره بأمر محمد ، وتواترت عليه أخباره ، فأخرج الأويسىّ فقال : لأوطئنّ الرجال عَقِبيك ولأغنينّك ؛ وأمر له بتسعة آلاف ، لكلّ ليلة سارَها ألفاً . ٢٠٦/٣

قال : وحدّثنى ابن أبى حرب ، قال : لما بلغ أبا جعفر ظهورُه أشفق منه ؛ فجعل الحارث[1] المنجّم يقول له : يا أميرَ المؤمنين ، ما يجزعك منه ! فوالله لو ملك الأرض ما لبث إلا تسعين يوماً .

قال : وحدّثنى سهل بن عقيل بن إسماعيل ، عن أبيه ، قال : لما بلغ أبا جعفر خبره بادر إلى الكوفة ، وقال : أنا أبو جعفر ؛ استخرجت الثعلب من جُحْره .

قال : وحدّثنى عبد الملك بن سليمان ، عن حبيب بن مرزوق ، قال : حدّثنى تسنيم بن الحوارىّ ، قال : لما ظهر محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، أرسل أبو جعفر إلى عبد الله بن علىّ وهو محبوس عنده : إنّ هذا الرجل قد خرج ؛ فإن كان عندك رأى فأشِرْ به علينا ـ وكان ذا رأى عندهم ـ فقال :

---

(١) ت وابن الأثير : « الحارثى » .

إنّ المحبوس محبوس الرأى، فأخرجنى حتى يخرج رأيى ؛ فأرسل إليه أبو جعفر : لو جاءنى حتى يضرب بابى ما أخرجتك ؛ وأنا خير لك منه، وهو مُلْك أهل بيتك . فأرسل إليه عبد الله : ارتحل الساعة حتى تأتىَ الكوفة ، فاجثم على أكبادهم ؛ فإنهم شيعة أهل هذا البيت وأنصارهم ، ثم احففْها بالمسالح ؛ فمن خرج منها إلى وَجْه من الوجوه أو أتاها من وجه من الوجوه فاضرب عنقه ؛ وابعث إلى سَلْم بن قتيبة ينحدر عليك — وكان بالرّىّ — واكتب إلى أهل الشأم فمرهم أن يحملوا إليك من أهل البأس والنجدة ما يحمل البريد، فأحسِنْ جوائزهم ، ووجّههم مع سَلْم . ففعل . ٢٠٧/٣

قال : وحدّثنى العباس بن سفيان بن يحيى بن زياد ، قال : سمعتُ أشياخنا يقولون : لما ظهر محمد ظهر وعبد الله بن علىّ محبوس ، فقال أبو جعفر لإخوته : إن هذا الأحمق لا يزال يطلع له الرأى الجيّد فى الحرب ؛ فادخلوا عليه فشاوروه ولا تُعلموه أنى أمرتكم . فدخلوا عليه ، فلما رآهم قال : لأمرٍ ما جئتم ؛ ما جاء بكم جميعًا وقد هجرتمونى منذ دهر ! قالوا : استأذنّا أميرَ المؤمنين فأذن لنا ، قال : ليس هذا بشىء ؛ فما الخبر ؟ قالوا : خرج ابن عبد الله ، قال : فما ترون ابن سلامة صانعًا ؟ يعنى أبا جعفر — قالوا : لا ندرى والله ، قال : إنّ البُخل قد قتله ، فمروه فليُخرج الأموال ، فليُعْط الأجناد ، فإن غلب فما أوشك أن يعود إليه مالُه ، وإن غُلب لم يقدم صاحبُه على درهم واحد .

قال : وحدّثنا عبد الملك بن شيبان ، قال : أخبرنى زيد مولى مسمع بن عبد الملك ، قال : لما ظهر محمد دعا أبو جعفر عيسى بن موسى ، فقال له : قد ظهر محمد فسِرْ إليه ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ هؤلاء عمومتك حولك ، فادْعهم فشاورهم ، قال : فأين قول ابن هَرْمة :

تروْن امْرَأً لا يُمْحِض القومَ سِرّهُ ولا يَنتَجِى الأَذْنَيْن فيما يحاولُ
إذا ما أتى شيئًا مضى كالذى أبَى وإن قال إنى فاعِلٌ فهو فاعِلُ

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : نسختُ هذه الرسائل من محمد

٣/٢٠٨ ابن بشير ؛ وكان بشير يصححها ؛ وحدّثنيها أبو عبد الرحمن من كُتّاب أهل العراق والحكم بن صدقة بن نزار ، وسمعت ابن أبى حرب يصحّحُها ؛ ويزعم أن رسالة محمد لما وردتْ على أبى جعفر ، قال أبو أيوب : دعنى أجبْه عليها ، فقال أبو جعفر : لا بل أنا أجيبه عنها ؛ إذ تقارعنا على الأحساب فدعنى (١) وإيّاه .

قالوا : لما بلغ أبا جعفر المنصور ظهورُ محمد بن عبد الله المدينة كتب إليـــه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فى الْأَرْضِ فَسادًا أَن يُقَتَّلوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقطَّعَ أَيديهِمْ وأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا من الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزىٌ فِى الدُّنْيا ولَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢) ولك علىّ عهد الله وميثاقه وذمّته وذِمّةُ رسوله صلى الله عليه وسلم إنْ تبتَ ورجعْتَ من قبل أن أقدر عليك أن (٣ أؤمنك وجميعَ ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومَن اتّبعكم على دمائكم وأموالكم ٣) ، وأسوّغك ما أصبت من دم أو مال ، وأعطيك ألف ألف درهم ، وما سألت من الحوائج ،

٣/٢٠٩ وأنزِلَك من البلاد حيث شئتَ ، وأن أطلق مَنْ فى حبسى من أهل بيتك ، وأن أؤمّن كلّ مَنْ جاءك وبايعك واتبعك ، أو دخل معك فى شىء من أمرك ، ثم لا أتبع أحداً منهم بشىء كان منه أبداً . فإن أردت (٤) أن تتوثّق لنفسك ، فوجِّه إلىّ مَنْ أحببتَ (٥) يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تثق به .

وكتب على العنوان : من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله.

فكتب إليه محمد بن عبد الله :

---

(١) ج : « دعنى » . (٢) سورة المائدة ٣٣ ، ٣٤ .
(٣ – ٣) الكامل : « أن أؤمنك على نفسك وولدك وإخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك » . (٤) الكامل : « فإن شئت » .
(٥) الكامل : « ما أحببت » .

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله المهدىّ محمد بن عبد الله إلى عبد الله بن محمد :﴿ طسٓمٓ * تِلْكَ آياتُ الكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَونَ بالحقِّ لقَوْمٍ يؤْمِنُون * إنَّ فِرْعَونَ عَلَا فِى الْأَرْضِ وَجَعَل أَهْلَها شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّح أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحيِى نِساءَهم إنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * ونُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فى الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * ونُمكِّنَ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَونَ وهَامَان وجُنودَهما مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [١]. وأنا أعرضُ عليك من الأمان مثلَ الذى [٢] عرضْتَ علىّ ، فإنّ الحقّ حقّنا ؛ وإنما ادّعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم [٣] له بشيعتنا ، وحظيتم [٤] بفضلنا ؛ وإنّ [٥] أبانا عليًّا كان الوصىّ وكان الإمام ؛ فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ! ثم قد علمتَ أنه لم يطلب هذا الأمر أحدٌ له مثل نسبِنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا ؛ لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلَقاء ، وليس يمتّ [٦] أحدٌ من بنى هاشم بمثل الذى نمتُّ به من القرابة والسابقة والفضْل ؛ وإنا بنو أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو فى الجاهليّة وبنو بنته فاطمة فى الإسلام دونكم. إن الله اختارنا واختار لنا ؛ فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن السلف أوّلهم إسلامًا علىّ ، ومن الأزواج أفضلهنّ خديجة الطاهرة ، وأوّل مَن صلّى القبلة ، ومن البنات خيرهُنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين فى الإسلام حسن وحسين سيّدا شباب أهل الجنة ؛ وإنّ هاشمًا ولد عليًّا مرتين [٧] ؛ وإن عبد المطلب ولد حسنًا مرتين [٨] وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرّتين من قِبل حسن وحسين ؛ وإنى أوسط بنى هاشم

٣/٢١٠

---

(١) سورة القصص ١ — ٥ .
(٢) ب : « ما » ، ابن الأثير : « مثل ما » .
(٣) الكامل : « ونهضتم » .
(٤) الكامل : « وخبطتموه » .
(٥) ب وابن الأثير : « فإن » .
(٦) يمت ، أى يتوسل ، وبعدها فى الكامل : « دونكم »
(٧) يعنى على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وعليا زين العابدين بن الحسين بن على ابن أبى طالب .
(٨) يعنى جده وأبا جده ؛ فهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب .

نسبًا ، وأصرحُهم أبًا ، لم تعرّق فىّ العجم[١] ، و لم تنازع فىّ أمهاتُ الأولاد ؛ فما زال الله يختارُ لى الآباء والأمهات فى الجاهلية والإسلام حتّى اختار لى فى النار ؛ فأنا ابن أرفع الناس درجةً فى الجنة ، وأهونهم عذابًا فى النار[٢] ، وأنا ابن خير الأخيار ، وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة ، وابن خير أهل النار. ولكالله علىّ إن دخلتَ فى طاعتى ، وأجبت دعوتى أن أؤمّنك على نفسك ومالك ، وعلى كل أمر أحدثته ، إلا حدًّا من حدود الله أو حقًّا لمسلم أو معاهد ؛ فقد علمتَ ما يلزمك من ذلك ، وأنا أوْلى بالأمر منك وأوفى بالعهد ؛ لأنك أعطيتَنى من العهد والأمان ما أعطيته رجالاً قبلى ؛ فأىّ الأمانات تعطينى ! أمان ابن هبيرة ، أم أمان عمّك عبد الله بن علىّ ، أم أمان أبى مسلم[٣] !

٢١١/٣

فكتب إليه أبو جعفر :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ ، فقد بلغنى كلامُك ، وقرأتُ كتابَك ، فإذا جلّ فخرك بقرابة النساء ؛ لتضلّ به الجُفاة والغوغاء ؛ ولم يجعل الله النساء كالعُمُومة والآباء ، ولا كالعَصبة والأولياء ؛ لأن الله جعل العمّ أبًا ، وبدأ به فى كتابه على الوالدة الدنيا[٤] . ولو كان اختيارُ الله لهنّ على قدر قرابتهنّ كانت آمنةُ أقربَهنّ رحِمًا ، وأعظمهن حقًّا ، وأوّل من يدخل الجنة غداً ؛ ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم ، واصطفائه لهم .

وأما ما ذكرت من فاطمة أمّ أبى طالب وولادتها ، فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها[٥] الإسلام لا بنتًا ولا ابنًا ،ولو أن أحداً رُزق الإسلام بالقرابة رُزقه

---

(١) يعرض بالمنصور ؛ وكانت أمه أم ولد يقال لها سلامة بربرية ؛ انظر مروج الذهب ٢ : ٢٩٤ .

(٢) يعنى جده أبا طالب .

(٣) كامل المبرد ٤ : ١١٣ – ١١٦ .

(٤) الكامل : « الوالد الأدنى » ، وبعدها هناك : « فقال جل ثناؤه عن نبيه يوسف عليه السلام : ﴿واتّبعتُ ملّةَ آبائى إبْراهيمَ وإسحاقَ ويَعْقوبَ﴾ .

(٥) ذكر الطبرى أن أولادها هم : « عبد الله أبو رسول الله ، والزبير ، وعبد الكعبة ، وعاتكة ، وبرة ، وأميمة ، ولد عبد المطلب إخوة ، وأمهم جميعاً فاطمة بنت عمرو » .

عبد الله أوْلاهم بكلّ خير فى الدنيا والآخرة ؛ ولكنّ الأمر لله يختارُ لدينه من يشاء، قال الله عزّوجلّ : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [1] ، ولقد بعث الله محمداً عليه السلام وله ٢١٢/٣ عُمومة أربعة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [2] . فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان أحدهما أبى ، وأبَى اثنان أحدهما أبوك ؛ فقطع الله ولايتهما منه ؛ ولم يجعل بينه وبينهما إلًّا ولاَ ذِمّةً ولاميراثاً . وزعمتَ أنك ابن أخفّ أهل النار عذاباً وابن خير الأشرار ؛ وليس فى الكفر بالله صغير ، ولا فى عذاب الله خفيف ولا يسير ؛ وليس فى الشرّ خيار ؛ ولا ينبغى لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار ، وستردُ فتعلم ؛ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [3]

وأما ما فخرت به من فاطمة أمّ علىّ وأنّ هاشماً ولده مرتين ، ومن فاطمة أمّ حسن ، وأن عبد المطلب ولده مرتين ؛ وأن النبىّ صلى الله عليه وسلم ولدك مرتين ؛ فخير الأوّلين والآخرين رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولم يلده هاشم إلاّ مرةً ولا عبد المطلب إلا مرّة .

وزعمت أنك أوسط بنى هاشم نسباً ، وأصرحهم أمّاً وأباً ؛ وأنه لم تلدك العجمُ ولم تعرّق فيك أمّهاتُ الأولاد ؛ فقد رأيتُك فخرت على بنى هاشم طرّاً ؛ فانظر ويحك أين أنتَ من الله غداً ! فإنك قد تعدّيتَ طوْرك ، وفخرت على مَنْ هو خير منك نفساً وأباً وأولاً وآخراً ، إبراهيم [4] بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والدِ ولده ؛ وما خيار بنى أبيك خاصّة وأهل الفضل منهم إلاّ بنو أمهات أولاد ، وما وُلد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلُ من علىّ ٢١٣/٣ ابن حسين ؛ وهو لأمّ [5] ولد ؛ ولهو خيرٌ من جدّك حسن بن حسن ؛ وما كان فيكم بعده مثلُ ابنه محمد بن علىّ ، وجدّتُه أمّ ولد ؛ ولهو خيرٌ من أبيك ؛

---

(١) سورة القصص ٥٦ . (٢) سورة الشعراء ٢١٤ .
(٣) سورة الشعراء ٢٢٧ .
(٤) أم إبراهيم مارية التى أهداها المقوقس عظيم القبط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٥) أم على زين العابدين ؛ سبية من بنات يزدجرد . وانظر ابن خلكان ١ : ٣٢٠ .

ولا مثلُ ابنه جعفر وجدّته أمّ ولد ؛ ولهو خيرٌ منك .

وأما قولك : إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾[1] ، ولكنكم بنو ابنته؛ وإنها لقرابة قريبة ؛ ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الإمامة ؛ فكيف تورّث بها ! ولقد طلبها أبوك بكلّ وجه فأخرجها[2] نهاراً ، ومرّضها سرّاً ، ودفنها ليلا ؛ فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلهما ؛ ولقد جاءت السنّة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين أن الجدّ أبا الأم والخال والخالة لا يرثون[3] .

وأما ما فخرت به من عليّ وسابقته ، فقد حضرتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الوفاةُ ، فأمر غيرَه بالصّلاة ، ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه ؛ وكان في الستّة فتركوه كلهم دفعاً له عنها ، ولم يروْا له حقّاً فيها ؛ أما عبدالرحمن فقدّم عليه عثمان ، وقُتِل عثمان وهو له متّهم ، وقاتله طلحة والزبير ، وأبى سعد بيعتَه ، وأغلق دونه بابه ، ثم بايع معاويةَ بعده . ثم طلبها بكلّ وجه وقاتل عليها ، وتفرّق عنه أصحابه ، وشكّ فيه شيعتُه قبل الحكومة ، ثم حكّم حكَمين رضي بهما ، وأعطاهما عهده وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه . ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرَق ودراهم ولحق بالحجاز ؛ وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الأمر إلى غير أهله ؛ وأخذ مالاً من غير ولائه[4] ولاحِلّه ؛ فإنْ كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه . ثم خرج عمّك حسين بن عليّ على ابن مرْجانة[5] ، فكان الناس معه عليه حتى قتلوه ، وأتوا برأسه إليه ، ثم خرجتم على بني أميّة ، فقتلوكم وصلّبوكم على جُذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ، ونفوْكم من البلدان ؛ حتى قُتِل يحيى بن زيد بخُراسان ؛ وقتلوا رجالكم وأسروا الصِّبْيَة والنساء ، وحملوهم بلا وطاء في المحافل[6] كالسّبْي

٣/٢١٤

---

(١) سورة الأحزاب ٤٠ . (٢) ابن الأثير : « فأخرج فاطمة » .

(٣) ابن الأثير : « يورثون » . (٤) ب : « ولاته » ، ج وابن الأثير : « ولاية » .

(٥) هو عبيد الله بن زياد ، ومرجانة أمه .

(٦) الوطاء : المهاد الوطيء . والمحمل : شقان على البعير ؛ يحمل فيهما العديلان ؛ وجمعه محامل . في الكامل : « ثم أتوا بكم على الأقتاب من غير أوطئة كالسبي المجلوب » .

المجلوب إلى الشأم ؛ حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وسنّينا سلفكم وفضّلناه ، فاتخذتَ ذلك علينا حجة .

وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضّلناه للتقدمة منّا له على حمزة والعباس وجعفر ؛ وليس ذلك كما ظننت ؛ ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلَّماً منهم ، مجتمَعاً عليهم بالفضل ، وابتُلى أبوك بالقتال والحرب ؛ وكانت بنو أميّة تلعنه كما تلعن الكفَرة فى الصلاة المكتوبة ، فاحتججنا له ، وذكّرناهم فضله ، وعنّفناهم وظلّمناهم بما نالوا منه . ولقد علمتَ أن مكرُمتنا فى الجاهلية سقايةُ الحجيج[1] الأعظم ، وولاية زمزم ؛ فصارت للعباس من بين إخوته ؛ فنازعَنا فيها أبوك ، فقضى لنا عليه عمر ، فلم نزل نليها فى الجاهلية والإسلام ؛ ولقد قحط أهلُ المدينة فلم يتوسل عمر إلى ربّه ولم يتقرّب إليه إلا بأبينا ، حتى نعَشهم[2] الله وسقاهم الغيث ، وأبوك حاضرٌ لم يتوسّل به ؛ ولقد علمت أنه لم يبق أحدٌ من بنى عبد المطلب بعد النبىّ صلى الله عليه وسلم غيرُه ؛ فكان وراثَه من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غيرُ واحد من بنى هاشم فلم ينَلْه إلا ولدُه ؛ فالسقايةُ سقايتُه وميراثُ النبىّ له ، والخلافة فى ولده ، فلم يبق شَرَفٌ ولا فضل فى جاهلية ولا إسلام[3] فى دنيا ولا آخرة إلا والعباس وارثه وموَرّثه .

٢١٥/٣

وأما ما ذكرت من بَدْر ؛ فإن الإسلام جاء والعباس يَمون أبا طالب وعياله ، وينفق عليهم للأزمة التى أصابته ؛ ولولا أنّ العباس أخرِج إلى بدر كارهاً[4] لمات طالب وعَقيل جوعاً ، وللحسا جفان عُتْبة وشيبة ؛ ولكنه كان من المطعِمين ، فأذهب عنكم العار والسبَّة ، وكفَاكم النَّفقة والمؤونة ، ثم فدى عَقيلا يوم بَدْر ؛ فكيف تفخر علينا وقد عُلْناكم فى الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحُزْنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدركنا[5] منه ما عجزتم عنه ؛ ولم تدركوا لأنفسكم ! والسلام عليك ورحمة الله[6] .

---

(١) ابن الأثير : « الحاج » .
(٢) ابن الأثير : « يغشيهم » .
(٣) ج : « الجاهلية والإسلام » . (٤) ج : « كرهاً » .
(٥) ج : « وأدركنا » .
(٦) كامل المبرد ٤ : ١١٦ – ١٢٠ .

قال عمر بن شبّة : حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : أجمع ابن القسريّ على الغدر بمحمد ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، ابعث موسى بن عبد الله ومعه رزاماً مولايَ إلى الشأم يدعوان إليك . ٢١٦/٣ فبعثهما فخرج رزام بموسى إلى الشأم ، وظهر محمد على أن القسريّ كتب إلى أبي جعفر في أمره ، فحبسه في نفر ممن كان معه في دار ابن هشام التي في قبلة مصلى الجنائز — وهي اليوم لفرج الخصيّ — وورد رزام بموسى الشأم ، ثم انسلّ منه ، فذهب إلى أبي جعفر ، فكتب موسى إلى محمد : إني أخبرك أني لقيت الشأم وأهله ، فكان أحسنهم قولا الذى قال : والله لقد مللنا البلاء ، وضقنا به ذرعاً ، حتى ما فينا لهذا الأمر موضع ، ولا لنا به حاجة ؛ ومنهم طائفة تحلف : لئن أصبحنا من ليلتنا أو مسّينا من غد ليرفعنّ أمرنا وليدلنّ علينا ، فكتبت إليك وقد غيبت وجهي ، وخفت على نفسي . قال الحارث : ويقال إنّ موسى ورزاماً وعبد الله بن جعفر بن عبدالرحمن بن المسور توجهوا إلى الشأم في جماعة ، فلما ساروا بتيْماء ، تخلّف رزام ليشترى لهم زاداً ، فركب إلى العراق ، ورجع موسى وأصحابه إلى المدينة .

قال : وحدّثني عيسى ، قال : حدثني موسى بن عبد الله ببغداد ورزام معنا ، قال : بعثني محمد ورزاماً في رجال معنا إلى الشأم ، لندعُوَ له ؛ فإنا لبدَوْمَة الجندل ، إذ أصابنا حرٌّ شديد ؛ فنزلنا عن رواحلنا نغتسل في غدير ، فاستلّ رزام سيفَه ، ثم وقف على رأسي ، وقال : يا موسى ، أرأيتَ لو ضربتُ عنقك ثم مضيت[1] برأسك إلى أبي جعفر ؛ أيكون أحد عنده في منزلتي ! قال : قلت : لا تدع هزلتك يا أبا قيس ! شمْ سيفك غفر الله لك . ٢١٧/٣ قال : فشام سيفه ، فركبنا . قال عيسى : فرجع موسى قبل أن يصل إلى الشأم ، فأتى البصرة هو وعثمان بن محمد ، فدُلّ عليهما ، فأخذا .

قال : وحدّثني عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزّبير ، قال : حدّثني أخي عبد الله بن نافع الأكبر ، قال : لما ظهر محمد لم يأته أبي نافع ابن ثابت ، فأرسل إليه ، فأتاه وهو في دار مَرْوان ، فقال : يا أبا عبد الله ،

(١) ج : « ذهبت » .

لم أرك جئتنا ! قال : ليس فىّ ما تريد ، فألحّ عليه محمد ؛ حتى قال : البس السلاحَ يتأسّ بك غيرك ، فقال : أيها الرجل ؛ إنى والله ما أراك فى شىء ؛ خرجتَ فى بلد ليس فيه مال ولا رجال ولا كُراع ولا سلاح ؛ وما أنا بمهلك نفسى معك ، ولا معين على دمى . قال : انصرفْ ؛ فلا شىء فيك بعد هذا . قال : فمكث يختلف إلى المسجد إلى أن قُتِل محمد ، فلم يصلّ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قُتل إلا نافع وحدَه .

ووجّه محمد بن عبد الله لما ظهر — فيما ذكر عمر عن أزهر بن سعيد بن نافع — الحسن بن معاوية إلى مكة عاملا عليها ، ومعه العباس بن القاسم — رجل من آل أبى لهب — فلم يشعر بهم السرىّ بن عبد الله حتى دنَوْا من مكة ، فخرج إليهم ، فقال له مولاه : ما رأيك ؟ قد دنونا منهم ، قال : انهزِموا على بركة الله، وموْعدكم بئْر ميمون. فانهزموا ؛ ودخلها الحسن بن معاوية . وخرج الحسين بن صَخْر — رجل من آل أوَيس — من ليلته ، فسار إلى أبى جعفر تسعًا فأخبره فقال : « قد أنصف القَارة من رَاماها »[1] ، وأجازه بثلثمائة درهم .

٢١٨/٣

قال : وحدّثنى أيوب بن عمر ، قال :حدّثنى محمد بن صالح بن معاوية ، قال : حدّثنى أبى ، قال : كنت عند محمد حين عقد للحسن بن معاوية على مكة ، فقال له الحسن : أرأيت إن التحم القتال بيننا وبينهم ، ما ترى فى السرىّ؟ قال : يا حسن ،إن السرىّ لم يزل مجتنبًا لما كرهنا ، كارهًا للذى صنع أبوجعفر ؛ فإن ظفرتَ به فلا تقتلنْه ؛ ولا تحركنّ له أهلا ، ولاتأخذنّ له متاعًا ، وإن تنحّى فلا تطلبنّ له أثراً . قال : فقال له الحسن : يا أميرَ المؤمنين ، ما كنت أحسبك تقول هذا فى أحد من آل العباس ، قال : بلى ، إن السرىّ لم يزل ساخطًا لما صنع أبو جعفر .

قال : وحدّثنى عمر بن راشد مولى عَنْبج ، قال : كنت بمكة ، فبعث

---

(١) مثل ، والقارة : قبيلة من عضل ؛ وكانوا من رماة العرب .

إلينا محمد حين ظهر الحسن بن معاوية والقاسم بن إسحاق ومحمد بن عبد الله ابن عنبسة يدعى أبا جبرة، أميرهم الحسن بن معاوية ؛ فبعث إليهم السرىّ بن عبد الله كاتبه مسكين بن هلال فى ألف، ومولى له يدعى مسكين بن نافع فى ألف، ورجلا من أهل مكة يقال له ابن فرس – وكان شجاعاً – فى سبعمائة، وأعطاه خمسمائة دينار، فالتقوْا ببطن أذاخر بين الثنيّتيْن وهى الثنيّة التى تهبط على ذى طُوًى، منها هبط النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى مكة، وهى داخلة فى الحرم، فتراسلوا؛ فأرسل حسن إلى السرىّ أن خلّ بيننا وبين مكة، ولا تُهريقوا الدماء فى حرم الله. وحلف الرسولان للسرىّ: ما جئناك حتى مات أبو جعفر. فقال لهما السرىّ: وعلىّ مثل ما حلفتما به؛ إن كانت مضت لى أربعة؛ منذ جاءنى رسول من عند أمير المؤمنين، فأنظرونى أربع ليال؛ فإنى أنتظر رسولاً لى آخر، وعلىّ ما يصلحكم، ويصلح دوابكم، فإن يكن ما تقولونه حقًّا سلّمتها إليكم؛ وإن يكن باطلا أجاهدكم حتى تغلبونى أو أغلبكم؛ فأبى الحسن، وقال: لا نبرح حتى نناجزك، ومع الحسن سبعون رجلا وسبعة من الخيل، فلما دنوْا منه، قال لهم الحسن: لا يقدَمنّ أحد منكم حتى ينفخ فى البوق [(١)]؛ فإذا نفخ فلتكن حملتكم حملة رجل واحد. فلما رهِقْناهم وخشى الحسن أن يغشاه وأصحابَه، ناداه: انفخ ويحك فى البوق! فنفخ ووثبوا وحملوا علينا حمْلة رجل واحد. فانهزم أصحاب السرىّ، وقتل منهم سبعة نفر. قال: واطلع عليهم بفرسان من أصحابه وهم من وراء الثنيّة فى نفر من قريش قد خرج بهم، وأخذ عليهم لينصُرُنَّه، فلما رآهم القرشيّون قالوا: هؤلاء أصحابُك قد انهزموا، قال: لا تعجلوا، إلى أن طلعت الخيل والرجال فى الجبال؛ فقيل له: ما بقى؟ فقال: انهزِموا على بركة الله، فانهزموا حتى دخلوا دار الإمارة، وطرحوا أداة الحرْب، وتسوّروا على رجل من الجند يكنى أبا الرزام. فدخلوا بيته فكانوا فيه. ودخل الحسن بن معاوية المسجد، فخطب الناس ونعى إليهم أبا جعفر ودعا لمحمد.

٢١٩/٣

قال: وحدّثنى يعقوب بن القاسم، قال: حدّثنى الغمر بن حمزة بن أبى رملة، مولى العباس بن عبد المطلب، قال: لما أخذ الحسن بن معاوية

٢٢٠/٣

(١) ط: «ونتوا فى البوق»، والصواب ما أثبته من ت، ه.

مكة ، وفرّ السرىّ بلغ الخبر أبا جعفر ، فقال : لهفِى على ابن أبى العَضَل .

قال : وحدّثنى ابن أبى مُساور بن عبد الله بن مساور مولى بنى نائلة من بنى عبد الله بن مُعيْص ، قال : كنت بمكة مع السرىّ بن عبد الله ، فقدم عليه الحسنُ بن معاوية قبل مخرج محمد — والسرىّ يومئذ بالطائف وخليفته بمكة ابن سُراقة من بنى عدىّ بن كعب — قال : فاستعدى عتبة بن أبى خداش اللّهَبِىّ على الحسن بن معاوية فى دَيْنٍ عليه فحبسه ، فكتب له السرىّ إلى ابن أبى خداش : أما بعد فقد أخطأتَ حظّك ، وساء نظرك لنفسك حين تحبس ابنَ معاوية ؛ وإنما أصبت المال من أخيه . وكتب إلى ابن سراقة يأمره بتخليته ، وكتب إلى ابن معاوية يأمره بالمقام إلى أن يقدَم فيقضى عنه . قال : فلم يلبث أن ظهر محمد ، فشخص إليه الحسن بن معاوية عاملا على مكة ، فقيل للسرىّ : هذا ابن معاوية قد أقبل إليك ، قال : كلاّ ما يفعل وبلائى عنده [بلائى] (١) ، وكيف يخرج إلىّ أهل المدينة ! فوالله مابها دار إلا وقد دخلها لى معروف ، فقيل له : قد نزل فجاء . قال : فشخص إليه ابنُ جريج ، فقال له : أيها الرجل ، إنك والله ما أنتَ بواصل إلى مكة وقد اجتمع أهلُها مع السرىّ ، أتُراك قاهراً قريشًا وغاصبها على دارها ! قال : يابن الحائك ، أبأهل مكة تخوّفنى ! والله ما أبيت إلا بها أو أموت دونها . ثم وثب فى أصحابه ، وأقبل إليه السرىّ ، فلقيه بفخّ ، فضرب رجل من أصحاب الحسن مسْكين بن هلال كاتب السرىّ على رأسه فشجّه ، فانهزم السرىّ وأصحابه ، فدخلوا مكة ، والتفّ أبو الرزام — رجل من بنى عبد الدار ثم أحد آل شيبة — على السرىّ ، فواراه فى بيته ، ودخل الحسن مكة . ثم إن الحسن أقام بمكة يسيراً ، ثم ورد كتاب محمد عليه يأمره باللحاق به . ٢٢١/٣

وذكر عمر عن عبد الله بن إسحاق بن القاسم ، قال : سمعتُ من لا أحصى من أصحابنا يذكر أنّ الحسن والقاسم لما أخذا مكة ، تجهّزا وجمعا جمعًا كثيراً ، ثم أقبلا يريدان محمداً ونُصرته على عيسى بن موسى ؛ واستخلفا على مكة رجلا من الأنصار ؛ فلما كانا بقُدَيْد لقيهما قتْلُ محمد ، فتفرّق

(١) من ت ، ھ .

الناس عنهما ، وأخذ الحسن على بَسْقة — وهى حرّة فى الرمل تدعى بَسْقة قُدَيد — فلحق بإبراهيم ؛ فلم يزل مقيماً بالبصرة حتى قُتل إبراهيم . وخرج القاسم بن إسحاق يريد إبراهيم ؛ فلما كان ببديع من أرض فَدَك ، لقيه قتلُ إبراهيم ، فرجع إلى المدينة ، فلم يزل مختفياً حتى أخذت ابنة عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن جعفر ؛ زوجة عيسى بن موسى ، له ولإخوته الأمان فظهر[1] بنو معاوية ، وظهر القاسم .

قال : وحدّثنى عمر بن راشد مولى عنج ، قال : لما ظهر الحسن بن معاوية على السرىّ أقام قليلا حتى أتاه كتاب محمد يأمره بالشخوص إليه ؛ ويخبره أن عيسى قد دنا من المدينة ، ويستعجله بالقدوم . قال : فخرج من مكة يوم الاثنين فى مطر شديد — زعموا أنه اليوم الذى قُتِل فيه محمد — فتلقاه بريدٌ لعيسى بن موسى بأمَج — وهو ماء لخزاعة بين عُسفان وقُديد — بقتل محمد ، فهرب وهرب أصحابه . ٣/٢٢٢

قال عمر : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى عبد العزيز بن أبى ثابت عن أبى سيار ، قال : كنت حاجبَ محمد بن عبد الله ، فجاءنى راكبٌ من الليل ، قال : قدمتُ من البصرة ، وقد خرج بها إبراهيم ، فأخذها . قال : فجئتُ دار مَرْوان ، ثم جئت المنزل الذى فيه محمد ، فدققتُ الباب ، فصاح بأعلى صوته : من هذا ؟ قلت : أبو سيّار ، قال : لا حول ولا قوّة إلا بالله ؛ اللهم إنى أعوذ بك من شرّ طوارق الليل ؛ إلا طارق يطرق منك بخير ، قال : خير ! قلت : خير ، قال : ما وراءك ؟ قلت : أخذ إبراهيم البَصْرة — [قال] : وكان محمد إذا صلى المغرب والصبح صاح صائح : ادعوا الله لإخوانكم من أهل البصرة ، وللحسن بن معاوية واستنصروه على عدوّكم .

* * *

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : قدِم علينا رجل من أهل الشأم ، فنزل دارنا — وكان يكنى أبا عمرو — فكان أبى يقول له : كيف ترى هذا الرجل ؟ فيقول : حتى ألقاه فأسبرُه ثم أخبرك . قال عيسى : فلقيه أبى بعد ، فسأله

(١) كذا فى ت ، ه ، وفى ط « فصهره » .

فقال : هو والله الرجل كلّ الرجل ؛ ولكن رأيتُ شحم ظهره ذراعاً ، وليس هكذا يكون صاحبَ الحرب . قال : ثم بايعه بعد ، وقاتل معه .

٢٢٣/٣ قال : وحدّثني عبد الله بن محمد بن سلْم – يدعَى ابنَ البواب مولَى المنصور – قال : كتب أبو جعفر إلى الأعمش كتاباً على لسان محمد ، يدعوه إلى نصرته ، فلما قرأه قال : قد خبَرناكم يا بنى هاشم ؛ فإذا أنتم تحبّون الثريد. فلما رجع الرسول إلى أبى جعفر فأخبره ، قال : أشهد أنّ هذا كلام الأعمش .

وحدّثني الحارث ، قال : حدّثني ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : غلب محمد بن عبد الله على المدينة ، فبلغنا ذلك ، فخرجنا ونحن شباب ؛ أنا يومئذ ابنُ خمس عشرة سنة ، فانتهينا إليه ؛ وهو قد اجتمع إليه الناس ينظرون إليه ؛ ليس يُصَدّ عنه أحد ؛ فدنوتُ حتى رأيته وتأملته ؛ وهو على فرَس ، وعليه قميص أبيض محشوّ وعمامة بيضاء ؛ وكان رجلاً أحزم ؛ قد أثّر الجُدرىّ فى وجهه ، ثم وجّه إلى مكة فأخِذت له ، وبيّضوا ؛ ووجّه أخاه إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة ، فأخذها وغلبها وبيّضوا معه .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر . قال عمر : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : ندَب أمير المؤمنين أبو جعفر عيسى بن موسى لقتال محمد ، وقال : لا أبالى أيّهما قتل صاحبه ؛ وضمّ إليه أربعة آلاف من الجُنْد ، وبعث معه محمد بن أبى العباس أمير المؤمنين .

قال : وحدّثني عبد الملك بن شيبان . عن زيد مولى مسمع ، قال : لما أمر أبو جعفر عيسى بن موسى بالشخوص ، قال : شاوِرْ عمومتَك ، فقال له : امضِ أيها الرجل ؛ فوالله ما يراد غيرى وغيرك ؛ وما هو إلّا أن تشخص أو أشخص ؛ قال : فسار حتى قدم علينا ونحن بالمدينة .

٢٢٤/٣ قال : وحدّثني عبد الملك بن شيبان ، قال : دعا أبو جعفر بن حنظلة البَهرانىّ – وكان أبرصَ طُوالا ، أعلم الناس بالحرب ، وقد شهد مع مرْوان حروبه – فقال : يا جعفر ، قد ظهر محمد ، فما عندك ؟ قال : وأين ظهر ؟

قال : بالمدينة ، قال : فاحمد الله ، ظهر حيث لا مالَ ولا رجال ولا سلاح ولا كُراع ؛ ابعث مولًى لك تثق به فليسرْ حتى ينزل بوادى القرى ؛ فيمنعه ميرة الشأم ، فيموت مكانه جوعًا ، ففعل .

قال : وحدّثنى عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال : سمعتُ أصحابنا إسماعيل بن موسى وعيسى بن النّضْر وغيرهما يذكرون أنّ أبا جعفر قدّم كَثير ابن حُصَيْن العبدىّ ، فعسكر بفيد ، وخندق عليه خندقاً ؛ حتى قدم عليه عيسى بن موسى ، فخرج به إلى المدينة . قال عبد الله : فأنا رأيتُ الخندق قائمًا دهراً طويلاً ، ثم عفا ودَرس .

قال : وحدّثنى يعقوب بن القاسم ، قال : حدّثنى علىّ بن أبى طالب — ولقيته بصنعاء — قال : قال أبو جعفر لعيسى حين بعثه إلى محمد : عليك بأبى العسكر مسمع بن محمد بن شيبان بن مالك بن مسمع ، فسرْ به معك ؛ فإنى قد رأيته منعَ سعيد بن عمرو بن جَعدَة بن هبيرة من أهل البصرة ؛ وهم محلبون عليه[1] ؛ وهو يدعو إلى مَرْوان ؛ وهو عند أبى العسكر يأكل المخَّ بالطَّبرْزَد ، فخرج به عيسى ؛ فلما كان ببطن نخل ، تخلّف هو والمسعودىّ بن عبدالرحمن ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود حتى قُتِل محمد ، فبلغ ذلك أبا جعفر ، فقال لعيسى بن موسى : ألَّا ضربت عنقه ! ٢٢٥/٣

وحدّثنى عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ بن أبى طالب ، قال : أخبرنى أبى ، قال : قال أبو جعفر لعيسى بن موسى حين ودّعه : يا عيسى ؛ إنّى أبعثك إلى ما بَيْن هذين — وأشار إلى جنبيه — فإن ظفرت بالرجل فشِمْ سيفك ، وابذل الأمان ؛ وإن تغيّب فضمّنهم إياه حتى يأتوك به ، فإنهم يعرفون مذاهبه . قال : فلما دخلها عيسى فعل ذلك .

فحدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : وجّه أبو جعفر إلى محمد بن عبد الله بالمدينة عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ ابن عبد الله بن عباس ، ووجّه معه محمد بن أبى العباس أمير المؤمنين وعدّةً من

(١) أحلب القوم ، أى جاءوا من كل وجه للحرب .

قوّاد أهل خراسان وجندهم ، وعلى مقدّمة عيسى بن موسى حُميد بن قحطبة الطائىّ ، وجهّزهم بالخيل والبغال والسلاح والميرة ، فلم ينزل ، ووجّه مع عيسى ابن موسى بن أبى الكرام الجعفرىّ ؛ وكان فى صحابة أبى جعفر ؛ وكان مائلا إلى بنى العباس ، فوثق به أبو جعفر فوجّهه . . . . [1] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر بن شبّة . قال عمر : وحدّثنى عيسى ، عن أبيه ، قال : كتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى : مَنْ لقيَك من آل أبى طالب فاكتب إلىّ باسمه ، ومَنْ لم يلقك فاقبض ماله . قال : فقبض عين أبى زياد — وكان جعفر بن محمد تغيَّب عنه — فلما قدم أبو جعفر كلمه جعفر ، وقال : مالى ، قال : قد قبضه مهديُّكم .

* * *

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : لما صار عيسى بفَيْد ، كتب إلى رجال من أهل المدينة فى خِرَق الحرير ؛ منهم عبد العزيز بن المطّلب المخزومىّ وعبيد الله بن محمد بن صفوان الجمحىّ ، فلما وردتْ كتبه المدينة ، تفرّق ناسٌ كثير عن محمد ؛ منهم عبد العزيز بن المطلب ؛ فأخِذ فرُدّ ، فأقام يسيراً ؛ ثم خرج ، فرُدّ مرّة أخرى ؛ وكان أخوه علىّ بن المطلب من أشدّ الناس مع محمد ؛ فكلم محمّداً فى أخيه حتى كفّه عنه . ٣/٢٢٦

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : كتب عيسى بن موسى إلى أبى فى حريرة صفراء جاء بها أعرابىٌّ بين خصافىْ نعله ، قال عيسى : فرأيتُ الأعرابىَّ قاعداً فى دارنا ، وإنى لصبىٌّ صغير ؛ فدفعها إلى أبى فإذا فيها :

إن محمداً تعاطى ما ليس يعطيه الله ، وتناول ما لم يؤته الله ، قال عزّ وجل فى كتابه : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ المُلْكِ تُؤْتِى المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] .

---

(١) بياض فى ط . والخبر ساقط من ت ، هـ (٢) سورة آل عمران ٢٦ .

فعجّل التخلص وأقلّ التربُّص ، وادعُ مَنْ أطاعك من قومك إلى الخروج معك .

قال : فخرج وخرج معه عمر بن محمد بن عمر ، وأبو عقيل محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : ودعوا الأفطس حسن بن عليّ بن أبي طالب إلى الخروج معهم فأبَى ، وثبت مع محمد ؛ وذُكر خروجهم لمحمد فأرسل إلى ظَهْرهم فأخذه ؛ فأتاه عمر بن محمد ، فقال : أنت تدعو إلى العَدْل ونفْى الجور ؛ فما بال إبلى تؤخذ ! فإنما أعددتها لحجّ أو عُمْرة . قال : فدفعها إليه — فخرجوا من تحت ليلتهم ؛ فلقوا عيسى على أربع — أو خمس — من المدينة . ٣/٢٢٧

قال : وحدّثنى أيوب بن عمر بن أبى عمرو بن نعيم بن ماهان، قال : كتب أبو جعفر إلى رجال من قريش وغيرهم كتبًا ، وأمر عيسى : إذا دنا من المدينة أن يبعث بها إليهم، فلما دنا بعث بها إليهم ؛ فأخذ حرسُ محمد الرسولَ والكتب ، فوجد فيها كتابًا إلى إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد الله ابن معمر وإلى جماعة من رؤساء قريش . فبعث محمد إلينا جميعًا ما خلا ابن عمر وأبا بكر بن سبْرة ، فحُبِسنا فى دار ابن هشام التى فى المصلّى. قال أبى : وبعث إلىّ وإلى أخى ، فأتِىَ بنا فضُرِبنا ثلثمائة . قال : فقلت له وهو يضربنى ويقول : أردتَ أن تقتلنى ! تركتُك وأنت تستتر بحجر وبيت شعر ؛ حتى إذا صارت المدينة فى يدك ، وغلُظ أمرك ، قمتُ عليك فبِمَنْ أقوم ! أبطاقتى ، أم بمالى، أم بعشيرتى! قال : ثم أمر بنا إلى الحبس ، وقُيّدنا بكُبول وسلاسل تبلغ ثمانين رطلا ، قال : فدخل عليه محمد بن عجلان ، فقال : إنى ضربتُ هذين الرجلين ضربًا فاحشًا ، وقيّدتهما بما منعهما من الصلاة . قال : فلم يزالا محبوسيْن حتى قدم عيسى .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى قال : حدّثنى عبد العزيز بن أبى ثابت، عن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن أبى الحكم ، قال : إنا لعند محمد ليلة — وذلك عند دُنوّ عيسى من المدينة — إذ قال محمد : أشيروا علىّ فى الخروج والمقام ، قال : فاختلفوا . فأقبل علىّ فقال : أشرْ علىّ يا أبا جعفر ، ٣/٢٢٨

قلت : ألستَ تعلم أنك أقلُّ بلاد الله فرساً وطعاماً وسلاحاً ، وأضعفها رجالا ؟ قال : بلى ، قلت : تعلم أنك تقاتل أشدّ بلاد الله رجلاً وأكثرها مالا وسلاحا ؟ قال : بلى ، قلت : فالرأى أن تسير بمن معك[1] حتى تأتى مصرَ ، فوالله لا يردّك رادّ ، فتقاتل الرّجل بمثل سلاحه وكُراعه ورجاله وماله . فصاح حُنين بن عبد الله: أعوذ بالله أن تخرج من المدينة ! وحدّثه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « رأيتُنى فى درع حصينة فأوّلتُها المدينة » .

قال : وحدثنى محمد بن إسماعيل بن جعفر ، عن الثقة عنده ، قال : أجاب محمداً لما ظهر أهلُ المدينة وأعراضها وقبائل من العرب ؛ منهم جُهينة ومُزَينة وسُليم وبنو بكر وأسْلَم وغِفار ؛ فكان يقدّم جُهينة ؛ فغضبت من ذلك قبائل قيس .

قال محمد : فحدثنى عبد الله بن معروف أحد بنى رياح بن مالك بن عصيّة بن خُفاف — وقد شهد ذاك — قال : جاءت محمداً بنو سُلَيم على رؤسائها ، فقال متكلّمهم جابر بن أنس الرياحىّ : يا أميرَ المؤمنين ؛ نحن أخوالُك وجيرانُك ، وفينا السلاح والكُراع ؛ والله لقد جاء الإسلام والخيل فى بنى سليم أكثر منها بالحجاز ؛ لقد بقى فينا منها ما إن بقى مثلُه عند عربىّ تسكن إليه البادية ، فلا تخندق الخندق ؛ فإن رسول الله خندق خندقه لما الله أعلم به ؛ فإنك إن خندقتَه لم يحسن القتال رجّالة ، ولم تُوَجّه لنا الخيل بين الأزقّة ؛ وإن الذين يخندَق دونهم هم الذين يقاتلون فيها ؛ وان الذين يخندَق عليهم يحول الخندق دونهم . فقال أحد بنى شجاع : خندقَ رسول الله فاقتدِ برأيه ؛ أوَ تريد أنتَ أن تَدَع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لرأيك ! قال : إنه يابن شجاع ما شىء أثقل عليك وعلى أصحابك من لقائهم ؛ ولا شىء أحبّ إلىّ وإلى أصحابى من مناجزتهم . فقال محمد : إنما اتّبعنا فى الخندق أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يردّنى عنه أحدٌ ، فلست بتاركه .

٢٢٩/٣

قال : وحدثنى محمد بن يحيى ، عن الحارث بن إسحاق ، قال : لما تيقّن

---

(١) ج : « تبعك » .

محمد أن عيسى قد أقبل حَفَرَ الخندق ، خندق النبيّ صلى الله عليه وسلم الذى كان حفره للأحزاب[١] .

قال : وحدّثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، قال : حدّثنى محمد ابن عَطيّة مولى المطلبيّين ، قال : لما حفر محمد الخندقَ ركب إليه وعليه قَباء أبيض ومِنطقة ، وركب الناس معه ؛ فلما أتى الموضع نزل فيه ؛ بدأ هو فحفر بيده ؛ فأخرج لبِنةً من خَنْدق النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فكبّر وكبرّ الناس معه ، وقالوا : أبشر بالنَّصْر ؛ هذا خندق جدّك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وحدثنى محمد بن الحسن بن زَبالة ، قال : حدّثنى مصعب بن عثمان بن مصعب بن عروة بن الزبير ، قال : لما نزل عيسى الأعوْصَ رقِىَ محمد المنبَر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن عدوّ الله وعدوّكم عيسى بن موسى قد نزل الأعوص ؛ وإن أحقّ الناس بالقيام بهذا[٢] الدين ، أبناء المهاجرين الأوّلين والأنصار المواسين .

قال : وحدّثنى إبراهيم بن أبى إسحاق العبسىّ – شيخ من غطفان – قال : ٣/٢٣٠ أخبرنى أبو عمرو مؤدب محمد بن عبد الرحمن بن سليمان ، قال : سمعت الزبيرىّ الذى قتله أبو جعفر – يعنى عثمان بن محمد بن خالد – قال : اجتمع مع محمّد جمع لم أر مثله ولا أكثر منه ؛ إنى لأحسب أنا قد كنا مائة ألف ؛ فلما قرب عيسى خَطبَنا ، فقال : يأيها الناس ؛ إنّ هذا الرجل قد قرُب منكم فى عدد وعُدّة ؛ وقد حللتُكم من بيعتى ؛ فمن أحبّ المقام فليقم ، ومن أحبّ الانصراف فلينصرف . فتسللوا حتى بقى فى شِرْذمة ليست بالكثيرة .

قال : وحدّثنى موهوب بن رشيد بن حيّان بن أبى سليمان بن سمعان ؛ أحد بنى قَريط بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب ، قال : حدّثنى أبى ، قال : لما ظهر محمّد جمع الناس وحشرهم[٣] ، وأخذ عليهم المناقب فلا يخرج أحد ؛ فلما سمع بعيسى وحُميد بن قحطبة قد أقبلا ، صعِد المنبر ، فقال :

---

(١) ج : « يوم الأحزاب » .
(٢) ب ، « فى هذا » .
(٣) ب : « وحصرهم » .

يأيها الناس ؛ إنّا قد جمعناكم للقتال ، وأخذنا عليكم المناقب ؛ وإن هذا العدوّ منكم قريب ؛ وهو فى عدد كثير ، والنصر من الله والأمر بيده ؛ وإنه قد بدا لى أن آذن لكم وأفرج عنكم المناقب ؛ فمن أحبّ أن يقيم أقام ، ومَنْ أحبّ أن يظعن ظعن . قال أبى : فخرج عالَمٌ من الناس ؛ كنت فيهم ؛ فلما كنا بالعُرَيض – وهو على ثلاثة أميال من المدينة – لقيتْنا مقدّمةُ عيسى بن موسى دون الرُّحْبة ؛ فما شبّهت رجالهم[1] إلاّ رِجْلاً من جراد . قال : فمضينا وخالفونا إلى المدينة .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : خرج ناس كثير من أهل المدينة بذراريّهم وأهليهم إلى الأعراض والجبال ، فأمر محمد أبا القلَمّس ، فردّ مَنْ قدر عليه منهم ، فأعجزه كثير منهم ، فتركهم . ٣/٢٣١

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدثنى الغاضرىّ ، قال : قال لى محمد : أعطيك سلاحًا وتقاتل معى ؟ قلت : نعم ؛ إن أعطيتَنى رمحًا أطعنهم[2] به ؛ وهم بالأعوص[3] وسيفًا أضربهم به وهم بهيفا[4] . قال : ثمّ مكث غير كثير ، ثم بعث إلىّ فقال : ما تنتظر ؟ قلت : ما أهون عليك – أبقاك الله – أن أقتَل وتمرّوا ؛ فيقال : والله إن كان لباديًا[5] ! قال : ويحك ! قد بيّض أهل الشأم وأهل العراق وخُراسان ، قال : قلت : اجعل الدنيا زبدةً بيضاء وأنا فى مثل صوفة الدواة ، ما ينفعنى هذا وعيسى بالأعوص !

قال : وحدّثنى عيسى ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : وجّه أبو جعفر مع عيسى بن موسى بابن الأصمّ يُنزله المنازل ، فلما قدموا نزلوا على ميل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن الأصمّ : ألا إنّ الخيل لا عمل لها مع الرّجالة ؛ وإنى أخاف إن كشفوكم كشفةً أن يدخلوا[6] عسكرهم . فرفعهم إلى سقاية سليمان بن عبد الملك بالجُرْف – وهى على أربعة أميال من

---

(١) ب : « رماحهم » .
(٢) ب : « طعنتهم » .
(٣) ب : « بالأعراض » .
(٤) ط : « بهسفا » ، وهو خطأ . وصوابه من ت .
(٥) ج : « لبادنا » .
(٦) ج : « ليدخلوا » .

المدينة — وقال : لا يهرول الرّاجل(١) أكثر من ميلين أو ثلاثة حتى تأخذه الخيل .

قال : وحدّثني عيسى ، قال : حدثني محمد بن أبي الكرام ، قال : لمّا نزل عيسى طَرَف القَدُوم أرسل إليّ نصفَ الليل ، فوجدتُه جالساً والشمع والأموال بين يديه ، فقال : جاءتني العيون تخبرني أنّ هذا الرجل في ضعف ؛ وأنا أخاف أن ينكشف ؛ وقد ظننتُ ألاّ مسلك له إلاّ إلى مكة ، فاضممْ إليك خمسمائة رجل ؛ فامضِ بهم(٢) معانداً عن الطريق حتى تأتيَ الشجَرة فتقيم بها . قال : فأعطاهم على الشّمع ، فخرجتُ بهم حتى مررتُ بالبصرة بالبطحاء — وهي بطحاء ابن أزْهر على ستة أميال من المدينة — فخاف أهلها ؛ فقلتُ : لا بأسَ عليكم ؛ أنا محمد بن عبد الله ، هل من سويق ؟ قال : فأخرجوا إلينا سويقاً ، فشربنا وأقمنا بها حتى قتِل محمد .

٣/٢٣٢

قال : وحدّثني محمد بن إسماعيل ؛ عن الثقة عنده ، قال : لما قرُب عيسى أرسل إلى محمد القاسمَ بن الحسن بن زيد يدعوه إلى الرُّجوع عمّا هو عليه ، ويخبره أنّ أمير المؤمنين قد آمنه وأهل بيته ، فقال محمد للقاسم : والله لولا أنّ الرّسل لا تقتل لضربتُ عنقك ؛ لأني لم أرك منذ كنت غلاماً في فرقتين ؛ خير وشرّ ، إلاّ كنتَ مع الشرّ على الخير . وأرسل محمد إلى عيسى : يا هذا ؛ إنّ لك برسول الله قرابةً قريبةً ، وإني أدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه والعمل بطاعته ، وأحذّرك نقمته وعذابه ؛ وإني والله ما أنا بمنصرف عن هذا الأمر حتى(٣) ألقى الله عليه ؛ فإياك أن يقتلك مَنْ يدعوك إلى الله ، فتكون شرّ قتيل ، أو تقتله فيكون أعظمَ لوزرك ، وأكثر لمأثمك . فأرسل هذه الرسالة مع إبراهيم بن جعفر ، فبلّغه ، فقال : ارجعْ إلى صاحبك ، فقل له : ليس بيننا إلاّ القتال .

٣/٢٣٣

قال : وحدّثني إبراهيم بن محمد بن أبي الكرام بن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن جعفر ، قال : أخبرني أبي ، قال : لما قرب عيسى من المدينة ،

---

(١) ب : « الرجل » .
(٢) ط : « بها » ، وما أثبته من ت ، هـ .
(٣) ط : « التي » ؛ وهو خطأ صوابه من ابن الأثير .

أرسلني إلى محمد بأمانه ، فقال لى محمد : علام تقاتلوننى وتستحلّون دمى ؛ وإنما أنا رجل فرّ من أن يَقْتل ! قال : قلت : إنّ القوم يدعونك إلى الأمان ، فإن أبَيت إلاّ قتالهم قاتلوك على ما قاتل عليه خير آبائك علىّ طلحةَ والزبير ؛ على نكث بيعتهم وكيد ملكهم ، والسعى عليهم . قال : فأخبرتُ بذلك أبا جعفر ، فقال : والله ماسرّنى أنك قلت له غير ذلك ، وأن لى كذا وكذا .

قال : وحدّثنى هشام بن محمد بن عُرْوة بن هشام بن عروة ، قال : أخبرنى ماهان بن بخت مولى قحطبة ، قال : لما صرْنا بالمدينة أتانا إبراهيم بن جعفر بن مصعب طليعة ، فطاف بعسكرنا حتى حسّه كله[1] ، ثم ولّى ذاهبا . قال : فرعبنا منه والله رعْبًا شديداً ؛ حتى جعل عيسى وحميد بن قَحْطبة يعجبان فيقولان : فارس واحد طليعةً لأصحابه ! فلما ولّى مَدَى أبصارنا نظرنا إليه مقيماً بموضع واحد ، فقال حميد : ويحكم ! انظروا ما حالُ الرجل ؛ فإنى أرى دابته واقفاً[2] لا تزول ؛ فوجّه إليه حميد رجلين من أصحابه ، فوجدا دابته قد عثر به ؛ فصرعه فقوّس[3] التنور عنقه . فأخذا سلبه ، فأتينا بتنور — قيل إنه كان لمصعب بن الزبير — مُذْهب لم يُرَ مثله قطّ .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : نزل عيسى بقصر سليمان بالجُرْف ، صَبِيحة ثنتى عشرة من رمضان من سنة خمس وأربعين ومائة ، يوم السبت ، فأقام يوم السبت ويوم الأحد وغدا يوم الاثنين ، حتى استوى على سَلْع ، فنظر إلى المدينة وإلى مَن دخلها وخرج منها ، وشحن[4] وجوهها كلها بالخيل والرّجال إلا ناحية مسجد أبى الجرّاح ؛ وهو على بُطحان ؛ فإنه تركه لخروج مَنْ هرب ، وبرز محمد فى أهل المدينة . ٢٣٤/٣

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنا محمد بن زيد ، قال : قدمنا مع عيسى ، فدعا محمداً ثلاثاً : الجمعة والسبت والأحد .

قال وحدّثنى عبد الملك بن شيبان ، قال : حدثنى زيد مولى مِسمَع ، قال :

---

(١) ط : « جسه » ، وما أثبته من ت ، ج . (٢) تقع الدابة على المذكر والمؤنث .

(٣) كذا فى ت ، وفى ط : « ففرّس » .

(٤) فى اللسان : « شحن البلد بالخيل ملأه . وبالبلد شحنة من الخيل ، أى رابطة » .

لمّا عسكر عيسى أقبل على دابة يمشي حواليه نحو من خمسمائة، وبين يديه راية يُسار بها معه ؛ فوقف على الثنيّة ونادى : يا أهل المدينة ؛ إن الله قد حرّم دماء بعضنا على بعض ؛ فهلمّوا إلى الأمان ؛ فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ، ومَن دخل داره فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ؛ ومَن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن . خلّوا بيننا وبين صاحبنا فإمّا لنا أو له . قال : فشتموه وأقذعوا له ، وقالوا : يابن الشاة ، يابن كذا ، يابن كذا . فانصرف يومه ذاك[١] ، وعاد من الغد ففعل مثل ذلك ، فشتموه ؛ فلما كان اليوم الثالث أقبل بما لم أر مثله قطّ من الخيل والرجال[٢] والسلاح ؛ فوالله ما لبثنا أن ظهر علينا ونادى بالأمان[٣] ، فانصرف إلى معسكره .

قال : وحدثني إبراهيم الغَطفانيّ ، قال : سمعت أبا عمرو مؤدّب محمد ابن عبد الرحمن يحدّث عن الزبيريّ — يعني عثمان بن محمد بن خالد — قال : لما التقينا نادى عيسى بنفسه : أيا محمد ، إن أمير المؤمنين أمرني ألاّ أقاتلك حتى أعرض عليك الأمان ، فلك عليّ نفسك وأهلك وولدك وأصحابك ، وتعطَى من المال كذا وكذا ، ويقضَى عنك دينك ، ويُفعل بك ويفعل ! قال : فصاح : محمد الْهُ عن هذا ، فوالله لو علمتَ أنه لا يثنيني عنكم فزَع ، ولا يقرّبني منكم طمع ما كان هذا . قال : واجّ القتال ، وترجّل محمد ؛ فإني لأحسبه قتَل بيده يومئذ سبعين رجلاً . ٢٣٥/٣

قال : وحدّثني عيسى ، قال : حدّثني محمد بن زيد ، قال : لما كان يوم الاثنين ، وقف عيسى على ذُباب ، ثم دعا مولى لعبد الله بن معاوية كان معه ؛ وكان على مجفّفته ، فقال : خذ عشرة من أصحابك ؛ أصحاب التجافيف ؛ فجاء بهم ، فقال لنا : ليقم معه عشرة منكم يا آل أبي طالب . قال : فقمنا معه ، ومعنا ابنا محمد بن عمر بن عليّ : عبد الله وعمر ، ومحمد بن عبد الله بن عَقيل ، والقاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ ، وعبد الله ابن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ؛ في عشرة منّا . فقال : انطلقوا إلى القوم ،

---

(١) كذا في ت ، وفي ط : « ذلك » . (٢) ت : « والرجل » . (٣) ت : « ونادى الأمان » .

فادعوهم وأعطوهم أماناً ؛ وبقيَ أمان الله . قال : فخرجنا حتى جئنا سوق الحطّابين ؛ فدعوْناهم فسبّونا[1] ورشقونا بالنّبل ، وقالوا : هذا ابن رسول الله معَنا ونحن معه ؛ فكلمهم القاسم بن الحسن بن زيد ، فقال : وأنا ابنُ رسول الله ؛ وأكثر مَن ترون بنو رسول الله ؛ ونحن ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وحقْن دمائكم والأمان لكم ؛ فجعلوا يسبّوننا ويرشقوننا بالنبل ، فقال القاسم لغلامه : القَطْ هذه النّبل ، فلقطها فأخذها قاسم بيده ، ثم دخل بها إلى عيسى ، فقال : ما تنتظر ! انظر ما صنعوا بنا ، فأرسل عيسى بن حميد قَحْطبة فى مائة .

٢٣٦/٣

قال : حدّثنى أزهر بن سعيد بن نافع ، قال : حدّثنى أخواى عثمان ومحمد ابنا سعيد – وكانا مع محمد – قالا : وقف القاسم بن الحسن ورجل[2] معه من آل أبى طالب على رأس ثنيّة الوَداع ، فدعَوْا محمداً إلى الأمان ، فسبّهما فرجعا ، وأقبل عيسى وقد فرّق القواد فجعل هزارمرد عند حمّام بن أبى الصّعْبة ، وكثير بن حُصَين عند دار ابن أفلَح التى ببقيع الغرْقد ، ومحمد بن أبى العباس على باب بنى سَلِمة ، وفرّق سائر القوّاد على أنقاب المدينة ، وصار عيسى فى أصحابه على رأس الثنيّة ، فرَموا بالنشاب والمقاليع ساعة .

وحدثنى أزهر ، قال : جعل محمد ستور المسجد دراريع لأصحابه .

قال : وحدّثنى عبد الله بن إسحاق بن القاسم ، قال : حدّثنى عمر ؛ شيخ من الأنصار ، قال : جعل محمد ظلال المسجد خَفْتانين لأصحابه ، فأتاه رجلان من جُهينة ، فأعطى أحدهما خَفْتاناً ولم يعط الآخر ؛ فقاتل صاحب الخَفْتان ، ولم يقاتل الآخر معه ؛ فلما حضرت الحرب أصابت صاحب الخَفْتان نُشابَة ، فقتلته ، فقال صاحبه :

يا ربِّ لا تجعَلنى كمَنْ خانْ وباع باقى عَيْشِهِ بِخَفْتانْ

قال : وحدّثنى أيوب بن عمر ، قال : حدّثنى إسماعيل بن أبى عمرو ، قال : إنا لَوقوف علىَ[3] خندق بنى غِفار ؛ إذ أقبل رجل على فَرس ؛

٢٣٧/٣

(١) ج : « فشتمونا » . (٢) ج : « ودخل » . (٣) ج : « عند » .

ما يُرَى منه إلاّ عيناه ، فنادى : الأمان ، فأعطى الأمان ، فدنا حتّى لصق بنا ، فقال : أفيكم مَنْ يبلِّغ عنى محمداً ؟ قلت : نعم ، أنا ، قال : فأبلِغْه عنى — وحسر عن وجهه ؛ فإذا شيخ مخضوب — فقال : قل له : يقول لك فلان التميميّ ، بآية أنّى وإياك جلسنا فى ظل الصخرة فى جبل جُهينة فى سنة كذا ، اصبر إلى الليل ؛ فإن عامة الجند معك. قال : فأتيته قبل أن يَغْدُوَ — وذلك يوم الاثنين فى اليوم الذى قُتل فيه — فوجدت بين يديه قِرْبة عسل أبيض قد شُقَّت من وسطها ، ورجل يتناول من العسل ملء كفّه ثم يغمسه فى الماء ، ثم يلقمه إياه ، ورجل يحزم بطنَه بعمامة ؛ فأبلغتُه الرسالة فقال : قد أبلغتَ ؛ فقلت : أخواى فى يدك ، قال : مكانُهما خير لهما .

قال : وحدّثنى إبراهيم بن مصعب بن عُمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير ، قال : حدّثنى محمد بن عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، قال : كانت راية محمد إلى أبى ، فكنت أحملها عنه .

قال : وحدّثنى عيسى ، عن أبيه ، قال : كان مع الأفطس حسن بن علىّ بن حسين عَلَم أصفر ، فيه صورةُ حيّة ، ومع كلّ رجل من أصحابه من آل علىّ بن أبى طالب علَم ، وشعارهم : أحَد أحَد ، قال : وكذلك كان شعار النبىّ صلى الله عليه وسلم يوم حُنَين .

قال : وحدّثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن أبى الحكم ، قال : أخبرنا جَهْم بن عثمان مولى بنى سُلَيم ، ثم أحد بنى بَهْز ، قال : قال لى عبد الحميد بن جَعْفر يوم لَقينا أصحابُ عيسى : نحن اليوم على عِدّة أهل بدر يوم لَقُوا المشركين — قال : وكنا ثلثمائة ونيّفاً . ٢٣٨/٣

قال : وحدّثنى إبراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ ابن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت أبى يقول : وُلِد عيسى بن موسى فى سنة ثلاث ومائة ، وشهد حرب محمد وإبراهيم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وعلى مقدّمته حميد بن قَحْطبة ، وعلى ميمنته محمد بن أبى العباس أمير المؤمنين ، وعلى ميسرته داود بن كرّاز من أهل خُراسان ، وعلى ساقته الهيثم بن شعبة .

قال : وحدّثنى عيسى ، عن أبيه ، قال : لقى أبو القلمّس محمد بن عثمان ، أخا أسد بن المرزبان بسوق الحطابين ، فاجتلدا بسيفيهما حتى تقطّعا ثم تراجعا إلى مواقفهما ، فأخذ أخو أسد سيفاً ، وأخذ أبو القلمس بأثفيّة ، فوضعها على قَرَبُوس سَرْجه ، وستَرها بدِرْعه ، ثم تعاودا ، فلما تدانيا قام أبو القلمّس فى ركائبه ؛ ثم ضرب بها صَدْره فصرعه ، ونزل فاحتزّ رأسه .

قال : وحدّثنى محمد بن الحسن بن زَبالة ، قال : حدثنى عبدُ الله بن عمر بن القاسم بن عبد الله العمرىّ ، قال : كنا مع محمد ، فبرز رجل من أهل المدينة ؛ مولى لآل الزبير يدعى القاسم بن وائل ، فدعا للبراز ، فبرز إليه رجل لم أرَ مثل كماله وعُدّته ؛ فلما رآه ابن وائل انصرف . قال : فوجَدنا من ذلك وجداً شديداً ، فإنا لعلى ذلك إذ سمعتُ خَشْف[1] رجل ورائى ، فالتفتّ فإذا أبو القلمّس ، فسمعتُه يقول : لعن الله أميرَ السفهاء ، أن ترك مثل هذا اجترأ علينا ! وإن خرج رجل خرج إلى أمر عسى ألّا يكون من شأنه . ٣/٢٣٩ قال : ثم برز له فقتله .

قال : وحدّثنى أزهر بن سعيد بن نافع ، قال : خرج[2] القاسم بن وائل يومئذ من الخندق ، ثم دعا للبراز ، فبرز له هزارمرد ، فلما رآه القاسم هابه ، فرجع فبرز له أبو القلمّس ، فقال : ما انتفع فى مثل هذا اليوم بسيفه قطّ ، ثم ضربه على حبْل عاتقه فقتله ، فقال : خذها وأنا ابن الفاروق ، فقال رجل من أصحاب عيسى : قتلتَ خيراً من ألف فاروق .

قال : وحدّثنى علىّ أبو الحسن الحذّاء من أهل الكوفة ، قال : حدّثنى مسعود الرّحال ، قال : شهدت مقتل محمد بالمدينة ، فإنّى لأنظر إليهم عند أحجار الزّيت ، وأنا مشرف عليهم من الجَبَل — يعنى سَلْعًا — إذ نظرت إلى رجل من أصحاب عيسى قد أقبل مستلئمًا[3] فى الحديد ؛ لا يُرى منه إلّا عيناه ، على فرس ؛ حتى فَصَل من صفّ أصحابه ، فوقف بين الصّفين ، فدعا للبراز ؛ فخرج إليه رجل من أصحاب محمد ، عليه قَباء أبيض ، وكُمّة

(١) الخشف : الصوت الخفى ، أو الحركة . (٢) ب : « جزع » .
(٣) ب : « مستلثما » .

بيضاء ، وهو راجل ، فكلمه مليًّا ، ظننت أنه استرجله لتستوىَ حالاهما ، فنظرتُ إلى الفارس ثَنَى رجله ، فنزل ، ثم التقيا فضربه صاحب محمد ضربة على خُوذة حديد على رأسه ، فأقعده على استه وقيذاً لاحراك به ، ثم انتزع الخُوذة ، فضرب رأسه فقتله ، ثم رجع فدخل فى أصحابه ، فلم ينشب أنْ خرج من صفّ عيسى آخر ؛ كأنه صاحبه ، فبرز له الرّجُل الأوّل ، فصنع به مثل ما صنع بصاحبه ، ثم عاد إلى صفّه ، وبرز ثالث فدعاه ، فبرز له فقتله ، فلما قتل الثالث ولّى يريد أصحابه ، فاعتوره أصحاب عيسى فرموْه فأثبتوه ، وأسرع يريد أصحابه ، فلم يبلغهم حتى خرّ صريعًا فقتلوه دونهم .

٣ / ٢٤٠

وحدّثنى عيسى ، قال : أخبرنى محمد بن زيد ، قال : لما أخبرْنا عيسى برميهم إيانا ، قال لُحميد بن قَحْطبة : تقدّم ، فتقدّم فى مائة كلهم راجل غيره معهم النشاب والترسة ، فلم يلبثوا أن زحفوا إلى جدار دون الخندق ، عليه أناس من أصحاب محمد ، فكشفوهم ووقفوا عند الجدار ، فأرسل حُميد إلى عيسى بهدْم الجدار . قال : فأرسل إلى فَعَلَة فهدموه ، وانتهوْا إلى الخندق ، فأرسل إلى عيسى : إنا قد انتهينا إلى الخندق . فأرسل إليه عيسى بأبواب بقدر الخندق ، فعبروا عليها ؛ حتى كانوا من ورائه ، ثم اقتتلوا أشدّ القتال من بُكْرة حتى صار العصر .

وحدّثنى الحارث ، قال : أخبرنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد بن عمر : أقبل عيسى بن موسى بمَنْ معه ، حتى أناخ على المدينة ، وخرج إليه محمد ابن عبد الله ومَنْ معه ، فاقتتلوا أيامًا قتالا شديداً ، وصبَر نفر من جُهينة ، يقال لهم بنو شجاع مع محمد بن عبد الله ، حتى قُتِلوا وكان لهم غَناء .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر: حدثنى أزهر، قال : أمرهم عيسى فطرحوا حقائب الإبل فى الخندق فأمر ببابىْ دار سعد بن مسعود التى فى الثنيّة فطُرحا على الخندق ؛ فجازت الخيل ، فالتقوْا عند مفاتح خَشْرم ، فاقتتلوا حتى كان العصر .

حدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنا عبد العزيز بن أبى ثابت ، قال : انصرف محمد يومئذ قبل الظهر حتى جاء دار مَرْوان ، فاغتسل وتحنّط ،

٣ / ٢٤١

ثم خرج . قال عبد العزيز بن أبى ثابت : فحدّثنى عبد الله بن جعفر ، قال : دنوتُ منه ، فقلت له : بأبى أنت! إنه والله ما لك بما رأيتَ طاقة، وما معك أحد يصدُق القتال ؛ فاخرج الساعة حتّى تلحق بالحسن بن معاوية بمكة ؛ فإنّ معه جِلّة[١] أصحابك ، فقال : يا أبا جعفر ؛ والله لو خرجتُ لقتِل أهل المدينة ؛ والله لا أرجع حتّى أقتُل أو أقتَل ؛ وأنت منى فى سعة ؛ فاذهب حيث شئت . فخرجت معه حتّى إذا جاء دار ابن مسعود فى سوق الظهر ركضتُ فأخذت على الزيّاتين ، ومضى إلى الثنيّة ، وقُتل مَن كان معه بالنّشاب وجاءت العصر فصلّى .

حدّثنى محمد بن الحسن بن زَبالة ، قال : حدّثنى إبراهيم بن محمد ، قال : رأيت محمداً بين دارى بنى سعد ، عليه جُبّة ممشّقة ، وهو على بِرْذون ، وابنُ خُضَير إلى جانبه يناشده الله إلاّ مضى إلى البصرة أو غيرها ؛ ومحمد يقول : والله لا تُبْتَلُون بى مرتين ؛ ولكن اذهب حيث شئت فأنت فى حلّ . قال ابن خُضير : وأين المذهب عنك ! ثم مضى فأحرق الديوان ، وقتل رِياحاً ثم لحقه بالثنيّة ، فقاتل حتّى قتِل .

وحدثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : خرج مع محمد بن عبد الله ابن خُضير ؛ رجل من ولد مُصعب بن الزبير ؛ فلما كان اليوم الذى قتل فيه محمد ، ورأى الخلل فى أصحابه ، وأنّ السيف قد أفناهم ؛ استأذن محمداً فى دخول المدينة فأذن له ؛ ولا يعلم ما يريد ؛ فدخل على رياح بن عثمان بن حيّان المُرّىّ وأخيه ، فذبحهما ثم رجع ؛ فأخبر محمداً ، ثم تقدّم فقاتل حتّى قُتِل من ساعته[٢] . ٢٤٢/٣

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر : حدثنى أزهر ، قال : حدثنى أخى ، قال : لما رجع ابن خُضير قتل رياحاً وابن مسلم بن عُقْبة .

وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : ذبح ابن خُضير رياحًا ولم يُجْهِز عليه ، فجعل يضرب برأسه الجِدار حتى

---

(١) ابن الأثير : « جل » . (٢) هذا الخبر ساقط من ت .

مات ؛ وقتل معه عباسًا أخاه ؛ وكان مستقيمَ الطريقة ، فعاب الناسُ ذلك عليه ؛ ثم مضى إلى ابن القَسْرىّ وهو محبوس فى دار ابن هشام ، فنذِر به فردم بابى الدار دونَه ، فعالج البابين ، فاجتمع مَنْ فى الحبس فسدّوهما ، فلم يقدر عليهم ؛ فرجع إلى محمد ، فقاتل بين يديه حتى قُتِل .

حدثنى مسكين بن حبيب بن محمد ، قال : لما جاءت العصر صلاّها محمد فى مسجد بنى الديل ، فى الثنيّة ، فلما سلّم استسقى ، فسقته رَبيحة بنت أبى شاكر القرشية ، ثم قالت له : جعلت فداك! انجُ بنفسك ، قال : إذاً لا يبقى بها ديكٌ يصرخ ؛ ثم مضى فلما كان ببطن مسيل سلْع ، نزل فعرقبَ دابته ، وعرقب بنو شجاع دوابهم ، ولم يبق أحد إلا كسر غِمْد سيفه . قال مسكين : فلقد رأيتُنى وأنا غلام ، جمعت من حَليها [1] نحواً من ثلثمائة درهم ؛ ثم قال لهم : قد بايعتمونى ولستُ بارحًا حتى أقتَل ، فمن أحبّ أن ينصرف فقد أذنتُ له ، ثم أقبل على ابن خُضَير ، فقال له : قد أحرقتَ الديوان ؟ قال : نعم ؛ خفت أن يؤخذ الناس عليه ؟ قال : أصبت .

٣/٢٤٣

حدثنى أزهر ، قال : حدّثنى أخوَاى ، قالا : لقد هزمْنا يومئذ أصحاب عيسى مرتين أو ثلاثاً ، ولكنا لم نكن نعرف الهزيمة ؛ ولقد سمعنا يزيد [2] بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، يقول ، وقد هزمناهم : ويل أمه فَتْحًا لو كان له رجال !

حدثنى عيسى ، قال : كان ممّن انهزم يومئذ وفرّ عن محمد عبدُ العزيز ابن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فأرسل محمد وراءه ، فأُتِىَ به ، فجعل الصبيان يصيحون وراءه : «ألا باقة بقبقبة» ، فكان عبد العزيز يقول بعد ذلك : إن أشدّ ما أتى علىّ لصياح الصبيان .

وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنا مولى لهشام بن عُمارة بن الوليد بن عدىّ ابن الخيار ، قال : كنا مع محمد ، فتقدّم هشام بن عُمارة إليه وأنا معه ، فقال : إنى لا آمن أن يخذُلك مَنْ ترى ، فأشهد أنّ غلامى هذا حرٌّ لوجه

---

(١) ج : «حليتها» .
(٢) ط : «بيزيد» تحريف ، والصواب ما أثبته من ت .

الله إن رمتُ أبداً أو تُقتَل أو أقتَل أو نُغلَب ؛ فقلت : فوالله إنّى لمعه إذ وقعت بترسه نشابة ، ففلقته باثنتين ، ثم خسفت فى درْعه ، فالتفت إلىّ فقال : فلان ! قلت : لبيك ! قال : ويلك ! رأيتَ مثل هذا قطّ يا فلان ! أيما أحبّ إليك ؛ نفسى أم أنت ؟ قلت : لا بل نفسك ، قال : فأنت حرّ لوجه الله ، فانطلق هارباً . ٣/٢٤٤

وحدّثنى متوكل بن أبى الفحوة ، قال : حدّثنى محمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن أبى فَروْة ، قال : إنّا لعلى ظهر سلْع ننظر ، وعليه أعاريب جُهينة ، إذ صعد إلينا رجل بيده رُمْح ، قد نصب عليه رأس رجل متّصلٌ بحلقومه وكبده وأعْفَاج بطنه ، قال : فرأيتُ منه منظراً هائلا ، وتطيّرت منه الأعاريب ، وأجفلت هاربة حتى أسهلت ، وعلا الرّجُل الجبل ، ونادى على الجبل رطانة لأصحابه بالفارسية «كوهبان» ؛ فصعد إليه أصحابه حتى علوْا سلْعاً فنصبُوا عليه راية سوداء ، ثم انصبُّوا إلى المدينة ، فدخلوها ، وأمرت أسماء بنت حسن ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب — وكانت تحت عبد الله ابن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس — بخمار أسود ، فنصب على منارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلمّا رأى ذلك أصحابُ محمد تنادوا : دُخِلت المدينة ، وهربوا . قال : وبلغ محمّداً دخول الناس من سلْع ، فقال : لكلّ قوم جبل يعصمهم ؛ ولنا جبل لا نؤتَى إلاّ منه .

وحدثنى محمد بن إسماعيل ، عن الثقة عنده ، قال : فتح بنو أبى عمرو الغفاريون للمسوّدة طريقاً فى بنى غِفار ، فدخلوا منه حتى جاءوا من وراء أصحاب محمد .

وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى عبد العزيز بن عمران ، قال : نادى محمد يومئذ حُميد بن قحطبة : إن كنتَ فارساً وأنت تَعتَمَدّ ذاك على أهل خُراسان فابرز لى ، فأنا محمد بن عبد الله ، قال : قد عرفتُك وأنت الكريم ابن الكريم ، الشريف ابن الشريف ؛ لا والله يا أبا عبد الله لا أبرز لك وبين يدىّ من هؤلاء الأغمار إنسان واحد ؛ فإذا فرغتُ منهم فسأبرزُ لك لَعَمْرى . ٣/٢٤٥

وحدثنى عثمان بن المنذر بن مصعب بن عروة بن الزبير ، قال : حدّثنى

رجل من بنى ثعلبة بن سعد ، قال : كنت بالثنيّة يوم قُتِل محمد بن عبدالله ابن حسن ومعه ابن خضير ، قال : فجعل ابن قحطبة يدعو ابن خضير إلى الأمان ، ويشحّ به عن الموت ، وهويشدّ على الناس بسيفه مترجّلا ، يتمثل :

لا تَسْقِهِ حَزْرًا ولا حليبا إن لم تجدْه سابحًا يَعْبُوبَا

ذا مَيْعَةٍ يَلتَهِمُ الجبوبَا كالذئب يتلو طَمَعًا قريبا

يبادر الآثارَ أن تَئُوبا وحَاجبَ الجَوْنةِ أن يغيبا

قال : فخالط الناس ، فضربه ضارب على أليته فخلّها[١] ، فرجع إلى أصحابه ، فشقّ ثوبًا فعصّبها إلى ظهره ، ثم عاد إلى القتال ، فضربه ضارب على حَجَاج عينه [٢] ، فأغمض السيف فى عينه ، وخرّ فابتدره القوم ، فحزّوا رأسه ؛ فلما قتِل ترجّل محمد ، فقاتل على جِيفته حتى قتل .

وحدثنى مخلَد بن يحيى بن حاضر بن المهاجر الباهلىّ ، قال : سمعتُ الفضل بن سليمان مولى بنى نُمير يخبر عن أخيه — وكان قد قتِل له أخ مع محمد — قال : كان الخُراسانية إذا نظروا إلى ابن خُضير تنادَوا : « خضير آمد ، خضير آمد ! » ، وتصعصعوا[٣] لذلك . ٣/٢٤٦

وحدثنى هشام بن محمد بن عروة بن هشام بن عروة ، قال : أخبرنى ماهان بن بخت مولى قَحْطبة ، قال : أتِينا برأس ابن خضير ؛ فوالله ما جعلنا نستطيع حَمْله لمَا كان به من الجِراح ؛ والله لكأنه باذنجانة مفلّقة ، وكنا نضمّ أعظَمه ضمًّا .

وحدثنى أزهر بن سعيد ، قال : لما نظر أصحاب محمد إلى العلم الأسود على مَنارة المسجد فتّ ذلك فى أعضادهم ، ودخل حُميد بن قحطبة من زُقاق أشجع على محمد فقتله وهو لا يشعر ، وأخذ رأسه فأتَى به عيسى ، وقتَل معه بشراً كثيراً .

قال : وحدثنى أبو الحسن الحذّاء ، قال : أخبرنى مسعود الرّحال ، قال : رأيت

(١) خلها ؛ أى ثقبها ؛ أو أحدث بها جرحاً ، وفى ط : « حلها » ، تحريف .
(٢) الحجاج : العظم الذى ينبت عليه الحاجب .
(٣) الصعصعة : التفرق .

محمداً يومئذ باشرَ القتال بنفسه ، فأنظر إليه حين ضربه رجلٌ بسيف دون شحمة أذنه اليمنى ، فبرك لرُكبتيه وتعاوروا[١] عليه ، وصاحَ حُميد بن قحطبة : لا تقتلوه ، فكفّوا ، وجاء حميد فاحتزّ رأسه .

وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى الحارث بن إسحاق ، قال : برك محمد يومئذ لركبتيه وجعل يذبّ عن نفسه ويقول : ويحكم ! أنا ابن نبيكم ، محرَج[٢] مظلوم!

وحدثنى محمد بن يحيى ، قال ، حدّثنى ابن أبى ثابت ؛ عن عبد الله بن جعفر ، قال : طعنه ابن قَحطبة فى صدره فصرَعه ، ثم نزل فاحتزّ رأسه ، فأتى به عيسى .

٣/٢٤٧ وحدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنى أبو الحجاج المنقرىّ ، قال : رأيتُ محمداً يومئذ[٣] وإن أشبه ما خلق الله به لَـمَـا ذُكِـر عن حمزة بن عبد المطلب ، يهذّ الناس بسيفه هذّا ؛ ما يقاربه أحد إلا قتله[٣] ، ومعه سيف ، لا والله ما يُليق شيئاً ؛ حتى رماه إنسان بسهم كأنى أنظر إليه ، أحمر أزرق ، ثم دهمتْنا الخيل ، فوقف إلى ناحية جدار ، فتحاماه الناسُ ، فوجَد الموت ، فتحامل على سيفه فكسره ؛ قال : فسمعتُ جدّى يقول : كان معه سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو الفَقار .

وحدّثنى هرمز أبو علىّ مولى باهلة ، قال : حدّثنى عمرو بن المتوكل — وكانت أمّه تخدم فاطمة بنت حسين — قال : كان مع محمد يوم قتل سيف النبىّ صلى الله عليه وسلم ذُو الفقار ، فلما أحسّ الموت أعطى سيفه رجلاً من التجار كان معه — وكان له عليه أربعمائة دينار — فقال له : خذ هذا السيف ؛ فإنك لا تلقى به أحداً من آل أبى طالب إلاّ أخذه وأعطاك حقك . قال : فكان السيف عنده ، حتى ولى جعفر بن سليمان المدينة فأخبر عنه ، فدعا الرجل وأخذ السيف منه ، وأعطاه أربعمائة دينار ؛ فلم يزل عنده

(١) ط : « وتعاوروا » .
(٢) ط : « مجرح » ؛ والوجه ما أثبته من ت .
(٣ — ٣) ابن الأثير : « فلما قتل تقدم محمد فقاتل على جيفته فجعل يهذ الناس هذّا ؛ وكان أشبه الناس بقتال حمزة » .

حتّى قام المهدىّ ، ووليَ جعفر المدينة ، وبلغه مكانُ السيف ؛ فأخذه ، ثم صار إلى موسى ، فجرّب به على كلب ، فانقطع السيف .

وحدّثنى عبدُ الملك بن قُريب الأصمعىّ ، قال : رأيت الرّشيد أمير المؤمنين بطُوس ، متقلداً سيفاً ، فقال لى : يا أصمعىّ ، ألا أريك ذا الفقار ؟ قلت : بلى ، جعلنى الله فداك ! قال : استلّ سيفى ، فاستللتُه ، فرأيتُ فيه ثمانَ عشرَة فقارة .

٣/٢٤٨ وحدثنى أبوعاصم النبيل ، قال : حدّثنى أخو الفضل بن سليمان النُّميرىّ قال : كنا مع محمد ، فأطاف[1] بنا أربعون ألفاً ، فكانوا حولنا كالحرّة السَّوداء ، فقلت له : لو حملت فيهم لانفرجوا عنك ، فقال : إنّ أمير المؤمنين لا يحمِل ، إنه إن حمل لم تكن له بقيّة . قال : فجعلنا نعيد[2] ذلك عليه ؛ فحمل ، فالتفُّوا عليه فقتلوه .

وحدثنى عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سلم — ويدعى ابن البوّاب ؛ وكان خليفة الفضل بن الربيع يحجب هارون ، من أدباء الناس وعلمائهم — قال : حدّثنى أبى عن الأسلمىّ — يعنى عبد الله بن عامر — قال : قال لى محمد ونحن نقاتل معه عيسى : تغشانا سحابة ؛ فإن أمطرتنا ظفرنا ، وإن تجاوزتْنا إليهم فانظر إلى دمِى على أحجار الزيت ؛ قال : فوالله ما لبثنا أنْ أطلّتْنا سحابة فأحالت حتى قلتُ : تفعل ، ثم جاوزتنا فأصابت عيسى وأصحابه ، فما كان إلا كلا ولا ؛ حتى رأيته قتيلاً بين أحجار الزيت .

وحدثنى إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أبى الكرام ، قال : قال عيسى لحُميد بن قحطبة عند العصر : أراك قد أبطأتَ فى أمر هذا الرجل ، فولّ حمزة بن مالك حربَه ، فقال : والله لو رُمتَ أنت ذاك ما تركتُك ؛ أحين قتلتُ الرجال ووجدتُ ريح الفتح ! ثم جدّ فى القتال حتى قُتِل محمد .

وحدثنى جوّاد بن غالب بن موسى مولى بنى عِجل ، قال : أخبرنى حميد

---

(١) ج : « فأحاط » . (٢) ج : « نعتد » .

مولى محمد بن أبى العباس ، قال : اتّهم عيسى حميدَ بن قحطبة يومئذ — وكان على الخيل — فقال : يا حُميد ، ما أراك تبالغ ، قال : أتتهمنى ! فوالله لأضربنّ محمداً حين أراه بالسيف أو أقتل دونه . قال : فمرّ به وهو مقتول؛ فضربه بالسيف ليبرّ يمينه . ٢٤٩/٣

وحدَّثنى يعقوب بن القاسم ، قال : حدّثنى علىّ بن أبى طالب ، قال : قُتِل محمد بعد العصر ، يوم الاثنين لأربعَ عشرة ليلة خلتْ من شهر رمضان .

وحدثنى أيوب بن عمر ، قال : حدّثنى أبى ، قال : بعث عيسى فدقّ السجن ، فحملنا إليه والقتال دائب[1] بينهم؛ فلم نزل مطّرحين بين يديه ، حين أتِىَ برأس محمد ، فقلتُ لأخى يوسف : إنه سيدعونا إلى معرفته ، ولا نعرفه له ؛ فإنا نخاف أن نخطئ ؛ فلما أتِىَ به قال : أتعرفانه ؟ قلنا : نعم ، قال : انظرا ، أهو هذا ؟ قال أبى : فبدرتُ يوسف ، فقلت : أرى دمًا كثيراً وأرى ضربًا ؛ فوالله ما أثبِته[2] ، قال : فأطلقنا من الحديد ، وبتنا عنده ليلتنا كلها حتى أصبحنا . قال : ثم ولّانى ما بين مكة والمدينة ، فلم أزل والياً عليه حتى قدم جعفر بن سليمان ، فحدَرنى إليه ، وألزمنى نفسه .

وحدّثنى علىّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم ، قال : حدّثنى أبو كعب ، قال : حضرتُ عيسى حين قَتَل محمداً ، فوضع رأسه بين يديه ، فأقبل على أصحابه ، فقال : ما تقولون فى هذا ؟ فوقعوا فيه ، قال : فأقبل عليهم قائد له ، فقال : كذبتم والله وقلتم باطلا ، لمَا على هذا قاتلناه ؛ ولكنه خالف أمير المؤمنين ، وشقّ عصا المسلمين ؛ وإن كان لصوّاماً قوّاماً . فسكت القوم.

وحدثنى ابن البوّاب عبد الله بن محمد ، قال : حدّثنى أبِى ، عن الأسلمىّ ، قال : قدم على أبى جعفر قادم ، فقال : هرب محمد ، فقال : كذبت ! نحن أهلَ البيت لا نفرّ . ٢٥٠/٣

وحدثنى عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال : حدّثنى أبو الحجاج الجمّال ، قال : إنى لقائم على رأس أبى جعفر ، وهو مسائلى عن مخرج محمد ، إذ بلغه

(١) ج : « قائم » . (٢) أثبته ، أى ما أعرفه .

أن عيسى قد هُزِم – وكان متّكئًا فجلس – فضرب بقضيب معه مصلاّه ، وقال : كلاّ ، فأين لعب صبياننا بها على المنابر ومشورة النساء ! ما أنى لذلك بعدُ ! [1] .

قال : وحدّثنى محمد بن الحسن ، قال : حدّثنى بعض أصحابنا ، قال : أصاب أبا القلمّس نُشابة فى ركبته ، فبقِىَ نصلها ، فعالجها فأعياه ، فقيل له : دعه حتى يقيح فيخرج ، فتركه ، فلما طُلب بعد الهزيمة لحق بالحَرّة ، وأبطأ به ما أصاب ركبتَه ، فلم يزل بالنّصل حتى استخرجه ثم جثا لركبتيه ، ونكب كنانته [2] ، فرماهم فتصدّعوا عنه ، فلحق بأصحابه فنجا .

وحدثنى محمد بن الحسن ، قال : حدّثنى عبد الله بن عمر بن القاسم ، قال : لما انهزمنا يومئذ كنتُ فى جماعة ، فيهم أبو القلمّس ، فالتفتّ إليه ، فإذا هو مستغرب ضحكًا ، قال : فقلت : والله ما هذا بموضع ضحك ، وخمضتُ بصرى ؛ فإذا برجل من المنهزمة قد تقطع قميصُه ، فلم يبق منه إلا جرُبّانه [3] وما يستر صدره إلى ثدييه ، وإذا عورته بادية وهو لا يشعر ؛ قال : فجعلت أضحك لضحك أبى القلمّس .

فحدثنى عيسى ، قال : حدّثنى أبى ، قال : لم يزل أبو القلمّس مختفيًا بالفُرْع ، وبقى زمانًا ثم عدا عليه عبدٌ له ، فشدخ رأسه بصخْرة فقتله ، ثم أتى أمّ ولد كانت له ، فقال : إنى قد قتلت سيّدك فهلمّى أتزوّجك ؟ قالت : رويداً أتصنّع لك ، فأمهلها ، فأتت السلطان فأخبرته ، فأخذ العبدَ فشدخ رأسَه .

٣/٢٥١

حدّثنى محمود بن معمر بن أبى الشدائد ، قال : أخبرَنى أبى ، قال : لما دخلتْ خيلُ عيسى من شِعْب بنى فَزارة ، فقتِل محمد ، اقتحم نَفَر على أبى الشدائد فقتلوه ، وأخذوا رأسه ، فنادت ابنتُه الناعمة بنت أبى الشدائد : وا رجالاه ! فقال لها رجل من الجند : ومَنْ رجالك ؟ قالت : بنو فَزارة ، قال : والله لو علمتُ ما دخلتُ بيتَك ، فلا بأس عليك ، أنا امرؤ من

---

(١) ت ، ه : « ما إن لذلك بعد » .
(٢) نكب كنانته : نثر ما فيها .
(٣) جربان القميص : جيبه .

عشيرتك من باهلة ؛ وأعطاها قطعة من عمامته فعلقتها على بابها . قال : وأُتِيَ عيسى برأسه ، وعنده ابن أبى الكرام ومحمد بن لُوط بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فاسترجعا وقالا : والله ما بقى من أهل المدينة أحدٌ ، هذا رأس أبى الشدائد ، فالح بن معمر — رجل من بنى فزارة مكفوف — قال : فأمر منادياً فنادى : مَنْ جاء برأس ضربْنا رأسه .

وحدثنى علىّ بن زادان ، قال : حدّثنى عبد الله بن برقى ، قال : رأيت قائداً من قوّاد عيسى ، جاء فى جماعة يسأل عن منزل ابن هرمز ؛ فأرشدناه إليه . قال : فخرج وعليه قميص رياط ، قال : فأنزلوا قائدَهم ، وحملوه على بِرْذَوْنه وخرجوا به يزفّونه ، حتى أدخلوه على عيسى ، فما هاجه .

حدثنى قدامة بن محمد ، قال : خرج عبد الله بن يزيد بن هرمز ومحمد ابن عجلان مع محمد ، فلما حضر القتال ، تقلد كلّ واحد منهما قوساً ، فظننّا أنهما أرادا أن يُريا الناس أنهما قد صلَحا لذلك .

٢٥٢/٣

وحدثنى عيسى ، قال : حدثنى حسين بن يزيد ، قال : أتِيَ بابن هرمز إلى عيسى بعد ما قتل محمد ، فقال : أيها الشيخ ، أما وزعك فقهُك عن الخروج مع من خرج ! قال : كانت فتنةً شملت الناس ، فشملتنا فيهم ، قال : اذهب راشداً .

وحدثنى محمد بن الحسن بن زَبالة ، قال : سمعتُ مالك بن أنس ، يقول : كنتُ آتى ابنَ هرمز فيأمر الجارية فتغلق البابَ ، وترخِى الستر ، ثم يذكر أوّل هذه الأمّة ، ثم يبكى حتى تخضلّ لحيته . قال : ثم خرج مع محمد فقيل له : والله ما فيك شىء ، قال : قد علمتُ ؛ ولكن يرانى جاهل فيقتدى بى .

حدثنى عيسى ، قال : حدّثنى محمد بن زيد ، قال : لمّا قُتِل محمدٌ انخرقت السماءُ بالمطر بما لم أر مثله انخرق قطّ منها ، فنادى منادى عيسى : لا يبيتنّ بالمدينة أحدٌ من الجند إلا كثير بن حُصَين وجنده ، ولحق عيسى بعسكره بالجُرْف ؛ فكان به حتى أصبح ، ثم بعث بالبشارة مع القاسم بن حسن بن زيد ، وبعث بالرأس مع ابن أبى الكرام .

وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : لما أصبح محمد فى مصرَعه ، أرسلتْ أخته زينب بنت عبد الله وابنته فاطمة إلى عيسى : إنكم قد قتلتم هذا الرجل ، وقضيتم منه حاجتَكم ، فلو أذنتم لنا فواريناه ! فأرسل إليهما : أما ما ذكرتما يابنتىْ عمىّ مما نيل منه فوالله ما أمرتُ ولا علمتُ؛ فوارِياه راشدتين. فبعثتا[1] إليه فاحتُمل، فقيل: إنه حُشى ٣/٢٠٣ فى مقطع عنقه عديله قُطْناً ، ودفن بالبَقيع ، وكان قبره وِجاه زقاق دار علىّ بن أبى طالب، شارعاً على الطريق أو قريباً من ذلك؛ وبعث عيسى بألوية فوُضعَ على باب أسماء بنت حسن بن عبد الله واحدٌ ، وعلى باب العباس بن عبد الله بن الحارث آخر ، وعلى باب محمد بن عبد العزيز الزهرىّ آخر ، وعلى باب عبيد الله بن محمد بن صفوان آخر ، وعلى باب دار أبى عمرو الغِفارىّ آخر ، وصاح مناديه : مَن دخل تحت لواء منها ، أو دخل داراً من هذه الدور فهو آمن ؛ ومطرت السماءُ مطراً جَوْداً[2] ، فأصبح الناس هادئين[3] فى أسواقهم ؛ وجعل عيسى يختلف إلى المسجد من الجرُف ، فأقام بالمدينة أياماً ، ثم شخص صُبح تسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان يريد مكة .

حدّثنى أزهر بن سعيد ، قال : لما كان الغد من قتل محمد أذن عيسى فى دفنه ، وأمر بأصحابه فصُلبوا ما بين ثنيّة الوَداع إلى دار عمربن عبدالعزيز. قال أزهر : فرأيتُهم صفين ؛ ووكل بخشبة ابن خُضير مَنْ يحرسها ، فاحتمله قومٌ فى الليل فواروْه ، ولم يقدَرْ عليهم ، وأقام الآخرون مصلّبين ثلاثاً ، ثم تأذّى بهم الناس ، فأمرعيسى بهم فألقوا على المفرح من سَلْع ، وهى مقبرة[4] اليهود ، فلم يزالوا هنالك ، ثم ألقُوا فى خندق بأصل ذباب .

حدثنى عيسى بن عبد الله قال : حدّثتنى أمى أم حسين بنت عبد اللهبن محمد بن علىّ بن حسين ، قالت : قلت لعمّى جعفر بن محمد: إنى — فديتُك — ٣/٢٠٤ ما أمرُ محمد بن عبد الله[هذا] ؟[5] قال : فتنته[6] يقتل فيها محمد عند بيت

---

(١) ط : « فبعثت » ، والصواب ما أثبته من ت .
(٢) الجود : المطر الغزير.
(٣) ت : « هادين » .
(٤) ج : « مطمورة » .
(٥) من ت .
(٦) ت : « فتنة » .

رومىّ ، ويقتل أخوه لأبيه وأمّه بالعراق وحوافر فرسه فى ماء .

حدثنى عيسى ، عن أبيه ، قال : خرج مع محمد حمزة بن عبد الله بن محمد بن علىّ — وكان عمه جعفر ينهاه ؛ وكان من أشدّ الناس مع محمّد — قال : فكان جعفر يقول له : هو والله مقتول ، قال : فتنحّى جعفر .

حدّثنى عيسى ، قال : حدّثنا ابنُ أبى الكرام ، قال : بعثنى عيسى برأس محمد ، وبعث معى ماثة من الجند ، قال : فجئنا حتى إذا أشرفنا على النّجَف كبّرنا — قال : وعامر بن إسماعيل يومئذ بواسط محاصِر هارون ابن سعد العِجلىّ — فقال أبو جعفر للربيع : ويحك ! ما هذا التكبير ! قال : هذا ابن أبى الكرام ، جاء برأس محمد بن عبد الله ، قال : ائذن له ولعشرة ممّن معه ، قال : فأذِن لى ، فوضعتُ الرأس بين يديه فى ترس ، فقال : من قُتل معه من أهل بيته ؟ قلتُ : لا والله ولا إنسان ، قال : سبحان الله ! هو ذاك . قال : فرفع رأسَه إلى الربيع ، فقال : ما أخبرنا صاحبه الذى كان قبله ؟ قال الربيع : زعم أنه قتِل منهم عدد كثير ، قلت : لا والله ولا واحد .

حدثنى علىّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم ، قال : لما قدِم برأس محمد على أبى جعفر وهو بالكوفة ، أمر به فطِيف فى طَبَق أبيض ، فرأيته آدم أرْقَط ، فلما أمسى من يومه بعث به إلى الآفاق .

٢٥٥/٣ وحدثنى عبد الله بن عمر بن حبيب من أهل يَنْبُع ، قال : لما أُتِىَ أبو جعفر برءوس بنى شجاع ، قال : هكذا فليكن الناس ، طلبتُ محمدًا فاشتمل هؤلاء عليه ، ثم نقلوه وانتقلوا معه ، ثم قاتلوا معه فصبروا حتى قتلوا .

قال عمر : أنشدنى عيسى بن إبراهيم وإبراهيم بن مصعب بن عُمارة بن حمزة بن مصعب ، ومحمد بن يحى ومحمد بن الحسن بن زَبالة وغيرهم لعبد الله ابن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يرثِى محمداً :

تبكى مُدلّه أن تقنَّص حَبْلَهُمْ عِيسى وَأَقصَدَ صائبًا عثمانا [1]

---

(١) بعدها فى ت : يعنى بعيسى بن حصين وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير » .

هَلّا على المَهْدىّ وابنَىْ مُصْعَبٍ ... أذرَيْتَ دَمْعَك ساكبًا تَهتانا !
ولفَقْدِ إبراهيمَ حينَ تَصدَّعَتْ ... عنه الجُموعُ فَواجَهَ الأَقرانا
سالَتْ دمُوعك ضَلَّةً قَدْ هِجْتَ لى ... بُرَحاءَ وَجْدٍ تَبْعَثُ الأَحزَانا
والله ما وَلَدَ الحواضنُ مثلَهم ... أَمْضَى وأَرفَعَ مَحْتِدًا ومكانا
وأَشَدَّ ناهِضَةً وأَقولَ لِلَّتى ... تَنْفِى مَصادرُ عَدْلها البهتانا
فهناك لو فَقَأْتَ غير مُشَوَّهٍ ... عَيْنَيْك من جزع عذرتَ علانا
رُزْءٌ لَعَمْرُكَ لو يُصابُ بمثله ... مِبْطانُ صدَّع رُزْؤُه مبْطانا

وقال ابن مصعب :

يا صاحبَىَّ دَعَا المَلامة وَاعْلما ... أَن لسْتُ فى هذا بأَلْوَمَ منكما
وَقِفَا بقبر ابن النبىّ فَسلِّما ... لا بأْسَ أَن تَقِفا به فتُسَلِّما
قبرٌ تَضمَّنَ خيْرَ أَهْل زَمانه ... حَسَبًا وطيْبَ سجيّةٍ وتكرُّما
رجلٌ نفى بالعَدْلِ جَوْرَ بِلادِنا ... وعفا عظيماتِ الأُمور وأَنعَما
لم يَجْتَنبْ قَصْدَ السبيل ولم يَجُرْ ... عنه ، ولم يفتح بفاحشةٍ فما
لو أَعظَمَ الحَدَثان شيئًا قبله ... بعد النبىّ به لكنتَ المعظَما
أَو كان أَمْتَع بالسلامة قبلَه ... أَحدًا الكان قصارُه أَن يسلَما
ضحَّوا بإبراهيمَ خيرَ ضَحِيَّةٍ ... فتصرَّمت أَيامُه وتصرّما
بطلاً يخوضُ بنفسه غمراتِها ... لا طائشًا رَعَشًا ولا مُسْتَسْلما
حتى مضت فيه السُّيوفُ ورُبَّما ... كانت حُتُوفُهمُ السيوف ورُبّما
أَضحى بنو حَسَنٍ أُبيحَ حَريمُهُمْ ... فينا وأَصْبحَ نهبُهمْ متقسَّما
ونساؤُهم فى دورهِنّ نوائح ... سَجْعَ الحمام إِذا الحَمامُ ترنّما
يتوسَّلون بقتلهم ويَرَوْنَه ... شَرَفًا لهم عند الإمام ومَغْنَمَا
والله لو شهد النبىُّ محمّدٌ ... صلّى الإله على النبىّ وسلّما

٢٥٦/٣

إشْراعَ أُمَّتِهِ الأَسَنَّةَ لابْنِه حتى تقطَّر من ظُبَاتِهُمُ دما
حَقًّا لأَيْقَنَ أَنَّهم قد ضَيَّعوا تلك القرابةَ واستحلّوا المحرَما

وحدثنى إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم ، قال : حدثنى موسى بن عبد الله ابن حسن ، قال : خرجتُ من منازلنا بسويقة فى الليل ، وذلك قبل مُخرَج محمد ابن عبد الله ؛ فإذا بنسوة كأنما خرجْن من ديارنا ؛ فأخذتْنى عليهنّ غَيْرة ، فإنى لأتبعهنّ أنظر أين يَرِدْنَ ؛ حتى إذا كنّ بطرف الُحميراء من جانب الغَرْس [1] ؛ التفتت إلىّ إحداهنّ ، فقالت :

٢٥٧/٣

سُوَيْقَةُ بَعْدَ ساكنها يَبَابُ لقد أَمستْ أَجَدَّ بها الخرابُ

فعرفتُ أنهنّ من ساكنى الأرض ، فرجعت .

وحدّثنى عيسى ، قال : لما قتَل عيسى بن موسى محمداً قبض أموالَ بنى حسن كلّها ، فأجاز ذلك أبو جعفر .

وحدّثنى أيوب بن عمر ، قال : لقىَ جعفر بن محمد أبا جعفر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، رُدّ علىّ قطيعتى عين أبى زياد آكل من سَعفها ، قال : إياى تكلم بهذا الكلام ! والله لأزهقنّ نفسَك . قال : فلا تعجلْ علىّ ؛ قد بلغت ثلاثا وستين ، وفيها مات أبى وجدّى علىّ بن أبى طالب ؛ وعلىّ كذا وكذا إن ربتُك بشىء أبداً ، وإن بقيتُ بعدك إن رِبْتُ الذى يقوم بعدك . قال : فرقّ له وأعفاه .

وحدّثنى هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد ، قال : لم يَرُدّ أبو جعفر عينَ أبى زياد حتى مات فردّها المهدىّ على ولده .

وحدّثنى هشام بن إبراهيم ، قال : لما قُتِل محمد أمر أبو جعفر بالبحر فأقفل على أهل المدينة ، فلم يحمَل إليهم من ناحية البحار شىء ؛ حتى كان المهدىّ فأمر بالبحر ففتح لهم ، وأذن فى الحمل .

وحدّثنى محمد بن جعفر بن إبراهيم ، قال : حدّثتْنى أمّى أمّ سلمة بنت

(١) ب : « القرش » ، ج : « العرش » .

محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر زوْجة موسى بن عبد الله ، قالت : خاصم بنو المخزومية عيسى وسليمان وإدريس بنو عبد الله بن حسن بن محمد بن عبد الله بن حسن فى ميراث عبد الله ، وقالوا : قُتِل أبوكم ٣/٢٥٨ محمّد فورثه عبد الله ؛ فتنازعوا إلى الحسن بن زيد ؛ فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين أبى جعفر ، فكتب إليه : أما بعد ؛ فإذا بلغك كتابى هذا فورِّثهم من جدّهم ، فإنى قد رددت عليهم أموالَهم صلةً لأرحامهم ، وحفظاً لقَرابتهم .

وحدّثنى عيسى ، قال : خرج مع محمد من بنى هاشم الحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وحسين وعيسى ابنا زيد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب ؛ قال : فحدّثنى عيسى ، قال : بلغنى أن أبا جعفر كان يقول : واعجبًا لخروج ابنى زيد بن علىّ وقد قتلنا قاتل أبيهما كما قتله ، وصلبناه كما صلبه ، وأحرقناه كما أحرقه ، وحمزة ابن عبد الله بن محمد بن علىّ بن حسين بن أبى طالب ، وعلىّ وزيد ابنا حسن ابن زيد بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب !

قال عيسى : قال أبو جعفر للحسن بن زيد : كأنى أنظر إلى ابنيك واقفيْن على رأس محمد بسيفيْن ، عليهما قَباءان . قال : يا أمير المؤمنين ، قد كنت أشكو إليك عقوقهما قبل اليوم ، قال : أجل فهذا من ذاك . والقاسم ابن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، والمرجّى علىّ بن جعفر بن إسحاق بن علىّ بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قال عيسى : قال أبو جعفر لجعفر بن إسحاق : مَن المرجّى هذا ؟ فعل الله به وفعل ! قال : يا أمير المؤمنين ؛ ذاك ابنى ، والله لئن شئت أن أنتفى منه لأفعلنّ . ومن بنى ٣/٢٥٩ عبد شمس محمد بن عبد الله بن عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس .

قال : وحدثنى أبو عاصم النّبيل ، قال : حدثنى عبّاد بن كثير ، قال : خرج ابن عجلان مع محمد ، وكان على ثقَله[1] ، فلما ولى جعفر بن سليمان المدينة قيّده ، فدخلت عليه ، فقلت : كيف ترى رأى أهل البصرة فى رجل قيّد الحسن ؟

---

(١) ط : « بغلة » ، وما أثبته من ت .

قال : سيّئاً والله ، قال : قلت : فإن ابن عجلان بهذه كالحسنَ ثمّ ، فتركه . ومحمد بن عجلان مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

وحدّثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله ، أنّ عبيد الله بن عمر ابن حفص بن عاصم خرج معه ؛ فأُتِيَ به أبو جعفر بعد قتل محمد ، فقال له : أنت الخارج عليّ مع محمد ؟ قال : لم أجد إلّا ذلك أو الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : هذا [1] وهْمٌ .

قال : وحدثني عبد العزيز بن أبي سلمة بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، قال : كان عبيد الله قد أجاب محمداً إلى الخروج معه ؛ فمات قبل أن يخرج ، وخرج معه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سَبْرة بن أبي رُهم بن عبد العُزّى ابن أبي قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ ، وخرج معه عبد الواحد بن أبي عون مولى الأزد وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن ابن المسوَر بن مخرمة وعبد العزيز بن محمد الدّراوَرْديّ وعبد الحميد بن جعفر وعبد الله بن عطاء بن يعقوب مولى بني سباع ، وابن سباع من خُزاعة حليف بني زُهرة ، وبنو إبراهيم وإسحاق وربيعة وجعفر وعبد الله وعطاء ويعقوب وعثمان وعبد العزيز ؛ بنو عبد الله بن عطاء . ٣/٢٦٠

وحدّثني إبراهيم بن مُصعب بن عُمارة بن حمزة بن مُصعب بن الزبير . قال : وحدّثني الزُّبير بن خُبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير ، قال : إنا لبالمُرّ من بطن إضَم ، وعندي زوجتي أمينة بنت خضير ؛ إذ مرّ بنا رجل مصعِد من المدينة ، فقالت له : ما فعل محمد ؟ قال : قُتِل ، قالت : فما فعل ابن خُضير ؟ قال : قتل ، فخرّت ساجدة ، فقلت : أتسجدين أنْ قُتِل أخوك ! قالت : نعم ، أليس لم يفِرّ ولم يُؤسَر !

قال عيسى : حدّثني أبي ، قال : قال أبو جعفر لعيسى بن موسى : مَن استنصر مع محمد ؟ قال : آل الزبير ، قال : ومَنْ ؟ قال : وآل

---

(١) ت : « وهذا » .

عمر ، قال : أما والله لعن غير مودّة بهما له ولا محبّة له ولا لأهل بيته . قال : وكان أبو جعفر يقول : لو وجدتُ ألفًا من آل الزّبير كلهم محسِن وفيهم مسىء واحدٌ لقتلتهم جميعًا ، ولو وجدت ألفًا من آل عمر كلهم مسىء وفيهم مُحسِنٌ واحد لأعفيتُهم جميعًا .

قال عمر : وحدّثنى إبراهيم بن مصعب بن عمارة بن حمزة بن مصعب ، قال : حدّثنى محمد بن عثمان بن محمد بن خالد بن الزّبير ، قال : لما قُتِل محمد ، هرب أبى وموسى بن عبدالله بن حسن وأنا معهما وأبو هبّار المزنىّ ، فأتينا مكة ، ثم انحدرنا إلى البصرة ، فاكتر ينا من رجل يدعى حكيماً ، فلما وردنا البصرة — وذلك بعد ثلث[1] الليل — وجدنا الدُّروب مغلّقة ، فجلسنا عندها حتى طلع الفجر ؛ ثم دخلنا فتنزلنا المِرْبَد ، فلما أصبحنا أرسلنا حكيماً يبتاع لنا طعاماً ؛ فجاء به على رجل أسود ، فى رجله حديدة ، فدخل به علينا فأعطاه جُعْله ، فتسخّط علينا ، فقلنا : زده ، فتسخّط ، فقلنا له : ويلك ! أضعف له ، فأبى ، فاستراب بنا ، وجعل يتصفّح وجوهنا . ثم خرج فلم ننشب أن أحاطت بمنزلنا الخيل ، فقلنا لربّة المنزل : ما بال الخيل ؟ فقالت : لا بأس فيها[2] ، تطلب رجلا من بنى سَعْد يدعى نُميلة بن مُرّة ، كان خرج مع إبراهيم . قال : فوالله ما راعنا إلاّ بالأسود قد دُخل به علينا ، قد غُطّى رأسه ووجهه . فلما دُخِل به كُشف عنه ، ثم قيل : أهؤلاء ؟ قال : نعم هؤلاء ؛ هذا موسى بن عبد الله ، وهذا عثمان بن محمد ، وهذا ابنه ؛ ولا أعرف الرابعَ غير أنه من أصحابهم . قال : فأخِذْنا جميعًا ، فدُخل بنا على محمد بن سليمان فلما نظر إلينا أقبل على موسى ، فقال : لا وصل الله رحِمك ! أتركتَ البلاد جميعًا وجئتنى ! فإمّا أطلقتُك فتعرّضتُ لأمير المؤمنين ، وإمّا أخذتُك فقطعت رَحمِك . ثم كتب إلى أمير المؤمنين بخبرنا[3] . قال : فجاء الجواب أن احملهم إلىّ ، فوجّهنا إليه ومعنا جند ، فلما صرنا بالبطيحة وجدنا بها جُنْداً آخر ينتظروننا ؛ ثم لم نزلْ نأتى على المسالح من الجُنْد فى طريقنا كله ، حتى

٣/٢٦١

---

(١) ج : « ثلاث ليال » . (٢) ت ، ج : « منها » .
(٣) كذا فى ت ، وهو الصواب ، وفى ط : « وحدنا »

وردنا بغداد ، فدُخل بنا على أبى جعفر ، فلما نظر إلى أبى قال : هيه !
أخرجتَ علىّ مع محمد ! قال : قد كان ذاك ؛ فأغلظ له أبو جعفر ؛ فراجعه ٢٦٢/٣
مليًّا ، ثم أمر به فضُربت عنقه . ثم أمر بموسى فضُرب بالسياط ، ثم أمر بى
فقُرّبت إليه ، فقال : اذهبوا به فأقيموه على رأس أبيه ؛ فإذا نظر إليه فاضربوا
عنقَه على جيفته . قال : فكلمه عيسى بن علىّ ، وقال : والله ما أحسبه بلغ ؛
فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، كنتُ غلاماً حدثاً غِرًّا أمرنى أبى فأطعتُه ، قال :
فأمر بى فضُربتُ خمسين سوطاً ، ثم حبسنى فى المطبَق وفيه يومئذ يعقوب بن
داود ، فكان خير رفيق أرافقه وأعطفه ، يُطعمنى من طعامه ، ويسقينى من شرابه ،
فلم نزل كذلك حتى تُوفِّىَ أبو جعفر ، وقام المهدىّ وأخرِج يعقوب ، فكلمه
فىّ فأخرجنى .

قال : وحدّثنى أيوب بن عمر ، قال : حدّثنى محمد بن خالد ، قال :
أخبرنى محمد بن عروة بن هشام بن عُروة ، قال : إنى لعند أبى جعفر ، إذْ
أُتى فقيل له : هذا عثمان بن محمد بن خالد قد دُخِل به ، فلما رآه أبو جعفر ،
قال : أين المال الذى عندك ؟ قال : دفعته إلى أمير المؤمنين رحمه الله ، قال :
ومَنْ أمير المؤمنين ؟ قال : محمد بن عبد الله ، قال : أبايعتَه[1] ؟ قال : نعم
كما بايعتَه ، قال : يابن اللخناء ! قال : ذاك مَنْ قامت عنه الإماء ، قال :
اضرب عنقه ، قال : فأخِذ[2] فضربت عنقه .

قال : وحدثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، قال : حدّثنى محمد
ابن عثمان بن خالد الزُّبيرىّ ، قال : لما خرج محمد خرج معه رجلٌ من
آل كثير بن الصلت ، فلما قتِل وهُزِم أصحابه تغيّبوا ؛ فكان أبى والكثيرىّ
فيمن تغيّب ، فلبثوا بذلك ؛ حتى قدم جعفر بن سليمان واليًا على المدينة ، ٢٦٣/٣
فاشتدّ فى طلب أصحاب محمد ، فاكترى أبى من الكثيرىّ إبلاً كانت له ،
فخرجنا متوجّهين نحو البصرة ؛ وبلغ الخبر جعفراً ، فكتب إلى أخيه محمد
يعلمه بتوجّهنا إلى البصرة ، ويأمره بالترصّد لنا والتيقظ لأمرنا ومقدمنا ، فلما
قدمنا علم محمد بمقدمنا ومكاننا ، فأرسل إلينا فأخِذنا ، فأتِىَ بنا ، فأقبل عليه

(١) ت : « أتابعته » .
(٢) كذا فى ت ، وفى ط : « فأخر » .

أبى ، فقال : يا هذا ، اتّق الله فى كَرِيِّنا[١] هذا ؛ فإنه أعرابىّ لا علم له بنا ، إنما أكْرانا ابتغاء الرزق ، ولو علم بجريرتنا ما فعل ؛ وأنت معرِّضه لأبى جعفر ؛ وهو مَنْ قد علمت ؛ فأنت قاتله ومتحمِّل مأثمه. قال : فوَجَم محمد طويلا ، ثم قال : هو والله أبو جعفر ، والله ما أتعرّض له ، ثم حُمِلنا جميعاً فدخلنا على أبى جعفر ؛ وليس عنده أحد يعرف الكثيرىّ غير الحسن بن زيد ، فأقبل على الكثيرىّ ، فقال : يا عدوّ الله ، أتكرِى عدوّ أمير المؤمنين ، ثم تنقله من بلد إلى بلد ، تواريه مرة وتظهره أخرى ! قال : يا أميرَ المؤمنين ، وما علمِى بخبَره وجريرته وعداوته إياك ! إنما أكريتُه جاهلا به ، ولا أحسِبه إلاّ رجلاً من المسلمين ، برىءالساحة ؛ سليم الناحية ؛ ولو علمت حاله لم أفعل . قال : وأكبّ الحسن بن زيد ينظر[٢] إلى الأرض ، لا يرفع رأسه . قال : فأوعد أبو جعفر الكثيرىّ وتهدده ، ثم أمر بإطلاقه ، فخرج فتغيّب ، ثم أقبل على أبى ، فقال : هيه يا عثمان ! أنتَ الخارج على أمير المؤمنين ، والمعينُ عليه[٣] ! قال : بايعتُ أنا وأنت رجلاً بمكة ، فوَفَيتُ ببيعتى وغدرتَ ببيعتك . قال : فأمر به فضربت عنقه . ٢٦٤/٣

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى أبى ، قال : أُتِىَ أبو جعفر بعبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فنظر إليه فقال[٤] : إذا قتلتُ مثل هذا من قريش فمن أستبقى ! ثم أطلقه ، وأتِى بعثمان بن محمد ابن خالد فقتله ، وأطلق ناساً من القرشيّين ، فقال له عيسى بن موسى : يا أميرَ المؤمنين ، ما أشقَى هذا بك من بينهم ! فقال : إن هذا يدى[٥] .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : سمعتُ حسن بن زيد يقول : غدوتُ يوماً على أبى جعفر ؛ فإذا هو قد أمر بعمل دكان ، ثم أقام عليه خالداً . وأتِىَ بعلىّ بن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، فأمر به فضُرِب خمسمائة سوط . ، ثم أتِىَ بعبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع فأمر به فجُلِد خمسمائة سوط ؛ فما تحرّك واحد منهما ، فقال لى : هل رأيتَ أصبر من

(١) الكرى : الذى يكريك دابته . (٢) ج : « فنظر » .
(٣) ج : « علينا » . (٤) ج : « ثم قال » . (٥) كذا فى ت ، وفى ط : « بيتى » .

هذين قطّ ! والله إنا لنؤتَى بالذين قد قاسوْا غلظ المعيشة وكدّها ، فما يصبرون هذا الصبر ، وهؤلاء أهل الخفض والكِنّ والنعمة ، قلت : يا أميرَ المؤمنين ، هؤلاء قومك أهلُ الشرف والقَدْر ، قال : فأعرض عنى ، وقال : أبيتَ إلا العصبيّة ! ثم أعاد عبد العزيز بن إبراهيم بعد ذلك ليضربه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، اللهَ اللهَ فينا ! فوالله إنى لمكبّ على وجهى منذ أربعين ليلة ، ما صلّيتُ لله صلاة ! قال : أنتم صنعتم ذلك بأنفسكم ، قال : فأين العفو يا أمير المؤمنين ؟ ٣/٢٦٥ قال : فالعفو والله إذاً ، ثم خلّى سبيله .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : كثروا محمداً وألحّوا فى القتال حتى قتِل محمد فى النصف من شهر رمضان سنة خمسة وأربعين ومائة ، وحمِل رأسه إلى عيسى بن موسى ، فدعا ابنَ أبى الكرام ، فأراه إياه ، فعرّفه فسجد عيسى بن موسى ، ودخل المدينة ، وآمن الناسَ كلهم . وكان مكث محمد بن عبد الله من حين ظهر إلى أن قتل شهرين وسبعة عشر يوماً[1] .

* * *

وفى هذه السنة : استخلف عيسى بن موسى على المدينة كثير بن حُصين حين شخص عنها بعد مقتل محمد بن عبد الله بن حسن ؛ فمكث والياً عليها شهراً ، ثم قدم عبد الله بن الرّبيع الحارثى والياً عليها من قِبَل أبى جعفر المنصور[2] .

وفى هذه السنة ثارت السودان بالمدينة بعبد الله بن الربيع ، فهرب منهم .

* * *

ذكر الخبر عن وثوب السودان بالمدينة فى هذه السنة والسبب الذى هيّج ذلك

ذكر عمر بن شبة أنّ محمد بن يحيى حدثه ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : كان رياح بن عثمان استعمل أبا بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة على صدَقة أسد وطيّئ فلما خرج محمد أقبل إليه أبو بكر بما كان جبا[2] وشمّر معه ، فلما استخلف عيسى كثير

(١) هذا الخبر ساقط من ت (٢) إلى هنا ينتهى الموجود من نسخة ت .

٣/٢٦٦ ابن حصين على المدينة أخذ أبا بكر ، فضربه سبعين سوطًا وحدّده وحبسه . ثم قدم عبد الله بن الرّبيع واليًا من قِبَل أبى جعفر يوم السبت لخمس بقين من شوّال سنة خمس وأربعين ومائة ، فنازع جنده التجار فى بعض ما يشترونه منهم ، فخرجت طائفة من التجار حتّى جاءوا دار مَرْوان ، وفيها ابنُ الربيع ، فشكوْا ذلك إليه ، فنهرهم وشتمهم ، وطمع فيهم الجند ، فتزايدوا فى سوء الرأى .

قال : وحدثنى عمر بن راشد ، قال : انتهب الجند شيئًا من متاع السوق ، وغدوْا على رجل من الصرّافين يدعى عثمان بن زيد ، فغالبوه على كيسه ؛ فاستغاث ، فخلّص مالَه منهم ، فاجتمع رؤساء أهل المدينة فشكوْا ذلك إلى ابن الربيع فلم ينكرْه ولم يغيّره ، ثم جاء رجل من الجند فاشترى من جزّار لحمًا يومَ الجمعة ، فأبى أن يعطيَه ثمنه ، وشهر عليه السيف ؛ فخرج عليه الجزّار من تحت الوَضَم بشَفْرة ، فطعن بها خاصرته ، فخرّ عن دابته ، واعتوره[1] الجزّارون فقتلوه ، وتنادى السودان عن الجند وهم يروحون إلى الجمعة فقتلوهم بالعُمُد فى كلّ ناحية ، فلم يزالوا على ذلك حتى أمسوْا ؛ فلما كان الغد هربَ ابن الربيع .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : نفخ السودان فى بُوق لهم ؛ فذكر لى بعضُ مَنْ كان فى العالية وبعض مَنْ كان فى السافلة ، أنه كان يرى الأسود من سكّانهما فى بعض عمله يسمع نفْخَ البوق ، فيصغِى له حتى يتيقّنه ثم يوحّش[2] بما فى يده ، ويأتمّ الصوتَ حتى يأتيه . قال : وذلك يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة من سنة خمس ٣/٢٦٧ وأربعين ومائة ، ورؤساء السودان ثلاثة نفر : وثيق ويعقل ورمقة . قال : فغدوْا على ابن الربيع ، والناس فى الجمعة فأعجلوهم عن الصّلاة ، وخرج إليهم فاستطردُوا له ؛ حتى أتى السوق فمرّ بمساكين خمسة يسألون فى طريق المسجد ، فحمل عليهم بمَنْ معه حتى قتلوهم ، ثم مر بأصَيْبِيَة على طَنَف دار ، فظنّ أن القوم منهم ؛ فاستنزلهم واختدعهم وآمنهم ؛ فلما نزلوا ضرب

---

(١) ط : « واعتوروه » . (٢) ب : « توحس » .

أعناقهم ، ثم مضى ووقف(١) عند الحنّاطين ، وحمل عليه السودانُ ، فأجلى هاربًا فاتّبعوه حتى صار إلى البَقيع ، ورهقوه فنثر لهم دارهم ؛ فشغلهم بها ، ومضى على وجهه حتى نزل ببطن نَخْل ، عن ليلتين من المدينة .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : خرج السوّدان على ابن الربيع ، ورؤساؤهم : وثيق وحَدْيا وعُنقود وأبو قيس ؛ فقاتلهم فهزموه ، فخرج حتى أتى بطنْ نَخْل فأقام بها .

وحدّثنى عمر بن راشد ، قال : لما هربَ ابنُ الربيع وقع السودان فى طعام لأبى جعفر من سَوِيق ودقيق وزَيْت وقَسْب ، فانتهبوه ، فكان حِمْل الدّقيق بدرهمين(٢) ، وراوية زيت بأربعة دراهم .

وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : أغاروا على دار مَرْوان ودار يزيد ؛ وفيهما طعام كان حُمل للجنْد فى البحر ، فلم يدَعوا فيهما شيئًا . قال : وشخص سليمان بن فُلَيح بن سليمان فى ذلك اليوم إلى أبى جعفر ، فقدم عليه فأخبره الخبر .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، ٣/٢٦٨ قال : وقتل السودان نفراً من الجُنْد ، فهابهم الجند حتى أن كان الفارس ليلقى الأسود وما عليه إلا خِرْقتان على عَوْرته ودُرّاعة ، فيولِّيه دُبُره احتقاراً له ، ثم لم ينشب أن يشدّ عليه بعمود من عُمُد السوق فيقتله : فكانوا يقولون : ما هؤلاء السودان إلا سَحرة أو شياطين !

قال : وحدّثنى عثامة بن عمرو السهمىّ ، قال : حدّثنى المسوَر بن عبد الملك ، قال : لما حبَس ابن الربيع أبا بكر بن أبى سَبْرة ، وكان جاء بجباية طَيّئ وأسد ، فدفعها إلى محمد ، أشفق القرشيّون على ابن أبى سَبْرة ، فلما خرج السودان على ابن الربيع ، خرج ابن أبى سَبْرة من السجن ، فخطب الناس ، ودعاهم إلى الطاعة ، وصلّى بالناس حتى رجع ابن الربيع .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ،

---

(١) ب : « فوقف » . (٢) ج : « بدرهم » .

قال : خرج ابن أبى سَبْرة من السجن والحديد عليه ، حتى أتى المسجد ، فأرسل إلى محمد بن عمران ومحمد بن عبد العزيز وغيرهما ، فاجتمعوا عنده ، فقال : أنشدكم الله وهذه البليّة التى وقعت ! فوالله لئن تمّتْ علينا عند أمير المؤمنين بعد الفَعْلة الأولى، إنه لاصطلامُ البلد وأهله، والعبيدُ فى السوق بأجمعهم ؛ فأنشدكم الله إلاّ ذهبتم إليهم فكلمتموهم فى الرّجْعة والفيئة إلى رأيكم، فإنهم لانظام لهم . ولم يقوموا بدعوة؛ وإنما هم قوم أخرجتهم الحميّة ! قال : فذهبوا إلى العبيد فكلموهم ، فقالوا : مرحبًا بكم يا موالينا ؛ والله ما قمنَا إلا أنفةً لكم مما عُمِل بكم، فأيدينا مع أيديكم وأمرُنا إليكم، فأقبلوا بهم إلى المسجد .

٢٦٩/٣ وحدّثنى محمد بن الحسن بن زَبالة ، قال : حدّثنى الحسين بن مُصعب، قال : لما خرج السودان وهرب ابن الرّبيع ، جئتُهم أنا وجماعة معِى ، وقد عسكروا فى السوق ، فسألناهم أن يتفرّقوا، وأخبرناهم أنّا وإياهم لا نقوى على ما نصبو له ، قال : فقال لنا وثيق : إنّ الأمر قد وقع بما ترْون ؛ وهو غير مبقٍ لنا ولا لكم، فدعونا نشفِكم ونشتفِ أنفسنا، فأبينا ، ولم نزل بهم حتى تفرّقوا.

وحدّثنى عمر بن راشد ، قال : كان رئيسهم وثيق وخليفته يعقل الجزّار . قال : فدخل عليه ابنُ عمران، قال : إلى مَنْ تعهد يا وثيق ؟ قال : إلى أربعة من بنى هاشم ، وأربعة من قُريش ، وأربعة من الأنصار ، وأربعة من الموالى ؛ ثم الأمر شورى بينهم . قال : أسأل الله إن ولاك شيئًا من أمرنا أن يرزقنَا عدلك ، قال : قَدْ والله ولاّ نيه الله .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق، قال : حضر السوْدان المسجد مع ابن أبى سَبْرة ، فرَقِىَ المنبر فى كَبْل حديد حتى استوَى فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبعه محمد بن عمران ، فكان تحته ، وتبعهم محمد بن عبد العزيز فكان تحتهما ، وتبعهم سليمان ابن عبد الله بن أبى سَبْرة ، فكان تحتهم جميعًا ؛ وجعل الناس يلغطون لغطًا شديداً ، وابن أبى سبرة جالسٌ صامتٌ . فقال ابن عمران : أنا ذاهبٌ إلى السوق ، فانحدر وانحدر مَنْ دونه ، وثبت ابن أبى سَبْرة ،

فتكلّم فحثّ على طاعة أمير المؤمنين ؛ وذكر أمر محمد بن عبد الله فأبلغ . ومضى ابن عمران إلى السوق ، فقام على بَلاَس من بُلُس الحنطة ، فتكلم هناك ، فتراجع الناسُ ؛ ولم يصلّ بالناس يومئذ إلا المؤذّن ، فلما حضرت العشاء الآخرة وقد ثاب الناس ، فاجتمع القرشيّون فى المقصورة ، أقام الصلاة ٣/٢٧٠ محمد بن عمار المؤذّن ، الذى يلقب كساكس[1] ، فقال للقرشيين : مَنْ يصلّى بكم ؟ فلم يجبه أحدٌ ، فقال : ألا تسمعون ! فلم يجيبوه ، فقال : يابن عمران ، ويابن فلان ، فلم يجبه أحدٌ ، فقام الأصبغ بن سفيان بن عاصم ابن عبد العزيز بن مروان ، فقال : أنا أصلى ، فقام فى المقام ، فقال للناس : استووا ، فلما استوت الصُّفوف أقبل عليهم بوجهه ، ونادى بأعلى صوته : ألا تسمعون! أنا الأصبغ بن سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، أصلّى بالناس على طاعة أبى جعفر ، فردّد ذلك مرتين أو ثلاثاً ، ثم كبّر فصلى ، فلما أصبح الناس قال ابن أبى سبرة : إنه قد كان منكم بالأمس ما قد علمتم ؛ نهبتم ما فى دار عاملكم وطعامَ جند أمير المؤمنين ، فلا يبقينّ عند أحد منكم شىء إلا ردّه ، فقد أقعدتُ لكم الحكم بن عبد الله بن المغيرة بن موهب ؛ فرفع الناسُ إليه ما انتهبُوا ، فقيل : إنه أصاب قيمة ألف دينار .

وحدّثنى عُثامة بن عمرو ، قال : حدثنى المسور بن عبد الملك ، قال : ائتمر القرشيّون أن يدعوا ابن الربيع يخرج ثم يكلموه فى استخلاف ابن أبى سَبْرة على المدينة ، ليتحلّل ما فى نفس أمير المؤمنين عليه ؛ فلما أخرجه السودان ، قال له ابن عبد العزيز : أتخرج بغير والٍ استُخلف ! ولّها رجلاً ، قال : مَنْ ؟ قال : قدامة بن موسى ، قال : فصيح بقدامة ، فدخل فجلس بين ابن الربيع وبين ابن عبد العزيز ، فقال : ارجع يا قدامة ، فقد وليتك المدينة وأعمالها ، قال : والله ما قال لك هذا مَنْ نصحك ، ولا نَظَر لمن وراءه ، ولا أراد إلاّ الفساد ، ولاَ حقّ بهذا منى ومنه مَنْ قام بأمر الناس وهو جالسٌ ٣/٢٧١ فى بيته — يعنى ابن أبى سبرة — ارجع أيّها الرجل ؛ فوالله ما لك عذر[2] فى الخروج ، فرجع ابن الربيع .

---

(١) ب : « كشاكش » .
(٢) ب : « عدو » .

قال وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق، قال: ركب ابن عبد العزيز فى نفر من قريش إلى ابن الربيع ، فناشدوه وهو ببطن نخل إلّا رجع إلى عمله ، فتأبّى . قال : فخلا به ابن عبد العزيز ، فلم يزل به حتى رجع وسكن الناس وهدءوا .

قال : وحدّثنى عمر بن راشد ، قال : ركب إليه ابن عمران وغيرُه وقد نزل الأعوَص ، فكلّموه فرجع ، فقطع يد وثيق وأبى النار ويعقل ومِسْعر .

* * *

[ذكر الخبر عن بناء مدينة بغداد]

وفى هذه السنة أسست مدينة بغداد ، وهى التى تدعى مدينة المنصور .

* ذكر الخبر عن سبب بناء أبى جعفر إياها :

وكان سبب ذلك أنّ أبا جعفر المنصور بنى — فيما ذكر — حين أفضى الأمر إليه الهاشميّة، قبالَة مدينة ابن هُبيرة، بينهما عَرْض الطريق، وكانت مدينة ابن هبيرة التى بحيالها مدينة أبى جعفر الهاشميّة إلى جانب الكوفة . وبنى المنصور أيضا مدينة بظهر الكوفة سماها الرُّصافة ، فلما ثارت الرّاوندية بأبى جعفر فى مدينته التى تسمىّ الهاشميّة؛ وهى التى بحيال مدينة ابن هبيرة، كره سُكناها لاضطراب مَن اضطرب أمرُه عليه من الرّاوندية ، مع قرب جواره من الكوفة ، ولم يأمن أهلَها على نفسه، فأراد أن يبعُد من جوارهم؛ فذكر أنه خرج بنفسه يرتاد لها موضعاً يتخذه مسكنًا لنفسه وجنده، ويبتنى به مدينة[١] ، فبدأ فانحدر إلى جَرْجَرَايا ثم صار إلى بغداد ، ثم مضى إلى الموصل ، ثم عاد إلى بغداد ، فقال : هذا موضع معسكر صالِحٌ ، هذه دجلة ليس بيننا[٢] وبين الصين شىء ، يأتينا فيها كلّ ما فى البحر ، وتأتينا المِيرة من الجزيرة وأرمينيَة وما حول ذلك ، وهذا الفُرات يجىء فيه كلّ شىء من الشأم والرّقّة وما حول ذلك . فنزل [٣] وضرب عسكره على الصّراة ، وخطّ المدينة ، ووكل بكل رُبْع قائداً .

٣/٢٧٢

(١) ب : « مدينته » . (٢) ج : « بينها » .
(٣) بعدها فى ب : « أبو جعفر المنصور » .

وذكر عمر بن شبّة أنّ محمد بن معروف بن سُويد حدّثه ، قال : حدّثني أبي، قال : حدّثني سليمان بن مجالد، قال : أفسد أهلُ الكوفة جندَ أمير المؤمنين المنصور عليه ، فخرج نحو الجبل يرتاد منزلا ، والطريق يومئذ على المدائن ، فخرجنا على ساباط ، فتخلّف بعضُ أصحابي لرمَد أصابه ، فأقام يعالج عينيْه ، فسأله الطبيب : أين يريد أمير المؤمنين ؟ قال : يرتاد منزلا ؛ قال : فإنا نجد فى كتاب عندنا ، أن رجلاً يدعى مقلاصاً ، يبنى مدينة بين دَجْلة والصَّراة تدعى الزَّوْراء ، فإذا أسسها وبنى عرَقاً [1] منها أتاه فَتْق من الحجاز ، فقطع بناءها ، وأقبل على إصلاح ذلك الفَتْق ، فإذا كاد يلتئم أتاه فَتْق من البصرة هو أكبر عليه منه ؛ فلا يلبث الفتقان أن يلتئما ، ثم يعود إلى بنائها فيتمّه ، ثم يعمّر عمراً طويلاً ، ويبقى الملك فى عقبه . قال سليمان : فإنّ أميرَ المؤمنين لبأطراف الجبال فى ارتياد منزل ؛ إذْ قدم علىّ ٢٧٣/٣ صاحبى فأخبرنى الخبر فأخبرتُ به أميرَ المؤمنين ، فدعا الرّجل فحدّثه الحديث ، فكرّ راجعاً عوْدَه على بدئه ، وقال : أنا والله ذاك ! لقد سُمّيتُ مقْلاصاً وأنا صبىّ ، ثم انقطعتْ عنى .

وذُكِر عن الهيثم بن عدىّ ، عن ابن عياش ، قال : لمّا أراد أبو جعفر الانتقال من الهاشمية بعث روّاداً يرتادون له موضعاً ينزله واسطاً ، رافقاً بالعامة والجُنْد ، فنُعت له موضع قريب من بارِمّا ، وذُكِر له عنه غذاء طيّب ، فخرج إليه بنفسه حتى ينظر إليه ، وبات فيه ، وكرّر نظره فيه ، فرآه موضعاً طيباً ، فقال لجماعة من أصحابه ؛ منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب الخوزىّ وعبد الملك بن حميد الكاتب وغيرهم : ما رأيُكم فى هذا الموضع ؟ قالوا : ما رأينا مثله ، هو طيّب صالحٌ موافقٌ ، قال : صدقتم ؛ هو هكذا ؛ ولكنه لا يحمل الجندَ والناس والجماعات ، وإنما أريد موضعاً يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لى ، ولا تغلو عليهم فيه الأسعارُ ، ولا تشتدّ فيه المؤونة ، فإنى إن أقمت فى موضع [2] لا يجلَب إليه من البرّ والبحر شىء غلَت الأسعار ، وقلّت المادّة ، واشتدّت المؤونة ، وشقّ ذلك على الناس ؛ وقد مررتُ فى

---

(١) العرق : صف من اللبن أو الآجر . (٢) ج : « بموضع » .

طريقى على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال ؛ فأنا نازل فيه ، وبائت به ؛ فإذا اجتمع لى فيه ما أريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس أبتنيه .

قال الهيثم بن عدىّ : فخُبِّرت أنه أتى ناحية الجِسْر ، فعبر فى موضع قصر السلام ، ثمّ صلى العصر — وكان فى صَيْف ، وكان فى موضع القصر بِيعة قَسّ — ثم بات ليلةً حتى أصبح ، فبات أطيب مبيت فى الأرض وأرفقه ، ٣/٢٧٤ وأقام يومه فلم ير إلا ما يحبّ ، فقال : هذا موضع أبنى فيه ؛ فإنه تأتيه المادّة من الفرات ودِجْلة وجماعة من الأنهار ، ولا يحمل الجندَ والعامّة إلّا مثلُه ، فخطّها وقدّر بناءها ، ووضع أوّل لَبِنة بيده ، وقال : بسم الله والحمد لله ، والأرض لله يورثها من يشاءُ من عباده والعاقبة للمتقين . ثم قال : ابنُوا على بركة الله .

وذُكِر عن بِشْر بن ميمون الشروىّ وسليمان بن مجالد ، أنّ المنصور لما رجع من ناحية الجبل ، سأل عن خبر القائد الذى حدّثه عن الطبيب الذى أخبره عمّا يجدون فى كتبهم من خبر مِقْلاص ، ونزلَ الدّيْر الذى هو حذاء قصره المعروف بالخُلْد ، فدعا بصاحب الدَّيْر ، وأحضر البِطريق صاحب رحا البِطريق وصاحب بغداد وصاحب المخرّم وصاحب الدير المعروف ببستان القسّ[1] وصاحب العتيقة ، فسألهم عن مواضعهم ، وكيف هى فى الحرّ والبرد والأمطار والوحول والبقّ والهوامّ ؟ فأخبره كلّ واحد بما عنده من العلم ، فوجّه رجالاً من قِبَله ، وأمر كلّ واحد منهم أن يبيتَ فى قرية منها ، فبات كلُّ رجل منهم فى قرية منها ، وأتاه بخبرها . وشاور المنصور الذين أحضرهم ، وتنحّر[2] أخبارهم ؛ فاجتمع اختيارهم على صاحب بغداد ، فأحضره وشاوره ، وساءله — فهو الدّهقان الذى قريته قائمة إلى اليوم فى المربّعة المعروفة بأبى العباس الفضل بن سليمان الطوسىّ ، وقباب القرية قائم بناؤها إلى اليوم ، ٣/٢٧٥ وداره ثابتة على حالها — فقال : يا أميرَ المؤمنين ، سألتنى عن هذه الأمكنة وطيبها وما يُختار منها ؛ فالذى أرى يا أمير المؤمنين أن تنزل أربعة طَسَاسيج[3]

---

(١) ج : « القصر » .
(٢) يتنحر أخبارهم ، أى يتفطن لها .
(٣) الطسوج : الناحية .

فى الجانب الغربىّ طسّوجَيْن وهما قطربُّل وبادوريَا ، وفى الجانب الشرقىّ طَسّوجَيْن وهما نهر بوق وكَلْواذَى ، فأنت تكون بين نخل وقرب الماء ، فإن أجدب طسُّوج وتأخّرت عِمارته كان فى الطسّوج الآخر العِمارات، وأنت يا أمير المؤمنين على الصَّراة ، تجيئك الميرة فى السفن من المغرب فى الفرات ، وتجيئك طرائف مصر والشأم ، وتجيئك المِيرة فى السفن من الصين والهند والبصرة وواسط فى دجلة ، وتجيئك المِيرة من أرمينيَة وما اتصل بها فى تامَرّا حتى تصل إلى الزاب ، وتجيئك المِيرة من الرّوم وآمِد والجزيرة والموصل فى دِجلة ، وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوّك إلا على جِسْر أو قنطرة ؛ فإذا قطعت الجِسر وأخربت القناطر لم يصلْ إليك عدوّك ، وأنت بين دِجْلة والفرات لا يجيئك أحدٌ من المشرق والمغرب إلّا احتاج إلى العُبور ، وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسّواد كله ، وأنت قريب من البرّ والبحر والجبل . فازداد المنصور عزمًا على النزول فى الموضع الذى اختاره . وقال له : يا أميرَ المؤمنين ؛ ومع هذا فإنّ الله قد منّ على أمير المؤمنين بكثْرة جيوشه وقوّاده وجنده ؛ فليس أحد من أعدائه يطمع فى الدنوّ منه ، والتدبيرُ فى المدن أن تتخذ لها الأسوار [١] والخنادق ، والحصون ، ودجلة والفرات خنادق [٢] لمدينة أمير المؤمنين [٢] .

٢٧٦/٣ وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن حماداً التركىّ ، قال : بعث المنصور رجالاً فى سنة خمس وأربعين ومائة ، يطلبون له موضعًا يبنى فيه مدينته ، فطلبوا وارتادوا ، فلم يرض موضعًا ، حتى جاء فنزل الدَّيْر على الصَّرَاة ، فقال : هذا موضع أرضاه ، تأتيه المِيرة من الفرات ودِجْلة ، ومن هذه الصراة .

وذكر عن محمد بن صالح بن النطاح عن محمد بن جابر ، عن أبيه ، قال : لما أراد أبو جعفر أن يبنى مدينته ببغداد رأى راهبًا ، فناداه فأجابه ، فقال : تجدُون فى كتبكم أنه تبنى هاهنا مدينة ؟ قال الرّاهب : نعم ، يبنيها مِقْلاص ؛ قال أبو جعفر : أنا كنت أدعى مِقلاصًا فى حداثتى . قال : فأنت إذاً صاحبُها ، قال : وكذلك لما أراد أن يبنى الرّافقة بأرض الروم

(١) ب : « الأسواق » . (٢ — ٢) ب : « لأمير المؤمنين » .

امتنع أهل الرّقة ، وأرادوا محاربتَه ، وقالوا : تعطّل علينا أسواقنا ، وتذهب بمعاشنا(١) ، وتضيق منازلنا ، فهمّ بمحاربتهم ، وبعث إلى راهب فى الصَّوْمعة ، فقال : هل عندك علم أن يبنى ها هنا مدينة ؟ فقال له : بلغنى أنّ رجلا يقال له مِقلاص يبنيها ، قال : أنا مقلاص ؛ فبناها على بناء مدينة بَغْداد ، سوَى السّور وأبواب الحديد وخندقٍ منفرد .

وذكِر عن السريّ ، عن سليمان بن مجالد ، أنّ المنصور وجّه فى حشْر الصنّاع والفَعَلة من الشأم والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة ، فأحضرُوا ، وأمر باختيار قوم من ذوى الفصل والعَدَالة والفِقْه والأمانة والمعرفة بالهندسة ؛ فكان ممّن أحضر لذلك الحجاج بن أرطاة وأبو حنيفة النعمان بن ثابت ، وأمر بخطّ المدينة وحفر الأساسات ، وضرب اللّبِن وطبخ الآجرّ ، فبدئ بذلك ؛ وكان أول ما ابتدئ به فى عملها سنة خمس وأربعين ومائة .

٣/٢٧٧ وذكِر أن المنصور لما عزم على بنائها أحبّ أن ينظر إليها عِيانًا ، فأمر أن يخطّ بالرّماد ، ثم أقبل يدخل من كلّ باب ، ويمرّ فى فُصلانها وطاقاتها ورحابها ؛ وهى مخطوطة بالرّماد ، ودار عليهم ينظر إليهم وإلى ما خطّ من خنادقها ؛ فلما فعل ذلك أمر أن يجعل على تلك الخطوط حبّ القطن ، وينصب عليه النِّفْط ، فنظر إليها والنار تشتعل ، ففهمها وعرف رسمها ، وأمر أن يحفر أساس ذلك على الرسم ، ثم ابتدئ فى عملها .

وذُكِر عن حمّاد التركىّ أنّ المنصور بعثَ رجالا يطلبون له موضعًا يبنى فيه المدينة ، فطلبوا ذلك فى سنة أربع وأربعين ومائة ، قبل خروج محمد بن عبد الله بسنَة أو نحوها ، فوقع اختيارهم على موضع بغداد ؛ قرية على شاطئ الصراة ؛ مما يلى الخُلْد ، وكان فى موضع بناء الخُلْد دَيْر ، وكان فى قَرْن الصَّرَاة مما يلى الخُلْد من الجانب الشرقىّ أيضاً قرية ودَيْر كبير كانت تسمّى سوق البقر ؛ وكانت القرية تسمى العتيقة ؛ وهى التى افتتحها المثنّى بن حارثة الشيبانىّ ، قال : وجاء المنصور ، فنزل الدّيْر الذى فى موضع الخُلْد على الصّراة ، فوجده قليل البقّ ، فقال : هذا موضع أرضاه ، تأتيه الميرة من

---

(١) ب : « بمعايشنا » .

الفُرات ودِجْلة ، ويصلح أن تبتنى فيه مدينة ؛ فقال للراهب الذى فى الدير :
يا راهب ، أريد أن أبنى ها هنا مدينة ، فقال : لا يكون ، إنما يَبنى ها هنا
ملك يقال له أبو الدوانيق ؛ فضحك المنصور فى نفسه ، وقال : أنا أبوالدوانيق . ٣/٢٧٨
وأمر فخُطّت المدينة ، ووكّل بها أربعة قوّاد ، كلّ قائد بربع .

وذُكِر عن سليمان بن مجالد ، أنّ المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت
على القَضاء ، فامتنع من ذلك ، فحلف المنصور أن يتولّى له ، وحلف
أبو حنيفة ألّا يفعل ، فولّاه القيام ببناء المدينة وضرْب اللَّبِن وعدّه ، وأخْذ
الرجال بالعمل . قال : وإنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه ؛ قال :
وكان أبو حنيفة المتولّى لذلك ، حتّى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلى
الخندق ، وكان استتمامه فى سنة تسع وأربعين ومائة .

وذُكِر عن الهيثم بن عدىّ ، أن المنصور عرضَ على أبى حنيفة القضاء
والمظالم فامتنع ، فحلَف ألّا يُقلع عنه حتى يعمل ، فأخبِر بذلك أبو حنيفة ،
فدعا بقصَبة ، فعدّ اللبِن على رجل قد لبَّنه ، وكان أبو حنيفة أوّل مَن عدّ
اللّبِن بالقصب ؛ فأخرَج أبا جعفر عن يمينه ، واعتلّ فمات ببغداد .

وقيل : إنّ أبا جعفر لما أمر بحفر الخندق وإنشاء البناء وإحكام الأساس ؛
أمر أن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعًا ، وقدّر أعلاه عشرين
ذراعًا ، وجعل فى البناء جوائز قَصَب مكان الخشب ، فى كل طرقة ؛ فلمّا
بلغ الحائط مقدار قامة — وذلك فى سنة خمس وأربعين ومائة — أتاه خبر خروج
محمد فقطع البناء .

وذكر عن أحمد بن حميد بن جبلة ، قال : حدّثنى أبى ، عن جدّى
جبلة ، قال : كانت مدينة أبى جعفر قبل بنائها مزرعة للبغداديّين ، يقال لها
المباركة ، وكانت لستين نفسًا منهم ، فعوّضهم منها وأرضاهم ، فأخذ جدّى
قسمة منها .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى بن المنصور ، أنّ حماداً التركىّ قال : كان ٣/٢٧٩
حول مدينة أبى جعفر قرًى قبل بنائها ؛ فكان إلى جانب باب الشأم قرية

يقال لها الخَطابية ، على بابَ درْب النُّورة ، إلى درب الأقفاص ، وكان بعض نخلها فى شارع باب الشأم ، إلى أيام المخلوع فى الطريق ، حتى قطع فى أيام الفتْنة ، وكانت الخطّابية هذه لقوم من الدّهاقين ، يقال لهم بنو فَرْوة وبنو قنورا ؛ منهم إسماعيل بن دينار ويعقوب بن سليمان وأصحابهم .

وذكِر عن محمد بن موسى بن الفرات أنّ القرية التى فى مربّعة أبى العباس كانت قرية جدّه من قِبَل أمّه ، وأنهم من دهاقين يقال لهم بنو زُرارى ؛ وكانت القرية تسمى الوردانيّة ، وقرية أخرى قائمة إلى اليوم مما يلى مربعة أبى فروة .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن المعروفة اليوم بدار سعيد الخطيب كانت قرية يقال لها شرَفانيّة ، ولها نخيل قائم إلى اليوم مما يلى قنطرة أبى الجَوْن ، وأبو الجون من دَهاقين بغداد من أهل هذه القرية .

وذُكِر أن قطيعة الربيع كانت مزارع للناس من قرية يقال لها بناورى من رُستاق الفرْوسَيج من بادُوريا .

٣/٢٨٠ وذكر عن محمد بن موسى بن الفرات ، أنه سمع أباه أو جدّه — شك راوى ذلك عنه — يقول : دخل علىّ رجل من دهاقين بادُوريا وهو مخرّق الطَّيْلسان ؛ فقلت له : مَنْ خرّق طيلسانك ؟ قال : خُرِق والله فى زحمة الناس اليوم ، فى موضِع طالما طردت فيه الأرانب والظباء — يريد باب الكرخ .

ويقال : إن قطيعة الربيع الخارجة إنما هى أقطاع المهدىّ للربيع ، وأنّ المنصور إنما كان أقطعه الداخلة .

وقيل : إن نهر طابق كسروىّ ، وأنه نهر بابك بن بهرام بن بابك ، وأن بابك هذا هو الذى اتّخذ العَقْر الذى عليه قصر عيسى بن علىّ ، واحتفر هذا النهر .

وذكر أنّ فُرْضة جعفر إقطاع من أبى جعفر لابنه جعفر ، وأن القنطرة العتيقة من بناء الفرس .

وذكر عن حماد التركىّ ، قال : كان المنصور نازلا بالدّير الذى على شاطئ دجلة بالموضع المعروف بالخُلْد ، ونحن فى يوم صائف شديد الحرّ

فى سنة خمس وأربعين ومائة ؛ وقد خرجت فجلستُ مع الربيع وأصحابه ، إذ جاء رجل ، فجاوز الحرس إلى المقصورة ، فاستأذن فآذنّا المنصور به ، وكان معه سلم بن أبى سَلْم ، فأذن له فخبّره بخروج محمد ، فقال المنصور : نكتب الساعة إلى مصر أن يقطع عن الحَرَميْن المادة ، ثم قال : إنما هم فى مثل حَرَجَة ، إذا انقطعت عنهم المادّة والميرة من مِصْر . قال : وأمر بالكتاب إلى العباس بن محمد — وكان على الجزيرة يخبره بخبر محمد — وقال : إنى راحل ساعة كتبتُ إلى الكوفة ، فأمدّنى فى كلّ يوم بما قدرتَ عليه من الرّجال من أهل الجزيرة . وكتب بمثل ذلك إلى أمراء الشأم ، ولو أن يَرِد علىّ فى كل يوم رجل واحد أكثر به مَنْ معى من أهل خراسان ، فإنه إن بلغ الخبر الكذّاب انكسر . قال : ثم نادى بالرّحيل من ساعته ، فخرجنا فى حرّ شديد حتى قدم الكوفة ، ثم لم يزل بها حتى انقضت الحرب بينه وبين محمد وإبراهيم ، فلما فرغ منهما[1] رجع إلى بغداد . ٣ / ٢٨١

وذُكِر عن أحمد بن ثابت ، قال : سمعتُ شيخًا من قريش يحدّث أنّ أبا جعفر لما فصَل من بغداد ، متوجّهًا نحو الكوفة ، وقد جاءه البريد بمخرَج محمد بن عبد الله بالمدينة ، نظر إليه عثمان بن عُمارة بن حريم وإسحاق بن مسلم العقيلىّ وعبد الله بن الربيع المدانىّ — وكانوا من صحابته — وهو يسير على دابّته وبنو أبيه حوله . فقال عثمان : أظنّ محمدًا خائبًا ومن معه من أهل بيته ؛ إنّ حَشو ثياب هذا العباسىّ لمكرٌ ونُكر ودهاء ؛ وإنه فيما نصب له محمد من الحرب لكما قال ابن جِذْل الطّعان :

فَكَمْ من غارةٍ ورَعيل خَيْلٍ تداركها وقد حَمِىَ اللِّقاءُ
فردّ مخيلَها حَتّى ثناها بأَسْمَر ما يُرَى فِيهِ التواءُ

قال : فقال إسحاق بن مسلم : قد والله سبرتُه ولمست عودَه فوجدته خشِنًا ، وغمزته فوجدته صليبًا ، وذقته فوجدته مُرًّا ؛ وأنه ومَنْ حوله من بنى أبيه لكما قال ربيعة بن مُكدّم :

سَمَا لِىَ فُرْسانٌ كأَنَّ وجوهَهُمْ مصابيح تَبْدُو فى الظلام زَوَاهِرُ

---

(١) ب : « منها » .

يَقُودُهُمُ كبْشٌ أَخُو مُضْمَئِلَّةٍ عَبُوسُ السُّرَى قَدْ لَوَّحتْه الهَوَاجِرُ

٣/٢٨٢ قال : وقال عبد الله بن الربيع : هو ليث خِيس ، ضَيْغم شموس ، للأقران مفترس ، وللأرواح مختلس ؛ وأنه يهيج من الحرب كما قال أبو سفيان بن الحارث :

وَإِنَّ لَنَا شيخاً إذا الحربُ شَمَّرتْ بَدِيهَتُهُ الإِقْدَامُ قَبْلَ النوافِرِ

قال : فمضى حتّى سار إلى قصر ابن هُبيرة ، فنزل الكوفة ووجّه الجيوش ، فلما انقضت الحرب ، رجع إلى بغداد فاستتمّ بناءها .

* * *

[ذكر الخبر عن ظهور إبراهيم بن محمد ومقتله]

وفى هذه السنة ظهرَ إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، أخو محمد بن عبد الله ابن حسن بالبصرة ؛ فحارب أبا جعفر المنصور . وفيها قتل أيضًا .

* ذكر الخبر عن سبب مخرجه وعن مقتله وكيف كان :

فذُكر عن عبد الله بن محمد بن حفص ، قال : حدّثنى أبى ، قال : لما أخذ أبو جعفر عبدَ الله بن حسن ، أشفق محمد وإبراهيم من ذلك ، فخرجا إلى عَدَن ، فخافا بها ، وركبا البحر حتّى صارا إلى السِّنْد ، فسعى بهما إلى عمر بن حفص ، فخرجا حتّى قدِما الكوفة وبها أبو جعفر .

وذكر عمر بن شبّه أنّ سعيد بن نوح الضُّبَعِىّ ؛ ابن ابنة أبى الساج الضُّبَعىّ ، حدّثه قال : حدثتنى منة بنت أبى المنهال ، قالت : نزل إبراهيم فى الحىّ من بنى ضُبَيعة فى دار الحارث بن عيسى ، وكان لا يرى بالنهار ، وكانت معه أمّ ولد له ؛ فكنت أتحدث إليها ، ولا ندرى مَنْ هم ؛ حتّى ظهر فأتيتها ، فقلت : إنك لصاحبتى ؟ فقالت : أنا هى ؛ لا والله ما أقرّتنا الأرض منذ خمس سنين ؛ مرّة بفارس ، ومرّة بكَرْمان ، ومرّة بالحجاز ، ومرّة باليمن . ٣/٢٨٣

قال عمر : حدثنى أبو نعيم الفضل بن دُكين ، قال : حدثَنِى مطهر ابن الحارث ، قال : أقبلنا مع إبراهيم من مكة نريد البصرة ؛ ونحن عشرة ،

فصحبنا أعرابىّ فى بعض الطريق ، فقلنا له : ما اسمك ؟ قال : فلان بن أبى مصاد الكلبىّ ، فلم يفارقنا حتى قربنا من البصرة ؛ فأقبل علىّ يومًا ، فقال : أليس هذا إبراهم بن عبد الله بن حسن ؟ فقلت : لا ، هذا رجل من أهل الشأم ؛ فلما كنّا على ليلة من البصرة ، تقدّم إبراهيم وتخلّفنا عنه ، ثم دخلنا من غدٍ .

قال عمر : وحدّثنى أبو صفوان نصر بن قُديد بن نصر بن سيار ؛ قال : كان مقدم إبراهيم البصرة فى أول سنة ثلاث وأربعين ومائة ، منصرَف الناس من الحجّ ؛ فكان[1] الذى أقدمه وتولّى كِراءه وعادله فى محمَله يحيى بن زياد ابن حسان النَّبطىّ ، فأنزله فى داره فى بنى لَيْث ، واشترى له جارية أعجمية سِندّية ، فأولدها ولدًا فى دار يحيى بن زياد ؛ فحدّثنى ابن قُديد ابن نصر ؛ أنه شهِد جنازة ذلك المولود ، وصلى عليه يحيى بن زياد .

قال : وحدّثنى محمد بن معروف ، قال : حدّثنى أبى ، قال : نزل إبراهيم بالخيار من أرض الشأم على آل القعقاع بن خُليد العبسىّ ، فكتب الفضل بن صالح بن علىّ — وكان على قنَّسرين — إلى أبى جعفر فى رقْعة أدرجها فى أسفل كتابه ، يخبره خبرَ إبراهيم ، وأنه طلبه فوجده قد سبقه منحدراً إلى البَصْرة ؛ فورد الكتاب على أبى جعفر ، فقرأ أوّلَه فلم يجد إلاّ السلامة ، فألقى الكتاب إلى أبى أيوّب المورِيانىّ ، فألقاه فى ديوانه ؛ فلما أرادوا أن يجيبوا الوُلاة عن كتبهم فتح أبان بن صدقة — وهو يومئذ كاتب أبى أيوب — كتاب الفضْل ؛ لينظر فى تأريخه ، فأفضى إلى الرّقْعة ؛ فلما رأى أوّلها : «أخبِرُ أمير المؤمنين» ، أعادها فى الكتاب ، وقام إلى أبى جعفر ، فقرأ الكتاب ؛ فأمر بإذكاء العيون ووضع المراصِد والمسالح . ٣ / ٢٨٤

قال : وحدّثنى الفضل بن عبد الرحمن بن الفضل ، قال : أخبرنى أبى قال : سمعت إبراهيم يقول : اضطرّنى الطّلَب بالموصل حتى جلست على موائد أبى جعفر ، وذلك[2] أنه قدمها يطلبنى ، فتحيّرت ؛ فلفظَتْنى الأرض ؛ فجعلت

(١) ب : «وكان» . (٢) ب : «وذاك» .

لا أجد مساغًا ، ووضع[1] الطلب والمراصد ؛ ودعا الناس إلى غَدائه ، فدخلت فيمن دخل ، وأكلت فيمن أكل ؛ ثم خرجت وقد كفّ الطلب .

قال : وحدّثنى أبو نُعيم الفضل بن دُكين ، قال : قال رجل لمطهر بن الحارث : مرّ إبراهيم بالكوفة ولقيتَه ، قال : لا والله ما دخلها قطّ؛ ولقد كان بالموصل ، ثم مرّ بالأنبار ، ثم ببغداد ، ثم بالمدائن والنّيل وواسط .

قال : وحدّثنى نصر بن قُديد بن نصر ، قال : كاتب إبراهيم قومًا من أهل العسكر كانوا يتشيّعون ؛ فكتبوا يسألونه الخروج إليهم ، ووعدوه الوثوب بأبى جعفر ؛ فخرج حتى قدم عسكر أبى جعفر ، وهو يومئذ نازل ببغداد فى الدّيْر ، وقد خطّ بغداد ، وأجمع على البناء ؛ وكانت لأبى جعفر مِرآة ينظر فيها ، فيرى عدوّه من صديقه . قال : فزعم زاعمٌ أنه نظر فيها ، فقال : يا مسيّب ؛ قد والله رأيتُ إبراهيم فى عسكرى وما فى الأرض عدوّ أعدى لى منه ، فانظر ما أنت صانع !

٣/ ٢٨٥ قال : وحدّثنى عبد الله بن محمد بن البوّاب ، قال : أمر أبو جعفر ببناء قنطرة الصَّراة العتيقة ، ثم خرج ينظر إليها ، فوقعت عينُه على إبراهيم ، وخنَس[2] إبراهيم ، فذهب فى الناس ، فأتى فاميًّا فلجأ إليه فأصعده غُرفة له . وجدّ أبو جعفر فى طلبه ، ووضع الرّصَد بكلّ مكان ، فنشب إبراهيم بمكانه الذى هو به ، وطلبه أبو جعفر أشدّ الطلب ، وخفِىَ عليه أمره .

قال : وحدّثنى محمد بن معروف ، قال : حدّثنى أبى — وحدّثنى نصر ابن قُديد ، قال : حدّثنى أبى قال ؛ وحدّثنى عبد الله بن محمد بن البواب وكَثير بن النّضر بن كثير وعمر بن إدريس وابن أبى سفيان العَمِّىّ ؛ واتفقوا على جُلّ الحديث ، واختلفوا فى بعضه — أنّ إبراهيم لما نشب وخاف الرَّصَد كان معه رجل من بنى العمّ — قال عمر : فقال لى أبو صفوان[3] ، يدعى رَوْح بن ثقف ، وقال لى ابن البوّاب : يكنى أبا عبد الله ، وقال لى الآخرون : يقال له سفيان بن حيّان بن موسى : قال عمر : وهو جد العمّىّ الذى حدثنى —

---

(١) ج : « وجعل » . (٢) خنس ، أى تأخر . (٣) ب : « يابن صفوان » .

قال : قلت لإبراهيم : قد نزل ما ترى ، ولا بدّ من التغرير والمخاطرة ، قال : فأنت وذاك ! فأقبل إلى الربيع ، فسأله الإذن ، قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا السفيان العمّىّ ، فأدخله على أبى جعفر ؛ فلما رآه شتمه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أنا أهلٌ لما تقول ؛ غير أنى أتيتك نازعًا تائبًا ،ولك عندى كلّ ما تحبّ إن أعطيتنى ما أسألك ،قال: وما لى عندك؟ قال : آتيك بإبراهيم ابن عبد الله بن حسن ؛ إنى قد بلوته وأهلَ بيته ؛ فلم أجد فيهم خيراً ،فما لى عندك إن فعلت ؟ قال : كلّ ما تسأل ؛ فأين إبراهيم ؟ قال : قد دخل بغداد ــ أو هو داخلها عن قريب ــ قال عمر : وقال لى أبو صفوان ، قال : هو بعَبَبْدَسِى ، تركتُه فى منزل خالد بن نهيك ، فاكتب لى جوازًا ولغلام لى ولفُرانق[1] واحملنى على البريد .قال عمر :وقال بعضهم : وجِّهْ معى جُنداً واكتب لى جوازاً ولغلام لى آتيكَ به . قال : فكتب له جوازًا ،ودفع إليه جنداً ، وقال : هذه ألف دينار فاستعِنْ بها ، قال : لا حاجة لى فيها فيها كلّها ؛ فأخذ ثلثمائة دينار ، وأقبل بها حتى أتى إبراهيم وهو فى بيت ، عليه مدرّعة صوف وعمامة ــ وقيل بل عليه قَباء كأقبية العبيد ــ فصاح به: قم ؛ فوثب كالفزِع ؛ فجعل يأمره وينهاه حتى أتى المدائن ، فمنعه صاحب القنطرة بها ، فدفع إليه جوازه ، فقال : أين غلامك ؟ قال : هذا ؛ فلما نظر فى وجهه ، قال: والله ما هذا غلامك؛ وإنه لإبراهيم بن عبد الله بن حسن، ولكن اذهبْ راشداً . فأطلقهما وهرب . قال عمر : فقال بعضهم : ركبا البريد حتى صارا[2] بعَبَبْدَسِى ، ثم ركبا السفينة حتى قدما البصرة فاختفيا بها . قال : وقد قيل : إنه خرج من عند أبى جعفر حتى قدم البصرة ، فجعل يأتى بهم الدارَ ، لها بابان، فيقعد العشرة منهم على أحد البابيْن ، ويقول: لا تبرحوا حتى آتيَكم ، فيخرج من الباب الآخر ويتركهم ، حتى فرّق الجند عن نفسه ، وبقِىَ وحده ، فاختفى حتى بلغ الخبر سفيان بن معاوية ، فأرسل إليهم فجمعهم ، وطلب العمّىّ فأعجزه .

٣ / ٢٨٦
٣ / ٢٨٧

قال عمر : وحدثنى ابن عائشة ، قال : حدّثنى أبى ، قال : الذى احتال

(١) الفرانق : الذى يدل صاحب البريد . (٢) ط : « سارا » .

لإبراهيم حتى أنجاهما منه عمرو بن شداد .

قال عمر : وحدثنى رجل من أهل المدائن ، عن الحسن بن عمرو بن شدّاد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : مرّ بى إبراهيم بالمدائن مستخفيًا ، فأنزلتُه داراً لى على شاطئ دِجْلة ، وسُعى بى إلى عامل المدائن ؛ فضربنى مائة سَوْط ، فلم أقرِر له ؛ فلما تركنى أتيت إبراهيمَ فأخبرتُه ، فانحدر .

قال : وحدّثنى العباس بن سفيان بن يحيى بن زياد مولى الحجاج بن يوسف — وكان يحيى بن زياد ممّن سُبِى من عسكر قطرىّ بن الفجاءة — قال : لما ظهر إبراهيم كنت غلامًا ابنَ خمس سنين ، فسمعتُ أشياخنا يقولون : إنه مرّ منحدرًا يريد البصرة من الشأم ؛ فخرج إليه عبد الرحيم بن صفوان من موالى الحجاج ، ممن سُبِى من عَسْكر قَطَرِىّ ؛ قال : فمشى معه حتى عبّره المآصر ؛ قال : فأقبل بعضُ مَنْ رآه ، فقال : رأيتُ عبدَ الرحيم مع رجل شاطر ، محتجز بإزار[1] مُوَرَّد ، فى يده قَوس جُلاَهِق[2] يرمى به ؛ فلما رجع عبد الرحيم سُئِل عن ذلك فأنكره ، فكان إبراهيم يتنكّر بذلك .

قال : وحدّثنى نصر بن قُدَيد ، قال : لما قدم إبراهيم منصرَفه من بغداد ، نزل على أبى فَرْوة فى كِنْدة فاختفى ، وأرسل إلى الناس يندبهم[3] للخروج .

٣/٢٨٨ قال عمر : وحدّثنى علىّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم الأهوازىّ ، قال : حدّثنى عبد الله بن الحسن بن حبيب ، عن أبيه ، قال : كان إبراهيم مختفيًا عندى على شاطئ دُجَيْل ، فى ناحية مدينة الأهواز ؛ وكان محمد ابن حُصين يطلبه ، فقال يومًا : إنّ أمير المؤمنين كتب إلىّ يخبرنى أنّ المنجّمين يخبرونه أن إبراهيم بالأهواز نازل فى جزيرة بين نهرين ، فقد طلبتُه فى الجزيرة حتى وثِقت أنه ليس هناك — يعنى بالجزيرة التى بين نهر الشاه جُرْد ودجَيْل — فقد اعتزمتُ أن أطلبه غداً فى المدينة ، لعلّ أمير المؤمنين يعنى بين دجيل والمسرقان ، قال : فأتيتُ إبراهيم ، فقلت له : أنت مطلوب غدًا فى هذه

---

(١) يقال : احتجز بالإزار ؛ إذا شده على وسطه . وأصل الحجزة : موضع شد الإزار .
(٢) فى اللسان : « الجلاهق : البندق ؛ ومنه قوس الجلاهق ؛ وأصله بالفارسية : « جله » .
(٣) ج : « ينتدبهم » .

الناحية ، قال : فأقمت معه بقيّة يومى ، فلما غشيَنى الليل ، خرجت به حتى أنزلته فى أدانى دشت أربُك دون الكثّ ؛ فرجعت من ليلتى ، فأقمت أنتظر محمداً أن يغدُوَ لطلبه ؛ فلم يفعل حتى تصرّم النهار ، وقربت الشمس تغرُب ، فخرجتُ حتى جئت إبراهيم ، فأقبلت به حتى وافينا المدينة مع العشاء الآخرة ونحن على حماريْن ؛ فلما دخلنا المدينة فصرنا عند الجبل المقطوع ؛ لقيَنا أوائل خيل ابن حصين ، فرمى إبراهيم بنفسه عن حِماره وتباعد ؛ وجلس يبول ، وطَوَتنى الخيل ، فلم يعرّج علىّ منهم أحد ؛ حتى صرت إلى ابن حُصين ؛ فقال لى : أبا محمد ؛ مِن أين فى مثل هذا الوقت ؟ فقلت : تمسَّيت[1] عند أهلى ، قال : ألا أرسل معك مَنْ يبلّغُك ؟ قلت : لا ، قد قرُبت من أهلى ؛ فمضى يطلب ، وتوجّهت على سَنَنِى حتى انقطع آخر أصحابه ، ثم كررتُ راجعاً إلى إبراهيم ؛ فالتمست حماره حتى وجدتُه ، فركب ، وانطلقنا حتى بِتْنَا فى أهلنا ، فقال إبراهيم : تعلم والله لقد بُلت البارحة دماً ؛ فأرسِلْ من ينظر ، فأتيت الموضع الذى بال فيه ، فوجدته قد بال دماً . ٣/٢٨٩

قال : وحدّثنى الفضل بن عبد الرحيم بن سليمان بن علىّ ، قال : قال أبو جعفر : غَمُضَ[2] علىّ أمر إبراهيم لمّا اشتملت عليه طفوفُ البصرة .

قال : وحدثنى محمد بن مسْعر بن العلاء ، قال : لما قدم إبراهيم البَصْرة ، دعا الناس ، فأجابه موسى بن عمر بن موسى بن عبد الله بن خازم ، ثم ذهب بإبراهيم إلى النّضر بن إسحاق بن عبد الله بن خازم مختفياً ، فقال للنضر بن إسحاق : هذا رسول إبراهيم ، فكلّمه إبراهيم ودعاه إلى الخروج ، فقال له النّضر : يا هذا ، كيف أبايع صاحبك وقد عَنَد جدّى عبد الله بن خازم عن جده علىّ بن أبى طالب ، وكان عليه فيمن خالفه ، فقال له[3] إبراهيم : دع سيرة الآباء عنك ومذاهبهم ؛ فإنما هو الدّين ؛ وأنا أدعوك إلى حقّ . قال : إنى والله ما ذكرتُ لك ما ذكرتُ إلا مازحاً ، وما ذاك الذى يمنعنى من نُصرة صاحبك ، ولكنى لا أرى القتال ولا أدينُ به . قال : وانصرف إبراهيم ،

---

(١) ب : « تمشيت » . (٢) غمض على ، أى لم يتضح . وفى ط : « غمص » .
(٣) ساقطة من ب .

وتخلّف[1] موسى ، فقال : هذا والله إبراهيم نفسه ، قال : فبئس لعمر الله
٣/٢٩٠ ما صنعتَ ! لو كنتَ أعلمتنى كلّمتُه غير هذا الكلام !

قال : وحدّثنى نصر بن قديد ، قال : دعا إبراهيم الناس وهو فى دار أبى فَرْوة ، فكان أوّل مَنْ بايعه نُميلة بن مرّة وعفو الله بن سفيان وعبد الواحد ابن زياد وعمر بن سلمة الهجيمىّ وعبيد الله بن يحيى بن حُضَين[2] الرّقاشىّ ، وندبوا الناس له ، فأجاب بعدهم فتيانٌ من العرب ؛ منهم المغيرة بن الفزع وأشباهٌ له ؛ حتى ظنوا أنه قد أحصى ديوانه أربعة آلاف ؛ وشهر أمرُه ، فقالوا : لو تحوّلت إلى وسط البصرة أتاك مَن أتاك وهو مُريح ؛ فتحوّل ونزل دار أبى مروان مولى بنى سليم — رجل من أهل نيسابور .

قال : وحدّثنى يونس بن نجدة ؛ قال : كان إبراهيم نازلاً فى بنى راسب على عبد الرحمن بن حرب ؛ فخرج من داره فى جماعة من أصحابه ؛ منهم عفو الله بن سفيان وبُرْد بن لبيد ؛ أحد بنى يَشْكر ، والمضاء التغلبىّ والطُّهَوىّ والمغيرة بن الفزع ونُميلة بن مرّة ويحيى بن عمرو الهُمانىّ ، فمرّوا على جُفْرة[3] بنى عَقيل حتى خرجوا على الطُّفاوة ، ثم مرّوا على دار كرزم ونافع إبليس[4] ، حتى دخلوا دار أبى مروان فى مقبرة بنى يَشْكر .

قال : وحدّثنى ابن عفو الله بن سفيان ، قال : سمعتُ أبى يقول : أتيتُ إبراهيمَ يومًا وهو مرعوب ؛ فأخبرنى أن كتاب أخيه أتاه يخبره أنه قد ظهر ،
٣/٢٩١ ويأمره بالخروج . قال : فوجَم من ذلك واغتمّ له ، فجعلت أسهّل عليه الأمر وأقول : قد اجتمع لك أمرُك ، معك المضاء والطُّهَوىّ والمغيرة ؛ وأنا وجماعة ، فنخرج إلى السجن فى الليل فنفتحه ؛ فتُصبح حين تصبح ومعك عالم من الناس ؛ فطابت نفسه .

قال : وحدّثنى سهل بن عَقيل بن إسماعيل ، قال : حدّثنى أبى ، قال : لما ظهر محمد أرسل أبو جعفر إلى جعفر بن حنظلة البَهرانىّ — وكان ذا رأى — فقال : هاتِ رأيك ؛ قد ظهر محمد بالمدينة . قال : وجّه الأجناد إلى البصرة .

---

(١) ب : « وخلف » .
(٢) ط : « حصين » ، وانظر الفهرس .
(٣) الجفر : الحفرة الواسعة المستديرة .
(٤) كذا فى ط وفى هـ : « إمليس » .

قال : انصرفْ حتى أرسل إليك . فلما صار إبراهيم إلى البصرة ، أرسل إليه ، فقال : قد صار إبراهيم إلى البصرة ، فقال : إيَّاها خفتُ ! بادرْه بالجنود ، قال : وكيف خِفتَ البصرة ؟ قال : لأن محمداً ظهر بالمدينة ، وليسوا بأهل حَرْب ، بحسبهم أن يقيموا شأن أنفسهم ، وأهل الكوفة تحت قدمك ، وأهل الشأم أعداء آل أبى طالب ؛ فلم يبق إلا البَصْرة . فوجّه أبو جعفر ابنى عقيل – قائدين من أهل خُراسان من طيّئ – فقدما ، وعلى البصرة سفيان بن معاوية فأنزلهما .

قال : وحدّثنى جوّاد[1] بن غالب بن موسى مولى بنى عجل ، عن يحيى بن بُديل بن يحيى بن بُديل ، قال : لما ظهر محمد ، قال أبو جعفر لأبى أيوب وعبد الملك بن حميد : هل من رجل ذى رأى تعرفانه ، نجمع رأيه على رأينا ؟ قالا : بالكوفة بدُيل بن يحيى – وقد كان أبو العباس يشاوره – فأرسِلْ إليه ، فأرسل إليه ، فقال : إنّ محمداً قد ظهر بالمدينة ، قال : فاشحن الأهواز جنداً ، قال : قد فهمتُ ؛ ولكن الأهواز بابُهم الذى يُؤتَوْن منه ، قال : فقبل أبو جعفر رأيه . قال : فلما صار إبراهيم إلى البصرة أرسل إلى بُديل ، فقال : قد صار إبراهيم إلى البصرة ، قال : فعاجله بالجُنْد وأشغِل[2] الأهواز عنه .

٢٩٢/٣

وحدّثنى محمد بن حفص الدّمشقىّ ، مولى قريش قال : لما ظهر محمد شاور أبو جعفر شيخاً من أهل الشأم ذا رأى ، فقال : وجّه إلى البصرة أربعة آلاف من جُند أهل الشأم . فلها عنه ، وقال : خَرِف الشيخ ؛ ثم أرسل إليه ، فقال : قد ظهر إبراهيم بالبصرة ، قال : فوجّه إليه جنداً من أهل[3] الشأم ، قال : [4] ويلك ! ومن لى بهم[4] ! قال : اكتب إلى عاملك عليها يحمل إليك فى كلّ يوم عشرة على البريد ؛ قال : فكتب بذلك أبو جعفر إلى الشأم . قال عمر بن حفص : فإنّى لأذكر أبى يعطى الجندَ حينئذ ، وأنا أمسك له المصباح ، وهو يعطيهم ليلا ، وأنا يومئذ غلام شابّ .

---

(١) ب : « حمال » . (٢) كذا فى هـ ، وفى ط : « وأشعل الأهواز عليه » .
(٣) ب : « من جند » . (٤ – ٤) ج : « ويحك من أيهم ... » .

قال : وحدّثني سَهلُ بن عَقِيل ، قال : أخبرني سَلْم بن فرقد ، قال : لما أشار جعفر بن حنظلة على أبي جعفر بحدر جند الشأم إليه ، كانوا يقدمون أرسالا ؛ بعضهم على أثر بعض ؛ وكان يريد أن يروّع بهم أهل الكوفة ؛ فإذا جنّهم الليل في عسكره أمرهم فرجعوا منكبين عن الطريق ، فإذا أصبحوا دخلوا ، فلا يشكّ أهل الكوفة أنهم جند آخرون سوى الأوّلين .

حدّثني عبد الحميد — وكان من خَدَم أبي العباس — قال : كان محمد ابن يزيد من قوّاد أبي جعفر ؛ وكان له دابّة شِهْرِيّ[1] كُمَيت ، فربما مرّ بنا ونحن بالكوفة وهو راكبُه ، قد ساوى رأسُه رأسَه ، فوجّهه أبو جعفر إلى البصرة ، فلم يزل بها حتّى خرج إبراهيم فأخذه فحبسه . ٣/٢٩٣

حدثني سعيد بن نوح بن مجالد الضُّبَعيّ ، قال : وجّه أبو جعفر مجالداً ومحمداً ابني يزيد بن عمران من أهل أبِيوَرْد قائديْن ، فقدم مجالد قبل محمد ، ثم قدم محمد في الليلة التي خرج فيها إبراهيم ، فثبّطهما سُفيان وحبسهما عنده في دار الإمارة حتى ظهر إبراهيم فأخذهما ، فقيّدهما ؛ ووجّه أبو جعفر معهما قائداً من عَبْد القيس يدعى معَمرًا .

حدّثني يونس بن نجدة ، قال : قدم على سفيان مجالدُ بن يزيد الضُّبعيّ من قِبَل أبي جعفر في ألْف وخمسمائة فارس وخمسمائة راجل .

حدّثني سعيد بن الحسن بن تَسنيم بن الحَوارَى بن زياد بن عمرو بن الأشرف ، قال : سمعتُ من لا أحصي من أصحابنا يذكرون أنّ أبا جعفر شاور في أمر إبراهيم ، فقيل له : إن أهل الكوفة له شيعة ، والكوفة قِدْر تفُور ، أنت طَبَقُها ، فاخرج حتى تنزلها . ففعل .

حدّثني مسلم الخصيّ مولى محمد بن سليمان ، قال : كان أمْرُ إبراهيم وأنا ابن بضع عشرة سنة ؛ وأنا يومئذ لأبي جعفر ، فأنزلَنا الهاشميّة بالكوفة ونزل هو بالرّصافة في ظهر الكوفة ؛ وكان جميع جنده الذين في عسكره نحواً من ألف وخمسمائة ؛ وكان المسيّب بن زهير على حَرَسه ، فجزّأ الجند ثلاثة

(١) في اللسان : «الشهرية : ضرب من البراذين ؛ وهو بين البرذون والمقرف من الخيل» .

أجزاء : خمسمائة ، خمسمائة ، فكان يطوف الكوفة كلّها فى كلّ ليلة ، وأمر مناديًا فنادى : مَنْ أخذناه بعد عَتَمَة فقد أحلّ بنفسه ؛ فكان إذا أخذ ٣/٢٩٤ رجلاً بعد عَتَمة لفّه فى عَباءة وحمله ، فبيّته عنده ، فإذا أصبح سأل عنه ، فإن علم براءته أطلقه ، وإلا حبسه .

قال : وحدّثنى أبو الحسن الحذّاء ، قال : أخذ أبو جعفر الناس بالسَّوَاد ، فكنت أراهم يصبغون ثيابهم بالمداد .

وحدثنى علىّ بن الجعْد ، قال : رأيتُ أهلَ الكوفة أيامئذ أخِذُوا بلُبس الثياب السود حتى البقّالين ، إنّ أحدهم ليصبغ الثوب بالأنقاس ثم يلبسه .

وحدثنى جوّاد بن غالب ، قال : حدثنى العباس بن سَلْم مولَى قَحْطبة ، قال : كان أمير المؤمنين أبو جعفر إذا اتّهم أحداً من أهل الكوفة بالميْل إلى إبراهيم أمر أبى سلماً بطلبه ؛ فكان يمهل حتى إذا غَسق الليل ، وهدأ الناس ، نصبُ سلّما على منزل الرجل فطرقه فى بيته حتى يخرجه فيقتله ؛ ويأخذ خاتمه . قال أبو سهل جوّاد : فسمعت جميلاً مولى محمد بن أبى العباس يقول للعباس بن سلم : والله لو لم يورّثك أبوك إلا خواتيم مَن قُتِل من أهل الكوفة كنت أيسرَ الأبناء .

حدّثنى سهل بن عَقيل ، قال : حدثنى سلم بن فَرْقد حاجب سليمان بن مجالد ، قال : كان لى بالكوفة صديق ، فأتانى — فقال : أيا هذا ، اعلم أن أهل الكوفة معِدّون للوثوب بصاحِبكم ، فإن قدرت على أن تبوّئ أهلك مكاناً حريزًا فافعل ، قال : فأتيتُ سليمان بن مجالد ، فأخبرته الخبر ؛ فأخبر أبا جعفر — ولأبى جعفر عين من أهل الكوفة من الصّيارفة يدعى ابن مقرّن — ٣/٢٩٥ قال : فأرسل إليه ، فقال : ويحك ! قد تحرّك أهل الكوفة ، فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، أنا عذيرك منهم ، قال : فركن إلى قوله ، وأضرب عنهم .

وحدثنى يحيى بن ميمون من أهل القادسيّة ، قال : سمعت عــدّة من أهل القادسية يذكرون أن رجلاً من أهل خراسان ، يكنى أبا الفضل ، ويسمّى فلان ابن معقل ، ولِّىَ القادسية ليمنع أهل الكوفة إتيان إبراهيم ؛ وكان

الناس قد رصدوا فى طريق البصرة ، فكانوا يأتون القادسيّة ثم العُذَيْب ، ثم وادىَ السباع ، ثم يعدلون ذات اليَسار فى البرّ ، حتى يقدموا البصرة . قال : فخرج نفرٌ من الكوفة اثنا عشر رجلا ؛ حتى إذا كانوا بوادى السباع لقيَهم رجل من موالى بنى أسد ، يسمّى بكراً . من أهل شرَاف ، دون واقصَة بميلين من أهل المسجد الذى يدعى مسجد الموالى — فأتى ابن معقل فأخبره ، فاتّبعهم فأدركهم بخَفّان — وهى على أربعة فراسخ من القادسيّة — فقتلهم أجمعين .

حدّثنى إبراهيم بن سَلْم ، قال : كان الفُرافصَة العجلىّ قد همّ بالوثوب بالكوفة ، فامتنع لمكان أبى جعفر ونزوله بها ؛ وكان ابن ماعز الأسدىّ يبايعُ لإبراهيم فيها سرّاً .

حدّثنى عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال : سمعت إسماعيل بن موسى البَجَلىّ وعيسى بن النَّضْر السَّمَّانيْنِ وغيرهما يخبرون أن غَزوانَ كان لآل القعقاع بن ضِرار ، فاشتراه أبو جعفر ، فقال له يوماً : يا أميرَ المؤمنين ؛ هذه سفُن منحدرة من الموصِل فيها مبيّضةٌ تريد إبراهيم بالبصرة ، قال : فضمّ إليه جنداً ، فلقيهم بباحَمْشا بين بغداد والموصل فقتلهم أجمعين ؛ وكانوا تجارًا فيهم جماعة من العُبّاد من أهل الحير[1] وغيرهم ، وفيهم رجل يُدعى أبا العرفان من آل شعيب السمّان ، فجعل يقول : ويلك يا غزوان ! ألست تعرفنى ! أنا أبو العرفان جارك ؛ إنما شخصتُ برقيق فبعتُهم ؛ فلم يقبل وقتلهم أجمعين وبعث برءوسهم إلى الكوفة ، فنصِبت ما بين دار إسحاق الأزرق إلى جانب دار عيسى بن موسى إلى مدينة ابن هبيرة . قال أبو أحمد عبد الله بن راشد : فأنا رأيتها منصوبةً على كوم التراب .

٢٩٦/٣

قال : وحدّثنا أبو علىّ القَدّاح ، قال : حدّثنى داود بن سلمان ونيبخت وجماعة من القدّاحين ، قالوا : كنّا بالموصِل ، وبها حرْب الراوندىّ رابطة فى ألفين ، لمكان الخوارج بالجزيرة ، فأتاه كتاب أبى جعفر يأمره بالقفل إليه ؛ فشخص ؛ فلما كان بباحَمْشا اعترض له أهلها ، وقالوا : لا نَدَعُك تجوزنا لتنصر أبا جعفر على إبراهيم ، فقال لهم : ويحكم ! إنى لا أريد بكم

(١) ج : « الخيرة » .

سوءاً ؛ إنما أنا مارٌّ، دعونى . قالوا : لا والله لا تجوزنا أبداً ، فقاتلهم فأبارهم[1] ، وحَمل منهم خمسمائة رأس ، فقدم بها على أبى جعفر ، وقصّ عليه قصتهم . قال أبو جعفر : هذا أوّل الفتح .

وحدّثنى خالد بن خِداش بن عَجْلان مولى عمر بن حفص، قال : حدّثنى جماعة من أشياخنا أنهم شهدوا دفيف بن راشد مولى بنى يزيد بن ٣/ ٢٩٧ حاتم ، أتى سفيانَ بن معاوية قبل خروج إبراهيم بليلة ، فقال : ادفع إلىّ فوارس آتك بإبراهيم أو برأسه . قال أوَ ما لك عمل ! اذهب إلى عملك . قال : فخرج دفيف من ليلته فلحق بيزيد بن حاتم وهو بمصر .

وحدّثنى خالد بن خِداش ، قال : سمعت عدّة من الأزْد يحدثون عن جابر بن حماد – وكان على شُرْطة سفيان – أنه قال لسفيان قبل خروج إبراهيم بيوم: إنى مررت فى مقبرة بنى يشكُر ، فصيّحوا بى ورمونى بالحجارة ، فقال له : أما كان لك طريق !

وحدثنى أبو عمر الحوْضىّ حفص بن عمر ، قال : مرّ عاقب صاحب شرَط سفيان يوم الأحد قبل ظهور إبراهيم بيوْم ، فى مقبرة بنى يشكُر ، فقيل له : هذا إبراهيم يريد الخروج، فقال : كذبتم، ولم يعرّج على ذلك !

قال أبو عمر الحوضىّ: جعل أصحاب إبراهيم ينادون سفيان وهو محصور : اذكر بيعتَك فى دار المخزوميّين .

قال أبو عمر : وحدّثنى محارب بن نصر ، قال: مرّ سفيان بعد قتل إبراهيم فى سفينة وأبو جعفر مُشْرِفٌ من قصره ، فقال: إنّ هذا لسفيان؟ قالوا : نعم ، قال : والله للعَجب ! كيف يفلتنى ابن الفاعلة ! قال الحوْضىّ: قال سفيان لقائد من قوّاد إبراهيم : أقمْ عندى ، فليس كل أصحابك يعلم ما كان بينى وبين إبراهيم .

قال : وحدّثنى نصر بن فرقد، قال : كان كَرْزَم السَّدوسىّ يغدو على سفيان بخبر إبراهيم ويروح ، ويُعْلمه مَنْ يأتيه فلا يعرض له، ولا يتبع له أثراً.

---

(١) ج : « فأثارهم » .

وذكر أن سفيان بن معاوية كان عامل المنصور أيّامئذ على البصرة ، وكان قد مالأ إبراهيم بن عبد الله على أمرِه فلا ينصح لصاحبه . ٣/٢٩٨

* * *

اختلف فى وقت قدوم إبراهيم البصرة فقال بعض : كان قدومه إياها أول يوم من شهر رمضان فى سنة خمس وأربعين ومائة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : لما ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن ، وغلَب على المدينة ومكة ، وسُلِّم عليه بالخلافة ، وجّه أخاه إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة ، فدخلها فى أوّل يوم من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، فغلب عليها ، وبيّض بها وبيّض بها أهل البصرة معه ، وخرج معه عيسى بن يونس ومُعاذ بن معاذ بن العوّام وإسحاق بن يوسف الأزرق ومعاوية بن هشام ، وجماعة كثيرة من الفُقهاء وأهل العلم ؛ فلم يزلْ بالبصرة شهر رمضان وشوّالاً ، فلما بلغه قتلُ أخيه محمد بن عبد الله تأهَّب واستعدّ ، وخرج يريد أبا جعفر بالكوفة .

وقد ذكرنا قول من قال : كان مقدم إبراهيم البصرة فى أول سنة ثلاث وأربعين ومائة ، غير أنه كان مقيماً بها ، مختفياً يدعو أهلها فى السرّ إلى البيعة لأخيه محمد ، فذكر سهل بن عقيل ، عن أبيه ، أنّ سفيان كان يرسل إلى قائدين كانا قدِما عليه من عند أبى جعفر مدداً له قبل ظهور إبراهيم ، فيكونان عنده ؛ فلما وعده إبراهيم بالخروج أرسل إليهما فاحتبسهما عنده تلك الليلة حتى خرَج ، فأحاط به وبهما فأخذهم[1] . ٣/٢٩٩

وحُدّثت عن محمد بن معروف بن سويد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : وجّه أبو جعفر مجالداً ومحمداً ويزيد ؛ قوّاداً ثلاثة كانوا إخوة قبل ظهور إبراهيم ، فقدّموا جندهم ، فجعلوا يدخلون البصرة تَتْرَى ، بعضهم على أثر بعض ، فأشفق إبراهيم أن يكثروا بها ، فظهر .

---

(١) ط : « فأخذهما » ، وما أثبته من ب .

وذكر نصر بن قديد ، أنّ إبراهيم خرج ليلة الاثنين لغرّة شهر رمضان من سنة خمس وأربعين ومائة ، فصار إلى مقبرة بنى يشكر فى بضعة عشر رجلاً فارساً ، فيهم عبيد الله بن يحيى بن حصين الرّقاشىّ . قال : وقدم تلك الليلة أبو حمّاد الأبرصُ مدداً لسفيان فى ألفى رجل ، فنزل الرّحبة إلى أن ينزلوا . فسار إبراهيم فكان أوّل شىء أصاب دوابّ أولئك الجند وأسلحتهم ، وصلّى بالناس الغداة فى المسجد الجامع ، وتحصّن سفيان فى الدّار ، ومعه فيها جماعة من بنى أبيه ، وأقبل الناس إلى إبراهيم مِنْ بين ناظر وناصر حتّى كثروا ، فلما رأى ذلك سفيان طلب الأمانَ ، فأجيب إليه ، فدسّ إلى إبراهيم مطهّر بن جويرية السّدوسىّ ، فأخذ اسفيان الأمان ، وفتح الباب ، ودخل إبراهيم الدّار ؛ فلما دخلها ألقى له حصير فى مُقَدَّم الإيوان[1] ، فهبّت ريح فقلبته ظهراً لبطن ؛ فتطيّر الناسُ لذلك ، فقال إبراهيم : إنا لا نتطيّر ، ثم جلس عليه مقلوباً والكراهة تُرَى فى وجهه ؛ فلما دخل إبراهيم الدّار خلّى ٣/٢٠٠ عن كلّ مَنْ كان فيها — فيما ذكر — غير سفيان بن معاوية ؛ فإنه حبسه فى القصر وقيّده قيداً خفيفاً ، فأراد إبراهيم — فيما ذكر — بذلك من فعله أن يُرِى أبا جعفر أنه عنده محبوس ، وبلغ جعفراً ومحمداً ابنى سليمان بن علىّ — وكانا بالبصرة يومئذ — مصيرُ إبراهيم إلى دار الإمارة وحبْسه سفيان ، فأقبلا — فيما قيل — فى ستمائة من الرّجالة والفرسان والنّاشبة يريدانه ، فوجّه إبراهيم إليهما المضاء بن القاسم الجزرىّ فى ثمانية عشر فارساً وثلاثين راجلا ؛ فهزمهم المضاءُ . ولحق محمداً رجل من أصحاب المضاء فطعنه فى فخِذه ، ونادى مناد لإبراهيم : لا يُتْبَع مدبر ؛ ومضى هو بنفسه حتّى وقف على باب زينب بنت سليمان ، فنادى بالأمان لآل سليمان ، وألّا يعرِض لهم أحد .

وذكر بكر بن كثير ، أنّ إبراهيم لما ظهر على جعفر ومحمد وأخذ البصرة ، وجَدَ فى بيت المال ستمائة ألف ، فأمر بالاحتفاظ بها — وقيل إنه وجد فى بيت المال ألفى درهم — فقوىَ بذلك ، وفرض لكلّ رجل خمسين خمسين ؛ فلما غلب إبراهيم على البصرة وجّه — فيما ذكر — إلى الأهواز رجلاً يُدعى الحسين

(١) ب : « الأبواب » .

ابن ثوْلاء ، يدعوهم إلى البيْعة ، فخرج فأخذ بيعتهم ؛ ثم رجع إلى إبراهيم . فوجه إبراهيم المغيرة فى خمسين رجلا ، ثم اجتمع إلى[1] المُغيرة لمّا صار إلى الأهواز تمام مائتى رجل . وكان عامل الأهواز يومئذ من قِبَل أبى جعفر محمد ابن الحصين ، فلما بلغ ابنَ الحصين دنوُّ المغيرة منه خرج إليه بمَنْ معه ، وهم — فيما قيل — أربعة آلاف ، فالتَقَوا على مِيل من قَصبة الأهواز بموضع

٣ / ٣٠١ يقال له دشت أربُك ، فانكشف ابن حصين وأصحابه ، ودخل المغيرة الأهواز .

وقد قيل : إنّ المغيرة صار إلى الأهواز بعد شخوص إبراهيم عن البصرة إلى باخَمْرى

ذكر محمد بن خالد المربّعىّ ، أنّ إبراهم لما ظهر على البصرة ثم أراد الخروج إلى ناحية الكوفة ، استخلف على البصرة نُمَيْلة بن مرّة العبشَمىّ ، وأمر بتوجيه المغيرة بن الفزع أحد بنى بَهْدلة بن عوْف إلى الأهواز ، وعليها يومئذ محمد بن الحصين العبدىّ ، ووجّه إبراهيم إلى فارس عمرو بن شدّاد عاملاً عليها ، فمرّ برامَ هرمز بيعقوب بن الفضل وهو بها ، فاستتبعه ؛ فشخص معه حتى قدم فارس ، وبها إسماعيل بن علىّ بن عبد الله عاملاً عليها من قِبَل أبى جعفر ، ومعه أخوه عبد الصّمد بن علىّ ، فلما بلغ إسماعيل بن علىّ وعبد الصمد إقبالُ عمرو بن شداد ويعقوب بن الفضل — وكانا بإصطْخر — بادرا إلى دارَابْجِرْد ، فتحصّنا بها ، فصارت فارس فى يد عمرو بن شداد ويعقوب بن الفضل ، فصارت البَصْرة والأهواز وفارس فى سلطان إبراهيم .

وحدّثت عن سليمان بن أبى شيخ ، قال : لما ظهر إبراهيم بالبصرة ، أقبل الحكم بن أبى غَيْلان اليشكرىّ فى سبعة عشر ألفًا حتى دخل واسطاً ؛ وبها هارون بن حميد الإيادىّ من قِبَل أبى جعفر ، فدخل هارون تنوراً[2] فى القصر حتى أخرِج منه ، وأتى أهلُ واسط حفصَ بن عمر بن حفص بن عمر

٣ / ٣٠٢ ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة ، فقالوا له : أنت أولى مِنْ هذا الهجيمىّ ؛ فأخذها حَفْص ، وخرج منها اليشكُرىّ ، وولّى حفص شُرَطه أبا مقرن الهُجيمىّ .

---

(١) ج : « مع » . (٢) ب : « فتوارى » .

وذكر عمر بن عبد الغفار بن عمرو الفُقَيْميّ، ابن أخى الفضل بن عمرو الفُقيميّ ، قال : كان إبراهيم واجدًا على هارون بن سعد ، لا يكلّمه ، فلما ظهر إبراهيم قدم هارون بن سعد ، فأتى سلم بن أبى واصل ، فقال له : أخبرنى عن صاحبك ، أما به إلينا حاجة فى أمره هذا ! قال : بلى لعمر الله . ثم قام فدخل على إبراهيم ، فقال : هذا هارون بن سعد قد جاءك ، قال : لا حاجة لى به ، قال : لا تفعل ؛ فى هارون تزهّد ؛ فلم يزل به حتى قبله ، وأذن له فدخل عليه ؛ فقال له هارون : استكفِنِى أهمّ أمورك إليك ، فاستكفاه واسطاً ، واستعمله عليها .

قال سليمان بن أبى شيخ : حدثنى أبو الصعدىّ ، قال : أتانا هارون بن سعد العجلىّ من أهل الكوفة ، وقد وجهه إبراهيم من البصرة ، وكان شيخًا كبيراً ، وكان أشهر مَنْ معه من أهل البصرة الطُّهوىّ ، وكان معه ممن يشبه الطهوىّ فى نَجْدته من أهل واسط عبد الرحيم الكلبىّ ، وكان شجاعًا ؛ وكان ممن قدم به — أو قدم عليه — عبدويه كردام الخراسانىّ . وكان من فرسانهم صدقة بن بكار ، وكان منصور بن جُمهور يقول : إذا كان معى صدقة بن بكار فما أبالى مَنْ لقيت ! فوجّه أبو جعفر إلى واسط لحرب هارون بن سعد عامرَ بن إسماعيل المُسلىّ فى خمسة آلاف فى قول بعضهم ، وقال بعضهم : فى عشرين ألفًا ، وكانت بينهم وقعات.

وذكر عن ابن أبى الكرام ، أنه قال : قدمت على أبى جعفر برأس محمد ، ٣ / ٣٠٣ وعامر بن إسماعيل بواسط محاصرٌ هارون بن سعد ، وكانت الحرب بين أهل واسط وأصحاب أبى جعفر قبل شخوص إبراهيم من البصرة ، فذكر سليمان بن أبى شيخ ، قال : عسكر عامر بن إسماعيل مِنْ وراء النيل ، فكانت أول حرب جرت بينه وبين هارون ، فضربه عبدٌ سقّاء وجرحه وصرعه وهو لا يعرفه ، فأرسل إليه أبو جعفر بظبية فيها صَمْغ عربىّ ؛ وقال : داوِ بها جراحتك ، فالتقوْا غير مرّة ، فقتِل من أهل البصرة وأهل واسط خلْق كثير ؛ وكان هارون ينهاهم عن القتال ، ويقول : لو لقى صاحبنا صاحبَهم تبيّن لنا الأمر ، فاستبقوا أنفسكم ؛ فكانوا لا يفعلون. فلما شخص إبراهيم إلى باخَمْرَى كفّ الفريقان من أهل واسط وعامر بن إسماعيل ؛ بعضُهم عن بعض ، وتوادعوا على

ترك الحرب إلى أن يلتقى الفريقان ، ثم يكونوا تبعًا للغالب ؛ فلما قتِل إبراهيم أراد عامر بن إسماعيل دخولَ واسط ، فمانعه أهلُها الدخول . قال سليمان : لما جاء قتلُ إبراهيم هرب هارون بن سعد ، وصالح أهلُ واسط عامر بن إسماعيل على أن يؤمنهم ، فلم يثق كثير منهم بأمانه ، فخرجوا منها ، ودخلها عامر بن إسماعيل ، وأقام بواسط فلم يُهجْ أحداً .

وكان عامر – فيما ذكر – صالح أهلَ واسط على ألّا يقتل أحداً بواسط ، فكانوا يقتلون كلّ مَنْ يجدونه من أهل واسط خارجًا منها ؛ ولما وقع الصُّلْح بين أهل واسط وعامر بعد قتِل إبراهيم هرب هارون بن سعد إلى البصرة ، فتوفّىَ قبل أن يبلغها فيما ذكر . ٣/٣٠٤

وقيل إن هارون بن سعد اختفَى ، فلم يزل مختفيًا حتى ولى محمد بن سليمان الكوفة ، فأعطاه الأمان ، واستدرجه حتى ظهر ، وأمره أن يفرض لمائتين من أهل بيته ؛ فهمّ أن يفعل ، وركب إلى محمّد ، فلقيه ابن عمّ له ، فقال له : أنت مخدوع ، فرجع فتوارى حتى مات ، وهدم محمد بن سليمان داره .

قال : ولم يزل إبراهيم مقيماً بالبصرة بعد ظهوره بها ، يفرّق العمال فى النواحي ويوجّه الجيوش إلى البلدان ؛ حتى أتاه نعىُّ أخيه محمد ؛ فذكر نصر بن قُديد ؛ قال : فرض إبراهيم فروضًا بالبصرة ، فلما كان قبل الفِطْر بثلاثة أيام ، أتاه نعىّ أخيه محمد ؛ فخرج بالناس إلى العيد ، وهم يعرفون فيه الانكسار ، وأخبر الناسَ بقتل محمد ؛ فازدادوا فى قتال أبى جعْفر بصيرةً ، وأصبح من الغدِ فعسكر ، واستخلف نُمَيلَة على البَصْرة ، وخلّف ابنه حسناً معه .

قال سعيد بن هريم : حدثنى أبى ، قال : قال علىّ بن داود : لقد نظرت إلى الموت فى وجْه إبراهيم حين خطبَنَا يوم الفطر ، فانصرفتُ إلى أهلى فقلت : قتِل والله الرجل !

وذكر محمد بن معروف ، عن أبيه أن جعْفراً ومحمداً ابنى سليمان لما شخصا من البصرة ، أرسلاه إلى أبى جعفر ليخبرَه خبر إبراهيم ، قال : فأخبرتُه خبرهما ، فقال : والله ما أدرى كيف أصنع ! والله ما فى عسكرى إلا ألفا رجل ؛ فرّقت جندى ، فمع المهدىّ بالرّىّ ثلاثون ألفاً ، ومع محمد بن الأشعث

بإفريقيّة أربعون ألفاً والباقون مع عيسى بن موسى ؛ والله لئن سلمت من هذه ٣ / ٣٠٥ لا يفارق عسكرى ثلاثون ألفاً .

وقال عبد الله بن راشد : ما كان فى عسكر أبى جعفر كثيرُ أحد ؛ ما هم إلا سودان وناسٌ يسير ؛ وكان يأمر بالحطَب فيحزمَ ثم يوقَد باللّيل ، فيراه الرائى فيحسِب أن هناك ناساً ؛ وما هى إلاّ نار تضرَم ، وليس عندها أحد .

قال محمد بن معروف بن سويد : حدّثنى أبى ، قال : لما ورد الخبر على أبى جعفر ، كتب إلى عيسى بن موسى وهو بالمدينة : إذا قرأتَ كتابى هذا فأقبل ودَعْ كلّ ما أنت فيه ؛ قال : فلم ينشب أن قدم ، فوجّهه على الناس . وكتب إلى سلْم بن قتيبة فقدِم عليه من الرّىّ ، فضمّه إلى جعفر ابن سليمان .

فذكر عن يوسف بن قتيبة بن مسلم ، قال : أخبرنى أخى سلْم بن قتيبة ابن مسلم ، قال : لما دخلتُ على أبى جعفر قال لى : اخرج ؛ فإنه قد خرج ابنا عبد الله ، فاعمد لإبراهيم ولا يروعنّك جمعُه ؛ فوالله إنهما جملاَ بنى هاشم المقتولان جميعاً ؛ فابسط يدك ، وثِقْ بما أعلمتك ، وستذكر مقالتى لك . قال : فوالله ما هو إلا أن قُتِل إبراهيم ، فجعلت أتذكر مقالته فأعجب .

قال سعيد بن سلم : فاستعمله على ميسرة الناس ، وضمّ إليه بشار بن سلم العقيلىّ وأبا يحيى بن خُرَيم وأبا هراسة سنان بن مخيَّس القشيرىّ ، وكتب سلم إلى البصرة فلحقت به باهلة ؛ عُرْبُها ومواليها ، وكتب المنصور إلى المهدىّ وهو يومئذ بالرّىّ يأمره بتوجيه خازم بن خزيمة إلى الأهواز ، فوجّهه المهدىّ — فيما ذُكر — فى أربعة آلاف من الجند ، فصار إليها ، وحارب بها المغيرة ، فانصرف ٣ / ٣٠٦ إلى البصرة ، ودخل خازم الأهواز ، فأباحها ثلاثاً .

وذكر عن الفضل بن العبّاس بن موسى وعمر بن ماهان ، أنهما سمعا السندىّ يقول : كنت وصيفاً أيام حرب محمد ، أقوم على رأس المنصور بالمذَبّة ، فرأيته لما كثف أمر إبراهيم وغلُظ ، أقام على مصلى نيّفاً وخمسين ليلة ، ينام عليه ويجلس عليه ، وعليه جبّة ملوّنة قد اتّسخ جَيْبها وما تحت لحيته منها ؛ فما غيّر الجبّة ، ولا هجرَ المصلّى حتى فتح الله عليه ؛ إلاّ أنه كان إذا ظهر

للناس علا الجبنّة بالسواد، وقعد على فراشه؛ فإذا بطن عاد إلى هيئته. قال: فأتته ريسانة فى تلك الأيام، وقد أهديت له امرأتان من المدينة؛ إحداهما فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيدالله والأخرى أمة[1] الكريم بنت عبد الله من ولد خالد بن أسيد بن أبى العيص؛ فلم ينظر إليهما، فقالت: يا أمير المؤمنين؛ إن هاتين المرأتين قد خبثت أنفسهما، وساءت ظنونهما لما ظهر من جفائك لهما؛ فنهرها، وقال: ليست هذه الأيام من أيام النساء؛ لاسبيل لى إليهما حتى أعلم: أرأس إبراهيم لى أم رأسى لإبراهيم!

وُذكِر أن محمداً وجعفراً ابنى سليمان كتبا إلى أبى جعفر يُعْلمانه بعد خروجهما من البَصْرة الخبر فى قطعة جِراب، ولم يقدرا على شىء يكتبان فيه غير ذلك؛ فلما وصل الكتاب إليه؛ فرأى قطعة جِراب بيد الرسول، قال: خلع والله أهل البصرة مع إبراهيم، ثم قرأ الكتاب، ودعا بعبد الرحمن الخُتّلىّ وبأبى يعقوب ختَن مالك بن الهيثم، فوجّههما فى خيل كثيفة إليهما، وأمرهما أن يحبساهما حيث لقياهما، وأن يعسكرا معهما، ويسمعا ويطيعا لهما؛ وكتب إليهما يعجّزهما ويضعّفهما ويوبخهما على طمع إبراهيم فى الخروج إلى مِصرِهما فيه، واستتار خبره عنهما، حتى ظهر وكتب فى آخر كتابه:

٣/٣٠٧

أَبْلغْ بنى هاشمٍ عَنّى مُغَلْغَلَةً ... فاستَيْقِظُوا إنَّ هذا فِعْلُ نُوّام

تعدو الذِّئاب على من لا كلاب له ... وتَتَّقى مَرْبِضَ المُسْتَنْفِر الحامى

وذكر عن جعفر بن ربيعة العامرىّ عن الحجاج بن قتيبة بن مسلم، قال: دخلت على المنصور أيام حرْب محمد وابراهيم، وقد جاءه فتق البَصْرة والأهواز وفارس وواسط والمدائن والسواد، وهو ينكت الأرض بمخْصَرته ويتمثّل:

ونصبتُ نفسى للرِّماح دَرِيّةً ... إن الرئيسَ لمثل ذاك فعول

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، أدام إعزازك ونصرك على عدوّك! أنت كما قال الأعشى:

وإنْ حَرْبُهُمْ أُوقِدَتْ بينهمْ ... فحرّت لهم بعد إبرادِها[2]

(١) كذا فى هـ، وفى ط: «أم».

(٢) ديوانه ٧٣ (النموذجية).

وجدتَ صَبُورًا على حَرِّها[1] وكرِّ الحروب وتَرْدادها[2]

فقال : يا حجاج ، إنّ إبراهيم قد عرف وُعورة جانبى وصعوبة ناحيتى ، وخشونة قرنى ؛ وإنما جرّأه على المسيرِ إلىّ من البصرة اجتماعُ هذه الكُور المُطِلّة على عسكر أمير المؤمنين وأهل السواد معه على الخلاف والمعصية ، وقد رميت كلّ كورة بحجَرها وكلّ ناحية بسهمها ، ووجّهت إليهم الشهْم[3] النجْد الميمون المظفّر عيسى بن موسى ، فى كثرة من العدد والعُدّة ، واستعنت بالله عليه ، واستكفيته إياه ؛ فإنه لا حول ولا قوة لأمير المؤمنين إلا به . ٣/٣٠٨

قال جعفر بن ربيعة : قال الحجاج بن قتيبة : لقد دخلتُ على أمير المؤمنين المنصور فى ذلك اليوم مسلِّمًا ، وما أظنّه يقدر على ردّ السلام لتتابع الفُتوق والخُروق عليه والعساكر المحيطة به ، ولمائةُ ألف سيف كامنة له بالكوفة بإزاء عسكره ينتظرون به صَيْحة واحدة فيثبون ؛ فوجدته صقْرًا أحوزيًّا مشمّراً ، قد قام إلى ما نزل به من النوائب يعرُكها ويمرُسها ، فقام بها ولم تقعد به نفسه ؛ وإنه لكما قال الأوّل :

نفْسُ عِصامٍ سوَّدَتْ عصاما وعلَّمتْه الكرَّ والإقْدَاما[4]

* وصيّرتْهُ مَلِكاً هُمَامَا[5] *

وذكر أبو عبيدة أنه كان عند يونس الجَرْمىّ ، وقد وجَّه محمد بن عبد الله أخاه لحرب أبى جعفر ، فقال يونس : قدِم هذا يريد أن يزيل ملكاً ، فألهتْهُ ابنة عمر بنُ سَلمة عمّا حاوله ، ولقد أهديت التيميّة[6] إلى أبى جعفر فى تلك الأيام ، فتركها بمزجَر الكلب ، فما نظر إليها حتى انقضى أمرُ إبراهيم . وكان إبراهيم تزوّج بعد مقدمه البصرةَ بهكْنة بنت عمر بن سلمة ، فكانت تأتيه فى مصبّغاتها وألوان ثيابها . ٣/٣٠٩

(١) الديوان : « على رزئها » .
(٢) الديوان : « وحر الحروب » .
(٣) ج : « السهم » .
(٤) مما نسب إلى النابغة الذبيانى ؛ العقد الثمين ١٧٥ .
(٥) بعده فى العقد الثمين :

* حتّى عَلَا وجاوزَ الأَقوامَا *

(٦) ط : « اليتيمة »

فلما أراد إبراهيم الشخوص نحو أبى جعفر ، دخل — فيما ذكر بشرُ بن سلم — عليه نُميلة الطُّهوىّ وجماعة من قوّاده من أهل البَصْرة ، فقالوا له : أصلحك الله ! إنك قد ظهرت على البصرة والأهواز وفارس وواسط ، فأقِمْ بمكانك ، ووجّه الأجناد ، فإن هُزِم لك جند أمددتَهم بجند ، وإن هُزِم لك قائد أمددته بقائد ، فخيف مكانُك ، واتّقاكَ عدوُّك ، وجُبِيت الأموال ، وثبتتْ وطأتك ، ثم رأيُك بعد . فقال الكوفيّون : أصلحك الله ! إن بالكوفة رجالاً لو قد رأوْك ماتُوا دونك ، وإلّا يرَوْك تقعد بهم أسبابٌ شتّى فلا يأتونك[1] ، فلم يزالوا به حتّى شخَص .

وذُكر عن عبد الله بن جعفر المدينىّ ، قال : خرجنا مع إبراهيم إلى باخَمْرَى ، فلمّا عسكرنا أتانا ليلة من الليالى ، فقال : انطلق بنا نطفْ فى عسكرنا . قال : فسمع أصوات طَنابير وغناء فرجع ، ثم أتانى ليلة أخرى فقال : انطلق بنا ، فانطلقتُ معه ، فسمع مثل ذلك فرجع وقال : ما أطمع فى نصر عسكر فيه مثل هذا .

وذُكر عن عفان بن مسلم الصفار ، قال : لمّا عسكر إبراهيمُ افترض معه رجال من جيراننا ، فأتيت معسكَره ، فحزَرتُ أنّ معه أقلّ من عشرة آلاف. فأما داود بن جعفر بن سليمان ، فإنه قال : أحصِيَ فى ديوان إبراهيم من أهل البصرة مائة ألف . ووجّه أبو جعفر عيسى بن موسى — فيما ذكر إبراهيمُ بن موسى بن عيسى — فى خمسة عشر ألفًا ، وجعل على مقدّمته حُميد بن قحطبة على ثلاثة آلاف . فلما شخص عيسى بن موسى نحو إبراهيم سار معه — فيما ذكر — أبو جعفر حتّى بلغ نهر البصريّين ، ثم رجع أبو جعفر ، وسار إبراهيم من معسكره بالماخور من خُرَيبة البصرة نحو الكوفة . ٣١٠/٣

فذكر بعض بنى تيم الله عن أوس بن مهلهل القطعىّ ، قال : مرّ بنا إبراهيم فى طريقه ذلك ، ومنزلنا بالقباب التى تدعى قباب أوْس ، فخرجتُ أتلقاه مع أبى وعمىّ ، فانتهينا إليه وهو على بِرْذون له يرتاد منزلا من الأرض ، قال : فسمعته يتمثّل أبياتًا للقُطامىّ :

---

(١) ج : « يأمنونك » .

أمورٌ لو تدبّرها حَلِيمٌ[1] إذًا لنَهَى وهَيَّبَ ما استَطَاعا
ومعْصِيَةَ الشفيق عليك ممّا[2] يزيدك مرةً منه استماعا
وخبْرُ الأَمرِ ما استقبلتَ منه وليس بأَن تَتَبّعه اتّباعَا
ولكنَّ الأَدِيمَ إذا تفرَّى بِلًى وتعيُّباً غلب الصَّناعا

فقلت للذى معى : إنى لأسمع كلامَ رجل نادم على مسيره . ثم سار فلما بلغ كرخثا قال له –فيما ذكر عن سليمان بن أبى شيخ عن عبد الواحد بن زياد بن لبيد – إن هذه بلادُ قومى ، وأنا أعلم بها ، فلا تقصد قصْد عيسى بن موسى ، وهذه العساكر التى وُجّهتْ إليك ، ولكنى أسلك بك إن تركتنى طريقًا لا يشعر بك أبو جعفر إلا وأنت معه بالكوفة . فأبى عليه . قال : فإنا معشر ربيعة أصحاب بيات ، فدعنى أبيّت أصحاب عيسى بياتًا ، قال : إنى أكره البيَات . ٣/٣١١

وذُكر عن سعيد بن هريم أنّ أباه أخبره ، قال : قلت لإبراهيم : إنك غير ظاهر على هذا الرجل حتى تأخذ الكوفة ، فإن صارت لك مع تحصّنه بها لم تقم له بعدها قائمة ، ولى بعدُ بها أهيْلٌ ، فدعنى أسِرْ إليها مختفيًا فأدعو إليك فى السرّ ثم أجهر ؛ فإنهم إن سمعوا داعيًا إليك أجابوه ، وإن سمع أبو جعفر الهيْعة بأرجاء الكوفة لم يردّ وجهه شىء دون حلوان. قال : فأقبل على بشير الرحّال ، فقال : ما ترى يا أبا محمد ؟ قال : إنا لو وثقنا بالذى تصِف لكان رأيًا ؛ ولكنّا لا نأمن أن تجيبك منهم طائفة ، فيرسل إليهم أبو جعفر خيلاً فيطأ البَرىء والنَّطِف[3] والصّغير والكبير ؛ فتكون قد تعرّضت لمأثم ذلك ، ولم تبلغ منه ما أمّلتَ . فقلتُ لبشير : أخرجت حين خرجت لقتال أبى جعفر وأصحابه ؛ وأنت تتوقَّى قتل الضّعيف والصغير والمرأة والرجل ؛ أوَ ليس قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجّه السرّية فيقاتل فيكون فى ذلك نحو ما كرهت ! فقال : إنّ أولئك كانوا مشركين كلهم ، وهؤلاء أهلُ ملّتنا

---

(١) ط : « يدبرها » . (٢) ط : « الشقيق » .
(٣) النطف : الرجل المريب المتهم .

ودعوتنا وقبلتنا ، حكمُهم غير حكم أولئك ؛ فاتبع إبراهيم رأيه ولم يأذن له ، وسار إبراهيم حتى نزل باخَمْرَى .

وذكر خالد بن أسيد الباهليّ أنه لما نزلها أرسل إليه سلْم بن قتيبة حكيم ابن عبد الكريم : إنك قد أصْحَرْت ، ومثلك أنفسُ به عن الموت ، فخندِق على نفسك حتى لا تؤتَى إلا من مأتًى واحد ، فإن أنت لم تفعل فقد أعرى[1] أبو جعفر عسكرَه ، فتخفّفْ في طائفة حتى تأتيَه فتأخذ بقفاه . ٣١٢/٣

قال : فدعا إبراهيم أصحابَه ، فعرض ذلك عليهم ، فقالوا : نخندق على أنفسنا ونحن ظاهرون عليهم ! لا والله لا نفعل . قال : فنأتيه ؟ قالوا : ولِمَ وهو في أيدينا متى أردناه ! فقال إبراهم لحكيم : قد تسمع ، فارجع راشداً .

فذكر إبراهيم بن سلم[2] أنّ أخاه حدّثه عن أبيه ، قال : لما التقينا صفّ لهم أصحابُنا ، فخرجت[3] من صفهم ، فقلت لإبراهيم : إن الصّفّ إذا انهزم بعضه تداعَى ، فلم يكن لهم نظام ، فاجعلهم كراديس ، فإن انهزم كُرْدوس ثبت كردوس ، فتنادوا[4] : لا ، إلا قتال أهل الإسلام[4] يريدون قوله تعالى : ﴿ يُقاتلون في سَبيلهِ صفًّا ﴾[5] .

وذكر يحيى بن شكر مولى محمد بن سليمان ، قال : قال المضاء : لما نزلنا باخَمْرَى أتيتُ إبراهيم فقلت له : إن هؤلاء القوم مصبِّحوك بما يسدّ عليك مغرب الشمس من السلاح والكُراع ، وإنما معك رجال عُراة من أهل البصرة ، فدعني أبيّته ، فوالله لأشتِّتَنّ جموعه ، فقال : إني أكره القَتْل ، فقلت : تريد المُلْك وتكره القتل !

وحدّثني الحارث ، قال : حدّثني ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : لما بلغَ إبراهيمَ قتلُ أخيه محمد بن عبد الله ، خرج يريد أبا جعفر المنصور بالكُوفة ، فكتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى يعلِمه ذلك ، ويأمره أن يُقبِل إليه ؛ فوافاه رسول أبي جعفر وكتابهُ — وقد أحرم بعمرة — فرفضها ، وأقبل إلى أبي جعفر ، فوجّهه في القوّاد والجند والسلاح إلى إبراهيم بن عبد الله ، ٣١٣/٣

---

(١) ابن الأثير : « أغرى » . (٢) ب : « سالم » .
(٣) ب : « فخرجنا بين صفهم » .
(٤ — ٤) ابن الأثير : « لا تصف إلا صف أهل الإسلام » . (٥) سورة الصف ٤ .

وأقبل إبراهيم ومعه جماعة كثيرة من أفناء الناس ؛ أكثر من جماعة عيسى ابن موسى ، فالتقوْا بباخَمْرَى — وهى على ستة عشر فرسخًا من الكوفة — فاقتتلوا بها قتالاً شديداً ، وانهزم حُميد بن قحطبة — وكان على مقدّمة عيسى بن موسى — وانهزم الناس معه ، فعرض لهم عيسى بن موسى يناشدهم الله والطاعة فلا يلوُون عليه ، ومرّوا[1] منهزمين . وأقبل حُميد بن قحطبة منهزمًا ، فقال له عيسى بن موسى : يا حُميد ، الله الله والطاعة[2] ! فقال : لا طاعةَ فى الهزيمة . ومرّ الناس كلهم حتى لم يبقَ منهم أحد بين يدىْ عيسى بن موسى ، وعسكر إبراهيم بن عبد الله ، فثبت عيسى بن موسى فى مكانه الذى كان فيه لا يزول ، وهو فى مائة رجل من خاصّته وحَشمه ، فقيل له : أصلح الله الأمير ! لو تنحّيت عن هذا المكان حتى يثوب إليك الناس فتكرّ بهم ! فقال : لا أزول عن مكانى هذا أبداً حتى أقتَل أو يفتح الله على يدى ؛ ولا يقال : انهزم .

وذكر عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علىّ أنّ إسحاق بن عيسى بن علىّ حدّثه أنه سمع عيسى بن موسى يحدّث أباه أنه قال : لما أراد أمير المؤمنين توجيهى إلى إبراهيم ، قال : إنّ هؤلاء الخبثاء — يعنى المنجّمين — يزعمون أنك لاقٍ الرجلَ ، وأن لك جولةً حين تلقاه ، ثم يفىء إليك أصحابك ، وتكون العاقبة لك . قال : فوالله لكان كما قال ؛ ما هو إلاّ أن التقيْنا فهزمونا ، فلقد رأيتُنى وما معى إلا ثلاثة أو أربعة ؛ فأقبل علىّ مولًى لى — كان ممسكاً بلجام دابتى — فقال : جُعلت فداك ! علامَ تقيم وقد ذهب أصحابك ! فقلت : لا والله ، لا ينظر أهل بيتى إلى وجهى أبداً وقد انهزمتُ عن عدّوهم . قال : فوالله لكان أكثر[3] ما عندى أن جعلت أقول لمن مرّ بى ممن أعرف من المنهزمين : أقرِئوا أهل بيتى منى السلام ، وقولوا لهم : إنى لم أجد فداءً أفديكم به أعزّ علىّ من نفسى ، وقد بذلتُها دونكم . قال : فوالله إنا لعلَى ذلك والناس منهزمون ما يلوى أحدٌ على أحد . وصمد ابنا سليمان : جعفر ومحمد لإبراهيم ، فخرجا عليه من ورائه ، ولا يشعر مَنْ بأعقابنا من أصحاب إبراهيم ؛ حتى نظر

٣/٣١٤

---

(١) ب : « ويمرون » . (٢) ج : « فى الطاعة » .
(٣) ب : « أكبر » .

بعضهم إلى بعض ؛ وإذا القتال من ورائهم ، فكرّوا نحوه ، وعقّبنا فى آثارهم راجعين ؛ فكانت إياها . قال : فسمعت عيسى بن موسى يومئذ يقول لأبى : فوالله يا أبا العباس ؛ لولا ابنا سليمان يومئذ لافتضحنا ؛ وكان مِنْ صنع الله أنّ أصحابنا لما انهزموا يومئذ اعترض لهم نهر ذو ثنيّتين مرتفعتين ، فحالتا بينهم وبين الوثوب ؛ ولم يجدوا مخاضة ، فكرّوا راجعين بأجمعهم .

فذُكر عن محمد بن إسحاق بن مِهران، أنه قال: كان بباخمْرى ناسٌ من آل طلحة فخرُوها على إبراهيم وأصحابه ، وبثقُوا الماء ، فأصبح أهل عسكره مرتطمين فى الماء . وقد زعم بعضهم أن إبراهيم هو الذى مخرَ ليكون[1] قتاله من وجه واحد؛ فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار ، فلما انهزم أصحاب إبراهيم ثبت إبراهيم وثبتَ معه جماعة من أصحابه يقاتلون دونه ، اختلف فى مبلغ عدَدهم[2] ، فقال بعضهم : كانوا خمسمائة ، وقال بعضهم : كانوا أربعمائة ، وقال بعضهم : بل كانوا سبعين .

٣/٣١٥

فحدثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : لما انهزم أصحاب عيسى بن موسى وثبت عيسى مكانه ، أقبل إبراهيم بن عبد الله فى عسكره يدنُو ويدنو غبارُ عسكره ؛ حتى يراه عيسى ومَنْ معه ؛ فبيناهم على ذلك إذا فارس قد أقبل وكرّ راجعاً يجرى نحو إبراهيم ، لا يعرّج على شىء؛ فإذا هو حُميد بن قحطبة قد غيّر لأمته ، وعصَب رأسه بعصابة صفراء ، فكرّ الناس يتبعونه حتى لم يبق أحدٌ ممن كان انهزم إلا كرّ راجعاً ، حتى خالطوا القوم ، فقاتلوهم قتالا شديداً حتى قَتل الفريقان بعضهم بعضاً ، وجعل حُميد بن قحطبة يرسل بالرءوس إلى عيسى بن موسى إلى أن أتِىَ برأس ومعه جماعة كثيرة وضجة وصياح ، فقالوا : رأس إبراهيم بن عبد الله ؛ فدعا عيسى ابن موسى بن أبى الكرام الجعفرىّ ، فأراه إياه ، فقال : ليس هذا ؛ وجعلوا يقتتلون يومهم ذلك ؛ إلى أن جاء سهم عائر لا يُدْرَى من رمى به ، فوقع فى حلْق إبراهيم بن عبد الله فنحرَه ، فتنحّى عن موقفه ، فقال : أنزلونى ، فأنزلوه

---

(١) ج : « أن يكون قتالهم » . (٢) ج : « عدتهم » .

عن مركبه، وهو يقول : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مقدوراً ﴾[1]، أردنا أمرًا وأراد الله غيره؛ فأنزِل إلى الأرض وهو مثخَن، واجتمع عليه أصحابه وخاصّته يحمونه ويقاتلون دونه، ورأى حُميد بن قحطبة اجتماعهم، فأنكرهم فقال لأصحابه : شدّوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم، وتعلموا ما اجتمعوا عليه، فشدّوا عليهم، فقاتلوهم أشدّ القتال حتى أفرجوهم عن إبراهيم، وخلصوا إليه فحزّوا رأسه؛ فأتوا به عيسى بن موسى، فأراه ابنَ أبى الكرام الجعفرىّ، فقال : نعم؛ هذا رأسه، فنزل عيسى إلى الأرض فسجد، وبعث برأسه إلى أبى جعفر المنصور، وكان قتلُه يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذى القعدة سنة خمس وأربعين ومائة . وكان يوم قُتل ابن ثمان وأربعين سنة، ومكث منذ خرج إلى أن قتل ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام . ٣/٣١٦

وذكر عبد الحميد أنه سأل أبا صلابة : كيف قُتِل إبراهيم ؟ قال : إنى لأنظر إليه واقفًا على دابّة ينظر إلى أصحاب عيسى قد ولَّوْا ومنحوه أكتافهم ، ونكَص عيسى بدابته القَهْقَرَى وأصحابه يقتلونهم ، وعليه قباء زَرَد[2] ، فآذاه الحرّ ، فحلَّ أزرار قبائه ، فسال الزّرد حتى سال عن ثدييه ، وحسر عن لبّته ، فأتته نُشّابة عائرة[3] ، فأصابته فى لبّتِه ، فرأيته اعتنق فرسه ، وكرّ راجعًا ، وأطافت به الزيديّة .

وذكر إبراهيم بن محمد بن أبى الكرام ؛ قال : حدّثنى أبى ، قال : لما انهزم أصحاب عيسى تبعتْهم رايات إبراهيم فى آثارهم ، فنادى منادى إبراهيم : ألا لا تتّبعوا مدبرًا ؛ فكرّت الرايات راجعةً ، ورآها أصحاب عيسى فخالُوهم انهزموا ، فكرّوا فى آثارهم ؛ فكانت الهزيمة .

وذكر أن أبا جعفر لما بلغته جولةُ أصحاب عيسى عزَم على الرحيل إلى الرّىّ ، فذكر سلم بن فرقد حاجب سليمان بن مجالد ، أنه قال : لما التقوْا هُزِم أصحاب عيسى هزيمة قبيحةً حتى دخل أوائلهم الكُوفة ، فأتانى صديق لى كوفىّ ، فقال : أيّها الرجل، تعلّمْ والله لقد دخل أصحابك الكوفة ؛ فهذا ٣/٣١٧

---

(١) سورة الأحزاب ٣٨ (٢) زرد ؛ أى مزرود .
(٣) النشابة ، واحدة النشاب وهو النبل . والعائر : ما لا يدرى راميه .

أخو أبى هريرة فى دار فلان ، وهذا فلان فى دار فلان؛ فانظر لنفسك وأهلك ومالك ؛ قال : فأخبرت بذلك سليمانَ بن مجالد، فأخبر به أبا جعفر ، فقال: لا تكشفنّ من هذا شيئًا ولا تلتفتنّ إليه؛ فإنّى لا آمن أن يهجم علىّ ما أكره، وأعْدِدْ على كلّ باب من أبواب المدينة إبلًا ودوابّ؛ فإن أتِينا من ناحية صرنا إلى الناحية الأخرى. فقيل لسلم: إلى أين أراد أبو جعفر يذهب إن دهمه أمر؟ قال : كان عزم على إتيان الرىّ ، فبلغنى أن نيبخت المنجّم دخل على أبى جعفر ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ، الظّفَرُ لك، وسيُقتل إبراهيم ، فلم يقبل ذلك منه ، فقال له : احبسنى عندك ، فإن لم يكن الأمر كما قلت لك فاقتلنى ، فبينا هو كذلك إذ جاءه الخبر بهزيمة إبراهيم ، فتمثّل ببيت معقّر بن أوْس ابن حمار البارقىّ :

فألقتْ عَصَاها واستقرّتْ بها النّوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ[1]

٣/٢١٨ فأقطع أبو جعفر نيبخت ألفى جريب بنهر جَوْبر ؛ فذكر أبو نعيم الفضل ابن دكين أن أبا جعفر لما أصبح من الليلة التى أتِىَ فيها برأس إبراهيم — وذلك ليلة الثلاثاء لخمس بقين من ذى القعدة — أمر برأسه فنُصب رأسه فى السوق .

وذكر أن أبا جعفر لما أتِىَ برأسه فوُضع بين يديه بكَى، حتى قطرت دموعه على خدّ إبراهيم ، ثم قال: أما والله إن[2] كنتُ لهذا لكارهًا ، ولكنّك ابتليتَ بى وابتليتُ بك .

وذكر عن صالح مولى المنصور أنّ المنصور لما أتِىَ برأس إبراهيم بن عبد الله وضعَه بين يديه ، وجلس مجلساً عامًّا ، وأذن للناس ، فكان الداخل يدخل فيسلّم ويتناول إبراهيم فيسىء القول فيه ، ويذكر منه القبيح ، التماسًا لرضا أبى جعفر ، وأبو جعفر ممسكٌ متغيّر لونه ؛ حتى دخل جعفر بن حنظلة البهرانىّ ، فوقف فسلّم ، ثم قال : عظّم الله أجرك يا أمير المؤمنين فى ابن عمّك ،

(١) البيت بهذه النسبة فى اللسان (عصا) ؛ ونقل عن ابن برى أنه لعبدون السلمى ، ويقال لسليم بن ثمامة الحنفى قال ؛ وأول الشعر :

تذكّرتُ من أمّ الحويرث بعدمَا مضت حججٌ ، وذو الشوق ذاكرُ

(٢) ابن الأثير : «إنى» .

وغفر له ما فرّط[1] فيه من حقك ! فاصفرّ لونُ أبي جعفر وأقبل عليه ، فقال : أبا خالد ، مرحبًا وأهلاً ها هنا ! فعلم الناس أن ذلك قد وقع منه ، فدخلوا فقالوا مثل ما قال جعفر بن حنظلة .

* * *

وفي هذه السنة خرجت الترك والخزَر بباب الأبواب فقتلوا من المسلمين بأرمينيَة جماعة كثيرة .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة السريّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب . وكان عاملَ أبي جعفر على مكة .

٣١٩/٣ وكان والي[2] المدينة في هذه السنة عبد الله بن الربيع الحارثيّ ، ووالي الكوفة وأراضيها عيسى بن موسى ، ووالي البصرة سلْم بن قتيبة الباهليّ . وكان على قضائها عبّاد بن منصور ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

---

(١) ب : « فيما » . (٢) ج : « عامل » .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[خبر استتمام بناء بغداد وتحول أبي جعفر إليها]

فمما كان فيها من ذلك استتمامُ أبي جعفر مدينتَه بغداد ؛ ذكر محمد بن عمر أنّ أبا جعفر تحوّل من مدينة ابن هُبيرة إلى بغداد في صفر سنة ستّ وأربعين ومائة ، فنزلها وبنى مدينتها .

* ذكر الخبر عن صفة بنائه إياها :

قد ذكرنا قبلُ السببَ الباعث كان لأبي جعفر على بنائها ، والسبب الذى من أجله اختار البُقْعة التي بنَى فيها مدينته ، ونذكر الآن صفة بنائه إياها .

ذُكِر عن رشيد أبي داود بن رَشِيد أنّ أبا جعفر شخص إلى الكوفة حين بلغه خروجُ محمد بن عبد الله ، وقد هيّأ لبناء مدينة بغداد ما يحتاج إليه من خَشب وساج وغير ذلك ؛ واستخلف حين شخص على إصلاح ما أعدّ لذلك مولًى له يقال له أسلم ؛ فبلغ أسلم أنّ إبراهيم بن عبد الله قد هزم عسكر أبي جعفر ، فأحرق ما كان خلّفه عليه أبو جعفر من ساجٍ وخشب ؛ خوفًا أن يؤخذ منه ذلك ؛ إذا غُلب مولاه ؛ فلما بلغ أبا جعفر ما فعل من ذلك مولاه أسلم كتب إليه يلومه على ذلك ؛ فكتب إليه أسلم يخبر أنه خاف أن يظفر بهم إبراهيم فيأخذه ، فلم يقل له شيئًا .

٣٢٠/٣

وُذكِر عن إسحق بن إبراهيم الموصليّ ، عن أبيه ، قال : لما أراد المنصور بناء مدينة بغداد ، شاور أصحابه فيها ؛ وكان ممّن شاوره فيها خالد بن برمك ، فأشار بها ؛ فذكِرَ عن عليّ بن عصمة أن خالد بن برمك خطّ مدينة أبي جعفر له ، وأشار بها عليه ؛ فلما احتاج إلى الأنقاض ، قال له : ما ترى في نقض بناء مدينة إيوان كسرى بالمدائن وحمل نقضه إلى مدينتي هذه ؟ قال : لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنه علَمٌ من أعلام الإسلام ، يستدلّ به الناظر إليه على أنه لم يكن ليُزالَ مثل أصحابه عنه بأمر دنيا ؛ وإنما

هو على أمر دين ؛ ومع هذا يا أمير المؤمنين ؛ فإن فيه مصلّى علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه ، قال : هيهات يا خالد ! أبيتَ إلا الميل إلى أصحابك العجم ! وأمر أن يُنقَض القصر الأبيض ، فنُقِضت ناحية منه ، وحمِل نقضه ، فنظر فى مقدار ما يلزمهم للنقض والحمل فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الجديد لو عُمل ، فرُفع ذلك إلى المنصور ، فدعا بخالد بن برمك ، فأعلمه ما يلزمهم فى نقضه وحمله ، وقال : ما ترى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، قدْ كنت أرى قبل ألاّ تفعل ، فأما إذ فعلتَ فإنى أرى أن تهدم الآن حتى تلحق بقواعده ؛ لئلا يقال : إنك قد عجزت عن هدمه . فأعرض المنصور عن ذلك ، وأمر ألاّ يهدم . فقال موسى بن داود المهندس : قال لى المأمون — وحدّثنى بهذا الحديث : يا موسى إذا بنيتَ لى بناء فاجعله[1] ما يعجز عن هدمه ليبقى[2] طللُه ورسْمه .

٣/٣٢١

وذكر أنّ أبا جعفر احتاج إلى الأبواب للمدينة ؛ فزعم أبو عبد الرحمن الهمانىّ أن سليمان بن داود كان بنى مدينةً بالقرب من موضع بناء الحجاج واسطاً يقال لها الزَّنْدورد ، واتّخذت له الشياطينُ لها خمسة أبواب من حديد لا يمكن الناس اليوم عملُ مثلها ، فنصبها عليها ، فلم تزلْ عليها إلى أن بنى الحجاج واسطاً ، وخربت تلك المدينة ، فنقل الحجاجُ أبوابها فصيّرها على مدينته بواسط ، فلمّا بنى أبو جعفر المدينة أخذ تلك الأبواب فنصبها على المدينة ؛ فهى عليها إلى اليوم . وللمدينة ثمانية أبواب : أربعة داخلة وأربعة خارجة ؛ فصار على الداخلة أربعة أبواب من هذه الخمسة ، وعلى باب القصر الخارج الخامس منها ، وصيّر على باب خراسان الخارج باباً جىء به من الشأم من عمل الفراعنة ، وصيرّ على باب الكوفة الخارج باباً جِىء به من الكوفة ، كان عمله خالد بن عبد الله القسرىّ ، وأمر باتّخاذ باب لباب الشأم ، فعُمل ببغداد ، فهو أضعف الأبواب كلها . وبنِيت المدينة مدوّرة لئلا يكون الملك إذا نزل وسطَها إلى موضع منها أقرب منه إلى موضع ، وجعل أبوابها أربعة ؛ على تدبير العساكر فى الحروب ، وعمِل لها سوريْن ، فالسور الداخل أطول من السور الخارج ،

---

(١) ب : « فاجعل » . (٢) ج : « فيبقى » .

وبنى قصره فى وسطها، والمسجد الجامع حول القصر .

٣٢٢/٣ وذُكِر أنّ الحجاج بن أرطاة هو الذى خطّ مسجد جامعها بأمر أبى جعفر ، ووضع أساسه . وقيل إن قبلتَها على غير صواب وإنّ المصلّى فيه يحتاج أن ينحرف إلى باب البصرة قليلا ، وإن قبلة مسجد الرُّصافة أصوب من قبلة مسجد المدينة ؛ لأنّ مسجد المدينة بنى على القصر ، ومسجد الرّصافة بُنى قبل القصر وبُنى القصر عليه ؛ فلذلك صار كذلك .

وذكر يحيى بن عبد الخالق أنّ أباه حدّثه أن أبا جعفر ولّى كلّ ربع من المدينة قائداً يتولى الاستحثاث على الفراغ من بناء ذلك الرُّبع .

وذكر هارون بن زياد بن خالد بن الصلت ، قال : أخبرنى أبى ، قال : ولّى المنصور خالد بن الصلت النفقة على رُبع من أرباع المدينة وهى تبنى . قال خالد : فلما فرغتُ من بناء ذلك الرُّبع رفعت إليه جماعة النفقة عليه ، فحسبها بيده ،فبقى علىّ خمسة عشر درهمًا ، فحبسنى بها فى حبس الشرقية أيامًا حتى أدّيتُها ، وكان اللبِن الذى صُنع لبناء المدينة اللبِنة منها ذراعٌ فى ذراع .

وذكِر عن بعضهم أنه هدم من السور الذى يلِى باب المحوّل قطعة فوجد فيها لِبنة مكتوبًا عليها بمُغْرة وزنها مائة وسبعة عشر رطلاً . قال: فوزنّاها فوجدناها على ما كان مكتوبًا عليها من الوزن . وكانت مقاصير جماعة من قوّاد أبى جعفر وكتابه تشرع أبوابها إلى رَحَبة المسجد .

وذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق؛ خال الفضل بن الربيع ،أنّ عيسى بن علىّ شكا إلى أبى جعفر ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن المشى يشقّ

٣٢٣/٣ علىّ من باب الرّحبة إلى القصر ، وقد ضعفت . قال: فتحمّل فى محفّة ، قال : إنى أستحيى من الناس ، قال : وهل بقى أحدٌ يستحيىَا منه ! قال : يا أمير المؤمنين ، فأنزلنى منزلة راوية من الروايا ، قال : وهل يدخل المدينة راوية أو راكب ؟ قال : فأمر الناس بتحويل أبوابهم إلى فُصْلان الطاقات ؛ فكان لا يدخل الرّحبة أحد إلاّ ماشيًا . قال: ولمّا أمر المنصور بسدّ الأبواب ممّا يلى الرحبة وفتحها إلى الفُصْلان صيرت الأسواق فى طاقات المدينة الأربع ،

فى كلّ واحد سوق ، فلم تزل على ذلك مدّة حتى قدم عليه بِطْريق من بطارقة الرُّوم وافداً ، فأمر الرّبيعَ أن يطوف به فى المدينة وما حولها ليرى العمران والبناء ، فطاف به الرّبيع ، فلمّا انصرف قال : كيف رأيتَ مدينتى — وقد كان أصعد إلى سور المدينة وقباب الأبواب ؟ قال : رأيتُ بناء حسناً ؛ إلاّ أنى قد رأيتُ أعداءك معك فى مدينتك[1] ، قال : ومَنْ هم ؟ قال : السوقة ، قال : فأضبّ عليها أبو جعفر ، فلما انصرف البِطريق أمر بإخراج السوق من المدينة ، وتقدّم إلى إبراهيم بن حُبيش الكوفىّ ، وضمّ إليه جوّاس بن المسيَّب اليمانىّ مولاه ، وأمرهما أن يبنيا الأسواق ناحية الكرخ ، ويجعلاها صفوفًا وبيوتًا لكل صنف ؛ وأن يدفعاها إلى الناس . فلما فعلا ذلك حوّل السوق من المدينة إليها ، ووضع عليهم الغلة على قدر الذَّرْع[2] ؛ فلما كثر الناس بنوْا فى مواضع من الأسواق لم يكن[3] رغب فى البناء فيها إبراهيم بن حبيش وجوّاس ، لأنها لم تكن على تقديم الصُّفوف من أموالهم ؛ فألزِموا من الغلة أقلّ مما ألزِم الذين نزلوا فى بناء السلطان . ٣ / ٣٢٤

وذكر بعضهم أن السبب فى نقل أبى جعفر التجار من المدينة إلى الكَرْخ وما قرب منها مما هو خارج المدينة ، أنه قيل لأبى جعفر : إنّ الغرباء وغيرهم يبيتون فيها ، ولا يؤمن أن يكون فيهم جَواسيس ، ومَنْ يتعرّف الأخبار ؛ أو أن يفتح أبواب المدينة ليلاً لموضع السوق ، فأمر بإخراج السوق من المدينة وجعلها للشُّرَط والحرَس ، وبنى للتجار بباب طاق الحرّانىّ وباب الشأم والكرخ .

وُذكِر عن الفضل بن سليمان الهاشمىّ ، عن أبيه ، أنّ سبب نقله الأسواق مِن مدينة السلام ومدينة الشرقيّة إلى باب الكَرْخ وباب الشعير وباب المحوّل ؛ أنّ رجلاً كان يقال له أبو زكرياء يحيى بن عبد الله ، ولاّه المنصور حِسْبة بغداد والأسواق سنة سبع وخمسين ومائة ، والسوق فى المدينة ؛ وكان المنصور يتتبع مَنْ خرج مع محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن حسن ، وقد كان لهذا المحتسب معهم سبب ، فجمع على المنصور جماعة استغواهم من السفلة ، فشغَبوا واجتمعوا ، فأرسل المنصور إليهم أبا العباس الطوسىّ فسكّنهم ، وأخذ

---

(١) ب : « بيتك » . (٢) ج : « الذراع » (٣) ج : « ولم يكن ».

أبا زكرياء فحبسه عنده ، فأمره أبو جعفر بقتله ، فقتله بيده حاجبٌ كان لأبى العباس الطوسىّ يقال له موسى ، على باب الذهب فى الرّحبة بأمر المنصور ، وأمر أبو جعفر بهدم ما شَخَص من الدُّور فى طريق المدينة ، ووضع الطريق على مقدار أربعين ذراعاً ، وهدم ما زادعلىذلك المقدار ، وأمر بنقل الأسواق إلى الكرْخ .

٣/٣٢٥ وذكر عن أبى جعفر أنه لما أمر بإخراج التجار من المدينة إلى الكَرْخ كلمه أبان بن صَدَقة فى بقّال ، لفأجابه إليه على ألاّ يبيع إلا الخلّ والبقْل وحده ، ثم أمر أن يجعل فى كلّ رُبع بقّال واحد على ذلك المثال .

وذكر عن علىّ بن محمد أن الفضل بن الربيع ، حدّثه أن المنصور لما فرغ من بناء قصره بالمدينة ، دخله فطاف فيه ، واستحسنه واستنظفه ، وأعجبه ما رأى فيه ؛ غير أنه استكثر ما أنفق عليه . قال : ونظر إلى موضع فيه استحسنه جدًّا ، فقال لى : اخرج إلى الرَّبيع فقل له : اخرج إلى المسيّب ، فقل له : يحضرنى الساعه بنّاء فارهًا . قال : فخرجتُ إلى المسيّب فأخبرته ، فبعث إلى رئيس البنائين فدَعاه ، فأدخله على أبى جعفر ؛ فلمّا وقف بين يديه قال له : كيف عملت لأصحابنا فى هذا القصر ؟ وكم أخذت من الأجرة لكل ألف آجُرَّة ولبِنة ؟ فبقى البنّاء لا يقدر على أن يرُدّ عليه شيئًا ، فخافه المسيّب ، فقال له المنصور : مالك لا تكلّمُ ! فقال : لا علم لى يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك ! قل وأنت آمن مِنْ كلّ ما تخافه . قال : يا أميرَ المؤمنين ، لا والله ما أقف عليه ولا أعلمه . قال : فأخذ بيده ، وقال له : تعال ، لاعلّمك الله خيراً ! وأدخله الحجرة التى استحسنها ، فأراه مجلساً كان فيها ، فقال له : انظر إلى هذا المجلس وابْنِ لى بإزائه طاقًا يكون شبيهًا بالبيت ، لا تدخل فيه خشبًا ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فأقبل البنّاءُ وكل مَنْ معه يتعجّبون من فهمه بالبناء والهندسة ، فقال له البنّاء : ما أحْسِنُ أن أجىء به على

٣/٣٢٦ هذا ، ولا أقوم به على الذى تريد ! فقال له : فأنا أعينك عليه ، قال : فأمر بالآجرّ والجِص ، فجىء به ، ثم أقبل يحصى جميع ما دخل فى بناء الطاق من الآجُرّ والجص ؛ ولم يزل كذلك حتى فرغ منه فى يومه وبعض اليوم الثانى ،

فدعا بالمسيّب ، فقال له : ادفع إليه أجْره على حسب ما عمل معك[١] ، قال : فحاسبه المسيّب ، فأصابه خمسة دراهم ؛ فاستكثر ذلك المنصور ، وقال : لا أرضى بذلك ؛ فلم يزل به حتى نقصه دِرْهمًا ، ثم أخذ المقادير ، ونظر مقدار الطاق من الحجرة حتى عرفه ، ثم أخذ الوكلاء والمسيّب بُحملان[٢] النفقات ، وأخذ معه الأمناء من البنائين والمهندسين حتى عرّفوه قيمة ذلك ؛ فلم يزل يحسبه شيئًا شيئًا ، وحملهم على ما رفع فى أجرة بناء الطاق ؛ فخرج على المسيّب مما فى يده ستة آلاف درهم ونيّف ، فأخذه بها واعتقله ، فما برح من القصر حتى أدّاها إليه .

وذكر عن عيسى بن المنصور أنه قال : وجدتُ فى خزائن أبى المنصور فى الكتب ، أنه أنفق على مدينة السلام وجامعها وقصر الذهب بها والأسواق والفُصلان والخنادق وقبابها وأبوابها أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهمًا ، ومبلغها من الفلوس مائة ألف ألف فَلْس وثلاثة وعشرون ألف فَلْس ؛ وذلك أن الأستاذ من البنّائين كان يعمل يومه بقيراط فِضّة ، والروزكارى بحبّتين إلى ثلاث حبّات .

* * *

[ذكر الخبر عن عزل سلم بن قتيبة عن البصرة] ٣٢٧/٣

وفى هذه السنة عزل المنصور عن البصرة سلم بن قتيبة ، وولّاها محمد بن سليمان بن علىّ .

ذكر الخبر عن سبب عزله إياه :

ذكر عبد الملك بن شيبان أنّ يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن الهاشمىّ ، قال : كتب أبو جعفر إلى سلْم بن قتيبة لما ولاه البصرة : أما بعد ، فاهدم دور مَنْ خرج مع إبراهيم ، واعقِر نخلَهم . فكتب إليه سلم : بأىّ ذلك أبدأ ؟ أبالدّور أم بالنخل ؟ فكتب إليه أبو جعفر : أما بعد ، فقد كتبتُ إليك آمرك بإفساد تَمْرهم ، فكتبتَ تستأذننى فى أيّهِ تبدأ به بالبَرْنىّ

(١) ج : « لك » .
(٢) ج : « بحساب » .

أم بالشهريز[١] ! وعزله وولّى محمد بن سليمان ، فقدم فعاث .

وذكر عن يونس بن نجدة ، قال : قدم علينا سَلْم بن قتيبة أميراً بعد الهزيمة وعلى شُرطه أبو برقة يزيد بن سلْم ، فأقام بها سلْم أشهراً خمسة ، ثم عزِل ، ووُلّيَ علينا محمد بن سليمان .

قال عبد الملك بن شيبان : هدم محمد بن سليمان لما قدم دار يعقوب بن الفضل ، ودار أبي مَرْوان في بني يشكُر ، ودار عوْن بن مالك ، ودار عبد الواحد ابن زياد ، ودار الخليل بن الحُصين في بني عديّ ، ودار عفو الله بن سفيان ؛ وعَقَر نخلهم .

• • •

وغزا الصّائفة في هذه السنة جعفر بن حنظلة البهرانيّ .

وفي هذه السنة عُزِل عن المدينة عبد الله بن الربيع ، ووُلّيَ مكانه جعفر ابن سليمان ، فقدمها في شهر ربيع الأول

وعزِل أيضًا في هذه السنة عن مكة السريّ بن عبد الله ، ووليها عبدُ الصمد ابن عليّ . ٣/٣٢٨

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، كذلك قال محمد بن عمر وغيره .

تم الجزء السابع من تاريخ الطبري

ويليه الجزء الثامن ، وأوله : ذكر حوادث سنة سبع وأربعين ومائة

(١) البرني : ضرب من التمر أصفر ، مدور ؛ وهو أجود التمر ، واحده برنية . والشهريز : ضرب من التمر أيضاً ، فارسي معرب ، ذكره صاحب المعرب ، ولم يذكر وصفه .

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة

ذكر الإخبار عن الأحداث التى كانت فيها

فمما كان فيها من ذلك إغارة إسترخان الخوارزمىّ فى جمْع من الترك على المسلمين بناحية إرمينيَة وسبيُه من المسلمين وأهلِ الذّمّة خلقًا كثيراً ، ودخولُهم تفليس ، وقتلهم حرب بن عبد الله الراوندىّ الذى تنسب إليه الحربية ببغداد . وكان حربٌ هذا — فيما ذُكِر — مقيماً بالموصل فى ألفين من الجُنْد ، لمكان الخوارج الذين بالجزيرة . وكان أبو جعفر حين بلغه تحزّب[1] الترك فيما هناك وجّه إليهم لحربهم جبرئيل بن يحيى ، وكتب إلى حرب يأمره بالمسير معه ؛ فسار معه حرْب ، فقتِل حرْب وهُزِم جبرئيل ، وأصيب من المسلمين من ذكرت .

* * *

[ذكر الخبر عن مهلك عبد الله بن علىّ بن عباس]

وفى هذه السنة كان مهلك عبد الله بن علىّ بن عباس . واختلفوا فى سبب هلاكه ، فقال بعضهم ما ذكره علىّ بن محمد النّوفلىّ عن أبيه أن أبا جعفر حجّ سنة سبع وأربعين ومائة بعد تقدمته[2] المهدىّ على عيسى بن موسى بأشهر ، وقد كان عزل عيسى بن موسى عن الكوفة وأرضها ، وولّى مكانه محمد بن سليمان ابن علىّ ، وأوفده إلى مدينة السلام ، فدعا به ، فدفع إليه عبد الله بن علىّ سرًّا فى جوف الليل ، ثم قال له : يا عيسى ؛ إنّ هذا أراد[3] أن يزيل النعمة عنى وعنك ، وأنت ولىّ عهدى بعد المهدىّ ، والخلافة صائرة إليك ؛ فخذه إليك فاضرب عنقه ، وإياك أن تخور[4] أو تضعف ، فتنقض علىّ أمرى الذى دبّرتُ .

٣٢٩/٣

(١) ج : « تحرك » .
(٢) ج : « تقدمه » .
(٣) ج : « يريد » .
(٤) ج : « تحور » .

ثم مضى لوجهه ، وكتب إليه من طريقه ثلاثَ مرات يسأله : ما فعل فى الأمر الذى أوعز إليه فيه ؟ فكتب إليه : قد أنفذتُ ما أمرت به ؛ فلم يشكّ أبو جعفر فى أنه قد فعل ما أمره به ، وأنه قد قتل عبد الله بن علىّ ؛ وكان عيسى حين دفعه إليه ستره[1] ؛ ودعا كاتبه يونس بن فَرْوَة ، فقال له : إنّ هذا الرجل دفع إلىّ عمَّه ، وأمرنى فيه بكذا وكذا . فقال له : أراد أن يقتلك ويقتله ، أمرك بقتله سرًّا ، ثم يدّعيه عليك علانية ثم يُقِيدك به . قال : فما الرأى ؟ قال : الرأى أن تستره فى منزلك ، فلا تطلِعْ على أمره أحداً ، فإن طلبه منك علانيةً دفعتَه إليه علانية ، ولا تدفعْه إليه سرًّا أبداً ؛ فإنه وإن كان أسرّه إليك ؛ فإن أمره سيظهر . ففعل ذلك عيسى .

وقدم المنصور ودسّ إلى عُمومته مَنْ يحرّكهم على مسألته هبةَ عبد الله بن علىّ لهم ، ويطمعهم فى أنه سيفعل . فجاءوا إليه وكلموه ورقّقوه ، وذكروا له الرّحِم ، وأظهروا له رِقة ، فقال : نعم ، علىّ بعيسى بن موسى ؛ فأتاه فقال له : يا عيسى ؛ قد علمتَ أنى دفعت إليك عمّى وعمك عبد الله بن علىّ قبل خروجى إلى الحجّ ، وأمرتُك أن يكون فى منزلك ، قال : قد فعلتُ ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : فقد كلمنى عمومتك فيه ، فرأيتُ[2] الصّفح عنه وتخليةَ سبيله ؛ فأتنا به . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ألم تأمرنى بقتله فقتلته ! قال : ما أمرتُك بقتله ، إنما أمرتك بحبسه فى منزلك . قال : قد أمرتَنى بقتله ، قال له المنصور : كذبت ، ما أمرتك بقتله . ثم قال لعمومته : إنّ هذا قد أقرّ لكم بقتْل أخيكم ، وادّعى أنى أمرته بذلك ، وقد كذَب ، قالوا : فادفعه إلينا نقتله به ، قال : شأنكم به ، فأخرجوه إلى الرَّحَبة ، واجتمع الناس ، وشُهر الأمر ، فقام أحدهم فشهر سيفه ، وتقدّم إلى عيسى ليضربه ، فقال له عيسى : أفاعل أنت ؟ قال : إى والله ، قال : لا تعجلوا ، ردُّونى إلى أمير المؤمنين ، فردّوه إليه ، فقال : إنما أردتَ بقتله أن تقتلَنى ؛ هذا عمُّك حىٌّ سوِىٌّ ، إن أمرتَنى بدفعه إليك دفعتُه . قال : ائتنا به ، فأتاه به ، فقال له عيسى : دبَّرتَ علىّ أمراً فخشيتُه ، فكان كما خشيت ؛ شأنَك وعمَّك . قال : يدخل حتى

٣/٣٢٠

(١) ج : « سيره » . (٢) ب : « وقد رأيت » .

أرى رأيى. ثم انصرفوا، ثم أمر به فجُعل فى بيت أساسه مِلْح، وأجرى فى أساسه الماء، فسقط عليه فمات؛ فكان من أمره ما كان. وتوفِّى عبد الله بن علىّ فى هذه السنة ودفن فى مقابر باب الشأم؛ فكان أول من دفن فيها.

وذُكِر عن إبراهيم بن عيسى بن المنصور بن بُرَيْه أنه قال: كانت وفاة عبد الله بن علىّ فى الحبس سنة سبع وأربعين ومائة، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة. ٣٢١/٣

قال إبراهيم بن عيسى: لما توفِّى عبد الله بن علىّ ركب المنصور يومًا ومعه عبد الله بن عيّاش، فقال له وهو يجاريه: أتعرف ثلاثة خلفاء، أسماؤهم على العين مبدؤها، قتلوا ثلاثة خوارجَ مبدأ أسمائهم العين؟ قال: لا أعرف إلا ما تقول العامّة، إنّ عليًّا قتل عثمان -وكذبوا- وعبد الملك بن مروان قتل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وعبد الله بن الزبير وعمرو بن سعيد وعبد الله بن علىّ سقط عليه البيت، فقال له المنصور: فسقط على عبد الله بن علىّ البيت، فأنا ما ذنبى؟ قال: ما قلت إنّ لك ذنبًا.

* * *

[ذكر خبر البيعة للمهدىّ وخلع عيسى بن موسى]

وفى هذه السنة خلع المنصور عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدىّ، وجعله ولىّ عهد من بعده. وقال بعضهم: ثم مِنْ بعده عيسى بن موسى.

* ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه وكيف كان الأمر فى ذلك:

اختُلف فى الذى وصل به أبو جعفر إلى خلعه، فقال بعضهم: السبب الذى وصل به أبو جعفر إلى ذلك هو أن أبا جعفر أقرّ عيسى بن موسى بعد وفاة أبى العباس على ما كان أبو العباس ولّاه من ولاية الكوفة وسوادها، وكان له مكرِما مجلًّا، وكان إذا دخل عليه[1] أجلسه عن يمينه، وأجلس المهدىّ عن يساره؛ فكان ذلك فعله به؛ حتى عزم المنصور على تقديم المهدىّ فى الخلافة عليه. وكان أبو العباس جعل الأمر من بعده لأبى جعفر، ثم من بعد ٣٢٢/٣

(١) ب، ه: «إليه».

أبى جعفر لعيسى بن موسى ؛ فلما عزم المنصور على ذلك كلّم عيسى بن موسى فى تقديم ابنه عليه برفيق من الكلام ، فقال عيسى : يا أمير المؤمنين ؛ فكيف بالأيمان والمواثيق التى علىّ وعلى المسلمين لى من العتق والطلاق وغير ذلك من مؤكد الأيمان ! ليس إلى ذلك سبيل يا أمير المؤمنين . فلما رأى أبو جعفر امتناعَه ، تغيّر لونُه وباعده بعض المباعدة ، وأمر بالإذن للمهدىّ قبله ؛ فكان يدخل فيجلس عن يمين المنصور فى مجلس عيسى ؛ ثم يؤذَن لعيسى فيدخل فيجلس دون مجلس المهدىّ عن يمين المنصور أيضًا ، ولا يجلس عن يساره فى المجلس الذى كان يجلس فيه المهدىّ ، فيغتاظ من ذلك المنصور ، ويبلغ منه ، فيأمر بالإذن للمهدىّ ثم يأمر بعده بالإذن لعيسى بن علىّ ، فيلبث هنيهة ، ثم عبد الصمد بن علىّ ، ثم يلبث هنيهة، ثم عيسى بن موسى . فإذا كان بعد ذلك قدّم فى الإذن للمهدىّ على كل حال ، ثم يخلط فى الآخرين ، فيقدِّم بعض مَنْ أخّر ويؤخر بعض مَنْ قدّم ويُوهم عيسى ابن موسى أنه إنما يبدأ بهم لحاجة تعرِض ولمذاكرتهم بالشىء[1] من أمره ؛ ثم يؤذن لعيسى بن موسى من بعدهم ؛ وهو فى ذلك كله صامت لا يشكو منه شيئًا ، ولا يستعتب[2] . ثم صار إلى أغلظ من ذلك ؛ فكان يكون فى المجلس معه بعض ولده ، فيسمع الحفْر فى أصل الحائط فيخاف أن يخرّ عليه الحائط ، وينتثر عليه التراب ، وينظر إلى الخشبة من سقف المجلس قد حُفر عن أحد طرفيها لتقلع فيسقط التراب على قلنسوته وثيابه ، فيأمر مَنْ معه من ولده بالتحويل ،ويقوم هو فيصلّى، ثم يأتيه الإذن فيقوم فيدخل بهيئته والتراب عليه لا ينفضه ؛ فإذا رآه المنصور قال له : يا عيسى ، ما يدخل علىّ أحد بمثل[3] هيئتك من كثرة الغبار عليك والتراب ! أفكلّ[4] هذا من الشارع ؟ فيقول : أحسب ذلك يا أمير المؤمنين؛ وإنما يكلمه المنصور بذاك ليستطعمه[5] أن يشكوَ إليه شيئًا فلا يشكو ؛ وكان المنصور قد أرسل إليه فى الأمر الذى

٣/٢٣٣

(١) ج : « الشىء » . (٢) ج : « يستغيث » . (٣) ج « مثل » .
(٤) ج ، ه : « فكل » . (٥) ج : ، ه « يستطعمه » .

أراد منه عيسى بن علىّ ، فكان عيسى بن موسى لا يحمَد منه مدخلَه فيه ؛ كأنه كان يغرِى به . فقيل : إنه دسّ لعيسى بن موسى بعض ما يتلفه ؛ فنهض من المجلس ، فقال له المنصور : إلى أين يا أبا موسى ؟ قال : أجد غمزاً يا أمير المؤمنين ، قال : فى الدار إذاً ! قال : الذى أجده أشدّ مما أقيم معه فى الدار ، قال : فإلى أين ؟ قال : إلى المنزل ؛ ونهض فصار إلى حرّاقته ، ونهض المنصور فى أثره إلى الحرّاقة متفزّعًا له ، فاستأذنه عيسى فى المسير إلى الكوفة ، فقال : بل تقيم فتعالج ها هنا ، فأبى وألحّ عليه ، فأذن له . وكان الذى جرّأه على ذلك طبيبه بختيشوع أبو جبرئيل ، قال : إنى والله ما أجترئ على معالجتك بالحضْرة ، وما آمن على نفسى . فأذن له المنصور ، وقال له : أنا على الحجّ فى سنتى هذه ، فأنا مقيم عليك بالكوفة حتى تفيق إن شاء الله .

٣٢٤/٣ وتقارب وقتُ الحجّ ، فشخص المنصور حتى صار بظهر الكوفة فى موضع يدعَى الرّصافة ، فأقام بها أيامًا ، فأجرى هناك الخيل ، وعاد عيسى غير مرّة ، ثم رجع إلى مدينة السلام ولم يحجّ ، واعتلّ بقلة الماء فى الطريق . وبلغت العلّة من عيسى بن موسى كلّ مبلغ ؛ حتى تمعّط شعرُه ، ثم أفاق من علّته تلك ، فقال فيه يحيى بن زياد بن أبى حزابة البُرْجُمىّ أبو زياد :

أفلَتَ من شَرْبَة الطبيب كما ... أفلَت ظَبْىُ الصَّريم من قُتَرِهْ

من قانصٍ يُنْفِذُ الفَريصَ إذا ... ركَّبَ سَهْمَ الحُتُوف فى وتَرِهْ

دافَعَ عنك المَليك صَوْلَةَ لَيـ ... ـثٍ يُريدُ الأُسْدَ فى ذرَى خَمَرِهْ(١)

حتى أتانا وفيه داخِلةٌ ... تُعرفُ فى سمعِهِ وفى بَصَرِهْ

أزْعَر قد طارَ عن مفارِقِهِ ... وحْفُ أثيثِ النَّباتِ من شَعَرِهْ

وُذكر أنّ عيسى بن علىّ كان يقول للمنصور : إنّ عيسى بن موسى إنما يمتنع من البيعة للمهدىّ لأنه يربّص هذا الأمر لابنه موسى ، فموسى

---

(١) ج : « دافع عنه » .

الذى يمنعه . فقال المنصور لعيسى بن علىّ : كلّم موسى بن عيسى وخوّفه على أبيه وعلى ابنه ؛ فكلّم عيسى بن علىّ موسى فى ذلك ، فأيأسه ، فتهدده وحذّره غضب المنصور . فلما وجل موسى وأشفق وخاف أن يقع به المكروه ، ٣٣٥/٣
أتى العباس بن محمد ، فقال : أىْ عمّ ، إنى مكلّمك بكلام ، لا والله ما سمعه منى أحدٌ قطّ ، ولا يسمعه أحد[١] أبداً ؛ وإنما أخرجه منى إليك موضعُ الثقة بك والطمأنينة إليك ؛ وهو أمانة عندك ؛ فإنما هى نفسى أنثلها[٢] فى يدك . قال : قل يابنَ أخى ؛ فلك عندى ما تحبّه ، قال : أرى ما يُسام أبى من إخراج هذا الأمر من عنقه وتصييره للمهدىّ ؛ فهو يؤذَى بصنوف الأذى والمكروه ، فيُتهدّد مرة ويؤخَّر إذنه مرّة ، وتُهدّم عليه الحيطان مرّة ، وتدسّ إليه الحتوف مرّة . فأبى لا يعطى على هذا شيئًا ؛ لا يكون ذلك أبداً ؛ ولكنّ هاهنا وجهًا ، فلعله يعطى عليه إن أعطى وإلاّ فلا ، قال : فما هو يابن أخى؟ فإنك قد أصبت ووفّقت[٣] ، قال : يقبل عليه أمير المؤمنين وأنا شاهد فيقول له : يا عيسى ، إنى أعلم أنك لستَ تضنّ بهذا الأمر على المهدىّ لنفسك ؛ لتعالِى سنّك وقرب أجلِك ؛ فإنك تعلم أنه لا مدّة لك تطول فيه ؛ وإنما تضنّ به لمكان ابنك موسى ؛ أفترانى أدَعُ ابنَك يبقى بعدك ويبقى ابنى معه فيلى عليه ! كلاّ والله لا يكون ذلك أبداً ؛ ولأثبنّ[٤] على ابنك وأنت تنظر حتى تيأس منه ، وآمن أن يلِىَ على ابنى . أترى ابنك آثر عندى من ابنى ! ثم يأمر بى ؛ فإما خنِقت وإما شُهر علىّ سيف . فإن أجاب إلى شىء فعسى أن يفعل بهذا السبب ؛ فأما بغيره فلا . فقال العباس : جزَاك الله يابن أخى خيراً ، ٣٣٦/٣
فقد فديت أباك بنفسك ، وآثرت بقاءه على حظك ، نعم الرأى رأيت ، ونعم المسلك سلكت !

ثم أتى أبا جعفر فأخبره الخبر ، فجزَى المنصور موسى خيراً ؛ وقال : قد أحسن وأجمل ، وسأفعل ما أشار به إن شاء الله ، فلما اجتمعوا وعيسى ابن علىّ حاضر ، أقبل المنصور على عيسى بن موسى ، فقال : يا عيسى ؛ إنى

---

(١) ج : « ولا أسمعه أحداً » . (٢) ج : « أبلها » .
(٣) كذا فى ب هـ ، وهو الصواب ، وفى ط : « ورقفت » ، وفى ج : « ورفقت » .
(٤) ب : « لأبثن » .

لا أجهل مذهبك الذى تضمره ، ولا مداك الذى تجرِى إليه فى الأمر الذى سألتك ؛ إنما تريد هذا الأمر لابنك هذا المشئوم عليك وعلى نفسه ؛ فقال عيسى بن علىّ : يا أميرَ المؤمنين ، غمزنى البوْل ، قال : فندعو[1] لك بإناء تبول فيه ، قال : أفى مجلسك يا أمير المؤمنين! ذاك ما لا يكون ، ولكن أقرب البلاليع منى أدلّ عليها[2] فآتيها . فأمر من يدلّه ، فانطلق . فقال عيسى ابن موسى لابنه موسى : قمْ مع عمك ، فاجمع عليه ثيابه من ورائه ، وأعطه منديلا إن كان معك ينشّف به ، فلما جلس عيسى يبولُ جمع موسى عليه ثيابَه من ورائه وهو لا يراه ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقال : موسى بن عيسى ، فقال : بأبى أنت وبأبى أبٌ ولدك ! والله إنى لأعلم أنه لا خير فى هذا الأمر بعدكما ، وإنكما لأحقّ به ؛ ولكن المرء مغرًى بما تعجّل، فقال موسى فى نفسه : أمكننى والله هذا من مقاتله ؛ وهو الذى يغرى بأبى ، والله لأقتلنّه بما قال لى ، ثم لا أبالى أن يقتلنى أمير المؤمنين بعده ، بل يكون فى قتله عزاء لأبى وسلوّ عنى إن قتلت . فلما رجعا إلى موضعهما قال موسى : يا أميرَ المؤمنين ، أذكر لأبى أمراً ؟ فسرّه ذلك ، وظنّ أنه يريد أن يذاكره بعض أمرهم ، فقال : قم ، فقام إليه ، فقال : يا أبتِ[3] ؛ إن عيسى بن علىّ قد قتلك وإياىّ قتلات بما يُبلغ عنا ، وقد أمكننى من مقاتله ، قال : وكيف ؟ قال : قال لى كيت وكيت، فأخبرُ أمير المؤمنين فيقتله ؛ فتكون قد شفيت نفسك وقتلته قبل أن يقتلك وإياى ثم لا نبالى ما كان بعدُ . فقال : أفٍّ لهذا رأيًا ومذهبًا ! ائتمنك عمُّك على مقالة أراد أن يسرّك بها ، فجعلتَها سببًا لمكروهه وتلفه ! لايسمعنّ هذا منك أحد، وعُدْ إلى مجلسك . فقام فعاد ، وانتظر أبو جعفر أن يرى لقيامه إلى أبيه وكلامه أثراً فلم يره ، فعاد إلى وعيده الأوّل وتهدده ، فقال : أما والله لأعجلنّ لك فيه ما يسوءك ويُؤيسك من بقائه بعدك، أيا ربيع ، قم إلى موسى فاخنقه بحمائله ، فقام الرّبيع فضمّ حمائله عليه ، فجعل يخنقه بها خنقًا رُويداً ، وموسى يصيح : اللهَ اللهَ يا أمير المؤمنين فىّ وفى دمى ! فإنى لبعيد مما تظنّ بى ، وما يبالى عيسى أن تقتلنى وله بضعة عشر نفراً ذكراً ــ

٣٣٧/٣

---

(١) ج : « فأدعو » . (٢) ب : « عليه » . (٣) ب : « يا أبه » .

كلهم عنده مثلى – أو يتقدمنى ؛ وهو يقول : أشدُد يا ربيع ، اثت على نفسه ، والرّبيع يوهم أنه يريد تلفَه ، وهو يراخِى خناقه ، وموسى يصيح ، فلما رأى ذلك عيسى قال : والله يا أميرَ المؤمنين ما ظننتُ أنّ الأمر يبلغ منك هذا كله فر بالكفّ عنه ؛ فإنى لم أكن لأرجع إلى أهلى ؛ وقد قتل بسبب هذا الأمر عبدٌ من عبيدى ، فكيف بابنى ! فها أنا أشهدك أنّ نسائى طوالق ومماليكى أحرار ، وما أملك فى سبيل الله ، تصرف ذلك فيمن رأيت يا أمير المؤمنين ؛ وهذه يدى بالبيعة للمهدىّ . فأخذ بيعته له على ما أحبّ ثم قال : يا أبا موسى ؛ إنك قد قضيتَ حاجتى هذه كارهًا ، ولى حاجة أحبّ أن تقضيَها طائعًا ؛ فتغسل بها ما فى نفسى من الحاجة الأولى ، قال : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : تجعل هذا الأمر من بعد المهدىّ لك ، قال : ما كنتُ لأدخل فيها بعد إذ خرجت منها. فلم يدَعْه هو ومَنْ حضره من أهل بيته حتى قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أنت أعلم . فقال بعض أهل الكوفة – ومرّ عليه عيسى فى موكبه : هذا هذا الذى كان غداً ، فصار بعد غدٍ .

٣/٢٣٨

وهذه القصة – فيما قيل – منسوبة إلى آل عيسى أنهم يقولونها .

* * *

وأما الذى يحكى عن غيرهم فى ذلك ؛ فهو أنّ المنصور أراد البَيْعة للمهدىّ ، فكلّم الجُنْد فى ذلك ، فكانوا إذا رأوْا عيسى راكبًا أسمعوه ما كرِه ، فشكا ذلك إلى المنصور ، فقال للجند : لا تؤذوا ابنَ أخى ؛ فإنه جِلْدة بين عينىّ ، ولو كنتُ تقدّمت إليكم لضربت أعناقكم ؛ فكانوا يكفّون ثم يعودون ؛ فمكث بذلك زمانًا ، ثم كتب إلى عيسى :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى عيسى بن موسى . سلامٌ عليك ؛ فإنّى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد ؛ فالحمد لله ذى المنّ القديم ، والفضل العظيم ، والبلاء الحسن الجميل ، الذى ابتدأ الخلق بعلمه ، وأنفذ القضاء بأمره ؛ فلا يبلغ مخلوقٌ كنهَ حقّه ، ولا ينال فى عظمته كُنْهَ ذكره ، يدبّر ما أراد من الأمور بقدْرته ، ويصدرها عن مشيئته ؛ لا قاضىَ فيها غيره ، ولا نفاذ لها إلا به ، يجريها على أذلالها ؛ لا يستأمر

٣/٢٣٩

فيها وزيراً[١] ، ولا يشاور فيها معيناً[٢] ، ولا يلتبس عليه شيء أراده ، يمضى قضاؤه فيما أحبّ العباد وكرهوا[٣] ؛ لا يستطيعون منه امتناعاً ، ولا عن أنفسهم دفاعاً ، ربّ الأرض ومَنْ عليها ، له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين .

ثم إنك قد علمتَ الحال التى كنا عليها فى ولاية الظلَمة ، كيف كانت قوّتنا وحيلتُنا ، لما اجترأ عليه أهل بيت اللعنة فيما أحببنا وكرهنا ، فصبرنا أنفسنا على ما دعونا إليه من تسليم الأمور إلى[٤] من أسندوها إليه ، واجتمع رأيُهم عليه ، نُسام الخسف ، ونوطأ بالعسْف ، لا ندفَع ظلماً ، ولا نمنع ضيماً[٥] ، ولا نعطى حقّاً ، ولا ننكر منكراً ، ولا نستطيع لها ولا لأنفسنا نفعاً ؛ حتى إذا بلغ الكتابُ أجلَه ، وانتهى الأمر إلى مدّته ، وأذن الله فى هلاك[٦] عدوه ، وارتاح بالرّحمة لأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فابتعث الله لهم أنصاراً يطلبون بثأرهم ، ويجاهدون عَدُوّهم ، ويدعون إلى حبّهم ، وينصرون دولتَهم ؛ من أرضين متفرّقة ، وأسباب مختلفة ، وأهواء مؤتلفة ، فجمعهم الله على طاعتنا ، وألّف بين قلوبهم بمودّتنا على نصرتنا ، وأعزّهم بنصرنا ، لم نلق منهم رجلاً ، ولم نشهر معهم إلا ما قذف الله فى قلوبهم ؛ حتى ابتعثهم لنا من بلادهم ، ببصائر نافذة ، وطاعة خالصة ، يلقوْن الظفَر ، ويعودون[٧] بالنصر ، وينصَرون بالرّعب ، لا يلقون أحداً إلا هزَموه ، ولا واتراً[٨] إلا قتلوه ؛ حتى بلغ الله بنا[٩] بذلك أقصى مدانا وغاية منانا ومنتهى آمالنا وإظهار حقنا ، وإهلاك[١٠] عدّونا ؛ كرامةً من الله جلّ وعزّ لنا ، وفضلاً[١١] منه علينا ، بغير حوْل منا ولا قوّة ، ثم لم نَزلْ من ذلك[١٢] فى نعمة الله وفضلِه علينا ، حتى نشأ[١٣] هذا الغلام ، فقذف الله له فى قلوب أنصار الدّين[١٤] الذين ابتعثهم لنا مثل ابتدائه لنا أوّل أمرنا ، وأشرب قلوبهم مودّتَه ، وقسم فى صدورهم محبّته ، فصاروا

٣/٢٤٠

(١) ج : « خلقه » .
(٢) ج : « أحداً فى أمره » .
(٣) ج : « أو كرهوا » .
(٤) ج : « الالمن » .
(٥) ج : « ظلما » .
(٦) ج : « إهلاك » .
(٧) ج : « يفوزون » .
(٨) ج : « وافداً » .
(٩) ب : « لنا » .
(١٠) ج : « وهلاك » .
(١١) ج : « من به » .
(١٢) ب : « من » .
(١٣) ج : « شب » .
(١٤) ب : « أصحاب الدين » .

لا يذكرون إلاّ فضله ، ولا ينوّهون إلا باسمه ، ولا يعرفون إلاّ حقه ، فلمّا رأى أمير المؤمنين ما قذف الله فى قلوبهم من مودّته ، وأجرى على ألسنتهم من ذكره ، ومعرفتهم إياه بعلاماته واسمه ، ودعاء العامة إلى طاعته ، أيقنتْ نفس أمير المؤمنين أنّ ذلك أمر تولاّه الله وصنَعه ؛ لم يكن للعباد فيه أمر ولا قدرة ، ولا مؤامرة ولا مذاكرة ؛ للّذى رأى أمير المؤمنين من اجتماع الكلمة ، وتتابع العامّة ؛ حتى ظن أمير المؤمنين أنه لولا معرفة المهدىّ بحق الأبوّة ، لأفضت الأمور إليه . وكان أمير المؤمنين لا يمنع مما اجتمعت عليه العامّة ، ولا يجد مناصًا[1] عن خلاص ما دعوا إليه ، وكان أشدّ الناس على أمير المؤمنين فى ذلك الأقرب فالأقرب من خاصّته وثقاته من حرسه وشرطه ؛ فلم يجد أمير المؤمنين بدًّا من استصلاحهم[2] ومتابعتهم ؛ وكان أمير المؤمنين وأهل بيته أحقّ مَنْ سارع إلى ذلك وحرص[3] عليه ، ورغب فيه وعرَف فضله ، ورجا بركتَه ، وصدق الرّواية فيه ، وحمد الله إذ جعل فى ذرّيته مثل ما سألت الأنبياء قبله ؛ إذ قال العبد الصالح : ﴿ فَهَبْ لى مِنْ لَدُنْكَ وَليًّا * يَرِثُنِى وَيرثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ واجعلْهُ ربِّ رَضيًّا ﴾[4] فوهب الله لأمير المؤمنين وليًّا ، ثم جعله تقيًّا مباركًا مهديًّا[5] ، وللنبىّ صلى الله عليه وسلم سميًّا ، وسلب مَن انتحل هذا الاسم ، ودعا إلى تلك الشبهة التى تحيّر فيها أهلُ تلك النية ، وافتتن بها أهلُ تلك الشقوة ، فانتزع ذلك منهم ، وجعل دائرة السوْء عليهم ، وأقرّ الحق قراره ، وأعلن للمهدىّ مناره ، وللدين أنصارَه ، فأحبّ أمير المؤمنين أن يعلمك الذى اجتمع عليه رأى رعيّتِه ؛ وكنتَ فى نفسه بمنزلة ولدِه ، يحبّ مَنْ سترك ورشدك وزينَك ما يحبّ لنفسه وولده ، ويرى لك[6] إذا بلغك مِنْ حال ابن عمّك ما تَرى من اجتماع الناس عليه أن يكون ابتداءُ ذلك من قِبَلك ، ليعلم أنصارنا من أهل خُراسان وغيرهم أنك أسرع[7] إلى ما أحبّوا ممّا عليه رأيُهم فى صلاحهم منهم إلى ذلك من أنفسهم ، وإنّ ما كان

٣٤١/٣

(١) ج : « ملاصا » .
(٢) ج : « استخلاصهم » .
(٣) ج : « وحرض » .
(٤) سورة مريم ٥ ، ٦ .
(٥) ب : « مهذباً » .
(٦) ب : «ذلك» .
(٧) بعدها فى ب : « الناس » .

عليه من فضل عرفوه للمهدىّ ، أو أمّلوه فيه ، كنتَ أحظَى الناس بذلك ، وأسرَّهم به لمكانه وقرابتِه ؛ فاقبل نُصح أمير المؤمنين لك ، تصلُح وترشد . والسلام عليك ورحمة الله .

فكتب إليه عيسى بن موسى جوابها :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين من عيسى بن موسى . سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ؛ فإنّى أحمَد إليك الله الذى لا إله إلا هو ؛ أما بعد فقد بلغنى كتابُك تذكر فيه ما أجمعتَ عليه من خلاف الحقّ وركوب الإثم فى قطيعة[1] الرّحِم ، ونقض ما أخذ الله عليه من الميثاق من العامة بالوفاء للخلافة والعهد لى من بعدك ، لتقطع بذلك ما وصل الله من حبْله ، وتفرّق بين ما ألّف الله جمعَه[2] ، وتجمع بين ما فرّق الله أمره ، مكابرةً[3] لله فى سمائه ، وحوْلاً على الله فى قضائه ، ومتابعة للشيطان فى هواه ؛ ومَنْ كابر الله صرَعه ، ومن نازعه قمعه ، ومن ماكره عن شىء خدعه ، ومَنْ توكل على الله منعه ، ومَنْ تواضع لله رفعه . إنّ الذى أُسِّس عليه البناء ، وخُطّ عليه الحذاء من الخليفة الماضى عهدٌ لى من الله ، وأمرٌ نحن فيه سواء ؛ ليس لأحد من المسلمين فيه رُخصة دون أحدٍ ؛ فإن وجب وفاء فيه فما الأوّل بأحقّ به من الآخر ، وإن حلّ من الآخر شىء فما حرِّم ذلك من الأوّل ؛ بل الأوّل الذى تلا خبره وعرف أثره ، وكشف عما ظن به وأمّل فيه أسرع ؛ وكان الحقّ أولَى بالذى أراد أن يصنع أوّلاً ، فلا يدعوك إلى الأمْن من البلاء اغترارٌ بالله ، وترخيص للناس فى ترك الوفاء ؛ فإن مَنْ أجابك إلى ترك شىء وجب لى واستحلّ ذلك منى ، لم يحْرج إذا أمكنته الفرصة وأفتنتْه الرّخصة أن يكون إلى مثل ذاك منك أسرع ، ويكون بالذى أسَّست من ذلك أبخع . فاقبل العاقبة وارض من الله بما صنع ، وخذ ما أوتيتَ بقوّة ، وكن من الشاكرين . فإن الله جلّ وعزّ زائدٌ[4] مَنْ شكره ، وعْداً منه حقًّا لا خُلفَ فيه[5] ؛ فمن راقب الله حفظَه ، ومن أضمر خِلافه خذَله ؛ والله يعلم خائنة الأعين وما

٣٤٢/٣

٣٤٣/٣

(١) ب : « وقطيعة » .
(٢) ب : « وجمعه » .
(٣) ج : « مكايدة » .
(٤) ط : « زائداً » ، وهو خطأ .
(٥) ج : « له » .

تخفى الصدور . ولسنا مع ذلك نأمن مِنْ حوادث الأمور وبَغَتَات[1] الموت قبل ما ابتدأت به من قطيعتى ؛ فإن تعجّل بى أمرٌ كنت قد كُفيت مؤونة ما اغتممت له ، وسترتَ قُبْحَ ما أردتَ إظهاره ؛ وإن بقيتُ بعدك لم تكن أوغرت صدرى ، وقطعت رحمِى ؛ ولا أظهرت أعدائى فى اتّباع أثرِك ، وقبول أدبك ، وعملٍ بمثالك[2] .

وذكرتَ أن الأمور كلها بيد الله ؛ هو مدّبرها ومقدّرها[3] ومصدّرها عن مشيئته ؛ فقد صدقْتَ ؛ إن الأمور بيد الله ، وقد حقّ على من عرَف ذلك ووصفه العملُ به والانتهاءُ إليه . واعلم أنّا لسنا جررنا إلى أنفسنا نفعاً ، ولا دفعنا[4] عنها ضرًّا ، ولا نلنا الذى عرفتَه[5] بحولنا ولا قوّتنا ؛ ولو وُكِلْنا فى ذلك إلى أنفسنا وأهوائنا لضعُفت قوّتنا ، وعجزت قدرتنا فى طلب ما بلغ الله بنا ؛ ولكن الله إذا أراد عزماً لإنفاذ أمره ، وإنجاز وعده ، وإتمام عهده ، وتأكيد عقْده ؛ أحكم إبرامَه ، وأبرم إحكامه ، ونوّر إعلانه[6] ، وثبّت أركانه ؛ حين أسس بُنيانه ؛ فلا يستطيع العباد تأخيرَ ما عجّل ، ولا تعجيل ما أخّر ؛ غير أن الشيطان عدوٌّ مُضلٌّ مُبين ؛ قد حذّر الله طاعتَه ، وبيّن عداوته ، ينزع بين ولاة الحقّ وأهل طاعته ، ليفرّق جمعهم ، ويشتّت شملهم[7] ، ويوقع العداوة والبغضاء بينهم ، ويتبرّأ منهم عند حقائق الأمور ، ومضايق البلايا ؛ وقد قال الله عز وجل فى كتابه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[8]. ووصف الذين اتقوا فقال : ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[9] ؛ فأعيذ[10] أمير المؤمنين بالله من أن يكون نيّته وضمير سريرته

٣/٣٤٤

(١) ج : « نقمات » .
(٢) ب : « وعمل مثالك » .
(٣) ج : « ومموردها » .
(٤) ب : « ندفع » ، ج : « رفعنا » .
(٥) ج : « نحن فيه » .
(٦) ج : « أعلامه » .
(٧) ج : « أمرهم » .
(٨) سورة الحج ٥٢
(٩) سورة الأعراف ٢٠١
(١٠) ب : « وأعيذ » .

خلاف ما زيّن الله به جلّ وعزّ مَنْ كان قبله ؛ فإنه قد سألتْهم أبناؤهم ، ونازعتهم أهواؤهم ، إلى مثل الذى همّ به أمير المؤمنين ؛ فآثروا الحقّ على ما سواه ، وعرفوا [١] أن الله لا غالب لقضائه ؛ ولا مانع لعطائه ؛ ولم يأمنوا مع ذلك تغيير النِّعم وتعجيلَ النِّقم ؛ فآثروا الآجلة ، وقبلوا العاقبة ، وكرهوا التغيير ، وخافوا التبديل ؛ فأظهروا الجميل ؛ فتمّم الله لهم أمورَهم، وكفاهم ما أهمّهم ، ومنع سلطانهم ، وأعزّ أنصارهم ، وكرّم أعوانهم ،وشرّف بنيانهم ؛ فتمّت النعم ، وتظاهرت المنن ، فاستوجبوا الشكر ، فتمّ أمر الله وهم كارهون . والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله .

فلما بلغ أبا جعفر المنصور كتابُه أمسك عنه ، وغضب غضباً شديداً ، وعاد الجند لأشدّ ما كانوا يصنعون ؛ منهم أسد بن المرزبان وعُقْبة بن سلْم ونصر بن حرب بن عبد الله ؛ فى جماعة ؛ فكانوا يأتون باب عيسى ، فيمنعون مَنْ يدخل إليه ؛ فإذا ركب مشوْا خلْفه[٢] وقالوا : أنت البقرة التى قال الله : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾[٣] ، فعاد فشكاهم، فقال له المنصور : يابن أخى ، أنا والله أخافهم عليك وعلى نفسى ؛ قد أشرِبوا حبَّ هذا الفتى ؛ فلو قدّمتَه بين يديك فيكون بينى وبينك لكفّوا . فأجاب عيسى إلى أن يفعل .

٣٤٥/٣

وذُكر عن إسحاق الموصلىّ ، عن الربيع ، أن المنصور لما رجع إليه من عند عيسى جواب كتابه الذى ذكرنا ، وقّع فى كتابه : « اسْلُ عنها تنلْ منها عِوَضاً فى الدنيا ، وتأمن تبعتَها فى الآخرة » .

وقد ذكر فى وجه[٤] خلع المنصورِ عيسى بن موسى قولٌ غير هذين القولين ؛ وذلك ما ذكره أبو محمد المعروف بالأسوارىّ بن عيسى الكاتب ، قال : أراد أبو جعفر أن يخلَع عيسى بن موسى مِنْ ولاية العهد ، ويقدّم المهدىّ عليه ، فأبى أن يجيبَه إلى ذلك ، وأعيا الأمرُ أبا جعفر فيه ؛ فبعث إلى خالد بن برْمك ، فقال له : كلّمه ياخالد ؛ فقد ترى امتناعه من البيعة

---

(١) ه : «وعلموا» . (٢) ب، ه : « حوله » . (٣) سورة البقرة ٧١ (٤) ج : « أمر ».

للمهدىّ ؛ وما قد تقدّمنا به فى أمره ؛ فهل عندك حيلة فيه ، فقد أعيتنا وجوه الحيَل، وضلّ عنا الرأىُ ! فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ تضم إلىّ ثلاثين رجلاً من كبار الشّيعة ، ممن تختاره. قال : فركب خالد بن برمك ، وركبوا معه ، فساروا[1] إلى عيسى بن موسى ، فأبلغوه رسالة أبى جعفر المنصور ، فقال : ما كنتُ لأخلع نفسى وقد جعل الله عزّ وجلّ الأمر لى ؛ فأداره خالد بكلّ وجه من وجوه الحذَر والطمع ، فأبى عليه ؛ فخرج خالد عنه وخرجت الشّيعة بعده ، فقال لهم خالد : ما عندكم فى أمره ؟ قالوا : نبلّغ أمير المؤمنين رسالته ونخبره بما كان منّا ومنه ؛ قال : لا ، ولكنا نخبر أمير المؤمنين أنه قد أجاب ، ونشهد عليه إن أنكره ، قالوا له : افعل ، فإنا نفعل ، فقال لهم : هذا هو الصّواب . وأبلِغ أميرَ المؤمنين فيما حاول وأراد .

٣٤٦/٣

قال : فساروا إلى أبى جعفر وخالد معهم ، فأعلموه أنه قد أجاب ، فأخرج التوقيع بالبيعة للمهدىّ ، وكتب بذلك إلى الآفاق ؛ قال : وأتى عيسى ابن موسى لما بلغه الخبرُ أبا جعفر منكراً لِما ادُّعِىَ عليه من الإجابة إلى تقديم المهدىّ على نفسه ، وذكّره الله فيما قد همّ به . فدعاهم أبو جعفر ، فسألهم فقالوا : نشهد عليه أنه قد أجاب ؛ وليس له أن يرجع ؛ فأمضى أبو جعفر الأمرَ ، وشكر لخالد ما كان منه ؛ وكان المهدىّ يعرف ذلك له ، ويصف جزالة الرأى منه فيه .

وذُكر عن علىّ بن محمد بن سليمان، قال : حدّثنى أبى، عن عبدالله بن أبى سليم مولَى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : إنى لأسيرُ مع سليمان بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، وقد عزم أبو جعفر على أن يقدّم المهدىّ على عيسى بن موسى فى البيعة، فإذا نحن بأبى نُخَيلة الشاعر ، ومعه ابناه وعبداه[2]؛ وكلّ واحد منهما يحمل شيئًا من متاع ، فوقف عليهم سليمان بن عبد الله ، فقال : أبا نُخَيلَة ، ما هذا الذى أرى ؟ وما هذه الحال التى أنت فيها ؟ قال : كنتُ نازلا على القعقاع[3] — وهو رجل من آل زرارة ، وكان يتولى

٣٤٧/٣

---

(١) ب : « فسار » . (٢) الأغانى : « ومعه ابنان له وعبد » .
(٣) الأغانى : « القعقاع بن معبد ، أحد ولد معبد بن زرارة » .

لعيسى بن موسى الشُّرْطة — فقال لى : اخرج عنِّى ؛ فإن هذا الرجل قد اصطنعنى ؛ وقد بلغنى أنك قلت شعراً فى هذه البَيْعة للمهدىّ ، فأخاف إن يبلغه ذلك أن يُلزمنى لائمة لنزولك علىّ ، فأزعجنى حتى خرجتُ . قال : فقال لى : يا عبد الله ؛ انطلق بأبى نُخيلة فبوّئه فى منزلى موضعًا صالحًا ، واستوص به وبمَنْ معه خيراً . ثمّ خبّر سليمان بن عبد الله أبا جعفر بشعر أبى نُخيلة الذى يقول فيه :

عيسى فَزَحْلَفَها إلى محمدِ حتى تُؤَدَّى من يد إلى يَدِ[١]

فيكم وتَغْنَى وهى فى تزيُّدِ فقد رَضِينا بالغلام الأَمرَدِ

قال : فلما كان فى اليوم الذى بايع فيه أبو جعفر لابنه المهدىّ وقدّمه على عيسى ، دعا بأبى نُخيلة ، فأمره فأنشد الشِّعر ؛ فكلمه سليمان بن عبدالله ، وأشار عليه فى كلامه أن يُجزل له العطية ، وقال : إنه شىء يبقى لك فى الكتب ، ويتحدّث الناس به على الدّهر ، ويخلُد على الأيام ؛ ولم يزل به حتى أمر له بعشرة آلاف درهم[٢] .

وذكر عن حيّان بن عبدالله بن حِبْران الحِمّانىّ ، قال : حدثنى أبو نُخيلة ، قال : قدمتُ على أبى جعفر ، فأقمت ببابه شهراً[٣] لا أصلُ إليه ، حتى قال لى ذات يوم عبد الله بن الربيع الحارثىّ : يا أبا نُخيلة ، إنّ أمير المؤمنين يرشّح ابنه للخلافة والعَهد ، وهو على تقدِمَته بين يدى عيسى بن موسى ، فلو قلتَ شيئًا تحثّه على ذلك ، وتذكُر فضلَ المهدىّ ، كنت بالحرَى أن تصيب منه خيراً ومن ابنه ، فقلتُ :

٣٤٨/٣

(١) موضوعهما فى الأغانى :

لَيْسَ وَلِىٌّ عَهْدِنَا بالأَسْعَدِ عيسى فَزَحْلِفْهـا إلى محمّدِ

من عند عيسى معهدًا عن معهد حَتَّى تؤدَّى من يدٍ إلى يد

وفى اللسان : « ويقال : زحلف الله عنا شرك ، أى نحى الله عنا شرك » ، واستشهد بالرجز .

(٢) الخبر فى الأغانى ١٨ : ١٥٠ ، ١٥١ (ساسى) ، مع اختلاف فى الرواية .

(٣) ج : « أشهرا » .

دُونكَ عبدَ اللهِ أهلَ ذاكا خلافةَ اللهِ الّتى أعطاكا[1]
أَصفاك أصفاك بها أَصْفَاكا فقد نَظَرنا زمَناً أَباكا
ثمّ نظرناكَ لَها إِيّاكا ونَحْنُ فيهمْ والهَوى هَوَاكَا
نعم ، فَنَسْتذْرِى إلى ذَرَاكا أَسندْ إلى محمّدٍ عَصاكا
فابنُك ما اسْتَرْعَيْتَه كَفَاكَا فأَحفَظُ النَّاسِ لها أَدْنَاكَا
فقد جَفَلتُ الرجْلَ والأَوْرَاكا وحِكْتُ حتى لم أَجِدْ مَحاكا
ودُرْتُ فى هذا وذا وذاكا وكلُّ قولٍ قلتُ فى سواكا

* زُورٌ وقد كفَّر هذا ذاكا *

وقلتُ أيضًا كلمتى التى أقول فيها :

إلى أَمير المؤمنينَ فاعْمِدِي سِيرى إلى بحرِ البحورِ المُزْبِدِ[2]
أَنت الذى يا بن سَمِيٍّ أَحمدِ ويا بنَ بيتِ العربِ المُشَيَّدِ
بل يا أَمِينَ الواحد المؤَيَّدِ[3] إن الذى ولاّك ربُّ المسجد
أَمسَى ولِيُّ عهدِها بالأَسعَدِ عيسى فَزَحْلَفَهَا إلى محمد
من قبلِ عيسى مَعْهَدًا عن معهدِ حتى تؤَدَّى من يدٍ إلى يدِ
فيكم وتغنَى وهى فى تَزَيّدِ فقد رضينَا بالغلامِ الأَمردِ
بل قد فرغنا غيرَ أَن لم نَشْهَدِ[4] وغير أَنَّ العقدَ لم يُؤَكَّدِ[5]
فلو سمِعنا قَوْلَكَ[6] امْدُدِ امددِ كانت لنا كَدَعْقَةِ الوردِ الصَّدِى[7]

٣/ ٣٤٩

(١) انظر الأغانى ١٨ : ١٥٢ .
(٢) الأغانى ١٨ : ١٥١ ، وفى ج : « فاغتدى » ، وقبله فى الأغانى :

* إلى الذى ينْدَى ولا ينْدى نَدِ *

(٣) ج : « المؤيد » .
(٤) ج : « فزعنا » .
(٥) ب : « العهد » .
(٦) الأغانى : « قولك » .
(٧) كذا فى الأغانى ، وفى ط : « لجة » .

فبادر الْبَيْعةَ ورْدَ الحُشَّدِ تَبينُ من يومك هذا أَو غَدِ[1]

فهو الذى تمَّ فما من عُنَّدِ وزاد ما شئتَ فَزِدْهُ يَزْدِدِ[2]

ورَدِّهِ منك رِداءً يَرْتَدِ فهو رداءُ السابقِ المُقلَّدِ

قدكان يُرْوَى أنها كأَنْ ، قدِ عادت ولو قد فَعَلَتْ لم تَرْدُدِ[3]

فَهْىَ تَرَامَى فَدْفدًا عن فَدْفدِ حيناً ، فلو قد حان وردُ الوُرَّدِ

وحان تحويلُ الغَوِىّ المُفْسِدِ قال لها اللهُ هَلُمِّى وارشُدى

فأَصْبَحَتْ نازلةً بالمعهـدِ والمحْتِدِ المحتدِ خيْرِ المحتد

لم يرْمِ تَذْمارَ النفوسِ الحُسَّدِ بمثل قَرمٍ ثابتٍ مُؤَيَّدِ

لما انْتَحَوْا قَدْحاً بِزَنْدٍ مُصْلِدِ بُلُوابِمَشْزُورِ القُوى المُسْتحصِد

يَزْدادُ إيقَاظاً على التَّهَدُّدِ فَدَاوِلوا باللينِ والتَّعَبُّـدِ

* صَمْصَامَةً تـأْكلُ كلَّ مِبْرَدِ *

قال : فرويت وصارت فى أفواه الخدم ، وبلغتْ أبا جعفر ، فسأل عن قائلها ، فأخبِرَ أنها لرجل من بنى سعْد بن زيد مناة ، فأعجبه ، فدعانى فأدخِلت عليه ؛ وإن عيسى بن موسى لعَنْ يمينه ، والناس عنده ، ورءوس القوّاد والجند ، فلما كنتُ بحيث يرانى ، ناديت : يا أمير المؤمنين ، أدنِنى منك حتى أفهمك وتسمع مقالتى[4] فأومأ بيده ، فأدنِيتُ حتى كنتُ قريبًا منه ، فلما صرتُ بين يديه قلتُ — ورفعتُ صوتى — أنشده مِنْ هذا الموضع ، ثم رجعتُ إلى أوّل

٣/٣٥٠

---

(١) الأغانى :

فنادِ للبيعة جمعاً نحشدِ فى يومنا الحاضرِ هذا أو غدِ

(٢) الأغانى :

* واصنَعْ كما شئتَ وزِدْهُ يزددِ *

(٣) الأغانى : « ولو قد فقلت » .

(٤) ج : « كلامى » .

الأرجوزة ؛ فأنشدتها من أوّلها إلى هذا الموضع أيضًا ، فأعدتُ عليه حتى أتيتُ على آخرها ، والناس منصتون ، وهو يتسارّ بما أنشده ، مستمعًا له ؛ فلمّا خرجنا من عنده إذا رجلٌ واضعٌ يده على مِنكبي ، فالتفتّ فإذا عقال بن شبّة يقول : أمّا أنت فقد سررْتَ أمير المؤمنين ؛ فإن التأم الأمر على ما تحبّ وقلتَ ، فلعمري لتصيبنّ منه خيراً . وإن يك غير ذلك ، فابتغ نفقًا فى الأرض أو سلّمًا فى السماء . قال : فكتب له المنصور بصِلة إلى الرّىّ ، فوجّه عيسى فى طلبه ، فلُحق فى طريقه ، فذُبح وسُلخ وجهه .

وقيل : قتِل بعد ما انصرف من الرىّ ؛ وقد أخذ الجائزة[١] .

وذكر عن الوليد بن محمد العنبرىّ أنّ سبب إجابة عيسى أبا جعفر إلى تقديم المهدىّ عليه كان أن سلْم بن قتيبة قال له : أيّها الرجل بايعْ ، وقدّمه على نفسك ، فإنك لن[٢] تخرج من الأمر ؛ قد جعل لك الأمر من بعدِه وتُرضِى أمير المؤمنين . قال : أوَ ترَى ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فإنّى أفعل ؛ فأتى سلْم المنصورَ فأعلمه إجابة عيسى ، فسُرّ بذلك وعظُم قدْر سَلْم عنده . وبايع الناس للمهدىّ ولعيسى بن موسى مِنْ بعده . وخطب المنصور خطبته التى كان فيها تقديم المهدىّ على عيسى ، وخطب عيسى بعد ذلك فقدّم المهدىَّ على نفسه ، ووفى له المنصور بما كان ضمن له . ٣٥١/٣

وقد ذكر عن بعضِ صحابة[٣] أبى جعفر أنه قال : تذاكرْنا أمرَ أبى جعفر المنصور وأمرَ عيسى بن موسى فى البَيْعة وخلْعه إياها من عنقه وتقديمه المهدىّ ، فقال لى رجل من القوّاد سماه : والله الذى لا إله غيره ؛ ما كان خَلْعهُ إياها منه إلا برضًا من عيسى وركونٍ منه إلى الدّراهم ، وقلة علمه بقَدْر الخلافة ، وطلبًا للخروج منها ؛ أتى يومَ خرج للخلع فخلع نفسه ؛ وإنى لفى مقصورة مدينة السّلاَم ؛ إذ خرج علينا أبو عُبيدالله كاتب المهدىّ ، فى جماعة من أهل خُراسان ، فتكلم عيسى ، فقال : إنى قد سلّمت ولايةَ العهد

---

(١) الأغانى ١٨ : ١٥١ (ساسى) . (٢) ج : «لم» .
(٣) ج : «أصحاب» .

لمحمد بن أمير المؤمنين ، وقدّمتُه على نفسى ، فقال أبو عبيد الله : ليس هكذا أعزّ الله الأمير ؛ ولكن قُلْ ذلك بحقّه وصدقه ؛ وأخبرْ بما رغبتَ فيه ؛ فأعطيت ، قال : نعم ، قد بعتُ نصيبى من تقدمة ولاية العهد مِنْ عبد الله أمير المؤمنين لابنه محمد المهدىّ بعشرة آلاف ألف درهم وثلاثمائة ألف بين ولدى فلان وفلان وفلان — سمّاهم — وسبعمائة ألف لفلانة امرأة من نسائه — سمّاها — بطيب نفسٍ منى وحبّ ، لتصييرها إليه ، لأنه أولى بها وأحقّ ، وأقوى عليها وعلى القيام بها ؛ وليس لى فيها حقٌّ لتقدمته ، قليل ولا كثير ؛ فما ادّعيتُه بعد يومى هذا فأنا فيه مُبطِلٌ لا حقّ لى فيه ولا دعوَى ولا طلبة . قال : والله وهو فى ذلك ؛ ربما نسى(١) الشيء بعد الشيء فيوقفه عليه أبو عُبيد الله ؛ حتّى فرغ ، حبًّا للاستيثاق منه . وختم الكتاب وشهد عليه الشهود وأنا حاضر ؛ حتّى وضع عليه عيسى خطّه وخاتَمه ، والقوم جميعًا ؛ ثم دخلوا من باب المقصورة إلى القَصْر .

٣٥٢/٣

قال : وكسا أميرُ المؤمنين عيسى وابنه موسى وغيره من ولدِه كُسوة بقيمة ألف ألف درهم ونيّف ومائتى ألف درهم .

وكانت ولاية عيسى بن موسى الكوفة وسوادها وما حولها ثلاث عشرة سنة ؛ حتّى عزله المنصور ، واستعمل محمد بن سليمان بن علىّ حين امتنع من تقديم المهدىّ على نفسه .

وقيل : إنّ المنصور إنما ولّى محمد بن سليمان الكوفة حين ولّاه إياها ليستخفّ بعيسى ؛ فلم يفعل ذلك محمد ، ولم يزل معظمًا له مبجّلاً .

* * *

وفى هذه السنة ولّى أبو جعفر محمدَ بن أبى العباس — ابن أخيه — البَصْرة فاستعفى منها فأعفاه ، فانصرف عنها إلى مدينة السلام ، فمات بها ، فصرخت امرأته البغوم بنت علىّ بن الربيع : واقتيلاه ! فضربها رجل من الحرس بجلويز على عَجيزتها ، فتعاوره خدمٌ لمحمد بن أبى العباس فقتلوه ؛ فطُلّ دمه .

وكان محمد بن أبى العباس حين شخص عن البصرة استخلف بها عُقْبة

---

(١) ج : « ترك » .

ابن سلم ، فأقره عليها أبو جعفر إلى سنة إحدى وخمسين ومائة .

* * *

٣٥٣/٣ وحجّ بالناس فى هذه السنة المنصور .

وكان عامله فيها على مكة والطائف عمّه عبد الصمد بن علىّ . وعلى المدينة جعفر بن سليمان . وعلى الكوفة وأرضها محمد بن سليمان . وعلى البصرة عُقْبة ابن سلم . وعلى قضائها سوّار بن عبد الله . وعلى مصر يزيد بن حاتم .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك توجيه المنصور حُميد بن قحطبة إلى إرمينيَة لحرب الترك الذين قتلوا حرْب بن عبد الله ، وعاثوا بتفْليس ، فسار حُميد إلى إرمينيَة ، فوجدهم قد ارتحلوا ، فانصرف ولم يلق منهم أحداً .

* * *

وفى هذه السنة عسكر صالح بن علىّ بدابق — فيما ذكر — ولم يَغْزُ .

وحج بالنّاس فيها جعفر بن أبى جعفر المنصور .

* * *

وكانت ولاة الأمصار فى هذه السنة ولاتها فى السنة التى قبلها .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك غزوة العباس بن محمد الصائفة أرض الروم ، ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الأشعث ، فهلك محمّد بن الأشعث فى الطريق .

وفى هذه السنة استتمّ المنصور بناء سور مدينة بغداد، وفرغ من خندقها وجميع أمورها .

* * *

وفيها شخص إلى حديثة[1] الموصل ، ثم انصرف إلى مدينة السلام . ٣/٣٥٤

* * *

وحجّ فى هذه السنة بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله ابن عباس .

وفى هذه السنة عزل عبد الصمد بن علىّ عن مكة، ووليها محمد بن إبراهيم .

* * *

وكانت عمال الأمصار فى هذه السنة العمال الذين كانوا عمالها فى سنة سبع وأربعين ومائة وسنة ثمان وأربعين ومائة ؛ غير مكة والطائف ؛ فإنّ واليهما كان فى هذه السنة محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس .

(١) ج : « مدينة الموصل » .

ثم دخلت سنة خمسين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأَحداث

* * *

[ذكر خروج أستاذسيس]

فممّا كان فيها من ذلك خروج أستاذسيس فى أهل هَراة وباذَغيس وسِجِسْتان وغيرها من عامّة خُراسان، وساروا حتى التقوْا هم وأهل مَرْوالروذ، فخرج إليهم الأجثم المرْورُّوذِىّ فى أهل مَرْو الرّوذ، فقاتلوه قتالاً شديداً حتى قتِل الأجثم، وكثر القتل فى أهل مَرْوالرّوذ، وهزم عدّة من القوّاد؛ منهم معاذ بن مسلم بن معاذ وجبرئيل بن يحيى وحمّاد بن عمرو وأبوالنّجْم السِّجستانىّ وداود بن كَرّاز؛ فوجّه المنصور وهو بالبردَان خازم ابن خزيمة إلى المهدىّ؛ فولاه المهدىّ محاربة أستاذسيس، وضمّ القوّاد إليه. ٣/٣٥٥

فذُكِر أن معاوية بن عبيد الله وزير المهدىّ كان يوهن أمر خازم، والمهدىّ يومئذ بنيسابور، وكان معاوية يخرِج الكتب إلى خازم بن خزيمة وإلى غيره من القوّاد بالأمر والنهى، فاعتلّ خازم وهو فى عسكره، فشرب الدواء ثم ركب البريد، حتى قدم على المهدىّ بنيسابور، فسلّم عليه واستخلاه — وبحضرته أبوعبيد الله — فقال المهدىّ: لا عَيْنَ عليك من أبى عبيد الله، فقلْ ما بدا لك؛ فأبى خازم أن يخبرَه أو يكلّمه، حتى قام أبو عبيد الله، فلمّا خلا به شكا اليه أمرَ معاوية بن عبيد الله، وأخبره بعصبيّته وتحامُله؛ وما كان يرد من كُتبه عليه وعلى مَنْ قِبَله من القواد، وما صاروا إليه بذلك من الفساد والتأمّر فى أنفسهم، والاستبداد بآرائهم، وقلّة السمع والطاعة. وأنّ أمر الحرب لا يستقيم إلاّ برأس؛ وألاّ يكون فى عسكره لواء يخفِق على رأس أحد إلاّ لواؤه أو لواء هو عقدَه. وأعلمه أنه غير راجع إلى قتال أستاذسيس ومَنْ معه إلا بتفويض الأمر إليه وإعفائه من معاوية بن عبيد الله؛ وأن يأذن

له فى حلّ ألوية القوّاد الذين معه، وأن يكتب إليهم بالسمع له والطاعة. فأجابه المهدىّ إلى كلّ ما سأل.

فانصرف خازم إلى عسكره، فعمل برأيه، وحلّ لواء مَنْ رأى حلّ لوائه من القوّاد، وعقد لواء لمن أراد، وضمّ إليه مَنْ كان انهزم من الجنود، فجعلهم حشواً يكثر بهم[١] مَنْ معه فى أخريات الناس، ولم يقدّمهم لما فى قلوب المغلوبين من رَوْعة الهزيمة؛ وكان من ضُمّ[٢] إليه من هذه الطبقة اثنين وعشرين ألفاً، ثم انتخب ستة آلاف رجل من الجُنْد، فضمهم إلى اثنى عشر ألفاً كانوا معه متخيّرين؛ وكان بكّارُ بن مسلم[٣] العُقَيلىّ فيمن انتخب، ثم تعبّأ للقتال وخندق. واستعمل الهيثم بن شعبة بن ظهير على ميمنته، ونهار بن حصين السعدىّ على ميسرته؛ وكان بكّار بن مسلم العقيلىّ على مقدّمته وتُرارخُدا على ساقته؛ وكان من أبناء ملوك أعاجم خُراسان؛ وكان لواؤه مع الزِّبْرقان وَعلمه مع مولاه بسّام، فمكر بهم وراوغهم فى تنقّله من موضع إلى موضع وخندق إلى خندق حتى قطعهم؛ وكان أكثرهم رجّالة، ثم سار خازم إلى موضع فنزله، وخندق عليه، وأدخل خندقه جميع ما أراد، وأدخل فيها جميع أصحابه، وجعل له أربعة أبواب، وجعل على كلّ باب منها من أصحابه الذين انتخب، وهم أربعة آلاف، وجعل مع بكار صاحب مقدّمته ألفين؛ تكملة الثمانية عشر ألفاً. وأقبل الآخرون ومعهم المروز[٤] والفؤوس والزّبُل، يريدون دفْن الخندق ودخولَه، فأتوا الخندق من الباب الذى كان عليه بكار بن مسلم، فشدّوا عليه شدّة لم يكن لأصحاب بكار نهاية دون أن انهزموا حتى دخلوا عليهم الخندق.

٣/٣٥٦

فلما رأى ذلك بكّار رمى بنفسه[٥]، فترجّل على باب الخندق ثم نادى أصحابه: يا بنى الفواجر، مِن قِبَلى يؤتى المسلمون! فترجّل مَنْ معه من عشيرته وأهله نحو من خمسين رجلا، فمنعوا بابَهم حتى أجلوا القوم عنه، وأقبل إلى الباب الذى كان عليه خازم رجلٌ كان مع أستاذسيس من أهل سجستان، يقال له الحريش؛ وهو الذى كان يدبّر أمرهم؛ فلما رآه خازم

٣/٣٥٧

---

(١) ج: «بكثرتهم». (٢) ج: «انضم». (٣) ابن الأثير: «سلم».
(٤) كذا فى ه؛ وفى ط: «المرور». (٥) ب: «نفسه».

مقبلاً بعث إلى الهيثم بن شعبة، وكان فى الميمنة — أن اخرج من بابك الّذى أنت عليه ؛ فخذ غيرَ الطريق الذى يوصلك إلى الباب الذى عليه بكار ، فإنّ القوم قد شغلوا بالقتال وبالإقبال إلينا ، فإذا علوت فجزت مبلغ أبصارهم فأتهم من خلفهم . وقد كانوا فى تلك الأيام يتوقعون قدوم أبى عون وعمرو بن سلم ابن قتيبة من طَخارستان . وبعث خازم إلى بكار بن مسلم : إذا رأيت رايات الهيثم بن شعبة قد جاءتْك من خلفك، فكبِّروا وقولوا : قد جاء أهل طَخارستان. ففعل ذلك أهلُ الهيثم ، وخرج خازم فى القلْب على الحريش السجستانىّ ، فاجتلدوا بالسيوف جلاداً شديداً ، وصبر بعضُهم لبعض ؛ فبينا هم على تلك الحال إذ نظروا إلى أعلام الهيثم وأصحابه ، فتنادَوا[1] فيما بينهم ، وجاء أهل طخارستان ، فلما نظر أصحاب الحريش إلى تلك الأعلام ، ونظر مَنْ كان بإزاء بكار بن مسلم إليها ، شدّ عليهم أصحاب خازم فكشفوهم ، ولقيَهم أصحابُ الهيثم ، فطعنوهم بالرماح ، ورموْهم بالنُّشاب ، وخرج عليهم[2] نهار بن حصين وأصحابُه من ناحية الميسرة ، وبكارُ[3] بن مسلم وأصحابه من ناحيتهم[4] ، فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف ، فقتلهم المسلمون وأكثروا ؛ فكان مَنْ قتل منهم فى تلك المعركة نحواً من سبعين ألفاً ، وأسروا أربعة عشر ألفاً ، ولجأ أستاذسيس إلى جبل فى عِدّة من أصحابه يسيرة ، فقدّم خازم الأربعة عشر ألف أسير ؛ فضرب أعناقهم ، وسار حتى نزل بأستاذسيس فى الجَبَل الذى كان لجأ إليه ، ووافى خازماً بذلك المكان أبو عون وعمرو بن سلم بن قتيبة فى أصحابهما ؛ فأنزلهم خازم ناحيةً ، وقال : كونوا مكانكم حتى نحتاج إليكم . فحصر خازمٌ أستاذسيس وأصحابَه حتى نزلوا على حكم أبى عَوْن ، ولم يرضوْا إلا بذلك ، فرضى بذلك خازم ، فأمر أبا عون بإعطائهم أن ينزلوا على حكمه ، ففعل ؛ فلما نزلوا على حكم أبى عون حكم فيهم أن يُوثَق أستاذسيس وبنوه وأهل بيته بالحديد، وأن يُعتق الباقون وهم ثلاثون ألفاً ، فأنفذ ذلك خازم من حُكْم أبى عون ، وكسا كلّ رجل منهم ثوبين ؛ وكتب

٣٥٨/٣

---

(١) ب : « فنادوا » .
(٢) ب : « إليهم » .
(٣) ب : « وكان بكار » .
(٤) ج : « ناحيته » .

خازم بما فتح الله عليه ، وأهلك عدوّه إلى المهدىّ ، فكتب بذلك المهدىّ إلى أمير المؤمنين المنصور .

وأما محمد بن عمر ، فإنه ذكر أن خروج أستاذسيس والحريش كان فى سنة خمسين ومائة ، وأن أستاذسيس هُزم فى سنة إحدى وخمسين ومائة .

* * *

وفى هذه السنة عزل المنصورُ جعفر بن سليمان عن المدينة ، وولاها الحسن ابن يزيد بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه .

وفيها تُوفّىَ جعفر بن أبى جعفر المنصور ، الأكبرُ بمدينة السلام ، وصلى عليه أبوه المنصور ، ودُفن ليلاً فى مقابر قريش ؛ ولم تكن للناس فى هذه السنة صائفة ؛ قيل إن أبا جعفر كان ولّى الصائفة فى هذه السنة أسَيْداً ، فلم يدخل بالناس أرض العدّو ، ونزل مرج دابق . ٣/٣٥٩

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الصمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس .

وكان العامل على مكة والطائف فى هذه السنة عبدُ الصمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس — وقيل كان العامل على مكة والطائف فى هذه السنة محمد ابن إبراهيم بن محمد — وعلى المدينة الحسن بن زيد العلوىّ ، وعلى الكوفة محمد ابن سليمان بن علىّ ، وعلى البصرة عُقْبة بن سلم ، وعلى قضائها سوّار ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك ما كان من إغارة الكُرْك فيها فى البحر على جُدَّة ؛ ذكر ذلك محمد بن عمر .

وفيها ولّى عمر بن حفص بن عثمان بن أبى صفرة إفريقيّة ، وعُزِل عن السند وولّى موضعه هشام بن عمرو التغلبىّ .

* * *

ذكر الخبر عن سبب عزل المنصور عمر بن حفص عن السِّنْد وتوليته إياه إفريقيّة واستعماله على السِّنْد هشام بن عمرو

٣/٣٦٠ وكان سبب ذلك – فيما ذكر علىّ بن محمد بن سليمان بن علىّ العباسىّ عن أبيه – أنّ المنصور ولّى عمر بن حفص الصُّفْرِىّ الذى يقال له هزارمَرْد السِّند – فأقام بها حتى خرج محمد بن عبد الله بالمدينة وإبراهيم بالبصرة ، فوجّه محمد بن عبد الله [إليه][1] ابنَه عبد الله بن محمد الذى يقال له الأشتر ، فى نفر من الزيديّة[2] إلى البصرة ، وأمرهم أن يشتروا مهارة – خيل عِتاق بها – ويمضوا بها معهم إلى السِّند ، ليكون سبباً له إلى الوصول إلى عمر بن حفص ؛ وإنما فعل ذلك به لأنّه كان فيمن بايعه من قوّاد أبى جعفر ، وكان له ميْل إلى آل أبى طالب ، فقدِموا البصرة على إبراهيم بن عبد الله ، فاشترْوا منها مهارةً – وليس فى بلاد السِّند والهند شىء أنفق من الخيل العتاق – ومضوا فى البحر حتى صاروا إلى السند ، ثم صاروا إلى عمر بن حفص ، فقالوا : نحن قوم نخَّاسون ، ومعنا خيل عتاق ، فأمرهم أن يعرضوا[3] خيلَهم ، فعرضوها عليه ؛ فلما صاروا إليه ، قال له بعضهم : أدنِنى منك أذكر لك شيئاً ، فأدناه منه ، وقال[4] له : إنَّا جئناك بما هو خير لك من الخيل ، وما لك فيه

(١) من ب .
(٢) ب : « الزندية » ، ج : « الرندية » .
(٣) ج : « يحضروا » .
(٤) ب : « فقالوا » .

خير [١] الدنيا والآخرة ، فأعطِنا الأمان على خَلّتيْن : إما أنك قبلت ما أتيناك به ، وإما سترت وأمسكت عن أذانا حتى نخرج من بلادك راجعين . فأعطاهم الأمان ، فقالوا : ما للخيل أتيناك ؛ ولكن هذا ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ، أرسله أبوه إليك ، وقد خرج بالمدينة ، ودعا لنفسه بالخِلافة ، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة وغلب عليها ، فقال : بالرَّحب والسعة ، ثم بايعهم له ، وأمر به فتوارى عنده ، ودعا أهلَ بيته وقوادَه وكبراء [٢] أهل البلد للبيْعة ، فأجابوه ، فقطع الأعلام البيض والأقبِيَةَ البِيض والقلانس البيض ، وهيّأ لبسته [٣] من البياض يصعد فيها إلى المنبر ، وتهيأ لذلك يوم خميس ؛ فلما كان يوم الأربعاء إذا حَرّاقة [٤] قد وافت من البصرة ، فيها رسول لخُلَيْدة بنت المُعارِك — امرأة عمر بن حفص — بكتاب إليه تخبره بقتل محمد بن عبد الله ، فدخل على عبد الله فأخبره الخبر ، وعزّاه ، ثم قال له : إنّي كنت بايعت لأبيك ، وقد جاء من الأمر ما ترى .

٣/٣٦١

فقال له : إن أمرى قد شُهِر ، ومكانى قد عُرِف ، ودمى فى عنقك ؛ فانظر لنفسك أوَدعْ . قال : قد رأيت رأيًا ؛ ها هنا ملِك من ملوكِ السند ، عظيم المملكة ، كثير التَّبَع ؛ وهو على شِركه أشدّ الناس تعظيمًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو رجلٌ وفيٌّ ، فأرسِل إليه ، فاعقِدْ بينك وبينه عقداً ، وأوجّهك إليه تكون عنده ؛ فلستَ ترام معه . قال : افعل ما شئت ؛ ففعل ذلك ؛ فصار إليه ، فأظهر إكرامه وبرّه برًّا كثيراً ، وتسللت إليه الزيدية حتى صار إليه منهم أربعمائة إنسان من أهل البصائر ؛ فكان يركب فيهم فيصيد [٥] ويتنزّه فى هيئة الملوك وآلاتهم ، فلما قتِل محمد وإبراهيم انتهى خبرُ عبد الله الأشتر إلى المنصور ؛ فبلغ ذلك منه ، فكتب إلى عمر بن حفص يخبره بما بلغَه ، فجمع عمر بن حفص قرابته ، فقرأ عليهم كتاب المنصور يخبرهم أنه إن أقرّ بالقصّة لم يُنظره المنصور أن يعزله ، وإن صار إليه قتله ، وإن امتنع حاربه . فقال له رجل من أهل بيته : ألقِ الذّنْب علىّ ، واكتب

---

(١) ج : « من الدنيا » . (٢) ب : « وكبر » .
(٣) ب : « لبسه » . (٤) الحراقة : ضرب من السفن فيها مرامى نيران ، يرمى بها العدو من البحر . وفى ب : « جدافة » (٥) ابن الأثير : « فيتصيد » .

٣٦٢/٣ إليه بخبرى ، وخذنى الساعة فقيّدنى واحبسنى؛ فإنه سيكتب : احمله إلىّ ؛ فاحملنى إليه ، فلم يكن ليقدم[١] علىّ لموضعك فى السند ، وحال أهل بيتك بالبصرة . قال : إنى أخاف عليك خلاف ما تظنّ ، قال : إن قُتِلت أنا فنفسى فداؤك[٢] فإنى سخىٌّ بها فداء لنفسك ؛ فإن حييت فمن الله . فأمر به فقُيِّد وحبِس ، وكتب إلى المنصور يخبره بذلك ؛ فكتب إليه المنصور يأمره بحمله إليه ؛ فلما صار إليه قدّمه فضرب عنقه ، ثم مكث يروّى مَنْ يولِّى السِّند ! فأقبل يقول : فلان فلان ؛ ثم يعرض عنه؛ فبينا هو يوماً يسير ومعه هشام بن عمرو التغلبىّ ، والمنصور ينظر إليه فى موكبه ، إذ انصرف إلى منزله ، فلما ألقى ثوبه دخل الرّبيع فآذنه بهشام . فقال : أوَلم يكن معى آنفاً! قال : ذكر أن له حاجةً عرضت مهمة . فدعا بكرسىّ فقعد عليه ، ثم أذِن له ، فلما مَثَل بين يديه قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنى انصرفت إلى منزلى من الموكب ، فلَقيتْنى أختى فلانة بنت عمرو ، فرأيت من جمالها وعَقْلها ودينها ما رضيتها لأمير المؤمنين ، فجئت لأعرِضها عليه ؛ فأطرق المنصور ، وجعل ينكُت الأرضَ بخيزُرانة فى يده ، وقال : اخرج يأتك أمرى ؛ فلما ولّى قال : يا ربيع ؛ لولا بيت قاله جرير فى بنى تغلِب لتزوّجت أختَه وهو قوله :

لا تَطْلُبَنَّ خئولةً فى تَغْلِبٍ فالزَّنجُ أكرمُ منهُمُ أخوالا[٣]

فأخاف أن تلد لى ولداً ، فيعيَّر بهذا البيت ؛ ولكن اخرج إليه ، فقل له : يقول لك أمير المؤمنين : لو كانت لك الله حاجة إلىّ لم أعدل عنها غير التزويج ؛ ولو كانت لى حاجةٌ إلى التزويج لقبلْت[٤] ما أتيتَنى به ؛ فجزاك ٣٦٣/٣ الله عمّا عَمَدت له خيراً ، وقد عوّضتك من ذلك ولاية السِّند . وأمره أن يكاتب ذلك الملك ؛ فإن أطاعه وسلّم[٥] إليه عبد الله بن محمد ، وإلاّ حاربه . وكتب إلى عمر بن حفص بولايته إفريقيّة . فخرج هشام بن عمرو التغلبىّ إلى السّند

---

(١) ب : « يقدم » .
(٢) ج : « فدى لك » .
(٣) ديوانه ٤٥٣ .
(٤) ج : « لفعلت » .
(٥) ج : « وأسلم » .

فوليها ، وأقبل عمر بن حفص يخوضُ البلاد حتى صار إلى إفريقيّة ، فلما صار هشام بن عمرو إلى السِّند كره أخذ عبد الله ، وأقبل يُرى الناس أنه يكاتب الملك ويرفُق به ، فاتصلت الأخبار بأبى جعفر بذلك ؛ فجعل يكتب إليه يستحثُّه ، فبينا هو كذلك إذ خرجت خارجة ببعض بلاد السِّند ، فوجّه إليهم أخاه سَفَنَّجا ، فخرج يجرّ الجيش وطريقه بجنَبات ذلك الملك ؛ فبينا هو يسير إذا هو بوهج قد ارتفع من موكب ، فظنّ أنه مقدّمة للعدوّ الذى يقصد ، فوجّه طلائعه فرجعت ، فقالت : ليس هذا عدوّك الذى تريد ؛ ولكن هذا عبد الله بن محمد الأشتر العلوىّ ركب متنزهًا ، يسير على شاطئ مهران ، فمضى يريده ، فقال له نُصّاحه : هذا ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد علمتَ أن أخاك تركه متعمداً ، مخافة أن يبوء بدمه ، ولم يقصدك ، إنما خرج متنزّهًا ، وخرجتَ تريد غيره . فأعرض عنه ، وقال : ما كنتُ لأدَعَ أحداً يحوزُه ، ولا أدع أحداً يحظَى بالتقرّب إلى المنصور بأخذه وقتله . وكان فى عشرة ، فقصد قصدَه ، وذمَّرَ أصحابه ، فحمل عليه ، فقاتله عبدُ الله وقاتل أصحابُه بين يديه حتى قُتِل وقُتلوا جميعًا ، فلم يُفلِتْ منهم مخبِّر ، وسقط بين القتلى ، فلم يشعر به . وقيل : إن أصحابه قذفوه [1] فى مهران لمّا قتِل ، لئلا يؤخذ رأسه ؛ فكتب هشام بن عمرو بذلك كتاب فَتْح إلى المنصور ، يخبره أنه قصده قصداً . فكتب إليه المنصور يحمَد أمره ، ويأمره بمحاربة الملك الذى آواه ؛ وذلك أن عبد الله كان اتّخذ [2] جوارى ، وهو بحضرة ذلك الملك ، فأولد منهنّ واحدة محمد بن عبد الله — وهو أبو الحسن محمد العلوىّ الذى يقال له ابن الأشتر — فحاربه حتى ظفر به ، وغلب على مملكته وقتله ، ووجّه بأمّ ولد عبد الله وابنه إلى المنصور ، فكتب المنصور إلى واليه بالمدينة ، يخبره بصحّة نسب الغلام ، وبعث به إليه ، وأمره أن يجمع آل أبى طالب ، وأن يقرأ عليهم كتابَه بصحة نسب الغلام ، ويسلمه إلى أقربائه .

٣/٣٦٤

* * *

وفى هذه السنة قدم على المنصور ابنُه المهدىّ من خُراسان ، وذلك فى

(١) ج : « قذفوا به » . (٢) ب : « أخذ » .

شوال منها — فوفد إليه للقائه وتهنئة المنصور بمقدَمه عامّة أهل بيته، مَنْ كان منهم بالشأم والكوفة والبصرة وغيرها، فأجازهم وكساهم وحملهم، وفعل مثل ذلك بهم المنصور، وجعل لابنه المهدىّ صحابةً منهم، وأجرى لكلّ[1] رجل منهم خمسمائة درهم.

* * *

[ذكر خبر بناء المنصور الرّصافة]

وفى هذه السنة ابتدأ المنصور ببناء الرُّصافة فى الجانب الشرقىّ من مدينة السلام لابنه محمد المهدىّ.

* ذكر الخبر عن سبب بنائه ذلك له :

٣/٣٦٥ ذكر عن أحمد بن محمد الشرَوىّ، عن أبيه، أنّ المهدىّ لما قدم من خُراسان أمره المنصور بالمُقام بالجانب الشرقىّ، وبنَى له الرُّصافة، وعمل لها سوراً وخندقاً وميْداناً وبستاناً، وأجرى له الماء؛ فكان يجرى الماء من نهر المهدىّ إلى الرُّصافة.

وأما خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن خازم، فإنه ذكر أنّ محمد ابن موسى بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس حدّثه، أن أباه حدّثه، أنّ الرّاوندية لما شَغَبوا على أبى جعفر وحاربوه على باب الذّهب، دخل عليه قُثَم بن العباس بن عبيد الله بن العباس — وهو يومئذ شيخ كبير مُقدّم عند القوم — فقال له أبو جعفر: أما ترى ما نحن فيه من التياث الجُند علينا! قد خفتُ أن تجتمع كلمتهُم فيخرج هذا الأمر من أيدينا، فما ترى؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، عندى فى هذا رأىٌ إن أنا أظهرته لك فَسد، وإن تركتَنى أمضيته، صلَحت لك خلافتك، وهابك جندك. فقال له: أفتُمضِى فى خلافتى أمراً لا تعلمنى ما هو! فقال له: إن كنتُ عندك متَّهمًا على دولتك فلا تشاورْنِى، وإن كنتُ مأموناً عليها فدعنى أُمضِى رأيى. فقال له: فأمضِه. قال: فانصرف قُثَم إلى منزله، فدعا غلاماً له فقال له:

(١) ج: «على كل».

إذا كان غداً فتقدّمنى[١] ، فاجلس فى دار أمير المؤمنين ؛ فإذا رأيتَنى قد دخلتُ وتوسطتُ أصحابَ المراتب ، فخذ بعنان بغلتى ، فاستوقِفْنى واستحلفْنى بحقّ رسول الله[٢] ، وحقّ العباس وحقّ أمير المؤمنين لما[٣] وقفتُ لك ، وسمعتُ مسألتك وأجبتك عنها ؛ فإنى سأنتهرُك ، وأغلِظ لك القول ، فلا يهولنَّك ذلك منى ، وعاوِدْنى بالمسألة فإنّى سأشتِمك ، فلا يروعنّك[٤] ذلك ، وعاوِدْنى بالقول والمسألة ، فإنى سأضربك بسوطى ، فلا يشقّ ذلك عليك ، فقل لى : أىُّ الحيَّيْن أشرف ؟ اليمن أم مضر؟ فإذا أجبتك فخلّ عنان بغلتى وأنت حُرّ. ٣٦٦/٣

قال : فغدَا الغلامُ ، فجلس حيث أمره من دار الخليفة ، فلماء جاء الشيخ فعل الغلام ما أمره به مولاه ، وفعل المولى ما كان قاله له ، ثم قال له : قل ، فقال : أىُّ الحيَّين أشرف ؟ اليمن أم مضرِ ؟ قال : فقال قُثَم : مضر كان منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها كتاب الله عزّ وجلّ ، وفيها بيت الله ، ومنها خليفة الله . قال : فامتعضت اليمن إذْ لم يُذكر لها شىء من شَرَفها ؛ فقال له قائد من قوّاد اليمن : ليس الأمر كذلك مطلقًا بغير شرفة ولا فضيلة لليمن ، ثم قال لغلامه : قمْ فخذ بعِنان بغلة الشيخ ، فاكبحْها كبحاً عنيفًا تَطَأمَنُ به منه ، قال : ففعل الغلام ما أمره به مولاه حتى كاد أن يُقعيَها على عراقِيبها ، فامتعضتْ من ذلك مُضر ، فقالت : أيفعل هذا بشيخنا ! فأمر رجل منهم غلامه ، فقال : اقطعْ يد العبد ، فقام إلى غلام اليمانىّ فقطع يدَه ، فنفر الحيَّان ، وصرف قُثَم بغلته ، فدخل على أبى جعفر ، وافترق الجند ، فصارت مُضر فرقة ، واليمن فرقة ، والخُراسانيّة فرقة ، وربيعة فرقة ، فقال قثم لأبى جعفر : قد فرّقتُ بين جندك ، وجعلتهم أحزابًا كلّ حزب منهم يخاف أن يُحدث عليك حدثاً ، فتضربه بالحزب الآخر ، وقد بقى عليك فى التدبير بقيّة ، قال : ما هى ؟ قال : اعْبُر بابنك فأنزله[٥] فى ذلك الجانب قصراً ، وحوله وحوّل [معك][٦] من جيشك معه قومًا ٣٦٧/٣

---

(١) ب : « فقدمنى » .
(٢) ب : « وحلفنى برسول الله » .
(٣) ابن الأثير : « إلاما » .
(٤) ج : « فلا يرعك » .
(٥) ج : « فابن له » .
(٦) من ج .

فيصير ذلك بلداً ؛ وهذا بلداً ، فإن فسد عليك أهلُ هذا الجانب ضربتَهم بأهل ذلك الجانب ، وإن فسد عليك أهل ذلك الجانب ضربتَهم بأهل هذا الجانب ، وإن فسدت عليك مُضر ضربتَها باليمن وربيعة والخراسانيّة ، وإن فسدت عليك اليمن ضربتَها بمن أطاعك من مُضر وغيرها .

قال : فقبل أمرَه ورأيه ، فاستوى له مُلْكه؛ وكان ذلك سببَ البناء فى الجانب الشرقىّ وفى الرصافة وأقطاع القوّاد هناك .

قال : وتولّى صالح صاحب المصلّى القطائع فى الجانب الشرقىّ . ففعل كفعل أبى العباس الطوسىّ فى فضُول القطائع فى الجانب الغربىّ . فله بباب الجسر وسوق يحيى ومسجد خُضَير وفى الرّصافة وطريق الزواريق على دجلة مواضع بناء، بما استوهب من فضل الإقطاع عن أهله ؛ وصالح رجل من أهل خراسان .

* * *

وفى هذه السنة جدّد المنصور البيْعة لنفسه ولابنه محمد المهدىّ من بعده ، ولعيسى بن موسى من بعد المهدىّ على أهل بيته فى مجلسه فى يوم جمعة ؛ وقد عمّهم بالإذن فيه ؛ فكان كلُّ مَنْ بايعه منهم يقبّل يده ويد المهدىّ، ثم يمسح على يد عيسى بن موسى ولا يقبّل يده .

* * *

وغزا الصّائفة فى هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد .

* * *

[أمر عقبة بن سلم]

وفيها شخص عُقْبة بن سلْم من البصرة واستخلف عليها ابنَه نافع بن عقبة إلى البَحْرين ، فقتل سليمان بن حكيم العبدىّ وسبى أهلَ البحرين ، وبعث ببعض مَنْ سبى منهم وأسارى منهم إلى أبى جعفر ، فقتل منهم عدّة ووهب بقيّتهم للمهدىّ ، فمنّ عليهم وأعتقهم؛ وكسا كلّ إنسان منهم ثوبين من ثياب مَرْو . ٣٦٨/٣

ثم عزل عُقْبة بن سلْم عن البصرة ؛ فذُكِر عن إفريك — جارية أسد بن المرزبان — أنها قالت : بعث المنصور أسد بن المرزبان إلى عُقبة بن سلم فى البَحْرين حين قتل منهم مَنْ قتل ، ينظر فى أمره ، فمايله ولم يستقص عليه ، وورّى عنه ؛ فبلغ ذلك أبا جعفر ، وبلغه أنه أخذ منه مالاً ، فبعث إليه أبا سويد الخُراسانى — وكان صديق أسد — وأخاه ، فلما رآه مقبلا على البريد فرِح ، وكان ناحية من عسكر عُقبة ، فتطاول له ، وقال : صديقى . فوقف عليه فوثب ليقوم إليه ، فقال له أبو سويد « بنشين بنشين » ، فجلس فقال له : أنت سامع مطيع ؟ قال : نعم ، قال : مُدّ يدك ، فمدّ يده فضربها فأطنّها ، ثم مدّ رجله ، ثم مدّ يده ثم رجله حتى قطع الأربع ، ثم قال : مُدّ عنقك فمدّ فضرب عنقه . قالت إفريك : فأخذتُ رأسه فوضعته فى حِجْرى ، فأخذه منى فحمله إلى المنصور . فما أكلتْ إفريك لحماً حتى ماتت .

* * *

وزعم الواقدىّ أن أبا جعفر ولّى معن بن زائدة فى هذه السنة سِجسْتان .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله ابن عباس .

وكان العامل على مكة والطائف محمد بن إبراهيم ، وعلى المدينة الحسن ابن زيد ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان بن علىّ ، وعلى البصرة جابر بن تَوْبة الكِلابىّ ، وعلى قضائها سَوّار بن عبد الله ، وعلى مِصْر يزيد بن حاتم . ٣٦٩/٣

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك ما كان من قَتْل الخوارج فيها معنَ بن زائدة الشيبانيّ ببُسْت سِجِسْتان .

وفيها غزا حُميد بن قَحْطبة كابُل ، وكان المنصور ولاّه خراسان فى سنة ثنتين وخمسين ومائة .

وغزا — فيما ذكر — الصائفة عبدُالوهاب بن إبراهيم ولم يُدْرِب[1] .

وقيل إن الذى غزا الصائفة فى هذه السنة محمد بن إبراهيم .

وفيها عزل المنصور جابر بن توْبة عن البصرة ، وولاّها يزيد بن منصور .

وفيها قتل أبو جعفر هاشم بن الأشتاخَنج ، وكان عصى وخالف فى إفريقيّة ، فحمِل إليه هو وابن خالد المروروذىّ ، فقتل ابن الأشتاخَنج بالقادسيّة ، وهو متوجّه إلى مكة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة المنصور ؛ فذكر أنه شخص من مدينة السّلام فى شهر رمضان ، ولا يعلم بشخوصه محمد بن سليمان ، وهو عامله على الكوفة يومئذ ، ولا عيسى بن موسى ولا غيرهما من أهل الكوفة حتى قرُب منها .

٣٧٠/٣

وفيها عزل يزيد بن حاتم عن مصر ووليَها محمد بن سعيد .

* * *

وكان عمّال الأمصار فى هذه السنة هم العمال فى السنة الخالية[2] إلا البَصْرة فإن عاملها فى هذه السنة كان يزيد بن منصور ، وإلاّ مِصْر فإن عاملها كان فى هذه السنة محمد بن سعيد .

---

(١) الدرب : كل مدخل إلى بلاد الروم ؛ وأدرب القوم : إذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم. (٢) ج : « الماضية » .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك تجهيز المنصور جيشاً فى البحر لحرب الكرك[1] ، بعد مقدمه البَصْرة ، منصرفاً من مكة إليها بعد فراغه من حَجّه ، وكانت الكرك أغارتْ على جُدّة ، فلما قدم المنصور البصرة فى هذه السنة جهز منها جيشاً لحربهم ، فنزل الجسر الأكبر حين قدمها — فيما ذكر . وقدْمته هذه البصرة القَدْمة الآخرة .

وقيل إنه إنما قدمها القدمة الآخرة فى سنة خمس وخمسين ومائة ، وكانت قدمته الأولى فى سنة خمس وأربعين ومائة ، وأقام بها أربعين يوماً ، وبنى بها قصراً ثم انصرف منها إلى مدينة السلام .

* * *

وفيها غضب المنصور على أبى أيّوب الموريانىّ ، فحبسه وأخاه وبنى أخيه : سعيداً ومسعوداً ومُخلَّداً ومحمداً ، وطالبهم . وكانت منازلهم المناذر ، وكان سبب غضبه عليه — فيما قيل — سَعْىُ أبان بن صدقة كاتب أبى أيوب إليه .

* * *

وفى هذه السنة قتل عمر بن حفص بن عثمان بن أبى صفرة بإفريقيّة ، قتله أبو حاتم الإباضىّ وأبو عاد ومن كان معهما من البربر ، وكانوا — فيما ذُكر — ثلثمائة ألف وخمسين ألفاً ؛ الخيل منها خمسة وثلاثون ألفاً ، ومعهم أبو قُرّة الصُّفرىّ فى أربعين ألفاً ، وكان يسلَّم عليه قبل ذلك بالخلافة أربعين يوماً. ٣/٣٧١

وفيها حُمِل عبّاد مولى المنصور وهرثمة بن أعين ويوسف بن علوان من خُراسان فى سلاسل ، لتعصّبهم لعيسى بن موسى .

وفيها أخذ المنصور الناس بلبس القَلانس الطِّوال المفرطة الطول ، وكانوا — فيما ذكر — يحتالون لها بالقصب من داخل ، فقال أبو دلامة :

---

(١) ج : « الكرد » .

وكنا نُرَجِّى من إمامٍ زيادةً فزاد الإمامُ المصطفى فى القلانِسِ
ترَاها على هامِ الرِّجال كأنها دِنان يهودٍ جُلِّلَتْ بالبرانِسِ

وفيها توفِّى عبيد بن بنت أبى ليلى قاضى الكوفة ، فاستقضى مكانه شَريك ابن عبد الله النَّخَعِىّ .

وفيها غزا الصَّائفة معيوف بن يحيى الحَجورىّ ، فصار إلى حصن من حصون الروم ليلاً ، وأهله نيام ، فسبى وأسر مَنْ كان فيه من المقاتلة ، ثم صار إلى اللاذقيّة المحترقة ، ففتحها وأخرج منها ستة آلاف رأس من السَّبْى سوى الرِّجال البالغين .

وفيها ولّى المنصور بكَّارَ بن مسلم العُقيلىّ على إرمينيَة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن أبى جعفر المهدىّ .

وكان على مكة والطائف يومئذ محمد بن إبراهيم ، وعلى المدينة الحسن بن زيد بن الحسن ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان ، وعلى البصرة يزيد بن منصور ، وعلى قضائها سوّار ، وعلى مصر محمد بن سعيد . ٣٧٢/٣

وذكر الواقدىّ أن يزيد بن منصور كان فى هذه السنة والى اليمن من قِبَل أبى جعفر المنصور .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك خروجُ المنصور إلى الشام ومسيره إلى بيت المقدِس وتوجيهه يزيد بن حاتم إلى إفريقيّة في خمسين ألفاً – فيما ذُكِر – لحرب الخوارج الذين كانوا بها ، الذين قتلوا عامله عمر بن حفص. وذكِر أنه أنفق على ذلك الجيش ثلاثةً وستين ألف ألف درهم .

وفي هذه السنة عزم المنصور – فيما ذكر – على بناء مدينة الرافقة ، فذُكر عن محمد بن جابر ، عن أبيه أنّ أبا جعفر لما أراد بناءها ، امتنع أهل الرّقة ، وأرادوا محاربته ، وقالوا : تعطّل علينا أسواقنا وتذهب بمعايشنا[1] ، وتضيق منازلنا ؛ فهمّ بمحاربتهم ، وبعث إلى راهب في الصومعة هنالك ، فقال له : هل لك علم بأنّ إنساناً يبني ها هنا مدينة ؟ فقال : بلغني أنّ رجلا يقال له مقلاص يبنيها ، فقال : أنا والله مقلاص .

وذكر محمد بن عمر أن صاعقة سقطت في هذه السنة في المسجد الحرام فقتلت خمسة نفر .

وفيها هلك أبو أيوب الموريانيّ وأخوه خالد ، وأمر المنصور موسى بن دينار حاجب أبي العباس الطوسيّ بقطع أيدِي بني أخي أبي أيوب وأرجلهم وضرب أعناقهم ؛ وكتب بذلك إلى المهديّ ، ففعل ذلك موسى وأنفذ فيهم ما أمره به .

وفيها ولّى عبد الملك بن ظَبْيان النميريّ على البصرة .

وغزا الصائفة في هذه السنة زُفَر بن عاصم الهلاليّ فبلغ الفرات . ٣/٣٧٣

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن إبراهيم ، وهو عامل أبي جعفر على مكة والطائف .

---

(١) ط : « بمعائشنا » . وهو خطأ .

وكان على المدينة الحسن بن زيد ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان ، وعلى البصرة عبد الملك بن أيوب بن ظَبْيان . وعلى قضائها سوّار بن عبد الله وعلى السِّنْد هشام بن عمرو ، وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد ابن سعيد .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك افتتاح يزيد بن حاتم إفريقيّة وقتلُه أبا عاد وأبا حاتم ومَنْ كان معهما ، واستقامت بلاد المغرب ، ودخل يزيد بن حاتم القَيْروان .

وفيها وجّه المنصور ابنَه المهدىّ لبناء مدينة الرّافقة ، فشخص إليها ، فبناها على بناء مدينته ببغداد فى أبوابها وفصولها ورحابها وشوارعها وسوّر سورها وخندقها ، ثم انصرف إلى مدينته .

وفيها — فيما ذكر محمد بن عمر — خندَق أبو جعفر على الكوفة والبصرة ، وضرب عليهما سوراً ، وجعل ما أنفق على سور ذلك وخندقه من أموال أهله .

وعزل فيها المنصور عبدَالملك بن أيوّب بن ظَبْيان عن البصرة ، واستعمل عليها الهيْثم بن معاوية العتكىّ ، وضم إليه سعيد بن دَعْلَج ، وأمره ببناء سور لها يُطيف بها ، وبخندق عليها من دون السّور من أموال أهلها ، ففعل ذلك . ٣/٣٧٤

وذكِر أن المنصور لما أراد الأمر ببناء سُور الكوفة وبحفر خندق لها ، أمر بقسمة خمسة دراهم ، على أهل الكوفة ، وأراد بذلك علم عددهم ؛ فلما عرف عددهم أمر بجبايتهم أربعين درهماً من كل إنسان ، فجُبوا ، ثم أمر بإنفاق ذلك على سُور الكوفة وحفر الخنادق لها ، فقال شاعرهم :

يَالَقَوْمِى مَا لَقِينَا * مِنْ أَمِيرِ الْمؤْمِنِينَا
قَسَمَ الخمسة فينَا * وجَبَانا الأَرْبَعِينَا

وفيها طلب صاحب الروم الصُّلح إلى المنصور ، على أن يؤدّى إليه الجزية .

وغزا الصائفة فى هذه السنة يزيد بن أسيد السُّلمىّ .

وفيها عزل المنصور أخاه العبّاس بن محمد عن الجزيرة ، وغرّمه مالا ،

وغضِب عليه وحبسه ، فذكر عن بعض بنى هاشم ، أنه قال : كان المنصور ولّى العباس بن محمد الجزيرة بعد يزيد بن أُسَيد ، ثم غضب عليه فلم يزل ساخطًا عليه حتى غضب على بعض عمومته من ولد علىّ بن عبد الله بن عباس أما إسماعيل بن علىّ أو غيره فاعتوره أهلُه وعمومته ونساؤهم يكلّمونه [1] فيه ، وضيّقوا عليه فرضِىَ عنه ، فقال عيسى بن موسى : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن آل علىّ بن عبد الله — وإن كانت نعمُك عليهم سابغةً — فإنهم يرجعون إلى الحسد لنا [2] ؛ فمن ذلك أنك غضبت على إسماعيل بن علىّ منذ أيام ، فضيّقوا عليك [3] . وأنت غضبان على العباس بن محمد ، منذ كذا وكذا ؛ فما رأيت أحداً منهم كلّمك فيه . قال : فدعا العباس فرضِىَ عنه . ٣٧٥/٣

قال : وقد كان يزيد بن أسَيْد عند عزل العباس إياه عن الجزيرة ، شكا إلى أبى جعفر العبّاس ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن أخاك أساء عزلِى ، وشتم عِرْضى ، فقال له المنصور : اجمع بين إحسانى إليك وإساءة أخى يعتدلا ، فقال يزيد بن أسَيد : يا أميرَ المؤمنين ؛ إذا كان إحسانُكم جزاء بإساءتكم ، كانت طاعتنا تفضُّلاً منا عليكم .

وفيها استعمل المنصور على حرب الجزيرة وخراجها موسى بن كعب .

* * *

وفى هذه السنة عزل المنصور عن الكوفة محمد بن سليمان بن علىّ ، فى قول بعضهم ، واستعمل مكانه عمرو بن زهير أخا المسيِّب بن زهير .

وأما عمر بن شبّة فإنه زعم أنه عزل محمد بن سليمان عن الكوفة فى سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وولاّها عمرو بن زهير الضبّىّ أخا المسيّب بن زهير فى هذه السنة . قال : وهو حفر الخندق بالكوفة .

* * *

ذكر الخبر عن سبب عزل المنصور محمد بن سليمان بن علىّ

ذكر أن محمد بن سليمان أتِىَ فى عمله على الكوفة بعبد الكريم بن أبى العوْجاء

(١) ب : « يطلبونه » . (٢) ب : « لهم » .
(٣) بعدها فى ابن الأثير : « حتى رضيت عنه » .

— وكان خال معن بن زائدة — فأمر بحبسه . قال أبو زيد : فحدّثني قُثَم بن جعفر والحسين بن أيوب وغيرهما أن شفعاءه كَثُروا بمدينة السلام ، ثم ألحُّوا على أبي جعفر ، فلم يتكلّم فيه إلا ظَنين ، فأمر بالكتاب إلى محمد بالكفّ عنه إلى أن يأتيَه رأيُه ، فكلم ابنُ أبي العوجاء أبا الجبّار — وكان منقطعًا إلى أبي جعفر ومحمد ثم إلى أبنائهما بعدهما — فقال له : إنْ أخرّني الأمير ثلاثة أيام فله مائة ألف ، ولك أنت كذا وكذا ، فأعلم أبو الجبار محمداً ، فقال : أذكرتنيه والله وقد كنت نسيته ؛ فإذا انصرفت من الجمعة فأذكِرْنيه . فلما انصرف أذكره ، فدعا به وأمر بضرب عُنقه ، فلما أيقن أنه مقتول ، قال : أما والله لئن قتلتموني لقد وضعتُ أربعة آلاف حديث أحرِّم فيها الحلال ، وأحِلّ فيها الحرام ؛ والله لقد فطّرتكم في يوم صومكم ، وصوّمتكم في يوم فطركم ، فضُربت عنقه . ٣/٢٧٦

وورد على محمد رسول أبي جعفر بكتابه : إياك أن تحدِث في أمر ابن أبي العوجاء شيئًا ، فإنك إن فعلتَ فعلتُ بك وفعلتُ... يتهدّده . فقال محمد للرسول : هذا رأس ابن أبي العوجاء وهذا بدنُه مصلوبًا بالكُناسة ، فأخبِرْ أمير المؤمنين بما أعلمتك ؛ فلما بلّغ الرسولُ أبا جعفر رسالتَه ، تغيّظ عليه وأمر بالكتاب بعزله وقال : والله لهممتُ[1] أن أقيده به ، ثم أرسل إلى عيسى بن عليّ فأتاه ، فقال : هذا عملك أنت ! أشرت بتولية هذا الغلام ، فوليتُه غلامًا جاهلا لا علمَ له بما يأتي ؛ يُقدم على رجل يقتله من غير أن يطّلع رأيي فيه ، ولا ينتظر أمري ! وقد كتبت بعزله ؛ وبالله لأفعلنّ به ولأفعلنّ . . . يتهدّده ، فسكت عنه عيسى حتى سكن غضبُه ، ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن محمداً إنما قتل هذا الرجل على الزّندقة ، فإن كان قتلُه صوابًا فهو لك ، وإن كان خطأً فهو على محمد ، والله يا أمير المؤمنين لئن عزلتَه على تفيّة ما صنع ليذهبنّ بالثناء والذكر ، ولترجعنّ القالّة من العامّة عليك . فأمر بالكتب فمُزِّقت وأقِرّ[2] على عمله . ٣/٢٧٧

وقال بعضهم : إنما عزل المنصور محمد بن سليمان عن الكوفة لأمور قبيحة

---

(١) ج : « لقد هممتَ » .

(٢) ج . « وأقره » .

بلغته عنه ، اتهمه فيها ؛ وكان الذى أنهى ذلك إليه المساور بن سوّار الجَرْمىّ صاحب شُرطه ، وفى مساور يقول حمّاد[١] .

لحَسْبُك من عجيبِ الدّهْرِ أنّى[٢] أخاف وأتّقى سلطانَ جَرْمِ

* * *

وفى هذه السنة أيضًا عزل المنصور الحسن بن زيد عن المدينة ، واستعمل عليها عبدَ الصّمد بن علىّ ، وجعل معه فُلَيْح بن سليمان مشرفًا عليه .

وكان على مكة والطائف محمّد بن إبراهيم بن محمد ، وعلى الكوفة عمرو بن زهير ، وعلى البصرة الهيثم بن معاوية ، وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد بن سعيد .

---

(١) هو حماد عجرد ؛ وانظر أخباره فى الأغانى ٤ : ٣٢١ - ٣٨١ .
(٢) ب : « بحسبك » .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة

ذكرَ الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل عمرو بن شداد]

فمن ذلك ما كان من ظَفَر الهيثم بن معاوية عامل أبي جعفر على البَصْرة بعمرو بن شدّاد عامل إبراهيم بن عبد الله على فارس ، فقتِل بالبصرة وصُلِب .

* ذكر الخبر عن سبب الظَّفَر به :

ذكر عمر أن محمّد بن معروف حدّثه ، قال : أخبرني أبي ، قال : ضرب عمرو بن شدّاد خادمًا له ، فأتى عاملَ البصرة — إما ابن دعْلج ، وإما الهيثم ابن معاوية — فدلّه عليه ، فأخذه فقتله وصلَبه في المرْبَد في موضع دار إسحاق ابن سليمان . وكان عمرو مولًى لبني جُمح ، فقال بعضهم : ظفر به الهيثم ابن معاوية وخرج يريد مدينة السلام ، فنزل بقصر له على شاطئ نهر يعرف بنهر معقِل ، فأقبل بريد من عند أبي جعفر ، ومعه كتاب إلى الهيثم بن معاوية بدفع عمرو بن شداد إليه ، فدفعه الهيثم إليه ، فأقدمه البصرة ، ثم أتى به ناحية الرّحبة ، فخلا به يسائله ، فلم يظفر منه بشيء يحبّ علمَه ، فقطع يديْه ورجليه ، وضرب عنقه وصلَبه في مَرْبد البصرة . ٣٧٨/٣

* * *

وفي هذه السنة عزل المنصور الهيثم بن معاوية عن البصرة وأعمالها ، واستعمل سوّار بن عبد الله القاضي على الصلاة ، وجمع له القضاء والصّلاة . وولّى المنصور سعيد بن دعْلج شُرَط البصرة وأحداثها .

وفيها تُوُفّيَ الهيثم بن معاوية بعد ما عزل عن البصرة فجأة بمدينة السلام ، وهو على بطن جارية له ، فصلّى عليه المنصور ، ودفن في مقابر بني هاشم .

وفي هذه السنة غزا الصائفةَ زُفَرُ بن عاصم الهلاليّ .

وحجّ بالناس فى هذه السنة العباس بن محمد بن علىّ .

* * *

وكان العامل على مكة محمد بن إبراهيم ، وكان مقيماً بمدينة السلام، وابنه إبراهيم بن محمد خليفته بمكة ؛ وكان إليه مع مكة الطائف . وعلى الكوفة عمرو بن زهير ، وعلى الأحداث والجوالى والشُّرط وصدقات أرض العرب بالبصرة سعيد بن دعْلج ، وعلى الصلاة بها والقضاء سوّار بن عبد الله، وعلى كُور دِجْلة والأهواز وفارس عُمارة بن حمزة، وعلى كِرْمان والسِّنْد هشام بن عمرو، وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد بن سعيد .

٣/٣٧٩

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك ابتناء المنصور قصرَه الذى على شاطئ دجلة ؛ الذى يدعَى الخُلْد ، وقسّم بناءه على مولاه الربيع وأبان بن صدقة .

وفيها قُتل يحيى أبو زكرياء المحتسب ؛ وقد ذكرنا قبلُ سببَ قتله إياه .

وفيها حوّل المنصور الأسواق من مدينة السلام إلى باب الكَرْخ وغيره من المواضع ، وقد مضى أيضًا ذكرُنا سبب ذلك قبل .

وفيها ولّى المنصور جعفرَ بن سليمان على البحرين ، فلم يتمّ ولايته ، ووجّه مكانه أميراً عليها سعيد بن دعْلج ؛ فبعث سعيد ابنَه تميماً عليها .

وفيها عرض المنصور جندَه فى السلاح والخيل على عينه فى مجلس اتّخذه على شطّ دِجْلة دون قُطْرَبُّل ، وأمر أهلَ بيته وقرابته وصحابته يومئذ بلبس السلاح ، وخرج وهو لابس درعاً وقلنسُوة تحت البَيْضة سوداء لاطئة مضرّبة(١) .

٣/٣٨٠ وفيها توفى عامر بن إسماعيل المسليّ . بمدينة السلام ، فصلّى عليه المنصور ، ودُفِن فى مقابر بنى هاشم .

وفيها تُوُفِّىَ سوّار بن عبد الله وصلّى عليه ابنُ دعلَج ، واستعمل المنصور مكانه عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبرىّ .

وفيها عقد المنصور الجسر عند باب الشعير ، وجرى ذلك على يد حُميد القاسم الصَّيْرفىّ ، بأمر الربيع الحاجب .

وفيها عُزِل محمد بن سعيد الكاتب عن مصر ، واستُعمل عليها مَطر مولى أبى جعفر المنصور .

---

(١) كذا فى ب ه ؛ وهو الصواب ؛ وفى ط : « مصرية » .

وفيها وُلّى معبد بن الخليل السِّنْد ، وعُزِل عنها هشام بن عمرو ، ومعبد يومئذ بخُراسان ؛ كتب إليه بولايته .

وغزا الصائفة فيها يزيد بن أسَيد السُّلمىّ ، ووجّه سناناً مولى البطّال إلى بعض الُحصون ، فسبي وغنم .

وقال محمد بن عمر : الذى غزا الصائفةَ فى هذه السنة زُفر بن عاصم .

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن يحيي بن محمد بن علىّ بن عبد الله ابن عباس .

قال محمد بن عمر : كان على المدينة — يعنى إبراهيم هذا .

وقال غيرُه : كان على المدينة فى هذه السنة عبد الصمد بن علىّ ، وكان على مكة والطائف محمد بن إبراهيم ، وعلى الأهواز وفارس عُمارة بن حمزة ، وعلى كَرْمان والسِّنْد معبد بن الخليل ، وعلى مصر مَطر مولى المنصور .

٣/٣٨١

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن تولية خالد بن برمك الموصل]

فمما كان فيها من ذلك توجيهُ المنصور ابنَه المهديّ إلى الرَّقة وأمرُه إياه بعزْل موسى بن كعب عن الموصِل وتولية يحيى بن خالد بن بَرْمك عليها .
وكان سببُ ذلك — فيما ذكر الحسن بن وهب بن سعيد عن صالح بن عطية — قال : كان المنصور قد ألزم خالدَ بن برمك ثلاثة آلاف ألف ، ونذر دمَه فيها ، وأجّله(١) ثلاثة أيام بها ، فقال خالد لابنه يحيى : يا بنيّ ، إنى قد أوذيت وطُولبت بما ليس عندى ، وإنما يراد بذلك دمِى ؛ فانصرف إلى حرمتك وأهلِك ، فما كنت فاعلا بهم بعد موتى فافعله . ثم قال له : يا بنيّ ، لا يمنعنّك ذلك من أن تلقى إخواننا ، وأن تمرّ بعُمارة بن حمزة وصالح صاحب المصلَّى ومبارك التركىّ فتعلِمهم حالنا .

قال : فذكر صالح بن عطية أنّ يحيى حدّثه ، قال : أتيتهم فمنهم من تجهّمنى وبعث بالمال سرًّا إلىّ(٢) ، ومنهم مَنْ لم يأذن لى ، وبعث بالمال فى أثرى . قال : واستأذنتُ على عُمارة بن حمزة ، فدخلت عليه وهو فى صَحْن داره ، مقابل بوجهه الحائط ؛ فما انصرف إلىّ بوجهه ، فسلّمت عليه ، فردّ علىّ ردًّا ضعيفًا ، وقال : يا بُنَىّ ؛ كيف أبوك ؟ قلت : بخير ، يقرأ عليك السلام ويعلمك ما قد لزمه من هذا الغُرْم ، ويستسلفك مائة ألف درهم . قال : فما ردّ علىّ قليلا ولا كثيراً ، قال : فضاق بى موضعى ، ومادتْ بى الأرضُ . قال : ثم كلّمتُه فيما أتيته له . قال : فقال : إن أمكننى شىء فسيأتيك ، قال يحيى : فانصرفتُ وأنا أقول فى نفسى : لعن الله كلّ شىء يأتى

٣/٣٨٢

---

(١) ب : « وأحله » .
(٢) ج : « على » .

من تيهك وعُجْبك وكبرك ! وصرت إلى أبى ، فأخبرته[١] الخبر ، ثم قلت له : وأراك تثق من عُمارة بن حمزة بما لا يوثق به ! قال : فوالله إنى لكذلك ؛ إذ طلع رسولُ عُمارة بن حمزة بالمائة ألف . قال : فجمعنا فى يومين ألفَىْ ألف وسبعمائة ألف ، وبقيت ثلثمائة ألف بوجودها يتمّ ما سعينا له[٢] ، وبتعذّرها يبطل . قال : فوالله إنى لعلى الجسر ببغداد مارًّا مهمومًا مغمومًا ؛ إذ وثب إلىّ زاجر ، فقال : فرخ الطائر أخبرك ! قال : فطويتُه مشغول القلب عنه ، فلحقنى وتعلّق بلجامى ، وقال لى : أنت والله مهموم ، ووالله ليُفرِجَنّ الله همّك ، ولتمرّنّ غداً فى هذا الموضع واللواء بين يديك . قال : فأقبلتُ أعجب من قوله . قال : فقال لى : إن كان ذلك فلِى عليك خمسة آلاف درهم ؟ قلت : نعم — ولو قال خمسون ألفًا لقلت نعم ، لبعد ذلك عندى من أن يكون — قال : ومضيتُ . وورد على المنصور انتقاضُ الموصل وانتشارُ الأكراد بها ، فقال : مَنْ لها ؟ فقال له المسيّب بن زهير — وكان صديقًا لخالد بن برمك : عندى يا أمير المؤمنين رأى ، أرى أنك لا تنتصحه[٣] ؛ وأنك ستلقانى بالردّ ، ولكنى لا أدَع نصحَك فيه والمشورة عليك به ، قال : قل ، فلا أستغشّك ، قلت : يا أمير المؤمنين ما رميتَها بمثل خالد ، قال : ويحك ! فيصلح لنا بعد ما أتينا إليه ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ إنما قوّمتَه بذلك وأنا الضامن عليه ، قال : فهو لها والله ، فليحضرنى غداً . فأحضِر ، فصفح له عن الثلثمائة ألف الباقية ، وعقد له .

٣٨٣/٣

قال يحيى : ثم مررتُ بالزاجر ، فلما رآنى قال : أنا هاهنا أنتظرك منذ غُدوة ، قلت : امض معِى ، فمضى معى ، فدفعتُ إليه الخمسة الآلاف .

قال : وقال لى أبى : أى بُنَىّ ؛ إن عُمارة تلزمه حقوق ، وتنوبه نوائب فأتِه ، فأقرئه[٤] السلام ، وقل له : إن الله قد وهب لنا رأىَ أمير المؤمنين ، وصفح لنا عما بقى علينا ، وولاّنى[٥] الموصل ؛ وقد أمر بردّ ما استسلفت[٦] منك . قال : فأتيته فوجدته على مثل الحال التى لقيتُه عليه ، فسلمت فما ردّ

(١) ج : « فأعلمنه » .
(٢) ب : « عليه » .
(٣) ج : « تتنصحه » .
(٤) ط : « فاقرأه » وهو خطأ .
(٥) ج : « ووقد ولانى » .
(٦) ج : « استسلف » .

السلام علىّ ، ولا زادنى على أن قال : كيف أبوك ؟ قلت : بخير ، يقول كذا وكذا ، قال : فاستوى جالساً ، ثم قال لى : ما كنتُ إلا قسطاراً[١] لأبيك ؛ يأخذ منى إذا شاء ، ويردّ إذا شاء ! قمْ عنى لا قمتَ ! قال : فرجعتُ إلى أبى فأعلمته ، فقال لى أبى : يا بنىّ ، هو عُمارة ومَنْ لا يعترض عليه !

قال : فلم يزل خالد على الموصل إلى أن توفّى المنصور ويحيى على أذرَبيجان ، فذكر عن أحمد بن محمد بن سوار الموصلىّ أنه قال : ما هِبْنا قطّ أميراً هيبتنَا خالد بن برمكٍ من غير أن تشتدّ عقوبتُه ، ولا نرى منه جَبَرِيّة ؛ ولكن هيبة كانت له فى صدورنا .

وذكر أحمد بن معاوية بن بكْر الباهلىّ ، عن أبيه ، قال : كان أبو جعفر غضِب على موسى بن كعب — وكان عامله على الجزيرة والموْصِل — فوجّه المهدىّ إلى الرّقة لبناء الرّافقة ، وأظهر أنه يريد بيتَ المقدس ، وأمره بالمرور والمضىّ على الموصل ، فإذا صار بالبلَد أخذ موسى بن كعب فقيّده ، وولّى خالد بن برْمك الموصل مكانَه ، ففعل المهدىّ ذلك ، وخلّف خالداً على الموصِل ، وشخص معه أخوا خالد : الحسن وسليمان ابنا برمك ، وقد كان المنصور دعا قبل ذلك يحيى بن خالد ، فقال له : قد أردتك لأمر مهمّ من الأمور ، واخترتُك لثغر من الثغور ؛ فكن على أهبة ؛ ولا يعلم بذلك أحد حتى أدعوَك . فكتم أباه الخبر ؛ وحضر الباب فيمن حضر ؛ فخرج الرّبيع ، فقال : يحيى بن خالد ! فقام فأخذ بيده ، فأدخله على المنصور ، فخرج على النّاس وأبوه حاضر واللواء بين يديه على أذرَبيجان ، فأمر الناسَ بالمضىّ معه ، فمضوا فى موكبه ، وهنئوه وهنئوا أباه خالداً بولايته ، فاتّصل عملهما . ٣/٣٨٤

وقال أحمد بن معاوية : كان المنصور معجباً بيحيى ، وكان يقول : ولد الناس ابناً وولد خالد[٢] أباً .

* * *

وفى هذه السنة نزل المنصورُ قصرَه الذى يعرف بالخُلْد .

وفيها سخِط المنصور على المسيّب بن زهير وعزلَه عن الشُّرطة ، وأمر

(١) القسطار : منتقد الدراهم . (٢) ط : « يحيى » ، وهو خطأ صوابه من هـ .

بحبسه وتقييده ، وكان سبب ذلك أنه قتل أبان بن بشير الكاتب بالسِّياط ، لأمرٍ كان وجَد عليه فيما كان من شركته لأخيه عمرو بن زهير فى ولاية الكوفة وخراجها ، وولّى مكان المسيَّب الحكم بن يوسف صاحب الحرب ، ثم كلّم المهدىّ أباه فى المسيِّب ، فرضى عنه بعد حبسه إيّاه أيامًا ، وأعاد إليه ما كان يلى من شُرَطه .

وفيها وجّه المنصور نصرَ بن حرب التميمىّ واليًا على ثغر فارس .

وفيها سقط المنصور عن دابّته بجَرْجَرايا ، فانشجَّ ما بين حاجبيه ؛ وذلك أنه كان خرج لمّا وجّه ابنه المهدىّ إلى الرّقة مشيِّعًا له ، حتى بلغ موضعًا يقال له جُبّ سُمّاقا ، ثم عدل إلى حَوْلايا ، ثم أخذ على النّهروانات فانتهى — فيما ذكر — إلى بَثْق[1] من النّهروانات يصبّ إلى نهر دَيالَى ، فأقام على سَكْره[2] ثمانية عشر يومًا ، فأعياه ، فمضى إلى جَرْجَرايا ، فخرج منها للنظر إلى ضَيْعة كانت لعيسى بن علىّ هناك ، فصُرِع من يومه ذلك عن برذون له دَيْزج[3] ، فشُجَّ فى وجهه ، وقدم عليه وهو بجَرْجَرايا أسارى من ناحية عُمان من الهند ، بعث بهم إليه تسنيم بن الحوارى مع ابنه محمد ، فهمّ بضرب أعناقهم ، فساءلهم فأخبروه بما التبس به أمرهم عليه ؛ فأمسك عن قتلهم وقسّمهم بين قوّاده ونُوّابه .

٣/٣٨٥

وفيها انصرف المهدىّ إلى مدينة السلام من الرّقّة فدخلها فى شهر رمضان .

وفيها أمر المنصور بمرَمّة القصر الأبيض ، الذى كان كسرى بناه ، وأمر أن يغرّم كلّ مَنْ وُجد فى داره شئ من الآجرّ الخُسْروانىّ ، مما نقضه من بناء الأكاسرة ، وقال : هذا فىء المسلمين ، فلم يتمّ ذلك ولا ما أمر به من مرمّة القصر .

وفيها غزا الصائفةَ معيوف بن يحيى من دَرْب الحدَث ، فلقى العدوّ فاقتتلوا ثم تحاجزوا .

---

(١) بثق النهر : كسر شطه لينبثق الماء ، واسم الموضع البثق ، بفتح وبكسر . وفى ج : « شق » .

(٢) سكر النهر : سد فاه .

(٣) فى اللسان : الدزج ، لا أعرف معناه ها هنا ؛ إلا أن الديزج معرب ديزه ، وهى لون بين لونين غير خالص» .

[ذكر الخبر عن حبس ابن جريج وعباد بن كثير والثورى]

وفى هذه السنة حبس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ، وهو أمير مكة – فيما ذكر– بأمر المنصور إياه بحبسهم: ابنَ جريج وعبّاد بن كثير والثورىّ، ثمّ أطلقهم من الحبس بغير إذن أبى جعفر، فغضب عليه أبو جعفر. ٣/٣٨٦

وذكر عمر بن شبّة أن محمد بن عمران مولى محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس حدّثه عن أبيه، قال: كتب المنصور إلى محمد ابن إبراهيم – وهو أمير على مكة – يأمره بحبس رجل من آل علىّ بن أبى طالب كان بمكة، وبحبس ابن جُريج وعباد بن كثير والثورىّ، قال: فحبسهم؛ فكان له سُمّار يسامرونه بالليل؛ فلما كان وقت سمَره جلس وأكبّ على الأرض ينظر إليها، ولم ينطق بحرف حتى تفرّقوا. قال: فدنوتُ منه فقلت له: قد رأيتُ ما بك، فما لك؟ قال: عمَدتُ إلى ذى رحِم فحبستُه، وإلى عيونٍ من عيون الناس فحبستُهم، فيقدم أميرُ المؤمنين ولا أدرى ما يكون؛ فلعلّه أن يأمر بهم فيقتلوا، فيشتدّ سلطانه وأهْلِكَ دينى؛ قال: فقلت له: فتصنع ماذا؟ قال: أوثر الله، وأطلِق القوم؛ اذْهَبْ إلى إبلى فخُذْ راحلةً منها، وخذ خمسين ديناراً فأت بها الطالبىّ وأقرئه السلام، وقل له: إنّ ابن عمّك يسألك أن تحلّله من ترويعه إياك، وتركب هذه الراحلة، وتأخذ هذه النفقة. قال: فلما أحسّ بى جعل يتعوّذ بالله من شَرّى، فلما أبلغتُه قال: هو فى حلّ ولا حاجة لى إلى الرّاحلة ولا إلى النفقة. قال: قلت: إنّ أطيب لنفسه أن تأخذ، ففعل. قال: ثم جئتُ إلى ابن جُريج وإلى سفيان بن سعيد وعباد بن كثير فأبلغتهم ما قال، قالوا: هو فى حلّ، قال: فقلت لهم: يقول لكم: لا يَظهرَنّ أحد منكم ما دام المنصور مقيماً. قال: فلما قرب المنصور وجّهنى محمد بن إبراهيم بألطاف، فلما أخبِرَ المنصورُ أنّ رسول محمد بن إبراهيم قدم، أمر بالإبل فضرِبت وجوهها. ٣/٣٨٧

قال: فلما صار إلى بئر ميمون لقيه محمد بن إبراهيم، فلما أخبِر بذلك أمر بدوابّه فضرِبت وجوهها، فعدل محمّد، فكان يسير فى ناحية. قال:

وعدِل بأبى جعفر عن الطريق فى الشقّ الأيسر فأنيخ به، ومحمد واقف قُبالته ، ومعه طبيب له؛ فلما ركب أبو جعفر وسار ، وعديلُه الرَّبيع أمر محمد الطبيب فمضى إلى موضع مناخ أبى جعفر ، فرأى نجْوه ، فقال لمحمد : رأيتُ نجوّ رجل لا تطول به الحياة ؛ فلما دخل مكة لم يلبث أن مات وسلِم محمد .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة أبى جعفر المنصور]

وفيها شخص أبو جعفر من مدينة السلام ، متوجهًا إلى مكة ؛ وذلك فى شوّال ، فنزل — فيما ذكر — عند قصر عبْدَوَيْه ، فانقضّ فى مقامه هنالك كوكب ، لثلاث بقين من شوّال بعد إضاءة الفجر ، فبقِى أثرُه بيِّناً إلى طلوع الشمس ، ثم مضى إلى الكوفة ، فنزل الرُّصافة ، ثم أهلّ منها بالحجّ والعُمرة ، وساق معه الهَدْىَ وأشعرَه وقلّده ؛ لأيامٍ خلت من ذى القعدة . فلما سار منازل من الكوفة عرضَ له وجعه الذى توفِّىَ منه .

واختُلف فى سبب الوجع الذى كانت منه وفاته ؛ فذُكر عن علىّ بن محمد بن سليمان النوفلىّ ، عن أبيه ، أنه كان يقول : كان المنصور لا يستمرئ طعامه؛ ويشكو من ذلك إلى المتطبِّبين ويسألهم أن يتخذوا له الجوارشنات[1] ؛ فكانوا يكرهون ذلك ويأمرونه أن يُقلّ من الطعام ، ويخبرونه أن الجَوارشنات تُهضم فى الحال، وتُحدِث من العلّة ما هو أشدّ منه عليه؛ حتى قدم عليه طبيب من أطبّاء الهند ، فقال له كما قال له غيره ؛ فكان يتّخذ له سَفوفاً جَوارشناً يابساً ، فيه الأفاويه والأدوية الحارة ، فكان يأخذه فيهضم طعامه فأحمده . قال : فقال لى أبى : قال لى كثير من متطبّبى العراق : لا يموت والله أبو جعفر أبداً إلا بالبَطْن ، قال : قلت له : وما علمك ؟ قال : هو يأخذ الجوارِشن فيهضم طعامه ؛ ويخلق من زئبر مَعِدَتِه فى كلّ يوم شيئاً ، وشحم مصارينه ، فيموت ببطنه . وقال لى : اضرِب لذلك مثلاً ،

٣/٣٨٨

(١) فى اللسان : « الجوارشن : نوع من الأدوية المركبة ، يقوى المعدة ، ويهضم الطعام ، قال: وليست اللفظة بعربية » .

أرأيت لو أنك وضعت جرًّا على مترْفع ، ووضعت تحتها آجرّة جديدة فقطرتْ ، أما كان قَطْرها يثقب الآجرّة على طول الدهر ! أو ما علمت أن لكلّ قطرة خدًّا ! قال : فمات والله أبو جعفر – كما قال – بالبطن [1] .

وقال بعضهم : كان بدءُ وجعه الذى مات فيه من حرٍّ أصابه من ركوبه فى الهواجر ، وكان رجلا محروراً على سنّه ، يغلب عليه المرار الأحمر ، ثم هاض بطنه ، فلم يزل كذلك حتى نزل بستانَ ابن عامر ، فاشتدّ به ، فرحل عنه فقصَّر عن مكة ، ونزل بئر ابن المرتفع ، فأقام بها يوماً وليلة ، ثم صار منها إلى بئر ميمون ؛ وهو يسأل عن دخوله الحرَم ، ويوصى الرّبيع بما يريد أن يوصيه ، وتُوُفِّىَ بها فى السَّحَر أو مع طلوع الفجر ليلة السبت لستٍّ خلوْن من ذى الحجَّة ، ولم يحضره عند وفاته إلا خدَمه والربيع مولاه ؛ فكتم الربيع موته ، ومنع النساء وغيرهنّ من البكاء عليه والصُّراخ ، ثم أصبح فحضر أهلُ بيته كما كانوا يحضرون ، وجلسوا مجالسهم ؛ فكان أول من دُعى به عيسى بن علىّ ، فمكث ساعة ، ثم أذن لعيسى بن موسى – وقد كان فيما خلا يقدَّم فى الإذن على عيسى بن علىّ ، فكان ذلك مما ارتيب به – ثم أذن للأكابر وذوى الأسنان من أهل البيت ، ثم لعامَّتهم ؛ فأخذ الربيع بيعتَهم لأمير المؤمنين المهدىّ ولعيسى بن موسى من بعده ، علَى يد موسى بن المهدىّ حتى فرغ من بيعة بنى هاشم ؛ ثم دعا بالقوّاد فبايَعوا ولم ينكل منهم عن ذلك رجلٌ إلا علىّ ابن عيسى بن ماهان ؛ فإنه أبى عند ذكر عيسى بن موسى أن يبايع له ، فلطمه محمد بن سليمان ، وقال : ومن هذا العلج ! وأمصّه [2] ، وهمّ بضرب عنقه ، فبايع ، وتتابع الناس بالبيعة . وكان المسيب بن زهير أوّلَ مَن استثنى فى البيعة ، وقال : عيسى بن موسى : إن كان كذلك . فأمْضَوْه .

٣/٣٨٩

وخرج موسى بن المهدىّ إلى مجلس العامة ، فبايع مَنْ بقِى من القواد والوجوه ، وتوجَّه العباس بن محمد ومحمد بن سليمان إلى مكة ليبايع أهلَها بها ؛

---

(١) ب : « بالبطنة » .

(٢) يقال : أمص فلان فلاناً إذا شتمه بالمصان ، والمصان : شتم للرجل يعير برضع الغنم من أخلافها .

وكان العباس يومئذ المتكلّم ، فبايع الناس للمهدىّ بين الركن والمقام ، وتفرّق عِدّة من أهل بيت المهدىّ فى نواحى مكة والعسكر فبايعه الناس ، وأخذ فى جِهاز المنصور وغسله وكفنه ، وتولّى ذلك من أهل بيته العباس بن محمد والربيع والرّيان وعدّة من خَدَمه ومواليه ، ففرغ من جهازه مع صلاة العصر ، وغطّى من وجهه وجميع جسده بأكفانه إلى قُصاص شعره ، وأبدى رأسه مكشوفًا من أجل الإحْرام ، وخرج به أهل بيتِه والأخصّ من مواليه ، وصلّى عليه — فيما زعم الواقدىّ — عيسى بن موسى فى شِعب الحُوز[1] . ٣٩٠/٣

وقيل : إن الذى صلّى عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علىّ . وقيل : إنّ المنصور كان أوصى بذلك ؛ وذلك أنه كان خليفتَه على الصلاة بمدينة السلام .

وذَكر علىّ بن محمد النوفلىّ ، عن أبيه ، أنّ إبراهيم بن يحيى صلى عليه فى المضارب قبل أن يُحمل ؛ لأن الربيع قال : لا يصلّى عليه أحد يطمع فى الخلافة ، فقدّموا إبراهيم بن يحيى — وهو يومئذ غلام حَدَث — وذفن فى المقبرة التى عند ثَنيّة المدنيين[2] التى تسمّى كذا ، وتسمى ثَنيّة المَعْلاة ؛ لأنها بأعلَى مكة ، ونزل فى قبره[3] عيسى بن علىّ والعباس بن محمد وعيسى بن موسى ، والربيع والرّيان موْلياه ، ويقطين بن موسى .

* * *

واختلف فى مبلغ سنه يوم توفّى ، فقال بعضهم : كان يوم توفّىَ ابن أربع وستين سنة .

وقال بعضهم : كان يومئذ ابن خمس وستين سنة .

وقال بعضهم : كان يوم توفّىَ ابن ثلاث وستين سنة .

وقال هشام بن الكلبىّ : هلك المنصور وهو ابن ثمان وستين سنة .

---

(١) ب : « الحور » ، ج : « الحوز » . (٢) ب : « المدينتين » .
(٣) ب : « مقبره » .

وقال هشام : ملك المنصور اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة وعشرين يوماً .

٣٩١/٣ واختُلف عن أبى معشر فى ذلك ، فحدثنى أحمد بن ثابت الرازىّ عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى عنه أنه قال : توفِّىَ أبو جعفر قبل يوم التروية بيوم يوم السبت ، فكانت خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا ثلاثة أيام .

وروى عن ابن بكّار عنه أنه قال : إلا سبع ليال .

وقال الواقدىّ : كانت ولاية أبى جعفر اثنتين وعشرين سنة إلا ستة أيام .

وقال عمر بن شبّة : كانت خلافته اثنتين وعشرين سنة غير يومين .

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علىّ .

وفى هذه السنة هلك طاغية الروم .

* * *

ذكر الخبر عن صفة أبى جعفر المنصور

ذُكر أنه كان أسمر طويلاً ، نحيفاً . خفيفَ العارضين .

وكان وُلِد بالحُمَيْمة .

* * *

ذكر الخبر عن بعض سيره

ذُكر عن صالح بن الوجيه ، عن أبيه ، قال : بلغ المنصورَ أن عيسى ابن موسى قتل رجلا من ولد نصر بن سيّار ، كان مستخفياً بالكوفة ، فدُلّ عليه ، فضرب عنقه . فأنكر ذلك وأعظمه ، وهمّ فى عيسى بأمر كان فيه هلاكه ، ثم قطعه عن ذلك جهلُ عيسى بما فعل . فكتب إليه :

أما بعد ، فإنه لولا نظرُ أمير المؤمنين واستبقاؤه لم يؤخِّرْك عقوبة قتل ابن نصر بن سيّار واستبدادك به بما يقطع أطماعَ العمال فى مثله ، فأمسِكْ عمّن ولاك أمير المؤمنين أمره ؛ من عربىّ وأعجمىّ ، وأحمر وأسود ، ولا تستبدّنّ على أمير المؤمنين بإمضاء عقوبة فى أحد قِبَلَه تباعة[1] ، فإنه لا يرى أن يأخذ ٣٩٢/٣

---

(١) التباعة ، مثل التبعة .

أحداً بظنّة قد وضعها الله عنه بالتوبة، ولا بحَدَث كان منه فى حرب أعقبه الله منها سِلْمًا ستر به عن ذى غِلّة ، وحجز به عن محنة ما فى الصدور ؛ وليس ييأس أمير المؤمنين لأحد ولا لنفسه من الله من إقبال مدبر ؛ كما أنه لا يأمن إدبار مقبل . إن شاء الله والسلام .

وذكر عن عباس بن الفضل ، قال : حدّثنى يحيى بن سُليم كاتب الفضل بن الربيع ، قال : لم يُرَ فى دارِ المنصور لهوٌ قطّ ، ولا شىء يشبه اللّهو واللعب والعبث إلا يومًا واحداً، فإنّا رأينا ابنًا له يقال له عبد العزيز أخا سليمان وعيسى ابنى أبى جعفر من الطلحيّة، تُوُفِّىَ وهو حَدَث ، قد خرج على الناس متنكّبًا قوساً، متعمّماً بعمامة، متردّيًا ببُرْد، فى هيئة غلام أعرابىّ ، راكبًا على قعود بين جُوالقيْن ، فيهما مُقْل ونعال ومساويك وما يهديه الأعراب ؛ فعجب الناس من ذلك وأنكروه . قال : فمضى الغلام حتى عَبَر الجسر ، وأتى المهدىّ بالرُّصافة فأهدى إليه ذلك ، فقبِل المهدىّ ما فى الجوالِق وملأهما دراهم ؛ فانصرف بين الجُوالقين ؛ فعلُم أنه ضَرْبٌ من عبث الملوك .

وذكر عن حمّاد التركىّ ، قال : كنت واقفًا على رأس المنصور ، فسمع جلبةً فى الدار ، فقال : ما هذا يا حمّاد ؟ انظر ، فذهبتُ فإذا خادم له قد جلس بين(١) الجوارى، وهو يضرب لهنّ بالطنبور ، وهنّ يضحكنَ ، فجئت فأخبرته ، فقال : وأىّ شىء الطنبور ؟ فقلت : خشبة من حالها وأمرها ... ووصفتُها له ؛ فقال لى : أصبتَ صفته، فما يدريك أنت ما الطنبور ! قلت : رأيتُه بخُراسان، قال : نعم، هناك ، ثم قال : هات نعلى ، فأتيته بها فقام يمشى رُويداً حتى أشرف عليهم فرآهم، فلما بصروا به تفرّقوا، فقال : خذوه، فأُخِذ ، فقال : اضرب به رأسَه ، فلم أزل أضرب به رأسَه حتى كسّرتُه ، ثم قال : أخرِجْه من قصرى ، واذهب به إلى حمران بالكَرْخ ، وقل له يبيعه .

٣/٣٩٣

وذكر العباس بن الفضل عن سلاّم الأبرش ، قال : كنت وأنا وصيف وغلام آخر نخدم المنصورَ داخلاً فى منزله ؛ وكانت له حجرة فيها بيت وفُسطاط وفراش ولحاف يخلو فيه ، وكان من أحسن الناس خُلُقًا ما لم يخرج

(١) ج وابن الأثير : « حوله » .

إلى الناس ، وأشدّ احتمالا لما يكون من عبث الصبيان ؛ فإذا لبس ثيابه تغيَّر لونُه وتربّد وجهه ، واحمرّت عيناه ، فيخرج فيكون منه ما يكون ، فإذا قام من مجلسه رجع بمثل ذلك ؛ فنستقبله فى ممشاه ، فربّما عاتبناه .

وقال لى يومًا : يا بنىّ إذا رأيتَنى قد لبست ثيابى أو رجعت من مجلسى ؛ فلا يدنُوَنّ منى أحد منكم مخافة أن أعرّه بشىء .

وذكر أبو الهيثم خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم ، قال : حدّثنى عبد الله بن محمد – يلقب بمنقار من أهل خراسان وكان من عمال الرشيد – قال : حدّثنى معن بن زائدة ، قال : كنّا فى الصحابة سبعمائة رجل ؛ فكنا ندخل على المنصور فى كلّ يوم ، قال : فقلت للربيع : اجعلنى فى آخر مَنْ يدخل ، فقال لى : لستَ بأشرفهم فتكون فى أوّلهم ، ولا بأخسّهم نسبًا فتكونَ فى آخرهم ؛ وإن مرتبتك لتشبه نسَبك . قال : فدخلتُ على المنصور ذات يوم وعلىّ دُرّاعةٌ فضفاضة وسيف حنفىّ ، أقرع بنعله الأرض ، وعمامة قد سدلتها من خلفى وقُدّامى . قال : فسلّمت عليه وخرجت ، فلمّا صرت عند السّتر صاح بى : يا معن ، صيحة أنكرتها ! فقلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : إلىّ ، فدنوت منه ، فإذا به قد نزل عن عرشه إلى الأرض ، وجثا على ركبتيه ، واستلّ عمودًا من بين فراشيْن ، واستحال لونه ودَرّت أوداجه ، فقال : إنك لصاحبى يوم واسط ؛ لا نجوتُ إن نجوتَ منى . قال : قلت يا أمير المؤمنين ، تلك نصرتى لباطلهم ، فكيف نصرتى لحقك ! قال : فقال لى : كيف قلتَ ؟ فأعدتُ عليه القول ، فما زال يستعيدنى حتى ردّ العمود فى مستقرّه ، واستوى متربعًا ، وأسفَر لونه ، فقال : يا معن ، إنّ لى باليمن هنات ، قلت : يا أميرَ المؤمنين ليس لمكتوم رأى ، قال : فقال : أنت صاحبى ، فجلست ، وأمر الربيع بإخراج كلّ مَنْ كان فى القصر فخرج ، فقال لى : إن صاحب اليمن قد همّ بمعصيتى ، وإنى أريد أن آخذه أسيرًا ولا يفوتنى شىء من ماله . فما ترى ؟ قال : قلت : يا أميرَ المؤمنين ، وَلّنِى اليمن ، وأظهِر أنك ضممتنى إليه . ومر الربيع يُزيح علّتى فى كلّ ما أحتاج إليه ، ويخرجنى من يومى هذا لئلا ينتشر الخبر . قال : فاستلّ عهدًا من بين

٣/٢٩٤

فراشين ، فوقّع فيه اسمى وناولنيه ، ثم دعا الربيع ، فقال : يا ربيع ، إنا قد ضممنا معْنًا إلى صاحب اليمن ، فأزِحْ علتَه فيما يحتاج إليه من الكُراع والسلاح ، ولا يُمسى[1] إلا وهو راحل . ثم قال : ودِّعنى ، فودّعته وخرجتُ إلى الدِّهليز ، فلقينى أبو الوالى ، فقال : يا معن ، أعززْ علىّ أن تضمّ إلى ابن أخيك ! قال : فقلت : إنه لا غضاضة على الرجل أن يَضُمّه[2] سلطانه إلى ابن أخيه ، فخرجت إلى اليمن فأتيت الرّجل ، فأخذته أسيراً ، وقرأت عليه العهد ، وقعدت فى مجلسه . ٣٩٥/٣

وذكر حمّاد بن أحمد اليمانىّ ، قال : حدّثنى محمد بن عمر اليمامىّ أبو الرُّدينىّ ، قال : أراد معن بن زائدة أن يوفِد إلى المنصور قوماً يسلّون سخيمته ، ويستعطفون قلبَه عليه ، وقال : قد أفنيت عمرى فى طاعته ، وأتعبتُ نفسى وأفنيت رجالى فى حرب اليمن ، ثم يسخط علىّ أن أنفقتُ المال فى طاعته ! فانتخب جماعة من عشيرته من أفناء ربيعة ؛ فكان فيمن اختار مُجّاعة بن الأزهر ، فجعل يدعو الرّجال واحداً واحداً ، ويقول : ماذا أنت قائل لأمير المؤمنين إذا وجّهتُك إليه ؟ فيقول : أقول وأقول ، حتى جاءه مُجّاعة ابن الأزهر ، فقال : أعزّ الله الأمير ! تسألنى عن مخاطبة رجل بالعراق وأنا باليمن ! أقصد لحاجتك ؛ حتى أتأتّى لها كما يمكن وينبغى ، فقال : أنت صاحبى ، ثم التفت إلى عبد الرحمن بن عتيق المُزنىّ ، فقال له : شُدّ على عَضُد ابن عمّك وقدّمه أمامك ؛ فإن سها عن شىء فتلافه . واختار من أصحابه ثمانية نفر[3] معهما حتى تمّوا عشرة ، وودّعهم ومضوْا حتى صاروا إلى أبى جعفر ، فلما صاروا بين يديه تقدّموا ، فابتدأ مُجّاعة بن الأزهر بحمد الله والثناء عليه والشكر ، حتى ظنّ القوم أنه إنما قصد لهذا ، ثم كرّ على ذكر النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وكيف اختاره الله من بطون العرب ، ونشر من فضله ؛ حتى تعجّب القوم ، ثم كرّ على ذكر أمير المؤمنين المنصور ، وما شرّفه الله به ، وما قلّده ، ثم كرّ على حاجته فى ذكر صاحبه . فلما انتهى[4] كلامه ، قال ٣٩٦/٣

(١) ب : « ولا تمشى » .
(٢) ب : « يضم » .
(٣) ب : « من قومه نفرا » .
(٤) ج : « انقضى » .

المنصور : أمَّا ما وصفْتَ من حمد الله، فالله أجلّ وأكبر من أن تبلغه الصفات، وأما ما ذكرت من النبيّ صلى الله عليه وسلم فقد فضّله الله بأكثر مما قلتَ ، وأما ما وصفتَ به أمير المؤمنين ؛ فإنه فضّله الله بذلك ، وهو معينه على طاعته إن شاء الله ، وأما ما ذكرت من صاحبك فكذَبت ولؤُمتَ ، اخرج فلا يُقبل ما ذكرت . قال : صدق أميرُ المؤمنين، ووالله ما كذبتُ فى صاحبى . فأخْرجوا فلما صاروا إلى آخر الإيوان أمر بردّه مع أصحابه، فقال : ما ذكرتَ ؟ فكرّ عليه الكلام ؛ حتى كأنه كان فى صحيفة يقرؤه ، فقال له مثل القول الأوّل ، فأخرِجوا حتى برزوا جميعًا، وأمر بهم فوقفوا ، ثم التفت إلى مَنْ حضر من مُضر ، فقال : هل تعرفون فيكم مثل هذا ؟ والله لقد تكلّم حتى حسدتُه ، وما منعنى أن أتمّ على ردّه إلا أن يقال : تعصّب عليه لأنه ربَعىّ ، وما رأيتُ كاليوم رجلا أربطَ جأشًا ، ولا أظهر بياناً ؛ ردّه يا غلام . فلما صار بين يديه أعاد السّلام ، وأعاد أصحابه ، فقال له المنصور : اقصد لحاجتك وحاجة صاحبك . قال : يا أميرَ المؤمنين ، معن بن زائدة عَبْدك وسيفك وسهمك، رميت به عدوّكَ، فضرب وطعن ورمى، حتى سهل ماحَزُن، وذلّ ما صعُب ، واستوى ما كان معوَجًّا من اليمن ، فأصبحوا من خَوَل أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ! فإن كان فى نفس أمير المؤمنين هَنَة من ساعٍ أو واشٍ أو حاسد فأميرُ المؤمنين أولَى بالتفضل[1] على عبده ، ومن أفنى عمره فى طاعته . فقبل وفادتهم، وقبل العذر من معن؛ وأمر بصرفهم إليه؛ فلما صاروا إلى معن وقرأ الكتاب بالرضا قبّل ما بين عينيه ، وشكر أصحابه، وخلع عليهم وأجازهم على إقدامهم ، وأمرهم بالرّحيل إلى منصور ، فقال مُجّاعة : ٣/٣٩٧

آليتُ فى مَجْلسٍ من وائلٍ قَسَمًا ... ألا أَبِيعَك يا مَعْنُ بأَطماعِ

يامَعْنُ إنك قد أَوْلَيْتَنِى نِعَماً ... عمَّتْ لُجَيْمًا وخَصَّتْ آل مُجَّاعِ

فلا أَزالُ إليك الدهرَ مُنقَطِعًا ... حتى يُشيد[2] بِهُلكى هَتفَةُ الناعِى

قال : وكانت نِعَمُ معن على مُجّاعة ، أنه سأله ثلاث حوائج ؛ منها أنه كان يتعشّق امرأة من أهل بيته ، سيدة يقال لها زهراء لم يتزوجْها أحد بعد ؛

---

(١) ج « بالفضل » .

(٢) ب : « تشد » .

وكانت إذا ذُكر لها قالت: بأىّ شىء يتزوجنى؟ أبجُبّته الصوف، أم بكسائه! فلمّا رجع إلى معن كان أوّل شىء سأله أن يزوّجه بها، وكان أبوها فى جيش مَعْن، فقال: أريد زهراء، وأبوها فى عسكرك أيّها الأمير، فزوّجه إياها على عشرة آلاف درهم وأمهرها من عنده. فقال له معن: حاجتَك الثانية، قال: الحائط الذى فيه منزلى بجَسْر وصاحبه فى عسكر الأمير، فاشتراه منه وصيّره له؛ وقال: حاجتَك الثالثة؟ قال: تهب لى مالاً. قال: فأمر له بثلاثين ألف درهم، تمام مائة ألف درهم، وصرفه إلى منزله.

٣٩٨/٣

وذكر عن محمد بن سالم الخوارزمىّ — وكان أبوه من قُوّاد خراسان — قال: سمعتُ أبا الفرج خال عبد الله بن جبلة الطالقانىّ يقول: سمعت أبا جعفر يقول: ما كان أحوجَنى إلى أن يكون على بابى أربعة نفر لا يكون على بابى أعفّ منهم، قيل له: يا أميرَ المؤمنين، مَنْ هم؟ قال: هم أركان المُلْك، ولا يصلح المُلْك إلا بهم؛ كما أن السرير لا يصلح إلا بأربع قوائم، إن نقصت واحدة وهَى؛ أما أحدهم فقاضٍ لا تأخذه فى الله لومةُ لائم، والآخر صاحب شُرْطة يُنصف الضعيف من القوىّ، والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعيّة فإنى عن ظلمها غنىّ، والرابع — ثم عضّ على أصبعه السبابة ثلاث مرات، يقول فى كل مرة: آه آه — قيل له: ومَنْ هو يا أميرَ المؤمنين؟ قال: صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصّحة.

وقيل: إنّ المنصور دعا بعاملٍ من عمّاله قد كسر خراجه، فقال له: أدّ ما عليك، قال: والله ما أملك شيئًا، ونادى المنادى: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: يا أميرَ المؤمنين، هبْ ما علىّ لله واشهادة أن لا إله إلا الله، فخلّى سبيلَه.

قال: وولّى المنصور رجلاً من أهل الشام شيئًا من الخراج[١]، فأوصاه وتقدَّم إليه، فقال: ما أعرفَنى بما فى نفسك! الساعة يا أخا أهل الشأم! تخرج من عندى الساعة، فتقول: الزم الصّحة؛ يلزمْك العمل.

(١) ج: «خراج الشام».

٣/٣٩٩ قال : وولّى رجلا من أهل العراق شيئًا من خراج السواد ، فأوصاه ، وتقدّم إليه ، فقال : ما أعرفنى بما فى نفسك ! تخرج الساعةَ فتقول : من عالَ بعدها فلا اجتبَر [١]. اخرج عنى وامضِ إلى عملك؛ فوالله لئن تعرّضْتَ لذلك لأبلغنّ من عقوبتك ما تستحقّه . قال : فولّيا جميعًا وصحّحا وناصحا .

ذكر الصبّاح بن عبد الملك الشيبانىّ ، عن إسحاق بن موسى بن عيسى ؛ أنّ المنصور ولّى رجلا من العرب حضرموت ، فكتب إليه والى البريد أنه يكثر الخروجَ فى طلب الصّيد ببزاةٍ وكلاب قد أعدّها ، فعزله وكتب إليه : ثكلتْك أمك وعدمتك عشيرتك ! ما هذه العِدّة التى أعددتها للنّكاية فى الوحش ! إنا إنما استكفيناك أمور المسلمين ، ولم نستكفك أمورَ الوحش ؛ سلِّم ما كنت تلى من عملنا إلى فلان بن فلان ، والحق بأهلك ملوماً مدحوراً .

وذكر الرّبيع أنه قال : أدخِل على المنصور سهيل بن سالم البصرىّ ، وقد وُلِّى عملاً فعزِل ، فأمر بحبسه واستئدائه ، فقال سهيل : عبدك يا أمير المؤمنين ، قال : بئس العبد أنت ! قال : لكنك يا أمير المؤمنين نِعمَ المولى ! قال : أمَّا لكَ فلا .

قال : وذكر عن الفضل بن الربيع عن أبيه ، أنه قال : بينا أنا قائم بين يدى المنصور أو على رأسه ؛ إذ أُتِىَ بخارجىّ قد هزم له جيوشًا ، فأقامه ليضرب عنقه ، ثم اقتحمته عينه ، فقال : يابن الفاعلة ، مثلك يهزم الجيوش ! فقال له الخارجىّ : ويلك وسوءة لك ! بينى وبينك أمس السيف والقتل ، واليوم القذف والسبّ ! وما كان يؤمنك أن أرُدّ عليك وقد يئستُ من الحياة فلا ٣/٤٠٠ تستقيلها أبداً ! قال : فاستحيا منه المنصور وأطلقه ، فما رأى له وجهًا حولا .

ذكر عبد الله بن عمرو الملحىّ أن هارون بن محمد بن إسماعيل بن موسى الهادى ، قال : حدثنى عبد الله بن محمد بن أبى أيوب المكىّ ، عن أبيه ، قال : حدثنى عُمارة بن حمزة ، قال : كنت عند المنصور ، فانصرفت من عنده فى وقت انتصاف النهار ، وبعد أن بايع الناس للمهدىّ ، فجاءنى المهدىّ

---

(٢) ج : « انجبر » .

فى وقت انصرافى ، فقال لى : قد بلغنى أنّ أبى قد عزم أن يبايع لجعفر أخى ، وأعطى الله عهداً لئن فعل لأقتلنّه ، فمضيت من فورى إلى أمير المؤمنين ، فقلت : هذا أمر لا يؤخَّر ، فقال الحاجب : الساعةَ خرجْتَ ! قلتُ : أمر حدث ، فأذن لى ، فدخلت إليه ، فقال لى: هيه يا عمارة ! ما جاء بك ؟ قلتُ : أمر حدث يا أمير المؤمنين أريد أن أذكره ، قال : فأنا أخبرك به قبل أن تخبرنى ، جاءك المهدىّ فقال : كيت وكيت ، قلتُ : والله يا أمير المؤمنين لكأنّك حاضر[1] ثالثنا ، قال: قل له: نحن أشفق عليه من أن نعرضه لك .

وذكر عن أحمد بن يوسف بن القاسم، قال : سمعتُ إبراهيم بن صالح، يقول : كنا فى مجلس ننتظر الإذن فيه على المنصور ، فتذاكرنا الحجّاج ، فمنّا مَنْ حمده ومنا مَن ذمّه، فكان ممن حمده معن بن زائدة ، وممّن ذمّه الحسن بن زيد ، ثم أذن لنا فدخلنا على المنصور ، فانبرى الحسن بن زيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما كنت أحسبنى أبقى حتى يُذكر الحجّاجُ فى دارك وعلى بساطك ، فيُثنى عليه . فقال أبوجعفر : وما استنكرت من ذلك ! رجل استكفاه قوم فكفاهم ؛ والله لوددت أنى وجدت مثل الحجاج حتى أستكفيه أمرى ، وأنزله أحد الحرمين . قال : فقال له معن : يا أميرَ المؤمنين ، إن لك مثل الحجاج عدّة لو استكفيتَهم كفَوْك ، قال : ومَن هم ؟ كأنك تريد نفسك ! قال : وإن أردتَها فلم أبعد من ذلك ، قال : كلاّ لست كذاك ؛ إن الحجاج ائتمنه قومٌ فأدّى إليهم الأمانة ، وإنّا ائتمنّاك فخُنتَنا ! ٤٠١/٣

ذكر الهيثم بن عدّى ، عن أبى بكر الهذلىّ ، قال : سرت مع أمير المؤمنين المنصور إلى مكة ، وسايرتُه يومًا ، فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تذهب فى الأرض ، وعليه جُبّة خزّ ، وعمامة عدنيّة ، وفى يده سوط يكاد يمسّ الأرض ، سرىّ الهيئة ، فلما رآه أمرنى فدعوتُه ، فجاء فسأله عن نسبه وبلاده وبادية قومه وعن ولاة الصدقة ، فأحسن الجواب ، فأعجبه ما رأى منه ، فقال : أنشدنى ، فأنشده شعراً لأوس بن حجر وغيره من الشعراء من بنى عمرو بن تميم ؛ وحدّثه حتى أتى على شعر لطريف بن تميم العنبرىّ ، وهو قوله :

---

(١) ساقطة من ب .

إنَّ قَنَاتى لَنَبْعٌ لا يؤيِّسُها غمزُ الثِّقاف ولا دُهْنٌ ولا نارُ
متى أجِرْ خائفاً تـأْمَنْ مَسارحُهُ وإنْ أخِفْ آمِناً تَقْلَقْ به الدارُ
إنَّ الأُمورَ إذا أوردتُهاصَدَرَتْ إنَّ الأمورَ لها وِردٌ وإصدارُ

فقال : ويحك ! وما[1] كان طريف فيكم حيث قال هذا الشعر ؟ قال : كان أثقلَ العرب[2] على عدّوه وطأةً وأدركهم بثأر ، وأيمنهم نقيبة ، وأعساهم[3] قناة لمن رام هضمه ، وأقراهم لضيفه ، وأحوطهم من وراء جاره ؛ اجتمعت العرب بعُكاظ فكلّهم أقرّ له بهذه الخلال ؛ غير أن امرأ أراد أن يقصّر به ، فقال : والله ما أنت ببعيد النُّجْعة ، ولا قاصد الرميّة ، فدعاه ذلك إلى أن جعل على نفسه ألاّ يأكل إلا لحم قَنَص يقتنصه ، ولا ينزعَ كلّ عام عن غزوة يُبعد فيها أثره ، قال : يا أخا بنى تميم ؛ لقد أحسنتَ إذ وصفتَ صاحبك ولكنى أحقّ ببيتيه منه ؛ أنا الذى وَصف لا هو .

٣/٤٠٢

وذكر أحمد بن خالد الفُقَيْمىّ أن عدّة من بنى هاشم حدّثوه أنّ المنصور كان شغلُه فى صدر نهاره بالأمر والنهى والولايات والعزْل وشحن الثّغور والأطراف وأمْن السبل والنظر فى الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعيّة لطرْح عالتهم والتلطّف لسكونهم وهدوئهم ، فإذا صلى العصر جلس لأهل بيته إلا من أحبّ أن يسامره ، فإذا صلّى العشاء الآخرة نظر فيما ورد عليه من كُتب الثغور والأطراف والآفاق ، وشاور سُمّاره من ذلك فيما أرب ؛ فإذا مضى ثلثُ الليل قام إلى فراشه وانصرف سُمّاره ، فإذا مضى الثلث الثانى قام من فراشه ، فأسبغ وضوءه ، وصفّ فى محرابه حتى يطلع الفجر ، ثم يخرج فيصلّى بالناس ، ثم يدخل فيجلس فى إيوانه .

قال إسحاق : حُدّثت عن عبد الله بن الرّبيع ، قال : قال أبو جعفر لإسماعيل بن عبد الله : صفْ لى الناس ، فقال : أهل الحجاز مبتدأ الإسلام

---

(١) ج : « ومن » . (٢) ج : « الناس » .
(٣) ج : « وأعساه » ، وعسى الشىء ، أى اشتد وصلب .

٣/٤٠٣ وبقية العرب ، وأهلُ العراق ركن الإسلام ومقاتلة عن الدين ، وأهل الشأم حِصْن الأمة وأسنّة الأئمة ، وأهل خُراسان فرسان الهيْجاء وأعنّة الرجال ، والتّرك منابت الصخور وأبناء المغازى ، وأهل الهند حكماء استغنوْا ببلادهم فاكتفوْا بها عمّا يليهم ، والروم أهلُ كتاب وتديّن نحّاهم الله من القرب إلى البعد ، والأنباط كان مُلْكهم قديمًا فهم لكلّ قوم عبيد . قال : فأىّ الولاة أفضل ؟ قال : الباذل للعطاء ، والمعرض عن السيئة . قال : فأيّهم أخرق ؟ قال : أنهكهم[1] للرعيّة ، وأتعبهم لها بالخُرق والعقوبة . قال : فالطاعة على الخوف أبلغ فى حاجة الملك أم الطاعة على المحبة ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، الطاعة عند الخوف تُسِرّ الغدر وتبالغ عند المعاينة ، والطاعة على المحبّة تضمر الاجتهاد وتبالغ عند الغفلة . قال : فأىّ الناس أولاهم بالطاعة ؟ قال : أولاهم بالمضرّة والمنفعة . قال : ما علامة ذلك ؟ قال : سرعة الإجابة وبذْل النفس . قال : فمن ينبغى للملِك أن يتّخذه وزيراً ؟ قال : أسلمُهم قلبًا ، وأبعدهم من الهوى .

وذكر عن أبى عبيد الله الكاتب ، قال : سمعت المنصور يقول للمهدىّ حين عهد له بولاية العهد : يا أبا عبد الله ، استدِم النعمة بالشكر ، والقدرة بالعفو ، والطاعة بالتألّف[2] والنصر بالتواضع ؛ ولا تنس مع نصيبك من الدنيا نصيبَك من رحمة الله .

وذكر الزبير بن بكّار ، قال : حدثنى مبارك الطبرىّ، قال : سمعت أبا عبيد الله يقول : سمعت المنصور يقول للمهدىّ : لا تبرِم أمراً حتى تفكّر فيه ؛ فإنّ فكر العاقل مرآته ، تريه حسنه وسيّئه .

وذكر الزبير أيضًا ، عن مصعب بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : سمعت ٣/٤٠٤ أبا جعفر المنصور يقول للمهدىّ : يا أبا عبد الله ؛ لا يصلح السلطانُ إلاّ بالتقوى ، ولا تصلح رعيّته إلا بالطاعة ، ولا تعمّر البلاد بمثل العدل ، ولا تدوم نعمة السلطان وطاعته إلا بالمال ، ولا تَقْدُمُ فى الحياطة بمثل نقل الأخبار .

(١) ب : « أنهضهم » . (٢) ج : « التأليف » .

وأقدرُ الناس على العفو أقدرهم على العقوبة ، وأعجز الناس مَنْ ظلم مَن هو دونه . واعتبر عملَ صاحبك وعلمَه باختباره[١] .

وعن المبارك الطبرىّ أنه سمع أبا عبيد الله يقول : سمعتُ المنصور يقول للمهدىّ : يا أبا عبد الله ، لاتجلس مجلساً إلا ومعك من أهل العلم مَن يحدّثك ؛ فإن محمد بن شهاب الزّهرىّ قال : الحديث ذكَر ولا يحبّه إلا ذُكور الرجال ، ولا يُبغضه إلاّ مؤنثوهم ؛ وصَدَقَ أخو زُهْرة !

وُذكِر عن علىّ بن مجاهد بن محمد بن علىّ ، أن المنصور قال للمهدىّ : يا أبا عبد الله ، مَنْ أحبَّ الحمد أحسن السيرة ، ومن أبغض الحمد أساءها ، وما أبغض أحدٌ الحمد إلا استذمّ ، وما استذمّ إلاّ كرِه .

وقال المبارك الطبرىّ : سمعت أبا عبيد الله يقول : قال المنصور للمهدىّ : يا أبا عبد الله ، ليس العاقلُ الذى يحتال للأمر الذى وقع فيه حتى يخرج منه ؛ ولكنه الذّى يحتال للأمر الذى غشيَه حتى لا يقع فيه .

وذكر الفقيمىّ ، عن عتبة بن هارون ، قال : قال أبو جعفر يوماً للمهدىّ : كم راية[٢] عندك ؟ قال : لا أدرى ، قال : هذا والله التّضييع ؛ أنت لأمر الخلافة أشدُّ تضييعاً ؛ ولكن قد جمعتُ لك ما لا يضرّك معه ما ضيَّعتَ ؛ فاتق الله فيما خوّلك .

٣/٤٠٥ وذكر علىّ بن محمد عن حفص بن عمر بن حماد ، عن خالصة ، قالت : دخلتُ على المنصور ؛ فإذا هو يتشكّى[٣] وجع ضِرْسه ؛ فلما سمع حسّى ، قال : ادخلى ؛ فلما دخلت إذا هو واضع يده على صُدغيه ، فسكت ساعة ثم قال لى : يا خالصة ، كم عندك من المال ؟ قلت : ألف درهم ، قال : ضعى يدك على رأسى واحلفى ، قلت : عندى عشرة آلاف دينار ؛ قال : احمليها إلىّ ، فرجعت فدخلت على المهدىّ والخيزُران فأخبرتهما ؛ فركلنى المهدىّ برجله ، وقال لى : ما ذهب بك إليه ! ما به من وجع ؛ ولكنى سألته أمس مالاً فتمارض ، احملى إليه ما قلتِ ؛ ففعلتْ ، فلما أتاه المهدىّ ، قال :

---

(١) ج وابن الأثير : « باختياره » . (٢) ج : « دابة » . (٣) ج : « يشتكى » .

يا أبا عبد الله ؛ تشكو الحاجة وهذا عند خالصة !

وقال علىّ بن محمد : قال واضح مولى أبى جعفر ، قال : قال أبو جعفر يومًا : انظر ما عندك من الثِّياب الخلْقان فاجمعْها ، فإذا علمت بمجىء أبى عبد الله فجئنى بها قبل أن يدخل ؛ وليكن معها رقاع . ففعلت ، ودخل عليه المهدىّ وهو يقدّر الرّقاع ، فضحك وقال : يا أميرَ المؤمنين ، من هاهنا يقول الناس : نظروا فى الدينار والدرهم وما دون ذلك – ولم يقل : دانق – فقال المنصور : إنه لا جديدَ لمن لا يصلح خلقه ، هذا الشتاء قد حضر ، ونحتاج إلى كسوة للعيال والولد . قال : فقال المهدىّ : فعلىّ كُسوة أمير المؤمنين وعياله وولده ، فقال له : دونك فافعل .

٣/٤٠٦ وذكر علىّ بن مرثد أبو دعامة الشاعر ، أن أشجع بن عمرو السلمىّ حدّثه عن المؤمَّل بن أمْيَل – وذكره أيضًا عبد الله بن الحسن الخوارزمى أن أبا قدامة حدثه أنّ المؤمل بن أميل حدّثه – قال : قدمت على المهدىّ – قال ابن مرثد فى خبره : وهو ولى عهد ، وقال الخوارزمى : قدمت عليه الرّى وهو ولى عهد – فأمر لى بعشرين ألف درهم لأبيات امتدحته بها ؛ فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور وهو بمدينة السلام يخبره أن المهدىّ أمر لشاعر بعشرين ألف درهم ، فكتب إليه المنصور يعذِله ويلومه ، ويقول له : إنما كان ينبغى لك أن تعطِىَ الشاعر بعد أن يقيم ببابك سنة أربعة آلاف درهم . قال أبو قدامة : فكتب إلىّ كاتب المهدىّ أن يوجّه إليه بالشاعر ، فطُلب فلم يُقْدَر عليه ، فكتب إليه أنه قد توجّه إلى مدينة السلام ، فوجّه المنصور قائدًا من قوّاده ، فأجلسه على جسر النهروان ، وأمره أن يتصفح الناس رجلاً رجلاً ممّن يمرّ به ؛ حتى يظفر بالمؤمّل ؛ فلما رآه قال له : من أنت ؟ قال : أنا المؤمَّل بن أميَل ، من زُوّار الأمير المهدىّ ، قال : إياك طلبت . قال المؤمل : فكاد قلبى ينصدع خوفًا من أبى جعفر ، فقبض علىّ ثم أتى بى بابَ المقصورة ، وأسلمنىَ إلى الرّبيع ، فدخل إليه الربيع ، فقال : هذا الشاعر قد ظفرنا به ، فقال : أدخلوه علىّ ، فأدخلت عليه ، فسلمت فردّ علىّ السلام ، فقلت : ليس ها هنا إلا خير ، قال : أنت المؤمَّل بن أمَيل ؟

قلت : نعم أصلح الله أمير المؤمنين ! قال : هيه ! أتيتَ غلامًا غِرًّا فخدعتَه!
٤٠٧/٣ قال : فقلت : نعم أصلح الله أمير المؤمنين ؛ أتيت غلامًا غِرًّا كريمًا فخدعته
فانخدع ، قال : فكأنّ ذلك أعجبه ، فقال : أنشدنى ما قلتَ فيه ، فأنشدته :

هو المهدىّ إلّا أن فيه ... مَشابِهَ صورة القمَر المُنِيرِ
تشابَهَ ذا وذا فهُما إذا ما ... أنارا مُشْكِلان على البَصِير
فهذا فى الظلام سِراجُ ليلٍ(١) ... وهذا فى النهار سراجُ نورِ
ولكنْ فضَّل الرحمنُ هذا ... على ذا بالمنابِرِ والسَّرير
وبالمُلك العزيز فذا أَميرٌ ... وما ذا بالأَمير ولا الوزير
ونَقْصُ الشَّهْرِ يُخمِدُ ذا ، وهذا ... منيرٌ عند نقصانِ الشهور
فيابن خليفةِ الله المُصفَّى ... به تعلو مُفاخَرةُ الفَخورِ
لئن فُتَّ المُلوكَ وقد توافَوْا ... إليك من السهُولَةِ والوُعُورِ
لقد سَبَقَ الملوكَ أبوك حتى ... بَقُوا من بين كابٍ أو حَسِيرِ
وجئتَ وراءه تجرى حثيثاً ... وما بك حينَ تجرى من فُتُور
فقال الناسُ: ما هذانِ إلا ... بمنزلَةِ الخَليقِ من الجَدِير(٢)
لئن سبق الكبيرُ فأَهلُ سَبْقٍ ... له فَضْلُ الكبيرِ على الصَّغِيرِ
وإن بلغ الصغيرُ مَدَى كبيرٍ ... لقد خُلِقَ الصغيرُ من الكبيرِ

فقال : والله لقد أحسنتَ ؛ ولكن هذا لا يساوى عشرين ألف درهم .
وقال لى : أين المال ؟ قلت : ها هو ذا ، قال : يا ربيع انزل معه فأعطه أربعة
آلاف درهم ؛ وخذ منه الباقى . قال ؛ فخرج الرّبيع فحطّ ثقَلى ، ووزن
لى أربعة آلاف درهم وأخذ الباقى . قال : فلمّا صارت الخلافة إلى المهدىّ ،
٤٠٨/٣ ولّى ابن ثوبان المظالم ، فكان يجلس للناس بالرُّصافة فإذا ملأ كساءه رقاعاً
رفعها إلى المهدىّ ، فرفعتُ إليه يومًا رقعة أذكره قصتى ، فلما دخل بها ابن

(١) الزجاجى : « سراج نار » . (٢) أى هما سيان ، والخليق والجدير بمعنى واحد .

ثوبان ، جعل المهدىّ ينظر فى الرقاع ؛ حتى إذا نظر فى رقعتى ضحك ، فقال له ابن ثوبان : أصلح الله أمير المؤمنين ! ما رأيتك ضحكت من شىء من هذه الرّقاع إلا من هذه الرقعة ! قال : هذه رقعة أعرف سببَها ، ردُّوا إليه العشرين الألف الدرهم ، فردت إلىّ وانصرفتُ[1] .

وذكر واضح مولى المنصور ، قال : إنى لواقفٌ على رأس أبى جعفر يوماً إذْ دخل عليه المهدىّ ، وعليه قَبَاء أسود جديد ، فسلّم وجلس ، ثم قام منصرفًا وأتبعه أبو جعفر بصرَه لحبِّه له وإعجابه به ؛ فلما توسّط الرّواق عثَر بسيفه فتخرّق سواده ، فقام ومضى لوجهه غير مكترِث لذلك ولا حافل به ، فقال أبو جعفر : ردُّوا أبا عبد الله ؛ فرددناه إليه ، فقال : يا أبا عبدِ الله ، استقلالا للمواهب ، أم بطرًا للنعمة ، أم قلةَ علم بموضع المصيبة ! كأنك جاهل بما لَك وعليك ! وهذا الذى أنت فيه عطاء من الله ، إن شكرتَه عليه زادك ، فإن عرفت موضع البلاء منه فيه عافاك . فقال المهدىّ : لا أعدمنا الله بقاءك يا أمير المؤمنين وإرشادك ؛ والحمد لله على نعمه ، وأسأل الله الشكر على مواهبه ، والخلَف الجميل برحمته . ثم انصرف .

قال العباس بن الوليد بن مزيد : قال : سمعت ناعم بن مزيد ، يذكر عن الوضين بن عطاء ، قال : استزارنى أبو جعفر — وكانت بينى وبينه خلالة[2] قبل الخلافة — فصرت إلى مدينة السلام ، فخلوْنا يومًا ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، ما مالُكَ[3] ؟ قلت : الخبر الذى يعرفه أمير المؤمنين ، قال : وما عيالُك ؟ قلت : ثلاث بنات والمرأة وخادم لهنّ ، قال : فقال لى : أربع فى بيتك ؟ قلت : نعم ، قال : فوالله لردّد علىّ حتى ظننت أنه سيموّلنى[4] ، قال : ثم رفع رأسه إلىّ ، فقال : أنت أيسر العرب ، أربعة مغازِل يدرْن فى بيتك . ٤٠٩/٣

---

(١) الخبر فى الأغانى ١٩ : ١٤٧ — ١٥٠ (ساسى) ، وتاريخ بغداد ١٣ : ١٧٧ — ١٨٠ وأمالى الزجاجى ٩٤ — ٩٦ .

(٢) ج : « حالة » ، ابن الأثير : « خلة » .

(٣) ج ، وابن الأثير : « مالك » .

(٤) ابن الأثير : « سيعيننى » .

وذكر بشر المنجّم ، قال : دعانى أبو جعفر يومًا عند المغرب ، فبعثنى فى بعض الأمر ، فلما رجعت رفع ناحية مصلاّه فإذا دينار ، فقال لى : خذ هذا واحتفظ به ، قال : فهو عندى إلى الساعة .

وذكر أبو الجهم بن عطيّة، قال : حدّثنى أبو مقاتل الخراسانىّ ، ورفع غلام له إلى أبى جعفر أن له عشرة آلاف درهم ؛ فأخذها منه ، وقال : هذا مالى ، قال : ومن أين يكون مالك ! فوالله ما وليتُ لك عملاً قطّ ، ولا بينى وبينك رحِم ولا قرابة ، قال : بلَى ، كنتَ تزوّجتَ مولاة لعُيينة بن موسى ابن كعب فورّثتْك مالا ؛ وكان ذلك قد عصى وأخذ مالى وهو والٍ على السند ؛ فهذا المال من ذلك المال !

وذكر مصعب بن سلاّم ، عن أبى حارثة النهدىّ صاحب بيت المال ، قال : ولّى أبو جعفر رجلا باروسما ؛ فلما انصرف أراد أن يتعلّل عليه ، لئلا يعطيَه شيئًا ، فقال له : أشركتُك فى أمانتى ، ووليتك فيئًا من فىء المسلمين فخنتَه ! فقال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ، ما صحبنى من ذلك شىء إلاّ درهم ، منه مثقال صررته فى كمّى ، إذا خرجت من عندك اكتريت به بغلا إلى عيالى ، فأدخل بيتى ليس معى شىء من مال الله ولا مالك . فقال : ما أظنك إلا صادقًا ؛ هلمّ درهمنا[1] . فأخذه منه فوضعه تحت لِبده ؟ فقال : ما مثَلى ومثلُك إلا مثل مجير أم عامر ، قال : وما مجير أم عامر ؛ فذكر قصة الضبع ومجيرها ، قال : وإنما غالطه أبو جعفر لئلا يعطيه شيئًا . ٣/٤١٠

وُذكر عن هشام بن محمد أن قُثَم بن العباس دخل على أبى جعفر ، فكلّمه فى حاجة ، فقال له أبو جعفر : دعنى من حاجتك هذه ، أخبرنى لِمَ سميت قُثَم[2]؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أدرى ، قال : القُثَم الذى يأكل ويَزِلّ ، أما سمعت قول الشاعر :

وللكُبراءِ أَكلٌ كيف شاءُوا ... وللصُّغراءِ أَكلٌ واقتِثامُ

---

(١) ب : « درهمك » .
(٢) ط : « قثماً » ؛ وهو ممنوع من الصرف .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى أنّ المنصور وهب لمحمد بن سليمان عشرين ألف درهم ولجعفر أخيه عشرة آلاف درهم ، فقال جعفر : يا أميرَ المؤمنين ، تفضّله عليّ وأنا أسنّ منه ! قال : وأنت مثله ! إنا لا نلتفت إلى ناحية إلاّ وجدنا من أثر محمّد فيها شيئًا ، وفي منزلنا من هداياه بقيّة ؛ وأنت لم تفعل من هذا شيئًا .

وذكِر عن سوادة بن عمرو السُّلميّ ، عن عبد الملك بن عطاء – وكان في صحابة المنصور – قال : سمعتُ ابنَ هُبَيرة وهو يقول في مجلسه : ما رأيتُ رجلاً قطّ في حرب ، ولا سمعت به في سِلْم ، أمكرَ ولا أبدعَ ، ولا أشدّ تيقُّظًا من المنصور ، لقد حصرني في مدينتي تسعة أشهر ، ومعي فرسان العرب ، فجهدنا كلّ الجهد أن ننال من عسكره شيئًا نكسره به ؛ فما تهيّأ ، ولقد حصرني وما في رأسي بيضاء ؛ فخرجت إليه وما في رأسي سوداء ؛ وإنه لكما قال الأعشى : ٣/٤١١

يَقومُ على الرَّغْمِ مِنْ قومِه فيَعْفو إذا شاءَ أو يَنتَقِمْ

أَخو الحرب لاضَرَعٌ واهنٌ ولم يَنْتَعِلْ بنعال خَدِمْ

وذكر إبراهيم بن عبد الرحمن أن أبا جعفر كان نازلاً على رجل يقال له أزهر السّمان – وليس بالمحدِّث – وذلك قبل خلافته ؛ فلما ولِيَ الخلافة صار إليه إلى مدينة السلام ، فأدخِل عليه ، فقال : حاجتك ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، عليّ دين أربعة آلاف درهم ، وداري مستهدِمة ، وابني محمد يريد البناء بأهله ؛ فأمر له باثني عشر ألف درهم ، ثم قال : يا أزهر ؛ لا تأتنا طالبَ حاجة ؛ قال : أفعل . فلما كان بعد قليل عاد ، فقال : يا أزهر ، ما جاء بك ؟ قال : جئت مسلّما يا أمير المؤمنين ؛ قال : إنه ليقع في نفسي أشياء ؛ منها أنك أتيتنا لِمَا أتيتَنا له في المرّة الأولى ؛ فأمر له باثني عشر ألف درهم أخرى ، ثم قال : يا أزهر ، لا تأتنا طالبَ حاجة ولا مسلّما ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ ثم لم يلبث أن عاد ، فقال : يا أزهر ، ما جاء بك ؟ قال :

دعاء سمعته منك أحببت أن آخذه عنك ، قال : لا ترده ، فإنه غير مستجاب ؛ لأنى قد دعوت الله به أن يريحنى من خلفتك[١] فلم يفعل ، وصرفه ولم يعطه شيئاً .

وذكر الهيثم بن عدىّ أن ابن عيَّاش حدّثه أنّ ابن هبيرة أرسل إلى المنصور وهو محصور بواسط ، والمنصور بإزائه : إنى خارج يوم كذا وكذا وداعيك إلى المبارزة ، فقد بلغنى تجبينُك إياى ؛ فكتب إليه : يابن هبيرة ، إنك امرؤ متعدٍّ طورَك، جارٍ فى عنان غيِّك ، يعدك الله ما هو مصدّقه ، ويمنِّيك الشيطان ما هو مكذّبه ، ويقرّب ما الله مباعده ؛ فرويداً يتمّ الكتاب أجله ؛ وقد ضربتُ مثلى ومثلَك ؛ بلغنى أن أسداً لقى خنزيراً ، فقال له الخنزير : قاتِلنى ، فقال الأسد : إنما أنت خنزير ولستَ لى بكفء ولا نظير ، ومتى فعلتَ الذى دعوتنى إليه فقتلتك، قيل لى : قتلتَ خنزيراً ؛ فلم أعتقد بذلك فخرا ولا ذِكْراً ، وإن نالنى منك شىء كان سُبّة علىّ ، فقال : إن أنت لم تفعل رجعت إلى السباع فأعلمتُها أنك نكلتَ[٢] عنى وجبنت عن قتالى ، فقال الأسد : احتمال عار كذبك أيسر علىّ من لطخ شاربى[٣] بدمك .

٣/٤١٢

وذُكِر عن محمد بن رياح الجوهرىّ ، قال : ذكر لأبى جعفر تدبير هشام بن عبد الملك فى حَرْب كانت له ، فبعث إلى رجل كان معه ينزل الرُّصافة — رُصافة هشام — يسأله عن ذلك الحرب ، فقدم عليه فقال : أنت صاحب هشام ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فأخبرنى كيف فعل فى حرب دبرها فى سنة كذا وكذا ؟ قال : إنه فعل فيها رحمه الله كذا وكذا ، ثم أتبع بأن قال : فعل كذا رضى الله عنه ؛ فأحفظ ذلك المنصور ، فقال : قم عليك غضب الله ! تطأ بساطِى وتترحم على عدوّى ! فقام الشيخ ، وهو يقول : إن لعدوّك قلادة فى عنقى ومنة فى رقبتى لا ينزعها عنى إلا غاسلى ؛ فأمر المنصور بردّه ، وقال : اقعد ، هيه ! كيف قلتَ ؟ فقلت : إنه كفانى الطلب ، وصان وجهى عن السؤال ، فلم أقف على باب عربىّ ولا أعجمى منذ رأيتُه ، أفلا

(١) ب : « خلفتك » .
(٢) ابن الأثير : « تكلب » .
(٣) ابن الأثير : « شرابى » .

يجب عليّ أن أذكره بخير وأتبعه بثنائى ! فقال : بلى ، لله أمٌّ نهضت عنك ، وليلة أدّتك ، أشهد أنك نهيض حُرّة وغراس كريم ؛ ثم استمع منه وأمر له ببرّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما آخذه لحاجة ، وما هو إلاّ أنى أتشرّف بحِبائك ، وأتبجّح بصِلتك. فأخذ الصّلة وخرج ، فقال المنصور : عند مثل هذا تحسن الصنيعة ، ويُوضع المعروف ، ويجاد بالمصون ، وأين فى عسكرنا مثله ! ٤١٣/٣

وذكر عن حفص بن غياث ، عن ابن عيّاش ، قال : كان أهل الكوفة لا تزال الجماعة منهم قد طعنوا على عاملهم ، وتظلّموا على أميرهم ، وتكلّموا كلامًا فيه طعن على سلطانهم ؛ فرُفع ذلك فى الخبر ، فقال للربيع : اخرج إلى مَنْ بالباب من أهل الكوفة ، فقل لهم : إن أميرَ المؤمنين يقول لكم لئن اجتمع اثنان منكم فى موضع لأحلقنّ رءوسهما ولحاهما ، ولأضربنّ ظهورهما ، فالزموا منازلكم ؛ وابقوا على أنفسكم . فخرج إليهم الربيع بهذه الرسالة فقال له ابن عياش : يا شبه عيسى بن مريم ، أبلغ أمير المؤمنين عنا كما أبلغتنا[1] عنه ، فقل له : والله يا أميرَ المؤمنين ما لنا بالضَّرْب طاقة ، فأمّا حلْق اللّحى فإذا شئت — وكان ابن عياش منتوفاً — فأبلغه ، فضحك ، وقال : قاتله الله ما أدهاه وأخبثه !

وقال موسى بن صالح : حدّثنى محمد بن عقبة الصيداوىّ عن نصر بن حرب — وكان فى حرس أبى جعفر — قال : رُفع إلىّ رجلٌ قد جىء به من بعض الآفاق ، قد سعى فى فساد الدولة ، فأدخلته على أبى جعفر ، فلما رآه قال : أصْبَغ ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : ويلك! أما أعتقتُك وأحسنتُ إليك ! قال : بلى ، قال : فسعيتَ فى نقضِ دولتى وإفساد ملكى ! قال : أخطأتُ وأمير المؤمنين أولى بالعفو . قال : فدعا أبو جعفر عُمارة — وكان حاضراً — فقال : يا عُمارة ؛ هذا أصبغ ، فجعل يتثبّت فى وجهى ، وكأنّ فى عينيه سوءاً ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : علىّ بكيس عطائِى ، فأتِىَ بكيس فيه خمسمائة درهم ، فقال : خذها فإنها وَضَحٌ ، ويلك ، وعليك ٤١٤/٣

(١) ب : « بلغتنا » .

بعملك — وأشار بيده يحرّكها — قال عُمارة : فقلت لأصبغ : ما كان عَنَى أمير المؤمنين ؟ قال : كنتُ وأنا غلام أعمل الحِبال ، فكان يأكل من كسبي. قال نصر : ثم أتِيَ به ثانية ، فأدخلته كما أدخلتُه قبلُ ، فلما وقف بين يديه أحدّ النظر إليه ، ثم قال : أصبغ ! فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فقصّ عليه ما فعل به ، وذكره إياه ، فأقرّ به ، وقال : الحمق يا أمير المؤمنين ؛ فقدمه فضرب عنقه .

وذكر عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ ، قال : حدّثني أبي ، قال : كان خِضاب المنصور زَعفرانيًّا ، وذلك أن شعره كان ليِّناً لا يقبل الخضاب ، وكانت لحيته رقيقة ؛ فكنت أراه على المنبر يخطُب ويبكي فيسرِع الدمع على لحيته حتى تَكِفَ لقلة الشعر ولِينه .

وذكر إبراهيم بن عبد السلام ، ابن أخي السنديّ بن شاهك السنديّ ، قال : ظفِر المنصور برجل من كبراء بني أمية ، فقال : إني أسألك عن أشياء فاصدُقني ولك الأمان ، قال : نعم ، فقال له المنصور : من أينَ أُتِيَ بنو أميّة حتى انتشر أمرهم ؟ قال : من تضييع الأخبار ، قال : فأيّ الأموال وجدوها أنفع ؟ قال : الجوهر ، قال فعِند مَنْ وجدوا الوفاء ؟ قال : عند مواليهم ، قال : فأراد المنصور أن يستعين في الأخبار بأهل بيته ، ثم قال : أضعُ من أقدارهم ، فاستعان بمواليه .

٣/٤١٥ وذكر عليّ بن محمد الهاشميّ أنّ أباه محمد بن سليمان حدّثه ، قال : بلغني أن المنصور أخذ الدّواء في يوم شاتٍ شديد البرد ، فأتيته أسأله عن موافقة الدواء له ، فأدخِلت مدخلا من القَصْر لم أدخله قطّ ، ثم صرتُ إلى حُجيرة صغيرة ، وفيها بيتٌ واحد ورِواق بين يديه في عَرْض البيت وعَرْض الصحن ، على أسطوانة ساجٍ ، وقد سدل على وجه الرّواق بواريّ[1] كما يصنع بالمساجد ، فدخلت فإذا في البيت مِسْح ليس فيه شيء غيره إلا فراشه ومرافقه ودِثاره ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ، هذا بيت أربأ بك عنه ، فقال : يا عمّ ، هذا

---

(١) البواري : جمع بارية ؛ وهي الحصير المنسوج .

بيت مبيتى ، قلت : ليس هنا غير هذا الذى أرى ، قال : ما هو إلا ما ترَى.

قال : وسمعته يقول عمّن حدّثه ، عن جعفر بن محمد ، قال : قيل إنّ أبا جعفر يُعرَف بلباس جُبّة هَرَوِيّة مرقوعة؛ وأنه يرقّع قميصه، فقال جعفر : الحمد لله الذى لَطف له حتى ابتلاه بفقر نفسه — أو قال : بالفقر فى مُلْكه .

قال : وحدّثنى أبى ، قال: كان المنصور لا يولّى أحداً ثم يعزله إلا ألقاه فى دار خالد البطين — وكان منزل خالد على شاطئ دِجلة ، ملاصقاً لدار صالح المسكين — فيستخرج من المعزول مالاً ، فما أخذ من شىء أمر به فعُزل ، وكُتِبَ عليه اسم مَنْ أخِذ منه ، وعزل فى بيت مال، وسمّاه بيتَ مال المظالم ، فكثر مافى ذلك البيت من المال والمتاع . ثم قال للمهدىّ: إنى قدهيّأت لك شيئاً تُرضى به الخلق ولا تغرم من مالك شيئاً، فإذا أنا متّ فادع هؤلاء الذين أخذتُ منهم هذه الأموال التى سميتُها المظالم ، فاردد عليهم كلّ ما أخِذ منهم ؛ فإنك تستحمد إليهم وإلى العامة ؛ ففعل ذلك المهدىّ لما ولِيَ . ٣/٤١٦

قال علىّ بن محمد : فكان المنصور ولّى محمد بن عبيد الله بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث البلقاء، ثم عزله ، وأمر أن يُحمَل إليه مع مال وُجِد عنده، فحُمل إليه على البريد، وألفِيَ معه ألفا دينار، فحملت مع ثقله على البريد — وكان مصلى سُوسَنْجِرْد ومضربة ومرفقة ووسادتين وطستاً وإبريقاً وأشناندانة نحاس — فوجد ذلك مجموعاً كهيئته ؛ إلا أن المتاع قد تأكّل ، فأخذ ألفى الدينار، واستحيا أن يخرج ذلك المتاع ، وقال : لا أعرفه ، فتركه، ثم ولاّه المهدىّ بعد ذلك اليمن ، وولّى الرشيد ابنه الملقب ربرا المدينة .

وذكر أحمد بن الهيثم بن جعفر بن سليمان بن علىّ ، قال : حدثنى صباح ابن خاقان ، قال : كنت عند المنصور حين أتِيَ برأس إبراهيم بن عبد الله ابن حسن ، فوُضع بين يديه فى تُرس ، فأكبّ عليه بعض السيّافة ، فبصق فى وجهه ، فنظر إليه أبو جعفر نظراً شديداً ، وقال لى : دقّ أنفه ، قال : فضربت أنفه بالعمود ضربة لو طُلب له أنف بألف دينار ما وجد ، وأخذته ٣/٤١٧

أعمدة الحرس ، فما زال يُهشَم بها حتى خمِد ، ثم جُرّ برجله .

قال الأصمعىّ : حدثنى جعفر بن سليمان ، قال : قدِم أشعب أيام أبى جعفر بغداد ، فأطاف به فتيان بنى هاشم فغنّاهم ، فإذا ألحانه طربةٌ وحلقه على حاله ، فقال له جعفر : لمن هذا الشعر ؟

لِمَنْ طَلَلٌ بِذَاتِ الجَيْـ ش أمسى دارِساً خَلَقَا[1]

عَلَوْنَ بظاهِرِ البَيْدا ءِ فالمَحْزُون قد قَلِقَـا

فقال : أخذت الغناءَ من معبد ؛ ولقد كنت آخذ عنه اللحن ، فإذا سئل عنه قال : عليكم بأشعب ؛ فإنه أحسن تأديةً له منّى .

قال الأصمعىّ : وقال جعفر بن سليمان : قال أشعب لابنه عبيدة : إنى أرانى سأخرجك من منزلى وأنتفى منك ، قال : ولِمَ يا أبه ؟ قال : لأنى أكسب خلق الله لرغيف ، وأنت ابنى قد بلغتَ هذا المبلغ من السنّ ، وأنت فى عيالى ما تكسب شيئاً ، قال : بلى والله ، إنى لأكسب ؛ ولكن مثل الموزة لا تحمل حتى تموت أمها .

وذكر علىّ بن محمد بن سليمان الهاشمىّ ؛ أن أباه محمداً حدّثه أن الأكاسرة كان يُطيَّن لها فى الصيف سقفُ بيت فى كلّ يوم ، فتكون قائلة الملك فيه ، وكان يؤتى بأطنان القصب والخِلاف طُوالاً غلاظاً ، فترصَف حول البيت ويؤتى بقطع الثلج العِظام فتجعل ما بين أضعافها ؛ وكانت بنو أميّة تفعل ذلك ؛ وكان أوّل من اتخذ الخيْش المنصور . ٣/٤١٨

وذكر بعضهم : أن المنصور كان يطيَّن له فى أول خلافته بيتٌ فى الصيف يَقيل فيه ؛ فاتخذ له أبو أيوب الخوزىّ ثياباً كثيفة تبلّ وتوضع على سبايك ، فيجد بردها ، فاستظرفها ، وقال : ما أحسبُ هذه الثياب إن اتخذت أكثف من هذه إلا حملت من الماء أكثر مما تحمل ؛ وكانت أبرد ، فاتُّخِذ

(١) الأغانى ٤ : ٣٩ (ساسى) ، ونسبهما مع ثالث إلى الأحوص . وفى ياقوت ٢ : ١٩٣ ، ونسبهما مع بيتين آخرين إلى جعفر بن الزبير بن العوام .

له الحيش، فكان ينصب على قبّة، ثم اتخذ الخلفاء بعده الشرائج، واتّخذها الناس.

وقال علىّ بن محمد عن أبيه: إنّ رجلا من الرّاونديّة كان يقال له الأبلق، وكان أبرص، فتكلم بالغلوّ، ودعا بالرّاونديّة إليه، فزعم أن الرّوح التى كانت فى عيسى بن مريم صارت فى علىّ بن أبى طالب، ثم فى الأئمة، فى واحد بعد واحد إلى إبراهيم بن محمد، وأنهم آلهة، واستحلّوا الحرُمات؛ فكان الرجل منهم يدعو الجماعة منهم إلى منزله فيُطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته؛ فبلغ ذلك أسد بن عبد الله، فقتلَهم وصلَبهم، فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم، فعبدوا أبا جعفر المنصور وصعدوا إلى الخضراء، فألقوْا أنفسهم، كأنهم يطيرون، وخرج جماعتهم على الناس بالسّلاح، فأقبلوا يصيحون بأبى جعفر: أنت أنت! قال: فخرج إليهم بنفسه، فقاتلهم فأقبلوا يقولون وهم يقاتلون: أنت أنت. قال: فحُكِى لنا عن بعض مشيختنا أنه نظر إلى جماعة الراونديّة يرمون أنفسهم من الخضراء كأنهم يَطيرون، فلا يبلغ أحدهم الأرض إلا وقد تفتّت، وخرجت روحه. ٤١٩/٣

قال أحمد بن ثابت مولى محمد بن سليمان بن علىّ عن أبيه: إن عبد الله ابن علىّ، لما توارى من المنصور بالبصرة عند سليمان بن علىّ أشرف يومًا ومعه بعض مواليه ومولى لسليمان بن علىّ، فنظر إلى رجل له جَمَال وكمال، يمشى التّخاجى، ويجرّ أثوابه من الخُيلاء، فالتفت إلى مولًى لسليمان بن علىّ، فقال: من هذا؟ قال له: فلان ابن فلان الأموىّ، فاستشاط غضبًا وصفق بيديه عجبًا، وقال: إن طريقنا لَنَبَك[1] بعد، يا فلان — لمولى له — انزل فأتنى برأسه، وتمثّل قول سَديف:

علامَ، وفيمَ نَترُكُ عبدَ شمسٍ لها فى كلِّ راعيةٍ ثُغاءُ!
فما بالرَّمْسِ فى حَرّانَ منها ولو قُتِلَتْ بأَجْمَعِها وفاءُ

---

(١) النبكة: أكمة محددة الرأس؛ وربما كانت حمراء؛ ولا تخلو من الحجارة.

وذكر عليّ بن محمد المدائنيّ أنه قدم على أبي جعفر المنصور — بعد انهزام عبد الله بن عليّ وظفر المنصور به ، وحبسه إياه ببغداد — وفد من أهل الشأم فيهم الحارث بن عبد الرحمن ، فقام عِدّة منهم فتكلّموا ، ثم قام الحارث ابن عبد الرحمن ، فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ! إنا لسنا وفدَ مباهاة ، ولكنا وفد تَوبة ؛ وإنا ابتلينا بفتنة استفزّت كريمَنا ، واستخفّتْ حليمَنا ، فنحن بما قدّمنا معترفون ، وممّا سلف منّا معتذرون ، فإن تعاقبْنا فبما أجرمنا ، وإن تعفُ عنا فبفضلك علينا ؛ فاصفح عنا إذْ ملكت ، وامنن إذ قَدرت ، وأحسِنْ إذ ظفرت ، فطالما أحسنت ! قال أبو جعفر : قد فعلت . ٤٢٠/٣

وذكر عن الهيثم بن عديّ عن زيد مولى عيسى بن نهيك ، قال : دعاني المنصور بعد موتِ مولاي ، فقال : يا زيد ، قلت : لَبّيك يا أمير المؤمنين ؛ قال : كم خلّف أبو زيد من المال ؟ قلت : ألف دينار أو نحوها ، قال : فأين هي ؟ قلت : أنفقتْها الحرّة في مأتمه . قال : فاستعظم ذلك ، وقال : أنفقت الحرّة في مأتمه ألف دينار ! ما أعجب هذا ! ثم قال : كم خلّف من البنات ؟ قلت : ستًّا ، فأطرق مليًّا ثم رفع رأسه ، وقال : اغدُ إلى باب المهديّ ، فغدوت فقيل لي : أمعك بغال ؟ فقلت : لم أومر بذلك ولا بغيره ؛ ولا أدري لِمَ دعيت! قال : فأعطِيتُ ثمانين ومائة ألف دينار ، وأمِرتُ أن أدفع إلى كلّ واحدة من بنات عيسى ثلاثين ألف دينار . ثم دعاني المنصور ، فقال : أقبضت ما أمرنا به لبنات أبي زيد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : اغد عليّ بأكفائهنّ حتى أزوّجهنّ منهم ؛ قال : فغدوتُ عليه بثلاثة من ولد العكيّ وثلاثة من آل نهيك من بني عَمهنّ ، فزوّج كلّ واحدة منهنّ على ثلاثين ألف درهم ، وأمر أن تحمَل إليهنّ صدقاتهنّ من ماله ، وأمرني أن أشتريَ بما أمر به لهنّ ضياعًا ، يكون معاشهنّ منها ، ففعلت ذلك .

وقال الهيثم : فرّق أبو جعفر على جماعة من أهل بيته في يوم واحد عشرة آلاف درهم ، وأمر للرّجل من أعمامه بألف ألف ، ولا نعرف خليفة قبله ولا بعده وصلَ بها أحداً من الناس . ٤٢١/٣

وقال العباس بن الفضل : أمر المنصور لعمومته : سليمان ، وعيسى ،

وصالح ، وإسماعيل؛ بنى علىّ بن عبد الله بن عباس، لكلّ رجل منهم بألف ألف معونةً له من بيت المال . وكان أول خليفة أعطى ألف ألف من بيت المال ؛ فكانت تجرى فى الدواوين .

وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ ، قال : حدّثنى الفضل بن الربيع ، عن أبيه ، قال : جلس أبو جعفر المنصور للمدنيّين مجلساً عامًّا ببغداد — وكان وفد إليه منهم جماعة — فقال : لينتسب كلّ من دخل علىّ منكم ، فدخل عليه فيمن دخل شابٌّ من ولد عمرو بن حزم ، فانتسب ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، قال الأحوص فينا شعراً، منعنا[1] أموالنا من أجله منذ ستين سنة ، فقال أبو جعفر : فأنشدنى ، فأنشده :

لا تَأْوِيَنَّ لِحَزْمِىٍّ رأيتَ به فقرًا وإن أُلقِىَ الحَزْمِىُّ فى النار[2]

النَّاخِسِين بِمَرْوانٍ بذى خُشُبٍ والداخلين على عثمانَ فى الدار

قال : والشّعر فى المدح للوليد بن عبد الملك؛ فأنشده القصيدة، فلما بلغ هذا الموضع قال الوليد : أذكرتَنى ذنب آل حَزْم ، فأمر باستصفاء أموالهم. فقال أبو جعفر : أعِدْ علىّ الشعر ، فأعاده ثلاثاً، فقال له أبو جعفر :لاجرم، إنك تحتظِى بهذا الشعر كما حرِمت به ، ثم قال لأبى أيّوب : هات عشرة آلاف درهم فادفعها إليه لغنائه إلينا ، ثم أمر أن يكتب إلى عماله أن تردّ ضياع آل حزم عليهم ، ويُعْطَوْا غلاّتها فى كل سنة من ضياع بنى أمية، وتقسَّم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناسخ ، ومن مات منهم وفِّر على ورثته . قال : فانصرف الفتى بما لم ينصرف به أحد من الناس . ٤٢٢/٣

وحدّثنى جعفر بن أحمد بن يحيى ، قال : حدّثنى أحمد بن أسد ، قال: أبطأ المنصور عن الخروج إلى الناس والركوب، فقال الناس: هو عليل، وكثروا ، فدخل عليه الربيع ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لأمير المؤمنين طولُ البقاء ، والناس يقولون، قال : ما يقولون؟ قال : يقولون: عليل ؛ فأطرق قليلا ثم قال : يا ربيع ، ما لنا وللعامّة ! إنما تحتاج العامة إلى ثلاث خلال ، فإذا

(١) ط : «أمنعنا» وهو خطأ . (٢) الأغانى ١ : ٢٦ .

فُعل ذلك بها فما حاجتهم! إذا أقيم لهم مَنْ ينظر فى أحكامهم فينصف بعضَهم من بعض ، ويُؤمِن سبلَهم حتى لا يخافوا فى ليلهم ولا نهارهم ، ويسدّ ثغورهم وأطرافهم حتى لا يجيئهم عدوّهم ؛ وقد فعلنا ذلك بهم . ثم مكث أياماً ، وقال : يا ربيع ، اضرب الطبل ؛ فركِب حتى رآه العامة .

وذكر عليّ بن محمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : وجّه أبو جعفر مع محمد بن أبى العباس بالزنادقة والمُجّان ، فكان فيهم حماد عَجْرد ، فأقاموا معه بالبصرة يظهر منهم المجُون؛ وإنما أراد بذلك أن يبغّضه إلى الناس، فأظهر محمد أنه يعشق زينب بنت سليمان بن عليّ ، فكان يركب إلى المِربَد، فيتصدّى لها ؛ يطمع أن تكون فى بعض المناظر تنظر إليه ؛ فقال محمد لحمّاد : قل لى فيها شعراً ، فقال فيها أبياتاً ، يقول فيها :

يا ساكنَ المِرْبَدِ قد هِجْتَ لى شَوْقاً فما أنفكُّ بالمِرْبَدِ[1]

قال : فحدّثنى أبى قال : كان المنصور نازلاً على أبى سنتين ، فعرفت الخصيب المتطبّب لكثرة إتيانه إياه ؛ وكان الخصيب يُظهر النصرانيّة وهو زِنديق معطّل لا يبالى مَنْ قتل، فأرسل اليه المنصور رسولاً يأمره أن يتوخّى قتل محمد بن أبى العباس، فاتّخذ سمّاً قاتلاً ، ثم انتظر علّة تحدث بمحمد ، فوجد حرارة ، فقال له الخصيب : خذ شربة دواء، فقال: هَيِّئها لى ، فهيّأها ، وجعل فيها ذلك السمّ ثم سقاه إياها ، فمات منها. فكتبت بذلك أمّ محمد بن أبى العباس إلى المنصور تعلمه أنّ الخصيب قتل ابنَها . فكتب المنصور يأمر بحمله إليه ؛ فلما صار إليه ضربه ثلاثين سوطاً ضرباً خفيفاً ، وحبسه أياما ، ثم وهب له ثلثمائة درهم ، وخلاّه .

٣/٤٢٣

قال : وسمعتُ أبى يقول : كان المنصور شَرَط لأمّ موسى الحميرية ألاّ يتزوّج عليها ولا يتسرّى ، وكتبت عليه بذلك كتاباً أكّدته وأشهدت عليه شهوداً ، فعزب بها عشر سنين فى سلطانه ؛ فكان يكتب إلى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز يستفتيه ، ويحمل إليه الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق

---

(١) الأغانى ١٤ : ٣٧٤ ، من أبيات ، وروايته : « يا قمر المربد » .

فيعرِض عليه الكتاب ليفتيه فيه برُخصة ؛ فكانت أمّ موسى إذا علمتْ مكانه بادرتْه ، فأرسلت إليه بمال جزيل ، فإذا عرض عليه أبو جعفر الكتاب لم يفته فيه برُخصة ، حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد ؛ فأتته وفاتها بحُلوان ، فأهديت له فى تلك الليلة مائة بِكْر ؛ وكانت أم موسى ولدت له جعفرًا والمهدىّ .

وذكِر عن علىّ بن الجَعْد أنه قال : لما قدم بختيشوع الأكبر على المنصور من السوس ، ودخل عليه فى قَصْره بباب الذهب ببغداد، أمر له بطعام يتغدّى به ، فلما وضعت المائدة بين يديه ، قال : شراب ، فقيل له : إن الشّراب لا يُشرب على مائدة أمير المؤمنين ، فقال : لا آكل طعاماً ليس معه شراب ، فأخبِر المنصور بذلك ، فقال : دعوه ، فلما حضر العشاء فعل به مثل ذلك ، فطلب الشراب ، فقيل له : لا يُشرب على مائدة أمير المؤمنين الشراب ، فتعشّى وشرب ماء دِجلة ، فلما كان من الغد نظر إلى مائه ، فقال : ما كنت أحسب شيئاً يُجزى من الشراب ، فهذا ماء دِجلة يجزى من الشراب . ٣/٤٢٤

وذكر عن يحيى بن الحسن أن أباه حدّثه ، قال : كتب المنصور إلى عامله بالمدينة أن بِعْ ثمار الضياع ولا تبعها إلا ممّن نغلبه ولا يغلبنا ؛ فإنما يغلبنا المفلس الذى لا مال له ، ولا رأى لنا فى عذابه ، فيذهب بما لنا قِبَله ولو أعطاك جزيلا ، وبعْها من الممكن بدون ذلك ممّن ينصفك ويوفيك .

وذكر أبو بكر الهُذلىّ أنّ أبا جعفر كان يقول : ليس بإنسان من أسْدِىَ إليه معروف فنسيه دون الموت .

وقال الفضل بن الربيع : سمعت المنصور يقول : كانت العرب تقول : الغَوَى الفادح خير من الرّىّ الفاضح .

وذكر عن أبان بن يزيد العنبرىّ أن الهيثم القارئ البصرىّ قرأ عند المنصور ﴿ ولاَ تُبذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ ..[1] ، إلى آخر الآية ، فقال له المنصور ، وجعل يدعو : اللهم جنّبنى وبنىّ التبذير فيما أنعمت به علينا من عطيّتك .

(١) سورة الإسراء ٢٦ .

قال : وقرأ الهيثم عنده : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾[1] فقال للناس: لولا أنّ الأموال حصن السلطان ودعامة للدين والدنيا وعزّهما وزينتهما ما بتّ ليلة وأنا أحرز منه دينارًا ولا درهمًا ، لما أجد لبذل المال من اللذاذة ؛ ولما أعلم فى إعطائه من جزيل المثوبة .

٤٢٥/٣

ودخل على المنصور رجل من أهل العلم، فازدراه واقتحمته عينُه ، فجعل لا يسأله عن شىء إلا وجد عنده ، فقال له : أنّى لك هذا العلم ! قال : لم أبخل بعلمٍ علمتُه ، ولم أستح من علم أتعلّمه . قال : فمن هناك !

قال :وكان المنصور كثيراً ما يقول : مَنْ فعل بغير تدبير ، وقال عن غير تقدير ، لم يعدم من الناس هازئًا أو لاحياً .

وذكر عن قحطبة ، قال : سمعت المنصور يقول : الملوك تحتمل كلّ شىء من أصحابها إلا ثلاثًا : إفشاء السرّ، والتعرّض للحُرْمة، والقدح فى الملك .

وذكر علىّ بن محمد أنّ المنصور كان يقول : سرُّك من دمك ، فانظر مَنْ تُمَلِّكه .

وذكر الزبير بن بكّار ، عن عمر ، قال : لما حُمِل عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدىّ إلى المنصور بعد خروجه عليه ، قال له : يا أمير المؤمنين، قِتْلة كريمة ! قال : تركتَها وراءك يابن اللّخناء !

وذكرعن عمر بن شبّة ، أنّ قَحطبة بن غُدانة الجشمىّ — وكان من الصحابة — قال : سمعت أبا جعفر المنصور يخطب بمدينة السلام سنة اثنتين وخمسين ومائة ، فقال : يا عباد الله ، لا تظالموا ، فإنها مظلمة يوم القيامة ، والله لولا يدٌ خاطئة ، وظلم ظالم ، لمشيت بين أظهركم فى أسواقكم ؛ ولو علمت مكان مَنْ هو أحقّ بهذا الأمر منى لأتيتُه حتى أدفَعه إليه .

وذكر إسحاق الموصلىّ ، عن النضر بن حديد ، قال : حدّثنى بعض

---

(١) سورة النساء ٣٧ .

الصحابة أنّ المنصور كان يقول : عقوبة الحليم التعريض ، وعقوبة السفيه التصريح . ٤٢٦/٣

وذكر أحمد بن خالد ، قال : حدثني يحيي بن أبي نصر القرشيّ ، أن أبانًا القارئ قرأ عند المنصور : ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلاتَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ ...﴾ [1] ، الآية فقال المنصور : ما أحسن ما أدّبنا ربّنا !

قال : وقال المنصور : مَنْ صنع مثل ما صُنع إليه فقد كافأ ، ومن أضعف فقد شكر ، ومن شكر كان كريماً ، ومن علم أنه إنما صنع إلى نفسه لم يستبطئ الناس فى شكرهم ، ولم يستزدهم من مودّتهم ، فلا تلتمس من غيرك شكرَ ما آتيتَه إلى نفسك ، ووقَيْتَ به عرضَك . واعلم أن طالب الحاجة إليك لم يكرِم وجهه عن وجهك ، فأكرم وجهَك عن ردّه .

وذكر عمر بن شبّة أن محمد بن عبد الوهاب المهلبيّ ، حدّثه ، قال : سمعت إسحاق بن عيسى يقول : لم يكن أحدٌ من بنى العباس يتكلّم فيبلغ حاجته على البديهة غير أبى جعفر وداود بن علىّ والعباس بن محمد .

وذكر عن أحمد بن خالد ، قال : حدّثنى إسماعيل بن إبراهيم الفهرىّ ، قال : خطب المنصور ببغداد فى يوم عرَفة – وقال قوم : بل خطب فى أيام منى – فقال فى خطبته : أيها الناس ؛ إنما أنا سلطان الله فى أرضه ، أسوسكم بتوفيقه وتسديده ، وأنا خازنه على فيئه ؛ أعمل بمشيئته ، وأقسمه بإرادته ، وأعطيه بإذنه ؛ قد جعلنى الله عليه قُفلا ، إذا شاء أن يفتحنى لأعطياتكم وقَسْمِ فيئكم وأرزاقكم فتحنى ، وإذا شاء أن يُقفلنى أقفلنى ؛ فارغبوا إلى الله أيها الناس ، وسلوه فى هذا اليوم الشريف الذى وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم به فى كتابه ؛ إذ يقول تبارك وتعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾ [2] أن يوفقنى للصواب ويسدّدنى للرشاد ، ويلهمنى الرأفة بكم والإحسان إليكم ، ويفتحنى لأعطياتكم ٤٢٧/٣

(١) سورة الإسراء ٢٩ .
(٢) سورة المائدة ٣ .

وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم ، إنه سميع قريب .

وذكر عن داود بن رشيد عن أبيه ، أنّ المنصور خطب فقال : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأومن به وأتوكّل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له . . فاعترضه معترض عن يمينه ، فقال : أيّها الإنسان ، أذكّرك مَنْ ذكرت به . . . فقطع الخطبة ثم قال : سمعًا سمعًا ؛ لمن حفِظ عن الله وذكّر به ، وأعوذ بالله أن أكون جبّارًا عنيداً ، وأن تأخذَني العزّة بالإثم ، لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين . وأنتَ أيها القائل ؛ فوالله ما أردتَ بها وجه الله[1] ؛ ولكنّك حاولتَ أن يقال : قام فقال فعوقب فصبر ، وأهوْن بها ! ويلك لو هممتُ ! فاهتبلها إذ غفرت . وإياك وإياكم معشر الناس أختها ؛ فإنّ الحكمة علينا نزلتْ ، ومن عندنا فصلت ؛ فردّوا الأمر إلى أهله ، توردوه مواردَه ، وتُصدروه مصادرَه . . . ثم عاد فى خطبته ، فكأنه يقرؤها من كفه ، فقال : وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وذكر عن أبى توبة الرّبيع بن نافع ، عن ابن أبى الجوزاء ، أنه قال : قمت إلى أبى جعفر وهو يخطب ببغداد فى مسجد المدينة على المنبر فقرأت : ﴿ يـأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفْعَلُونَ ﴾ [2] ، فأخِذت فأدخلت عليه ، فقال : مَن أنت ويلك ! إنما أردتَ أن أقتلك ، فاخرج عنى فلا أراك . قال : فخرجت من عنده سليماً .

٣/٤٢٨

وقال عيسى بن عبد الله بن حميد : حدّثنى إبراهيم بن عيسى ، قال : خطب أبو جعفر المنصور فى هذا المسجد – يعنى به مسجد المدينة ببغداد – فلما بلغ : اتقوا الله حق تقاته ، قام إليه رجل ، فقال : وأنت يا عبد الله ، فاتّق الله حق تقاته . .. فقطع أبو جعفر الخطبة ، وقال : سمعا سمعًا ، لمن ذكّر بالله ؛ هات يا عبد الله ، فما تُقى الله ؟ فانقطع الرجل فلم يقل شيئًا ، فقال أبو جعفر : الله الله أيها الناس فى أنفسكم ، لا تحملونا من أموركم[3] ما لا طاقة لكم به ،

(١) ابن الأثير : « ما أردت بهذا القول وجه الله » (٢) سورة الصف ٢ .
(٣) ب : « أنفسكم » .

لا يقوم رجل هذا المقام إلا أوجعتُ ظهره ، وأطلت حبسه . ثم قال : خذه إليك يا ربيع ، قال : فوثِقنا له بالنجاة– وكانت العلامة فيه إذا أراد بالرجل مكروهًا قال : خذه إليك يا مسيّب– قال : ثم رجع فى خطبته من الموضع الذى كان قطعه ، فاستحسن الناس ذلك منه ، فلما فرغ من الصلاة دخل القصر ؛ وجعل عيسى بن موسى يمشى على هِينته[١] خلْفَه ، فأحسّ به أبو جعفر ، فقال : أبو موسى ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ قال : كأنك خفتَنى على هذا الرجل ! قال : والله لقد سبق إلى قلبى بعضُ ذلك ؛ إلا أن أمير المؤمنين أكثر علمًا ، وأعلى نظرًا من أن يأتى فى أمره إلا الحقّ ، فقال : لا تخفنى عليه . فلما جلس قال : علىّ بالرجل ، فأتِىَ به ؛ فقال : يا هذا ؛ إنك لما رأيتَنى على المنبر ، قلت ؛ هذا الطاغية لا يسعنى إلا أن أكلّمه ، ولو شغلت نفسك بغير هذا لكان أمثَلَ لك ؛ فاشغلها بظماء الهواجر ، وقيام الليل ، وتغبير قدميك فى سبيل الله ؛ أنطه[٢] يا ربيع أربعمائة درهم ، واذهب فلا تعد .

٤٢٩/٣ وذكر عن عبد الله بن صاعد ، مولى أمير المؤمنين أنه قال : حجّ المنصور بعد بناء بغداد ، فقام خطيباً بمكة ، فكان مما حفظ من كلامه : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبَادِىَ الصَّالِحُون ﴾[٣] ، أمرٌ مُبْرَم ، وقول عدْل ، وقضاء فَصْل ؛ والحمد لله الذى أفلج حجته ، وبعداً للقوم الظالمين ؛ الذين اتخذوا الكعبة عَرَضًا[٤] ، والفىء إرثا ، وجعلوا القرآن عضِين[٥] ؛ لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فكم ترى من بئر معطَّلة وقصْرٍ مشيد ؛ أهملهم[٦] الله حتى بدّلوا السنة ، واضطهدوا العِترة[٧] ، وعندوا واعتدْوا ، واستكبروا وخاب كلُّ جبار عنيد ؛ ثم أخذهم ؛ فهل تحسّ منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزًا !

وذكر الهيثم بن عدىّ ، عن ابن عياش ، قال : إن الأحداث لما تتابعت

---

(١) ط : « هيئته » وما أثبته من ب .
(٢) س : « أعطه » ، وهما بمعنى .
(٣) سورة الأنبياء ١٠٥ .
(٤) ابن الأثير : « غرضا » .
(٥) عضين ؛ أى فرقاً .
(٦) س : « أمهلهم » .
(٧) ابن الأثير : « وأهلوا العبرة » .

على أبى جعفر ، تمثّل :

تفرّقت الظّباءُ على خِدَاشٍ فما يَدْرِى خداشٌ ما يَصِيدُ[١]

قال : ثم أمر بإحضار القوّاد والموالى والصحابة وأهل بيته ، وأمر حمّادا التركىّ بإسراج الخيل وسليمان بن مجالد بالتقدّم والمسيّب بن زهير بأخذ الأبواب ، ثم خرج فى يوم من أيامه حتى علا المنبر . قال : فأزِمَ عليه طويلا لا ينطق . ٣/٤٣٠ قال رجل لشبيب بن شيبة : ما لأمير المؤمنين لا يتكلم ! فإنه والله ممّن يهون عليه صِعاب القول ، فما باله ! قال : فافترع الخطبة ، ثم قال :

ما لى أُكَفْكِفُ عن سَعْدٍ ويشْتمنِى ولو شتمتُ بنى سَعْدٍ لقد سكنوا[٢]
جهلا علىَّ وجُبْناً عن عَدُوِّهمُ لبئست الخَلَّتان الجَهْلُ والجُبُنُ

ثم جلس وقال :

فألقيتُ عن رَأْسِى القناعَ ولم أَكُنْ لأَكشِفَهُ إلا لإِحْدَى العظائم

والله لقد عجزوا عن أمرٍ قمنا به ، فما شكروا الكافى ؛ ولقد مهّدوا فاستوعروا وغمطوا الحقّ وغمصوا ، فماذا حاولوا ! أشرب رنْقا على غَصَصٍ ، أم أقيم على ضيم ومضَض ! والله لا أكرم أحداً بإهانة نفسى ؛ والله لئن لم يقبلوا الحق ليطلبُنّه ثم لا يجدونه عندى ؛ والسعيد مَنْ وُعظ بغيره . قدّم يا غلام ، ثم ركب

وذكر الفقيمىّ أنّ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن مولى محمد بن علىّ حدّثه ، أن المنصور لما أخذ عبد الله بن حسن وإخوته والنّفر الذين كانوا معه من أهل بيته ، صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

يا أهلَ خُراسان ، أنتم شيعتُنا وأنصارنا وأهلُ دولتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا مَنْ هو خير منا ، وإنّ أهلَ بيتى هؤلاء من ولد علىّ بن أبى طالب

(١) الأغانى ١٢ : ٢٢٩ .
(٢) من قصيدة لقعنب بن أم صاحب فى مختارات ابن الشجرى ٦ — ٨ . وفيها : « مالى أكفكف عن وهب » .

تركناهم والله الذى لا إله إلا هو والخلافةَ ، فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير ؛ ٣/٤٣١
فقام فيها علىّ بن أبى طالب فتلطّخ وحكّم عليه الحكَمين ؛ فافترقت عنه الأمة ، واختلفت عليه الكلمة ، ثمّ وثبت عليه شيعتُه وأنصاره وأصحابه وبطانته وثقاته فقتلوه ، ثمّ قام من بعده الحسن بن علىّ ؛ فوالله ما كان فيها برجُل ؛ قد عرِضت عليه الأموال ، فقبلها ، فدسّ إليه معاوية ؛ إنى أجعلك ولىّ عهدى من بعدى ، فخدعه فانسلخ له مما[1] كان فيه ، وسلّمه إليه ، فأقبل على النساء يتزوّج فى كلّ يوم واحدة فيطلّقها غداً ؛ فلم يزل على ذلك حتى مات على فِراشه ، ثمّ قام من بعده الحسين بن علىّ ، فخدعه أهل العراق وأهلُ الكوفة ؛ أهل الشِّقاق والنفاق والإغراق[2] فى الفتن ، أهل هذه المدَرة السوداء — وأشار إلى الكوفة — فوالله ماهى بحرب فأحاربها ، ولا سلم فأسالمها ، فرّق الله بينى وبينها ، فخذلوه وأسلموه حتى قتِل ، ثم قام من بعده زيد بن علىّ ، فخدعه أهل الكوفة وغرّوه ؛ فلما أخرجوه وأظهروه أسلموه ؛ وقد كان أتى محمد بن علىّ ، فناشده فى الخروج وسأله ألاّ يقبل أقاويل أهل الكوفة ، وقال له : إنا نجد فى بعض علمنا ، أنّ بعض أهل بيتنا[3] يُصلَب بالكوفة ، وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوبَ ؛ وناشده عمىّ داود بن علىّ وحذّره غدر أهل الكوفة فلم يقبل ؛ وأتمّ على خروجه ، فقتِل وصُلِب بالكُناسة ، ثم وثب علينا بنو أميّة ، فأماتوا شرفنا ، وأذهبوا عزّنا ؛ والله ما كانت لهم عندنا تِرَة يطلبونها ؛ وما كان لهم ذلك كله إلاّ فيهم وبسبب خروجهم عليهم ؛ فنفوْنا من البلاد ، فصرْنا مرة بالطائف ، ومرّة بالشأم ، ومرّة بالشّراة ؛ حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصاراً ، ٣/٤٣٢
فأحيا شرَفنا ، وعزّنا بكم أهل خراسان ، ودمغ بحقّكم أهلَ الباطل ، وأظهر حقنا ، وأصار الينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقرّ الحق مقرّه ، وأظهر مناره ، وأعزّ أنصاره ، وقُطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين . فلما استقرّت الأمور فينا على قرارها ؛ من فضل الله فيها وحكمه العادل لنا ، وثبوا علينا ، ظلماً وحسداً منهم لنا ، وبغياً لما فضّلنا الله به عليهم ، وأكرمنا به من خلافته وميراث نبيه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) س : « منها ومما » . (٢) ب : « والإعراق » .
(٣) س : « بيت نبينا » .

جَهْلاً عليّ وجُبْناً عن عدوّهمُ ... لبئست الخَلَّتان الجَهْل والجُبْنُ

فإنّى والله يا أهلَ خراسان ما أتيت من هـذا الأمر ما أتيت بجهالة ، بلغنى عنهم بعض السقم والتعرّم ، وقد دسست لهم رجالا فقلت : قم يا فلان قم يا فلان ، فخذ معك من المال كذا ، وحذوت لهم مثالاً يعملون عليه ؛ فخرجوا حتى أتوْهم بالمدينة ، فدسُّوا إليهم تلك الأموال ؛ فوالله ما بقى منهم شيخ ولا شابّ ، ولا صغير ولا كبير إلاّ بايعهم بيعةً ، استحلت بها دماءهم وأموالَهم وحلّت لى عند ذلك بنقضِهم بيعتى ، وطلبهم الفتنة ، والتماسهم الخروج علىّ ؛ فلا يرون أنى أتيتُ ذلك على غير يقين . ثم نزل وهو يتلو على دَرَج المنبر هذه الآية : ﴿وحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُون كَمَا فُعِلَ بأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قبلُ إنَّهُمْ كَانُوا فى شَكٍّ مُرِيبٍ﴾[1] .

٤٣٣/٣ قال : وخطب المنصور بالمدائن عند قتل أبى مسلم ، فقال :

أيُّها الناس؛ لا تخرجُوا من أنسِ الطاعة إلى وحشة المعصية ، ولا تُسرُّوا غشَّ الأئمة ، فإنه لم يُسرّ أحد قطّ منكرةً إلا ظهرت فى آثار يده ، أو فلتاتِ لسانه ، وأبداها الله لإمامه ؛ بإعزاز دينه ، وإعلاء حقه . إنا لن نبخسكم حقوقكم ، ولن نبخَس الدّين حقه عليكم . إنه مَنْ نازعنا عُرْوة هذا القميص أجزْرناه خبِىّ هذا الغمْد . وإن أبا مسلم بايعَنا وبايع الناس لنا ، على أنه مَنْ نكث بنا فقد أباحَ دمه ، ثم نكث بنا ، فحكمنا عليه حكمه على غيره لنا ؛ ولم تمنعنا رعاية الحقّ له من إقامة الحقّ عليه .

وذكر إسحق بن إبراهيم الموصلىّ أن الفَضْل بن الرّبيع أخبره عن أبيه ، قال : قال المنصور : قال أبى : سمعتُ أبى ؛ علىّ بن عبد الله يقول : سادة الدنيا الأسخياء ، وسادة الآخرة الأنبياء .

وذكِر عن إبراهيم بن عيسى ، أن المنصور غضب على محمد بن جُمَيْل الكاتب — وأصله من الرّبَذة — فأمر ببطحه[2] ، فقام بحجّته ، فأمر بإقامته ،

---

(١) سورة سبأ ٥٤ . (٢) بطحه : ألقاه على وجهه .

ونظر إلى سراويله ، فإذا هو كتّان ، فأمر ببطحه وضربه خمس عشرة درّة ، وقال : لا تلبس سراويل كتّان فإنه من السرف .

وذكر محمد بن إسماعيل الهاشميّ ، أن الحسن بن إبراهيم حدّثه ، عن أشياخه ، أن أبا جعفر لما قتل محمد بن عبد الله بالمدينة وأخاه إبراهيم بباخمرى وخرج إبراهيم بن حسن بن حسن بمصر فحمل إليه ، كتب إلى بنى علىّ بن أبي طالب بالمدينة كتاباً يذكر لهم فيه[1] إبراهيم بن الحسن بن الحسن وخروجه بمصر ، وأنّه لم يفعل ذلك إلا عن رأيهم ، وأنهم يدأبون فى طلب السلطان ، ويلتمسون بذلك القطيعة والعقوق ، وقد عجزوا عن عداوة بنى أمية لمّا نازعوهم السلطان ، وضعفوا عن طلب ثأرهم ؛ حتى وثب بنو أبيه غضباً لهم على بنى أمية ، فطلبوا بثأرهم ، فأدركوا بدمائهم ، وانتزعوا السلطان عن أيديهم ، وتمثّل فى الكتاب بشعر سُبيع بن ربيعة بن معاوية اليربوعىّ :

فَلولا دِفاعى عنكُمُ إذ عَجَزْتُمُ	وبالله أَحْمى عنكُمُ وأُدافِعُ
لَضاعَتْ أمورٌ منكُمُ لا أرى لها	كفاةً وما لا يَحْفَظُ اللهُ ضائعُ
فَسَمُّوا النامَنْ طَحْطَحَ الناسَ عنكُمُ	ومن ذا الذى تُحْنَى عليه الأَصابعُ !
وما زال منّا قد عَلِمْتُمْ عليكُمُ	على الدهر إفْضالٌ يُرَى وَمنافِع
وما زال منكُمْ أَهْلُ غَدْرٍ وجَفْوَةٍ	وبالله مُغْتَرٌّ وللرَّحْم قاطعُ
وإن نحن غِبْنا عنكُم وَشَهِدْتُمُ	وَقائعَ منكمْ ثَمَّ فيها مقانِعُ
وإنا لنَرْعاكم وترعون شأنكم	كذاك الأُمور ؛ خافضاتٌ رَوافِعُ
وهل تعْلُوَنْ أَقدامُ قوْمٍ صُدورَهمْ	وهل تعْلُوَنْ فوق السَّنام الأَكارِعُ !
وَدَبَّ رِجالٌ للرِّياسَةِ منكمُ	كما دَرَجَتْ تحتَ الغديرِ الضَّفادعُ ؟

وذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، قال : كان أرزاق الكتاب والعمّال أيام أبي جعفر ثلثمائة درهم ؛ فلما كانت كذلك لم تزل[2] على حالها إلى أيام المأمون ، فكان أوّل مَنْ سنّ زيادة الأرزاق الفضل بن سهل ، فأمّا

٤٣٤/٣

٤٣٥/٣

(١) س : « فعل » .
(٢) س : « ولم يزل كذلك » .

فى أيام بنى أمية وبنى العباس فلم تزل الأرزاق من الثلثمائة إلى ما دونها ، كان الحجّاج يُجرِى على يزيد بن أبى مسلم ثلثمائة درهم فى الشهر .

وذكر إبراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى ، أنّ ولاة البريد فى الآفاق كلّها كانوا يكتبون إلى المنصور أيام خلافته فى كلّ يوم بسعر القمح والحبوب والأُدْم ، وبسعرِ كلّ مأكول ، وبكلّ ما يقضى به القاضى فى نواحيهم ، وبما يعمل به الوالى وبما يرد بيتَ المال من المال ، وكلّ حدث ، وكانوا إذا صلّوا المغرب يكتبون إليه بما كان فى كلّ ليلة إذا صلّوا الغداة ؛ فإذا وردت كتبهم نظر فيها ، فإذا رأى الأسعار على حالها أمسك، وإن تغيّر شىء منها عن حاله كتب إلى الوالى والعامل هناك، وسأل عن العلّة التى نقلت ذاك عن سعره ؛ فإذا ورد الجواب بالعلّة تلطف لذلك برفقه حتى يعود سعره ذلك إلى حاله ؛ وإن شكّ فى شىء مما قضى به القاضى كتب إليه بذلك ؛ وسأل من بحضرته عن عمله ؛ فإن أنكر شيئًا عمل به كتب إليه يوبّخه ويلومه .

وذكر إسحاق الموصلىّ أن الصبّاح بن خاقان التميمىّ ، قال : حدّثنى رجل من أهلى ، عن أبيه ، قال : ذُكِر الوليد عند المنصور أيام نزوله بغداد وفروغه من المدينة ، وفراغه من محمد وإبراهيم ابنى عبد الله ، فقالوا : لعن الله الملحد الكافر — قال : وفى المجلس أبو بكر الهذلى وابن عياش المنتوف والشّرقىّ ابن القطامىّ ، وكل هؤلاء من الصحابة — فقال أبو بكر الهذلىّ : حدّثنى ابن عمٍّ للفرزدق ، عن الفرزدق ، قال : حضرت الوليد بن يزيد وعنده ندماؤه وقد اصطبح ، فقال لابن عائشة : تغنَّ بشعر ابن الزِّبَعْرَى : ٣/٤٣٦

لَيْتَ أَشْيَاخى ببَدْرٍ شَهِدُوا جزَع الخَزْرَجِ من وقعِ الأَسَلْ[1]

وقتلْنا الضِّعْفَ من ساداتِهِمْ[2] وَعَدَلنا مَيْلَ بَدْرٍ فاعْتَدَلْ

فقال ابن عائشة : لا أغنّى هذا يا أمير المؤمنين ؛ فقال : غنّه وإلاّ جدعتُ لهواتك ، قال : فغنّاه ، فقال : أحسنت والله ! إنه لعلى دينِ ابن الزِّبَعْرَى يوم قال هذا الشعر . قال : فلعنه المنصور ولعنه جلساؤه ؛ وقال :

(١) من أبيات له فى ابن هشام ٣ : ٩٧ .

(٢) س : « وقتلنا الصيد » .

الحمد لله على نعمته وتوحيده .

وذكر عن أبى بكر الهذلىّ ، قال : كتب صاحب إرمينيّة إلى المنصور : إن الجند قد شغَبوا عليه ، وكسروا أقفال بيت المال ، وأخذوا ما فيه ، فوقّع فى كتابه : اعتزل عملنا مذمومًا ، فلو عقلت لم يشغبوا ، ولو قويت لم ينتهبوا .

وقال إسحاق الموصلىّ ، عن أبيه : خرج بعضُ أهل العبث على أبى جعفر بفِلسطين ، فكتب إلى العامل هناك : دمه فى دمك إلا توجّهه إلىّ ؛ فجدّ فى طلبه ، فظفر به فأشخِص ، فأمر بإدخاله عليه ، فلمّا مثل بين يديه ، قال له أبو جعفر : أنت المتوثّب على عُمّالى ! لأنثرنّ من لحمك أكثر مما يبقى منه على عظمك ، فقال له — وقد كان شيخًا كبير السنّ — بصوت ضعيف ضئيل غير مستعلٍ :

أَتَرُوضُ عِرْسَكَ بَعدَ ما هَرِمتْ ومنَ العَناء رياضَةُ الهَرِمِ

قال : فلم تتبيَّن للمنصور مقالته، فقال : يا ربيع ، ما يقول ؟ فقال : يقول : ٣/٤٢٧

العَبْدُ عبدُكمُ والمالُ مالكُمُ فَهلْ عذابُكَ عنى اليومَ مُنْصَرِفُ !

قال : يا ربيع ، قد عفوتُ عنه ؛ فخلّ سبيله، واحتفظ به، وأحسن ولايته.

قال : ورُفع رجل إلى المنصور يشكو عامله أنه أخذ حدًّا من ضيعته ، فأضافه إلى ماله ، فوقّع إلى عامله فى رقعة المتظلم : إن آثرتَ العدل صحبتْك السلامة ، فأنصف هذا المتظلّم من هذه الظلامة .

قال : ورفع رجل من العامّة إليه رقعة فى بناء مسجد فى محلته ، فوقّع فى رقعته : من أشراط الساعة كثرة المساجد ، فزد فى خطاك تزدد من الثواب .

قال : وتظلّم رجل من أهل السواد من بعض العمال ، فى رقعة رفعها إلى المنصور ، فوقّع فيها : إن كنت صادقًا فجئ به ملبّبا فقد أذنّا لك فى ذلك .

وذكر عمر بن شبّة أنّ أبا الهذيل العلّاف حدّثه ، أن أبا جعفر قال : بلغنى أن السيّد بن محمد ماتَ بالكرْخ – أو قال : بواسط – ولم يدفنوه ، ولئن حقّ ذلك عندى لأحرقنّها . وقيل : إن الصحيح أنه مات فى زمان المهدىّ بكَرْخ بغداد ، وأنهم تحاموْا أن يدفنوه ، وأنه بعث بالرّبيع حتى ولى أمره ، وأمَره إن كانوا امتنعوا أن يحرق عليهم منازلهم ، فدُفع ربيع عنهم .

وقال المدائنىّ : لما فرغ المنصور من محمد وإبراهيم وعبد الله بن علىّ وعبد الجبار بن عبد الرحمن ، وصار ببغداد ، واستقامت له الأمور ، كان يتمثّل هذا البيت :

٣/٤٣٨ تبيت من البلوَى على حدّ مُرهَفٍ مرارًا ويكْفِى الله ما أنت خائفُ

قال : وأنشدنى عبد الله بن الربيع ، قال : أنشدنى المنصور بعد قتل هؤلاء :

وربّ أمورٍ لا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً وللقلب من مَخشاتِهنّ وَجيبُ[1]

وقال الهيثم بن عدىّ : لما بلغ المنصور تفرّقَ ولد عبد الله بن حسن فى البلاد هربًا من عقابه ، تمثّل :

إنّ قناتى لَنبْعٌ لا يُؤيّسها غَمزُ الثّقاف ولا دُهْنٌ ولا نارُ
متى أَجِرْ خائفاً تأْمَنْ مَسارحُه وإن أُخِفْ آمِناً تَقلَقْ به الدارُ
سيرُوا إلىّ وغُضُّوا بعضَ أعْيُنِكم إنى لكل امرئٍ من جاره جارُ

وذكر علىّ بن محمد عن واضح مولى أبى جعفر ، قال : أمرنى أبو جعفر أن أشترىَ له ثوبيْن ليّنين ، فاشتريتهما له بعشرين ومائة درهم ، فأتيته بهما ، فقال : بكم ؟ فقلت : بثمانين درهمًا ، قال : صالحان ، استحِطّه ؛ فإنّ المتاع إذا أدخِل علينا ثم رُدّ على صاحبه كسره ذلك . فأخذتُ الثوبين من صاحبهما ، فلما كان من الغد حملتُهما إليه معى ، فقال : ما صنعت ؟ قلت : رددتهما

---

(١) س : « من وحشاتهن » .

عليه فحطّني عشرين درهما، قال: أحسنتَ؛ اقطع أحدَهما قميصًا، واجعل الآخر رداء لى. ففعلتُ، فلبس القميص خمسة عشر يومًا لم يلبس غيرَه.

وذكر مولًى لعبد الصمد بن علىّ، قال: سمعتُ عبدَ الصَّمد يقول: إنّ المنصور كان يأمر أهلَ بيته بحسن الهيئة وإظهار النعمة وبلزوم الوشْىِ والطّيب؛ فإن رأى أحداً منهم قد أخلّ بذلك أو أقل منه، قال: يا فلان، ما أرى وبيص[1] الغالية فى لحيتك؛ وإنى لأراها تلمع فى لحية فلان؛ فيشحذهم بذلك على الإكثار من الطّيب ليتزين بهيئتهم وطيب أرواحهم عند الرّعيّة، ويزيّنهم بذلك عندهم؛ وإن رأى على أحد منهم وشياً طاهراً عضّه بلسانه.

٤٣٩/٣

وذكِر عن أحمد بن خالد، قال: كان المنصور يسأل مالك بن أدهم كثيراً عن حديث عجلان بن سُهيل، أخى حوثرة بن سُهيل، قال: كنّا جلوسًا مع عجلان، إذ مرَّ بنا هشام بن عبد الملك، فقال رجل من القوم: قد مرّ الأحول، قال: مَن تعنى؟ قال: هشامًا، قال: تسمّى أمير المؤمنين بالنّبَز[2]! والله لولا رحمِك لضربت عنقك. فقال المنصور: هذا والله الذى ينفع مع مثله المحيا والممات.

وقال أحمد بن خالد: قال إبراهيم بن عيسى: كان للمنصور خادم أصفرُ إلى الأدْمة[3]، ماهر لا بأس به، فقال له المنصور يومًا: ما جنسك؟ قال: عربىّ يا أمير المؤمنين، قال: ومنْ أىّ العرب أنت؟ قال: من خَوْلان، سُبيتُ من اليمن، فأخذنى عدوٌّ لنا، فجبّنى فاسترققت، فصرت إلى بعض بنى أميّة، ثم صرت إليك. قال: أمّا إنك نعم الغلام؛ ولكن لا يدخل قصرى عربىّ يخدُم حُرَمى؛ اخرج عافاك الله؛ فاذهب حيث شئت!

وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود بن معاوية بن بكر ـ وكان من الصحابة ـ أنّ المنصور ضمّ رجلا من أهل الكوفة، يقال له الفُضيل بن عمران، إلى ابنه جعفر، وجعله كاتبه، وولاّه أمرَه، فكان منه بمنزلة أبى عبيدالله

---

(١) الوبيص: اللمعان.
(٢) النبز، بالتحريك: اللقب، وقد يهزأ به.
(٣) الأدمة: السمرة.

٣/٤٤٠ من المهدىّ ، وقد كان أبو جعفر أراد أن يبايع لجعفر بعد المهدىّ ، فنصبت أم عبيد الله حاضنةُ جعفر للفُضيل بن عمران ، فسعتْ به إلى المنصور ، وأومأت إلى أنه يعبث بجعفر . قال : فبعث المنصور الرّيان مولاه وهارون بن غـَزْوان مولى عثمان بن نهيك إلى الفُضَيل – وهو مع جعفر بحديثة الموصل – وقال : إذا رأيتما فُضيلاً فاقتلاه حيث لقيتماه ، وكتب لهما كتاباً منشوراً ، وكتب إلى جعفر يعلمه ما أمرهما به ، وقال : لا تدفعا الكتابَ إلى جعفر حتى تفرُغا من قتله . قال : فخرجا حتى قدما على جعفر ، وقعدا على بابه ينتظران الإذن ؛ فخرج عليهما فُضيل، فأخذاه وأخرجا كتاب المنصور ، فلم يعرِض لهما أحدٌ ؛ فضربا عنقه مكانه، ولم يعلم جعفر حتى فرغا منه – وكان الفُضيل رجلاً عفيفاً ديِّنا – فقيل للمنصور : إنّ الفضيل كان أبرأ الناس مما رُمِىَ به ، وقد عجِلتَ عليه . فوجّه رسولا ، وجعل له عشرة آلاف درهم إن أدركه قبل أن يقتَل ، فقدم الرسول قبل أن يجفّ دمه .

فذكر معاوية بن بكر عن سويد مولى جعفر ،أنّ جعفراً أرسل إليه ،فقال : ويلك ! ما يقول أمير المؤمنين فى قتل رجل عفيف ديّن مسلم بلا جُرْم ولا جناية ! قال سويد : فقلت : هو أمير المؤمنين يفعل ما يشاء ؛ وهو أعلم بما يصنع ؛ فقال : يا ماصّ بَظْر أمّه ، أكلّمك بكلام الخاصّة وتكلمنى بكلام العامة ! خذوا برجله فألقوه فى دِجْلة . قال فأخِذت ، فقلت : أكلّمك ، فقال : دعوه ، فقلت : أبوك إنما يُسأَل عن فُضيل ، ومتى يُسْأَلُ عنه، وقد قتل عمّه عبد الله بن عبد الله بن علىّ ، وقد قتل عبد الله بن الحسن وغيره من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

٣/٤٤١ ظلماً،وقتل أهل الدّنيا ممن لا يحُصى ولا يعدّ ! هو قبل أن يُسأل عن فضيل جـُرذانة تجبّ خصى فرعون[1] قال: فضحك ، وقال : دعوه إلى لعنة الله .

وقال قعنَب بن محرز : أخبرنا محمد بن عائد مولى عثمان بن عفان أن حفصاً الأمويّ الشاعر ، كان يقال له حفص بن أبى جُمعة، مولى عبّاد بن زياد ، وكان المنصور صيّره مؤدباً للمهدىّ فى مجالسه ، وكان مدّاحاً لبنى أمية فى أيام بنى أميّة وأيّام المنصور ، فلم ينكِر عليه ذلك المنصورُ ، ولم يزل مع المهدىّ

(١) كذا فى : ط .

أيام ولايته العهد ؛ ومات قبل أن يلى المهدىّ الخلافة . قال : وكان مما مدح به بنى أميّة قوله :

أَينَ رَوْقَا عبد شمسٍ أَيْنَ هُمْ أين أهلُ الباعِ منهم والحَسبْ!

لم تكن أَيْدٍ لهم عندكُمُ ما فعلتمْ آل عبدِ المطلبْ!

أيها السّائل عنهمُ أولو جُثَث تلمعُ من فوْق الخشبْ

إنْ تجذُّوا الأَصلَ منهمْ سَفهاً يالَقَوْمٍ للزمان المنقلبْ !

إنْ فاحلبُوا ماشئتمُ فى صَحْنكمْ فسَتُسقَون صَرَى ذاك الحَلبْ

وقيل: إن حفصاً الأموىّ دخل على المنصور ، فكلّمه فاستخبره ، فقال له : من أنت ؟ فقال: مولاك يا أميرَ المؤمنين ، قال : مولًى لى مثلك لا أعرفه ! قال: مولى خادمٍ لك عبد مناف يا أمير المؤمنين ؛ فاستحسن ذلك منه ، وعلم أنه مولًى لبنى أميّة ، فضمّه إلى المهدىّ ، وقال له : احتفظ به .

* * *

ومما رُثى به قول سَلْم الخاسر :

عجباً للذى نَعَى الناعيانِ كيف فاهَتْ بموته الشَّفتَانِ !

مَلكٌ إن غدَا على الدّهرِ يوماً أَصبحَ الدّهرُ ساقطاً للجِرَانِ

لَيْت كفًّا حثَتْ عليه تراباً لم تَعُدْ فى يمينها ببَنَـان

حين دانَتْ له البلادُ على العَسْـ ـفِ وأَغضَى من خوفه الثَّقَلانِ

أَينَ ربُّ الزَّوْراءِ قد قلّدَتْهُ الـ ـملكَ ، عشرون حجّةً واثنتان

إنّما المرءُ كالزناد إذا ما أَخَـذَتْهُ قوادحُ النِّيرانِ

ليس يَثْنى هَواه زَجرٌ ولا يَقْـ ـدَحُ فى حَبْله ذَوو الأذهانِ

قَلَّدَتهُ أَعِنَّةَ المُلكِ حتى قادَ أَعداءَه بغيرِ عِنانِ

يُكْسَرُ الطّرْفُ دونه وترى الأَيْـ ـدِىَ من خوفِهِ على الأَذقان

ضمَّ أَطرافَ مُلكه ثم أَضحَى خَلْفَ أقصاهُمُ ودونَ الدّانى

هاشِمِىُّ التَّشميرِ لا يَحْمِلُ الثِّقْـ ـلَ على غاربِ الشَّرُودِ الهِدَانِ

٤٤٢/٣

ذو أناةٍ ينسَى لها الخائفُ الخَو فَ وعزمٍ يُلوِى بكلِّ جَنَانِ
ذَهَبَتْ دونه النفوسُ حِذارًا غير أنَّ الأَرواحَ فى الأَبدانِ

* * *

ذكر أسماء ولده ونسائه

فمن ولده المهدىّ — واسمه محمد — وجعفر الأكبر ، وأمّهما أروى بنت منصور أخت يزيد بن منصور الحميرىّ ؛ وكانت تكنى أم موسى ؛ وهلك جعفر هذا قبل المنصور .

وسليمان وعيسى ويعقوب ؛ وأمهم فاطمة بنت محمد ، من ولد طلحة بن عبيد الله .

وجعفر الأصغر ، أمّه أمّ ولد كرديّة ، كان المنصور اشتراها فتسرّاها ، وكان يقال لابنها : ابن الكرديّة .

وصالح المسكين ، أمّه أم ولد روميّة ؛ يقال لها قالى الفرّاشة .

والقاسم ، مات قبل المنصور ، وهو ابن عشر سنين ، وأمه أم ولد تعرف بأم القاسم ، ولها بباب الشأم بستان يعرف إلى اليوم ببستان أمّ القاسم .

٤٤٣/٣ والعالية ، أمّها امرأة من بنى أميّة ، زوّجها المنصور من إسحاق بن سليمان ابن علىّ بن عبد الله بن العباس . وذكر عن إسحاق بن سليمان أنه قال : قال لى أبى : زوّجتُك يا بنىّ أشرف الناس ؛ العالية بنت أمير المؤمنين . قال : فقلت : يا أباه ، مَنْ أكفاؤنا ؟ قال : أعداؤنا من بنى أميّة .

* * *

ذكر الخبر عن وصاياه

ذكر عن الهيثم بن عدىّ أن المنصور أوصى المهدىّ فى هذه السنة لما شخص متوجّهًا إلى مكة فى شوّال ، وقد نزل قصر عَبْدويه ، وأقام بهذا القصر أيامًا والمهدىّ معه يوصيه ، وكان انقضّ فى مقامه بقصر عبدويه كوكبٌ ، لثلاثٍ

بقِينَ من شوّال بعد إضاءة الفجر ، وبقى أثره بَيِّنًا إلى طلوع الشمس ، فأوصاه بالمال والسلطان ؛ يفعل[١] ذلك كلّ يوم من أيام مقامه بالغَداة والعشىّ ، لا يفتر عن ذلك ، ولا يفترقان إلاّ تحريكاً . فلما كان اليوم الذى أراد أن يرتحل فيه ، دعا المهدىّ ، فقال له : إنى لم أدع شيئًا إلا قد تقدمتُ إليك فيه ، وسأوصيك بخصال[٢] والله ما أظنك تفعل واحدة منها — وكان له سَفَط فيه دفاتر علمه، وعليه قُفل لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحداً ، يصرّ مفتاحه فى كمّ قميصه . قال : وكان حمّاد التركىّ يقدّم إليه ذلك السَّفَط إذا دعا به ، فإذا غاب حماد أو خرج كان الذى يليه سلمة الخادم — فقال للمهدىّ : انظر هذا السَّفَط فاحتفظ به ؛ فإنّ فيه علم آبائك، ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ؛ فإن أحزنك[٣] أمر فانظر فى الدّفتر الأكبر ؛ فإن أصبتَ فيه ما تريد، وإلا فالثانى والثالث ؛ حتّى بلغ سبعة ؛ فإن ثقل عليك فالكرّاسة الصغيرة ؛ فإنك واجد فيها ما تريد، وما أظنّك تفعل ، وانظر هذه المدينة ؛ فإياك أن تستبدل بها ؛ فإنها بيتك[٤] وعزّك ، قد جمعتُ لك فيها من الأموال ما إن كُسِر عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء الذّرية ومصلحة الثّغور ؛ فاحتفظ بها ، فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً ، وما أظنك تفعل. وأوصيك بأهل بيتك ؛ أن تُظهر كرامتهم وتقدّمهم[٥] وتكثر الإحسان إليهم ، وتعظّم أمرَهم ، وتوطئ الناس أعقابهم ، وتولّيهم المنابر ؛ فإنّ عزّك عزُّهم وذكرهم لك ، وما أظنك تفعل . وانظر مواليك ، فأحسن إليهم وقرّبهم واستكثر منهم فإنهم مادّتك لشدة إن نزلت بك ، وما أظنك تفعل . وأوصيك بأهل خُراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتك الّذين بذلوا أموالهم فى دولتك ، ودماءهم دونك ، ومَنْ لا تخرج محبتك من قلوبهم ؛ أن تحسِن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم على ما كان منهم ، وتخلُف مَن مات منهم فى أهله وولده، وما أظنّك تفعل. وإياك أن تبنى مدينة الشرقيّة فإنك لا تتم بناءها، وما أظنّك تفعل. وإيّاك أن

٣/٤٤٤

---

(١) س : « ففعل » .
(٢) ب : « بخلال » .
(٣) ب : « حزنك » .
(٤) ب : « مدينتك » .
(٥) س : « وتقدمتهم » .

تستعين برجل من بنى سُليم ، وأظنّك ستفعل . وإياك أن تدخل النساء فى مشورتك فى أمرك ، وأظنك ستفعل .

وقال غير الهيثم : إنّ المنصور دعا المهدىّ عند مسيره إلى مكة ، فقال : يا أبا عبد الله ، إنى سائر وإنى غير راجع ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ! فاسأل الله بركة ما أقدم عليه ، هذا كتاب وصيتى مختومًا ، فإذا بلغك أنى قد متّ ، وصار الأمر إليك فانظر فيه ، وعلىّ دينٌ فأحبّ أن تقضيه وتضمنه ، قال : هو علىّ يا أميرَ المؤمنين ، قال : فإنه ثلثمائة ألف درهم ونيّف ، ولست أستحلّها من بيت مال المسلمين ، فاضمنها عنى ، وما يفضى إليك من الأمر أعظم منها . قال : أفعل ، هو علىّ . قال : وهذا القصر ليس هو لكَ ، هو لى ، وقصرى بنيته بمالى ، فأحبّ أن تصيّر نصيبك منه لإخوتك الأصاغر . قال : نعم ، قال : ورقيق الخاصّة هم لك ، فاجعلهم لهم ، فإنك تصير إلى ما يُغنيك عنهم ، وبهم إلى ذلك أعظم الحاجة . قال : أفعل ، قال : أمّا الضّياع ، فلست أكلّفك فيها هذا ، ولو فعلتَ كان أحبَّ إلىّ ، قال : أفعل ، قال : سلّمْ إليهم ما سألتك من هذا ، وأنت معهم فى الضياع . قال : والمتاع والثياب ، سلّمه لهم ، قال : أفعل . قال : أحسنَ الله عليك الخلافة ولك الصُّنْع ! اتق الله فيما خوّلك وفيما خلّفتُك عليه .

ومضى إلى الكوفة ، فنزل الرُّصافة ، ثمّ خرج منها مهلاً بالعمرة والحجّ ، قد ساق هديه من البُدْن ، وأشعر وقلّد ؛ وذلك لأيام خلتْ من ذى القعدة .

وذكر أبو يعقوب بن سليمان ، قال : حدثتنى جَمرة العطّارة — عطّارة أبى جعفر — قالت : لما عزم المنصور على الحج دعا ريْطة بنت أبى العباس امرأة المهدىّ — وكان المهدىّ بالرىّ قبل شخوص أبى جعفر — فأوصاها بما أراد ، وعهد إليها ، ودفع إليها[1] مفاتيح الخزائن ، وتقدّم إليها وأحلفها ، ووكّد الأيمان ألاّ تفتح بعض تلك الخزائن ، ولا تُطلع عليها أحداً إلا المهدىّ ؛ ولا هى ؛ إلاّ أن يصحّ عندها موته ، فإذا صحّ ذلك اجتمعتْ هى والمهدىّ وليس معهما

٤٤٥/٣ ٤٤٦/٣

(١) س : « لها » .

ثالث ؛ حتى يفتحا[1] الخزانة. فلما قدِم المهدىّ من الرّىّ إلى مدينة السلام ، دفعت إليه المفاتيح ، وأخبرتْه عن المنصور أنه تقدّم إليها فيه ألاّ يفتحه ولا يُطلع عليه أحداً حتى يصحّ عندها موتُه. فلما انتهى إلى المهدىّ موتُ المنصور وولِىَ الخلافة ، فتح الباب ومعه ريْطة ؛ فإذا أزجٌ[2] كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبيين ، وفى آذانهم رقاع فيها أنسابهم ؛ وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدّة كثيرة ، فلما رأى ذلك المهدىّ ارتاع لما رأى ، وأمر فحفِرت لهم حفيرة فدُفنوا فيها ، وعمِل عليهم دكان .

وُذكِر عن إسحاق بن عيسى بن علىّ ، عن أبيه ، قال : سمعتُ المنصور وهو متوجّه إلى مكة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وهو يقول للمهدىّ عندَ وداعه إياه: يا أبا عبد الله؛ إنى وُلدت فى ذى الحجّة، ووليت فى ذى الحجة ، وقد هجس فى نفسى أنى أموت فى ذى الحجة من هذه السنة ؛ وإنما حدانى على الحجّ ذلك ، فاتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدى ؛ يجعل لك فيما كَرَبك وحزَنك مخرجاً — أو قال : فَرجًا ومخرجًا — ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب . احفظ يا بنىّ محمداً صلى الله عليه وسلم فى أمّته يحفظ الله عليك أمورَك . وإياك والدّم الحرام ، فإنه حَوْبٌ عند الله عظيم ، وعارٌ فى الدنيا لازم مقيم . والزم الحلال ؛ فإنّ ثوابَك فى الآجل ، وصلاحك فى العاجل . وأقم الحدود ولا تعتدِ فيها فتبور ؛ فإن الله لو علم أنّ شيئًا أصلحُ لدينه وأزجرُ من معاصيه من الحدود لأمر به فى كتابه . واعلم أنّ من شدّة غضب الله لسلطانه ، أمر فى كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على مَنْ سعى فى الأرض فساداً ، مع ما ذخر له عنده من العذاب العظيم ، فقال : ﴿ إِنَّما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾[3] الآية . فالسلطان يا بنىّ حبْل الله المتين ، وعُروته الوثقَى ، ودين الله القَيّم ، فاحفظه وحُطْه وحصّنه ، وذُبَّ عنه ، وأوقع بالملحدين فيه ، واقْمع المارقين منه والخارجين عنه بالعقاب لهم والمَثُلات بهم ؛ ولا تجاوز ما أمر

٤٤٧/٣

(١) ب : « ففتحت » .
(٢) الأزج : ضرب من الأبنية .
(٣) سورة المائدة ٣٣ .

الله به فى محكم القرآن . واحكم بالعدل ولا تـُشْطِط ؛ فإن ذلك أقطعُ للشَّغَب ، وأحسم للعدوّ ، وأنجع فى الدواء . وعفّ عن الفَىء ، فليْس بك إليه حاجة مع ما أخلّفه لك ، وافتتح عملك بصلةِ الرَّحِم وبرّ القرابة . وإياك والأثَرة[1] والتبذير لأموال الرّعية . واشحن الثغور ، واضبط الأطراف ، وأمّن السبلَ ، وخصّ الواسطة ، ووسّع المعاش ، وسكّن العامة ، وأدخل المرافق عليهم ، واصرف[2] المكاره عنهم ،وأعدّ الأموال واخزنها . وإيّاك والتبذير ؛ فإنّ النوائب غير مأمونة ، والحوادث غير مضمونة ؛ وهى من شيَم الزّمان . وأعدّ الرجال والكُراع والجند ما استطعت . وإيّاك وتأخيرَ عمل اليوم إلى غد ، فتتدارك[3] عليك الأمور وتضيع . جِدّ[4] فى إحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولا فأولا ، واجتهد وشمّر فيها ، وأعدد رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ، ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل . وباشر الأمور بنفسك ، ولا تضجر ولا تكسل ولا تفشل، واستعمل حسنَ الظنّ بربك ، وأسئْ الظن بعمّالك وكتابك[5] . وخذ نفسك بالتيقظ ، وتفقّد مَنْ يبيت على بابك، وسهّل إذنَك للناس ، وانظر فى أمر النزاع إليك ، ووكّل بهم عينًا غير نائمة، ونفسًا غير لاهية ، ولا تنم فإنّ أباك لم ينمْ منذ ولِيَ الخلافة ، ولا دخل عينه غمض إلاّ وقلبه مستيقظ . هذه وصيّتى إليك ، والله خليفتى عليك .

٤٤٨/٣

قال : ثم ودّعه وبكى كلّ واحد منهما إلى صاحبه .

وذكر عمر بن شبّة عن سعيد بن هريم ، قال : لما حجّ المنصور فى السنة التى تُوفّىَ فيها شيّعه المهدىّ ، فقال: يا بنىّ ، إنى قد جمعتُ لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلى، وجمعت لك من الموالى ما لم يجمعه خليفة قبلى ، وبنيت لك مدينة لم يكن فى الإسلام مثلها ؛ ولست أخاف عليك إلا أحدَ رجلين : عيسى بن موسى ، وعيسى بن زيد ؛ فأما عيسى بن موسى

(١) ابن الأثير : « الأشرة » .
(٢) ابن الأثير : « وادفع » .
(٣) س : « فتدال » .
(٤) ابن الأثير : « خذ » .
(٥) س : « ورجال كفايتك » .

فقد أعطانى من العهود والمواثيق ما قبلتُه ، ووالله لو لم يكن إلا أن يقول قولا لما خفتُه عليك ، فأخرجه من قلبك . وأما عيسى بن زيد فأنفِق هذه الأموال واقتل هؤلاء الموالى ، واهدم هذه المدينة حتى تظفر به ، ثم لا ألومك . ٣/٤٤٩

وذكر عيسى بن محمد أنّ موسى بن هارون حدّثه ، قال : لما دخل المنصور آخرَ منزل نزلَه من طريق مكة ، نظر فى صدر البيت الذى نزل فيه ، فإذا فيه مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم .

أَبا جعفرٍ حانَتْ وَفاتُكَ وانقَضَتْ سِنُوك ، وأَمرُ الله لا بدَّ واقــعُ
أَبا جعفر هل كاهنٌ أَو مُنجِّمٌ لك اليومَ من حَرِّ المَنِيَّةِ مانعُ !

قال : فدعا بالمتولّى لإصلاح المنازل ، فقال له : ألم آمرك ألاّ يدخل المنزل أحدٌ من الدعّار ! قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ والله ما دخلها أحد منذ فُرِغ منها ، فقال : اقرأ ما فى صدر البيت مكتوباً ، قال : ما أرى شيئًا يا أميرَ المؤمنين ، قال : فدعا برئيس الحجَبة ، فقال : اقرأ ما على صدر البيت مكتوبًا ، قال : ما أرى على صدر البيت شيئًا ، فأملى البيتين فكتِبا عنه ، فالتفت إلى حاجبه فقال : اقرأ لى آية من كتاب الله جل وعزّ تشوّقنى إلى الله عزّ وجلّ ، فتلا : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[1] ، فأمر بفكّيْه فوُجِئا . وقال : ما وجدتَ شيئًا تقرؤه غير هذه الآية ! فقال : يا أميرَ المؤمنين ، مُحِي القرآن من قلبى غير هذه الآية ، فأمر بالرّحيل عن ذلك المنزل تطيُّرًا مما كان ، وركب فرسًا ، فلما كان فى الوادى الذى يقال له سَقَر — وكان آخر منزل بطريق مكة — كبا به الفرس ، فدقّ ظهره ، ومات فدفن ببئر ميمون .

وذكر عن محمد بن عبد الله مولى بنى هاشم ، قال : أخبرنى رجل من العلماء وأهل الأدب ، قال : هتف بأبى جعفر هاتف من قصره بالمدينة فسمعه يقول : ٣/٤٥٠

---

(١) سورة الشعراء ٢٢٧ .

أَمَا وربِّ السُّكونِ والحَرَكِ ... إنَّ المنايا كثيرةُ الشَّرَكِ

عليكِ يانفسُ إن أسأْتِ وإنِ ... أحْسَنْتِ بالقَصْدِ ، كلُّ ذاكِ لَكِ[1]

ما اختْلَفَ الليلُ والنهارُ ولاَ ... دارَت نُجومُ السماء فى الفَلَكِ

إلا بِنَقْلِ السُّلْطان عن مَلِكٍ ... إذا انقضَى مُلكهُ إلى مَلِكِ

حتى يُصيرَا به إلى مَلِكٍ ... ما عِزُّ سُلطانه بِمُشتَرَكِ

ذاك بديعُ السماءِ والأَرض والمُرْ ... سِى الجبالِ المُسخِّرُ الفلَكِ

فقال أبو جعفر : هذا والله أوان أجَلِي .

وذكر عبد الله بن عبيد الله ، أنّ عبد العزيز بن مُسلم حدّثه أنه قال : دخلت على المنصور يومًا أسلِّم عليه ؛ فإذا هو باهت لا يُحِير جوابًا ، فوثبت لما أرى منه ، أريد الانصراف عنه ، فقال لى بعد ساعة : إنى رأيت فيما يرى النائم ؛ كأن رجلا ينشدنى هذه الأبيات :

أأُخَىَّ أخفِض مِن مُنَاكا ... فكأَنَّ يَوْمَكَ قد أَتَاكَا

ولقد أَرَاكَ الدَّهرُ مِنْ ... تَصريفِه ما قَدْ أَراكَا

فإذا أَرَدْتَ النَّاقِصَ الـ ... عبدَ الذَّلِيلَ فأَنت ذَاكَا

مُلِّكْتَ ما مُلِّكْتَهُ ... والأَمرُ فيه إلى سِوَاكَا

فهذا الذى ترى من قلقِى وَغمِّى لما سمعت ورأيت . فقلت : خيراً رأيتَ يا أمير المؤمنين . فلم يلبث إلى أن خرج إلى الحجّ فمات لوجهه ذاك . ٣/٤٥١

* * *

وفى هذه السنة بُويع للمهدى بالخلافة . وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس بمكة ؛ صَبِيحةَ الليلة التى تُوفِّىَ فيها أبو جعفر المنصور

(١) س : « فى اليوم كان لك » .

وذلك يوم السبت لستّ ليال خلونَ من ذى الحجّة سنة ثمان وخمسين ، كذلك قال هشام بن محمد ومحمد بن عمر وغيرهما .

وقال الواقدىّ : وبويع له ببغداد يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من ذى الحجة من هذه السنة .

وأمّ المهدىّ أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن يزيد بن شَمَّر الحميرىّ.

خلافة المهدىّ محمد بن عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس

* * *

ذكر الخبر عن صفة العقد الذى عُقِد للمهدىّ بالخلافة حين مات والده المنصور بمكة

ذكر علىّ بن محمد النوفلىّ أن أباه حدّثه ، قال : خرجت فى السنة التى مات فيها أبو جعفر من طريق البصرة ؛ وكان أبو جعفر خرج على طريق الكوفة ، فلقيتُه بذات عِرْق ، ثم سرت معه ، فكان كلّما ركب عرضتُ له فسلّمت عليه ، وقد كان أدنف وأشفى على الموت ، فلما صار ببئر ميمون نزل به ، ودخلنا مكة ، فقضيتُ عُمرتى ، ثم كنت أختلف إلى أبى جعفر إلى مَضْربه ، فأقيم فيه[1] إلى قريب من الزّوال ، ثم أنصرف — وكذلك كان يفعل الهاشميّون — وأقبلت علّته تشتدّ وتزداد ، فلما كان فى الليلة التى مات فيها ، ولم نعلم ؛ فصليت الصبح فى المسجد الحرام مع طلوع الفجر ، ثم ركبتُ فى ثوبىّ[2] متقلداً السيف عليهما ، وأنا أساير محمد بن عون بن عبد الله بن الحارث — وكان من سادة بنى هاشم ومشايخهم ؛ وكان فى ذلك اليوم عليه ثوبان مورّدان قد أحرم فيهما ، متقلّداً السيف عليهما — قال : وكان مشايخ بنى هاشم يحبّون أن يُحرِموا فى المورّد لحديث عمر بن الخطاب وعبد الله بن جعفر وقول علىّ بن أبى طالب فيه[3] . فلما صرنا بالأبطح لقينا العباس بن محمد ومحمد بن سليمان فى خيل ورجال يدخلان مكة ، فعدلنا إليهما ، فسلّمنا عليهما ثم مضينا ، فقال لى محمد بن عون : ما ترى حال هذين ودخولهما مكة ؟ قلت : أحسب الرّجُل قد مات ؛ فأرادا أن يحصّنا مكة ؛ فكان ذلك كذلك ، فبينا

٣/٤٥٢

---

(١) ج : « معه » .
(٢) ب ، ج : « نوبتى » .
(٣) ج : « فى ذلك » .

نحن نسير ، إذا رجل خفىّ الشّخْص[1] فى طِمْرين ، ونحن بعد فى غَلَس ، قد جاء فدخل بين أعناق دابتيْنا ، ثم أقبل علينا ، فقال : مات والله الرجل ! ثم خفى عنّا ، فمضينا[2] نحن حتى أتينا العسكر ، فدخلنا السُّرادق الذى كنا نجلس فيه فى كلّ يوم ؛ فإذا بموسى بن المهدىّ قد صدِّرَ عند عَمُود السرادق ؛ وإذا القاسم بن منصور فى ناحية السُّرادق — وقد كان حين لقينا المنصور بذات عِرْق، إذا ركب المنصور بعيرَه جاء القاسم فسار بين يديه بينه وبين صاحب الشرطة ،ويؤمَر الناس أن يرفعوا القصص إليه — قال : فلما رأيته فى ناحية السرادق ورأيت موسى مصدّرًا ، علمت أنّ المنصور قد مات . قال : فبينا أنا جالس إذ أقبل الحسن بن زيد ، فجلس إلى جنبى ، فصارت فخِذه على فخذى ، وجاء الناس حتّى ملئوا السرادق ، وفيهم ابن عيّاش المنتوف ؛ فبينا نحن كذلك، إذ سمعنا همسًا من بكاء . فقال لى الحسن : أترى الرجل مات ! قلت : لا أحسب ذلك؛ ولكن لعله ثقيل، أو أصابته غَشْية، فما راعنا إلا بأبى العنبر الخادم الأسود خادم المنصور ، قد خرج علينا مشقوق الأقبيَة من بين يديه ومن خلْفه ، وعلى رأسه التراب ، فصاح : وا أمير المؤمنيناه ! فما بقى فى السرادق أحدٌ إلاّ قام على رجليه ، ثم أهووا نحو مضارب أبى جعفر يريدون الدّخول ، فمنعهم الخدم ، ودفعوا فى صدورهم . وقال ابن عياش المنتوف : سبحان الله ! أما شهدتم موت خليفة قطّ ! اجلسوا رحمكم الله . فجلس الناس، وقام القاسم فشقّ ثيابه ، ووضع التراب على رأسه ، وموسى جالس على حاله . وكان صبيًّا رَطْبا ما يتحلحل . ٤٥٣/٣

ثم خرج الرّبيع ، وفى يده قِرطاس ، فألقى أسفله على الأرض ، وتناول طرفه ، ثم قرأ :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى مَنْ خلّف بعده من بنى هاشم وشيعته من أهل خُراسان وعامة المسلمين— ثم ألقى القرطاس من يده ، وبكى وبكى الناس ، فأخذ القرطاس ، وقال : قد أمكنكم البكاء ؛ ولكن هذا عهد عهده أمير المؤمنين ، لا بدّ من أن نقرأه عليكم ، فأنصِتوا رحمكم الله ؛ فسكت الناس، ثم رجع إلى القراءة — أما بعد : ٤٥٤/٣

(١) ج : « يخفى شخصه » . (٢) ب : « ثم مضينا » .

فإنى كتبتُ كتابى هذا وأنا حىٌّ فى آخر يوم من الدّنيا وأوّل يوم من الآخرة ، وأنا أقرأ عليكم السلام ، وأسأل الله ألاّ يفتنكم بعدى ، ولا يَلبِسكم شِيَعًا ، ولا يُذيق بعضكم بأس بعض . يا بنى هاشم ، ويا أهلَ خراسان ... ثم أخذ فى وصيّتهم بالمهدىّ ، وإذكارهم البيعة له ، وحضّهم على القيام بدولته ، والوفاء بعهده إلى آخر الكتاب .

قال النوفلىّ : قال أبى : وكان هذا شيئًا وضعه الربيع ؛ ثم نظر فى وجوه النّاس ، فدنا من الهاشميّين ، فتناول يد الحسن بن زيد ، فقال : قم ياأبا محمد ، فبايِعْ ، فقام معه الحسن ، فانتهى به الرّبيع إلى موسى فأجلسه بين يديه ، فتناول الحسن يدَ موسى ، ثم التفت إلى الناس ، فقال : يأيها الناس ، إن أمير المؤمنين المنصور كان ضربنى واصطفى مالى ؛ فكلّمه[1] المهدىّ فرضى عنى ، وكلمه فى ردّ مالى علىّ فأبى ذلك ، فأخلفه المهدىّ من ماله وأضعفه مكان كل عِلْق عِلْقين ، فمَن أولى بأن يبايع لأمير المؤمنين بصدر منشرح ونفس طيبة وقلب ناصح منّى! ثم بايع موسى للمهدىّ ، ثم مسح على يده . ثم جاء الربيع إلى محمد بن عون ، فقدّمه للسنّ فبايع ، ثم جاء الرّبيع إلىّ فأنهضنى ؛ فكنت الثالث ؛ وبايع الناس؛ فلما فرغ دخل المضارب ، فمكث هنيهة ثم خرج إلينا معشر الهاشميّين ، فقال : انهضوا ، فنهضنا معه جميعًا ، وكنا جماعة كثيرة من أهل العراق وأهل مكة والمدينة ممن حضر الحج ، فدخلنا فإذا نحن بالمنصور على سريره فى أكفانه ، مكشوف الوجه ؛ فحملناه حتى أتينا به مكّة ثلاثة أميال ؛ فكأنى أنظر إليه أدنو من قائمة سريره نحمله ؛ فتحرّك الريح ، فتطيّر شَعْر صدغيه ؛ وذلك أنه كان قد وفّر شعره للحلق ؛ وقد نصل خِضابه ؛ حتى أتينا به حفرته ، فدلّيناه فيها . ٣/٤٥٥

قال : وسمعت أبى يقول : كان أوّل شىء ارتفع به علىّ بن عيسى بن ماهان؛ أنه لما كان الليلة التى مات فيها أبو جعفر أرادوا عيسى بن موسى على بَيْعة مجدّدة للمهدىّ — وكان القائم بذلك الربيع — فأبى[2] عيسى بن موسى ،

---

(١) ب : « وكلمه » .
(٢) ب ، س : « فأبى » .

فأقبل القوّاد الذين حضروا يتقرّبون ويتباعدون[١]؛ فنهض علىّ بن عيسى بن ماهان، فاستلّ سيفه، ثمّ جاء إليه، فقال: والله لتبايعنّ أو لأضربنّ عنقك! فلمّا رأى ذلك عيسى، بايع وبايع الناس بعده.

وذكر عيسى بن محمد أنّ موسى بن هارون حدّثه أن موسى بن المهدىّ والربيع مولى المنصور وجّها منارة مولى المنصور بخبر وفاة المنصور وبالبيْعة للمهدىّ، وبعثا بعدُ بقضيب النبىّ صلى الله عليه وسلم وبُرْدته التى يتوارثها الخلفاء مع الحسن الشروىّ، وبعث أبو العباس الطوسىّ بخاتم الخلافة مع منارة؛ ثم خرجوا من مكة، وسار عبد الله بن المسيّب بن زهير بالحرْبَة بين يدى صالح بن المنصور، على ما كان يسير بها بين يديه فى حياة المنصور[٢]، فكسرها القاسم بن نصر بن مالك؛ وهو يومئذ على شُرْطة موسى بن المهدىّ، واندسّ علىّ بن عيسى بن ماهان لما كان فى نفسه من أذى عيسى بن موسى، وما صُنع به للراونديّة، فأظهر الطعن والكلام فى مسيرهم[٣]. وكان من رؤسائهم أبو خالد المروروّذىّ، حتى كاد الأمر يعظُم ويتفاقم؛ حتى لبس السلاح. وتحرّك فى ذلك محمد بن سليمان، وقام فيه وغيره من أهل بيته؛ إلاّ أن محمداً كان أحسنَهم قياماً به حتى طفِئ ذلك وسكن. وكتب[٤] به إلى المهدىّ، فكتب بعزل علىّ بن عيسى عن حرَس موسى بن المهدىّ، وصيّر مكانه أبا حنيفة حرب بن قيس، وهدأ أمر العسكر، وتقدّم العباس بن محمد ومحمد ابن سليمان إلى المهدىّ، وسبق إليه العباس بن محمد. وقدم منارة على المهدىّ يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة، فسلّم عليه بالخلافة، وعزّاه، وأوصل الكتب إليه، وبايعه أهل مدينة السلام.

٣/٥٦

وذكر الهيثم بن عدىّ عن الربيع، أنّ المنصور رأى فى حجّته التى مات فيها وهو بالعُذَيب — أو غيره من منازل طريق مكة — رؤيا — وكان الربيع عديله — وفزع منها، وقال: يا ربيع، ما أحسبنى إلا ميّتاً فى وجهى هذا؛ وأنك تؤكد[٥] البيْعة لأبى عبد الله المهدىّ، قال الربيع: فقلت له: بل

(١) ج، س: «ويباعدون».
(٢) ب، س: «فى حياته».
(٣) ب: «سيرهم».
(٤) ب: «فكتب».
(٥) ج: «وإنا نؤكد».

يبقيك الله يا أمير المؤمنين ، وَيبلُغ أبو عبد الله محبّتك فى حياتك إن شاء الله.
قال : وثقل عند ذلك وهو يقول : بادر بى إلى حَرَم ربى[1] وأمنه ، هاربًا من ذنوبى وإسرافى على نفسى ؛ فلم يزل كذلك حتى بلغ بئر ميمون ، فقلت له : هذه بئر ميمون ، وقد دخلتَ الحرَم ، فقال : الحمد لله ، وقضى من يومه .

قال الربيع : فأمرت بالخيَم فضُربت ، وبالفساطيط فهيّئتْ ، وعمدْت ٣/٤٥٧ إلى أمير المؤمنين فألبسته الطويلة والدّرّاعة ، وسندته ، وألقيت فى وجهه كلّة رقيقة يُرَى منها شخصه ، ولا يفهم أمره ، وأدنيت أهلَه من الكلّة حيث لا يُعلم بخبره ، ويُرى شخصُه . ثم دخلت فوقفت بالموضع الذى أوهمهم أنه يخاطبنى ، ثم خرجت فقلت : إن أمير المؤمنين مُفيق بمنّ الله ، وهو يقرأ عليكم السلام ، ويقول : إنى أحبّ أن يؤكّد الله أمرَكم[2] ، ويكبت عدوّكم ، ويسرّ وليّكم ؛ وقد أحببت أن تجدّدوا بيعة أبى عبد الله المهدىّ ؛ لئلا يطمع فيكم عدوٌّ ولا باغٍ ، فقال القوم كلهم : وفّق الله أمير المؤمنين ؛ نحن إلى ذاك أسرع . قال : فدخل فوقف ، ورجع إليهم ، فقال : هلمُّوا للبَيْعة ، فبايع القوم كلُّهم ؛ فلم يبق أحدٌ من خاصّته والأولياء ورؤساء مَنْ حضره إلا بايع المهدىّ ، ثم دخل وخرج باكيًا مشقوق الجيْب لاطمًا رأسه ، فقال بعض مَنْ حضر : ويلى عليك يابن شاة ! يريد الربيع — وكانت أمّه ماتت وهى ترضعه فأرضعته شاة — قال : وحفِر للمنصور مائة قبْر ، ودفن فى كلها ، لئلا يعرف موضع قبره الذى هو ظاهر للناس ، ودفِن فى غيرها للخوف عليه .

قال : وهكذا قبور خلفاء ولَد العباس ، لا يعرَف لأحد منهم قبر .

قال : فبلغ المهدىّ ، فلما قدم عليه الربيع قال : ياعبدُ ؛ ألم تمنعك جلالة أمير المؤمنين أن فعلتَ ما فعلت به ! وقال قوم : إنّه ضربه ؛ ولم يصحّ ذلك.

قال : وذكر مَنْ حضر حجّة المنصور ، قال: رأيت صالح بن المنصور وهو مع أبيه والناس معه ؛ وإنّ موسى بن المهدىّ لفى تُبّاعه[3] ، ثم رجع الناس وهم خلف موسى ، وأن صالحًا معه . ٣/٤٥٨

---

(١) ب : « الله » .
(٢) ح : « يوطن الله أمركم » .
(٣) ج : « فى تباعد » .

وذكر عن الأصمعيّ أنه قال : أوّل مَنْ نعى أبا جعفر المنصور بالبصرة خلف الأحمر ، وذلك أنّا كنّا في حلقة يونس ، فمرّ بنا فسلّم علينا ، فقال[1] :

* قد طَرَّقَت بِبِكرِها أمّ طَبَقْ[2] *

قال يونس : وماذا ؟ قال :

تُنَتِّجوها خيرَ أضخَم العُنُقْ موتُ الإمَام فِلقَةٌ مِنَ الفِلَقْ

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عليّ ، وكان المنصور – فيما ذكر – أوصى بذلك .

وكان العامل في هذه السنة على مكة والطائف إبراهيم بن يحيى بن محمد ابن عليّ بن عبد الله بن عباس ، وعلى المدينة عبد الصمد بن عليّ ، وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبيّ أخو المسيّب بن زهير – وقيل : كان العامل عليها إسماعيل بن أبي إسماعيل الثقفيّ . وقيل : إنه مولى لبني نصر من قيس – وعلى قضائها شريك بن عبد الله النَّخعيّ ، وعلى ديوان خراجها ثابت بن موسى ، وعلى خُراسان حميد بن قَحْطبة ، وعلى قضاء بغداد مع قضاء الكوفة شريك ابن عبد الله .

وقيل : كان القاضي على بغداد يوم مات المنصور عبيد الله محمد بن صَفْوان الجُمَحيّ وشريك بن عبد الله على قضاء الكوفة خاصّة . وقيل : إن شريكاً كان إليه قضاء الكوفة ، والصلاة بأهلها .

وكان على الشُّرَط ببغداد يوم مات المنصور – فيما ذكر – عمر بن عبد الرحمن أخو عبد الجبار بن عبد الرحمن . وقيل كان موسى بن كعب . ٤٥٩/٣

وعلى ديوان خراج البصرة وأرضها عُمارة بن حمزة . وعلى قضائها والصلاة عبيد الله بن الحسن العنبريّ ، وعلى أحداثها سعيد بن دَعْلَج .

وأصاب الناس – فيما ذكر محمد بن عمر – في هذه السنة وَباء شديد .

---

(١) ج ، س : « ثم قال » .
(٢) ج : « طوقت » ، س : « طرفت » ، ب : « طبقت » .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة العباس بن محمد الصّائفة فيها حتى بلغ أنقِرة ؛ وكان على مقدّمة العباس الحسنُ الوصيف فى الموالى، وكان المهدىّ ضمّ إليه جماعة من قُوّاد أهل خُراسان وغيرهم . وخرج المهدىّ فعسكر بالبَرَدان وأقام فيه حتى أنفذ العباس بن محمد ، ومن قطع عليه البعث معه ، ولم يجعل للعباس على الحسن الوصيف ولايةً فى عَزْل ولا غيره ، ففتح فى غزاته[1] هذه مدينة للرّوم ومطمورة معها ، وانصرفوا سالمين لم يُصَبْ من المسلمين أحد .

وهلك فى هذه السنة حُميد بن قحطبة ، وهو عامل المهدىّ على خُراسان ، فولّى المهدىّ مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد .

وفيها ولّىَ حمزة بن مالك سِجِسْتان، وولّىَ جبرئيل بن يحيى سَمَرْقَنْد.

وفيها بنى المهدىّ مسجد الرّصافة . ٤٦٠/٣

وفيها بنى حائطها ، وحفر خندقها .

وفيها عزل المهدىّ عبدَ الصمد بن علىّ عن المدينة؛ مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عن مَوْجدة ، واستعمل عليها مكانه محمد بن عبد الله الكَثيرىّ ثم عزله ، واستعمل عليها مكانه عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان الجُمَحِىّ .

وفيها وجّه المهدىّ عبدالملك بن شهاب المِسمعىّ فى البَحْر إلى بلاد الهند، وفرض معه لألفين من أهل البصرة من جميع الأجناد، وأشخصهم معه، وأشخص معه من المطوّعة الذين كانوا يلزمون المُرابطات ألفًا وخمسمائة رجل ، ووجّه معه [illegible]اً من أبناء أهل الشأم يقال له ابن الُحباب المذحجىّ فى سبعمائة من أهل الشأم ، وخرج معه من مطوّعة أهل البصرة بأموالهم ألف رجل ، فيهم

(١) ب : « غزاتهم » .

٣/٤٦١

— فيما ذكر — الربيع بن صُبيح ، ومن الأساوريين والسبابجة أربعة آلاف رجل ، فولى عبد الملك بن شهاب المنذر بن محمد الجارودىّ الألف الرجل المطوّعة من أهل البصرة ، وولّى ابنه غسان بن عبد الملك الألفى الرّجل الذين من فرض البصرة ، وولّى عبد الواحد بن عبد الملك الألف والخمسمائة الرجل من مُطوّعة المرابطات ، وأفرد يزيد بن الحباب فى أصحابه فخرجوا ، وكان المهدىّ وجّه لتجهيزهم حتى شخصوا أبا القاسم محرز بن إبراهيم ، فمضوا لوجههم ؛ حتى أتوا مدينة باربَد من بلاد الهند فى سنة ستين ومائة .

وفيها توُفّىَ معبد بن الخليل بالسند ، وهو عامل المهدىّ عليها ، فاستعمل مكانه روح بن حاتم بمشورة أبى عبيد الله وزيره .

وفيها أمر المهدىّ بإطلاق مَنْ كان فى سجن المنصور ، إلا من كان قبلَه تِباعة من دم أو قتل ، ومَنْ كان معروفًا بالسعى فى الأرض بالفساد ، أو مَنْ كان لأحد قِبَله مظلمة أو حقّ ، فأطلِقوا ، فكان ممّن أطلِق من المَطْبَق يعقوب بن داود مولى بنى سُليم ، وكان معه فى ذلك الحبس محبوسًا الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب .

* * *

وفيها حوّل المهدىّ الحسن بن إبراهيم من المطبق الذى كان فيه محبوسًا إلى نُصير الوصيف فحبسه عنده .

ذكر الخبر عن سبب تحويل المهدىّ الحسن بن إبراهيم من المطبق إلى نُصير

٣/٤٦٢

ذكر أن السبب فى ذلك ، كان أن المهدىّ لما أمَر بإطلاق أهل السجون . على ما ذكرت[١] ، وكان يعقوب بن داود محبوسًا مع الحسن بن إبراهيم فى موضع واحد ، فأطلق يعقوب بن داود ، ولم يُطلق الحسن بن إبراهيم ، ساء[٢] ظنه ، وخاف على نفسه ، فالتمس مخرجًا لنفسه وخلاصًا ، فدسّ إلى بعض ثقاته[٣] ،

---

(١) ب : « كما ذكرت » . (٢) ب : « فساء » .
(٣) س : « على ثقاته » .

فحفر له سَرَبًا من موضع مُسَامت للموضع الذى هو فيه محبوس ، وكان يعقوب بن داود بعد أن أطلِق يُطيف بابن علاثة[١] — وهو قاضى المهدىّ بمدينة السلام[٢] — ويلزمه ، حتى أنس به ، وبلغ يعقوب ما عزم عليه الحسن ابن إبراهيم من الهرب ، فأتى ابن عُلاثة ، فأخبره أن عنده نصيحة للمهدىّ ، وسأله إيصالَه إلى أبى عبيد الله[٣] ، فسأله عن تلك النصيحة ، فأبى أن يخبره بها ، وحذّره فوتَها ، فانطلق ابن عُلاثة إلى أبى عبيد الله ، فأخبره خبر يعقوب وما جاء به ، فأمره بإدخاله عليه ؛ فلما دخل عليه سأله إيصاله إلى المهدىّ ، ليعلمه النّصيحة التى له عنده ، فأدخله عليه ، فلما دخل على المهدىّ شكر له بلاءه عنده فى إطلاقه إياه ومَنَّه عليه، ثم أخبره أنّ له عنده نصيحة ، فسأله عنها بمحضر من أبى عبيد الله وابن عُلاثة ، فاستخلاه منهما ، فأعلمه المهدىّ ثقته بهما ، فأبى أن يبوحَ له بشىء حتى يقوما ، فأقامهما وأخلاه ، فأخبره خبرَ الحسن بن إبراهيم وما أجمع عليه[٤] ، وأنّ ذلك كائن من ليلته المستقبلة ، فوجّهَ المهدىّ مَن يثق[٥] به ليأتيَه بخبره، فأتاه بتحقيق ما أخبره به يعقوب ، فأمر بتحويله إلى نُصَير ، فلم يزل فى حبسه إلى أن احتال واحتيل له ، فخرج هاربًا ، وافتُقِد ، فشاع خبره، فطُلب[٦] فلم يُظْفَر به ، وتذكّر المهدىّ دلالة يعقوب إيّاه كانت عليه ، فرجا عنده من الدّلالة عليه مثل الّذى كان منه فى أمره ، فسأل أبا عبيد الله عنه فأخبره أنه حاضر — وقد كان لزم أبا عبيد الله — فدعا به المهدىّ خاليًا ، فذكر له ما كان من فعله فى الحسن ابن إبراهيم أوّلاً ، ونصحِه له فيه، وأخبره بما حدث من أمره ، فأخبره يعقوب أنه لا علم له بمكانه ، وأنه إن أعطاه أمانًا يثق به ضمِن له أن يأتيَه به ، على أن يتمّ له على أمانه ، ويصله ويُحسن إليه . فأعطاه المهدىّ ذلك فى مجلسه وضمنه له . فقال له يعقوب : فاللهُ يا أميرَ المؤمنين عن ذكره ، ودَعْ طلبه ،

٤٦٣/٣

(١) اسمه محمد بن عبد الله بن علاثة الكلابى ، استقضاه المهدى سنة ١٦١ . انظر تاريخ بغداد ١٢ : ٣٠٧ . (٢) س : « ببغداد » .
(٣) هو أبو عبيد الله معاوية بن يسار ، من موالى الأشعريين ، كاتب المهدى ونائبه قبل الخلافة وبعدها . وانظر الفخرى ١٦٦ .
(٤) ب ، ج : « وما أجمع به » ، س : « وما أجمع عليه به » .
(٥) ب : « يوثق » ، ج : « وثق » . (٦) س : « فطلبه » .

فإن ذلك يُوحشه، ودعني وإياه حتى أحتال فآتيَك به ؛ فأعطاه المهديّ ذلك .
وقال يعقوب : يا أمير المؤمنين ، قد بسطتَ عدلَك لرعيّتك ، وأنصفتهم ، وعممتَهم بخيرك وفضلك ، فعظم رجاؤهم ، وانفسحت آمالهم ؛ وقد بقيت أشياء لو ذكرتُها لك لم تَدَع النظر فيها بمثل ما فعلت فى غيرها ، وأشياء مع ذلك خلف بابك يُعمل بها لا تعملها ، فإن جعلت لى السبيلَ إلى الدخول عليك ، وأذنتَ لى فى رفعها إليك فعلتُ . فأعطاه المهديّ ذلك ، وجعله إليه ، وصَيّر سُلَيْماً الخادم الأسود خادم المنصور سببه فى إعلام المهديّ بمكانه كلّما أراد الدخول ، فكان يعقوب يدخل على المهديّ[1] ليلاً ، ويرفع إليه النصائح فى الأمور الحسنة الجميلة من أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغُزاة وتزويج العزّاب ، وفكاك الأسارى والمحبَّسين والقضاء على الغارمين ، والصَّدَقة على المتعفّفين ، فحظى بذلك عنده ، وبما رجا أن يناله به من الظَّفَر بالحسن بن إبراهيم ، واتّخذه أخا فى الله، وأخرج بذلك توقيعًا ، وأثبت فى الدواوين ، فتسبّب مائة ألف درهم كانت أوّل صلة وصلَه بها ، فلم تزل منزلته تنمى وتعلو صُعُداً ، إلى أن صيّر الحسن بن إبراهيم فى يد المهديّ بعد ذلك ؛ وإلى أن سقطت منزلتُه ، وأمر المهديّ بحبسه ، فقال علىّ بن الخليل فى ذلك :

٤٦٤/٣

عجبــاً لتصريف الأمو ر مَسَرَّةً وكَراهيَهْ[2]

والدّهرُ يلعبُ بالرِّجا لِ له دوائرُ جاريَهْ[3]

رَثّتْ بيعقوب بن دا ود حِبَـالُ معاويهْ[4]

وعَدَتْ على ابن عُلاثة ال قاضِى بَوائقُ عافيهْ[5]

قلْ للوزيرِ أبى عُبيـ د الله : هلْ لك باقيهْ !

يعقوب ينظرُ فى الأمو ر وأنتَ تنظرُ ناحيهْ

٤٦٥/٣

---

(١) س : « عليه » . (٢) الأغانى ١٤ : ١٧٨ .
(٣) لم يرد هذا البيت فى رواية الأغانى . (٤) معاوية : اسم الوزير أبى عبيد الله .
(٥) عافية بن يزيد الأزدى ؛ قاضى المهدى أيضاً .

أدخلتـــه فعَـــلا عليـ ـك ، كذاك شؤمُ النَّاصية[1]

* * *

وفى هذه السّنة عزل المهدىّ إسماعيل بن أبى إسماعيل عن الكوفة وأحداثها . واختُلف فيمن ولّى مكانه ، فقال بعضهم : ولّى مكانَه إسحاق بن الصّباح الكندىّ ثم الأشعثىّ بمشورة شَريك بن عبد الله قاضى الكوفة . وقال عمر ابن شبّة : ولّى على الكوفة المهدىُّ عيسى بنَ لقمان بن محمد بن حاطب ابن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمح ، فولّى على شُرَطِه ابنَ أخيه عثمان بن سعيد بن لقمان . ويقال : إن شريك بن عبد الله كان على الصّلاة والقضاء ، وعيسى على الأحداث ، ثم أفرد شريك بالولاية ، فجعل على شُرَطِه إسحاقَ بن الصباح الكندىّ ، فقال بعض الشعراء :

لَسْتَ تَعْدو بأَنْ تَكونَ وَلوْ نِلْـ ـتَ سُهيْلاً صَنيعَةً لِشَريكِ

قال : ويزعمون أن إسحاق لم يشكر لشريك ، وأن شريكًا قال له :

صَلَّى وَصَامَ لدُنْيا كان يَأْمُلها فَقَدْ أَصابَ ولا صلَّى ولا صَامَا

وذكر عمر أنّ جعفر بن محمد قاضى الكوفة ، قال : ضمّ المهدىّ إلى شريك الصلاة مع القضاء ، وولّى شرَطه إسحاق بن الصباح ، ثم ولّى إسحاق بن الصباح الصلاة والأحداث بعد ، ثم ولّى إسحاق بن الصباح بن عمران ابن إسماعيل بن محمد بن الأشعث الكوفة ، فولى شُرَطه النعمانَ بن جعفر الكندىّ ، فمات النعمان ، فولّى على شُرَطِه أخاه يزيد بن جعفر . ٣/٤٦٦

وفيها عَزل المهدىُّ عن أحداث البصرة سعيد بن دَعلَج ، وعزل عن الصلاة والقضاء من أهلها عبيد الله بن الحسن ، وولّى مكانهما عبد الملك بن أ... ظَبيان النُّميرىّ ، وكتب إلى عبد الملك يأمره بإنصاف مَنْ تظلّم

---

(1) بعده فى رواية الأغانى :

وأَخذْتَ حَتْفَكَ جاهِدًا بيمينك المستراخِيَـــهْ

من أهل البصرة من سعيد بن دعلج ، ثم صُرفت الأحداث فى هذه السنة عن عبد الملك بن أيّوب إلى عُمارة بن حمزة ، فولاّها عُمَارة رجلاً من أهل البصرة يقال له المِسْوَر بن عبد الله بن مسلم الباهلىّ ، وأقرّ عبد الملك على الصلاة .

وفيها عُزِل قُثَم بن العباس عن اليمامة عن سخطة ، فوصل كتابُ عزله إلى اليمامة ، وقد تُوُفِّىَ فاستعمل مكانه بشر بن المنذر البَجَلىّ .

وفيها عزل يزيد بن منصور عن اليمن ، واستعمل مكانه رجاء بن رَوْح .

وفيها عزل الهَيْثم بن سعيد عن الجزيرة ، واستعمل عليها الفضل بن صالح .

وفيها أعتق المهدىّ أمّ ولده الخيزران وتزوّجها .

وفيها تزوّج المهدىّ أيضًا أم عبد الله بنت صالح بن علىّ ، أخت الفضل وعبد الله ابنى صالح لأمّهما .

وفيها وقع الحريق فى ذى الحجة فى السفن ببغداد عند قصر عيسى بن علىّ ، فاحترق ناس كثير ، واحترقت السفن بما فيها .

٤٦٧/٣ وفيها عُزِل مطر مولى المنصور عن مصر ، واستعمل مكانه أبو ضمرة محمد بن سليمان .

وفيها كانت حركة من تحرّك من بنى هاشم وشيعتهم من أهل خُراسان فى خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ، وتصيير ذلك لموسى بن المهدىّ ؛ فلمّا تبيّن ذلك المهدىّ كتب – فيما ذكر – إلى عيسى بن موسى فى القُدوم عليه وهو بالكوفة ، فأحسّ بالذى يُراد به ، فامتنع من القدوم عليه .

وقال عمر : لما أفضى الأمر إلى المهدىّ سأل عيسى أن يخرج من الأمر فامتنع عليه ، فأراد الإضرار به ، فولّى على الكوفة رَوْح بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب ، فولّى على شُرَطه خالد بن يزيد بن حاتم ؛ وكان المهدىّ يحبّ أن يحمل رَوْح على عيسى بعض الحمل فيما لا يكون عليه به حجّة ، وكان لا يجد إلى ذلك سبيلا ، وكان عيسى قد خرج إلى ضَيْعة له بالرُّحبة ؛ فكان لا يدخل الكوفة إلاّ فى شهرين من السنة فى شهر رمضان ، فيشهد الجُمَع[1]

(١) س : « الجمعه » .

والعيد ، ثم يرجع إلى ضَيْعته . وفى أوّل ذى الحجة ، فإذا شهد العيد رجع إلى ضَيْعته ، وكان إذا شهد الجمعة أقبل من داره على دوابه حتى ينتهى إلى أبواب المسجد فينزل على عَتَبة الأبواب ، ثم يصلّى فى موضعه؛ فكتب رَوْح إلى المهدىّ أن عيسى بن موسى لا يشهد الجُمَع ، ولا يدخل الكوفة إلاّ فى شهرين من السنة ؛ فإذا حضر أقبل على دوابّه حتى يدخل رَحَبة المسجد ؛ وهو مصلّى الناس، ثم يتجاوزها إلى أبواب المسجد ، فتروث دوابُّه فى مصلّى[1] الناس؛ وليس يفعل ذلك غيره؛ فكتب إليه المهدىّ أن اتّخذ على أفواه السّكك التى تلى المسجد خشبًا ينزل عنده الناس ، فاتّخذ روح ذلك الخشب فى أفواه السكك – فذلك الموضع يسمى الخشبة – وبلغ ذلك عيسى بن موسى قبل يوم الجُمعة ، فأرسل إلى ورثة المختار بن أبى عبيدة – وكانت دار المختار[2] لزيقة[3] المسجد، فابتاعها وأثمن بها، ثم إنه عمّرها واتخذ فيها حمّامًا، فكان إذا كان يوم الخميس أتاها فأقام بها ، فإذا أراد الجمعة ركب حماراً فدبّ به إلى باب المسجد فصلّى فى ناحية ، ثم رجع إلى داره . ثم أوطن الكوفة وأقام بها، وألحّ المهدىّ على عيسى فقال : إنك إن لم تجبنى إلى أن تنخلع[4] منها حتى أبايع لموسى وهارون استحللتُ منك بمعصيتك ما يستحَلّ من العاصى ، وإن أجبتَنى عوّضتك منها ما هو أجدى عليك وأعجل نفعاً . فأجابه ، فبايَع لهما وأمر له بعشرة آلاف ألف درهم – ويقال عشرين ألف ألف – وقطائع كثيرة .

٣/٤٦٨

وأما غير عمر فإنه قال : كتب المهدىّ إلى عيسى بن موسى لما همّ بخلعه يأمره بالقدوم عليه ، فأحسّ بما يُراد به ، فامتنع من القدوم عليه ، حتى خيف[5] انتقاضه ، فأنفذ إليه المهدىّ عمّه العباس بن محمد ، وكتب إليه كتابًا ، وأوصاه بما أحبّ[6] أن يبلغه ، فقدم العباس على عيسى بكتاب المهدىّ ورسالته إليه ، فانصرف إلى المهدىّ بجوابه فى ذلك ، فوجّه إليه بعد قدوم العباس عليه محمد بن فرّوخ أبا هريرة القائد فى ألف رجل من أصحابه

٣/٤٦٩

---

(١) س : « مصلى للناس » .
(٢) س : « دارهم » .
(٣) لزيقة المسجد ، أى بجانبه .
(٤) ج : « تختلع » .
(٥) س : « خاف » .
(٦) ج : « يحب » .

من ذوى البصيرة[1] فى التشيّع ، وجعل[2] مع كل رجل منهم طبلاً ، وأمرهم أن يضربوا جميعًا بطبولهم عند قدومهم الكوفة ، فدخلها ليلاً فى وجه الصبح ، فضرب أصحابه بطبولهم ، فراع ذلك عيسى بن موسى رَوْعًا شديداً ، ثم دخل عليه أبو هريرة ، فأمره بالشخوص ، فاعتلّ بالشكوى فلم يقبل ذلك منه ، وأشخصه من ساعته إلى مدينة السلام .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة يزيد بن منصور – خال المهدىّ – عند قدومه من اليمن ؛ فحدّثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى ؛ عن أبى معشر . كذلك قال محمد بن عمر الواقدىّ وغيره . وكان انصراف يزيد بن منصور من اليمن بكتاب المهدىّ إليه يأمره بالانصراف إليه وتوليته إياه الموسمَ وإعلامه اشتياقه إليه وإلى قربه .

وكان أمير المدينة فى هذه السنة عبيد الله بن صفوان الجُمحىّ ، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها إسحاق بن الصباح الكندىّ ، وعلى خراجها ثابت ابن موسى ، وعلى قضائها شريك بن عبد الله ، وعلى صلاة البصرة عبد الملك ابن أيوب بن ظَبْيان النميرىّ ، وعلى أحداثها عُمارة بن حمزة ؛ وخليفته على ذلك المسوَر بن عبد الله بن مسلم الباهلىّ ؛ وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن . وعلى كُور دِجْلة وكُور الأهواز وكُور فارس عُمارة بن حمزة . وعلى السِّند بِسطام بن عمرو ، وعلى اليمن رجاء بن روْح . وعلى اليمامة بشر بن المنذر ، وعلى خراسان أبو عون عبد الملك بن يزيد ، وعلى الجزيرة الفضل بن صالح ، وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد بن سليمان أبو ضمرة .

٤٧٠/٣

---

(١) ج : « النصرة » .
(٢) س : « وحمل » .

ثم دخلت سنة ستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خروج يوسف البرْم]

فمن ذلك ما كان من خروج يوسف بن إبراهيم، وهو الذى يقال له يوسف البَرْم بخُراسان منكرًا هو ومَن تبعه ممن كان على رأيه على المهدىّ – فيما زُعِم – الحال التى هو بها وسيرته التى يسير بها ، واجتمع معه – فيما ذكر – بَشَر من الناس كثير ، فتوجّه إليه يزيد بن مزيد فلقيه ، واقتتلا حتى صارا إلى المعانقة فأسره يزيد ، وبعث به إلى المهدىّ ، وبعث معه من وجوه أصحابه بعدّة ؛ فلما انتهى بهم إلى النّهروان حُمِل يوسف البَرْم على بعير قد حُوِّل وجهه إلى ذَنَب البعير وأصحابه على بعير ، فأدخلوهم الرُّصافة على تلك الحال ، فأدخلوه على المهدىّ ، فأمر هَرْثمة بن أعين فقطع يَدَىْ يوسف ورجْليه، وضرب عنقه وعنق أصحابه ، وصلّبهم على جِسْر دِجلة الأعلى ، مما يلى عسكر المهدىّ ، وإنما أمر هرثمة بقتله ؛ لأنه كان قتل أخًا لهرثمة بخواسان . ٣/٤٧١

* * *

[ذكر خبر خلع عيسى بن موسى وبيعة موسى الهادى]

وفيها قدم عيسى بن موسى مع أبى هريرة يوم الخميس لستٍّ خلوْن من المحرّم – فيما ذكر – الفضل بن سليمان فنزل داراً كانت لمحمد بن سليمان على شاطئ دِجْلة فى عسكر المهدىّ ، فأقام أيامًا يختلف إلى المهدىّ، ويدخل مدخلَه الذى كان يدخله ؛ لا يكلَّم بشىء، ولا يرى جفوة ولا مكروهًا ولا تقصيراً به ؛ حتى أنس به بعض الأُنس ، ثم حضر الدار يومًا قبل جلوس المهدىّ ، فدخل مجلسًا كان يكون للربيع فى مَقْصورة صغيرة ، وعليها باب ، وقد اجتمع رؤساء الشّيعة فى ذلك اليوم على خلعه والوثوب عليه ؛ ففعلوا ذلك

وهو فى المقصورة التى فيها مجلس الربيع ، فأغلق دونهم المقصورة ، فضربوا الباب بجرُزهم وعَمدهم ؛ فهشّموا الباب ، وكادوا يكسرونه ، وشتموه أقبحَ الشّتْم، وحصروه هنالك ؛ وأظهر المهدىّ إنكارًا لما فعلوا، فلم يردعهم ذلك عن فعلهم ؛ بل شدّوا فى أمره ؛ وكانوا بذلك هو وهم أيامًا ، إلى أن كاشفه ذوو الأسنان من أهل بيته بحضرة المهدىّ ، فأبوا إلاّ خلعَه ، وشتموه فى وجهه ؛ وكان أشدّهم عليه محمد بن سليمان .

فلما رأى المهدىّ ذلك من رأيهم وكراهتهم لعيسى وولايته ؛ دعاهم إلى العهد لموسى ، فصار إلى رأيهم وموافقتهم ، وألحّ على عيسى فى إجابته وإياهم إلى الخروج ممّا له من العهد فى أعناق الناس وتحليلهم منه ؛ فأبى ، وذكر أن عليه أيمانًا محرّجة فى ماله وأهله ؛ فأحضر له من الفقهاء والقضاة عِدّة ، منهم محمد بن عبد الله بن عُلاثة والزّنجىّ بن خالد المكىّ وغيرهما ؛ فأتوْه بما رأوا ، وصار إلى المهدىّ ابتياع ماله من البيعة فى أعناق الناس بما يكون له فيه رضًا وعِوض ؛ ممّا يخرج له من ماله لما يلزمه من الحِنْث فى يمينه ؛ وهو عشرة آلاف ألف درهم ، وضياع بالزّاب الأعلى وكَسْكَر . فقبل ذلك عيسى ، وبقى منذ فاوضه المهدىّ على الخلع إلى أن أجاب محتسبًا عنده فى دار الديوان من الرُّصافة إلى أن صار إلى الرضا بالخلع والتسليم ، وإلى أن خُلع يوم الأربعاء لأربع بقِين من المحرّم بعد صلاة العصر ، فبايع للمهدىّ ولموسى من بعده من الغد يوم الخميس لثلاث بقِين من المحرّم لارتفاع النهار . ثم أذن المهدىّ لأهل بيته ، وهو فى قبة كان محمد بن سليمان أهداها له مضروبة فى صحن الأبواب ، ثم أخذ بيعتَهم رجلا رجلا لنفسه ولموسى بن المهدىّ من بعده ؛ حتى أتى إلى آخرهم . ثم خرج إلى مسجد الجماعة بالرُّصافة فقعد على المنبر ، وصعد موسى حتى كأنه دونه . وقام عيسى على أوّل عتبة من المنبر ، فحمِد الله المهدىُّ وأثنى عليه ، وصلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأخبر بما أجمع عليه أهلُ بيته وشيعته وقوّاده وأنصاره وغيرهم من أهل خُراسان من خلع عيسى بن موسى وتصيير الأمر الذى كان عقد له فى أعناق الناس لموسى بن أمير المؤمنين ؛ لاختيارهم له ورضاهم به ؛ وما رأى من إجابتهم إلى ذلك ؛ لما رجا من مصلحتهم وألفتِهم ، وخاف مخالفتهم فى نيّاتهم واختلاف كلمتهم ، وأن عيسى قد

٧٢/٣ ؛ ٣/٣

خلع تقدُّمَه ، وحللهم مما كان له من البيعة فى أعناقهم ، وأنّ ما كان له من ذلك فقد صار لموسى بن أمير المؤمنين ، بعقد من أمير المؤمنين وأهل بيته وشيعته فى ذلك ؛ وأن موسى عاملٌ فيهم بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم بأحسن السِّيرة وأعدلها ، فبايِعوا معشر مَن حضر ، وسارعوا إلى ما سارع إليه غيرُكم ؛ فإنّ الخير كله فى الجماعة ، والشرّ كله فى الفرقة . وأنا أسأل الله لنا ولكم التوفيق برحمته ، والعمل بطاعته وما يرضيه ، وأستغفر الله لى ولكم .

وجلس موسى دونه معتزلاً للمنبر ؛ لئلا يحول بينه وبين من صعد إليه ، يبايعه ويمسح على يده ، ولا يستر وجهه ، وثبت عيسى قائمًا فى مكانه ، وقُرِئ عليه كتاب ذكر الخلع له ، وخروجُه مما كان إليه من ولاية العهد وتحليله جماعة مَن كان له فى عنقه بيعة ، مما عقدوا له فى أعناقهم ؛ وأن ذلك من فعله وهو طائعٌ غير مكرَه ، راضٍ غير ساخط ، محبّ غير مجبَر . فأقرّ عيسى بذلك ، ثم صعد فبايع المهدىّ ، ومسح على يده ، ثم انصرف ، وبايع أهل بيت المهدىّ على أسنانهم ؛ يبايعون المهدىّ ثم موسى ، ويمسحون على أيديهما ؛ حتى فرغ آخرهم ؛ وفعل مَنْ حضر من أصحابه ووجوه القوّاد والشِّيعة مثل ذلك ، ثم نزل المهدىّ ، فصار إلى منزله ، ووكّل ببيعته مَن بقى من الخاصّة والعامّة خاله يزيد بن منصور ، فتولّى ذلك حتى فرغ من جميع الناس ، ووفّى المهدىّ لعيسى بما أعطاه وأرضاه مما خلعه منه من ولاية العهد ، وكتب عليه بخلعه إياه كتابًا أشهد عليه فيه جماعة أهل بيته وصحابته وجميع شيعته وكتّابه وجنده فى الدّواوين ؛ ليكون حجّة على عيسى ، وقطعاً لقوله ودعواه فيما خرج منه . ٤٧٤/٣

وهذه نسخة الشرط الذى كتبه عيسى على نفسه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب لعبد الله المهدىّ محمد أمير المؤمنين ولولىّ عهد المسلمين موسى بن المهدىّ ، ولأهل بيته وجميع قوّاده وجنوده من أهل خُراسان وعامّة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ؛ وحيث كان كائن منهم ، كتبتُه للمهدىّ محمد أمير المؤمنين ، وولىّ عهد المسلمين موسى بن محمد ابن عبدالله بن محمد بن علىّ ؛ فيما جُعل إليه من العهد إذ كان إلىّ ، حتى اجتمعت كلمة المسلمين ، واتّسق أمرهم ، وائتلفت أهواؤهم ، على الرضا بولاية موسى بن المهدىّ

محمد أمير المؤمنين ، وعرفتُ الحظّ فى ذلك علىّ والحظّ فيه لى ، ودخلتُ فيما دخل فيه المسلمون من الرضا بموسى بن أمير المؤمنين ، والبيعة له ، والخروج ممّا كان لى فى رقابهم من البيعة ، وجعلتكم فى حِلٍّ من ذلك وسَعة ، من غير حرج يدخل عليكم ، أو على أحد من جماعتكم وعامة المسلمين ، وليس فى شيء من ذلك ، قديمٍ ولا حديث لى دعوى ولا طلِبة ولا حجّة ولا مقالة ولا طاعة على أحد منكم ، ولا على عامة المسلمين ولا بيعة فى حياة المهدىّ محمد أمير المؤمنين ولا بعده ولا بعد ولىّ عهد المسلمين موسى ، ولا ما كنت حيًّا حتى أموت . وقد بايعت لمحمد المهدىّ أمير المؤمنين ولموسى بن أمير المؤمنين من بعده ، وجعلت لهما ٤٧٥/٣ ولعامة المسلمين من أهل خُراسان وغيرهم الوفاء بما شرطْت على نفسى فى هذا الأمر الذى خرجت منه ، والتمام[١] عليه . علىّ بذلك عهد الله وما اعتقد أحد من خلقه من عهد أو ميثاق أو تغليظ أو تأكيد على السّمع والطاعة والنصيحة للمهدىّ محمد أمير المؤمنين وولىّ عهده موسى ابن أمير المؤمنين ، فى السرّ والعلانية ، والقول والفعل ، والنّية والشدّة والرّجاء والسرّاء والضّراء والموالاة لهما ولمن والاهما ، والمعاداة لمن عاداهما ، كائنًا مَنْ كان فى هذا الأمر الذى خرجت منه . فإن أنا نكبت[٢] أو غيّرت أو بدّلت أو دغَلت[٣] أو نويْت غير ما أعطيت عليه هذه الإيمان ، أو دعوت إلى خلاف شيء مما حملت على نفسى فى هذا الكتاب للمهدىّ محمد أمير المؤمنين ولولىّ عهده موسى ابن أمير المؤمنين ولعامّة المسلمين ، أو لم أفِ بذلك ؛ فكلّ زوجة عندى يوم كتبت هذا الكتاب — أو أتزوّجها إلى ثلاثين سنة — طالق ثلاثًا ألبتة[٤] طلاق الحرج[٥] وكلُّ مملوك عندى اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرارٌ لوجه الله ، وكلّ مالٍ لى نَقْد أو عَرْض[٦] أو قرْض أو أرْض ، أو قليل أو كثير ، تالد أو طارف[٧] أو أستفيده فيما بعد اليوم إلى ثلاثين سنة صدقة على المساكين ، يضع ذلك

---

(١) تم على الأمر وتمم عليه : استمر . (٢) نكبت : عدلت .
(٣) دغل فى الشيء : دخل فيه دخول المريب . . (٤) يقال لا أفعله بتة ، أو ألبتة ، لكل أمر لا رجعة فيه ، وفى قطع الهمزة خلاف . وانظر شرح القاموس والصحاح .
(٥) طلاق الحرج ، أى طلاق التحريم .
(٦) العرض : المتاع ؛ وكل شيء عرض إلا الدراهم والدنانير فإنها نقد .
(٧) التالد : المال الأصلى القديم . والطارف : المال المستحدث .

الوالى حيث يرى ، وعلىّ من مدينة السلام المشىُ حافيًا إلى بيت الله العتيق الذى بمكة نذراً واجبًا ثلاثين سنة ، لا كفارة لى ولا مخرج منه ؛ إلا الوفاء به . والله على الوفاء بذلك راعٍ كفيل شهيد ، وكفى بالله شهيداً . وشهيدٌ على عيسى ابن موسى بإقراره بما فى هذا الشرط أربعمائة وثلاثون من بنى هاشم ومن الموالى والصحابة من قريش والوزراء والكتاب والقضاة . ٣/٤٧٦

وكتب فى صفر سنة ستين ومائة . وختم عيسى بن موسى .

فقال بعض الشعراء :

كَرِهَ الموت أبو موسى وقد ... كان فى الموت نجاءٌ وكَرمْ

خَلَعَ الملكَ وأَضحَى مُلبَسًا ... ثوبَ لومٍ ما تُرى منه القَدم

* * *

وفى سنة ستين ومائة وافَى عبد الملك بن شهاب المسمعىّ مدينة باربد بمن توجّه معه من المطّوّعة وغيرهم ، فناهضوها بعد قدومهم بيوم ، وأقاموا عليها يومين ، فنصبوا المنجنيق وناهضوها بجميع الآلة ، وتحاشد الناس ، وحضّ بعضُهم بعضًا بالقرآن والتذكير ، ففتحها الله عليهم عَنْوة ، ودخلت خيلُهم من كلّ ناحية ؛ حتى ألجئوهم إلى بدّهم ، فأشعلوافيها النّيران والنّفط ، فاحترق منهم مَن احترق ، وجاهد بعضهم المسلمين ، فقتلهم الله أجمعين ، واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلاً ، وأفاءها الله عليهم . وهاج البحر فلم يقدروا على ركوبه والانصراف ، فأقاموا إلى أن يطيب ، فأصابهم فى أفواههم داءٌ يقال له حُمام قُرّ ، فمات نحو من ألف رجل ، منهم الربيع بن صُبيح . ثم انصرفوا لمّا أمكنهم الانصراف حتى بلغوا ساحلاً من فارس ، يقال له بحر حمران ، فعصفت عليهم فيه الريح ليلاً ، فكسرت عامّة مراكبهم ، فغرق منهم بعض ونجا بعض ، وقدموا معهم بسبىٍ من سَبْيهم — فيهم بنت ملك باربد — على محمد بن سليمان ، وهو يومئذ والى البصرة . ٣/٤٧٧

وفيها صُيِّر أبان بن صدقة كاتبًا لهارون بن المهدىّ ووزيراً له .

وفيها عُزل أبو عون عن خُراسان عن سَخْطة ، ووَلِىَ مكانه معاذ بن مسلم .

وفيها غزا ثُمامة بن الوليد العبسىّ الصائفة .

وفيها غزا الغمر بن العباس الخثعمى بحر الشأم .

* * *

[ذكر خبر ردّ نسب آل بكرة وآل زياد]

وفيها ردّ المهدى آل بكرة من نسبهم فى ثَقيف إلى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكان سبب ذلك أنّ رجلاً من آل أبى بَكْرة رفع ظُلامة إلى المهدىّ ، وتقرّب إليه فيها بولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال المهدىّ : إن هذا نسب واعتزاء ، ما تقرّون به إلاّ عند حاجة تعرض لكم ، وعند اضطراركم إلى التقرّب به إلينا . فقال الحكَم : يا أمير المؤمنين ، مَنْ جحد ذلك فإنا سنقرّ ؛ أنا أسألك أن تردّنى ومعشر آل أبى بكرة إلى نسبنا من ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأمر بآل زياد بن عبيد فيخرجوا من نَسبهم الذى ألحقهم به معاوية رغبةً عن قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الولد للفراش وللعاهر الحجَر » ، فيُرَدُّوا إلى نسبهم من عبيد فى موالى ثقيف . فأمر المهدىّ فى آل أبى بكرة وآل زياد أن يردّ كلّ فريق منهم إلى نسبه ، وكتب إلى محمد بن سليمان كتابًا ، وأمره أن يُقرأ فى مسجد الجماعة على الناس ، وأن يردّ آل أبى بكرة إلى ولائهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبهم إلى نُفَيع ابن مسروح ، وأن يردّ على من أقرّ منهم ما أمر بردّه عليهم من أموالهم بالبصرة مع نظرائهم ، ممن أمر بردّ ماله عليه ، وألاّ يردّ على من أنكر منهم ، وأن يجعل الممتحن منهم والمستبرئ لما عندهم الحكَم بن سمرقند . فأنفذ محمد ما أتاه فى آل أبى بكْرة إلاّ فى أناس منهم غيَبٍ[1] عنهم . ٤٧٨/٣

وأما آل زياد فإنّه مما قوّى رأى المهدىّ فيهم — فيما ذكر علىّ بن سليمان — أن أباه حدّثه ، قال : حضرت المهدىّ وهو ينظر فى المظالم إذ قدم عليه رجل من آل زياد يقال له الصغدىّ بن سلم بن حرب ، فقال له : مَنْ أنت ؟ قال : ابن عمّك ، قال : أىّ ابن عمى أنت ؟ فانتسب إلى زياد ، فقال له المهدىّ : يابن سميّة الزانية ، متى كنتَ ابن عمى ! وغضب وأمر به فوُجِئ فى عنقه ، وأخرِج ، ونهض الناس .

(١) يقال : قوم غيب ، بالتحريك ، أى غائبون .

قال : فلمّا خرجت لحقنى عيسى بن موسى — أو موسى بن عيسى — فقال : أرْدتُ والله أن أبعثَ إليك، أن أمير المؤمنين التفت إلينا بعد خروجك، فقال: من عنده علم من آل زياد ؟ فوالله ما كان عند أحد منا من ذاك شىء، فما عندك يا أبا عبد الله ؟ فما زلت أحدثه فى زياد وآل زياد حتى صرنا إلى منزله بباب المحوّل، فقال: أسألك بالله والرّحم لما كتبتَ لى هذا كله حتى أروح به إلى أمير المؤمنين ، وأخبره عنك . فانصرفتُ فكتبت، وبعثت به إليه . فراح إلى المهدىّ ، فأخبره ، فأمر المهدىّ بالكتاب إلى هارون الرشيد ؛ وكان والى البصرة من قبله يأمره أن يكتب إلى واليها يأمره أن يخرج آل زياد من قريش وديوانهم والعرب ، وأن يعرض ولد أبى بكْرة على ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن أقرّ منهم ترك ماله فى يده ، ومن انتمى إلى ثَقيف اصطفى ماله . فعرضهم ، فأقرّوا جميعًا بالولاء ، إلا ثلاثة نفر ، فاصطُفيت أموالهم . ٣/٤٧٩

ثم إن آل زياد بعد ذاك رشَوْا صاحب الديوان حتى ردّهم إلى ما كانوا عليه ، فقال خالد النجار فى ذلك :

إن زيادًا ونافعاً وأَبا بَكْرةَ عندى من أعجبِ العَجَبِ
ذَا قُرَشِىٌّ كما يقولُ ، وذا مولًى ،وهذا ـ بزعمِه ـ عَرَبِى

* * *

نسخة كتاب المهدىّ إلى والى البصرة فى ردّ
آل زياد إلى نسبهم

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ؛ فإنّ أحقّ ما حَمَل عليه ولاة المسلمين أنفسهم وخواصّهم وعوامّهم فى أمورهم وأحكامهم ، العمل بينهم بما فى كتاب الله والاتباع لسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصّبر على ذلك ، والمواظبة عليه ، والرضا به فيما وافقهم وخالفهم ؛ للذى فيه من إقامة حدود الله ومعرفة حقوقه ، واتّباع مرضاته ، وإحراز جَزائه وحسن ثوابه ، ولما فى مخالفة ذلك والصدود عنه وغلبة الهوَى لغيره من الضّلال والخسار فى الدنيا والآخرة . ٣/٤٨٠

وقد كان من رأى معاوية بن أبى سفيان فى استلحاقه زياد بن عبيد عبد آل علاج من ثقيف، وادّعائه ما أباه بعد معاوية عامّة المسلمين وكثير

منهم فى زمانه ، لعلمهم بزياد وأبى زياد وأمه من أهل الرضا والفضل والورَع والعلم ، ولم يَدْعُ معاوية إلى ذلك ورع ولا هدى ، ولا اتّباع سنة هادية ، ولا قُدوة من أئمة الحقّ ماضية ، إلا الرغبة فى هلاك دينه وآخرته ، والتصميم على مخالفة الكتاب والسنة. والعُجْب بزياد فى جَلَده ونفاذه، وما رجا من معونته وموازرته إياه على باطل ما كان يركن إليه فى سيرته وآثاره وأعماله الخبيثة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الولد للفراش وللعاهر الحجَر» ، وقال : «مَن ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه لا صرفا ولا عدلا[١] » .

ولعمرى ما وُلد زياد فى حجْر أبى سفيان ولا على فراشه، ولا كان عُبيد عبدًا لأبى سفيان ، ولا سميّة أمةً له ، ولا كانا فى مُلكه ، ولا صارا إليه لسبب من الأسباب . ولقد قال معاوية فيما يعلمه أهل الحفظ للأحاديث عند كلام نَصْر بن الحجّاج بن عُلاط السُّلَمىّ ومَنْ كان معه من موالى بنى المغيرة المخزوميّين وإرادتهم استلحاقه وإثبات دعوته، وقد أعدّ لهم معاوية حجَرًا تحت بعض فرشه فألقاه إليهم ، فقالوا له : نسوّغ لك ما فعلت فى زياد ، ولا تسوّغ لنا ما فعلنا فى صاحبنا ، فقال : قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لكم من قضاء معاوية . فخالف معاوية بقضائه فى زياد واستلحاقه إياه ٤٨١/٣ وما صنَع فيه وأقدم عليه، أمرَ الله جل وعزّ وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم واتّبع فى ذلك هواه رغبة عن الحقّ ومجانبة له ، وقد قال الله عز وجل : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ[٢]﴾ ، وقال لداود صلى الله عليه وسلم وقد آتاه الحكم والنبوّة والمال والخلافة : ﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ[٣] ...﴾ الآية إلى آخرها .

فأمير المؤمنين يسأل الله أن يعصم له نفسه ودينَه ، وأن يعيذه من غلبة الهوى ، ويوفّقه فى جميع الأمور لما يحب ويرضى ؛ إنه سميع قريب .

---

(١) الصرف : التوبة . والعدل : الفدية .
(٢) سورة القصص ٥٠ .
(٣) سورة ص ٢٦ .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يردّ زياداً ومَنْ كان من ولده إلى أمّهم ونسبهم المعروف ويلحِقهم بأبيهم عبيد؛ وأمهم سميّة، ويتّبع فى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه الصالحون وأئمة الهدى، ولا يجيز لمعاوية ما أقدم عليه مما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان أمير المؤمنين أحقّ مَنْ أخذ بذلك وعمل به؛ لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم واتّباعه آثاره وإحيائه سنّته، وإبطاله سنن غيره الزائغة الجائرة عن الحق والهدى؛ وقد قال الله جلّ وعزّ: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾(١).

فاعلم أن ذلك من رأى أمير المؤمنين فى زياد، وما كان من ولد زياد فألحقْهم بأبيهم زياد بن عبيد، وأمهم سميّة، واحملهم عليه، وأظهره لمن قِبَلك من المسلمين حتى يعرفوه ويستقيم فيهم؛ فإن أمير المؤمنين قد كتب إلى قاضى البصرة وصاحب ديوانهم بذلك. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب معاوية بن عبيد الله فى سنة تسع وخمسين ومائة.

٣/٤٨٢ فلما وصل الكتاب إلى محمد بن سليمان وقّع بإنفاذه، ثم كُلِّم فيهم، فكفّ عنهم؛ وقد كان كتب إلى عبد الملك بن أيوب بن ظَبْيان النميرىّ بمثل ما كتب به إلى محمد، فلم ينفذه لموضعه من قيس، وكراهته أن يخرج أحد من قومه إلى غيرهم.

* * *

وفيها كانت وفاة عبيد الله بن صفوان الجمَحىّ، وهو والٍ على المدينة، فولّىَ مكانه محمد بن عبد الله الكثيرىّ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى عُزِل وولّى مكانه زُفَر بن عاصم الهلالىّ. وولّى المهدىّ قضاء المدينة فيها عبد الله بن محمد بن عمران الطَّلْحِىّ.

وفيها خرج عبد السلام الخارجىّ، فقتِل.

وفيها عزِل بِسْطام بن عمرو عن السِّند، واستعمل عليها رَوْح بن حاتم.

وحجّ بالناس فى هذه السنة المهدىّ، واستخلف على مدينته حين شخص

(١) سورة يونس ٣٢.

عنها ابنَه موسى ، وخلّف معه يزيد بن منصور خال المهدىّ وزيراً له ومدبّراً لأمره .

وشخص مع المهدىّ فى هذه السنة ابنه هارون وجماعة من أهل بيته ؛ وكان ممّن شخص معه يعقوب بن داود، على منزلته التى كانت له عنده ؛ فأتاه حين وافى مكة الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن الذى استأمن له يعقوب من المهدىّ على أمانه ، فأحسن المهدىّ صلته وجائزته ، وأقطعه مالاً من الصّوافِى بالحجاز .

وفيها نزع المهدىّ كسوة الكعبة التى كانت عليها ، وكساها كسوة جديدة ؛ وذلك أن حَجَبَة الكعبة — فيما ذكر — رفعوا إليه أنهم يخافون على الكعبة أن تهدم لكثرة ما عليها من الكسوة ، فأمر أن يُكشف عنها ما عليها من الكسوة حتى بقيت مجرّدة ، ثم طُلِى البيت كله بالخَلُوق ، وذُكر أنهم لما بلغوا إلى كسوة هشام وجدوها ديباجًا ثخينًا جيداً ، ووجدوا كسوة مَنْ كان قبله عامّتها من متاع اليمن . ٤٨٣/٣

وقسم المهدىّ فى هذه السنة بمكة فى أهلها — فيما ذكر — مالا عظيماً ، وفى أهل المدينة كذلك ؛ فذكر أنه نُظر فيما قسم فى تلك السفرة فوُجد ثلاثين ألف ألف درهم ، حُملت معه ، ووصلت إليه من مصر ثلثمائة ألف دينار ، ومن اليمن مائتا ألف دينار ، فقسّم ذلك كلّه . وفرّق من الثياب مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ، ووسّع فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر بنزع المقصورة التى فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فنزعت ، وأراد أن ينقص منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعيده إلى ما كان عليه ، ويلقى منه ما كان معاوية زاد فيه ؛ فذكر عن مالك بن أنس أنه شاور فى ذلك ، فقيل له : إن المسامير قد سلكت فى الخشب الذى أحدثه معاوية ، وفى الخشب الأول وهو عتيق ، فلا نأمن إن خرجت المسامير التى فيه وزعزعت أن يتكسّر ، فتركه المهدىّ .

وأمر أيام مقامه بالمدينة بإثبات خمسمائة رجل من الأنصار ليكونوا معه حرسًا له بالعراق وأنصاراً ، وأجرى عليهم أرزاقا سوى أعطياتِهم ، وأقطعهم عند قدومهم معه ببغداد قطيعة تعرف بهم .

٣/٤٨٤ وتزوّج فى مقامه بها برقيّة بنت عمرو العثمانية .

وفى هذه السنة حمل محمد بن سليمان الثلج للمهدىّ ، حتى وافى به مكة ، فكان المهدىّ أوّل من حُمل له الثلج إلى مكة من الخلفاء .

وفيها ردّ المهدىّ على أهل بيته وغيرهم قطائعهم التى كانت مقبوضة عنهم .

* * *

وكان على صلاة الكوفة وأحداثها فى هذه السنة إسحاق بن الصباح الكندىّ ، وعلى قضائها شريك. وعلى البصرة وأحداثها وأعمالها المفردة وكُور دجلة والبحرين وعُمان وكُور الأهواز وفارس محمد بن سليمان . وكان على قضاء البصرة فيها عبيد الله بن الحسن . وعلى خراسان معاذ بن مسلم ، وعلى الجزيرة الفضل بن صالح ، وعلى السِّند رَوْح بن حاتم . وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم . وعلى مصر محمد بن سليمان أبو ضمرة .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان من ذلك خروج حكيم المقنّع بخُراسان من قرية من قرى مَرْو ، وكان — فيما ذكر — يقول بتناسخ الأرواح ، يعود ذلك إلى نفسه ، فاستغوى بشراً كثيراً ، وقوىَ وصار إلى ما وراء النهر ، فوجّه المهدىّ لقتاله عدّة من قُوّاده ؛ فيهم مُعاذ بن مسلم ؛ وهو يومئذ على خُراسان ،ومعه عُقْبة بن مسلم وجبرئيل بن يحيى وليث مولى المهدىّ ، ثم أفرد المهدىّ لمحاربته سعيدًا الحرَشيّ ، وضمّ إليه القوّاد ؛ وابتدأ المقنّع بجمع الطعام عُدّةً للحصار فى قلعة بكشّ .

* * *

وفيها ظفر نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعىّ بعبد الله بن مروان بالشأم ؛ فقدم به على المهدىّ قبل أن يولّيَه السِّند ، فحبسه المهدىّ فى المطْبَق ؛ فذكر أبو الخطاب أن المهدىّ أُتِيَ بعبدالله بن مروان بن محمّد — وكان يكنى أبا الحكم — فجلس المهدىّ مجلسا عامًّا فى الرّصافة ، فقال : مَنْ يعرف هذا ؟ فقام عبد العزيز بن مسلم العُقَيلىّ ، فصار معه قائمًا ، ثم قال له : أبو الحكم؟ قال : نعم ابنُ أمير المؤمنين ، قال : كيف كنت بعدى ؟ ثم التفت إلى المهدىّ ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، هذا عبد الله بن مروان . فعجب الناس من جُرأته ، ولم يعرض له المهدىّ بشىء . ٤٨٥/٣

قال : ولما حبس المهدىّ عبد الله بن مروان احتيل عليه ، فجاء عمرو بن سهلة الأشعرىّ فادّعى أن عبد الله بن مروان قتل أباه ، فقدّمه إلى عافية القاضى ، فتوجّه عليه الحُكْم أن يقادَ به ، وأقام عليه البيّنة ؛ فلما كاد الحُكْم يبرَم جاء عبد العزيز بن مسلم العقيلىّ إلى عافية القاضى يتخطّى رقاب الناس ؛ حتى صار إليه ، فقال : يزعم عمرو بن سهلة أن عبد الله بن مروان قتل أباه ؛ كذب والله ما قتل أباه غيرى ؛ أنا قتلتُه بأمر

مروان، وعبدُ الله بن مروان من دمه برىء . فزالت عن عبد الله بن مروان، ولم يعرض المهدىّ لعبد العزيز بن مسلم لأنه قتله بأمر مروان .

* * *

وفيها غزا الصَّائفة ثُمامة بن الوليد ، فنزل دابق ، وجاشت الرّوم وهو مغترّ، فأتت طلائعه وعيونه بذلك ، فلم يحفل بما جاءوا به، وخرج إلى الرّوم ، وعليها ميخائيل بسرّعان الناس[1]،فأصيب من المسلمين عِدّة ، وكان عيسى ين علىّ مرابطًا بحصن مَرْعش يومئذ، فلم يكن للمسلمين فى ذلك العام صائفة من أجل ذلك . ٣/٤٨٦

وفيها أمر المهدىّ ببناء القصور فى طريق مكة أوسع من القصور التى كان أبو العباس بناها من القادسيَّة إلى زُبالة ، وأمر بالزيادة فى قصور أبى العباس ، وترك منازل أبى جعفر التى كان بناها على حالها ، وأمر باتّخاذ المصانع فى كلّ منهل ، وبتجديد الأميال والبرَك ، وحفر الرّكايا مع المصانع ، وولّى ذلك يقطين بن موسى ، فلم يزل ذلك إليه إلى سنة إحدى وسبعين ومائة ، وكان خليفة يقطين فى ذلك أخوه أبو موسى .

وفيها أمر المهدىّ بالزيادة فى مسجد الجامع بالبصرة ، فزيد فيه من مقدّمه ممّا يلى القبلة ،وعن يمينه مما يلى رحبة بنى سُليم ،وولّى بناء ذلك محمد بن سليمان وهو يومئذ والى البصرة .

وفيها أمر المهدىّ بنزع المقاصير من مساجد الجماعات وتقصير المنابر وتصييرها إلى المقدار الذى عليه منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب بذلك إلى الآفاق فعُمل به .

وفيها أمر المهدىّ يعقوب بن داود بتوجيه الأمناء فى جميع الآفاق ، فعمل به ، فكان لا ينفذ للمهدىّ كتاب إلى عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب بن داود إلى أمينه وثقته بإنفاذ ذلك .

وفيها اتّضعت منزلة أبى عبيد الله وزير المهدىّ ، وضمّ يعقوب إليه من متفقهة البصرة وأهل الكوفة وأهل الشأم عدداً كثيراً ، وجعل رئيس البصريين والقائم بأمرهم إسماعيل بن عُلَيَّة الأسدىّ ومحمد بن ميمون العنبرىّ ، وجعل رئيس أهل الكوفة وأهل الشأم عبد الأعلى بن موسى الحلبىّ . ٣/٤٨٧

---

(١) سرعان الناس : أوائلهم .

ذكر السبب الذى من أجله
تغيرت منزلة أبى عبيد الله عند المهدىّ

قد ذكرنا سببَ اتّصاله به الذى كان قبلُ فى أيام المنصور وضمّ المنصور إياه إلى المهدىّ حين وجّهه إلى الرّىّ عند خلْع عبد الجبار بن عبد الرحمن المنصور، فذكر أبو زيدعمر بن شبّة، أنّ سعيد بن إبراهيم حدّثه أن جعفربن يحيى حدّثه أنّ الفضل بن الرّبيع أخبره، أنّ الموالى كانوا يشنّعون على أبى عبيدالله عند المهدىّ، ويسعَوْن عليه عنده؛ فكانت كتب أبى عبيد الله تنفذ عند المنصور بما يريد من الأمور، وتتخلّى الموالى بالمهدىّ؛ فيبلّغونه عن أبى عبيدالله، ويحرّضونه عليه.

قال الفضل: وكانت كتب أبى عبيد الله تصِل إلى أبى تَتْرَى، يشكو الموالى وما يلقى منهم، ولا يزال يذكره عند المنصور ويخبره بقيامه، ويستخرج الكتب عنه إلى المهدىّ بالوَصاة به، وترك القبول(1) فيه. قال: فلمّا رأى أبوعبيد الله غلَبة الموالى على المهدىّ، وخَلْوتهم به نظرإلى أربعة رجال من قبائل شتّى من أهل الأدب والعلم، فضمّهم إلى المهدىّ، فكانوا فى صحابته، فلم يكونوا يَدَعون الموالى يتخلّوْن به.

ثم إنّ أبا عبيد الله كلّم المهدىّ فى بعض أمره إذ اعترض رجل من هؤلاء الأربعة فى الأمر الذى تكلّم فيه، فسكت عنه أبو عبيد الله، فلم يرادّه، وخرج فأمر أن يحجب عن المهدىّ فحجبه عنه؛ وبلغ ذلك من خبره أبى. ٤٨٨/٣

* * *

قال: وحجّ أبى مع المنصور فى السنة التى مات فيها، وقام أبى من أمر المهدىّ بما قام به من أمر البيعة وتجديدها على بيت المنصور والقوّاد والموالى؛ فلما قدم تلقّيتُه بعد المغرب، فلم أزل معه حتى تجاوز منزله، وترك دار المهدىّ، ومضى إلى أبى عبيد الله، فقال: يا بنىّ؛ هو صاحب الرجل؛ وليس ينبغى أن نعامله على ما كنّا نعامله عليه؛ ولا أن نحاسبه بما كان منا فى أمره من نصرتنا له. قال: فمضينا حتى أتينا باب أبى عبيد الله؛ فما زال واقفًا حتى صلّيتُ

(1) أى ترك قبول القول فيه.

العتَمة ، فخرج الحاجب ، فقال : ادخل ، فثنى رجلَه وثنيتُ رجلى . قال : إنما استأذنتُ لك يا أبا الفضل وحدَك . قال : اذهب فأخبره أنّ الفضل معى . قال : ثم أقبل علىّ ، فقال : وهذا أيضًا من ذلك ! قال : فخرج الحاجب ، فأذن لنا جميعًا ، فدخلنا أنا وأبى ، وأبو عبيد الله فى صدر المجلس ، على مصلًّى متكئٌ على وسادة ، فقلت : يقوم إلى أبى إذا دخل إليه ، فلم يقم إليه ، فقلت : يستوى جالسًا إذا دنا ، فلم يفعل ، فقلت : يدعو له بمصلى ، فلم يفعل ، فقعد أبى بين يديه على البساط وهو متكئ ، فجعل يسائله عن مسيره وسفره وحاله ، وجعل أبى يتوقع أن يسأله عمّا كان منه فى أمرِ المهدىّ وتجديد بيعته ، فأعرض عن ذلك ، فذهب أبى يبتدئه بذكره ، فقال : قد بلَغنا نبؤكم ، قال : فذهب أبى لينهض ، فقال : لا أرى الدُّروب إلاّ وقد غُلِّقت ، فلو أقمت ! قال : فقال أبى : إن الدروب لا تغلَق دونى ، قال : بلى قد أغلقت . قال : فظنّ أبى أنه يريد أن يحتَبسه ليسكن من مسيره ، ويريد أن يسأله ، قال : فأقيمُ . قال : يا فلان ، اذهب فهيِّئ لأبى الفضل فى منزل محمد بن أبى عبيد الله مبيتًا . فلما رأى أنه يريد أن يخرج من الدّار ، قال : فليس تُغْلَق الدروب دونى فأعتزم . ثم قام ، فلما[1] خرجنا من الدار أقبل علىّ فقال : يا بنىّ ، أنت أحمق[1] ، قلت : وما حمقى أنا ! قال : تقول لى : كان ينبغى لك ألاّ تجىء ، وكان ينبغى إذا جئت فحجبَنا ألاّ تقيم حتى صلّيتَ العتَمَة ، وأن تنصرف ولا تدخل ؛ وكان ينبغى إذا دخلتَ فلم يقم إليك أن ترجعَ ولا تقيم عليه ؛ ولم يكن الصوابُ إلاّ ما عملتُ كلّه ؛ ولكن والله الذى لا إله إلا هو — واستغلق فى اليمين — لأخلعنّ جاهى ، ولأنفقنّ مالى حتى أبلغ من أبى عبيد الله .

٤٨٩/٣

قال : ثم جعل يضطرب بجَهده ، فلا يجد مساغًا إلى مكروهه ، ويحتال الحدّ إذ ذكر القُشيرىّ الذى كان أبو عبيد الله حجبَه ، فأرسل إليه فجاءه ،

(١ — ١) فى ابن الاثير : « فلما خرج من عنده قال له ابنه الفضل : لقد بلغ فعل هذا بك ما فعل ، وكان الرأى ألا تأتيه ، وحيث أتيته وحجبك أن تعود ، وحيث دخلت عليه فلم يقم لك أن تعود ؛ فقال لابنه : أنت أحمق » .

فقال : إنّك قد علمت ما ركبك به أبو عبيد الله ، وقد بلغ منى كلّ غاية من المكروه ، وقد أرغتُ[1] أمره بجهدى ؛ فما وجدت عليه طريقًا ، فعندك حيلة فى أمره ؟ فقال: إنما يؤتَى أبو عبيد الله من أحدِ وجوهٍ أذكرها لك ... يقال : هو رجل جاهل بصناعته وأبو عبيد الله أحذق الناس ، أو يقال : هو ظَنين فى الدّين بتقليده ، وأبو عبيد الله أعفّ الناس ؛ لو كان بنات المهدىّ فى حِجره لكان لهنّ موضع ، أو يقال : هو يميل إلى أن يخالف السلطان فليس يؤتى أبو عبيد الله من ذلك؛ إلاّ أنه يميل إلى القَدَر بعضَ الميْل ؛ وليس يتسلّق عليه بذاك أن يقال : هو متّهم ؛ ولكن هذا كلّه مجتمع لك فى ابنه ؛ قال : فتناوله الرّبيع ، فقبّل بين عينيه ، ثم دبّ لابن أبى عبيد الله ؛ فوالله ما زال يحتال ويدسّ إلى المهدىّ ويتهمه ببعض حُرمِ المهدىّ ؛ حتى استحكم عند المهدىّ الظنّة بمحمد بن أبى عبيد الله، فأمر فأحضر، وأخرِج أبو عبيد الله . فقال : يا محمد اقرأ، فذهب ليقرأ ، فاستعجم عليه القرآن ، فقال : يا معاوية[2] ألم تعلمنى أنّ ابنك جامع للقرآن ؟ قال : أخبرتك يا أميرَ المؤمنين ، ولكن فارقنى منذ سنين ؛ وفى هذه المدّة التى نأى فيها عنى نسىَ القرآن ، قال : قم فتقرّب إلى الله فى دمه ، فذهب ليقوم فوقع ، فقال العبّاس بن محمد : إن رأيت يا أميرَ المؤمنين أن تعفى الشيخ ! قال: ففعل، وأمر به فأخرِج، فضربت عنقه .

٣/ ٤٩٠

قال : فاتّهمه المهدىّ فى نفسه ، فقال له الربيع : قتلت ابنَه ، وليس ينبغى أن يكون معك ، ولا أن تثق به . فأوحشَ المهدىّ ؛ وكان الذى كان من أمره وبلغ الربيع ما أرادَ ، واشتفى وزاد .

وذكر محمد بن عبد الله[3] يعقوبَ بن داود ، قال : أخبرَنى أبى ، قال : ضرَب المهدىّ رجلاً من الأشعريّين ، فأوجعه ، فتعصّب أبو عبيد الله — وكان مولًى لهم ، فقال : القتل أحسنُ من هذا يا أمير المؤمنين ، فقال له المهدىّ : يا يهودىّ ، اخرج من عسكرى لعنك الله . قال : ما أدرى إلى أين أخرج

(١) أرغت : طلبت . (٢) معاوية بن يسار ، اسم أبى عبيد الله كاتب المهدى .
(٣) ط : « أبى عبد الله » ، وانظر الفهرس .

٣/٤٩١ إلاّ إلى النار ! قال : قلت : يا أميرَ المؤمنين ، أحْرِ بهذا أن لمثلها يتوقع ، قال : فقال لى : سبحان الله يا أبا عبيد الله !

• • •

وفيها غزا الغمر بن العبّاس فى البحر .

وفيها ولّىَ نَصر بن محمد بن الأشعث السّند مكان رَوْح بن حاتم ، وشخص إليها حتى قدمها ثم عُزل ، ووُلّىَ مكانه محمد بن سليمان ، فوجّه إليها عبد الملك ابن شهاب المِسمعىّ ، فقدمها على نصر ، فبغتَه ، ثم أذن له فى الشخوص ، فشخص حتى نزل الساحل على ستّة فراسخ من المنصورة ؛ فأتى نصر بن محمد عهده على السِّند ، فرجع إلى عمله ؛ وقد كان عبد الملك أقام بها ثمانية عشر يوماً ، فلم يعرِض له ، فرجع إلى البصرة .

وفيها استقضى المهدىّ عافية بن يزيد الأزدىّ ؛ فكان هو وابنُ علاثة يقضيان فى عسكر المهدىّ فى الرُّصافة ؛ وكان القاضى بمدينة الشرقية عمر بن حبيب العدوىّ .

وفيها عَزل الفضل بن صالح عن الجزيرة ، واستعمل عليها عبد الصمد ابن علىّ .

وفيها استعمَل عيسى بن لقمان على مصر .

وفيها ولّى يزيد بن منصور سَواد الكوفة وحسان الشرَوىّ الموصل وبِسطام ابن عمرو التغلَبىّ أذرَبيجان .

وفيها عزل أبا أيوب المسمى سليمان المكىّ عن ديوان الخراج ، ووُلّىَ مكانه أبو الوزير عمر بن مطرّف .

وفيها تُوفّىَ نصر بن مالك من فالج أصابه ، ودفن فى مقابر بنى هاشم وصلّى عليه المهدىّ .

٣/٤٩٢ وفيها صرف أبان بن صدقة عن هارون بن المهدى إلى موسى بن المهدىّ ، وجعله له كاتباً ووزيراً ، وجعل مكانه مع هارون ابن المهدىّ يحيى بن خالد ابن برْمك .

وفيها عزل محمد بن سليمان أبا ضَمْرة عن مصر فى ذى الحجّة المهدىّ وولاّها سلمة بن رجاء .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة موسى بن محمد بن عبد الله الهادى ، وهو ولىّ عهد أبيه .

وكان عامل الطائف ومكة واليمامة فيها جعفر بن سليمان ، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها إسحاق بن الصبّاح الكندىّ ، وعلى سوادها يزيد بن منصور .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر مقتل عبد السلام الخارجيّ]

فمن ذلك ما كان من مقتل عبد السلام الخارجيّ بِقنَّسْرين .

* ذكر الخبر عن مقتله :

ذكر أن عبد السلام بن هاشم اليَشكريّ هذا خرج بالجزيرة ، وكثر بها أتباعه ، واشتدّت شوكته ، فلقيه من قوّاد المهديّ عِدّة ، منهم عيسى بن موسى القائد، فقتله فى عدّة ممّن معه ، وهزم جماعة من القوّاد ، فوجّه إليه المهديّ الجنودَ ، فنكب غير واحد من القوّاد، منهم شبيب بن واج المَرْوَرُّوذيّ ، ثم ندب إلى شبيب ألف فارس ، أعطى كلّ رجل منهم ألف دِرهم معونة ، وألحقهم بشبيب فوافوْه ، فخرج شبيب فى أثر عبد السلام ، فهرب منهم حتى أتى قِنَّسرين ، فلحقه بها فقتله .

* * *

٤٩٣/٣ وفيها وضع المهديُّ دواوين الأزمَّة[1] ، وولّى عليها عمر بن بَزِيع مولاه ، فولّى عمر بن بَزِيع النّعمانَ بن عثمان أبا حازم زمام خراج العراق .

وفيها أمر المهديُّ أن يجرَى على المجذَّمين وأهل السجون فى جميع الآفاق .

وفيها ولّى ثُمامة بن الوليد العبسيّ الصّائفة ، فلم يتمّ ذلك .

وفيها خرجت الرّوم إلى الحدَث ، فهدموا سورها .

وغزا الصّائفة الحسن بن قحطبة فى ثلاثين ألف مرتزق سوى المطَّوّعة ، فبلغ حَمّة أذْرُوليَة ، فأكثر التخريب والتحريق فى بلاد الروم من غير أن يفتح حصنًا ، ويلقى جمعًا ، وسمّته الروم التنّين . وقيل : إنه إنما أتى

---

(١) أى يكون لكل ديوان زمام ؛ وله رجل يضبطه .

هذه الحمّة الحسنُ ليستنقع فيها للوضَح[1] الذى كان به؛ ثم قفل بالناس سالمين. وكان على قضاء عسكره وما يجتمع من الفىء حَفْص بن عامر السُّلَمىّ.

قال: وفيها غزا يزيد بن أسَيْد السُّلَمىّ من باب قالِيقَلا، فغنم وفتح ثلاثة حصون، وأصاب سَبْيًا كثيراً وأسْرى.

وفيها عُزل علىّ بن سليمان عن اليمن، ووُلِّىَ مكانه عبد الله بن سليمان.

وفيها عُزِل سلمة بن رجاء عن مصر، ووليها عيسى بن لقمان، فى المحرّم، ثم عزل فى جُمادى الآخرة، ووليَها واضح مولى المهدىّ، ثم عزل فى ذى القَعْدة ووليَها يحيى الحَرَشىّ.

وفيها ظهرت المحمّرة بجُرْجان، عليهم رجل يقال له عبد القهار، فغلب على جُرجان، وقتل بشراً كثيراً، فغزاه عمر بن العلاء من طَبَرِسْتان، فقتل عبد القهار وأصحابه.

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن جعفر بن المنصور؛ وكان العباس ابن محمد استأذن المهدىّ فى الحجّ بعد ذلك، فعاتبه على ألاّ يكون استأذنه قبل أن يولِّىَ الموسم أحداً فيوليه إياه، فقال: يا أمير المؤمنين، عمداً أخّرْتُ ذلك لأنى لم أرِد الولاية. ٤٩٤/٣

* * *

وكانت عمال الأمصار عمالها فى السنة التى قبلها. ثم إن الجزيرة كانت فى هذه السنة إلى عبد الصمد بن علىّ وطَبَرِستان والرُّويان إلى سعيد بن دَعْلَج، وجُرجان إلى مهلهل بن صفوان.

---

(١) الوضح، يكنى به عن البرص.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك ما كان فيها من هلاك المقنّع ؛ وذلك أن سعيداً الحَرَشىّ حصره بكش ، فاشتدّ عليه الحصار ، فلما أحسّ بالهلكة شرب سُمًّا ، وسقاه نساءه وأهله ، فمات وماتوا – فيما ذكر – جميعًا ، ودخل المسلمون قلعته ، واحتزّوا رأسه ، ووجّهوا به إلى المهدىّ وهو بحلب .

* * *

[ذكر خبر غزو الروم]

وفيها قطع المهدىّ البعوثَ للصائفة على جَميع الأجناد من أهل خُراسان وغيرهم، وخرج فعسكر بالبَرَدان، فأقام به نحواً من شهرين يتعبّأ فيه ويتهيّأ ، ويعطى الجنود ، وأخرج بها صِلات لأهل بيته الذين شخصوا معه ، فتوُفّىَ عيسى بن علىّ فى آخر جمادى الآخرة ببغداد . وخرج المهدىّ من الغد إلى البَرَدان متوجّهًا إلى الصائفة، واستخلف ببغداد موسى بن المهدىّ ، وكاتبه يومئذ أبان بن صدقة ؛ وعلى خاتمه عبد الله بن عُلاثة ، وعلى حرسه علىّ بن عيسى ، وعلى شُرَطه عبد الله بن خازم[1] ؛ فذكر العباس بن محمد أنّ المهدىّ لما وجّه الرشيد إلى الصائفة سنة ثلاث وستين ومائة خرج يشيّعه وأنا معه ؛ فلما حاذى قصرمسلمة ، قلت : يا أمير المؤمنين، إن لمسلمَة فى أعناقنا مِنّةً ؛ كان محمد بن علىّ مرّ به ، فأعطاه أربعة آلاف دينار ، وقال له : يابن عمّ هذان ألفان لدَينك ، وألفان لمعونتك ، فإذا نفدت فلا تحتشمنا . فقال لما حدثته الحديث: أحضِروا مَنْ هاهنا من ولد مسلَمة ومواليه، فأمر لهم بعشرين ألف دينار ، وأمر أن تُجرَى عليهم الأرزاق، ثم قال: يا أبا الفضل ، كافأنا مسلمة وقضينا حقه ؟ قلت : نعم ، وزدتَ يا أمير المؤمنين .

٤٩٥/٣

(١) ط : « حازم » ، تصحيف ، صوابه من ا ، وانظر الفهرس .

وذكر إبراهيم بن زياد ، عن الهيثم بن عدىّ ، أن المهدىّ أغزى هارون الرشيد بلادَ الرّوم، وضمّ إليه الربيع الحاجب والحسن بن قحطبة .

قال محمّد بن العباس : إنّى لقاعد[1] فى مجلس أبى فى دار أمير المؤمنين وهو على الحرَس ؛ إذ جاء الحسن بن قحطبة ، فسلّم علىّ ، وقعد على الفراش الذى يقعد أبى عليه . فسأل عنه فأعلمتُه أنه راكب ، فقال لى : يا حبيبى أعلمه أنى جئت ،وأبلغه السلام عنى ، وقل له : إن أحبّ أن يقول لأمير المؤمنين : يقول الحسن بن قحطبة : يا أميرَ المؤمنين ؛ جعلنى الله فداك ! أغزيتَ هارون ، وضممتنى والرّبيع إليه ، وأنا قريع قوّادك ، والربيع قريع مواليك ، وليس تطيب نفسى بأن نُخَلِّىَ[2] جميعًا بابك ؛ فإمّا أغزيتنى مع هارون وأقام الربيع ، وإما أغزيتَ الربيع وأقمتُ ببابك . قال : فجاء أبى فأبلغته الرسالة ، فدخل على المهدىّ فأعلمه ، فقال : أحسن والله الاستعفاء ؛ لا كما فعل الحجام ابن الحجام — يعنى عامر بن إسماعيل — وكان استعفى[3] من الخروج مع إبراهيم فغضب عليه ، واستصفى ماله . ٣/٤٩٦

وذكر عبد الله بن أحمد بن الوضّاح ، قال : سمعت جدى أبا بُديل ؛ قال : أغزى المهدىّ الرشيد ، وأغزى معه موسى بن عيسى وعبد الملك بن صالح بن علىّ وموليَيْ أبيه : الربيع الحاجب والحسن الحاجب؛ فلمّا فصل دخلت عليه بعد يومين أو ثلاثة ، فقال : ما خلّفك عن ولىّ العهد ، وعن أخويْك خاصّة ؟ يعنى الربيع والحسن الحاجب . قلت : أمر أمير المؤمنين ومقامى بمدينة السلام حتى يأذن لى . قال : فسرْ حتّى تلحق به وبهما ؛ واذكر ما تحتاج إليه . قال : قلت : ما أحتاج إلى شىء من العُدّة ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى وَداعه ! فقال لى : متى تراك خارجا ؟ قال : قلت من غدٍ ، قال : فودّعته وخرجت ، فلحقت القوم . قال : فأقبلتُ أنظر إلى الرّشيد يخرج ، فيضرب بالصّوالجة ، وأنظر إلى موسى بن عيسى وعبد الملك ابن صالح ؛ وهما يتضاحكان منه .

---

(١) س : « لما قعدت » .
(٢) ج : « نخل » .
(٣) س : « يستعفى » .

قال : فصرت إلى الربيع والحسن — وكنّا لا نفترق — قال : فقلت : لا جزاكما الله عمّن وجّهكما ولا عمن وُجّهتما معه خيراً ؛ فقالا : إيه ، وما الخبر ؟ قال : قلت : موسى بن عيسى وعبد الملك بن صالح يتضاحكان من ابن أمير المؤمنين ، أوَمَا كنتما تقدران أن تجعلا لهما مجلساً يدخلان عليه فيه ولمن كان معه من القوّاد فى الجمعة يدخلون[١] عليه ويخلّوه فى سائر أيامه لما يريد[١] ! قال : فبينا نحن فى ذلك المسير إذ بعثا إلىّ فى الليل . قال : فجئت وعندهما رجل ، فقالا لى : هذا غلام الغمر بن يزيد ، وقد أصبنا[٢] معه كتاب الدولة . قال : ففتحت[٣] الكتابَ ، فنظرت فيه إلى سنِي المهدىّ فإذا هى عشر سنين . قال : فقلت : ما فى الأرض أعجب منكما ! أترَيان أنّ خبر هذا الغلام يخفى ، وأن هذا الكتاب يستتر ! قالا : كلاّ ، قلت : فإذا كان أمير المؤمنين قد نقص من سنيه ما نقص ، أفلستم أوّلَ مَنْ نعى إليه نفسَه ! قال : فتبلّدوا والله ، وسُقط فى أيديهما ، فقالا : فما الحيلةُ ؟ قلت : يا غلام علىّ بعنبسة — يعنى الوراق الأعرابى مولى آل أبى بديل — فأتِيَ به ، فقلت له : خطّ مثل هذا الخطّ ، وورقة مثل هذه الورقة ، وصيّر مكان عشر سنين أربعين سنة ، وصيرها فى الورقة ، قال : فوالله لولا أنى رأيتُ العشر فى تلك والأربعين فى هذه ما شككت أن الخطّ ذلك الخط ، وأن الورقة تلك الورقة .

٤٩٧/٣

قال : ووجّه المهدىّ خالد بن برمك مع الرّشيد وهو ولىّ العهد حين وجّهه لغزو الروم ، وتوجّه معه الحسن وسليمان ابنا برمك ، ووجّه معه على أمر العسكر ونفقاته وكتابته والقيام بأمره يحيى بن خالد — وكان أمر هارون كلّه إليه — وصُيّر الربيع الحاجب مع هارون يغزو عن المهدىّ ، وكان الذى[٤] بين الربيع ويحيى[٥] على حسب ذلك ؛ وكان يشاورهما ويعمل برأيهما ؛ ففتح الله عليهم فتوحاً كثيرة ، وأبلاهم فى ذلك الوجه بلاءً جميلا ، وكان لخالد فى ذلك بسَمَالو أثر جميل لم يكن لأحد ؛ وكان منجّمهم يسمى البرمكىّ تبرّكًا

٤٩٨/٣

(١ — ١) كذا وردت العبارة فى ا .
(٢) س : « وجدنا » .
(٣) س : « ففتحنا » .
(٤) ج : « ذلك » .
(٥) ا ، س : « وبين يحيى » .

به ، ونظراً إليه . قال : ولما ندب المهدىّ هارون الرشيد لما ندبه له[1] من الغزو ، أمر أن يدخل عليه[2] كتّاب أبناء الدّعوة لينظر إليهم ويختار له منهم رجلا .

قال يحيى : فأدخلونى عليه معهم ، فوقفوا بين يديه ، ووقفت آخرهم ، فقال لى : يا يحيى ، ادنُ ، فدنوت ، ثم قال لى : اجلس ، فجلست فجثوتُ بين يديه ، فقال لى : إنى قد تصفحت أبناء شيعتى وأهل دولتى ، واخترت منهم رجلاً لهارون ابنى أضمّه إليه ليقوم بأمر عسكره ، ويتولى كتابته ، فوقعتْ عليك خيرتى له ، ورأيتك أوْلَى به ؛ إذ كنت مربّيَه وخاصّته ، وقد ولّيتك كتابتَه وأمْرَ عسكره . قال : فشكرتُ ذلك له ، وقبّلت يدَه ، وأمر لى بمائة ألف درهم معونةً على سفرى[3] ، فوُجّهت فى ذلك العسكر لما وُجّهت له[4] .

قال : وأوفد الربيعُ سليمانَ بن برمك إلى المهدىّ ، وأوفد معه وفداً ، فأكرم المهدىّ وفادته وفضله ، وأحسن إلى الوفد الذين كانوا معه ، ثم انصرفوا من وجههم ذلك .

* * *

[عزل عبد الصمد بن علىّ عن الجزيرة وتولية زفر بن الحارث]

وفى هذه السنة ؛ سنة مسير المهدىّ مع ابنه هارون ، عزل المهدىّ عبد الصمد ابن علىّ عن الجزيرة ، وولّى مكانه زفر بن عاصم الهلالىّ .

* ذكر السبب فى عزله إياه :

ذُكر أن المهدىّ سلك فى سَفْرته هذه طريق الموصل ، وعلى الجزيرة عبد الصمد بن علىّ ، فلما شخص المهدىّ من الموصل ، وصار بأرض الجزيرة ، لم يتلقّه عبد الصمد ولا هيّأ له نُزُلاً ، ولا أصلح له قناطر . فاضطغن ذلك عليه المهدىّ ، فلما لقيه تجهّمه وأظهر له جفاءً ، فبعث إليه عبد الصمد بألطاف لم يرضَها ، فردّها عليه ، وازْداد عليه سخطًا ، وأمر بأخذه بإقامة النُّزُل له ، فتعبّث فى ذلك ، وتقنّع ، ولم يزل يربى ما يكرهه إلى أن نزل حصن ٣/٤٩٩

(١) س : « إليه » .
(٢) ج : « إليه » .
(٣) س : « فى سفرى » .
(٤) ساقطة من ط ، وأثبتها من ا .

مسلمة ، فدعا به ، وجرى بينهما كلامٌ أغلظ له فيه القولَ المهدىّ ، فردّ عليه عبد الصمد ولم يحتمله ، فأمر بحبسه وعَزْله عن الجزيرة ، ولم يزل فى حبسه فى سفره ذلك وبعد أن رجع إلى أن رضى عنه . وأقام له العبّاس بن محمد النزُّل ، حتى انتهى إلى حلَب ، فأتته البشرى بها بقتل المقنّع ، وبعث وهو بها عبد الجبار المحتسب لجلب من بتلك الناحية من الزنادقة . ففعل ، وأتاه بهم ، وهو بدابِق ، فقتل جماعة منهم وصلّبهم ، وأُتِيَ بكتب من كتبهم فقطِّعت بالسكاكين ثم عرض بها جندَه ، وأمر بالرحلة ، وأشخص جماعة ممّن وافاه من أهل بيته مع ابنه هارون إلى الروم ، وشيّع المهدىّ ابنَه هارون حتى قطع الدّرْب ، وبلغ جيحان ، وارتاد بها المدينة التى تسمى المهديّة ، وودّع هارون على نهر جيحان . فسار هارون حتى نزل رستاقاً من رساتيق أرض الرُّوم فيه قَلْعة ، يقال لها سَمالو ، فأقام عليها ثمانيًا وثلاثين ليلة ، وقد نصب عليها المجانيق ، حتى فتحها الله بعد تخريب لها ، وعطش وجوع أصاب أهلها ، وبعد قتل وجراحات كانت فى المسلمين ؛ وكان فتحها على شروط شرطوها لأنفسهم : لا يُقتَلوا ولا يُرحّلوا ، ولا يُفرّق بينهم ؛ فأعطُوا ذلك ، فنزلوا ، ووفّى لهم ، وقفل هارون بالمسلمين[1] سالمين إلا من كان أصيب منهم بها . ٣/٥٠٠

* * *

وفى هذه السنة وفى سَفْرته هذه ، صار المهدىّ إلى بيت المقدس ، فصلّى فيه[2] ، ومعه العباس بن محمد والفضل بن صالح وعلىّ بن سليمان وخاله يزيد ابن منصور .

وفيها عزل المهدىّ إبراهيمَ بن صالح عن فلسطين ، فسأله يزيد بن منصور حتى ردّه عليها .

وفيها ولّى المهدىّ ابنَه هارون المغرب كله وأذْرَبيجان وإرمينيَة ، وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى ، وعلى رسائله يحيى بن خالد بن برمك .

---

(١) س : « وقفل بهم هارون » . (٢) س : « به » .

وفيها عزَل زُفَر بن عاصم عن الجزيرة، وولّى مكانه عبد الله بن صالح ابن عليّ ، وكان المهديّ نزل عليه فى مسيره[1] إلى بيت المقدس، فأعجب بما رأى من منزله بسَلَمْية .

وفيها عزل معاذ بن مسلم عن خُراسان وولاها المسيّب بن زهير .

وعزل فيها يحيى الحرَشيّ عن أصبهان ، وولّى مكانه الحكم بن سعيد .

وعزل فيها سعيد بن دَعْلج عن طَبَرستان والرُّويان ، وولاّهما عمر ابن العَلاء .

وفيها عزل مُهلهل بن صفوان عن جُرجان ، وولاّها هشام بن سعيد. ٣/٥٠١

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عليّ بن المهديّ .

وكان على اليمامة والمدينة ومكة والطائف فيها جعفر بن سليمان ، وعلى الصلاة والأحداث بالكُوفة إسحاق بن الصباح ، وعلى قضائها شريك ، وعلى البصرة وأعمالها وكور دِجْلة والبحرين وعُمان والفُرَض وكور الأهواز وكُور فارس محمد بن سليمان ، وعلى خُراسان المسيّب بن زهير، وعلى السِّند نصر بن محمد ابن الأشعث .

---

(١) س : «مرّه» .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب من دَرب الحدَث ، فأقبل إليه ميخائيل البِطْريق – فيما ذكر – فى نحو من تسعين ألفًا ، فيهم طازاذ الأرمنى البطريق ، ففشل عنه عبد الكبير ومنع المسلمين من القتال وانصرف ، فأراد المهدىّ ضرب عنقِه ، فكُلِّم فيه فحبسه فى المطبق .

وفيها عزل المهدىّ محمد بن سليمان عن أعماله ، ووجّه صالح بن داود على ما كان إلى محمد بن سليمان ، ووجّه معه عاصم بن موسى الخراسانىّ الكاتب على الخراج ، وأمره بأخذ حمّاد بن موسى كاتب محمد بن سليمان وعبيد الله بن عمر خليفته وعماله وتكشيفهم . ٣/٥٠٢

وفيها بَنَى المهدىّ بعيساباذ الكبرى قصراً من لَبِن ، إلى أن أسس قصره الذى بالآجرّ : الذى سماه قصر السلامة ؛ وكان تأسيسه إياه يوم الأربعاء فى آخر ذى القعدة .

وفيها شخص المهدىّ حين أسس هذا القصر إلى الكوفة حاجًّا ، فأقام برُصافة الكوفة أيّامًا ، ثم خرج متوجّهًا إلى الحجّ ، حتى انتهى إلى العَقَبة ، فغلاَ عليه وعلى مَنْ معه الماء ، وخاف ألاّ يحمله ومَنْ معه ما بين أيديهم ، وعرضتْ له مع ذلك حُمّى ، فرجع من العقبة ، وغضب على يقطين بسبب الماء ؛ لأنه كان صاحبَ المصانع ، واشتدّ على الناس العَطَش فى منصرَفهم وعلى ظهرهم[١] حتى أشفَوْا على الهَلَكة .

وفيها تُوفِّىَ[٢] نصر بن محمد بن الأشعث بالسند .

وفيها عزل عبد الله بن سليمان عن اليَمن عن سَخْطة ، ووجّه مَنْ يستقبله

(١) س : « دوابهم » . (٢) س : « مات » .

ويفتش متاعه ، ويحصى ما معه ، ثم أمر بحبسه[1] عند الرّبيع حين قدم ، حتى أقرّ من المال والجوهر والعنبر بما أقرّ به ، فردّه إليه ، واستعمل مكانه منصور بن يزيد بن منصور .

٥٠٣/٣ وفيها وجّه المهدىّ صالح بن أبى جعفر المنصور من العقَبة عند انصرافه عنها إلى مكة ليحجّ بالناس ، فأقام صالح للناس الحجّ فى هذه السنة .

* * *

وكان العامل على المدينة ومكة والطائف واليمامة فيها جعفر بن سليمان ، وعلى اليمن منصور بن يزيد بن منصور ، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها هاشم ابن سعيد بن منصور ، وعلى قضائها شريك بن عبد الله ، وعلى صلاة البصرة وأحداثها وكُور دِجْلة والبحرين وعُمان والفرض وكُور الأهواز وفارس صالح ابن داود بن علىّ ، وعلى السِّند سطيح بن عمر ، وعلى خُراسان المسيّب بن زهير ، وعلى المَوْصِل محمد بن الفضل . وعلى قضاء البصرة عبيد الله بن الحسن ، وعلى مصر إبراهيم بن صالح ، وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم ، وعلى طَبَرِسْتان والرّويان وجُرجان يحيى الحَرَشِىّ ، وعلى دَنْباوَنْد وقُومِس فراشة مولى أمير المؤمنين ، وعلى الرّىّ خلَف بن عبد الله ، وعلى سِجِسْتَان سعيد بن دَعْلَج .

---

(١) ج : « ثم حبس » .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[غزوة هارون بن المهدىّ الصائفة ببلاد الروم]

فمن ذلك غزوة هارون بن محمد المهدىّ الصائفة ، ووجّهه أبوه — فيما ذكر — يوم السّبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة غازيًا إلى بلاد الروم ، وضمّ إليه الربيع مولاه ، فوغل هارون فى بلاد الروم ، فافتتح ماجِدة ، ولقيته خيول نقيطا قومِس القوامسة ، فبارزه يزيد بن مزيد ، فأرجل يزيد ، ثم سقط نقيطا ، فضربه يزيد حتى أثخنَه ، وانهزمت الرُّوم ، وغلب يزيد على عسكرهم . وسار إلى الدُّمُسْتُق بنقُمودية وهو صاحب المسالح ، وسار هارون فى خمسة وتسعين ألفا وسبعمائة[1] وثلاثة وتسعين رجلاً ، وحمل لهم من العَيْن مائة ألف دينار وأربعة[2] وتسعين ألفا وأربعمائة وخمسين ديناراً ، ومن الوَرِق أحداً وعشرين ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة عشر ألفًا وثمانمائة درهم . وسار هارون حتى بلغ خليج البحر الذى على القسطنطينية ، وصاحب الرُّوم يومئذ أغُسْطه امرأة أليون ؛ وذلك أن ابنها كان صغيراً قد هلك أبوه وهو فى حجرها ، فجرت بينهما وبين هارون بن المهدىّ الرّسل والسفراء فى طلب الصلح والموادعة وإعطائه الفِديْة ، فقبل ذلك منها هارون ، وشرط عليها الوفاء بما أعطت له ، وأن تقيم له الأدلاّء والأسواق فى طريقه ؛ وذلك أنه دخل مدخلا صعبًا[3] مخوّفا على المسلمين ، فأجابته إلى ما سأل ، والذى وقع عليه الصلح بينه وبينها تسعون أو سبعون ألف دينار ، تؤديها فى نيسان الأول فى كلّ سنة ، وفى حزيران ، فقبِل ذلك منها ، فأقامت له الأسواق فى منصرَفه ، ووجّهت معه رسولاً إلى المهدىّ بما بذلت على أن تؤدّى ما تيسّر من الذهب والفضة والعَرْض ، وكتبوا

٣/٥٠٤

(١) ابن الأثير : « وتسعمائة » . (٢) ابن الأثير : « ثلاثة » .
(٣) س : « ضيقا » .

كتاب الهدنة إلى ثلاث سنين، وسُلِّمَت الأسارَى. وكان الذى أفاء الله على ٣/٥٠٥ هارون إلى أن أذعنت الروم بالجزية خمسة آلاف رأس وستمائة وثلاثة وأربعين رأسًا، وقتل من الروم فى الوقائع أربعة وخمسون ألفًا، وقتِل من الأسارى صبراً ألفان وتسعون أسيراً. ومما أفاء الله عليه من الدوابّ الذُّلل بأدراتها عشرون ألف دابّة، وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس. وكانت المرتزقة سوى المطّوعة وأهل الأسواق مائة ألف، وبيع البرذَوْن بدرهم، والبغل بأقلّ من عشرة دراهم، والدِّرْع بأقلّ من درهم وعشرين سيفًا بدرهم، فقال مروان بن أبى حفصة فى ذلك:

أطفْتَ بِقُسْطَنْطِينَةِ الروم مُسْنِدًا إليها القَنَا حتى اكتسَى الذِّلَّ سورها[1]

وما رِمْتَها حتى أتَتك مُلوكُهَا بِجِزْيتها، والحَرْبُ تغلِى قدورُها

* * *

وفيها عزل خلَف بن عبد الله عن الرىّ، وولاّها عيسى مولى جعفر.

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن أبى جعفر المنصور.

وكانت عمّال الأمصار فى هذه السنة هم عمّالها فى السنة الماضية؛ غير أن العامل على أحداث البصرة والصلاة بأهلها كان رَوْح بن حاتم، وعلى كُور دِجْلة والبحرين وعُمان وكسْكَر وكُور الأهواز وفارس وكرمان كان المعلى مولَى أمير المؤمنين المهدىّ، وعلى السّند الليث مولى المهدىّ.

---

(١) الذل بالكسر: اللين.

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

٥٠٦/٣

فمن ذلك قفول هارون بن المهديّ ؛ ومَنْ كان معه من خليج قسطنطينية فى المحرّم لثلاث عشرة ليلة بقيت منه، وقدمت الروم بالجزية معهم ، وذلك – فيما قيل – أربعة وستون ألف دينار عدد الروميّة[1] وألفان وخمسمائة دينار عربية ، وثلاثون ألف رطل مَرْعِزيّ[2] .

وفيها أخذ المهديُّ البيعةَ على قُوّاده لهارون بعد موسى بن المهديّ ، وسماه الرّشيد .

وفيها عَزَل عبيد الله بن الحسن عن قضاء البصرة، وولّى مكانه خالد بن طَلِيق بن عمران بن حصين الخُزاعيّ ، فلم تُحْمَد[3] ولايته، فاستعفى أهل البصرة منه .

وفيها عزل جعفر بن سليمان عن مكة والمدينة ، وما كان إليه من العمل .

* * *

وفيها سخط المهديّ على يعقوب بن داود .

ذكر الخبر عن غضب المهديّ على يعقوب

ذكر عليّ بن محمد النوفليّ ، قال : سمعت أبى يذكر ، قال : كان داود بن طَهْمان – وهو أبو يعقوب بن داود – وإخوته كتّاباً لنصر بن سيّار ، وقد كتب داود قبله لبعض وُلاة خراسان ؛ فلما كانت أيام يحيى بن زيد كان يدسّ إليه وإلى أصحابه بما يسمع من نصر ، ويحذّرهم ؛ فلما خرج أبو مسلم يطلب بدم يحيى بن زيد ويقتل قَتَلَتَه والمعيّنين عليه من أصحاب نصر ، أتاه داود ابن طَهْمان مطمئنًّا لما كان يعلم ممّا جرى بينه وبينه ، فآمنه أبو مسلم ، ولم

---

(١) س : « عدداً رومية » .

(٣) س : « فلم يحمدوا » .

(١) المرعزى : اللين من الصوف .

٥٠٧/٣ يعرِض له فى نفسه ، وأخذ أمواله التى استفاد أيام نصر ، وترك منازله وضيعته التى كانت له ميراثًا بمرْو ، فلما مات داود خرج ولده أهلَ أدب وعلم بأيام الناس وسيرهم وأشعارهم، ونظروا فإذا ليست لهم عند بنى العباس منزلة، فلم يطمعوا فى خدمتهم لحال أبيهم من كتابة نصر ؛ فلما رأوا ذلك أظهروا مقالة الزيديّة ، ودنوْا من آل الحسين ، وطمعوا أن يكون لهم دَوْلة فيعيشوا فيها . فكان يعقوب يجول البلاد منفرداً بنفسه ، ومع إبراهيم بن عبد الله أحيانًا ، فى طلب البيعة لمحمد بن عبد الله ، فلما ظهر محمد وإبراهيم بن عبد الله كتب علىّ ابن داود — وكان أسنّ من يعقوب — لإبراهم بن عبد الله ، وخرج يعقوب مع عدّة من إخوته مع إبراهيم ؛ فلما قتِل محمد وإبراهيم توارَوْا من المنصور ، فطلبهم ، فأخذ يعقوب وعليًّا فحبسهما فى المطبَق أيّام حياته ، فلما تُوفِّىَ المنصور منّ عليهما المهدىّ فيمن منّ عليه بتخلية سبيله ، وأطلقهما . وكان معهما فى المطبق إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن — وكانا لا يفارقانه — وإخوته الذين كانوا محتبَسين معه ، فجرت بينهم بذلك الصداقة . وكان إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن يرى أنّ الخلافة قد تجوز فى صالحى بنى هاشم جميعًا ، فكان يقول : كانت الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصلُح إلا فى بنى هاشم ؛ وهى فى هذا الدهر لا تصلح إلا فيهم ؛ وكان يكثر فى قوله للأكبر من بنى عبد المطلب ؛ وكان هو ويعقوب بن داود يتجاريان ذلك ؛ فلما خلّى

٥٠٨/٣ المهدىّ سبيلَ يعقوب مكث المهدىّ برهة من دهره يطلب عيسى بن زيد والحسن ابن إبراهيم بن عبد الله بعد هرب[1] الحسن من حبسه ، فقال المهدىّ يومًا : لو وجدتُ رجلاً من الزيديّة له معرفة بآل حسن وبعيسى بن زيد ، وله فقه فأجتلبهُ إلىّ على طريق الفقه ، فيدخل بينى وبين آل حسن وعيسى بن زيد ! فدُلّ على يعقوب بن داود ، فأتِىَ به فأدخِل عليه ، وعليه يومئذ فَرْوٌ وخُفًّا كبْل[2] وعمامة كَرابيس وكِساء أبيض غليظ . فكلّمه وفاتحه ، فوجده رجلاً كاملا ، فسأله عن عيسى بن زيد ؛ فزعم النّاس أنه وعده الدخول بينه وبينه ، وكان يعقوب ينتفِى من ذلك ؛ إلاّ أنّ الناس قد رموْه بأن منزلته عند المهدىّ إنما

---

(١) ج : « هروب » . (٢) فى اللسان :« فرو كبل كثير الصوف ثقيل » .

كانت للسعاية بآل علىّ . ولم يزل أمره يرتفع عند المهدىّ ويعلو حتى استوزره، وفوّض إليه أمر الخلافة ؛ فأرسل إلى الزيديّة ، فأتى بهم مِنْ كلّ أوب ، وولاهم من أمور الخلافة فى المشرق والمغرب كلّ جليل وعمل نفيس ، والدنيا كلها فى يديه ، ولذلك يقول بشار بن برد :

بَنِى أُمَيَّةَ هُبُّوا طالَ نَومكُمُ إنَّ الخَلِيفَةَ يعقوبُ بن داودِ
ضاعَتْ خلافَتُكمْ يا قَوْمِ فاطَّلِبوا[(١)] خَلِيفَةَ اللهِ بَيْنَ الدُّفِّ والعودِ[(٢)]

قال : فحسده موالى المهدىّ ، فسعوْا عليه .

ومما حظِىَ به يعقوب عند المهدىّ، أنه استأمنه للحسن بن إبراهيم بن عبد الله، ودخل بينه وبينه حتى جمع بينهما بمكّة. قال : ولما علم آل الحسن بن علىّ بصنيعه استوحشوا منه ، وعلم يعقوب أنه إن كانت لهم دولة لم يعشْ فيها، وعلم أنّ المهدىّ لا يناظره لكثرة السعاية به إليه ، فمال يعقوب إلى إسحاق بن الفضل، وأقبل يربّصُ له الأمور وأقبلت السعايات ترِدُ على المهدىّ بإسحاق حتى قيل له : إن المشرق والمغرب فى يد يعقوب وأصحابه ؛ وقد كاتبهم ؛ وإنما يكفيه أن يكتب إليهم فيثوروا فى يوم واحدٍ على ميعاد، فيأخذوا الدنيا لإسحاق بن الفضل ؛ فكان ذلك قد ملأ قلب المهدىّ عليه .

٥٠٩/٣

قال علىُّ بن محمد النوفلىّ : فذكر لى بعض خدم المهدىّ أنه كان قائمًا على رأسه يومًا يذبّ عنه ، إذ دخل يعقوب ، فجثا بين يديه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قد عرفت اضطراب أمر مصر ، وأمرتنى أن ألتمس لها رجلا يجمع أمرها ، فلم أزل أرتاد حتى أصبت لها رجلا يصلح لذلك . قال : ومَنْ هو ؟ قال : ابن عمّك إسحاق بن الفضل ، فرأى يعقوب فى وجهه التغيّر[(٣)] ، فنهض فخرج، وأتبعه المهدىّ طرفه ، ثم قال: قتلنى الله إن لم أقتلك ! ثم رفع رأسه إلىّ وقال : اكتم علىّ ويلك ! قال : ولم يزل مواليه يحرّضونه عليه ويُوحشونه منه ، حتى عزم[(٤)] على إزالة النعمة عنه .

---

(١) ابن الأثير : « فالتمسوا » .
(٢) ابن الأثير : « بين الناى والعود » .
(٣) ج : « التغيير » .
(٤) ج : « خرج » .

وقال موسى بن إبراهيم المسعودىّ: قال المهدىّ: وُصف لى يعقوب بن داود فى منامى، فقيل لى أن اتّخذْه وزيراً. فلما رآه، قال: هذه والله الخلقة التى رأيتُها فى منامى، فاتخذه وزيراً، وحظِىَ عنده غاية الحظوة، فمكث حيناً حتى بنى عيساباذ، فأتاه خادم من خدَمه – وكان حظيًّا عنده – فقال له: إن أحمد بن إسماعيل بن علىّ، قال لى: قد بنى متنزَّهاً أنفق عليه خمسين ألف ألف من بيت مال المسلمين، فحفظها عن الخادم، ونسى أحمد ابن إسماعيل، وتوهّمها على يعقوب بن داود، فبينا يعقوب بين يديه إذْ لببه، فضرب به الأرض، فقال: مالى ولك يا أمير المؤمنين! قال: ألست القائل: إنى أنفقت على متنزَّه لى خمسين ألف ألف! فقال يعقوب: والله ما سمعتْه أذناى، ولا كتبه الكرام الكاتبون؛ فكان هذا أوّلَ سبب أمره. ٣/٥١٠

قال: وحدّثنى أبى، قال: كان يعقوب بن داود قد عرف عن المهدىّ خلعاً واستهتاراً بذكر النساء والجماع، وكان يعقوب بن داود يصف من نفسه فى ذلك شيئاً كثيراً، وكذلك كان المهدىّ، فكانوا يخلُون بالمهدىّ ليلا فيقولون: هو على أن يصبح فيثور بيعقوب؛ فإذا أصبح غدا عليه يعقوب وقد بلغه الخبر، فإذا نظر إليه تبسّم، فيقول: إنّ عندك لخبراً! فيقول: نعم، فيقول: اقعد بحياتى فحدّثنى، فيقول: خلوت بجاريتى البارحة، فقالت وقلت، فيصنع لذلك حديثاً، فيحدّث المهدىّ بمثل ذلك، ويفترقان على الرضا، فيبلغ ذلك مَنْ يسعى على يعقوب، فيتعجّب منه.

قال: وقال لى الموصلىّ: قال يعقوب بن داود للمهدىّ فى أمر أراده: هذا والله السرف، فقال: ويلك! وهل يحسن السرف إلا بأهل الشرف! ويْلك يا يعقوب، لولا السرف لم يعرَف المكثِرون من المقترين!

وقال علىّ بن يعقوب بن داود عن أبيه، قال: بعث إلىّ المهدى يوماً، فدخلت عليه، فإذا هو فى مجلس مفروش بفَرْش مُوَرّد متناهٍ فى السرور [1] على بستان فيه شجر، ورءوس [2] الشجر مع صحن المجلس، وقد اكتسى ٣/٥١١

(١) ج: «فى الحسن». (٢) ج: «وبين».

ذلك الشجر بالأوراد[١] والأزهار من الخَوْخ والتفاح ، فكلّ ذلك موردٌ يشبه فرش المجلس الذى كان فيه ، فما رأيت شيئاً أحسَن منه ؛ وإذا عنده جارية مارأيتُ أحسنَ منها ، ولا أشطّ قَواماً ، ولا أحسن اعتدالاً ، عليها نحو تلك الثياب ، فما رأيت أحسن من جملة ذلك. فقال لى : يا يعقوب ، كيف ترى مجلسنا هذا ؟ قلت : على غاية الحسن ، فمتّع الله أمير المؤمنين به ، وهنّأه إياه ، فقال : هو لك ، احمله بما فيه وهذه الجارية[٢] ليتمّ سرورك به . قال : فدعوت له بما يجب[٣] . قال : ثم قال : يايعقوب ، ولى إليك حاجة ، قال : فوثبتُ قائماً ثم قلت : يا أميرَ المؤمنين ، ما هذا إلا من موجدة[٤] ، وأنا أستعيذ بالله من سخط أمير المؤمنين ! قال : لا ، ولكن أحبّ أن تضمن لى قضاء هذه الحاجة فإنى لم أسألكها من حيث تتوهّم ، وإنما قلت ذلك على الحقيقة ، فأحبّ أن تضمنَ لى هذه الحاجة وأن تقضيَها لى ، فقلت : الأمر لأمير المؤمنين وعلىّ السمع والطاعة ، قال : — والله — قلت والله ثلاثاً — قال : وحياة رأسى ! قلت : وحياة رأسك ، قال : فضع يدك عليه واحلف به ، قال : فوضعت يدى عليه ، وحلفت له به لأعملنّ بما قال ، ولأقضينّ حاجته . قال : فلما استوثق منى فى نفسه ، قال : هذا فلان بن فلان ، من ولد علىّ ، أحبّ أن تكفينى مؤونته ، وتريحنى منه ، وتعجّل ذلك . قال : قلت : أفعل ، قال : فخذه إليك ، فحوّلته إلىّ ، وحوّلت الجارية وجميع ما كان فى البيت من فرش وغير ذلك ، وأمر لى معه بمائة ألف درهم . ٥١٢/٢

قال : فحملت ذلك جملة ، ومضيتُ به ، فلشدّة سرورى بالجارية صيّرتها فى مجلس بينى وبينها ستر ، وبعثتُ إلى العلوىّ ، فأدخلته على نفسى ، وسألته عن حاله ، فأخبرنى بها ، وبجُمَلٍ منها ، وإذا هو ألبّ الناس وأحسنُهم إبانة .

قال : وقال لى فى بعض ما يقول : وَيحْك يا يعقوب ! تلقى الله بدمى ، وأنا رجل من ولد فاطمة بنت محمد ! قال : قلت : لا والله ، فهل فيك خير ؟

(١) ج : « بالأنوار » .
(٢) س : « وخذه والجارية » .
(٣) ا ، ج : « يحب » .
(٤) ا : « لموجدة » ، س : « بموجدة » .

قال : إن فعلتَ خيراً شكرتُ ولك عندى دعاء واستغفار . قال : فقلت له أىّ الطرق أحبُّ إليك ؟ قال : طريق كذا وكذا ، قلتُ : فَمن هناك ممّن تأنس به وتثق بموضعه ؟ قال : فلان وفلان ، قلت : فابعث إليهما ، وخُذْ هذا المال ، وامض معهما مصاحبًا فى ستر الله ، وموعدك وموعدهما للخروج من دارِى إلى موضعِ كذا وكذا ـ الذى اتفقوا عليه ـ فى وقت كذا وكذا من الليل ؛ وإذا الجارية قد حفظت علىّ قولى ؛ فبعثتْ به مع خادم لها إلى المهدىّ، وقالت : هذا جزاؤك من الذى آثرته على نفسك ؛ صنع وفعل كذا وكذا ؛ حتى ساقت الحديث كلّه . قال : وبعث المهدىّ من وقته ذلك ، فشحن تلك الطرُق والمواضع التى وصفها يعقوب والعلوىّ برجاله ، فلم يلبث أن جاءوه بالعلوىّ بعينه وصاحبيْه والمال ، على السجيّة التى حكتها الجارية . قال : وأصبحتُ من غدِ ذلك اليوم ، فإذا رسولُ المهدىّ يستحضرنى ـ قال : وكنتُ خالىَ الذرع غيرُ ملقٍ إلى أمر العلَوىّ بالاً(١) حتى أدخُل على المهدىّ، وأجده على كرسىّ ٥١٢/٣ بيده مخصرة ـ فقال : يا يعقوب ، ما حال الرجل ؟ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، قد أراحك الله منه ، قال : مات ؟ قلت : نعم ، قال : والله ، ثم قال : قم فضع يدَك على رأسى ؛ قال : فوضعت يدى على رأسه ، وحلفتُ له به . قال : فقال : يا غلام ، أخرج إلينا ما فى هذا البيت(٢) ، قال : ففتح بابه عن العلوىّ وصاحبيه والمال بعينه . قال : فبقيتُ متحيّراً ، وسُقِط(٣) فى يدى ، وامتنع منى الكلام ، فما أدرى ما أقول ! قال : فقال المهدىّ : لقد حلّ لى دمك لو آثرتُ إراقته ، ولكن احبسوه فى المطبَق ؛ ولا أذكَّر به ، فحبِستُ فى المطبَق ، واتُّخذ لى فيه بئرٌ فدُلِّيت فيها ، فكنت كذلك أطولَ مدّة لا أعرف عدد الأيام(٤) وأصِبْتُ ببصرى ، وطال شعرى ؛ حتى استرسل كهيئة شعور البهائم. قال : فإنى لكذلك ، إذ دُعى بى فمُضِىَ بى إلى حيث لا أعلم أين هو ، فلم أعْدُ أن قيل لى : سلّم على أمير المؤمنين ، فسلمت ، فقال : أىّ أمير المؤمنين أنا ؟ قلت : المهدىّ ، قال : رحم الله المهدىّ ، قلت : فالهادى ؟ قال : رحم الله الهادى ، قلت : فالرّشيد ؟ قال : نعم ؛ قلت : ما أشكّ فى وقوف(٥)

---

(١) كذا فى م . (٢) ج : « من فى هذ البيت » . (٣) ج : « وأسقط » .
(٤) ا : « طول مدة لا أعددها » . (٥) ا : « وقوع » .

أمير المؤمنين على خبرى وعلّتى وما تناهتْ إليه حالى ، قال : أجل ، كلُّ ذلك عندى قد عرف أمير المؤمنين ، فسَلْ حاجتَك ، قال : قلت : المقام بمكّة ، قال : نفعل ذلك ، فهل غير هذا ؟ قال : قلت : ما بقى فىّ مستَمتع لشىء ولا بلاغ ، قال : فراشداً . قال : فخرجتُ فكان وجهى إلى مكة . قال ابنه : ولم يزل بمكة فلم تطُل أيامه بها حتى مات .

٣/٥١٤ قال محمد بن عبد الله : قال لى أبى : قال يعقوب بن داود : وكان المهدىّ لا يشرب النّبيذَ إلاّ تحرّجًا[1] ؛ ولكنه كان لا يشتهيه ؛ وكان أصحابه : عمر بن بزَيع والمعلّى مولاه والمفضّل ومواليه يشربون عنده بحيث يراهم ، قال : وكنت أعِظُه فى سَقْيهم النبيذ وفى السماع ، وأقول : إنه ليس على هذا استوزرتَنى ولا على هذا صحبتك ؛ أبعْد الصّلوات الخمس[2] فى المسجد الجامع ، يُشرب عندك النبيذ وتسمع السماع ! قال : فكان يقول : قد سمع عبدُ الله بن جعفر ، قال : قلت : ليس هذا من حسناته ؛ لو أنّ رجلا سمع فى كلّ يوم كان ذلك يزيده قربة من الله أو بعداً !

وقال محمد بن عبد الله : حدّثنى أبى ، قال : كان أبى يعقوب بن داود قد ألحّ على المهدىّ فى حَسْمِه عن السماع وإسقائه النبيذ حتى ضيّق عليه ؛ وكان يعقوب قد ضجِر بموضعه ، فتاب إلى الله مما هو فيه ؛ واستقبل وقدّم النّيّة فى تركه موضعه . قال : فكنت أقول للمهدىّ : يا أمير المؤمنين ؛ والله لشربةُ خمر أشربها أتوب إلى الله منها أحبّ إلىّ مما أنا فيه ؛ وإنى لأركب إليك فأتمنى يداً خاطئة تصيبنى فى الطريق ، فأعفنى وولّ غيرى مَنْ شئت ؛ فإنى أحبّ أن أسلِّم عليك أنا وولدى ؛ ووالله إنى لأتفزّع فى النوم ؛ ولّيتَنى أمور المسلمين[3] وإعطاء الجند ، وليس دنياك عوضًا من آخرتى . قال : فكان يقول لى : اللهم غفراً ! اللهم أصلح قلبه ، قال : فقال شاعر له :

فَدَعْ عنك يعقوبَ بنَ داودَ جانباً وأَقبِلْ على صَهباءَ طَيِّبةِ النَّشرِ

---

(١) كذا فى ا ، س ، وفى ط : « لا تحرجا » .
(٢) س : « صلاة الخمس » ، ابن الأثير : « بعد الصلوات الخمس » .
(٣) ج : « الناس » .

٥١٥/٣

قال عبد الله بن عمر : وحدّثنى جعفر بن أحمد بن زيد العلوىّ ، قال : قال ابن سلاّم : وهب المهدىّ لبعض ولد يعقوب بن داود جارية ً، وكان بِضَعف[1] قال : فلمّا كان بعد أيام ، سأله عنها ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ ما رأيتُ مثلها ، ما وضعتُ بينى وبين الأرض مطيّة ً أوطأ منها حاشا سامع . فالتفت المهدىّ إلى يعقوب ، فقال له : من تراه يَعْنى ؟ يعنينى أو يعنيك ؟ فقال له يعقوب : من كلّ شىء تحفظ الأحمقَ إلاّ من نفسه .

وقال علىّ بن محمد النوفلىّ : حدّثنى أبى ، قال : كان يعقوب بن داود يدخلُ على المهدىّ فيخلو به ليلاً يحادثه ويسامره ؛ فبينما هو ليلةً عنده ؛ وقد ذهب من الليل أكثرُه ، خرج يعقوب من عنده ، وعليه طيلسان مصبوغ هاشمىّ ؛ وهو الأزرق الخفيف ؛ وكان الطّيْلسان قد دق دقًّا شديداً فهو يتقعقع[2] ، وغلام آخذ بعنان دابّة له شهباء[3] ، وقد نام الغلام ، فذهب يعقوب يسوّى طيلسانَه فتقعقع ، فنفر البِرْذونُ ، ودنا منه يعقوب ، فاستدبره فضربه ضربة على ساقه فكسرها ، وسمع المهدىّ الوجبَة َ، فخرج حافيًا ؛ فلما رأى ما به أظهر الجزع والفَزَع ، ثم أمر به فحمِل فى كرسىّ إلى منزله ، ثم غدا عليه المهدىّ مع الفجر ؛ وبلغ ذلك الناس ، فغدَوْا عليه ، فعاده أيامًا ثلاثة متتابعة ، ثم قعد عن عيادته[4] ، وأقبل يرسل[5] إليه يسأله عن حاله ؛ فلما فَقَد وجهه ، تمكن السعاة من المهدىّ ، فلم تأتِ عليه عاشرة حتى أظهر السّخط عليه ، فتركه فى منزله يعالج ، ونادى فى أصحابه : لا يوجد أحدٌ عليه طيلسان يعقوبىّ ، وقلنسوة يعقوبية إلاّ أخذتُ ثيابُه . ثم أمر بيعقوب فحبِس فى سجن نصر .

٥١٦/٣

قال النوفلىّ : وأمر المهدىّ بعزْل أصحاب يعقوب عن الولايات فى الشَّرْق والغرب ، وأمر أن يؤخذ أهلُ بيته ، وأن يُحبَسُوا ففعل ذلك بهم .

وقال علىّ بن محمد: لما حبِس يعقوب بن داود وأهل بيته ، وتفرّق عماله

---

(١) ج : « لضعف » . ا : « يضعف » . (٢) يتقعقع ، أى يحدث صوتاً .
(٣) ا : « أشهب » . (٤) ج : « عادته » .
(٥) ج : « وارسل » .

واختفوْا وتشرّدوا ، أذكـِر المهدىّ قصّته وقصة إسحاق بن الفضل ، فأرسل إلى إسحاق ليلا وإلى يعقوب ، فأتِـىَ به من محبسه ، فقال : ألم تخبرنى بأنّ هذا وأهل بيته يزعمون أنّهم أحق بالخلافة منا أهلَ البيت ؛ وأن لهم الكبر علينا ! فقال له يعقوب : ما قلتُ لك هذا قطّ ، قال : وتكذّبنى وتردّ علىّ قولى ! ثم دعا له بالسِّياط فضربه اثنى عشر سوطًا ضربًا مبرّحًا ، وأمر به فرُدّ إلى الحبس .

قال : وأقبل إسحاق يحلِف أنه لم يقُلْ هذا قطّ ، وأنه ليس من شأنه. وقال فيما يقول : وكيف أقول هذا يا أمير المؤمنين ، وقد مات جدّى فى الجاهليّة وأبوك الباقى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارثه ! فقال : أخرجوه ، فلما كان من الغد دعا بيعقوب ، فعاوده الكلام الذى كلمه فى ليلته ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لا تعجل علىّ حتى أذكّرك ، أتذكر وأنت فى طارمة[1] على النّهر ؛ وأنت فى البستان وأنا عندك ؛ إذ دخل أبو الوزير — قال علىّ : وكان أبو الوزير ختَنَ يعقوب بن داود على ابنة صالح بن داود — فخبّرك هذا الخبر عن إسحاق ؟ قال : صدَقت يا يعقوب ، قد ذكرتُ ذلك ، فاستحى المهدىّ ، واعتذر إليه من ضربه ، ثم ردّه إلى الحبس ، فمكث محبوسًا أيام المهدىّ وأيام موسى كلّها حتى أخرجه الرّشيد بميله كان إليه فى حياة أبيه .

٣/٥١٧

* * *

وفيها خرج موسى الهادى إلى جُرجان ، وجعل على قضائه أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم .

وفيها تحوّل المهدىّ إلى عيساباذ فنزلها ، وهى قصر السلامة ، ونزل الناس بها معه ، وضرب بها الدنانير والدراهم .

وفيها أمر المهدىّ بإقامة البَريد بين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين مكّة واليمن ؛ بغالاً وإبلا ؛ ولم يُقَم هنالك بريدٌ قبل ذلك .

وفيها اضطربت خُراسان على المسيّب بن زهير ، فولاّها الفضل بن سليمان

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة ، وهو دخيل أعجمى معرب .

الطوسىّ أبا العباس ، وضمّ إليه معها سِجِسْتان ، فاستخلف على سِجِسْتان تميم بن سعيد بن دَعْلَج بأمر المهدىّ .

وفيها أخذ داود بن روح بن حاتم وإسماعيل بن سليمان بن مجالد ومحمد ابن أبى أيوب المكى ومحمد بن طيفور فى الزّندقة ، فأقرّوا، فاستتابهم المهدىّ وخلّى سبيلَهم ، وبعث بداود بن روْح إلى أبيه روح ؛ وهو يومئذ بالبَصْرة عاملا عليها ، فمنّ عليه ، وأمره بتأديبه .

وفيها قدم الوضّاح الشرَوىّ بعبد الله بن أبى عبيد الله الوزير — وهو معاوية ابن عبيد الله الأشعرىّ من أهل الشأم — وكان الذى يسعى به ابن شَبَابة وقد رُمِىَ بالزندقة . وقد ذكرنا أمره ومقتله قبل .

وفيها ولّى إبراهيم بن يحيى بن محمد على المدينة ؛ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الطائف ومكة عبيد الله بن قُثَم .

وفيها عزل منصور بن يزيد بن منصور عن اليَمَن ، واستعمل مكانه عبد الله بن سليمان الربَعىّ .

٥١٨/٣

وفيها خلّى المهدىّ عبد الصمد بن علىّ من حبسه الذى كان فيه .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد .

وكان عامل الكوفة فى هذه السنة على الصلاة وأحداثها هاشم بن سعيد، وعلى صلاة البصرة وأحداثها رَوْح بن حاتم ، وعلى قضائها خالد بن طَليق، وعلى كور دِجلة وكَسْكر وأعمال البصرة والبَحْرين وكور الأهواز وفارس وكرمان المعلى مولى أمير المؤمنين ، وعلى خراسان وسجستان الفضل بن سليمان الطوسىّ ، وعلى مصر إبراهيم بن صالح، وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم، وعلى طَبَرِستان والرُّويان وجُرْجان يحيى الحَرَشىّ . وعلى دَنْباوند وقُومِس فَراشة مولى المَهدىّ ، وعلى الرّىّ سعد مولى أمير المؤمنين .

ولم يكن فى هذه السنة صائفة ؛ للهُدْنة التى كانت فيها .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة

ذكر الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك ما كان من توجيه المهدىّ ابنَه موسى فى جَمْع كثيف من الجُنْد، وجهازلم يُجهَّز – فيما ذكر – أحد بمثله، إلى جُرجان لحرب وَنْداهُرْمُز وشَرْوِين صاحِبَىْ طبرستان، وجعل المهدىّ حين جهز موسى إليها أبان بن صدقة على رسائله، ومحمد بن جُميل على جنده، ونُفَيعًا مولى المنصور على حجابته، وعلىّ بن عيسى بن ماهان على حرسه، وعبد الله بن خازم[1] على شُرَطه؛ فوجّه موسى الجنود إلى وانداهرمز وشروين، وأمّر عليهم يزيد بن مَزْيد، فحاصرهما.

٥١٩/٣

وفيها تُوُفِّىَ عيسى بن موسى بالكوفة، وولى الكوفة يومئذ رَوْح بن حاتم، فأشهد روحُ بن حاتم على وفاته القاضىَ وجماعة من الوجوه، ثم دُفن. وقيل إنّ عيسى بن موسى توفّىَ وروح على الكوفة، لثلاث بقِين من ذى الحِجة، فحضر رَوْح جنازته، فقيل له: تقدّم فأنت الأمير، فقال: ما كان الله ليَرى روحا يصلّى على عيسى بن موسى؛ فليتقدّم أكبر ولده، فأبوا عليه وأبى عليهم، فتقدم العباس بن عيسى، فصلّى على أبيه. وبلغ ذلك المهدىّ، فغضبَ على روح، وكتب إليه:

قد بلغنى ما كان من نُكوصك عن الصّلاة على عيسى؛ أبنفسك، أم بأبيك، أم بجدِّك كنت تصلى عليه! أوليس إنما ذلك مقامى لو حضرتُ. فإذ غبتُ كنتَ أنت أولى به لموضعك من السلطان!

وأمر بمحاسبته؛ وكان يلى الخراج مع الصّلاة والأحداث.

وتوفّىَ عيسى والمهدىّ واجدٌ عليه وعلى ولده؛ وكان يكره التقدّم عليه لجلالته.

---

(١) ط «حازم»، وهو خطأ، صوابه من ا.

٥٢٠/٣ وفيها جدّ المهدىّ فى طلب الزنادقة والبحث عنهم فى الآفاق وقتلهم، وولّى أمرهم عمر الكلواذىّ ، فأخذ يزيدَ بن الفيض كاتب المنصور ، فأقر — فيما ذكر — فحبس ، فهرب من الحبس ، فلم يقدَر عليه .

وفيها عزل المهدىّ أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل ، وولاّه الربيع الحاجب ، فاستخلف عليه سعيد بن واقد ؛ وكان أبو عبيد الله يدخل على مرتبته .

وفيها فشا الموت ، وسعال شديد ووباء شديد ببغداد والبصرة .

وفيها تُوفِّىَ أبان بن صدقة بجُرجان، وهو كاتب موسى على رسائله ، فوجّه المهدىّ مكانه أبا خالد الأحول يزيد خليفة أبى عبيد الله .

وفيها أمر المهدىّ بالزيادة فى المسجد الحرام ؛ فدخلت فيه دور كثيرة. وولّى بناء ما زيد فيه يقطين بن موسى ،فكان فى بنائه إلى أن توفِّىَ المهدىّ .

وفيها عُزل يحيى الحرشىّ عن طبرستان والرُّويان ؛ وما كان إليه من تلك الناحية، وولّيَها عمر بن العلاء، وولِّىَ جُرجان فَراشة مولى المهدىّ، وعزل عنها[1] يحيى الحرَشىّ .

وفيها أظلمت الدنيا لليالٍ بَقين من ذى الحجّة، حتى تعالى النهار.

ولم يكن فيها صائفة ، للهدنة التى كانت بين المسلمين والرّوم .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد وهو على المدينة ، ثم توفِّىَ بعد فراغه من الحجّ وقدومه المدينة بأيام،وولِّىَ مكانه إسحاق بن عيسى ابن علىّ .

وفيها طُعن عقبة بن سلم الهُنائىّ بعيساباذ ، وهو فى دار عمر بن بزيغ ؛ ٥٢١/٣ اغتاله رجل ، فطعنه بخنجر ، فمات فيها .

* * *

(١) س : « فيها » .

وكان العامل على مكّة والطائف فيها عبيد الله بن قُثَم ، وعلى اليمن سليمان بن يزيد الحارثيّ ، وعلى اليمامة عبد الله بن مُصعب الزُّبيريّ ، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها رَوْح بن حاتم، وعلى صلاة البصرة وأحداثها محمد بن سليمان، وعلى قضائها عمر بن عثمان التيميّ، وعلى كور دجْلة وكَسْكَر وأعمال البصرة والبحرين وعُمان وكُور الأهواز وفارس وكَرْمان المعلّى مولى المهديّ .

وعلى خراسان وسِجِسْتان الفَضْل بن سليمان الطوسيّ .

وعلى مصر موسى بن مصعب . وعلى إفريقيّة يزيد بن حاتم .

وعلى طبرستان والرُّويان عمر بن العلاء ، وعلى جرجان وَدنْباوند وقُومِس فراشة مولى المهديّ ، وعلى الرّيّ سعد مولى أمير المؤمنين .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من نقضِ الرّوم الصّلح الذى كان جرى بينهم وبين هارون بن المهدىّ الذى ذكرناه قبلُ وغدرِهم ؛ وذلك فى شهر رمضان من هذه السنة ؛ فكان بين أول الصلح وغدر الروم ونكثهم به اثنان وثلاثون شهراً ؛ فوجّه علىّ بن سليمان وهو يومئذ على الجزيرة وقنّسرين يزيد بن بدر بن البطّال فى سَرِيّة[1] إلى الرّوم فغنموا وظفروا .

وفيها وجّه[2] المهدىّ سعيداً الحرَشىّ إلى طبرستان فى أربعين ألف رجل .

وفيها مات عمر الكلواذىّ صاحب الزنادقة ، ووَلِّىَ مكانه حمدَوَيْه ، وهو محمد بن عيسى من أهل مَيْسان . ٣/٥٢٢

وفيها قتل المهدىّ الزنادقة ببغداد .

وفيها ردّ المهدىّ ديوانه وديوان أهل بيته إلى المدينة ونقله من دمشق إليها.

وفيها خرج المهدىّ إلى نهر الصّلة أسفل واسط — وإنما سُمِّى نهر الصِّلة فيما ذكر لأنه أراد أن يُقطِع أهل بيته وغيرهم غَلّته ؛ يصلهم بذلك .

وفيها ولّى المهدىّ علىّ بن يقطين ديوان زمام الأزمّة على عمر بن بزيع .

وذكر أحمد بن موسى بن حمزة ، عن أبيه ، قال : أوّل مَنْ عمل ديوان الزّمام عمر بن بزيع فى خلافة المهدىّ ؛ وذلك أنّه لمّا جُمعت له الدواوين تفكّر ؛ فإذا هو لا يضبطها إلاّ بزمام يكون له على كلّ ديوان ؛ فاتخذ دواوين الأزمّة ، وولّى كل ديوان رجلاً ، فكان واليه على زمام ديوان الخراج إسماعيل ابن صُبيح ؛ ولم يكن لبنى أمية دواوين أزّمة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة علىّ بن محمد المهدىّ الذى يقال له ابن رَيْطة .

---

(١) فى القاموس : « السرية من خمسة أنفس إلى ثلثمائة أو أربعمائة » ، وفى س : « فى خيل».
(٢) ج : « أوفد » .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

* * *

[ذكر الخبر عن خروج المهديّ إلى ماسبَذان]

فممّا كان فيها من ذلك خروج المهديّ في المحرّم إلى ما سَبَذان .

٥٢٢/٣ * ذكر الخبر عن خروجه إليها :

ذكر أن المهديّ كان في آخر أمره قد عزم على تقديم هارون ابنه على ابنه موسى الهادي ، وبعث إليه وهو بجُرجان بعض أهل بيته ليقطع أمر البيعة ، ويقدّم الرّشيد فلم يفعل ، فبعث إليه المهديّ بعضَ الموالي ، فامتنع عليه موسى من القدوم ، وضرب الرّسول ، فخرج المهديّ بسبب موسى وهو يريده بجُرجان فأصابه ما أصابه .

وذكر الباهليّ أن أبا شاكر أخبره — وكان من كتّاب المهديّ على بعض دواوينه — قال : سأل عليّ بن يقطين المهديَّ أن يتغدّى عنده ، فوعده أن يفعل ، ثم اعتزم على إتيان ما سَبَذان ؛ فوالله لقد أمَر بالرحيل كأنه يُساق إليها سوقًا ، فقال له عليّ : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنك قد وعدتني أن تتغدّى عندي غدًا ، قال : فاحمل غَدَاءك إلى النّهرَوان . قال : فحمله فتغدّى بالنّهروان ، ثم انطلق .

وفيها توفّي المهديّ .

* * *

[ذكر الخبر عن موت المهديّ]

* ذكر الخبر عن سبب وفاته :

اختُلف في ذلك ، فذكر عن واضح قَهرمان المهديّ ، قال : خرج المهديّ يتصيّد بقرية يقال لها الرّذّ بماسَبَذان ، فلم أزل معه إلى بعد العصر ،

وانصرفت إلى مضربى – وكان بعيداً من مضربه – فلما كان فى السَّحَر الأكبر ركبت لإقامة الوظائف ، فإنى لأسير فى بريّة ، وقد انفردت عمّن كان معى من غلمانى وأصحابى ؛ إذ لقينى أسود عريان على قَتَد(١) رَحْل ، فدنا منى ؛ ثم قال لى : أبا سهل ، عظّم الله أجرك فى مولاك أمير المؤمنين! فهممتُ أن أعلوه بالسّوط ، فغاب من بين يدىّ ؛ فلما انتهيتُ إلى الرّواق لقينى مسرور ، فقال لى : أبا سهل، عظم الله أجرك فى مولاك أمير المؤمنين ! فدخلت فإذا أنا به مسجًّى فى قبّة ، فقلت : فارقتكم بعد صلاة العصر ؛ وهو أسرّ ما كان حالا وأصحّه بدناً ، فما كان الخبر ؟ قال : طردت الكلابُ ظبياً ، فلم يزل يتبعها ، فاقتحم الظبى باب خربة ، فاقتحمت الكلاب خلفه، واقتحم الفرس خلف الكلاب ، فدُقّ ظهرُه فى باب الخرِبة ، فمات من ساعته . ٣/٥٢٤

وذكر أن علىّ بن أبى نعيم المروزىّ ، قال : بعثتْ جارية من جوارى المهدىّ إلى ضَرة لها بلِبَأ(٢) فيه سمّ ؛ وهو قاعد فى البستان، بعد خروجه من عيساباذ ، فدعا به فأكل منه ، ففرِقت الجارية أن تقول له : إنه مسموم .

وحدّثنى أحمد بن محمد الرازىّ ، أن المهدىّ كان جالساً فى عُلّيّة فى قصر بماسَبَذان ، يُشرف من منظرة فيها على سفله ، وكانت جاريته حَسَنة، قد عمدت إلى كُمَّثراتين كبيرتين(٣) ، فجعلتهما فى صينيّة ، وسمّت واحدة منهما وهى أحسنهما وأنضجهما فى أسفلها ، وردّت القِمَع فيها، ووضعتها فى أعلى الصينيّة – وكان المهدىّ يعجبه الكُمّثرى – وأرسلت بذلك مع وصيفة لها إلى جارية للمهدىّ – وكان يتحظّاها – تريد بذلك قتلها، فمرّت الوَصيفة بالصينيّة التى فيها تلك الكُمّثرى، تريد دفعها إلى الجارية التى أرسلتها حَسَنة إليها ، بحيث يراها المهدىّ من المنظرة ، فلما رآها ورأى معها الكمثرى ؛ دعا بها، فمدّ يده إلى الكُمّثراة التى فى أعلى الصينيّة وهى المسمومة، فأكلها، فلما وصلت إلى جوفه صرخ : جوفى! وسمعت حَسَنة الصوت، وأخبرت الخبر ، فجاءت ٣/٥٢٥

---

(١) القتد : من أدوات الرحل .

(٢) اللبأ : أول اللبن . (٣) ا : « إلى كمثرى كثير » .

تلطُم وجهها[١] وتبكى ، وتقول : أردتُ أن أنفرد بك ، فقتلتك يا سيّدى! فهلك من يومه .

وذكر عبد الله بن إسماعيل صاحب المراكب ، قال : لما صرنا إلى ماسَبَذان دنوتُ إلى عنانه ، فأمسكت به[٢] وما به علّة ؛ فوالله ما أصبح إلا ميّتًا ، فرأيت حَسَنة وقد رجعت ؛ وإن على قُبّتها المسوح ، فقال أبو العتاهية فى ذلك :

رُحْنَ فى الوَشْى وأَصْبَحْ ... نَ عليهنَّ المُسُوحُ[٣]

كل نَطَّاحٍ مِنَ الدَّهْ ... رِ له يومٌ نَطوحُ[٤]

لَسْتَ بالباقى ولو عُمِّرْتَ ما عُمِّرَ نوحُ

فَعَلى نفسِكَ نُحْ إن ... كنتَ لا بُدَّ تَنُوحُ

وذكر صالح القارئ أنّ علىّ بن يقطين ، قال : كنّا مع المهدىّ بماسَبَذان فأصبح يومًا فقال : إنى أصبحت جائعًا ، فأتِىَ بأرغفة ولحم بارد مطبوخ بالخلّ ؛ فأكل منه ثم قال : إنى داخلٌ إلى البَهْو ونائم فيه ، فلا تنبّهونى حتى أكون أنا الذى أنتبه ، ودخل البهو فنام ، ونمنا نحن فى الدار فى الرِّواق ؛ فانتبهنا ببكائه ؛ فقمنا إليه مسرعين ، فقال : أما رأيتم ما رأيت ؟ قلنا : ما رأينا شيئًا ، قال : وقف على الباب رجل ، لو كان فى ألف أو فى مائة ألف رجل ما خفِىَ علىّ ، فأنشد يقول[٥] :

٥٢٦/٣

كأنّى بهذا القَصْرِ قد بادَ آهِلُهْ ... وأَوحَش منه رَبْعُهُ ومنازِلُهْ[٦]

وصار عميدُ القوم مِنْ بعدِ بهجةٍ ... ومُلكٍ إلى قبرٍ عليه جنادله

فلم يَبْقَ إلا ذكرُهُ وحَديثُهُ ... تُنادى عليه معْوِلاتٍ حلائلهْ

(١) س : « تلطم على وجهها » .
(٢) ج : « فأمسكته » .
(٣) الأغانى ٤ : ١٠٣ .
(٤) موضعه فى رواية الأغانى :

نُحْ على نفسِك يا مِسْ ... كينُ إن كنتَ تنوحُ

(٥) س : « فأنشأ » ؛ ابن الأثير : « وقف على الباب رجل فقال » .
(٦) ج : « مناهله » .

قال : فما أتت عليه عاشرة حتى مات .

وكانت وفاته – فيما قال أبو معشر والواقدىّ – فى سنة تسع وستين ومائة ، ليلة الخميس لثمان بقين من المحرّم ؛ وكانت خلافته عشر سنين وشهراً ونصف شهر .

وقال بعضهم : كانت خلافته عشر سنين وتسعة وأربعين يوماً ؛ وتوفِّىَ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

وقال هشام بن محمد : ملَك أبو عبد الله المهدىّ محمد بن عبد الله سنة ثمان وخمسين ومائة ، فى ذى الحجّة لستّ ليالٍ خلوْن منه ؛ فملك عشر سنين وشهراً واثنين وعشرين يوماً ، ثم توفِّىَ سنة تسع وستين ومائة ، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

* * *

ذكر الخبر عن الموضع الذى دفن فيه ومَنْ صلّى عليه

ذُكر أن المهدىّ توفِّىَ بقرية من قرى ماسبَذان ، يقال لها الرُّذّ ؛ وفى ذلك يقول بكّار بن رَباح :

أَلَا رحمةُ الرحمنِ فى كلِّ ساعةٍ على رمَّةٍ رَمَّتْ بِماسَبَذانِ
لقد غَيَّبَ القبرُ الذى تمّ سُودَدا وَكفَّينِ بالمعروفِ تَبْتَدِرانِ

وصلَّى عليه ابنُه هارون ؛ ولم توجد له جنازة يُحمَل عليها ، فحُمِل على باب . ودفن تحت شجرة جَوْز كان يجلس تحتها .

وكان طويلا مُضَمَّرَ الخلْق ، جَعْداً . واختُلف فى لونه ، فقال بعضهم : كان أسمر ، وقال بعضهم : كان أبيض . ٥٢٧/٣

وكان فى عينه اليمنى – فى قول بعضهم – نُكتة بياض . وقال بعضهم : كان ذلك بعينه اليسرى .

وكان وُلد بإيذَج .

ذكر بعض سِيَر المهدىّ وأخباره

ذُكر عن هارون بن أبى عبيد الله ، قال : كان المهدىّ إذا جلس للمظالم، قال : أدخِلوا علىّ القضاة ؛ فلولم يكن ردِّى للمظالم إلا للحياء منهم لكَفَى.

وذكر الحسن بن أبى سعيد ، قال : حدّثنى علىّ بن صالح ، قال : جلس المهدىّ ذات يوم يعطى جوائز تقسم بحضرته فى خاصّته[١] من أهل بيته والقوّاد ؛ وكان يُقرأ عليه الأسماء ، فيأمر بالزيادة ؛ العشرة الآلاف والعشرين الألف، وما أشبه ذلك، فعُرِض عليه بعض القوّاد، فقال : يُحطّ[٢] هذا خمسمائة ، قال : لم حططتَنِى يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأنى وجّهتُك إلى عدوٍّ لنا فانهزمت . قال : كان يسرّك أن أقتل ؟ قال : لا ، قال : فوالذى أكرمك بما أكرمك به من الخلافة لو ثبَتُّ لقتِلت ، فاستحيا المهدىّ منه ، وقال : زده خمسة آلاف .

قال الحسن : وحدّثنى علىّ بن صالح ، قال : غضب المهدىّ على بعض القوّاد — وكان عتَب عليه غير مرة — فقال له : إلى متى تذنب إلىّ وأعفو ؟ قال : إلى أبدٍ[٣] نسىء ، ويبقيك الله فتعفوعنا ؛ فكررها[٤] عليه مرات، فاستحيا منه ورضى عنه[٥] . ٣/٥٢٨

وذكر محمد بن عمر ، عن حفص مولى مُزينة ، عن أبيه ، قال : كان هشام الكلبىّ صديقًا لى ، فكنّا نتلاقى فنتحدث ونتناشد ؛ فكنت أراه فى حالٍ رثّة وفى أخلاقٍ[٦] على بغلة هزيل[٧] ، والضُّر فيه بيِّن وعلى بغلته؛ فما راعنى إلاّ وقد لقينى يومًا على بغلة شقراءَ من بغال الخلافة ، وسَرْج ولجام من سروج الخلافة ولُجُمها ، فى ثياب جِياد ورائحة طيِّبة ، فأظهرتُ السرور ، ثم قلت له : أرى نعمة ظاهرةً ، قال لى : نعم، أخبرك عنها ، فاكتم؛ فبينما

---

(١) س : « خاصه » . (٢) ج : « يحبط » .
(٣) س : « أبداً » . (٤) س : « يكررها » .
(٥) س : « فعفا عنه » . (٦) ثوب أخلاق : إذا كانت الخلوقة بينة فيه كله .
(٧) هزيل ، على فعيل مما يستوى فيه المذكر والمؤنث .

أنا فى منزلى منذ أيام بين الظهر والعصر ؛ إذ أتانى رسول المهدىّ فسرت[١] إليه، ودخلت عليه وهو جالس خالٍ ليس عنده أحد ؛ وبين يديه كتاب ، فقال : ادنُ يا هشام ، فدنوتُ فجلستُ بين يديه ، فقال : خذ هذا الكتاب فاقرأه . ولا يمنعك[٢] ما فيه مما تستفظعه أن تقرأه . قال : فنظرت فى الكتاب ؛ فلما قرأت بعضَه استفظعتُه ، فألقيته من يدى[٣] ، ولعنت كاتبه ، فقال لى : قد قلت لك : إن استفظعتَه فلا تُلقِه ؛ اقرأه بحقى عليك حتى تأتى على آخره[٤] ! قال : فقرأته فإذا كتاب قد ثلبه فيه كاتبه ثلْبًا عجيبًا ، لم يبقِ له فيه شيئًا ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، مَنْ هذا الملعون الكذاب ؟ قال : هذا صاحب الأندلس ، قال : قلت : فالثاب والله يا أمير المؤمنين فيه وفى آبائه وفى أمهاته . قال : ثم اندرأت[٥] أذكر مثالبهم ، قال : فسُرَّ بذلك ، وقال : أقسمت عليك لما أمللت مثالبهم كلها على كاتب . قال : ودعا بكاتب[٦] من كتاب السرّ[٧] ، فأمره فجلس ناحية ، وأمرنى فصرت إليه ، فصدّر الكاتب من المهدىّ جوابًا ، وأمللتُ عليه مثالبهم فأكثرت ؛ فلم أبْقِ شيئًا حتى فرغتُ من الكتاب ، ثم عرضتُه عليه ، فأظهر السرور ، ثم لم أبرح حتى أمر بالكتاب فختُم ، وجُعل فى خريطة ، ودُفع إلى صاحب البريد ، وأمر بتعجيله إلى الأندلس . قال : ثم دعا بمنديل فيه عشرة أثواب من جياد الثياب وعشرة آلاف درهم ، وهذه البغلة بسرجها ولجامها ، فأعطانى ذلك ، وقال لى : اكتم ما سمعت.

٥٢٩/٣

قال الحسن : وحدّثنى مِسوَر بن مساور ، قال : ظلمنى وكيل للمهدىّ[٨] ، وغصبَنى ضَيْعةً لى ، فأتيت سلاّمًا صاحب المظالم ، فتظلمت منه وأعطيته رقعة مكتوبة ، فأوصل الرّقعة إلى المهدىّ ، وعنده عمُّه العباس بن محمدّ وابن عُلاثة وعافية القاضى . قال : فقال لى المهدىّ : ادنُهْ ، فدنوت ، فقال : ما تقول ؟ قلت : ظلَمتَنى ، قال : فترضى بأحد هذين ؟ قال : قلت : نعم ،

(١) س : « فصرت » .
(٢) س : « لا أمنعك » .
(٣) ج : « بين يدى » .
(٤) ج : « عليه » .
(٥) اندرأت : اندفعت .
(٦) س : « كاتباً » .
(٧) ج : « النثر » .
(٨) س : « وكيل المهدىّ » .

قال : فادنُ منى ، فدنوت منه حتى التزقت بالفراش ، قال : تكلّم ، قلت : أصلح الله القاضى ! إنه ظلمنى فى ضيعتى هذا ، فقال القاضى : ما تقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : ضيعتى وفى يدى ، قال : قلت : أصلح الله القاضى ! سَلْهُ ، صارت الضيعة إليه قبل الخلافة أو بعدها ؟ قال : فسأله : ما تقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : صارت إلىّ بعد الخلافة . قال : فأطلقها له ، قال : قد فعلت ، فقال العبّاس بن محمد : والله يا أمير المؤمنين لَهذا المجلس أحبّ إلىّ من عشرين ألف ألف درهم .

قال : وحدّثنى عبد الله بن الربيع ، قال : سمعتُ مجاهداً الشاعر يقول : خرج المهدىّ متنزّهًا ، ومعه عمر بن بزيع مولاه ، قال : فانقطعنا عن العسكر ، والنّاس فى الصيد ، فأصاب المهدىّ جوع ، فقال : ويحك! هل من شىء ؟ قال : ما من شىء ، قال : أرى كوخًا وأظنّها مبقلة . فقصدنا قصدَه ، فإذا نَبَطِىّ فى كوخ ومبقلة ، فسلّمنا عليه ، فردّ السلام ، فقلنا له : هل عندك شىء نأكل ؟ قال : نعم عندى رُبَيْثاء[1] وخبز شعير ، فقال المهدىّ : إن كان عندك زيت فقد أكملتَ ، قال : نعم ، قال : وكرّاث ؟ قال : نعم ، ما شئت وتمر . قال : فعدا نحو المبقلة ، فأتاهم ببقْل وكُرّاث وبصل ، فأكلا أكلا كثيراً ، وشبِعا ، فقال المهدىّ لعمر بن بزيع : قل فى هذا شعراً ، فقال : ٥٣٠/٣

إنَّ مَنْ يُطْعِمُ الرُّبَيْثاءَ بالزَّيـ ... تِ وخُبزَ الشعير بالكُرّاثِ

لحقيقٌ بِصَفْعَـةٍ أو بثِنْتَيْـ ... نِ لِسوءِ الصَّنيعِ أَوْ بِثَلاثِ

فقال المهدىّ : بئس ما قلت ، ليس هكذا ...

لحقيقٌ بِبَـدْرَةٍ أَوْ بِثِنْتَيْـ ... نِ لحسْنِ الصَّنيعِ أَوْ بِثَلاثِ

قال : ووافى العسكر والخزائن والخدَم فأمر للنَّبَطىّ بثلاث بِدَر وانصرف .

وذكر محمد بن عبد الله ، قال : أخبرنى أبو غانم ، قال : كان زيد

---

(١) فى حاشية ط : « وهو نوع من الصحناة » ، وفى القاموس : « الصحناء والصحناة : إدام يتخذ من السمك الصغار مشه مصلح للمعدة » .

الهلالىّ رجلاً شريفاً سخيًّا مشهوراً من بنى هلال ؛ وكان نقشُ خاتمه : «أفلح يا زيد مَن زَكَا عمله» ، فبلغ ذلك المهدىّ ، فقال زيد الهلالىّ :

زَيْدُ الهِلالِىّ نقش خاتمه أفْلَح يا زيدُ من زكا عمَلُه (١)

قال : وقال الحسن الوصيف : أصابتنا ريح فى أيام المهدىّ حتى ظننّا أنها تسوقنا إلى المحْشر ، فخرجتُ أطلب أميرَ المؤمنين ، فوجدته واضعاً خدّه على الأرض ، يقول : اللهمّ احفظ محمداً فى أمّته ، اللهمّ لا تُشمت بنا أعداءنا من الأمم ، اللهمّ إن كنت أخذت هذا العالم بذنبى فهذه ناصيتى بين يديك ؛ قال : فما لبثنا إلا يسيراً حتى انكشفت الريح وانجلى ما كنا فيه .

٥٢١/٣

وقال الموصلى : قال عبد الصمد بن علىّ : قلت للمهدىّ : يا أميرَ المؤمنين ، إنا أهلَ بيت قد أشرب قلوبُنا حبّ موالينا وتقديمهم ؛ وإنك قد صنعت من ذلك ما أفرطتَ فيه ؛ قد ولّيتَهم أمورك كلّها ، وخصصتهم فى ليلك ونهارك ، ولا آمن تغيير قلوب جندك وقوّادك من أهل خُراسان ، قال : يا أبا محمد ، إنّ الموالىَ يستحقّون ذلك ؛ وليس أحدٌ يجتمع لى فيه أن أجلس للعامّة فأدعُوَ به فأرفعه حتى تحكّ ركبتُه ركبتى ، ثم يقوم من ذلك المجلس ، فأستكفيه سياسةَ دابتى ، فيكفيها ، لا يرفع نفسهُ عن ذلك إلاّ موالىّ هؤلاء ، فإنهم لا يتعاظمهم ذلك ؛ ولو أردت هذا من غيرهم لقال : ابن دولتِك والمتقدّم فى دعوتك ، وابن مَنْ سبق إلى بيعتك (٢) ، لا أدفّعه عن ذلك .

قال علىّ بن محمد : قال الفضل بن الربيع : قال المهدىّ لعبد الله بن مالك : صارعْ مولاى هذا ، فصارعه ؛ فأخذ بعنقه (٣) . فقال المهدىّ : شدّ ، فلما رأى ذلك عبدُالله أخذ برجله فسقط على رأسه فصرعه . فقال عبد الله للمهدىّ : يا أميرَ المؤمنين ، قمتُ من عندك وأنا أحبّ الناس إليك (٤) ، فلم تزَلْ علىّ مع مولاك . قال : أما سمعت قول الشاعر (٥) :

---

(١) ورد هذا البيت فى ط مجرفاً على هيئة النثر ، وصوابه من ا .
(٢ – ٢) كذا فى ا وفى ط : « أين وليك والمتقدم فى دعوتك ، وابن من سبق إلى دعوتك » .
(٣) ج : « بعضله » . (٤) ج : « عندك » .
(٥) ج : « أما سمعت للشاعر » .

٣/٥٣٢ وَمَوْلَاكَ لا يُهْضَمْ لديْكَ فإنما هضيمةُ مولى القوم جَدْعُ المناخِرِ

قال أبو الخطاب: لما حضرت القاسمَ بن مجاشع التميميّ – من أهل مَرْو بقرية يقال لها باران – الوفاةُ أوصى إلى المهدىّ ، فكتب : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ والْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الحكيم * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَاللهِ الإسلامُ...﴾ [١] ، إلى آخر الآية . ثم كتب : والقاسم بن مجاشع يشهد بذلك ، ويشهدُ أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن علىّ بن أبى طالب وصىٌّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارث الإمامة بعده . قال : فعُرِضت الوصيّة على المهدىّ ، فلما بلغ هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها[٢] . قال أبو الخطاب : فلم يزل ذلك فى قلب أبى عبيدالله الوزير ؛ فلما حضرته الوفاة كتب فى وصيته هذه الآية .

قال : وقال الهيثم بن عدىّ : دخل على المهدىّ رجلٌ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن المنصور شتمنى وقذف أمّى ؛ فإما أمرتنى أن أحلّه ؛ وإلاّ عوّضتَنى واستغفرت الله له . قال : ولم شتمك ؟ قال : شتمتُ عدوّه بحضرته ؛ فغضب ، قال : ومَنْ عدُوّه الذى غضب لشتمه ؟ قال : إبراهيم بن عبد الله ابن حسن ، قال : إن إبراهيم أمسّ به رَحِماً وأوجب عليه حقًّا ، فإن كان شتمك كما زعمتَ ، فعن رَحِمِه ذبّ ، وعن عِرْضه دفع ؛ وما أساء من انتصر لابن عمه . قال : إنه كان عدوًّا[٣] له ، قال : فلم ينتصر للعداوة ؛ وإنما انتصر للرَّحِم ؛ فأسكت الرجل ، فلما ذهب ليولّى ، قال : لعلك أردت أمراً فلم تجد له ذريعة عندك أبلغَ من هذه الدعوى ! قال : نعم ، قال : فتبسّم وأمر[٤] له بخمسة آلاف درهم . ٣/٥٣٣

قال : وأتِىَ المهدىّ برجل قد تنبّأ ، فلما رآه ، قال : أنت نبىّ ؟ قال : نعم ، قال : وإلى مَنْ بُعثت ؟ قال : وتركتمونى أذهب إلى من بعثت إليه !

---

(١) سورة آل عمران ١٨ ، ١٩ .
(٢) س : « إليها » .
(٣) ج : « عدو الله » .
(٤) س : « ثم أمر » .

وُجّهت بالغداة فأخذتمونى بالعشىّ، ووضعتمونى فى الحبس ! قال : فضحك المهدىّ منه ، وخلى سبيله .

وذكر أبو الأشعث الكندىّ ، قال : حدّثنى سليمان بن عبد الله ، قال : قال الرّبيع : رأيتَ المهدىّ يصلّى فى بهوٍ له فى ليلة مُقْمِرة ؛ فما أدرى أهو أحسن ، أم البهو ، أم القمر ، أم ثيابه ! قال : فقرأ هذه الآية : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾[1] ، قال : فتمّ صلاته والتفت إلىّ فقال : يا ربيع ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : علىّ بموسى ، وقام إلى صلاته ، قال : فقلت : مَنْ موسى ؟ ابنه موسى ، أو موسى بن جعفر ، وكان محبوسًا عندى ! قال : فجعلت أفكّر ، قال : فقلت : ما هو إلا موسى بن جعفر ، قال : فأحضرته ، قال : فقطع صلاته ، وقال : يا موسى ، إنى قرأت هذه الآية : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكم ﴾[1] ، فخفت أن أكون قد قطعتُ رَحِمك ، فوَثّقْ لى أنك لا تخرج علىّ . قال : فقال : نعم ، فوثّق له وخلاّه .

وذكر إبراهيم بن أبى علىّ ، قال : سمعت سليمان بن داود ، يقول : سمعت المهدىّ يحدثنا[2] فى محراب المسجد على اللحن اليتيم[3] : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾[4] ، فى سورة النّساء .

٣/٥٣٤ وذكر علىّ بن محمد بن سليمان ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حضرتُ المهدىّ وقد جلس للمظالم ، فتقدّم إليه رجل من آل الزبير ؛ فذكر ضيعة اصطفاها عن أبيه بعضُ مُلوك بنى أميّة ، ولا أدرى : الوليد ، أم سليمان ! فأمر أبا عبيد الله أن يُخرِج ذِكْرَها من الديوان العتيق ، ففعل ، فقرأ ذكرها على المهدىّ ؛ وكان ذلك أنها عُرِضت على عِدّة منهم لم يروا ردّها ؛ منهم عمر ابن عبد العزيز . فقال المهدىّ : يا زبيرىّ ، هذا عمر بن عبد العزيز ؛ وهو منكم معشر قريش كما علمتم لم يَرَ ردّها . قال : وكلّ أفعال عمر تُرضَى ؟

---

(١) سورة محمد ٢٤ . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « يحدر بنا » .
(٣) كذا فى ط ، وفى ا : على لحن خداش اللحن اليتيم » ، وفى ج : « لحن خداش المتيم » ، وهو غير واضح .
(٤) سورة النساء ٥١ .

قال : وأىّ أفعاله لا تُرضَى ؟ قال : منها أنه كان يفرِض للسّقط[1] من بنى أمية فى خِرَقِه فى الشَّرف من العطاء ، ويفرض للشيخ من بنى هاشم فى ستين . قال : يا معاوية أكذلك كان يفعل عمر ؟ قال : نعم ؛ قال : ارْدُدْ على الزُّبيرىّ ضيعتَه .

وذكر عمر بن شبّة أن أبا سلمة الغِفارىّ حدّثه ، قال : كتب المهدىّ إلى جعفر بن سليمان وهو عامل المدينة أن يحمل إليه جماعة اتُّهِموا بالقَدَر ، فحمل إليه رجالا ؛ منهم عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر ، وعبد الله بن يزيد بن قيس الهذلىّ ، وعيسى بن يزيد بن دأب الليثىّ ، وإبراهيم ابن محمد بن أبى بكر الأُسامىّ ؛ فأدخِلوا على المهدىّ ، فانبرى له عبد الله ابن أبى عبيدة من بينهم ؛ فقال : هذا دين أبيك ورأيه ؟ قال : لا ، ذاك عمى داود . قال : لا ، إلا أبوك ، على هذا فارَقنا وبه كان يدين . فأطلقهم .

وذكر علىّ بن محمد بن سليمان النوفلىّ ، قال : حدّثنى أبى ، عن محمد ابن عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، قال : ٣/٥٣٥ رأيتُ فيما يرى النائم فى آخر سلطان بنى أمية ، كأنى دخلت مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفعت رأسى ، فنظرت فى الكتاب الذى فى المسجد بالفسيفساء[2] فإذا فيه : ممّا أمر به أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ؛ وإذا قائل يقول : يمحُو هذا الكتاب ويَكتب مكانه اسمَه رجل من بنى هاشم يقال له محمد. قال: قلت: أنا محمد، وأنا من بنى هاشم؛ فابن مَنْ؟ قال: ابن عبد الله ، قلت : فأنا ابن عبد الله، فابن مَنْ؟ قال: ابن محمد ، قلت : فأنا ابنُ محمد ، فابن مَنْ ؟ قال : ابن علىّ ، قلت : فأنا ابن علىّ ، فابن مَنْ ؟ قال : ابن عبد الله ، قلت : فأنا ابن عبد الله ؛ فابن مَن ؟ قال : عباس ؛ فلو لم أكن بلغت العبّاس ما شككت أنى صاحب الأمر . قال : فتحدّثتُ بهذه الرؤيا فى ذلك الدّهر ونحن لا نعرف المهدىّ ؛ فتحدّث النّاس بها حتى ولِىَ المهدىّ، فدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع رأسه

(١) السقط : الولد لغير تمام .
(٢) كذا فى ا وابن الأثير ، والفسيفساء : ألوان من الخرز تركب فى الحيطان .

فنظر فرأى اسم الوليد ، فقال : وإنى لأرى اسم الوليد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم ، فدعا بكرسىّ فألقِىَ له فى صحن المسجد وقال : ما أنا ببارح حتى يُمحى ويكتَب اسمى مكانَه . وأمر أن يحضر العمَّال والسلاليم وما يحتاج إليه ، فلم يبرح حتى غيِّر وكتب اسمه .

وذكر أحمد بن الهيثم القُرَشىّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن عطاء ، قال : خرج المهدىّ بعد هَدْأة من الليل يطوف بالبيت ، فسمع أعرابيّة من جانب المسجد وهى تقول : قومى مقْتِرون ، نبتْ عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ، وعضّتهم السِّنون ؛ بادت [1] رجالهم ، وذهبت أموالهم ، وكثر عيالهم ؛ أبناء سبيل ، وأنضاء طريق ؛ وصية الله ووصية الرسول ؛ فهل من آمر [2] لى بخير ، كلأه الله فى سفره ، وخلَفه فى أهله ! قال : فأمر نُصيراً الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم . ٥٣٦/٣

وذكر علىّ بن محمد بن سليمان ، قال : سمعتُ أبى يقول : كان أوّل مَن افترش الطبرىّ المهدىّ ؛ وذلك أنّ أباه كان أمره بالمقام بالرّىّ ، فأهْدِىَ إليه الطبرىّ من طَبرستان ، فافترشه ، وجعل الثلج والخلاف حوله ؛ حتى فُتح لهم الخَيْش ، فطاب لهم الطبرىّ فيه .

وذكر محمد بن زياد ، قال : قال المفضّل : قال لى المهدىّ : اجمع لى الأمثال ممّا سمعتَها من البدو ، وما صحّ عندك . قال : فكتبت له الأمثال وحروبَ العرب مما كان فيها ؛ فوصلنى وأحسن إلىّ .

قال علىّ بن محمد : كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سَمُرة أراد الوثوب بالشأم ، فحمِل إلى المهدىّ فخلى سبيلَه وأكرمه ، وقرّب مجلسه . فقال له يومًا : أنشدْنى قصيدة زُهير التى هى على الراء ، وهى :

* لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ [3] *

---

(١) س : « مات » . (٢) ج : « من أمر لى » .
(٣) ديوانه ٨٦ ، وبقيته :

* أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ ومِنْ دَهْر *

فأنشده ، فقال السَّمَرِىّ : ذهب والله من يقال فيه مثل هذا الشعر ؛ فغضب المهدىّ واستجهله ، ونحّاه ولم يعاقبه ، واستحمقه الناس .

وذكر أنّ أبا عون عبد الملك بن يزيد مرض ، فعاده المهدىّ ؛ فإذا منزل رثّ وبناء سوء ؛ وإذا طاق صُفّته التى هو فيها لَبِن . قال : وإذا مضربة[1] ناعمة فى مجلسه ، فجلس المهدىّ على وسادة ، وجلس أبو عون بين يديه ، فبرّه المهدىّ ، وتوجّع لعلّته . وقال أبو عون : أرجو عافيةَ الله يا أمير المؤمنين ؛ وألا يميتنى على فراشى حتى أقتَل فى طاعتك ؛ وإنى لواثق بألاّ[2] أموت حتى أبْلِىَ الله فى طاعتك ما هو أهله ؛ فإنا قد رُوِّينا . قال : فأظهر له المهدىّ رأيا جميلا ، وقال : أوصِنى بحاجتك ، وسَلْنى ما أردت ، واحتكم فى حياتك[3] ومماتك ؛ فوالله لئن عجز مالُك عن شىء توصى به لأحتملنّه[4] كائناً ما كان ؛ فقل وأوصِ . قال : فشكر أبو عون ودعا ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ حاجتى أن ترضى عن عبد الله بن أبى عون ، وتدعوَ به ، فقد طالت موجِدتك عليه . قال : فقال : يا أبا عون ، إنه على غير الطريق ، وعلى خلاف رأينا ورأيك ؛ إنه يقَع فى الشيْخيْن أبى بكر وعمر ، ويسىء القول فيهما . قال : فقال أبو عون : هو والله يا أميرَ المؤمنين على الأمر الذى خرجنا عليه ، ودعونا إليه ؛ فإن كان قد بدا لكم فمُرُونا بما أحببتم حتى نُطيعَكم . قال : وانصرف المهدىّ ، فلما كان فى الطريق قال لبعض مَنْ كان معه من ولده وأهله[5] : مالكم لا تكونون مثل أبى عون ! والله ما كنت أظن منزله إلا مبنيًّا بالذهب والفضة ؛ وأنتم إذا وجدتم درهمًا بنيتم بالسّاج والذهب .

وذكر أبو عبد الله ، قال : حدّثنى أبى ، قال : خطب المهدىّ يومًا ، فقال : عباد الله؛ اتقوا الله؛ فقام إليه رجل ، فقال : وأنت فاتّقِ الله ؛ فإنك تعمل بغير الحق . قال : فأخِذ فحُمل ، فجعلوا يتلقَّوْنه بنعال سيوفهم؛ فلما أدخِل عليه قال : يابن الفاعلة ، تقول لى وأنا على المنبر : اتق الله ! قال : سوْءة لك ! لو كان هذا من غيرك كنتُ المستعدِى بك عليه ، قال : ما أراك

٥٣٧/٣ — ٥٣٨/٣

(١) المضربة : القطعة من القطن . (٢) ج : « ألا » .
(٣) س : « حاجتك » . (٤) س : « لأحملنه » .
(٥) س : « إخوته » .

إلا نَبَطياً [١] ، قال: ذاك أوكد للحجّة عليك أن يكون نَبَطىّ يأمرك بتقوى الله . قال : فرُئِىَ الرّجل بعد ذلك ؛ فكان يحدّث بما جرى بينه وبين المهدىّ . قال : فقال أبى : وأنا حاضره ، إلا أنى لم أسمع الكلام .

وقال هارون بن ميمون الخُزاعىّ : حدّثنا أبو خزيمة البادغيسىّ ، قال : قال المهدىّ : ما توسّل إلىّ أحد بوسيلة ، ولا تذرّع بذريعة هى أقرب من تذكيره إياى يداً سلفتْ منى إليه أتبعها أختها ، فأحسن ربّها ؛ لأن منع الأواخر يقطع شكر الأوائل .

قال : وذكر خالد بن يزيد بن وهب بن جرير ، أن أباه حدّثه ، قال: كان بشار بن برد بن يَرْجُوخ هجا صالح بن داود بن طهمان — أخا يعقوب ابن داود — حين وُلّىَ البصرة ، فقال :

هُمُ حَمَلوا فوقَ المنابر صالحاً أخاكَ فَضَجَّت مِنَ أخيك المنابرُ

فبلغ يعقوب بن داود هجاؤه، فدخل على المهدىّ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنّ هذا الأعمى المشركَ قد هجا أمير المؤمنين ، قال : ويلك ! وما قال ؟ قال : يعفينى أمير المؤمنين من إنشاده ذلك ، قال : فأبى عليه إلا أن ينشده ، فأنشده :

خليفــةٌ يَزْنى بِعَمّــاتِهِ يَلعَبُ بالدَّبُّوقِ والصَّولجَانْ [٢]
أَبْدَلَنــا اللهُ به غيرَهُ وَدَسَّ موسى فى حِرِ الخيزُرانْ [٣]

قال : فوجّه فى حمله ، فخاف يعقوب بن داود أن يقدم على المهدىّ ، فيمتدحه فيعفو عنه ، فوجّه إليه من يلقيه فى البَطيحة [٤] فى الخرّارة [٥] . ٥٣٩/٣

وذكر عبد الله بن عمر : حدّثنى جدّى أبو الحىّ العبسىّ ، قال : لما دخل مَرْوان بن أبى حفصة على المهدىّ ، فأنشده شعره الذى يقول فيه :

---

(١) ج : « قبطيا » .
(٢) الدبوق : لعبة من لعب الصبيان .
(٣) الخيزران : جارية من جوارى المهدى ، وهى أم ولديه موسى وهارون .
(٤) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة .
(٥) والخبر فى الأغانى ٣ : ٢٤٣ .

أنَّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ لِبَنِى البناتِ وراثَةُ الأَعمامِ(١)

فأجازه بسبعين ألف درهم ، فقال مروان :

بسبعين ألفاً راشَنى من حِبَائِهِ وما نالها فى الناس من شاعر قبلى(٢)

وذكر أحمد بن سليمان، قال : أخبرنى أبو عدنان السُّلمىّ، قال : قال المهدىّ لعُمارة بن حمزة : من أرقّ الناس شعراً ؟ قال : والبة بن الُحباب الأسدىّ ، وهو الذى يقول :

ولهـا وَلا ذَنبٌ لها حُبٌّ كأَطْرافِ الرِّماحِ
فى القلب يَقدَحُ والحشا فالقلبُ مجروحُ النَّواحى

قال : صدقت والله ، قال : فما يمنعك من منادمته يا أمير المؤمنين ، وهو عربىٌّ شريف شاعر ظريف ؟ قال : يمنعنى والله من منادمته ، قوله :

قلتُ لساقينا على خَلْوةٍ أَدْنِ كذا رأسَكَ مِنْ راسى
وَنمْ على وجهك لى ساعةً إنى امروٌ أَنكِحُ جُلَّاسى

أفتريد أن يكون جُلّاسه على هذه الشريطة(٣) !

٥٤٠/٣ وذكر محمدُ بن سلّام أنه كان فى زمان المهدىّ إنسان ضعيف يقول الشعر إلى أن مدح المهدىّ . قال : فأدخِل عليه فأنشده شعراً يقول فيه : « وَجَوَارٍ زَفَرَاتِ » ، فقال له المهدىّ : أى شىء زفرات ؟ قال : وما تعرفها أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا والله ، قال : فأنت أميرُ المؤمنين وسيِّد المسلمين وابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعرفها ، أعرفها أنا ! كلاّ والله .

قال ابن سلّام : أخبرنى غير واحد أن طُريح بن إسماعيل الثقفىّ دخل على المهدىّ فانتسب له ، وسأله أن يسمع منه ، فقال : ألست الذى يقول للوليد بن يزيد :

---

(١) الأغانى ١٠ : ٨٩ . (٢) س : « مثلى » .
(٣) الأغانى ١٦ : ١٤٣ (ساسى) . وفى ج : « جليسه » .

أَنت ابنُ مُسْلنطح البِطاحِ ولَمْ تُطرَقْ عليك الحِنِىُّ والولَجُ(١)

والله لا تقول لى فى مثل هذا أبداً ، ولا أسمع منك شعراً ، وإن شئت وصلتك .

وذُكر أنّ المهدىّ أمر بالصوم سنة ست وستين ليستسقى للناس فى اليوم الرابع ، فلما كان فى الليلة الثالثة أصابهم الثلج ، فقال لَقيط بنُ بُكَير المحاربىّ فى ذلك :

يا إمامَ الهدى سُقِينا بكَ الغَيْثَ وزالتْ عَنَّا بِكَ اللأْواءُ

بِتَّ تُعْنَى بالحفظِ والناسُ نُوَّا مٌ عليهم مِنَ الظَّلام غِطاءُ(٢)

رَقَدُوا حيثُ طال ليلُكَ فيهمْ لكَ خوفٌ تَضَرُّعٌ وبكاءُ

قد عَنتكَ الأُمورُ منهم على الغفلة مِنْ مَعْشَرٍ عَصَوا وأَساءوا

وسُقِينا وقد قُحِطنا وقلنا سنةٌ قد تَنكَّرَتْ حمراءُ

بِدُعاءٍ أَخلصتَهُ فى سوادِ الليلِ للهِ فاستُجيب الدعاءُ

بثلوجٍ تُحيَا بها الأَرض حتى أَصبحَت وهْىَ زهرَةٌ خضراءُ

٥٤١/٣

وذكر أن الناس فى أيام المهدىّ صاموا شهر رمضان فى صميم الصيف ، وكان أبو دلامة إذ ذاك يطالب بجائزة وعدها إياه المهدىّ ، فكتب إلى المهدىّ رقعة يشكو إليه فيها ما لقىَ من الحرّ والصوم ، فقال فى ذلك :

أَدْعُوكَ بالرَّحِم التى جَمَعَتْ لنا فى القربِ بين قريبِنا والأَبْعَدِ(٣)

إلاَّ سمعتَ وأَنت أَكرمُ مَنْ مَشَى مِنْ مُنشدٍ يَرجو جزاءَ المُنشَدِ

حَلّ الصيامُ فصمتُهُ مُتعَبّدا أَرجو ثوابَ الصائم المُتعبّدِ

وسَجَدتُ حتى جَبْهَتِى مشجُوجةٌ ممّا أكلّفُ مِنْ نطاح المسجد

(١) الأغانى ٤ : ٣١٦ . المسلنطح : ما اتسع سطحه . وتطرق : تضيق . والحنى : ما انخفض من الأرض . والولج : كل ما اتسع فى الوادى .

(٢) ج : « والناس قوام » .

(٣) الأغانى ١٠ : ٢٥٤

قال : فلمّا قرأ المهدى الرُّقعة دعا به ، فقال : أىّ قرابة بينى وبينك يابن اللخناء ! قال : رَحِم آدم وحوّاء . فضحك منه وأمر له بجائزة .

وذكر علىّ بن محمد ، قال : حدّثنى أبى ، عن إبراهيم بن خالد المُعَيْطىّ قال : دخلت على المهدىّ — وقد وُصف له غنائى — فسألنى عن الغناء وعن علمى به ، وقال لى : تُغنّى النواقيس ؟ قلت : نعم والصليب يا أمير المؤمنين ! فصرفنى ؛ وبلغنى أنه قال : مُعيطىّ ، ولا حاجة لى إليه فيمن أدنيه من خلوتى [1] ولا آنس به [2] .

٣/٥٤٢ ولمعبد المغنى النواقيس فى هذا الشعر :

سَلاَ دارَ لَيلى هل تُجيبُ فَتَنطقُ وأَنَّى تَرُدُّ القولَ بَيْداءُ سَمْلَقُ [3]
وأَنَّى تَرُدُّ القول دارٌ كأَنها لِطُولِ بلاها والتَّقادُم مُهْرَقُ

وذكر قَعْنب بن محرز أبو عمرو الباهلىّ أنّ الأصمعىّ حدّثه ، قال : رأيت حكمًا الوادى حين مضى المهدىّ إلى بيت المقدس ، فعرض له فى الطريق ، وكان له شُعيرات [5] ، وأخرج دُفًّا له يضربه ، وقال : أنا القائل :

فَمَتَى تَخرُجُ العــرو سُ فقد طال حبْسُها
قد دنا الصبحُ أَو بــدا وَهْىَ لَم تَقض لُبسَهــا

فتسرّع إليه الحرَس فصيّح بهم : كُفُّوا [6] ، وسأل عنه فقيل : حكَم الوادى ، فأدخله إليه ووصله [7] .

وذكر علىّ بن محمد أنه سمع أباه يقول : دخل المهدىّ بعضَ دوره يومًا فإذا جارية له نصرانيّة ، وإذا جيبُها واسع وقد انكشف عما بين ثدييها ؛ وإذا صليب من ذهب معلّق فى ذلك الموضع ؛ فاستحسنه ، فمدّ يده إليه فجذبه ،

---

(١) الأغانى : « ولا حاجة لى إلى أن أدنيه من خلوق » .
(٢) الأغانى ٣ : ٣٠٤ .
(٣) الأغانى ٣ : ٣٠٤ ، وفيه : « هل تبين » . (٤) الأغانى : « وله شعيرات على رأسه » .
(٥) الأغانى : « وله شعيرات على رأسه » . (٦) ج : « فكفوا » .
(٧) الأغانى ٦ : ٢٨٦ .

فأخذه[١] ، فولولت على الصليب ، فقال المهدىّ فى ذلك :

يوم نازَعتُها الصّليبَ فقالتْ وَيْحَ نفسِى أما تُحِلّ الصليبا !

قال : وأرسل إلى بعض الشعراء فأجازه ، وأمر به فغنى فيه ، وكان معجباً بهذا الصوت .

قال : وسمعت أبى يقول : إنّ المهدىّ نظر إلى جارية له عليها تاج فيه نرجس من ذهب وفضة ، فاستحسنه فقال :

٥٤٣/٣

* يا حبّذا النرجس فى التاج *

فأُرتِجَ عليه ، فقال : مَنْ بالحضرة ؟ قالوا : عبد الله بن مالك ، فدعاه ، فقال : إنى رأيت جارية لى فاستحسنتُ تاجًا عليها فقلت :

* يا حبذا النرجس فى التاج *

فتستطيع أن تزيد فيه ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ ولكن دَعْنى أخرج فأفكّر ، قال : شأنَك ، فخرج وأرسل إلى مؤدّب لولده[٢] فسأله إجازته ، فقال :

* على جَبينٍ لاحَ كالعاجِ *

وأتمها أبياتًا أربعة ، فأرسل بها عبد الله إلى المهدىّ ، فأرسل إليه المهدى بأربعين ألفًا ، فأعطى المؤدّب منها أربعة آلاف ، وأخذ الباقى لنفسه ، وفيها غناء معروف .

وذكر أحمد بن موسى بن مضر أبو علىّ ، قال : أنشدنى التوّزىّ فى حَسَنة جاريته :

أَرى ماءً وبِى عَطَشٌ شديدٌ وَلكِنْ لا سبيلَ إِلَى الورُودِ
أَما يَكْفِيك أَنَّكِ تَمْلِكينى وَأَنَّ الناسَ كلَّهُمُ عَبيــدى
وأَنَّكِ لو قطعْتِ يَدى ورِجْلِى لَقُلْتُ مِنَ الرّضا أَحسَنتِ زِيدى

---

(١) ج : « فأخذه فجذبه » . (٢) س : « ولده » .

وذكر علىّ بن محمد ، عن أبيه ، قال : رأيتُ المهدىّ وقد دخل البَصْرة من قبَل سكّة قريش ، فرأيته يسير والبانوقة بين يديه ، بينه وبين صاحب الشُّرطة ، عليها قَباء أسود ، متقلدة سيفًا فى هيئة الغلمان. قال : وإنى لأرى فى صدرها شيئًا من ثدييها .

قال علىّ : وحدّثنى أبى ، قال : قدِم المهدىّ إلى البصرة ، فمرّ فى سكّة قريش ، وفيها منزلنا ؛ وكانت الولاة لا تمرّ فيها إذا قدم الوالى ، كانوا يتشاءمون بها — قلّ والٍ مرّ فيها[1] فأقام فى ولايته إلا يسيراً حتى يُعزل — ولم يمرّ فيها خليفة قطّ إلا المهدىّ، كانوا يمرّون فى سكّة عبد الرحمن بن سَمُرة ، وهى تساوى سِكّة قريش ، فرأيت المهدىّ يسير ، وعبد الله بن مالك على شُرَطه يسير أمامه ، فى يده الحربة ، وابنته البانوقة تسير بينه وبين يديه وبين صاحب الشُّرطة فى هيئة الفتيان ، عليها قَباء أسود ومنطقة وشاشيّة ، متقلدة السيف ، وإنى لأرى ثدييها قد رَفعا القَباء لنهودهما . ٣/٥٤٤

قال : وكانت البانوقة سمراء حَسَنة القدّ حلوة . فلما ماتت — وذلك ببغداد — أظهر عليها المهدىّ جزعاً لم يُسمع بمثله ، فجلس للنّاس يعزّونه ، وأمر ألاّ يحجب عنه أحَدٌ ، فأكثر النّاس فى التعازى ، واجتهدوا فى البلاغة ، وفى الناس مَنْ ينتقد هذا عليهم من أهل العلم والأدب ، فأجمعوا[2] على أنهم لم يسمعوا تعزية أوجز ولا أبلغ من تعزية شبيب بن شيبة ؛ فإنّه قال : يا أميرَ المؤمنين ، اللهُ خيرٌ لها منك، وثواب الله خيرٌ لك منها ، وأنا أسأل الله ألاّ يحزُنَك ولا يفتنك .

وذكر صباح بن عبد الرحمن ، قال : حدّثنى أبى ، قال : تُوفِّيت البانوقة بنت المهدىّ ، فدخل عليه شبيب بن شيبة ، فقال : أعطاك الله يا أميرَ المؤمنين على ما رُزئت أجراً ، وأعقبك صبرًا ، لا أجهد الله بلاءك بنقمة ، ولا نزع منك نعمةً ؛ ثوابُ الله خيرٌ لك منها ، ورحمة الله خير لها منك؛ وأحقّ ما صُبِر عليه ما لا سبيلَ إلى رَدّه .

(١) ج : « بها » .

(٢) ج : « فاجتمعوا » .

خلافة الهادى

وفى هذه السنة بويع لموسى بن محمّد بن عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس بالخلافة ، يوم توُفِّىَ المهدىّ ، وهو مقيم بجُرجان يحارب أهل طَبَرِستْان ؛ وكانت وفاة المهدىّ بماسَبَذان ومعه ابنه هارون ، ومولاه الرّبيع ببغداد خلّفه بها ؛ فذُكر أن الموالى والقوّاد لما تُوفِّىَ[1] المهدىّ اجتمعوا إلى ابنه هارون ، وقالوا له : إن علِم الجندُ بوفاة المهدىّ لم تأمن الشّغْب ، والرّأى أن يُحمل ، وتُنادِى فى الجند بالقَفَل حتّى تواريَه ببغداد . فقال هارون : ادعوا إلىّ أبى يحيى بن خالد البرمكىّ — وكان المهدىّ ولّى هارونَ المغرب كلّه ؛ من الأنبار إلى إفريقية ، وأمر يحيى بن خالد أن يتولّى ذلك ، فكانت إليه أعماله ودواوينه يقوم بها ويخلُفه على ما يتولى منها إلى أن تُوُفِّىَ — قال : فصار يحيى بن خالد إلى هارون ، فقال له : يا أبتِ ، ما تقول فيما يقول عمر بن بزيع ونُصير والمفضّل[2] ؟ قال : وما قالوا ؟ فأخبره ، قال : ما أرى ذلك ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأن هذا ما لا يخفى ، ولا آمن إذا علم الجند أن يتعلّقوا بمحمله ، ويقولوا : لا نُخلّيه حتى نعطَى لثلاث سنين وأكثر ، ويتحكّموا ويشتطّوا ؛ ولكن أرى أن يُوارَى رحمه الله هاهنا ؛ وتوجِّهَ نُصيراً إلى أمير المؤمنين الهادى بالخاتم والقضيب والتهنئة والتعزية ؛ فإنّ البريد إلى نُصير ؛ فلا يُنكِر خروجه أحدٌ إذْ كان على بريد الناحية ، وأن تأمر لمن معك من الجند بجوائز ؛ مائتين مائتين ، وتنادى فيهم بالقُفول ؛ فإنهم إذا قبضوا الدّراهم لم تكن لهم همّة سوى أهاليهم وأوطانهم ؛ ولا عَرْجة على شىء دون بغداد . قال : نفعل ذلك . وقال الجند لما قبضوا الدراهم : بغداد بغداد ! يتبادرون إليها ، ويبعثون على الخروج من ماسَبَذان ؛ فلما وافوْا بغداد ، وعلموا خبر الخليفة ، ساروا[3] إلى باب الرّبيع فأحرقوه ، وطالبوا[4] بالأرزاق ، وضجّوا . وقدم هارون بغداد ،

٣/٥٤٥ ، ٣/٥٤٦

---

(١) س : « مات » .
(٢) ا ، ج : « الفضل » .
(٣) س : « صاروا » .
(٤) ابن الاثير : « وطلبوا الأرزاق » .

فبعثت الخيزران إلى الرّبيع وإلى يحيى بن خالد تشاورهما فى ذلك ؛ فأما الرّبيع فدخل عليها ، وأما يحيى فلم يفعل ذلك لعلمه بشدّة غَيْرة موسى .

قال : وجُمِعت الأموال حتى أُعْطِيَ الجند لسنتين ، فسكتوا؛ وبلغ الخبر الهادى ، فكتب إلى الرّبيع كتاباً يتوعّده فيه بالقتل ، وكتب إلى يحيى بن خالد يجْزيه الخير ، ويأمره أن يقوم من أمر هارون بما لم يزل يقوم به ، وأن يتولّى أموره وأعماله على ما لم يزل يتولاّه . قال : فبعث الرّبيع إلى يحيى بن خالد – وكان يودّه ، ويثق به ، ويعتمد على رأيه : يا أبا علىّ ، ما ترى ؟ فإنه لا صبر لى على جرّ[1] الحديد . قال : أرى ألاّ تبرح موضِعك ، وأن توجّه ابنك الفضل يستقبله ومعه من الهدايا والطرَف[2] ما أمكنك ؛ فإنى لأرجو ألاّ يرجع إلاّ وقد كفيت ما تخاف إن شاء الله . قال : وكانت أمّ الفضْل ابنه بحيث تسمع منهما مناجاتهما ؛ فقالت له : نصحك والله. قال : فإنى أحبّ أن أوصى إليك ؛ فإنى لا أدرى ما يحدث . فقال[3] : لست أنفرد لك بشىء ، ولا أدع ما يجب[4] ، وعندى فى هذا وغيره ما تحبّ ؛ ولكن أشرِك معى فى ذلك الفضل ابنَك وهذه المرأة ؛ فإنها جزْلة مستحقّة لذلك منك . ففعل الربيع ذلك ، وأوصى إليهم .

٥٤٧/٣

قال الفضل بن سليمان : ولما شغَب الجند على الرّبيع ببغداد وأخرجوا مَنْ كان فى حبسه ، وأحرقوا أبواب دوره فى الميدان ، حضر العباس بن محمد وعبد الملك بن صالح ومحرز بن إبراهيم ذلك ؛ فرأى العبّاس أن يُرْضَوْا ، وتطيب أنفسهم ، وتفرّق جماعتهم بإعطائهم أرزاقهم ؛ فبذل ذلك لهم فلم يرضوْا ، ولم يثقوا مما ضُمِن لهم من ذلك ؛ حتى ضمنه محرز بن إبراهيم ، فقنعوا بضمانه وتفرّقوا ، فوَفَى لهم بذلك ، وأعطوا رزق ثمانية عشر شهراً ؛ وذلك قبل قدوم هارون . فلما قدم – وكان هو خليفة موسى الهادى – ومعه الربيع وزيراً له ، وجّه الوفود إلى الأمصار ، ونعى إليهم المهدىّ ، وأخذ بيعتَهم لموسى الهادى ؛ وله بولاية العهد من بعده ؛ وضبط أمرَ بغداد . وقد كان نُصير

---

(١) س : « حدّ » .
(٢) س : « اللطف » .
(٣) ط : « فقلت » .
(٤) ا : « تحب » .

الوصيف شخص من ماسبَذان من يومه إلى جُرجان بوفاة المهدىّ والبيعة له ؛ فلما صار إليه نادى بالرّحيل ، وخرج من فَوْره على البريد جواداً[١] ومعه من أهل بيته إبراهيم وجعفر ، ومن الوزراء عبيد الله بن زياد الكاتب صاحب رسائله ، ومحمد بن جميل كاتب جنده . فلما شارف مدينةَ السلام استقبله النّاس من أهل بيته وغيرهم ؛ وقد كان احتمل[٢] على الربيع ما كان منه وماصنع من توجيه الوفود وإعطائه الجنود قبل قدومه ؛ وقد كان الرّبيع وجّه ابنه الفضل ؛ فتلقّاه بما أعدّ له من الهدايا ؛ فاستقبله بهمذان ، فأدناه وقرّبه ، وقال : كيف خلّفْتَ مولاى ؟ فكتب بذلك إلى أبيه ، فاستقبله الرّبيع ، فعاتبه الهادى ، فاعتذر إليه ، وأعلمه السبب الذى دعاه إلى ذلك ، فقبله ، وولاّه الوزارة مكان عبيد الله بن زياد بن أبى ليلَى ، وضمّ إليه ما كان عمر بن بزيع يتولاّه من الزّمام ، وولّى محمد بن جميل ديوان خراج العراقيْن ، وولّى عبيد الله بن زياد خراج الشأم وما يليه ، وأقرّ على حرَسه علىّ بن عيسى بن ماهان ، وضمّ إليه ديوان الجند ، وولى شُرَطه عبد الله بن مالك مكانَ عبد الله بن خازم ،[٣] وأقرّ الخاتم فى يد علىّ بن يقطين . ٣/٥٤٨

وكانت موافاة موسى الهادى بغداد عند منصرَفه من جُرجان لعشرٍ بقين من صفَر من هذه السنة ، سار — فيما ذكر عنه — من جرجان إلى بغداد فى عشرين يوماً ، فلما قدمها نزل القصر الذى يسمى الخُلْد ؛ فأقام به شهراً[٤] ، ثم تحوّل إلى بستان أبى جعفر ، ثم تحول إلى عيسابَاذ .

وفى هذه السنة هلك الربيع مولى أبى جعفر المنصور .

وقد ذكر علىّ بن محمد النوفلىّ أن أباه حدثه أنه كانت لموسى الهادى جارية ، وكانت حظيّةً عنده ، وكانت تحبّه وهو بجُرْجان حين وجّهه إليها المهدىّ ، فقالت أبياتاً ، وكتبت إليه وهو مقيم بجرجان ، منها :

يا بعيدَ المحَلّ أمـ ... ـسى بجرجانَ نازلا

---

(١) جواداً ، أى سريعاً كالفرس الجواد . (٢) س : « يحتمل » .
(٣) ط : « حازم » ، تصحيف . (٤) ج : « شهرين » .

قال : فلما جاءته البَيْعة وانصرف إلى بغداد ؛ لم تكن له همّة غيرها ، فدخل عليها وهى تغنّى بأبياتها ، فأقام عندها يومه وليلته قبل أن يظهر لأحد من الناس .

٣/٥٤٩ وفى هذه السنة اشتدّ طلب موسى الزنادقة ؛ فقتل منهم فيها جماعة ؛ فكان ممّن قتل منهم يزدان بن باذان كاتب يقطين ، وابنه علىّ بن يقطين من أهل النّهروان ؛ ذُكر عنه أنه حجّ فنظر إلى الناس فى الطّواف يُهَرْوِلون ، فقال : ما أشبّههم إلا ببقر تدوس فى البَيْدَر . وله يقول العلاء بن الحداد الأعمى :

أيا أمينَ اللهِ فى خَلقِهِ ووراثَ الكعبةِ والمِنبَرْ
ماذا تَرَى فى رجلٍ كافرٍ يُشَبِّهُ الكعبةَ بالبَيْدَرْ
ويَجعلُ الناسَ إذا ما سَعَوْا حُمْرًا تَدوسُ البُرَّ والدَّوْسَرْ !

فقتله موسى ثم صلبه ، فسقطت خشبتُه على رجل من الحاجّ فقتلتْه وقتلتْ حماره . وقُتِل من بنى هاشم يعقوب بن الفضل .

وذكر عن علىّ بن محمد الهاشمىّ ، قال : كان المهدىّ أتِىَ بابنٍ لداود ابن علىّ زنديقًا ، وأتِىَ بيعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب زنديقًا ، فى مجلسين متفرقين ، فقال لكل واحد منهما كلامًا واحدًا ، وذلك بعد أن أقرّا له بالزندقة ، أما يعقوب بن الفضل فقال له : أُقِرُّ بها بينى وبينك ؛ فأمّا أن أظهِر ذلك عند الناس فلا أفعل ولو قرضتنى بالمقاريض ، فقال له : ويلك ! لو كُشفت لك السموات ، وكان الأمر كما تقول ، كنتَ حقيقا أن تغضب(١) لمحمد ، ولولا محمد صلى الله عليه مَنْ كنت ! هل كنت إلا إنسانًا من الناس ! أما والله لولا أنى كنْت جعلت لله علىّ عهداً إذا(٢) ولأنّى هذا الأمر ألاّ أقتل هاشميًّا لما ناظرتك ولقتلتُك . ٣/٥٥٠
ثم التفت إلى موسى الهادى ، فقال : يا موسى ، أقسمت عليك بحقى إن وليت هذا الأمر بعدى ألاّ تناظرهما ساعة واحدة . فمات ابن داود بن علىّ فى الحبس قبل وفاة المهدىّ ؛ وأما يعقوب فبقى حتى مات المهدىّ . وقدم موسى من جُرجان

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « تعصب » . (٢) ا : « إن » .

فساعة دخل، ذكر وصيّة المهدىّ، فأرسل إلى يعقوب من ألقى عليه فراشًا، وأقعدت الرجال عليه حتّى مات. ثم لها عنه ببيعته وتشديد خلافته؛ وكان ذلك فى يوم شديد الحرّ، فبقى يعقوب حتّى مضى من الليل هدء[1]، فقيل لموسى: يا أميرَ المؤمنين، إن يعقوب قد انتفخ وأروَح. قال: ابعثوا به إلى أخيه إسحاق ابن الفضل، فخبّروه أنه مات فى السجن[2]. فجُعل فى زورق وأُتِىَ به إسحاق، فنظر فإذا ليس فيه موضع للغسل، فدفنه فى بستان له من ساعته، وأصبح فأرسل إلى الهاشميّين يخبرهم[3] بموت يعقوب ويدعوهم إلى الجنازة، وأمر بخشبة فعمِلت فى قدّ الإنسان فغشيت قطنا، وألبسها أكفانًا، ثم حملها على السرير، فلم يشكّ مَن حضرها أنه شىء مصنوع.

وكان ليعقوب ولد من صُلْبه: عبد الرحمن والفضل وأروى فاطمة، فأمّا فاطمة فوجدت حُبلى منه، وأقرّت بذلك.

قال علىّ بن محمد: قال أبى: فأدخِلت فاطمة وامرأة[4] يعقوب بن الفضل — وليست بهاشمية، يقال لها خديجة — على الهادى — أو على المهدىّ من قبْل — فأقرّتا بالزندقة، وأقرّت فاطمة أنها حامل من أبيها، فأرسل بهما إلى رَيْطة بنت أبى العباس، فرأتهما مكتحِلتين مختضِبتين، فعذلتْهما، وأكثرت على الابنة خاصّة، فقالت: أكرَهنى، قالت: فما بال الخضاب والكحل والسرور؛ إن كنت مكرهة! ولعنتهما. قال: فخُبِّرت أنهما فزِعتا فماتتا فزَعًا، ضُرِب على رأسِيهما بشىء يقال له الرعبوب[5]. ففزعتا منه، فماتتا. وأما أروى فبقِيَتْ فتزوّجها ابن عمها الفضل بن إسماعيل بن الفضل؛ وكان رجلا لا بأس به فى دينه.

٥٥١/٣

وفيها قدم وندا هرمز صاحب طَبَرستان إلى موسى بأمان، فأحسن صلته، وردّه إلى طَبَرِسْتان.

* * *

(١) الهدء: أول الليل.
(٢) ج: «الحبس».
(٣) ج: «فأخبرهم».
(٤) ا، س: «ليعقوب».
(٥) ج: «الرعوب».

ذكر بقيّة الخبر
عن الأحداث التى كانت سنة تسع وستين ومائة

* * *

[خروج الحسين بن علىّ بن الحسن بفخّ]

ومما كان فيها خروجُ الحسين بنِ علىّ بنِ الحسن بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب المقتول بفَخّ .

* ذكر الخبر عن خروجه ومقتله :

ذكر عن محمد بن موسى الخوارزمىّ أنه قال : كان بين موت المهدىّ وخلافة الهادى ثمانية أيام . قال : ووصل إليه الخبر وهو بجُرجان ، وإلى أن قدم مدينة السّلام إلى خروج الحسين بن علىّ بن الحسن ، وإلى أن قتل الحسين ، تسعة أشهر وثمانية عشر يومًا .

وذكر محمد بن صالح ، أنّ أبا حفص السُّلمِىّ حدّثه ، قال : كان إسحاق بن عيسى بن علىّ على المدينة ، فلما مات المهدىّ ، واستخلف موسى ، شخص إسحاق وافداً إلى العراق إلى موسى ، واستخلف على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

٣ / ٥٥٢ وذكر الفضل بن إسحاق الهاشمىّ أن إسحاق بن عيسى بن علىّ استعفى الهادىَ وهو على المدينة ، واستأذنه فى الشُّخوص إلى بغداد ، فأعفاه ، وولّى مكانَه عمر بن عبد العزيز . وأنّ سبب خروج الحسين بن علىّ بن الحسن كان أن عمر بن عبد العزيز لما تولى المدينة — كما ذكر الحسين بن محمد عن أبى حفص السُّلمِىّ — أخذ أبا الزفت الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ومسلم بن جندُب الشّاعر الهذلىّ وعمر بن سلاّم مولى آل عمر على شراب لهم ، فأمر بهم فضرِبوا جميعًا ، ثم أمر بهم فجُعل فى أعناقهم حبال وطِيف بهم فى المدينة ، فكلِّم فيهم ، وصار إليه الحسين بن علىّ فكلمه ، وقال : ليس هذا عليهم وقد ضربتهم ، ولم يكن لك أن تضربهم ؛ لأنّ أهل العراق لا يرونْ به بأسًا ، فلمَ تطوف بهم ! فبعث إليهم وقد بلغوا البلاط فردّهم ، وأمر بهم إلى الحبْس ، فحبِسوا يومًا وليلة ، ثم كلِّم فيهم فأطلقهم جميعًا ؛ وكانوا

يـُعرَضون ، ففـُقد الحسن بن محمد ، وكان الحسين بن عليّ كفيله .

قال محمد بن صالح : وحدّثني عبد الله بن محمد الأنصاريّ أن العـُمـَريّ كان كـَفـَّل بعضهم من بعض[1] ؛ فكان الحسين بن عليّ بن الحسن ويحيي بن عبد الله بن الحسن كفيلين بالحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ؛ وكان قد تزوّج مولاةً لهم سوداء ابنة أبى لـَيث مولى عبد الله بن الحسن ؛ فكان يأتيها فيـُقيم عندها ، فغاب عن العرض يوم الأربعاء والخميس والجمعة ، وعرضهم خليفةُ العمريّ عشيـّة الجمعة ، فأخذ الحسين بن عليّ ويحيي بن عبد الله ؛ فسألهما عن الحسن بن محمد ؛ فغلـّظ عليهم بعضَ التغليظ ، ثم انصرف إلى العمريّ فأخبره خبرهم ، وقال له : أصلحك الله ! الحسن بن محمد غائب مذ ثلاث ، فقال : ائتنى بالحسين ويحيي ؛ فذهب فدعاهما ، فلمـّا دخلا عليه ، قال لهما : أين الحسن بن محمد ؟ قالا : والله ما ندرى ؛ إنما غاب عنا يوم الأربعاء ، ثم كان يوم الخميس ؛ فبلغنا أنه اعتلّ ، فكنـّا نظن أنّ هذا اليوم لايكون فيه عرْض ؛ فكلمهما بكلام أغلظ لهما فيه ، فحلف يحيي بن عبد الله ألاّ ينام حتى يأتيـَه به أو يضرب عليه باب داره ؛ حتى يعلم أنه قد جاءه به . فلما خرجا قال له الحسين : سبحان الله ! ما دعاك إلى هذا ؟ ومن أين تجد حسناً ! حلفتَ له بشيء لا تقدر عليه . قال : إنما حلفتُ على حسن ، قال : سبحان الله ! فعلى أيّ شيء حلفت ! قال : والله لا نمتُ حتى أضرب عليه باب داره بالسيف . قال : فقال حسين : تـَكسر بهذا ما كان بيننا وبين أصحابنا من الصلة[2] ، قال : قد كان الذى كان فلا بدّ منه .

٥٥٣/٣

وكانوا قد تواعدوا على أن يخرجوا بِمنًى أو بمكة فى الموسم — فيما ذكروا — وقد كان قوم من أهل الكوفة من شيعتهم — وممن كان بايع الحسين — متكمـّنين فى دار ، فانطلقوا فعملوا فى ذلك من عشيـّتهم ومن ليلتهم ، حتى إذا كان فى آخر الليل خرجوا . وجاء يحيي بن عبد الله حتى ضرب باب دار مـَرْوان على العمريّ ، فلم يجده فيها ، فجاء إلى منزله فى دار عبد الله بن عمر فلم يجده أيضاً فيها ، وتوارى منهم ، فجاءوا حتى اقتحموا المسجد حين أذّنوا بالصبح ؛

٥٥٤/٣

(١) ا : « لبعض » .

(٢) ا : « من الميعاد » .

فجلس الحسين على المنبر وعليه عمامة بيضاء ؛ وجعل الناس يأتون المسجد ؛ فإذا رأوهم رجعوا ولا يصلّون ، فلما صلّى الغداة جعل الناس يأتونه، ويبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم للمرتضى من آل محمد . وأقبل خالد البربرىّ ؛ وهو يومئذ على الصوافى بالمدينة قائد على مائتين من الجند مقيمين بالمدينة ، وأقبل فيمَن معه ، وجاء العمرىّ ووزير ابن إسحاق الأزرق ومحمد بن واقد الشروىّ ؛ ومعهم ناس كثير ؛ فيهم الحسين بن جعفر بن الحسين بن الحسين على حِمار ، واقتحم خالد البربرى الرّحبة ، وقد ظاهر بين درعين ، وبيده السيف، وعمود فى منطقته، مصلِتاً سيفَه، وهو يصيح بحسين: أنا كسكاس، قتلنى الله إن لم أقتلك ! وحمل عليهم حتى دنا منهم؛ فقام إليه ابنا عبد الله بن حسن : يحيى وإدريس ،فضربه يحيى على أنف البيْضة فقطعها وقطع أنفه ، وشرقت عيناه بالدّم فلم يبصر ، فبرك يذّبب عن نفسه بسيفه وهو لا يبصر، واستدار له إدريس من خلفه فضربه وصرَعه، وعَلَوَاه بأسيافهما حتى قتلاَه ، وشدّ أصحابهما على درعيْه فخلعوهما عنه ، وانتزعوا سيفه وعموده ، فجاءوا به . ثم أمروا به فجُرّ إلى البلاط ، وحملوا على أصحابه فانهزموا . قال عبد الله بن محمد : هذا كله بعينى . ٣/٥٥٥

وذكر عبد الله بن محمد أن خالداً ضرب يحيى بن عبد الله، فقطع البرُنُس، ووصلت[1] ضربته إلى يد يحيى فأثّرت فيها[2] ، وضربه يحيى على وجهه، واستدار رجل أعور من أهل الجزيرة فأتاه من خلْفه، فضربه على رِجْليه، واعتوروه بأسيافهم فقتلوه .

قال عبد الله بن محمد : ودخل عليهم المسوّدة المسجد حين دخل الحسين ابن جعفر على حماره ، وشدّت المبيّضة فأخرجوهم ، وصاح بهم الحسين : ارفقوا بالشيخ — يعنى الحسين بن جعفر — وانتُهب بيت المال ، فأصيب فيه بضعة عشر ألف دينار ، فضلت من العطاء — وقيل : إن ذلك كان سبعين ألف دينار كان بعث بها عبد الله بن مالك ، يفرض بها من خُزاعة — قال : وتفرّق الناس ، وأغلق أهل المدينة عليهم أبوابَهم ؛ فلما كان من الغد اجتمعوا واجتمعت شيعة ولد العباس، فقاتلوهم بالبلاط فيما بين رحبة دار الفضل والزّوراء،

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « خلعت » . (٢) ساقطة من ط وهى فى ا .

وجعل المسوّدة يحملون على المبيّضة حتى يبلغوا بهم رحبة دار الفضل ، وتحمل المبيّضة عليهم حتى يُبلَغ بهم الزّوراء . وفشت الجراحات بين الفريقين جميعاً ، فاقتتلوا إلى الظهر ، ثم افترقوا ، فلما كان فى آخر النهار من اليوم الثانى يوم الأحَد ، جاء الخبر بأنّ مباركاً التركىّ ينزل بئر المطّلب ، فنشط الناس ، فخرجوا إليه فكلّموه أن يجىء ، فجاء من الغد حتى أتى الثّنيّة ، واجتمع إليه شيعة بنى العباس ومن أراد القتال ، فاقتتلوا بالبلاط أشدّ قتال إلى انتصاف النهار ، ثم تفرّقوا . وجاء هؤلاء إلى المسجد ، ومضى الآخرون إلى مبارك التركىّ ، إلى دار عمر بن عبد العزيز بالثّنيّة يقيل فيها ، وواعد[1] الناس الرّواح ، فلما غفلوا عنه ، جلس على رَوَاحله فانطلق ، وراح الناس فلم يجدوه ، فناوشوهم شيئاً من القتال إلى المغرب ، ثم تفرّقوا ، وأقام حسين وأصحابه أياماً يتجهّزون . وكان مقامهم بالمدينة أحد عشر يوماً ، ثم خرج يوم أربعة وعشرين لستٍّ بقين من ذى القعدة ، فلما خرجوا من المدينة عاد المؤذنون فأذنوا ؛ وعاد النّاس إلى المسجد ، فوجدوا فيه العظام التى كانوا يأكلون وآثارهم ، فجعلوا يدعون الله عليهم ، ففعل[2] الله بهم وفعل . ٥٥٦/٣

قال محمد بن صالح : فحدّثنى نصير بن عبد الله بن إبراهيم الجُمَحىّ ، أنّ حسيناً لما انتهى إلى السوق متوجّهاً إلى مكة التفت إلى أهل المدينة ، وقال : لا خلف الله عليكم بخير ! فقال الناس وأهل السوق : لابل أنت ؛ لا خلف الله عليك بخير ، ولا ردّك ! وكان أصحابه يُحدِثون فى المسجد ، فملئوه قذراً وبولا ؛ فلما خرجوا غسل الناس المسجد .

قال : وحدّثنى ابن عبد الله بن إبراهيم ، قال : أخذ أصحاب الحسين ستورَ المسجد ، فجعلوها خَفاتين لهم ، قال : ونادى أصحابُ الحسين بمكة : أيما عبدٍ أتانا فهو حرّ ؛ فأتاه العبيد ، وأتاه عبد كان لأبى ؛ فكان معه ؛ فلما أراد الحسين أن يخرج أتاه أبى فكلّمه ، وقال له : عمَدتَ إلى مماليك لم تملكْهم فأعتقتَهم ، بم تستحلّ ذلك ! فقال حسين لأصحابه : اذهبوا به ، فأىّ عبدَ عرَفه فادفعوه إليه ؛ فذهبوا معه ، فأخذ غلامه وغلامين لجيران لنا.

وانتهى خبر الحسين إلى الهادى ، وقد كان حجّ فى تلك السنة رجال من أهل ٥٥٧/٣

---

(١) ا : « ووعد » . (٢) ط : « فعل » .

بيته؛ منهم محمد بن سليمان بن علىّ والعباس بن محمد وموسى بن عيسى، سوى من حجّ من الأحداث . وكان على الموسم سليمان بن أبى جعفر ، فأمر الهادى بالكتاب بتولية محمد بن سليمان على الحرب ، فقيل له : عمّك العباس بن محمد ! قال : دعونى ، لا والله لا أخدَع عن ملكى ؛ فنفذ الكتاب بولاية محمد بن سليمان بن علىّ على الحرب ، فلقيَهم الكتاب وقد انصرفوا عن الحجّ .
وكان محمد بن سليمان قد خرج فى عدّة من السلاح والرجال ؛ وذلك لأن الطريق كان مخوفًا معوراً من الأعراب ؛ ولم يحتشد لهم حسين ؛ فأتاه خبرهم ، فهمْ بصوبه ، فخرج بخدَمه وإخوانه . وكان موسى بن علىّ بن موسى قد صار ببطْن نخل، على الثلاثين من المدينة، فانتهى إليه الخبر ومعه إخوانه وجواريه، وانتهى الخبر إلى العباس بن محمد بن سليمان وكاتبهم ، وساروا إلى مكة فدخلوا ، فأقبل محمد بن سليمان ، وكانوا أحرموا بعُمْرة . ثم صاروا إلى ذى طُوًى؛ فعسكروا بها ، ومعهم سليمان بن أبى جعفر ؛ فانضمّ إليهم من وافَى فى تلك السنة من شيعة ولد العباس ومواليهم وقُوّادهم. وكان الناس قد اختلفوا فى تلك السنة فى الحجّ وكثروا جدًّا . ثم قدّم محمد بن سليمان قدامه تسعين حافراً ما بين فَرس إلى بغل ، وهو على نجيب عظيم ، وخلفه أربعون راكبًا على النجائب عليها الرّحال وخلْفهم مائتا[1] راكب على الحمير ، سوى مَن كان معهم من الرّجالة وغيرهم ، وكثروا فى أعين الناس جدًّا وملئوا صدورهم[2] فظنّوا أنهم أضعافهم ، فطافوا بالبيت ، وسعَوْا بين الصّفا والمرْوة، وأحلّوا من عمرتهم ، ثم مضوا فأتوا ذا طُوًى ونزلوا، وذلك يوم الخميس. فوجّه محمد بن سليمان أبا كامل — مولًى لإسماعيل بن علىّ — فى نيِّف وعشرين فارساً؛ وذلك يوم الجمعة فلقيهم . وكان فى أصحابه رجل يقال له زيد ، كان انقطع إلى العبّاس، فأخرجه معه حاجًّا لما رأى من عبادته ، فلما رأى القوم قلَب ترسه وسيفه، وانقلب إليهم؛ وذلك ببطن مرّ، ثم ظفروا به بعد ذلك مشدّخًا بالأعمدة؛ فلما كان ليلة السبت وجّهوا خمسين فارسًا ، كان أوّل مَنْ ندبوا صباح أبو الذّيال ، ثم آخر ثم آخر ؛ فكان أبو خلوة الخادم مولى محمد خامسًا ،

٥٥٨/٣

(١) كذا فى ا ، و فى ط : « ما بين » . (٢) ساقطة من ط وهى مثبتة فى ا .

فأتوا المفضّل مولى المهدىّ ، فأرادوا أن يصيّروه عليهم ، فأبى وقال : لا ، ولكن صيّروا عليهم غيرى وأكون أنا معهم ، فصيّروا عليهم عبد الله بن حُميد بن رُزين السمرقندىّ — وهو يومئذ شابّ ابن ثلاثين سنة — فذهبوا وهم خمسون فارسًا ؛ وذلك ليلة السبت . فدنا القوم ، وزحفت(١) الخيل ، وتعبّأ الناس ؛ فكان العباس بن محمد وموسى بن عيسى فى الميسرة ، ومحمد بن سليمان فى الميمنة ؛ وكان معاذ بن مسلم فيما بين محمد بن سليمان والعباس بن محمد ، فلما كان قبل طلوع الفجر جاء حسين وأصحابه فشدّ ثلاثة من موالى سليمان بن علىّ — أحدهم زنجويه غلام حسان — فجاءوا برأس فطرحوه قُدّام محمد بن سليمان — وقد كانوا ٥٥٩/٣ قالوا : مَنْ جاء برأس فله خمسمائة درهم — وجاء أصحاب محمد فعرْقبوا الإبل ، فسقطت محاملها . فقتلوهم وهزموهم ؛ وكانوا خرجوا من تلك الثّنايا ، فكان الذين خرجوا ممّا يلى محمد بن سليمان أقلّهم ، وكان جلُّهم خرجوا مما يلى موسى بن عيسى وأصحابه ؛ فكانت الصدمة بهم ؛ فلما فرغ محمد بن سليمان ممّن يليه وأسْفروا ، نظروا إلى الذين يلون موسى بن عيسى ؛ فإذا هم مجتمعون كأنهم كبّة غزْل ، والتفّت الميمنة والقلب عليهم ، وانصرفوا نحو مكّة لا يدرون ما حال الحسين ؛ فما شعروا وهم بذى طُوًى أو قريبًا منها إلا برجل من أهل خراسان ، يقول : البشرى البشرى ! هذا رأس حُسين ، فأخرجه وبجبهته ضربة طولاً ، وعلى قفاه ضربة أخرى ؛ وكان الناس نادوا بالأمان حين فرغوا ، فجاء الحسن بن محمد أبو الزّفت مغمِضًا إحدى عينيه ، قد أصابها شىء فى الحرب ، فوقف خلف محمد والعباس ، واستدار به موسى بن عيسى وعبد الله ابن العباس . فأمر به فقتِل ، فغضب محمد بن سليمان من ذلك غضبًا شديداً . ودخل محمد بن سليمان مكة من طريق والعباس بن محمد من طريق ، واحتُزّت الرءوس ؛ فكانت مائة رأس ونيّفاً ؛ فيها رأس سليمان بن عبد الله بن حسن وذلك يوم التروية ، وأخذت أخت الحسين ، وكانت معه فصيرت عند زينب بنت سليمان ، واختلطت المنهزمة بالحجّاج ، فذهبوا ، وكان سليمان بن أبى جعفر شاكيًا فلم يحضر القتال ، ووافى عيسى بن جعفر الحجّ تلك السنة ؛ وكان مع أصحاب حسين رجلٌ أعمى يقصّ عليهم فقتِل ، ولم يقتَل أحد منهم صبرًا . ٥٦٠/٣

(١) ط : « ورجعت » .

قال الحسين بن محمد بن عبد الله : وأسر موسى بن عيسى أربعة نفر من أهل الكوفة ، ومولى لبنى عجل وآخر .

قال محمد بن صالح : حدّثنى محمد بن داود بن علىّ ، قال : حدّثنا موسى بن عيسى ، قال : قدمتُ معى بستّة أسارى فقال لى الهادى : هيه ! تقتل أسيرى ! فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، إنى فكرت فيه فقلت : تجىء عائشة وزينب إلى أمّ أمير المؤمنين ، فتبكيان عندها وتكلّمانها ، فتكلّم له أمير المؤمنين فيطلقه . ثم قال : هاتِ الأسرى ، فقلت : إنى جعلت لهم العهد والمواثيق بالطلاق والعتاق ، فقال : ائتنى بهم ، وأمر باثنين فقتلا ، وكان الثالث منكراً ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ؛ هذا أعلم الناس بآل أبى طالب ؛ فإن استبقيتَه دلّك على كل بغية لك ، فقال : نعم والله يا أميرَ المؤمنين ؛ إنى أرجو أن يكون بقائى صنعًا لك . فأطرق ثم قال : والله لإفلاتُك[1] من يدى بعد أن وقعتَ فى يدى لشديد ؛ فلم يزل يكلّمه حتى أمر به أن يؤخّر ، وأمره أن يكتب له طلبته ، وأمّا الآخر فصفح عنه ، وأمر بقتل عذافر الصيرفى وعلىّ بن السابق القلّاس الكوفىّ ، وأن يصلَبا ، فصلبوهما بباب الجسر ، وكانا أُسِرا بفَخّ . وغضب على مبارك التركىّ ، وأمر بقبض أمواله وتصييره فى ساسة الدوابّ ، وغضب على موسى بن عيسى لقتله الحسن بن محمد ، وأمر بقبض أمواله .

وقال عبد الله بن عمرو الثلجىّ : حدّثنى محمد بن يوسف بن يعقوب الهاشمىّ ، قال : حدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى ، قال : أفلت إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب من وقعة فَخّ فى خلافة الهادى ، فوقع إلى مصر ، وعلى بريد مصر واضح مولى لصالح بن أمير المؤمنين المنصور ، وكان رافضيًّا خبيثًا ، فحمله على البريد إلى أرض المغرب ، فوقع بأرض طَنْجة بمدينة يقال لها وَليلة ، فاستجاب له مَنْ بها وبأعراضها من البربر ، فضرب الهادى عنق واضح وصلَبه . ٣/٥٦١

ويقال : إنّ الرّشيد الذى ضرب عنقه ، وأنه دس إلى إدريس الشماخ اليمامىّ مولى المهدىّ ، وكتب له كتاباً إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على إفريقيّة ،

(١) ا : « إن إفلاتك » .

فخرج حتى وصل إلى وليلة وذكر أنه متطبِّب ، وأنه من أوليائهم ، ودخل على إدريس فأنِس به واطمأنّ إليه ؛ وأقبل الشماخ يريه الإعظام له والميل إليه والإيثار له فنزل عنده بكلّ منزلة . ثم إنه شكا إليه علّةً فى أسنانه ، فأعطاه سنوناً[1] مسموماً قاتلا ، وأمره أن يستنّ به عند طلوع الفجر لليلته ؛ فلما طلع الفجر استنّ إدريس بالسنون ، وجعل يردّه فى فيه ، ويكثّر منه ، فقتله . وطُلِب الشماخ فلم يُظفر به ، وقدم على إبراهيم بن الأغلب فأخبره بما كان منه ، وجاءته بعد مقدمه الأخبار بموت إدريس ؛ فكتب ابن الأغلب إلى الرّشيد بذلك ، فولّى الشماخ بريد مصر وأجاره[2] ، فقال فى ذلك بعض الشعراء — أظنه الهنازىّ :

أَتَظنّ يا إِدْرِيسُ أَنَّكَ مُفْلِتٌ ... كَيْدَ الخليفةِ أَوْ يُفيدُ فِـرارُ
فَلَيُدْرِكنَّكَ أَوْ تحِلَّ بِبَلْدَةٍ ... لا يَهْتَدِى فيها إِلَيك نهارُ
إنَّ السُيوفَ إذا انتضاها سُخْطُهُ ... طالتْ وقَصَّرَ دُونها الأَعمارُ
مَلِكٌ كأَنَّ المَوْتَ يَتْبَعُ أَمْرَهُ ... حتى يقال : تُطيعُهُ الأَقدارُ

٥٦٢/٣ وذكر الفضل بن إسحاق الهاشمىّ أن الحسين بن علىّ لما خرج بالمدينة وعليها العُمَرىّ لم يزل العمرىّ متخفّياً مقامَ الحسين بالمدينة ، حتى خرج إلى مكة . وكان الهادى وجّه سليمان بن أبى جعفر لولاية الموسم ، وشخص معه من أهل بيته ممن أراد الحجّ العباس بن محمد وموسى بن عيسى وإسماعيل بن عيسى ابن موسى فى طريق الكوفة ، ومحمد بن سليمان وعدّة من ولد جعفر بن سليمان على طريق البصرة ، ومن الموالى مبارك التركى والمفضَّل الوصيف وصاعد مولى الهادى — وكان صاحب الأمر سليمان — ومن الوجوه المعروفين يقطين بن موسى وعبيد ابن يقطين وأبو الوزير عمر بن مطرّف ؛ فاجتمعوا عند الذى بلغهم من توجّه الحسين ومَنْ معه إلى مكة ، ورأّسوا عليهم سليمان بن أبى جعفر لولايته ؛ وكان قد جُعل أبو كامل مولى إسماعيل على الطلائع ، فلقوه بفخّ ، وخلّفوا عبيد الله بن قُثَم بمكة للقيام بأمرها وأمر أهلها ؛ وقد كان العباس بن محمد أعطاهم الأمان على ما أحدثوا ، وضمن لهم الإحسان إليهم والصلة لأرحامهم ؛

---

(١) السنون : ما استكت به .
(٢) ط : « وأخباره » .

وكان رسولهم فى ذلك المفضّل الخادم، فأبوْا قبول ذلك ، فكانت الوقعة ، فقتل مَنْ قتل ، وانهزم الناس ، ونودى فيهم بالأمان، ولم يُتبَع هارب ؛ وكان فيمن هرب يحيى وإدريس ابنا عبد الله بن حسن ؛ فأما إدريس فلحق بتاهَرْت من بلاد المغرب ، فلجأ إليهم فأعظموه ؛ فلم يزل عندهم إلى أن تُلُطِّف له، واحتيل عليه ، فهلك ، وخلَفه ابنه إدريس بن إدريس؛ فهم[1] إلى اليوم بتلك الناحية مالكين لها ، وانقطعت عنهم البعوث .

٣/٥٦٣ قال المفضل بن سليمان : لما بلغ العمرىَّ وهو بالمدينة مقتلُ الحسين بفخّ وثب على دار الحسين ودور جماعة من أهل بيته وغيرهم ممّن خرج مع الحسين، فهدمها وحرّق النخل ، وقبض ما لم يحرقه ، وجعله فى الصوافى المقبوضة[2] . قال : وغضب الهادى على مبارك التركىّ لِما بلغه من صدوده عن لقاء الحسين بعد أن شارف المدينة ، وأمر بقبض أمواله وتصييره فى سياسة دوابه ؛ فلم يزل كذلك إلى وفاة الهادى، وسخط على موسى بن عيسى لقتله الحسن بن محمد بن عبد الله أبى الزفت؛ وتَرْكه أن يقدم به أسيراً ، فيكون المحكّم فى أمره ، وأمَرَ بقبض أمواله ، فلم تزل مقبوضة إلى أن تُوفّىَ موسى . وقدم على موسى ممن أسِر بفَخّ الجماعة، وكان فيهم عذافر الصيرفىّ وعلىّ بن سابق القلاّس الكوفىّ، فأمر بضرب أعناقهما وصلْبهما بباب الجسر ببغداد ؛ ففُعل ذلك . قال : ووجّه مهرويه مولاه إلى الكوفة ، وأمره بالتغليظ عليهم لخروج مَنْ خرج منهم مع الحسين.

وذكر علىّ بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، قال : حدّثنى يوسف البَرْم مولى آل الحسن — وكانت أمّه مولاة فاطمة بنت حسن — قال : كنت مع حسين أيام قدم على المهدىّ ، فأعطاه أربعين ألف دينار ، ففرّقها فى الناس ببغداد والكوفة؛ ووالله ما خرج من الكوفة وهو يملك شيئاً يلبسه إلا فروًا ما تحته قميص وإزار الفراش ؛ ولقد كان فى طريقه إلى المدينة؛ إذا نزل استقرض من مواليه ما يقوم بمؤونتهم فى يومهم

قال علىّ : وحدثنى السرىّ أبو بشر، وهو حليف بنى زهرة ، قال : صلّيتُ ٣/٥٦٤ الغداة فى اليوم الذى خرج فيه الحسين بن علىّ بن الحسن صاحب فخّ ، فصلّى

(١) ط : « فهو » . (٢) ط : « والمقبوضة » ، وما أثبته من ا .

بنا حسين ، وصعد المنبر منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس وعليه قميص وعمامة بيضاء قد سدَلها من بين يديه ومن خلْفه ، وسيفه مسلول قد وضعه بين رجليه ؛ إذ أقبل خالد البربرىّ فى أصحابه ؛ فلمّا أراد أن يدخل المسجد بدَرَه يحيى بن عبد الله، فشدّ عليه البربرىّ؛ وإنى لأنظر إليه، فبدَره يحيى بن عبد الله ، فضربه على وجهه ، فأصاب عينيه وأنفه ؛ فقطع البيضة والقلنسوة ، حتى نظرتُ إلى قَحْفه طائراً عن موضعه ، وحمل على أصحابه فانهزموا . ثم رجع إلى حسين ، فقام بين يديه وسيفه مسلول يقطر دمًا ، فتكلّم حسين ، فحمد الله وأثنى عليه ، وخطب الناس ، فقال فى آخر كلامه : يأيها النّاس، أنا ابن رسول الله فى حرم رسول الله، وفى مسجد رسول الله، وعلى منبر نبىّ الله ، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فإن لم أفِ لكم بذلك فلا بيعةَ لى فى أعناقكم . قال : وكان أهل الزيارة فى عامهم ذلك كثيراً ، فكانوا قد ملئوا المسجد ؛ فإذا رجل قد نهض ، حسن الوجه ، طويل القامة ، عليه رداءٌ ممشّق ، أخذ بيد ابن له شابّ جميل جَلْد ، فتخطّى رقاب الناس ؛ حتى انتهى إلى المنبر ، فدنا من حسين ، وقال : يابنَ رسول الله ، خرجتُ من بلد بعيد وابنى هذا معى ، وأنا أريد حجّ بيت الله وزيارة قبر نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وما يخطر ببالى هذا الأمر الّذى حدث منك ؛ وقد سمعتُ ما قلتَ ، فعندك وفاء بما جعلت على نفسك ؟ . قال : نعم ، قال : ابسط يدَك فأبايعك ، قال : فبايعه ، ثم قال لابنه: ادن فبايِعْ . قال : فرأيتُ والله رءوسهما فى الرءوس بمنًى ، وذلك أنى حججت فى ذلك العام . ٣/٥٦٥

قال : وحدّثنى جماعة من أهل المدينة أنّ مباركاً التركىّ أرسل إلى حسين ابن علىّ : والله لأن أسقط من السماء فتخطفنى الطير ، أوتهوى بى الريح فى مكان سحيق ، أيسر علىّ من أن أشوكك بشوكة، أو أقطع من رأسك شعرة ؛ ولكن لابدّ من الإعذار ؛ فبَيِّتْنى فإنى منهزم عنك. فأعطاه بذلك عهدَ الله وميثاقه . قال : فوجّه إليه الحسين — أوخرج إليه — فى نفر يسير ، فلما دنوْا من عسكره صاحوا وكبّرُوا ، فانهزم أصحابه حتى لحق بموسى بن عيسى .

وذكر أبو المِضْرَحىّ الكلابىّ ، قال: أخبرنى المفضّل بن محمد بن المفضّل

ابن حسين بن عبيد الله بن العباس بن علىّ بن أبى طالب ، أنّ الحسين بن علىّ بن حسن بن حسن ، قال يومئذ فى قوم لم يخرجوا معه — وكان قد وعدوه أن يوافوه ، فتخلّفوا عنه — متمثّلا :

من عاذَ بالسَّيْفِ لَاقَى فُرْصَةً عجَباً مَوْتاً على عجل أَو عاش منتصِفا(١)

لا تَقرَبوا السَّهلَ إنَّ السَّهلَ يُفسِدُكم لَن تُدْركوا المجدَ حتى تضربُوا عُنفا(٢)

وذكر الفضل بن العباس الهاشمىّ أن عبد الله بن محمد المنقرىّ حدّثه عن أبيه ، قال : دخل عيسى بن دأب على موسى بن عيسى عند منصرَفه من فَخّ ، فوجده خائفًا يلتمس عذراً مِن قتل مَن قتل ، فقال له : أصلح الله الأمير ! أنشدك شعراً كتبَ به يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة يعتذر فيه من قتل الحسين بن علىّ رضى الله عنه ؟ قال : أنشدنى ، فأنشده ، فقال :

٣/٥٦٦

يأَيُّها الراكبُ الغـادِى لِطِيَّتِهِ على عُذَافرَةٍ فى سَيْرِها قُحَمُ

أَبلغْ قرَيشاً على شَحْط المَزارِ بها بيْنى وبيْنَ الحُسْين اللهُ والرَّحِمُ

وَمَوْقِفٍ بِفناءِ البيْتِ أَنْشُدُهُ عهْدَ الإِلهِ ومَا تُرْعَى له الذِّمَمُ

عنَّفتمُ قَومكم فَخرًا بأُمِّكُمُ أمٌّ حَصَانٌ لعمْرى بَرَّةٌ كرَمُ

هى التى لا يُدانى فَضلَها أَحَدٌ بنتُ النبىِّ وَخيْرِ الناسِ قَدْ علموا

وفَضلها لكمُ فضلٌ وغيْرُكمُ مِنْ قَومكمْ لَهُمُ مِن فضلها قِسَمُ

إنى لأَعلَمُ أَو ظنًّا كعالِمِهِ والظنّ يَصْدُقُ أَحياناً فَيَنْتَظِمُ

أَن سوفَ يَترُككمْ ما تطلبونَ بها قتلَى تهاداكمُ العِقبان والرَّخَمُ

يا قومَنا لا تُشِبّوا الحَربَ إذ خَمَدَت ومَسِّكوا بِحبالِ السِّلْمِ واعْتَصِموا

لا تركبوا البَغْىَ إنَّ البغْىَ مَصْرَعَةٌ وَإنَّ شاربَ كأْسِ البغْىِ يتَّخِمُ

٣/٥٦٧

قَدْ جَرَّبَ الحَرْبَ من قَدْ كان قبلكمُ مِنَ القرونِ وقَد بادتْ بها الأُمَمُ

فأَنْصفوا قومكم لا تهلكوا بذَخًا فَرُبَّ ذى بَذخٍ زَلَّتْ بِهِ القَدَمُ

---

(١) ا ، س : « أو مات » .

(٢) ا ، ج : « حتى تدركوا » .

قال : فسرِّىَ عن موسى بن عيسى بعض ما كان فيه .

وذكر عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى أنّ العلاء حدّثه أن الهادىَ أمير المؤمنين لمّا ورد عليه خلعُ أهلَ فخّ خلا ليله يكتب كتاباً بخطّه ، فاغتمّ بخلوته مواليه وخاصّته ، فدسّوا غلاماً له ، فقالوا : اذهب حتى تنظر إلى أىّ شىء انتهى الخبر ، قال : فدنا من موسى ، فلما رآه قال : ما لك ؟ فاعتلّ عليه ، قال : فأطرق ثم رفع رأسه إليه ، فقال :

رَقَدَ الأُلَى ليس السُّرَى مِنْ شَأْنِهِمْ   وكفَاهُمُ الإدْلاجَ من لم يَرْقُدِ

وذكر أحمد بن معاوية بن بكر الباهلىّ ؛ قال : حدّثنا الأصمعىّ ، قال : قال محمد بن سليمان ليلة فخّ لعمرو بن أبى عمرو المدنىّ — وكان يرمى بين يديه بين الهدفين : ارمِ ، قال : لا والله لا أرمى ولدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إنى إنّما صحِبتك لأرمى بين يديك بين الهدَفيْن ، ولم أصحبك لأرمى المسلمين .

قال : فقال المخزومىّ : ارمِ ، (١)فرمى فما مات إلا بالبَرَص(١) .

قال : ولما قتِل الحسين بن علىّ وجاء(٢) برأسه يقطين بن موسى ، فوُضِع بين يدى الهادى ، قال : كأنكم والله جئتم برأس طاغوت من الطواغيت ! إن أقلّ ما أجزيكم به أن أحرمكم جوائزكم . قال : فحرمهم ولم يعطهم شيئاً .

وقال موسى الهادى : لما قُتل الحسين متمثّلا :

قدْ أَنصَفَ القارَةَ مَنْ راماها(٣)   إنا إذا ما فئَةً نلقاهــا

٥٦٨/٣

* نرُدُّ أولاها على أخراها *

وغزا الصائفة فى هذه السنة معيوف بن يحيى من دَرْب الراهب ، وقد كانت الرُّوم أقبلت مع البطريق إلى الحدَث(٤) ؛ فهرب الوالى والجند وأهل الأسواق ،

(١ — ١) ا ، ج : « فمات بالبرص » .
(٢) ج : « وجاءه » .
(٣) اللسان ٦ : ٤٣٦ .
(٤) ابن الأثير : « الحديثة » .

فدخلها العدو ، ودخل أرض العدوّ معيوف بن يحيى ، فبلغ مدينة أشنة ، فأصابوا سبايا وأسارى وغنموا .

وحجّ بالناس فى هذه السنة سليمان بن أبى جعفر المنصور .

وكان على المدينة عمر بن عبد العزيز العمرىّ ، وعلى مكة والطائف عبيد الله بن قُثَم ، وعلى اليمن إبراهيم بن سَلْم بن قتيبة ، وعلى اليمامة والبحرين سُوَيد بن أبى سُوَيد القائد الخراسانىّ ، وعلى عُمان الحسن بن تسنيم[1] الحوارىّ ،

وعلى صلاة الكوفة وأحداثها وصدقاتها وبِهَقُبَاذ الأسفل موسى بن عيسى ، وعلى صلاة البصرة وأحداثها محمد بن سليمان . وعلى قضائها عمر بن عثمان ، وعلى جرجان الحجّاج مولى الهادى ، وعلى قومِس زياد بن حسان ، وعلى طَبَرِسْتان والرُّويان صالح بن شيخ بن عُميرة الأسدىّ ، وعلى أصبهان طيفور مولى الهادى .

---

(١) ابن الاثير : « نسيم » .

ثم دخلت سنة سبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك وفاة يزيد بن حاتم بإفريقيّة فيها ، ووليَها بعده رَوْح بن حاتم . ٣/٥٦٩

وفيها مات عبد الله بن مروان بن محمد فى المطبَق .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة موسى الهادى]

وفيها توفّىَ موسى الهادى بعيساباذ. واختُلف فى السبب الذى كان به وفاته ، فقال بعضهم : كانت وفاته من قُرْحة كانت فى جوفه . وقال آخرون : كانت وفاته من قِبَل جوارٍ لأمّه الخيزُران ؛ كانت أمرتهنّ بقتله لأسباب نذكر بعضها .

* ذكر الخبر عن السبب الذى من أجله كانت أمرتهنّ بقتله :

ذكر يحيى بن الحسن أن الهادىَ نابذَ أمه ونافرها ؛ لمّا صارت إليه الخلافة ، فصارت خالصةُ إليه يوماً ، فقالت : إن أمّك تستكسيك ، فأمر لها بخِزانة مملوءة كِسوة . قال : ووُجِد للخيزران فى منزلها من قراقر[1] الوشى ثمانية عشر ألف قَرْقر . قال : وكانت الخيزران فى أوّل خلافة موسى تفتات عليه فى أموره ، وتسلك به مسلك أبيه من قبله فى الاستبداد بالأمر والنهى ، فأرسل إليها ألا تخرجى من خفَر الكفاية إلى بذاذة التبذُّل ؛ فإنه ليس من قَدْر النساء الاعتراض فى أمر الملك ؛ وعليكِ بصلاتك وتسبيحك[2] وتبتُّلك ؛ ولك بعد هذا طاعة مثلك فيما يجب لك . قال : وكانت الخيزُران فى خلافة موسى كثيراً ما تكلّمه فى الحوائج ؛ فكان يجيبها إلى كلّ ما تسأله حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته ، وانثال النّاس عليها ، وطمعوا فيها ؛ فكانت المواكب ٣/٥٧٠ تغدو إلى بابها ؛ قال : فكلّمته يوماً فى أمرٍ لم يجد إلى إجابتها[3] إليه سبيلا ،

(١) القرقر : من لباس المرأة . (٢) ا : « وسبحتك » (٣) س : « فى إجابتها » .

فاعتلّ بعلة ، فقالت : لا بدّ من إجابتى ، قال : لا أفعل ، قالت : فإنى قد تضمّنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك . قال : فغضب موسى ، وقال : ويل على ابن الفاعلة ! قد علمتُ أنه صاحبها ؛ والله لاقضيتها لك ، قالت : إذاً والله لا أسألك حاجة أبداً ، قال : إذاً والله لا أبالى . وحمىَ وغضب . فقامت مغضَبة ، فقال : مكانك تستوعى[1] كلامى والله ، وإلاّ فأنا نفىّ من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغنى أنه وقف ببابك أحد من قُوّادى أو أحد من خاصّتى أو خدمى لأضربنّ عنقه ؛ ولأقبضنّ ماله ؛ فمن شاء فليلزم ذلك . ما هذه المواكب التى تغدو وتروح إلى بابك فى كلّ يوم ! أما لكِ مغزل يشغلك ، أو مصحف يُذكرك ، أو بيت يصونك ! إياك ثم إياك ؛ ما فتحتِ بابك لملىّ أو لذمىّ . فانصرفت ما تعقل ما تطأ ؛ فلم تنطق عنده بحُلْوة ولا مُرّة بعدها .

قال يحيى بن الحسن : وحدّثنى أبى ، قال : سمعت خالصة تقول للعباس ابن الفضل بن الربيع : بعث موسى إلى أمّه الخيزُران بأرزّة ، وقال : استطبتُها فأكلتُ منها ، فكلى منها . قالت خالصة : فقلت لها : أمسكى حتى تنظرى ؛ فإنى أخاف أن يكون فيها شىء تكرهينه ، فجاءوا بكلب فأكل منها ، فتساقط لحمه ؛ فأرسل إليها بعد ذلك : كيف رأيتِ الأرزّة ؟ فقالت : وجدتها طيّبة ، فقال : لم تأكلى ؛ ولو أكلتِ لكنتُ قد استرحتُ منك ، متى أفلح خليفة له أمّ ! ٣/٥٧١

قال وحدّثنى بعضُ الهاشميين ، أنّ سبب موت الهادى كان أنه لمّا جدّ فى خلع هارون والبيعة لابنه جعفر ، وخافت الخيزُران على هارون منه ، دسّت إليه من جواريها لمّا مرض مَنْ قتله بالغمّ والجلوس على وجهه ، ووجّهت إلى يحيى بن خالد : إنّ الرجُلَ قد تُوُفّى ، فاجدْد فى أمرك ولا تقصّر .

وذكر محمد بن عبد الرحمن بن بشار أنّ الفضل بن سعيد حدّثه ، عن أبيه ، قال : كان يتصل بموسى وصولُ القوّاد إلى أمّه الخيزُران ، يؤمّلون بكلامها

(١) ج : « تستوفى » . ا : « تستوعى » .

فى قضاء حوائجهم عنده ، قال : وكانت تريد أن تغلب على أمره كما غلبت على أمر المهدىّ ؛ فكان يمنعها من ذلك ويقول : ما للنساء والكلام فى أمر الرجال ! فلما كثر عليه مصيرُ من يصير إليها من قواده ، قال يوماً وقد جمعهم : أيما خير ؟ أنا أو أنتم ؟ قالوا : بل أنت يا أمير المؤمنين ؛ قال : فأيما خيرٌ ، أمّى أو أمهاتكم ؟ قالوا : بل أمّك يا أمير المؤمنين ، قال : فأيّكم يحبّ أن يتحدّث الرجال بخبر أمه ، فيقولوا : فعلتْ أمّ فلان ، وصنعت أم فلان ، وقالت أم فلان ؟ قالوا : ما أحد منا يحبّ ذلك ، قال : فما بالُ الرجال يأتون أمى فيتحدّثون بحديثها ! فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها ألبتّةَ ، فشقّ ذلك عليها فاعتزلتْه ، وحلفتْ ألاّ تكلمه ؛ فما دخلت عليه حتى حضرته الوفاة .

* * *

[ذكر الخبر عما كان من خلع الهادى للرشيد]

وكان السبب فى إرادة موسى الهادى خلْع أخيه هارون حتى اشتدّ عليه فى ذلك وجدّ ــ فيما ذكر صالح بن سليمان ــ أنّ الهادىَ لما أفضت إليه الخلافة أقرّ يحيى بن خالد على ما كان يلِى هارون من عمل المغرب ؛ فأراد الهادى خلعَ هارون الرشيد والبيْعة لابنه جعفر بن موسى الهادى ، وتابعه على ذلك القوّاد ؛ منهم يزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وعلىّ بن عيسى ومَنْ أشبههم ؛ فخلعوا هارون ، وبايعوا لجعفر بن موسى ، ودسّوا إلى الشيعة[1] ؛ فتكلموا فى أمره ، وتنقّصوه فى مجلس الجماعة ، وقالوا : لا نرضى به ، وصعب أمرهم حتى ظهر ؛ وأمر الهادى ألاّ يسارَ قدّامَ الرشيد بحربة ، فاجتنبه الناس وتركوه ؛ فلم يكن أحدٌ يجترئ أن يسلّم عليه ولا يقربه .

٥٧٢/٣

وكان يحيى بن خالد يقوم بإنزال الرّشيد ولايفارقه هو وولده ــ فيما ذكر. قال صالح : وكان إسماعيل بن صُبيح كاتب يحيى بن خالد، فأحبّ أن يضعه موضعًا يستعلم له فيه الأخبار ، وكان إبراهيم الحَرّانىّ فى موضع الوزارة لموسى ، فاستكتب إسماعيل ، ورفع الخبر إلى الهادى ؛ وبلغ ذلك يحيى بن خالد ، فأمر إسماعيل أن يشخص إلى حرّان ، فسار إليها ؛ فلما كان بعد أشهر سأل

(١) ا : « إليه الشيعة » .

الهادى إبراهيم الحرانىّ : مَنْ كاتبك ؟ قال : فلان كاتب ، وسمّاه ، فقال : أليس بلغنى أن إسماعيل بن صُبيح كاتبك ؟ قال : باطلٌ يا أمير المؤمنين ؛ إسماعيل بحرّان .

قال : وسُعِىَ إلى الهادى بيحيى بن خالد ، وقيل له : إنه ليس عليك من هارون خلاف ؛ وإنما يفسده يحيى بن خالد ، فابعث إلى يحيى ، وتهدّدْه بالقتل ؛ وارمِه بالكفر ؛ فأغضب ذلك موسى الهادى على يحيى بن خالد .

وذكر أبو حفص الكرمانىّ أنّ محمد بن يحيى بن خالد حدّثه ، قال : بعث الهادى إلى يحيى ليلاً ، فأيِس من نفسه ، وودّع أهله ، وتحنّط وجدّد ثيابه ، ولم يشكّ أنه يقتله ؛ فلمّا أدخِل عليه ، قال : يا يحيى ، ما لى ولك ! قال : أنا عبدُك يا أميرَ المؤمنين ؛ فما يكون من العبد إلى مولاه إلا طاعته . قال : فلمَ تدخل بينى وبين أخى وتفسده علىّ ! قال : يا أميرَ المؤمنين ، مَنْ أنا حتى أدخل بينكما ! إنما صيرنى المهدىّ معه ، وأمرنى بالقيام بأمره ؛ فقمت بما أمرنى به ، ثم أمرتَنى بذلك فانتهيت إلى أمرك . قال : فما الذى صنع هارون ؟ قال : ما صنع شيئًا ، ولاذلك فيه ولا عنده . قال : فسكن غضبُه . وقد كان هارون طاب نفسًا بالخلع ، فقال له يحيى : لا تفعل ، فقال : أليس يترك لى الهنىء والمرىء ، فهما يسعاننى وأعيش مع ابنة عمى ! وكان هارون يجدُ بأمّ جعفر وجْداً شديداً ، فقال له يحيى : وأين هذا من الخلافة ! ولعلك ألا يُتْرَك هذا فى يدك حتى يخرج أجمَع ؛ ومنعه من الإجابة .

٥٧٣/٣

قال الكرمانىّ : فحدّثنى صالح بن سليمان ، قال : بعث الهادى إلى يحيى بن خالد وهو بعيساباذ ليلاً ، فراعه ذلك ، فدخل عليه وهو فى خَلْوة ، فأمر بطلب رجل كان أخافه[1] ، فتغيّب عنه ؛ وكان الهادى يريد أن ينادمه ويمنعه مكانه من هارون ، فنادمه وكلّمه يحيى فيه ، فآمنه وأعطاه خاتم ياقوت أحمر فى يده ، وقال : هذا أمانه[2] ، وخرج يحيى فطلب الرّجل ، وأتى الهادى به فسرّ بذلك .

---

(١) س : « خافه » .

(٢) ط : « أمانة » .

قال : وحدّثني غير واحد أنّ الرجل الذى طلبه كان إبراهيم الموصلىّ .

قال صالح بن سليمان : قال الهادى يوما للربيع : لا يدخل علىّ يحيى بن خالد إلا آخر الناس . قال : فبعث إليه الرّبيع ، وتفرّغ له . قال : فلما جلس من غد أذن حتى لم يبق أحد ، ودخل عليه يحيى ، وعنده عبد الصمد ابن علىّ والعبّاس بن محمد وجِلّةُ أهله وقُوّاده ، فما زال يُدنيه حتى أجلسه بين يديه ، وقال له : إنى كنت أظلمك وأكفرك ، فاجعلنى فى حلّ ، فتعجبّ الناس من إكرامه إياه وقوله ؛ فقبّل يحيى يده وشكر له ، فقال له الهادى : مَن الذى يقول فيك يا يحيى : ٣/٥٧٤

لو يَمَسُّ البَخِيلُ راحةَ يحيى لَسَخَتْ نَفْسُه بِبَذْلِ النَّوالِ

قال : تلك راحتُك يا أمير المؤمنين لا راحة عبدك !

قال : وقال يحيى للهادى فى خلع الرّشيد لمَّا كلمه فيه : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنك إن حملت الناس على نكْث الأيمان هانت عليهم أيمانهم ؛ وإن تركتَهم على بيعة أخيك ثم بايعت لجعفر مِنْ بعده كان ذلك أوكدَ لبيعته ، فقال : صدقت ونصحت ؛ ولى فى هذا تدبير .

قال الكِرمانىّ : وحدثنى خزيمة بن عبد الله ، قال : أمر الهادى بحبس يحيى بن خالد على ما أراده عليه من خلْع الرشيد ، فرفع إليه يحيى رقعة : إنّ عندى نصيحة ، فدعا به ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أخلِني ، فأخلاه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أرأيت إن كان الأمر — أسأل الله ألاّ نبلغه ، وأن يقدّمنا قبله — أتظنّ أنّ الناس يسلِمون الخلافة لجعفر ؛ وهو لم يبلغ الحُلُم ، ويرْضَوْن به لصلاتهم وحَجّهم وغزوهم! قال : والله ما أظنّ ذلك ، قال : يا أميرَ المؤمنين ، أفتأمن أن يسموَ إليها أهلك وجِلّتهم مثل فلان وفلان ، ويطمع فيها غيرهم ، فتخرج من ولد أبيك ؟ فقال له : نبّهتَني يا يحيى — قال : وكان يقول : ما كلّمتُ أحداً من الخلفاء كان أعقلَ من موسى — قال : وقال له : لو أن هذا الأمر لم يعقَد لأخيك ، أما كان ينبغى أن تعقده له ، فكيف بأن تحلّه عنه ، وقد عقده المهدىّ له ! ولكن أرى أن تُقِرّ هذا الأمر يا أميرَ المؤمنين ٣/٥٧٥

على حاله ؛ فإذا بلغ جعفر ، وبلغ الله به ، أتيتَه بالرّشيد فخلع نفسه ، وكان أول مَنْ يبايعه ويعطيه صفقة يده . قال : فقبل الهادى قوله ورأيَه ، وأمر بإطلاقه .

وذكر الموصليّ عن محمد بن يحيى ، قال : عزم الهادى بعد كلام أبى له على خلْع الرشيد ، وحمَله عليه جماعة من مواليه وقوّاده ؛ أجابه إلى الخلْع أولم يُجِبْه ، واشتد غضبه منه ، وضيّق عليه. وقال يحيى لهارون : استأذنه فى الخروج إلى الصَّيْد ، فإذا خرجتَ فاستبعد ودافع الأيام ، فرفع هارون رقعة يستأذن فيها ، فأذن له؛ فمضى إلى قصر مقاتل[1] ، فأقام به أربعين يومًا حتى أنكر الهادى أمرَه وَغمّه احتباسُه، وجعل يكتب إليه ويصرفُه، فتعلّل عليه حتى تفاقم الأمر ، وأظهر شتمه ، وبسط مواليه وقوّادُه ألسنتَهم فيه ؛ والفضل ابن يحيى إذ ذاك خليفة أبيه ، والرّشيد بالباب ؛ فكان يكتب إليه بذلك ، وانصرف وطال الأمر .

قال الكِرمانىّ : فحدّثنى يزيد مولى يحيى بن خالد ، قال : بعثت الخيزران عاتكة — ظئْراً كانت لهارون — إلى يحيى ، فشقّت جيبها بين يديه ، وتبكى إليه وتقول له : قالت لك السيدة : اللهَ اللهَ فى ابنى لا تقتله ، ودعه يجيب أخاه إلى ما يسأله ويريده منه ، فبقاؤه أحبّ إلىّ من الدنيا بجُمْع ما فيها . قال : فصاح بها ، وقال لها : وما أنت وهذا ! إن يكن ما تقولين فإنى وولدى وأهلى سنقْتَلُ قبله ، فإن اتُّهمت عليه فلست بمتَّهم على نفسى ولاعليهم . قال : ولمّا لم ير الهادى يحيى بن خالد يرجع عما كان عليه لهارون بما بذَل له من إكرام وإقطاع وصلة ، بعث إليه يتهدّده بالقتل إن لم يكفّ عنه . قال : فلم تزل تلك الحال من الخوْف والخطر ، وماتت أم يحيى وهو فى الخُلْد ببغداد؛ لأن هارون كان ينزل الخُلْد ، ويحيى معه، وهو ولىّ العهد، نازل فى داره يلقاه فى ليله ونهاره .

٥٧٦/٣

وذكر محمد بن القاسم بن الرّبيع ، قال : أخبرنى محمد بن عمرو الروميّ ،

---

(١) ا : « قصر بنى مقاتل » .

قال : حدّثني أبى، قال : جلس موسى الهادى بعد ما ملك فى أوّل خلافته جلوساً خاصّاً ، ودعا بإبراهيم بن جعفر بن أبى جعفر وإبراهيم بن سلْم بن قُتيبة والحرّانىّ ، فجلسوا عن يساره ، ومعهم خادم له أسود يقال له أسلَم ، ويكنى أبا سليمان؛ وكان يثق به ويقدّمه ؛ فبينا هو كذلك، إذ دخل صالح صاحب المصلّى ، فقال: هارون بن المهدىّ، فقال: ائذن له ، فدخل فسلم عليه ، وقبّل يدَيه ، وجلس عن يمينه بعيداً من ناحية ، فأطرق موسى ينظر إليه ، وأدمن ذلك ، ثم التفت إليه ، فقال : يا هارون ، كأنى بك تحدّث نفسك بتمام الرؤيا ، وتؤمّل ما أنت منه بعيد ، ودون ذلك خرْط القتاد ؛ تؤمّل الخلافة ! قال : فبرك هارون على ركبتيه ، وقال : يا موسى ؛ إنك إن تجبرّتَ وُضعتَ ، وإن تواضعتَ رُفعتَ ؛ وإن ظَلَمْتَ ختلت[1] ؛ وإنى لأرجو أن يفضى الأمر إلىّ ؛ فأُنصف مَن ظلمتَ ، وأصل مَن قطعتَ، وأصيّر أولادك أعلى من أولادى ، وأزوّجهم بناتى ، وأبلغ ما يجب[2] من حقّ الإمام المهدىّ . قال : فقال له موسى : ذلك الظنّ بك يا أبا جعفر ؛ ادن منى ، فدنا منه ، فقبّل يديه، ثم ذهب يعود إلى مجلسه، فقال له : لا والشيخ الجليل ، والملك النبيل — أعنى أباك المنصور — لا جلستَ إلاّ معى ، وأجلسه فى صدر المجلس معه ، ثم قال: يا حرّانىّ ، احمل إلى أخى ألف ألف دينار ؛ وإذا افتتح الخراج فاحمل إليه النصف منه ، واعرضْ عليه ما فى الخزائن من مالنا، وما أخِذ من أهل بيت اللعنة؛ فيأخذ جميع ما أراد . قال: ففعل ذلك . ولما قام قال لصالح : أدنِ دابته إلى البساط . قال عمرو الرومىّ : وكان هارون يأنس بى ، فقمت إليه فقلت: يا سيّدى، ما الرؤيا التى قال لك أمير المؤمنين ؟ قال : قال المهدىّ : أريت فى منامى كأنى دفعت إلى موسى قضيباً وإلى هارون قضيباً ، فأورق من قضيب موسى أعلاه قليلاً ؛ فأما هارون فأورق قضيبه من أوله إلى آخره. فدعا المهدىّ الحكَم بن موسى الضمرىّ — وكان يكنى أبا سفيان — فقال له : عبّر هذه الرؤيا، فقال : يملكان جميعاً، فأما موسى فتقلّ أيامه ، وأما هارون فيبلغ مدى ما عاش خليفة ؛ وتكون أيامُه

٥٧٧/٣

(١) ابن الأثير : « قتلت » .

(٢) ابن الأثير : « ما تحب » .

أحسن أيام ، ودهره أحسن دهر . قال : ولم يلبثْ إلاّ أياماً يسيرة ، ثم اعتل موسى ومات ، وكانت علّته ثلاثة أيام .

قال عمرو الرومىّ : أفضت الخلافة إلى هارون، فزوّج حمدونة من جعفر ابن موسى ، وفاطمة من إسماعيل بن موسى ؛ ووَفَّى بكلّ ما قال ؛ وكان دهرُه أحسن الدهور .

٣/٥٧٨

وذُكر أنّ الهادىَ كان قد خرج إلى الحديثة ؛ حديثة الموصل ؛ فمرض بها ، واشتدّ مرضُه ، فانصرف . فذكر عمرو اليشكرىّ – وكان فى الخدم – قال : انصرف الهادى من الحديثة بعد ما كتب إلى جميع عمّاله شرقاً وغرباً بالقدوم عليه ؛ فلما ثقُل اجتمع القوم الذين كانوا بايعوا لجعفر ابنه ، فقالوا : إن صار الأمر إلى يحيى قتلَنا ولم يستبقْنا، فتآمروا على أن يذهب بعضهم إلى يحيى بأمر الهادى ، فيضرب عنقه . ثم قالوا : لعلّ أمير المؤمنين يُفيق من مرضه ، فما عُذْرنا عنده ! فأمسكوا . ثم بعثت الخيزُران إلى يحيى تعلِمه أنّ الرجل لمآبِه ، وتأمره بالاستعداد لما ينبغى ؛ وكانت المستوليةَ على أمر الرشيد وتدبير الخلافة إلى أن هلك ؛ فأحضِر الكتّاب وجُمعوا فى منزل الفضل بن يحيى ، فكتبوا لليلتهم كتباً من الرشيد إلى العمّال بوفاة الهادى، وأنهم قد ولاّهم الرشيد ما كانوا يلُون ؛ فلما مات الهادى أنْفذوها على البُرُد .

وذكر الفضل بن سعيد ، أنّ أباه حدّثه أنّ الخيزُران كانت قد حلفتْ ألاّ تكلم موسى الهادى ، وانتقلت عنه ، فلما حضرْته الوفاة ، وأتاها الرّسول فأخبرها بذلك ، فقالت : وما أصنع به ؟ فقالت لها خالصةُ : قومى إلى ابنك أيتّها الحرّة ؛ فليس هذا وقت تعتُّب ولا تغضّب . فقالت : أعطونى ماءً أتوضّأ للصلاة ، ثم قالت : أما إنّا كنا نتحدّث أنه يموت فى هذه الليلة خليفةٌ ، ويملك خليفة ، ويولَد خليفة ؛ قال : فمات موسى ، وملَك هارون ، وولد المأمون .

٣/٥٧٩

قال الفضل : فحدّثت بهذا الحديث عبد الله بن عبيد الله ، فساقه لى مثل ما حدثنيه أبى ، فقلت : فمن أين كان للخيزُران هذا العلم ؟ قال : إنها كانت قد سمعت من الأوزاعىّ .

ذكر يحيى بن الحسن أنّ محمد بن سليمان بن علىّ حدثه ، قال : حدثتْنى عمّتى زينب ابنة سليمان ، قالت : لما مات موسى بعيساباذ ، أخبرتْنا الخيزُران الخبر ، ونحن أربع نسوة ؛ أنا وأختى وأمّ الحسن وعائشة ، بُنيّات سليمان ، ومعنا رَيْطة أمّ علىّ ، فجاءت خالصة ، فقالت لها : ما فعل الناس ؟ قالت : يا سيدتى ، مات موسى ودفنوه ؛ قالت : إن كان مات موسى ، فقد بقى هارون ، هات لى سَوِيقا ، فجاءت بسَوِيق ، فشربت وسقتنا ، ثم قالت : هات لساداتى أربعمائة ألف دينار ، ثم قالت : ما فعل ابنى هارون ؟ قالت : حلف ألاّ يُصلِّىَ الظهرَ إلا ببغداد . قالت : هاتوا الرّحائل ، فما جلوسى ها هنا ؛ وقد مضى ! فلحقته ببغداد .

* * *

ذكر الخبر عن وقت وفاته
ومبلغ سنه وقدر ولايته ومَنْ صلى عليه

قال أبو معشر : تُوفِّىَ موسى الهادى ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الأول ؛ حدّثنا بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق .

وقال الواقدىّ : مات موسى بعيساباذ للنصف من شهر ربيع الأول .

وقال هشام بن محمد : هلك موسى الهادى لأربع عشرة ليلة خلتْ من شهر ربيع الأول ليلة الجمعة فى سنة سبعين ومائة .

وقال بعضهم : تُوفِّىَ ليلة الجمعة لستة عشر يومًا منه ؛ وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر .

وقال هشام : ملك أربعة عشر شهراً ، وتوفِّىَ وهو ابن ستّ وعشرين سنة . ٣/٥٨٠

وقال الواقدىّ : كانت ولايته سنة وشهراً واثنين وعشرين يومًا .

وقال غيرهم : تُوفِّىَ يوم السبت ، لعشر خلَتْ من ربيع الأول — أو ليلة الجمعة — وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وكانت خلافته سنة وشهراً وثلاثة وعشرين يومًا ، وصلى عليه أخوه هارون بن محمد الرشيد . وكان كنيته أبا محمد ، وأمه الخيزُران أم ولد ، ودفن بعيساباذ الكُبرى فى بُستانه .

وذكر الفضل بن إسحاق أنه كان طويلا جسيمًا جميلاً أبيض ، مشرَبًا حُمرة ؛ وكان بشفته العليا تقلُّص ، وكان يلقب موسى أطْبق[1] ؛ وكان ولد بالسِّيرَوان من الريّ .

* * *

ذكر أولاده

وكان له من الأولاد تسعة ؛ سبعة ذكوروابنتان . فأما الذّكور فأحدهم جعفر — وهو الذى كان يرشحه للخلافة — والعباس وعبد الله وإسحاق وإسماعيل وسليمان وموسى بن موسى الأعمى ؛ كلهم من أمهات أولاد. وكان الأعمى — وهو موسى — ولد بعد موت أبيه . والابنتان ؛ إحداهما أم عيسى كانت عند المأمون ، والأخرى أمّ العباس بنت موسى ، تلقَّب نُوتة .

* * *

ذكر بعض أخباره وسيَره

ذكر إبراهيم بن عبد السلام ، ابن أخى السندىّ أبو طوطة ، قال: حدّثنى السِّندىّ بن شاهك ، قال : كنت مع موسى بجُرجان ، فأتاه نعىّ المهدىّ والخلافة ، فركب البريد إلى بغداد ؛ ومعه سعيد بن سَلْم ، ووجّهنى إلى خُراسان ؛ فحدثنى سعيد بن سَلْم ، قال: سرْنَا بين أبيات جُرجان و بساتينها ، قال : فسمع صوتًا من بعض تلك البساتين من رَجُل يتغنَّى ، فقال لصاحب شرطته : علىّ بالرّجل الساعة ، قال : فقلت يا أمير المؤمنين ، ما أشبه قصّة هذا الخائن بقصّة سليمان بن عبد الملك ! قال : وكيف ؟ قال : قلت له : كان سليمان بن عبد الملك فى متنزَّه له ومعه حُرَمه ؛ فسمع من بستان آخر صوت رجل يتغنَّى ، فدعا صاحبً شرطته ، فقال : علىّ بصاحب الصوت ؛ فأتِىَ به ؛ فلما مثل بين يديه ، قال له: ما حمَلك على الغناء وأنت إلى جنبى ومعى حُرَمى ! أما علمت أن الرّماك[2] إذا سمعت صوت الفحل حنَّت إليه ! يا غُلام جُبَّه؛ فجُبَّ الرجل . فلما كان فى العام المقبل رجَع سليمان إلى ذلك المتنزه ، فجلس مجلسه الذى فيه ، فذكر الرجل وما صنع به ، فقال لصاحب

٥٨١/٣

(١) ا : « موسى الحبق » .

(٢) فى القاموس : « الرمكة محركة : الفرس أو البرذونة ، تتخذ للنسل » .

شُرطته : علىّ بالرجل الذى كنا جبَسْناه ، فأحضره، فلما مَثَل بين يديه ، قال له : إمّا بِعتَ فوفّيناك، وإما وهبتَ فكافأناك ، قال : فوالله ما دعاه بالخلافة، ولكنّه قال له: يا سليمان؛ الله اللهَ! إنك قطعت نسلى، فذهبت بماء وجهى ، وحرمتَنى لذّتى ، ثم تقول: إمّا وهبتَ فكافأناك ، وإما بعت فوفّيْناك ! لا والله حتّى أقف بين يدىِ الله . قال : فقال موسى : يا غلام ، ردّ صاحب الشرطة، فردّه ، فقال : لا تعرض للرجل .

وذكر أبو موسى هارون بن محمد بن إسماعيل بن موسى الهادى؛ أنّ علىّ ابن صالح حدّثه؛ أنه كان يومًا على رأس الهادى وهو غلام — وقد كان جفا ٣/٥٨٢ المظالم عامّةً ثلاثة أيام— فدخل عليه الحرّانىّ ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين؛ إن العامة لا تنقاد على ما أنتَ عليه، لم تنظر فى المظالم منذ ثلاثة أيام ؛ فالتفت إلىّ ، وقال : يا علىّ ، ائذن للناس ، علىّ بالجفَلى لا بالنّقَرَى[1] ، فخرجت من عنده أطير على وجهى . ثم وقفت فلم أدر ما قال لى ، فقلت : أراجع أميرَ المؤمنين ، فيقول : أتحجبنى ولا تعلم كلامى ! ثم أدركنى ذهنى ، فبعثت إلى أعرابىّ كان قد وفد ، وسألته عن الجَفَلى والنّقَرَى ، فقال : الجَفَلى جُفالة ، والنقرى ينقّر خواصّهم[1] . فأمرت بالستور فرفعت وبالأبواب ففتحت ، فدخل الناس على بَكْرَة أبيهم ؛ فلم يزل ينظر فى المظالم إلى الليل ؛ فلما تقوّض المجلس مثلت بين يديه ، فقال : كأنك تريد أن تذكر شيئًا يا علىّ ، قلت : نعم يا أميرَ المؤمنين ؛ كلّمتنى بكلام لم أسمعه قبل يومى هذا ، وخفت مراجعتَك ، فتقول : أتحجبنى وأنت لم تعلم كلامى! فبعثت إلى أعرابىّ كان عندنا، ففسّر لى الكلام؛ فكافئه عنى يا أميرَ المؤمنين، قال: نعم مائة ألف درهم تحمَل إليه، فقلت له : يا أمير المؤمنين؛ إنه أعرابىّ جِلْف ، وفى عشرة آلاف درهم ما أغناه وكفاه ، فقال : ويلك يا علىّ ! أجود وتَبْخَل !

قال : وحدّثنى علىّ بن صالح ، قال : ركب الهادى يومًا يريد عيادة أمّه الخيزُران من علّة كانت وجدتْها ، فاعترضه عمر بن بزيع ، فقال له :

(١) يقال : دعاهم الجفلى ، أى دعاهم بجماعتهم ، والنقرى : الدعوة الخاصة ، والجفالة : الجماعة من الناس .

يا أميرَ المؤمنين ؛ ألاَ أدلُّك على وجه هو أعوَد عليك من هذا ؟ فقال : وما هو يا عمر ؟ قال : المظالم لم تَنظر فيها منذ ثلاث ، قال : فأومأ إلى المطرِّقة أن يميلوا إلى دار المظالم ، ثم بعث إلى الخيزران بخادم من خدمه يعتذر إليها من تخلُّفه ، وقال : قل لها إن عمر بن بزيع أخبرنا منْ حقّ الله بما هو أوجب علينا من حقِّك ، فملنا إليه ونحن عائدون إليك فى غد إن شاء الله . ٣/٥٨٣

وذكر عن عبد الله بن مالك ، أنه قال : كنتُ أتولَّى الشُّرْطة للمهدىّ ، وكان المهدىّ يبعث إلى ندماء الهادى ومغنِّيه ، ويأمرنى بضربهم ؛ وكان الهادى يسألنى الرِّفْق بهم والترفيهَ لهم ؛ ولا ألتفت إلى ذلك ، وأمضى لما أمرنى به المهدىّ . قال : فلمَّا ولى الهادى الخلافة أيقنت بالتلَف ؛ فبعث إلىّ يوماً ، فدخلت عليه متكفناً متحنِّطاً ؛ وإذا هو على كرسىّ ، والسيف والنِّطَع بين يديه ، فسلّمت ، فقال : لا سلم الله على الآخر ! تذكر يوم بعثت إليك فى أمر الحرَّانىّ ، وما أمر أمير المؤمنين به من ضَرْبه وحبسه فلم تجبنى ؛ وفى فلان وفلان ــ وجعل يعدد ندماءه ــ فلم تلتفت إلى قولى ، ولا أمرى ! قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أفتأذن [لى][1] فى استيفاء الحجّة ؟ قال : نعم ، قلت : ناشدتك بالله يا أمير المؤمنين ، أيسرّك أنك ولّيتَنى ما ولاّنى أبوك ، فأمرتَنى بأمر ، فبعث إلىّ بعضُ بنيك بأمر يخالف به أمرك ، فاتّبعت أمرَه وعصيتُ أمرك ؟ قال : لا ، قلت : فكذلك أنا لك ، وكذا كنت لأبيك . فاستدنانى ، فقبَّلت يديه ، فأمر بِخلَع فصبَّت علىّ ، وقال : قد ولَّيتُك ما كنتَ تتولاه ، فامض راشداً . فخرجت من عنده فصرت إلى منزلى مفكراً فى أمرى وأمره ، وقلت : حَدَثٌ يشرب ، والقوم الذين عصيته فى أمرهم ندماؤه ووزراؤه وكتَّابه ؛ فكأنى بهم حين يغلب عليهم الشراب قد أزالوا رأيَه فىّ ، وحملوه من أمرى على ما كنت أكره وأتخوّفه . قال : فإنّى لجالس وبين يدىّ بنيّةٌ لى فى وقتى ذلك ، والكانون بين يدىّ ، ورقاق أشطُره بكامَخ وأسخّنه وأضعه للصَّبْية ؛ وإذا ضجة عظيمة ، حتى توهمت أن الدنيا قد اقتلعت وتزلزلت بوقع الحوافر وكثرة الضوضاء ، فقلت : هاه ! كان والله ما ظننتُ ، ووافانى من أمره ما تخوّفت ؛ فإذا الباب قد فتح ، وإذا الخدم قد دخلوا ، وإذا أمير المؤمنين الهادى على حمار فى وسطهم ؛ فلمَّا ٣/٥٨٤

(١) من ا .

رأيته وثبتُ عن مجلسي مبادراً ، فقبّلت يده ورجله وحافرَ حماره ، فقال لى : يا عبدَ الله ، إنى فكرت فى أمرك ، فقلت : يسبق إلى قلبك أنّى إذا شربت وحولى أعداؤك، أزالوا ما حسُن من رأيي فيك، فأقلقَك وأوحشَك ، فصرتُ إلى منزلك لأونسَك وأعلِمك أنّ السخيمة قد زالت عن قلبي لك ، فهات فأطعِمني مما كنتَ تأكل ، وافعل فيه ما كنت تفعل ؛ لتعلم أنّى قد تحرّمت بطعامك ، وأنست بمنزلك؛ فيزول خوفُك ووحشتُك. فأدنيت إليه ذلك الرّقاق والسكُرَّجة التى فيها الكامخ ، فأكل منها ثم قال : هاتوا الزُّلّة التى أزللتها لعبد الله من مجاسي . فأدخلت إلىّ أربعمائة بغْل مُوقرة دراهم ، وقال : هذه زُلّتُكَ ، فاستعِنْ بها على أمرك، واحفظ لى هذه البغال عندك ؛ لعلى أحتاج إليها يوماً لبعض أسفارى ، ثم قال : أظلك الله بخير ، وانصرف راجعاً .

فذكر موسى بن عبد الله أن أباه أعطاه بستانه الذى كان وسط داره ، ثم بنى حوله معالف لتلك البغال ؛ وكان هو يتولّى النظر إليها والقيام عليها أيام حياة الهادى كلها .

٣/٥٨٥

وذكر محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود بن طهمان السُّلمىّ ، قال : أخبرنى أبى ، قال : كان علىّ بن عيسى بن ماهان يغضب غضب الخليفة ، ويرضى رضا الخليفة ؛ وكان أبي يقول : ما لعربىّ ولا لعجمىّ عندى ما لعلىّ ابن عيسى ؛ فإنه دخل إلى الحبس وفى يده سوط ، فقال : أمرنى أمير المؤمنين موسى الهادى أن أضربَك مائة سوط ، قال : فأقبل يضعه على يدى ومنكبي ؛ يمسُّني به مساً إلى أن عدّ مائة ، وخرج . فقال له : ما صنعت بالرّجل ؟ قال : صنعتُ به ما أمرتَ . قال : فما حاله ؟ قال : مات ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ويلك! فضحتَني والله عند الناس؛ هذا رجل صالح ، يقول الناس : قتَل يعقوب بن داود ! قال : فلما رأى شدّة جزعه، قال : هو حىّ يا أمير المؤمنين لم يمُتْ ، قال : الحمد لله على ذلك .

قال : وكان الهادى قد استخلف على حجابته بعد الربيع ابنَه الفضل، فقال له : لا تحجب عنى الناس؛ فإن ذلك يزيل عنّى البركة ، ولا تُلق إلىّ أمراً إذا كشفتَه أصبتُه باطلا ؛ فإن ذلك يوقع الملك ، ويضرّ بالرّعيّة .

وقال موسى بن عبد الله : أُتِيَ موسى برجل ، فجعل يقرّعه بذُنوبه ويتهدده ، فقال له الرجل : يا أميرَ المؤمنين ، اعتذارى مما تُقرّعُنى به رَدٌّ عليك ، وإقرارى يوجب علىّ ذنبًا ؛ ولكنى أقول :

فإن كنتَ ترجو فى العُقوبةِ رحمةً فلا تَزْهَدَنْ عندَ المُعافاة فى الأَجر

قال : فأمر بإطلاقه .

٣/٥٨٦ وذكر عمر بن شبّة أن سعيد بن سلم كان عند موسى الهادى ، فدخل عليه وفد الرّوم وعلى سعيد بن سلم قَلَنْسُوة — وكان قد صَلِعَ وهو حدَث — فقال له موسى : ضع قلنسُوتك حتّى تتشايخ بصلعتك .

وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق أنّ أباه حدّثه ، قال : خرجت إلى عيساباذ أريد الفَضْل بن الربيع ، فلقيتُ موسى أمير المؤمنين وهو خليفة ؛ وأنا لا أعرفه ؛ فإذا هو فى غُلالة على فَرَس ، وبيده قناة لا يدرك أحدًا إلا طعنه . فقال لى : يابن الفاعلة ! قال : فرأيت إنسانا كأنّه صنم ، وكنت رأيته بالشأم ، وكان فخِذاه كفخذىْ بعير ، فضربت يدى إلى قائم السيف ، فقال لى رجل : ويلك ! أمير المؤمنين ، فحرّكت دابتى — وكان شِهْرِيًّا[1] حملنى عليه الفضل بن الربيع ، وكان اشتراه بأربعة آلاف درهم — فدخلت دار محمد بن القاسم صاحب الحرس ، فوقف على الباب ، وبيده القناة ، وقال : اخرج يابن الفاعلة ! فلم أخرج ، ومرّ فمضى . قلت للفضل : فإنى رأيتُ أمير المؤمنين ؛ وكان من القصّة كذا وكذا ، فقال : لا أرى لك وجهًا إلا ببغداد ؛ إذا جئتُ أصلّى الجمعة فالقَنى ، قال : فما دخلت عيساباذ حتّى هلك الهادى .

وذكر الهيثم بن عروة الأنصارىّ أن الحسين بن معاذ بن مسلم — وكان رضيع موسى الهادى — قال : لقد رأيتُنى أخلو مع موسى ، فلا أجد له هيبةً فى قلبى عند الخلوة ، لما كان يبسطنى . وربّما[2] صارعنى فأصرعه غير هائب له ، وأضرب به الأرض ، فإذا تلبّس لبسة الخلافة ثم جلس مجلس الأمر والنهى

---

(١) فى القاموس : « الشهرية : ضرب من البراذين » . (٢) كذا فى ا ، وهى ساقطة من ط .

قمتُ على رأسه ؛ فوالله ما أملِك نفسى من الرِّعدة والهَيْبة له .

٥٨٧/٣ وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق أنّ محمد بن سعيد بن عمر بن مِهْرَان ، حدّثه عن أبيه ، عن جدّه، قال : كانت المرتبة لإبراهيم بن سلْم ابن قتيبة عند الهادى ، فمات ابنٌ لإبراهيم يقال له سلم ، فأتاه موسى الهادى يعزِّيه عنه على حمار أشهب ، لا يُمنع مُقبلٌ ولا يُردّ عنه مُسلِّم ؛ حتى نزل فى رِواقه ، فقال له : يا إبراهيم، سَرّك وهو عدوّ[1] وفتنة ، وحَزَنك وهو صلاة ورحمة . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما بقى منّى[2] جزء كان فيه حزن إلاّ وقد امتلأ عزاء . قال : فلما مات إبراهيم صارت المرتبة لسعيد بن سلْم بعده .

وذكر عمر بن شبّة أن علىّ بن الحسين بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب كان يلقب بالجزرىّ[3] ، تزوج رُقيّة بنت عمرو العثمانية — وكانت تحت المهدىّ — فبلغ ذلك موسى الهادى فى أوّل خلافته، فأرسل إليه فجهّله[4] وقال : أعياك النساء إلا امرأة أمير المؤمنين ، فقال : ما حرّم الله على خلقه إلاّ نساء جدّى صلى الله عليه وسلم ؛ فأما غيرُهنّ فلا ولا كرامة . فشجّه بمِخْصَرة كانت فى يده ، وأمر بضربه خمسمائة سوط ، فضُرب ، وأراده[5] أن يطلّقها فلم يفعل، فحمِل من بين يديه فى نِطَع فألقِىَ ناحية؛ وكان فى يده خاتم سرىّ[6] فرآه بعضُ الخدم وقد غُشِىَ عليه من الضرب ، فأهوى إلى الخاتم ، فقبض على يد الخادم فدقّها ، فصاح . وأتى موسى فأراه يدَه ، فاستشاط وقال : يُفعل هذا بخادمى ، مع استخفافه[7] بأبى ، وقوله لى !

٥٨٨/٣ وبعث إليه : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : قُلْ له وسَلْه، ومُرْه أن يضع يده على رأسك وليصدُقك . ففعل ذلك موسى ، فصدَقه الخادمُ ، فقال : أحسن والله ، أنا أشهدُ أنه ابنُ عمّى ؛ لو لم يفعل لانتفيتُ منه . وأمر بإطلاقه.

وذكر أبو إبراهيم المؤذّن، أنّ الهادىَ كان يثب على الدابّة وعليه درعان، وكان المهدىّ يسمّيه رَيْحانتى .

---

(١) س : « عدّوك » .
(٢) س : « فىّ » .
(٣) ج : « الحردى » .
(٤) س : « فحمل إليه » .
(٥) ج : « وأداره » .
(٦) ابن الأثير : « نفيس » .
(٧) س : « استخفافك » .

وذكر محمد بن عطاء بن مقدَّمٍ الواسطىّ، أن أباه حدّثه أنّ المهدىّ قال لموسى يومًا – وقد قُدِّم إليه زنديق، فاستتابه، فأبى أن يتوب، فضرب عنُقه وأمر بصلْبه : يا بنىّ ، إن صارلك[1] هذا الأمر فتجرّد لهذه العصابة – يعنى أصحاب مانى – فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهرٍ حسن، كاجتناب الفواحش والزّهد فى الدنيا والعمل للآخرة ، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومسّ الماء الطَّهور[2] وترك قتل الهوامّ تحرّجًا وتحوّبًا، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين : أحدهما النور والآخر الظلمة ، ثم تُبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبوْل وسرقة الأطفال من الطرُق ، لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النُّور ؛ فارْفع فيها الخشب ، وجرِّد فيها السيف ، وتقرّب بأمرها إلى الله لا شريك له ؛ فإنى رأيتُ جدَّك العباس فى المنام قلَّدنِى بسيفين ، وأمرنى بقتل أصحاب الاثنين . قال : فقال موسى بعد أن مضت من أيامه عشرة أشهر : أما والله لئن عشتُ لأقتلنّ هذه الفرقة كلَّها حتى لا أترك منها عينًا تطرُف .

ويقال : إنه أمر أن يهيّأ له ألف جِذْع ، فقال : هذا فى شهر كذا ، ومات بعد شهرين .

٥٨٩/٣ وذكر أيوب بن عِنابة أن موسى بن صالح بن شيخ ، حدّثه أن عيسى ابن دأب كان أكثرَ أهل الحجاز أدبًا وأعذَبهم ألفاظًا ؛ وكان قد حَظِيَ عند الهادى حُظوةً لم تكن عنده لأحد؛ وكان يدعو له بمتّكأ[3]، وما كان يفعل ذلك بأحد غيره فى مجلسه . وكان يقول : ما استطلتُ بك يومًا ولا ليلة ، ولا غبتَ[4] عن عينى إلاّ تمنّيتُ ألا أرى غيرَك . وكان لذيذ المفاكهة طيّب المسامرة ، كثير النادرة ، جيد الشعر حسن الانتزاع له . قال : فأمر له ذات ليلة بثلاثين ألف دينار ؛ فلما أصبح ابنُ دأب وجّه قَهْرمانه إلى باب موسى ، وقال له : الْقَ الحاجب ، وقُلْ له : يوجّه إلينا بهذا المال ، فلقى الحاجب ، فأبلغه رسالته ؛ فتبسم وقال : هذا ليس إلىّ ، فانطلقْ إلى صاحب

(١) س : « إليك » .
(٢) س : « للطهور » .
(٣) ابن الأثير : « بما يتكىء عليه » .
(٤) س : « وما غبت » .

التوقيع ليُخرج له كتاباً إلى الديوان ، فتدبّره هناك ثم تفعلُ فيه كذا وكذا .
فرجع إلى ابن دأب فأخبره ، فقال : دعْها ولا تعرض لها ، ولا تسأل عنها .
قال : فبينا موسى فى مستشرَف له ببغداد ، إذْ نظر إلى ابن دأب قد أقبل ، وليس معه إلاّ غلام واحد ! فقال لإبراهيم الحرّانى : أما ترى ابن دأب ؛ ما غيَّر من حاله ، ولا تزين لنا ؛ وقد بَرَرْناه بالأمس ليُرَى أثرُنا عليه ! فقال له إبراهيم : فإن أمرنى أميرُ المؤمنين عرضت له بشىء من هذا ؛ قال : لا ، هو أعلم بأمره ؛ ودخل ابن دأب ، فأخذ فى حديثه إلى أن عرّض له موسى بشىء من أمره، فقال : أرى ثوبك غسيلا ، وهذا شتاء يُحتاج فيه إلى الجديد الليّن ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، باعِى قصير عمّا أحتاج[1] إليه ، قال : وكيف وقد صرفنا إليك من برّنا ما ظننا أن فيه صلاح شأنك ! قال : ما وصل إلىّ ولا قبضتُه ، فدعا صاحب بيت مال الخاصة ، فقال : عجِّل له[2] الساعة ثلاثين ألف دينار ، فأحضِرتْ وحُمِلت بين يديْه . ٣/ ٥٩٠

وذكر علىّ بن محمد، أنّ أباه حدّثه عن علىّ بن يقطين، قال: إنى لعند موسى ليلة مع جماعة من أصحابه ؛ إذ أتاه خادم فسارّه بشىء ، فنهض سريعاً[3] ، وقال : لا تبرحُوا ، ومضى فأبطأ ، ثم جاء وهو يتنفّس ، فألقى بنفسه على فِراشه يتنفّس ساعة حتى استراح ، ومعه خادم يحمل طبقاً مغطًّى بمنديل ، فقام بين يديه ، فأقبل يُرعَد ، فعجبنا من ذلك . ثم جلس وقال للخادم : ضَعْ ما معك ، فوضع الطّبَق ، وقال : ارفع المِنْديل ، فرفعه فإذا فى الطّبق رأسَا جاريتين ؛ لم أر والله أحسن من وجوههما قطّ ولا من شعورهما ، وإذا على رءوسهما الجوهر منظوم على الشعر ، وإذا رائحة طيِّبة تفوح ، فأعظمنا ذلك ، فقال : أتدرون ما شأنهما ؟ قلنا : لا ، قال : بلغنا أنهما تتحابّان قد اجتمعتَا على الفاحشة ، فوكلتُ هذا الخادم بهما يُنهى إلىّ أخبارهما ، فجاءنى فأخبرنى أنهما قد اجتمعتَا ، فجئت فوجدتهما فى لحاف واحد على الفاحشة

---

(١) س : « يحتاج » .
(٢) س : « إليه » .
(٣) س : « مسرعاً » .

فقتلتهما ، ثم قال : يا غلامُ ، ارفع الرأسين[١] قال : ثم رجع فى حديثه كأن لم يصنع شيئًا .

وذكر أبو العباس بن أبى مالك اليامىّ أنّ عبد الله بن محمد البواب ، قال : كنت أحجب الهادى خليفةً للفضل بن الربيع ، قال : فإنه ذات يوم جالسٌ وأنا فى داره ، وقد تغدّى ودعا بالنبيذ ، وقد كان قبل ذلك دخل على أمه الخيزُران ، فسألته أن يولّىَ خاله الغِطريف اليمن ، فقال : أذكِرينى به قبل أن أشرب ، قال : فلماعزم على الشرب وجّهتْ إليه منيرةَ –أو زهرةَ– تذكِره ، فقال : ارجعى فقولى : اختارى له طلاقَ ابنته عُبيدة أو ولاية اليمن ، فلم تفهم إلا قوله : «اختارى له» فمرّت ، فقالت : قد اخترتُ له ولاية اليمن ، فطلّق ابنتَه عُبيدة ، فسمِع الصياح ، فقال : ما لكم ؟ فأعلمْته الخبر ، فقال : أنت اخترت له ، فقالت : ما هكذا أدّيتْ إلىّ الرسالة عنك . قال : فأمر صالحاً صاحب المصلى أن يقف بالسيف على رءوس الندماء ليطلقوا نساءهم ، فخرج إلىّ بذلك الخَدَم ليعلمونى ألاّ آذن لأحد . قال : وعلَى الباب رجل واقف متلفع بطيلسانه ، يراوح بين قدميه[٢] ، فعنّ لى بيتان ، فأنشدتهما وهما :

٥٩١/٢

خليلَىَّ مِنْ سَعْدٍ أَلِمَّا فَسَلِّما[٣] على مريمٍ ، لا يُبْعِدِاللهُ مَرْيما

وقُولاَ لها : هَذا الفِراقُ عَزَمْتِهِ فهلْ مِنْ نوالٍ بَعد ذاك فيُعلَما ![٤]

قال : فقال لى الرجل المتلفع بطيلسانه : فنَعلما ، فقلت : ما الفرق بين « يعلما » و « نعلما » ؟ فقال : إن الشعر يصلحه معناه ويفسده معناه ، ما حاجتنا إلى أن يعلم الناس أسرارنا ! فقلت له : أنا أعلم بالشعر منك ، قال : فلمن الشعر ؟ قلت : للأسود بن عُمارة النوفلىّ ، فقال لى : فأنا هو ؛ فدنوتُ منه فأخبرته خبرَ موسى ، واعتذرت إليه من مراجعتى إياه . قال : فصرف دابّته ، وقال : هذا أحقّ منزل بأن يترك[٥] .

(١) س : « ارجع بالرأسين » .
(٢) الأغانى : « رجليه » .
(٣) ج : « من سعدى » .
(٤) الأغانى : « قبل ذاك » .
(٥) الخبر فى الأغانى ١٤ : ١٧١، ١٧٢ .

قال مصعب الزبيرىّ : قال أبو المعافى : أنشدت العباس بن محمد مديحًا فى موسى وهارون :

يا خَيْزُرانُ هَنَاكِ ثمَّ هنَاكِ إنَّ العبادَ يَسوسُهُمْ إبناك ٩٢/٣د

قال : فقال لى : إنى أنصحك، قال اليمانىّ : لا تذكر أمى بخير ولا بشرّ.

وذكر أحمد بن صالح بن أبى فنن ، قال : حدّثنى يوسف الصيقل الشاعر الواسطىّ ، قال : كنا عند الهادى بجُرجان قبل الخلافة ودخوله بغداد ، فصعد مستشرفاً له حسناً؛ فغُنِّىَ بهذا الشعر :

واسْتَقَلَّتْ رِجالُهُمْ[1] بالرُّدَيْنِىِّ شُرَّعا

فقال : كيف هذا الشعر ؟ فأنشدوه ، فقال : كنت أشتهى أن يكون هذا الغناء فى شعر أرقّ من هذا ، اذهبوا إلى يوسف الصيقل حتّى يقول فيه ، قال : فأتونى فأخبرُونى الخبر ، فقلت :

لا تَلُمْنِى أَنَ اجزَعا سيِّدِى قَدْ تَمَنَّعا
وابَلائِى إن كان ما بَيْنَنَا قَدْ تَقَطَّعا
إنَّ مُوسى بفضلِهِ جَمَعَ الفَضْلَ أَجمعا

قال : فنظر[2] فإذا بعير أمامه[3] ، فقال : أوقِروا هذا دراهم ودنانير ، واذهبوا بها إليه . قال : فأتونى بالبعير مُوقَراً[4].

وذكر محمد بن سعد ، قال : حدّثنى أبو زهير ، قال : كان ابن دأب أحظَى الناس عند الهادى ، فخرج الفضلُ بن الربيع يوماً ، فقال : إنّ أمير المؤمنين يأمر مَن ببابه بالانصراف ؛ فأما أنت يابنَ دأب فادخل ، قال ابن دأب : فدخلت عليه وهو منبطح على فراشه ؛ وإن عَيْنَيْه لحمراوان من السَّهر وشرب الليل ، فقال لى : حدثنى بحديث فى الشراب ، فقلت : نعم ٩٣/٣د

(١) س : « واستهلت رحاهم » ، الأغانى : واستدارت رحالهم » .
(٢) ج : « فنظرت » . (٣) ج : « قائم » .
(٤) الخبر فى الأغانى ٢٠ : ٩٣ ، ٩٤

يا أمير المؤمنين ، خرجتْ رَجْلة [١] من كنانة ينتجعون الخمر من الشأم ، فمات أخ لأحدهم ، فجلسوا عند قبره يشربون ، فقال أحدهم :

لا تُصَرِّدْ هامَةً مِن شَرْبِها أَسقِهِ الخمرَ وإنْ كان قُبِرْ
أَسقِ أَوصالاً وهاماً وصَدًى قاشعاً يَقْشَعُ قَشْعَ المُبْتَكَرْ [٢]
كان حُرًّا فهَوَى فيمن هَوَى كُلّ عُودٍ وفُنونٍ منكَسِرْ

قال : فدعا بدواة فكتبها ، ثم كتب إلى الحرّانى بأربعين ألف درهم ، وقال : عشرة آلاف لك ، وثلاثون ألفاً للثلاثة الأبيات . قال : فأتيت الحرّانىّ ، فقال : صالحْنا على عشرة آلاف ، على أنّك تحلف لنا ألا تذكرها لأمير المؤمنين ، فحلفت ألاّ أذكرَها لأمير المؤمنين حتى يبدأنى ، فمات ولم يذكرها حتى أفضت الخلافة إلى الرشيد .

وذكر أبو دِعامة أن سَلْم بن عمرو الخاسر مدح موسى الهادى ، فقال :

بعيساباذَ حُرٌّ مِن قريشٍ على جَنباتِهِ الشَّرْبُ الرِّواءُ
يَعوذُ المُسلمونَ بِحَقْوَتَيْهِ إذا ما كان خَوفٌ أَو رجاءُ
وبالمَيْدانِ دُورٌ مُشْرِفات يُشَيِّدُهُنَّ قَوم أَدعياءُ
وكم من قائلٍ إنى صحيحٌ وتأْباهُ الخلائقُ والرُّواءُ
له حسبٌ يَضَنّ به ليبقَى وليس لِمَا يضَنُّ به بَقَاءُ
على الضَّبيِّ لُؤْمٌ ليس يَخْفَى يُغَطِّيهِ فَيَنْكَشِفُ الغطاءُ
لَعَمْرِى لَوْ أَقامَ أَبو خَدِيجٍ بِناءَ الدَّارِ ما انهَدَمَ البِناءُ

٥٩٤/٣

قال : وقال سَلْم الخاسر لما تولّى الهادى الخلافة بعد المهدىّ :

لَقَدْ فَازَ مُوسَى بالْخِلَافَةِ والْهُدَى وَماتَ أَميرُ المؤمنينَ مُحَمَّدُ
فماتَ الَّذِى عمَّ البرِيَّةَ فقْدُهُ وَقَامَ الَّذِى يكفيكَ مَنْ يُتَفَقَّدُ

---

(١) رجلة : جمع راجل ؛ وهو الذى ليس له ظهر يركبه .
(٢) ج : « المتنكر » .

وقال أيضًا :

تَخْفَى المُلوكُ لموسى عندَ طلعتِهِ ... مثلَ النُّجومِ لقَرنِ الشمسِ إذْ طَلَعَا
وليس خَلقٌ يَرَى بدرًا وطلعتَهُ ... منَ البَرِيَّةِ إلَّا ذَلَّ أَو خَضَعا

وقال أيضًا :

لولا الخليفةُ مُوسَى بَعْدَ والِدِهِ ... مَا كَانَ للنَّاسِ مِنْ مَهْدِيِّهِمْ خلَفُ
أَلا تَرَى أَمّةَ الأُمِّيِّ وَارِدَةً ... كأَنَّهَا من نَوَاحِي البَحْرِ تَغترِفُ
مِنْ راحَتَيْ مَلِكٍ قد عَمَّ نائلهُ ... كأَنَّ نائله مِنْ جودِهِ سَرَفُ

وذكر إدريس بن أبي حفصة أن مَرْوان بن أبي حفصة حدّثه ، قال : لما ملك موسى الهادى دخلتُ عليه فأنشدته :

إنْ خُلِّدَتْ بعد الإمامِ مُحَمّدٍ ... نَفْسِي لمَا فَرِحَتْ بِطُولِ بَقَائِهَا

قال : ومدحت فقلت فيه :

بِسَبْعِينَ أَلفاً شدَّ ظَهْرِي وَرَاشَنِي ... أَبُوكَ وَقَدْ عايَنتُ مِنْ ذاك مَشْهَدا
وَإِنِّي أَميرَ المؤمنينَ لَوَاثِقٌ ... بأَلَّا يُرَى شِرْبِي لَدَيْكَ مُصَرَّدا[1]

فلما أنشدته قال : ومَنْ يبلغ مدى المهديّ ! ولكنا سنبلغ رضاك . قال : وعاجلتْهُ المنيّة فلم يعطني شيئًا ، ولا أخذتُ من أحد دِرْهمًا حتى قام الرشيد .

٣/٥٩٥ وذكر هارون بن موسى الفَرَوِيّ[2] ، قال : حدّثني أبو غُزِّيّة ، عن الضحاك بن معن السُّلَميّ ، قال : دخلت على موسى فأنشدته :

يا مَنزِلَيْ شَجْوِ الْفؤادِ تَكلَّمَا ... فَلَقَدْ أَرَى بِكما الرَّبابَ وَكُلْثُما
ما منزلانِ على التَّقادُمِ والبِلى ... أَبكَى لِما تَحْتَ الجوانِحِ مِنْكُمَا
رُدَّا السَّلامَ على كَبِيرٍ شاقَهُ ... طَلَلانِ قَدْ دَرسا فهاجَ فسَلِّمَا

---

(١) شرب مصرد : أي قليل .   (٢) ط : « القروى » وصوابه من ا ، وانظر الفهرس .

قال : ومدحته فيها ، فلما بلغت :

سَبْط الأَناملِ بالفَعالِ أَخالُه أَنْ ليْسَ يَترُكُ فى الخزائنِ دِرْهَمَا

التفت إلى أحمد الخازن ، فقال : ويحك يا أحمد ! كأنّه نظر إلينا البارحة ، قال : وكان قد أخرج تلك الليلة مالاً كثيراً ففرّقه .

وذُكر عن إسحاق الموصلىّ – أو غيره – عن إبراهيم ، قال : كنّا يوماً عند موسى ، وعنده ابن جامع ومُعاذ بن الطبيب – وكان أوّل يوم دخل علينا مُعاذ ؛ وكان مُعاذ حاذقًا بالأغانى ، عارفًا بقديمها – فقال : مَنْ أطربنى منكم فله حُكمه ؛ فغنّاه ابنُ جامع غِناءً فلم يحرّكه ، وفهمتُ غرضه فى الأغانى ، فقال هات يا إبراهيم ، فغنّيتُه :

سُليمَى أَجْمَعَتْ بينَا فأَينَ نقولُها أَيْنَـا !

فطرب حتى قام من مجلسه ، ورفع صوته ، وقال : أعِد ، فأعدتُ ، فقال : هذا غرضى فاحتَكِمْ ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، حائط عبد الملك وعينه الخرّارة ، فدارت عيناه فى رأسه حتى صارتا كأنهما جَمْرتان ، ثم قال : يابن اللخناء ، أردت أن تُسمع العامة أنك أطربتَنى وأنّى حكّمتك فأقطعتك ! أما والله لولا بادرةُ جهلك التى غلبتْ على صحيح عقلك لضربتُ الذى فيه عيناك . ثم أطرق هُنيهة (١) ، فرأيت ملَك الموت بينى وبينه ينتظر أمرَه . ثم دعا إبراهيم الحرّانىّ فقال : خذ بيَد هذا الجاهل فأدخله بيت المال ، فليأخذ منه ما شاء ، فأدخلنى الحرّانىّ بيتَ المال ، فقال : كم تأخذ ؟ قلت : مائة بَدْرة ، قال : دعنى أؤامره (٢) ، قال : قلت : فثمانين ، قال : حتى أؤامره ، فعملت ما أراد ، فقلت : سبعين بدرةً لى ، وثلاثين لك ، قال : الآن جئت بالحق ، فشأنَك . فانصرفتُ بسبعمائة ألف وانصرف ملك الموت عن وجهى . ٥٩٦/٣

وذكر علىّ بن محمد ، قال : حدّثنى صالح بن علىّ بن عطيّة الأضخم عن حَكَم الوادىّ ، قال كان الهادى يشتهى من الغناء الوسَط الذى يقلّ

(١) كذا فى ا وفى القاموس : الهنيئة ، أى شىء يسير ، وصوابه ترك الهمزة .
(٢) أؤامره ، أى أشاوره .

ترجيعَه ، ولا يبلغ أن يستخفّ به جدًّا . قال : فبينا نحن ليلة عنده ، وعنده ابنُ جامع والموصلىّ والزبير بن دَحْمان والغَنَوىّ إذ دعا بثلاثِ بِدُور وأمرَ بهنّ فوُضِعن فى وسط المجلس ، ثم ضمّ بعْضَهُنّ إلى بعض ، وقال : مَنْ غنانى صوتًا فى طريقى الذى أشتهيه ، فهنّ له كلهنّ . قال : وكان فيه خُلُق حسن ؛ كان إذا كره شيئًا لم يوقِّفْ عليه ، وأعرض عنه . فغناه ابنُ جامع ، فأعرض عنه ، وغنّى القوم كلهم ؛ فأقبل يعرض حتى تغنّيت ، فوافقت ما يشتهى ؛ فصاح : أحسنت أحسنت ! اسقونى ، فشرب وطرب ، فقمت فجلست على البُدور ، وعلمت أنى قد حَوَيتها ، فحضر ابنُ جامع ، فأحسن المحضر ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، هو[1] والله كما قلتَ ؛ وما منّا أحد إلا وقد ذهب عن طريقك غيرُه ، قال : هى لك ، وشرِب حتى بلغ حاجَته على الصوت ، ونهض ، فقال : مُروا ثلاثة من الفرّاشين يحملونها معه ، فدخل وخرجنا نمشى فى الصحن منصرفين ، فلحقنى ابنُ جامع ، فقلت : جُعلت فداك يا أبا القاسم! فعلتَ ما يفعل مثلُك فى نسبك ؛ فانظر فيها بما شئت . فقال : هنأك الله ، وَدِدْنا أنا زِدناك . ولحقَنا الموصلىّ ، فقال : أجزنا[2] ، فقلت : ولِمَ لَمْ تحسن محضرك ! لا والله ولا درهمًا واحدًا[3] .

٥٩٧/٣

وذكر محمد بن عبد الله ، قال : قال لى سعيد القارئ العلاّف — وكان صاحبَ أبان القارئ : إنه كان عند موسى جلساؤه ، فيهم الحرّانى وسعيد ابن سلم وغيرُهما ؛ وكانت جارية لموسى تسقيهم ؛ وكانت ماجنةً ، فكانت تقول لهذا : يا جلِفىّ[4] ؛ وتعبث بهذا وهذا ؛ ودخل يزيد بن مزيد فسمع ما تقول لهم ، فقال لها : والله الكبير ؛ لئن قلتِ لى مثل ما تقولين لهم لأضربنّك ضربة بالسيف ، فقال لها موسى : ويلك ! إنه والله يفعل ما يقول ؛ فإياك . قال : فأمسكت عنه ولم تعابثْه قطّ . قال : وكان سعيد العلاّف وأبان القارئ إباضيّيْن .

---

(١) س : « هذا » ، الأغانى : « أحسن » .
(٢) الأغانى : « آخذ ياحكم من هذا ؟ » .
(٣) الخبر فى الأغانى ٦ : ٢٨٦ ، ٢٨٧
(٤) قال فى اللسان : « الجلف : الجافى فى خلقه وخلقه » .

وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب ، قال : حدّثني ابن القداح ، قال : كانت للربيع جارية يقال لها أمَة العزيز ، فائقة الجمال ، ناهدة الثّدْيين ، حسنة القوام ، فأهداها إلى المهديّ ، فلما رأى جمالها وهيئتها ، قال : هذه لموسى أصلح ، فوهبها له ؛ فكانت أحبّ الخلق إليه ، وولدت له بنيه الأكابر . ثم إنّ بعض أعداء الربيع قال لموسى : إنه سمع الرّبيع يقول : ما وضعتُ بيني وبين الأرض مثل أمَة العزيز ، فغار موسى من ذلك غَيْرَةً شديدة ، وحلف لَيَقْتُلنّ الربيع ، فلما استخلف دعا الرّبيع في بعض الأيام ، فتغدّى معه وأكرمه ، وناوله كأسًا فيها شراب عسل ؛ قال : فقال الربيع : فعلمت أنّ نفسي فيها ، وأنّي إن رددتُ الكأس ضَرب عنقي ؛ مع ما قد علمت أن في قلبه عليّ من دخولي على أمه ، وما بلغه عني ، ولم يسمع مني عذراً . فشربتها . وانصرف الرّبيع إلى منزله ، فجمع ولده ، وقال لهم : إني ميّت في يومي هذا أو من غد ، فقال له ابنه الفضل : ولم تقول هذا جعلت فداك! فقال : إنّ موسى سقاني شربة سمّ بيده ، فأنا أجد عملَها في بدني ، ثم أوصى بما أراد ، ومات في يومه أو من غده . ثمّ تزوج الرشيد أمة العزيز بعد موت موسى الهادي ، فأولدها عليّ بن الرشيد .

٣/٥٩٨

وزعم الفضل بن سليمان بن إسحاق الهاشميّ أنّ الهادي لما تحوّل إلى عيساباذ في أوّل السنة التي ولي الخلافة فيها ، عزل الرّبيع عما كان يتولاّه من الوزارة وديوان الرسائل ، وولّى مكانه عمر بن بزيع ، وأقرّ الربيع على الزمام ؛ فلم يزل عليه إلى أن تُوُفّيَ الربيع ، وكانت وفاته بعد ولاية الهادي بأشهر ؛ وأوذن بموته فلم يحضر جِنازته ، وصلى عليه هارون الرشيد ؛ وهو يومئذ وليّ عهد ، وولّى موسى مكان الربيع إبراهيم بن ذكوان الحرانيّ ، واستخلف على ما تولاه إسماعيل بن صُبيح ، ثم عزله واستخلف يحيى بن سليم ، وولّى إسماعيل زمام ديوان الشأم وما يليها .

وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، خال الفضْل بن الربيع ، أنّ أباه حدّثه ، أن موسى الهادي قال : أريد قتل الربيع ؛ فما أدري كيف أفعل به ! فقال له سعيد بن سلم : تأمر رجلاً باتّخاذ سكين مسموم ، وتأمره بقتله ، ثم

٣/٥٩٩

تأمر بقتل ذلك الرجل . قال : هذا الرّأى، فأمر رجلاً فجلس له فى الطريق ، وأمره بذلك ، فخرج بعض خلفاء الربيع ، فقال له : إنّه قد أمر فيك بكذا وكذا ، فأخذ فى غير ذلك الطريق ، فدخل منزله ، فتمارض، فمرِض بعد ذلك ثمانية أيام ؛ فمات ميتة نفسه . وكانت وفاته سنة تسع وستين ومائة ؛ وهو الربيع ابن يونس .

خلافة هارون الرشيد

بُويع للرّشيد هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس بالخلافة ليلة الجمعة الليلة التى تُوُفِّىَ فيها أخوه موسى الهادى. وكانت سنّه يوم ولىَ اثنتين وعشرين سنة. وقيل كان يوم بُويع بالخلافة ابنَ إحدى وعشرين سنة. وأمُّه أم ولد يمانية جُرَشيّة يقال لها خَيزُران، وولد بالرّىّ لثلاث بقِينَ من ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة فى خلافة المنصور.

وأما البرامكة فإنها — فيما ذُكِر — تزعم أنّ الرشيد وُلِد أول يوم من المحرم سنة تسع وأربعين ومائة؛ وكان الفضل بن يحيى ولد قبله بسبعة أيام، وكان مولد الفضل لسبع بقين من ذى الحجة سنة ثمان وأربعين ومائة، فجعِلت أمّ الفضل ظئراً للرشيد، وهى زينب بنت منير، فأرضعت الرّشيد بلِبان[1] الفضل، وأرضعت الخيزُران الفضل بلِبان الرّشيد.

وذكر سليمان بن أبى شيخ أنه لمّا كان الليلة التى تُوفِّىَ فيها موسى الهادى أخرج هرْثمةُ بن أعين هارون الرشيد ليلاً فأقعده للخلافة، فدعا هارونُ يحيى بن خالد بن برمك — وكان محبوساً، وقد كان عزم موسى على قتله وقتْل هارون الرشيد فى تلك الليلة — قال: فحضر يحيى، وتقلّد الوزارة، ووجّه إلى يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب فأحضره، وأمره بإنشاء الكُتب؛ فلما كان غداةَ تلك الليلة، وحضر القوّاد قام يوسف بن القاسم، فحمِد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم، ثم تكلم بكلام أبلغ فيه، وذكر موت موسى وقيام هارون بالأمر من بعده، وما أمر به للنّاس من الأعطيات.

٦٠٠/٣

وذكر أحمد بن القاسم، أنه حدّثه عمّه علىّ بن يوسف بن القاسم هذا الحديث، فقال: حدّثنى يزيد الطبرىّ مولانا أنه كان حاضراً يحمل دواة أبى يوسف ابن القاسم، فحفِظ الكلام. قال: قال بعد الحمد لله عزّ وجلّ والصلاة على النبىّ صلى الله عليه وسلم:

---

(١) فى اللسان: «يقال: هو أخوه بلبان أمه، بكسر اللام؛ ولا يقال: بلبن أمه؛ إنما اللبن الذى يشرب من ناقة أو شاة أو غيرهما».

إن الله بمنّه ولطفه منّ عليكم معاشر أهل بيت نبيّه بيت الخلافة ومعدن الرسالة ، وأتاكم أهل الطاعة من أنصار الدّوْلة وأعوان الدّعوة ، من نِعَمه التي لا تحصى بالعدد ، ولا تنقضي مدى الأبد ، وأياديه التامّة ، أنْ جمع أُلفتكم وأعلى أمركم ، وشدّ عَضُدكم ، وأوهن عدوّكم ، وأظهر كلمة الحقّ ؛ وكنتم أوْلى بها وأهلها ، فأعزّكم الله وكان الله قويًّا عزيزاً ؛ فكنتم أنصارَ دين الله المرتضى والذابّين بسيفه المنتضَى ؛ عن أهل بيت نبيّه صلى الله عليه وسلم . وبكم استنقذهم من أيدى الظَّلمة ، أئمة الجوْر ، والناقضين عهد الله ، والسافكين الدّمَ الحرام ، والآكلين الفىء ، والمستأثرين به ؛ فاذكروا ما أعطاكم الله من هذه النّعمة ، واحذروا أن تغيّروا فيغيِّر بكم . وإن الله جلّ وعزّ استأثر بخليفته موسى الهادى الإمام ، فقبضه إليه ، وولّى بعده رَشيداً مرضيًّا أمير المؤمنين رءوفاً بكم رحيماً ، من محسنكم قبولا ، وعلى مسيئكم بالعفو [1] عطوفاً ؛ وهو - أمتعه الله بالنعمة وحفظ [2] له ما استرعاه إياه من أمر الأمة ، وتولاّه بما تولى به أولياءه وأهلَ طاعته - يعِدُكم من نفسه الرّأفة بكم ، والرحمة لكم . وقسْم أعطياتكم فيكم عند استحقاقكم ، ويبذل لكم من الجائزة مما أفاء الله على الخلفاء مما في بيوت الأموال ما ينوب عن رزق كذا وكذا شهراً ، غير مقاصّ لكم بذلك فيما تستقبلون من أعطياتكم ، وحاملٌ باقِيَ ذلك ؛ للدّفْع عن حريمكم ، وما لعلّه أن يحدث في النواحى والأقطار من العُصاة المارقين إلى بيوت الأموال ؛ حتى تعودَ الأموال إلى جِمامِها وكثرتها ، والحال التي كانت عليها ؛ فاحمدوا الله وجدّدوا شكراً يوجب لكم المزيد من إحسانه إليكم ؛ بما جدّد لكم من رأى أمير المؤمنين ، وتفضّل به عليكم ، أيّده الله بطاعته . وارغبوا إلى الله له في البقاء ؛ ولكم به في إدامة النعماء ، لعلكم ترحمون . وأعطُوا صَفْقة أيمانكم ، وقوموا إلى بَيْعتكم ، حاطكم الله وحاط عليكم ، وأصلح بكم [3] وعلى أيديكم ، وتولاّكم ولاية عباده الصالحين

٣/٦٠١

وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، قال : حدثنى محمد بن هشام

(١) ج : « بالعطف » .
(٢) س : « وحفظ الله » .
(٣) ج : « لكم » .

المخزومىّ ، قال : جاء يحيى بن خالد إلى الرّشيد وهو نائم فى لحاف بلا إزار ؛ لمّا تُوفِّىَ موسى ، فقال : قمْ يا أمير المؤمنين ، فقال له الرّشيد: كم تروِّعنى إعجابًا منك بخلافتى ! وأنت تعلم حالى عند هذا الرجل ؛ فإنْ بلغه هذا ، فما تكون حالى ! فقال له : هذا الحرّانىّ وزير موسى وهذا خاتمه . قال : فقعد فى فراشه ، فقال : أشرْ علىّ ، قال : فبينما هو يكلِّمه إذ طلع رسول آخر ، فقال : قد وُلد لك غلام ، فقال : قد سمَّيتُه عبد الله ، ثم قال ليحيى : أشر علىّ ، فقال: أشير عليك أن تقعد لخالك على إرمينيّة، قال : قد فعلت ؛ ولا والله لا صليت بعيساباذ إلاّ عليها ، ولا صلّيت الظهر إلا ببغداد ؛ وإلا ورأس أبى عصمة بين يدىّ . قال : ثم لبس ثيابه ، وخرج فصلّى عليه ، وقدَّم أبا عصمة ، فضرب عنقه ، وشَدّ جُمّته فى رأس قناة ، ودخل بها بغداد ؛ وذلك أنه كان مضى هو وجعفر بن موسى الهادى راكبين . فبلغا إلى قنطرة من قناطر عيساباذ ، فالتفت أبو عصمة إلى هارون ، فقال له : مكانك حتى يجوز ولىّ العهد ، فقال هارون : السمع والطاعة للأمير ؛ فوقف حتى جاز جعفر ؛ فكان هذا سبب قتل أبى عصمة . ٣/٦٠٢

قال : ولما صار الرشيد إلى كرسىّ الجسر دعا بالغوّاصين ، فقال : كان المهدىّ وهَب لى خاتمًا شراؤه مائة ألف دينار يسمّى الجبَل[1] ، فدخلتُ على أخى وهو فى يدى ؛ فلما انصرفتُ لحقنى سليم الأسود على الكرسىّ ، فقال : يأمرُك أمير المؤمنين أن تعطينى الخاتم ، فرميت به فى هذا الموضع . فغاصوا ، فأخرجوه ، فسُرّ به غاية السرور .

قال محمد بن إسحاق الهاشمىّ : حدّثنى غير واحد من أصحابنا، منهم صبّاح بن خاقان التميمىّ ، أن موسى الهادى كان خلع الرشيد وبايع لابنه جعفر ؛ وكان عبدُالله بن مالك على الشُّرَط ، فلما تُوُفِّىَ الهادى هجم خزيمة ابن خازم فى تلك الليلة ، فأخذ جعفراً من فراشه ؛ وكان خزيمة فى خمسة آلاف من مواليه معهم السلاح ، فقال : والله لأضربنّ عنقك أو تخلَعها ، فلما كان من الغدِ ، ركب الناس إلى باب جعفر ، فأتى به خزيمة ، فأقامه

(١) ا : « الحبل » .

٣/٦٠٣

على باب الدار فى العلوّ، والأبواب مغلقة، فأقبل جعفر ينادى: يا معشرَ المسلمين، منْ كانت لى فى عنقه بيعة فقد أحللتُه منها ؛ والخلافة لعمّى هارون ؛ ولاحقّ لى فيها .

وكان سببُ مشى عبد الله بن مالك الخُزاعىّ إلى مكّة على اللّبود ؛ لأنه كان شاور الفقهاء فى أيْمانه التى حلَف بها لبيعة جعفر ، فقالوا له : كلُّ يمين لك تخرج منها إلا المشى إلى بيت الله ؛ ليس فيه حيلة. فحجّ ماشيًا . وحظىَ خزيمة بذلك عند الرّشيد .

وذُكر أن الرشيد كان ساخطًا على إبراهيم الحرانىّ وسلاّم الأبرش يوم مات موسى ، فأمر بحبسهما وقبْض أموالهما ، فحبِس إبراهيم عند يحيى بن خالد فى دارِه ، فكلّم فيه محمدُ بن سليمان هارونَ ، وسأله الرضا عنه وتخليةَ سبيله ، والإذن له فى الانحدار معه إلى البصرة ، فأجابه إلى ذلك .

* * *

وفى هذه السنة عزل الرّشيد عمرَ بن عبد العزيز العُمَرىّ عن مدينة الرّسول صلى الله عليه وسلم ؛ وما كان إليه من عملها ، وولّى ذلك إسحاق بن سليمان ابن علىّ .

وفيها وُلِد محمد بن هارون الرشيد ، وكان مولده — فيما ذكر أبو حفص الكرمانىّ عن محمد بن يحيى بن خالد — يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلتْ من شوال من هذه السّنَة ، وكان مولد المأمون قبله فى ليلة الجمعة النّصف من شهر ربيع الأول .

وفيها قلّد الرشيد يحيى بن خالد الوزارةَ ، وقال له : قدقلّدتُك أمر الرّعيّة ، وأخرجته من عنقى إليك ، فاحكم فى ذلك بما ترى من الصواب ، واستعملْ مَنْ رأيتَ ، واعزل مَنْ رأيت ، وأمض الأمور على ما ترى . ودفع إليه خاتمه ؛ ففى ذلك يقول إبراهيم الموصلىّ :

٣/٦٠٤

أَلمْ ترَ أن الشَّمْس كانتْ سَقيمةً ... فلمَا ولِى هارونُ أَشْرَقَ نُورُها
بيُمنِ أَمين اللهِ هارونَ ذى النَّدَى ... فهارونُ وَاليها وَيَحْيَى وزيرُها

وكانت الخيزُران هى الناظرة فى الأمور ، وكان يحيى يعرض عليها ويصدُر عن رأيها .

وفيها أمر هارون بسهْم ذوى القربى، فقسّم بين بنى هاشم بالسّوِيّة .

وفيها آمن مَنْ كان هاربًا أو مستخفيًا ، غير نفر من الزنادقة ؛ منهم يونس بن فروة ويزيد بن الفيض .

وكان ممّن ظهر من الطالبيين طَباطَبا؛ وهو إبراهيم بن إسماعيل، وعلىّ بن الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن .

وفيها عزل الرّشيد الثغور كلها عن الجزيرة وقنّسرين ، وجعلها حيّزاً واحداً وسميت العواصم .

وفيها عمرت طَرَسُوس على يدى أبى سُليم فرَج الخادم التركىّ ونزلها الناس .

* * *

٣/٦٠٥ وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون الرّشيد من مدينة السّلام ، فأعطى أهل الحَرَمَيْن عطاء كثيراً ، وقسم فيهم مالاً جليلاً .

وقد قيل : إنه حجّ فى هذه السنة وغزا فيها ، وفى ذلك يقول داود بن رَزِين :

بِهارونَ لاحَ النُّورُ فى كلِّ بَلْدَةٍ ... وَقامَ بِهِ فى عَدْلِ سيرتهِ النَّهْجُ
إمام بِذاتِ اللهِ أَصْبَحَ شُغْلُهُ ... وَأَكثرُ ما يُعْنَى بِهِ الغزْوُ وَالحَجُّ
تضيقُ عُيونُ الناس عَن نُورِ وجْهِهِ ... إذا ما بَدا للنَّاسِ مَنْظَرُهُ البَلْجُ
وَإنَّ أَمينَ اللهِ هارونَ ذا النَّدَى[1] ... يُنيلُ الذى يَرْجوهُ أَضعافَ مايَرْجو

وغزا الصائفة فى هذه السنة سليمان بن عبد الله البَكائىّ .

وكان العامل فيها على المدينة إسحاق بن سليمان الهاشمىّ ، وعلى مكة والطائف عبيد الله بن قُثَم ، وعلى الكوفة موسى بن عيسى ، وخليفته عليها ابنه العباس بن موسى ، وعلى البصرة والبحرين والفَرَض وعُمان واليمامة وكُور الأهواز وفارس محمد بن سليمان بن علىّ .

---

(١) س : « بالندى » .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك قدوم أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسيّ مدينةَ السلام منصرِفًا عن خُراسان ، وكان خاتمُ الخلافة حين قدم مع جعفر بن محمد بن الأشعث ، فلما قدم أبو العباس الطوسيّ أخذه الرّشيد منه ، فدفعه إلى أبي العباس ، ثمّ لم يلبث أبو العباس إلاّ يسيرًا حتى تُوُفِّيَ . فدفع الخاتم إلى يحيى بن خالد ، فاجتمعت ليحيى الوزارتان .

٦٠٦/٣

وفيها قتل هارون أبا هُرَيرة محمد بن فرّوخ — وكان على الجزيرة — فوجّه إليه هارون أبا حنيفة حَرْب بن قيس ، فقدم به عليه مدينة السّلام ، فضرب عنقه فى قصر الخُلْد .

وفيها أمر هارون بإخراج مَنْ كان فى مدينة السلام من الطالبيّين إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، خلا العباس بن الحسن بن عبد الله بن عليّ ابن أبي طالب ، وكان أبوه الحسن بن عبد الله فيمن أشخِص .

وخرج الفضل بن سعيد الحَروريّ فقتله أبو خالد المرْوَرُّوذيّ .

وفى هذه السنة كان قدوم رَوْح بن حاتم إفريقيّة ، وخرجت فى هذه السنة الخيزُران إلى مكة فى شهر رمضان ، فأقامت بها إلى وقت الحجّ فحجّت .

وحجّ بالنّاس فى هذه السنة عبد الصمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك شخوص الرّشيد فيها إلى مَرْج القلعة مرتاداً بها منزلا ينزله .

* ذكر السبب فى ذلك :

٣/٦٠٧

ذكر أن الذى دعاه إلى الشخوص إليها أنه استثقل مدينة السلام ، فكان يسميها البُخار ، فخرج إلى مَرْج القلعة ، فاعتلّ بها ، فانصرف ، وسُمّيت تلك السفرة سَفْوة المرتاد .

* * *

وفيها عزل الرّشيد يزيد بن مزيد عن إرمينيَة ، وولاّها عبيد الله بن المهدىّ .

* * *

وغزا الصائفة فيها إسحاق بن سليمان بن علىّ .

وحجّ بالناس فى هذه السنة يعقوب بن أبى جعفر المنصور .

وفيها وضع هارون عن أهل السواد العُشْر الذى كان يؤخذ منهم بعد النصف .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر وفاة محمد بن سليمان]

فمن ذلك وفاة محمد بن سليمان بالبصرة، لليال بقين من جمادى الآخرة منها.

وذُكِر أنّه لما مات محمد بن سليمان وجّه الرشيد إلى كلّ ما خلّفه رجلاً أمره باصطفائه، فأرسل إلى ما خلّف من الصّامت من قِبَل صاحب بيت ماله رجلاً، وإلى الكسوة بمثل ذلك، وإلى الفُرُش والرّقيق والدوابّ من الخيل والإبل، وإلى الطيِّب والجوهر وكلّ آلة برجلٍ من قِبَل الذى يتولّى كلّ صنف من الأصناف، فقدِموا البَصْرة، فأخذوا جميعَ ما كان لمحمد ممّا يصلح للخلافة، ولم يتركوا شيئاً إلا الخُرْثيّ[1] الذى لا يصلح للخلفاء، وأصابوا له ستّين ألف ألف، فحملوها مع ما حُمِل، فلما صارت فى السُّفنُ أخبِر الرشيد بمكان السُّفن التى حملت ذلك؛ فأمر أن يُدخَل جميعُ ذلك خزائنه إلا المال؛ فإنه أمر بصكاك فكتِبُت للنُّدماء، وكتبت للمغنّين صِكاك صغار لم تُدَرْ فى الديوان، ثم دفع إلى كلّ رجل صَكّاً بما رأى أن يَهَب[2] له، فأرسلوا وكلاءهم إلى السفن، فأخذوا المال على ما أمر لهم به فى الصِّكاك أجمع؛ لم يدخل منه بيتَ ماله دينار ولا درهم، واصطفى ضياعه؛ وفيها ضيعة يقال لها بَرَشيد بالأهواز لها غلّة كثيرة.

٣/٦٠٨

وذكر علىّ بن محمد، عن أبيه، قال: لما مات محمد بن سليمان أصيب فى خِزانة لباسه مذ كان صبيّاً فى الكُتّاب إلى أن مات مقادير السنين؛ فكان من ذلك ما عليه آثار النِّقْس[3]. قال: وأخرج من خِزانته ما كان يُهدَى له من بلاد السِّند ومُكران وكِرْمان وفارسَ والأهواز واليمامة والرّىّ وعُمان؛ من الألطاف والأدْهان والسّمك والحبوب والجبن، وما أشبه ذلك، ووجِد أكثره فاسداً. وكان من ذلك خمسمائة كَنْعَدَة[4] ألقيَتْ من دار جعفر

---

(١) الخرثى: أردأ المتاع.
(٢) ج: «أن يجب».
(٣) النقس: الحبر.
(٤) الكنعد: ضرب من السمك.

ومحمد فى الطريق ؛ فكانت بلاءً . قال : فمكثنا حينًا لا نستطيع أن نمرّ بالمِرْبد من نَتَنْها .

* * *

[ذكر وفاة الخيزران أم الهادى والرشيد]

وفيها تُوفِّيت الخيزُران أمّ هارون الرشيد وموسى الهادى .

* ذكر الخبر عن وقت وفاتها :

ذكر يحيى بن الحسن أن أباه حدّثه ، قال : رأيتُ الرّشيد يوم ماتت الخيزُران ، وذلك فى سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وعليه جُبّة سعيديّة وطيلسان خرَقٌ أزرق، قد شُدّ به وسطُه ، وهو آخذ بقائمة السرير حافيًا يعدُو فى الطين؛ حتى أتى مقابر قُريش فغسل رجليه، ثم دعا بخُفّ وصلّى عليها ، ودخل قبرها ، فلما خرج من المقبرة وُضع له كرسىّ فجلس عليه ، ودعا الفضل بن الربيع ، فقال له: وحق المهدىّ — وكان لا يحلف بها إلا إذا اجتهد — إنى لأهمّ لك من الليل بالشىء من التولية وغيرها ، فتمنعنى أمى فأطيع أمرها ، فخذ الخاتم من جعفر . فقال الفضل بن الربيع لإسماعيل بن صُبَيح : أنا أجلّ أبا الفضل عن ذلك ؛ بأن أكتب إليه وآخذه ؛ ولكن إن رأى أن يبعث به !

٣/٦٠٩

قالَ وولى الفضل نفقات العامة والخاصة وبادُوريا والكُوفة ، وهى خمسة طساسيج ، فأقْبَلَتْ حاله تنمى إلى سنة سبع وثمانين ومائة .

وقيل إن وفاة محمد بن سليمان والخيزُران كانت فى يوم واحد .

* * *

وفيها أقدم الرشيد جعفرَ بن محمد بن الأشعث من خُراسان ، وولاّها ابنَه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث .

وحجّ بالناس فيها هارون ؛ وذُكِر أنه خرج محرِمًا من مدينة السلام .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان بالشأم من العصبيّة فيها .

وفيها ولّى الرّشيد إسحاقَ بن سليمان الهاشميّ السِّند ومُكران .

وفيها استقضى الرشيد يوسف بن أبي يوسف ، وأبوه حيّ .

وفيها هلك رَوْح بن حاتم .

وفيها خرج الرشيد إلى باقِرْدَى وبازَبْدَى ، وبنى بباقِرْدَى قصراً ، فقال الشاعر في ذلك : ٣/٦١٠

بِقردَى وبَازَبْدَى مَصيفٌ ومَرْبَعٌ وعَذْبٌ يُحاكِي السلسبيلَ بَرودُ
وبَغدادُ ، ما بَغدادُ ، أمّا تُرابُها فَخُرْءٌ ، وأما حَرّها فَشَديدُ

وغزا الصّائفةَ عبدُالملك بن صالح .

* * *

وحجّ بالناس فيها هارون الرشيد ، فبدأ بالمدينة ، فقسم في أهلها مالاً عظيماً ، ووقع الوباء في هذه السنة بمكة ، فأبطأ عن دخولها هارون ، ثم دخلها يومِ التَّرْوِية ، فقضى طوافه وسعيَه ولم ينزل بمكة .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن البيعة للأمين]

فمن ذلك عقْد الرشيد لابنه محمد بمدينة السلام من بعده ولايةَ عهد المسلمين وأخذه له بذلك بيعة القوّاد والجند ، وتسميته إياه الأمين ، وله يومئذ خمس سنين ، فقال سلْم الخاسر :

قد وفَّقَ اللهُ الخليفةَ إذ بنى بَيتَ الخليفةِ لِلهِجَانِ الأَزهَرِ

فهو الخليفةُ عن أَبيه وجدِّهِ شَهِدا عليه بِمنَظرٍ وبمخبرِ

قد بايَعَ الثقلان فى مهْدِ الهُدى لمحمَّدِ بن زُبَيدَةَ ابنَةِ جعفر

* ذكر الخبر عن سبب بيعة الرشيد له :

٣/٦١١ وكان السبب فى ذلك – فيما ذكر رَوْح مولى الفضل بن يحيى بن خالد – أنه رأى عيسى بن جعفر قد صار إلى الفضْل بن يحيى ، فقال له : أنشدك الله لما عملت فى البيعة لابن أختى – يعنى محمد بن زبيدة بنت جعفر بن المنصور – فإنه ولدٌ لك وخلافته لك ؛ فوعده أن يفعل ، وتوجّه الفضل على ذلك ؛ وكانت جماعة من بنى العباس قد مدّوا أعناقَهم إلى الخلافة بعد الرشيد ؛ لأنه لم يكن له ولىّ عهد ؛ فلما بايع له ، أنكروا بيعتَه لصغر سنّه .

قال : وقد كان الفضل لما تولّى خُراسان أجمع على البيعة لمحمد ؛ فذكر محمد بن الحسين بن مصعب أن الفضْل بن يحيى لمّا صار إلى خُراسان ، فرّق فيهم أموالا ، وأعطى الجند أعطياتٍ متتابعات ، ثم أظهر البيعة لمحمد بن الرشيد ؛ فبايع الناس له وسماه الأمين ، فقال فى ذلك النَّمَرىّ :

أَمسَتْ بمروَ على التوفيقِ قد صَفقَتْ على يدِ الفضل أَيدِى العُجْم والعربِ

ببيعةٍ لِولىّ العهد أحكَمَها بالنّصح منه وبالإشفاقِ والحدَبِ
قَدْ وكَّدا الفضلُ عقدًا[1] لا انتِقاضَ له لمصطفًى من بنى العباسِ مُنتَخَب

٦١٢/٣ قال : فلما تناهى الخبرُ إلى الرّشيد بذلك ، وبايع له أهل المشرق، بايع لمحمد ، وكتب إلى الآفاق ، فبويع له فى جميع الأمصار ، فقال أبان اللاحقىّ فى ذلك :

عَزَمْتَ أمير المومنين على الرُّشْدِ بِرَأىِ هُدًى ، فالحمدُ لله ذِى الحمدِ

* * *

وعزل فيها الرشيد عن خراسان العباس بن جعفر ، وولاها خاله الغِطريف ابن عطاء .

وفيها صار يحيى بن عبد الله بن حسن إلى الدّيْلم ، فتحرّك هناك .

وغزا الصائفة فيها عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ إقريطية .

وقال الواقدىّ : الذى غزا الصائفة فى هذه السنة عبدالملك بن صالح ، قال : وأصابهم فى هذه الغزاة برد قطع أيديهم وأرجلهم .

* * *

وحجّ بالناس فيها هارون الرشيد .

(١) س : « عهدًا » .

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تولية الرّشيد الفضل بن يحيى كُور الجبال وطَبرستان ودُنْباوند وقُومِس وإرمينيَة وأذْرَبيجان .

وفيها ظهر يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب بالدّيلم .

٦١٣/٣

ذكر الخبر عن مخرج يحيى بن عبد الله وما كان من أمره

ذكر أبو حفص الكِرمانىّ ، قال : كان أوّل خبر يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب أنه ظهر بالدّيْلم ، واشتدّت شوكته ، وقوىَ أمرُه ، ونزع إليه الناس من الأمصار والكُور ، فاغتمّ لذلك الرّشيد ، ولم يكن فى تلك الأيام يشرب النّبيذ ، فندب إليه الفضلَ بن يحيى فى خمسين ألف رجل ، ومعه صناديد القوّاد ، وولاّه كور الجبال والرّىّ وجُرجان وَطبَرِستان وقومِس ودُنْباوند والرُّويان ، وحُملت معه الأموال ، ففرّق الكور على قوّاده ، فولّى المثنّى بن الحجاج بن قتيبة بن مسلم طَبَرِستان ، وولّى علىّ بن الحجاج الخُزاعىّ جُرجان ، وأمر له بخمسمائة ألف درهم ، وعسكر بالنّهرين ، وامتدحه الشعراء ، فأعطاهم فأكثر ، وتوسل إليه الناس بالشعر ، ففرّق فيهم أموالا كثيرة . وشخص الفضلُ بن يحيى ، واستخلف منصور بن زياد بباب أمير المؤمنين ، تجرِى كتبه على يديه ، وتنفذ الجوابات عنها إليه ، وكانوا يثقون بمنصور وابنه فى جميع أمورهم ؛ لقديم صحبته لهم ، وحرمته بهم . ثم مضى من معسكره ، فلم تزل كتب الرشيد تتابع إليه بالبِرّ واللّطف والجوائز والخلَع ؛ فكاتب يحيى ورفَق به واستماله ، وناشده وحذّره ، وأشار عليه ، وبسط أملَه . ونزل الفضل بطالَقان الرىّ وَدسْتَبى بموضع يقال له أشبّ ؛ وكان شديدَ البرد كثير الثلوج ؛ فى ذلك يقول أبان بن عبد الحميد اللاحقىّ :

٦١٤/٣

لَدُورُ أَمْسَ بالدُولا ب حيثُ السِّيبُ يَنعرجُ
أحبُّ إلىَّ مِنْ دور أَشَبَّ إذا هُمُ ثَلجُوا

قال : فأقام الفضل بهذا الموضع ، وواتَر كتبه على يحيى ، وكاتب صاحب الدَّيْلم ، وجعل له ألف ألف درهم ؛ على أن يسهّل له خروج يحيى إلى ما قبله ، وحملت إليه ، فأجاب يحيى إلى الصّلح والخروج على يديه ، على أن يكتب له الرشيد أمانًا بخطّه على نسخة يبعث بها إليه . فكتب الفضل بذلك إلى الرشيد ، فسَرّه وعظُم موقعه عنده ، وكتب أمانًا ليحيى بن عبد الله ، وأشهد عليه الفقهاء والقضاة وجِلّة بنى هاشم ومشايخهم ؛ منهم عبد الصمد بن علىّ والعباس ابن محمد ومحمد بن إبراهيم وموسى بن عيسى ومَن أشبههم ، ووجّه به مع جوائز وكَرامات وهدايا ، فوجّه الفضل بذلك إليه ، فقدم يحيى بن عبد الله عليه ، وورد به الفضل بغداد ، فلقيه الرّشيد بكلّ ما أحبّ ، وأمر له بمال كثير ، وأجرى له أرزاقًا سنيّة ، وأنزله منزلا سريًّا بعد أن أقام فى منزل يحيى بن خالد أيامًا ، وكان يتولّى أمرَه بنفسه ، ولا يَكِلُ ذلك إلى غيره ، وأمر الناس بإتيانه بعد انتقاله من منزل يحيى والتسليم عليه ، وبلغ الرشيد الغايَة فى إكرام الفضل ؛ فى ذلك يقول مَرْوان بن أبى حفصة :

ظَفِرتَ فلا شَلَّتْ يدٌ بَرْمَكيَّةٌ رَتَقْتَ بها الفَتْقَ الذى بين هاشِمِ
على حين أَعْيَا الراتقينَ التِئامُهُ فكَفُّوا وقَالُوا لَيسَ بالمتلائم ٣/٦١٥
فأَصْبَحْتَ قد فازَتْ يداك بخُطَّة من المجدِ باقٍ ذكرها فى المَوَاسِمِ
وما زالَ قِدْحُ المُلكِ يَخرُجُ فائزًا لكمْ كلَّما ضُمَّتْ قِداحُ المُساهِمِ

قال : وأنشدنى أبو ثُمامة الخطيب لنفسه فيه :

للفضل يومُ الطَّالَقَانِ وقبلهُ يومٌ أَناخَ بهِ على خاقانِ
ما مثلُ يَوْمَيْهِ اللَّذيْن تَواليَا فى غَزْوَتَيْن تَوَالتَا يَوْمَان
سَدَّ الثغور وَردَّ أُلفَةَ هاشِمٍ بعدَ الشَّتاتِ ،فَشَعْبُها مُتَدَان

عصمتْ حكومتُهُ جَماعةَ هاشِمٍ ... مِنْ أَنْ يُجَرَّد بينها سَيْفَان

تِلْكَ الْحُكومةُ لَاالتى عن لَبْسها ... عظُمَ النَّبا وتفرّقَ الحكَمانِ

فأعطاه الفضل مائة ألف درهم ، وخلع عليه ، وتغنّى إبراهيم به .

وذكر أحمد بن محمد بن جعفر[١] ، عن عبد الله بن موسى بن عبدالله بن حسن بن حسن ، قال : لما قدِم يحيى بن عبد الله من الدّيْلم أتيتُه ، وهو فى دار علىّ بن أبى طالب ، فقلت : يا عمّ ، ما بعدك مُخْبِر ولا[٢] بعدى مخْبَر ؛ فأخبِرْنى خبَرك ، فقال : يابن أخى ، والله إن كنت إلاّ كما قال حُيَىّ ابن أخطب :

لعمْرِكَ مالامَ ابنُ أَخطَب نفسَهُ ... ولكنّهُ من يَخذُلِ اللهُ يُخذَلِ

لجَاهَدَ حتى أبلغَ النفس حَمْدَها[٣] ... وقلقلَ يَبغى العِزَّ كلَّ مقلقَلِ

٣/٦١٦ وذكر الضّبىّ أن شيخاً من النوفليّين ، قال : دخلنا على عيسى بن جعفر ، وقد وُضِعت له وسائد بعضها فوق بعض ؛ وهو قائم متّكئ عليها ؛ وإذا هو يضحك من شىء فى نفسه ، متعجّباً منه ، فقلنا : ما الذى يُضحك الأمير أدام الله سروره ! قال : لقد دخلنى اليوم سرورٌ ما دخلنى مثله قطّ ، فقلنا : تمم الله للأمير سروره[٤] ، وزاده سروراً . فقال : والله لا أحدّثكم به إلا قائماً — واتكأ على الفرش وهو قائم — فقال : كنتُ اليومَ عند أمير المؤمنين الرّشيد ، فدعا بيحيى بن عبد الله ، فأخرِج من السجن مكبّلاً فى الحديد ، وعنده بكّار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير — وكان بكّار شديدَ البغض لآل أبى طالب ، وكان يبلّغ هارون عنهم ، ويسىء[٥] بأخبارهم ، وكان الرّشيد ولاه المدينة ، وأمره بالتضييق عليهم — قال : فلما دُعِىَ بيحيى قال له الرّشيد : هيهْ هيهْ ! متضاحكاً ؛ وهذا يزعم أيضاً أنا سممناه ! فقال يحيى : ما معنى يزعم ؟ ها هُو ذا لسانى — قال : وأخرج لسانه أخضر

---

(١) ج : « حفص » .
(٢) ج : « وما » .
(٣) ا : « بجاهد » .
(٤) س : « السرور » .
(٥) ط : « ويشىء » .

مثل السَّلق — قال : فتربّد هارون ! واشتدّ غضبُه ، فقال يحيى : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن لنا قرابة ورحِمًا ، ولسنا بتُرْكٍ ولا ديْلم ، يا أمير المؤمنين ؛ إنّا وأنتم أهلُ بيت واحد ، فأذكِّرك اللهَ وقرابتَنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ! علام تَحْبِسني وتعذّبني ؟ قال : فرقّ له هارون ، وأقبل الزّبيرىّ على الرّشيد، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يغرّك كلام هذا ؛ فإنه شاقٌّ عاصٍ ؛ وإنما هذا منه مكر وخُبْث ؛ إنّ هذا أفسد علينا مدينتنا ، وأظهر فيها العصيان . قال : فأقبل يحيى عليه ؛ فوالله ما استأذن أمير المؤمنين فى الكلام حتى قال : أفسد عليكم مدينتَكم ! ومَنْ أنتم عافاكم الله ! قال الزّبيرىّ : هذا كلامه قدّامك؛ فكيف إذا غاب عنك ! يقول: ومَنْ أنتم ! استخفافًا بنا. قال : فأقبل عليه يحيى ، فقال : نعم ، ومَنْ أنتم عافاكم الله ! المدينة كانت مهاجَر عبد الله ابن الزّبير أمْ مهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومَنْ أنت حتّى تقول : أفسد علينا مدينتنا ! وإنما بآبائى وآباء هذا هاجر أبوك إلى المدينة . ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنما الناس نحن وأنتم ؛ فإن خرجنا عليكم قلنا : أكلتم وأجعتمونا ولبستم وأعريتمونا ، وركبتم وأرجلتمونا ؛ فوجدنا بذلك مقالاً فيكم ، ووجدتم بخروجنا عليكم مقالا فينا ؛ فتكافأ فيه القول ، ويعود أمير المؤمنين على أهله[1] بالفَضْل . يا أمير المؤمنين ، فلمَ يجترئ هذا وضرباؤه على أهل بيتك ؛ يسعى بهم عندك ! إنه والله ما يَسعى[2] بنا إليك نصيحةً منه لك؛ وإنه يأتينا فيسعى بك عندنا عن غير نصيحة منه لنا ؛ إنما يريد أن يباعِد بيننا ، ويشتفى من بعض ببعض . والله يا أميرَ المؤمنين؛ لقد جاء إلىّ هذا حيث قُتِل أخى محمد بن عبد الله ، فقال : لعن الله قاتله ! وأنشدنى فيه مرثيةً قالها نحواً من عشرين بيتًا ، وقال : إن تحرّكتَ فى هذا الأمر فأنا أوّل مَنْ يبايعك ، وما يمنعك أن تلحق بالبصرة ، فأيدينا مع يدك !

٦١٧/٣

قال: فتغيّر وجه الزّبيرىّ واسودّ، فأقبل عليه هارون، فقال : أىّ شىء يقول هذا ؟ قال : كاذب يا أميرَ المؤمنين ؛ ما كان ممّا قال حرف . قال : فأقبل على يحيى بن عبد الله ، فقال : تروِى القصيدةَ التى رثاه بها ؟ قال :

---

(١) بعدها فى س : « فيه » . (٢) س : « سعى » .

نعم يا أمير المؤمنين ، أصلحك الله ! قال : فأنشدها إياه ، فقال الزّبيريّ :
٦١٨/٣ والله يا أميرَ المؤمنين الذى لا إله إلا هو — حتّى أتى على آخر اليمين الغَمُوس —
ما كان مما قال شيء؛ ولقد تقوّل علىّ ما لم أقل . قال: فأقبل الرّشيد على يحيى
ابن عبد الله ، فقال : قد حلَف ، فهل من بيّنة سمعوا هذه المرثية منه ؟ قال :
لا يا أمير المؤمنين ؛ ولكن أستحلفه بما أريد ، قال : فاستحلفْه، قال : فأقبل
على الزبيرىّ ، فقال : قل: أنا برىء من حوْل الله وقوّته موكّل إلى حولى وقوّتى ،
إن كنت قلتُه . فقال الزبيرىّ : يا أميرَ المؤمنين ، أىّ شىء هذا من الحلف !
أحلف له بالله الذى لا إله إلا هو ، ويستحلفنى بشىء لا أدرى ما هو ! قال
يحيى بن عبد الله : يا أميرَ المؤمنين ، إن كان صادقًا فما عليه أن يحلف بما
أستحلفه[1] به ! فقال له هارون : احلِفْ له ويلك! قال : فقال: أنا برىء من
حول الله وقوّته موكّل إلى حولِى وقوّتى ؛ قال : فاضطرب منها وأرعِد ، فقال
يا أميرَ المؤمنين ، ما أدرى أىّ شىء هذه اليمين الّتى يستحلفنى بها ، وقد
حلفت له بالله العظيم أعظم الأشياء ! قال : فقال هارون له: لتحلفنّ له أو
لأصدّقنّ عليك ولأعاقبنَّك ، قال : فقال : أنا برىء من حول الله وقوته ،
موكّل إلى حولِى وقوّتى إن كنت قلته . قال : فخرج من عند هارون فضربه
الله بالفالج ، فمات من ساعته .

قال : فقال عيسى بن جعفر : والله ما يسرّنى أن يحيى نقصه حرفًا
ممّا كان جرى بينهما ، ولا قصّر فى شىء من مخاطبته إياه

قال : وأما الزبيريّون فيزعمون أن امرأته قتلته ؛ وهى من ولد عبد الرحمن
ابن عوف .

وذكر إسحاق بن محمد النَّخعىّ أنّ الزبير بن هشام حدّثه عن أبيه ، أن
بكّار بن عبد الله تزوّج امرأةً من ولد عبد الرحمن بن عوف ، وكان له من
٦١٩/٣ قلبها موضع ، فاتّخذ عليها جارية ، وأغارها ؛ فقالت لغلامين له زِنجيّين :
إنه قد أراد قتلكما هذا الفاسق — ولاطَفْتُهما[2] — فتعاونانى على قتله ؟ قالا :

(١) س : « استحلفته » .
(٢) ح ، س : « ولطفتهما » .

نعم ، فدخلتْ عليه وهو نائم ، وهما جميعـًا معها ، فقعدا على وجهه حتى مات . قال : ثم إنها سقتهما نبيذاً حتى تهوّعا[1] حول الفراش ، ثم أخرجتهما ووضعت عند رأسه قنـّينة ؛ فلما أصبح[2] اجتمع أهلُه ، فقالت : سكر فقاء فشرِق فمات . فأخِذ الغلامان ؛ فضُرِبا ضربـًا مبرّحـًا ، فأقرّا بقتله ، وأنّها أمرتهما بذلك ؛ فأخرِجت من الدار ولم تـُوَرّثْ .

وذكر أبو الخطاب أنّ جعفر بن يحيى بن خالد حدّثه ليلة وهو فى سَمَرِه ، قال : دعا الرّشيد اليومَ بيحيى بن عبد الله بن حسن ، وقد حضره أبو البختَرىّ القاضى ومحمد بن الحسن الفقيه صاحب أبى يوسف ، وأحضر الأمان الذى كان أعطاه يحيى ، فقال لمحمد بن الحسن : ما تقول فى هذا الأمان ؟ أصحيح هو ؟ قال : هو صحيح ، فحاجّه فى ذلك الرشيد ، فقال له محمد بن الحسن : ما تصنع بالأمان ؟ لو كان محاربـًا ثم وُلِّىَ كان آمناً . فاحتملها الرشيد على محمد بن الحسن ، ثم سأل أبا البختَرىّ أن ينظر فى الأمان ، فقال أبو البختَرىّ : هذا منتقَض من وجه كذا وكذا ، فقال الرشيد : أنت قاضى القضاة ؛ وأنت أعلم بذلك ؛ فزّق الأمان ، وتفل فيه أبو البختَرىّ – وكان بكّار بن عبد الله بن مصعب حاضراً المجلس – فأقبل على يحيى بن عبد الله بوجْهِه ، فقال : شققتَ العصا ، وفارقت الجماعة ، وخالفت كلمتنا ، وأردت خليفتنا ؛ وفعلت بنا وفعلت . فقال يحيى : ومَنْ أنتم رحمكم الله ! قال جعفر : فوالله ما تمالَك الرشيد أن ضحك ضحكـًا شديداً . قال : وقام يحيى ليمضى إلى الحبس ، فقال له الرّشيد : انصرف ، أما ترون به أثر علة! هذا الآن إن مات قال الناس : سَمّوه. قال يحيى : كلاّ ما زلتُ عليلا منذ كنت فى الحبس ؛ وقبل ذلك أيضًا كنت عليلا . قال أبو الخطاب : فما مكث يحيى بعد هذا إلا شهراً حتى مات .

٦٢٠/٣

وذكر أبو يونس إسحاق بن إسمعيل ، قال : سمعتُ عبد الله بن العباس ابن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علىّ ، الذى يعرف بالخطيب ، قال : كنتُ يومـًا على باب الرّشيد أنا وأبى ، وحضر ذلك اليوم من الجُنْد والقُوّاد ما لم أر مثلهم على باب خليفة قبله ولا بعده ، قال : فخرج الفضل بن الربيع

---

(١) تهوعا ، أى تقيئا .

(٢) س : « أصبحت » .

إلى أبى ، فقال له : ادخل ، ومكث ساعة ثم خرج إلىّ ، فقال : ادخل ، فدخلتُ ، فإذا أنا بالرّشيد معه امرأة يكلمها ، فأومأ إلىّ أبى أنه لا يريد أن يدخل اليوم أحد ، فاستأذنتُ لك لكثرة مَنْ رأيتُ حضر الباب ؛ فإذا دخلتَ هذا المدخل زادك ذلك نُبْلاً عند الناس . فما مكثنا إلا قليلا حتى جاء الفضل ابن الربيع ، فقال : إن عبد الله بن مصعب الزبيرىّ يستأذن فى الدخول ، فقال : إنّى لا أريد أن أدخِل اليوم أحداً ، فقال : قال : إنّ عندى شيئاً أذكره[1]. فقال : قل له يَقُلْه لك ، قال : قد قلت له ذلك ، فزعم أنه لا يقوله إلاّ لك ، قال : أدخِلْه . وخرج ليُدخله ، وعادت المرأة وشغل بكلامها ، وأقبل علىّ أبى ، فقال : إنّه ليس عنده شىء يذكره ؛ وإنما أراد الفضل بهذا ليوهم مَنْ على الباب[2] أنّ أمير المؤمنين لم يدخلنا لخاصّة خُصِصنا بها ؛ وإنما أدخلنا لأمرٍ نُسأل عنه كما دخل هذا الزبيرىّ .

٣/٦٢١

وطلع الزّبيرىّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ها هنا شىء أذكره ، فقال له : قل ، فقال له : إنه سرٌّ ، فقال : ما من العباس[3] سرّ ، فنهضت ، فقال : ولا منك يا حبيبى ، فجلست ، فقال : قُلْ ، فقال : إنى والله قد خفت على أمير المؤمنين من امرأته وبنته وجاريته التى تنام معه ، وخادمه الذى يناوله ثيابه وأخصّ خلق الله به من قوّاده ، وأبعدهم منه . قال : فرأيتُه قد تغيّر لونه ، وقال : مماذا[4] ؟ قال : جاءتنى دعوة يحيى بن عبد الله بن حسن ، فعلمت أنها لم تبلغنى مع العداوة بيننا وبينهم ، حتى لم يُبْقِ على بابك أحداً إلا وقد أدخله فى الخلاف عليك . قال : فتقول له هذا فى وجهه ! قال : نعم ، قال الرشيد : أدخِلْه ، فدخل ، فأعاد القول الذى قال له ، فقال يحيى بن عبد الله : والله يا أمير المؤمنين لقد جاء بشىء لو قيل لمن هو أقلّ منك فيمن هو أكبر منى ، وهو مقتدر عليه لما أفلت منه أبداً ، ولى رحِم وقرابة ، فلم لا تؤخّر هذا الأمر ولا تعجّل ، فلعلك أن تكفى مؤنتى بغير يدك ولسانك ، وعسى بك أن تقطع رحِمك من حيث لا تعلمه ! أباهِلُه[5] بين يديك وتصبر قليلا . فقال :

---

(١) س : « يذكر » . (٢) س : « بالباب » .
(٣) ج : « من بنى العباس » . (٤) كذا فى ا ، وهو الصواب ، وفى ط : « فماذا قال » .
(٥) المباهلة : التلاعن .

٣/٦٢٢ يا عبد الله، قم فصلّ إن رأيت ذلك ، وقام يحيى فاستقبل القبلة، فصلّى ركعتين خفيفتين ، وصلّى عبد الله ركعتين، ثم برَك يحيى ، ثم قال: ابرُكْ، ثم شبّك يمينَه فى يمينه ، وقال : اللهمّ إن كنت تعلم أنى دعوتُ عبد الله بن مصعب إلى الخلاف على هذا — ووضع يده عليه ، وأشار إليه — فاسحتْنى بعذاب من عندك وكلنِى إلى حوْلى وقوّتى، وإلا فكلِه إلى حَوْله وقوّته ، واسحته بعذاب من قبَلك ، آمين ربّ العالمين. فقال عبد الله : آمين ربّ العالمين ، فقال يحيى بن عبد الله لعبد الله بن مصعب : قل كما قلت ، فقال عبدُ الله: اللهمّ إن كنت تعلم أن يحيى بن عبد الله لم يدعُنى إلى الخلاف على هذا فكِلْنى إلى حولِى وقوّتى واسحتنى بعذاب من عندك ، وإلا فكله إلى حوله وقوته ، واسحته بعذاب من عندك . آمين رب العالمين !

وتفرّقا، فأمر بيحيى فحبِس فى ناحية من الدار؛ فلما خرج وخرج عبدالله ابن مصعب أقبل الرشيد على أبى ، فقال : فعلتُ به كذا وكذا ، وفعلتُ به كذا وكذا ، فعدد [١] أياديه عليه ، فكلّمه أبى بكلمتين لا يُدفع بهما عن عصفور ، خوفًا على نفسه ، وأمرنا بالانصراف فانصرفنا . فدخلت مع أبى أنزعُ عنه لباسَه من السّواد — وكان ذلك من عادتى — فبينما أنا أحلّ عنه منطقته ؛ إذ دخل عليه الغلام ، فقال : رسولُ عبد الله بن مصعب ، فقال : أدخِلْه ، فلما دخل قال له : ما وراءك [٢] ؟ قال : يقول لك مولاى، أنشدك الله إلاّ بلغتَ إلىّ ! فقال أبى للغلام: قل له: لم أزل عند أمير المؤمنين إلى هذا الوقت ، وقد وجّهتُ إليك بعبد الله ، فما أردتَ أن تلقيَه إلىّ فألقه إليه، وقال للغلام : اخرج فإنه يخرج فى أثرك ؛ وقال لى : إنّما دعانى ليستعين بى على ٣/٦٢٣ ما جاء به من الإفك؛ فإن أعنْتُه قطعت رحِمى من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن خالفته سعى بى ؛ وإنما يتدرّق الناس بأولادهم ، ويتّقون بهم المكاره ؛ فاذهب إليه، فكلّ ما قال لك فليكنْ جوابك له: أخبِرُ أبى ؛ فقد وجّهتك

(١) س : « يعدد » .
(٢) ج : « وما وراءك » .

وما آمن عليك ، وقد كان قال لى أبى حين انصرفنا — وذاك أنا احتبسنا عند الرّشيد : أمَا رأيتَ الغلام المعترض فى الدّار ! لا والله ما صُرِفْنا حتى فرغ منه — يعنى يحيى — إنا لله وإنا إليه راجعون ! وعند الله نحتسب أنفسنا . فخرجت مع الرسول ، فلما صرْتُ فى بعض الطريق وأنا مغموم بما أقدُم عليه ، قلت للرسول : ويحك ! ما أمْرُه ! وما أزعجه بالإرسال إلى أبى فى هذا الوقت ! فقال : إنّه لما جاء من الدار ، فساعة نزل عن الدابة صاح : بطنى بطنى !

قال عبد الله بن عباس : فما حفلتُ بهذا الكلام من قول الغلام ، ولا التفت إليه ، فلما صرنا على باب الدرب — وكان فى درب لا منفذَ له — فتح البابين ؛ فإذا النِّساء قد خرجْنَ منشوراتِ الشعور مُحْتزمات[1] بالحبال ، يلطمن وجوههنّ وينادين بالوَيْل ، وقد مات الرجل ، فقلت : والله ما رأيتُ أمراً أعجبَ من هذا ! وعطفت دابّتى راجعًا أركض ركضًا لم أركض مثله قبله ولا بعده إلى هذه الغاية ، والغلمان والحشَم ينتظروننى لتعلُّق قلب الشيخ بى ؛ فلما رأوْنى دخلوا يتعادَوْن ، فاستقبلنى مرعوبًا فى قميصٍ ومنديل ، ينادى : ما وراءك يا بنىّ ؟ قلت : إنه قد مات ، قال : الحمد لله الذى قتله وأراحك وإيّانا منه ؛ فما قطع كلامه حتى ورد خادم الرّشيد يأمر أبى بالركوب وإيّاى معه . فقال أبى ونحن فى الطريق نسير : لو جاز أن يُدَّعى ليحيى نبوّة لادّعاها أهلُه ، رحمة الله عليه ، وعند الله نحتسبه ! ولا والله ما نشكّ فى أنه قد قتل . فمضينا حتى دخلنا على الرّشيد ؛ فلما نظر إلينا قال : يا عباس بن الحسن ، أما علمت بالخبر ؟ فقال أبى : بلَى يا أمير المؤمنين ، فالحمد لله الذى صرعه بلسانه ، ووقّاك الله يا أمير المؤمنين قَطْع أرحامِك . فقال الرشيد : الرجل والله سليم على ما يحبّ ، ورفع الستر ، فدخل يحيى ، وأنا والله أتبينُ الارتياع فى الشّيخ ، فلما نظر إليه الرشيد صاح به : يا أبا محمد ، أما علمت أن الله قد قتل عدوّك الجبار ! قال : الحمدُ لله الذى أبان لأمير المؤمنين كذب عدوّه علىّ ، وأعفاه من قطع رحمه ، والله يا أميرَ المؤمنين ؛ لو كان هذا الأمر مما أطلبه وأصلحُ له وأريده فكيف ولَسْتُ بطالب له ولا مُريده ، ولو لم يكن الظفر به إلاّ بالاستعانة به ،

٣/٦٢٤

(١) س : « متحزمات » .

ثم لم يبق[١] فى الدنيا غيرى وغيرك وغيره ما تقوّيت به عليك أبداً ! وهذا والله من إحدى آفاتك — وأشار إلى الفضل بن الربيع — والله لو وهبتَ له عشرة آلاف درهم ، ثم طمع منّى فى زيادة تمرة لباعَك بها . فقال : أمّا العباسىّ فلا تقل له إلا خيراً ، وأمر له فى هذا اليوم بمائة ألف دينار ، وكان حبسه بعض يوم . قال أبو يونس : كان هارون حبَسه ثلاث حبسات مع هذه الحبسة ، وأوصل إليه أربعمائة ألف دينار

* * *

[ذكر الفتنة بين اليمانية والنزارية]

وفى هذه السنة ، هاجت العصبيّة بالشأم بين النزاريّة واليمانية ، ورأس النِّزارية يومئذ أبو الهيذام .

* ذكر الخبر عن هذه الفتنة :

٦٢٥/٣

ذُكر أن هذه الفتنة هاجت بالشأم وعامل السلطان بها موسى بن عيسى ، فقتِل بين النزاريّة واليمانية على العصبيّة من بعضهم لبعض بشرٌ كثير ، فولّى الرشيدُ موسى بن يحيى بن خالد الشأم ، وضمّ إليه من القوّاد والأجناد ومشايخ الكتّاب جماعة . فلما ورد[٢] الشأم أحِلّتْ لدخوله إلى صالح بن علىّ الهاشمىّ ، فأقام موسى بها حتى أصلح بين أهلها ، وسكنت الفتنة ، واستقام أمرُها ، فانتهى الخبر إلى الرّشيد بمدينة السلام ، وردّ الرّشيد الحكم فيهم إلى يحيى ، فعفا عنهم ، وعمّا كان بينهم ، وأقدمهم بغداد، وفى ذلك يقول إسحاق بن حسان الخُزَيمىّ :

مَنْ مُبْلِغٌ يحيي ودون لقائهِ ... زأَراتُ كلِّ خنابِسٍ هَمْهامِ

يا راعىَ الإِسْلامِ غيرَ مُفَرِّطٍ ... فى لِينِ مُغْتَبَطٍ وَطِيبِ مَشامِ

تَعذَى مَشارِبهُ وتُسْقَى شربةً ... وَيَبيتُ بالرَّبَوات والأَعلام

حتى تَنخنَخَ ضارباً بجِرَانهِ ... ورَسَتْ مَراسيهِ بدار سلام

فلكلّ ثَغر حارِسٌ من قلبهِ ... وَشُعاعُ طَرفٍ ما يُفَتَّرُ سام

(١) ا : « يكن » . (٢) ا : « دخل » .

وقال فى موسى غيرُ أبى يعقوب :

قد هاجَت الشأمُ هَيْجًا يُشيب راسَ وَليدهْ
فَصُبَّ موسى عليها بخيـله وجُنُـودِهْ
فَدانَتِ الشأمُ لمّا أَتى نسيجَ وَحيدهْ
هو الجوادُ الذى بُذَّ كلُّ جُودٍ بجودِهْ
أعداهُ جـودُ أَبيه يحيى وجودُ جُدوده
فجادَ مُوسَى بن يحيى بطـارفٍ وتَليدِه
وَنالَ موسى ذرَى المجـدِ وَهوَ حَشوُ مُهُودِه
خصصْتُـهُ بمَديحى مَنثـورِه وقَصيدِهْ
مِنَ البرامك عودٌ له فأَكرِمْ بِعُودِه
حووْا على الشعر طُرًّا خفيفِـهِ ومَديدِهْ

وفيها عزل الرشيد الغطريف بن عطاء عن خُراسان ، وولاّها حمزة بن مالك بن الهيثم الخُزاعىّ ، وكان حمزة يلقب بالعروس .

* * *

وفيها ولّى الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك مصر، فولاّها عمر بن مِهران .

ذكر الخبر عن سبب
تولية الرشيد جعفراً مصر وتولية جعفر عمر بن مهران إياها

ذكر محمد بن عمر أنّ أحمد بن مهران حدّثه أنّ الرّشيد بلغه أن موسى ابن عيسى عازم على الخلْع — وكان على مصر — فقال : والله لا أعزله إلا بأخسّ مَنْ على بابى. انظروا لى رجلا، فذكر عمر بن مِهْران — وكان إذ ذاك يكتب للخيزران ، ولم يكتب لغيرها ، وكان رجلا أحوَل مشوّه الوجه ، وكان

لباسه لباسًا خسيسًا ، أرفعُ ثيابه طيلسانُه ، وكانت قيمته ثلاثين درهمًا ، وكان يشمِّر ثيابه ويقصِّر أكمامه ، ويركب بغلا وعليه رَسَنٌ ولجام حديد ، ويُردف غلامه خلفه ــ فدعا به ، فولاّه مصر ؛ خراجَها وضياعَها وحَرْبَها. فقال : يا أمير المؤمنين ، أتولاّها على شريطة ، قال : وما هى ؟ قال : يكون إذنى إلىّ ، إذا أصلحتُ البلاد انصرفتُ . فجعل ذلك له ، فمضى إلى مصر ، واتّصلت ولاية عمر بن مهران بموسى بن عيسى ؛ فكان يتوقّع قدومه ، فدخل عمر بن مهران مصرَ على بغل ، وغلامه أبو دُرّة على بغل ثقل، فقصد دار موسى بن عيسى والنّاسُ عنده ، فدخل فجلس فى أخْرَيات الناس ، فلما تفرّق أهلُ المجلس ، قال موسى بن عيسى لعمر : ألك حاجة يا شيخ ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ! ثم قام بالكتب فدفعها إليه ، فقال: يقدم أبو حفص ، أبقاه الله ! قال : فأنا أبو حفص ، قال : أنت عمر بن مهران ؟ قال: نعم، قال: لعن الله فرعون حين يقول: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾[1]، ثم سلّم له العمل ورحَل ، فتقدّم عمر بن مِهران إلى أبى دُرّة غلامه ، فقال له : لا تقبل من الهدايا إلا ما يدخل فى الجِراب ، لا تقبل دَابّة ولا جارية ولا غلامًا ؛ فجعل الناس يبعثون بهداياهم ، فجعل يردّ ما كان من الألطاف ، ويقبل المال والثياب ، ويأتى بها عمر ؛ فيوقّع عليها أسماء مَنْ بعث بها ، ثم وضع الجباية ؛ وكان بمصر قومٌ قد اعتادوا المطْل وكَسْر الخراج ، فبدأ برجل منهم ، فلوَاه، فقال : والله لا تؤدى ما عليك من الخراج إلاّ فى بيت المال بمدينة السلام إن سلمت ، قال : فأنا أؤدى ، فتحمّل عليه ، فقال : قد حلفتُ ولا أحنث ، فأشخصه مع رجلين من الجند ــ وكان العمّال إذ ذاك يكاتبون الخليفة ــ فكتب معهم إلى الرشيد : إنّى دعوت بفلان بن فلان ، وطالبته بما عليه من الخراج ؛ فلوانى واستنظرنى ، فأنظرته ثم دعوته ، فدافع ومال إلى الإلطاط[2] ، فآليت ألا يؤدِّيَه إلا فى بيت المال بمدينة السلام ، وجملة ما عليه كذا وكذا، وقد أنفذته مع فلان بن فلان وفلان بن فلان، من جند أمير المؤمنين، من قيادة فلان بن فلان ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب

٦٢٨/٣

(١) سورة الزخرف ٥١ .
(٢) الإلطاط : الجحود .

إلىّ بوصوله فعل إن شاء الله تعالى .

قال : فلم يلوه أحدٌ بشيء من الخراج ، فاستأدى الخراج ، النّجم الأول والنجم الثانى ، فلما كان فى النّجم الثالث ، وقعت المطالبة والمطْل ، فأحضر أهل الخراج والتّجار فطالبهم ، فدافعوه وشكوْا الضّيقة ، فأمر بإحضار تلك الهدايا التى بُعث بها إليه ، ونظر فى الأكياس وأحضر الجِهْبذ ، فوزن ما فيها وأجزاها عن أهلها ، ثم دعا بالأسفاط ، فنادى على ما فيها ، فباعها وأجزى أثمانها عن أهلها . ثم قال : يا قوم ، حفظت عليكم هداياكم إلى وقت حاجتكم إليها ، فأدُّوا إلينا ما لنا ؛ فأدّوْا إليه حتى أغلق مال مصر ؛ فانصرف ولا يُعلم أنه أغلق مال مصر غيره ، وانصرف ، فخرج على بغل ، وأبو درّة على بغل — وكان إذنه إليه .

* * *

وغزا الصائفةَ فى هذه السنة عبدُ الرحمن بن عبد الملك ، فافتتح حصناً.

* * *

٦٢٩/٣ وحجّ بالناس فى هذه السنة سليمان بن أبى جعفر المنصور ، وحجت معه — فيما ذكر الواقدىّ — زُبيدة زوجة هارون وأخوها معها .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك عزْل الرشيد — فيما ذكر — جعفرَ بن يحيي عن مصر وتوليته إياها إسحاق بن سليمان ، وعزْله حمزة بن مالك عن خُراسان وتوليته إياها الفضل بن يحيي ؛ إلى ما كان يليه من الأعمال من الرّيّ وسجِستان.

* * *

وغزا الصائفةَ فيها عبدُ الرزاق بن عبد الحميد التّغْلبىّ .

وكان فيها — فيما ذكر الواقدىّ — ريح وظلمة وحُمرة ليلة الأحد لأربع ليال بقين من المحرّم ، ثم كانت ظلمة ليلة الأربعاء، لليلتين بقيتا من المحرّم من هذه السنة ؛ ثم كانت ريح وظلمة شديدة يوم الجمعة لليلة خلت من صفر.

* * *

وحجّ بالناس فيها هارون الرشيد .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك وثوب الحوْفيَّة بمصر ؛ من قيس وقضاعة وغيرهم بعامل الرشيد عليهم إسحاقَ بن سليمان، وقتالهم إياه، وتوجيه الرّشيد إليه هرثمَةَ ابن أعيَن فى عدّة من القواد المضمومين إليه مدداً لإسحاق بن سليمان ؛ حتى أذعن أهل الحَوْف ، ودخلوا فى الطاعة ، وأدّوْا ما كان عليهم من وظائف السّلطان — وكان هرثمة إذ ذاك عامِلَ الرشيد على فِلسطين — فلما انقضى أمر الحَوْفيّة صرف هارون إسحاق بن سليمان عن مصر، وولاّها هرثمة نحواً من شهر ، ثم صرَفه وولاّها عبد الملك بن صالح . ٣/٦٣٠

وفيها كان وثوب أهل إفريقيّة بعبدويه الأنباريّ ومَنْ معه من الجند هنالك ، فقتِل الفضل بن رَوْح بن حاتم ، وأخرِج مَن كان بها من آل المهلّب ، فوجه الرشيد إليهم هرثمة بن أعين ، فرجعوا إلى الطاعة .

وقد ذكر أن عبدويه هذا لمَّا غلب على إفريقيّة، وخلع السلطان، عظم شأنه وكثر تبعهُ ، ونزع إليه الناس من النواحى، وكان وزير الرشيد يومئذيحيى بن خالد ابن برمك، فوجّه إليه يحيى بن خالد بن برمك يقطين بن موسى ومنصور بن زيَّاد كاتبه ؛ فلم يزل يحيى بن خالد يتابع على عبدويه الكتب بالترغيب فى الطاعة والتخويف للمعصية والإعذار إليه والإطماع والعِدَة حتى قبل الأمان ، وعاد إلى الطاعة وقدم بغداد ، فوفى له يحيى بما ضمِن له وأحسن إليه ، وأخذ له أماناً من الرشيد ، ووصله ورأسه .

وفى هذه السنة فوّض الرشيد أمورَه كلها إلى يحيى بن خالد بن برمك . ٣/٦٣١

وفيها خرج الوليد بن طريف الشارِى بالجزيرة، وحكّم بها، فقتك بإبراهيم[1] ابن خازم بن خزيمة بنَصيبين ، ثم مضى منها إلى إرمينيَة .

---

(١) س : « فقتل إبراهيم » .

[ولاية الفضل بن يحيى على خراسان وسيرته بها]

وفيها شخص الفضل بن يحيى إلى خُراسان واليًا عليها ، فأحسنَ السِّيرة بها ، وبنى بها المساجد والرِّباطات ، وغزا ما وراء النهر ، فخرج إليه خاراخره ملك أشروسَنة ؛ وكان ممتنعًا .

وذكر أن الفضل بن يحيى اتّخذ بخراسان جنداً من العجم سماهم العباسيّة ، وجعل ولاءهم لهم ، وأن عدّتهم بلغت خمسمائة ألف رجل ، وأنه قدم منهم بغداد عشرون ألف رجل ، فسمُّوا ببغداد الكرَنبيَّة ، وخلّف الباقى منهم بخُراسان على أسمائهم ودفاترهم ؛ وفى ذلك يقول مروان بن أبى حفصة :

ما الفضلُ إلا شهاب لا أفولَ له ... عندَ الحروب إذا ما تأفُلُ الشُّهُبُ
حَامٍ على مُلكِ قوم عزّ سَهْمُهُمُ ... منَ الوراثةِ فى أيديهمُ سببُ
أمستْ يَدٌ لبنى ساقِى الحجيج بها ... كتائبٌ ما لها فى غيرهم أرَبُ
كتائبٌ لبنى العباسِ قد عَرَفَت ... ماألّفَ الفضلُ منها العجْمُ والعرَب
أثبتَت خمسَ مئين فى عِدادِهم ... من الألوفِ التى أحْصَت لك الكتب
يُقارعون عن القومِ الذين همُ ... أولى بأحمَدَ فى الفرقان إن نُسِبوا
إن الجوادَ ابن يحيى الفضلَ لا ورِقٌ ... يبقى على جُود كفَّيْهِ ولا ذهبُ
ما مرّ يوم له مُذ شدّ مِئزَرَهُ ... إلاّ تَمَوَّلَ أقوام بما يَهبُ
كم غايةٍ فى الندى والبأْسِ أحرزَها ... للطّالبينَ مداها دونها تَعَبُ
يعطِى اللُّهَى حِينَ لا يُعطِى الجوَادُ ولا ... يَنْبو إذا سُلَّتِ الْهِنْدِيَّةُ القُضُب
وَلا الرِّضا والرِّضا لله غايَتُه ... إلى سِوى الحَقِّ يَدْعوهُ وَلا الغَضَبُ
قَدْ فاضَ عُرْفُك حتى ما يُعادِلهُ ... غَيْثٌ مُغِيثٌ وَلا بَحرٌ له حَدَبُ

٦٣٢/٣

قال : وكان مرْوان بن أبى حفصة قد أنشد الفضلَ فى معسكره قبل خروجه إلى خراسان :

أَلم تَرَ أَنَّ الجودَ مِنْ لدُن آدَمٍ تَحَدَّرَ حَتى صارَ فى راحَةِ الفَضلِ

٦٣٣/٣ إذا ما أَبوالعَبّاسِ راحت سَماؤهُ فيا لكَ مِنْ هَطْلٍ ويَا لكَ مِنْ وَبْلِ

إذا أمٌّ طِفلٍ راعَها جوعُ طِفلِها دَعَتْهُ بِاسْمِ الفَضلِ فاستَعصَمَ[1] الطفلُ

ليحْيَا بِكَ الإسلامُ إنَّكَ عِزُّهُ وَإنَّكَ مِن قَومٍ صغيرُهُم كهْلُ

وذكر محمد بن العباس أن الفضل بن يحيى أمر له بمائة ألف درهم ، وكساه وحمله على بغلة. قال : وسمعته يقول : أصبتُ فى قَدْمَتى هذه سبعمائة ألف درهم . وفيه يقول :

تخيَّرْتُ للمدْحِ ابنَ يحيى بْنِ خالدٍ فحَسْبِي وَلم أَظلِمْ بأَنْ أَتَخيَّرا

له عادَةٌ أَنْ يَبْسُطَ العَدْلَ والنَّدَى لِمَن ساسَ من قحطانَ أوْمَنْ تَنزَّرا

إلى المِنبَرِ الشرقيِّ سارَ وَلم يزَلْ له وَالدٌ يَعلو سَريرًا وَمِنبَرَا

يُعَدُّ وَيحيى البَرْمكيّ وَلا يُرَى لَدَى الدَّهْرِ إلا قائدًا أو مُومِّرا

ومدحه سلْم الخاسر ، فقال :

وَكَيفَ تخافُ مِن بؤسٍ بدارٍ تَكَنَّفَهـا البَرامكَةُ البُحُورُ

وقَوْمٌ مِنهُمُ الفَضلُ بْنُ يحيى نَفيرٌ مَا يُوازِنُهُ نَفيرُ

٦٣٤/٣ لهُ يومانِ : يَوْم ندًى وبأْسٍ كأَنَّ الدَّهْرَ بَينَهُمـا أَسيرُ

إذا ما البَرْمَكِيُّ غدَا ابنَ عَشرٍ فَهِمَّتُـهُ وَزيرٌ أَوْ أَميرُ

وذكر الفضل بن إسحاق الهاشميّ أن إبراهيم بن جبريل خرج مع الفضل ابن يحيى إلى خُراسان وهو كاره للخروج ، فأحفظ ذلك الفضلَ عليه . قال إبراهيم : فدعانى يومًا بعد ما أغفلنى حينًا ، فدخلت عليه ؛ فلما صرت بين يديْه سلّمت ، فما ردّ علىّ ، فقلت فى نفسى : شَرّ والله ــ وكان مضطجعًا ، فاستوى جالسًا ــ ثم قال : ليفرخْ روْعك يا إبراهيم ، فإنّ قدرتى عليك تمنعنى منك ؛ قال : ثم عقد لى على سجِسْتان ، فلما حملت خراجها ، وهبه لى

(١) كذا فى ا ، ج ، وفى ط : « فاعتصم » .

وزادنى خمسمائة ألف درهم . قال : وكان إبراهيم على شُرَطه وحَرَسه ، فوجّهه إلى كابُل ، فافتتحها وغنم غنائم كثيرة .

قال : وحدّثنى الفضل بن العباس بن جبريل — وكان مع عمه إبراهيم — قال : وصل إلى إبراهيم فى ذلك الوجه سبعة آلاف ألف ، وكان عنده من مال الخراج أربعة آلاف ألف درهم ، فلما قدم بغداد وبنى داره فى البغيّين استزار الفضلَ ليريَه نعمته عليه ، وأعدّ له الهدايا والطُّرَف وآنية الذهب والفضة ، وأمر بوضع الأربعة الآلاف ألف فى ناحية من الدار .

قال : فلما قعد الفضل بن يحيى قدّم إليه الهدايا والطُّرَف ، فأبى أن يقبل منها شيئًا ، وقال له : لم آتك لأسلُبَك[1] ، فقال : إنها نعمتك أيها الأمير . قال : ولك عندنا مزيد ، قال : فلم يأخذ من جميع ذلك إلا سوطًا سِجزيًّا ، وقال : هذا من آلة الفرسان ، فقال له : هذا المال من مال الخراج ، فقال : هو لك ، فأعاد عليه ، فقال : أما لك بيت يسعه ! فسوّغه ذلك ، وانصرف .

٦٣٥/٣

قال : ولما قدم الفضل بن يحيى من خُراسان خرج الرّشيد إلى بستان أبى جعفر يستقبله ، وتلقّاه بنو هاشم والناس من القوّاد والكتّاب والأشراف ، فجعل يصلُ الرجل بالألف ألف[2] وبالخمسمائة ألف ، ومدحه مرْوان بن أبى حفصة ، فقال :

حَمِدنا الذى أدّى ابْنَ يَحيى فأَصْبَحَتْ ... بِمَقْدَمِهِ تجرى لنا الطَّيْرُ أَسْعُدا
وما هَجَعَتْ حتى رَأَتْهُ عُيونُنا ... ومَا زِلنَ حتى آبَ بالدَّمْع حُشَّدا
لقَدْ صَبَحَتْنا خَيلُهُ وَرجالُهُ ... بأَرْوَعَ بَذَّ الناسَ بأْساً وَسُودَدَا
نفَى عَن خُراسانَ العَدُوَّ كما نَفى ... ضُحَى الصبْحِ جِلْبابَ الدجَى فتَعَرَّدَا[3]
لقَدْ راعَ مَن أمسَى بمَرْوَ مسيرُهُ ... إلَينا ، وقالوا شَعْبُنا قد تبَدَّدا
عَلَى حين ألقَى قُفْلَ كلِّ ظلامَةٍ ... وَأَطْلَقَ بالعَفْوِ الأَسيرَ المقَيَّدَا

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « إلا لأسليك » ، والوجه ما أثبته .
(٢) ا : « بألف ألف » .
(٣) تعرد ، أى تجرد وانكشف .

وأَفْشَى بِلَا مَنٍّ مع العَدْلِ فيهمُ أَيادِىَ عُرْفٍ باقِياتٍ وَعُوَّدا

٦٣٦/٣ فأَذهَبَ رَوْعاتِ المخاوفِ عنْهُمُ وَأَصْدَرَ باغى الأَمْنِ فيهِمْ وَأَورَدا

وَأَجْدَى على الأَيتام فيهمْ بِعُرفِهِ فكانَ مِنَ الآباءِ أَحْنَى وَأَعْوَدا

إذا الناسُ رامُوا غايَةَ الفَضل فى النَّدَى وَفى البأْس أَلفَوْها مِنَ النَّجْم أَبْعَدا

سما صاعِدًا بِالفَضل يحيى وخالدٌ إلى كلِّ أمر كانَ أَسْنَى وَأَمْجَدا

يَلين لِمَنْ أَعطى الخَليفَةَ طاعَةً ويُسْقِى دمَ العاصِى الحسامَ المهنَّدَا

أَذلَّتْ معَ الشِّرْكِ النِّفاقَ سُيوفُهُ وَكانَتْ لأَهلِ الدِّينِ عزًّا مُؤَبَّدا

وَشدَّ القُوَى مِن بَيْعةِ المُصْطَفَى الذى على فضلِهِ عَهْدَ الخليفَة قُلِّدَا

سمىُّ النَّبِيِّ الفاتحِ الخاتِم الذى بِهِ اللّٰهُ أَعطى كلَّ خَيْر وَسَدَّدا

أَبَحْتَ جِبالَ الكابُلِيِّ ولم تَدَعْ بِهِنَّ لِنِيرانِ الضَّلالَةِ مُوقِدا

فأَطْلَعتَها خَيْلا وطِئْنَ جُموعَهُ قتِيلا ومَأْسورًا وَفَلًّا مُشرَّدا

٦٣٧/٣ وعادَت على ابْن البَرْم نَعماكَ بعدَما تحَوَّبَ مخذولا يَرَى المَوتَ مُفردا

وذكر العباس بن جرير ، أن حفص بن مسلم — وهو أخو رزام بن مسلم ، مولى خالد بن عبد الله القسرىّ — حدّثه أنه قال : دخلت على الفضل بن يحيى مقدَمه خُراسان ، وبين يديه بِدَرٌ تُفرّق بخواتيمها ، فما فُضَّت بَدْرة منها ، فقلت :

كفى اللّٰهُ بِالفضل بن يحيى بن خالدٍ وَجُودِ يدَيهِ بَخْلَ كلِّ بخيل

قال : فقال لى مرْوان بن أبى حفصة : وددت أنِّى سبقتك إلى هذا البيت ، وأن علىّ غرم عشرة آلاف درهم .

* * *

وغزا فيها الصّائفة معاوية بن زُفَر بن عاصم ، وغَزا الشَّاتية فيها سليمان ابن راشد ، ومعه البيد بِطْريق صِقلّيّة .

وحجّ بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ ، وكان على مكة .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك انصرافُ الفضل بن يحيى عن خُراسان واستخلافُه عليها عمرو بن شُرَحبيل .

٣/٦٣٨

وفيها ولّى الرشيدُ خراسانَ منصورَ بن يزيد بن منصور الِحميرىّ .

وفيها شَرِىَ[1] بخُراسان حمزة بن أترك السجستانىّ .

وفيها عَزَل الرّشيد محمدَبن خالد بن بَرْمك عن الحجبة ، وولاّها الفضل بن الربيع .

وفيها رجع الوليد بن طريف الشارى إلى الجزيرة واشتدّت شوكته ، وكثر تبعه ، فوجّه الرّشيد إليه يزيد بن مزيد الشيبانىّ ، فراوغه يزيد ، ثم لقيه وهو مغترّ فوق هيت ، فقتله وجماعة كانوا معه ، وتفرّق الباقون ، فقال الشاعر :

وائلٌ بَعْضُها يقتلُ بَعْضًا ... لا يفُلُّ الحديدَ إلاَّ الحديدُ

وقالت الفارعة أخت الوليد :

أَيا شجَرَ الخابورِ ما لك مُورقاً ... كأَنكَ لم تجزَع على ابن طَريفِ

فَتًى لا يُحِبّ الزَّادَ إلاَّ مِنَ التُّقى ... وَلا المالَ إلا مِن قناً وسُيوفِ

واعتمر الرّشيدُ فى هذه السنة فى شهر رمضان، شكراً لله على ما أبلاه فى الوليد بن طريف ، فلمّا قضى عمرتَه انصرف إلى المدينة ، فأقام بها إلى وقت الحجّ ، ثم حجّ بالناس ، فمشى من مكّة إلى منًى ، ثم إلى عرفات ، وشهد المشاهد والمشاعر ماشيًا ، ثم انصرف على طريق البصرة .

٣/٦٣٩

وأما الواقدىّ فإنه قال : لما فرغ من عُمرته أقام بمكة حتى أقام للناس حجّهم .

---

(١) شرى : صار من الشراة ؛ وهم الخوارج . سموا بذلك لأنهم شروا ، أى غضبوا .

ثم دخلت سنة ثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن العصبية التى هاجت بالشام]

فمما كان فيها من ذلك ، العصبيّة التى هاجت بالشأم بين أهلها .

* ذكر الخبر عما صار إليه أمرها :

ذُكر أن هذه العصبيّة لما حدثت بالشأم بين أهلها ، وتفاقم أمرُها ، اغتمّ بذلك من أمرهم الرّشيد ، فعقد لجعفر بن يحيي على الشأم ، وقال له : إما أن تخرج أنت أو أخرج أنا ، فقال له جعفر : بل أقيك بنفسى ؛ فشخص فى جلّة القوّاد والكُراع والسّلاح ، وجعل على شُرَطه العباس بن محمد بن المسيّب بن زهير ، وعلى حرَسه شبيب بن حُميد بن قحطبة ، فأتاهم فأصلح بينهم ؛ وقتل زواقيلهم[1] ، والمتلصّصة منهم ، ولم يَدَعْ بها رُمحًا ولا فرسًا ، فعادوا إلى الأمن والطمأنينة ؛ وأطفأ تلك النائرة ، فقال منصور النمَرىّ لما شخص جعفر :

لقَدْ أُوقِدَت بِالشأم نيران فِتْنَةٍ ... فهَذا أَوانُ الشأْمِ تُخْمَدُ نارُها

إذا جاشَ مَوْجُ البحرِمِنْ آل بَرْمكٍ ... عليها ، خَبَتْ شُهْبانها وشَرَارُها

رماها أَميرُ المؤمنينَ بجعفرٍ ... وَفيهِ تَلاقَى صَدْعها وانجبارُها

رَماها بميمونِ النَّقيبةِ ماجِد ... تَراضَى به قَحْطانُها وَنِزارُها

٦٤٠/٣

تَدَلَّتْ عَليهمْ صَخْرة بَرْمكيَّةٌ ... دَموغٌ لهامِ الناكِثينَ انحدارُها

غَدوْتَ تُزجّى غابَةً فى رُءوسها ... نُجومُ الثريَّا والمنايا ثمارُها

إذا خَفَقَتْ رَاياتها وتجرَّسَتْ[2] ... بها الرِّيحُ هال السَّامعينَ انْبهارُها

فقولوا لأَهلِ الشأمِ :لا يَسْلُبَنَّكُم ... حجاكُمْ طَويلاتُ المُنَى وَقِصارها

(١) الزواقيل : اللصوص .

(٢) ا : « وتحرشت » .

فإنَّ أميرَ المُؤمنينَ بنفسِه أتاكُمْ وإلا[1] نَفْسَهُ فَخِيارُها
هو المَلِكُ المأْمولُ لِلْبرِّ والتُّقَى وَصَوْلاتُه لا يُسْتَطاعُ خِطارُها
وزيرُ أمير المؤمنينَ وسَيْفُهُ وَصَعْدَتُه والحَرْبُ تَدْمى شِفارُها
وَمَنْ تُطوَ أَسْرارُ الخَليفَةِ دونَهُ فَعِنْدَكَ مَأْواها وَأَنْتَ قَرارُها
وَفَيْتَ فلَمْ تَغدِرْ لقَوْمٍ بِذِمَّةٍ وَلَمْ تَدْنُ مِنْ حالٍ يَنالكَ عارُها
طَبيبٌ بإحياءِ الأُمورِ إذا التَوَتْ مِنَ الدَّهْرِ أعناقٌ ، فأَنْتَ جُبارُها[2]
إذا ما ابنُ يحْيى جعفرٌ قَصَدَت لَهُ مُلِمّاتُ خَطْبٍ لم تَرُعْهُ كِبارُها ٣/٦٤١
لقدْ نَشَأَت بالشَّأْمِ مِنك غمامةٌ يُؤَمَّلُ جَدواها وَيُخْشَى دَمارُها
فطوبَى لأَهل الشأْمِ يا وَيلَ أُمّها أتاها حَياها ، أو أتاها بَوارُها
فإن سالموا كانَتْ غمامَةَ نائلٍ وغَيثٍ ، وإلا فالدِّماءُ قِطارُها
أَبوكَ أَبو الأَملاكِ يَحْيى بنُ خالدٍ أخو الجُود والنُّعْمى الكِبارِ صغارُها
كأَيِّنْ تَرَى فى البَرمكيِّينَ مِنْ نَدًى وَمِنْ سابقاتٍ ما يُشَقُّ غبارُها
غَدا بنجومِ السَّعْدِ مَنْ حلَّ رَحلهُ إلَيْك ، وَعزَّتْ عصْبَةٌ أَنْتَ جارُها
عَذيرى مِنَ الأَقدارِ هلْ عَزَماتُها مُخَلِّفَتِى عن جعفرٍ وَاقتسارُها
فعينُ الأَسَى مَطروفَةٌ لفراقِهِ ونَفسى[3] إلَيه ما يَنامُ ادِّكارُها

وولّى جعفر بن يحيى صالح بن سليمان البلقاء وما يليها ، واستخلف على الشأم عيسى بن العكىّ وانصرف ، فازداد الرشيد له إكرامًا . فلما قدم على الرّشيد دخل عليه – فيما ذُكر – فقبَّل يديه ورجليه[4] ، ثم مثَل بين يديه ، ٣/٦٤٢ فقال : الحمدُ لله يا أمير المؤمنين الذى آنس وحشتى ، وأجاب دعوتى ، ورحِم تضرّعى ، وأنسأ فى أجلى ، حتى أرانى[5] وجه سيِّدى ، وأكرمنى

(١) س : « وإذلا » .
(٢) س : « صيارها » .
(٣) س : « ونفس » .
(٤) س : « ثم رجليه » .
(٥) س : « أرى » .

بقربه ، وامتنّ علىّ بتقبيل يده ، وردّنى إلى خدمته ؛ فوالله إن كنت لأذكر غيبتى عنه ومخرجى ، والمقادير التى أزعجتنى ؛ فأعلم أنها كانت بمعاصٍ لحقتْنى وخطايا[1] أحاطت بى ؛ ولو طال مُقامى عنك يا أمير المؤمنين — جعلنى الله فداك — لخفت أن يذهب عقلى إشفاقاً على قربك ، وأسفاً على فراقك ، وأن يعجل بى عن إذنك الاشتياقُ إلى رؤيتك ؛ والحمد لله الذى عصمنى فى حالِ الغيبة ، وأمتعنى بالعافية ، وعرّفنى الإجابة ومسّكنى بالطاعة ، وحال بينى وبين استعمال المعصية ؛ فلم أشخص إلاّ عن رأيك ، ولم أقدم إلاّ عن إذنك وأمرك ؛ ولم يخترمْنى أجل[2] دونك . والله يا أميرَ المؤمنين — ولا أعظم من اليمين بالله — لقد عاينتُ ما لو تُعرَض لى الدنيا كلُّها لاخترت عليها قربَك ، ولما رأيتها عوضاً من المقام معك . ثم قال له بعقب هذا الكلام فى هذا المقام : إنّ الله يا أميرَ المؤمنين — لم يزل يبليك فى خلافتك بقدْر ما يعلم من نيتك ، ويريك فى رعيّتك غاية أمنيّتك ، فيصلح لك جماعتَهم ، ويجمع ألفتهم ، ويلمّ شعَثهم ؛ حفظاً لك فيهم ، ورحمةً لهم ؛ وإنما هذا للتمسُّك بطاعتك ، والاعتصام بحبل مرضاتك ؛ والله المحمود على ذلك وهو مستحقُّه . وفارقتُ يا أمير المؤمنين أهل كور الشأم وهم منقادون لأمرك ، نادمون على ما فرط من معصيتهم لك ، متمسّكون[3] بحبلك ، نازلون على حُكمك ، طالبون لعفوك ، واثقون بحلْمك ، مؤمّلون فضْلك ، آمنون بادرتَك ، حالُهم فى ائتلافهم كحالهم كانت فى اختلافهم ، وحالُهم فى ألفتهم كحالهم كانت فى امتناعهم ، وعفو أمير المؤمنين عنهم وتغمّده لهم سابق لمعذرتهم ، وصلة أمير المؤمنين لهم ، وعطفه عليهم متقدّم[4] عنده لمسألتهم . ٣/٦٤٣

وايم الله يا أميرَ المؤمنين لئن كنتُ قد شخصتُ عنهم ، وقد أخمد الله شرارهم وأطفأ نارهم ، ونفى مُرّاقهم ، وأصلح دهماءهم ، وأولانى الجميلَ فيهم ، ورزقنى الانتصار منهم ؛ فما ذلك كله إلا ببركتك ويُمْنك ، وريحك ودوام دولتك السعيدة الميمونة الدائمة ، وتخوّفهم منك ، ورجائهم لك . والله يا أمير

---

(١) س : « أو خطايا » .
(٢) س : « أجلى » .
(٣) س : «مستمسكون» .
(٤) بعدها فى س : « عليهم » .

المؤمنين ما تقدّمتُ إليهم إلاّ بوصيتك ، وما عاملتهم إلا بأمركَ ، ولا سرت فيهم إلا على حدٍّ ما مثّلتَه لى ورسمتَه، ووقفتَنِي عليه ؛ ووالله ما انقادوا إلاّ لدعوتك ، وتوحّدِ الله بالصّنع لك ، وتخوّفهم من سطوتكَ . وما كان الذى كان منى — وإن كنت بذلت جهدى ، وبلغت مجهودى — قاضياً ببعض حقك على ؛ بل ما ازدادت نعمتُك علىّ عظماً ؛ إلاازددتُ عن شكرك عجزاً وضعفاً ، وما خلق الله أحداً من رعيّتك أبعَد من أن يُطمع نفسه فى قضاء حقك منى ، وما ذلك إلاّ أن أكون باذلاً مهجتى فى طاعتك ، وكلّ ما يقرّب إلى موافقتك ؛ ولكنى أعرف من أياديك عندى ما لا أعرف مثلها[1] عند غيرى ؛ فكيف بشكرى[2] وقد أصبحتُ واحدَ أهل دهرى فيما صنعتَه فىَّ وبى ! أم كيف بشكرى[2] وإنما أقوى على شكرى بإكرامك أياى ! وكيف بشكرى[2] ولو جعل الله شكرى فى إحصاء ما أوليتنى لم يأت على ذلكَ عدّى[3] وكيف بشكرى[2] وأنت كهفى دون كلّ كهف لى ! وكيف بشكرى[2] وأنت لا ترضَى لى ما أرضاه لى ! وكيف بشكرى وأنت تجدّد من نعمتك عندى ما[4] يستغرق[5] كلّ ما سلف عندك لى ! أم كيف بشكرِى وأنت تُنسينى[6] ما تقدّم من إحسانك إلىّ بما تجدده لى ! أم كيف بشكرى[2] وأنت تقدمنى بطوْلك[7] على جميع أكفائى ! أم كيف بشكرِى[8] وأنت ولِيِّى! أم كيف بشكرى وأنت المكرِم لى ! وأنا أسأل الله الذى رزقنى ذلك منك من غير استحقاق له ؛ إذا كان الشكْر مقصّراً عن بلوغِ تأدية بعضه ، بل دون شِقص[9] من عُشر عشيره[10] ، أن يتولى مكافأتك عنّى بما هو أوسعُ له، وأقدرُ عليه ، وأن يَقضيَ عنى حقّك ، وجليل مِنّتك ؛ فإن ذلك بيده ، وهو القادر عليه !

٣ / ٦٤٤

* * *

وفى هذه السنة أخذ الرّشيد الخاتم من جعفر بن يحيى ، فدفعه إلى أبيه يحيى بن خالد .

---

(١) س : « ما لا أعرفها » .
(٢) ا : « تشكرنى » .
(٣) ا ، س : « عددى » .
(٤) ج : « بما » .
(٥) س : « استغرق » .
(٦) ج : « نسيتنى » .
(٧) س : « بتطويلك » .
(٨) س : « بشكرك » .
(٩) الشقص : النصيب .
(١٠) س : « عشرة » ؟

وفيها ولّى جعفَر بن يحيى خُراسان وسِجستان ، واستعمل جعفرٌ عليهما محمد بن الحسن بن قحطبة .

وفيها شخص الرّشيد من مدينة السلام مريداً الرَّقة على طريق الموصل ، فلما نزل البَرَدان ، ولّى عيسى بن جعفر خُراسان ، وعزل عنها جعفر بن يحيى ؛ فكانت ولاية جعفر بن يحيى إياها عشرين ليلة .

وفيها وُلِّىَ جعفر بن يحيى الحرَس .

٣/٦٤٥ وفيها هدَم الرّشيد سُور المَوْصل بسبب الخوارج الذين خرجوا منها ، ثم مضى إلى الرّقة فنزَلها واتّخذها وطناً .

وفيها عُزِلَ هَرْثمة بن أعيَن عن إفريقيّة ، وأقفله إلى مدينة السلام ، فاستخلفه جعفر بن يحيى على الحرَس .

وفيها كانت بأرض مصر زلزلة شديدة ، فسقط رأسُ منارة الإسكندرية .

وفيها حكم خُراشة الشيبانىّ وشَرِىَ بالجزيرة ، فقتله مسلم بن بكار بن مسلم العُقيلىّ .

وفيها خرجت المحمّرة بجُرجان ، فكتب علىّ بن عيسى بن ماهان أنّ الذى هيّج ذلك عليه عمرو بن محمد العمركىّ ، وأنه زنديق ، فأمر الرشيد بقتله ، فقتِل بمَرْو .

وفيها عزَل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرُّويان ، وولّى ذلك عبد الله ابن خازم . وعزلَ الفضل أيضًا عن الرّىّ ، ووليَها محمد بن يحيى بن الحارث بن شخيّر ، وولّى سعيد بن سلْم[1] الجزيرة .

وغزا الصائفة فيها معاوية بن زفر بن عاصم .

وفيها صار الرشيد إلى البَصْرة مُنصرَفه من مكة ، فقدمها فى المحرّم منها ، فنزل المحدّثة أياماً ، ثم تحوّل منها إلى قصر عيسى بن جعفر بالخُرَيبة ، ثم ركب فى نهر سَيْحان الذى احتفره يحيى بن خالد ؛ حتى نظر إليه ، وسَكَر[2] نهر الأبُلّة ونهر معقِل ، حتى استحكم أمر سَيْحان ، ثم شخص عن البصرة

(١) ا : « مسلم » . (٢) سكر النهر : سدفاه .

لاثنتى عشرة ليلة بقيتْ من المحرم، فقدم مدينةَ السلام، ثم شخص إلى الحيرة، ٦٤٦/٣
فسكنها وابتنى بها المنازلَ ، وأقطع مَنْ معه الخِطط ، وأقام نحواً من أربعين
يوماً ، فوثب به أهلُ الكوفة ، وأساءوا مجاورته ، فارتحل إلى مدينة السلام،
ثم شخص من مدينة السلام إلى الرّقّة ، واستخلف بمدينة السلام حين شخص
إلى الرّقة محمداً الأمين ، وولاّه العراقين .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فكان فيها غزو الرشيد أرضَ الروم ، فافتتح بها عنوةً حصن الصَّفْصاف ، فقال مَرْوان بن أبى حفصة :

إنَّ أميرَ المؤمنينَ المصطفَى قد ترك الصَّفصافَ قاعًا صَفصفا

وفيها غزا عبد الملك بن صالح الرّوم ، فبلغ أنقرة وافتتح مَطْمورة .

وفيها تُوفِّيَ الحسن بن قحطبة وحمزة بن مالك .

وفيها غلبت المحمّرة على جُرجان .

وفيها أحدث الرشيد عند نزوله الرَّقة فى صدور كتبه الصّلاةَ على محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون[١] الرشيد، فأقام للناس الحجّ، ثم صدر معجّلاً . وتخلّف عنه يحيى بن خالد، ثم لحقه بالغَمْرة فاستعفاه من الولاية فأعفاه ، فردّ إليه الخاتم ، وسأله الإذن فى المُقام فأذن له ، فانصرف إلى مكة .

---

(١) س : « محمد بن هارون » .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فكان فيها انصراف الرشيد من مكة ومسيرُه إلى الرّقة ، وبيعتُه بها لابنه عبدالله المأمون بعد ابنه محمد الأمين ، وأخذُ البيعة له على الجند بذلك بالرّقة ، وضمّه إياه إلى جعفر بن يحيى ، ثم توجيهُه إياه إلى مدينة السلام ، ومعه من أهل بيته جعفر بن أبي جعفر المنصور وعبد الملك بن صالح ، ومن القوّاد عليّ بن عيسى ، فبُويع لَهُ بمدينة السلام حين قدمها ، وولاّه أبوه خُراسان وما يتصل بها إلى هَمَذان ، وسمّاه المأمون .

وفيها حُملت ابنة خاقان ملك الخَزر إلى الفَضْل بن يحيى ، فماتت ببَرْذعة ، وعلى إرمينيَة يومئذ سعيد بن سلْم بن قُتيبة الباهليّ ، فرجع مَنْ كان فيها من الطراخنة إلى أبيها ، فأخبروه أن ابنته قُتلت[1] غِيلة ، فحنق لذلك ، وأخذ في الأهْبة لحرب المسلمين .

وانصرف فيها يحيى بن خالد إلى مدينة السّلام .

وغزا فيها الصائفةَ عبدُ الرحمن بن عبد الملك بن صالح ، فبلغ دفسوس مدينة أصحاب الكهف .

وفيها سَملت الرّوم عينيْ ملكِهم قسطنطين بن أليون ، وأقرّوا أمه رينى ، وتلقّب أُغَسْطة .

* * *

وحجّ بالنّاس فيها موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ .

---

(١) س : « ماتت » .

٣/٦٤٨

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك خروج الخزر بسبب ابنة خاقان من باب الأبواب وإيقاعهم بالمسلمين هنالك وأهل الذمّة ، وسبيُهم — فيما ذكر — أكثر من مائة ألف . فانتهكوا أمرًا عظيماً لم يُسمع في الإسلام بمثله ، فولّى الرشيد إرمينيَة يزيد بن مزيد مع أذْربيجان ، وقوّاه بالجند ؛ ووجّهه، وأنزل خزيمة بن خازم نصيبين ردءاً لا أهل إرمينيَة .

وقد قيل في سبب دخول الخزر إرمينيَة غيرُ هذا القول ؛ وذلك ما ذكره محمد بن عبد الله ، أنّ أباه حدّثه أنّ سبب دخول الخزر إرمينيَة في زمان هارون كان أن سعيد بن سلْم ضرب عنُق المنجم السُّلميّ بفأس ، فدخل ابنه بلاد الخزَر ، واستجاشهم على سعيد ، فدخلوا إرمينيَة من الثّلْمة ، فانهزم سعيد ، ونكحوا المسلمات ، وأقاموا فيها — أظنّ — سبعين يومًا ، فوجّه هارون خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد إلى إرمينيَة حتى أصلحا ما أفسد سعيد، وأخرجا الخزر ، وسُدّت الثُّلْمة .

وفيها كتب الرّشيد إلى عليّ بن عيسى بن ماهان وهو بخُراسان بالمصير إليه ؛ وكان سبب كتابه إليه بذلك ؛ أنه كان حُمل عليه، وقيل له : إنه قد أجمع[1] على الخلاف ، فاستخلف عليّ بن عيسى ابنَه يحيى على خُراسان ، فأقرّه الرّشيد ، فوافاه عليّ ، وحمل إليه مالاً عظيمًا ، فردّه الرّشيد إلى خُراسان من قِبَل ابنه المأمون لحرب أبي الخصيب ، فرجع .

٣/٦٤٩

وفيها خرج بنَسَا من خُراسان أبو الخصيب وُهيب بن عبد الله النسائيّ مولَى الحرِيش .

---

(١) ج : « أزمع » .

وفيها مات موسى بن جعفر بن محمد ببغداد ومحمد بن السماك القاضى .

* * *

وفيها حجّ بالناس العبّاس بن موسى الهادى بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن علىّ .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

ففيها قدم هارون مدينةَ السلام فى جُمادى الآخرة منصرفًا إليها من الرّقة فى الفُرات فى السفن ، فلما صار إليها أخذ الناس بالبقايا .

ووليَ استخراجَ ذلك – فيما ذكر – عبدُالله بن الهيثم بن سام بالحبس والضرب ، ووليَ حماد البربريّ مكة واليمن ، ووليَ داود بن يزيد بن حاتم المهلَّبيّ السند ، ويحيى الحرشيّ الجبل ، ومهرويه الرازيّ طبرستان ، وقام بأمر إفريقيّة إبراهيم الأغلب ، فولّاها إياه الرّشيد .

وفيها خرج أبو عمرو الشارى فوجّه إليه زهير القصاب فقتله بشَهْرَزُور .

وفيها طلب أبو الخصيب الأمان ، فأعطاه ذلك علىّ بن عيسى ، فوافاه بمَرْوَ فأكرمه .

* * *

٦٥٠/٣ وحجّ بالناس فيها إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علىّ .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من قتل أهل طبرستان مَهْرُوَيه الرازىّ وهو واليها ، فولَّى الرشيد مكانه عبدَ الله بن سعيد الحَرَشىّ .

وفيها قتل عبدالرحمن الأبناوىّ[1] أبانَ بن قحطبة الخارجىّ بمرْج القلعة.

وفيها عاث حمزة الشارى بباذَغيس من خُراسان ، فوثب عيسى بن علىّ ابن عيسى على عشرة آلاف من أصحاب حَمْزة فقتلهم ، وبلغ كابُل وزابُلستان والقُندُهار ، فقال أبو العذافر[2] فى ذلك :

كادَ عيسى يكونُ ذا القَرْنَيْنِ … بَلَغَ المشرِقَيْنِ والمغربيْنِ
لمْ يَدَعْ كابُلاً ولَا زابُلِسْتا … نَ فما حَوْلها إلى الرُّخَّجَيْنِ

وفيها خرج أبو الخصيب ثانية بنَسا ، وغلب عليها وعلى أبِيوَرْد وطُوس ونَيْسابور ، وزحف إلى مَرْو ، فأحاط بها ، فهزِم ، ومضى نحو سرخْس ، وقوىَ أمرُه .

وفيها مات يزيد بن مزيد ببَرْذعة ، فوُلِّىَ مكانه أسد بن يزيد .

وفيها مات يقطين بن موسى ببغداد .

وفيها مات عبد الصمد بن علىّ ببغداد فى جمادى الآخرة ، ولم يكن ثُغِر[3] قطّ ؛ فأدخل القبر بأسنان الصبىّ ، وما نقص له سنّ .

وشخص فيها الرّشيد إلى الرّقة على طريق الموصل . ٦٥١/٣

واستأذنه فيها يحيى بن خالد فى العُمْرة والجوار ، فأذن له ، فخرج فى

---

(١) ط : « الأنبارى » ، وهو « عبد الرحمن بن جبلة الأبناوى » .
(٢) ط : « الغدافر » ، وانظر الفهرس .
(٣) ثغر : سقطت رواضعه ، والرواضع : أسنان الصبى .

شعبان ، واعتمر عمرة شهر رمضان ، ثم رابط بجُدّة إلى وقت الحجّ ، ثم حجّ .
ووقعت فى المسجد الحرام صاعقة فقتلت رجلين .

* * *

وحجّ بالناس فيها منصور بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علىّ .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

ففيها كان خروجُ علىّ بن عيسى بن ماهان من مَرْو لحرب أبى الخصيب إلى نَسا ، فقتله بها ، وسبى نساءه وذراريّه ، واستقامت خُراسان .

وفيها حبس الرّشيد ثُمامة بن أشرس لوقوفه على كذبه فى أمر أحمد بن عيسى بن زيد .

وفيها مات جعفر بن أبى جعفر المنصور عند هَرْثمة . وتُوُفّى العباس بن محمد ببغداد .

* * *

[ذكر حجّ الرشيد ثمّ كتابته العهد لأبنائه]

وحجّ بالناس فيها هارون الرشيد ؛ وكان شخوصه من الرّقة للحجّ فى شهر رمضان من هذه السنة ، فمرّ بالأنبار ، ولم يدخل مدينة السلام ؛ ولكنه نزل منزلاً على شاطئ الفرات يدعى الدّارَات ، بينه وبين مدينة السلام سبعة فراسخ ، وخلّف بالرّقة إبراهيم بن عثمان بن نَهيك ، وأخرج معه ابنيه : محمداً الأمين وعبد الله المأمون ؛ وليَىْ عهده ؛ فبدأ بالمدينة ، فأعطى أهلها ثلاثة أعطِية ؛ كانوا يقدمون إليه فيعطيهم عطاء ، ثم إلى محمد فيعطيهم عطاءً ثانياً ، ثم إلى المأمون فيعْطيهم عطاء ثالثاً ، ثم صار إلى مكة فأعطى أهلَها ، فبلغ ذلك ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار . ٦٥٢/٣

وكان الرّشيد عقد لابنه محمد ولاية العهد – فيما ذكر محمد بن يزيد عن إبراهيم بن محمد الحجَبِىّ – يوم الخميس فى شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وسماه الأمين ، وضمّ إليه الشأم والعراق فى سنة خمس وسبعين ومائة ، ثم بايع لعبد الله المأمون بالرّقة فى سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وولاّه من حدّ همَذان إلى آخر المشرق ، فقال فى ذلك سَلْم بن عمرو الخاسر :

بايَعَ هارونُ إمامُ الهُدَى لِذِى الحِجى والخُلُقِ الفاضِلِ
المخلِف المُتلفِ أموالَهُ والضامِنِ الأَثقالَ للحاملِ
والعالِم النافذِ فى علمِهِ والحاكِمِ الفاضِلِ والعادِلِ
والرّاتِقِ الفاتِقِ حلفَ الهدى[1] والقائِل الصادِقِ والفاعِلِ
لِخَير عباس إذا حُصِّلوا والمفْضِل المجدى على العائِل[2]
أبَرُّهمْ برًّا وأَولاهُمُ بالعُرفِ عند الحدثِ النازل
لِمُشبهِ المنصورِ فى ملكه إذا تدَجَّتْ ظُلمَةُ الباطل
فتَمَّ بالمأمونِ نورُ الهدى وانكشَفَ الجَهلُ عن الجاهِل

وذكر الحسن بن قريش أن القاسم بن الرشيد، كان فى حِجْر عبد الملك ابن صالح ، فلما بايع الرشيدُ لمحمد والمأمون ، كتب إليه عبد الملك بن صالح :

يأَيُّها الملِكُ الَّذِى لو كان نجمًا كان سَعْدا
اعْقِدْ لقاسِمَ بيَعةً واقدَحْ له فى المُلكِ زَنْدا
اللهُ فرْدٌ واحدٌ فاجعل ولاةَ العهدِ فرْدَا

٦٥٣/٣ فكان ذلك أول ما حضّ الرشيد على البيعة للقاسم . ثم بايع للقاسم ابنه ، وسماه المؤتمن ، وولاّه الجزيرة والثغور والعواصم ، فقال فى ذلك :

حُبّ الخليفةِ حُبٌّ لا يَدينُ بِهِ مَنْ كان لله عاصٍ يَعْمَلُ الفِتَنا
اللهُ قَلَّدَ هاروناً سِياسَتَنا لَمَّا اصطفاهُ فأَحْيَا الدِّينَ والسنَنَا
وَقلَّدَ الأَرضَ هارونٌ لرأفَتِهِ بنَا أميناً ومأْموماً ومؤتمَنا

قال : ولما قسم الأرض بين أولاده الثلاثة ، قال بعض العامة[3] : قد أحكم أمر الملك، وقال بعضهم: بل ألقى بأسَهُم بينهم ، وعاقبةُ ما صنع فى ذلك مخوفةٌ على الرّعية ، وقالت الشعراء فى ذلك ، فقال بعضهم :

---
(١) س : « الندى » . (٢) س : « العامل » .
(٣) س : « الناس » .

أقولُ لغمَّةٍ فى النفسِ منى ... وَدَمْعُ العَينِ يَطَّرِدُ اطِّرادَا
خُذِى لِلْهوْلِ[1] عُدَّتَهُ بحزْمٍ ... سنَلْقَى ما سَيَمْنَعُكِ الرُّقَادا
فإنَّكِ إنْ بَقيتِ رأيتِ أَمرًا ... يُطِيلُ لكِ الكآبَةَ والسهادا
رَأَى الملكُ المَهذَّبُ شَرَّ رأىٍ ... بقِسْمَتِهِ الخلافة والبِلادا
رأى ما لوْ تَعَقَّبَهُ بعِلمٍ[2] ... لبَيَّضَ من مَفارقِه السَّوادا
أرادَ به ليَقطَعَ عن بَنيه ... خلافَهُمُ ويَبتذِلوا الودادا
فقد غَرَسَ العداوةَ غيرَ آلٍ ... وأورثَ شَملَ أُلفتِهمْ بَدادا
وَأَلقَحَ بَيْنَهُمْ حرْباً عَواناً ... وَسلَّس لاجتنابِهمُ القيادا[3]
فوَيلٌ لِلرَّعيّةِ عن قليل ... لقد أهدى لها الكُرَبَ الشِّدادا
وأَلبَسَها بلاءً غير فانٍ ... وألزمها التَّضَعْضُعَ والفسادا
سَتجْرى من دمائِهم بحُورٌ ... زواخِرُ لا يَروْنَ لها نفادَا
فوِزْرُ بلائِهمْ أَبدًا عليه ... أَغيًّا كانَ ذلك أَمْ رشادا

٦٥٤/٣

قال : وحجَّ هارون ومحمد وعبد الله معه وقواده ووزراؤه وقضاته فى سنة ست وثمانين ومائة ، وخلَّف بالرّقة إبراهيم بن عثمان بن نَهيك العكىّ على الحرَمِ والخزائن والأموال والعسكر ، وأشخص القاسم ابنه إلى مَنْبِج ، فأنزله إياها بمن ضمّ إليه من القوّاد والجند ، فلما قضى مناسكَه كتب لعبد الله المأمون ابنه كتابين ، أجهد الفقهاء والقضاة آراءهم فيهما ، أحدهما على محمّد بما اشترط عليه من الوَفاء بما فيه من تسليم ما وَلِيَ عبدُ الله من الأعمال ، وصيَّر إليه من الضّياع والغَلّات والجواهر والأموال ، والآخر نسخة البَيْعة التى أخذها على الخاصّة والعامّة والشروط لعبد الله على محمد وعليهم ، وجعل الكتابين فى البيْت الحرام بعد أخذه البيعة على محمد ، وإشهاده عليه بها الله وملائكته

---

(١) ا ، س : « للقول » .
(٢) س : « رأى برأى » .
(٣) ج : « لاحتشائهم » .

ومَنْ كان فى الكعبة معه من سائر ولده وأهل بيته ومواليه وقُوّاده ووزرائه وكتابه وغيرهم .

وكانت الشهادة بالبَيْعة والكتاب فى البيت الحرام ، وتقدّم إلى الحَجَبَة فى حفظهما ، ومنْع من أراد إخراجهما والذهاب بهما ، فذكر عبدُ الله بن محمد ومحمدبن يزيد التميمىّ وإبراهيم الحجبىّ ، أنّ الرشيد حضر وأحضروجوه بنى هاشم والقُوّاد والفقهاء ، وأدخِلوا البيت الحرام ، وأمر بقراءة الكتاب على عبد الله ومحمد ، وأشهد عليهما جماعة مَنْ حضر ، ثم رأى أن يعلّق الكتاب فى الكعبة ، فلما رُفع ليُعلّق وقع ، فقيل إنّ هذا الأمر سريع انتقاضه قبل تمامه . وكانت نسخة الكتاب :

٣/٦٥٥ بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه محمد بن هارون أمير المؤمنين ، فى صحة من عقله ، وجواز من أمره ، طائعاً غير مكرَه . إن أمير المؤمنين ولاّنى العهدَ من بعده ، وصيّر البيعة لى فى رقاب المسلمين جميعاً ، وولّى عبدَ الله بن هارون العهدَ والخلافةَ وجميع أمور المسلمين بعدى ، برضاً منى وتسليم ، طائعاً غير مكرَه ، وولاّه خُراسان وثغورَها وكُورَها وحربَها وجندَها وخراجَها وطرزها [1] وبَريدها ، وبيُوت أموالها ، وصدقاتها وعُشْرها وعشورها ، وجميع أعمالها ، فى حياته وبعده . وشرطتُ لعبد الله هارون أمير المؤمنين برضاً منى وطيب نفسى ، أنّ لأخى عبدالله بن هارون علىّ الوفاء بما عَقَد له هارون أمير المؤمنين من العهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين جميعاً بعدى ، وتسليمَ ذلك له ؛ وما جعل له من ولاية خُراسان وأعمالها كلّها ، ومَا أقطعه أمير المؤمنين من قَطيعة ، أو جعل له من عُقدة [2] أو ضيْعة من ضياعه ، أو ابتاع من الضّياع والعُقَد ، وما أعطاه فى حياته وصحته من مال أو حلْى أو جوهر ، أو متاع أو كسوة ، أو منزل أو دوابّ ، أو قليل أو كثير ؛ فهو لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، موفَّراً مسلّماً إليه . وقد عرفت ذلك كله شيئاً شيئاً .

---

(١) الطراز : ما ينسج من الثياب للسلطان ، ويطلق على الموضع الذى تنسج فيه الثياب الجياد ؛ وكان للطراز دور كدور ضرب النقود . وانظر اللسان .

(٢) العقدة : الضيعة والعقار الذى اعتقده صاحبه ملكاً . واعتقد الضيعة والمال : اقتناها .

٣/٦٥٦ فإن حدث بأمير المؤمنين حدَثُ الموت ، وأفضت الخلافة إلى محمد ابن أمير المؤمنين ، فعلَى محمدإنفاذ ما أمره به هارون أمير المؤمنين فى تولية عبد الله ابن هارون أمير المؤمنين خـُراسان وثغورها ومَنْ ضمّ إليه من أهل بيت أمير المؤمنين بقَرمَاسين ؛ وإن يمضِي عبد الله ابن أمير المؤمنين إلىخـُراسان والرّىّ والكُور التى سماها أمير المؤمنين حيث كان عبد الله ابن أمير المؤمنين من مُعسكر أمير المؤمنين وغيره من سلطان أمير المؤمنين وجميع مَنْ ضم إليه أمير المؤمنين حيث أحبّ، من لدُن الرّىّ إلى أقصى عمل خـُراسان. فليس لمحمد ابن أمير المؤمنين أن يحوّل عنه قائداً ولا مقوداً ولا رجلاً واحداً ممن ضُمّ إليه من أصحابه الذين ضمّهم إلى أمير المؤمنين ، ولا يحوّل عبدَ الله ابن أمير المؤمنين عن ولايته التى ولاّه إياها هارون أمير المؤمنين من ثُغورخـُراسان وأعمالها كلّها، ما بين عمل الرّىّ مما يلى هـَمذان إلى أقصى خراسان وثغورها وبلادها؛ وما هو منسوب إليها، ولا يشخِصه[1] إليه ، ولا يفرق أحداً من أصحابه وقوّاده عنه ، ولا يولى عليه أحداً ،ولا يبعث عليه ولا على أحدمن عُمّاله وولاة أموره بُندارًا ، ولا محاسبًا ولا عاملاً ، ولا يدخل عليه فى صغيرٍ من أمره ولا كبير ضرراً، ولا يحول بينه وبين العمل فى ذلك كله برأيه وتدبيره ، ولا يـَعرض لأحد ممن ضمّ إليه ٣/٦٥٧ أمير المؤمنين من أهل بيته وصحابته وقـُضاته وعمّاله وكتابه وقـُوّاده وخدَمه ومواليه وجنده ؛ بما يلتمس إدخال الضرر والمكروه عليهم فى أنفسهم ولا قراباتهم ولا مواليهم، ولا أحد بسبيل[2] منهم، ولا فى دمائهم ولا فى أموالهم ولا فى ضياعهم ودورهم ورباعهم وأمتعتهم ورقيقهم ودوابّهم شيئًا من ذلك صغيراً ولا كبيراً ، ولا أحد من الناس بأمره ورأيه وهواه ، وبترخيصٍ له فى ذلك وإدهانٍ منه فيه لأحد من ولد آدم ، ولا يحكم فى أمرهم ولا أحد من قضاته ومن عماله وممّن كان بسبب منه بغير حكم عبد الله ابن أمير المؤمنين ورأيهِ ورأى قضاته .

وإن نزع إليه أحد ممن ضمّ أمير المؤمنين إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين من أهلِ بيت أمير المؤمنين وصَحابته وقوّاده وعماله وكتّابه وخدمه ومواليه وجنده، ورفض اسمه ومكـْتبـَه ومكانه مع عبد الله ابن أمير المؤمنين عاصيًا له أو مخالفًا

---

(١) ط : « شخصه »، والصواب ما أثبته من ا . (٢) كذا فى ا .

عليه ؛ فعلى محمد بن أمير المؤمنين ردّه إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين بصغَرٍ له وقَماء[١] حتى ينفذ فيه رأيَه وأمرَه .

فإن أراد محمد بن أمير المؤمنين خلعَ عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده، أو عزلَ عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية خراسان وثُغورها وأعمالها، والذى من حدّ عملها مما يلى هَمَذان والكور التى سماها أمير المؤمنين فى كتابه هذا أو صرْف أحد من قواده الذين ضمَّهم أمير المؤمنين إليه ممن قدِم قَرْماسين ، أو أن ينتقصه قليلا أوكثيراً مما جعله أمير المؤمنين له بوجهٍ من الوجوه ، أو بحيلة من الحيل ؛ صغرت أو كبرت ؛ فلعبد الله بن هارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين، وهو المقدّم على محمد ابن أمير المؤمنين ، وهو ولىّ الأمر بعد أمير المؤمنين والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هارون من أهل خُراسان وأهل العطاء وجميع المسلمين فى جميع الأجناد والأمصار لعبد الله ابن أمير المؤمنين، والقيامُ معه، والمجاهدةُ لِمَنْ خالفه ، والنصر له والذبّ عنه ؛ ما كانت الحياة فى أبدانهم . وليس لأحدٍ منهم جميعًا من كانوا، أو حيث كانوا ، أن يخالفَه ولايعصيه، ولا يخرج من طاعته، ولا يطيع[٢] محمد ابن أمير المؤمنين فى خلع عبد الله بن هارون أمير المؤمنين وصرْف العهد عنه من بعده إلى غيره ، أو ينتقصه شيئًا مما جعله له أمير المؤمنين هارون فى حياته وصحته ، واشترط فى كتابه الذى كتبه عليه فى البيت الحرام فى هذا الكتاب . وعبد الله ابن أمير المؤمنين المصدّق فى قوله ، وأنتم فى حلٍّ من البيعة التى فى أعناقكم لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون إن نَقَصَ شيئًا مما جعله له أمير المؤمنين هارون ، وعلى محمد بن هارون أمير المؤمنين أن ينقادَ لعبد الله ابن أمير المؤمنين هارون ويسلِّم له الخلافة .

وليس لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون ولا لعبد الله ابن أمير المؤمنين أن يخلعَا القاسم ابن أمير المؤمنين هارون ، ولا يقدّما عليه أحداً من أولادهما وقراباتهما ولا غيرهم من جميع البريّة؛ فإذا أفضت الخلافة إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين، فالأمر إليه فى إمضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده، أو صرف

٣/٦٥٨ ٣/٦٥٩

(١) الصغر : الرضا بالذل . والقماء : الذلة . (٢) ا : « يطمع » .

ذلك عنه إلى مَن رأى من ولده وإخوته، وتقديم مَن أراد أن يقدم قبله، وتصيير القاسم ابن أمير المؤمنين بعد مَن يقدم قبله، يحكم فى ذلك بما أحبّ ورأى .

فعليكم معشرَ المسلمين إنفاذ ما كتب به أمير المؤمنين فى كتابه هذا ، وشرط عليهم وأمر به ، وعليكم السّمع والطاعة لأمير المؤمنين فيما ألزمكم وأوجب عليكم لعبد الله ابن أمير المؤمنين ، وعهد الله وذمّته وذمّة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمم المسلمين والعهود والمواثيق التى أخذ الله على الملائكة المقرّبين والنبيين والمرسلين ، ووكّدَها فى أعناق المؤمنين والمسلمين ، لتَفُنّ لعبد الله أمير المؤمنين بما سمّى ، ولمحمد وعبد الله والقاسم بنى أمير المؤمنين بما سمّى وكتب فى كتابه هذا ، واشترط عليكم وأقررتم به على أنفسكم ؛ فإن أنتم بدّلتم من ذلك شيئًا ، أو غيّرتم ، أو نكثتم ، أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين ، واشترط عليكم فى كتابه هذا ، فبرئت منكم ذمّة الله وذمّة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وذمم المؤمنين والمسلمين ، وكلُّ مالٍ هو اليوم لكلّ رجل منكم أو يستفيده إلى خمسين سنة فهو صدقة على المساكين ، وعلى كل رجل منكم المشى إلى بيت الله الحرام الذى بمكة خمسين حجّة ، نذراً واجبًا لا يقبل الله منه إلا الوفاء بذلك ؛ وكلّ مملوك لأحد منكم — أو يملكه فيما يستقبل إلى خمسين سنة — حرّ ، وكلّ امرأة له فهى طالق ثلاثًا ألبتة طلاق الحرَج ، لا مثنويّة[1] فيها . والله عليكم بذلك كفيل وراعٍ ، وكفى بالله حسيبًا .

٣/٦٦٠

* * *

نسخة الشرط الذى كتب عبد الله
ابن أمير المؤمنين بخط يده فى الكعبة

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه له عبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، فى صحّةٍ من عقله ، وجوازٍ من أمره ، وصدقِ نيّة فيما كتب فى كتابه هذا ، ومعرفةً بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين . إن أمير المؤمنين هارون ولاّنى العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين فى سلطانه بعد أخى محمد بن هارون ، وولاّنى فى حياته ثغورَ خُراسان وكورها وجميع أعمالها ، وشرط على محمد بن هارون الوفاءَ بما عقد لى من الخلافة

(١) حلف يميناً لا مثنوية فيها ، أى لا استثناء .

وولاية أمورِ العباد والبلاد بعده ، وولاية خراسان وجميع أعمالها ، ولا يعرض لى فى شىء مما أقطعنى أمير المؤمنين ، أو ابتاع لى من الضياع والعُقَد والرّباع أو ابتعت منه من ذلك ، وما أعطانى أمير المؤمنين من الأموال والجوهر والكِساء والمتاع والدوابّ والرّقيق وغير ذلك ، ولا يعرض لى ولا لأحد من عمّالى وكتّابى بسبب محاسبة ، ولا يتتبّع لى فى ذلك ولا لأحد منهم أبداً، ولا يُدخل علىّ ولا عليهم ولا على مَنْ كان معى ومن استعنتُ به من جميع الناس مكروهاً ؛ فى نفس ولا دمٍ ولا شعر ولا بشر ولا مال، ولا صغير من الأمور ولا كبير. ٣/٦٦١ فأجابه إلى ذلك ، وأقرّ به وكتب له كتاباً ، أكّد فيه على نفسه ورضِيَ به أميرُ المؤمنين هارون وقبِله ، وعرف صدق نيّته فيه . فشرطتُ لأمير المؤمنين وجعلت له على نفسى أن أسمع لمحمد وأطيع ولا أعصيه ، وأنصحه ولا أغشّه ، وأوفى ببيعته وولايته ، ولا أغدر ، ولا أنكُث ،وأنفِذُ كتبَه وأموره، وأحسن موازرته وجهاد عدوّه فى ناحيتى ، ما وفَى لى بما شرط لأمير المؤمنين فى أمرِى ، وسمّى فى الكتاب الذى كتبه لأمير المؤمنين ، ورضى به أميرُ المؤمنين ، ولم يتتبّعنى بشىء من ذلك ، ولم ينقض أمراً من الأمور التى شرطها أمير المؤمنين لى عليه .

فإن احتاج محمد بن أمير المؤمنين إلى جند ، وكتب إلىّ يأمرنى بإشخاصه إليه ، أو إلى ناحية من النواحى ، أو إلى عدوٍّ من أعدائه ؛ خالفه أو أراد نقصَ شىء من سلطانه أو سلطانى الذى أسنَده أمير المؤمنين إلينا وولاّنا إياه؛ فعلىّ أن أنفذ أمره ولا أخالفه ، ولا أقصّر فى شىء كتب به إلىّ . وإن أراد محمد أن يولِّىَ رجلا من ولده العهد والخلافة من بعدى ؛ فذلك له ما وفَى لى بما جعله أمير المؤمنين إلىّ واشترطه لى عليه ، وشرط على نفسه فى أمرى ، وعلىّ إنفاذ ذلك والوفاء له به ؛ ولا أنقص من ذلك ولا أغيّره ولا أبدّله، ولا أقدّم قبله أحداً من ولَدِى ، ولا قريباً ولا بعيداً من الناس أجمعين ؛ إلاّ أن يولِّىَ ٣/٦٦٢ أمير المؤمنين هارون أحداً من ولده العهد من بعدى ؛ فيلزمنى ومحمداً الوفاء له .

وجعلتُ لأمير المؤمنين ومحمد علىّ الوفاء بما شرطت وسمّيت فى كتابى هذا ، ما وَفَى لى محمد بجميع ما اشترط لى أمير المؤمنين عليه فى نفسى ، وما أعطانى أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسمّاة فى هذا

الكتاب الذى كتبه لى ، وعلىّ عهد الله وميثاقه وذمّة أمير المؤمنين وذمّتى وذمم آبائى وذمم المؤمنين وأشدّ ما أخذ الله على النبيين والمرسلين من خلقه أجمعين ، من عهوده ومواثيقه ، والأيمان المؤكّدة التى أمر الله بالوفاء بها ، ونهى عن نقضها وتبديلها ؛ فإن أنا نقضتُ شيئًا مما شرطت وسمّيت فى كتابى هذا أو غيّرت أو بدّلت ، أو نكثت أو غدرت ، فبرئتُ من الله عز وجل ومن ولايته ودينه ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقيتُ الله يوم القيامة كافراً مشركًا ؛ وكلّ امرأة هى لى اليوم أو أتزوّجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثًا ألبتة طلاق الحرَج ؛ وكلّ مملوك هو لى اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله ، وعلىّ المشى إلى بيت الله الحرام الذى بمكّة ثلاثين حِجّة ، نذراً واجبًا علىّ فى عنقى حافيًا راجلاً ؛ لا يقبل الله منّى إلا الوفاء بذلك ، وكلّ مال لى أو أملكه إلى ثلاثين سنة هَدْى بالغ الكعبة ؛ وكلّ ما جعلت لأمير المؤمنين وشرطت فى كتابى هذا لازم لا أضمر غيره ، ولا أنوى غيره .

وشهد سليمان بن أمير المؤمنين وفلان وفلان . وكتب فى ذى الحجة سنة ست وثمانين ومائة .

* * *

نسخة كتاب هارون بن محمد الرشيد إلى العمال ٣/٦٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد فإنّ الله ولىّ أمير المؤمنين وولىّ ما ولاّه ، والحافظ لما استرعاه وأكرمه به من خلافته وسلطانه ، والصانع له فيما قدّم وأخّر من أموره ، والمنعم عليه بالنّصر والتأييد فى مشارق الأرض ومغاربها ، والكالئ والحافظ والكافى من جميع خلْقه ؛ وهو المحمود على جميع آلائه ، المسئول تمامَ حُسْنِ (١) ما أمضى من قضائه لأمير المؤمنين ، وعادتِه الجميلة عنده ، وإلهامَ ما يرضى به ، ويوجب له عليه أحسن المزيد من فضله . وقد كان من نعمة الله عزّ وجلّ عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوامّ المسلمين ما تولّى الله من محمّد وعبد الله ابنى أمير المؤمنين ، من تبليغه بهما أحسنَ ما أمّلت الأمة ، ومدّت إليه أعناقها ، وقذف الله لهما فى قلوب العامة من المحبّة والمودّة والسكون إليهما

---

(١) س : « أحسن » .

والثّقة بهما ، لعماد دينهم ، وقِوام أمورهم؛ وجمع[١] ألفتهم ، وصلاح دَهْمائهم ، ودفع المحذور والمكروه من الشّتات والفرقة عنهم ؛ حتى ألقَوْا إليهما أزمّتهم ، وأعطوْهما بيعتَهم وصفقَات أيمانهم ، بالعهود والمواثيق ووكيد الأيمان المغلّظة عليهم . أراد الله فلم يكن له مردّ ، وأمضاه فلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا إزالته ، ولا صَرْفٍ له عن محبّته ومشيئته ، وما سبق فى علمه منه . وأميرُ المؤمنين يرجو تمامَ النّعمة عليه وعليهما فى ذلك وعلى الأمّة كافة ؛ لا عاقبَ لأمر الله ولا رادّ لقضائه ، ولا معقّبَ لحكمه .

٣/٦٦٤

ولم يزل أميرُ المؤمنين منذ اجتمعت الأمة على عَقْد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين ولعبد الله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد ابن أمير المؤمنين ، يُعمِل فكرَه ورأيه ونظَره ورويّته[٢] فيما فيه الصلاح لهما ولجميع الرعيّة والجمع للكلمة ، واللمّ للشعث ، والدّفْع للشتات والفرقة ، والحسْم لكيْد أعداء النِّعَم ؛ من أهل الكفر والنفاق والغلّ والشّقاق ، والقطع لآمالهم من كلّ فرصة يرجون إدراكَها وانتهازها منهما بانتقاص حقهما . ويستخير الله أمير المؤمنين فى ذلك ، ويسأله العزيمَة له على ما فيه الخِيَرة لهما ولجميع الأمة ، والقوّة فى أمر الله وحقه وائتلاف أهوائهما ، وصلاح ذات بينهما ، وتحصينهما من كَيْد أعداء النِّعَم ، وردّ حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد بينهما .

فعزم الله لأمير المؤمنين على الشخوص بهما إلى بيت الله ، وأخذ البيعة منهما لأمير المؤمنين بالسمع والطاعة والإنفاذ لأمره ، واكتتاب الشّرْط على كلّ واحد منهما لأمير المؤمنين ولهما بأشدّ المواثيق والعهود ، وأغلظ الأيمان والتّوكيد ، والأخذ لكلّ واحد منهما على صاحبه بما التمس به أمير المؤمنين اجتماعَ ألفتهما[٣] ومودّتهما وتواصلهما وموازرتهما ومكانفتهما على حسن النظر لأنفسهما ولرعيّة أمير المؤمنين التى استرعاهما ، والجماعة لدين الله عزّ وجلّ وكتابه وسنن نبيّه صلى الله عليه وسلم ، والجهاد لعدوّ المسلمين ؛ من كانوا وحيث كانوا ، وقطْع طمع كل عدوٍّ مظهر للعداوة ، ومسرّ لها ، وكلّ منافق

(١) ج : « جميع » .
(٢) ط : « رؤيته » .
(٣) س : « كلمتهما » .

٣/٦٦٥ ومارق، وأهل الأهواء الضالّة المضلّة من تكيد بكيد تـوقعه[١] بينهما، وبدَحْس[٢] يُدحس به لهما، وما يلتمس أعداء الله وأعداء النعم وأعداء دينه من الضرب بين الأمة، والسّعى بالفساد فى الأرض، والدعاء إلى البدَع والضّلالة؛ نظراً من أمير المؤمنين لدينه ورعيته وأمّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومناصحةً لله ولجميع المسلمين، وذبّاً عن سلطان الله الذى قدّره، وتوحّد فيه للذى حمّله إياه، والاجتهاد فى كلّ[٣] ما فيه قُرْبة إلى الله، وما ينال به رضوانَه، والوسيلة عنـــده.

فلما قدِم مكّة أظهر لمحمد وعبد الله رأيَه فى ذلك، وما نظر فيه لهما، فقبلا كلّ ما دعاهما إليه من التوكيد على أنفسهما بقبوله، وكتبا لأمير المؤمنين فى بَطْن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما، بمحضَر ممّن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقوّاده وصحابته وقضاته وحَجَبة الكعبة وشهاداتهم عليهما كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحَجَبة، وأمر بتعليقهما فى داخل الكعبة.

فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كلّه فى داخل بيت الله الحرام وبطْن الكعبة، أمر قضاته الذين شهدوا عليهما، وحضروا كتابهما، أن يعلموا جميع مَنْ حضر الموسم من الحاجّ والعُمّار ووفود الأمصار ما شهدوا عليه من شرْطهما وكتابهما، وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويعُوه، ويعرفوه ويحفظوه، ويؤدّوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم، ففعلوا ذلك، وقرِئ عليهم الشّرْطان جميعاً فى المسجد الحرام، فانصرفوا. وقد اشتهر ذلك عندهم، وأثبتوا الشهادة عليه[٤]، وعرفوا نظر أمير المؤمنين وعنايته بصلاحهم وحقن دمائهم، ولمّ شعثِهم وإطفاء جَمْرة أعداء الله؛ أعداء دينه وكتابه وجماعة المسلمين عنهم، وأظهروا الدعاء لأمير المؤمنين والشّكر لما كان منه فى ذلك. ٣/٦٦٦

وقد نسخ لك أمير المؤمنين ذينك الشرطين اللذين كتبهما لأمير المؤمنين ابناه محمد وعبد الله فى بطْن الكعبة فى أسفل كتابه؛ هذا فاحمَد الله عزّ

---

(١) س: «توقيعه»، ح: «وتوقعه».
(٢) الدحس: الفساد.
(٣) س: «على كل».
(٤) س: «عليهم».

وجلّ على ما صنع لمحمد وعبد الله وليّى عهد المسلمين حمداً كثيراً ، واشكره ببلائه عند أمير المؤمنين وعند وليّى عهد المسلمين وعندك وعند جماعة أمه محمد صلى الله عليه وسلم كثيراً .

واقرأ كتاب أميرِ المؤمنين على مَن قِبلك من المسلمين ، وأفهمهم إيّاه وقُمْ به بينهم ، وأثبته فى الديوان قِبلك وقِبَلَ قوّاد أمير المؤمنين ورعيته قِبلك واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون فى ذلك ، إن شاء الله. وحسبنا الله ونعم الوكيل وبه الحول والقوّة والطول .

وكتب إسماعيل بن صَبِيح يوم السبت لسبع ليال بَقِين من المحرّم سنة ست وثمانين ومائة .

قال : وأمر هارون الرشيد لعبد الله المأمون بمائة ألف دينار ، وحملت له إلى بغداد من الرّقة .

* * *

قال وكان الرّشيد بعد مقتل جعفر بن يحيى بالعُمْر ، صار إلى الرّقة ، ثم قدم بغداد ؛ وقد كانت توالتْ عليه الشكاية من علىّ بن عيسى بن ماهان من خُراسان وكثر عليه القوْل عنده ، فأجمع على عَزْله من خُراسان ، وأحبّ أن يكون قريباً منه. فلما صار إلى بغداد شخص بعد مدّة منها إلى قَرْماسِين ، وذلك فى سنة تسع وثمانين ومائة ، وأشخص إليها عدّة رجال من القضاة وغيرهم ، وأشهدهم أنّ جميع ما له فى عسكره من الأموال والخزائن والسّلاح والكُراع وما سواه أجمع لعبد الله المأمون ، وأنه ليس فيه قليل ولا كثير بوجْه ولا سبب ، وجدّد البيعة له علىَ مَنْ كان معه ، ووجّه هرثمة بن أعْيَن صاحب حرَسه إلى بغداد ، فأعاد أخذ البيعة على محمد بن هارون أمير المؤمنين وعلى مَنْ كان بحضرته لعبد الله والقاسم على النّسخة التى كان أخذها عليه الرّشيد بمكة ، وجعل أمر القاسم فى خلعه وإقراره إلى عبد الله إذا أفضت إليه الخلافة ؛ فقال : إبراهيم الموصلىّ فى بيعة هارون لابنيه فى الكعبة : ٦٦٧/٣

خيْرُ الأُمورِ مَغَبَّةً وأحَقُّ أمرٍ بالتّمامِ
أمرٌ قضى إحكامه الرّ حمانُ فى البيْت الحَرَامِ

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن إيقاع الرشيد بالبرامكة]

فمما كان فيها من ذلك قتل الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد وإيقاعه بالبرامكة .

س * ذكر الخبر عن سبب قتله إياه وكيف كان قتله وما فعل به وبأهل بيته :

أما سبب غضبه عليه الذى قتله عنده ، فإنه مختلَف فيه ، فمن ذلك ما ذكر عن بختيشوع بن جبريل ، عن أبيه أنه قال : إنى لقاعد فى مجلس الرشيد ، إذ طلع يحيى بن خالد – وكان فيما مضى يدخل بلا إذن – فلما دخل وصار بالقُرْب من الرّشيد وسلّم ردّ عليه ردًّا ضعيفًا ، فعلم يحيى أن أمرهم قد تغيّر .

قال : ثم أقبل علىَّ الرشيد ، فقال : يا جبريل ، يدخل عليك وأنت فى منزلك أحدٌ بلا إذنك ! فقلت : لا ، ولا يطمع فى ذلك . قال : فما بالُنا يُدْخَل علينا بلا إذن ! فقام يحيى ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قدّمنى الله قبلَك ؛ والله ما ابتدأتُ ذلك الساعة ، وما هو إلاّ شىء كان خصّنِي[1] به أمير المؤمنين ، ورفَع به ذكرى ؛ حتى أنْ كنتُ لأدخل وهو فى فراشه مجرّداً حينًا ، وحينًا فى بعض إزاره ؛ وما علمتُ أنّ أمير المؤمنين كرِه [2] ما كان يحبّ[2] ؛ وإذْ قد علمتُ فإنّى أكون عنده فى الطبقة الثانية من أهل الإذن ، أو الثالثة إن أمرنى سيدى بذلك . قال : فاستحيا – قال : وكان من أرقّ الخلفاء وجهًا – وعيناه فى الأرض ، ما يرفع إليه طرفه ، ثم قال : ما أردتُ ما تكره ؛ ولكنّ الناس يقولون . قال : فظننت أنه لم يسنح له جواب يرتضيه فأجاب بهذا القول

٦٦٨/٣

(١) ج : « يخصنى » . (٢ – ٢) س : « ذلك » .

ثم أمسك عنه ، وخرج يحيى .

وذُكر عن أحمد بن يوسف أنّ ثُمامة بن أشرس ؛ قال : أوّل ما أنكر يحيى بن خالد من أمره، أن محمد بن الليث رفع رسالة إلى الرشيد يعظه فيها، ويذكر أن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئًا ، وقد جعلتَه فيما بينك وبين الله ؛ فكيف أنت إذا وقفت بين يديه ، فسألك عمّا عملت فى عباده وبلاده ، فقلت : يا ربّ إنى استكفيتُ يحيى أمورَ عبادك ! أتراك تحتجّ بحجّة يرضى بها[1] ! مع كلام فيه توبيخ وتقريع . فدعا الرّشيد يحيى — وقد تقدم إليه خبر الرسالة — فقال: تعرف محمد بن الليث ؟ قال : نعم، قال : فأىّ الرجال هو ؟ قال : متّهم على الإسلام ، فأمر به فوضع فى المطبَق دهراً ؛ فلمّا تنكّر الرشيد للبرامكة ذكره فأمر بإخراجه ، فأحضِر ، فقال له بعد مخاطبة طويلة : يا محمد ، أتحبّنى ؟ قال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ، قال : تقول هذا ! قال : نعم ، وضعتَ فى رجلىَ الأكبال، وحُلتَ بينى وبين العِيال بلا ذنب أتيت ، ولا حدث أحدثت ، سوى قولِ حاسد يكيد الإسلام وأهلَه ، ويحب الإلحادَ وأهله ؛ فكيف أحبُّك ! قال: صدقت ، وأمر بإطلاقه، ثم قال : يا محمد ، أتحبنى ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ؛ ولكن قد ذهب ما فى قلبى ، فأمر أن يعطَى مائة ألف درهم ، فأحضِرَت ، فقال : يا محمد، أتحبنى ؟ قال : أما الآن فنعم ؛ قد أنعمت علىّ ، وأحسنت إلىّ . قال : انتقم الله ممّن ظلمك ، وأخذ لك بحقِّك ممّن بعثنى عليك. قال: فقال الناس فى البرامكة فأكثروا ، وكان ذلك أوّل ما ظهر من تغيّر حالهم .

٣/٦٦٩

قال : وحدّثنى محمد بن الفضْل بن سفيان ، مولى سليمان بن أبى جعفر ؛ قال : دخل يحيى بن خالد بعد ذلك على الرّشيد ، فقام الغلمان إليه ، فقال الرّشيد لمسرور الخادم : مُر الغلمان ألاّ يقوموا ليحيى إذا دخل الدار . قال : فدخل فلم يقم إليه أحدٌ ، فاربدّ لونه . قال : وكان الغلمان والحجاب بعد إذا رأوْه أعرضوا عنه. قال : فكان ربّما استسقى الشربة من الماء أو غيره ، فلا يسقونه ، وبالحرَى إن سقوْه أن يكون ذلك بعد أن يدعوَ بها مراراً .

(١) س : « يرضاها » .

وذكر أبو محمد اليزيدىّ – وكان فيما قيل من أعلم الناس بأخبار القوم – قال : مَنْ قال إن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبد الله ابن حسن فلا تصدّقه ؛ وذلك أنّ الرشيد دفع يحيى إلى جعفر فحبسه ، ثم دعا به ليلة من الليالى فسأله عن شىء من أمره ، فأجابه ، إلى أن قال : اتّق الله فى أمرى ، ولا تتعرّض أن يكون خصمك غداً محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فوالله ما أحدثتُ حدثاً ، ولا أويت محدثاً . فرقّ عليه ، وقال له : اذهب حيث شئت من بلاد الله . قال : وكيف أذهب ولا آمن أن أوخذَ بعد قليل فأردّ إليك أو إلى غيرك ! فوجّه معه مَنْ أدّاه إلى مأمنه . وبلغ الخبرُ الفضلَ بن الربيع ، من عين كانت له عليه من خاصّ خدمه ، فعلا الأمرَ ، فوجده حقًّا ، وانكشف عنده؛ فدخل على الرّشيد فأخبره ، فأراه أنه لا يعبأ بخبره . وقال : وما أنت وهذا لا أمّ لك ! فلعلّ ذلك عن أمرى ؛ فانكسر الفضل ؛ وجاءه جعفر فدعا بالغداء فأكلا ، وجعل يلقّمه ويحادثه ، إلى أن كان آخر ما دار بينهما أن قال : ما فعل يحيى بن عبد الله ؟ قال : بحاله[1] يا أميرَ المؤمنين فى الحبْس الضّيق والأكبال . قال : بحياتى! فأحجمَ جعفر – وكان من أدقّ الخلْق ذهناً ، وأصحّهم فكراً – وهجس فى نفسه أنه قد علم بشىء من أمره ، فقال : لاوحياتك يا سيّدى ولكن أطلقته وعلمتُ أنه لا حياة به ولا مكروه عنده . قال : نِعمَ ما فعلتَ ؛ ما عدوتَ ما كان فى نفسى . فلما خرج أتبعه بصرَه حتى كاد أن يتوارَى عن وجهه ، ثم قال : قتلنى الله بسيف الهدى على عمل الضلالة إن لم أقتلك ! فكان من أمره ما كان .

٣/٦٧٠

٣/٦٧١

وحدّث إدريس بن بدر ، قال : عرض رجل للرشيد وهو يناظر يحيى ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، نصيحة؛ فادعُ بى إليك، فقال لهرثمة : خذ الرجل إليك ، وسلْه عن نصيحته هذه ، فسأله ، فأبَى أن يخبرَه وقال : هى سرّ من أسرار الخليفة ، فأخبر هرثمة الرشيد بقوله ، قال : فقل له لا يبرح الباب حتى أفرغ له ، قال : فلما كان فى الهاجرة انصرف مَنْ كان عنده ، ودعا به ، فقال : أخلِنى ، فالتفت هارون إلى بنيه ، فقال : انصرفوا يا فتيان ؛

(١) ابن الأثير : « هو بحاله » .

فوثبوا وبقى خاقان وحُسين على رأسه ؛ فنظر إليهما الرّجُل ، فقال الرّشيد : تَنَحّيا عنّى ، ففعلا ، ثم أقبل على الرّجل ، فقال : هاتِ ما عندك ، فقال : على أن تؤمّنّى ! قال : على أن أؤمنك وأحسن إليك . قال : كنت بحلوان فى خان من خاناتها ، فإذا أنا بيحيى بن عبد الله فى دُرّاعة صوف غليظة وكساء صوف أخضر غليظ ، وإذا معه جماعة ينزلون إذا نزل ، ويرحلون إذا رحل ، ويكونون منه بصدد يوهمون مَنْ رآهم أنهم لا يعرفونه وهم من أعوانه ، ومع كلّ واحد منهم منشور يأمن به إن عُرِض له . قال : أوَ تعرف يحيى ابن عبد الله ؟ قال : أعرفه قديمًا ، وذلك الذى حقّق معرفتى به بالأمس ، قال : فصِفه لى ، قال : مربوع أسمر رقيق السمرة ، أجلح[1] ، حسن العينين ، عظيم البطن . قال : صدقتَ ؛ هو ذاك . قال : فما سمعتَه يقول ؟ قال : ما سمعتُه يقول شيئًا ؛ غير أنى رأيته يصلّى ، ورأيت غلامًا من غلمانه أعرفه قديمًا جالسًا على باب الخان ، فلمّا فرغ من صلاته أتاه بثوبٍ غسيل ، فألقاه فى عنقه ونزع جبّة الصوف ، فلما كان بعد الزّوال صلى صلاة ظننتُها العصر ، وأنا أرمقه ؛ أطال فى الأوليين ، وخفف فى الأخريَين ، فقال : لله أبوك ! لجاد ما حفظت عليه ، نعم تلك صلاة العصر ؛ وذاك وقتُها عند القوم ، أحسن الله جزاءك ، وشكر سعيَك ! فمن أنت ؟ قال : أنا رجل من أعقاب أبناء هذه الدّوْلة ، وأصْلى من مَرْو ، ومولدى مدينة السلام ، قال : فمنزلك بها ؟ قال : نعم ؛ فأطرق مليًّا ، ثم قال : كيف احتمالُك لمكروه تُمتحن به فى طاعتى ! قال : أبلغُ من ذلك حيث أحبّ أمير المؤمنين ، قال : كن بمكانك حتى أرجعَ . فطفَر فى حجرة[2] كانت خلف ظهره ، فأخرج كيسًا فيه ألفا دينار ، فقال : خذ هذه ، ودعنى وما أدبّر فيك ، فأخذها ، وضمّ عليها ثيابه ، ثم قال : يا غلام ، فأجابه خاقان وحسين ، فقال : اصفعا ابنَ اللخناء ، فصفَعاه نحواً من مائة صَفْعة ، ثم قال : أخرِجاه إلى مَنْ بقى فى الدار ، وعمامتُه فى عنقه ، وقولا : هذا جزاء من يسعى بباطنة أمير المؤمنين وأوليائه ! ففعلا ذلك ؛ وتحدّثوا بخبره ؛ ولم يعلم بحال الرجل أحد ، ولا بما

٣/٦٧٢

---

(١) الجلح : انحسار الشعر عن جانبى الرأس . (٢) ط : « فطفر فى حجزة » .

كانَ ألقى إلى الرشيد ؛ حتى كان من أمر البرامكة ما كان .

وذكر يعقوب بن إسحاق أنّ إبراهيم بن المهدىّ حدثه . قال : أتيتُ جعفر بن يحيى فى داره التى ابتناها، فقال لى: أمَا تعجب من منصور بن زياد ؟ قال : قلت فماذا ؟ قال : سألتُه: هل ترى فى دارى عيباً ؟ قال : نعم ؛ ليس فيها لبِنة ولا صُنوبرة ، قال إبراهيم : فقلت : الذى يعيبها عندى أنك أنفقت عليها نحواً من عشرين ألف ألف درهم، وهو شىء لا آمنه عليك غداً بين يدى[1] أمير المؤمنين ، قال : هو يعلم أنه قد وصلنى بأكثر من ذلك وضعف ذلك ، سوى ما عرّضنى[2] له. قال : قلت: إن العدّو إنما يأتيه فى هذا من جهة أن يقول : يا أميرَ المؤمنين ، إذا أنفق على دار عشرين ألف ألف درهم ، فأين نفقاته ! وأين صِلاته ! وأين النوائب التى تنوبه ! وما ظنّك يا أمير المؤمنين بما وراء ذلك ! وهذه جملة سريعة إلى القلب ، والموقف[3] على الحاصل منها صعب . قال : إن سمع منّى قلتُ : إن لأمير المؤمنين نعماً على قوم قد كفروها بالستّر لها أو بإظهار القليل من كثيرها [4] ؛ وأنا رجلٌ نظرت إلى نعمته عندى ، فوضعتها فى رأس جبل ، ثم قلت للناس : تعالَوْا فانظروا . ٣/٦٧٣

وذكر زيد بن علىّ بن حسين بن زيد أنّ إبراهيم بن المهدىّ حدثه أن جعفر بن يحيى ، قال له يوماً — وكان جعفر بن يحيى صاحبَه عند الرشيد ، وهو الذى قرّبه منه : إنى قد استربت بأمر هذا الرجل — يعنى الرشيد — وقد ظننتُ أن ذلك لسابق سبق فى[5] نفسى منه ، فأردتُ أن أعتبر ذلك بغيرى ، فكنت[6] أنت ؛ فارمق ذلك[7] فى يومك هذا ، وأعلمنى ما ترى منه . قال : ففعلتُ ذلك فى يومى ؛ فلما نهض الرّشيد من مجلسه كنتُ أوّل أصحابه نهض عنه ، حتى صرت إلى شجرٍ فى طريقى ، فدخلتها ومَنْ معى ، وأمرتهم بإطفاء الشمع ، وأقبل الندماء يمرُّون بى واحداً واحداً، فأراهم ولا يرَوْنى؛ حتى إذا لم ٣/٦٧٤

---

(١) ج : « عند » .
(٢) ا ، س : « عوّضنى » .
(٣) ا ، س : « والتوقف » .
(٤) س : « منها » .
(٥) س : « إلى » .
(٦) ج : « فكيف » .
(٧) س : « ذاك » .

يبق منهم أحد ؛ إذا أنا بجعفر قد طلع ، فلما جاوز الشجر[١] قال : اخرج يا حبيبي ، قال : فخرجت ، فقال : ما عندك[٢] ؟ فقلت : حتى تعلمني كيف علمتَ أني ها هنا ؛ قال : عرفت عنايتك بما أعني به ، وأنك لم تكن لتنصرف أو[٣] تعلمني ما رأيت منه ؛ وعلمتُ أنك تكره أن تُرَى واقفًا في مثل هذا الوقت ، وليس في طريقك موضع أستر من هذا الموضع ، فقضيتُ بأنك فيه ، قلت : نعم ؛ قال : فهاتِ ما عندك ، قلت : رأيت الرّجل يهزل إذا جددتَ ، ويجدّ إذا هزلتَ . قال : كذا هو عندي ، فانصرف يا حبيبي . قال : فانصرفت .

قال : وحدّثني عليّ بن سليمان أنه سمع جعفر بن يحيي يومًا يقول : ليس لدارنا هذه عيب ؛ إلا أن صاحبها فيها قليل البقاء — يعني نفسه .

وذكر عن موسى بن يحيي ، قال : خرج أبي إلى الطّواف في السنة التي أصيب فيها ، وأنا معه من بين ولده ، فجعل يتعلّق بأستار الكعبة ، ويردّد الدعاء ، ويقول : اللهمّ ذنوبي جمّة عظيمة لا يحصيها غيرُك ، ولا يعرفها سواك . اللهمّ إن كنت تعاقبني فاجعل عقوبتي في الدنيا ؛ وإن أحاط ذلك بسمعي وبصري ، ومالي وولدي ، حتى تبلغ رضاك . ولا تجعل عقوبتي في الآخرة .

قال : وحدّثني أحمد بن الحسن بن حرب ، قال : رأيتُ يحيي وقد قابل البيت ، وتعلق بأستار الكعبة ، وهو يقول : اللهمّ إن كان رضاك في أن تسلبني نعمتك عندي فاسلبني ، اللهمّ إن كان رضاك في أن تسلبني أهلي وولدي فاسلبني ؛ اللّهمّ إلا الفضل. قال: ثم ولّى ليمضي ؛ فلما قرب من باب المسجد كرّ مسرعًا ، ففعل مثل ذلك، وجعل يقولُ: اللهمّ إنه سمِجٌ بمثلي أن يرغب إليك ثم يستثني عليك ... اللهم والفضل. قال : فلما انصرفوا من الحجّ نزلوا الأنبار ، ونزل الرشيد بالعُمْر ومعه وليّا العهد؛ الأمين والمأمون، ونزل الفضل مع الأمين، وجعفر مع المأمون، ويحيي في منزل خالد بن عيسى كاتبه ، ومحمد بن

٣/٦٧٥

(١) س : « جاز في الشجر » . ا : « حاذى الشجر» . (٢) س : « ما عندهم » .
(٣) س : « حتى » .

يحيى فى منزل ابن نوح صاحب الطِّراز ، ونزل محمد بن خالد مع المأمون بالعُمر مع الرشيد ، قال : وخلا الرشيد بالفضل ليلا ، ثم خلع عليه وقلّده ، وأمره أن ينصرف مع محمد الأمين ، ودعا بموسى بن يحيى فرضِيَ عنه وكان غضب عليه بالحيرة فى بدأته ، لأن علىّ بن عيسى بن ماهان اتهمه عند الرشيد فى أمر خُراسان وأعلمه طاعة أهلها له ، ومحبّتهم إياه ، وأنه يكاتبهم ويعمل على الانسلال[1] إليهم والوثوب به معهم ؛ فوقر ذلك فى نفس الرّشيد عليه وأوحشه منه ؛ وكان موسى أحد الفرسان الشجعان ، فلما قدح علىّ بن عيسى فيه أسرع ذلك فى الرّشيد ، وعمل فيه القليل منه ، ثم ركب موسى دَيْنٌ ، واختفى من غرمائه ، فتوهّم الرشيد أنه صار إلى خراسان ؛ كما قيل له ، فلما صار إلى الحيرة فى هذه الحجّة وافاه[2] موسى من بغداد ، فحبسه الرشيد عند العباس بن موسى بالكوفة ؛ فكان ذلك أول ثلمة ثُلموا بها ؛ فركبت أمّ الفضل بن يحيى فى أمره ، ولم يكن يردّها فى شىء ، فقال : يضمنه أبوه فقد رُفع إلىّ فيه ، فضمنه يحيى ودفعه إليه ، ثم رضى عنه ، وخلع عليه ، وكان الرشيد قد عتب على الفضل ابن يحيى ، وثقل مكانه عليه لتركه الشّرب معه ؛ فكان الفضل يقول : لو علمتُ أن الماء ينقص من مروءتى ما شربته ؛ وكان مشغوفًا بالسماع . قال : وكان جعفر يدخل فى منادمة الرشيد ؛ حتى كان أبوه ينهاه عن منادمته ، ويأمره بترك الأنس به ، فيترك أمرَ أبيه ، ويدخل معه فيما يدعوه إليه .

٣/٦٧٦

وذكر عن سعيد بن هريم أنّ يحيى كتب إلى جعفر حين أعيتْه حيلته فيه : إنى إنما أهملتك ليعثُر الزّمان بك عثْرة تعرف بها أمرك ؛ وإن كنت لأخشى أن تكون التى لا شوَى لها[3] . قال : وقد كان يحيى قال للرشيد : يا أمير المؤمنينَ ، أنا والله أكره مداخلة جعفر معك ؛ ولست آمن أن ترجع العاقبة فى ذلك علىّ منك ، فلو أعفيته[4] واقتصرت به على ما يتولاّه من جسيم أعمالك ، كان ذلك واقعًا بموافقتى ، وآمن لك علىّ . قال الرّشيد : يا أبت ليس بك هذا ؛ ولكنك إنما تريد أن تقدّم عليه الفضل .

---

(١) س : « الاستلال » .
(٢) ج : « وأتاهم » ، والصواب ما أثبته من ا .
(٣) لا شوى لها : لا برء معها .
(٤) ط : « أعقبته » .

وقد حدثنى أحمد بن زهير — أحسِبه عن عمّه زاهر بن حرب — أنّ سبب هلاك جعفر والبرامكة أن الرّشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدىّ ، وكان يُحضرهما إذا جلس للشرب ؛ وذلك بعد أن أعلم جعفراً قلّةَ صبره عنه وعنها ، وقال لجعفر : أزوّجكَها ليحل لك النظر إليها إذا أحضرتها مجلسى ، وتقدّم إليه ألا يمسَّها ، ولا يكون منه شىء مما يكون للرجل إلى زوجته ؛ فزوّجها منه على ذلك ، فكان يُحضرهما مجلسه إذا جلس للشرب ، ثم يقوم عن مجلسه ويُخليهما ، فيثْمَلان من الشراب ، وهما شابّان ، فيقوم إليها جعفر فيجامعها ، فحملت منه وولدت غلامًا ، فخافت على نفسها من الرّشيد إن علم بذلك ، فوجّهت بالمولود مع حَواضِنَ له من مماليكها إلى مكّة ، فلم يزل الأمر مستورًا[1] عن هارون ، حتى وقع بين عباسة وبين بعض جواريها شرّ ، فأنهت أمرَها وأمر الصبىّ إلى الرشيد ، وأخبرته[2] بمكانه ؛ ومع مَن هو من جواريها ، وما معه من الحلْى الذى كانت زيّنته به أمه ؛ فلما حجّ هارون هذه الحَجّة ، أرسل إلى الموضع الذى كانت الجارية أخبرته أن الصبىّ به مَنْ يأتيه بالصبىّ وبمَنْ معه من حواضنه ، فلمّا أحضروا سأل اللواتى معهنّ الصبىّ ، فأخبرنَه بمثل القصة التى أخبرْته بها الرافعة على عبّاسة ، فأراد — فيما زُعم — قتلَ الصبىّ ، ثم تحوّب من ذلك .

٦٧٧/٣

وكان جعفر يتّخذ للرشيد طعامًا كلما حجّ بعُسفان فيقريه[3] إذا انصرف شاخصًا من[4] مكة إلى العراق ؛ فلما كان فى هذا العام ، اتّخذ الطعام جعفر كما كان يتخذه هنالك ، ثم استزاره فاعتلّ عليه الرشيد ، ولم يحضر طعامه ، ولم يزل جعفر معه حتى نزل منزله[5] من الأنبار ؛ فكان من أمره وأمر أبيه ما أنا ذاكره إن شاء الله تعالى .

* * *

ذكر الخبر عن مقتل جعفر

٦٧٨/٣

ذكر الفضل بن سليمان بن علىّ أن الرشيد حجّ فى سنة ست وثمانين ومائة

---

(١) ج : « مستتراً » . (٢) ج : « وخبرته » . (٣) س : « فيغذيه » .
(٤) س : « عن » . (٥) س : « نزل منزلا » .

وأنه انصرف من مكة، فوافى الحيرة فى المحرّم من سنة سبع وثمانين ومائة عند انصرافه من الحجّ، فأقام فى قصر عون العبادىّ أياماً، ثم شخص فى السّفن حتى نزل العُمْر الذى بناحية الأنبار، فلما كان ليلة السبت لانسلاخ المحرّم، أرسل مسروراً الخادم ومعه حمّاد بن سالم أبو عصمة فى جماعة من الجند، فأطافوا بجعفر بن يحيى ليلاً، ودخل عليه مسرور وعنده ابن بختيشوع المتطبّب وأبو زكّار الأعمى المغنّى الكلوذانىّ، وهو فى لهوه، فأخرجه إخراجاً عنيفاً يقوده، حتى أتى به المنزل الذى فيه الرّشيد، فحبسه وقيّده بقيد حمار، وأخبر الرشيد بأخذه إياه ومجيئه به، فأمر بضرب عنقه، ففعل ذلك.

وذكر عن علىّ بن أبى سعيد أن مسروراً الخادم، حدّثه قال: أرسلنى الرشيد لآتيه بجعفر بن يحيى لمّا أراد قتله، فأتيته وعنده أبو زكّار الأعمى المغنّى وهو يغنّيه:

فلا تَبْعَد فكلٌّ فتًى سيأتى عليه الموتُ يَطرُق أو يُغادِى

قال: فقلت له: يا أبا الفضل، الذى جئتُ له من ذلك قد والله طرقك، أجبْ أمير المؤمنين. قال: فرفع يدْيه، ووقع على رجلىّ يقبلهما، وقال: حتى أدخل فأوصى، قلت: أما الدّخول فلا سبيل إليه، ولكن أوْصِ بما شئت، فتقدّم فى وصيّته بما أراد، وأعتق مماليكه، ثم أتتنى رسلُ أمير المؤمنين تستحثّنى به، قال: فمضيتُ به إليه فأعلمته، فقال لى وهو فى فراشه: ائتنى برأسه، فأتيت جعفراً فأخبرته، فقال: يا أبا هاشم، اللهَ اللهَ! والله ما أمرك بما أمرك به إلا وهو سكران؛ فدافعْ بأمرى حتى أصبح أؤامره فىّ ثانية، فعدت لأؤامره، فلما سمع حسّى، قال: يا ماصّ بَظْر أمّه، ائتنى برأس جعفر! فعدتُ[1] إلى جعفر، فأخبرته، فقال: عاوده فى ثالثة، فأتيته، فحذفنى بعمود ثم قال: نُفيت من المهدىّ إن أنت جئتَنى ولم تأتنى برأسه، لأرسلنّ إليك مَنْ يأتينى برأسك أولا، ثم برأسه آخراً. قال: فخرجت فأتيته برأسه.

٣/٦٧٩

(١) س: «فأتيت».

قال : وأمر الرشيد فى تلك الليلة بتوجيه من أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ، ومن كان منهم [1] بسبيل، فلم يفلت منهم أحد كان حاضراً ، وحوّل الفضل بن يحيى ليلا فحُبس فى ناحية من منازل الرّشيد ، وحُبِس يحيى ابن خالد فى منزله ، وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك ، ومنع أهل العسكر من أن يخرج منهم خارج إلى مدينة السلام أو إلى غيرها ، ووجّه من ليلته رَجاء الخادم إلى الرّقة فى قبض أموالهم وما كان لهم ؛ وأخذ كل ما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم ، وولاّه أمورهم ، وفرّق الكتب من ليلته إلى جميع العمّال فى نواحى البلدان والأعمال بقبض أموالهم ، وأخذ وكلائهم .
فلمّا أصبح بعث بجُثّة جعفر بن يحيى مع شعبة الخفتانىّ وهَرْثمَة بن أعيَن وإبراهيم بن حميد المَرْورُّوذىّ، وأتبعهم عدّةً من خدمه وثقاته؛ منهم مسرور ٣/٦٨٠ الخادم إلى منزل جعفر بن يحيى ، وإبراهيم بن حميد وحسين الخادم إلى منزل الفضل بن يحيى، ويحيى بن عبد الرحمن ورشيد الخادم إلى منزل يحيى ومحمد ابن يحيى ، وجعل معه هرثمة بن أعين ، وأمر بقبض جميع ما لهم، وكتب إلى السندىّ الحرشىّ بتوجيه جيفة جعفر إلى مدينة السلام ، ونصْب رأسه على الجسر الأوسط وقطْع جثّته ، وصلْب كلّ قطعة منها على الجسر الأعلى والجسر الأسفل . ففعل السندىّ ذلك ، وأمضى الخدم ما كانُوا وجّهوا فيه ، وحمل عدة من أولاد الفضل وجعفر ومحمد الأصاغر إلى الرّشيد ، فأمر بإطلاقهم، وأمر بالنداء فى جميع البرامكة : ألاّ أمان لمن آواهم إلا محمد بن خالد وولده وأهله وحشمه ؛ فإنه استثناهم ؛ لما ظهر من نصيحة محمد له ، وعَرَفَ براءته ممّا دخل فيه غيرُه من البرامكة . وخلّى سبيل يحيى قبل شخوصه من العُمْر ، ووكّل بالفضل ومحمد وموسى بنى يحيى، وبأبى المهدىّ صهرهم حَفَظةً من قِبل هَرْثمَة بن أعين، إلى أن وافَى بهم الرّقة ، فأمر الرشيد بقتل أنس بن أبى شيْخ يوم قدِم الرّقة، وتولّى قتله إبراهيم بن عثمان بن نهيك، ثم صلب . وحُبِس يحيى بن خالد مع الفضل ومحمد فى دَير القائم ، وجعل عليهم حفظة من قِبل مسرور الخادم وهَرْثمة بن أعين، ولم يفرّق بينهم وبين عدّة

---

(١) س : « منه » .

٦٨١/٣ من خدمهم ، ولا ما يحتاجون إليه ، وصيّر معهم زُبيدة بنت مُنير أمّ الفضل ودنانير جارية يحيى وعدّة من خدَمهم وجواريهم . ولم تزل حالهم سهلة إلى أن سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح ، فعمّهم بالتثقيف[1] بسخطه ، وجُدّد له ولهم التّهمة عند الرّشيد ، فضيّق عليهم .

وذكر الزبير بن بكار أنّ جعفر بن الحسين اللّهبيّ حدثه أن الرشيد أُتِيَ بأنس ابن أبى شيخ صبح الليلة التى قتل فيها جعفر بن يحيى ، فدار بينه وبينه كلام ، فأخرج الرشيد سيفاً من تحت فراشه ، وأمر أن تضرَب عنقه ، وجعل يتمثّل ببيت قيل فى قتل أنس قبل ذلك :

تَلَمَّظَ السَّيْفُ من شوْق إلى أنسٍ فَالسيف يَلحَظُ وَ الأَقدارُ تَنْتَظِرُ

قال : فضرب عنقَه ، فسبق السيف الدم ، فقال الرشيد : رحم الله عبدالله ابن مصعب . وقال الناس : إن السيف كان سيف الزبير بن العوام .

وذكر بعضهم أن عبد الله بن مُصعب كان على خبَر الناس للرشيد ، فكان أخبره عن أنس أنه على الزندقة ، فقتله لذلك ، وكان أحد أصحاب البرامكة .

وذكر محمد بن إسحاق أنّ جعفر بن محمد بن حكيم الكوفىّ ، حدّثه قال : حدّثنى السندىّ بن شاهك ، قال : إنى لجالسٌ يوماً ، فإذا أنا بخادم قد قدم على البريد ، ودفع إلىّ كتاباً صغيراً ، ففضضته ، فإذا كتاب الرشيد بخطه فيه :

٦٨٢/٣ بسم الله الرحمن الرحيم : يا سندىّ ، إذا نظرت فى كتابى هذا ، فإن كنت قاعداً فقم ، وإن كنت قائماً فلا تقعد حتى تصير إلىّ . قال السندىّ : فدعوت بدوابى ، ومضيت . وكان الرشيد بالعُمر ؛ فحدّثنى العباس بن الفضل بن الربيع ، قال : جلس الرّشيد فى الزوّ[2] فى الفرات ينتظرك ، وارتفعت غبْرةٌ ، فقال لى : يا عباس ، ينبغى أن يكون هذا السندىّ وأصحابه ! قلت : يا أمير المؤمنين ،

---

(١) عمهم بالتثقيف بسخطه ، أى أخذهم بذلك .

(٢) الزو : نوع من السفن .

ماأشبهه أن يكون هو ! قال: فطلعت. قال : السندىّ: فنزلت عن دابتى[1]، ووقفت ، فأرسل إلىّ الرشيد فصرت إليه ، ووقفت ساعة بين يديه ، فقال لمن كان عنده من الخدم : قوموا ، فقاموا فلم يبقَ إلاّ العباس بن الفضل وأنا، ومكث ساعة ، ثم قال للعباس : اخرج ومُرْ برفع التخاتج المطروحة على الزّوّ ، ففعل ذلك ، فقال لى : ادنُ منى ، فدنوت منه ، فقال لى: تدرى فيمَ أرسلت إليك ؟ قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : قد بعثت إليك فى أمر لو علم به زرّ قميصى رميتُ به فى الفرات ، يا سندىّ مَنْ أوثق قوّادى عندى ؟ قلت : هرثمة ، قال : صدقت ، فمن أوثق خدمى عندى ؟ قلت : مسرور الكبير ، قال : صدقت ، امض من ساعتك هذه وجدّ فى سيرك حتى توافى مدينةَ السلام ، فاجمع ثقات أصحابك وأرباعك ، ومُرهم أن يكونوا وأعوانهم على أهبة[2] فإذا انقطعت الزَّجَل[3]، فصر إلى دور البرامكة ، فوكل بكلّ باب من أبوابهم صاحب ربع ، ومرْه أن يمنع مَنْ يدخل ويخرج — خلا باب محمد بن خالد — حتى يأتيَك أمرى. قال : ولم يكن حرّك البرامكة فى ذلك الوقت . قال السندىّ : فجئت أركض ، حتى أتيت مدينة السلام ، فجمعت أصحابى ، وفعلت ما أمرنى به . قال: فلم ألبث أن أقدم علىّ هرثمة ابن أعين ، ومعه جعفر بن يحيى على بغلٍ بلا أكاف، مضروب العنق، وإذا كتاب أمير المؤمنين يأمرنى أن أشطره باثنين ؛ وأن أصلبه على ثلاثة جسور . قال : ففعلت ما أمرنى به . ٣/٦٨٣

قال محمد بن إسحاق : فلم يزل جعفر مصلوبًا حتى أراد الرشيد الخروج إلى خُراسان ، فمضيت فنظرت إليه ، فلما صار بالجانب الشرقىّ على باب خزيمة بن خازم، دعا بالوليد بن جُشم الشارى من الحبْس، وأمر أحمد بن الجنيد الخُتّلىّ —وكان سيّافه— فضرب عنقه، ثم التفت إلى السندىّ ، فقال : ينبغى أن يحرق هذا — يعنى جعفراً — فلما مضى ، جمع السندىّ له شوكاً وحطباً وأحرقه .

---

(١) ا ، س : « دواب » . (٢) ج : « على أهبة وأعوانهم » .
(٣) الزجل : الجماعة من الناس .

وقال محمد بن إسحاق : لما قتل الرّشيد جعفر بن يحيى ، قيل ليحيى بن خالد : قتل أمير المؤمنين ابنَك جعفرًا ، قال : كذلك يُقتَل ابنُه ، قال : فقيل له : خربت ديارك ، قال : كذلك تُخرَب دورهم .

وذكر الكرمانىّ أن بشارًا التركىّ حدّثه أن الرشيد خرج إلى الصيد وهو بالعُمْر فى اليوم الذى قتل جعفرًا فى آخره ؛ فكان ذلك اليوم يوم جمعة ، وجعفر ابن يحيى معه ، قد خلاَ به دون ولاة العهد ؛ وهو يسير معه ، وقد وضع يده على عاتقه ؛ وقبل ذلك ما غلّفه بالغالية بيد نفسه ؛ ولم يزل معه ما يفارقه حتى انصرف مع المغرب ، فلما أراد الدخول ضمّه إليه ، وقال له : لولا أنى على الجلوس الليلة مع النّساء لم أفارقك ، فأقم أنت فى منزلك ، واشرب أيضًا واطرب ؛ لتكون أنت فى مثل حالى ، فقال : لا والله ما[1] أشتهى ذلك إلاّ معك ، فقال له : بحياتى لما شربت ؛ فانصرف عنه إلى منزله ؛ فلم تزل رسُل الرشيد عنده ساعة بعد ساعة تأتيه بالأنفال والأبخرة والرياحين ؛ حتى ذهب الليل . ثم بعث إليه مسروراً فحبس عنده ، وأمر[2] بقتله وحَبْس الفضل ومحمد وموسى ، ووكّل سلامًا الأبرش بباب يحيى بن خالد ، ولم يعرض لمحمد بن خالد ولا لأحد من ولده وحَشمه . ٣/٦٨٤

قال : فحدثنى العباس بن بزيع عن سلاّم ، قال : لمّا دخلت على يحيى فى ذلك الوقت — وقد هُتكت الستور وجُمع المتاع — قال لى : يا أبا سلمة ؛ هكذا تقوم الساعة! قال سلاّم : فحدثت بذلك الرشيد بعد ما انصرفت إليه ؛ فأطرق مفكّراً .

قال وحدثنى أيوب بن هارون بن سليمان بن علىّ ، قال : كان سكنى إلى يحيى ، فلما نزلوا الأنبار خرجت إليه فأنا معه فى تلك العشيّة التى كان آخر أمره ، وقد صار إلى أمير المؤمنين فى حَرّاقته ، فدخل إليه من باب صاحب الخاصّة ، فكلّمه فى حوائج الناس وغيرها من إصلاح الثغور وغزو البحر ، ثم خرج ، فقال للناس : قد أمر أمير المؤمنين بقضاء حوائجكم ، وبعث إلى

---

(١) ا ، س : « لا » . (٢) ج : « ثم أمره » .

أبى صالح يحيى بن عبدالرحمن يأمره بإنفاذ ذلك، ثم لم يزل يحدّثنا عن أبى مسلم وتوجيه معاذ بن مسلم حتى دخل منزله بعد المغرب ، ووافانا فى وقت السّحَر خبرُ مقتل جعفر وزوال أمرهم. قال : فكتبت إلى يحيى أعزّيه ، فكتب إلىّ : أنا بقضاء الله راض ، وبالخيار منه عالم ، ولا يؤاخذ الله العباد إلا بذنوبهم ، وما ربك بظلام للعبيد . وما يعفو الله أكثر ، ولله الحمد .

٣/٦٨٥

قال : وقتل جعفر بن يحيى فى ليلة السبت أول ليلة من صفر سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، وكانت الوزارة إليهم سبع عشرة سنة — وفى ذلك يقول الرّقاشىّ :

أيا سَبْتُ يا شرّ السُّبوتِ صَبيحةً ويا صفَرُ المَشئُومُ ما جئتَ أشأما
أتَى السَّبْتُ بالأمْرِ الَّذى هَدَّ ركنَنا وفى صَفَرٍ جاءَ البلاءُ مُصَمِّما

قال : وذُكر عن مسرور أنه أعلم الرّشيد أن جعفرًا سأله أن تقع عينه عليه ، فقال : لا ، لأنه يعلم إن وقعت عينى عليه لم أقتله .

* * *

[ما قيل فى البرامكة من الشعر بعد زوال أمرهم]

قال : وفيهم يقول الرّقاشىّ ، وقد ذكر أن هذا الشعر لأبى نواس :

ألَانَ استرحنا واستراحت رِكابُنَا وأمسَكَ من يُجْدِى ومن كان يَجْتَدِى
فَقُلْ لِلمَطَايا قد أَمِنتِ من السُّرَى وطَىِّ الفيافى فَدْفَدًا بعدَ فَدفَدِ
وقُلْ للمَنايا :قد ظَفِرتِ بجَعْفرٍ ولن تَظفَرِى من بعدِهِ بمُسَوَّدِ
وقُلْ للعطايا بَعدَ فضلٍ تَعَطَّلِى وقُلْ للرزايا كلَّ يومٍ تجَدَّدى
ودُونَكِ سيفاً برمكيًّا مُهَنَّدًا أصيبَ بسيفٍ هاشمىٍّ مُهَنَّدِ

٣/٦٨٦

وفيهم يقول فى شعر له طويل :

إن يغدُرِ الزَّمَنُ الخَئُون بنا فَقدْ غَدَرَ الزَّمان بجعفرٍ ومُحَمَّدِ
حَتَّى إذا وضح النهارُ تكشَّفَتْ عن قتلِ أكْرَمِ هَالكٍ لم يُلحَدِ

والبِيضُ لوْلا أنَّهَا مأْمُورةٌ ... ما فُلَّ حدُّ مُهَنَّدٍ بمهنَّد
يا آلَ برمَكَ كَمْ لكُمْ من نائِلٍ ... ونَدًى، كَعَدِّ الرَّملِ غيْرَ مُصَرَّدِ
إنَّ الخليفةَ — لايُشكُّ — أخوكُمُ ... لكنَّه في برمَكٍ لم يُولَدِ
نازعتموه رضاعَ أكرم حُرَّةٍ ... مخلوقةٍ من جَوْهرٍ وزبرجدِ
مَلكٌ له كانت يدٌ فَيَّاضَةٌ ... أبدًا تَجودُ بطارفٍ وبمُتلَدِ
كانت يدًا للجودِ حتى غلَّها ... قَدَرٌ فأَضحى الجود مغلولَ اليدِ

وفيهم يقول سيف بن إبراهيم :

٦٨٧/٣

هوَتْ أنجُمُ الجَدوَى وَشَلَّتْ يدُ النَّدَى ... وغاضَت بُحورُ الجودِ بعدَ البرامِكِ
هوت أَنجمٌ كانت لأَبناءِ برمكٍ ... بها يعرِفُ الحادى طريقَ المسالكِ

وقال ابن أبي كريمة :

كلُّ مُعيرٍ أُعِيرَ مَرتَبَةً ... بعدَ فتى برمكٍ على غَرَرِ
صالَت عليه من الزمان يدٌ ... كان بها صائلا على البَشرِ

وقال العطوىّ أبو عبد الرحمن :

أَمَا واللهِ لولاَ قولُ واشٍ ... وعَينٌ للخليفة لا تنامُ
لطُفْنَا حَوْلَ جِذعكَ واستلَمْنا ... كما للنَّاس بالحَجَرِ اسْتلامُ
علَى الدنيا وَساكِنِها جميعاً ... وَدَوْلَةِ آل برمكٍ السّلامُ

وفي قتل جعفر قال أبو العتاهية :

قُولَا لمنْ يَرْتَجِى الحياةَ أَمَا ... فى جَعْفَرٍ عِبرَةٌ وَيَحياهُ!
كانَا وَزيرَىْ خليفة اللهِ ها ... رونَ هُمَا ما هما خليلَاهُ
فذاكُمُ جعفرٌ برُمَّتِــهِ ... فى حالق رَأْسُهُ ونصفاهُ

والشيخُ يحيى الوزيرُ أصبحَ قد نحَّاهُ عن نفْسِه وَأقصاهُ

٣/٦٨٨ شُتِّتَ بعدَ التجميع شملُهُمُ فأَصْبَحُوا فى البلاد قد تاهُوا

كذاكَ مَن يُسْخِطِ الإلهَ بما يُرضِى به العبدَ يَجزِهِ اللهُ

سبْحانَ من دانَتِ الملوكُ له أَشهدُ أَن لا إِلٰه إلا هُو

طُوبَى لمن تابَ بعدَ غِرَّتِهِ فتابَ قبلَ المماتِ، طُوبَاهُ!

* * *

قال: وفى هذه السنة هاجت العصبيّة بدمشق بين المضريَّة واليمانية، فوجَّه الرشيد محمد بن منصور بن زياد فأصلح بينهم .

وفيها زُلزلت المَصِّيصة فانهدم بعض سورها، ونضب ماؤهم ساعة الليل .

وفيها خرج عبد السلام بآمِد، فحكّم، فقتله يحيى بن سعيد العُقَيْلى .

وفيها مات يعقوب بن داود بالرّقّة .

وفيها أغزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة، فوهبه لله، وجعله قرباناً له ووسيلة، وولاه العواصم .

* * *

[ذكر الخبر عن غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح]

وفيها غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح وحبسه .

* ذكر الخبر عن سبب غضبه عليه وما أوجب حبسه :

ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أنّ عبد الملك بن صالح كان له ابن يقال له عبد الرحمن، كان من رجال الناس، وكان عبد الملك يكنى به ؛ ٣/٦٨٩ وكان لابنه عبد الرحمن لسان، على فأفأة فيه، فنصب لأبيه عبد الملك وقُمامة[1]، فسعيا به إلى الرشيد، وقالا له: إنه يطلب الخلافة ويطمع فيها، فأخذه وحبسه عند الفضل بن الربيع ؛ فذُكر أن عبد الملك بن صالح أدخِل على الرشيد حين سخط عليه، فقال له الرّشيد : أكفراً بالنعمة، وجحوداً لجليل المنّة

---

(١) ابن الأثير : « فسعى بأبيه هو وقمامة كاتب أبيه » .

والتكرمة! فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لقد بؤتُ إذاً بالندم، وتعرّضت لاستحلال النِّقم ؛ وما ذاك إلا بغيُ حاسد نافسني فيك مودّة القرابة وتقديم الولاية. إنّك يا أمير المؤمنين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمّته، وأمينُه على عِترته ، لك فيها فرض[1] الطاعة وأداء النصيحة ، ولها عليك العدْل فى حكمها والتثبّت فى حادثها ، والغفران لذنوبها . فقال له الرشيد: أتَضع لى من لسانك، وترفع لى من جنانك ! هذا كاتبك قُمامة يخبر بغلّك، وفساد نيتك ، فاسمع كلامه . فقال عبد الملك : أعطاك ما ليس فى عقده ؛ ولعله لا يقدر أن يعضهنى ولا يبهتنى بما لم يعرفه منى . وأحضِر قُمامة ، فقال له الرشيد : تكلّم غير هائب ولا خائف ، قال : أقول : إنه عازم على الغدْر بك والخلاف عليك ، فقال عبد الملك : أهو كذاك يا قمامة ! قال قمامة : نعم ، لقد أردتَ ختْل أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : كيف لا يكذِب علىّ من خلفى وهو يبهتنى فى وجهى ! فقال له الرّشيد : وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرنى بعتوّك[2] وفساد نيّتك ، ولو أردتُ أن أحتجّ عليك بحجة لم أجد أعدل من هذين لك ، فبم تدفعهما عنك؟ فقال عبد الملك بن صالح : هو مأمور، أو عاقّ مجبور[3] ؛ فإن كان مأموراً فمعذور[4] ، وإن كان عاقّاً ففاجر كفور ؛ أخبر الله عز وجل بعداوته ، وحذّر منه بقوله : ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾[5] .

٣/٦٩٠

قال : فنهضَ الرشيد ، وهو يقول : أمّا أمرك فقد وَضح ؛ ولكنى لا أعجَل حتى أعلم الذى يُرضى الله فيك ؛ فإنه الحكم بينى وبينك . فقال عبد الملك : رضيتُ بالله حكَما ، وبأمير المؤمنين حاكماً ؛ فإنى أعلم أنه يُؤثر كتابَ الله على هواه ، وأمرَ الله على رضاه .

قال : فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر ، فسلّم لما دخل ، فلم يردّ عليه ، فقال عبد الملك : ليس هذا يوماً أحتجّ فيه ، ولا أجاذب منازعاً

---

(١) س : « علينا فرض الطاعة » .
(٢) ج : « بغلك » .
(٣) س : « مجنون » .
(٤) ج : « فغرور » .
(٥) سورة التغابن ١٤ .

وخصماً . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّ أوله جرى على غير السنّة ؛ فأنا أخاف آخره . قال : وما ذاك ؟ قال : لم تردّ علىّ السلام ، أنصفْ نَصفة العوام . قال : السلام عليكم ؛ اقتداء بالسنة ، وإيثاراً للعدل ، واستعمالا للتحية . ثم التفت نحو سليمان بن أبى جعفر ، فقال وهو يخاطب بكلامه عبد الملك :

أريدُ حَياتَه ويُريدُ قتلى * ... البيت[1] .

ثم قال : أما والله لكأنى أنظُر إلى شؤبوبها[2] قد همع ، وعارضها[3] قد لمع ؛ وكأنى بالوعيد قد أورى ناراً تَسْطع ، فأقلع[4] عن براجم بلا معاصم[5] ورءوس بلا غلاصم[6] ؛ فمهلاً ؛ فَبِى والله سهّل لكم الوعْر ، وصفا لكم الكدر ، وألقت إليكم الأمورُ أثناء أزمّتها ، فنذارِ لكم نذار ، قبل حلول داهية خَبوط باليد ، لبوط بالرجْل. فقال عبد الملك: اتقّ الله يا أمير المؤمنين فيما ولاّك ، وفى رعيته التى استرعاك ؛ ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضع الثواب ، فقد نخلتُ لك النصيحة ، ومحضتُ لك الطاعة . وشددت أواخِىَ ملكك بأثقل من رُكْنَىْ يَلَمْلَم ، وتركتُ عدوّك مشتغلا . فاللهَ اللهَ فى ذى رحمِك أن تقطَعه ، بعد أن بلّته بظنّ أفصح الكتابُ لى بعضَهه ، أو ببغى باغ ينهس اللحم ، ويالَغُ الدم[8] ، فقد والله سهّلتُ لك الوعور ، وذلّلت لك الأمور ، وجمعت على طاعتك القلوب فى الصدور ؛ فكم من ليلِ تمام فيك كابدْتُه ، ومقام ضيّق قمته ؛ كنت كما قال أخو بنى جعفر بن كلاب :

٦٩١/٣

وَمَقَامٍ ضَيِّق فَرَّجتهُ ... بِبَنانى وَلسانى وَجَدَلْ
لو يقومُ الفيلُ أَو فَيَّالهُ ... زَلَّ عن مِثلِ مقامى وزَحَلْ

٦٩٢/٣

(١) لعمرو بن معدى كرب ، اللآلى ١٣٨ ، وبقيته :

* عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ *

(٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر . (٣) العارض : السحاب المعترض فى الأفق .
(٤) ج : « فتقلع » . (٥) البراجم : مفاصل الأصابع . والمعصم : اليد ؛ وجمعه معاصم . (٦) الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق ؛ وجمعه غلاصم .
(٧) أعضه فلاناً : بهته وقال ما ليس فيه .
(٨) ولغ الكلب فى الإناء ، يلغ ويالغ ، أى شرب منه .

قال : فقال له الرّشيد : أما والله لولا الإبقاء على بنى هاشم لضربت عنقك .

وذكر زيد بن على بن الحسين العلوىّ، قال : لمّا حبس الرشيد عبدالملك ابن صالح، دخل عليه عبد الله بن مالك — وهو يومئذ على شُرطه — فقال : أفى إذن أنا فأتكلم ؟ قال : تكلم، قال : لا ، والله العظيم يا أمير المؤمنين ، ما علمتُ عبدَ الملك إلا ناصحًا ، فعلام حبستَه ! قال : ويحك ! بلغنى عنه ما أوحشنى ولم آمنه أن يضرب بين[1] ابنىّ هذين — يعنى الأمين والمأمون — فإن كنتَ ترى أن نطلِقه[2] من الحبس[3] أطلقناه . قال : أمّا إذْ حبستَه يا أميرَ المؤمنين ، فلست أرى فى قرب المدة أن تطلقه ؛ ولكن أرى أن تحبسه محبسًا كريمًا يشبه محبس[4] مثلِك مثلَه . قال : فإنى أفعل . قال : فدعا الرّشيد الفضلَ بن الربيع ، فقال : امضِ إلى عبد الملك بن صالح إلى محبسِه ، فقل له : انظر ما تحتاج إليه فى محبسك فأمُرْ به حتى يقام لك ؛ فذكر قصته وما سأل .

قال : وقال الرّشيد يومًا لعبد الملك بن صالح فى بعض ما كلّمه : ما أنت لصالح ! قال : فلمن أنا ؟ قال : لمروان الجعدىّ ، قال : ما أبالى أىّ الفحْلين غلب علىّ ؛ فحبسه الرّشيد عند الفضل بن الربيع ؛ فلم يزل محبوسًا حتى تُوُفّىَ الرّشيد ، فأطلقه محمد، وعقد له على الشأم؛ فكان مقيمًا بالرّقة ، وجعل لمحمد عهدَ الله وميثاقه : لئن قتِل وهو حىّ لا يعطى المأمون طاعةً أبدًا . فمات قبل محمد، فدُفن فى دار من دور الإمارة ، فلما خرج المأمون يريد الروم أرسل إلى ابن له : حوّل أباك من دارى ، فنُبشَتْ عظامه وحُوّلت . وكان قال لمحمد : إن خفتَ فالجأ إلىّ ، فوالله لأصوننّك .

٦٩٣/٣

وذكر أن الرشيد بعث فى بعض أيامه إلى يحيى بن خالد : إن عبد الملك ابن صالح أراد الخروج ومنازعتى فى الملك ، وقد علمتَ ذلك ، فأعلمنى ما عندك فيه ، فإنك إن صدقتنى أعدتُك إلى حالك . فقال : والله يا أمير المؤمنين ما اطّلعت من عبد الملك على شىء من هذا ؛ ولو اطّلعت عليه لكنت صاحبه

(١) س : « بينى وبين ابنى » .
(٢) س : « أطلقه » .
(٣) س : « السجن » .
(٤) س : « حبس » .

دونك ؛ لأن ملكك كان ملكى ، وسلطانك كان سلطانى ، والخير والشرّ كان فيه علىّ ولى ؛ فكيف يجوز لعبد الملك أن يطمع فى ذلك منى ! وهل كنتُ إذا فعلتُ ذلك به يفعل بى أكثر من فعلك ! أعيذك بالله أن تظنّ بى هذا الظنّ ؛ ولكنه كان رجلاً محتملا ، يسرّنى[١] أن يكون فى أهلك مثله ، فوليته ، لما أحمدت من مذهبه ، وملت إليه لأدبه واحتماله . قال : فلما أتاه الرسول بهذا أعاد إليه ، فقال : إن أنت لم تقرّ عليه قتلتَ الفضل ابنك[٢] ، فقال له : أنت مسلّط علينا فافعل ما أردت ؛ على أنه إن كان من هذا الأمر شىء فالذنب فيه لى ، فبمَ[٣] يدخل الفضل فى ذلك[٤] ! فقال الرسول للفضل : قم ؛ فإنه لا بدّ لى من إنفاذ أمر أمير المؤمنين فيكَ ؛ فلم يشكّ أنه قاتله ، فودّع أباه ، وقال له : ألستَ راضيًا عنى ؟ قال : بلى ، فرضى الله عنك . ففرّق بينهما ثلاثة أيام ؛ فلما لم يجد عنده من ذلك شيئًا جمعهما كما كانا .

وكان يأتيهم منه أغلظ رسائل ، لما كان أعداؤهم يقرفونهم به عنده ، فلما أخذ مسرور بيد الفضل كما أعلمه[٥] ، بلغ من يحيى ، فأخرج ما فى نفسه ، فقال له : قل له : يُقتَل ابنُك مثله . قال مسرور : فلما سكن عن الرشيد الغضب ، قال : كيف قال ؟ فأعدت عليه القول ، قال : قد خفت والله قولَه ؛ لأنه قلّما قال لى شيئًا إلا رأيتُ تأويله .

٣/٦٩٤

وقيل : بينما الرّشيد يسير وفى موكبه عبد الملك بن صالح ، إذ هتف به هاتف وهو يُساير عبد الملك ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، طأطئ من إشرافه وقصّر من عنانه ، واشدُدْ من شكائمه ؛ وإلاّ أفسد عليك ناحيته . فالتفت إلى عبد الملك ، فقال : ما يقول هذا يا عبد الملك ؟ فقال عبد الملك : مقال باغ ودسيس حاسد ؛ فقال له هارون : صدقت ، نَقَصَ القوم ففضلتَهم ، وتخلّفوا وتقدّمتَهم ؛ حتى برز شأوك ، فقصّر عنه غيرُك ؛ ففى صدورهم جمرات التخلّف ، وحزازات النقص . فقال عبد الملك : لا أطفأها الله وأضرمها عليهم حتى تورثهم كمداً دائمًا أبداً .

---

(١) س : « فسرنى » .
(٢) س : « يعنى ابنه » .
(٣) ا ج : « فما يدخل الفضل » .
(٤) س : « هذا » .
(٥) كذا فى ا وفى ط : « لما أعلمه » .

وقال الرشيد لعبد الملك بن صالح وقد مرّ بمنبج، وبها مستقرّ عبد الملك : هذا منزلك ؟ قال: هو لك يا أمير المؤمنين ، ولى بك . قال : كيف هو ؟ قال: دون بناء أهلِى وفوق منازل مَنْبج، قال: فكيف ليلها ؟ قال : سَحَرٌ كله .

* * *

[ذكر الخبر عن دخول القاسم بن الرشيد أرض الرّوم]

وفى هذه السنة دخل القاسم بن الرشيد أرضَ الروم فى شعبان ، فأناخ على قُرّة وحاصرها ، ووجّه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، فأناخ على حصن سنان حتى جهدوا ، فبعثت إليه الروم تبذُل له ثلثمائة وعشرين رجلا من أسارى المسلمين ؛ على أن يرحل عنهم ؛ فأجابهم إلى ذلك ، ورحَل عن قرّة وحصّن سنان صلحًا .

ومات علىّ بن عيسى بن موسى فى هذه الغزاة بأرض الروم ، وهو مع القاسم . ٦٩٥/٣

* * *

[ذكر الخبر عن نقض الروم الصلح]

وفى هذه السنة نقضَ صاحب الرّوم الصّلح الذى كان جرى بين الذى قبله وبين المسلمين ، ومنع ما كان ضمنه الملك لهم قبله .

* ذكر الخبر عن سبب نقضهم ذلك :

وكان سبب ذلك أن الصلح كان جرى بين المسلمين وصاحب الروم وصاحبتهم يومئذ رينى — وقد ذكرنا قبل سبب الصلح الذى كان بين المسلمين وبينها — فعادت الرّوم على رينى فخلعتْها ، وملّكت عليها نقفور . والروم تذكر أن نقفور هذا من أولاد جَفْنة من غسان ، وأنه قبل الملك كان يلِى ديوان الخراج ، ثم ماتت رينَى بعد خمسة أشهر من خلع الروم إياها ؛ فذُكر أن نقفور لما ملك واستوسقت له الرّوم بالطاعة ، كتب إلى الرشيد :

من نقفور ملك الروم ، إلى هارون ملك العرب ؛ أما بعد ؛ فإن الملكة التى كانت قبلى ، أقامتك مقام الرّخّ، وأقامت نفسها مقام البَيْدق، فحملتْ

إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثالها إليها ؛ لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن ؛ فإذا قرأت كتابي فارْدُدْ ما حصل قِبَلك من أموالها، وافتدِ نفسك بما يقع به المصادرة لك ، وإلا فالسيف بيننا وبينك .

قال : فلما قرأ الرّشيد الكتاب ، استفزّه الغضب حتى لم يمكن أحداً أن ينظر إليه دون أن يخاطبه ؛ وتفرّق جلساؤه خوفاً من زيادة قول أو فعل يكون منهم ؛ واستعجم الرأى على الوزير من أن يشير عليه أو يتركه يستبدّ برأيه دونه ، فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم؛ قد قرأت كتابك يابن الكافرة ، والجواب ما تراه دون أن تسمعه. والسلام . ٦٩٦/٣

ثم شخص من يومه ، وسار حتى أناخ بباب هِرَقْلَة ، ففتح وغنِم ، واصطفى وأفاد ، وخرّب وحرّق ، واصطلم . فطلب نقفور الموادعة على خراج يؤدّيه فى كلّ سنة ؛ فأجابه إلى ذلك ، فلما رجع من غزوته ، وصار بالرّقة نقض نقفور العهد ، وخان الميثاق . وكان البرد شديداً ، فيئس نقفور من رَجْعته إليه ، وجاء الخبر بارتداده عما أخِذ عليه ؛ فما تهيأ لأحد إخباره بذلك إشفاقاً عليه وعلى أنفسهم من الكرّة فى مثل تلك الأيام ، فاحتيل له بشاعر من أهل خُرّة[1] يكنى أبا محمد عبدالله بن يوسف — ويقال : هو الحجاج بن يوسف التيميّ ، فقال :

نَقَضَ الذِى أَعْطَيْتَهُ نِقْفُورُ ... وعليْهِ دائرةُ الْبَوارِ تَدورُ[2]

أَبْشِرْ أَميرَ المؤمنين فإنه ... غُنْمٌ أَتاكَ بِهِ الإِلٰهُ كبيرُ

فلقَدْ تَباشَرَتِ الرَّعيَّة أَنْ أَتى ... بالنَّقْضِ عَنْهُ وافِدٌ وَبشيرُ

وَرَجَتْ يمينَكَ أَنْ تعجِّلَ غَزْوَةً ... تشفى النفوسَ مكانُها مَذْكورُ

أَعْطاكَ جِزْيتَهُ وطأْطأَ خَدَّهُ ... حَذَرَ الصَّوارِمِ والرَّدَى مَحْذورُ

---

(١) ط : « جنده » ، وما أثبته من ا .

(٢) بعده فى ابن الأثير :

فتح يزيد على الفتوحِ يؤُمُّنا ... بالنَّصْرِ فيه لواؤك المنصور

فأَجرْتَه مِن وَقْعِها وكأَنَّها (١) بأَكفنا شُعَلُ الضِّرامِ تَطيرُ (٢)
وَصَرَفْتَ بالطَّولِ العساكِر قافِلاً (٣) عنْهُ وَجارُك آمِنٌ مَسْرورُ ٦٩٧/٣
نِقْفُورُ إنَّك حينَ تَغْدِرُ إنْ نأَى عنكَ الإمامُ لجاهِلٌ مَغْرُورُ
أظننْتَ حين غَدَرْتَ أَنكَ مُفْلِتٌ (٤) هبلَتْكَ أُمكَ ما ظَنَنْتَ غُرور!
أَلقاكَ حَيْنُكَ فى زواجِرِ بَحْرِه فَطَمَتْ عليكَ مِنَ الإمامِ بُحورُ
إنَّ الإمامَ على اقْتسارِكَ قادِرٌ قَرُبَتْ دِيارُكَ أَمْ نأَتْ بكَ دُورُ
ليسَ الإمام وَإنْ غَفَلنا غافِلاً عمَّا يَسوسُ بِحَزْمِهِ ويُدِيرُ
مَلِكٌ تجَرَّد للجِهَادِ بنَفسِهِ فَعَـــدُوُّهُ أَبَدًا بِهِ مَقْهورُ
يا مَنْ يُرِيدُ رضَا الإلٰهِ بِسَعْيِهِ واللهُ لا يَخفَى عليْهِ ضَميرُ
لا نُصْح يَنْفَعُ مَنْ يَغُشُّ إمامَهُ والنصْحُ مِنْ نَصَحائِهِ مشكورُ
نصْحُ الإمامِ على الأَنامِ فَريضَةٌ وَلأَهلِها كفَّارَةٌ وَطَهورُ

وفى ذلك يقول إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية :

إمامَ الهُدَى أَصْبَحْتَ بالدينِ مَعْنِيًّا وأَصبَحتَ تَسْقِى كلَّ مُسْتمطِرٍ رِيًّا
لكَ اسْمانِ شُقَّا مِنْ رَشادٍ وَمِنْ هُدًى فأَنْتَ الذِى تدعى رَشيدًا ومَهْدِيًّا
إذا ماسَخِطْتَ الشَّىءَ كانَ مُسَخَّطًا وإنْ تَرْضَ شيئاً كانَ فى الناسِ مَرْضِيًّا
بَسَطتَ لنا شَرْقاً وَغَرْباً يَدَ العُلا فأَوْسَعْتَ شَرقِيًّا وَأَوْسعْتَ غَرْبِيًّا
ووشَّيتَ وجْه الأَرضِ بالجُودِ والنَّدَى فأَصبح وجْهُ الأَرضِ بالجودِ مَوْشِيًّا
قَضَى اللهُ أَنْ يَصْفُو لهارونَ مُلكُهُ (٥) وكَانَ قَضاءُ اللهِ فى الخَلق مَقْضِيًّا ٦٩٨/٣
تحَلَّبَتِ الدنيا لهارونَ بالرِّضا فأَصْبَحَ نِقْفُورُ لهارونَ ذِمِّيًّا

(١) ج : « وكأنما » .
(٢) ج : « تدور » .
(٣) ج : « فصرفت » .
(٤) س : « حين غدوت » .
(٥) س : « أن يبتنى لهارون » .

وقال التيمىّ :

لَجَّتْ بِنِقْفُورَ أسبابُ الرَّدَى عَبَثَا لمَّا رَأَتْهُ بِغِيلِ الليثِ قَدْ عَبِثا
ومَنْ يَزُرْ غِيلَهُ لا يَخْلُ مِنْ فَزَعٍ إنْ فاتَ أنيابَهُ والمِخْلَبَ الشَّبِثا
خانَ العُهودَ وَمَنْ يَنكُثْ بِها فعَلَى حَوْبائهِ ، لا على أعدائِهِ نكثَا
كانَ الإمامُ الذِى تُرْجَى فواضِلهُ أذاقَهُ ثمَرَ الحِلْمِ الذى وَرِثا
فرَدَّ أُلفتهُ مِنْ بَعدِ أَنْ عَطَفتْ أزواجُهُ مَرِهاً يَبْكينَهُ شعِثَا

فلما فرغ من إنشاده ، قال : أوَ قد فعل نقفور ذلك! وعلم أن الوزراء قد احتالوا له فى ذلك ، فكرّ راجعًا فى أشدّ محنة وأغلظ كلفة ، حتى أناخ بفنائه ، فلم يبرح حتى رضى وبلغ ما أراد ، فقال أبو العتاهية :

أَلا نادَتْ هِرَقلَةُ بالخَرابِ مِنَ المَلِكِ المُوَفَّقِ بِالصوَابِ
غدا هارونُ يَرْعُدُ بالمنايا ويَبْرُقُ بالمُذَكَّرَةِ القِضابِ
وَرَاياتٍ يَحِلّ النَّصْرُ فيها تَمُرّ كأَنَّها قِطَعُ السَّحابِ
أَميرَ المؤمنينَ ظفِرتَ فاسلَمْ وأَبشرْ بالغنيمَةِ وَالإِيابِ

٦٩٩/٣

* * *

[خبر مقتل إبراهيم بن عثمان بن نهيك]

وفيها قُتل – فى قول الواقدىّ – إبراهيم بن عثمان بن نَهيك . وأما غير الواقدىّ ؛ فإنه قال : فى سنة ثمان وثمانين ومائة .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

ذُكر عن صالح الأعمى – وكان فى ناحية إبراهيم بن عثمان بن نَهيك – قال : كان إبراهيم بن عثمان كثيراً ما يذكر جعفر بن يحيى والبرامكة ، فيبكى جزعًا عليهم ، وحبًّا لهم ، إلى أن خرج من حدّ البكاء ، ودخل فى باب طالبى الثأر والإحَن ، فكان إذا خلا بجواريه وشرب وقوىَ عليه النبيذ ، قال : ياغلام ،

سيفي ذا المنيّة — وكان قد سمى سيفه ذا المنيّة — فيجيئه غلامه بالسيف فينتضيه ، ثم يقول : واجعفراه ! واسيّداه ! والله لأقتلنّ قاتلك ، ولأثأرنّ بدمك عن قليل ! فلما كثر هذا من فعله ، جاء ابنه عثمان إلى الفضل بن الربيع ، فأخبره بقوله ، فدخل الفضل فأخبر الرشيد ، فقال : أدخله ، فدخل ، فقال : ما الذى قال الفضل عنك ؟ فأخبره بقول أبيه وفعله ، فقال الرشيد : فهل سمع هذا أحدٌ معك ؟ قال : نعم خادمه نوال ، فدعا خادمه سرًّا فسأله ، فقال : لقد قال ذاك غير مرّة ولا مرتين ، فقال الرّشيد: ما يحلّ لى أن أقتل وليًّا من أوليائى بقول غلام وخصىّ ، لعلهما تواصيا على هذه المنافسة[1] ؛ الابن على المرتبة، ومعاداة الخادم لطول الصحبة ، فترك ذلك أياماً ، ثم أراد أن يمتحن إبراهيم بن عثمان بمحنة تزيل الشكّ عن قلبه ، والخاطر عن وهمه ، فدعا الفضلَ بن الربيع ، فقال : إنى أريد محنةَ إبراهيم بن عثمان فيما رفع ابنه عليه ؛ فإذا رُفع الطعام فادع بالشراب ، وقل له : أجب أميرَ المؤمنين فينادمك؛ إذْ كنت منه بالمحلّ الذى أنت به ، فإذا شرب فاخرج وخلّنى وإياه ، ففعل ذلك الفضل بن الربيع ؛ وقعد إبراهيم للشراب ، ثم وثب حين وثب الفضل بن الربيع للقيام، فقال له الرشيد: مكانك يا إبراهيم ، فقعد، فلما طابت نفسه ، أومأ الرّشيد إلى الغلمان فتنحّوْا عنه، ثم قال : يا إبراهيم ، كيف أنت وموضع السرّ منك ؟ قال : يا سيّدى إنما أنا كأخصّ عبيدك، وأطوع خدمك ، قال : إنّ فى نفسى أمراً[2] أريد أن أودعكه ، وقد ضاق صدرى به ، وأسهرتُ به ليلى ، قال : يا سيدى إذاً لا يرجع عنى إليك أبداً ، وأخفيه عن جنبى أن يعلمه ، ونفسى أن تذيعه . قال : ويحك ! إنى ندمت على قتل جعفر بن يحيى ندامةً ما أحسن أن أصفها ؛ فوددت أنى خرجت من ملكى وأنه كان بقى لى ؛ فما وجدت طعم النوم منذ فارقته، ولا لذّة العيش منذ قتلته ! قال : فلما سمعها إبراهيم أسبل دمعه[3] ، وأذرى عبرته ، وقال : رحم الله أبا الفضل ، وتجاوز عنه ! والله يا سيدى لقد أخطأتَ فى قتله ، وأوطئت

٣/٧٠٠

---

(١) ا ، ج : « بمنافسة لابن » .

(٢) بعدها فى ا ، س : « من الأمور » .

(٣) ج وابن الأثير : « دموعه » .

العَشْوة فى أمره ! وأين يوجد فى الدنيا مثله ! وقد كان منقطع القرين فى الناس أجمعين ديناً[1] . فقال الرشيد : قم عليك لعنة الله يابن اللخناء! فقام ما يعقل ما يطأ ، فانصرف إلى أمه ، فقال : يا أمّ ، ذهبت والله نفسى ، قالت : كلاّ إن شاءالله ، وما ذاك يا بنىّ ؟ قال : ذاك أنّ الرشيد امتحننى بمحنة والله ؛ ولو كان[2] لى ألف نفس لم أنجُ بواحدة منها . فما كان بين هذا وبين أن دخل عليه ابنه — فضربه بسيفه حتّى مات — إلا ليالٍ قلائل .

٣/٧٠١

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبيد الله بن العباس بن محمد بن علىّ .

---

(١) ساقطة من ا .
(٢) ج : « ولو كانت » .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر غزو إبراهيم بن جبريل الصائفة]

فممّا كان فيها من ذلك غَزْو إبراهيم بن جبريل الصّائفة، ودخوله أرضَ الروم من درب الصَّفْصاف ، فخرج للقائه نِيقْفور ، فورَدَ عليه من ورائه أمرٌ صرفه عن لقائه ، فانصرف ، ومرّ بقوم من المسلمين ، فجرح ثلاث جراحات ، وانهزم. وقتِل من الرّوم -فيما ذكر- أربعون ألفًا وسبعمائة ، وأخذ أربعة آلاف دابة .

* * *

وفيها رابط القاسم بن الرشيد بدَابِق .

وحجّ بالناس فيها الرشيد ، فجعل طريقه على المدينة ، فأعطى أهلها نصف العطاء؛ وهذه الحجّة هي آخر حَجّة حجّها الرشيد؛ فيما زعم الواقديّ وغيره .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر شخوص الرشيد إلى الرىّ]

فمن ذلك ما كان من شخوص هارون الرشيد أمير المؤمنين فيها إلى الرّىّ.

ذكر الخبر عن سبب شخوصه إليها وما أحدث فى خرجته تلك فى سفره:

٧٠٢/٣ ذُكر أنّ الرشيد كان استشار يحيى بن خالد فى تولية خُراسان علىّ بن عيسى بن ماهان، فأشار عليه ألاّ يفعل، فخالفه الرّشيد فى أمره، وولاّه إياها، فلما شَخَص علىّ بن عيسى إليها ظلم الناس، وعَسَر[1] عليهم، وجمع مالاً جليلاً، ووجّه إلى هارون منها هدايا لم يُرَ مثلها قطّ من الخيل والرقيق والثياب والمِسك والأموال، فقعد هارون بالشمّاسيّة على دكان مرتفع حين وصل ما بعث به علىّ إليه، وأحضِرت تلك الهدايا فعرِضْت عليه، فعظمت فى عينه، وجلّ عنده قدرُها، وإلى جانبه يحيى بن خالد، فقال له: يا أبا علىّ؛ هذا الذى أشرْتَ علينا ألا نولّيه هذا الثغر، فقد خالفناك فيه، فكان فى خلافك البركة — وهو كالمازح معه إذ ذاك — فقد ترى ما أنتج رأينا فيه، وما كان من رأيك! فقال: يا أميرَ المؤمنين، جعلنى الله فداك! أنا وإن كنت أحبّ أن أصيب فى رأيى وأوفّق[2] فى مشورتى، فأنا أحبّ من ذلك أن يكون رأى أمير المؤمنين أعلى، وفراسته أثقب، وعلمه أكثر من علمى، ومعرفته فوق معرفتى؛ وما أحسن هذا وأكثره إن لم يكن وراءه ما يكره أمير المؤمنين، وما أسأل الله أن يعيذه ويُعفيه من سوء عاقبته ونتائج مكروهه، قال: وما ذاك؟ فأعلمه، قال: ذاك أنى أحسب أنّ هذه الهدايا ما اجتمعتْ له حتى ظلم فيها الأشراف، أخذ[3] أكثرها ظلماً وتعدّياً؛ ولو أمرنى أمير المؤمنين لأتيته بضعفها الساعة

٧٠٣/٣ من بعض تجار الكرْخ، قال: وكيف ذاك؟ قال: قد ساومْنا عوناً

---

(١) ا، ج: «وعسف». (٢) ا: «أوافق».

(٣) ط: «وأخذها»، وما أثبته من ا، س.

على السَّفَط الذى جاءنا به من الجوْهر ، وأعطيناه به سبعة آلاف ألف ، فأبى أن يبيعه ، فأبعثُ إليه الساعة بحاجبّى فآمره[١] أن يردّه إلينا ؛ لنعيد فيه نظرنا ؛ فإذا جاء به جَحدْناه ، وربحنا سبعة آلاف ألف ، ثم كنا نفعل بتاجرين من كبار التجار مثل ذلك . وعلى أنّ هذا أسلمُ عاقبة ، وأستر أمراً من فعل علىّ بن عيسى فى هذه الهدايا بأصحابها ، فأجمعُ لأمير المؤمنين فى ثلاث ساعاتأكثرَ من قيمة هذه الهدايا بأهْون سعى ، وأيسر أمر ، وأجمل جباية ؛ ممَّا جمع علىّ فى ثلاث سنين .

فوقرت فى نفس الرشيد وحفظها ، وأمسك عن ذكر علىّ بن عيسى عنده ، فلما عاث علىّ بن عيسى بخُراسان ووتر أشرافها ، وأخذ أموالهم ، واستخفّ برجالهم ، كتب رجال من كبرائها ووجوهها إلى الرشيد ، وكتبتْ جماعة من كورها إلى قَراباتها وأصحابها ، تشكو سوءَ سيرته ، وخبْث طعمته ، ورداءة مذهبه ، وتسأل أميرَ المؤمنين أن يبدّلها به من أحبّ من كفاته وأنصاره وأبناء دولته وقوّاده . فدعا يحيى بن خالد ، فشاوره فى أمر علىّ بن عيسى وفى صرفه ، وقال له : أشر علىّ برجل ترضاه لذلك الثغر يُصلِح ما أفسد الفاسق ، ويرتَق ما فتق . فأشار عليه بيزيد بن مَزْيد ، فلم يقبل مشورته .

وكان قيل للرشيد : إن علىّ بن عيسى قد أجمع[٢] على خلافك ، فشخص إلى الرىّ من أجل ذلك ، منصرفَه من مكة ، فعسكر بالنّهروان لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، ومعه ابناه عبد الله المأمون والقاسم ، ثم سار إلى الرّىّ ، فلما صار بقَرْمَاسِين أشخص إليه جماعة من القُضاة وغيرهم ، وأشهدهم أنّ جميع ما له فى عسكره ذلك من الأموال والخزائن والسلاح والكُراع وما سوى ذلك لعبد الله المأمون ، وأنه ليس له فيه قليل ولا كثير . وجدّد البيعة له على مَنْ كان معه ، ووجّه هَرْثمة بن أعيَن صاحب حرسه إلى بغداد ، فأعاد أخذَ البَيْعة على محمد بن هارون الرشيد وعلى مَنْ بحضرته لعبد الله والقاسم ، وجعل أمر القاسم فى خلعه وإقراره إلى عبد الله ؛ إذا أفضت الخلافة

٧٠٤/٣

(١) كذا فى ا ، وهو الصواب ، وفى ط : « يأمره » .

(٢) ج : « اجتمع » .

إليه . ثم مضى الرشيد عند انصراف هرثمة إليه إلى الرىّ، فأقام بها نحواً من أربعة أشهر ؛ حتى قدم عليه علىّ بن عيسى من خراسان بالأموال والهدايا والطُّرَف، من المتاع[1] والمسك والجوهر وآنية الذهب والفضة والسلاح والدوابّ ، وأهدى بعد ذلك إلى جميع مَنْ كان معه من ولده وأهل بيته وكتابه وخدمه وقوّاده على قَدْر طبقاتهم ومراتبهم ، ورأى منه خلاف ما كان ظنّ به وغير ما كان يقال فيه . فرضى عنه ، وردّه إلى خراسان ، وخرج وهو مشيّع له ؛ فذُكر أن البيعة أخذت للمأمون والقاسم بولاية العهد بعد أخويْه محمد وعبد الله ، وسُمِّىَ المؤتمن حينَ وجّه هارون هرثمة لذلك بمدينة السلام[2] يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلتْ من رجب من هذه السنة ، فقال الحسن بن هانئ فى ذلك :

تبارَكَ مَنْ سَاسَ الأُمورَ بِعِلْمِهِ ... وفَضّلَ هاروناً على الخُلفاءِ

٣/٧٠٥ نزالُ بخَيْرٍ ما انطَويْنا على التُّقَى ... وَما سَاسَ دنيانا أَبو الأُمناءِ

وفى هذه السنة — حين صار الرّشيد إلى الرىّ — بعث حسيناً الخادم إلى طَبَرِستان ، فكتب له ثلاثة كتب ؛ من ذلك كتاب فيه أمان لشَرْوين أبى قارن ، والآخر فيه أمان لونْداهرمز، جدّ مازيار ، والثالث فيه أمان لمرزبان ابن جستان، صاحب الدَّيْلم . فقدِم عليه صاحبُ الدَّيْلم، فوهب له وكساه وردّه . وقدم عليه سعيد الحَرَشىّ بأربعمائة بطل من طبرستان ، فأسلموا على يد الرشيد ، وقدم ونداهرمز ، وقبل الأمان، وضمن السمع والطاعة وأداء الخراج ، وضمن على شَرْوين مثل ذلك ؛ فقبل ذلك منه الرشيد وصرفه، ووجّه معه هرثمة فأخذ ابنه وابن شَرْوين رهينة . وقدم عليه الرّىّ أيضًا خزيمة بن خازم، وكان والى إرمينيَة ، فأهدى هدايا كثيرة .

* * *

وفى هذه السنة ولّى هارون عبد الله بن مالِك طبرِستان والرىّ والرُّويان

---

(١) ج : « والمتاع » . (٢) س : « إلى مدينة السلام » .

ودُنْباوند وقُومِس وهَمَذان . وقال أبو العتاهية فى خَرْجة هارون هذه — وكان هارون وُلِد بالرىّ :

إنَّ أمينَ اللهِ فى خلْقِهِ حَنَّ به البِرُّ إلى مَوْلِدهْ
لِيُصْلحَ الرَّىَّ وأقطارَها ويُمطِرَ الخيْرَ بِها مِنْ يَدِهْ

٧٠٦/٣ وولّى هارون فى طريقه محمد بن الجنيد الطريقَ ما بين هَمذان والرىّ ، وولّى عيسى بن جعفر بن سليمان عُمَان ، فقطع البحر من ناحية جزيرة ابن كاوان ، فافتتح حصناً بها وحاصر آخر ، فهجم عليه ابن مخلد الأزدىّ وهو غارٌّ ، فأسره وحمَله إلى عُمان فى ذى الحجة ، وانصرف الرّشيد بعد ارتحال علىّ بن عيسى إلى خُراسان عن الرّىّ بأيام ، فأدركه الأضحى بقصر اللُّصُوص ؛ فضحّى بها ، ودخل مدينة السلام يوم الاثنين ، لليلتين بقيتا من ذى الحجّة ، فلما مرّ بالجسر أمر بإحراق جُثّة جعفر بن يحيى ، وطوى بغداد ولم ينزلها ، ومضى من فَوْره متوجّهاً إلى الرّقة ، فنزل السَّيْلحين .

* * *

وذُكِر عن بعض قوّاد الرشيد أنّ الرشيد قال لما ورد بغداد : والله إنّى لأطوِى مدينةً ما وُضِعَتْ بشرق ولاغرب مدينة أيمن ولا أيسر منها ؛ وإنها لوطنى ووطن آبائى ، ودار مملكة بنى العباس ما بقُوا وحافظوا عليها ؛ وما رأى أحدٌ من آبائى سوءاً ولا نكبة منها ، ولا سِيء بها أحد منهم قطّ ، ولنعم الدّار هى ! ولكنّى أريد المناخ على ناحية أهل الشقاق والنفاق والبغض لأئمة الهدى والحبّ لشجرة اللعنة — بنى أمية — مع ما فيها من المارقة والمتلصّصة ومخيفى السبيل ؛ ولولا ذلك ما فارقتُ بغداد ما حييت ولا خرجت عنها أبداً .

وقال العباس بن الأحنف فى طىّ الرشيد بغداد :

ما أنخنا حتى ارْتَحلنا فما نَفْـ ـرِقُ بيْنَ المناخ والارْتحال
ساءلونَا عن حالِنا إذْ قَدِمْنَا فَقرنَّا وداعَهُمْ بالسؤال

* * *

٧٠٧/٣ وفى هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والرّوم ، فلم يبق بأرض الروم[١] مسلم إلا فودى به – فيما ذكر – فقال مروان بن أبى حفصة فى ذلك :

وفُكَّتْ بِكَ الأَسرَى التى شُيِّدَتْ لها محابِسُ ما فيها حَمِيمٌ يَزورُها
على حِين أعيَا المسلمينَ فِكاكُها وقالوا : سُجُونُ المُشرِكينَ قبورُها

* * *

ورابطَ فيها القاسم بدَابِق .

وحجّ بالناس فيها العبّاس بن موسى بن عيسى بن موسى .

---

(١) ج : « فى أرض » .

ثم دخلت سنة تسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر ظهور خلاف رافع بن ليث]

فمنْ ذلك ما كان من ظهور رافع بن ليث بن نصر بن سيّار بسَمرْقَند ، مخالفًا لهارون وخلعه إياه ، ونزعه يده من طاعته .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان سبب ذلك – فيما ذُكر لنا – أنّ يحيى بن الأشعث بن يحيى الطائيّ تزوّج ابنة لعمّه أبى النعمان ، وكانت ذاتَ يسار[1] ، فأقام بمدينة السلام ، وتركها بسَمَرْقَنْد ، فلما طال مقامه بها ، وبلغها أنه قد اتخذ أمهات أولاد ، التمست سببًا للتخلص منه ، فعىّ عليها ، وبلغ رافعًا خبرُها ، فطمع فيها وفى مالها ، فدسّ إليها مَنْ قال لها : إنه لا سبيلَ لها إلى التخلص من صاحبها ؛ إلا أن تشرك بالله ، وتحضر لذلك قومًا عدولا ، وتكشف شعرَها بين أيديهم ، ثم تتوبُ فتحلّ للأزواج ؛ ففعلت ذلك وتزوّجها رافع . وبلغ الخبر يحيى بن الأشعث ، فرُفع ذلك إلى الرّشيد ، فكتب إلى علىّ بن عيسى يأمره أن يفرّق بينهما ، وأن يعاقب رافعًا ويجلده الحدّ ، ويقيّده ويطوف به فى مدينة سَمَرْقند مقيّداً على حمار ؛ حتى يكون عظةً لغيره . فدرأ سليمان بن حميد الأزدى عنه الحدّ ، وحمله على حمار مقيّداً حتى طلقها ، ثم حبسه فى سجن سَمرْقنْد ، فهرب من الحبْس ليلاً من عند حُميد بن المسيح – وهو يومئذ على شُرَط سَمَرْقند – فلحق بعلىّ بن عيسى ببلْخ ، فطلب الأمان فلم يجبه علىّ إليه ، وهمّ بضرب عُنقه ، فكلّمه فيه ابنه عيسى بن علىّ ، وجدّد طلاق المرأة ، وأذن له فى الانصراف إلى سَمَرْقند ، فانصرف إليها ، فوثب بسليمان ابن حميد ؛ عامل علىّ بن عيسى فقتله . فوجّه علىّ بن عيسى إليه ابنه ،

٣/٧٠٨

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « لسان » .

فمال الناس إلى سباع بن مسعدة ، فرأسوه عليهم ، فوثب على رافع فقيّده ، فوثبوا على سباع ، فقيّدوه ورأسوا رافعًا وبايعوه، وطابقه مَنْ وراء النهر . ووافاه عيسى بن علىّ ، فلقيه رافع فهزمه ، فأخذ علىّ بن عيسى فى فَرْض الرجال والتأهب للحرب .

* * *

وفى هذه السنة غزا الرشيد الصائفة ، واستخلف ابنه عبد الله المأمون بالرّقة ٧٠٩/٣ وفوّض إليه الأمور ، وكتب إلى الآفاق بالسّمْع له والطاعة ، ودفع إليه خاتم المنصور يتيمّن به ؛ وهو خاتم الخاصّة ، نقشه : « الله ثقتى آمنت به » .

وفيها أسلم الفضل بن سهل على يدِ المأمون .

وفيها خرجت الروم إلى عين زَرْبة وكنيسة السّوْداء ، فأغارت وأسرت ، فاستنقذ أهل المصّيصة ما كان فى أيديهم .

* * *

[فتح الرشيد هرقلة]

وفيها فتح الرشيد هرقلة ، وبثّ الجيوش والسرايا بأرض الروم ؛ وكان دخلْها — فيما قيل — فى مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرتزق؛ سوى الأتباع وسوى المطوّعة وسوى من لا ديوان له ، وأناخ عبد الله بن مالك على ذى الكلاع ووجّه داود بن عيسى بن موسى سائحًا فى أرض الروم فى سبعين ألفًا ، وافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودَبْسة، وافتتح يزيد بن مخلد الصَّفْصاف وملَقوبية — وكان فتح الرشيد هرقلة فى شوّال — وأخربها وسبى أهلها بعد مقام ثلاثين يومًا عليها ، وولّى حُمَيد بن مَعيوف سواحل بحر الشأم إلى مِصْر ، فبلغ حُميد قُبْرُس ، فهدم وحرق وسبى من أهلها[1] ستة عشر ألفًا ، فأقدمهم الرّافقة ، فتولّى بيعهم أبو البخترىّ القاضى ، فبلغ أسقفّ قُبرس ألفى دينار .

وكان شخوص هارون إلى بلاد الروم لعشر بقين من رجب ؛ واتخذ

---

(١) س : « أهل قبرس » .

٣/٧١٠ قلنسوة مكتوبًا عليها « غازٍ حاجٌّ » ، فكان يلبسها ، فقال أبو المعالى الكلابىّ :

فَمنْ يَطْلُبْ لقاءَكَ أو يُرِدْهُ فَبِالحَرَمَيْنِ أو أَقصى الثغورِ
ففِى أَرْضِ العَدُوِّ على طِمِرٍّ وفى أَرضِ التَّرفُّهِ فَوْقَ كُورِ[1]
وما حازَ الثغورَ سِواكَ خَلْقٌ مِنَ المُتخلِّفينَ على الأُمورِ

ثم صار الرّشيد إلى الطُّوَانة، فعسكر بها ، ثم رحل عنها ، وخلّف عليها عقبة بن جعفر ، وأمره ببناء منزل هنالك ، وبعث نقفور إلى الرشيد بالخرَاج والجزية، عن رأسه وولىّ عهده وبطارقته وسائر أهل بلده خمسين ألف دينار ؛ منها عن رأسه أربعة دنانير ؛ وعن رأس ابنه استبراق دينارين . وكتب نقفور مع بطريقين من عظماء بطارقته فى جارية من سَبْى هِرَقلة كتاباً نسخته :

لعبد الله هارون أمير المؤمنين من نقفور ملك الروم. سلام عليكم، أما بعد أيها الملك ، فإنّ لى إليك حاجة لا تضرّك فى دينك ولا دنياك ، هيّنة يسيرة ؛ أن تهب لابنى جارية من بنات أهل هِرَقلة ، كنت قد خطَبْتُها على ابنى ، فإن رأيتَ أن تسعفنى بحاجتى فعلت . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

واستهداه أيضًا طِيبًا وسرادقا من سُرادقاته؛ فأمر الرشيد بطلب الجارية ، فأحضِرَت وزُيِّنت وأجْلِست على سرير[2] فى مضربه الذى كان نازلاً فيه ، وسلِّمت الجارية والمضرَب بما فيه من الآنية والمتاع إلى رسول نقفور ، وبعث إليه بما سأل من العطر ، وبعث إليه من التمور[3] والأخبصة والزّبيب والترياق ، ٣/٧١١ فسلّم ذلك كله إليه رسول الرشيد ، فأعطاه نقْفور وقْر دراهم إسلامية على برذون كُميت كان مبلغه خمسين ألف درهم ، ومائة ثوب دِيباج ومائتى ثوب بِزْيون[4] ، واثنى عشر بازيًا ، وأربعة أكلب من كلاب الصّيد ، وثلاثة براذين . وكان نقفور اشترط ألاّ يخرب ذا الكَلاع ولا صمله ولا حصن سنان ،

(١) ا ، س : « فى أرض البرية » . (٢) ج : « فراش » .
(٣) س : « التمر » .
(٤) البزيون : ضرب من نسيج البز أو من رقيق الديباج ، مركب من : « بز » ومن : «يون» ، أى يشبه البز . وانظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ٢٢ .

واشترط الرّشيد عليه ألا يعمّر هرقلة، وعلى أن يحمل نقفور ثلثمائة ألف دينار .

وخرج فى هذه السنة خارجىّ من عبد القيس يقال له سيف بن بكر ، فوجّه إليه الرشيد محمد بن يزيد بن مَزْيد ، فقتله بعين النُّوَرة .

ونقض أهل قُبرس العَهد ، فغزاهم معيوف بن يحيى فسبى أهلَها .

* * *

وحجّ بالناس فيها عيسى بن موسى الهادى .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خروج خارجيّ يقال له ثروان بن سيف بناحية حَوْلايا ؛ فكان يتنقّل بالسواد، فوجّه إليه طوق بن مالك فهزَمه طوق وجرحه، وقتل عامة أصحابه ، وظنّ طوق أنه قد قتل ثروان، فكتب بالفتح ،وهرب ثروان مجروحًا .

وفيها خرج أبو النداء بالشام(١ فوجّه الرشيد ١) في طلبه يحيى بن معاذ ، وعقَد له على الشأم .

وفيها وقع الثلج بمدينة السلام .

٧١٢/٣

وفيها ظفر حماد البربريّ بهيصم اليمانيّ .

وفيها غلُظ أمر رافع بن ليث بسَمَرْقند .

وفيها كتب أهل نَسَف إلى رافع يعطونه الطاعة ، ويسألونه أن يوجّه إليهم منْ يعينهم على قتل عيسى بن عليّ ، فوجّه صاحب الشاش في إتراكه قائداً من قوّاده، فأتوْا عيسى بن عليّ، فأحدقوا به وقتلوه في ذى القعدة ، ولم يعرضوا لأصحابه .

وفيها ولّى الرشيد حمّويه الخادم بريد خُراسان .

وفيها غزا يزيد بن مخلد الهبيريّ أرضَ الروم في عشرة آلاف ، فأخذت الرّوم عليه المضيق،فقتلُوه على مَرْحلتين من طَرَسوس في خمسين(٢) رجلا، وسلِم الباقون .

وفيها ولّى الرشيد غزو الصائفة هرثمةَ بن أعيَن ، وضمّ إليه ثلاثين ألفًا من جند خُراسان، ومعه مسرور الخادم ؛ إليه النفقات وجميع الأمور ،خلا الرياسة.

(١ - ١) ج : « فوجه إليه الرشيد » .
(٢) ا : « سبعين » .

ومضى الرّشيد إلى دَرْب الحَدَث[1] ، فرتّب هنالك عبدالله بن مالك، ورتّب سعيد بن سلم بن قتيبة بمَرْعَش ، فأغارت الروم عليها، وأصابوا من المسلمين وانصرفوا وسعيد بن سلم مقيم بها، وبعث محمد بن يزيد بن مزيد إلى طَرَسوس، فأقام الرشيد بدرْب الحدث ثلاثة أيام من شهر رمضان ، ثم انصرف إلى الرّقة .

٧١٣/٣ وفيها أمر الرّشيد بهدم الكنائس بالثغور ، وكتب إلى السندىّ بن شاهك يأمره بأخذ أهل الذّمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين فى لباسهم وركوبهم .

* * *

وفيها عَزَل الرشيد علىّ بن عيسى بن ماهان عن خُراسان وولاها هرثمة .

ذكر الخبر عن سبب عزل الرشيد علىّ بن عيسى وسخطه عليه

قال أبو جعفر : قد ذكر قبلُ سبب هلاك ابن علىّ بن عيسى وكيف قُتِل . ولمّا قتل ابنه عيسى خرج علىّ عن بلْخ حتى أتى مَرْو مخافةَ أن يسير إليها رافع بن الليث ، فيستولى عليها . وكان ابنه عيسى دفن فى بستان داره ببلخ أموالا عظيمة — قيل إنها كانت ثلاثين ألف ألف — ولم يعلم بها علىّ بن عيسى ولا اطلع على ذلك إلا جارية كانت له ، فلما شخص علىّ عن بلْخ أطلعت الجارية على ذلك بعضَ الخدم، وتحدّث به الناس، فاجتمع قُرّاء أهل بلْخ ووجوهها ، فدخلوا البستان فانتهبوه وأباحوه للعامة، فبلغ الرّشيد الخبر، فقال : خرج علىّ من بلْخ عن غير أمرِى ، وخلّف مثل هذا المال ؛ وهو يزعم أنه قد أفْضَى إلى حَلْىِ نسائه فيما أنفق على محاربة رافع! فعزله عند ذلك ، وولّى هرثمة بن أعيَن ، واستصفى أموال علىّ بن عيسى ، فبلغت أمواله ثمانين ألف ألف .

وذكر عن بعض الموالى أنه قال : كنا بجُرْجان مع الرشيد وهو يريد

(١) ا : « حرب الحدث » .

خُراسان، فوردت خزائن علىّ بن عيسى التى أخذت له على ألف وخمسمائة بعير ، وكان علىّ مع ذلك قد أذلّ الأعالى من أهل خُراسان وأشرافهم . ٣/٧١٤

وذكر أنه دخل عليه يوماً هشام بن فرخسرو والحسين بن مصعب ، فسلّما عليه ، فقال للحسين : لا سلّم الله عليك يا ملحد يابن الملحد! والله إنّى لأعرف ما أنتَ عليه من عداوتك للإسلام وطعنك فى الدين ؛ وما أنتظر بقتلك إلا إذن الخليفة فيه ، فقد أباح الله دمَك ، وأرجو أن يسفكه الله على يدى عن قريب ، ويعجلك[١] إلى عذابه . ألستَ المرجف بى فى منزلى هذا بعد ما ثملتَ من الخمر ، وزعمت أنه[٢] جاءتك كتب من مدينة السلام بعزلى ! اخرج[٣] إلى سخط الله ، لعنك الله ، فعن قريب ما تكون من أهلها ! فقال له الحسين : أعيذ بالله الأميرَ أن يقبل قول واشٍ ، أو سعاية باغٍ ، فإنى برىء مما قُرِفت[٤] به . قال : كذبت لا أمّ لك ! قد صحّ عندى أنك ثملت من الخمر ، وقلت ما وجب عليكَ به أغلظ[٥] الأدب ؛ ولعلّ الله أن يعاجلَك ببأسه ونقمته[٦] ؛ اخرج عنى غير مستور ولا مصاحَب . فجاء الحاجب فأخذ بيده فأخرجه ، وقال لهشام بن فرخسرو : صارت دارك دار الندوة ؛ يجتمع[٧] فيها إليك السفهاء ، وتطعن على الولاة ! سفك الله دمى إن لم أسفك دمك ! فقال هشام : جُعلت فداء الأمير ! أنا والله مظلوم مرحوم ؛ والله ما أدَعُ فى تقريظ الأمير جهدًا ، وفى وصفه قولا إلاّ خصصتُه به وقلته فيه ؛ فإن كنت إذا[٨] قلت خيراً نقل إليك شرًّا[٩] فما حيلتى ! قال : كذبت لا أمّ لك ؛ لَأنا أعلم بما تنطوى عليه جوانحك من ولدك وأهلك ، فاخرج فعن قريب أريح منك نفسى . فخرج . فلمّا كان فى آخر الليل دعا ابنتَه عالية ــ وكانت من أكبر ولده ــ فقال لها : أىْ بنيّة ، إنى أريد أن أفضىَ إليك بأمر إن أنت أظهرتِه قتِلتُ ، وإن حفظتِه سلمتُ ، فاختارى بقاء أبيك على موته ، قالت : ٣/٧١٥

---

(١) ج : « ويجعلك » .
(٢) س : « أنك » .
(٣) ف : « فاخرج » .
(٤) ا ، ج : « قذفت » .
(٥) ا ، ج : « غليظ » .
(٦) ج : « ونقمه » .
(٧) ج : « تجتمع » .
(٨) ج : « إذ » .
(٩) س : « إليه شرًّا » .

وما ذاك[١] جُعلت فداك ! قال : إنى أخاف هذا الفاجر علىّ بن عيسى على دمى ، وقد عزمت على أن أظهر أنّ الفالج أصابنى ، فإذا كان فى السَّحَر فاجمعى جواريك ، وتعالىْ إلى فراشى وحرّكينى ؛ فإذا رأيت حركتى قد ثقلت ، فصيحى أنت وجواريك ، وابعثى إلى إخوتك فأعلميهم علتى . وإياك ثم إياك أن تطلعى[٢] على صحة بدنى أحداً من خلْق الله من قريب أو بعيد . ففعلتْ — وكانت عاقلة حازمة — فأقام مطروحًا على فراشه حينًا لا يتحرّك إلا إن حُرّك ، فيقال إنه لم يعلم من أهل خُراسان أحدٌ من عزل علىّ بن عيسى بخبر ولا أثر غيرُ هشام ؛ فإنه توهم عزله ، فصحّ توهمه .

ويقال : إنه خرج فى اليوم الذى قدم فيه هَرْثمة لتلقّيه ، فرآه فى الطريق رجل من قوّاد علىّ بن عيسى ، فقال : صحّ الجسم ؟ فقال : ما زال صحيحًا بحمد الله ! وقال بعضهم : بل رآه علىّ بن عيسى ، فقال : أين بلك ؟ فقال : أتلقّى أميرنا أبا حاتم ، قال : ألم تكن عليلا ؟ قال : بلى ؛ فوهب الله العافية ، وعزل الله الطاغية فى ليلة واحدة .

وأما الحسين بن مصعب فإنه خرج إلى مكّة مستجيراً بالرّشيد من علىّ بن عيسى ، فأجاره .

ولما عزم الرشيد على عزل علىّ بن عيسى دعا — فيما بلغنى — هرثمة بن أعين مستخليًا به فقال : إنى لم أشاور فيك أحداً ، ولم أطلعه على سرّى فيك ، وقد اضطرب علىّ ثغور المشرق ، وأنكر أهل خراسان أمْرَ علىّ بن عيسى ؛ إذ خالف عهدى ونبَذه وراء ظهره ؛ وقد كتب يستمدّ ويستجيش ، وأنا كاتب إليه ، فأخبره أنى أمدّه بك ، وأوجّه إليه معك من الأموال والسلاح والقوّة والعدّة ما يطمئنّ إليه قلبه ، وتتطلع إليه نفسه ، وأكتب معك كتابًا بخطى فلا تفضّنّه ، ولا تطلعنّ فيه حتى تصل[٣] إلى مدينة نيسابور ؛ فإذا نزلتَها فاعمل بما فيه ، وامتثله ولا تجاوزه ، إن شاء الله ، وأنا موجّه معك رجاء الخادم بكتاب أكتبه إلى علىّ بن عيسى بخطى ؛ ليتعرّف ما يكون منك ومنه ؛ وهوّنْ عليه أمْرَ

٧١٦/٣

(١) ج : « وماهو » .
(٢) س : « يطلع » .
(٣) س : « نصير » .

علىّ فلا تظهرنّه عليه، ولا تعلمنّه ما عزمتُ عليه ، وتأهبّ للمسير ، وأظهر لخاصّتك وعامّتك أنى أوجّهك مدداً لعلىّ بن عيسى وعونًا له . قال : ثم كتب إلى علىّ بن عيسى بن ماهان كتابًا بخطه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم. يابن الزانية ، رفعتُ من قدرك ، ونوّهت باسمك، وأوطأت سادةَ[1] العرب عَقِبَك، وجعلتُ أبناء ملوك العجم خوَلَكَ وأتباعك؛ فكان جزائى أن خالفتَ عهدى ، ونبذتَ وراء ظهرك أمرى ؛ حتى عِثت فى الأرض ، وظلمت الرّعية، وأسخطت الله وخليفته[2]؛ بسوء سيرتك، ورداءة طعمتك، وظاهر خيانتك ، وقد ولّيت هَرثمة بن أعْين مولاىَ ثغرخُراسان ، وأمرتُه أن يشدّ وطأته عليك وعلى ولدك وكتابك وعمالك، ولا يترك وراء ظهوركم درهمًا ، ولا حقًّا لمسلم ولا مُعاهد إلا أخذكم به ؛ حتى تردّه إلى أهله ؛ فإن أبَيْتَ ذلك وأباه ولدُك وعُمّالك فله أن يبسط عليكم العذاب ، ويصبّ عليكم السياط ، ويُحلّ بكم ما يحلّ بمن نكثَ وغيّر، وبدّل وخالف، وظلم وتعدّى وغشم ، انتقامًا لله عزّ وجلّ بادئًا ، ولخليفته ثانيًا ، وللمسلمين والمعاهدين ثالثًا ؛ فلا تعرض نفسك للتى لا شَوَى لها، واخرج مما يلزمك طائعًا أو مكرهًا .

٧١٢/٣

وكتب عهد هرثمة بخطه :

هذا ما عهد هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى هرثمة بن أعيَن حين ولاّه ثَغْر خُراسان وأعماله وخراجه ؛ أمرَه بتقوى الله وطاعته ورعاية أمر الله ومراقبته[3] ، وأن يجعل كتاب الله إمامًا فى جميع ما هو بسبيله ، فيحلّ حلالَه ويحرّم حرامه ، ويقف عند متشابهه ؛ ويسأل عنه أولِى الفقه فى دين الله وأولِى العلم بكتاب الله ، أو يردّه إلى إمامه ليريَه الله عزّ وجلّ فيه رأيه، ويعزم له على رشده ، وأمره أن يستوثق من الفاسق علىّ بن عيسى وولده وعماله وكتابه ، وأن يشدّ عليهم وطأتَه ، ويُحلّ بهم سطوته ، ويستخرج منهم كلّ مال

(١) ج : « سادات » .
(٢) س : « فى خليفته » .
(٣) ج : « وموافقته » .

يصحّ عليهم من خراج أمير المؤمنين وفىء المسلمين ؛ فإذا استنظف ما عندهم وقِبَلهم من ذلك ، نظر فى حقوق المسلمين والمعاهدين ، وأخذهم بحقّ كلّ ذى حقّ حتى يردّوه إليهم ؛ فإن ثبتت قبَلهم حقوق لأمير المؤمنين وحقوق للمسلمين ؛ فدافَعوا بها وجحدوها ، أن يصبّ عليهم سوط عذاب الله وأليم نقمته ؛ حتى يبلغ بهم الحال التى إن تخطّاها بأدنى أدب ، تلفتْ أنفسُهم ، وبطلت أرواحهم ؛ فإذا خرجوا من حقّ كلّ ذى حقّ ، أشخصهم كما تشخص العصاة من خُشونة الوِطاء وخشونة المطعم والمشرب وغلظ الملبس ، مع الثقات من أصحابه إلى باب أمير المؤمنين ، إن شاء الله . فاعمل يا أبا حاتم بما عهدتُ إليك ، فإنى آثرتُ الله ودينى على هوايَ وإرادتى ، فكذلك فليكن عملُك ، وعليه فليكن أمرك ، ودبِّر فى عمال الكُور الذين تمرّ بهم فى صُعودك ما لا يستوحشون معه إلى أمرٍ يريبهم وظنّ يرعبُهم . وابسُط من آمال أهل ذلك الثّغْر ومن أمانهم وعذرهم ، ثم اعمل بما يرضى الله منك وخليفته ، ومَنْ ولاك الله أمره إن شاء الله . هذا عهدى وكتابى بخطّى ، وأنا أشهد الله وملائكته وحملةَ عرشه وسكان سمواته وكفى بالله شهيداً .

٣/٧١٨

وكتب أمير المؤمنين بخطّ يده لم يحضره إلا الله وملائكته .

ثم أمر أن يكتب كتاب هرثمة إلى علىّ بن عيسى فى معاونته وتقوية أمره والشدّ على يديه ؛ فكتب وظهر الأمر بها ؛ وكانت كتب حَمّوَيْه وردت على هارون : إنّ رافعًا لم يخلع ولا نَزَع السّواد ولا من شايعه ، وإنما غايتهم عزل علىّ بن عيسى الذى قد سامهم المكروه .

* * *

[خبر شخوص هرثمة بن أعين إلى خراسان والياً عليها]

٣/٧١٩

ومن[1] ذلك ما كان من شخوص هرثمة بن أعين إلى خراسان والياً عليها .

* ذكر الخبر عما كان من أمره فى شخوصه إليها وأمر علىّ بن عيسى وولده :

(١) قبل هذه الكلمة فى ا ، ج : « ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائة » .

ذُكر أن هرثمة مضى فى اليوم السادس من اليوم الذى كتب له عهده الرشيد وشيَّعه الرشيد، وأوصاه بما يحتاج إليه، فلم يعرِّج هرثمة على شىء، ووجّه إلى علىّ بن عيسى فى الظاهر أموالاً وسلاحًا، وخِلَعًا وطيباً؛ حتى إذا نزل نيسابور جَمَعَ جماعة من ثقات أصحابه وأولى السنّ والتجربة منهم؛ فدعا كلَّ رجل منهم سرًّا، وخلا به، ثم أخذ عليهم العهود والمواثيقَ أن يكتموا أمره، ويطوُوا سِرّه، وولّى كلَّ رجل منهم كُورة[1]، على نحو ما كانت حاله عنده؛ فولّى جُرجان ونيسابور والطبَسين ونَسا وسَرَخْس، وأمَر كلَّ واحد[2] منهم، بعد أن دفع إليه عهدَه بالمسير[3] إلى عمله الذى ولاّه على أخفى الحالاتِ وأسترها، والتشبّه بالمجتازين فى وُرودهم الكُور ومقامهم فيها إلى الوقت الذى سمّاه لهم، وولّى إسماعيل بن حفص بن مصعب جُرجان بأمر الرشيد، ثم مضى حتى إذا صار من مَرْو على مرحلة، دعا جماعة من ثقاتِ أصحابه، وكتب لهم أسماء ولد علىّ بن عيسى وأهل بيته وكُتّابه وغيرهم فى رقاع، ودفع إلى كلّ رجل منهم رقعة باسم مَنْ وكّله بحفظه إذا هو دخل مَرْو، خوفًا من أن يهربوا إذا ظهر أمره. ثم وجّه إلى علىّ بن عيسى: إن أحبّ الأميرُ أكرمه الله أن يوجّه ثقاته لقبض ما معى من أموال فَعَل؛ فإنه إذا تقدّم المال أمامى كان أقوَى للأمير، وأفتّ فى عضد أعدائه. وأيضًا فإنى لا آمنُ عليه إن خلّفته وراء ظهرى؛ أن يطمع فيه بعض من تَسمُو إليه نفسه إلى أن يقتطع بعضه، ويفترص غفلتنا عند دخول المدينة. فوجّه علىّ بن عيسى جهابذَته وقَهارمته لقبض المال، وقال هرثمة لخُزّانِه: اشغلوهم هذه الليلة، واعتلّوا عليهم فى حَمْل المال بعلّة تقرب من أطماعهم، وتزيل الشكّ عن قلوبهم، ففعلوا. وقال لهم الخُزّان: حتى تؤامروا أبا حاتم فى دوابّ المال والبغال. ثمّ ارتحل نحو مدينة مَرْو، فلما صار منها على ميلين تلقّاه علىّ بن عيسى فى ولده وأهل بيته وقوّاده بأحسن لقاءوآنَسه؛ فلمّا وقعت عَين هرثمة عليه، ثنَى رجله لينزل عن دابته فصاح به علىّ: والله لئن نزلتَ لأنزلنّ، فثبت على سَرْجه، ودنا كلٌّ[4] منهما من صاحبه فاعتنقا، وسارا، وعلىّ يسأل هرثمة عن

٣/٧٢٠

(١) ج: «كوراً».
(٢) ج: «رجل».
(٣) س: «المصير».
(٤) ا، ج: «كل واحد».

أمْـر الرشيد وحاله وهيئته وحال خاصّته وقوّاده وأنصار دولته ؛ وهرثمة يُجيبه ؛ حتى صار إلى قنطرة لا يجوزها إلاّ فارس ، فحبس هرثمة لجام دابته ، وقال لعلىّ : سر على بركة الله، فقال علىّ : لا والله لا أفعل حتى تمضى أنت ، فقال : إذاً والله لا أمضى ، فأنت الأمير وأنا الوزير ؛ فمضى وتبعه هرثمة حتى دخلاَ مَـرْو ، وصارا إلى منزل علىّ ، ورجاء الخادم لا يفارق هرثمة فى ليل ولا نهار ، ولا ركوب ولا جلوس ؛ فدعا علىّ بالغداء فطعما ، وأكلَ معهما رجاء الخادم ، وكان عازماً على ألاّ يأكل معهما ، فغمزه هرثمة وقال : كُل فإنك جائع ، ولا رَأىَ لجائع ولا حاقن ؛ فلما رُفع الطعام قال له علىّ : قد أمرت أن يفرغ لك قصر على الماشَان ؛ فإن رأيتَ أن تصير إليه فعلت. فقال له هرثمة : إن معى من الأمور ما لا يتحمّل تأخير المناظرة فيها ؛ ثم دفع رجاء الخادم كتاب الرشيد إلى علىّ ، وأبلغه رسالته . فلما فضّ الكتاب فنظر إلى[1] أوّل حرف منه سُقِط فى يده ، وعلم أنه قد حلّ به ما يخافُه ويتوقعه ، ثم أمر هرثمة بتقييده وتقييد ولده وكتابه وعماله — وكان رحل[2] ومعه وقْر من قيود وأغلال — فلما استوسق منه صار إلى المسجد الجامع ، فخطب وبسط من آمال الناس ، وأخبر أن أمير المؤمنين ولاّه ثغورَهم لما انتهى إليه من سوء سيرة الفاسق علىّ ابن عيسى ، وما أمره به فيه وفى عمّاله وأعوانه ، وأنه بالغ من ذلك ومن إنصاف العامة والخاصّة ، والأخذ لهم بحقوقهم أقصى مواضع الحقّ . وأمر بقراءة عهده عليهم . فأظهروا السرور بذلك ، وانفسحت آمالهم ، وعظم رجاؤهم ، وعلت بالتكبير والتهليل أصواتهم ، وكثُر الدعاء لأمير المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء .

٣/٧٢١

ثم انصرف ، فدعا بعلىّ بن عيسى وولده وعماله وكُتّابه ، فقال : اكفونى مؤنتكم ، واعفونى من الإقدام بالمكروه عليكم . ونادى فى أصحاب ودائعهم ببراءة الذّمة من رجل كانت لعلىّ عنده وديعة أو لأحد من ولده أو كتابه أو عماله وأخفاها ولم يظهر عليها ؛ فأحضره الناس ما كانوا أودِعوا إلاّ رجلا من أهل مَـرْو — وكان من أبناء المجوس — فإنه لم يزل يتلطف للوصول[3] إلى علىّ بن عيسى حتى صار إليه ، فقال له سرًّا : لك عندى مال، فإن احتجتَ

(١) س : « ف » .
(٢) س : « دخل » .
(٣) ج : « بالوصل » .

إليه حملتُه إليك أوّلاً فأوّلاً ، وصبرت للقتل فيك؛ إيثاراً للوفاء وطلباً لجميل الثناء ، وإن استغنيْت عنه حبستُه عليك حتى ترى فيه رأيك . فعجب عليّ ٣/٧٢٢ منه ، وقال : لو اصطنعتُ مثلك ألف رجل ماطمـع فيّ السلطان ولاالشيطان أبداً. ثم سأله عن قيمة ما عنده ، فذكر له أنه أودعه مالاً وثياباً ومسْكاً ، وأنه لا يدرى ما قدر ذلك ؛ غير أنه أودعه بخطّه ، وأنه محفوظ لم يشذّ منه شيء ، فقال له : دعه ؛ فإن ظُهر عليه سلّمته ونجوت بنفسك ، وإن سلمت به رأيت فيه رأيي . وجزاه الخير ، وشكر له فعله ذلك أحسن شكر ، وكافأه عليه وبرّه . وكان يُضرب به المثل بوفائه ؛ فذكر أنه لم يتستر عن[1] هرْثمة من مال عليّ إلا ما كان أودعه هذا الرجل — وكان يقال له : العلاء بن ماهان — فاستنظف هرثمة ما وراء ظهورهم حتى حلْى نسائهم ؛ فكان الرجل يدخل إلى المنزل فيأخذ جميع ما فيه ؛ حتى إذا لم يبق فيه إلاّ صوف أو خشب أو ما لا قيمة له قال للمرأة : هاتى ما عليك من الحلْى ، فتقول للرجل إذا دنا منها لينزع ما عليها : ياهذا ، إن كنتَ محسناً فاصرف بصرك عنّى ، فوالله لا تركتُ شيئاً من بغيتك عليّ إلاّ دفعتُه إليك ؛ فإن كان الرجل يتحوّب من الدّنوّ إليها أجابها إلى ذلك حتى ربما نبذت إليه بالخاتم والخلخال وما قيمته عشرة دراهم ، ومَنْ كان بخلاف هذه الصّفة ، قال : لا أرضى حتى أفتّشك ؛ لا تكونين قد خبأت ذهباً أو دُرّاً أو ياقوتاً ؛ فيضرب يده إلى مغابنها وأرفاغها ؛ فيطلب فيها ما يظنّ أنها قد سترته عنه ؛ حتى إذا ظنّ أنه قد أحكم هذا كلّه وجّهه على بعير بلا وِطاء تحته ، وفى عنقه سلسلة ، وفى رجله قيود ثقال ما يقدر معها على نهوض ٣/٧٢٣ واعتماد .

فذُكر عمّن شهد أمر هرثمة وأمره ؛ أن هرْثمة لما فرغ من مطالبة عليّ بن عيسى وولده وكتّابه وعمّاله بأموال أمير المؤمنين ، أقامهم لمظالم الناس ، فكان إذا برد للرجل عليه أو على أحد من أصحابه حق ، قال : اخرج للرجل من حقّه ، وإلا بسطت عليك ، فيقول عليّ : أصلح الله الأمير !

(١) ا : « لم يشذ على هرثمة » .

أجّلني يومًا أو يومين ، فيقول : ذلك إلى صاحب الحقّ ، فإن شاء فعل . ثم يُقبل على الرجل ، فيقول : أترَى أن تَدعه ؟ فإن قال : نعم ، قال : فانصرف وعُدْ إليه ، فيبعث علىّ إلى العلاء بن ماهان ، فيقول له : صالحْ فلانا عنّى[١] من كذا وكذا على كذا وكذا ، أو على ما رأيت ، فيصالحه ويُصلح أمره .

وذُكر أنه قام إلى هرثمة رجل ، فقال له : أصلح الله الأمير ! إن هذا الفاجر أخذ منى دَرَقة[٢] ثمينة لم يملك أحد مثلها ، فاشتراها على كُرْه منى ولم أرِدْ بيعها بثلاثة آلاف درهم ؛ فأتيت قهرمانه أطلب ثمنَها ، فلم يعطِنِي شيئًا ، فأقمت حَوْلاً أنتظر ركوب هذا الفاجر ؛ فلما ركب عرضتُ له وصِحْت به : أيها الأمير ، أنا صاحب الدّرَقة ، ولم آخذ لها ثمنًا إلى هذه الغاية ، فقذَف أمّى ولم يعطنى حقّى ، فخذ لى بحقّى من مالِه[٣] وقَذْفِه أمى ، فقال : لك بيّنة ؟ قال : نعم ، جماعة حضروا كلامه ؛ فأحضرهم فأشهدهم[٤] على دعواه ، فقال هرثمة : وجب عليك الحدّ ، قال : ولمَ ؟ قال : لقذفك أمّ هذا ، قال : مَنْ فقّهك[٥] وعلّمك هذا ؟ قال : هذا دِين المسلمين ، قال : فأشهد أن أمير المؤمنين قد قذَفك غير مرّة ولا مرّتين ؛ وأشهد أنك قد قذفت بنيك ما لا أحصِي ، مرةً حاتمًا ومرة أعين ؛ فمن يأخذ لهؤلاء بحدودهم منك ؟ ومن يأخذ لك من مولاك ! فالتفت هرثمة إلى صاحب الدّرَقة ، فقال : أرى لك أن تطالب هذا الشيطان بدَرَقتك أو ثمنها ، وتترك مطالبته بقذفِ أمّك .

٧٢٤/٣

* * *

[كتاب هرثمة إلى الرشيد فى أمر علىّ بن عيسى]

ولما حمل هرثمة عليًا إلى الرّشيد ، كتب إليه كتابًا يخبره ما صنع ؛ نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ؛ فإن الله عزّ جلّ لم يزل يبلى أمير المؤمنين فى كلّ ما قلده من خلافته ، واسترعاه من أمور[٦] عباده وبلاده أجمَل

(١) س : « على » .
(٢) الدرقة : الترس من جلد بلا خشب ولا عقب ، وتسمى الحجفة أيضاً .
(٣) س : « ماله » .
(٤) ا ، س : « فشهدوا » .
(٥) ج : « فهمك » .
(٦) س : « أمر » .

البلاء وأكمله ، ويعرّفه فى كلّ ما حضره ونأى عنه من خاصّ أموره وعامّها ، ولطيفها وجليلها أتمّ الكفاية وأحسن الولاية ، ويعطيه فى ذلك كلّه أفضل الأمنيّة ، ويبلغه فيه أقصى غاية الهمة ، امتناناً منه عليه ، وحفظاً لما جعل إليه ، مما تكفّل بإعزازه وإعزاز أوليائه وأهل حقه وطاعته؛ فيستتمّ الله أحسن ما عوّده وعوّدنا من الكفاية فى كلّ ما يؤدّينا إليه ، ونسأله توفيقنا لما نقضى به المفترَض من حقّه فى الوقوف عند أمره ، والاقتصار على رأيه .

ولم أزل أعزّالله أمير المؤمنين ، مذ فصلت عن معسكر أمير المؤمنين ممتثلاً ما أمرنِى به فيما أنهضنى له ؛ لا أجاوز ذلك ولا أتعدّاه إلى غيره ، ولا أتعرّف اليُمْن والبركة إلا فى امتثاله ؛ إلى أن حللتُ أوائل خُراسان ؛ صائناً للأمر الذى أمرنى أمير المؤمنين بصيانته وستره ؛ لا أفضى ذلك إلى خاصىّ ولا إلى عامىّ ، ودبّرتُ فى مكاتبة أهل الشاش وفَرْغانة وخزْلهما[1] عن الخائن ، وقطع طمعه وطمع مَنْ قِبَله عنهما ، ومكاتبة مَنْ ببلْخ بما كنت كتبت به إلى أمير المؤمنين وفسّرت له ، فلما نزلت نيسابور عملتُ فى أمر الكُوَر التى اجتزت عليها بتولية مَنْ ولّيت عليها ، قبل مجاوزتى إياها ؛ كجرجان ونَيْسابور ونَسا وَسَرَخْس ، ولم آلُ الاحتياط فى ذلك ، واختيار الكفاة وأهل الأمانة والصّحة من ثقات أصحابى ، وتقدّمت إليهم فى ستر[2] الأمر وكتمانه ، وأخذت عليهم بذلك أيمانَ البَيْعة ، ودفعت إلى كلّ رجل منهم عهدَه بولايته ، وأمرتهم بالمسير[3] إلى كوَر أعمالهم على أخفى الحالات وأسترها ، والتّشبّه بالمجتازين فى وُرودهم الكُوَر ومقامهم بها إلى الوقت الذى سَمَّيتُ لهم ؛ وهو اليوم الذى قدّرت فيه دخولِى إلى مَرْو ، والتقائى وعلىّ بن عيسى ، وعملت فى استكفائى[4] إسماعيل بن حفص بن مصعب أمرَ جُرجان بما كنت كتبت به إلى أمير المؤمنين ، فنفذ[5] أولئك العمال لأمرى ، وقام كلُّ رجل منهم فى الوقت الذى وُقّتَ له بضبط عملِه وإحكام ناحيته ، وكفى الله أميرَ المؤمنين المؤنةَ فى ذلك ، بلطيف[6] صنعه .

٣/٧٢٥

(١) خزلهما عن الخائن ، أى إبعادهما عنه .
(٢) س : « بستر » .
(٣) ا ، س : « بالمصير » .
(٤) ا ، س : « استكفاء » .
(٥) س : « فتنفقد » .
(٦) ا ، ج : « بلطف » .

ولما صرتُ من مدينة مَرْو على منزل، اخترت عِدّةً من ثقات أصحابى، وكتبت بتسمية ولد علىّ بن عيسى وكتّابه وأهل بيته وغيرهم رقاعًا، ودفعت إلى كلّ رجل منهم رُقعة باسم مَنْ وكّلته بحفظه فى دخولى، ولم آمن لو قصّرت فى ذلك وأخّرته أن يصيرُوا عند ظهور الخبر وانتشاره إلى التغيب والانتشار، فعملوا بذلك، ورحلتُ عن[1] موضعى إلى مدينة مَرْو، فلما صرت منها على ميلين تلقّانى علىّ بن عيسى فى ولَده وأهل بيته وقوّاده، فلقيته[2] بأحسن لقاء، وآنسته[2]، وبلغتُ من توقيره وتعظيمه والتماس النزول إليه أوّل ما بصرت به ما ازداد به أنسًا وثقة، إلى ما كان ركن إليه قبل ذلك؛ مما كان يأتيه من كتبى؛ فإنها لم تنقطع عنه بالتعظيم والإجلال منّى له والالتماس، لإلقاء سوء الظنّ عنه؛ لئلا يسبق إلى قلبه أمرٌ ينتقض به ما دبر أمير المؤمنين فى أمره، وأمرنى به فى ذلك. وكان الله تبارك وتعالى هو المنفرد بكفاية أمير المؤمنين الأمرَ فيه إلى أن ضمّنى وإياه مجلسه، وصرت إلى الأكل معه، فلمّا فرغنا من ذلك بدأنِى يسألنى المصيرَ إلى منزل كان ارتاده لى؛ فأعلمته ما معى من الأمور التى لا تحتمل تأخير المناظرة فيها. ثم دفع إليه رجاء الخادم كتابَ أمير المؤمنين وأبلغه رسالتَه، فعلم عند ذلك أن قد حلّ به الأمر الذى جناه على نفسه، وكسبته يداه؛ من سخط أمير المؤمنين، وتغيّر[3] رأيه بخلافِه أمره وتعدّيه سيرته.

٣/٧٢٦

ثم صرت إلى التوكيل به، ومضيت إلى المسجد الجامع، فبسطت آمال الناس ممن حضر، وافتتحت القول بما حمّلنى أمير المؤمنين إليهم، وأعلمتهم إعظامَ أمير المؤمنين ما أتاه، ووضح عنده من سوء سيرة علىّ، وما أمرنى به فيه وفى عمّاله وأعوانه؛ وإنى بالغٌ من ذلك ومن إنصاف العامّة والخاصّة والأخذ لهم بحقوقهم أقصى غايتهم. وأمرت بقراءة عهدى عليهم، وأعلمتهم أنّ ذلك مثالى وإمامى؛ وأنّى به أقتدى، وعليه أحتذى؛ فمتى زلتُ عن باب واحد من أبوابه فقد ظلمتُ نفسى، وأحللت بها ما يحلّ بمن خالفَ

(١) ا، س: «من».
(٢ – ٢) س: «بأحسن اللقاء وآنسه».
(٣) ج: «وتغيره له».

رأى أمير المؤمنين وأمرَه ؛ فأظهروا السرور بذلك والاستبشار ، وعلتْ بالتكبير والتهليل أصواتُهم ، وكثر دعاؤهم لأمير المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء .

٣/٧٢٧ ثم انكفأت إلى المجلس الذى كان علىّ بن عيسى فيه ، فصرت إلى تقييده وتقييد ولده وأهل بيته وكتّابه وعماله والاستيثاق منهم جميعًا ، وأمرتهم بالخروج إلىّ من الأموال التى احتجنوها من أموال أمير المؤمنين وفىء المسلمين ، وإعفائى بذلك من الإقدام عليهم بالمكروه والضرب ، وناديت فى أصحاب ودائعهم بإخراج ما كان عندهم . فحملوا إلىّ إلى أن كتبت إلى أمير المؤمنين صدرًا صالحًا من الوَرِق والعيْن[١] ، وأرجو أن يعين الله على استيفاء ما قِبلهم ، واستنظاف ما وراء ظهورهم ، ويسهّل الله من ذلك أفضلَ ما لم يزل يعوّده أمير المؤمنين من الصّنع فى مثله من الأمور التى يعنّى بها إن شاء الله تعالى .

ولم أدعْ عند قدومى مَرْو التقدّم فى توجيه الرسل وإنفاذ الكتب البالغة فى الإعذار والإنذار ، والتبصير والإرشاد ، إلى رافع[٢] ومَنْ قِبلَه من أهل سَمَرْقَند ، وإلى مَنْ ببلْخ ، على حسن ظنّى بهم فى الإجابة ، ولزوم الطاعة والاستقامة ؛ ومهما تنصرفْ به رسلى إلىّ يا أمير المؤمنين من أخبار القوم فى إجابتهم وامتناعهم ، أعملْ على حسبه من أمرهم ، وأكتب بذلك إلى أمير المؤمنين على حقّه وصدقه . وأرجو أن يعرّف الله أميرَ المؤمنين فى ذلك من جميل صنعه ولطيف كفايته ؛ ما لم تزل عادته جاريةً به عنده ، بمنّه وطوله وقوّته والسلام.

الجواب من الرشيد

٣/٧٢٨ بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابُك بقدومك مَرْو فى اليوم الذى سمّيت ، وعلى الحال التى وصفت وما فسرّت ، وما كنت قدّمت من الحِيَل قبل ورودك إياها ، وعملت[٣] به فى أمر الكُور التى سمّيت وتولية مَنْ وليت عليها قبل نفوذك عنها ، ولطّفت له من الأمر الذى استجمع لك به ما أردت من أمر الخائن علىّ بن عيسى وولده وأهل بيته ، ومن صار فى

(١) الورق : الدراهم المضروبة . والعين : الدينار .
(٢) هو رافع بن ليث بن نصر بن سيار .
(٣) ج : « وعاملت » .

يدك من عمّاله وأصحاب أعماله واحتذائك فى ذلك كلّه ما كان أمير المؤمنين مثّل لك ووقفك عليه، وفهم أمير المؤمنين كلّ ما كتبتَ به ، وحمد الله على ذلك كثيراً وعلى تسديده إياك وما أعانك به من توفيقه ، حتّى بلغتَ إرادة أمير المؤمنين ، وأدركت طلبتَه، ⁽¹وأحسنت ما كان يُحبّ بك وعلى يديك إحكامَه¹⁾، مما كان اشتدّ به اعتناؤه ، ولجّ به اهتمامه ، وجزاك الخير على نصيحتك وكفايتك ، فلا أعدم الله أمير المؤمنين أحسنَ ما عرّفه منك فى كلّ ما أهاب بك إليه ، واعتمد بك عليه[٢] .

وأمير المؤمنين يأمُرك أن تزداد جدّاً واجتهاداً فيما أمرك[٣] به من تتبّع أموال الخائن علىّ بن عيسى وولده وكتّابه وعماله ووكلائه وجهابذته والنظر فيما اختانوا به أميرَ المؤمنين فى أمواله ، وظلموا به الرّعية فى أموالهم ، وتتبُّع ذلك واستخراجه من مظانّه ومواضعه ، التى صارت إليه ، ومن أيدى أصحاب الودائع التى استودعوها إياهم ؛ واستعمال اللين والشدة فى ذلك كله؛ حتى تصير إلى استنظاف ما وراء ظهورهم ؛ ولا تبقى من نفسك فى ذلك بقية[٤] ، ٧٢٩/٣ وفى إنصاف الناس منهم فى حقوقهم ومظالمهم ؛ حتى لا تبقى لمتظلم منهم قِبَلهم ظُلامة إلا استقضيت[٥] ذلك له ، وحملته وإياهم على الحقّ والعدل فيها ، فإذا بلغتَ أقصى غاية الإحكام والمبالغة فى ذلك ، فأشخِص الخائن وولَده وأهلَ بيته وكتّابَه وعمّاله إلى أمير المؤمنين فى وثاق ، وعلى الحال[٦] التى استحقّوها من التغيير والتنكيل[٧] بما كسبت أيديهم ؛ وما الله بظلّام للعبيد .

ثمّ اعمل بما أمرك به أمير المؤمنين من الشخوص إلى سَمَرْقند، ومحاولة ماقبل خامل، ومَنْ كان على رأيه ممن أظهر خلافاً وامتناعاً من أهل كُور ما وراء النهر وطُخارستان بالدّعاء إلى الفيئة والمراجعة ، وبسط أمانات أمير المؤمنين التى حمّلكها إليهم؛ فإن قبلوا وأنابوا وراجعوا ما هو أملَكُ بهم، وفرّقوا جموعَهم ، فهو ما يحبّ أمير المؤمنين أن يعاملَهم به من العفو عنهم والإقالة

(١ – ١) س : « وأحكمت ما كان تحت يدك ويجب عليك إحكامه » .
(٢) ج : « منك عليه » .
(٣) س : « يأمرك » .
(٤) س : « باقية » .
(٥) س : « استصفيت » .
(٦) س : « على الحال » .
(٧) ج : « التغير والتنكل » .

لهم ؛ إذ كانوا رعيَّته ؛ وهو الواجب على أمير المؤمنين لهم إذ أجابهم إلى طَلِبتهم ، وآمن رَوْعهم ، وكفاهم ولاية من كرهوا ولايتَه ، وأمر بإنصافهم فى حقوقهم وظلاماتهم — وإن خالفوا ما ظنّ أمير المؤمنين ، فحاكمهم إلى الله إذ طَغَوْا وبغَوْا ، وكرهوا العافية وردّوها ؛ فإنّ أمير المؤمنين قد قضى ما عليه ، فغيّر ونكّل ، وعزَل واستبدلَ ، وعفا عمّن أحدث ، وصفح عمن اجترم ؛ وهو يشهد الله عليهم بعد ذلك فى خلاف إن آثروه ، وعنودٍ [1] إن أظهروه . وكفى بالله شهيداً ولاحولَ ولا قوّة إلا بالله العلىّ العظيم ، عليه يتوكل وإليه ينيب . والسلام .

وكتب إسماعيل بن صبيح بين يدى أمير المؤمنين .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن العباس بن محمد بن علىّ ، وكان والى مكة . ٧٣٠/٣

ولم يكن للمسلمين بعد هذه السنة صائفة إلى سنة خمس عشرة ومائتين .

(١) عند عن الطريق — كنصر وسمع وكرم — عنودا ، مال .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كان الفداء بين المسلمين والرّوم على يدىْ ثابت بن نصر بن مالك.

* * *

[ذكر الخبر عن مسير الرشيد إلى خراسان]

وفيها وافى الرّشيد من الرّقّة فى السّفُن مدينة السلام ، يريد[١] الشخوص إلى خُراسان لحرب رافع ؛ وكان مصيره ببغداد يوم الجمعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر ، واستخلف بالرّقة ابنه القاسم ، وضمّ إليه خُزيمة بن خازم، ثم شخص من مدينة السلام عشيّة[٢] الاثنين، لخمس خلوْن من شعبان بعد صلاة العصر، من الخيزُرانيّة ، فبات فى بستان أبى جعفر، ثم سار[٣] من غد إلى النهروان ، فعسكر هنالك ، وردّ حماداً البربرىّ إلى أعماله، واستخلف ابنه محمدًا بمدينة السلام .

وذُكر عن ذى الرياستيْن أنه قال: قلتُ للمأمون لما اراد الرشيد الشخوص إلى خُراسان لحرب رافع : لستَ تدرِى ما يحدث بالرّشيد وهو خارج إلى خُراسان، وهى ولايتك ، ومحمّد المقدم عليك ! وإنّ أحسَن ما يصنع بك أن يخلعك ؛ وهو ابن زُبيدة ، وأخواله بنو هاشم ، وزبيدة وأموالها، فاطلبْ إليه أن يُشخصك معه . فسأله الإذن فأبى عليه ، فقلت له : قل له: أنت عليل؛ وإنما أردتُ أن أخدمك ، ولست أكلفك شيئًا . فأذن له وسار . ٣/٧٣١

فذكر محمد بن الصبّاح الطبرىّ أن أباه شيّع الرشيد حين خرج إلى خُراسان، فمضى معه إلى النّهروان، فجعل يحادثه[٤] فى الطريق إلى أن قال له : ياصبّاح، لاأحسبك ترانى أبدًا . قال : فقلت : بل يردّك الله سالمًا ؛ قد فتح[٥] الله

---

(١) س : « مريداً » .
(٢) س : « يوم » .
(٣) ج : « صار » .
(٤) ج : « يحدّثه » .
(٥) س : « قد يفتح » .

عليك ، وأراك فى عدوِّك أملك. قال: ياصبّاح ، ولا أحسبك تدرى ما أجد ! قلت : لا والله ، قال : فتعال حتّى أريك ، قال : فانحرف عن الطريق قَدْرَ مائة ذراع ، فاستظلّ بشجرة ، وأومأ إلى خدمه الخاصّة فتنحّوْا ، ثم قال : أمانة الله يا صبّاح أن تكتم[1] علىّ ، فقلت : يا سيّدى ، عبدك الذليل تخاطبه مخاطبة الولد ! قال : فكشف عن بطنه ؛ فإذا عصابة حرير حوالىْ بطنه ، فقال : هذه علّة أكتمها الناس كلّهم ؛ ولكلّ واحد من ولدى علىّ رقيب ؛ فمسرور رقيب المأمون ، وجبريل بن بختيشوع رقيب الأمين — وسمّى الثالث فذهب عنى اسمه — وما منهم أحد إلا وهو يحصى أنفاسى ، ويعدّ أيامى ، ويستطيل عمرى[2] ، فإن أردت أن تعرف ذلك فالساعة أدعو بدابّة ، فيجيئونى ببرذَوْن أعجف قَطوف[3] ، ليزيد فى علتى ، فقلت : يا سيدى ٧٣٢/٣ ما عندى فى الكلام جوابٌ ؛ ولا فى ولاة العهود ؛ غير أنى أقول : جعل الله من يَشْنْؤك من الجنّ والإنس والقريب والبعيد فداك؛ وقدّمهم إلى تلك قبلك ، ولا أرانا فيك مكروهًا أبداً ، وعمّر بك الله الإسلام ،ودعم ببقائك أركانه ، وشدّ بك أرجاءه ، وردّك الله مظفّرًا مفلحًا ، على أفضل أملك فى عدوّك ، وما رجوت من ربك . قال : أمّا أنت فقد تخلّصت من الفريقين .

قال : ثم دعا ببرذون ، فجاءوا به كما وصف ، فنظر إلىّ فركبه ، وقال انصرف غير مودّع ؛ فإن لك أشغالا ، فودّعته وكان آخر العهد به .

* * *

وفيها تحرّك الخُرَّمية بناحية أذْرَبيجان ، فوجّه إليهم الرّشيد عبد الله بن مالك فى عشرة آلاف فارس ، فأسر وسبَى ، ووافاه بقَرْمَاسِين ، فأمر بقتل الأسارى وبيع السَّبْى .

وفيها مات علىّ بن ظَبْيان القاضى بقصر اللصوص .

وفيها قدم يحي بن معاذ بأبى النّداء[4] على الرشيد وهو بالرّقة فقتله .

---

(١) ج : « إن كتمت » .
(٢) س : « دهرى » .
(٣) دابة قطوف : ضاق مشيها .
(٤) س : « الندى » .

وفيها فارق عُجيف بن عنبسة والأحوص بن مهاجر فى عدّة من أبناء الشّيعة رافع بن ليث ، وصاروا إلى هرثمة .

وفيها قُدِم بابن عائشة وبعدّة من أهل أحواف مصر .

وفيها ولّى ثابت بن نصر بن مالك الثّغور[1] وغزا ، فافتتح مطمورة .

وفيها كان الفداء بالبُدَنْدون .

وفيها تحرّك ثرْوان الحروريّ ، وقَتل عامل السلطان بطفّ البصرة .

وفيها قُدِم بعليّ بن عيسى بغداد ، فحبس فى داره .

٣/٧٣٢ وفيها مات عيسى بن جعفر بطرارستان[2] — وقيل بالدّسكرة — وهو يريد اللحاق بالرشيد .

وفيها قتَل الرشيد الهيصم اليمانىّ[3] .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة العباس بن عبيد الله بن جعفر بن أبى جعفر المنصور .

---

(١) ج : « الثغر » .
(٢) ج : « بطبرستان » .
(٣) ابن الأثير : « الهيصم الكنانى » .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة الفضل بن يحيى]

فمن ذلك وفاة الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك فى الحبْس بالرّقة فى المحرّم ، وكان بدء علّته — فيما ذكر — من ثقل أصابه فى لسانه وشقّه؛ وكان يقول : ما أحبّ أن يموت الرشيد، فيقال له : أما تحب أن يفرّج الله عنك ! فيقول : إن أمرى قريب من أمره . ومكث يعالَج أشهراً ، ثم صلح ، فجعل يتحدّث ، ثم اشتدّ عليه فعُقد لسانه وطرفه ، ووقع لمآبه ، فمكث فى تلك الحال يوم الخميس ويوم الجمعة ، وتُوفّى مع أذان الغداة ، قبل وفاة الرشيد بخمسة أشهر ؛ وهو فى خمس وأربعين سنة ، وجزع الناس عليه ، وصلّى عليه إخوانه فى القصر الذى كانوا فيه قبل إخراجه ، ثم أخرِج فصلّى الناس على جنازته .

* * *

وفيها مات سعيد الطبرىّ المعروف بالجوهرىّ .

* * *

[ذكر الخبر عن مقام الرشيد بطوس]

وفيها وافى هارون جرجان فى صفر ، فوافاه بها خزائن علىّ بن عيسى على ألف بعير وخمسمائة بعير ، ثم رحل من جُرجان — فيما ذكر — فى صفر ، وهو عليل، إلى طُوس؛ فلم يزل بها إلى أن تُوفّىَ — واتّهم هرثمة ، فوجّه ابنه المأمون قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة إلى مَرْو ، ومعه عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وأسد بن يزيد بن مزيد والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث والسندىّ ابن الحرَشىّ ونعيم بن حازم ؛ وعلى كتابته ووزارته أيّوب بن أبى سُمَيْر ، ثم اشتدّ بهارون الوجع حتى ضعف عن السير . ٧٣٤/٣

وكانت بين هرثمة وأصحاب رافع فيها وقعة ، فَتح فيها بخارى ، وأسر

أخا رافع بشير بن الليث، فبعث به إلى الرشيد وهو بطوس؛ فذُكِر عن ابن جامع المروزىّ، عن أبيه، قال: كنت فيمن[1] جاء إلى الرشيد بأخى رافع. قال: فدخل عليه وهو على سرير مرتفع عن الأرض بقدر عظم الذّراع، وعليه فرْش بقدر ذلك — أو قال أكثر — وفى يده مرآة ينظر إلى وجهه. قال: فسمعته يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون! ونظر إلى أخى رافع، فقال: أما والله يابن اللّخناء، إنى لأرجو ألّا يفوتنى خامل[2] — يريد رافعًا — كما لم تَفُتْنِى. فقال له: يا أمير المؤمنين، قد كنت لك حربًا، وقد أظفرك الله بى فافْعَل ما يحبّ الله، أكن لك سلمًا؛ ولعل الله أن يليّن لك قلب رافع إذا علم أنك قد مننت علىّ! فغضب وقال: والله لو لم يبق من أجَلى إلاّ أن أحرّك شفتىّ بكلمة لقلت: اقتلوه. ثم دعا بقصّاب، فقال: لا تشحذ مُداك، اتركها على حالها، وفصّل هذا الفاسق ابن الفاسق، وعجّل؛ لا يحضرنّ أجلى وعضوان من أعضائه فى جسمه. ففصّله حتى جعله أشلاء. فقال: عُدّ أعضاءه، [3] فعددت له أعضاءه [3]، فإذا هى أربعة عشر عضواً، فرفع يديه إلى السماء، فقال: اللهمّ كما مكّنتنى من ثأرك وعدوّك، فبلغت فيه رضاك، فمكّنّى من أخيه. ثم أغْمِىَ عليه، وتفرّق مَن حضره. ٣/٧٣٥

* * *

[ذكر الخبر عن موت الرشيد]

وفيها مات هارون الرشيد.

* ذكر الخبر عن سبب وفاته والموضع الذى توفِّىَ فيه:

ذُكر عن جبريل بن بختيشوع أنه قال: كنت مع الرّشيد بالرّقة، وكنت أوّل من يدخل عليه فى كلّ غداة، فأتعرّف[4] حاله فى ليلته؛ فإن كان أنكر شيئًا وصفه، ثم ينبسط فيحدّثنى بحديث جواريه وما عمِل فى مجلسه، ومقدار شربه، وساعات جلوسه، ثم يسألنى عن أخبار العامّة وأحوالها؛ فدخلتُ عليه فى غداة يوم، فسلّمت فلم يكد يرفع طرفه، ورأيته عابسًا مفكّرًا

---

(١) س: «ممن».
(٢) س: «حامل».
(٣ - ٣) س: «فعدت أعضاؤه».
(٤) ج: «فأعرف».

مهموماً ، فوقفت بين يديه ملياً من النهار ، وهو على تلك الحال ؛ فلما طال ذلك أقدمتُ عليه ، فقلت : يا سيدى ، جعلنى الله فداك ! ما حالك هكذا ، أعلّة فأخبرنى بها ؛ فلعله يكون عندى دواؤها ، أو حادثة فى بعض مَنْ تحبّ فذاك ما لا يُدفع ولا حيلة فيه إلا التسليم والغمّ ، لادرك فيه ، أو فَتْق ورد عليك فى مُلْكك ، فلم تخلُ الملوك من ذلك ؛ وأنا أوْلى من أفضيْتَ إليه بالخبر ، وتروّحت إليه بالمشورة . فقال : ويحك يا جبريل ! ليس غمّى وكربى لشىء مما ذكرت ، ولكن لرؤيا رأيتُها فى ليلتى هذه ، وقد أفزعتنى وملأت صدرى ، وأقْرحت[1] قلبى ، قلت : فرّجتَ عنى يا أمير المؤمنين ؛ فدنوتُ منه ، فقبّلت رجله ، وقلت : أهذا الغمّ كله لرؤيا ! الرؤيا إنما تكون من خاطر أو بخارات ٣/٧٣٦ رديئة أو من تهاويل السوداء ؛ وإنما هى أضغاث أحلام بعد هذا كله . قال : فأقصّها عليك ، رأيت كأنى جالس على سريرى هذا ؛ إذ بدتْ من تحتى ذراع أعرفها وكفّ أعرفها ، لا أفهم اسم صاحبها ، وفى الكفّ تربة حمراء ، فقال لى قائل أسمعه ولا أرى شخصه : هذه التربة التى تُدفن فيها ، فقلت : وأين هذه التربة ؟ قال : بطوس . وغابت اليد وانقطع الكلام ، وانتبهت . فقلت : يا سيّدى ، هذه والله رؤيا بعيدة ملتبسة ، أحسبك أخذت مضجعَك ، ففكّرت فى خُراسان وحروبها وما قد ورد عليك من انتقاض بعضها . قال : قد كان ذاك ، قال : قلت : فلذلك[2] الفكر خالطَك فى منامك ما خالطك ، فولّد هذه الرؤيا ، فلا تحفِل بها جعلنى الله فداك ! وأتبع هذا الغمّ[3] سروراً ، يخرجه من قلبك لا يولد علة . قال : فما برحت أطيّب نفسه بضروب من الحيل ، حتى سلا وانبسط[4] ، وأمر بإعداد ما يشتهيه ، ويزيد فى ذلك اليوم فى لهوه . ومرّت الأيام فنسىَ ، ونسينا تلك الرؤيا ، فما خطرت لأحد منا ببال ، ثم قدّر مسيره إلى خُراسان حين خرج[5] رافع ، فلما صار فى بعض الطريق ، ابتدأت به العلّة فلم تزل تتزايد[6] حتى دخلنا طُوس ، فنزلنا فى منزل الجنيد بن

---

(١) كذا فى ج ، وفى ط : « أفرجت » .
(٢) س : « فقلت لذلك » .
(٣) ج : « الهم » .
(٤) س : « فانبسط » .
(٥) ج : « تحرك » .
(٦) س : « تتزيد » .

عبد الرحمن فى ضَيْعة له تعرف بسنَاباذ ، فبينا هو يمرض فى بستان له فى ذلك القصر إذ ذكر تلك الرؤيا ، فوثب متحاملاً يقوم ويسقط ؛ فاجتمعنا إليه ؛ كلّ يقول : يا سيّدى ما حالك ؟ وما دهاك ؟ فقال : يا جبريل، تذكر رؤياى بالرّقة فى طُوس ؟ ثم رفع رأسه إلى مسرور ، فقال : جئنى من تربة هذا البستان ، فمضى مسرور ، فأتى بالتربة فى كفه حاسراً عن ذراعه ، فلما نظر إليه قال : هذه والله الذّراع التى رأيتُها فى منامى، وهذه والله الكفّ بعينها، وهذه والله التربة الحمراء ما خرمت شيئًا ؛ وأقبل على البكاء والنحيب . ثم مات بها والله بعد ثلاثة ، ودفن[1] فى ذلك البستان . ٣/٧٣٧

وذكر بعضهم أن جبريل بن بختيشوع كان غلط على الرشيد فى علّته فى علاج عالجه به، كان سبب منيّته ؛ فكان الرّشيد همّ ليلة مات بقتله ، وأن يفصّله كما فصّل أخا رافع ، ودعا بجبريل ليفعلَ ذلك به ، فقال له جبريل : أنظرنى إلى غدٍ يا أميرَ المؤمنين ، فإنك ستصبح فى عافية . فمات فى ذلك اليوم .

وذكر الحسن بن علىّ الرّبَعىّ أنّ أباه حدّثه عن أبيه — وكان جمّالا معه مائة جمل ، قال : هو حمل[2] الرشيد إلى طُوس — قال : قال الرشيد : احفُروا لى قبراً قبل أن أموت ، فحفروا له ، قال : فحملتُه فى قبّة أقود به ؛ حتى نظر إليه . قال ، فقال : يابن آدم تصير إلى هذا !

وذكر بعضهم أنه لما اشتدّت به العلّة أمر بقبره فحفر فى موضع من الدار التى كان فيها نازلا، بموضع يسمى المثقّب ، فى دار حميد بن أبى غانم الطائىّ، فلما فرغ من حفر القبر ، أنزل فيه قومًا فقرءوا فيه القرآن حتى ختموا ، وهو فى محفّة على شفير القبر .

وذكر محمد بن زياد بن محمد بن حاتم بن عبيد الله بن أبى بكرة، أنّ سهل بن صاعد حدّثه ، قال : كنتُ عند الرّشيد فى بيتِه الذى قبض فيه ، وهو يجود بنفسه ، فدعا بمِلْحفة غليظة فاحتبى بها ، وجعل يقاسى ٣/٧٣٨

(١) س : « ثم دفن » . (٢) ج : « حمال » .

ما يقاسي ؛ فنهضت فقال لى : اقعد يا سهل ، فقعدتُ وطال[١] جلوسى لا يكلّمنى ولا أكلمه ، والملحفة تنحلّ فيعيد الاحتباء بها ، فلما طال ذلك نهضت ، فقال لى : إلى أين يا سهل ؟ قلت : يا أميرَ المؤمنين ، ما يسع[٢] قلبي أن أرى أميرَ المؤمنين يعانى من العلّة ما يعانى ؛ فلو اضطجعتَ يا أمير المؤمنين كان أروَح[٣] لك ! قال : فضحك ضحْك صحيح ، ثم قال : يا سهل إنى أذكر فى هذه الحال قول الشاعر :

وَإِنِّى مِنْ قَوْمٍ كِرامٍ يَزِيدُهُمْ ... شِماساً وَصَبْرًا شِدةُ الحَدَثانِ

وذُكر عن مسرور الكبير ، قال : لما حضرت الرشيد الوفاة ، وأحسّ بالموت ، أمرنى أن أنشر[٤] الوشْىَ فآتيَه بأجود ثوب أقدر عليه وأغلاه قيمة ، فلم أجد ذلك فى ثوب واحد ، ووجدت ثوبيْن أغلَى شىء قيمة ، وجدْتهما متقاربيْن فى أثمانهما ، إلاّ أنّ أحدهما أغلَى من الآخر شيئًا ، وأحدهما أحمر والآخر أخضر ، فجئته بهما ، فنظر إليهما وخبّرته قيمتهما ، فقال : اجعل أحسنَهما كفنى ، وردُّ الآخر إلى موضعه .

وتوُفّى — فيما ذكر — فى موضع يدعى المثقّب ، فى دار حميد بن أبى غانمٍ ، نصف الليل ؛ ليلة السبت لثلاث خلوْن من جُمادى الآخرة من هذه السنة ، وصلّى عليه ابنه صالح ، وحضر وفاته الفضل بن الربيع وإسماعيل بن صبيح ، ومن خدمه مسرور وحسين ورشيد .

وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يومًا ، أوّلها ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، وآخرها ليلة السبت لثلاث ليال خلوْن من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة . ٧٣٩/٣

وقال هشام بن محمد : استُخلف أبو جعفر الرشيدُ هارون بن محمد ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، وهو يومئذ ابن اثنتين وعشرين سنة ، وتوفّى ليلة الأحد غرّة جمادى الأولى وهو ابن

---

(١) ا ، س : « فطال » .
(٢) س : « يتسع » .
(٣) س : « أودع » .
(٤) س : « أفتش » .

خمس وأربعين سنة سنة ثلاث وتسعين ومائة، فملك ثلاثًا وعشرين سنة وشهراً وستة عشر يومًا .

وقيل: كان سنّه يوم توفّى سبعًا وأربعين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام ، أولها لثلاث بقين من ذى الحجة سنة خمسين وأربعين ومائة ، وآخرها يومان مضيا من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة .

وكان جميلا وسيمًا أبيض جَعْدًا ، وقد وَخَطه الشيب .

* * *

ذكر ولاة الأمصار فى أيام هارون الرشيد

ولاة المدينة : إسحاق بن عيسى بن علىّ ، عبد الملك بن صالح بن علىّ ، محمد بن عبد الله ، موسى بن عيسى بن موسى ، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، علىّ بن عيسى بن موسى ، محمد بن إبراهيم ، عبد الله بن مُصعب الزبيرىّ ، بكّار بن عبد الله بن مصعب ، أبو البَختَرىّ وهب بن وهب .

ولاة مكة : العباس بن محمد بن إبراهيم ، سليمان بن جعفر بن سليمان ، موسى بن عيسى بن موسى ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ، عبد الله بن قُثَم ابن العباس ؛ محمد بن إبراهيم ، عبيد الله بن قُثَم ، عبد الله بن محمد بن عمران ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ، العباس بن موسى بن عيسى ، علىّ بن موسى بن عيسى ، محمد بن عبد الله العثمانىّ ، حماد البربرىّ ، سليمان بن جعفر ابن سليمان ، أحمد بن إسماعيل بن علىّ ، الفضل بن العباس بن محمد . ٣/٧٤٠

ولاة الكوفة : موسى بن عيسى بن موسى ، يعقوب بن أبى جعفر ، موسى ابن عيسى بن موسى ، العباس بن عيسى بن موسى ، إسحاق بن الصباح الكندىّ ، جعفر بن جعفر بن أبى جعفر ، موسى بن عيسى بن موسى ، العباس بن عيسى بن موسى ، موسى بن عيسى بن موسى .

ولاة البصرة : محمد بن سليمان بن علىّ ، سليمان بن أبى جعفر ، عيسى ابن جعفر بن أبى جعفر ، خزيمة بن خازم ، عيسى بن جعفر ، جرير بن يزيد ؛ جعفر بن سليمان ، جعفر بن أبى جعفر ، عبد الصمد بن علىّ ، مالك

ابن علىّ الخزاعى ، إسحاق بن سليمان بن علىّ ؛ سليمان بن أبى جعفر ، عيسى ابن جعفر ، الحسن بن جميل مولى أمير المؤمنين ؛ إسحاق بن عيسى بن علىّ .

ولاة خراسان : أبو العباس الطوسىّ ، جعفر بن محمد بن الأشعث ، العباس بن جعفر ، الغطريف بن عطاء ، سليمان بن راشد على الخراج ، حمزة ابن مالك ، الفضْل بن يحيى ، منصور بن يزيد بن منصور ، جعفر بن يحيى خليفته بها ، علىّ بن الحسن بن قَحْطبة ، علىّ بن عيسى بن ماهان ، هَرْثمة بن أعيَن .

* * *

ذكر بعض سيَر الرشيد

ذكر العباس بن محمد عن أبيه ، عن العباس ، قال : كان الرّشيد يصلّى فى كلّ يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا ؛ إلا أن تعرض له علّة ، وكان يتصدّق من صُلْب ماله فى كلّ يوم بألف درهم بعد زكاته ، وكان إذا حجّ حجّ معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحجّ أحجّ ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة[١] ، وكان يقتفى آثار المنصور ، ويطلب العمل بها إلاّ فى بذل المال ؛ فإنه لم يُرَ خليفة قبله كان أعطى منه للمال ، ثم المأمون من بعده . وكان لايضيع عنده إحسان محسِن ، ولا يؤخّر ذلك فى أوّل ما يجب ثوابه . وكان يحبّ الشعراء والشعر ، ويميل إلى أهل الأدب والفقه ، ويكره المِراء[٢] فى الدين ، ويقول : هو شىء لانتيجة له ، وبالحرى ألا يكون فيه ثواب ، وكان يحب المديح ؛ ولا سيما من شاعر فصيح ، ويشتريه بالثمن الغالى . ٣/٧٤١

وذكر ابنُ أبى حفصة أنّ مروان بن أبى حفصة دخل عليه فى سنة إحدى وثمانين ومائة يوم الأحد لثلاث[٣] خلوْن من شهر رمضان ، فأنشده شعره الذى يقول فيه :

وَسُدَّتْ بِهارونَ الثُّغورُ فأُحكِمَتْ ... به مِنْ أُمورِ المُسْلِمينَ المَرائِرُ

(١) س : « الطاهرة » . (٢) ج : « المرائين » .
(٣) س : « لست » .

وما انفكَّ مَعْقُودًا بنَصْرٍ لواؤُه ... له عسكرٌ عنْهُ تُشَظَّى العَساكِرُ

وكلُّ مُلوكِ الرومِ أعطاهُ جِزْيَةً ... على الرغمِ قسْرًا عَنْ يَدٍ وهْوَ صاغِرُ

لقد تَرَكَ الصَّفْصافَ هارونُ صَفْصَفاً ... كأَنْ لم يُدَمِّنْهُ مِنَ الناسِ حاضرُ[1]

أَناخَ على الصَّفْصافِ حتى اسْتباحَهُ ... فكابَرَهُ فيها أَلجُّ مُكابرُ

إلى وجْهِه تسْمُو العُيُونُ وَما سمَتْ ... إلى مثلِ هارونَ العيونُ النَّواظِرُ

٧٤٢/٣

ترى حَوْلَهُ الأَملاكَ مِنْ آلِ هاشِمٍ ... كما حَفَّتِ البَدْرَ النجومُ الزَّواهرُ

يَسُوقُ يَدَيْهِ مِنْ قُرَيْشٍ كِرَامُها[2] ... وكِلتاهُما بَحْرٌ على الناسِ زاخِرُ

إذا فقَدَ الناسُ الغمامَ تتابَعَتْ ... عليْهِمْ بكَفَّيْكَ الغُيُومُ المواطِرُ[3]

على ثِقَةٍ أَلقَتْ إليْكَ أُمورَها[4] ... قُرَيْش ، كما أَلقى عَصاهُ المُسافِرُ

أُمورٌ بميراثِ النبيِّ وَلِيتَها ... فأَنتَ لها بالْحَزمِ طاوٍ وَناشِرُ

إليكُمْ تناهَتْ فاستَقَرَّتْ وَإنَّما ... إلى أَهلِهِ صارَتْ بِهِنَّ المَصايرُ

خلَفْتَ لنا المَهْدِيَّ فى العَدْلِ وَالنَّدى ... فلا العُرْفُ منزُورٌ ولا الحُكْمُ جائِرُ

وَأَبناءُ عَبَّاسٍ نُجومٌ مضيئَةٌ ... إذا غابَ نجْمٌ لاحَ آخَرُ زاهِرُ

٧٤٣/٣

علىَّ بَنِى ساقى الحَجيجِ تتابعَتْ ... أَوائلُ منْ مَعْـروفِكمْ وأَواخِرُ

فأَصْبحْتُ قدأَيْقَنْتُ أَنْ لَسْتُ بالغاً[5] ... مَدَى شُكْرِ نُعْماكُمْ وَإِنِّى لَشاكِرُ

وما الناسُ إلا وَارِدٌ لحِياضِكم[6] ... وَذُو نَهَلٍ بالرِّىِّ عنهنَّ صادِرُ

حُصُونُ بَنِى العَباسِ فى كلِّ مَأْزِقٍ ... صُدورُ العوالِى والسُّيوفُ البَواتِرُ

فَطَوْرًا يَهُزُّونَ القَواطِعَ والقَنا ... وَطَوْرًا بأَيدِيهِمْ تُهَزُّ المَخاصِرُ[7]

بأَيْدِى عظامِ النَّفْعِ والضَّرِ لاتَنِى ... بِهِمْ للعَطايا والمَنايا بَوادِرُ

لِيَهنِكُمُ المُلْكُ الذى أَصبحَتْ بِكمْ ... أَسِرَّتُهُ مُخْتـالَةً والمَنابرُ

(١) ا : «كان لم يكن» .
(٢) ج : «يسوف يديه» .
(٣) ا ، س : «الغيوث المواطر» .
(٤) س : «ألقت عليك» .
(٥) س : «وأصبحت» .
(٦) س : «بحياضكم» .
(٧) ط : «المحاضر» ، والصواب ما أثبته من ا .

أَبوكَ وَلِيُّ المُصْطَفى دونَ هاشِمٍ ... وَإِنْ رَغِمتْ مِنْ حاسِدِيكَ المَناخِرُ

فأعطاه خمسة آلاف[١] دينار، فقبضها بين يديه وكساه خلعته، وأمر له بعشرة من رقيق الروم، وحمله على برْذون من خاصّ مراكبه.

وذُكر أنه كان مع الرشيد ابنُ أبى مريم المدنىّ، وكان مضحاكًا[٢] له محداثًا فكيهًا، فكان الرشيد لا يصبر عنه ولا يملّ محادثته[٣]؛ وكان ممّن قد جمع إلى ذلك المعرفة بأخبار أهل الحجاز وألقاب الأشراف ومكايد المجّان، فبلغ من خاصّته بالرّشيد أن بوّأه منزلا فى قصره، وخلطه بحُرَمه وبطانته ومواليه وغلمانه؛ فجاء ذات ليلة وهو نائم وقد طلع الفجر، وقام الرّشيد إلى الصلاة فألفاه نائمًا، فكشف اللحاف عن ظهره[٤]، ثم قال له: كيف أصبحت؟ قال: يا هذا ما أصبحت بعد، اذهب إلى عملك، قال: ويلك! قم إلى الصلاة، قال: هذا وقت صلاة أبى الجارود، وأنا من أصحاب أبى يوسف القاضى. فمضى وتركه نائمًا، وتأهّب الرشيد للصلاة، فجاء غلامه فقال: أمير المؤمنين قد قام إلى الصلاة، فقام فألقى عليه ثيابه، ومضى نحوه، فإذا الرشيد يقرأ فى صلاة الصبح، فانتهى إليه وهو يقرأ: ﴿وما لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنى﴾[٥] فقال ابن أبى مريم: لا أدرى والله! فما تمالك الرّشيد أن ضحك فى صلاته، ثم التفت إليه وهو كالمغضب، فقال: يابن أبى مرْيم، فى الصلاة أيضًا! قال: يا هذا وما صنعتُ؟ قال: قطعتَ علىّ صلاتى، قال: والله ما فعلتُ؛ إنما سمعت منك كلامًا غمّنى حين قلت: ﴿وما لى لاَ أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنى﴾ فقلت: لا أدرى والله! فعاد فضحك، وقال: إياك والقرآن والدين، ولك ما شئت بعدهما.

٣/٧٤٤

وذكر بعضُ خدم الرّشيد أن العباس بن محمد أهدى غاليةً إلى الرشيد، فدخل عليه وقد حملها معه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، جعلنى الله فداك! قد جئتك بغالية ليس لأحد مثلها، أما مِسْكها فمن سُرَر الكلاب التبّتيّة

---

(١) س وابن الأثير «عشرة آلاف».
(٢) ا، ج: «مضحكًا».
(٣) س: «عن محادثته».
(٤) س: «عنه».
(٥) سورة يس ٢٢

العتيقة ، وأما عَنْبرها فمن عنبر بحر عَدَن ، وأما بانُها فمن فلان المدنىّ المعروف بجودة عمله ، وأما مركّبها فإنسان بالبصرة عالم بتأليفها ، حاذق بتركيبها ، فإنْ ٣/٧٤٥ رأى أمير المؤمنين أن يمنّ علىّ بقبولها فعل ، فقال الرشيد لخاقان الخادم وهو على رأسه : يا خاقانُ ، أدخِلْ هذه الغالية ؛ فأدخلها خاقان ، فإذا هى فى بَرْنيّة[1] عظيمة من فضّة ، وفيها مِلْعقة ، فكشف عنها وابن أبى مريم حاضر ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هَبْها لى ، قال : خذها إليك . فاغتاظ العباس ، وطار أسفًا ، وقال : ويلك ! عمَدت إلى شىء منعتُه نفسى ، وآثرتُ به سيدى فأخذتَه ! فقال : أمّه فاعلة إن دهن بها إلا استه ! قال : فضحك الرشيد ، ثم وثب ابنُ أبى مريم ، فألقى طرف قميصه على رأسه ، وأدخل يده فى البَرْنيّة ، فجعل يخرج منها ما حملت يده ، فيضعه فى استه مرّة وفى أرفاغه ومغابنه أخرى ، ثم سوّد بها وجهَه ورأسه وأطرافه ، حتى أتى على جميع جوارحه ، وقال لخاقان : أدخل إلىّ غلامى ، فقال الرشيد وما يعقل مما هو فيه من الضحك ، ادعُ غلامه ، فدعاه ، فقال له : اذهب بهذه الباقية[2] ، إلى فلانة ، امرأته ، فقل لها : ادهِنى بهذا حِرَك إلى أن أنصرف فأنيكك. فأخذها الغلام ومضى ، والرّشيد يضحك ، فذهب به الضحك . ثم أقبل على العبّاس فقال : والله أنت شيخ أحمق ، تجىء إلى خليفة الله فتمدح عنده غالية ! أما تعلم أنّ كلّ شىء تمطر السماء وكلّ شىء تخرج الأرض له ، وكلّ شىء هو فى الدّنيا فملك يده ، وتحت خاتمه وفى قبضته ! وأعجبُ من هذا أنه قيل ٣/٧٤٦ لملك الموت : انظر كلّ شىء يقول لك هذا فأنفذه ، فمثل هذا تُمْدح عنده الغالية ، ويخطب فى ذكرها ، كأنه بقّال أو عطار أو تمّار ! قال : فضحك الرشيد حتى كاد ينقطع نَفَسُه ، ووصل ابنَ أبى مريم فى ذلك اليوم بمائة ألف درهم .

وذكر عن زيد بن علىّ بن حسين بن زيد بن علىّ بن الحسين بن علىّ ابن أبى طالب ، قال : أراد الرشيد أن يشرب الدّواء يومًا ، فقال له ابن أبى مريم : هل لك أن تجعلَنى حاجبَك غدًا عند أخذك الدواء ؛ وكل شىء

---

(١) البرنية فى الأصل : إناء من خزف .
(٢) س : « الباطية » .

أكسبه فهو بيني وبينك ؟ قال : أفعلُ ، فبعث إلى الحاجب : الزمْ غداً منزلك ؛ فإني قد ولّيت ابن أبي مريم الحجابة. وبكَرَ ابن أبي مريم، فوضع له الكرسيّ ، وأخذ الرّشيد دواءه، وبلغ الخبر بِطانتَه، فجاء رسول أم جعفر يسأل عن أمير المؤمنين وعن دوائه ، فأوصله إليه ، وتعرّف حالَه وانصرف بالجواب، وقال للرسول : أعْلِم السيدة ما فعلتُ في الإذن لك قبل الناس ؛ فأعلمَها ، فبعثت إليه بمال كثير ، ثم جاء رسولُ يحيى بن خالد ، ففعل به مثل ذلك ، ثم جاء رسول جعفر والفضل ، ففعل كذلك ، فبعث إليه كلّ واحد من البرامكة بصلَة جزيلة، ثم جاء رسول الفضل بن الربيع فردّه ولم يأذن له ، وجاءت رسلُ القوّاد والعظماء؛ فما أحد سهّل إذنه إلا بعث إليه بصلة جزيلة؛ فما صار العصر حتى صار إليه ستون ألف دينار ، فلما خرج الرشيد من العلّة ، ونقيَ بدنه من الدواء دعاه ، فقال له : ما صنعت في يومك هذا ؟ قال : ياسيدي ، كسبت ستين ألف دينار ، فاستكثرها وقال : وأين[1] حاصلي ؟ قال : معزول، قال : قد سوّغناك حاصلنا؛ فأهدِ إلينا عشرة آلاف تفاحة، ففعل، فكان أربح مَن تاجره الرشيد .

وذكر عن إسماعيل بن صَبيح ، قال : دخلتُ على الرشيد ، فإذا[2] جارية على رأسه ، وفي يدها صحَيفة[3] ومِلْعقة في يدها[4] الأخرى، وهيَ تلعقه أولا فأولا ، قال : فنظرت إلى شيء أبيض رقيق فلم أدر ما هو! قال : وعلم أنّي أحبّ أن أعرفه، فقال : يا إسماعيل بن صَبيح ، قلت : لبيك يا سيدي ، قال : تدري ما هذا ؟ قلت : لا ، قال : هذا جشيش[5] الأرز والحنطة وماء نُخالة السميد ؛ وهو نافع للأطراف المعوجّة وتشنيج الأعصاب ويصفّي البَشَرة ، ويذهب بالكلَف ، ويسمّن البدن ، ويجلُو الأوساخ . قال : فلم تكن لي همّة حين انصرفت إلاّ أن دعوت الطباخ ؛ فقلت : بكّرْ عليّ كلّ غداة بالجشيش ، قال : وما هو ؟ فوصفت له الصّفة التي سمعتها . قال : تضجر من هذا في اليوم الثالث ، فعمِله في اليوم الأول فاستطبتُه ،

٣/٧٤٧

(١) س : « أين » بدون واو.
(٢) س : « وإذا » .
(٣) ج : « صفحة » .
(٤) ج : « اليد » .
(٥) الجشيش : السويق .

وعمله فى اليوم الثانى فصار دونه ، وجاء به فى اليوم الثالث ، فقلت : لا تُقَدِّمْه .

وذُكِر أنّ الرشيد اعتلّ علة ، فعالجه الأطباء ، فلم يجد من علّته إفاقة ، فقال له أبو عمر الأعجمىّ : بالهند طبيب يقال له مَنْكَه ؛ رأيتهم يقدّمونه على كلّ من بالهند ؛ وهو أحد عُبّادهم وفلاسفتهم ، فلو بعث إليه أمير المؤمنين لعلّ الله أن يبعث له الشفاء على يده ! قال : فوجّه الرّشيد مَنْ حمله ، ووجّه إليه بصلة تعينه على سفره. قال : فقدم فعالج الرشيد فبرئ من علته بعلاجه ، فأجرى له رزقًا واسعًا وأموالا كافية ، فبينا مَنْكَه مارًّا بالخُلْد ؛ إذا هو برجل من المانيّين قد بسط كساءه ، وألقى عليه عقاقير كثيرة ، وقام يصف دواء عنده معجونًا ، فقال فى صفته : هذا دواء للحمّى الدائمة وحمّى الغِبّ وحمىّ الربع ، والمثلثة ؛ ولوجع الظهر والركبتين والبَواسير والرياح ، ولوجع المفاصل ووجع العينين ، ولوجع البَطْن والصُّداع والشقيقة ولتقطير البول والفالج والارتعاش ؛ فلم يدَعْ عِلة فى البَدَن إلا ذكر أن ذلك الدواء شفاء منها ، فقال مَنْكَه لترجمانه : ما يقول هذا ؟ فترجم له ما سمع ، فتبسّم مَنْكَه ، وقال : على كلّ حال ملك العرب جاهل ؛ وذاك أنه إنْ كان الأمر على ما قال[٢] هذا ، فلمَ حملنى من بلادى ، وقطعنى عن أهلى ، وتكلّف الغليظَ من مؤنتى ، وهو يجد هذا نصب عينه[٣] وبإزائه ! وإن كان الأمر ليس كما يقول هذا فلم لا يقتله ! فإن الشريعة قد أباحت دمه ودم مَنْ أشبهه ؛ لأنه إن قُتل ، فإنما هى نفس يحيا بقتلها خلْق كثير ؛ وإن ترك هذا الجاهل[٤] قَتَلَ فى كلّ يوم نفسًا ، وبالحرَى أن يقتل اثنتين وثلاثًا وأربعًا فى كلّ يوم ؛ وهذا فساد فى التدبير ، ووهن فى المملكة .

٧٤٨/٣

وذُكر أنّ يحيى بن خالد بن برمك ولّى رجلاً بعض أعمال الخراج بالسَّوَاد ، فدخل إلى الرشيد يودّعه ؛ وعنده يحيى وجعفر بن يحيى ، فقال الرشيد ليحيى وجعفر : أوصياه ، فقال له يحيى : وَفّرْ واعمرْ ، وقال له جعفر : أنصِفْ

---

(١) الشقيقة : مرض يأخذ نصف الرأس والوجه .

(٢) س : « كما قال » .

(٣) ج : « عينيه » .

(٤) ج : « بهذا الجهل » .

وانتصف ، فقال له الرشيد : اعدلْ وأحسنْ .

وذكر عن الرشيد أنه غضب على يزيد بن مزيد الشيبانيّ ، ثم رضى عنه ، وأذن له ، فدخل عليه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ الحمد لله الذى سهّل لنا سبيل الكرامة ، وحلّ لنا[1] النّعمة بوجه لقائك ، وكشف عنا صُبابة الكرب بإفضالك ، فجزاك الله فى حالِ سخطك رِضَا المنيبين ، وفى حال رضاك جزاء المنعمين الممتنّين المتطوّلين ؛ فقد جعلك الله وله الحمد، تتثبّتُ تحرّجًا عند الغضب ، وتتطوّل ممتنًّا بالنعم ، وتعفو عن المسىء تفضّلاً بالعفو . ٧٤٩/٣

وذكر مصعب بن عبد الله الزبيرىّ أن أباه عبد الله بن مصعب أخبره[2] أنّ الرشيد قال له : ما تقول فى الذين طعنوا على عثمان ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، طعن عليه ناس ؛ وكان معه ناس ؛ فأما الذين طعنوا عليه فتفرّقوا عنه ؛ فهم[3] أنواع الشِّيَع ، وأهل البِدَع ، وأنواع الخوارج ؛ وأما الذين كانوا معه فهم أهلُ الجماعة إلى اليوم . فقال لى : ما أحتاج أن أسأل بعد هذا اليوم[4] عن هذا .

قال مصعب : وقال أبى — وسألنى عن منزلة أبى بكر وعمر كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقلت له : كانت منزلتهما فى حياته منه منزلتَهما فى مماته ، فقال : كفيتَنى ما أحتاج إليه .

قال : ووُلِّىَ سلاّم ، أورشيد الخادم — بعض خدّام الخاصة — ضياعَ الرّشيد بالثغور والشأمات ، فتواترت الكتب بحسن سيرته وتوفيره[5] وحمد الناس له ، فأمر الرّشيد بتقديمه والإحسان إليه ، وضمّ ما أحبّ أن يضمّ إليه من ضياع الجزيرة ومصر . قال : فقدِم فدخل عليه وهو يأكل سَفَرْجلاً قد أتى به من بلْخ ؛ وهو يقشّره ويأكل منه ، فقال له : يا فلان ، ما أحسن ما انتهى إلى مولاك عنك ، ولك عنده ما تحبّ ، وقد أمرت لك بكذا وكذا ، وولّيتك كذا وكذا ، فسل حاجتَك ، قال : فتكلّم وذكر حسنَ سيرته ، وقال : أنسيْتُهم ٧٥٠/٣

---

(١) س : « وحللنا » .
(٢) س : « حدثه » .
(٣) ج : « فمنهم » .
(٤) ج : « إلى هذا اليوم » .
(٥) ط : « توقيره » .

والله يا أمير المؤمنين سيرةَ العُمرين . قال : فغضب واستشاط ، وأخذ سفرجلة فرماه بها ، وقال : يا بن اللخناء ، العمريْن ، العمريْن ، العمرين ! هبنا احتملناها لعمر بن عبد العزيز ، نحتملها لعمر بن الخطاب !

وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، أنّ أبا بكر بن عبدالرحمن بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز حدّثه ، عن الضّحاك بن عبد الله ، وأثنى عليه خيراً ، قال : أخبرنى بعضُ ولد عبد الله بن عبد العزيز ، قال : قال الرّشيد : والله ما أدرى ما آمُر فى هذا العُمَرىّ ! أكره أن أقدم عليه وله خلَف أكرههم ؛ وإنى لأحبّ أن أعرف طريقَه ومذهبه ، وما أثق بأحد أبعثه إليه ، فقال عمر بن بزيع والفضل ابن الربيع : فنحن يا أميرَ المؤمنين ، قال : فأنتما ، فخرجا من العَرْج إلى موضع من البادية يقال له خلْص ، وأخذا معهما أدلاء من أهل العرْج ؛ حتى إذا وردا عليه فى منزله أتيَاه مع الضحى ؛ فإذا هو[1] فى المسجد ، فأناخا راحلتيهما ومَنْ كان معهما من أصحابهما ، ثم أتياه على زِىّ الملوك من الرّيح والثياب والطّيب ؛ فجلسا إليه وهو فى مسجد له ، فقالا له : يا أبا عبد الرحمن ، نحن رسل مَنْ خلفْنا من أهل المشرق ، يقولون لك : اتّق الله ربك ؛ فإذا شئت فقم . فأقبل عليهما ، وقال : ويحكما ! فيمن ولمن ! قالا : أنت ، فقال : والله ما أحبّ أنى لقيت الله بمحجمة دمِ امرئ مسلم ، وأنّ لى ما طلعت عليه الشمس ؛ فلما أيسا منه قالا : فإنّ معنا شيئاً تستعين به على دهرك ، قال : لا حاجة لى فيه ، أنا عنه فى غنًى ، فقالا له : إنها عشرون ألف دينار ، قال : لا حاجة لى فيها ، قالا : فأعطها مَنْ شئت ، قال : أنتما ، فأعطياها مَنْ رأيتما ، ما أنا لكما بخادم ولا عَوْن . قال : فلما يئسا منه ركبا راحلتيْهما[2] حتى أصبحا مع الخليفة بالسُّقيا فى المنزل الثانى ، فوجدا الخليفة ينتظرهما ؛ فلما دخلا عليه حدّثاه بما كان بينهما وبينه ، فقال : ما أبالى ما أصنع بعد هذا . فحجّ عبدُ الله فى تلك السنة ، فبينا هو واقف على بعض أولئك الباعة يشترى لصبيانه ؛ إذا هارون يسعَى بين الصّفا والمروة على دابّة ، إذ عرض له عبد الله

٣ / ٧٥١

(١) س : « به » .
(٢) س : « رواحلهما » .

وترك مايريد ، فأتاه حتى أخذ بلجام دابته ، فأهوتْ إليه الأجناد والأحراس ، فكفّهم عنه هارون فكلمه. قال : فرأيتُ دموعَ هارون؛ وإنها لتسيل على مَعْرَفة دابّته ، ثم انصرف .

وذكر محمد بن أحمد مولَى بنى سليم قال : حدثنى الليث بن عبد العزيز الجوزجانىّ – وكان مجاوراً بمكة أربعين سنة – أن بعض الحَجَبة حدّثه أنّ الرشيد لما حجّ دخل الكعبة ، وقام على أصابعه ، وقال : يا مَنْ يملك حوائج السائلين ، ويعلم ضمير الصامتين ، فإنّ لكل مسألة منك ردًّا حاضراً ، وجوابًا عتيداً ، ولكلّ صامت منك علم مُحيط ناطق بمواعيدك الصادقة ، وأياديك الفاضلة ؛ ورحمتك الواسعة . صلّ على محمد وعلى آل محمد ، واغفر لنا ذنوبَنا وكفّر عنا سيئاتنا . يا مَنْ لا تضرّه الذنوب ، ولا تخفَى عليه العيوب ، ولا تنقصه مغفرة الخطايا . يامن كبس الأرض على الماء ، وسدّ الهواء بالسّماء ، واختار لنفسه الأسماء ، صلّ على محمد ، وخِرْ لى فى جميع أمرى . يا من خشعت له الأصوات بألوان اللغات يسألونك الحاجات ؛ إنّ من حاجتى إليك أن تغفر لى إذا توفّيتَنى ، وصرتُ فى لحدى ، وتفرّق عنى أهلى وولدى . اللهمّ لك الحمد حمداً يفضُل على كلّ حمد كفضلك على جميع الخلق . اللهم صلّ على محمد صلاة تكون له رضًا ، وصلّ على محمد صلاةً تكون له حرزاً ، واجْزه عنّا خيرَ الجزاء فى الآخرة والأولى . اللهمّ أحينَا سُعداء وتوفّنا شُهداء ، واجعلنا سعداء مرزوقين ، ولا تجعلنا أشقياء محرومين ! ٧٥٢/٣

وذكر علىّ بن محمد عن عبد الله ، قال : أخبرنى القاسم بن يحيى ، قال : بعث الرشيد إلى ابن أبى داود والذين يخدمون قبر الحسين بن علىّ فى الحَيْر ، قال : فأتِىَ بهم ، فنظر إليه الحسن بن راشد ، وقال :ما لك ؟ قال : بعث إلىّ هذا الرجل – يعنى الرشيد – فأحضرَنى ، ولست آمنه على نفسى ، قال له : فإذا دخلتَ عليه فسألك ، فقل له : الحسن بن راشد وضعنَى فى ذلك الموضع . فلمّا دخل عليه قال هذا القول ، قال : ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن ! أحضروه ، قال : فلما حَضَر قال : ما حملك

على أن صيَّرت هذا الرجل فى الخَيْر ؟ قال : رحم الله مَنْ صيَّره فى الخَيْر ، أمرتْنى أمّ موسى أن أصيِّرَه فيه ، وأن أجرِىَ عليه فى كل شهر ثلاثين درهمًا فقال : ردُّوه إلى الخَيْر ، وأجرُوا عليه ما أجرَتْه أمّ موسى — وأم موسى هى أمّ المهدى ابنة يزيد بن منصور .

وذكر علىّ بن محمد أن أباه حدّثه قال : دخلت على الرشيد فى دار عوْن العِبادىّ فإذا هو فى هيئة الصيف ، فى بيت مكشوف ؛ وليس فيه فرش على مقعد عند باب فى الشق الأيمن من البيت ، وعليه غُلالة رقيقة ، وإزار رشيدىّ عريض الأعلام ، شديد التَّضْريج[1] ؛ وكان لا يخيِّش البيت الذى هو فيه ؛ لأنه كان يؤذيه ؛ ولكنه كان يدخل عليه بَرْد الخيش ؛ ولا يجلس فيه . وكان أوَّل من اتخذ فى بيت مقيله فى الصيف سقفًا دون سقف ؛ وذلك أنه لمّا بلغه أن الأكاسرة كانوا يطيِّنون ظهورَ بيوتهم فى كلّ يوم من خارج ليكفّ عنهم حرّ الشمس ؛ فاتخذ هو سقفًا يلى[2] سقف البيت الذى يَقيل فيه . ٧٥٣/٣

وقال علىّ عن أبيه : خُبِرت أنه كان فى كلّ يوم القيظ تغار[3] من فِضّة يعمل فيه العطار الطِّيب والزعفران والأفاويه وماء الورد ، ثم يدخل إلى بيت مقيله ، ويدخل معه سبع غَلائل قصب رشيدّية تقطيع النساء ، ثم تغمس الغلال فى ذلك الطِّيب ، ويؤتَى فى كلّ يوم بسبع جوار ، فتخلع عن كلّ جارية ثيابها ثم تخلع عليها غُلالة ، وتجلس على كرسىّ مثقب ، وترسل الغُلالة على الكرسىّ فتجالّله ، ثم تبخَّر من تحت الكرسى بالعود المدرج فى العنبر أمداً[4] حتى يجفّ القميص عليها ، يفعل ذلك بهنّ ، ويكون ذلك فى بيت مقيله ، فيعبق ذلك البيت بالبخور والطيب .

وذكر علىّ بن حمزة أنّ عبد الله بن عباس بن الحسن بن عبيد الله بن علىّ ابن أبى طالب قال : قال لى العباس بن الحسن : قال لى الرّشيد : أراك تكثر من ذكر يَنْبُع وصفتها ، فصفْها لى وأوجز ، قال : قلت : بكلام أو بشعر ؟

---

(١) ضرج الثوب : صبغه بالحمرة . (٢) س : « على » .
(٣) فى القاموس : « التيغار ، كقيفال : الإجانة» ، وفى ا كلمة غير واضحة .
(٤) س : « أبداً » .

٣/٧٥٤ قال : بكلام وشعر ، قال : قلت : جِدَتُها فى أصل عِذقها ، وعِذْقها مسرَّح شأنها ، قال : فتبسَّم ، فقلت له :

يا وادِىَ القصرِ نِعم القصرُ والوادِى ... مِن مَنزِلٍ حاضِرٍ إن شئتَ أوبادِى
ترى قراقيره والعِيسَ وَاقفةً ... وَالضبُّ وَالنونَ والملّاح والحادِى

وذكر محمد بن هارون ، عن أبيه ، قال : حضرت الرّشيد ، وقال له الفضل بن الربيع : يا أميرَ المؤمنين ، قد أحضرتُ ابنَ السّماك كما أمرتَنى ، قال : أدخله ، فدخل، فقال له : عِظنى ، قال : يا أميرَ المؤمنين ، اتّق الله وحده لا شريك له ، واعلم أنك واقف[1] غدًا بيْن يدى الله ربك ، ثم مصروف إلى إحدى منزلتيْن لا ثالثة لهما ؛ جنة أونار . قال : فبكى هارون حتى اخضلّت لحيته ، فأقبل الفضلُ على ابن السّماك ، فقال: سبحان الله! وهل يتخالَج أحداً شكٌّ فى أنّ أمير المؤمنين مصروف إلى الجنة إن شاء الله! لقيامه[2] بحقّ الله وعدله فى عباده ، وفضله[3]! قال : فلم يحفِل بذلك ابنُ السماك من قوله ، ولم يلتفتْ إليه ، وأقبل على أمير المؤمنين ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ هذا — يعنى الفضل بن الربيع — ليس والله معك ولا عندك فى ذلك اليوم ، فاتّق الله وانظر لنفسك . قال : فبكى هارون حتى أشفقنا[4] عليه . وأفحِم الفضل بن الربيع فلم ينطق بحرْف حتى خرجنا .

٣/٧٥٥ قال : ودخل ابنُ السّماك على الرشيد يومًا ؛ فبينا هو عنده إذ استسقى ماء ، فأُتىَ بقلّة من ماء ؛ فلما أهوى بها إلى فيه ليشربها ، قال له ابن السّماك : على رِسْلك يا أميرَ المؤمنين ؛ بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو مُنعتَ هذه الشَّرْبة فبكم كنت تشتريها ؟ قال : بنصف ملكى ، قال : اشرب هنأك الله ؛ فلما شربها ، قال له : أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو مُنِعتَ خروجها من بدنك ، فبماذا كنت تشتريها ؟ قال : بجميع ملكى ؛ قال ابن السّماك : إن مُلْكًا قيمته شربة ماء ، لجدير ألا ينافَس فيه . فبكى هارون ؛

---

(١) س : « موقوف » .
(٢) س : « بقيامه » .
(٣) س : « وفعله » .
(٤) ط : « شفقنا » .

فأشار الفضلُ بن الربيع إلى ابن السمّاك بالانصراف فانصرف .

قال : ووعظ الرّشيد عبدُالله بن عبد العزيز العمريّ ، فتلقّى قوله بنعمْ يا عمّ ، فلما ولّى لينصرف؛ بعث إليه بألفى دينار فى كيس مع الأمين والمأمون فاعترضاه بها ، وقالا : يا عمّ ؛ يقول لك أمير المؤمنين : خذها وانتفع بها أو فرّقها ، فقال : هو أعلم بمَنْ يفرّقها عليه ، ثم أخذ من الكيس ديناراً ، وقال : كرهت أن أجمع سوء القول وسوء الفعل . وشخص إليه إلى بغداد بعد ذلك ، فكره الرشيد مصيرَه إلى بغداد ، وجمع العُمَريّين ، فقال : مالى ولابن عمّكم ! احتملتُه بالحجاز ، فشخص إلى دار مملكتى ؛ يريد أن يفسد علىّ أوليائى ! ردّوه عنى ، فقالوا : لا يقبل منا ؛ فكتب إلى موسى بن عيسى أن يرفُق به حتى يردّه ، فدعا له عيسى ببُنىّ عشر سنين ، قد حفظ الخطب والمواعظ ، فكلّمه كلامًا كثيراً ، ووعظه بما لم يسمع العمرىّ بمثله ، ونهاه عن التعرّض لأمير المؤمنين ، فأخذ نعله ، وقام وهو يقول : ﴿ فاعترفوا بذَنْبِهمْ فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعير ﴾[1] .

وذكر بعضهم أنه كان مع الرشيد بالرّقة بعد أن شخص من بغداد ، فخرج يومًا مع الرشيد إلى الصيْد ، فعرض له رجل من النساك ، فقال : يا هارون ، اتّق الله ، فقال لإبراهيم بن عثمان بن نهيك : خذ هذا الرّجُل إليك حتى أنصرف ، فلما رجع دعا بغدائه ، ثم أمر أن يطعم الرجل من خاصّ طعامه ، فلما أكل وشرب دعا به ، فقال : يا هذا ، أَنْصفْنى فى المخاطبة والمسألة ، قال : ذاك أقلّ ما يجب لك ، قال : فأخبِرْنى : أنا شرٌّ وأخبث أم فرعون ؟ قال : بل فرعون ، قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾[2] وقال : ﴿ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرِى ﴾[3] ، قال : صدقت ؛ فأخبِرْنى فمن خيرٌ ؟ أنت أم موسى ابن عمران ؟ قال : موسى كليم الله وصفيّه ، اصطنعه لنفسه ، وأتمنه على وحيه ، وكلّمه من بين خلقه ، قال : صدقت ؛ أفما تعلم أنه لما بعثه وأخاه إلى فرعون

٣/٧٥٦

(١) سورة الملك ١١ .
(٢) سورة النازعات ٢٤ .
(٣) سورة القصص ٣٨ .

قال لهما: ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَو يَخْشَى﴾[١] ، ذكر المفسرون أنه أمرهما أن يكنياه ؛ وهذا وهو فى عُتوّه وجبريّته ؛ على ما قد علمتَ ، وأنت جئتنى وأنا بهذه الحالة التى تعلم ، أؤدى أكثر فرائض الله علىّ ، ولا أعبد أحداً سواه ، أقف عند أكبر حدوده وأمره ونهيه ؛ فوعظتنى بأغلظ الألفاظ وأشنعها وأخشن الكلام وأفظعه؛ فلا بأدب الله تأدبْتَ ، ولا بأخلاق الصالحين أخذْت ، فما كان يؤمنك أن أسطوَ بك ! فإذاً أنت قدعرّضتَ نفسك لما كنت عنه غنيًّا . قال الزاهد : أخطأتُ يا أميرُ المؤمنين ؛ وأنا أستغفرك ؛ قال : قد غفر لك الله ؛ وأمر له بعشرين ألف درهم ، فأبى أن يأخذها ، وقال : لا حاجة لى فى المال ؛أنا رجل سائح . فقال هرثمة— وخزَره[٢] : تردّ على أمير المؤمنين يا جاهل صِلَته ! فقال الرّشيد : أمسك عنه ، ثم قال له : لم نعطك هذا المال لحاجتِك إليه ؛ ولكن مِنْ عادتنا أنه لا يخاطب الخليفة أحدٌ ليس من أوليائه ولا أعدائه إلا وصله ومنحه ؛ فاقبل من صِلتنا ما شئت ؛ وضعها حيث أحببت . فأخذ من المال ألفَىْ درهم ، وفرّقها على الحجّاب ومَنْ حضر الباب . ٣/٧٥٧

* * *

ذكر مَنْ كان عند الرّشيد من النساء المهائر[٣]

قيل : إنه تزوّج زبيدة ؛ وهى أمّ جعفر بنت جعفر بن المنصور ، وأعرس بها فى سنة خمس وستين ومائة فى خلافة المهدىّ ببغداد ، فى دار محمد بن سليمان— التى صارت بعد للعباسة ، ثم صارت للمعتصم بالله — فولدت له محمداً الأمين ، وماتت ببغداد فى جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين .

وتزوّج أمَة العزيز أمّ ولد موسى ، فولدت له علىّ بن الرشيد .

وتزوج أمّ محمد ابنة صالح المسكين، وأعرس بها بالرّقة فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين ومائة ، وأمّها أم عبد الله ابنة عيسى بن علىّ صاحبة دار أمّ عبد الله بالكرْخ التى فيها أصحاب الدبس ؛ كانت أملكت من إبراهيم بن

---

(١) سورة طه ٤٤ .
(٢) الخزر : النظر بمؤخر العين .
(٣) المهيرة : الزوجة الحرة الغالية المهر .

المهدىّ ، ثم خلعت منه فتزوّجها الرشيد .

وتزوّج العباسة ابنة سليمان بن أبى جعفر ، وأعرس بها فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين ومائة ، حُملت هى وأمّ محمد ابنة صالح إليه .

وتزوج عزيزة ابنة الغطريف ؛ وكانت قبله عند سليمان بن أبى جعفر فطلقها ، فخلَف عليها الرشيد ، وهى ابنة أخى الخيزران .

٣/٧٥٨ وتزوج الجُرَشيّة العثمانية ، وهى ابنة عبدالله بن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان ، وسميت الجُرَشيَّة لأنها ولدت بجُرَش باليمن ، وجدّة أبيها فاطمة بنت الحسين بن علىّ بن أبى طالب ، وعمّ أبيها عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم .

ومات الرشيد عن أربع مهائِر : أم جعفر ، وأم محمد ابنة صالح ، وعباسة ابنة سليمان ، والعثمانية .

* * *

[ذكر ولد الرشيد]

وولد للرشيد من الرّجال :

محمد الأكبر وأمّه زبيدة ، وعبد الله المأمون وأمه أم ولد يقال لها مراجل ، والقاسم المؤتمن وأمّه أمّ ولد يقال لها قصف ، ومحمد أبو إسحاق المعتصم وأمه أم ولد يقال لها ماردة ، وعلىّ وأمه أمَة العزيز ، وصالح وأمّه أم ولد يقال لها رئم ، ومحمد أبو عيسى وأمه أم ولد يقال لها عرابة ، ومحمد أبو يعقوب وأمه أم ولد يقال لها شذرة ، ومحمد أبو العباس وأمه أم ولد يقال لها خُبْث ، ومحمد أبو سليمان وأمه أم ولد يقال لها رَواح ، ومحمد أبو علىّ وأمّه أمّ ولد يقال لها دواج ، ومحمد أبو أحمد وأمّه أم ولد يقال لها كِتْمان .

ومن النساء : سكينة وأمها قصِف وهى أخت القاسم ، وأم حبيب وأمها ماردة وهى أخت أبى إسحاق المعتصم ، وأروى أمها حَلوب ، وأم الحسن وأمّها عِرَابة ، وأم محمد وهى حَمْدونة ، وفاطمة وأمها غُصَص واسمها مصفّى ، وأم أبيها وأمها سكّر ، وأم سلمة وأمها رحيق ، وخديجة وأمها شَجَر ، وهى أخت كريب ، وأم القاسم وأمها خزق ، ورملة أم جعفر وأمها حَلْى ، وأمّ على أمها أنيق ، وأم الغالية أمّها سَمَنْدَل ، وريْطة وأمها زينة . ٣/٧٥٩

[بقية ذكر بعض سير الرشيد]

ذكر يعقوب بن إسحاق الأصفهانىّ، قال : قال المفضل بن محمد الضبىّ : وجّه إلىّ الرشيد ؛ فما علمت إلاّ وقد جاءتنى الرّسل ليلا ، فقالوا : أجب أمير المؤمنين ؛ فخرجت حتى صرت إليه ؛ وذلك فى يوم خميس ؛ وإذا هو متّكئ ومحمد بن زبيدة عن يساره، والمأمون عن يمينه ؛ فسلّمت ، فأومأ إلىّ فجلست ، فقال لى : يا مفضّل ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال كم اسماً فى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُم ﴾[1] ؟ قلت : ثلاثة أسماء يا أميرَ المؤمنين ، قال : وما هى ؟ قلت : الكاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والهاء والميم ، وهى للكفار ، والياء وهى لله عزّ وجلّ . قال : صدقت ؛ هكذا أفادنا هذا الشيخ — يعنى الكسائىّ — ثم التفت إلى محمد ، فقال له : أفهمت يا محمد ؟ قال : نعم ، قال : أعِدْ علىّ المسألة كما قال المفضّل ، فأعادها ، ثم التفت إلىّ فقال : يا مفضّل ، عندك مسألة تسألنا عنها بحضرة هذا الشيخ ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ قال : وما هى ؟ قلت : قول الفرزدق :

أَخَذْنا بآفاقِ السماءِ عليكمُ … لنا قَمَراها والنُّجومُ الطَّوالِعُ[2]

قال : هيهات أفادناها متقدّماً قبلك هذا الشيخ ؛ لنا قمراها ، يعنى الشمس والقمر كما قالوا سنّة العمريْن : سنة أبى بكر وعمر ، قال : قلت : فأزيد فى السؤال ؟ قال : زِدْ ، قلت : فلِمَ استحسنوا هذا ؟ قال : لأنه إذا اجتمع اسمان من جنس واحد ، وكان أحدهما أخفَّ على أفواه القائلين غلّبوه وسمّوْا به الآخر ؛ فلما كانت أيام عمر أكثر من أيام أبى بكر وفتوحُه أكثر ، واسمه أخفّ غلّبوه ، وسموا أبابكر باسمه ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ ﴾[3] وهو المشرق والمغرب . قلت : قد بقيت زيادة فى المسألة ! [فالتفت إلى الكسائى][4] فقال : يقال فى هذا غير ما قلنا ؟ قال : هذا أوفى ما قالوا ، وتمام المعنى عند العرب . قال : ثم التفت إلىّ فقال : ما الذى بقى ؟ قلت : بقيت الغاية التى إليها أجرى الشاعر المفتخر فى شعره ، قال : وما هى ؟ قلت : أراد بالشمس إبراهيم ، وبالقمر

٣/٧٦٠

(١) سورة البقرة ١٣٧ .
(٢) ديوانه ٥١٩ .
(٣) سورة الزخرف ٣٨ .
(٤) من ا .

محمداً صلى الله عليه وسلم، وبالنجوم الخلفاء الراشدين من آبائك الصالحين . قال : فاشرأبّ أمير المؤمنين ؛ وقال : يا فضل بن الربيع ؛ احمل إليه مائة ألف درهم لقضاء دَيْنه ، وانظر مَنْ بالباب من الشعراء فيؤذنَ لهم ، فإذا العُمَانىّ ومنصور النَّمَرىّ ، فأذن لهما ، فقال : أدنِ منى الشيخ ، فدنا منه وهو يقول :

قل للإمامِ المقتدَى بأمِّهِ ... ما قاسِمٌ دون مَدَى ابنِ أمِّهِ

* فقد رَضِيناه فقم فَسَمِّهِ *

فقال الرشيد : ما ترضى أن تدعوَ إلى عقد البيعة له وأنا جالس حتى تنهضنى قائماً ! قال : قيام عَزْم يا أمير المؤمنين ، لا قيام حَتْم[1] ، فقال : يؤتى بالقاسم ، فأتِى به ، وطبطب[2] فى أرجوزته ، فقال الرشيد للقاسم : إنّ هذا الشيخ قد دعا إلى عَقْد البيعة لك ، فأجزِلْ له العطية ، فقال : حُكْم أمير المؤمنين ، قال : وما أنا وذاك ! هات النَّمَرىّ ، فدنا منه ، وأنشده :

* ما تَنقضِى حسرةٌ مِنّى ولا جَزَعُ[1] *

— حتى بلغ —

٣/٧٦١ ما كان أحسن أيامَ الشبابِ وما ... أبقى حلاوةَ ذِكراهُ التى تَدَعُ

ما كنتُ أُوفِى شَبابِى كنهَ غُرَّتِهِ ... حتى مضى فإذا الدنيا له تَبَعُ

قال الرشيد : لا خير فى دنيا لا يُخطَر فيها ببُرْد الشباب[4] .

وذكر أن سعيد بن سلم الباهلىّ دخل على الرشيد ، فسلّم عليه ، فأومأ إليه الرشيد فجلس ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أعرابىٌّ من باهلة واقفٌ على باب أمير المؤمنين ؛ ما رأيت قطّ أشعرَ منه ، قال : أما أنك استبحت هذين — يعنى العمَانىّ ومنصور النّمرىّ ، وكانا حاضريه — نُهَبى لهما أحجارك ، قال : هما يا أميرَ المؤمنين يهبانى لك ؛ فيؤذن للأعرابىّ ؟ فأذن له ، فإذا أعرابىّ فى جُبّة

(١) ا : « جسم » . (٢) فى الأغانى : « ومر » .
(٣) الأغانى ١٣ : ١٥١ وبقيته :

* إلاّ ذَكَرْتُ شباباً لَيْس يُرْتجعُ *

(٤) الخبر فى الأغانى ١٧ : ٨٠ (ساسى) .

خـز ، ورداء يمان ، قد شدّ وسطه ثم ثناه على عاتقه ، وعمامة قد عصبها على خدّيه ، وأرخى لها عذَبة ، فمثل بين يدى أمير المؤمنين ، وألقيت الكراسىّ ، فجلس الكسائىّ والمفضّل وابن سلْم والفضل بن الربيع ، فقال ابن سلْم للأعرابىّ : خذ فى شرف أمير المؤمنين ، فاندفع الأعرابىّ فى شعره ، فقال أمير المؤمنين : أسمعك مستحسنًا ، وأنكرك متهماً عليك؛ فإنْ يكن هذا الشعر لك وأنت قلته من نفسك ، فقل لنا فى هذين بيتين – يعنى محمداً والمأمون – وهما حفافاه[1] فقال : يا أميرَ المؤمنين حمّلتنى على القدر فى غير الحذر روعةَ الخلافة ، وبهر البديهة ، ونفور القوافى عن الرّويّة ، فيمهلنى أمير المؤمنين ؛ يتألف إلىّ نافراتها ، ويسكن روْعى . قال : قد أمهلتك يا أعرابىّ ، وجعلت اعتذارك بدلاً من امتحانك ، فقال : يا أميرَ المؤمنين نفّست الخناق ، وسهّلت ميدان النفاق ، ثم أنشأ يقول :

٣/٧٦٢

هُما طُنُبَاها بارَكَ اللهُ فيهما ... وأَنتَ أَميرَ المؤمنينَ عمودُها
بَنَيْتَ بِعَبْدِ اللهِ بَعدَ مُحمّدٍ ... ذرَىِ قبَّةِ الإِسلامِ فاهتَزَّ عُودُها

فقال : وأنت يا أعرابىّ بارك الله فيك ؛ فسلْنا ، ولا تكن مسألتك دون إحسانك ، قال : الهُنيدة[2] يا أميرَ المؤمنين ، قال : فتبسّم أمير المؤمنين ، وأمر له بمائة ألف درهم وسبع خلَع .

وذُكر أنّ الرشيد قال لابنه القاسم – وقد دخل عليه قبل أن يبايع له : أنت للمأمون ببعض لحمك هذا ، قال : ببعض حظّه[3] .

وقال للقاسم يومًا قبل البيعة له : قد أوصيتُ الأمين والمأمون بكَ ، قال : أمّا أنت يا أمير المؤمنين فقد توليتَ النّظر لهما ، ووكلتَ النظر لى إلى غيرك .

وقال مصعب بن عبد الله الزّبيرىّ : قدم الرّشيد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه ابناه محمد الأمين وعبد الله المأمون ، فأعطى فيها العطايا وقسّم

---

(١) حفافاه ، أى محدقان به .
(٢) الهنيدة : اسم للمائة أو المائتين من الإبل .
(٣) ط : « حظه » ، وما أثبته من ا .

فى تلك السنة فى رجالهم ونسائهم ثلاثة أعطية؛ فكانت الثلاثة الأعطية التى قسَمها فيهم ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار ، وفرض فى تلك السنة لخمسمائة من وجوه موالى المدينة ، ففرَض لبعضهم فى الشَّرف منهم يحيى بن مسكين وابن عثمان ، ومخراق[١] مولى بنى تميم ، وكان يقرئ[٢] القرآن بالمدينة . ٧٦٣/٣

وقال إسحاق الموصلى : لما بايع الرشيد لولده ، كان فيمَنْ بايع عبدُ الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، فلمَّا قدم ليبايع ، قال :

لا قصَّرَا عنها ولا بَلَغَتْهُما حتى يطولَ على يديكَ طِوَالُها

فاستحسن الرشيد ما تمثَّل ، وأجزل له صلته . قال : والشعر لطُرَيح بن إسماعيل ، قاله فى الوليد بن يزيد وفى ابنيه .

وقال أبو الشيص يرثى هارون الرشيد :

غَرَبَتْ فى الشَّرقِ شمسٌ فلها عَيْنَانِ تَدْمَعْ
ما رأينا قطُّ شَمساً غربت مِن حيثُ تَطلُعْ

وقال أبو نواس الحسن بن هانئ :

جَرَت جَوارٍ بالسَّعدِ والنحسِ فنحنُ فى مأْتمٍ وفى عُرْسِ
القلبُ يَبكى والسِّنُّ ضاحكَةٌ فنحن فى وحْشَةٍ وفى أُنْسِ
يُضحكُنا القائمُ الأَمينُ ويُبْـ كينا وَفاةُ الإمامِ بالأَمْسِ
بَدْرانِ : بدر أَضْحَى ببَغدادَ بالـ خُلدِ ، وبَدرٌ بطوسَ فى رَمْسِ

وقيل : مات هارون الرشيد ، وفى بيت المال تسعمائة ألف ألف ونيِّف . ٧٦٤/٣

---

(١) ا : « ومخارق » .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « يقرأ » .

خلافة الأمين

وفى هذه السنة بويع لمحمد الأمين بن هارون بالخلافة فى عسكر الرّشيد، وعبد الله بن هارون المأمون يومئذ بمَرْو ؛ وكان – فيما ذكر – قد كتب حَمَّويْه مولى المهدىّ صاحب البريد بطُوسَ إلى أبى مسلم سلام ، مولاه وخليفته ببغداد على البريد والأخبار ، يعلمه وفاة الرشيد . فدخل على محمد فعزّاه وهنّأه بالخلافة، وكان أوّل الناس فعل ذلك ، ثم قدم عليه رجاء الخادم يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ، كان صالح بن الرشيد أرسله إليه بالخبر بذلك – وقيل: [أتاه الخبر بذلك] [1] – ليلة الخميس للنصف من جمادى الآخرة، فأظهرَه [2] يوم الجمعة، وستر خبرَه بقيّة يومه وليلته، وخاض الناس فى أمره .

ولما قدم كتاب صالح على محمد الأمين مع رجاء الخادم بوفاة الرشيد – وكان نازلاً فى قصره بالخلد – تحوّل إلى قصر أبى جعفر بالمدينة ، وأمر الناس بالحضور ليوم الجمعة ، فحضروا وصلى بهم ؛ فلما قضى صلاته صعِد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ونعَى الرشيدَ إلى الناس ، وعزّى نفسه والناس ، ووعدهم خيراً ، وبسط الآمال ، وآمن الأسود والأبيض ، وبايعه جِلّة أهل بيته وخاصّته ومواليه وقوّاده ، ثم دخل. ووكّل ببيعته على مَنْ بقِى منهم عمّ أبيه سليمان بن أبى جعفر ، فبايعهم، وأمر السندىّ بمبايعة جميع الناس من القوّاد وسائر الجند ، وأمر للجند ممّن بمدينة السلام برزق أربعة وعشرين شهراً ، وبخواصّ مَنْ كانت له خاصة بهذه الشهور .

٧٦٥/٣

* * *

[ذكر الخبر عن بدء الخلاف بين الأمين والمأمون]

وفى هذه السنة كان بدء اختلاف الحال بين الأمين محمد وأخيه المأمون، وعزم كلّ واحد منهما بالخلاف على صاحبه فيما كان والدهما هارون أخذ عليهما العمل به، فى الكتاب الذى ذكرنا أنه كان كتبه عليهما وبينهما .

---

(١) من ا .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « فأظهر »

* ذكر الخبر عن السبب الذى كان أوجب اختلاف حالهما فيما ذكرت :

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبلُ أنّ الرشيد جدّد حين شخص إلى خُراسان البيعةَ للمأمون على القوّاد الذين معه ، وأشهد مَنْ معه من القوّاد وسائر الناس وغيرهم أنّ جميع مَنْ معه من الجند مضمومون إلى المأمون ، وأنّ جميع ما معه من مال وسلاح وآلة وغير ذلك للمأمون . فلما بلغ محمدَ بن هارون أنّ أباه قد اشتدّت علّتُه ، وأنه لِمَابِه ، بعث مَنْ يأتيه بخبره فى كلّ يوم ، وأرسل بكْر بن المعتمِر ، وكتب معه كتبًا ، وجعلها فى قوائم صناديق منقورة وألبسَها جلود البقر ، وقال : لا يظهرنّ أميرُ المؤمنين ولا أحدٌ ممن فى عسكره على شىء من أمرك وما توجهتَ فيه ، ولا ما معك ، ولو قُتِلتَ حتى يموت أميرُ المؤمنين ؛ فإذا مات فادفعْ إلى كلّ رجل منهم كتابه .

فلمّا قدِم بكربن المعتمر طوسَ ، بلغ هارونَ قدومُه ، فدعا به ، فسأله : ما أقدمك ؟ قال : بعثنى محمد لأعلِم له علم خبرك وآتيه به ، قال : فهل معك كتاب ؟ قال : لا ، فأمر بما معه ففتّش فلم يصيبوا معه شيئًا ، فهدّده بالضّرب فلم يقرّ بشىء ، فأمر به فحُبس وقيِّد . فلما كان فى الليلة التى مات فيها هارون أمر الفضل بن الربيع أن يصير إلى محبس بكر بن المعتمر فيقرّره ، فإن أقرّ وإلا ضرب عنقه ، فصار إليه ، فقرّره فلم يقرّ بشىء ، ثم غُشِىَ على هارون ، فصاح النساء ، فأمسك الفضل عن قتله ، وصار إلى هارون ليحضره ، ثم أفاق هارون وهو ضعيف ، قد شغل عن بكْر وعن غيره لحسّ الموت ، ثم غُشِىَ عليه غشيةً ظنّوا أنها هى ، وارتفعت الضجة ، فبعث بكر بن المعتمر برقعة منه إلى الفضْل بن الربيع مع عبد الله بن أبى نُعيم ، يسأله ألاّ يعجلوا بأمر ، ويعلمه أنّ معه أشياء يحتاجون إلى علمها — وكان بكرٌ محبوسًا عندحسين الخادم — فلما تُوفِّىَ هارون فى الوقت الذى تُوفِّىَ فيه ، دعا الفضلَ بن الربيع ببكْرمن ساعته ، فسأله عما عنده ، فأنكر أن يكون عنده شىء ، وخشِىَ على نفسه من أن يكون هارون حيًّا ، حتى صحّ عنده موتُ هارون ، وأدخله عليه ، فأخبره أنّ عنده كتبًا من أمير المؤمنين محمد ، وأنه لا يجوز له إخراجها ؛ وهو على حاله فى قيوده وحبسه ، فامتنع حسين الخادم من إطلاقه حتى أطلقَه الفضل ، فأتاهم

٧٦٦/٣

بالكتب التى عنده ، وكانت فى قوائم المطابخ المجلّدة بجلود البقر ، فدفع إلى كلّ إنسان منهم كتابه . وكان فى تلك الكتب كتاب من محمد بن هارون إلى حسين الخادم بخطّه ، يأمره بتخلية بكْر بن المعتمر وإطلاقه، فدفعه إليه ، وكتاب إلى عبد الله المأمون ، فاحتبس كتاب المأمون عنده ليبعثه إلى المأمون بمَرْو ، وأرسلوا إلى صالح بن الرّشيد – وكان مع أبيه بطوس ، وذلك أنه كان أكبرَ من يحضر هارون من ولده – فأتاهم فى تلك الساعة ، فسألهم عن أبيه هارون ، فأعلموه، فجزع جزعًا شديداً ، ثم دفعوا إليه كتاب أخيه محمد الذى جاء به بكْر . وكان الذين حضروا وفاة هارون هُم الذين ولُوا أمرَه وغَسْله وتجهيزه ، وصلى عليه ابنه صالح . ٣/٧٦٧

وكانت نسخة كتاب محمد إلى أخيه عبد الله المأمون :

إذا ورد عليك كتابُ أخيك – أعاذه الله من فقدك – عند حلول ما لا مردّ له ولا مدفَع مما قد أخلف وتناسخ [فى] (١) الأمم الخالية والقرون الماضية [فعزّ نفسك] (١) بما عزّاك الله به . واعلم أنّ الله جل ثناؤه قد اختار لأمير المؤمنين أفضلَ الدارين ، وأجزل الحظّين فقبضه الله طاهراً زاكيًا ، قد شكر سعيَه ، وغفر ذنبه إن شاء الله . فقمْ فى أمرك قيام ذى الحزْم والعزْم ، والناظر لأخيه ونفسه وسلطانه وعامة المسلمين . وإيّاك أنْ يغلب عليك الجزَع ، فإنه يُحبِط الأجْر ، ويُعقب الوِزر . وصلوات الله على أمير المؤمنين حيًّا وميتًا ، وإنا لله وإنا إليه راجعون! وخُذ البَيْعة عمّن قِبَلك من قوّادك وجندك وخاصّتك وعامّتك لأخيك ثم لنفسك ، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين ؛ على الشريطة التى جعلها لك أمير المؤمنين من نَسْخها له وإثباتها ، فإنّك مقلّد من ذاك ما قلدك الله وخليفته. وأعلِمْ مَنْ قِبَلك رأيى فى صلاحِهم وسدّ خَلّتِهم والتوسعة عليهم ؛ فمن أنكرته عند بيعته أو اتّهمته على طاعته ، فابعث إلىّ برأسه مع خبره . وإياك وإقالته ؛ فإنّ النار أولى به. واكتب إلى عمّال ثغورك وأمراء أجنادك بما طرقك من المصيبة بأمير المؤمنين ، وأعلمهم أنّ الله لم يرضَ الدّنيا له ثوابًا حتى قبضه إلى روحه وراحته وجنته ، مغبوطًا محمودًا قائداً لجميع خلفائه إلى الجنة إن شاء الله. ومُرهم أن يأخذوا البيعةَ ٣/٧٦٨

(١) من ا .

على أجنادهم وخواصّهم وعوامّهم على مثل ما أمرتُك به من أخذها على مَن قِبَلك وأوعز إليهم فى ضبط ثغورهم، والقوّة على عدوّهم. [وأعلمهم][1] أنّى متفقد حالاتهم ولامٌّ شعثهم، وموسّع عليهم، ولا تنِى[2] فى تقوية أجنادى وأنصارى، ولتكنْ كتبك إليهم كتبًا عامة، لتُقرأ عليهم؛ فإنّ فى ذلك ما يسكنهم ويبسط أملَهم. واعمل بما تأمر به لمن حَضَرك، أو نأى عنك من أجنادك؛ على حسب ما ترى وتشاهد؛ فإنّ أخاك يعرف حسنَ اختيارك، وصحّة رأيك، وبعد نظرك؛ وهو يستحفظ الله لك، ويسأله أن يشدّ بك عضده، ويجمع بك أمره؛ إنه لطيف لما يشاء.

وكتب بكر بن المعتَمر بين يدىّ وإملائى فى شوال سنة ثنتين وتسعين ومائة.

وإلى أخيه صالح:

بسم الله الرحمن الرحيم. إذا ورد عليك كتابى هذا عند وقوع ما قد سبَق فى علم الله ونفذ من قضائه فى خُلفائه وأوليائه، وجرتْ به سنته فى الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، فقل: ﴿كلّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الحُكمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعون﴾[3]، فاحمَدوا الله ما صار إليه أمير المؤمنين من عظيم ثوابِه ومرافقة أنبيائِه، صلواتُ الله عليهم، وإنا إليه راجعون. وإياه نسأل أن يحسن الخلافة على أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان لهم عصمةً وكهفًا، وبهم رءوفًا رحيمًا؛ فشمّر فى أمرك، وإياك أن تلقى بيدَيْك؛ فإنّ أخاك قد اختارك لما استنهضك له، وهو متفقّد مواقع فقدانك، فحقق ظنه ونسأل الله التوفيق. وخذ البيعة على من قِبَلَك من ولد أمير المؤمنين وأهل بيته ومواليه وخاصّته وعامّته لمحمد أمير المؤمنين، ثم لعبد الله بن أمير المؤْمنين، ثم للقاسم بن أمير المؤمنين؛ على الشريطة التى جعلها أمير المؤمنين صلوات الله عليه من فسخها على القاسم أو إثباتها، فإن السعادة واليُمْن فى الأخذ بعهده، والمضىّ على مناهجه. وأعْلِم مَنْ قِبَلك من الخاصّة والعامة رأيى فى استصلاحهم، وردّ مظالمهم وتفقد حالاتهم، وأداء أرزاقهم وأعطياتهم عليهم؛ فإن شغَب شاغب، أو نَعَر ناعر، فاسطُ به سطوة تجعله نَكالا لما بين يديها وما خلفها

٣/٧٦٩

(١) من ا. (٢) كذا فى ا، وفى ط: «ولا آن». (٣) سورة القصص ٨٨.

وموعظة للمتقين . واضمُم إلى الميمون بن الميمون الفضْل بن الربيع ولَدَ أمير المؤمنين وخدمه وأهله [١] ؛ ومُرْه بالمسير معهم فيمن معه من جنده ورابطته ، وصيِّر إلى عبد الله بن مالك أمر العسكر وأحداثه ؛ فإنه ثقة على ما يلى ، مقبول عند العامة ، واضمُم إليه جميع جند الشُّرَط من الرّوابط وغيرهم إلى مَنْ معه من جنده ، ومُرْه بالجِدّ والتيقظ وتقديم الحزم فى أمره كله ، ليله ونهاره ؛ فإنّ أهل العداوة والنّفاق لهذا السلطان يغتنمون مثل حلول هذه المصيبة. وأقِرّ حاتم بن هرثمة على ما هو عليه ، ومُره بحراسة ما يحفظ به قصورَ أمير المؤمنين ؛ فإنه ممّن لا يُعرف إلا بالطاعة ، ولا يدين إلا بها بمعاقد من الله مما قدّم له من حال أبيه المحمود عند الخلفاء . ومر الخدم بإحضار روابطهم ممّن يُسدّ بهم وبأجنادهم مواضع الخلَل من عسكرك ؛ فإنهم حدّ من حدودك ، وصيّر مقدّمتك إلى أسد بن يزيد بن مزيد ، وساقتك إلى يحيى بن معاذ ، فيمن معه من الجنود ، ومُرْهما بمناوبتك فى كلّ ليلة ، والزم الطريق الأعظم ، ولا تَعدُوَنّ المراحل ؛ فإن ذلك أرفق بك . ومر أسدَ بن يزيد أن يتخيَّرَ رجلاً من أهل بيته أو قوّاده ، فيصير إلى مقدمته ثم يصير أمامه لتهيئة المنازل ، أو بعض الطريق ؛ فإن لم يحضرك فى عسكرك بعضُ من سَمّيتُ ، فاخترْ لمواضعهم مَنْ تثق بطاعته ونصيحته وهيبته عند العوامّ ؛ فإنّ ذلك لن يُعوِزَك من قوّادك وأنصارك إن شاء الله . وإيّاك أن تنفذ رأيًا أو تُبرم أمرًا إلا برأى شيْخك وبقية آبائك الفضل بن الربيع ، وأقرر جميعَ الخدم على ما فى أيديهم من الأموال والسلاح والخزائن وغير ذلك ؛ ولا تخرجنّ أحداً منهم من ضِمْن ما يلى إلى أن تَقْدم علىّ .

٣/٧٧٠

وقد أوصيتُ بكر بن المعتمر بما سيبلّغكه ، واعمل فى ذلك بقدر ما تشاهد وترى ، وان أمرتَ لأهل العسكر بعطاء أو رزق ؛ فليكن الفضل بن الربيع المتولِّيَ لإعطائهم على دواوين يتخذها لنفسه ؛ بمحضر من أصحاب الدواوين ؛ فإنّ الفضل بن الربيع لم يزل يتقلّد مثل ذلك لمهمّات الأمور . وأنفذ إلىّ عند وصول كتابى هذا إليك إسماعيل بن صَبِيح وبكر بن المعتمر على مركبيهما من البريد ؛ ولا يكون لك عَرْجة ولا مُهلة بموضعك الذى أنت فيه حتى توجّه إلىّ بعسكرك

(١) ساقطة من ا .

٣/٧٧١ بما فيه من الأموال والخزائن إن شاء الله . أخوك يستدفع الله عنك، ويسأله لك حسن التأييد برحمته .

وكتب بكر بن المعتمر بين يدىّ وإملائى فى شوال سنة ثنتين وتسعين ومائة.

وخرج رجاء الخادم بالخاتم والقضيب والبُردة ، وبنعْى هارون حين دفن حتى قدم بغداد ليلة الخميس – وقيل يوم الأربعاء – فكان من الخبر ما قد ذكرت قبل .

وقيل: إنّ نعىّ الرشيد لما ورد بغداد صعد إسحاق بن عيسى بن علىّ المنبر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أعظم الناس رزيئةً ، وأحسن الناس بقيّة رزؤنا ، فإنه لم يُرزأ أحدٌ كرزئنا ، فمن له مثل عوضنا ! ثم نعاه إلى الناس ، وحضّ الناس على الطاعة .

* * *

وذكر الحسن الحاجب أنّ الفضل بن سهل أخبره ، قال : استقبل الرشيدَ وجوه أهل خُراسان ، وفيهم الحسين بن مصعب . قال : ولقينى فقال لى : الرشيد ميّتٌ أحد هذين اليومين ، وأمرُ محمد بن الرشيد ضعيف ، والأمر أمر صاحبك ؛ مُدّ يدك. فمدّ يده فبايع للمأمون بالخلافة. قال : ثم أتانى بعد أيام ومعه الخليل بن هشام ، فقال : هذا ابن أخى ، وهو لك ثقة خذ بيعته .

وكان المأمون قد رحل من مَرْو إلى قصر خالد بن حماد على فرسخ من مَرْو يريد سَمرقند ، وأمر العبّاس بن المسيّب بإخراج الناس واللحوق بالعسكر ، فمرّ به إسحاق الخادم ومعه نعىّ الرشيد ، فغمّ العباس قدومه ، فوصل إلى المأمون فأخبره ، فرجع المأمون إلى مَرْو ، ودخل دار الإمارة ، دار أبى مسلم ، ونعى الرّشيدَ على المنبر ، وشقّ ثوبه ونزل، وأمر للناس بمال ،

٣/٧٧٢ وبايع لمحمد ولنفسه وأعطى الجند رزق اثنى عشر شهراً .

قال : ولما قرأ الذين وردت عليهم كتبُ محمد بطُوس من القوّاد والجند وأولاد هارون ؛ تشاوروا فى اللحاق بمحمد ، فقال الفضل بن الربيع : لا أدَعُ مُلْكا حاضراً لآخر لا يدرى ما يكون من أمرِه ، وأمرَ الناس بالرّحيل ، ففعلوا ذلك محبّةً منهم للحوق بأهلهم ومنازلهم ببغداد ، وتركوا العهود التى كانت أخذت عليهم للمأمون ، فانتهى الخبر بذلك من أمرهم إلى المأمون بمَرْو ،

فجمع مَنْ معه من قواد أبيه ، فكان معه منهم عبد الله بن مالك، ويحيى ابن معاذ ، وشبيب بن حميد بن قحطبة ، والعلاء مولى هارون ، والعباس بن المسيّب بن زهير وهو على شرطته ، وأيوب بن أبي سمير وهو على كتابته ؛ وكان معه من أهل بيته عبدالرحمن بن عبد الملك بن صالح، وذو الرياستين؛ وهو عنده من أعظم الناس قدراً وأخصّهم به ، فشاورهم وأخبرهم الخبر ، فأشاروا عليه أن يلحقهم فى ألنىْ فارس جَريدة، فيردّهم، وسُمّىَ لذلك قوم، فدخل عليه ذو الرياستين، فقال له : إن فعلت ما أشاروا به عليك جعلتَ[(1)] هؤلاء هديّة إلى محمّد[1]، ولكنّ الرأى أن تكتب إليهم كتابًا، وتوجّه إليهم رسولا ؛ فتذكّرهم البيعة ، وتسألهم الوفاء ، وتحذّرهم الحنث ، وما يلزمهم فى ذلك فى الدنيا والدين . قال : قلت له : إن كتابك ورسلك تقوم مقامك ، فتستبرئ ما عند القوم، وتوجّهُ سهل بن صاعد — وكان على قهرمته — فإنه يأمُلك ، ويرجو أن ينال أمله ؛ فلن يألوَك نصحًا ، وتوجّه نَوفلاً الخادم مولى موسى أمير المؤمنين — وكان عاقلا . فكتب كتابًا ، ووجّههما فلحقاهم بنيسابور قد رحلوا ثلاث مراحل .

٧٧٣/٣

فذكر الحسن بن أبي سعيد[(2)] عن سهل بن صاعد، أنه قال[له] [(3)] : فأوصلت[(4)] إلى الفضل بن الربيع كتابَه ، فقال لى : إنما أنا واحد منهم، قال لى سهل: وشدّ علىّ عبدُالرحمن بن جبلة بالرّمح ، فأمرّه على جنبى ، ثم قال[لى] [(3)] : قل لصاحبك : والله لو كنتَ حاضراً لوضعت الرّمح فى فيك ، هذا جوابى .

قال : ونال من المأمون ، فرجعت بالخبر .

قال الفضل بن سهل : فقلت للمأمون : أعداء قد استرحتَ منهم ؛ ولكن افهم عنى ما أقول لك ؛ إنّ هذه الدولة لم تكن قطّ أعزّ منها أيام أبي جعفر ؛ فخرج عليه المقنّع وهو يدّعى الربوبيّة ، وقال بعضهم: طلب بدم أبي مسلم ، فتضعضع العسكر بخروجه بخُراسان ، فكفاه الله المؤنة[(5)] . ثم خرج بعده يوسف البَرْم وهو عند بعض المسلمين كافر ، فكفى الله المؤنة ، ثم خرج أستاذسيس

(١ — ١) ابن الأثير : « جعلوك هدية إلى أخيك » . (٢) فى ط : « سعد » ، وانظر الفهرس .
(٣) من ا . (٤) كذا فى ا ، وفى ط : « فأوصلت » . (٥) ا : « أمرد » .

يدعو إلى الكفر، فسار المهدىّ من الرّىّ إلى نيسابور فكُفِىَ المؤنة ؛ ولكن ما أصنع ! أكثُر عليك[١] ! أخبرنى كيف رأيت الناس حين ورد عليهم خبر رافع ؟ قال : رأيتُهم اضطربوا اضطراباً شديداً ، قلت : وكيف بك وأنت نازل فى أخوالك ، وبيعتك فى أعناقهم ! كيف يكون اضطراب أهل بغداد ! اصبر وأنا أضمن لك الخلافة — ووضعت يدى على صدرى — قال : قد فعلتُ ، وجعلتُ الأمر إليك فقمْ به . قال : قلت : والله لأصْدُقَنّك ، إن عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ ومَنْ سمّينا من أمراء الرؤساء، إن قاموا لك بالأمر كانوا[٢] أنفع منى لك بر ياستهم المشهورة ، ولِما عندهم من القوة على الحرب ، فمن قام بالأمر كنتُ خادمًا له حتى تصير إلى محبّتك ، وترى رأيك فىّ. فلقيتُهم فى منازلهم ، وذكّرتهم البَيْعة التى فى أعناقهم وما يجب عليهم من الوفاء . قال : فكأنى جئتُهم بجيفة علَى طَبق، فقال بعضهم : هذا لا يحلّ ، اخرج ، وقال بعضهم : مَن الذى يدخل بين أمير المؤمنين وأخيه ! فجئت فأخبرته ، قال : قم بالأمر، قال : قلت : قد قرأتَ القرآن، وسمعتَ الأحاديث ، وتفقهت فى الدين ، فالرّأى أن تبعث إلى مَنْ بالحضرة من الفقهاء، فتدعوَهم إلى الحقّ والعمل به وإحياء السنة ، وتقعد على اللّبود ، وتردّ المظالم . ففعلنا وبعثنا إلى الفقهاء ، وأكرمنا القوّاد والملوك وأبناء الملوك ؛ فكنا نقول للتميمى : نُقيمك مقام موسى بن كعب ، وللرَّبعىّ : نقيمك مقام أبى داود خالد بن إبراهيم ، ولليمانىّ : نقيمك مقام قحطبة ومالك بن الهيثم ؛ فكنا ندعو كلّ قبيلة إلى نقباء[٣] رءوسهم ، واستملنا الرءوس ، وقلنا لهم مثل ذلك[٣] ، وحطْطنا عن خُراسان ربع الخراج ، فحسن موقع ذلك منهم ، وسُرّوا به ، وقالوا : ابن أختنا ، وابن عمّ النبى صلى الله عليه .

٧٧٤/٣

قال على بن إسحاق : لما أفضت الخلافة إلى محمد ، وهدأ الناس ببغداد ، أصبح صبيحة السّبت بعد بيعته بيوم ؛ فأمر ببناء ميدان حول قصر أبى جعفر فى المدينة للصوالجة واللعب ، فقال فى ذلك شاعر من أهل بغداد :

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « أكبر » .
(٢) كذا فى ا وفى ط : « كان » .
(٣ – ٣) وردت العبارة فى ط مضطربة ، والصواب ما أثبته من ا .

بَنَى أَمِينُ اللهِ مَيدانا وَصَيَّرَ السَّاحةَ بُستانَا
وكانت الغزلانُ فيهِ بَانَا يُهدَى إِلَيْهِ فيهِ غِزلانا

٣/٧٧٥

* * *

وفى هذه السنة شخصت أمّ جعفر من الرّقة بجميع ما كان معها هنالك من الخزائن وغير ذلك فى شعبان ؛ فتلقاها ابنُها محمد الأمين بالأنبار فى جميع مَنْ كان ببغداد من الوُجوه، وأقام المأمون على ما كان يتولّى من عمل خُراسان ونواحيها إلى الرّىّ ،وكاتب الأمين ، وأهدى إليه هدايا كثيرة، وتواترت كتبُ المأمون إلى محمد بالتعظيم والهدايا إليه من طُرَف خُراسان من المتاع والآنية والمِسك والدوابّ والسلاح .

وفى هذه السنة دخل هَرْثمة حائط سَمَرْقند ، ولجأ رافع إلى المدينة الداخلة، وراسل رافع التُّرك فوافوْه ، فصار هرثمة بين رافع والترك، ثم انصرف الترك، فضعف رافع .

وقتِل فى هذه السنة نِقفور ملك الروم فى حرْب بُرْجان ، وكان ملكه — فيما قيل — سبع [1] سنين ، وملك بعده إستبراق بن نِقفور وهو مجروح ، فبقىَ شهرين ومات. وملك ميخائيل بن جورجس ختَنه على أخته .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ، وكان والى مكة .

وأقرّ محمد بن هارون أخاه القاسم بن هارون فى هذه السنة على ما كان أبوه هارون ولاّه من عمل الجزيرة، واستعمل عليها خُزيمة بن خازم ، وأقرّ القاسم على قِنَّسرين والعواصم .

---

(١) ا : « تسع سنين » .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

٣/٧٧٦ فمن ذلك ما كان من مخالفة أهل حِمْص عاملهم إسحاق بن سليمان ، وكان محمّد ولاه إياها ، فلمّا خالفوه انتقل إلى سلمْيَة ، فصرفه محمد عنهم ، وولّى مكانه عبد الله بن سعيد الحرَشيّ ومعه عافية بن سليمان ، فحبس عدّةً من وجوههم ، وضرب مدينتهم من نواحيها بالنار ، وسألوه الأمان فأجابهم ، وسكنوا ثم هاجوا ؛ فضرب أيضًا أعناق عدّة منهم .

وفيها عزل محمد أخاه القاسم عن جميع ما كان أبوه هارون ولاّه من عمل الشأم وقِنّسرين والعواصم والثغور ، وولّى مكانه خزيمة بن خازم ، وأمره بالمقام بمدينة السلام .

وفى هذه السنة أمر محمد بالدعاء لابنه موسى على المنابر بالإمرة .

* * *

[ذكر تفاقم الخلاف بين الأمين والمأمون]

وفيها مكَر كلّ واحد منهما بصاحبه : محمد الأمين وعبد الله المأمون ، وظهر بينهما الفساد .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذُكر أن الفضل بن الربيع فكّر بعد مقدَمه العراق على محمد منصرفاً عن طُوس ، وناكثًا للعهود التى كان الرشيد أخذها عليه لابنه عبد الله ، وعلم أنّ الخلافة إن أفضت إلى المأمون يومًا وهو حىّ لم يُبْق عليه ؛ وكان فى ظَفَره به عطبُه ، فسعى فى إغراء محمد به ، وحثّه على خلعه ، وصرْف ولاية العهد من بعده إلى ابنه موسى ؛ ولم يكن ذلك من رأى محمّد ولا عزمه ، بل كان عزمه — فيما ذكر عنه — الوفاء لأخويه : عبد الله والقاسم ، بما كان أخذ عليه

٣/٧٧٧ لهما والده من العهود والشروط ، فلم يزل الفضل به يصغّر فى عينه شأن المأمون ،

ويزيّن له خلعه ؛ حتّى قال له : ما تنتظر يا أمير المؤمنين بعبد الله والقاسم أخويك ! فإنّ البيعة كانت لك متقدّمة قبلهما ، وإنما أدخلا فيها بعدك واحداً بعد واحد ، وأدخل فى ذلك من رأيه معه علىّ بن عيسى بن ماهان والسندىّ وغيرَهما ممن بحضرته ؛ فأزال محمداً عن رأيه .

فأول ما بدأ به محمد عن رأى الفضل بن الربيع فيما دبّر من ذلك، أن كتب إلى جميع العمّال فى الأمصار كلها بالدعاء لابنه موسى بالإمرة بعد الدّعاء له وللمأمون والقاسم بن الرشيد ، فذكر الفضل بن إسحاق بن سليمان أنّ المأمون لما بلغه ما أمر به محمد من الدّعاء لابنه موسى وعزْله القاسم عمّا كان الرشيد ضمّ إليه من الأعمال وإقدامه إيّاه مدينة السلام ؛ علم أنه يدبّر عليه فى خلعه ، فقطع البريدَ عن محمد ، وأسقط اسمه من الطّرز [والضّرب][1] .

وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيّار لما انتهى إليه من الخبر عن المأمون وحسن سيرته فى أهل عمله وإحسانه إليهم ، بعث فى طلب الأمان لنفسه ، فسارع إلى ذلك هرثمة وخرج رافع فلحق بالمأمون ، وهرثمة بعدُ مقيم بسمرقند فأكرم المأمون رافعاً . وكان مع هرثمة فى حصار رافع طاهر بن الحسين ؛ فلمّا دخل رافع فى الأمان ، استأذن هرثمة المأمون فى القدوم عليه ، فعبر نهر بلْخ بعسكره والنهر جامد ، فتلقّاه الناس ، وولاّه المأمون الحرس . فأنكر ذلك كله محمد ، فبدأ بالتّدبير على المأمون ؛ فكان من التدبير أنه كتب إلى العباس بن عبد الله بن مالك — وهو عامل المأمون على الرّىّ — وأمره أن يبعث إليه بغرائب غروس الرىّ — مريداً بذلك امتحانه — فبعث إليه ما أمره به ، وكتم المأمون وذا الرياستين . فبلغ ذلك من أمره المأمون ، فوجّه الحسن بن علىّ المأمونىّ وأردفه بالرستمىّ[2] على البريد ، وعزل العباس بن عبد الله بن مالك ؛ فذُكر عن الرستمىّ أنه لم ينزل عن دابته حتّى اجتمع إليه ألف رجل من أهل الرىّ .

٧٧٨/٣

ووجّه محمد إلى المأمون ثلاثة أنفس رسلاً : أحدهم العباس بن موسى بن عيسى ، والآخر صالح صاحب المصلّى ، والثالث محمد بن عيسى بن نهيك ؛

---

(١) من ا .

(٢) هو الحسين بن عمر الرستمى .

وكتب معهم كتابًا إلى صاحب الرّىّ؛ أن استقبلْهم بالعُدّة والسلاح الظاهر. وكتب إلى والى قُومِس ونَيْسابور وسَرَخْس بمثل ذلك؛ ففعلوا. ثم وردت الرّسل مَرْو، وقد أعِدّ لهم من السلاح وضروب العُدد والعتاد، ثم صاروا إلى المأمون؛ فأبلغوه رسالة محمد بمسألته تقديمَ موسى على نفسه؛ ويذكر له أنه سمّاه الناطق بالحق؛ وكان الذى أشار عليه بذلك علىّ بن عيسى بن ماهان، وكان يخبره أن أهل خُراسان يطيعونه؛ فردّ المأمون ذلك وأباه.

قال: فقال لى ذو الرئاستين: قال العباس بن موسى بن عيسى بن موسى: وما عليك أيها الأمير من ذلك؛ فهذا جدّى عيسى بن موسى قد خُلِع فما ضرّه ذلك، قال: فصحْتُ به: اسكت، فإن جدّك كان فى أيديهم أسيرًا؛ وهذا بين أخواله وشيعته. قال: فانصرفوا، وأنزل كل واحد منهم منزلاً. قال ذو الرياستين: فأعجبنى ما رأيت من ذكاء العباس بن موسى، فخلوت به فقلت: أيذهب[1] عليك فى فهمك وسنّك أن تأخذ بحظك من الإمام — ٣/٧٧٩ وسُمّىَ المأمون فى ذلك اليوم بالإمام ولم يسمّ بالخلافة، وكان سبب ما سُمّى به الإمام ما جاء من خَلْع محمد له، وقد كان محمد قال للذين أرسلهم: قد تسمّى المأمون بالإمام، فقال لى العباس: قد سميتموه الإمام! قال: قلت له: قد يكون إمام المسجد والقبيلة، فإن وفيتم لم يضرّكم، وإن غدرتم فهو ذاك. قال: ثمّ قلتُ للعباس: لك عندى ولاية الموسم، ولا ولاية أشرف منها، ولك من مواضع الأعمال بمصْر ما شئت.

قال: فما برح حتى أخذت عليه البيعة للمأمون بالخلافة؛ فكان بعد ذلك يكتب إلينا بالأخبار، ويشير علينا بالرأى.

قال: فأخبرنى علىّ بن يحيى السَّرَخسىّ، قال: مرّ بى العباس بن موسى ذاهبًا إلى مَرْو — وقد كنت وصفت له سيرة المأمون وحسن تدبير ذى الرياستين واحتماله الموضع، فلم يقبل ذلك منى — فلما رجع مرّ بى، فقلت له: كيف رأيت؟ قال: ذو الرياستين أكثر مما وصفت، فقلت: صافحتَ

---

(١) كذا فى ا، وفى ط: «يذهب».

الإمام ؟ قال : نعم ، قلت : امسح يدك على رأسى . قال : ومضى القوم إلى محمّد فأخبروه بامتناعه ، قال : فألحّ الفضل بن الربيع وعلىّ بن عيسى على محمد فى البيْعة لابنه وخلْع المأمون ، وأعطى الفضل الأموالَ حتى بايع لابنه موسى ، وسمّاه الناطق بالحق ، وأحضنه علىّ بن عيسى وولاّه العراق . قال : وكان أوّل من أخذ له البيعة بشر بن السّمَيدع الأزدىّ ، وكان واليًا على بلد ، ثم أخذها صاحب مكة وصاحب المدينة على خواصّ من الناس قليل ، دون العامة .

٣/٧٨٠ قال : ونهى الفضل بن الربيع عن ذكر عبد الله والقاسم والدّعاء لهما على شىء من المنابر ، ودسّ لذكر عبد الله والوقيعة فيه ، ووجّه إلى مكّة كتاباً مع رسولٍ من حَجَبة البيت يقال له محمد بن عبد الله بن عثمان بن طلحة فى أخذ الكتابين اللذين كان هارون كتبهما ، وجعلهما فى الكعبة لعبد الله على محمد ، فقدم بهما عليه ، وتكلم فى ذلك بقية الحَجَبة ، فلم يحفل بهم ، وخافوا على أنفسهم ، فلما صار بالكتابين إلى محمد قبضهما منه ، وأجازه بجائزة عظيمة ، ومزّقهما وأبطلهما .

وكان محمد — فيما ذكر — كتب إلى المأمون قبل مكاشفة المأمون إياه بالخلاف عليه ، يسأله أن يتجافَى له عن كُور من كُور خراسان — سمّاها — وأن يوجّه العمال إليها من قِبَل محمد ، وأن يحتمل توجيه رجل من قِبله يولّيه البريد عليه ليكتب إليه بخبره . فلمّا ورد إلى المأمون الكتاب بذلك ، كبُر ذلك عليه واشتدّ ، فبعث إلى الفضل بن سهل وإلى أخيه الحسن ، فشاورهما فى ذلك ، فقال الفضل : الأمر مُخْطِر ، ولك من شيعتك وأهل بيتك بطانة ، ولهم تأنيس بالمشاورة ، وفى قطع الأمر دونهم وَحْشة ، وظهوره[1] قلّة ثقة ، فرأىُ الأمير فى ذلك . وقال الحسن : كان يقال : شاور فى طلب الرأى مَنْ تثق بنصيحته ، وتألّف العدّو فيما لا اكتتام له بمشاورته ؛ فأحضر المأمون الخاصّة من الرؤساء والأعلام ، وقرأ عليهم الكتاب ، فقالوا جميعًا له : أيّها الأمير ،

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « ظهور » .

تشاور فى مخطر ، فاجعل لبديهتنا حظًّا من الروّية ، فقال المأمون: ذلك هو الحزم ، وأجّلهم ثلاثاً ، فلما اجتمعوا بعد ذلك ، قال أحدهم : أيُّها الأمير ، قد حُمِلتَ على كَرْهيْن ، ولستُ أرى خطأ مدافعةً بمكروهٍ أوّلهما مخافة مكروهِ آخرهما. وقال آخر : كان يقال أيّها الأمير ،أسعدك الله، إذا كان الأمر مُخْطِراً ، فإعطاؤك مَنْ نازعك طرفاً من بُغيته أمثل من أن تصير بالمنع إلى مكاشفته. وقال آخر : إنه كان يقال : إذا كان علمُ الأمور مغيَّباً عنك ، فخذ ماأمكنك من هُدْنة[1] يومك ؛ فإنك لا تأمن أن يكون فساد يومك راجعًا بفساد غدك. وقال آخر : لئن خيفتْ[2] للبذل عاقبةٌ، إن أشدّ منها لَما يَبْعث الإباء[3] من الفرقة. وقال آخر : لا أرى مفارقة منزلة سلامةٍ ؛ فلعلّى أعطى معها العافية . فقال الحسن : فقد وجب حقُّكم باجتهادكم ؛ وإن كنتُ من الرأى على مخالفتكم ، فقال له المأمون : فناظرْهم ، قال : لذلك ما كان الاجتماع. وأقبل الحسن عليهم ، فقال : هل تعلمون أن محمداً تجاوز إلى طلب شىء ليس له بحق ؟ قالوا : نعم؛ ويُحتمل ذلك لما نخاف من ضرر منْعه. قال : فهل تثقون بكفه بعد إعطائه إيّاها، فلا يتجاوز بالطلب إلى غيرها ؟ قالوا : لا ، ولعل سلامة تقع من دون ما يُخاف ويُتوقع . قال: فإن تجاوز بعدها بالمسألة ؛ أفما ترونه قد توهّن بما بذل منها فى نفسه ! قالوا : ندفع ما يعرِض له فى عاقبة بمدافعة محذور فى عاجلة ! قال : فهذا خلاف ما سمعناه من قول الحكماء قبلنا، قالوا: استصلحْ عاقبةَ أمرك باحتمال ما عرض من كره يومك، ولا تلتمس هدنةَ يومك بإخطار أدخلتَه على نفسك فى غدك . قال المأمون للفضل : ما تقول فيما اختلفوا فيه ؟ قال: أيّها الأمير ، أسعدك الله، هل يؤمن محمد أن يكون طالبك بفضل قوّتك ليستظهر بها عليك غدًا على مخالفتك ! وهل يصير الحازم إلى فضلةٍ مَنْ عاجل الدّعة بخَطر يتعرّض له فى عاقبةٍ ؛ بل إنما أشار الحكماء بحمل ثقل فيما يرجون به صلاح عواقب أمورهم . فقال المأمون : بل بإيثار العاجلة صارَ من صار إلى فساد العاقبة فى أمر دنيا أو أمر آخرة . قال القوم: قد قلنا بمبلغ الرأى؛ والله يؤيد الأمير بالتوفيق . فقال : اكتب

٧٨١/٣ ، ٧٨٢/٣

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « هدية » .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « خفت » .
(٣) كذا فى ا .

يا فضلُ إليه ، فكتب :

قد بلغنى كتاب أمير المؤمنين يسألنى التجافىَ عن مواضعَ سمّاها مما أثبته الرّشيد فى العَقْد ، وجعل أمره إلىّ ، وما أمرٌ رآه أمير المؤمنين أحد يجاوز أكثَره ؛ غير أنّ الذى جعل إلىّ الطّرْف الذى أنابه ، لا ظنين فى النّظر لعامته ، ولا جاهل بما أسنِد إلىّ من أمره ، ولو لم يكن ذلك مثبتًا بالعهود والمواثيق المأخوذة ، ثم كنتُ على الحال التى أنا عليها من إشراف عدوٍّ مخوف الشوكة ، وعامّة لا تتألف عن هضمها ، وأجناد لا يستتبع طاعتُها إلاّ بالأموال وطَرَف من الإفضال - لكان فى نظر أمير المؤمنين لعامّته وما يحبّ من لمّ أطرافه ما يوجب عليه أن يقسم له كثيراً من عنايته ، وأن يستصلحه ببَذل كثير من ماله ؛ فكيف بمسألة ما أوجبه الحقّ ، ووكّد به مأخوذ العهد ! وإنى لأعلم أن أمير المؤمنين لو علِم من الحال ما علمتُ لم يُطلع بمسألة ما كتب بمسألته إلىّ . ثم أنا على ثقة من القبول بعد البيان إن شاء الله .

٧٨٣/٣ وكان المأمون قد وجّه حارسَة إلى الحدّ ، فلا يجوز رسول من العِراق حتى يوجّهوه مع ثقات من الأمناء[1] ، ولا يدعه يستعلم خبراً ولا يؤثر أثراً ، ولا يستتبع بالرّغبة ولا بالرهبة أحدًا ، ولا يبلغ أحداً قولاً ولا كتابًا . فحصر أهل خراسان من أن يُستمالوا برغبة ، أو أن تُودع صدورهم رهبة ، أو يحمَلوا على منزل خلاف أو مفارقة . ثم وضع على مراصد الطرق ثقات من الحرّاس لا يجوز عليهم إلا من لا يدخل الظِّنّة فى أمره ممن أتى بجواز فى مخرجه إلى دار مآبه ، أو تاجر معروف مأمون فى نفسه ودينه ، ومُنع الأشتاتات[2] من جواز السُّبل والقَطْع بالمتاجر والوُغول فى البلدان فى هيئة الطارئة والسابلة ، وفُتّشت الكتُب.

وكان - فيما ذكر - أوّل مَن أقبل من قِبَل محمد مناظراً فى منعه ما كان سأل جماعة ، وإنما وُجّهوا ليعلَم أنهم قد عاينوا وسمعوا ، ثم يلتمس منهم أن يبذلوا أو يحرموا فيكون مما قالوا حجة يحتجّ بها ، أو ذريعة إلى ما التمس [منها] . فلما صاروا إلى حدّ الرىّ ، وجدوا تدبيراً مؤيّداً ، وعَقْداً مستحصَداً متأكداً ، وأخذتهم الأحراس من جوانبهم ، فحفظوا فى حال ظعنهم وإقامتهم من أن يخبِروا أو يستخبَروا ، وكُتب بخبرهم من مكانهم . فجاء الإذن فى حملهم

(١) ا : « الأبناء » . (٢) ا : « الأسبابات » .

فحمِلوا محروسين ؛ لا خبرَ يصل إليهم ، ولا خبر يتطلع منهم إلى غيرهم ؛ وقد كانوا مُعَدِّين لبثّ الخبر فى العامة وإظهار الحجة بالمفارقة والدعاء لأهل القوّة إلى المخالفة ؛ يبذلون الأموال ، ويضمنون لهم معظم الولايات والقطائع والمنازل ؛ فوجدوا جميع ذلك ممنوعًا محسومًا ؛ حتّى صاروا إلى باب المأمون . ٣/٧٨٤

وكان الكتاب النافذ معهم إلى المأمون :

أما بعد؛ فإن أمير المؤمنين الرّشيد وإن كان أفردك بالطَّرْف، وضمّ ما ضمّ إليك من كُور الجبل؛ تأييداً لأمرك ، وتحصينًا لطرْفك؛ فإنّ ذلك لا يُوجب لك فضلة المال عن كفايتك . وقد كان هذا الطَّرْف وخراجه كافيًا لحدثه ، ثم تتجاوز بعد الكفاية إلى ما يفضل من ردّه ؛ وقد ضمّ لك إلى الطرْف كوراً من أمّهات كوَر الأموال لا حاجة لك فيها ، فالحقّ فيها أن تكون مردودةً فى أهلها ، ومواضع حقها . فكتبت إليك أسألك ردّ تلك الكوَر إلى ما كانت عليه من حالها ؛ لتكون فضول ردّها مصروفة إلى مواضعها؛ وأن تأذن لقائم بالخبر يكون بحضرتك يؤدّى إلينا علْم ما نُعنَى به من خبر طرْفك ؛ فكتبتَ تلطّ[1] دون ذلك بما إن تمّ أمرُك عليه صيَّرّنا الحقُّ إلى مطالبتك؛ فاثن عن همك اثن عن مطالبتك ، إن شاء الله .

فلمّا قرأ المأمون الكتاب كتب مجيبًا له :

أما بعد؛ فقد بلغنى كتابُ أمير المؤمنين ، ولمْ يكتب فيما جهل فأكشفَ له عن وجهه ، ولمْ يسأل ما يوجبه حقّ فيلزمنى الحجة بترك إجابته ؛ وإنما يتجاوز المتناظران[2] منزلة النصفة ما ضاقت النّصفة عن أهلها ؛ فمتى تجاوز متجاوز — وهى موجودة الوسع — ولم يكن تجاوُزها إلاّ عن نقصها واحتمال ما فى تركها ؛ فلا تبعثنى يابن أبى على مخالفتك وأنا مذعِنٌ بطاعتك ، ولا علىّ قطيعتك . وأنا على إيثار ما تحبّ من صلتك ، وارْضَ بما حكم به الحقّ فى أمرك أكن بالمكان الذى أنزلنى به الحق فيما بينى وبينك. والسلام . ٣/٧٨٥

ثم أحضر الرّسل ، فقال : إنّ أمير المؤمنين كتب فى أمرٍ كتبتُ له فى جوابِه ، فأبلغوه الكتاب ، وأعلموه أنى لا أزال على طاعته ؛ حتّى يضطرنى

(١) تلط : تجحد . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « المناظران » .

بترك الحقّ الواجب إلى مخالفته . فذهبوا يقولون ، فقال : قفوا أنفسكم حيث وقفنا بالقول بكم ، وأحسنوا تأدية ما سمعتم ؛ فقد أبلغتمونا من كتابنا ما عسى أن تقولوه لنا . فانصرف الرسل ولم يُثبتوا لأنفسهم حجة ، ولم يحملوا خبراً يؤدونه إلى صاحبهم ، ورأوا جدًّا غير مشوب بهزل ، فى منع ما لَهُمْ من حقهم الواقع — بزعمهم .

فلما وصل كتاب المأمون إلى محمد وصل منه ما فظع به ، وتخمط[١] غيظًا بما تردّد منه [فى سمعه][٢] ، وأمر عند ذلك بما ذكرناه من الإمساك عن الدّعاء له على المنابر ؛ وكتب إليه :

أما بعد ؛ فقد بلغنى كتابك غامطاً لنعمة الله عليك فيما مكّن لك من ظلها ، متعرّضًا لحِراق نار لا قِبَلَ لك بها ، ولَحظُّك عن الطاعة كان أودع لك ؛ وإن كان قد تقدّم منى متقدّم ؛ فليس بخارج من مواضع نفعك إذ كان راجعًا على العامة من رعيّتك ؛ وأكثر من ذلك ما يمكن لك من منزلة السلامة ، ويثبت لك من حال الهُدْنة ؛ فأعلمنى رأيَك أعمل عليه . إن شاء الله . ٣/٧٨٦

وذكر سهل بن هارون عن الحسن بن سهل ، أنّ المأمون قال لذى الرياستين : إن ولدى وأهلى ومالى الذى أفرده الرّشيد لى بحضرة محمد — وهو مائة ألف ألف — وأنا إليها محتاج ، وهى قِبَلَه فما ترى فى ذلك ؟ وراجعه فى ذلك مراراً . فقال له ذو الرياستين : أيّها الأمير ، بك حاجة إلى فضلة مالك ؛ وأن يكون أهلك فى دارك وجنابك ؛ وإن أنت كتبتَ فيه كتاب عزمة فمنعك صار إلى خلع عهده ؛ فإن فعل حمَلك ولو بالكُرْه على محاربته ؛ وأنا أكره أن تكون المستفتِح باب الفُرْقة ما أرتجه الله دونك ؛ ولكن تكتب كتاب طالب لحقّك ، وتوجيه أهلك على ما لا يوجب عليه المنع نُكثًا لعهدك ؛ فإن أطاع فنعمة وعافية ؛ وإن أبَى لم تكن بعثتَ على نفسك حربًا [أو مشاقة] . فاكتب إليه ، فكتب عنه :

أما بعد ؛ فإن نظر أمير المؤمنين للعامة نظرُ من لا يقتصر عنه على إعطاء النّصَفة من نفسه حتى يتجاوزَها إليهم ببرّه وصلته ؛ وإذا كان ذلك رأيه فى

---

(١) ا : « قطع به » ، والمتمخط : المقشعر غضباً .

(٢) من ا .

عامّته ؛ فأحْرِ بأن يكون على مجاوزة ذلك بصنوه وقسيم نسبه ؛ فقد تعلم يا أمير المؤمنين حالاً أنا عليها من ثغور حللتُ بين لهواتها ، وأجناد لاتزال موقنة بنشر غيّها وبنكث آرائها ، وقلة الخَرْج قِبَلى ، والأهل والولد قِبَلَ أمير المؤمنين ، وما للأهل – وإن كانوا فى كفاية من برّ أمير المؤمنين ، فكان لهم والدًا – بُدّ من الإشراف والنزوع إلى كنفى ، ومالى بالمال من القوّة والظهير على لمّ الشعث بحضرتى ، وقد وجّهتُ لحمل العيال وحمل ذلك المال ؛ فرأى أمير المؤمنين فى إجازة فلان إلى الرّقة فى حمْل ذلك المال ، والأمر بمعونته عليه ، غير محرِج له فيه إلى ضيقة تقع بمخالفته ، أو حامل له على رأى يكون على غير موافقة . والسلام . ٧٨٧/٣

فكتب إليه محمد :

أما بعد ؛ فقد بلغنى كتابُك بما ذكرتَ ممّا عليه رأىُ أمير المؤمنين فى عامّته فضلا عما يجب من حقّ لذى حُرمته وخليط نفسه ، ومحلّك بين لهوات ثغور ، وحاجتك لمحلك بينها إلى فَضْلة من المال لتأييد أمرك ؛ والمال الذى سُمِّىَ لك من مال الله ، وتوجيهك مَنْ وجّهت فى حمله وحمل أهلك من قِبَل أمير المؤمنين . ولعمْرِى ما ينكر أمير المؤمنين رأيًا هو عليه مما ذكرت لعامته ، يوجب عليه من حقوق أقربيه وعامته . وبه إلى ذلك المال الذى ذكرتَ حاجة فى تحصين أمور المسلمين ؛ فكان أوْلى به إجراؤه منه على فرائضه ، وردُّه على مواضع حقه ؛ وليس بخارج من نفعك ما عاد بنفع العامة من رعيّتك . وأما ما ذكرتَ من حمْل أهلك ؛ فإنّ رأىَ أمير المؤمنين تولّى أمرهم ؛ وإن كنتَ بالمكان الذى أنت به من حقّ القرابة . ولم أر من حملهم على سفرهم مثل الذى رأيت من تعريضهم بالسفر للتشتت ؛ وإنْ أرَ ذلك من قِبَلى أوجّهْهم إليك مع الثقة من رسلى إن شاء الله . والسلام . ٧٨٨/٣

قال : ولما ورد الكتاب على المأمون ، قال : لاطٌّ دون حقنا يريد أن نتوهّن مما يمنع من قوّتنا ، ثم يتمكن للوهنة من الفُرْصة فى مخالفتنا . فقال له ذو الرياستين : أوَ ليس من المعلوم دفعُ الرشيد ذلك المال إلى الأمين لجمعه ، وقبضُ الأمين إياه على أعين الملإ من عامته ؛ على أنه يحرسه قِنْيةً ، فهو

لا ينزع إليها ؛ فلا تأخذ عليه مضايقها، وأمْلِ له ما لم تضطرك جريرتُه إلى مكاشفته بها ؛ والرأى لزوم عُروة الثقة، وحسمُ الفرقة ؛ [فإن أمسك فبنعمة][1] وإن تطلّع إليها فقد تعرّض لله بالمخالفة، وتعرّضتَ منه بالإمساك للتأييد والمعونة.

قال : وعلم المأمون والفضل أنه سيحدث بعد كتابه من الحدث ما يحتاج إلى لَمِّه[2]، ومن الخبر ما يحتاج أن يباشره بالثِّقة من أصحابه، وأنه لا يُحدث فى ذلك حدثًا دون مواطأة رجال النّباهة والأقدار من الشِّيعة وأهل السابقة ؛ فرأى أن يختار رجلاً يكتب معه إلى أعيان أهل العسْكر من بغداد ؛ فإن أحدث محمد خلعًا للمأمون صار إلى دفعها، وتلطف لعلْم حالات أهلها ؛ وإن لم يفعل من ذلك شيئا خَنَس فى حُقته ، وأمسك عن إيصالها ، وتقدم إليه فى التعجيل . ٣/٧٨٩

ولما قدم أوصل الكتب، وكان كتابه مع الرسول الذى وجهه لعلم الخبر :

أما بعد ؛ فإنّ أمير المؤمنين كأعضاء البدن ، يحدث العلّة فى بعضها؛ فيكون كرْه ذلك مؤلماً لجميعها ؛ وكذلك الحدَث فى المسلمين ، يكون فى بعضهم فيصل كُرْه ذلك إلى سائرهم؛ للذى يجمعهم من شريعة دينهم، ويلزمهم من حرمة أخوّتهم[3] ، ثم ذلك من الأئمة أعظم للمكان الذى به الأئمة من سائر أممهم؛ وقد كان من الخبر ما لا أحسبه إلاَّ سيعرب عن محنته ، ويُسفِر عمّا استتر من وجهه ؛ وما اختلف مختلفان فكان أحدهما مع أمر الله إلا كان أوّل معونة المسلمين وموالاتهم فى ذات الله ؛ وأنت يرحمك الله من الأمر بمرأى ومسمع ؛ وبحيث إن قلت أذِن لقولك ؛ وإن لم تجد للقول مساغًا فأمسكت عن مخوف أقتدِى فيه بك ؛ ولن يضيع علىّ الله ثواب الإحسان مع ما يجب علينا بالإحسان من حقك ، ولحظٌ حاز لك النصيبين أو أحدهما أمثلُ من الإشراف لأحد الحظّيْن ، مع التعرّض لعدمهما ، فاكتب إلىّ برأيك ، وأعلم ذلك لرسولى ليؤديه إلىّ عنك . إن شاء الله .

وكتب إلى رجال النباهة من أهل العسكر بمثل ذلك .

قال : فوافق قدوم الرسول بغداد ما أمر به من الكفّ عن الدعاء للمأمون

---

(١) من ا . (٢) كذا فى ا ، وفى ط « علمه » .
(٣) ط : « آخرتهم » ، وما أثبته من ا .

فى الخطبة يوم الجمعة ، وكان بمكان الثقة من كلّ من كتب إليه معه ؛ فمنهم من أمسك عن الجواب وأعرب للرسول عمّا فى نفسه ، ومنهم من أجاب عن كتابه ؛ فكتب أحدهم :

٣/٧٩٠ أما بعد فقد بلغنى كتابُك وللحقّ برهان يدلّ على نفسه تَثبت به الحجّة على كلّ من صار إلى مفارقته ؛ وكفَى غبنًا بإضاعة حظّ من حظ العاقبة ؛ لمأمولٍ من حظّ عاجلة ، وأبْيَن من الغَبْن إضاعة حظّ عاقبة مع التعرّض للنكبة والوقائع ؛ ولى من العلم بمواضع حظّى ما أرجو أن يحسن معه النظر منى لنفسى ، ويضع عنى مؤنة استزادتى . إن شاء الله .

قال : وكتب الرّسول المتوجّه إلى بغداد إلى المأمون وذى الرياستين :

أما بعد، فإنى وافيتُ البلدة، وقد أعلن خليطك بتنكّره ، وقدّم علمًا من اعتراضه ومفارقته [وأمسك عمّا كان يجب ذكره وتوفيته][(١)] بحضرته ؛ ودفعت كتبك فوجدت أكثر الناس ولاة السريرة ونفاة العلانية ، ووجدت المشرفين بالرعية لا يحوطون إلاّ عنها ولا يبالون[(٢)] ما احتملوا فيها ؛ والمنازِع مختلج الرّأى ، لا يجد دافعًا منه عن همّه ، ولا راغبًا فى عامه ، والمحلون بأنفسهم يحلون تمام الحدث ؛ ليسلموا مِنْ منهزم حدثهم ، والقوم على جدّ ، ولا تجعلوا للتوانى [فى أمركم نصيبًا][(٢)] إن شاء الله والسلام .

قال : ولما قدم على محمد من معسكر المأمون سعيد بن مالك بن قادم وعبد الله بن حميد بن قحطبة والعباس بن الليث مولى أمير المؤمنين ومنصور بن أبى مطر وكثير بن قادرة ، ألطفهم وقرّبهم ، وأمر لمن كان قبض منهم السّتّة الأشهر برزق اثنى عشر شهراً ، وزادهم فى الخاصة والعامة، ولمن لم يقبضها بثمانية عشر شهراً .

قال : ولما عزم محمد على خلع المأمون دعا يحيى بن سُليم فشاوره فى ذلك ،

٣/٧٩١ فقال يحيى : يا أمير المؤمنين ، كيف بذلك لك مع ما قَدْ وكّد الرشيد من بَيْعته ، وتوثّق بها من عهده ، والأخذ للإيمان والشرائط فى الكتاب الذى

---

(١) من ا . (٢) ط : « ينالون » .

كتبه ! فقال له محمد : إنّ رأىَ الرشيد كان فلتةً شبّهها عليه جعفر بن يحيى بسحره ، واستماله برُقاه وعُقَده ، فغرس لنا غَرْسا مكروهًا لا ينفعنا ما نحن فيه معه إلا بقطعه ، ولا تستقيم لنا الأمور إلا باجتثاثه والراحة منه . فقال : أما إذا كان رأى أمير المؤمنين خلعَه ، فلا يُجاهره مجاهرةً فيستنكرها الناس ، ويستشنعها العامة ؛ ولكن تستدعى الجندَ بعدالجندوالقائد بعدالقائد، وتؤنسه[1] بالألطاف والهدايا ، وتفرّق ثقاته ومَنْ معه ، وترغّبهم بالأموال ، وتستميلهم بالأطماع ؛ فإذا أوهنتَ قوّته ، واستفرغتَ رجاله ، أمرتَه بالقدوم عليك ؛ فإن قدم صار إلى الذى تريد منه ؛ وإن أبى كنت قد تناولته وقد كلّ حده وهيض جناحُه ، وضعف ركنُه وانقطع عزّه . فقال محمد : ما قَطَع أمراً كصريمة ، أنت مِهذار خطيب ، ولستَ بذى رأى ، فزُلْ عن هذا الرأى إلى الشّيخ الموفّق والوزير الناصح[2] ؛ قمْ فالحق بمدادك وأقلامك ؛ [قال يحيى : فقلت : غضب][3] يشوبه صدق ونصيحة ، أشرت إلى رأى يخلطه غش وجهل . قال : فوالله ما ذهبت الأيامُ حتى ذكر كلامه ، وقرّعه بخطئه وخرقه .

قال سهل بن هارون : وقد كان الفضل بن سهل دسّ قومًا اختارهم ممّن يثق به من القوّاد والوجوه ببغداد ليكاتبوه بالأخبار يومًا يومًا ، فلما همّ محمد بخلع المأمون ، بعث الفضل بن الربيع إلى أحد هؤلاء الرّجال يشاوره فيما يرى من ذلك ، فعظّم الرجلُ عليه أمر نقض العهد للمأمون ، وقبّح الغدر به ؛ فقال له الفضل : صدقت ؛ ولكن عبد الله قد أحدث الحدث الذى وجب به نقض ما أخذ الرّشيد له . قال : أفتثبتُ الحجة عند العوامّ بمعلوم حَدَثه كما تثبت الحجّة بما جدد من عهده ! قال : لا ، قال : أفحدثٌ هذا منكم يوجب عند العامة نقضَ عهدكم ما لم يكن حدثه معلومًا يجب به فَسْخ عهده ! قال : نعم ، قال الرجل — ورفع صوته : بالله ما رأيتُ كاليوم رأى رجل يرتاد به النظر ، يشاور فى رَفع ملك فى يده بالحجة ثم يصير إلى مطالبته بالعناد والمغالبة ! قال : فأطرق الفضل مليًّا ، ثم قال : صدقتَنى الرأى ، واحتملت ثقل الأمانة ؛ ولكن أخبرنى إن نحن أغمضنا من قالة العامّة ووجدنا مساعدين

٧٩٢/٣

(١) ابن الأثير : « وتؤنسهما » . (٢) أى الفضل بن الربيع . (٣) منا .

من شيعتنا وأجنادنا ، فما القول ؟ قال : أصلحك الله ، وهل أجنادك إلاّ من عامّتك فى أخذ بيعتهم وتمكن برهان الحق فى قلوبهم ! أفليسوا وإن أعطوْك ظاهر طاعة هم مع ما تأكد من وثائق العهد فى معارفهم ؛ قال : فإن أعطونا بذلك الطاعة قال : لا طاعة دون أن تكون على تثبت من البصائر . قال : نرغّبهم بتشريف حظوظهم ، قال : إذاً يصيروا إلى التقبّل ، ثم إلى خذلانك عند حاجتك إلى مناصحتهم . قال : فما ظنك بأجناد عبد الله ؟ قال : قوم على بصيرة من أمرِهم لتقدّم بيعتهم وما يتعاهدون من حظّهم ، قال : فما ظنُّك بعامتهم ؟ قال : قوم كانوا فى بلوى عظيمة من تحيف ولاتهم فى أموالهم ، ثم فى أنفسهم صاروا به إلى الأمنية من المال والرفاغة فى المعيشة ، فهم يدافعون عن نعمة حادثة لهم ، ويتذكرون بليةً لايأمنون العودة إليها . قال : فهل من سبيل إلى استفساد عظماء البلاد عليه ؛ لتكون محاربتنا إياه بالمكيدة من ناحيته ، لا بالزخرف نحوه لمناجزته ! قال : أما الضعفاء فقد صاروا له إلباً لما نالوا به من الأمان والنَّصفة ، وأما ذوو القوة فلم يجدوا مطعناً ولا موضع حجة ، والضعفاء السواد الأكثر . قال : ما أراك أبقيت لنا موضع رأى فى اعتزالك إلى أجنادنا ، ولا تمكّن النظر فى ناحيته باحتيالنا ، ثم أشدّ من ذلك ما قلتَ به وَهنة أجنادنا وقوة أجناده فى مخالفته . وما تسخو نفس أمير المؤمنين بترك ما لا يعرف من حقه ، ولا نفسى بالهدنة مع تقدمٍ جرى فى أمره ، وربما أقبلت الأمور مشرفةً بالمخافة ، ثم تكشف عن الفُلْج والدرك فى العاقبة . ثم تفرقا .

٣/٧٩٣

قال : وكان الفضل بن الربيع أخذ بالمراصد لئلا تجاوز الكتب الحد ؛ فكتب الرسول مع امرأة ، وجعل الكتاب وديعةً فى عُودٍ منقور من أعواد الأكاف ، وكتب إلى صاحب البريد بتعجيل الخبر ؛ وكانت المرأة تمضى على المسالح كالمجتازة من القرية إلى القرية ، لا تُهاج ولا تفتّش . وجاء الخبر إلى المأمون موافقاً لسائر ما ورد عليه من الكتب ، قد شهد بعضها ببعض ، فقال لذى الرياستين : هذه أمور قد كان الرأى أخبر عن عيبها ، ثم هذه طوالع تخبر عن أواخرها ، وكفانا أن نكون مع الحقّ ، ولعل كرهاً يسوق خيراً .

٣/٧٩٤

قال : وكان أوّل ما دبره الفضل بن سهل بعد ترك الدعاء للمأمون وصحة

الخبر به ، أن جَمع الأجناد التى كان أعدّها بجنبات الرىّ مع أجناد قد كان مكنها فيها ، وأجناد للقيام بأمرهم ؛ وكانت البلاد أجدبت بحضرتهم ؛ فأعدّ لهم من الحمولة ما يحمل إليهم من كل فجّ وسبيل ؛ حتى ما فقدوا شيئاً احتاجوا إليه ، وأقاموا بالحدّ لا يتجاوزونه ولا يطلقون يداً بسوء فى عامدٍ ولا مجتاز . ثم أشخص طاهر بن الحسين فيمَنْ ضمّ إليه من قواده وأجناده ، فسار طاهر مغذّاً لا يلوى على شىء ، حتى ورد الرّى ، فنزلها ووكّل بأطرافها ، ووضع مسالحه ، وبثّ عيونه وطلائعه ، فقال بعض شعراء خراسان :

رمَى أَهلَ العراقِ ومَنْ عليها إمامُ العَدْلِ والملكُ الرشيدُ
بـأَحْزَمِ مَنْ مَشَى رَأْياً وحَزْماً وَكيْداً نافذًا فيما يَكِيدُ
بِدَاهِيَـةٍ نَـآدٍ[1] خنفقيقٍ يَشيبُ لهوْلِ صَوْلَتِها الوَليدُ

وذُكر أن محمداً وجّه عِصمة بن حماد بن سالم إلى هَمَذَان فى ألف رجل ، وولاّه حرب كُورَ الجبل ، وأمره بالمقام بهمَذان ، وأن يوجّه مقدمته إلى ساوةَ ، واستخلف أخاه عبد الرحمن بن حماد على الحرَس ، وجعل الفضلُ بن الربيع وعلىّ بن عيسى يلهّبان محمداً ، ويبعثانه على خلع المأمون والبَيْعة لابنه موسى .

* * *

وفى هذه السنة عَقَد محمد بن هارون فى شهر ربيع الأول لابنه موسى على جميع ما استخلفه عليه ، وجعل صاحب أمره كلّه علىّ بن عيسى بن ماهان ، وعلى شُرَطه محمد بن عيسى بن نهيك ، وعلى حرسه عثمان بن عيسى ابن نهيك ، وعلى خراجه عبد الله بن عبيدة وعلى ديوان رسائله علىّ بن صالح صاحب المصلى . ٧٩٥/٣

وفى هذه السنة وثب الروم على ميخائيل صاحب الرّوم فهرب وترهب ، وكان ملكه سنتين فيما قيل .

(١) ط : « تأد » ، تصحيف ، صوابه من ا ، والنآد والخنفقيق ، من أسماء الدواهى .

وفيها ملك على الروم ليون القائد .

وفيها صرف محمد بن هارون إسحاق بن سليمان عن حمْص، وولاّها عبد الله بن سعيد الحرَشىّ، ومعه عافية بن سليمان، فقتل عدّة من وجوههم، وحبس عدة، وحرق مدينتهم من نواحيها بالنار، فسألوه الأمان، فأجابهم فسكنوا ثم هاجوا ، فضرب أعناق عدّة منهم .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من أمر محمد بن هارون بإسقاط ما كان ضرب لأخيه عبد الله المأمون من الدنانير والدراهم بخراسان فى سنة أربع وتسعين ومائة ؛ لأن المأمون كان أمر ألا يُثبت فيها اسم محمّد ، وكان يقال لتلك الدنانير والدراهم الرّباعيّة ، وكانت لا تجوز حينًا .

* * *

[النهى عن الدعاء للمأمون على المنابر]

وفيها نهى الأمين عن الدعاء على المنابر فى عمله كلّه للمأمون والقاسم ، وأمر بالدعاء له عليها ثم من بعده لابنه موسى ، وذلك فى صفر من هذه السنة ، ٧٩٦/٣ وابنه موسى يومئذ طفل صغير ، فسمّاه الناطق بالحق ، وكان ما فعل من ذلك عن رأى الفضل بن الربيع ، فقال فى ذلك بعض الشعراء :

أَضاعَ الخلافةَ غِشُّ الوزيرِ ... وَفِسْقُ الأَمِيرِ ، وجَهْلُ المشِيرْ

فَفَضْلٌ وزيرٌ ، وبَكْرٌ مشِيرٌ ... يُريدانِ ما فيه حتفُ الأَميرْ[1]

فبلغ ذلك المأمون ، فتسمى بإمام الهدى ، وكوتب بذلك .

* * *

عقد الإمرة لعلىّ بن عيسى

وفيها عقد محمد لعلىّ بن عيسى بن ماهان يوم الأربعاء لليلة خلَتْ من شهر ربيع الآخر على كُور الجبل كلها : نهاوند وهَمذان وقمّ وأصْفهان ،

---

(١) ذكرهما ابن الأثير ؛ وذكر بعدهما ثالثاً ، ونسبها إلى بعض شعراء بغداد ؛ وقال بعدها : « فى عدة أبيات تركتها لما فيها من القذف الفاحش ولقد عجبت لأبى جعفر حيث ذكرها مع ورعه وندم الابن على نكثه وغدره » . والقصيدة بتمامها تأتى فى ص ٣٩٦ من هذا الجزء .

حربها وخراجها ، وضمّ إليه جماعة من القوّاد وأمر له – فيما ذكر – بمائتي ألف دينار ، ولولده بخمسين ألف دينار ، وأعطى الجند مالا عظيمًا ، وأمر له من السيوف المحلاّة بألفي سيف وستة آلاف ثوب للخِلَع ، وأحضر محمد أهل بيته ومواليه وقوّاده المقصورة بالشّمّاسية يوم الجمعة لثمانٍ خلوْن من جمادى الآخرة ، فصلى محمد الجمعة ، ودخل وجلس لهم ابنه موسى فى المحراب ، ومعه الفضل ابن الربيع وجميع مَنْ أحضر ، فقرأ عليهم كتاباً من الأمين يعلمهم رأيه فيهم وحقه عليهم ، وما سبق لهم من البيعة متقدّماً مفرداً بها ، ولزوم ذلك لهم ، وما أحدث عبد الله من التسمّى بالإمامة ، والدّعاء إلى نفسه ، وقطْع ذكره فى دور الضرب والطُّرز ؛ وأنّ ما أحدث من ذلك ليس له ؛ ولا ما[1] يدّعِى من الشروط التى شُرطت له بجائزة له. وحثهم على طاعته ، والتمسك ببيعته . ٣/٧٩٧

وقام سعيد بن الفضل الخطيب بعد قراءة الكتاب ، فعارض ما فى الكتاب بتصديقه والقول بمثله . ثم تكلم الفضل بن الربيع وهو جالس ، فبالغ فى القول وأكثر ، وذكر أنه لا حقّ لأحد فى الإمامة والخلافة إلا لأمير المؤمنين محمد الأمين ؛ وأنّ الله لم يجعل لعبد الله ولا لغيره فى ذلك حظًّا له ولا نصيبًا . فلم يتكلّم أحد من أهل بيت محمد ولا غيرهم بشىء إلاّ محمد بن عيسى بن نهيك ونفر من وجوه الحرَس . وقال الفضل بن الربيع فى كلامه : إنّ الأمير موسى ابن أمير المؤمنين قد أمر لكم يا معاشِرَ أهل خُراسان من صُلْب ماله بثلاثة آلاف ألف درهم تقسم بينكم . ثم انصرف الناس ، وأقبل علىّ بن عيسى على محمد يخبره أنّ أهل خُراسان كتبوا إليه يذكرون أنه إن خرج هو أطاعوه وانقادوا معه.

* * *

[شخوص علىّ بن عيسى إلى حرب المأمون]

وفيها شخص علىّ بن عيسى إلى الرّىّ إلى حرب المأمون .

* ذكر الخبر عن شخوصه إليها وما كان من أمره فى شخوصه ذلك :

ذكر الفضل بن إسحاق ، أن علىّ بن عيسى شخص من مدينة السلام

---

(١) ط : « وما » ، وما أثبته من ا .

عشيّة الجمعة لخمس عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة، شخص عشيّة تلك فيما بين صلاة الجمعة إلى صلاة العصر إلى معسكره بنهر بين؛ فأقام فيه فى زُهاء أربعين ألفًا، وحمل معه قيد فضة ليقيّد به المأمون بزعمه، ٣/٧٩٨ وشخص معه محمد الأمين إلى النّهروان يوم الأحد لستٍّ بقين من جمادى الآخرة، فعرض بها الذين ضُمّوا إلى علىّ بن عيسى، ثم أقام بقية يومه ذلك بالنّهروان، ثم انصرف إلى مدينة السلام. وأقام علىّ بن عيسى بالنّهروان ثلاثة أيام، ثم شخص إلى ما وُجّه له مسرعًا حتى نزل همَذان، فولّى عليها عبد الله بن حميد بن قَحطبة. وقد كان محمد كتب إلى عصمة بن حمّاد بالانصراف فى خاصة أصحابه وضمّ بقية العسكر وما فيه من الأموال وغير ذلك إلى علىّ بن عيسى، وكتب إلى أبى دلف القاسم بن عيسى بالانضمام إليه فيمن معه من أصحابه، [ووجّه][1] معه هلال بن عبد الله الحضرمىّ، وأمر له بالفَرْض، ثم عقد لعبد الرحمن بن جبلة الأبناوىّ[2] على الدّينَوَر، وأمره بالسير فى بقية أصحابه، ووجّه معه ألفى ألف درهم حملت إليه قبل ذلك، ثم شخص علىّ بن عيسى من همَذان يريد الرّىّ قبل ورود عبد الرحمن عليه، فسار حتى بلغ الرّىّ على تعبئة، فلقيه طاهر بن الحسين وهو فى أقل من أربعة آلاف — وقيل كان فى ثلاثة آلاف وثمانمائة — وخرج من عسكر طاهر ثلاثة أنفس إلى علىّ بن عيسى يتقرّبون إليه بذلك، فسألهم: مَن هم؟ ٣/٧٩٩ ومِن أىّ البلدان هم؟ فأخبره أحدهم أنه كان من جند عيسى أبيه[3] الذى قتله رافع. قال: فأنت من جندِى! فأمر به فضُرب مائتى سوط، واستخفّ بالرجلين. وانتهى الخبر إلى أصحاب طاهر، فازدادوا جِدًّا فى محاربته ونفوراً منه.

فذكر أحمد بن هشام أنه لم يكن ورَد عليهم الكتاب من المأمون، بأن تسمى بالخلافة، إذ التقيا — وكان أحمد على شُرْطة طاهر — فقلت لطاهر: قد ورد علىّ بن عيسى فيمن ترى، فإن ظهرنا له؛ فقال: أنا عامل أمير المؤمنين وأقرْرنا له بذلك، لم يكن لنا أن نحاربه. فقال لى طاهر: لم يجئنى فى هذا

(١) تكملة من ا، وموضعها بياض فى ط.
(٢) ط: «الأنبارى» تصحيف.
(٣) ط: «ابنه»، وصوابه من ا.

شيء ، فقلت : دَعْنى وما أريد، قال: شأنَك ، قال : فصعدت المنبر ، فخلعت محمداً ، ودعوت للمأمون بالخلافة ، وسرنا من يومنا أو من غدٍ يوم السبت ، وكان ذلك فى شعبان سنة خمس وتسعين ومائة، فنزلنا قسْطَانَة، وهى أوّل مرحلة من الرّىّ إلى العراق . وانتهى علىّ بن عيسى إلى برّيّة يقال لها مشكويه ، وبيننا وبينه سبعة فراسخ ، وجعلنا مقدمتنا على فرسخين من جنده[١] . وكان علىّ بن عيسى ظنّ أن طاهراً إذا رآه يسلم إليه العمل ؛ فلما رأى الجِدّ منه ، قال : هذا موضع مفازة ، وليس [موضع مقام][٢] . فأخذ يساره إلى رُستاق يقال له رستاق بنى الرازىّ ؛ وكان معنا الأتراك ، فنزلنا على نهر ، ونزل قريبًا منا ، وكان بيننا وبينه دكادك وجبال ؛ فلمّا كان فى آخر الليل جاءنى رجل فأخبرنى أن علىّ بن عيسى دخل الرّىّ — وقد كان كاتَبهم فأجابوه— فخرجتُ معه إلى الطريق ، فقلت له : هذا طريقهم ؛ وما هنا أثر حافر ، وما يدلّ على أنه سار . وجئت إلى طاهر فأنبهته ، فقلت له : تصلى ؟ قال : نعم، فدعا بماء فتهيأ ، فقلت له : الخبر كيت وكيت. وأصبحنا ، فقال لى : تركب ، فوقفنا على الطريق ، فقال لى : هل لك أن تجوز هذه الدكادك ؟ فأشرفنا على عسكر علىّ بن عيسى وهم يلبسون السلاح ، فقال : ارجع ، أخطأنا ؛ فرجعنا فقال لى : أخرج أصحابنا .

٣/٨٠٠

قال : فدعوت المأمونىّ والحسن بن يونس المحاربىّ والرستمىّ[٣] ؛ فخرجوا جميعًا ؛ فكان على الميمنة المأمونىّ، وعلى الميسرة الرستمىّ ومحمد بن مصعب . قال : وأقبل علىّ فى جيشه ؛ فامتلأت الصحراء بياضًا وصُفرة من السلاح والمذهب[٤] ، وجعل على ميمنته الحسين بن علىّ ومعه أبو دُلف القاسم بن عيسى بن إدريس ، وعلى ميسرته آخر ، وكرُّوا، فهزمونا حتّى دخلوا العسكر ، فخرج إليهم الساعة السَّوْعاء[٥] فهزموهم .

قال : وقال طاهر لما رأى علىّ بن عيسى : هذا ما لا قِبَل لنا به ، ولكن نجعلها خارجيَّة ، فقصد قصد القلب ، فجمع سبعمائة رجل من الخوارزميّة؛

---

(١) ا : « من قسطانة » . (٢) من ا . (٣) ط : « الرسمى » ، تحريف .
(٤) ط : « والذهب » . (٥) ساعة سوعاء : شديدة .

فيهم ميكائيل وسبسل وداود سياه .

قال أحمد بن هشام: قلنا لطاهر : نذكّر علىّ بن عيسى البيعة التى كانت ، والبيعة التى أخذها هو للمأمون خاصّة على معاشر أهل خُراسان ، فقال : نعم ؛ قال: فعلّقناهما على رُمْحين ، وقمت بين الصفين ، فقلت: الأمان! لاترمونا ولا نرميكم ؛ فقال علىّ بن عيسى : ذلك لك ، فقلت : يا علىّ بن عيسى ، ألاتتقى الله ! أليس هذه نسخة البيعة التى أخذتَها أنت خاصّة ! اتقّ الله فقد بلغتَ باب قبرِك ، فقال : مَنْ أنت ؟ قلت : أحمد بن هشام — وقد كان علىّ بن عيسى ضربه أربعمائة سوط — فصاح علىّ بن عيسى : يا أهلَ خُراسان ، مَنْ جاء به فله ألف درهم. قال : وكان معنا قوم بخاريّة ، فرموْه ، وقالوا : نقتلك ونأخذ مالَك : وخرج من عسكره العباس بن اللّيْث مولى المهدىّ ، وخرج رجل يقال له حاتم الطائىّ ، فشدّ عليه طاهر ، وشدّ يدَيه على مقبض السيف ، فضربه فصرعه [فقتله][1] ، وشدّ داود سياه على علىّ بن عيسى فصرَعه ؛ وهو لا يعرفه . وكان علىّ بن عيسى على بِرذَون أرحَل[2] ، حمله عليه محمد — وذلك يُكرَه فى الحرب ويدلّ على الهزيمة — قال : فقال داود: «نارى اسنان كتبتم» . قال : فقال طاهر الصغير — وهو طاهر بن التاجىّ : علىّ بن عيسى أنت ؟ قال : نعم ، أنا علىّ بن عيسى ، وظن أنه يُهاب فلا يقدَم عليه أحد ، فشدّ عليه فذبحه بالسيف . ونازعهم محمد بن مقاتل بن صالح الرّأس ، فنتف محمد خُصلة من لحيته ، فذهب بها إلى طاهر وبشّره ؛ وكانت ضربةُ طاهر هى الفتح ، فسمّى يومئذ ذا اليمينين بذلك السبب لأنه أخذ السيف بيديه [جميعًا][1] . وتناول أصحابُه النشاب ليرمونا ، فلم أعلم بقتل علىّ حتى قيل : قتِل والله الأمير . فتبعناهم فرسخيْن ، وواقفونا اثنى عشرة مرّة ، كلّ ذلك نهزمهم ؛ فلحقنى طاهر بن التاجىّ ، ومعه رأس علىّ ابن عيسى ؛ وكان آلى أن ينصب رأس أحمد عند المنبر الذى خلَع عليه محمد، وقد كان علىّ أمر أن يهيأ له الغداء بالرّىّ. قال : فانصرفتُ فوجدت عيْبَةَ

٣/٨٠١

٣/٨٠٢

---

(١) من ا .

(٢) برذون أرحل : أبيض الظهر .

علىّ فيها درّاعة وجبّة وغُلالة، فلبستها، وصلّيت ركعتين شكراً لله تبارك وتعالى. ووجدنا فى عسكره سبعمائة كيس؛ فى كل كيس ألف درهم، ووجدنا عدّة بغال عليها صناديق فى أيدى أولئك البخارية الذين شتموه، وظنّوا أنه مال؛ فكسروا الصناديق؛ فإذا فيها خمر سوادىّ، وأقبلوا يفرّقون القنانىّ، وقالوا: عملنا الجدّ[1] حتى نشرب.

قال أحمد بن هشام: وجئت إلى مضرب طاهر، وقد اغتمّ لتأخرى عنه، فقال: لى البُشرى! هذه خصلة من لحية علىّ، فقلت له: البشرى! هذا رأس علىّ. قال: فأعتق طاهر مَنْ كان بحضرته من غلمانه شكراً لله، ثم جاءوا بعلىّ وقد شد الأعوان يديه إلى رجليه، فحمل على خشبة كما يحمل الحمار الميّت[2] وأمر به فلفّ فى لِبْد وألقى فى بئر. قال: وكتب إلى ذى الرياستين بالخبر.

قال: فسارت الخريطة وبين مَرْو وذلك الموضع نحو من خمسين ومائتى فرسخ؛ ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد، ووردت عليهم يوم الأحد.

قال ذو الرياستين: كنا قد وجّهنا هرثمة، واحتشدنا فى السلاح مدداً، وسار فى ذلك اليوم، وشيّعه المأمون فقلت للمأمون: لا تبرح، حتى يسلّم عليك بالخلافة فقد وجبت لك، ولا نأمن أن يقال: يصلح بين الأخوين، فإذا سلّم عليك بالخلافة لم يمكن أن ترجع. فتقدمت أنا وهرثمة والحسن بن سهل، فسلمنا عليه بالخلافة، وتبادر شيعة المأمون، فرجعت وأنا كالّ تعِب لم أنم ثلاثة أيام فى جهاز هرثمة، فقال لى الخادم: هذا عبد الرحمن بن مدرك — وكان ٨٠٣/٣ يلى البريد، ونحن نتوقع الخريطة لنا أو علينا — فدخل وسكت، قلت: ويلك! ما وراءك؟ قال: الفتح؛ فإذا كتاب طاهر إلىّ: أطال الله بقاءك، وكبت أعداءك، وجعل مَنْ يشنؤك فداءك؛ كتبت إليك ورأس علىّ بن عيسى بين يدىّ، وخاتمه فى أصبعى؛ والحمد لله رب العالمين. فوثبت إلى دار أمير المؤمنين، فلحقنى الغلام بالسّواد، فدخلت على المأمون فبشّرته، وقرأت عليه الكتاب، فأمر بإحضار أهل بيته والقوّاد ووجوه الناس، فدخلوا فسلّموا عليه بالخلافة، ثم ورد رأس علىّ يوم الثلاثاء، فطيف به فى خراسان.

---

(١) ا: «العمل». (٢) بعدها فى ا: «عز عليك أبا يحيى أن ترد هذا المورد».

وذكر الحسن بن أبى سعيد ، قال : عقدنا لطاهر سنة أربع وتسعين ومائة فاتصل عقده إلى الساعة .

وذكر محمد بن يحيى بن عبد الملك النّيسابوريّ ، قال : لما جاء نعيّ علىّ ابن عيسى وقتله إلى محمد بن زُبيدة — وكان فى وقته ذلك على الشطّ يصيد السمك — فقال للذى أخبره : ويلك ! دعنى ؛ فإن كوثراً قد اصطاد سمكتيْن وأنا ما اصطدت شيئًا بعد. قال : وكان بعض أهل الحسد يقول: ظنّ طاهر أنّ عليًّا يعلو عليه ، وقال: متى يقوم طاهر لحرب علىّ مع كثرة جيشه وطاعة أهل خراسان له ! فلما قتِل علىّ تضاءل ، وقال : والله لو لقيه طاهر وحدَه لقاتله فى جيشه حتى يغلب أو يقتَل دونه .

وقال رجل من أصحاب علىّ له بأس ونجدة فى قتل علىّ ولقاء طاهر :

لقِينا الليثَ مُفترِساً لدَيهِ وكنّا ما يُنَهْنِهُنا اللقاءُ
نَخوضُ الموتَ والغمَراتِ قِدْماً إذا ماكَرَّ ليس بهِ خفاءُ
فضعضعَ ركبَنا لمَّا التقَينا وراحَ الموتُ وانكَشفَ الغِطاءُ ٨٠٤/٣
وأَردَى كَبْشَنا والرأْسَ مِنّا كأَنَّ بِكفِّهِ كانَ القضاءُ

ولما انتهى الخبر بقتل علىّ بن عيسى إلى محمد والفضل، بعث إلى نوفل خادم المأمون — وكان وكيل المأمون ببغداد وخازنه ، وقيّمه فى أهله وولده وضياعه وأمواله — عن لسان محمد، فأخذ منه الألف ألف درهم التى كان الرّشيد وصل بها المأمون ، وقبض ضياعه وغلاّته بالسواد ، وولّى عُمّالا من قبَله ، ووجّه عبد الرحمن الأبناوى[1] بالقوّة والعُدّة فنزل هَمَذَان .

وذكر بعض من سمع عبد الله بن خازم عند ذلك يقول : يريد محمد إزالة الجبال وفلّ العساكر بتدبيره والمنكوس من تظهيره[2] ، هيهات! هو والله كما قال الأوّل :

* قد ضَيّعَ اللهُ ذوداً أنت راعيها *

(١) ط : « الأنبارى » ، تحريف . (٢) ا : « عن نظاره » .

ولمّا بايع محمد لابنه موسى ووجّه عليّ بن عيسى، قال الشاعر من أهل بغداد في ذلك لمّا رأى تشاغُلَ محمد بلهوه وبطالته وتخليته عن تدبير عليّ والفضل ابن الربيع :

أَضاعَ الخِلافَةَ غِشُّ الوَزيرِ ... وَفِسْقُ الإِمَامِ وَجَهْلُ المُشِيرْ؟

ففضلٌ وَزيرٌ ، وَبكرٌ مشيرٌ ... يُريدانِ ما فيه حتْفُ الأَمِيرْ

وما ذاك إلّا طَريقُ غُرُورٍ ... وشَرُّ المَسالِكِ طُرْقُ الغُرُور

لوَاطُ الخليفةِ أعجوبةٌ ... وأعجَبُ منه خَلاقُ الوزيرْ

فهذا يَدُوسُ وهذا يُدَاسُ ... كذاكَ لَعَمْرِى اختلافُ الأُمورْ

فلو يَستَعينان هذا بذاك ... لكانا بعُرْضَةِ أمر سَتِيرْ ٣/٨٠٥

ولكنَّ ذا لَجَّ فى كَوْثرٍ ... ولمْ يَشْفِ هذا دُعاسُ الحميرْ

فَشُنِّعَ فِعْلاهما منهمَا ... وصارَا خِلافاً كَبَوْلِ البعيرْ

وأعجَبُ مِنْ ذا وَذا أَنَّنا ... نبايعُ للطِّفلِ فينا الصغيرْ

وَمَن لَيْس يُحسِنُ غَسْلَ استِهِ ... ولم يَخلُ من بَوْلِهِ حِجْر ظيرْ

وما ذاك إلا بفضلٍ وَبكرٍ ... يُريدَانِ نَقضَ الكِتابِ المنيرْ

وهذانِ لولا انقلابُ الزّمانِ ... أَفى العيرِ هذانِ أم فى النفيرْ

ولكنّهما فِتنٌ كالجبالِ ... تَرفَّعَ فيها الوضيعُ الحقِيرْ

فَصَبرًا ففى الصبر خير كثيرٌ ... وإن كان قد ضاق صدْر الصَّبُورْ

فيارَبِّ فاقبِضهُمَا عاجلاً ... إليك وأَوردْهم عذابَ السعيرْ

وَنَكِّلْ بفَضلٍ وأشياعِهِ ... وصَلِّبْهُمُ حولَ هذِى الجُسُورْ

* * *

وذكر أن محمدًا لما بعث إلى المأمون فى البيعة لابنه موسى ، ووجه الرّسل إليه فى ذلك ، كتب المأمون جواب كتابه :

أما بعد ، فقد انتهى إلىّ كتاب أمير المؤمنين منكراً لإبائى منزلة تَهَضَّمنى بها ، وأرادنى على خلاف ما يعلم من الحقّ فيها ، ولعمرى أن لوردّ أمير المؤمنين الأمر إلى النَّصَفَة فلم يطالب إلاّ بها ، ولم يوجب نكرة على تركها ، لانبسطت بالحجة مطالعُ مقالته ؛ ولكنتُ محجوجاً بمفارقة ما يجب من طاعته ؛ فأما وأنا مذعِنٌ بها وهو على ترك إعمالها ، فأولى به أن يُديرَ الحقّ فى أمره ، ثم يأخذ به ، ويعطى من نفسه ؛ فإن صرتُ إلى الحقّ فرّغتُ عن قلبه ؛ وإن أبَيتُ الحقّ قام الحقّ بمعذرته . وأمّا ما وعد من برّ بطاعته ، وأوعَدَ من الوطأة بمخالفته ، فهل أحدٌ فارق الحق فى فعله فأبقى للمستبين موضع ثِقة بقوله ! والسلام . ٨٠٦/٣

قال : وكتب إلى علىّ بن عيسى لما بلغه ما عزم عليه :

أما بعد ؛ فإنك فى ظلّ دعوة لم تزل أنت وسلَفُك بمكان ذبٍّ عن حريمها ؛ وعلى العناية بحفظها ورعاية لحقها ، توجبون ذلك لأئمتكم ، وتَعتصمون بحبل جماعتكم ، وتعطون بالطّاعة من أنفسكم ، وتكونون يداً على أهل مخالفتكم ، وحزبًا وأعوانًا[1] لأهل موافقتكم ، تؤثرونهم على الآباء والأبناء ، وتتصرّفونَ فيما تصرّفوا فيه من منزلة شديدة ورجاء ، لا ترون شيئًا أبلغ فى صلاحكم من الأمر الجامع لأُلفتكم ؛ ولا أحرى لبواركم مما دعا إلى شتات كلمتكم ، ترون مَنْ رغب عن ذلك جائراً عن القَصْد وعن أمّه على منهاج الحق ، ثم كنتم على أولئك سيوفًا من سيوف نِقَم الله ، فكم من أولئك قد صاروا وديعة مَسْبَعة ، وجَزَراً جامدة ؛ قد سَفَت الرياحُ فى وجهه ، وتداعتِ السباعُ إلى مَصْرعه ، غير ممهد ولا موسّد قد صار إلى أمّة ، وغير عاجل حظه ؛ ممن كانت الأئمة تنزلكم لذلك ؛ بحيث أنزلتم أنفسكم ، من الثقة بكم فى أمورها ، والتقدّمة فى آثارها ؛ وأنت مستشعر دون كثير من ثقاتها وخاصّتها ؛ حتى بلغ الله بك فى نفسك أنْ كنت قريع أهل دعوتك ، والعلم القائم بمعظم أمر أئمتك[2] ؛ إن قلت : ادنوا دنوْا وان أشرتَ : أقبِلوا أقبلوا وإن أمسكت وقفوا وأقرّوا ، وثامًا لك واستنصاحًا ، وتزداد نعمةٌ مع الزّيادة فى نفسك ، ويزدادون نعمة مع الزيادة لك بطاعتك ، حتى حللتَ المحلّ الذى ٨٠٧/٣

---

(١) ط : « وإخوانا » . (٢) ط : « أمتك » وما أثبته من ا .

قرُبتَ به من يومك ، وانقرض فيما دونه أكثرُ مدّتك ، لا يُنتظر بعدها إلاّ ما يكون ختام عَملك من خير فيُرضَى ما تقدّم من صالح فعلك ؛ أو خلاف فيضلّ له متقدّمُ سعيك ؛ وقد ترى يا أبا يحيي حالاً عليها جلوتَ أهل نعمتك ، والولاة القائمة بحقّ إمامتك ؛ من طعن فى عُقدة كنتَ القائم بشدّها ، وخثر بعهود توليتَ معاقد أخذها ؛ يُبدأ فيها بالأخصّين ، حتى أفضى الأمر إلى العامّة من المسلمين ، بالأيمان المحرّجة والمواثيق المؤكدة . وما طلع مما يدعو إلى نشر كلمة ، وتفريق أمر أمة وشتّ أمر جماعة ، وتتعرّض به لتبديل نعمة وزوال ما وطأت الأسلافُ من الأئمة ؛ ومتى زالتْ نعمة من ولاة أمركم وَصَل زوالها إليكم فى خواصّ أنفسكم ؛ ولن يغيّر الله ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم . وليس الساعى فى نشرها بِساعٍ فيها على نفسه دون السعْى على حَمَلتها ، القائمين بحُرْمتها ؛ قد عرّضوهم أن يكونوا جَزَراً لأعدائهم ، وطُعْمة قوم تتظفر مخالبهم فى دمائهم . ومكانك المكان الذى إن قلتَ رُجع إلى قولك ، وإن أشرتَ لم تُتّهم فى نصيحتك ؛ ولك مع إيثار الحقّ الحظوة عند أهل الحقّ . ولا سواءٌ من حَظِىَ بعاجل مع فراق الحقّ فأوبقَ نفسه فى عاقبته ، ومَنْ أعان الحقّ فأدرك به صلاح العاقبة ؛ مع وفور الحظّ فى عاجلته ، وليس لك ما تُسْتَدْعى ولا عليه ما تُستعْطَف ؛ ولكنه حقّ من حقّ أحسابك يجب ثوابه على ربّك ، ثم على مَنْ قمت بالحقّ فيه من أهل إمامتك ؛ فإن أعجزَك قول أو فعل فصر إلى الدّار التى تأمن فيها على نفسك . وتحكم فيها برأيك ، وتنحاز إلى مَنْ يحسن تقبّلا لصالح فعلك ، ويكون مرجعَك إلى عقدك وأموالك ؛ ولك بذلك الله ، وكفى بالله وكيلا . وإن تعذّر ذلك بقيّة[1] على نفسك ، فإمساكًا بيدك ، وقولاً بحقّ ، ما لم تخف وقوعه بكُرْهك ؛ فلعلّ مقتديًا بك ، ومغتبطًا بنهيك[2] . ثم أعلمْنى رأيك أعرفه إن شاء الله .

٨٠٨/٣

قال : فأتى علىّ بالكتاب إلى محمد ، فشبّ أهل النكث من الكُفاة من تلهيبه ، وأوقدوا نيرانه ، وأعان على ذلك حُميًا قُدرته ، وتساقط طبيعته ، وردّ الرأى إلى الفضل بن الربيع لقيامه كان بمكانفته .

وكانت كتُبُ ذى الرياستين ترد إلى الدّسيس الذى كان يشاوره فى أمره : إن

(١) ا : « تقية » . (٢) ا : « بتنبهك » .

أبى القوم إلا عزمة الخلاف ؛ فألطف لأن يجعلوا أمرَه لعلىّ بن عيسى . وإنّما خصّ ذو الرياستين عليًّا بذلك لسوء أثرِه فى أهل خُراسان ، واجتماع رأيهم على ما كرهه ؛ وإنّ العامة قائلة بحربه . فشاور الفضل الدّسيس الذى كان يشاوره ، فقال: علىّ بن عيسى إن فعل فلم ترمهم بمثله ، فى بعد صوبه وسخاوة نفسه ، ومكانه فى بلاد خُراسان فى طول ولايته عليهم وكثْرة صنائعه فيهم ، ثمّ هو شيخُ الدعوة وبقية أهل المشايعة ؛ فأجْمَعوا على توجيه علىّ ؛ فكان من توجيهه ما كان. وكان يجتمع للمأمون بتوجيه علىّ جندان: أجنادُه الذين يحاربه بهم ، والعامة من أهل خُراسان حرْب عليه لسوء أثره فيهم ؛ وذلك رأى يكثّر الأخطار به إلاّ فى صدور رجال ضعاف الرّأى لحال علىّ فى نفسه ، وما تقدّم له ولسَلَفِه ؛ فكان ما كان من أمره ومقتله . ٨٠٩/٣

وذكر سهل أن عمرو بن حفص مولى محمد قال : دخلت على محمد فى جوف الليل – وكنت من خاصّته أصِلُ إليه حيث لا يصل إليه أحدٌ من مواليه وحشمه – فوجدته والشمع بين يديه ، وهو يفكّر ، فسلّمت عليه فلم يردّ علىّ ، فعلمت أنه فى تدبير بعض أموره ، فلم أزَلْ واقفًا على رأسه حتى مضى أكثرُ الليل ، ثم رفع رأسه إلىّ ، فقال : أحضرنى عبد الله بن خازم ، فمضيت إلى عبد الله ، فأحضرته ، فلم يزل فى مناظرته حتّى انقضى الليل ، فسمعت عبدَ الله وهو يقول: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تكون أوّل الخلفاء نكثَ عهدَه ، ونقض ميثاقَه ، واستخفّ بيمينه ، وردّ رأى الخليفة قبله ! فقال: اسكت ، لله أبوك ! فعبد الملك كان أفضلَ منك رأياً ، وأكمل نظراً ؛ حيث يقول : لا يجتمع فحلان فى هَجمة[1] . قال عمرو بن حفص : وسمعت محمداً يقول للفضل ابن الربيع : ويلك يا فضل ! لا حياة مع بقاء عبد الله وتعرّضه ؛ ولا بدّ من خلْعه ، والفضل يعينه على ذلك ، ويعده أن يفعل ؛ وهو يقول: فمتى ذلك ! إذا غلب على خراسان وما يليها !

وذكر بعضُ خدم محمد أن محمداً لما همّ بخلع المأمون والبَيْعة لابنه ؛ جمع وُجوه القوّاد ؛ فكان يعرِض عليهم واحداً واحداً ، فيأبَوْنه ؛ وربما

(١) الهجمة من الإبل : من الأربعين إلى ما زادت .

ساعده قومٌ حتى بلغ إلى خزيمة بن خازم ؛ فشاوره فى ذلك ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لم ينصحْك مَن كذبك ولم يغشّك مَنْ صدّقك ، لاتجرّئ القوادَ على الخلع فيخلعوك ، ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك ، فإنّ الغادر مخذول ، والناكث مفلول . وأقبل علىّ بن عيسى بن ماهان ، فتبسم محمد ، ثم قال : لكن شيخ هذه الدعوة ، وناب هذه الدولة لا يخالف على إمامه ، ولا يوهِن طاعتَه ، ثم رفعه إلى موضع لم أره رفعه إليه فيما مضى ؛ فيقال : إنه أوّل القوّاد أجاب إلى خلْع عبد الله ، وتابع محمداً على رأيه .

٨١٠/٣

قال أبو جعفر : ولما عزم محمد على خَلْع عبد الله ، قال له الفضل بن الربيع : ألا تُعذِر إليه يا أميرَ المؤمنين فإنه أخوك ؛ ولعله يسلم هذا الأمر فى عافية ، فتكون قد كُفيت مؤونته ، وسلِمْتَ من محاربته ومعاندته[1] ! قال : فأفعل ماذا ؟ قال : تكتب إليه كتاباً ، تستطيب به نفَسه ، وتسكّن وحشته ، وتسأله الصَّفْح لك عمّا فى يده ؛ فإنّ ذلك أبلغُ فى التدبير ، وأحسن فى القالة من مكاثرته بالجنود ، ومعالجته بالكيد. فقال له : أعمل فى ذلك برأيك[2] . فلما حضر إسماعيل بن صُبَيح للكتاب إلى عبد الله قال : يا أميرَ المؤمنين ، إن مسألتك الصَّفْح عما فى يديه توليد للظنّ ، وتقوية للتهمة ، ومدعاة للحذَر ؛ ولكن اكتب إليه فأعلِمه حاجتَك إليه ، وما تحبّ من قربه والاستعانة برأيه ، وسلْه القدوم إليك ؛ فإن ذلك أبلغُ وأحرَى أن يبلغ فيما يوجب طاعتَه وإجابته . فقال الفضل : القول ما قال يا أمير المؤمنين ، قال : فليكتب بما رأى ، قال : فكتب إليه :

من عند الأمين محمد أمير المؤمنين إلى عبد الله بن هارون أمير المؤمنين. أما بعد ، فإن أميرَ المؤمنين روّى فى أمرك ، والموضع الذى أنت فيه من ثغره[3] ، وما يؤمّل فى قربك من المعاونة والمكانفة على ما حمّله الله ، وقلّده من أمور عباده وبلاده ؛ وفكّر فيما كان أمير المؤمنين الرّشيد أوجب لك من الولاية ، وأمر به من إفرادك على ما يصير إليك منها ، فرجا أمير المؤمنين ألاّ يدخل عليه وكْفٌ فى دينه ، ولا نَكْث فى يمينه ؛ إذ كان إشخاصه إياك فيما يعود على

٨١١/٣

(١) ا : « منابذته » . (٢) ط : « رأيك » ، وما أثبته من ا .
(٣) ط : « ثغرك » ، وما أثبته من ا .

المسلمين نفعه ، ويصل إلى عامتهم صلاحه وفضله . وعلم أمير المؤمنين أنّ مكانك بالقُرْب منه أسدّ للثغور، وأصلح للجنود، وآكد[١] للفىء ، وأردّ على العامة من مقامك ببلاد خُراسان منقطعًا عن أهل بيتك ، متغيبًا عن أمير المؤمنين وما يجب الاستمتاع به من رأيك وتدبيرك. وقد رأى أمير المؤمنين أن يولّىَ موسى بن أمير المؤمنين فيما يقلده من خلافتك ما يحدث إليه من أمرك ونهيك . فاقدم على أمير المؤمنين على بركة الله وعونِه ، بأبسط أملٍ وأفسح رجاء وأحمد عاقبة ، وأنفذ بصيرة ؛ فإنك أوْلى مَن استعان به أمير المؤمنين على أموره ، واحتمل عنه النَّصَب فيما فيه من صلاح أهل ملّته[٢] وذمته. والسلام .

ودفع الكتاب إلى العبّاس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ ، وإلى عيسى بن جعفر بن أبى جعفر ، وإلى محمد بن عيسى بن نهيك ، وإلى صالح صاحب المصلّى ، وأمرهم أن يتوجّهوا به إلى عبدالله المأمون ، وألا يدَعوا وجهًا من اللين والرّفق إلا بلغوه ، وسهلوا الأمر عليه فيه ؛ وحمّل بعضهم الأموالَ والألطاف والهدايا ؛ وذلك فى سنة أربع وتسعين ومائة. فتوجهوا بكتابه. فلما وصلوا إلى عبد الله ، أذن لهم ، فدفعوا إليه كتاب محمد ، وما كان بعث به معهم من الأموال والألطاف والهدايا .

٨١٢/٣

ثم تكلم العباس بن موسى بن عيسى ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الأمير ؛ إن أخاك قد تحمّل من الخلافةِ ثقلاً عظيماً ، ومن النظر فى أمور الناس عبئًا جليلا ، وقد صدقتْ نيّته فى الخير، فأعوزه الوزراء والأعوان والكُفاة فى العدل ؛ وقليلٌ ما يأنس بأهل بيته ، وأنت أخوه وشقيقه ؛ وقد فزع إليك فى أموره ، وأمّلك للموازرة والمكانفة ؛ ولسنا نستبطئك فى برّه اتّهامًا لنصرك له ، ولا نحضّك على طاعة تخوّفاً لخلافك عليه، وفى قدومك عليه أنسٌ عظيم ، وصلاح لدولته وسلطانه ؛ فأجب أيّها الأمير دعوةَ أخيك وآثرْ طاعتَه ، وأعنه على ما استعانك عليه فى أمره ؛ فإن فى ذلك قضاءَ الحقّ ، وصلة الرّحِم ، وصلاحَ الدولة ، وعزّ الخلافة . عزم الله للأمير على الرشد فى أموره ، وجعل له الخِيرَة والصلاح فى عواقب رأيه .

---

(١) ا : « وأدر » . (٢) ط : « بيته » .

وتكلّم عيسى بن جعفر بن أبى جعفر ، فقال : إنّ الإكثار على الأمير — أيده الله — فى القول خرقٌ ، والاقتصاد فى تعريفه ما يجب من حقّ أمير المؤمنين تقصير ؛ وقد غاب الأمير أكرمه الله عن أميرِ المؤمنين ، ولم يستغنِ عن قربه ، ومَنْ شهد غيره من أهل بيته فلا يجد عنده غناءً ، ولا يجد منه خلفًا ولا عوضًا ؛ والأمير أولى مَن برّ أخاه ، وأطاع إمامه ؛ فليعمل الأمير فيما كتب به إليه أميرُ المؤمنين ، بما هو أرضَى وأقربُ من موافقة أمير المؤمنين ومحبّته ؛ فإنّ القدوم عليه فضل وحظ عظيم ، والإبطاء عنه وكْفٌ فى الدّين ، وضرر ومكروه على المسلمين .

٨١٣/٣ وتكلم محمد بن عيسى بن نَهِيك ، فقال : أيها الأمير ؛ إنا لا نزيدك بالإكثار والتطويل فيما أنت عليه من المعرفة بحقّ أمير المؤمنين ، ولا نَشحذ نيّتك بالأساطير والخطب فيما يلزمُك من النّظر والعناية بأمور المسلمين . وقد أعوز أميرَ المؤمنين الكفاة والنُّصحاء بحضرته ، وتناولك فزعًا إليك فى المعونة والتقوية له على أمره ، فإن تُجب أميرَ المؤمنين فيما دعاك فنعمة عظيمة تتلافى بها رعيّتك وأهل بيتك ؛ وإن تقعد يغن الله أميرَ المؤمنين عنك ؛ ولن يضعه ذلك مما هو عليه من البرّ بك والاعتماد على طاعتك ونصيحتك .

وتكلم صاحب المصلى ، فقال : أيّها الأمير ؛ إن الخلافة ثقيلة والأعوان قليل ؛ ومَنْ يكيد هذه الدولة وينطوى على غشها والمعاندة لأوليائها من أهل الخلاف[1] والمعصية كثير ، وأنت أخو أمير المؤمنين وشقيقُه ، وصلاح الأمور وفسادها راجعٌ عليك وعليه ؛ إذ أنت ولىّ عهده ، والمشارك فى سلطانه وولايته ، وقد تناولك أمير المؤمنين بكتابه ، ووثق بمعاونتك على ما استعانك عليه من أموره ، وفى إجابتك إياه إلى القدوم عليه صلاحٌ عظيم فى الخلافة ، وأنس وسكون لأهل الملّة والذمة . وفّق الله الأميرَ فى أموره ، وقضى له بالذى هو أحبّ إليه وأنفع له !

فحمد الله المأمون وأثنى عليه ، ثم قال : قد عرّفتمونى من حق أمير المؤمنين أكرَمه الله ما لا أنكِره ، ودعوتمونى من الموازرة والمعونة إلى ما أوثره ولا أدفعه ؛ وأنا لِطاعة أمير المؤمنين مقدِم ، وعلى المسارعة إلى ما سرّه ووافقه حريص ، وفى ٨١٤/٣

(١) ط : «الخلافة» ، وما أثبته من ا .

الروِّية تبيانُ الرَّأى ، وفى إعمال الرأى نصحُ الاعتزام ؛ والأمر الذى دعانى إليه أمير المؤمنين أمرٌ لا أتأخر عنه تثبّطاً ومدافعةً ، ولا أتقدم عليه اعتسافاً وعَجَلة ، وأنا فى ثَغْر من ثغور المسلمين كَلِبٌ عدوّه ، شديدٌ شوكته ، وإن أهملت أمره لم آمن دخول الضرر والمكروه على الجنود والرعيّة ، وان أقمت لم آمن فوت ما أحبّ من معونة أمير المؤمنين وموازرته ، وإيثار طاعته ؛ فانصرفوا حتى أنظر فى أمرِى ، ونصح الرأى فيما أعتزم عليه من مسيرِى إن شاء الله . ثم أمر بإنزالهم وإكرامهم والإحسان إليهم .

فذكر سفيان بن محمد أنّ المأمون لمّا قرأ الكتاب أسقِط فى يده ، وتعاظَمه ما ورد عليه منه ، ولم يَدْرِ ما يردُّ عليه ، فدعا الفضلَ بن سهل ، فأقرأه الكتاب ، وقال : ما عندك فى هذا الأمر ؟ قال : أرى أن تتمسَّك بموضعك ، ولا تجعل عليك سبيلا ؛ وأنت تجد من ذلك بدًّا . قال : وكيف يمكننى التمسّك بموضعى ومخالفة محمد ، وعُظْم القواد والجنود معه ، وأكثر الأموال والخزائن قد صارت إليه ، مع ما قد فرّق فى أهل بغداد من صِلاته وفوائده ! وإنما الناس مائلون مع الدّراهم ، منقادون لها ، لا ينظرون إذا وجدوها حفظَ بيعة ، ولا يرغبون فى وفاء عهد ولا أمانة . فقال له الفضل : إذا وقعت التهمة حقّ الاحتراس ، وأنا لغدر محمد متخوّف ، ومن شَرَهِه إلى ما فى يديك مشفِق ؛ ولأن تكون فى جندك وعزِّك مقيمًا بين ظهرانَىْ أهل ولايتك أحْرَى ؛ فإن دهمك منه أمر جرّدت له وناجزته وكايدته ؛ فإمّا أعطاك الله الظَّفَر عليه بوفائك ونيّتك ، أو كانت الأخرى فمتّ محافظاً مكرّماً ، غير ملقٍ بيديك ، ولا ممكن عدوّك من الاحتكام فى نفسك ودمك . قال : إن هذا الأمر لو كان أتانى وأنا فى قوّة من أمرى ، وصلاح من الأمور ؛ كان خطبه يسيرًا ، والاحتيال فى دفعه ممكنًا ؛ ولكنّه أتانى بعد إفساد خُراسان واضطراب عامرها وغامرها ، ومفارقة جَبْغويه[٢] الطاعة ، والتواء خاقان صاحب التبّت ، وتهيّؤ ملك كابل للغارة على ما يليه من بلاد خُراسان ، وامتناع ملك إبراز بنده بالضريبة التى كان يؤديها ، وما لى بواحدة من هذه الأمور يدٌ ؛ وأنا أعلم أن محمداً لم يطلب قدومى

٣/٨١٥

---

(١) ط : « علينا » ، وما أثبته من ا .
(٢) ط : « جيغوبة » .

إلا لشرّ يريده ، وما أرى إلا تخلية ما أنا فيه ، واللحاق بخاقان ملك الترك ، والاستجارة به وببلاده، فبالحرَى أن آمن على نفسى ، وأمتنع ممن أراد قهْرِى والغدر بى .

فقال له الفضل : أيها الأمير ؛ إنّ عاقبة الغدر شديدة ، وتَبِعة الظلم والبغى غير مأمون شرّها ، وربّ مستذَلّ قد عاد عزيزاً ، ومقهور قد عاد قاهراً مستطيلاً ؛ وليس النصر بالقلة والكثرة ، وحَرَجُ[1] الموت أيسر من حرج الذلّ والضيم ؛ وما أرى أن تفارق ما أنت فيه وتصير إلى طاعة محمد متجرّداً من قوّادك وجندك كالرأس المختزَل عن بدنه ، يُجرى عليك حكمه ، فتدخل فى جملة أهل مملكته من غير أن تبلى عذراً فى جهاد ولا قتال ؛ ولكن اكتب إلى جبغويه وخاقان، فولِّهما بلادهما ، وعدْهما التقوية لهما فى محاربة الملوك ، وابعث إلى ملك كابل بعضَ هدايا خُراسان وطُرَفها ، وسلْه الموادعة تجده على ذلك حريصًا ، وسلِّم الملك إبرازبنده ضريبتَه فى هذه السنة ، وصيّرها صِلةً منك وصلتَه بها ، ثم اجمع إليك أطرافك، واضمُم إليك من شذّ من جندك ، ثم اضرب الخيل بالخيل ، والرجال بالرجال ؛ فإن ظفرتَ وإلا كنت على ما تريد من اللحاق بخاقان قادراً . فعرف عبدُ الله صدق ما قال ، فقال : أعمل فى هذا الأمر وغيره من أمورى بما ترى، وأنفَذ الكتب إلى أولئك العصاة ، فرضوا وأذعنوا ؛ وكتب إلى مَن كان شاذًّا عن مَرْو من القواد والجنود ، فأقدمهم عليه ، وكتب إلى طاهر بن الحسين وهو يومئذ عامل عبد الله على الرّىّ ، فأمره أن يضبط ناحيتَه ، وأن يجمع إليه أطرافه؛ ويكون على حذَرٍ وعدّة من جيش إن طرقه ، أو عدوٍّ إن هجم عليه . واستعدّ للعرب ، وتهيّأ لدفع محمد عن بلاد خراسان .

٨١٦/٣

ويقال : إن عبد الله بعث إلى الفضل بن سهل فاستشاره فى أمر محمد ، فقال : أيها الأمير ، أنظرنى فى يومى هذا أغدُ عليك برأى؛ فبات يدبّر الرأى ليلتَه ؛ فلما أصبح غدا عليه ، فأعلمه أنه نظر فى النّجوم فرأى أنه سيغلبه ، وأنّ العاقبة له . فأقام عبد الله بموضعه، ووطّن نفسه على محاربة محمد ومناجزته .

---

(١) ا : « جرح » .

فلمّا فرغ عبد الله مما أراد إحكامَه من أمر خراسان ، كتب إلى محمد :

لعبد الله محمد أمير المؤمنين من عبد الله بن هارون ؛ أما بعد ؛ فقد وصل إلىّ كتاب أمير المؤمنين ؛ وإنما أنا عامل من عمّاله وعون من أعوانه ، أمرنى الرّشيد صلوات الله عليه بلزوم هذا الثّغْر ، ومكايدة من كايد أهله من عدوّ أمير المؤمنين ؛ ولعمرى إن مقامى به ، أردّ على أمير المؤمنين وأعظم غناءً عن المسلمين من الشخوص إلى أمير المؤمنين ، وإن كنتُ مغتبطًا بقربه ، مسروراً بمشاهدة نعمة الله عنده ؛ فإن رأى أن يقرّنى على عملى ، ويعفيَنى من الشخوص إليه ، فعل إن شاء الله. والسلام . ٨١٧/٣

ثم دعا العباس بن موسى وعيسى بن جعفر ومحمداً وصالحًا ؛ فدفع الكتاب إليهم ، وأحسن إليهم فى جوائزهم ، وحمل إلى محمد ما تهيّأ له من ألطاف خراسان ، وسألهم أن يحسّنوا أمره عنده ، وأن يقوموا بعذره .

قال سفيان بن محمد : لما قرأ محمد كتاب عبد الله[١] ، عرف أنّ المأمون لا يتابعه على القدوم عليه ، فوجّه عصمة بن حماد بن سالم صاحب حَرَسه ، وأمره أن يقيم مسلحةً فيما بين هَمَذان والرّىّ ، وأن يمنع التجار من حَمْل شىء إلى خراسان من المِيرة ، وأن يفتّش المارّة ، فلا يكون معهم كتب بأخباره وما يريد ؛ وذلك سنة أربع وتسعين ومائة . ثم عزم على محاربته ، فدعا علىّ ابن عيسى بن ماهان ، فعقد له على خمسين ألف فارس ورجل من أهل بغداد ، ودفع إليه دفاتر الجند ، وأمره أن ينتقىَ ويتخيّر من أراد على عينه ، ويخصّ من أحبّ ويرفع من أراد إلى الثمانين[٢] ، وأمكنه من السلاح وبيوت الأموال ، ثم وُجّهوا إلى المأمون .

فذكر يزيد بن الحارث ، قال : لما أراد علىّ الشخوص إلى خُراسان ركب إلى باب أم جعفر ، فودّعها ، فقالت : يا علىّ ، إنّ أمير المؤمنين وإن كان ولدِى ؛ إليه تناهت شفقتى ، وعليه تكامل حَذَرِى ؛ فإنى على عبد الله منعطفة مشفقة ، لما يحدُث عليه من مكروه وأذًى ؛ وإنما ابنى ملك نافس أخاه فى ٨١٨/٣

(١) ا : « المأمون » . (٢) ا : « المئين » .

سلطانه ، وغاره على ما فى يده ؛ والكريم يأكل لحمه ويمنعه[١] غيره ؛ فاعرف لعبد الله حقّ والده وأخوته ، ولاتجبّهه بالكلام ، فإنك لست نظيره ، ولا تقتسره اقتسار العبيد ، ولاترهقه[٢] بقيْد ولا غُلّ ، ولا تمنع منه جارية ولا خادمًا ، ولا تعنّف عليه فى السير ، ولا تساوه فى المسير ؛ ولا تركب قَبْله ، ولا تستقلّ على دابتك حتّى تأخذ بركابه ، وإن شتمك فاحتمل منه ، وإن سَفه عليك فلا ترادّه . ثم دفعتْ إليه قيْداً من فضة ، وقالت : إن صار فى يدك فقيّده بهذا القيد . فقال لها : سأقبل أمرَكِ ، وأعمل فى ذلك بطاعتك .

وأظهر محمد خلع المأمون ، وبايع لابنيه — فى جميع الآفاق إلا خُراسان — موسى وعبد الله ؛ وأعطى عند بيعتهما بنى هاشم والقوّاد والجند الأموال والجوائز ، وسمّى موسى النّاطق بالحق ، وسمّى عبد الله القائم بالحقّ . ثم خرج علىّ بن عيسى لسبع ليال خلون من شعبان سنة خمس وتسعين ومائة من بغداد حتى عسكر بالنّهروان ، وخرج معه يشيّعه محمد ، وركب القوّاد والجنود ، وحُشرت الأسواق ، وأشخص معه الصّناع والفعَلة ؛ فيقال : إنّ عسكره كان فرسخًا بفسطاطيه وأهْبَته وأثقاله ، فذكر بعضُ أهل بغداد أنهم لم يرْوا عسكراً كان أكثرَ رجالاً ، وأفرَه كُراعًا ، وأظهر سلاحًا ، وأتمَّ عُدّة ، وأكمل هيئة ؛ من عسكره .

وذكر عمرو بن سعيد أن محمداً لما جاز باب خُراسان نزل على فترجَّل ، وأقبل يُوصيه ، فقال : امنع جندَك من العبث بالرعيّة والغارة على أهل القُرى وقَطْع الشجر وانتهاك النساء ؛ ولّ الرىّ يحيى بن علىّ ، واضمم إليه جنداً كثيفًا ، ومرْه ليدفع إلى جنده أرزاقَهم مما يجبى من خراجها ؛ وولّ كل كورة ترحلُ عنها رجلاً من أصحابك ، ومَنْ خرج إليك من جند أهل خُراسان ووجوهها فأظهر إكرامه وأحسن جائزته ، ولا تعاقب أخًا بأخيه ، وضَعْ عن أهل خراسان رُبْع الخراج ، ولا تؤمّن أحداً رماك بسهم ، أو طعن فى أصحابك برُمح ؛ ولا تأذن لعبد الله فى المُقام أكثر من ثلاثة من اليوم الذى تظهر فيه عليه ؛ فإذا أشخصتَه فليكن مع أوثقِ أصحابك عندك ؛ فإن غرّه الشيطان فناصَبك

٨١٩/٣

---

(١) ط : « يمينه » ، وما أثبته من ا . (٢) ط : « ترهنه » .

فاحرص على أن تأسره أسرًا ، وإن هرب منك إلى بعض كُور خراسان ، فتولّ إليه المسير بنفسك . أفهِمْت كلّ ما أوصيك به ؟ قال : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين ! قال : سِرْ على بركة الله وعونه !

وذُكر أنّ منجّمَه أتاه فقال : أصلح الله الأمير ! لو انتظرت بمسيرك صلاح القَمر ؛ فإنّ النحوس عليه عالية ، والسعود عنه ساقطة منصرفة ! فقال لغلام له : يا سعيد ؛ قل لصاحب المقدّمة يضرب بطبله ويقدّم علَمه ؛ فإنا لا ندرى ما فساد القمر من صلاحه ؛ غير أنه مَنْ نازلنا نازلناه ، ومن وادَعنا وادَعناه وكفَفْنا عنه ؛ ومَنْ حاربنا وقاتلنا لم يكن لنا إلاّ إرْواء[1] السيف من دمه . إنا لا نعتدّ بفساد القمر ؛ فإنا وطنّا أنفسنا على صِدْق اللقاء ومناجزة الأعداء .

* * *

قال أبو جعفر : وذكر بعضُهم أنه قال : كنتُ فيمن خرج فى عسكر علىّ بن عيسى بن ماهان ؛ فلما جاز حُلوان لقيَتْه القوافل من خُراسان ؛ فكان يسألها عن الأخبار ، يستطلع عِلْم أهل خُراسان ؛ فيقال له : إنّ طاهرًا مقيم بالرّىّ يعرض أصحابه ، ويرمّ آلته ، فيضحك ثم يقول : وما طاهر ! فوالله ما هو إلا شوْكة من أغصانى ، أو شرارة من نارى ؛ وما مِثْل طاهر يتولّى على الجيوش ، ويلقَى الحروب ؛ ثم التفت إلى أصحابه فقال : والله ما بينكم وبين أن ينقصِف انقصاف الشّجر من الريح العاصف ؛ إلاّ أن يبلغه عبورنا عقَبة همَذان ، فإنّ السّخال لا تقوى على النطاح ، والثعالب لا صبر لها على لقاء الأسْد ؛ فإن يُقِمْ طاهر بموضعه يكنْ أول معرّض لظباة السيوف وأسنّة الرماح .

٨٢٠/٣

وذكر يزيد بن الحارث أن علىّ بن عيسى لما صار إلى عقَبة همَذان استقبل قافلة قدمتْ من خُراسان ، فسألهم عن الخبر ، فقالوا : إن طاهرًا مقيم بالرىّ ، وقد استعدّ للقتال ، واتّخذ آلة الحرب ، وإن المدد يترى عليه من خُراسان وما يليها من الكُور ؛ وإنه فى كلّ يوم يعظم أمرُه ، ويكثر

---

(١) ط : « أروى » ، وما أثبته من ا .

أصحابه ؛ وإنهم يروْن أنه صاحب جيش خراسان . قال علىّ : فهل شخص من أهل خراسان أحدٌ يعتدّ به ؟ قالوا : لا ؛ غير أن الأمور بها مضطربة ، والناس رَعِبون ، فأمر بطىّ المنازل والمسير ، وقال لأصحابه : إنّ نهاية القوم الرّىّ ، فلو قد صيّرْناها خلف ظهورنا فتّ ذلك فى أعضادهم ، وانتشر نظامهم ، وتفرّقت جماعتهم . ثم أنفذ الكتبَ إلى ملوك الديْلم وجبال طَبَرِستان وما والاها من الملوك ، يَعِدُهم الصِّلات والجوائز . وأهدى إليهم التِّيجان والأسورة والسيوفَ المحلاّة بالذهب ، وأمرهم أن يقطعوا طريق خراسان ، ويمنعوا مَن أراد الوصول إلى طاهر من المدد ؛ فأجابوه إلى ذلك ، وسار حتى صار فى أول بلاد الرّىّ ، وأتاه صاحب مقدّمته ، فقال : لو كنتَ — أبقى الله الأمير — أذكيت العيون ، وبعثت الطلائع ، وارتدْتَ موضعًا تعسكر فيه ، وتتخذ خندقًا لأصحابك يأمنون به ؛ كان ذلك أبلغَ فى الرأى ، وآنس للجند. قال : لا ؛ ليس مثل[1] طاهر يُستعدّ له بالمكايد والتحفظ ؛ إن حال طاهر تؤول إلى أحد أمرين : إما أن يتحصّن بالرّىّ فيبيّته أهلها فيكفوننا مؤنته ، أو يخليها ويدبر راجعًا لو قربت خيولنا وعساكرنا منه . وأتاه يحيى بن علىّ ، فقال : اجمع متفرّقَ العسكر ، واحذر على جندك البيات ، ولا تسرّح الخيل إلاّ ومعها كنْف[2] من القوم ؛ فإنّ العساكر لا تساس بالتّوانى ، والحروب لا تُدبّر بالاغترار ؛ والثقة أن تحترز ، ولا تقلْ : إن المحارب لى طاهر ؛ فالشرارة الخفيّة ربما صارت ضُرامًا ، والثلمة من السيل ربما اغتُرّ بها وتُهُوّن فصارت بحرًا عظيمًا ؛ وقد قربت عساكرنا من طاهر ؛ فلو كان رأيهُ الهرب لم يتأخر إلى يومه هذا . قال : اسكت ؛ فإن طاهرًا ليس فى هذا الموضع الذى تَرى ؛ وإنما تَتحفّظ الرجال إذا لقيتْ أقرانها ، وتستعدّ إذا كان المناوئ لها أكفاءها [ونظراءها][3] .

٨٢١/٣

وذكر عبد الله بن مجالد ، قال : أقبَل علىّ بن عيسى حتى نزل من الرّىّ على عشرة فراسخ ، وبها طاهر قد سدّ أبوابها ، ووضع المسالح على طُرُقها ، واستعدّ لمحاربته ؛ فشاور طاهرٌ أصحابه ، فأشاروا عليه أن يقيمَ بمدينة الرىّ ، ويدافع القتال ما قَدَر عليه إلى أن يأتيَه من خُراسان المدد من الخيل ، وقائد

---

(١) ا : « لمثل » . (٢) كنف ، أى حشد . (٣) من ا .

يتولى الأمر دونه ، وقالوا : إن مقامك بمدينة الرّىّ أرفقُ بأصحابك ، وأقدر لهم على المِيرة ، وأكنّ من البَرْد ، وأحْرَى إن دهَمك قتال أن يعتصموا بالبيوت ، وتقوى على المماطلة والمطاولة ؛ إلى أن يأتيَك مدد ، أو تردَ عليك قُوّة من خلفك . فقال طاهر : إنّ الرأى ليس ما رأيتم ؛ إنّ أهل الرىّ لعلىّ هائبون ، ومن معرّته وسطوته متّقون ؛ ومعه مَنْ قد بلغكم من أعراب البوادى وصعاليك الجبال ولفيف القرى ؛ ولست آمن إن هجم علينا مدينة الرّىّ أن يدعوَ أهلَها خوفُهم إلى الوثوب بنا ، ويعينوه على قتالنا ؛ مع أنه لم يكن قوم قطّ روعبوا فى ديارهم[1] ، وتورّد عليهم عسكرهم إلا وَهنوا وذلوا ، وذهب عزهم ، واجترأ عليهم عدوّهم . وما الرأى إلاّ أن نصيّر مدينة الرّىّ قَفا[2] ظهورنا ؛ فإن أعطانا الله الظّفَر ، وإلا عوّلنا عليها فقاتلنا فى سككها ، وتحصنّا فى مَنعتها إلى أن يأتينا مدد أو قوة من خراسان . قالوا : الرأى ما رأيتَ . فنادى طاهر فى أصحابه فخرجوا . فعسكروا على خمسة فراسخ من الرّىّ بقرية يقال لها كلواص[3] ؛ وأتاه محمد بن العلاء فقال : أيها الأمير ؛ إن جندك قد هابوا هذا الجيش ، وامتلأتْ قلوبهم خوفًا ورُعبًا منه ، فلو أقمتَ بمكانك ، ودافعت القتال إلى أن يشامّهم أصحابك ، ويأنسوا بهم ، ويعرفوا وجهَ المأخذ فى قتالهم ! فقال : لا ؛ إنى لا أوتَى من قلّة تجربة وحَزْم ؛ إنّ أصحابى قليل ، والقوم عظيم سوادُهم كثير عددهم ، فإن دافعتُ القتالَ ، وأخّرْتُ المناجزة لم آمن أن يطلعوا على قلّتنا وعورتنا ؛ وأن يستميلوا مَن معى برغبة أو رَهْبة ، فينفر عنى أكثر أصحابى ، ويخذلنى أهلُ الحفاظ والصبر ، ولكن ألفّ الرجال بالرجال ، وألحِم الخيل بالخيل ، وأعتمد على الطاعة والوفاء ، وأصبر صبر محتسب للخير ، حريص على الفوز بفضل الشهادة ؛ فإن يرزق الله الظّفَر والفلج فذلك الذى نريد ونرجو ؛ وإن تكن الأخرى ؛ فلست بأول مَنْ قاتل فقتِل ، وما عند الله أجزل وأفضل .

وقال علىّ لأصحابه : بادروا القوم ؛ فإنّ عددهم قليل ، ولو زحفتم إليهم لم يكن لهم صبر على حرارة السيوف وطعن الرماح . وعبّأ جندَه ميمنة

٨٢٢/٣

٨٢٣/٣

(١) ا : « زوحموا على ديارهم » . (٢) ا : « وراء » . (٣) ا : « كلموص » .

وميسرة وقلبًا ؛ وصيّر عشر رايات ؛ فى كلّ راية ألف رجل ، وقدم الرّاياتِ رايةً رايةً ، فصيّر بين كلّ راية وراية غَلْوة، وأمّر أمراءها : إذا قاتلت الأولى فصبرت وحمت وطال بها القتال أن تُقدّم التى تليها وتؤخّر التى قاتلت حتى ترجع إليها أنفسُها ، وتستريح وتنشط للمحاربة والمعاودة . وصيّر أصحابَ الدروع والجواشن والخوذ أمام الرايات ، ووقف فى القلب فى أصحابه من آهل البأس والحفاظ والنجدة منهم .

وكتّب طاهر بن الحسين كتائبَه وكردَس كراديسه ، وسوّى صفوفه ، وجعل يمرّ بقائد قائد، وجماعة جماعة ؛ فيقول : يا أولياء الله وأهل الوفاء والشّكر ؛ إنكم لستم كهؤلاء الذين ترونْ من أهل النكْث والغدر ؛ إن هؤلاء ضيّعوا ما حفظتم وصغّروا ماعظّمتم ، ونكثوا الأيمان التى رعيتم ؛ وإنما يطلبون الباطل ويقاتلون على الغدر والجهل ؛ أصحاب سلْب ونهب ؛ فلو قد غضضتم الأبصار ، وأثبتّم الأقدام ! قد أنجز الله وعدَه ، وفتح عليكم أبواب عزّه ونصره ؛ فجالدوا طواغيت الفتنة ويعاسيب النّار عن دينكم ، ودافعوا بحقكم باطلهم ؛ فإنما هى ساعة واحدة حتى يحكم الله بينكم وهو خير الحاكمين . وقلق قلقًا شديداً ، وأقبل يقول : يا أهلَ الوفاء والصدق ؛ الصبرَ الصبرَ الحفاظَ الحفاظ ! وتزاحف الناس بعضهم إلى بعض ، ووثب[1] أهل الرىّ ، فغلّقوا أبواب المدينة ، ونادى طاهر : يا أولياء الله ، اشتغلوا بمن أمامكم عمّن خلفكم ؛ فإنه لا ينجيكم إلاّ الجدّ والصدق . وتلاحموا واقتتلوا قتالا شديداً ، وصبر الفريقان جميعًا ، وعلتْ ميمنة علىّ على ميسرة طاهر ففضّتها فضًّا منكراً ، وميسرتُه على ميمنته فأزالتها عن موضعها . وقال طاهر : اجعلوا بأسكم وجدّكم على كراديس القلب ؛ فإنكم لو فضضتم منها رايةً واحدة رجعت أوائلُها على أواخرها . فصبر أصحابه صبراً صادقًا ، ثم حملوا على أوائل رايات القلب فهزموهم ؛ وأكثروا فيهم القتل ؛ ورجعت الرّايات بعضها على بعض ، وانتقضت ميمنة علىّ . ورأى أصحابُ ميمنة طاهر وميسرته ما عمل أصحابه ، فرجعوا على من كان فى وجوههم ، فهزموهم ، وانتهت الهزيمة إلى علىّ

٨٢٤/٣

(١) كذا فى ا ، وفى ط « وتزاحف » .

فجعل ينادى أصحابه : أينَ أصحاب الأسورة والأكاليل ! يا معشرَ الأبناء ، إلى الكرّة بعد الفرّة ؛ معاودة[1] الحرب من الصبر فيها . ورماه رجلٌ من أصحاب طاهر بسهم فقتَله ، ووضعوا فيهم السيوف يقتلونهم ويأسرونهم ؛ حتى حال الليل بينهم وبين الطلب ، وغنموا غنيمة كثيرة ؛ ونادى طاهر فى أصحاب علىّ : مَن وضع سلاحه فهو آمن ، فطرحوا أسلحتهم ، ونزلوا عن دوابّهم ، ورجع طاهر إلى مدينة الرّىّ ، وبعث بالأسرى والرءوس إلى المأمون .

٨٢٥/٣

وذكر أن عبد الله بن علىّ بن عيسى طرَح نفسه فى ذلك اليوم بين القتلى ؛ وقد كانت به جراحات كثيرة ، فلم يزل بين القتلى متشبّهاً بهم يومه وليلَته ؛ حتى أمن الطلب ، ثم قام فانضمّ إلى جماعة من فَلّ العسكر ، ومضى إلى بغداد ، وكان من أكابر ولده .

وذكر سفيان بن محمد أنّ عليًّا لمّا توجّه إلى خراسان بعث المأمون إلى من كان معه من القوّاد يعرض عليهم قتاله رجلا رجلا ؛ فكلّهم يصرح بالهيبة ، ويعتلّ بالعلل ، ليجدوا إلى الإعفاء من لقائه ومحاربته سبيلا .

وذكر بعض أهل خراسان أنّ المأمون لما أتاه كتاب طاهر ، بخبر علىّ وما أوقع الله به ، قعد للناس ؛ فكانوا يدخلون فيهنّئونه ويدعون له بالعزّ والنصر . وإنه فى ذلك اليوم أعلن خلع محمد ، ودعِى له بالخلافة فى جميع كُور خراسان وما يليها ، وسُرّ أهل خراسان ، وخطب بها الخطباء ، وأنشدت الشعراء ، وفى ذلك يقول شاعر من أهل خراسان[2] :

أَصبحتِ الأمّة فى غِبْطَةٍ ... من أمرِ دنياها ومن دِينِها
إذ حفظتْ عهدَ إمامِ الهدى ... خيرِ بنى حوّاءَ مأمونِها
على شَفاً كانت فلمّا وَفَتْ ... تخلّصَتْ من سُوءِ تحيينِها
قامتْ بحق الله إذ زُبِرَتْ ... فى وُلْدِهِ كتْبُ دَواوينِها
ألا تراها كيف بعدَ الرَّدى ... وفقهـا اللهُ لِتَزيينها !

وهى أبيات كثيرة .

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « معاونة» . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « يقول الشاعر » .

وذكر عليّ بن صالح الحربىّ أن علىّ بن عيسى لما قُتل، أرجف الناس ببغداد إرجافًا شديداً ، وندم محمد على ما كان من نَكْثه وغدره ، ومشى القوّاد بعضهم إلى بعض، وذلك يوم الخميس للنصف من شوال سنة خمس وتسعين ومائة ، فقالوا : إن عليًّا قد قتِل، ولسنا نشكّ أن محمداً يحتاج إلى الرجال واصطناع أصحاب الصنائع ؛ وإنما يحرّك الرجال أنفسها ، ويرفعها بأسُها وإقدامُها ؛ فليأمر كلٌّ رجل منكم جندَه بالشّغْب وطلب الأرزاق والجوائز ؛ فلعلّنا أن نصيب منه فى هذه الحالة ما يصلحنا ، ويصلح جندنا . فاتفق على ذلك رأيهُم وأصبحوا ، فتوافَوْا إلى باب الجسْر وكبّروا ، فطلبوا الأرزاق والجوائز . وبلغ الخبر عبدَ الله بن خازم، فركب إليهم فى أصحابه وفى جماعة غيره من قُوّاد الأعراب، فترامَوْا بالنُّشاب والحجارة، واقتتلوا قتالا شديداً، وسمع محمد التكبير والضجيج ؛ فأرسل بعض مواليه أن يأتيَه بالخبر ، فرجع إليه فأعلمه أنّ الجند قد اجتمعوا وشغبوا لطلب أرزاقهم . قال : فهل يطلبون شيئًا غير الأرزاق ؟ قال : لا ، قال : ما أهونَ ما طلبوا ! ارجع إلى عبد الله ابن خازم فمرْه فلينصرف عنهم ؛ ثم أمر لهم بأرزاق أربعة أشهر ، ورفع مَنْ كان دون الثمانين إلى الثمانين ،وأمر للقوّاد والخواصّ بالصّلات والجوائز .

٣/٨٢٦

* * *

[توجيه الأمين عبد الرحمن بن جبلة لحرب طاهر]

وفى هذه السنة وجّه محمد المخلوع عبدَ الرحمن بن جبلة الأبناوىّ إلى همَذان لحرب طاهر .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر عبد الله بن صالح أنّ محمداً لما انتهى إليه قتلُ علىّ بن عيسى بن ماهان، واستباحة طاهر عسكره، وجّه عبد الرحمن الأبناوىّ فى عشرين ألف رجل من الأبناء، وحمل معه الأموال ، وقوّاه بالسلاح والخيل ، وأجازه بجوائز ، وولاّه حُلوان إلى ما غلب عليه من أرض خُراسان، وندب معه فرسان الأبناء وأهل البأس والنّجدة والغناء منهم ،وأمره بالإكماش فى السّير ، وتقليل اللُّبث

٣/٨٢٧

والتضجّع[١] ؛ حتى ينزل مدينة هَمَذان ، فيسبق طاهراً إليها ، ويخندق عليه وعلى أصحابه ، ويجمع إليه آلة الحرب ، ويغادى طاهراً وأصحابه إلى القتال . وبسط يده وأنفذ أمره فى كلّ ما يريد العمل به ، وتقدّم إليه فى التحفّظ والاحتراس ، وترك ما عمل به علىّ من الاغترار والتضجّع ، فتوجّه عبد الرحمن حتى نزل مدينة هَمَذان ، فضبط طرقها ، وحصّن سورها وأبوابها ، وسدّ ثُلْمها ، وحشر إليها الأسواق والصّناع ، وجمع فيها الآلات والميَر ، واستعدّ للقاء طاهر ومحاربته . وكان يحيى بن علىّ لما قُتِل أبوه هرب فى جماعة من أصحابه ، فأقام بين الرىّ وهمَذان ؛ فكان لا يمرّ به أحدٌ من فَلّ أبيه إلا احتبسه ؛ وكان يرى أن محمداً سيولّيه مكان أبيه ، ويوجّه إليه الخيل والرجال ؛ فأراد أن يجمع الفَلّ إلى أن يوافيَه القوة والمدد ؛ وكتب إلى محمد يستمدّه ويستنجده ؛ فكتب إليه محمد يعلمه توجيه عبد الرحمن الأبناوىّ ، ويأمره بالمقام موضعه ؛ وتلقّى طاهر فيمن معه ؛ وإن احتاج إلى قوة ورجال كتب إلى عبد الرحمن فقوّاه وأعانه .

فلما بلغ طاهراً الخبرُ توجّه نحو عبد الرحمن وأصحابه ، فلما قرُب من يحيى ، قال يحيى لأصحابه : إن طاهراً قد قرُب منّا ومعه مَن تعرفون من رجال خُراسان وفرسانها ، وهو صاحبكم بالأمس ، ولا آمن إن لقيتُه بمن معى من هذا الفَلّ أن يصدَعنا صدعاً يدخل وهَنُه على من خلْفنا ، وأن يعتلّ عبد الرحمن بذلك ، ويقلّدنى به العار والوَهَن والعجز عند أمير المؤمنين ، وأن أستنجد به وأقمت على انتظار مدده ؛ لم آمن أن يمسك عنا ضنّاً برجاله وإبقاءً عليهم ، وشُحّاً بهم على القتل ؛ ولكن نتزاحف إلى مدينة هَمَذان فنعسكر قريباً من عبد الرحمن ؛ فإن استعنّا به قرب منّا عونُه ؛ وإن احتاج إلينا أعنّاه وكنّا بفنائه ، وقاتلنا معه . قالوا : الرأى ما رأيتَ ؛ فانصرف يحيى ، فلمّا قرب من مدينة هَمَذان خذله أصحابُه ، وتفرّق أكثر مَنْ كان اجتمع إليه ، وقصد طاهرٌ لمدينة همَذان ؛ فأشرف عليها ، ونادى عبد الرحمن فى أصحابه ، فخرج على تعبية ، فصادف[٢] طاهراً ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وصبر الفريقان جميعاً ، وكثر القتلى

٨٢٨/٣

---

(١) التضجع : القعود فى الأمر . (٢) ط : « فصاف » ، وما أثبته من ا .

والجرحى فيهم . ثم إنّ عبد الرحمن انهزم ، فدخل مدينة هَمَذان ، فأقام بها أيامًا حتى قوىَ أصحابُه ، واندمل جرحاهم ، ثم أمر بالاستعداد ، وزحف إلى طاهر ؛ فلمّا رأى طاهر أعلامه وأوائل أصحابه قد طلعوا ، قال لأصحابه : إنّ عبد الرحمن يريد أن يتراءى[(١)] لكم ؛ فإذا قربتم منه قاتلكم ؛ فإن هزمتموه بادر إلى المدينة فدخلها ، وقاتلكم على خندقها ، وامتنع بأبوابها وسورها ؛ وإن هزمكم اتّسع لهم المجال عليكم ، وأمكنتْه سعة المعترك من قتالكم ، وقتل[(٢)] من انهزم ، وولّى منكم ؛ ولكن قفُوا من خندقنا وعسكرنا قريبًا ؛ فإن تقارب منا قاتلناه ؛ وإن بعُد من خندقهم قَرُبنا منه . فوقف طاهر مكانَه ، وظنّ عبد الرحمن أنّ الهيبة بطّأت به من لقائه والنهود إليه ، فبادر قتاله فاقتتلوا قتالا شديداً ، وصبر طاهر ، وأكثر القتل فى أصحاب عبد الرحمن ، وجعل عبد الرحمن يقول لأصحابه : يا معشرَ الأبناء ، يا أبناء الملوك وألفاف السيوف ؛ إنهم العجم[(٣)] ، وليسوا بأصحاب مطاوَلة ولا صبر ؛ فاصبروا لهم فداكم أبى وأمى ! وجعل يمرّ على راية راية ، فيقول : اصبروا ؛ إنما صبرنا ساعة ، هذا أول الصّبر والظَّفَر . وقاتل بيديه قتالا شديداً ، وحمل حمَلات منكرة ما منها حملة إلا وهو يكثر فى أصحاب طاهر القتل ؛ فلا يزول أحدٌ ولا يتزحزح . ثم إنّ رجلا من أصحاب طاهر حمل على أصحاب عَلَم عبد الرحمن فقتله ، وزحمهم أصحاب طاهر زحمةً شديدة ، فولَّوْهم أكتافهم ، فوضعوا فيهم السيوف ، فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوْا بهم إلى باب مدينة هَمَذان ؛ فأقام طاهر على باب المدينة محاصراً لهم وله ؛ فكان عبد الرحمن يخرج فى كلّ يوم فيقاتل على أبواب المدينة ، ويرمى أصحابه بالحجارة من فوق السور ، واشتدّ بهم الحصار ، وتأذّى بهم أهلُ المدينة ، وتبرّموا بالقتال والحرب ، وقطع طاهرٌ عنهم المادّة من كلّ وجه . فلما رأى عبد الرحمن ، ورأى أصحابه قد هلكوا وجَهدوا ، وتخوّف أن يثب به أهلُ هَمَذان أرسل إلى طاهر فسأله

٨٢٩/٣

(١) ط : « يترايا » .
(٢) ا : « وقتال » .
(٣) ط : « لعجم » ، وما أثبته من ا .

الأمان له ولمن معه ؛ فآمنه طاهر ووفى له ، واعتزل عبد الرحمن فيمن كان استأمن معه من أصحابه وأصحاب يحيى بن علىّ .

* * *

[تسمية طاهر بن الحسين ذا اليمينين]

وفى هذه السنة سُمّىَ طاهر بن الحسين ذا اليمينين .

* ذكر الخبر عن ذلك :

قد مضى الخبرُ عن السبب الذى من أجله سُمّىَ بذلك ، ونذكرُ الذى سمّاه بذلك . ٣/٨٣٠

ذُكر أن طاهراً لما هزم جيش علىّ بن عيسى بن ماهان، وقتل علىّ بن عيسى ، كتب إلى الفضل بن سهل : أطال الله بقاءك ، وكبت أعداءك ، وجعل مَن يشنؤك فداك ! كتبتُ إليك ورأس علىّ بن عيسى فى حجْرى ، وخاتمَه فى يدى ، والحمد لله ربّ العالمين . فنهض الفضل ، فسلّم على المأمون بأمير المؤمنين ؛ فأمدّ المأمون طاهر بن الحسين بالرجال والقوّاد ، وسمّاه ذا اليمينين ، وصاحب حبل الدين ، ورفع من كان معه فى دون الثمانين إلى الثمانين .

* * *

[ظهور السفيانىّ بالشام]

وفى هذه السنة ظهر بالشأم السفيانىّ علىّ بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية ، فدعا إلى نفسه ؛ وذلك فى ذى الحجة منها ، فطرد عنها سليمان بن أبى جعفر بعدحصره إياه بدمشق ـ وكان عامل محمد عليها ـ فلم يفلت منه إلا بعد اليأس ، فوجّه إليه محمد المخلوع الحسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان ، فلم ينفذ إليه ؛ ولكنه لما صار إلى الرّقة أقام بها .

* * *

[طرد طاهر عمال الأمين عن قزوين وكور الجبال]

وفى هذه السنة طرد طاهر عمّال محمد عن قزوين وسائر كور الجبال .

* ذكر الخبر عن سبب لك :

ذكر علىّ بن عبد الله بن صالح أنّ طاهرًا لما توجّه إلى عبد الرحمن

الأبناوىّ بهمَذان، تخوّف أن يثب به كثير بن قادرة — وهو بقَزوين عامل من عمال محمد — فى جيش كثيف إن هو خلفه وراءَ ظهره؛ فلمّا قرب طاهر من هَمَذان أمر أصحابه بالنزول فنزلوا. ثم ركب فى ألف فارس وألف ٨٣١/٣ راجل، ثم قصد قصْدَ كثير بن قادرة، فلمّا قرب منه هرب كثير وأصحابه؛ وأخْلَى قزوين، وجعل طاهر فيها جنداً كثيفاً، وولاَّها رجلا من أصحابه، وأمر أن يحارب مَنْ أراد دخولها من أصحاب عبد الرحمن الأبناوىّ وغيرهم.

* * *

[ذكر قتل عبد الرحمن بن جبلة الأبناوىّ]

وفى هذه السنة قتِل عبد الرحمن بن جبلة الأبناوى بأسداباذ.

* ذكر الخبر عن مقتله :

ذكر عبد الرحمن بن صالح أن محمداً المخلوع لمّا وجّه عبدالرحمن الأبناوىّ إلى هَمَذان، أتبعه بابنى الحَرَشىّ : عبد الله وأحمد، فى خيل عظيمة من أهل بغداد، وأمرَهما أن ينزلا قصر اللصوص، وأن يسمعا ويطيعا لعبد الرحمن، ويكونا مددًا له إن احتاج إلى عونهما. فلما خرج عبد الرحمن إلى طاهر فى الأمان أقام عبد الرحمن يُرِى طاهراً وأصحابه أنه له مسالم، راضٍ بعهودهم وأيمانهم؛ ثم اغترّهم وهم آمنون. فركب فى أصحابه، فلم يشعر طاهر وأصحابه حتى هَجَموا عليهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثبت لهم رجّالة أصحاب طاهر بالسيوف والتراس والنشاب، وجثَوْا على الرّكب، فقاتلوه كأشدّ ما يكون من القتال، ودافعهم الرّجال إلى أن أخذت الفرسان عُدّتها وأهبتها، وصدقوهم القتال، فاقتتلوا قتالا منكراً، حتى تقطّعت السيوف، وتقصّفت الرماح. ثم إن أصحاب عبد الرحمن هرَبوا، وترجّل هو فى ناس من أصحابه، فقاتل حتى قتل، فجعل أصحابه يقولون له : قد أمكنك الهَرب فاهرُب؛ فإنّ القوم قد كلّوا من القتال، وأتعبتهم الحرب، وليس بهم حَراك ولا قوّة على الطلب، فيقول : لا أرجعُ أبداً، ولا يرى أمير المؤمنين وجهى منهزمًا. وقُتل ٨٣٢/٣ من أصحابه مقتلة عظيمة، واستبيح عسكره، وانتهى من أفلت من أصحابه إلى عسكر عبد الله وأحمد ابنى الحَرَشىّ، فدخلهم الوهن[1] والفشَل، وامتلأت

(١) ط : « الوهم »، وما أثبته من ا.

قلوبهم خوفًا ورعبًا فولّوا منهزمين لا يلوون على شيء من غير أن يلقاهم أحد ؛ حتى صاروا إلى بغداد ، وأقبل طاهر وقد خلت له البلاد ، يحوز[1] بلدةً بلدةً ، وكورةً وكورةً ؛ حتى نزل بقرية من قرى حُلوان يقال لها شلاشان ؛ فخندق بها ، وحصّن عسكره ، وجمع إليه أصحابَه . وقال رجل من الأبناء يرثى عبد الرحمن الأبناوىّ :

ألا إنما تبكى العُيونُ لفارسٍ	نفَى العارَ عنه بالمناصِل والقَنَا
تجَلَّى غُبارُ الموتِ عن صَحْنِ وجهه	وقد أحرزَ العَلْيَا من المجد واقتنَى
فتًى لا يُبالِى إن دَنَا من مرُوءةٍ	أصابَ مصُونَ النفس أو ضَيَّعَ الغِنَى
يُقيمُ لأطرافِ الذَّوابِل سُوقَها	ولا يَرهَبُ الموتَ المُتاح إذ ادنا

* * *

وكان العاملُ فى هذه السنة على مكة والمدينة من قبَل محمد بن هارون داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، وهو الذى حجّ بالناس فى هذه السنة وسنتين قبلها وذلك سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وأربع وتسعين ومائة .

وعلى الكوفة العباس بن موسى الهادى من قبَل محمد .

وعلى البَصرة منصور بن المهدىّ من قبَل محمد .

وبخُراسان المأمون ، وببغداد أخوه محمد . ٨٣٣/٣

(١) كذا فى ا وابن الأثير وفى ط : « يجوز » .

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر توجيه الأمين الجيوش لحرب طاهر بن الحسين]

فمما كان من ذلك حبس محمد بن هارون أسد بن يزيد بن مزيد ، وتوجيهه أحمد بن مزيد وعبد الله بن حُميد بن قَحْطبة إلى حُلوان لحرب طاهر .

* ذكر الخبر عن سبب حبسه وتوجيهه من ذكرت :

ذُكر عن عبد الرحمن بن وثّاب أنّ أسد بن يزيد بن مَزيد حدّثه ، أنّ الفضل بن الربيع بعث إليه بعد مقتل عبد الرحمن الأبناويّ . قال : فأتيتُه ، فلمّا دخلت عليه وجدته قاعداً فى صحن داره ، وفى يده رقعة قد قرأها ، واحمرّت عيناه ، واشتدّ غضبُه ، وهو يقول : ينام نومَ الظَّرِبان ؛ [وينتبه انتباه الذئب ، همُّه بطنه ، يخاتل الرّعاء والكلاب ترصده][1]. لا يفكر فى زوال نعمة ، ولا يروّى فى إمضاء رأى ولا مكيدة ؛ قد ألهاه كأسه، وشغله قَدَحُه ، فهو يجرى فى لهوه، والأيام توضع[2] فى هلاكه؛ قد شمّر عبد الله له عن ساقه ، وفوّق له أصوبَ أسهمه ، يرميه على بعد الدّار بالحتْف النافذ ، والموت القاصد، قد عبّى له المنايا على متون الخيل، وناط له البلاء فى أسنّة الرماح وشفار السيوف. ثم استرجع ، وتمثل بشعر البَعيث :

ومَجْدولَة جدْل العِنانِ خَريدَة	لها شَعَرٌ جَعْدٌ ووَجْهٌ مُقَسَّمُ
وثغر نَقِيٌّ اللوْنِ عَذبٌ مَذاقةُ	تُضِيءُ لها الظلماءَ ساعَةَ تَبْسِمُ
وثديانِ كالحُقَّيْن ، والبَطْنُ ضامِرٌ	خَميصٌ ، وجَهْمٌ نارُهُ تَتَضَرَّمُ[3]
لَهَوْتُ بها لَيْلَ التَّمامِ ابنَ خالِدٍ	وأنت بِمَرْوَ الرُّوذ غَيْظًا تَجرَّمُ[4]

٣/٨٣٤

(١) من ا .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « تضرع » .
(٣) ابن الأثير : « ووجه ناره » .
(٤) كذا فى ا وابن الأثير ، وفى ط : « على بمرو الروذ » .

أَظَلُّ أُناغِيهَا وتحتَ ابنِ خالدٍ أُمَيَّــةَ نَهْدُ المَرْكَلَينِ عَشَمْثَمُ
طوَاهُ طِرادُ الخَيْلِ فى كلِّ غارَة لها عارض فيه الأَسِنَّةُ تُرْزِمُ
يُقارعُ أَتراكَ ابن خاقانَ ليلةً إلى أن يُرَى الإصباحُ لا يَتَلعْثَمُ
فيُصْبح منْ طُولِ الطِّرادِ، وَجِسْمُهُ نحِيلٌ وَأُضحِى فى النَّعيم أُصَمْصِمُ
أُباكِرُهَا صَهْباءَ كالمسكِ ريحُها لها أَرجٌ فى دَنِّها حين تَرشُمُ(١)
فَشَتَّانَ ما بَينِى وبَينَ ابن خالد أُمَيَّةَ فى الرِّزقِ الذِى اللهُ قاسِمُ(٢)

ثم التفت إلىّ فقال : يا أبا الحارث ، أنا وإياك نجرى إلى غاية ، إن قصّرنا عنها ذُمِمْنَا ، وإن اجتهدنا فى بلوغها انقطعنا ؛ وإنما نحن شعب من أصل ؛ إن قوى قوينا ؛ وإن ضعف ضعفنا ؛ إن هذا قد ألقى بيده إلقاء الأمَة الوكْعاء ، يشاور النساء ، ويعتزم على الرؤيا ؛ وقد أمكن مسامعه من أهل اللهو والجسارة ، فهم يعدُونه الظّفَر ، ويمنّونه عقب الأيام ؛ والهلاك أسرع إليه من السيل إلى قيعان الرمل ؛ وقد خشيت والله أن نهلك بهلاكه ، ونعطب بعطبه ؛ وأنت فارس العرب وابن فارسها ؛ قد فزع إليك فى لقاء هذا الرجل وأطمعه فيما قبلَك أمران ؛ أما أحدهما فصدق طاعتك وفضل نصيحتك ، والثانى يُمْن نقيبتك وشدّة بأسك ؛ وقد أمرنى إزاحة علّتك وبسط يدك فيما أحببت ؛ غير أن الاقتصاد رأسُ النصيحة ومفتاح اليُمْن والبركة ، فأنجز حوائحك ، وعجّل المبادرة إلى عدّوك ؛ فإنى أرجو أن يُوليك الله شرفَ هذا الفتح ، ويلمّ بك شعث هذه الخلافة والدولة . فقلت : أنا لطاعة أمير المؤمنين — أعزه الله — وطاعتك مقدِم ، ولكلّ ما أدخل الوَهن والذّل على عدوّه وعدوّك حريص ؛ غير أن المحارب لا يَعمل بالغرور ، ولا يفتتح أمره بالتقصير والخلل ؛ وإنما مِلاك المحاربِ الجنود ، وملاك الجنود المال ؛ وقد ملأ أمير المؤمنين أعزه الله أيدى مَنْ شهد العسكر من جنوده ، وتابع لهم الأرزاق الدارّة والصِّلات والفوائد

٨٣٥/٣

(١) سقط هذا البيت من ط ، وأثبته من ا وابن الأثير وترشم ، أى تختم .
(٢) ا ، وابن الأثير : « يقسم » .

الجزيلة ، فإن سرتُ بأصحابى وقلوبهم متطلعة إلى مَنْ خلفهم من إخوانهم لم أنتفع بهم فى لقاء مَنْ أمامى، وقدفضل أهل السِّلم على أهل الحرب ، وجاز بأهل الدَّعَة[١] منازل أهل النَّصب والمشقة ؛ والذى أسأل أن يؤمَر لأصحابى برزق سنة ، ويحمل معهم أرزاق سنة ، ويخصّ مَن لا خاصّة له منهم من أهل الغناء والبلاء ، وأبدِل مَن فيهم من الزَّمْنى والضّعفاء ، وأحمل ألف رجل ممّن معى على الخيل ؛ ولا أُسأل عن محاسَبة ما افتتحت من المدن والكور . ٨٣٦/٣ فقال : قد اشتططتَ[٢] ؛ ولا بدّ من مناظرة أمير المؤمنين . ثم ركب وركبت معه ، فدخل قبلى على محمد، وأذن لى فدخلتُ، فما كان بينى وبينه إلا كلمتان حتى غضِب وأمر بحبسى .

وذُكر عن بعض خاصة محمد أنّ أسداً قال لمحمد : ادفع إلىّ ولدىْ عبد الله المأمون حتى يكونا أسيرين فى يدى ؛ فإن أعطانى الطاعة ، وألقى إلىّ بيده ، وإلاّ عملت فيهما بحكمى ، وأنفذت فيهما أمرى . فقال : أنت أعرابىٌّ مجنون ؛ أدعوك إلى ولاء أعنّة العرب والعجم ، وأطعمك خراج كُور الجبال إلى خُراسان ، وارفع منزلتَك عن نظرائك من أبناء القوّاد والملوك ، وتدعونى إلى قتل ولدى ، وسفك دماء أهل بيتى ! إنّ هذا للخُرق والتخليط . وكان ببغداد ابنان لعبد الله المأمون ، وهما مع أمّهما أم عيسى ابنة موسى الهادى، نزولا فى قصر المأمون ببغداد ؛ فلمّا ظفر المأمون ببغداد خرجا إليه مع أمّهما إلى خُراسان ؛ فلم يزالا بها حتى قدموا بغداد ، وهما أكبر ولده .

وذكر زياد بن علىّ ، قال : لما غضِب محمد على أسد بن يزيد ، وأمر بحبسه ، قال : هل فى أهل بيت هذا من يقوم مقامه ؛ فإنى أكره أن أستفسدهم مع سابقتهم[٣] وما تقدّم من طاعتهم ونصيحتهم ؟ قالوا : نعم ؛ فيهم أحمد بن مزيد، وهو أحسنهُم طريقة، وأصحّهم[٤] نيّة فى الطاعة؛ وله مع هذا بأس ونجده وبَصَر بسياسة الجنود ولقاء الحروب ؛ فأنفذ إليه محمد بَريداً يأمره بالقدوم عليه ؛ فذكر بكر بن أحمد ، قال : كان أحمد

---

(١) ط : « الدعوة » ، وما أثبته من ا . (٢) ابن الأثير : « أشططت » .
(٣) ابن الأثير : « نباهتهم » . (٤) ا : « أصلحهم » .

متوجّهًا إلى قرية تدعى إسحاقيّة ، ومعه نفر من أهل بيته ومواليه وحشمه ؛ فلما جاوز نهر أبان سمع صوت بريد فى جوف الليل ، فقال : إن هذا لعجيب ، بريد فى مثل هذه الساعة وفى مثل هذا الموضع ! إن هذا الأمرَ لعجيب . ثم لم يلبث البريد أن وقف ، ونادى الملاّحَ : هل معك أحمد ابن مزيد ؟ قال : نعم ؛ فنزل فدفع إليه كتاب محمد ، فقرأه ثم قال : إنى قد بلغت ضيعتى ؛ وإنما بينى وبينها ميل ؛ فدعنى أقعْها وقعة فآمر فيها بما أريد ثم أغدو معك ، فقال : لا ، إنّ أمير المؤمنين أمرنى ألاّ أنظرك ولا أرفّهك ؛ وأنْ أشخصك أىّ ساعة صادفتك فيها ؛ من ليل أونهار . فانصرف معه حتى أتى الكوفة ، فأقام بها يومًا حتى تجمّل وأخذ أهبة السفر ، ثم مضى إلى محمد . ٣/٨٣٧

فذكر عن أحمد ، قال : لما دخلت بغداد ، بدأت بالفضل بن الربيع ، فقلت : أسلّم عليه ، وأستعين بمنزلته ومحضره عند محمد ؛ فلما أذن لى دخلت عليه ؛ وإذا عنده عبد الله بن حُميد بن قحطبة ، وهو يريده على الشخوص[1] إلى طاهر ، وعبد الله يشتطّ عليه فى طلب المال والإكثار من الرجال ؛ فلمّا رآنى رحّب بى وأخذ بيدى ، ورفعنى حتى صيّرنى معه على صدر المجلس ، وأقبل على عبد الله يداعبه ويمازحه ، فتبسّم فى وجهه ، ثم قال :

إنّا وجَدْنا لكم إذ رَثَّ حبْلكم ... مِنْ آلِ شيْبانَ أُمًّا دُونكمْ وَأَبا
الأَكثرُونَ إذَا عُدَّ الحَصى عَدَدًا ... والأَقربونَ إلينا منكمُ نَسبا

فقال عبد الله : إنّهم لكذلك ؛ وإن منهم لسدّ الخَلل ونكاء العدوّ ، ودفع معرّة أهل المعصية عن أهل الطاعة . ثم أقبل علىّ الفضل ، فقال : إنّ أمير المؤمنين أجرى ذكرك ، فوصفتُك له بحسن الطاعة وفضل النصيحة والشدّة على أهل المعصية ، والتقدّم بالرأى ، فأحبّ اصطناعك والتنويهَ باسمك ، وأن يرفعك إلى منزلةٍ لم يبلغها أحد من أهل بيتك . والتفت إلى خادمه ، فقال : ياسرّاج ؛ مُرْ دوابّى ، فلم ألبث أن أسرجَ له ، فمضى ومضيت معه ، حتى دخلنا على محمد وهو فى صحن داره ، له ساج ، فلم يزل يأمرنى بالدنوّ حتى كدت ٣/٨٣٨

(١) ا : « الخروج » .

ألاصقه ، فقال: إنه قد كثر عليّ تخليط ابن أخيك وتنكّره ، وطال خلافه عليّ حتى أوحشني ذلك منه ، وولّد في قلبي التهمة له ، وصيّرني لسوء المذهب وخبث الطاعة إلى أن تناولته من الأدب والحبس بما لم أحبّ أن أكون أتناوله به ، وقد وُصفتَ لي بخير ، ونُسبت إلى جميل ، فأحببت أن أرفع قدرك ، وأعلى منزلتك ، وأقدّمك على أهل بيتك ، وأن أوليّك جهاد هذه الفئة الباغية الناكثة ، وأعرّضك للأجر والثواب في قتالهم ولقائهم ؛ فانظر كيف تكون ، وصحّح نيّتك ، وأعن أميرَ المؤمنين على اصطناعك ، وسُرّه في عدوّه ينعم سرورك وتشريفك . فقلت : سأبذل في طاعة أمير المؤمنين أعزّه الله مهجتي ، وأبلغ في جهاد عدوّه أفضل ما أمّله عندى ، ورجاه من غنائي وكفايتي ، إن شاء الله. فقال : يا فضل ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين! قال : ادفع إليه دفاترَ أصحاب أسد ، واضمم إليه مَنْ شهد العسكر من رجال الجزيرة والأعراب ، ٨٣٩/٣ وقال : أكمش على أمرك ، وعجّل المسير إليه . فخرجت فانتخبت الرجال واعترضت الدفاتر ، فبلغت عدّة من صحّحتُ اسمه عشرين ألف رجل . ثم توجّهت بهم إلى حُلوان .

وذكر أن أحمد بن مزيد لمّا أراد الشخوص دخل على محمد ، فقال : أوصني أكرم الله أمير المؤمنين ! فقال: أوصيك بخصال عدّة : إياك والبغْيَ ، فإنه عِقال النصر ، ولا تقدّم رِجْلا إلا باستخارة ، ولا تُشهِر سيفًا إلا بعد إعذار ؛ ومهما قَدَرت باللين فلا تتعدّه إلى الخُرْق والشّرّة[1] ، وأحسِنْ صحابة مَنْ معك من الجند ، وطالعني بأخبارك في كلّ يوم ، ولا تخاطر بنفسك طلب الزلفة عندى ؛ ولا تستقها[2] فيما تتخوّف رجوعه عليّ ، وكن لعبد الله أخًا مصافيًا ، وقرينًا برًّا ، وأحسن مجامعته وصحبته ومعاشرته ، ولا تخذله إن استنصرك ، ولا تبطئ عنه إذا استصرخك ؛ ولتكن أيديكما واحدةً ، وكلمتكما متفقة . ثم قال : سلْ حوائجك ، وعجّل السراح إلى عدوّك . فدعا له أحمد ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، كثّرْ لي الدعاء ولا تقبل فيّ قول باغٍ ، ولا ترفضني قبل المعرفة بموضع قدمي لك ، [ولا تنقض عليّ ما استجمع من رأى ، ومنّ عليّ بالصفح عن ابن أخي ، قال: ذلك لك][3] . ثم بعث إلى أسد فحلّ قيودَه وخلّى

---

(١) ا: «الشدة» . (٢) ا: «ولا تستبقها» . (٣) من ا .

سبيله ، فقال أبو الأسد الشيبانىّ فى ذلك [يمدح أحمد ويذكر حاله ومنزلته][1] .

لِيَهْنِ أَبا العباسِ رَأْىُ إمامِهِ . وما عِنْدَهُ منهُ القَضا بمَزِيدِ
دَعاهُ أَميرُ المؤمنينَ إلى التى يُقَصِّرُ عنها ظِلُّ كلِّ عَميدِ
فَبادَرَها بالرَّأْىِ والحَزْمِ والحجى وَرَأْىُ أَبى العباسِ رأْىُ سَديدِ
نهَضْتَ بما أَعيا الرِّجالُ بحملِهِ وَأَنتَ بِسَعدٍ حاضِرٍ وَسَعيدِ
رَدَدتَ بها للرَّائدينَ أَعزَّهُمْ ومثلكَ وَالَى طَارِفاً بتليد
كَفى أَسَدًا ضِيقَ الكبولِ وكرْبَها وكانَ عليهِ عاطفاً كيَزِيدِ
وحَصَّلَهُ فيها كلَيْثٍ غضَنْفرٍ أَبى أَشْبُلٍ عبْلِ الذِّراعِ مَدِيدِ

٨٤٠/٣

وذكر يزيد بن الحارث أنّ محمّداً وجّه أحمد بن مزيد فى عشرين ألف رجل من الأعراب ، وعبد الله بن حميد بن قَحْطبة فى عشرين ألف رجل من الأبناء ، وأمرهما أن ينزلا حُلْوان ، ويدفعا طاهراً وأصحابه عنها ؛ وإن أقام طاهر بشلاشان أن يتوجّها إليه فى أصحابهما حتى يدفعاه ، وينصبا له الحرْب ، وتقدّم إليهما فى اجتماع الكلمة والتوادّ والتحابّ على الطاعة ؛ فتوجّها حتى نزلا قريبًا من حُلوان بموضع يقال له خانقين ، وأقام طاهر بموضعه ، وخندق عليه وعلى أصحابه ، ودسّ الجواسيس والعيون إلى عسكريهما ؛ فكانوا يأتونهم بالأراجيف ، ويخبرونهم أنّ محمداً قد وضع العطاء لأصحابه ؛ وقد أمر لهم من الأرزاق بكذا وكذا ؛ ولم يزل يحتال فى وقوع الاختلاف والشَّغْب بينهم حتى اختلفوا ، وانتقض أمرهم ، وقاتل بعضُهم بعضًا ، فأخلوْا خانقين ، ورجعوا عنها من غير أن يلقوْا طاهرًا ، ويكون بينهم وبينه قتال . وتقدّم طاهر حتى نزل حُلوان ؛ فلما دخل طاهر حُلوان لم يلبث إلاّ يسيراً حتى أتاه هَرْثمة ابن أعْيَن بكتاب المأمون والفضل بن سهل ، يأمرانه بتسليم ما حوى من المدن والكُور إليه ، والتوجّه[2] إلى الأهواز ، فسلم ذلك إليه ، وأقام هرثمة بحُلوان فحصنها ووضع مسالحه ومراصده فى طرقها وجبالها ، وتوجّه طاهر إلى الأهواز .

٨٤١/٣

(١) من ا . (٢) ط : « ويتوجه » .

[ذكر رفع منزلة الفضل بن سهل عند المأمون]

وفى هذه السنة رفع المأمون منزلة الفضل بن سهل وقدّره .

ذكر الخبر عمّا كان من المأمون إليه فى ذلك :

ذُكر أن المأمون لمّا انتهى إليه الخبر عن قتل طاهر علىّ بن عيسى واستيلائه على عسكره وتسميته إيّاه أمير المؤمنين ؛ وسلّم الفضل بن سهل عليه بذلك ، وصحّ عنده الخبر عن قتل طاهر عبد الرحمن بن جَبَلة الأبناوىّ وغلبته على عسكره ، دعا الفضل بن سهل ، فعقد له فى رجَب من هذه السنة على المشرق[1] ؛ من جبل هَمَذان إلى جبل سِقينان والتبّت طولاً ، ومن بحر فارس والهند إلى بحر الدّيْلم وجُرجان عرْضًا ، وجعل عُمالته ثلاثة آلاف ألف درهم ، وعقد له لواء على سنان ذى شُعبتين ، وأعطاه علَمًا ، وسمّاه ذا الرياستين ؛ فذكر بعضهم أنه رأى سيفه عند الحسن بن سهل مكتوبًا عليه بالفِضّة من جانب : رياسة الحرب ، ومن الجانب الآخر : رياسة التدبير . فحمل اللواء علىّ بن هشام ، وحمل العَلَم نُعيم بن حازم ، وولّى الحسن بن سهل ديوان الخراج .

* * *

[ذكر خبر ولاية عبد الملك بن صالح على الشام]

وفى هذه السنة ولّى محمد بن هارون عبد الملك بن صالح بن علىّ على الشأم وأمره بالخروج إليها ، وفرض له من رجالها جنوداً يقاتل بها طاهراً وهرثمة .

* ذكر الخبر عن سبب توليته ذلك :

ذكر داود بن سليمان أنّ طاهراً لما قوىَ واستعلى أمرُه ، وهَزَم من هزم من قوّاد محمد وجيوشه ، دخل عبد الملك بن صالح على محمد — وكان عبد الملك ٨٤٢/٣ محبوسًا فى حبس الرشيد ؛ فلما تُوُفِّىَ الرشيد ، وأفضى الأمر إلى محمد أمر

(١) ط : « الشرق » ، وما أثبته من ا .

بتخلية سبيله ؛ وذلك فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين ومائة ، فكان عبد الملك يشكر ذلك لمحمد، ويوجب به على نفسه طاعته ونصيحته — فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنّى أرى الناس قد طمعوا فيك وأهل العسكرين قد اعتمدوا ذلك ، وقد بذلتَ سماحتك ؛ فإن أتممت على أمرك أفسدتهم وأبطرتهم ، وإن كففت أمرك عن العطاء والبذل أسخطتَهم وأغضبتَهم ؛ وليس تُملك الجنود بالإمساك ، ولا يبقى ثبوت الأموال على الإنفاق والسرف ؛ ومع هذا فإن جندك قد رعبتْهم الهزائم ، ونهكتْهم وأضعفتهم الحرب والوقائع ؛ وامتلأت قلوبهم هيبةً لعدوّهم ، ونكولا عن لقائهم ومناهضتهم ؛ فإن سيّرتهم إلى طاهر غلب بقليل مَنْ معه كثيرَهم ، وهزم بقوّة نيّتِه ضَعْفَ نصائحهم ونيّاتهم ، وأهلُ الشأم قوم قد ضرّستهم الحروب ، وأدّبتهم الشدائد ، وجلّهم منقاد إلىّ ، مسارع إلى طاعتى ، فإن وجّهنى أمير المؤمنين اتخذت له منهم جنداً تَعظم نكايتهم فى عدوّه ، ويؤيد الله بهم أولياءه وأهل طاعته . فقال محمد : فإنى موليك أمرَهم ، ومقوّيك بما سألت من مال وعُدّة ، فعجّل الشخوص إلى ما هنالك ؛ فاعمل عملا يَظهر أثرُه ، ويُحمَد بركته برأيك ونظرك فيه إن شاء الله . فولاّه الشأم والجزيرة ، واستحثّه بالخروج استحثاثاً شديداً ، ووجّه معه كنَفاً من الجند والأبناء .

* * *

وفى هذه السنة سار عبد الملك بن صالح إلى الشأم ، فلما بلغ الرقة أقام بها . وأنفذ رسله وكتبه إلى رؤساء أجناد أهل الشام بجمع الرّجال بها ، وإمداد محمد بهم لحرب طاهر .

* ذكر الخبر عن ذلك :

قد تقدّم ذكرى سببَ توجيه محمد إياه لذلك ؛ فذكر داود بن سليمان أنه لما قدم عبد الملك الرّقة ، أنفذ رسلَه ، وكتب إلى رؤساء أجناد الشأم ووجوه الجزيرة ، فلم يبقَ أحد ممّن يرجَى ويذكر بأسه وغناؤه إلا وعده وبسط له فى أمله وأمنيته ، فقدموا عليه رئيساً بعد رئيس ، وجماعة بعد جماعة ؛ فكان لا يدخل عليه أحدٌ إلا أجازه وخلع عليه وحمله ؛ فأتاه أهلُ الشأم : الزواقيل والأعراب من كلّ فجّ ، واجتمعوا عنده حتى كثروا . ثم إن

٨٤٣/٣

بعضَ جند أهل خُراسان نظر إلى دابّة كانت أخِذت منه فى وقعة سليمان بن أبى جعفر تحت بعض الزواقيل ؛ فتعلّق بها ، فجرى الأمر بينهما إلى أن اختلفا ؛ واجتمعت جماعة من الزّواقيل والجند ، فتلاحموا ، وأعان كلّ فريق منهم صاحبَه ، وتلاطموا وتضاربوا بالأيدى ، ومشى بعض الأبناء إلى بعض ، فاجتمعوا إلى محمد بن أبى خالد ، فقالوا : أنت شيخنا وفارسنا ؛ وقد ركب الزواقيلَ منّا ما قد بلغك ؛ فاجمع أمرنا وإلا استذلّونا ، وطمعوا فينا ، وركبوا بمثل هذا فى كلّ يوم . فقال : ما كنت لأدخل فى شَغْب ، ولا أشاهدكم على مثل الحالة . فاستعدّ الأبناء وتهيئوا ، وأتوا الزواقيل وهم غارّون ، فوضعوا فيهم السيوف ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وذبحوهم فى رحالهم ، وتنادى الزواقيل ، فركبوا خيولَهم ، ولبسوا أسلحتهم ، ونشبت الحرب بينهم . وبلغ ذلك عبد الملك بن صالح ، فوجّه إليهم رسولا يأمرهم بالكفّ ووضع السلاح ، فرموْه بالحجارة ، واقتتلوا يومهم ذلك قتالا شديداً ، وأكثرت الأبناء القتل فى الزواقيل ؛ فأخبِر عبد الملك بكثرة مَنْ قتل —وكان مريضًا مدنَفًا— فضرب بيده على يد ، ثم قال : واذلاّه ! تستضام العرب فى دارها ومحلّها وبلادها ! فغضب من كان أمسك عن الشرّ من الأبناء ، وتفاقم الأمر فيما بينهم ، وقام بأمر الأبناء الحسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان ، وأصبح الزّواقيل ؛ فاجتمعوا بالرَّقة ، واجتمع الأبناء وأهل خُراسان بالرافقة ؛ وقام رجل من أهل حمْص ، فقال : يا أهلَ حمْص ؛ الهرب أهْوَنُ من العطب ، والموتُ أهون من الذّل ؛ إنكم بعُدتم عن بلادكم ، وخرجتم من أقاليمكم ، ترجون الكثرة بعد القلّة والعزّة بعد الذلة ! ألا وفى الشرّ وقعتم ، وإلى[1] حوْمة الموت أنختم . إنّ المنايا فى شوارب المسوّدة وقلانسهم . النفير النفير ، قبل أن ينقطع السبيل ، وينزل الأمر الجليل ، ويفوت المطلب ، ويعسر المذهب[2] ، ويبعد العمل ، ويقترب الأجل !

٣/٨٤٤

وقام رجل من كلب فى غَرْز ناقته ، ثم قال :

شُؤبُوبُ حَرْبٍ خابَ من يَصْلاها قَدْ شَرَّعَتْ فُرْسانُها قَناها

(١) ابن الأثير : « وفى » . (٢) ابن الأثير : « المهرب » .

فأوْرَدَ اللهُ لظًى لظـاها إن غُمِرَت كلبٌ بها لحَاها

ثم قال : يا معشرَ كلْب ؛ إنها الرّاية السوداء؛ والله ما ولّت ولا عدَلْت ولاذلّ ناصرها(١) ، ولا ضعف وليُّها ، وإنكم لتعرفون مواقعَ سيوف أهل خُراسان فى رقابكم ، وآثار أسنَّتهم فى صدوركم . اعتزلوا الشرّ قبل أن يعظم ، وتخطّوْه قبل أن يضطرم . شأمَكم شأمكم ، داركم داركم! الموت الفلسطينىّ خير من العيش الجزَرىّ . ألا وإنى راجع ، فمن أراد الانصراف فلينصرف معى .

٣/٨٤٥

ثم سار وسار معه عامة أهل الشأم ، وأقبلت الزّواقيل حتى أضرموا ما كان التّجار جمعوا من الأعلاف بالنار ، وأقام الحسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان مع جَماعة أهل خراسان والأبناء على باب الرافقة تخوّفًا لطوق بن مالك . فأتى طوقًا رجلٌ من بنى تَغلِب ، فقال : ألا ترى ما لقيت العرب من هؤلاء ! انهض فإنّ مثلك لا يقعد عن هذا الأمر ، قد مدّ أهلُ الجزيرة أعينَهم إليك ، وأمّلُوا عونَك ونصرَك . فقال : والله ما أنا من قيسها ولا يمنِها ؛ ولا كنت فى أوّل هذا الأمر لأشهدَ آخره ؛ وإنى لأشدّ إبقاء على قومى ، وأنظرُ لعشيرتى منْ أن أعرِّضهم للهلاك بسبب هؤلاء السفهاء من الجند وجهال قيس ، وما أرى السّلامة إلا فى الاعتزال .

وأقبل نصر بن شبث فى الزّواقيل على فرس كُمَيت أغرّ ، عليه درّاعة سوداء قد ربطها خلْف ظهره ، وفى يده رُمح وترْس ، وهو يقول :

فُرسانَ قَيْسٍ اَصْمُدُنّ للموت لا تُرْهِبُنى عَن لِقاءِ الفَوتْ

* دَعى التَّمَنِّى بِعَسَى وَلَيْتْ(٢) *

ثم حمل هو وأصحابُه ، فقاتل قتالا شديداً ، فصبر لهم الجند ، وكثر القتل فى الزّواقيل ، وحملت الأبناء حملات ، فى كلّها يقتلون ويجرحون؛ وكان أكثر القتل والبلاء فى تلك الدفعة لكثير بنٍ قادرة وأبى الفيل وداود بن موسى ابن عيسى الخُراسانىّ ، وانهزمت الزواقيل ، وكان على حاميتهم يومئذ نصر ابن شبث وعمرو السلمىّ والعباس بن زفر .

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « نصرها » .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط : التحنى .

٨٤٦/٣ وتوفِّىَ فى هذه السنة عبد الملك بن صالح .

* * *

[ذكر خلع الأمين والمبايعة للمأمون]

وفى هذه السنة خُلع محمد بن هارون ، وأخِذت عليه البيعة لأخيه عبد الله المأمون ببغداد .

وفيها حُبس محمد بن هارون فى قصر أبى جعفر مع أم جعفر بنت جعفر ابن أبى جعفر .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه :

ذُكر عن داود بن سليمان أنّ عبدالملك بن صالح لما تُوُفِّىَ بالرّقة ، نادى الحسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان فى الجند ، فصيّر الرّجّالة فى السفن والفرسان على الظهر ووصلهم ، وقوّى ضعفاءهم ، ثم حملهم حتّى أخرجهم من بلاد الجزيرة ؛ وذلك فى سنة ست وتسعين ومائة .

وذكر أحمد بن عبد الله ، أنه كان فيمن شهد مع عبد الملك الجزيرة لمّا انصرف بهم الحسين بن علىّ ، وذلك فى رجب من سنة ست وتسعين ومائة. وذكر أنه تلقاه الأبناء وأهل بغداد بالتكرمة والتعظيم ، وضربوا له القِباب ، واستقبله القوّاد والرؤساء والأشراف ، ودخل منزله فى أفضل كرامة وأحسن هيئة ؛ فلما كان فى جوف الليل بعث إليه محمد يأمره بالركوب إليه ؛ فقال للرسول : والله ما أنا بمغنّ ولا بمسامر ولا مضحك ؛ ولا ولِيتُ له عملا ، ولا جرى له على يدى مال ؛ فلأىّ شىء يريدنى فى هذه الساعة ! انصرف ؛ فإذا أصبحتُ غدوتُ إليه إن شاء الله .

فانصرف الرسول ، وأصبح الحسين فوافى بابَ الجسر ، واجتمع إليه النّاس ، فأمر بإغلاق الباب الذى يخرج منه إلى قصر عبد الله[1] بن علىّ وباب سوق يحيى ، وقال : يا معشَر الأبناء ؛ إن خلافة الله لا تجاور بالبطر ، ونِعَمه ٨٤٧/٣

---

(١) ط : « عبيد الله » ، وهو عبد الله بن على بن عيسى بن ماهان ؛ وانظر ص ٤١٢ .

لا تستصحَب بالتجبر والتكبر ؛ وإن محمداً يريد أن يوتغ أديانكم ، وينكث بيعتكم ، ويفرّق جمعكم ؛ وينقل عزّكم إلى غيركم ؛ وهو صاحب الزّواقيل بالأمس ، وبالله إن طالت به مدّة وراجعه من أمره قوة ، ليرجعنّ وبال ذلك عليكم ؛ وليعرفنّ ضرره ومكروهه فى دولتكم ودعوتكم ؛ فاقطعوا أثرَه قبل أن يقطع آثاركم ، وضعوا عزّه قبل أن يضع عزّكم ، فوالله لا ينصره منكم ناصرٌ إلا خُذِل ، ولا يمنعه مانع إلا قُتِل ؛ وما عند الله لأحد هوادة ، ولا يراقب على الاستخفاف بعهوده والحنْث بأيمانه . ثم أمر الناس بعبُور الجسر فعبروا ؛ حتّى صاروا إلى سِكة باب خُراسان ؛ واجتمعت الحربية وأهل الأرْباض ممّا يلى باب الشأم ، [وباب الأنبار وشطّ الصراة مما يلى باب الكوفة][١] .

وتسرّعت خيول من خيول محمد من الأعراب وغيرهم إلى الحسين بن علىّ ؛ فاقتتلوا قتالا شديداً مليًّا من النهار ، وأمر الحسين مَنْ كان معه من قوّاده وخاصة أصحابه بالنزول فنزلوا إليهم بالسّيوف والرماح ، وصدَقوهم القتال ، وكشفوهم حتّى تفرّقوا عن باب الخلد .

قال : فخلع الحسين بن علىّ محمدًا يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلَت من رجب سنة ست وتسعين ومائة ، وأخذ البيْعة لعبد الله المأمون من غد يوم الاثنين إلى الليل ، وغدا إلى محمد يوم الثلاثاء ، فوثب بعد الوقعة التى كانت بين الحسين وبين أصحاب محمد العباس بن موسى بن عيسى الهاشمىّ على محمّد ، ودخل عليه فأخرجه من قصر الخُلْد إلى قصر أبى جعفر ، فحبسه هناك إلى صلاة الظهر ، ثم وثب العباس بن موسى بن عيسى على أمّ جعفر فأمرها بالخروج من قصرها إلى مدينة أبى جعفر ، فأبت ، فدعا لها بكرسىّ ، ٨٤٨/٣ وأمرها بالجلوس فيه ، فقنعها بالسوْط وساءها ، وأغلظ لها القول ، فجلست فيه ، ثم أمر بها فأدخلت المدينة مع ابنها وولدها . فلما أصبح الناس من الغد طلبوا من الحسين بن علىّ الأرزاق وماجَ الناس بعضهم فى بعض ، وقام محمد بن أبى خالد بباب الشأم ، فقال : أيها الناس ؛ والله ما أدرى بأى سبب يتأمّر الحسين بن علىّ علينا ، ويتولى هذا الأمر دوننا ! ما هو بأكبرنا سنًّا ، ولا أكرمنا حسبًا ، ولا أعظمنا منزلة ، وإن فينا مَنْ لا يرضى بالدنيّة ، ولا يقاد بالمخادعة ؛

---

(١) من ا .

وإنى أوّلكم نقضَ عهده، وأظهر التغيير[1] عليه، والإنكار لفعله ؛ فمن كان رأيه رأيى فليعتزل معى .

وقام أسد الحربىّ، فقال : يا معشر الحربيّة، هذا يوم له ما بعده ، إنكم قد نمتم وطال نومكم ، وتأخّرتم فقدِّم عليكم غيركم ، وقد ذهب أقوام بذكر خَلْع محمد وأسره ، فاذهبوا بذكر فكّه وإطلاقه .

فأقبل شيخ كبير من أبناء الكفاية[2] على فَرَس ، فصاح بالناس : اسكتوا ، فسكتوا ، فقال : أيّها الناس ، هل تعتدون على محمد بقطعٍ منه لأرزاقكم ؟ قالوا : لا ، قال : فهل قصّر بأحد منكم أو من رؤسائكم وكبرائكم ؟ قالوا : ما علمنا ، قال : فهل عزل أحداً من قوّادكم ؟ قالوا : معاذ الله أن يكون فعل ذلك ! قال : فما بالكم خذلتموه وأعنتُم عدوّه على اضطهاده وأسره! أما والله ما قتَل قومٌ خليفتَهم قطّ إلا سلّط الله عليهم السيف القاتل، والحتف الجارف ؛ انهضوا إلى خليفتكم وادفعوا عنه ، وقاتلوا مَنْ أراد خلعه والفتك به. ٨٤٩/٣ ونهضت الحربيّة ، ونهض معهم عامّة أهل الأرباض فى المشهّرات والعُدّة الحسنة . فقاتلوا الحسين بن علىّ وأصحابَه قتالا شديداً منذ ارتفاع النهار إلى انكسار الشمس ، وأكثروا فى أصحابه الجِراح ، وأسِر الحسين بن علىّ ، ودخل أسد الحربىّ على محمد ، فكسر قيودَه وأقعده فى مجلس الخلافة ؛ فنظر محمد إلى قوم ليس عليهم لباس الحرب والجند ، ولا عليهم سلاح ؛ فأمرهم فأخذوا من السلاح الذى فى الخزائن حاجتَهم ووعدهم ومنّاهم ، وانتهب الغوغاء بذلك السبب سلاحًا كثيراً ومتاعًا من خزّ وغير ذلك ؛ وأتِىَ بالحسين بن علىّ ، فلامه محمد على خلافه وقال له : ألم أقدّم أباك على الناس ، وأوله أعنّة الخيل وأملأ يده من الأموال ، وأشرّف أقداركم فى أهل خراسان ، وأرفع منازلَكم على غيركم من القوّاد ! قال : بلى ، قال : فما الذى استحققتُ به منك أن تخلع طاعتى ، وتؤلّب الناس علىّ ، وتندبهم إلى قتالى ! قال : الثقة بعفو أمير المؤمنين وحسن الظن بصفحه وتفضله . قال : فإن أمير المؤمنين قد فعل ذلك بك ، وولاّك الطلب بثأرك ، ومن قتِل من أهل بيتك . ثم دعا له بخِلْعة فخلعها

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « التعبير » . (٢) ا : « الكعبة »

عليه ، وحمله على مراكب ، وأمره بالمسير إلى حُلوان ، وولاّه ما وراء بابه .

وذُكر عن عثمان بن سعيد الطائىّ ، قال : كانت لى من الحسين بن علىّ ناحية خاصّة ، فلما رضى عنه محمد ، وردّ إليه قيادته ومنزلته ، عبرت إليه مع المهنئين ، فوجدته واقفًا بباب الجسر ، فهنّأته ودعوت له ، ثم قلت له : إنكَ قد أصبحت سيدّ العسكرين ، وثقة أمير المؤمنين ، فأشكر العفو والإقالة ، ثم داعبتُه ومازحته ، ثم أنشأت أقول : ٨٥٠/٣

هُمُ قتَلوه حين تَمَّ تمامُه وصار مُعزًّا بالنَّدَى والتَّمَجُّدِ
أَغَرُّ كأَنَّ البدرَ سُنَّةُ وَجْهِه إذا جاء يمشى فى الحديد المُسرَّد
إذا جَشَأَت نفسُ الجَبانِ وَهَلَّلتْ مَضَى قُدُماً بالمَشرَفىّ المُهنَّدِ
حليمٌ لدَى النادِى جَهُولٌ لدَى الوغَى عَكورٌ على الأَعداء قليلُ التَّزَيدِ
فَشَأْرَكَ أَدرِكْهُ مِنَ القَوم إنَّهمْ رَموكَ على عَمْدٍ بِشَنعَا مُزَنّدِ

فضحك ، ثم قال : ما أحرصَنى على ذاك إن ساعدنى عُمْر ، وأيِّدت بفتْح ونَصْر . ثم وقف على باب الجسر ، وهرب فى نفر من خدمه ومواليه ، فنادى محمد فى الناس ، فركبوا فى طلبه ، فأدركوه بمسجد كوثر ، فلما بصر بالخيل نزل وقيّد فرَسه ، وصلى ركعتين وتحرّم ، ثم لقيهم فحمل عليهم حملات فى محلّها يهزمهم ويقتل فيهم . ثم إنّ فرسه عثر به وسقط ، وابتدره الناس طعنًا وضربًا وأخذوا رأسه ، وفى ذلك يقول علىّ بن جبلة — وقيل الخرَيمىّ[1] : ٨٥١/٣

أَلا قاتَلَ اللهُ الأُلَى كفروا به وفازوا برأس الْهَرْثَمِىِّ حُسَيْنِ
لقد أَورَدُوا منهُ قناةً صليبةً بِشَطبٍ يَمانىٍّ ورمحٍ رُدَيْنِى
رَجا فى خِلافِ الحقِّ عِزًّا وإمْرَةً فأَلبسهُ التأْمِيلُ خُفَّ حُنَين

وقيل : إن محمداً لما صفح عن الحسين استوزره ودفع إليه خاتمه .

وقتل الحسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان للنصف من رجب من هذه

(١) ط : « الخزيمى » ، بالزاى ، تحريف ، وهو أبو يعقوب إسحاق بن حسان الشاعر ، منسوب إلى خريم بن عامر المرى . تاريخ بغداد ٦ : ٣٢٦ .

السنة فى مسجد كوثر ، وهو على فرسخ من بغداد فى طريق النّهرين .

وجدّد البيعة لمحمد يوم الجمعة لست عشرة خلت من رجب من هذه السنة ، وكان حبس الحسين محمداً فى قصر أبى جعفر يومين .

وفى اللّيلة التى قتِل فيها حسين بن علىّ هرب الفضل بن الربيع .

وفى هذه السنة توجّه طاهر بن الحسين حين قدم عليه هَرْثَمة من حُلوان إلى الأهواز ، فقتَل عامل محمد عليها ، وكان عامله عليها محمد بن يزيد المهلبىّ بعد تقديم طاهر جيوشاً أمامه إليها قبل انفصاله إليه لحربه .

* * *

ذكر الخبر عن مقتل محمد بن يزيد المهلبىّ ودخول طاهر إلى الأهواز

ذُكر عن يزيد بن الحارث ، قال : لما نزل طاهر شلاشان ، وجّه الحسين ابن عمر الرستمىّ إلى الأهواز ، وأمره أن يسير سيراً مقتصداً ، ولا يسير إلاّ بطلائع ، ولا ينزل إلا فى موضع حَصِين يأمن فيه على أصحابه. فلما توجّه أتت طاهراً عيونه ، فأخبروه أن محمد بن يزيد المهلبىّ — وكان عاملا لمحمد على الأهواز — قد توجّه فى جمع عظيم يريد نزول جندى سابور — وهو حدّ ما بين الأهواز والجبل — ليحمى الأهواز ، ويمنع من أراد دخولها من أصحاب طاهر ؛ وإنه فى عدّة وقوّة ، فدعا طاهر عدّةً من أصحابه ؛ منهم محمد بن طالوت ومحمد بن العلاء والعباس بن بخاراخذاه والحارث بن هشام وداود بن موسى وهادى بن حفص ، وأمرهم أن يكمّشوا السَّير[1] حتى يتّصل أوّلهم بآخر أصحاب الحسين بن عمر الرّستمىّ ، فإن احتاج إلى إمداد أمدّوه ، أو لقيه جيش كانوا ظهرًا له . فوجّه تلك الجيوش ، فلم يلقهم أحدٌ حتى شارفوا الأهواز .

٣/٨٥٢

وبلغ محمد بن يزيد خبرُهم ، فعرض أصحابَه ، وقوّى ضعفاءهم ، وحمل الرجّالة على البغال ، وأقبل حتى نزل سوق عسكر مُكرَم ، وصيّر العمران والماء وراء ظهره ، وتخوّف طاهر أن يعجل إلى أصحابه ، فأمدّهم بقريش بن شبل ، وتوجّه هو بنفسه حتى كان قريباً منهم ، ووجّه الحسن بن علىّ المأمونىّ ،

---

(١) أن يكمشوا السير ، أى أن يسرعوا .

وأمره بمضامّة قريش بن شبل والحسين بن عمر الرستميّ ، وسارت تلك العساكر
حتّى قاربوا محمد بن يزيد بعسكر مُكرم ؛ فجمع أصحابه فقال : ما ترون ؟ ٣/٨٥٣
أطاول القوم القتال وأماطلهم اللقاء ، أم أناجزهم كانت لى أم علىّ ؟ فوالله ما أرى
أن أرجع إلى أمير المؤمنين أبدًا ، ولا أنصرف عن الأهواز ، فقالوا له : الرأى
أن ترجع إلى الأهواز ؛ فتتحصن بها وتغادى طاهراً القتال وتبعث إلى البصرة
فتفرض بها الفروض ، وتستجيش من قدرت عليه وتابعك من قومك . فقبل
ما أشاروا عليه ، وتابعه قومه ، فرجع حتّى صار بسوق الأهواز . وأمر طاهر
قريش بن شبل أن يتبعه ، وأن يعاجله قبل أن يتحصّن بسوق الأهواز ، وأمر
الحسن بن علىّ المأمونىّ والحسين بن عمر الرستمىّ أن يسيرا بعقبه[1] ؛ فإن احتاج
إلى معونتهما أعاناه . ومضى قريش بن شبل يقفو محمد بن يزيد ، كلّما
ارتحل محمد بن يزيد من قرية نزلها قريش ؛ حتّى صاروا إلى سوق الأهواز .

وسبق محمد بن يزيد إلى المدينة فدخلها ، واستند إلى العمران ، فصيّره
وراء ظهره ، وعبّى أصحابه ، وعزم على مواقعتهم ؛ ودعا بالأموال فصبّت بين
يديه ، وقال لأصحابه : مَنْ أحبّ منكم الجائزة والمنزلة فليعرفنى أثره . وأقبل
قريش بن شبل حتى صار قريبًا منه ، وقال لأصحابه : الزموا مواضعكم ومصافّكم ،
وليكن أكثر ما قاتلتموهم وأنتم مريحون ، فقاتلوهم بنشاط وقوّة ؛ فلم يبق أحدٌ
من أصحابه إلاّ جمع بين يديه ما قدر عليه من الحجارة ، فلم يعبر إليهم محمد بن
يزيد ، حتى أوهنوهم بالحجارة ، وجرحوهم جراحاتٍ كثيرة بالنُّشاب ، وعبرت
طائفة من أصحاب محمد بن يزيد ، فأمر قريشٌ أصحابَه أن ينزلوا إليهم
فنزلوا إليهم . فقاتلوهم قتالاشديداً حتى رجعوا ، وترادّ الناس بعضهم إلى بعض .
والتفت محمد بن يزيد إلى نفر كانوا معه من مواليه ؛ فقال : ما رأيكم ؟ قالوا : ٣/٨٥٤
فيماذا ؟ قال : إنى أرى من معى قد انهزم ، ولست آمنُ من خذلانهم ،
ولا آمُل رجعتهم ، وقد عزمت على النزول والقتال بنفسى ، حتى يقضى الله
ما أحبّ ، فمن أراد منكم الانصراف فلينصرف ؛ فوالله لأن تبقوا أحبّ إلىّ من
أن تعطبوا وتهلكوا . فقالوا : والله ما أنصفناكَ ، إذًا تكون أعتقتنا من الرّق

(١) ا : « لمعونته » .

ورفعتنا من الضّعة، ثم أغنيتنا بعد القِلّة، ثم نخذلك على هذه الحال؛ بل نتقدّم أمامك ونموت تحت ركابك؛ فلعن الله الدنيا والعيش بعدك. ثم نزلوا فعرقبوا دوابَّهم، وحملوا على أصحاب قريش حملةً منكَرة، فأكثروا فيهم القتل، وشدخوهم بالحجارة وغير ذلك؛ وانتهى بعض أصحاب طاهر إلى محمد بن يزيد، فطعنه بالرمح فصرعه؛ وتبادروا إليه بالضّرب والطعن حتى قتلوه؛ فقال بعض أهل البصرة يرثيه، ويذكر مقتله:

مَن ذاقَ طعم الرُّقادِ مِن فَرَحٍ ... فإننى قد أضرَّ بى سَهَرِى
ولَّى فتَى الرُّشدِ فافتَقَدتُ به ... قلبى وسمعى وغرّنى بصرى[1]
كانَ غِياثاً لدَى المُحولِ فقد ... ولَّى غمامُ الرَّبيعِ والمطَر
وَفى العُيَيْنِىُّ للإمامِ ولم[2] ... يُرهِبْهُ وقْعُ المُشَطَّبِ الذَّكَرِ
سَاوَرَ رَيبُ المَنونِ دَاهِيَةً ... لولا خُضُوعُ العِبادِ للقَدَرِ
فامضِ حميدًا فكلُّ ذى أَجلٍ ... يَسْعَى إلى ما سَعَيتَ بالأَثَرِ

وقال بعض المهالبة؛ وجرح فى تلك الوقعة جراحات كثيرة وقطعت يده:

٣/٨٥٥ فما لمتُ نفسى غيرَ أنِّى لم أُطِقْ[3] ... حرَاكًا وأنى كنتُ بالضَّرْب مثخنَا
ولو سَلِمَتْ كفَّاىَ قاتلتُ دونه ... وضارَبتُ عنه الطاهِرِىَّ المُلَعَّنا
فتًى لا يَرَى أنْ يَخذِلَ السيفَ فى الوغى ... إذَا ادَّرَعَ الهيجاءَ فى النقع واكتَنَى

وذكر عن الهيثم بن عدىّ، قال: لما دخل ابن أبى عيينة على طاهر فأنشده قوله:

مَن آنسَتْه البلادُ لم يَرِمِ ... منها ومَن أَوحَشَتْهُ لم يُقِمِ

حتى انتهى إلى قوله:

ما ساءَ ظَنِّى إلا لواحــدةٍ ... فى الصَّدرِ محصورةٍ عنِ الكلِمِ

فتبسّم طاهر، ثم قال: أما والله لقد ساءنى من ذلك ما ساءك، وآلمنى ما آلمك؛ ولقد كنت كارهًا لما كان، غير أن الحتف واقع، والمنايا نازلة،

---

(١) ط: «وعزنى». (٢) ا: «العتيكى». (٣) ط: «أنى»، وصوابه من ا.

ولا بدّ من قَطْع الأواصر والتنكّر (١) للأقارب فى تأكيد الخلافة، والقيام بحقّ الطاعة ؛ فظننّا أنه يريد محمد بن يزيد بن حاتم .

وذكر عمر بن أسد ، قال : أقام طاهر بالأهواز بعد قتله محمد بن يزيد ابن حاتم ، وأنفذ عمّاله فى كُورها ، وولّى على اليمامة والبحرين وعُمان مما يلى الأهواز ، ومما يلى عمل البصرة ، ثم أخذ على طريق البرّ متوجّهًا إلى واسط ، وبها يومئذ السندىّ بن يحيى بن الحَرشىّ والهيثم خليفة خزيمة بن خازم ؛ فجعلت المسالح والعمال تتقوّض، مسلحة مسلحة ، وعاملا عاملا ، كلّما قرب طاهر منهم تركوا أعمالهم وهربوا عنها ؛ حتى قرب من واسط ، فنادى السندىّ بن يحيى والهيثم بن شعبة فى أصحابهما ، فجمعاهم إليهما ؛ وهمّا بالقتال ، وأمر الهيثم بن شعبة صاحب مراكبه أن يسرج له دوابه ، فقرّب إليه فرسًا ، فأقبل يقسم طرفه بينها ، واستقبلته عدّة ، فرأى المراكبىّ التغيّر والفزع فى وجهه فقال : إنْ أردت الهرب فعليك بها ؛ فإنها أبسط فى الركض ، وأقوى على السفر . فضحك ثم قال : قرّب فرس الهرب ؛ فإنّه طاهر ، ولا عار علينا فى الهرب منه ، فتركا واسطاً ، وهربا عنها . ودخل طاهر واسطًا ، وتخوّف إن سبق الهيثم والسندىّ إلى فم الصِّلح فيتحصّنا بها . فوجّه محمدَ بن طالوت ، وأمره أن يبادرهما إلى فم الصِّلح ، ويمنعهما من دخولها إن أرادا ذلك ، ووجّه قائدًا من قوّاده يقال له أحمد بن المهلب نحو الكوفة ، وعليها يومئذ العباس بن موسى الهادى ؛ فلمّا بلغ العباس خبر أحمد بن المهلب خلع محمداً ، وكتب بطاعته إلى طاهر وببيعته للمأمون ؛ ونزلت خيل طاهر فم النيل ، وغلب على ما بين واسط والكوفة ، وكتب المنصور بن المهدىّ — وكان عاملاً لمحمد على البصرة — إلى طاهر بطاعته، ورحل طاهر حتى نزل طرنايا ؛ فأقام بها يومين فلم يرها موضعًا للعسكر ، فأمر بجسر فعقد وخندق له ، وأنفذ كتبه بالتولية إلى العمال .

٣/٨٥٦ ٣/٨٥٧

وكانت بيعة المنصور بن المهدىّ بالبصرة وبيعة العباس بن موسى الهادى

(١) ط : « والشكر » .

بالكوفة ، وبيعة المطلب بن عبد الله بن مالك بالموصل للمأمون ، وخلعهم محمداً في رجب من سنة ست وتسعين ومائة .

وقيل : إنّ الذى كان على الكوفة حين نزل طاهر من قبَل محمدالفضل بن العباس بن موسى بن عيسى .

ولما كتب من ذكرت إلى طاهر ببيعتهم للمأمون وخلعهم محمداً، أقرّهم طاهر على أعمالهم ، وولّى داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على الهاشمىّ مكة والمدينة، ويزيد بن جرير البَجَلىّ اليَمن، ووجّه الحارث بن هشام وداود ابن موسى إلى قصر ابن هبيرة .

* * *

[ذكر خبراستيلاء طاهر على المدائن ونزوله بصرصر]

وفى هذه السنة أخذ طاهر بن الحسين من أصحاب محمد المدائن ؛ ثم صار منها إلى صَرْصر ، فعقد جسراً ، ومضى إلى صَرْصر .

* ذكر الخبر عن سبب دخوله المدائن ومصيره إلى صرصر :

ذُكر أنّ طاهراً لما وجّه إلى قصر ابن هبيرة الحارث بن هشام وداود بن موسى ، وبلغ محمداً خبرُ عامله بالكوفة وخلعه إياه وبيعته للمأمون ، وجّه محمد ابن سليمان القائد ومحمد بن حماد البربرىّ ، وأمرهما أن يبيّتا الحارث وداود بالقَصْر ، فقيل لهما : إن سلكتما الطريق الأعظم لم يخفَ ذلك عليهما ؛ ولكن اختصر الطريق إلى فم الجامع ، فإنه موضع سوق ومعسكر ، فانزلاه وبيّتاهما إن أردتما ذلك ، وقد قربتما منهما ، فوجّها الرّجال من الياسريّة إلى فم الجامع . وبلغ الحارث وداود الخبر ، فركبا فى خيل مجرّد ، وتهيآ للرّجالة ، فعبرا من مخاضة فى سُوراء إليهم ؛ وقد نزلوا إلى جَنْبها ، فأوقعا بهم وقعة شديدة . ووجّه طاهر محمد بن زياد ونصير بن الخطاب مدداً للحارث وداود ، فاجتمعت العساكر بالجامع ، وساروا حتى لقوا محمد بن سليمان ومحمد بن حمّاد فيما ما بين نهر دُرْقيط والجامع ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وانهزم أهلُ بغداد ، وهرب ٣/٨٥٨

محمد بن سليمان حتى صار إلى قرية شاهى ، وعبر الفرات ، وأخذ على طريق البرّية إلى الأنبار ، ورجع محمد بن حماد إلى بغداد ، وقال أبو يعقوب الخرَيميّ فى ذلك :

هُمَا عَدَوا بالنّكث كى يَصدَعا به صفَا الحقِّ فانفَضّا بجمعٍ مُبَدَّدِ
وأفلتَنَا ابن البَربرىِّ مُضَمَّرٌ مِنَ الخيل يَسمُو للجيادِ ويَهتَدِى[1]

وذكر يزيد بن الحارث ، أنّ محمد بن حماد البربرىّ لما دخل بغداد ، وجّه محمدٌ المخلوع الفضلَ بن موسى بن عيسى الهاشمىّ إلى الكوفة ، وولاّه عليها ، وضمّ إليه أبا السلاسل وإياس الحرابىّ وجمهورًا النجارىّ ؛ وأمره بسرعة السير ؛ فتوجّه الفضل ؛ فلمّا عبر نهر عيسى عثَر به فرسُه ، فتحوّل منه إلى غيره وتطيّر ، وقال : اللهمّ إنى أسألك بركة هذا الوجه . وبلغ طاهراً الخبرُ ، فوجّه محمد بن العلاء ، وكتب إلى الحارث بن هشام وداود بن موسى بالطاعة له ، فلقى محمد بن العلاء الفضل بقرية الأعراب ، فبعث إليه الفضل : إنى سامع مطيع لطاهر ؛ وإنما كان مخرجى بالكيد منى لمحمد ؛ فخلّ لى الطريق حتى أصير إليه ، فقال له محمد : لستُ أعرف ما تقول ولا أقبله ولا أنكره ؛ فإن أردت الأمير طاهراً فارجع وراءك ؛ فخذ أسهلَ الطريق وأقصدَها ، فرجع وقال محمد لأصحابه : كونوا على حذر ؛ فإنى لست آمن مكرَ هذا ؛ فلم يلبث أن كبّر وهو يرى أن محمد بن العلاء قد أمِنَه ، فوجده على عدّة وأهبة ؛ واقتتلوا كأشدّ ما يكون من القتال ، وكبا بالفضل فرسُه ؛ فقاتل عنه أبو السلاسل حتى ركب ، وقال : أذكر هذا الموقف لأمير المؤمنين . وحمل أصحابُ محمد ابن العلاء على أصحاب الفضل فهزموه ، ولم يزالوا يقتلونهم إلى كُوثَى ، وأسِر فى تلك الوقعة إسماعيل بن محمد القرشىّ وجمهور النجارىّ ، وتوجّه طاهر إلى المدائن ، وفيها جند كثير من خيول محمد ؛ عليهم البرمكىّ قد تحصن بها ، والمدد يأتيه فى كلّ يوم ، والصِّلات والخلع من قِبَل محمد . فلما قرب طاهر من المدائن — وكان منها على رأس فرسخين — نزل فصلى ركعتين ، وسبّح فأكثر التسبيح ، فقال : اللهمّ إنا نسألك نصراً كنصرك المسلمين يوم المدائن . ووجّه

٣/٨٥٩

(١) ا : « يسمو للحياد » .

الحسَن بن علىّ المأمونىّ وقريش بن شبل ، ووجّه الهادى بن حفص على مقدّمته وسار . فلما سمع أصحابُ البرمكىّ صوتَ طبوله ، أسرجوا الدوابّ ، وأخذوا فى تعبيتهم ، وجعل مَنْ فى أوائل الناس ينضمّ إلى أواخرهم ، وأخذ البرمكىّ فى تسوية الصفوف ؛ فكلّما سوّى صفًّا انتقض واضطرب عليه أمرهم ، فقال : اللهمّ إنا نعوذ بك من الخذلان ؛ ثم التفت إلى صاحب ساقته ، فقال : خلّ سبيل الناس ؛ فإنّى أرى جنداً لا خير عندهم ؛ فركب بعضهم بعضًا نحو بغداد ، فنزل طاهر المدائن ، وقدّم منها قريش بن شبل والعباس بن بخار اخذاه إلى الدّرْزِيجان ، وأحمد بن سعيد الحَرشىّ ونصر بن منصور بن نصر بن مالك معسكران بنهر ديالى ، فمنعا أصحاب البرمكىّ من الجواز إلى بغداد ، وتقدم طاهر حتّى صار إلى الدرزيجان حيال أحمد ونصر بن منصور ، فسيّر إليهما الرجال ، فلم يجر بينهما كثيرُ قتال حتّى انهزموا ، وأخذ طاهر ذات اليسار إلى نهر صرصر ، فعقد بها جسراً ونزلها .

٨٦٠/٣

* * *

[ذكر خبر خلع داود بن عيسى الأمين]

وفى هذه السنة خلع داود بن عيسى عاملُ مكة والمدينة محمداً ــ وهو عامله يومئذ عليهما ــ وبايع للمأمونِ ، وأخذ البيعة بهما على الناس له ؛ وكتب بذلك إلى طاهر والمأمون ؛ ثم خرج بنفسه إلى المأمون .

* ذكر الخبر عن ذلك وكيف جرى الأمر فيه :

ذُكر أنّ الأمين لما أفضت الخلافة إليه ، بعث إلى مكة والمدينة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، وعزل عامل الرّشيد على مكة ؛ وكان عاملُه عليها محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومىّ ، وكان إليه الصلاة بها وأحداثها والقضاء بين أهلها ؛ فعُزل محمد عن ذلك كلّه بداود ابن عيسى ؛ سوى القضاء فإنه أقرّه على القضاء . فأقام داود واليًا على مكة والمدينة لمحمد ، وأقام للناس أيضًا الحجّ سنة ثلاث وأربع وخمس وتسعين ومائة ، فلمّا دخلت سنة ست وتسعين ومائة ، بلغه خلع عبد الله المأمون أخاه ،

٣/٨٦١ وما كان فعل طاهر بقوّاد محمد ، وقد كان محمد كتب إلى داود بن عيسى يأمره بخلع عبد الله المأمون والبيعة لابنه موسى ، وبعث محمد إلى الكتابين اللذيْن كان الرّشيد كتبهما وعلّقهما فى الكعبة فأخذهما ، فلما فعل ذلك جمع داود حَجَبَة الكعبة والقرشيِّين والفقهاء ومَنْ كان شهد على ما فى الكتابيْن من الشهود — وكان داود أحدَهم — فقال داود : قد علمتم ما أخذَ علينا وعليكم الرشيد من العهد والميثاق عند بيت الله الحرام حين بايعنا لابنيْه ؛ لنَكونَنّ مع المظلوم منهما على الظالم ، ومع المبغىّ عليه على الباغى ، ومع المغدور به على الغادر ؛ فقد رأينا ورأيتم أنّ محمداً قد بدأ بالظلم والبغى والغدر على أخويه عبد الله المأمون والقاسم المؤتمن ، وخلَعهما وبايع لابنه الطفل ؛ رضيع صغير لم يفطم ، واستخرج الشرْطين من الكعبة عاصياً ظالماً ، فحرّقهما بالنار . وقد رأيت خلعه ، وأن أبايع لعبد الله المأمون بالخلافة ؛ إذ كان مظلوماً مبغيّاً عليه . فقال له أهل مكة : رأيُنا تبعٌ لرأيك ، ونحن خالعوه معك ؛ فوعدهم صلاة الظهيرة ؛ وأرسل فى فجاج[1] مكة صائحاً يصيح : الصلاة جامعة ! فلمّا جاء وقت صلاة الظهر — وذلك يوم الخميس لسبع وعشرين ليلة خلت من رجب سنة ست وتسعين ومائة — خرج داود بن عيسى ، فصلّى بالناس صلاة الظهر ، وقد وضع له المنبر بين الرّكن والمقام ، فصعد فجلس عليه ، وأمر بوجوه الناس وأشرافهم فقربوا من المنبر ؛ وكان داود خطيباً فصيحاً جهير الصوت ؛ فلما اجتمع الناس قام خطيباً ، فقال :

الحمد لله مالك الملك ؛ يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممّن يشاء ، ويعزّ

٣/٨٦٢ من يشاء ويذلّ من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير . وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالدين ، وختم به النبيين ، وجعله رحمةً للعالمين ، صلّى الله عليه فى الأولين والآخرين . أما بعد يا أهلَ مكة ؛ فأنتم الأصل والفرع ، والعشيرة والأسرة ، والشركاء فى النعمة ، إلى بلدكم نفذ وفدُ الله ، وإلى قبلتكم يأتمّ المسلمون ، وقد علمتم ما أخذ عليكم الرّشيد هارون رحمة الله عليه وصلاتُه حين بايع لابنيه محمد وعبد الله بين أظهركم من العهد والميثاق

---

(١) ا : « إلى حجاج » .

لتنصُرنّ المظلوم منهما على الظالم ، والمبغيّ عليه على الباغى ، والمغدورَ به على الغادر ؛ ألا وقد علمتم وعلمنا أن محمد بن هارون قد بدأ بالظلم والبغى والغدر ، وخالف الشروط التى أعطاها من نفسه فى بطن البيت الحرام ؛ وقد حلّ لنا ولكم خلعُه من الخلافة وتصييرها إلى المظلوم المبغىّ عليه المغدور به .
ألا وإنى أشهدكم أنى قد خلعت محمد بن هارون من الخلافة كما خلعت قلنسوتى هذه من رأسى — وخلع قلنسوته عن رأسه فرمى بها إلى بعض الخدم تحته ، وكانت من برود حبرة مسلسلة حمراء ، وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فلبسها — ثم قال : قد بايعتُ لعبد الله عبد الله المأمون أمير المؤمنين بالخلافة ، ألا فقوموا إلى البيعة لخليفتكم .

فصعد جماعة من الوجوه إليه إلى المنبر، رجل فرجل ، فبايعه لعبد الله المأمون بالخلافة ، وخلَع محمداً ، ثم نزل عن المنبر ، وحانت صلاة العصر ، فصلّى بالناس ، ثم جلس فى ناحية المسجد ، وجعل الناس يبايعونه جماعةً بعد جماعةٍ ؛ يقرأ عليهم كتاب البَيْعة ، ويصافحونه على كفّه ، ففعل ذلك أياماً . ٣ / ٨٦٣

وكتب إلى ابنه[1] سليمان بن داود بن عيسى وهو خليفته على المدينة ، يأمره أن يفعل بأهل المدينة مثلَ ما فعل هو بأهل مكة ؛ من خلْع محمد والبيعة لعبد الله المأمون . فلما رجع جواب البيعة من المدينة إلى داود وهو بمكة ، رحَل من فوره بنفسه وجماعة من ولده يريد المأمون بمَرْو على طريق البصرة ، ثم على فارس ، ثم على كرْمان ؛ حتى صار إلى المأمون بمَرْو ، فأعلمه ببيعته وخلعه محمداً ومسارعة أهل مكة وأهل المدينة إلى ذلك ؛ فسرّ بذلك المأمون ، وتيمّن ببركة مكة والمدينة ؛ إذ كانوا أوّل من بايعه ، وكتب إليهم كتاباً ليّناً لطيفاً يَعِدهم فيه الخير ، ويبسط أملهم . وأمر أن يُكتب لداود عهد على مكة والمدينة وأعمالها من الصلاة والمعاون والجباية ، وزيد له ولاية علكّ ، وعقد له على ذلك ثلاثة ألوية ، وكتب له إلى الريّ بمعونة خمسمائة ألف درهم ، وخرج داود بن عيسى مسرعا مُغذّاً مبادراً لإدراك الحجّ ، ومعه ابن أخيه العباس بن موسى ابن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس ، وقد عقد

(١) ساقطة من ط .

المأمون للعباس بن موسى بن عيسى على ولاية الموسم ، فسار هو وعمّه داود حتى نزلا بغداد على طاهر بن الحسين ، فأكرمهما وقرّبهما ، وأحسن معونتهما ، ووجّه معهما يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القَسْرىّ ، وقد عقد له ٣/٨٦٤ طاهر على ولاية اليمن ، وبعث معه خيلاً كثيفة ، وضمن لهم يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القَسْرىّ أن يستميل قومَه وعشيرته من ملوك أهل اليمن وأشرافهم ؛ ليخلعوا محمداً ويبايعوا عبد الله المأمون .

فساروا جميعًا حتى دخلوا مكة . وحضر الحجّ ، فحجّ بأهل الموسم العباس ابن موسى بن عيسى ؛ فلما صدروا عن الحجّ انصرف العباس حتى أتى طاهر ابن الحسين — وهو على حصار محمد — وأقام داود بن عيسى على عمله بمكة والمدينة ؛ ومضى يزيد بن جرير إلى اليمن ، فدعا أهلَها إلى خَلْع محمد وبيعة عبد الله على المأمون ، وقرأ عليهم كتابًا من طاهر بن الحسين يَعدُهم العدل والإنصاف ، ويرغّبهم فى طاعة المأمون ، ويعلّمهم ما بسط المأمون من العَدل فى رعيّته ؛ فأجاب أهلُ اليمن إلى بَيْعة المأمون ، واستبشروا بذلك ، وبايعوا للمأمون ، وخلَعوا محمداً ، فسار فيهم يزيد بن جرير بن يزيد بأحسنِ سيرة ، وأظهر عَدْلا وإنصافًا ، وكتب بإجابتهم وبيعتهم إلى المأمون وإلى طاهر ابن الحسين .

* * *

وفى هذه السنة عقد محمد فى رجب وشعبان منها نحواً من أربعمائة لواء لقوّاد شتّى ، وأمّر على جميعهم علىّ بن محمد بن عيسى بن نهيك ، وأمرهم بالمسير إلى هرثمة بن أعين ، فساروا فالتقوْا بجَلُلْتا فى رمضان على أميال من النّهروان ، فهزمهم هرثمة ، وأسر علىّ بن محمد بن عيسى بن نهيك ، وبعث به هرثمة إلى المأمون ، وزحف هرثمة فنزل النهروان .

* * *

[ذكر خبر شغب الجند على طاهر بن الحسين]

وفى هذه السنة استأمن إلى محمد من طاهر جماعة كثيرة ، وشغب الجند ٣/٨٦٥

على طاهر ، ففرّق محمد فيمن صار إليه من أصحاب طاهر مالاً عظيماً ، وقوّد رجالا ، وغلّف لحاهم بالغالية ، فسمّوا بذلك قوّاد الغالية .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وإلى ما آل إليه الأمر فيه :

ذكر عن يزيد بن الحارث ، قال : أقام طاهر على نهر صَرْصر لما صار إليها ، وشمّر فى محاربة محمد وأهل بغداد، فكان لا يأتيه جيش إلاّ هزمه، فاشتدّ على أصحابه ما كان محمد يعطى من الأموال والكُسا ، فخرج من عسكره نحو من خمسة آلاف رجل من أهل خُراسان ومَن التفّ إليهم ، فسُرّ بهم محمد ، ووعَدهم ومنّاهم، وأثبت أسماءهم فى الثمانين . قال : فمكثوا بذلك أشهراً ، وقوّد جماعة من الحربية وغيرهم ممن تعرض لذلك وطلبه ، وعقد لهم ، ووجّههم إلى دسكرة الملك والنهروان، ووجّه إليهم حبيب بن جهم النمرىّ الأعرابىّ فى أصحابه ؛ فلم يكن بينهم كثير قتال ، وندب محمد قوّاداً من قوّاد بغداد، فوجّههم إلى الياسريّة والكوثريّة والسفينتَين[(١)] ، وحمل إليهم الأطعمة ، وقوّاهم بالأرزاق، وصيّرهم ردءاً لمن خلفهم، وفرّق الجواسيس فى أصحاب طاهر ، ودسّ إلى رؤساء الجند الكتب بالإطماع والترغيب ، فشغبوا على طاهر، واستأمن كثير منهم إلى محمد ، ومع كل عشرة أنفس منهم طبل ، فأرعدوا وأبرقوا وأجلبوا، ودنَوْا حتى أشرفوا على نهر صرصر ، فعبّى طاهر أصحابه كراديس ، ثم جعل يمرّ على كلّ كِردوس منهم ، فيقول : لا يغرّنكم كثرة مَنْ ترون ، ولا يمنعكم استئمان من استأمن منهم ، فإنّ النصر مع الصدق والثبات ، والفتح مع الصبر ، وربّ فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين. ثم أمرهم بالتقدّم، فتقدّموا واضطربوا بالسيوف مليًّا . ثم إن الله ضرب أكتاف أهل بغداد فولَّوْا منهزمين ، وأخلوا موضع عسكرهم ، فانتهب أصحاب طاهر كلّ ما كان فيه من سلاح ومال . وبلغ الخبرُ محمداً ، فأمر بالعطاء فوُضع ، وأخرج خزائنه وذخائره ، وفرّق الصِّلات وجمع أهل الأرباض ، واعترض الناس على عينه ، فكان لا يرى أحداً وسيًما حسن الرّواء إلا خلع عليه وقوّده؛ وكان لايقوّد أحداً إلاّغلّفت لحيته بالغالية؛وهم الذين

٨٦٦/٣

(١) ط : « والسفيانيين » .

يسمّون قوّاد الغالية . قال : وفرّق فى قوّاده المحدثين لكل رجل منهم خمسمائة درهم وقارورة غالية ، ولم يعط جند القواد وأصحابهم شيئاً . وأتت عيون طاهر وجواسيسه طاهرًا بذلك ؛ فراسلهم وكاتبهم ، ووعدهم واستمالهم ، وأغرى أصاغرهم بأكابرهم ، فشغبوا على محمد يوم الأربعاء لست خلون من ذى الحجة سنة ست وتسعين ومائة ، فقال رجل من أبناء أهل بغداد فى ذلك :

قُلْ لِلأَمينِ اللهَ فى نَفسِهِ	ما شتَّتَ الجندَ سِوَى الغاليهْ
وطاهرٌ نفسى تقِى طاهرًا	برسلِه والعُدَّةِ الكافيَهْ
أَضحى زمامُ المُلكِ فى كفّهِ	مُقاتلا للفِئةِ الباغيهْ
يا ناكثاً أَسلَمَهُ نَكثُه	عُيوبُهُ مِنْ خُبثِهِ فاشِيَهْ
قد جَاءَكَ الليثُ بشَدّاته	مُستَكلِباً فى أُسْدٍ ضارِيَه
فاهرُبْ ولا مَهْرَبَ من مِثْلِهِ	إلاَّ إلى النارِ أَوِ الهاويه

٨٦٧/٣

قال : ولمّا شغب الجند ، وصعب الأمر على محمد شاور قوّاده ، فقيل له : تدارك القوم ، فتلاف أمرك ؛ فإنّ بهم قوام ملكك ؛ وهم بعد الله أزالوه عنك أيام الحسين ، وهم ردّوه عليك ، وهم من قد عرفْتَ نجدَتهم وبأسهم . فلجّ فى أمرهم وأمر بقتالهم ، فوجّه إليهم التنوخىّ وغيره من المستأمنة والأجناد الذين كانوا معه ، فعاجل القوم القتال وراسلهم طاهر وراسلوه ؛ فأخذ رهائنهم على بذْل الطاعة له ، وكتب إليهم ، فأعطاهم الأمان ، وبذَل لهم الأموال ، ثم قدم فصار إلى البستان الذى على باب الأنبار يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة خلتْ من ذى الحجة ، فنزل البستان بقوّاده وأجناده وأصحابه ، ونزل مَنْ لحق بطاهر من المستأمنة من قوّاد محمد وجنده فى البستان وفى الأرباض ، وألحقهم جميعاً بالثمانين فى الأرزاق ، وأضعف للقواد وأبناء القوّاد الخواصّ ، وأجرى عليهم وعلى كثير من رجالهم الأموال ، ونقب أهل السجون السجون وخرجوا منها ، وفُتِن الناس ، ووثب على أهل الصلاح الدُّعار والشطار ، فعزّ الفاجر ، وذلّ المؤمن ، واختلّ الصالح ، وساءت حالُ الناس إلاّ من كان فى

عسكر طاهر لتفقده أمرَهم ، وأخذه على أيدى سفهائهم وفساقهم ؛ واشتد فى ذلك عليهم، وغادى القتال وراوَحه، حتى تواكل الفريقان، وخربت الدار.

* * *

٨٦٨/٣ وحجّ بالناس فى هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ من قِبَل طاهر ، ودعا للمأمون بالخلافة، وهو أوّل موسم دُعِىَ له فيه بالخلافة بمكة والمدينة .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فى هذه السنة لحق القاسم بن هارون الرشيد ومنصور بن المهدىّ بالمأمون من العراق ، فوجّه المأمون القاسم إلى جرجان .

* * *

[ذكر خبر حصار الأمين ببغداد]

وفيها حاصر طاهر وهَرْثمة وزهير بن المسيّب محمد بن هارون ببغداد .

* ذكر الخبر عما آل إليه أمر حصارهم فى هذه السنة ، وكيف كان الحصار فيها :

ذكر محمد بن يزيد التميمىّ وغيرُه أنّ زهير بن المسيّب الضّبىّ نزل قصر رقة كلواذى ، ونصب المجانيق والعرّادات[1] واحتفر الخنادق ، وجعل يخرج فى الأيام عند اشتغال الجند بحرب طاهر ، فيرمى بالعرّادات مَنْ أقبل وأدبر ، ويعشِر أموال التجار[2] ويجبِى السفن ، وبلغ من الناس كلّ مبلغ ؛ وبلغ أمرُه طاهرًا وأتاه الناس فشكوا إليه ما نزلَ بهم من زهير بن المسيّب ، وبلغ ذلك هرثمة ، فأمدّه بالجند، وقد كاد يؤخذ، فأمسك عنه الناس، فقال الشاعر من أهل الجانب الشرقىّ — لم يعرّف اسمه — فى زهير وقتله الناسَ بالمجانيق :

٣/٨٦٩

لا تَقْرَبِ المَنجنيقَ والحجَرا ... فقد رأَيْتَ القتيلَ إذ قُبرَا

باكَرَ كىْ لا يفوتَه خبرٌ ... راحَ قتيلًا وخَلَّفَ الخبرَا

ماذا به كان من نشاطٍ ومنْ ... صحّةِ جسمٍ به إذا ابتكرَا

أرادَ ألاَّ يقالَ كان له ... أمرٌ فلم يَدْرِ مَن به أَمَرا

---

(١) المنجنيق ، بفتح الميم وتكسر : آلة ترمى بها الحجارة (معربة) ، والعرادة : أصغر منه.

(٢) عشر القوم : أخذ العشر من أموالهم .

يا صاحبَ المِنجنيق ما فَعَلتْ كفَّاكَ ، لمْ تُبقيَا ولم تَذَرَا
كانَ هَوَاهُ سوَى الَّذى قُدِرا هَيْهَاتَ لَنْ يَغلِبَ الهوَى القدَرَا

ونزل هرثمة نهر بين ، وجعل عليه حائطًا وخندقًا ، وأعدّ المجانيق والعرّادات ، وأنزل عبيد الله بن الوضّاح الشمّاسيّة ، ونزل طاهر البُستان بباب الأنبار ، فذُكر عن الحسين الخليع أنه قال : لما تولّى طاهر البُستان بباب الأنبار ، دخل محمداً أمر عظيم من دخوله بغداد ، وتفرّق ما كان فى يده من الأموال ، وضاق ذَرْعًا ، وتحرّق صدراً ، فأمر ببيع كل ما فى الخزائن من الأمتعة ، وضرب آنية الذّهب والفضّة دنانير ودراهم ، وحملها إليه لأصحابه وفى نفقاته ، وأمر حينئذ برمى الحرّبية بالنِّفط والنيران والمجانيق والعرّادات ، يقتل بها المقبل والمدبر ، ففى ذلك يقول عمرو بن عبد الملك العِتْرىّ[1] الوراق :

٣/٨٧٠

يا رماةَ المنجنيق كُلُّكُمْ غيرُ شَفيقِ
ما تبالونَ صَـديقاً كانَ أَو غيرَ صديقِ
وَيلَكم تَدْرونَ ما ترْ مونَ مُرَّارَ الطَّريقِ
رُبَّ خَوْدٍ ذَاتِ دَلٍّ وهْىَ كالغصنِ الوريقِ
أُخرِجَت مِنْ جَوْف دُنيَا هَا وَمِنْ عَيْشٍ أَنِيقِ
لم تَجدْ مِن ذَاكَ بُدًّا أُبْرِزت يومَ الحريقِ

وذكر عن محمد بن منصور الباوَرْدىّ ، قال : لما اشتدّت شوكة طاهر على محمد ، وهزمت عساكره ، وتفرّق قواده كان فيمن استأمن إلى طاهر سعيد بن مالك بن قادم ، فلحق به ، فولاّه ناحية البغيِّين والأسواق هنالك وشاطئ دَجْلة ؛ وما اتّصل به أمامه إلى جسور دجلة ، وأمره بحفر الخنادق وبناء الحيطان فى كلّ ما غلب عليه من الدّور والدّروب ، وأمدّه بالنفقات والفَعَلة والسلاح ، وأمر الحربيّة بلزومه على النوائب ، ووكّل بطريق دار الرقيق وباب الشأم واحداً بعد واحد ؛ وأمر بمثل الذى أمر به سعيد بن مالك ؛ وكثُر الخراب

(١) ا : العنبرى » .

والهدم حتى درست محاسن بغداد ؛ ففى ذلك يقول العتْرىّ :

٣/٨٧١

مَنْ ذا أصابكِ يا بغدادُ بالعَينِ ... أَلَمْ تكُونى زماناً قُرَّةَ العينِ !

أَلم يَكُنْ فِيكِ قومٌ كان مسكنهمْ ... وكان قربهُمُ زيناً من الزَّيْن !

صَاحَ الغرابُ بهمْ بالْبيْن فَٱفترَقُوا ... مَاذا لقيتُ بهم من لَوْعَةِ البَيْن!

أَستودعُ اللهَ قوماً مَا ذكرتهمُ ... إلاَّ تحدَّرَ ماءُ العينِ من عَينِى

كَانُوا ففرَّقهمْ دهرٌ وَصَدَّعَهُمْ ... والدَّهْرُ يَصْدَعُ ما بينَ الفريقين

قال : ووكّل محمد عليًّا فراهمرد؛ فيمن ضمّ إليه من المقاتلة، بقصر صالح وقصر سُليمان بن أبى جعفر إلى قُصور دِجلة وما والاها ، فألحّ فى إحْرَاق الدُّور والدُّرُوب وهدْمها بالمجانيق والعرّادات على يَدَىْ رجل كان يعرف بالسَّمَرْقندىّ ؛ فكان يرمى بالمَنجنيق ، وفعل طاهر مثل ذلك ؛ وأرسل إلى أهل الأرْباض من طريق الأنبَار وباب الكوفة وما يليها ؛ وكلما أجابه أهلُ ناحية خندق عليهم ، ووضع مسالِحه وأعلامه ، ومَنْ أبى إجابته والدخول فى طاعته ناصبه وقاتله ، وأحرق منزله ؛ فكان كذلكَ يغدو ويروح بقوّاده وفرسانه ورجّالته ؛ حتى أوحشت بغداد ، وخاف الناس أن تبقى خرابًا ؛ وفى ذلك يقول الحسين الخليع :

٣/٨٧٢

أَتُسْرِعُ الرِّجْلَة إغْذَاذا[1] ... عَنْ جَانِبىْ بغداذ أَمْ ماذَا !

أَلَمْ تَرَ الفتنــةَ قد أَلَّفَتْ ... إلى أُولِى الفتنةِ شُذَّاذَا

وانتقضتْ بغداذُ عُمْرَانها ... عن رأى لا ذاك ولا هذا

هَدْماً وَحَرْقاً قد أُبِيدَ أهلُها ... عقوبة لاذَت بمَنْ لاذا

ما أَحسنَ الحالاتِ إن لم تَعُدْ ... بغداذ فى القلَّة بَغْداذا

قال : وسمّى طاهر الأرباضَ التى خالفه أهلها ومدينةَ أبى جعفر الشرقية ، وأسواقَ الكرخ والخلد وما والاها دارَ النكث ، وقبض ضياع مَنْ

---

(١) ا وابن الأثير : « الرحلة » . والرجلة هنا : جمع رجل .

لم ينحز[1] إليه من بنى هاشم والقوّاد والموالى وغلاّتهم ، حيث كانت من عمله ، فذلّوا وانكسروا وانقادوا ، وذلّت الأجناد وتواكلت عن القتال ؛ إلا باعة الطريق والعُراة وأهل السجون والأوباش والرّعاع والطرّارين[2] وأهل السوق . وكان حاتم بن الصقر قد أباحهم النّهب ، وخرج الهِرْش والأفارقة ، فكان طاهر يقاتلهم لا يفترُ عن ذلك ولا يملّه ، ولا يَنى فيه فقال الخريمىّ يذكر بغداد ، ويصف ما كان فيها :

٣/٨٧٣

قالوا : ولم يلعبِ الزمانُ ببغ — داد وتَعثرْ بها عواثرها[3]

إذ هى مثلُ العروس باطنها — مشوّقٌ للفتى وظاهِرُها[4]

جنّـةُ خُلْدٍ ودارُ مَغبَطَةٍ — قلّ من النائبات وَاترُها

دَرَّتْ خُلوفُ الدّنيا لساكنها — وقلَّ مَعسورُها وعاسِرُها

وانفرَجَتْ بالنعيمِ وانتجعَتْ — فيهـا بلذاتهـا حواضِرُها

فالقومُ منها فى روضةٍ أُنُفٍ — أَشرَقَ غِبَّ القِطارِ زاهرُها

مَن غرَّهُ العيشُ فى بُلهْنِيَةٍ — لو أنَّ دُنيا يدُومُ عامرُها

دارُ ملوكٍ رَسَت قواعدها — فيهـا وقرَّت بها منابرُها

أَهلُ العلا والندى وأَندِيةُ الـ — ـفخرِ إذا عُدّدَت مَفاخرُها

أَفراخُ نُعْمَى فى إرْثِ مَمْلَكَةٍ — شَـدَّ عُراها لها أَكابِرُها

فلمْ يَزلْ والزّمان ذُو غِيَرٍ — يَقدَحُ فى مُلكِهَا أَصاغِرُها

حتى تَساقتْ كأساً مُثَمِّلةً — من فتنةٍ لا يقال عاثِرُها

وافترقتْ بعدَ أُلفَةٍ شِيَعاً — مقطوعـةً بينَها أَواصِرُها

يا هل رأَيتَ الأَملاكَ ما صنعت — إذ لم يَرُعْها بالنصح زاجِرُها

أَوْرَدَ أَملاكُنا نفوسَهُمُ — هُوَّةَ غَىّ أَعْيَتْ مَصادِرُها

---

(١) ط : « ينجز » ، تحريف . (٢) فى القاموس : « الطر : الخلس » .

(٣) انظر الشعر والشعراء ٨٣١ ، ٨٣٢ ، الحيوان ١ : ٢٢٥ ، ٥ : ٢٠٤ .

(٤) كذا فى ا ، وفى ط : « باديها مهول للفتى وحاضرها » .

ما ضرها لو وَفَتْ بمَوْثِقِهَا ... واستحكمتْ فى التُّقَى بصائرها
ولم تسافِكْ دماءَ شيعتها ... وتبتعِثْ(١) فِتيـــةً تكابرها ٨٧٤/٣
وأَقنعتها الدنيا التى جُمعَت ... لها ورُعْبُ النفوسِ ضائرُها
ما زال حوض الأَملاك يحفره ... مسجُورها بالهوى وساجِرُها(٢)
تبغِى فضولَ الدنيا مكاثَرَةً ... حتى أُبيحَت كُرْهًا ذَخائِرُها
تَبيعُ ما جمَّع الأُبُوَّةُ لِلْ ... أَبناءِ لا أَربحَت متاجِرُها
يا هل رأَيت الجنانَ زاهرَةً ... يرُوقُ عينَ البصيرِ زاهرها !
وهل رأَيتَ القُصورَ شارعةً ... تُكِنُّ مثلَ الدُّمى مقاصرُها
وهل رأَيت القُرى التى غرَسَ الـ ... أَملاكُ مخضَّرةً دَساكِرُها
محفوفةً بالكروم والنخل والرَّ ... يحانِ ما يستغلُّ طائرُها
فإِنها أَصبحت خلايا من الـ ... إِنسانِ قد أُدْمِيَتْ محاجرها
قَفرًا خَلاءً تعوِى الكلابُ بها ... يُنكرُ منها الرسومَ زائرُها(٣)
وأَصبحَ البؤْسُ ما يفارقُها ... إِلفاً لها والسُّرورُ هاجرُها
بِزَندوَرْدٍ واليَاسِرِيَّةِ والشَّط ... ين حيث انتهت معابرها
ويا ترلحى والخيزُرَانية الـ ... عليا التى أَشرفت قناطرُها(٤)
وقَصرِ عَبدوَيْه عبرةٌ وهُدًى ... لكلِّ نفسٍ زَكَتَ سَرائِرُها
فأَين حُرّاسُها وحارسُها ... وأَين مجبورُها وجابرهـــا !
وأَين خِصْيانها وحِشْوَتُها ... وأَين سكَّانُها وعامرُها
أَين الجَرادِيَّةُ الصقالبُ والـ ... أَحبُش تعدُو هُدْلاً مَشافرُها ٨٧٥/٣
ينصدعُ الجندُ عن مواكبها ... تعْدُو بها سُرَّباً ضَوامِرُها

(١) كذا فى ا وفى ط : « تبتعل » .
(٢) كذا فى ا .
(٣) ط : « داثرها » ، وما أثبته من ا .
(٤) ا : « أشرقت مناظرها » .

بالسِّندِ والهند والصقالِبِ وَال نُّوبَةِ شِيبَتْ بِهـا بَرابِرُها

طيرًا أبابيلَ أرسلَت عَبَثاً يقدُمُ سُودانَها أحامِرُها

أين الظِّباءُ الأبكارُ فى روضه ال ملكِ تَهادَى بها غرائِرُها !

أين غَضـاراتُها وَلَذّتها وأين مَحبُورُها وَحابِرُها !

بالمسك والعنبرِ اليمانِ وال يلنجُوجِ مَشبُوبَةٌ مَجامِرُها

يَرفُلْن فى الخزِّ وَالمجاسِدِ وَال مَوْشىِّ محطومَةً مَزامِرُها

فأين رقاصها وَزامِرُهـا يُجِبْنَ حيثُ انتهت حناجرُها

تكادُ أَسماعُهم تُسَكُّ إذا عَارضَ عِيدانَها مَزاهرُها (١)

أمسَت كَجَوف الحِمار خَاليَةً يَسعَرُها بالجحيم ساعرُها

كأنَّما أصبحتْ بساحتهمْ عادٌ ومسَّتْهُمُ صراصرُها

لا تعلمُ النفسُ ما يُباكِرُها من حَادِث الدّهر أو يُباكرُها

تُضحى وتُمسى دَريَّةً غَرَضاً حيث استقرّت بها شراشرها

لأَسْهُمِ الدّهرِ وهو يَرشُقُها مُحنِطُهـا مَرَّةً وَباقِرُها

يَابُؤسَ بَغدادَ دَار مَملَكَةٍ دارتْ على أهلها دوائرُها

أمهلها الله ثم عاقَبها لمّا أَحاطت بها كبائرُها

بالخسف والقَذف والحريق وَبال حربِ التى أَصبحت تساورُها (٢)

كم قد رأينا من المعاصى ببغدا دفهل ذو الجلال غافرها !

٨٧٦/٣

حلَّت ببَغدادَ وهىَ آمنةٌ داهيـهٌ لم تكن تحاذِرُها

طالَعَها السوءُ من مَطَالِعِهِ وأدركت أهلَها جرائرُها

رَقَّ بها الدينُ واسْتُخفَّ بذى ال فضل وَعَزَّ النُّسَّاكَ فاجرُها

وخَطَّمَ العبدُ أنفَ سَيِّدِهِ بالرّغْم وَاستُعبِدَت حرائرها

---

(١) فى التصويبات : « مزاهرها » .

(٢) كذا فى ا .

وصار رَبّ الجيران فَاسقَهُم وابتزَّ أَمرَ الدُّروب ذَاعرُها
من يَرَ بغدادَ والجنودُ بها قد ربَّقَتْ حَوْلَها عَساكُرها
كلُّ طَحونٍ شهباءَ بَاسِلَةٍ تَسْقِطُ أَحْبالها زَماجِرُها
تُلِقى بغىٍّ الرَّدَى أَوانِسَها يُرْهِقها للقَاءِ طَاهِرُها
والشيخ يَعدُو حَزماً كتائبه يُقدِمُ أَعجازَها يعاوِرُها
وَلِزُهيرٍ بالفِرْك مأْسَدَةٌ مرقومهُ صلبَةٌ مَكاسِرُها
كتائبُ الموتِ تحتَ أَلوِيَةٍ أَبْرَحَ منصورُها وَناصِرُها
يعلم أَن الأَقدار واقعةٌ وَقعــاً على ما أَحَبّ قَادرُها
فتلكَ بغدادُ ما يُبنَّى من الذ لَّةِ فى دُورِها عَصافِرُها
محفوفةٌ بِالرَّدَى مُنَطقَةٌ بِالصُّغر مَحْصُورَةٌ جَبابِرُها
ما بين شطّ الفراتِ منه إلى دِجْلَةَ حيث انتهت معابِرُها
بارك هادِى الشَّقْراءِ نافِرُه[1] تَرْكُضُ من حولِها أَشَاقِرُها ٨٧٧/٣
يُحْرِقِها ذا وذاكَ يهدمها ويَشتفِى بالنهابِ شاطرُها
والكَرْخُ أَسواقُها مُعَطَّلَةٌ يَستنّ عَيَّارُها وعائرُها
أَخرجت الحربُ من سواقِطِها آسادَ غِيلٍ غُلْبًا تُساوِرُها
من البوارى تِرَاسُها ومن الـ خُوصِ إذا استلأَمَت مَغافرها
تَغدُو إلى الحرب فى جَواشِنِها الـ صّوف إذا ما عُدَّت أَساوِرُها
كَتَائبُ الهِرْشِ تحت رايَتِهِ ساعَدَ طَرّارَها مُقامِرُها
لا الرزقَ تبغى ولا العطاءَ ولا يَحشُرُها للِّقاء حاشِرُها
فى كلّ دَرْبٍ وكلِّ ناحيةٍ خطَّارَةٌ يَستَهِلُّ خاطِرُها
بمثِلِ هَامِ الرجال من فلَق الصَّـ خر يَزُودُ المِقلاعَ بَائرُها

(١) ط : « نافرة » .

كأنما فوقَ هَامِها فِرَقٌ من القطا الكُدْرِ هاج نافِرُها
والقومُ من تحتها لهم زَجَلٌ وهى ترامى بها خَواطِرُها
بلْ هل رأيتَ السيوفَ مُصلَتَةً أشهَرَها فى الأَسواقِ شاهِرُها
والخيلَ تستَنُّ فى أزِقَّتِها بالتُّركِ مسنونةٌ خَناجِرُها
وَالنِّفطَ والنَّارَ فى طَرائِقِها وهابِيًا للدخَانِ عامِرُها
والنَّهبُ تَعدُو به الرِّجالُ وقَدْ أبدَتْ خَلاخيلها حَرائِرُها
مُعصَوصِباتٍ وسطَ الأَزِقَّةِ قَدْ أبرَزَها للعيون ساترها
كلُّ رَقودِ الضُّحَى مخَبَّأَةٍ لم تَبدُ فى أهلها محاجرُها
بَيْضَةُ خِدرٍ مكنونةٌ بَرزَت للناس منشورةً غَدائرُها
تَعثرُ فى ثوبها وَتُعْجِلُها كَبَّةُ خَيلٍ رِيعَتْ حَوافرُها
تسأَلُ أينَ الطريقُ وَالهةً والنَّارُ من خَلْفها تُبَادرُها
لم تَجتَلِ الشَّمْسُ حُسنَ بَهجَتِها حتى اجتلتها حربٌ تباشرُها
يا هَلْ رأيتَ الثَّكلى مُوَلوِلَةً فى الطُّرْق تسعى والجَهدُ بَاهُرها!
فى إثرِ نَعشٍ عليهِ واحدُها فى صَدْرِهِ طعنةٌ يُساوِرُها
فَرغاءُ ينقِى الشنار مربَدُها يَهزّها بَالسنان شاجرُها
تنظرُ فى وجهِهِ وتهتف بالثْ كلِ وجَارِى الدموع حادِرُها
غَرغَر بالنَّفس ثم أسلمها مَطلولَةً لا يُخاف ثائرها
وقد رأَيت الفتيان فى عَرصَةِ الْ مَعرَك مَعفُورَةً مَناخُرها
كلُّ فتًى مَانعٌ حَقيقَتَهُ تَشقَى بهِ فى الوَغَى مسَاعرها
باتَتْ عليهِ الكِلابُ تَنْهَشُهُ مخضُوبةً مِنْ دمٍ أظَافِرُها
أمَا رَأيتَ الخُيولَ جائلَةً بالقَوْمِ مَنكُوبَةً دَوَائرُها[1]

٣/٨٧٨

---

(١) ط : « دوابرها » .

تعثرُ بالأَوجُهِ الحِسانِ منَ ال قَتلى وغُلَّتْ دمًا أشاعِرُها
يطأْنَ أكبادَ فتيةٍ نُجُدٍ يَفْلِقُ هاماتِهِمْ حوافرُها
أَمَا رأيت النساءَ تحتَ المجا نيق تعادَى شُعْثاً ضفائرُها ٣/٨٧٩
عقائلِ القومِ والعجائزَ والْ عُنَّسَ لم تحتبَرْ معاصِرُها
يحْمِلن قوتاً منَ الطَّحِينِ على الْ أَكتَافِ مَعْصُوبَةً مهاجِرُها
وذاتُ عيشٍ ضنكٍ ومُقعِسَةٌ تشدَخُها صَخرَةٌ تعاوِرُها
تسأَلُ عنْ أهلها وقد سُلِبتْ وابْتُزَّ عنْ رأسها غفائرُها
ياليتَ شِعْرى والدَّهْرُ ذُو دُولٍ يُرجَى وأُخرَى تُخْشَى بَوادرُها
هل تَرْجعنْ أَرضنا كما غنِيَتْ وقد تناهتْ بنا مصايِرُها
منْ مُبلغٌ ذا الرياستيْنِ رسا لاتٍ تَأَتَّى للنُّصْحِ شاعِرُها
بأَنَّ خيْرَ الوُلاةِ قدْ علمَ النَّ اسُ إذا عُدِّدت مآثِرُها
خليفةُ اللهِ فى بريَّتِهِ الْ مأْمُونُ مُنْتَاشُها وجابرُها
سَمَتْ إليه آمالُ أُمَّتهِ منقــادَةً بَرُّها وفاجرُها
شامُوا حيا العدْلِ من مخايِلِهِ وأَصْحَرَتْ بالتُّقَى بَصَائرها
وأحمدُوا منك سيرة جلتِ الشَّكَّ وأُخرى صَحَّتْ معاذِرُها
واستجمعتْ طاعة برفقكَ للمأْ مونِ نجديُّها وغائرها
وأَنتَ سمعٌ فى العالمينَ له ومُقـــلةٌ ما يكلّ ناظرُها
فاشكرلذى الْعَرْشِ فضلَ نعمتِهِ أَوجبَ فضلَ المزيدِ شاكرها
واحذَرْ فداءٌ لك الرَّعيةُ والْ أَجنادُ مأْمورها وآمرهـــا
لا تردن غمْرةً بنفسكَ لا يَصْدُرُ عنها بالرأى صادرُها
عليكَ ضحْضاحها فلا تلج الغَمْ رَةَ ملتجَّةٌ زواخِرُها
والقصْدَ إنَّ الطريقَ ذو شُعبٍ أَشأَمها وَعْثُها وَجَائرُها

٣/٨٨٠ أَصْبَحْتَ فى أمةٍ أوائلها قد فارقت هَدْيَها أواخرُها
وأنتَ سُرْسُورُها وسَائِسُها فَهَلْ على الحقِّ أنت قاسرها !
أَدِّبْ رجالًا رأيتَ سِيرتَهُمْ خالفَ حُكْمَ الكِتَابِ سائرها
وامدُدْ إلى الناس كفَّ مَرْحَمَةٍ تُسَدُّ منهم بها مفَاقرها
أَمكَنكَ الْعَدْلُ إذ هَمَمْتَ به ووافقَتْ مَدَّه مقادرُها
وأَبصرَ الناسُ قصدَ وجههمُ ومُلِّكَتْ أُمَّةً أخايرُها
تُشْرَعُ أعناقها إليكَ إذ السَّـــادات يومًا جَمَّتْ عَشائِرُها
كم عندنا مِن نصيحَةٍ لك فى اللـ ـهِ وقُرْبَى عَزَّتْ زوافرها
وحرمةٍ قرَّبتْ أَواصِرُها منك، وأُخْرَى هل أَنت ذاكرُها!
سعْىُ رجالٍ فى العلم مطلبُهُمْ رائحُها باكرٌ وباكرها
دونكَ غراءَ كالوَذيلَةِ لا تُفقَدُ فى بلدةٍ سوائرها
لا طمعاً قُلتُها ولا بَطرًا لكلِّ نفسٍ هوًى يُؤَامرها
سيَّرَها الله بالنصيحَةِ والـ ـخَشيَةِ فاستدمجَت مرائرها
جاءَتك تحكى لك الأُمورَ كما يَنشُرُ بزَّ التِّجارِ ناشرها
حمَّلتُها صاحباً أخا ثقةٍ يظلُّ عُجباً بها يحاضرها

وفى هذه السنة استأمن الموكّلون بقصر صالح من قبَل محمد .

* * *

[ذكر خبر وقعة قصر صالح]

وفيها كانت الوقعة التى كانت على أصحاب طاهر بقصر صالح.

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

٣/٨٨١ ذكر عن محمد بن الحسين بن مصعب ، أنّ طاهرًا لم يزل مصابراً محمداً وجندَه على ما وصفت من أمرِه ؛ حتى ملّ أهلُ بغداد من قتاله ، وأن عليّ

فراهمرد الموكّل بقصرىْ صالح وسليمان بن أبى جعفر من قبَل محمد ، كتب إلى طاهر يسأله الامان ، ويضمن له أن يدفع ما فى يده من تلك الأموال ومن الناحية إلى الجسور وما فيها من المجانيق والعرّادات إليه ؛ وأنه قَبِل ذلك منه ، وأجابه إلى ما سأل ، ووجّه إليه أبا العباس يوسف بن يعقوب البَاذغيسىّ صاحب شُرَطه فيمن ضُمّ إليه من قوّاده وذوى البأس من فُرسانه ليلاً ، فسلم إليه كلّ ما كان محمد وكّله به من ذلك ليلة السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائة . واستأمن إليه محمد بن عيسى صاحب شُرْطة محمد ؛ وكان يقاتل مع الأفارقة وأهل السجون والأوباش ؛ وكان محمد بن عيسى غير مداهِنٍ فى أمر محمد ؛ وكان مهيبًا فى الحرْب ، فلمّا استأمن هذان إلى طاهر ، أشفى محمد على الهلاك ، ودخله من ذلك ما أقامه وأقعده حتّى استسلم ؛ وصار على باب أم جعفر يتوقّع ما يكون ؛ وأقبلت الغُواة من العيّارين وباعة الطرق والأجناد ؛ فاقتتلوا داخل قصر صالح وخارجه إلى ارتفاع النهار .

قال : فقتل فى داخل القصر أبو العباس يوسف بن يعقوب الباذغيسىّ ومَن ْ كان معه من القوّاد والرؤساء المعدودين ، وقاتل فراهمرد وأصحابه خارجاً من القَصْر حتى فُلّ وانحاز إلى طاهر ؛ ولم تكن وقعة قبلها ولا بعدها أشدّ على طاهر وأصحابه منها ، ولا أكثر قتيلا وجريحًا معقوراً من أصحاب طاهر من تلك الوقعة ؛ فأكثرت الشعراء فيها القول من الشّعر ، وذكرما كان فيها من شدة الحرب[1] . وقال فيها الغوغاء والرّعاع ، وكان مما قيل فى ذلك قول الخليع[2] :

٨٨٢/٣

أَمينَ اللهِ ثِقْ باللّـ ـهِ تُعْطَ الصَّبْرَ والنُّصرَهْ[3]

كِلِ الأَمرَ إلى اللهِ كَلاَكَ اللهُ ذو القُدْرَهْ

لَنَا النَّصْرُ بعَون اللّـ ـهِ والكَرَّةُ لا الفرَّهْ

وللمُـرّاقِ أعدائـ ـك يومُ السوءِ والدَّبْرَهْ

وكأْسٍ تلفظ الموتَ[4] كَريهٍ طَعْمُهَا مُرَّهْ

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « الحزب » .

(٢) هو الحسين بن الضحاك ، المعروف بالخليع .

(٣) الأغانى ٧ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ المسعودى ٣ : ٤١٣ . (٤) الأغانى : « تورد الموت » .

سُـــقينا وسقيناهُمْ[١] ولكن بِهِمُ الحِرَّهْ
كذاك الحربُ أَحياناً علينا ولنَـــا مرَّهْ

فذُكر عن بعض الأبناء أن طاهراً بثّ رسلَه، وكتب إلى القوّاد والهاشميّين وغيرهم بعد أن حاز ضياعهم وغلاّتِهم يدعوهم إلى الأمان والدّخول فى خلع محمد والبَيْعة للمأمون؛ فلحق به جماعة، منهم عبد الله بن حُميد بن قحطبة الطائىّ وإخوته، وولد الحسن بن قحطبة ويحيى بن علىّ بن ماهان ومحمد بن أبى العاص[٢]، وكاتبه قوم من القوّاد والهاشميين فى السرّ، وصارت قلوبهم وأهواؤهم معه.

قال: ولما كانت وقعة قصر صالح أقبل محمد على اللهو والشرب، ووكل الأمرَ إلى محمد بن عيسى بن نهيك وإلى الهِرْش؛ فوضعا مما يليهما من الدّروب والأبواب وكلاءهما بأبواب المدينة والأرباض وسوق الكَرْخ. وفُرَض دجْلة وباب المحوّل والكناسة؛ فكان لصوصها وفساقُها يسلبون مَنْ قدروا عليه من الرِّجال والنساء والضعفاء من أهل الملّة والذمّة؛ فكان منهم فى ذلك ما لم يبلغْنا أنّ مثله كان فى شىء من سائر بلاد الحروب.

٨٨٣/٣

قال: ولما طال ذلك بالناس، وضاقت بغداد بأهلها، خرج عنها مَنْ كانت به قوّة بعد الغُرْم الفادح والمضايقة الموجعة والخطر العظيم؛ فأخذ طاهر أصحابَه بخلاف ذلك، واشتدّ فيه، وغلُظ على أهل الرِّيَب. وأمر محمد ابن أبى خالد بحفظ الضعفاء والنساء وتجويزهم وتسهيل أمرهم؛ فكان الرّجل والمرْأة إذا تخلص من أيدى أصحاب الهِرْش، وصار إلى أصحاب طاهر ذهب عنه الرّوْع وأمن، وأظهرت المرأة ما معها من ذهب وفضة أو متاع أو بزّ؛ حتى قيل: إنّ مَثَل أصحاب طاهر ومَثَل أصحاب الهِرْش وذويه ومثل الناس إذا تخلّصوا، مثل السور الذى قال الله تعالى ذكره: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[٣]. فلما طال على الناس ما بُلُوا به ساءت حالهم، وضاقوا به ذرعًا؛ وفى ذلك يقول بعض فتيان بغداد:

---

(١) الأغانى: «سقونا».
(٢) الأغانى: «محمد بن العباس الطائى».
(٣) سورة الحديد ١٣.

بكيتُ دمًا على بغدادَ لمّا فَقَدتُ غَضارة العَيشِ الأَنيقِ[1]
تَبَدَّلنا هُموماً من سُرور ومِن سَعة تَبدَّلْنَا بضِيقِ
أَصابتها مِنَ الحُسَّادِ عَينٌ فأَفنَت أَهلها بالمَنجيقِ[2]
فَقَومٌ أحرِقوا بالنارِ قسرًا ونائحةٌ تنوحُ على غريقِ
وصائحةٌ تُنادِى وَاصباحًا[3] وباكيةٌ لفقدانِ الشَّفيق
وحَوراءُ المَدامعِ ذاتُ دَلٍّ مضَمَّخَةُ المَجاسِدِ بالخَلوق
تَفِرُّ من الحريقِ إلى انتهابٍ ووالِدها يفرُّ إلى الحريق
وَسَالِبةُ الغزالةِ مُقلَتَيْها مَضاحكُها كَلأْلأَةِ البرُوق
حَيَارَى كالهدايا مُفكِراتٌ عليهنَّ القلائدُ فى الحُلوق
يُنادينَ الشفيقَ ولا شفيقٌ وقد فُقِد الشَّقِيق من الشَّقِيقِ
وقومٌ أُخرجُوا من ظلِّ دُنيا متاعُهُمُ يُباعُ بكلِّ سوقِ
ومُغترِبٌ قَريبُ الدارِ مُلقًى بلا رأسٍ بقَارعةِ الطريقِ
توسَّط مِنْ قتالهمُ جميعاً فما يَدرُونَ مِنْ أىِّ الفريقِ
فلا ولدٌ يقيم على أَبيهِ وقد هَرَبَ الصديق بلا صديق
وَمَهْمَا أَنْسَ من شيءٍ تَولَّى فإنِّى ذاكرٌ دارَ الرَّقيقِ

وُذكر أنّ قائداً من قوّاد أهل خـُراسان ممن كان مع طاهر من أهل النجدة والبأس ، خرج يومـًا إلى القتال ، فنظر إلى قوم عـُراة ، لا سلاح معهم ، فقال لأصحابه : ما يقاتلنا إلا مَنْ أرى ؛ استهانة بأمرهم واحتقاراً لهم ؛ فقيل له : نعم هؤلاء الذين ترى هم الآفة ؛ فقال : أفٍّ لكم حين تنكصون عن هؤلاء وتخيمون عنهم ، وأنتم فى السلاح الظاهر ، والعـُدّة والقوّة ؛ ولكم مالكم من

٣/٨٨٤
٣/٨٨٥

(١) المسعودى ٣ : ٤١٤ ، وفيه : « بكت عينى دمًا » .
(٢) المسعودى وابن الأثير : « أصابتنا » .
(٣) المسعودى : « يا صحابى » .

الشجاعة والنجدة ! وما عسى أن يبلغ كيد مَن أرى من هؤلاء ولا سلاح معهم ولا عُدّة لهم ولا جُنّة تقيهم ! فأوتر قوسه وتقدّم ، وأبصره بعضهم فقصد نحوه وفى يده باريّة مُقَيّرة ، وتحت إبطه مِخلاة فيها حجارة ، فجعل الخُراسانىّ كلّما رَمى بسهم استتر منه العيّار ، فوقع فى باريّته أو قريبًا منه ؛ فيأخذه فيجعله فى موضع من باريّته ، قد هيأه لذلك ، وجعله شبيهًا بالجُعبة . وجعل كلما وقع سهم أخذه ، وصاح : دانق ، أى ثمن النّشابة دانق قد أحرزه ؛ ولم يزل تلك حالة الخراسانىّ وحال العيّار حتى أنفذ الخراسانىّ سهامه ، ثم حمل على العيّار ليضربه بسيفه ؛ فأخرج من مخلاته حجرًا ؛ فجعله فى مقلاع ورماه فما أخطأ به عينه ، ثم ثناه بآخر ؛ فكاد يصرعه عن فرسه لولا تحاميه ؛ وكرّ راجعًا وهو يقول : ليس هؤلاء بإنس ؛ قال : فحدّثت أن طاهراً حدّث بحديثه فاستضحك وأعفى الخراسانىّ من الخروج إلى الحرب ؛ فقال بعض شعراء بغداد فى ذلك : ٨٨٦/٣

خَرَّجَتْ هذه الحروبُ رجالا ... لا لقحطانها ولا لنزارِ

معشرًا فى جواشِنِ الصوفِ يغدو ... ن إلى الحرْب كالأُسودِ الضَّوارى

وعليهمْ مغافرُ الخوصِ تُجزِيـ ... ـهم عن البيضِ ، والتِّراسُ البوارِى

ليس يدرونَ ما الفرارُ إذا الأَبْـ ... ـطالُ عاذوا من القَنا بالفرارِ

واحدٌ منهمُ يَشُدُّ على ألـ ... ـفَينِ عُرْيانٌ مالَهُ من إزارِ

ويقول الفتى إذا طَعن الطعـ ... ـنةَ : خذها مِن الْفَتَى العَيّارِ

كم شريف قد أخملَتهُ وكم قد ... رفَعتْ من مُقامر طَرّارِ ٨٨٧/٣

* * *

[ذكر خبر منع طاهر الملاحين من إدخال شىء إلى بغداد]

[قال محمد بن جرير : وفى هذه السنة منع طاهر الملاحين وغيرهم من إدخال شىء إلى بغداد إلا إلى من كان من عسكره منهم ، ووضع الرصيد عليهم بسبب ذلك][1] .

---

(١) من ا .

* ذكر الخبر عمّا كان منه ومن أصحاب محمد المخلوع فى ذلك وعن السبب الذى من أجله فعل ذلك طاهر :

أما السبب فى ذلك فإنه — فيما ذُكر — كان أنّ طاهرًا لما قُتِل مَنْ قُتِل فى قصر صالح من أصحابه ، ونالهم فيه من الجراح ما نالهم ، مَضَّه ذلك وشقّ عليه ؛ لأنه لم يكن له وقعة إلا كانت له لا عليه ؛ فلما شقّ عليه أمر بالهدم والإحراق عند ذلك ، فهدم دور مَنْ خالفه ما بين دِجْلة ودار الرقيق وباب الشأم وباب الكوفة ، إلى الصَّراة وأرجاء أبى جعفر ورَبَض حميد ونهر كرخايا والكناسة ؛ وجعل يبايت أصحاب محمد ويُدابجهم ، ويحوى فى كلّ يوم ناحية ، ويخندق عليها المراصد من المقاتلة ؛ وجعل أصحاب محمد ينقصون ، ويزيدون ؛ حتّى لقد كان أصحاب طاهر يهدمون الدّار وينصرفون ؛ فيقلع أبوابها وسقوفها أصحاب محمد ، ويكونون أضرّ على أصحابهم من أصحاب طاهر تعدياً ؛ فقال شاعر منهم — وذكر أنه عمرو بن عبد الملك الورّاق العترىّ — فى ذلك :

لنا كلَّ يومٍ ثُلمةٌ لا نَسُدُّها ... يزيدونَ فيما يَطلبونَ ونَنقُصُ

إذَا هَدموا دارًا أَخذنا سُقوفَها ... ونحن لِأُخرى غيرِها نَتَربَّصُ ٣/ ٨٨٨

وإن حَرصوا يوماً على الشَّرِّ جُهْدَهمْ ... فغوغاؤنا منهمْ على الشرّ أَحرَصُ

فقد ضيَّقوا من أَرضنا كلَّ واسعٍ ... وصار لهم أهلٌ بها ، وتَعرَّصوا

يُثيرونَ بالطبلِ القنيصَ فإن بدا ... لهم وجهُ صيدٍ من قريب تقنّصوا

لقد أَفسدوا شَرْقَ البلادِ وغَربَها ... علينا فما ندرى إلى أَين نشخُص!

إذا حضروا قالوا بما يَعرفونه[1] ... وإن يَرَوْا شيئاً قبيحاً تَخَرَّصوا

وما قتلَ الأَبطالَ مثلُ مجرّبٍ ... رســولِ المنايا ليلَهُ يتلصّصُ[2]

ترى البطلَ المشهورَ فى كلّ بلدة ... إذا ما رأَى العريانَ يوماً يُبَصبِصُ

---

(١) المسعودى : « يبصرونه » .

(٢) ط : « ليلة » ، والوجه ما أثبته من ا .

إذا ماراَه الشَّمَّرِىُّ مُقَزَّلاً[1] على عقبَيـهِ للمخافةِ يَنكصُ
يبيعُك رأساً للصبىّ بِدِرهمٍ فإن قال إنى مُرْخِصٌ فهو مرخِصُ
٣/٨٨٩ فكم قاتلٍ منا لِآخرَ منهمُ بمقتله عنه الذُّنوبُ تُمحَّصُ
تراه إذا نادى الأَمانَ مبارزًا ويَغمِزنا طَورًا وطورًا يخصِّص
وقد رخَّصت قُرّاؤنا فى قتالِهِمْ وما قتل المقتولَ إلَّا المرخِّص

وقال أيضا فى ذلك :

النَّاسُ فى الهدمِ وفى الانتقالْ قد عَرَّض النَّاسُ بقيلٍ وقالْ
يأَيُّها السائل عن شأْنهِمْ عينك تكفيكَ مكان السُّؤالْ
قد كان للرحمن تكبيرُهُمْ فاليوم تكبيرهمْ للقتالْ
اطرحْ بعينيك إلى جمعهمْ وانتظر الرَّوْحَ وعُدَّ الليالْ
لم يبق فى بغدادَ إلَّا امرؤٌ حالَفَهُ الفقر كثيرُ العيالْ
لا أمّ تحمِى عن حماها ولا خالٌ له يحمى ولاَ غيرُ خالْ
ليس له مالٌ سوى مِطْرَدٍ مِطْردُهُ فى كفِّه رأسُ مالْ
٣/٨٩٠ هانَ على الله فأَجْرَى على كفَّيه للشِّقوةِ قتلَ الرجالْ
إن صارَ ذا الأَمر إلى واحدٍ صارَ إلى القتلِ على كلّ حالْ
ما بالنا نُقتَلُ من أَجْلهِمْ سُبْحَانَكَ اللهمّ ياذَا الحلالْ !

وقال أيضًا :

ولستُ بتاركٍ بغدادَ يوماً تَرَحَّلَ مَن ترحَّل أَوْ أَقامَا
إذا ما العيشُ ساعَدنا فَلسْنَا نُبالِى بعدُ مَنْ كان الإماما

قال عمرو بن عبد الملك العترىّ : لما رأى طاهر أنهم لا يحفلون بالقتل والهدْم والحرْق أمر عند ذلك بمنع التّجار أن يجوزوا بشىء من الدقيق وغيره من

(١) ا : « إذا ما رآه الوغد يوماً برأسه » .

المنافع من ناحيته إلى مدينة أبى جعفر والشرقية والكَرْخ ، وأمر بصرْف سُفُن البصرة وواسط بطرنايا إلى الفرات ؛ ومنه إلى المحوّل الكبير وإلى الصَّراة ، ومنها إلى خندق باب الأنبار ؛ بما كان زهير بن المسيب يُبَذرِقه إلى بغداد، وأخذَ من كلّ سفينة فيها حمولة ما بين الألف درهم إلى الألفين والثلاثة ، وأكثر وأقلّ ، وفعل عُمّال طاهر وأصحابه ببغداد فى جميع طرقها مثلَ ذلك وأشدّ ، فغلت الأسعار ، وصار الناس فى أشدّ الحصار ، فيئسوا أو كثير منهم من الفرج والرَّوح ، واغتبط مَنْ كان خرج منها ، وأسف على مقامِه من أقام .

٨٩١/٣

* * *

وفى هذه السنة استأمن ابن عائشة إلى طاهر ، وكان قد قاتل مع محمد حيناً بالياسرية .

* * *

[ذكر خبر وقعة الكناسة]

وفيها جعل طاهر قُوّاداً من قُوّاده بنواحى بغداد ، فجعل العلاء بن الوضّاح الأزدى فى أصحابه ومَن ضمّ إليه بالوضّاحية[1] على المحوّل الكبير ، وجعل نعيم بن الوضّاح أخاه فيمن كان معه من الأتراك وغيرهم مما يلى رَبض أبى أيوب على شاطئ الصَّراة ، ثم غادى القتال وراوح أشهرًا ، وصبر الفريقان جميعًا ؛ فكانت لهم فيها وقعة بالكُناسة ؛ باشرها طاهر بنفسه ، قُتل فيها بشرٌ كثير من أصحاب محمد ، فقال عمرو بن عبد الملك :

وَقْعَــةُ يومِ الأَحَدِ صارت حَدِيثَ الأَبَدِ
كَمْ جسدٍ أبصرتَهُ مُلقًى وكَمْ مِن جَسَدِ
وناظرٍ كانت له مَنِيَّــةٌ بالرَّصَــدِ
أتاهُ سَهْمٌ عائرٌ فشكَّ جَوفَ الكَبِدِ
وصــائحٍ يا والدى وصائحٍ يا ولدى !

---

(١) موضعها فى ط كلمة غير واضحة وما أثبته من ا .

وكم غريقٍ سابحٍ كان متينَ الجَلَدِ !
لم يَفتقدْه أحدٌ غيرُ بناتِ البلدِ
وكم فقيدٍ بَئِسٍ عزَّ على المفتقِدِ
كَانَ مِن النَّظارةِ الـ أولى شديد الحَرَدِ[1]
لو أنه عايَن ما عاينَه لم يَعُدِ
لم يبقَ من كهلٍ لهُمْ فَاتَ وَلا مِنْ أَمْرَدِ
وطاهرٌ ملتهِمٌ مثلَ التهامِ الأَسدِ
خيَّمَ لا يَبْرَح فى الـ عرصَةِ مثلَ اللُّبَدِ
تقذِفُ عيناه لَدَى الـ حربِ بنارِ الوَقَد
فقائلٌ قد قَتَلوا ألفاً ولمَّا يزدِ
وقائلٌ أكثر بل ما لهُمُ من عدد
وهاربٌ نحوهُمُ يرهَبُ من خوفِ غدِ
هيهات لا تبصرُ مِمَّنْ قَدْ مَضَى من أَحَدِ
لا يرجع الماضى إلى الْـ بَاقِى طَوَالَ الأَبدِ
قلتُ لمطعونٍ وفيـ ـهِ رُوحُهُ لَمْ تبدِ
مَنْ أَنت يا وَيْلكَ يا مِسكِينُ من مُحَّمَدِ
فقالَ لا من نَسبٍ دانٍ وَلا مِنْ بَلدِ
لم أَره قطّ ولمْ أَجِدْ لهُ من صَفدِ
وقال لا لِلغىِّ قَا تَلتُ ولا للرَّشَدِ
إلَّا لشىءٍ عاجلٍ يصيرُ مِنهُ فِى يدِى

٨٩٢/٣

(١) كذا فى ا.

وذكر عن عمرو بن عبد الملك أنّ محمداً أمر زُريحًا غلامَه بتتبّع الأموال وطلبها عند أهل الودائع وغيرهم ، وأمر الهرْش بطاعته ، فكان يهجُم على الناس فى منازلهم ، ويبيّتُهم ليلا ، ويأخذ بالظنّة ، فجبى بذلك السبب أموالا كثيرة ، وأهلك خلقًا ، فهرب الناس بعلّة الحجّ ، وفرّ الأغنياء ، فقال القراطيسىّ فى ذلك : ٨٩٣/٣

أَظهروا الحجّ وما ينوونَهُ ... بل من الهِرْشِ يُريدون الهربْ

كم أُناسٍ أصبحوا فى غبطة ... وكلَ الهِرْشُ عليهم بالعطب[1]

كلُّ مَن رادَ[2] زُريحٌ بيتَهُ ... لقِىَ الذُّلَّ وَوَافاهُ الحرَبْ

* * *

[ذكر خبر وقعة درب الحجارة]

وفيها كانت وقعة درب الحجارة .

* ذكر الخبر عنها :

ذكر أن هذه الوقعة كانت بحضرة درب الحجارة ؛ وكانت لأصحاب محمد على أصحاب طاهر ، قُتل فيها خلق كثير ، فقال فى ذلك عمرو بن عبد الملك العترىّ :

وَقْعَةُ السبتِ يومَ درب الحِجَارَهْ ... قطعَت قِطعَــةً مِنَ النَّظَّارَهْ

ذاك من بعد ما تَفَانَوا ولكِنْ ... أَهلكتَهمْ غوغاؤنا بالحجَارهْ

قَدِم الشُّورَجِينَ للقتل عمدًا ... قال إنّى لكُمْ أُرِيد الإمَارَهْ[3]

فتلقَّــاه كلُّ لِصٍّ مُرِيبٍ ... عَمَرَ السجنَ دهرَه بالشَّطَارَهْ

ما عليــه شىءٌ يواريه مِنْهُ ... أَيْرُه قائمٌ كمثلِ المنارَهْ ٨٩٤/٣

فتَوَلَوْا عنهمْ وَكَانُوا قديماً ... يُحسِنونَ الضِّرابَ فى كلِّ غارَهْ

---

(١) المسعودى : « ركض الليل عليهم بالعطب » .

(٢) المسعودى : « كل من زار » . (٣) ورد البيت فى ط ناقصاً وأكلته من ا .

هؤلا مثلُ هؤلاكَ لدينا ليس يَرعوْن حق جارٍ وجَارَهْ[1]
كُلّ مَنْ كَانَ خامِلًا صارَ رأساً مِنْ نَعيمٍ فى عيشِه وَغَضارَهْ
حاملٌ فى يمينِهِ كلَّ يومٍ مِطرَدًا فوقَ رأسه طَيَّارهْ
أخرجْتهُ من بيتها أمُّ سوءٍ طَلَبَ النَّهبَ أمّه العَيَّارَهْ
يشتُمُ الناسَ ما يبالى بإفصا حٍ لذى الشَّتم لا يُشير إشارَهْ
ليْسَ هذا زمان حرٍّ كريمٍ ذا زمانُ الأنذالِ أهلِ الزَّعارهْ
كان فيما مضى القتالُ قِتــالا فهُوَ اليومَ يا علىُّ تِجارَه

وقال أيضًا :

٨٩٥/٣

بــارِيَّةٌ قَيِّرْتَ ظَاهِرَها محمَّدٌ فيهــا وَمَنصُورُ
العِزُّ والأَمنُ أَحادِيثهمْ وَقَوْلُهمُ قد أخِذَ السُّورُ
وأىُّ نفعٍ لكَ فى سورهمْ وأنتَ مَقتولٌ وَمَأْسُور ؟
قد قُتِلَتْ فُرْسَانكُمْ عَنوَةً وَهُدِمَتْ من دُورِكُمْ دُورُ
هاتوا لكمْ من قائدٍ وَاحدٍ مهذَّبٍ فى وَجهــه نُورُ
يــأَيُّهــا السَّائل عَنْ شأْننا محمَّدٌ فى القَصْرِ مَحْصورُ

* * *

[ذكر خبر وقعة باب الشماسية]

وفيها أيضاً كانت وقعة بباب الشماسية ، أسِرَ فيها هـرْثمة .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان وإلى ما آل الأمر فيه :

ذكر عن علىّ بن يزيد[2] أنه قال : كان ينزل هـرْثمة نهر بين ، وعليه حائط وخنْدق ، وقد أعدّ المجانيق والعرّادات ، وأنزل عبيد الله بن الوضّاح الشّماسيّة ، وكان يخرج أحيانًا ، فيقف بباب خراسان مشفقًا من أهل

---

(١) ورد البيت فى ط محرفاً والصواب ما أثبته من ا . (٢) ط : « زيد » ، وانظر الفهرس

العسكر ، كارهًا للحرب ، فيدعو الناس إلى ما هو عليه فيشتمه ، ويستخفّ به ؛ فيقف ساعة ثم ينصرف . وكان حاتم بن الصَّقْر من قوّاد محمد ؛ وكان قد واعد أصحابه الغُزاة[1] والعيّارين أن يوافوا عبيد الله بن الوضّاح ليلا ، فمضَوْا إلى عبيد الله مفاجأة وهو لا يعلم ؛ فأوقعوا به وقعة أزالوه عن موضعه ، وولّى منهزمًا ، فأصابوا له خيلاً وسلاحًا ومتاعًا كثيراً ، وغلب على الشّماسيّة حاتم ابن الصقر . وبلغ الخبرُ هرثمة ، فأقبل فى أصحابه لنُصرته ، وليردّ العسكر عنه إلى موضعه ؛ فوافاه أصحاب محمد ، ونشب الحرب بينهم ، وأسَر رجل من الغُزاة هرثمة ولم يعرفه ، فحمل بعض أصحاب هرثمة على الرّجل ، فقطع يده وخلّصه ، فمرّ منهزمًا ، وبلغ خبَره أهلَ عسكره ، فتقوّض بما فيه ، وخرج أهله هاربين على وجوههم نحو حُلوان ، وحجز أصحاب محمد الليل عن الطلب ؛ وما كانوا فيه من النّهب والأسْر . فحُدِّثت أن عسكر هرثمة لم يتراجع أهله يومين ، وقويت الغزاة بما سار فى أيديهم .

٨٩٦/٣

وقيل فى تلك الوقعة أشعار كثيرة ، فمن ذلك قول عمرو[2] الورّاق :

عُرْيانُ ليس بذِى قَميصِ ... يَغدُو على طلَبِ القَميصِ
يَعْــدُو عَلى ذِى جوشَنٍ ... يُعْمِى العيونَ من البَصيصِ
فى كفِّه طَــرَّادَةٌ ... حمــراءُ تلمعُ كالفُصوصِ
حَرِصاً عَلى طَلَبِ القِتَا ... لِ أَشَدّ من حِرْص الحريصِ
سلِسَ القِيــادِ كأنَّما ... يَغــدُو عَلى أكلِ الخبيص
لَيْثاً مُغِيرًا لَم يَزَلْ ... رَأسًا يعدّ من اللصُوصِ
أجْرى وأَثبتَ مَقْدَماً ... فى الحرْبِ من أسد رَهيصِ
يدْنو على سَنَنِ الهوَا ... نِ وَعِيصُهُ من شَرٍّ عيصِ
يَنجُو إذا كانَ النَّجا ... ءُ على أخَفَّ من القَلُوصِ
ما للكَمِىّ إذا لِمَقْ ... تَلِهِ تَعَرّضَ من محيصِ

٨٩٧/٣

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « العراة » . وكذلك فيما يأتى .
(٢) هو عمرو بن عبد الملك العترى .

كَم من شُجاعٍ فارِسٍ قد بَاعَ بالثَّمَن الرَّخيصِ
يدعُو : أَلا مَنْ يَشتَرِى رأسَ الكمِىّ بكَفٍّ شيصِ !

وقال بعض أصحاب هَرْثمة :

يَفنَى الزَّمانُ وما يَفنَى قتالهُمُ والدُّور تُهدَمُ والأَموالُ تَنتَقِصُ
والناسُ لا يَستَطيعُونَ الذِى طلَبُوا لا يدفَعُون الرَّدَى عنهمْ وإن حَرَصُوا
يأتوننا بحديثٍ لا ضياءَ لَهُ فى كلّ يوم لأَولادِ الزِّنا قصصُ

قال : ولما بلغ طاهراً ما صنع الغُزاة وحاتم بن الصقر بعبيدالله بن الوضّاح وهرثمة اشتدّ ذلك عليه ، وبلغ منه ؛ وأمر بعقد جسر على دجْلة فوق الشّماسيّة ، ووجّه أصحابه وعبَّأهم ، وخرج معهم إلى الجسْر ، فعبروا إليهم وقاتلوهم أشدّ القتال ، وأمدَّهم بأصحابه ساعة بعد ساعة حتى ردُّوا أصحاب محمد ، وأزالوهم عن الشّماسيّة ، وردّ المهاجر عبيد الله بن الوضّاح وهرثمة .

قال : وكان محمد أعطى بنقض قصوره ومجالسه الخيزرانية بعد ظفر الغزاة ألفى ألفَ درهم ، فحرقها أصحاب طاهر كلها ، وكانت السقوف مذهّبَة ، وقتلوا من الغزاة والمنتهبين بشرًا كثيراً ، وفى ذلك يقول عمرو الوراق :

ثَقَلان وطاهر بن الحسين صبَّحونا صبيحةَ الإثنينِ
جمعوا جمعَهم بليل ونادَوا اطلبوا اليومَ ثأركم بالحسين
ضربوا طبلَهُمْ فثارَ إليهمْ كلّ صُلبِ القَناة والسَّاعِدَيْنِ
ياقَتِيلابالقاعِ مُلقًى على الشطِّ هواه بِطَيِّئ الجَبلَيْنِ[1]
ماالَّذِى فِى يَدَيْك أَنتَ إذاما اصْطلحَ النَّاسُ أَنتَ بالخَلَّتيْنِ
أَوَزيرٌ أَم قائدٌ ، بَلْ بعيدٌ أَنْتَ من ذَينِ مَوضع الفرقَدَينِ
كم بصيرٍ غدَا بعينَيْنِ كى يُبْصِرَ ما حالهم فعادَ بعين
ليس يُخْطُونَ ما يريدون ما يَعْمِد رامِيهمُ سِوَى الناظرَين

٨٩٨/٣

(١) المسعودى : « تطأه الخيول فى الجانبين » .

سائلِى عنهمُ همُ شرٌّ مَنْ أَبـ ... ـصَرتُ فى النّاس ليس غيرٌ كذينِ

شرٌّ باقٍ وشرٌّ ماضٍ منَ النا ... سِ مَضَى أو رأيتُ فى الثَّقَلَيْنِ

قال : وبلغ ذلك من فعل طاهر محمداً ، فاشتدّ عليه وغمّه وأحزنه ؛

٨٩٩/٣ فذكر كاتب لكوثر أن محمداً قال – أو قيل على لسانه هذه الأبيات :

مُنيتُ بِأَشْجع الثَّقَلَيْنِ قَلباً ... إذا ما طالَ لَيْسَ كما يطولُ

له مَعْ كلِّ ذِى بَدَنٍ رقيبٌ ... يشاهدُه ويعلمُ ما يَقُولُ

فليس بمُغْفلٍ أمرًا عِنادًا ... إذا ما الأَمر ضَيَّعه الغَفُولُ

* * *

وفى هذه السنة ضَعُف أمر محمّد ، وأيقن بالهلاك ، وهرب عبد الله بن خازم بن خزيمة من بغداد إلى المدائن ؛ فذُكر عن الحسين بن الضحاك أنّ عبد الله بن خازم بن خزيمة ظهرت له التّهمة من محمد والتّحامل عليه من السِّفْلة والغوغاء ، فهمّ على نفسه وماله ، فلحق بالمدائن ليلاً فى السفن بعياله وولده ، فأقام بها ولم يحضر شيئًا من القتال .

وذكر غيرُه أن طاهراً كاتبه وحذّره قبض ضياعه واستئصاله ، فحذّره ونجا من تلك الفتنة وسلم ؛ فقال بعض قرائبه فى ذلك :

وما جَبنَ ابن خازمَ من رَعاعٍ ... وَأَوباشِ الطَّغـامِ من الأَنام

ولكنْ خاف صَولةَ ضَيغَمِىٍّ ... هَصُورِ الشَّدِّ مشهور العُرامِ

فذاع أمرُه فى الناس ، ومشى تُجّار الكرخ بعضهم إلى بعض ، فقالوا : ينبغى لنا أن نكشف أمرنا لطاهر ونُظهر له براءتنا من المعُونة عليه ، فاجتمعوا وكتبوا كتابًا أعلموه فيه أنهم أهل السمْع والطاعة والحبّ له ؛ لما يبلغهم من إيثارِه طاعةَ الله والعمل بالحقّ ، والأخذ على يد المريب ، وأنهم غيرُ مستحلِّى النظر إلى الحرْب ؛ فضلا عن القتال ، وأنّ الذى يكون حزبه من جانبهم ليس منهم ، قد ضاقت بهم طرق المسلمين ؛ حتى إنّ الرّجال[1] [الذين بلوا من حربه من جانبهم ليس منهم] ، ولا[2] لهم بالكرخ دور ولا عقار ؛ وإنما هم ٩٠٠/٣

(١) ط : « الرجل » .

(٢) من ا .

بين طرّار وسوّاط ونطاف[١]، وأهل السجون. وإنما مأواهم الحمامات والمساجد، والتّجار منهم إنما هم باعة الطريق يتّجرون فى محقرات [البيوع ، قد ضاقت بهم طرق المسلمين ، حتّى إن الرجل ليستقبل][٢] المرأة فى زحمة[٣] الناس فيلتثّان[٤] قبل التخلص؛ وحتّى إن الشيخ ليسقط لوجهه ضعفاً ؛ وحتّى إن الحامل الكيس فى حُجزته وكفه ليُطَرّ منه ، وما لنا بهم يدان ولا طاقة ؛ ولا نملك لأنفسنا معهم شيئاً ؛ وإن بعضنا يرفع الحجَر عن الطريق لما جاء فيه من الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ فكيف لو اقتدرنا على مَنْ فى إقامته عن الطريق ، وتخليده السجن ، وتنفيته عن البلاد وحسم الشرّ والشَّغْب ونفى الزَّعارة والطَّرّ والسرَق ، وصلاحُ الدين والدنيا ، وحاش لله أن يحاربك منا أحد!

فذكر أنهم كتبوا بهذا قصّةً ، واتّعد قوم على الانسلال إليه بها ، فقال لهم أهل الرّأى منهم والحزم : لا تظنّوا أن طاهراً غبِيَ عن هذا أو قصَّر عن إذكاء العيون فيكم وعليكم ؛ حتّى كأنه شاهدكم ؛ والرأى ألا تشهروا أنفسكم بهذا ؛ فإنا لا نأمن إن رآكم أحد من السِّفْلة أن يكون به هلاككم وذهاب أموالكم ؛ والخوفُ من تعرّضكم لهؤلاء السِّفْلة أعظمُ من طلبكم براءة السّاحة عند طاهر خوفاً ، بل لو كنتم من أهل الآثام والذنوب لكنتم إلى صفحه وتغمّده وعفوه أقرب ، فتوكّلوا على الله تبارك وتعالى وأمسكوا . فأجابوهم وأمسكوا . وقال ابن أبى طالب المكفوف :

٣/٩٠١

دَعُوا أهلَ الطَّريقِ فعَنْ قليلٍ[٥] ... تَنالهمُ مخاليبُ الهَصُورِ
فتهتِكُ حُجْبَ أفئدة شِدادٍ[٦] ... وشيكاً ما تصير إلى القُبُورِ
فإنَّ الله مُهلِكُهُمْ جميعاً ... بأسباب التَّمنّى والفُجُورِ[٧]

وذكر أن الهَرْش خرج ومعه الغوغاء والغُزاة ولفيفهم حتّى صار إلى جزيرة

(١) فى اللسان : « الطر : القطع » وربما كان الطرار هنا هو قاطع الطريق . السواط : « الضارب بالسوط ؛ والنطاف »

(٢) من ا

(٣) ط : « رحمة » ، وما أثبته من ا

(٤) كذا فى ا ، وفى ط لمة غامضة

(٥) المسعودى : « عن قريب »

(٦) المسعودى : « أكباد شداد » .

(٧) المسعودى : « التمرد والفجور »

العبّاس ، وخرجت عصابة من أصحاب طاهر ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكانت ناحية لم يقاتل فيها ، فصار ذلك على الوجه بعد ذلك اليوم موضعًا للقتال ؛ حتّى كان الفتح منه ؛ وكان أول يوم قاتلوا فيه استعلَى أصحاب محمد على أصحاب طاهر حتّى بلغوا بهم دار أبي يزيد الشرويّ . وخاف أهلُ الأرباض فى تلك النّواحى مما يلى طريق باب الأنبار ؛ فذُكر أنّ طاهرًا لما رأى ذلك وجّه إليهم قائداً من أصحابه ، وكان مشتغلا بوجوه كثيرة يقاتل منها أصحاب محمد ، فأوقع بهم فيها وقعة صَعْبة ، وغرق فى الصَّرَاة بشرٌ كثير ، وقتِل آخرون ، فقال فى هزيمة طاهر فى أوّل [يوم][1] عمرو الوراق :

نَادَى مُنَادِى طَاهِرٍ عِنْدَنَا ... يا قومُ كُفُّوا واجْلِسُوا فِى ٱلْبُيُوتْ
فَسَوْفَ يَأْتِيكُمْ غَدٌ فاحْذَرُوا ... [ليثًاهريتَالشدق فيه عُيُوتْ][1]
فثـــارتِ الغوغاءُ فى وَجْهِهِ ... بَعْدَ انتِصَافِ اللَّيْلِ قَبْلَ ٱلْقُنُوتْ
فى يومِ سبتٍ تَرَكُوا جَمْعَهُ ... فِى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سُمودًا خُفُوتْ

وقال فى الوقعة التى كانت على أصحاب محمد :

كم قتيل قد رأينا ... ما سألْنَـــاهُ لأيشِ
دَارِعًا يَلْقَاهُ عُرْيَا ... نٌ بجهلٍ وبَطيشِ
إن تَلَقَّاهُ بِرُمْحٍ ... يتلقَّـــاهُ بِفَيْشِ
حَبشيًّا يَقتُلُ النَّا ... سَ على قِطْعَةِ خَيْشِ
مُرتَدٍ بالشَّمس راضٍ ... بالمُنَى مِن كلِّ عيشِ
يَحْمِـــلُ الْحَمْلَهَ لا يَقْ ... تُل إلاَّ رَأسَ جَيْشِ
كعـــلِى أفراهَمَـــرْدٍ ... أو عَلاءٍ أو قُرَيْش
احْـــذَرِ الرّميـــةَ ياطا ... هـــرُ من كفِّ الحُبيشِى

٩٠٢/٣

(١) من ا .

وقال أيضًا عمرو الوراق فى ذلك :

ذَهَبَتْ بَهْجَةُ بَغْدَا دَ وَكَانَتْ ذَاتَ بَهْجَهْ
فَلَهَا فِى كلِّ يَوْمٍ رجَّةٌ من بَعْدِ رجّهْ
ضَجَّتِ الأَرْضُ إلى اللهِ مِنَ المُنْكَرِ ضَجّهْ
أيّها المقتولُ مَا أنْ تَ عَلَى دِينِ المحَجَّهْ
لَيْتَ شِعْرِى ما الَّذِى نِلْ تَ وقَدْ أدْلجتَ دَلجهْ
أإلى الفردوسِ وُجِّهْ تَ أمِ النَّارِ تُوجِّهْ
حَجَرٌ أرْدَاك أم أرْ دِيتَ قسرًا بالأزِجّهْ
إن تكُنْ قَاتَلْتَ بِرًّا فعلينَا ألفُ حَجّهْ

وذكر عن علىّ بن يزيد أن بعض الخدم حدّثه أن محمداً أمر ببيع ما بقى فى الخزائن التى كانت أنهبت، فكتم ولاتها[1] ما فيها لتسرق، فتضايق على محمد أمره، وفقد ما كان عنده، وطلب الناس الأرزاق، فقال يومًا وقد ضجر مما يردعليه : ودِدْت أن الله عزّ وجلّ قتل الفريقين جميعًا[2]، وأراح النّاس منهم ؛ فما منهم إلا عدو ممن معنا وممّن علينا ؛ أما هؤلاء فيريدون مالى ؛ وأما أولئك فيريدون نفسى . وذكرت أبياتًا قيل إنه قالها : ٩٠٣/٣

تَفَرَّقُوا وَدَعُونِى يَا مَعْشَرَ الأَعْوَانِ[3]
فكُلُّكُمْ ذُو وُجوهٍ كَخلقةِ الإنسانِ[4]
وما أرى غيرَ إفكٍ وتُرَّهاتِ الأمانى
ولستُ أملك شيئاً فسائِلوا خُزّانى[5]
فالويلُ لى ما دهانى[6] من ساكنِ البُستانِ

(١) كذا فى ا، وفى ط : «فكم».
(٢) إلى هنا آخر الموجود من نسخة ا فى هذا الجزء.
(٣) المسعودى : ٣ : ٤١٩ .
(٤) المسعودى : «كثيرة الأعوان».
(٥) المسعودى : «الإخوان».
(٦) المسعودى : «فيما دهانى».

قال : وضعف أمر محمد ، وانتشر جنده وارتاع فى عسكره ، وأحسّ من طاهر بالعلوّ عليه وبالظفر به .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بتوجيه طاهر إياه على الموسم بأمر المأمون بذلك .

وكان على مكة فى هذه السنة داود بن عسى .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر استيلاء طاهر على بغداد]

فمن ذلك ما كان من خلاف خُزيمة بن خازم محمّدَ بن هارون ومفارقته إياه واستئمانه إلى طاهر بن الحسين ودخول هَرْثمة الجانب الشرقىّ .

• ذكر الخبر عن سبب فراقه إياه وكيف كان الأمر فى مصيره والدخول فى طاعة طاهر :

ذكر أن السبب فى ذلك كان أنّ طاهرًا كتب إلى خُزيمة يذكر له أنّ الأمر إن يقطع بينه وبين محمد ولم يكن له أثر فى نُصرته ، لم يقصر[1] فى أمره . فلما وصل كتابه إليه شاور ثقاتِ أصحابه وأهل بيته ، فقالوا له : نرى والله أنّ هذا الرّجل أخذ بقفا صاحبنا ، فاحتلْ لنفسك ولنا ؛ فكتبَ إلى طاهر بطاعته ، وأخبره أنه لو كان هو النازل فى الجانب الشرقىّ مكان هَرْثمة لكان يحمل نفسه له على كلّ هول ، وأعلمه قلّة ثقته بهرثمة ، ويناشده ألا يحمله على مكروه من أمره إلا أن يضمن له القيام دونه ، وإدخال هرثمة إليه ليقطع الجسور ، ويُتبِعَ هو أمراً يؤثر رأيه ورضاه ؛ وأنه إن لم يضمن له ذلك ؛ فليس يسعه تعريضه للسّفلة والغَوْغاء والرّعاع والتلف . فكتب طاهر إلى هَرْثمة يلومه ويعجّزه ، ويقول : جمعتَ الأجناد ، وأتلفت الأموال ، وأقطعتها دون أمير المؤمنين ودونى ، وفى مثل حاجتى إلى الكلف والنفقات ؛ وقد وقفتُ على قوم هيّنة شوكتُهم ، يسيرٌ أمرُهم ، وقوف المحجم الهائب ؛ إنّ فى ذلك جُرمًا ؛ فاستعدّ للدخول ؛ فقد أحكمتُ الأمر على دفع العسكر وقطع الجسور ؛

٣/٩٠٤

(١) ط : « ولم » ، والعبارة فى ابن الأثير : « ولم يكن لك فى نصرى ألا أقصر فى أمرك » .

وأرجو ألاّ يختلف عليك فى ذلك اثنان إن شاء الله .

قال : وكتب إليه هرثمة : أنا عارف ببركة رأيك، ويُمْن مشورتك، فمرْ بما أحببت ؛ فلن أخالفك ؛ قال : فكتب طاهر بذلك إلى خزيمة .

وقد ذُكر أن طاهراً لما كاتب خزيمة كتب أيضًا إلى محمد بن علىّ بن عيسى بن ماهان بمثل ذلك . قيل : فلما كانت ليلة الأربعاء لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وثب خزيمة بن خازم ومحمد بن علىّ بن عيسى على جسر دجلة فقطعاه، وركزا أعلامهما عليه ، وخلعا محمداً، ودعوا لعبد الله المأمون ؛ وسكن أهل عسكر المهدىّ ولزموا منازلهم وأسواقهم فى يومهم ذلك ؛ ٣/٩٠٥ ولم يدخل هرثمة حتى مضى إليه نفر يسيرٌ غيرهما من القوّاد، فحلفوا له أنه لايرى منهم مكروهًا ، فقبل ذلك منهم ، فقال حسين الخليع فى قطع خزيمة الجسر:

عَلَيْنَا جَمِيعاً من خُزَيمةَ مِنَّةٌ ... بها أَخمدَ الرحمنُ ثائرةَ الحرْبِ
تولَّى أُمورَ المسلمين بنفسهِ ... فذَبَّ وحامى عنهمُ أَشرفَ الذَّبِّ
ولولا أبو العباس ما انفكَّ دَهرُنا ... يبيتُ على عتبٍ ويَغدُو على عَتْبِ[1]
خزيمةُ لم يُنكَرْ له مثلُ هَذِه[2] ... إذا اضطرَبَتْ شرْقُ البلاد مع الغرْب
أَناخَ بجِسْرَىْ دجلة القَطعَ والقنا ... شوارعُ والأَرواحُ فى راحةِ العضْبِ[3]
وَأَمَّ المَنَايَا بالْمَنَايا مُخيلةً ... تَفجَّعُ عن خَطْبٍ ،وتضحكُ عن خطْبِ
فكانت كنارٍ ماكَرتها سَحَابَةٌ ... فأَطفأَت اللَّهبَ المُلفَّفَ باللهْبِ
وما قتلُ نفسٍ فِى نفوسٍ كثيرةٍ ... إذا صارَت الدُّنيا إلى الأَمن والخصب
بلاءُ أَبى العباسِ غيرُ مكفَّرٍ ... إذا فَزِعَ الْكَرْبُ المقيمُ إلى الكربِ ٣/٩٠٦

فذكر عن يحيى بن سلمة الكاتب أنّ طاهراً غدا يوم الخميس على المدينة الشرقية وأرباضها ، والكَرْخ وأسواقها ، وهدم قنطرتَىِ الصَّراة العتيقة والحديثة

(١) ابن الأثير : « يبيت على عتب ويعدو على عتب » .
(٢) ابن الأثير : « لم يذكر » . (٣) ابن الأثير : « الغضب » .

واشتدّ عندهما القتال ، واشتدّ طاهر على أصحابه ، وباشر القتالَ بنفسه ، وقاتل مَنْ كان معه بدار الرقيق فهزمهم حتى ألحقهم بالكَرْخ ، وقاتل طاهر بباب الكَرْخ وقصر الوضاح ، فهزمهم أصحاب محمد ورُدّوا على وجوههم ، ومرّ طاهر لايلوى على أحد حتى دخل قسراً بالسيف. وأمر مناديه فنادى بالأمان لمن لزم منزله ، ووضع بقصر الوضّاح وسوق الكرخ والأطراف قوّاداً وجنداً فى كل موضع على قدر حاجته منهم ؛ وقصد إلى مدينة أبى جعفر ، فأحاط بها وبقصر زُبيدة وقصْر الخُلْد من لدن باب الجسر إلى باب خُراسان وباب الشأم وباب الكوفة وباب البصرة وشاطئ الصّراة إلى مصبّها فى دجلة بالخيول والعدّة والسلاح ، وثبت على قتال طاهر حاتم بن الصقر والهِرْش والأفارقة ، فنصب المجانيق خلف السور على المدينة وبإزاء قصر زُبيدة وقصر الخُلْد ورمى ، وخرج محمد بأمه وولده إلى مدينة أبى جعفر ، وتفرّق عنه عامّة جنده وخصيانه وجواريه فى السّكك والطّرق ، لا يلوى منهم أحد على أحد ، وتفرّق الغوغاء والسِّفْلة ، وفى ذلك يقول عمرو الوراق :

يا طاهر الظَّهر الَّذِى ... مثالهُ لم يُوجَدِ
يا سيّدَ بن السيدِ بْـ ... ـن السَّيّد بنِ السيدِ ٩٠٧/٣
رجَعَتْ إلى أعمالها الأُ ... ولى غُزاةُ محمّدِ
منْ بينِ نَطّافٍ وسوّ ... اطٍ وبَيْنَ مُقرِّدِ
ومُجَرِّدٍ يأْوِى إلى ... عَيَّارةٍ ومُجَرِّدِ
ومُقَيَّدٍ نَقَبَ السّجو ... ن فعادَ غيرَ مقيَّدِ
ومسوَّدٍ بالنَّهب سا ... دَ وكان غيرَ مسوَّدِ
ذَلُّوا لعزِّك واستكا ... نوا بعدَ طُولِ تمرّدِ

وذُكر عن علىّ بن يزيد ، أنه قال : كنتُ يومًا عند عمرو الوراق أنا وجماعة ، فجاء رجل ، فحدّثنا بوقعة طاهر بباب الكَرْخ وانهزام الناس عنه ،

فقال عمرو : ناولنى قَدحًا ، وقال فى ذلك :

خُذهَا فلِلخَمْرَةِ أَسماءُ[1] لهــا دواءٌ ولَهَــا دَاءُ
يُصلِحها الماءُ إذا صُفِّقتْ يوماً وَقَدْ يُفسِدُها الماءُ
وقائلٍ كانت لهم وَقعَةٌ فى يومِنــا هذا وأشياءُ
قلتُ له : أنت امرؤ جاهلٌ فيكَ عن الخَيْرَاتِ إبطاءُ
اشْرَبْ ودَعْنَا مِن أَحاديثِهِمْ يَصْطَلِحُ النَّاس إذا شاءوا

قال : ودخل علينا آخر ، فقال : قاتل فلان الغـُزاة ، وأقدم فلان ، وانتهب فلان . قال : فقال أيضًا :

أَىُّ دهْرٍ نحنُ فيهِ مَاتَ فِيــهِ الكُبَراءُ
هذهِ السِّفْلَةُ والغَوْ غاءُ فينــا أُمناءُ
ما لنا شىءٌ من الأَشْ ياءِ إلّا ما يشاءُ
ضجَّت الأَرض وقدضجَّ ت إلى الله السَّماءُ
رُفع الدِّينُ وقد ها نت على الله الدِّمــاءُ
يا أَبا مُوسى لك الخير راتُ قَدْ حَانَ اللِّقَاءُ
ها كَهــا صِرْفًا عُقارًا قد أَتاك النُّدَماءُ

٩٠٨/٣

وقال أيضًا عمرو الوراق فى ذلك :

إذا ما شِئتَ أَن تُغْضِ بَ جُنــديًّا وتستامرْ
فقل : يا معشر الأَجنا دِ قد جاءَكُمُ طاهِرْ

* * *

قال وتحصّن محمد بالمدينة هو ومن يقاتل معه ، وحصره طاهر وأخذ عليه الأبواب ، ومنع منه ومن أهل المدينة الدقيقَ والماء وغيرهما .

---

(١) ابن الأثير : « فخذها » .

فذكر عن الحسين بن أبى سعيد أنّ طارقًا الخادم – وكان من خاصّة محمد ، وكان المأمون بعد مقدمه أخبره أنّ محمدًا سأله يومًا من الأيام وهو محصور ، أو قال فى آخر يوم من أيامه ، أن يطعمه شيئًا – قال : فدخلت المطبخ فلم أجد شيئًا ، فجئت إلى جمرة العطارة – وكانت جارية الجوهر – فقلت لها : إن أمير المؤمنين جائع ، فهل عندك شىء ، فإنى لم أجد فى المطبخ شيئًا ؟ فقالت لجارية لها يقال لها بنان : أىّ شىء عندك ؟ فجاءت بدَجاجة ورغيف ، فأتيته بهما فأكل ، وطلب ماء يشربه فلم يوجد فى خزانة الشرَاب ، فأمسى وقد كان عزم على لقاء هرثمة ؛ فما شرب ماء حتى أتى عليه .

وذكر عن محمد بن راشد أنّ إبراهيم بن المهدىّ أخبره أنه كان نازلاً مع محمد المخلوع فى مدينة المنصور فى قصره بباب الذّهب ، لما حصره طاهر . ٣/٩٠٩ قال : فخرج ذاتَ ليلةٍ من القصر يريد أن يتفرّج من الضِّيق الذى هو فيه ، فصار إلى قصر القَرار – فى قرْن الصّراة ، أسفل من قصر الخلد – فى جوف الليل ، ثم أرسل إلىّ فصرت إليه ، فقال : يا إبراهيم ، أما ترى طيبَ هذه الليلة ، وحسن القمر فى السماء ، وضوءه فى الماء ! ونحن حينئذ فى شاطئ دجلة ، فهل لك فى الشّرب ! فقلت : شأنَك ، جعلنى الله فداك ! فدعا برطل نبيذ فشربه ، ثم أمر فسُقيت مثله . قال : فابتدأتُ أغنّيه من غير أن يسألنى ؛ لعلمى بسوء خلقه ، فغنّيت ما كنت أعلم أنه يحبّه ، فقال لى : ما تقول فيمن يضرب عليك ؟ فقلت : ما أحوجنى إلى ذلك ؛ فدعا بجارية متقدّمة عنده يقال لها ضَعْف ، فتطيّرت من اسمها ؛ ونحن فى تلك الحال التى هو عليها ، فلما صارت بين يديه ، قال : تغنّىْ ، فغنّت بشعر النابغة الجعدىّ :

كُليبٌ لعَمرى كان أكثرَ ناصرًا وأيسر ذَنباً منك ضُرّجَ بالدّم[1]

قال : فاشتدّ ما غنّت به عليه ، وتطاير منه ، وقال لها : غنّى غير هذا ، فتغنّت :

---

١) ديوانه ١٤٣ .

أَبكى فِراقهُمُ عَيْنى وأرَّقها[1] إنَّ التفرُّقَ للأحباب بَكّاءُ
ما زالَ يَعْدُو عليهمْ ريبُ دهرهمُ حتى تَفَانَوْا وريْبُ الدَّهرِ عَدَّاءُ

فقال لها : لعنك الله ! أما تعرفين من الغناء شيئًا غير هذا ! قالت : يا سيّدى ، ما تغنّيت إلا بما ظننت أنك تحبّه ؛ وما أردت ما تكرهه ؛ وما هو إلا شىء جاءنى . ثم أخذت فى غناء آخر :

٩١٠/٣

أَما وَرَبِّ السُّكُون والحَرَكِ إنَّ المنايا كثيرةُ الشَّرَكِ
ما اختلفَ الليلُ والنَّهار ولا[2] دارت نُجوم السَّماء فى الفَلَكِ
إلا لنقل النَّعيم من مَلِكٍ عانٍ بحُبِّ الدُّنيا إلى مَلِكِ
ومُلْكُ ذى العرشِ دائمٌ أَبدًا ليس بفانٍ ولا بمشتَرَكِ

فقال لها : قومى غضب الله عليك ! قال : فقامت . وكان له قَدَحُ بلّور حسن الصنعة ، وكان محمد يسميه زُبّ رُباح ، وكان موضوعًا بين يديه ، فقامت الجارية منصرفة فتعثّرت بالقَدَح فكسرته — قال إبراهيم : والعجب أنا لم نجلس مع هذه الجارية قطّ إلا رأينا ما نكره فى مجلسنا ذلك — فقال لى : ويحك يا إبراهيم ! ما ترى ما جاءت به هذه الجارية ؛ ثم ما كان من أمر القدح ! والله ما أظنّ أمرى إلا وقد قَرُب ، فقلت : يطيل الله عمرَك ، ويعزّ ملكك ، ويديم لك ، ويكبت عدوّك . فما استتمّ الكلام حتى سمعنا صوتًا من دِجْلة : ﴿قُضِيَ الأمرُ الّذِى فيه تَسْتَفْتِيان﴾[3] ، فقال : يا إبراهيم ، ماسمعتَ ما سمعتُ ! قلت : لا والله ، ما سمعتُ شيئًا — وقد كنتُ سمعت — قال : تسمع حسًّا ! قال : فدنوتُ من الشطّ فلم أر شيئًا ، ثم عاودنا الحديث ، فعاد الصوت : ﴿قُضِيَ الأمْرُ الّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ ، فوثب من مجلسه ذلك مغتمًّا ، ثم ركب فرجع إلى موضعه بالمدينة ، فما كان بعد هذا إلا ليلة أو ليلتان حتى حدث ما حدث من قتله ، وذلك يوم الأحد لستّ — أو لأربع — خلون من صفر ، سنة ثمان وتسعين ومائة .

٩١١/٣

---

(١) ابن الأثير : « أبكى فراقكم عينى فأرقها » .
(٢) ابن الأثير : « وما » .
(٣) سورة يوسف : ٤١ .

وذكر عن أبى الحسن المدائنىّ ؛ قال : لما كان ليلة الجمعة لسبع بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ، دخل محمد بن هارون مدينة السلام هاربًا من القصر الذى كان يقال له الخُلْد ، ممّا كان يصل إليه من حجارة المنجنيق ، وأمر بمجالسه وبُسطه أن تحرق فأحرقت ، ثم صار إلى المدينة ؛ وذلك لأربع عشرة شهراً ، منذ ثارت الحرب مع طاهر إلا اثنى عشر يومًا .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل الأمين]

وفى هذه السنة قتِل محمد بن هارون .

* ذكر الخبر عن مقتله :

ذُكر عن محمد بن عيسى الجُلُودىّ أنه قال : لما صار محمد إلى المدينة ، وقرّ فيها ، وعلم قوّاده أنه ليس لهم ولا له فيها عُدّة للحصار ، وخافوا أن يُظْفَر بهم ؛ دخل على محمد حاتم بن الصقر ومحمد بن إبراهيم بن الأغلب الإفريقىّ وقوّاده ، فقالوا : قد آلت حالُك وحالنا إلى ما ترى ؛ وقد رأينا رأيًا نعرضه عليك ؛ فانظر فيه واعتزم عليه ؛ فإنّا نرجو أن يكون صوابًا ، ويجعل الله فيه الخِيرة إن شاء الله . قال : ما هو ؟ قالوا : قد تفرّق عنك الناس ، وأحاط بك عدوّك من كلّ جانب ، وقد بقِىَ من خيلك معك ألفُ فرس من خيارها وجيادها ؛ فنرى أن نختار مَنْ[1] قد عرفناه بمحبّتك من الأبناء سبعمائة رجل ، فنحملهم على هذه الخيل ونخرج ليلاً على باب من هذه الأبواب فإن الليل لأهله ؛ ولن يثبت لنا أحد إن شاء الله ؛ فنخرج حتّى نلحق بالجزيرة والشأم فتفرِض الفروض ، وتجبى الخراج ، وتصير فى مملكة واسعة ، ومُلْك جديد ، فيسارع إليك الناس ، وينقطع عن طلبك الجنود ، وإلى ذلك ما قد أحدث الله عزّ وجلّ فى مَكَرّ الليل والنهار أمورًا . فقال لهم : نعم ما رأيتم ؛ واعتزم على ذلك .

٩١٢/٣

وخرج الخبر إلى طاهر ؛ فكتب إلى سليمان بن أبى جعفر ، وإلى محمد بن

(١) ابن الأثير : « ممن » .

عيسى بن نَهيك وإلى السندىّ بن شاهك : والله لئن لم تُقرّوه وتردّوه عن هذا الرّأى لا تركت لكم ضَيْعةً إلا قبضتُها ، ولا تكون لى همّة إلا أنفسكم . فدخلوا على محمد ، فقالوا : قد بلغَنا الذى عزمتَ عليه ؛ فنحن نذكّرك الله فى نفسك ! إن هؤلاء صعاليك ، وقد بلغ الأمر إلى ما ترى من الحصار ، وضاق عليهم المذهب ، وهم يرْون ألا أمان لهم على أنفسهم وأموالهم عند أخيك وعند طاهر وهَرْثمة لما قد انتشر عنهم من مُباشرة الحرب والجدّ فيها ؛ ولسنا نأمن إذا برزوا بك ، وحصلتَ فى أيديهم أن يأخذوك أسيراً ، ويأخذوا رأسك فيتقرّبوا بك ، ويجعلوك سبَب أمانهم ؛ وضربوا له فيه الأمثال .

قال محمد بن عيسى الجُلُودىّ : وكان أبى وأصحابه قُعوداً فى رِواق البيت الذى محمد وسليمان وأصحابه فيه . قال : فلما سمعوا كلامَهم ، ورأوا أنه قد قبله مخافة أن يكون الأمر على ما قالوا له ؛ همّوا أن يدخلوا عليهم فيقتلوا سليمان وأصحابه ؛ ثم بدا لهم وقالوا : حَرْبٌ من داخل ، وحَرْبٌ من خارج . فكفّوا وأمسكوا .

قال محمد بن عيسى : فلما نكت ذلك فى قلب محمد ، ووقع فى نفسه ما وقع منه ، أضرب عما كان عزم عليه ، ورجع إلى قبول ما كانوا بذلُوا له من الأمان والخروج ؛ فأجاب سليمان والسندىّ ومحمد بن عيسى إلى ما سألوه من ذلك ، فقالوا : إنما غايتك اليوم السلامة واللهو ، وأخوك يترُكك حيثُ أحببت ، ويفردك فى موضع ، ويجعل لك كلّ ما يصلحك وكلّ ما تحبّ وتهوى ؛ وليس عليك منه بأس ولا مكروه . فركن إلى ذلك ، وأجابهم إلى الخروج إلى هرثمة . ٣/٩١٣

قال محمد بن عيسى : وكان أبى وأصحابُه يكرهون الخروجَ إلى هرثمة ؛ لأنهم كانوا من أصحابه ، وقد عرفوا مذاهبه ، وخافوا أن يجفوهم ولا يخصّهم ، ولا يجعل لهم مراتب ، فدخلوا على محمد فقالوا له : إذ أبيتَ أن تقبل منا ما أشرنا عليك — وهو الصواب — وقبلتَ من هؤلاء المداهنين ، فالخروج إلى

طاهر خير لك من الخروج إلى هرثمة . قال محمد بن عيسى : فقال لهم : ويحكم! أنا أكره طاهراً ؛ وذلك أنى رأيت فى منامى كأنى قائم على حائط من آجرّ شاهق فى السماء ، عريض الأساس وثيق ، لم أر حائطاً يشبهه فى الطول والعرض والوَثاقة ، وعلىّ سَوَادى ومنطقتى وسيفى وقلنسوتى وخفّى ؛ وكان طاهر فى أصل ذلك الحائط ، فما زال يضرب أصلَه حتى سقط الحائط وسقطتُ ، ونَدَرتْ قلنسوتى من رأسى ، وأنا أتطيّر من طاهر ، وأستوحش منه ، وأكره الخروج إليه لذلك ؛ وهرثمةُ مولانا وبمنزلة الوالد ، وأنا به أشدُّ أنساً وأشدّ ثقة .

وذُكِر عن محمد بن إسماعيل ، عن حفص بن أرميائيل ، أنّ محمداً لمّا أراد أن يعبُر من الدّار بالقرار إلى منزل كان فى بستان موسى — وكان له جسر فى ذلك الموضع — أمر أن يُفرش فى ذلك المجلس ويطيَّب . قال : فمكثتُ ليلتى أنا وأعوانى نتّخذ الروائح والطيب ونكتِب[١] التفاح والرّمان والأترجّ ، ونضعه فى البيوت ؛ فسهرت ليلتى أنا وأعوانى ؛ ولمّا صليت الصبح دفعت إلى عجوز قطعةَ بخور من عنبر ، فيها مائة مثقال كالبِطّيخة ، وقلت لها : إنى سهرت ونعست نعاساً شديداً ؛ ولا بدّ لى من نومة ، فإذا نظرتِ إلى أمير المؤمنين قد أقبل على الجِسْر ، فضعى هذا العنبر على الكانون . وأعطيتُها كانوناً من فضة صغيراً عليه جمر ، وأمرتها أن تنفخ حتى تحرقها كلّها ، ودخلت حرّاقة فنمت ، فما شعرت إلا وبالعجوز قد جاءت فزِعة حتى أيقظتنى ، فقالت لى : قم يا حفص ؛ فقد وقعتَ فى بلاء ، قلت : وما هو ؟ قالت : نظرتُ إلى رجل مقبل على الجسر منفرد ، شبيه الجسم بجسم أمير المؤمنين ، وبين يديْه جماعة وخلفه جماعة ؛ فلم أشكّ أنه هو ؛ فأحرقت العنبرة ، فلما جاء ، فإذا هو عبد الله بن موسى ، وهذا أمير المؤمنين قد أقبل . قال : فشتمتُها وعنّفتها . قال : وأعطيتها أخرَى مثل تلك لتحرقها بين يديه ، ففعلت ؛ وكان هذا من أوائل الإدبار .

٣/٩١٤

وذكر علىّ بن يزيد ، قال : لما طال الحصار على محمد ، فارقه سليمان بن أبى جعفر وإبراهيم بن المهدىّ ومحمد بن عيسى بن نهيك ، ولحقوا جميعاً

(١) نكتب : نجمع .

بعسكر المهدىّ ، ومكث محمد محصوراً فى المدينة يوم الخميس ويوم الجمعة والسبت . وناظر محمدٌ أصحابَه ومَنْ بقِىَ معه فى طلب الأمان ؛ وسألهم عن الجهة فى النجاة من طاهر ؛ فقال له السندىّ : والله يا سيدى ؛ لئن ظفر بنا المأمون لعلَى رغْم منا وتَعْس جدودنا ؛ وما أرى فرجًا إلا هرثمة . قال له : وكيف بهرثمة ؛ وقد أحاط الموت بى من كلّ جانب ! وأشار عليه آخرون بالخروج إلى طاهر وقالوا : لو حلفتَ له بما يتوثّق به منك أنك مفوِّض إليه ملكك ؛ فلعلّه كان سيرْكَنُ إليك. فقال لهم : أخطأتم وجْهَ الرأى، وأخطأتُ فى مشاورتكم ؛ هل كان عبد الله أخى لو جهد نفسه وولىَ الأمور برأيه بالغًا عشر ما بلغه له طاهر ! وقد محصّتُه وبحثت عن رأيه ، فما رأيته يميل إلى غدر به ؛ ولا طمع فيما سواه ؛ ولو أجاب إلى طاعتى ، وانصرف إلىّ ثم ناصبنى أهلُ الأرض ما اهتممت بأمر ؛ ولوددت أنه أجاب إلى ذلك ، فمنحته خزائنى وفوّضت إليه أمرى ، ورضيت أن أعيش فى كنفه ؛ ولكنى لا أطمع فى ذلك منه . فقال له السندىّ : صدقتَ يا أميرَ المؤمنين ؛ فبادر بنا إلى هرثمة ؛ فإنه يرى ألاّ سبيل عليك إذا خرجت إليه من الملك ؛ وقد ضمن إلىّ أنه مقاتل دونك إنْ همّ عبد الله بقتلك ؛ فاخرج ليلاً فى ساعة قد نوّم الناس فيها ؛ فإنّى أرجو أن يخفَى على الناس أمرُنا .

٩١٥/٣

وقال أبو الحسن المدائنىّ : لما همّ محمد بالخروج إلى هرثمة ، وأجابه إلى ما أراد ، اشتدّ ذلك على طاهر ، وأبى أن يرفِّه عنه ويدَعه يخرج ، وقال : هو فى حيِّزى والجانب الذى أنا فيه ، وأنا أخرجتُه بالحصار والحرب ؛ حتى صار إلى طلب الأمان ؛ ولا أرضى أن يخرج إلى هرثمة دونى ؛ فيكون الفتح له .

٩١٦/٣

ولما رأى هرثمةُ والقوّاد ذلك، اجتمعوا فى منزل خُزيمة بن خازم ؛ فصار إليهم طاهر وخاصّة قواده ، وحضرهم سليمان بن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك والسندىّ بن شاهك، وأداروا الرّأىَ بينهم ، ودبّروا الأمر ، وأخبروا طاهراً أنه لا يخرج إليه أبداً ، وأنه إن لم يجَبْ إلى ما سأل لم يؤمن أن يكون الأمر فى أمره مثله فى أيام الحسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان ؛ فقالوا له :

يخرج ببدنه إلى هرثمة — إذْ كان يأمن به ويثق بناحيته ، وكان مستوحشاً منك، ويدفع إليك الخاتم والقضيب والبُرْدة — وذلك الخلافة — ولاتفسدْ هذا الأمر واغتنمه إذ يسّره الله . فأجاب إلى ذلك ورضى به . ثم قيل : إن الهِرْش لما علم بالخبر ، أراد التقرّب إلى طاهر ، فخبّره أنّ الذى جرى بينهم وبينه مكر ، وأنّ الخاتم والبردة والقضيب تحمل مع محمد إلى هرثمة . فقبل طاهر ذلك منه ، وظنّ أنه كما كتب به إليه ، فاغتاظ وكمَن حول قصر أم جعفر وقصور الخُلد كمناء بالسلاح ومعهم العَتَل والفؤوس ، وذلك ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ، وفى الشهر السريانى خمسة وعشرون من أيلول .

فذكر الحسن بن أبى سعيد، قال : أخبرنى طارق الخادم ، قال: لما همّ محمد بالخروج إلى هَرْثمة عطش قبل خروجه ، فطلبتُ له فى خزانة شرابه ماء فلم أجده . قال : وأمسى فبادر يُريد هرثمة للوعْد الذى كان بينه وبينه ؛ ولبس ثياب الخلافة ؛ درّاعة وطيلَساناً والقلنسوة الطويلة ، وبين يديه شمعة . ٩١٧/٣ فلما انتهينا إلى دار الحرس من باب البصرة ، قال : اسقنى من جباب الحَرس ، فناولته كوزاً من ماء ، فعافه لزُهوكته[1] فلم يشرب منه ؛ وصار إلى هَرْثمة . فوثب به طاهر ، وأكمن له نفسه فى الخُلْد ؛ فلما صار إلى الحَرّاقة[2] ؛ خرج طاهر وأصحابه فرموا الحَرّاقة بالسهام والحجارة ، فمالوا ناحية الماء ، وانكفأت الحَرّاقة ؛ فغرق محمد وهرثمة ومن كان فيها ، فسبح محمد حتّى عبر وصار إلى بستان موسى ، وظنّ أن غَرقه إنما كان حيلة من هرثمة ، فعبر دِجلة حتّى صار إلى قرب الصّراة ، وكان على المسلحة إبراهيم بن جعفر البلخىّ ومحمد بن حُميد هو ابن أخى شكلة أم إبراهيم بن المهدى — وكان طاهر ولاه وكان إذا ولّى رجلاً من أصحابه خُراسانيّاً ضم إليه قوماً — فعرفه محمد بن حُميد وهو المعروف بالطاهرىّ ؛ وكان طاهر يقدّمه فى الولايات ، فصاح بأصحابه فنزلوا ، فأخذوه ، فبادر محمدٌ الماً ، فأخذ بساقيه فجذبه ، وحُمل على

(١) الزهوكة : الرائحة الكريهة .

(٢) الحراقة : نوع من السفن ؛ فيها مرامى نيران يرمى بها .

برذون ، وألقِيَ عليه إزار من أزُر الجند غير مفتول ؛ وصار به إلى منزل إبراهيم بن جعفر البلخيّ ، وكان ينزل بباب الكوفة ، وأردف رجلا خلفه يمسكه لئلا يسقط ، كما يُفعل بالأسير .

فذكرعن الحسن بن أبى سعيد، أن خطّاب بن زياد حدّثه أنّ محمدًا وهرثمة لما غرقا ، بادر طاهر إلى بُستان مؤنسة ، بإزاء باب الأنبار ، موضع معسكره لئلا يُتّهم بغرق هرثمة. قال : فلما انتهى طاهر — ونحن معه فى الموكب والحسن ابن علىّ المأمونىّ والحسن الكبير الخادم للرشيد — إلى باب الشأم ، لحقنا محمد بن حميد ، فترجّل ودنا من طاهر ، فأخبره أنه قد أسر محمداً ، ووجّه به إلى باب الكوفة إلى منزل إبراهيم البلخىّ . قال : فالتفت إلينا طاهر ، فأخبرنا ٩١٨/٣ الخبر ، وقال : ما تقولون ؟ فقال له المأمونى : «مكَسُن» ، أى لاتفعل فعل حسين ابن علىّ . قال : فدعا طاهر بمولًى له يقال له قريش الدّندانىّ ، فأمره بقتل محمد . قال : واتّبَعه طاهر يريد باب الكوفة إلى الموضع .

وأما المدائنىّ فإنه ذكر عن محمد بن عيسى الجُلودىّ ، قال : لما تهيأ للخروج — وكان بعد عشاء الآخرة من ليلة الأحد — خرج إلى صحن القصر ، فقعد على كرسىّ ، وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود ؛ فدخلنا عليه ، فقمنا بين يديه بالأعمدة . قال : فجاء كتلة الخادم ، فقال : يا سيّدى ، أبو حاتم يقرئك السلام ، ويقول : يا سيّدى وافيت للميعاد لحملك ، ولكنى أرى ألا تخرج الليلة ؛ فإنى رأيتُ فى دِجلة على الشطّ أمراً قد رابنى ، وأخاف أن أغلَب فتؤخذ من يدى أو تذهب نفسك ؛ ولكن أقِمْ بمكانك حتى أرجع ثم أستعدّ ثم آتيك القابلةَ فأخرجك ؛ فإن حُوربت حاربتُ دونك ومعى عُدّتى. قال : فقال له محمد : ارجع إليه ، فقل له : لا تبرح ؛ فإنى خارج إليك الساعة لا محالة ، ولستُ أقيم إلى غد . قال : وقلق وقال : قد تفرّق عنى الناس ومَنْ على بابى من الموالى والحرَس ، ولا آمن إن أصبحت وانتهى الخبر بتفريقهم إلى طاهر أن يدخل علىّ فيأخذنى . ودعا بفرس له أدهم محذوف أغرّ محجّل ، كان يسميه الزهرىّ[1] ، ثم دعا بابنيه فضمّهما إليه ، وشمّهما وقبّلهما ،

(١) المسعودى : « الزهيرى » .

٣/٩١٩ وقال : أستودعكما الله ؛ ودمعتْ عيناه ، وجعل يمسح دموعه بكمّه ، ثم قام فوثب على الفرس ، وخرجنا بين يديه إلى باب القصر ؛ حتّى ركبنا دوابّنا ؛ وبين يديه شمعة واحدة . فلما صرنا إلى الطاقات ممّا يلى باب خراسان ، قال لى أبى : يا محمد، ابسط يدك عليه؛ فإنى أخاف أن يضرب به إنسان بالسيف ؛ فإن ضُرب كان الضرب بك دونه . قال: فألقيتُ عِنان فرسى بين معرَفته ، وبسطت يدى عليه حتّى انتهينا إلى باب خُراسان، فأمرنا به ففتح ، ثم خرجنا إلى المشرعة ، فإذا حَرّاقة هرثمة، فرَقِيَ إليها ، فجعل الفرس يتلكّأ وينفر ، وضربه بالسوط وحمله عليها ، حتّى ركبها فى دِجْلة ، فنزل فى الحَرّاقة ، وأخذنا الفرس ، ورجعنا إلى المدينة ، فدخلناها وأمرنا بالباب فأغلق ؛ وسمعنا الواعيةَ ، فصعدنا على القبّة التى على الباب ؛ فوقفنا فيها نسمع الصوت .

فذُكِر عن أحمد بن سلام صاحب المظالم أنه قال : كنت فيمن ركب مع هَرْثمة من القُوّاد فى الحرّاقة ، فلما نزلها محمد قمنا على أرجلنا إعظامًا ، وجثى هَرْثمة على ركبتيه ، وقال له : يا سيّدى ، ما أقدر على القيام لمكان النِّقْرِس الذى بى ، ثم احتضنه وصيّره فى حِجْره، ثم جعل يقبّل يديه ورجليه وعينيه ، ويقول : يا سيدى ومولاى وابن سيدى ومولاى . قال: وجعل يتصفّح وجوهنا ، قال : ونظر إلى عبيد الله بن الوضّاح ، فقال له : أيّهم أنت ؟ قال: أنا عبيد الله بن الوضّاح ، قال : نعم ، فجزاك الله خيراً ، فما أشكرنى لما كان منك من أمر الثلج ! ولو قد لقيت أخى أبقاه الله لم أدعْ أن أشكرك عنده ، ٣/٩٢٠ وسألته مكافأتك عنّى . قال : فبينا نحن كذلك — وقد أمر هرثمة بالحرّاقة أن تُدفع — إذ شدّ علينا أصحاب طاهر فى الزّواريق والشذّوات[١] وعَطْعطوا[٢] وتعلقوا بالسُّكّان[٣] ، فبعضٌ يقطع السّكّان ، وبعضٌ ينقب الحرّاقة ، وبعض يرمى بالآجرّ والنشاب . قال: فنُقبت الحرّاقة ، فدخلها الماء فغرقت ، وسقط هَرْثمة إلى الماء ، فأخرجه ملّاح ؛ وخرج كلّ واحد منا على حَيْله ؛ ورأيت

(١) الشذوات : ضرب من السفن ؛ واحده شذاة .
(٢) العطعطة : تتابع الأصوات واختلافها .
(٣) السكان : ذنب السفينة الذى به تعدل .

محمداً حين صار إلى تلك الحال قد شقّ عليه ثيابه ، ورمى بنفسه إلى الماء .
قال : فخرجت إلى الشطّ ، فعلقنى رجل من أصحاب طاهر ؛ فمضى بى إلى رجل قاعد على كرسىّ من حديد على شطّ دجلة فى ظهر قصر أمّ جعفر ، بين يديه نار توقد ، فقال بالفارسية : هذا رجل خرج من الماء ممن غرق من أهل الحرّاقة ، فقال لى : مَنْ أنت ؟ قلت : من أصحاب هرثمة ؛ أنا أحمد ابن سلاّم صاحب شُرطة مولى أمير المؤمنين ، قال : كذبتَ فاصدقنى ، قال : قلت. قد صدقتك ، قال : فما فعل المخلوع ؟ قلت : قد رأيتُه حين شقّ عليه ثيابه ، وقذف بنفسه فى الماء قال : قدّموا دابّتى ؛ فقدموا دابّته ، فركب وأمر بى أن أجنَب . قال : فجُعل فى عنقى حبل وجُنبت ؛ وأخذ فى درب الرشديّة ، فلما انتهى إلى مسجد أسد بن المرزبان ، انبهرتُ من العَدْو فلم أقدر أن أعدو ، فقال الذى يجنُبنى : قد قام هذا الرّجل ؛ وليس يعدو ، قال : انزل ، فحُزّ رأسه ، فقلت له : جعلت فداك ! لِمَ تقتلنى وأنا رجل علىّ من الله نعمة ، ولم أقدر على العدْو ، وأنا أفدى نفسى بعشرة آلاف درهم . قال : فلما سمع ذكر العشرة آلاف درهم ، قلت : تحبسنى عندك حتى تصبح وتدفع إلىّ رسولا حتى أرسله إلى وكيلى فى منزلى فى عسكر المهدىّ ، فإنْ لم يأتك بالعشرة آلاف فاضربْ عنقى . قال : قد أنصفت ، فأمر بحملى ، فحُملت رِدْفًا لبعض أصحابه ، فمضى بى إلى دار صاحبه ، دار أبى صالح الكاتب ؛ فأدخلنى الدار ، وأمر غلمانه أن يحتفظوا بى ، وتقدّم إليهم ، وأوعز وتفهّم منى خبر محمد ووقوعَه فى الماء ، ومضى إلى طاهر ليخبره خبره ؛ فإذا هو إبراهيم البلخىّ . قال : فصيّرنى غلمانه فى بيت من بيوت الدار فيه بوارٍ ووسادتان أو ثلاث — وفى رواية حُصر مُدرّجة — قال : فقعدت فى البيت ، وصيّروا فيه سراجًا ، وتوثّقوا من باب الدار ، وقعدوا يتحدثون . قال : فلما ذهب من الليل ساعة ؛ إذا نحن بحركة الخيل فدقوا الباب ، ففتح لهم ، فدخلوا وهم يقولون : «يُسَرِ زبيدة». قال : فأدخِل علىّ رجل عُريان عليه سراويل وعمامة متلثّم بها ، وعلى كتفيه خرقة خَلَقة ، فصيّروه معى ، وتقدموا إلى مَنْ فى الدار فى حفظه ، وخلفوا معهم قومًا آخرين أيضًا منهم .

٣/٩٢١

قال: فلما استقرّ فى البيت حسَر العمامة عن وجهه؛ فإذا هو محمد ، فاستعبرت واسترجعت فيما بينى وبين نفسى . قال: وجعل ينظر إلىّ، ثم قال: أيهم أنت؟ قال : قلت : أنا مولاك يا سيّدى ، قال : وأىّ الموالى؟ قلت : أحمد بن سلام صاحب المظالم ،فقال: وأعرفك بغير هذا ، كنت تأتينى بالرَّقة؟ قال : قلت: نعم ، قال : كنت تأتينى وتُلطفنى كثيراً ، لست مولاىَ بل أنت أخى ومنّى . ثم قال : يا أحمد ، قلت : لبّيك يا سيدى؛ قال: ادن منى وضُمّنى إليك ، فإنى أجدُ وحشة شديدة . قال : فضممته إلىّ، فإذا قلبه يخفق خفَقْاً شديداً كاد أن يفرَج عن صدره فيخرج . قال : فلم أزل أضمّه إلىّ وأسكّنه. قال: ثم قال: يا أحمد، ما فعل أخى؟ قال: قلت: هو حىّ ، قال : قبح الله صاحب بريدهم ما أكذبه ! كان يقول : قد مات، شبه المعتذر من محاربته ؛ قال : قلت: بل قبح الله وزراءك ! قال : لاتقُل لوزرائى إلاّ خيراً ، فما لهم ذنب؛ ولستُ بأوّل من طلب أمراً فلم يقدر عليه . قال: ثم قال: يا أحمد، ما تراهم يصنعون بى؟ أتراهم يقتلونى أو يفون لى بأيمانهم[1] ؟ قال: قلت: بل يفون لك ياسيّدى . قال: وجعل يضمّ على نفسه الخرقةَ التى على كتفيه، ويضمها ويمسكها بعضُده يَمنةً ويسرة. قال: فنزعتُ مبطّنة كانت علىّ ثم قلت : يا سيدى ، ألْقِ هذه عليك . قال : ويحك ! دعنى ، هذا من الله عزّ وجلّ، لى فى هذا الموضع خير .

٩٢٢/٣

قال : فبينا نحن كذلك ، إذ دقّ باب الدار ، ففُتح، فدخل علينا رجل عليه سلاحه ، فتطلّع فى وجهه مستثبتاً له ، فلما أثبتَه معرفة، انصرف وغلَق الباب ؛ وإذا هو محمد بن حميد الطاهرىّ ، قال : فعلمت أن الرّجل مقتول . قال : وكان بقِىَ علىّ من صلاتى الوتر ، فخفت أن أقتلَ معه ولم أوتِر ، قال : فقمت أوتر، فقال لى : يا أحمد ، لا تتباعد منى ، وصلّ إلى جانبى ، أجد وحشة شديدة . قال : فاقتربت منه ؛ فلما انتصف الليل أو قارب ، سمعت حركة الخيل، ودقّ الباب، ففُتح، فدخل الدار قوم من العجم بأيديهم السيوف مسلّلة ، فلما رآهم قام قائماً ، وقال : إنّا لله وإنّا إليه رَاجعُون ! ذهبت والله

(١) ابن الأثير : «بأمانهم» .

٩٢٣/٣ نفسى فى سبيل الله ! أما من حيلة ! أما مَن مغيث ! أما من أحد من الأبناء !
قال : وجاءوا حتى قاموا على باب البيت الذى نحن فيه ، فأحجموا عن الدخول ،
وجعل بعضهم يقول لبعض : تقدّم ، ويدفع بعضهم بعضًا . قال : فقمتُ
فصرتُ خلف الحُصُر المدرّجة فى زاوية البيت ، وقام محمد ، فأخذ بيده وسادة ،
وجعل يقول : وَيحْكم ! إنى ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا ابن
هارون ؛ وأنا أخو المأمون ، اللهَ اللهَ فى دمى ! قال : فدخل عليه رجل منهم
يقال له خمارويه — غلام لقريش الدندانىّ مولى طاهر — فضربه بالسيف
ضربة وقعت على مقدّم رأسه ؛ وضرب محمد وجهه بالوسادة التى كانت فى
يده ، واتّكأ عليه ليأخذ السيف من يده فصاح خمارويه : قتلنى قتلنى — بالفارسية
قال : فدخل منهم جماعة ، فنخَسه واحد منهم بالسيف فى خاصِرته ، وركبوه
فذبحوه ذبحًا من قفاه ، وأخذوا رأسه ، فمضوا به إلى طاهر ، وتركوا جثّته .
قال : ولما كان فى وقت السحر جاءوا إلى جُثّته فأدرجوها فى جُلّ ، وحملوها .
قال : فأصبحت فقيل لى : هات العشرة آلاف درهم وإلا ضربنا عنقك .
قال : فبعثت إلى وكيلى فأتانى ، فأمرته فأتانى بها ، فدفعتها إليه . قال : وكان
دخول محمد المدينة يوم الخميس ، وخرج إلى دِجْلة يوم الأحد .

وذكر عن أحمد بن سلاّم فى هذه القصة أنه قال : قلت لمحمد لمّا دخل
علىّ البيت وسكن : لاجزى الله وزراءك خيراً ، فإنهم أوردوك هذا المورد !
فقال لى : يا أخى ؛ ليس بموضع عتاب . ثم قال : أخبرْنى عن المأمون أخى ،
أحىٌّ هو ؟ قلت : نعم ؛ هذا القتال عمّن إذاً ! هو إلا عنه ! قال : فقال لى :
٩٢٤/٣ أخبرَنى يحيى أخو عامر بن إسماعيل بن عامر — وكان يلى الخبر فى عسكر
هرثمة — أن المأمون مات ، فقلت له : كذب . قال : ثم قلت له : هذا الإزار
الذى عليك إزار غليظ فالبس إزارى وقميصى هذا فإنه ليّن ، فقال لى : مَنْ
كانت حاله مثل حالى فهذا له كثير . قال : فلقنته ذكرَ الله والاستغفار ، فجعل
يستغفر . قال : وبينا نحن كذلك ، إذ هدّة تكاد الأرض ترجُف منها ؛
وإذا أصحاب طاهر قد دخلوا الدار وأرادوا البيت ، وكان فى الباب ضِيق ،
فدافعهم محمد بمِجنّة كانت معه فى البيت ؛ فما وصلوا إليه حتى عرقبُوه ، ثم

هجموا عليه ، فحزّوا رأسه . واستقبلوا به طاهراً ، وحملوا جُثّته إلى بستان مؤنسة إلى معسكره ؛ إذ أقبل عبد السلام بن العلاء صاحب حرس هرثمة فأذن له — وكان عبَر إليه على الجسر الذى كان بالشّمّاسيّة — فقال له : أخوك يقرئك السلام ، فما خبرك ؟ قال : يا غلام ؛ هات الطسّ ، فجاءوا به وفيه رأس محمد ، فقال : هذا خبَرى فاعلمه . فلمّا أصبح نصب رأس محمد على باب الأنبار ، وخرج من أهل بغداد للنظر إليه ما لا يحصى عددهم ، وأقبل طاهر يقول : رأس المخلوع محمد .

وذكر محمد بن عيسى أنه رأى المخلوع على ثوبه قَمْلة ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : شيء يكون فى ثياب الناس ، فقال : أعوذ بالله من زوَال النّعمة ! فقتِل من يومه .

وذكر عن الحسن بن أبى سعيد أن الجندين : جند طاهر وجند أهل بغداد ، ندموا على قتل محمد ، لما كانوا يأخذون من الأموال .

٣/٩٢٥ وذكر عنه أنه ذكر أنّ الخزانة التى كان فيها رأس محمد ورأس عيسى ابن ماهان ورأس أبى السرايا كانت إليه . قال : فنظرت فى رأس محمد ؛ فإذا فيه ضربة فى وجهه ، وشعر رأسه ولحيته صحيح لم يتَحاتّ[1] منه شيء ، ولونُه على حاله . قال : وبعث طاهر برأس محمد إلى المأمون مع البُرْدة والقضيب والمصلّى — وهو من سعف مبطّن — مع محمد بن الحسن بن مصعب ابن عمه ، فأمر له بألف ألف درهم ، فرأيت ذا الرّياستين ، وقد أدخل رأس محمد على ترس بيده إلى المأمون ، فلما رآه سجد .

قال الحسن : فأخبرنى ابن أبى حمزة ، قال : حدّثنى علىّ بن حمزة العلوىّ ، قال : قدم جماعة من آل أبى طالب على طاهر وهو بالبستان حين قتِل محمد بن زبيدة ونحن بالحضْرة ، فوصلهم ووصلَنا ، وكتب إلى المأمون بالإذن لنا أو لبعضنا ، فخرجنا إلى مَرْو ، وانصرفنا إلى المدينة ، فهنئونا بالنعمة ، ولقينا مَنْ بها من أهلها وسائر أهل المدينة ، فوصفنا لهم قَتْل محمد ، وأن طاهر بن الحسين دعا مولًى يقال له قريش الدندانىّ ، وأمره بقتله . قال : فقال لنا شيخ منهم :

(١) ط : « ينجاب » ، تحريف .

كيف قلت ! فأخبرته ، فقال الشيخ : سبحان الله ! كنا نروى هذا أن قريشاً يقتله ؛ فذهبنا إلى القبيلة ، فوافق الاسم الاسم !

وذكر عن محمد بن أبى الوزير أن علىّ بن محمد بن خالد بن بَرْمك أخبره أن إبراهيم بن المهدىّ لما بلغه قتلُ محمد ، استرجع وبكى طويلا ، ثم قال :

عُوجا بِمغْنَى طللٍ داثِرٍ[1] بالخُلْدِ ذاتِ الصَّخْرِ والآجُرِ
والمرْمَر المسنونِ يُطلَى به[2] والبــابِ باب الذّهبِ النّاضرِ ٩٢٦/٣
عوجا بهــا فاستَيقِنا عندها على يقينٍ قُدْرَةَ القادرِ
وأَبلِغَــا عنّى مقالاً إلى الـ ـمَوْلى على المأْمورِ والآمرِ
قولا له : يا بنَ ولىِّ الهدَى[3] طَهِّر بلادَ اللهِ من طاهِرِ
لم يكفه أَنْ حَزَّ أَوداجَه[4] ذَبْحَ الهدَايا بمُدَى الجازِرِ
حتَّى أَتى يَسْحَبُ أَوصاله فى شَطَنٍ يُفنِى مَدَى السائرِ[5]
قد بَرَّدَ الموتُ على جَنْبِه وطــرفُه منكِسرُ الناظر

قال : وبلغ ذلك المأمون فاشتدّ عليه .

وذكر عن المدائنى أنّ طاهرًا كتب إلى المأمون بالفتح :

أما بعد ، فالحمدُ لله المتعالى ذى العزّة والجلال ، والملك والسلطان ، الذى إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .

كان فيما قدّر الله فأحكم ، ودبّر فأبرم ، انتكاثُ المخلوع ببيعته ، وانتقاضُه بعهده ، وارتكاسه فى فتنته ، وقضاؤه عليه القتل بما كسبتْ يداه وما الله بظلام للعبيد . وقد كتبت إلى أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — فى

---

(١) ابن الأثير : « الطلل الداثر » . (٢) ابن الأثير : « المرمر المنسوب » .
(٣) ابن الأثير : « يابن أبى الناصر » . (٤) ابن الأثير : « أوصاله » .
(٥) ط : « مدى الشابر » ، وما أثبته من ابن الأثير .

إحاطة جند الله بالمدينة والخُلْد[1] ، وأخذهم بأفواهها وطرقها ومسالكها فى دِجلة نواحى أزقّة مدينة السلام وانتظام المسالح حواليها وحَدْرِى السّفن والزواريق بالعرّادات والمقاتلة ، إلى ما واجه الخُلْد وباب خراسان ، تحفّظًا بالمخلوع ، وتخوّفًا من أن يروغ مراغًا ، ويسلك مسلكًا يجدبه السبيل إلى إثارة فتنة ، وإحياء ثائرة[2] ، أو يهايج قتالا بعد أن حصَره الله عز وجلّ وخذله ، ومتابعة الرّسل بما يعرض عليه هرثمةُ بن أعين مولى أميرِ المؤمنين ، ويسألُنى من تخلية الطريق له فى الخروج إليه واجتماعى وهرثمة بن أعين ؛ لنتناظر فى ذلك ، وكراهتى ما أحدث وراءه من أمره بعد إرهاق الله إياه ، وقطعه رجاءه من كلّ حيلة ومتعلَّق ، وانقطاع المنافع عنه ؛ وحيل بينه وبين الماء ؛ فضلا عن غيره ؛ حتى همّ به خدمُه وأشياعه من أهل المدينة ومَنْ نجا معه إليها ، وتحزَّبُوا على الوثوب به للدّفْع عن أنفسهم والنجاة بها ، وغير ذلك مما فسّرتُ لأمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أرجو أن يكون قد أتاه .

وإنى أخبر أمير المؤمنين أنى روّيت فيما دبّر هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين فى المخلوع ، وما عرَض عليه وأجابه إليه ، فوجدت الفتنة فى تخلّصه من موضعه الذى قد أنزله الله فيه بالذّلة والصَّغار وصيّره فيه إلى الضيق والحصار تزداد ، ولا يزيد أهل التربّص فى الأطراف إلا طمعًا وانتشارًا ، وأعلمت ذلك هرثمةَ بن أعين ، وكراهتى ما أطمعه فيه وأجابه إليه ؛ فذكر أنه لا يرى الرجوعَ عما أعطاه ، فصادرته — بعد يأس من انصرافه — عن رأيه ، على أن يقدم المخلوعُ رداءَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وسيفَه وقضيبَه قبل خروجه ؛ ثم أخلِّى له طريق الخروج إليه ؛ كراهة أن يكون بينى وبينه اختلاف نصير منه إلى أمرٍ يُطمع الأعداء فينا ، أو فراقُ القلوب بخلاف ما نحن عليه من الائتلاف والاتفاق على ذلك ، وعلى أن نجتمع لميعادنا عشية السبت .

فتوجّهت فى خاصة ثقاتى الذين اعتمدت عليهم ، وأثق بهم ، بربط الجأش ، وصدق البأس ، وصحة المناصحة ؛ حتى طالعتُ جميعَ أمر كلّ

(١) المدينة ، أى بغداد ؛ وهى مدينة السلام . والخلد : قصر بناه المنصور بها ؛ ثم بنيت حواليه منازل ، فصارت محلة كبيرة عرفت بالخلد . (٢) الثائرة : العداوة والشحناء .

٣/٩٢٧ ٣/٩٢٨

من كنت وكّلتُ بالمدينة والخُلْد بَرًّا و بحراً، والتقدمة إليهم فى التحفّظ والتيقظ والحراسة والحذر، ثم انكفأت إلى باب خراسان، وكنت أعددت حَرّاقات وسفنًا؛ سوى العُدّة التى كانت لأركبها بنفسى لوقت ميعادى بينى وبين هرثمة، فنزلتها فى عدّة ممن كان ركب معى من خاصة ثقاتى وشاكريّتى[1]، وصيرت عدّة منهم فرسانًا ورجّالة بين باب خُراسان والمشرعة[2] وعلى الشطّ.

وأقبل هرثمة بن أعين حتى صار بقُرْب باب خراسان معِدًّا مستعدًّا؛ وقد خاتلنى بالرسالة إلى المخلوع إلى أن يخرج إليه إذا وافى المشرَعة، ليحمله قبل أن أعلم، أو يبعث إلىّ بالرداء والسيف والقضيب؛ على ما كان فارقنى عليه من ذلك. فلما وافى خروجُ المخلوع على مَنْ وكلت بباب خراسان، نهضوا عند طلوعه عليهم ليعرفوا الطابَع لأمرى كان أتاهم، وتقدّمى إليهم ألاّ يَدَعُوا أحدًا يجوزهم إلا بأمرى. فبادرهم نحو المشرَعة، وقرّب هرثمةُ إليه الحرّاقة، فسبق الناكثَ أصحابى إليها، وتأخر كَوْثر[3]، فظفر به قريش مولاى، ومعه الرّداء والقضيب والسيف، فأخذه وما معه، فنفر أصحاب المخلوع عند ما رأوْا من إرادة أصحابى منع مخلوعهم من الخروج، فبادر بعضُهم حرّاقة هرثمة، فتكفّأت بهم حتى أغرِقت فى الماء ورَسبَتْ، فانصرف بعضهم إلى المدينة، ورمى المخلوع عند ذلك بنفسه من الحرّاقة فى دِجْلة متخلّصا إلى الشطّ، نادمًا على ما كان من خروجه، ناقضًا للعهد، داعيًا بشعاره، فابتدره عدّة من أوليائى الذين كنت وكلتهم بما بين مشرَعة باب خُراسان وركن الصراة، فأخذوه عَنْوة قَهْرًا بلا عهد ولا عقد؛ فدعا بشعاره، وعاد فى نَكْثه، فعرض عليهم مائة حبّة، ذكر أن قيمة كل حبة مائة ألف درهم، فأبوْا إلا الوفاء لخليفتهم أبقاه الله، وصيانة لدينهم، وإيثاراً للحقّ الواجب عليهم، فتعلقوا به، قد أسلمه[4] الله وأفرده؛ كلٌّ يرغبه، ويريد أن يفوز بالحظوة عندى دون صاحبه؛ حتى اضطربوا فيما بينهم، وتناولوه

٩٢٩/٣

(١) الشاكرى: الأجير والمستخدم، معرب «جاكر».
(٢) المشرعة: مورد الشاربة.
(٣) كوثر خادم الأمين.
(٤) أسلمه، أى خذله.

بأسيافهم منازعةً فيه، وتشاحّا عليه[1]، إلى أن أتيح له مَغيظٌ[2] لله ودينه ورسوله وخليفته، فأتى عليه وأتاني الخبر بذلك، فأمرت بحمل رأسه إليّ، فلما أتيت به تقدّمت إلى من كنت وكلت بالمدينة والخُلْد وما حواليها وسائر مَنْ في المسالح، في لزوم مواضعهم، والاحتفاظ بما يليهم، إلى أن يأتيَهم أمري. ثم انصرفت. فأعظم الله لأمير المؤمنين الصنع والفتح عليه وعلى الإسلام به وفيه.

فلما أصبحتُ هاج الناس واختلفوا في المخلوع، فمصدّق بقتله، ومكذب وشاكّ وموقن، فرأيت أن أطرح عنهم الشبهة في أمره، فمضيت برأسه، لينظروا إليه فيصحّ بعينهم، وينقطع بذلك بَعَل[3] قلوبهم، ودخَلُ التياث المستشرفين للفساد[4] والمستوفزين للفتنة، وغدوت نحو المدينة فاستسلم مَنْ فيها، وأعطى أهلها الطاعة، واستقام لأمير المؤمنين شرقيّ ما يلي مدينة السلام وغربيّه وأرْباعه[5] وأرْباضَه ونواحيه؛ وقد وضعتِ الحربُ أوزارها وتلاقى بالسلام والإسلام أهله؛ وبعّد الله الدّغَل[6] عنهم، وأصارهم ببركة أمير المؤمنين إلى الأمن والسّكون والدّعة والاستقامة والاغتباط؛ والصّنْع من الله جلّ وعزّ والخيرة، والحمد لله على ذلك.

٩٣٠/٣

فكتبت إلى أمير المؤمنين حفظه الله، وليس قِبَلي داعٍ إلى فتنة؛ ولا متحرّك ولا ساعٍ في فساد، ولا أحد إلا سامع مطيع باخع حاضر؛ قد أذاقه الله حلاوة أميرِ المؤمنين ودَعَة ولايته؛ فهو يتقلّب في ظلها، يغدو في متجره ويروح في معايشه؛ والله وليّ ما صنع من ذلك، والمتمّم له، والمانّ بالزيادة فيه برحمته.

وأنا أسأل الله أن تُهنّئ أميرَ المؤمنين نعمتُه، ويتابع له فيها مزيدَه ويُوزعه عليها شكره؛ وأن يجعل منّته لديه متوالية دائمًا متواصلة؛ حتى يجمع الله له خير الدنيا والآخرة، ولأوليائه وأنصار حقه ولجماعة المسلمين ببركته وبركة ولايته ويُمْنِ خلافته، إنه وليّ ذلك منهم وفيه، إنه سميع لطيف لما يشاء.

---

(١) تشاحا على الأمر؛ أي لا يريدان أن يفوتهما. (٢) ط: «مغيظًا»، وهو خطأ.
(٣) البعل: الدهش والاضطراب. (٤) الدخل: ما داخل المرء من فساد في عقل أو جسم. والالتياث: الاختلاط والالتفاف. واستشرف إلى الشيء: رفع بصره إليه.
(٥) كانت بغداد مقسمة أرباعاً. (٦) الدغل: الفساد.

وكُتِب يوم الأحد لأربع بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة .

وذكر عن محمد المخلوع أنه قبل مقتله، وبعد ما صار فى المدينة، ورأى الأمر قد تولّى عنه ، وأنصاره يتسللون فيخرجون إلى طاهر ، قعد فى الجناح الذى كان عمله على باب الذهب — وكان تقدم فى بنائه قبل ذلك — وأمر بإحضار كلّ من كان معه فى المدينة من القواد والجند، فجمِعوا فى الرحبة ، فأشرف عليهم ، وقال :

٩٣١/٣

الحمدُ لله الذى يرفع ويضع ، ويعطى ويمنع ، ويقبض ويبسط ؛ وإليه المصير . أحمَده على نوائب الزّمان، وخذلان الأعوان، وتشتت الرجال، وذهاب الأموال ، وحُلول النوائب، وتوفّد المصائب ؛ حمداً يُدّخَر لى به أجزل الجزاء ، ويَرْفدنى أحسَن العزاء . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد لنفسه ، وشهدتْ له ملائكته، وأنّ محمداً عبده الأمين، ورسوله إلى المسلمين ، صلى الله عليه وسلم، آمين رب العالمين .

أما بعد يا معشر الأبناء ، وأهلَ السبق إلى الهدى ، فقد علمتم غفْلتى كانت أيام الفضل بن الربيع وزيرٌ علىّ ومشير ، فمادّت به الأيام[1] بما لزمنى به من الندامة فى الخاصّة والعامة، إلى أن نبّهتمونى فانتبهت، واستعنتمونى فى جميع ما كرهتهم من نفسى وفيكم، فبذلت لكم ما حواه مُلكى ، ونالته مقدرتى، ممّا جمعته وورثته عن آبائى، فقوّدت[2] مَنْ لم يَجز، واستكفيت مَنْ لم يكْفِ ، واجتهدت — علم الله — فى طلب رضاكم بكلّ ما قدرت عليه ، واجتهدتم — علم الله — فى مساءتى فى كلّ ما قدرتم عليه ؛ من ذلك توجيهى إليكم علىّ بن عيسى شيخكم وكبيركم وأهل الرأفة بكم والتحنّن عليكم ؛ فكان منكم ما يطول ذكره؛ فغفرت الذنب ، وأحسنت واحتملت ، وعزّيت نفسى عند معرفتى بشرود[3] الظفر ، وحرصى على مُقامكم مَسْلحة بحلوان مع ابن كبير صاحب دعوتكم، ومَنْ على يدى أبيه كان فخركم، وبه تمّت طاعتكم: عبد الله بن حَميد بن قَحْطبة ، فصرتم من التألّب عليه إلى ما لا طاقة

---

(١) مادت به الأيام : طاولته .
(٢) قودت ، أى اتخذته قائداً .
(٣) ط : « بشذوذ » .

٩٣٢/٣ له به ، ولا صبر عليه. يقودكم رجل منكم وأنتم عشرون ألفًا؛ إلى عامدين[١]، وعلى سيّدكم متوثبين مع سعيد الفرد ، سامعين له مطيعين . ثم وثبتم مع الحسين علىّ ، فخلعتمونى وشتمتمونى ، وانتهبتمونى وحبستمونى ، وقيّدتمونى؛ وأشياء منعتمونى من ذكرها ؛ حقْد قلوبكم وتلكّؤ طاعتكم أكبرُ وأكثر . فالحمد لله حمد من أسلم لأمره، ورضى بقدَره؛ والسلام .

وقيل: لما قُتل محمد، وارتفعت الثائرة، وأعطىَ الأمانَ الأبيض والأسود ، وهدأ الناس ، ودخل طاهر المدينة يوم الجمعة، فصلّى بالناس، وخطبهم خطبة بليغة ، نزع فيها من قوارع القرآن؛ فكان مما حُفظ من ذلك أن قال :

الحمد لله مالكِ الملك يؤتى الملكَ من يشاء وينزعُ الملك ممّن يشاء، ويُعزّ مَنْ يشاء ويُذلّ مَنْ يشاء بيده الخيرُ وهو على كلّ شىء قدير. فى آى من القرآن أتبع بعضُها بعضًا ، وحضّ على الطاعة ولزوم الجماعة ، ورغّبهم فى التمسك بحبل الطاعة . وانصرف إلى معسكره .

وذكر أنه لما صعد المنبر يوم الجمعة ، وحضره من بنى هاشم والقُوّاد وغيرهم جماعة كثيرة ، قال :

الحمد لله مالك الملك، يؤْتيه مَنْ يشاء ، ويعزّ من يشاء ، ويذلّ مَنْ يشاء ، بيده الخير ، وهو على كلّ شى قدير . لا يُصلحُ عملَ المفسدين ، ولا يهدِى كيد الخائنينَ ؛ إنّ ظهور غَلَبتنا لم يكن من أيدينا ولا كيدنا ، بل اختار الله للخلافة إذ جعلها عماداً لدينه ، وقوامًا لعباده، وضبْط الأطراف ٩٣٣/٣ وسدّ الثغور ، وإعداد العُدّة ، وجمْع الفىء ، وإنفاذ الحُكْم، ونشر العدْل ، وإحياء السنة؛ بعد إذبالِ البَطالات ، والتلذذ بموبق الشهوات . والمُخْلدُ إلى الدنيا مستحسنٌ لداعى غرورها ، محتلبٌ درّة نعمتها ، ألِفٌ لزهرة روضتها، كلِفٌ برَوْنق بهجتها . وقد رأيتم من وفاء موعود الله عزّ وجلّ لمن بغى عليه، وما أحلّ به من بأسه ونقمته ، لمـّا نكب عن عهده ، وارتكب معصيتَه ، وخالف أمره ، وغيّره ناهيه ، وعظته مردية ؛ فتمسكوا بوثائق[٢] عُصُم الطاعة، واسلكوا مناحىَ سبيل الجماعة ، واحذروا مصارعَ أهل الخلاف

---

(١) ط : «عامين» .
(٢) ط : «بدقائق» .

والمعصية ؛ الذين قدحوا زناد الفتنة ، وصدَعوا شَعْب الألفة ، فأعقبهم الله خسار الدنيا والآخرة.

* * *

ولما فتح طاهر بغداد كتب إلى أبى إسحاق المعتصم — وقد ذكر بعضهم أنه إنما كتب بذلك إلى إبراهيم بن المهدىّ ، وقال الناس : كتبه إلى أبى إسحاق المعتصم :

أما بعد ، فإنه عزيز علىّ أن أكتبَ إلى رجل من أهل بيت الخلافة بغير التأمير ؛ ولكنّه بلغنى أنك تميل بالرأى ، وتُصغى بالهوى ، إلى الناكث المخلوع ؛ وإن كان كذلك فكثير ما كتبتُ به إليك ، وإن كان غيرَ ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . وكتب فى أسفل الكتاب هذه الأبيات :

رُكوبكَ الأمرَ ما لم تُبْلَ فرصتُهُ ... جهلٌ وَرَأْيُكَ بالتَّغرِيرِ تَغرِيرُ[1]

أَقبِحْ بِدُنيَا ينالُ المُخطِئونَ بها[2] ... حَظَّ المُصِيبينَ والمَغْرورُ مغْرورُ[3]

* * *

[وثوب الجند بطاهر بن الحسين بعد مقتل الأمين]

وفى هذه السنة وثب الجند بعد مقتل محمد بطاهر ، فهرب منهم وتغيّب أيامًا حتى أصلِح أمرهم . ٣/٩٣٤

* ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به وإلى ما آل أمره وأمرهم :

ذُكر عن سعيد بن حميد ؛ أنه ذكر أنّ أباه حدّثه ؛ أنّ أصحاب طاهر

---

(١) العقد ٤ : ٢٤٢ ، ورواية البيت فيه :

رُكوبُكَ الهوْل مالمْ تُلْفِ فُرْصتَهُ ... جَهلٌ رمَى بِكَ بالإقحام تغريرُ

(٢) العقد : « يصيب المخطئون » .

(٣) بعدهما فى العقد :

فازرَعْ صواباً وَخُذْ بالحزْمِ حَيْطَتَهُ ... فلنْ يُذَمَّ لأَهل الحزمِ تدبيرُ

فإن ظفرتَ مصيباً أَو هلكْتَ به ... فأَنتَ عند ذوى الأَلبابِ معذورُ

وإنْ ظفِرتَ عَلى جهلٍ فَفُزْتَ بِهِ ... قَالُوا : جهولٌ أَعانتْهُ المقاديرُ

بعد مقتل محمد بخمسة أيام ، وثبوا به ؛ ولم يكن فى يديه مال ، فضاق به أمرُه ، وظنّ أن ذلك عن مواطأة من أهل الأرْباض إياهم ، وأنهم معهم عليه ، ولم يكن تحرّك فى ذلك من أهل الأرباض أحد ، فاشتدّت شوكة أصحابه ، وخشىَ على نفسه ، فهرب من البستان ، وانتهبوا بعضَ متاعه ، ومضى إلى عَقَرقوف[1] . وكان قد أمر بحفظ أبواب المدينة وباب القصر على أمّ جعفر ، وموسى وعبد الله ابنى محمد ، ثم أمر بتحويل زُبيدة وموسى وعبد الله ابنىْ محمد معها من قصر أبى جعفر إلى قصر الخُلْد ، فحوّلوا ليلة الجمعة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول ، ثم مضى بهم من ليلتهم فى حَرّاقة إلى هُمَيْنيا على الغربىّ من الزاب الأعلى ، ثم أمر بحمل موسى وعبد الله إلى عمّهما بخراسان على طريق الأهواز وفارس .

قال : ولما وثب الجند بطاهر ، وطلبوا الأرزاق ، أحرقوا باب الأنبار الذى على الخندق وباب البستان ، وشهروا السلاح ، وكانوا كذلك يومَهم ومن الغد ، ونادوا موسى : يا منصور . وصوّب الناس إخراجَ طاهر موسى وعبد الله ؛ وقد كان طاهر انحاز ومَنْ معه من القوّاد ، وتعبّأ لقتالهم ومحاربتهم ، فلما بلغ ذلك القوّاد والوجوه صاروا إليه واعتذروا ، وأحالوا على السفهاء والأحداث ، وسألوه الصّفْح عنهم وقبول عذرهم والرضا عنهم ، وضمنوا له ألاّ يعودوا لمكروه ٩٣٥/٣ له ما أقام معهم . فقال لهم طاهر : والله ما خرجتُ عنكم إلا لوضع سيفى فيكم ، وأقسم بالله لئن عُدتم لمثلها لأعودنّ إلى رأيى فيكم ، ولأخرجنّ إلى مكروهكم ؛ فكسرهم بذلك ، وأمر لهم برزق أربعة أشهر ؛ فقال فى ذلك بعض الأبناء :

آلَى الأَميرُ – وقولُهُ وَفِعَالهُ ... حَقٌّ – بجَمْعِ معَاشِرِ الزُّعَّارِ
إن هاجَ هَائِجُهُمْ وشَغَّبَ شَاغِبٌ ... من كلِّ ناحيةٍ من الأَقْطارِ
أَلَّا يناظرَ مَعْشَرًا من جمْعِهِمْ ... إمهالَ ذى عَدْلٍ وذِى إنظارِ
حتى يُنيخَ عليهمُ بعَظِيمَةٍ ... تدَعُ الدِّيارَ بَلاقِعَ الآثار

(١) ط : « عاقرقوف » ، تصحيف .

فذكر عن المدائنىّ أن الجند لما شَغَبُوا، وانحاز طاهر، ركب إليه سعيد ابن مالك بن قادم ومحمد بن أبى خالد وهبيرة بن خازم، فى مشيخةٍ من أهل الأرباض، فحلفوا بالمغلّظة من الأيمان، أنه لم يتحرّك فى هذه الأيام أحدٌ من أبناء الأرباض، ولا كان ذلك عن رأيهم، ولا أرادوه، وضمنوا له صلاح نواحيهم من الأرْبَاض، وقيامَ كل إنسان منهم فى ناحيته بكلّ ما يجب عليه؛ حتى لا يأتيه من ناحية أمر يكرهه. وأتاه عَميرة – أبو شَيْخ بن عَميرة الأسدىّ – وعلىّ ابن يزيد؛ فى مشيخة من الأبناء، فلقوه بمثل ما لقيه به ابنُ أبى خالد وسعيد ابن مالك وهُبيرة، وأعلموه حسنَ رأى مَنْ خلْفهم من الأبناء ولينَ طاعتهم له، وأنهم لم يدخلوا فى شىء مما صنع أصحابه فى البستان. فطابت نفسه إلاّ أنه قال لهم: إن القوم يطلبون أرزاقهم، وليس عندى مال. فضمن لهم سعيد ابن مالك عشرين ألف دينار، وحملها إليه، فطابت بها نفسه، وانصرف إلى معسكره بالبستان. وقال طاهر لسعيد: إنى أقبلها منك على أن تكون علىّ ديْناً، فقال له: بل هى إنما صلة وقليل لغلامك وفيما أوجب الله من حقك. فقبلها منه، وأمر للجند برزق أربعة أشهر، فرضُوا وسكنوا.

٩٣٦/٣

قال المدائنىّ: وكان مع محمد رجل يقال له السمرقندىّ، وكان يرمى عن مجانيق كانت فى سفن من باطن دِجلة؛ وربما كان يشتدّ أمر أهل الأرباض على مَن بإزائهم من أصحاب محمد فى الخنادق، فكان يبعث إليه، فيجىء به فيرميهم – وكان رامياً لم يكن حجَرُه يخطئ – ولم يقتل الناس يومئذ بالحجارة كما قيل، فلما قتِل محمد قُطع الجسر، وأحرقت المجانيق التى كانت فى دجلة يرمى عنها، فأشفق على نفسه، وتخوّف من بعض مَنْ وتره أن يطلبه، فاستخفى، وطلبه الناس، فتكارى بغلا، وخرج إلى ناحية خُراسان هارباً، فمضى حتى إذا كان فى بعض الطريق استقبله رجلٌ فعرفه؛ فلما جازه قال الرجل للمكارى: ويحك! أين تذهب مع هذا الرجل! والله لئن ظُفر بك معه لتُقتلنّ، وأهون ما هو مصيبُك أن تحبَس. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! قد والله عرفت اسمَه، وسمعت به قتله الله! فانطلق المكارى إلى أصحابه – أو مسلحة انتهى إليها – فأخبرهم خبره. وكانوا من أصحاب كُنْدُغوش من أصحاب هرثمة،

فأخذوه وبعثوا به إلى هرثمة ، وبعث به هرثمة إلى خزيمة بن خازم بمدينة السلام ، فدفعه خزيمة إلى بعض مَنْ وتره فأخرجه إلى شاطئ دجلة من الجانب الشرقيّ فصُلب حيًّا ، فذكروا أنه لما أرادوا شدّه على خشبته ، اجتمع خلق كثير ، فجعل يقول قبل أن يشدّوه : أنتم بالأمس تقولون : لا قَطَع الله يا سمرقنديّ يدك ، واليوم قد هيّأتم حجارتكم ونُشّابكم لترموني! فلما رفعت الخشبة أقبل الناس عليه رميًا بالحجارة والنشاب وطعنًا بالرماح حتّى قتلوه ، وجعلوا يرمونه بعد موته ، ثم أحرقوه من غد ، وجاءوا بنار ليحرقوه بها ، وأشعلوها فلم تشتعل ، وألقوْا عليه قصبًا وحطبًا ، فأشعلوها فيه ، فاحترق بعضه ، وتمزّقت الكلاب بعضه ؛ وذلك يوم السبت لليلتين خلتا من صفر . ٣/٩٣٧

* * *

ذكر الخبر عن صفة محمد
ابن هارون وكنيته وقدر ما ولي ومبلغ عمره

قال هشام بن محمد وغيره : ولِيَ محمد بن هارون وهو أبو موسى يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقتل ليلة الأحد لستّ بقين من صفر سنة سبع وتسعين ومائة . وأمه زبيدة ابنة جعفر الأكبر بن أبي جعفر ؛ فكانت خلافتُه أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام ؛ وقد قيل : كانت كنيتُه أبا عبد الله .

وأما محمد بن موسى الخُوارزميّ فإنه ذكر عنه أنه قال : أتت الخلافةُ محمّد بن هارون للنصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وحجّ بالناس في هذه السنة التي وَلِيَ فيها داود بن عيسى بن موسى ، وهو على مكة وأبو البختريّ على ولايته ، وبعد ولايته بعشرة أشهر وخمسة أيام وجّه[1] عصمة ابن أبي عصمة إلى ساوَة ، وعقد ولايته لابنه موسى بولاية العهد لثلاث خلون من شهر ربيع الأول ؛ وكان على شُرَطه عليّ بن عيسى بن ماهان .

٣/٩٣٨ وحجّ بالناس سنة أربع وتسعين ومائة عليّ بن الرشيد ، وعلى المدينة إسماعيل بن العباس بن محمد ، وعلى مكة داود بن عيسى ، وكان بين أن

(١) ط : « وجهه » .

عقد لابنه إلى التقاء علىّ بن عيسى بن ماهان وطاهر بن الحسين وقتل علىّ بن عيسى بن ماهان سنة خمس وتسعين ومائة، سنةً وثلاثة أشهر وتسعة وعشرون يومًا .قال : وقتل المخلوع ليلة الأحد لخمس بقين من المحرّم ، قال : فكانت ولايته مع الفتنة أربع سنين وسبعة أشهر وثلاثة أيام .

ولما قتِل محمد ووصل خبره إلى المأمون فى خريطة من طاهر يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة أظهر المأمون الخبر ، وأذن للقوّاد فدخلوا عليه . وقام الفضل بن سهل فقرأ الكتاب بالخبر ، فهنِّئ بالظَّفَر ، ودعوا الله له . وورد الكتاب من المأمون بعد قتل محمد على طاهر وهرثمة بخلْع القاسم بن هارون ، فأظهرا ذلك ، ووجّها كتبهما به، وقرئ الكتاب بخلعه يوم الجمعة لليلتين بقيّتا من شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين ومائة ، وكان عمر محمد كله – فيما بلغنى – ثمانيًا وعشرين سنة .

وكان سَبْطًا أنزعَ أبيض صغير العينين أقنى ، جميلا ،عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين . وكان مولده بالرُّصافة .

* * *

وذكر أن طاهراً قال حين قتله :

قَتَلتُ الخليفةَ فى دَارِهِ ... وأنهبْتُ بالسَّيْف أموالَهُ

وقال أيضًا :

مَلَكْتُ النَّاسَ قَسْرًا واقتدارَا ... وَقَتَّلتُ الجبـــابرَةَ الكِبَارا (١)

ووجَّهتُ الخلافة نحو مَرْوٍ ... إلى المأْمون تَبْتَدِرُ ابتدارَا

* * *

(١) ابن بدرون ٢٥٥ .

٣/٩٣٩

ذكر ما قيل فى محمد بن هارون ومرثيته

فما قيل فى هجائه :

لِمْ نُبَكِّيك لِماذا ؟ للطَّربْ ! يا أبا موسى وَتَرْوِيج اللَّعِبْ
وَلِتَرْكِ الخمْسِ فى أوقاتِهَا حَرَصاً مِنكَ على ماءِ العِنَبْ
وَشَنيفٍ أنا لا أبكى لَهُ وَعلى كوثَرَ لاأخشى الْعَطَبْ
لَمْ تكُنْ تَعرفُ ما حدّ الرِّضا لا ولا تَعْرفُ ما حَدُّ الغَضَبْ
لم تكن تَصلُحُ للمُلكِ ولَمْ تُعطكَ الطاعةَ بالمُلك الْعَرَبْ
أَيُّها الباكِى عَلَيْهِ لا بكتْ عينُ مَنْ أبكاكَ إلاَّ لِلعَجَبْ
لِمْ نُبَكِّيكَ لِما عَرَّضتَنا للمجانيق وَطَوْرًا للسَّلَبْ
ولقومٍ صَيَّرونَا أعبُدًا لهمُ يَنزُوعلى الرأس الذَّنَب(١)
فِى عـذابٍ وحصارٍ مُجهِد سَدَّدالطُّرْقَ فَلاَ وَجْهَ طَلَبْ(٢)
زَعمُوا أنَّكَ حَىٌّ حاشِرٌ كُلُّ مَنْ قَالَ بِهذَا قَدْ كَذَبْ
لَيْتَ مَنْ قَدْ قَالَهُ فى وَحْدَة(٣) مِنْ جميعٍ ذاهبٌ حيثُ ذَهَبْ
أَوجَب اللهُ عَلَيْنَا قَتلَهُ فإذا ما أَوْجَبَ الأَمرَ وَجَبْ
كانَ واللهِ علَينا فتنــةً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَكَتَبْ

وقال عمرو بن عبد الملك الوراق يبكى بغداد ، ويهجو طاهراً ويعرّض به :

مَنْ ذا أَصابكِ يا بَغدادُ بالعينِ أَلَمْ تَكُونِى زَماناً قرّة العينِ !
٣/٩٤٠ أَلم يكن فِيكِ أَقوامٌ لهم شرف بالصالحات وبالمعروف يلقونى
أَلم يكن فيك قومٌ كان مسكنُهمْ وكان قربهُمُ زينًا من الزَّيْنِ
صاحَ الزمانُ بهمْ بالبيْن فانقرضُوا ماذَا الَّذِى فَجعَتْنى لوعةُ الْبَينِ

---

(١) ط : « يبدو » . (٢) ابن الأثير : « فلا وجه الطلب » .
(٣) ابن الأثير : « ليته قد قال فى وجده » .

أَستودِعُ اللهَ قوماً ما ذكرتهُمُ إلا تحدَّرَ ماءُ العيْن مِنْ عَيْنِي

كانُوا ففرَّقَهُمْ دهرٌ وصَدَّعَهمْ والدَّهْرُ يَصدَعُ ما بيْنَ الفريقينِ

كم كانَ لِى مُسعدٌ منهم على زَمَنِى كمْ كان منهم على المَعروفِ من عوْنِ

للهِ درٌّ زَمانٍ كان يجمعنا أَينَ الزمانُ الَّذى ولَّى ومِنْ أَين !

يا مَنْ يُخَرِّبُ بغدادًا ليعْمُرَها أَهلَكتَ نفسكَ ما بين الطريقيْن

كانت قلوبُ جميعِ الناس واحِدَةً عيْناً ، وليس لكون العيْنِ كالدَّينِ

لمَّا أَشَتَّهُمُ فرَّقْتَهمْ فِرَقًا والنَّاسُ طُرًّا جميعاً بينَ قَلْبَيْن

وذكر عمر بن شبّة أن محمد بن أحمد الهاشمىّ حدثه ، أن لبانة ابنة علىّ ابن المهدىّ قالت : ٩٤١/٣

أَبكيكَ لا للنَّعيم والأُنْس بل للمعَالى والرُّمح والتُّرْسِ [١]

أَبكِى على هالكٍ فجعْتُ بهِ [٢] أَرْملَنى قبلَ ليْلة العُرسِ [٣]

وقد قيل إن هذا الشعر لابنة عيسى بن جعفر ، وكانت مُمْلكة بمحمد .

وقال الحسين بن الضّحاك الأشقر ، مولى باهلة ، يرثى محمداً ، وكان من نُدمائه ، وكان لا يصدّق بقتله ، ويطمع فى رجوعه :

يا خيرَ أُسْرتِهِ وإنْ زَعَمُوا إنِّى عليْكَ لمُثْبَتٌ أَسِفُ [٤]

اللهُ يعلمُ أَنَّ لى كبدًا حَرَّى عليك ومُقلَةً تَكِفُ

ولئنْ شَجِيتُ بما رُزِئْتُ به [٥] إنِّى لأُضمِرُ فوق ما أَصِفُ

هلَّا بَقيتَ لسَدِّ فاقتِنا أَبدًا ، وكان لغيرِكَ التلَفُ !

---

(١) المسعودى ٣ : ٤٢٤ .

(٢) المسعودى : « أبكى على سيد » .

(٣) بعده فى المسعودى :

يا مالكاً بالعراء مطَّرحاً خانتْه أَشراطه مع الحرسِ

(٤) انظر الأغانى ٧ : ١٤٨ .

(٥) ابن الأثير : « لما رزئت » .

فلقد خلَفْتَ خلائفاً سلَفُوا ولَسوفَ يُعْوِزُبعَدكَ الخَلَفُ
لاباتَ رهطُكَ بَعدَ هفوتِهِمْ إنِّى لِرَهْطكَ بعدها شَنِفُ
هَتكوا بِحُرمتِكَ التى هُتِكَتْ حَرَمَ الرَّسولِ ودُونَها السُّجُفُ
وثبَتْ أقاربُكَ التى خذلَت[1] وجميعها بالذُّلِّ معترفُ
لم يفعلوا بالشَّطِّ إذ حَضَرُوا ما تفعلُ الغيْرَانةُ الأَنِفُ
ترَكوا حَرِيمَ أبيهمُ نَفَلاً والمُحصَنَاتُ صوارِخٌ هُتُفُ
أَبْدَتْ مُخلخلها على دَهشٍ أبكارُهُنَّ وَرَنَّتِ النَّصَفُ[2]
سُلبَتْ معاجِرُهُنَّ واجتُلِيَتْ[3] ذاتُ النِّقابِ ونوزِعَ الشَّنَفُ
فكأنهنَّ خِلالَ مُنتهَبٍ دُرٌّ تكَشَّفَ دُونَهُ الصَّدَفُ
مِلكٌ تخَوَّنَ مُلكَهُ قَدَرٌ[4] فَوَهَى وصَرْفُ الدَّهْرِ مُختلِفُ
هيهاتَ بَعْدَكَ أن يَدُومَ لنا عِزٌّ وأن يَبقَى لنا شَرَفُ
لا هَيَّبُوا صُحُفاً مُشرَّفَةً للغا[illegible]ينَ وتحتها الجدَف
أَفبعدَ عهدِ اللهِ تقتلهُ والقتلُ بعد أمانِهِ سرفُ
فَسَتَعْرِفون غدًا بعاقبَةٍ عزَّ الإله فأورِدوا وَقِفُوا
يا من يُخَوِّنُ نومَهُ أرَقٌ هَدَتِ الشجُونُ وقلبُهُ [illegible]
قد كنتَ لى أملًا غنِيتُ به فمضَى وحلَّ محلَّهُ الأَسَف
مرِجَ النظامُ وعادَ منكَرُنا عُرْفاً وأُنكِر بَعدَكَ العُرُفُ[6]
فالشملُ مُنتشرٌ لفقدكَ والدّ نْيا سُدًى والبالُ مُنكسِفُ[7]

(١) ابن الأثير : « وبنت أقاربك ».
(٢) النصف : « المتوسطة العمر ».
(٣) ابن الأثير : « واختلست ».
(٤) ابن الأثير : « سلك تخوف نظمه قدر ».
(٥) ابن الأثير : « أرقا ».
(٦) ابن الأثير : « بعده ».
(٧) ابن الأثير : « والباب ».

٩٤٢/٣

وقال أيضًا يرثيه :

إذا ذُكِرَ الأَمينُ نعَى الأَمينا وإن رقَدَ الخليُّ حمَى الجُفونَا

وما برحت منازلُ بين بُصرَى وكَلْواذَى تهيّجُ لى شُجُونَا

عراصُ المُلك خاويةٌ تهادَى بها الأَرواحُ تَنسُجُها فُنُونا

تخَوَّن عزَّ ساكِنِها زمانٌ تلَعَّبَ بالقُرونِ الأَوَّلِينَا

فشتَّتَ شَمْلَهُمْ بعدَ اجتماعٍ وكُنتُ بِحُسْنِ أُلفتِهِمْ ضَنِينا

فلم أَرَ بعدَهمْ حُسْناً سواهُمْ ولمْ تَرَهُمْ عُيُونُ النَّاظِرِينَا

فَوَا أَسفاً وإن شَمِتَ الأَعادِي وآهِ عَلى أَمير المُؤمنِينـا

أَضلَّ العُرْفَ بعدَكَ مُتبِعُوهُ وَزُفَّهَ عَنْ مَطَايَا الرَّاغِبينَا

وكنَّ إلى جَنابِكَ كلَّ يومٍ يَرُحْنَ على السُّعودِ ويغتَدِينا

هُوَ الجبَلُ الَّذى هَوَتِ المعالِى لِهَدَّتِه وَرِيعَ الصَّالحُونَا

ستندُبُ بعدَكَ الدنيا جوارًا وتندُبُ بعْدكَ الدّينَ المصُونَا

فَقَدْ ذهَبَتْ بشَاشَةُ كلّ شىءٍ وعادَ الدِّينُ مطرُوحاً مَهينَا

تعقَّد عِزٌّ متصلٍ بكِسْرى ومِلَّتِهِ وَذَلَّ المسلُمونَا

٩٤٣/٣

وقال أيضًا يرثيه :

أَسفاً عليكَ سلاكَ أَقربُ قرْبَةً مِنّى وأَحزَانِى عليكَ تزيدُ

وقال عبد الرحمن بن أبى الهداهد يرثى محمّدًا :

يا غَرْبُ جودى قد بُتَّ من وذَمِهْ فَقَدْ فَقَدْنَا العزيزَ من دِيَمِهْ

أَلْوَت بِدُنْياك كفُّ نائبةٍ وصِرْتَ مُغضًى لنا على نِقَمِهْ

أَصْبَحَ للموتِ عندنا علَمٌ يَضْحَكُ سِنُّ المَنُونِ من عَلَمِهْ

ما استنزَلَت دَرَّةُ المَنونِ على أَكرَمِ من حلَّ فى ثرَى رَحِمِهْ

خليفةُ اللهِ فى بريَّتِه تَقصُر أَيدى المُلوكِ عن شِيمه

يفترّ عَنْ وجهِهِ سَنَا قمرٍ ... ينشقّ عن نُورِهِ دُجَى ظُلمِهْ

٩٤٤/٣ زُلزِلَتِ الأَرضُ مِنْ جوَانبِها ... إِذْ أُولِغَ السَّيْفُ من نجيعِ دَمِهْ

مَن سكَتَتْ نَفْسُهُ لمصْرَعهِ ... من عُمُمِ النَّاس أَو ذَوِى رَحِمِهْ

رَأَيتُهُ مثلَ ما رَآهُ بهِ ... حَتَى تذوقَ الأَمْرَّ مِنْ سقَمِهْ

كَمْ قَدْ رأَينا عزيزَ مملكَةٍ ... يُنقَلُ عن أَهلِهِ وعَنْ خدَمِه

يا مَلِكاً لَيْسَ بَعْدَهُ ملِكٌ ... لخاتَمِ الأَنبياءِ فى أُمَمِهْ

جادَ وحيًّا الذى أَقمتَ به ... سَحٌّ غَزيرُ الوَكيفِ من دِيَمِهْ

لو أَحجَمَ الموتُ عن أَخِى ثقَةَ ... أَسْوِىَ فى العِزّ مستَوَى قَدَمِهْ

أَو ملِكٍ لا تُرَامُ سطوَتُهُ ... إِلاَّ مُرامَ الشَّتِيمِ فى أَجَمِهْ

خلَّدَكَ العزُّ ما سَرَى سَدَفٌ ... أَو قامَ طِفلُ العشىِّ فى قدَمِهْ

أَصبحَ مُلكٌ إِذا اتَّزرْتَ به ... يقرَعُ سِنَّ الشُّقاةِ من ندمه

أَثَّر ذوالعرش فى عِدَاكَ كما ... أَثَّر فى عادِهِ وفى إِرَمِه

٩٤٥/٣ لا يُبْعِدِ الله سُورَةً تليتْ ... لخير داعٍ دعاه فى حرمِه

ما كنت إِلا كحُلمِ ذى حُلمٍ ... أَولَج بابَ السُّرورِ فى حُلمِه

حتَّى إِذا أَطلَقتْهُ رَقدَتُه ... عادَ إِلى ما اعتراهُ من عَدَمِه

وقال أيضًا يرثيه :

أَقولُ وَقَدْ دنوتُ منَ الفِرارِ ... سُقيتَ الغيْثَ يا قصرَ القَرارِ

رَمَتْكَ يدُ الزمانِ بسَهم عينٍ ... فَصِرْتَ ملوَّحاً بِدخانِ نارِ

أَبِنْ لِى عَنْ جميعِكَ أَينَ حلُّوا ... وأَينَ مَزَارُهم بَعْدَ المزار

وأَينَ محمدٌ وابنـاهُ ما لِى ... أَرَى أَطلالَهُمْ سودَ الدّيارِ!

كأَن لم يؤنَسُوا بـأَنيس مُلكٍ ... يصونُ على المُلُوك بخيْر جارِ

إِمامٌ كان فى الحِدثانِ عَوْناً ... لنَا والغيثَ يَمْنَحُ بالقِطَارِ

لَقَدْ تَرَكَ الزَّمَانُ بنى أَبِيهِ وقد غمرتهم سُودُ البِحَارِ
أَضاعُوا شمسهمْ فجرت بنَحْسٍ فصارُوا فى الظَّلَامِ بلا نهارِ
وأَجْــلَوْا عنهمُ قمرًا مُنيرًا وداستهمْ خُيُولُ بنى الشِّرار
ولو كانُوا لهمْ كفوًا ومِثْلاً إذًا ما تُوِّجُوا تِيجانَ عارِ
أَلا بانَ الإمامُ ووارثاهُ لَقَدْ ضَرَما الحشَا منَّا بنار
وقالوا الخُلْدُ بيعَ فقلتُ ذلاً يَصيرُ ببائعيهِ إلى صَغَــارِ
كذاكَ المُلكُ يُتبع أَوّليهِ إذا قُطعَ القرَارُ منَ القرَارِ ٩٤٦/٣

وقال مقدّس بن صيفىّ يرثيه :

خليلى ما أَتتكَ به الخُطوبُ فقد أعطتكَ طاعتَهُ النّحيبُ
تدلَّتْ مِنْ شَماريخِ المَنَايَا مَنَايا ما تقومُ لها القلوبُ
خِلالَ مقابرِ البُستانِ قبْرٌ يُجاورُ قبْرَهُ أَسدٌ غرِيبُ
لقد عَظمَتْ مُصيبتُه عَلى مَنْ له فى كلِّ مَكْرُمَةٍ نصيبُ
على أَمثَالهِ العبَراتُ تُذْرَى وتُهتَكُ فى مآتمِهِ الجيوبُ
وما اذَّخرَتْ زُبَيْدَةُ عنهُ دَمعاً تُخَصُّ به النَّسيبةُ والنَّسيبُ
دعُوا مُوسى ابنَه لِبُكاءِ دَهرٍ على مُوسى ابنِهِ دَخل الحزِيبُ
رأَيتُ مشاهِدَ الخُلَفاءِ مِنهُ خَلاءً ما بساحتِها مُجِيبُ
ليَهنِكَ أَنَّنى كَهْلٌ عليه أَذُوبُ ، وفى الحشا كَبِدٌ تذوبُ
أُصيبَ به البعيدُ فخرَّ حُزْناً وعاين يومَهُ فيهِ المُرِيبُ
أُنادى مِنْ بُطُونِ الأَرضِ شخصاً يحَرِّكُهُ النِّدَاءُ فما يُجيبُ
لئن نَعتِ الحُرُوبُ إليه نفساً لقَدْ فُجعَتْ بمصْرَعِهِ الحُروبُ

وقال خزيمة بن الحسن يرثيه على لسان أم جعفر :

لخيرِ إمامٍ قامَ من خيْرِ عُنصرٍ وأفضل سامٍ فوقَ أعوادِ مِنْبر[1]

لِوارثِ علمِ الأوّلينَ وفهمِهِم[2] وللملِكِ المأمونِ من أمِّ جعفرِ

كتبْتُ وعينِي مُستَهِلٌّ[3] دُموعُها إليك ابنَ عَمِّى من جُفونى ومَحجرى

وقد مسَّنى ضرٌّ وذلٌّ كآبةٍ وأرّقَ عينى يا بنَ عمِّى تفكرِى

وهِمتُ لما لاقيْتُ بعدَ مُصابِه فأمرى عظيمٌ منكرٌ جِدٌّ منكر

سأشكو الذِى لاقَيتُهُ بعدَ فقدِهِ إليْكَ شَكاةَ المُستَهامِ المُقَهَّر[4]

وأرجُو لما قَد مرَّ بى مُذ فقدتُه فأنت لبَثّى خيْرُ ربٍّ مغيّرِ

أتى طاهرٌ لا طهَّرَ اللهُ طاهرًا فما طاهرٌ فيما أتَى بِمطَهَّرِ

فأخرجنى مكشُوفَةَ الوْجهِ حاسرًا وأنهَبَ أموالى وأحرقَ آدُرِى[5]

يعزٌّ على هارونَ ما قَدْ لقيتُهُ وما مَرَّ بى من ناقِص الخلقِ أعور[6]

فإن كَانَ ما أسْدَى بأمرٍ أمرتَه[7] صَبرتُ لأمرٍ مِنْ قَدِيرٍ مقدِّرِ

تذكَّرْ أميرَ المؤمنينَ قرابتِى فديتك من ذى حُرمةٍ متذكِّرِ

٣/٩٤٧

وقال أيضًا يرثيه :

٣/٩٤٨

سُبْحَانَ ربِّكَ رَبِّ العِزّةِ الصمَدِ ماذا أُصِبْنَا بِهِ فى صُبْحَةِ الأحَدِ

وَمَا أُصيبَ به الإسلامُ قاطبةً من التَّضعْضُع فى ركنَيْهِ والأوَدِ

مَنْ لم يُصَبْ بأمير المؤمنين وَلَمْ يُصبِحْ بمهلُكةٍ والهَمُّ فى صُعُد

فَقَدْ أُصِبتُ به حتى تبيَّن فى عَقلِى ودينِى وفى دنيايَ والْجَسَدِ

ياليلةً يشتكى الإسلامُ مُدَّتها والعالَمون جميعاً آخرَ الأبدِ

---

(١) المسعودى ٣ : ٤٢٤ ، وفيه : « وأفضل راق » .
(٢) المسعودى : « ووارث » .
(٣) المسعودى : « تستهل » .
(٤) ابن الأثير : « المستضيم المقتر » .
(٥) ابن الأثير : « أدؤرى » .
(٦) المسعودى : « وما نالنى » .
(٧) ابن الأثير : « ما أبدى لأمر » .

غدرت بالملك الميمون طائرهُ وبالإمام وبالضِّرغامةِ الأسدِ
سارتِ إليهِ المنايا وهْى ترْهبُه فواجهتْهُ بأوغادٍ ذوى عددِ
بشُمورجينَ وأغتامٍ يقودُهُمُ قريش بالبيضِ فى قُمْصٍ من الزَّرَدِ
فصادفُوه وحيدًا لا مُعينَ لهُ عليهمُ غائبَ الأنصار بالمددِ
فجرَّعوه المنَايا غيرَ ممتنِعٍ فرْدًا فيالَكَ من مُستسْلم فَرِدِ
يَلْقَى الوُجُوهَ بوجهٍ غير مبتذَلٍ أبْهَى وأنقَى من القُوهيَّةِ الجدُدِ
واحسرتَا وقريشٌ قد أحاطَ به والسَّيفُ مُرتعِدٌ فى كفٍّ مرتعِد
فما تَحرَّكَ بَلْ ما زالَ منتصِباً منكَّسَ الرَّأس لم يُبْدِئْ ولمْ يُعِدِ
حتى إذا السيف وافى وَسْطَ مَفْرِقِهِ أذرتْهُ عَنهُ يداه فَعْلَ مُتَّئِد
وقام فاعتلقتْ كفَّاهُ لَبَّتَه كَضَيْغمٍ شَرِسٍ مُستَبْسِلٍ لَبِدِ
فاحتزَّهُ ثم أهْوَىٰ فاستقلَّ به للأرضِ من كفِّ ليثٍ مُحْرجٍ حَرِدِ
فكادَ يقتُلُهُ لَوْ لمْ يكاثِرهُ وقام منفلتًا مِنْه ولم يكَدِ
هذا حديثُ أمير المؤمنينَ وما نقَصْتُ من أمرهِ حرْفًا وَلَمْ أزِدِ
لا زلتُ أنْدُبه حتَّى المماتِ وإن أخنَى عليْهِ الَّذِى أخْنَى على لُبَدِ

٣/٩٤٩

وذكر عن الموصلىّ أنه قال : لما بعث طاهر برأس محمد إلى المأمون بكى ذو الرياستين ، وقال : سلّ علينا سيوفَ الناس وألسنتهم ؛ أمرناه أن يبعث به أسيرًا فبعث به عقيراً ! وقال له المأمون : قد مضَى ما مضى فاحتلْ فى الاعتذار منه ؛ فكتب الناس فأطالوا ، وجاء أحمد بن يوسف بشبْر من قرطاس فيه :

٣/٩٥٠

أما بعدُ ؛ فإنّ المخلوع كان قسيمَ أمير المؤمنين فى النسب واللُّحمة، وقد فرّق الله بينه وبينه فى الولاية والحُرْمة ، لمفارقته عصم الدين، وخروجه من الأمر الجامع للمسلمين ؛ يقول الله عزّ وجلّ حين اقتصّ علينا نبأ ابن نوح : ﴿ إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ إنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ [1]، فلا طاعةلأحد فى معصية

(١) سورة هود ٤٦ .

الله ، ولا قطيعة إذا كانت القطيعة فى جنب الله . وكتابى إلى أمير المؤمنين وقد قتل الله المخلوع ، وردّاه رداء نكثه ، وأحصد[1] لأمير المؤمنين أمرَه ، وأنجز له وعده ، وما ينتظر من صادق وعده حين ردّ به الألفة بعد فرقتها ، وجمع الأمة بعد شتاتها ، وأحيا به أعلام الإسلام بعد دروسها .

* * *

ذكر الخبر عن بعض سيَر المخلوع محمد بن هارون

ذُكر عن حُميد بن سعيد ، قال : لما ملك محمد ، وكاتَبه المأمون ، وأعطاه بيعتَه ، طلب الخِصيان وابتاعهم ، وغالَى بهم ، وصيّرهم لخلوته فى ليله ونهاره ، وقِوام طعامه وشرابه ، وأمره ونهيه ؛ وفرض لهم فرضًا سماهم الجراديّة ، وفرضًا من الحبشان سمّاهم الغُرابيّة ، ورفض النساء الحرائر والإماء حتى رُمِى بهنّ ؛ ففى ذلك يقول بعضهم :

٩٥١/٣

ألا يَا مُزمِنَ المثوى بطوسٍ[2] عَزيبــاً ما يُفادَى بالنُّفُوسِ
لقد أبقيتَ للخصيان بعلا[3] تحَمَّلَ منهم شؤمَ البَسُوسِ
فأمّا نوفلٌ فالشأنُ فيهِ وفى بدرٍ ، فيالك من جَليس !
وما العُصمِىُّ بَشّارٌ لديْهِ[4] إذا ذُكِروا بذى سهمٍ خَسيسِ
وما حَسَنُ الصغيرُ أخسُّ حالًا لديه عند مخترق الكئوسِ
لهمْ من عُمْره شَطرٌ وَشَطرٌ يُعاقِرُ فيه شَربَ الخَنْدريسِ
وَمَا للغانيات لَدَيْهِ حظٌّ سِوَى التَّقْطِيبِ بالوَجْهِ العَبوسِ
إذَا كانَ الرئيسُ كذَا سَقِيماً فكيفَ صَلاحُنا بعدَ الرئيسِ!
فلو علمَ المقيمُ بدارِ طُوسٍ لَعزَّ على المقيم بدارِ طُوسِ

قال حميد : ولما ملك محمد وجّه إلى جميع البلدان فى طلب الملهين وضمّهم إليه ، وأجرى لهم الأرزاق ، ونافس فى ابتياع فُرْه الدوابّ ، وأخذ

---

(١) أحصد أمره : أحكمه وقواه . (٢) ابن الأثير : « ألا أيها المثوى » .
(٣) ابن الأثير : « هقلا » والهقل فى الأصل : الفتى من النعام .
(٤) ابن الأثير : « وما للعصمى شىء لديه » .

الوحوش والسباع والطيْر وغير ذلك ؛ واحتجب عن إخوته وأهل بيته وقوّاده ، واستخفّ بهم ، وقسم ما فى بيوت الأموال وما بحضرته من الجوهر فى خصيانه وجلسائه ومحدّثيه ، وحُمِل إليه ما كان فى الرّقّة من الجوهر والخزائن والسلاح ، وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلوته ولهوه ولعبه بقصر الخُلْد والخَيْزرانيّة وبستان موسى وقصر عبدويه وقصر المعلّى ورقة كَلْواذى وباب الأنبار وبناورى[1] والهوب ؛ وأمر بعمل خمس حَرّاقات فى دِجلة على خِلْقة الأسد والفيل والعُقاب والحيّة والفرس ، وأنفق فى عملها مالاً عظيماً ، فقال أبو نواس يمدحه : ٩٥٢/٣

سَخَّرَ اللهُ لِلأمينِ مَطَايَا ... لم تُسَخَّرْ لِصَاحِبِ المِحْرابِ[2]

فإذا ما ركابُه سِرْن برًّا ... سارَ فى الماءِ راكباً ليثَ غابِ

أسدًا باسطاً ذِراعيْهِ يَهوى[3] ... أهْرَتَ الشِّدْقِ كالحَ الأنيابِ

لا يعانيهِ باللِّجامِ ولا السَّو ... طِ ولا غمزِ رجلِهِ فى الرّكابِ

عجِب الناسُ إذ رأوكَ على صُو ... رةِ ليثٍ تمرّ مرَّ السَّحابِ[4]

سبَّحوا إذ رَأوكَ سِرْتَ عليه ... كيف لو أبصروكَ فوْقَ العُقابِ

ذاتِ زَورٍ ومِنْسرٍ وجَناحـ ... ـينِ تَشُقّ العُبابَ بَعدَ العُبابِ

تَسْبقُ الطيرَ فى السَّماءِ إذاما اسْـ ... ـتَعجَلُوها بجَيئةٍ وذهابِ

بَارَكَ اللهُ للأميرِ وأبْقَا ... هُ وأبْقَى لَهُ رداءَ الشبابِ[5] ٩٥٣/٣

مَلِكٌ تَقصُرُ المدائحُ عنهُ ... هاشمىٌّ موفَّقٌ للصوابِ

وذُكر عن الحسين بن الضّحّاك ، قال : ابتنى الأمير سفينةً عظيمة ، أنفق عليها ثلاثة آلاف ألف درهم ، واتّخذ أخرى على خلقة شىء يكون فى البحر يقال له الدُّلْفين[6] ، فقال فى ذلك أبو نواس الحسن بن هانئ :

---

(١) فى ط من غير نقط ؛ وانظر الفهرس .

(٢) ديوانه ١١٦ .

(٣) الديوان : « يعدو » .

(٤) الديوان : « يمر » .

(٥) الديوان : « بارك الله للأمين » .

(٦) فى القاموس : « الدلفين ، بالضم : دابة بحرية تنجى الغريق » .

قد ركبَ الدُّلفينَ بَدرُ الدجى مقتحماً فى الماء قَدْ لَجَّجا[١]

فأشْرَقَتْ دِجلةُ فى حُسْنِهِ وأشرقَ الشَّطَّان واستَبْهجا[٢]

لم ترَ عينى مثلَهُ مَرْكَباً أحسنَ إن سَارَ وإن أحنجا

إذا استَحثثتْهُ مجادِيفُهُ أعنَقَ فَوْقَ الماءِ أو هَمْلَجا[٣]

خصَّ به اللهُ الأمين الَّذِى أضحى بتاج الملك قد تُوِّجا

وذكر عن أحمد بن إسحاق بن برصوما المغنّى الكُوفىّ أنه قال : كان العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبى جعفر من رجالات بنى هاشم جَلَداً وعقلا وصنيعًا ؛ وكان يتّخذ الخَدَم ، وكان له خادم من آثر خَدَمِه عنده يقال له منصور ، فوجَد الخادم عليه ، فهرب إلى محمد ، وأتاه وهو بقصر أم جعفر المعروف بالقرار ، فقبله محمد أحسن قبول ، وحظِى عنده حُظوةً عجيبة . قال : فركب الخادم يومًا فى جماعة خدم كانوا لمحمد يقال لهم السّيافة ، فمرّ بباب العباس بن عبد الله ؛ يريد بذلك أن يُرِىَ خدم العباس هيئته وحاله التى هو عليها . وبلغ ذلك الخبر العباس ، فخرج محضرًا[٤] فى قميص حاسرًا ، فى يده عمود عليه كيمُخت ، فلحقه فى سويقة أبى الورد ، فعلِق بلجامه ، ونازعه أولئك الخدم ، فجعل لا يضرب أحداً منهم إلا أوْهنه ، حتّى تفرّقوا عنه ، وجاء به يقوده حتى أدخله داره . وبلغ الخبرُ محمداً ، فبعث إلى داره جماعةً ، فوقفوا حيالها[٥] ، وصفّ العباس غلمانه ومواليه على سور داره ، ومعهم التّرسة والسهام ، فقام أحمد بن إسحاق : فخفنا والله النار أن تحرق منازلنا ؛ وذلك أنهم أرادوا أن يحرقوا دار العباس . قال : وجاء رشيد الهارونىّ ، فاستأذن عليه فدخل إليه ، فقال : ما تصنع ! أتدرى ما أنت فيه وما قد جاءك ! لو أذِن لهم لاقتلعوا دارك بالأسنّة ، ألستَ فى الطاعة ! قال : بلى ، قال : فقم فاركب . قال : فخرج فى سَوَاده ، فلما صار على باب داره ، قال : ياغلام ؛ هلمّ دابتى

٩٥٤/٣

---

(١) ديوانه ١١٧ .

(٢) ط : « السكان » ، والصواب ما أثبته من الديوان .

(٣) الديوان : « عرجا » .

(٤) خضرًا ، أى مسرعاً .

(٥) ط : « أخيالها » .

فقال رشيد : لا ولا كرامة ! ولكن تمضى راجلاً . قال : فمضى ، فلما صار إلى الشارع نظر ؛ فإذا العالمون قد جاءوا، وجاءه الجُلُودىّ والإفريقىّ وأبو البطّ وأصحاب الهِرْش. قال : فجعل ينظر إليهم، وأنا أراه راجلاً ورشيد راكب .

قال : وبلغ أمّ جعفر الخبرُ ، فدخلت على محمد، وجعلت تطلب إلى محمد ، فقال لها : نُفيتُ من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم أقتله ! وجعلتْ تلحّ عليه ، فقال لها : والله إنى لأظننى سأسطو بك .قال : فكشفت شعرَها ، وقالت : ومن يدخل علىّ وأنا حاسر ! قال : فبينا محمد كذلك — ولم يأت العباس بعدُ — إذ قدم صاعد الخادم عليه بقتل علىّ بن عيسى بن ماهان ، فاشتغل بذلك ، وأقام العباس فى الدّهليز عشرة أيام ، ونسيه ثم ذكره، فقال : يُحبَس فى حُجرْة من حُجَر داره، ويدخل عليه ثلاثة رجال من مواليه من مشايخهم يَخْدُمونه، ويُجعل له وظيفة فى كلّ يوم ثلاثة ألوان. قال : فلم يزل على هذه الحال حتى خرج حسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان ، ودعا إلى المأمون ، وحبس محمد . قال : فمرّ إسحاق بن عيسى بن علىّ ومحمد بن محمد المعبدىّ بالعباس بن عبدالله وهو فى منظرة، فقالا له : ما قعودك ؟ اخرج إلى هذا الرجل — يعنيان حسين بن علىّ — قال : فخرج فأتى حسينًا ، ثم وقف عند باب الجسر ؛ فما ترك لأم جعفر شيئًا من الشتم إلا قاله ، وإسحاق بن موسى يأخذ البيعة للمأمون . قال : ثم لم يكن إلاّ يسيراً حتى قتِل الحسين ، وهرب العباس إلى نهر بين إلى هرْثمة ، ومضى ابنه الفضل بن العباس إلى محمد، فسعى إليه بما كان لأبيه ، ووجّه محمد إلى منزله ، فأخذ منه أربعة آلاف ألف درهم وثلثمائة ألف دينار ، وكانت فى قماقم فى بئر ، وأُنْسوا قمقميْن من تلك القماقم ، فقال : ما بقى من ميراث أبى سوى هذين القمقمين ، وفيهما سبعون ألف دينار . فلما انقضت الفتنة وقُتِل محمد رجع إلى منزله فأخذ القمقمين وجعلهما ... [(١)]

وحجّ فى تلك السنة ، وهى سنة ثمان وتسعين ومائة .

قال أحمد بن إسحاق : وكان العباس بن عبد الله يحدّث بعد ذلك ؛

---

(١) بياض فى أصول ط .

فيقول: قال لى سليمان بن جعفر ونحن فى دار المأمون: أمَا قتلت ابنك بعدُ؟ فقلت : يا عمّ ، جعلت فداك ! ومن يقتل ابنه ! فقال لى : اقتله ؛ فهو الذى سعى بك وبمالك فأفقرك .

وذُكر عن أحمد بن إسحاق بن برصوما ، قال : لمّا حُصِر محمد وضغطه الأمر ، قال : ويحكم ! ما أحد يستراح إليه ! فقيل له : بلى ، رجل من العرب من أهل الكوفة ، يقال له وضّاح بن حبيب بن بديل التميمىّ ؛ وهو بقيّة من بقايا العرب ، وذو رأى أصيل ، قال : فأرسلوا إليه ، قال : فقدم علينا، فلمّا صار إليه قال له: إنى قد خُبِّرت بمذهبك ورأيك ، فأشِرْ علينا فى أمرنا ، قال له : يا أميرَ المؤمنين ، قد بطل الرأى اليوم وذهب ؛ ولكن استعمل الأراجيف ؛ فإنها من آلة الحرب ؛ فنصب رجلا كان ينزل دُجيلا يقال له بكير بن المعتمر ؛ فكان إذا نزلت بمحمد نازلة وحادثة هزيمة قال له : هات ؛ فقد جاءنا نازلة ، فيضع له الأخبار ، فإذا مشى الناس تبيّنوا بُطلانها . قال أحمد بن إسحاق : كأنى أنظر إلى بكير بن المعتمر شيخ عظيم الخلْق .

وذكر عن العباس بن أحمد بن أبان الكاتب ، قال : حدّثنا إبراهيم بن الجرّاح ، قال : حدّثنى كوثر ، قال : أمر محمد بن زُبيدة يومًا أن يفرَش له على دُكان فى الخُلْد ، فبسط له عليه بساط زَرَعىّ ، وطُرِحت عليه نمارق وفُرُش مثله ، وهُيِّئ له من آنية الفضة والذهب والجوهر أمر عظيم ، وأمر قيّمةَ جواريه أن تهيِّئ له مائة جارية صانعة ، فتُصْعِد إليه عشرًا عشرًا ، بأيديهنّ العيدان يغنّين بصوت واحد ؛ فأصعدت إليه عشرًا ، فلما استوين على الدكان اندفعن فغنّين :

٩٥٧/٣

همُ قَتَلُوهُ كَى يَكُونوا مَكَانَهُ كَمَا غدَرَتْ يوماً بِكِسْرَى مرازِبُهْ[1]

قال : فتأفّف من هذا ، ولعنها ولعن الجوارى ، فأمر بهنّ فأنزلن ، ثم لبث هنيهة وأمرها أن تُصعد عشراً ، فلما استوين على الدكان اندفعن فغنّين :

---

(١) من أبيات للوليد بن عقبة ، يخاطب بها بنى هاشم حين قتل عثمان . الكامل ٣ : ٢٨ .

مَنْ كانَ مَسْرورًا بمقتلِ مالكٍ فَلْيَأْتِ نِسْوتَنا بِوَجْهِ نَهار[1]
يجِدِ النِّساءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَلطُمْنَ قَبْلَ تبلّج الأَسْحارِ

قال : فضجِر وفعل مثل فَعْلته الأولى ، وأطرق طويلا ، ثم قال : أصعِدِى عشراً ، فأصعدتهنّ ، فلمّا وقفن على الدّكان ، اندفعن يغنّين بصوت واحد :

كُلَيبٌ لَعَمْرى كَانَ أَكثر نَاصِرًا وأَيْسرَ ذَنباً منك ضُرِّجَ بالدَّمِ[2]

قال : فقام من مجلسه ، وأمر بهدم ذلك المكان تَطَيُّراً مما كان .

وذُكر عن محمد بن عبد الرحمن الكِنْدىّ ، قال : حدّثنى محمد بن دينار ، قال : كان محمد المخلوع قاعداً يومًا ، وقد اشتدّ عليه الحصار ، فاشتدّ اغتمامه ، وضاق صدره ؛ فدعا بندمائه والشراب ليتسلَّى به ، فَأُتِى به ، وكانت له جارية يتحظّاها من جواريه ، فأمرها أن تُغَنِّى ، وتناول كأسًا ليشرب به ؛ فحبس الله لسانها عن كل شىء ، فغنّت : ٣/٩٥٨

كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كَانَ أَكثرَ نَاصِرًا وأَيْسَرَ ذَنباً مِنكَ ضُرِّجَ بالدمِ

فرماها بالكأس الذى فى يده ، وأمر بها فطُرِحت للأسد ، ثم تناول كأسًا أخرى ، ودعا بأخرى فغنّت :

هُمُ قَتَلُوهُ كَىْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا غَدَرَتْ يَوْماً بكِسْرَى مَرازِبُهْ

فرمى وجهها بالكأس ، ثم تناول كأسًا أخرى ليشربها ، وقال لأخرى : غَنّى ، فغنت :

* قَوْمِى هُمُ قَتَلُوا أُمَيم أَخِى[3] *

---

(١) للربيع بن زياد ، ديوان الحماسة ٢ بشرح التبريزى ٣ : ٣٧ .
(٢) للنابغة الجعدى ، ديوانه ١٤٣ .
(٣) بقيته :

* فَإِذا رَمَيْتُ يصيبنى سَهْمِى *

من أبيات للحارث بن وعلة الذهلى . ديوان الحماسة بشرح التبريزى ١ : ١٩٩ .

قال : فرمى وجهها بالكأس ، ورمى الصينيّة برجله ، وعاد إلى ما كان فيه من همّه ، وقُتِل بعد ذلك بأيام يسيرة .

وذُكر عن أبي سعيد أنه قال : ماتت فَطِيم – وهي أمّ موسى بن محمد بن هارون المخلوع – فجزع عليها جزعًا شديداً ، وبلغ أمّ جعفر ، فقالت : احملوني إلى أمير المؤمنين ، قال : فحملتْ إليه ، فاستقبلها ، فقال : يا سيّدتى ، ماتت فَطِيم ، فقالت :

نَفْسى فداؤكَ لايذهبْ بكَ اللَّهَفُ فى بقائِكَ مِمَّن قَدْ مَضَى خَلَفُ[1]
عُوِّضْتَ مُوسى فهانتْ كلُّ مَرْزِئةٍ ما بَعْدَ مُوسى على مفقودةٍ أَسَفُ

وقالت : أعظم الله أجرك ، ووفّر صبرك ، وجعل العزاء عنها ذخرك !

وذكر عن إبراهيم بن إسماعيل بن هانئ ، ابن أخى أبي نواس ، قال : حدّثنى أبي قال : هجا عمُّك أبو نواس مُضَر فى قصيدته التى يقول فيها : ٣/٩٥٩

أَمَّا قريشٌ فَلاَ افتخارَ لَهَا إلَّا التِّجاراتُ مِنْ مَكَاسِبِها[2]
وأنّها إن ذكرتَ مكْرُمةً جاءت قريشٌ تسعى بغالِبِها
إنَّ قُريشاً إذا هى انتَسبت كان لها الشَّطرُ من مناسبها

قال : يريد أن أكرمها يُغالب . قال : فبلغ ذلك الرّشيدَ فى حياته ، فأمر بحبسه ؛ فلم يزل محبوسًا حتى ولىَ محمد ، فقال يمدحه ، وكان انقطاعه إليه أيام إمارته ، فقال :

تَذَكَّرْ أَمينَ اللهِ والعهدُ يُذكَرُ مُقامى وإنشادِيكَ والنَّاسُ حُضَّرُ[3]
ونثرى عليك الدُّرَّ يادرّ هاشمٍ فيامَنْ رَأَى دُرًّا على الدرّ يُنثر!
أَبُوكَ الَّذِى لم يملكِ الأَرضَ مثلُه وعمُّك مُوسى عَدْلُهُ المتخَيَّرُ
وجدّك مهدىّ الهُدَى وشقيقهُ أَبو أُمّك الأَدنى أَبو الفضل جعفر

---

(١) المسعودى ٣ : ٤٠٢ ، وفيه : «مما قد مضى» .
(٢) ديوانه ١٥٧ .
(٣) ديوانه ١٠٦ .

وما مثلُ منصوريْك: منصورِ هاشمٍ ومنصور قحطانٍ إذا عُدَّ مفخَر
فَمنْ ذَا الَّذِى يرمى بسهمَيْك فى العلا وعَبْد منافٍ والدَاكَ وحِمْيرُ

قال : فتغنّت بهذه الأبيات جارية بين يدى محمد ، فقال لها : لمن الأبيات ؟ فقيل له : لأبى نواس ، فقال : وما فعل ؟ فقيل له : محبوس ، فقال : ليس عليه بأس . قال : فبعث إليه إسحاق بن فراشة وسعيد بن جابر أخا محمد من الرضاعة ، فقالا : إن أمير المؤمنين ذكرك البارحة فقال : ليس عليه بأس ، فقال أبياتـًا ، وبعث بها إليه ، وهى هذه الأبيات : ٣/٩٦٠

أَرقتُ وطَارَ عَنْ عَيْنِى النُّعَاسُ وَنَامَ السَّامِرُون وَلَمْ يُوَأَسُوا[1]
أَمينَ الله قد مُلِّكتَ مُلْكًا عَلَيْكَ مِن التُّقَى فِيهِ لِبَاسُ[2]
ووجهك يَستهلُّ نَدًى فَيحيا به فى كلّ ناحيةٍ أُناسُ
كأَنَّ الخلقَ فى تمثالِ رُوحٍ لَهُ جَسدٌ وأَنْتَ عَلَيْهِ رَاسُ
أَمينَ الله إنَّ السِّجْنَ بأْسٌ وقَدْ أَرْسَلتَ :ليس عليك باسُ

فلما أنشده قال : صدَق ، علىّ به ، فجىء به فى الليل ، فكسرتْ قيوده ، وأخرِج حتى أدخل عليه ، فأنشأ يقول :

مَرحباً مَرحباً بخير إمامٍ صِيغَ من جَوْهَرِ الخلافةِ نَحْتَا[3]
يا أَمينَ الإِله يكلؤك اللـ ـه مُقِيماً وظاعناً حيث سِرْتا
إنَّما الأَرض كلُّها لكَ دارٌ فلَكَ الله صاحبٌ حَيْثُ كُنْتَا[4]

---

(١) ديوانه ١٠٧ .

(٢) بعده فى الديوان :

تُسَاسُ من السَّماء بكلّ صُنْعٍ وأَنتَ به تسُوس كما تُسَاسُ

(٣) ديوانه ١١٤ ، وفيه : « بحتا » .

(٤) الديوان : « صاحبا » ، وذكر بعده :

يا شبيهَ المهدىّ جودًا وبـــذلًا وشبيه المنصورِ هدياً وسَمْتَا

٩٦١/٣ قال : فخلع عليه ، وخلّى سبيله ، وجعله فى ندمائه .

وذُكر عن عبد الله بن عمرو التميمىّ ، قال : حدّثنى أحمد بن إبراهيم الفارسىّ ، قال : شرب أبونواس الخمر ، فرُفع ذلك إلى محمد فى أيامه ، فأمر بحبسه ، فحبسه الفضل بن الربيع ثلاثة أشهر ، ثم ذكره محمد ، فدعا به وعنده بنو هاشم وغيرهم ، ودعا له بالسيف والنِّطَع يهدّده بالقتل ، فأنشده أبو نواس هذه الأبيات :

تَذَكَّرْ أَمينَ اللهِ والْعَهْدُ يُذْكَرُ *

الشعر الذى ذكرناه قبل ، وزاد فيه :

تَحسَّنتِ الدُّنْيا بِحُسْنِ خليفةٍ هُو الْبَدْرُ إلاَّ أَنَّهُ الدَّهرَ مُقمِرُ
إمامٌ يسُوسُ الناسَ سَبْعِين حِجَّةً عليه لَهُ منها لباسٌ ومئزر
يُشير إليه الجودُ من وَجَناتِهِ وَيَنْظُرُ من أَعطافِهِ حِينَ يَنْظُرُ
أَيا خيرَ مأْمولٍ يرجَّى ، أَنا امرؤٌ رهِينٌ أَسِيرٌ فى سُجُونك مُقفِرُ
مَضَى أَشهرٌ لى مُذْ حبسْتُ ثلاثةٌ كأَنِّىَ قد أَذنبتُ ما ليس يُغْفَرُ
٩٦٢/٣ فإن كنتُ لم أُذْنِبْ ففيمَ تَعقُّبِى ! وإن كُنتُ ذا ذنبٍ فعفوُك أَكثرُ

قال : فقال له محمد: فإن شربتَها؟ قال : دمى لك حلال يا أمير المؤمنين ، فأطلقه . قال : فكان أبو نواس يشمّها ولا يشربها وهو قوله :

* لا أَذُوقُ المُدامَ إلَّا شميما *

وذكر عن مسعود بن عيسى العبدىّ ، قال : أخبرنى يحيى بن المسافر القَرْقِسائىّ ، قال : أخبرنى دُحَيْم غلام أبى نواس؛ أن أبا نواس عتب عليه محمد فى شرب الخمر ، فطبق به — وكان للفضل بن الربيع خالٌ يستعرض أهل السجون ويتعاهدُهم ويتفقّدهم — ودخل فى حبس الزنادقة ، فرأى فيه أبا نواس — ولم يكن يعرفه — فقال له : يا شابّ ، أنت مع الزنادقة ! قال : معاذ الله ، قال : فلعلك ممّن يعبد الكبش ! قال : أنا آكل الكَبْش بصوفه ،

قال : فلعلك ممّن يعبد الشمس ؟ قال : إنى لأتجنب القعود فيها بغضًا لها ، قال : فبأىّ جرم حبِست ؟ قال : حبست بتهمة أنا منها برىء ، قال : ليس إلا هذا ؟ قال : والله لقد صدقتُك . قال : فجاء إلى الفضل ، فقال له : يا هذا ، لاتحسنون جوار نعم الله عزّ وجلّ! أيُحْبَسُ الناس بالتّهمة ! قال : وما ذاك ؟ فأخبره بما ادّعى من جُرمه ، فتبسّم الفضل ، ودخل على محمد ، فأخبره بذلك ، فدعا به ، وتقدّم إليه أن يجتنب الخمر والسكر ، قال: نعم ، قيل له : فبعهدالله ! قال: نعم ، قال: فأخرِج ،فبعث إليه فتيان من قريش فقال لهم : إنى لا أشرب ، قالوا : وإن لم تشرب فآنِسْنا بحديثك ، فأجاب ، فلما دارت الكأس بينهم ، قالوا : ألم ترتح لها ؟ قال : لا سبيل والله إلى شربها ، وأنشأ يقول : ٩٦٣/٣

أيُّهـــا الرَّائِحَانِ باللومِ لُومَا لا أَذُوق المُدامَ إلا شمِيما[١]

نَالَنِى بالمَلامِ فيها إمامٌ لا أُرَى فى خلافِهِ مستقيما[٢]

فَاصْرِفَاهَا إلى سِوَاىَ فإنى لَسْتُ إلاَّ على الحديث نَدِيمَا

إنَّ حظّى منها إذا هىَ دارَتْ[٣] أن أرَاهَا وأن أَشَمَّ النَّسيما

فكأنّى وَمَا أحَسِّنُ منْها قَعَدِىٌّ يُزَيِّنُ التَّحكيما

كَلَّ عن حَمْلةِ السِّلاحِ إلى الحَرْ[٤] بِ فأوصى المطيقَ ألا يُقِيما

وذُكر عن أبى الورد السُّبْعىّ أنه قال : كنت عند الفَضْل بن سهل بخُراسان ، فذكر الأمين ، فقال : كيف لا يُستَحلّ قتال محمد وشاعره يقول فى مجاسه :

أَلا سَقِّنِى خَمْرًا وقلْ لى هِىَ الْخَمْرُ وَلا تَسْقِنِى سرًّا إذا أمكنَ الجهْرُ[٥]

قال : فبلغت القصّةُ محمدًا ، فأمر الفضل بن الربيع فأخذ أبا نواس فحبسه .

---

(١) ديوانه ٣٢٥ .

(٢) الديوان : « لا أرى لى » .

(٣) الديوان : « كبر حظى » .

(٤) الديوان : « عن حمله » .

(٥) ديوانه ٢٧٣ .

٣/٩٦٤ وذكر كامل بن جامع عن بعض أصحاب أبى نواس ورواته ، قال : كان أبو نواس قال أبياتًا بلغت الأمين فى آخرها :

وقد زَادَنى تِيهاً على النَّاسِ أنَّنى ... أرانىَ أغنَاهُمْ إذا كنتُ ذَا عُسرِ[1]
وَلَوْ لم أنلْ فَخرًا لكانت صيانَتى[2] ... فمِى عن جميع الناس حَسْبى من الفخر[3]
ولا يَطمَعَنْ فى ذَاكَ منِّىَ طامِعٌ ... ولا صَاحِبُ التَّاجِ المحجَّبُ فى القصرِ

قال : فبعث إليه الأمين — وعنده سليمان بن أبى جعفر — فلما دخل عليه ، قال : يا عاضّ بَظْر أمّه العاهرة ! يابن اللخناء — وشتمه أقبح الشتم — أنت تكسب بشعرك أوساخ أيدى اللئام ، ثم تقول :

* ولا صاحبُ التاج المحجب فى القصر *

أما والله لانلتَ منى شيئًا أبدًا . فقال له سليمان بن أبى جعفر : والله يا أمير المؤمنين ، وهو من كبار الثنويَّة ، فقال محمد : هل يشهد عليه بذلك شاهد ؟ فاستشهد سليمان جماعة ، فشهد بعضهم أنه شرب فى يوم مطير ، ووضع قَدَحه تحت السماء ، فوقع فيه القطر ، وقال : يزعمون أنه ينزل مع كلّ قطرة مَلَك ، فكم ترى أنى أشرب الساعة من الملائكة ! ثم شرب ما فى القدَح ، فأمر محمد بحبسه ، فقال أبو نواس فى ذلك :

يَا رَبّ إنَّ القَوْمَ قد ظَلَمُونى ... وَبِلاَ اقتِراف تَعَطُّلٍ حَبَسُونى
وإلى الجُحودِ بمَا عَرفتَ خلاَفَهُ ... مِنّى إليه بكيدهمْ نَسَبُونى
٣/٩٦٥ ما كان إلا الجرْىُ فى مَيْدانِهِمْ ... فى كلِّ جَرْىٍ والمخافةُ دينى
لا العذرُ يُقبل لى فيَفرقَ شَاهِدِى ... منهم ولا يرضَوْن حَلفَ يَمينِى
ولكان كوثرُ كان أَوْلى مَحْبسًا ... فى دار مَنقَصَةٍ ومنزل هُونِ
أمّا الأمينُ فلست أَرجو دفعَهُ ... عنِّى ، فمن لِى اليومَ بالمأمـون !

---

(١) ديوانه ١٤٧ وفيه : « وإن كنت ذا فقر » . (٢) الديوان : « ولم لم أرث » .
(٣) الديوان : سؤال الناس » .

قال : وبلغت المأمونَ أبياته ، فقال : والله لئن لحقتُه لأغنينّه غنى لا يؤمّله ، قال : فمات قبل دخول المأمون مدينة السلام .

قال : ولما طال حبسُ أبى نواس ، قال فى حبسه — فيما ذكر — عن دِعامة :

إِحْمَدُوا اللهَ جميعاً يا جَميعَ المُسْلِمينا
ثم قولوا لا تَمَلُّوا رَبَّنَا أَبقِ الأَمينَا
صيَّر الخِصيانَ حتَّى صيَّر التَّعْنِينَ دِينَا
فاقتدَى النَّاس جميعاً بأَميرِ المؤمنينا

قال : وبلغت هذه الأبيات أيضًا المأمون وهو بخراسان ، فقال : إنّى لأتوكّفُه أن يهرب إلىّ .

وذكر يعقوب بن إسحاق ، عمّن حدّثه ، عن كوثر خادم المخلوع ، أنّ محمدًا أرِقَ ذات ليلة ، وهو فى حربه مع طاهر ، فطلب مَنْ يسامره فلم يقرب ٩٦٦/٣ إليه أحد من حاشيته ، فدعا حاجبه ، فقال : ويلك ! قد خطرت بقلبى خطرات فأحضِرْنى شاعراً ظريفًا أقطع به بقيّة ليلتى ، فخرج الحاجب ، فاعتمد أقرب مَنْ بحضرته ، فوجد أبا نواس ، فقال له : أجب أمير المؤمنين ، فقال له : لعلك أردتَ غيرى ! قال : لم أرد أحدًا سواك . فأتاه به ، فقال : مَنْ أنت ؟ قال : خادمك الحسن بن هانئ ، وطليقك بالأمس ، قال : لا تُرَعْ ؛ إنه عرضتْ بقلبى أمثال أحببت أن تجعلها فى شعر ، فإن فعلتَ ذلك أجزتُ حكمك فيما تطلب ، فقال : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : قولهم : عفا الله عمّا سلف ، وبئس والله ما جرَى فرسِى ، واكسرى عوداً على أنفك ، وتمنّعى أشهى لك. قال : فقال أبو نواس. حكمى أربع وصائف مقدودات ، فأمر بإحضارهنّ ، فقال :

فقَدتِ طُولَ اعتلالِكْ وما أَرى فى مِطالكْ
لَقَدْ أَرَدْتِ جفائى وقد أَردتُ وصالكْ

ما ذا أردت بهــذا ! تمنّعى أشْهَى لكْ

وأخذ بيد وصيفة فعزلها ، ثم قال :

قد صحّت الأَيمانُ من حَلْفِكِ وصِحْتُ حتى متُّ مِنْ خلفِكِ
باللهِ يا ستّى احنثى مَــرَّةً ثم اكسِرى عُودًا على أنفِكِ

ثم عزل الثانية ، ثم قال :

فديْتُكِ مَاذا الصَّلفْ وشتْمُكِ أهلَ الشرَفْ !
صِلِى عاشقاً مدنفاً قَد اعتِب ممّا اقترفْ
ولا تَذكُرِى ما مضَى عَفَا اللهُ عما سَلَفْ

٩٦٧/٣

ثم عزل الثالثة ، وقال :

وَبَاعِثَــاتٍ إلىَّ فى الغلَسِ أَنِ ائتِنَا واحترسْ من العَسَسِ
حتى إذا نُومَّ العُدَاةُ ولمْ أخشَ رقيباً ولا سَنَا قبَسِ
ركبتُ مُهرِى وقد طرِبتُ إلى حُورٍ حِسانٍ نوَاعِمٍ لعُسِ
فجئتُ والصبْح قد نهضت له فَبِئسَ واللهِ ما جَرَى فرَسِى

فقال : خذهنّ لا بارك الله لك فيهنّ !

وذكر عن الموصلىّ ، عن حسين خادم الرّشيد، قال: لما صارت الخلافة إلى محمد هيّئ له منزلٌ من منازله على الشطّ ، بفرش أجود ما يكون من فرش الخلافة وأسواه ، فقال : يا سيّدى ؛ لم يكن لأبيك فرش يباهى به الملوك والوفود الذين يردون عليه أحسن من هذا ؛ فأحببت أن أفرشه لك ، قال : فأحببت أن يفرش لى فى أوّل خلافتى المردراج ، وقال : مزّقوه ، قال: فرأيت والله الخدم والفراشين قد صيّرُوه ممزقًا وفرّقوه .

وذكر عن محمد بن الحسن ، قال : حدثنى أحمد بن محمد البرمكىّ أن إبراهيم بن المهدىّ غنّى محمد بن زبيدة :

هَجَرْتُك حَتى قِيلَ لا يَعْرِفُ القِلى وزُرْتكِ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ له صَبرُ[1]

فطرب محمد ، وقال : أوقروا زورقه ذهبًا .

وذُكر عن علىّ بن محمد بن إسماعيل ، عن مخارق ، قال : إنى لعند محمد بن زُبيدة يومًا ماطرًا ، وهو مصطبح ، وأنا جالس بالقرب منه ، وأنا أغنّى وليس معه أحد ، وعليه جبّة وَشْى ؛ لا والله مارأيت أحسن منها . فأقبلت أنظر إليها ، فقال : كأنك استحسنتَها يا مخارق ! قلت : نعم يا سيدى ؛ عليك لأنّ وجهك حسن فيها ، فأنا أنظر إليه وأعوّذك . قال : يا غلام ، فأجابه الخادم ، قال : فدعا بجُبّة غير تلك ، فلبسها وخلع التى عليه علىّ ، ومكثت هنيهة ثم نظرت إليه ، فعاودنى بمثل ذلك الكلام ، وعاودته ، فدعا بأخرى حتى فعل ذلك بثلاث جِباب ظاهرتُ بينها . قال : فلما رآها علىّ ندم وتغيّر وجهه ، وقال : يا غلام ، اذهب إلى الطباخين فقل لهم : يطبخوا لنا مصليّة ، ويجيدوا صنعتها ، وأتنى بها الساعة ، فما هو إلا أن ذهب الغلام حتى جاء الخِوان ، وهو لطيف صغير ، فى وسطه غضّارة ضَخْمة ورغيفان ، فوضعت بين يديه ، فكسر لقمة فأهوى بها إلى الصحيفة ، ثم قال : كُلْ يا مخارق ، قلت : يا سيّدى ، أعفِنى من الأكل ، قال : لست أعفيك فكلْ ، فكسرت لقمة ، ثم تناولت شيئًا ، فلما وضعته فى فمى ، قال : لعنك الله ! ما أشرهك ! نغّصتَها علىّ وأفسدتَها ، وأدخلت يدك فيها ؛ ثم رفع الغضّارة بيده ، فإذا هى فى حجْرى ، وقال : قم لعنك الله ! فقمت ، وذاك الودك والمرَق يسيل من الجباب ، فخلعتها وأرسلت بها إلى منزلى ، ودعوت القصّارين والوشائين ، فجهدت جهدى أن تعود كما كانت فما عادت .

٩٦٨/٣

وذُكر عن البحترىّ أبى عبادة ، عن عبيدالله بن أبى غسّان ، قال : كنت عند محمد فى يوم شات شديد البرْد ؛ وهو فى مجلس له مفرد مفروش بفرش ؛ قلّما رأيت أرفع قيمةً مثله ولا أحسن ، وأنا فى ذلك اليوم طاوٍ ثلاثة أيام ولياليهنّ إلاّ من النبيذ ؛ والله لا أستطيع أن أتكلّم ولا أعقل ، فنهض نهضة

٩٦٩/٣

(١) لأبى صخر الهذلى ، أمالى القالى ١ : ١٥٠ .

البول ، فقلت لخادم من خدم الخاصّة : ويلك ! قد والله متّ ، فهل من حيلة إلى شىء تلقيه فى جوفى يبرد عنّى ما أنا فيه ! فقال : دعنى حتّى أحتال لك وأنظر ما أقول ، وصدّق مقالتى ، فلما رجع محمد وجلس نظر الخادم إلىّ نظرة ، فتبسّم، فرآه محمد ، فقال : مِمَّ تبسّمت ؟ قال : لا شىء يا سيدى ، فغضب . قال البحترىّ : فقال : شىء فى عبيد الله بن أبى غسان ؛ لا يستطيع أن يشمّ رائحة البطيخ ولا يأكله ، ويجزع منه جزعًا شديداً . فقال : ياعبيد الله هذا فيك ؟ قال : قلت : إى والله يا سيّدى ، ابتليت به ، قال : ويحك ! مع طيب البطّيخ وطيب ريحه ! قال : فقلت : أنا كذا ، قال : فتعجّب ثم قال : علىّ ببِطيخ ؛ فأتِىَ منه بعدّة ، فلما رأيته أظهرت القشعريرة منه ، وتنحّيت . قال : خذوه ، وضعوا البِطّيخ بين يديه ، قال : فأقبلت أريه الجزع والاضطراب من ذلك ، وهو يضحك ، ثم قال : كُلْ واحدة ، قال : فقلتُ : يا سيّدى ، تقتلنى وترمى بكلّ شىء فى جوفى وتهيّج علىّ العلل ، الله الله فىّ ! قال : كلْ بِطيخة ولك فرش هذا البيت ؛ علىّ عهد الله بذلك وميثاقه ، قلت : ما أصنع بفرش بيت ، وأنا أموت إن أكلت ! قال : فتأبّيت ، وألحّ علىّ ، وجاء الخادم بالسكاكين فقطعوا بطيخة ، فجعلوا يحشونها فى فمى ، وأنا أصرُخ وأضطرب ؛ وأنا مع ذلك أبلع ، وأنا أريه أنى بِكرْه أفعل ذلك وألطم رأسى ، وأصيح وهو يضحك ، فلما فرغت تحوّل إلى بيت آخر ، ودعا الفرّاشين ، فحملوا فرش ذلك البيت إلى منزلى ، ثم عاودنى فى فرش ذلك البيت فى بطيخة أخرى ، ثم فعل كفعله الأول ، وأعطانى فرش البيت ؛ حتّى أعطانى فرش ثلاثة أبيات ؛ وأطعمنى ثلاث بِطّيخات ، قال : وحسنت والله حالى ، واشتدّ ظهرى . ٩٧٠/٣

قال : وكان منصور بن المهدىّ يريه أنه ينصح له ، فجاء وقد قام محمد يتوضّأ ، وعلمت أن محمدًا سيعقبنى بشرّ ندامة على ما خرج من يديه ؛ فأقبل علىّ منصور ومحمد غائب عن المجلس ، وقد بلغه الخبر ، فقال : يابن الفاعلة ، تخدع أمير المؤمنين ، فتأخذ متاعه ! والله لقد هممتُ أفعل وأفعل ، فقلت : يا سيّدى ، قد كان ذاك ؛ وكان السبب فيه كذا وكذا ، فإن أحببتَ أن

تقتلني فتأثّم فشأنك ، وإن تفضّلت فأهلٌ لذلك أنت ، ولستُ أعود . قال : فإني أتفضّل عليك . قال : وجاء محمد، فقال: افرشوا لنا على تلك البرْكة، ففرشوا له عليها ، فجلس وجلسنا وهي مملوءة ماء ، فقال : يا عمّ ، اشتهيتُ أن أصنع شيئًا ؛ أرمي بعبيد الله إلى البرْكة وتضحك منه . قال : يا سيّدي إن فعلتَ هذا قتلتَه لشدة برد الماء وبرد يومنا هذا ؛ ولكني أدلك على شيء خيرتُ به، طيّب ، قال : ما هو ؟ قال : تأمر به يُشدّ في تخت ، ويُطرح على باب المتوضأ ، ولا يأتي بابَ المتوضأ أحد إلا بال على رأسه. فقال : طيّب والله؛ ثم أتيَ بتخت فأمر فشُدِدت فيه ، ثم أمر فحمِلت وألقيتُ على باب المتوضأ ، وجاء الخدم فأرخوُا الرِّباط [1] عني ، وأقبلوا يرونه أنهم يبولون عليّ وأنا أصرخ، فمكث بذلك ما شاء الله وهو يضحك. ثم أمر بي فحُلِلتُ وأريته أني تنظّفت وأبدلت ثيابي وجاوزت عليه .

٩٧١/٣

وذكر عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع عن أبيه ــ وكان حاجبَ المخلوع ــ قال : كنتُ قائمًا على رأسه، فأتيَ بغداء فتغدّى وحده ، وأكل أكلا عجيبًا، وكان يومًا يعدّ للخلفاء قبله على هيئة ما كان يُهيَّأ لكلّ واحد منهم يأكل من كلّ طعام ، ثم يؤتَى بطعامه . قال : فأكل حتى فرغ ثم رفع رأسه إلى أبِي العنبر ــ خادم كان لأمه ــ فقال : اذهب إلى المطبخ ، فقل لهم يهيئون لي بزْماوَرْد ، ويتركونه طوالا لا يقطّعونه ، ويكون حشوه شحوم الدّجاج والسمن والبَقْل والبيض والجبن والزيتون والجوز ، ويكثرون منه ويعجلونه ؛ فما مكث إلا يسيراً حتى جاءوا به في خوان مربّع ، وقد جعل عليه البزْماورد الطوال ، على هيئة القبة العبدصمديّة ، حتى صيّر أعلاها بزماوردة واحدة ، فوُضع بين يديه ، فتناول واحدةً فأكلها ، ثم لم يزل كذلك حتى لم يُبق على الخوان شيئًا .

وذكر عن عليّ بن محمد أنّ جابر بن مصعب حدّثه ، قال : حدّثني مخارق ، قال : مرّت بي ليلة ما مرّت بي مثلها قطّ ، إني لفي منزلي بعد ليلٍ ؛

(١) ط : « الرياط » ، تحريف .

إذ أتانى رسول محمد — وهو خليفة— فركض بى ركضًا، فانتهى بى إلى داره ، فأدخلت فإذا إبراهيم بن المهدىّ قد أرسل إليه كما أرسل إلىّ ، فوافينا جميعًا ، فانتهى إلى باب مُفضٍ إلى صحن ، فإذا الصحن مملوء شمعًا من شمع محمد العظام ، وكأنّ ذلك الصحن فى نهار ، وإذا محمد فى كُرّج ، وإذا الدار مملوءة وصائف وخدمًا ، وإذا اللعّابون يلعبون ، ومحمد وسطهم فى الكُرّج يرقص فيه ، فجاءنا رسول يقول : قال لكما : قوما فى هذا الموضع على هذا الباب مما يلى الصحن ، ثم ارفعا أصواتكما معبّراً ومقصرًا عن السورناى ، واتبعاه فى لحنه قال : وإذا السورناى والجوارى واللعابون فى شىء واحد :

٩٧٢/٣

*هذى دنانير تنسانى وأذكرها *

تتبع الزّمار . قال : فوالله ما زلتُ وإبراهيم قائمين نقولها ، نشقّ بها حلوقنا حتى انفلق الصبح ، ومحمد فى الكرّج ما يسأمه ولا يملّه حتى أصبح يدنو منا ، أحيانًا نراه ، وأحيانًا يحول بيننا وبينه الجوارى والخدم .

وذكر الحسين بن فراس مولى بنى هاشم ، قال : غزا الناس فى زمان محمد على أن يردّ عليهم الخُمس ، فرُدّ عليهم ، فأصاب الرجل ستة دنانير ، وكان ذلك مالا عظيمًا .

* * *

وذكر عن ابن الأعرابىّ ، قال : كنت حاضر الفضل بن الربيع ، وأتِىَ بالحسن بن هانئ ، فقال : رُفع إلى أمير المؤمنين أنك زنديق ، فجعل يبرأ من ذلك ويحلف ، وجعل الفضل يكرّر عليه ، وسأله أن يكلّم الخليفة فيه ، ففعل وأطلقه ، فخرج وهو يقول :

أَهلى أَتيتكُمُ منَ القبرِ ... والناسُ محْتبَسونَ للحَشرِ

لولا أَبو العباسِ ما نظرَتْ ... عينى إلى ولدٍ ولا وفرِ

فالله أَلبسنى بِه نعمًا ... شَغَلَتْ حسابَتها يدَىْ شكرِى

لقِيتُهـــا من مُفهَمٍ فَهِمٍ ... فمددتهـــا بأَناملٍ عشْرِ

٩٧٣/٣ وذكر عن الرياشىّ أن أبا حبيب الموشىّ حدّثه ، قال : كنت مع مؤنس ابن عمران ، ونحن نريد الفضل بن الربيع ببغداد ، فقال لى مؤنس : لو دخلنا على أبى نواس ! فدخلنا عليه السجن ، فقال لمؤنس : يا أبا عمران ، أين تريد ؟ قال : أردت أبا العباس الفضل بن الربيع ، قال : فتبلّغه رقعة أعطيكها ؟ قال : نعم ، قال : فأعطاه رقعة فيها :

ما من يدٍ فى الناسِ واحدَةٍ إلا أَبو العباسِ مولاها
نامَ الثقاتُ على مضاجعهِمْ وسرى إلى نفسى فأَحياها
قد كنتُ خفتُكَ ثم أَمّنَنى من أَن أَخافكَ خوفُكَ اللهَ
فَعفوتَ عنِّى عفوَ مُقتدِرٍ وجبَت له نقَمٌ فألْغَاها

قال : فكانت هذه الأبيات سببَ خروجه من الحبس .

وذُكر عن محمد بن خلاد الشروِىّ ، قال : حدثنى أبى قال : سمع محمد شعر أبى نواس وقوله :

* ألا اسقِنِى خمْرا وقل لى هى الخمْرُ *

وقوله :

اسقنيها يا ذُفافهْ مُزَّة الطَّعْم سُلافهْ
ذَلَّ عندِى مَنْ قلاها لِرَجاء أَو مخافهْ
مثلَ ما ذَلَّتْ وضاعَتْ بعد هارونَ الخِلافهْ

قال : ثم أنشد له :

٩٧٤/٣ فجاء بها زَيتِيَّةً ذَهَبيَّةً فلم نستطِع دُونَ السُّجُودِ لها صَبْرَا

قال : فحبسه محمد على هذا ، وقال : إيه ! أنت كافر ، وأنت زنديق. فكتب فى ذلك إلى الفضل بن الربيع :

أنتَ يابنَ الرَّبيع علَّمتَنى الخيْ ـرَ وعوَّدتَنيهِ والخيْرُ عادَهْ

فارعَوَى باطِلى وأَقصَرَ جَهْ ـلى وأَظهرتُ رهبَةً وَزَهـادَهْ

لو ترَانى شبَّهْتَ بى الحسَنَ البَصـ ـرِىَّ فى حالِ نُسْكِهِ وقتَادَهْ

برُكُوعٍ أَزِينُهُ بسُجُودٍ واصفِرارٍ مثلِ اصفرار الجرادهْ

فادعُ بى لا عَدِمتَ تقوِيمَ مثلى فتـأَمَّل بعينكَ السَّجّاده

لو رآها بعْضُ المُرَائينَ يوماً لاشترَاها يُعِدُّها للشَّهادَهْ

خلافة المأمون عبد الله بن هارون

٩٧٥/٣

وفى هذه السنة وضعت الحرب – بين محمد وعبد الله ابنى هارون الرّشيد – أوزارها ، واستوسَق الناس بالمشرق والعراق والحجاز لعبد الله المأمون بالطاعة .

وفيها خرج الحسن الهرْش فى ذى الحجة منها يدعو إلى الرضىّ من آل محمد – بزعمه – فى سفْلة الناس، وجماعة كثيرة من الأعراب؛ حتّى أتى النّيل، فجبى الأموالَ ، وأغار على التجّار ، وانتهب القرى، واستاق المواشى .

وفيها ولّى المأمون كلّ ما كان طاهر بن الحسين افتتحه من كُور الجبال وفارس والأهواز والبَصْرة والكوفة والحجاز واليمن الحسنَ بن سهل أخا الفضل ابن سهل ؛ وذلك بعد مقتل محمد المخلوع ودخول الناس فى طاعة المأمون .

وفيها كتب المأمون إلى طاهر بن الحسين ، وهو مقيم ببغداد بتسليم جميع ما بيده من الأعمال فى البلدان كلّها إلى خلفاء الحسن بن سهل، وأن يشخص عن ذلك كلّه[1] إلى الرقّة ، وجعل إليه حرب نصر بن شبث ، وولاّه الموصل والجزيرة والشأم والمغرب .

وفيها قدم علىّ بن أبى سعيد العراق خليفةً للحسن بن سهل على خراجها، فدافع طاهر عليًّا بتسليم الخراج إليه؛ حتّى وفّى الجند أرزاقهم، فلما وفّاهم سلّم إليه العمل .

وفيها كتب المأمون إلى هرْثمة يأمره بالشُّخوص إلى خُراسان .

* * *

٩٧٦/٣

وحجّ بالناس فى هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ .

---

(١) ط : «كلها» .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث المشهورة

فمن ذلك قدومُ الحسن بن سهل فيها بغدادَ من عند المأمون، وإليه الحرب والخراج ، فلمّا قدمها فرّق عماله فى الكُور والبلدان .

وفيها شخص طاهر إلى الرّقة فى جُمادى الأولى، ومعه عيسى بن محمد بن أبى خالد . وفيها شخص أيضًا هَرْثمة إلى خُراسان .

وفيها خرج أزهر بن زهير بن المسيّب إلى الهِرْش، فقتله فى المحرّم .

وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسن بن علىّ بن أبى طالب يوم الخميس لعشر خلوْن من جُمادى الآخرة يدعو إلى الرضىّ من آل محمد والعمل بالكتاب والسنّة ، وهو الذى يقال له ابن طباطبا ، وكان القيّمَ بأمره فى الحرب وتدبيرها وقيادة جيوشه أبو السرايا ، واسمه السرىّ بن منصور ، وكان يذكر أنه من ولد هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبى ربيعة بن ذُهْل بن شيبان .

* * *

ذكر الخبر عن سبب خروج محمد بن إبراهيم بن طباطبا

٣/٩٨٧ اختُلف فى ذلك، فقال بعضهم : كان سببُ خروجه صرف المأمون طاهر ابن الحسين عمّا كان إليه من أعمال البلدان التى فتحها وتوجيهه إلى ذلك الحسن بن سهل؛ فلمّا فعل ذلك تحدّث الناس بالعراق بينهم أن الفَضْل بن سهل قد غلب على المأمون ، وأنه قد أنزله قصراً حجبه فيه عن أهل بيته ووجوه قوّاده من الخاصّة والعامة ، وأنه يُبرم الأمور على هواه، ويستبدّ بالرأى دونه. فغضب لذلك بالعراق مَنْ كان بها من بنى هاشم ووجوه الناس ، وأنفوا من

غلبة الفضل بن سهل على المأمون ، واجترءوا على الحسن بن سهل بذلك ، وهاجت الفتن فى الأمصار ؛ فكان أوّل مَنْ خرج بالكوفة ابن طباطبا الذى ذكرت .

وقيل كان سبب خروجه أن أبا السرّايا كان من رجال هرثمة ، فمطله بأرزاقه وأخّره بها ، فغضب أبو السرايا من ذلك ، ومضى إلى الكوفة فبايع محمد بن إبراهيم وأخذ الكوفة ، واستوسق له أهلها بالطاعة ، وأقام محمد بن إبراهيم بالكوفة ، وأتاه الناس من نواحى الكوفة والأعراب وغيرهم .

[ذكر الوقعة بين أهل الكوفة وزهير بن المسيّب]

وفيها وجّه الحسن بن سهل زُهير بن المسيّب فى أصحابه إلى الكوفة — وكان عامل الكوفة يومئذ حين دخلها ابن طباطبا سليمان بن أبى جعفر المنصور من قبَل الحسن بن سهل ، وكان خليفة سليمان بن أبى جعفر بها خالد بن محجّل الضبىّ — فلما بلغ الخبر الحسن بن سهل عنّف سليمان وضعّفه ، ووجّه زهير بن المسيّب فى عشرة آلاف فارس وراجل ؛ فلما توجّه إليهم وبلغهم خبرُ شخوصه إليهم تهيّئوا للخروج إليه ؛ فلم تكن لهم قوّة على الخروج ، فأقاموا حتى إذا بلغ زهير قرية شاهى خرجوا فأقاموا حتى إذا بلغوا القنطرة أتاهم زُهير ، فنزل عشية الثلاثاء صعنْبا ، ثم واقعهم من الغد فهزموه واستباحوا عسكره ، وأخذوا ما كان معه من مال وسلاح ودوابّ وغير ذلك يوم الأربعاء .

٣/٩٧٨

فلما كان من غد اليوم الذى كانت فيه الوقعة بين أهل الكوفة وزهير ابن المسيّب — وذلك يوم الخميس لليلة خلت من رجب سنة تسع وتسعين ومائة — مات محمد بن إبراهيم بن طباطبا فجاءةً ؛ فذُكر أن أبا السرايا سمّه ، وكان السبب فى ذلك — فيما ذُكر — أنّ ابن طباطبا لما أحرز ما فى عسكر زهير من المال والسلاح والدوابّ وغير ذلك منعه أبا السرايا ، وحظره عليه ؛ وكان النّاس له مطيعين ، فعلم أبو السرايا أنه لا أمر له معه فسمّه ؛ فلما مات ابن طباطبا أقام أبو السّرايا مكانَه غلاما أمردَ حدَثًا يقال له محمد بن محمد بن زيد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ؛ فكان أبو السرايا هو الذى ينفّذ

الأمور ، ويولّى مَنْ رأى ، ويعزل من أحبّ ؛ وإليه الأمور كلها ، ورجع زهير من يومه الذى هُزِم فيه إلى قصر ابن هبيرة ، فأقام به . وكان الحسن بن سهل قد وجّه عبدوس بن محمد بن أبى خالد المرورّوذىّ إلى النِّيل حين وُجّه زهير إلى الكوفة ، فخرج بعد ما هُزِم زهير عبدوس يريد الكوفة بأمر الحسن بن سهل ؛ حتى بلغ الجامع هو وأصحابه ، وزهير مقيم بالقصر ، فتوجّه أبو السرايا إلى عبدوس ، فواقعه بالجامع ، يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من رجب فقتله ، وأسرَ هارون بن محمد بن أبى خالد ، واستباح عسكره . وكان عبدوس — فيما ذكر — فى أربعة آلاف فارس ، فلم يفلِت منهم أحد ، كانوا بين قتيل وأسير ، وانتشر الطالبيُّون فى البلاد ، وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة ، ونقش عليها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾[١] ، ولما بلغ زهيرًا قتلُ أبى السرايا عبدوسًا وهو بالقصر ، انحاز بمن معه إلى نهر الملك . ٩٧٩/٣

ثم إن أبا السرايا أقبل حتى نزل قصر ابن هبيرة بأصحابه ، وكانت طلائعه تأتى كُوثَى ونهر الملك ، فوجّه أبو السرايا جيوشًا إلى البصرة وواسط فدخلوهما ، وكان بواسط ونواحيها عبد الله بن سعيد الحَرَشىّ واليًا عليها من قِبَل الحسن ابن سهل ، فواقعه جيش أبى السرايا قريبًا من واسط فهزموه ، فانصرف راجعًا إلى بغداد ، وقد قتل من أصحابه جماعة وأسر جماعة . فلما رأى الحسن ابن سهل أنّ أبا السرايا ومَنْ معه لا يلقَوْن له عسكرًا إلا هزموه ، ولا يتوجّهون إلى بلدة إلا دخلوها ؛ ولم يجد فيمن معه من القوّاد مَنْ يكفيه حربه ، اضطر إلى هرثمة — وكان هرثمة حين قدم عليه الحسن بن سهل العراقَ واليًا عليها من قِبَل المأمون ، سلّم ما كان بيده من الأعمال ، وتوجه نحو خُراسان مغاضبًا للحسن ، فسار حتى بلغ حُلوان — فبعث إليه السندىّ وصالحًا صاحب المصلّى يسأله الانصراف إلى بغداد لحرب أبى السرايا ، فامتنع وأبى . وانصرف الرسول إلى الحسن بإبائه ؛ فأعاد إليه السندىّ بكتب لطيفة ، فأجاب ، وانصرف إلى

---

(١) سورة الصف آية ٤

بغداد ، فقدمها فى شعبان ؛ فتهيّأ للخروج إلى الكوفة . وأمر الحسن بن سهل علىّ بن أبى سعيد أن يخرج إلى ناحية المدائن وواسط والبصرة ، فتهيّئوا لذلك. ٣/٩٨٠
وبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هبيرة ، فوجّه إلى المدائن ، فدخلها أصحابه فى رمضان ، وتقدّم هو بنفسه وبمن معه حتى نزل نهر صَرْصَر مما يلى طريق الكوفة فى شهر رمضان . وكان هرثمة لمّا احتبس قدومه على الحسن ببغداد أمر المنصور بن المهدىّ أن يخرج فيعسكر بالياسريّة إلى قدوم هرثمة ، فخرج فعسكر ، فلما قدم هَرْثمة خرج فعسكر بالسفينتين بين يدى منصور ، ثم مضى حتى عسكر بنهر صَرْصر بإزاء أبى السرايا ، والنهر بينهما ؛ وكان علىّ ابن أبى سعيد معسكراً بكلْوَاذى ، فشخص يوم الثلاثاء بعد الفِطْر بيوم ، ووجّه مقدّمته إلى المدائن ، فقاتل بها أصحاب أبى السرايا غداة الخميس إلى الليل قتالا شديداً . فلمّا كان الغد غدا وأصحابه على القتال فانكشف أصحاب أبى السرايا وأخذ ابن أبى سعيد المدائن . وبلغ الخبر أبا السرايا وأخذ ابن أبى سعيد المدائن ؛ فلمّا كان ليلة السبت لخمس خَلَوْن من شوّال رجع أبو السرايا من نهر صرصر إلى قصر ابن هبيرة ؛ فنزل به ، وأصبح هرثمة فجدّ فى طلبه ، فوجد جماعة كثيرة من أصحابه فقتلهم ، وبعث برءوسهم إلى الحسن ابن سهل ، ثم صار هرثمة إلى قصر ابن هبيرة ؛ فكانت بينه وبين أبى السرايا وقعة قتل فيها من أصحاب أبى السرايا خلْق كثير ، فانحاز أبو السرّايا إلى الكوفة ، فوثب محمد بن محمد ومن معه من الطالبيين على دور بنى العباس ودور مواليهم وأتباعهم بالكوفة ، فانتهبوها وخرّبوها وأخرجوهم من الكوفة ، وعملوا فى ذلك عملا قبيحًا ، واستخرجوا الودائع التى كانت لهم عند الناس فأخذوها . وكان هَرْثمة — فيما ذكر — يخبر الناس أنه يريد الحجّ ، فكان قد حبس من يريد الحجّ من خُراسان والجبال والجزيرة وحاجّ بغداد وغيرهم ؛ فلم يدَع أحدًا يخرج ، رجاء أن يأخذ الكوفة ، ووجّه أبو السرايا إلى مكة والمدينة مَنْ يأخذهما ، ويقيم الحجّ للناس . ٣/٩٨١

وكان الوالى على مكة والمدينة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس ، وكان الذى وجّهه أبو السرايا إلى مكة

حسين بن حسن الأفطس بن على بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب والذى وجّهه إلى المدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب ، فدخلها ولم يقاتله بها أحد ، ومضى حسين بن حسن يريد مكة فلمّا قرب منها وقف هُنَيهة لمن فيها . وكان داود بن عيسى لمّا بلغه توجيه أبى السرايا حسين بن حسن إلى مكة لإقامة الحجّ للناس جمع موالى بنى العبّاس وعبيد حوائطهم ، وكان مسرور الكبير الخادم قد حجّ فى تلك السنة فى مائتى فارس من أصحابه ، فتعبّأ لحرب مَنْ يريد دخول مكة وأخذها من الطالبيّين ، فقال لداود بن عيسى : أقم لى شخصَك أو شخص بعض ولدك ، وأنا أكفيك قتالَهم ، فقال له داود : لا أستحلّ القتال فى الحرم ؛ والله لئن دخلوا من هذا الفجّ لأخرجنّ من هذا الفجّ الآخر ، فقال له مسرور : تُسَلّم ملكك وسلطانك إلى عدوّك ومن لا يأخذه فيك لومة لائم فى دينك ولا حرمك ولا مالك! قال له داود : أىّ مُلْك لى ! والله لقد أقمتُ معهم حتى شيّخْت فما ولّونى ولايةً حتى كبرتْ سنى ، وفنىَ عمرى ، فولّونى من الحجاز ما فيه القوت ؛ إنما هذا الملك لك وأشباهك ؛ فقاتل إن شئت أو دَعْ. فانحاز داود من مكة إلى ناحية المُشاش ، وقد شدّ أثقالَه على الإبل ، فوجّه بها فى طريق العراق ، وافتعل كتابًا من المأمون بتولية ابنه محمد بن داود على صلاة الموسم ، فقال له : اخرج فصلّ بالناس الظهر والعصر بمنًى ، والمغرب والعشاء ، وبتْ بمنًى ، وصلّ بالناس الصبح ، ثم اركب دوابّك فانزل طريق عرَفة ، وخُذْ على يسارك فى شعب عمرو ؛ حتى تأخذ طريق المشاش ، حتى تلحقنى ببستان ابن عامر . ففعل ذلك ، وافترق الجمع الذى كان داود بن عيسى معهم بمكّة من موالى بنى العباس وعبيد الحوائط ، وفتّ ذلك فى عضد مسرور الخادم ، وخشى إن قاتلهم أن يميل أكثر الناس معهم ؛ فخرج فى أثر داود راجعًا إلى العراق ، وبقى الناس بعرفة ؛ فلمّا زالت الشمس وحضرت الصّلاة ، تدافعها قوم من أهل مكة ، فقال أحمد بن محمد بن الوليد الردمىّ — وهو المؤذن وقاضى الجماعة والإمام بأهل المسجد الحرام : إذ [1] لم تحضر الولاة — لقاضى مكة محمد بن عبد الرحمن

٩٨٢/٣ ٩٨٣/٣

---

(١) ط : « إذا » .

المخزومىّ: تقدم فاخطب بالناس ، وصلّ بهم الصلاتين ؛ فإنك قاضى البلد .
قال : فلمن أخطبُ وقد هرب الإمام ؛ وأطلّ هؤلاء القوم على الدخول !
قال : لا تدْعُ لأحد، قال له محمد : بل أنت فتقدّمْ واخطب ، وصلّ بالناس ،
فأبى ؛ حتى قدّموا رجلا من عُرْض أهل مكة، فصلى بالناس الظهر والعصر
بلا خطبة ، ثم مضوا فوقفوا جميعًا بالموقف من عرَفة حتى غربت الشمس ،
فدفع الناس لأنفسهم من عرفة بغير إمام، حتى أتوْا مزدلفة، فصلّى بهم المغرب
والعشاء رجلٌ أيضًا من عُرْض الناس وحسينُ بن حسن يتوقف بسرف يرهب
أن يدخل مكة ، فيُدفع عنها ويقاتَل دونها ، حتى خرج إليه قوم من أهل مكة
ممّن يميل إلى الطالبيّين ، ويتخوّف من العباسيين ، فأخبروه أن مكة ومنًى
وعرَفة قد خلتْ ممن فيها من السلطان، وأنهم قد خرجوا متوجّهين إلى العراق .
فدخل حسين بن حسن مكة قبل المغرب من يوم عرفة ، وجميع من معه
لا يبلغون عشرة ، فطافوا بالبيت وسعوْا بين الصفا والمروة ، ومضوا إلى عرفة فى
الليل ، فوقفوا بها ساعة من الليل، ثم رجع إلى مُزدلفة فصلّى بالناس الفجْر ،
ووقف على قُزَح ، ودفع بالناس منه . ٣/٩٨٤

وأقام بمنى أيامَ الحجّ ، فلم يزل مقيماً حتى انقضت سنة تسع وتسعين
ومائة، وأقام محمد بن سليمان بن داود الطالبىّ بالمدينة السنة أيضًا ، فانصرف
الحاج ومَنْ كان شهد مكة والموسم، على أن أهل الموسم قد أفاضوا من عرَفة
بغير إمام .

وقد كان هرثمة لما تخوّف أن يفوته الحجّ — وقد نزل قرية
شاهى — واقع أبا السرايا وأصحابه فى المكان الذى واقعه فيه زهير ، فكانت
الهزيمة على هرثمة فى أول النهار ، فلما كان آخر النهار كانت الهزيمةُ على
أصحاب أبى السرايا ، فلما رأى هرثمة أنه لم يصر إلى ما أراد ، أقام بقرية
شاهى، وردّ الحاج وغيرهم ، وبعث إلى المنصور بن المهدىّ فأتاه بقرية
شاهى ، وصار يكاتب رؤساء أهل الكوفة ، وقد كان علىّ بن أبى سعيد لما أخذ
المدائن توجّه إلى واسط فأخذها ، ثم إنه توجّه إلى البصرة فلم يقدر على أخذها حتى
انقضت سنة تسع وتسعين ومائة .

ثم دخلت سنة مائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن هرب أبى السرايا وما آل إليه أمره]

فمما كان فيها من ذلك هرب أبى السرايا من الكوفة ودخول هرثمة إليها .

ذُكِر أن أبا السرايا هرب هو ومن معه من الطالبيّين من الكوفة ليلةَ الأحد لأربع عشرة ليلة بقيتْ من المحرم من سنة مائتين ، حتى أتى القادسيّة . ودخل منصور ابن المهدىّ وهرثمة الكوفة صبيحةَ تلك الليلة ، وآمنوا أهلَها ، ولم يعرضوا لأحد منهم ، فأقاموا بها يومهم إلى العصر ، ثم رجعوا إلى معسكرهم ، وخلّفوا بها رجلاً منهم يقال له غسان بن أبى الفرج أبو إبراهيم بن غسان صاحب حرس صاحب خراسان ، فنزل فى الدار التى كان فيها محمد بن محمد وأبو السرايا . ٩٨٥/٣

ثم إنّ أبا السرايا خرج من القادسيّة هو ومَنْ معه حتى أتوْا ناحية واسط ، وكان بواسط علىّ بن أبى سعيد، وكانت البصرة بيد العلويّين بعد ، فجاء أبو السرايا حتى عبر دِجْلة أسفل من واسط ، فأتى عبدَسِى ؛ فوجد بها مالاً كان حُمِل من الأهواز ، فأخذه ثم مضى حتى أتى السوس ، فنزلها ومَن معه ، وأقام بها أربعة أيام ، وجعل يعطى الفارس ألفًا والراجل خمسمائة ، فلما كان اليوم الرابع أتاهم الحسن بن على الباذغيسىّ المعروف بالمأمونىّ . فأرسل إليهم : اذهبوا حيث شئتم، فإنه لا حاجةَ لى فى قتالكم ، وإذا خرجتم من عملى فلست أتبعكم . فأبى أبو السرايا إلا القتال، فقاتلهم، فهزمهم الحسن، واستباح عسكرهم ، وجُرح أبو السرايا جراحة شديدة، فهرب، واجتمع هو ومحمد بن محمد وأبو الشوْك ، وقد تفرّق أصحابهم، فأخذوا ناحية طريق الجزيرة يريدون منزل أبى السرايا برأس العين ؛ فلما انتهوا إلى جلولاء عُثِر بهم، فأتاهم حماد الكُنْدُغُوش فأخذهم ، فجاء بهم إلى الحسن بن سهل، وكان مقيماً بالنهْروان

حين طردته الحربية ، فقدم بأبى السرايا ، فضرب عنقه يوم الخميس لعشر خلوْن من ربيع الأول . وذكروا أنّ الذى تولّى ضرب عنقه هارون بن محمد بن أبى خالد، وكان أسيرًا فى أيدى أبى السرايا . وذكروا أنه لم يروا أحداً عند ٩٨٦/٣ القتل أشدّ جزعًا من أبى السرايا ، كان يضطرب بيديه ورجليه ، ويصيح أشدّ ما يكون من الصياح ؛ حتى جُعل فى رأسه حبل، وهو فى ذلك يضطرب ويلتوى ويصيح ؛ حتى ضربت عنقه . ثم بعث برأسه فطيف به فى عسكر الحسن بن سهل ، وبعث بجسده إلى بغداد ، فصُلِب نصفين على الجسر ، فى كلّ جانب نصف ، وكان بين خروجه بالكوفة وقتله عشرة أشهر .

وكان علىّ بن أبى سعيد حين عبر أبو السرايا توجّه إليه، فلمّا فاته توجه إلى البصرة فافتتحها. والذى كان بالبصرة من الطالبيّين زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب ومعه جماعة من أهل بيته ، وهو الذى يقال له زيد النار — وإنما سمى زيد النار لكثْرة ما حرّق من الدور بالبصرة من دور بنى العباس وأتباعهم؛ وكان إذا أُتِيَ برجل من المسوّدة كانت عقوبته عنده أن يحرقه بالنار — وانتهبوا بالبصرة أموالا ، فأخذه علىّ بن أبى سعيد أسيراً . وقيل إنه طلب الأمان فآمنه . وبعث علىّ بن أبى سعيد ممن كان معه من القواد عيسى بن يزيد الجُلودىّ وورقاء بن جَميل وحمدويه بن علىّ بن عيسى بن ماهان وهارون بن المسيّب إلى مكة والمدينة واليمن، وأمرهم بمحاربة مَنْ بها من الطالبيين . وقال التميمىّ فى قتل الحسن بن سهل أبا السرايا :

أَلم ترَ ضَرْبَةَ الحَسَنِ بن سهْلٍ بسيفِكَ يا أَميرَ المُؤْمنينَا
أَدَارت مَرْوَ رأسَ أَبى السرايا وأَبقت عِبْرَةً للعابرينا ٩٨٧/٣

وبعث الحسن بن سهل محمد بن محمد حين قتل أبو السرايا إلى المأمون بخراسان.

* * *

[ذكر الخبر عن خروج إبراهيم بن موسى باليمن]

وفى هذه السنة خرج إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب باليمن .

* ذكر الخبر عنه وعن أمره :

وكان إبراهيم بن موسى – فيما ذُكر – وجماعة من أهل بيته بمكّة حين خرج أبو السرايا وأمْرُه وأمر الطالبيين بالعراق ما ذُكر. وبلغ إبراهيم بن موسى خبرهم، فخرج من مكة مع مَنْ كان معه من أهل بيته يريد اليمن، ووالى اليمن يومئذ المقيم بها من قِبَل المأمون إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس. فلما سمع بإقبال إبراهيم بن موسى العلويّ وقربه من صنعاء، خرج منصرفًا عن اليمن، في الطريق النجدية بجميع مَنْ في عسكره من الخيل والرَّجْل، وخلّى لإبراهيم بن موسى بن جعفر اليمن وكره قتاله، وبلغه ما كان من فعل عمّه داود بن عيسى بمكة والمدينة؛ ففعل مثل فعله، وأقبل يريد مكة؛ حتى نزل المُشاش، فعسكر هناك، وأراد دخول مكة، فمنعه مَن كان بها من العلويّين، وكانت أم إسحاق بن موسى بن عيسى متواريةً بمكة من العلويّين، وكانوا يطلبونها فتوارت منهم، ولم يزل إسحاق بن موسى معسكراً بالمشاش، وجعل مَن كان بمكة مستخفياً يتسللون من رءوس الجبال، فأتوا بها ابنها في عسكره. وكان يقال لإبراهيم بن موسى : الجزّار؛ لكثرة مَن قتل باليمن من الناس وسبَى وأخذ من الأموال. ٣/٩٨٨

* * *

[ذكر ما فعله الحسين بن الحسن الأفطس بمكة]

وفي هذه السنة في أول يوم من المحرّم منها بعد ما تفرّق الحاجّ من مكة جلس حسين بن حسن الأفطس خلف المقام على نُمرقة مثنيّة، فأمر بثياب الكعبة التي عليها فجُرّدت منها حتى لم يُبق عليها من كسوتها شيئًا، وبقيَت حجارة مجرّدة، ثم كساها ثوبين من قزّ رقيق، كان أبو السرايا وجّه بهما معه مكتوب عليهما : أمرَ به الأصفر بن الأصفر أبو السرايا داعية آل محمد، لكسوة بيت الله الحرام، وأن يطرح عنه كُسوة الظلَمة من ولد العباس، لتطّهر من كُسوتهم. وكتب في سنة تسع وتسعين ومائة.

ثم أمر حسين بن حسن بالكسوة التي كانت على الكعبة فقسمت بين أصحابه من العلويّين وأتباعهم على قدر منازلهم عنده، وعمَد إلى ما في خزانة

الكعبة من مالٍ فأخذه ، ولم يسمع بأحد عنده وديعة لأحد من ولد العباس وأتباعهم إلاّ هجم عليه فى داره ؛ فإن وجد من ذلك شيئًا أخذه وعاقب الرجل؛ وإن لم يجد عنده شيئًا حبَسه وعذّبه حتى يفتدى نفسه بقدر طوله ، ويقرّ عند الشهود أن ذلك للمسوّدة من بنى العباس وأتباعهم، حتى عمّ هذا خلقًا كثيراً . ٣/٩٨٩

وكان الذى يتولى العذابَ لهم رجلاً من أهل الكوفة يقال له محمد بن مسلمة ، كان ينزل فى دار خالصة عند الحنّاطين ؛ فكان يقال لها دار العذاب ، وأخافوا الناس؛ حتى هرب منهم خلْق كثير من أهل النّعم ، فتعقبوهم بهدم دورهم حتى صاروا من أمر الحرم ، وأخذ أبناء الناس فى أمر عظيم، وجعلوا يحكّون الذهب الرقيق الذى فى رءوس أساطين المسجد ، فيخرج من الأسطوانة بعد التعب الشديد قدْر مثقال ذهب أو نحوه ، حتى عمّ ذلك أكثر أساطين المسجد الحرام ، وقلعوا الحديد الذى على شبابيك زمزم ، ومن خشب الساج ، فبيع بالثّمن الخسيس . فلما رأى حسين بن حسن ومَنْ معه من أهل بيته تغيّر الناس لهم بسيرتهم ، وبلغهم أن أبا السرايا قد قُتل ، وأنه قد طرد من الكوفة والبصرة وكور العراق من كان بها من الطالبيين ، ورجعت الولاية بها لولد العباس ، اجتمعوا إلى محمد بن جعفر بن محمد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب — وكان شيخًا وَدّاعًا محبّبًا فى الناس ، مفارقًا لما عليه كثير من أهل بيته من قبح السيرة ، وكان يروى العلم عن أبيه جعفر بن محمد ، وكان الناس يكتبون عنه ، وكان يظهر سَمْتًا وزهدًا — فقالوا له : قد تعلم حالك فى الناس ، فأبْرِزْ شخصك نبايعْ لك بالخلافة ؛ فإنك إن فعلت ذلك لم يختلف عليك رجلان ؛ فأبى ذلك عليهم ، فلم يزل به ابنه علىّ بن محمد بن جعفر وحسين بن حسن الأفطس حتى غلبا الشيخ على رأيه؛ فأجابهم . فأقاموه يوم صلاة الجمعة بعد الصلاة لستّ خلون من ربيع الآخر ، فبايعوه بالخلافة ، وحشروا إليه الناسَ من أهل مكة والمجاورين ، فبايعوه طوعًا وكرهًا ، وسمّوْه بإمرة المؤمنين ، فأقام بذلك أشهراً ، وليس له من الأمر إلا اسمه ، وابنه علىّ وحسين بن حسن وجماعة منهم أسوأ ما كانوا سيرة، وأقبح ما كانوا فعلاً، فوثب حسين بن حسن على امرأة من قريش من بنى فهر — وزوْجها رجل من بنى مخزوم ، وكان لها ٣/٩٩٠

جمال بارع — فأرسل إليها لتأتيَه ، فامتنعت عليه ، فأخاف زوْجها وأمر بطلبها فتوارت منه ، فأرسل ليلا جماعة من أصحابه فكسروا بابَ الدار ، واغتصبوها نفسها ، وذهبوا بها إلى حسين ، فلبثت عنده إلى قرب خروجه من مكة ، فهربت منه ، ورجعت إلى أهلها وهم يقاتلون بمكة. ووثب علىّ بن محمد بن جعفر على غلام من قريش ، ابن قاض بمكة يقال له إسحاق بن محمد ، وكان جميلا بارعًا فى الجمال — فاقتحم عليه بنفسه نهاراً جهاراً فى داره على الصفا مشرفًا على المسعى؛ حتّى حمله على فرسه فى السرْج . وركب علىّ بن محمد على عجُز الفرس ، وخرج به يشق السوق حتّى أتى بئر ميمون — وكان ينزل فى دار داود بن عيسى فى طريق منًى — فلما رأى ذلك أهلُ مكة ومَنْ بها من المجاورين ، خرجوا فاجتمعوا فى المسجد الحرام ، وغلقت الدكاكين ، ومال معهم أهلُ الطواف بالكعبة؛ حتّى أتوا محمد بن جعفر بن محمد، وهو نازل دار داود ، فقالوا : والله لنخلعنك ولنقتلنّك ، أو تردنّ إلينا هذا الغلام الذى ابنك أخذه جهرة . فأغلق باب الدار ، وكلمهم من الشباك الشارع فى المسجد، فقال : والله ما علمت ، وأرسل إلى حسين بن حسن يسأله أن يركب إلى ابنه علىّ فيستنقذ الغلام منه . فأبى ذلك حسين ، وقال : والله إنك لتعلم أنى لا أقوى على ابنك ، ولو جئتُه لقاتلنى وحاربنى فى أصحابه . فلما رأى ذلك محمد قال لأهل مكة : آمنونى حتّى أركب إليه وآخذ الغلام منه . فآمنوه وأذنوا له فى الركوب ، فركب بنفسه حتّى صار إلى ابنه ، فأخذ الغلام منه وسلمه إلى أهله . قال : فلم يلبثوا إلا يسيراً حتّى أقبل إسحاق بن موسى بن عيسى العباسى مقبلاً من اليمن حتّى نزل المُشاش ، فاجتمع العلويّون إلى محمد بن جعفر بن محمد ، فقالوا له : يا أميرَ المؤمنين ، هذا إسحاق بن موسى مقبلاً إلينا فى الخيل والرجال ، وقد رأينا أن نخندق خندقًا بأعلَى مكة ، وتبرز شخصك ليراك الناس ويحاربوا معك . وبعثوا إلى مَنْ حولهم من الأعراب ، ففرضوا لهم ، وخندقوا على مكة ليقاتلوا إسحاق بن موسى من ورائه ، فقاتلهم إسحاق أيامًا . ثم إن إسحاق كره القتال والحرب ، وخرج يريد العراق ، فلقيه ورقاء بن جميل فى أصحابه ومنْ كان معه من أصحاب الجُلودىّ ، فقالوا : ارجع معنا إلى مكة ونحن نكفيك القتال . فرجع معهم حتّى أتوْا مكة

٩٩١/٣

٩٩٢/٣

فنزلوا المُشاش . واجتمع إلى محمد بن جعفر من كان معه من غوغائها ، ومن سودان أهل المياه ، ومَن فرض له من الأعراب ، فعبّأهم ببئر ميمون، وأقبل إليهم إسحاق بن موسى وورقاء بن جميل بمَنْ معه من القوّاد والجند ، فقاتلهم ببئر ميمون ، فوقعت بينهم قتلى وجراحات . ثم رجع إسحاق وورقاء إلى معسكرهم ، ثم عاودهم بعد ذلك بيوم فقاتلهم، فكانت الهزيمة على محمد بن جعفر وأصحابه؛ فلما رأى ذلك محمد، بعث رجالاً من قريش فيهم قاضى مكة يسألون لهم الأمان ؛ حتى يخرجوا من مكة، ويذهبوا حيث شاءوا، فأجابهم إسحاق وورقاء بن جميل إلى ذلك، وأجّلوهم ثلاثة أيام، فلما كان فى اليوم الثالث ، دخل إسحاق وورقاء إلى مكة فى جمادى الآخرة وورقاء الوالى على مكة للجلوديّ ، وتفرّق الطالبيون من مكة ، فذهب كلّ قوم ناحية ؛ فأمّا محمد بن جعفر فأخذ ناحية جُدّة ، ثم خرج يريد الجُحفة ، فعرض له رجل من موالى بنى العباس يقال له محمد بن حكيم بن مروان ، قد كان الطالبيون انتهبوا داره بمكة، وعذّبوه عذاباً شديداً؛ وكان يتوكّل لبعض العباسيين بمكة لآل جعفر بن سليمان ، فجمع عبيد الحوائط من عبيد العبّاسيين حتى لحق محمد بن جعفر بين جُدّة وعُسْفان ، فانتهب جميع ما معه مما خرج به من مكة ، وجرّده حتى تركه فى سراويل ، وهمّ بقتله ، ثم طرح عليه بعد ذلك قميصاً وعمامة ورداء ودريهمات يتسبّب بها ، فخرج محمد بن جعفر حتى أتى بلاد جهينة على الساحل ، فلم يزل مقيماً هنالك حتى انقضى الموسم ، وهو فى ذلك يجمع الجموع . وقد وقع بينه وبين هارون بن المسيّب والى المدينة وقعات عند الشجرة وغيرها ، وذلك أن هارون بعث ليأخذه ، فلما رأى ذلك أتاه بمن اجتمع حتى بلغ الشجرة ، فخرج إليه هارون فقاتله، فهزم محمد بن جعفر ، وفقِئت عينه بنشابة، وقتِل من أصحابه بشر كثير ، فرجع حتى أقام بموضعه الذى كان فيه ينتظر ما يكون من أمر الموسم ، فلم يأته مَنْ كان وعده . فلما رأى ذلك وانقضى الموسم ، طلب الأمان من الجُلوديّ ومن رجاء ابن عمّ الفضل بن سهل، وضمن له رجاء على المأمون وعلى الفضل بن سهل ألاّ يُهاج ، وأن يُوَفّى له بالأمان، فقبل ذلك ورضيَه ، ودخل به إلى مكة، يوم الأحد بعد النفْر الأخير بثمانية أيام لعشر بقينْ من ذى الحجة ، فأمر عيسى بن يزيد

٩٩٣/٣

الجُلودى ورجاء بن أبى الضحاك ابن عمّ الفضْل بن سهل بالمنبر ؛ فوضع بين الركن والمقام حيث كان محمد بن جعفر بويع له فيه ، وقد جمع الناس من القريشيين وغيرِهم ، فصعد الجُلوديّ رأسَ المنبر ، وقام محمد بن جعفر تحته بدرجة ، وعليه قَباء أسود وقَلنسوة سوداء ؛ وليس عليه سيف ليخلع نفسه . ثم قام محمد ، فقال :

٣/٩٩٤ أيها الناس مَنْ عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا محمد بن جعفر بن محمد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب ؛ فإنه كان لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين فى رقَبتى بيعة بالسمع والطاعة ، طائعاً غير مُكْرَه ، وكنت أحَد الشهود الذين شهدوا فى الكعبة فى الشرطين لهارون الرشيد على ابنيه : محمد المخلوع وعبد الله المأمون أمير المؤمنين . ألا وقد كانت فتنة غشيت عامة الأرض منّا ومن غيرنا . وكان نُمىَ إلىّ خبر ؛ أن عبد الله عبدالله المأمون أمير المؤمنين كان توفّىَ ؛ فدعانى ذلك إلى أن بايعوا لى بإمرة المؤمنين ، واستحللت قبول ذلك لما كان علىّ من العهود والمواثيق فى بيعتى لعبد الله عبد الله الإمام المأمون ، فبايعتمونى — أو من فعل منكم — ألا وقد بلغنى وصحّ عندى أنه حىّ سوىّ . ألا وإنى أستغفر الله مما دعوتكم إليه من البيعة ، وقد خلعت نفسى من بَيْعتى التى بايعتمونى عليها ؛ كما خلعت خاتمى هذا من أصبعى ، وقد صرت كرجل من المسلمين فلا بيعة لى فى رقابهم ، وقد أخرجت نفسى من ذلك ، وقد ردّ الله الحق إلى الخليفة المأمون عبد الله عبد الله المأمون أمير المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين ؛ والصلاة على محمد خاتم النبيين والسلام عليكم أيها المسلمون .

ثم نزل . فخرج به عيسى بن يزيد الجلوديّ إلى العراق ، واستخلف على مكة ابنه محمد بن عيسى فى سنة إحدى ومائتين ، وخرج عيسى ومحمد بن جعفر حتى سلّمه إلى الحسن بن سهل ، فبعث به الحسن بن سهل إلى المأمون بمَرْو مع رجاء بن أبى الضحاك . ٣/٩٩٥

* * *

وفى هذه السنة وجّه إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد الطالبىّ بعض ولد عَقيل بن أبى طالب من اليمن فى جند كثيف إلى مكة ليحجّ بالناس ، فحورب العَقيلىّ فهزم ، ولم يقدر على دخول مكة .

ذكر الخبر عن أمر إبراهيم والعقيليّ الذى ذكرنا أمره

ذكر أن أبا إسحاق بن هارون الرشيد حجّ بالناس فى سنة مائتين، فسار حتّى دخل مكة، ومعه قوّاد كثير، فيهم حمدويه بن علىّ بن عيسى بن ماهان، وقد استعمله الحسن بن سهل على اليمن، ودخلوا مكة، وبها الجلوديّ فى جنده وقواده، ووجه إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد العلويّ من اليمن راجلاً من ولد عَقيل بن أبى طالب، وأمره أن يحجّ بالناس، فلما صار العقيليّ إلى بستان ابن عامر، بلغه أن أبا إسحاق بن هارون الرشيد قد ولى الموسم، وأن معه من القواد والجنود مالا قبَل لأحد به، فأقام ببستان ابن عامر، فمرّت به قافلة من الحاجّ والتجار، فيها كسوة الكعبة وطيبها، فأخذ أموال التجار وكسوة الكعبة وطيبها، وقدم الحاجّ والتجار مكة عراة مسلّبين، فبلغ ذلك أبا إسحاق بن الرشيد وهو نازل بمكة فى دار القوارير، فجمع إليه القوّاد فشاورهم، فقال له الجلوديّ — وذلك قبل التروية بيومين أو ثلاثة: أصلح الله الأمير! أنا أكفيكهم، أخرج إليهم فى خمسين من نخبة أصحابى، وخمسين أنتخبهم من سائر القوّاد. فأجابوه إلى ذلك، فخرج الجُلوديّ فى مائة حتى صبّح العقيليّ وأصحابه ببستان ابن عامر، فأحدق بهم، فأسر أكثرهم وهرب من هرب منهم يسعى على قدميه، فأخذ كسوة الكعبة إلاّ شيئاً كان هرب به من هرب قبل ذلك بيوم واحد، وأخذ الطيب وأموال التجار والحاجّ، فوجّه به إلى مكة، ودعا بمَنْ أسِر من أصحاب العقيليّ، فأمر بهم فقُنِّع كلّ رجل منهم عشرة أسواط، ثم قال: اعزبوا يا كلاب النار؛ فوالله ما قتلكم وعِر، ولا فى أسركم جمال. وخلّى سبيلَهم، فرجعوا إلى اليمن يستطعمون فى الطريق حتى هلك أكثرهم جوعًا وعريًا. ٩٩٦/٣

وخالف ابن أبى سعيد على الحسن بن سهل، فبعث المأمون بسراج الخادم، وقال له: إن وضع علىّ يده فى يد الحسن أو شخص إلىّ بمرْو وإلا فاضرب عنقه. فشخص إلى المأمون مع هرَثْمة بن أعين.

وفى هذه السنة شخص هرثمة فى شهر ربيع الأول منها من معسكره إلى المأمون بمرو.

ذكر الخبر عن شخوص هرثمة إلى المأمون وما آل إليه أمره فى مسيره ذلك

ذُكر أنّ هرثمة لما فَرغ من أمر أبى السرايا ومحمد بن محمد العلوىّ ، ودخل الكوفة ، أقام فى معسكره إلى شهر ربيع الأول ؛ فلما أهلّ الشهر خرج حتى أتى نهر صَرْصر ، والناس يروْن أنه يأتى الحسن بن سهل بالمدائن ؛ فلما بلغ نهر صرصر خرج على عقرْقُوف ، ثم خرج حتى أتى البردَان ، ثمّ أتى النّهرَوان ، ثم خرج حتى أتى إلى خُراسان ؛ وقد أتته كتب المأمون فى غير منزل، أن يرجع فيَلِىَ الشأم أو الحجاز ، فأبى وقال : لا أرجع حتى ألْقَى أمير المؤمنين ؛ إدلالاً منه عليه ؛ لما كان يعرف من نصيحته له ولآبائه ، وأراد أن يعرّف المأمون ما يدبّر عليه الفضل بن سهل ، وما يكتم عنه من الأخبار ، وألاّ يدَعه حتى يردّه إلى بغداد، دار خلافة آبائه وملكهم ليتوسط سلطانه، ويُشرف على أطرافه . فعلم الفضل ما يريد ، فقال للمأمون : إنّ هرثمة قد أنْغَل عليك البلاد والعباد[1] ، وظاهَر عليك عدوّك، وعادى وليّك ، ودسّ أبا السرايا ، وهو جندىّ من جنده حتى عمل ما عمل ، ولو شاء هرثمة ألاّ يفعل ذلك أبو السرايا ما فعله . وقد كتب إليه أمير المؤمنين عدّة كتب؛ أن يرجع فيَلىَ الشأم أو الحجاز فأبى ، وقد رجع إلى باب أمير المؤمنين عاصياً مشاقّاً ، يُظهر القوْل الغليظ ، ويتواعد بالأمر الجليل ، وإن أطلِق هذا[2] كان مفسدة لغيره . فأشرب[3] قلب أمير المؤمنين عليه .

٣/٩٩٧

وأبطأ هرثمة فى المسير فلم يصل إلى خُراسان حتى كان ذو القعدة ؛ فلما بلغ مَرْو خشى أن يكتّم المأمون قدومه ، فضرب بالطبول[4] لكى يسمعها المأمون ، فسمعها فقال : ما هذا ؟ قالوا : هرثمة قد أقبل يُرعد ويبرِق ، وظنّ هرثمةُ أنّ قوله المقبول . فأمر بإدخاله ، فلما أدخل — وقد أشرِب قلبه ما

٣/٩٩٨

(١) أنغل عليك البلاد : أفسدها . وفى ابن الأثير : « أثقل » .
(٢) كذا فى ابن الأثير ، وفى ط : « وهذا »
(٣) ابن الأثير : « فتغير » .
(٤) ابن الأثير : « فأمر بضرب الطبول » .

أشرب — قال له المأمون : مالأتَ أهل الكوفة والعلويّين وداهنت ودَسست إلى أبى السرايا حتى خرج وعمل ما عمل ؛ وكان رجلا من أصحابك ؛ ولو أردت أن تأخذهم جميعاً لفعلت ؛ ولكنَّك أرخيت خناقهم، وأجررت لهم رَسَنهم . فذهب هرثمةُ ليتكلم ويعتذر ، ويدفع عن نفسه ما قُرِف به فلم يُقبَل ذلك منه ، وأمرَ به فوجئ على أنفه [1] ، وديس بطنه ، وسُحب من بين يديه . وقد تقدّم الفضل بن سهل إلى الأعوان بالغلظ عليه والتّشديد حتى حبس ، فمكث فى الحبس أياماً ، ثم دسوا إليه فقتلوه وقالوا له : إنه مات .

* * *

[ذكر الخبر عن وثوب الحربية ببغداد]

وفى هذه السنة هاج الشَّغْب ببغداد بين الحربيّة والحسن بن سهل .

* ذكر الخبر عن ذلك وكيف كان :

ذُكر أنّ الحسن بن سهل كان بالمدائن حين شخص هرثمة إلى خُراسان، ولم يزل مقيماً بها إلى أن اتّصل بأهل بغداد والحربية ما صُنع به ، فبعث الحسن ابن سهل إلى علىّ بن هشام — وهو والى بغداد ، من قبله : أن أمطل الجندَ من الحربيّة والبغداديين أرزاقَهم ، ومنّهم ولا تُعطهم . وقد كان الحسن قبل ذلك اتّعدَهم أن يعطيَهم أرزاقهم، وكانت الحربيّة حين خرج هرثمة إلى خُراسان وثبوا وقالوا : لا نرضى حتى نطرد الحسن بن سهل عن بغداد ؛ وكان من عمّاله بها محمد بن أبى خالد وأسد بن أبى الأسد ، فوثبت الحربية عليهم فطردوهم، وصيّروا إسحاق بن موسى بن المهدىّ خليفة للمأمون ببغداد؛ فاجتمع أهل الجانبين على ذلك ، ورضُوا به ، فدسّ الحسنُ إليهم ، وكاتب قوّادهم حتى وثبوا من جانب عسكر المهدىّ ، وجعل يعطى الجندَ أرزاقهم لستة أشهر عطاء نزْراً ؛ فحوّل الحربية إسحاق إليهم ، وأنزلوه على دُجيل . ٣/٩٩٩

وجاء زهير بن المسيّب فنزل فى عسكر المهدىّ ، وبعث الحسن بن سهل علىّ بن هشام ، فجاء من الجانب الآخر؛ حتى نزل نهر صَرْصر ، ثم جاء هو

(١) ابن الأثير : « وضرب أنفه » .

ومحمد بن أبى خالد وقوّادهم ليلا ؛ حتى دخلوا بغداد، فنزل علىّ بن هشام دارَ العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخُزاعىّ على باب المحوّل لثمان خلوْن من شعبان ؛ وقبل ذلك ما كان الحربية حين بلَغهم أنّ أهلَ الكرخ يريدون أن يُدخلوا زهيراً وعلىّ بن هشام، شدّوا على باب الكرخ فأحرقوه ، وأنهبوا من حدّ قصر الوضّاح إلى داخل باب الكرْخ إلى أصحاب القراطيس ليلةَ الثلاثاء ،ودخل علىّ بن هشام صبيحةَ تلك الليلة، فقاتل الحربية ثلاثة أيام على قنطرة الصّراة العتيقة والجديدة والأرحاء .

ثم إنه وعد الحربيّة أن يعطيَهم رزق ستة أشهر إذا أدركت الغلّة ، فسألوه أن يعجّل لهم خمسين درهمًا لكل رجل لينفقوها فى شهر رمضان ، فأجابهم إلى ذلك ، وجعل يعطى، فلم يُتمّ لهم إعطاءهم؛ حتى خرج زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب، الخارج بالبَصْرة المعروف بزيد النار ؛ كان أفلت من الحبْس عند علىّ بن أبى سعيد ، فخرج فى ناحية الأنبار ومعه أخو أبى السرايا فى ذى القعدة سنة مائتين ، فبعثوا إليه، فأخِذ، فأتِىَ به علىّ بن هشام، فلم يلبث إلاّ جمعة حتى هرب من الحربيّة، فنزل نهر صرصر ، وذلك أنه كان يكذِبهم ، ولم يفِ لهم بإعطاء الخمسين ؛ إلى أن جاء الأضحى ؛ وبلغهم خبرُ هرثمة وما صُنع به ، فشدّوا على علىّ فطردوه . ٣/١٠٠٠

وكان المتولى ذلك والقائم بأمر الحرْب محمد بن أبى خالد ؛ وذلك أن علىّ ابن هشام لما دخل بغداد كان يُستخفّ به ، فوقع بين محمد بن أبى خالد وبين زُهير بن المسيّب إلى أن قنّعه زهير بالسوط. فغضب محمد من ذلك ، وتحوّل إلى الحربية فى ذى القعدة ، ونصب لهم الحرْب ، واجتمع إليه الناس فلم يقوَ بهم علىّ بن هشام حتى أخرجوه من بغداد ؛ ثم اتبعه حتى هزمهم من نهر صرصر .

* * *

وفى هذه السنة وجّه المأمون رجاء بن أبى الضّحاك وفرناس الخادم لإشخاص علىّ بن موسى بن جعفر بن محمد ومحمد بن جعفر .

وأُحْصِيَ في هذه السنة ولدالعباس؛ فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفًا ما بين ذكرٍ وأنثى .

* * *

وفى هذه السنة قتلت الروم ملكها ليون[1] ، فكان قد ملك عليهم سبع سنين وستة أشهر ، وملكوا عليهم ميخائيل بن جورجس[2] ثانية .

وفيها قَتَل المأمون يحيى بن عامر بن إسماعيل ؛ وذلك أن يحيى أغلظ له ، فقال له : يا أميرَ الكافرين ؛ فقتِل بين يديه . ۳/۱۰۰۱

وأقام للناس الحجّ فى هذه السنة أبو إسحاق بن الرّشيد .

---

(۱) ابن الأثير : « اليون » .
(۲) ابن الأثير : « جورجيش » .

ثم دخلت سنة إحدى ومائتين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

* * *

[ولاية منصور بن المهدىّ ببغداد]

فمما كان فيها من ذلك مراوَدة أهل بغداد منصورَ بن المهدىّ على الخلافة وامتناعه عليهم ؛ فلما امتنع من ذلك راودوه على الإمْرة عليهم ، على أن يدعوَ للمأمون بالخلافة ؛ فأجابهم إلى ذلك .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه :

قد ذكرنا قبل ذلك سببَ إخراج أهل بغداد علىّ بن هشام من بغداد . ويُذكر عن الحسن بن سهل أنّ الخبر عن إخراج أهل بغداد علىّ بن هشام من بغداد لما اتّصل به وهو بالمدائن، انهزم حتى صار إلى واسط ؛ وذلك فى أوّل سنة إحدى ومائتين .

وقد قيل إن سبب إخراج أهل بغداد علىّ بن هشام من بغداد ، كان أنّ الحسن بن سهل وجّه محمدبن خالد المرورّوذىّ بعد ما قُتل أبو السرايا ، أفسده[1] وولّى علىّ بن هشام الجانب الغربىّ من بغداد وزهير بن المسيّب يلى الجانب الشرقىّ ، وأقام هو بالخيزرانيّة ، وضرب الحسنُ عبدَالله بن علىّ بن عيسى ابن ماهان حدًّا بالسياط ، فغضب الأبناء، فشغب الناس ، فهرب إلى برْبَخا ثم إلى باسَلاَمَا ، وأمر بالأرزاق لأهل عسكر المهدىّ، ومنع أهل الغربىّ، واقتتل أهل الجانبين ، ففرّق محمد بن أبى خالد على الحربيّة مالاً ، فهُزم علىّ ابن هشام ، فانهزم الحسن بن سهل بانهزام علىّ بن هشام ، فلحق بواسط ، فتبعه محمد بن أبى خالد بن الهندوان مخالفاً له ؛ وقد تولّى القيام بأمر الناس ، وولّى سعيد بن الحسن بن قحطبة الجانب الغربىّ ونصر بن حمزة بن مالك الشرقىّ ، وكنفه ببغداد منصور بن المهدىّ وخزيمة بن خازم والفضل بن الربيع . ٣/١٠٠٢

(١) كذا وردت العبارة فى أصول ط ، وفيها غموض .

وقد قيل إنّ عيسى بن محمد بن أبي خالد قدم في هذه السنة من الرّقّة، وكان عند طاهر بن الحسين، فاجتمع هو وأبوه على قتال الحسن، فمضيا حتى انتهيا ومَنْ معهما من الحربيّة وأهل بغداد إلى قرية أبي قريش قرب واسط، وكان كلما أتيا موضعًا فيه عسكر من عساكر الحسن فيكون بينهما فيه وقعة، تكون الهزيمة فيه على أصحاب الحسن.

ولما انتهى محمد بن خالد إلى دير العاقول، أقام به ثلاثًا، وزهير بن المسيّب حينئذ مقيم بإسكاف بني الجُنيد، وهو عامل الحسن على جوخَى مقيم في عمله؛ فكان يكاتب قوّاد أهل بغداد. فبعث ابنه الأزهر، فمضى حتى انتهى إلى نهر النهروان، فلقي محمد بن أبي خالد، فركب إليه، فأتاه بإسكاف، فأحاط به فأعطاه الأمان، وأخذه أسيراً، فجاء به إلى عسكره بدير العاقول، وأخذ أمواله ومتاعه وكلّ قليل وكثير وجد له. ثم تقدّم محمد بن أبي خالد، فلما صار إلى واسط بعث به إلى بغداد، فحبسه عند ابن له مكفوف، يقال له جعفر؛ فكان الحسن مقيماً بجرْجرايا، فلما بلغه خبر زهير، وأنه قد صار في يد محمد بن أبي خالد ارتحل حتى دخل واسط، فنزل بفم الصِّلح، ووجه محمّد من دير العاقول ابنَه هارون إلى النيل وبها سعيد بن الساجور الكوفيّ، فهزمه هارون، ثم تبعه حتى دخل الكوفة، فأخذها هارون، وولّى عليها. وقدم عيسى ابن يزيد الجلُوديّ من مكّة؛ ومعه محمد بن جعفر، فخرجوا جميعًا حتى أتوْا واسط في طريق البرّ، ثم رجع هارون إلى أبيه، فاجتمعوا جميعًا في قرية أبي قريش ليدخلوا واسط، وبها الحسن بن سهل، فتقدّم الحسن بن سهل، فنزل خلف واسط في أطرافها.

وكان الفضل بن الربيع مختفيًا من حين قتل المخلوع، فلما رأى أن محمد ابن أبي خالد قد بلغ واسطَ بعث إليه يطلب الأمان منه، فأعطاه إياه وظهر. ثم تعبّأ محمد بن أبي خالد للقتال، فتقدّم هو وابنه عيسى وأصحابهما، حتى صاروا على ميلين من واسط، فوجّه إليهم الحسن أصحابَه وقوّاده، فاقتتلوا قتالا شديداً عند أبيات واسط. فلما كان بعد العصر هبّت ريح شديدة وغُبْرة حتى اختلط القوم بعضهم ببعض؛ وكانت الهزيمة على أصحاب محمد بن

أبى خالد ، فثبت للقوم فأصابتْه جراحات شديدة فى جَسَده ، فانهزم هو وأصحابه هزيمةً شديدة قبيحة ، فهزم أصحابه الحسن ؛ وذلك يوم الأحد لسبع بقينْ من شهر ربيع الأول سنة إحدى ومائتين.

٣/١٠٠٤ فلما بلغ محمد فم الصِّلْح خرج عليهم أصحابُ الحسن[1] فصافّهم للقتال ، فلما جنّهم الليل ، ارتحل هو وأصحابه حتى نزلوا المبارك ؛ فأقاموا به ؛ فلمّا أصبحوا غدًا عليهم أصحابُ الحسن فصافوّهم ، واقتتلوا .

فلما جنّهم الليل ارتحلوا حتى أتوا جَبُّل ، فأقاموا بها ، ووجّه ابنه هارون إلى النيل ، فأقام بها ، وأقام محمد بجَرْجرايا ، فلما اشتدّت به الجراحات خلّف قوّاده فى عسكره ، وحمله ابنه أبو زنبيل حتى أدخله بغداد ليلة الاثنين لستّ خلوْن من شهر ربيع الآخر ، فدخل أبو زنبيل ليلة الاثنين ، ومات محمد بن أبى خالد من ليلته من تلك الجراحات ، ودفن من ليلته فى داره سرًّا .

وكان زهير بن المسيّب محبوسًا عند جعفر بن محمد بن أبى خالد ، فلما قدم أبو زنبيل أتى خزيمة بن خازم يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الآخر ، فأعلمه أمر أبيه ، فبعث خزيمة إلى بنى هاشم والقوّاد وأعلمهم ذلك ، وقرأ عليهم كتاب عيسى بن محمد بن أبى خالد ، وأنه يكفيهم الحرب . فرضوا بذلك ، فصار عيسى مكان أبيه على الحرْب ، وانصرف أبو زنبيل من عند خُزيمة حتى أتى زهير بن المسيّب ، فأخرجه من حَبْسه ، فضرب عنقه .

٣/١٠٠٥ ويقال : إنه ذبحه ذبحًا وأخذ رأسه ، فبعث به إلى عيسى فى عسكره ، فنصبه على رمح وأخذوا جسدَه ، فشدّوا فى رجليه حبلاً ، ثم طافوا به فى بغداد ، ومرّوا به على دوره ودور أهل بيته عند باب الكوفة ، ثم طافوا به فى الكرْخ ، ثم ردّوه إلى باب الشأم بالعشىّ ؛ فلما جنّهم الليل طرحوه فى دِجلة ، وذلك يوم الاثنين لثمان خلوْن من شهر ربيع الآخر .

ثم رجع أبو زنبيل حتى انتهى إلى عيسى فوجّهه عيسى إلى فم الصّراة .

وبلغ الحسن بن سهل موت محمد بن أبى خالد ، فخرج من واسط حتى

---

(١) ابن الأثير : « وأتاهم الحسن » .

انتهى إلى المُبارك، فأقام بها. فلما كان جمادى الآخرة وجّه حميد بن عبدالحميد الطوسىّ ومعه عركو الأعرابىّ وسعيدبن الساجور وأبو البطّ ومحمد بن إبراهيم الإفريقىّ، وعدّة سواهم من القوّاد، فلقوا أبا زنبيل بفم الصَّراةفهزموه، وانحاز إلى أخيه هارون بالنّيل، فالتقوْا عند بيوت النيل، فاقتتلوا ساعة، فوقعت الهزيمة على أصحاب هارون، وأبى زنبيل، فخرجوا هاربين حتى أتوا المدائن؛ وذلك يوم الاثنين لخمس بـَقين من جمادى الآخرة.

ودخل حميدوأصحابه النّيل فانتهبوها ثلاثة أيام؛ فانتهبوا أموالـَهم وأمتعتهم، وانتهبوا ما كان حوْلهم من القرى؛ وقد كان بنو هاشم والقوّاد حين مات محمد بن أبى خالد تكلّموا فى ذلك؛ وقالوا: نصيِّر بعضنا خليفة ونخلع المأمون، فكانوا يتراضَوْن فى ذلك؛ إذ بلغهم خبر هارون وأبى زنبيل وهزيمتهم، فجدّوا فيما كانوا فيه، وأرادوا منصور بن المهدىّ على الخلافة؛ فأبى ذلك عليهم، فلم يزالوا به حتى صيـّروه أميراً خليفة للمأمون ببغداد والعراق، وقالوا: لا نرضى بالمجوسىّ ابن المجوسىّ الحسن بن سهل، ونطرده حتى يرجع إلى خراسان. ١٠٠٦/٣

وقد قيل: إنّ عيسى بن محمد بن أبى خالد لمّا اجتمع إليه أهل بغداد، وساعدوه على حرب الحسن بن سهل، رأى[1] الحسن أنه لا طاقة له بعيسى، فبعث إليه وهب بن سعيد الكاتب، وبذَل له المصاهرة ومائة ألف دينار والأمان له ولأهل بيته ولأهل بغداد وولاية أىّ النواحى أحبّ، فطلب كتاب المأمون بذلك بخطّه، فردّ الحسن بن سهل وهبًا بإجابته، فغرق وهب بين المُبارك وجَبُّل؛ فكتب عيسى إلى أهل بغداد: إنى مشغول بالحرب عن جباية الخراج، فولّوا رجلا من بنى هاشم، فولوْا منصور بن المهدىّ، وعسكر منصور بن المهدىّ بكَلْواذَى، وأرادوه على الخلافة فأبى، وقال: أنا خليفة أمير المؤمنين حتى يقدم أو يولّى مَنْ أحبّ، فرضى بذلك بنو هاشم والقوّاد والجند؛ وكان القيّم بهذا الأمر خزيمة بن خازم، فوجّه القوّاد فى كلّ ناحية، وجاء حميد الطوسى من فوره فى طلب بنى محمد حتى انتهى إلى المدائن، فأقام بها يومه، ثم انصرف إلى النيل.

---

(١) ابن الأثير: «علم».

فلما بلغ منصورًا خبرُه خرج حتى عسكر بكَلْواذى ، وتقدّم يحيى بن عليّ بن عيسى بن ماهان إلى المدائن .

ثم إن منصوراً وجّه إسحاق بن العباس بن محمد الهاشميّ من الجانب الآخر ، فعسكر بنهر صَرْصر ، ووجّه غسان بن عباد بن أبى الفرج أبا إبراهيم بن غسان صاحب حرس صاحب خُراسان ناحية الكوفة ، فتقدّم حتى أتى قصرَ ابن هبيرة ، فأقام به . فلما بلغ حُميدًا الخبر لم يعلم غسان إلا وحُميد قد أحاط بالقصر ، فأخذ غسانَ أسيرًا ، وسلب أصحابه ، وقتل منهم ؛ وذلك يوم الاثنين لأربع خلوْن من رجب .

٣/١٠٠٧

ثم لم يزل كلٌّ قوم مقيمين فى عساكرهم ؛ إلاّ أن محمد بن يقطين بن موسى كان مع الحسن بن سهل ، فهرب منه إلى عيسى ، فوجّهه عيسى إلى منصور ، فوجّهه منصور إلى ناحية حُميد ؛ وكان حُميد مقيماً بالنيل إلاّ أنّ له خيلا بالقَصْر .

وخرج ابن يقطين من بغداد يوم السبت لليلتين خلَتا من شعبان حتى أتى كُوثى . وبلغ حُميداً الخبر ، فلم يعلم ابن يقطين حتى أتاه حُميد وأصحابه إلى كُوثى ، فقاتلوه فهزموه ، وقتلوا من أصحابه ، وأسروا ، وغرق منهم بشر كثير ، وانتهب حميد وأصحابه ما كان حول كُوثى من القُرى وأخذوا البقر والغنم والحمير وما قَدَروا عليه من حَلْيٍ ومتاع وغير ذلك ؛ ثم انصرف حتى النّيل ، وراجع ابنُ يقطين ، فأقام بنهر صَرصَر .

وفى محمد بن أبى خالد قال أبو الشدّاخ :

هَوَى خيلُ الأَبناءِ بعدَ محمَّدٍ ... وأَصْبحَ منها كاهِلُ العِزِّ أَخضَعا

فلا تَشمَتُوا يا آلَ سهلٍ بموْتِه ... فإنَّ لكم يوماً من الدهرِ مَصْرَعَا

وأحصَى عيسى بن محمد بن أبى خالد ما كان فى عسكره ، فكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفًا بين فارس وراجل ؛ فأعطى الفارس أربعين درهمًا ، والرّاجل عشرين درهمًا .

٣/١٠٠٨

* * *

[ذكر خبر خروج المطوّعة للنكير على الفساق]

وفى هذه السنة تجرّدت المطوّعة[١] للنكير على الفساق ببغداد، ورئيسهم خالد الدريوش وسهل بن سلامة الأنصاريّ أبو حاتم من أهل خُراسان .

* ذكر الخبر عن السبب الذى من أجله فعلت المطوّعة ما ذكرت :

كان السبب فى ذلك أن فساق الحربيّة والشطار الذين كانوا ببغداد والكَرْخ آذوا الناس أذى شديداً ، وأظهروا الفسْق وقطع الطريق وأخذ الغلمان والنساء علانيةً من الطرق ؛ فكانوا يجتمعون فيأتُون الرّجل ، فيأخذون ابنَه ، فيذهبون به فلا يقدر أن يمتنع ؛ وكانوا يسألون الرَّجُل أن يُقرِضهم أو يصِلهم فلا يقدر أن يمتنع عليهم ؛ وكانوا يجتمعون فيأتُون القرى ، فيكاثرون أهلَها ، ويأخذون ما قدروا عليه من متاع ومال وغير ذلك ؛ لا سلطانَ يمنعهم ، ولا يقدر على ذلك منهم ؛ لأن السلطان كان يعتزّ بهم[٢] ، وكانوا بطانته ، فلا يقدر أن يمنَعهم من فسق يركبونه ، وكانوا يَجْبُون المارّة فى الطرق وفى السفن وعلى الظهر ويخفرون البساتين ، ويقطعون الطرق علانية ، ولا أحد يعدو عليهم ، وكان الناس منهم فى بلاء عظيم ؛ ثم كان آخر أمرهم أنهم خرجوا إلى قُطْرَبّل ، فانتهبوها علانيةً ، وأخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر والحمير وغير ذلك ، وأدخلوها بغداد ، وجعلوا يبيعونها علانية ، وجاء أهلها فاستعدَوْا السلطان عليهم ، فلم يمكنه إعداؤهم[٣] عليهم ، ولم يردّ عليهم شيئاً مما كان أخِذ منهم ، وذلك آخر شعبان . ٣/١٠٠٩

فلما رأى الناس ذلك وما قد أخِذ منهم ؛ وما بيع من[٤] متاع الناس فى أسواقهم ، وما قد أظهروا من الفساد فى الأرض والظلم والبغى وقَطْع الطريق ، وأن السلطان لا يغيّر عليهم ، قام صُلحاء كل رَبَض وكلّ دَرْب ، فمشى بعضهم إلى بعض ، وقالوا : إنما فى الدّرب الفاسق والفاسقان إلى العشرة ، وقد غلبوكم وأنتم أكثر منهم ؛ فلو اجتمعتم حتى يكون أمركم واحداً[٥] ، لقمعتم هؤلاء

---

(١) ابن الأثير: « المتطوعة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » . (٢) ابن الأثير : « يغريهم » .
(٣) إعداؤهم ؛ أى نصرهم ، وفى ط : « تعديهم » .
(٤) ط : « من بيع متاع الناس » ، وأثبت ما فى الحواشى . (٥) ط : « واحد » .

الفُساق ، وصاروا لا يفعلون ما يفعلون من إظهار الفسق بين أظهركم .

فقام رجل من ناحية طريق الأنبار يقال له خالد الدريوش ، فدعا جيرانه وأهل بيته وأهل محلّته على أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فأجابوه إلى ذلك ، وشدّ على مَنْ يليه من الفساق والشطار ، فمنعهم مما كانوا يصنعون ، فامتنعوا عليه ، وأرادوا قتاله ، فقاتلهم فهزمهم وأخذ بعضهم ، فضربهم وحبسهم ورفعهم إلى السلطان ؛ إلا أنه كان لا يرى أن يُغَيّر على السلطان شيئاً ، ثم قام من بعده رجلٌ من أهل الحربيّة ، يقال له سهل بن سلامة الأنصاريّ من أهل خُراسان ؛ يكنى أبا حاتم ؛ فدعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعمل بكتاب الله جلّ وعزّ وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلّق مصحفاً فى عنقه ، ثم بدأ بجيرانه وأهل محلّته ، فأمرهم ونهاهم فقبِلوا منه ، ثم دعا الناس جميعاً إلى ذلك ؛ الشريفَ منهم والوضيعَ ؛ بنى هاشم ومَنْ دونهم ، وجعل له ديواناً يثبت فيه اسم من أتاه منهم ، فبايعه على ذلك ، وقتال مَنْ خالفه وخالف ما دعا إليه كائناً من كان ؛ فأتاه خلق كثير ، فبايعوا . ٣/١٠١٠

ثمّ إنه طاف ببغداد وأسواقها وأرباضها وطرقها ، ومنع كلّ من يخفر ويجبى المارّة والمختلفة ، وقال : لا خفارة فى الإسلام — والخفارة أنه كان يأتى الرجل بعض أصحاب البساتين فيقول : بستانك فى خَفَرى ، أدفع عنه من أراده بسوء ، ولى فى عُنقك كلّ شهر كذا وكذا درهماً ، فيعطيه ذلك شائياً وآبياً — فقوى على ذلك إلا أن الدريوش خالفه ، وقال : أنا لا أعيبُ على السلطان شيئاً ولا أغيّره ، ولا أقاتله ، ولا آمره بشىء ولا أنهاه . وقال سهل بن سلامة : لكنى أقاتل كلّ من خالف الكتاب والسنة كائناً من كان ؛ سلطاناً أو غيره ؛ والحق قائم فى الناس أجمعين ، فمن بايعنى على هذا قبلتُه ، ومن خالفنى قاتلته . فقام فى ذلك سهل يوم الخميس لأربع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين فى مسجد طاهر بن الحسين ؛ الذى كان بناه فى الحربيّة .

وكان خالد الدريوش قام قبله بيومين أو ثلاثة ، وكان منصور بن المهدىّ مقيمًا بعسكره بجَبُّل ، فلما كان من ظهور سهل بن سلامة وأصحابه ما كان ، وبلغ ذلك منصورًا وعيسى – وإنما كان عُظم أصحابهما الشّطّار ، ومن لاخير فيه – كسرهما ذلك ، ودخل منصور بغداد .

٣/١٠١١ وقد كان عيسى يكاتب الحسن بن سهل، فلما بلغه خبر بغداد ، سأل الحسن بن سهل أن يعطيَه الأمان له ولأهل بيته ولأصحابه ؛ على أن يعطى الحسن أصحابه وجنده وسائر أهل بغداد رزق ستة أشهر إذا أدركتْ له الغَلّة ، فأجابه الحسن ، وارتحل عيسى من مُعسكره ، فدخل بغداد يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من شوّال ، وتقوّضت جميع عساكرهم ، فدخلوا بغداد ، فأعلمهم عيسى ما دخل لهم فيه من الصّلح ، فرضوا بذلك .

ثم رجع عيسى إلى المدائن ، وجاء يحيى بن عبد الله، ابن عمّ الحسن بن سهل، حتى نزل دَير العاقول، فولّوْه السواد ، وأشركوا بينه وبين عيسى فى الولاية ، وجعلوا لكلّ عدّة من الطّساسيج[1] وأعمال بغداد . فلمّا دخل عيسى فيما دخل فيه – وكان أهل عسكر المهدىّ مخالفين له – وثب المطلب بن عبد الله بن مالك الخُزاعىّ يدعو إلى المأمون وإلى الفضل والحسن ابنى سهل ؛ فامتنع عليه سهل بن سلامة ، وقال : ليس على هذا بايعتَنى .

وتحوّل منصور بن المهدىّ وخزيمة بن خازم والفضل بن الربيع – وكانوا يوم تحوّلوا بايعوا سهلَ بن سلامة على ما يدعُو إليه من العمل بالكتاب والسنة – فنزلوا بالحربية فراراً من الطلب ، وجاء سهل بن سلامة إلى الحسن، وبعث إلى المطلب أن يأتيَه ، وقال : ليس على هذا بايعتَنِى ، فأبى المطلب أن يجيئَه ، فقاتله سهل يومين أو ثلاثة قتالا شديداً ؛ حتى اصطلح عيسى والمطلب ، ٣/١٠١٢ فدسّ عيسى إلى سهلٍ مَن اغتاله فضربه ضربة بالسيف ، ؛ إلا أنها لم تعمل فيه ؛ فلما اغتيل سهل رجع إلى منزله ، وقام عيسى بأمر الناس ، فكفّوا عن القتال .

وقد كان حميد بن عبد الحميد مقيماً بالنيل ، فلما بلغه هذا الخبر

---

(١) الطسوج : الناحية ، معرب .

دخل الكوفة ، فأقام بها أياماً . ثم إنه خرج منها حتى أتى قصر ابن هبيرة ، فأقام به ، واتخذ منزلا وعمل عليه سورًا وخندقاً ؛ وذلك فى آخر ذى القعدة ، وأقام عيسى ببغداد يعرض الجند ويصحّحهم ، إلى أن تدرك الغلّة ، وبعث إلى سهل بن سلامة فاعتذر إليه مما كان صنع به ، وبايعه وأمره أن يعود إلى ما كان عليه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ وأنه عونه على ذلك ، فقام سهل بما كان قام به أولا من الدعاء إلى العمل بالكتاب والسنّة .

* * *

[ذكر خبر البيعة لعلىّ بن موسى بولاية العهد]

وفى هذه السنة جعل المأمون علىّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ولىّ عهد المسلمين والخليفة من بعده ، وسماه الرّضِيّ من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمر جنده بطرح السَّواد ولبس ثياب الخُضرة ، وكتب بذلك إلى الآفاق .

* ذكر الخبر عن ذلك وعما كان سبب ذلك وما آل الأمر فيه إليه :

ذُكر أن عيسى بن محمد بن أبى خالد ، بينما هو فيما هو فيه من عَرْض أصحابه بعد منصرَفه من عسكره إلى بغداد ، إذ ورد عليه كتاب من الحسن بن سهل يُعلمه أنّ أمير المؤمنين المأمون قد جعل علىّ بن موسى بن جعفر بن محمد ولىّ عهده من بعده ؛ وذلك أنه نظر فى بنى العباس وبنى علىّ ، فلم يجد أحداً هو أفضل ولا أورَع ولا أعلم منه ؛ وأنه سمّاه الرضِيّ من آل محمد ، وأمره بطرح لُبْس الثياب السود ولبس ثياب الخضرة ؛ وذلك يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ، ويأمره أن يأمر مَنْ قبله من أصحابه والجند والقوّاد وبنى هاشم بالبيعة له ، وأن يأخذهم بلبس الخُضْرة فى أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم ، ويأخذ أهل بغداد جميعاً بذلك . ١٠١٣/٣

فلما أتى عيسى الخبر دعا أهلَ بغداد إلى ذلك على أن يعجّل لهم رزق شهر ، والباقى إذا أدركت الغلّة ، فقال بعضهم : نبايع ونلبس الخضرة ، وقال

بعضهم : لا نبايع ولا نلبس الخُضرة ، ولا نُخرِج هذا الأمر من ولد العباس ؛ وإنما هذا دسيس من الفضل بن سهل ، فمكثوا بذلك أياماً . وغضب ولد العباس من ذلك ، واجتمع بعضهم إلى بعض ، وتكلموا فيه ، وقالوا : نولّى بعضَنا ، ونخلع المأمون ؛ وكان المتكلم فى هذا والمختلف والمتقلّد له إبراهيم ومنصور ابنا المهدىّ .

* * *

[ذكر الدعوة لمبايعة إبراهيم بن المهدىّ وخلع المأمون]

وفى هذه السنة بايع أهلُ بغداد إبراهيم بن المهدىّ بالخلافة وخلعوا المأمون .

* ذكر السبب فى ذلك :

قد ذكرنا سببَ إنكار العباسيين ببغداد على المأمون ما أنكروا عليه ، واجتماع مَن اجتمع على محاربة الحسن بن سهل منهم ؛ حتى خرج عن بغداد . ولمّا كان من بيعة المأمون لعلىّ بن موسى بن جعفر — وأمره الناس بلبس الخضرة ما كان ، وورود كتاب الحسن على عيسى بن محمد بن أبى خالد يأمره بذلك ، وأخْذ الناس به ببغداد ، وذلك يوم الثلاثاء لخمس بقِينَ من ذى الحجة — أظهر العباسيون ببغداد أنهم قد بايعوا إبراهيم بن المهدىّ بالخلافة ، ومن بعده ابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدىّ ؛ وأنهم قد خلعوا المأمون ، وأنهم يعطون عشرة دنانير كل إنسان ، أوّل يوم من المحرّم أول يوم من السنة المستقبلة . فقبل بعض ولم يقبل بعض حتى يعطَى ؛ فلما كان يوم الجمعة وأرادوا الصلاة أرادوا أن يجعلوا إبراهيم خليفة للمأمون مكان منصور ، فأمروا رجلا يقول حين أذّن المؤذن : إنا نريد أن ندعوَ للمأمون ومن بعده لإبراهيم يكون خليفة ؛ وكانوا قد دسُّوا قومًا ، فقالوا لهم : إذا قام يقول : ندعُو للمأمون، فقوموا أنتم فقولوا : لا نرضى إلا أن تبايعوا لإبراهيم ومَنْ بعده لإسحاق، وتخلعوا المأمون أصلاً، ليس نريد أن تأخذوا أموالنا كما صنع منصور ، ثم تجلسوا فى بيوتكم. فلما قام مَن يتكلم أجابه هؤلاء ، فلم يُصَلّ بهم تلك الجمعة صلاة الجمعة ، ولا خطب أحد ، إنما صلى الناس أربع ركعات ثم انصرفوا ؛ وذلك يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة إحدى ومائتين .

٣/١٠١٤

٣/١٠١٥ وفى هذه السنة افتتح عبد الله بن خُرْداذْبه وهو والى طَبَرستان اللارز والشيرز[١]، من بلاد الديلم، وزادهما فى بلاد الإسلام، وافتتح جبال طبرستان، وأنزل شهريار بن شَروين عنها، فقال سلّام الخاسر:

إنا لنَأْمُلُ فتْحَ الرومِ والصِّين ... بمن أَدال لنا من مُلك شَرْوِينِ[٢]
فاشدُدْ يديك بِعبدِ اللهِ إنَّهُ[٣] ... مع الأَمانةِ رأْىٌ غيرُ مَوهُونِ

وأشخص مازيار بن قارن إلى المأمون، وأسر أبا ليلى ملك الديلم بغير عهد فى هذه السنة.

وفيها مات محمد بن محمد صاحب أبى السرايا.

وفيها تحرّك بابك الخرَّمىّ فى الجاويذَانيّة أصحاب جاويذان بن سهل، صاحب البذّ، وادّعى أن رُوح جاويذان دخلت فيه، وأخذ فى العيْث والفساد.

وفيها أصابَ أهلَ خراسان والرىّ وإصبهان مجاعة، وعزّ الطعام، ووقع الموت.

* * *

وحجّ بالناس فيها إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ.

---

(١) ابن الأثير: «البلاذر والشيزر».
(٢) ط: «أذل».
(٣) ط: «لعبد الله».

ثم دخلت سنة اثنتين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر بيعة إبراهيم بن المهدىّ]

فممّا كان فيها من ذلك بيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدىّ بالخلافة ، وتسميتهم إيّاه المُبارك . وقيل إنهم بايعوه فى أوّل يوم من المحرّم بالخلافة ، ١٠١٦/٣ وخلعوا المأمون ؛ فلمّا كان يوم الجمعة صعد إبراهيم المنبر ؛ فكان أوّل من بايعه عُبيد الله بن العباس بن محمد الهاشمىّ ، ثم منصور بن المهدىّ ، ثم سائر بنى هاشم ، ثم القوّاد . وكان المتولّى لأخذ البيعة المطلب بن عبدالله بن مالك ؛ وكان الذى سعى فى ذلك وقام به السندىّ وصالح صاحب المصلّى ومنْجاب ونُصير الوصيف وسائر الموالى ؛ إلا أن هؤلاء كانوا الرؤساء والقادة غضبًا منهم على المأمون حين أراد إخراج الخلافة من ولد العباس إلى ولد علىّ ، ولتركه لباس آبائه من السّواد ولبسِه الخُضرة .

ولما فرغ من البيعة وعد الجند أن يعطيَهم أرزاق ستة الأشهر ، فدافعهم بها ، فلما رأوا ذلك شَغبُوا عليه ، فأعطاهم مائتى درهم لكل رجل ، وكتب لبعضهم إلى السواد بقيمة بقيّة مالهم حنطة وشعيرا . فخرجوا فى قَبْضها فلم يمرّوا بشىء إلا انتهبوه ، فأخذوا النَّصيبيْن جميعًا ؛ نصيب أهل البلاد ونصيب السلطان . وغلب إبراهيم مع أهل بغداد على أهل الكوفة والسَّواد كله ، وعسكر بالمدائن . وولّى الجانب الشرقىّ من بغداد العباس بن موسى الهادى والجانب الغربىّ إسحاق بن موسى الهادى . وقال إبراهيم بن المهدىّ :

ألم تعلَمُوا يا آل فهرٍ بأنّنى ... شَرَيْتُ بنفسى دُونَكُمْ فى المهالكِ

* * *

[خبر تحكيم مهدىّ بن علوان الحَرُورىّ]

وفى هذه السنة حَكّم مهدىّ بن عُلوان الحرورىّ ، وكان خروجه ببِزُرجسابور ، وغلب على طساسيج هنالك . وعلى نهر بوق والراذانيْن . وقد قيل : إن خروج مهدىّ كان فى سنة ثلاث ومائتين فى شوّال منها ، فوجّه إليه إبراهيم بن المهدى أبا إسحاق بن الرشيد فى جماعة من القوّاد ، منهم أبو البطّ وسعيد بن الساجور ، ومع أبى إسحاق غلمان له أتراك ؛ فذُكر عن شُبَيل صاحب السلبة ، أنه كان معه وهو غلام ، فلقوا الشُّراة ، فطَعن رجل من الأعراب أبا إسحاق ، فحامى عنه غلام له تركىّ ، وقال له : أشِناس مَرَا ، أى اعرفْنى ، فسماه يومئذ أشناس ؛ وهو أبو جعفر أشِناس ، وهُزم مهدىّ إلى حَوْلاَيا .

١٠١٧/٣

وقال بعضهم : إنما وجّه إبراهيم إلى مهدىّ بن علوان الدهقانىّ الحرورىّ المُطّلبَ ، فسار إليه ، فلمّا قرب منه أخذ رجلا من قَعدِ الحروريّة يقال له أقْذَى ، فقتله ، واجتمعت الأعراب فقاتلوه فهزموه حتى أدخلوه بغداد .

وفى هذه السنة وثب أخو أبى السرايا بالكوفة ، فبيّض ، واجتمعت إليه جماعة ، فلقيه غَسان بن أبى الفرج فى رَجب فقتله ، وبعث برأسه إلى إبراهيم ابن المهدىّ .

* * *

ذكر الخبر عن تبييض أخى أبى السرايا وظهوره بالكوفة

١٠١٨/٣

ذكر أن الحسن بن سهل أتاه وهو مقيم بالمبارَك فى معسكره كتاب المأمون يأمره بلبس الخضرة ، وأن يبايع لعلىّ بن موسى بن جعفر بن محمد بولاية العهد من بعده ، ويأمره أن يتقدّم إلى بغداد حتى يحاصر أهلها ، فارتحل حتى نزل سمَّر ، وكتب إلى حميد بن عبد الحميد أن يتقدّم إلى بغداد حتى يحاصر أهلها من ناحية أخرى ، ويأمره بلباس الخُضرة ، ففعل ذلك حميد . وكان سعيد بن

الساجور وأبو البطّ وغسان بن أبي الفرج ومحمد بن إبراهيم الإفريقيّ وعِدّة من قوّاد حُميد كاتبوا إبراهيم بن المهديّ ، على أن يأخذوا له قصر ابن هبيرة . وكان قد تباعد ما بينهم وبين حميد ، فكانوا يكتبون إلى الحسن بن سهل يخبرونه أن حُميدًا يكاتب إبراهيم ، وكان يكتب فيهم بمثل ذلك ، وكان الحسن يكتب إلى حُميد يسأله أن يأتيَه فلم يفعل ، وخاف إن هو خرج إلى الحسن أن يثب الآخرون بعسكره ؛ فكانوا يكتبون إلى الحسن أنّه ليس يمنعه من إتيانك إلاّ أنه مخالف لك ، وأنه قد اشترى الضياع بين الصّراة وسُورا والسواد. فلما ألحّ عليه الحسن بالكُتب ، خرج إليه يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الآخر ، فكتب سعيد وأصحابه إلى إبراهيم يعلمونه ، ويسألون أن يبعث إليهم عيسى بن محمد بن أبي خالد ، حتّى يدفعوا إليه القصر وعسكر حميد ؛ وكان إبراهيم قد خرج من بغداد يوم الثلاثاء حتّى عسكر بكَلْواذى يريد المدائن ، فلما أتاه الكتاب وجّه عيسى إليهم .

فلما بلغ أهلَ عسكر حميد خروجُ عيسى ونزوله قرية الأعراب على فرسخ من القصر تهيّئوا للهرب ؛ وذلك ليلة الثلاثاء ، وشدّ أصحاب سعيد وأبي البطّ والفضل بن محمد بن الصباح الكنديّ الكوفيّ على عسكر حميد ؛ فانتهبوا ما فيه، وأخذوا لُحميد — فيما ذكر — مائة بَدْرة أموالا ومتاعًا ، وهرب ابنٌ لحُميد ومعاذ بن عبد الله ، فأخذ بعضهم نحو الكوفة وبعض نحو النيل ؛ فأمّا ابنُ حميد ، فإنه انحدر بجواري أبيه إلى الكوفة ، فلما أتى الكوفة اكترى بغالا ثم أخذ الطريق ، ثم لحق بأبيه بعسكر الحسن ، ودخل عيسى القصر وسلّمه له سعيد وأصحابه ، وصار عيسى وأخذه منهم ، وذلك يوم الثلاثاء لعشر خلون من ربيع الآخر. وبلغ الحسن بن سهل وحميد عنده ، فقال له حميد: ألم أعلمك بذلك ! ولكن خُدعت ، وخرج من عنده حتّى أتى الكوفة ، فأخذ أموالا له كانت هنالك ومتاعًا . وولّى على الكوفة العباس بن موسى بن جعفر العلويّ ، وأمره بلباس الخضرة ، وأن يدعُوَ للمأمون ومن بعده لأخيه عليّ بن موسى ؛ وأعانه بمائة ألف درهم ، وقال له: قاتل عن أخيك ، فإن أهل الكوفة يُجيبونك إلى ذلك ؛ وأنا معك .

١٠١٩/٣

فلمّا كان الليل خرج حميد من الكوفة وتَركه ، وقد كان الحسن وجّه حكيماً الحارثىّ حين بلغه الخبر إلى النيل ، فلما بلغ ذلك عيسى وهو بالقصر تهيّأ هو وأصحابه، حتى خرجوا إلى النّيل ؛ فلما كان ليلة السبت لأربع عشرة ليلة خلتْ من ربيع الآخر طلعت حُمرة فى السماء ، ثم ذهبت الحمرة ، وبقى عمودان أحمران فى السماء إلى آخر الليل ؛ وخرج غداة السبت عيسى وأصحابه من القصر إلى النيل، فواقعهم حكيم، وأتاهم عيسى وسعيد وهم فى الوقعة، فانهزم حكيم ، ودخلوا النّيل .

٣/١٠٢٠

فلما صاروا بالنّيل، بلغهم خبر العباس بن موسى بن جعفر العلوىّ ، وما يدعو إليه أهل الكوفة، وأنه قد أجابه قوم كثير منهم ، وقال له قوم آخرون : إن كنتَ تدعو للمأمون ثم من بعده لأخيك فلا حاجةَ لنا فى دعوتك ، وإن كنت تدعو إلى أخيك أو بعض أهل بيتك أو إلى نفسك أجبناك . فقال : أنا أدعو إلى المأمون ثمّ من بعده لأخى ؛ فقعد عنه الغالية من الرّافضة وأكثر الشيعة. وكان يُظهر أن حميداً يأتيه فيعينه ويقوّيه، وأن الحسن يوجّه إليه قوماً من قبَله مدداً، فلم يأته منهم أحد، وتوجّه إليه سعيد وأبو البطّ من النيل إلى الكوفة ؛ فلما صاروا بدير الأعور، أخذوا طريقاً يخرج بهم إلى عسكر هرثمة عند قرية شاهى .

فلمّا التأم إليه أصحابه، خرجوا يوم الاثنين لليلتين خلَتا من جمادى الأولى. فلما صاروا قرب القنطرة خرج عليهم علىّ بن محمد بن جعفر العلوىّ ، ابن المبايع له بمكة . وأبو عبد الله أخو أبى السرايا ومعهم جماعة كثيرة ، وجّههم مع على بن محمد ابن عمه صاحب الكوفة العباس بن موسى بن جعفر ، فقاتلوهم ساعة ، فانهزم علىّ وأصحابه حتى دخلوا الكوفة ، وجاء سعيد وأصحابه حتى نزلوا الحيرة ؛ فلمّا كان يوم الثلاثاء غدوْا فقاتلوهم مما يلى دار عيسى بن موسى ، وأجابهم العباسيون ومواليهم ، فخرجوا إليهم من الكوفة ، فاقتتلوا يومهم إلى الليل ، وشعارهم : «يا إبراهيم يا منصور ، لا طاعة للمأمون» ، وعليهم السّواد، وعلى العباس وأصحابه من أهل الكوفة الخُضْرة .

٣/١٠٢١

فلما كان يوم الأربعاء اقتتلوا فى ذلك الموضع ، فكان كلّ فريق منهم إذا

ظهروا على شيء أحرقوه. فلما رأى ذلك رؤساء أهل الكوفة، أتوْا سعيداً وأصحابَه، فسألوه الأمان للعباس بن موسى بن جعفر وأصحابه؛ على أن يخرج من الكوفة، فأجابوهم إلى ذلك، ثم أتَوا العباس فأعلموه، وقالوا: إن عامّة مَن معك غوغاء، وقد ترى ما يلقى الناس من الحرْق والنهب والقتل؛ فاخرج من بين أظهرنا، فلا حاجةَ لنا فيك. فقبل منهم، وخاف أن يُسلموه، وتحوّل من منزله الذى كان فيه بالكُناسة، ولم يعلم أصحابه بذلك، وانصرف سعيد وأصحابه إلى الحيرة، وشدّ أصحابُ العباس بن موسى على مَنْ بقى من أصحاب سعيد وموالى عيسى بن موسى العباسىّ، فهزموهم حتى بلغوا بهم الخندق، ونهبُوا ربَض عيسى بن موسى، فأحرقوا الدّور، وقتلوا من ظهروا به. فبعث العباسيّون ومواليهم إلى سعيد يعلمونه بذلك، وأنّ العباس قد رجع عما كان طلب من الأمان. فركب سعيد وأبو البطّ وأصحابهما حتى أتوا الكوفة عَتَمةً، فلم يظفروا بأحد منهم ينتهب إلاّ قتلوه، ولم يظهروا على شيء مما كان فى أيدى أصحاب العباس إلا أحرقوه؛ حتى بلغوا الكُناسة، فمكثوا بذلك عامة الليل حتى خرج إليهم رؤساء أهل الكوفة، فأعلموهم أنّ هذا من عمل الغوغاء، وأن العباس لم يرجع عن شيء. فانصرفوا عنهم.

فلمّا كان غداة الخميس لخمس خلون من جمادى الأولى، جاء سعيد وأبو البطّ حتى دخلوا الكوفة، ونادى مناديهم: أمن الأبيض والأسود؛ ولم يعرضوا لأحد من الخلق إلا بسبيل خير، وولّوْا على الكوفة الفضلَ بن محمد بن الصباح الكندىّ، من أهلها. فكتب إليهم إبراهيم بن المهدىّ يأمرهم بالخروج إلى ناحية واسط، وكتب إلى سعيد أن يستعمل على الكوفة غير الكندىّ، لميله إلى أهل بلده؛ فولاّها غسان بن أبى الفرج، ثم عزله بعد ما قتل أبا عبد الله أخا أبى السرايا، فولاها سعيدٌ ابنَ أخيه الهوْل؛ فلم يزل واليًا عليها حتى قدمها حميد ابن عبد الحميد، وهرب الهوْل منها، وأمر إبراهيم بن المهدىّ عيسى بن محمد ابن أبى خالد أن يسيرَ إلى ناحية واسط على طريق النيل، وأمر ابن عائشة الهاشمىّ ونعيم بن خازم أن يسيرا جميعًا، فخرجا مما يلى جُوخَى، وبذلك

١٠٢٢/٣

أمرهما ، وذلك فى جمادى الأولى . ولحق بهما سعيد وأبو البطّ والإفريقى حتى عسكروا بالصيّادة قرب واسط ؛ فاجتمعوا جميعًا فى مكان واحد ، وعليهم عيسى بن محمد بن أبى خالد ، فكانوا يركبون حتّى يأتوا عسكر الحسن وأصحابه بواسط فى كلّ يوم ، فلا يخرج إليهم من أصحاب الحسن أحد ، وهم متحصّنون بمدينة واسط .

ثم إن الحسن أمر أصحابه بالتهيُّؤ للخروج للقتال ، فخرجوا إليهم يوم السبت لأربع بقينَ من رجب ، فاقتتلوا قتالا شديداً إلى قريب الظهر . ثم وقعت الهزيمة على عيسى وأصحابه ، فانهزموا حتّى بلغوا طرنايا والنيل ، وأخذ أصحاب الحسن جميع ما كان فى عسكرهم من سلاح ودوابّ وغير ذلك . ١٠٢٢/٣

* * *

[ظفر إبراهيم بن المهدىّ بسهل بن سلامة المطوّعىّ]

وفى هذه السنة ظفر إبراهيم بن المهدىّ بسهل بن سلامة المطوّعىّ فحبسه وعاقبه .

* ذكر الخبر عن سبب ظفره به وحبسه إياه :

ذُكر أنّ سهل بن سلامة كان مقيماً ببغداد ، يدعو إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فلم يزل كذلك حتى اجتمع إليه عامةُ أهل بغداد ونزلوا عنده ؛ سوى مَنْ هو مقيم فى منزله ، وهواه ورأيه معه ؛ وكان إبراهيم قد همّ بقتاله قبل الوَقعة ، ثم أمسك عن ذلك ، فلمّا كانت هذه الوقعة وصارت الهزيمة على أصحاب عيسى ومَنْ معه أقبل على سهل بن سلامة ، فدسّ إليه وإلى أصحابه الذين بايعوه على العمل بالكتاب والسنة ، وألاّ طاعةَ لمخلوق فى معصية الخالق ؛ فكان كلُّ مَنْ أجابه إلى ذلك قد عمل على باب داره بُرجًا بجصّ وآجرّ ، ونصب عليه السلاح والمصاحف ؛ حتى بلغوا قرب باب الشأم ؛ سوى مَنْ أجابه من أهل الكرْخ وسائر الناس ؛ فلما رجع عيسى من الهزيمة إلى بغداد ، أقبل هو وإخوته وجماعة أصحابه نحو سهل

ابن سلامة ؛ لأنه كان يذكّرهم بأسواء أعمالهم وفعالهم ، ويقول : الفسّاق[١] ؛ لم يكن لهم عنده اسم غيره ، فقاتلوه أياماً ؛ وكان الذى تولى قتاله عيسى ابن محمد بن أبى خالد ؛ فلمّا صار إلى الدّروب التى قرب سهل أعطى أهلَ الدروب الألف الدرهم والألفين درهماً ؛ على أن يتنحوْا له عن الدروب ، فأجابوه إلى ذلك ؛ فكان نصيبُ الرجل الدرهم والدرهمين ونحو ذلك ؛ فلما كان يوم السبت لخمس بقين من شعبان تهيئوا له من كلّ وجه ، وخذَله أهل الدروب حتى وصلوا إلى مسجد طاهر بن الحسين وإلى منزله ؛ وهو بالقرب من المسجد ؛ فلما وصلوا إليه اختفى منهم ، وألقى سلاحه ، واختلط بالنظارة ، ودخل بين النساء فدخلوا منزله .

٣/١٠٢٤

فلمّا لم يظفروا به جعلوا عليه العيون ؛ فلمّا كان الليل أخذوه فى بعض الدّروب التى قرب منزله ، فأتوا به إسحاق بن موسى الهادى — وهو ولىّ العهد بعد عمّه إبراهيم بن المهدىّ وهو بمدينة السلام — فكلّمه وحاجّه ، وجمع بينه وبين أصحابه ، وقال له : حرّضت علينا الناس ، وعبتَ أمرنا ! فقال له : إنما كانت دعوتى عباسيّة ؛ وإنما كنتُ أدعو إلى العمل بالكتاب والسنة ؛ وأنا على ما كنْت عليه أدعوكم إليه الساعة . فلم يقبلوا ذلك منه . ثم قالوا له : اخرج إلى الناس ، فقل لهم : إنّ ما كنتُ أدعوكم إليه باطلٌ . فأخرِج[٢] إلى الناس وقال : قد علمتم ما كنتُ أدعوكم إليه من العمل بالكتاب والسنة ، وأنا أدعوكم إليه الساعة . فلما قال لهم هذا وجئوا عنقه ، وضربوا وجهه ؛ فلما صنعوا ذلك به قال : المغرور مَنْ غررتموه يا أصحاب الحربيّة ؛ فأخِذ فأدخل إلى إسحاق ، فقيّده ، وذلك يوم الأحد . فلما كان ليلة الاثنين خرجوا به إلى إبراهيم بالمدائن ؛ فلما دخل عليه كلمه بما كلم به إسحاق ، فردّ عليه مثل ما ردّ على إسحاق . وقد كانوا أخذوا رجلا من أصحابه يقال له محمد الرواعىّ ، فضربه إبراهيم ، ونتَف لحيته ، وقيّده وحبسه ؛ فلما أخذ سهل ابن سلامة حبسوه أيضاً ، وادّعوْا أنه كان دُفع إلى عيسى ، وأنّ عيسى قتله ؛

٣/١٠٢٥

---

(١) ابن الأثير : « ويسميهم الفساق » .

(٢) ابن الأثير : « فخرج » .

وإنما أشاعوا ذلك تخوّفًا من الناس أن يعلموا بمكانه فيخرجوه ؛ فكان بين خروجه وبين أخذه وحبسه اثنا عشر شهراً .

* * *

[ذكر خبر شخوص المأمون إلى العراق]

وفى هذه السنة شخص المأمون من مَرْو يريد العراق .

* ذكر الخبر عن شخوصه منها :

ذُكر أن علىّ بن موسى بن جعفر بن محمد العلوىّ أخْبر المأمون بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قتل أخوه ، وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من الأخبار ، وأنّ أهل بيته والناس قد نقَموا عليه أشياء ؛ وأنهم يقولون إنه مسحور مجنون ، وأنهم لما رأوا ذلك بايعوا لعمّه إبراهيم بن المهدىّ بالخلافة . فقال المأمون : إنهم لم يبايعوا له بالخلافة ؛ وإنما صيّروه أميراً يقوم بأمرهم، على ما أخبره به الفضل ، فأعلمه أن الفضل قد كذَبه وغشّه ، وأن الحرب قائمة بين إبراهيم والحسن بن سهل ، وأنّ الناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه ومكانى ومكان بيعتك لى من بعدك، فقال : ومَنْ يعلم هذا من أهل عسكرى ؟ فقال له : يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وعدّة من وجوه أهل العسكر ، فقال له : أدخلهم علىّ حتى أسائلهم عمّا ذكرْت ، فأدخلهم عليه ؛ وهم يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وموسى وعلىّ بن أبى سعيد — وهو ابن أخت الفضل— وخلف المصرىّ ، فسألهم عما أخبره ، فأبوْا أن يخبروه حتى يجعل لهم الأمان من الفضل بن سهل ؛ ألا يعرض لهم ، فضمن ذلك لهم ، وكتب لكلّ رجل منهم كتاباً بخطه ، ودفعه إليهم ، فأخبروه بما فيه الناس من الفتن ، وبيّنوا ذلك له ، وأخبروه بغضب أهل بيته ومواليه وقوّاده عليه فى أشياء كثيرة ، وبما موّه عليه الفضل من أمر هرثمة ، وأنّ هرثمة إنما جاءه لينصحه وليبين له ما يعمل عليه ، وأنه إن لم يتدارك أمره خرجت الخلافة منه ومن أهل بيته ، وأنّ الفضل دسّ إلى هرثمة مَنْ قتله ، وأنه أراد

٣/١٠٢٦

نصحه ؛ وأن طاهر بن الحسين قد أبلى فى طاعته ما أبلى ، وافتتح ما افتتح ، وقاد إليه الخلافة مزمومة ، حتى إذا وطّأ الأمر أخرِج من ذلك كله ، وصُيِّر فى زاوية من الأرض بالرّقة ، قد حُظرت عليه الأموال حتى ضعف أمرُه فشغب عليه جنده ، وأنه لو كان على خلافتك ببغداد لضبط الملك ، ولم يجترَأ عليه بمثل ما اجترِئ به على الحسن بن سهل ، وأنّ الدنيا قد تفتّقت من أقطارها ، وأن طاهر بن الحسين قد تنُوسِىَ فى هذه السنين منذ قتل محمد فى الرّقة ، لا يُستعان به فى شىء من هذه الحروب ؛ وقد استعين بمن هو دونه أضعافًا ، وسألوا المأمون الخروج إلى بغداد فى بنى هاشم والموالى والقواد ، والجندُ لو رأوا عزّتك سكنوا إلى ذلك ، وبخَعُوا بالطاعة[1] .

٣/١٠٢٧

فلما تحقق ذلك عند المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد ؛ فلمّا أمر بذلك علم الفضل بن سهل ببعض ذلك من أمرهم ، فتعنّتهم حتى ضرب بعضهم بالسياط وحبس بعضًا ، ونتف لحى بعض ؛ فعاوده علىّ بن موسى فى أمرهم ، وأعلمه ما كان من ضمانه لهم ؛ فأعلمه أنه يدارى ما هو فيه . ثم ارتحل من مَرْو فلما أتى سرَخْس شدّ قوم على الفضل بن سهل وهو فى الحمام ، فضربوه بالسيوف حتى مات ؛ وذلك يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان سنة اثنتين ومائتين . فأخِذوا . وكان الذين قتلوا الفضل من حشم المأمون وهم أربعة نفر : أحدهم غالب المسعودىّ الأسود ، وقسطنطين الرومىّ ، وفرج الديلمىّ ، وموفّق الصّقلبىّ ، وقتلوه وله ستون سنة ؛ وهربوا . فبعث المأمون فى طلبهم ، وجعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار ، فجاء بهم العباسْ بن الهيثم بن بزُرْجمهر الدينورىّ ، فقالوا للمأمون : أنت أمرتَنا بقتله ، فأمر بهم فضرِبت أعناقهم . وقد قيل : إن الذين قتلوا الفضل لمّا أخِذوا ساءلهم المأمون ؛ فمنهم من قال : إن علىّ بن أبى سعيد ، ابن أخت الفضل دسّهم ، ومنهم من أنكر ذلك . وأمر بهم فقتلوا . ثم بعث إلى عبد العزيز بن عمران وعلىّ وموسى وخلف فساءلهم فأنكروا أن يكونوا علموا بشىء من ذلك ؛ فلم يقبل ذلك منهم وأمر بهم فقتلوا ، وبعث برءوسهم إلى الحسن بن سهل إلى واسط ، وأعلمه ما دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل ، وأنه قد صيّره مكانه . ووصل الكتاب بذلك إلى الحسن

٣/١٠٢٨

(١) بخعوا بالطاعة ؛ أى خضعوا وأقروا بالحق له .

فى شهر رمضان ، فلم يزل الحسن وأصحابه حتى أدركت الغلّة وجُبِىَ بعض الخراج ، ورحَل المأمون من سَرَخْس نحو العراق يوم الفطْر ، وكان إبراهيم ابن المهدىّ بالمدائن وعيسى وأبو البطّ وسعيد بالنيل وطرنايا يراوحون القتال ويغادونه ؛ وقد كان المطلب بن عبد الله بن مالك بن عبد الله قدِم من المدائن ، فاعتلّ بأنه مريض ، وجعل يدعو فى السرّ إلى المأمون ؛ على أن المنصور بن المهدىّ خليفة المأمون ، ويخلعون إبراهيم ، فأجابه إلى ذلك منصور وخزيمة بن خازم وقوّاد كثير من أهل الجانب الشرقىّ ، وكتب المطلب إلى حُميد وعلىّ ابن هشام أن يتقدّما فينزل حُميد نهر صرصر وعلىّ النهروان ؛ فلما تحقق عند إبراهيم الخبر خرج من المدائن إلى بغداد ، فنزل زَنْدَوَرْد يوم السبت لأربع عشرة خلت من صفر ، وبعث إلى المطلب ومنصور وخزيمة ، فلما أتاهم رسولُه اعتلّوا عليه ؛ فلما رأى ذلك بعث إليهم عيسى بن محمد بن أبى خالد وإخوته ؛ فأما منصور وخزيمة فأعطوْا بأيديهما ، وأما المطلب فإن مواليه وأصحابه قاتلوا عن منزله حتى كثُر الناس عليهم ، وأمر إبراهيم مناديًا فنادى : من أراد النهب فليأت دار المطّلب ، فلما كان وقت الظهر وصلوا إلى داره ، فانتهبوا ما وجدوا فيها ، وانتهبوا دورَ أهل بيته ، وطلبوه فلم يظفروا به ، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من صفر . ١٠٢٩/٣

فلما بلغ حميدًا وعلىّ بن هشام الخبر بعث حميد قائداً فأخذ المدائن ، وقَطَع الجسر ، ونزل بها ، وبعث علىّ بن هشام قائداً فنزل المدائن ، وأتى نهرَدَيالى فقطَعه ، وأقاموا بالمدائن ، وندم إبراهيم حيث صنع بالمطّلب ما صنع ، ثم لم يظفر به .

* * *

وفى هذه السنة تزوّج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل .

وفيها زوّج المأمون علىّ بن موسى الرضِىّ ابنته أم حبيب ، وزوّج محمد ابن علىّ بن موسى ابنته أم الفضل .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد، فدعا لأخيه بعد المأمون بولاية العهد .

وكان الحسن بن سهل كتب إلى عيسى بن يزيد الجُلُودىّ ، وكان بالبصرة فوافى مكة فى أصحابه ، فشهد الموسم ، ثم انصرف ومضى إبراهيم بن موسى إلى اليمن ؛ وكان قد غلب عليها حمدويه بن علىّ بن عيسى بن ماهان .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[موت عليّ بن موسى الرضيّ]

ذكر أن مما كان فيها موت عليّ بن موسى بن جعفر

ذكر الخبر عن سبب وفاته :

١٠٣٠/٣ ذُكر أنّ المأمون شخص من سَرَخْس حتى صار إلى طُوس ، فلما صار بها أقام بها عند قبر أبيه أيامًا . ثم إنّ عليّ بن موسى أكل عنبًا فأكثر منه ، فمات فجأة ؛ وذلك فى آخر صفَر ؛ فأمر به المأمون فدفن عند قبر الرّشيد ، وكتب فى شهر ربيع الأول إلى الحسن بن سهل يعلمه أن عليّ بن موسى بن جعفر مات ، ويعلمه ما دخل عليه من الغمّ والمصيبة بموته ؛ وكتب إلى بنى العباس والموالى وأهل بغداد يعلمهم موتَ عليّ بن موسى ، وأنهم إنما نقَموا بيعته له من بعده ؛ ويسألهم الدخول فى طاعته . فكتبوا إليه وإلى الحسن جواب الكتاب بأغلظِ ما يُكتَب به إلى أحد . وكان الذى صلّى على عليّ بن موسى المأمون (١) .

* * *

ورحل المأمون فى هذه السنة من طوس يريد بغداد ، فلما صار إلى الرّيّ أسقط من وظيفتها ألفى ألف درهم .

وفى هذه السنة غلبت السوداء على الحسن بن سهل ، فذُكر سبب ذلك أنه كان مرض مرضًا شديداً ، فهاج به من مرضه تغيّر عقله ، حتى شُدّ فى الحديد وحبِس فى بيت . وكتب بذلك قوّاد الحسن إلى المأمون ، فأتاهم

---

(١) ابن الأثير : « وكان مولد على بن موسى بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة » .

جواب الكتاب أن يكون على عسكره دينار بن عبدالله، ويعلمهم أنه قادم على أثر كتابه .

* * *

[خبر حبس إبراهيم بن المهدىّ عيسى بن محمد بن أبى خالد]

وفى هذه السنة ضرب إبراهيم بن المهدىّ عيسى بن محمد بن أبى خالد وحبسه .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذُكر أن عيسى بن محمد بن أبى خالد كان يكاتب حُميداً والحسن ؛ وكان الرّسول بينهم محمد بن محمد المعبدىّ الهاشمىّ ، وكان يُظهر لإبراهيم الطاعة والنصيحة ، ولم يكن يقاتل حُميدًا ولا يعرض له فى شىء من عمله ؛ وكان كلّما قال إبراهيم : تهيّأ للخروج لقتال حُميد، يعتلّ عليه بأنّ الجند يريدون أرزاقهم ، ومرة يقول : حتّى تُدرِك الغلّة ؛ فما زال بذلك حتّى إذا توثّق مما يريد مما بينه وبين الحسن وحُميد فارقهم ، على أن يدفع إليهم إبراهيم بن المهدىّ يوم الجمعة لانسلاخ شوّال . وبلغ الخبر إبراهيم ؛ فلما كان يوم الخميس ، جاء عيسى إلى باب الجسر ، فقال للناس : إنى قد سالمت حُميداً ، وضمنت له ألاّ أدخل عمله ، وضمن لى ألاّ يدخل عملى . ثم أمر أن يُحفَر خندق بباب الجسر وباب الشأم ، وبلغ إبراهيمَ ما قال وما صنع ، وقد كان عيسى سأل إبراهيم أن يصلّىَ الجمعة بالمدينة ، فأجابه إلى ذلك ، فلمّا تكلم عيسى بما تكلم به ، وبلغ إبراهيمَ الخبر وأنه يريد أخذه حذر . ٣/١٠٣١

وذُكر أنّ هارون أخا عيسى أخبر إبراهيم بما يريد أن يصنع به عيسى ؛ فلمّا أخبره، بعث إليه أن يأتيَه حتّى يناظره فى بعض ما يريد، فاعتلّ عليه عيسى ، فلم يزل إبراهيم يعيد إليه الرّسل حتّى أتاه إلى قصره بالرّصافة ، فلما دخل عليه حُجب الناس ، وخلا إبراهيم وعيسى ، وجعل يعاتبه ، وأخذ عيسى يعتذر إليه مما يعتبه به ، وينكر بعض ما يقول ؛ فلما قرّره بأشياء أمر به فضرب . ثم إنه حبسه وأخذ عدّة من قوّاده فحبسهم ، وبعث إلى منزله ، فأخذ أم ولده

وصبياناً له صغاراً ؛ فحبسهم ؛ وذلك ليلة الخميس لليلة بقيت من شوال .

٣/١٠٣٢ وطلب خليفة له يقال له العباس فاختفى . فلما بلغ حبسُ عيسى أهلَ بيته وأصحابه، مشى بعضهُم إلى بعض، وحرّض أهلَ بيته وإخوته الناس على إبراهيم واجتمعوا ؛ وكان رأسَهُم عباس خليفة عيسى ، فشدُّوا على عامل إبراهيم على الجسر فطردوه ، وعبرَ إلى إبراهيم فأخبره الخبر ، وأمر بقطع الجسر فطردوا كلَّ عامل كان لإبراهيم فى الكرخ وغيره ، وظهر الفسّاق والشطار ، فقعدوا فى المسالح . وكتب عباس إلى حُميد يسأله أن يقدم إليهم حتى يسلموا إليه بغداد ؛ فلمّا كان يوم الجمعة صلّوا فى مسجد المدينة أربع ركعات ، صلّى بهم المؤذن بغير خطبة .

* * *

[ذكر خبر خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدىّ]

وفى هذه السنة خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدىّ ، ودعوا للمأمون بالخلافة .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

قد ذكرنا قبل ما كان من إبراهيم وعيسى بن محمد بن أبى خالد وحبْس إبراهيم إياه، واجتماع عباس خليفة عيسى وإخوة عيسى على إبراهيم ، وكتابهم إلى حُميد يسألونه المصيرَ إليهم ليُسلّموا بغداد إليه؛ فذكِر أنّ حُميداً لما أتاه كتابُهم ، وفيه شرْط منهم عليه أن يعطىَ جند أهل بغداد؛ كلّ رجل منهم خمسينَ درهماً ، فأجابهم إلى ذلك ، وجاء حتى نزل صَرْصر بطريق الكوفة يوم الأحد ، وخرج إليه عباس وقوّاد أهل بغداد ، فلقُوه غَداة الاثنين ، فوعدهم ومنّاهم ، وقبلوا ذلك منه ، فوعدهم أن يضع لهم العطاء يوم السبت فى

٣/١٠٣٣ الياسريّة ، على أن يصلّوا الجمعة فيدعو للمأمون ، ويخلعوا إبراهيم ؛ فأجابوه إلى ذلك . فلما بلغ إبراهيمَ الخبرُ أخرج عيسى وإخوته من الحبس ، وسأله أن يرجع إلى منزله ، ويكفيه أمر هذا الجانب ، فأبى ذلك عليه .

فلما كان يوم الجمعة بعث عباس إلى محمد بن أبى رجاء الفقيه ، فصلّى بالناس الجمعة ، ودعا للمأمون ، فلما كان يوم السبت جاء حُميد إلى الياسريّة

فعرض حُميد جند أهل بغداد ، وأعطاهم الخمسين التى وعدهم ، فسألوه أن ينقصهم عشرة عشرة ، فيعطيَهم أربعينَ أربعين درهمًا لكل رجل منهم ؛ لما كانوا تشاءموا به من علىّ بن هشام حين أعطاهم الخمسين . فغَدَر بهم ، وقطع العطاء عنهم ، فقال لهم حميد : لا بل أزيدكم وأعطيكم ستين درهمًا لكل رجل . فلما بلغ ذلك إبراهيم دعا عيسى فسأله أن يقاتل حُميدًا ، فأجابه إلى ذلك ، فخلّى سبيله ، وأخذ منه كُفلاء ، فكلم عيسى الجند أن يعطيَهم مثل ما أعطى حميد ؛ فأبوا ذلك عليه ؛ فلما كان يوم الاثنين عبر إليهم عيسى وإخوته وقوّاد أهل الجانب الشرقىّ ، فعرضوا على أهل الجانب الغربىّ أن يزيدُوهم على ما أعطى حُميد ، فشتموا عيسى وأصحابه ، وقالوا : لا نريد إبراهيم . فخرج عيسى وأصحابه حتّى دخلوا المدينة ، وأغلقوا الأبواب ، وصعدوا السور ، وقاتلوا الناس ساعة . فلما كثر عليهم الناس انصرفوا راجعينَ ؛ حتّى أتوا باب خُراسان ، فركبوا فى السفن ، ورجع عيسى كأنه يريد أن يقاتلهم ، ثم احتال حتّى صار فى أيديهم شبه الأسير ، فأخذه بعض قواده فأتى به منزله ، ورجع الباقون إلى إبراهيم فأخبروه الخبر ، فاغتمّ لذلك غمًّا شديداً ؛ وقد كان المطلب ابن عبد الله بن مالك اختفى من إبراهيم ، فلما قدم حُميد أراد العبور إليه فأخذه المعبِّر(١) ، فذهب إلى إبراهيم فحبسه عنده ثلاثة أيام أو أربعة ، ثم إنه خلّى عنه ليلة الاثنين لليلة خلت من ذى الحجّة . ٣/١٠٣٤

* * *

[ذكر خبر اختفاء إبراهيم بن المهدىّ]

وفى هذه السنة اختفى إبراهيم بن المهدىّ ، وتغيّب بعد حربٍ بينه وبين حميد بن عبد الحميد، وبعد أن أطلق سعد بن سلامة من حبسه .

* ذكر الخبر عن اختفائه والسبب فى ذلك :

ذُكر أنّ سهل بن سلامة كان الناس يذكرون أنه مقتول ، وهو عند إبراهيم محبوس ؛ فلمّا صار حُميد إلى بغداد ودخلها أخرجه إبراهيم . وكان

(١) ط : « المعبد » ، تحريف .

يدعو فى مسجد الرُّصافة كما كان يدعو ، فإذا كان الليل ردّه إلى حبسه ؛ فمكث بذلك أياماً ، فأتاه أصحابه ليكونوا معه ، فقال لهم : الزموا بيوتكم ، فإنى أرْزَأ هذا — يعنى إبراهيم — فلما كان ليلة الاثنين لليلة خلت من ذى الحجّة خلّى سبيله ، فذهب فاختفى ، فلما رأى أصحاب إبراهيم وقوّاده أن حُميداً قد نزل فى أرحاء عبد الله بن مالك ، تحوّل عامّتُهم إليه ، وأخذوا له المدائن ؛ فلمّا رأى ذلك إبراهيم ، أخرج جميع مَنْ عنده حتى يقاتلوا ، فالتقوْا على جسر نهر ديالى ، فاقتتلوا ، فهزمهم حُميد ، فقطعوا الجسر ، فتبعهم أصحابُه حتى أدخلوهم بيوت بغداد ، وذلك يوم الخميس لانسلاخ ذى القعدة .

فلما كان يوم الأضحى أمر إبراهيم القاضىَ أن يصلّىَ بالناس فى عيساباذ ، فصلّى بهم فانصرف الناس ، واختفى الفضل بن الربيع ، ثم تحوّل إلى حُميد ، ثم تحوّل علىّ بن ريطة إلى عسكر حُميد ، وجعل الهاشميون والقوّاد يلحقون بحُميد واحداً بعد واحد ؛ فلما رأى ذلك إبراهيم أسقِط فى يديه ، فشقّ عليه . ٣/١٠٣٥
وكان المطّلب يكاتب حميداً على أن يأخذ له الجانب الشرقىّ ، وكان سعيد ابن الساجور وأبو البطّ وعبدويه وعدّة معهم من القواد يكاتبون علىّ بن هشام ، على أن يأخذوا له إبراهيم ؛ فلمّا علم إبراهيم بأمرهم وما اجتمع عليه كلّ قوم من أصحابه ، وأنهم قد أحدقوا به ، جعل يُداريهم ؛ فلما جنّه الليل اختفى ليلة الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة سنة ثلاث ومائتين ، وبعث المطلب إلى حُميد يعلمه أنه قد أحدق بدار إبراهيم هو وأصحابه ؛ فإن كان يريده فليأته .

وكتب ابن الساجور وأصحابه إلى علىّ بن هشام ، فركب حُميد من ساعته ؛ وكان نازلا فى أرحاء عبد الله ، فأتى باب الجسر ، وجاء علىّ بن هشام حتى نزل نهر بيْن ، وتقدّم إلى مسجد كَوْثر ، وخرج إليه ابن الساجور وأصحابه ، وجاء المطلب إلى حُميد ، فلقوه بباب الجسر ، فقرّبهم ووعدهم ونبّأهم أن يُعلِم المأمون ما صنعوا ، فأقبلوا إلى دار إبراهيم ، وطلبوه فيها فلم يجدوه ، فلم يزل إبراهيم متوارياً حتى قدم المأمون وبعد ما قدم ؛ حتى كان من أمره ما كان .

وقد كان سهل بن سلامة حيث اختفى وتحوّل إلى منزله وظهر ، وبعث إليه حُميد ، فقرّبه وأدناه ، وحمله على بغل ، ورده إلى أهله ؛ فلم يزل مقيماً حتّى قدم المأمون ، فأتاه فأجازه ووصله ، وأمره أن يجلس فى منزله . ١٠٣٦/٣

* * *

وفى هذه السنة انكسفت الشمس يوم الأحد لليلتين بقيتا من ذى الحجة حتّى ذهب ضوءها ، وكان غاب أكثر من ثلثيها ، وكان انكسافها ارتفاع النهار ، فلم يزل كذلك حتّى قرب الظهر ثم انجلت .

فكانت أيام إبراهيم بن المهدى كلها سنة وأحَدَ عشر شهراً واثنى عشر يومًا .

وغلب علىّ بن هشام على شرقىّ بغداد وحميد بن عبد الحميد على غربيها ، وصار المأمون إلى همَذان فى آخر ذى الحجة

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علىّ .

ثم دخلت سنة أربع ومائتين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

* * *

[خبر قدوم المأمون إلى بغداد]

فممّا كان فيها من ذلك قدوم المأمون العراق، وانقطاع مادّة الفتن ببغداد .

* ذكر الخبر عن مقْدمه العراق وما كان فيه بها عند مقدمه :

ذُكر عن المأمون أنه لمّا قدِم جُرجان أقام بها شهراً ، ثم خرج منها ، فصار إلى الريّ في ذي الحجة ، فأقام بها أيّامًا، ثم خرج منها، فجعل يسير المنازل ، ويقيمُ اليوم واليومين حتى صار إلى النهروان ؛ وذلك يوم السبت، فأقام فيه ثمانية أيام ، وخرج إليه أهلُ بيته والقوّاد ووجوه الناس ، فسلّموا عليه ؛ وقد كان كتب إلى طاهر بن الحسين من الطريق وهو بالرّقة، أن يوافيَه إلى النّهروان، فوافاه بها، فلمّا كان السبت الآخر دخل بغداد ارتفاعَ النهار، لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر سنة أربع ومائتين، ولباسه ولباس أصحابه؛ أقبيتُهم وقلانسهم وطرّاداتهم وأعلامهم كلّها الخضرة . فلما قدم نزل الرّصافة ، وقدم معه طاهر، فأمره بنزول الخيزرانيّة مع أصحابه، ثم تحوّل فنزل قصره على شطّ دجْلة ، وأمر حميد بن عبد الحميد وعليّ بن هشام وكلّ قائد كان في عسكره أن يقيم في عسكره ؛ فكانوا يختلفون إلى دار المأمون في كلّ يوم؛ ولم يكن يدخل عليه أحد إلاّ في الثياب الخُضْر ، ولبس ذلك أهل بغداد وبنو هاشم أجمعون، فكانوا يخرقون كلّ شيء يروْنه من السواد على إنسان إلا القلنسوة ؛ فإنه كان يلبسها الواحد بعد الواحد على خوف ووجَل ؛ فأما قَباء أو علم فلم يكن أحد يجترئ أن يلبس شيئًا من ذلك ولا يحمله . فمكثوا بذلك ثمانية أيام ؛ فتكلم في ذلك بنو هاشم وولد العباس خاصةً ، وقالوا له :

١٠٣٧/٣

يا أمير المؤمنين ، تركت لباس آبائك وأهل بيتك ودولتهم ، ولبست الخضرة . وكتب إليه فى ذلك قوّاد أهل خراسان .

وقيل إنه أمر طاهر بن الحسين أن يسأله حوائجه ، فكان أوّل حاجة سأله أن يطرح لباس الخضرة ، ويرجع إلى لبس السواد وزىّ دولة الآباء؛ فلمّا رأى طاعةَ الناس له فى لبس الخُضرة وكراهتَهم لها ، وجاء السّبت قعد لهم وعليه ثياب خُضْر ، فلما اجتمعوا عنده دعا بسَواد فلبسه ، ودعا بخلْعة سواد فألبسها طاهراً ، ثم دعا بعدّة من قوّاده ، فألبسهم أقبية وقلانس سوداً[1] ؛ فلما خرجوا من عنده وعليهم السواد ، طرح سائر القواد والجند لبْس الخضرة ، ولبسوا السّواد ، وذلك يوم السبت لسبع بقين من صفر. ٣/١٠٣٨

وقد قيل : إن المأمون لبس الثياب الخضر بعد دخوله بغداد سبعة وعشرين ، ثم مزّقت .

وقيل : إنه لم يزل مقيماً ببغداد فى الرّصافة حتى بنى منازل على شطّ دجلة عند قصره الأول ؛ وفى بستان موسى .

وَ ذكر عن إبراهيم بن العباس الكاتب ، عن عمرو بن مسعدة ، أن أحمد ابن أبى خالد الأحول قال : لمّا قدمنا من خُراسان مع المأمون وصرْنا فى عقبة حُلْوان — وكنت زميله — قال لى : يا أحمد ، إنى أجد رائحة العراق ، فأجبتُ بغير جوابه ، وقلت : ما أخلقه ! قال : ليس هذا جوابى ، ولكنى أحسبك سهوت أو كنت مفكراً ، قال : قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فيم فكرت ؟ قال : قلت : يا أميرَ المؤمنين ، فكرت فى هجومنا على أهل بغداد وليس معنا إلا خمسون ألف درهم ، مع فتنة غلبت على قلوب الناس ، فاستعذبوها ، فكيف يكون حالنا إن هاج هائج ، أو تحرّك متحرّك ! قال : فأطرق مليًّا ، ثم قال : صدقت يا أحمد ، ما أحسن ما فكرت ؛ ولكنى أخبرك ؛ النّاسُ على طبقات ثلاث فى هذه المدينة : ظالم ، ومظلوم ، ولا ظالم ولا مظلوم ؛ فأما الظالم فليس يتوقع إلا عفوَنا وإمساكَنا ، وأما المظلوم فليس يتوقع أن ينتصف إلاّ بنا ، ومَنْ كان لا ظالما ولا مظلوماً فبيتُه يسعه . فوالله ما كان إلا كما قال . ٣/١٠٣٩

(١) ط : « سواد » ، وما أثبته من ا .

وأمر المأمون فى هذه السنة بمقاسمة أهل السواد على الخُمسين ؛ وكانوا يقاسمون على النصف ، واتخذ القفيز الملجم[1] — وهو عشرة مكاكيك بالمكُّوك الهارونىّ — كيلا مرسَلا .

* * *

وفى هذه السنة واقع يحيى بن معاذ بابك، فلم يظفر واحد منهما بصاحبه .

وولّى المأمون صالح بن الرشيد البصرة ، وولّى عبيد الله بن الحسن[2] بن عبيد الله بن العباس بن علىّ بن أبى طالب الحرَمينْ .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبيد الله بن الحسن .

---

(١) ابن الأثير : « الملحم » .
(٢) ابن الأثير : « الحسين » .

ثم دخلت سنة خمس ومائتين

ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة من الأحداث *

* * *

[ولاية طاهر بن الحسين خراسان]

فن ذلك تولية المأمون فيها طاهر بن الحسين من مدينة السلام إلى أقصى عمل المشرق ؛ وقد كان قبل ذلك ولّاه الجزيرة والشُّرَط وجانبى بغداد ومعاون السواد ، وقعد للناس .

• ذكر الخبر عن سبب توليته :

وكان سبب توليته إياه خُراسان والمشرق ، ما ذُكر عن حماد بن الحسن ، عن بشر بن غياث المريسىّ ، قال : حضرتُ عبدالله المأمون أناوثمامة ومحمد ابن أبى العباس وعلىّ بن الهيثم ، فتناظروا فى التشيّع ، فنصر محمد بن أبى العباس الإمامة ، ونصر علىّ بن الهيثم الزيدّية ، وجرى الكلام بينهما ؛ إلى أن قال محمد لعلىّ : يا نَبطىّ ، ما أنت والكلام ! قال : فقال المأمون — وكان متّكئاً فجلس : الشتم عىّ ، والبذاء لؤم ؛ إنا قد أبحنا الكلام ، وأظهرنا المقالات ، فمن قال بالحق حمدناه ، ومن جهل ذلك وقّفناه ، ومن جهل الأمرين حكمنا فيه بما يجب ؛ فاجعلا بينكما أصلا ، فإنّ الكلام فروع ؛ فإذا افترعتم شيئاً رجعتم إلى الأصول . قال : فإنا نقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وذكرا الفرائض والشرائع فى الإسلام ، وتناظرا بعد ذلك. فأعاد محمد لعلىّ بمثل المقالة الأولى ، فقال له علىّ : والله لولا جلالةُ مجلسه وما وهب الله من رأفته ، ولولا ما نهى عنه لأعرقتُ جبينك ؛ وبحسبك من جهلك غُسْلك المنبر بالمدينة .

١٠٤٠/٣

قال : فجلس المأمون — وكان متكئاً — فقال : وما غُسْلك المنبر ؟ ألتقصير منى فى أمرك أو لتقصير المنصور كان فى أمر أبيك ؟ لولا أن الخليفة

* من هنا تبدأ المقابلة على نسخة د .

إذا وهب شيئًا استحيا أن يرجع فيه لكان أقرَب شيء بيى وبينك إلى الأرض رأسك ، قمْ وإياك ما عدت .

٣/١٠٤١ قال : فخرج محمد بن أبي العباس ، ومضى إلى طاهر بن الحسين — وهو زوج أخته — فقال له : كان من قصّتي كيت وكيت ؛ وكان يحجب المأمون على النبيذ فتْح الخادم ، وياسر يتولى الخِلَع ، وحسين يسقى ، وأبو مريم غلام سعيد الجوهرىّ يختلف فى الحوائج . فركب طاهر إلى الدار ؛ فدخل فتح ، فقال : طاهر بالباب ؛ فقال : إنه ليس من أوقاته ، ائذن له : فدخل طاهر فسلّم عليه ، فردّ عليه السلام ، وقال : اسقوه رِطلا ، فأخذه فى يده اليمنى ، وقال له : اجلس ، فخرج فشربه ثم عاد ، وقد شرب المأمون رطلا آخر ، فقال : اسقوه ثانيًا ، ففعل كفعله الأول ، ثم دخل ، فقال له المأمون : اجلس ، فقال يا أميرَ المؤمنين ؛ ليس لصاحب الشرطة أن يجلس بين يدى سيّده ، فقال له المأمون : ذلك فى مجلس العامة ، فأما مجلس الخاصة فطلقٌ ، قال : وبكى المأمون ، وتغرغرت عيناه ، فقال له طاهر : يا أميرَ المؤمنين ؛ لِمَ تبكى لا أبكى الله عينيك! فوالله لقد دانتْ لك البلاد ، وأذعن لك العباد ، وصرتَ إلى المحبّة فى كلّ أمرك . فقال: أبكى لأمر ذِكرُه ذلّ ، وستره حزن ، ولن يَخلُوَ أحد من شَجَن ؛ فتكلّم بحاجة إن كانت لك ، قال : يا أمير المؤمنين ، محمد بن أبى العباس أخطأ فأقِلْه عثْرتَه ، وارض عنه . قال : قد رضيت عنه ، وأمرتُ بصلته ، وردَدتُ عليه مرتبته ؛ ولولا أنّه ليس من أهل الأنس لأحضرتُه .

٣/١٠٤٢ قال : وانصرف طاهر ، فأعلم ابن أبى العباس ذلك ، ودعا بهارون بن جبغويه(١) ؛ فقال له : إن للكتّاب عشيرة ، وإن أهل خُراسان يتعصّب بعضهم لبعض ؛ فخذ معك ثلثمائة ألف درهم ، فأعطِ الحسينَ الخادم مائتى ألف ، وأعط كاتبه محمد بن هارون مائة ألف ، وسلْه أن يسأل المأمون: لم بكى ؟ قال : ففعل ذلك ، قال : فلما تغدّى قال : يا حسين اسقنى ، قال : لا والله

(١) ط : « جيغوبه » ، تصحيف ، وفى ابن الأثير : « جيعونه » .

لأسقينّك أو تقول لى : لِمَ بكيت حين دخل عليك طاهر ؟ قال : يا حسين ، وكيف عُنيتَ بهذا حتى سألتَنى عنه ! قال : لغمّى بذاك، قال : يا حسين هو أمرٌ إن خرج من رأسك قتلتُك ، قال : يا سيّدى ، ومتى أخرجتُ لك سرًّا ! قال : إنى ذكرت محمداً أخى ، وما ناله من الذلة ، فخنقتنى العَبْرة فاسترحت إلى الإفاضة ، ولن يفوت طاهرًا منّى ما يكره . قال : فأخبر حسين طاهرًا بذلك ؛ فركب طاهر إلى أحمد بن أبى خالد ، فقال له : إن الثناء منّى ليس برخيص، وإنّ المعروف عندى ليس بضائع ، فغيِّبْنِى عن عينه ، فقال له : سأفعل ، فبكِّرْ إلىّ غدًا . قال : فركب ابنُ أبى خالد إلى المأمون ، فلما دخل عليه قال : ما نمتُ البارحة ، فقال : لِمَ ويحك ! فقال : لأنك ولّيتَ غَسَّان خراسان ، وهو ومَنْ معه أكَلَةُ رأس ،فأخاف أن يخرج عليه خارجة من الترك فتصطلمه ، فقال له : لقد فكرتُ فيما فكرتَ فيه ، قال : فمن ترى ؟ قال : طاهر بن الحسين ، قال : ويلك يا أحمد ! هو والله خالع ، قال : أنا الضامن له ، قال : فأنفِذْه ، قال : فدعا بطاهر من ساعته، فعقد له ؛ فشخص من ساعته، فنزل فى بستان خليل بن هاشم ، فحمل إليه فى كلّ يوم ما أقام فيه مائة ألف . فأقام شهراً ، فحمل إليه عشرة آلاف ألف ، التى تحمَل إلى صاحب خراسان . ١٠٤٣/٣

قال أبوحسان الزيادىّ: وكان قد عقد له على خُراسان والجبال من حلوان إلى خُراسان ، وكان شخوصُه من بغداد يوم الجمعة لليلة بقيت من ذى القعدة سنة خمس ومائتين ، وقد كان عسكر قبل ذلك بشهرين ، فلم يزل مقيماً فى عسكره . قال أبو حسان : وكان سبب ولايته — فيما اجتمع الناس عليه — أن عبدَ الرحمن المطّوّعىّ جمع جموعًا بنيسابور ليقاتل بهم الحروريّة بغير أمر والى خراسان ، فتخوّفوا أن يكون ذلك لأصل عمله عليه . وكان غسان بن عبّاد يتولى خراسان من قبَل الحسن بن سهل ، وهو ابن عم الفضل بن سهل .

وذكر عن علىّ بن هارون أن طاهر بن الحسين قبل خروجه إلى خُراسان وولايته لها ، ندبه الحسن بن سهل للخروج إلى محاربة نصر بن شبث، فقال :

حاربتُ خليفة ، وسقتُ الخلافة إلى خليفة ، وأومر بمثل هذا ! وإنما كان ينبغي أن توجّه لهذا قائداً من قوّادى ؛ فكان سبب المصارمة بين الحسن وطاهر .

٣/١٠٤٤ قال : وخرج طاهر إلى خراسان لما تولاّها ، وهو لا يكلم الحسن بن سهل ، فقيل له فى ذلك ، فقال : ما كنت لأحلّ عقدة عقدها لى فى مصارمته .

* * *

وفى هذه السنة ورد عبد الله بن طاهر بغداد منصرفاً من الرّقة ، وكان أبوه طاهر استخلفه عليها ، وأمره بقتال نصر بن شبَث ، وقدم يحيى بن معاذ فولاّه المأمون الجزيرة .

وفيها ولّى المأمون عيسى بن محمد بن أبى خالد أرمينيَةَ وأذربيجان ومحاربة بابك .

وفيها مات السرىّ بن الحكَم بمصر ، وكان واليها .

وفيها مات داود بن يزيد عامل السند ، فولاّها المأمون بشر بن داود علَى أن يحمَل إليه فى كلّ سنة ألف ألف درهم .

وفيها ولّى المأمون عيسى بن يزيد الجُلودىّ محاربة الزّطّ .

وفيها شخص طاهر بن الحسين إلى خُراسان فى ذى القعدة ، وأقام شهرين حتّى بلغه خروج عبد الرحمن النيسابورىّ المطوّعِىّ بنيسابور ، فشخص ووافى التّغُرْغُزْيّة أشْرُوسنَةَ .

وفيها أخذ فرج الرُّخّجىّ عبد الرحمن بن عمار النيسابورىّ .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبيد الله بن الحسن ، وهو والى الحَرمين .

ثم دخلت سنة ست ومائتين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك تولية المأمون داود بن ماسجور محاربة الزّطّ وأعمال البصرة وكُور دجلة واليمامة والبحرين . ٣/١٠٤٥

وفيها كان المدّ الذى غرق منه السواد وكَسْكر وقطيعة أم جعفر وقطيعة العباس وذهب بأكثرها .

وفيها نَكَبَ بابك بعيسى بن محمد بن أبى خالد .

* * *

[ولاية عبد الله بن طاهر على الرّقة]

وفيها ولّى المأمون عبد الله بن طاهر الرّقة لحرب نصر بن شَبَث ومُضَر.

* ذكر الخبر عن سبب توليته إياه :

وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر — أن يحيى بن معاذ كان المأمون ولاّه الجزيرة؛ فمات فى هذه السنة، واستخلف ابنه أحمد على عمله ، فذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، أنّ المأمون دعا عبد الله بن طاهر فى شهر رمضان ، فقال بعض : كان ذلك فى سنة خمس ومائتين ، وقال بعض: فى سنة ست . وقال بعض: فى سنة سبع . فلما دخل عليه ، قال: يا عبد الله أستخير الله منذ شهر ، وأرجو أن يخير الله لى ، ورأيت الرّجل يصف ابنه ليطرّيه لرأيه فيه ، وليرفعه ، ورأيتُك فوق ما قال أبوك فيك ، وقد مات يحيى ابن معاذ، واستخلف ابنه أحمد بن يحيى ، وليس بشىء ، وقد رأيت توليتَك مُضر ومحاربة نصر بن شبَث، فقال : السمع والطاعة يا أميرَ المؤمنين ، وأرجو أن يجعل الله الخيرة لأمير المؤمنين وللمسلمين .

قال : فعقَد له ، ثم أمر أن تقطع حبال القصّارين عن طريقه، وتُنحّى عن الطرقات المظالّ ، كيلا يكون فى طريقه ما يردّ لواءه ،ثم عقد له لواء ٣/١٠٤٦

مكتوبًا عليه بصُفرة ما يكتب على الألوية؛ وزاد فيه المأمون: «يا منصور» ، وخرج ومعه الناس فصار إلى منزله ؛ ولما كان من غدٍ ركب إليه الناس ، وركب إليه الفضل بن الربيع ؛ فأقام عنده إلى الليل ؛ فقام الفضل ، فقال عبد الله : يا أبا العباس ، قد تفضّلت وأحسنت ، وقد تقدّم أبى وأخوك إلىّ ألاّ أقطعَ أمرًا دونَك ، وأحتاج أن أستطلع رأيك ، وأستضىء بمشورتك ؛ فإن رأيتَ أن تقيم عندى إلى أن نُفطر فافعل .

فقال له : إن لى حالات ليس يمكننى معها الإفطار ها هنا . قال : إنْ كنت تكره طعام أهل خُراسان فابعث إلى مطبخك يأتون بطعامك، فقال له: إن لى ركعات بين العشاء والعَتَمة ، قال : فى حفظ الله ؛ وخرج معه إلى صحن داره يشاوره فى خاصّ أموره .

وقيل : كان خروج عبد الله الصحيح إلى مُضر؛ لقتال نصر بن شبث بعد خروج أبيه إلى خراسان ، بستّة أشهر .

* * *

[وصية طاهر إلى ابنه عبد الله]

وكان طاهر حينَ ولى ابنُه عبد الله ديار ربيعة ، كتب إليه كتابًا نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

عليك بتقوى الله وحدَه لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ومزايلةَ سخطه وحفظ رعيّتك ، والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ؛ وموقوف عليه ، ومسئول عنه ؛ والعمل فى ذلك كله بما يعصمك الله ، وينجّيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه؛ فإنّ الله قد أحسن إليك وأوجبَ عليك الرّأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذّب عنهم ، والدّفع عن حريمهم وبَيْضتهم ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم ، وإدخال الرّاحة عليهم فى معايشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقِفك عليه ، ومُسائلك عنه ، ومُثيبك عليه بما قدّمتَ ٣/١٠٤٧

وأخَّرتَ ؛ ففرِّغ لذلك فكرَك وعقلَك وبصرَك ورؤيتَك، ولايذْهلك[1] عنه ذاهل ، ولا يَشْغَلك عنه شاغل ؛ فإنه رأس أمرِك ، ومِلاك شأنك ، وأوّل ما يوفّقك الله به لرشدك .

وليكن أوّل ما تلزم به نفسَك، وتَنسب إليه فعالك ؛ المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبَلك فى مواقيتها على سننها ؛ فى إسباغ الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها. وترتّل فى قراءتك ، وتمكّن فى ركوعك وسجودك وتشهّدك ، ولتصْدُق فيها لربك نيتُّك[2] . واحضض عليها جماعةَ مَنْ معك وتحت يدك ، وادأب عليها فإنها تأمُرُ بالمَعْروفِ وتَنْهَى عَنِ المُنكَرِ . ثم أتبعْ ذلك الأخذ بسُنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ؛ وإذا ورد عليك أمر فاستعنْ عليه باستخارة الله وتقواه ولزوم ما أنزل الله فى كتابه ؛ من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وائتمام ما جاءت به الآثار على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قم فيه بما يحقّ لله عليك ، ولا تَمِلْ عن العدل فيما أحببتَ أو كرهتَ لقريب من الناس أو بعيد . وآثر الفقه وأهله ، والدِّين وحَمَلته ، وكتاب الله والعاملين به ؛ فإن أفضل ما تَزيَّنَ به المرء الفقهُ فى دين الله ، والطلب له ، والحثّ عليه ، والمعرفة بما يتقرب فيه منه إلى الله ؛ فإنه الدّليل على الخير كله ، والقائد له ، والآمر به ، والناهى عن المعاصى والموبقات كلها . وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفةً بالله عزّ وجلّ ، وإجلالا له ، ودركاً للدرجات العلا فى المعاد ؛ مع ما فى ظهوره للناس من التوقير لأمرك ، والهيبة لسلطانك ، والأنَسة بك والثقة بعدلك .

٣/١٠٤٨

وعليك بالاقتصاد فى الأمور كلها ؛ فليس شىء أبينَ نفعًا ، ولا أحضر[3] أمنًا ، ولا أجمعَ فضلاً من القصد ، والقصدُ داعية إلى الرشد ، والرشد دليل على التّوفيق ، والتوفيق منقاد إلى السّعادة. وقوامُ الدين والسّنن الهادية بالاقتصاد ،

٣/١٠٤٩

(١) ذهلت على الشىء : غفلت ، وقد يتعدى بنفسه .
(٢) ابن الأثير : « وليصدق فيه رأيك ونيتك » .
(٣) ابن الأثير : « أخص » .

فآثره فى دنياك كلها ، ولا تقصّر فى طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة ، ومعالم الرّشد فلا غايةَ للاستكثار من البرّ والسعى له ؛ إذا كان يُطلَب به وجه الله ومرضاته ، ومرافقة أوليائه فى دار كرامته .

واعلم أن القصد فى شأن الدنيا يورث العزّ ، ويحصّن من الذنوب ، وإنك لن تحوط نفسك ومَنْ يليك ، ولا تستصلح أمورَك بأفضلَ منه ، فأته واهتدِ به ، تتمّ أمورك ، وتزْدَدْ مقدرتُك ، وتصلح خاصّتك وعامتك .

وأحسن الظنّ بالله عزّ وجلّ تستقمْ لك رعيّتك ، والتمس الوسيلة إليه فى الأمور كلّها تستدم به النعمة عليك ؛ ولا تُنهض[١] أحداً من الناس فيما تولّيه من عملك قبل تكشف أمره بالتهمة ؛ فإنّ إيقاع التّهم بالبرآء[٢] والظنون السيئة بهم مأثم . واجعل من شأنك حسن الظنّ بأصحابك ، واطرد عنهم سوء الظنّ بهم ، وارفضه عنهم يُعنك[٣] ذلك على اصطناعهم ورياضتهم . ولا يجدنّ عدوّ الله الشيطان فى أمرك مغمَزاً ، فإنه إنما يكتفى بالقليل من وَهنك فيدخل عليك من الغمّ فى سوء الظنّ ما ينغصك لذاذة عيشك .

٣/١٠٥٠

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوةً وراحة ، وتكفى به ما أحببت كفايته من أمورك ، وتدعو به الناس إلى محبّتك والاستقامة فى الأمور كلها لك . ولا يمنعْك حسنُ الظنّ بأصحابك والرأفة برعيّتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك ، والمباشرة لأمور الأولياء ، والحياطة للرّعيّة والنظر فيما يقيمها ويصلحها ؛ بل لتكن المباشرة لأمورِ الأولياء والحياطة للرعية والنظر فى حوائجهم وحمل مؤوناتهم آثرَ عندك مما سوى ذلك ؛ فإنه أقوم للدين ، وأحيا للسنة .

وأخلص نيّتك فى جميع هذا ، وتفرّد بتقويم نفسك تفرّدَ من يعلم أنه مسئولٌ عما صنع ، ومجزىٌّ بما أحسن ، ومأخوذ بما أساء ؛ فإن الله جعل الدين حرْزاً وعزّاً ، ورفع من اتّبعه وعزّزه ، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهجَ الدين وطريقة الهدى . وأقم حدود الله فى أصحاب الجرائم على قدر منازلهم ، وما استحقّوه . ولا تُعَطّلْ ذلك ولا تهاون به . ولا تؤخّر عقوبة أهل العقوبة ؛ فإنّ فى تفريطك

(١) ابن الأثير : « ولا تتهمن » .
(٢) ابن الأثير : « بالبداء » .
(٣) ابن الأثير : « يغنك » .

فى ذلك لمَا يفسد عليك حسنَ ظنك .

واعزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفة ، وجانب الشُّبَه والبدعات ، يسلَمْ لك دينك ، وتقم لك مروءتك . وإذا عاهدتَ عهداً فَفِ به ، وإذا وعدت الخير فأنجزه ؛ واقبل الحسنة ، وادفع بها ، واغمض عن عيْب كلِّ ذى عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزُّور ، وابغض أهلَه ، وأقص أهلَ النميمة ؛ فإنّ أوّل فساد أمرك فى عاجل الأمور وآجلها تقريب الكذوب والجرأة على الكذب ؛ لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنميمة خاتمتها ؛ لأن النميمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم لمطيعها أمر .

٣/١٠٥١

وأحبّ أهلَ الصدق والصلاح ، وأعن الأشراف بالحق ، وواصل الضعفاء ، وصل الرَّحِم ، وابتغ بذلك وجْه الله وعزّة أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة .

واجتنب سوءَ الأهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، وأظهر براءتك من ذلك لرعيّتك ؛ وأنعم بالعدل سياستهم ، وقم بالحقّ فيهم وبالمعرفة التى تنتهى بك إلى سبيل الهدى . واملُك نفسك عند الغضب ، وآثر الوقار والحلْم ، وإيّاك والحدّة والطِّيَرة والغرور فيما أنت بسبيله .

وإياك أن تقول إنّى مسلّط أفعل ما أشاء ؛ فإن ذلك سريع فيك إلى نقص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده لاشريك له . وأخلص لله النيّة فيه واليقين به ؛ واعلم أن الملك لله يعطيه من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ولن تجد تغيّر النعمة وحلول النقمة إلى أحدٍ أسرع منه إلى حملة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم فى الدولة إذا كفروا بنعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله . ودعْ عنك شرَه نفسك . ولتكن ذخائرك وكنوزك التى تدّخر وتكنز البرّ والتقوى والمعدلة واستصلاح الرّعية ، وعمارة بلادهم ، والتفقد لأمورهم ، والحفظَ لدهمائهم ، والإغاثة لملهوفهم .

٣/١٠٥٢

واعلم أن الأموال إذا كثُرت وذُخّرتْ فى الخزائن لا تثمر ؛ وإذا كانت فى إصلاح الرّعية وإعطاء حقوقهم وكفّ المؤنة عنهم نمتْ وربتْ ، وصلَحت

به العامة ، وتزينت الولاة ، وطاب به الزمان ، واعتقد فيه العزّ والمنعة ؛ فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال فى عمارة الإسلام وأهله ، ووفّرْ منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوْفِ رعيتك من ذلك حصصهم ، وتعهّد ما يصلح أمورهم ومعايشهم ؛ فإنك إذا فعلتَ ذلك قرّت النعمة عليك ، واستوجبتَ المزيد من الله ، وكنتَ بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيتك وعملك أقدَر ، وكان الجمع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس ٣/١٠٥٣ لطاعتك ، وأطيب أنفساً لكلّ ما أردت .

فاجهد[١] نفسك فيما حددتُ لك فى هذا الباب ، ولتعظم حسبتك[٢] فيه ؛ فإنما يبقى من المال ما أنفق فى سبيل حقه ، واعرف للشاكرين شكرَهم وأثبهم عليه . وإياك أن تنسيَك الدنيا وغرورُها هولَ الآخرة فتتهاون بما يحقّ عليك ؛ فإنّ التهاون يوجب التفريط ، والتفريط يورث البوار . وليكن عملك لله وفيه تبارك وتعالى ، وارجُ الثوابَ ؛ فإنّ الله قد أسبغ عليك نعمته فى الدنيا ، وأظهر لديك فضلَه ؛ فاعتصم بالشكر ، وعليه فاعتمد يزدك الله خيراً وإحساناً ، فإنّ الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ؛ وقضِّ الحقّ فيما حمل من النعم ، والبس من العافية والكرامة . ولا تحقرنّ ذنباً ، ولا تمايلن حاسداً ، ولا ترحمنّ فاجراً ، ولا تصلنّ كفُوراً ، ولا تداهننّ عدوّاً ، ولا تصدقنّ نماماً ، ولا تأمننّ غدّاراً ؛ ولا تواليَنّ فاسقاً ، ولا تتبعنّ غاوياً[٣] ، ولا تحمدنّ مرائياً ، ولا تحتقرنّ إنساناً ، ولا تردنّ سائلا فقيراً ، ولا تجيبنّ[٤] باطلا ، ولا تلاحظنّ مضحكاً ، ولا تخلفنّ وعداً ، ولا ترهبنّ فُجَّراً[٥] ، ولا تعملنّ غضباً ، ولا تأتينّ بذخاً ، ولا تمشينّ مَرحاً[٦] ، ولا تركبنّ سفهاً ، ولا تفرّطنّ ٣/١٠٥٤ فى طلب الآخرة ، ولا تدفع الأيام عياناً[٧] ، ولا تغمضنّ عن الظالم رهبةً أو مخافة ، ولا تطلبنّ ثواب الآخرة بالدنيا . وأكثرْ مشاورةَ الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلْم ، وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرّأى والحكمة ؛

---

(١) ابن الأثير : « واجهد » .
(٢) ابن الأثير : « حسنتك » .
(٣) ابن الأثير : « ولا تبتغين عاديًا » .
(٤) ابن الأثير : « ولا تجبق » .
(٥) ابن الأثير : « فاجراً » .
(٦) ابن الأثير : « لا تأسن مدحاً » .
(٧) ابن الأثير : « ولا تدفع الأنام عتاباً » .

ولا تُدخلنّ فى مشورتك أهل الدِّقة(١) والبخل ، ولا تسمعنّ لهم قولاً ؛ فإنّ ضرَرهم أكثر من منفعتهم . وليس شىء أسرع فساداً لما استقبلت فى أمر رعيتك من الشحّ . واعلم أنك إذا كنت حريصًا كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ؛ وإذا كنت كذلك لم يستقمْ لك أمرك إلاّ قليلا ؛ فإن رعيّتك إنما تعتقد على محبّتك بالكفّ عن أموالهم وترك الجوْر عنهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك بالإفضال عليهم وحسن العطيّة لهم ، فاجتنب الشحّ ، واعلم أنه أول ما عَصَى به الإنسان ربّه ، وأن العاصى بمنزلة خزى ؛ وهو قول الله عز وجل : ﴿ ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئكَ هُمُ المفلِحون ﴾(٢) ؛ فسهِّل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم من نيّتك حظًّا ونصيبًا ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد، فاعدده لنفسك خُلقاً ، وارض به عملا ومذهبًا . ٣/١٠٥٥

وتفقّد أمور الجند فى دواوينهم ومكاتبهم، وأدرر عليهم أرزاقهم ، ووسّع عليهم فى معايشهم ؛ ليُذهبَ بذلك الله فاقتهم ، ويقومَ لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم فى طاعتك وأمرك خلوصًا وانشراحًا ، وحسب ذى سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيّته رحمةً فى عدله وحيطته وإنصافه وعنايته وشفقته وبرّه وتوسعته ؛ فزايل مكروه إحدى البليّتين باستشعار تكملة الباب الآخر ، ولزوم العمل به تلقَ إن شاء الله نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً .

واعلم أنّ القضاء من الله بالمكان الذى ليس به شىء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذى تعتدل عليه الأحوال فى الأرض ، وبإقامة العدل فى القضاء والعمل، تصلح الرعيّة ، وتأمن السبل ، وينتصف المظلوم، ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ، ويؤدّى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجرى السنن والشرائع ، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل فى القضاء .

٣/١٠٥٦ واشتدّ فى أمر الله، وتورّع عن النَّطَف(٣) وامض لإقامة الحدود، وأقلل العجلة ،وأبعد من الضّجر والقلق ، واقنع بالقَسْم ، ولتسكن ريحك، ويقرّ جدُّك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه فى صمتك ، واسددْ فى منطقك ، وأنصف الخصم ،

---

(١) ابن الأثير : « أهل الذمة » . (٢) سورة التغابن ١٦ .
(٣) النطف : العيب والفساد ، وفى ابن الأثير « القصف » .

وقف عند الشُّبهة ، وأبلغ فى الحجة ، ولا يأخذْك فى أحدٍ من رعيتك محاباة ولا محاماة ، ولا لوم لائم ، وتثبّت وتأنّ ، وراقب وانظر ، وتدبّر وتفكر ، واعتبر ، وتواضع لربك ، وارأف بجميع الرعية ، وسلّط الحقّ على نفسك[١] ، ولا تُسرعنّ إلى سفك دم — فإن الدماء من الله بمكان عظيم — انتهاكًا لها بغير حقها .

وانظر هذا الخراج الذى قد استقامت عليه الرعيّة ، وجعله الله للإسلام عزًّا ورفعة ، ولأهله سعة[٢] ومنَعة ، ولعدوّه وعدوهم كَبْتًا وغيظًا ، ولأهل الكفر من معاهدتهم[٣] ذلاً وصَغارًا ، فوزِّعه بين أصحابه بالحقّ والعدْل ، والتسوية والعموم فيه ، ولا ترفعنّ منه شيئًا عن شريف لشرفه ، وعن غنىٍّ لغناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا أحدٍ من خاصّتك . ولا تأخذنّ منه فوق الاحتمال له ، ولا تكلفنّ أمرًا فيه شطط . واحمل الناس كلَّهم على مرّ الحق ؛ فإنّ ذلك أجمعُ لألْفتهم[٤] وألزمُ لرضا العامة . واعلم أنك جُعلت بولايتك خازنًا وحافظاً وراعياً ، وإنما سُمِّى أهل عملك رعيّتك ؛ لأنك راعيهم وقيّمهم ؛ تأخذ منهم ما أعطوْك من عفوهم ومقدرتهم ، وتنفقه فى قوام أمرهم وصلاحهم ، وتقويم أوَدهم ؛ فاستعمل عليهم فى كُور عملك ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعَفاف ، ووسِّع عليهم فى الرزق ؛ فإنّ ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلّدت وأسند إليك ، ولا يشغلنّك عنه شاغل ، ولا يصرفنّك عنه صارف ؛ فإنك متى آثرته وقُمْت فيه بالواجب استدعيتَ به زيادة النعمة من ربّك ، وحسن الأحدوثة فى أعمالك ، واحترزتَ النصيحة[٥] من رعيّتك ، وأعنت على الصلاح ، فدرّت الخيرات ببلدك ، وفشت العمارة بناحيتك ، وظهر الخِصْب فى كُورك ، فكثر خراجُك ، وتوفَّرَت أموالك ، وقويتَ بذلك على ارتباط جندك ، وإرضاء العامة بإقامة[٦] العطاء فيهم من نفسك ، وكنت محمودَ السياسة ، مرضىّ العدل فى ذلك عند عدوّك ، وكنت فى أمورك كلها

٣/١٠٥٧

(١) ابن الأثير : « فتسلط الحق على نفسك » .
(٢) ابن الأثير : « توسعة » .
(٣) ابن الأثير : « من معانديهم » .
(٤) ابن الأثير : « لآفهم » .
(٥) ابن الأثير : « المحبة » .
(٦) ابن الأثير : « يا فاضة » .

ذا عدل وقوّة ، وآلة وعدّة ، فنافس فى هذا ولا تقدّم عليه شيئًا تحمد مغبة أمرك إن شاء الله .

واجعل فى كلّ كورة من عملك أمينًا يخبرك أخبارَ عمّالك ، ويكتب إليك بسيرتهم وأعمالهم ؛ حتى كأنك مع كلّ عامل فى عمله ، معاينٌ لأمره كلّه . وإن أردت أن تأمره بأمر فانظر فى عواقب ما أردت من ذلك ؛ فإن رأيت السَّلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسنَ الدفاع والنصح والصنع فأمضه ؛ وإلا فتوقّف عنه . وراجع أهل البصر والعلم ، ثم خذ فيه عدّته ؛ فإنه ربما نظر الرجل فى أمرٍ من أمره قد واتاه[1] على ما يهوى ، فقوّاه[2] ذلك وأعجبه ، وإن لم ينظر فى عواقبه أهلكه ، ونقضَ عليه أمرَه . ٣/١٠٥٨

فاستعمل الحزْم فى كلّ ما أردت ، وباشره بعد عون الله بالقوّة ، وأكثر استخارة ربّك فى جميع أمورك ، وافرغ من عمل يومك ولا تؤخّره لغدك ؛ وأكثر مباشرته بنفسك ؛ فإن لغدٍ أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى أخّرْت . واعلم أنّ اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، وإذا أخّرت عمله اجتمع عليك أمر يومين ، فشغلك ذلك حتى تعرض عنه ؛ فإذا أمضيتَ لكلّ يوم عملَه أرحْتَ نفسَك وبدَنك ، وأحكمت أمور سلطَانك .

وانظر أحرارَ الناس وذوِى الشرف منهم ، ثم استيقنْ صفاء طويّتهم وتهذيبَ مودّتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك ؛ فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهَدْ أهلَ البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مؤْنتهم ، وأصلح حالهم ؛ حتى لا يجدوا لخلّتهم[3] مسًّا . وأفرد نفسك للنظر فى أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظلمة إليك . والمحتقر الذى لا علم له بطلب حقه ؛ فاسأل عنه أحفَى مسألة ، ووكّل بأمثاله أهلَ الصلاح من رعيّتك ، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله أمرهم . وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم وأراملَهم ، واجعل لهم أرزاقًا من بيت المال اقتداءً بأمير المؤمنين أعزّه الله ، فى العَطْف عليهم ، والصلة لهم ، ليصلح ٣/١٠٥٩

(١) ابن الأثير : « أتاه » . (٢) ابن الأثير : « فأغواه » .
(٣) الخلة : الحاجة .

الله بذلك عيشُهم ويرزقك به بركة وزيادة . وأجْرِ للأضرّاء من بيت المال ، وقدّم حـَملة القرآن منهم والحافظين لأكثره فى الجراية[١] على غيرهم ، وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم ، وقـُوّامًا يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤدّ ذلك إلى سرف فى بيت المال . واعلم أنّ الناس إذا أعطـُوا حقوقـَهم وأفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ، ولم تطـِب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى وُلاتهم طمعًا فى نيل الزيادة ، وفضل الرفق منهم ، وربما برِم[٢] المتصفح لأمور الناس لكثرة ما يرد عليه ، ويشغل فكره وذهنه منها ما يناله به مؤنة ومشقة ؛ وليس مـَنْ يرغب فى العدل ، ويعرف محاسن أموره فى العاجل وفضل ثواب الآجل ؛ كالذى يستقبل ما يقرّبه إلى الله ، ويلتمس رحمته به . وأكثـر الإذن للناس عليك ، وأبرز لهم وجهـَك ، وسكّـِنْ لهم أحراسك[٣] ، واخفض لهم جناحك ، وأظهر لهم بشرَك ، ولِنْ لهم فى المسألة والمنطق ، واعطـف عليهم بجودك وفـَضْلك ؛ وإذا أعطيتَ فأعْطِ بسماحة وطيب نفس ، والتمس الصنيعة والأجر غيرَ مكدّر ولامنـّان ؛ فإن العطيـّة على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله . ٣/١٠٦٠

واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومـَن مضى من قـَبـْلك من أهل السلطان والرياسة فى القرون الخالية والأمم البائدة ؛ ثم اعتصم فى أحوالك كلـّها بأمر الله ، والوقوف عند محبـّته ، والعمل بشريعته وسنته وإقامة دينه وكتابه ؛ واجتنب ما فارق ذلك وخالفـَه ، ودعا إلى سخط الله . واعرف ما يـَجمع عُمـّالـُك من الأموال وينفقون منها . ولا تجمعْ حرامًا ، ولا تنفق إسرافًا ، وأكثر مجالسةَ العلماء ومشاورتـَهم ومخالطتهم . وليكن هواك اتـّباع السنن وإقامتها ، وإيثار مكارم الأمور ومعاليها ؛ وليكن أكرم دُخلائك وخاصّتك عليك مـَنْ إذا رأى عيبًا فيك لم تمنعه هيبتـُك من إنهاء ذلك إليك فى سرّ ، وإعلامك ما فيه من النقص ؛ فإن أولئك أنصحُ أوليائك ومظاهريك .

وانظر عمـّالك الذين بحضرتك وكتـّابـَك ؛ فوقـّتْ لكلّ رجل منهم فى كلّ

---

(١) ابن الأثير : « الجرائد » . (٢) ابن الأثير : « تبرم » .
(٣) ابن الأثير : « حراسك » .

يوم وقتًا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامرته ، وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر كُورك ورعيتك ، ثم فرّغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك ، وكرّر النظر إليه والتدبير له ؛ فما كان موافقًا للحزم والحق فأمضه ٣/١٠٦١ واستخر الله فيه ، وما كان مخالفًا لذلك فاصرفه إلى التثبّت فيه ، والمسألة عنه .

ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم ، ولا تقبل من أحد منهم إلاّ الوفاء والاستقامة والعوْن فى أمور أمير المؤمنين ، ولا تَضَعَنّ المعروف إلاّ على ذلك .

وتفهم كتابى إليك ، وأكثر النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره ، فإن الله مع الصلاح وأهله ؛ وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان لله رضًا ولدينه نظامًا ، ولأهله عزًّا وتمكينًا ؛ وللذمة والملة عدلاً وصلاحًا .

وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءك[1] ، وأن يُنزل عليك فضله ورحمتَه بتمام فضله عليك وكرامته لك ؛ حتى يجعلك أفضَل مثالك نصيبًا ، وأوفرهم حظًّا ، وأسناهم ذكراً ، وأمراً ، وأن يهلك عدوّك ومَنْ ناوأك وبغى عليك ، ويرزقك من رعيّتك العافية ، ويحجز الشّيطان عنك وساوسه ، حتى يستعلى أمرُك بالعزّ والقوّة والتوفيق ، إنه قريب مجيب .

* * *

وذكر أن طاهراً لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه ، وتدارسوه وشاع أمره ؛ حتى بلغ المأمون فدعا به وقرئ عليه ، فقال : ما بقّى أبو الطيّب شيئًا من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى والسياسة وإصلاح الملك ٣/١٠٦٢ والرعيّة وحفظ البَيْضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلاّ وقد أحكَمه ، وأوصى به وتقدم ؛ وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال فى نواحى الأعمال .

وتوجّه عبد الله إلى عمله فسار بسيرته ، واتبع أمره وعمل بما عهد إليه .

---

(١) ابن الأثير : « وكلاءتك » .

وفى هذه السنة ولّى عبد الله بن طاهر إسحاق بن إبراهيم الجسرين ، وجعله خليفتَه على ما كان طاهر أبوه استخلفه فيه من الشُّرَط وأعمال بغداد ؛ وذلك حينَ شخص إلى الرّقّة لحرب نصر بن شبث .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبيد الله بن الحسن ؛ وهو والى الحرميْن .

ثم دخلت سنة سبع ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خروج عبد الرحمن بن أحمد العلَوىّ باليمن]

فمن ذلك خروجُ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ بن أبى طالب ببلاد عكّ من اليمن يدعو إلى الرضىّ من آل محمد صلى الله عليه وسلم .

* ذكر الخبر عن سبب خروجه :

وكان السبب فى خروجه أنّ العمال باليمن أساءوا السيرة ، فبايعوا عبدالرحمن هذا ، فلما بلغ ذلك المأمون وَجّه إليه دينار بن عبد الله فى عسكر كثيفٍ ، وكتب معه بأمانِه ، فحضر دينار بن عبد الله الموسم وحجّ ، فلما فرغ من حجّه سار إلى اليمن حتّى أتى عبد الرحمن ، فبعث إليه بأمانه من المأمون؛ فقبل ذلك ، ودخل ووضع يده فى يد دينار ، فخرج به إلى المأمون ، فمنع المأمون عند ذلك الطالبين من الدخول عليه، وأمر بأخذهم بلبس السواد؛ وذلك يوم الخميس لليلة[1] بقيت من ذى القعدة . ١٠٦٢/٣

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة طاهر بن الحسين]

وفى هذه السنة كانت وفاة طاهر بن الحسين .

* ذكر الخبر عن وفاته :

ذكر عن مطهّر بن طاهر ، أنّ وفاة ذى اليمينين كانت من حمّى وحرارة أصابته ، وأنه وُجد فى فراشه ميّتاً .

---

(١) ابن الأثير : « لليلتين » .

وذكر أن عمّيه عليّ بن مصعب وأخاه أحمد بن مصعب، صارا إليه يعودانه، فسألا الخادم عن خبره – وكان يغلّس[1] بصلاة الصّبح – فقال الخادم: هو نائم لم ينتبه، فانتظراه ساعة، فلما انبسط الفجر، وتأخّر عن الحركة فى الوقت الذى كان يقوم فيه للصلاة، أنكرا ذلك، وقالا للخادم: أيقظْه، فقال الخادم: لست أجسرُ على ذلك، فقالا له: اطرق لنا لندخل إليه، فدخلا فوجداه ملتفًّا فى دُواج[2]، قد أدخله تحته، وشدّه عليه من عند رأسه ورجليه، فحركاه فلم يتحرّك، فكشفا عن وجهه فوجداه قد مات. ولم يعلما الوقت الذى توفّيَ فيه، ولا وقف أحد من خدمه على وقت وفاته؛ وسألا الخادم عن خبره وعن آخر ما وقف عليه منه؛ فذكر أنه صلى المغرب والعشاء الآخرة، ثم التفّ فى دُواجه. قال الخادم: فسمعتُه يقول بالفارسية كلامًا وهو «دِرْمَرْكْ ينزمَرْدِى وَيَدْ»؛ تفسيره أنه يحتاج فى الموت أيضًا إلى الرّجلة.

٣/١٠٦٤

وذُكر عن كلثوم بن ثابت بن أبى سعد – وكان يكنى أبا سعدة – قال: كنت على بَريد خُراسان، ومجلسى يوم الجمعة فى أصل المنبر، فلما كان فى سنة سبع ومائتين، بعد ولاية طاهر بن الحسين بسنتين، حضرت الجمعة، فصعد طاهر المنبر، فخطب، فلما بلغ إلى ذكر الخليفة أمسك عن الدّعاء له، فقال: اللهمّ أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك، واكفِها مؤونة مَنْ بغى فيها، وحشد عليها، بلمّ الشعث، وحقْن الدّماء، وإصلاح ذات البين. قال: فقلت فى نفسى: أنا أوّل مقتول؛ لأنى لا أكتم الخبر؛ فانصرفت واغتسلت بغسل الموتى، واتزرت بإزار الموتى، ولبست قميصًا، وارتديت رداء، وطرحت السواد، وكتبت إلى المأمون. قال: فلمّا صلى العصر دعانى، وحدَث به حادث فى جفن عينه وفى مأقه، فخرّ ميتًا. قال: فخرج طلحة ابن طاهر، فقال: ردّوه ردّوه – وقد خرجت – فردّونى، فقال: هل كتبت

(١) يغلس بالصبح: يصليه فى الغلس: وهو آخر ظلمة الليل.

(٢) الدواج، كرمان وغراب: اللحاف.

بما كان ؟ قلت: نعم، قال : فاكتب بوفاته ، وأعطانى خمسمائة ألف ومائتى ثوب ، فكتبت بوفاته وبقيام طلحة بالجيش .

قال : فوردت الخريطة على المأمون بخلعه غدْوة ، فدعا ابنَ أبى خالد فقال له: اشخص : فأتِ به - كما زعمت ، وضمنت - قال : أبيتُ ليلتى ، ٣/١٠٦٥
قال : لا لعمرى لا تبيت إلا على ظَهْر . فلم يزل يناشده حتى أذن له فى المبيت . قال : ووافت الخريطة بموته ليلا ، فدعاه فقال : قد مات ، فمن ترى ؟ قال : ابنه طلحة ، قال : الصواب ما قلت ، فاكتب بتوليته . فكتب بذلك، وأقام طلحة واليًا على خراسان فى أيام المأمون سبع سنين بعد موت طاهر ، ثم توفِّىَ، وولى عبد الله خُراسان - وكان يتولى حرب بابك - فأقام بالدينور ، ووجّه الجيوش ، ووردت وفاة طلحة على المأمون؛ فبعث إلى عبد الله يحيى بن أكثم يعزّيه عن أخيه ويهنئه بولاية خراسان، وولّى علىّ بن هشام حرب بابك .

وذكِر عن العباس أنه قال: شهدت مجلساً للمأمون، وقد أتاه نعىّ الطاهر ، فقال : لليدين وللفم ! الحمد لله الذى قدّمه وأخّرنا .

وقد ذُكر فى أمر ولاية طلحة خراسان بعد أبيه طاهر غير هذا القول ؛ والذى قيل من ذلك ، أنّ طاهراً لما مات - وكان موته فى جمادى الأولى - وثب الجند ، فانتهبوا بعض خزائنه ، فقام بأمرهم سلاّم الأبرش الخصىّ ، فأمر فأعطوا رزق ستة أشهر. فصيّر المأمون عمله إلى طلحة خليفة لعبد الله بن طاهر؛ وذلك أنّ المأمون ولّى عبد الله فى قول هؤلاء بعد موت طاهر عمل طاهر كله - وكان مقيماً بالرَّقة على حرب نصر بن شبَث - وجمع له مع ذلك الشأم، وبعث إليه بعهده على خُراسان وعمل أبيه ؛ فوجّه عبد الله أخاه طلحة بخراسان ، واستخلف بمدينة السلام إسحاق بن إبراهيم ، وكاتب المأمونَ طلحةُ باسمه ، فوجّه المأمون أحمد بن أبى خالد إلى خُراسان للقيام بأمر طلحة ، فشخص ٣/١٠٦٦
أحمد إلى ما وراء النهر ، فافتتح أشْروسَنة ، وأسر كاوس بن خاراخره وابنه الفضل ، وبعث بهما إلى المأمون ، ووهب طلحة لابن أبى خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعَروضًا بألفى ألف، ووهب لإبراهيم بن العباس كاتب أحمد بن أبى خالد خمسمائة ألف درهم .

وفى هذه السنة غلا السعر ببغداد والبصرة والكوفة حتّى بلغ سعر القفيز من الحنطة بالهارونىّ أربعين درهمًا إلى الخمسين بالقفيز الملجَم .

وفى هذه السنة وُلّىَ موسى بن حفص طبرستان والرُّويان ودُنْباوند .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة أبو عيسى بن الرشيد .

ثم دخلت سنة ثمان ومائتين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مصير الحسن بن الحسين بن مصعب من خُراسان إلى كرمان ممتنعًا بها ، ومصير أحمد بن خالد إليه حتّى أخذه ، فقدِم به على المأمون ، فعفا عنه .

وفيها ولّى المأمون محمد بن عبد الرحمن المخزوميّ قضاءَ عسكر المهديّ في المحرّم .

وفيها استعفى محمد بن سماعة القاضي من القضاء فأعفِيَ ، وولّى مكانه إسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة .

وفيها عُزل محمد بن عبد الرحمن عن القضاء بعد أن وُلّيَه فيها في شهر ربيع الأول ، ووليَه بشر بن الوليد الكنديّ ، فقال بعضهم :

يأيُّها الملِكُ الموحِّدُ ربَّهُ قاضيكَ بشرُ بنُ الوليدِ حِمارْ ١٠٦٧/٣

يَنفِي شَهادَةَ مَن يَدِينُ بما بِهِ نطَقَ الكتابُ وجاءَتِ الأَخبارْ

ويَعُدُّ عدلاً مَن يقولُ بأَنَّهُ شيخٌ يُحيط بجسمه الأَقطارْ

ومات موسى بن محمد المخلوع في شعبان ، ومات الفضل بن الربيع في ذي القعدة .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة صالح بن الرشيد .

ثم دخلت سنة تسع ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر الظفر بنصر بن شبث]

فمن ذلك ما كان من حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شبَث وتضييقه عليه ؛ حتى طلب الأمان ، فذُكر عن جعفر بن محمد العامريّ أنه قال : قال المأمون لثُمامة : ألا تدلّني على رجل من أهل الجزيرة له عقل وبيان ومعرفة ، يؤدّي عنّي ما أوجّهه به إلى نصر بن شبَث ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، رجل من بني عامر يقال له جعفر بن محمد ، قال له : أحضرنيه ، قال جعفر : فأحضرني ثمامة ، فأدخلني عليه ، فكلّمني بكلام كثير ، ثم أمرني أن أبلغه نصر بن شبَث . ٣/١٠٦٨ قال : فأتيت نصْراً وهو بكفرعَزُون بسَروج ، فأبلغته رسالتَه ، فأذعن وشرط شروطاً ، منها ألا يطأ له بساطاً . قال : فأتيتُ المأمون فأخبرته ، فقال : لا أجيبه والله إلى هذا أبداً ، ولو أفضيت إلى بيع قميصي حتى يطأ بساطي ؛ وما باله ينفر منّي! قال : قلتُ : لجرْمه وما تقدّم منه ، فقال : أتراه أعظم جُرْماً عندي من الفضل بن الربيع ومن عيسى بن أبي خالد ! أتدرى ما صنع بي الفضل ! أخذ قوّادي وجنودي وسلاحي وجميع ما أوْصى به لي أبي ، فذهب به إلى محمد وتركني بمرْو وحيداً فريداً وأسلمني ، وأفسد عليّ أخي ؛ حتى كان من أمره ما كان ؛ وكان أشدّ عليّ من كلّ شيء . أتدرى ما صنع بي عيسى بن أبي خالد ! طرد خليفتي من مدينتي ومدينة آبائي ، وذهب بخراجي وفيْئي ، وأخرب عليّ دياري ، وأقعد إبراهيم خليفة دوني ، ودعاه باسمي . قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في الكلام فأتكلم ؟ قال : تكلم ، قلتُ : الفضل بن الربيع رضيعكُم ومولاكم ، وحال سلفه حالكم ، وحال سلفكم حاله ، ترجع عليه بضروب كلّها تردّك إليه ، وأما عيسى بن أبي خالد فرجُلٌ

من أهل دولتك ، وسابقتُه وسابقة مَنْ مضى من سلفه سابقتهم[١] ترجع عليه بذلك ؛ وهذا رجل[٢] لم تكن له يد قطّ فيُحْمَلُ عليها ، ولا لمن مضى من سلفه ؛ إنما كانوا من جند بنى أمية . قال : إن كان ذلك كما تقول ، فكيف بالحَنَق والغيظ ؛ ولكنى لستُ أقلع عنه حتى يطأ بساطى ، قال : فأتيت نصراً فأخبرته بذلك كلّه ، قال : فصاح بالخيل صيحة فجالت ، ثم قال : ويلى عليه ! هو لم يقْوَ على أربعمائة ضفدع تحت جناحه – يعنى الزّط – يقوى على حَلْبة العرب ! ٣/١٠٦٩

فذُكر أن عبد الله بن طاهر لما جادّه القتال وحصره وبلغ منه ، طلب الأمان فأعطاه، وتحوّل من معسكره إلى الرّقّة سنة تسع ومائتين، وصار إلى عبد الله بن طاهر ، وكان المأمون قد كتب إليه قبل ذلك بعد أن هزم عبد الله ابن طاهر جيوشَه كتاباً يدعوه إلى طاعته ومفارقة معصيته ، فلم يقبل ، فكتب عبد الله إليه – وكان كتاب المأمون إليه من المأمون كتبه عمرو بن مسعدة :

أما بعد ؛ فإنك يا نصر بن شبَث قد عرفتَ الطاعة وعزّها وبَرْد ظلّها وطيب مَرْتعها وما فى خلافها من النّدم والخَسار ، وإن طالت مدّة الله بك، فإنه إنما يُملى لمن يلتمس مظاهرة الحجّة عليه لتقع عبَرُه بأهلها على قَدْر إصرارهم[٣] واستحقاقهم . وقد رأيتُ إذكارَك وتبصيرك لما رجوتُ أن يكون لما أكتب به إليك موقع منك ؛ فإنّ الصدق صدق والباطل باطل ؛ وإنما القول بمخارجه وبأهله الذين يُعنَوْن به ، ولم يعاملك من عمّال أمير المؤمنين أحد أنفع لك فى مالك ودينك ونفسك ، ولا أحرصَ على استنقاذك والانتياش لك من خطائك منى ؛ فبأىّ أوّل أو آخر أو سِطَة أو إمْرة إقدامُك يا نصر على أمير المؤمنين ! تأخذ أموالَه، وتتولى دونه ما ولاّه الله، وتريد أن تبيت آمنًا أو مطمئنًا ، أو وادعًا أو ساكنًا أو هادئًا ! فوَعالِم السرّ والجهر ، لئن لم تكن للطاعة مراجعًا وبها خانعًا ، لتستوبلنّ وخَمَ العاقبة ؛ ثم لأبدأنّ بك قبل كلّ عمل ، فإنّ قرون الشيطان[٤] إذا لم تُقطَع كانت فى الأرض فتنة وفسادًا ٣/١٠٧٠

---

(١) ابن الأثير : « معروفة » .
(٢) ابن الأثير : « وأما نصر فرجل » .
(٣) ف : « احترازهم » .
(٤) ف : « الشياطين » .

كبيراً ، ولأطأنّ بمن معى من أنصار الدولة كواهلَ رعاع أصحابك ، ومَنْ تأشّب[1] إليك من أدانى البلدان وأقاصيها وطَغامها وأوباشها، ومَن انضوى إلى حوْزتك من خُرّاب الناس، ومن لفظه بلدُه، ونفته عشيرته؛ لسوء موضعه فيهم . وقد أعذَرَ من أنذَر. والسلام .

٣/١٠٧١

وكان مقام عبد الله بن طاهر على نصر بن شبَث محاربًا له — فيما ذكر — خمس سنين حتّى طلب الأمان ؛ فكتب عبد الله إلى المأمون يعلمه أنه حصره وضيّقَ عليه ، وقتل رؤساء مَنْ معه ، وأنه قد عاذ بالأمان وطلبه ، فأمره أن يكتب له كتاب أمان ، فكتب إليه ، أماناً نسختُه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد؛ فإنّ الإعذار بالحقّ حجةالله المقرون بها النصر ، والاحتجاج بالعدل دعوة الله الموصول بها العزّ؛ ولا يزال المعذِر بالحق، المحتجّ بالعدل فى استفتاح أبواب التأييد ، واستدعاء أسباب التمكين ؛ حتّى يفتح الله وهو خير الفاتحين ، ويمكّن وهو خير الممكّنين ؛ ولستَ تعدو أن تكون فيما لهجتَ به أحد ثلاثة : طالب دِين ، أو ملتمس دنيا ، أو متهوّراً يطلبُ الغلَبة ظلمًا ؛ فإن كنت للدين تسعى بما تصنع ، فأوضح ذلك لأمير المؤمنين يغتنم قبوله إن كان حقًّا ، فلعمرى ما همّته الكبرى، ولاغايته القصوى إلاّ الميل مع الحقّ حيث مال ، والزوال مع العدل حيث زال ؛ وإن كنت للدنيا تقصد ، فأعلم أمير المؤمنين غايتَك فيها؛ والأمر الذى تستحقها به؛ فإن استحققتها وأمكنه ذلك فعلَه بك. فلعمرى ما يستجيز مَنْع خلق ما يستحقه وإن عظُم ، وإن كنت متهوّرًا فسيكفى الله أميرَ المؤمنين مؤنتكَ ، ويعجّل ذلك[2] كما عجّل كفايته مؤن قوم سلكوا مثل طريقك كانوا أقوى يدًا ، وأكثف جنداً، وأكثر جمعًا وعدداً ونصراً منك فيما أصارهم إليه من مصارع الخاسرين ، وأنزل بهم من جوائح الظالمين . وأمير المؤمنين يختم كتابه بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وضمانه لك فى دينه وذِمّته الصفح عن سوالف جرائمك ، ومتقدمات جرائرك ، وإنزالك ما تستأهل من منازل العزّ والرفعة إن أتيتَ وراجعتَ ؛ إن شاء الله . والسلام .

٣/١٠٧٢

(١) ف : « ومن إليك » .
(٢) ف : « ويعجل فى ذلك » .

ولما خرج نصر بن شبث إلى عبد الله بن طاهر بالأمان هدم كيسوم وخرّبها .

* * *

وفى هذه السنة ولّى المأمون صدقة بن علىّ المعروف بـزريق أرمينيّة وأذْرَبيجان ومحاربة بابلك ، وانتدب للقيام بأمره أحمد بن الجنيد بن فرزندى الإسكافى ، ثم رجع أحمد بن الجنيد بن فرزندى إلى بغداد ، ثم رجع إلى الخُرّميّة ، فأسره بابلك ، فولّى إبراهيم بن الليث بن الفضل التجيبىّ أذْرَبيجان .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن العباس بن محمد بن علىّ ، وهو والى مكة . ١٠٧٣/٣

وفيها مات ميخائيل بن جورجس صاحب الروم ، وكان ملكه تسع سنين ، وملكت الروم عليهم ابنه توفيل بن ميخائيل .

ثم دخلت سنة عشر ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك وصول نصر بن شبث فيها إلى بغداد ، وجّه به عبدالله بن طاهر إلى المأمون ، فكان دخوله إليها يوم الاثنين لسبع خلون من صفر ، فأنزله مدينة أبي جعفر ووكّل به من يحفظه .

* * *

[ذكر الخبر عن ظفر المأمون بابن عائشة ورفقائه]

وفيها ظهر المأمون على إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ، الذي يقال له ابن عائشة ومحمد بن إبراهيم الأفريقيّ ومالك بن شاهي وفرج البغواريّ ومَن كان معهم ممّن كان يسعى في البيعة لإبراهيم بن المهديّ ، وكان الذي أطلعه عليهم وعلى ما كانوا يسعون فيه من ذلك عمران القطربّلي ؛ فأرسل إليهم المأمون يوم السبت — فيما ذُكر — لخمس خلون من صفر سنة عشر ومائتين ؛ فأمر المأمون بإبراهيم بن عائشة أن يقام ثلاثة أيام في الشمس على باب دار المأمون ، ثم ضربه يوم الثلاثاء بالسياط ، ثم حبسه في المطبق ، ثم ضرب[1] مالك بن شاهي وأصحابه ، وكتبوا للمأمون أسماء مَن دخل معهم في هذا الأمر من القوّاد والجند[2] وسائر الناس ، فلم يعرض المأمون لأحد ممن كتبوا له ؛ ولم يأمن أن يكونوا قد قذفوا[3] أقواماً بُرآء ، وكانوا اتّعدوا أن يقطعوا الجسر إذا خرج الجند يتلقّون نصر بن شبث ، فغُمِز بهم فأُخِذوا ، ودخل نصر بن شبث بعد ذلك وحده ؛ ولم يوجّه إليه أحدٌ من الجند ، فأنزل عند إسحاق بن إبراهيم ، ثم حُوّل إلى مدينة أبي جعفر .

٣/١٠٧٤

* * *

(١) س : « وضرب » .
(٢) ف : « ومن الجند » .
(٣) س : « قرفوا قوماً » .

[ذكر خبر الظفر بإبراهيم بن المهدىّ]

وفيها أخذ إبراهيم بن المهدىّ ليلة الأحد لثلاث عشرة من ربيع الآخر ، وهو متنقّب مع امرأتين فى زىّ امرأة؛ أخذه حارس أسود ليلا ، فقال : مَن أنتنّ ؟ وأين تردْن فى هذا الوقت ؟ فأعطاه إبراهيم — فيما ذكر — خاتم ياقوت كان فى يده ، له قدر عظيم؛ ليخلّيهن ّ[1] ، فلما نظر الحارس إلى الخاتم استراب بهنّ ، وقال : هذا خاتم رجل له شأن ، فرفعهنّ إلى صاحب المسلحة ، فأمرهنّ أن يُسفرن ، فتمنّع إبراهيم ، فجبذه صاحب المسلَحة ، فبدت لحيته ، فرفعه إلى صاحب الجسر فعرفه؛ فذهب به إلى باب المأمون ، فأعلِم به؛ فأمر بالاحتفاظ به فى الدار ؛ فلما كان غداة الأحد أقعد فى دار المأمون لينظر إليه بنو هاشم والقوّاد والجند ، وصيّروا المقنعة التى كان متنقبًا بها فى عُنقه ، والملحفة التى كان ملتحفاً بها فى صدره ، ليراه الناس ويعلموا كيف أخذ . فلما كان يوم الخميس حوّله المأمون إلى منزل أحمد بن أبى خالد فحبسه عنده ، ثم أخرجه المأمون معه حيث خرج إلى الحسن بن سهل بواسط ، فقال الناس : إن الحسن كلّمه فيه ، فرضىَ عنه وخلّى سبيله ، وصيره عند أحمد بن أبى خالد ، وصيّر معه أحمد بن[2] يحيى بن معاذ وخالد بن يزيد بن مزْيَد يحفظانه ؛ إلا أنه موسّع عليه ، عنده أمّه وعياله ، ويركب إلى دار المأمون ، وهؤلاء معه يحفظونه .

٣/١٠٧٥

* * *

[ذكر خبر قتل ابن عائشة]

وفى هذه السنة قتل المأمون إبراهيم بن عائشة وصلبه .

* ذكر الخبر عن سبب قتله إياه :

كان السبب فى ذلك أن المأمون حبس ابن عائشة ومحمد بن إبراهيم الأفريقىّ ورجلين من الشُّطّار ، يقال لأحدهما أبو مسمار وللآخر عمّار ، وفرج البغوارىّ ومالك بن شاهى وجماعة معهم ممنّ كان سعى فى البيعة لإبراهيم ؛ بعد أن

---

(١) ف : « ليخليه » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « ابن يحيى ».

ضُربوا بالسياط ما خلا عمّاراً ، فإنه أومن لما كان من إقراره على القوم فى المطبّق ، فرفع بعض أهل المطبّق أنهم يريدون أن يشغّبوا وينقبُوا السجن — وكانوا قبل ذلك بيوم قد سدّوا باب السجن من داخل فلم يدَعُوا أحداً يدخل عليهم — فلما كان الليل وسمعوا شغْبهم، بلغ المأمونَ خبرُهم، فركب إليهم من ساعته بنفسه ، فدعا بهؤلاء الأربعة فضرب أعناقهم صبراً ، وأسمعه ابن عائشة شتمًا قبيحًا ؛ فلما كانت الغداة صُلبوا على الجسر الأسفل؛ فلما كان من الغداة يوم الأربعاء أنزل إبراهيم بن عائشة، فكُفّن وصلى عليه، ودفن فى مقابر قريش ، وأنزل ابن الأفريقى فدفن فى مقابر الخيزران وتُرك الباقون . ٣/١٠٧٦

* * *

[العفو عن إبراهيم بن المهدىّ]

وذكر أن إبراهيم بن المهدىّ لما أخذ صير به إلى دار أبى إسحاق بن الرشيد — وأبو إسحق عند المأمون — فحُمل رديفًا لفرج التركىّ ؛ فلما أدخل على المأمون قال له : هيه يا إبراهيم ! فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ولىّ الثأر محكّم فى القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، ومن تناوله الاغترار بما مُدّ له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه ؛ وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب ؛ كما جعل كلّ ذى ذنب دونك ، فإن تعاقب فبحقّك ، وإن تعفُ فبفضلك ، قال : بل أعفو يا إبراهيم ، فكبّر ثمّ خرّ ساجداً .

وقيل إن إبراهيم كتب بهذا الكلام إلى المأمون وهو مختفٍ ، فوقّع المأمون فى حاشية رقعته : «القُدرة تذهب الحفيظة ، والندم توبة، وبينهما عفو الله، وهو أكبر ما نسأله » ، فقال إبراهيم يمدح المأمون[1] :

٣/١٠٧٧

يا خيرَ من ذَمَلَت يمانيةٌ به[2] ... بعد الرسول لآيسٍ ولطامعٍ[3]

وأبرَّ من عَبَدَ الإله على التقى ... عيناً وأقوَله بحقٍّ صادعِ

عَسلُ الفوارعِ ماأطِعتَ فإن تُهَجْ ... فالصَّابُ يُمزَجُ بالسِّمامِ الناقعِ

---

(١) الأغانى : ١٠ : ١١٧ (٢) ابن الأثير : « رقلت » .
(٣) الأغانى « أو طامع » ابن الأثير : « أو طائع » .

متيقظاً حَذِراً وما يخشى العِدَى نَبْهانُ من وسَنات ليل الهاجع [١]
مُلئت قلوبُ الناسِ منك مخافةً وتَبيتُ تَكلؤهم بقلبٍ خاشعِ
بأبى وأمّى فديةً وبنيهما [٢] من كُلّ مُعضِلةٍ وريْبٍ واقعِ [٣]
ما ألينَ الكَنَفَ الذى بوّأتنى وَطناً وأمرَعَ رتعَهُ للراتعِ ٣/١٠٧٨
للصالحات أخاً جُعِلت وللتقى وأباً رءوفاً للفقيرِ القانعِ
نفسى فِداؤك إذ تضلُّ معاذرى وألوذُ منك بفضلِ حلمٍ واسعِ [٤]
أمَلاً لفضلك والفواضلُ شِيمةٌ رفَعَت بناءك بالمحلِّ اليافعِ [٥]
فَبَذلتَ أفضلَ مايضيقُ ببذْلِه وُسعُ النفوسِ من الفَعَالِ البارع
وعفوتَ عمّن لم يكن عن مثلهِ عفوٌ، ولم يشفع إليك بشافع
إلاّ العلوَّ عن العقوبة بعدما ظَفرَت يداك بمستكين خاضع
فرَحمتَ أطفالا كأفراخ القَطَا وعَويلَ عَانِسَةٍ كقَوْسِ النازع ٣/١٠٧٩
وَعَطَفت آصِرَةً علىَّ كما وَعَى بعد انهِيَاضِ الوشْىِ عَظمُ الظالع [٦]
الله يعلَم ما أقولُ فإنّها جَهدُ الأَلِيَّةِ من حَنيفٍ راكع
ما إن عصيتك والغُواة تَقُودنى [٧] أسبـابها إلا بِنِيَّةِ طَائع
حتى إذا عَلِقَت حَبائلُ شقوتى بِرَدًى إلى حُفَرِ المهالك هَائعِ [٨]
لم أدرِ أنَّ لمثل جُرمِى غافرًا فوقفتُ أنظر أىّ حَتفٍ صارعى
ردَّ الحياةَ علىَّ بعد ذهابِها وَرَعُ الإمام القَادِرِ المتواضعِ ٣/١٠٨٠
أحياك مَنْ وَلاّك أطولَ مُدّة ورمى عَدُوّكَ فى الوَتِينِ بقَاطعِ
كَمْ من يَدٍ لك لم تُحَدِّثْنى بها نفسى إذا آلَتْ إلىَّ مطامِعى

(١) ابن الأثير : «وسنان».
(٢) ابن الأثير : «وأبيهما».
(٣) ابن الأثير : «وذنب واقع».
(٤) ف : «حكم»، س : «خاشع».
(٥) ابن الأثير : «للمحل».
(٦) لم يرد فى رواية الأغانى.
(٧) الأغانى : «تمدنى».
(٨) الأغانى : «على حفر».

أسديتَها عفوًا إلىَّ هنيئةً فشكرتُ مُصطَنعاً لأكرم صانعِ
إلاَّ يسيرًا عند ما أوليتَنى وهو الكثيرُ لدىَّ غيرُ الضائع
إن أنت جدتَ بها علىَّ تكن لها أهلاً ، وإن تمنع فأعدَلُ مانعِ
إنَّ الذى قَسَم الخلافةَ حَازَها فى صُلبِ آدَمَ للإمام السابعِ[1]
جَمَعَ القلوبَ عليك جامعُ أمرِها وحَوَى ردَاؤك كلَّ خيرٍ جامع

٣/١٠٨١ فذكر أن المأمون حين أنشده إبراهيم هذه القصيدة ، قال : أقول ما قال يوسف لإخوته : ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2]

* * *

[ذكر الخبر عن بناء المأمون ببوران]

وفى هذه السنة بنى المأمون ببُوران بنت الحسن بن سهل فى رمضان منها .

* ذكر الخبر عن أمر المأمون فى ذلك وما كان فى أيام بنائه :

ذُكر أنّ المأمون لمّا مضى إلى فم الصِّلح إلى معسكر الحسن بن سهل ، حمل معه إبراهيمَ بن المهدىّ ، وشخص المأمون من بغداد حين شخص إلى ما هنالك للبناء ببوران ، راكبًا زورقًا ، حتى أرسَى[3] على باب الحسن ؛ وكان العباس بن المأمون قد تقدّم أباه على الظَّهْر ، فتلقّاه الحسن خارجًا عسكره فى موضع قد اتُّخذ له على شاطئ دِجلة ، بُنِىَ له فيه جوسق ؛ فلما عاينه العبّاس ثنى رجله لينزل ، فحلّف عليه الحسن ألاّ يفعل ، فلمّا ساواه ثنى رجلَه الحسن لينزل ، فقال له العباس : بحقّ أميرِ المؤمنين لا تنزل ؛ فاعتنقه الحسن وهو راكب . ثم أمر أن يقدّم إليه دابّته ، ودخلا جميعًا منزل الحسن ، ووافى المأمون فى وقت العشاء ، وذلك فى شهر رمضان من سنة عشر ومائتين ، فأفطر هو

٣/١٠٨٢ والحسن والعباس — ودينار بن عبد الله قائم على رجله — حتى فرغوا من الإفطار ،

---

(١) الأغانى : « قسم الفضائل » .
(٢) سورة يوسف ٩٢ .
(٣) أرسى د : « أرفأ » .

وغسلوا أيديهُم ، فدعا المأمون بشراب ، فأتىَ بجام ذهب فصُبَّ فيه وشرب ، ومدّ يده بجام فيه شراب إلى الحسن ؛ فتباطأ عنه الحسن ؛ لأنه لم يكن يشرب قبل ذلك ؛ فغمز دينار بن عبد الله الحسَن ، فقال له الحسن : يا أميرَ المؤمنينْ ، أشربه بإذنك وأمرك ؟ فقال له المأمون : لولا أمرى لم أمدد يدى إليك ، فأخذ الجام فشربه . فلما كان فى الليلة الثانية ، جمع بين محمد بن الحسن بن سهل والعباسة بنت الفضل ذى الرئاستين ، فلمّا كان فى الليلة الثالثة دخل على بوران ، وعندها حمدونة وأمّ جعفر وجدّتها ؛ فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدّتها ألف درّة كانت فى صينيّةِ ذهب ، فأمر المأمون أن تُجمع ، وسألها عن عدد ذلك الدرّ كم هو ؟ فقالت : ألف حبّة ، فأمر بعدّها فنقصَت عشرًا ، فقال : مَنْ أخذها منكم فليردّها ، فقالوا : حُسين زجلة ، فأمره بردّها ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنما نُثِر لنأخذه ، قال : ردّها فإنى أخلفها عليك ، فردّها . وجمع المأمون ذلك الدرّ فى الآنية كما كان ، فوُضع فى حجْرها ، وقال : هذه نحلتك[1] ، وسَلِى حوائجك ؛ فأمسكت . فقالت لها جدّتها : كلّمى سيدك ، وسليه حوائجك فقد أمرك ، فسألته[2] الرّضا عن إبراهيم بن المهدىّ ، فقال : قد فعلت ، وسألته الإذن لأمّ جعفر فى الحجّ ، فأذن لها . وألبستها أم جعفر البَدَنة الأمويّة ؛ وابتنى بها فى ليلته ، وأوقد فى تلك الليلة شمعة عنبر ؛ فيها أربعونَ منًّا فى تور[3] ذهب . فأنكر المأمون ذلك عليهم ، وقال : هذا سَرَف ؛ فلمّا كان من الغد دعا بإبراهيم بن المهدىّ فجاء يمشى من شاطئْ دِجلة ، عليه مُبطّنةُ ملحَم ، وهو معتمّ بعمامة ، حتى دخل ؛ فلما رُفع السّتر[4] عن المأمون رمى[5] بنفسه ، فصاح المأمون : يا عمّ ، لا بأس عليك ، فدخل فسلم عليه تسليمَ الخلافة ، وقبّل يده ، وأنشد شعره ، ودعا بالخلَع فخلع عليه خلعة ثانية ، ودعا له بمركَب وقلّده سيفًا ، وخرج فسلّم الناس ، ورُدّ إلى موضعه .

٣/١٠٨٣

---

(١) د ، ف : « لحليك » .
(٢) ف : « فقالت » .
(٣) التور فى الأصل : إناء يشرب فيه .
(٤) ف : « فلما دخل ورفع الستر » .
(٥) س : « أرمى بنفسه » .

وذُكر أنّ المأمون أقام عند الحسن بن سهل سبعة عشر يومًا يعدّ له فى كلّ يوم لجميع مَن معه جميع ما يُحتاج إليه ، وأنّ الحسن خلع على القوّاد على مراتبهم ، وحملهم ووصلهم ؛ وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم . قال : وأمر المأمون غسان بن عبّاد عند منصرَفه أن يدفع إلى الحسن عشرة آلاف ألف من مال فارس ، وأقطعه الصِّلح[1] فحمِلت إليه على المكان ؛ وكانت معدّة عند غسان بن عباد ، فجلس الحسن ففرّقها فى قُوّاده وأصحابه وحشمه وخدمه ؛ فلمّا انصرف المأمون شيّعه الحسن ، ثم رجع إلى فم الصِّلح .

فذُكر عن أحمد بن الحسن بن سهل ، قال : كان أهلنا يتحدّثون أنّ الحسن بن سهل كتب رقاعًا فيها أسماء ضياعه ، ونثرها على القوّاد وعلى بنى هاشم ؛ فمَن وقعت فى يده رقعة منها فيها اسم ضَيْعة بعث فتسلمها .

٣/١٠٨٤

وذكِر عن أبى الحسن علىّ بن الحسين بن عبد الأعلى الكاتب ، قال : حدّثنى الحسن بن سهل يومًا بأشياء كانت فى أم جعفر ، ووصف رجاحة عقلها وفهمها ، ثمّ قال : سألها يومًا المأمون بفم الصِّلح حيث خرج إلينا عن النفقة على بُوران ، وسأل حمدونة بنت غَضيض عن مقدار ما أنفقت فى ذلك الأمر . قال : فقالت حمدونة : أنفقتُ خمسة وعشرين ألف ألف ، قال : فقالت أم جعفر : ما صنعتِ شيئًا ، قد أنفقت ما بين خمسة وثلاثين ألف ألف إلى سبعة وثلاثين ألف ألف درهم . قال : وأعددنا له شمعتين من عنبر ، قال : فدخل بها ليلاً ، فأوقدتا بين يديه ؛ فكثُر دخانهما ، فقال : ارفعوهما قد أذانا الدّخان ، وهاتوا الشمع . قال : ونحلتْها أمّ جعفر فى ذلك اليوم الصّلح قال : فكان سبب عود الصِّلح إلى مُلكى ، وكانت قبل ذلك لى ، فدخل علىّ يوماً حُميد الطوسىّ فأقرأنى أربعة أبيات امتدح بها ذا الرياستين ، فقلت له : ننفذها لك ذى الرّياستين ، وأقطعك الصِّلح فى العاجل إلى أن تأتىَ مكافأتك

---

(١) الصلح ، بالكسر والحاء المهملة : كورة فوق واسط ، لها نهر يستمد من دجلة على الجانب الشرقى يسمى فم الصلح . بها كانت منازل الحسن بن سهل ، وكانت للحسن هناك منازل وقصور أخنى عليها الزمان فلا يعرف لها مكان . ياقوت .

من قبَله . فأقطعته إياها ، ثم ردّها المأمون على أمّ جعفر فنحلتْها بُوران .

٣/١٠٨٥

وروى علىّ بن الحسين أنّ الحسن بن سهل كان لا ترفع السُّتور عنه ، ولا يرفع الشَّمع من بين يديه حتى تطلع الشمس ويتبيّنها إذا نظر إليها . وكان متطيّرًا يحبّ أن يقال له إذا دخل عليه : انصرفنا من فرح وسرور ، ويكره أن يذكر له جنازة أو موت أحد . قال : ودخلتُ عليه يومًا فقال له قائل : إن علىّ بن الحسين أدخل ابنه الحسن اليوم الكتّاب ، قال : فدعا لى وانصرفت ، فوجدت فى منزلى عشرين ألف درهم هبةً للحسن وكتابًا بعشرين ألف درهم. قال : وكان قد وهب لى من أرضه بالبصرة ما قوّم بخمسين ألف دينار ، فقبضه عنّى بُغا الكبير ، وأضافه إلى أرضه .

وذكر عن أبى حسان الزيادىّ أنه قال : لما صار المأمون إلى الحسن بن سهل ، أقام عنده أيامًا بعد البناء ببُوران ، وكان مقامه فى مسيره وذهابه ورجوعه أربعين يومًا. ودخل إلى بغداد يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلتْ[1] من شوال .

وذكر عن محمدبن موسى الخُوارزمىّ أنه قال : خرج المأمون نحو الحسن ابن سهل إلى فم الصِّلح لثمانٍ خلوْن من شهر رمضان ، ورحلَ من فم الصِّلْح لتسع بقين من شوال سنة عشر ومائتين .

وهلك حُميد بن عبد الحميد يوم الفطر من هذه السنة؛ وقالت جاريته عَذَل :

٣/١٠٨٦

مَنْ كَانَ أَصْبَح يومَ الفطرِ مُغتَبطاً فمَا غَبْطُنَا به واللهُ محمودُ
أَو كان منتظرًا فى الفطر سَيِّدَهُ فإن سَيِّدَنا فى التربِ ملحودُ

* * *

وفى هذه السنة افتتح عبد الله بن طاهر مصر؛ واستأمن إليه عبيدالله بن السرىّ بن الحكم .

---

(١) س : « مضت » .

ذكر الخبر عن سبب شخوص عبد الله بن طاهر من الرَّقة إلى مصر وسبب خروج ابن السرىّ إليه فى الأمان

ذُكر أن عبد الله بن طاهر لمّا فرغ من نصر بن شبَث العُقَيلىّ ، ووجّهه إلى المأمون فوصل إليه ببغداد كتب المأمون يأمره بالمصير إلى مصر ؛ فحدّثنى أحمد بن محمد بن مَخْلَد ، أنه كان يومئذ بمصر ، وأن عبد الله بن طاهر لما قَرُب منها ، وصار منها على مرحلة ، قدّم قائداً من قوّاده إليها ليرتاد لمعسكره موضعًا يعسكر فيه ، وقد خندق ابن السرىّ عليها خندقًا ، فاتّصل الخبر بابن السرىّ عن مصير القائد إلى ما قرب منها ، فخرج بمن استجاب له من أصحابه إلى القائد الذى كان عبد الله بن طاهر وجّهه لطلب موضع معسكره ؛ فالتقى[1] جيش ابن السرىّ وقائد عبد الله وأصحابه وهم فى قلّة ، فجالَ القائد وأصحابه جولةً ، وأبرد القائد إلى عبدالله بريداً يخبره بخبره وخبر ابن السرىّ ، فحمل رجاله على البغال ؛ على كلّ بغل رجلين بآلتهما وأدواتهما ، وجَنَبُوا[2] الخيل ، وأسرعوا السير حتى لحقوا القائد وابن السرىّ ؛ فلم تكن من عبد الله وأصحابه إلاّ حمْلة واحدة حتى انهزم[3] ابن السرىّ وأصحابه ، وتساقطتْ عامّة أصحابه — يعنى ابن السرىّ — فى الخندق ، فمن هلك منهم بسقوط بعضهم على بعض فى الخندق كان أكثرَ ممّن قتله الجند بالسيف ، وانهزم ابن السرىّ ، فدخل الفسطاط ، وأغلق على نفسه وأصحابه ومَنْ فيها[4] الباب ، وحاصره عبدالله بن طاهر ؛ فلم يعاوده ابن السرىّ الحربَ بعد ذلك حتى خرج إليه فى الأمان .

١٠٨٧/٣

وذكر عن ابن ذى القلمين ، قال : بعث ابن السرىّ إلى عبدالله بن طاهر لمّا ورد مصْر ومانعه من دخولها بألف وَصِيف ووصيفة ؛ مع كلّ وصيف ألف دينار فى كيس حرير ، وبعث بهم ليلا . قال : فردّ ذلك عليه عبد الله وكتب إليه : لو قبلت هديّتك نهاراً لقبلتُها ليلا ﴿بل أنتم بهديّتِكُم تَفرَحُون *

(١) س : « والتقى » .
(٢) يقال : جنب الفرس ، أى قادها إلى جنبه .
(٣) س : « فانهزم » .
(٤) ف : « فيه » .

ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١) قال : فحينئذ طلب الأمان منه ، وخرج إليه .

٣/١٠٨٨ وذكَر أحمد بن حفص بن عمر، عن أبى السمراء ، قال : خرجنا مع الأمير عبدالله بن طاهر متوجّهين إلى مصر ؛ حتى إذا كنّا بين الرَّمْلة ودمشق ؛ إذا نحن بأعرابىّ قد اعترض ؛ فإذا شيخ فيه بقيّة على بعير له أوْرَق ، فسلّم علينا فرددنا عليه السلام . قال أبو السمراء : وأنا وإسحاق بن إبراهيم الرافقىّ وإسحاق بن أبى ربعىّ ، ونحن نساير الأميرَ ، وكنّا يومئذ أفرَه من الأمير دوابّ ، وأجود منه كُسًا . قال : فجعل الأعرابىّ ينظر فى وجوهنا ، قال : فقلتُ : يا شيخ ؛ قد ألححْتَ فى النظر ، أعرفت شيئًا أم أنكرته ؟ قال : لا والله ما عرفتُكم قبل يومى هذا ، ولا أنكرتُكم لسوء أراه فيكم ؛ ولكنى رجلٌ حسن الفراسة فى الناس ، جيّد المعرفة بهم ، قال : فأشرت له إلى إسحاق بن أبى ربْعىّ ، فقلت : ما تقول فى هذا ؟ فقال :

أَرَى كاتِباً دَاهِى الكتابَةِ بيّنٌ عليه وتأْدِيبُ العِرَاقِ مُنيرُ
له حركاتٌ قد يشاهِدْنَ أنّه عليمٌ بتقسِيطِ الخَراجِ بصِيرُ

ونظر إلى إسحاق بن إبراهيم الرافقىّ ، فقال :

ومُظْهِرِ نُسْكٍ ما عليه ضميرُهُ يُحِبُّ الهدايا ، بالرِّجالِ مَكُورُ
٣/١٠٨٩ إِخالُ بِهِ جُبْناً وبُخْلاً وشيمَةً تُخبّرُ عنهُ أنّه لَوزِيرُ

ثم نظر إلىّ وأنشأ يقول :

وهذا نديمٌ للأَمير ومؤْنِسٌ يكونُ لهُ بالقرْبِ منهُ سرورُ
إِخالهُ للأشعارِ والعِلمِ رَاوِياً (٢) فبعْضُ نديمٍ مرّةً وسميرُ

(١) سورة النمل ٣٦ ، ٣٧ .
(٢) ابن الأثير : « وأحسبه للشعر والعلم راوياً » .

ثم نظر إلى الأمير وأنشأ يقول :

وهذا الأميرُ المُرتجَى سيْبُ كَفِّهِ ... فمَا إن له فيمنْ رأيْتُ نظيرُ[1]

عليه رِدَاءٌ من جمالٍ وهيْبَةٍ ... ووجهٌ بإدارِكِ النَجاحِ بشِيرُ

لقَد عُصِم الإسلامُ مِنه بذَابِدٍ[2] ... به عاشَ معرُوفٌ وماتَ نكيرُ

ألا إنمــا عبدُ الإلهِ بنُ طاهِرٍ ... لنا وَالدٌ بَرٌّ بنــا ، وأميرُ

٣/١٠٩٠ قال : فوقع ذلك من عبدالله أحسَن موقع ، وأعجبه ما قال الشيخ ، فأمر له بخمسمائة دينار ، وأمره أن يصحبه .

وذكر عن الحسن بن يحيي الفهرىّ ، قال: لقينا البُطيْن الشاعر الحمصىّ ، ونحن مع عبدالله بن طاهر فيما بين سَلَمْية وحِمْص ، فوقف على الطريق ، فقال لعبد الله بن طاهر :

مَرْحَباً مَرحَباً وأهلاً وسَهْلاً ... بابنِ ذِى الجودِ طاهِرِ بن الحُسينِ

مَرْحباً مَرحباً وأهلاً وسَهْلاً ... بابن ذِى الغُرَّتينِ فى الدَّعوَتينِ

مَرْحباً مرحباً بمن كفُّهُ البَحْـ ... ـرُ إذا فاضَ مُزبدَ الرَّجوَين

ما يُبالِى المأمونُ أيَّدهُ اللـ ... ـهُ إذا كنْتُما له باقيَيْنِ

أنتَ غَرْبٌ وذاكَ شرقٌ مقيمًا ... أىُّ فتىً أتى منَ الجانبَيْنِ

وحقيقٌ إذ كُنتُما فى قديمٍ ... لزُريْق ومُصعب وحُسينِ

أن تنالا ما نلتُماهُ مِن المجـ ... ـدِ وأن تعْلُوَا على الثَّقَلَيْنِ

٣/١٠٩١ قال : من أنت ثكلتك أمك ! قال: أنا البُطَين الشاعر الحمصىّ ، قال : اركب يا غلام وانظر كم بيتاً ؟ قال : قال: سبعة ، فأمر له بسبعة آلاف درهم أو بسبعمائة دينار ، ثم لم يزل معه حتى دخلوا مصر والإسكندرية ، حتى انخسف به وبدابته مخرَجٌ ، فمات فيه بالإسكندرية .

* * *

(١) ابن الأثير : « فى العالمين نظير » .

(٢) ابن الأثير : « بذى يد » .

[ذكر الخبر عن فتح عبد الله بن طاهر الإسكندرية]

وفى هذه السنة فتح عبدالله بن طاهر الإسكندرية – وقيل كان فتحه إياها فى سنة إحدى عشرة ومائتين – وأجلَى مَنْ كان تغلّب عليها من أهل الأندلس عنها .

* ذكر الخبر عن أمره وأمرهم :

حدّثنى غير واحد من أهل مصر ، أنّ مراكبَ أقبلت من بحر الروم من قِبَل الأندلس ، فيها جماعة كبيرة أيام شغل الناس قِبَلهم بفتنة الجَرَوِىّ وابن السرىّ ، حتى أرسوا مراكبَهم بالإسكندرية ، ورئيسهم يومئذ رجل يدعَى أبا حفص ؛ فلم يزالوا بها مقيمين حتى قدم عبدالله بن طاهر مصر . قال لى يونس بن عبد الأعلى : قدم علينا مِنْ قِبَل المشرق[1] فتًى حدَث – يعنى عبد الله بن طاهر – والدُّنيا عندنا مفتونة ، قد غلب على كلّ ناحية من بلادنا غالب ، والناس منهم فى بلاء ؛ فأصلح الدنيا ، وأمّن البرىء ، وأخاف السقيم ؛ واستوسقتْ له الرعيّة بالطاعة . ثم قال : أخبرنا عبدالله بن وهب ، قال : أخبرنى عبد الله بن لهيعة ، قال : لا أدرى رَفعُه إلىّ قَبْلُ أم لا ! فلم نجد فيما قرأنا من الكتب أن لله بالمشرق جندًا لم يَطغَ عليه أحدٌ من خلقه إلاّ بعثهم عليه ، وانتقم بهم[2] منه – أو كلامًا هذا معناه – فلما دخل عبدالله بن طاهر بن الحسين مصر ، أرسل إلى مَنْ كان بها من الأندلسيّين ، وإلى من كان انضوى إليهم ، يؤذنهم بالحرب إن[3] هم لم يدخلوا فى الطاعة ، فأخبرونى أنهم أجابوه إلى الطاعة ، وسألوه الأمان ، على أن يرتحلوا من الإسكندرية إلى بعض أطراف الرّوم التى ليست من بلاد الإسلام ، فأعطاهم الأمان على ذلك ، وأنهم رحلوا عنها ، فنزلوا جزيرة من جزائر البحر ؛ يقال لها إقْرِيطش ، فاستوطنوها وأقاموا بها ، وفيها بقايا أولادهم إلى اليوم . ١٠٩٢/٣

* * *

(١) ف : « الشرق » .
(٢) ف : « فانتقم » .
(٣) ف : « إذهم » .

[ذكر الخبر عن خروج أهل قمّ على السلطان]

وفى هذه السنة خلع أهل قمّ السلطان ومنعوا الخراج .

* ذكر الخبر عن سبب خلعهم السلطان ومآل أمرهم فى ذلك :

ذكر أن سبب خلعهم إياه كان أنهم كانوا استكثروا ما عليهم من الخراج ، وكان خراجهم ألفىْ ألف درهم ، وكان المأمون قد حطّ عن أهل الرّىّ حين دخلها منصرفًا من خراسان[1] إلى العراق ، ما قد ذكرت قبلُ ، فطمع أهل قُمّ من المأمون فى الفعل بهم فى الحطّ عنهم والتخفيف مثل الذى فعل من ذلك بأهل الرّىّ ، فرفعوا إليه يسألونه الحطّ ، ويشكون إليه ثقله عليهم ؛ فلم يجِبْهم المأمون إلى ما سألوه ، فامتنعوا[2] من أدائه ، فوجّه المأمون إليهم علىّ بن هشام ، ثم أمده بعُجَيف بن عَنْبسة ، وقدم قائد لحمَيد يقال له محمد بن يوسف الكح بعرض[3] من خُراسان ، فكتب إليه بالمصير إلى قمّ لحرب أهلها مع علىّ بن هشام ، فحاربهم علىّ فظفر بهم ، وقتل يحيى بن عمران وهدم سور قمّ ، وجباها سبعة آلاف ألف درهم بعد ما كانوا يتظلّمون من ألفى ألف درهم . ١٠٩٣/٣

* * *

ومات فى هذه السنة شهريار ، وهو ابن شروين ، وصار فى موضعه ابنه سابور ، فنازعه مازيار بن قارن فأسره وقتله ، وصارت الجبال فى يدى مازيار ابن قارن .

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن العباس بن محمد وهو يومئذ والى مكة .

---

(١) س : « عن خراسان » .
(٢) س : « وامتنعوا » .
(٣) كذا فى ا : وفى ط : « بقوص » .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[أمر عبيد الله بن السرىّ]

فمن ذلك خروج عبيد الله بن السرىّ إلى عبدالله بن طاهر بالأمان ، ودخول عبد الله بن طاهر مصر — وقيل إن ذلك فى سنة عشر ومائتين — وذكر بعضهم أن ابن السرىّ خرج إلى عبد الله بن طاهر يوم السبت لخمس بقين من صفر سنة إحدى عشرة ومائتين ، وأدخل بغداد لسبع بقين من رجب سنة إحدى عشرة ومائتين ، وأنزل مدينة أبى جعفر ، وأقام عبدالله بن طاهر بمصر واليًا عليها وعلى سائر الشأم والجزيرة ؛ فذُكر عن طاهر بن خالد ابن نزار الغسانى ، قال : كتب المأمون إلى عبد الله بن طاهر وهو بمصر حين فتحها فى أسفل كتاب له : ٣/١٠٩٤

أخى أنت ومولاىَ ومَنْ أشكُرُ نُعماهُ
فما أحبَبْتَ من أمرٍ فإنِّى الدَّهْرَ أهْوَاهُ
وما تكرَهُ مِنْ شَىْءٍ فإنّى لسْتُ أرْضَاهُ
لك الله على ذاكَ لَكَ اللهُ لَكَ اللهُ

وذُكر عن عطاء صاحب مظالم عبدالله بن طاهر ، قال : قال رجل من إخوة المأمون للمأمون : يا أميرَ المؤمنينَ ، إن عبد الله بن طاهر يميل إلى ولد أبى طالب ، وكذا كان أبوه قبله . قال : فدفع المأمون ذلك وأنكره ، ثم عاد بمثل هذا القول ، فدسّ إليه رجلا ثم قال له : امض فى هيئة القرّاء والنسّاك إلى مصر ، فادع جماعةً من كبرائها إلى القاسم بن إبراهيم بن طباطبا ، واذكر مناقبه وعلمه وفضائله ، ثم صِرْ بعد ذلك إلى بعض بطانة عبدالله بن طاهر ، ثم ائته فادْعُه ورغّبه فى استجابته له ، وابحث عن دفين نيّته بحثًا شافيًا ، وائتنى بما تسمع[1] منه . قال : ففعل الرجل ما قال[2] له ، وأمره به ؛ حتى إذا

---

(١) ف : « تسمعه » . (٢) ف : « قاله » .

دعا جماعة من الرؤساء والأعلام ، قعد يوماً بباب عبد الله بن طاهر ، وقد ركب إلى عبيدالله بن السرىّ بعد صلحه وأمانه ، فلما انصرف قام إليه الرجل ، فأخرج من كمّه رقعة فدفعها إليه[1] ، فأخذها بيده ؛ فما هو إلا أن دخل فخرج الحاجب إليه ، فأدخله عليه وهو قاعد على بساطه ؛ ما بينه وبين الأرض غيره ، وقد مدّ رجليه ، وخُفّاه فيهما ، فقال له : قد فهمت ما فى رقعتك من جملة كلامك ، فهاتِ ماعندك ، قال : ولى أمانُك وذمّة الله معك[2] ؟ قال : لك ذلك ، قال : فأظهر له ما أراد ، ودعاه إلى القاسم ، وأخبره بفضائله وعلمه وزهده ، فقال له عبدالله : أتُنصِفنى ؟ قال : نعم ، قال : هل يجب شكر الله على العباد ؟ قال : نعم ، قال : فهل يجب شكر بعضهم لبعض عند الإحسان والمنّة والتفضّل ؟ قال : نعم ، قال : فتجىء إلىّ وأنا فى هذه الحالة التى ترى ، لى خاتمٌ فى المشرق جائز وفى المغرب كذلك ؛ وفيما بينهما أمرى مطاع ، وقولى مقبول ، ثم ما التفتّ يمينى ولا شمالى وورائى وقدّامى إلاّ رأيت نعمة لرجل أنعمها علىّ ، ومنّة ختم بها رقبتى ، ويداً لائحة بيضاء ابتدأنى بها تفضّلا وكرماً ، فتدعونى إلى الكفر بهذه النعمة وهذا الإحسان ، وتقول : اغدر بمن كان أولا لهذا وآخراً ، واسْعَ فى إزالة خيْط عنقه وسفك دمه ! تراكَ لو دعوتَنى إلى الجنة عياناً من حيث أعلم ؛ أكان الله يحبّ أن أغدر به ، وأكفر إحسانه ومنّته ، وأنكث بيعتَه ! فسكت الرجل ، فقال له عبدالله : أما إنه قد بلغنى أمرُك ، وتالله ما أخاف عليك إلاّ نفسَك ؛ فارحل عن هذا البلد ؛ فإنّ السلطان الأعظم إن بلغه أمرُك — وما آمنُ ذلك عليك — كنت الجانى على نفسك ونفس غيرك . فلمّا أيسَ الرجل مما عنده جاء إلى المأمون ، فأخبره الخبر ، فاستبشر وقال : ذلك غرس يدى ، وإلْف أدبى ، وتِرْب تلقيحى ، ولم يُظهر من ذلك لأحد شيئاً ، ولا علم به عبد الله إلا بعد موت المأمون .

وذُكر عن عبد الله بن طاهر أنه قال وهو محاصِر بمصر عبيد الله بن السرىّ :

(١) ف : « عبد الله بن طاهر » .

(٢) س : « لك » .

٣/١٠٩٥ ٣/١٠٩٦

بكَرَتْ تُسْبلُ دَمْعاً أَنْ رأت وشْكَ بَراحِى
وتَبَدَّلتُ صقِيلاً يمنيًّا بِوِشَاحِى
وتمادَيْتُ بسَيْرٍ لِغُدُوٍّ وَرَواحِ
زعمَتْ جَهلا بأَنِّى تَعِبٌ غيْرُ مُراحِ
أقصِرِى عنِّى فإنِّى سالكٌ قَصْدَ فلاحِى
أنا للمأْمونِ عبدٌ مِنْهُ فى ظلِّ جَنَاحِ
إن يُعافِ اللهُ يوماً فقَريب مُسْتَراحى
أَوْ يكنْ هُلكٌ فقُولِى بِعَويلٍ وصِياحِ :
حلَّ فى مصرَ قَتيلٌ وَدعِى عنكِ التَّلاحِى

وذُكرعن عبد الله بن أحمد بن يوسف أنّ أباه كتب إلى عبد الله بن طاهر عند خروج عبيد الله بن السرىّ إليه يهنئه بذلك الفتح :

بلغنى أعزّ الله الأمير ما فتح الله عليك ، وخروجُ ابن السرىّ إليك ؛ فالحمد لله الناصر لدينه ، المعزّ لدولة خليفته على عباده ، المذلّ لمن عنَد عنه وعن حقه ، ورغب عن طاعته . ونسأل الله أن يظاهرَ له النِّعم ، ويفتح له بلدان الشِّرْك ، والحمد لله على ما وليك به مذ ظعنتَ لوجهك ؛ فإنّا ومَنْ قبلنا نتذاكر سيرتَك فى حرْبك وسلمك ، ونكثر التعجّب لما وُفِّقت له من الشدّة واللِيان فى مواضعهما ، ولا نعلَم سائس جند ورعيّة عدل بينهم عدلَكَ ، ولا عفا بعد القدرة عمن آسفه وأضغنه عفوك ؛ ولَقَلّ ما رأينا ابن شَرف لم يُلقِ بيده متكلا على ما قدّمَتْ له أبوّته ، ومَنْ أوتِىَ حظًّا وكفاية وسلطانًا وولاية لم يخلد إلى ما عفا حتى يخلّ بمساماة ما أمامه . ثم لا نَعلم سائسًا استحقّ النُّجح لحسن السيرة وكفّ معرّة الأتباع استحقاقَكَ . وما يستجيز أحد ممن قبلنا أن يقدّم عليك أحداً يهوى عند الحاقة[1] والنازلة المعضلة[2]

١٠٩٧/٣

(١) س : « المحافة » ، ف : « الحاجة » .
(٢) ف : « والمعضلة » .

فليهنك منّة الله ومزيده، ويسوّغك[1] الله هذه النعمة التى حواها لك بالمحافظة على ما به تمّت لك؛ من التّمسك بحبل إمامك ومولاك ومولى جميع المسلمين، وملاّك وإيانا العيش ببقائه.

وأنت[2] تعلم أنك لم تزل عندنا وعند من قبلنا مكرّمًا مقدّمًا معظماً؛ وقد زادك الله فى أعين الخاصّة والعامة جلالة وجَالة؛ فأصبحوا يرجونك لأنفسهم، ويعدّونك لأحداثهم ونوائبهم؛ وأرجو أن يوفّقك الله لمحابّه كما وفق لك صنعه وتوفيقه؛ فقد أحسنت جوار النعمة فلم تطغك، ولم تزدد إلا تذلّلاً وتواضعاً؛ فالحمد لله على ما أنالك وأبلاك، وأودع فيك. والسلام. ٣/١٠٩٨

* * *

وفى هذه السنة قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين مدينة السلام من المغرب، فتلقّاه العباس بن المأمون وأبو إسحاق المعتصم وسائر الناس، وقدم معه بالمتغلّبين على الشأم كابن السرّج وابن أبى الجمَل وابن أبى الصفر.

ومات موسى بن حفص، فولى محمد بن موسى طبرستان مكان أبيه.

وولى حاجب بن صالح الهند فهزمه بشْر بن داود، فانحاز إلى كرمان.

وفيها أمر المأمون مناديًا فنادى[3]: برئت الذمّة ممّن ذكر معاوية بخير، أو فضّله على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن العباس وهو والى مكة.

وفيها مات أبو العتاهية الشاعر.

---

(١) س: «وسوغك».
(٢) س: «وإنك».
(٣) ف: «ينادى».

١٠٩٩/٣

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من توجيه المأمون محمد بن حميد الطوسىّ إلى بابك لمحاربته[1] على طريق الموصل وتقويته إياه، فأخذ محمد بن حُميد يعلَى بنَ مرّة ونظراءه من المتغلبة بأذْرَبيجان ، فبعث بهم إلى المأمون .

وفيها خلع أحمد بن محمد العمرىّ المعروف بالأحمر العين باليمن .

وفيها ولّى المأمون محمد بن عبد الحميد المعروف بأبى الرازى اليمن .

وفيها أظهر المأمون القولَ بخلق القرآن وتفضيل علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وقال : هو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك فى شهر ربيع الأول منها .

* * *

وحج بالنّاس فى هذه السنة عبدالله بن عبيد الله بن العباس بن محمد .

---

(١) س : « ومحاربته » .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خلْع عبد السلام وابن جَليس بمصر فى القيسية واليمانيّة ووثوبهما بها .

وفيها مات طلحة بن طاهر بخُراسان .

٣/١١٠٠ وفيها ولّى المأمون أخاه أبا إسحاق الشأم ومصر ، وولّى ابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم ، وأمر لكل واحد منهما ومن عبدالله[1] بن طاهر بخمسمائة ألف دينار .

وقيل : إنه لم يفرّق فى يوم من المال مثل ذلك .

* * *

[ذكر الخبر عن ولاية غسان بن عباد السند]

وفيها ولّى غسان بن عباد السند .

* ذكر الخبر عن سبب توليته إيّاه السند :

وكان السبب فى ذلك – فيما بلغنى – أن بشر بن داود بن يزيد خالف المأمون ، وجَبَى الخراج فلم يحمل إلى المأمون شيئًا منه ؛ فذُكر أن المأمون قال يومًا لأصحابه : أخبرونى[2] عن غسّان بن عباد ؛ فإنى أريده لأمر جسيم – وكان قد عزم على أن يولّيَه السند لما كان من أمر بشر بن داود – فتكلم مَنْ حضر ، وأطنبوا[3] فى مدحه ، فنظر المأمون إلى أحمد بن يوسف وهو ساكت ، فقال له : ما تقول يا أحمد ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ذاك[4] رجل محاسنه أكثر من مساويه ؛ لا تصرف به إلى طَبَقة إلا انتصف منهم ؛ فهما تخوّفت

---

(١) س وابن الأثير : « ولعبد الله » .
(٢) ف : « خبرونى » .
(٣) ف : « فأطنبوا » .
(٤) س وابن الأثير : « ذلك » .

عليه ؛ فإنه لن يأتى أمراً يُعتذر منه ؛ لأنه قسّم أيامَه بين أيام الفضل ، فجعل لكل خلُق نوْبة ، إذا نظرت فى أمرِه لم تدر أىّ حالاته أعجب! إما هداه إليه عقله ؛ أم إما اكتسبه بالأدب ، قال : لقد مدحتَه على سوء رأيك فيه ! قال : ٣/١١٠١ لأنّه فيما قلت[١] كما قال الشاعر :

كفى شكرًا بما أَسْدَيتَ أَنِّى ... مدَحتُك فى الصَّديق وفى عِداتِى[٢]

قال : فأعجب المأمونَ كلامُه ، واسترجح أدبه .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد .

---

(١) بعدها فى ابن الأثير : « فيه » .

(٢) ابن الأثير : « صدقتك » .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك مقتل محمد بن حُميد الطوسىّ ، قتله بابك بهَشْتَادْسَر ، [١]يوم السبت لخمس ليال[١] بقين من شهر ربيع الأول ، ورفض عسكره ، وقتل جمعًا كثيراً ممن كان معه .

وفيها قُتل أبو الرازىّ باليمن .

وفيها قُتل عُمَير بن الوليد الباذَغيسىّ عامل أبى إسحاق بن الرشيد بمصر بالحوْف فى شهر ربيع الأول ، فخرج أبو إسحاق إليها فافتتحها ، وظفر بعبد السلام وابن جَليس ، فقتلهما فضرب المأمونُ بن الحرورىّ وردّه إلى مصر .

وفيها خرج بلال الضِّبابىّ الشارى ، فشخص المأمون إلى العَلْث ، ثم رجع إلى بغداد ، فوجّه عباسًا ابنه فى جماعة من القوّاد ، فيهم علىّ بن هشام وعُجيف وهارون بن محمد بن أبى خالد ، فقتلَ هارون بلالا . ٣/١١٠٢

وفيها خرج عبد الله بن طاهر إلى الدِّينَور ، فبعث المأمون إليه إسحاق ابن إبراهيم ويحيى بن أكثم يخيّرانه بين خُراسان والجبال وأرمينيَة وأذْرَبيجان ، ومحاربة بابك ، فاختار خُراسان ، وشخص إليها .

وفيها تحرّك جعفر بن داود القُمّى ، فظفر به عزيز مولى عبدالله بن طاهر ، وكان هرب من مصر فرُدّ إليها .

وفيها ولّى علىّ بن هشام الجبل وقُمّ وإصبهان وأذرَبيجان .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إسحاق بن العباس بن محمد .

(١ - ١) « يوم الخميس لليال » .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر شخوص المأمون لحرب الروم]

وفى هذه السنة شخص المأمون من مدينة السّلام لغزو الروم ، وذلك يوم السبت – فيما قيل – لثلاث بقين من المحرّم – وقيل كان ارتحاله من الشماسيّة إلى البَرَدان يوم الخميس بعد صلاة الظهر ، لستّ بقين من المحرّم سنة خمس عشرة ومائتين – واستخلف حين رَحل عن مدينة السلام عليها إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ، ووَلّىَ مع ذلك السواد وحُلْوان وكُور دِجْلة. فلما صار المأمون بتَكْريت قدم عليه محمد بن علىّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب رحمه الله، من المدينة فى صَفر ليلة الجمعة من هذه السنة، ولقيَه بها فأجازه، وأمره أن يدخل بابنته أم الفَضْل ١١٠٣/٣ وكان زوّجها منه ؛ فأدخِلت عليه فى دار أحمد بن يوسف التى على شاطئ دِجْلة ، فأقام بها ؛ فلما كان أيام الحجّ خرج بأهله وعياله حتى أتى مكة ، ثم أتى منزله بالمدينة؛ فأقام بها، ثم سلك المأمون طريق الموصل؛ حتى صار إلى مَنْبج ، ثم إلى دابق، ثم إلى أنطاكيَة، ثم إلى المَصِّيصة، ثم خرج منها إلى طَرَسُوس ، ثمّ دخل من طَرَسوس إلى بلاد الرّوم للنصف من جمادى الأولى . ورحل العباس بن المأمون من ملَطْيَة ؛ فأقام المأمون على حصن يقال له قُرّة؛ حتى فتحه عَنْوة ؛ وأمر بهدمه؛ وذلك يوم الأحد لأربع بقين من جُمادى الأولى ؛ وكان قد افتتح قبل ذلك حصنًا يقال له ماجدة؛ فمنّ على أهلها .

وقيل إن المأمون لما أناخ على قُرّة، فحارب أهلها طلبوا الأمان، فآمنهم المأمون ، فوجه أشناس إلى حصن سندس، فأتاه برئيسه، ووجّه عُجيفًا وجعفرًا

الخياط إلى صاحب حصن سنان ، فسمع وأطاع .

* * *

وفى هذه السنة انصرف أبو إسحاق بن الرشيد من مصر ، فلقى المأمون قبل دخوله الموصل ، ولقيه منْوِيل وعباس ابنه برأس العين .

وفيها شخص المأمون بعد خروجه من أرض الروم إلى دمشق .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد .

١١٠٤/٣

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[عود إلى ذكر غزو المأمون أرض الروم]

فمن ذلك كرّ المأمون إلى أرض الروم .

* ذكر السبب فى كرّه إليها :

اختُلف فى ذلك ، فقيل : كان السبب فيه ورودُ الخبر على المأمون بقتل ملك الرّوم قومًا من أهل طَرَسوس والمَصِّيصَة ؛ وذلك - فيما ذُكر - ألف وستمائة . فلما بلغه ذلك شخص حتّى دخل أرض الرّوم يوم الاثنين لإحدى عشرة بقيتْ من جُمادى الأولى من هذه السنة ، فلم يزل مقيمًا فيها إلى النّصف من شعبان .

وقيل: إن سبب ذلك أن تَوْفيل بن ميخائيل كتب إليه ، فبدأ بنفسه ، فلمّا ورد الكتاب عليه لم يقرأه ، وخرج إلى أرض الرُّوم ، فوافاه رسل تَوْفيل بن ميخائيل بأذَنَة ، ووجّه بخمسمائة رجل من أسارى المسلمين إليه ؛ فلما دخل المأمون أرضَ الروم ، ونزل على أنطيغوا ، فخرج أهلها على صلح وصار إلى هِرَقْلَةَ ، فخرج أهلها إليه على صلح ، ووجّه أخاه أبا إسحاق ، فافتتح ثلاثين حصنًا ومطمورة . ووجّه يحيى بن أكثم من طُوانة ، فأغار وقتل وحرّق ، وأصاب سبْيًا ورجع إلى العسكر . ثم خرج المأمون إلى كيسوم ، فأقام بها يومين أو ثلاثة ، ثم ارتحل إلى دمشق .

* * *

١١٠٥/٣

وفى هذه السنة ظهر عَبْدوُس الفِهْرىّ ، فوثب بمن معه على عمّال أبى إسحاق ، فقتل بعضهم ؛ وذلك فى شعبان ، فشخص المأمون من دِمشق يوم الأربعاء لأربعَ عشرة بقيتْ من ذى الحجّة إلى مصر .

وفيها قدم الأفشين من بَرْقة منصرفًا عنها ، فأقام بمصر .

وفيها كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم يأمره بأخذ الجند بالتَّكْبير إذا صلُّوا ، فبدءوا بذلك فى مسجد المدينة والرُّصافة يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيتْ من شهر رمضان من هذه السنة ، حين قضوا الصلاة ، فقاموا قيامًا ، فكبّروا ثلاث تكبيرات ، ثم فعلوا ذلك فى كلّ صلاة مكتوبة .

وفيها غضب المأمون على علىّ بن هشام ، فوجّه إليه عُجيف بن عنبسة وأحمد بن هشام ، وأمر بقبض أمواله وسلاحه .

وفيها ماتت أمّ جعفر ببغداد فى جمادى الأولى .

وفيها قدم غسان بن عباد من السِّنْد ، وقد استأمن إليه بشر بن داود المهلبىّ ، وأصلح السند ، واستعمل عليها عمران بن موسى البرمكىّ(١) ، فقال الشاعر :

سيفُ غسانَ رَونَقُ الحربِ فيه ... وسِمامُ الحُتوفِ فى ظُبَتَيْهِ

فإذا جرَّه إلى بلدِ السنـ ... ـدِ فألْقَى المَقادَ بِشرٌ إليهِ ١١٠٦/٣

مُقسِماً لا يعودُ ما حجَّ لله ... مُصَلٍّ وما رمى جَمرَتَيْــهِ

غادِرًا يَخلَعُ الملوكَ ويغتا ... لُ جُنودًا تأْوى إلى ذِروَتَيْهِ

فرجع غسان إلى المأمون ، وهرب جعفر بن داود القمىّ إلى قمّ ، وخلع بها .

وفى هذه السنة كان البَرْد الشديد .

* * *

وحجّ بالناس — فى قول بعضهم — فى هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علىّ بن عبد الله بن عباس . وفى قول بعضهم : حجّ بهم فى هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس ؛ وكان المأمون ولّاه اليمن ، وجعل إليه ولاية كلّ بلدة يدخلها حتى يدخل إلى اليمَن ، فخرج من دمشق حتى قدم بغداد ، فصلّى بالناس بها يوم الفطْر ، فشخص من بغداد يوم الاثنين لليلةٍ خلَتْ من ذى القَعْدة ، وأقام الحجّ للناس .

---

(١) ابن الأثير : « المتكى »

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ظَفَرُ الأفشِيْن فيها بالبِيَما (١) ؛ وهي من أرض مصر ، ونزل أهلها بأمان على حُكْم المأمون ، قُرِئ كتاب فتحها لليلة بقيت من شهر ربيع الآخر. ٣/١١٠٧

وورد المأمون فيها مصرفى المحرّم ، فأُتِيَ بعبدوس الفِهرىّ فضرب عنقه ، وانصرف إلى الشأم .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل علىّ وحسين ابنى هشام]

وفيها قتل المأمون ابنى هشام عليًّا وحُسينًا بأذَنَة فى جمادى الأولى .

* ذكر الخبر عن سبب قتله عليًّا :

وكان سبب ذلك ، أنّ المأمون لِلّذى بلغه من سوء سيرته فى أهل عمله الذى كان المأمون ولّاه ـ وكان ولّاه كُور الجبال ـ وقتلِه الرجال ، وأخذِه الأموال ؛ فوُجّه إليه عُجيف ، فأراد أن يفتك به ويلحق ببابك ، فظفر به عُجيف ، فقدم به على المأمون ، فأمر بضرب عنقه ، فتولى قتله ابن الجليل . وتولّى ضربَ عُنُق الحسين محمد بن يوسف ابن أخيه بأذَنَة، يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيتْ من جمادى الأولى ، ثم بعث رأس علىّ بن هشام إلى بغداد وخُراسان ، فطِيف به، ثم رُدّ إلى الشأم والجزيرة فطِيف به كورةً كورةً ، فقدم به دمشق فى ذى الحجة، ثم ذهب به إلى مصر ، ثم ألقِىَ بعد ذلك فى البحر.

وذُكر أن المأمون لما قتل علىّ بن هشام، أمر أن يكتب رقعة وتُعلّق على رأسه ليقرأها الناس ؛ فكتب :

---

(١) ابن الأثير : « بالفرما » .

١١٠٨/٣ أما بعد، فإن أمير المؤمنين كان دعا علىّ بن هشام فيمن دعا من أهل خـُراسان أيام المخلوع ، إلى معاونته والقيام بحقه، وكان فيمن أجاب وأسرع الإجابة ، وعاون فأحسن المعاونة . فرعى أمير المؤمنين ذلك له واصطنعه[1] ، وهو يظنّ به تقوى الله وطاعتـَه والانتهاء إلى أمر أمير المؤمنين فى عمل إن أسند إليه فى حسن السيرة وعفاف الطـُّعمة[2] ، وبدأه أمير المؤمنين بالإفضال عليه ، فولاّه الأعمال السنيـّة ، ووصله بالصلات الجزيلة التى أمر أمير المؤمنين بالنظر فى قدرها ، فوجدها أكثر من خمسين ألف ألف درهم، فمدّ يده إلى الخيانة والتضييع لما استرعاه من الأمانة ، فباعده عنه وأقصاه، ثم استقال َ أميرَ المؤمنين عثرَته فأقاله إيـّاها ، وولاّه الجبل وأذرَبيجان وكـُور أرمينيـَة ،ومحاربة أعداء الله الخرّميـّة ، على ألا يعود لما كان منه ؛ فعاود أكثر ما كان بتقديمه الدينار والدّرهم على العمل لله ودينه ، وأساء السيرة وعسـَف الرعيـّة وسفك الدماء المحرّمة، فوجـّه أمير المؤمنين عـُجيف بن عـَنْبسة مباشراً لأمره ، وداعيـًا إلى تلافى ما كان منه ؛ فوثب بعـُجـَيف يريد قتله ، فقوّى الله عـُجيفاً بنيـّته الصادقة فى طاعة أمير المؤمنين ؛ حتّى دفعه عن نفسه ، ولو تمّ ما أراد بـعُجـَيف لكان فى ذلك ما لا يستدرك ولا يستقال ؛ ولكنّ الله إذا أراد أمراً كان مفعولا . فلما أمضى

١١٠٩/٣ أميرُ المؤمنين حكم الله فى علىّ بن هشام، رأى ألا يؤاخذ مـَنْ خلفه بذنبه، فأمر أن يجرى لولده ولعياله ولمن اتصل بهم ومـَنْ كان يجرى عليهم مثل الذى كان جاريـًا لهم فى حياته ؛ ولولا أن علىّ بن هشام أراد العـُظمى بعـُجيف، لكان فى عداد مـَنْ كان فى عسكره ممن خالف وخان، كعيسى بن منصور ونظرائه. والسلام :

وفى هذه السنة دخل المأمونُ أرضَ الرّوم ، فأناخ على لؤلؤة مائة يوم ، ثم رحل عنها وخلـّف عليها عـُجـَيفـًا ، فاختدعه أهلـُها وأسروه ؛ فمكث أسيراً فى أيديهم ثمانية أيام ، ثم أخرجوه ، وصار تـَوْفيل إلى لؤلؤة ، فأحاط بعـُجـَيف، فصرف المأمون الجنود إليه ، فارتحل تـَوْفيل قبل موافاتهم ، وخرج أهل لؤلؤة إلى عـُجيـَف بأمان .

---

(١) اصطنعه : اختاره لخاصة أمره . (٢) الطعمة : المأكلة ووجه الكسب .

[كتاب توفيل إلى المأمون وردّ المأمون عليه]

وفيها كتَب تَوْفيل صاحب الرُّوم إلى المأمون يسأله الصلح، وبدأ بنفسه فى كتابه، وقدم بالكتاب الفضل وزير توْفيل يطلب الصلح، وعرض الفدية.

وكانت نسخة كتاب توفيل إلى المأمون:

أما بعد، فإن اجتماع المختلفين على حظّهما أوْلى بهما فى الرأى مما عاد بالضّرر عليهما؛ ولستَ حريًّا أن تَدع لحظٍّ يصل إلى غيرك حظًّا تحوزُه إلى نفسك، وفى علمك كافٍ عن إخبارك؛ وقد كنت كتبت إليك داعيًا إلى المسالمة، راغبًا فى فضيلة المهادنة، لتضع أوزار الحرب عنا، ونكون كلّ واحد لكل واحد وليًّا وحزبًا؛ مع اتصال المرافق والفُسَح[1] فى المتاجر، وفكّ المستأسر، وأمن الطرق والبَيْضة؛ فإن أبيتَ فلا أدِبّ لك فى الخمَر[2]، ولا أزخرف لك فى القول؛ فإنى لخائض إليك غمارها، آخذ عليك أسدادها[3]؛ شانٌّ خيلَها ورجالها، وإن أفعل فبعد أن قدّمت المعذرة، وأقمت بينى وبينك علَم الحجّة. والسلام. ٣/١١١٠

فكتب إليه المأمون:

أما بعد؛ فقد بلغنى كتابُك فيما سألتَ من الهدنة، ودعوتَ إليه من الموادَعة، وخلطت فيه من اللّين والشدّة؛ مما استعطفتَ به؛ من شرح المتاجر واتصال المرافق، وفكّ الأسارى، ورفع القَتْل والقتال، فلولا ما رجعت إليه من أعمال التؤَدة والأخذ بالحظّ فى تقليب الفكرة، وألّا أعتقد الرأى فى مستقبله إلا فى استصلاح ما أوثره فى معتقبه، لجعلت جوابَ كتابك خيلًا تحمل رجالا

(١) الفسح: جمع فسحة أو هى السعة.

(٢) الخمر، بالتحريك: كل ما واراك من شجر أو بناء أو غيره. وخمر كفرح: توارى ومن أمثال العرب: «يدب له الضراء ويمشى الخمر». والضراء كسحاب: الشجر الملتف فى الوادى؛ يقال: توارى الصيد فى ضراء، وفلان يمشى الضراء؛ إذا مشى مستخفيًا فيما يوارى من الشجر، مثل يضرب للرجل يختل صاحبه.

(٣) الأسداد: جمع سد وهو الحاجز.

من أهل البأس والنّجدة والبصيرة ينازعونكم عن ثُكلكم [١] ويتقرّبون إلى الله بدمائكم ، ويستقلّون فى ذات الله ما نالهم من ألم شوكتكم ، ثم أوصل إليهم من الأمداد ، وأبلغ لهم كافياً من العُدّة والعتاد ، هم أظمأ إلى موارد المنايا منكم إلى السلامة من مخوف معرّتهم عليكم ؛ موعدُهم إحدى الحسنيين : عاجل غلبة ، أو كريم منقلَب ؛ غير أنى رأيت أن أتقدّم إليك بالموعظة التى يثبت الله بها عليك الحجة ؛ من الدعاء لك ولمن معك إلى الوحدانية والشريعة الحنيفيّة ؛ فإن أبيتَ ففدية توجب ذمّة ، وتُثبت نَظرة ، وإن تركتَ ذلك ، ففى يقين المعاينة لنعوتنا ما يُغنى عن الإبلاغ فى القول والإغراق فى الصفة . والسلام على من اتبع الهدى .

٣/١١١١

* * *

وفيها صار المأمون إلى سَلَغُوس .

وفيها بعث علىّ بن عيسى القمىّ جعفر بن داود القمىّ فضرب أبو إسحاق ابن الرّشيد عنقَه .

وحجّ بالناس فى هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علىّ .

---

(١) الثكل : الموت والهلاك .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من شخوص المأمون من سلَغُوس إلى الرّقة ، وقتله بها ابنَ أخت الدارى .

وفيها أمر بتفريغ الرّافقة لينزلها حشمه ، فضجّ من ذلك أهلها فأعفاهم .

وفيها وجّه المأمون ابنَه العباس إلى أرض الرّوم ، وأمره بنزول الطُّوانة وبنائها ، وكان قد وجّه الفَعَلة والفروض ، فابتدأ البناء ، وبناها ميلاً فى ميل ، وجعل سورَها على ثلاثة فراسخ ، وجعل لها أربعة أبواب ، وبنى على كلّ باب حصْنًا ؛ وكان توجيهُه ابنَه العباس فى ذلك فى أوّل يوم من جمادى . ١١١٢/٣

وكتب إلى أخيه أبى إسحاق بن الرّشيد ؛ أنه قد فرض على جُند دمشق وحمْص والأردُنّ وفلسطين أربعة آلاف رجل ، وأنه يجرى على الفارس مائة درهم ، وعلى الرّاجل أربعين درهمًا ، وفرضَ على مصر فَرْضًا ، وكتب إلى العباس بمَنْ فَرضَ على قِنَّسرين والجزيرة ، وإلى إسحاق بن إبراهيم بمن فرض على أهل بغداد وهم ألفا رجل ، وخرج بعضهم حتى وافَى طُوانة ونزلها مع العباس.

* * *

[ذكر خبر المحنة بالقرآن]

وفى هذه السنة كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم فى امتحان القضاة والمحدّثين ، وأمر بإشخاص جماعة منهم إليه إلى الرّقّة ؛ وكان ذلك أوّل كتاب كتب فى ذلك ، ونسخة كتابه إليه :

أما بعد ؛ فإن حقّ الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهادُ فى إقامة دين الله الذى استحفظهم ، ومواريث النبوّة التى أورثهم ، وأثْرِ العلم الذى استودعهم ، والعملُ بالحقّ فى رعيّتهم والتشمير لطاعة الله فيهم ، واللهَ

يسألَ أميرُ المؤمنين أن يوفقه لعزيمة الرّشد وصريمته(١) والإقساط فيما ولاّه الله من رعيّته برحمته ومنّته . وقد عرف أمير المؤمنين أنّ الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حَشْو الرعية وسفْلة العامة ممن لا نظَر له ولا روّية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته والاستضاءة بنور العلم وبرهانه فى جميع الأقطار والآفاق

٣/١١١٣

أهلُ جهالة بالله، وعمًى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به. ونكوبٍ عن واضحات أعلامه وواجب سبيله ، وقصورٍ أن يقدروا الله حقّ قدره ، ويعرفوه كنهَ معرفته ، ويفرّقوا بينه وبين خلقه ، لضعف آرائهم ونقص عقولهم وجفائهم عن التفكّر والتذكر ؛ وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن، فأطبقوا مجتمعين ،واتّفقوا غير متعاجمين ، على أنه قديم أوّل لم يخلقه الله ويُحْدِثه ويخترعه ، وقد قال الله عز وجل فى محكم كتابه الذى جعله لما فى الصدور شفاءً ، وللمؤمنين رحمةً وهدًى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (٢) ، فكلُّ ما جعله الله فقد خلقه ،وقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلمات وَالنُّورَ ﴾(٣) ، وقال عزّ وجلّ : ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِن أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبق ﴾(٤)، فأخبر أنه قصص لأمور أحدثه بعدها وتلا به متقدّمها ، وقال : ﴿ الَر * كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُن حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(٥)، وكل محكَمٍ مفصَّل فله محكِمٌ مفصِّل، والله محكم كتابه ومفصله ؛ فهو خالقه ومبتدعه .

٣/١١١٤

ثم هم الذين جادلوا بالباطل فدعوا إلى قولهم ، ونسبوا أنفسهم إلى السنة ،وفى كلّ فصل من كتاب الله قصَص من تلاوته مبطل قولهم ، ومكذّب دعواهم ، يرد عليهم قولهم ونِحْلتهم . ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحقّ والدين والجماعة، وأن مَنْ سواهم أهل الباطل والكفر والفُرْقة ، فاستطالوا بذلك على النّاس، وغرّوا به الجهّال حتى مال قوم من أهل السَّمْت الكاذب ، والتخشع لغير الله، والتقشّف لغير الدين إلى موافقتهم عليه ، ومواطأتهم على سيئ آرائهم ، تزيّناً

(١) الصريمة : العزيمة وقطع الأمر ، وفى ف : « وصريمة » .
(٢) سورة الزخرف ٣ .
(٣) سورة الأنعام ١
(٤) سورة طه ٩٩ .
(٥) سورة هود ١ ، ٢ .

بذلك عندهم وتصنعاً للرياسة والعدالة فيهم ، فتركوا الحق إلى باطلهم ، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالتهم ، فقبلت بتزكيتهم لهم شهادتهم ، ونفذت أحكام الكتاب بهم على دغل دينهم ، ونغل أديمهم ، وفساد نياتهم ويقينهم . وكان ذلك غايتهم التى إليها أجروا ، وإياها طلبوا فى متابعتهم والكذب على مولاهم ، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ، ودرسوا ما فيه ، أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم ، ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُها﴾[1] . ١١١٥/٣

فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة ورءوس الضلالة ، المنقوصون من التوحيد حظاً ، والمخسوسون من الإيمان نصيباً ، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ولسان إبليس الناطق فى أوليائه ، والهائل على أعدائه ؛ من أهل دين الله ، وأحق من يتهم فى صدقه ، وتطرح شهادته ، لا يوثق بقوله ولا عمله ؛ فإنه لا عمل إلا بعد يقين ، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام ، وإخلاص التوحيد ، ومن عمى عن رشده وحظه من الإيمان بالله وبتوحيده ؛ كان عما سوى ذلك من عمله والقصد فى شهادته أعمى وأضل سبيلا . ولعمر أمير المؤمنين إن أحجى[2] الناس بالكذب فى قوله ، وتخرص الباطل فى شهادته ، من كذب على الله ووحيه ، ولم يعرف الله حقيقة معرفته ، وإن أولاهم برد شهادته فى حكم الله ودينه من رد شهادة الله على كتابه ، وبهت حق الله بباطله .

فاجمع من بحضرتك من القضاة ، واقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون وتكشيفهم عما يعتقدون ، فى خلق الله القرآن وإحداثه ، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين فى عمله ، ولا واثق فيما قلده الله ، واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه وخلوص توحيده ويقينه ؛ فإذا أقروا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه ، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة . فمرهم بنص[3] من يحضرهم من الشهود على الناس ومسألتهم عن علمهم فى القرآن ، وترك إثبات شهادة من لم يقر أنه مخلوق محدث ولم يره ، والامتناع من توقيعها ١١١٦/٣

---

(١) سورة محمد ٢٤ . (٢) أحجى : أحق وأجدر .
(٣) نصه : استقصى مسألته عن الشيء .

عنده . واكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك فى مسألتهم ؛ والأمر لهم بمثل ذلك ؛ ثم أشرف عليهم وتَفَقَّد آثارهم حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر فى الدّين والإخلاص للتوحيد [١] ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون فى ذلك . إن شاء الله .

وكتب فى شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة ومائتين .

وكتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم فى إشخاص سبعة نفر ، منهم محمد ابن سعد كاتب الواقدىّ ، وأبو مسلم مستملى يزيد بن هارون ، ويحيى بن معين ، وزهير بن حرب أبو خيثمة ، وإسماعيل بن داود ، وإسماعيل بن أبى مسعود ، وأحمد بن الدَّوْرَقىّ ؛ فأشخصِوا إليه ، فامتحنهم وسألهم عن خلْق القرآن ، فأجابوا جميعًا إن القرآن مخلوق ، فأشخصهم إلى مدينة السلام وأحضرهم إسحاق بن إبراهيم دارَه ، فشهر أمرهم وقولهم بحضْرة الفقهاء والمشايخ من أهل الحديث ، فأقرُّوا بمثل ما أجابوا به المأمون ، فخلّى سبيلهم . وكان ما فعل من ذلك إسحاق بن إبراهيم بأمر المأمون . ٣/١١١٧

وكتب المأمون بعد ذلك إلى إسحاق بن إبراهيم :

أما بعدُ ، فإنّ من حق الله على خلفائه فى أرضه ، وأمنائه على عباده ، الذين ارتضاهم لإقامة دينه ، وحمّلهم رعايةَ [٢] خلْقه وإمضاء حكمه وسُنَنه [٣] والائتمام بعدله فى بريته ، أن يُجهدوا لله أنفسهم ، وينصحوا له فيما استحفظهم وقلدهم ، و يدلوا عليه — تبارك اسمه وتعالى — بفضل العلم الذى أودعهم ، والمعرفة التى جعلها فيهم ، ويهدوا إليه من زاغ عنه ، ويردّوا مَنْ أدبر عن أمره ، وينهجوا لرعاياهم سَمْت نجاتهم [٤] ، ويقِفوهم [٥] على حدود إيمانهم وسبيلِ فوزهم وعصمتهم ويكشفوا لهم مغطّيات أمورهم ومشتبهاتها عليهم ، بما يدفعون الرّيْب [٦] عنهم ، ويعود بالضياء والبيِّنة على كافّتهم ، وأن يؤثِروا ذلك من إرشادهم وتبصيرهم ، إذْ كان جامعاً لفنون مصانعهم ، ومنتظمًا لحظوظ عاجلتهم

---

(١) ف : « للتوحيد » .
(٢) ف : « وجعلهم رعاة » .
(٣) سن : « سننه » .
(٤) ف : « سبل نجاته » .
(٥) س : « ويفقهوهم » .
(٦) ف : « مايدفعون به العيب » .

وآجلتهم ، ويتذكّروا ما الله مُرصدٌ من مساءلتهم عمّا حُمّلوه ، ومجازاتهم بما[١] أسلفوه وقدموا عنده ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله وحدَه ، وحسبه الله وكفى به . ومما بيّنه أمير المؤمنين برويّتـه ، وطالعه بفكره ، فتبيّن عظيم خطره ، ١١١٨/٣ وجليل ما يرجع فى الدين من وكْفه[٢] وضرره ، ما ينال المسلمون[٣] بينهم من القول فى القرآن الذى جعله الله إمامًا لهم ، وأثرًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفيّه محمد صلى الله عليه وسلم باقيًا لهم ، واشتباهه على كثير منهم ؛ حتى حسن عندهم ، وتزيّن فى عقولهم ألا يكون مخلوقًا ، فتعرّضوا بذلك لدفع خلق الله الذى بان[٤] به عن خلقه ، وتفرّد بجلالته ؛ من ابتداع[٥] الأشياء كلها بحكمته وإنشائها بقدرته ، والتقدّم عليها بأوليّته[٦] التى لا يُبلَغ أولاها ، ولا يدرك مداها ؛ وكان كل شىء دونه خَلْقًا من خلقه ، وحدَثًا هو المحدِث له ؛ وإن كان القرآن ناطقًا به ودالًّا عليه ، وقاطعًا للاختلاف فيه ، وضاهَوْا به قول النصارى فى دعائهم فى عيسى بن مريم : إنه ليس بمخلوق ؛ إذ كان كلمة الله ، والله عزّوجل يقول : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا ﴾[٧] ، وتأويل ذلك أنا خلقناه كما قال جلّ جلاله : ﴿ وَجَعَلَ مِنهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيهَا ﴾[٨] وقال : ﴿ وجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعاشاً ﴾[٩] ، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[١٠] فسوّى عزّ وجلّ بين القرآن وبين هذه الخلائق التى ١١١٩/٣ ذكرها فى شية الصنعة ، وأخبر أنه جاعله وحده ، فقال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾[١١] ، فدل ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن ، ولا يحاط إلا بمخلوق ، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾[١٢] وقال : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ ﴾[١٣] ،

---

(١) س : «عما أسلفوه» .
(٢) أى من إيذائه .
(٣) س : «المسلمين» .
(٤) ف : «امتاز» .
(٥) ف : «بابتداع» .
(٦) ف : «بازليته» .
(٧) سورة الزخرف ٣ .
(٨) سورة الأعراف ١٨٩ .
(٩) سورة النبأ ١١ .
(١٠) سورة الأنبياء ٣٠ .
(١١) سورة البروج ٢١-٢٢
(١٢) سورة القيامة ١٦
(١٣) سورة الأنبياء ٢ .

وقال : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترَى عَلى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بآياتِهِ﴾(١) ، وأخبر عن قوم ذمَّهم بكذبهم أنهم قالوا : ﴿مَا أَنزَلَ اللهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيءٍ﴾(٢) ، ثم أكذبهم على لسان رسوله فقال لرسوله : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسى﴾(٣) ، فسمّى الله تعالى القرآن قرآناً وذكرًا وإيماناً ونورًا وهدًى ومباركاً وعربيًّا وقصصاً ، فقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾(٤) ، وقال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجنُّ على أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾(٥) ، وقال: ﴿قُلْ فأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفتَرَيَاتٍ﴾(٦) ، وقالَ : ﴿لاَ يأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْه وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾(٧) فجعل له أولا وآخرًا ، ودلّ عليه أنه محدود مخلوق

وقد عظّم هؤلاء الجهلة بقولهم فى القرآن الثّلْمَ فى دينهم ، والحرجَ فى أمانتهم(٨) ، وسهّلوا السبيلَ لعدوّ الإسلام، واعترفوا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم(٩) حتى عرّفوا ووصفوا خلْق الله وفعلَه بالصّفة التى هى لله وحده، وشبّهوه(١٠) به، والاشتباهُ أولى بخلقه. وليس يرى أميرُ المؤمنين لمن قال بهذه المقالة حظًّا فى الدّين ، ولا نصيبًا من الإيمان واليقين ، ولا يرى أن يحلّ أحداً منهم محلّ الثقة فى أمانة ، ولا عدالة ولا شهادة(١١) ولا صدق فى قول ولا حكاية، ولا تولية لشىء من أمر الرّعيّة ، وإن ظهر قصْد بعضهم ، وعُرف بالسدادِ مسدّدٌ فيهم ؛ فإن الفروع مردودة إلى أصولها، ومحمولة فى الحمْد والذمّ عليها ؛ ومن كان جاهلا بأمر دينه الذى أمره الله به من وحدانيته فهو بما سوّاه أعظم جهلا ، وعن الرّشد فى غيره أعمى وأضلّ سبيلا . ١١٢٠/٣

فاقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحاق القاضى كتاب

---

(١) سورة الأنعام ٢١ .
(٢) سورة الأنعام ٩١ .
(٣) سورة الأنعام ٩١ .
(٤) سورة يوسف ٣ .
(٥) سورة الإسراء ٨٨ .
(٦) سورة هود ١٣ .
(٧) سورة فصلت ٤٢ .
(٨) س : « أماناتهم » .
(٩) ف : « أنفسهم » .
(١٠) س : « وشهدوا » .
(١١) ف : « ولا أمانته ولا عدالته ولا شهادته » .

أمير المؤمنين بما كتب به إليك، وانصصها عن[1] علمهما فى القرآن، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين على شىء من أمور المسلمين إلاّ بمن وثق بإخلاصه وتوحيده ، وأنه لا توحيد[2] لمن لم يقرّ بأن القرآن مخلوق[3] فإن قالا بقول أمير المؤمنين فى ذلك، فتقدّمْ إليهما فى امتحان مَنْ يحضر مجالسهما بالشّهادات على الحقوق، ونصّهم عن قولهم فى القرآن؛ فمن لم يقلْ منهم إنه مخلوق أبطلا شهادته ، ولم يقطعا حكماً بقوله ؛ وإن ثبت عفافُه بالقصد والسّداد فى أمره . وافعل ذلك بمن فى سائر عملك من القضاة ، وأشرِف عليهم إشرافًا يزيد الله به ذا البصيرة فى بصيرته ، ويمنع المرتاب من إغفال دينه ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك فى ذلك. إن شاء الله .

قال : فأحضر إسحاقُ بن إبراهيم لذلك جماعة من الفقهاء والحكام والمحدّثين ، وأحضر أبا حسان الزيادىّ وبشر بن الوليد الكندىّ وعلىّ بن أبى مقاتل والفضل ابن غانم والذيّال بن الهيثم وَسجّادة والقواريرىّ وأحمد بن حنبل وقُتيبة وسعدويه الواسطىّ وعلىّ بن الجعد وإسحاق بن أبى إسرائيل وابن الهَرْش وابن عُلَيّة الأكبر ويحيى بن عبد الرحمن العمرىّ وشيخاً آخر من ولد عمر بن الخطاب — كان قاضى الرقة — وأبا نصر التّمار وأبا مَعْمَر القطيعىّ ومحمد بن حاتم بن ميمون ومحمد بن نوح المضروب وابن الفَرُّخان، وجماعة منهم النضْر بن شُمَيل وابن علىّ بن عاصم وأبو العوام البزّاز وابن شجاع وعبد الرحمن بن إسحاق؛ فأدخلوا جميعًا على إسحاق ، فقرأ عليهم كتاب المأمون هذا مرتيْن حتى فهموه ، ثم قال لبشر بن الوليد : ما تقولُ فى القرآن ؟ فقال : قد عرّفتُ مقالتى لأمير المؤمنين غير مرّة ؛ قال : فقد تجدّدَ من كتاب أمير المؤمنين ما قد ترى ، فقال : أقول: القرآن كلام الله ، قال : لمْ أسألك عن هذا، أمخلوق هو ؟ ١١٢٢/٣ قال : الله خالق كلّ شىء ، قال: ما القرآن شىء؟ قال : هو شىء ، قال: فمخلوق ؟ قال : ليس بخالق ، قال : ليس أسألك عن هذا، أمخلوق هو ؟ قال : ما أحسِنُ غيرَ ما قلت لك ، وقد استعهدتُ أمير المؤمنين ألاّ أتكلم

---

(١) ف: «على» .

(٢) ف : «ولا توحيد» .

(٣) س : «ليس بمخلوق» .

فيه ، وليس عندى غير ما قلت لك . فأخذ إسحاق بن إبراهيم رقعةً كانت بين يديه ، فقرأها عليه ، ووقّفه عليها ، فقال : أشهدأن لا إله إلا الله أحداً فرْداً ، لم يكن قبله شىء ولا بعده شىء ، ولا يشبهه شىء من خلقه فى معنًى من المعانى ، ولا وجه من الوجوه ، قال : نعم ؛ وقد كنت أضرب الناس على دون هذا ، فقال للكاتب : اكتب ما قال .

ثم قال لعلىّ بن أبى مقاتل : ما تقول يا علىّ ؟ قال : قد سمّعتُ كلامى لأمير المؤمنين فى هذا غير مرّة وما عندى غير ما سمع ، فامتحنه بالرقعة فأقرّ بما فيها ، ثم قال : القرآن مخلوق ؟ قال : القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، قال : هو كلام الله ؛ وإن أمرَنا أمير المؤمنين بشىء سمعنا وأطعنا . فقال للكاتب : اكتب مقالته .

ثم قال للذيّال نحواً من مقالته لعلىّ بن أبى مقاتل ، فقال له مثل ذلك.

ثم قال لأبى حسان الزيادىّ : ما عندك ؟ قال : سلْ عما شئت ، فقرأ عليه الرّقعة ووقّفه عليها ، فأقرّ بما فيها ، ثم قال : من لم يقل هذا القول فهو كافر ، فقال : القرآن مخلوق هو ؟ قال : القرآن كلام الله والله خالق كلّ شىء ، وما دون الله مخلوق ، وأمير المؤمنين إمامنا وبسببه سمعنا عامّة العلم ، وقد سمع ما لم نسمع ، وعلم ما لم نعلم ، وقد قلّده الله أمرنا ، فصار يقيم حجنا وصلاتنا ، ونؤدى إليه زكاة أموالنا ، ونجاهد معه ، ونرى إمامته إمامةً ، إن أمرَنا ائتمرنا ، وإن نهانا انتهينا ، وإن دعانا أجبنا . قال : القرآن مخلوق هو ؟ فأعاد عليه أبو حسان مقالته ، قال : إن هذه مقالة أمير المؤمنين ، قال : قد تكونُ مقالة أمير المؤمنين ولا يأمرُ بها الناس ولا يدعوهم إليها ؛ وإن أخبرتَنى أن أمير المؤمنين أمرَك أن أقول ، قلتُ ما أمرتَنى به ؛ فإنك الثقة المأمون فيما أبلغتَنى عنه من شىء ؛ فإن أبلغتَنى عنه بشىء صرت إليه ، قال : ما أمرنى أن أبلغك شيئًا. قال علىّ ابن أبى مقاتل : قد يكون قولُه كاختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفرائض والمواريث ، ولم يحملوا الناس عليها ، قال له أبو حسان : ما عندى إلا السمع والطاعة ، فمرنى آتمر ، قال : ما أمرنى أن آمرك[1] ؛ وإنما أمرنى أن أمتحنَك[2] .

١١٢٣/٣

(١) ا : « آمركم » . (٢) ا : « أمتحنكم » .

ثم عاد إلى أحمد بن حنبل ، فقال له : ما تقول فى القرآن ؟ قال : هو كلام[١] الله ، قال : أمخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله لا أزيد عليها ، فامتحنه بما فى الرّقعة[٢] ، فلما أتى على « ليس كمثله شىء » ، قال : ﴿ليس كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٣] وأمسك عن لا يشبهه شىء من خلقه فى معنى من المعانى ، ولا وجه من الوجوه ، فاعترض عليه ابن البكّاء الأصغر ، فقال : أصلحك الله ! إنه يقول : سميع من أذن ، بصير من عين ، فقال إسحاق لأحمد بن حنبل : ما معنى قوله[٤] : ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ؟ قال : هو كما وصف نفسه ، قال : فما معناه ؟ قال : لا أدرى ، هو كما وصف نفسه .

٣/١١٢٤

ثم دعا بهم رجلا رجلا ، كلهم يقول : القرآن كلام الله ، إلا هؤلاء النّفر : قتيبة وعبيدالله بن محمد بن الحسن وابن عُليّة الأكبر وابن البكّاء وعبدالمنعم ابن إدريس ابن بنت وهب بن منبّه والمظفّر بن مُرَجّأ ، ورجلاً ضريراً ليس من أهل الفقه ، ولا يعرّف بشىء منه ، إلا أنه دُسّ فى ذلك الموضع ، ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضى الرّقة ، وابن الأحمر ؛ فأما ابنُ البكاء الأكبر فإنه قال : القرآن مجعول لقول الله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[٥] والقرآن محدَث لقوله : ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾[٦] قال له إسحاق : فالمجعول مخلوق ؟ قال : نعم ، قال : فالقرآن مخلوق ؟ قال : لا أقول مخلوق ، ولكنه مجعول ؛ فكتب مقالته .

فلمّا فرغ من امتحان القوم ، وكتب مقالاتهم[٧] اعترض ابن البكّاء الأصغر ، فقال : أصلحك الله ! إنّ هذين القاضيين أئمة ، فلو أمرتَهما فأعادا الكلام ! قال له إسحاق : هما ممّن يقوم بحجة أمير المؤمنين ، قال : فلو أمرتَهما أن يُسمعانا مقالتهما ، لنحكى ذلك عنهما ! قال له إسحاق : إنْ شهدت

٣/١١٢٥

---

(١) س : « قال : « القرآن » .
(٢) ف : « بالرقعة وما فيها » .
(٣) سورة الشورى ١١ .
(٤) ف : « قولك » .
(٥) سورة الزخرف ٣ .
(٦) سورة الأنبياء ٢ .
(٧) ف : « مقالهم » .

عندهما بشهادة ، فستعلم مقالتهما إن شاء الله .

فكتب مقالة القوم رجلارجلا[1] ، ووُجِّهت إلى المأمون، فمكث القوم تسعة أيام ؛ ثم دعا بهم وقد ورد كتاب المأمون[2] جواب كتاب إسحاق بن إبراهيم فى أمرهم، ونسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ؛ فقد بلغ أميرَ المؤمنين كتابُك جواب كتابه كان إليك، فيماذهب إليه متصنِّعةُ أهل القِبْلة وملتمسو الرِّئاسة، فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة من القول فى القرآن، وأمرك به أمير المؤمنين من امتحانهم، وتكشيف أحوالهم وإحلالهم محالَّهم . تذكر إحضارك جعفر بن عيسى وعبدالرحمن ابن إسحاق عند ورود كتاب أمير المؤمنين مع من أحضرت ممّن كان ينسب إلى الفقه، ويعرف بالجلوس للحديث، وينصب نفسه للفُتْيا بمدينة السلام، وقراءتك عليهم جميعًا كتابَ أمير المؤمنين ، ومسألتك إياهم عن اعتقادهم فى القرآن، والدلالة لهم على حظِّهم، وإطباقهم على نفى التشبيه واختلافهم فى القرآن، وأمرك مَنْ لم يقل منهم إنه مخلوق بالإمساك عن الحديث والفتوى[3] فى السرّ والعلانية، وتقدّمك إلى السندىّ وعباس مولى أمير المؤمنين بماتقدّمت به فيهم إلى القاضيَيْن بمثل ما مثّل لك أمير المؤمنين من امتحان مَنْ يحضر مجالسهما من الشهود، وبثّ الكتب إلى القضاة فى النواحى من عملك بالقدوم عليك، لتحملهم وتمتحنهم على ما حدّه أميرُ المؤمنين، وتثبيتك فى آخر الكتاب أسماء مَنْ حضر ومقالاتهم ، وفهم أمير المؤمنين ما اقتصصتَ .

١١٢٦/٣

وأمير المؤمنين يحمَد الله كثيراً كما هو أهله، ويسأله أن يصلِّيَ على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ويرغبُ إلى الله فى التوفيق لطاعته، وحسن المعونة على صالح نيّته برحمته . وقد تدبّر أميرُ المؤمنين ماكتبتَ به من أسماء مَنْ سألت عن القرآن، ومارجع إليك فيه كلّ امرئ منهم، وما شرحت[4] من مقالتهم .

فأمّا ما قال المغرور بشر بن الوليد فى نفى التشبيه، وما أمسك عنه من أنّ القرآن

---

(١) ب : « رجل رجل » . (٢) ف : « أمير المؤمنين » .
(٣) ف : « الفتاوى » . (٤) س : « وشرحت » .

مخلوق ، وادّعى من تركه الكلام فى ذلك واستعهاده أميرَ المؤمنين ؛ فقد كذب بشر فى ذلك وكفر ، وقال الزور والمنكر ، ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه فى ذلك ولا فى غيره عهدٌ ولا نظرٌ أكثر من إخباره أميرَ المؤمنين من اعتقاده كلمةَ الإخلاص ، والقول بأنّ القرآن مخلوق ، فادعُ به إليك ، وأعلمه ما أعلمك به أميرُ المؤمنين من ذلك ، وأنصِصْه عن قوله فى القرآن ، واستتبْه منه ؛ فإنّ أمير المؤمنين يرى أن تستتيب مَن قال بمقالته ؛ إذ كانت تلك المقالة الكفر الصّراح ، والشّرْك المحض عند أمير المؤمنين ؛ فإن تاب منها فأشهر أمره ، وأمسك عنه ؛ وإن أصرّ على شركه ، ودفع أن يكون القرآن مخلوقًا بكفره وإلحاده ، فاضرب عنقه ، وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه ؛ إن شاء الله .

وكذلك إبراهيم بن المهدىّ فامتحنه بمثل ما تمتحن به بشراً ؛ فإنه كان يقول بقوله. وقد بلغتْ أميرَ المؤمنين عنه بوالغ ؛ فإن قال : إنّ القرآن مخلوق فأشهرْ أمره واكشفه ؛ وإلاّ فاضرب عنقه وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه ؛ إن شاء الله . ١١٢٧/٣

وأما علىّ بن أبى مقاتل ، فقلْ له : ألستَ القائلَ لأمير المؤمنين : إنّك تُحلّل وتحرّم ، والمكلّم له بمثل ما كلّمتَه به ؛ مما لم يذهب عنه ذكره !

وأما الذّيال بن الهيثم ؛ فأعلمه أنه كان فى الطعام الذى كان يسرقه فى الأنبار[١] وفيما يستولى[٢] عليه من أمر مدينة أمير المؤمنين أبى العباس مايشغله ؛ وأنّه لوكان مقتفيًا آثار سلفه ، وسالكًا مناهجهم ، ومحتذيًا سبيلَهم[٣] لما خرج إلى الشرك بعد إيمانه .

وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبى العوّام ، وقوله إنه لا يحسن الجواب فى القرآن ، فأعلمه[٤] أنه صبىّ فى عقله لا فى سنّه ، جاهل ، وأنه إن كان[٥] لا يحسن الجواب فى القرآن فسيُحسنه إذا أخذه التأديب ، ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك ؛ إن شاء الله .

وأما أحمد بن حنبل وما تكتب عنه ؛ فأعلمه أنّ أمير المؤمنين قد عرف

---

(١) س : « بالأنبار » .
(٢) س : « استولى » .
(٣) س : « سبلهم » .
(٤) س : « فاعلم » .
(٥) ف : « أنكر » .

فحوى تلك المقالة وسبيلَه فيها ، واستدلّ على جهله وآفته بها.

وأما الفضلُ بن غانم؛ فأعلمه أنه لم يخفَ على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر ، وما اكتسب من الأموال فى أقلّ من سنة ، وما شجَر بينه وبين المطّلب ابن عبدالله فى ذلك ؛ فإنه مَنْ كان شأنه شأنَه، وكانت رغبته فى الدّينار والدرهم رغبته ، فليس بمستنكَر[1] أن يبيع إيمانَه طمعًا فيهما ، وإيثاراً لعاجل نفعهما ، وأنه مع ذلك القائل لعلىّ بن هشام ما قال ، والمخالف له فيما خالفه فيه ؛ فما الذى حال به عن ذلك ونقله إلى غيره !

١١٢٨/٣

وأما الزّيادىّ ، فأعلمه أنه كان منتحلاً ، ولا كأوّل دَعىٍّ كان فى الإسلام خولف فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان جديراً أن يسلك مسلَكه ، فأنكر أبو حسّان أن يكون مولًى لزياد أو يكون مولًى لأحد من الناس؛ وذُكر أنه إنما نسب إلى زياد لأمر من الأمور .

وأما المعروف بأبى نصر التمّار ؛ فإن أمير المؤمنين شبّه خَساسة عقله بخساسة متجره .

وأما الفضل بن الفَرُّخان، فأعلمه أنه حاول بالقول الذى قاله فى القرآن أخذ الودائع التى أودعها إياه عبدالرحمن بن إسحاق وغيره تربُّصًا بمن استودعه، وطمعًا فى الاستكثار لما صار فى يده ، ولا سبيلَ عليه عن تقادم عهده ، وتطاول الأيام به ، فقلْ لعبد الرحمن بن إسحاق : لا جزاك الله خيراً عن تقويتك[2] مثل هذا وائتمانك[3] إياه ، وهو معتقد للشرك منسلخ من التوحيد .

وأما محمد بن حاتم وابن نوح والمعروف بأبى معمَر ؛ فأعلمهم أنهم مشاغيل بأكل الرّبا عن الوقوف على التوحيد ، وأن أمير المؤمنين لو لم يستحلّ محاربتهم فى الله ومجاهدتهم إلا لإربائهم ، وما نزل به كتاب الله فى أمثالهم ، لاستحلّ ذلك ، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شرْكًا ، وصار للنصارى مثلاً !

١١٢٩/٣

وأما أحمد بن شجاع ؛ فأعلمه أنك صاحبه بالأمس ، والمستخرج منه

---

(١) ف : « مستكثر » .
(٢) ف : « تقويتكم » .
(٣) س : « وإيمانك » .

ما استخرجتَه من المال الذى كان استحلّه من مال علىّ بن هشام ؛ وأنه ممّن الدينار والدرهم دينُه .

وأما سَعدويه الواسطىّ ، فقل له : قبح الله رجلا بلغ به التَّصنّع للحديث ، والتزين به ، والحِرْص على طلب الرئاسة فيه ؛ أن يتمنّى وقت المحنة ، فيقول بالتقرّب بها متى يمتحن ، فيجلس للحديث !

وأما المعروف بسجّادة ، وإنكاره أن يكون سمع ممّن كان يجالس من أهل الحديث وأهل الفقه القول بأنّ[1] القرآن مخلوق ، فأعلمه أنه فى شغله بإعداد النّوى وحكّه لإصلاح سجادته وبالودائع التى دفعها إليه علىّ بن يحيى وغيره ما[2] أذهلَه عن التوحيد وألهاه ، ثم سله عما كان يوسف بن أبى يوسف ومحمد ابن الحسن يقولانه ؛ إن كان شاهدَهما وجالسهما .

وأما القواريرىّ ؛ ففيما تكشّف من أحواله وقبوله الرّشا والمصانعات ، ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته وسخافة عقله ودينه ؛ وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أنه يتولّى لجعفر بن عيسى الحسنىّ مسائله ، فتقدّم إلى جعفر بن عيسى فى رفضِه ، وترك الثقة به والاستنامَة إليه . ٣/١١٣٠

وأما يحيى بن عبد الرحمن العمرىّ ؛ فإن[3] كان من ولد عمر بن الخطاب ، فجوابه معروف .

وأما محمد بن الحسن بن علىّ بن عاصم ، فإنه لو كان مقتديًا بمن مضى من سلَفه ، لم ينتحل النّحلة التى حُكيت عنه ، وإنه بعدُ صبىّ يحتاج إلى تعلم .

وقد كان أمير المؤمنين وجّه إليك المعروف بأبى مسهر بعد أن نصّه أميرُ المؤمنين عن محنته فى القرآن ، فجمجم عنها ولجلج فيها ، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف ، فأقرّ ذميمًا ، فأنْصِصْه عن إقراره ؛ فإن كان مقيمًا عليه فأشهرْ ذلك وأظهره ؛ إن شاء الله .

ومن لم يرجع عن شركه ممّن سميتَ لأمير المؤمنين فى كتابك ، وذكره

---

(١) ف : « من أن » . (٢) ف : « فا » . (٣) ف : « نإنه » .

أمير المؤمنين لك، أو أمسك عن ذكره فى كتابه هذا؛ ولم يقل إن القرآن مخلوق، بعد بشر بن الوليد وإبراهيم بن المهدىّ فاحملهم أجمعين[1] موثَقين إلى عسكر أمير المؤمنين، مع من يقوم بحفظهم وحراستهم فى طريقهم؛ حتى يؤدّيهم إلى عسكر أمير المؤمنين، ويُسلّمهم إلى مَنْ يؤمَن بتسليمهم إليه، لينصّهم أمير المؤمنين؛ فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعًا على السيف، إن شاء الله، ولا قوّة إلا بالله.

وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابه هذا فى خريطة بُنداريّة؛ ولم ينظر به اجتماع الكتب الخرائطيّة، معجّلا به، تقرّباً إلى الله عزّوجلّ بما أصدر من الحكم ورجاء ما اعتمد، وإدراك ما أمّل من جزيل ثواب الله عليه؛ فأنفذ لما أتاك من أمر المؤمنين، وعجّل إجابة أمير المؤمنين بما يكون منك فى خريطة بُنْداريّة مفردة عن سائر الخرائط، لتعرّف أمير المؤمنين ما يعملونه إن شاء الله. ٣/١١٣١

وكتب سنة ثمان عشرة ومائتين.

فأجاب القوم كلُّهم حين أعاد القول عليهم إلى أنّ القرآن مخلوق، إلاّ أربعة نفر؛ منهم أحمد بن حنبل وسجّادة والقواريرىّ ومحمد بن نوح المضروب. فأمر بهم إسحاق بن إبراهيم فشُدّوا فى الحديد؛ فلما كان من الغد دعا بهم جميعاً يساقون فى الحديد، فأعاد عليهم المحنة، فأجابه سجّادة إلى أن القرآن مخلوق، فأمر باطلاق قَيْده وخلّى سبيلَه، وأصرّ الآخرون على قولهم؛ فلمّا كان من بعد الغد عاودهم أيضا، فأعاد عليهم القول، فأجاب القواريرىّ إلى أن القرآن مخلوق، فأمر بإطلاق قيده، وخلّى سبيله، وأصرّ أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما، ولم يرجعا، فشُدّا جميعًا فى الحديد، ووُجّها إلى طَرَسُوس، وكتب معهما كتاباً بإشخاصهما، وكتب كتابًا مفرداً بتأويل القوم فيما أجابوا إليه. فمكثوا أيامًا، ثمّ دعا بهم فإذا كتابٌ قد ورد من المأمون على إسحاق بن إبراهيم، أن قد فهم أمير المؤمنين ما أجاب القوم إليه، وذكر سليمان بن يعقوب صاحب الخبر أنّ بشر بن الوليد تأوّل الآية التى أنزلها الله تعالى فى عمار بن ياسر: ﴿إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مطمئِنٌّ بالإيمان﴾[2] ٣/١١٣٢

(١) ف: «جميعاً». ( ) سورة النحل ١٦٠

وقد أخطأ التأويل؛ إنما عنى الله عزّ وجلّ بهذه الآية مَنْ كان[(١] معتقد الإيمان، مظهرَ الشرك[١)]، فأما مَنْ كان معتقدَ الشّرْك مظهر الإيمان؛ فليس هذه[(٢)] له. فأشخصهم جميعًا إلى طَرَسُوس؛ ليقيموا بها إلى خروج أمير المؤمنين من بلاد الروم.

فأخذ إسحاق بن إبراهيم من القوم الكُفلاء ليوافُوا العسكر بطَرسوس، فأشخص أبا حسان وبشر بن الوليد والفضل بن غانم وعليّ بن أبي مقاتل والذّيال بن الهيثم ويحيى بن عبد الرحمن العمريّ وعليّ بن الجَعْد وأبا العوّام وسجّادة والقواريريّ وابن الحسن بن عليّ بن عاصم وإسحاق بن أبي إسرائيل والنّضْر بن شُميل وأبا نصر التّمار وسعدويه الواسطيّ ومحمد بن حاتم بن ميمون وأبا معمَر وابن الهرْش وابن الفرُّخان وأحمد بن شجاع وأبا هارون بن البكّاء. فلما صاروا إلى الرّقة بلغتهم وفاة المأمون؛ فأمر بهم عنبسة بن إسحاق — وهو والي الرّقة — أن يصيروا إلى الرّقة، ثم أشخصهم إلى إسحاق بن إبراهيم بمدينة السلام مع الرسول المتوجّه بهم إلى أمير المؤمنين، فسلّمهم إليه، فأمرهم إسحاق بلزوم منازلهم، ثم رخّص لهم بعد ذلك في الخروج، فأما بشر بن الوليد والذّيال وأبو العوّام وعلي بن أبي مقاتل؛ فإنهم شخصوا من غير أن يؤذَن لهم حتى قدموا بغداد، فلقوا من إسحاق بن إبراهيم في ذلك أذًى، وقدم الآخرون مع رسول إسحاق بن إبراهيم؛ فخلى سبيلهم. ١١٣٣/٣

* * *

[كتب المأمون إلى عماله ووصيته في كتبه]

وفي هذه السنة نُفّذت كتبُ المأمون إلى عمّاله في البلدان: من عبد الله عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده أبي إسحاق بن أمير المؤمنين الرّشيد. وقيل إنّ ذلك لم يكتبه المأمون كذلك؛ وإنما كتب في حال إفاقة من غَشْيَةٍ أصابته في مرضه بالبَدَنْدُون[(٣)]، عن أمر المأمون إلى

(١ – ١) س: «معتقداً الإيمان مظهراً للشرك». (٢) ف: «هذا».
(٣) في ياقوت: «بدندون، بفتحتين وسكون النون ودال مهملة وواو ساكنة ونون: قرية بينها وبين طرطوس يوم من بلاد الثغر، مات بها المأمون، فنقل إلى طرسوس، ودفن بها».

العباس بن المأمون ، وإلى إسحاق وعبد الله بن طاهر ؛ أنه إن حدَث به حدَث الموت فى مرضه هذا، فالخليفة من بعده أبو إسحاق بن أمير المؤمنين الرّشيد . فكتب بذلك محمد بن داود ، وختم الكتب وأنفذها .

فكتب أبو إسحاق إلى عمّاله : من أبى إسحاق أخى أمير المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين .

فورد كتاب من أبى إسحاق محمد بن هارون الرشيد إلى إسحاق بن يحيى بن مُعاذ عامله على جند دمَشق يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلتْ من رجب ، عنوانه : من عبدالله عبدالله الإمام المأمون أمير المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين أبى إسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد : أما بعد ؛ فإنّ أميرَ المؤمنين أمر بالكتاب إليك فى التقدّم إلى عمالك فى حسن السيرة وتخفيف المئونة وكف الأذى عن أهل عملك ، فتقدّم إلى عمّالك فى ذلك أشدّ التقدمة ، واكتب إلى عمّال الخراج بمثل ذلك .

٣/١١٣٤

وكتب إلى جميع عمّاله فى أجناد الشأم ؛ جند حِمْص والأردنّ وفلسطين بمثل ذلك ؛ فلما كان يوم الجمعة لإحدى عشرة بقيتْ من رجَب صلى الجمعة إسحاق بن يحيى بن مُعاذ فى مسجد دمشق ، فقال فى خطبته بعد دعائه لأمير المؤمنين : اللهمّ وأصلح الأميرَ أخا المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين أبا إسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المأمون]

وفى هذه السنة توفّىَ المأمون .

* ذكر الخبر عن سبب المرض الذى كانت فيه وفاته :

ذُكر عن سعيد العلاّف القارئ ، قال : أرسل إلىّ المأمون وهو ببلاد الرّوم – وكان دخلها من طَرَسُوس يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة – فحُملتُ إليه وهو فى البَدَنْدون ؛ فكان يستقرئنى ، فدعانى يومًا ، فجئتُ فوجدتُه جالسًا على شاطئ البَدَنْدُون ، وأبو إسحاق المعتصم جالس عن يمينه ، فأمرنى فجلست نحوه منه ؛ فإذا هو وأبو إسحاق مدلّيان

أرجلهما فى ماء البَدَنْدُون ، فقال : يا سعيد ، دَلّ رجليك فى هذا الماء ٣/١١٣٥
وذقه ؛ فهل رأيت ماء قطّ أشد برداً ، ولا أعذب ولا أصفى صفاء منه !
ففعلت وقلت : يا أميرَ المؤمنين ، ما رأيت مثل هذا قطّ ، قال : أىّ شىء يطيب
أن يؤكل و يشرب هذا الماء عليه ؟ فقلت : أمير المؤمنين أعلم ، فقال : رُطَب
الآزاذ [١] ؛ فبينا هو يقول هذا إذا سمع وقع لجُم البريد فالتفتَ ، فنظر
فإذا بغالٌ من بغال البريد ، على أعجازها حقائب فيها الألطاف ، فقال لخادم
له [٢] : اذهب فانظر : هل فى هذه الألطاف رُطَب ؟ فانظره ، فإن كان آزاذ فأت
به ؛ فجاء يسعى بسلّتين فيهما رطب آزاذ ، كأنما جُنِى من النخل تلك
الساعة ؛ فأظهر شكراً لله تعالى ؛ وكثر تعجُّبُنا منه ، فقال : ادن فكل ،
فأكل هو وأبو إسحاق ، وأكلت معهما ، وشربْنا جميعًا من ذلك الماء ؛ فما
قام منا أحد إلا وهو محمومٌ ؛ فكانت منيّة المأمون من تلك العلّة ؛ ولم يزل
المعتصم عليلاً حتى دخل العراق ، ولم أزل عليلا حتى كان قريبًا .

ولما اشتدّت بالمأمون علّته بعث إلى ابنه العباس ، وهو يظنّ أن لن يأتيَه ،
فأتاه وهو شديد المرض متغيّر العقل ، قد نُفِّذت الكتب بما نُفذت له [٣] فى
أمر أبى إسحاق بن الرشيد ، فأقام العباس عند أبيه أيامًا ، وقد أوصى قبل ذلك
إلى أخيه أبى إسحاق . ٣/١١٣٦

وقيل : لم يوصِ إلاّ والعباس حاضر ، والقضاة والفقهاء والقوّاد والكتاب ،
وكانت وصيته : هذا ما أشهد عليه عبدالله بن هارون أمير المؤمنين بحضْرة
مَنْ حضره ؛ أشهدهم جميعًا على نفسه أنه يَشهد ومَنْ حضره أن الله عز
وجلّ وحده لا شريك له فى ملكه ، ولا مدبّر لأمره غيره ، وأنه خالقٌ وما سواه
مخلوق ، ولا يخلو القرآن أن يكون شيئًا له مثل ؛ ولا شىء مثله تبارك وتعالى ،
وأن الموت حقّ ، والبعث حقّ ، والحساب حقّ ، وثواب المُحسن الجنة وعقاب
المُسىء النار ، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد بلّغ عن ربّه شرائعَ دينه ،
وأدّى نصيحته إلى أمته ؛ حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه أفضلَ صلاة

---

(١) ذكره الجواليقى فى المعرب ٣٤ (٢) ف : « لغلام من غلمانه » .
(٣) ف : « فيه من » .

صلاّها على أحد من ملائكته المقرّبين وأنبيائه والمرسلين ، وأنى مقرّ مذنب ، أرجو وأخاف ؛ إلا أنّي إذا ذكرت عفوَ الله رجوتُ ؛ فإذا أنا متّ فوجّهوني وغمّضوني ، وأسبغوا وَضوئي وطهوري ، وأجيدوا كَفَني ؛ ثم أكثِروا حَمْد الله على الإسلام ومعرفة حقه عليكم في محمد ؛ إذ جعلَنا من أمّته المرحومة ، ثم أضجعوني على سريري ، ثم عجِّلوا بي ؛ فإذا أنتم وضعتموني للصلاة ؛ فليتقدّم بها من هو أقربكم بي نسبًا ، وأكبركم سنًّا ، فليكبّر خمسًا ، يبدأ في الأولى في أولها بالحمد لله والثناء عليه والصّلاة على سيدّي وسيد المرسلين جميعًا ، ثم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات ؛ الأحياء منهم والأموات ، ثم الدّعاء للذّين سبقونا بالإيمان ، ثم ليكبّر الرابعة ، فيحمد الله ويهلّله ويكبّره ويسلم في الخامسة ، ثم أقلّوني فأبلغوا بي حُفرتي ، ثم لينزِل أقربكم إليّ قرابةً ، وأودّكم محبة ، وأكثِروا من حمد الله وذكره ، ثم ضَعُوني على شقّ الأيمن واستقبلوا بيَ القبلةَ ، وحُلُّوا كفني عن رأسي ورجليّ ، ثم سدّوا اللحد باللَّبِن ، واحْثُوا ترابًا عليّ[1] ، واخرجوا عني وخلُّوني وعملي ؛ فكلكم لا يغني عني شيئاً ، ولا يدفع عني مكروهًا ، ثم قفوا بأجمعكم فقولوا[2] خيراً إن علمتم ، وأمسِكوا عن ذكر شرّ إن كنتم عرفتم ، فإني مأخوذٌ من بينكم بما تقولون وما تلفظون به ، ولا تدَعُوا باكيةً عندي ؛ فإن المعْوَل عليه يعذّب . رحمَ الله امرأً اتّعظ وفكر فيما حتّم الله على جميع خلقه من الفناء ، وقضى عليهم من الموت الذي لا بدّ منه ، فالحمد لله الذي توحّد بالبقاء ، وقضى على جميع خلقه الفناء . ثم ليَنظر ما كنتُ فيه من عزّ الخلافة ؛ هل أغنى ذلك عني شيئًا إذ جاء أمر الله ! لا والله ، ولكن أضعِف عليّ به الحسابُ ، فياليت عبد الله بن هارون لم يكن بشرًا ، بل ليته لم يكن خلقًا ! يا أبا إسحاق ، ادنُ منّي ، واتّعظ بما ترى ، وخذ بسيرة أخيك في القرآن ، واعمل في الخلافة إذا طوّقكها الله عمل المريد لله ، الخائف من عقابه وعذابه ؛ ولا تغترّ بالله ومهلته[3] ؛ فكأنْ قد نزل بك الموت . ولا تغفل أمر الرّعيّة . الرعيةَ الرعيةَ ! العوامّ العوامّ ! فإن المُلْك بهم وبتعهّدك[4] المسلمين والمنفعة لهم . اللهَ اللهَ فيهم وفي غيرهم من المسلمين !

١١٣٧/٣

١١٣٨/٣

---

(١) ف : « التراب » .
(٢) س : « وقولوا » .
(٣) س وابن الاثير : « وتمهيله » .
(٤) ف : « وتمهلك » .

ولا يُنهيَنَّ إليك أمر فيه صلاح للمسلمين [١] ومنفعة لهم إلا قدّمته وآثرته على غيره من هواك ، وخذ من أقويائهم لضعفائهم ، ولا تحمل عليهم فى شىء ، وأنصف بعضَهم من بعض بالحقّ بينهم ، وقرّبهم وتأنّهم ، وعجل الرِّحلة عنّى ، والقدوم إلى دار مُلْكِك بالعراق ، وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم فى كل وقت . والخُرَّمية فأغزهم ذا حزامة وصرامة وجلَد ، وأكْنِفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرّجالة ؛ فإن طالت مدتهم فتجرّد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك ، واعمل فى ذلك عمل مقدّم النيّة فيه ، راجيًا ثواب الله عليه . واعلم أنّ العِظة إذا طالت أوجبتْ على السامع لها والموصى بها الحجّة ؛ فاتق الله فى أمرك كله ، ولا تُفْتَنَن .

ثم دعا أبا إسحاق بعد ساعة حين اشتدّ به الوجَع ، وأحسّ بمجىء أمر الله فقال له : يا أبا إسحاق ، عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومنّ بحق الله فى عباده ، ولتؤثرنّ طاعته على معصيته ؛ إذ أنا [٢] نقلتُها من غيرك إليك ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فانظر مَنْ كنت تسمعنى أقدّمه على لسانى فأضعِف له التّقدمة ؛ عبد الله بن طاهر أقرّه على عمله ولا تهجْه ، فقد عرفتَ الذى سلفَ منكما أيام حياتى وبحضرتى ، استعطفه بقلبك ، وخُصّه ببرّك ، فقد عرفتَ بلاءه وغَناءه عن أخيك . وإسحاق بن إبراهيم فأشرِكْه فى ذلك ؛ فإنه أهلٌ له . وأهل بيتك ، فقد علمتَ أنه لا بقيّة فيهم وإن كان بعضهم يظهر الصّيانة لنفسه . عبد الوهاب عليك به من بين أهلك ، فقدّمه عليهم ، وصيّر أمرهم إليه . وأبو عبد الله بن أبى داود فلا يفارقْك ، وأشركه فى المشورة فى كلّ أمرك ؛ فإنه موضع لذلك منك ، ولا تتخذنّ بعدى وزيراً تلقى إليه شيئاً ؛ فقد علمتَ ما نكبنى به يحيى بن أكثم فى معاملة الناس وخبْث سيرته [٣] حتى أبان الله ذلك منه فى صحّة منى ، فصرتُ إلى مفارقته ! قاليًا له غير راضٍ بما صنع فى أموال الله وصدقاته ، لا جزاه الله عن الإسلام خيراً ! وهؤلاء بنو عمّك من ولد أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ،

١١٣٩/٣

(١) ف : « المسلمين » .
(٢) س وابن الأثير : « إذا » .
(٣) ف : « سريرته » .

فأحسن صحبتَهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، واقبَلْ من محسنهم ، وصِلاتهم فلا تغفلْها فى كلّ سنة عند محلِّها ، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتّى . اتقوا الله ربكم حقّ تقاتـه ولا تموتـُنّ إلا وأنتم مسلمون. اتقوا الله واعملوا له ، اتقوا الله فى أموركم كلها . أستودعكم[١] الله ونفسى وأستغفر الله مما سلف ، وأستغفر الله مما كان منى ، إنه كان غفاراً ، فإنه ليَعْلَمُ كيف ندمِى على ذنوبى ، فعليه توكلت من عظيمها[٢] ، وإليه أنيب ولا قوّة إلا بالله ، حسبى الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد نبيّ الهدى والرحمة ! ٣/١١٤٠

* * *

ذكر الخبر عن وقت وفاته والموضع الذى دفن فيه ومَنْ صلّى عليه ومبلغ سنّه وقَدْر مدة خلافته

قال أبو جعفر[٣] : وأما وقت وفاته ، فإنه اختُلف فيه ، فقال بعضهم : توفّىَ يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيتْ من رجب بعد العصر سنة ثمان عشرة ومائتين .

وقال آخرون : بل توفّىَ فى هذا اليوم مع الظهر ، ولما توفّىَ حمله ابنُه العباس وأخوه أبو إسحاق محمد بن الرشيد إلى طَرَسوس ، فدفناه[٤] فى دار كانت لخاقان خادم الرشيد ، وصلّى عليه أخوه أبو إسحاق المعتصم ، ثم وكّلوا[٥] به حرَسًا من أبناء أهل طَرَسوس وغيرهم مائة رجل ، وأُجْرِىَ على كلّ رجلٍ منهم تسعون درهمًا .

وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يومًا ؛ وذلك سوى سنتين كان دُعِىَ له فيهما بمكة وأخوه الأمين محمد بن الرّشيد محصور ببغداد .

وكان ولد للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة .

---

(١) ابن الأثير ، ف : « استودعتكم » .
(٢) س : « عظمها » .
(٣) من ف
(٤) س : « ودفناه » .
(٥) ف : « ووكلوا » .

وكان يكنى — فيما ذكر ابن الكلبي — أبا العباس .

وكان رَبْعة[١] أبيض جميلا ، طويل اللحية ، قد وخطه الشيب[٢]. وقيل كان أسمر تعلوه صفرة ، أحْنَى أعيْن[٣] طويل اللحية رقيقها ، أشيب ، ضيِّق الجبهة ، بخدِّه خالٌ أسود . ١١٤١/٣

واستُخلِف يوم الخميس لخمس ليال بقين من المحرم .

* * *

ذكر بعض أخبار المأمون وسِيَره

ذُكر عن محمد بن الهيثم بن عديّ ، أن إبراهيم بن عيسى بن بُريهة بن المنصور ، قال : لما أراد المأمون الشخوصَ إلى دمشق هيّأتُ له كلامًا ، مكثت فيه يومين وبعض آخر ، فلما مثلتُ بين يديه قلتُ : أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، فى أدوم العزّ وأسبغ الكرامة ، وجعلنى من كلّ سوء فداه ! إنّ من أمسى وأصبح يتعرّف من نعمة الله ، له الحمد كثيراً عليه برأى أمير المؤمنين أيّده الله فيه ، وحُسْن تأنيسه له ، حقيق بأن يستديم هذه النعمة ، ويلتمس الزيادة فيها بشكر الله وشكر أمير المؤمنين ، مدّ الله فى عمره عليها . وقد أحبّ أن يعلم أميرُ المؤمنين أيّده الله أنى لا أرغب بنفسى عن خدمته أيده الله بشىء من الخَفْض والدّعة ؛ إذ كان هو أيّده الله يَتجشّم خُشونة السفر ونصَب الظّعْن ، وأوْلى الناس بمواساته فى ذلك وبذل نفسه فيه أنا ، لما عرّفنى اللهُ من رأيه ، وجعل عندى من طاعته ومعرفة ما أوجب الله من حقه ؛ فإن رأى أميرُ المؤمنين أكرمه الله أن يكرمنى بلزوم خدمته ، والكينونة معه فعل . فقال لى مبتدئًا من غير تروية : لم يعزم أميرُ المؤمنين فى ذلك على شىء ، وإن استصحب أحداً من أهل بيتك بدأ بك ؛ وكنت المقدَّم عنده فى ذلك ؛ ولا سيّما إذْ أنزلتَ نفسك بحيث أنزلكَ أمير المؤمنين من نفسه ؛ وإن ترك ذلك فمن غير قِلاً لمكانك ؛ ولكن بالحاجة إليك . قال : فكان واللهِ ابتداؤه أكثرَ من تَرْوِيَتى . ١١٤٢/٣

---

(١) يقال : فلان ربعة ومربوع ، أى ما بين الطويل والقصير .
(٢) وخطه الشيب ، أى خالطه وفشا فيه ، أو استوى سواده وبياضه .
(٣) رجل أحنى ، أى فى ظهره احديداب . وأعين : واسع العين .

وذكر عن محمد بن عليّ بن صالح السرخسيّ، قال: تعرّض رجلٌ للمأمون بالشأم مراراً، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، انظر لعرب الشأم كما نظرت لعجم أهل خراسان! فقال: أكثرت عليّ يا أخا أهل الشأم؛ والله ما أنزلت قيساً عن ظهور الخيل إلاّ وأنا أرى أنه لم يبقَ في بيتِ مالي درهم واحد؛ وأما اليمن فوالله ما أحببتُها ولا أحبّتني قطّ؛ وأما قُضاعة فسادتُها تنتظر السفيانيّ وخروجَه فتكونُ من أشياعه، وأمّا رَبيعة فساخطةٌ على الله منذ بعث نبيَّه من مُضَر؛ ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شاريًا، اعزُبْ فعل الله بك!

وذُكر عن سعيد بن زياد أنه لما دخل على المأمون بدمشق قال له: أرِني الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم، قال: فأريته، قال: فقال: إني لأشتهي أن أدري أيّ شيء هذا الغِشاء على هذا الخاتم؟ قال: فقال له أبو إسحاق: حُلّ العقد حتى تدري ما هو، قال: فقال: ما أشكّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم عقد هذا العقد، وما كنت لأحلّ عقداً عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال للواثق: خذه فضعْه على عينك؛ لعلّ الله أن يشفيَك. قال: وجعل المأمون يضعه على عينه ويبكى. ٣/١١٤٣

وذُكر عن العَيْشيّ صاحب إسحاق بن إبراهيم، أنه قال: كنت مع المأمون بدمشق، وكان قد قلّ المالُ عندَه حتى ضاق، وشكا ذلك إلى أبي إسحاق المعتصم، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، كأنك بالمال وقد وافاكَ بعد جمعة. قال: وكان حمل إليه ثلاثون ألف ألف مِنْ خراج ما يتولاه له، قال: فلما وردَ عليه ذلك المال، قال المأمون ليحيى بن أكثم: اخرج بنا ننظر إلى هذا المال، قال: فخرجا حتى أصحرَا، ووقفا ينظرانه؛ وكان قد هُيِّئَ بأحسن هيئة، وحُلِّيَتْ أباعرُه، وأُلبِست الأحلاس الموشّاة والجِلال المصبّغة وقُلِّدت العِهن، وجعلت البدر بالحرير الصينيّ الأحمر والأخضر والأصفر، وأبديت رءوسها. قال: فنظر المأمون إلى شيء حسن، واستكثر ذلك، فعظم في عينه، واستشرفه الناس ينظرون إليه، ويعجبون منه، فقال المأمون ليحيى: يا أبا محمد، ينصرف أصحابنا هؤلاء الذين تراهم الساعة خائبين إلى منازلهم،

وننصرف بهذه الأموال قد ملكناها دونهم ! إنا إذاً للئام . ثم دعا محمد بن يزداد ، فقال له : وقّع لآل فلان بألف ألف ، ولآل فلان بمثلها ، ولآل فلان بمثلها . قال : فوالله إن[1] زال كذلك حتى فرّق أربعة وعشرين ألف ألف درهم ورجله فى الركاب ، ثم قال : ادفع الباقى إلى المعلَّى يعطى جندنا . قال العيشىّ : فجئت حتى قمت نصب عينه ، فلم أردّ طرفى عنها ، لا يلحظنى إلا رآنى بتلك الحال . فقال : يا أبا محمد ، وقّع لهذا بخمسين ألف درهم من الستة الآلاف ألف ؛ لا يختلس ناظرى . قال : فلم يأت على ليلتان حتى أخذت المال .

٣/١١٤٤

وذكر عن محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان ؛ أنه كان بالبصرة رجلٌ من بنى تميم ، وكان شاعراً ظريفاً خبيثاً منكراً ؛ وكنت أنا والى البصرة ، آنسُ به وأستحليه ؛ فأردتُ أن أخدَعه وأستنزله ، فقلت له : أنت شاعر وأنت ظريف ، والمأمون أجودُ من السحاب الحافل والريح العاصف ؛ فما يمنعك منه ؟ قال : ما عندى ما يُقلُّنِى ، قلت : فأنا أعطيك نجيباً فارهاً ، ونفقة سابغة ، وتخرج إليه وقد امتدحتَه ؛ فإنك إن حظيتَ بلقائه ، صرْت إلى أمنيّتك . قال : والله أيها الأمير ما إخالك أبعدت ؛ فأعدّ لى ما ذكرت . قال : فدعوتُ له بنجيب فاره ، فقلت : شأنك به فامتطه ؛ قال : هذه إحدى الحُسْنَيَيْن ، فما بال الأخرى! فدعوت له بثلثمائة درهم ، وقلت : هذه نفقتك ؛ قال : أحسبك أيها الأمير قصَّرْت فى النفقة ، قلت : لا ، هى كافية ، وإن قصّرت عن السَّرف . قال : ومتى رأيت فى أكابر سعد سرفاً حتى تراه فى أصاغرها ! فأخذ النجيب والنفقة ، ثم عمل أرجوزه ليست بالطويلة ، فأنشد فيها وحذف منها ذكرى والثناء علىّ — وكان مارداً — فقلت له : ما صنعتَ شيئاً . قال : وكيف ؟ قلت : تأتى الخليفةَ ولا تُثْنِى على أميرك! قال : أيّها الأمير أردت أن تخدعنى فوجدتنى خدّاعاً ، ولمثلها ضرب هذا المثل : « من يَنِك العَيْر يَنِك نيّاكاً » ؛ أما والله ما لكرامتى حملْتَنى على نجيبك ، ولا جُدْتَ لى بمالك الذى ما رامه أحد قطّ إلا جعل الله خدّه الأسفل ؛ ولكن لأذكـ

٣/١١٤٥

(١) ف : « لم يزل » .

فى شعرى وأمدحك عند الخليفة ، أفهم هذا . قلت : قد صدقت ، فقال : أمّا إذْ أبديتَ ما فى ضميرك ، فقد ذكرتك، وأثنيت عليك، فقلت : فأنشدنى ما قلتَ ، فأنشدنيه ، فقلت : أحسنتَ ؛ ثم ودّعنى وخرج فأتى الشام ؛ وإذا المأمون بسلغوس . قال : فأخبِرْنى . قال : بينا أنا فى غزاة قرّة [1] ، قد ركبتُ نجيبى ذاك ، ولبستُ مقطّعاتى ، وأنا أروم العسكر ؛ فإذا أنا بكهل على بغل فاره ما يقرّ قراره ، ولا يدرك خطاه . قال : فلتقّانى مكافحة ومواجهة ، وأنا أردّد نشيد أرجوزتى ، فقال : سلام عليكم – بكلام جهورىّ ولسان بسيط – فقلت : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، قال : قف إن شئت ، فوقفت فتضوّعتْ منه رائحة العنبر والمسك الأذفر ، فقال : ما أوّلك ؟ قلت : رجل من مضر ، قال : ونحن من مضر ، ثم قال : ثمّ ماذا ؟ قلت : رجلٌ من بنى تميم ، قال : وما بعد تميم ؟ قلت : من بنى سعد ، قال : هيه ، فما أقدمك هذا البلد ؟ قال : قلت : قصدتُ هذا الملك الذى ما سمعت بمثله أندى رائحةً ، ولا أوسعَ راحة ، ولا أطولَ باعًا ، ولا أمدّ يفاعاً [2] منه . قال : فما الذى قصدتَه به ؟ قلت : شعر طيب يلذّ على الأفواه ، وتقتفيه الرّواة ، ويحلو فى آذان المستمعين ، قال : فأنشدْنيه ، فغضبتُ وقلت : يا ركيك ، أخبرتُك أنى قصدتُ الخليفة بشعر قلتُه ، ومديح حبّرتُه ، تقول : أنشدْنيه ! قال : فتغافل والله عنها ، وتطأمن لها ، وألغى عن جوابها ؛ قال : وما الذى تأمل منه ؟ قلت : إن كان على ما ذُكر لى عنه فألف دينار ، قال : فأنا أعطيكَ ألفَ دينار إن رأيتُ الشعرَ جيّداً والكلام عذباً وأضع عنك العناء ، وطول التّرداد ؛ ومتى تصلُ إلى الخليفة وبينك وبينه عشرة آلاف رامحٍ ونابل ! قلت : فلى الله عليك أن تفعل ! قال : نعم لك الله علىّ أن أفعل ، قلت : ومعك الساعة مال ؟ قال : هذا بغلى وهو خيرٌ من ألف دينار ، أنزلُ لك عن ظهره ، قال : فغضبتُ أيضًا وعارضنى نزق سعْد وخفّة أحلامها ، فقلت : ما يساوى هذا البغل هذا النجيب ! قال :

(١) ف : « عداة فر » .

فدعْ عنك البغل ، ولك الله علىّ أن أعطيَك الساعة ألف دينار ، قال : فأنشدته :

مأْمونُ ياذاالمِننِ الشريفَهْ[1] وصاحبَ المرتبةِ المُنيفَهْ
وقائدَ الكتيبةِ الكثيفَهْ هل لك فى أرجوزةٍ ظريفهْ
أظرَفَ مِن فقهِ أبى حنيفهْ لا والذى أنت له خليفهْ
ما ظُلِمَتْ فى أرضنا ضعيفهْ أميرُنا مُؤْنَتُهُ خَفيفهْ
وما اجتبى شيئاً سوى الوظيفهْ فالذئبُ والنَّعجةُ فى سَقيفهْ
* واللصّ والتاجرُ فى قَطيفَهْ *

قال : فوالله ما عدا أن أنشدته ، فإذا زُهاء عشرة آلاف فارس قد سدوا الأفق ، يقولون : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! قال : فأخذنى أفكلٌ[2] ، ونظر إلىّ بتلك الحال ، فقال : لا بأس عليك أى أخى ، قلت : يا أميرَ المؤمنين ، جعلنى الله فداك ! أتعرف لغات العرب ؟ قال : إى لعمر الله ، قلت : فمن جعل الكاف منهم مكان القاف ؟ قال : هذه حميَر ، قلت : لعنها الله ، ولعن من استعمل هذه اللغة بعد اليوم ! فضحك المأمون ، وعلم ما أردتُ ، والتفت إلى خادم إلى جانبه ، فقال : أعطه ما معك ، فأخرج إلىّ كيساً فيه ثلاثة آلاف دينار ، فقال : هاك ، ثم قال : السلام عليك ؛ ومضى فكان آخر العهد به .

٣/١١٤٨

وقال أبو سعيد المخزومى :

هل رأيتَ النُّجومَ أغنَت عنِ المأْ مونِ شيئاً أو ملكِهِ المأْسوسِ[3]
خَلَّفُوهُ بِعَرْصتَىْ طرسوس مثلَ ما خَلَّفُوا أباه بطوس

وقال علىّ بن عبيدة الرّيحانى :

ما أقلَّ الدموعَ للمأْمونِ لستُ أرضى إلا دماً مِن جفونى

---

(١) ابن الأثير : « المنزلة الشريفة » . (٢) الأفكل : الرعدة .
(٣) المسعودى ، ٤ : ٤٥ ، وفيه : « المأنوس » .

١١٤٩/٣ وذكر أبو موسى هارون بن محمد بن إسماعيل بن موسى الهادى أنّ علىّ ابن صالح حدّثه ، قال : قال لى المأمون يوماً : أبغنى رجلاً من أهل الشأم ، له أدب ، يجالسنى ويحدّثنى ، فالتمستُ ذلك فوجدته ، فدعوته فقلت له : إنى مدخلك على أمير المؤمنين ، فلا تسأله عن شىء حتّى يبتدئك ، فإنى أعرفُ الناس بمسألتكم يا أهل الشأم ، فقال : ما كنت متجاوزًا ما أمرتنى به . فدخلت على المأمون ، فقلت له : قد أصبت الرّجل يا أمير المؤمنين ، فقال : أدخله ، فدخل فسلم ، ثم استدناه — وكان المأمون على شغله من الشراب — فقال له : إنى أردتك لمجالستى ومحادثتى ، فقال الشأمىّ : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن الجليس إذا كانت ثيابه دون ثياب جليسه دخله لذلك غضاضة ، قال : فأمر المأمون أن يخلَع عليه ؛ قال : فدخلنى من ذلك ما الله به أعلم ، قال : فلما خلع عليه ، ورجع إلى مجلسه ، قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنّ قلبى إذا كان متعلّقًا بعيالى لم تنتفع بمحادثتى ، قال : خمسون ألفاً تحمَل إلى منزله ، ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، وثالثة ، قال : وما هى ؟ قال : قد دعوت بشىء يحول بين المرء وعقله ؛ فإن كانت منّى هنةٌ فاغتفرها ، قال : وذاك ! قال علىّ : فكأنّ الثالثة جلتْ عنى ما كان بى .

وذكر أبو حشيشة محمد بن علىّ بن أمية بن عمرو ، قال : كنا قدّام أمير المؤمنين المأمون بدمشق ، فغنى علّويه :

١١٥٠/٣
بَرئت مِنَ الإسلام إن كَانَ ذا الذِى أَتاكِ به الواشوانَ عنّى كما قالوا[1]
ولكنَّهمْ لمّا رأَوْكِ سَرِيعَةً إلىَّ ، تَواصَوْا بالنَّميمَةِ واحتالوا

فقال : يا علّويه ، لمن هذا الشعر ؟ فقال : للقاضى ، قال : أىّ قاض ويحك ! قال : قاضى دمشق ، فقال : يا أبا اسحاق ، اعزله ، قال : قد عزلته ، قال : فيُحضَر الساعة . قال : فأحضر شيخ مخضوب قصير ؛ فقال له المأمون : من تكون ؟ قال : فلان ابن فلان الفلانىّ ، قال : تقول الشعر ؟ قال : قد كنت أقوله ، فقال : يا علّويه ، أنشده الشعر ، فأنشده ، فقال :

(١) الشعر والخبر فى الأغانى ١١ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

هذا الشعرُ لك ؟ قال : نعمْ يا أمير المؤمنين ، ونساؤه طوالِق وكلّ ما يملك فى سبيل الله إن كان قال الشعر منذ ثلاثون سنة إلا فى زُهد أو معاتبة صديق ، فقال : يا أبا إسحاق اعزله ؛ فما كنت أولِّى رقابَ المسلمين مَن يبدأ فى هزله بالبراءة من الإسلام . ثمّ قال : اسقوه ؛ فأتِىَ بقدح فيه شراب ، فأخذه وهو يرتعد ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ما ذقته قطّ ، قال : فلعلك تريد غيره ! قال : لم أذق منه شيئًا قطّ ، قال : فحرام هو ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال: أوْلى لك ! بها نجوت ، اخرج. ثمّ قال: يا علّويه ، لاتقل: « برئت من الإسلام » ، ولكن قل :

حُرِمْتُ مناىَ منكِ إن كان ذَا الَّذى أتاك به الواشون عَنِّى كما قالوا

قال : وكنّا مع المأمون بدمشق، فركب يريد جبل الثلج ، فمرّ ببركة عظيمة من بِرَك بنى أميّة، وعلى جوانبها أربع سَرَوات، وكان الماء يدخلها سيْحًا ، ويخرج منها؛ فاستحسن المأمون الموضِع ، فدعا ببزْما وَرد ورطْل ، وذكَر بنى أميّة، فوضع منهم وتنقّصهم؛ فأقبل علّويه على العُود ، واندفع يغنّى : ١١٥١/٣

أولئِك قومى بعد عزٍّ وثروةٍ تَفَانَوْا فإلّا أذرِفُ العينَ أكمدَا

فضرب المأمونُ الطعام برجله ،ووثب وقال لعلّويه : يابن الفاعلة ، لم يكن لك وقت تذكر فيه مواليك إلاّ فى هذا الوقت ! فقال : مولاكم زِرياب عند موالىّ يركب فى مائة غلام ؛ وأنا عندكم أموت من الجوع ! فغضب عليه عشرين يومًا ، ثم رضى عنه .

قال: وزرياب مولى المهدىّ ، صار إلى الشأم ثم صار إلى المغرِب، إلى بنى أمية هناك .

وذكر السّليطىّ أبو علىّ ، عن عُمارة بن عَقيل ، قال : أنشدتُ المأمون قصيدةً فيها مديح له، هى مائة بيت ؛ فأبتدئ بصدر البيت فيبادرنى إلى قافيته

كما قفَّيتُهُ ، فقلت : والله يا أمير المؤمنين ؛ ما سمعها منى أحد قطّ ، قال : هكذا ينبغى أن يكون ؛ ثم أقبل علىّ ، فقال لى : أما بلغك أنّ عمر بن أبى ربيعة أنشد عبدَ الله بن العباس قصيدته التى يقول فيها .

* تشُطُّ غداً دارُ جيراننا *

١١٥٢/٣ فقال ابنُ العباس

* وللدارُ بعد غد أبعد (١) *

حتى أنشده القصيدة ، يقفّيها ابن عباس ! ثم قال : أنا ابنُ ذاك .

وذُكر عن أبى مروان كازر بن هارون، أنه قال : قال المأمون :

بعثتُكَ مُرتادًا ففزتَ بِنظْرةٍ وأغفلْتَنِى حتى أسأْتُ بكَ الظَّنَّا

فناجيتَ مَن أهْوَى وكنتُ مباعَدًا فياليتَ شعرِى عَن دُنوِّك ما أغنى !

أرَى أثرًا منهُ بعينَيكَ بَيِّناً لقد أخذَت عيناكَ مِن عينه حُسنا

قال أبو مروان : وإنما عوّل المأمون فى قوله فى هذا المعنى على قول العباس ابن الأحنف ، فإنه اخترع :

إن تَشْقَ عينى بها فقد سَعِدَتْ عينُ رسولى ، وفُزتُ بالخَبَرِ (٢)

وكلَّما جاءَنى الرسولُ لهَا ردَّدتُ عمدًا فى طرفه نَظِرى

تَظْهَرُ فى وجهِهِ محاسنُها قد أثَّرَتْ فيه أحسنَ الأثَرِ

خُذ مقلتِى يا رسولُ عاريةً فانظر بها واحتكمْ على بصرِى

١١٥٣/٣ قال أبو العتاهية : وجّه إلىّ المأمون يومًا ، فصرتُ إليه ، فألفيتُه مطرقًا مفكّراً ، فأحجمتُ عن الدنوّ منه فى تلك الحال ؛ فرفع رأسه ؛ فنظر إلىّ وأشار بيده ؛ أن ادنُ ، فدنوتُ ثم أطرق مليًّا ، ورفع رأسه ، فقال : يا أبا إسحاق ؛ شأنُ النفس الملل وحُبّ الاستطراف ؛ تأنس بالوحدة كما تأنس بالألْفة ، قلت : أجَل يا أمير المؤمنين ، ولى فى هذا بيت ، قال : وما هو ؟ قلت :

---

(١) ديوانه ٣٠٨ .

(٢) ديوانه ١٥٣ ، ١٥٤ .

لا يُصلِح النفسَ إذ كانت مُقَسَّمَةً إلّا التَّنقُّلُ من حالٍ إلى حالِ[1]

وذُكر عن أبى نزار الضّرير الشاعر أنه قال : قال لى علىّ بن جبَلة : قلتُ لحمَيد بن عبد الحميد : يا أبا غانم ، قد امتدحتُ أميرَ المؤمنين بمدْح لا يحسِن مثله أحدٌ من أهل الأرض ؛ فاذكرنى له ، فقال : أنشدْنيه ، فأنشدته ، فقال : أشهد أنك صادق ؛ فأخذ المديح فأدخله على المأمون ، فقال : يا أبا غانم ، الجواب فى هذا واضح ، إن شاء عفوْنا عنه وجعلنا ذلك ثوابًا بمديحه ؛ وإن شاء جمعنا بين شعره فيك وفى أبى دُلف القاسم بن عيسى ؛ فإن كان الذى قال فيك وفيه أجودُ من الذى مدحَنا به ضربنا ظهره ، وأطلْنا حبسَه ، وإن كان الذى قال فينا أجود أعطيتُه بكلّ بيت من مديحه ألف درهم ، وإن شاء أقلناه . فقلت : يا سيّدى ، ومن أبو دُلف! ومن أنا حتى يمدحنا بأجود من مديحك ! فقال : ليس هذا الكلام من الجواب عن المسألة فى شىء ، فاعرضْ ذلك على الرجل . قال علىّ بن جبلة : فقال لى حُميد : ما ترى ؟ قلت : الإقالة أحبُّ إلىّ ، فأخبر المأمون ، فقال : هو أعلم ، قال حميد : فقلت لعلىّ بن جبَلة : إلى أىّ شىء ذهب فى مدحاك أبا دُلف[2] وفى مدحاك لى ؟ قال : إلى قولى فى أبى دلف : ١١٥٤/٣

إنَّمـــا الدّنيا أبو دُلَفٍ بينَ مغزاهُ ومُحتَضَرِهْ

فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ وَلَّتِ الدّنيا على أَثَرِهْ

وإلى قولى فيك :

لولا حميدٌ لم يكُنْ حسبٌ يُعَدُّ ولا نَسَبْ

يا واحِدَ العَربِ الَّذى عَزَّتْ بعِزَّته العربْ

قال : فأطرق حُميد ساعة ، ثم قال : يا أبا الحسن ، لقد انتقد عليك أمير المؤمنين . وأمر لى بعشرة آلاف درهم وحُملان وخلعة وخادم ، وبلغ ذلك

---

(١) البيت والخبر فى المسعودى ٤ : ١٧ .
(٢) الأغانى : « أى شىء يعنى من مدائحك » .

أبا دُلَف فأضعف لى العطية ، وكان ذلك منهما فى ستر لم يعلم به أحد إلى أن حدّثتك يا أبا نزار بهذا[1] .

قال أبو نزار : وظننتُ أنّ المأمون تعقّد عليه هذا البيت فى أبى دُلَف :

٣/١١٥٥ تحَدَّرَ ماءُ الجُودِ من صُلبِ آدمٍ فأَثبتَهُ الرَّحمنُ فى صُلب قاسِمٍ[2]

وذُكر عن سليمان بن رَزين الخزاعىّ ، ابن أخى دعْبل ، قال : هجا دِعْبل المأمونَ ، فقال :

ويَسُومُنى المأْمُونُ خُطَّةَ عارفٍ أَوَ مارأى بالأَمسِ رأْسَ محمدِ[3]

يُوفِى على هامِ الخلائفِ مثلَ مَا يُوفِى الجبالُ على رءُوسِ القَردَدِ[4]

وَيَحِلُّ فى أَكنافِ كلِّ ممنَّعٍ حتى يُذَلِّلَ شاهِقاً لم يُصْعَدِ[5]

إنَّ التِّراتِ مُسَهَّدٌ طُلاَّبُها فاكففْ لُعَابكَ عن لعابِ الأَسودِ

فقيل للمأمون : إن دعْبلا هجاك ، فقال : هو يهجو أبا عبّاد لا يهجونى . يريد حدّة أبى عبّاد ، وكان أبوعبّاد إذا دخل على المأمون كثيراً ما يضحك المأمون ، ويقول له : ما أراد دِعبل منك حين يقول :

٣/١١٥٦ وكأنه من دَيرِ هِزْقِلَ مفلِتٌ حَرِدٌ يجُرُّ سلاسلَ الأَقيادِ[6]

---

(١) الخبر والشعر فى الأغانى ١٨ : ١٠٥ (ساسى) والشعر والشعراء ٨٤٠ .

(٢) س : « من ظهر آدم » .

(٣) ديوانه ٦٩ والشعر والشعراء ٨٢٦ ، وفيه « خطة عاجز » .

(٤) الديوان : « يوفى على روس الخلائق » . والقردد : المكان الغليظ المرتفع .

(٥) بعده فى الشعر والشعراء .

إنى من القَوْمِ الَّذِين سُيُوفُهُمْ فقدتْ أَخاكَ وشرَّفُوك بِمَقْعدِ

(٦) دير هزقل : دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم ؛ وذكره الثعالبى فى المضاف المنسوب ٥٢٨ ، وقال : « يضرب به المثل لمجتمع المجانين . ويقال للمجنون : كأنه من دير هزقل ، وذلك أنه مأوى المجانين بإحدى الديارات ، يشدون هناك ويداوون . والخبر كما فى معجم البلدان ٤ : ١٨١ ، ١٨٢ : « غضب أبوعباد ثابت بن يحيى كاتب المأمون يوماً على بعض كتابه ، فرماه بدواة كانت بين يديه ، فلما رأى الدم يسيل ، ندم وقال : صدق الله عز وجل : « والذين إذ ما غضبوا هم يتجاوزون » ؛ فبلغ ذلك المأمون ، فانتبه وعتب عليه ، وقال : ويحك ! أنت أحد أعضاء المملكة وكتاب الخليفة ، ماتحسن أن تقرأ آية من كتاب الله ! فقال : بلى يأمير المؤمنين ، إنى لأقرأ من سورة =

وكان المأمون يقول لإبراهيم بن شكلة إذا دخل عليه : لقد أوجعك دعبل حين يقول :

إن كانَ إبراهيمُ مضطلعًا بِهَا فلتَصلُحَنْ من بَعده لِمُخارِقِ
ولَتَصلُحَنْ من بعد ذاكَ لزُلزُلٍ وَلتَصْلُحَنْ مِنْ بعدِهِ للمَارِقِ
أَنَّى يكُونُ ولا يكونُ وَلمْ يكُنْ لِينَالَ ذَلِكَ فاسقٌ عن فاسق!

وذكر محمد بن الهيثم الطائىّ أنّ القاسم بن محمد الطيفورىّ حدّثه، قال: شكا اليزيدىّ إلى المأمون خلّةً أصابته ، ودَيْنًا لحقه ، فقال : ما عندنا فى هذه الأيام ما إن أعطيناكه بلغتَ به ما تريد ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنّ الأمرَ قد ضاق علىّ ، وإنّ غُرَمائى قد أرهقونى . قال : فرُمْ لنفسك أمراً تنال به نفعًا فقال: لك منادمون فيهم مَن إنْ حرّكتُه نلتُ منه ما أحبّ ، فأطلق لىَ الحيلَة فيهم ، قال : قل ما بدالك ، قال : فإذا حضرُوا وحضرتُ فمُر فلانًا الخادم أنْ يوصلَ إليك رقعتى ؛ فإذا قرأتَها ، فأرسل إلىّ : دخولُك فى هذا الوقت متعذّر ؛ ولكن اخترْ لنفسك مَنْ أحببت . قال : فلما علم أبو محمد بجلُوس المأمون واجتماع ندمائه إليه ، وتيقّن أنهم قد ثملوا من شُرْبهم ، أتى الباب ، فدفع إلى ذلك الخادم رُقعة قد كتبها ، فأوصلها له إلى المأمون ، فقرأها فإذا فيها : ١١٥٧/٣

يا خيرَ إخوانى وأَصْحابى هَذَا الطُّفَيلىُّ لَدَى الباب
خُبِّرَ أَنَّ القَومَ فى لَذَّةٍ يَصْبُو إليها كلُّ أَوَّابِ
فصيِّرو نِى واحدًا منكمُ أَو أَخرِجوا لِى بعضَ أترابِى

— واحدة ألف آية وأكثر ؛ فضحك المأمون وقال : من أى سورة ؟ قال : من أيها شئت ؛ فازداد ضحكه وقال : قد شئت من سورة الكوثر ؛ وأمر بإخراجه من ديوان الكتابة ، فبلغ ذلك دعبلا الشاعر : فقال:

أَوْلَى الأُمورِ بضيْعَةٍ وفسادِ أَمرٌ يدبِّرُه أَبو عَبَّادِ
خرِق على جلسائه بدَواتهِ ومُضمَّخ ومُرَمَّلٍ بمدادِ
فكأَنهُ من ديْرِ هِزْقلَ مُفْلِتٌ حَرِدٌ يجُرُّ سلاسِلَ الأَقيادِ

وانظر ديوان دعبل ٧١ .

قال : فقرأها المأمون على مَنْ حضره ، فقالوا : ما ينبغى أن يدخُل هذا الطفيليّ على مثل هذه الحال . فأرسل إليه المأمون : دخولُك فى هذا الوقت متعذّر ، فاخترْ لنفسك مَنْ أحببت تنادمه ، فقال : ما أرى لنفسى اختياراً غير عبد الله بن طاهر ، فقال له المأمون : قد وقع اختياره عليك ، فصرْ إليه ، قال : يا أميرَ المؤمنين ، فأكونُ شريكَ الطفيليّ ! قال : ما يمكن رَدّ أبى محمد عن أمرين ؛ فإن أحببت أن تخرج ، وإلاّ فافتدِ نفسك ، قال : فقال :

١١٥٨/٣ يا أميرَ المؤمنين ، له علىّ عشرة آلاف درهم ، قال : لا أحسب ذلك يقنعه منك ومن مجالستك ، قال : فلم يزل يزيدُه عشرة عشرة ، والمأمون يقول له : لا أرضى له بذلك ، حتّى بلغ المائة ألف . قال : فقال له المأمون : فعجّلْها له ، قال : فكتب له بها إلى وكيله ، ووجّه معه رسولا ، فأرسل إليه المأمون : قبضُ هذه فى هذه الحال أصلحُ لك من منادمته على مثل حاله ، وأنفع عاقبة .

وذُكر عن محمد بن عبد الله صاحب المراكب قال : أخبرنى أبى عن صالح بن الرشيد ، قال : دخلتُ على المأمون ، ومعى بيتان للحسين بن الضّحاك ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، أحبّ أن تسمع منّى بيتين ، قال : أنشدهما ، قال : فأنشده صالح :

حَمِدْنا الله شكرًا إذ حَبَانا ... بِنَصْرِكَ يا أميرَ المؤمنينَا [1]
فأنتَ خليفةُ الرَّحْمَنِ حَقًّا ... جَمَعْتَ سَماحةً وجَمعتَ دينا

فاستحسنهما المأمون ، وقال : لمن هذان البيتان يا صالح ؟ قلت : لعبدك يا أميرَ المؤمنين الحسين بن الضحاك ، قال : قد أحسن ، قلت : وله يا أمير المؤمنين ما هو أجود من هذا ، قال : وما هو ؟ فأنشدته :

١١٥٩/٣ أيَبْخَلُ فردُ الحُسنِ فَرْدُ صفاتِه ... علىَّ ، وقد أفردْتُه بهوًى فَرْدِ [2] !
رأى اللهُ عبدَ اللهِ خيرَ عِبادِهِ ... فَمَلَّكَهُ واللهُ أعلمُ بالعبدِ

وذُكر عن عُمارة بن عقيل ، أنه قال : قال لى عبد الله بن أبى السّمط :

---

(١) ديوانه ١١٩ .
(٢) ديوانه ٤٦ .

علمت أنّ المأمون لا يبصر الشعر ، قال : قلت : ومَنْ ذا يكون أعلم منه ! فوالله إنك لترانا نُنشده أولَ البيت فيسبِقنا إلى آخره ، قال : أنشدتُه بيتا أجدتُ فيه ، فلم أره تحرّك له ، قال : قلتُ : وما الذى أنشدته ؟ قال : أنشدته :

أضحى إمامُ الهدى المأمونُ مشتغلًا(١) بالدينِ والناسُ بالدنيا مشاغيلُ

قال : فقلت له : إنك والله ما صنعتَ شيئًا ، وهل زِدتَ على أن جعلته عجوزاً فى محْرابها ، فى يدها سُبحتها ! فمَن القائمُ بأمر الدنيا إذا تشاغل عنها ، وهو المطوّق بها ! هلاّ قلتَ فيه كما قال عمّك جرير فى عبد العزيز ابن الوليد :

فَلاَ هُوَ فى الدُّنْيا مُضيعٌ نَصيبَهُ(٢) وَلا عَرَضُ الدُّنيا عَن الدِّين شاغِلُهْ

فقال : الآن علمتُ أنى قد أخطأت .

٣/١١٦٠ وذُكِر عن محمد بن إبراهيم السَّيّاريّ(٣) قال : لما قدِم العتابيّ على المأمون مدينة السلام أذن له ، فدخل عليه ، وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصليّ — وكان شيخًا جليلاً — فسلّم عليه ، فردّ عليه السلام ، وأدناه وقرّبه حتى قرُب منه ، فقبّل يده ، ثم أمره بالجلوس فجلس ، وأقبل عليه يسائله عن حاله ، فجعل يجيبه بلسان طلْق ؛ فاستَطرف(٤) المأمون ذلك . فأقبل عليه بالمداعبة والمُزاح ، فظنّ الشيخ أنه استخفّ به ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، الإبساس قبل الإيناس(٥) قال : فاشتبه على المأمون الإبساس ، فنظر إلى إسحاق بن إبراهيم ، ثم قال : نعم ، يا غلام ألف دينار(٦) ؛ فأتِيَ بها ، ثم صبّت بين يدى العتابيّ ، ثم

(١) ابن الأثير : « أمير الهدى » .
(٢) ديوانه ٤٣٥ ، وفى ابن الأثير : « بضيع » .
(٣) فى الأغانى : « اليسارى » . (٤) الأغانى : « فاستظرف » .
(٥) كذا فى أصول الطبرى ؛ وفى الميدانى : « الإيناس قبل الإبساس » ، قال فى شرحه : « يقال : آنسه ، أى أوقعه فى الأنس ، وهو نقيض أوحشه . والإبساس : الرفق بالناقة عند الحلب ؛ وهو أن يقال : بس بس ؛ يضرب فى المداراة عند الطلب » .
(٦ - ٦) الأغانى : « فاشتبه على المأمون قوله ، فنظر إلى إسحاق مستفهمًا ، فأومأ إليه ، وغمزه على معناه حتى فهم ، فقال : يا غلام ، ألف دينار » .

أخذوا فى المفاوضة والحديث، وغمز[١] عليه إسحاق بن إبراهيم، فأقبل لا يأخذ العتابىّ فى شىء إلاّ عارضه إسحاق بأكثر منه، فبقىَ متعجّبًا، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إيذن لى فى مسألة هذا الشيخ عن اسمه، قال: نعم، سله، قال: يا شيخ، مَنْ أنت؟ وما اسمك؟ قال: أنا من الناس، واسمى كلْ بصل، قال: أما النسبة[٢] فمعروفة، وأما الاسم فمنكر، وما كلْ بَصَل من الأسماء؟ فقال له إسحاق: ما أقلّ[٣] إنصافك! وما كلْ ثوم من الأسماء! البصل أطيب من الثوم[٣]، فقال العتابىّ: لله درّك! ما أحجّك[٤]! يا أمير المؤمنين، ما رأيتُ كالشيخ قطّ، أتأذنُ لى فى صلته بما وصلنى به أمير المؤمنين؛ فقد والله غلبنى! فقال المأمون: بل هذا موفَّرٌ عليك؛ ونأمر له بمثله، فقال له إسحاق: أما إذا أقررت بهذه فتوهّمْنى تجدْنى، فقال: والله ما أظنّك إلا الشيخ الذى يتناهَى[٥] إلينا خبره من العراق؛ ويعرف بابن الموصلىّ! قال: أنا حيث ظننتَ، فأقبل عليه بالتحيّة والسلام، فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما: أما إذ اتفقتما على الصلح والمودة، فقوما فانصرفا متنادميْن؛ فانصرف العتابىّ إلى منزل إسحاق فأقام عنده[٦].

٣/١١٦١

وذُكِر عن محمد بن عبد الله بن جشم الرَّبَعىّ أن[٧] عُمارة بن عقيل قال: قال لى المأمون يومًا وأنا أشرب عنده: ما أخبثك يا أعرابىّ! قال: قلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ وهمّتنى نفسى، قال: كيف قلت:

قالت مُفَدَّاةُ لَمَّا أن رأَتْ أَرَقِى ... والهمُّ يَعتَادُنى من طيفِهِ لَمَمُ

نَهَّبْتَ مالَك فى الأَدْنينَ آصِرَةً ... وفى الأَباعِدِ حتى حفَّكَ العَدَمُ

---

(١) غمز عليه، أى أشار. (٢) الأغانى: «أما أنت».

(٣ – ٣) الأغانى: «ما أقل إنصافك، أتنكر أن يكون اسمى كل بصل، واسمك كل ثوم، وكل ثوم من الأسماء، أوليس البصل أطيب من الثوم!».

(٤) ما أحجك، أى ما أقوى حجتك. (٤) الأغانى: «تناهى».

(٦) الخبر فى الأغانى ١٣: ١١١، ١١٢.

(٧) الخبر فى الأغانى ٢٠: ١٨٤، ١٨٥ (ساسى)، عن محمد بن عبد الله، وصدره: «حدثنى عمارة قال: رحت إلى المأمون؛ فكان ربما قرب إلى الشىء من الشراب أشربه بين يديه، وكان يأمرنى بكتب كثير مما أقول، فقال لى يوماً: كيف قلت: قالت مفداة ... ؟ قال: هى امرأتى نظرت إلى وقد افتقرت، وساءت حالى، قال: فكيف قلته، فأنشدته»:

فاطلبْ إليهم ترى ما كنتَ من حَسَنٍ   تُسدِى إليهم فقد باتَتْ لهم صِرَمُ[1]
فقلتُ عَذلَكِ قد أكثرْتِ لائِمتِى[2]   ولمْ يَمُتْ حاتم هُزْلاً ولا هرِمُ   ٣/١١٦٢

فقال لى المأمون : أين رميتَ بنفسك إلى هـرِم بن سنان سيد العرب وحاتم الطائىّ ! فعلا كذا وفعلا كذا[3] ، وأقبل ينثال علىّ بفضلهما ، قال : فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، أنا خيرٌ منهما ، أنا مسلم وكانا كافرين ، وأنا رجل من العرب .

وذُكر عن محمد بن زكرياء بن ميمون الفرْغانىّ ، قال : قال المأمون لمحمد بن الجَهْم : أنشدنى ثلاثة أبيات فى المديح والهجاء والمراثى ؛ ولك بكل بيت كُورة ، فأنشده فى المديح :

يجودُ بالنفس إذ ضنَّ الجوادُ بها   والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ[4]

وأنشده فى الهجاء :

قَبُحَتْ مناظرُهُمْ فحينَ خَبَرْتُهم   حسُنَتْ مناظرهم لِقُبح ِ المخبَرِ[5]

وأنشده فى المراثى :

أرادُوا ليُخفُوا قبْرَه عَنْ عدُوّهِ   فطِيبُ تُراب القبرِ دَلَّ على القبرِ[6]

وذكر عن العباس بن أحمد بن أبان بن القاسم الكاتب ، قال : أخبرنى الحسين بن الضحاك ، قال : قال لى علّويه : أخبرُكَ أنه مرّ بى مرة ما أيستُ من نفسى معه لولا كرم المأمون ؛ فإنه دعا بنا ؛ فلمّا أخذ فيه النبيذ ؛ قال : غنّونى ، فسبقنى مخارق ، فاندفع فغنّى صوتًا لابن سُرَيج فى شعر جرير :   ٣/١١٦٣

---

(١) الأغانى : « حرم » .   (٢) الأغانى : « فقلت عاذل » .

(٣ – ٣) الأغانى : « قال : فنظر إلى المأمون مغضباً ، وقال : لقد علت همتك أن ترقى بنفسك إلى هرم ، وقد خرج من ماله فى إصلاح قومه » .

(٤) لمسلم بن الوليد من ديوانه ١٦٤ ، من قصيدة يمدح فيها داود بن يزيد بن حاتم بن خالد ابن المهلب ؛ وروايته فيه : « إذ أنت الضنين بها » .   (٥) لمسلم ، ملحق ديوانه ٣٢١ .

(٦) لمسلم ، ملحق ديوانه ٣٢٠ .

لمَّا تَذَكَّرت بالدَّيريْنِ أرَّقنِى صوتُ الدَّجاج وضربٌ بالنَّواقِيسِ [١]
فقلتُ لِلرَّكبِ إذ جَدَّ المَسيرُ بنا يا بُعْدَ يَبْرينَ من باب الفراديس!

قال : فحيُيِّنَ لى أن تغنَّيتُ، وكان قدهمَّ بالخروج إلى دمشق يريد الثغر:

الحَينُ ساقَ إلى دمشق ومَا كانتْ دمشق لأَهلها بلدا [٢]

فضرب بالقدح الأرض، وقال : ما لك! عليك لعنة الله. ثم قال : يا غلام، أعطِ مخارقاً ثلاثة آلاف درهم ؛ وأخذ بيدى فأقمتُ وعيناه تدمعان ، وهو يقول للمعتصم : هو والله آخر خروج ، ولا أحسبنى أن أرى العراق أبداً ، فكان والله آخرَ عهدِه بالعراق عند خروجه كما قال .

(١) ديوانه ٣٢٠ ، وفيه : « وقرع بالنواقيس » .
(٢) من أصوات الأغانى ١١ : ٣٥٨ ، وفيه : « لأهلنا بلدا » وبعده :

قادتْكَ نَفْسكَ فاستعدتَ لها وأُريتَ أَمْرَ غوايةٍ رَشَدَا

١١٦٤/٣

خلافة أبى إسحاق

المعتصم محمد بن هارون الرشيد

وفى هذه السنة بُويع لأبى إسحاق محمد بن هارون الرّشيد بن محمد المهدىّ ابن عبد الله المنصور بالخلافة ؛ وذلك يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين . وذُكر أنّ الناس كانوا قد أشفقوا من منازعة العباس بن المأمون له[١] فى الخلافة[١] ، فسلِمُوا من ذلك .

ذُكر أنّ الجند شغبوا لمّا بُويع لأبى إسحاق بالخلافة ، فطلبوا العباس ونادوه باسم الخلافة ، فأرسل أبو إسحاق إلى العباس فأحضره ، فبايعه ثمّ خرج إلى الجند ، فقال : ما هذا الحبّ البارد ! قد بايعتُ عمّى ؛ وسلّمت الخلافة إليه ؛ فسكن الجند .

وفيها أمر المعتصم بهدْم ما كان المأمون أمر ببنائه بُطَوانة ، وحَمل ما كان بها من السلاح والآلة وغير ذلك مما قدَر على حمله ، وأحرق ما لم يقدر على حمله ؛ وأمرَ بصرف مَنْ كان المأمون أسكن ذلك[٢] من الناس إلى بلادهم .

وفيها انصرف المعتصم إلى بغداد ، ومعه العباس بن المأمون، فقدمها — فيما ذكر — يوم السبت مستهلّ شهر رمضان .

* * *

١١٦٥/٣

وفيها دخل — فيما ذكر — جماعة كثيرة من أهل الجبال من هَمَذان وأصبهان وماسبذان ومِهْرجانقذَق فى دين الخرّميّة ؛ وتجمّعوا، فعسكروا فى عمل هَمَذان؛ فوجّه المعتصم إليهم عساكر ؛ فكان[٣] آخرَ عسكر وجّه إليهم

(١ — ١) س : « إياه » .

(٢) ف « أسكنه من الناس ذلك » .

(٣) ف : « كان » .

عسكرٌ وجهه مع إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، وعقد له على الجبال فى شوّال فى هذه السنة ، فشخص إليهم فى ذى القعدة ، وقرئ كتابه بالفتح يوم التّروية، وقتل[1] فى عمل هَمَذان ستين ألفاً، وهرب باقيهم إلى بلاد الروم .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن العباس بن محمد ، وضحّى أهلُ مكة يوم الجمعة ، وأهل بغداد يوم السبت .

* * *

تمّ بحمد الله الجزء الثامن من تاريخ الطبرى

ويليه الجزء التاسع ، وأوله :

ذكر حوادث سنة تسع عشرة ومائتين

(١) س : « وقتله » .

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خلاف محمد بن القاسم العلوى]

فمن ذلك ما كان من ظهور محمد بن القاسم بن عُمر بن علىّ بن الحسين ابن علىّ بن أبى طالب بالطالَقان من خراسان ، يدعو إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فاجتمع إليه بها ناس كثير ؛ وكانت بينه وبين قوّاد عبد الله بن طاهر وقعات بناحية الطالقان وجبالها ، فهُزِم هو وأصحابه ، فخرج هارباً يريد بعض كُور خراسان ، كان أهله كاتبوه ؛ فلما صار بنَسا ، وبها والد لبعض مَنْ معه ، مضى الرّجل الذى معه من أهل نَسا إلى والده ليسلِّم عليه ، فلما لقى أباه سأله عن الخبر ، فأخبره بأمرهم ، وأنهم[1] يقصدون كورةَ كذا ، فمضى أبو ذلك الرّجل إلى عامل نَسا ، فأخبره بأمر محمد بن القاسم ؛ فذُكر أنّ العامل بذل له عشرة آلاف درهم على دلالته عليه فدلّه عليه ، فجاء[2] العامل إلى محمد بن القاسم ، فأخذه واستوثق منه ؛ وبعث به إلى عبد الله بن طاهر ، فبعث به عبد الله بن طاهر إلى المعتصم ، فقُدِم به عليه يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر ؛ فحبس — فيما ذكر — بسامرّا عند مسرور الخادم الكبير فى محبس[3] ضيّق ، يكون قدر ثلاث أذرع فى ذراعين ، فمكث فيه ثلاثة أيام ، ثم حُوّل إلى موضع أوسعَ من ذلك ، وأجرِىَ عليه طعام ، ووُكّل به قومٌ يحفظونه ؛ فلمّا كان ليلة الفطْر ، واشتغل الناس بالعيد والتهنئة احتال للخروج ، ذُكر أنه هرب من الحبس بالليل ، وأنهُ دُلِّىَ إليه حبل من كُوّةٍ كانت فى أعلى البيت ، يدخل عليه منها الضّوء ؛ فلما أصبحوا أتوا بالطعام

٣/١١٦٦

(١) ف : « أنهم » بدون واو. (٢) ف : « وجاء ».
(٣) س : « حبس ». د : « مجلس ».

للغداء افتقِد[١] ، فذكر أنه جُعِل لمن دلّ عليه مائة ألف درهم ، وصاح بذلك الصائح ، فلم يعرَف له خبر .

وفى هذه السنة قدم إسحاق بن إبراهيم بغداد من الجبل ، يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلَتْ من جمادى الأولى ، ومعه الأسرى من الخرّميّة والمستأمِنة .

وقيل : إن إسحاق بن إبراهيم قتل منهم فى محاربته إياهم نحواً من مائة ألف ، سوى النساء والصبيان .

* * *

[ذكر الخبر عن محاربة الزّطّ]

١١٦٧/٣

وفى هذه السنة وجّه المعتصم عُجيفَ بن عنبسة فى جمادى الآخرة منها لحرب الزُّطّ الذين[٢] كانوا قد عاثوا فى طريق البصرة[٢] ، فقطعوا فيه الطريق ، واحتملوا الغلاّت من البيادر بكَسْكَر وما يليها من البَصْرة ، وأخافوا السبيل ، ورتّب الخيل فى كلّ سكة من سكك البرُد تركض بالأخبار ، فكان الخبر يخرج من عند عُجيْف ، فيصل إلى المعتصم من يومه ؛ وكان الذى يتولى النفقة على عُجيف من قِبَل المعتصم محمد بن منصور كاتب إبراهيم بن البَخْترىّ ؛ فلما صار عُجَيْف إلى واسط ، ضرب عسكره بقرية أسفل واسط يقال لها الصافية فى خمسة آلاف رجل ، وصار عُجَيف إلى نهر يحمل من دجلة يقال له بَرْدُودَا ؛ فلم يزل مقيماً عليه حتى سدّه . وقيل إنّ عُجَيفاً إنما ضرب عسكره بقرية أسفل واسط يقال لها نجيدا ، ووجّه هارون بن نعيم ابن الوضاح القائد الخراسانىّ إلى موضع يقال له الصافية فى خمسة آلاف رجل ، ومضى عُجيف فى خمسة آلاف إلى بَرْدُودا ، فأقام عليه حتى سدّه وسدّ أنهاراً أُخَر كانوا يدخلون منها ويخرجون ، فحصرهم[٣] من كلّ وجه ؛ وكان من الأنهار التى سدّها عجيف ، نهر يقال له العروس ؛ فلما أخذ عليهم طرقهم حاربهم ، وأسر منهم خمسمائة رجل ، وقتل منهم فى المعركة ثلثمائة

---

(١) كذا فى ا ، د ، وفى ط : « فقد » .

(٢ - ٢) ابن الأثير : « الذين كانوا غلبوا على طريق البصرة وعاثوا » .

(٣) س : « وحصرهم » .

رجل ، فضرب أعناق الأسرى[١] ، وبعث برءوس جميعهم [٢] إلى باب المعتصم ؛ ثم أقام عُجَيف بإزاء الزُّطّ خمسة عشر يومًا ، فظفر منهم بخلْق كثير. وكان رئيس الزُّطّ رجلا يقال له محمد بن عثمان ؛ وكان صاحب أمره ١١٦٨/٣ والقائم بالحرب سملق ، ومكث عُجَيف يقاتلهم — فيما قيل — تسعة أشهر .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن العباس بن محمد .

(١) ف : « الأسارى » .
(٢) ف : « برءوسهم » .

ثم دخلت سنة عشرين ومائتين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر ظفر عجيف بالزّط]

فمن ذلك ما كان من دخول عُجيف بالزّط بغداد، وقهره إياهم حتى طلبوا منه الأمان فآمنهم، فخرجوا إليه فى ذى الحجة سنة تسع عشرة ومائتين على أنهم آمنون على دمائهم وأموالهم؛ وكانت عِدّتهم[1] — فيما ذُكِر — سبعة وعشرين ألفًا؛ المقاتلة منهم اثنا عشر ألفًا؛ وأحصاهم عُجَيف سبعة وعشرين ألف إنسان؛ بين رجل وامرأة وصبىّ، ثم جعلهم فى السُّفن، وأقبل بهم حتى نزل الزعفرانيّة، فأعطى أصحابه دينارين دينارين جائزة، وأقام بها يومًا، ثم عبّأهم[2] فى زواريقهم على هيئتهم فى الحرب؛ معهم البوقات، حتى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء سنة عشرين ومائتين والمعتصم بالشماسيّة فى سفينة يقال لها الزّوّ، حتى مرّ به الزّطّ على تعبئتهم ينفخون بالبوقات؛ فكان أولهم بالقُفْص وآخرهم بحذاء الشماسيّة، وأقاموا فى سُفنهم ثلاثة أيام، ثم عُبِر بهم إلى الجانب الشرقىّ؛ فدفِعُوا إلى بشر بن السميدع، فذهب بهم إلى خانقين، ثم نقلوا إلى الثَّغْر إلى عين زربة، فأغارت عليهم الرّوم؛ فاجتاحوهم فلم يفلِتْ منهم أحد، فقال شاعرهم:

١١٦٩/٣

يا أهلَ بغدادَ موتوا دامَ غَيظكمُ ... شوقاً إلى تمرِ بَرْنِىٍّ وشُهْرِيزِ

نحن الذينَ ضربناكمْ مجاهَرَةً ... قَسرًا وسُقناكمُ سَوْقَ المعاجيز

لم تشكروا اللهَ نَعماهُ التى سَلفَتْ ... ولم تحوطوا أَياديه بتَعزِيز

فاستَنصِروا العبدَ من أَبناءِ دولتِكمْ ... مِنْ يازمانَ ومن بلجٍ ومن تُوز

ومن شِناسَ وأفشِينٍ، ومن فرجٍ ... المُعلِمِينَ بديباجٍ وإبْريز

(١) ا: «وكان عددهم».

(٢) ط: «وعبأهم».

والللابسِى كيمخار الصين قد خَرَطَت أردانَه دَرْزُ بَرْوَازِ الدَّخاريز
والحاملين الشُّكى نِيطتْ علائقها إلى مناطقِ خاصٍ غيرِ مَخروز
يَفرى بىبيضٍ من الهندىّ هامَهُمُ بنو بَهِلَّةَ فى أبناءِ فيروز
فوارسٌ خيلُها دُهْم مودَّعــةٌ على الخراطيمِ منها والفراريز ١١٧٠/٣
مسخَّرات لها فى الماءِ أَجنِحةٌ كالآبَنوس إذا اسْتحضِرْنَ والشِّيز
متى تروموا لنا فى غمرِ لجَّتِنا حِذْرًا نَصيدُكُمُ صيدَ المعافيزِ
أَوِ اختِطافاً وإزهاقاً كمااختُطفت طَيرُ الدِّحال حثاثاً بالمناقيزِ
ليسَ الجلادُ جِلادَ الزطِّ فاعترفوا أكلَ الثَّريدِ ولا شُربَ القواقيز
نحن الذين سقينا الحربَ دِرَّتَها ونقنقنا مقاساة الكواليز
لنَسْفعَنَّكمُ سـفعاً يَذِلّ له رب السَّرِير ويُشجِى صاحبَ التِّيز
فابكوا على التَّمر أبكى اللهُ أَعيُنكمْ فى كلِّ أضحى ، وفى فطرٍ ونيْروزِ

* * *

[ذكر خبر مسير الأفشين لحرب بابك]

وفى هذه السنة عقد المعتصم للأفشين خيذر[1] بن كاوس على الجبال ، ووجّه به لحرب بابك ؛ وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة ؛ فعسكر بمصلّى بغداد ، ثم صار إلى بـَرْزَنْد . ١١٧١/٣

* ذكر الخبر عن أمر بابك ومخرجه :

ذُكر أن ظهور بابك كان فى سنة إحدى ومائتين ، وكانت قريته ومدينته البَذّ ؛ وهزَم من جيوش السلطان ، وقتَل من قوّاده جماعة ؛ فلما أفضى الأمر إلى المعتصم ، وجّه أباسعيد محمدبن يوسف إلى أردَبيل ، وأمره أن يبنى الحصونَ التى خرّبها بابك فيما بين زَنْجان وأردَبِيل ، ويجعل فيها الرّجال مسالح لحفظ الطريق لمن يجلِب المِيرَة إلى أردَبيل ؛ فتوجّه أبو سعيد لذلك ، وبنى الحصون التى خرّبها بابك ، ووجّه بابك سرّية له فى بعض غاراته ، وصيّر أميرهم رجلاً

(١) ط : « حيدر » ، وانظر الفهرس .

يقال له معاوية ؛ فخرج فأغار على بعض النواحى ، ورجع منصرفًا ؛ فبلغ ذلك أبا سعيد محمد بن يوسف ، فجمع الناس وخرج إليه يعترضه فى بعض الطريق ، فواقعه ، فقتل من أصحابه جماعة ، وأسر منهم جماعة ، واستنقذ ما كان حواه ؛ فهذه أول هزيمة كانت على أصحاب بابك . ووجّه أبو سعيد الرءوس والأسرى إلى المعتصم بالله .

ثم كانت الأخرى لمحمد بن البعيث ؛ وذلك أن محمد بن البعيث كان فى قلعة له حصينة تسمى شاهى ؛ كان ابن البعيث أخذها من الوجْناء بن الرّوّاد ، عرضها نحو من فرسخين ، وهى من كورة أذْرَبيجان ، وله حصن آخر فى بلاد أذربيجان يسمى تِبْريز ، وشاهى أمنعهما ؛ وكان ابن البعيث مصالحاً لبابك ، إذا[1] توجهت سراياه نزلت به . فأضافهم ، وأحسن إليهم حتّى أنِسوا به ، وصارت لهم عادة . ثم إنّ بابك وجّه رجلا من أصحابه يقال له عِصْمَة من أصبهبذتِيه فى سرّية ، فنزل بابن البعيث ، فأنزل إليه[2] ابن البعيث على العادة الجارية الغنم والأنزال[3] وغير ذلك ، وبعث إلى عصمة أن يصعد إليه فى خاصّته ووجوه أصحابه ، فصعِد فغدّاهم وسقاهم حتّى أسكرهم[4] ، ثم وثب على عصمة فاستوثق منه ، وقتل مَنْ كان معه من أصحابه ، وأمره أن يسمّىَ رجلا رجلا من أصحابه باسمه ؛ فكان يُدعى بالرجل باسمه فيصعد ، ثم يأمر به فيضرب عنقه ؛ حتّى علموا بذلك ؛ فهربوا . ووجّه ابن البعيث بعصمة إلى المعتصم — وكان البَعيث أبو محمد صعلوكاً من صعاليك ابن الرّواد — فسأل المعتصم عصمة عن بلاد بابك ، فأعلمه طُرقها ووجوه القتال فيها ؛ ثم لم يزل عصمة محبوسًا إلى أيام الواثق . ولما صار الأفشين إلى بَرْزَند عسكر بها ، ورمّ الحصون[5] فيما بين برْزَنْد وأردبيل ، وأنزل محمد بن يوسف بموضع يقال له خُشّ ، فاحتفر فيه خندقًا ، وأنزل الهيثم الغنوىّ القائد من أهل الجزيرة فى رستاق يقال له أرْشق ، فرمّ حصنه ، وحفر حوله خندقاً ، وأنزل علّوَيه الأعور من قُوّاد الأبناء فى حصن ممّا يلى أردَبيل يسمّى حصن النهر ؛ فكانت السابلة

١١٧٢/٣

١١٧٣/٣

---

(١) ف : « إذ » . (٢) ف : « وأنزله » ، ابن الأثير : « فأنزل له » .

(٣) ف : « والأموال إلى غير ذلك » . (٤) ف : « سكروا » .

(٥) ابن الأثير : « وضبط الحصون والطرق » .

والقوافل تخرج من أرْدَبيل معها من يُبَذْرِقها[١] حتى تصل إلى حصن النّهر ، ثم يُبَذْرقها صاحب حصن النهر إلى الهيثم الغنويّ ، ويخرج هيْثم فيمن جاء من ناحيته حتى يسلمه إلى أصحاب[٢] حصن النّهْر ، ويُبَذْرق مَنْ جاء من أردبيل حتى يصير الهيثم وصاحب حصن النهر فى منتصف[٣] الطريق ، فيسلّم صاحب حصن النهر مَنْ معه إلى هيثم ، ويسلّم هيثم مَنْ معه إلى صاحب حصن النهر ؛ فيسير هذا مع هؤلاء ؛ وهذا مع هؤلاء . وإن سبق أحدهما صاحبه إلى الموضع لم يَجُزْه حتى يجيء الآخر ؛ فيدفع كلّ واحد منهما مَنْ معه إلى صاحبه ليُبَذْرقهم ؛ هذا إلى أردبيل ، وهذا إلى عسكر الأفشين ، ثم يُبَذْرق الهيثم الغنويّ مَنْ كان معه إلى أصحاب أبى سعيد ؛ وقد خرجوا فوقفوا على منتصف الطريق ، معهم قوم ، فيدفع أبو سعيد وأصحابه مَنْ معهم إلى الهيثم ، ويدفع الهيثم مَن معه إلى أصحاب أبى سعيد ، فيصير أبو سعيد وأصحابه بمَنْ فى القافلة[٤] إلى خُش ، وينصرف الهيثم وأصحابه بمن صار فى أيديهم إلى أرْشق حتى يصيروا به من غد ، فيدفعوهم إلى عَلّويه الأعور وأصحابه ليوصلوهم[٥] إلى حيث يريدون ، ويصير أبو سعيد ومَن معه إلى خُش ، ثم إلى عسكر الأفشين ، فتلقّاه صاحب سيارة الأفشين ، فيقبض منه مَنْ فى القافلة ، فيؤدّيهم إلى عسكر الأفشين ؛ فلم يزل الأمر جاريًا على هذا ؛ وكلّما صار إلى أبى سعيد أو إلى أحد من المسالح أحدٌ من الجواسيس وجّهوا به إلى الأفشين ؛ فكان الأفشين لا يقتل الجواسيس ولا يضربُهم ؛ ولكن يهب لهم ويصلهم ويسألهم ما كان بابك يعطيهم ، فيُضعفه لهم ، ويقول للجاسوس : كن جاسوسًا لنا .

٣/١١٧٤

* * *

[ذكر خبر وقعة الأفشين مع بابك بأرشق]

وفيها كانت وقعة بين بابك وأفشين بأرْشق ، قتَل فيها الأفشين من

(١) يبذرقها ، أى يخفرها ، وفى ابن الأثير : « يحميها » .
(٢) ف : « لأصحاب » . (٣) ا ، س : « منصف » .
(٤) د ، ف : « ومن فى القافلة » . (٥) س : « ليوصلهم » .

أصحاب بابك خلقًا كثيراً ؛ قيل أكثر من ألف ، وهرب بابك إلى مُوقان ، ثم شخص منها إلى مدينته التى تدعى البَذّ .

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة بين الأفشين وبابك :

ذُكر أن سبب ذلك أن المعتصم وجّه مع بُغَا الكبير بمال إلى الأفشين عطاءً لجنده وللنفقات ، فقدم بُغا بذلك المال إلى أردَبيل ، فلمّا نزل أردبيل بلَغ بابك وأصحابه خبرُه ، فتهيّأ بابك وأصحابه ليقطعوا عليه قبل وصوله إلى الأفشين ، فقدِم صالح الجاسوس على الأفشين ، فأخبره أنّ بُغا الكبير قد قدم بمال ، وأن بابك وأصحابه تهيّئوا ليقتطعوه قبل وصوله إليك .

وقيل : كان مجيء صالح إلى أبى سعيد ، فوجّه به أبو سعيد إلى الأفشين وهيّأ بابك كميناً فى مواضع ، فكتب الأفشين إلى أبى سعيد يأمره أن يحتال لمعرفة صحة خبر بابك ، فمضى أبو سعيد متنكّرًا هو وجماعة من أصحابه ، حتى نظروا إلى النيران والوقود فى المواضع التى وصفها لهم صالح ، فكتب الأفشين إلى بُغا ؛ أن يقيم بأرْدَبيل حتى يأتيه رأيُه ، وكتب أبو سعيد إلى الأفشين بصحّة خبر صالح ، فوعد الأفشينُ صالحاً وأحسن إليه . ثم كتب الأفشين إلى بُغا أن يظهر أنه يريد الرّحيل ، ويشدّ المال على الإبل ويُقَطِرها ، ويسير متوجّهًا من أردبيل ؛ كأنه يريد بَرْزَنْد ؛ فإذا صار إلى مسلحة النهر ، أو سار شبيهًا بفرسخين ، احتبس القطار حتى يجوز مَنْ صحب المال إلى بَرْزند ؛ فإذا جازت القافلة رجع بالمال إلى أرْدَبيل . ففعل ذلك بُغا ، وسارت القافلة حتى نزلت النّهر ، وانصرف جواسيس بابكَ إليه يعلمونه أنّ المال قد حُمل ، وعاينوه محمولا حتى صار إلى النهر ، ورجع بُغا بالمال إلى أرْدَبيل ، وركب الأفشين فى اليوم الذى وعد فيه بُغا عند العصر من بَرْزند ، فوافى خُشّ مع غروب الشمس ، فنزل معسكراً خارج خندق أبى سعيد ؛ فلما أصبح ركب فى سرّ ؛ لم يضرب طبلا ولا نَشر [١] علمًا ، وأمر أن يلفّ الأعلام ، وأمر الناس بالسكوت [٢] ، وجدّ فى السير ، ورحلت القافلة التى كانت توجّهت فى ذلك اليوم من النهر إلى ناحية الهيثم الغنوىّ ، ورحل الأفشين

٣/١١٧٥

٣/١١٧٦

(١) ا ، س : « ولم ينشر » .

(٢) ف : « بالسكون » .

من خُشّ يريد ناحية الهيثم ليصادفه فى الطريق ، ولم يعلم الهيثم [بمن كان معه][1] ، فرحل بمَنْ كان معه من القافلة يريد بها النهر .

وتعبّأ بابك فى خَيْله ورجاله وعساكره ، وصار على طريق النهر ، وهو يظنّ أن المال موافيه ، وخرج صاحب النهر ببَذْرق مَنْ قِبَله إلى الهيثم ، فخرجت عليه خيل بابك ؛ وهم لا يشكّون أنّ المال معه ، فقاتلهم صاحب النهر ، فقتلوه وقتلوا مَنْ كان معه من الجند والسابلة ، وأخذوا جميعَ ما كان معهم من المتاع وغيره ، وعلموا أن المال قد فاتهم ، وأخذوا علَمَه ، وأخذوا لباس أهل النهر ودراريعهم وطرّاداتهم وخفاتينَهم فلبسوها ، وتنكّروا ليأخذوا الهيثم الغنوىّ ومَنْ معه أيضًا ، ولا يعلمون بخروج الأفشين ، وجاءوا كأنهم أصحاب النهر ، فلما جاءوا لم يعرفوا الموضع الذى كان يقف فيه علم صاحب النهر ، فوقفوا فى غير موضع صاحب النهر ، وجاء الهيثم فوقف فى موقفه ، فأنكر ما رأى ، فوجّه ابن عمّ له ، فقال له : اذهب إلى هذا البغيض ، فقل له : لأىّ شىء وقوفك ؟ فجاء ابن عمّ الهيثم ، فلما رأى القوم أنكرهم لما دنا منهم[2] ، فرجع إلى الهيثم ، فقال له : إنّ هؤلاء القوم لستُ أعرفهم ، فقال له الهيثم : أخزاك الله ! ما أجْبَنَك ! ووجّه خمسة فرسان من قبله ، فلماجاءوا وقربوا من بابك ، خرج من الخُرّميّة رجلان فتلقّوْهما وأنكروهما ، وأعلموهما أنهم قدعرفوهما ، ورجعوا إلى الهيثم ركضًا ، فقالوا : إنّ الكافر قد قتل علّوَيْه وأصحابه ، وأخذوا أعلامهم ولباسهم ، فرحل هيثم منصرفًا ، فأتى القافلة التى جاء بها معه ، وأمرهم أن يركضوا ويرجعوا ، لئلاّ يؤخذوا ، ووقف هو فى أصحابه ؛ يسير بهم قليلا قليلا ، ويقف بهم قليلا ؛ ليشغل الخُرّميّة عن القافلة ، وصار شبيهًا بالحامية لهم ؛ حتّى وصلت القافلة إلى الحصن الذى يكون فيه الهيثم — وهو أرشق — وقال لأصحابه : مَنْ يذهب منكم إلى الأمير وإلى أبى سعيد فيعلمهما وله عشرة آلاف درهم وفرس بدل فرسه إن نَفَق فرسه فله مثل فرسه على مكانه ؟ فتوجّه رجلان من أصحابه على فرسيْن فارهين يركضان ، ودخل الهيثم الحصنَ ، وخرج بابك فيمن معه ؛ فنزل بالحصن ، ووضُع له كرسىّ وجلس على شرف

١١٧٧/٣

---

(١) تكملة من ا .
(٢) ا : « فلما رأى القوم ودنا منهم أنكرهم » .

بحبال الحصن ، وأرسل إلى الهيثم : خلّ عن الحصن وانصرفْ حتى أهدمه . فأبى الهيثم وحاربه . وكان مع الهيثم فى الحصن ستمائة راجل وأربعمائة فارس ، وله خندق حصين . فقاتله ، وقعد بابك فيمن معه ، ووضع الخمر بين يديه ليشربها ، والحرب مشتبكة كعادته ، ولقى الفارسان الأفشين على أقلّ من فرسخ من أرشق، فساعة نظر إليهما[1] من بعيد قال لصاحب مقدّمته : أرى فارسين يركُضان ركضاً شديداً ، ثم قال : اضربوا الطبل ، وانشروا الأعلام ، واركضوا نحو الفارسين. ففعل أصحابه ذلك ، وأسرعوا السّير ، وقال لهم : صيحوا بهما : لبّيك لبيك ! فلم يزل الناس فى طَلَق واحد متراكضين ، يكسر بعضهم بعضاً حتى لحقوا بابك ؛ وهو جالس، فلم يتدارك أن يتحوّل ويركب حتى وافتْه الخيل والناس ، واشتبكت الحرب[2] ، فلم يفلت من رجّالة بابك أحد ، وأفلت هو فى نفريسير ، ودخل مُوقان ، وقد تقطّع عنه أصحابه ، وأقام الأفشين فى ذلك الموضع ، وبات ليلتَه ، ثم رجع إلى معسكره ببرْزَنْد ، فأقام بابك بمُوقان أياماً . ثم إنه بعث إلى البَذّ ، فجاءه فى الليل عسكر فيه رجّالة ، فرحل بهم من موقان حتى دخل البذّ ، فلم يزل الأفشين معسكراً ببرْزَند ، فلما كان فى بعض الأيام مرّت به قافلة من خُشّ إلى بَرْزند ، ومعها رجل من قِبَل أبى سعيد يسمى صالح آبْكش[3] — تفسيره السقاء — فخرج عليه أصبهبذ بابك ، فأخذ القافلة ، وقتل مَنْ فيها ، وقتل مَنْ كان مع صالح ، وأفلت صالح بلا خفّ مع من أفلت ، وقُتل جميع أهل القافلة ، وانتُهب متاعهم ، فقحط عسكر الأفشين من أجل تلك القافلة التى أخذت من الآبْكش ؛ وذلك أنها كانت تحمل الميرة ، فكتب الأفشين إلى صاحب المراغة يأمره بحمل الميرة وتعجليها عليه ؛ فإنّ الناس قد قحطوا وجاعوا[4] ، فوجّه إليه صاحب المراغة بقافلة ضخمة ، فيها قريب من ألف ثَوْر سوى الحمُر والدوابّ وغير ذلك، تحمل الميرة، ومعها جند يُبذرقونها، فخرجت عليهم أيضاً سرّية لبابك ، كان عليها طَرْخان — أو آذين — فاستباحوها عن آخرها بجميع ما فيها ، وأصاب الناسَ ضيق شديد ؛ فكتب الأفشين إلى صاحب السيرَوَان

١١٧٨/٣
١١٧٩/٣

(١) ا : « يصر بهما » .
(٢) ابن الأثير : « فاشتبكت الحرب » .
(٣) ا : « أركش » .
(٤) س : « وضاقوا » .

أن يحمل إليه طعاماً ، فحمل إليه طعاماً كثيراً ، وأغاث الناس فى تلك السنة ، وقدم بُغا على الأفشين بمال ورجال .

* * *

[ذكر الخبر عن خروج المعتصم إلى القاطول]

وفى هذه السنة خرج المعتصم إلى القاطُول ، وذلك فى ذى القعدة منها .

* ذكر الخبر عن سبب خروجه إليها :

ذكر عن أبى الوزير أحمد بن خالد ، أنه قال : بعثنى المعتصم فى سنة تسع عشرة ومائتين ، وقال لى : يا أحمد ، اشتر لى بناحية سامَرّا موضعًا أبنى فيه مدينة ؛ فإنى أتخوّف أن يصيح هؤلاء الحرميّة[1] صيحة ، فيقتلوا غلمانى ؛ حتّى أكون فوقهم[2] ، فإن رابنى منهم ريْب أتيتُهم فى البرّ والبحر ؛ حتى آتى عليهم . وقال لى : خذ مائة ألف دينار ، قال : قلت : آخذ خمسة آلاف دينار ، فكلّما احتجت إلى زيادة بعثت إليك فاستزدت ؟ قال : نعم ؛ فأتيت الموضع ، فاشتريت سامَرّا بخمسمائة درْهم من النصارى أصحاب الدير ، واشتريتُ موضع البستان الخاقانىّ بخمسة آلاف درهم ، واشتريتُ عدّة مواضع حتى أحكمت ما أردت ، ثم انحدرت فأتيته بالصّكاك ، فعزم على الخروج إليها فى سنة عشرين ومائتين ، فخرج حتّى إذا قارب القاطول ، ضُرِبت له فيه القباب والمضارب ، وضرب الناس الأخبية ؛ ثم لم يزل يتقدّم ، وتُضرب له القباب حتّى وضع البناء بسامرّا فى سنة إحدى وعشرين ومائتين . ٣/١١٨٠

فذكر عن أبى الحسن بن أبى عباد الكاتب ، أن مسرورًا الخادم الكبير ، قال : سألنى المعتصم : أين كان الرشيد يتنزّه إذا ضجِر من المقام ببغداد ؟ قال : قلت له : بالقاطول ؛ وقد كان بنى هناك مدينة آثارها وسورها قائم ؛ وقد كان خافَ من الجند ما خاف المعتصم ، فلما وثب أهل الشأم بالشأم وعصوا ، خرج الرشيد إلى الرّقة فأقام بها ، وبقيت مدينة القاطول لم تستتمّ ، ولما خرج المعتصم إلى القاطول استخْلَف ببغداد ابنه هارون الواثق .

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « الحربية » . (٢) ابن الأثير : « فأريد أن أكون فوقهم » .

وقد حدّثنى جعفر بن محمد بن بوّازة الفرّاء، أن سبب خروج المعتصم إلى القاطول، كان أنّ غلمانه الأتراك كانوا لا يزالون يجدُون الواحد بعد الواحد منهم قتيلا فى أرباضها ؛ وذلك أنهم كانوا عُجْماً جفاة يركبون الدوابّ، فيترا كضون فى طرُق بغداد وشوارعها ، فيصدمون الرجل والمرأة ويطئون الصبىّ ، فيأخذهم الأبناء فينكسونهم عن دوابّهم ويجرحون بعضهم؛ فربما هلَك من الجراح بعضهم ، فشكت الأتراك ذلك إلى المعتصم ، وتأذّت بهم العامة ؛ فذُكر أنه رأى المعتصم راكبًا منصرفاً من المصلّى فى يوم عيد أضحى أو فطر ؛ فلما صار فى مربّعة الحَرَشىّ، نظر إلى شيخ قد قام إليه، فقال له : يا أبا إسحاق، قال : فابتدره الجند ليضربوه ؛ فأشار إليهم المعتصم فكفّهم عنه ، فقال للشيخ : مالك ! قال: لا جزاك الله عن الجِوار خيراً ! جاورتَنا وجئت بهؤلاء العلُوج فأسكنتَهم بين أظهرنا ، فأيتمت بهم صبياننا ، وأرملت بهم نسواننا ، وقتلت بهم رجالنا ! والمعتصم يسمع ذلك كله. قال : ثم دخل داره فلم يُرَ راكبًا إلى السنة القابلة فى مثل ذلك اليوم ؛ فلما كان فى العام المقبل فى مثل ذلك اليوم خرج فصلّى بالناس العيد ؛ ثم لم يرجع [1] إلى منزله ببغداد؛ ولكنه صرف وجهَ دابته [2] إلى ناحية القاطول ؛ وخرج من بغداد ولم يرجع إليها .

٣/١١٨١

* * *

[ذكر الخبر عن غضب المعتصم على الفضل بن مروان]

وفى هذه السنة غضب المعتصم على الفضل بن مروان وحبسه

* ذكر الخبر عن سبب غضبه عليه وحبسه إياه وسبب اتصاله بالمعتصم:

ذُكر أن الفضل بن مروان — وهو رجل من أهل البَرَدان — كان متصلا برجل من العمّال يكتب له ، وكان حسن الخطّ ، ثم صار مع كاتب كان للمعتصم يقال له يحيى الجُرْمقانىّ ، وكان الفضل بن مروان يخطّ بين يديه ؛ فلما مات الجُرْمقانىّ صار الفضل فى موضعه ؛ وكان يكتب للفضل علىّ بن

٣/١١٨٢

(١) ف : « ثم رجع » .
(٢) ف : « وجهه » .

حسان الأنبارىّ ، فلم يزل كذلك حتى بلغ المعتصم الحالُ التى بلغها ؛ والفضل كاتبه ، ثم خرج معه[١] إلى معسكر المأمون ، ثم خرج معه إلى مصر ، فاحتوى على أموال مصر ، ثم قدم [٢] الفضل قبل موت المأمون بغداد ، ينفذ أمور المعتصم ، ويكتب على لسانه بما أحبّ [٣] حتى قدم المعتصم خليفةً ، فصار الفضل صاحب الخلافة[٤] ، وصارت الدّواوين كلها تحت يديه وكنز الأموال ، وأقبل أبو إسحاق حين دخل بغداد يأمره بإعطاء المغنِّى والمُلهِى ؛ فلا ينفذ الفضل ذلك ، فثقُل على أبى إسحاق .

فحدثنى إبراهيم بن جهرَوَيْه أن إبراهيم المعروف بالهَفْتىّ — وكان مضحكاً — أمر له المعتصم بمال ؛ وتقدّم إلى الفضل بن مروان فى إعطائه ذلك ، فلم يعطه الفضل ما أمر به المعتصم ؛ فبينا الهَفْتىّ يومًا عند المعتصم ، بعد ما بُنيت له داره التى ببغداد ، واتُّخذله فيها بستان ، قام المعتصم يتمشّى فى البستان ينظر إليه وإلى ما فيه من أنواع الرّياحين والغُروس ، ومعه الهفْتىّ ، وكان الهفتىّ يصحب المعتصم قبل أن تُفضِىَ الخلافة إليه ، فيقول فيما يداعبه : والله لا تفلح أبدًا ! قال : وكان الهفْتىّ رجلاً مربوعًا ذا كُدْنة ، والمعتصم رجلا معرَّقًا[٥] خفيف اللحم ، فجعل المعتصم يسبق الهفْتىّ فى المشى ؛ فإذا تقدمه ولم ير الهفتىّ معه التفت إليه ، فقال له : ما لك لا تمشى ! يستعجله المعتصم فى المشى ليلحق به ؛ فلما كثُر ذلك من أمر المعتصم على الهَفْتىّ ، قال له الهفْتى ، مداعباً له : كنتُ أصلحك الله ، أرانى أماشى خليفة ؛ ولم أكن أرانى أماشى فَيْجاً[٦] ، والله لا أفلحت ! فضحك منها المعتصم ، وقال : ويلك ! هل بقىَ من الفلاح شىء لم أدركه ! أبعد الخلافة تقول هذا لى ! فقال له الهفتىّ : أتحسب أنك قد أفلحت الآن ! إنما لك من الخلافة الاسم ؛ والله ما يجاوز أمرك أذُنيْك ؛ وإنما الخليفة الفَضْل بن مروان ، الذى يأمر فينفُذ أمره من ساعته ، فقال له المعتصم : وأىّ أمر لى لا ينفذ ! فقال له : الهفتىّ : أمرتَ لى بكذا وكذا منذ شهرين ؛ فما أُعْطيتُ مما أمرتَ به منذ ذاك حبّة !

١١٨٣/٣

---

(١) س : « معها » . (٢) ف : « خرج » . (٣) س : « ما أحب » .
(٤) ف : « كاتب الخلافة » . (٥) المعرق : الخفيف اللحم .
(٦) الفيج : رسول السلطان على رجله ؛ فارسى معرب .

قال : فاحتجَنها على الفضل المعتصم حتى أوقع به .

فقيل : إن أوّل ما أحدثه فى أمره حين تغيّر له أن صيّر أحمد بن عمار الخُراسانىّ زماماً عليه فى نفقات الخاصة ، ونصر بن منصور بن بسام زماماً عليه فى الخراج وجميع الأعمال ؛ فلم يزل كذلك ؛ وكان محمد بن عبد الملك الزّيات يتولّى ما كان أبوه يتولاه للمأمون من عمل المشمّس والفساطيط وآلة الجمّازات[1] ويكتب على ذلك مما جرى على يدى محمد بن عبد الملك ، وكان يلبس إذا حضر الدار دُرّاعة سوداء وسيفاً بحمائل ، فقال له الفضل بن مروان : إنما ٣/١١٨٤ أنت تاجر، فما لك وللسواد[2] والسيف! فترك ذلك محمد ، فلما تركه أخذه الفضل برفع[3] حسابه إلى دُلَيل بن يعقوب النصرانىّ ، فرفعه ، فأحسن دُلَيل فى أمره ؛ ولم يرزأه شيئاً ، وعرض عليه محمد هدايا ، فأبى دُليل أن يقبل منها[4] شيئاً ، فلما كانت سنة تسع عشرة ومائتين — وقيل سنة عشرين ، وذلك عندى خطأ — خرج المعتصم يريد القاطول ، ويريد البناء بسامَرّا ، فصرفه كثرة زيادة دِجْلة ؛ فلم يقدر على الحركة ، فانصرف إلى بغداد إلى الشماسيّة ، ثم خرج بعد ذلك ؛ فلما صار بالقاطول غضب على الفَضْل بن مروان وأهل بيته فى صفر ، وأمرهم برفع ما جرى على أيديهم ؛ وأخِذ الفضل وهو مغضوب عليه فى عمل حسابه ، فلمّا فرغ من الحساب لم يناظَر فيه ، وأمر بحبسه ؛ وأن يحمل إلى منزله ببغداد فى شارع الميدان ، وحبس أصحابه ، وصيّر مكانه محمد بن عبد الملك الزيات ، فحبس دُليْلاً ، ونفى الفضل إلى قرية فى طريق الموصل يقال لها السنّ ، فلم يزل بها مقيماً ؛ فصار محمد بن عبد الملك وزيراً كاتباً ، وجرى على يديه عامة ما بنى المعتصم بسامرّا من الجانبين الشرقىّ والغربىّ ، ولم يزل فى مرتبته حتى استُخْلف المتوكل ، فقتل محمد بن عبد الملك .

وذكِر أن المعتصم لما استوزر الفضل بن مروان حلّ من قبَله المحلّ الذى لم يكن أحد يطمع فى ملاحظته ، فضلا عن منازعته ولا فى الاعتراض فى أمره ٣/١١٨٥

---

(١) الجمازة ، بالضم : مدرعة صوف ضيقة الكمين .

(٢) ف : « والسواد » .

(٣) ف : « فرفع » .

(٤) ف : « يقبلها » .

ونهيه ، وإرادته وحكمه ؛ فكانت هذه صفته ومقداره ؛ حتى حملته الدّالة ، وحرّكته الحُرْمة على خلافه فى بعض ما كان يأمره به ، ومنَعه ما كان يحتاج إليه من الأموال فى مهمّ أموره ؛ فذكر عن ابن أبى دواد أنه قال : كنت أحضر مجلس المعتصم ؛ فكثيرًا ما كنت أسمعه يقول للفضل بن مروان : احمل إلىّ كذا وكذا من المال ، فيقول : ما عندى ، فيقول : فاحتلها من وجه من الوجوه ؛ فيقول : ومن أين أحتالها ! ومَنْ يعطينى هذا القدر من المال ؟ وعند من أجده ؟ فكان ذلك يسوءُه وأعرفُه فى وجهه ؛ فلمّا كثر هذا من فعاله ركبتُ إليه يومًا فقلت له مستخلياً به : يا أبا العباس ؛ إنّ الناس يدخلون بينى وبينك بما أكره وتكره ؛ وأنْت امرؤ قد عرفتُ أخلاقَك ، وقد عرفها الداخلون بيننا ؛ فإذا حُرِّكت فيك بحقّ فاجعله باطلا ؛ وعلى ذلك فما أدع نصيحتَك وأداء ما يجب علىّ فى الحقّ لك ؛ وقد أراك كثيراً ماتردّ على أمير المؤمنين أجوبةً غليظة تُرمضه ، وتقدح فى قلبه ، والسلطان لا يحتمل هذا لابنه ، لا سيما إذا كثر ذلك وغلظ . قال : وما ذاك يا أبا عبد الله ؟ قلت : أسمعه كثيراً ما يقول لك : نحتاج إلى كذا من المال لنصرفَه فى وجه كذا ، فتقول : ومن يعطينى هذا ! وهذا ما لا يحتمله الخلفاء ، قال : فما أصنع إذا طلَب منى ما ليس عندى ؟ قلت : تصنع أن تقول : يا أمير المؤمنين ، نحتال فى ذلك بحيلة ، فتدفع عنك أياماً إلى أن يتهيّأ ، وتحمل إليه بعض ما يطلب وتسوّفه[1] بالباقى ، قال : نعم أفعل وأصير إلى ما أشرتَ به[2] . قال : فوالله لكأنى كنتُ أغريه بالمنع ، فكان إذا عاوده بمثل ذلك من القول ، عاد إلى مثل ما يكره من الجواب . قال : فلما كثُر ذلك عليه ، دخل يومًا إليه وبين يديه حزمة نرجس غضّ ، فأخذها المعتصم فهزّها ، ثم قال : حيّاك الله يا أبا العباس ! فأخذها الفضل بيمينه ، وسلّ

١١٨٦/٣

---

(١) ف : « يطلبه وتسوف » .

(٢) س : « إليه » .

المعتصمُ خاتمه من أصبعه بيساره ، وقال له بكلام خفىّ : أعطنى خاتمى ، فانتزعه من يده ، ووضعه فى يد ابن عبد الملك .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن العباس بن محمد

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك الوقعة التى كانت بين بابك وبُغا الكبير من ناحية هَشْتادسَر ، فهزِم بُغا واستبيح عسكره .

* * *

[ذكر الخبر عن وقعة الأفشين مع بابك فى هذه السنة]

وفيها واقع الأفشين بابك وهزمه .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وكيف كان السبب فيها :

١١٨٧/٣

ذكر أن بُغا الكبير قدِم بالمال الذى قد مضى ذكره ؛ وأنّ المعتصم وجّهه معه إلى الأفشين عطاءً للجند الذى كان معه ولنفقات[1] الأفشين ، على الأفشين ، وبالرجال الذين توجّهوا[2] معه إليه ، فأعطى الأفشين أصحابه ، وتجهّز بعد النيروز ، ووجّه بُغَا فى عسكر ليدور حول هَشْتادسَر ، وينزل فى خندق محمد بن حميد ويحفِره ويُحكمه وينزله. فتوجّه بُغا إلى خندق محمد بن حُميد ، وصار إليه ، ورحل الأفشين من بَرْزَند ، ورحل أبو سعيد من خُشّ يريد بابك ، فتوافوْا بموضع يقال له درْوذ ، فاحتفر الأفشين بها خندقاً ، وبنى حوله سوراً ، ونزل هو وأبو سعيد فى الخندق مع مَنْ كان صار إليه من المطوّعة ؛ فكان بينه وبين البذّ ستّة أميال . ثم إن بُغا تجهّز ، وحمل معه الزاد من غير أن يكون الأفشين كتب إليه ولا أمره بذلك ؛ فدار حول هَشْتادسَر حتى دخل إلى قرية البذّ ، فنزل فى وسطها ، وأقام بها يوماً واحداً ، ثم وجّه ألف رجل فى علاّفة له ، فخرج عسكر من عساكر بابك ، فاستباح العلاّفة ، وقتل جميع مَنْ قاتله منهم ، وأسر مَنْ قدر عليه ، وأخذ بعض الأسرى ؛ فأرسل

---

(١) ف : « ونفقات » . (٢) ا : « وجهوا » .

٣/١١٨٨ منهم رجُلين مما يلى الأفشين ، وقال لهما : اذهبا إلى الأفشين ، وأعلماه[١] مانزل بأصحابكم[٢] . فأشرف الرَّجُلان ، فنظر إليهما صاحب الكُوهبْانيّة ؛ فحرّك العلَم ، فصاح أهلُ العسكر: السلاح السلاح ! وركبوا يريدون البذّ ، فتلقّاهم الرجلان عُريانين ؛ فأخذهما صاحب المقدّمة ، فمضى بهما إلى الأفشين ، فأخبراه بقضيتهما ، فقال : فعل شيئًا من غير أن نأمره . ورجع بُغا إلى خندق محمد بن حميد شبيهًا بالمنهزِم ؛ وكتب إلى الأفشين يعلمه ذلك ، ويسأله المدد ، ويعلمه أنّ العسكر مفلول، فوجّه إليه الأفشين أخاه الفضل بن كاوس وأحمد بن الخليل بن هشام وابن جَوْشن وجَنَاحا الأعور السكريّ وصاحب شرطة الحسن بن سهل— وأحدُ الأخوَين قرابة الفضل بن سهل— فداروا حول هَشْتادسَر ، فسُرّ أهل عسكره بهم ؛ ثم كتب الأفشين إلى بُغا يعلمه أنه يغزو بابك فى يوم سمّاه له ، ويأمره أن يغزوَه فى ذلك اليوم بعينه ، ليحاربه من كلا الوجهين ؛ فخرج الأفشين فى ذلك اليوم من دَرْوذ يريد بابك ، وخرج بُغا من خندق محمد بن حميد ، فصعد إلى هَشْتادسَر ، فعسكر على دعوة بجنْب قبر محمد بن حميد ، فهاجت ريح باردة ومطر شديد ؛ فلم يكن للناس عليها صبر لشدة البرد وشدّة الريح ، فانصرف بُغا إلى عسكره ، وواقعهم

٣/١١٨٩ الأفشين من الغد ، وقد رجع بُغا إلى عسكره ، فهزمه الأفشين[٣] ، وأخذ عسكره وخيمته وامرأة كانت معه فى العسكر . ونزل الأفشين فى معسكر بابك . ثم تجهّز بُغا من الغد ، وصعد هَشْتادسَر ، فأصاب العسكر الذى كان مقيماً بإزائه بهشْتادسَر ، قد انصرف إلى بابك ، ورحل بُغا إلى موضعه ، فأصاب خُرْثِيًّا[٤] وقُماشًا[٥] ، وانحدر من هَشْتادسَر يريد البذّ ، فأصاب رجلا وغلامًا نائمين فأخذهما داودسياه — وكان على مقدّمته— فساءلهما ، فذكرا أن رسول بابك أتاهم فى الليلة التى انهزم فيها بابك ، فأمرهم أن يوافوه بالبذّ ، فكان الرجل والغلام سكرانيْن ، فذهب بهما النوم ، فلا يعرفان من الخبر غير

---

(١) س : « فأعلماه » .
(٢) ا ، س : « بصاحبكم » .
(٣) ابن الأثير : « فهزم أصحاب بابك » .
(٤) الخرثى : الردىء من متاع البيت .
(٥) القماش : الردىء من كل شىء ، واحده قمش .

هذا ؛ وكان ذلك قبل صلاة العصر . فبعث بـُغا إلى داودسياه : قد توسطنا الموضع الذى نعرفه — يعنى الذى كنا فيه فى المرة الأولى — وهذا وقت المساء ، وقد تعب الرّجّالة ، فانظر جبلا حصينًا يسع عسكرنا[1] حتى نعسكر فيه ليلتنا هذه . فالتمس داودسياه ذلك ، فصعد إلى بعض الجبال ، فالتمس أعلاه فأشرف ، فرأى أعلام الأفشين ومعسكره شبه الخيال[2] فقال : هذا موضعنا إلى غُدوة ، وننحدر من الغد إلى الكافر إن شاءالله . فجاءهم فى تلك الليلة سحابٌ وبرْد ومطر وثلج كثير ؛ فلم يقدر أحد حين أصبحوا أن ينزل من الجبَل يأخذ ماء ، ولايسقى دابّته من شدّة البرد وكثرة الثلج ؛ وكأنهم كانوا فى ليل من شدّة الظلمة والضباب . فلمّا كان اليوم الثالث قال الناس لبُغا : قد فنىَ ما معنا من الزّاد ، وقد أضرّ بنا البرْد ؛ فانزل على أىّ حالة كانتْ ؛ إما راجعين وإما إلى الكافر . وكان فى أيام الضّباب . فبيت بابك الأفشين ونقض عسكره ، وانصرف الأفشين عنه إلى معسكره ، فضرب بـُغا بالطّبْل ، وانحدر يريد البذّ حتى صار إلى البطْن ، فنظر إلى السماء منجلية ً ، والدّنيا طيّبة ، غير رأس الجبل الذى كان عليه بـُغا ، فعبّى بـُغا أصحابه ميمنة ً وميسرةً ومقدّمة ، وتقدّم يريد البذّ ، وهو لا يشك أن الأفشين فى موضع معسكره ، فمضى حتى صار بلزق جَبل البذّ ، ولم يبق بينه وبين أن يشرف على أبيات البذّ إلا صعود قَدْر نصف ميل ؛ وكان على مقدّمته جماعة فيهم غلام لابن البَعيث ، له قرابة بالبذّ ، فلقيتهم طلائع لبابك ، فعرف بعضهم الغلام ، فقال له : فلان ، فقال : من هذا[3] هاهنا ؟ فسمّى له مَنْ كان معه من أهل بيته ، فقال : ادنُ حتى أكلّمك ، فدنا الغلام منه ، فقال له : ارجع وقلْ لمن تعنى به يتنحّى ؛ فإنا قد بيّتنا الأفشين ، وانهزم إلى خندقه وقد هيّأنا لكم عسكرْين ، فعجّل الانصراف لعلك أن تفلت . فرجع الغلام فأخبر ابن البعيث بذلك ، وسمّى له الرجل ، فعرفه ابن البعيث ، فأخبر ابن البعيث بـُغا بذلك ، فوقف بـُغا شاور أصحابَه ، فقال بعضهم : هذا باطل ؛ هذه

٣/١١٩٠

(١) ا ، س : « معسكرنا » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « الجبال » .
(٣) ساقطة من ف .

خُدعة ليس من هذا شيء ، فقال بعض الكُوهبانيّين : إنّ هذا رأس جبل أعرفه ، مَن صعد إلى رأسه نظر إلى عسكر الأفشين . فصعد بغا والفضل بن كاوس وجماعة منهم ممن نشط ، فأشرفوا على الموضع ، فلم يروا فيه عسكر الأفشين فتيقّنوا[1] أنه قد مضى ، وتشاوروا ، فرأوا أن ينصرف الناس راجعين فى صدر النهار قبل أن يجنّهم الليل ، فأمر بُغا داودسياه بالانصراف ، فتقدّم داود وجدّ فى السير ، ولم يقصد الطريق الذى كان دخل منه إلى هَشْتادسَر مخافة المضايق والعِقاب ، وأخذ الطريق الذى كان دخل منه فى المرّة الأولى ، يدور حول هَشْتادسَر ، وليس فيه مضيق إلاّ فى موضع واحد .

٣/١١٩١

فسار بالناس ، وبعث بالرّجالة ، فطرحوا رماحهم وأسلحتهم فى الطريق ، ودخلتْهم وَحْشة شديدة ورُعب ، وصار بُغا والفضل بن كاوس وجماعة القوّاد فى الساقة ، وظهرت طلائع بابك ؛ فكلما نزل هؤلاء جبلاً صعدته طلائع بابك ؛ يتراءوْن لهم مرّة ويغيبون عنهم مرّة ، وهم فى ذلك يَقْفُون آثارهم ، وهم قدر عشرة فرسان ؛ حتى كان بين الصّلاتين : الظهر والعصر ، فنزل بُغا ليتوضّأ ويصلّى ، فتدانت منهم طلائع بابك ، فبرزوا لهم ، وصلى بُغا ، ووقف فى وُجوههم ، فوقفوا حين رأوْه ، فتخوّف بُغا على عسكره أن يواقعه الطلائع من ناحية ، ويدور عليهم فى بعض الجبال والمضايق قومٌ آخرون ، فشاور مَنْ حضره[2] وقال : لست آمن أن يكونوا جعلوا هؤلاء مشغلَة ، يحبسوننا عن المسير ، ويقدّمون أصحابهم ليأخذوا على أصحابنا المضايق. فقال له الفضل بن كاوس : ليس هؤلاء أصحاب نهار ؛ وإنما هم أصحاب ليل ؛ وإنما يتخوّف على أصحابنا من الليل ، فوَجِّهْ إلى داودسياه ليُسرع السيرَ ولا ينزل ، ولو صار إلى نصف الليل حتى يجاوز المضيق ، ونقف نحن ها هنا ؛ فإنّ هؤلاء ما داموا يرْوننا فى وجوههم لا يسيرون ، فنماطلهم وندافعهم قليلا قليلا حتى تجيء الظلمة ؛ فإذا جاءت الظلمة لم يعرفوا لنا موضعاً ، وأصحابنا يسيرون فينفذون أوّلا فأوّلا ، فإن أخذ علينا نحن المضيقُ تخلصنا من طريق هَشْتادسر أو من طريق آخر .

٣/١١٩٢

(١) س : « فتيقن » . (٢) ف : « حضر » .

وأشار غيره على بُغا . فقال : إنّ العسكر قد تقطّع ، وليس يدرك أوّله آخره ، والناس قد رمَوْا بسلاحهم ، وقد بقى المال والسلاح على البغال ، وليس معه أحد، ولا نأمن أن يخرج عليه من يأخذ المال والأسير — وكان ابن جويدان معهم أسيراً أرادوا أن يفادوا به كاتباً لعبد الرحمن بن حبيب ، أسره بابك — فعزم بُغا على أن يعسكر بالناس حين ذُكر له المال والسلاح والأسير ، فوجّه إلى داودسياه : حيثما رأيتَ جبلا حصينًا ، فعسكرْ عليه .

فعدل داود إلى جبل مُؤرّب ، لم يكن للناس موضع يقعدون فيه من شدّة هبوطه ، فعسكر عليه ، فضرب مضرباً لبُغا على طرف الجبل فى موضع شبيه بالحائط ؛ ليس فيه مسلك ، وجاء بغا فنزل ، وأنزل الناس وقد تعبُوا وكلّوا ، وفنيت أزوادُهم ، فباتوا على تعبئة وتحارُس من ناحية المصعَد ، فجاءهم العدوّ من الناحية الأخرى ، فتعلّقوا بالجبل حتى صاروا إلى مضرب بُغا ، فكبسوا المضرب ، وبيّتوا العسكر ، وخرج بُغا راجلاً حتى نجا ، وجُرح الفضل بن كاوس ، وقتِل جناح السكرىّ ، وقتِل ابن جَوْشن ، وقتِل أحد الأخوين قرابة الفضل ابن سهل ، وخرج بُغا من العسكر راجلاً ، فوَجدَ دابة فركبها ، ومرّ بابن البَعيث فأصعده على هَشْتادسَر ، حتى انحدر به على عسكر محمد بن حُميد ، فوافاه فى جوف الليل ، وأخذ الخُرَّميّة المال والسلاح والأسير ابن جويدان ، ولم يتبعوا الناس ، ومرّ الناس منهزمين منقطعين حتى وافوا بُغا ، وهو فى خندق محمد بن حُميد ، فأقام بُغا فى خندق محمد بن حميد خمسةَ عشر يوماً ، فأتاه كتاب الأفشين يأمره بالرجوع إلى المَرَاغة ، وأن يردّ إليه المدد الذى كان أمدّه به ، فمضى بُغا إلى المراغة ، وانصرف الفضل بن كاوس وجميعُ مَنْ كان جاء معه من معسكر الأفشين إلى الأفشين ، وفرّق الأفشين الناس فى مشاتيهم تلك السنة ، حتى جاء الربيع من السنة المقبلة .

١١٩٣/٣

* * *

[خبر مقتل طرخان قائد بابك]

وفى هذه السنة قُتِل قائد لبابك كان يقال له طَرْخان .

* ذكر سبب قتله :

ذُكِر أنّ طرْخان هذا كان عظيم المنزلة عند بابك ؛ وكان أحد قوّاده، فلمّا دخل الشتاء من هذه السنة، استأذن بابك فى الإذن له أن يشتوَ فى قرية له بناحية المَرَاغة — وكان الأفشين يرصده، ويحبّ الظفر به؛ لمكانه من بابك — فأذن له بابك ، فصار إلى قريته ليشتُوَ بها بناحية هَشْتا دسر ، فكتب الأفشين إلى تُرْك مولى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وهو بالمَراغة، أن يسرى إلى تلك القرية — ووصفها له — حتى يقتل طرخان، أو يبعث به إليه أسيراً. فأسرى تُرْك إلى طَرْخان ، فصار إليه فى جوف الليل ، فقتَل طرخان وبعث برأسه إلى الأفشين .

٣/١١٩٤

* * *

وفى هذه السنة قدم صول أرتكين وأهل بلاده فى قيود فنُزعت قيودُهم ، وحمِل على الدوابّ منهم نحو من مائتى رجل .

وفيها غضب الأفشين على رجاء الحضارىّ وبعث به مقيَّداً .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، وهو والى مكة .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

٣/١١٩٥ فمن ذلك ما كان من توجيه المعتصم جعفر بن دينار الخياط إلى الأفشين مدداً له، ثم إتباعه بعد ذلك بإيتاخ وتوجيهه معه ثلاثين ألف ألف درهم عطاء للجند وللنفقات .

* * *

[ذكر خبر الوقعة بين أصحاب الأفشين وآذين قائد بابك]

وفيها كانت وقعة بين أصحاب الأفشين وقائد لبابك يقال له آذين .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها :

ذكر أن الشتاء لما انقضى من سنة إحدى وعشرين ومائتين وجاء الربيع ، ودخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، ووجّه المعتصم إلى الأفشين ما وجهه إليه من المدد والمال ، فوافاه ذلك كله وهو ببرْزَند، سلّم إيتاخ إلى الأفشين المالَ والرّجال الذين كانوا معه وانصرف ، وأقام جعفر الخياط مع الأفشين مدّة ، ثم رحل الأفشين عند إمكان الزّمان ، فصار إلى موضع يقال له كلان روذ، فاحتفر فيه خندقاً ، وكتب إلى أبي سعيد ، فرحل من بـَرْزَند إلى إزائه على طرف رستاق كلان‌روذ ، وتفسيره : نهر كبير ؛ بينهما قدر ثلاثة أميال ، فأقام معسكراً في خُندق ، فأقام بكلان روذ خمسة أيام ، فأتاه من أخبره أنّ قائداً من قواد بابك يدعى آذين ، قد عسكر بإزاء الأفشين ، وأنه قد صير عياله في جبل يشرف على رُوذ الروذ ، وقال : لا أتحصّن من اليهود — يعني المسلمين — ولا أدخل عيالي حصناً ؛ وذلك أنّ بابك قال له : أدخِل عيالك الحصن، قال : أنا أتحصّن من اليهود ! والله لا أدخلتهم حصناً أبداً ، فنقلهم إلى هذا الجبل ، فوجّه الأفشين ظفر بن العلاء السعديَّ ٣/١١٩٦ والحسين بن خالد المدائنيّ من قواد أبي سعيد في جماعة من الفرسان والكوهْبانية ،

فساروا ليلتهم من كلان روذ ، حتى انحدرا فى مَضيق لا يمرّ[١] فيه راكب واحد إلاّ بجَهد ، فأكثرُ الناس قادوا دوابّهم ، وانسلُّوا رجلا خلْف رجل ، فأمرهم أن يصيروا قبل طلوع الفجر على روذ الرّوذ ، فيعبر الكوهبانية رجّالة ؛ لأنه لا يمكن الفارس أن يتحرّك هناك ، ويتسلقوا الجبل ؛ فصاروا على[٢] روذ الروذ قبل السَّحَر ، ثمّ أمر مَنْ أطاق من الفرسان أن يترجّل وينزع ثيابه ، فترجّل عامة الفرسان ، وعَبَروا وعبر معهم الكوهبانية جميعاً ، وصعدوا الجبل ؛ فأخذوا عيال آذين وبعض ولده ، وعبروا بهم ، وبلغ آذينَ الخبر بأخذ عياله ؛ وكان الأفشين عند توجّه هؤلاء الرجالة ودخولهم المضيق يخاف أن يؤخذ عليهم المضيق ، فأمر الكُوهبانية أن يكون معهم أعلام ، وأن يكونوا على رءوس الجبال الشواهق فى المواضع التى يُشرفون منها على ظَفَر بن العلاء وأصحابه ؛ فإن رأوا أحداً يخافونه حرّكوا الأعلام ، فبات الكوهبانيّة على رءوس الجبال ، فلما رجع ابن العلاء والحسين بن خالد بمن أخذوا من عيال آذين ، وصاروا فى بعض الطريق قبل أن يصيروا إلى المضيق ، انحدر عليهم[٣] رجّالة آذين فحاربوهم قبل أن يدخلوا المضيق ، فوقع بينهم قتلى ، واستنقذوا بعض النساء . ونظر إليهم الكوهبانية الذين رتّبهم الأفشين ؛ وكان آذين قد وجّه عسكريْن ؛ عسكراً يقاتلهم ، وعسكراً يأخذ عليهم المضيق ؛ فلما حرّكوا الأعلام وجّه الأفشين مظفر بن كيدر فى كردوس[٤] من أصحابه ، فأسرع الرّكْض . ووجّه أبا سعيد خلف المظفّر ، وأتبعهما ببخاراخُذاه ، فوافوْا ؛ فلما نظر إليهم رجّالة آذين الذين كانوا على المضيق انحدروا عن المضيق ، وانضموا إلى أصحابهم ، ونجا ظفر بن العلاء والحسين بن خالد ومَنْ معهما من أصحابهما ، ولم يقتل منهم إلاّ من قتل فى الوقعة الأولى ، وجاءوا جميعاً إلى عسكر الأفشين ؛ ومعهم النساء اللواتى أخذوهنّ .

١١٩٧/٣

* * *

(١) ف : « فلا يمرّ » .
(٢) ف : « إلى » .
(٣) ف : « إليهم » .
(٤) الكردوس : القطعة العظيمة من الخيل .

[ذكر خبر فتح البذّ مدينة بابك]

وفى هذه السنة فتحت البذّ مدينة بابك ، ودخلها المسلمون، واستباحوها ؛ وذلك فى يوم الجمعة لعشر بَقِينَ من شهر رمضان فى هذه السنة .

* ذكر الخبر عن أمرها وكيف فُتحت والسبب فى ذلك :

ذُكِر أنّ الأفشين لما عزم على الدنوّ من البذّ والارتحال من كلان روذ جعل يُزحلف[1] قليلا قليلا — على خلاف زحفه قبل ذلك — إلى المنازل التى كان ينزلها ؛ فكان يتقدّم الأميال الأربعة ، فيعسكر[2] فى موضع على طريق المضيق الذى ينحدر إلى روذ الرّوذ ، ولا يحفر خندقًا ؛ ولكنه يقيم معسكراً فى الحسَك، وكتب إليه المعتصم يأمره أن يجعل الناس نوائبَ كراديس تقف[3] على ظهور الخيل ،كما يدور العسكر بالليل؛ فبعض القوم معسكرون وبعضٌ وقوف على ظهور دوابّهم على ميل كما يدور العسكر بالليل والنهار مخافة البَيات؛ كى إن دهمهم أمر يكون الناس على تعبية والرّجالة فى العسكر؛ فضجّ الناس من التعب، وقالوا : كم نقعد ها هنا فى المضيق ونحن قعود فى الصحراء ، وبيننا وبين العدوّ أربعة فراسخ ، ونحن نفعل فعلاً ؛ كأنّ العدو بإزائنا ! قد استحينا من الناس والجواسيس الذين يمرّون بيننا وبين العدو أربعة فراسخ؛ ونحن قد متنا من الفزع ؛ أقدم بنا؛ فإمّا لنا وإما علينا، فقال: أنا والله أعلم أنّ ما تقولون حقّ ؛ ولكن أمير المؤمنين أمرنى بهذا . ولا أجدُ منه بدًّا .

١١٩٨/٣

فلم يلبث أن جاءه كتاب المعتصم يأمره أن يتحرّى بدِراجة الليل على حسب ما كان ؛ فلم يزل كذلك أيامًا ، ثم انحدر فى خاصّته حتى نزل إلى روذ الرّوذ، وتقدّم حتى شارف الموضع الذى به الرَّكوة التى واقعه عليها بابك فى العام الماضى ؛ فنظر إليها، ووجد عليها كُردوساً من الخرّمية ؛ فلم يحاربوه ولم يحاربهم ؛ فقال بعض العلوج : ما لكم تجيئون وتفرّون ! أما تستحيون ! فأمر الأفشين ألاّ يجيئوهم ولا يبرز إليهم أحد ؛ فلم يزل مُواقفَهم إلى قريب

(١) يزحلف ، أى يتقدم ، وفى ابن الأثير : « يتقدم » .

(٢) ف : « ويعسكر» . (٣) ابن الأثير : « يقفون » .

من الظهر ، ثم رجع إلى عسكره ، فمكث فيه يومين ، ثم انحدر أيضًا فى أكثر
٣/١١٩٩ مما كان انحدر فى المرّة الأولى ، فأمر [١]أبا سعيد أن يذهب فيواقِفهم على
حسب ما كان واقفهم فى المرّة الأولى ، ولا يحرّكهم ولا يهجم عليهم .

وقام الأفشين بروذ الرّوذ ، وأمر الكوهبانية أن يصعدوا إلى رءوس الجبال
التى يظنون أنها حصينة ، فيتراءوا له فيها ، ويختاروا له فى رءوس الجبال
مواضع يتحصّن فيها الرّجالة ؛ فاختاروا له ثلاثة أجبل ، قد كانت عليها
حصون فيما مضى ، فخربت فعرفها ، ثم بعث إلى أبى سعيد ، فصرفه يومه
ذلك ؛ فلما كان بعد يومين انحدر من معسكره إلى روذ الروذ ، وأخذ معه
الكِلْغَرّية — وهم الفعلة — وحملوا معهم شِكاء[٢] الماء والكعك ؛ فلما صاروا
إلى روذ الرّوذ وجّه أبا سعيد ، وأمره أن يواقفهم أيضًا على حسب ما كان أمره
به فى اليوم الأوّل ، وأمر الفعلة بنقل الحجارة وتحصين الطرق التى تسلك إلى
تلك الثلاثة الأجبل ؛ حتى صارت شبه الحصون ، وأمر فاحتفر على كلّ
طريق وراء تلك الحجارة إلى المِصْعد خندقًا ؛ فلم يترك مسلكًا إلى جبل منها
إلا مسلكًا واحدًا . ثم أمر أبا سعيد بالانصراف ، فانصرف ، ورجع الأفشين
إلى معسكره . قال : فلما كان فى اليوم الثامن من الشهر ، واستحكم الحصر ،
دفع إلى الرّجالة كعكًا وسويقًا ، ودفع إلى الفرسان الزّاد والشعير ، ووكّل
بمعسكره ذلك مَنْ يحفظه . وانحدروا ، وأمر الرّجالة أن يصعدوا[٣] إلى رءوس
٣/١٢٠٠ تلك الجبال ، وأن يصعدوا معهم بالماء ، وبجميع[٤] ما يحتاجون إليه ، ففعلوا ذلك ،
وعسكر ناحية ، ووجّه أبا سعيد ليواقف[٥] القوم على حسب ما كان يواقفهم ،
وأمر الناس بالنزول فى سلاحهم ، وألا يأخذ الفرسان سروج دوابهم . ثم خطّ
الخندق ، وأمر الفَعَلة بالعمل فيه ، ووكّل بهم مَنْ يستحثّهم ، ونزل هو
والفرسان ، فوقفوا تحت الشجر فى ظل يرعوْن دوابهم ، فلما صلى العصر ، أمر
الفعلة بالصعود إلى رءوس الجبال التى حصّنها مع الرّجالة ، وأمر الرّجالة أن

---

(١) ف : « وأمر » . (٢) الشكوة : وعاء للماء أو للبن من الأدم وجمعها شكاء.
(٣) ف : « بالصعود » . (٤) س : « وجميع »
(٥) س : « ليوقف » .

يتحارسوا ولا يناموا ، ويدَعوا الفَعلة فوق الجبال ينامون ، وأمر الفرسان بالركوب عند اصفرار الشمْس ، فصيّرهم كراديس وقّفها[1] حيالهم ، بين كلّ كُردوس وكُردوس قَدْر رمية سهم ، وتقدّم إلى جميع الكراديس ألاّ يلتفتنّ كلّ واحد منكم إلى الآخر ؛ ليحفظ كلٌّ واحد منكم ما يليه ؛ فإن سمعتم هدّةً فلا يلتفتنّ أحد منكم إلى أحد ، وكلّ كُردوس منكم قائم بما يليه ، فإنه لا بهدّة يأخذ . فلم يزل الكراديس وقوفًا على ظهور دوابهم إلى الصباح ، والرّجالة[2] فوق رءوس الجبال يتحارسون . وتقدّم إلى الرّجالة : متى ما أحسوا فى الليل بأحد فلا يكترثوا ، وليلْزم كلٌّ قوم منهم المواضع التى لهم ؛ وليحفظوا جبلهم وخندقهم فلا يلتفتنّ أحدٌ إلى أحد . فلم يزالوا كذلك إلى الصباح ؛ ثم أمر مَنْ يتعاهد الفرسان والرّجالة بالليل ، فينظر إلى حالتهم ؛ فلبثوا فى حفر الخندق عشرة أيام ، ودخله اليوم العاشر فقسّمه بين الناس ، وأمر القوّاد أن يبعثوا إلى أثقالهم وأثقال أصحابهم على الرفق ، وأتاه رسول بابك ومعه قِثّاء وبِطّيخ وخِيار ؛ يعلمه أنه فى أيامه هذه فى جفاء ؛ إنما يأكل الكعك والسويق هو وأصحابه ، وأنه أحبّ أن يُلطفه بذلك . فقال الأفشين للرسول : قد عرفتُ أىَّ شىء أراد أخى بهذا ؛ إنما أراد أن ينظر إلى العسكر ، وأنا أحقّ مَنْ قبل برّه ، وأعطاه شهوته ؛ فقد صدق ، أنا فى جفاء . وقال للرّسول : أما أنت فلا بدّ لك أن تصعد حتى ترى معسكرنا ، فقد رأيت ما هاهنا ، وترى ما وراءنا أيضًا ، فأمر بحمله على دابة ، وأن يُصعد به حتى يرى الخندق ، ويرى[3] خندق كلان روذ وخندق برزند ، ولْينظر إلى الخنادق الثلاثة ويتأملها ، ولا يخفى عليه منها شىء[4] ليخبر به صاحبه . ففُعل به ذلك ؛ حتى صار إلى برزند ، ثم ردّه إليه[5] ، فأطلقه وقال له : اذهب ، فأقرئه منى السلام — وكان من الخرّمية الذين يتعرّضون لمن يجلب الميرة إلى العسكر — ففعل ذلك مرّة أو مرتين ، ثم جاءت الخرّمية بعد ذلك فى ثلاثة كراديس ، حتى صاروا قريبًا من سور خندق الأفشين يصيحون ، فأمر الأفشين الناس ألا ينطق أحد منهم ، ففعلوا

١٢٠١/٣

(١) ف : « ووقفها ». (٢) س : « والرجال ».
(٣) ا ، ف : « فنظر إلى ». (٤) ف : « شىء منها ».
(٥) ط : « إلى عنده ».

ذلك ليلتين أو ثلاث ليال ، وجعلوا يركضون دوابّهم خلْف السور ، ففعلوا ذلك غير مرّة ؛ فلما أنسوا هيّأ لهم الأفشين أربعة كراديس من الفرسان والرّجالة ، فكانت الرّجالة ناشبة ، فكمنوا لهم فى الأودية ، ووضع عليهم العيون ؛ فلما انحدروا فى وقتهم الّذى كانوا ينحدرون فيه فى كلّ مرة ، وصاحوا وجلّبوا كعادتهم شدّت عليهم الخيل والرّجالة الذين رُتّبوا ، فأخذوا عليهم طريقهم.

١٢٠٢/٣

وأخرج الأفشين إليهم كُردوسين من الرّجالة فى جوف الليل ، فأحسوا أن قد أخذت عليهم العقبة ؛ فتفرّقوا فى عدّة طرق ؛ حتى أقبلوا يتسلّقون[١] الجبال ، فمرّوا فلم يعودوا إلى ما كانوا يفعلون ، ورجع الناس من الطلب مع صلاة الغداة إلى الخندق بروذ الروذ ، ولم يلحقوا من الخرّمية أحداً .

ثم إنّ الأفشين كان فى كل أسبوع يضرب بالطبول نصفَ الليل ، ويخرج بالشمع والنفاطات إلى باب الخندق ، وقد عرف كل إنسان منهم كُرْدوسه ؛ مَن كان فى الميمنة ومن كان فى الميسرة ؛ فيخرج الناس فيقفون فى مواقفهم ومواضعهم . وكان الأفشينُ يحمل أعلامًا سودًا كباراً ، اثنى عشر علمًا يحملها على البغال ؛ ولم يكن يحملها على الخيل لئلا تزعزع ، يحملها على اثنى عشر بغلا ؛ وكانت طبوله الكبار واحداً وعشرين طبلا ؛ وكانت الأعلام الصغار نحواً من خمسمائة علَم ؛ فيقف أصحابه كل فرق[٢] على مرتبتهم من رُبْع الليل ؛ حتى إذا طلع الفجر ركب الأفشين من مضربه ، فيؤذّن المؤذن بين يديه ويصلى ، ثم يصلى الناس بغلَس ، ثم يأمر بضرب[٣] الطبول ، ويسير زحفًا . وكانت علامته فى المسير والوقوف تحريك الطبول وسكونها ، لكثرة الناس ومسيرهم فى الجبال والأزقة على مصافّهم ؛ كلما استقبلوا جبلا صعدوه ، وإذا هبطوا إلى وادٍ مضوْا فيه ؛ إلا أن يكون جبلا منيعًا لا يمكنهم صعودُه وهبوطه ؛ فإنهم كانوا ينضمون إلى العساكر ، ويرجعون إذا جاءوا إلى الجبل إلى مصافّهم ومواضعهم ؛ وكانت علامة المسير[٤] ضرب الطبول ؛ فإن أراد أن يقف أمسك عن ضرب الطبول ؛ فيقف الناس جميعًا من كلّ ناحية على جبل ، أو فى وادٍ أو فى مكانهم ؛ وكان يسير قليلا قليلا ؛ كلما جاءه كوهبانىّ بخبر وقف

١٢٠٣/٣

(١) س : « يتسللون » .
(٢) ا ، س : « كل قوم » .
(٣) ف : « فيضرب » .
(٤) ا ، س : « السير » .

قليلا ؛ وكان يسير هذه الستة الأميال التى بين رُوذ الروذ ، وبين البذّ ، ما بين طلوع الفجر[1] إلى الضحى الأكبر ؛ فإذا أراد أن يصعد إلى الرّكوة التى كانت الحرب تكون عليها فى العام الماضى ، خلّف بُخاراخُذاه على رأس العقَبة مع ألف فارس وستمائة راجل ؛ يحفظون عليه الطريق ؛ لا يخرج أحد من الخُرَّمية ؛ فيأخذ عليه الطريق . وكان بابك إذا أحسّ بالعسكر أنه وارد عليه وجه عسكراً له فيه رجّالة إلى وادٍ تحت تلك العقبة التى كان عليها بُخاراخذاه ، ويكمُنون لمن يريد أن يأخذ عليه الطريق .

١٢٠٤/٣ وكان الأفشين يقف بخاراخُذاه يحفظ هذه العقبة التى وجّه بابك عسكره إليها ليأخذها على الأفشين ؛ وكان بُخاراخذاه يقف بها أبداً ، ما دام الأفشين داخل البذّ على الرّكوة ، وكان الأفشين يتقدّم إلى بخاراخذاه أن يقف على وادٍ فيما بينه وبين البذّ شبه الخندق .

وكان يأمر أبا سعيد محمد بن يوسف أن يعبُر ذلك الوادى فى كُردوس من أصحابه ، ويأمر جعفراً الخياط أن يقف أيضًا فى كُردوس من أصحابه ، ويأمر أحمد بن الخليل فيقف فى كردوس آخر ؛ فيصير فى جانب ذلك الوادى ثلاثة كراديس فى طرف أبياتهم ؛ وكان بابك يُخرج عسكراً مع آذين ، فيقف على تلّ بإزاء هؤلاء الثلاثة الكراديس خارجًا من البذّ لئلا يتقدّم أحد من عساكر الأفشين إلى باب البذّ . وكان الأفشين يقصد إلى باب البذّ ، ويأمرهم إذا عبروا بالوقوف فقط ، وترك المحاربة ، وكان بابك إذا أحسّ بعساكر الأفشين أنها قد تحركت من الخندق تريده فرّق أصحابه كمناء ؛ ولم يبق معه إلا نُفير يسير ؛ وبلغ ذلك الأفشين ، ولم يكن يعرف المواضع التى يكمُنون فيها . ثم أتاه الخبر بأن الخرّمية قد خرجوا جميعًا ، ولم يبق مع بابك إلا شرذمة من[2] أصحابه . وكان الأفشين إذا صعد إلى ذلك الموضع بُسط له نِطَع ، ووُضع له كرسىّ ، وجلس على تلّ مشرف يُشرف[3] على باب قصر بابك ، ١٢٠٥/٣ والناس كراديس وقوف ، مَنْ كان معه من جانب الوادى هذا أمره بالنزول

---

(١) ف : « الشمس » . (٢) س : « مع » .
(٣) ابن الأثير : « ينظر إلى قصر » .

عن دابته ، ومَنْ كان من ذاك الجانب مع أبى سعيد وجعفر الخياط وأصحابه وأحمد بن الخليل لم يُنزل لقربه من العدوّ ؛ فهم وقوف على ظهور دوابّهم ؛ ويفرق رجّالته الكوهبانية ليفتشوا الأودية ؛ طمع أن يقع على مواضع الكُمناء فيعرفها . فكانت هذه حالته[1] فى التفتيش إلى بعد الظهر ، والخُرّمية بين يدى بابك يشربون النبيذ ، ويزمُرون بالسُّرْنيايات[2] ، ويضربون بالطبول ؛ حتى إذا صلى الأفشين الظهر ؛ تقدم فانحدر إلى خندقه بروذ الروذ ؛ فكان أول من ينحدر أبو سعيد ثم أحمد بن الخليل ثم جعفر بن دينار ، ثم ينصرف الأفشين ؛ وكان مجيئه ذلك مما يغيظ بابك ، وانصرافه [3]فإذا دنا الانصراف[3] ، ضربوا بصنُوجهم ، ونفخوا بُوقاتهم استهزاء ؛ ولا يبرح بخاراخذاه من العقبة التى هو عليها ؛ حتى تجوزه الناس جميعاً ، ثم ينصرف فى آثارهم ؛ فلما كان فى بعض أيامهم ضجِرت الخُرّمية من المعادلة والتفتيش الذى كان يفتش عليهم ؛ فانصرف الأفشين كعادته ، وانصرفت الكراديس أولا فأوّلا ، وعبر أبو سعيد الوادى ، وعبر أحمد بن الخليل ، وعبر بعض أصحاب جعفر الخياط ، وفتح الخُرّمية باب خندقهم ، وخرج منهم عشرة فوارس ، وحملوا على مَنْ بقى من أصحاب جعفر الخياط فى ذلك الموضع ، وارتفعت الضّجة فى العسكر ، فرجع جعفر مع كُردوس من أصحابه بنفسه ، فحمل على أولئك الفرسان حتى ردّهم إلى باب البذّ ، ثم وقعت الضّجة فى العسكر ، فرجع الأفشين وجعفر وأصحابه من ذلك الجانب يقاتلون ؛ وقد خرج من أصحاب جعفر عدّة ، وخرج [4]بابك بعدّة فرسان[4] لم يكن معهم رجّالة ؛ لا من أصحاب الأفشين ، ولا من أصحاب بابك ؛ كان هؤلاء يحملون ؛ وهؤلاء يحملون ؛ فوقعت بينهم جراحات ، ورجع الأفشين حتى طُرح له النطع والكرسىّ ، فجلس فى موضعه الذى كان يجلس فيه ؛ وهو يتلظّى على جعفر ، ويقول : قد أفسد علىّ تعبيتى وما أريد .

١٢٠٦/٣

---

(١) س : « حاله » . (٢) ف : « بالشريانات » .

(٣ – ٣) ف : « إذا انصرف أو دنا الا نصراف » .

(٤ – ٤) س : « من أصحاب بابك عدة فرسان بفرسان » .

وارتفعت الضجّة ، وكان مع أبي دُلف فى كردوس قوم من المطوّعة من أهل البصرة وغيرهم ؛ فلما نظروا إلى جعفر يحارب ، انحدر أولئك المطوّعة بغير أمر الأفشين ، وعبروا إلى ذلك جانب[1] الوادى ؛ حتى صاروا إلى جانب البذّ ، فتعلّقوا به ؛ وأثّروا فيه آثاراً ، وكادوا يصعدونه فيدخلون البذّ ، ووجّه[2] جعفر إلى الأفشين : أن أمدّنى بخمسمائة راجل من الناشبة ؛ فإنى أرجو أن أدخل البذّ إن شاء الله ؛ ولست أرى فى وجهى كثير[3] أحد إلاّ هذا الكُردوس الذى تَراه أنت فقط — يعنى كردوس آذين — فبعث إليه الأفشين أن قد أفسدتَ علىّ أمرى ، فتخلّص قليلا قليلاً ، وخلّص أصحابك وانصرف . وارتفعت الضجة من المطوّعة حين تعلّقوا بالبذّ ، وظنّ الكُمناء الذين أخرجهم بابك أنها حرب قد اشتبكت ؛ فنعروا ووثبوا من تحت عسكر بُخار اخذاه ، ووثب كمين آخر من وراء الرّكوة التى كان الأفشين يقعد عليها ، فتحرّكت الخُرّمية ، والناس وقوف على رءوسهم لم يزُل منهم أحد ؛ فقال الأفشين : الحمد لله الذى بيّن لنا مواضع هؤلاء . ٣/١٢٠٧

ثم انصرف جعفر وأصحابه والمطوّعة ، فجاء جعفر إلى الأفشين ؛ فقال له : إنما وجّهنى سيّدى أمير المؤمنين للحرب التى ترى ، ولم يوجّهنى للقعود ها هنا ، وقد قطعتَ بى فى موضع حاجتى ما كان يكفينى إلا خمسمائة راجل حتى أدخل البذّ أو جوف داره ؛ لأنى قد رأيت من بين يدىّ . فقال له الأفشين : لا تنظر إلى ما بين يديْك ؛ ولكن انظر إلى ما خلفك وما قد وثبوا ببخاراخذاه وأصحابه . فقال الفضل بن كاوس لجعفر الخياط : لو كان الأمر إليك ما كنت تقدر أن تصعد إلى هذا الموضع الذى أنت عليه واقف ؛ حتى تقول : كنت وكنت ... فقال له جعفر : هذه الحرب ؛ وها أنا واقف لمن جاء . فقال له الفضل : لولا مجلس الأمير لعرّفتُك نفسك الساعة ؛ فصاح بهما الأفشين ، فأمسكا ، وأمر أبا دُلف أن يردّ المطوّعة عن السور ، فقال أبو دُلف للمطوّعة : انصرفوا . فجاء رجل منهم ومعه صخرة ، فقال : أتردّنا ٣/١٢٠٨

---

(١) س ، ف : « الجانب » . (٢) ف : « وأرسل » .
(٣) ف : « كبير » .

وهذا الحجر أخذته من السور! فقال له: الساعة، إذا انصرفت تَدْرِى مَن على طريقك جالس — يعنى العسكر الذى وثب على بخاراخذاه من وراء الناس. ثم قال الأفشين لأبى سعيد فى وجه جعفر: أحسن اللهُ جزاءَك عن نفسك وعن أمير المؤمنين؛ فإنّى ما علمتك عالمًا بأمر هذه العساكر وسياستها؛ ليس كلّ من حفّ رأسُه يقول: إنّ الوقوف فى الموضع[1] الذى يحتاج إليه خير من المحاربة فى الموضع الذى لا يحتاج إليه، لو وثب هؤلاء الذين تحتك — وأشار إلى الكمين الذى تحت الجبل — كيف كنت ترى هؤلاء المطّوّعة الذين هم فى القُمُص؟ أىّ شىء كان يكون حالهم، ومن كان يجمعهم؟ الحمد لله الذى سلّمهم؛ فقف هاهنا فلا تبرح حتى لا يبقى ها هنا أحد. وانصرف الأفشين؛ وكان من سنّته إذا بدأ بالانصراف ينحدر علم الكراديس وفرسانه ورجّالته، والكُردوس الآخر واقف بينه وبينه قدر رمْية سهم؛ لا يدنو من العقبة، ولا من المضيق؛ حتى يرى أنه قد عبر كلّ مَنْ فى الكردوس الذى بين يديه وخلا به الطريق، ثم يدنو بعد ذلك فينحدر فى الكُردوس الآخر بفرسانه ورَجّالته؛ ولا يزال كذلك؛ وقد عرّف كلّ كُردوس مِن خلف مَنْ ينصرف؛ فلم يكن يتقدم أحد منهم بين يدى صاحبه، ولا يتأخّر هكذا؛ حتى إذا نفذت الكراديس كلها ولم يبق أحد غير بخاراخذاه، انحدر بخاراخذاه وخلّى العقبة. ١٢٠٩/٣ فانصرف ذلك اليوم على هذه الهيئة؛ وكان أبو سعيد آخر من انصرف؛ وكلّما مرّ العسكر بموضع بُخاراخذاه، ونظروا إلى الموضع الذى كان فيه الكَمين؛ علموا[2] ما كان وُطّئ لهم، وتفرّق أولئك الأعلاج الذين أرادوا أخذ الموضع الذى كان بُخاراخذاه يحفظه، ورجعوا إلى مواضعهم، فأقام الأفشين فى خندقه بروذ الروذ أيامًا؛ فشكا إليه المطّوّعة الضيق فى العلوفة والأزواد والنفقات، فقال لهم: مَنْ صبر منكم فليصبر، ومَنْ لم يصبر فالطريق واسع فلينصرف بسلام؛ معى جند أمير المؤمنين؛ ومَنْ هو فى أرزاقه يقيمون معى فى الحرّ والبرد؛ ولست أبرح من ها هنا حتى يسقط الثلج. فانصرف المطوّعة وهم يقولون: لو ترك الأفشين جعفراً وتركنا لأخذنا البذّ؛ هذا لا يَشتهى

---

(١) س: «بالموضع». (٢) ف: «رجعوا».

إلا المماطلة؛ فبلغه ذلك وما كثّر المطوّعة فيه، ويتناولونه بألسنتهم وأنه لا يحبّ المناجزة؛ وإنما يريد التطويل؛ حتى قال بعضهم إنه رأى فى المنام، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: قل للأفشين: إن أنت حاربت هذا الرجل وجددت فى أمره وإلا أمرتُ الجبال أن ترجمك بالحجارة؛ فتحدّث الناس بذلك فى العسكر علانية؛ كأنه مستور، فبعث الأفشين إلى رؤساء المطوّعة، فأحضرهم وقال لهم: أحبّ أن ترونى هذا الرجل؛ فإن الناس يرون فى المنام أبوابًا؛ فأتوه بالرجل فى جماعة من الناس، فسلّم عليه، فقرّبه وأدناه، وقال له: قُصّ علىّ رؤياك، لا تحتشم ولا تستحيِ؛ فإنما تؤدى. قال: رأيت كذا ورأيت كذا؛ فقال: الله يعلم كلّ شىء قبل كل أحد؛ وما أريدَ بهذا الخلْق. إن الله تبارك وتعالى لو أراد أن يأمر الجبال أن ترجم أحدًا لرجم الكافر، وكفانا مؤْنته؛ كيف يرجمنى حتى أكفيه مؤنة الكافر كان يرجمه؛ ولا يحتاج أن أقاتله أنا، وأنا أعلم أن الله عز وجل لا يخفى عليه خافية؛ فهو مطّلع على قلبى؛ وما أريد بكم يامساكين! فقال رجل من المطوّعة من أهل الدين: يأيها الأمير؛ لا تحرمنا شهادةً إن كانت قد حضرت؛ وإنما قصدنا وطلبنا ثواب الله ووجهه؛ فدعْنا وحدنا حتى نتقدم بعد أن يكون بإذنك؛ فلعلّ الله أن يفتح علينا. فقال الأفشين: إنى أرى نيّاتِكم حاضرة؛ وأحسب هذا الأمر يريده الله؛ وهو خير إن شاء الله؛ وقد نشطتم ونشط الناس؛ والله أعلم ما كان هذا رأيى؛ وقد حدث الساعة لمّا سمعت من كلامكم، وأرجو أن يكون أراد هذا الأمر وهو خيْر؛ اعزموا على بركة الله أىّ يوم أحببتم حتى نناهضهم؛ ولا حوْل ولا قوة إلا بالله! فخرج القوم مستبشرين[1] فبشّروا أصحابهم؛ فمن كان أراد أن ينصرف أقام، ومن كان فى القرب[2] وقد خرج مسيرة أيام فسمع بذلك رجع؛ ووعد الناس ليوم، وأمر الجند والفرسان والرّجالة وجميع الناس بالأهبة، وأظهر أنه يريد الحرْب لا محالة. وخرج الأفشين وحمل المال والزاد، ولم يبق فى العسكر بغل إلاّ وُضع عليه محمل للجرحى، وأخرج معه المتطبّبين، وحمل الكعك والسّويق وغير ذلك؛ وجميع ما يحتاج إليه، وزحف

(١٢١٠/٣) (١٢١١/٣)

(١) ف: «متبشرين». (٢) ف: «بالقرب».

الناس حتّى صعد إلى البذّ ، وخلّف بخاراخذاه فى موضعه الذى كان يخلّفه[١] عليه على العقبة ، ثم طُرِح النّطع ووُضع له الكرسىّ ، وجلس عليه كما كان يفعل ، وقال لأبى دلف : قل للمطّوعة : أىّ ناحية هى أسهل عليكم ، فاقتصروا عليها . وقال لجعفر : العسكر كلّه بين يديك ، والناشبة والنفّاطون ؛ فإن أردت رجالا دفعتُهم إليك ؛ فخذ حاجتك وما تريد ، واعزِم على بركة الله ؛ فادنُ مِنْ أىّ موضع تريد . قال : أريد أن أقصد الموضع الذى كنت عليه ، قال : امض إليه . ودعا أبا سعيد، فقال له : قف بين يدىّ ؛ أنت وجميعُ أصحابك[٢] ، ولا يبرحنّ منكم أحدٌ . ودعا أحمد بن الخليل فقال له : قف أنت وأصحابك ها هنا ، ودع جعفراً يعبُر وجميع مَنْ معه من الرجال ؛ فإن أراد رجالا أو فرسانًا أمددناه ؛ ووجّهنا بهم إليه ؛ ووجّه أبا دلف وأصحابه من المطّوعة ؛ فانحدروا إلى الوادى ، وصعدوا إلى حائط البذّ من الموضع الذى كانوا صعدوا عليه تلك المرّة ، وعلقوا بالحائط على حسب ما كانوا فعلوا ذلك اليوم ؛ وحمل جعفر حملةً حتى ضرب باب البذّ ؛ على حسب ما كان فعل تلك المرة الأولى ؛ وقف على الباب ، وواقفه الكفرة ساعة صالحة ؛ فوجّه[٣] الأفشين برجل معه بدرة دنانير ، وقال له : اذهب إلى أصحاب جعفر ، فقل : مَنْ تقدّم ، فاحثُ له ملء كفّك ، ودفع بَدْرة أخرى إلى رجل من أصحابه ، وقال له : اذهب إلى المطوّعة ومعك هذا المال وأطواق وأسورة ؛ وقل لأبى دُلَف : كلّ من رأيته محسنًا من المطوّعة وغيرهم فأعطه . ونادى صاحب الشراب ، فقال له : اذهب فتوسّط الحرب معهم حتى أراك بعينى معك السويق والماء ؛ لئلا يعطش القوم فيحتاجوا إلى الرجوع ؛ وكذلك فعل بأصحاب جعفر فى الماء والسويق ، ودعا صاحب الكِلْغَريّة ، فقال له : مَنْ رأيته فى وسط الحرب من المطوّعة فى يده فأس فله عندى خمسون درهمًا ؛ ودفع إليه بَدْرة دراهم ؛ وفعل مثل ذلك بأصحاب جعفر ، ووجه إليهم الكِلْغَرِيّة بأيديهم الفئوس ، ووجه إلى جعفر بصندوق فيه أطواق وأسورة ، فقال له : ادفع إلى مَنْ أردت من

١٢١٢/٣

(١) ف : « خلفه » . (٢) س : « أصحابكم » .

(٣) ابن الأثير : « ووجه » .

أصحابك هذا سوى ما لهم عندى ، وما تضمن لهم علىّ من الزيادة فى أرزاقهم والكتاب إلى أمير المؤمنين بأسمائهم. فاشتبكت الحرب على الباب طويلا ، ثم فتح الخُرّمية الباب ، وخرجوا على أصحاب جعفر ، فنحّوهم عن الباب ، وشدّوا على المطوّعة من الناحية الأخرى ؛ فأخذوا منهم علَمين وطرحوهم عن السور ، وجرحوهم بالصّخر حتى أثّروا فيهم ، فرقّوا عن الحرب ، ووقفوا ، وصاح جعفر بأصحابه ، فبدر منهم نحو من مائة رجل ، فبركوا خلف تِراسهم التى كانت معهم ، وواقفوهم متحاجزين ؛ لا هؤلاء يقدمون على هؤلاء ، ولا هؤلاء يقدمون على هؤلاء ؛ فلم يزالوا كذلك حتى صلّى الناس الظهر ؛ وكان الأفشين قد حمل عرّادات ، فنصب عرّادة منها مما يلى جعفرا على الباب ، وعرّادة أخرى من طرف الوادى من ناحية المطوّعة ؛ فأما العرّادة التى من ناحية جعفر ؛ فدافع عنها جعفر حتى صارت العرّادة فيما بينهم وبين الخُرّمية ساعة طويلة ؛ ثم تخلّصها أصحاب جعفر بعد جهد ، فقلعوها وردّوها إلى العسكر ؛ فلم يزل الناس متواقفين متحاجزين ؛ يختلف بينهم النّشاب والحجارة أولئك على سورهم والباب ، وهؤلاء قعود تحت أتراسهم ؛ ثم تناجزوا بعد ذلك ؛ فلمّا نظر الأفشين إلى ذلك كره أن يطمع العدوّ فى الناس ، فوجّه الرَّجالة الذين كان أعدّهم قبله ؛ حتى وقفوا فى موضع المطوّعة ، وبعث إلى جعفر بكُردوس فيه رَجّالة ، فقال جعفر : لست أوتَى من قلة الرَّجالة معى رجال فُرْه[1] ولكنى لست أرى للحرب موضعًا يتقدمون ؛ إنما ها هنا موضع مجال رجل أو رجلين قد وقفوا عليه ، وانقطعت الحرب ، فبعث إليه : انصرف على بركة الله ؛ فانصرف[2] جعفر ، وبعث الأفشين بالبِغال التى كان جاء بها معه ، عليها المحامل ؛ فجُعلت فيها الجرحى ومَن كان به وهن من الحجارة ولا يقدر على المشى ؛ وأمر الناس بالانصراف ؛ فانصرفوا إلى خَنْدقهم بروذ الرّوذ ، وأيس الناس من الفتح فى تلك السنة ، وانصرف أكثر المطوّعة .

ثم إنّ الأفشين تجهّز بعد جمعتين ؛ فلمّا كان فى جَوْف الليل ؛ بعث الرجّالة الناشبة ؛ وهم مقدار ألف رجل ، فدفع إلى كل واحد منهم شَكْوة

(١) ا : « فرهة » . (٢) س : « وانصرف » .

وكَعْكاً ، ودفع إلى بعضهم أعلاماً سوداً وغير ذلك ، وأرسلهم عند مغيب الشمس ، وبعث معهم أدلاّء ، فساروا ليلتهم فى جبال منكرة صعبة على غير الطريق ؛ حتى داروا ، فصاروا خلْف التلّ الذى يقف آذين عليه — وهو جبل شاهق — وأمرهم ألاّ يعلم بهم أحد ؛ حتى إذا رأوا أعلام الأفشين وصلّوا الغداة ورأوا الوقعة ، ركّبوا تلك الأعلام فى الرّماح ، وضربوا الطبول ، وانحدروا من فوق الجبل ، ورموْا بالنشاب والصخر على الخُرّمية ؛ وإن هم لم يروا الأعلام لم يتحرّكوا حتى يأتيهم خبره ؛ ففعلوا ذلك . فوافَوْا رأس الجبل عند السّحر ، وجعلوا فى تلك الشكاء الماء من الوادى ؛ وصاروا فوق الجبل ، فلمّا كان فى بعض الليل وجّه الأفشين إلى القواد أن يتهيئوا فى السلاح ؛ فإنه يركب فى السحر ؛ فلما كان فى بعض الليل ، وجّه بشيراً التركىّ وقوّاداً من الفراغنة كانوا معه ؛ فأمرهم أن يسيروا حتى يصيروا تحت التلّ مع أسفل الوادى الذى حملوا منه الماء ؛ وهو تحت الجبل الذى كان عليه آذين ؛ وقد كان الأفشين علم أنّ الكافر يكمن تحت ذلك الجبل كلّما جاءه العسكر ؛ فقصد بشير والفراغنة إلى ذلك الموضع الذى علم أن للخرّمية فيه عسكراً كامنين ؛ فساروا فى بعض الليل ؛ ولا يعلم بهم أكثر أهل العسكر . ثم بعث للقوّاد : تأهّبوا للركوب فى السلاح ؛ فإن الأمير يغدو فى السحر ؛ فلمّا كان السّحَر خرج وأخرج الناس ، وأخرج النّفاطين والنّفاطات والشمع على حسب ما كان يخرج ، فصلّى الغداةَ ، وضرب الطبل ، وركب حتى وافى الموضع الذى كان يقف فيه فى كلّ مرّة ، وبُسط له النّطع ، ووضع له الكرسىّ كعادته .

١٢١٥/٣

وكان بخاراخذاه يقف على العقبة التى كان يقف عليها فى كلّ يوم ؛ فلمّا كان ذلك اليوم صيّر بخاراخذاه فى المقدّمة مع أبى سعيد وجعفر الخياط وأحمد بن الخليل ؛ فأنكر الناس هذه التعبية فى ذلك الوقت ، وأمرهم أن يدنوا من التلّ الذى عليه آذين ؛ فيحدقوا به ؛ وقد كان ينهاهم عن هذا قبل ذلك اليوم ؛ فمضى الناس مع هؤلاء القوّاد الأربعة الذين سمّينا ؛ حتى صاروا حول التلّ . وكان جعفر الخياط مما يلى باب البذّ ، وكان أبو سعيد مما يليه ، وبخاراخذاه مما يلى أبا سعيد ، وأحمد بن الخليل بن هشام ممّا يلِى بخاراخذاه ؛

فصاروا جميعاً حَلْقة حول التلّ ، وارتفعت الضجة من أسفل الوادى ؛ وإذا الكمين الذى تحت التلّ الذى كان يقف عليه آذين قد وثب ببشير[1] التركى والفراغنة ؛ فحاربوهم واشتبكت الحرب بينهم ساعة . ٣/١٢١٦

وسمع أهل العسكر ضجتهم ، فتحرّك الناس ، فأمر الأفشين أن ينادوا : أيها الناس ، هذا بشير التركىّ والفراغنة قد وجّهتهم ؛ فأثاروا كميناً فلا تتحرّكوا. فلما سمع الرجّالة الناشبة[2] الذين كانوا تقدموا ، وصاروا فوق الجبل ركبوا الأعلام كما أمرهم الأفشين ؛ فنظر الناس إلى أعلام تجىء من جبل شاهق ؛ أعلام سود ، وبين العسكر وبين الجبل نحو فرسخ ؛ وهم ينحدرون على جبل آذين من فوقهم ؛ قد ركّبوا الأعلام ، وجعلوا ينحدرون يريدون آذين ؛ فلمّا نظر إليهم أهل عسكر آذين وجّه آذين إليهم بعض رجّالته الذين معه من الخُرّمية . ولما نظر الناس إليهم راعوهم ؛ فبعث إليهم الأفشين : أولئك رجالنا أنجدتنا على آذين ؛ فحمل جعفر الخياط وأصحابه على آذين وأصحابه ، حتى صعدوا إليهم ، فحملوا عليهم حملة شديدة ، قلبوه وأصحابه فى الوادى ، وحمل عليهم رجل ممّن فى ناحية أبى سعيد من أصحاب أبى سعيد ، يقال له معاذ بن محمد — أو محمد بن معاذ — فى عدّة معه ؛ فإذا تحت حوافر دوابّهم آبار محفورة تدخل أيدى الدوابّ فيها ، فتساقطت فرسان[3] أبى سعيد فيها ؛ فوجّه الأفشين الكِلْغَرية يَقْلعون حيطان منازلهم ، ويطمّون بها تلك الآبار ؛ ففعلوا ذلك ؛ فحمل الناس عليهم حَمْلة واحدة ؛ وكان آذين قد هيّأ فوق الجبل عجلا عليها صخر ؛ فلما حمل الناس عليه ، دفع العجل على الناس فأفرجوا عنها ، فقد حرجت ؛ ثم حمل الناس من كلّ وجه[4] . ٣/١٢١٧

فلمّا نظر بابك إلى أصحابه قد أحدِق بهم ، خرج من طرف البذّ ، من باب مما يلى الأفشين ، يكون بين هذا الباب وبين التلّ الذى عليه الأفشين قدر ميل . فأقبل بابك فى جماعة معه يسألون عن الأفشين ، فقال لهم أصحاب أبى دُلف : مَنْ هذا ؟ فقالوا : هذا بابك يريد الأفشين ؛ فأرسل أبو دلف

(١) ف : « لبشير » .
(٢) س : « والناشبة » .
(٣) ف : « دواب » .
(٤) ف : « جانب » .

إلى الأفشين يعلِمه ذلك ؛ فأرسل الأفشين رجلا يعرف بابك ؛ فنظر إليه، ثم عاد إلى الأفشين ، فقال : نعم هو بابك ؛ فركب إليه الأفشين ، فدنا منه حتى صار في موضع يسمع كلامه وكلام أصحابه ، والحرب مشتبكة في ناحية آذين ، فقال له : أريد الأمان من أمير المؤمنين ، فقال له الأفشين : قد عرضتُ عليك هذا ؛ وهو لك مبذول متى شئتَ ، فقال : قد شئتُ الآن ؛ على أن تؤجّلني أجلاً أحمل فيه عيالي، وأتجهّز . فقال له الأفشين : قد والله نصحتُك غير مرّة فلم تقبل نصيحتي ؛ وأنا أنصحك الساعة ، خروجك اليوم في الأمان خيرٌ من غد . قال : قد قبلت أيها الأمير ؛ وأنا على ذلك ؛ فقال له الأفشين : فابعث بالرهائن الذين كنت سألتك . قال : نعم، أما فلان وفلان فهم على ذلك التلّ ، فمُرْ أصحابك بالتوقف . ١٢١٨/٣

قال : فجاء رسول الأفشين ليردّ الناس ، فقيل له : إن أعلام الفراغنة قد دخلت البذّ وصعدوا بها القصور . فركب وصاح بالناس، فدخل ودخلوا ، وصعِد الناس بالأعلام فوق قصور بابك ؛ وكان قد كمّن في قصوره — وهي أربعة ــ ستمائة رجل ؛ فوافاهم الناس ؛ فصعدوا بالأعلام فوق القصور[1] ، وامتلأت شوارع[2] البذّ وميدانها من الناس، وفتح أولئك الكُمناء أبواب القصور ، وخرجوا رجّالة يقاتلون الناس. ومرّ بابك حتى دخل الوادي الذي يلي هشتادسر ، واشتغل الأفشين وجميع قوّاده بالحرب على أبواب القصور ، فقاتل الخرّمية قتالا شديداً، وأحضر النفّاطين ، فجعلوا يصبّون عليهم النِّفط والنار، والناس يهدمون القصور ؛ حتى قتِلوا عن آخرهم . وأخذ الأفشين أولاد بابك ومَن كان معهم في البذّ من عيالاتهم ؛ حتى أدركهم[3] المساء ، فأمر الأفشين بالانصراف فانصرفوا، وكان عامة الخرّمية في البيوت ؛ فرجع الأفشين إلى الخندق بروذ الرّوذ .

فذُكر أن بابك وأصحابه الذين نزلوا معه الوادي حين علموا أنّ الأفشين قد رجع إلى خندقه ، رجعوا إلى البذّ ، فحملوا من الزاد ما أمكنهم حملُه ، وحملوا أموالهم ، ثم دخلوا الوادي الذي يلي هشتادسر . فلمّا كان في الغد خرج

---

(١) ف : « القصر » . (٢) س : « شارع » . (٣) س : « فأدركهم » .

٣/١٢١٩ الأفشين حتّى دخل البذّ ، فوقف فى القرية ، وأمر بهدم القصور ، ووجّه الرجّالة يطوفون فى أطراف القرية ، فلم يجدوا فيها أحدًا من العلوج ، فأصعد الكلغريّة ، فهدموا القصور وأحرقوها ؛ فعل ذلك ثلاثة أيام حتّى أحرق خزائنه وقصوره ؛ ولم يَدع فيها بيتاً ولا قصراً إلا أحرقه وهدمه ؛ ثم رجع وعلم أنّ بابك قد أفلت فى بعض أصحابه ؛ فكتب الأفشين إلى ملوك أرمينيَة و بطارقتها يعلمهم أنّ بابك قد هرب وعدّة معه ، وصار إلى واد ، وخرج منه إلى ناحية إرمينيَة ؛ وهو مارّ بكم ، وأمرهم أن يحفظ كلٌّ واحدٍ منهم ناحيته ، ولا يسلكها أحدٌ إلا أخذوه حتّى يعرفوه . فجاء الجواسيس إلى الأفشين ، فأخبروه بموضعه فى الوادى ؛ وكان واديًا كثير العشب والشجر ، طرفُه بإرمينيَة وطرفُه الآخر بأذرَبيجان ؛ ولم يمكن الخيل أن تنزل إليه ، ولا يُرى من يستخفى فيه لكثرة شجره ومياهه ؛ إنما كانت غيضةً واحدة ؛ ويسمّى هذا الوادى غَيْضَة . فوجّه الأفشين إلى كلّ موضع يعلم أن منه طريقاً ينحدر منه إلى تلك الغَيْضة ، أو يمكن بابك أن يخرج من ذلك الطريق ؛ فصيّر على كلّ طريق وموضع من هذه المواضع عسكراً فيه ما بين أربعمائة إلى خمسمائة مقاتل ، ووجّه معهم الكُوهبانيّة ليقفوهم على الطريق ، وأمرهم بحراسة الطريق فى الليل لئلا يخرج منه أحد .

وكان يوجّه إلى كل عسكر من هذه العساكر المِيرة من عسكره ؛ وكانت هذه العساكر خمسة عشر عسكراً ، فكانوا كذلك حتّى ورد كتاب أمير المؤمنين ٣/١٢٢٠ المعتصم بالذهب مختوماً ، فيه «أمان» لبابك. فدعا الأفشين مَن كان استأمن إليه من أصحاب بابك ؛ وفيهم ابن له كبير ، أكبر ولده ، فقال له وللأسرى : هذا ما لم أكن أرجوه من أمير المؤمنين ، ولا أطمع له فيه[1] أن يكتب إليه وهو فى هذه الحال بأمان ؛ فمن يأخذه منكم ويذهبُ به إليه ؟ فلم يجسر على ذلك أحد منهم ، فقال بعضهم[2] : أيها الأمير ؛ ما فينا أحدٌ يجترئ أن يلقاه بهذا ، فقال له الأفشين : ويحك ! إنه يفرح بهذا ، قالوا : أصلح الله الأمير ! نحن أعرف[3] بهذا منك ؛ قال : فلا بدّ لكم من أن تهبوا لى أنفسكم ، وتُوصلوا

---

(١) ف : «فيه له» . (٢) ف : «أحدهم» . (٣) س : «أعلم» .

هذا الكتاب إليه . فقام رجلان منهم، فقالا له : اضمن لنا أنك تُجرِى على عيالاتنا ؛ فضمِن لهما الأفشين ذلك ؛ وأخذا الكتاب وتوجّها فلم يزالا يدوران فى الغَـيْضة حتّى أصاباه ، وكتب معهما ابن بابك بكتاب يُعلمه الخبر ، ويسأله أن يصير إلى الأمان ؛ فهو أسلم له وخير . فدفعا إليه كتاب ابنه ، فقرأه ، وقال : أىّ شىء كنتم تصنعون ؟ قالا : أَسِرَ عيالاتنا[1] فى تلك الليلة وصبياننا[2] ؛ ولم نعرف موضعك فنأتيَك ، وكنّا فى موضع تخوّفنا أن يأخذونا ؛ فطلبنا الأمان . فقال للذى كان الكتاب معه : هذا لا أعرفه ؛ ولكن أنت يابن الفاعلة ، كيف اجترأت على هذا أن تجيئنى من عند ذاك ابن الفاعلة ! فأخذه وضرب عنقه، وشدّ الكتاب على صدره مختوماً لم يفضّه ؛ ثم قال للآخر : اذهب وقل لذاك ابن الفاعلة — يعنى ابنه — حيث يكتب إلىّ ؛ وكتب إليه : لو أنك لحقت بى واتّبعت دعوتك حتّى يجيئك الأمر يوماً كنت ابنى ؛ وقد صحّ عندى الساعة فساد أمّك الفاعلة . يابن الفاعلة ، عسى أن أعيش بعد اليوم! قد كنت باسم هذه الرياسة وحيثما كنت أو ذكرت كنت ملكاً ؛ ولكنك من جنس لا خير فيه ؛ وأنا أشهد أنك لست با بنى؛ تعيش يوماً واحداً وأنت رئيس خير ، أو تعيش أربعين سنة وأنت عبد ذليل !

٣/١٢٢١

ورحل من موضعه، ووجّه مع الرجل ثلاثة نفر حتّى أصعدوه من موضع من المواضع ، ثم لحقوا ببابك ؛ فلم يزل فى تلك الغَـيْضة حتّى فنى زاده ، وخرج ممّا يلى طريقاً كان عليه بعض العساكر ، وكان موضع الطريق جبلا ليس فيه ماء ؛ فلم يقدر العسكر أن يقيم على الطريق لبعده عن الماء ،فتنحّى العسكر عن الطريق إلى قرب الماء ، وصيّروا كوهبانيّين وفارسين على طرف الطريق يحرسونه ، والعسكر بينه وبين الطريق نحو من ميل ونصف ، كان ينوب على الطريق كلّ يوم فارسان وكوهبانيّان ؛ فبيناهم ذات يوم نصف النهار ؛ إذ خرج بابك وأصحابه ؛فلم يروا أحداً ، ولم يروا الفارسين والكوهبانيين ، وظنوا أن ليس هناك عسكر ؛فخرج هو وأخواه[3] : عبدالله ومعاوية، وأمه وامرأة له

(١) ف : « عيالتنا » . (٢) ف : « وأولادنا » .

(٣) س : « وإخوته » ، ف : « وأخوه » ، ابن الأثير : « وعبد الله أخوه » .

١٢٢٢/٣ يقال لها ابنة الكَلَنْدانيَّة. فخرجوا من الطريق؛ وساروا يريدون إرمينيَة، ونظر إليهم الفارسان والكوهبانيّان، فوجّهوا إلى العسكر، وعليه أبو الساج: إنا قد رأينا فرسانًا يمرّون ولا ندرى[1] مَنْ هم. فركب الناس، وساروا، فنظروا إليهم من بُعد وقد نزلوا على عين ماء يتغدّون عليها؛ فلمّا نظروا إلى الناس بادر الكافر فركب وركب مَنْ كان معه، فأفلت وأخِذ معاوية وأمّ بابك والمرأة التى كانت معه، ومع بابك غلام له، فوجّه أبو الساج بمعاوية والمرأتين إلى العسكر، ومرّ بابك متوجّهاً حتى دخل جبال إرمينية يسير فى الجبال متكمّنًا، فاحتاج إلى طعام؛ وكان جميع بطارقة إرمينيَة قد تحفّظوا بنواحيهم وأطرافهم، وأوصَوْا مسالحهم ألا يجتاز عليهم أحد إلا أخذوه حتى يعرفوه؛ فكان أصحاب المسالح كلهم متحفظين؛ وأصاب بابك الجوع، فأشرف فإذا هو بحرّاث يحرث على فدان له فى بعض الأودية، فقال لغلامه: انزل إلى هذا الحرّاث، وخذ معك دنانير ودراهم؛ فإن كان معه خبز فخذه وأعطه؛ وكان للحرّاث شريك ذهب لحاجته؛ فنزل الغلام إلى الحرّاث، فنظر إليه شريكه من بعيد، فوقف بالبعد يفرَق من أن يجىء إلى شريكه وهو ينظر ما يصنع شريكه، فدفع الغلام إلى الحرّاث شيئًا، فجاء الحراث فأخذ الخبز، فدفعه إلى الغلام وشريكه قائم ينظر إليه؛ ويظنّ أنما اغتصبه خبزَه؛ ولم يظنّ أنه أعطاه شيئاً؛ فعدا إلى المسلحة؛ فأعلمهم أن رجلا جاءهم عليه سيف وسلاح؛ وأنه أخذ خبز شريكه من الوادى؛ فركب صاحب المسلحة — وكان فى جبال ابن سُنباط — ووجّه

١٢٢٣/٣ إلى سهل بن سنباط بالخبر، فركب ابن سنباط وجماعة معه حتى جاءه مسرعًا، فوافى الحرّاث والغلام عنده، فقال له: ما هذا؟ قال له الحراث: هذا رجل مرّ بى، فطلب منى خبزاً فأعطيته، فقال للغلام: وأين مولاك؟ قال: ها هنا — وأومى إليه — فاتبعه فأدركه وهو نازل؛ فلمّا رأى وجهه عرفه، فترجل له ابن سنباط عن دابته، ودنا منه فقبّل يده، ثم قال له: يا سيّداه؛ إلى أين؟ قال: أريد بلاد الروم — أو موضعًا سمّاه — فقال له: لا تجد موضعاً ولا أحداً أعرف بحقك؛ ولا أحقّ أن تكون عنده منّى، تعرف موضعى؛ ليس بينى وبين

---

(١) س: «يدرون».

السلطان عمل ؛ ولا تدخل على أحد من أصحاب السلطان وأنت عارف بقضيتى وبلدى ؛ وكلُّ مَنْ ها هنا من البطارقة إنما هم أهل بيتك ، قد صار لك منهم أولاد ؛ وذلك أن بابك كان إذا علم أن عند بعض البطارقة ابنة أو أختاً جميلة وجّه إليها يطلبها ؛ فإن بعث بها إليه وإلا بيّته وأخذها ، وأخذ جميع ماله من متاع وغير ذلك ، وصار به إلى بلده غصباً .

ثم قال ابن سنباط له : صرْ عندى فى حصنى ؛ فإنّما هو منزلك ؛ وأنا عبدك ؛ كُنْ فيه شتوتك هذه ثم ترى رأيك . وكان بابك قد أصابه الضرّ والجهد ، فركن إلى كلام سهل بن سنباط ؛ وقال له : ليس يستقيم أن أكون أنا وأخى فى موضع واحد ؛ فلعله أن يُعثَر بأحدنا فيبقى الآخر ؛ ولكن أقيم عندك أنا ، ويتوجّه عبد الله أخى إلى ابن اصطفانوس ؛ لا ندرى ما يكون ؛ وليس لنا خَلَفٌ يقوم بدعوتنا . فقال له ابن سنباط : ولدك كثير ، قال : ليس فيهم خير . وعزم على أن يصيِّر أخاه فى حصن ابن اصطفانوس — وكان يثق به — فصار هو مع ابن سنباط فى حِصْنه ، فلما أصبح عبد الله مضى إلى حصن ابن اصطفانوس ؛ وأقام بابك عند ابن سنباط ، وكتب ابن سنباط إلى الأفشين يعلمُه أن بابك عنده فى حصنه . فكتب إليه : إن كان هذا صحيحاً فلك عندى وعند أمير المؤمنين — أيّده الله — الذى تحبّ ؛ وكتب يجزيه خيراً ، ووصف الأفشين صفة بابك لرجل من خاصته ، ممّن يثق به ، ووجّه به إلى ابن سنباط وكتب إليه يعلمه أنه قد وجّه إليه برجل من خاصته ، يحبّ أن يرى بابك ليحكيَ للأفشين ذلك . فكره ابن سنباط أن يُوحش بابك ، فقال للرجل : ليس يمكن أن تراه إلا فى الوقت الذى يكون منكبّاً على طعامه يتغدّى ؛ فإذا رأيتَنا قد دعونا بالغداء فالبس ثياب الطبّاخين الذين معنا على هيئة علوجنا وتعال كأنّك تقدم الطعام ، أو تناول شيئاً ؛ فإنه يكون منكبّاً على الطعام ؛ فتفقّدْه منه ما تريد ؛ فاذهب فاحكه لصاحبك .

ففعل ذلك فى وقت الطعام ، فرفع بابك رأسه فنظر إليه فأنكره ، فقال : مَنْ هذا الرجل ؟ فقال له ابن سنباط : هذا رجل من أهل خراسان ، منقطع

٣/١٢٢٤

إلينا منذ زمان؛ نصرانيّ . فلقّن ابنُ سنباط الأشروسنيّ ذلك . فقالِ له بابلك : منذ كم أنت ها هنا؟ قال : منذ كذا وكذا سنة ، قال : وكيف أقمتَ هاهنا ؟ قال : تزوّجت ها هنا ، قال : صدقت إذا قيل للرجل : من أين أنت ؟ قال : مِن حيث امرأتى[1] .

ثم رجع إلى الأفشين فأخبره ، ووصف له جميع ما رأى ثَمّ من بابك. ووجّه الأفشين أبا سعيد وبُوزبارة إلى ابن سنباط ،وكتب إليه معهما ،وأمرهما إذا صارا إلى بعض الطريق قدّما كتابه إلى ابن سنباط مع عِلْج من الأعلاج ، وأمرهما ألاّ يخالفا ابن سنباط فيما يشير به عليهما . ففعلا ذلك ، فكتب إليهما ابن سنباط فى المقام بموضع — قد سماه ووصفه لهما — إلى أن يأتيهما رسوله. فلم يزالا مقيميْن بالموضع الذى وصفه لهما ،ووجّه إليهما ابن سنباط بالمِيرة والزاد؛ حتى تحرك بابك للخروج إلى الصّيْد ، فقال له : هاهنا وادٍ طيب ، وأنت مغموم فى جوف هذا الحصن ! فلو خرجنا ومعنا بازى وباشق وما يحتاج إليه ، فنتفرّج إلى وقت الغداء بالصّيد ! فقال له بابك : إذا شئت . فأنفذ ليركبا بالغداة، وكتب ابن سنباط إلى أبى سعيد وبوزبارة يعلمهما ما قد عزم عليه، ويأمرهما أن يوافياه،واحد من هذا الجانب من الجبل والآخر من الجانب الآخر فى عسكرهما وأن يسيرا متكمّنين مع صلاة الصبح ؛ فإذا جاءهما رسوله أشرفا على الوادى ، فانحدروا عليه إذا رأوهم وأخذوهم .

فلما ركب ابن سنباط وبابك بالغداة وجّه ابن سنباط رسولا إلى أبى سعيد ورسولا إلى بوزبارة ، وقال لكل رسول: جئْ بهذا إلى موضع كذا ، وجئْ بهذا إلى موضع كذا ؛ فأشرِفا علينا؛ فإذا رأيتمونا فقولوا: هم هؤلاء خذوهم ؛وأراد أن يشبّه على بابك، فيقول: هذه خيل جاءتنا ،فأخذتنا ، ولم يحبّ أن يدفعه إليهما من منزله؛ فصار الرّسولان إلى أبى سعيد وبوزبارة، فمضيا بهما حتى أشرفا على الوادى ؛فإذا هما ببابك وابن سنباط ، فنظرا إليه وانحدرا وأصحابهما عليه؛ هذا من ها هنا، وهذا من ها هنا ، وأخذاهما ومعهما البواشيق ؛وعلى بابك دُرّاعة بيضاء وعمامة بيضاء ، وخُفّ قصير . ويقال كان بيده باشق ؛ فلمّا نظر إلى

---

(١) انظر الأغانى ٢١ : ٢٤١ (ساسى) .

العساكر قد أحدقت به وقف، فنظر إليهما، فقالا له : انزل ، فقال : ومن أنتما ؟ فقال أحدهما : أنا أبو سعيد، والآخر : أنا بوزبارة، فقال: نعم، وثنى رجله، فنزل، وكان ابنُ سنباط ينظر إليه؛ فرفع رأسه إلى ابن سنباط فشتمه، وقال: إنما بعتَني لليهود بالشيء اليسير؛ لو أردت المال وطلبته لأعطيتك[1] أكثر مما يعطيك هؤلاء ، فقال له أبو سعيد : قم فاركب ، قال : نعم . فحملوه وجاءوا به إلى الأفشين ؛ فلما قرب من العسكر صعد الأفشين برزند ، فضربت له خيمة على بَرْزند ، وأمر الناس فاصطفوا صفّين ، وجلس الأفشين فى فازة[2] ، وجاءوا به، وأمر الأفشين ألاّ يتركوا عربيًّا يدخل بين الصفين فرقًا أن يقتله إنسان أو يجرحه ممّن قتل أولياءه، أو صنع به داهية .

٣/١٢٢٧

وكان قد صار إلى الأفشين نساء كثير وصبيان؛ ذكروا أن بابك كان أسرهم؛ وأنهم أحرار من العرب والدهاقين ، فأمر الأفشين فجُعلت لهم حظيرة كبيرة ، وأسكنهم فيها، وأجرى لهم الخبز ،وأمرهم أن يكتبوا إلى أوليائهم حيث كانوا، فكان كلّ من جاء فعرف[3] امرأة أو صبيًّا أو جارية ، وأقام شاهدين أنه يعرفها وأنّها حرمة له أو قرابة دفعها إليه ؛ فجاء الناس ، فأخذوا منهم خلقًا كثيراً ، وبقى منهم ناس كثير ينتظرون أن يجىء أولياؤهم .

ولما كان ذلك اليوم الذى أمر الأفشين الناس أن يصطفّوا ،فصار بين بابك وبينه قَدْر نصف ميل ،أنزل بابك يمشى بين الصفّين فى دُرّاعته وعمامته وخفّيه ، حتّى جاء فوقف بين يدى الأفشين فنظر إليه الأفشين ، ثم قال: انزلوا به إلى العسكر؛ فنزلوا به راكباً ،فلما نظر النساء والصبيان الذين فى الحظيرة إليه لَطموا على وجوههم ، وصاحوا وبكوا حتّى ارتفعت أصواتهم ، فقال لهم الأفشين : أنتم بالأمس؛تقولون أسَرنا ، وأنتم اليوم تبكون عليه ! عليكم لعنة الله. قالوا : كان يحسِن إلينا . فأمر به الأفشين فأدخِل بيتاً ، ووكل به رجالا من أصحابه .

٣/١٢٢٨

وكان عبد الله أخو بابك لما أقام بابك عند ابن سنباط ، صار إلى عيسى

(١) ف : « أعطيتك » . (٢) الفازة : بناء للعساكر. (٣) ف : «كان يعرف » .

ابن يوسف بن اصطفانوس؛ فلما أخذ الأفشين بابك، وصيّره معه فى عسكره ووكل به، أعلِم بمكان عبد الله أنه عند ابن اصطفانوس؛ فكتب الأفشين إلى ابن اصطفانوس أن يوجّه إليه بعبد الله؛ فوجه به ابن اصطفانوس إلى الأفشين، فلما صار فى يد الأفشين حبسه مع أخيه فى بيت واحد؛ ووكّل بهما قومًا يحفظونهما.

وكتب الأفشين إلى المعتصم بأخذه بابك وأخاه، فكتب المعتصم إليه يأمره بالقدوم بهما[1] عليه، فلما أراد أن يسير إلى العراق وجّه إلى بابك فقال: إنى أريد أن أسافر بك، فانظر ما تشتهى من بلاد أذْرَبيجان، فقال: أشتهى أن أنظر إلى مدينتى. فوجّه معه الأفشين قومًا فى ليلة مُقْمرة إلى البذّ حتى دار فيه، ونظر إلى القتلى والبيوت[2] إلى وقت الصبح، ثم رده إلى الأفشين؛ وكان الأفشين قد وكّل به رجلا من أصحابه فاستعفاه منه بابك، فقال له الأفشين: لمَ استعفيت منه؟ قال: يجىء ويده ملأى غمَرًا[3]، حتى ينام عند رأسى فيؤذينى ريحُها. فأعفاه منه.

وكان وصول بابك إلى الأفشين ببرزند لعشر خلوْن من شوال بين بوزبارة وديوداذ.

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود.

(١) ف: «بقدومهما». (٢) ف: «فى البيوت». (٣) الغمر: ريح اللحم.

٣/١٢٢٩

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر قدوم الأفشين ببابك على المعتصم]

فمن ذلك قدوم الأفشين على المعتصم ببابك وأخيه ، ذُكر أنّ قدومه عليه به كان ليلة الخميس لثلاث خلَوْن من صفر بسامرّا ، وأنّ المعتصم كان يوجّه إلى الأفشين كلّ يوم من حين فصل من برزند إلى أن وافَى سامرّا فرساً وخِلْعة ، وأنّ المعتصم لعنايته بأمر بابك وأخباره ولفساد الطريق بالثلج وغيره ، جعل من سامرّا إلى عقبة حُلْوان خيلا مضمَّرة[1] ، على رأس كلّ فرسخ فرساً معه مُجْرٍ مرتّب ؛ فكان يركض بالخبر ركضًا حتى يؤديه من واحد إلى واحد ، يداً بيد ؛ وكان ما خلْف حُلْوان إلى أذْرَبيجان قد رتَّبوا فيه المرْج ؛ فكان يركض بها يوماً أو يومين ثم تبدّل ويصيّر غيرها ، ويُحمل عليها غلمان من أصحاب المرْج كلّ دابة على رأس فرسخ ، وجعل لهم ديادبة على رءوس الجبال بالليل والنهار ، وأمرهم أن ينعروا إذا جاءهم الخبر ؛ فإذا سمع الذى يليه النعير تهيأ فلا يبلغ إليه صاحبه الذى نعر حتى يقف له على الطريق ؛ فيأخذ الخريطة منه ؛ فكانت الخريطة تصل من عسكر الأفشين إلى سامرّا فى أربعة أيام وأقلّ ؛ فلما صار الأفشين بقناطر حُذَيفة تلقّاه هارون بن المعتصم وأهل بيت المعتصم ؛ فلما صار الأفشين ببابك إلى سامرّا أنزله الأفشين فى قصره[2] بالمَطِيرة ؛ فلمّا كان فى جوف الليل ذهب أحمد بن أبى دواد متنكراً ، فرآه وكلمه ، ثم رجع إلى المعتصم ، فوصفه له ، فلم يصبر المعتصم حتى ركب إليه بين الحائطين فى الحيْر ؛ فدخل إليه متنكّراً ، ونظر إليه وتأمله ، وبابك لا يعرفه ؛ فلما كان من غدٍ قعد له المعتصم يوم اثنين أو خميس ، واصطفّ الناس من باب العامّة إلى المطيرة ، وأراد المعتصم أن يُشهره ويريَه الناس ، فقال : على أىّ

٣/١٢٣٠

---

(١) س : « تضمر بهم » . (٢) س : « بقصره » .

شىء يُحمل هذا ؟ وكيف يُشهر ! فقال حزام : يأمير المؤمنين ؛ لا شىء أشهر من الفيل ، فقال : صدقت ؛ فأمر بتهيئة الفيل ، وأمر به فجُعل فى قَباء ديباج وقلنسوة سمّور مدوَّرة ؛ وهو وحده ؛ فقال محمد بن عبد الملك الزيات :

قد خُضِبَ الفيلُ كعاداته يَحملُ شيطانَ خراسانِ
والفيلُ لا تُخضَبُ أعضاؤه إلا لذى شأْنٍ من الشانِ

فاستشرفه الناس من المَطيرة إلى باب العامّة ؛ فأدخِل دار العامة إلى أمير المؤمنين ، وأحضر جزّاراً ليقطع يديه ورجليه ؛ ثم أمر أن يحضر سيّافُه ، فخرج الحاجب من باب العامة ؛ وهو ينادى : نودنود — وهو اسم سياف بابك — فارتفعت الصيحة بنودنود حتى حضر ، فدخل دار العامة ، فأمره[1] أمير المؤمنين أن يقطع يديه ورجليه ، فقطعهما فسقط ، وأمر أمير المؤمنين بذبحه وشقّ بطن أحدهما ، ووجّه برأسه إلى خُراسان ، وصلب بدنه بسامرّا عند العقبة ، فموضع خشبته مشهور ، وأمر بحمل أخيه عبد الله مع ابن شَرْوِين الطَّبَرىّ إلى إسحاق بن إبراهيم خليفته بمدينة السَّلام ، وأمره بضرب عنقه ، وأن يفعل به مثل ما فعل بأخيه ، وصلّبه ؛ فلما صار به الطبرىّ إلى البَرَدان ، نزل به ابن شروين فى قصر البردان ، فقال عبد الله أخو بابك لابن شروين : مَنْ أنت؟ فقال : ابن شروين ملك طبرستان ، فقال : الحمد لله الذى وفّق لى رجلا من الدّهاقين يتولى قتلى . قال : إنما يتولّى قتلك هذا — وكان عنده نودنود ، وهو الذى قتل بابك — فقال له : أنت صاحبى ، وإنما هذا علْج ، فأخبرْنى ، أأمرت أن تطعمنى شيئًا أم لا ؟ قال : قل ما شئت ، قال : اضرب لى فالوذجة ؛ قال : فأمر فضُربت له فالوذجة فى جوف الليل ، فأكل منها حتى تملّأ ، ثم قال : يا أبا فلان ، ستعلم غدًا أنى دِهقان إن شاء الله . ثم قال : تقدر أن تسقيَنى نبيذا ؟ قال : نعم ، ولا تُكثِر[2] ، قال : فإنى لا أكثر ، قال : فأحضر أربعة أرطال خمر ، فقعد فشربها على مَهل إلى قريب من الصبح ، ثم رحل

١٢٢١/٣

(١) ف : « فأمر » .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « ولا بكثير » .

فى السَّحَر ، فوافى به مدينة السلام ، ووافى به رأس الجسر ، وأمر إسحاق ابن إبراهيم بقطع يديْه ورجليه ، فلم ينطِق ولم يتكلّم ، وأمر بصلْبه فصُلِب فى الجانب الشرقىّ بين الجسرَيْن بمدينة السلام . ١٢٣٢/٣

* * *

وذكر عن طَوْق بن أحمد ، أنّ بابك لما هرب صار إلى سهل بن سنباط فوجّه الأفشين أبا سعيد وبوزبارة ، فأخذاه منه ، فبعث سهل مع بابك بمعاوية ابنه[1] إلى الأفشين ، فأمر لمعاوية بمائة ألف درهم ، وأمر لسهل بألف[2] ألف درهم استخرجها له من أمير المؤمنين ، ومنطقة مغرقة بالجوهر وتاج البطرقة ، فبطرق[3] سهل بهذا السبب ، والذى كان عنده عبد الله أخو بابك عيسى بن يوسف المعروف بابن أخت اصطفانوس ملك البَيْلقان .

وذكر عن محمد بن عمران كاتب علىّ بن مرّ ، قال : حدّثنى علىّ بن مرّ ، عن رجل من الصعاليك يقال له مَطر ، قال : كان والله يا أبا الحسن بابك ابنى ، قلت : وكيف ؟ قال : كنا مع ابن الرّوّاد ، وكانت أمه ترتوميذ العوراء من عُلوج ابن الرّواد ، فكنت أنزل عليها ، وكانت مصكّة[4] ، فكانت تخدمنى وتغسل ثيابى ، فنظرتُ إليها يومًا ، فواثبتها بشَبَق السفر وطول الغربة ، فأقررتُه فى رحمها . ثم قال : غبْنا غيبة بعد ذلك ، ثم قدمنا فإذا هى تطلبنى[5] ، فنزلت فى منزل آخر ، فصارت إلىّ يومًا ، فقالت : حين ملأتَ بطنى تنزل ها هنا وتتركنى ! فأذاعت أنه مِنّى ، فقلت : والله لئن ذكرتِنِى لأقتلنَّك ؛ فأمسكتْ عنى ، فهو والله ابنى .

وكان يُجْرَى الأفشينُ فى مقامه بإزاء بابك سوى الأرزاق ، والأنزال والمعاون فى كلّ يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم ، وفى كلّ يوم لا يركب فيه خمسة آلاف درهم . ١٢٣٣/٣

وكان جميع من قتل بابك فى عشرين سنة مائتى ألف وخمسة وخمسين

---

(١) ف : « بابنه معاوية » . (٢) س : « بمائة ألف درهم » .
(٣) كذا فى ا ، وفى ط من غير نقط . (٤) المصكة : القوية .
(٥) كذا فى ا ، وفى ط : « تطلق » .

ألفا وخمسمائة إنسان . وغلب يحيى بن معاذ وعيسى بن محمد بن أبى خالد وأحمد بن الجُنيد، وأسره وزُريق بن علىّ بن صدقة ومحمد بن حميد الطوسىّ وإبراهيم بن الليث، وأُسِر مع بابك ثلاثة آلاف وثلثمائة وتسعة أناسى ، واستُنقذ ممّن كان فى يده من المسلمات وأولادهم سبعة آلاف وستمائة إنسان ، وعدّة مَنْ صار فى يد الأفشين من بنى بابك سبعة عشر رجلا ومن البنات والكنّات ثلاث وعشرون امرأة ، فتوّج المعتصم الأفشين وألبسه وشاحين بالجوهر ، ووصله بعشرين ألف ألف درهم، منها عشرة آلاف ألف صلة وعشرة آلاف ألف درهم يفرّقها فى أهل عسكره ، وعقد له على السِّند وأدخل عليه الشعراء يمدحونه ، وأمر للشعراء بصِلات ، وذلك يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر ، وكان مما قيل فيه قول أبى تمام الطائىّ :

بذَّ الجلادُ البذَّ فهو دفينُ ... ما إنْ به إلّا الوحوشَ قطينُ[1]

لم يُقْرَ هذا السيفُ هَذَا الصَّبر فى ... هَيْجَاءَ إلّا عَزَّ هذا الدينُ

قد كان عُذرةَ سُودَدٍ فافتضَّها ... بالسيفِ فَحْلُ المشرقِ الأَفشينُ ١٢٣٤/٣

فأعادها تَعوِى الثعالبُ وسْطَها ... ولقد تُرَى بالأمس وهْى عرينُ

هطلتْ عليها من جَماجِمِ أهلِها[2] ... دِيَمٌ أمارَتُهَا طُلًى وشئونُ

كانت من المُهَجات قبلُ مفازةً[3] ... عِسِرًا ، فأضحتْ وهْىَ منه مَعينُ[4]

* * *

[ذكر خبر إيقاع الروم بأهل زبطرة]

وفى هذه السنة أوقع تَوْفِيل بن ميخائيل صاحب الروم بأهل زِبَطْرة ، فأسرهم وخرّب بلدهم ، ومضى من فوره إلى مَلَطْية فأغار على أهلها وعلى أهل حصون من حصون المسلمين ؛ إلى غير ذلك ؛ وسبا من المسلمات — فيما قيل — أكثر من ألف امرأة ، ومثّل بمن صار فى يده من المسلمين ، وسَمَل أعينهم ، وقطع آذانهم وآنافهم .

(١) ديوانه ٣ : ٣١٦ .
(٢) ديوانه : « جادت عليها » .
(٣) ديوانه . « كانت من الدم قبل ذاك » .
(٤) ديوانه : « غورا فأمست » .

• ذكر الخبر عن سبب فعل صاحب الروم بالمسلمين ما فعل من ذلك :

ذُكر أنّ السبب فى ذلك كان ما لحق بابك من تضييق الأفشين عليه وإشرافه على الهلاك ، وقَهْر الأفشين إياه ؛ فلما أشرف على الهلاك، وأيقن بالضَّعْف من نفسه عن حربه، كتب إلى ملك الروم تَوْفيل بن ميخائيل بن جُورجس؛ يعلمه أن ملك العرب قد وجّه عساكره ومقاتلته إليه حتى وجّه خيّاطه — يعنى جعفر بن دينار — وطباخه —يعنى إيتاخ — ولم يبقَ على بابه أحد ؛ فإن أردت الخروج إليه فاعلم أنه ليس فى وجهك أحد يمنعك ؛ طمعاً منه بكتابه ذلك إليه فى أن ملك الروم إن تحرّك انكشف عنه بعض ما هو فيه بصرف المعتصم بعض مَنْ بإزائه من جيوشه إلى ملك الروم، واشتغاله به عنه. ١٢٣٥/٣

فذكر أن تَوفيل خرج فى مائة ألف — وقيل أكثر —فيهم من الجند نيّف وسبعون ألفاً ،وبقيّتهم أتباع حتى صار إلى زِبَطْرة، ومعه من المحمّرة الذين كانوا خرجوا بالجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب جماعة رئيسهم بارسيس[1] . وكان ملك الروم قد فرَض لهم، وزوّجهم وصيرهم مقاتلة يستعين بهم فى أهمّ أموره إليه ؛فلما دخل ملك الروم زِبَطْرة وقتل الرجال الذين فيها ، وسبى الذرارىّ والنساء التى فيها وأحرقها، بلغ النفير — فيما ذكر — إلى سامرّا ، وخرج أهل ثغور الشأم والجزيرة وأهل الجزيرة إلا من لم يكن عنده دابة ولا سلاح ، واستعظم المعتصم ذلك .

فذكر أنه لما انتهى إليه الخبر بذلك صاح فى قصره النفير ، ثم ركب دابته وسمّط خلفه شِكالا وسكة حديد وحقيبة ؛ فلم يستقم له أن يخرج إلا بعد التعبية ، فجلس — فيما ذكر — فى دار العامة ،وقد أحضر من أهل مدينة السلام قاضيها عبد الرحمن بن إسحاق وشعيب[2] بن سهل، ومعهما ثلثمائة وثمانية وعشرون رجلا من أهل العدالة ،فأشهدهم على ما وقف من الضياع ، فجعل ثلثاً لولده ، وثلثاً لله ، وثلثاً لمواليه . ثم عسكر بغربىّ دجلة ؛ وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الأولى . ١٢٣٦/٣

---

(١) ا : « باذسيس » . (٢) ابن الأثير : « وشعبة » .

ووجّه عُجيف بن عنبسة وعمراً[١] الفرغانيّ ومحمد كُوتَة[٢] وجماعة من القُوّاد إلى زِبَطْرة إعانة لأهلها ، فوجدوا ملك الروم قد انصرف إلى بلاده بعد ما فعل ما قد ذكرناه ، فوقفوا قليلا ؛ حتى تراجع الناس إلى قراهم ، واطمأنّوا . فلما ظفِر المعتصم ببابك ، قال : أىّ بلاد الروم أمنع وأحصن ؟ فقيل : عمُّوريَة ، لم يعرض لها أحد من المسلمين منذ كان الإسلام، وهى عين النصرانية وبُنْكها[٣] ؛ وهى أشرف عندهم من القسطنطينيّة .

* * *

[ذكر الخبر عن فتح عمّورية]

وفى هذه السنة شخص المعتصم غازياً إلى بلاد الروم . وقيل كان شخوصه إليها من سامرّا فى سنة أربع وعشرين ومائتين—وقيل فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين— بعد قتله بابك .

فذكر أنه تجهّز جهازاً لم يتجهز مثله قبله خليفة قطّ ، من السلاح والعُدد والآلة وحياض الأدَم والبغال والرّوَايا والقِرَب وآلة الحديد والنِّفط ، وجعل على مقدّمته أشِناس ، ويتلوه محمد بن إبراهيم ، وعلى ميمنته إيتاخ ، وعلى ميسرته جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط ، وعلى القلب عُجَيف بن عنبسة .

ولما دخل بلاد الروم أقام على نهر اللمِيس[٤] . وهو على سَلُوقيَة قريباً من البحر ، بينه وبين طرَسُوس مسيرة يوم ، وعليه يكون الفداء إذا فُودى بين المسلمين والروم ، وأمضى المعتصم الأفشِينَ خيذر[٥] بن كاوس إلى سَرُوج ، وأمره بالبروز منها والدخول من درب الحدَث ، وسمّى له يومًا أمره أن يكون دخوله فيه ، وقدّر لعسكره وعسكر أشِناس يوماً جعله بينه وبين اليوم الذى يدخل فيه الأفشين ، بقدر ما بين المسافتين إلى الموضع الذى رأى أن يجتمع العساكر فيه — وهو أنقِرة — ودبّر النزول على أنقرة ، فإذا فتحها الله عليه صار

٣/١٢٣٧

---

(١) ابن الأثير : « وعمر » .
(٢) ابن الأثير : « كوتاه » .
(٣) البنك ، بالضم : أصل الشىء وخالصه .
(٤) ابن الأثير : « السن » .
(٥) ط : « حيدر » ، وانظر الفهرس والتصويبات .

إلى عَمُّورِيَة ، إذ لم يكن شيء مما يقصد له من بلاد الروم أعظم من هاتين المدينتين ، ولا أحرى أن تجعل غايته التي يؤمّها .

وأمر المعتصم أشناس أن يدخل من درب طَرَسُوس ، وأمره بانتظاره بالصّفصاف فكان شخوص أشناس يوم الأربعاء لثمان بقين من رجب ، وقدّم المعتصم وصيفًا في أثر أشناس على مقدّمات المعتصم ، ورحل المعتصم يوم الجمعة لست بقين من رجب .

فلما صار أشنِاس بمَرْج الأُسقُفّ ، ورد عليه كتاب المعتصم من المطامير يعلمه أن الملك بين يديه ، وأنه يريد أن يجوز العساكرُ اللمِس ، فيقف على المخاضة ، فيكبسهم ، ويأمره بالمقام بمرج الأسقُفّ — وكان جعفر بن دينار على ساقة المعتصم — وأعلم المعتصم أشناس في كتابه أن ينتظر موافاة الساقة ، لأن فيها الأثقال والمجانيق والزّاد وغير ذلك ؛ وكان ذلك بعد في مضيق الدرْب لم يخلُصْ ، ويأمره بالمقام إلى أن يتخلص صاحب الساقة من مضيق الدّرْب بمن معه ، ويُصحر حتى يصير في بلاد الروم .

١٢٣٨/٣

فأقام أشناس بمرج الأسقفّ ثلاثة أيام ؛ حتى ورد كتاب المعتصم ، يأمره أن يوجّه قائدًا من قُوّاده في سريّة يلتمسون رجلا من الروم ، يسألونه عن خبر الملك ومَنْ معه ، فوجّه أشناس عمرًا الفرغانيّ في مائتي فارس ، فساروا ليلتهم حتى أتوا حصن قرّة فخرجوا يلتمسون رجلا من حَوْل الحصن ؛ فلم يمكن ذلك ، ونذِر بهم صاحب قُرّة ، فخرج في جميع[1] فرسانه الذين كانوا معه بالقرّة ، وكمن في الجبل الذى فيما بين قُرّة ودُرّة ؛ وهو جبل كبير يحيط برستاق يسمى رستاق قُرّة ، وعلم عمرو الفرغانيّ أن صاحب قُرّة قد نذِربهم ، فتقدّم إلى دُرّة ، فكمن بها ليلتَه ؛ فلما انفجر عمود الصبح صيّر عسكره ثلاثة كراديس ، وأمرهم أن يركُضوا ركضًا سريعًا ، بقدر ما يأتونه بأسير عنده خبر الملك ، ووعدهم أن يوافُوه به في بعض المواضع التي عرفها الأدلاّء ، ووجّه مع كل كُردوس دليلين .

---

(١) ف : « بجميع » .

وخرجوا مع الصبح ، فتفرّقوا فى ثلاثة وجوه ؛ فأخذوا عِدّة من الروم ؛ بعضهم من أهل عسكر الملك ، وبعضهم من الضواحى ؛ وأخذ عمرو رجلاً من الروم من فرسان أهل القرّة ، فسأله عن الخبر ؛ فأخبره أن الملك وعسكره بالقرب منه وراء اللمِس بأربعة فراسخ ، وأنّ صاحب قُرّة نذر بهم فى ليلتهم[1] هذه ، وأنه ركب فكمن[2] فى هذا الجبل فوق رءوسهم ؛ فلم يزل عمرو فى الموضع الذى كان وعد فيه أصحابه ، وأمر الأدلاء الذين معه أن يتفرّقوا فى رءوس الجبال ، وأن يشرفوا على الكراديس الذين وجّههم إشفاقاً أن يخالفهم صاحب قُرّة إلى أحد الكراديس ، فرآهم الأدلاء ، ولوّحوا[3] لهم ، فأقبلوا فتوافوْاهم وعمرو فى موضع غير الموضع الذى كانوا اتّعدوا له ، ثم نزلوا قليلا ، ثم ارتحلوا يريدون العسكر ، وقد أخذوا عدّة ممن كان فى عسكر الملك ، فصاروا[4] إلى أشناس فى اللّمِس ، فسألهم عن الخبر ، فأخبروه أن الملك مقيم منذ أكثر من ثلاثين يوماً ينتظر عُبور المعتصم ومقدّمته باللّمِس؛ فيواقعهم من وراء اللّمِس، وأنه جاءه الخبر قريباً ؛ أنه قد رحل من ناحية الأرمنياق عسكرٌ ضخم ، وتوسط البلاد — يعنى عسكر الأفشين — وأنه قد صار خلفه.

فأمر الملك رجلاً من أهل بيته ابن خاله ، فاستخلفه على عسكره ، وخرج ملك الروم فى طائفة من عسكره يريد ناحية الأفشين ، فوجّه أشناس بذلك الرجل الذى أخبره بهذا الخبر إلى المعتصم ، فأخبره بالخبر ، فوجّه المعتصم من عسكره قوماً من الأدلاء ، وضمن لهم لكلّ رجل منهم عشرة آلاف درهم ؛ على أن يوافُوا بكتابه الأفشين ، وأعلمه فيه أنّ أمير المؤمنين مقيم ، فليقم إشفاقاً من أن يواقعه ملك الروم . وكتب إلى أشناس كتاباً يأمره أن يوجه من قِبَله رسولا من الأدلاء الذين يعرفون الجبال والطرق والمشبهة[5] بالرّوم ، وضمن لكلّ رجل منهم عشرة آلاف درهم إن هو أوصل الكتاب ، ويكتب إليه أن ملك الروم قد أقبل نحوه فليُقم مكانه حتى يوافيَه كتاب أمير المؤمنين .

فتوجّهت الرسل إلى ناحية الأفشين ، فلم يلحقه أحد منهم ؛ وذلك أنه كان

٣/١٢٣٩ ٣/١٢٤٠

---

(١) ف : « ليلته » . (٢) س : « وكن » . (٣) س : « فلوحوا » .
(٤) ف : « وصاروا » . (٥) ا : « والمتشبهة » .

وغل[١] فى بلاد الروم، وتوافت آلات المعتصم وأثقاله مع صاحب الساقة إلى العسكر ، فكتب إلى أشناس يأمره بالتقدّم ؛ فتقدّم أشناس والمعتصم من ورائه ، بينهم مرحلة ، ينزل هذا ويرحل هذا . ولم يرد عليهم من الأفشين خبر ؛ حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل ؛ وضاق عسكر المعتصم ضيقاً شديداً من الماء والعَلَف .

وكان أشناس قد أسر عدّة أسرى فى طريقه ، فأمر بهم فضُربت أعناقهم حتى بقى منهم شيخٌ كبير ؛ فقال الشيخ : ما تَنتفع[٢] بقتلى ، وأنت فى هذا الضيق ، وعسكرك أيضاً فى ضيق من الماء والزاد ، وها هنا قوم قد هربوا من أنقِرة خوفاً من أن ينزل بهم ملك العرب ؛ وهم بالقرب منّا ها هنا[٣] ، معهم من المِيرة والطعام[٤] والشعير شىء كثير ، فوجِّهْ معى قوماً لأدفعهم إليهم ، وخلّ سبيلى !

فنادى منادى أشناس : مَنْ كان به نشاط فليركب ، فركب معه قريب من خمسمائة فارس ؛ فخرج أشناس حتى صار من العسكر على ميل ، وبرز معه مَنْ نشط من الناس ، ثم برز فضرب دابته بالسوط ، فركض قريباً من ميلين ركضاً شديداً ، ثم وقف ينظر إلى أصحابه خَلْفه ؛ فمَنْ لم يلحق بالكُردوس لضعف دابته ردّه إلى العسكر ، ودفع الرجل الأسير إلى مالك بن كَيْدر ، وقال له : متى ما أراك هذا سَبْياً وغنيمة كثيرة فخلّ سبيله على ما ضمِنّا له . فسار[٥] بهم الشيخ إلى وقت العَتمة ، فأوردهم على واد وحشيش كثير ، فأمرج[٦] الناس دوابّهم فى الحشيش حتى شبعت ، وتعشى الناس وشربوا حتى رَوُوا ، ثم سار بهم حتى أخرجهم من الغَيْضة ، وسار أشناس مِن موضعه الذى كان به متوجّهاً إلى أنقره .

وأمر مالك بن كيدر والأدلاّء الذين معه أن يوافُوه بأنقرة ، فسار بهم الشيخ العِلْج بقية ليلتهم يدُور بهم فى جبل ليس يخرجهم منه ، فقال الأدلاء

١٢٤١/٣

(١) ابن الأثير : « أوغل » .
(٢) ف : « ما ينتفع » .
(٣) ف : « من هاهنا » .
(٤) ف : « من الطعام وغيره » .
(٥) ف : « وسار » .
(٦) أمرجوا دوابهم : جعلوها ترعى .

لمالك بن كيدر : هذا الرجل يدور بنا ، فسأله مالك عما ذكر الأدلاّء ، فقال : صدقوا ، القوم الذين تريدهم خارج الجبل ، وأخاف أن أخرج من الجبل بالليل فيسمعوا صوت حوافر الخيل على الصخر ؛ فيهربوا ، فإذا خرجنا من الجبل ولم نر أحداً قتلني ، ولكن أدور بك فى هذا الجبل إلى الصبح ؛ فإذا أصبحنا خرجنا إليهم ، فأريتُكَ إياهم حتى آمن ألاّ تقتلني . فقال له مالك : ويحك ! فأنزِلنا فى هذا الجبل حتى نستريح ، فقال : رأيك ؛ فنزل مالك ونزل الناس على الصّخرة ، وأمسكوا لُجم دوابهم حتى انفجر الصبح[1] ؛ فلما طلع الفجر قال : وجّهوا رجلين يصعدان هذا الجبل ، فينظران ما فَوْقه ، فيأخذان مَنْ أدركا فيه ، فصعد أربعة من الرجال[2] ، فأصابوا رجلا وامرأة ؛ فأنزلوهما ، فساءلهما العِلْج : أين بات أهل أنقرة ؟ فسمّوا لهم الموضع الذى باتوا فيه ، فقال لمالك : خلّ عن هذين ؛ فإنا قد أعطيناهما الأمان حتى دلّونا ، فخلّى مالك عنهما ، ثم سار بهم العِلْج إلى الموضع الذى سمّاه لهم ، فأشرف بهم على العسكر عسكر أهل أنقرة ، وهم فى طرف ملاّحة ، فلما رأوا العسكر صاحوا بالنساء والصبيان ، فدخلوا الملاّحة ، ووقفوا لهم على طرف الملاّحة يقاتلون بالقَنا ، ولم يكن موضع حجارة ولا موضع خيل ، وأخذوا منهم عدّة أسرى ، وأصابوا فى الأسرى عدّة بهم جراحات عتُق[3] من جراحات متقدمة ، فساءلوهم عن تلك الجراحات ، فقالوا : كنا فى وقعة الملك مع الأفشين ، فقالوا لهم : حدّثونا بالقضية . فأخبروهم أنّ الملك كان معسكراً على أربعة فراسخ من اللّمِس ؛ حتى جاءه رسول ، أن عسكراً ضخماً قد دخل من ناحية الأرمنياق ، فاستخلف على عسكره رجلاً من أهل بيته ، وأمره بالمقام فى موضعه ؛ فإن ورد عليه مقدّمة ملك العرب ، واقعه إلى أن يذهب هو فيواقع العسكر الذى دخل الأرمنياق — يعنى عسكر الأفشين — فقال أميرهم : نعم ؛ وكنت ممن سار مع الملك ، فواقعناهم صلاة الغداة فهزمناهم ، وقتلنا رجّالتهم كلّهم ، وتقطعت عساكرنا فى طلبهم ؛ فلما كان الظهر رجع فرسانهم ، فقاتلونا قتالا شديداً حتى حرّقوا

٣/١٢٤٢

٣/١٢٤٣

---

(١) س : « الفجر » . (٢) س : « الرجالة » .

(٣) عتق : جمع عاتق ، وهو القديم .

عسكرنا ، واختلطوا بنا واختلطنا بهم ؛ فلم ندر فى أىّ كُردوس الملك ! فلم نزل كذلك إلى وقت العصر ، ثم رجعنا[1] إلى موضع عسكر الملك الذى كنا فيه فلم نصادفه ، فرجعنا إلى موضع معسكر الملك الذى خلّفه على اللَّمِيس ، فوجدنا العسكر قد انتقض ، وانصرف الناس عن الرّجل قرابة الملك الذى كان الملك استخلفه على العسكر ؛ فأقمنا على ذلك ليلتنا ؛ فلمّا كان الغد ، وافانا الملك فى جماعة يسيرة ، فوجد عسكره قد اختلّ ، وأخذ الذى استخلفه على العسكر ، فضرب عنقه ، وكتب إلى المدن والحصون ألاّ يأخذوا رجلاً ممن انصرف من عسكر الملك إلا ضربوه بالسياط ، أو يرجع إلى موضع سماه لهم الملك انحاز إليه ليجتمع إليه الناس ، ويعسكر به ، ليناهض ملك العرب ؛ ووجّه خادماً له خصيّاً إلى أنقرة على أن يقيم بها ، ويحفظ أهلها إن نزل بها ملك العرب .

قال الأسير : فجاء الخصىّ إلى أنقرة ، وجئنا معه ، فإذا أنقرة قد عطّلها أهلها ، وهربوا منها ، فكتب الخصىّ إلى ملك الروم يعلمه ذلك ، فكتب إليه الملك يأمره بالمسير إلى عَمّوريّة .

قال : وسألت عن الموضع الذى قصد إليه أهلها — يعنى أهل أنقرة — فقالوا لى : إنهم بالملاّحة فلحقنا بهم .

قال مالك بن كيدر : فدعوا الناس كلهم ، خذوا ما أخذتم ، ودعوا الباقى ، فترك الناس السبى والمقاتلة وانصرفوا راجعين[2] يريدون عسكر أشناس ، وساقوا فى طريقهم غنماً كثيراً وبقراً ، وأطلق ذلك الشيخَ الأسيرَ مالك ، وسار إلى عسكر أشناس بالأسرى ؛ حتى لحق بأنقرة ، فمكث أشناس يوماً واحداً ، ثم لحقه المعتصم من غد ؛ فأخبره بالذى أخبره به الأسير ، فَسُرّ المعتصم بذلك . فلمّا كان اليوم الثالث جاءت البُشرى من ناحية الأفشين يخبرون بالسلامة ، وأنه وارد على أمير المؤمنين بأنقرة .

١٢٤٤/٣

قال : ثم ورد على المعتصم الأفشين بعد ذلك اليوم بيوم بأنقرة ، فأقاموا بها

(١) ف : « ثم رجعوا » .
(٢) س : « ووجعوا منصرفين » .

أياماً ، ثم صيّر العسكر ثلاثة عساكر : عسكر فيه أشناس فى الميسرة ، والمعتصم فى القلب ، والأفشين فى الميمنة ؛ وبين كل عسكر وعسكر فرسخان ، وأمر كل عسكر منهم أن يكون له ميمنة وميسرة ، وأن يحرّقوا القرى ويخرّبوها ، ويأخذوا مَن لحقوا فيها من السَّبْى ، وإذا كان وقت النزول توافَى كلُّ أهل عسكر إلى صاحبهم ورئيسهم ، يفعلون ذلك فيما بين أنقرة إلى عَمّوريّة ؛ وبينهما سبع مراحل ؛ حتى توافت العساكر بعمُّورية .

قال : فلما توافت العساكر بعمُّوريَة ، كان أوّل مَن وردها أشناس ؛ ورَدَها يوم الخميس ضَحْوة ، فدار حولها دَوْرة ، ثم نزل على ميلين منها بموضع فيه ماء وحشيش ؛ فلما طلعت الشمس من الغد ، ركب المعتصم ، فدار حولها دَوْرةً ، ثم جاء الأفشين فى اليوم الثالث ، فقسمها أمير المؤمنين بين القوّاد كما تدور ؛ صيّر إلى كل واحد منهم أبراجاً منها على قدر كثرة أصحابه وقلّتهم ، وصار لكلّ قائد منهم ما بين البرجيْن إلى عشرين برجاً ، وتحصّن أهل عَمُّوريَة وتحرّزوا . ١٢٤٥/٣

وكان رجلٌ من المسلمين قد أسَره أهل عَمُّورية ، فتنصّر وتزوج فيهم[1] ، فحبس نفسه عند دخولهم الحصن ، فلمّا رأى أمير المؤمنين ظهر وصار إلى المسلمين ، وجاء إلى المعتصم ، وأعلمه[2] أن موضعًا من المدينة حمل الوادى عليه من مطر جاءهم شديد ، فحمل الماء عليه ، فوقع السور من ذلك الموضع ، فكتب ملك الروم إلى عامل عَمُّوريَة أن يبنى ذلك الموضع ، فتوانى فى بنائه حتى كان خروج الملك من القسطنطينيّة إلى بعض المواضع ، فتخوّف الوالى أن يمرّ الملك على تلك الناحية فيمرّ بالسور ، فلا يراه بُنِى ، فوجّه خلف الصنّاع فبنى وجْه السور بالحجارة حجراً حجراً ، وصيّر وراءه من جانب المدينة حشواً ، ثم عقد فوقه الشُّرَف كما كان ، فوقّف ذلك الرجل المعتصم على هذه الناحية التى وصف ، فأمر المعتصم فضرب مضربه فى ذلك الموضع ، ونصب المجانيق على ذلك البناء ، فانفرج السور من ذلك الموضع ، فلما رأى أهل عَمُّوريّة انفراج

---

(١) ف : « منهم » .

(٢) ف ، ا : « وأعلمه » .

السور ، علّقوا عليه الخشب الكبار ، كل واحد بلزق الأخرى ؛ فكان حجر المنجنيق إذا وقع على الخشب تكسر ، فعلّقوا[1] خشباً غيره ، وصيّروا فوق الخشب البراذع ليترّسوا السور .

١٢٤٦/٣ فلما ألحّت المجانيق على ذلك الموضع ، انصدع السور ، فكتب ياطس والخصىُّ إلى ملك الروم ، كتاباً يعلمانه أمر السور ، ووجّها الكتاب مع رجل فصيح بالعربية وغلام رومىّ ، وأخرجاهما من الفصيل ، فعبرا الخندق ، ووقعا إلى ناحية أبناء الملوك المضمومين إلى عمرو الفرغانىّ ، فلمّا خرجا من الخندق أنكروهما ، فسألوهما : من أين أنتما ؟ قالا لهم : نحن من أصحابكم ، قالوا : من أصحاب مَنْ أنتم ؟ فلم يعرفا أحداً من قوّاد أهل العسكر يسمّيانه لهم ، فأنكروهما ، وجاءوا بهما إلى عمرو الفرغانىّ بن أربخا ، فوجّه بهما عمرو إلى أشناس ، فوجّه بهما أشناس إلى المعتصم ، فساءلهما المعتصم ، وفتّشهما ، فوجد معهما كتاباً من ياطس إلى ملك الروم ، يعلمه فيه أن العسكر قد أحاط بالمدينة فى جَمْع كثير ، وقد ضاق بهم الموضع . وقد كان دخوله ذلك الموضع خطأ — وأنه قد اعتزم على أن يركب ، ويحمل خاصة أصحابه على الدوابّ التى فى الحصن ، ويفتح الأبواب ليلاً غفلة ، ويخرج فيحمل على العسكر كائناً فيه ما كان ؛ أفلت فيه من أفلت ، وأصيب فيه مَنْ أصيب ؛ حتى يتخلّص من الحصار ، ويصير إلى الملك .

١٢٤٧/٣ فلما قرأ المعتصم الكتاب أمر للرجل الذى يتكلّم منهما بالعربية والغلام الرومىّ الذى معه ببَدْرة ، فأسلما وخلع عليهما ، وأمر بهما حين طلعت الشمس فأداروهما حول عمورية، فقالا : ياطس يكون فى هذا البرج ، فأمر بهما فوقفا بحذاء البرج الذى فيه ياطس طويلا ، وبين أيديهما رجلان يحملان لهما الدراهم وعليهما الخلع ، ومعهما الكتاب حتى فهمهما ياطس وجميع الروم ، وشتّموهما من فوق السور ، ثم أمر بهما المعتصم فنَحّوهما ، وأمر المعتصم أن يكون الحراسة بينهم نوائب ؛ فى كلّ ليلة يحضرها الفرسان ، يبيتون على دوابهم بالسلاح

---

(١) ف : « فصيروا » .

وهم وقوف عليها؛ لئلا يُفتح الباب ليلاً ، فيخرج من عَمُّورِيَة إنسان ، فلم يزل الناس يبيتون كذلك نوائب على ظهور الدوابّ في السلاح ودوابهم بسروجها ، حتى انهدم السّور ما بين بُرْجين من الموضع الذى وصف للمعتصم أنه لم يحكم عمله .

وسمع أهل العسكر الوجبة فتشوَّفوا ، وظنّوا أن العدوّ قد خرج على بعض الكراديس حتى أرسل المعتصم مَنْ طاف على الناس فى العسكر يعلمهم أن ذلك صوت السور وقد سقط ، فطيبوا نفساً .

وكان المعتصم حين نزل عَمُّوريّة ونظر إلى سعة خندقها وطول سورها ؛ وكان قد استاق فى طريقه غنمًا كثيرة ، فدبّر فى ذلك أن يتّخذ مجانيق كباراً على قدر ارتفاع السور ، يسع[1] كلَّ مِنْجنيق منها أربعة رجال ، وعملها أوثق ما يكون وأحكمه ، وجعلها على كراسىّ تحتها عجل ، ودبّر فى ذلك أن يدفع[2] الغنم إلى أهل العسكر إلى كلّ رجل شاة ، فيأكل لحمها ، ويحشو جلدها ترابًا ثم يؤتى بالجلود مملوءة ترابًا ؛ حتى تطرح فى الخندق . ١٢٤٨/٣

ففعل ذلك بالخندق ، وعمِل دبّابات كباراً تسع كل دبّابة عشرة رجال ، وأحكمها على أن يُدحرجها على الجلود المملوءة ترابًا حتى يمتلئ الخندق ؛ ففعل ذلك ، وطُرحت الجلود فلم تقع الجلود ، مستوية منضَّدة خوفًا منهم من حجارة الروم ، فوقعت مختلفة ؛ ولم يمكن تسويتها ، فأمر أن يطرح فوقها التراب حتى استوْت ، ثم قدّمت دبّابة فدحرجَها ، فلما صارت من الخندق فى نصفه تعلقت بتلك الجلود ، وبقى القوم فيها ؛ فما تخلّصوا منها إلا بعد جهد . ثم مكثت تلك العَجلة مقيمة هناك ، لم يمكن فيها حيلة حتى فتحت عَمُّوريّة ، وبطلت الدبابات والمنجنيقات والسلالم وغير ذلك؛ حتى أحرقت.

فلما كان من الغد قاتلهم على الثُّلْمة ؛ وكان أوّل من بدأ بالحرب أشناس وأصحابه ، وكان الموضع ضيّقًا ، فلم يمكنهم الحرب فيه ؛ فأمر المعتصم بالمنجنيقات الكبار التى كانت متفرّقة حول السور ، فجمع بعضها إلى بعض ،

---

(١) ف : « ليسع » . (٢) ف : « على أن يدفع » .

وصيّرها حول الثلمة ، وأمر أن يُرَمى ذلك الموضع ؛ وكانت الحرب فى اليوم الثانى على الأفشين وأصحابه ، فأجادوا الحرب وتقدّموا . وكان المعتصم واقفاً على دابته بإزاء الثلمة وأشناس وأفشين وخواصّ القوّاد معه ؛ وكان باقى القواد الذين دون الخاصّة وقوفاً رجّالة ، فقال المعتصم : ما كان أحسن الحرب اليوم ! فقال عمرو الفرغانىّ : الحرب اليوم أجودُ منها أمس ، وسمعها أشناس فأمسك ؛ فلما انتصف النهار ، وانصرف المعتصم إلى مضرَبه ، فتغدّى وانصرف القواد إلى مضاربهم يتغدّون ، وقرب أشناس من باب مضربه ، ترجّل له القواد كما كانوا يفعلون ؛ وفيهم عمرو الفرغانىّ وأحمد بن الخليل بن هشام ، فمشوا بين يديه كعادتهم[1] عند مَضْربه ، فقال لهم أشناس : يا أولاد الزنا ، أيْشٍ تمشون بين يدى[2] ! كان ينبغى أن تقاتلوا أمس حيث تقفون[3] بين يدى أمير المؤمنين ، فتقولون : إن الحرب اليوم أحسن منها أمس ؛ كان أمس يقاتل غيركم ، انصرفوا إلى مضاربكم .

٣/١٢٤٩

فلما انصرف عمرو الفرغانىّ وأحمد بن الخليل بن هشام ، قال أحدهما للآخر : أما ترى هذا العبد ابن الفاعلة — يعنى أشناس — ما صنع بنا اليوم ! أليس الدخول إلى بلاد الروم أهونَ من هذا الذى سمعناه اليوم ! فقال عمرو الفرغانى لأحمد بن الخليل — وكان عند عمرو خبر — : يا أبا العباس ، سيكفيك الله أمره ، عن قريبٍ أبشر . فأوهم أحمدَ أن عنده خبراً ، فألحّ عليه أحمد يسأله ؛ فأخبره بما هم فيه ؛ وقال : إن العباس بن المأمون قد تمّ أمرُه ، وسنبايع له ظاهراً ، ونقتل المعتصم وأشناس وغيرهما عن قريب . ثم قال له : أشير عليك أن تأتىَ العباس ، فتقدم فتكون فى عداد من مال إليه . فقال له أحمد : هذا أمر لا أحسبه يتمّ ، فقال له عمرو : قد تمّ وفرغ ، وأرشده إلى الحارث السمرقندىّ — قرابة سلَمة بن عبيد الله بن الوضاح ؛ وكان المتولّى لإيصال الرجال إلى العباس وأخذ البيعة عليهم — فقال له عمرو : أنا أجمع بينك وبين الحارث حتى تصير فى عداد أصحابنا ، فقال له أحمد : أنا معكم إن كان هذا الأمر

٣/١٢٥٠

(١) س : « كعاداتهم » .
(٢) بعدها فى ف : « قدامى » .
(٣) س : « يقومون » .

يتم فيما بيننا وبين عشرة أيام ، وإن جاوز ذلك فليس بينى وبينكم عمل ؛ فذهب الحارث ، فلقى العباس فأخبره أن عمراً قد ذكره لأحمد بن الخليل ، فقال له : ما كنت أحب أن يطّلع الخليل على شىء من أمرنا ؛ أمسكوا عنه ؛ ولا تشركوه فى شىء من أمركم ، دعوه بينهما . فأمسكوا عنه .

فلما كان فى اليوم الثالث كانت الحرب على أصحاب أمير المؤمنين خاصّة ، ومعهم المغاربة والأتراك ، والقيّم بذلك إيتاخ ، فقاتلوا فأحسنوا واتسع لهم الموضع المنثلم ؛ فلم تزل الحرب كذلك حتى كثرت فى الروم الجراحات .

وكان قوّاد ملك الروم عند ما نزل بهم عسكر المعتصم اقتسموا البروج ؛ لكل قائد وأصحابه عدّة أبرجة ؛ وكان الموكّل بالموضع الذى انثلم من السور رجلاً من قوّاد الرّوم يقال له وندوا ، وتفسيره بالعربية «ثَور» ؛ فقاتل الرّجل وأصحابه قتالا شديداً بالليل والنهار والحرب عليه وعلى أصحابه ، لم يمدّه ياطس ولا غيره بأحد من الرّوم ؛ فلما كان بالليل مضى القائد الموكل بالثلمة إلى الرّوم ، فقال : إنّ الحربَ علىّ وعلى أصحابى ، ولم يبق معى أحد إلاّ قد جُرح ؛ فصيِّرُوا أصحابكم على الثلمة يرمون قليلا ؛ وإلا افتضحتم وذهبت المدينة . فأبوْا أن يمدّوه بأحد ، فقالوا : سلِم السور من ناحيتنا ، وليس نسألك أن تمدّنا ؛ فشأنَك وناحيتَك ؛ فليس لك عندنا مدد . فاعتزم هو وأصحابه على أن يخرجوا إلى أمير المؤمنين المعتصم ، ويسألوه الأمانَ على الذّرّية ، ويسلّموا إليه الحصن بما فيه من الخُرْثِىّ [١] والمتاع والسلاح وغير ذلك .

٣/١٢٥١

فلما أصبح وكّل أصحابه بجنبى الثلمة ؛ وخرج فقال : إنى أريد أمير المؤمنين ؛ وأمر أصحابه ألا يحاربوا حتى يعود إليهم ؛ فخرج حتى وصل إلى المعتصم ؛ فصار بين يديه ، والناس يتقدّمون إلى الثلْمة ؛ وقد أمسك [٢] الرّوم عن الحرب [٣] حتى وصلوا إلى السور [٣] ، والروم يقولون بأيديهم : لا تَحْيَوْا ، وهم يتقدّمون ، ووندوا بين يدى المعتصم جالس ؛ فدعا المعتصم

---

(١) الخرثى ، بالضم : أثاث البيت ، أو أردأ المتاع .

(٢) س : «أمسكت الروم» .

(٣ — ٣) س : «حتى وصلت إلى الثلمة» .

٣/١٢٥٢ بفرس فحمله عليه، وقابَـل حتى صار الناس معهم على حرف الثلمة، وعبدالوهاب ابن عليّ بين يدى المعتصم، فأومأ إلى الناس بيده : أن ادخلوا ، فدخل الناس المدينة ، فالتفت وندوا ، وضرب بيده إلى لحيته، فقال له المعتصم : مالك ؟ قال : جئت أريد أن أسمع كلامَـك وتسمع كلامى ، فغدرتَ بى ؛ فقال المعتصم : كلّ شىء تريد أن تقوله فهو لك علىّ، قُلْ ما شئت ؛ فإنى لست أخالفك . قال : أيْشٍ لا تخالفنى وقد دخلوا المدينة ! فقال المعتصم : اضرب بيدك إلى ما شئتَ فهو لك ، وقل ما شئت فإنى أعطيكه . فوقف فى مضرب المعتصم . وكان ياطس فى برجه الذى هو فيه وحوله جماعة من الروم مجتمعين ، وصارت طائفة منهم إلى كنيسة كبيرة فى زاوية عمُّورية ؛ فقاتلوا قتالا شديداً ، فأحرق الناس الكنيسة عليهم فاحترقوا عن آخرهم ، وبقى ياطس فى بـُرْجه حوله أصحابه ، وباقى الروم وقد أخذتهم السيوف ؛ فبين مقتول ومجروح ؛ فركب المعتصم عند ذلك حتى جاء فوقف حذاء ياطس ؛ وكان مما يلى عسكر أشناس ، فصاحوا : يا ياطس ، هذا أمير المؤمنين ؛ فصاح الرُّوم من فوق البرج : ليس ياطس ها هنا ، قالوا : بلى ، قولوا له : إنّ

٣/١٢٥٣ أمير المؤمنين واقف ، فقالوا : ليس ياطس ها هنا . فمرّ أمير المؤمنين مغضباً ، فلما جاوز صاح الرّوم : هذا ياطس ، هذا ياطس ! فرجع المعتصم إلى حيال البـُرْج حتى وقف[1] ؛ ثم أمر بتلك السلالم التى هـُيّئت ، فحمـِل سُلـّم منها ، فوضع على البـُرْج الذى هو فيه[2] ، وصعـِد عليه الحسن الرّومىّ — غلام لأبى سعيد محمد بن يوسف — وكلـّمـَه ياطس ، فقال : هذا أمير المؤمنين، فانزل على حكـمه ؛ فنزل الحسن ، فأخبر المعتصم أنه قد رآه وكلـّمه ، فقال المعتصم : قل له فلينزل ؛ فصعد الحسن ثانية ، فخرج ياطس من البـُرْج متقلـّداً سيفاً حتى وقف على البـُرْج والمعتصم ينظر إليه ، فخلع سيفه من عـُنقه ، فدفعه إلى الحسن ، ثم نزل ياطس ، فوقف بين يدى المعتصم ؛ فقنـّعه سوطاً ، وانصرف المعتصم إلى مـَضْرَبه ، وقال : هاتوه ، فمشى قليلا ، ثم جاءه رسول المعتصم ، أن احملوه ، فحملوه ، فذُهب به إلى مضرب أمير المؤمنين .

---

(١) ف : « فوقف » . (٢) ف : « عليه » .

ثم أقبل الناس بالأسرى والسَّبْى من كل وجه حتى امتلأ العسكر ؛ فأمر المعتصم بَسِيلَ الترجمان أن يميّز الأسرى ، فيعزل منهم أهل الشرف والقدْر من الروم فى ناحية ، ويعزل الباقين فى ناحية ؛ ففعل ذلك بَسِيل . ثم أمر المعتصم فوكّل بالمقاسم قوّاده ، ووكل أشناس بما يخرج من ناحيته ، وأمره أن ينادى عليه ، ووكّل الأفشين بما يخرج من ناحيته ، وأمره أن ينادى ويبيع ، ٣/١٢٥٤ وأمر إيتاخ بناحيته مثل ذلك ؛ وجعفرًا الخياط بمثل ذلك فى ناحيته ، ووكل مع كل قائد من هؤلاء رجلا من قِبَل أحمد بن أبى دواد يحصى عليه ، فبيعت المقاسم فى خمسة أيام ؛ بيع منها ما استباع ، وأمر بالباقى فضُرِب بالنار ، وارتحل المعتصم منصرفًا إلى أرض طَرسوس .

ولما كان يوم إيتاخ قبل أن يرتحل المعتصم [1] منصرفًا ، وثب الناس على المغنم الذى كان إيتاخ على بيعه ، وهو اليوم الذى كان عُجيف وعَد الناس فيه أن يثب بالمعتصم ، فركب المعتصم بنفسه ركضًا ، وسلّ سيفه ، فتنحّى الناس عنه من بين يديه ، وكفّوا عن انتهاب المغنم ، فرجع إلى مضربه ؛ فلما كان من الغد أمر ألا ينادى على السَّبْى إلا ثلاثة أصوات ، ليتروّج [2] البيع ، فمن زاد بعد ثلاثة أصوات ، وإلّا بيع العلْقُ ؛ فكان يفعل ذلك فى اليوم الخامس ؛ فكان ينادى على الرقيق خمسة خمسة ، وعشرة عشرة ، والمتاع الكثير جملة واحدة .

قال : وكان ملك الروم قد وجّه رسولا فى أول ما نزل المعتصم على عَمُّورية فأمر به المعتصم فأنزل على موضع الماء الذى كان الناس يستقون منه ؛ وكان بينه وبين عَمُّورِيَة ثلاثة أميال ؛ ولم يأذن له فى المصير إليه حتى فتح عَمُّورية ، فلما فتحها أذن له فى الانصراف إلى ملك الروم ؛ فانصرف وانصرف المعتصم يريد الثغور ؛ وذلك أنه بلغه أن ملك الروم يريد الخروج فى أثره ، أو يريد التعبّث بالعسكر ؛ فمضى فى طريق الجادّة مرحلة ؛ ثم رجع إلى عَمُّورية ، ٣/١٢٥٥ وأمر الناس بالرجوع ، ثم عدل عن طريق [3] الجادّة إلى طريق وادى الجَوْر [4] ،

---

(١) ف : « قبل أن يرحل المعتصم » . (٢) س : « ليتروح » .
(٣) س : « من طريق » . (٤) ا : « الجوز » .

ففرّق[١] الأسرى على القُوّاد ، ودفع إلى كلّ قائد من القوّاد طائفة منهم يحفظهم ، ففرّقهم[٢] القوّاد على أصحابهم ، فساروا فى طريق نحواً من أربعين ميلا ؛ ليس فيه ماء ؛ فكان كلُّ مَن امتنع من الأسرى أن يمشىَ معهم لشدّة العطش الذى أصابهم ضربوا عنقه ؛ فدخل الناس فى البرّيّة فى طريق وادى الجور فأصابهم[٣] العطش، فتساقط الناس والدوابّ وقَتَلَ بعض الأسرى بعض الجند وهرب .

وكان المعتصم قد تقدّم العسكر ، فاستقبل الناس ، ومعه الماء قد حمله من الموضع الذى نزله ، وهلك الناس فى هذا الوادى[٤] من العطش ، وقال الناس للمعتصم : إنّ هؤلاء الأسرى قد قتلوا بعض جندنا ، فأمر عند ذلك بَسيلَ الرومىّ بتمييز مَنْ له القدْر منهم ، فعُزلوا ناحية ، ثم أمر بالباقين فأصعِدوا إلى الجبال ، وأنزِلوا إلى الأودية فضرِبَتْ أعناقهم جميعاً ، وهم مقدار ستة آلاف رجل ؛ قتلوا فى موضعين بوادى الجور وموضعٌ آخر .

ورحل المعتصم من ذلك الموضع يريد الثغر حتّى دخل طَرسوس ، وكان قد نصِب له الحياض من الأدم حول العسكر من الماء إلى العسكر بعمّورية والحياض مملوءة ، والناس يشربون منها لا يتعبون فى طلب الماء .

١٢٥٦/٣ وكانت الوقعة التى وقعت بين الأفشين وملك الروم – فيما ذكر – يوم الخميس لخمس بقين من شعبان وكانت إناخة المعتصم على عمُّورية يوم الجمعة لستّ خلون من شهر رمضان ، وقفل بعد خمسة وخمسين يوماً .

وقال الحسين بن الضحاك الباهلىّ يمدح الأفشيْن ، ويذكر وقعته التى كانت بينه وبين ملك الروم :

أثبتَ المَعْصومُ عِزًّا لأَبِى حَسَنٍ أثبتَ مِن رُكن إضَمْ[٥]
كلُّ مجْدٍ دُونَ ما أَثّلَهُ لبَنِى كاوُس أملاكِ العَجَمْ
إنما الأَفشينُ سيْفٌ سلّهُ قَدَرُ اللهِ بكَفِّ المُعتصِمْ

---

(١) س : « وفرق » . (٢) ف : « وفرقهم » . (٣) س : « وأصابهم » .
(٤) ف : « الموضع » . (٥) ديوانه ٩٩ .

لم يَدَعْ بالبَذِّ من ساكِنةٍ غير أَمثالٍ كأَمثالِ إِرَمْ
ثم أَهْدى سَلَماً بابِكَهُ رَهْن حجليْنِ نجيًّا للندَمْ
وقَرا تَوْفيلَ طَعناً صادقاً فضَّ جمْعَيْهِ جميعاً وهَزَمْ
قُتِلَ الأَكثرُ منهم ونجا من نجا لَحْماً على ظَهْرِ وضَمْ

* * *

[ذكر خبر المعتصم مع العباس بن المأمون]

وفى هذه السنة حبس المعتصم العباس بن المأمون وأمر بلعنه .

* ذكر الخبر عن سبب فعله ذلك :

ذُكِر أنّ السبب كان فى ذلك أن عُجيف بن عنبسة حين وجّهه المعتصم إلى بلاد الروم، لمّا كان من أمر ملك الروم بِزِبَطْرَة مع عمرو بن أربخا الفرغانىّ ومحمد كوتة، لم يطلِق يد عُجيف فى النفقات كما أُطلِقت يد الأفشين، واستقصر المعتصم أمرَ عُجيف وأفعاله، واستبان ذلك لعُجَيف، فوبّخ عُجيف العباس على ما تقدّم من فعله عند وفاة المأمون حين بايع أبا إسحاق وعلى تفريطه فيما فعل، وشجّعه على أن يتلافَى ما كان منه . ١٢٥٧/٣

فقبل العباس ذلك، ودسّ رجلا يقال له الحارث السمرقندىّ، قرابة عبيد الله بن الوضّاح — وكان العباس يأنس به، وكان الحارث رجلا أديبًا له عقل ومداراة — فصيّره العباس رسوله وسفيره إلى القوّاد؛ فكان يدور فى العسكر [1] حتى تألّف له جماعة من القواد، وبايعوه وبايعه منهم خواصّ، وسمّى لكل رجل من قُوّاد المعتصم رجلاً من ثقات أصحابه ممن بايعه، ووكله بذلك، وقال : إذا أمرنا بذلك؛ فليثب كلّ رجل منكم على من ضمنّاه أن يقتله، فضمنوا له ذلك، فكان يقول للرجل ممن بايعه : عليك يا فلان أن تقتل فلاناً، فيقول : نعم، فوكل مَنْ بايعه من خاصّة المعتصم بالمعتصم ومن خاصة الأفشين بالأفشين، ومن خاصّة أشناس بأشناس؛ ممّن بايعه من

(١) س : « الجماعة » .

الأتراك ، فضمنوا ذلك جميعًا . فلما أرادوا أن يدخلوا الدّرب وهم يريدون أنقرة وعَمّوريَة ، ودخل الأفشين من ناحية مَلَطْية ، أشار عُجيف على العباس أن يثب على المعتصم فى الدّرب وهو فى قلة من الناس ، وقد تقطعت عنه العساكر ، فيقتله ويرجع إلى بغداد ؛ فكان الناس يفرحون بانصرافهم من الغزو ، فأبى العباس عليه ، وقال : لا أفسد هذه الغزاة ؛ حتى دخلوا بلاد الروم ، وافتتحوا عَمّورية ، فقال عُجيف للعباس : يا نائم ، كم تنام ! قد فتحت عَمّوريَة ، والرجل ممكن ، دُسّ قوماً ينتهبون هذا الخُرْثىّ ، فإنه إذا بلغه ذلك ركب بسرعة ، فتأمر بقتله هناك . فأبى عليه العباس ، وقال : أنتظر حتى يصير إلى الدّرب ، فيخلو كما خلا فى البدْأة ؛ فهو أمكن منه هاهنا . وكان عُجيف قد أمر مَنْ ينتهب المتاع ، فانتُهب بعض الخُرْثىّ فى عسكر إيتاخ . ٣/١٢٥٨

فركب المعتصم وجاء ركضًا ، فسكن الناس ، ولم يطلق العباس أحداً من أولئك الرجال الذين كان واعدهم ، فلم يُحدثوا شيئًا ، وكرهوا أن يفعلوا شيئًا بغير أمره .

وكان عمرو الفرغانىّ قد بلغه الخبر ذلك اليوم ؛ ولعمرو الفرغانىّ قرابة ، غلام أمرد فى خاصة المعتصم ، فجاء الغلام إلى ولد عمرو يشرب عندهم تلك فى الليلة ، فأخبرهم أن أمير المؤمنين ركب مستعجلاً ؛ وأنه كان يعدو بين يديه ، وقال : إنّ أمير المؤمنين قد غضب اليوم ، فأمرنى أن أسلّ سيفى ، وقال : لا يستقبلك أحد إلا ضربته ، فسمع عمرو ذلك من الغلام ، فأشفق عليه أن يصاب ، فقال له : يا بنىّ ، أنت أحمق ، أقلّ من الكينونة عند أمير المؤمنين بالليل ، والزم خيمتك ؛ فإن سمعت صيحةً مثل هذه الصيحة ، أو شَغبًا أو شيئًا فلا تبرحْ من خيمتك ؛ فإنك غلام غِرّ ؛ لست تعرف بعدُ العساكر . فعرف الغلام مقالَة عمرو .

وارتحل المعتصم من عَمّوريَة يريد الثغر ، ووجّه الأفشين ابنَ الأقطع فى طريق خلاف طريق المعتصم ، وأمره أن يغير على موضع سمّاه له ، وأن يوافيه فى بعض الطريق ؛ فمضى ابن الأقطع ، وتوجّه المعتصم يريد الثغر ، فسار حتى صار إلى موضع أقام فيه ليُريح ويستريح ؛ وليسلك الناس من المضيق الذى ٣/١٢٥٩

بين أيديهم . ووافى ابن الأقطع عسكر الأفشين بما أصاب من الغنائم ؛ وكان عسكر المعتصم على حِدة وعسكر الأفشين على حِدة ، بين كل عسكر قدر ميلين أو أكثر ، واعتلّ أشناس فركب المعتصم صلاةَ الغداة يعوده ؛ فجاء إلى مضربه فعاده ؛ ولم يكن الأفشينْ لحقه بعد .

ثم خرج المعتصم منصرفًا ، فتلقاه الأفشين فى الطريق ، فقال له المعتصم : تريد أبا جعفر . وكان عمرو الفرغانىّ وأحمد بن الخليل عند منصرف المعتصم من عيادة أشناس توجها إلى ناحية عسكر الأفشين لينظرا ماجاء به ابن الأقطع من السَّبى فيشتريا منه ما أعجبهما ، فتوجها ناحية عسكر الأفشين ولقيهما الأفشين يريد أشناس — فترجّلا ، وسلّما عليه ، ونظر إليهما حاجب أشناس من بعد ، فدخل الأفشين إلى أشناس ، ثم انصرف ، وتوجّها إلى عسكر الأفشين ، فلم يكن السَّبْى أخرِج بعدُ ، فوقفا ناحية ينتظران أن ينادَى على السَّبْى ، فيشتريا منه ؛ ودخل حاجب أشناس على أشناس ، فقال : إن عمراً الفرغانىّ وأحمد بن الخليل تلقّيا الأفشين ؛ وهما يريدان عسكره ، فترجّلا وسلما عليه ، وتوجها إلى عسكره .

١٢٦٠/٣ فدعا أشناس محمد بن سعيد السعدىّ ، فقال له : اذهب إلى عسكر الأفشين ، فانظر هل ترى هناك عمراً الفرغانىّ وأحمد بن الخليل ! وانظر عند مَن نزلا ، وأىّ شىء قصّتهما ؟ فجاء محمد بن سعيد ، فأصابهما واقفين على ظهور دوابّهما فقال : ما أوقفكما ها هنا ؟ قالا : وقفنا ننتظر سَبْىَ ابن الأقطع يخرج ؛ فنشترى بعضَه ، فقال لهما محمد بن سعيد : وكّلا وكيلاً يشترى لكما ، فقال : لا نحب أن نشترى إلا ما نراه ؛ فرجع محمد ، فأخبر أشناس بذلك ، فقال لحاجبه : قل لهؤلاء الزموا عسكركُم : فهو خير لكم — يعنى عمراً وابن الخليل — ولا تذهبوا ها هنا وها هنا . فذهب الحاجب إليهما ، فأعلمهما ، فاغتمّا لذلك واتفقا على أن يذهبا إلى صاحب خبر العسكر ، فيستعفياه من أشناس ؛ فصارا إلى صاحب الخبر ، فقالا : نحن عبيد أمير المؤمنين ، يضمّنا إلى من شاء ؛ فإنّ هذا الرجل يستخفّ بنا ، قد شتمنا وتوعدنا ، ونحن نخاف أن يقدم علينا ، فليضمّنا أمير المؤمنين إلى من أحبّ .

فأنهى صاحب الخبر ذلك إلى المعتصم من يومه ؛ واتفق الرّحيل صلاة الغداة ؛ وكان إذا ارتحل الناس سارت العساكر على حيالها ، وسار أشناس والأفشين وجميع القوّاد فى عسكر أمير المؤمنين ، ووكّلوا خلفاءهم بالعساكر ؛ فيسيرون بها . وكان الأفشين[1] على الميسرة وأشناس على الميمنة ؛ فلما ذهب أشناس إلى المعتصم ، قال له : أحسِنْ أدب عمرو الفرغانىّ وأحمد بن الخليل ؛ فإنهما قد حمّقا أنفسهما ؛ فجاء أشناس ركضًا إلى معسكره ، فسأل عن عمرو وابن الخليل ، فأصاب عمراً ؛ وكان ابن الخليل قد مضى فى الميسرة يبادر الروم ، فجاءوه بعمرو الفرغانىّ ؛ وقال : هاتوا سياطًا ؛ فمكث طويلاً مجرّداً ليس يؤتى بالسياط ؛ فتقدّم عمّه إلى أشناس ، فكلمه فى عمرو — وكان عمه أعجميًّا — وعمرو واقف ، فقال : احملوه ، فألبسوه قباء طاق ، فحملوه على بغل فى قبّة ، وساروا به إلى العسكر ، وجاء أحمد بن الخليل وهو يركُض ، فقال : احبسوا هذا معه ؛ فأنزِل عن دابته ، وصُيِّر عديلَه ، ودُفعا إلى محمد بن سعيد السعدىّ يحفظهما ؛ فكان يضرب لهما مضرباً فى فازَة وحجرة ومائدة ، ويفرش لهما فرشًا وطيّة ، وحوضًا من ماء وأثقالهما وغلمانهما فى العسكر ؛ لم يحرَّك منها شىء ؛ فلم يزالا كذلك حتى صارا إلى جبل الصَّفْصاف .

٣/١٢٦١

وكان أشناس على الساقة ، وكان بغا على ساقة عسكر المعتصم ، فلمّا صار بالصّفصاف ، وسمع الغلام الفرغانىّ قرابة عمرو بحبس عمرو ، ذكر الغلام للمعتصم ما دار بينه وبين عمرو من الكلام فى تلك الليلة ، مما[2] قال له عمرو ؛ إذا رأيت شغْباً فالزم خيمتك ؛ فقال المعتصم لبغا : لا ترحل غداً حتى تجىء أشناس ، فتأخذ منه عمراً ، وتلحقنى به ؛ وكان هذا بالصفصاف .

فوقف بُغا بأعلامه ينتظر أشناس ، وجاء محمد بن سعيد ومعه عمرو وأحمد ابن الخليل ، فقال بغا لأشناس : أمرنى أمير المؤمنين أن أوافيَه بعمرو الساعة ، فأنزِل عمرو ، وجعل مع أحمد بن الخليل فى القبة رجل يعادله ، ومضى بغا بعمرو إلى المعتصم ، فأرسل أحمد بن الخليل غلامًا من غلمانه إلى عمرو ، لينظر ما يصنع به ؛ فرجع الغلام فأخبره أنه أدخل على أمير المؤمنين ، فمكث ساعة

٣/١٢٦٢

---

(١) س : « والأفشين » .

(٢) ف : « ما » .

ثم دُفع إلى إيتاخ ؛ وكان أمير المؤمنين لما دخل ساء له عن الكلام الذى قاله للغلام قرابته ؛ فأنكر وقال : هذا الغلام كان سكران ؛ولم يفهم ولم أقل شيئاً ممّا ذكره[١] ، فأمر به فدفع إلى إيتاخ ، وسار [٢] المعتصم حتى صار إلى باب[٣] مضايق البدندون ، وأقام أشناس ثلاثة أيام على مضيق[٤] البدندون ينتظر أن تتخلّص عساكر أمير المؤمنين ؛ لأنه كان على الساقة ، فكتب أحمد بن الخليل إلى أشناس رقعة يعلمه أنّ لأمير المؤمنين عنده نصيحة ، وأشناس مقيم على مضيق البدندون ، فبعث إليه أشناس بأحمد بن الخصيب وأبى سعيد محمد ابن يوسف يسألانه عن النصيحة ؛ فذكر أنه لا يخبر بها إلا أمير المؤمنين ، فرجعا فأخبرا أشناس بذلك ، فقال : ارجعا فاحلفا له : إنى حلفت بحياة أمير المؤمنين ؛ إن هو لم يخبرنى بهذه النصيحة أن أضربه بالسياط حتى يموت ؛ فرجَعا فأخبرا أحمد بن الخليل بذلك .

فأخرج جميع من عنده ، وبقىَ أحمد بن الخصيب وأبو سعيد فأخبرهما بما ألقى إليه عمرو الفرغانىّ من أمر العباس ، وشرح لهما جميع ما كان عنده ، وأخبرهما بخبر [٥] الحارث السمرقندىّ ، فانصرفا إلى أشناس ، فأخبراه بذلك[٦] ، فبعث أشناس فى طلب الحدّادين ، فجاءوا بحدّادَيْن من الجند ؛ فدفع إليهما حديداً ، فقال : اعملا لى قيداً مثل قيد أحمد بن الخليل ، وعجّلا به الساعة ، ففعلا ذلك ؛ فلمّا كان عنده حبسه ، وكان حاجب[٧] أشناس يبيت عند أحمد بن الخليل مع محمد بن سعيد السعدىّ .

٣/١٢٦٣

فلما كان تلك الليلة عند العتَمة ذهب الحاجب إلى خيمة الحارث السمرقندىّ فأخرجه منها ، وجاء به إلى أشناس فقيّده ، وأمر الحاجب أن يحمله إلى أمير المؤمنين ، فحمله الحاجب إليه ، واتّفق رحيل أشناس صلاة الغداة ، فجاء أشناس إلى موضع معسكره ، فتلقّاه الحارث معه رجل من قِبَل المعتصم ، وعليه خلع ، فقال له أشناس : مه ، فقال : القيد الذى كان فى رجلى صار فى

---

(١) س : « ذكر » . (٢) س : « صار » . (٣) ف : « رأس » .
(٤) س : « طريق » . (٥) ف : « خبر » . (٦) ف : « ذلك » .
(٧) ف : « صاحب » .

رجل العباس . وسأل المعتصم الحارث حين صار إليه عن أمره، فأقرّ أنه كان صاحب خبر العباس ،وأخبره بجميع أمره وجميع مَنْ بايع العباس من القوّاد فأطلق المعتصم الحارث وخلع عليه، ولم يصدق على أولئك القواد لكثرتهم وكثرة مَنْ سمى منهم .

وتحيّر المعتصم فى أمر العباس، فدعا به حين خرج إلى الدّرب فأطلقه ومنّاه ، وأوهمه أنه قد صفح عنه ، وتغدّى معه، وصرفه إلى مضربه، ثم دعاه بالليل ، فنادمه على النبيذ ، وسقاه حتى أسكره؛ واستحلفه ألا يكتمه من أمره شيئاً، فشرح له قصته، وسمّى له جميع مَنْ كان دبّ فى أمره، وكيف كان السبب فى ذلك فى كلّ واحد منهم ، فكتبه[1] المعتصم وحفظه، ثم دعا الحارث السمرقندىّ بعد ذلك ، فسأله عن الأسباب ، فقصّ عليه مثل ما قصّ عليه العباس ، ثم أمر بعد ذلك بتقييد العباس ، ثم قال للحارث :قد رُضتك على أن تكذب ، فأجد السبيل إلى سَفْك دمك فلم تفعل، فقد أفلتّ، فقال له : يأمير المؤمنين ، لست بصاحب كذب[2] .

٣/١٢٦٤

ثم دفع العباس إلى الأفشين ، ثم تتبّع المعتصم أولئك القوّاد، فأخذوا جميعاً ،فأمر أن يحمَل أحمد بن الخليل على بغل بإكاف بلا وطاء، ويطرح فى الشمس إذا نزل، ويطعم فى كلّ يوم رغيفاً واحداً ، وأخذ عُجيف بن عَنْبسة فيمن أُخذ من القوّاد، فدفع من سائر القواد إلى إيتاخ ، ودفع ابن الخليل إلى أشناس ، فكان عجيف وأصحابه يحملون فى الطريق على بغال بأكُفٍ بلا وطاء ، وأخذ الشاه بن سهل — وهو الرأس ابن الرأس من أهل قرية من خراسان يقال لها سجستان — فدعا به المعتصم والعباس بين يديه ، فقال له : يابن الزانية ، أحسنتُ إليك فلم تشكر ! فقال له الشاه بن سهل: ابن الزّانية هذا الذى بين يديك — يعنى العباس — لو تركنى هذا كنت أنتَ الساعة لا تقدر أن تقعد فى هذا المجلس وتقول لى : يابن الفاعلة ؟ فأمر به المعتصم ، فضُربت عنقه ؛ وهو أوّل من قتل من القواد ومعه صحبه، ودفع

---

(١) س : « وكتبه » .

(٢) س : « الكذب » .

عُجيف إلى إيتاخ فعلّق عليه حديداً[1] كثيراً وحمله على بغل فى محمل بلا وطاء . ١٢٦٥/٣

وأما العبّاس فكان فى يدى الأفشين ؛ فلما نزل المعتصم مَنْبِج — وكان العباس جائعًا — سأل الطعام، فقُدّم إليه طعام كثير ؛ فأكل فلمّا طلب الماء مُنِع وأدرج فى مِسْحٍ ، فمات بمنبِج ، وصلى عليه بعض إخوته .

* * *

وأما عمرو الفَرغانىّ، فإنه لما نزل المعتصم بنصيبين فى بستان، دعا صاحب البستان ، فقال له : احفر بئراً فى موضع أومأ إليه بقدر قامة، فبدأ صاحب البستان فحفرها[2] ، ثم دعا بعمرو والمعتصم جالسٌ فى البستان، قد شرب أقداحًا من نبيذ ؛ فلم يكلمه المعتصم ، ولم يتكلم عمرو حتى مثل بين يديه ، فقال : جرّدُوه، فجُرّد، وضرب بالسياط ضربة الأتراك ، والبئر تُحفر ؛ حتى إذا فُرغ من حفرها قال صاحب البستان: قد حفرتها، فأمر المعتصم عند ذلك فضُرِب وجه عمرو وجسده بالخشب ؛ فلم يزل يُضرب حتى سقط، ثم قال : جرُّوه إلى البئر فاطرحوه فيها، فلم يتكلم عمرو ولم ينطق يومه ذلك ، حتى مات فطرح فى البئر ، وطُمّت عليه .

وأما عُجيف بن عنبسة ؛ فلما صار بباعَيْنَاثا ، فوق بلَد قليلا، مات فى المحمل ، فطُرِح عند صاحب[3] المسلحة ، وأمر أن يُدفن فيها، فجاء به إلى جانب حائط خرب فطرحه عليه فقبِر هناك .

وذُكر عن علىّ بن حسن الرّيدانىّ أنه قال : كان عُجيف فى يد محمد ابن إبراهيم بن مُصعب، فسأله المعتصم عنه ؛ فقال له : يا محمد ، لم يمت عُجيف ؟ قال : يا سيّدى اليوم يموت، ثم أتى محمد مضرَبه ، فقال لعجيف يا أبا صالح ، أىّ شىء تشتهى ؟ قال أسفيدباج وحَلْوى فالوذج ، فأمر أن يعمَل له من كلّ طعام ؛ فأكل وطلب الماء فمنِع؛ فلم يزل يطلب وهو يسُوق حتى مات ، فدفن بباعَيْناثا . ١٢٦٦/٣

---

(١) ف : « معلق عليه حديد كثير » . (٢) ف : « فحفر » .
(٣) س : « باب المسلحة » .

قال : وأما التركىّ الذى كان ضمن للعباس قتل أشناس متى ما أمره العباس — وكان كريمًا على أشناس ينادمه ولا يحجب عنه فى ليل ولا نهار — فإنه أمر بحبسه، فحبسه أشناس قبَله فى بيت ، وطيّن عليه الباب ، وكان يلقى إليه فى كلّ يوم رغيفًا وكوز ماء ؛ فأتاه ابنه فى بعض أيامه، فكلمه من وراء الحائط ، فقال له : يا بنىّ ، لوكنت تقدر لى على سكّين كنت أقدر أن أتخلص من موضعى هذا ؛ فلم يزل ابنه يتلطّف فى ذلك حتى أوصل إليه سكّينًا ، فقتل به نفسه .

وأما السندىّ بن بختاشه ، فأمر المعتصم أن يوهب لأبيه بختاشه — لأن بختاشه لم يكن يتلطّخ بشىء من أمر العباس — فقال المعتصم : لا يُفجع هذا الشيخ بابنه ؛ فأمر بتخلية سبيله .

وأما أحمد بن الخليل ؛ فإنه دفعه أشناس إلى محمد بن سعيد السعدىّ ، فحفر له بئراً فى الجزيرة بسامرّا ، فسأل عنه المعتصم يوماً من الأيام، فقال لأشناس: ما فعل أحمد بن الخليل ؟ فقال له أشناس : هو عند محمد بن سعيد السعدىّ ، قد حفر له بئراً وأطبق عليه ، وفتح له فيها كوّة ليرمى إليه بالخبز والماء . فقال المعتصم : هذا أحسبه قد سمِن على هذه الحال ؛ فأخبر أشناس محمد بن سعيد بذلك ؛ فأمر محمد بن سعيد أن يسقى الماء ، ويصبّ عليه فى البئر حتى يموت : ويمتلئ البئر ؛ فلم يزل يصُبّ عليه الماء ؛ والرمل ينشف الماء ؛ فلم يغرق ولم يمتلئ البئر ؛ فأمر أشناس بدفعه إلى غِطريف الخجندىّ ، فدُفع إليه ، فمكث عنده أيامًا ، ثم مات فدُفن .

٣/١٢٦٧

وأما هرثمة بن النضر الختّلىّ ، فكان والياً على المراغة ؛ وكان فى عِداد مَنْ سمّاه العباس أنه من أصحابه ؛ فكتب فى حمله فى الحديد ، فتكلّم فيه الأفشين ، واستوهبه من المعتصم ، فوهبه له ، فكتب الأفشين كتابًا إلى هرثمة ابن النضر يعلمه أنّ أمير المؤمنين قد وهبه له ، وأنه قد ولاّه البلد الذى يصل إليه الكتاب فيه ، فورد به الدينور عند العشاء مقيّداً ، فطرح فى الخان ، وهو موثَق فى الحديد ، فوافاه الكتاب فى جُنْح الليل ، فأصبح وهو والى الدّينور .

وقُتل باقى القواد ومَنْ لم يُحفظ اسمه من الأتراك والفراغنة وغيرهم، قُتلوا جميعًا .

وورد المعتصم سامرّا سالمًا بأحسن حال ، فسُمّى العباس : اللعين يومئذ ؛ ودفع ولد سندُس من ولد المأمون إلى إيتاخ، فحبِسوا فى سرداب من داره ثم ماتوا بعدُ .

وجرح فى هذه السنة فى شوال إسحاقُ بن إبراهيم ؛ جرحه خادم له . ١٢٦٨/٣

* * *

وحجّ بالناس فيها محمد بن داود .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن مخالفة مازيار بطبرستان]

فمما كان فيها من ذلك إظهار مَازيار بن قارن بن ونداهُرْمز بطبرستان الخلافَ على المعتصم ، ومحاربته أهل السفح والأمصار منها .

* ذكر الخبر عن سبب إظهاره الخلاف على المعتصم وفعله ما فعل من الوثوب بأهل السفح :

ذُكر أنّ السبب فى ذلك ، كان أن مَازَيار بن قارن كان منافراً لآل طاهر، لا يحمل إليهم الخراج ؛ وكان المعتصم يكتب إليه يأمره بحمله إلى عبد الله بن طاهر ، فيقول : لا أحمله إليه ؛ ولكنى أحمله إلى أمير المؤمنين ؛ فكان المعتصم إذا حمل المازيار إليه الخراج ، يأمر : إذا بلغ المالُ همذان رجلا من قِبَله أن يستوفيه ويسلّمه إلى صاحب عبد الله بن طاهر ليردّه إلى خراسان ؛ فكانت هذه حاله فى السنين كلها . ونافر آل طاهر حتى تفاقم الأمر بينهم[1] .

وكان الأفشين يسمع من المعتصم أحيانًا كلامًا يدلّ على أنه يريد عزل آل طاهر عن خراسان ؛ فلما ظفِر الأفشين ببابك ، ونزل من المعتصم المنزلة التى لم يتقدّمْه فيها أحدٌ ، طمع فى ولاية خراسان ، وبلغته منافرة مازيار آل طاهر ، فرجا أن يكون ذلك سببًا لعزل عبد الله بن طاهر ، فدسّ الأفشين الكتب إلى المازيار يستميله بالدّهْقنة ، ويعلمه ما هو عليه من المودّة له ، وأنه قد وُعد ولاية خراسان ؛ فدعا ذلك المازيار إلى ترك حمل خراجه إلى عبدالله ابن طاهر ، وواترَ عبد الله بن طاهر الكتبَ فيه إلى المعتصم ؛ حتى أوحش

١٢٦٩/٣

(١) س : « ذلك » .

المعتصم منه وأغضبه عليه ، وحمل ذلك المازيار إلى أن وثبَ وخالف ، ومنع الخراج ، وضبط جبال طبَرستان وأطرافه .

وكان ذلك مما يسُرّ الأفشين ويُطمعه فى الولاية ؛ فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربة مازَيار ، وكتب الأفشين إلى المازيار يأمره بمحاربة عبد الله بن طاهر ، ويُعلمه أنه يقوم له عند المعتصم بما يحبّ ، وكاتبه المازيار أيضًا ؛ فلا يشكّ الأفشين أن المازيار سيواقِف عبد الله بن طاهر ويقاومه ، حتى يحتاج المعتصم إلى أن يوجّهه وغيره إليه .

فذُكر عن محمد بن حفص الثقَفِىّ الطبرىّ أنّ المازيار لما عزم على الخلاف ، دعا الناس إلى البيْعة ، فبايعوه كَرْهًا ، وأخذ منهم الرهائن ، فحبسهم فى بُرْج الأصْبَهْبذ ، وأمر أكَرَة الضياع بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاب أموالهم ؛ وكان المازيار يكاتب بابك ، ويحرّضه ويعرض عليه النُّصرة . فلمّا فرغ المعتصم من أمر بابك ، أشاع الناس أنّ أمير المؤمنين يريد المسير إلى قَرْماسين ، ويوجّه الأفشين إلى الرىّ لمحاربة مازيار ؛ فلما سمع المازيار بإرجاف الناس بذلك ، أمر أن يمسح البلد ، خلا مَنْ قاطعَ على ضياعه بزيادة العشرة ثلاثة ، ومَنْ لم يقاطع رجع عليه ، فحسب ما عليه من الفَضْل ولم يحسب له النقصان . ١٢٧٠/٣

ثم أنشأ كتابًا إلى عامله على الخراج ، وكان عامله عليه رجلا يقال له شاذان بن الفضل ، نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ إنّ الأخبار تواترتْ علينا ، وصحّت عندنا بما يرجُف به جُهّال أهل خراسان وطبرستان فينا ، ويولّدون علينا من الأخبار ويحملون عليه رءوسهم ؛ من التعصّب لدولتنا[1] والطعن فى تدبيرنا ، والمرَاسلة لأعدائنا وتوقّع الفتن ، وانتظار الدوائر فينا ، جاحدين للنعم مستقلّين للأمن والدّعَة والرفاهية والسعة التى آثرهم الله بها ، فما يردُ الرّىّ قائد ولا مشرّق ولا مغرّب[2] ، ولا يأتينا رسول صغير ولا كبير إلا قالوا كيت وكيت ، ومدّوا أعناقهم نحوه ،

---

(١) س : «بدولتنا» . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « ولا مشرف» ، والوجه ما أثبته من ا .

وخاضوا فيما قد كذّب الله أحدوثتهم ، وخيّب [أمانيهم][1] فيه مرّة بعد مرة ، فلا تنهاهم الأولى عن الآخرة ، ولا يزجرهم عن ذلك تقيّة ولا خشية ، كل ذلك نُغضى عليه ، ونتجرّع مكروهه ، استبقاءً على كافّتهم ، وطلباً للصلاح والسلامة لهم إلحاحاً ؛ فلا يزيدهم استبقاؤنا إلا لجاجاً ، ولا كفُّنا عن تأديبهم إلا إغراء ؛ إن أخّرْنا عنهم افتتاحَ الخراج نظراً لهم ورفقاً بهم قالوا : معزول ، وإن بادرنا به قالوا : لحادث أمر ؛ لا يزدجرون عن ذلك بالشدّة إن أغلظنا ، ولا برفق إن أنعمنا ؛ والله حسبُنا وهو ولينا ؛ عليه نتوكل وإليه ننيب . وقد أمرنا بالكتاب إلى بندار آمُل والرّويان فى استغلاق الخراج فى عملهما ، وأجّلناهما فى ذلك إلى سَلْخ تيرماه ؛ فاعلم ذلك ، وجرّدْ جبايتَك ، واستخرج ما على أهل ناحيتك كملا ، ولا يمَضينّ عنك تيرماه ، ولك درهم باقٍ ؛ فإنك إن خالفتَ ذلك إلى غيره لم يكن جزاؤك عندنا إلا الصلب ؛ فانظر لنفسك ، وحامِ عن مهجتك ، وشمّر فى أمرك ، وتابع كتابَك إلى العباس . وإياك والتغرير[2] ؛ واكتب بما يحدث منك من الانكماش والتّشمير ؛ فإنا قد رجونا أن يكون فى ذلك مشغلة لهم عن الأراجيف ، ومانع عن التسويف ؛ فقد أشاعوا فى هذه الأيام أنّ أمير المؤمنين أكرمه الله صائر إلى قَرْماسين ، وموجّه الأفشين إلى الرّىّ . ولعمرى لئن فعل أيده الله ذلك ؛ إنه لممّا يسرّنا الله به ، ويؤنسنا بجواره ، ويبسط الأمل فيما[3] قد عوّدنا من فوائده وإفضاله ، ويكبت أعداءه وأعداءنا ؛ ولن يهمل أكرمه الله أمورَه ، ويرفض ثغوره ، والتصرف فى نواحى ملكه ؛ لأراجيف مُرجف بعماله ، وقول قائل فى خاصّته ؛ فإنه لا يسرّب أكرمه الله جنده إذا سرّب ، ولا يندب قواده إذا ندب ؛ إلا إلى المخالف . فاقرأ كتابنا هذا على منْ بحضْرتك من أهل الخراج ؛ ليبلّغ شاهدُهم غائبَهم ؛ وعنف عليهم فى استخراجه ، ومَنْ همّ بكسره . فليُبْد بذلك صفحته ؛ لينزل الله به ما أنزل بأمثاله ؛ فإنّ لهم أسوةً فى الوظائف وغيرها بأهل جرجان[4] والرّىّ وما والاهما ؛ فإنما خفف الخلفاء عنهم خراجهم ، ورُفعت الرفائع عنهم للحاجة التى كانت إليهم فى محاربة أهل

١٢٧١/٣

١٢٧٢/٣

---

(١) من ا .

(٢) ط : « والتعذير » ، وما أثبته من ا .

(٣) ط : « بما » .

(٤) ف : « من أهل » .

الجبال ومغازى[١] الديلم الضُّلّال ؛ وقد كفى الله أمير المؤمنين أعزّه الله ذلك كله ، وجعل أهل الجبال والديلم جنداً وأعواناً ، والله المحمود .

قال : فلما ورد كتاب المازيار على شاذان بن الفضل عامله على الخراج ، أخذ الناس بالخراج ، فجبي جميع الخراج فى شهريْن ، وكان يُجبَى فى اثنى عشر شهراً ، فى كلّ أربعة أشهر الثلث ؛ وإنّ رجلا يقال له علىّ بن يَزْداد العطار ؛ وهو ممن أخذ منه رهينة ، هرب وخرج من عمل المازيار ، فأخبر أبو صالح سرخاستان[٢] بذلك ؛ وكان خليفة المازيار على ساريَة ، فجمع وجوه أهل مدينة سارية ، وأقبل يوبّخهم ، ويقول : كيف يطمئنّ الملك إليكم ! أم كيف يثق بكم ! وهذا علىّ بن يزداد ممن قد حلف وبايع ، وأعطى الرهينة ثم نكث وخرج ، وترك رهينته ؛ فأنتم لا تفون بيمين ، ولا تكرهون الحُلْف والحِنْث ، فكيف يثق بكم الملك ، أم كيف يرجع لكم[٣] إلى ما تحبون ! فقال بعضهم : نقتُل الرهينة حتى لا يعود غيره إلى الهرب ، فقال لهم : أتفعلون ذلك ؟ قالوا : نعم ؛ فكتب إلى صاحب الرهائن ، فأمره أن يوجّه بالحسن بن علىّ بن يزداد وهو رهينة أبيه ؛ فلمّا صاروا به إلى سارية ندم الناس على ماقالوا لأبى صالح ، وجعلوا يرجعون على الذى أشار بقتله بالتعنيف . ثم جمعهم سرخاستان ، وقد أحضر الرّهينة ، فقال لهم : إنكم قد ضمنتم شيئاً ؛ وهذا الرهينة فاقتلوه ، فقال له عبد الكريم بن عبد الرحمن الكاتب : أصلحك الله ! إنك أجلت من خرج من هذا البلد شهرين ، وهذا الرهينة قِبَلك ؛ نسألك أن تؤجّله شهرين ، فإن رجع أبوه وإلا أمضيت فيه رأيك .

٣/١٢٧٣

قال : فغضب على القوم ، ودعا بصاحب حَرَسه — وكان يقال له رستم ابن بارويه — فأمره بصلب الغلام . وإن الغلام سأله أن يأذن له أن يصلّىَ ركعتين ، فأذن له ، فطوّل فى صلاته وهو يُرعَد ، وقد مُدّ له جذع ، فجذبوا الغلام من صلاته ، ومدّوه فوق الجِذْع ، وشَدّوا حلقه معه حتى اختنق ، وتوفّىَ فوقه ، وأمر سرخاستان أهل مدينة سارية أن يخرجوا إلى آمُل ، وتقدّم

(١) ط : « ولمغازى » . (٢) ا : « شرحاسيان » . (٣) ف : « إليكم ولكم » .

إلى أصحاب المسالح فى إحضار أهل الخنادق من الأبناء والعرب، فأحضروا ومضى مع أهل سارية إلى آمُل، وقال لهم: إنّى أريد أن أشهدكم على أهل آمُل، وأشهد أهل آمُل عليكم، وأردّ ضياعكم وأموالكم؛ فإن لزمتم الطاعة والمناصحة زدناكم من عندنا ضعف ما كنا أخذنا منكم. فلما وافوْا آمُل ٣/١٢٧٤ جمعهم بقصر الخليل بن ونداسنجان، وصيّر أهل سارية ناحيةً عن غيرهم ووكّل بهم اللوزجان، وكتب أسماء جميع أهل آمُل حتى لم يخف منهم أحدٌ عليه، ثم عرضهم بعد ذلك على الأسماء حتى اجتمعوا؛ ولم يتخلّفْ منهم أحد، وأحدق الرجال فى السلاح بهم، وصُفُّوا جميعاً، ووكّل بكلّ واحد منهم رجلين بالسلاح، وأمر الموكّل بهم أن يحمل رأس كلّ من كاع عن المشى، وساقهم مكتّفين حتى وافى بهم جبلا يقال له هُرْمُزْ داباذ، على ثمانية فراسخ من آمُل وثمانية فراسخ من مدينة سارية، وكبّلهم بالحديد، وحبسهم.

وبلغت عدّتهم عشرين ألفاً، وذلك فى سنة خمس وعشرين ومائتين فيما ذُكر عن محمد بن حفص.

* * *

فأما غيره من أهل الأخبار وجماعة ممّن أدرك ذلك فإنهم قالوا: كان ذلك فى سنة أربع وعشرين ومائتين؛ وهذا القول عندى أولى بالصواب، وذلك أن مقتل مازيار كان فى سنة خمس وعشرين ومائتين وكان فعله ما فعل بأهل طبرستان قبل ذلك بسنة.

* * *

رجع الحديث إلى الخبر عن قصة مازيار وفعله بأهل آمُل على ما ذكر عن محمد بن حفص. قال: وكتب إلى الدُّرّى ليفعل ذلك بوجوه العرب والأبناء ممن كان معه بمرْو، وكبّلهم بالحديد، وحبسهم، ووكّل بهم الرجال فى حبْسهم؛ فلمّا تمكن المازيار، واستوى له أمره وأمْر القوم، جمع أصحابه، ٣/١٢٧٥ وأمر سرخاستان بتخريب سُور مدينة آمُل؛ فخرّبه بالطبول والمزامير، ثم سار إلى مدينة سارية؛ ففعل بها مثل ذلك.

ثم وجّه مازيار أخاه فوهيار إلى مدينة طَميس — وهى على حدّ جرجان من عمل طبرستان — فخرّب سورها ومدينتها، وأباح أهلها، فهرب منهم مَنْ

هرب ، وبُلِى مَنْ بُلِىَ. ثم توجّه بعد ذلك إلى طميس سرخاستان، وانصرف عنها قُوهيار ، فلحق بأخيه المازيار ، فعمل سرخاستان سوراً من طَميس إلى البحر ، ومدّه فى البحر مقدار ثلاثة أميال . وكانت الأكاسرة بنَتْه بينها وبين الترك ؛ لأن الترك كانت تُغير على أهل طبرستان فى أيامها ، ونزل معسكراً بطميس سرخاستان وصيّر حولها خندقاً وثيقاً وأبراجاً للحرس، وصيّر عليها باباً وثيقاً ؛ ووكّل به الرجال الثقات ؛ ففزع أهل جرجان، وخافوا على أموالهم ومدينتهم ؛ فهرب منها نفر إلى نيسابور ، وانتهى الخبر إلى عبد الله بن طاهر وإلى المعتصم ؛ فوجّه إليه عبد الله بن طاهر عمّه الحسن بن الحسين بن مُصعب ، وضمّ إليه جيشاً كثيفاً يحفظ جُرجان ، وأمره أن يعسكر على الخندق ؛ فنزل الحسن بن الحسين معسكراً على الخندق الذى عمله سرخستان ، وصار بين العسكريْن عرض الخندق ، ووجّه أيضاً عبدالله بن طاهر حيّان بن جبلة فى أربعة آلاف إلى قُومِس معسكراً على حدّ جبال شروين ، ووجّه المعتصم من قِبَله محمد بن إبراهيم بن مصعب أخا إسحاق بن إبراهيم فى جمع كثيف ، وضمّ إليه الحسن بن قارن الطبرىّ القائد ومَنْ كان بالباب من الطبريّة ، ووجّه منصور بن الحسن هار صاحب دُنْباوند إلى مدينة الرّىّ ليدخل طبرستان من ناحية الرّىّ ، ووجّه أبا الساج إلى اللارز ودنباوند ؛ فلما أحدقت الخيل بالمازيار من كلّ جانب بعث عند ذلك إبراهيم بن مهران صاحب شُرطته وعلىّ بن ربّن الكاتب النصرانىّ ، ومعهما خليفة صاحب الحرس إلى أهل المدن المحتبسين عنده ، أنّ الخيل قد زَحفت إلىّ من كل جانب ؛ وإنما حبستكم ليبعث إلىّ هذا الرجل فيكم — يعنى المعتصم — فلم يفعل ؛ وقد بلغنى أن الحجّاج ابن يوسف غضب على صاحب السند فى امرأة أسرت من المسلمين ، وأدخلت إلى بلاد السنْد حتى غزا السند ، وأنفق بيوت الأموال حتى استنقذ المرأة وردّها إلى مدينتها ؛ وهذا الرجل لا يكترث بعشرين ألفاً ، ولا يبعث إلىّ يسأل فيكم ؛ وإنى لا أقدم على حربه ؛ وأنتم ورائى ، فأدّوا إلىّ خراج سنتين ، وأخلّى سبيلكم ؛ ومن كان منكم شابّاً قويّاً قدمته للقتال ؛ فمن وفّى لى منكم رددت عليه مالَه ، ومَنْ لم يفِ أكون قد أخذت ديته ، ومن كان شيخاً أو ضعيفاً صيّرتُه من الحفظة والبوّابين .

٣/١٢٧٦

٣/١٢٧٧

فقال رجل يقال له موسى بن هرمز الزاهد — كان يقال إنه لم يشرب الماء منذ عشرين سنة — أنا أؤدى إليك خراج سنتين ، وأقوم به ، فقال خليفة صاحب الحرس لأحمد بن الصُّقَيْر : لِمَ لا تتكلم ، وقد كنتَ أحظى القوم عند الأصبهبذ ؛ وقد كنت أراك تتغدّى معه ، وتتكئ على وسادته ! وهذا شيء لم يفعله الملك بأحد غيرك ؛ فأنت أولى بالقيام بهذا الأمر من موسى ، قال أحمد : إنّ موسى لا يقدر على القيام بجباية درهم واحد ؛ وإنما أجابكم بجهل وبما هو عليه وعلى الناس أجمع ؛ ولو علم صاحبكم أنّ عندنا درهماً واحداً لم يحبسنا ؛ وإنما حبسنا بعد ما استنظف كلّ ما عندنا من الأموال والذخائر ؛ فإن أراد الضياع بهذا المال أعطيناه . فقال له علىّ بن ربَّن الكاتب : الضياع للملك لا لكم ، فقال له إبراهيم بن مهران : أسألك بالله يا أبا محمد ، لمّا سكتَّ عن هذا الكلام! فقال له أحمد : لم أزل ساكتاً حتى كلّمنى هذا بما قد سمعت.

ثم انصرفت الرسل على ضمان موسى الزاهد ، وأعلموا المازيار ضمانه ، وانضمّ إلى موسى الزاهد قومٌ من السعاة ، فقالوا : فلان يحتمل عشرة آلاف ، وفلان يحتمل عشرين ألفاً وأقلّ وأكثر ، وجعلوا يستأكلون الناسَ أهل الخراج وغيرهم ؛ فلما مضى لذلك أيام ، ردّ مازيار الرُّسل مقتضياً المال ، ومتنجّزاً ما كان من ضمان موسى الزاهد ؛ فلم يرَ لذلك أثراً[1] ولا تحقيقاً ، وتحقق قول أحمد ، وألزمه الذّنْب. وعلم المازيار[2] أن ليس عند القوم ما يؤدّون ؛ وإنما أراد أن يلقى الشرّ بين أصحاب الخراج ؛ ومن لا خراج عليه من التجار والصناع . ١٢٧٨/٣

قال : ثمّ إن سرخاستان كان معه ممّن اختار من أبناء القوّاد وغيرهم من أهل آمُل فتيانٌ لهم جلَد وشجاعة ، فجمع منهم فى داره مائتين وستين فتًى ممّن يخاف ناحيته ، وأظهر أنه يريد جمعهم للمناظرة ، وبعث إلى الأكرة المختارين من الدّهاقين ، فقال لهم : إنّ الأبناء هواهم مع العرب والمسوّدة ؛ ولست آمَنُ غدرَهم ومكرهم ؛ وقد جمعت أهل الظِّنّة ممن أخاف ناحيتَه ، فاقتلوهم لتأمنوا ، ولا يكون فى عسكركم ممن يخالف هواه هواكم . ثم أمر بكتفهم

---

(١) كذا فى ا ، س .　　(٢) ف : «وأعلم المازيار» .

ودفَعهم إلى الأكرة ليلا ، فدفعوهم إليهم ، وصاروا بهم إلى قَناة هناك ، فقتلوهم ورَموا بهم فى آبار تلك القناة وانصرفوا . فلما ثاب إلى الأَكَرة عقولُهم ندِموا على فعلهم ، وفزِعوا من ذلك ؛ فلما علم المازيار أنّ القوم ليس عندهم ما يؤدّونه إليه ، بعث إلى الأكرة المختارين الذين قتلوا المائتين والستين فتًى ، فقال لهم : إنى قد أبحتُكم منازل أرباب الضياع وحُرمهم — إلا ما كان من جارية جميلة من بناتهم ؛ فإنها تصير للملك — وقال لهم : صيروا إلى الحبس فاقتلوا أرباب الضّياع جميعهم قبل ذلك ، ثم حُوزوا بعد ذلك ، ما وهبتُ لكم من المنازل والحُرَم ، فجبُن القوم عن ذلك وخافوا وحذروا فلم يفعلوا ما أمرهم به . ٣/١٢٧٩

قال : وكان الموكّلون بالسّور من أصحاب سرخاستان يتحدثون ليلا مع حرَس الحسن بن الحسين بن مصعب ، وبينهم عُرْض الخندق ؛ حتى استأنس بعضُهم ببعض ، وتآمروا وحرس سرخاستان بتسليم السور إليهم ، فسلّموه ، ودخل أصحابُ الحسن بن الحسين من ذلك الموضع إلى عسكر سرخاستان فى غَفلة من الحسن بن الحسين ومن سرخاستان ؛ فنظر أصحابُ الحسن إلى قوم يدخلون من الحائط ، فدخلوا معهم ؛ فنظر الناس بعضهم إلى بعض ، فثاروا. وبلغ الحسن بن الحسين بن مصعب ، فجعل يصيح بالقوم ويمنعهم ، ويقول : يا قوم ؛ إنى أخاف عليكم أن تكونوا مثلَ قوم داونْدَان ، ومضى أصحاب قيس بن زنجويه — وهو من أصحاب الحسن بن الحسين — حتى نصبوا العلَم على السور فى معسكر سرخاستان ، وانتهى الخبر إلى سرخاستان أنّ العرب قد كسروا السور ، ودخلوا بغتةً ، فلم تكن له همة إلا الهرب ؛ وكان سرخاستان فى الحمّام ، فسمع الصّياح ، فخرج هاربًا فى غلالة . وقال الحسن بن الحسين حين لم يقدر على رد أصحابه : اللهمّ إنهم قد عصوْنى وأطاعوك ؛ اللهمّ فاحفظهم[1] وانصرهم ، ولم يزل أصحاب الحسن يتبعون القوم حتى صاروا إلى الدّرْب الذى على السور فكسروه ، ودخل الناس[2] من غير مانع حتى استولوا على جميع ما فى العسكر ، ومضى قوم فى الطلب . ٣/١٢٨٠

وذُكر عن زرارة بن يوسف السجزىّ أنه قال : مررتُ فى الطلب ؛ فبينا

(١) س : « فحطهم » . (٢) ف : « ودخلوا » .

أنا كذلك ؛ إذ صرت إلى موضع عن يَسْرة الطريق ، فوجلت من الممرّ فيه ، ثم تقحّمتُه بالرمح من غير أن أرى[١] أحداً ، وصحتُ : من أنت ؟ ويلك ! فإذا شيخ جَسيم قد[٢] صاح «زينهار» — يعنى الأمان — قال : فحملت عليه ، فأخذته ، وشددت كتافه ، فإذا هو شهريار أخو أبى صالح سرخاستان ، صاحب العسكر ؛ قال : فدفعته إلى قائدى يعقوب بن منصور ، وحال الليلُ بيننا وبين الطلب ؛ فرجع الناس إلى المعسكر ، وأُتِيَ بشهريار إلى الحسن بن الحسين فضرب عنقه . وأما أبو صالح فمضى حتى صار على خمسة فراسخ من معسكره ؛ وكان عليلا ؛ فجهده[٣] العطش والفزع ، فنزل فى غَيْضة يمنةَ الطريق إلى سفح جبل ، وشدّ دابته واستلقى ، فبصُر به غلام له ورجل من أصحابه يقال له جعفر بن وَنْدَاميد؛ فنظر إليه نائمًا ، فقال سرخاستان : يا جعفر ؛ شربة ماء ، فقد جهدنى العطش ؛ قال : فقلت : ليس معى إناء أغرف به من هذا الموضع ؛ فقال سرخاستان : خذ رأس جُعبتى فاسقنى به ؛ قال جعفر : وملتُ إلى عِداد من أصحابى ، فقلت لهم : هذا الشيطان قد أهلكنا فلمَ لا نتقرّب[٤] به إلى السلطان ؛ ونأخذ لأنفسنا الأمان ! فقالوا لجعفر : كيف لنا به ؟ قال : فوقفهم عليه ، وقال لهم : أعينونى ساعة ، وأنا أثاوره ، فأخذ جعفر خشبة عظيمة وسرخاستان مستلقٍ ، فألقى نفسه عليه ، وملَكوه وشدُّوه كتافًا مع الخشبة ، فقال لهم أبو صالح : خذوا منى مائة ألف درهم واتركونى ؛ فإنّ العرب لا تعطيكم شيئًا ، قالوا له : أحضرها ، قال : هاتوا ميزانًا ، قالوا : ومن أين ها هنا ميزان ؟ قال : فمن أين ها هنا ما أعطيكم ! ولكن صيرُوا معى إلى المنزل ، وأنا أعطيكم العهود والمواثيق أنّى أفى لكم بذلك ، وأوفر عليكم ، فصاروا به إلى الحسن بن الحسين ، فاستقبلتهم خيل للحسن بن الحسين ، فضربوا رءوسهم ، وأخذوا سرخاستان منهم ، فهمّتهم أنفُسهم ، ومضى أصحاب الحسن بأبى صالح إلى الحسن ؛ فلما وقفوه بين يديه ، دعا الحسن قوّاد طبرستان ؛ مثل محمد بن المغيرة بن شعبة الأزدىّ وعبد الله بن محمد القُطقُطىّ الضبىّ والفتح بن قراط وغيرهم ؛ فسألهم : هذا سرخاستان ؟ قالوا : نعم ، فقال لمحمد

٣/١٢٨١

(١) س : « أرمى » .
(٢) ف : « وقد صاح » .
(٣) ف : « فأجهده » .
(٤) ف : « ألا نتقرب » .

ابن المغيرة ؛ قم فاقتله بابنك وأخيك ، فقام إليه فضربه بالسيف ، وأخذته السيوف فقتل .

* * *

١٢٨٢/٣

ذكر خبر أبى شاس الشاعر

وكان أبوشاس الشاعر ، وهو الغطْريف بن حُصين بن حَنْش فتًى من أهل العراق ، رُبِّىَ بخراسان ، أديبًا فَهِمًا ، وكان سرخاستان ألزمه نفسه يتعلم منه أخلاق العرب ومذاهبها ، فلما نزل بسرخاستان ما نزل به ، وأبو شاس فى معسكره ، ومعه دوابّ وأثقال ، هجم عليه قوم البُخاريّة ؛ من أصحاب الحسن ؛ فانتهبوا جميع ما كان معه ، وأصابته جراحات ، فبادر أبو شاس فأخذ جرّة كانت معه ، فوضعها على عاتقه ، وأخذ بيده قدحًا ، وصاح : الماء للسبيل ؛ حتى أصاب غفلة من القوم ، فهرب من مضربه ، وقد أصابتْه جراحة ، فبصر به غلام — وقد كان مرّ بمضرب عبد الله بن محمد بن حميد القُطْقُطِىّ الطبرىّ ؛ وكان كاتب الحسن بن الحسين — فعرفوه ، عَرَفَهُ خدمه ، وعلى عاتقه الجرّة وهو يسقى الماء ، فأدخلوه خيمتهم ، وأخبروا صاحبهم بمكانه ، فأدخل عليه ، فحمله وكساه ، وأكرمه غاية الإكرام ، ووصفه للحسن بن الحسين ، وقال له : قل فى الأمير قصيدة ، فقال أبو شاس : والله لقد امّحى ما فى صدرى من كتاب الله من الهول ، فكيف أحسن الشعر ! ووجّه الحسن برأس أبى صالح سرخاستان إلى عبد الله بن طاهر ، ولم يزُل من معسكره .

* * *

وذكر عن محمد بن حفص أن حيّان بن جَبَلة مولى عبد الله بن طاهر ، كان أقبل مع الحسن بن الحسين إلى ناحية طميس ؛ فكاتب قارن بن شهريار ، ورغّبه فى الطاعة ، وضمن له أن يملّكه على جبال أبيه وجدّه ، وكان قارن من قوّاد مازيار وهو ابن أخيه . وكان مازيار صيّره مع أخيه عبد الله بن قارن ، وضمّ إليهما عدّة من ثقات قوّاده وقراباته ؛ فلما استماله حيّان ؛ وكان قارن قد ضمن له أن يسلم له الجبال ، ومدينة سارية إلى حدّ جُرجان ، على أن يملّكه على جبال أبيه وجدّه إذا وفى له بالضّمان ، وكتب بذلك حيان إلى عبد الله بن طاهر ، سجّل له عبد الله بن طاهر بكلّ ما سأل ، وكتب إلى حيان بأن

١٢٨٣/٣

يتوقّف ولا يدخل الجبل ولا يُوغِل حتى يكون من قارن ما يُستدلّ به على الوفاء؛ لئلا يكون منه مكر ؛ فكتب حيّان إلى قارن بذلك، فدعا قارن بعبدالله[1] ابن قارن وهو أخو مازيار ، ودعا جميع قوّاده إلى طعامه ؛ فلمّا أكلوا ووضعوا سلاحهم واطمأنّوا أحدق بهم أصحابه فى السلاح الشاكّ، وكتّفهم ووجّه بهم إلى حيّان بن جَبَلة ، فلما صاروا إليه استوثق منهم ، وركب حيّان فى جمعه حتّى دخل جبال قارن .

وبلغ مازيار الخبر فاغتمّ لذلك ، وقال له القوهيار أخوه : فى حبسك عشرون ألفًا من المسلمين ؛ من بين إسكاف وخياط ؛ وقد شغلتَ نفسك بهم؛ وإنما أتيت من مأمنك وأهل بيتك وقرابتك[2] ؛ فما تصنع بهؤلاء المحبّسين[3] عندك؟ قال : فأمر مازيار بتخلية جميع مَنْ فى حبسه ، ثم دعا إبراهيم بن مهران صاحب شرطته[4] ، وعلىّ بن ربّن النصرانىّ كاتبه ، وشاذان بن الفضل صاحب خراجه ، ويحيى بن الروذ بهار جهبذه ؛ وكان من أهل السّهْل عنده ، فقال لهم : إن حرمكم ومنازلكم وضياعكم بالسّهل ، وقد دخلت العرب إليكم[5]، وأكره أن أشُومكم ؛ فاذهبوا إلى منازلكم ، وخذوا لأنفسكم الأمان . ثم وصلهم[6] ، وأذن لهم فى الانصراف ، فصاروا إلى منازلهم وأخذوا الأمان لأنفسهم[7] .

٣/١٢٨٤

ولما بلغ أهل مدينة سارية أخذ سرخاستان واستباحة عسكره ودخول حيان ابن جبلة جبل شروين ، وثبوا على عامل مازيار بسارية — وكان يقال له مَهْريستانى بن شهريز — فهرب منهم ، ونَجا بنفسه ، وفتح الناس باب السجن، وأخرجوا مَنْ فيه ، ووافَى حيّان بعد ذلك مدينة سارية . وبلغ قوهيار أخا مازيار موافاة حيان سارية ، فأطلق محمد بن موسى بن حفص الذى كان عامل طبرستان من حبسه ، وحمله على بغل بسرج ، ووجّه به[8] إلى حيّان ليأخذ له الأمان ، ويجعل له جبال أبيه وجدّه على أن يسلّم إليه مازيار ، ويوثق

---

(١) س : « لعبد ».
(٢) ا ، ف : « وقراباتك » .
(٣) ف : « المحتبسين » .
(٤) ا ، س : « شرطه » .
(٥) س : « إليه » .
(٦) ف : « ثم دعاهم ووصلهم » .
(٧) ف : « لأنفسهم الأمان » .
(٨) ا : « ووجهه » .

له بذلك بضمان محمد بن موسى بن حفص وأحمد بن الصُّقَيْر ؛ فلما صار محمد بن موسى إلى حيّان، وأخبره برسالة قوهيار إليه، قال له حيّان: من هذا؟ يعنى أحمد، قال: شيخ البلاد، وبقية[1] الخلفاء والأمير عبد الله بن طاهر به عارف، فبعث حيّان إلى أحمد، فأتاه فأمره بالخروج إلى مسلحة خُرَّماباذ مع محمد بن موسى. وكان لأحمد ابن يقال له إسحاق، وكان قد هرب من مازيار؛ يأوى نهاره الغياض، ويصيرُ بالليل إلى ضيعة يقال لها ساواشريان؛ وهى على طريق الجادّة من قدح الأصبهبذ الذى فيه قصر مازيار. ٣/١٢٨٥

فذكر عن إسحاق، أنه قال: كنتُ فى هذه الضَّيْعة، فمرّ بى عدّة من أصحاب مازيار؛ معهم دوابّ تقاد وغير ذلك؛ قال: فوثبت على فرس منها هجين ضَخْم، فركبته عُرياً؛ وصرت إلى مدينة سارية، فدفعته إلى أبى، فلمّا أراد أحمد الخروج إلى خُرَّماباذ ركب ذلك الفرس، فنظر إليه حيّان، فأعجبه، فالتفت حيّان إلى اللّوزجان — وكان من أصحاب قارن — فقال له[2]: رأيت هذا الشيخ على فرس نبيل قلّ ما رأيت مثله، فقال له اللّوزجان: هذا الفرس كان لمازيار، فبعث حيّان إلى أحمد يسأله البعثة بالفرس[3] إليه؛ لينظر إليه؛ فبعث به إليه، فلما تأمّل النظر وفتّشه[4] وجده مشطّب اليدين، فزهد فيه، ودفعه إلى اللّوزَجان، وقال لرسول أحمد: هذا لمازيار، ومال مازيار لأمير المؤمنين؛ فرجع الرسول فأخبر أحمد، فغضب على اللّوزجان من ذلك؛ فبعث إليه أحمد بالشّتيمة، فقال اللّوْزجان: ما لى فى هذا ذنب! وردّ الفرس إلى أحمد، ومعه برذون وشِهرىّ [فاره][5]، فأمر رسولَه فدفعهما إليه. وغضب أحمد من فعل حيان به، وقال: هذا الحائك يبعث إلى شيخ مثلى فيفعل به ما فعل! ثم كتب إلى قوهيار: ويحك! لِمَ تغلط فى أمرك وتترك مثل الحسن بن الحسين عمّ الأمير عبد الله بن طاهر، وتدخل فى أمان هذا العبد الحائك، وتدفع أخاك، وتضع قدرك، وتحقد عليك الحسن بن الحسين ٣/١٢٨٦

(١) كذا فى ا، وفى ط، ف: «يعرفه». (٢) ف: «قال».
(٣) ف: «ليسأله الفرس والبعث به». (٤) ق: «وقلبه».
(٥) الشهرى: ضرب من البرازين والتكملة من ا.

بتركك إياه وميلك[1] إلى عبد من عبيده ! فكتب إليه قوهيار : قد غلطتُ فى أوّل الأمر ؛ وواعدت الرجل أن أصير إليه بعد غد ؛ ولا آمن إن خالفته[2] أن يناهضَنى ويحاربنى ؛ ويستبيح منازلى[3] وأموالى ؛ وإن قاتلتُه فقتلتُ من أصحابه ، وجرت الدماءُ بيننا وقعت الشحناء ؛ ويبطل هذا الأمر الذى التمسته . فكتب إليه أحمد : إذا كان يوم الميعاد فابعث إليه رجلا من أهل بيتك ، واكتب إليه أنه قد عرضتْ لك علّة منعتْك من الحركة ، وأنك تتعالج ثلاثة أيام ؛ فإن عُوفيتَ وإلاّ صرتَ إليه فى محمل ، وسنحمله نحن على قبول ذلك منك ، والمصير فى الوقت .

وإنّ أحمد بن الصُّقَيْر ومحمد بن موسى بن حفص كتبا إلى الحسن بن الحسين وهو فى معسكره بطميس ينتظر أمر عبد الله بن طاهر وجواب كتابه بقتل سرخاستان وفتح طميس ، فكتبا إليه أن اركب إلينا لندفع إليك مازيار والجبل[4] ؛ وإلا فاتك ، فلا تَقم . ووجّها الكتاب مع شاذان بن الفضل الكاتب ، وأمراه أن يعجل السير .

٣/١٢٨٧

فلمّا وصل الكتاب إلى الحسن ركب من ساعته ، وسار مسيرة ثلاثة أيام فى ليلة ؛ حتى انتهى إلى سارية ، فلمّا أصبح سار إلى خُرّما باذ — وهو يوم موعد قُوهيار — وسمع حيان وقْعَ طبول الحسن ، فركب فتلقّاه على رأس فرسخ ، فقال له الحسن : ما تصنع ها هنا ! ولِمَ توجّه إلى هذا الموضع ، وقد فتحت جبال شروين وتركتها ، وصرت إلى ها هنا ! فما يؤمنك أن يبدو للقوم ، فيغدروا بك ، فينتقض عليك جميع ما عملت . ارجع إلى الجبل ، فصيّر مسالحك فى النواحى والأطراف ، وأشرفْ على القوم إشرافًا لا يمكنهم الغدر ؛ إن همّوا به . فقال له حيّان : أنا على الرجوع ، وأريد أن أحمل أثقالى ، وأتقدّم إلى رجالى بالرحْلة ، فقال له الحسن : امض أنت ؛ فأنا باعث بأثقالك ورجالك خلْفك ، وبِت الليلةَ بمدينة سارية حتى يوافوك ، ثم تبكّر من غدٍ ؛ فخرج حيّان من فوره كما أمره الحسن إلى سارية ، ثم ورد عليه كتاب عبد الله بن طاهر أن

---

(١) ا ، وابن الأثير : « وبميلك » . (٢) س : « إن خالفت » .
(٣) ف : « منزلى » . (٤) س : « والخيل » .

يعسكر بلَبورة — وهى من جبال وَنْدَا هُرْمز ، وهى أحصن موضع من جباله ، وكان أكثر مال مازيار بها — وأمره عبد الله ألاّ يمنع قارن مِمّا يريد من تلك الجبال والأموال . فاحتمل قارن ما كان لمازيار هنالك من المال ؛ والذى كان بأسباندَرَة من ذخائر مازيار ، وما كان لسرخاستان بقدح السلتان ، واحتوى على ذلك كلّه . ١٢٨٨/٣

فانتقض على حيّان جميع ما كان سنح له بسبب ذلك الفرس ، وتوفّىَ بعد ذلك حيّان بن جبلة . فوجّه عبدالله مكانه على أصحابه محمد الحسين بن مصعب ، وتقدّم إليه عبد الله ألاّ يضرب على يدى قارن فى شىء يريده ، وصار الحسن ابن الحسين إلى خُرّماباذ ، فأتاه محمد بن موسى بن حفص وأحمد بن الصُّقَير ، فتناظروا سرًّا ، فجزاهما خيراً ؛ وكتب هو إلى قوهيار ، فوافى خُرّمابا ذ ، وصار إلى الحسن ، فبرّه وأكرمه وأجابه إلى كلّ ما سأل ، واتّعدا على يوم ؛ ثم صرفه وصار قُوهِيار إلى مازيار ، فأعلمه أنه قد أخذ له الأمان ، واستوثق له . وكان الحسين بن قارن قد كاتب قوهيار من ناحية محمد بن إبراهيم بن مصعب ، وضمن له الرغائب عن[1] أمير المؤمنين ، فأجابه قوهِيار ، وضمِن له ما ضمن لغيره ؛ كلُّ ذلك ليردّهم عن الحرب ومال إليه . فركب محمد بن إبراهيم من مدينة آمُل ، وبلغ الحسن بن الحسين الخبر .

فذكر عن إبراهيم بن مِهْران أنه كان يتحدّث عند أبى السعدىّ[2] ، فلمّا قرب وكان طريقه على باب مضرب الحسن . قال : فلما حاذيتُ مضربه ؛ إذا بالحسن الزوال انصرف يريد منزله . راكب وحدَه ، لم يتبعه إلا ثلاثة غلمان له أتراك ، قال : فرميت بنفسى ، وسلّمت عليه ، فقال : اركب ؛ فلمّا ركبت قال : أين طريق آرُم ؟ قلت : هى على هذا الوادى ، فقال لى : امض أمامى ، قال : فمضيتُ حتى بلغت درباً على ميلين من آرُم ، قال : ففزِعت ، وقلت : أصلح الله الأمير ! هذا موضع مَهُول ، ولا يسلكه[3] إلاّ ألف[4] فارس ؛ فأرى لك أن تنصرف ١٢٨٩/٣

(١) ا ، ف : « على أمير المؤمنين » .
(٢) ا : « الصغدى » .
(٣) س : « ولا يدخله » .
(٤) س : « ألف » .

ولا تدخله[١] . قال : فصاح بى : امض ، فمضيت وأنا طائش العقل ؛ ولم نَرَ فى طريقنا أحداً حتى وافينا آرم ؛ فقال لى : أين طريق هُرْمزداباذ ؟ قلت : على هذا الجبل فى هذا الشِّراك ، قال : فقال لى : سرْ إليها ، فقلت : أعز الله الأمير ! الله الله فى نفسك وفينا وفى هذا الخلق الذى معك ! قال : فصاح بى : امض يابنَ اللخناء ، قال : فقلت له : أعزّك الله ! اضرب أنت عنقى ؛ فإنه أحبُّ إلىّ من أن يقتلنى مازيار ، ويلزمنى الأمير عبد الله بن طاهر الذنب.

قال : فانتهرنى حتّى ظننت أنه سيبطش بى ، ومضيت وأنا خليع الفؤاد ، وقلت فى نفسى : الساعة نؤخذ جميعاً[٢] ، أو نوقَف بين يدى مازيار فيوبّخنى ، ويقول : جئت دليلا علىّ ! فبينا نحن كذلك إذْ وافينا هرمزداباذ مع اصفرار الشمس ، فقال لى : أين كان سجن المسلمين هاهنا ؟ فقلت له : فى هذا الموضع .

قال : فنزل فجلس ونحن صيام ، والخيل تلحقنا متقطعة ؛ وذلك أنه ركب من غير علم الناس ، فعلموا بعد ما مضى ؛ فدعا الحسن بيعقوب بن منصور ، فقال له : يا أبا طلحة ، أحبّ أن تصير إلى الطالقانيّة ، فتلطّف بحيَلك لجيش أبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن مصعب هنالك ساعتين أو ثلاث ساعات أو أكثر ؛ ما أمكنك. وكان بينه وبين الطالقانيّة فرْسخان أو ثلاثة فراسخ ؛ قال إبراهيم : فبينا نحن وقوف بين يدى الحسن ؛ إذ دعا بقيس بن زَنجويه ، فقال له : امض إلى درب لَبورة ؛ وهو على أقلّ من فرسخ ؛ فابرز بأصحابك على الدَّرب . ٣/١٢٩٠

قال : فلما صلّينا المغرب وأقبل الليل ؛ إذا أنا بفرسان بين أيديهم الشّمع مشتعلاً مقبلين من طريق لَبُورة ، فقال لى : يا إبراهيم ؛ أين طريق لبورة ؟ فقلت : أرى نيراناً وفرساناً قد أقبلوا من ذلك الطريق ، قال : وأنا داهش لا أقف على ما نحن فيه ، حتّى قربت النيران منا ؛ فأنظر فإذا المازيار مع القوهيار ؛ فلم

---

(١) ا ، س : « ولا تسلكه » . (٢) ف : « كلنا » .

أشعر حتى نزلا، وتقدم المازيار، فسلم على الحسن بالإمْرة، فلم يردّ عليه، وقال لطاهر بن إبراهيم وأوس البلخى: خذاه إليكما.

وذكر عن أخى وميدوار بن خواست جيلان، أنه فى تلك الليلة صار مع نفر إلى قوهيار، وقال له: اتق الله، قد خلفت سَرواتنا؛ فأذن لى أكتُف هؤلاء العرب كلّهم؛ فإن الجند حيارى جياع، وليس لهم طريق يهربون، فتذهب بشرفها ما بقى الدهر، ولا تثق بما يعطيك العرب؛ فليس لهم وفاء! فقال قوهيار: لا تفعلوا؛ وإذا قوهيار قد عبّى علينا العرب، ودفع مازيار وأهل بيته إلى الحسن لينفرد بالملك؛ ولا يكون أحد ينازعه ويضادّه. /١٢٩١

فلما كان فى السحر، وجّه الحسن بالمازيار مع طاهر بن إبراهيم وأوْس البلخىّ إلى خرّماباذ، وأمرهما أن يمرَّا به إلى مدينة سارية؛ وركب الحسن، وأخذ على وادى بابلك إلى الكانية مستقبلا[1] محمد بن إبراهيم بن مُصعب، فالتقيا ومحمد يريد المصير إلى هرمزداباذ لأخذ المازيار، فقال له الحسن: يا أبا عبدالله، أين تريد؟ قال: أريدُ المازيار، فقال: هو بسارية؛ وقد صار إلىّ، ووجّهت به إلى هنالك؛ فبقىَ محمد بن إبراهيم متحيراً. وكان القوهيار قد همّ بالغدر بالحسن، ودفع المازيار إلى محمد بن إبراهيم، فسبق الحسن إلى ذلك، وتخوّف القوهيار منه أن يحاربه حين رآه متوسّطًا الجبل، إنّ أحمد بن الصُّقير كتب إلى القوهيار: لا أرى لك التخليط والمناصبة لعبد الله بن طاهر؛ وقد كُتب إليه بخبرك وضمانك فلا تكن ذا قلبيْن؛ فعند ذلك حذّره ودفعه إلى الحسن، وصار محمد بن إبراهيم والحسن بن الحسين إلى هرمزداباذ؛ فأحرقا قصر المازيار بها، وأنهبا ماله، ثم صارا إلى معسكر الحسن بخرّماباذ، ووجّها إلى إخوة المازيار، فحبسوا هناك فى داره[2]، ووكّلَ بهم. ثم رحل الحسن إلى مدينة سارية؛ فأقام بها، وحبس المازيار بقرب خيمة الحسن، وبعث الحسن إلى محمد بن موسى بن حفص يسأله عن القَيْد الذى كان قيّده به المازيار؛ فبعث به محمد إليه؛ فقيّد المازيار بذلك القَيْد، ووافى محمد بن إبراهيم الحسن بمدينة سارية ليناظره فى مال المازيار وأهل بيته، فكتبا بذلك /١٢٩٢

(١) ط: «مستقبل».
(٢) س: «فى دار».

إلى عبد الله بن طاهر ، وانتظرا أمره ؛ فورد كتاب عبد الله إلى الحسن بتسليم المازيار وإخوته وأهل بيته إلى محمد بن إبراهيم ؛ ليحملَهم[1] إلى أمير المؤمنين المعتصم ؛ ولم يعرض عبد الله لأموالهم ، وأمره أن يستصفى جميع ما للمازيار ويحرزه ؛ فبعث الحسن إلى المازيار فأحضره ، وسأله عن أمواله[2] فذكر أنّ ماله عند قوم سمّاهم ، من وجوه أهل سارية وصلحائهم عشرة نفر ، وأحضر القوهيار ، وكتب عليه كتاباً ، وضمنه توفير هذه الأموال التى ذكرها المازيار ؛ أنها عند خزانه وأصحاب كنوزه ؛ فضمن القوهيار ذلك وأشهد على نفسه .

ثم إنّ الحسن أمر الشهود الذين أحضرهم أن يصيروا إلى المازيار ؛ فيشهدوا عليه ؛ فذُكر عن بعضهم ، أنه قال : لما دخلنا على المازيار ، تخوّفت من أحمد بن الصُّقير أن يفزعه بالكلام ، فقلت له : أحبّ أن تمسك عنه ، ولا تذكر ما كنت أشرتَ به ؛ فسكت أحمد عند ذلك ، فقال المازيار : اشهدوا أنّ جميع ما حملتُ من أموالى وصحبنى ستة وتسعون ألف دينار ، وسبع عشرة قطعة زمرد ، وستّ عشرة قطعة ياقوت أحمر ، وثمانية أوقار سلال مجلدة ، فيها ألوان الثياب ، وتاج وسيف من ذهب وجوهر ، وخنجر من ذهب مكلّل بالجوهر ، وحُقّ كبير مملوء جوهراً ؛ وقد وضعه بين أيدينا ، وقد سلمت ذلك إلى محمد بن الصباح ، وهو خازن عبد الله بن طاهر وصاحب خبره على العسكر وإلى القوهيار . قال : فخرجنا إلى الحسن بن الحسين ، فقال : أشهدتم على الرّجل ؟ قال : قلنا : نعم ، قال : هذا شىء كنت اخترته لى ، فأحببت أن يعلم قِلّته وهَوَانه عندى .

١٢٩٣/٣

وذكر عن علىّ بن ربَّن النصرانىّ الكاتب أن ذلك الحُقّ كان شرى جوهره على المازيار وجدّه وشَهْريار ثمانية عشر ألف ألف درهم ، وكان المازيار حمل ذلك كله إلى الحسن بن الحسين ؛ على أن يظهر أنه خرج إليه فى الأمان ، وأنه قد آمنه على نفسه وماله وولده ؛ وجعل له جبال أبيه ؛ فامتنع الحسن بن

---

(١) ف : « فحملهم » .

(٢) ف : « ماله » .

الحسين من هذا وعفّ عنه – وكان أعفَّ الناس عن أخذ درهم أو دينار – فلما أصبح أنفذ المازيار مع طاهر بن إبراهيم وعلىّ بن إبراهيم الحربىّ ، وورد كتاب عبد الله بن طاهر فى إنفاذه مع يعقوب بن منصور ، وقد ساروا بالمازيار ثلاث مراحل ؛ فبعث الحسن فردّه ، وأنفذه[1] مع يعقوب بن منصور . ثم أمر الحسن بن الحسين القُوهيار أخا المازيار أن يحمل الأموال التى ضمنها ، ودفع إليه بغالا من العسكر ، وأمر بإنفاذ جيش معه ؛ فامتنع القوهيار، وقال : لا حاجة لى بهم ؛ وخرج بالبغال[2] هو وغلمانه ؛ فلما ورد الجبل وفتح الخزائن، وأخرج الأموال وعبّاها ليحملها، وثب عليه مماليك المازيار من الديالمة – وكانوا ألفًا ومائتين[3] – فقالوا له : غدرتَ بصاحبنا ، وأسلمته إلى العرب ، وجئتَ لتحمل أمواله! فأخذوه وكبّلوه بالحديد ؛ فلما جنّه الليل قتلوه ؛ وانتهبوا تلك الأموال والبغال ؛ فانتهى الخبر إلى الحسن ، فوجّه جيشاً إلى الذين قتلوا القوهيار ، ووجّه قارن جيشًا من قِبَله فى أخذهم ؛ فأخذ منهم صاحب قارن عدّة، منهم ابن عمّ للمازيار، يقال له شهريار بن المَصْمُغان – وكان رأس العبيد ومحرّضهم – فوجّه به قارن إلى عبد الله بن طاهر ، فلما صار بقومس مات ، وكان جماعة أولئك الديالمة أخذوا على السَّفح والغَيْضة يريدون الديلم، فنذِر بهم محمد بن إبراهيم بن مصعب ، فوجّه من قِبَله الطبرية وغيرهم حتى عارضوهم ، وأخذوا عليهم الطريق ، فأخِذوا ، فبعث بهم إلى مدينة سارية مع علىّ بن إبراهيم ، وكان مدخل محمد بن إبراهيم حين دخل من شَلَنْبَة على طريق الروذبار إلى الوُرّيان .

وقيل: إن فساد أمر مازيار وهلاكه كان من قبل ابن عمّ له يقال له...[4] كان فى يديه جبال طبرستان كلها ، وكان فى يد المازيار السهل ؛ وكان ذلك كالقسمة[5] بينهم يتوارثونه ؛ فذُكر عن محمد بن حفص الطبرىّ أن الجبال بطبرستان ثلاثة : جبل وَنْداهُرْمز فى وسط جبال طَبَرستان ، والثانى جبل أخيه

---

(١) ف : « وبعثه » .
(٢) ف : « وأخذ البغال وخرج » .
(٣) ف : « ومائتى رجل » .
(٤) بياض فى ط ، وفى ا : « ابن عم له كان فى يديه جبال طبرستان » .
(٥) س : « بالقسمة » .

ونداسبنجان [١] بن الأنداد بن قارن، والثالث جبل شروين بن سرخاب ابن باب؛ فلمّا قوى أمرُ المازيار بعث إلى ابن عمّه ذلك ، وقيل هو أخوه القوهيار ، فألزمه بابه ، وولّى الجبل واليًا من قبَله؛ يقال له درّى ؛ فلما احتاج المازيار إلى الرجال لمحاربة عبد الله بن طاهر ؛ دعا بابن عمه أو أخيه القوهيار؛ فقال له : أنت أعرف بجبلك من غيرك ، وأظهره على أمر الأفشين ومكاتبته له ، وقال له : صرْ فى ناحية الجبل ، فاحفظ علىّ الجبل .

وكتب المازيار إلى الدرّىّ يأمره بالقدوم عليه ، فقدم عليه، فضمّ إليه العساكر ، ووجّهه فى وجه عبد الله بن طاهر ؛ وظنّ أنه قد توثّق من الجبل بابن عمه أو أخيه القوهيار ؛ وذلك أن الجبل لم يُظنّ أنه يؤتى منه . لأنه ليس فيه للعساكر والمحاربة طريق لكثرة المضايق والشّجر الذى فيه ، وتوثّق من المواضع التى يتخوّف منها بالدرّى وأصحابه، وضمّ إليه المقاتلة وأهل عسكره ، فوجّه عبد الله بن طاهر عمّه الحسن بن الحسين بن مصعب فى جيش كثيف من خراسان إلى المازيار، ووجّه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب، ووجّه معه صاحب خبر يقال له يعقوب بن إبراهيم البوشنجىّ مولى الهادى، ويعرف بقوصرّة ؛ يكتب بخبر العسكر [٢] ؛ فوافى محمد بن إبراهيم الحسن بن الحسين ، وزحفت العساكر نحو المازيار [٣] حتى قرُبوا منه [٣] ، والمازيار لا يشكّ أنه قد توثّق من الموضع الذى تلقّاه الجبل فيه .

١٢٩٦/٣

وكان المازيار فى مدينته فى نفر يسير ، فدعا ابنَ عمّ المازيار الحقد الذى كان فى قلبه على المازيار وصنيعه به وتنحيته إياه عن جبله، أنْ كاتَبَ الحسن ابن الحسين ، وأعلمه جميع ما فى عساكره ، وأنّ الأفشين كاتب المازيار .

فأنفذ الحسن كتاب ابن عمّ المازيار إلى عبد الله بن طاهر ، فوجّه به عبدالله برجل إلى المعتصم، وكاتب عبد الله والحسن بنَ الحسين ابن عمّ المازيار — وقيل القوهيار — وضمنا له جميع ما يريد ؛ وكان ابن عم المازيار أعلَم عبد الله

(١) فى التصويبات : « وندا سيجان » ، وانظر الفهرس .
(٢) ف : « فكتب خبر العساكر » .
(٣–٣) ف : « والمازيار قريب منهم » .

ابن طاهر أن الجبل الذى هو عليه كان له ولأبيه ولآبائه من قِبَل المازيار ، وأن المازيار عند تولية الفضل بن سهل إياه طبرستان انتزع الجبل من يديه ، وألزمه بابه ، واستخفّ به ، فشرط له عبد الله بن طاهر إن هُوَ وثب بالمازيار ، ٣/١٢٩٧ واحتال له أن يصير الجبل فى يديه على حسب ما لم يزل ، ولا يُعرَض له فيه ؛ ولا يحارب[1] .

فرضِيَ بذلك ابن عم المازيار ، فكتب له عبد الله بن طاهر بذلك كتاباً ، وتوثّق له فيه ، فوعد ابن عمّ المازيار الحسن بن الحسين ورجالهم أن يدخلهم الجبل ؛ فلمّا كان وقت الميعاد ، أمر عبد الله بن طاهر الحسن بن الحسين أن يَزْحف للقاء الدرىّ ، ووجّه عسكراً ضخماً عليه قائد من قواده[2] فى جوف الليل، فوافوا ابن عمّ المازيار فى الجبل ، فسلّم الجبال[3] إليهمْ ، وأدخلهم إليها ، وصافّ الدرّى العسكر الذى بإزائه ؛ فلم يشعر المازيار وهو فى قصره حتى وقفت الرّجّالة والخيل على باب قصره ، والدرّى يحارب العسكر الآخر ؛ فحصروا المازيار ، وأنزلوه على حكم أمير المؤمنين المعتصم .

وذكر عمرو بن سعيد الطبرىّ أن المازيار كان يتصيّد ؛ فوافته الخيل فى الصيد ؛ فأخِذ أسيراً ، ودُخل قصره عَنْوة ، وأخِذ جميع ما فيه ، وتوجّه الحسن بن الحسين بالمازيار ، والدرّىّ يقاتل العسكر الذى بإزائه ، لم يعلم بأخذ المازيار ؛ فلم يشعر إلاّ وعسكر[4] عبد الله بن طاهر مِنْ ورائه ، فتقطعت عساكره ، فانهزم[5] ومضى يريد الدخول إلى بلاد الديلم ، فقتِل أصحابه ، واتبعوه فلحقوه فى نفر من أصحابه ، فرجع يقاتلهم ، فقتِل وأخِذ رأسه ، فبعث به إلى عبد الله بن طاهر . وقد صار المازيار فى يده ، فوعده عبدُ الله ٣/١٢٩٨ ابن طاهر إن هو أظهره على كتب الأفشين أن يسأل أمير المؤمنين الصَّفْح عنه ، وأعلمه عبد الله أنه قد علم أن الكتب عنده . فأقرّ المازيار بذلك ، فطُلبت الكتب فوُجدت ، وهى عدّة كتب ، فأخذها عبد الله بن طاهر ،

---

(١) س : « يحاربه » .
(٢) ف : « من قواد عبد الله بن طاهر » .
(٣) س : « الجبل » .
(٤) ف : « بعسكر » .
(٥) ف : « وانهزم » .

فوجّه بها مع المازيار إلى إسحاق بن إبراهيم ، وأمره ألاّ يخرج الكتب من يده ولا المازيار إلاّ إلى يد[1] أمير المؤمنين ؛ لئلا يُحتال للكتب والمازيار ، ففعل إسحاق ذلك ، فأوصلها من يده إلى يد المعتصم ؛ فسأل المعتصم المازيار عن الكتب ، فلم يقرّ بها ؛ فأمر بضرب المازيار حتى مات ؛ وصلب إلى جانب بابك .

وكان المأمون يكتب إلى المازيار : من عبد الله المأمون إلى جيل جيلان أصبهبذ أصبهبذان بشْوار جِرْشاه[2] محمد بن قارن مولى أمير المؤمنين .

وقد ذكر أن بدء وهْى أمر الدرىّ ، كان أنه لما بلغه بعدما ضمّ إليه المازيار الجيش نزول جيش محمد بن إبراهيم دُنْباوند ، وجّه أخاه بزرجشْنس ، وضمّ إليه محمداً وجعفراً ابنى رستَم الكلارىّ ورجالا من أهل الثغر وأهل الرُّويان ، وأمرهم أن يصيروا إلى حدّ الرّويان والرّىّ لمنع الجيش ؛ وكان الحسن بن قارن قد كاتب محمداً وجعفراً ابنى رستم ، ورغّبهما ؛ وكانا من رؤساء أصحاب الدّرىّ ، فلما التقى جيش الدرّى وجيش محمد بن إبراهيم ، انقلب ابنا رستم وأهل الثغرين وأهل الرُّويان على بزرجشنس أخى الدرّىّ ، فأخذوه أسيراً ، وصاروا مع محمد بن إبراهيم على مقدّمته ؛ وكان الدرىّ بموضع يقال له مُزْن[3] فى تَصْره مع أهله وجميع عسكره . فلما بلغه غدر محمد وجعفر ابنى رستم ومتابعة أهل الثغرين والرّويان لهما وأسر أخيه بزرجشنس ، اغتمّ لذلك غمّاً شديداً ، وأذعن أصحابه ، وهمّتهم أنفسُهم ، وتفرّق عامّتُهم يطلبون الأمان ، ويحتالون لأنفسهم . فبعث الدرىّ إلى الديالمة فصار ببابه مقدار أربعة آلاف رجل منهم ، فرغبهم ومنّاهم . ووصلهم . ثم ركب وحمل الأموال معه ، ومضى كأنه يريد أن يستنقذ أخاه ويحارب محمد بن إبراهيم ؛ وإنما أراد الدخول إلى الديلم ، والاستظهار بهم على محمد بن إبراهيم .

٣/١٢٩٩

فاستقبله محمد بن إبراهيم فى جيشه ؛ فكانت بينهم وقعة صعبة ؛ فلما

---

(١) ف : « إلا لأمير المؤمنين » .
(٢) ط : « بشوار خرشاه » ، وانظر الفهرس والتصويبات .
(٣) ط : « مرو » ، تحريف ؛ وانظر الفهرس .

مضى الدرّى هرب الموكّلون بالسجن ، وكسر أهل السجن أقيادهم ، وخرجوا هاربين ، ولحق كلّ إنسان ببلده . واتّفق خروج أهل سارية الذين كانوا فى حبس المازيار وخروج هؤلاء الذين كانوا فى حبس الدرّىّ فى يوم واحد ، وذلك فى شعبان لثلاث عشرة ليلة خلت منه سنة خمس وعشرين ومائتين فى قول محمد بن حفص . وقال غيره : كان ذلك فى سنة أربع وعشرين ومائتين .

٣/١٣٠٠ وذكر عن داود بن قحذم أن محمد بن رستُم ، قال : لما التقى الدرّى ومحمد ابن إبراهيم بساحل البحر ، بين الجبل والغَيْضة والبحر ، والغَيْضة متّصلة بالديلم ، وكان الدرّى شجاعاً بطلاً ، فكان[1] يحمل بنفسه على أصحاب محمد حتى يكشفهم ؛ ثم يحمل معارضةً من غير هزيمة ، يريد دخول الغَيْضة ، شدّ عليه رجل من أصحاب محمد بن إبراهيم يقال له فند بن حاجبة ، فأخذَه أسيراً واسترجع ، واتبع الجند أصحابه وأخذ جميع ما كان معه من الأثاث والمال والدوابّ والسلاح ، فأمر محمد بن إبراهيم بقتل بزرجشنس أخى الدّرّىّ ، ودُعى بالدرّىّ فمدّ يده فقُطعت من مرفقه ، ومدّت رجله فقطعت من الركبة ؛ وكذا باليد الأخرى والرّجل الأخرى ، فقعد الدرّى على استه ؛ ولم يتكلم ولم يتزعزع ، فأمر بضرب عنقه . وظفر محمد بن إبراهيم بأصحاب الدرّى فحملهم مكبّلين .

* * *

وفى هذه السنة وَلِى جعفر بن دينار اليمن .

وفيها تزوّج الحسن بن الأفشين أترنجة بنت أشناس ، ودخل بها فى العمرىّ ، قصر المعتصم فى جُمادى الآخرة ، وأحضر عرسها عامة أهل سامرّا ٣/١٣٠١ فحدُّثت أنهم كانوا يغلّفُون[2] العامة فيها بالغالية [3] فى تغار [3] من فضة ، وأن المعتصم كان يباشر بنفسه تفقّد من حضرها .

وفيها امتنع عبد الله الوَرْثانىّ بوَرْثان .

* * *

(١) ف : « وكان » .

(٢) يغلفون : يطيبون ، والغالية : نوع من الطيب .

(٣) فى القاموس : « التيغار : الإجانة » ، ولعل التغار لغة فيه .

[ذكر الخبر عن خلاف منكجور الأشروسنىّ]

وفيها خالف مَنكجور الأشْرُوسنى قرابة الأفشين بأذْرَبيجان .

* ذكر الخبر عن سبب خلافه :

ذُكر أنّ الأفشين عند فراغه من أمر بابك ومنصَرفه من الجبال ولىَ أذْرَبيجان — وكانت من عمله — واليه مَنكجورَ هذا ، فأصاب فى قرية بابك فى بعض منازله مالا عظيماً ، فاحتجنه لنفسه ؛ ولم يعلم به الأفشين ولا المعتصم ؛ وكان على البريد بـأذْرَبيجان رجل من الشيعة يقال له عبد الله بن عبد الرحمن ؛ فكتب إلى المعتصم بخبر ذلك المال ، وكتب مَنْكجور يكذب ذلك ؛ فوقعت المناظرة بين مَنْكَجور وعبد الله بن عبد الرحمن ؛ حتى همّ منكجور بقتل عبد الله بن عبد الرحمن ، فاستغاث عبد الله بأهل أردبيل ، فمنعوه مما أراد به مَنْكجور ؛ وبلغ ذلك المعتصم ، فأمر الأفشين أن يوجّه رجلا من قبله بعزل منكجور ، فوجّه رجلاً من قُوّاده فى عسكر ضخم ؛ فلما بلغ مَنكجور ذلك ، خلع وجمع إليه الصعاليك ، وخرج من أردبيل ، فرآه القائد فواقعه ، فانهزم مَنكجور ، وصار إلى حصن من حصون أذْرَبيجان — التى كان بابك أخربها — حَصِينٍ فى جبل منيع ، فبناه وأصلحه ، وتحصّن فيه ؛ فلم يلبث إلا أقلّ من شهر حتى وثب به أصحابه الذين كانوا معه فى الحصن ، فأسلموه ودفعوه إلى القائد الذى كان يحاربه ؛ فقدم به إلى سامرّا[١] ، فأمر المعتصم بحبسه ، فاتّهم الأفشين فى أمره . ١٣٠٢/٣

وقيل : إن القائد الذى وُجّه لحرب مَنْكجور هذا كان بُغا الكبير .

وقيل : إنّ بغا لمّا لقى مَنكجور خرج مَنكجور إليه بأمان .

وفيها مات ياطس الرومىّ ، وصُلب بسامرّا إلى جانب بابك .

وفيها مات إبراهيم بن المهدىّ فى شهر رمضان وصلّى عليه المعتصم .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

(١) ا : « سر من رأى » .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمن ذلك كان قدوم الورثانيّ على المعتصم فى المحرّم بالأمان .

وفيها قدم بُغا الكبير بمنكجور سامرّا .

وفيها خرج المعتصم إلى السِّنّ ، واستخلف أشناس .

وفيها أجلس المعتصم أشناس على كرسىّ ، وتوّجه ووشّحه فى شهر ربيع الأول .

وفيها أحرق غنّام المرتدّ .

وفيها غضب المعتصم على جعفر بن دينار ، وذلك من أجل وُثوبه على مَنْ كان معه من الشاكريّة[1] ، وحبسه عند أشناس خمسة عشر يومًا ، وعزّله عن اليمن ، وولّاها إيتاخ ، ثم رضىّ عن جعفر ٣/١٣٠٣

وفيها عُزل الأفشين عن الحرس ووليه إسحاق بن يحيى بن معاذ .

وفيها وجّه عبد الله بن طاهر بمازيار ، فخرج إسحاق بن إبراهيم إلى الدّسْكرة ؛ فأدخله سامرّا فى شوال ، وأمر بحمله على الفيل، فقال محمد بن عبد الملك الزيات :

قد خُضِبَ الفيلُ كعاداتِهِ   يحملُ جيلانَ خُرَاسانِ
والفيلُ لا تخضَبُ أعضاؤُهُ   إلا لِذِى شأْنٍ من الشانِ

فأبى مازيار أن يركب الفيل، فأُدخِلَ على بغل بإكاف ،فجلس المعتصم فى دار العامة، لخمس ليال خلوْن من ذى القعدة، وأمر فجمع بينه وبين الأفشين ؛ وقد كان الأفشين حُبِس قبل ذلك بيوم ، فأقرّ المازيار أنّ

---

(١) الشاكرية : الأجراء .

الأفشين كان يكاتبه، ويصوّب له الخلاف والمعصية[١]، فأمر بردّ الأفشين إلى محبسه، وأمر بضرب مازيار، فضرب أربعمائة سوط وخمسين سوطاً، وطلب ماء فسُقِيَ، فمات من ساعته.

* * *

[ذكر الخبر عن غضب المعتصم على الأفشين وحبسه]

وفيها غضب المعتصم على الأفشين فحبسه.

* ذكر الخبر عن سبب غضبه عليه وحبسه إياه:

ذكر أن الأفشين كان أيّام حربه بابك ومُقامه بأرض الخرّميّة؛ لا يأتيه هدية من أهل إرمينيَة إلا وجّه بها إلى أشْروسَنَة، فيجتاز ذلك بعبد الله بن ٣/١٣٠٤ طاهر، فيكتب عبد الله إلى المعتصم بخبره؛ فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمر بتعريف جميع ما يوجّه به الأفشين من الهدايا إلى أشْروسنة؛ ففعل عبد الله بذلك؛ وكان الأفشين كلّما تهيّأ عنده مال حمّله أوساط أصحابه من الدنانير والهمايين بقدْر طاقتهم؛ كان الرجل يحمل من الألف فما فوقه من الدنانير في وسطه؛ فأخبر عبد الله بذلك؛ فبينا هو في يوم من الأيام، وقد نزل رُسل الأفشين معهم الهدايا نيسابور وجّه إليهم عبد الله بن طاهر، وأخذهم ففتّشهم، فوجد في أوساطهم همايين، فأخذها منهم، وقال لهم: مِن أين لكم هذا المال؟ فقالوا: هذه هدايا الأفشين؛ وهذه أمواله. فقال: كذبتم؛ لو أراد أخي الأفشين أن يرسل بمثل هذه الأموال لكتب إليّ يُعلمني ذلك لآمر بحراسته وبَذْرَقتِه[٢]؛ لأن هذا مال عظيم؛ وإنما أنتم لصوص. فأخذ عبد الله بن طاهر المال، وأعطاه الجند قبَله، وكتب إلى الأفشين يذكر له ما قال القوم، وقال: أنا أنكر أن تكون وجّهتَ بمثل هذا المال إلى أشْروسنة، ولم تكتب إليّ تعلمني لأبذْرقه؛ فإن كان هذا المال ليس لك فقد أعطيتَه الجند مكان المال الذي يوجّهه إليّ أمير المؤمنين في كلّ سنة، وإن كان المال لك – كما زعم القوم. فإذا جاء المال من قِبَل أمير المؤمنين رددته إليك؛ وإن يكن غير ذلك[٣] فأمير المؤمنين أحقّ بهذا المال؛ وإنما دفعته إلى الجند ٣/١٣٠٥

(١) س: «في المعصية». (٢) البذرقة: الخفارة. (٣) ف: «هكذا».

لأنى أريد أن أوجّهم إلى بلاد الترك .

فكتب إليه الأفشين يعلمه أن مالَه ومال أمير المؤمنين واحد ، ويسأله إطلاق القوم ليمضوا إلى أشروسنة ؛ فأطلقهم عبدُ الله بن طاهر ، فمضوا ؛ فكان ذلك سبب الوحشة بين عبد الله بن طاهر وبين الأفشين .

ثم جعل عبد الله يتتبّع عليه ، وكان الأفشين يسمع أحياناً من المعتصم كلاماً يدلّ على أنه يريد أن يعزل آل طاهر عن خراسان ، فطمِع الأفشين فى ولايتها ، فجعل يكاتب مازيار ، ويبعثه على الخلاف ، ويضمَن له القيام بالدّفْع عنه عند السلطان ؛ ظنّاً منه أن مازيار إن خالف احتاج المعتصم إلى أن يوجّهه لمحاربته ، ويعزل عبد الله بن طاهر ويولّيه خراسان ؛ فكان من أمر مازيار ما قد مضى ذكره .

وكان من أمر منكجور بأذْرَبيجان ما قد وصفنا قبل . فتحقّق عند المعتصم — بما كان من أمر الأفشين ومكاتبته مازيار بما كان يكاتبه به — ما كان اتهمه به من أمر منكجور ؛ وأنّ ذلك كان عن رأى الأفشين وأمْرِه إياه به ، فتغيّر المعتصم للأفشين لذلك ؛ وأحسّ الأفشين بذلك ، وعلم تغيُّر حاله عنده ، فلم يَدْر ما يصنع ، فعزم — فيما ذكر — على أن يهيّئ أطوافاً فى قصره ، ويحتال فى يوم شغل المعتصم وقوّاده أن يأخذ طريق الموصل ، ويعبر الزاب على تلك الأطواف ؛ حتى يصير إلى بلاد أرمينيَة ، ثم إلى بلاد الخزَر ، فعسر ذلك عليه ، فهيّأ سمّاً كثيراً ، وعزم على أن يعمل طعاماً ويدعو المعتصم وقُوّاده فيسقيهم[1] ؛ فإن لم يجبه المعتصم استأذنه فى قوّاد الأتراك ، مثل أشناس وإيتاخ وغيرهم فى يوم تشاغل أمير المؤمنين ، فإذا صاروا إليه أطعمهم وسقاهم وسمّهم ؛ فإذا انصرفوا من عنده خرج من أوّل الليل ، وحمل تلك الأطواف والآلة التى يعبرُ بها على ظهور الدوابّ حتى يجىء إلى الزّاب فيعبر بأثقاله على الأطراف ، ويعبُر الدوابُّ سباحةً كما أمكنه ، ثم يرسل الأطواف حتى يعبُر فى دِجْلة ، ويدخل هو بلاد أرمينيَة ؛ وكانت ولاية أرمينيَة إليه ، ثم

١٣٠٦/٣

(١) ف : « فيطعمهم » .

يصير هو إلى بلاد الخزر مستأمناً ، ثم يدور من بلاد الخزر إلى بلاد الترك ، ويرجع من بلاد الترك إلى بلاد أشروسنة ، ثم يستميل الخزر على أهل الإسلام؛ فكان في تهيئة ذلك ، وطال به الأمر فلم يمكنه ذلك .

وكان قوّاد الأفشين ينوبون في دار أمير المؤمنين كما ينوبُ القوّاد ؛ فكان واجن الأشروسنىّ قد جرى بينه وبين من قد اطّلع على أمر الأفشين حديث ؛ فذكر له واجن أنّ هذا الأمر لا أراه يمكن ولا يتمّ ؛ فذهب ذلك الرجل الذى سمع قول واجن ، فحكاه للأفشين . وسمع بعض من يميل إلى واجن من خدم الأفشين وخاصّته ما قال الأفشين في واجن ، فلما انصرف واجن من النوبة في بعض الليل أتاه فأخبره أنْ[1] قد أُلقِيَ ذلك إلى الأفشين ، فحذر[2] واجن على نفسه ، فركب من ساعته في جوف الليل حتى أتى دار أمير المؤمنين ؛ وقد نام المعتصم ؛ فصار[3] إلى إيتاخ ، فقال : إن لأمير المؤمنين عندى نصيحة ، فقال له إيتاخ : أليس الساعة كنتَ ها هنا! قد نام أمير المؤمنين . فقال له واجن : ليس يمكننى أن أصبر إلى غد ، فدقّ إيتاخ الباب على بعض من يُعلم المعتصم بالذى قال واجن ، فقال المعتصم : قل له ينصرف الليلة إلى منزله ، ويبكّر علىّ في غد . فقال واجن : إن انصرفتُ الليلة ذهبت نفسى ، فأرسل المعتصم إلى إيتاخ : بيّتْه الليلة عندك. فبيته إيتاخ عنده ؛ فلما أصبح بكّر به مع صلاة الغداة ، فأوصله إلى المعتصم ، فأخبره بجميع ما كان عنده ؛ فدعا المعتصم محمد بن حماد بن دَنْقَش الكاتب ، فوجّهه يدعو الأفشين ، فجاء الأفشين في سواد ، فأمر المعتصم بأخذ سواده ، وحبَسه ، فحبِس في الجوسق ؛ ثم بنى له حبساً مرتفعاً ، وسمّاه لؤلؤة داخل الجوسق ، وهو يعرف إلى الآن بالأفشين .

٣/١٣٠٧

وكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر في الاحتيال للحسن بن الأفشين — وكان الحسن قد كثرت كتبه إلى عبد الله بن طاهر في نوح بن أسد — يعلمه تحامله على ضياعه وناحيته ، فكتب عبد الله بن طاهر إلى نوح بن أسد يعلمه ما كتب به أمير المؤمنين في أمره ، ويأمره بجمع أصحابه والتأهّب له ؛ فإذا قدم عليه الحسن ابن الأفشين بكتاب ولايته استوثَق منه ، وحمله إليه . فكتب عبد الله بن طاهر

٣/١٣٠٨

(١) ا ، س : « أنه » . (٢) س : « فحذروا » . (٣) ف : « فصاح » .

إلى الحسن بن الأفشين يُعلمه أنه عزل نوح بن أسد، وأنه قد ولاّه الناحية، ووجّه إليه بكتاب عزل نوح بن أسد.

فخرج الحسن بن الأفشين في قلّة من أصحابه وسلاحه؛ حتى ورد على نوح بن أسد، وهو يظنّ أنه والي الناحية، فأخذه نوح بن أسد، وشدّه وثاقاً. ووجّه به إلى عبد الله بن طاهر، فوجه به عبد الله إلى المعتصم. وكان الحبس الذي بُنِي للأفشين شبيهاً بالمنارة، وجعل في وسطها مقدار مجلسه؛ وكان الرجال ينوبون تحتها كما تدور.

وذُكِر عن هارون بن عيسى بن المنصور، أنه قال: شهدت دار المعتصم وفيها أحمد بن أبي دُواد وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب ومحمد بن عبد الملك الزيات، فأُتِيَ بالأفشين ولم يكن بعد في الحبس الشديد، فأحضِر قوم من الوجوه لتبكيت الأفشين بما هو عليه، ولم يترك في الدار أحدٌ من أصحاب المراتب إلا ولد المنصور، وصُرِف الناس.

وكان المناظر له محمّد بن عبد الملك الزيات، وكان الذين أحضَروا المازيار صاحب طبرستان والموْبذ والمرزبان بن تركش — وهو أحد ملوك السُّغد — ورجلان من أهل السُّغد؛ فدعا محمد بن عبد الملك بالرَّجُلين، وعليهما ثياب رثة، فقال لهما محمد بن عبد الملك: ما شأنكما؟ فكشفا عن ظهورهما وهي عارية من اللّحم، فقال له محمد: تعرف هذين؟ قال: نعم؛ هذا مؤذن، وهذا إمام، بنَيا مسجداً بأشْروسَنة، فضربتُ[1] كلّ واحد منهما ألف سوط؛ وذلك أن بيني وبين ملوك السُّغد عهداً وشرطاً، أن أترك كلّ قوم على دينهم وما هم عليه؛ فوثب هذان على بيت كان فيه أصنامهم — يعني أهل أشروسنة — فأخرجا الأصنام، واتّخذاه مسجداً، فضربتهما على هذا ألفاً ألفاً لتعدّيهما، ومنعهما القوم من بيعتهم[2]. فقال له محمد: ما كتاب عندك قد زيّنْتَه بالذهب والجواهر والديباج، فيه الكفر بالله؟ قال: هذا كتاب ورثْتُه عن أبي، فيه أدب من آداب العجم؛ وما ذكرت من الكفر؛ فكنت أستمتع منه بالأدب[3]، وأترك ما سوى ذلك، ووجدتُه محلى، فلم تضطرني الحاجة إلى

(١) ف: «فضرب». (٢) ا: «بيتهم».
(٣) ف: «أستمع منه الأدب».

أخذ الحلية منه؛ فتركته على حاله؛ ككتاب كليلة ودمنة وكتاب مَزْدك في منزلك؛ فما ظننت أن هذا يخرج من الإسلام.

قال: ثم تقدم الموبذ، فقال: إن هذا كان يأكل المخنوقة، ويحملني على أكلها، ويزعم أنها أرطب لحماً من المذبوحة؛ وكان يقتل شاة سوداء كلّ يوم أربعاء [1]، يضرب وسطها بالسّيف يمشي بين نصفيها ويأكل لحمها.

٣/١٣١٠ وقال لي يوماً: إني قد دخلت لهؤلاء القوم في كلّ شيء أكرهه؛ حتى أكلتُ لهم الزيت وركبت الجمل [2]، ولبِسْت النعل؛ غير أني إلى هذه الغاية لم تسقط عني شعرة — يعني لم يَطَّلِ [3] ولم يختتن.

فقال الأفشين: خبِّروني عن هذا الذي يتكلم بهذا الكلام، ثقةٌ هو في دينه؟ — وكان الموبذ مجوسياً أسلم بعدُ على يد المتوكل ونادمه — قالوا: لا، قال: فما معنى قبولكم شهادة [4] مَنْ لا تثقون به ولا تعدّلونه! ثم أقبل على الموبذ، فقال: هل كان بين منزلي ومنزلك باب أو كوّة تطلع عليّ منها وتعرف [5] أخباري منها؟ قال: لا، قال: أفليس كنت أدخلك إليّ وأبثك سري وأخبرك بالأعجمية وميلي إليها وإلى أهلها؟ قال: نعم، قال: فلستَ بالثقة في دينك ولا بالكريم في عهدك؛ إذا أفشيت عليّ سراً أسررتُه إليك.

ثم تنحّى الموبذ، وتقدّم المرزبان بن تركش، فقالوا للأفشين: هل تعرف هذا؟ قال: لا، فقيل للمرزبان: هل تعرف هذا؟ قال: نعم، هذا الأفشين، قالوا له: هذا المرزبان، فقال له المرزبان: يا مُمَخْرِق، كم تدافع وتموّه! قال له الأفشين: يا طويلَ اللحية، ما تقول؟ قال: كيف يكتب إليك أهل مملكتك؟ قال: كما كانوا يكتبون إلى أبي وجدي. قال: فقل، قال: لا أقول، فقال المرزبان: أليس يكتبون إليك بكذا وكذا

٣/١٣١١ بالأشروسنية؟ قال: بلى، قال: أفليس تفسيره بالعربية «إلى إله الآلهة من

---

(١) س: «أربعة».
(٢) س: «لهم الخيل».
(٣) س: ابن الأثير: «أخذ شعر العانة».
(٤) ف: «شهادته».
(٥) س: «أو تعرف».

عبده فلان بن فلان» ، قال : بلى ! قال محمد بن عبد الملك : والمسلمون يحتملون أن يقال لهم هذا! فما بقّيت لفرعون حين قال لقومه : ﴿أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى﴾[١] ! قال : كانت هذه عادة القوم لأبى وجدّى ، ولى قبل أن أدخل فى الإسلام ، فكرهت أن أضع نفسى دونهم فتفسد علىّ طاعتهم . فقال له إسحاق بن إبراهيم بن مصعب : ويحك يا خيذر[٢]! كيف تحلف بالله لنا فنصدّقك ونصدق يمينَك ونُجريك مجرى المسلمين ، وأنت تدّعى ما ادّعى فرعون ! قال : يا أبا الحسين ؛ هذه سورة قرأها عُجيف على علىّ بن هشام ، وأنت تقرؤها علىّ ، فانظر غداً من يقرؤها عليك !

قال : ثم قدّم مازيار صاحب طبرِستان ، فقالوا للأفشين : تعرف هذا ؟ قال : لا ، قالوا للمازيار : تعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا الأفشين ، فقالوا له : هذا المازيار ؟ قال : نعم ، قد عرفتُه الآن ، قالوا : هل كاتبتَه ؟ قال : لا ، قالوا للمازيار : هل كتب إليك ؟ قال : نعم ، كتب أخوه خاش إلى أخى قوهيار ؛ أنه لم يكن ينصر هذا الدّين الأبيض غيرى وغيرُك وغير بابك ؛ فأما بابك فإنه بحمْقه قتيلُ نفسِه ، ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت[٣] فأبى حمقه[٤] إلا أن دلاّه فيما وقع فيه ، فإن خالفت لم يكن للقوم مَنْ يرمُونك به غيرى ومعى الفرسان وأهل النجدة والبأس ؛ فإن وجّهت إليه لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة : العرب ، والمغاربة ، والأتراك ، والعربىّ بمنزلة الكلب اطرحْ له كسرة ثم اضرب رأسه بالدّبوس ؛ وهؤلاء الذّباب — يعنى المغاربة — إنما هم أكَلَة رأس ، وأولاد الشياطين — يعنى الأتراك — فإنما هى ساعة حتّى تنفذ سهامُهم ، ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتى على آخرهم ؛ ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم . فقال الأفشين : هذا يدّعى على أخيه وأخى[٥] دعوى لا تجب علىّ ، ولو كنت كتبت بهذا الكتاب إليه لأستميله إلىّ ويثق بناحيتى كان غير مستنكَر ؛ لأنى إذا نصرتُ الخليفة بيدى ، كنتُ بالحيلة أحرَى أن أنصره لآخذ بقفاه ، وآتى به الخليفة لأحظَى به عنده ، كما حظِىَ

١٣١٢/٣

(١) سورة النازعات ٢٤ .
(٢) ط : «حيدر» .
(٣) س : «الموت عنه» .
(٤) ابن الأثير : «لحمقه» .
(٥) ف : «علىّ وعلى أخيه» .

به عبد الله بنُ طاهر عند الخليفة . ثم نحّى المازيار .

ولما قال الأفشين للمرزبان التركَشيّ ما قال، وقال لإسحاق بن إبراهيم ما قال ، زجر ابن أبى دواد الأفشين ، فقال له الأفشين : أنت يا أبا عبد الله ترفع طيلسانك بيدك ، فلا تضعه على عاتقك حتى تقتل به جماعة ، فقال له ابن أبى دواد : أمطهّر أنت ؟ قال : لا ، قال : فما منعك من ذلك ، وبه تمام الإسلام ، والطهور من النجاسة ! قال : أوَ ليس فى دين الإسلام استعمال التقيّة ؟ قال: بلى ، قال : خفت أن أقطع ذلك العضو من جسدى فأموت ، قال : أنت[1] تطعن بالرمح ، وتضرب بالسيف ، فلا يمنعك ذلك من أن تكون فى الحرب وتجزع [2] من قطع قلفة ! قال: تلك ضرورة تعنينى فأصبر عليها إذا وقعتْ ؛ وهذا شىء أستجلبه فلا آمنُ معه خروج نفسى ، ولم أعلم أن فى تركها الخروجَ من الإسلام ، فقال ابن أبى دواد: قد بان لكم أمره يابغا — لبغا الكبير أبى موسى التركىّ — عليك به !

١٣١٣/٣

قال : فضرب بيده بغا على منطقته فجذَبها، فقال قد كنت أتوقّع هذا منكم قبل اليوم ، فقلَب بغا ذَيْل القَباء على رأسه ، ثم أخذ بمجامع القَباء من عند عنقه ، ثم أخرجه من باب الوزيرىّ إلى محبسه .

* * *

وفى هذه السنة حمل عبد الله بن طاهر الحسن بن الأفشين وأترنجة بنت أشناس إلى سامرّا .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

---

(١) ف : « أن تطعن ». (٢) ف : « وتفزع ».

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر وثوب علىّ بن إسحاق برجاء بن أبى الضحاك]

فمن ذلك ما كان فيها من وثوب علىّ بن إسحاق بن يحيى بن معاذ — وكان على المعُونة بدمشق من قبَل صول أرتكين — برجاء بن أبى الضحاك ؛ وكان على الخراج ، فقتله ، وأظهر الوسواس ، ثم تكلم أحمد بن أبى دواد فيه ، فأطلِق من محبسه ؛ فكان الحسن بن رجاء يلقاه فى طريق سامرّا ، فقال البحترىّ الطائىّ : ٣/١٣١٤

عَفَا علىٌّ بن إسحاق بفتكَتِهِ | على غرَائِب تِيهٍ كنَّ فى الحسَنِ[1]
أنْسَتهُ تَنقِيعَهُ فى اللفظ نازلةٌ | لم تُبق فيه سوى التسليمِ للزمن
فلم يكن كابنِ حُجْرٍ حين ثار ولا | أخى كليبٍ ولا سيفِ بن ذى يزنِ
ولم يُقَلْ لك فى وِترٍ طلبتَ به | تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبنِ

* * *

وفيها مات محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين ، فصلّى عليه المعتصم فى دار محمد .

* * *

[ذكر الخبر عن موت الأفشين]

وفيها مات الأفشين .

* ذكر الخبر عن موته وما فُعل به عند موته وبعده :

ذكر عن حمدون بن إسماعيل ، أنه قال : لما جاءت الفاكهة الحديثة ، جمع المعتصم من الفواكه الحديثة فى طَبق ، وقال لابنه هارون الواثق : اذهب

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٣ .

بهذه الفاكهة بنفسك إلى الأفشين ، فأدخلها إليه . فحمِلت مع هارون الواثق

٣/١٣١٥ حتى صعد بها إليه فى البناء الذى بُنِى له الذى يسمى لؤلؤة ؛ فحُبِس فيه ؛ فنظر إليه الأفشين ، فافتقد بعضَ الفاكهة ؛ [١]إما الإجاص وإما الشاهلوج ؛ فقال للواثق[١] : لا إله إلا الله ، ما أحسنه من طبق ، ولكن ليس لى فيه إجّاص ولا شاهلوج ! فقال له الواثق : هو ذا [٢] ، انصرف أوجِّه به إليك[٣] ، ولم يمسّ من الفاكهة شيئاً ؛ فلما أراد الواثق الانصراف قال له الأفشين : أقرئْ سيدى السلام ، وقل له : أسألك أن توجّه إلىّ ثقة من قبَلك يؤدى عنى ما أقول ، فأمر المعتصم حمدون بن إسماعيل — وكان حمدون فى أيام المتوكل فى حبس سليمان بن وهب فى حبس الأفشين هذا ؛ فحدّث بهذا الحديث وهو فيه :

قال حمدون : فبعث بى المعتصم إلى الأفشين ، فقال لى : إنه سيُطَوّلُ عليك فلا تحتبس . قال : فدخلت عليه ، وطبق الفاكهة بين يديه لم يمسّ منه واحدةً فما فوقها ، فقال لى : اجلس ، فجلست فاستمالنى بالدهقنة ، فقلت : لا تُطوّل ؛ فإن أمير المؤمنين قد تقدم إلىّ ألاّ أحتبس عندك ، فأوجزْ. فقال : قل لأمير المؤمنين ؛ أحسنتَ إلىّ وشرّفتَنى ، وأوطأتَ الرّجال عقِبى ، ثم قبِلْتَ[٤] فىّ كلاماً لم يتحقّق عندك ؛ ولم تتدبّرْه بعقلك ؛ كيف يكون هذا ، وكيف يجوز لى أن أفعل هذا الذى بلغك ! تخبَر بأنى دَسستُ إلى منكجور أن يخرج ، وتقبله ، وتخبَر أنى قلت للقائد الذى وجهته إلى منكجور : لا تحاربه ، واعذِرْ ، وإن أحسست بأحد منا فانهزم من بين يديه ؛ أنت

٣/١٣١٦ رجل قد عرفتَ الحرب ، وحاربت الرجال ، وسُسْتَ العساكر[٥] ؛ هذا يمكن رأس عسكر يقول لجند يلقون قوماً : افعلوا كذا وكذا ؛ هذا ما لا يسوغ لأحد أن يفعله ؛ ولو كان هذا يمكن ما كان ينبغى أن تقبله من عدوّ قد عرفت سببه ؛ وأنت أولْى بى ، إنما أنا عبد من عبيدك ، وصنيعك[٦] ؛ ولكن مثَلى ومثلك يا أمير المؤمنين مثَل رجل ربّى عِجْلا له حتى أسمنه وكبِر ، وحسنت

(١ — ١) ف : « فقال : ما أرى فيه إجاص ولا شاهلوج ، فقال الواثق ».
(٢) ف : « هو هذا » .
(٣) ف : « فأوجه لك » .
(٤) ف : « سمعت » .
(٥) ف : « ودبرت العساكر دستها » .
(٦) ف : « وصنيعتك » .

حالـه، وكان له أصحاب اشتهوا أن يأكلوا من لحمه، فعرّضوا له بذبح العِـجْل فلم يجبهم إلى ذلك، فاتفقوا جميعًا على أن قالوا له ذات يوم: ويحك! لمَ تُربِّى هذا الأسد؟ هذا سبُع، وقد كبر، والسبُع إذا كبر يرجع إلى جنسه! فقال لهم: ويحك هذا عجل بقر، ما هو سبع، فقالوا: هذا سبع؛ سلْ مَنْ شئت عنه؛ وقد تقدموا إلى جميع من يعرفونه، فقالوا له: إن سألكم عن العِـجْل، فقولوا له: هذا سبع؛ فكلما سأل الرّجل إنسانًا عنه، وقال له: أما ترى هذا العِـجْل ما أحسنه! قال الآخر: هذا سبع؛ هذا أسد، ويحك! فأمر بالعجل فذُبح؛ ولكنى أنا ذلك العِـجْل، كيف أقدر أنْ أكون أسدًا! الله الله فى أمرى؛ اصطنعتَنى وشرّفتَنِى وأنت سيدى ومولاى، أسأل الله أن يعطف[1] بقلبك علىّ.

قال حمدون: فقمت فانصرفت، وتركت الطَّبَق على حاله لم يمسّ منه شيئًا، ثم ما لبثنا إلا قليلا؛ حتى قيل: إنه يموت أو قد مات؛ فقال المعتصم: أروه ابنَه، فأخرجوه فطرحوه بين يديه، فنتف لحيتَه وشعرَه، ثم أمر به فحمل إلى منزل إيتاخ. ١٣١٧/٣

قال: وكان أحمد بن أبى دواد دعا به فى دار العامة من الحبس، فقال له: قد بلغ أمير المؤمنين أنك يا خيدر[2]، أقلف، قال: نعم، وإنما أراد ابن أبى دواد أن يشهد عليه؛ فإن تكشّف نُسب إلى الخرَع؛ وإن لم يتكشف صحّ عليه أنه أقلف، فقال: نعم، أنا أقلف؛ وحضر الدار ذلك اليوم جميع القوّاد والناس؛ وكان ابن أبى دواد أخرجه إلى دار العامّة قبل مصير الواثق إليه بالفاكهة، وقبل مصير حمدون بن إسماعيل إليه.

قال حمدون: فقلت له: أنت أقلف كما زعمت؟ فقال الأفشين: أخرجنى إلى مثل ذلك الموضع، وجميع القواد والناس قد اجتمعوا، فقال لى ما قال؛ وإنما أراد أن يفضحنى؛ إن قلت له: نعم[3] لم يقبل قولى، وقال لى: تكشّف، فيفضحنى بين الناس؛ فالموت كان أحبّ إلىّ من أن أتكشّف

---

(١) ف »: « قلبك ».
(٢) ط: « حيدر ».
(٣) ا: « إن قلت له: لا ».

بين أيدى الناس ؛ ولكن يا حمدون إن أحببتَ أن أتكشّف بين يديك حتى ترانى فعلتُ ؛ قال حمدون : فقلت له : أنت عندى صدُوق ؛ وما أريد أن تكشّف .

فلما انصرف حمدون فأبلغ المعتصم رسالتَه : أمر بمنع الطعام منه إلاّ القليل ؛ فكان يدفع إليه فى كلّ يوم رغيف حتى مات ؛ فلما ذُهِب به بعد موته إلى دار إيتاخ ، أخرجوه فصلَبُوه على باب العامّة ليراه الناس ، ثم طُرِح بباب[1] العامة مع خشبته ؛ فأحرِق وحُمِل الرّماد ، وطرح[2] فى دِجْلة .

١٣١٨/٣

وكان المعتصم حين أمر بحبسه وجّه سليمان بن وهب الكاتب يحصى جميع ما فى دار الأفشين ويكتُبه فى ليلة[3] من الليالى ، وقصر الأفشين بالمطيرة ، فوُجِد فى داره بيت فيه تمثال إنسان من خشب ، عليه حلية كثيرة وجوهر ، وفى أذنيه حجران أبيضان مشتبكان ؛ عليهما ذهب ، فأخذ بعض مَنْ كان مع سليمان أحد الحجرين ؛ وظنّ أنه جوهر له قيمة ؛ وكان ذلك ليلاً ؛ فلما أصبح ونزع عنه شباك الذّهب ، وجده حجراً شبيهًا بالصّدَف الذى يسمى الحبرون ، من جنس الصّدَف الذى يقال له البُوق ، من صدف أخرِج من منزله صُوَر السماجة وغيرها وأصنام وغير ذلك ، والأطواف والخشب التى كان أعدّها ؛ وكان له متاع بالوزيريّة ، فوُجد فيه أيضًا صنم آخر ، ووجدوا فى كتبه كتابًا من كتب المجوس يقال له زراوه وأشياء كثيرة من الكُتب ؛ فيها ديانته التى كان يدين بها ربه .

وكان موت الأفشين فى شعبان من سنة ست وعشرين ومائتين .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود بأمر أشناس ؛ وكان أشناس حاجًّا فى هذه السنة ، فولّى كل بلدة يدخلها فدُعى له على جميع المنابر التى

---

(١) ف : « على بباب » .
(٢) ف : « فطرح » .
(٣) ف : « ويكتبه ليلة » .

مرّ بها من سامرّا إلى مكة والمدينة .

وكان الذى دعا له على منبر الكوفة محمد بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى ،وعلى منبر فَيْد هارون بن محمد بن أبى خالد المرورّوذىّ، وعلى منبر المدينة محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان ، وعلى منبر مكة محمد بن داود بن عيسى بن موسى ، وسُلّم عليه فى هذه الكُور كلها بالإمارة ، وكانت له ولايتها إلى أن رجع إلى سامرّا .

٣/١٣١٩

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خروج أبى حرب المبرقع]

فمن ذلك ما كان من خروج أبى حرب المُبَرقع اليمانىّ بفلسطين وخلافه على السلطان .

* ذكر الخبر عن سبب خروجه وما آل إليه أمره :

ذَكَر لى بعض أصحابى ممن ذكر[1] أنه خبير بأمره، أنّ سبب خروجه على السلطان كان أنّ بعض الجند أراد النزول فى داره وهو غائب عنها، وفيها إما زوجته وإما أخته ، فمانعتْه ذلك ؛ فضربها بسوط كان معه ؛ فاتّقته بذراعها ، فأصاب السوط ذراعها ، فأثّر فيها ؛ فلما رجع أبو حرب إلى منزله بكت وشكَتْ إليه ما فعل بها ، وأرته الأثر الذى بذراعها من ضَرْبه ؛ فأخذ أبو حرب سيفه ومشى إلى الجندىّ وهو غارّ ؛ فضربه به حتى قتله ؛ ثم هرب وألبس وجهه برقعًا كى لا يعرف ، فصار إلى جبل من جبال الأردنّ ؛ فطلبه السلطان فلم يُعرف له خبر ؛ وكان أبو حرب يظهر بالنهار فيقعد[2] على الجبل الذى أوى إليه متبرقعًا ؛ فيراه الرائى فيأتيه ، فيذكره ويحرّضه على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويذكر السلطان وما يأتى إلى الناس ويعيبه ؛ فما زال ذلك دأبه حتى استجاب له قوم من حرّاثى أهل تلك الناحية وأهل القرى ؛ وكان يزعم أنه أموىّ ، فقال الذين استجابوا له : هذا هو السفيانىّ ؛ فلما كثرت غاشيته وتبّاعه من هذه الطبقة من الناس ، دعا أهل البيُوتات من أهل تلك الناحية ؛ فاستجاب له منهم جماعة من رؤساء اليمانية ؛ منهم رجل يقال له ابن بَيْهس ، كان مطاعاً فى أهل اليمن ورجلان آخران من أهل دمشق ، فاتّصل الخبر

٣/١٣٢٠

---

(١) س : « ذكرنا »

(٢) س : « فيصعد » .

بالمعتصم وهو عليل ؛ علَّته التى مات فيها ؛ فبعث إليه رجاء بن أيوب الحضاريّ فى زُهاء ألف من الجند ؛ فلما صار رجاء إليه وجده فى عالم من الناس .

فذكر الذى أخبرنى بقصته أنه كان فى زُهاء مائة ألف ؛ فكره رجاء مواقعته وعسكر بحذائه ، وطاوله ؛ حتى كان أوّل عمارة الناس الأرضين وحِراثتهم ، وانصرف مَنْ كان من الحرّاثين مع أبى حرب إلى الحِراثة وأرباب الأرضين إلى أرضيهم[1] ، وبقى أبوحرب فى نفر زُهاء ألفٍ أو ألفين ؛ ناجزه رجاء الحرب ، فالتقى العسكران : عسكر رجاء وعسكر المبرقع ؛ فلما التقوْا تأمل رجاء عسكر المبرقع ، فقال لأصحابه : ما أرى فى[2] عسكره رجلاً له فروسية غيره ، وإنه سيُظهر لأصحابه من نفسه بعض ما عنده من الرُّجلة[3] ؛ فلا تعجلوا عليه . قال : وكان الأمر كما قال رجاء ؛ فما لبث المبرقَع أن حمل على عسكر رجاء ، فقال رجاء لأصحابه : أفرجوا له ؛ فأفرجوا له ؛ حتى جاوزهم ثم كرّ راجعًا ، فأمر رجاء أصحابَه أن يُفرجوا له ، فأفرجوا له حتى جاوزهم ، ورجع إلى عسكر نفسه ؛ ثم أمهل رجاء ، وقال لأصحابه : إنه سيحمل عليكم مرّة أخرى ، فأفرِجوا له ؛ فإذا أراد الرجوع فحولوا بينه وبين ذلك ، وخُذُوه . ففعل المبرقع ذلك ، فحمل على أصحاب رجاء ، فأفرجوا له حتى جاوزهم ، ثمّ كرّ راجعًا فأحاطوا به ؛ فأخذوه فأنزلوه عن دابته .

٣/١٣٢١

قال : وقد كان قدم على رجاء حين ترك معاجلة المبرقَع الحرب من قِبَل المعتصم مستحثٌّ ، فأخذ الرسول فقيّده إلى أن كان من أمره ، وأمر أبى حرب ما كان مما ذكرنا ، ثم أطلقه .

قال : فلما كان يوم قدوم رجاء بأبى حرب على المعتصم ، عزله المعتصم على ما فعل برسوله ، فقال له رجاء : يا أمير المؤمنين ؛ جعلنى الله فداك ! وجّهتَنى فى ألف إلى مائة ألف ؛ فكرهت أن أعاجله فأهلِك ويهلك مَنْ معى ، ولا نغنى شيئًا ؛ فتمهّلت حتى خفّ مَنْ معه ، ووجدت فرصة ،

---

(١) ف : « وأرباب الأرض إلى أرضهم » .

(٢) ف : « من عسكره » . (٣) الرجلة : القوة والشجاعة ، وفى ا : « الرجالة » .

ورأيت لحربه وجهًا وقياماً ؛ فناهضته وقد خفَّ ممّنْ معه وهو فى ضعف ؛ ونحن فى قُوّة ، وقد جئتك بالرجل أسيراً .

٣/١٣٢٢ قال أبو جعفر : وأما غير من ذكرت أنه حدثنى حديث أبى حرب على ما وصفت ؛ فإنه زعم أن خروجه إنما كان فى سنة ست وعشرين ومائتين بالرّملة ، فقالوا : إنه سفيانيّ ، فصار فى خمسين ألفًا من أهل اليمن وغيرهم ، واعتقد ابن بيهس وآخران معه من أهل دِمشق ، فوجّه إليهم ، المعتصم رجاء الحضاريّ فى جماعة كبيرة ، فواقعهم بدمشق ؛ فقتِل من أصحاب ابن بيهس وصاحبيه نحواً من خمسة آلاف ؛ وأخذ ابن بيهس أسيراً ، وقتل صاحبيه ، وواقع أبا حَرْب بالرّملة ، فقتل من أصحابه نحوًا من عشرين ألفًا ، وأسر أبا حرب ، فحمِل إلى سامرّا ، فجعل وابن بيهس فى المطبق .

* * *

وفى هذه السنة أظهر جعفر بن مهرجش الكرديّ الخلاف ، فبعث إليه المعتصم فى المحرّم إيتاخ إلى جبال الموصل لحربه ، فوثب بجعفر بعض أصحابه فقتله . .

وفيها كانت وفاة بشو بن الحارث الحافى فى شهر ربيع الأول وأصله من مرْو

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المعتصم والعلّة التى مات بها]

وفيها كانت وفاة المعتصم وذلك — فيما ذكر — يوم الخميس ، فقال بعضهم : لثمانى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول لساعتين مضتا من النهار .

* ذكر الخبر عن العلة التى كانت منها وفاته وقدْر مدّة عمره وصفته :

٣/١٣٢٣ ذُكر أن بدء علّته أنه احتجم أوّل يوم من المحرم ، واعتلّ عندها ، فذكر عن محمد بن أحمد بن رشيد عن زُنَام الزامر ، قال : قد وجد المعتصم فى علته التى توفى فيها إفاقة ؛ فقال : هيّئوا إلى الزلال لأركب ، فركب وركبت معه ، فمرّ فى دِجْلة بإزاء منازله ، فقال : يا زنام ، ازمر لى :

يا منزلا لم تَبْلَ أَطلاله حاشى لأَطلالك أن تَبْلَى

لم أبكِ أَطلالك لكنَّنى بَكيْتُ عَيْشى فيك إذ وَلَّى

والعيشُ أَوْلى ما بكاه الْفَتى لا بدّ للمحزون أن يَسْلَى

قال : فما زلتُ أزمر هذا الصوت حتى دعا برطليّة ، فشرب منها قدحًا وجعلت أزمره وأكرّره ؛ وقد تناول منديلا بين يديه ؛ فما زال يبكي ويمسح دموعَه فيه وينتحب ؛ حتى رجع إلى منزله ، ولم يستتمّ شرب الرطليّة .

وذكر عن علىّ بن الجعدانة ، قال : لما احتُضر المعتصم جعل يقول : ذهبت الحيل ليست حيلة ، حتى أُصْمِتَ .

وذكر عن غيره أنه جعل يقول : إنى أخِذت من بين هذا الخلق .

وذكر عنه أنه قال : لو علمت أنّ عمرى هكذا قصير ما فعلتُ ما فعلت . فلما مات دُفن بسامُرّا ؛ فكانت خلافته ثمانى سنين وثمانية أشهر ويومين. وقيل : كان مولده سنة ثمانين ومائة فى شعبان. وقيل : كان فى سنة تسع وسبعين ومائة ؛ فإن كان مولده سنة ثمانين ومائة فإنّ عمره كله كان ستًّا وأربعين سنة وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وإنْ كان مولده سنة تسع وسبعين ومائة ؛ فإنّ عمره كان سبعًا وأربعين سنة وشهرين وثمانية عشر يومًا . ١٣٢٤/٣

وكان — فيما ذُكر — أبيض أصهب اللحية طويلَها ، مربوعًا مشرَب اللون حمرة ، حسن العينين .

وكان مولده بالخُلْدِ . وقال بعضهم : وُلد سنة ثمانين ومائة فى الشهر الثامن.

وهو ثامن الخلفاء ، والثامن من ولد العباس ، وعمره كان ثمانياً وأربعين سنة. ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات ، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر ، فقال محمد بن عبد الملك الزيات :

قد قلتُ إذ غيّبُوك واصطَفَقَت عليك أيدٍ بالتُّرْبِ والطينِ

اذهبْ فنِعْم الحَفيظ كنتَ على الدّ نيا ونعم الظهيرُ للدينِ

لَا جَبرَ اللهُ أمةً فَقَدَتْ مِثلكَ إلا بمثلِ هارون

وقال مَرْوان بن أبي الجنوب وهو ابن أبي حفصة :

أبو إسحاقَ ماتَ ضحًى فمتنا ... وأمسينا بهارون حُيِينا

لئن جاءَ الخميسُ بما كرهنا ... لقد جاءَ الخميسُ بما هوينا

* * *

ذكر الخبر عن بعض أخلاق المعتصم وسيره

ذُكِر عن ابن أبي دواد أنه ذكر المعتصم بالله ، فأسهب في ذكره ، وأكثر في وصفه ، وأطنب في فضله ، وذكَر من سعة أخلاقه وكَرَم[1] أعراقه وطيب مرْكَبِه ولين جانبه ، وجميل عشرته ؛ فقال : قال لى يومًا ونحن بعمُّوريَّة : ما تقول في البُسْر يا أبا عبد الله ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ؛ نحن ببلاد الروم والبُسر بالعراق ؛ قال : صدقت قد وجَّهت إلى مدينة السلام ، فجاءوا بكِبَاستَيْن ، وعلمت أنك تشتهيه . ثم قال : يا إيتاخ ، هات إحدى الكِبَاستين ، فجاء بكباسة بُسْر ، فمدّ ذراعه ، وقبض عليها بيده ، وقال : كُلْ بحياتى عليك من يدِى ، فقلت : جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين ! بل تضعها فآكل كما أريد ، قال : لا والله إلاّ من يدى ، قال : فوالله ما زال حاسرًا عن ذراعه ، ومادًّا يده ، وأنا أجتنى من العِذْق ، وآكلُ حتى رمى به خاليًا ما فيه بُسرة .

١٣٢٥/٣

قال : وكنت كثيراً ما أزامله في سفره ذلك ؛ إلى أن قلت له يومًا : يا أمير المؤمنين ، لو زاملك بعضُ مواليك وبُطانتك فاسترحتَ منى إليهم مرّة ، ومنهم إلىّ مرة أخرى ، كان ذلك أنشط لقلبك ، وأطيب لنفسك ، وأشدّ لراحتك ؛ قال : فإنّ سيما الدمشقى يزاملنى اليوم ، فمن يزاملك أنت ؟ قلت : الحسن ابن يونس ، قال : فأنت وذاك . قال : فدَعوت الحسن فزاملنى . وتهيأ أن ركب المعتصم بغلا ، فاختار أن يكون منفرداً ، قال : فجعل يسير بسير بعيرى ؛ فإذا أراد أن يكلمنى رفع رأسه إلىّ ، وإذا أردتُ أن أكلمه خفضت رأسى ؛

(١) ف : « وكريم » .

قال : فانتهينا إلى وادٍ ولم نعرف غَوره ؛ وقد خلَّفنا العسكر وراءنا ، فقال لى : مكانَك حتى أتقدَّم . فأعرف غَوْر الماء وأطلب قلته ، واتبع أنت موضع سيرى ، قال : فتقدَّم فدخل الوادى ، وجعل يطلب قلة الماء ، فمرَّة ينحرف عن يمينه ، ومرَّة ينحرف عن شماله ، وتارة يمشى لسَنَنِه ؛ وأنا خلفه متبع لأثره حتى قطعنا الوادىَ . ١٣٢٦/٣

قال : واستخرجت منه لأهل الشاش ألفى ألف درهم لكرْى نهرٍ لهم اندفن فى صدر الإسلام ؛ فأضرَّ ذلك بهم ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، مالى ولك ؛ تأخذ مالى لأهل الشاش وفَرْغانة ! قلت : هم رعيَّتك يا أمير المؤمنين ، والأقصى والأدنى فى حُسن نظر الإمام سواءٌ .

وقال غيره : إنه إذا غضب لا يبالى مَن قتل ولا ما فعل .

وذكر عن الفضل بن مروان أنه قال : لم يكن للمعتصم لَذَّة فى تزيين البناء ؛ وكانت غايته فيه الإحكام . قال : ولم يكن بالنفقة على شىء أسمح منه بالنَّفقه فى الحرب .

وذكر محمد بن راشد ، قال : قال لى أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم : دعانى أمير المؤمنين المعتصم يوماً ، فدخلت عليه وعليه صُدرة وشْى ومنطقة ذهب وخفّ أحمر ، فقال لى : يا إسحاق ، أحببت أن أضرب معك بالصوالجة ؛ فبحياتى عليك إلاَّ لبستَ مثل[1] لباسى ؛ فاستعفيتُه مِنْ ذلك فأبى ، فلبست مثل لباسه ، ثم قُدّم إليه فرس محلاّة[2] بحلية الذهب ، ودخلنا[3] الميْدان ، فلما ضرب ساعة ، قال لى : أراك كسلان ، وأحسبك تكره هذا الزّىّ ، فقلت : هو ذاك يا أمير المؤمنين ، فنزل وأخذ بيدِى ، ومضى يمشى وأنا معه إلى أن صار إلى حجرة الحمَّام ، فقال : خذ ثيابى يا إسحاق ؛ فأخذت ثيابَه حتى تجرّد ، ثم أمرنى بنزع ثيابى ففعلت ؛ ثم دخلنا أنا وهو الحمَّام ؛ وليس معنا غلام ؛ فقمت عليه ودلكته ، وتولى أمير المؤمنين المعتصم منى مثل ذلك ، وأنا فى كل ذلك أستعفيه ، فيأبى علىّ ، ثم خرج من الحمَّام فأعطيته ثيابَه ، ولبست ثيابى ، ثم أخذ بيدى ومضى يمشى ؛ وأنا معه حتى صار إلى مجلسه فقال : ١٣٢٧/٣

(١) س : « معى » . (٢) ف : « محل » . (٣) س : « ودخلت » .

يا إسحاق ؛ جئني بمصلًّى ومخدّتين ، فجئته بذلك ، فوضع المخدّتين ، ونام على وجهه ، ثم قال : هات مصلًّى ومخدّتين ، فجئت بهما ، فقال : ألقه ونم عليه بحذائي ، فحلفتُ ألاّ أفعلَ ، فجلست عليه ، ثم حضر إيتاخ التّركيّ وأشناس ، فقال لهما : امضيا إلى حيث إذا صحت سمعتما ، ثم قال : يا إسحاق ، فى قلبى أمر أنا مفكّر فيه منذ مدّة طويلة ؛ وإنما بسطتك فى هذا الوقت لأفشيَه إليك ، فقلت : قل يا سيدى يا أمير المؤمنين ؛ فإنما أنا عبدك وابن عبدك ، قال : نظرت إلى أخى المأمون وقد اصطنع أربعةً أنجبوا ، واصطنعت أنا أربعة لم يفلحْ أحدٌ منهم ؛ قلت : ومَن الذين اصطنعهم أخوك ؟ قال : طاهر بن ١٣٢٨/٣ الحسين ؛ فقد[1] رأيتُ وسمعتُ ، وعبد الله بن طاهر ، فهو الرّجل الذى لم يُرَ مثله ، وأنت ، فأنت والله لا يعتاض السلطان منك أبداً ، وأخوك محمد بن إبراهيم ، وأين مثل محمد ! وأنا فاصطنعت الأفشين فقد رأيتَ إلى ما صار أمْرُه ، وأشناس ففشِلَ آيه[2] وإيتاخ فلا شىء ، ووصيف فلا مغنى فيه ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، جعلنى الله فداك ! أجيب على أمانٍ من غضبك ، قال : قل ، قلت : يا أمير المؤمنين أعزّك الله نظر أخوك إلى الأصول ؛ فاستعملها ، فأنجبت فروعها ، واستعمل أمير المؤمنين فروعاً لم تنجب إذ لا أصول لها ، قال : يا إسحاق لمقاساةُ ما مرّ بى فى طول هذه المدّة أسهلُ علىّ من هذا الجواب .

وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ ، أنه قال : أتيتُ أمير المؤمنين المعتصم بالله يوماً وعنده قينة كان معجَباً بها ، وهى تغنّيه ، فلما سلّمتُ وأخذت مجلسى ، قال لها : خذى فيما كنت فيه ، فغنّت فقال لى : كيف تراها يا إسحاق ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، أراها تقهره بحذْق وتختله برفْق ، ولا تخرج من شىء إلاّ إلى أحسن منه ، وفى صوتها قطع شذور أحسن من نظم الدرّ على النحور ، فقال : يا إسحاق ، لَصِفتُك لها أحسن منها ومن غنائها ، وقال لابنه هارون : اسمع[3] هذا الكلام .

وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ أنه قال : قلت للمعتصم فى شىء ، ١٣٢٩/٣ فقال لى : يا إسحاق ؛ إذا نصير الهوى بطل الرّأى ؛ فقلت له : كنت أحبّ

---

(١) ف : « وقد رأيت » . (٢) كذا فى ا . (٣) س : « اكتب » .

يا أمير المؤمنين أن يكون معى شبابى ؛ فأقوم[١] مِنْ خدمتك بما أنويه ، قال لى : أوَلستَ كنت تبلغ إذ ذاك جهدك ؟ قلت : بلى ، قال : فأنت الآن تبلغ جهدك فسيّان إذاً .

وذكر عن أبى حسان أنه قال : كانت أمّ أبى إسحاق المعتصم من مولّدات الكوفة يقال لها ماردة .

وذكر عن الفضل بن مروان ، أنه قال : كانت أمّ المعتصم ماردة سُغديّة ، وكان أبوها نشأ بالسَّواد ، قال : أحسبه بالبَنْدَنيجين .

وكان للرشيد من ماردة مع أبى إسحاق ، أبو إسماعيل ، وأمّ حبيب ، وآخران لم يُعرف اسماهما .

وذكر عن أحمد بن أبى دواد أنه قال : تصدّق المعتصم ووهب على يدى وبسببى بقيمة مائة ألف ألف درهم .

* * *

خلافة هارون الواثق أبى جعفر

وبُويع فى يوم تُوُفِّىَ المعتصم ابنه هارون الواثق بن محمد المعتصم ، وذلك فى يوم الأربعاء لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين وكان يكنى أبا جعفر ؛ وأمه أمّ ولد رومية تسمى قراطيس .

وهلك هذه السنة توفيل ملك الروم وكان ملكه اثنتى عشرة سنة وفيها ملكت بعده امرأته تذورة[٢] ، وابنها ميخائيل بن توفيل صبىّ .

* * *

١٣٣٠/٣ وحجّ بالناس فيها[٣] جعفر بن المعتصم ، وكانت أم الواثق[٤] خرجت معه تريد الحج ، فماتت بالحيرة لأربع خلوْن من ذى القعدة ودفنت بالكوفة فى دار داود بن عيسى .

---

(١) ف : « وأقوم » .
(٢) ط : « تدورة » .
(٣) س : فى هذه السنة » .
(٤) ف : « امرأة الواثق » .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من الواثق إلى أشناس أن توّجه وألبسه وشاحين بالجوهر فى شهر رمضان .

وفيها مات أبو الحسن المدائنىّ فى منزل إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ .

وفيها مات حبيب بن أوس الطائىّ أبو تمام الشاعر .

وفيها حجّ سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وفيها غلا السعر بطريق مكة ، فبلغ رطل خبز بدرهم وراوية ماء بأربعين درهماً . وأصاب الناس فى الموقف حرّ شديد ثم مطر شديد فيه برد ، فأضرّ بهم شدّة الحر ، ثم شدة[1] البرد فى ساعة واحدة ، ومُطروا بمنًى فى يوم النحر مطراً شديداً لم يروا مثله ، وسقطت قطعة من الجبل عند جمرة العقبة قتلت[2] عدّة من الحاج .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

---

(١) ف : « وشدة » .
(٢) ف : « وقتلت » .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن حبس الواثق الكتّاب وإلزامهم الأموال]

١٣٣١/٣ فمن ذلك ما كان من حبس الواثق بالله الكتّاب وإلزامهم أموالا ، فدفع أحمد بن إسرائيل إلى إسحاق بن يحيى بن معاذ صاحب الحرس ، وأمر بضربه كلّ يوم عشرة أسواط ؛ فضربه — فيما قيل — نحواً من ألف سوط ، فأدّى ثمانين ألف دينار . وأخذ من سليمان بن وهب كاتب إيتاخ أربعمائة ألف دينار ، ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار . وأخذ من أحمد بن الخصيب وكتّابه ألف ألف دينار ، ومن إبراهيم بن رَباح وكتّابه مائة ألف دينار ، ومن نَجاح ستين ألف دينار ، ومن أبي الوزير صلحًا مائة ألف وأربعين ألف دينار ؛ وذلك سوى ما أخذ من العمّال بسبب عِمَالاتهم . ونصب محمد بن عبد الملك لابن أبي دواد وسائر أصحاب المظالم العداوة ، فكُشفوا وحُبسوا ، وأجلس إسحاق بن إبراهيم ؛ فنظر في أمرهم وأقيموا للناس ولقوا كلّ جهد .

* ذكر الخبر عن السبب الذى بعث الواثق على فعله ما ذكرت بالكتّاب في هذه السنة :

ذكر عن عزُّون بن عبد العزيز الأنصاريّ ، أنه قال : كنّا ليلةً في هذه السنة عند الواثق ؛ فقال : لست أشتهى الليلة النبيذ ؛ ولكن هلمّوا نتحدث الليلة ؛ فجلس في رِواقه الأوسط في الهارونيّ في البناء الأول الذى كان إبراهيم ابن رَبَاح بناه ؛ وقد كان في أحد شِقّى ذلك الرّواق قُبّةٌ مرتفعة في السماء ١٣٣٢/٣ بيضاء ، كأنها بيضة إلا قدْر ذراع — فيما ترى العين — حولها[1] في وسطها ساج منقوش مغشّى باللازورْد والذّهب ، وكانت[2] تسمّى قبة المنطقة ؛ وكان ذلك الرواق يسمّى رواق قبّة المنطقة .

---

(١) ف : « حواها » . (٢) س : « فكانت » .

قال : فتحدّثنا عامة الليل ، فقال الواثق : مَنْ منكم يعلم السبب الذى به وثب جدّى الرشيد على البرامكة فأزال نعمتهم ؟ قال عزّون : فقلت : أنا والله أحدّثك يا أميرَ المؤمنين ، كان سبب ذلك أن الرشيد ذُكرت له جارية لعوْن الخياط ، فأرسل إليها فاعترضها ، فرضِيَ جمالها وعقلَها وحسن أدبها ، فقال لعون : ما تقول فى ثمنها ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، أمر ثمنها واضح مشهور ؛ حلفتُ بعتقها وعتق رقيقى جميعاً وصدقة مالى الأيمان المغلظة التى لامخرج منها لى، وأشهدت علىّ بذلك العدول ألاّ أنقص ثمنها عن مائة ألف دينار ، ولا أحتال فى ذلك بشىء من الحِيل ، هذه قضيتها . فقال أمير المؤمنين : قد أخذتها منك بمائة ألف دينار ، ثم أرسل إلى يحيى بن خالد يخبره بخبَر الجارية ، ويأمره أن يرسل إليه بمائة ألف دينار ، فقال يحيى : هذا مفتاح سوء ؛ إذا اجترأ فى ثمن جارية واحدة على طلب مائة ألف دينار فهو أحْرَى أن يطلب المال على قدر ذلك ؛ فأرسل يخبره أنه لايقدر على ذلك ، فغضب عليه الرّشيد، وقال : ليس فى بيت مالى مائة ألف دينار ، فأعاد عليه : لا بدّ منها ، فقال يحيى : اجعلوها دراهم ، ليراها فيستكثرها ، فلعله يردّها ، فأرسل بها دراهم ، وقال : هذه قيمة مائة ألف دينار ، وأمر أن تُوضع فى رواقه الذى يمرّ فيه إذا أراد المتوضّأ لصلاة الظهر . قال : فخرج الرّشيد فى ذلك الوقت ؛ فإذا جبل من بِدَر ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : ثمن الجارية ، لم تحضر دنانير ، فأرسل قيمتها دراهم ، فاستكثر[1] الرشيد ذلك ، ودعا خادماً له ، فقال : اضمم هذه إليك ، واجعل لى بيت مال لأضمّ إليه ما أريده وسمّاه بيت مال العروس ، وأمر بردّ الجارية إلى عون ، وأخذ فى التفتيش عن المال ، فوجد البرامكة قد استهلكوه[2] ، فأقبل يهمّ بهم ويمسك ؛ فكان يرسل إلى الصحابة وإلى قوم من أهل الأدب من غيرهم فيسامرهم[3] ، ويتعشّى معهم ؛ فكان فيمن يحضر إنسان كان معروفاً بالأدب ، وكان يعرف بكنيته يقال له أبو العُود ؛ فحضر ليلةً فيمن حضره ، فأعجبه حديثه ؛ فأمر خادماً له أن يأتىَ يحيى بن خالد

١٢٢٣/٣

(١) س : « فاستكبر » . (٢) س : « استهلكوا » .
(٣) س : « فيسامرونه » .

إذا أصبَح ، فيأمره أن يعطيَه ثلاثين ألف درهم ، ففعل ، فقال يحيى لأبى العود: أفعلُ ؛ وليس بحضرتنا اليوم مال ، غداً يجيء المال ، ونعطيك إن شاء الله. ثم دافعه حتّى طالت به الأيام ، قال : فأقبل أبو العود يحتال أن يجد من الرشيد وقتاً يحرّضه فيه على البرامكة — وقد كان شاع فى الناس ما كان يهمّ به الرشيد فى أمرهم — فدخل عليه ليلةً ، فتحدّثوا ، فلم يزل أبو العود يحتال للحديث حتّى وصله بقول عمر بن أبى ربيعة : ٣/١٣٣٤

وَعَدَتْ هندٌ وما كانت تَعِدْ ليتَ هندًا أنْجزَتنا ما تَعِدْ[1]

واسْتَبَدَّتْ مرّةً واحدةً إنما العاجز مَن لا يَسْتَبِدّ

فقال الرشيد: أجل والله ؛ إنما العاجز من لا يستبدّ ، حتّى انقضى المجلس. وكان يحيى قد اتخذ من خدم الرشيد خادماً يأتيه بأخباره ، وأصبح يحيى غادياً على الرّشيد ، فلما رآه قال : قد أردت البارحة أن أرسل إليك بشعرٍ أنشدنيه بعضُ مَنْ كان عندى ، ثم كرهت أن أزعجك ، فأنشده البيتين ، فقال : ما أحسنَهما يا أمير المؤمنين ! وفطن لما أراد ، فلما انصرف أرسل إلى ذلك الخادم ، فسأله عن إنشاد ذلك الشعر ؛ فقال : أبو العود أنشده ، فدعا الوزير يحيى بأبى العود ، فقال له : إنا كنا قد لويناك بمالك ، وقد جاءنا مال ، ثم قال لبعض خدمه : اذهب فأعطه ثلاثين ألف درهم[2] من بيت مال أمير المؤمنين ، وأعطه من عندى عشرين ألف درهم لمَطْلنا إياه ، واذهب إلى الفضل وجعفر فقل لهما هذا رجل مستحقّ[3] أن يبرّ ، وقد كان أمير المؤمنين أمر له بمال فأطلْت مطله ، ثم حضر المال ؛ فأمرت أن يعطى ووصلتُه من عندى صلة ، وقد أحببت[4] أن تصلاه ، فسألا : بكَم وصله قال : بعشرين ألف درهم ؛ فوصله كلّ واحد منهما بعشرين ألف درهم ؛ فانصرف بذلك المال كله إلى منزله . وجدّ الرشيد فى أمرهم حتّى وثب عليهم ، وأزال نعمتهم ، وقتل جعفراً وصنع ما صنع . ٣/١٣٣٥

---

(١) ديوانه ٣٢٠ مع اختلاف فى الرواية (٢) ف : « ثلاثين ألفاً » .

(٣) س : « يستحق » . (٤) ف : « وأحببت » .

فقال الواثق : صدق والله جدّى ؛ إنما العاجز من لا يستبدّ ! وأخذ فى ذكر الخيانة وما يستحق أهلها .

قال عزُون : أحسبه : سيوقع بكتّابه ، فما مضى أسبوع حتى أوقع بكتّابه ، وأخذ إبراهيم بن رباح وسليمان بن وهب وأبا الوزير وأحمد بن الخصيب وجماعتهم . قال : وأمر الواثق بحبس سليمان بن وَهْب كاتب إيتاخ ، وأخذه بمائتى ألف درهم — وقيل دينار — فقيد وألبس مَدْرعة من مدارع الملاحين ، فأدّى مائة ألف درهم ، وسأل أن يؤخذ بالباقى عشرين شهراً ، فأجابه الواثق إلى ذلك ، وأمر بتخلية سبيله وردّه إلى كتابة إيتاخ ، وأمره بلبس السواد .

* * *

وفى هذه السنة ولِىَ شاربامِيَان لإيتاخ اليمن وشَخص إليها فى شهر ربيع الآخر .

وفيها وَلِىَ محمد بن صالح بن العباس المدينة .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين

ذكر خبر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر مسير بغا إلى الأعراب بالمدينة]

فمن ذلك ما كان من توجيه الواثق بُغا الكبير إلى الأعراب الذين عاثوا بالمدينة وما حواليها[1] .

• ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر أن[2] بدء ذلك كان أن بنى سُليم كانت[2] تطاول على الناس حول المدينة بالشرّ، وكانوا إذا وردوا سوقاً من أسواق الحجاز أخذوا سعرها[3] كيف شاءوا، ثم ترقّى[4] بهم الأمر إلى أن أوقعوا بالحجاز بناس[5] من بنى كنانة وباهلة، فأصابوهم وقتلوا بعضهم[6] ، وذلك فى جمادى الآخرة سنة ثلاثين ومائتين، وكان رأسهم عُزيزة بن قطّاب السُّلَمىّ. فوجّه إليهم محمدُ بن صالح بن العباس الهاشمىّ ؛ وهو يومئذ عامل المدينة ؛ مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حمادَ بن جرير الطبرىّ —وكان الواثق وجّه حماداً مسلحةً للمدينة لئلاّ يتطرّقها[7] الأعراب، فى مائتى فارس من الشاكريّة— فتوجّه إليهم حمّاد فى جماعة من الجند ومَنْ تطوّع للخروج من قريش والأنصار ومواليهم وغيرهم من أهل المدينة ؛ فسار إليهم فلقيتْه طلائعهم . وكانت بنو سليم كارهة للقتال ، فأمر حماد بن جرير بقتالهم، وحمل عليهم بموضع يقال له الرُّوَيْثة من المدينة على ثلاث مراحل ؛ وكانت بنو سليم يومئذ وأمدادها جاءوا من البادية فى سمائة وخمسين ، وعامة مَنْ لقيَهم من بنى عَوْف من بنى سُلَيم، ومعهم أشهب

١٣٣٦/٣

(١) ف : « حولها » .
(٢-٢) ف : « أمر بدء ذلك أن كان بنو سليم » .
(٣) س : « بيوعها » .
(٤) كذا فى ا ، س . وفى ط : « تراق » .
(٥) س : «بالحجاز بناس» .
(٦) ف : « وقتلوهم وبعضهم أثر » .
(٧) ف : « ليلا فطرقها الأعراب » .

ابن دُوَيكل بن يحيى بن حمير العوفىّ وعمه سلَمة بن يحيى وعُزيزة بن قطَّاب اللَّبيدىّ من بنى لبِيد بن سُليم ؛ فكان[1] هؤلاء قوّادهم ، وكانت خيلهم مائة وخمسين فرسًا ، فقاتلهم حماد وأصحابه؛ ثم أتت بنى سليم أمدادُها[2] ١٣٣٧/٣ خمسمائة من موضع فيه بَدْوهم ؛ وهو موضع يسمّى أعلى الرويثة ؛ بينها وبين موضع القتال أربعة أميال ؛ فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزمت سودان المدينة بالناس ؛ وثبت حمّاد وأصحابه وقريش والأنصار ، فصلُوا بالقتال حتى قُتِل حمّاد وعامة أصحابه ، وقُتل مِمّن ثبت من قريش والأنصار عددٌ صالح ، وحازت بنو سُلَيم الكُراع والسلاح والثياب ؛ وغلُظ أمر بنى سُلَيم ، فاستباحت[3] القرى والمناهل[4] ؛ فيما بينها وبين مكة والمدينة ؛ حتى لم يمكن أحداً أن يسلك ذلك الطريق ؛ وتطرّقوا مَنْ يليهم من قبائل العرب .

فوجّه إليهم الواثق بُغا الكبير أبا موسى التركىّ فى الشاكريّة والأتراك والمغاربة ، فقدِمها بُغا فى شعبان سنة ثلاثين ومائتين ، وشخص إلى حَرّة بنى سليم ، لأيام بقين من شعبان ؛ وعلى مقدّمته طردوش التركىّ ، فلقيهم ببعض مياه الحَرّة ؛ وكانت الوقعة بشقّ الحرّة من وراء السُّوارِقيّة ، وهى قريتهم التى كانوا يأوون إليها — والسوارقية حصون — وكان جُلّ من لقيه منهم من بنى عوف فيهم عُزيزة بن قطّاب والأشهب — وهما رأسا القوّاد يومئذ — فقتل بُغا منهم نحواً من خمسين[5] رجلاً ، وأسر مثلهم ؛ فانهزم الباقون ، وانكشف بنو سليم لذلك ؛ ودعاهم بُغا بعد الوقعة إلى الأمان على حُكْم أمير المؤمنين الواثق ، وأقام بالسوارِقيّة فأتوْه ، واجتمعوا إليه ، وجمعهم من عشرة واثنين وخمسة ١٣٣٨/٣ وواحد ، وأخذ مَن جمعت السوارقيّة من غير بنى سليم من أفناء الناس ، وهربت خُفّاف بنى سُلَيم إلا أقلها ؛ وهى التى كانت تؤذِى الناس ، وتطرّق الطريق ، وجلّ مَنْ صار فى يده مِمّن ثبت من بنى عَوْف ، وكان آخر من أخذ منهم من بنى حُبْشِىّ من بنى سُلَيم ، فاحتبس عنده من وُصف بالشرّ

---

(١) ف : « فكانوا ». (٢) ف : « ثم أتت بنو سليم وأمدادها » .
(٣) ا ، د ، س : « واستباحت» . (٤) س : « والمنازل » .
(٥) ف : « نحو اثنين وخمسين رجلا » .

والفساد ؛ وهم زُهاء ألف رجل ، وخلّى سبيلَ سائرهم ؛ ثم رحل عن السوارقيّة بمَن صار فى يده من أسارى بنى سُلَيم ومستأمِنيهم[١] إلى المدينة فى ذى القعدة سنة ثلاثين ومائتين ، فحبسهم فيها فى الدّار المعروفة بيزيد بن معاوية ، ثم شخص إلى مكة حاجًّا فى ذى الحجة ؛ فلمّا انقضى الموسم انصرف إلى ذات عرْق ، ووجه إلى بنى هلال مَنْ عرض عليهم مثل الذى عَرض على بنى سُلَيم فأقبلوا ، فأخذ من مَرَدتهم وعُتاتهم نحواً من ثلثمائة رجل ، وخلّى سائرهم ، ورجع من ذات عِرْق وهى على مرحلة من البستان ، بينها وبين مكة مرحلتان .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة عبد الله بن طاهر]

وفى هذه السنة مات أبو العباس عبد الله بن طاهر بنيسابور يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول بعد موت أشناس التركىّ بتسعة أيام[٢] .

ومات عبد الله بن طاهر وإليه الحرب والشرطة والسوّاد وخُراسان وأعمالها والرىّ وطبرستان وما يتصل بها وكِرْمان ، وخراج هذه الأعمال كان يوم مات ثمانية وأربعين ألف ألف درهم ، فولّى الواثق أعمال عبد الله بن طاهر كلها ابنه طاهراً[٣] . ١٣٣٩/٣

وحجّ فى هذه السنة إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ، فولِىَ أحداث الموسم .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

(١) كذا فى ا ، س : « ومستأمنتهم » . (٢) ا ، د : « بسبعة » .

(٣) فى ابن الأثير ٥ : ٢٧١ ، ٢٧٢ فصل عقده فى سيرة عبد الله بن طاهر وشعره وما قيل فيه من المدائح .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من أمر الفِداء الذى جرى على يد خاقان الخادم بين المسلمين والرّوم فى المحرّم منها ، فبلغت عدّة المسلمين – فيما قيل – أربعة آلاف وثلثمائة واثنين وستين إنسانًا .

• • •

[ذكر الخبر عن أمر بنى سليم وغيرهم من القبائل]

وفيها قُتِل مَنْ قُتِل من بنى سُليم بالمدينة فى حبس بُغا .

• ذكر الخبر عن سبب قتلهم وما كان من أمرهم :

ذكر أنّ بُغا لمّا صار إليه بنو هلال بذات عِرْق ، فأخذ منهم مَنْ ذكرت أنه أخذ منهم ، شخص[1] مُعتمرًا عُمْرة المحرّم ، ثم انصرف إلى المدينة ، فجمع كلّ من أخذ من بنى هلال واحتبسهم عنده مع الذين كان أخذ من بنى سُليم ، وجمعهم جميعًا فى دار يزيد بن معاوية فى الأغلال والأقياد[2] وكانت بنو سليم حُبِيست قبل ذلك بأشهر . ثم سار بُغا إلى بنى مرّة ، وفى حبس المدينة نحو من ألف وثلثمائة رجل من بنى سُليم وهلال ، فنقبوا الدار ليخرجوا ، فرأت امرأة من أهل المدينة النَّقْب ، فاستصرخت أهل المدينة فجاءوا ، فوجدوهم قد وثبوا[3] على الموكَّلين بهم ، فقتلوا منهم رجلا أو رجلين ، وخرج بعضهم أو عامّتهم ؛ فأخذوا سلاح الموكَّلين بهم ، واجتمع عليهم أهل المدينة ؛ أحرارهم وعبيدهم – وعامل المدينة يومئذ عبد الله بن أحمد بن داود الهاشمىّ – فمنعوهم الخروج ، وباتوا محاصريهم حول الدار حتى أصبحوا ؛ وكان وثوبهم عشيّة الجمعة ؛ وذلك أن عُزيزة بن قَطَّاب قال لهم : إنى أتشاءم بيوم السبت ؛ ٣/١٣٤٠

---

(١) ف : « فشخص » . (٢) ف : « فى أغلال وقيود » .

(٣) س : « فوثبوا » .

ولم يزل أهل المدينة يعتقبون القتال، وقاتلتْهم بنو سُليم ، فظهر أهل المدينة عليهم ، فقتلوهم أجمعين ، وكان عُزيزة يرتجز ، ويقول :

لا بُدَّ مِنْ زَحْمٍ وإن ضاقَ البابْ إنى أنا عُزَيزة بنُ القطَّابْ
لَلموْت خيرٌ للفتَى من العَابْ هذا وربِّى عملٌ لِلبَوَّابْ

وقيْده فى يده قد فكّه، فرمى به رجلا ، فخرّ صريعًا . وقُتلوا جميعًا ، وقتلت سودان المدينة مَنْ لقيت من الأعراب فى أزقة المدينة ممّن دخل يمتار ، حتى لقوا أعرابيًّا خارجًا من قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقتلوه ؛ وكان أحد بنى أبى بكر بن كلاب من ولد عبد العزيز بن زُرارة . وكان بُغا غائبًا عنهم ؛ فلمّا قدم فوجدهم قد قُتِلوا شقّ ذلك عليه ، ووجد منه وجدًا شديدًا[1] .

وذُكر أن البوّاب كان قد ارتشى منهم ، ووعدهم أن يفتح لهم الباب ، فعجلوا قبل ميعاده ؛ فكانوا يرتجزون ويقولون وهم يقاتلون :

الموت خيرٌ للفتى مِنَ العـارْ قد أخَذَ البوابُ ألْف دينارْ

وجعلوا يقولون حين أخذهم بُغَا :

١٣٤١/٣

يا بُغيَةَ الخيرِ وسَيْفَ المُنتَبِهْ وجانِبَ الجورِ البَعيدِ المشتَبِهْ
مَنْ كان منا جانِياً فلستُ بِهْ افْعَلْ هَدَاك اللهُ ما أُمرتَ بِهْ

فقال : أمِرْتُ أن أقتلكم . وكان عُزَيزة بن قَطّاب رأس بنى سُليم حين قتِل أصحابه صار إلى بئر ،فدخلها ، فدخل عليه رجل من أهل المدينة فقتله ، وصُفّت القتلى على باب مَرْوان بن الحكم ؛ بعضُها فوق بعض .

وحدثنى أحمد بن محمد أن مؤذّن أهل المدينة أذّن ليلةَ حراستهم بنى سليم بليل ترهيباً لهم بطلوع الفجر ، وأنهم قد أصبحوا ، فجعل الأعراب يضحكون، ويقولون : يا شَرَبة السَّويق ؛ تُعلموننا بالليل ، ونحن أعلم به منكم! فقال رجل من بنى سُليم :

---

(١) ف : « عظيماً » .

متى كانَ ابنُ عباسٍ أميرًا يَصِلُّ لِصَقلِ نابيْهِ صَرِيفُ
يجورُ ولا يُرَدُّ الجَوْرُ منه ويَسطو ما لِوَقعَتِهِ ضعيفُ
وقد كنا نَرُدُّ الجور عنَّا إذا انتُضِيتْ بأَيدينا السُّيوفُ
أميرُ المؤمنينَ سَمَا إلينا سُمُوَّ الليثِ ثار من الغَرِيفِ
فإنْ يَمْنُنْ فَعَفْوَ اللهِ نرجو وإن يَقتلْ فقاتِلنا شَريفُ

١٣٤٢/٣ وكان سبب غَيْبة بُغا عنهم أنه توجه[1] إلى فَدَك لمحاربة مَنْ فيها ممّن كان تغلّب عليها من بنى فزارة ومُرّة؛ فلما شارفهم وجّه إليهم رجلا من فَزارة يعرض عليهم الأمان، ويأتيه بأخبارهم، فلمّا قدم عليهم الفزاريّ حذّرهم سطوته، وزيّن لهم الهرب، فهربوا ودخلوا فى البرّ، ودخلوا فَدَك إلاّ نفراً بقوا فيها منهم؛ وكان قصدهم خَيْبَر وجَنَفاء[2] ونواحيها؛ فظفر ببعضهم، واستأمن بعضهم، وهرب الباقون مع رأس لهم يقال له الرّكاض إلى موضع من البلْقاء من عمل دمشق، وأقام بُغا بجَنَفاء وهى قرية من حدّ عمل الشأم[3]، مما يلى الحجاز نحواً من أربعين ليلة، ثم انصرف إلى المدينة بمن صار فى يديه من بنى مُرّة وفَزارة.

* * *

وفى هذه السنة صار إلى بُغا من بطون غَطَفان وفَزارة وأشْجع جماعة؛ وكان وجّه إليهم وإلى بنى ثعلبة؛ فلمّا صاروا إليه — فيما ذكر — أمر محمد ابن يوسف الجعفريّ، فاستحلفهم الأيمان المؤكدة ألاّ يتخلّفوا عنه متى دعاهم. فحلفوا، ثم شخص إلى ضَرِيَّة لطلب بنى كِلاب، ووجّه إليهم رسلَه، فاجتمع إليه منهم — فيما قيل — نحو من ثلاثة آلاف رجل، فاحتبس منهم من أهل الفساد نحواً من ألف رجل وثلثمائة رجل، وخلّى سائرهم، ثم قدم بهم المدينة فى شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائتين، فحبسهم فى دار يزيد بن معاوية، ثم شخص[4] إلى مكة بُغا، وأقام بها حتى شهد الموسم، فبقى

(١) ا، س: «سار». (٢) ا، ف: «وحيفا».
(٣) س: «الحجاز». (٤) س: «وشخص».

بنو كلاب فى الحبس لا يجرى عليهم شىءٌ مدّةَ غيبة بُغا ؛ حتى رجع [(١)] ١٣٤٣/٣
إلى المدينة ، فلما صار إلى المدينة أرسل إلى مَنْ كان استحلف من ثعلبة
وأشجع وفَزارة فلم يجيبوه ، وتفرّقوا فى البلاد ، فوجّه فى طلبهم فلم يلحق منهم
كثير أحد .

* * *

[ذكر مقتل أحمد بن نصر الخزاعى على يد الواثق]

وفى هذه السنة تحرّك ببغداد قومٌ فى رَبَض عمرو بن عطاء ، فأخذوا
على أحمد بن نصر الخُزاعىّ البيعة .

• ذكر الخبر عن سبب حركة هؤلاء القوم وما آل إليه أمرهم وأمر أحمد بن نصر :

وكان السبب فى ذلك أنّ أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخُزاعىّ —
ومالك بن الهيثم أحد نقباء بنى العبّاس ، وكان ابنه أحمد يغْشاه أصحاب
الحديث ؛ كيحيى بن مَعين وابن الدَّوْرَقىّ وابن خَيْثمة ، وكان يُظهر
المباينة لمن يقول : القرآن مخلوق ؛ مع منزلة أبيه كانت من السلطان فى دولة
بنى العباس ، ويبسط لسانه فيمن يقول ذلك ، مع غِلْظة الواثق كانت على
من يقول ذلك وامتحانه إياهم فيه ، وغلبة أحمد بن أبى دواد عليه — فحدثنى
بعض أشياخنا [(٢)] ، عمّن ذكره ، أنه دخل على أحمد بن نصر فى بعض تلك
الأيام وعنده جماعة من الناس ، فذُكر عنده الواثق ، فجعل يقول : ألاّ فعل
هذا الخنزير [(٣)] ! أو قال : هذا الكافر ؛ وفشا ذلك من أمره ، فخُوّف ١٣٤٤/٣
بالسلطان [(٤)] ، وقيل له : قد اتّصل أمرُك به ، فخافه .

وكان فيمن [(٥)] يغشاه رجل — فيما ذكر — يعرف بأبى هارون [(٦)] السرّاج
وآخر يقال له طالب ، وآخر من أهل خُراسان من أصحاب إسحاق بن إبراهم بن

---

(١) س : « قدم » .
(٢) د، س : « شيوخنا » .
(٣) س : « ألا فعل الله بهذا الخنزير » .
(٤) د، ف : « فخوف السلطان » .
(٥) ف : « ممن » .
(٦) ف : « يقال له أبو هارون » .

مُصعب صاحب الشرْطة ممّن يظهر له القول بمقالته ، فحرّك المطيفون به — يعنى أحمد بن نصر — من أصحاب الحديث ، وممّن ينكر القول بخلْق القرآن من أهل بغداد — أحمد ، وحملوه على الحركة لإنكار القول بخلْق القرآن ، وقصدوه بذلك دون غيره ؛ لما كان لأبيه وجدّه فى دولة بنى العباس من الأثَر ، ولِمَا كان له ببغداد ، وأنه كان أحدَ مَنْ بايع له أهل الجانب الشرقىّ على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والسمع له فى سنة إحدى ومائتين ، لمّا كثر الدعّار بمدينة السلام ، وظهر بها الفساد والمأمون بخراسان ؛ وقد ذكرنا خبره فيما مضى . وأنه لم يزل أمره على ذلك ثابتاً إلى أن قدم المأمون بغداد فى سنة أربع ومائتين ، فرجوا استجابة العامة له إذا هو تحرّك للأسباب التى ذكرت .

فذكر أنه أجاب من سأله ذلك ؛ وأنّ الذى كان يسعى نه فى دعاء الناس له الرجلان اللذان ذكرت اسميهما[1] قبل. وإن أبا هارون السرّاج وطالباً فرّقا فى قوم مالا ، فأعطيا كلّ رجل منهم ديناراً ديناراً ، وواعداهم ليلةً يضربون فيها الطبْل للاجتماع فى صبيحتها للوثوب بالسلطان ؛ فكان طالب بالجانب الغربىّ من مدينة السّلام[2] فيمن عاقده على ذلك ، وأبو هارون بالجانب[3] الشرقىّ فيمن عاقده عليه ؛ وكان طالب وأبو هارون أعطيا فيمَنْ أعطيا[4] رجلين من بنى أشرس القائد دنانير يفرّقانها فى جيرانهم ، فانتبذ بعضُهم نبيذاً ، واجتمع عدّة منهم على شربه ، فلمّا ثملوا ضربوا بالطبل[5] ليلة الأربعاء قبل الموعد بليلة ؛ وكان الموعد لذلك ليلة[6] الخميس فى شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، لثلاث تخلو[7] منه ، وهم يحسبونها ليلة الخميس التى اتّعدوا لها ، فأكثروا ضرب الطبْل ، فلم يجبهم أحد . وكان إسحاق بن إبراهيم غائباً عن بغداد وخليفته بها أخوه محمد بن إبراهيم ، فوجّه إليهم محمد بن إبراهيم غلاماً له يقال له رَحش ، فأتاهم فسألهم عن قصّتهم ، فلم يظهر له أحد ممن ذكر بضرب الطبْل ، فدُلّ على رجل يكون فى الحمامات مصاب بعينه ، يقال له

١٣٤٥/٣

(١) ط : « أسماهما » ، وما أثبته من ا

(٢) ف : « بغداد » .

(٣) ف : « فى الجانب » .

(٤) بعدها فى ف : « ذلك » .

(٥) ف : « الطبل » .

(٦) ف : « يوم الخميس » .

(٧) س : « خلون » .

عيسى الأعور ، فهدّده بالضرب ، فأقرّ على ابنى أشرس وعلى أحمدبن نصربن مالك وعلى آخرين سمّاهم ، فتتبّع القوم من ليلتهم ؛ فأخذ بعضهم ، وأخذ طالباً ومنزلُه فى الرَّبض من الجانب الغربى ، وأخذ أبا هارون السرّاج ومنزله فى الجانب الشرقىّ ، وتتبّع مَنْ سمّاه عيسى الأعور فى أيام وليال ، فصُيِّروا فى الحبس فى الجانب الشرقىّ والغربىّ ، كلُّ قوم فى ناحيتهم التى أخِذوا فيها ، وقيِّد أبو هارون وطالب بسبعين(١) رِطلاً من الحديد كلّ واحد منهما ، وأصيب فى منزل ابنى أشرس عَلَمان أخضران فيهما حُمرة فى بئر ، فتولّى إخراجهما رجلٌ من أعوان محمد بن عيّاش — وهو عامل الجانب الغربىّ ، وعامل الجانب الشرقىّ العباس بن محمد بن جبريل القائد الخراسانىّ — ثم أخِذ خصىّ لأحمد ابن نصر فتُهُدِّد ، فأقرّ بما أقرّ به عيسى الأعور ، فمضى إلى أحمد بن نصر وهو فى الحمّام ، فقال لأعوان السلطان : هذا منزلى ؛ فإن أصبتم فيه عَلَماً أو عُدّة أو سلاحاً لفتنة فأنتم فى حِلّ منه ومن دمِى ؛ ففتش فلم يُوجد فيه شىء ، فحمِل إلى محمد بن إبراهيم بن مصعب وأخذوا خصيّين وابنين له ورجلاً ممن كان يغشاه يقال له إسماعيل بن محمد بن معاوية بن بكر الباهلىّ ، ومنزله بالجانب الشرقىّ ، فحمِل هؤلاء الستة إلى أمير المؤمنين الواثق وهو بسامرّا على بغال بأكُفٍ ليس تحتهم وطاء ، فقَيِّد(٢) أحمد بن نصر بزوج قيود ، وأخرِجوا من بغداد يوم الخميس لليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وكان الواثق قد أعلِم(٣) بمكانهم ، وأحضر(٤) ابن أبى دواد وأصحابه ، وجلس لهم مجلساً عامّاً ليُمتحنوا امتحاناً مكشوفاً ، فحضر القوم واجتمعوا عنده .

٣/١٣٤٦

وكان أحمد بن أبى دواد — فيما ذكر — كارهاً قتله فى الظاهر ؛ فلما أُتِىَ بأحمد بن نصر لم يناظره الواثق فى الشَّغَب ولا فيما رُفع(٥) عليه من إرادته الخروج عليه ؛ ولكنه قال له : يا أحمد ، ما تقول فى القرآن ؟ قال : كلام الله — وأحمد بن نصر مستقتل(٦) قد تنوّر وتطيّب ، قال : أفمخلوق هو ؟ قال : هو

٣/١٣٤٧

(١) د ، ف : « بتسعين » .
(٢) س : « مقيدا » .
(٣) ف : « علم » .
(٤) ف : « أحضروا » .
(٥) ف : « روى » .
(٦) ف : « مستقيل » .

كلام الله ، قال : فما تقول فى ربّك ، أتراه يوم القيامة ؟ قال : يا أمير المؤمنين جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون فى رؤيته » ؛ فنحن على الخبر . قال : وحدثنى سفيان ابن عيينة بحديث يرفعه : « أن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الله يقلّبه » ؛ وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يدعو : « يا مقلّب القلوب ، ثبّت قلبى على دينك » ؛ فقال له إسحاق بن إبراهيم : ويلك ! انظر ماذا تقول ! قال : أنت أمرتنى بذلك ؛ فأشفق إسحاق من كلامه ، وقال : أنا أمرتُك بذلك ! قال: نعم ، أمرتنى أن أنصح له إذ كان أمير المؤمنين ، ومن نصيحتى [1] له ألاّ يخالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الواثق لمن حوله : ما تقولون فيه ؟ فأكثروا ، فقال عبد الرحمن بن إسحاق — وكان قاضياً على الجانب الغربىّ فعزل ؛ وكان حاضراً وكان أحمد بن نصر ودّاً له — : يا أمير المؤمنين ؛ هو حلال الدّم ، وقال أبو عبد الله الأرمنّى صاحب ابن أبى دواد: اسقنى دمه يا أمير المؤمنين ، فقال الواثق : القتل يأتى على ما تريد ، وقال ابن أبى دواد: يا أميرَ المؤمنين كافر يُستتاب ؛ لعلّ به عاهة أو تغيُّر [2] عقل — كأنه كره أن يقتل بسببه — فقال الواثق : إذا رأيتمونى قد قمتُ إليه ، فلا يقومنّ أحد معى ، فإنى أحتسب خُطاى إليه . ودعا بالصَّمصامة — سيف عمرو بن معد يكرب الزّبيدىّ وكان فى الخزانة ، كان أهدِى إلى موسى الهادى ، فأمر سَلْماً الخاسر الشاعر أن يصفه له ، فوصفه فأجازه — فأخذ الواثق الصّمصامة — وهى صفيحة موصولة من أسفلها مسمورة بثلاثة مسامير تجمع بين الصّفيحة والصلة [3] — فمشى إليه وهو فى وسط الدار ، ودعا بنطع فصيِّر فى وسطه ، وحبْل فشُدّ رأسه ، ومُدّ الحبل ، فضربه الواثق ضربة ، فوقعت على حبل العاتق ، ثم ضربه أخرى على رأسه ، ثم انتضى سيما الدمشقىّ سيفه ، فضرب عنقه وحزّ رأسه .

١٣٤٨/٣

وقد ذُكر أن بُغا الشرابىّ ضربه ضربة أخرى ، وطعنه الواثق بطرف

---

(١) ابن الأثير : « فنصيحتى » . (٢) ابن الأثير : « نقص » .

(٣) س : « وبين الصلة » وفى د : « الصفحة » .

الصَّمْصامة فى بطنه، فحمِل معترضًا حتى أتِيَ به الحظِيرة التى فيها بابك، فصلِب فيها وفى رجله زَوْج قيود، وعليه سراويل وقميص، وحمِل رأسه إلى بغداد، فنُصب فى الجانب الشرقىّ أياماً، وفى الجانب الغربىّ أياماً، ثم حُوِّل إلى الشرقىّ، وحُظِر على الرأس حظيرة، وضرِب عليه فسطاط، وأقيم عليه الحرس، وعُرِف ذلك الموضع برأس أحمد بن نصر؛ وكتِب فى أذنه رُقْعة: هذا رأس الكافر المشرك الضالّ؛ وهو أحمد بن نصر بن مالك؛ ممّن قتله الله ٣/١٣٤٩ على يدى عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين، بعد أن أقام عليه الحجة فى خَلْق القرآن ونفى التشبيه، وعرَض عليه التوبة، ومكّنه من الرجوع إلى الحق؛ فأبى إلا المعاندة والتصريح، والحمد لله الذى عجّل به إلى ناره وأليم عقابه. وإنّ أمير المؤمنين سأله عن ذلك؛ فأقرّ بالتشبيه وتكلّم بالكفر، فاستحلّ بذلك أمير المؤمنين دَمه، ولعنه.

وأمر أن يُتتبع من وُسِم بصحبة أحمد بن نصر؛ ممن ذُكر أنه كان متشايعاً له؛ فوُضِعوا فى الحبوس، ثم جُعِل نيِّف وعشرون رجلا وسُموا فى حبوس الظلمة؛ ومُنِعوا من أخذ الصدقة التى يُعطاها أهل السجون، ومُنِعوا من الزُّوّار، وثقّلوا بالحديد. وحمِل أبو هارون السراج وآخَرُ معه إلى سامرّا، ثم رُدُّوا إلى بغداد، فجُعلوا فى المحابس.

وكان سبب أخذ الذين أخِذوا بسبب أحمد بن نصر، أنّ رجلا قصّاراً كان فى الرَّبَض جاء إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فقال: أنا أدلّك على أصحاب أحمد بن نصر، فوجّه معه من يتبعهم؛ فلمّا اجتمعوا وجدوا على القصّار سبباً حبسوه معهم؛ وكان له فى المِهْرزار نخل، فقُطع وانتُهِبَ[1] منزله؛ وكان ممن حُبِس بسببه قوْم من ولد عمرو بن اسفنديار، فماتوا فى ٣/١٣٥٠ الحبس؛ فقال بعض الشعراء فى أحمد بن أبى دواد:

ما إنْ تحوّلتَ من إيادِ[2] صِرْتَ عذاباً على العبادِ

(١) ف: «ونهب».
(٢) ا: «ألان تحولت فى إياد».

أنتَ كما قلتَ من إيادِ　　　فارْفقْ بهذا الخلقِ يا إيادِى

* * *

وفى هذه السنة أراد الواثق الحجّ ، فاستعدّ له ، ووجّه عمر بن فرّج إلى الطريق لإصلاحه ، فرجع فأخبره بقلّة الماء فبدا له .

وحجّ بالناس فيها محمد بن داود بن عيسى .

وفيها ولّى الواثق جعفر بن دينار اليمن ، فشخص إليها فى شعبان . وحجّ هو وبُغا الكبير ، وعلى أحداث الموسم بُغا الكبير ؛ وكان شخوص جعفر إلى اليمن فى أربعة آلاف فارس وألفى راجل وأعطى رزق ستة[1] أشهر .

وعقد محمد بن عبد الملك الزيات لإسحاق بن إبراهيم بن أبى خَمِيصة مولى بنى قُشَير من أهل أضاخ فيها على اليمامة والبحرين وطريق مكة ، مما يلى البصرة فى دار الخلافة ؛ ولم يذكر أن أحداً عقد لأحد فى دار الخلافة إلاّ الخليفة غير محمد بن عبد الملك الزّيات .

وفى هذه السنة نقب قوم من اللصوص بيت المال الذى فى دار العامّة فى جوف القصر ، وأخذوا اثنين وأربعين ألفاً من الدراهم[2] ؛ وشيئاً من الدنانير يسيراً ، فأخِذوا بعدُ وتتبع أخذهم يزيد الحلوانىّ ، صاحب الشرطة خليفة إيتاخ . ١٣٥١/٣

وفيها خرج محمد بن عمرو الخارجىّ من بنى زيد بن تغلب فى ثلاثة عشر رجلا فى ديار ربيعة ، فخرج إليه غانم بن أبى مسلم بن حُميد الطوسىّ ، وكان على حرب الموصل فى مثل عدّته ، فقتل من الخوارج أربعة ، وأخِذ محمد ابن عمرو أسيراً فبعث به إلى سامرّا ، فبعث به إلى مطبَق بغداد ، ونُصبت رءوس أصحابه وأعلامه عند خشبة بابك .

وفى هذه السنة قدم وصيف التركىّ من ناحية أصبهان والجبال وفارس ؛ وكان شخص فى طلب الأكراد ، لأنهم قد كانوا تطرّقوا إلى هذه النواحى ، وقدم معه منهم بنحو من خمسمائة نفس ؛ فيهم غلمان صغار ، جمعهم فى قيود

---

(١) س : « سبعة » .　(٢) س : « ألف درهم » .

وأغلال ؛ فأمر بحبسهم ، وأجيز وصيف بخمسة وسبعين ألف دينار ، وقلّد سيفاً وكُسِّى .

* * *

[خبر الفداء بين المسلمين والرّوم]

وفى هذه السنة ، تمّ الفداء بين المسلمين وصاحب الرُّوم ، واجتمع فيها المسلمون والرُّوم على نهر يقال له اللمس على سَلُوقِيَةَ علَى مسيرة يوم من طَرَسُوس .

• ذكر الخبر عن سبب هذا الفداء وكيف كان :

ذُكر عن أحمد بن أبى قَحْطَبة صاحب خاقان الخادم — وكان خادم الرشيد ، وكان قد نشأ بالثغر — أنّ خاقان هذا قدِم على الواثق ، وقدم معه نفر [١] من وجوه أهل طَرَسوس وغيرها يشكون صاحب مظالم كان عليهم [٢] ، يكنى أبا وهب ؛ فأحضِر، فلم يزل محمد بن عبد الملك يجمع بينه وبينهم فى دار العامّة عند [٣] انصراف الناس يوم الاثنين والخميس ، فيمكثون إلى وقت الظهر ؛ وينصرف محمد بن عبد الملك وينصرفون ، فعُزل عنهم [٤] ، وأمر الواثق بامتحان أهل الثغور فى القرآن ، فقالوا بخلقه جميعاً [٥] ؛ إلا أربعة نفر ؛ فأمر الواثق بضرب أعناقهم إن لم يقولوه ، وأمر لجميع أهل الثغور بجوائز على ما رأى خاقان ، وتعجّل أهلُ الثغور إلى ثغورهم ، وتأخّر خاقان بعدهم قليلا ؛ فقدم على الواثق رسلُ صاحب الروم — وهو ميخائيل بن توفيل بن ميخائيل ابن أليون بن جورجس — يسأله أن يفادِىَ بمن فى يده من أسارى المسلمين ، فوجّه الواثق خاقان فى ذلك ، فخرج خاقان ومَنْ معه فى فداء أسارى المسلمين فى آخر سنة ثلاثين ومائتين على موعد بين خاقان ورسل صاحب الرّوم للالتقاء للفداء فى يوم عاشوراء ؛ وذلك فى العاشر من المحرّم سنة إحدى وثلاثين

١٣٥٢/٣

---

(١) س : « بقوم » .
(٢) ف : « عليها » .
(٣) س : « بعد انصراف الناس » .
(٤) س : « فعزله » .
(٥) ف : « جميعاً بخلقه » .

ومائتين . ثم عقد الواثق لأحمد بن سعيد بن سلْم بن قتيبة الباهلىّ على الثغور والعواصم ، وأمره بحضور الفداء ؛ [١]فخرج على سبعة عشر من البُرُد[١]

٣/١٣٥٣ وكان الرسل الذين قدموا فى طلب الفداء[٢] قد جرى بينهم وبين ابن الزّيات اختلاف فى الفِداء ، قالوا[٣] : لا نأخذ فى الفداء امرأة عجوزاً ولا شيخاً كبيراً ولا صبيّاً ، فلم يزل ذلك بينهم أياماً حتى رضوا عن كلّ نفس بنفس .

فوجّه الواثق إلى بغداد والرّقة فى شرى مَنْ يباع من الرقيق من مماليك ، فاشترى مَنْ قدَر عليه منهم ، فلم تتمّ العدة ، فأخرج الواثق من قصره من النساء الروميات العجائز[٤] وغيرهنّ ؛ حتى تمّت العِدّة ، ووجّه ممن مع ابن أبى دواد رجلين ، يقال لأحدهما يحيى بن آدم الكرخىّ ، ويكنى أبا رملة ، وجعفر [بن أحمد]بن الحذّاء ؛ ووجّه معهما كاتباً من كتّاب العَرْض[٥] ، يقال له طالب بن داود ، وأمره بامتحانهم هو وجعفر ، فمن قال : القرآن مخلوق فودى به ، ومن أبى ذلك تُرك فى أيدى الروم ؛ وأمَرَ لطالب بخمسة آلاف درهم ؛ وأمر أن يعطوا جميع من قال : إن القرآن مخلوق ؛ ممن فُودِى به ديناراً لكل إنسان من ماله[٦] حُمل معهم ، فمضى القوم .

فذكر عن أحمد بن الحارث أنه قال : سألت ابن أبى قحطبة صاحب خاقان الخادم – وكان السفير الموجّه بين المسلمين والروم ، وُجِّه[٧] ليعرف عدّة المسلمين فى بلاد الروم . فأتى ملك الروم وعرف عدّتهم قبل الفداء – فذكَر أنه بلغت عِدّتهم ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة ؛ فأمر الواثق بفدائهم ، وعجّل أحمد بن سعيد على البَرِيد ليكون الفِداء على يديه ، ووجّه

٣/١٣٥٤ من يمتحن الأسراء من المسلمين ، فمن قال منهم : إنّ القرآن مخلوق ، وإنّ الله عزّ وجلّ لا يُرَى فى الآخرة فُودى به ؛ ومن لم يقل ذلك ترك فى أيدى الرّوم ، ولم يكن فداء منذ أيام محمد بن زبيدة فى سنة أربع أو خمس وتسعين ومائة .

(١ – ١) ف : « فخرج فى خمسة عشر من البريد » .

(٢) ف : « للفداء » .

(٣) ف : « فقالوا » .

(٤) ف : « والعجائز » .

(٥) س : « من الكتاب » .

(٦) كذا فى ا ، وفى ط : « من مال » .

(٧) ف : « ووجه » .

قال : فلما كان يوم عاشوراء ، لعشر خلوْن من المحرم سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، اجتمع المسلمون ومَنْ معهم من العُلوج وقائدان من قوّاد الروم ؛ يقال لأحدهما أنقاس[١] وللآخر لسنوس ، والمسلمون والمطوّعة في أربعة آلاف بين فارس وراجل ، فاجتمعوا بموضع يقال له اللمس ؛ فذكر عن محمد بن أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهليّ أن كتاب أبيه أتاه، أنّ من فُودِى به من المسلمين ومَنْ كان معهم من أهل ذمتهم أربعة آلاف وستمائة إنسان ؛ منهم صبيان ونساء ستمائة ؛ ومنهم من أهل الذّمة أقلّ من خمسمائة والباقون رجالٌ من جميع الآفاق .

وذكر أبو قحطبة — وكان رسول خاقان الخادم إلى ملك الروم لينظر كمْ عدد الأسرى ، ويعلم صحّة ما عزم عليه ميخائيل ملك الروم — أنّ عدد المسلمين قبل الفِداء كان ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة وصبيّ ، ممّن كان بالقسطنطينية وغيرها ؛ إلا مَنْ أحضره الرّوم ومحمد بن عبد الله الطرسوسيّ — وكان عندهم — فأوفده أحمد بن سعيد بن سلْم وخاقان مع نفَر من وجوه الأسرى على الواثق ، فحملهم الواثق على فرس فرس ؛ وأعطى لكلّ رجل[٢] منهم ألف درهم . ١٣٥٥/٣

وذكر محمد هذا أنه كان أسيراً فى أيدى الرّوم ثلاثين سنة ، وأنه كان أسِر فى غزاة رامية كان فى العلاّفة فأسِر ، وكان فيمن فُودى به فى هذا الفداء ، وقال : فودِىَ بنا فى يوم عاشوراء على نهر يقال له اللامس ، على سَلوقيَة قريباً من البحر ، وأنّ عِدتهم كانت أربعة آلاف وأربعمائة وستين نفساً[٣] ؛ النساء وأزواجهنّ وصبيانهنّ ثمانمائة وأهل ذمة المسلمين مائة أو أكثر ، فوقع الفداء كلّ نفس عن نفس صغيراً أو كبيراً ، فاستفرغ خاقان جميعَ مَنْ كان فى بلد الرّوم من المسلمين ممن علم موضعه .

قال : فلمّا جُمعوا للفداء، وقف المسلمون من جانب النهر الشرقىّ والرّوم من الجانب الغربىّ — وهو مخاضة — فكان هؤلاء يرسلون من ها هنا رجلا وهؤلاء

---

(١) كذا فى ا ، س ، وفى باقى الأصول بدون نقط وما أثبته من ا .
(٢) ف : « لكل واحد » . (٣) ف : « إنساناً » .

من هاهنا رجلا ، فيلتقيان فى وسط النهر ، فإذا صار المسلم إلى المسلمين كبّر وكبّروا ، وإذا صار الرومىّ إلى الروم تكلم بكلامهم ، وتكلموا شبيهاً بالتكبير .

وذكر عن السندىّ مولى حسين الخادم ، أنه قال : عقد المسلمون جسراً على النهر ، وعقد الرُّوم جسراً ؛ فكنا نرسل الرومىّ على جسرنا ويرسل[1] الروم المسلم على جسرهم ؛ فيصير هذا إلينا وذاك إليهم ، وأنكر أن يكون مخاضة .

١٣٥٦/٣ وذكر عن محمد بن كريم أنه قال : لما صرنا فى أيدى المسلمين ، امتحنَنَا جعفر ويحيى ، فقلنا ، وأعطينا دينارين دينارين .

قال : وكان البطريقان اللذان قدما بالأسرى لا بأس بهما فى معاشرتهما .

قال : وخاف الرّوم عدد المسلمين لقلّتهم وكثْرة المسلمين ؛ فآمنهم خاقان من ذلك ، وضرب بينهم وبين المسلمين أربعين يوماً لا يُغزَوْن حتى يصلوا إلى بلادهم ومأمنهم ؛ وكان الفداء فى أربعة أيام ، ففضل مع خاقان ممن كان أمير المؤمنين أعدّ لفداء المسلمين[2] عدّة كبيرة ، وأعطى خاقان صاحب الروم ممن كان قد فضل فى يده مائة نفس ؛ ليكون عليهم الفضل استظهاراً مكان مَنْ يخشى أن يأسروه من المسلمين إلى انقضاء المدّة ، وردّ الباقين إلى طَرَسوس ، فباعهم .

قال : وكان خرج معنا ممن كان تنصّر ببلاد الروم من المسلمين نحوٌ من ثلاثين رجلا فُودى بهم .

قال محمد بن كريم : ولما انقضت المدّة بين خاقان والرّوم الأربعون يوماً ، غزا أحمد بن سعيد بن سلم بن قُتيبة ، فأصاب الناس الثلج والمطر ، فمات منهم قَدْر مائتى إنسان وغرق منهم فى البَدَنْدُون قوم كثير ، وأسر منهم نحو من مائتين ؛ فوجد أمير المؤمنين الواثق عليه لذلك ، وحصل جميع مَنْ مات وغرق خمسمائة إنسان ؛ وكان أقبل إلى أحمد بن سعيد وهو فى سبعة آلاف

---

(١) ط : « ويرسلون » .
(٢) ف : « عد للفداء من المسلمين » .

١٢٥٧/٣ بِطْرِيق من عظمائهم فجبُن[1] عنه، فقال له وجوه الناس: إن عسكراً فيه سبعة آلاف لا يتخوّف عليه؛ فإن كنت لا تواجه القوم فتطرّق بلادهم. فأخذ نحواً من ألف بقَرة وعشرة آلاف شاة، وخرج فعزله الواثق، وعقد لنصر بن حمزة الخُزاعيّ يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيتْ من جمادى الأولى من هذه السنة.

* * *

وفى هذه السنة مات الحسن بن الحسين، أخو طاهر بن الحسين بطبَرِستان فى شهر رمضان.

وفيها مات الخطاب بن وجه الفُلْس.

وفيها مات أبو عبد الله الأعرابىّ الراوية يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من شعبان وهو ابن ثمانين سنة.

وفيها ماتت أم أبيها بنت موسى أخت علىّ بن موسى الرضىّ.

وفيها مات مخارق المغنى، وأبو نصر أحمد بن حاتم راوية الأصمعىّ، وعمرو ابن أبى عمرو الشيبانىّ ومحمد بن سعدان النحوىّ.

(١) كذا فى د، وهو الوجه، وفى ط: «فحيز».

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن مسير بغا الكبير إلى حرب بنى نمير]

فمن ذلك ما كان من مسير بغا الكبير إلى بنى نمير حتى أوقع بهم .

٣/١٣٥٨ * ذكر الخبر عن سبب مسيره إليهم وكيف كان الأمر بينه وبينهم :

حدثنى أحمد بن محمد بن مخلد[1] بمعظم خبرهم ؛ وذكر أنه كان مع بُغا فى ذلك السفر ، وأما سياق الكلام فلغيره . ذكر أنّ سبب شخوص بُغا إلى بنى نُمير كان أنّ عُمارة بن عَقيل بن بلال بن جرير بن الخطَفى امتدح الواثق بقصيدة ، فدخل عليه فأنشده إياها ، فأمر له بثلاثين ألف درهم ، وبنُزُل فكلّم عُمارة الواثق فى بنى نُمير ، وأخبره بعبثهم وفسادهم فى الأرض ، وإغارتهم على الناس وعلى اليمامة وما قرب منها ؛ فكتب الواثق إلى بُغا يأمره بحربهم .

فذكر أحمد بن محمد أنّ بُغا لمّا أراد الشخوص من المدينة إليهم حمل معه محمد بن يوسف الجعفرىّ دليلاً له على الطريق ، فمضى نحو اليمامة يُريدهم ، فلقى منهم جماعة بموضع يقال له الشُّريف ؛ فحاربوه ، فقتل بُغا منهم نيّفا وخمسين رجلا ، وأسر نحواً من أربعين ، ثم سار إلى حُظَيَّان ، ثم سار إلى قرية لبنى تميم من عمل اليمامة تدعى مرأة ، فنزل بها ، ثم تابع إليهم رسله ، يعرض عليهم الأمان ، ودعاهم إلى السمع والطاعة ؛ وهم فى ذلك يمتنعون عليه ، ويشتمون رسله ، ويتفلّتون إلى حربه ؛ حتى كان آخر من وجّه إليهم رجلين ؛ أحدهما من بنى عدىّ من تميم والآخر من بنى نُمير ، فقتلوا التميمىّ وأثبتوا النميرىّ ٣/١٣٥٩ جراحاً ؛ فسار بُغا إليهم من مرأة . وكان مسيره إليهم فى أول صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، فورد بطن نخل ، وسار حتى دخل نُخَيلة[2] ، وأرسل

---

(١) ط : « خالد » ، وما أثبته من ا ، د ، و ، وانظر الفهرس والتصويبات .

(٢) ا : « نخلة » .

إليهم أن ائتونى ، فاحتملت بنو ضَبّة من نُمَير ، فركبت جبالها مياسر جبال السَّوْد — وهو جبل خلف اليمامة أكثر أهله باهلة — فأرسل إليهم فأبوا أن يأتوه ، فأرسل إليهم سريّة فلم تدركهم ، فوجّه سرايا ، فأصابت فيهم وأسرت منهم . ثم إنه أتبعهم بجماعة مَنْ معه وهم نحو من ألف رجل سوى مَنْ تخلّف فى العسكر من الضعفاء والأتباع ، فلقيهم وقد جمعوا له ، وحشدوا لحربه ؛ وهم يومئذ نحو من ثلاثة آلاف ، بموضع يقال له روضة الأبَان وبطن السرّ من القرْنين على مرحلتين ، ومن أضاخ على مرحلة ؛ فهزموا مقدّمته ، وكشفوا ميسرته ، وقتلوا من أصحابه نحوًا من مائة وعشرين أو مائة وثلاثين رجلا ، وعقروا من إبل عسكره نحوًا من سبعمائة بعير ومائة دابة ، وانتهبوا الأثقال وبعض ما كان مع بُغا من الأموال .

قال لى أحمد : لقيهم بُغا وهجم عليهم ، وغلبه[1] الليل ، فجعل بُغا يناشدهم ، ويدعوهم إلى الرجوع وإلى طاعة أمير المؤمنين ، ويكلّمهم بذلك محمد ابن يوسف الجعفرىّ ، فجعلوا يقولون له : يا محمد بن يوسف ، قد والله ولدناك فما رعيتَ حُرْمة الرَّحِم ، ثم جئتَنا بهؤلاء العبيد والعلُوج تقاتلنا بهم ! والله لنريَنّك العِبَر ، ونحو ذلك من القول .

فلما دنا الصبح[2] قال محمد بن يُوسف لبُغا : أوقع بهم من قبل أن يضىء الصبح ، فيرَوْا قِلّة عددنا ، فيجترئوا علينا ، فأبى بُغا عليه ؛ فلمّا أضاء الصبح ونظروا إلى عدد مَنْ مع بُغا — وكانوا قد جعلوا رجّالتهم أمامهم وفرسانهم وراءهم ونَعمهم ومواشيهم من ورائهم — حملوا علينا ، فهزمونا حتى بلغت هزيمتنا معسكرنا ، وأيقنّا بالهلكة .

١٣٦٠/٣

قال : وكان قد بلغ بُغا أنّ خيلاً لهم بمكان من بلادهم ، فوجّه من أصحابه نحواً من مائتى فارس إليها . قال : فبينا نحن فيما نحن فيه من الإشراف على العَطَب ، وقد هزِم بُغا ومَنْ معه إذ خرجت الجماعة التى كان بُغا وجّهها من الليل إلى تلك الخيل ، وقد أقبلت منصرِفة من الموضع الذى وُجّهت

(١) س : « وعليه » .

(٢) س : « للصبح » .

إليه من العسكر فى ظهور بنى نُمير، وقد فعلوا ما فعلوا ببُغا وأصحابه، فنفخوا فى صَفّاراتهم؛ فلما سمعوا نَفْخَ الصّفارات، ونظروا إلى مَنْ خرج عليهم فى أدبارهم، قالوا: غَدَر (١) والله العبد، وولّوْا هاربين، وأسلم فرسانهم رجّالتهم بعد أن كانوا على غاية المحاماة عليهم.

قال لى أحمد بن محمد: فلم يفلت من رجّالتهم كثير أحد؛ حتى قُتلوا عن آخرهم؛ وأما الفرسان فطاروا هُرّابًا على ظهور الخيل.

وأما غير أحمد بن محمد فإنه قال: لم تزل الهزيمة على بُغا وأصحابه منذ غدوة إلى انتصاف النهار؛ وذلك يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ثنتين وثلاثين ومائتين، ثم تشاغلوا بالنّهب وعَقْر الإبل والدوابّ حتى ثاب إلى بُغا من كان انكشف من أصحابه، واجتمع إليه مَنْ كان تفرّق عنه، فكرّوا على بنى نُمير، فهزموهم وقتل منهم منذ زوال الشمس إلى وقت العصر زهاء ألف وخمسمائة رجل. وأقام بُغا بموضع الوقعة على الماء المعروف ببطن السرّ، حتى جُمعت له رءوس مَنْ قتِل من بنى نمير، واستراح هو وأصحابه ثلاثة أيام. ١٣٦١/٣

فحدثنى أحمد بن محمد أنّ مَنْ هرب من فرسان بنى نمير من الوقعة أرسلوا إلى بُغا يطلبون منه الأمان؛ فأعطاهم الأمان، فصاروا إليه، فقيّدهم وأشخصهم معه.

وأمّا غيره فإنه قال: سار بُغا من موضع الوقعة فى طلب من شذّ عنه منهم، فلم يدرك إلاّ الضعيف ممن لم يكن له نهوض منهم وبعض المواشى والنَّعَم، ورجع إلى حصن باهلة. قال: وإنما قاتل بُغا من بنى نُمير بنو عبد الله بن نُمير وبنو بُسْرة وبلحَجّاج وبنو قَطَن وبنو سلاه وبنو شُرَيح وبطون من الخوالف – وهم من بنى عبد الله بن نمير، ولم يكن فى القتال من بنى عامر بن نُمير إلا القليل – وبنو عامر بن نُمير أصحاب نخل وشاء، وليسوا أصحاب خيل، وعبد الله بن نمير هى التى تحارب العرب – فقال عُمارة

(١) ط: «عذر»، والصواب ما أثبته من د.

ابن عقيل لبُغا :

تركتَ الأعقفين وبَطْنَ قَوٍّ وملأتَ السجونَ من القماشِ

فحدثنى أحمد بن محمد أنّ الذين دخلوا إلى بُغا بالأمان من بنى نُمير لمّا قيدهم وحبسهم وأشخصهم معه شَغَبُوا فى الطريق، وحاولوا كسر قيُودهم والهرب، فأمر بإحضارهم واحداً بعد واحد؛ فكان إذا حضر الواحد يضرب به ما بين الأربعمائة إلى الخمسمائة وأقلّ من ذلك وأكثر؛ فزعم أحمد[1] أنه حضر ضربهم ولم ينطق منهم ناطق يتوجّع من الضرب؛ وأنه أحضر منهم شيخ قد علّق فى عنقه مصحفاً، ومحمد بن يوسف جالس إلى جنب بُغا، فضحك منه محمد بن يوسف، وقال لبُغا: هذا أخبث ما كان — أصلحك الله — حين علّق المصحف فى عنقه! فضربه أربعمائة أو خمسمائة، فما توجّع وما استغاث. ١٣٦٢/٣

وذُكر أن فارساً من بنى نُمير لقى بُغا فى وقعتهم التى ذكرت أمرها يُدْعَى[2] المجنون، فطعن بُغا ورمى المجنونَ رجلٌ من الأتراك. فأفلت، وعاش أياماً ثلاثة، ثم مات من رميته.

قال: ثم قدم عليه واجن الأشروسنى الصُّغدىّ فى سبعمائة رجل مدداً له من الأُشروسنيّة الإشتيخنيّة، فوجّهه بُغا ومحمد بن يوسف الجعفرىّ فى أثرهم؛ فلم يزل يتبعهم حتى وغلوا فى البلاد، وصاروا بتَبَالة وما يليها من حدّ عمل اليمن وفاتوه؛ فانصرف ولم يصر فى يديه منهم إلّا ستّة نفر أو سبعة، وأقام بحصن باهلة، ووجّه إلى جبال بنى نُمير وسهلها من هلان والسُّود وغيرها من عمل اليمامة سرايا فى محاربة من امتنع ممن قبل الأمان منهم، فقتلوا جماعة وأسروا جماعة، وأقبل عدّة من ساداتهم، كلّهم يطلب الأمان لنفسه والبطن الذى هو منه، فقبل ذلك منهم وبسطهم وآنسهم؛ ولم يزل مقيماً إلى أن جمع إليه كلّ مَنْ ظنّ أنه كان فى هذه النواحى منهم، وأخذ منهم زُهاء ثمانمائة رجل، فأثقلهم بالحديد وحملهم إلى البصرة، فى ذى القعدة من سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وكتب إلى صالح العباسىّ بالمسير بمَنْ قبله فى المدينة

---

(١) ط: «أحد» وما أثبته من ا، د. (٢) ط: «بدعاء»، تحريف، صوابه من د.

من بنى كِلاب وفَزارة ومُرّة وثعلبة وغيرهم واللحاق به ؛ فوافاه صالح العباسىّ ببغداد ، وصاروا جميعاً فى المحرّم إلى سامرّا سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، وكانت عدّة مَنْ قدم به بُغا وصالح العباسىّ من الأعراب سوى مَنْ مات منهم ١٣٦٣/٣ وهرب . وقُتِل فى هذه الوقائع التى وصفناها ألفى رجل ومائتى رجل من بنى نمير ومن بنى كلاب ومن مرّة وفزارة ومن ثعلبة وطيّئ .

* * *

وفى هذه السنة أصاب الحاجّ فى المرجع عطش شديد فى أربعة منازل إلى الرَّبَذَة ، فبلغت الشَّرْبة عدّة دنانير . ومات خلق كثير من العطش .

وفيها ولّىَ محمد بن إبراهيم بن مصعب فارس .

وفيها أمر الواثق بترك جباية أعشار سفن البحر .

وفيها اشتدّ البرد فى نيسان حتى جمد الماء لخمس خلون منه .

[ذكر خبر موت الواثق]

وفيها مات الواثق .

* ذكر الخبر عن العلة التى كانت بها وفاته :

ذكر لى جماعةٌ من أصحابنا أنّ عِلّته التى تُوفّىَ منها كانت الاستسقاء ، فعُولج بالإقعاد فى تنّور مسخّن ، فوجد لذلك راحة وخفّة مما كان به ، فأمرهم من غدِ ذلك اليوم بزيادة فى إسخان التنّور ، ففُعل ذلك وقعد فيه أكثر من قعوده فى اليوم الذى قبله ، فحمِىَ عليه ، فأخرِج منه ، وصُيِّر فى محفّة ؛ وحضره الفضل بن إسحاق الهاشمىّ وعمر بن فرَج وغيرهم ؛ ثم حضر ابن الزيات وابن أبى دواد ، فلم يعلموا بموته حتى ضرب بوجهه المحفّة ، فعلموا أنه قد مات .

وقد قيل : إن أحمد بن أبى دُواد حضره وقد أغمى [1] عليه ، فقضى وهو

(١) ط : « أعمى » ، تحريف ، صوابه من ا ، د .

عنده فأقبل يغمضه ويصلح من شأنه. وكانت وفاته لستٍّ بقين من ذى الحجة وُدفِن فى قصره بالهارونىّ . وكان الذى صلَّى عليه وأدخله قبرَه وتولَّى أمره ٣/١٣٦٤ أحمد بن أبى دواد ؛ وكان الواثق أمر أحمد بن أبى دواد أن يُصَلِّىَ بالناس يوم الأضحى فى المصلَّى ، فصلى بهم العيد ؛ لأن الواثق كان شديد العِلّة فلم يقدر على الحضور إلى المصلَّى ، ومات من عِلَّته تلك .

* * *

ذكر الخبر عن صفة الواثق وسنه وقدر مدة خلافته

ذكَر من رآه وشاهده أنه كان أبيضَ مشربًا حُمرة ، جميلاً رَبْعة ، حسن الجسم ، قائم العين اليسرى ؛ وفيها نُكتة بياض .

وتوفِّىَ -فيما زعم بعضهم- وهو ابن ستّ وثلاثين سنة ، وفى قول بعضهم : وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ؛ فقال الذين زعموا أنه كان ابن ست وثلاثين : كان مولده سنة ست وتسعين ومائة ، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام . وقال بعضهم : وسبعة أيام واثنتى عشرة ساعة .

وكان وُلِد بطريق مكة ، وأمه أم ولد روميّة ؛ يقال لها قراطيس .

واسمه هارون وكنيته أبو جعفر .

وذكر أنه لما اعتلّ علته التى مات فيها وسَقِى بطنه أمر بإحضار المنجّمين ، فأحضِروا ؛ وكان ممن حضر الحسن بن سهل ، أخو الفضلَ بن سهل، والفضل بن إسحاق الهاشمىّ وإسماعيل بن نُوبخت ومحمد بن موسى الخُوارزمىّ المجوسىّ القطربُلّىُّ وسند صاحب محمد بن الهيثم وعامة مَن ينظر فى النجوم، فنظروا فى علَّته ونجمه ومولده ، فقالوا : يعيش دهراً طويلا ، وقدّروا له خمسين سنة مستقبلة ؛ فلم يلبث إلا عشرة أيام حتى مات .

* * *

ذكر بعض أخباره

٣/١٣٦٥

ذكر الحسين[1] بن الضحاك أنه شهد الواثق بعد أن مات المعتصم بأيام،

---

(١) ط : « الحسن » وصوابه من ا ، د، وانظر الفهرس .

وقد قعد مجلساً كان أوّل مجلس قعدَه ؛ فكان أوّل ما تُغُنّى به من الغناء فى ذلك المجلس ، أن تغنّت شارية جارية إبراهيم بن المهدىّ :

ما دَرَى الحامِلونَ يومَ استقلُّوا نَعْشَه للثواء أَمْ للفناء[١]

فليقل فيك باكِياتُكَ ماشِئْ نَ صباحاً ووقت كلِّ مَسَاء

قال : فبكى والله وبكينا حتّى شغلنّا البكاء عن جميع ما كنّا فيه ، ثم اندفع بعض المغنيين فغنّى :

وَدِّعْ هريرة إنَّ الرَّكبَ مرتحِلُ وهل تطِيقُ وَداعاً أيها الرجلُ ![٢]

قال : فازداد والله فى البكاء ؛ وقال : ما سمعت كاليوم قطّ تعزية بأب ونعىّ[٣] نفس ؛ ثم ارفضّ ذلك المجلس .

وذكر عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع أن علىّ بن الجهم قال فى الواثق بعد أن ولى الخلافة :

قد فازَ ذو الدُّنيا وذو الدِّينِ بدولةِ الواثق هـارونِ[٤]

أفاضَ من عَدْلٍ ومن نائلٍ ما أحسنَ الدنيا مع الدينِ !

قد عمَّ بالإحسانِ فى فضلهِ فالناس فى خَفضٍ وفى لِين

ما أكثرَ الداعِى له بالبقا وأكثرَ التـالِى بـآمينِ

١٣٦٦/٣

وقال علىّ بن الجهم أيضًا فيه :

وثِقَتْ بالمَلِكِ الوا ثِقِ بالله النفوسُ[٥]

مَلِكٌ يشقَى به الما لُ ولا يشقَى الجليسُ

أَنِسَ السيفُ به واستـ وحشَ العِلْقُ النفِيس

أسدٌ تضْحَك عن شدّاتِهِ الحربُ العَبُوس

يا بنِى العباسِ يأبَى الل هُ إلا أَنْ تَسُوسُوا

---

(١) ا ، د : « للقاء » .
(٢) للأعشى ، ديوانه ٥٥ (طبعة النموذجية) .
(٣) ط : « ونعى » .
(٤) ديوانه ١٨٨ .
(٥) ديوانه ١٣ .

فغنّت قلم جارية صالح بن عبد الوهاب فى هذين الشعرين، وغنّت فى شعر محمد بن كُناسة :

فىَّ انقباضٌ وحِشمَةٌ فإذا جالَسْتُ أهلَ الوفاءِ والكَرَمِ[1]
أرسلتُ نفسِى على سَجيّتها وقلتُ ما شئتُ غيرَ محتشِمِ

فغنّته الواثق ؛ فاستحسنه ؛ فبعث إلى ابن الزيات : ويحك من صالح ابن عبد الوهاب هذا ! فابعث إليه فأشخصْه ؛ وليحمل جاريتَه ؛ فغدا بها صالح إلى الواثق ، فأدخِلَتْ عليه ، فلما تغنّت ارتضاها ، فبعث إليه ، فقال : قلْ ، فقال : مائة ألف دينار يا أمير المؤمنين وولاية مصر ، فردّها ، ثم قال أحمد بن عبد الوهاب أخو صالح فى الواثق :

أَبَتْ دارُ الأَحِبَّةِ أن تُبِينا أجدَّكَ ما رأيتَ لها مُعينَا
تُقَطِّعُ حَسْرَةً من حُبِّ لَيْلَى نفوسٌ ما أُثِبْن ولا جُزِينا

١٣٦٧/٣ فصنعت فيه قلم جارية صالح ، فغنّاه زرزر الكبير للواثق ، فقال : لمن ذا ؟ فقال : لقلم ، فبعث إلى ابن الزيات ، فأشخص صالحًا ومعه قلم ؛ فلمّا دخلت عليه ، قال : هذا لك ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : بارك الله عليك ! وبعث إلى صالح : استَمْ وقلْ قولا يتهيأ أن تُعطاه ؛ فبعث إليه : قد أهديتُها إلى أمير المؤمنين ، فبارك الله لأمير المؤمنين فيها . قال : قد قبلتُها ، يا محمد، عوِّضْه خمسة آلاف دينار ، وسمّاها « اغتباط » فمطَله ابن الزّيات ، فأعادت الصوت وهو :

أبت دار الأحبةِ أن تُبينَا أجدّك هل رأيت لها معينا

فقال لها : بارك الله عليك وعلى من ربّاك ؛ فقالت : يا سيّدى وما ينتفع مَنْ ربانى ، وقد أمرت له بشىء لم يصل إليه! فقال الواثق : ياسمّانة[2] ، الدواة ؛ فكتب إلى ابن الزّيات : ادفع إلى صالح بن عبد الوهاب ما عوّضناه من ثمن

---

(١) ورد البيت محرفاً فى ط ، وصواب ما أثبته من ا ، د .

(٢) ط : « سيانه » .

اغتباط خمسة آلاف دينار ، وأضعفها . قال صالح : فصرت إلى ابن الزّيات فقرّبنى ،وقال : هذه الخمسة الأولى ؛ خذها ، والخمسة آلاف الأخرى أدفعها إليك بعد جمعة ؛ فإن سئلت ، فقل : إنى قبضت المال . قال : فكرهت أن أسألَ فأقرّ بالقبض ؛ فاختفيت فى منزلى حتّى دفع إلىّ المال، فقال لى سمانة : قبضت المال ؟ قلت : نعم ، وترك عمل السلطان ، وتجر بها ، حتّى تُوُفِّىَ .

٣/١٣٦٨

خلافة جعفر المتوكل على الله

وفى هذه السنة بُويع لجعفر المتوكل على الله بالخلافة ؛ وهو جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد ذى الثَّفِنات بن علىّ السجّاد ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

* * *

ذكر الخبر عن سبب خلافته ووقتها

حدّثنى غير واحد ؛ أن الواثق لما تُوُفِّىَ حضر الدارَ أحمد بن أبى دواد وإيتاخ ووصيف وعمر بن فرّج وابن الزّيات وأحمد بن خالد أبو الوزير ، فعزموا على البَيْعة لمحمد بن الواثق ؛ وهو غلام أمْرَد ، فألبسوه درّاعة سوداء وقلنسوة رُصافية ، فإذا هو قصير ، فقال لهم وصيف : أما تتقون الله ! تولّون مثل هذا الخلافة ؛ وهو لا يجوز معه الصلاة !

قال : فتناظروا فيمن يولّونَها ، فذكروا عدّة ، فذُكر عن بعض من حضر الدار مع هؤلاء، أنه قال : خرجتُ من الموضع الذى كنتُ فيه ، فمررت بجعفر المتوكل ؛ فإذا هو فى قميص وسِرْوال قاعد مع أبناء الأتراك ، فقال لى : ما الخبر ؟ فقلت : لم ينقطع أمرهم ؛ ثم دَعوْا به ، فأخبره بُغا الشرابىّ الخبَر ، وجاء به، فقال : أخاف أن يكون الواثق لم يمت ، قال : فمرّ به ، فنظر إليه مسجًّى ، فجاء فجلس ، فألبسه أحمد بن أبى دواد الطويلة وعمّمه وقبّله بين عينيه ، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! ثم غُسِّل الواثق وصُلِّىَ عليه ودفن ، ثم صاروا من فَوْرهم إلى دار العامة ؛ ولم يكن لقّب المتوكل .

٣/١٣٦٩

وذكر أنه كان يوم بُويع له ابنَ ست وعشرين سنة ؛ ووضع العطاء للجند لثمانية أشهر ؛ وكان الذى كتب البيعة له محمد بن عبد الملك الزيات ؛ وهو إذ ذاك على ديوان الرسائل ؛ واجتمعوا بعد ذلك على اختيار لقب له، فقال ابن الزيات : نسمّيه المنتصر بالله؛ وخاض الناس فيها حتى لم يشكّوا فيها ، فلما كان غداة يوم بكّر أحمد بن أبى دواد إلى المتوكل ، فقال : قد روّيت فى لقب أرجو أن يكون موافقاً حسناً إن شاء الله ؛ وهو المتوكل على الله ، فأمر بإمضائه ، وأحضر محمدبن عبد الملك ، فأمر بالكتاب بذلك إلى الناس ، فنفذت إليهم الكتب ، نسخة ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أمَر — أبقاك الله — أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، أن يكون الرّسمُ الذى يجرى به ذكرُه على أعواد منابره ، وفى كتبه إلى قضاته وكُتّابه وعمّاله وأصحاب دواوينه وغيرهم مِنْ سائر مَنْ تجرى المكاتبة بينه وبينه : «من عبدالله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين» ؛ فرأيك فى العمل بذلك وإعلامى بوصول كتابى إليك موفّقاً إن شاء الله .

وذُكِر أنه لما أمر للأتراك برزق أربعة أشهر وللجند والشاكريّة ومَنْ يجرى مجراهم من الهاشميين برزق ثمانية أشهر ، أمر للمغاربة برزق ثلاثة أشهر ، فأبوْا أن يقبضوا ، فأرسل إليهم : من كان منكم مملوكاً ؛ فليمض إلى أحمد بن أبى دواد حتى يبيعَه ؛ ومَنْ كان حرًّا صيرناه أسْوَةَ الجند ؛ فرضُوا بذلك ؛ وتكلّم وصيف فيهم حتى رضىَ عنهم ؛ فأعْطُوا ثلاثة ، ثم أجروا بعد ذلك مُجْرَى الأتراك . وبويع للمتوكل ساعة مات الواثق بيعة الخاصّة وبايعته العامّة حين زالت الشمس من ذلك اليوم . ١٣٧٠/٣

وذكر عن سعيد الصّغير أن المتوكل قبل أن يُستخلف ذكر له ولجماعة معه أنه رأى فى المنام أن سكّراً سليمانيًّا يسقط عليه من السماء ، مكتوباً عليه « جعفر المتوكل على الله » ، فعبّرها علينا ، فقلنا : هى والله أيها الأمير أعزّك الله الخلافة ، قال : وبلغ الواثق ذلك فحبسه ، وحبس سعيداً معه ، وضيّق على جعفر بسبب ذلك .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمدُ بن داود .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر حبس محمد بن عبد الملك الزيات ووفاته]

فمن ذلك ما كان من غضب المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات وحبسه إياه .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وإلى ما آل إليه الأمر فيه :

أما السبب فى غضبه عليه ؛ فإنه كان — فيما ذكر — أنّ الواثق كان استوزر محمد بن عبد الملك الزيات وفوّض إليه الأمور ؛ وكان الواثق قد غضب على أخيه جعفر المتوكل لبعض الأمور ، فوكّل عليه عمر بن فرج الرُّخَّجىّ ومحمد بن العَلاء الخادم ؛ فكانا يحفظانه ويكتبان بأخباره فى كلّ وقت ؛ فصار جعفر إلى محمد بن عبد الملك يسأله أن يكلّمَ له أخاه الواثق ليرضَى عنه ؛ فلمّا دخل عليه مكث واقفاً بين يديه مليًّا لا يكلمه ، ثم أشار إليه أن يقعد فقعد ؛ فلما فرغ من نظره فى الكتب ، التفت إليه كالمتهدّد له ، فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت لتسأل أمير المؤمنين الرّضا عنى ، فقال لمن حوله : انظروا إلى هذا، يُغضب أخاه ، ويسألنى أن استرضيَه له ! اذهب فإنك إذا صلحت رضِىَ عنك ؛ فقام جعفر كئيباً حزيناً لمَا لقيه به من قُبْح اللقاء والتقصير به ؛ فخرج من عنده ؛ فأتى عمر بن فرج ليسأله أن يختم له صَكّه ليقبض أرزاقه ، فلقيه عمر بن فرج بالخيبة ؛ وأخذ الصكّ ، فرمى به إلى صَحْن المسجد . ١٣٧١/٣

وكان عمر يجلس فى مسجد ؛ وكان أبو الوزير أحمد بن خالد حاضراً ، فقام لينصرف ، فقام معه جعفر ، فقال : يا أبا الوزير ؛ أرأيتَ ما صنع بى عمر ابن فرج ؟ قال : جعلت فداك ! أنا زِمَامٌ عليه ؛ وليس يختم صَكّى بأرزاقى

إلا بالطلب والترفّق به ؛ فابعث إلىّ بوكيلك ؛ فبعث جعفر بوكيله ؛ فدفع إليه عشرين ألفاً ، وقال : أنفِق هذا حتى يؤيّئ الله أمرك ؛ فأخذها ثم أعاد إلى أبي الوزير رسوله بعد شهر ؛ يسأله إعانتَه ، فبعث إليه بعشرة آلاف درهم ؛ ثم صار جعفر من فوْرِه حين خرج من عند عمر إلى أحمد بن أبي دواد، فدخل عليه، فقام له أحمد، واستقبله على باب البيت، وقبّله والتزمه، وقال : ما جاء بك ، جعلتُ فداك ! قال : قد جئتُ لتسترضيَ لي أمير المؤمنين ، قال : أفعل ونعمةَ عين وكرامة ، فكلّم أحمد بن أبي دواد الواثق فيه ، فوعده ولم يرض عنه ؛ فلما كان يوم الحلْبة كلّم أحمد بن أبي دواد الواثق ، ١٣٧٢/٣ وقال : معروف المعتصم عندي معروف ، وجعفر ابنه ؛ فقد كلمتك فيه ، و وعدتَ الرضا ؛ فبحقّ المعتصم يا أمير المؤمنين إلاّ رضيتَ عنه ! فرضيَ عنه من ساعته وكساه، وانصرف الواثق وقد قلّد أحمد بن أبي دواد جعفراً بكلامه حتى رضيَ عنه أخوه شكراً ، فأحظاه ذلك عنده حين ملك .

وذكر أنّ محمد بن عبد الملك كان كتب إلى الواثق حين خرج جعفر من عنده : يا أميرَ المؤمنين ، أتاني جعفر بن المعتصم يسألني أن أسأل أمير المؤمنين الرضا عنه في زيّ المخنثين له شعر قفاً. فكتب إليه الواثق : ابعث إليه فأحضره ، ومُرْ مَنْ يجزّ شعر قفاه ، ثم مُرْ من يأخذ من شعره ويضرب به وجهه ، واصرفه إلى منزله . فذكر عن المتوكّل أنه قال : لما أتاني رسوله ، لبست سواداً لي جديداً ، وأتيته رجاء أن يكون قد أتاه الرضا عنّي ، فقال : يا غلام ، ادع لي حجّاماً ، فدُعي به ، فقال : خذ شعره واجمعه، فأخذه على السّواد الجديد . ولم يأته بمنديل ؛ فأخذ شعره وشعر قفاه وضرب به وجهه .

قال المتوكّل : فما دخلَني من الجزع على شيء مثل ما دخلني حين أخذني على السواد الجديد؛ وقد جئته فيه طامعاً[1] في الرضا ، فأخذ شعري عليه.

ولما تُوفّيَ الواثق أشار محمد بن عبد الملك بابن الواثق، وتكلّم في ذلك

(١) ا ، د : « طمعاً » .

٣/١٣٧٣ وجعفر فى حُجْرة غير الحجرة التى يتشاورون فيها، فيمن يعقدون(١)، حتى بُعث إليه، فعُقد له هناك؛ فكان سبب هلاك ابن الزيّات.

وكان بُغا الشرابىّ الرسولَ إليه يدعوه، فسلم عليه بالخلافة فى الطريق، فعقدوا له وبايعوا، فأمهل حتى إذا كان يوم الأربعاء لسبع خلَوْن من صفر؛ وقد عزم المتوكّل على مكروه أن يناله به، أمر إيتاخ بأخذه وعذابه؛ فبعث إليه إيتاخ، فظنّ أنه دُعى به، فركب بعد غدائه مبادراً يظنّ أن الخليفة دعا به؛ فلما حاذى منزل إيتاخ قيل له: اعدل إلى منزل أبى منصور، فعدَل وأوجس فى نفسه خيفةً؛ فلمّا جاء إلى الموضع الذى كان ينزل فيه إيتاخ عُدِل به يمْنةً(٢)، فأحسّ بالشرّ، ثم أدخِل حجرة، وأخِذ سيفه ومِنطقته وقلنسوته ودرّاعته؛ فدُفِع إلى غلمانه، وقيل لهم: انصرفوا، فانصرفوا لا يشكّون أنه مقيم عند إيتاخ ليشرب النبيذ.

قال: وقد كان إيتاخ أعدّ له رجلين من وجُوه أصحابه؛ يقال لهما يزيد ابن عبد الله الحلوانى وهَرْثمة شارباميان؛ فلما حصل محمد بن عبد الملك خرجا يركُضان فى جُنْدهما وشاكريّتهما، حتى أتيا دار محمد بن عبد الملك، فقال لهم غلمان محمد: أين تريدون؟ قد ركب أبو جعفر؛ فهجما على داره، وأخذا جميع ما فيها.

فذكر عن ابن الحلوانىّ أنه قال: أتيت البيت الذى كان محمد بن عبد الملك يجلس فيه، فرأيته رثّ الهيئة قليل المتاع، ورأيت فيه طنافس أربعة وقنانىّ رطليّات، فيها شراب؛ ورأيت بيتًا ينام فيه جواريه؛ فرأيت فيه بُوريًّا ومخادّ منضّدة فى جانب البيت؛ على أن جواريه كنّ ينمْنَ فيه بلا فُرش.

٣/١٣٧٤ وذكر أنّ المتوكل وجّه فى هذا اليوم من قَبض ما فى منزله من متاع ودوابّ وجِوار وغلمان، فصيّر ذلك كله فى الهارونىّ، ووجّه راشداً المغربىّ إلى بغداد فى قبض ما هنالك من أمواله وخدَمِه، وأمر أبا الوزير بقبض ضِياعه وضياع أهل بيته حيث كانت. فأمّا ما كان بسامرّا فحمل إلى خزائن

---

(١) كذا فى ا، وفى ط: «يقعدون». (٢) كذا فى ا، د.

مَسرور سمانة ، بعد أن اشتُرِىَ للخليفة ؛ وقيل لمحمد بن عبد الملك : وكّل ببيع متاعك . وأتوه بالعباس بن أحمد بن رشيد كاتب عُجيف ، فوكّله بالبيع عليه ، فلم يزل أياماً فى حَبْسه مطلقاً ، ثم أمِر بتقييده فقُيِّد ، وامتنع من الطعام ؛ وكان لا يذوق شيئاً ، وكان شديد الجَزع فى حبسه ، كثير البكاء ، قليل الكلام ، كثير التفكّر ، فمكث أياماً ثم سُوهر ، ومُنِع من النوم ، يساهَر وينْخَس بمسلّة ، ثم تُرِك يوماً وليلة ، فنام وانتبه ؛ فاشتهى فاكهة وعِنَباً ؛ فأتِىَ به ، فأكل ثم أعيد إلى المساهرة ، ثم أمر بتنور من خشب فيه مسامير حديد [قيام][(1)] . فذكر عن ابن أبى دواد وأبى الوزير أنهما قالا : هو أوّل مَنْ أمر بعمل ذلك ؛ فعذّب به ابن أسباط المصرىّ حتّى استخرج منه جميع ما عنده ، ثم ابتُلِىَ به فعُذِّب به أياماً .

فذُكر عن الدندانىّ الموكّل بعذابه أنه قال : كنت أخرج وأقفل الباب عليه ؛ فيمدّ يديه إلى السماء جميعاً حتى يدقّ موضع كتفيه ؛ ثم يدخل التنُّور فيجلس ، والتنُّور فيه مسامير حديد وفى وسطه خشبة معترضة ، يجلس عليها المعذِّب ؛ إذا أراد أن يستريح ، فيجلس على الخشبة ساعة ، ثم يجىء الموكّل به ؛ فإذا هو سمع صوت الباب يُفتح قام قائماً كما كان ؛ ثم شدّدوا[(2)] عليه . ١٢٧٥/٣

قال المعذِّب له : خاتلته يوماً ، وأريتُه أنى أقفلت الباب ولم أقفله ؛ إنما أغلقته بالقفل ، ثم مكثت قليلا ، ثم دفعت الباب غَفْلة ؛ فإذا هو قاعد فى التنُّور على الخشبة ، فقلت : أراك تعمل هذا العمل ! فكنت إذا خرجت بعد ذلك شددت خِناقه ، فكان لا يقدر على القعود ، واستلت الخشبة حتّى كانت تكون بين رجليه ؛ فما مكَث بعد ذلك إلا أياماً حتّى مات .

واختلف فى الذى قتِل به ، فقيل : بُطِح ، فضُرب على بطنه خمسين مقْرعة ، ثم قُلِب فضرِب على استه مثلها ، فمات وهو يُضرَب ؛ وهم لا يعلمون ، فأصبح ميّتاً قد التوت عنُقه ، ونُتفت لحيته . وقيل : مات بغير ضرب .

وذكر عن مبارك المغربىّ أنه قال : ما أظنه أكل فى طول حبسه إلاّ رغيفاً

(١) من ا . (٢) ا : « تشددوا » .

واحداً ؛ وكان يأكل العِنبة والعنبتين .

قال : وكنت أسمعه قبل موته بيومين أو ثلاثة يقول لنفسه : يا محمد بن عبد الملك ؛ لم يقنعك النعمة والدواب الفُرّه والدّار النظيفة والكسوة الفاخرة ؛ وأنت فى عافية حتّى طلبت الوزارة ؛ ذُق ما عملت بنفسك ! فكان يكرّر ذلك على نفسه ؛ فلمّا كان قبل موته بيوم ؛ ذهب عنه عتابُ نفسه ؛ فكان لا يزيد على التشهّد وذكر الله ؛ فلما مات أحْضِر[1] ابناه سليمان وعبيد الله — كانا محبوسين — وقد طُرِح على باب من خشب فى قميصه الذى حُبِس فيه ؛ وقد اتّسخ فقالا : الحمد لله الذى أراح من هذا الفاسق ؛ فدُفعت جثّته إليهما ، فغسلاه على الباب الخشب ، ودفناه وحفرا له ، فلم يعمّقا ؛ فذُكِر أن الكلاب نبشته ؛ وأكلت لحمه . ١٣٧٦/٣

وكان إبراهيم بن العباس على الأهواز ، وكان محمد بن عبد الملك له صديقاً ، فوجّه إليه محمد أحمدَ بن يوسف أبا الجهم ، فأقامه للناس فصالحه عن نفسه بألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ، فقال إبراهيم[2] :

وكنتَ أخى بإخاء الزمانِ ... فلما نَبَا عُدْتَ حربًا عَوَانا[3]

وكنت أذمُّ إليك الزمانَ ... فأَصْبَحْتُ منك أذمُّ الزمانا

وكنت أعُدُّك للنائباتِ ... فها أنا أطلبُ منك الأمانا

وقال :

أَصبحتُ مِن رأى أَبى جعفرٍ ... فى هيئةٍ تنذِرُ بالصَّيْلَمِ[4]

مِنْ غيرِ ما ذَنبٍ ولكنَّها ... عَدَاوة الزنديقِ للمسْلِمِ

وأحدِر بعد ما قبض عليه مع راشد المغربىّ إلى بغداد ، لأخذ ماله بها ، فوردها ، فأخذ رَوحاً غلامَه — وكان قهرمانه — فى يده أمواله يتّجر بها ، وأخذ عدّة من أهل بيته ، وأخذ معهم حمل بغل ، ووجدت له بيوت فيها أنواع التجارة من الحِنْطة والشعير والدّقيق والحبوب والزيت والزبيب والتين وبيت

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « أحضره » .

(٢) هو إبراهيم بن العباس بن محمد الصولى .

(٣) ديوانه ١٦٦ .

(٤) ديوانه ١٦٥

٣/١٣٧٧ مملوء ثوماً[١] ، فكان جميع ما قبض له مع قيمتة تسعين ألف دينار ، وكان حبس المتوكل إياه يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر ووفاته يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من شهر ربيع الأول .

* * *

[ذكر غضب المتوكل على عمر بن فرج]

وفيها غضب المتوكل على عمر بن فرج ؛ وذلك فى شهر رمضان ، فدُفع إلى إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ، فحُبس عنده ، وكتب فى قبض ضياعه وأمواله ، وصار نَجاح بن سَلَمة إلى منزله ؛ فلم يجد فيه إلا خمسة عشر ألف درهم ، وحضر مسرور سمانة ، فقبض جواريه ، وقُيِّد عمر ثلاثين رطلا ، وأحضر مولاه نصر من بغداد ، فحمل ثلاثين ألف دينار ، وحمل نصر من مال نفسه أربعة عشر ألف دينار ، وأصيب له بالأهواز أربعون ألف دينار ، ولأخيه محمد بن فرج مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار ، وحُمِل من داره من المتاع ستة عشر بعيراً فُرُشاً ، ومن الجوهر قيمة أربعين ألف دينار ، وحُمِل من متاعه وفرشه على خمسين جملا ، كرّت مراراً ، وألبس فَرَجيّة[٢] صوف وقُيِّد ، فمكث بذلك سبعاً ، ثم أطلق عنه وقبض قصره ، وأخذ عياله ، ففتّشوا وكنّ مائة جارية ؛ ثم صولح على عشرة آلاف ألف درهم ، على أن يردّ عليه ما حيز عنه من ضياع الأهواز فقط ، ونزعت عنه الجبة الصّوف والقيد ؛ وذلك فى شوّال .

وقال علىّ بن الجهم بن بدر لنجاح بن سلمة يحرّضه على عمر بن فرج :

أَبلِغْ نَجاحًا فتى الكتّابِ مَأْلُكةً ... تمضِى بها الرِّيحُ إصدرًا وإيرادًا[٣]

٣/١٣٧٨ لا يخرُج المالُ عفوًا من يَدَىْ عمرٍ ... أَو يُغْمَدَ السَّيفُ فى فَوْدَيْه إغمادا

الرُّخَّجيُّونَ لا يوفُون ما وعَدُوا ... والرخَّجيّات لا يُخلِفْنَ ميعادا

وقال أيضًا يهجوه :

جَمَعتَ أمرَيْنِ ضاعَ الحزمُ بينهما ... تِيهَ المُلوكِ وأفعالَ المماليكِ[٤]

(١) كذا فى ا ، د ، س وفى ط : «ثوباً» . (٢) ا : « جبة صوف »
(٣) ديوانه ١٣٤ (٤) ديوانه ١٦١

أردتَ شكرًا بلا برٍّ ومَرْزِئَةٍ لقد سَلَكتَ سبيلا غيرَ مسلوك
ظَنَنْتَ عِرْضَكَ لم يُقرَعْ بقارعة وما أراكَ على حالٍ بمتروكِ

* * *

وفى هذه السنة أمر المتوكّل بإبراهيم بن الجنيد النصرانىّ ، أخى أيوب كاتب سمانة ، فضُرِب له بالأعمدة حتى أقرّ بسبعين ألف دينار ، فوجّه معه مباركاً المغربىّ إلى بغداد حتّى استخرجها من منزله ، وجىء به فحُبِس .

* * *

[ذكر غضب المتوكل على أبى الوزير وغيره]

وفيها غضب المتوكل على أبى الوزير فى ذى الحجة ، وأمر بمحاسبته ، فحمل نحواً من ستين ألف دينار ، وحمل بدورَ دراهم وحليًّا ، وأخذ له من متاع مصر اثنين وستين سَفَطا واثنين وثلاثين غلاماً وفرشاً كثيراً ، وحبس بخيانته محمد بن عبد الملك أخا موسى بن عبد الملك والهيثم بن خالد النصرانىّ وابن أخيه سعدون بن علىّ ، وصولح سعدون على أربعين ألف دينار ، وصولح ابنا أخيه عبد الله وأحمد على نيّف وثلاثين ألف دينار ؛ وأخذت ضياعهم بذلك .

* * *

١٣٧٩/٣ وفى هذه السنة استكتب المتوكل محمد بن الفضل الجرجرائىّ .

* * *

وفى هذه السنة عزل المتوكل يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيَت من شهر رمضان عن ديوان الخراج الفضلَ بن مرْوان ، وولاّه يحيى بن خاقان الخُراسانىّ مولى الأزْد ، وولّى إبراهيم بن العباس بن محمد بن صُول فى هذا اليوم ديوان زِمام النفقات وعزل عنه أبا الوزير .

* * *

وفيها ولّى المتوكل ابنه محمداً المنتصر الحرَمين واليمن والطائف ، وعقد له

يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان .

وفيها فُلِج أحمد بن أبى دواد لستّ خلون من جمادى الآخرة .

وفيها قدم يحيى بن هرثمة مكة وهو والى طريق مكة بعلىّ بن محمد بن على الرضىّ بن موسى بن جعفر من المدينة .

وفيها وثب ميخائيل بن توفيل على أمّه تذورة فشمّسها وأدخلها الدير ، وقتل اللُّغُشِيط لأنه اتهمها به ؛ وكان ملكها ستّ سنين .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن هرب محمد بن البعيث]

فمن ذلك ما كان من هرب محمد بن البعيث بن حَلْبَس ؛ جيء به أسيراً من قبل أذْرَبيجان فحبس .

* ذكر الخبر عن سبب هربه وما كان آل إليه أمره :

ذكر أنّ السبب فى ذلك كان أنّ المتوكل كان اعتَلّ فى هذه السنة ؛ وكان مع ابن البعيث رجلٌ يخدمه يسمّى خليفة ، فأخبره بأنّ المتوكل قد تُوفِّىَ ، وأعدّ له دوابّ ، فهرب هو وخليفة الذى أخبره الخبر إلى موضعه من أذْرَبيجان ، وموضعه منها مَرَنْد ـ وقيل : كانت له قلعتان تُدْعى إحداهما شاهى والأخرى يَكدُر [1] ـ ويكدر خارج البحيرة ، وشاهى فى وسط البحيرة ، والبحيرة قدرُ خمسين فرسخاً من حدّ أرْمِية ، إلى رُستاق داخَرّقَان بلاد محمد بن الرّوّاد ، وشاهى قلعة ابن البعيث حصينة يحيط بها ماء قائم ثَمّ ، يركب الناس من أطراف المراغة إلى أرْمِيَة وهى بحيرة لا سمك فيها ولا خير .

١٣٨٠/٣

وذُكِر أنّ ابن البَعيث كان فى حبس إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فتكلم فيه بُغَا الشرابىّ ، وأخذ منه الكُفَلاء نحواً من ثلاثين كَفيلاً ، منهم محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانىّ ؛ فكان يتردّد بسامرّا ؛ فهرب إلى مَرَنْد ، فجمع بِمَرَنْد الطعام ؛ وفيها عيون ماء ، فرَمّ ما كان وَهَى من سُورها ، وأتاه من أراد الفتنة من كلّ ناحية ؛ من ربيعة وغيرهم ؛ فصار فى نحو من ألفين ومائتى رجل .

وكان الوالى بأذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة ، فقصّر فى طلبه ، فولّى

(١) س : « بكدر » .

المتوكل حمدويه بن عليّ بن الفضل السعديّ أذْرَبيجان ، ووجّهه من سامرّا على البريد ، فلما صار إليها جمع الجند والشاكريّة ومَن استجاب له ، فصار في عشرة آلاف ، فزَحف إلى ابن البَعيث ، فألجأه إلى مدينة مَرَنْد — وهي مدينة استدارتها فرسخان وفي داخلها بساتين كثيرة ، ومن خارجها كما تدور شجر إلاّ في موضع أبوابها — وقد جمع فيها ابن البعيث آلة الحصار ، وفيها عيون ماء ، فلما طالت مدّته وجّه المتوكل زِيرَك التركيّ في مائتي ألف فارس من الأتراك ؛ فلم يصنع شيئاً ؛ فوجّه إليه المتوكل عمرو بن سيسل بن كال في تسعمائة من الشاكريّة ، فلم يُغنِ شيئاً ، فوجّه إليه بغا الشرابيّ في أربعة آلاف ما بين تركيّ وشاكريّ ومغربيّ ، وكان حمدويه بن عليّ وعمر بن سيسل وزيرك زحفوا إلى مدينة مَرَنْد ، وقطعوا ما حولَها من الشجر ، فقطعوا نحواً من مائة ألف شجرة وغير ذلك من شجر الغِياض ، ونصبوا عليها عشرين مِنْجَنيقا ، وبنوْا بحذاء المدينة ما يستكنّون فيه ، ونصب عليهم ابن البعيث من المجانيق مثلَ ذلك ؛ وكان مَنْ معه من عُلُوج رساتيقه يرمون بالمقاليع ، فكان الرَّجُل لا يقدر على الدنوّ من سُور المدينة ، فقُتل من أولياء السلطان في حَرْبه في ثمانية أشهر نحو من مائة رجل ، وجُرح نحو من أربعمائة ، وقتِل وجرِح من أصحابه مثل ذلك . ٣/١٣٨١

وكان حمدويه وعمرو وزيرك يغادونه القتال ويُراوحونه ؛ وكان السور من قِبَل المدينة ذليلاً ، ومن القرار نحواً من عشرين ذراعاً ، وكانت الجماعة من أصحاب ابن البعيث يتدلَّوْن بالحبال معهم الرماح فيقاتلون ؛ فإذا حُمِل عليهم من أصحاب السلطان لجئوا إلى الحائط ؛ وكانوا ربما فتحوا باباً يقال له باب الماء ؛ فيخرج منه العِدّة يقاتلون ثم يرجعون .

ولما قرب بُغا الشرابيّ من مَرَنْد بعث — فيما ذكر — عيسى بن الشيخ بن السَّليل الشيبانيّ ، ومعه أمانات لوجوه أصحاب ابن البعيث ، ولابن البعيث أن ينزلوا وينزل على حكم أمير المؤمنين ؛ وإلاّ قاتلهم ، فإن ظفر بهم لم يستبقِ منهم أحداً ، ومَنْ نزل فله الأمان ؛ وكان عامة مَنْ مع ابن البَعيث من ربيعة من قوم عيسى بن الشيخ ؛ فنزل منهم قوم كثير بالحبال ، ونزل خَتَن ابن البعيث ٣/١٣٨٢

على أخته أبو الأغر .

وذكر عن أبى الأغرّ هذا أنه قال : ثم فتحوا باب المدينة ، فدخل أصحاب حمدويه وزيرك ، وخرج ابن البعيث من منزله هارباً يريد أن يخرج من وجه آخر ؛ فلحقه قوم من الجند ، معهم منصور قَهرمانه ؛ وهو راكب دابةً ، يريد أن يصير إلى نهر عليه رحًا ليستخفىَ فى الرحا ، وفى عنقه السيف ، فأخذوه أسيراً وانتهب الجند منزله ومنازل أصحابه وبعض منازل أهل المدينة ، ثم نودى بعد ما انتهب الناس : برئت الذّمة ممن انتهب وأخذوا له أختين وثلاث بنات وخالته والبواقى سرارىّ ؛ فحصل فى يد السلطان من حرمه ثلاث عشرة امرأة ، وأخذ من وجوه أصحابه المذكورين نحوٌ من مائتى رجل ، وهرب الباقون ؛ فوافاهم بُغا الشرابىّ من غد ، فنادى مناديه بالمنع من النهْب ، فكتب بُغا الشرابىّ بالفتح لنفسه .

* * *

وخرج المتوكل فيها إلى المدائن فى جمادى الأولى .

* * *

[ذكر الخبر عن حج إيتاخ وسببه]

١٣٨٣/٣

وحجّ فى هذه السنة إيتاخ ، وكان والى مكة والمدينة والموسم ، ودُعِى له على المنابر .

* ذكر الخبر عن سبب حجه فى هذه السنة :

ذُكر أن إيتاخ كان غلامًا خزريًّا لسلام الأبرش طباخاً ، فاشتراه منه المعتصم فى سنة تسع وتسعين ومائة ، وكان لإيتاخ رُجْلة[1] وبأس ، فرفعه المعتصم ومَنْ بعده الواثق ؛ حتى ضمّ إليه من أعمال السلطان أعمالاً كثيرة ، وولاّه المعتصم معونة سامرّا مع إسحاق بن إبراهيم ؛ وكان مَنْ قِبَله رجل ، ومن قبَل إسحاق رجل ؛ وكان مَنْ أراد المعتصم أو الواثق قتْلَه فعند إيتاخ

(١) الرجلة بالضم ، مثل الرجولية .

يُقتل ، وبيده يُحبس ؛ منهم محمد بن عبد الملك الزيات ، وأولاد المأمون من سُنْدس ، وصالح بن عُجيف وغيرهم ؛ فلمَّا ولِيَ المتوكل كان إيتاخ فى مرتبته ، إليه الجيش والمغاربة والأتراك والموالى والبريد والحجابة ودار الخلافة ؛ فخرج المتوكل بعد ما استوتْ له الخلافة متنزِّهاً إلى ناحية القاطُول ، فشرب ليلة ، فعربَد على إيتاخ ؛ فهمَّ إيتاخ بقتله ؛ فلما أصبح المتوكل قيل له ، فاعتذر إليه والتزمه ، وقال له : أنت أبى وربَّيْتَنى ، فلما صار المتوكل إلى سامرّا دسَّ إليه مَنْ يشير عليه بالاستئذان للحجّ ، ففعل وأذِن له ، وصيَّره أمير كلِّ بلدة يدخلها ، وخلع عليه ، وركب جميع القوّاد معه ، وخرج معه من الشاكريّة والقوّاد والغلمان سوى غلمانه وحَشمه بشر كثير ؛ فحين خرج صُيِّرت الحجابة إلى وصيف ، وذلك يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة . ١٣٨٤/٣

وقد قيل إن هذه القصة من أمر إيتاخ كانت فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وإن المتوكل إنما صيَّر إلى وصيف الحجابة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة من سنة ثلاث وثلاثين ومائتين .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود بن عيسى بن موسى [1].

---

(١) ط : « موسى بن عيسى » .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل إيتاخ]

فمن ذلك مقتل إيتاخ الخزَريّ .

* ذكر الخبر عن صفة مقتله :

ذُكر عن إيتاخ أنه لما انصرف من مكّة راجعاً إلى العراق ، وجّه المتوكل إليه سعيد بن صالح الحاجب مع كسوة وألطاف ، وأمره أن يلقاه بالكُوفة أو ببعض طريقه ؛ وقد تقدّم المتوكل إلى عامله على الشرطة ببغداد بأمره فيه .

فذكر عن إبراهيم بن المدبّر ، أنه قال : خرجت مع إسحاق بن إبراهيم حين قَرُب إيتاخ من بغداد ، وكان يريد أن يأخذ طريق الفُرات إلى الأنبار ، ثم يخرج إلى سامرّا ، فكتب إليه إسحاق بن إبراهيم : إنّ أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، قد أمر أن تدخل بغداد ، وأنْ يلقاك بنو هاشم ووُجوه الناس ، وأن تقعد لهم في دار خُزيمة بن خازم ، فتأمر لهم بجوائز . قال : فخرجنا حتى إذا كنا بالياسريّة ، وقد شحن ابن إبراهيم الجسر بالجُنْد والشاكريّة ، وخرج في خاصّته ، وطُرِح له بالياسرية صُفّة ، فجلس عليها حتى قالوا : قد قَرُب منك . فركب فاستقبله ؛ فلما نظر إليه أهوى إسحاق لينزل ، فحلف عليه إيتاخ ألاّ يفعل . ٣/١٣٨٥

قال : وكان إيتاخ في ثلثمائة من أصحابه وغلمانه ، عليه قَباء أبيض ، متقلّداً سيفاً بحمائل ، فسارا جميعاً ؛ حتى إذا صارا عند الجسر تقدّمه إسحاق عند الجسر ، وعبرَ حتى وقف على باب خُزيمة بن خازم ، وقال لإيتاخ : تدخل أصلح الله الأمير ! وكان الموكّلون بالجسْر كلما مرّ بهم غلام من غلمانه قدّموه ؛ حتى بقيَ في خاصّة غلمانه ، ودخل بين يديه قوم ، وقد فرشت له دار خزيمة ، وتأخّر إسحاق ، وأمر ألاّ يدخل الدار من غلمانه إلا

ثلاثة أو أربعة ، وأخذت عليه الأبواب ، وأمر بحراسته من ناحية الشطّ ، وكسرت كل درجة فى قصر خُزيمة بن خازم ، فحين دخل أغلق الباب خلفه ، فنظر فإذا ليس معه إلاّ ثلاثة غلمان ، فقال : قد فعلوها ! ولو لم يؤخذ ببغداد ما قدروا على أخذه ؛ ولو دخل إلى سامرّا ، فأراد بأصحابه قتلَ جميع من خالفه أمكنه ذلك . قال : فأتِيَ بطعام قرب الليل ، فأكل فمكث يومين أو ثلاثة ، ثم ركب إسحاق فى حرّاقة وأعدّ لإيتاخ أخرى ، ثم أرسل إليه أن يصير إلى الحرّاقة ، وأمر بأخذ سيفه ، فحدَروه إلى الحرّاقة ، وصُيِّرَ معه قوم فى السلاح وصاعَدَ إسحاق ، حتى صار إلى منزله ، وأخرِج إيتاخ حين[1] بلغ دار إسحاق ، فأدخِل ناحية منها ، ثم قيِّد فأثقِل بالحديد فى عُنقه ورجليه ؛ ثم قدِّم بابنيه منصور ومظفر ، وبكاتبيه سليمان بن وهْب وقدامة بن زياد النصرانىّ بغداد . ١٣٨٦/٣

وكان سليمان على أعمال السلطان ، وقدامة على ضياع إيتاخ خاصّة ، فحبِسوا ببغداد ؛ فأما سليمان وقُدامة فضُرِبا ، فأسلم قُدامة وحُبس منصور ومظفر .

وذكر عن تُرْك مولى إسحاق أنه قال : وقفت على باب البيت الذى فيه إيتاخ محبوس ، فقال لى : يا ترك ، قلت : ما تريد يا منصور ؟ قال : أقرئ الأمير السلام ، وقل له : قد علمتَ ما كان يأمرنى به المعتصم والواثق فى أمرك ؛ فكنت أدفع عنك ما أمكننى ؛ فلينفعْنى ذلك عندك ؛ أما أنا فقد مرّ بى شدّة ورخاء ؛ فما أبالى ما أكلت وما شربت ، وأمّا هذان الغلامان ؛ فإنهما عاشا فى نعمة ولم يعرفا البؤس ، فصيِّرْ لهما مَرَقة ولحماً وشيئاً يأكلان منه . قال : ترْك فوقفتُ على باب مجلس إسحاق ، قال لى : مالك يا ترك ؟ أتريد أن تتكلم بشىء ؟ قلت : نعم ، قال لى إيتاخ كذا ، كذا ، قال : وكانت وظيفة إيتاخ رغيفًا وكوزاً من ماء ، ويأمر لابنيه بخوان فيه سبعة أرغفة وخمس غُرُف ؛ فلم يزل ذلك قائماً حياة إسحاق ، ثم لا أدرى ما صنِع بهما ؛ فأما إيتاخ فقُيِّد وصُيِّر فى عنقه ثمانون رطلا ، وقَيْدٌ ثقيل ، فمات يوم الأربعاء لخمس خلوْن من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وأشهد إسحاق على موته أبا الحسن إسحاق بن ثابت بن أبى عباد وصاحب بريد بغداد والقضاة ، وأراهم إياه لاضَرْبَ به ولا أثر .

---

(١) س : « حتى » .

٣/١٣٨٧ وحدثنى بعض شيوخنا أن إيتاخ كان موته بالعطش ، وأنه أطعِم[1] فاستسقى فمنِع الماء ، حتى مات عطشاً ، وبقى ابناه فى الحبس حياةَ المتوكل ، فلما أفضى الأمر إلى المنتصر أخرجَهما ؛ فأما مظفّر فإنه لم يعش بعدَ أن أخرِج من السجن إلا ثلاثة أشهر حتى مات ؛ وأما منصور فعاش بعده .

* * *

[ذكر خبر أسر ابن البعيث وموته]

وفى هذه السنة قدم بغا الشرابىّ بابن البَعيث فى شوّال وبخليفته[2] أبى الأغرّ وبأخوَى ابن البعيث صقْر وخالد — وكانا نزلا بأمان — وبابن لابن البعيث ، يقال له العلاء ؛ خرج بأمان ، وقدم من الأسرى بنحو من مائة وثمانين رجلا ، ومات باقيهم قبل أن يصلوا ؛ فلمّا قربوا من سامرّا حُملوا على الجِمال يستشرفهم الناس ، فأمر المتوكل بحبسه وحبسهم ، وأثقله حديداً .

فذُكر عن علىّ بن الجهم ، أنه قال : أُتِىَ المتوكل بمحمد بن البعيث ، فأمر بضرب عنقه ، فطرِح على نِطَع ، وجاء السيّافون فلوّحوا له ، فقال المتوكّل ، وغلظ عليه : ما دعاك يا محمد إلى ما صنعتَ ؟ قال : الشقوة ، وأنت الحبل الممدود بين الله وبين خلقه ؛ وإن لى فيك لظنّيْن أسبقهما إلى قلبى أوْلاهما بك ؛ وهو العفو ؛ ثم اندفع بلا فصل ، فقال :

أبَى الناسُ إلاَّ أنكَ اليومَ قاتِلِى ... إمامَ الهُدَى والصفحِ بالناسِ أجمَلُ[3]

٣/١٣٨٨ وهل أنا إلا جُبلةٌ من خَطيَّةٍ ... وعفوك من نور النبوّةِ يُجْبَلُ

فإنّك خيرُ السابقين إلى العُلَا ... ولا شكَّ أنْ خير الفعَاليْنِ تَفعَلُ

قال علىّ : ثم التفت إلىّ المتوكل ، فقال : إن معه لأدباً ، وبادرت فقلت : بل يفعل أمير المؤمنين خيرَهما ويمنّ عليك ؛ فقال : ارجع إلى منزلك .

وحدّثنى . . . [4] أنه أنشدنى بالمراغة جماعة من أشياخها أشعاراً لابن

---

(١) س : « طعم » . (٢) س : « وبخليفه » .

(٣) ابن الأثير : «بالمرء»، المسعودى : «بالحر». (٤) نقص فى ط، ولم يرد الخبر فى ا، د .

البعيث بالفارسية ، ويذكرون أدبه وشجاعته ، وله أخبار وأحاديث .

وحدّثني بعضُ مَنْ ذكر أنه شهد المتوكّل حين أُتِيَ بابن البَعيث ، وكلّمه ابن البَعيث بما كلّمه به ، فتكلّم فيه المعتزّ ؛ وهو جالس مع أبيه المتوكل ، فاستوهبه فوُهِب له ، وعُفِي عنه .

وكان ابن البَعيث حين هرب قال :

كمْ قد قضيت أمورًا كان أهملَها غيرِى وقد أخذ الإفلاسُ بالكَظَم

لا تَعْذلِينِيَ فيما ليس ينفعُنى إليكِ عنى جَرى المِقدارُ بالقَلمِ

سأُتلِفُ المالَ فى عُسرٍ وفى يسَرٍ إن الجوَادَ الذى يُعْطِى على العدَمِ

وكان ابن البعيث حين هرب خلّف فى منزله ثلاثة بنين له ، يقال لهم : البَعيث وجعفر وحَلْبس ، وجواريَ ، فحبِسوا ببغداد فى قصر الذّهب ، فتكلّم بُغا الشرابىّ بعد موت ابن البعيث — ومات بعد دخوله سامُرّا بشهر — فى أبى الأغرّ ختَنه ، فأطلِق وأطلقتْ خالةٌ لابن البعيث ، فخرجتْ من السجن ، فماتت فرحًا من يومها ، وبقى الباقون فى الحبس . ١٣٨٩/٣

وذكر أنّ ابن البعيث صُيِّر فى عنقه مائة رطل ، فلم يزل مكبوبًا على وجهه حتى مات .

ولما أخِذ ابنُ البعيث أخرِج من الحبس مَنْ كان محبوسًا بسبب كفالته به ، وقد كان بعضهم مات فى الحبْس ، فأخرِج بعدُ باقى عياله وصُيِّرَ بنوه : حَلْبس والبعيث وجعفر فى عِداد الشاكرّية مع عبيد الله بن خاقان ، وأجْريتْ عليهم الأنزال .

* * *

[أمر المتوكل مع النصارى]

وفى هذه السنة أمر المتوكل بأخذ النصارى وأهل الذّمة كلهم بلبس الطيالسة العسليّة والزّنانير وركوب السروج بركب الخشَب وبتصيير كُرَتَيْن على مؤخّر السروج ، وبتصيير زِرّين على قلانس مَنْ لبس منهم قلنسوة مخالفة لون القلنسوة التى يلبسها المسلمون ، وبتصيير رقعتين على ما ظهر من لباس

مماليكهم مخالفٌ لونهما لون الثوب الظاهر الذى عليه؛ وأن تكون إحدى الرُّقعتين بين يديه عند صدره، والأخرى منهما خلْف ظهره؛ وتكون كلٌّ واحدة من الرُّقعتين قَدْر أربع أصابع، ولونهما عسليًّا، ومن لبس منهم عمامة فكذلك يكون لونها لون العسلىّ، ومن خرج من نسائهم فبرزتْ فلا تبرز إلاّ فى إزار عسلىّ، وأمر بأخذ مماليكهم بلبس الزّنانير وبمنعهم لبسَ المناطق، وأمر بهدم بِيَعهم المحدثة، وبأخذ العشر من منازلهم، وإن كان الموضع واسعاً صُيِّر مسجداً، وإن كان لا يصلح أن يكون مسجداً صُيِّر فضاء، وأمر أن يجعل على أبواب دورهم صورَ شياطين من خشب مسمورة؛ تفريقاً بين منازلهم وبين منازل المسلمين، ونهى أن يستعان بهم فى الدواوين وأعمال السلطان التى يجرى أحكامهم فيها على المسلمين، ونهى أن يتعلّم أولادهُم فى كتاتيب المسلمين، ولا يعلّمهم مسلم، ونهى أن يُظهروا فى شعانينهم صليبًا، وأن يشمعلّوا[1] فى الطريق، وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض، لئلا تشبه قبور المسلمين. ٣/١٣٩٠

وكتب إلى عماله فى الآفاق:

بسم الله الرحمن الرحيم؛ أما بعد؛ فإنّ الله تبارك وتعالى بعزّته التى لاتحاوَل وقدرته على ما يريد؛ اصطفى الإسلام فرَضيَه لنفسه، وأكرم به ملائكته، وبعث به رسله، وأيّد به أولياءه؛ وكنَفَه بالبرّ، وحاطه بالنصر، وحرسه من العاهة، وأظهره على الأديان، مبرَّءًا من الشبهات، معصومًا من الآفات، محبوًّا بمناقب الخير، مخصوصاً من الشرائع بأطهرها وأفضلها، ومن الفرائض بأزكاها وأشرفها، ومن الأحكام بأعدلها وأقنعها، ومن الأعمال بأحسنها وأقصدها؛ وأكرم أهله بما أحلّ لهم من حلاله، وحرّم عليهم من حرامه؛ وبيّن لهم من شرائعه وأحكامه، وحدّ لهم من حدوده ومناهجه، وأعدّ لهم من سعة جزائه وثوابه، فقال فى كتابه فيما أمر به ونهى عنه، وفيما حضّ عليه فيه ووعظ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2]، وقال فيما حرّم على أهله ٣/١٣٩١

(١) أن يشمعلوا: أن يسرعوا.
(٢) سورة النحل ٩٠.

مما غمط فيه أهل الأديان من ردىء المطعم والمشرب والمنكح لينزّههم عنه وليظهر به دينهم ، ليفضّلهم عليهم تفضيلا : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ والدَّمُ ولحمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ به والمُنْخَنِقَةُ ...﴾(١) إلى آخر الآية ، ثم ختم ما حرّم عليهم من ذلك فى هذه الآية بحراسة دينه ؛ ممن عَنَد عنه وبإتمام نعمته على أهله الذين اصطفاهم ، فقال عز وجل : ﴿ اليَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكمْ دِينَكمْ ... ﴾(١) الآية ، وقال عز وجل : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكمْ وَبَنَاتُكمْ ... ﴾(٢) وقال : ﴿إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ...﴾(٣) الآية ، فحرّم على المسلمين من مآكل أهل الأديان أرجسَها وأنجسها ، ومن شرابهم أدعاه إلى العداوة والبغضاء ، وأصدّه عن ذكر الله وعن الصلاة ، ومن مناكحهم أعظمها عنده وزراً ، وأولاها عند ذوى الحِجَى والألباب تحريماً ، ثم حباهم محاسنَ الأخلاق وفضائل الكرامات ؛ فجعلهم أهلَ الإيمان والأمانة ، والفَضْل والتراحم واليقين والصدق ؛ ولم يجعل فى دينهم التقاطع والتدابُر ، ولا الحميّة ولا التكبر ، ولا الخيانة ولا الغدر ، ولا التباغىَ ولا التظالم ؛ بل أمر بالأولى ونهى عن الأخرى ، ووعد وأوعد عليها جنّته ونارَه ، وثوابه وعقابه ؛ فالمسلمون بما اختصّهم الله من كرامته ، وجعل لهم من الفضيلة بدينهم الذى اختاره لهم ، بائنون على الأديان بشرائعهم الزّاكية ، وأحكامهم المرضية الطاهرة ، وبراهينهم المنيرة ، وبتطهير الله دينهم بما أحلّ وحرّم فيه لهم وعليهم ، قضاء من الله عزّ وجلّ فى إعزاز دينه ؛ حتماً ومشيئةً منه فى إظهار حقه ماضية ، وإرادةً منه فى إتمام نعمته على أهله نافذة ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ويَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾(٤) ، وليجعل الله الفوز والعاقبة للمتقين ، والخزى فى الدنيا والآخرة على الكافرين .

١٣٩٢/٣

وقد رأى أمير المؤمنين — وبالله توفيقه وإرشاده — أن يحمل أهل الذمّة جميعاً

---

(١) سورة المائدة ٣ .
(٢) سورة النساء ٢٣ .
(٣) سورة المائدة ٩٠ .
(٤) سورة الأنفال ٤٤ .

بحضرته وفى نواحى أعماله؛ أقربِها وأبعدِها ، وأخصّهم وأخسّهم على تصيير طيالستهم التى يلبسونها ؛ مَنْ لبسها من تجّارهم وكتابهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، على ألوان الثياب العسليّة ، لا يتجاوز ذلك منهم متجاوز إلى غيره ، ومَنْ قصر عن هذه الطبقة من أتباعهم وأرذالهم ، ومَنْ يقعد به حاله عن لبس الطيالسة منهم أخذ بتركيب خِرْقتين صبغهما ذلك الصِّبْغ يكون استدارة كلّ واحدة منهما شبراً تامّاً فى مثله ، على موضع أمام ثوبه الذى يلبسه ، تلقاء صدره ، ومن وراء ظهره ، وأن يؤخذ الجميع منهم فى قلانسهم بتركيب أزرّة عليها تُخالف ألوانها ألوان القلانس؛ ترتفع فى أماكنها التى تقع بها ، لئلا تلصق فتُستَر ولا ما يركّب منها على حباك فتخفى؛ وكذلك فى سروجهم باتّخاذ رُكب خشب لها ، ونَصْبِ أُكَرٍ على قرابيسها ؛ تكون ناتئة عنها ، وموفية عليها ، لا يرخّص لهم فى إزالتها عن قرابيسهم ، وتأخيرها إلى جوانبها ؛ بل يُتفقّد ذلك منهم ؛ ليقع ما وقع من الذى أمر أمير المؤمنين بحملهم عليه ظاهراً يتبيّنُه الناظر من غير تأمّل ، وتأخذه الأعين من غير طلب ، وأن تؤخذ عبيدهم وإماؤهم ، ومَنْ يلبس المناطق من تلك الطبقة بشدّ الزنانير والكساتيج مكان المناطق التى كانت فى أوساطهم ، وأن توعِزَ إلى عمالك فيما أمر به أمير المؤمنين فى ذلك إيعازاً تحدوهم به إلى استقصاء ما تقدّم إليهم فيه ، وتحذّرهم إدهاناً وميلا ، وتتقدّم إليهم فى إنزال العقوبة بمَنْ خالف ذلك من جميع أهل الذّمة عن سبيل عناد وتهوين إلى غيره ؛ ليقتصر الجميع منهم على طبقاتهم وأصنافهم على السبيل التى أمر أمير المؤمنين بحملهم عليها ، وأخذهم بها إن شاء الله .

١٣٩٣/٣

فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره ، وأنفذ إلى عمالك فى نواحِى عملك ما ورد عليك من كتاب أمير المؤمنين بما تعمل به إن شاء الله ؛ وأمير المؤمنين يسأل الله ربّه ووليّه أن يُصَلّىَ على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وملائكته ، وأن يحفظه فيما استخلفه عليه من أمر دينه ، ويتولى ما ولاّه مما لا يبلغ حقه فيه إلاّ بعونه ؛ حفظاً يحمل به ما حمله ، وولاية يقضى بها حقه منه ويوجب بها له أكمل ثوابه ، وأفضل مزيده ؛ إنه كريم رحيم .

١٣٩٤/٣

وكتب إبراهيم بن العباس فى شوال سنة خمس وثلاثين ومائتين .

فقال علىّ بن الجهم :

العَسلِيَّاتُ التى فرَّقَتْ بين ذوى الرَّشْدَةِ والغَىّ[١]
وما على العاقل إنْ تكْثرُوا فإنه أَكثرُ للفَىّ

* * *

[ظهور محمود بن الفرج النيسابورىّ]

وفى هذه السنة ظهر بسامرّا رجلٌ يقال له محمود بن الفرج النيسابورىّ فزعم أنه ذو القرنين ، ومعه[٢] سبعة وعشرون رجلاً عند خشبة بابَك ، وخرج من أصحابه بباب العامة رجُلان ، و ببغداد فى مسجد مدينتها آخران ، وزعما أنه نبىّ ، وأنه ذو القرنين ؛ فأتِىَ به وبأصحابه المتوكّل ، فأمر بضربه بالسياط ؛ فضرب ضربًا شديداً ، فمات من بعد من ضَرْبِه ذلك ، وحُبِس أصحابه ؛ وكانوا قدموا من نيسابور ، ومعهم شىء يقرءونه ، وكان معهم عيالاتهم ، وفيهم شيخ يشهد له بالنبوّة ، ويزعم أنه يوحَى إليه ، وأنّ جبريل يأتيه بالوحى ، فضُرب محمود مائة سوط ، فلم ينكر نبوّته حين ضُرب ، وضُرب الشيخ الذى كان يشهد له أربعين سوطًا ، فأنكر نبوّته حين ضرب . وحُمل محمود إلى باب العامّة ، فأكذب نفسه ، وقال : الشيخ قد اختدعنى ، وأمر أصحاب محمود أن يصفعوه فصفعوه ؛ كلّ واحد منهم عشر صفعات ، وأخِذ له مصحف فيه كلام قد جمعه ذكر أنه قرآنه ، وأن جبريل عليه السلام كان يأتيه به ، ثم مات يوم الأربعاء لثلاث خلوْن من ذى الحجة فى هذه السنة ودفن فى الجزيرة .

* * *

[ذكر عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة]

وفى هذه السنة عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة : لمحمد وسماه المنتصر ، ولأبى عبد الله بن قبيحة ــ ويختلف فى اسمه ، فقيل إن اسمه محمد ، وقيل: ١٣٩٥/٣

(١) ديوانه ١٩٢ . (٢) ابن الأثير : «وتبعه» .

اسمه الزبير ، ولقبه المعتزّ — ولإبراهيم وسماه المؤيّد بولاية العهد ، وذلك — فيما قيل — يوم السبت لثلاث بقين من ذى الحجة — وقيل لليلتين بقيتا منه — وعقد لكلّ واحد منهم لواءين ؛ أحدهما أسود وهو لواء العهد ، والآخر أبيض وهو لواء العمل ، وضمّ إلى كلّ واحد من العمل ما أنا ذاكره .

فكان ما ضمّ إلى ابنه محمد المنتصر من ذلك إفريقية والمغرب كله من عريش مصر إلى حيث بلغ سلطانه من المغرب وجند قنَّسرين والعواصم والثغور الشأمية والجزريّة وديار مُضر وديار ربيعة والموصل وهِيت وعانات والخابُور وقَرقيسيا وكور باجَرْمَى وتَكريت وطساسيج السواد وكور دِجلة والحرَمين واليمَن وعلكّ وحضرموت واليمامة والبحرين والسند ومكران وقندابيل وفَرْج بيت الذهب وكُور الأهواز والمستغلاّت بسامرّا وماه الكوفة وماه البصرة وماسَبَذان ومِهرجان قَذَق وشهر زُور ودراباذ والصامغان وأصبهان وقمّ وقاشان وقزوين وأمور الجبل والضِّياع المنسوبة إلى الجبال وصدقات العرب بالبصرة .

وكان ما ضمّ إلى ابنه المعتزّ كُور خراسان وما يضاف إليها ، وطبرستان والرّىّ وإرمينيَة وأذرَبيجان وكُور فارس . ضم إليه فى سنة أربعين خزْن بيوت الأموال فى جميع الآفاق ، ودور الضرب ، وأمر بضرب اسمه على الدراهم .

وكان ما ضمّ إلى ابنه المؤيد جند دمشق وجند حمص وجند الأردنّ وجند فلسطين ، فقال أبو الغصْن الأعرابىّ : ٣/١٣٩٦

إنَّ وُلاةَ المسلمينَ الجِلَّهْ ... محمّدٌ ثم أبو عَبْدِ اللهْ

ثمَّتَ إبراهيمُ آبى الذِّلهْ ... بُورِكَ فى بنِى خليفةِ اللهْ

وكتب بينهم كتاباً نسخته :

هذا كتاب كتبه عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ، وأشهد الله على نفسه بجميع ما فيه ومَنْ حضر من أهل بيته وشيعته وقوّاده وقُضاته وكفاته وفقهائه وغيرهم من المسلمين لمحمد المنتصر بالله ، ولأبى عبد الله المعتزّ بالله ، ولإبراهيم المؤيد بالله ؛ بنى أمير المؤمنين ؛ فى أصالةٍ من رأيه ، وعمومٍ من عافية بدنه ، واجتماع من فهمه ؛ مختاراً لما شهد به ، متوخّياً بذلك طاعةَ ربه ، وسلامة رعيّته واستقامتها وانقياد طاعتها ، واتساعَ كلمتها ؛

وصلاح ذات بينها ؛ وذلك فى ذى الحجة سنة خمسة وثلاثين ومائتين [أنه جعل][1] ؛ إلى محمد المنتصر بالله بن جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ولاية عهد المسلمين فى حياته والخلافة عليهم من بعده ؛ وأمره بتقوى الله التى هى عِصْمة مَن اعتصم بها ونجاةُ من لجأ إليها ، وعزّ من اقتصر عليها ؛ فإن بطاعة الله تمّ النعمة ، وتجب من الله الرحمة ، والله غفور رحيم . وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين الخلافة من بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين إلى أبى عبد الله المعتزّ بالله ابن أمير المؤمنين ، ثم من بعد أبى عبد الله المعتز ابن أمير المؤمنين الخلافة إلى إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين . ١٣٩٧/٣

وجعلَ عبدُ الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين لمحمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين على أبى عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله ابنى أمير المؤمنين السمع والطاعة والنصيحة والمشايعة والمُوالاة لأوليائه والمعاداة لأعدائه ، فى السرّ والجهر ، والغضب والرضا ، والمنع والإعطاء ، والتمسك ببيعته ، والوفاء بعهده ، لا يَبغيانه غائلة ، ولا يحاولانه مخاتَلةً ، ولا يمالئان عليه عدوًّا ، ولا يستبدّان دونه بأمرٍ يكون فيه نقضٌ لما جعل إليه أمير المؤمنين من ولاية العهد فى حياته والخلافة من بعده .

وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبى عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله ابنى أمير المؤمنين الوفاء بما عقده لهما ، وعهد به إليهما من الخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، وإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخليفة من بعد أبى عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، والإتمام[2] على ذلك ، وألاّ يَخْلعهما ولا واحداً منهما ، ولا يعقد دونهما ولا دون واحد منهما بيعةً لولد ، ولا لأحد من جميع البرّية ، ولا يؤخّر منهما مقدّماً ، ولا يقدّم منهما مؤخّراً ، ولا يَنْقصهما ولا واحداً منهما شيئاً من أعمالهما التى ولاّهما عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين وكلّ واحد منهما ؛ من الصلاة والمعاون والقضاء ١٣٩٨/٣

(١) من ا ، د . (٢) ا ، د : « والإمام » .

والمظالم والخراج والضّياع والغنيمة والصّدقات وغير ذلك من حقوق أعمالهما ، وما فى عمل كلّ واحد منهما ؛ من البريد والطُّرُز وخَزْن بيوت الأموال والمعاون ودُور الضَّرْب وجميع الأعمال التى جعلها أمير المؤمنين ، ويجعلها إلى كلّ واحد منهما ، ولا ينقل عن واحد منهما أحداً من ناحيته من القوّاد والجند والشاكريّة والموالى والغلمان وغيرهم ؛ ولا يعترض عليه فى شىء من ضياعه وإقطاعاته وسائر أمواله وذخائره وجميع ما فى يده ، وما حواه وملكتْ يده من تالد وطارف ، وقديم ومستأنف ؛ وجميع ما يستفيده ويُستفاد له بنقص ، ولا يحرم ولا يجنف[1] ، ولا يعرض لأحد من عماله وكتّابه وقضاته وخدمه ووكلائه وأصحابه ، وجميع أسبابه بمناظرة ولا محاسبة ؛ ولا غير ذلك من الوجوه والأسباب كلها ، ولا يفسخ فيما وكّده أمير المؤمنين لهما فى هذا العقد والعهد ، بما يزيل ذلك عن جهته ، أو يؤخّره عن وقته ، أو يكون ناقضاً لشىء منه .

وجعل عبد الله جعفر المتوكل على الله أمير المؤمنين على أبى عبد الله المعتزّ بالله ابن أمير المؤمنين إن أفضت إليه الخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين مثل الشرائط التى اشترطها على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين بجميع ما سمّى فيه ووصف فى هذا الكتاب ، وعلى ما بيّن وفسّر ، مع الوفاء من أبى عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، بما جعله أمير المؤمنين لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين من الخلافة وتسليم ذلك راضياً[2] به ممضياً له ؛ مقدّماً ما فيه حق الله عليه وما أمره به أمير المؤمنين ، غير ناكث ولا ناكب بذلك ، ولا مبدّل ، فإن الله تعالى جدُّه وعزّ ذكره يتوعّد مَن خالف أمره ، وعَنَد عن سبيله فى محكم كتابه : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فإنَّما إثْمُهُ عَلَى الَّذِين يُبَدِّلونه إنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3] .

١٣٩٩/٣

على أن لأبى عبد الله المعتزّ بالله ابن أمير المؤمنين ولإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، الأمان ، وهما مقيمان بحضرته أو أحدهما ، أو كانا غائبين عنه ؛ أو مجتمعين كانا أو متفرّقين . ويستمر أبو عبد الله

(١) ا : « يحيف » . (٢) ط : « رضيا » .
(٣) سورة البقرة ١٨١ .

المعتز بالله ابن أمير المؤمنين فى ولايته بخراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها ، ويستمر إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين فى ولايته بالشأم وأجنادها ؛ فعلى محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، أن يُمضىَ أباعبد الله المعتزّ بالله ابن أمير المؤمنين إلى خُراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها ، وأن يسلّم له ولايتَها وأعمالها كلها وأجنادها والكُور الداخلة فيما ولّى جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أبا عبد الله المعتزّ بالله ابن أمير المؤمنين ، فلا يعوّقه عنها ، ولا يحبسُه قبَله ولا فى شىء من البلدان دون خراسان والكور والأعمال المضمومة إليها ، وأن يعجّل إشخاصه إليها واليًا عليها وعلى جميع أعمالها ، مفُرَداً بها ومضمومًا إليه أعمالها كلها ؛ لينزل حيث أحبّ من كُور عمله ، ولا ينقله عنها ، وأن يَشخص معه جميع من ضَمّ إليه أمير المؤمنين ، ويضمّ من مواليه وقوّاده وشاكريّته وأصحابه وكتابه وعماله وخدَمه ومَن اتبعه من صُنوف الناس بأهاليهم وأولادهم وعيالهم[1] وأموالهم ؛ ولا يحبس عنه أحداً ، ولا يشرك فى شىء من أعماله أحداً ، ولا يوجّه عليه أمينًا ولا كاتباً ولا بريداً ، ولا يضرب على يده فى قليل ولا كثير . ٣/١٤٠٠

وأن يطلق محمد المنتصر بالله لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخروجَ إلى الشأم وأجنادها[2] فيمن ضمّ أمير المؤمنين ويضمه إليه من مواليه وقوّاده وخدَمه وجنوده وشاكريّته وصحابته وعُمّاله وخدّامه ومَن اتبعه من صنوف الناس بأهاليها وأولادهم وأموالهم ، ولا يحبس عنهم أحداً ، ويسلّم إليه ولايتها وأعمالها وجنودها كلَّها ، لا يعوّقه عنها ، ولا يحبسه قبَله ولا فى شىء من البلدان دونَها ، وأن يعجّل إشخاصه إلى الشأم وأجنادها واليًا عليها ، ولا ينقله عنها ؛ وأنّ عليه له فيمن ضمّ إليه من القوّاد والموالى والغلمان والجنود والشاكرية وأصناف الناس وفى جميع الأسباب والوجوه مثل الذى اشترط على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبى عبد الله المعتزّ بالله ابن أمير المؤمنين فى خُراسان وأعمالها على ما رسم من ذلك ، وبيّن ولخص ، وشرح فى هذا الكتاب . ٣/١٤٠١

ولإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين على أبى عبد الله المعتزّ بالله ابن

---

(١) س : « وعمالهم » . (٢) س : « وأجناده »

أميرالمؤمنين—إذا أفضت الخلافة إليه ، وإبراهيم المؤيد بالله مقيم بالشام — أن يُقرّه بها أو كان بحضرته ، أو كان غائباً عنه ، أن يمضيَه إلى عمله من الشأم ، ويسلّم إليه أجنادَها وولايتها وأعمالها كلها ، ولا يعوّقه عنها ، ولا يحبسه قِبَله ولا فى شىء من البلدان دونها ، وأن يُعجّلَ إشخاصه إليها واليًا عليها وعلى جميع أعمالها ؛ على مثل الشرط الذى أخذ لأبى عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين فى خراسان وأعمالها ؛ على ما رسم ووصف وشرط فى هذا الكتاب ؛ لم يجعل أمير المؤمنين لواحد ممن وقعت عليه وله هذه الشروط ؛ من محمد المنتصر بالله ، وأبى عبد الله المعتزّ بالله ، وإبراهيم المؤيد بالله ؛ بنى أمير المؤمنين ، أن يزيل شيئًا مما اشترطنا فى هذا الكتاب ، ووكّدنا ، وعليهم جميعًا الوفاءُ به ؛ لا يقبل الله منهم إلاّ ذلك ، ولا التمسُّك إلا بعهد الله فيه ؛ وكان عهد الله مسؤلا .

أشهد اللهَ ربَّ العالمين جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ومن حضره من المسلمين بجميع ما فى هذا الكتاب على إمضائه إياه ؛ على محمد المنتصر بالله ، وأبى عبد الله المعتز بالله ، وإبراهيم المؤيد بالله ، بنى أمير المؤمنين بجميع ما سمّى ووصَف فيه ، وكفى بالله شهيداً ومعينًا لمن أطاعه راجياً ، ووفّى بعهده خائفًا وحسيبًا ؛ ومعاقبًا من خالفه معانداً ، أوصَدَف عن أمره مجاهداً. ١٤٠٢/٣

وقد كتب هذا الكتاب أربع نسخ ، وقعت شهادة الشهود بحضرة أمير المؤمنين فى كلّ نسخة منها ؛ فى خزانة أمير المؤمنين نسخة ، وعند محمد المنتصر ابن أمير المؤمنين نسخة ، وعند أبى عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين نسخة ، ونسخة عند إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين .

وقد ولى جعفر الإمام المتوكل على الله أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين أعمال فارس وإرمينيَة وأذْرَبيجان إلى ما يلى أعمال خراسان وكُورها والأعمال المتّصلة بها والمضمومة إليها ، على أن يجعل له على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين فى ذلك الذى جعل له فى الحياطة فى نفسه ، والوثاق فى أعماله ، والمضمومين إليه ، وسائر من يستعين به من الناس جميعًا فى خُراسان والكُور المضمومة إليها والمتصلة بها على ما سمّى ووصف فى هذا الكتاب .

وقال إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول يمدح بنى المتوكل الثلاثة : المنتصر ، والمعتزّ ، والمؤيد :

أَضْحَتْ عُرَى الإسلامِ وهْى مَنُوطَةٌ ... بالنَّصْرِ والإعزاز والتأْييدِ[1]
بخليفة من هاشمٍ وثلاثةٍ ... كَنَفوا الخلافةَ من وُلاةِ عهودِ
قمرٌ توالتْ حولهُ أقمارُهُ ... يكتنفْنَ مطلَعَ سعدِهِ بسعود
كَنَفَتْهمُ الآباءُ واكتنفتْ بهمْ ... فسعوْا بأكرمِ أنفسٍ وجُدُودِ

١٤٠٣/٣

وله فى المعتزّ بالله :

أَشرقَ المشرِقُ بالمعـ ... ـتزِّ بالله ولاحَا[2]
إنمــا المعتز طِيبٌ ... بُثَّ فى الناسِ فَفاحا

وله أيضًا فيها :

اللهُ أَظهرَ دينَهُ ... وأَعــزَّهُ بمحمــدِ[3]
واللهُ أَكرَمَ بالخلا ... فةِ جعفرَ بنَ محمدِ
واللهُ أَيَّد عهــدَه ... بمحمــدٍ ومحمدِ
ومُؤيَّدٍ لمؤيدَيْــنِ ... إلى النبىّ محمَّدِ

* * *

وفيها كانت وفاة إسحاق بن إبراهيم صاحب الجسر فى يوم الثلاثاء لستّ بقين من ذى الحجة ، وقيل كانت وفاته لسبع بقين منه . وصيّر ابنه مكانه ، وكسى خمس خلع ، وقلّد سيفاً ، وبعث المتوكل حين انتهى إليه خبرُ مرضه بابنه المعتزّ لعيادته مع بُغا الشرابىّ وجماعة من القواد والجند .

وذكر أن ماء دجلة تغيّر فى هذه السنة إلى الصُّفْرة ثلاثة أيام ، ففزع

(١) ديوانه ١٣١ (٢) ديوانه ١٣٠
(٣) ديوانه ١٣١

الناس لذلك ، ثم صار فى لون ماء المدود وذلك فى ذى الحجة .

* * *

وفيها أتِيِ المتوكل بيحيى بن عمر بن حسين[١] بن زيد بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام من بعض النواحى ؛ وكان – فيما ذكر – قد جمع قومًا ، فضربه عمر بن فرج ثمان عشرة مقرعة ، وحبس ببغداد فى المطبَق .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

(١) ط : « يحيى » ، صوابه من د ، وانظر الفهرس .

ثم دخلت سنة ستّ وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر مقتل محمد بن إبراهيم بن مصعب]

فمن ذلك ما كان من مقتل محمد بن إبراهيم بن مُصعب بن زُرَيق ، أخى إسحاق بن إبراهيم بفارس .

* ذكر الخبر عن مقتله وكيف قتل :

حدّثنى غير واحد ، عن محمد بن إسحاق بن إبراهيم ؛ أن أباه إسحاق بلَغه عنه أنه أكول لا يملأ جوفَه شىء ، وأنه أمر باتخاذ الطعام والإكثار منه ، ثم أرسل إليه فدعاه ، ثم أمره أن يأكل ، وقال له : إنى أحبّ أن أرى أكلك ، فأكل وأكثر حتى عجب إسحاق منه ، ثمّ قُدّم إليه بعد ما ظنّ أنه شبع وامتلأ من الطعام حَمَلٌ مشوىّ ، فأكل منه حتى لم يبق منه إلا عظامُه[1] ؛ فلما فرغ من أكله ، قال : يا بنىّ ، مالُ أبيك لا يقوم بطعام بطنك ؛ فالحق أمير المؤمنين ؛ فإنّ ماله أحمَلُ لك من مالى . فوجّهه إلى الباب وألزمه الخدمة[2] ، فكان فى خدمة السلطان حياة أبيه ، وخليفة أبيه ببابه ، حتى مات أبوه إسحاق ؛ فعقد له المعتزّ على فارس ، وعقد له المنتصر على اليمامة والبحرين وطريق مكة ، فى المحرّم من هذه السنة ، وضمّ إليه المتوكّل أعمال أبيه كلها ، وزاده المنتصر ولاية مصر ؛ وذلك أنه كان — فيما ذكر — حمل إلى المتوكل وأولياء عهده مما كان فى خزائن أبيه من الجواهر والأشياء النفيسة ما حظِىَ به عندهم ، فرفعوه ورفعوا مرتبته . ٣/١٤٠٥

فلما بلغ محمد بن إبراهيم ما فعِل بابن أخيه محمد بن إسحاق تنكّر للسلطان ، وبلغ المتوكل عنه أمور أنكرها ، فأخبرنى بعضهم أنّ تنكّر محمد بن إبراهيم إنما كان لابن أخيه محمد بن إسحاق ، واعتلاله عليه بحمْل خراج فارس

---

(١) ا ، د : « غير عظامه » .

(٢) كذا فى ا ، د ، وفى ط : « الباب » .

إليه . وإن محمداً شكا إلى المتوكل ما كان من تنكر عمّه محمد بن إبراهيم فى ذلك ، فبسط يده عليه ، وأطلق له العمل فيه بما أحبّ ، فولّى محمد بن إسحاق الحسينَ بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب فارسَ ، وعزل عمه ، وتقدم محمد إلى الحسين بن إسماعيل فى قتل عمّه محمد بن إبراهيم ؛ فذُكر أنه لما صار إلى فارس أهدى إليه فى يوم النيروز هدايا ؛ فكان فيما أهدى إليه حَلْواء ، فأكل محمد بن إبراهيم منها ، ثم دخل الحسين بن إسماعيل عليه ، فأمر بإدخاله إلى موضع آخر وإعادة الحلواء عليه ، فأكل أيضًا منها ، فعطش فاستسقى ، فمنع الماء ، ورام الخروج من الموضع الذى أدخِل إليه ؛ فإذا هو محبوس لا سبيلَ له إلى الخروج ؛ فعاش يومين وليلتين ، ومات . فحُمِل ماله وعياله إلى سامرّا على مائة جمل . ولما ورد نعيُ محمد بن إبراهيم على المتوكل أمرَ بالكتاب فيه إلى طاهر بن عبد الله بن طاهر بالتعزية فكُتِب :

١٤٠٦/٣ أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يوجب لك مع كلّ فائدة ونعمة تهنئتك بمواهب الله وتعزِيَتَك عن ملمّات أقداره ؛ وقد قضى الله فى محمد بن إبراهيم مولى أمير المؤمنين ما هو قضاؤه فى عباده ؛ حتى يكون الفناء لهم والبقاء له . وأمير المؤمنين يعزّيك عن محمد بما أوجب الله لمن عمل بما أمره به فى مصائبه ؛ من جزيل ثوابه وأجره ؛ فليكن الله وما قرّبك منه أوْلى بك فى أحوالك كلها ؛ فإنّ مع شكر الله مزيدَه ، ومع التسليم لأمر الله رضاه ؛ وبالله توفيق أمير المؤمنين . والسلام .

* * *

[ذكر خبر وفاة الحسن بن سهل]

وفى هذه السنة تُوفِّىَ الحسنُ بن سهل فى قول بعضهم فى أوّل ذى الحجة منها ، وقال قائل هذه المقالة : مات محمد بن إسحاق بن إبراهيم فى هذا الشهر لأربع بقين منه . وذكر عن القاسم بن أحمد الكوفىّ ، أنّه قال : كنت فى خدمة الفتح بن خاقان فى سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وكان الفتح يتولّى للمتوكل أعمالا ، منها أخبار الخاصة والعامّة بسامرّا والهارونىّ وما يليها ؛ فورد

كتاب إبراهيم بن عطاء المتولّى الأخبارَ بسامرّا يذكر وفاة الحسن بن سهل، وأنه شرب شربة دواء فى صبيحة يوم الخميس لخمس ليال بقين من ذى القعدة من سنة خمس وثلاثين ومائتين أفرطت عليه، وأنه توفّىَ فى هذا اليوم وقت الظهر، وأنّ المتوكل أمر بتجهيز جهازه من خزائنه. فلمّا وضع على سريره تعلق به جماعة من التجار من غرماء الحسن بن سهل، ومنعوه من دفنه، فتوسّط أمرهم يحيى بن خاقان وإبراهيم بن عتّاب ورجل يعرف ببرغوث؛ فقطعوا أمرهم، ودفن. فلما كان من الغد ورَد كتاب صاحب البريد بمدينة السلام بوفاة محمد بن إسحاق بن إبراهيم بعد الظهر يوم الخميس لخمس خلوْن من ذى الحجة، فجزع عليه المتوكل جزعاً، وقال: تبارك الله وتعالى! كيف توافت منيّة الحسن ومحمد بن إسحاق فى وقت واحد! ٣/١٤٠٧

* * *

[ذكر خبر هدم قبر الحسين بن على]

وفيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علىّ وهدْم ما حوله من المنازل والدّور، وأن يُحرَث ويبذر ويُسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه؛ فذكر أنّ عامِل صاحب الشرطة نادى فى الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبَق؛ فهرب الناس، وامتنعوا من المصير إليه؛ وحُرِث ذلك الموضع، وزُرع ما حواليه.

* * *

وفيها استكتب المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وصرف محمد بن الفضل الجرجرائىّ.

وفيها حجّ محمد المنتصر، وحجّت معه جدّته شجاع أمّ المتوكل، فشيّعها المتوكل إلى النَّجَف.

وفيها هلك أبو سعيد محمد بن يوسف المروزىّ الكَبَحَ فجاءةً، ذ[كر] أن فارس بن بُغا الشرابىّ وهو خليفة أبيه، عقد لأبى سعيد هذا، وهو مولى طيّئ على أذربيجان وإرمينيّة، فعسكر بالكرخ؛ كرخ فيروز؛ فلما كان لسبع بقين من شوّال وهو بالكرخ مات فُجاءة، لبس أحد خُفّيْه ومدّ الآخر ليلبسه

٣/١٤٠٨ فسقط ميتًا ، فولّى المتوكل ابنَه يوسف ما كان أبوه وليَه من الحرب ، وولاّه بعد ذلك خراج الناحية وضِياعها ، فشخص إلى الناحية فضبَطها ، ووجّه عُمّاله في كل ناحية .

وحجّ بالناس في هذه السنة المنتصر محمد بن جعفر المتوكل .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر وثوب أهل إرمينية بعاملهم يوسف بن محمد]

فمن ذلك ما كان من وثوب أهل إرمينيّة بيوسف بن محمد فيها .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به :

قد ذكرنا فيما مضى قبلُ سبب استعمال المتوكل يوسف بن محمد هذا إيّاه على إرمينيّة ؛ فأما سبب وثُوب أهل إرمينيّة به ؛ فإنه كان — فيما ذكر — أنه لما صار إلى عمله من إرمينيّة خرج رجل من البطارقة يقال له بُقراط بن أشُوط ؛ وكان يقال له بطريق البطارقة، يطلب الإمارة ؛ فأخذه يوسف بن محمد، وقيّده وبعث به إلى باب الخليفة، فأسلم بُقراط وابنه ؛ فذُكر أن يوسف لمّا حمل بقراط بن أشُوط اجتمع عليه ابن أخي بُقراط بن أشوط وجماعة من بطارقة إرمينيّة ، وكان الثلج قد وقع في المدينة التي فيها يوسف ؛ وهي — فيما قيل — طَرُون ؛ فلما سكن الثلج أناخوا عليها من كلّ ناحية ، وحاصروا يوسف ومَنْ معه في المدينة ، فخرج يوسف إلى باب المدينة ، فقاتلهم فقتلوه وكلّ مَنْ قاتل معه ؛ فأما من لم يقاتل معه ؛ فإنهم قالوا له : ضع ثيابك ، وانجُ عريانًا ، فطرح قوم منهم كثير ثيابهم ، ونجوا عُراة حُفاة ، فمات أكثرهم من البَرْد ، وسقطت أصابع قوم منهم ونجوا ؛ وكانت البطارقة لمّا حمل يوسف بقراط بن أشوط تحالفُوا على قتله ، ونذروا دمه ، ووافقهم على ذلك موسى بن زرارة ، وهو على ابنة بقراط ، فنهى سوادة بن عبد الحميد الجحّافيّ يوسفَ بن أبي سعيد عن المقام بموضعه ، وأعلمه بما أتاه من أخبار البطارقة ، فأبى أن يفعل ؛ فوافاه القوم في شهر رمضان ، فأحدقوا بسُور المدينة والثلج ما بين عشرين ذراعًا إلى أقلّ حول المدينة إلى خِلاط إلى دُبَيل ، والدنيا كلها ثلج .

١٤٠٩/٣

وكان يوسف قبل ذلك قد فرّق أصحابه فى رساتيق عمله ، فتوجّه إلى كلّ ناحية منها قوم من أصحابه ، فوُجّه إلى كل طائفة منهم من البطارقة ، ومن معهم جماعة ، فقتلوهم فى يوم واحد ، وكانوا قد حاصروه فى المدينة أياماً ، فخرج إليهم فقاتل حتى قُتِل ، فوجّه المتوكل بُغا الشرابىّ إلى إرمينيَة طالباً بدم يوسف ، فشخص إليها من ناحية الجزيرة ، فبدأ بأرزَن بموسى بن زرارة ، وهو [أبو الحرّ][1] وله إخوة : إسماعيل وسليمان وأحمد وعيسى ومحمد وهارون ، فحمل بغا موسى بن زرارة إلى باب الخليفة ، ثم سار فأناخ بجبل الخويثية ؛ وهم جَمّة أهل إرمينيَة ، وقتلة يوسف بن محمد ، فحاربهم فظفِر بهم ، فقتل زهاء ثلاثين ألفاً ، وسبى منهم خلقاً كثيراً ، فباعهم بإرمينيَة ، ثم سار إلى بلاد الباق فأسر أشُوط بن حمزة أبا العباس وهو صاحب الباق — والباق من كُور البُسفُرّجان وبنى النشَوَى ، ثم سار إلى مدينة دُبيل من إرمينية ، فأقام بها شهراً ، ثم سار إلى تفليس . ٣/١٤١٠

* * *

وفى هذه السنة وُلِّى عبدالله[2] بن إسحاق بن إبراهيم بغداد ومعاون السواد .

وفيها قدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خُراسان ، لثمان بقين من شهر ربيع الآخر ، فولِّىَ الشرطه والجزية وأعمال السَّوَاد وخلافة أمير المؤمنين بمدينة السلام ، ثم صار إلى بغداد .

وفيها عزل المتوكلُ محمد بن أحمد بن أبى دواد عن المظالم ، وولاها محمد ابن يعقوب المعروف بأبى الربيع [3] .

وفيها رضى عن ابن أكثم ، وكان ببغداد فأشخص[4] إلى سامرّا ، فوُلِّىَ القضاء على القضاة ، ثم ولِّىَ أيضاً المظالم ، وكان عزل المتوكل محمد بن أحمد ابن أبى دواد عن مظالم سامرّا لعشر بقين من صفَر من هذه السنة .

* * *

---

(١) تكملة من ا ، د

(٢) ابن الأثير : « عبيد الله » .

(٣) ابن الأثير : « بابن الربيع » .

(٤) ف : « فشخص » .

[ذكر غضب المتوكل على ابن أبى دواد]

وفيها غضب المتوكّل على ابن أبى دواد ؛ وأمر بالتوكيل على ضياع أحمد ابن أبى دواد لخمس بقين من صفر ، وحُبِس يوم السبت لثلاث خَلَوْن[1] من شهر ربيع الأول ابنه أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبى دواد فى ديوان الخراج ، وحبس إخوته عند عبيد الله بن السرىّ خليفة صاحب الشرطة ، فلما كان يوم الاثنين حمل أبو الوليد مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وجواهر بقيمة عشرين ألف دينار ، ثم صُولح بعد ذلك على ستة عشر ألف ألفِ درهم ، وأشهد عليهم جميعًا ببيع كلّ ضيعة لهم ؛ وكان أحمد بن أبى دواد قد فُلِج ، فلما كان يوم الأربعاء لسبع خلوْن من شعبان ، أمر المتوكل بولد أحمد بن أبى دواد ، فحُدِروا إلى بغداد ، فقال أبو العتاهية : ٣/١٤١١

لو كنتَ فى الرأىِ منسوباً إلى رشَدٍ ... وكان عزمُك عزماً فيه توفيقُ

لكانَ فى الفقه شغلٌ لو قَنِعْتَ به ... عن أَنْ تقولَ : كلامُ اللهِ مخلوقُ

ماذا عليك وأصلُ الدينِ يَجمَعهمْ ... ما كان فى الفرعِ لولا الجهلُ والمُوقُ

وأقيم فيها الخلنجىّ للناس فى جمادى الآخرة .

* * *

وفيها ولّى ابن أكثم قضاء الشرقية حيّان بن بشر ، وولّى سوّار بن عبدالله العنبرىّ قضاء الجانب الغربىّ ، وكلاهما أعور ، فقال الجمّاز : ٣/١٤١٢

رأيتُ من الكبائرِ قاضِيَيْنِ ... هُما أحدُوثةٌ فى الخافقين

هما اقتَسَمَا العمَى نِصفَين قدًّا ... كما اقتسما قَضاءَ الجانبَيْنِ

وتَحسِبُ منهما مَن هزَّ رأْساً ... ليَنظرَ فى مَواريثٍ ودَيْنِ

كأَنكَ قد وضَعْتَ عليه دنًّا ... فَتَحْتَ بُزالَهُ من فَرْدِ عَيْنِ

هما فَأْلُ الزمانِ بهُلْكِ يحيى ... إذِ افتَتَح القضاءَ بأَعْوَرَيْنِ

(١) ف : « بقين » .

[خبر إنزال جثة ابن نصر ودفعه إلى أوليائه]

وفيها أمر المتوكل فى يوم الفطر منها بإنزال جُثّة[1] أحمد بن نصر بن مالك الخُزاعىّ ، ودفعه إلى أوليائه .

* ذكر الخبر عما فعل به وما كان من الأمر بسبب ذلك :

ذُكر أنّ المتوكل لمّا أمر بدفع جُثّته إلى أوليائه لدفنه ، فُعل ذلك ، فدُفع إليهم ؛ وقد كان المتوكل لما أفضت إليه الخلافة ، نهى عن الجدال فى القرآن وغيره ، ونفذت كتبه بذلك إلى الآفاق ، وهمّ بإنزال أحمد بن نصر عن خَشبته ، فاجتمع الغَوْغاء والرّعاع إلى موضع تلك الخشبة ، وكثّروا[2] وتكلّموا ، فبلغ ذلك المتوكل ، فوجّه إليهم نصر[3] بن الليث ، فأخذ منهم نحوًا من عشرين رجلا ، فضربهم وحبَسهم ، وترك إنزال أحمد بن نصر من خَشبته لِمَا بلغه من تكثير العامة فى أمره ، وبقىَ الذين أخذوا بسببه فى الحبْس حينًا ، ثم أطلِقوا ؛ فلما دفع بدنه إلى أوليائه فى الوقت الذى ذكرت ، حمله ابن أخيه موسى إلى بغداد ، وغُسل ودُفن ، وضُمّ رأسه إلى بدنه ، وأخذ عبد الرحمن بن حمزة جسدَه فى منديل مصرىّ ، فمضى به إلى منزله ، فكفّنه وصلى عليه ، وتولّى إدخاله القبر مع بعض أهله رجلٌ من التجار ، ويقال له الأبزارىّ

١٤١٣/٣

فكتب صاحب البريد ببغداد — وكان يعرف بابن الكلبى ، من موضع بناحية واسط ، يقال له الكلبانية[4] — إلى المتوكل بخبر العامة ، وما كان من اجتماعها وتمسحها بالجنازة ؛ جنازة[5] أحمد بن نصر وبخشبة[6] رأسه ؛ فقال المتوكل ليحيى بن أكثم : كيف دخل ابن الأبزارىّ القبرَ على كُبْرة[7] خزاعة ! فقال : يا أمير المؤمنين ، كان صديقًا له . فأمر المتوكل بالكتاب إلى محمد بن عبد الله ابن طاهر بمنع العامة من الاجتماع والحركة فى مثل هذا وشبهه ؛ وكان

---

(١) ف : « رأس » .
(٢) س : « وكبروا » ، ف : « وأكثروا » .
(٣) ا ، د ، ف : « مضر » .
(٤) ط : « الكلتانية » ، وانظر الفهرس .
(٥) ف : « بجنازة » .
(٦) كذا فى ا ، وفى ط : « مجسة » .
(٧) ا : « كثرة » .

بعضهم أوصى ابنَه عند موته أن يُرهِبَ العامة ؛ فكتب المتوكل ينهى عن ١٤١٤/٣
الاجتماع .

* * *

وغزا الصائفة فى هذه السنة علىّ بن يحيى الأرمنىّ .

وحجّ بالناس فيها علىّ بن عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ، وكان والى مكة .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر ظفر بغا بإسحاق بن إسماعيل وإحراقه مدينة تفليس]

فمن ذلك ما كان من ظفر بغا بإسحاق بن إسماعيل مولى بنى أميّة بتفليس وإحراقه مدينة تَفليس .

* ذكر الخبر عما كان من بغا فى ذلك :

ذُكر أنّ بغا لما صار إلى دبيل بسبب قتل القاتلين من أهل إرمينيَة يوسفَ ابن محمد ، أقام بها شهراً ؛ فلما كان يوم السبت لعشْر خلوْن من شهر ربيع الأوّل من سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وجّه بغا زيرك التركى ، فجاوز الكُرّ — وهو نهر عظيم مثل الصراة ببغداد وأكبر ، وهو ما بين المدينة وتفليس فى الجانب الغربىّ وصُغدبيل فى الجانب الشرقىّ — وكان معسكر بُغا فى الشرقى، فجاوز زيرك الكرّ إلى ميدان تَفْلِيس، ولتفليس خمسة أبواب : باب الميدان، وباب قريس[1] ، وباب الصغير ، وباب الرّبَض ، وباب صغدبيل — والكُرّ نهر ينحدر مع المدينة — ووجّه بغا أيضًا أبا العباس الواثىّ[2] النصرانىّ إلى أهل إرمينيَة عربها وعجمها ، فأتاهم زيرك مما يلى الميدان وأبو العباس مما يلى باب الرّبَض ، فخرج إسحاق بن إسماعيل إلى زيرك ، فناوشه القتال ، ووقف بغا على تلّ مطلّ على المدينة مما يلى صغدبيل؛ لينظر ما يصنع زيرك وأبو العباس، فبعث بُغا النفّاطين فضربوا المدينة بالنار ؛ وهى من خشب الصَّنَوْبر ، فهاجت الرّيح فى الصنوبر ، فأقبل إسحاق بن إسماعيل إلى المدينة لينظر ؛ فإذا النار قد أخذت فى قصره وجواريه ، وأحاطت به النار ؛ ثم أتاه الأتراك والمغاربة فأخذوه أسيراً ، وأخذوا ابنه عمراً، فأتوْا بهما بُغَا، فأمر بُغا به ، فرُدّ إلى باب

٣/١٤١٥

---

(١) ا : « قريش » .
(٢) ا : « الوادى » ، ف : « الوارق » ، ابن الأثير : « الوارثى » .

الحسك ، فضربت عنقه هناك صَبْراً ، وحُمِل رأسه إلى بُغَا ، وصُلِبتْ [١] جيفته على الكُرّ ؛ وكان شيخًا محدوداً ضخم الرأس ، يخضب بالوَسِمة ، آدم أصلع أحول ؛ فنُصب رأسه على باب الحسك .

وكان الذى تولّى قتلَه غامش خليفة بُغا ، واحترق فى المدينة نحو من خمسين ألف إنسان ، وأُطفِئت النار فى يوم وليلة [٢] ؛ لأنها نار الصَّنَوْبر ، لا بقاء لها ، وصبَّحهم [٣] المغاربة ، فأسروا مَنْ كان حيًّا ، وسلبوا الموتى . وكانت امرأة إسحاق نازلةً بصغدبيل ، وهى حذاء تَفْلِيس فى الجانب الشرقىّ ، وهى مدينة بناها كسرى أنوشروان ؛ وكان إسحاق قد حصّنها وحفر خندقَها ، وجعل فيها مقاتلة من الخويثيّة وغيرهم . وأعطاهم بُغا الأمان على أن يضعوا أسلحتَهم ، ويذهبوا حيث شاء . وكانت امرأة إسحاق ابنة صاحب السرير .

ثم وجّه بُغا — فيما ذكر — زيرك إلى قلعة الجَرْدمان — وهى بين برذعة وتَفْلِيس — فى جماعة من جنده ، ففتح زيرك الجَرْدمان ، وأخذ بطْريقها القِطْريج أسيراً ، فحمله إلى العسكر . ثم نهض بُغا إلى عيسى بن يوسف ابن أخت أصطفانوس ؛ وهو فى قلعة كثيش من كورة البَيْلَقان ، وبينها وبين البَيْلَقان عشرة فراسخ ، وبينها وبين برذعة خمسة عشر فرسخًا ، فحاربه ، ففتحها ، وأخذه وحمله وحمل ابنه معه وأباه ، وحمل أبا العباس الواثىّ — واسمه سَنْبَاط بن أشُوط — وحمل معه معاوية بن سهل بن سَنْبَاط بطريق أرّان ، وحمل آذر نرسى بن إسحاق الخاشنىّ .

* * *

[ذكر مقدم الروم بمراكبهم إلى دمياط]

وفى هذه السنة جاءت للروم ثلثمائة مركب مع عرفا وابن قطونا وأمردناقه [٤] — وهم كانوا الرؤساء فى البحر — مع كلّ واحد منهم مائة مركب ، فأناخ ابن قطونا

٣/١٤١٦ ، ٣/١٤١٧

(١) ط : « وصلب » .
(٢) ف : « يوم الأربعاء وليلته » .
(٣) ف : « وصحبتهم » .
(٤) ط ، بدون نقط وما أثبته من ا .

بدمياط ، وبينها وبين الشطّ شبيه بالبحيرة يكون فيها الماء إلى صدْر الرجل ؛ فمن جازها إلى الأرض أمِن من مراكب البحر ؛ فجازها قوم فسلموا ، وغرق قوم كثير من نساء وصبيان ؛ واحتمل من كانت له قوّة فى السفن ؛ فنجوا إلى ناحية الفسطاط ، وبينها وبين الفسطاط مسيرة أربعة أيام . وكان والى معونة مصر عنْبسة بن إسحاق الضّبىّ ، فلما قرب العيد ، أمر الجند الذين بدمياط أن يحضُروا الفسطاط لتحمل لهم[1] فى العيد ، وأخلى دمياط من الجند ؛ فانتهى مراكب الروم من ناحية شَطَا التى يعمل فيها الشطَوىّ ، فأناخ بها مائة مركب من الشلنديّة ؛ تَحمل كلّ مركب ما بين الخمسين رجلا إلى المائة[2] ؛ فخرجوا إليه وأحرقوا ما وصلوا إليه من دورها وأخصاصها ، واحتملوا سلاحًا كان فيها أرادوا حمله إلى أبى حفص صاحب أقريطش نحوًا من ألف قناة وآلتها ، وقَتلُوا مَنْ أمكنهم قتله من الرجال ، وأخذوا من الأمتعة والقَنْد والكَتّان ما كان عُبّئ ليُحمل إلى العراق ، وسبوا من المسلمات والقِبْطيات نحواً من ستمائة امرأة ؛ ويقال إن المسلمات منهنّ مائة وخمس وعشرون امرأة والباقى من نساء القِبْط . ٣/١٤١٨

ويقال إنّ الروم الذين كانوا فى الشلنديات التى أناخت بدمياط كانوا نحواً من خمسة آلاف رجُل ، فأوقروا سفنهم من المتاع والأموال والنساء ، وأحرقوا خزانة القلوع وهى شُرُع السفن ، وأحرقوا مسجد الجامع بدمياط ، وأحرقوا كنائس ؛ وكان مَنْ حُزِر[3] منهم ممن غرق فى بحيرة دمياط من النساء والصبيان أكثر ممن سباه الرّوم . ثم رحل الروم عنها .

وذُكر أنّ ابن الأكشف كان محبوساً فى سجن دمياط ، حبسه عنبسة ، فكسر قيده وخرج ؛ فقاتلهم ، وأعانه قوم ، فقتَل من الروم جماعة ، ثم صاروا إلى أشتوم تِنّيس ، فلم يحمل الماء سفنهم إليها ، فخشوا أن توحَل ؛ فلما لم يحملهم الماء صاروا إلى أشتومها — وهى مرسى بينه وبين تِنّيس أربعة فراسخ وأقلّ ، وله سور وباب حديد كان المعتصم أمر بعمله — فخرّبوا عامته ، وأحرقوا ما فيه من

---

(١) كذا فى د . (٢) بعدها فى ف : « رجل » .
(٣) كذا فى ا ، وفى ط : « حذر » .

المجانيق والعرّادات ، وأخذوا بابيه الحديد، فحملوهما ، ثم توجّهوا إلى بلادهم ، لم[1] يعرض لهم أحد .

* * *

٣/١٤١٩ وخرج المتوكل فى هذه السنة يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الآخرة من سامرّا يريد المدائن ، فصار إلى الشمّاسية يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ، فأقام هنالك[2] إلى يوم السبت ، وعبر بالعشىّ إلى قُطْربُّل ، ثم رجع ودخل بغداد يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت منه فمضى فى سوقها وشارعها حتى نزل الزّعفرانية ، ثمّ صار إلى المدائن .

وغزا الصائفة فيها علىّ بن يحيى الأرمنىّ .

وحجّ بالناس فيها علىّ بن عيسى بن جعفر بن أبى جعفر.

(١) ابن الأثير : «ولم» . (٢) ف : «هناك» .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك أمرُ المتوكل بأخذ أهل الذمّة بلبس دُرّاعتين عسليتين على الأقبية والدّراريع فى المحرّم منها، ثم أمرُه فى صفر(١ بالاقتصار فى مراكبهم١) على ركوب البغال والحُمر دون الخيل والبراذين.

وفيها نفى المتوكل علىّ بن الجهم بن بدر إلى خراسان.

وفيها قتل صاحب الصَّنّاريّه بباب العامة فى جمادى الآخرة منها.

وفيها أمر المتوكل بهدم البِيَع المحدثة فى الإسلام.

٣/١٤٢٠ وفيها مات أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبى دواد ببغداد فى ذى الحجة.

وفيها غزا الصائفة علىّ بن يحيى الأرمنىّ.

* * *

وحجّ بالناس فيها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد ابن علىّ، وكان والى مكة.

وفيها حجّ جعفر بن دينار؛ وكان والى طريق مكة مما يلى الكوفة فوُلّىَ أحداث الموسم.

وفيها اتفق شعانين النصارى ويوم النيروز؛ وذلك يوم الأحد لعشرين ليلة خلت من ذى القعدة، فذُكر أن النصارى زعمت أنهما لم يجتمعا فى الإسلام قطّ.

(١-١) ف: «أن يقتصروا».

ثم دخلت سنة أربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن وثوب أهل حمص بعاملهم]

فمما كان فيها من ذلك وثوب أهل حمص بعاملهم على المعونة.

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما آل إليه أمرهم ووثوبهم:

ذكر أن عاملهم على المعونة قتل رجلا كان من رؤسائهم؛ وكان العامل يومئذ أبو المغيث الرافعيّ موسى بن إبراهيم، فوثب أهل حِمْص في جُمادى الآخرة من هذه السنة، فقتلوا جماعة من أصحابه، ثم أخرجوه وأخرجوا صاحب[1] الخَراج من مدينتهم؛ فبلغ ذلك المتوكل؛ فوجّه إليهم عتّاب بن عتاب، ووجه معه محمد بن عَبْدويه كرداس الأنباريّ، وأمره أن يقول لهم: إنّ أمير المؤمنين قد أبدلكم رجلا مكان رجل؛ فإن سمعوا وأطاعوا ورضُوا؛ فولّ عليهم محمد بن عبدَويه؛ وإن أبوْا وثبتوا على الخلاف فأقِمْ بمكانك، واكتب إلى أمير المؤمنين حتى يوجّه إليك رجاء، أو محمد بن رجاء الحضاريّ أو غيره من الخيل لمحاربتهم؛ فخرج عتّاب بن عتّاب من سامُرّا يوم الاثنين لخمس بقين من شهر جمادى الآخرة، فرضوا بمحمد بن عبدويه، فولاّه عليهم ففعل فيهم الأعاجيب. ٣/١٤٢١

* * *

وفيها مات أحمد بن أبي دواد ببغداد في المحرّم بعد ابنه أبي الوليد محمد؛ وكان ابنه محمد تُوُفِّيَ قبله بعشرين يومًا في ذي الحجة ببغداد.

وفيها عزل يحيى بن أكثم عن القضاء في صفَر، وقبض منه ما كان له

---

(١) ابن الأثير: «عامل الخراج».

ببغداد ومبلغه خمسة وسبعون[١] ألف دينار ، ومن أسطوانة فى داره[٢] ألفا دينار وأربعة آلاف جريب بالبصرة .

وفيها ولّى جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علىّ القضاء على القضاة فى صفر .

٣/١٤٢٢ وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود وحجّ جعفر بن دينار وهو والى الأحداث بالموسم .

---

(١) ف : « عشرون » .
(٢) س : « أسطوانة فى دار » .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن وثوب أهل حمص بعاملهم مرة أخرى]

فمن ذلك ما كان من وثُوب أهل حمص بعاملهم على المعونة ؛ وهو محمد ابن عبدوَيْه .

* ذكر الخبر عما كان من أمرهم فيها وما آل إليه الأمر بينهم .

ذُكِر أنّ أهل حمص وثبوا فى جمادى الآخرة من هذه السنة بمحمد بن عبدويْه عاملهم على المعونة ، وأعانهم على ذلك قوم من نصارى حِمْص ، فكتب بذلك إلى المتوكل ، فكتب إليه يأمره بمناهضتهم ، وأمدّه بجند من راتبة دمشق ، مع صالح العباسىّ التركىّ ؛ وهو عامل دمشق وجند من جند الرّملة ، فأمره أن يأخذ من رؤسائهم ثلاثة نفر فيضربهم بالسياط ضرب التَّلف ؛ فإذا ماتوا صلبهم على أبوابهم ، وأن يأخذ بعد ذلك من وُجوههم عشرين إنسانًا فيضربهم[1] ثلثمائة سوط ، كلّ واحد منهم ، ويحملهم[2] فى الحديد إلى باب أمير المؤمنين ، وأن يخرّب ما بها من الكنائس والبِيَع ، وأن يُدخل البيعة التى إلى جانب مسجدها فى المسجد ، وألاّ يترك فى المدينة نصرانيًّا إلا أخرجه منها ، وينادَى فيهم قبل ذلك ؛ فمن وجده[3] فيها بعد ثلاثة[4] أحسن أدبه . وأمر لمحمد بن عبدويْه بخمسين ألف درهم ، وأمر لقواده ووجوه أصحابه بصِلات ، وأمر لخليفته علىّ بن الحسين بخمسة عشر ألف درهم ، ولقوّاده بخمسة آلاف خمسة آلاف درهم ، وأمر بخلَع[5] ؛ فأخذ محمد بن عبدويه عشرة منهم ؛ فكتب بأخذهم ، وأنه قد حملهم إلى دار أمير المؤمنين ولم

٣ / ١٤٢٣

(١) ف : « فيضرب كل واحد منهم » .
(٢) ف : « ويحمله » .
(٣) ف : « وجد » .
(٤) ا ، س : « ثالثة » .
(٥) د : « بخلع » .

يضربهم ؛ فوجّه المتوكل رجلا من أصحاب الفتح بن خاقان يقال له محمد بن رزق الله، ليردّ من الذين وجّه بهم ابن عبدويه محمد بن عبد الحميد الحميديّ والقاسم بنْ موسى بن فوعُوس إلى حمص ، وأن يضربهما ضرب التلف ، ويصلبَهما على باب حِمْص ، فردّهما وضربهما بالسياط حتى ماتا ، وصلبهما على باب حمص ، وقدم بالآخرين سامرّا وهم ثمانية ؛ فلما صاروا بنصيبين مات واحد منهم ، فأخذ المتوكل بهم رأسه ، وقدم بسبعة منهم سامرّا وبرأس الميت . ثم كتب محمد بن عبدويه أنه أخذ عشرة نفر منهم بعد ذلك ، وضرب منهم خمسة نفر بالسياط فماتوا ، ثم ضرب خمسة فلم يموتوا . ثم كتب محمد ابن عبدويه بعد ذلك أنه ظفر برجل منهم من المخالفين يقال له عبد الملك بن إسحاق ابن عمارة — وكان فيما ذكر — رأساً من رءوس الفتنة ؛ فضربه بباب حِمْص بالسياط حتى مات ، وصلبه على حصن يعرف بتلّ العباس .

٣/١٤٢٤

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة مُطر الناس — فيما ذكر — بسامرّا مطراً جوْداً[1] فى آب . وفيها ولى القضاء بالشرقيّة فى المحرّم أبو حسان الزياديّ .

* * *

[ذكر الخبر عن ضرب عيسى بن جعفر وما آل إليه أمره]

وفيها ضرُب عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب خان عاصم ببغداد — فيما قيل — ألف سوط .

* ذكر الخبر عن سبب ضربه وما كان من أمره فى ذلك :

وكان السبب فى ذلك أنه شُهد عند أبى حسان الزياديّ قاضى الشرقية عليه أنه شتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة ، سبعة عشر رجلا ؛ شهاداتهم[2] — فيما ذكر — مختلفة من هذا النحو ؛ فكتب بذلك صاحب بريد بغداد إلى عبيد الله ابن يحيى بن خاقان ، فأنهى عبيدُ الله ذلك إلى المتوكل ، فأمر المتوكل أن

(١) ط : « جواداً » ، وما أثبته من د، ف. (٢) ا : « الشهادات » د، ف : « شهادات ».

يكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بضرب عيسى هذا بالسياط ، فإذا مات رَمَى به فى دجلة ، ولم تدفع جيفته إلى أهله .

فكتب عبيد الله إلى الحسن بن عثمان جواب كتابه إليه فى عيسى :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أبقاك الله وحفظك ، وأتمّ نعمته عليك ؛ وصل كتابك فى الرّجل المسمّى عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب الخانات ، وما شهد به الشهود عليه من شَتْمِ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنهم وإكفارِهم، ورميهم بالكبائر ، ونسبتهم إلى النفاق ؛ وغير ذلك مما خرج به إلى المعاندة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وتثبُّتك فى أمر أولئك الشهود وما شهدوا به ، وما صحّ عندك من عدالة مَنْ عدل منهم ، ووضح لك من الأمر فيما شهدوا به ، وشرحك ذلك فى رُقعة درج كتابك ؛ فعرضت على أمير المؤمنين أعزّه الله ذلك ؛ فأمر بالكتاب إلى أبى العباس محمد بن طاهر مولَى أمير المؤمنين أبقاه الله بما قد نفذ إليه ، مما يشبه ما عنده أبقاه الله[1] ، فى نُصرة دين الله ، وإحياء سنّته ، والانتقام ممن ألحد فيه ، وأن يُضرب الرجل حدّاً فى مجمع الناس حدّ الشتم ، وخمسمائة سوط بعد الحدّ للأمور العظام التى اجترأ عليها ، فإن مات ألقِيَ فى الماء من غير صلاة ليكون ذلك ناهيًا لكل مُلْحِد فى الدين ، خارج من جماعة المسلمين ؛ وأعلمتك ذلك لتعرفه إن شاء الله تعالى — والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . ٣/١٤٢٥

وذُكر أن عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم هذا — وقد قال بعضهم : إن اسمه أحمد بن محمد بن عاصم — لما ضُرِب ترِك فى الشمس حتى مات ، ثم رُمِيَ به فى دِجلة . ٣/١٤٢٦

* * *

وفى هذه السنة انقضّت الكواكب ببغداد وتناثرت ، وذلك ليلة الخميس لليلة خلتْ من جمادى الآخرة .

وفيها وقع بها الصدام فنفقت الدّوابّ والبقر .

وفيها أغارت الروم على عين زَرْبة ، فأسَرت مَنْ كان بها من الزّط ؛ مع نسائهم وذراريّهم وجواميسهم وبقرهم .

(١) ا : « أيده الله » .

[خبر الفداء بين المسلمين والروم فى هذه السنة]

وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم .

• ذكر الخبر عن السبب الذى كان ذلك من أجله :

ذكر أن تَذُورة صاحبة الروم أمّ ميخائيل ، وجّهت رجلا يقال له جُورْجِس بن قريافس[1] يطلب الفداء لمن فى أيدى الرّوم من المسلمين ، وكان المسلمون قد قاربوا عشرين ألفًا ، فوجّه المتوكل رجلا من الشيعة يقال له نصر بن الأزهر بن فرج[2] ؛ ليعرف صحة مَنْ فى أيدى الروم من أسارى المسلمين ، ليأمر بمفاداتهم ؛ وذلك فى شعبان من هذه السنة بعد أن أقام عندهم حينًا . فذُكر أن تَذُورة أمرتْ بعد خروج نصر بعرض من فى إسارها من المسلمين على النصرانية ؛ فمن تنصّر منهم كان أسوة من تَنَصّر قبل ذلك ، و من أبى قتلته ؛ فذُكر أنها قتلت من الأسرى اثنى عشر ألفًا ؛ ويقال إن قنقلة[3] الخصىّ كان يقتلهم من غير أمرها . ونفذَ كتاب المتوكل إلى عمال الثغور الشامية والجزرّية أن شُنيفًا الخادم قد جرى بينه وبين جورجس رسول عظيم الروم فى أمر الفِداء قول ، وقد اتفق الأمر بينهما ، وسأل جورجس هذا هدنة لخمس ليال تخلو من رجب سنة إحدى وأربعين ومائتين إلى سبع ليال بقين من شوّال من هذه السنة ، ليجمعوا الأسرى ، ولتكون مدّة لهم إلى انصرافهم إلى مأمنهم . فنفذ الكتاب بذلك يوم الأربعاء لخمس خلوْن من رجب ؛ وكان الفداء يقع فى يوم الفِطْر من هذه السنة .

٣/١٤٢٧

وخرج جورجس رسول ملكة الروم إلى ناحية الثغور يوم السبت لثمان بقين من رجب على سبعين بغلا اكتُرِيت له ، وخرج معه أبو قحطبة المغربىّ الطرطوسىّ لينظروا وقتَ الفطر[4] ؛ وكان جورجس قدم معه جماعة من البطاركة وغلمانه بنحو من خمسين إنسانًا ، وخرج شُنيف الخادم للفداء فى النصف من شعبان ، معه مائة فارس : ثلاثون من الأتراك ، وثلاثون من المغاربة ، وأربعون من فرسان الشاكرّية ؛ فسأل جعفر بن عبد الواحد — وهو قاضى القضاة — أن يؤذَن

٣/١٤٢٨

(١) كذا فى ا ، وفى ط من غير ضبط . (٢) د : «فروخ» .
(٣) ا : «قيفلة» . (٤) ا : «الفداء» .

له فى حضور الفِداء ، وأن يستخلف رجلا يقوم مقامه — فأذن له ، وأمر له بمائة وخمسين ألفًا مَعُونة وأرزاق ستين ألفًا ؛ فاستخلف ابن أبى الشوارب — وهو يومئذ فتًى حدَث السنّ — وخرج فلحق شُنَيفًا ، وخرج أهل بغداد من أوساط الناس ، فذكر أن الفِداء وقع من بلاد الروم على نهر اللامس ، يوم الأحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من شوال سنة إحدى وأربعين ومائتين ، فكان أسرى المسلمين سبعمائة وخمسة وثمانين إنسانًا ، ومن النساء مائة وخمساً وعشرين امرأة .

* * *

وفى هذه السنة جعل المتوكل كُورة شِمشاط عُشْراً ، ونقلهم من الخراج إلى العشر ، وأخرج لهم بذلك كتاباً .

[ذكر غارة البجة على مصر]

وفى هذه السنة غارت البُجَة على حرس[1] من أرض مصر ، فوجّه المتوكل لحربهم محمد بن عبد الله القُمّىّ .

* ذكر الخبر عن أمرهم وما آلت إليه حالهم :

ذُكر أن البُجَة كانت لا تغزو المسلمين ولا يغزوهم المسلمون لهدنة بينهم قديمة ، قد ذكرناها فيما مضى قبل من كتابنا هذا ، وهم جنس من أجناس الحبَش بالمغرب ، وبالمغرب من السودان — فيما ذكر — البُجة وأهل غانة الغافر وبينور[2] ورعوين والفرويّة وبِكسوم ومكاره أكرم والنوبة والحبش[3] . وفى بلاد البجة معادن ذهب ؛ فهم يقاسمون مَنْ يعمل فيها ، ويؤدون إلى عمال السلطان فى مصر فى كلّ سنة عن معادنهم أربعمائة مثقال تِبْر قبل أن يطبخ ويصفّى .

١٤٢٩/٣

فلما كان أيام المتوكل امتنعت البُجَة عن أداء ذلك الخراج سنين متوالية فذُكر أنّ المتوكل ولّى بريد مصر رجلا من خَدَمه يقال له يعقوب بن إبراهيم الباذغيسىّ مولى الهادى ، وهو المعروف بقوصرة ، وجعل إليه بريد مصر والإسكندرية وبرقة ونواحى المغرب ؛ فكتب يعقوب إلى المتوكل أن البُجة قد نقضت العهد

---

(١) ا : « خرش » (٢) كذا فى ا ، وفى ط من غير نقط (٣) كذا فى د ، وفى ط : «والجمس».

الذى كان بينها و بين المسلمين ، وخرجت من بلادها إلى معادن الذّهب والجوهر ؛ وهى على التّخوم فيما بين أرض مصر و بلاد البُجة ؛ فقتلوا عدّة من المسلمين ممن كان يعمل فى المعادن و يستخرج الذهب والجوهر ، وسبَوْا عدّة من ذراريّهم ونسائهم ؛ وذكروا أن المعادن لهم فى بلادهم ، وأنهم لا يأذنون للمسلمين فى دخولها ؛ وأن ذلك أوحش جميع من كان يعمل فى المعادن من المسلمين ؛ فانصرفوا عنها خوفاً على أنفسهم وذراريّهم فانقطع بذلك ما كان يؤخذ للسلطان بحقّ الخمس من الذّهب والفضة والجوهر الذى يستخرج من المعادن ؛ فاشتدّ إنكار المتوكل لذلك[1] وأحفظه ، وشاور فى أمر البُجة ، فأُنهِيَ إليه أنهم قوم أهل بدو وأصحاب إبل وماشية ، وأن الوصول إلى بلادهم صَعب لا يمكن أن يسلك إليهم الجيوش ؛ لأنها مفاوز وصحارى ، و بين أرض الإسلام و بينها مسيرة شهر ؛ فى أرض قفر وجبال وعر ، لا ماء فيها ولا زرع ولا معقِل ، ولا حصن ؛ وأن مَنْ يدخلها من أولياء السلطان يحتاج أن يتزوّد لجميع المدّة التى [2] يتوهم أن يقيمها[2] فى بلادهم إلى أن يخرج إلى أرض الإسلام ، فإن امتدّ به المقام حتى يتجاوز تلك المدة هلك وجميع [3] من معه ، وأخذتهم البُجَة بالأيدى دون المحاربة ، وأنّ أرضهم أرض لا تردّ على السلطان شيئاً من خراج ولا غيره .

٣/١٤٣٠

فأمسك المتوكل عن التوجيه إليهم ، وجعل أمرُهم يتزيّد ، وجرأتهم على المسلمين تشتدّ حتى خاف أهلُ الصعيد من أرض مصر على أنفسهم وذراريّهم منهم ؛ فولّى المتوكل محمد بن عبد الله المعروف بالقمىّ محاربتهم ، وولاّه معاون تلك الكور — وهى قفط والأقصر و إسنا وأرمنت وأسوان — وتقدّم إليه فى محاربة البُجَة ؛ وأن يكاتب عنبسة بن إسحاق الضبىّ العامل على حرب مصر . وكتب إلى عنبسة بإعطائه جميعَ ما يحتاج إليه من الجند والشاكريّة المقيمين بمصر .

٣/١٤٣١

فأزاح[4] عنبسة عِلّته فى ذلك ، وخرج إلى أرض البُجَة ؛ وانضمّ إليه

(١) ا ، ف : « ذلك » .
(٢ – ٢) ف : « ينوون أنهم يقيمونها » .
(٣) ف : « بجميع » .
(٤) ف : « وأزاح » .

جميع مَنْ كان يعمل فى المعادن وقوم كثير من المتطوّعة ؛ فكانت عدّة من معه نحواً من عشرين ألف إنسان ؛ بين فارس وراجل ، ووجّه إلى القلزم ، فحمل فى البحر سبعة مراكب موقَرة بالدّقيق والزيت والتمر والسويق والشعير ، وأمر قوماً من أصحابه أن يلجّجوا بها فى البحر حتى يوافُوه فى ساحل[1] البحر من أرض البُجَة ؛ فلم يزل محمد بن عبد الله القمىّ يسير فى أرض البُجَة حتى جاوز المعادن التى يعمل فيها الذّهب ، وصار إلى حصونهم وقلاعهم ، وخرج إليه ملكهم — واسمه على بابا واسم ابنه[2] لعيس — فى جيش كثير وعدد أضعاف مَنْ كان مع القمىّ من الناس ؛ وكانت البُجَة على إبلهم ومعهم الحراب وإبلهم فرّهٌ تشبّه بالمهارِى فى النجابة ، فجعلوا يلتقون أياماً متوالية ، فيتناوشون ولا يصحّحون المحاربة ، وجعل ملك البُجَة يتطارد للقمىّ لكىْ تطول الأيام طمعاً فى نفاد الزاد والعلوفة التى معهم ؛ فلا يكون لهم قوّة ، ويموتون هزلا ، فيأخذهم البُجَة بالأيدى .

فلما توهّم عظيم البُجَة أن الأزواد قد نفدت ، أقبلت السبع المراكب التى حملها القمىّ حتى خرجت إلى ساحل من سواحل البحر فى موضع يعرف بصنجة ، فوجّه القمىّ إلى هنالك جماعة من أصحابه يحمون المراكب من البُجة ، وفرّق ما كان فيها على أصحابه ، فاتّسعوا فى الزاد والعَلوفة ؛ فلما رأى ذلك على بابا رئيس البُجَة قصد لمحاربتهم ، وجمع لهم ، والتقوا فاقتتلوا قتالا شديداً ؛ وكانت الإبل التى يحاربون عليها إبلا زعِرة ، تكثر الفزَع والرّعب من كل شىء ؛ فلما رأى ذلك القمىّ جمع أجراس الإبل والخيل التى كانت فى عسكره كلها ، فجعلها فى أعناق الخيل ، ثم حمل على البُجَة ، فنفرت إبلهم لأصوات الأجراس ، واشتدّ رعبها ، فحملتهم على الجبال والأودية ، فمزّقتهم كلّ ممزّق ، واتبعهم القمىّ بأصحابه ، فأخذهم قتلاً وأسراً حتى أدركه الليل ؛ وذلك فى أول سنة إحدى وأربعين ، ثم رجع إلى معسكره ولم يقدر على إحصاء القتلى لكثرتهم ؛ فلما أصبح القمىّ وجدهم قد جمعوا جمعاً من الرّجالة ، ثم صاروا إلى موضع أمنوا فيه طلب القمىّ ، فوافاهم القمىّ فى

٣/١٤٣٢

(١) ا ، ف : « سواحل » .
(٢) ا ، س : « أبيه » .

الليل فى خيله ، فهرب ملكهم ؛ فأخذ تاجه ومتاعه ، ثم طلب على بابا الأمان على أن يُرَدّ إلى مملكته و بلاده ، فأعطاه القمىّ ذلك، فأدى إليه الخراج للمدة التى كان منعها — وهى أربع سنين — لكل[1] سنة أربعمائة مثقال ، واستخلف على بابا على مملكته ابنه لعيس ، وانصرف القمىّ بعلى بابا إلى باب المتوكل ، ١٤٣٣/٣ فوصل إليه فى آخر سنة إحدى وأربعين ومائتين ، فكسا على بابا هذا دُرّاعة ديباج وعمامة سوداء ، وكسا جمله رحل مُدبّجًا وجلال ديباج ، و وقف بباب العامّة مع قوم من البُجة نحو من سبعين غلامًا على الإبل بالرّحال ، ومعهم الحراب فى رءوس حرابهم رءوس القوم الذين قتلوا من عسكرهم ؛ قتلهم القمىّ . فأمر المتوكل أن يقبضوا من القمىّ يوم الأضحى من سنة إحدى وأربعين ومائتين . وولّى المتوكل البُجة وطريق ما بين مصر ومكة سعداً الخادم الإيتاخىّ ، فولّى سعد محمد بن عبد الله القمىّ ، فخرج القمىّ بعلى بابا ؛ وهو مقيم على دينه ؛ فذكر بعضهم أنه رأى معه صنماً من حجارة كهيئة الصبىّ يسجد له .

* * *

ومات فى هذه السنة يعقوب بن إبراهيم المعروف بقوصرة فى جمادى الآخرة.

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود ، وحجّ جعفر بن دينار فيها ، وهو والى طريق مكة وأحداث الموسم .

(١) ف : « فى كل » .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر أحداث الزلازل بالبلاد]

فمما كان فيها من ذلك الزلازل الهائلة التى كانت بقومِس ورساتيقها فى شعبان ؛ فتهدّمت فيها الدّور ، ومات من الناس بها مما سقط عليهم من الحيطان وغيرها بشرٌ كثير ؛ ذُكر أنه بلغت عدّتهم خمسة وأربعين ألفًا وستة وتسعين نفسًا[1] ؛ وكان عُظْم ذلك بالدامَغان .

وذكر أنه كان بفارس وخراسان والشأم فى هذه السنة زلازل وأصوات منكرة، ٣/١٤٣٤ وكان باليمن أيضًا مثل ذلك مع خسف بها[2] .

* * *

[ذكر خروج الروم من ناحية شِمْشاط]

وفيها خرجت الروم من ناحية شِمْشاط بعد خروج علىّ بن يحيى الأرمنىّ من الصّائفة حتى قاربوا آمِد ، ثم خرجوا من الثغور الجزريّة ، فانتهبوا عدّة قرى ، وأسروا نحوًا من عشرة آلاف إنسان ؛ وكان دخولهم من ناحية أبريق ؛ قرية قربياس ؛ ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم ، فخرج قربياس وعمر بن عبد الله الأقطع وقوم من المتطوّعة فى أثرهم ، فلم يلحقوا منهم أحداً ، فكتب إلى علىّ بن يحيى أن يسير إلى بلادهم شاتياً .

* * *

وفيها قتل المتوكل عطاردًا — رجلا[3] كان نصرانيًّا فأسلم — فمكث مسلماً

---

(١) ف : « إنساناً » . (٢) ف : « كان فيها » .

(٣) ف : « رجلا عطاراً » .

سنين كثيرة ثم ارتدّ فاستُتيب ، فأبى الرجوع إلى الإسلام ، فضُربت عنقه لليلتين خلتا من شوال ، وأحرِق بباب العامة.

وفى هذه السنة مات أبو حسان الزيادىّ قاضى الشرقيّة فى رجب .

وفيها مات الحسن بن علىّ بن الجعد قاضى مدينة المنصور .

١٤٣٥/٣ وحجّ بالناس فيها عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علىّ ؛ وهو والى مكة[1] .

وحجّ فيها جعفر بن دينار وهو والى طريق مكة وأحداث الموسم .

(١) بعدها فى س : « وأحداث الموسم » .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كان شخوص المتوكّل إلى دمشق لعشر بقين من ذى القعدة ، فضحّى ببلَد ؛ فقال يزيد بن محمد المهلبىّ حين خرج :

أَظُنُّ الشّامَ تشمَتُ بالعِراقِ إذَا عزم الإمامُ على انْطلاقِ

فإن تدَعِ العراقَ وساكِنِيها فقد تبْلى المليحةُ بالطَّلاقِ

* * *

وفيها مات إبراهيم بن العبّاس ، فولى ديوان الضّياع الحسن بن مخلَد بن الجرّاح ، خليفة إبراهيم فى شعبان ، ومات هاشم بن بَنجور فى ذى الحجة .

* * *

١٤٣٦/٤

وحجّ بالناس فيها عبد الصمد بن موسى .

وحجّ جعفر بن دينار ، وهو والى طريق مكة وأحداث الموسم .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك دخولُ المتوكل دمشق فى صفر ؛ وكان من لدن شخَص من سامُرّا إلى أن دخلها سبعة وتسعون يوماً – وقيل سبعة وسبعون يوماً – وعزم على المقام بها ، ونقل دواوين الملك إليها ، وأمر بالبناء بها فتحرّك الأتراك فى أرزاقهم وأرزاق عيالاتهم ، فأمر لهم بما أرضاهم به . ثم استوْبأ البلد ؛ وذلك أنّ الهواء بها باردٌ نَدِيٌّ والماء ثقيل ، والريح تهبّ فيها مع العصر ؛ فلا تزال تشتدّ حتى يمضى عامّة الليل ؛ وهى كثيرة البراغيث ، وغلَت فيها الأسعار ، وحال الثلج بين السَّابِلة والميرة .

* * *

وفيها وجّه المتوكّل بُغا من دمشق لغزو الرّوم فى شهر ربيع الآخر ، فغزا الصائفة ، فافتتح صُمُلّة ، وأقام المتوكّل بدمشق شهرين وأياماً ، ثم رجع إلى سامُرّا ، فأخذ فى منصرَفه على الفرات ، ثم عدل إلى الأنبار ، ثم عدل من الأنبار على طريق الحُرْف إليها ، فدخلها يوم الاثنين لسبع بقِين من جمادى الآخرة .

* * *

وفيها عقد المتوكّل[1] لأبى الساج على طريق مكة مكان جعفر بن دينار – فيما زعم بعضهم – والصواب عندى أنه عقد له على طريق مكة فى سنة ثنتين وأربعين ومائتين .

١٤٣٧/٣ وفيها أُتِيَ المتوكل – فيما ذكر – بحربة كانت للنبىّ صلى الله عليه وسلم تسمى العَنَزة ؛ ذكر أنها كانت للنجاشى ملك الحبشة ، فوهبها للزُّبير بن العوّام ، فأهداها الزُّبيرُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فكانت عند المؤذّنين ، وكان يُمشَى بها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العيدين ؛ وكانت

(١) د ، س : « المنتصر » .

تركز بين يديه فى الفناء فيصلّى إليها[1] فأمر المتوكل بحملها بين يديه؛ فكان يحملها بين يديه صاحب الشرطة ، ويحمل حربته خليفة صاحب الشرطه .

* * *

وفيها غضب المتوكل على بَختيشُوع ، وقبض ماله ، ونفاه إلى البحرين ، فقال أعرابىّ :

يا سَخطةً جاءت على مقدارِ ... ثار له الليث على اقتدارِ

منه وبَخْتِيشُوعُ فى اغترارِ ... لمَّا سَعى بالسّادةِ الأقمارِ

بالأمرَاءِ القادةِ الأَبرارِ ... وُلاةِ عهدِ السَّيِّدِ المختارِ

وبالمَوالِى وبنِى الأَحرارِ ... رَمى به فى مُوحِشِ القِفارِ

* بساحِلِ البحْرينِ للصَّغَـــارِ *

وفى هذه السنة اتفق عيد المسلمين الأضحى وشعانين النصارى وعيد الفطر لليهود .

وحجّ بالناس فيها عبد الصمد بن موسى .

---

(١) بعدها فى ف : « فى الفضاء » .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر بناء الماحوزة]

ففيها أمر المتوكل ببناء الماحُوزَة، وسمّاها الجعفرىّ، وأقطع القوّاد وأصحابه فيها، وجدّ فى بنائها، وتحوّل إلى المحمّدية ليتمّ أمر الماحوزة، وأمر بنقض القصر المختار والبديع، وحمل ساجهما إلى الجعفرىّ، وأنفق عليها — فيما قيل — أكثر من ألفى ألف دينار، وجمع فيها القُرّاء فقرءوا، وحضر[1] أصحاب الملاهى فوهب لهم ألفى ألف درهم؛ وكان يسميها هو وأصحابه الخاصّة المتوكليّة، وبنى فيها قصراً سمّاه لؤلؤة، لم يُرَ مثله فى علوّه، وأمر بحفر نهر يأخذ رأسه خمسة فراسخ فوق الماحوزة من موضع يقال له كَرْمى يكون شِرْباً لماحولها من فُوهة النهر إليها، وأمر بأخذ جَبِلْتا والخَصاصَة العليا والسفلى وكَرْمَى، وحمل أهلها على بيع منازلهم وأرضهم، فأجبِروا على ذلك حتى تكون الأرض والمنازل فى تلك القرى كلها له، ويخرجهم عنها، وقدّر للنهر من النفقة مائتى ألف دينار، وصيّر النفقة عليه إلى دُلَيل بن يعقوب النصرانىّ كاتب بغا فى ذى الحجة من سنة خمس وأربعين ومائتين، وألقى فى حفر النهر اثنى عشر ألف رجل يعملون فيه؛ فلم يزل دُليل يعتمل فيه، ويحمل المال بعد المال[2] ويقسم عامّته فى الكتاب؛ حتى قتِل المتوكل، فبطل النهر، وأخربت الجعفريّة، ونقضت ولم يتمّ أمر النهر.

* * *

وزلزلت فى هذه السنة بلاد المغرب حتى تهدّمت الحصون والمنازل والقناطر؛ فأمر المتوكل بتفرقة ثلاثة آلاف درهم فى الذين أصيبوا بمنازلهم، وزلزل عسكر

(١) د: «وحضرها».

(٢) س: «الماء».

المهدى ببغداد فيها ، وزلزلت المدائن[١] .

* * *

وبعث ملك الروم فيها بأسْرَى من المسلمين ؛ وبعث يسأل المفاداة بمن عنده ؛ وكان الذى قدم من قِبَل صاحب الروم رسولا إلى المتوكِّل شيخًا يدعى أطروبِيَلْيس معه سبعة وسبعون رجلا من أسرى المسلمين ، أهداهم ميخائيل ابن تَوْفِيل ملك الروم إلى المتوكِّل ، وكان قدومه عليه لخمس بقين من صفر من هذه السنة ، فأنزل على شُنَيف الخادم . ثمّ وجّه المتوكل نصر بن الأزهر الشيعىّ مع رسول صاحب الروم ، فشخص فى هذه السنة ، ولم يقع الفداء إلا فى سنة ست وأربعين .

وذكر أنه كانت فى هذه السنة بأنطاكِيَة زلزلة ورجْفة فى شوّال ، قتلت خلقاً كثيراً ، وسقط منها ألف وخمسمائة دار ، وسقط من سورها نيِّف وتسعون برجاً ، وسمعوا أصواتًا هائلة لا يحسنون وصفَها من كُوى المنازل ، وهرب أهلها إلى الصحارى ، وتقطّع جبلها الأقرع ، وسقط فى البحر ؛ فهاج البحر فى ذلك اليوم ؛ وارتفع منه دخان أسود مظلم منتن ، وغار منها نهر على فرسخ لا يدرَى أين ذهب . ٣/١٤٤٠

وسمع فيها — فيما قيل — أهلُ تِنِّيس فى مصر ضجّة دائمة هائلة ، فمات منها خلق كثير .

وفيها زُلزلت بالس والرّقة وحرّان ورأس عين وحمص ودمشق والرُّها وطرَسُوس والمَصِّيصة وأذنة[٢] وسواحل الشأم . ورجفت اللاذقية ، فما بقى منها منزل ، ولا أفلت من أهلها إلا اليَسير ، وذهبت جَبَلَة بأهلها .

وفيها غارت مُشاش — عين مكة — حتى بلغ ثمن القربة بمكة ثمانين درهماً ، فبعثتْ أم المتوكل فأنفقت[٣] عليها .

وفيها مات إسحاق بن أبى إسرائيل وسوّار بن عبد الله وهلال الرازىّ

* * *

(١) ف : « الميادين » .
(٢) ط : « أدنه » ، صوابه من د .
(٣) ط : « فأنفق » ، وما أثبته من ا

[ذكر الخبر عن هلاك نجاح بن سلمة]

وفيها هلك نجاح بن سلمة .

• ذكر الخبر عن سبب هلاكه :

حدّثنى الحارث بن أبى أسامة ببعض ما أنا ذاكره من أخباره وببعض ذلك غيره ؛ أن نجاح بن سلمة كان على ديوان التوقيع والتتبُّع على العمال ، وكان قبل ذلك كاتب إبراهيم بن رباح الجوهرىّ ؛ وكان على الضياع ؛ فكان جميع العمال يتّقونه ويقضون حوائجه ؛ ولا يقدرون على مَنْعِه من شىء يريدُه ؛ وكان المتوكل ربما نادمه ، وكان انقطاع الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان وهو وزير المتوكل ؛ وكانا يحملان إليه كلّ ما يأمرهما[1] به ، وكان الحسن بن مخلد على ديوان الضياع ، وموسى على ديوان الخراج ؛ فكتب نجاح بن سَلمة رُقْعة إلى المتوكل فى الحسن وموسى يذكر أنهما قد خانا وقصّرا فيما هما بسبيله ؛ وأنه يستخرج منهما أربعين ألف ألف درهم ؛ فأدناه المتوكّل وشاربه تلك العشيّة ، وقال : يا نجاح ؛ خذَل الله من يخذُلك ، فبكّرْ إلىّ غداً حتى أدفعهما إليك ؛ فغدا وقد رتّب أصحابه ، وقال : يا فلان خذ أنت الحسن ، ويافلان خذ أنت موسى ؛ فغدا نجاح إلى المتوكل ، فلقى[2] عبيد الله ، وقد أمر عبيد الله أن يحجب نجاح عن المتوكل ؛ فقال له : يا أبا الفضل ، انصرف حتى ننظر وتنظر فى هذا الأمر ؛ وأنا أشير عليك بأمرٍ لك فيه صلاح ؛ قال : وما هو ؟ قال : أصلِح بينك وبينهما ؛ وتكتب رقعة تذكر فيها أنك كنت شاربًا ، وأنك تكلمت بأشياء تحتاج إلى معاودة النّظر فيها ، وأنا أصلح الأمر عند أمير المؤمنين ؛ فلم يزل يخدعه حتى كتب رقعة بما أمره به ، فأدخلها على المتوكل ، وقال : يا أمير المؤمنين قد رجع نجاح عمّا قال البارحة ؛ وهذه رقعة موسى والحسن يتقبّلان به بما كتبا ؛ فتأخذ ما ضمنا عنه ، ثم تعطف عليهما ، فتأخذ منهما قريباً مما ضمن لك عنهما .

فسرّ المتوكل ، وطمع فيما قال له عبيد الله ، فقال : ادفعه إليهما ؛

(١) ف : « يأمر » . (٢) ف : « وقد لقى » .

٣/١٤٤١
٣/١٤٤٢

فانصرفا به ؛ وأمرا بأخذ قَلنسوته عن رأسه وكانت خَزًّا ، فوجد البرد ، **فقال** : ويحك يا حسن ! قد وجدت البرد ؛ فأمر بوضع قلنسوته على رأسه ، وصار به موسى إلى ديوان الخراج ، ووجّها إلى ابنيه أبي الفرج وأبي محمد، فأخِذ أبو الفرج وهرب أبو محمد، ابن بنت حسن بن شنيف، وأخذ كاتبه إسحاق بن سعد بن مسعود القُطْرَبُّلِىّ وعبد الله بن مخلد المعروف بابن البواب — وكان انقطاعه إلى نجاح — فأقرّ لهما نجاح وابنه بنحو من مائة وأربعين ألف دينار سوى قيمة قصورهما وفرشهما ومستغلاتهما بسامرًّا وبغداد، وسوى ضياع لهما كثيرة ، فأمر بقبض ذلك كله ، وضُرِب مراراً بالمقارع فى غير موضع الضرب نحواً من مائتى مِقْرعة ، وغُمز وخُنِق، خنقه موسى الفرانق والمعلوف .

فأما الحارث فإنه قال : عصر خصيتيه حتى مات ؛ فأصبح ميتًا يوم الاثنين لثمان بقين من ذى القعدة من هذه السنة ، فأمر بغسله ودفنه، فدُفن ليلا ؛ وضرِب ابنه محمد وعبد الله بن مخلد وإسحاق بن سعد نحواً من خمسين خمسين ، فأقرّ إسحاق بخمسين ألف دينار ، وأقرّ عبد الله بن مخلد بخمسة عشر ألف دينار — وقيل عشرين ألف دينار . ١٤٤٣/٣

وكان ابنه أحمد ابن بنت حسن قد هرب فظُفر به بعد موت نجاح ، فحبِس فى الديوان، وأخِذ جميع ما فى دار نجاح وابنه أبى الفرج من مَتاع ، وقبضت دورهما وضياعهما حيث كانتْ وأخرجت عيالهما ، وأخذ وكيله بناحية السَّواد ؛ وهو ابن عياش، فأقرّ بعشرين ألف دينار . وبعث إلى مكة فى طلب الحسن بن سهل بن نوح الأهوازىّ وحسن بن يعقوب البغدادى، وأخِذ بسببه قوم فحبسوا .

وقد ذكر فى سبب هلاكه غير ما قد ذكرناه ، ذكر أنه كان يضادّ عبيد الله بن يحيى بن خاقان — وكان عُبيد الله متمكنًا من المتوكل ، وإليه الوزارة وعامة أعماله ؛ وإلى نجاح توقيع العامة — فلما عزم المتوكل على بناء الجعفرىّ قال له نجاح — وكان فى الندماء[1] — يا أميرَ المؤمنين ؛ أسمّى

(١) ف : « فى ندماء أمير المؤمنين » .

٣/١٤٤٤ لك قوماً تدفعهم [1] إلىّ حتى أستخرج لك منهم أموالا تبني بها مدينتك هذه؛ إنه يلزمك من الأموال فى بنائها ما يعظم قدره ، ويجلّ ذكره . فقال له : سَمِّهم ، فرفع رقعة يذكر فيها موسى بن عبد الملك وعيسى بن فَرُّخانشاه خليفة الحسن بن مخلد ، والحسن بن مخلد وزيدان بن إبراهيم ، خليفة موسى بن عبد الملك ، وعبيد الله بن يحيي وأخويه : عبد الله بن يحيي وزكرياء ، وميمون بن إبراهيم ومحمد بن موسى المنجم وأخاه أحمد بن موسى ؛ وعلىّ بن يحيي بن أبى منصور وجعفراً المعلوف مستخرج ديوان الخراج وغيرهم نحواً من عشرين رجلا؛ فوقَع ذلك من المتوكل موقِعاً أعجبه ، وقال له : اغْدُ غَدوةً ، فلما أصبح لم يشكّ فى ذلك . وناظر عبيد الله بن يحيي المتوكل ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، أراد ألاّ يدع كاتباً ولا قائداً إلاّ أوقع بهم ؛ فمن يقوم بالأعمال يا أمير المؤمنين ! وغدا نجاح ؛ فأجلسه عبيد الله فى مجلسه ، ولم يُؤذن له ، وأحضر موسى بن عبد الملك والحسن بن مخلد ، فقال لهما عبيد الله : إنه إن دخل إلى أمير المؤمنين دفعكُما إليه فقتلكما وأخذ ما تملكان؛ ولكن اكتبانّ [2] إلى أمير المؤمنين رُقعة تقبّلان به فيها بألفى ألف دينار ؛ فكتبا رقعة بخطوطهما ، وأوصلها عبيدالله

٣/١٤٤٥ ابن يحيي ، وجعل يختلف بين أمير المؤمنين ونجاح وموسى بن عبد الملك والحسن ابن مخلد ؛ فلم يزل يدخل ويخرج ويعين موسى والحسن ؛ ثم أدخلهما على المتوكل ، فضمنا ذلك ؛ وخرج معهما فدفعه إليهما جميعاً ؛ والناس جميعاً الخواصّ والعوامّ ؛ وهما لا يشكّان أنهما وعبيد الله بن يحيي مدفوعون إلى نجاح ؛ للكلام الذى دار بينه وبين المتوكل ، فأخذاه ، وتولى تعذيبه موسى بن عبد الملك ، فحبسه فى ديوان الخراج بسامُرّا [3] ، وضربه دِرَراً وأمر المتوكل بكاتبه إسحاق ابن سعد — وكان يتولى خاصّة أموره وأمر ضياع بعض الولد — أن يغرّم واحداً وخمسين ألف دينار ، وحُلّفَ على ذلك ، وقال : إنه أخذ منى فى أيام الواثق وهو يخلف عن عمر بن فرج خمسين ديناراً ؛ حتى أطلق أرزاقى ، فخذوا لكل دينار ألفاً وزيادةَ ألف فضلاً كما أخذ فضلا . فحبِس ونُجِّمَ عليه فى ثلاثة

---

(١) ف : « أسمى لك أقواماً حتى تدفعهم » . (٢) ف : « اكتبا » .
(٣) ف : « فى سامرا » .

أنجم ؛ ولم يطلَق حتى أدّى تعجيل سبعة عشر ألف دينار ، وأطلِق بعد أن أخذ منه كُفلاء بالباقى ، وأخذ عبدالله بن مخلَد ، فأغرم سبعة عشر ألف دينار . ووجّه عبيد الله الحسين بن إسماعيل — وكان أحد حجاب المتوكل — وعتّاب ابن عتاب عن رسالة المتوكل أن يضرَب نجاح خمسين مقرعة إن هو لم يقرّ ويؤدّ ما وُصف عليه ، فضربه ثم عاوده[1] فى اليوم الثانى بمثل ذلك ، ثم عاوده فى اليوم الثالث بمثل ذلك ؛ فقال : أبلغْ أمير المؤمنين أنى ميّت . وأمر موسى ابن عبد الملك جعفراً المعلوف ومعه عونان من أعوان ديوان الخراج ، فعصروا مذاكيره حتى برد فمات . وأصبح فركب إلى المتوكل فأخبره بما حدث من وفاة نجاح ، فقال لهما المتوكل : إنى أريد مالى الذى ضمنتماه ، فاحتالاه ، فقبضا من أمواله وأموال ولده جملة ، وحبسا أبا الفرج — وكان على ديوان زمام الضياع من قبل أبى صالح بن يزْداد — وقبضا أمتعته كلها وجميع ملكه ، وكتبا على ضياعه لأمير المؤمنين ، وأخذا ما أخذا من أصحابه ؛ فكان المتوكل كثيراً ما يقول لهما كلّما شرب : ردّوا علىّ كاتبى ؛ وإلا فهاتوا المال ؛ وضمّ توقيع ديوان العامة إلى عبيد الله بن يحيى ، فاستخلف عليه يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان ، ابن عمّه ، ومكث موسى بن عبد الملك والحسن بن مخلد على ذلك يطالبهما المتوكل بالأموال التى ضمناها من قبَل نجاح ؛ فما أتى على ذلك إلا يسيرًا حتى ركب موسى بن عبد الملك يشيّع المنتصر من الجعفرىّ ، وهو يريد سامرّا إلى منزله الذى ينزله بالجوْسق ؛ فبلغه معه ساعة ، ثم انصرف راجعًا[2] ؛ فبينا هو يسير إذ صاح بمن معه : خذونى ، فبدروه فسقط على أيديهم مفلوجًا ، فحمل إلى منزله ، فمكث يومه وليلته ، ثم توفّىَ ، فصيِّر على ديوان الخراج أيضًا عبيدالله ابن يحيى بن خاقان ، فاستخلف عليه أحمد بن إسرائيل كاتب المعتزّ ؛ وكان أيضًا خليفته على كتابة المعتزّ فقال القصّافىّ :

٣/١٤٤٦ — ٣/١٤٤٧

مَا كانَ يخْشى نجاحٌ صَوْلة الزَّمنِ	حتَّى أُدِيلَ لموسى منه والحَسَنِ
غدا على نِعَمِ الأحرارِ يَسلبُها	فراحَ وهْو سَليبُ المال والبدنِ

(١) ف : « ثم ضربه وعاوده » . (٢) ف : « ثم رجع منصرفاً » .

وفيها ضُرب بَخْتيشوع المتطبّب مائة وخمسين مقرعة ، وأثقل بالحديد ، وحبس فى المطبَق فى رجب .

* * *

[غارة الروم على سميساط]

وفيها أغارت الروم على سُمَيْساط ، فقتلوا وسبوا نحواً من خمسمائة .

وغزا علىّ بن يحيى الأرمنىّ الصائفة ومنع أهل لؤلؤة رئيسهم من الصعود إليها ثلاثين يومًا ، فبعث ملك الروم إليهم بِطْريقًا يضمن لكلّ رجل منهم ألف دينار ، على أن يسلموا إليه لؤلؤة ، فأصعدوه إليهم ثم أعطوا أرزاقهم الفائتة وما أرادوا ، فسلّموا لؤلؤة والبطريق إلى بَلْكاجُور فى ذى الحجة ؛ وكان البطريق الذى كان صاحب الروم وجّهه إليهم يقال له لُغُثيط ، فلما دفعه أهل لؤلؤة إلى بَلْكاجور . وقيل : إن علىّ بن يحيى الأرمنى حمله إلى المتوكل إلى الفتح بن خاقان ، فعرض عليه الإسلام فأبى ، فقالوا : نقتلك ، فقال : أنتم أعلم ؛ وكتب ملك الروم يبذل مكانه ألف رجل من المسلمين . ٣/١٤٤٨

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام ، وهو يعرف بالزينبىّ ؛ وهو والى مكة .

وكان نيروز المتوكل الذى أرفق أهل الخراج بتأخيره إياه عنهم فيها يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، ولسبع عشرة ليلة خلت من حَزيران ولثمان وعشرين من أرديوهشت ماه ، فقال البحترىّ الطائىّ :

إنّ يومَ النَّيرُوزِ عادَ إلى العهـ ـدِ الذى كان سَنَّهُ أَرْدَشيرُ[1]

(١) ديوانه ٢ : ٥٢ .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزو عمر بن عبد الله الأقطع الصّائفة ، فأخرج سبعة آلاف رأس . وغزوة قربياس ، فأخرج خمسة آلاف رأس ، وغزو الفضل بن قارن بحراً في عشرين مركباً ؛ فافتتح حصن أنطاليِة . وغزوة بلكاجور فغنم وسبى . وغزو علىّ بن يحيي الأرمنىّ الصائفة ، فأخرج خمسة آلاف رأس ومن الدوابّ والرّمَك[1] والحمير نحواً من عشرة آلاف . ١٤٤٩/٣

وفيها تحوّل المتوكل إلى المدينة التى بناها الماحوزة ، فنزلها يوم عاشوراء من هذه السنة .

* * *

[ذكر خبر الفداء بين الروم والمسلمين فى هذه السنة]

وفيها كان الفداء فى صفر على يدى علىّ بن يحيي الأرمنى ، ففُودى بألفين وثلثمائة وسبعة وستين نفساً . وقال بعضهم : لم يتمّ الفداء فى هذه السنة إلا فى جمادى الأولى .

وذكر عن نصر بن الأزهر الشّيعىّ — وكان رسول المتوكل إلى ملك الروم فى أمر الفداء — أنه قال : لمّا صرتُ إلى القسطنطينية حضرت دار ميخائيل الملك بسوادى وسيفى وخنجرى وقلنسوتى ، فجرت بينى وبين خال الملك بطرناس المناظرة — وهو القيّم بشأن الملك — وأبوْا أن يدخلونى بسيفى وسوادى ، فقلت : أنصرف ، فانصرفت فرُدِدتُ من الطريق ومعى الهدايا[2] نحو من ألف نافجة مسك وثيابٌ حريرٌ وزعفران كثير وطرائف ؛ وقد كان أذن لوفود بُرْجان وغيرهم ممن وَرد عليه ، وحُملت الهدايا التى معى ، فدخلت عليه ؛ فإذا هو على ١٤٥٠/٣

(١) الرمك ، محركة : الفرس والبرذونة تتخذ للنسل .

(٢) ف : « هدايا » .

سرير فوق سرير ، وإذا البطارقة حوله قيام، فسلمت ثم جلست على طرف السرير الكبير ، وقد هُيِّئ لى مجلس ، ووضعت الهدايا بين يديه ، وبين يديه ثلاثة تراجمة : غلام فرّاش كان لمسرور الخادم ، وغلام لعباس بن سعيد الجوهرىّ ، وترجمان له قديم يقال له سُرْحُون ؛ فقالوا لى : ما نبلّغه ؟ قلت : لا تزيدون على ما أقول لكم شيئًا ؛ فأقبلوا يترجمون ما أقول ، فقبل الهدايا ولم يأمر لأحد منها بشيء ، وقرّبنى وأكرمنى ، وهيّأ لى منزلا بقربه ؛ فخرجت فنزلت فى منزلى ، وأتاه أهل لؤلؤة برغبتهم فى النصرانية، وأنهم معه ، ووجّهوا برجلين ممّن فيها رهينة من المسلمين .

قال : فتغافل عنى نحواً من أربعة أشهر ؛ حتّى أتاه كتاب مخالفة أهل لؤلؤة ، وأخذهم رسلَه واستيلاء العرب عليها؛ فراجعوا مخاطبتى ، وانقطع الأمر بينى وبينهم فى الفِداء ؛على أن يعطوا جميع مَنْ عندهم وأعطِىَ جميع مَنْ عندى ؛ وكانوا أكثر من ألف قليلا ؛ وكان جميع الأسرى الذين فى أيديهم أكثر من ألفين ؛ منهم عشرون امرأة ؛ معهنّ عشرة من الصبيان ، فأجابونى إلى المخالفة؛ فاستحلفت خالَه، فحلف عن ميخائيل،فقلت : أيّها الملك قد حلف لى خالك ؛ فهذه اليمين لازمة لك ؟ فقال برأسه: نعم، ولم أسمعه يتكلم بكلمة منذ دخلتُ بلاد الروم إلى أن خرجت منها ، إنما يقول الترجمان وهو يسمع ، فيقول برأسه: نعم أوْلا ،وليس يتكلّم وخالُه المدبّر أمرَه ، ثم خرجتُ من عنده بالأسْرى بأحسن حال ؛ حتّى إذا جئنا موضع الفِداء أطلقنا هؤلاء جملة وهؤلاء جملة ؛ وكان عِداد مَنْ صار فى أيدينا من المسلمين أكثر من ألفين منهم عدّة ممن كان تنصّر وصار فى أيديهم أكثر من ألف قليلا ؛ وكان قوم تنصّرُوا ؛فقال لهم ملك الروم : لا أقبل منكم حتى تبلغوا موضع الفداء، فمن أراد أن أقبله فى النصرانية فليرجع من موضع الفداء؛ وإلا فليضمن ويمضِ مع أصحابه؛ وأكثر من تنصّر أهل المغرب، وأكثر من تنصّر بالقسطنطينية ؛ وكان هنالك صائغان قد تنصّرا ، فكانا يحسنان إلى الأسرى ؛ فلم يبق فى بلاد الروم من المسلمين ممن ظهر عليه الملك إلا سبعة نفر ،خمسة أتِىَ بهم من سقِليّة، أعطيتُ فداءهم على أن يوجّه بهم إلى سقليّة ، ورجلان كانا من رهائن لؤلؤة ، ٣/١٤٥١

فتركتهما ، [و] [١] قلت : اقتلوهما ، فإنهما رغبا فى النصرانية .

ومُطر أهلُ بغداد فى هذه السنة واحداً وعشرين يوماً فى شعبان ورمضان ؛ حتى نبت العشب فوق الأجاجير .

وصلّى المتوكلُ فيها صلاة الفطر بالجعفريّة ، وصلى عبد الصمد بن موسى فى مسجد جامعها ، ولم يصلّ بسامرّا أحد. ٣/١٤٥٢

وورد فيها الخبر أنّ سكة بناحية بَلْخ تنسب إلى الدّهاقين مُطرت دماً عبيطاً .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن سليمان الزينبىّ .

وحجّ فيها محمد بن عبد الله بن طاهر ؛ فولى أعمال الموسم .

وضحّى أهل سامرّا فيها يوم الاثنين على الرؤية وأهل مكة يوم الثلاثاء .

(١) فى ط : قلت .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل المتوكل]

فممّا كان فيها من ذلك مقتل المتوكل .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف قتل :

قال أبو جعفر : ذُكر لى أنّ سبب ذلك كان أنّ المتوكل كان أمر بإنشاء الكتب بقبض ضياع وصِيف بأصبهان والجبل وإقطاعها الفتح بن خاقان ؛ فكُتِبت الكتب بذلك ، وصارت إلى الخاتم على أن تنفذ[1] يوم الخميس لخمس خلوْن من شعبان ؛ فبلغ ذلك وصيفًا ، واستقرّ عنده الذى أمر به فى أمره ؛ وكان المتوكّل أراد أن يُصَلِّىَ بالناس يوم الجمعة فى شهر رمضان فى آخر جمعة منه ؛ وكان قد شاع فى الناس فى أوّل رمضان أنّ أمير المؤمنين يصلى فى آخر جمعة من الشهر بالناس ، فاجتمع الناس لذلك واحتشدوا ، وخرج بنو هاشم من بغداد لرفع القِصص وكلامه إذا هو ركب[2] . فلما كان يوم الجمعة أراد الرّكوبَ للصلاة ، فقال له عبيد الله بن يحيى والفتح بن خاقان : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الناس قد اجتمعوا وكثروا ؛ من أهل بيتك وغيرهم ؛ وبعضٌ متظلّم وبعض طالب حاجة ؛ وأمير المؤمنين يشكو ضِيق الصدر ووعْكة[3] ؛ فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يأمر بعضَ ولاة العهود بالصّلاة ، ونكونَ معه جميعًا فليفعل . فقال : قد رأيتُ ما رأيتما ؛ فأمر المنتصر بالصّلاة ، فلمّا نهض المنتصر ليركب للصلاة قالا : يا أمير المؤمنين ؛ قد رأينا رأياً ؛ وأمير المؤمنين أعلَى عينًا ، قال : وما هو ؟ اعرضاه علىّ ، قالا : يا أمير المؤمنين ، مُرْ أبا عبد الله المعتزّ بالله الصلاة

٣/١٤٥٣

(١) كذا فى ا ، د ، وفى ط : « تتقدم » .
(٢) س : « راكب » .
(٣) ا ، د ، و ابن الأثير : « وعلة » .

لتشرّفه بذلك فى هذا اليوم الشريف ؛ فقد اجتمع أهلُ بيته ؛ والناس جميعًا فقد بلغ الله به .

قال : وقد كان وُلد للمعتزّ قبل ذلك بيوم ؛ فأمر المعتزّ، فركب وصلّى بالناس ، فأقام المنتصر فى منزله — وكان بالجعفريّة[1] — وكان ذلك مما زاد فى إغرائه به ؛ فلمّا فرغ المعتزّ من خطبته قام إليه عبيد الله بن يحيى والفتح بن خاقان ، فقبّلا يديه ورجليه ، وفرغ المعتزّ من الصلاة ، فانصرف وانصرفا معه ؛ ومعهم الناس فى موكب الخلافة ، والعالم بين يديه ؛ حتى دخل على أبيه وهما معه ؛ ودخل معه داود بن محمد بن أبى العباس الطوسىّ ، فقال داود : يا أميرَ المؤمنين ، ائذن لى فأتكلّم ، قال : قل ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ؛ لقد رأيت الأمين والمأمون ورأيت[2] المعتصم صلواتُ الله عليهم ، ورأيت الواثق بالله ؛ فوالله ما رأيتُ رجلا على منبر أحسن قوامًا ، ولا أحسن بديهًا ، ولا أجهر صوتًا ، ولا أعذب لسانًا ، ولا أخطب من المعتزّ بالله ، أعزه الله يا أمير المؤمنين ببقائك ، وأمتعك الله وإيانا بحياته ! فقال له المتوكل : أسمعك الله خيراً ، وأمتعنا بك ؛ فلما كان يوم الأحد ؛ وذلك يوم الفِطْر وجد المتوكّل فترة ، فقال : مُروا المنتصرَ فليصلِّ بالناس ، فقال له عبيدالله بن يحيى بن خاقان : يا أميرَ المؤمنين ؛ قد كان الناس تطلعوا إلى رؤية أمير المؤمنين فى يوم الجمعة فاجتمعوا واحتشدوا ، فلم يركب أمير المؤمنين ؛ ولا نأمن إن هو لم يركب أن يرجُف الناس بِعلّته ، ويتكلّموا فى أمره ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يَسُرّ الأولياء ويكْبِت الأعداء بركوبه فعل . فأمرهم بالتأهب والتهيّؤ لركوبه ؛ فركب فصلى بالناس وانصرف إلى منزله ، فأقام يومه ذلك ومن الغد لم يدع بأحد[3] من ندمائه .

٣/١٤٥٤

وذُكر أنه ركب يوم الفِطْر ؛ وقد ضربت له المصافّ نحواً من أربعة أميال ؛ وترجّل الناس بين يديه ، فصلّى بالناس ، ورجع إلى قصره ، فأخذ حفنةً من تراب ، فوضعها على رأسه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنّى رأيتُ

---

(١) ف : « بداره فى الجعفرية » . (٢) ساقطة من ط .
(٣) ف : « أحدا » .

٣/١٤٥٥ كثرة هذا الجمع ، ورأيتهم تحت يدى ، فأحببت أن أتواضع لله عزّ وجلّ ؛ فلمّا كان من غد يوم الفطر لم يدعُ بأحد من ندمائه ؛ فلما كان اليوم الثالث وهو يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال — أصبح نشيطاً فرحًا مسروراً ، فقال: كأنى أجد مسّ الدم ، فقال الطَّيْفُوريّ وابن الأبرش — وهما طبيباه : يا أمير المؤمنين ، عزم الله لك على الخير ؛ افعلْ ، ففعل ؛ واشتهى لحم جَزور ، فأمر به فأحضِر بين يديه ، فاتّخذه بيده .

وذكر عن ابن الحفصىّ المغنّى أنه كان حاضر المجلس ، قال ابن الحفصىّ : وما كان أحدٌ ممن يأكل [بين يديه] [1] حاضراً غيرى وغير عَثْعث وزُنام وبُنان غلام أحمد بن يحيى بن معاذ ؛ فإنه جاء مع المنتصر . قال : وكان المتوكل والفتح بن خاقان يأكلان معًا ، ونحن فى ناحية بإزائهم والندماء مفترقون فى حجرهم ؛ لم يدع بأحد منهم بعد . قال ابن الحفصىّ : فالتفت إلىّ أمير المؤمنين ، فقال : كلْ أنتَ وعثْعث بين يدىّ . ويأكل معكما نصر بن سعيد الجِهْبذ ؛ قال : فقلت : يا سيدىّ ، نصر والله يأكلنى ، فكيف ما يوضع بين أيدينا! فقال : كلُوا بحياتى ؛ فأكلنا ثم علّقنا أيدينا بحذائه . قال : فالتفت أميرُ المؤمنين التفاتةً ، فنظر إلينا معلّقى الأيدى ، فقال : ما لكم لا تأكلون ؟ ٣/١٤٥٦ قلت : يا سيّدى ، قد نفد ما بين أيدينا ؛ فأمر أن يُزاد ، فغُرِف لنا من بين يديه .

قال ابن الحفصىّ : ولم يكن أميرُ المؤمنين فى يوم من الأيام أسرّ منه فى ذلك اليوم . قال : وأخذ مجلسَه ، ودعا بالندماء والمغنّين فحضروا ، وأهدت إليه قَبيحة أمّ المعتز مُطرَف خزّ أخضر ؛ لم ير الناس مثله حسنًا ، فنظر إليه فأطال النظر [2] ، فاستحسنه وكثر تعجّبه منه ، وأمر به فقطِع نصفين ، وأمر بردّه عليها [3] ، ثم قال لرسولها : أذْكَرَتْنى به ، ثم قال : والله إنّ نفسى لتحدّثنى أنى لا ألبسه ، وما أحبّ أن يلبسه أحد بعدى ، وإنما أمرت بشقّه لئلا يلبسه أحد بعدى [4] ، فقلنا له : يا سيّدنا ، هذا يوم سرور

---

(١) تكملة من ا .
(٢) ف : « فأطال النظر إليه » .
(٢) ف : « إليها » .
(٤) ف : « غيرى » .

يا أمير المؤمنين نعيذك بالله أن تقول هذا يا سيّدنا ، قال : وأخذ فى الشراب واللهو ، ولهج بأن يقول[1] : أنا والله مفارقكم عن قليل ، قال : فلم يزل فى لهوه وسروره إلى الليل .

وذكر بعضهم أنّ المتوكل عزم هو والفتح أن يصيّرا غداءهما عند عبد الله ابن عمر البازيار يوم الخميس لخمس ليال خلوْن من شوال ؛ على أن يفتك بالمنتصر ، ويقتل وصيفا وبغا وغيرهما من قوّاد[2] الأتراك ووجوههم ؛ فكثر عبثه يوم الثلاثاء قبل ذلك بيوم — فيما ذكر ابن الحفصىّ — بابنه المنتصر مرّة يشتمه ، ومرّة يسقيه فوق طاقته ، ومرّةً يأمر بصفعه ، ومرّةً يتهدّده بالقتل . ١٤٥٧/٣

فذكر عن هارون بن محمد بن سليمان الهاشمىّ أنه قال : حدّثنى بعض مَنْ كان فى الستارة من النساء ، أنه التفت إلى الفتح ، فقال له : برئت من الله ومن قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم تلطِمْه — يعنى المنتصر — فقام الفتح ولطَمه مرّتين ؛ يمرّ يده على قفاه ، ثم قال المتوكّل لمن حضر : اشهدوا جميعًا أنى قد خلعتُ المستعجل — المنتصر — ثم التفت إليه ، فقال : سمّيتُك المنتصر ، فسمّاك الناس لحمقك المنتظر ، ثم صرت الآن المستعجل ، فقال المنتصر : يا أميرَ المؤمنين ، لو أمرتَ بضرب عنقى كان أسهلَ علىّ مما تفعله بى ، فقال : اسقوه ، ثم أمر بالعشاء فأحضر وذلك فى جوف الليل ، فخرج المنتصر من عنده ، وأمر بُنَانًا غلام أحمد ابن يحيى أن يلحقه . فلمّا خرج وضعت المائدة بين يدى المتوكل ، وجعل يأكلها ويلقم وهو سكران .

وذُكر عن ابن الحفصىّ أنّ المنتصر لمّا خرج إلى حُجْرته أخذ بيد زرافة ، فقال له : امض معى ، فقال : يا سيّدى ؛ إنّ أمير المؤمنين لم يقُم ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أخذه النبيذ ، والساعة يخرج بُغا والندماء ؛ وقد أحببت أن تجعل أمر ولدك إلىّ ، فإن أوتامش سألنى أن أزوّج ابنَه من ابنتك ، وابنَك من ابنته ، فقال له زُرافة : نحن عبيدك يا سيدى ، فمرنا بأمرك . وأخذ المنتصر ١٤٥٨/٣

---

(١) كذا فى ا ، وفى س : « يقول » . (٢) ف : « القواد » .

بيده وانصرف به معه . قال : وكان زُرافة قد قال لى قبل ذلك : ارفق بنفسك، فإنّ أمير المؤمنين سكران والساعة يُفيق[١] ، وقد دعانى تمرة، وسألنى أن أسألك أن تصير إليه فنصير جميعًا إلى حجرته. قال : فقلت له : أنا أتقدّمك إليه ، قال : ومضى زرافة مع المنتصر إلى حجرته .

فذكر بُنان غلام أحمد بن يحيى أنّ المنتصر قال له : قد أملكتُ ابن زرافة من ابنة أوتامش وابن أوتامش من ابنة زرافة ؟ قال بُنان : فقلت للمنتصر : يا سيدى ، فأين النّثار فهو يُحسّن الإملاك ؟ فقال : غداً إن شاء الله ؛ فإنّ الليل قد مضى . قال : وانصرف زرافة إلى حجرة تمرة ، فلما دخل دعا بالطعام فأتِيَ به ، فما أكل إلا أيسر ذلك حتى سمعنا الضّجة والصراخ ؛ فقمنا ، فقال بنان : فما هو إلاّ أن خرج زرافة من منزل تمرة ؛ إذا بُغا استقبل المنتصر، فقال المنتصر: ماهذه الضجة؟قال: خير يا أمير المؤمنين ، قال : ما تقول ، ويلك ! قال : أعظم الله أجرك فى سيدنا أمير المؤمنين ! كان عبدًا لله دعاه فأجابه ، قال : فجلس المنتصر ؛ وأمر بباب البيت الذى قُتل فيه المتوكل والمجلس ، فأغلق وأغلقت الأبواب كلها ، وبعث إلى وصيف يأمره بإحضار المعتزّ والمؤيد عن رسالة المتوكل .

٣/١٤٥٩

وذكر عن عَثْعَث أنّ المتوكل دعا بالمائدة بعد قيام المنتصر وخروجه ومعه زُرافة، وكان بُغا الصغير المعروف بالشرابىّ قائمًا عند الستر ؛ وذلك اليوم كان نوبة بُغا الكبير فى الدار ؛ وكان خليفته فى الدار ابنه موسى — وموسى هذا هو ابن خالة المتوكل ، وبُغا الكبير يومئذ بسُمَيساط — فدخل بُغا الصغير إلى المجلس ، فأمر الندماء بالانصراف إلى حُجَرهم ، فقال له الفتح : ليس هذا وقت انصرافهم ، وأمير المؤمنين لم يرتفع ، فقال له بغا : إن أمير المؤمنين أمرنى إذا جاوز السبعة ألاّ أترك فى المجلس أحداً ، وقد شَرِبَ أربعة عشر رطلا ، فكره الفتح قيامهم، فقال له بغا: إن حُرَم أمير المؤمنين خلف الستارة، وقد سكر ، فقوموا فاخرجوا ، فخرجوا جميعاً ، فلم يبق إلا الفتح وعثعث وأربعة من خدَم الخاصّة ؛ منهم[٢] شفيع وفرج الصّغير ومؤنس وأبو عيسى مارد

---

(١) ف : « يرتفع »

(٢) ف : « معهم »

المحْرِزىّ . قال : ووضع الطباخ المائدة بين يدى المتوكل ، فجعل يأكل ويلقم ، ويقول لمارد : كلْ معى حتى أكل بعض طعامه وهو سكران، ثم شرب أيضًا بعد ذلك .

فذكر عثعث أن أبا أحمد بن المتوكل أخا المؤيد لأمه — كان معهم فى المجلس ، فقام إلى الخلاء ، وقد كان بُغا الشرابىّ أغلق الأبواب كلها غير باب الشطّ ، ومنه دخل القوم الذين عُيِّنُوا لقتْله ، فبصرُبهم أبو أحمد ، فصاح بهم : ما هذا يا سفل ! وإذا بسيوف مسلّلة[1] ، قال : وقد كان تقدّم النفرَ الذين تولوا قتلَه بغلون التركىّ وباغر وموسى بن بغا وهارون بن صوار تكين وبغا الشرابىّ ؛ فلمّا سمع المتوكل صوتَ أبى أحمد رفع رأسه، فرأى القوم ، فقال : يا بغا، ما هذا ؟ قال: هؤلاء رجال النوبة التى تبيت على باب سيّدى أمير المؤمنين ، فرجع القوم إلى ورائهم عند كلام المتوكل لبُغا ؛ ولم يكن واجن وأصحابه وولد وصيف حضروا معهم بعد . قال عثعث : فسمعت بُغا يقول لهم : يا سفل، أنتم مقتولون لا محالة ، فموتوا كراماً ؛ فرجع القوم إلى المجلس ، فابتدره بغلون فضربه ضَرْبةً على كتِفه وأذنه فقدّه ، فقال : مهلا قطع الله يدك ! ثم قام وأراد الوُثوب به ، فاستقبله بيده فأبانها ، وشركه باغر ، فقال الفتح : ويلكم ، أمير المؤمنين ! فقال بغا : يا حلَقِىّ ، لا تَسْكُتُ ! فرمى الفتح بنفسه على المتوكل، فبجعه هارون بسيفه، فصاح : الموت! واعتوره هارون وموسى بن بُغا بأسيافهما ، فقتلاه وقطعاه ، وأصابت عثعثَ ضربة فى رأسه . وكان مع المتوكل خادم صغير ، فدخل تحت الستارة، فنجا، وتهارب[2] الباقون . قال : وقد كانوا قالوا لوصيف فى وقت[3] ما جاءوا إليه : كن معنا فإنا نتخوّف ألاّ يتم ما نريد فنقتَل ، فقال : لا بأس عليكم ، فقالوا له : فأرسل معنا بعضَ ولدك، فأرسل معهم خمسة من ولده : صالحًا ، وأحمد ، وعبد الله ، ونصراً ، وعبيد الله ؛ حتى صاروا إلى ما أرادوا .

وذكر عن زُرْقان خليفة زرافة على البوابين وغيرهم أنّ المنتصر لما أخذ بيد

٣/١٤٦٠ ٣/١٤٦١

(١) ف : « بسيوف مستلة ».
(٢) ا، د : « وتطاير » ، ف : « وتهارب » .
(٣) ف « عندما » .

زرافة فأخرجه من الدّار ودخل القوم ، نظر إليهم عثعث، فقال للمتوكل : قد فرغنا من الأسد والحيات والعقارب ، وصرنا إلى السيوف ؛ وذلك أنه كان ربما أشلى الحيّة والعقرب أو الأسد ؛ فلما ذكر عثعث السيوف ، قال له : ويلك! أىّ شىء تقول[١] ؟ فما استتمّ[٢] كلامه حتى دخلوا عليه ، فقام للفتح فى وجوههم ، فقال لهم : يا كلاب؛ وراءكم وراءكم ! فبدر إليه بُغا الشرابىّ، فبعج بطنه بالسّيف ، وبدر الباقون إلى المتوكل ، وهرب عثعث على وجهه . وكان أبو أحمد فى حُجْرته ، فلما سمع الضجة خرج فوقع على أبيه ، فبادره بغلون فضربه ضربتين ؛ فلما رأى السيوف تأخذه خرج وتركهم ، وخرج القوم إلى المنتصر ، فسلّمُوا عليه بالخلافة ، وقالوا : مات أمير المؤمنين، وقاموا على رأس زرافة بالسيوف ، فقالوا له : بايع ،فبايعه . وأرسل المنتصر إلى وصيف : إنّ الفتح قتل أبى ، فقتلتُه ، فاحضر فى وجوه أصحابك . فحضر وصيف وأصحابه فبايعوا . قال : وكان عبيد الله بن يحيى فى حُجرته لا يعلم بشىء من أمر القوم ينفذ الأمور . ١٤٦٢/٣

وقد ذكر أنّ امرأة من نساء الأتراك ألقت رقعة تخبر ما عزم عليه القوم ، فوصلت الرُّقعة[٣] إلى عبيد الله ، فشاور الفتحَ فيها ؛ وكان ذلك وقع إلى أبى نوح عيسى بن إبراهيم كاتب الفتح بن خاقان ، فأنهاه إلى الفتح ، فاتفق رأيهُم على كتمان المتوكل لما رأوا من سروره ؛ فكرهوا أن ينغّصوا عليه يومه؛ وهان عليهم أمرُ القوم ، ووثقوا بأنّ ذلك لا يجسر عليه أحد ولا يقدر .

فذُكر أنّ أبا نوح احتال فى الهرب من ليلته ، وعبيد الله جالس فى عمله ينفذ الأمور[٤] ، وبين يديه جعفر بن حامد ،إذْ طلَع عليه بعض الخدم ،فقال : يا سيدىّ ، ما يجلسك ؟ قال :وماذاك ! قال : الدار سيف واحد ، فأمر جعفراً بالخروج ؛فخرج وعاد ؛فأخبره أنّ أمير المؤمنين والفتح قد قتلا ،فخرج فيمن معه من خدمه وخاصّته ،فأخبر أنّ الأبواب مغلقة ،فأخذ نحو الشطّ ،فإذا أبوابه أيضًا مغلَقة ، فأمر بكسر ما كان مما يلى الشطّ ، فكسرت ثلاثة أبواب حتى

---

(١) بعدها فى ا : « أى سيوف » (٢) ف « فلا يستتم » .
(٣) ف : « فصارت الرقعة ». (٤) ف : « ينفذ أمور السلطان » .

خرج إلى الشطّ ، فصار إلى زورق[1] ، فقعد فيه ومعه جعفر بن حامد ، ١٤٦٣/٣
وغلام له ، فصار إلى منزل المعتزّ ، فسأل عنه فلم يصادفه ؛ فقال : إنا لله
وإنا إليه راجعون ! قتلني وقتل نفسه ، وتلهّف عليه ، واجتمع إلى عبيد الله
أصحابُه غداة يوم الأربعاء من الأبناء والعجم والأرمن والزّواقيل والأعراب
والصّعاليك وغيرهم [وقد اختلف في عدّتهم[2]] ، فقال بعضهم : كانوا زهاء عشرين
ألف فارس وقال آخرون : كان معه ثلاثة عشر ألف رجل ، وقال آخرون :
كان معه ثلاثة عشر ألف لجام ، وقال المقلّلون : ما بين الخمسة آلاف إلى العشرة
آلاف ؛ فقالوا له : إنما كنتَ تصطنعنا لهذا اليوم ، فأمُر بأمرك ، وأذن
لنا نَمِلْ على القوم ميلة ؛ نقتل المنتصر ومَنْ معه من الأتراك وغيرهم . فأبى
ذلك ، وقال : ليس في هذا حِيلة ، والرجل في أيديهم — يعني المعتزّ .

وذُكر عن عليّ بن يحيى المنجّم أنه قال : كنت أقرأ على المتوكل قبل
قتله بأيام كتابًا من كتب الملاحم ، فوقفت على موضع من الكتاب فيه : إن
الخليفة العاشر يُقتَل في مجلسه ، فتوقّفت عن قراءته وقطعتُه ، فقال لي :
مالك قد وقفت ! قلت : خير ، قال : لا بدّ والله من أن تقرأه ، فقرأته وحِدْتُ
عن ذكر الخلفاء ؛ فقال المتوكل : ليت شعري مَنْ هذا الشقيّ المقتول !

وذُكر عن سلمة بن سعيد النصرانيّ أنّ المتوكل رأى أشُوط بن حمزة
الأرمنيّ قبل قتله بأيام ، فتأفّف برؤيته ، وأمر بإخراجه ، فقيل له : ١٤٦٤/٣
يا أميرَ المؤمنين ؛ أليس قد كنت تحبّ خدمته ؟ قال : بلى ، ولكنّي رأيت
في المنام منذ ليالٍ كأني قد ركبته ، فالتفت إليّ وقد صار رأسه مثل رأس
البغل[3] فقال لي : إلى كم تؤذينا ! إنما بقي من أجلك تمام خمسة عشر سنة
غير أيام . قال : فكان بعدد أيام خلافته .

وذكر عن ابن أبي ربعيّ أنه قال : رأيتُ في منامي كأنّ رجلا دخل من
باب الرّسْتَن على عجلة ووجهه إلى الصحراء وقفاه إلى المدينة ، وهو ينشد :

---

(١) ف : « فنزل إلى زورق » .
(٢) تكملة من ا .
(٣) ف : « البعير » .

يا عَينُ ويلكِ فاهملى بالدمعِ سحًّا واسبلى
دَلَّتْ على قُرْبِ القيا مةِ قِتلَةُ المتوكل

وذكِر أن حُبشىّ بن أبى ربعىّ مات قبل قتْل المتوكل بسنتين .

وذكر عن محمد بن سعيد ، قال : قال أبو الوارث قاضى نَصِيبين : رأيت فى النوم آتياً أتانى ، وهو يقول :

يانائمَ العينِ فى جُثمانِ يقظانِ ما بالُ عينِكَ لاتبكى بتَهتانِ !
أما رأيتَ صُرُوفَ الدهرِ ما فَعَلَتْ بالهاشمىِّ وبالفتح بن خاقان !
وسوفَ يَتبعُهُمْ قَومٌ لهم غَدَروا حتى يصيروا كأمسِ الذاهِبِ الفانى ١٤٦٥/٣

فأتى البريد بعد أيام بقتلهما جميعًا .

قال أبو جعفر : وقتِل ليلة الأربعاء بعد العتمة بساعة لأربع خلوْن من شوال — وقيل : بل قتِل ليلة الخميس — فكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام . وقتل يوم قُتل وهو — فيما قيل — ابن أربعين سنة ؛ وكان ولد بفم الصِّلح فى شوال من سنة ست ومائتين .

وكان أسمر حسن العينين خفيف العارضين نحيفاً .

* * *

* ذكر الخبر عن بعض أمور المتوكل وسيرته :

ذُكر عن مروان بن أبى الجَنوب أبى السمط ، أنه قال : أنشدتُ أمير المؤمنين فيه شعراً ، وذكرتُ الرّافضة فيه ، فعقد لى على البحرين واليمامة ، وخلَع علىّ أربع خِلَع فى دار العامّة ، وخلع علىّ المنتصر وأمر لى بثلاثة آلاف دينار ، فنثرت على رأسى ، وأمر ابنه المنتصر وسعداً الإيتاخىّ يلقطانها لى ، ولا أمسّ منها شيئًا ؛ فجمعاها[1] ، فانصرفت بها .

(١) بعدها فى ف : « وانصرفا » .

قال : والشعر الذى قال فيه :

مُلك الخليفةِ جعفرٍ للدين والدنيا سَلامَهْ
لكمُ تراث محمدٍ وبِعَدْلِكمْ تُنفَى الظلامه
يرجو التُّراثَ بنو البنا تِ وما لهم فيها قُلامَهْ
والصِّهرُ ليس بوارثٍ والبنتُ لا تَرث الإمامهْ
ما للذينَ تَنَحَّلوا ميراثكمْ إلا الندامهْ
أَخَذ الوراثةَ أهلُها فَعَلامَ لومُكمُ علامهْ !
لَوْ كَانَ حقُّكمُ لَـما[1] قامتْ على الناس القيامهْ
لَيْس التُّرَاثُ لغيركمْ لَا والإلهِ ولا كَرَامَهْ
أَصبَحْتُ بين محبِّكمْ والمُبْغضِينَ لَكُمْ علامَهْ

١٤٦٦/٣

ثم نَثَر على رأسى —بعد ذلك لشعر قلته فى هذا المعنى— عشرة آلاف درهم.

وذكر عن مروان بن أبى الجَنوب ، أنه قال : لما استُخلف المتوكل بعثتُ بقصيدة — مدحتُ فيها ابن أبى دواد — إلى ابن أبى دَواد ، وكان فى آخرها بيتان ذكرت فيهما أمر ابن الزيات وهما :

وقيل لِيَ الزَّيات لاقى حِمامهُ فقلت أتانى اللهُ بالفتح والنصرِ
لقد حَفَرَ الزياتُ بالغدر حُفرَةً فأُلقِيَ فيها بالخيانةِ والغدرِ

قال : فلما صارت القصيدة إلى ابن أبى دَواد ذكرها للمتوكل ، وأنشده البيتين فأمره بإحضاره ، فقال : هو باليمامة ، كان الواثق نفاه لمودّته لأمير المؤمنين . قال : يُحمَل ، قال : عليه دين ، قال : كَمْ هو ؟ قال : ستة آلاف دينار ، قال : يُعطاها ، فأعطِيَ وحُمل من اليمامة ، فصار إلى سامرّا ، وامتدح المتوكل بقصيدة يقول[2] فيها :

١٤٦٧/٣

رَحَلَ الشبابُ وليتَهُ لم يَرحَلِ والشيبُ حل ولَيْتَهُ لم يَحلُلِ[3]

(١) ط : « لما » وما أثبته من ا. (٢) س : « يذكر » . (٣) ف : « فليته » .

فلما صار إلى هذين البيتين من القصيدة :

كانتْ خلافة جعفر كنبوّةٍ جاءتْ بلاَ طلَبٍ ولا بِتَنَحُّلِ
وهبَ الإلهُ له الخلافةَ مثل ما وهَبَ النبوَّةَ للنبىِّ المُرْسَلِ

أمر له بخمسين ألف درهم .

وذكر عن أبى يحيى بن مروان بن محمد الشنىّ الكلبىّ ، قال : أخبرنى أبو السمط مَرْوان بن أبى الجَنوب ، قال : لمّا صرتُ إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله مدحت ولاة العهود ، وأنشدته :

سقى اللهُ نجْدًا والسلامُ على نجْدِ ويا حبّذا نَجْدٌ على النأْىِ والبُعْدِ!
نَظَرْتُ إلى نَجْدٍ وبَغدادُ دُونَهَا لعَلّى أرى نَجْدًا وهَيْهاتَ مِنْ نَجْدِ!
ونجدٌ بها قومٌ هواهُمْ زيارتى وَلَا شَىْءَ أَحْلَى من زيارتهم عِنْدِى

١٤٦٨/٣

قال : فلمّا استتممت إنشادها ، أمر لى بعشرين ومائة ألف درهم وخمسين ثوبًا وثلاثة من الظَّهر : فرس وبغلة وحمار ، فما برحت حتّى قلت فى شكره :

تخيَّرَ ربّ الناسِ للناسِ جعفرًا فَملَّكَهُ أَمرَ العبادِ تَخَيُّرَا

قال : فلما صرتُ إلى هذا البيت :

فأمسِكْ نَدَى كَفَّيْكَ عنِّى ولا تَزِدْ فقد خِفت أنْ أَطغَى وأَنْ أَتَجبَّرَا

قال : لا والله، لا أمسك حتى أعرِّفك بجودى ، ولا برحتَ حتّى تسأل حاجة ؛ قلت : يا أميرَ المؤمنين ، الضيعة الّتى أمرت بإقطاعى إياها باليمامة ؛ ذكر ابن المدبر أنها وقْف من المعتصم على ولده ، ولا يجوز إقطاعها . قال : فإنى أقبّلكها بدرهم فى السنة مائة سنة ، قلت : لا يحسن يا أمير المؤمنين أن يؤدَّى درهم فى الديوان ، قال : فقال ابن المدبر : فألف درهم ؟ فقلت : نعم ، فأنفذها لى ولعقبى ، ثمّ قال : ليس هذه حاجة ، هذه قبالة ، قلت : فضياعى التى كانت لى كان الواثق أمر بإقطاعى إياها ، فنفانى ابن الزيات ، وحال بينى وبينها ، فتُنفذها لى . فأمر بإنفاذها بمائة درهم فى السنة وهى السُّيُوح .

١٤٦٩/٣

وذُكر عن أبى حَشيشة أنه كان يقول: كان المأمون يقول: إن الخليفة بعدى فى اسمه عين ، فكان يُظَن أنه العباس ابنه فكان المعتصم ، وكان يقول: وبعده هاء ، فيظن أنه هارون ، فكان الواثق ؛ وكان يقول: وبعده أصفر الساقين ؛ فكان يظن أنه أبو الحائز[1] العباس فكان المتوكل ذلك ، فلقد رأيته إذا جلس على السرير يكشف ساقيه ؛ فكانا أصفرين ؛ كأنما صُبِغا بزعفران .

وذُكر عن يحيى بن أكثم ، أنه قال : حضرتُ المتوكل ، فجرى بينى وبينه ذكرُ المأمون وكتبه إلى الحسن بن سهل ، فقلت بتفضيله وتقريظه ووصف محاسنه وعلمه ومعرفته ونباهته قولا كثيراً ؛ لم يقع بموافقة بعض من حضر ؛ فقال المتوكل : كيف كان يقول فى القرآن ؟ قلت : كان يقول : ما مع القرآن حاجة إلى علم فرض ، ولا مع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وَحْشة إلى فعل أحد ؛ ولا مع البيان والإفهام حجّة لتعلّم ، ولا بعد الجحود للبرهان والحقّ إلا السيف لظهور الحجة . فقال له المتوكل : لم أرِدْ منك ما ذهبت إليه من هذا المعنى ، قال له يحيى : القول بالمحاسن فى المغيب فريضة على ذى نعمة ، قال : فما كان يقول خلال حديثه ؛ فإن المعتصم بالله يرحمه الله كان يقوله ، وقد أنسيته ؟ فقال : كان يقول : اللهم إنى أحمدك على النّعم التى لا يحصيها أحدٌ غيرُك ، وأستغفرك من الذنوب التى لا يحيط بها إلا عفوك . قال : فما كان يقول إذا استحسن شيئاً أو بُشِّر بشىء ، فقد كان المعتصم بالله أمر علىّ بن يَزْداد أن يكتبه لنا ؛ فكتبه فعلّمناه ثم أنسيناه ؟ قال : كان يقول : إنّ ذكرَ آلاء الله ونشرَها وتَعداد نِعَمِه والحديث بها فرض من الله على أهلها ، وطاعة لأمره فيها ، وشكرٌ له عليها ؛ فالحمد لله العظيم الآلاء ، السابغ النّعماء بما هو أهلُه ، ومستوجبه من محامده القاضية حقه ، البالغة شكرَه ، الموجبة مزيدَه على ما لا يحصيه تعدادُنا ، ولا يحيط به ذكرُنا ، من ترادُفِ مِنَنِه ، وتتابُعِ فضله ، ودوام طَوْله ، حَمْد من يعلم أن ذلك منه ، والشكر له عليه . فقال المتوكل : صدقت ، هذا هو الكلام بعينه ، وهذا كلّه حُكْم من ذى حُنْكة وعلم ؛ وانقضى المجلس .

٣/١٤٧٠

(١) كذا وردت الكلمة فى جميع الأصول .

وقدم فى هذه السنة محمد بن عبد الله بن طاهر بغداد منصرفًا من مكة فى صفر ؛ فشكا ما ناله من الغمّ بما وقع من الخلاف فى يوم النَّحر ؛ فأمر المتوكل بإنفاذ خريطة صفراء من الباب إلى أهل الموْسم برؤية هلال ذى الحجة، وأن يُسار بها كما يسار بالخريطة الواردة بسلامة الموسم، وأمر أن يقام على المشعر الحرام وسائر المشاعر الشَّمع مكان الزيت والنّفط . ١٤٧١/٣

وفيها ماتت أمّ المتوكل بالجعفرية لستّ خلوْن من شهر ربيع الآخر[١] وصلّى عليها المنتصر ، ودُفِنت عند المسجد الجامع .

* * *

خلافة المنتصر محمد بن جعفر

وفيها بُويع للمنتصر محمد بن جعفر بالخلافة فى يوم الأربعاء لأربع خلوْن من شوال — وقيل لثلاث خلون منه — وهو ابن خمس وعشرين سنة . وكنيته أبو جعفر بالجعفرية، فأقام بها بعد ما بويع له عشرة أيام ، ثم تحوّل منه بعياله وقوّاده وجنوده إلى سامرّا .

وكان قد بايعه ليلة الأربعاء الذين ذكرناهم قبلُ ، فذُكر عن بعضهم ، أنه قال : لمّا كان صبيحة يوم الأربعاء ، حضر الناس الجعفريّة من القوّاد والكتّاب والوُجوه والشاكريّة والجُند وغيرهم ؛ فقرأ عليهم أحمد بن الخصيب كتابًا يخبر فيه عن أمير المؤمنين المُنْتَصر ؛ أن الفتح بن خاقان قتل أباه جعفراً المتوكل ، فقتله به ، فبايع الناس ، وحضر عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، فبايع وانصرف .

وذكر عن أبى عثمان سعيد الصغير أنه قال : لما كانت الليلة التى قُتِل فيها المتوكل ، كنا فى الدّار مع المنتصر ؛ فكان كلّما خرج الفتْح خرج معه ، وكلّما رجع قام لقيامه وجلس لجلوسه ، وخرج فى أثره ؛ وكلّما ركب أخذ بركابه ، وسوّى عليه ثيابه فى سَرْج دابته ؛ وكان اتّصل بنا الخبر أن عبيد الله بن يحيى قد أعدّ له قومًا فى طريقه ليغتالوه عند انصرافه ؛ وقد كان ١٤٧٢/٣

(١) ف : « الأول » .

المتوكل أسمعه وأحفظه قبل انصرافه ، ووثب به ؛ فانصرف على غضب ، وانصرفنا معه ، فلمّا صار إلى داره أرسل إلى نُدمائه وخاصّته — وقد كان واعد الأتراك على قتل المتوكل قبل انصرافه إذا ثمل من النبيذ — قال : فلم ألبث أن جاءنى الرّسول : أن احضر فقد جاءت رسل أمير المؤمنين إلى الأمير ؛ وهو على الركوب ؛ فوقع فى نفسى ما كان دار بيننا أنهم على اغتيال المنتصر ؛ وأنه إنما يُدعَى لذلك ؛ فركبت فى سلاح وعِدّة ، وصرت إلى باب الأمير ، فإذا هم يموجون ؛ وإذا واجن قد جاءه فأخبره أنه قد فَرَغ[1] من أمره ، فركب فلحقتُه فى بعض الطريق وأنا مرعوب ؛ فرأى ما بى ، فقال : ليس عليك ! إنّ أمير المؤمنين قد شرِق بقدح شربه بعد انصرافنا ، فمات رحمه الله . فأكبرت ذلك ، وشقّ علىّ ، ومضينا وأحمد بن الخصيب وجماعة من القوّاد معنا حتى دخلنا الجَيْر[2] ، وتتابعت الأخبار بقتْل المتوكّل ، فأخِذت الأبواب ، ووُكّل بها ، وقلت : يا أميرَ المؤمنين ، وسلّمْتُ عليه بالخلافة ، وقلت : لا ينبغى أن نفارِقك لموضع الشّفَقة عليك من مواليك فى هذا الوقت ، قال : أجل ؛ فكن أنت من ورائى وسليمان الرومىّ . وألْقِىَ منديلٌ ، فجلس عليه ، وأحطْنا به ، وحضر أحمد بن الخصيب وكاتبه سعيد بن حميد لأخذ البيعة . ١٤٧٣/٣

فذُكر عن سعيد بن حُميد أن أحمد بن الخصيب ، قال له : ويلك يا سعيد ! معك[3] كلمتان أو ثلاث[3] تأخذ بها البيعة ، قلت : نعم ؛ وكلمات . وعملت كتاب البيعة ، وأخذتها على مَنْ حضر وكلّ من جاء حتى جاء سعيد الكبير ، فأرسله إلى المؤيّد ، وقال لسعيد الصغير : امض أنت إلى المعتزّ حتى تُحضره ، قال سعيد الصغير : فقلت : أمّا ما دمْتَ يا أمير المؤمنين فى قلّة ممّن معك فلا أبرح والله من وراء ظهرك ؛ حتى يجتمع الناس . قال أحمد بن الخصيب : ها هنا مَنْ يكفيك ، فامض ؛ فقلت : لا أمضى حتى يجتمع مَنْ يكفى ؛ فإنّى الساعة أوْلى به منك ! فلما كثُر القوّاد ، وبايعوا ، ومضيت وأنا آيس من نفسى ، ومعى غلامان ؛ فلما صرتُ إلى باب أبى نوح ،

---

(١) ط : « فزع » ، تصحيف . (٢) الجير : قصر كان بسر من رأى .

(٣–٣) ف : « كلمات » .

والناس يموجون ويذهبون ويجيئون؛ وإذا على الباب جمعٌ كبير فى سلاح وعِدّة، فلما أحسّوا بى لحقنى فارس منهم؛ فسألنى وهو لا يعرفنى: مَنْ أنت؟ فعمّيت عليه خبرى، وأخبرته أنّى مِنْ بعض أصحاب الفتح، ومضيتُ حتى صرت إلى باب المعتزّ، فلم أجد به أحداً من الحرس والبوابين والمكبّرين[1] ولا خلقاً من خلق الله حتى صرت إلى الباب الكبير، فدقَقْتُه دقّاً عنيفاً مفرطاً، فأجبت بعد مدّة طويلة، فقيل لى: من هذا؟ فقلت: سعيد الصغير؛ رسول أمير المؤمنين المنتصر؛ فمضى الرّسول، وأبطأ علىّ، وأحسست بالمنكر وضاقت علىّ الأرض. ثم فُتح الباب فإذا ببيدون الخادم قد خرج؛ وقال لى: ادخل وأغلق الباب دونى، فقلت: ذهبتْ والله نفسى، ثم سألنى عن الخبر، فأخبرته أنّ أمير المؤمنين شرِق بكأسٍ شربها ومات من ساعته؛ وأن الناس قد اجتمعوا وبايعوا المنتصر، وأنه أرسلنى إلى الأمير أبى عبد الله المعتزّ بالله ليحضر البيْعة. فدخل ثم خرج إلىّ؛ فقال: ادخل؛ فدخلت على المعتزّ؛ فقال لى: ويلك يا سعيد! ما الخبر؟ فأخبرته بمثل ما أخبرت به بيدون، وعزّيته وبكيت، وقلت: تحضر يا سيّدى، وتكون فى أوائل مَنْ بايع، فتستدعى بذلك قلب أخيك، فقال لى: ويلك حتى نصبح! فما زلت أفتِلُه فى الحبل والغارب؛ ويُعيننى عليه بيدون الخادم، حتى تهيّأ للصلاة، ودعا بثيابه فلبسها، وأخرِج له دابّة، وركب وركبت معه، وأخذت طريقاً غير طريق الجادّة، وجعلت أحدّثه وأسهّل الأمر عليه، وأذكره أشياء يعرفها من أخيه، حتى إذا صرنا إلى باب عبيد الله بن يحيى بن خاقان سألنى عنه، فقلت: هو يأخذ البيعة على الناس، والفتح قد بايع، فيئس[2] حينئذ؛ وإذا بفارس قد لحق بنا، وصار إلى بيدون الخادم، فسارّه بشىء لا أعلمه، فصاح به بيدون؛ فمضى ثم رجع ثلاثاً؛ كلّ ذلك يردّه بيدون ويصيح به: دعنا؛ حتى وافينا بابَ الحَيْر فاستفحته فقيل لى: مَنْ أنت؟ قلت: سعيد الصغير والأمير المعتزّ، ففُتح لى الباب، وصرنا إلى المنتصر؛ فلمّا رآه قرّبه وعانقه وعزّاه، وأخذ البيعة عليه؛ ثم وافى المؤيد مع سعيد الكبير، ففعل به مثل

٣/١٤٧٤

٣/١٤٧٥

(١) ط: «والمكثرين». صوابه من ا، د. (٢) كذا فى ا، د، وفى ط: «تأنس».

ذلك ، وأصبح الناس ، وصار المنتصر إلى الجعفرىّ . فأمر بدفن المتوكل والفتح ، وسكن الناس ، فقال سعيد الصغير : ولم أزل أطالب المعتزّ بالبُشرى بخلافة المنتصر وهو محبوس فى الدار ؛ حتى وَهب لى عشرة آلاف درهم .

* * *

وفى (١) هذه السنة خلع المعتز والمؤيد أنفسهما ، وأظهر خلعهما فى القصر الجعفرىّ المحدث(١)

وكانت نسخة البيعة التى أخذت للمنتصر :

بسم الله الرحمن الرحيم . تُبايعون عبدَ الله المنتصر بالله أمير المؤمنين بَيْعةَ طوعٍ واعتقاد ورضاً ، ورغبة بإخلاص من سرائركم ، وانشراح من صدوركم ، وصدق من نياتكم ؛ لا مكرَهين ولا مجبَرين ، بل مقرِّين عالمين بما فى هذه البَيْعة وتأكيدها من طاعة الله وتَقْواه ، وإعزاز دين الله وحقه ، ومن عموم صلاح عباد الله ، واجتماع الكلمة ، ولمّ الشعث ، وسكون الدهماء ، وأمْن العواقب ، وعزّ الأولياء ، وقَمْع الملحدين ؛ على أن محمداً الإمام المنتصر بالله عبد الله وخليفته المفترض عليكم طاعته ومناصحته والوفاء بحقه وعقده ، لا تشكّون ولا تُدْهنون ، ولا تميلون ولا ترتابون ؛ وعلى السَّمْع له ، والطاعة والمسالمة ، والنُّصرة والوفاء والاستقامة ، والنصيحة فى السرّ والعلانية ، والخُفوف والوقوف عند كلّ ما يأمر به عبد الله الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين ؛ وعلى أنكم أولياء أوليائه ، وأعداء أعدائه ؛ من خاصٍّ وعامٍّ ، وأبعدَ وأقربَ ، وتتمسكون ببيعته بوفاء العقد ، وذمّة العهد ؛ سرائرُكم فى ذلك مثل علانيتكم ، وضمائركم مثل ألسنتكم ؛ راضين بما يرضاه لكم أمير المؤمنين فى عاجلكم وآجلكم . وعلى إعطائكم أمير المؤمنين بعد تجديدكم بيعتَه هذه على أنفسكم ، وتأكيدكم إياها فى أعناقكم ؛ صَفْقة أيمانكم ، راغبين طائعين ، عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم ؛ وعلى ألاّ تسعوْا فى نقض شىء مما أكد الله عليكم ، وعلى ألاّ يميل بكم مميل فى ذلك عن نُصرة وإخلاص ، ونصح وموالاة ، وعلى ألاّ تبدّلوا ، ولا يرجع منكم راجع عن نيّته ، وانطوائه إلى غير علانيته ، وعلى أن تكون

٣/ ١٤٧٦

(١-١) ساقط من ط ، وأثبته من ا

بيعتكم التى أعطيتم بها ألسنتكم وعهودكم بيعة يطلع الله من قلوبكم على اجتبائها واعتقادها ، وعلى الوفاء بذمته بها ، وعلى إخلاصكم فى نصرتها وموالاة أهلها ، لا يشوب ذلك منكم دغل ولا إدهان ولا احتيال ولا تأول ؛ حتى تلقوا الله ، موفين بعهده ، ومؤدين حقه عليكم ، غير مستشرفين ولا ناكثين ، إذ كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين إنما يبايعون الله ؛ يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً .

٣/١٤٧٧

عليكم بذلك و بما أكدت هذه البيعة فى أعناقكم ، وأعطيتم بها من صفقة أيمانكم ؛ و بما اشترط عليكم بها من وفاء ونصر ، وموالاة واجتهاد ونصح ؛ وعليكم عهد الله ؛ إن عهده كان مسئولا ؛ وذمة الله وذمة رسوله. وأشد ما أخذ على أنبيائه و رسله ، وعلى أحد من عباده من متأكد وثائقه ، أن تسمعوا ما أخذ عليكم فى هذه البيعة ، ولا تبدلوا ، وأن تطيعوا ولا تعصوا ، وأن تخلصوا ولا ترتابوا ، وأن تتمسكوا بما عاهدتم عليه تمسك أهل الطاعة بطاعتهم وذوى العهد والوفاء بوفائهم وحقهم ؛ لا يلفتكم عن ذلك هوًى ولا مميل ، ولا يزيغ بكم فيه ضلال عن هدًى ؛ باذلين فى ذلك أنفسكم واجتهادكم ، ومقدمين فيه حق الدين والطاعة بما جعلتم على أنفسكم ؛ لا يقبل الله منكم فى هذه البيعة إلا الوفاء بها .

٣/١٤٧٨

فمن نكث منكم ممن بايع أمير المؤمنين هذه البيعة عما أكد عليه مسراً أو معلناً ، أو مصرحاً أو محتالا ؛ فادهن فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أخذت به مواثيق أمير المؤمنين ، وعهود الله عليه ؛ مستعملاً فى ذلك الهوينى دون الجد ، والركون إلى الباطل دون نصرة الحق ، وزاغ عن السبيل التى يعتصم بها أولو الوفاء منهم بعهودهم ؛ فكل ما يملك كل واحد ممن خان فى ذلك بشىء نقض عهده من مال أو عقار أوسائمة ، أو زرع أو ضرع صدقة على المساكين فى وجوه سبيل الله ، محرم عليه أن يرجع شىء من ذلك إلى ماله عن حيلة يقدمها لنفسه ، أو يحتال بها . وما أفاد فى بقية عمره من فائدة مال يقل خطرها أو يجل قدرها ، فتلك سبيله إلى أن توافيه منيته ، و يأتى عليه أجله ؛ وكل مملوك يملكه اليوم إلى ثلاثين سنة من ذكر أو أنثى أحرار لوجه الله ؛ ونساؤه

فى يوم يلزمه الحنْث ، ومن يتزوجه بعدهنّ إلى ثلاثين سنة طوالق البتّة طلاق الحرج والسنة ؛ لا مثنويّة[1] فيه ولا رَجْعة . وعليه المشى إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة ، لا يقبل الله منه إلاّ الوفاء بها ؛ وهو برىء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريئان ؛ ولا قبلَ الله منه صَرْفًا ولا عدلا ؛ والله عليكم بذلك شهيد ، وكفى بالله شهيداً .

* * *

٣/١٤٧٩ وذكر أنه لمّا كانت صبيحة اليوم الذى بويع فيه المنتصرشاع الخبر فى الماحوزة — وهى المدينة التى كان جعفر بناها فى أهل سامرّا — بقتل جعفر ، وتوافَى الجندُ والشاكرّية بباب العامة بالجعفرىّ وغيرهم من الغوغاء والعوامّ ، وكثر الناس وتسامعوا ، وركب بعضهم بعضًا ، وتكلموا فى أمرِ البيعة، فخرج إليهم عتّاب بن عتّاب — وقيل : إنّ الذى خرج إليهم زُرافة — فأبلغهم عن المنتصر ما يحبون ، فأسمعوه ؛ فدخل إلى المنتصر فأخبره ؛ فخرج وبين يديه جماعة من المغاربة ، فصاح بهم : يا كلاب ! خذوهم ؛ فحملوا على الناس فدفعوهم إلى الثلاثة الأبواب ، فازدحم الناس ووقع بعضهم على بعض ؛ ثم تفرّقوا عن عِدّة قد ماتوا من الزَّحْمة والدَّوْس ؛ فمنهم من ذكر أنهم كانوا ستة نفر ، ومنهم من قال : كانوا ما بين الثلاثة إلى الستة .

* * *

وفيها ولّى المنتصر أبا عَمْرة أحمد بن سعيد — مولى بنى هاشم ، بعد البيعة له بيوم — المظالم ، فقال قائل :

يا ضيعةَ الإسلامِ لمّا وَلِى مظالمَ النّاسِ أبو عَمْرَهْ
صُيِّرَ مأموناً على أمةٍ وليسَ مأموناً على بَعْرَهْ

وفى ذى الحجة من هذه السنة أخرج المنتصر علىّ بن المعتصم من سامرّا إلى بغداد ووكّل به .

وحجّ بالناس فيها محمد بن سليمان الزينبىّ .

---

(١) لامثنوية ، أى لا استثناء .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر غزاة وصيف التركىّ الروم]

فمن ذلك ما كان من إغزاء المنتصر وصيفاً التركى صائفة[1] أرض الروم.

* ذكر الخبر عن سبب ذلك ، وما كان فى ذلك من وصيف :

٣/١٤٨٠ ذُكر أنّ السبب فى ذلك أنه كان بين أحمد بن الخصيب ووصيف شحناء وتباغض ؛ فلمـّا استُخلف المنتصر ، وابن الخصيب وزيرُه ، حرّض أحمد بن الخصيب المنتصر على وصيف ، وأشار عليه بإخراجه من عسكره غازياً إلى الثّغر ؛ فلم يزل[2] به حتى أحضره المنتصر ، فأمره بالغزو .

وقد ذُكر عن المنتصر أنه لمـّا عزم على أن يُغزى وصيفاً الثغر الشأمىّ ، قال له أحمد بن الخصيب : ومَن يجترئ على الموالى حتى تأمر وصيفاً بالشخوص! فقال المنتصر لبعض من الحجَبة : ائذن لمن حضر الدار ؛ فأذن لهم وفيهم وصيف ، فأقبل عليه ، فقال له : يا وصيف ؛ أتانا عن طاغية الروم أنه أقبل يريد الثغور ، وهذا أمر لا يمكن الإمساك عنه ؛ فإمـّا شخصتَ وإما شخصتُ ؛ فقال وصيف : بل أشخصُ يا أمير المؤمنين ، قال : يا أحمد ؛ انظر ما يحتاج إليه على أبلغ ما يكون فأقمه له . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : ما نعَمْ ! قم الساعة

٣/١٤٨١ لذلك ؛ يا وصيف مُر كاتبك يوافقه على ما يحتاج إليه ، ويلزمه حتى يزيح علّتك فيه . فقام أحمد بن الخصيب ، وقام وصيف ، فلم يزل فى جهازه حتى خرَج ، فما أفلح ولا أنجح .

وذكر أنّ المنتصر لما أحضر وصيفاً وأمره بالغزو ، قال له : إنّ الطاغية — يعنى ملك الروم — قد تحرّك ، ولست آمنه أن يهلك كلّ ما يمرّ به من بلاد

(١) ف : « الصائفة » . (٢) س : « فلم يشعر » .

الإسلام ، ويقتل ويسبي الذراريّ ؛ فإذا غزوتَ وأردت الرّجعة انصرفت إلى باب أمير المؤمنين من فورك . وأمر جماعة من القوّاد وغيرهم بالخروج معه وانتخب له الرجال ؛ فكان معه من الشاكريّة والجند والموالى زُهاء عشرة آلاف رجل ؛ فكان على مقدّمته فى بدأته مُزاحم بن خاقان ؛ أخو الفتح بن خاقان ؛ وعلى السَّاقة محمد بن رجاء ، وعلى الميمنة السندىّ بن بختاشة ، وعلى الدّرّاجة نصر بن سعيد المغربىّ ؛ واستعمل على الناس والعسكر أبا عون خليفته ؛ وكان على الشُّرْطة بسامرّا .

* * *

وكتب المنتصر عند إغزائه وصيفًا مولاه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر كتابًا نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله محمد المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين .

سلام عليك ؛ فإن أميرَ المؤمنين يحمَد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلّىَ على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله . أما بعد : ٣/١٤٨٢ فإنّ الله وله الحمد على آلائه ، والشكرُ بجميل بلائه ، اختار الإسلام وفضّله ، وأتمّه وأكمله ، وجعله وسيلة إلى رضاه ومثوبته ، وسبيلاً نَهْجًا إلى رحمته ، وسبَبا إلى مذْخُور كرامته ؛ فقهر له مَنْ خالفه ، وأذلّ له من عَنَدَ عن حقه ، وابتغى غير سبيله ، وخصّه بأتمّ الشرائع وأكملها ، وأفضل الأحكام وأعدلها ؛ وبعث به خيرته مِنْ خلقه وصفوته من عباده محمّداً صلى الله عليه وسلّم ، وجعل الجهاد أعظمَ فرائضه منزلةً عنده ، وأعلاها رتبة لديه ، وأنجحَها وسيلة إليه ؛ لأن الله عزّ وجلّ أعزّ دينه ، وأذلّ عُتاة الشرك ، قال عزّ وجلّ آمراً بالجهاد ، ومفترضاً له : ﴿ انفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللهِ ذَلِكُمْ خَيرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ ﴾ (١) ، وليست تمضى بالمجاهد فى سبيل الله حالٌ لا يكابد فى الله نَصَبًا ولا أذًى ، ولا ينفق نفقة ولا يقارع عدوًّا ، ولا يقطع بلداً ، ولا يطأ أرضًا ؛ إلا وله بذلك أمر

(١) سورة التوبة ٤١ .

مكتوب ، وثواب جزيل ، وأجر مأمول ، قال الله عز وجل : ﴿ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ الله وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغيظُ الكُفَّارَ وَلاَ ينالُونَ مِنْ عَدوٍّ نَيْلاً إلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَملٌ صَالحٌ إنَّ اللهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغيرَةً وَلَا كَبيرَةً وَلَا يَقْطَعُون وَادِياً إلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾ (١) .

١٤٨٣/٣

ثم أثنى عزّ وجلّ بفضل منزلة المجاهدين على القاعدين عنده ، وما وعدهم من جزائه ومثوبته ، وما لهم من الزّلفى عنده ، فقال : ﴿ لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمنِينَ غيرُ أُولِى الضَّررِ والْمُجَاهِدُونَ فى سَبيلِ ٱللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِم فَضَّلَ اللهُ ٱلمُجَاهدِينَ بَأَمْوالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ على الْقَاعدِينَ دَرَجَةً وكُلاًّ وَعَد اللهُ ٱلْحُسْنَى وفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيماً ﴾(٢)

فبالجهاد اشترى الله من المؤمنين أنفسَهم وأموالهم ، وجعل جنّته ثمناً لهم ، ورضوانه جزاء لهم على بذلها ؛ وعْداً منه حقًّا لاريب فيه ، وحكمًا عدلاً لاتبديل له ، قال اللهُ عز وجل : ﴿ إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوَالهم بِأَنَّ لهمُ الجنَّة يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى لتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَذٰلِكَ هُوَ الْفوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣)

وحكمَ الله عزّ وجلّ لإحياء المجاهدين بنصره ، والفوز برحمته ، وأشهد لموتاهم بالحياة الدائمة ، والزلفى لديه ، والحظّ الجزيل من ثوابه ، فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلوا فِى سَبِيل ٱللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فرِحِينَ بمَا آتاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لم يَلْحَقُوا

(١) سورة التوبة ١٢٠، ١٢١ . (٢) سورة النساء ٩٥ . (٣) سورة التوبة ١١١ .

بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١] . ١٤٨٤/٣

وليس من شىء يتقرّب به المؤمنون إلى الله عزّ وجلّ من أعمالهم ، ويسعَوْن به فى حطّ أوزارهم ، وفكاك رقابهم ، ويستوجبون به الثّواب من ربهم ، إلاّ والجهاد عنده أعظم منه منزلة ، وأعلى لديه رتبة ، وأولَى بالفوز فى العاجلة والآجلة ؛ لأنّ أهله بذلُوا لله أنفسَهم ، لتكون كلمةُ الله هى العليا ، وسمحوا بها دون مَنْ وراءهم من إخوانهم وحريم المسلمين وبَيْضتهم ، ووَقَوْا بجهادهم العدوّ .

وقد رأى أمير المؤمنين — لما يحبّه من التقرّب إلى الله بجهاد عدّوه ، وقضاء حقه عليه فيما استحفظه من دينه ، والتماس الزُّلفَى له فى إعزاز أوليائه ، وإحلال البأس والنقمة بمن حاد عن دينه ، وكذّب رسله ، وفارق طاعتَه — أن يُنهض وصيفًا مولى أمير المؤمنين فى هذا العام إلى بلاد أعداء الله الكفرة والرّوم ، غازيًا لما عرّف اللهُ أمير المؤمنين من طاعتِه ومناصحتِه ومحمود نقيبتِه[٢] وخلُوص نيّته ، فى كلّ ما قرّبه من الله ومن خليفته .

وقد رأى أمير المؤمنين — والله ولىّ معونته وتوفيقه — أن تكون موافاة وصيف فيمن أنهض أمير المؤمنين معَه من مواليه وجنده وشاكريّته ثغر مَلَطية لاثنتى عشرة ليلة تخلُو من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ؛ وذلك من شهور العجم للنصف من حَزِيران ودخوله بلاد أعداء الله فى أوّل يوم من تمّوز ؛ فاعلم ذلك واكتب إلى عمّالك على نواحى عملك بنسخة كتاب ١٤٨٥/٣ أمير المؤمنين هذا ؛ ومُرْهم بقراءته على مَنْ قِبَلهم من المسلمين وترغيبهم فى الجهاد ، وحثّهم عليه واستنفارهم إليه ، وتعريفهم ما جعل الله من الثّواب لأهله ، ليعمل ذوو النيات والحِسْبَة والرغبة فى الجهاد على حسب ذلك فى النهوض إلى عدوّهم والخفوف إلى معاونة إخوانهم والذياد عن دينهم والرّمْى من وراء حَوْزتهم بموافاة عسكر وصيف مولى أمير المؤمنين مَلَطْيَةَ فى الوقت الذى حدّه أمير المؤمنين لهم إن شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب أحمد بن الخصيب لسبع ليالٍ خلوْن من المحرم سنة ثمان وأربعين

(١) سورة آل عمران ١٦٩ ، ١٧٠ . (٢) ط : « تمبيته » .

ومائتين ؛ وصيّر على ما ذكر على نفقات عسكر وصيف والمغانم والمقاسم المعروف بأبى الوليد الجريرىّ البَجَلىّ.

وكتب معه المنتصر كتاباً إلى وصيف يأمره بالمقام ببلاد الثغر إذا هو انصرف من غزاته أربع سنين ، يغزو فى أوقات الغزو منها إلى أن يأتيه رأى أمير المؤمنين.

* * *

[ذكر خبر خلع المعتزّ والمؤيد أنفسهما]

وفى هذه السنة خلع المعتزّ والمؤيّد أنفسهما ، وأظهر المنتصر خلْعهما فى القصر الجعفرىّ المحدث.

* ذكر الخبر عن خلعهما أنفسهما :

٣/١٤٨٦ ذُكر أن محمداً المنتصر بالله لمّا استقامت له الأمور ، قال أحمد بن الخصيب لوصيف وبغا : إنا لا نأمن الحدثان ؛ وأن يموت أمير المؤمنين ، فيلىَ الأمرَ المعتزّ ، فلا يُبقى منّا باقية ، ويُبيد خضراءَنا ؛ والرأى أن نعمل فى خلْع هذين الغلامين قبل أن يظفرا بنا . فجدّ الأتراك فى ذلك ، وألحّوا على المنتصر وقالوا : يا أميرَ المؤمنين ؛ تخلعهما من الخلافة[1] ، وتبايع لابنك عبد الوهاب ؛ فلم يزالوا به حتى فعل ، ولم يزل مكرِماً المعتزّ والمؤيد ؛ على ميلٍ منه شديد إلى المؤيد ؛ فلمّا كان بعد أربعين يوماً من ولايته ؛ أمر بإحضار المعتز والمؤيد بعد انصرافهما من عِنده ، فأحضِرا وجُعلا فى دار ، فقال المعتزّ للمؤيد : يا أخى ، لمَ ترانا أحضرنا ؟ فقال : يا شقىّ ، للخلْع ! فقال : لا أظنه يفعل بنا ذلك ؛ فبيناهم كذلك ، إذ جاءهم الرسل بالخلْع ، فقال المؤيد : السمع والطاعة ، وقال المعتزّ : ما كنت لأفعل ؛ فإن أردتم القتل فشأنكم ، فرجعوا إليه ، فأعلموه ثم عادوا بغلظة شديدة ، فأخذوا المعتزّ بعنف ، وأدخلوه إلى بيت ، وأغلقوا عليه الباب .

فذُكر عن يعقوب بن السكيت ، أنه قال : حدّثنى المؤيد ، قال : لما رأيتُ ذلك قلت لهم بجرأة واستطالة : ما هذا يا كلاب ! فقد ضريتم على دمائنا ، تثبون على مولاكم هذا الوثوب ! اعزبُوا قبحكم الله ! دعونى أكلّمه ؛ فكاعوا

(١) ف : « خلافته » .

٣/١٤٨٧

عن جوابى بعد تسرُّع كان منهم ، وأقاموا ساعة ، ثم قالوا لى : القه إن أحببت[(١)] ؛ فظننتُ أنهم استأمروا ، فقمت إليه ، فإذا هو فى البيت يبكى[(٢)] ، فقلت : يا جاهل ؛ تراهم قد نالوا من أبيلك — وهو هو — ما نالوا ، ثم تمتنع عليهم ! اخلع ويلك ولا تراجعْهم ![(٣)] ؛ قال : سبحان الله ! أمرٌ قد مضيت عليه ، وجرى فى الآفاق أخلعه من عنقى ! فقلت : هذا الأمرُ قتل أباك ، فليَته لا يقتلك ! اخلعه[(٤)] ويلك ! فوالله لئن كان فى سابق علم الله أن تليى لِتَليَنّ . قال : أفعلُ. قال : فخرجت فقلت : قد أجاب ، فأعلِموا أمير المؤمنين ، فمضوْا ثم عادوا[(٥)] فجزوْنى خيراً ، ودخل معهم كاتب قد سمّاه ، ومعه دواة وقرطاس ، فجلس ، ثم أقبل على أبى عبد الله ، فقال : اكتب بخطّك خلعك ، فتلكّأ ، فقلت للكاتب : هات قرطاساً ، أمِلِلْ ما شئت[(٦)] ، فأملى علىّ كتاباً إلى المنتصر ، أعلِمُه فيه ضَعفِى عن هذا الأمر ؛ وأنى علمت أنه لا يحلّ أن أتقلّدَه ، وكرهت[(٧)] أن يأثم المتوكل بسببى إذ لم أكن موضِعاً له ، وأسأله الخلْع ، وأعلِمه أنى خلعت نفسى ، وأحللت الناسَ مِنْ بيعتى . فكتبت كلّ ما أراد ، ثم قلت : اكتب يا أبا عبد الله ، فامتنع[(٨)] ، فقلت : اكتب ويلك ! فكتب وخرج الكاتب عنا ، ثم دعانا[(٩)] فقلت : نجدّد ثيابنا أو نأتى فى هذه ؟ فقال : بل جدّدا ، فدعوت بثياب فلبستها ، وفعل أبو عبد الله كذلك ، وخرجنا فدخلنا ؛ وهو فى مجلسه ، والناس على مراتبهم ، فسلمنا فردُّوا ، وأمر بالجلوس ، ثم قال : هذا كتابكما؟ فسكت المعتزّ ، فبدرت فقلت : نعم يا أمير المؤمنين! هذا كتابى بمسألتى ورغبتى ، وقلت للمعتزّ : تكلم ، فقال مثل ذلك ، ثم أقبل علينا والأتراكُ وقوفٌ ، وقال : أترياني[(١٠)] خلعتُكما طمعاً فى أن أعيش حتى يكبر ولدِى وأبايع له ! والله ما طمعتُ فى ذلك ساعة قطّ ؛ وإذا لم يكن فى ذلك طمع ؛ فوالله لأنْ يليَها بنو أبِى أحبُّ إلىّ من أن يليَها بنو عمى ؛ ولكن

٣/١٤٨٨

---

(١) ف : « شئت » .
(٢) س : « متكئ » .
(٣) ف : « تراجع » .
(٤) ف : اخلع » .
(٥) ف : « عاودونى » .
(٦) ف : « قرطاسك أمليك » .
(٧) ف : « وخفت » .
(٨) بعدها فى ف : « أن يكتب » .
(٩) ف : « دعا بنا » .
(١٠) س : « أترانى » .

هؤلاء – وأما إلى سائر الموالى ممن هو قائم وقاعد – ألحُّوا علىّ فى خلعكما ، فخفت إن لم أفعل أن يعترضكما بعضُهم بحديدة ، فيأتى عليكما ، فما تريانى صانعاً ! أقتله ؟ فوالله ما تفى دماؤهم كلهم بدم بعضكم ؛ فكانت إجابتهم إلى ما سألوا أسهل علىّ . قال : فأكبّا[1] عليه ، فقبّلا[2] يده ، فضمّهما إليه ، ثم انصرفا .

وذكر أنه لما كان يوم السبت لسبع[3] بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين خلع المعتزّ والمؤيد أنفسهما ، وكتب كلّ واحد منها رُقعة بخطه أنه خلع نفسه من البيعة التى بويع له ، وأنّ الناس فى حلّ من حلّها ونقضها ؛ وأنهما يعجزان عن القيام بشىء منها ، ثم قاما بذلك على رءوس الناس والأتراك والوجوه والصحابة والقضاة ، وجعفر بن عبد الواحد قاضى القضاة ، والقوّاد وبنى هاشم ، وولاة الدّواوين والشيعة ووجوه الحرس ، ومحمد بن عبد الله بن طاهر ، ووصيف وبغا الكبير وبغا الصغير ، وجميع من حضر دار الخاصّة والعامة ، ثم انصرف الناس بعد[4] ذلك . ٣/١٤٨٩

والنسخة التى كتباها :

بسم الله الرحمن الرحيم : إنّ أميرَ المؤمنين المتوكل على الله رضى الله عنه قلّدنى هذا الأمر ، وبايع لى وأنا صغير ؛ من غير إرادتى ومحبّتى ؛ فلما فهمت أمرى علمت أنى لا أقوم بما قلّدنى[5] ، ولا أصلح للخلافة المسلمين ، فمن كانت ببَيْعتى فى عنقه فهو مِنْ نقضها فى حلّ ، وقد أحللتُكم منها ، وأبرأتكم من أيمانكم ؛ ولا عهد لى فى رقابكم[6] ولا عقد ؛ وأنتم بُرآء من ذلك .

وكان الذى قرأ الرقاع أحمدبن الخصيب . ثم قام كلّ واحد منهما قائماً ، فقال لمن حضر : هذه رقعتى وهذا قولى[7] ؛ فاشهدوا علىّ ، وقد أبرأتكم من

(١) ف : « فكبا » .
(٢) ف : « يديه » .
(٣) بعدها فى ف : « ليال » .
(٤) س : « عند » .
(٥) بعدها فى ف : « من ذاك » .
(٦) ف : « عليكم » .
(٧) ف : « خطى » .

أيمانكم[١] . وحللتكم منها ، فقال لهما المنتصر عند ذلك : قد خار الله لكما وللمسلمين ، وقام فدخل .وكان قد قعد للناس ، وأقعدهما بالقرب منه ، فكتب كتاباً إلى العمال بخلعهما وذلك فى صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين .

* * *

نسخة كتاب المنتصر بالله إلى أبى العباس محمد بن عبد الله ابن طاهر مولى أمير المؤمنين فى خلع أبى عبد الله المعتز وإبراهيم المؤيد

من عبد الله محمد الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين ؛ أما بعد ؛ فإن الله وله الحمد على آلائه ، والشكر بجميل[٢] بلائه ؛ جعل ولاة الأمر من خلفائه القائمين بما بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم والذابين[٣] عن دينه ، والداعين إلى حقه والمضين[٤] لأحكامه ، وجعل ما اختصهم به من كرامته قواماً لعباده ، وصلاحاً لبلاده ، ورحمة غمر بها خلقه، وافترض طاعتهم ، ووصلها بطاعته وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وأوجبها فى محكم تنزيله ؛ لما جمع فيها من سكون الدهماء ، واتساق الأهواء ، ولم الشعث ، وأمن السبل ، ووقم[٥] العدو ، وحفظ الحريم ، وسد الثغور ، وانتظام الأمور ، فقال : ﴿ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِى ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[٦] ، فمن الحق على خلفاء الله الذين حباهم بعظيم نعمته ، واختصهم بأعلى رتب كرامته ، واستحفظهم فيما جعله وسيلة إلى رحمته ، وسبباً لرضاه ومثوبته . لأن يؤثروا طاعته فى كل حال تصرفت بهم ، ويقيموا حقه فى أنفسهم والأقرب فالأقرب منهم ؛ وأن يكون محلهم من الاجتهاد فى كل ما قرب من الله[٧] عز وجل حسب[٨] موقعهم من الدين وولاية أمر المسلمين . وأمير المؤمنين يسأل الله مسألة رغبة إليه ، وتذللا لعظمته ، أن يتولاه فيما استرعاه ولاية يجمع له بها صلاح ما قلده ، ويحمل عنه أعباء ما حمله ، ويعينه بتوفيقه

٣/١٤٩٠

---

(١) س : « أيمانى »
(٢) ف : « على جميل » .
(٣) ف : « والذائدين »
(٤) ف : « والمتبعين » .
(٥) ف : « وقمع » .
(٦) سورة النساء ٥٩ .
(٧) ف : « إلى الله » .
(٨) ف : « على حسب » .

على طاعته ؛ إنه سميع قريب .

وقد علمتَ ما حضرتَ من رفْع أبى عبد الله وإبراهيم ابنى أمير المؤمنين المتوكّل على الله رضى الله عنه إلى أمير المؤمنين رقعتيْن بخطوطهما ؛ يذكران فيهما ما عرّفهما الله من عَطْف أمير المؤمنين عليهما ، ورأفته بهما ، وجميل نظره لهما[1] ؛ وما كان أمير المؤمنين المتوكل على الله عَقَده لأبى عبد الله من ولاية عهد أمير المؤمنين ولإبراهيم من ولاية العهد بعد أبى عبد الله . وإنّ ذلك العقد كان وأبو عبد الله طفل لم يبلغ ثلاث سنين ؛ ولم يفهما عُقِد له ولا وقف[2] على ما قُلّده ، وإبراهيم صغير لم يبلغ الحلُم ، ولم يجر أحكامهما ولا جرتْ أحكامُ الإسلام عليهما ، وإنه قد يجب عليهما إذ بلغا ووقفا على عَجْزهما عن القيام بما عقد لهما من العَهْد ، وأسْنِدَ إليهما من الأعمال أن يَنْصحا لله ولجماعة المسلمين[3] ، بأن يُخرجا من هذا الأمر الذى عقِد لهما أنفسهما ، ويعتزلا الأعمال التى قُلّداها ، ويجعلا كلّ مَنْ فى عنقه لهما بَيْعة وعليه يمين فى حِلّ ؛ إذ كانا لا يقومان بما رُشّحا له ، ولا يصلحان لتقلده ، وأن يخرج من كان ضُمّ إليهما ممّن فى نواحيهما من قُوّاد أمير المؤمنين ومواليه وغلمانه وجنده وشاكريّته وجميع مَنْ مع أولئك القواد بالحضْرة وخُراسان وسائر النواحى عن رسومهما ، ويُزال عنهم جميعًا ذكر الضمّ إليهما ، وأن يكونا سُوقة من سوق المسلمين وعامّتهم ، ويصفان ما لم يزالا يذكران لأمير المؤمنين من ذلك ؛ ويسألانه فيه ، منذ أفضى الله بخلافته إليه ، وأنهما قد خلعا أنفسهما من ولاية العهد ، وخرجا منها ، وجعلا كلّ من لهما عليه بيعة ويمين من قُوّاد أمير المؤمنين وجميع أوليائه ورعيّته ؛ قريبهم وبعيدهم ، وحاضرهم وغائبهم ؛ فى حلّ وسعة من بيعتهم وأيْمانهم ؛ ليخلعوهما كما خلعا أنفسهما .

وجعلا لأمير المؤمنين على أنفسهما عهدَ الله ؛ وأشد ما أخِذ على ملائكته وأنبيائه وعباده من عهد وميثاق ، وجميع ما أكده أمير المؤمنين عليهما من الأيْمان ، بإقامتهما على طاعته ومناصحته وموالاته فى السرّ والعلانية ، ويسألان أمير المؤمنين

(١) ف : « إليهما » .
(٢) ف : « وأنه لم يقف » .
(٣) ف : « وللمسلمين » .

أن يُظهر ما فعلاه، وينشره، ويُحضِر جميع أوليائه؛ ليسمعوا ذلك منهما طالبيْن راغبيْن، طائعيْن غير مكرهيْن ولا مجبريْن؛ ويُقرَأ عليهم الرّقعتان اللتان رفعاهما بخطوطهما، بما ذكرا من وقوع الأمر لهما من ولاية العهد؛ وهما صبيان، وخلعهما أنفسهما بعد بلوغهما، وما سألا مِنْ صرفهما عن الأعمال التى يتوليانها وإخراج مَنْ كان بها ممن ضمّ إليهما فى نواحيهما من قُوّاد أمير المؤمنين وجنده وغلمانه وشاكريّتِه وجميع مَنْ مع أولئك القوّاد بالحضرة وخراسان وسائر النواحى عن رسومهما وإزالة ذكر الضمّ إليهما عنهم، وأن يُكتب بالكتاب[1] بذلك إلى جميع عمال النواحى[2].

وإنّ أمير المؤمنين وقف على صدقهما فيما ذكرا ورفعا، وتقدّم فى إحضار جميع إخوته ومَنْ بحضرته من أهل بيتِه وقوّاده ومواليه وشيعته ورؤساء جنده وشاكريّتِه وكتّابه وقضاته والفقهاء وغيرهم؛ وسائر أوليائه الذين كانت وقعت البيعة لهما بذلك عليهم. وحضر أبو عبد الله وإبراهيم ابنا أمير المؤمنين المتوكل على الله رضى الله عنه، وقرِئت رقعتاهما بخطوطهما بحضرتهما؛ إلى مجلس[3] أمير المؤمنين عليهما وعلى جميع من حضر، وأعادا من القول بعد قراءة الرّقعتين مثل الذى كتبا به. ٣/١٤٩٣

ورأى أمير المؤمنين أن يجمع فى إجابتهما إلى نشر ما فعلاه وإظهاره، وإمضائه ذلك؛ قضاءَ حقوق ثلاثة: منها حقّ الله عز وجل فيما استحفظه من خلافته، وأوجب عليه من النظر لأوليائه فيما يجمع لهم كلمتَهم فى يومهم وغدِهم، ويؤلّف بين قلوبهم. ومنها حقّ الرعيّة الذين هم ودائع الله عنده حتى يكون المتقلّد لأمورهم ممّن[4] يراعيهم آناء الليل والنهار بعنايته ونظره وتفقّده وعدله ورأفته، ومن يقوم بأحكام الله فى خلقه، ومن يضطلع بثقل السياسة وصواب التدبير. ومنها حقّ أبى عبد الله وإبراهيم فيما يُوجبه[5] أمير المؤمنين لهما بإخوّتهما وماسّ رحمهما؛ لأنهما لو أقاما على ما خرجا منه؛ لم

---

(١) ف: «الكتاب».
(٢) ف: «عمالك بالنواحى».
(٣) ف: «فى مجلس».
(٤) س: «ومن».
(٥) ف: «يوجه».

يؤمَن أن يؤدّىَ ذلك إلى ما يعظم فى الدين ضرره ، ويعمّ المسلمين مكروهه ؛ ويرجع عليهما عظيم الوزر فيه ؛ فخلعهما أمير المؤمنين إذ خلَعا أنفسهما من ولاية العهد ، وخلَعهما جميع إخوة أمير المؤمنين ومَنْ بحضرته من أهل بيته ، وخلَعهما جميع من حضر من قوّاد أمير المؤمنين ومواليه وشيعته[1] ورؤساء جنده وشاكريّته وكتّابه وقضاته والفقهاء وغيرهم من سائر أولياء أمير المؤمنين ؛ الذين كانت أخِذَتْ لهما البيعة عليهم . ٣/١٤٩٤

وأمر أمير المؤمنين بإنشاء الكتب بذلك إلى جميع العمال ، ليتقدّموا فى العمل بحسب[2] ما فيها ، ويخلعوا أبا عبد الله وإبراهيم مِنْ ولاية العهد ؛ إذ كانا قد خلَعا أنفسهما من ذلك ، وحلّلا الخاصّ والعامّ ، والحاضر والغائب ، والدانيَ والقاصيَ منه ؛ ويسقطوا ذكرَهما بولاية[3] العهد ، وذكْرَ ما نُسِبا إليه مِنْ نسب ولاية العهد من المعتزّ بالله والمؤيد بالله من كتبهم وألفاظهم والدعاء[4] لهما على المنابر ؛ ويسقطوا كُلّ ما ثبت فى دواوينهم من رُسومهما القديمة والحديثة الواقعة على مَنْ كان مضموماً إليهما ، ويزيلوا ما على الأعلام والمطارد من ذكرهما ؛ وما وسمت به دوابّ الشاكريّة والرابطة من أسمائهما . ومحلُّك من أمير المؤمنين وحالُك عنده على حسب ما أخلص الله لأمير المؤمنين من طاعتك ومناصحتك ، وموالاتك ومشايعتك ؛ ما أوجب الله لك بسلفك ونفسك ، وما عرف الله أمير المؤمنين من طاعتك ويُمْن نَقيبتك ، واجتهادك فى قضاء الحق . ٣/١٤٩٥

وقد أفردك أمير المؤمنين بقياد تلك ، وإزالة الضمّ إلى أبى عبد الله عنك وعمّن فى ناحيتك بالحضرة وسائر النواحى ؛ ولم يجعل أمير المؤمنين بينَك وبينه أحد يَرْسلك ، وخرج أمره بذلك إلى ولاة دواوينه .

فاعلم ذلك واكتب إلى عُمّالك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، وأوعِزْ إليهم فى العمل على حسبه . إن شاء الله ، والسلام .

---

(١) ف : « وشيعته ومواليه » .
(٢) ف : « بالعمل على حسب » .
(٣) ف : « من ولاية » .
(٤) ف : « وبترك الدعاء » .

وكتب أحمد بن الخصيب يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المنتصر]

وفى هذه السنة توفِّىَ المنتصر .

* ذكر الخبر عن العلة التى كانت فيها وفاته والوقت الذى توفِّىَ فيه وقدر المدة التى كانت فيها حياته :

فأما العلّة التى كانت بها وفاته ؛ فإنه اختُلف فيها ، فقال بعضهم : أصابته الذّبحة فى حلْقه يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الأول ، ومات مع صلاة العصر من يوم الأحد لخمس ليال خلَوْن من شهر ربيع الآخر .

وقيل : تُوفِّىَ يوم السبت وقت العصر لأربع خلوْن من شهر ربيع الآخر ؛ وإن علّته كانت من ورم فى معِدته[1] ، ثم تصعّد إلى فؤاده فمات ؛ وإنّ علّته كانت ثلاثة أيام أو نحوها .

وحدّثنى بعضُ أصحابنا أنه كان وجد حرارة ، فدعا بعَضَ مَنْ كان يتطبّب له ، وأمره [2] بفصْده ، ففصده بمبْضع مسموم ، [3] فكان فيه منيته[3] ، وإن الطبيب الذى فَصَده انصرف إلى منزله ، وقد وجد حرارةً ، فدعا تلميذاً له ؛ فأمره بفصْده ووضع مباضعه بين يديه ليتخيّر أجودها ؛ وفيها المبضع المسموم الذى فُصِد به المنتصر ؛ وقد نسيه فلم يجد التلميذ فى المباضع التى وُضعت بين يديه مِبْضعًا أجود من المبضع المسموم ؛ ففصدبه أستاذه وهو لا يعلم أمره ؛ فلمّا فصده[4] به نظر إليه صاحبه[5] فعُلم[6] أنه هالك ؛ فأوصى من ساعته ، وهلك من يومه .

٣/١٤٩٦

---

(١) س : « قدمه » .

(٢) : « وأمر » .

(٣-٣) ف : « فمات من ذلك المبضع » .

(٤) ف : « فصد » .

(٥) س : « إلى صاحبه ».

(٦) ف : « فعرف » .

وقد ذكر أنه وُجد فى رأسه علّة فقطّر ابن الطيفوريّ فى أذنه دُهناً، فورم رأسه، وعوجل فمات. وقد قيل: إن ابن الطيفوريّ إنما سمّه فى محاجمه.

قال أبو جعفر: ولم أزل أسمع الناس حين أفضت إليه الخلافة من لَدُنْ وَلِيَ إلى أن مات يقولون: إنما مدّة حياته ستة أشهر، مدّة شيرويه ابن كسرى قاتل أبيه، مستفيضًا ذلك على ألسن العامةوالخاصة.

وذُكر عن يُسْر الخادم؛ وكان – فيما ذكر – يتولى بيت المال للمنتصر فى أيام إمارته، أنه قال: كان المنتصر يوماً من الأيام فى خلافته نائمًا فى إيوانه، فانتبه وهو يبكي وينتحب؛ قال: فهبْته أن أسأله عن بكائه، ووقفتُ وراء الباب؛ فإذا عبد الله بن عمر البازيار قد وافى فسمع نحيبه وشهيقه، فقال لى: ما له؟ ويحك يا يسر! فأعلمته أنه كان نائمًا فانتبه باكيًا، فدنا منه، فقال له: ما لك يا أمير المؤمنين تبكي لا أبكى الله عينك؟! قال: ادنُ منى يا عبد الله؛ فدنا منه فقال له: كنت نائمًا، فرأيت فيما يرى النائم كأنّ المتوكل قد جاءنى، فقال لى: ويلك يا محمد! قتلتنى وظلمتنى وغبنْتنِي فى خلافتى؛ والله لاتمتّعت بها بعدى إلا أيامًا يسيرة، ثم مصيرك إلى النار. فانتبهتُ، وما أملك عيني ولا جزعي. فقال له عبد الله: هذه رؤيا؛ وهى تصدق وتكذب، بل يعمّرك ويسرّك الله؛ فادع الآن بالنبيذ، وخذ فى اللهو، ولا تعبأ بالرؤيا. قال: ففعل ذلك؛ وما زال منكسراً إلى أن تُوفِّيَ.

٣/١٤٩٧

وذكر أنّ المنتصر كان شاور فى قتل أبيه جماعةً من الفقهاء، وأعلمهم بمذاهبه؛ وحكى عنه أموراً قبيحة كرهت ذكرها فى الكتاب؛ فأشاروا عليه بقتلِه؛ فكان من أمره ما ذكرنا بعضه.

وذُكر عنه أنه لما اشتدّت به علّتُه؛ خرجت إليه أمّه فسألته عن حاله، فقال: ذهبتْ والله منى الدنيا والآخرة.

قال إبراهيم بن جيش: حدثنى موسى بن عيسى الكاتب، كاتب عمى يعقوب وابن عمى يزيد، أنّ المنتصر لما أفضت الخلافة إليه، كان يُكثر إذا سكر قتلَ أبيه المتوكل، ويقول فى الأتراك: هؤلاء قَتَلَة الخلفاء، ويذكر من ذلك ما تخوّفوه، فجعلوا لخادم له ثلاثين ألف دينار على أن يحتال فى سمّه،

وجعلوا لعلىّ بن طيفور جملة ،وكان المنتصرُ يكثر أكل الكمثرى إذا قُدّمت إليه الفاكهة ، فعمد ابن طيفور إلى كمثراة كبيرة نضيجة ، فأدخل فى رأسها خلالة ، ثم سقاها سمًّا ، فجعلها الخادم فى أعلى الكمثرى الذى قدّمه إليه ، فلما نظر إليها المنتصر أمره أن يَقْشِرها ويطعمه إياها، فقشرها وقطعها، ثم أعطاه قطعة قطعة حتى أتى عليها، فلما أكلها وجد فترةً ، فقال لابن طيفور : أجد حرارة ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ احتجم تبرأ من علّة الدّم ، وقدّر أنه إذ خرج الدم قوى عليه السمّ . فحجم فحُمّ ، وغلظت علّته عليه . فتخوف هو والأتراك أن تطول علته ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ الحجامة لم يكن فيها ما قدّرْنا فى عافيتك، وتحتاج إلى الفَصد ؛ فإنه أنجح لما تريد، فقال : أفعل، ففصَده بمبضع مسموم ،ودهش، فألقاه فى مباضعه— وكان أحدّها وأجودها. ثم إن علىّ بن طيفور ، وجد حرارة ،فدعا تلميذاً له ليفصده ، فنظر فى المباضع فلم يجد أحدّ منه ، ولا أخير ففصده ، فكانت منيته فيه[1] .

وذكر عن ابن دهقانة أنه قال : كنا فى مجلس المنتصر يومًا بعد ما قتِل المتوكل ، فتحدّث المسدود الطنبورىّ بحديث ، فقال المنتصر : متى كان هذا ؟ فقال : ليلة لاناهٍ ولا زاجر ؛ فأحفظَ ذلك المنتصر .

١٤٩٨/٣ وذُكر عن سعيد بن سلمة النصرانىّ أنه قال : خرج علينا أحمد بن الخصيب مسروراً يذكر أن أمير المؤمنين المنتصر رأى فى ليلة فى المنام ؛ أنه صعد دَرَجةً حتى انتهى إلى خمس وعشرين مِرْقاةً منها ؛ فقيل له : هذا ملكك ؛ وبلغ الخبر ابنَ المنجّم ، فدخل عليه محمد بن موسى وعلىّ بن يحيى المنجّم مهنئين له بالرؤيا ، فقال : لم يكن الأمر على ما ذَكر لكم أحمد ابن الخصيب ؛ ولكنى حين بلغتُ آخر المراقى ، قيل لى : قف فهذا آخر عمرك ؛ واغتمّ لذلك غمًّا شديداً ، فعاش بعد ذلك أيامًا تتمّة سنة ، ثم مات وهو ابن خمس وعشرين سنة .

وقيل : تُوفِّىَ وهو ابن خمس وعشرين سنة وستة أشهر .

وقيل: بل كان عمره أربعاً وعشرين سنة ، وكانت مدة خلافته ستة أشهر

---

(١) هذا الخبر ساقط من ط ، وأثبته من ا .

فى قول بعضهم ويومين .

وقيل : كانت ستة أشهر سواء .

وقيل : كانت مائة يوم وتسعة وسبعين يوماً .

وكان وفاته بسامرّا بالقصر المحدث ، بعد أن أظهر فى إخوته ما أظهر بأربع وأربعين ليلة ؛ وذكر أنه لما حضرته الوفاة قال :

فما فَرِحَتْ نفسى بدُنْيَا أخذتها ولكنْ إلى الربِّ الكريم أصيرُ

وصلّى عليه أحمد بن محمد بن المعتصم بسامُرّا ؛ وبها كان مولده .

وكان أعينَ أقنى قصيرًا جَيّد البَضعة . وكان — فيما ذكر — مهيباً .

وهو أول خليفة من بنى العباس — فيما بعد — عرف قبره ؛ وذلك أن أمه طلبت إظهار قبره . ٣/١٤٩٩

وكانت كنيته أبا جعفر واسم أمه حبشيّة وهى أمّ ولد روميّة .

* * *

ذكر بعض سيره

ذكر أن المنتصر لمّا ولىَ الخلافة كان أول شىء أحدث من الأمور عزْل صالح عن المدينة وتولية علىّ بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد إياها ؛ فذُكر عن علىّ بن الحسين ، أنه قال : دخلت عليه[1] أودّعه ، فقال لى : يا علىّ ، إنى أوجّهك[2] إلى لحمى ودمى — ومدّ جِلْد ساعِده — وقال : إلى هذا وجّهتك[3] ، فانظر كيف تكون للقوم ، وكيف تعاملهم ! يعنى آل أبى طالب ، فقلت : أرجو أن أمتثل رأى أمير المؤمنين أيدّه الله فيهم إن شاء الله ؛ فقال : إذًا تسعد بذلك عندى

وذُكر عن محمد بن هارون ، كاتب محمد بن علىّ برد الخيار وخليفته على ديوان ضياع إبراهيم المؤيد ، أنه أصيب مقتولاً على فراشه ، به عدّة ضربات

---

(١) ف : « إليه » . (٢) ف : « إنى موجهك » .
(٣) ف : « موجهك » .

٣/١٥٠٠ بالسيف ، فأحضر ولدُه خادماً أسود كان له وصيفاً ، ذكر أن الوصيف أقرّ على الأسود ، فأدخِل على المنتصر ، وأحضِر جعفر بن عبد الواحد ، فسئل عن قتله مولاه[1] ، فأقرّ به ، ووَصفْ فعله به وسبب قتله إياه ، فقال له المنتصر : ويلك ! لم[2] قتلته ؟ فقال له الأسود: لما قتلتَ أنت أباك المتوكل! فسأل الفقهاء فى أمره [3] ، فأشاروا[4] بقتله ، فضرب عنقه وصلّبه ، عند خشبة بابك .

* * *

وفى هذه السنة حكّم محمد بن عمرو الشارى ، وخرج بناحية الموصل ، فوجّه إليه المنتصر إسحاق بن ثابت الفرغانىّ ، فأخذه أسيراً مع عِدّة من أصحابه ، فقتِلوا وصُلبوا .

وفيها تحرّك يعقوب بن الليث الصفار من سِجستان ، فصار إلى هَرَاة .

وذكر عن أحمد بن عبد الله بن صالح صاحب المصلّى أنه قال : كان لأبى مؤذّن ، فرآه بعض أهلنا فى المنام كأنه أذّن أذاناً لبعض الصَّلَوات ؛ ثم دنا من بيت فيه المنتصر ، فنادى : يا محمد ، يا منتصر ، إنّ ربَّك لبالمِرْصاد .

وذكر عن بُنان المغنّى — وكان فيما قيل أخصّ الناس بالمنتصر فى حياة أبيه وبعد ما ولى الخلافة — أنه قال : سألت المنتصر أن يهب لى ثوبَ ديباج وهو خليفة ؛ فقال : أوَخير لك من الثوب الديباج ؟ قلت : وما هو ؟ قال : ٣/١٥٠١ تمارض حتى أعودك ؛ فإنه سيهدَى لك أكثرُ من الثوب الديباج ؛ قال : فمات فى تلك الأيام ، ولم يهب لى شيئاً .

* * *

وفى هذه السنة بويع بالخلافة أحمد بن محمد بن المعتصم .

---

(١) ف : « إياه » .
(٢) ف : « كيف » .
(٣) ف : « عن أمره » .
(٤) بعدها فى ف : « عليه » .

خلافة أحمد بن محمد بن المعتصم

وهو المستعين ويكنى أبا العباس

* ذكر الخبر عن سبب ولايته والوقت الذى بويع له فيه :

ذُكر أنّ المنتصر لما توفّى ؛ وذلك يوم السبت عند العصر لأربع خلوْن من شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وأربعين ومائتين ، اجتمع الموالى إلى الهارونىّ يوم الأحد ، وفيهم بُغا الصغير وبغا الكبير أوتامش ومَنْ معهم ، فاستحلفوا قوّاد الأتراك والمغاربة والأشروسنيّة — وكان الذى يستحلفهم علىّ بن الحسين ابن عبد الأعلى الأسكافىّ كاتب بغا الكبير — على أن يرضوْا بمن يرضى به بُغا الصغير وبغا الكبير أوتامش ، وذلك بتدبير أحمد بن الخصيب ، فحلف القوم وتشاوروا بينهم ، وكرهوا أن يتولّى الخلافة أحدٌ من ولد المتوكل ؛ لقتلهم أباه[1] ، وخوفهم أن يغتالهم مَنْ يتولى الخلافة منهم ؛ فأجمع أحمد بن الخصيب ومَنْ حضر[2] من الموالى على أحمد بن محمد بن المعتصم ، فقالوا : لانُخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم ؛ وقد كانوا قبله ذكروا جماعة من بنى هاشم ؛ فبايعوه وقت العشاء الآخرة من ليلة الاثنين ، لست خلوْن من شهر ربيع الآخر من السنة ؛ وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، ويكنى أبا العباس . ٣/١٥٠٢

فاستكتب أحمد بن الخصيب ، واستوزر أوتامش . فلما كان يوم الاثنين لست خلوْن من شهر ربيع الآخر صار إلى دار العامة من طريق العمرىّ بين البساتين ، وقد ألبسوه الطويلة وزىّ الخلافة ؛ وحمل إبراهيم بن إسحاق بين يديه الحربة قبل طلوع الشمس ، ووافى واجن الأشروسنىّ باب العامّة من طريق الشارع على بيت المال ، فصفّ أصحابه صفين ، وقام فى الصفّ هو وعِدّة من وجوه أصحابه ، وحضر الدار أصحابُ المراتب من ولد المتوكّل والعباسيين والطالبيّين وغيرهم ممن لهم مرتبة ؛ فبيناهم كذلك ، وقد مضى من النهار ساعة ونصف ؛ جاءت صيحة من ناحية الشارع والسوق ؛ فإذا نحوٌ من خمسين فارساً من الشاكرية ؛ ذكروا أنهم من أصحاب ٣/١٥٠٣

---

(١) ف : « المتوكل » . (٢) ف : « حضره » .

أبي العباس محمد بن عبد الله ، ومعهم قوم من فرسان طَبرِيّة وأخلاط من الناس ومعهم من الغَوْغاء والسوقة نحو من ألف رجل ؛ فشهروا السلاح ، وصاحوا : يامعتزّ [1] يا منصور ، وشدّوا على صفّي الأشروسنيّة اللّذين صفّهما واجن ، فتضعضعوا ، وانضم بعضهم إلى بعض ، ونفر من على باب العامة من المبيّضة مع الشاكريّة ، فكثروا[2] ، فشدّ عليهم المغاربة والأشروسنيّة ، فهزموهم حتى أدخلوهم الدّرْب الكبير المعروف بزُرافة وعَزُّون . وحمل قوم منهم على المعتزّية ، فكشفوهم ؛ حتى جاوزوا بهم دار أخي عَزّون بن إسماعيل وهم في مضيق الطريق ، فوقف المعتزّية هنالك ، ورمى الأشروسنية عدّة منهم بالنّشاب ، وضربوهم بالسيوف ، ونشبت الحرب بينهم ؛ وأقبلت المعتزّيّة والغوغاء يكبّرون ؛ فوقعت بينهم قتلى كثيرة ؛ إلى أن مضى من النهار ثلاث ساعات . ثم انصرف الأتراك وقد بايعوا أحمد بن محمد بن المعتصم ؛ وانصرفوا مما يلي العمريّ والبساتين ، وأخذ الموالي قبل انصرافهم البيْعة على من حضر الدار من الهاشميين وغيرهم وأصحاب المراتب . وخرج المستعين من باب العامّة منصرفًا إلى الهارونيّ ، فبات هنالك . ومضى الأشروسنيّة إلى الهارونيّ ، وقد قُتِل من الفريقين عددٌ كثير ، ودخل قوم من الأشروسنيّة دوراً ، فظفرت بهم الغوغاء ، فأخذوا دروعهم وسلاحهم وجواشنَهم ودوابّهم ، ودخل الغوغاء والمنتهبة دار العامّة منصرفين إلى الهارونيّ ، فانتهبوا الخزانة التي فيها السلاح والدروع والجواشن واللجم المغربية وأكثروا منها ؛ وربّما مرّ أحدهم بالجواشن والحِراب فأكثر، وانتهبوا في دار أرمش ابن أبي أيوب بحضرة أصحاب الفقّاع تراس خيزران وقنًا بلا أسنّة ؛ فكثرت الرّماح والتراس في أيدي الغوغاء وأصحاب الحمامات وغلمان الباقلّي ، ثم جاءتهم جماعة من الأتراك منهم بُغا الصغير من درب زُرافة ، فأحلّوهم من الخزانة ، وقتلوا منهم عدة ، وأمسكوا قليلا . ثم انصرف الفريقان ، وقد كثرت القتلى بينهم ؛ وأقبل الغوغاء لا يمرّ أحد من الأتراك من أسافل سامُرّا يريد باب العامة إلاّ انتهبوا سلاحه ، وقتلوا جماعة منهم عند دار مبارك المغربي ، وعند دار حبش[3]

٣/١٠٠٤ ٣/١٠٠٥

---

(١) كذا في ف ، وفي ط : « معتز » ، بدون « يا » .
(٢) س : « فكبروا » .
(٣) كذا في ا ، وفي ط من غير نقط .

أخى يعقوب قوصرّة فى شوارع سامُرّا ، وعامّة من انتهب — فيما ذكر — هذا السلاح أصحاب الفقّاع والناطف وأصحاب الحمّامات والسقاءون وغوغاء الأسواق ؛ فلم يزل ذلك أمرهم إلى نصف النهار ، وتحرّك أهل السجن بسامرّا فى هذا اليوم ، فهرب منهم جماعة ، ثم وضع العطاء على البيعة ، وبعث بكتاب البيعة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر فى اليوم الذى بُويع له فيه ، وكان وصوله إلى محمد فى اليوم الثانى ، ووافى به أخ لأتامش ومحمد بن عبدالله فى نزهة له ، فوجّه الحاجب إليه ، وأعلمه مكانه ، فرجع من ساعته ، وبعث إلى الهاشميّين والقوّاد والجند ، ووضع لهم الأرزاق .

* * *

٣/١٥٠٦ وورد فى هذه السنة على المستعين وفاة طاهر عبد الله بن طاهر بخراسان فى رجب ، فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر على خراسان ، ولمحمد بن عبد الله على العراق ، وجعل إليه الحرَمين والشرْطة ومعاون السواد برأسه وأفرده به ، وعقد فى الجوسق لمحمد بن طاهر بن عبد الله ابن طاهر على خراسان والأعمال المضمومة إليها خاصّة يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة خلتْ من شعبان .

ومرض بُغا الكبير فى جمادى الآخرة ، فعاده المستعين فى النصف منها ، ومات بغا من يومه ، فعقد لموسى ابنه على أعماله وعلى أعمال أبيه كلّها . وولّى ديوان البريد .

* * *

وفى هذه السنة وجّه أنوجو التركىّ إلى أبى العمود الثعلبىّ ، فقتله يوم السبت بكَفَرْ توثَى لخمس بقين من شهر ربيع الآخر .

وفيها خرج عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى الحجّ ؛ فوجّه خلفه رسول من الشيعة اسمه شعيب بنفيه إلى برْقة ، ومنعه من الحجّ .

٣/١٥٠٧ وفيها ابتاع المستعين من المعتزّ والمؤيد فى جمادى الأولى منها جميع ما كان لهما ، خلا شيئًا استثنى منه المعتزّ قيمته مائة ألف دينار ، وأخذ له ولإبراهيم غلة بثمانين ألف دينار فى السنة ؛ فلما كان يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت

من رمضان ابتيع من المعتز والمؤيد جميعُ ما لهما من الدّور والمنازل والضّياع [١] والقصور والفُرش والآلة وغير ذلك بعشرين ألف دينار ، وأشهدا [٢] عليهما بذلك الشهود والعُدول والقضاة وغيرهم . وقيل : ابتيع [٣] ما لهما من الضياع وترك إلى أبى عبد الله ما يكون غلّته من العَيْن فى السنة عشرين ألف دينار [٤] ، ولإبراهيم ما تبلغ قيمة غلّته فى السنة خمسة [٥] آلاف دينار ؛ فكان ما ابتيع من أبى عبد الله بعشرة آلاف ألف دينار وعشر حبّات لؤلؤ ، ومن إبراهيم بثلاثة آلاف ألف درهم وثلاث حبات لؤلؤ ؛ وأشهدا عليهما [٦] بذلك الفقهاء والقضاة . وكان الشّراء باسم الحسن بن مخلد للمستعين ،وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين وحُبِسا فى حجرة الجوسق ، ووُكّل بهما ، وجعل أمرهما إلى بُغا الصغير ؛ وكان الأتراك قد أرادوا حين شغّب الغوغاء والشاكريّة قتلهما ؛ فمنعهم من ذلك أحمد بن الخصيب ، وقال : ليس لهما ذنب ولا المشغّبة من أصحابهما ، وإنما المشغّبة من أصحاب ابن طاهر ، ولكن احبسوهما فحُبسا .

٣/١٠٠٨

وفيها غضب الموالى على أحمد بن الخصيب ؛ وذلك فى جُمادى الأولى منها ، واستصفى ماله ومال ولده ، ونُفى إلى إقريطش .

وفيها صرف علىّ بن يحيى عن الثغور الشاميّة ، وعقد له على إرمينية وأذْرَبيجان فى شهر رمضان من هذه السنة .

وفيها شغّب أهلُ حمص على كيدر بن عبيد الله عامل المستعين عليها فأخرجوه منها ، فوجّه إليهم الفضل بن قارن ، فمكر بهم حتى أخذهم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وحمل منهم [٧] مائة رجل من عيونهم إلى سامرّا ، وهدم سورهم .

وفيها غزا الصائفة وصيف ،وكان مقيماً بالثغر الشامىّ حتى ورد عليه موت

(١) ا ، ف : « والمتاع » .
(٢) ف : « وأشهد » .
(٣) بعدها فى ف : « جميع » .
(٤) ف : « درهم » .
(٥) س : « عشرة » .
(٦) ف : « وأشهد عليهم » .
(٧) ف : « وأخذ منهم » .

المنتصر ، ثم دخل بلاد الروم ؛ فافتتح حصناً يقال[1] له فرورية ، وعقد المستعين فيها لأوتامش على مصر والمغرب واتخذه وزيراً .

وفيها عقد لبُغا الشرابيّ على حُلْوان وماسبذان ومهرجان قَذق ، وصيّر المستعين شاهك الخادم على دارِه وكُراعه وحرمه وخزائنه وخاصّ أموره ، وقدّمه أوتَامش على جميع الناس .

١٥٠٩/٣ وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن سليمان الزينبيّ .

---

(١) ف : « يدعى » .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزو جعفر بن دينار الصائفة ، فافتتح[1] حصناً ومطامير ، واستأذنه عمر بن عبيد الله الأقطع فى المصير إلى ناحية من بلاد الرّوم ؛ فأذن له ، فسار ومعه خلْق كثير من أهل مَلَطْيَة ؛ فلقيه الملك فى جمْع من الروم عظيم بموضع ، يقال له أرز من مَرْج الأسقفّ ، فحاربه بمَنْ معه محاربة شديدة ، قتِل فيها خلق كثير من الفريقين ، ثم أحاطت به الرُّوم وهم خمسون ألفًا ، فقتل عمر وألفا رجل من المسلمين ؛ وذلك فى يوم الجمعة للنِّصف من رجب .

* * *

[خبر قتل علىّ بن يحيى الأرمنىّ]

وفيها قتل علىّ بن يحيى الأرمنىّ .

* ذكر الخبر عن سبب قتله :

ذُكر أن الروم لما قتلت عمر بن عبيد الله[2] ، خرجوا إلى الثغور الجزريّة ، وكلبوا عليها وعلى حرم المسلمين بها ، فبلغ ذلك علىّ بن يحيى وهو قافل من إرمينيَة إلى ميّافارقين ، فنفر إليهم فى جماعة من أهل مَيّافارِقين والسلسلة ، فقُتل فى نحو من أربعمائة رجل ، وذلك فى شهر رمضان . ٣/١٥١٠

* * *

[شغب الجند والشاكرية ببغداد]

وشغب الجند والشاكريّة ببغداد فى هذه السنة فى أوّل يوم من صفر.

---

(١) ف : « ففتح » . (٢) ط : « عبيد » .

* ذكر الخبر عن السبب فى ذلك :

وكان السبب فى ذلك أنّ الخبر لما اتّصل بأهل مدينة السلام وسامرّا وسائر ما قرب منهما من مُدُن الإسلام بمقتل عمر بن عبيد الله الأقطع وعلىّ بن يحيى الأرمنىّ — وكانا نابين من أنياب المسلمين ، شديداً بأسهما ، عظيماً غَناؤهما عنهم فى الثغور التى هما بها — شقّ ذلك عليهم ، وعظم مقتلُهما فى صدورهم ، مع قُرْب مقتل أحدهما من مقتَل الآخر ، ومع ما لحقهم من استفظاعهم من الأتراك قتْلَ المتوكل واستيلائهم على أمور المسلمين ، وقتلهم من أرادوا قتله من الخلفاء ، واستخلافهم من أحبّوا استخلافه من غير رجوع منهم إلى ديانة ، ولا نظر للمسلمين ؛ فاجتمعت العامّة ببغداد بالصُّراخ والنداء بالنفير ، وانضمت إليها الأبناء والشاكريّة تُظهر أنها تطلب الأرزاق ؛ وذلك أوّل يوم من صفر ، ففتحوا سجن نصر بن مالك ، وأخرجوا مَنْ فيه وفى القنطرة بباب الجسر ؛ وكان فيها جماعة — فيما ذكر — من رفوغ[1] خراسان والصعاليك من أهل الجبال والمحمّرة وغيرهم ، وقطعوا أحد الجسرين وضربوا الآخر بالنار ، وانحدرت سُفُنه ، وانتُهب ديوان قصص المحبّسين ، وقطعت الدفاتر ، وألقيت فى الماء ، وانتهبوا دار بشر وإبراهيم ابنى هارون النصرانيّين كاتبى محمد بن عبد الله ؛ وذلك كله بالجانب الشرقىّ من بغداد . وكان والى الجانب الشرقى حينئذ أحمد بن محمد بن خالد بن هرثمة . ثم أخرج أهلُ اليسار[2] من أهل بغداد وسامُرّا أموالا كثيرة من أموالهم ، فقوّوا مَن خفَّ للنهوض إلى الثغور لحرب الرّوم بذلك ؛ وأقبلت العامة من نواحى الجبل[3] وفارس والأهواز وغيرها لغزو الروم ؛ فلم يبلغنا أنه كان للسلطان فيما كان من الرّوم إلى المسلمين من ذلك تغيير ، ولا توجيه جيش إليهم لحربهم فى تلك الأيام .

٣/١٥١١

ولتسع بقين من شهر ربيع الأول ، وثب نفر من النّاس لا يُدْرَى مَنْ هم يوم الجمعة بسامُرّا ، ففتحوا السجن بها ، وأخرجوا مَنْ فيه ، فوجّه فى طلب النّفر الذين فعلوا ذلك زُرافة فى جماعة من الموالى ، فوثبت بهم العامّة فهزموهم ، ثم ركب فى ذلك

---

(١) الرفوغ : النواحى .
(٢) س : « البساتين » .
(٣) ف : « الجبال » .

أوتامش ووصيف وبُغا وعامة الأتراك، فقتلوا من العامة جماعة ، وألْقِيَ على وصيف — فيما ذكر لى — قدر مطبوخ ، ويقال : بل رماه قوم من العامة عند السريجة[1] بحجر ؛ فأمر وصيف النفاطين ، فقذفوا ما هنالك من حوانيت التجار ومنازل الناس بالنار ؛ فأنا رأيت ذلك الموضع محترقًا ؛ وذلك بسامرّا عند دار إسحاق . ١٠١٢/٣

وذُكر أن المغاربة انتهبتْ منازل جماعة من العامة فى ذلك اليوم ، ثم سكن الأمر فى آخر ذلك اليوم ، وعُزل بسبب ما كان من العامة والنفر الذين ذكرت فى ذلك اليوم من الحركة ، أحمد بن جميل عمّا كان إليه من المعونة بسامُرّا ، وولى مكانه إبراهيم بن سهل الدّارج .

* * *

[ذكر خبر قتل أوتامش وكاتبه]

وفى هذه السنة قُتِل أوتامش وكاتبه شجاع بن القاسم؛ وذلك يوم السبت لأربع عشرة خلوْن من شهر ربيع الآخر منها .

• ذكر الخبر عن سبب مقتله :

ذُكر أن المستعين لما أفضت إليه الخلافة ، أطلق يد أوتامش وشاهك الخادم فى بيوت الأموال ، وأباحهما فِعْل ما أرادا فعله فيها ، وفعل ذلك أيضًا بأمّ نفسه ، فلم يمنعها من شىء تريده ؛ وكان كاتبها سلمة بن سعيد النصرانىّ ، وكانت الأموال التى ترد على السلطان من الآفاق إنما يصير معظمها إلى هؤلاء الثلاثة الأنفس ، فعمِد أوتامش إلى ما فى بيوت الأموال من الأموال فاكتسحه ؛ وكان المستعين قد جعل ابنه العباس فى حِجْر أوتامش ؛ فكان ما فضَل من الأموال عن هؤلاء الثلاثة الأنفس يؤخذ للعباس ، فيصرَف فى نفقاته وأسبابه — وصاحب ديوان ضياعه يومئذ دُليْل — فاقتطع من ذلك[2] أموالاً جليلة لنفسه ؛ وجعلت الموالى تنظر إلى الأموال تُستهلك ؛ وهم فى ضيقة ، وجعل أوتامش وهو صاحب المستعين وصاحب أمره ، والمستولى عليه يُنفِذُ أمور الخلافة ؛ ووصيف ١٠١٣/٣

---

(١) ط : « الشريجة » تصحيف . (٢) ا : « تنتهب » .

وبُغا من ذلك كلّه بمعزل ، فأغريا الموالى به ، ولم يزالا يدبّران الأمر عليه حتى أحكما التدبير ، فتذمّرت الأتراك والفراغنة على أوتامش ، وخرج إليه منهم يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من هذه السنة أهل الدُّور والكرْخ ، فعسكروا وزحفوا إليه وهو فى الجَوْسق مع المستعين .

وبلغه الخبر ، فأراد الهرب ، فلم يمكنه ، واستجار بالمستعين فلم يجِرْه فأقاموا على ذلك من أمرهم يوم الخميس ويوم الجمعة ؛ فلما كان يوم السبت دخلوا الجوسق ، فاستخرجوا أوتامش من موضعه الذى تَوارى فيه ، فقتِل وقتل كاتبهُ شجاع بن القاسم ، وانتهبت دار أوتامش ، فأخذ منها — فيما بلغنى — أموالٌ جليلة ومتاع وفرش وآلة .

ولما قُتل أوتامش استوزر المستعين أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وعزل الفضل بنَ مروان عن ديوان الخراج ، ووليه عيسى بن فرّخانشاه ، وولى وصيف الأهواز ، وبغا الصغير فلَسطين فى شهر ربيع الآخر . ثم غضب بغا الصغير وحزبُه على أبى صالح بن يزداد ، فهرب أبو صالح إلى بغداد فى شعبانْ ، وصيّر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجرائىّ ؛ فصيّر ديوان الرسائل إلى سعيد بن حُميد رياسةً ، فقال فى ذلك الحمدونىّ : ٣/١٥١٤

لَبِسَ السَّيفَ سعيدٌ بعدما عاشَ ذا طِمْرَيْنِ لا نَوْبَةَ لَهْ
إنَّ للهِ لآيات وذَا آيةٌ للهِ فينا مُنزَلَهْ

* * *

[مقتل علىّ بن الجهم]

وفيها قُتِل علىّ بن الجهم بن بدر ؛ وكان سبب ذلك أنه توجّه من بغداد إلى الثغر ، فلما كان بقرب حلَب بموضع يقال له خساف ؛ لقيته خيل لكلْب ، فقتلته ، وأخذ الأعراب ما كان معه ، فقال وهو فى السياق :

أَزِيدَ فى الليلِ لَيْلُ أَمْ سالَ بالصبح سَيْلُ[1]

---

(١) ديوانه ١٧٠ .

ذَكَرْتُ أَهلَ دُجَيْــلٍ وأَينَ منى دُجَــيْلُ !

وكان منزله فى شارع الدّجيل .

* * *

١٥١٥/٣ وفيها عزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء ، ووليه جعفر بن محمد بن عمار البرجمىّ من أهل الكوفة ؛ وقد قيل إن ذلك فى سنة خمسين ومائتين .

وفيها أصاب أهل الرىّ فى ذى الحجة زلزلة شديدة ورجْفة تهدّمت منها الدور ، ومات خلق من أهلها وهرب الباقون من أهلها من المدينة ؛ فنزلوا خارجها.

ومُطر أهل سامرّا يوم الجمعة لخمس[1] بقين من جمادى الأولى ؛ وذلك يوم السادس عشر من تمُّوز مطرٌ جَوْد برعد وبرق، فأطبق الغيم ذلك اليوم ؛ ولم يزل المطر جوْداً سائلا يومئذ إلى اصفرار الشمس ثم سكن .

وتحرّكت المغاربة فى هذه السنة يوم الخميس لثلاث خلوْن من جمادى الأولى ، وكانوا يجتمعون قرب الجسر بسامُرّا ، ثم تفرّقوا يوم الجمعة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهم الإمام وهو والى مكة .

---

(١) بعدها فى ف : « ليال » .

ثم دخلت سنة خمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ظهور يحيى بن عمر الطالبىّ ثم مقتله]

فمن ذلك ما كان من ظهور يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ المكنى بأبى الحسين بالكوفة ، وفيها كان مقتله رضى الله عنه .

٣/١٥١٦ • ذكر الخبر عن سبب ظهوره وما آل إليه أمره :

ذُكِر أنّ أبا الحسين يحيى بن عمر — وأمّه أم الحسين فاطمة بنت الحسين ابن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب — نالتْه ضيقة شديدة ، ولزمه دَيْن ضاق به ذرعًا ، فلقى عمرَ بن فرج — وهو يتولّى أمر الطالبيين — عند مقدَمه من خراسان أيام المتوكل ، فكلّمه فى صلته ، فأغلظ عليه عمر القول [1] ؛ فقذفه يحيى بن عمر فى مجلسه ، فحُبِس ، فلم يزل محبوساً إلى أن كفل [2] به أهلُه ، فأطلِق ، فشخص إلى مدينة السلام ، فأقام بها بحال سيّئة ، ثم صار إلى سامُرّا ، فلقى وصيفاً فى رِزْق يُجرَى له ، فأغلظ له وصيفٌ فى القول ، وقال : لأىّ شىء يُجرى على مثلك ! فانصرف عنه .

فذكر ابن أبى طاهر أن ابن الصوفىّ الطالبىّ حدّثه ، أنه أتاه فى الليلة التى كان خروجه فى صبيحتها ، فبات عنده ، ولم يعلمه بشىء [3] مما عزم عليه ؛ وأنه عرض عليه الطّعام ، وتبيّن فيه أنه جائع ، فأبى أن يأكل ، وقال : إنْ عشنا أكلنا ، قال : فتبيّنت أنه قد عزم [4] على فتكة ؛ وخرج من عندى ؛

---

(١) من ف : « له فى القول » .
(٢) ف : « كفله » .
(٣) بعدها فى ف : « من أمره » .
(٤) ف : « عازم » .

فجعل وجهه إلى الكوفة ؛ وبها أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان عاملاً عليها من قِبَل محمد بن عبد الله بن طاهر ؛ فجمع يحى بن عمر جمْعاً كثيراً من الأعراب ، وضوى إليه جماعة من أهل الكوفة ، فأتى[1] الفلُّوجة ؛ فصار إلى قرية تعرف بالعمد؛ فكتب صاحب البريد بخبره ؛ فكتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أيوب بن الحسن وعبد الله بن محمود السرخسيّ — وكان عامل محمد بن عبد الله على معاون السواد — يأمرهما بالاجتماع على محاربة يحيى ابن عمر — وكان على الخراج بالكوفة بدر بن الأصبغ — فمضى يحيى بن عمر فى سبعة نفر من الفرسان إلى الكوفة فدخلها ، وصار إلى بيت مالها ؛ فأخذ ما فيه ؛ والذى وُجد فيه ألفا دينار وزيادة شىء ، ومن الورِق سبعون ألف درهم ؛ وأظهر أمره بالكوفة وفتح السجنيْن ، وأخرج جميع من كان فيهما ؛ وأخرج عمّالها عنها ، فلقيه عبد الله بن محمود السرخسيّ — وكان فى عداد الشاكريّة ، فضربه يحيى بن عمر ضربةً على قُصَاص شعره[2] فى وجهه أثْخنته ؛ فانهزم ابن محمود مع أصحابه ، وحوى يحيى ما كان مع ابن محمود من الدوابّ والمال . ٣/١٠١٧

ثم خرج يحيى بن عمر من الكوفة إلى سوادها ، فصار إلى موضع يقال له بستان — أو قريباً منه — على ثلاثة فراسخ من جُنُبلاء ؛ ولم يقم بالكوفة ، وتبعتْه جماعة من الزيديّة ، واجتمعت على نُصرته جماعة من قرب من تلك الناحية من الأعراب وأهل الطُّفوف والسِّيب الأسفل ، وإلى ظهر واسط . ثم أقام بالبستان ، فكثُر جمعُه ، فوجّه محمد بن عبد الله لمحاربته الحسينَ بن إسماعيل ابن إبراهيم بن مصعب ، وضمّ إليه من ذَوِي البأس والنجدة من قوّاده جماعة ؛ مثل خالد بن عمران وعبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الفَلْس ، وأبى السناء الغَنَوىّ ، وعبد الله بن نصر بن حمزة ، وسعد الضِّبابىّ ، ومن الإسحاقية أحمد ابن محمد بن الفضل وجماعة من خاصّة الخراسانية وغيرهم . ٣/١٠١٨

وشخص الحسين بن إسماعيل ، فنزل بإزاء هَفَنْدَى فى وجه يحيى بن عمر ، لا يقدم عليه الحسين بن إسماعيل ومَنْ معه ؛ وقصد يحيى نحو البحرية

---

(١) كذا فى س ، وفى ط : « وأتى » .

(٢) قصاص الشعر : حيث ينتهى نبته من مقدمه أو مؤخره .

— وهى قرية بينها وبين قُسِّين خمسة فراسخ ، ولو شاء الحسين أن يلحقه لحقه — ثم مضى يحيى بن عمر فى شرقىّ السَّيب والحسين فى غربيّه ، حتى صار إلى أحمد أباذ فعبر إلى ناحية سُورا ، وجعل الجند لا يلحقون ضعيفاً عجز عن اللحاق بيحيى إلا أخذوه ، وأوقعوا بمن صار إلى يحيى بن عمر من أهل تلك القرى .

١٠١٩/٣ وكان أحمد بن الفرج المعروف بابن الفزارىّ يتولى معونة السَّيب لمحمد ابن عبد الله ، فحمل ما اجتمع عنده[1] من حاصل السَّيب قبل دخول يحيى بن عمر أحمد أباذ ، فلم يظفر به .

ومضى يحيى بن عمر نحو الكوفة ، فلقيَه عبد الرحمن بن الخطاب وَجْهُ الفَلْس ، فقاتله بقرب جسر الكوفة قتالاً شديداً ، فانهزم عبد الرحمن بن الخطاب ، وانحاز إلى ناحية شاهى ، ووافاه الحسين بن إسماعيل ، فعسكر بها ، ودخل يحيى بن عمر الكوفة ، واجتمعت إليه الزيديّة ، ودعا إلى الرضا من آل محمد وكشَفَ أمره ، واجتمعت إليه جماعة من الناس وأحبّوه ، وتولاّه العامة من أهل بغداد — ولا يُعلم أنهم تولوا من أهل بيته غيره — وبايعه بالكوفة جماعة لهم بصائر وتدبير فى تشيُّعهم ؛ ودخل فيهم أخلاط لا ديانة لهم .

وأقام الحسين بن إسماعيل بشاهى ، واستراح وأراح أصحابه دوابَّهم ، ورجعت إليهم أنفسهم ، وشربوا العذب من ماء الفُرات ؛ واتّصلت بهم الأمداد والمِيرة والأموال . وأقام يحيى بن عمر بالكوفة يعدّ العدد ، ويطبع السيوف ، ويعرض الرجال ، ويجمع السلاح .

١٠٢٠/٣ وإن جماعة من الزيديّة ممّن لاعلم له[2] بالحرب ، أشاروا على يحيى بمعاجلة الحسين ، وألحّت عليه عوامّ أصحابه بمثل ذلك ، فزحف إليه من ظهر الكوفة من وراء الخندق ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب ، ومعه الهيضَم العِجلىّ ، فى فرسان من بنى عِجْل وأناس من بنى أسد ورجّالة من أهل الكوفة ليسوا بذوى علْم ولا تدبير ولا شجاعة ، فأسْرَوْا ليلتهم ؛ ثم صبّحوا حسيناً وأصحابَه — وأصحابُ حسين مستريحون ومستعدّون — فثاروا إليهم[3] فى الغَلَس

(١) ف : « إليه » . (٢) ف . « لهم » .
(٣) ف : « عليهم » .

فرموا ساعة ، ثم حمل عليهم أصحاب الحسين فانهزموا ، ووُضع فيهم السيف ؛ فكان أوّل أسير الهيضم بن العلاء بن جمهور العِجلىّ ، فانهزم رجّالةُ أهل الكوفة ، وأكثرهم عُزْل بغير سلاح ، ضَعْفَى[1] القوى ، خلقان الثياب ؛ فداستهم الخيل ، وانكشف العسكر عن يحيى بن عمر ، وعليه جوشن تُبَّتِىّ ، وقد تقطّر به البرذون الذى أخذه من عبد الله بن محمود ، فوقف عليه ابنٌ لخالد بن عمران يقال له خير ؛ فلم يعرفه ، وظنّ أنه رجل من أهل خراسان ؛ لمّا رأى عليه الجوشن . ووقف عليه أيضًا أبو الغور بن خالد بن عمران ، فقال لخير بن خالد : يا أخى ، هذا والله أبو الحسين قد انفرج قلبُه ؛ وهو نازل لا يعرف القصّة لانفراج قلبه ، فأمر خير رجلاً من أصحابه المواصلين[2] من العرفاء يقال له مُحْسِن بن المنتاب ، فنزل إليه فذبحه ، وأخذ رأسه وجعله فى قَوْصرّة[3] ، ووجّهه مع عمر بن الخطاب ، أخى عبد الرحمن بن الخطاب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر . ٣/١٥٢١

وادّعى قتلَه غير واحد ، فذكر عن العرس بن عراهم أنهم وجدوه باركاً ، ووجدوا خاتمه مع رجل يعرف بالعسقلانىّ مع سيفه ، وادّعى أنه طعنه وسلبه ، وادّعى سعد الضِّبابىّ أنه قتله .

وذكر عن أبى الحسين خال أبى السناء أنه طعن فى الغَلَس رجلا فى ظهره لا يعرفه ، فأصابوا فى ظهر أبى الحسين طعنة ولا يُدْرَى مَنْ قتله ، لكثرة من ادّعاه ، وورد الرأس دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، وقد تغيّر ، فطلبوا مَنْ يقوّر ذلك اللحم ، ويخرج الحدَقة والغَلْصمة[4] ، فلم يوجد ، وهرب الجزّارون ، وطُلب ممن فى السجن من الخرّمية الذبّاحين من يفعل ذلك فلم يقدم عليه أحد ، إلا رجل من عمال السجن الجديد ، يقال له سهل بن الصغدىّ ، فإنه تولى إخراج دماغه وعينيه وقوّره بيديه ، وحُشِى بالصبر والمسك والكافور بعد أن غسل وصُيِّر فى القطن . وذكر أنهم رأوا بجنبيه ضربة بالسيف منكرة . ٣/١٥٢٢

(١) ف : « ضعاف » . (٢) س : « الموصليين » .
(٣) القوصرة ، بالتخفيف والتشديد : وعاء للتمر .
(٤) الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق .

ثم إنّ محمد بن عبد الله بن طاهر أمر بحمل رأسه إلى المستعين من غد اليوم الذى وافاه فيه، وكتب إليه بالفتح بيده ، ونصب رأسه بباب العامّة بسامُرّا ، واجتمع الناس لذلك ، وكثروا وتذمّرُوا، وتولّى إبراهيم الديرج نَصْبَه ؛ لأن إبراهيم بن إسحاق خليفة محمد بن عبد الله أمَرَه فنصبه لحظة ، ثم حُطّ، ورُدّ إلى بغداد لينصب بها بباب الجسر ؛ فلم يتهيّأ ذلك لمحمد بن عبد الله لكثرة مَن اجتمع من الناس. وذُكر لمحمد بن عبد الله أنهم على أخذه اجتمعوا، فلم ينصبه، وجعله فى صندوق فى بيت السلاح فى داره، ووجّه الحسين ابن إسماعيل بالأسرَى ورءوس مَن قتل معه مع رجل يقال له أحمد بن عصمويه ، ممّن كان مع إسحاق بن إبراهيم ، فكدّهم وأجاعهم وأساء بهم ؛ فأمر بهم فحبِسوا فى سجن الجديد ، وكتب فيهم محمد بن عبد الله يسأل الصفح عنهم ، فأمر بتخليتهم ، وأن تدفن الرءوس ولا تُنصب ، فدفنت فى قصر بباب الذهب .

وذُكِر عن بعض الطاهريّين أنه حضر مجلس محمد بن عبد الله وهو يُهنّأ بمقتل يحيى بن عمرو بالفتح وجماعة من الهاشميين والطالبيّين وغيرهم حضور ؛ فدخل عليه داود بن القاسم[1] أبو هاشم الجعفرىّ فيمن دخل ، فسمعهم يهنّئونه ، فقال : أيها الأمير ؛ إنك لتُهنّأ بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًّا لَعُزِّىَ به ! فما ردّ عليه محمد بن عبد الله شيئًا، فخرج أبو هاشم الجعفرىّ ، وهو يقول : ٣/١٥٢٣

يا بَنِى طاهرٍ كلُوهُ وَبِيًّا إن لحمَ النبِىِّ غيرُ مَرِىِّ
إنَّ وِترًا يكونُ طالِبَهُ اللـ ـهُ لَوِترٌ نجاحُهُ بالحَرِىِّ

وكان المستعين قد وجّه كلباتكين مددًا للحسين ومستظهرًا به ، فلحق حسيناً بعد ما هُزم القوم وقتل يحيى بن عمر ، فمضى ومعهم صاحب بريد الكوفة فلقىَ جماعة ممّن كان مع يحيى بن عمر ، ومعهم أسوقة وأطعمة يريدون عسكر يحيى ؛ فوضع فيهم السَّيْف فقتلهم ، ودخل الكوفة ؛ فأراد أن

(١) ط : « الهيثم » ، صوابه من ا .

ينهبها ويضعَ السيف فى أهلها ، فمنعه الحسين ، وآمن الأسودَ والأبيض بها ؛ وأقام أياماً ثم انصرف عنها .

* * *

[ذكر خبر خروج الحسن بن زيد العلوىّ]

وفى هذه السنة كان خروج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن ابن زيد بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب فى شهر رمضان منها .

ذكر الخبر عن سبب خروجه :

٣/١٥٢٤ حدّثنى جماعة من أهل طَبَرِستان وغيرهم ؛ أنّ سبب ذلك كانَ أنّ محمد بن عبد الله بن طاهر لمّا جرى على يده ما جرى من قَتْل يحيى بن عمر ، ودخول أصحابه وجيشه الكوفةَ بعد فراغهم من قَتْل يحيى ، أقطعه المستعين من صوافى السلطان بطبرستان قطائعَ ؛ وأن من تلك القطائع التى أقطعها قطيعة فيما قرب من ثَغْرَىْ طبرستان ممّا يلى الدّيْلَم ؛ وهما كلار وسالوس ، كان بحذائها[1] أرض لأهْل تلك الناحية فيها مرافق، منها مُحتَطبهم ومراعى مواشيهم ومسرح سارِحتهم ؛ وليس لأحد عليها مِلْك؛ وإنما هى صحراء من موتان[2] الأرض ؛ غير أنها ذات غياض وأشجار وكلإ .

فوجّه — فيما ذكر لى — محمد بن عبد الله بن طاهر أخًا لكاتبه بشر بن هارون النصرانىّ يقال له جابر بن هارون ، لحيازة ما أقطع هنالك من الأرض ، وعامل طَبَرستان يومئذ سليمان بن عبد الله خليفة محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، أخو محمد بن عبد الله بن طاهر ، والمستولى على سليمان ، والغالب على أمره محمد بن أوس البلخىّ؛ وقد فرّق محمد بن أوس ولده فى مدن طَبَرستان ، وجعلهم ولاتها ، وضمّ إلى كلّ واحد منهم مدينة منها ؛ وهم أحداث سُفَهاء ؛ ٣/١٥٢٥ قد تأذّى بهم وبسفههم مَنْ تحت أيديهم من الرعيّة[3] واستنكروا منهم ومن والدهم ومن سليمان بن عبد الله سفَهَهم وسيَرَهم فيهم ، وغلظ عليهم سوء

(١) ا : « كادها » .
(٢) الموتان من الأرض : التى لم تحى بعد .
(٣) كذا فى ا ، ف ، وفى ط : « والرعية » .

أثرهم فيهم ؛ بقِصَص يطول الكتاب بشرح أكثرها .

ووَترمع ذلك — فيما ذُكر لى — محمد بن أوس الديلم بدخوله إلى ما قرب من بلادهم من حدود طَبَرستان ؛ وهم أهل سِلْم وموادعة لأهل طَبرستان على اغترار من الدّيلم بما يلتمس بدخوله إليهم بغارة ،فسَبَى منهم وقتل،ثم انكفأ راجعًا إلى طبَرستان ، فكان ذلك مما زاد أهل طبرستان عليه حَنَقا وغيظًا ، فلما صار رسول محمد بن عبد الله — وهو جابر بن هارون النصرانىّ — إلى طبرستان لحيازة ما أقْطعه هنالك محمد، عمد — فيما قيل لى — جابر بن هارون إلى ما أقطِع محمد بن عبد الله من صَوافِى السلطان فحازه ، وحاز ما اتّصل به من موات الأرض التى يَرْتفِق بها أهلُ تلك الناحية — فيما ذُكر — فكان فيما رام حيازته من ذلك المواتُ الذى بقرب من الثغريْن اللذّين يسمى أحدهما كلار[1] والآخر سالوس ؛ وكان فى تلك الناحية يومئذ رجلان معروفان بالبأس والشجاعة[2] ، وكانا مذكورين قديمًا بضبط تلك الناحية ممن رامها[3] من الدّيْلم ، وبإطعام الناس بها وبالإفضال على مَنْ ضوى[4] إليهما ؛ يقال لأحدهما محمد وللآخر جعفر ؛ وهما ابنا رستم أخوان ؛ فأنكرا ما فعل جابر بن هارون من حيازته الموات الذى وصفت أمره، ومانعاه ذلك

١٥٢٦/٣

وكان ابنا رستم فى تلك الناحية مُطاعيْن فاستنهضا مَنْ أطاعهما ممّن فى ناحيتهما لمنع جابر بن هارون من حيازة ما رام حيازَته من الموات الذى هو مَرْفق لأهل تلك الناحية — فيما ذُكر — وغير داخل فيما أقطعَه صاحبه محمد بن عبد الله ، فنهضوا معهما، وهرب جابر بن هارون خوفًا على نفسه منهما وممن قد نهض معهما ،لإنكارما رام جابر النصرانى فعلَه . فلحق بسليمان بن عبد الله ابن طاهر،وأيقن محمد وجعفر ابنا رستم ومَنْ نهض معهما فى منع جابر عما حاول من حيازة ما حاول حيازته من الموات الذى ذُكرتُ بالشرّ،وذلك أن عامل طبرستان كلّها سليمان بن عبد الله ؛ وهو أخو محمد بن عبد الله بن طاهر وعمّ محمد ابن طاهر بن عبد الله عامل المستعين على خُراسان وطبرستان والرّىّ والمشرق كله يومئذ .

(١) ا : « كلان » .
(٢) بعدها فى ف : « والنجدة » .
(٣) ف : « يرومها » .
(٤) ف : « انضوى » .

فلما أيقن القوم بذلك، راسلوا جيرانهم من الدَّيْلم، وذكَّروهم وفاءهم لهم بالعهد الذى بينهم وبينهم، وما ركبهم به محمد بن أوس من الغدر والقتل والسبْى، وأنهم لا يأمنون[1] من ركوبه إياهم بمثل الذى ركبهم به، ويسألونهم مظاهرتهم عليه وعلى مَنْ معه؛ فأعلمهم الديلم أنّ ما يلى أرضَهم من جميع نواحيها من الأرضين والبلاد؛ إنما عمَّالُها إمّا عمال لطاهر؛ وإمّا عمال مَنْ يتّخذ[2] آل طاهر إن احتاجُوا إلى إنجادهم؛ وإن ما سألوا من معاونتهم لا سبيل لهم إليه إلا بزوال الخوْف عنهم من أن يُؤْتَوا من قبل ظهورهم إذا هم اشتغلوا بحرْب من بين أيديهم من عمال سليمان بن عبد الله؛ فأعلمهم الذين سألوهم المظاهرة على حَرْب سليمان وعماله أنهم لا يغفلون عن كفايتِهم ذلك؛ حتى يأمنوا مما خافوا منه. فأجابهم الدَّيْلم إلى ما سألوهم من ذلك، وتعاقدوا هم وأهل كلار وسالوس على معاونة بعضهم بعضاً على حَرْب سليمان ابن عبد الله وابن أوس وغيرهم ممن قصدهم بحرب. ‎٣/١٠٢٧

ثم أرسل ابنا رستم محمد وجعفر — فيما ذكر — إلى رجل من الطالبيّين المقيمين كانوا يومئذ بطبَرستان، يقال له محمد بن إبراهيم، يدعونه إلى البَيْعة له، فأبى وامتنع عليهم، وقال لهم: لكنى أدلّكُم على رجل منا هو[3] أقوم بما دعوتموه إليه منّى، فقالوا: مَنْ هو؟ فأخبرهم أنه الحسن بن زيد، ودلّهم على منزله ومسكنه بالرّىّ. فوجّه القومُ إلى الرّىّ عن رسالة محمد بن إبراهيم العلوىّ إليه مَنْ يدعوه إلى الشخوص معه إلى طبرستان؛ فشخص معه إليها، فوافاهم الحسن بن زيد، وقد صارت كلمة الديلم وأهل كلار وسالوس ورُويان على بيعتِه وقتال سليمان بن عبد الله واحدةً؛ فلما وافاهم الحسن بن زيد بايع له ابنا رستم، وجماعة أهل الثغور ورؤساء الديلم: كجايا ولاشام ووَهْسُودان بن جستان، ومِنْ أهل رويان عبد الله بن وَنْدَاميد — وكان عندهم من أهل التألّه والتعبّد — ثم ناهضوا من فى تلك النواحى من عمال ابن أوس فطردوهم عنها، فلحقوا بابن أوس وسليمان بن عبد الله؛ وهما بمدينة سارية، وانضمّ إلى الحسن ابن زيد مع مَنْ بايعه من أهل النواحى التى ذكرت؛ لما بلغهم ظهوره بها ‎٣/١٠٢٨

---

(١) س: «ولا يأمنون». (٢) كذا فى ا، وفى ط: «ينجد» (٣) س: «وهو».

١٠٢٩/٣ حوزيّة جبال طبرستان كما صمْغان وغادُسْبان وليث بن قباذ ، ومن أهل السفح خشكجستان بن إبراهيم بن الخليل بن ونداسفجان ، خلا ما كان من سكان جبل فريم ؛ فإن رئيسهم كان يومئذ والمتملك عليهم قارن بن شهريار ؛ فإنه كان ممتنعاً بجبله وأصحابه ، فلم ينقَد للحسن بن زيد ولا مَن معه حتى مات ميتة نفسه ، مع موادعة كانت بينهما فى بعض الأحوال ، ومخاتنة[1] ومصاهرة كفّاً من قارن بذلك من فعله عاديةَ الحسن بن زيد ومن معه .

ثم زحف الحسن بن زيد وقُوّاده من أهل النواحى التى ذكرت نحو مدينة آمُل ؛ وهى أول مدن طبرستان مما يلى كلار وسالوس من السفح — وأقبل ابن أوس من سارية إليها يريد دفعَه عنها ، فالتقى جيشاهما فى بعض نواحى آمُل ، ونشبت الحرب بينهم . وخالف الحسن بن زيد وجماعة ممن معه من أصحابه موضع معركة القوم إلى ناحية أخرى ، فدخلوها . فاتصل الخبر بدخوله مدينة آمل بابن أوس ؛ وهو مشتغل بحرب مَن هو فى وجهه من رجال الحسن بن

١٠٣٠/٣ زيد ؛ فلم يكن له همٌّ إلا النّجاء بنفسه واللحاق بسليمان بسارية ؛ فلما دخل الحسن بن زيد آمُل كثُف جيشه ، وغلظ أمره ، وانقضّ إليه كلّ طالب نهبٍ ومُريد فتنة من الصعاليك والحوزية وغيرهم ؛ فأقام — فيما حُدّثت — الحسن بن زيد بآمُل أياماً ؛ حتى جبى الخراج من أهلها ، واستعدّ . ثم نهض بمن معه نحو سارية مريداً سليمان بن عبد الله ، فخرج سليمان وابن أوس بمَن معهما من جيوشهما ؛ فالتقى الفريقان خارج مدينة سارية ، ونشبت الحرب بينهم ، فخالف الوجهَ الذى التقى فيه الجيشان بعضُ قواد الحسن بن زيد إلى وجه آخر من وجوه سارية ، فدخلها برجاله وأصحابه ، فانتهى الخبر[2] إلى سليمان بن عبد الله ومَن معه من الجند ؛ فلم يكن لهم همٌّ غير النجاة بأنفسهم .

ولقد حدثنى جماعة من أهل تلك الناحية وغيرها ، أنّ سليمان بن عبد الله هرَب وترك أهله وعياله وثقَله وكلّ ما كان له بسارية من مال وأثاث وغير ذلك بغير مانع ولا دافع ؛ فلم يكن له ناهية دون جُرجان . وغلب على ما كان له ولغيره بها من جُنده الحسن بن زيد وأصحابه .

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « ومحابية » (٢) بعدها فى ا ، ف : « بذلك » .

فأما عيال سليمان وأهله وأثاثه فإنه بلغنى أن الحسن بن زيد أمر لهم بمركب ٣/١٠٣١
حملهم فيه حتى ألحقهم بسليمان وهو بجرجان ، وأمّا ما كان لأصحابه فإن مَن
كان مع الحسن بن زيد من التّبّع انتهبه ، فاجتمع للحسن بن زيد بلحاق
سليمان بن عبد الله بجُرجان إمْرة طبرستان كلها .

فلما اجتمعت للحسن بن زيد طَبرِستان ، وأخرج عنها سليمان
ابن عبد الله وأصحابه وجّه إلى الرّىّ خيلاً مع رجل من أهل بيته، يقال
له الحسن بن زيد، فصار إليها ،فطرد عنها عاملها من قِبَل الطاهرية ، فلما
دخل الموجّه بهمن قِبَل الطالبيّين الرىّ هرب منها عاملُها ،فاستخلف بها رجلا
من الطالبيين يقال له محمد بن جعفر ، وانصرف عنها ، فاجتمعت للحسن بن
زيد مع طبرستان الرّى إلى حدّ همذان، وورد الخبر بذلك على المستعين ،ومدبّر
أمره يومئذ وصيف التركىّ ،وكاتبه أحمد بن صالح بن شيرزاد ، وإليه خاتم
المستعين ووزارته . فوجّه إسماعيل بن فَرَاشة فى جمع إلى همذان، وأمره بالمقام
بها وضبطها إلى أن يتجاوز إليها خيل الحسن بن زيد؛وذلك أنّ ما وراء عمل
هَمَذان كان إلى محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وبه عماله ،وعليه صلاحه.

فلما استقرّ بمحمد بن جعفر الطالبىّ القرار بالرّىّ ظهرت منه — فيما ذكر— ٣/١٠٣٢
أمور كرهها أهل الرّىّ ،فوجّه محمد بن طاهر بن عبد الله قائداً له من قِبَله ،
يقال له محمد بن ميكال — وهو أخو الشاه بن ميكال — فى جَمْع من الخيل
والرّجالة إلى الرّىّ ، فالتقى هو ومحمد بن جعفر الطالبىّ خارج الرّىّ؛فذُكر
أن محمد بن ميكال أسر محمد بن جعفر الطالبىّ ، وفضّ جيشه، ودخل الرّىّ،
فأقام بها ،ودعا بها للسلطان ؛فلم يتطاول بها مكثُه حتى وجّه الحسن بن زيد
إليه خيلا ،عليها قائد له من أهل اللازر ، يقال له واجن . فلما صار واجن إلى
الرّىّ خرج إليه محمد بن ميكال ، فاقتتلا ، فهزم واجن وأصحابه محمد بن
ميكال وجيشه ، والتجأ محمد بن ميكال إلى مدينة الرّىّ معتصماً بها ، فاتّبعه
واجن وأصحابه حتى قتلوه ، وصارت الرّىّ إلى أصحاب الحسن بن زيد .

فلمّا كان يوم عرفة من هذه السنة بعد مقتل محمد بن ميكال ،ظهر بالرّىّ
أحمد بن عيسى بن علىّ بن حسين الصغير بن علىّ بن حسين بن علىّ بن

أبى طالب رضى الله عنه وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب ؛ فصلّى أحمد بن عيسى بأهل الرّىّ صلاة[1] العيد ، ودعا للرضا من آل محمد ؛ فحاربه محمد بن علىّ بن طاهر ، فهزمه أحمد بن عيسى ، فصار إلى قزوين . ١٥٣٣/٣

* * *

وفى هذه السنة غُضب على جعفر بن عبد الواحد ، لأنه كان بعث إلى الشاكريّة ، فزعم وصيف أنه أفسدهم ، فنُفى إلى البصرة لسبع بقين من شهر ربيع الأول .

وفيها أسقِطت مرتبة مَنْ كانت له مرتبة فى دار العامة من بنى أميّة ، كابن أبى الشوارب والعثمانيين .

وأخرِج فى هذه السنة من الحبس الحسنُ بن الأفشين .

وأجلِس فيها العباسُ بن أحمد بن محمد ، فعقد لجعفر بن الفضل بن عيسى ابن موسى المعروف ببشاشات على مكة فى جمادى الأولى .

وفيها وثب أهل حِمْص وقومٌ من كلب — عليهم رجل يقال له عُطَيف ابن نعمة الكلبىّ — بالفَضْل بن قارن أخى مازيار بن قارن ؛ وهو يومئذ عامل السلطان على حِمْص ، فقتلوه فى رجَب ؛ فوجّه المستعين إليهم موسى بن بُغا الكبير ، فشخص موسى من سامُرّا يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلَتْ من شهر رمضان ؛ فلمّا قرب موسى تلقّاه أهلُها فيما بينها وبين الرَّستَن ، فحاربهم فهزمهم ؛ وافتتح حمص وقتل مِنْ أهلها مقتلة عظيمة ، وأحرقها وأسر[2] جماعة من رؤساء أهلِها ، وكان عطيف قد لحق بالبدو . ١٥٣٤/٣

وفيها مات جعفر بن أحمد بن عمّار القاضى يوم الأحد لسبع بقين من شهر رمضان .

وفيها مات أحمد بن عبد الكريم الجوارى والتيمىّ قاضى البصرة .

وفيها ولى أحمد بن الوزير قضاء سامرّا .

---

(١) ف : « صلوات » . (٢) بعدها فى ف : « من أهلها » .

وفيها وثبت الشاكرية والجُنْد بفارس بعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم ، فانتهبوا منزله ، وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن، وهرب عبد الله بن إسحاق .

وفيها وجّه محمد بن طاهر من خُراسان بفيليْن كان وُجِّه بهما إليه من كابُل وأصنام وفوائح .

وغزا الصائفة فيها بلكاجُور .

وحجّ بالناس فى هذه السنة جَعْفر بن الفضل بشاشات وهو والى مكة .

٣/١٥٣٥

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر قتل باغر التركىّ]

فممّا كان فيها من ذلك قتل وصيف وبُغا الصغير باغر التركىّ واضطراب أمر الموالى .

ذكر الخبر عن سبب قتلهما باغر :

ذُكر أنّ سبب ذلك كان أن باغر كان أحد قتلة المتوكل ، فزِيد لذلك فى أرزاقه ، وأقطع قطائع ؛ فكان مما أقطِع ضياع بسواد الكوفة ، فتضمّن تلك الضياع التى أقطِعها باغرُ هنالك مِن كاتب كان لباغر يهودىّ — رجل من دهاقين بارُوسما ونهر الملك — بألفىْ دينار فى السنة ، فعدا رجل بتلك[1] الناحية ، يقال له ابن مارِمّة على وكيل لباغر هنالك ، فتناوله أو دسّ إليه مَنْ تناوله ، فحُبس ابن مارّمة ، وقُيِّد ، ثم عمل حتى تخلص من الحبس ، فصار إلى سامُرّا ؛ فلقى دُلَيْل بن يعقوب النصرانىّ وهو يومئذ كاتب بُغا الشرابىّ وصاحب أمره ، واليه أمر العسكر ، يركبُ إليه القوّاد والعمال ؛ لمكانه من بُغا . وكان ابن مارِمّة صديقًا لدُليل ، وكان باغر أحد قُوّاد بُغا ، فمنع دُليل باغر من ظلم أحمد بن مارّمة ؛ وانتصف له منه ، فأوغر ذلك من فعله بصدر[2] باغر ، وبايَنَ كلّ واحد من دُليل وباغر صاحبَه بذلك السبب ، وباغر شجاع بطل معروف القَدْر فى الأتراك ، يتوقّاه بُغا وغيره ، ويخافون شرّه .

٣/١٥٣٦

فذكِر أنّ باغر جاء يوم الثلاثاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة خمسين ومائتين إلى بُغا ، وبُغا فى الحمام ، وباغر سكران شديد السكر ، وانتظره حتى خرج من الحمام ، ثم دخل عليه ، فقال له : والله ما من قتل دُليل بُدٌّ

(١) ف : « من تلك » . (٢) ف : « صدر باغر » .

ثم سبّه ، فقال له بغا : لو أردتَ قتل ابنى فارس ما منعتُك، فكيف دُليل النصرانىّ ! ولكنّ أمرى وأمر الخلافة فى يديْه فتنتظر(١) حتى أصيّر مكانه إنسانًا، وشأنَك به . ثم وجّه بُغا إلى دُلَيل يأمره ألاّ يركب ؛ وقيل : بل تلقاه طبيب لبُغا ، يقال له ابن سرجويه ، فأخبره بالقصّة، فرجع إلى منزله، فاستخفى ، وبعث بُغا إلى محمد بن يحيى بن فيروز ، وكان ابن فيروز يكتب له قبل ذلك، فجعله مكان دُلَيل ، فيوهم باغر أنه قد عزل دُليلا ؛ فسكن باغر ، ثم أصلح بُغا بين دُلَيل وباغر ، وباغر يتهدّد دُليلا بالقَتْل إذا خلا بأصحابه ، ثم تلطّف باغر للمستعين ، ولزم الخدمة فى الدار ، وكره المستعين مكانَه ؛ فلمّا كان يوم نوبة بُغا فى منزله قال المستعين : أىّ شىء كان إلى إيتاخ من الأعمال ؟ فأخبره وصيف ، فقال : ينبغى أن تصيّروا هذه الأعمال إلى أبى محمد باغر ، فقال وصيف : نعم ، وبلغت القصة دُليلا(٢) ، فركب إلى بُغا فقال له : أنت فى بيتك ؛ وهم فى تدبير عزلك عن كلّ أعمالك ؛ فإذا عُزلت فما بقاؤك إلاّ أن يقتلوك ! فركب بُغا إلى دار الخلافة فى اليوم الذى نَوْبته فى منزله بالعشىّ ، فقال لوصيف : أردتَ أن تُزيلنى عن مرتبتى ، وتجىء بباغر فتصيّره مكانى ؛ وإنما باغر عبدٌ من عبيدى ورجل من أصحابى ، فقال له وصيف : ما علمتُ ما أراد الخليفة من ذلك . فتعاقد وصيف وبُغا على تنْحية باغر من الدار والاحتيال له ، وأرجفوا له أنه يؤمّر ويضمّ إليه جيش سوى جيشه ؛ ويُخلَع عليه ، ويُجلَس فى الدار مجلس بُغا ووصيف — وهما يسمّيان الأميرين — ودافعوه بذلك . وإنما كان المستعين تقرّب إليه بذلك ليأمن ناحيته ، فأحسّ هو ومن فى ناحيته بالشرّ ، فجمع إليه الجماعة الذين كانوا بايعوه على قتل المتوكل أو بعضها مع غيرهم ؛ فلمّا جمعهم ناظرهم ووكّد البيعة عليهم كما وكّدها فى قتل المتوكل ، فقالوا : نحن على بيعتنا ، فقال : الزموا الدّار حتى نقتل المستعين وبُغا ووصيفًا ، ونجىء بعلىّ بن المعتصم أو بابن الواثق ، فنُقعده خليفة حتى يكون(٣) الأمر لنا ، كما هو لهذين اللذين قد

٣/١٥٣٧

(١) ا، ف : « فتصبر » .
(٢) ف : « إلى دليل » .
(٣) ف : « ايكون » .

استوليا[١] على أمر الدنيا[١] ، وبقينا نحن فى غير شىء ؛ فأجابوه إلى ذلك ، وانتهى الخبر إلى المستعين . فبعث[٢] إلى بغا ووصيف ؛ وذلك يوم الاثنين ، فقال لهما : ما طلبتُ إليكما أن تجعلانى خليفة ؛ وإنما جعلتمانى وأصحابكما[٣] ، ثم تريدان أن تقتلانى ! فحلفا له أنهما ما علما بذلك ، فأعلمهما الخبر . ١٥٣٨/٣

وقيل : إنّ امرأة لباغر كانت مطلّقة منه ، سعت إلى أمّ المستعين وإلى بغا بذلك ، وبكّر دليل إلى بغا ، وحضر وصيف إلى منزل بغا ومع وصيف أحمد بن صالح كاتبه ؛ فاتّفق رأيهم على أخذ باغر واثنين من الأتراك معه وحبسهم حتى يروا رأيَهم فيهم ، فأحضروا باغر ، فأقبل[٤] فى عِدّة حتى دخل الدار إلى بغا .

فذكر عن بشر بن سعيد المَرْثدىّ أنه قال : كنت حاضراً دخولَه ، فمُنع من الوصول إلى بغا ووصيف ، وعُطِف[٥] به إلى حمّام لبغا ، ودعِىَ له بالقيود ؛ فامتنع عليهم ؛ فحبسوه فى الحمّام ؛ وبلغ ذلك الأتراك فى الهارونىّ والكرْخ والدّور ، فوثبوا على إصطبل السلطان ، فأخذوا ما كان فيه من الدوابّ فانتهبوها وركبوها ، وحضروا الجوْسق بالسلاح ؛ فلما أمسَوْا أمر وصيف وبغا رشيدَ بن سعاد أخت وصيف أن يقتل باغر ، فأتاه فى عدّة ؛ فشدَخوه بالطَّبرزينات حتى أسكنوه ؛ فلما علم المستعين باجتماعهم ، ركب ووصيف وبغا حَرّاقة[٦] ، وصاروا إلى دار وصيف جميعًا ، وتراكض الناس يومهم — وهو يوم الثلاثاء وليلته — بالسلاح جائين وذاهبين ؛ فقال لهم وصيف : ترفّقوا حتى تنظروا ؛ فإن ثبتوا على المقاومة رمينا إليهم برأسه . فلما انتهى قتله إلى الأتراك المشغّبة ، أقاموا على ما هم عليه من الشَّغَب حتى علموا أنّ المستعين وبغا ووصيف قد انحدروا إلى بغداد ؛ وقد كان وصيف أعطى قومًا من المغاربة فرسانًا ورجّالة السلاح والرّماح ، ووجّه بهم إلى هؤلاء المشغبة ، وبعث ١٥٣٩/٣

(١ – ١) ف : « علينا وعلى الأمر » .
(٢) ف : « فأحضر بغا » .
(٣) ف : « خليفة » .
(٤) بعدها فى ف : « باغر » .
(٥) ا، ف : « وعدل » .
(٦) فى القاموس : الحراقات : سفن : بالبصرة فيها مرامى نيران يرمى بها العدو .

إلى الشاكريّة أن يكونوا على عُدّة إن احتيج إليهم ، وسكن الناس عند الظهر ، وهدأت الأمور ؛ وقد كان عِدّةٌ من قُوّاد الأتراك صاروا إلى هؤلاء المشغبين وسألوهم الانصراف ، فقالوا : يُوقْ يُوقْ ، أى لا لا .

فذكر عن بشر بن سعيد عن جامع بن خالد — وكان أحد خلفاء وصيف من الأتراك — أنه كان المتولّىَ مخاطبتهم مع عدّة ممن يعرف التركية ، فأعلموهم أن المستعين وبُغا ووصيف قد خرجوا إلى بغداد ، فأظهروا التندّم ، وانصرفوا منكسرين ؛ فلما انتشر الخبر بخروج المستعين صار الأتراك إلى دور دُليل ابن يعقوب ودور أهل بيته ممن قرب منه وجيرانه ، فانتهبوا ما فيها حتّى صاروا إلى الخشب والدّرْوَنْدات ؛ وقتلوا ما قدروا عليه من البغال، وانتهبوا علَف الدوابّ والخمر التى فى خزانة الشراب ؛ ودفع عن دار سلمة بن سعيد النصرانىّ جماعة كان وكّلهم بها ؛ من المصارعين وغيرهم من جيرانهم ، ومنعوهم من دخول الدار ؛ لأنهم أرادوا دار إبراهيم بن مهران النصرانىّ العسكرىّ ، فدفعوهم عنها ، وسلِم سلمة وإبراهيم من النهب . ٣/١٠٤٠

وقال فى قتل باغر والفتنة التى هاجت بسببه بعض الشعراء، ذُكر أن[1] قائله أحمد بن الحارث اليمامىّ :

لعمرى لئن قَتلوا باغرًا ... لقد هاج باغِرُ حرباً طَحُونَا[2]

وفَرَّ الخليفـــةُ والقائدَا ... نِ بالليلِ يلتمسانِ السَّفِينا

وصَاحُوا بِمَيْسَانَ ملَّاحِهِمْ ... فجاءَهُمُ يَسبِقُ الناظرينَا

فأَلزَمَهمْ بطنَ حَرَّاقةٍ ... وصَرَّتْ مَجَاذيفهم سَائِرينَا

وما كان قَدْرُ ابنِ مارِمَّةٍ ... فَتكسبَ فيه الحروبُ الزَّبونا

ولكنْ دُليلٌ سَعَى سَعْيَةً ... فأَخْزَى الإِلهُ بها العالمينا

فحَلَّ ببغدادَ قبل الشّروقِ ... فحلَّ بها منه ما يَكرهُونا ٣/١٠٤١

فليتَ السَّفينةَ لم تأْتِنا ... وغرَّقها اللهُ والرَّاكِبينَا

(١) ف : «أنه» . (٢) انظر المسعودى .

وأقبلتِ التركُ والمَغربونَ وجاء الفراغِنةُ الدَّارعونا
تَسيرُ كراديسُهُمْ فى السِّلاحِ يَرُوحونَ خيلاً ورَجْلا ثبِينا
فقامَ بحربِهمُ عالمٌ بأمرِ الحُروبِ تولَّاهُ حِينَا
فجدَّدَ سورًا على الجانبيْنِ حتَّى أحاطَهُمُ أجمعينا
وأَحكَمَ أبوابَها المُصْمتَاتِ على السُّورِيَحمِى بهاالمُسْتَعِينا
وهيّا مَجانيقَ خَطَّارَةً تُفِيتُ النفوسَ وتحْمِى العرينا
وعَبَّى فَرُوضاً وجَيْشِيَّةً أُلوفَ أُلوفٍ إذ تحْسُبُونا
وعبَّى المجانيقَ منظومةً على السور حتّى أغار العيونا

فذكر أنهم لما قدموا بغداد اعتلّ ابن مارّمة ، فعاده دُليل بن يعقوب ، فقال له : ما سببُ علّتك ؟ قال : عـقرُ القيد انتقض علىّ ، فقال دُليل : لئن عقرك القَيْد ؛ لقد نقضت الخلافة ، و بعثتَ فتنة . ومات ابن مارمّة فى تلك الأيام ؛ فقال أبو علىّ اليمامى الحنفىّ فى شخوص المستعين إلى بغداد :

ما زَالَ إلاَّ لزوالِ مُلكهِ وحَتفِهِ من بعده وهُلكِهِ

١٥٤٢/٢ ومنع الأتراك الناس من الانحدار إلى بغداد ، فذُكر أنهم أخذوا ملاَّحًا قد أكرى سفينته ، فضربوه مائتى سوط ، وصلّبوه على دَقَل سفينته[1]، فامتنع أصحاب السفن من الانحدار إلاَّ سرًّا أو بمؤنة ثقيلة .

* * *

[وقوع الفتنة ببغداد بين أهلها و بين جند السلطان]

وفى هذه السنة هاجت الفتنة ووقعت الحرب بين أهل بغداد وجند السلطان الذين كانوا بسامرّا ، فبايع كلُّ من كان بسامُرّا منهم المعتزّ ، وأقام من ببغداد منهم على الوفاء ببيعة المستعين .

* ذكر الخبر عن سبب هيج هذه الفتنة ، وسبب بيعة من كان بسامرّا من الجند المعتزّ وخلعهم المستعين ، ونصبهم الحرب لمن أقام على الوفاء ببيعته :

(١) الدقل : خشبة طويلة تشد فى وسط السفينة يمد عليها الشراع .

قال أبو جعفر: قد ذكرنا قبلُ موافاةَ المستعين وشاهك الخادم ووصيف وبُغا وأحمد بن صالح ابن شيرزاد بغداد ؛ وكانت موافاتهم إياها يوم الأربعاء لثلاث ساعات مضيْن من النهار لأربعة أيام — وقيل لخمسة أيام — خلوْن من المحرّم من هذه السنة ؛ فلما وافاها، نزل المستعين على محمد بن عبد الله بن طاهر فى داره، ثم وافى بغداد خليفة لوصيف على أعماله، يعرف بسلام ؛ فاستعلم ما عنده، ثم انصرف راجعاً إلى منزله بسامرّا ، فوافى القوّاد خلا جعفر الخياط وسليمان بن يحيى بن معاذ بغداد مع جِلّة الكتاب والعمال وبنى هاشم ، ثم وافى بعد ذلك من قُوّاد الأتراك الذين فى ناحية وصيف كلباتكين القائد وطيْغج الخليفة ، تركىّ، وابن عجوز الخليفة ، نَسائىّ ؛ وممّن فى ناحية بُغا بايكباك القائد من غلمان الخدمة مع عدّة من خلفاء بُغا . ٣/١٠٤٣

وكان — فيما ذكر — وجّه إليهم وصيف وبُغا قبل قدومهم(١) رسولا ، يأمرانهم أن يصيرُوا إذا قدموا بغداد إلى الجزيرة التى حِذاء دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، ولا يصيروا إلى الجِسْر ، فيُرعبوا العامة بدخولهم . ففعلوا وصاروا إلى الجزيرة ، فنزلوا عن دوابهم ، فوجِّهَتْ إليهم زواريق حتى عبروا فيها ، فصعد كلباتكين وبايكباك والقوّاد من أهل الدور وأرناتجور التركىّ، فدخلوا على المستعين ، فرموْا بأنفسهم بين يديه ، وجعلوا مناطقهم فى أعناقهم تذلُّلاً وخضوعاً ، وكلموا المستعين وسألوه الصَّفْح عنهم والرّضا ، فقال لهم : أنتم أهل بَغْى وفساد واستقلال للنعم ؛ ألم ترفعوا إلىّ فى أولادكم ، فألحقتهم بكم(٢) ؛ وهم نحو من ألفىْ غلام ، وفى بناتكم فأمرت بتصييرهنّ فى عداد المتزوّجات وهنّ نحو من أربعة آلاف امرأة فى المدّركين والمولودين ! وكلّ هذا قد أجبتكم إليه ، وأدررْت لكم الأرزاق حتى سبكتُ لكم آنية الذهب والفضة ، ومنعتُ نفسى لذّتها وشهوتها ؛ كلٌّ ذلك إرادةً لصلاحكم ورضاكم ؛ وأنتم تزدادون بَغْياً وفساداً وتهدّداً وإبعاداً ! ٣/١٠٤٤

فتضرّعوا، وقالوا: قد أخطأنا ، وأمير المؤمنين الصّادق فى كلّ قوله، ونحن

---

(١) ف : « وصولهم » . (٢) ف : « فألحقتكم بهم » .

نسأله العفو عنا والصّفْح عن زلّتنا ! فقال المستعين : قد صفحت عنكُم ورضيت ؛ فقال له بايكباك : فإن كنتَ قد رضيتَ عنا وصفحت، فقم فاركب معنا إلى سامُرّا ؛ فإنّ الأتراك ينتظرونك ؛ فأومأ محمد بن عبد الله إلى محمد بن أبي عون، فلكز[1] في حلْق بايكباك . وقال له محمد بن عبد الله : هكذا يقال لأمير المؤمنين ؛ قُمْ فاركب معنا ! فضحك المستعين من ذلك . وقال : هؤلاء قوم عَجَم ؛ ليس لهم معرفة بحدُود الكلام . وقال لهم المستعين، تصيرون إلى إلى سامُرّا ؛ فإنّ أرزاقكم دارّة عليكم ، وأنظر في أمري ها هنا ومقامي . ١٠٤٥/٣

فانصرفوا آيسين منه ، وأغضبهم ما كان من محمد بن عبد الله ، وأخبروا مَنْ وردوا عليه من الأتراك خبرهم ، وخالفوا فيما ردّ عليهم تحريضاً لهم على خلعه والاستبدال به ، وأجْمع رأيهم على إخراج المعتز والبيعة له ؛ وكان المعتزّ والمؤيد في حبس في الجوسق في حُجْرة صغيرة ، مع كلّ واحد منهما غلام يخدمه ؛ موكّلٌ بهم رجل من الأتراك يقال له عيسى خليفة بليار[2] ومعه عدّة من الأعوان ، فأخرجوا المعتزّ من يومهم ، فأخذوا من شعره ، وقد كان بُويع له بالخلافة ؛ وأمر للناس برزق عشرة أشهر للبيعة ، فلم يتمّ المال ، فأعطُوا شهرين لقلة المال عندهم .

وكان المستعين خلّف بسامرّا في بيت المال مما كان طلمجُور وأساتكين القائدان قدما به من ناحية الموصل من مال الشأم نحواً من خمسمائة ألف دينار ؛ وفي بيت مال أمّ المستعين قيمة ألف ألف دينار ، وفي بيت مال العباس ابن المستعين قيمة ستمائة ألف دينار ؛ فذكر أن نسخة البيعة التي أخذت :

١٠٤٦/٣ بسم الله الرحمن الرحيم . تبايعونَ عبد الله الإمام المعتّز بالله أمير المؤمنين بيعة طَوْع واعتقاد، ورضاً ورغبة وإخلاص من سرائركم، وانشراح من صدوركم، وصدْق من نيّاتكم ؛ لا مكرهين ولا مجبرين ؛ بل مقرّين عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها من تقوى الله وإيثار طاعته ، وإعزاز حقه ودينه ؛ ومن عموم صلاح عباد الله واجتماع الكلمة ، ولمّ الشعث ، وسكون الدّهماء ، وأمْن

(١) اللكز : الضرب والدفع . (٢) كذا في ا ، وفي ط من غير نقط .

العواقب، وعزّ الأولياء، وقمع الملحدين؛ على أن أباعبد الله المعتزّ بالله عبد الله وخليفتُه المفترَض عليكم طاعته ونصيحته والوفاء بحقه وعهده؛ لا تشكّون ولا تُدْهنون، ولا تميلون ولا ترْتابون، وعلى السمع والطاعة، والمشايعة والوفاء، والاستقامة والنصيحة في السرّ والعلانية، والخفوف والوقوف عند كلّ ما يأمر به عبد الله أبو عبد الله الإمام المعتزّ بالله أمير المؤمنين؛ من موالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه؛ من خاصّ وعامّ، وقريب وبعيد، متمسكين ببيعته بوفاء العَقْد وذمة العهد؛ سرائركم في ذلك كعلانيتكم، وضمائركم فيه كمثل ألسنتكم، راضين بما يرضى به أمير المؤمنين بعد بَيْعتكم هذه على أنفسكم، وتأكيدكم إياها في أعناقكم صفقةً، راغبين طائعين؛ عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم، وبولاية عهد المسلمين لإبراهيم المؤيد بالله أخي أمير المؤمنين، وعلى ألا تسعَوْا في نقض شيء مما أكد عليكم، وعلى ألّا يميل بكم في ذلك[1] مميل عن نصرة[2] وإخلاص وموالاة؛ وعلى ألّا تبدّلوا ولا تغيّروا، ولا يرجع منكم راجع عن بيعته وانطوائه على غير علانيته؛ وعلى أن تكون بيعتكم التي أعطيتموها بألسنتكم وعهودكم بيعةً يطّلع الله من قلوبكم على اجتبائها واعتمادها.

١٠٤٧/٣

وعلى الوفاء بذمّة الله فيها، وعلى إخلاصكم في نُصْرتها وموالاة أهلها؛ لا يشوب ذلك منكم نفاق ولا إدهان ولا تأوّل؛ حتى تلقوا الله مُوفين بعهده، مؤدّين حقّه عليكم، غير مستريبين ولا ناكثين؛ إذ كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين بيعةَ خلافته وولاية العهد من بعده لإبراهيم المؤيد بالله أخي أمير المؤمنين: ﴿إِنَّما يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهم فَمَنْ نَكَثَ فإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِه وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عليهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً﴾[3].

عليكم بذلك وبما أكدت عليكم به هذه البَيْعة في أعناقكم، وأعطيتم بها من صفقة أيمانكم، وبما اشترط عليكم من وفاء ونُصْرة، وموالاة واجتهاد. وعليكم عهدالله إنّ عهده كان مسئولا، وذمّة الله عزّ وجلّ وذمة محمد صلى الله عليه وسلم، وما أخذ الله على أنبيائه ورسُله، وعلى أحد من عباده من مواكيده ومواثيقه؛

---

(١) س: «عن ذلك».
(٢) س: «عن بصيرة».
(٣) سورة الفتح ١٠.

أن تسمعوا ما أخذ عليكم فى هذه البيْعَة ولا تبدّلوا ولا تميلوا ، وأن تمسّكوا بما عاهدتم الله عليه تمسُّكَ أهلِ الطاعة بطاعتهم ، وذوى الوفاء والعهد بوفائهم ، ولا يلفتكم عن ذلك هوًى ولا مَيْلٌ ، ولا يُزيغ قلوبكم فتنة أو ضلالة عن هُدًى ، باذلين فى ذلك أنفسَكم واجتهادكم ، ومقدّمين فيه حقّ الدين والطاعة والوفاء بما جعلتم على أنفسكم ؛ لا يقبل الله منكم فى هذه البيْعَة إلاّ الوفاء بها .

٣/١٠٤٨

فمن نكث منكم ممّن بايع أمير المؤمنين وولىّ عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين هذه البيعة على ما أخذ عليكم ، مسرًّا أو معلنًا ، مصرّحا أو محتالا أو متأوّلا ؛ وادّهن فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أخذ عليه من مواثيق الله وعهوده ، وزاغ عن السبيل التى يعتصم بها أولو الرّأى ؛ فكلّ ما يملك كلّ واحد منكم ممن ختر فى ذلك منكم عهدَه ، من مال أو عقار أو سائمة أو زَرْع أو ضَرْع صدقةٌ على المساكين فى وجوه سبيل الله ، محبوس محرّم عليه أن يُرجع شيئًا من ذلك إلى ماله ؛ عن حيلة يقدمها لنفسه ، أو يحتال له بها ؛ وما أفاد فى بقية عمره من فائدة مال يقلّ خطرها أو يجلّ ؛ فذلك سبيلُها ، إلى أن توافيَه منيّته ، ويأتى عليه أجله . وكلّ مملوك يملكه اليوم وإلى ثلاثين سنة ؛ ذكر أو أنثى ، أحرار لوجه الله ، ونساؤه يوم يلزمه فيه الحِنْث ومَنْ يتزوّج بعدهنّ إلى ثلاثين سنة طوالق طلاق الحرَج ؛ لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها ؛ وهو برىء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريئان ؛ ولا قَبِل [1] الله منه [2] صرفاً ولا عَدْلا ؛ والله عليكم بذلك شهيد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

٣/١٠٤٩

وأحضِر — فيما ذكر — البيعة أبو أحمد بن الرشيد وبه النِّقْرِس محمولاً فى محفّة ؛ فأمر بالبيعة فامتنع ؛ وقال للمعتزّ : خرجتَ إلينا خروج طائع فخلعتها ، وزعمت أنك لا تقوم بها ؛ فقال المعتز : أكْرِهتُ على ذلك وخفت السيف . فقال أبو أحمد : ما علينا أنك أكرِهت ؛ وقد بايعنا هذا الرجل ؛ فتريد أن نطلّق نساءنا ، ونخرج من أموالنا ، ولا ندرى ما يكون ! إن تركتنِى على أمرى حتى يجتمع الناس ؛ وإلا فهذا السيف . فقال المعتزّ اتركوه ، فَرُدّ إلى منزله من غير بيعة .

(١) ف : « فلا قبل » . (٢) س : « له » .

وكان ممن بايع إبراهيم الديرج وعتّاب بن عتّاب ، فهرب فصار إلى بغداد ، وأما الدّيرج فخُلِع عليه ، وأقِرّ على الشرْطة ، وخُلِع على سليمان بن يسار الكاتب ، وصُيِّر على ديوان الضياع ، وأقام يومه يأمر وينهى وينفّذ الأعمال ، ثم توارَى فى الليل ، وصار إلى بغداد .

٣/١٥٥٠ ولما بايع الأتراك المعتزّ ولّى عمالَه ، فولّى سعيد بن صالح الشرْطة ، وجعفر ابن دينار الحرس ، وجعفر بن محمود الوزارة ، وأبا الحمار ديوان الخراج ؛ ثم عُزِل وجُعِل مكانه محمد بن إبراهيم منقار ، وولِىَ ديوان جيش الأتراك المعروف بأبى عمر ، كاتب سيما الشرابىّ ، وولّى مقلّداً كَيْند الكلب أخا أبى عمر بيوتَ الأموال وإعطاءَ الأتراك والمغاربة والشاكريّة ، وولّى بريد الآفاق والخاتم سيما السارباتىّ ، واستكتب أبا عمر ؛ فكان فى حدّ الوزارة .

ولما اتّصل بمحمد بن عبد الله خبرُ البيعة للمعتزّ وتوجيهه العمال ، أمر بقطع الميرة عن أهل سامُرّا ، وكتب إلى مالك بن طَوْق فى المصير إلى بغداد هو ومَنْ معه من أهل بيته وجنده ، وإلى نجوبة بن قيس وهو على الأنبار فى الاحتشاد والجمع ، وإلى سليمان بن عمران الموصلى فى جَمْع أهل بيته ومَنْع السفن أو شىء من الميرة أن ينحدر إلى سامُرّا ، ومنَع أن يصعد شىء من الميرة من بغداد إلى سامرّا ، وأخذت سفينة فيها أرزّ وسَقَطٌ ، فهرب الملاّح منها وبقيت السفينة حتى غرقت ، وأمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر بتحصين

٣/١٥٥١ بغداد ؛ فتقدّم فى ذلك ؛ فأدير عليها السور من دِجْلة من باب الشّماسية إلى سوق الثلاثاء حتى أورده دِجْلة ومن دِجْلة من باب قطيعة أم جعفر ، حتى أورده قصر[1] حميد بن عبد الحميد ، ورتّب على كلّ باب قائداً فى جماعة من أصحابه وغيرهم وأمر بحفر الخنادق حول السورين[2] كما يدوران فى الجانبين جميعًا ومظلاّت يأوى إليها الفرسان فى الحرّ والأمطار ؛ فبلغت النفقة — فيما ذكر — على السورين وحفر الخنادق والمظلات ثلثمائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار ؛ وجعل على باب الشماسية خمس شدّاخات بعرض الطريق ؛ فيها

---

(١) س : « حصن » . (٢) س : « السور » .

العوارض والألواح والمسامير الطِّوال الظاهرة ، وجُعل من خارج الباب الثانى باب معلّق بمقدار الباب ثخين ، قد أُلبِس بصفائح الحديد ، وشُدّ بالحبال كى إن وافى أحدٌ ذلك البابَ أرسل عليه الباب المعلّق ، فقتل مَنْ تحته . وجعل على الباب الداخل عرّادة[1] ، وعلى الباب الخارج خمسة مجانيق كبار ؛ وفيها واحدٌ كبير سمّوْه الغضبان ، وستّ عرّادات ترمِى بها إلى ناحية رقّة الشمّاسيّة ؛ وصُيّر على باب البَرَدان ثمانى عَرّادات ، فى كلّ ناحية أربع ، وأربع شدّاخات وكذلك على كلّ باب من أبواب بغداد فى الجانب الشرقىّ والغربىّ ، [وجعل على كلّ باب من أبوابها قواداً برجالهم][2] وجعل لكلّ باب من أبوابها دهليزاً بسقائف تَسع مائة فارس ومائة راجل ؛ ولكل منجنيق وعرّادة رجالا مرتّبين يمدّون بحباله . ورامياً يرمى إذا كان القتال . وفرض فروضاً ببغداد ومرّ قوم من أهل خراسان قدموا حجّاجاً ، فسألوا المعونة على قتال الأتراك . فأعينوا . وأمر محمد بن عبد الله بن طاهر أن يُفْرَض من العيّارين فرض ، وأن يُجعل عليهم عريف ، ويُعمل لهم تراس من البوارىّ المقيَّرة ، وأن يُعمل لهم مخالٍ تُملأ حجارة . ففعل ذلك وتولى — فيما ذكر — عمل البوارىّ المقيّرة محمد بن أبى عون . وكان الرّجل منهم يقوم خلْف الباريّة فلا يُرى منها . عُمِلت نسائجات ، أنفق عليها زيادة على مائة دينار ؛ وكان العريف على أصحاب البوارىّ المقيرة من العيّارين رجلاً يقال له يَنْتَوَيْه . وكان الفراغ من عمل السور يوم الخميس لسبع بقين من المحرم .

٣/١٥٥٢

وكتب المستعين إلى عمّال الخراج بكل بلدة وموضع أن يكون حملهم ما يحملون من الأموال إلى السلطان إلى بغداد ، ولا يحملون إلى سامُرّا شيئاً ؛ وإلى عمّال المعاون فى ردّ كتب الأتراك . وأمر[3] بالكتاب إلى الأتراك والجند الذين بسامُرّا يأمرهم بنقض بيعة المعتزّ ومراجعة الوفاء[4] ببيعتهم إياه ، ويذكرهم أياديه عندهم ، وينهاهم عن معصيته ونَكْث بيعته ؛ وكان كتابه بذلك إلى سيما الشرابىّ .

٣/١٥٥٣

---

(١) العرادة : أصغر من المنجنيق .

(٢) من ا .

(٣) ف ، ا : « ثم أمر » .

(٤) بعدها فى ف : « لهم » .

ثم جرتْ بين المعتزّ ومحمد بن عبد الله بن طاهر مكاتبات ومراسلات ، يدعو المعتزّ محمداً إلى الدُّخول فيما دخل فيه مَنْ بايعه بالخلافة وخلع[1] المستعين ، ويذكّره[2] ما كان أبوه المتوكل أخذ له عليه بعد أخيه المنتصر من العَهْد وعقد الخلافة ، ودعوة محمدِ بن عبد الله المعتزّ إلى ما عليه من الأوبة إلى طاعة المستعين ، واحتجاج كلّ واحد منهما على صاحبه فيما يدعوه إليه من ذلك بما يراه حُجّة له ؛ تركتُ ذكرها كراهة الإطالة بذكرها .

وأمر محمد بن عبد الله بكسر القناطرِ وبَثق المياه بطسّوج الأنبار وما قرب منه من طسُّوج بادورَيَا ، ليقطع طريق الأتراك حين تخوّف من ورودهم الأنبار . وكان الذى تولّى ذلك نجوبة بن قيس ومحمد بن حمد بن منصور السعدىّ . وبلغ محمد بن عبد الله توجيه الأتراك لاستقبال الشمسة التى كانت مع البينُوق الفرغانىّ مَنْ يحميها من أصحابه . فوجّه محمد ليلة الأربعاء لعشر بقين من المحرّم خالد بن عمران وبندار الطبرىّ إلى ناحية الأنبار .

ثم وجّه بعدهما رشيد بن كاوس ، فصادفوا البينوق ومَنْ معه من الأتراك والمغاربة ، وطالبهم خالد وبندار بالشمسة ، فصار البينُوق وأصحابه مع خالد وبندار إلى بغداد إلى المستعين . ٣/١٥٥٤

وكان محمد بن الحسن بن جيلويه الكردى يتولّى معونة عُكبراء ؛ وكان على الراذان[3] رجل من المغاربة قد اجتمع عنده مالٌ ، فتوجّه إليه ابن جيلويه ، ودعاه إلى حَمْل مال الناحية ، فامتنع عليه ، ونَصَب له الحرب ؛ فأسر ابن جيلويه المغربىّ ، وحمله إلى باب محمد بن عبد الله ، ومعه من مال الناحية اثنا عشر ألف دينار وثلاثون ألف درهم ؛ فأمر محمد بن عبد الله لابن جيلويه بعشرة آلاف درهم . وكتب كلٌّ واحد من المستعين والمعتزّ إلى موسى بن بغا ، وهو مقيم بأطراف الشأم قرب الجزيرة — وكان خرج إلى حِمْص لحرب أهلها — يدعوه إلى نفسه ، وبعث كلٌّ واحد منهما إليه بعِدّة ألوية يعقدها لمن أحبّ ، ويأمره المستعين بالانصراف إلى مدينة السلام ، ويستخلف على عمله من رأى . فانصرف

(١) س : « ويخلع » . (٢) ا : « وتذكيره » .
(٣) ا ، ف : « الراذانات » .

إلى المعتزّ وصار معه . وقدم عبد الله بن بُغا الصغير بغداد على أبيه ؛ وكان قد تخلّف بسامُرّا حين خرج أبوه منها مع المستعين، وصار إلى المستعين، فاعتذر إليه وقال لأبيه : إنما قدمتُ إليك لأموت تحت ركابك . وأقام ببغداد أيامًا ، ثم استأذن ليخرج إلى قرية بقرب بغداد على طريق الأنبار ، فأذن له ؛ فأقام فيها إلى الليل ، ثم هرب من تحت ليلته ، فمضى فى الجانب الغربىّ إلى سامُرّا مجانبًا لأبيه ، ومماليًا عليه ؛ واعتذر إلى المعتزّ من مصيره إلى بغداد، وأخبره أنه إنما صار إليها ليعرف أخبارهم ، وليصير إليه فيُعرّفه صحتها . فقبل ذلك منه ، وردّه إلى خدمته .

٣/١٠٥٥

وورد الحسن بن الأفشين بغداد ، فخلع عليه المستعين ، وضمّ إليه من الأشروسنيّة وغيرهم جماعة كثيرة ، وزاد فى أرزاقه ستة عشر ألف درهم فى كلّ شهر .

ولم يزل أسد بن داودسياه مقيماً بسامُرّا ، حتى هرب منها ، فذُكر أنّ الأتراك بعثوا فى طلبه إلى ناحية الموصل والأنبار والجانب الغربىّ فى كل ناحية خمسين فارسًا ، فوافَى مدينة السلام ؛ فدخل على محمد بن عبد الله ، فضمّ إليه من أصحاب إبراهيم الديرج مائة فارس ومائتى راجل، ووكّله بباب الأنبار مع عبد الله بن موسى بن أبى خالد .

وعقد المعتزّ لأخيه أبى أحمد بن المتوكل يوم السبت لسبع بقين من المحرّم من هذه السنة — وهى سنة إحدى وخمسين ومائتين — على حرب المستعين وابن طاهر ، وولاّه ذلك ، وضمّ إليه الجيش ، وجعل إليه الأمرَ والنهى ، وجعل التدبير إلى كلباتكين التركىّ ، فعسكر بالقاطول فى خمسة آلاف من الأتراك والفراغنة وألفين من المغاربة ، وضمّ المغاربة إلى محمد بن راشد المغربىّ ؛ فوافوا عُكْبراء ليلة الجمعة لليلة بقيتْ من المحرّم ؛ فصلّى أبو أحمد، ودعا للمعتزّ بالخلافة ؛ وكتب بذلك نسخًا [1] إلى المعتز ؛ فذكر جماعة من أهل عكْبراء أنهم رأوا الأتراك والمغاربة وسائر أتباعهم ؛ وهم على خوف شديد ، يروْن أنّ محمد بن

٣/١٠٥٦

(١) ا : « ومائلا عنه » .

عبد الله قد خرج إليهم فسبقهم إلى حربهم ، وجعلوا ينتهبون القرى ما بين عُكبراء وبغداد وأوانا وسائر القرى من الجانب الغربىّ ، تخوّفاً على أنفسهم وخلّوْا عن الغَلاّت والضّياع ؛ فخرّبت الضياع ، وانتُهبت الغَلاّت والأمتعة وهدِمت المنازل ، وسُلب الناس فى الطريق .

ولمّا وافى أبو أحمد عُكبراء ومَنْ معه خرج جماعة من الأتراك الذين كانوا مع بُغا الشرابىّ بمدينة السلام من مَواليه والمضمومين إليه ، فهربوا ليلا ، فاجتازوا بباب الشمّاسيّة ؛ وكان على الباب عبد الرحمن بن الخطاب ، ولم يعلم بخبرهم ؛ وبلغ محمد بن عبد الله ذلك ، فأنكره عليه وعنّفه ، وتقدّم فى حفظ الأبواب وحراستها والنفقة على من يتولاّها .

ولما وافى الحسن بن الأفشين مدينة السلام وُكّل بباب الشمّاسية .

ثم وافى أبو أحمد وعسكره الشماسيّة ليلةَ الأحد لسبع خلون من صفر، ومعه كاتبه محمد بن عبد الله بن بشر بن سعد المرثدىّ ، وصاحب خبر العسكر من قِبَل المعتزّ الحسن بن عمرو بن قماش ومن قِبَله، صاحب خبر له يقال له جعفر بن أحمد البناتى[1] ، يعرف بابن الخبازة، فقال رجل من البصريّين كان فى عسكره ويعرف بباذنجانة :

٣/١٥٥٧

يا بنى طاهرٍ أتتكمْ جنودُ الله ... والموتُ بينها منشورُ
وجيوشٌ أَمامَهُنّ أَبو أَحمد ... نعْمَ المولى ونِعْمَ النصيرُ

ولمّا صار أبو أحمد بباب الشمّاسية ولّى المستعين الحسين بن إسماعيل باب الشماسية ، وصيّر مَنْ هناك من القوّاد تحت يده ؛ فلم يزل مقيماً هناك مدّة الحرب إلى أن شخص إلى الأنبار ؛ فولّى مكانه إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ؛ ولثلاث عشرة مضتْ من صفر ؛ صار إلى محمد بن عبد الله جاسوس له ؛ فأعلمه أن أبا أحمد قد عبّى قوماً يحرقون ظلال الأسواق من جانبىْ بغداد ، فكُشطت فى ذلك اليوم .

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط كلمة غير منقوطة .

وذكر أن محمد بن عبد الله وجّه محمد بن موسى المنجم والحسين بن إسماعيل، وأمرهما أن يخرجا من الجانب الغربىّ، وأن يرتفعا حتى يجاوزا عسكر أبى أحمد ويحزُرا : كَمْ فى عسكره ؟ فزعم محمد بن موسى أنه حَزَرهم ألفىْ إنسان، معهم ألف دابة[1]؛ فلما كان يوم الاثنين لعشر خلوْن من صفر وافت طلائع الأتراك إلى باب الشمّاسيّة، فوقفوا بالقرب منه؛ فوجّه محمد بن عبد الله الحسينَ بن إسماعيل والشاه بن ميكال وبُندار الطبرىّ فيمن معهم؛ وعزم على الركوب لمقاتلتهم، فانصرف إليه الشاه، فأعلمه أنه وافَى بمَنْ معه باب الشمّاسيّة. ٣/١٥٥٨

فلمّا عاين الأتراك الأعلام والرايات وقد أقبلت نحوَهم انصرفوا إلى معسكرهم؛ فانصرف الشاه والحسين، وترك محمد الركوب يومئذ.

فلمّا كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر عزم محمد بن عبد الله على توجيه الجيوش إلى القُفْص ليعرِض جنده هنالك، ويُرهب بذلك الأتراك؛ وركب معه وصيف وبُغا فى الدُّروع، وعلى محمد دِرْع، وفوق الدرْع صُدرة من درع طاهر؛ وعليه ساعد حديد؛ ومضى معه بالفقهاء والقضاة، وعزم على دعائهم إلى الرجوع عمّا هم عليه من التمادى فى الطُّغيان واللجَاج والعِصْيان، وبعث يبذل لهم الأمان على أن يكون أبو عبد الله ولىّ العهد بعد المستعين؛ فإنْ قبلوا الأمان وإلاّ باكرهم بالقتال يوم الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة تخلو من صفر؛ فمضى نحو باب قُطْربل، فنزل على شاطئ دجلة هو ووصيف وبغا، ولم يمكنْه[2] التقدّم لكثرة الناس؛ وعارضهم من جانب دِجلة الشرقىّ محمد بن راشد المغربىّ. ٣/١٥٥٩

ثم انصرف محمد؛ فلما كان من الغد وافتْه رسل عبد الرحمن بن الخطاب وجه الفَلْس وعَلك القائد ومَنْ معهما من القوّاد، يعلمونه أنّ القوم قد دنوْا منهم، وأنهم قد رجعوا إلى عسكرهم إلى رقة الشماسيّة، فنزلوا وضربوا مضاربَهم فأرسل إليهم ألا تبدءوهم، وإن قاتلوكم فلا تقاتلوهم؛ وادفعوهم اليوم. فوافى باب الشماسيّة اثنا عشر فارساً من عسكر الأتراك — وكان على باب الشماسيّة

---

(١) ا، س «راية». (٢) ف: «ولم يمكنهم».

باب وسَرَب ، وعلى السَّرَب باب ، فوقف الاثنا عشر الفارس بإزاء الباب ، وشتموا مَنْ عليه ، ورموا بالسهام ، ومن بباب الشماسية سكوتٌ عنهم ؛ فلما أكثروا أمر علَك صاحب المنجنيق أن يرميهم[1] ؛ فرماهم فأصاب منهم رجلا فقتله ؛ فنزل أصحابه إليه ، فحملوه وانصرفوا إلى عسكرهم[2] بباب الشماسيّة .

وقدم عبد الله بن سليمان خليفة وصيف التركيّ الموجّه إلى طريق مكة لضبط الطريق مع أبي الساج في ثلثمائة رجل من الشاكريّة ، فدخل على محمد بن عبد الله ، فخلع عليه خمس خلع ، وعلى آخر ممن معه أربع خلع .

٣/١٥٦٠ ودخل أيضاً في هذا اليوم رجل من الأعراب من أهل الثعلبيّة يطلب الفرْض معه خمسون رجلا ، وورد الشاكريّة القادمون من سامُرّا من قيادات شتّى ؛ وهم أربعون رجلا ، فأمر بإعطائهم وإنزالهم فأعْطُوا .

ووافى الأتراك في هذا اليوم باب الشماسيّة ، فرُمُوا بالسهام والمنجنيق والعرّادات ؛ وكان بينهم قتلَى وجرحى كثير ؛ وكان الأمير الحسين بن إسماعيل لمحاربتهم ، ثم أمِدّ بأربعمائة رجل من الملطيّين[3] مع رجل يعرف بأبي السنا الغنويّ [وهو ابن أخت الهيثم الغنوي][4] ، ثم أمدّهم بقوم من الأعراب نحو من ثلثمائة رجل ، وحمل في هذا اليوم من الصلات لمن أبلَى في الحرب خمسة وعشرين ألف درهم ، وأطوقة وأسورة من ذهب ؛ فصار ذلك إلى الحسين ابن إسماعيل وعبد الرحمن بن الخطاب وعلَك ويحيى بن هرثمة والحسن بن الأفشين وصاحب الحرب الحسين بن إسماعيل ؛ فكان الجرحَى من أهل بغداد أكثر من مائتي إنسان ، والقتلى عدّة ، وكذلك الجراحات في الأتراك والقتلَى أكثرهم بالمجانيق ؛ وانهزم أكثر عامة أهل بغداد ، وثبت أصحاب البواريّ وانصرفوا جميعاً ، وهم في القتلى والجرحى شبيه بالسواء ؛ وجُرح من هؤلاء — فيما ذكر — مائتان ، ومن هؤلاء مائتان ، وقتل جماعة من الفريقين .

٣/١٥٦١ وجاء كردوس من الفراغنة والأتراك في هذا اليوم إلى باب خُراسان من

(١) س : « يرموهم » .
(٢) ف : « معسكرهم » .
(٣) ط : « المطلبين » ، ما أثبته من ا .
(٤) من ا .

الجانب[١] الشرقىّ ليدخلوا منه ، وأتى الصريخ محمد بن عبد الله ، وثبت لهم المبيّضة والغوغاء فردّوهم . وقد كان محمد أمر أن يُمخَّر تلك الناحية ؛ فلما أرادوا الانصراف ، وحلّت عامة دوابهم ، ونجا أكثرهم ، أحضر الأتراك منجنيقاً ، فغلبهم الغوغاء عليه والمبيّضة ، وكسروا قائمة من قوائمه ، وقتِل اثنان من الشاشية من الحجاج ، وأمر بحمل الآجرّ من قصر الطين وتلك الناحية إلى باب الشماسيّة ؛ وفتحوا باب الشماسيّة ، وأخرجوا إلى الآجرّ من لقطه ، وردّوه إلى هذا الجانب من السور .

وكان محمد بن عبد الله اتّصل به أنّ جماعة من الأتراك قد صاروا إلى ناحية النّهروان ، فوجّه قائدين من قوّاده يقال لهما عبد الله بن محمود السرخسىّ ويحيى بن حفص المعروف بِحَبُوس فى خمسمائة من الفرسان والرّجالة[٢] إلى هذه الناحية ، ثم أردفهم بسبعمائة رجل أيضاً ، وأمرهم بالمقام هناك ؛ ومنع مَنْ أراده من الأتراك ؛ فتوجّه آخرهم إلى هذه الناحية يوم الجمعة لسبع خلون من صفر .

٣/١٥٦٢ فلما كان ليلة الاثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر ، صار قوم من الأتراك إلى النّهْروان ، فخرج جماعة ممن كان مع عبد الله بن محمود ، فرجعوا هُرّاباً ، وأخِذت دوابّهم ، وانصرف مَنْ نجا منهم إلى مدينة السلام مفلولين ، وقتل زهاء خمسين رجلا ، وأخذوا ستين دابة ، وعدّة من البغال قد كانت جاءت من ناحية حُلوان عليها الثلج[٣] ، فوجّهوا بها إلى سامرّا ، ووجهوا برءوس مَنْ قتلوا من الجند ، فكانت أول رءوس وافت فى تلك الحرب سامرّا .

وانصرف عبد الله بن محمود مفلولاً فى شرذمة ، وصار طريق خراسان فى أيدى الأتراك ، وانقطع الطريق من بغداد إلى خراسان .

وكان إسماعيل بن فراشة وُجّه إلى همذان للمقام بها ، فكتب إليه بالانصراف ، فانصرف ، فأعطِىَ هو وأصحابه استحقاقهم .

---

(١) ف : « الباب » . (٢) ف : « فارس وراجل » .
(٣) ط : « السلح » . وما أثبته من ا .

ووجّه المعتزّ عسكراً من الأتراك والمغاربة والفراغنة ومَنْ هو فى عدادهم . وعلى الأتراك والفراغنة الدرغمان الفرغانىّ ، وعلى المغاربة ربلة[١] المغربىّ ، فساروا إلى مدينة السلام من الجانب الغربىّ ، فجازوا قُطربّل إلى بغداد ، وضربوا عسكرهم بين قُطْربّل وقطيعة أم جعفر ؛ وذلك عشيّة الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر . .

فلما كان يوم الأربعاء من غد هذه الليلة ، وجّه محمد بن عبد الله بن طاهر الشاهَ بن ميكال من باب القطيعة وبُنداراً وخالد بن عمران فيمن معهم من أصحابهم من الفرسان والرّجّالة . فصافّهم الشاه وأصحابه ، فترامَوْا بالحجارة والسهام ، وألجئوا الشاه إلى مضيق عند باب القطيعة ، وكثُر المبيّضة من أهل بغداد ، ثم حمل الشاه والمبيّضة حملة واحدة أزالوا بها الأتراك والمغاربة ومَنْ معهم عن موضعهم ، وحمل عليهم المبيّضة ، وأصحروا بهم ، وحمل عليهم الطبريّة فخالطوهم ؛ وخرج عليهم بُندار وخالد بن عمران من الكمين ؛ وكانوا كمنوا فى ناحية قُطْربّل ، فوضعوا فى أصحاب أبى أحمد الأتراك منهم وغيرهم السيف ، فقتلوهم أبرح قتل ؛ فلم يُفلت منهم إلاّ القليل ، وانتهب[٢] المبيضة عسكرهم وما كان فيه من المتاع والأهل والأثقال والمضارب والحُرْثىّ ، فكلّ من أفلت منهم من السيف رمى بنفسه فى دِجْلة ليعبُرَ إلى عسكر أبى أحمد ؛ فأخذه أصحاب الشبّارات ، وكانت الشبّارات قد شُحنت بالمقاتلة — فقُتِلوا وأسِروا ، وجُعل القتلى والرءوس من الأتراك والمغاربة وغيرهم فى الزّواريق ، فنُصبت بعضها فى الجسرين ؛ وعلى باب محمد بن عبد الله ؛ فأمر محمد بن عبد الله لمن أبلى فى هذا اليوم بالأسورة ، فسُوِّر قوم كثير من الجند وغيرهم ، فطُلب[٣] المنهزمة ، فبلغ بعضهم أوانا ، وبلغ بعضهم ناحية عسكر أبى أحمد عَبْرَ دجلة ، وبعضهم نفذ إلى سامُرّا .

وذُكر أن عسكر الأتراك يوم هُزِموا بباب القطيعة كانوا أربعة آلاف ، فقتِل منهم يوم الوقعة هنالك ألفان ؛ وكان وُضع فيهم بالسيف من باب

٣/١٥٦٣

٣/١٥٦٤

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط من غير نقط . (٢) ا ، ف : « وانتهبت » .
(٣) ف : « فطلبت » .

القَطيعة إلى القُفْص ، فقتَلوا مَنْ قتلوا ، وغرّق مَنْ غُرّق ، وأسِر منهم جماعة ، فخلَع محمد بن عبد الله على بُندار أربع خلع مُلحم[1] ، ووشْى وسواد وخزّ ، وطوّقه طوقًا من ذهب ، وخلع على أبى السنا أربع خِلَع ، وعلى خالد بن عمران وجميع القوّاد ، كلّ رجل أربع خِلع . وكان انصرافهم من الوقعة مع المغرب ، وسُخّرت البغال ، وأخِذ لها الجواليق لتحمل فيها الرءوس إلى بغداد .

وكان كلُّ مَنْ وافى دار محمد برأسِ تركىّ أو مغربىّ أعطوْه خمسين درهمًا ، وكان أكثر ذلك العمل للمبيّضة والعيّارين[2] ؛ ثم وافى عيّارو بغداد قُطْربُّلَ ، فانتهبوا ما تركه الأتراك من متاع أهل قُطْربُّل وأبواب دورهم ؛ فوجّه محمد فى آخر هذا اليوم أخاه أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله والمظفّر بن سيسَل فى أثر المنهزمين[3] حِياطة لأهل بغداد ؛ لأنه لم يأمن رجعتهم عليه[4] فبلغا القُفْص ، وانصرفا سالمين ، وزعجا مَنْ أقام من الرجّالة والعيارين بناحية قُطْربل ، وأشير على محمد بن عبد الله أن يتبعهم بعسكر فى اليوم الثانى وفى تلك الليلة ، ليوغل فى آثارهم ، فأبى ذلك ولم يتبع مولّياً ، ولم يأمر أن يُجهز على جريح ، وقبِل أمان مَن استأمن ، وأمر سعيد بن حُميد فكتب[5] كتاباً يذكر فيه هذه الوقعة ؛ فقرئ على أهل بغداد فى مسجد جامعها ، نسخته :

٣/١٥٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ؛ فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكرَ نعمته ، والقادر فلا يعارَض فى قدرته ، والعزيز فلا يغالب[6] فى أمره ، والحكم العدل فلا يردّ حكمه ، والناصر فلا يكون نصره إلاّ للحق وأهله ، والمالك لكلّ شىء فلا يخرج أحد عن أمره[7] ، والهادى إلى الرحمة فلا يضلّ من انقاد لطاعته ، والمقدّم إعذاره ليظاهر به حجته ؛ الذى جعل دينه لعباده رحمة ، وخلافته لدينه عصمة ، وطاعة خلفائه فرضاً واجبًا على كافة الأمة ؛ فهم المستحفَظون فى أرضه على

---

(١) فى القاموس : « الملحم ، كمكرم : جنس من الثياب » .
(٢) فى القاموس : « العيار : الكثير الذهاب والمجىء » .
(٣) ا ، ف : « المنهزمة » . (٤) ف : « عليهم » .
(٥) س : « فأمر أن يكتب » . (٦) كذا فى ا .
(٧) ا ، ف : « سلطانه » .

٣/١٠٦٦

ما بعث به رسله ، وأمناؤه على خلقه فيما[١] دعاهم إليه من دينه ، والحاملون لهم على منهاج حقه ؛ لئلا يتشعّب بهم الطريق إلى المخالفة لسبيله ، والهادى لهم إلى صراطه ؛ ليجمعهم على الجادّة التى نَدَب إليها عبادَه الذين بهم يُحمَى الدّين من الغواة والمخالفين ؛ محتجّين على الأمم بكتاب الله الذى استعملهم به ، ودعا الأمة بحقّ الله الذى اختارهم[٢] له ؛ إن جاهدوا كانت حجة الله معهم ، وإن حاربوا حكَم بالنصر لهم ، وإن بغاهم عدوّ كانت كفاية الله حائلةً دونهم ومعقلا لهم[٣] ، وإن كادهم كائد فالله من وراء عونهم ، نَصَبَهم الله لإعزاز دينه ؛ فمن عاداهم فإنما عادى الدّين الذى أعزّه وحرسه بهم ؛ ومن ناوأهم فإنما طعن على الحقّ الذى يكلؤه بحراستهم ؛ جيوشُهم بالنّصر والعزّ منصورة ، وكتائبهم بسلطان الله من عدّوهم محفوظة ، وأيديهم عن دين الله دافعة ، وأشياعهم بتناصرهم فى الحقّ عالية ، وأحزاب أعدائهم ببغيهم مقموعة ، وحجتهم عند الله وعند خلْقه داحضة ، ووسائلهم إلى النصر مردودة ؛ تجمعهم مواطن التحاكم ، وأحكام الله بخذلانهم واقعة ، وأقداره بإسلامهم إلى أوليائه جارية ، وعاداتهم فى الأمم[٤] السالفة والقرون الخالية ماضية ؛ ليكون أهلُ الحق على ثقة من إنجاز سابق الوعد ، وأعداؤه محجوبون بما قدّم إليهم من الإنذار ، معجّلة لهم نقمة الله بأيدى أوليائه ، معَدٌّ لهم العذاب عند ربهم ، والخزى موصول بنواصيهم فى دنياهم ، وعذاب الآخرة من ورائهم وما الله بظلام للعبيد .

٣/١٠٦٧

وصلى الله على نبيه المصطفى ، ورسوله المرتَضى ، والمنقذ من الضّلالة إلى الهدَى ، صلاة تامّة نامية بركاتها ، دائمة اتصالها ، وسلم تسليماً .

والحمد لله تواضعاً لعظمته ، والحمد لله إقراراً بربوبيته ، والحمد لله اعترافاً بقصور أقصى منازل الشكر عن أدنى منزلة من منازل كرامته . والحمد لله الهادى إلى حَمْده ، والموجب به مزيده ، والمحصى[٥] به عوائد إحسانه ، حمداً يرضاه ويتقبّله ، ويوجب طوْله وإفضاله . والحمدُ لله الذى حكم بالخذلان على مَنْ

(١) ف : « على ما » .
(٢) أ ، ر : « اختاره لهم » .
(٣) أ : « يمنعهم » .
(٤) ف : « القرون » .
(٥) أ : « والمحصن » .

بغى على أهل دينه ، وسبق وعده بالنصر لمن بُغى عليه من أنصار حقه .

وأنزل بذلك كتابه العزيز ، موعظةً للباغين ؛ فإن أقلعوا كانت التذكرة نافعة لهم ، والحجة عند الله لمن قام بها فيهم ، ثم أوجب بعد التذكرة والإصرار جهادهم ، فقال فيما قدّم من وعده ، وأبان من برهانه : ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ ﴾[1] ، وعداً من الله حقّاً نهى به أعداءه عن معصيته ، وثبّت به أولياءه على سبيله ؛ والله لا يخلف الميعاد .

١٠٦٨/٣

ولله عند أمير المؤمنين فى رئيس دعوته ، وسيف دولته ، والمحامى عن سلطانه ومحلّ ثقته ، والمتقدّم فى طاعته ونصيحته لأوليائه ، والذابُّ عن حقه ، والقائم بمجاهدة أعدائه ؛ محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين ، نعمةٌ يرغب إلى الله فى إتمامها ، والتوفيقِ لشكرها ، والتطوّلِ بمن أراد المزيد فيها ؛ فإن الله قدّر لآبائه القيام بالدّعوة الأولى لآباء أمير المؤمنين ، ثم جمع له آثارهم بقيامه بالدّولة الثانية ؛ حين حاول أعداء الله أن يطمسوا معالم دينه ويعفّوها ؛ فقام بحقّ الله وحقّ خليفته ، محامياً عنها ، ومرامياً من ورائها ، متناولا للبعيد برأيه ونظره ، مباشراً للقريب بإشرافه وتفقّده ، باذلا نفسه فى كلّ ما قرّبه من الله ، وأوجب له الزُّلْفة عنده ، وسيمتّع الله أمير المؤمنين به وليّاً ، مكانفاً على الحق ، وناصراً موازراً على الخير ، وظهيراً مجاهداً لعدوّ الدين .

وقد علمتم ما كان كتاب أمير المؤمنين تقدّم به إليكم فيما أحدثته الفرقة الضالة عن سبيل ربها ، المفارقة لعصمة دينها ، الكافرة لنعم الله ونعم خليفته عندها ، المباينة لجماعة الأمة التى ألّف الله بخلافته نظامها ، المحاولة لتشتيت الكلمة بعد اجتماعها ، الناكثة لبيعته ، الخالعة لربقة الإسلام من أعناقها ، **الموالى الأتراكُ** ، وما صارت إليه من **نصر الغلام المعروف بأبى عبد الله بن المتوكل** لإقامتها عند مصير أمير المؤمنين إلى مدينة السلام ، محلّ سلطانه ، ومجتمع[2] أنصاره وأبناء أنصار آبائه ؛ وما قابل به أمير المؤمنين خيانتهم وآثره من الأناة فى أمرهم .

١٠٦٩/٣

---

(١) سورة الحج ٦٠ .

(٢) ا ، س : « ومجمع » .

ثم إنّ هؤلاء الناكثين جمعوا جمعًا من الأتراك والمغاربة ، ومن ولج فى سوادهم ، ودخل فى غُمارهم ، مؤاتيًا للفتنة من ألفاف الغىّ ، ورأسوا عليهم المعروف بأبى أحمد بن المتوكل، ثم ساروا نحو مدينة السلام فى الجانب الشرقىّ ، معلنين للبغى والاقتدار ، مظهرين للغىّ والإصرار ؛ فتأنّاهم أمير المؤمنين ، وفسّح لهم فى النَّظِرة لهم ،وأمر بالكتاب إليهم بما فيه تبصيرُهم الرشد، وتذكيرهم[1] بما قدّموا من البيعة ، وإفهامهم ما لله عليهم وله فى ذلك من الحقّ ، وأنّ خروجهم مما دخلوا فيه من بيعتهم طوعاً ،الخروجُ من دين الله والبراءة منه ومن رسوله ، وتحريمهم أموالَهم ونساءهم عليهم ؛ وأن فى تمسكهم به سلامة أديانهم ، وبقاء نعمتهم ، والاحتراس من حُلول النقَم بهم[2] ، وأن يبين لهم ما سلف من بلائه عندهم ؛ من أسْنى المواهب ، وأرفع الرغائب ، والاختصاص بسنىّ المراتب ، والتقدّم فى المحافل ؛ فأبوْا إلا تماديًا ونفارًا ، وتمسكاً بالغىّ وإصراراً .

٣/١٥٧٠

فقلّد أمير المؤمنين نصيحه المؤتمن ووليّه محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين تدبيرَ[3] أمورهم ودعائهم إلى الحقّ ما كانت الإنابة أو محاربتهم إن جنح بهم غيُّهم ، وتتابعوا فى ضلالهم ، فلم يألهم نظراً وإفهاماً ، وتبييناً وإرشاداً ؛ وهم فى ذلك رافعون أصواتهم بالتوّعد لأهل لمدينة السلام ؛ بسفك دمائهم وسَبْى نسائهم وتغنُّم أموالهم ؛ وقبل ذلك ما كانوا فى مسيرهم على السبيل التى يستعملها أهل الشرْك فى غاراتهم ، ويميلون إليها عند إمكان النّهزة[4] لهم ؛ لا يجتازون بعامر إلا أخربوه ، ولا بحريم لمسلم ولا غيره إلا أباحوه ، ولا بمسلم يعجز عنهم إلا قتلوه ، ولا بمال لمسلم ولا ذمىّ إلا أخذوه ؛ حتى انتقل كثير ممن سبقت إليه أخبارهم ممن أمامهم عن أوطانهم ، وفارقوا منازلهم ورباعهم ، وفزعوا إلى باب أمير المؤمنين تحصّناً من معرّتهم ، لا يمرُّون بغنىّ إلا خلعوا عنه لباس الغنى ؛ ولا بمستور إلا هتكوا عن الذرّية والنساء ستره ، لا يرقبون فى مؤمن إلاًّ ولا ذمةً ، ولا يتوقّفُون عن مسلم بهتك ولا مُثْلة ، ولا يرغبون عما حرم الله من دم ولا حرمة .

٣/١٥٧١

ثم تلقّوا التذكرة بالحرب ، وقابلوا الموعظة بالإصرار على الذنب ، وعارضوا

(١) س : « وتذكرهم » . (٢) س : « الغير » .
(٣) كذا فى ا ، وفى ط : « بتدبير » . (٤) ا : « الغرة » .

التبصير بالاستبصار فى الباطل ؛ فذلَفوا نحو باب الشمّاسية ، وقد رتب محمد ابن عبد الله مولى أمير المؤمنين بذلك الباب والأبواب التى سبيلها سبيله من أبواب مدينة السلام الجيوشَ فى العُدّة الكاملة ، والعدّة المتظاهرة ؛ معاقلهم التوكّلُ على ربّهم ، وحصونهم الاعتصام بطاعته ، وشعارهم التكبير والتهليل أمام عدوهم .

ومحمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين ، يأمرُهم بتحصين ما يليهم والإمساك عن الحرب ما كانت مندوحة لهم ؛ فبادأهم الأولياء بالموعظة ، وبدأهم الغواة الناكثون بحربهم ، وعادوْهم أياماً بجموعهم وعدادهم ، مُدلّين بعِدّتهم ومقدّرين ألا غالب لهم ؛ ولا يعلمون بالله أنّ قدرته فوق قدرتهم ، وأن أقداره نافذة بخلاف إرادتهم ، وأحكامه عادلة ماضية لأهل الحقّ عليهم ؛ حتى إذا كان يوم السبت للنصف من صفَر وافوْا باب الشماسيّة بأجمعهم[1] ، قد نشروا أعلامهم ، وتنادوْا[2] بشعارهم ، وتحصّنوا بأسلحتهم ، و بدا الأمر[3] منهم لمن عاينهم ؛ ليس لهم وعيد دون سفك الدماء ، وسبْى النساء ، واستباحة الأموال ؛ فبدأهم الأولياء بالموعظة فلم يسمعوا ، وقابلوهم بالتذكرة فلم يُصغوا إليها ، و بدءوا بالحرب منابذين لها ، فتسرّع الأولياء عند ذلك إليهم ، واستنصروا عليهم[4] ، واستحكمت بالله ثقتهم ، ونفذت به بصائرهم ؛ فلم تزل الحرب بينهم إلى وقت العصر من هذا اليوم ؛ فقتل الله من حُماتهم وفرسانهم ورؤسائهم وقادة باطلهم جماعة كثيراً عددها[5] ، ونالت الجراحة المثخنة التى تأتى على مَنْ نالته أكثر عامتهم .

١٥٧٢/٣

فلما رأى أعداء الله وأعداء دينه أنْ قد أكذب ظنونَهم ، وحال بينهم و بين أمانيهم ، وجعل عواقبها حسرات عليهم ؛ استنهضوا جيشاً من سامُرّا من الأتراك والمغاربة فى العتاد والعُدّة والجلَد والأسلحة فى الجانب الغربىّ ، طالبين المعرّة ، ومؤمّلين أن ينالوا نيلاً من أهله باشتغال إخوانِهم فى الجانب الشرقىّ بأعدائهم .

وقد كان محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين شَحَن الجانبين جميعاً

(١) س : « بجمعهم » .
(٢) س : « وتبادروا » .
(٣) ا : « الأشر » .
(٤) ف : « على عدوهم » .
(٥) ا ، ف : « عدتها » .

بالرّجال والعُدّة ، ووكّل بكلّ ناحية مَنْ يقوم بحفظها وحراستها ، ويكفّ عن الرعية بوائقَ أعدائهم ، ووكل بكل باب من الأبواب[١] قائداً فى جمْع كثيف ، ورتّب على السور مَنْ يراعيه فى الليل والنهار[٢] وبث الرجال ليعرف أخبار أعداء الله فى حركاتهم ونهوضهم[٣] ومقامهم وتصرّفهم ، فيعامل كلّ حال لهم بحال يفتّ الله فى أعضادهم بها . ٣/١٥٧٣

فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر ، وافَى الجيش الذى أنهضوه[٤] من الجانب الغربىّ[٥] البابَ المعروف بباب قُطْرُبّل ، فوقفوا بإزاء الناكثين المعسكرين بالجانب الشرقىّ من دجْلة فى عدد[٦] لا يسعه إلاّ الفضاء ، ولا يحمله إلا المجال الفسيح ، وقد تواعَدُوا أن يكون دنوّهم مِن الأبواب معًا لشغل[٧] الأولياء بحربهم من الجهات ، فيضعفوا عنهم ويغلبوا حقّهم بباطلهم ؛ أملاً كاذبًا كادهم الله فيه غير صادق ، وظنًّا خائبًا الله فيه قضاء نافذ[٨] . وأنهض محمد بن عبد الله نحوهم محمد بن أبى عون وبُندار بن موسى الطبرىّ مولى أمير المؤمنين وعبد الله بن نصر بن حمزة من باب قطربُّل ، وأمرهم بتقوى الله وطاعته ، والاتباع لأمره والتصرّف مع كتابه ، والتوقّف عن الحرب حتى تسبق التذكرة الأسماع ، وتزول الحجة بالتتابع منهم والإصرار ، فنفذوا فى جمع يقابل جمعهم ، مستبصرين فى حقّ الله عليهم ، مسارعين إلى لقاء عدوّهم ، محتسبين خطاهم ومسيرهم ، واثقين بالثواب الآجل والجزاء العاجل . فتلقاهم ومَنْ معهم أعداء الله ، قد أطلقوا نحوهم أعنّتهم ، وأشرعوا لِنُحورهم أسنّتهم ، لا يشكون أنهم نُهزة المختلس ، وغنيمة المنتهب ؛ فنادوْهم بالموعظة نداء مسْمعاً ، فمجّتها أسماعهم ، وعميت عنها أبصارهم ، وصدَقهم أولياءُ الله فى لقائهم ؛ بقلوب مستجمعة لهم ، وعلم بأنّ الله لا يخلف وعده فيهم ؛ فجالت الخيل بهم جَوْلة ، وعاودت كَرّة بعد كرّة عليهم ، طعنًا بالرماح ، وضربًا بالسيوف ، ورَشْقاً بالسهام ؛ فلما مسّهم ألم جِراحها ، وكلَمتْهم الحربُ بأنيابها ، ودارت ٣/١٥٧٤

(١) س : « الجانبين » .
(٢) بعدها فى ف : « فى كل حال » .
(٣) بعدها فى ف : « وما معهم » .
(٤) س : « الذين نهضوا » .
(٥) س : « الشرقى » .
(٦) ف : « عداد » .
(٧) ف : « ليشغل » .
(٨) ا : « سابق » .

عليهم رحاها ، وصمم عليهم أبناؤها ، ظمأ إلى دمائهم ؛ ولَّوا أدبارَهم ، ومنح الله أكتافهم ، وأوقع بأسه بهم ، فقتِلت منهم جماعة لم يحترسوا من عذاب الله بتوبة ، ولم يتحصّنوا من عقابه بأمانة ، ثم ثابت ثانية ؛ فوقفوا بإزاء الأولياء ، وعبَر إليهم أشياعُهم الغاوُون من عسكرهم بباب الشّماسية ألف رجل من أنجادهم فى السفن ، معاونين لهم على ضلالتهم ؛ فأنهض لهم محمد بن عبد الله خالد بن عمران والشاهَ بن ميكال مولى طاهر نحوهم ، فنفذوا ببصيرة لا يتخوّنها فتور ، ونيّة لا يلحقها تقصير ؛ ومعهما العباس بن قارن مولى أمير المؤمنين .

١٥٧٥/٣

فلما وافى الشاه فيمَنْ معه أعداء الله ، وكلٌ بالمواضع التى يتخوّف منها(١) مدخل الكُمناء ، ثم حمل مَنْ توجّه معه من القواد المسمَّين ماضين لا يغويهم الوعيد ، ولا يشكُّون من الله فى النصر والتأييد ، فوضعوا أسيافَهم فيهم ، تمضى أحكام الله عليهم ؛ حتى ألحقوهم بالمعسكر الذى كانوا عسكروا فيه وجاوزوه ، وسلبوهم كل ما كان من سلاح وكُراع وعتاد الحرب ؛ فمِن قتيلٍ غُودرت جثّتُه بمصرعه ، ونقلت هامته إلى مصيرٍ فيه معتبَرٌ لغيره ، ومن لاجئ من السيف إلى الغَرَق لم يجرْه الله من حذاره ، ومن أسيرٍ مصفود يُقاد إلى دار أولياء الله وحزبه ، ومن هاربٍ بحشاشة نفسه ، قد أسكن الله الخوف قلبه ؛ فكانت النقمة بحمد الله واقعة بالفريقين ممن وافى الجانب الغربىّ قادماً ، ومن عبر إليهم من الجانب الشرقىّ مُنجداً ، لم ينجُ منهم ناجٍ ، ولم يعتصم منهم بالتوبة معتصم ، ولا أقبل إلى الله مقبل ؛ فرقاً أربعاً يجمعها النار ، ويشملها(٢) عاجل النكال ، عظةً ومعتبراً لأولى الأبصار ؛ فكانوا كما قال الله عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾(٣) .

١٥٧٦/٣

ولم تَزل الحرب بين الأولياء وبين الفرقة التى كانت فى الجانب الشرقىّ والقتل محتفل فى أعلامهم ، والجراح فاشية فيهم ؛ حتى إذا عاينوا ما أنزل الله بأشياعهم من البَوار ، وأحلّ بهم من النقمة والاستئصال ؛ ما لهم من الله من عاصم ، ولا من أوليائه ملجأ ولا موئل ؛ ولَّوْا منهزمين مفلولين منكوبين ، قد

(١) س : « فيها » . (٢) ف : « ويشملهم » . (٣) سورة إبراهيم ٢٨ ، ٢٩ .

أراهم الله العبَر فى إخوانهم الغاوية ، وطوائفهم المضلّة ؛ وضلّ ما كان فى أنفسهم لما رأوْا من نصر الله لجنده، وإعزازه لأوليائه ؛ والحمد لله ربّ العالمين، قامع الغواة الناكبين عن دينه ، والبغاة الناقضين لعهده، والمرّاق الخارجين من جملة أهل حقّه ؛ حمداً مبلِغاً رضاه، وموجبًا أفضل مزيده ؛ وصلى الله أوّلاً وآخراً على محمد عبده ورسوله، الهادى إلى سبيله ، والدّاعى إليه بإذنه ، وسلم تسليماً.

وكتب سعيد بن حُميد يوم السبت لسبع خلون من صفر سنة إحدى وخمسين ومائتين .

* * *

وركب محمد بن عبد الله بن طاهر يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر إلى باب الشّماسية، وأمر بهدم ما وراء سُور بغداد من الدور والحوانيت والبَساتين وقطْع النّخْل والشّجر من باب الشّماسية إلى ثلاثة أبواب ؛ لتتسع الناحية على مَنْ يحارب فيها ؛ وكان وُجّه من ناحية فارس والأهواز نيّف وسبعون حمارًا بمال إلى بغداد ، قدم به — فيما ذكر — منكجور بن قارن الأشروسنىّ القائد ، فوجّه الأتراك وأبو أحمد بن بابك إلى طرارستان فى ثلثمائة فارس وراجل ؛ ليلتقى ذلك المال إذا صار إليها . فوجّه محمد بن عبد الله قائداً له يقال له يحيى بن حفص ، يحمل ذلك المال ، فعدَل به عن طرارستان ، خوفًا من ابن بابك ؛ فلما علم ابن بابك أن المال قد فاته صار بمن معه إلى النهروان ؛ فأوقع من كان معه من الجند بأهلها ، وأخرج أكثرهم ، وأحرق سفن الجسر ؛ وهى أكثر من عشرين سفينة ، وانصرف إلى سامُرّا . ١٥٧٧/٣

وقدم محمد بن خالد بن يزيد — وكان المستعين قلده الثغور الجزريّة ، وكان مقيمًا بمدينة بلد ينتظر من يصير إليه من الجند والمال — فلما كان من اضطراب أمر الأتراك ودخول المستعين بغداد ما كان ، لم يمكنه المصير إلى بغداد إلاّ من طريق الرّقة ، فصار إليها بمَن معه من خاصّته وأصحابه ؛ وهم زهاء أربعمائة فارس وراجل ؛ ثم انحدر منها إلى مدينة السلام ، فدخلها يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر ، فصار إلى دار محمد بن عبد الله بن طاهر ؛ فخلع عليه خمس خلع : دَبيقى[1] ، ومُلْحم، وخزّ ، ووشْى ، وسواد،

(١) دبيقى : ثوب منسوب إلى دبيق ، بلدة قديمة كانت بمصر.

٣/١٥٧٨ ثم وجهه فى جيش كثيف لمحاربة أيوب بن أحمد ؛ فأخذ على ظهر[1] الفرات فحاربه فى نفر يسير ، فهُزِم وصار إلى ضَيْعته[2] بالسواد .

فذكر عن سعيد بن حميد أنه قال : لمّا انتهى خبر هزيمة محمد بن عبدالله، قال : ليس يُفلح أحدٌ من العرب إلاّ أن يكون معه نبيٌّ ينصره به .

وفى هذا اليوم كانت للأتراك وقعة بباب الشمّاسية ، كانوا صاروا إلى الباب ، فقاتلوا عليه قتالا شديداً حتى كشفوا مَنْ عليه ، ورموا المنجنيق المنصوب بسرّة الباب بالنّفط والنار ، فلم يعمل فيه نارهم ، وكثّرهم من على الباب من الجند حتى أزالوهم عن موقفهم ، ودفعوهم عن الباب بعد قتلهم عدّة يسيرة من أهل بغداد ، وجرحِهم منهم جماعةً كثيرة بالسّهام . فوجّه محمد بن عبد الله إليهم عند ذلك العرّادات التى كانت تحمل فى السفن والزّواريق ، فرموْهم بها رمياً شديداً ، فقتلوا منهم جماعة كثيرة نحواً من مائة إنسان ، فتنحَّوْا عن الباب ؛ وكان بعض المغاربة صار فى هذا اليوم إلى سور باب الشماسية ؛ فرمى كُلاّب إلى السور ، وتعلّق به وصعد ، فأخذه الموكلُون بالسور فقتلوه ، ورَموْا برأسه فى المنجنيق إلى عسكر الأتراك ؛ وانصرفوا عند ذلك إلى معسكرهم .

٣/١٥٧٩ وذكر أنّ بعض الموكلين بسُور باب الشّماسية من الأبناء هاله ما رأى من كثرة مَنْ ورد باب الشماسية فى هذا اليوم من الأتراك والمغاربة ؛ وكانوا قَرُبوا من الباب بأعلامهم وطبولهم ، ووضع بعض المغاربة كلاّباً على السور ؛ فأراد بعض الموكّلين بالسور أن يصيح : يا مستعين ، يا منصور ، فغلط ؛ فصاح : يا معتزّ ، يا منصور ؛ فظنّه بعض الموكلين بالباب من المغاربة ، فقتلوه و بعثوا برأسه إلى دار محمد بن عبد الله ؛ فأمر بنصبه ، فجاءت أمه وأخوه فى عشية هذا اليوم بجُثّته فى محمل يصيحان و يطلبان رأسه ؛ فلم يُدفع إليهما ؛ ولم يزل منصوباً على الجسر إلى أن أنزل مع ما أنزل من الرءوس.

ووافى ليلة الجمعة لسبع بقين من صفَر جماعة من الأتراك باب البَرَدان ؛ وكان الموكّل به محمد بن رجاء ؛ وذلك قبل شخوصه إلى ناحية واسط ؛ فقتل منهم

---

(١) ف : « طريق الفرات » . (٢) ف : « ضيعة » .

ستة نفر ، وأسر أربعة ، وكان الدَّرغمان شجاعًا بطلاً ، وصار فى بعض الأيام مع الأترك إلى باب الشماسيّة ، فرمى بحجر منْجنيق، فأصاب صدره؛ فانصُرِف به إلى سامُرّا ، فمات بين بُصرى وعُكْبَراء ؛ فحمِل إلى سامرّا ؛ فذكر يحيى بن العكىّ القائد المغربىّ أنه كان إلى جنب الدّرْغمان فى يوم من أيامهم ؛ إذ وافاه ناوكىّ[1] ، فأصاب عينه ، ثم أصابه بعد ذلك حَجَر فأطار رأسه ، فحمل ميتاً . ٣/١٥٨٠

وذُكر عن علىّ بن حسن الرامى ، أنه قال : كنّا قد جمعنا على السور على باب الشماسية من الرّماة جماعة ، وكان مغربىّ يجىء حتى يقرب من الباب ، ثم يكشف استه[2] ثم يضرط ويصيح ؛ قال : فانتخبت له سهمًا فأنفذته فى دُبره حتى خرج من حلقه ، وسقط ميتًا . وخرج من الباب جماعة فنصبوه كالمصلوب ، وجاءت المغاربة بعد ذلك ، فاحتملوه .

وذكر أنّ الغوغاء اجتمعوا بسامُرّا بعد هزيمة الأتراك يوم قُطْربّل ، ورأوا ضعف أمر المعتزّ ، فانتهبوا سوق أصحاب الحُلّى والسيوف والصيارفة ، وأخذوا جميعَ ما وجدوا فيها من متاع وغيره ، فاجتمع التجار إلى إبراهيم المؤيد أخى المعتزّ ، فشكوا ذلك إليه ، وأعلموه أنهم قد كانوا ضمنوا لهم أموالهم وحفظها عليهم . قال : فقال لهم : كان ينبغى لكم أن تحوّلوا متاعكم إلى منازلكم ؛ وكبُر عنده ذلك[3] .

وقدم بحونة بن قيس بن أبى السعدىّ يوم السبت لثمان بقين من صفر بمن فَرض من الأعراب وهم ستمائة راجل ومائتا فارس . وقدم فى هذا اليوم عشرة نفرمن وجوه أهل طَرَسوس يشكون بلكاجور ، ويزعمون أن بيعة المعتزّ[4] وردت عليه ، فخرج بعد ساعتين من وصول الكتاب ، ودعا إلى بيعة المعتزّ ، وأخذ القوّادَ وأهل الثغر بذلك ؛ فبايع أكثرهم ، وامتنع بعض ، فأقبل على مَن امتنع بالضرب والقيد والحبس . وذُكر أنهم امتنعوا وهربوا لمّا أخذهم بالبيعة ٣/١٥٨١

---

(١) ف : « وافاه سهم » . (٢) س : « رأسه » .

(٣) ا : « ولم يكن عنده لذلك نكير » .

(٤) ا : « خلع » .

كرهاً، فقال وصيف : ما أظن الرّجل إلاّ [اغترّومُوِّه عليه][١] وأن الوارد عليه بكتاب المعتزّ هو الليث بن بابَك ، وذكر له أنّ المستعين مات ، وأقاموا المعتزّ مكانه ؛ فتكلّم[٢] هؤلاء النّفر يشكون بلكاجور ، ونسبوه إلى أنه فعل ذلك على عمد ، ورفعوا عليه أنه كان يرَى فى بنى الواثق ، وقد ورد كتاب بلكاجور يوم الأربعاء لأربع بقين من صفر مع رجل يقال له علىّ الحسين المعروف بابن الصّعلوك ؛ يذكر فيه أنه ورد عليه كتاب من أبى عبد الله بن المتوكل ، أنه قد ولِىَ الخلافة ، وبايع له. فلما ورد عليه كتاب المستعين بصحة الأمر ، جدّد أخذ البيعة على مَنْ قِبَله ، وأنه على السمع والطاعة له . فأمر للرسول بألف درهم فقبضها ، وقد كان أمر بالكتاب إلى محمد بن علىّ الأرمنى المعروف بأبى نصر بولايته على الثغور الشأمية . فلما ورد كتاب بلكاجور بالطاعة أمسك عن إنفاذ كتاب محمد بن علىّ الأرمنىّ بالولاية .

وفى يوم الاثنين لست بقين من صفر من هذه السنة قدم إسماعيل بن فراشة من ناحية همذان فى نحو ثلثمائة فارس ، وكان جنده ألفاً وخمسمائة ؛ فتقدّم بعضُهم وتأخّر بعض، وتفرّقوا ، وقدم معه برسول للمعتزّ ، كان وُجّه إليه لأخذ البيعة ، فقيّد الرسول وصار به إلى مدينة السلام على بغل بلا إكاف ، فخلع على إسماعيل خمس خلع . وورد برجل ذكر أنه علوىّ أخذ بناحية الرىّ وطبرستان ، متوجهاً إلى من هناك من العلوية ؛ وكان معه دوابّ وغلمان ؛ فأمر به فحبس فى دار العامة أشهراً ، ثم أخذ منه كفيل وأطلق . ١٥٨٢/٣

وقرئ فى هذا اليوم كتاب موسى بن بغا يذكر فيه أنه ورد كتاب المعتزّ ، وأنه دعا أصحابه ، وأخبرهم بما حدَث ، وأمرهم بالانصراف معه إلى مدينة السلام ؛ فامتنعوا ، وأجابه الشاكريّة والأبناء ، واعتزله الأتراك ومَنْ كان فى مثل مذهبهم ، وحاربوه فقُتل منهم جماعة وأسر أسرى ؛ فهم قادمون معه . فكبّروا فى دار ابن طاهر عند قراءتهم كتابه .

ولخمس بَقين من صَفَر دخل من البصرة عشر سفائن بحريّة ؛ تسمّى

---

(١) من ا ، وموضع ذلك بياض فى ط (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « فكثر » .

البوارج ، فى كل سفينة اشْتيام وثلاثة نفّاطين ونجّار وخباز وتسعة وثلاثون رجلا من الجذّافين والمقاتلة[1] ؛ فذلك فى كلّ سفينة خمسة وأربعون رجلا . فمدّت إلى الجزيرة التى بحذاء دار ابن طاهر ، ولعب أصحابها بالنيران، ثمّ مدّت إلى ناحية الشماسيّة فى هذه الليلة ، فرُمِىَ مَنْ فيها من الأتراك بالنيران ، فعزموا على الانتقال من معسكرهم برقّة الشماسية إلى بُستان أبى جعفر بالحير ، ثم بدا لهم فارتفعوا فوق عسكرهم فى موضع لا ينالهم شىء من النار . ١٥٨٣/٣

ولليلة بقيت من صَفَر صار الأتراك والمغاربة إلى أبواب مدينة السلام من الجانب الشرقىّ ، فأغلقت الأبواب فى وجوههم ، ورموا بالسهام والمنجنيقات والعرّادات ، فقتل من الفريقين وجُرح جماعة كثيرة ، فلم يزالوا كذلك إلى العصر .

* * *

وفى هذه السنة كرّ سليمان بن عبد الله راجعًا من جُرجان إلى طبرستان وشخص من آمُل ، وخرج بجمع كثير وخيل وسلاح ، فتنحّى الحسن بن زيد ولحق بالدّيلم ، فكتب إلى السلطان ابن أخيه محمد بن طاهر بدخوله طبرستان ، فقرئ كتابه ببغداد ، وكتب نسخة ذلك المستعين إلى بغا الصغير مولى أمير المؤمنين بفتح طَبرستان على يدى محمد بن طاهر وهزيمة الحسن ابن زيد ؛ وأن سليمان بن عبد الله دخل سارية على حالٍ من السلامة ، وأنه ورد عليه ابنان لقارن بن شهريار مولى أمير المؤمنين ، يقال لهما مازيار ورستم، فى خمسمائة رجل ، إلى ما ذكر من غير ذلك فى الفتح ، وأنّ أهل آمُل أتوْه مُنيبين مظهرين إنابتَهم ، مستقيلين عثراتِهم ؛ فلقيهم بما زاد فى سكونهم وثقتهم ، ونهض بعسكره على تعبيته ، مستقرئًا للقرى والطرق ، وتقدم بالنهى عن القتل ، وترك العرْض لأحدٍ فى سلب وغيره ، وتوعّد من جاوز ذلك ؛ وأن كتاب أسد بن جندان وافاه بهزيمة علىّ بن عبد الله الطالبىّ المسمى بالمرعشىّ فيمن كان معه ؛ وهم أكثر من ألفىْ رجُل ورجلين من رؤساء الجبل ، فى جمع عظيم عند تأدّى الخبر إليهم بانهزام الحسن بن زيد ودخوله بالأولياء إلى تلك الناحية ، وأنه دخل مدينة آمُل فى أحسن هيئة ، وأظهر عزّةً وسلامة شاملة، ١٥٨٤/٣

(١) ا : « ومقاتلة » .

وانقطعت عنه أسباب الفتنة .

ولخمس بقين من المحرم من هذه السنة ورد كتاب العلاء بن أحمد عامل بغا الشرابيّ على الخراج والضِّياع بإرمينيـَة ، بما كان من خروج رجلين بتلك الناحية ؛ سمّاهما وذكر إيقاعه بهما ، وأنهما التجآ إلى قلعة ، فوضع عليهما المجانيق حتى جهدها ، وأنـّهما خرجا من القلعة هاربيْن ، وخفى أمرُهما وصارت القلعة فى أيدى[1] الأولياء .

* * *

٣/١٥٨٥ وفيها أيضًا ورد كتاب مؤرّخ لإحدى عشرة ليلة بقيَت من المحرّم بانتقاض أهل أردبيل ، وكتاب الطالبيّ إليهم ، وأنه بعث[2] أربعة عساكر على أربعة أبواب مدينتهم ليحاصرهم .

* * *

وفيها ورد كتاب مخبر عن الحرب التى كانت بين عيسى بن الشيخ والموفّق الخارجىّ وأسْر عيسى الموفّق ، ومسألة عيسى المستعين توجيه ما يحتاج إليه من السلاح ؛ ليكون عدّة له فى البلد ، يقوى به الجند على الغزو[3] ، وأن يكتب إلى صاحب الصّور فى توجيه أربع مراكب إليه بجميع آلتها ؛ تكون قِبلَه مع ما قبله منها .

* * *

وفيها أيضًا ورد كتاب محمد بن طاهر بخبر الطالبيّ الذى ظهر بالرىّ ونواحيها ، وما أعدّ له من العساكر ، ووجّه إليه من المقاتلة ، وبهرب الحسن ابن زيد عند مصيره إلى المحمّدية وإحاطة عسكره بها ؛ وأنه عند دخوله المحمّدية وكّل بالمسالك والطرق ، وبثّ أصحابه ، وأنّ الله أظفره بمحمد بن جعفر أسيراً على غير عَقْد ولا عهد . والذى صار إلى الرىّ من العلوية فى المرة الثانية بعد ما أُسِر محمد بن جعفر أحمدُ بن عيسى بن علىّ بن حسين الصغير بن على ابن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ، وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن ٣/١٥٨٦

(١) س : « يد » . (٢) ف : « نصب لهم » . (٣) س : « العدو » .

عبد الله بن حسن بن علىّ بن أبى طالب ، وهو الذى خرج فى مصعد الحاجّ ، والذى بطبَرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب رحمة الله عليه ورضوانه .

* * *

وفيها أيضًا ورد كتابٌ من محمد بن طاهر على المستعين ، يذكر فيه انهزام الحسن بن زيد منه ، وأنه لقيه فى زُهاء ثلاثين ألفًا ، فجرت فيما بينه وبينه حرب ، وأنه قتَل من رءوس أصحابه ثلثمائة ونَيّفًا وأربعين رجلا . وأمر المستعين أن يقرأ نسخة كتابه فى الآفاق .

* * *

وفيها خرج يوسف بن إسماعيل العلوىّ ابن أخت موسى بن عبد الله الحسينىّ .

وفى شهر ربيع الأول منها أمر محمد بن عبد الله أن يُتخذ لعيّارى أهل بغداد كافركوبات ، وأن يصيّر فيها مسامير الحديد ، ويجعل ذلك فى دار المظفر بن سيسل ؛ لأنهم كانوا يحضرون القتال بغير سلاح ، وكانوا يرمون بالآجُرّ ، ثم أمر منادياً، فنادى : مَنْ أراد السلاح فليحضر دار المظفّر ، فوافاها العيارون من كلّ جانب ، فقسم ذلك فيهم ، وأثبت أسماءهم ، ورأس العيّارون عليهم رجلا يدعى ينتويه ؛ ويكنى أبا جعفر وعدّة[1] أخَر ؛ يدعى أحدهم دُونل ، والآخر دمحال ، والآخر أبا نملة ، والآخر أبا عصارة ، فلم يثبت منهم إلاّ ينتويه ؛ فإنه لم يزل رئيسًا على عيّارى الجانب الغربىّ ؛ حتى انقضى أمر هذه الفتنة . ولما أعطِىَ العيّارون الكافركوبات تفرّقوا على أبواب بغداد ؛ فقتلوا من الأتراك ومنْ أتباعهم نحواً من خمسين نفساً فى ذلك اليوم ، وقتل منهم عشرة أنفس وجُرح منهم خمسمائة بالنّشاب ، وأخذوا من الأتراك عَلَمَيْن وسُلَّمَين . ١٥٨٧/٣

وفيها كانت لبحونة[2] بن قيس وقعة مع جماعة من الأتراك بناحية بَزُوغَى ،

---

(١) ف : « وأربعة ».

(٢) ط : « نجوبة » ، وما أثبته من ا ، وانظر الفهرس.

لقيهم هو ومحمد بن أبى عون وغيرهما، فأسروا منهم سبعة ، وقتلوا ثلاثة، ورمى بعضُهم بنفسه فى الماء ، فغرق بعضُهم ونجا بعضهم .

وذُكر عن أحمد بن صالح بن شيرزاد ، أنه سأل رجلاً من الأسرى عن عدّة القوم الذين لقيهم بجونة ، قال : كنا أربعين رجلا ، فلقينا بجونة وأصحابه سحَراً، فقتِل منا ثلاثة ، وغرق ثلاثة ، وأسر ثمانية ، وأفلت الباقون ، وأخِذ ثمانى عشرة دابة[1] وجواشن وراية لعامل أوانا ؛ وهو أخو هارون بن شعيب. وكانت الوقعة بأوانا يوم الأربعاء ، وأقام جند بجونة وعبد الله بن نصر بن حمزة بقُطْرُبُّل مسلحة .

٣/١٠٨٨

وخرج – فيما ذكر – ينتويه وأصحابه من العيّارين فى بعض هذه الأيام من باب قُطْرُبّل ، فمضوا يشتمون الأتراك حتى جازوا قُطْرُبّل ، فعبَر مَن عبر إليهم من الأتراك ناشبة فى الزواريق ، فقتلوا منهم رجلا ، وجرحوا منهم عشرة ؛ وكاثرهم العيّارون بالحجارة فأثخنوهم ، فرجعوا إلى معسكرهم ، فأحضر ينتويه دار ابن طاهر ؛ فأمر ألاّ يخرج إلاّ فى يوم قتال، وسُوِّر ، وأمر له بخمسمائة درهم .

ولأربع عشرة خلتْ من ربيع الأوّل منها ، قدم من ناحية الرّقة مزاحم بن خاقان ، وأمر القوّاد وبنى هاشم وأصحاب الدواوين بتلقّيه ؛ وقدم[2] معه مَنْ كان معه من أصحابه من الخراسانية والأتراك والمغاربة، وكانوا زهاء ألف رجل ؛ معهم عتاد الحرب من كل صنْف ، ودخل بغداد، ووصيف عن يمينه وبغا عن شماله ، وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن يسار بغا ، وإبراهيم بن إسحاق خلْفهم ؛ وهو بوقارٍ ظاهر ؛ فلمّا وصل خلع عليه سبع خلع ، وقُلّد سيفًا ، وخلع على ابنيه ، على كلّ واحد منهما خمس خلع . ثم أمر أن يفرَض له ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والرّجّالة ، ووجّه المعتز موسى بن أشناس ومعه حاتم بن داود بن بنحور فى ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والرّجالة فعسكر بإزاء عسكر أبى أحمد من الجانب الغربىّ بباب قُطْرُبّل لليلةٍ خلت

٣/١٠٨٩

(١) ا : « راية » .
(٢) ف : « ومعه » .

من ربيع الأول . وخرج رجل من العيّارين يعرف بديكويه على حمار وخليفته على حمار ، ومعهم ترسة وسلاح ؛ وخرج آخر فى الجانب الشرقى يكنى أبا جعفر ويعرف بالخرّمىّ فى خمسمائة رجل فى سلاح ظاهر ، معهم التّرسة و بوارىّ مُمَيَّرة وسيوف وسكاكين فى مناطقهم ، ومعهم كافركوبات ، وقرب العسكر الوارد من سامرّا إلى الجانب الغربىّ من بغداد . فركب محمد بن عبد الله ومعه أربعة عشر قائداً من قوّاده فى عُدّة كاملة ، وخرج من المبيّضة والنظارة خلق كثير ، فسار حتى حاذى عسكر أبى أحمد ؛ وكانت بينهم فى الماء جَوْلة قتِل من عسكر أبى أحمد أكثر من خمسين رجلا ، ومضى المبيّضة حتى جازت العسكر بأكثر من نصف فرسخ ، فعبرت إليهم شبّارات من عسكر أبى أحمد ؛ فكانت بينهم مناوشة ، وأخذوا عِدّة من الشبارات بما فيها من المقاتلة والملاحين ؛ فاستوثق منهم ، وانصرف محمد بن عبد الله ، وأمر ابن[1] أبى عون أن يصرف الناس ، فوجّه ابنُ أبى عون إلى النّظارة والعامة من صرفهم وأغلظ لهم[2] القول ، وشتّمهم وشتموه ، وضرب رجلا منهم فقتله . وحملت عليه العامة ؛ فانكشف من بين أيديهم ؛ وقد كان أربع شبّارات من شبّارات أهل بغداد تخلّفت ؛ فلما انصرف ابن أبى عون منهزماً من العامة نظر إليها أهل عسكر أبى أحمد فوجّهوا فى طلبها شبّارات ، فأخذوها وأحرقوا سفينة فيها عرّادة لأهل بغداد وصار العامة من فورهم إلى دار ابن أبى عوْن لينهبوها ، وقالوا : مايَلَ الأتراك ، وأعانهم وانهزم بأصحابه . وكلّموا محمد بن عبد الله فى صرفه وضجّوا ، فوجّه المظفر بن سيسل فى أصحابه ، وأمره أن يصرِف العامة ويمنعهم أن يأخذوا لابن أبى عون شيئاً من متاعه ، وأعلمهم أنه قد عزله عن أمر الشبّارات والبحريات والحرب ، وصيّر ذلك إلى أخيه عبيد الله بن عبد الله ؛ فمضى مظفّر ، فصرف الناس عن دار محمد بن أبى عون . ٣/١٠٩٠

وفى يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول وافَى عسكر الأتراك الشاخص من سامُرّا إلى بغداد عُكْبَراء ، فأخرج ابن طاهر بندار الطبرىّ وأخاه عبيد الله وأبا السنا ومزاحم بن خاقان وأسد بن داود سياه وخالد ٣/١٠٩١

---

(١) ف : « محمد بن أبى عون » . (٢) ف : « عليهم » .

ابن عمران وغيرهم من قُوّاده ، فمضوا حتى بلغوا قُطْرُبُّل ، وفيها كمين الأتراك فأوقع بهم ، ونشبت الحرب بينهم ؛ فدفعهم الأتراك حتى بلغوا الحائطين بطريق قُطْربُّل . وقاتل أبو السنا وأسد بن داود قتالا شديداً ، وقتل كلّ واحد منهما عدّة من الأتراك والمغاربة ، ومال أبو السنا مَيْلةً ، وتبعه الناس ، فقتل قائداً من قوّاد الأتراك يقال له سور ، ورُفع رأسه فصار من فوره إلى دار ابن طاهر ، وأعلمه هزيمة الناس وسأله المدد ، فأمر ابن طاهر به فطُوِّق — وكان وزن الأطواق كلّ طوق ثلاثين ديناراً ، وكلّ سوار سبعة مثاقيل ونصف — وانصرف أبو السنا راجعاً إلى الناس فيمن أخرج إليهم من المدد من جميع الأبواب ، فذكر أن محمد بن عبد الله عنّف أبا السنا بإخلاله بموضعه ومجيئه نفسه بالرأس ، وقال له : أخللتَ بالناس ، فقبح الله هذا الرأس ومجيئك به !

ولما انصرف محمد بن عبدوس قاتل أسد بن داود أشدّ قتال بعد تفرّق الناس عنه، فقتِل. وثاب إلى موضعه قوم من أهل بغداد بعد ما أخذ الأتراك رأسه ، فدافعوهم عن جثّته ، فحملوه إلى بغداد فى زورق ، وبلغ الأتراك باب قُطْربُّل ، فخرج الناس إليهم فدفعوهم عن الباب دفعاً شديداً ، واتبعوهم حتى نحّوْهم ؛ فأُتِيَ دار ابن طاهر بعدة رءوس ممن قتل من الأتراك والمغاربة فى هذا اليوم ، فأمر بنصبها بباب الشماسية ، فنصبت هنالك ، ثم رجع الأتراك والمغاربة على أهل بغداد من ناحية قُطْربُّل ، فقتل من أهل بغداد خَلْق كثير ، وقتل من الأتراك جمع كثير ؛ ولم يزل بندار ومن معه يقاتلونهم حتى أمسوا . وانصرف بُندار بالناس ، وغلّقت الأبواب ، وأمر ابن طاهر المظفر بن سَيْسَل ورشيد ابن كاوس وقائداً معهم فتوجّهوا فى نحو من خمسمائة فارس من باب قُطْربُّل إلى ناحية عسكر[1] ابن أشناس ، فوافوْهم على حالِ سكون وأمْن ، فقتلوا منهم نحواً من ثلثمائة ، وأسروا عدّة وانصرفوا .

١٠٩٢/٣

وذُكر أنّ الأتراك والمغاربة وافوْا فى هذا اليوم باب القطيعة ، فنقَبوا نقباً

(١) ف : « من عسكر » .

بقرب الحمام الذى يعرف بباب القطيعة ، فقتِل أوّل مَنْ خرج منهم من النقب ، وكان القتل فى هذا اليوم أكثر فى الأتراك والمغاربة والجراح بالسهام فى أهل بغداد .

وسمعت جماعة يذكرون أنه حضر هذه الوقعة غلام لم يبلغ الحلم ، ومعه مخلاة فيها حجارة ومِقلاع فى يده، يرمى عنه فلا يخطئ وجوهَ الأتراك ووجوه دوابّهم . وأنّ أربعة من فرسان الأتراك الناشبة جعلوا يرمُونه فيخطئونه ، وجعل يرميهم فلا يخطئ ، وتقطّر بهم دوابهم ؛ فمضوا حتى جاءوا معهم بأربعة من رجّالة[1] المغاربة بأيديهم[2] الرماح والتّراس ، فجعلوا يحملون عليه ، ثم داخله اثنان منهم ، فرمى بنفسه فى الماء ، ودخلا خلفه فلم يلحقاه ، وعبر إلى الجانب الشرقىّ ، وصِيحَ بهما ، وكبّر الناس ؛ فرجعوا ولم يصلوا إليه . ١٥٩٣/٣

وذُكر أنّ عبيد الله بن عبد الله دعا القوّاد فى هذا اليوم وهم خمسة نفر ، فأمر كلّ واحد منهم بناحية ، ثم مضى الناس إلى الحرب ، وانصرف هو إلى الباب ؛ فقال لعبد الله بن جهم وهو موكّل[3] بباب قُطْرُبُّل : إياك أن تدَع منهم أحداً يدخل منهزماً من الباب . ونشبت الحرب ، وتشتّت الناس ، ووقعت الهزيمة ؛ وثبت أسد بن داود ؛ حتى قُتِل وقتَل بيده ثلاثة ، ثم أتاه سهم غَرَب[4] ، فوقع فى حلْقه فولّى ، وجاء سهم آخر فوقع فى كَفَل دابته فشبّت به فصرعته ؛ ولم يثبت معه أحد إلا ابنهُ ، فجُرح ؛ وكان إغلاق الباب على المنهزمين أشدّ من عدوّهم . وحُمِل — فيما ذكر — إلى سامُرّا من أهل بغداد سبعون أسيراً ، ومن الرءوس ثلثمائة رأس[5] .

وذكر أنّ الأسرى لمّا قربوا من سامُرّا أمر الذى وجّه به معهم ألاّ يُدخلهم سامرا إلاّ مغطّى الوجوه ، وأنّ أهل سامرّا لمّا رأوْهم كثر ضجيجهم وبكاؤهم ؛ وارتفعت أصواتهم وأصوات نسائهم بالصُّراخ والدعاء ، فبلغ ذلك المعتزّ ، فكره أن تغلظ قلوب مَنْ بحضرته من الناس عليه ، فأمر لكل أسير بدينارين ،

---

(١) ف : « أربعة رجال » .
(٢) ف : « فى أيديهم » .
(٣) ف : « وكان الموكل » .
(٤) سهم غرب : لا يدرى راميه .
(٥) ا : « مائة رأس وأربعون رأساً » .

٣/١٥٩٤ وتقدّم إليهم بترك معاودة القتال ، وأمر بالرءوس فدفِنت .

وكان فى الأسرى ابن لمحمد بن نصر بن حمزة وأخ لقُسطنطينةَ جارية أم حبيب وخمسة من وجوه بغداد ممن كان فى النظّارة ؛ فأما ابن محمد بن نصر ، فذكر أنه قُتِل وصلب بإزاء باب[١] الشمّاسيّة لمكان أبيه .

وفى يوم الخميس لأربع بقَين[٢] من شهر ربيع الأول ، قدم أبو الساج من طريق مكة فى نحو من سبعمائة فارس ومعه ثمانية عشر محملا فيها ستة وثلاثون أسيراً من أسارى الأعراب فى الأغلال ، ودخل هو وأصحابه بغداد فى زىّ حسن وسلاح ظاهر ، فصار إلى الدّار ، فخِلع عليه خمس خِلع ، وقلّد سيفًا ، وانصرف إلى منزله مع أصحابه ؛ وقد خلع على أربع نفر من أصحابه[٣] .

وفى يوم الاثنين لانسلاخ شهر ربيع الأول[٤] ، وافى باب الشمّاسية — فيما قيل — جماعة من الأتراك ، معهم من المعتزّ كتاب إلى محمد بن عبد الله ؛ وسألوا إيصاله إليه ، فامتنع الحسين بن إسماعيل من قبوله حتى استأمر ؛ فأمر بقبوله ؛ فوافَى يوم الجمعة ثلاثة فوارس ، فأخرج إليهم الحسين بن إسماعيل رجلاً معه سيف وتُرس ، فأخذ الكتاب من خريطة ، فأخرج ، فأوصله إلى محمد ؛ فإذا فيه تذكير محمد بما يجب عليه من حفظه لقديم العهد بينه وبين

٣/١٥٩٥ المعتزّ والحرمة ؛ وأن الواجب كان عليه أن يكون أوّل من سعى فى أمره وتوجيه[٥] خلافته ؛ وذكر أنّ ذلك أوّل كتاب ورد عليه من المعتزّ بعد الحرب .

وفى يوم السبت[٦] لخمس خلوْن من ربيع الآخر وافَى بغداد حبَشون ابن بغا الكبير ومعه يوسف بن يعقوب قوصرّة مولى الهادى فيمن كان مع موسى ابن بغا من الشاكريّة ، وانضمّ إليهم[٧] عامة الشاكريّة المقيمين بالرّقة ؛ وهم فى نحو من ألف وثلثمائة ، فخلع عليه خمس خِلع ، وعلى يوسف أربع خِلع ، وعلى نحو من عشرين من وجوه الشاكريّة ، وانصرفوا إلى منازلهم .

---

(١) س : « بباب الشماسية » .
(٢) ف : « خلون » .
(٣) ف : « منهم » .
(٤) س : « الآخر » .
(٥) ا : « وتوكيدا » .
(٦) ف : « الخميس » .
(٧) ا، ف : « إليه » .

وقدِم بغداد رجل ذكر أن عِدّة الأتراك والمغاربة وحشْوَهم[١] فى الجانب الغربىّ اثنا عشر ألف رجل ورأسهم بايكباك القائد ، وأنّ عدة مَن[٢] مع أبى أحمد فى الجانب الشرقىّ سبعة آلاف رجل خليفته عليهم الدّرغمان الفرغانىّ ، وأنه ليس بسامرّا من قوّاد الأتراك ولا من قوّاد المغاربة إلاّ ستة نفر ، وُكّلوا بحفظ الأبواب . وكانت بين الفريقين وقعة يوم الأربعاء لسبع خَلَوْن من شهر ربيع الآخر ، فقتل – فيما ذكر – فيها من أصحاب المعتزّ مع من غرق منهم أربعمائة[٣] رجل ، وقتل من أصحاب ابن طاهر مع مَن غرق ثلثمائة رجل ، لم يكن فيهم إلا جندىّ ؛ وذلك أنه لم يخرج فى ذلك اليوم من الغوغاء أحد . وقتِل الحسن بن علىّ الحربىّ ؛ وكان يومًا صعبًا على الفريقيْن جميعًا . ١٥٩٦/٣

وذُكر أنّ مزاحم بن خاقان رَمى فيه موسى بن أشناس بسهم فأصابه ، فانصرف مجروحًا ؛ وافتُقد من عسكر أبى أحمد نحو من عشرين قائداً من الأتراك والمغاربة .

ولما كان يوم الخميس لأربع عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خلَع على أبى الساج خمس خِلَع ، وعلى ابن فراشة أربع خِلع ، وعلى يحيى بن حفص حبُوس[٤] ثلاث خلع . وعسكر أبو الساج فى سوق الثلاثاء ، وأعطِىَ الجند بغالا من بغال السلطان يُحمل عليها الرّجالة ، وحوّل مزاحم بن خاقان من باب حَرْب إلى باب السلامة ، وصار مكان مزاحم خالد بن عمران الطائىّ الموصلىّ .

وذكر أن أبا السّاج لما أمره ابن طاهر بالشخوص قال له : أيّها الأمير ، عندى مشورة أشير بها ، قال : قل يا أبا جعفر ؛ فإنك غير متّهم ، قال : إن كنت تريد أن تجادّ هؤلاء القوم فالرأى لك ألاّ تفارق قوّادك ولا تفرّقهم ، وأجمعهم حتى تفضّ[٥] هذا العسكر المقيم بإزائك ؛ فإنك إذا فرغت من هؤلاء فما أقدرك على من وراءك ! فقال : إنّ لى تدبيراً ، ويكفى إن شاء . فقال

---

(١) ف : « وجيوشهم » .
(٢) س : « ممن » .
(٣) ف : « سبعمائة » .
(٤) ط : « جبوس » ، وانظر الفهرس .
(٥) ابن الأثير : « تهزم » .

٣/١٥٩٧ أبو الساج : السمع والطاعة ؛ ومضى لما أمِر به .

وذكر أن المعتزّ كتب إلى أبى أحمد يلومه للتقصير فى قتال أهل بغداد ، فكتب إليه :

لِأَمْرِ المنايا علينا طريقُ وللدّهرِ فيه اتساعٌ وضيقُ

فأَيَّامُنا عِبرٌ للأَنامِ[1] فمنها البُكورُ ومنها الطُّروقُ

ومنها هَنَاتٌ تُشِيبُ الوليدَ ويَخذُلُ فيها الصَّديقَ الصديقُ

وسُورٌ عَرِيضٌ له ذِرْوَةٌ[2] تَفُوتُ العيونَ وبحْرٌ عَمِيقُ

قِتَالٌ مُبِيدٌ ،وسَيْفٌ عَتِيدٌ[3] وخَوْف شديد ، وحِصْن وثيقُ

وطولُ صياحٍ لداعى الصباحِ الـ سلاحَ السلاحَ ، فما يَسْتَفيق

فهذا قتيلٌ وهذا جريحٌ[4] وهذا حريقٌ وهذا غريق

وهذا قتيل وهذا تَليل وآخرُ يَشْدَخُهُ المنجنيقُ

هُناكَ اغتصاب وَثَمَّ انتهاب ودُورٌ خرابٌ وكانت تَرُوقُ

إذا ما سَمونا إلى مَسلَكٍ[5] وجدناه قد سُدَّ عنا الطريقُ

٣/١٥٩٨ فباللهِ نبلُغُ ما نَرتجيهِ وباللهِ نَدفَعُ ما لا نطِيقُ

فأجابه محمد بن عبد الله — أو قيل على لسانه :

أَلَا كلّ من زاغَ عن أَمره وجارَ بِهِ عنْ هُداهُ الطريق[6]

ملاقٍ من الأَمرِ ماقد وصَفْتَ وهذا بأَمثالِ هذا خَليقُ

ولَا سيّما ناكثٌ بَيعةً وتوكيدُها فيه عهد وثيقُ

يُسَدُّ عليه طريقُ الهدى ويلقى مِنَ الأَمر ما لا يُطيقُ

وليسَ بِبالغٍ ما يَرْتجيه مَنْ كان عن غيه لا يُفِيقُ

---

(١) ا،ف وابن الأثير : « وأيامنا » .

(٢) ا،وابن الأثير : «وفتنة دين لها ذروة» ،

(٣) ابن الأثير : « قتال متين »

(٤) ابن الأثير : « فهذا طريح » .

(٥) ابن الأثير : « إذا شرعنا » .

(٦) س : « وحار به » .

أتانَا به خَبرٌ سائرٌ رواه لنا عن خُلوقٍ خُلوقُ
وهذا الكتابُ لنا شاهدٌ يُصَدِّقهُ ذَا النبىُّ الصَّدُوقُ

أما الشعر الأول ؛ فإنه ينشد لعلىّ بن أمية فى فتنة المخلوع والمأمون ، والجواب لا يعرف قائله .

وفى ربيع الآخر من هذه السنة ذُكر أن مائتى نفس من بين فارس وراجل مضوْا من قِبَل المعتزّ إلى ناحية البَندنيجِين ورئيسهم تركىّ يدعى أبلج [1] ، فقصدوا الحسن بن علىّ ، فانتهبوا داره ، وأغاروا على قريته ، ثم صاروا إلى قرية قريبة منها ، فأكلوا وشربوا ، فلمّا اطمأنوا استصرخ عليهم الحسن بن علىّ أكراداً من أخواله وقوماً من قرى حوله ، فصاروا إليهم وهم غارّون ، فأوقع بهم وقُتِل أكثرهم ، وأسر سبعة عشر رجلا منهم ، وقتل أبلج ، وهرب مَنْ بقى منهم ليلا ، ثم بعث الحسن بن علىّ الأسرى ورأس أبلج ورءوس مَنْ قتِل معه إلى بغداد . ١٥٩٩/٣

والحسن بن علىّ هذا رجل من شيبان كان يخلف – فيما ذكر – يحيى بن حفص فى عمله، وأمّه من الأكراد .

* * *

ذكر خبر المدائن فى هذه الفتنة

ذُكر أنّ أبا الساج وإسماعيل بن فراشة ويحيى بن حفص ، لمّا خُلع عليهم للشخوص نحو المدائن ، عسكروا بسُوق الثلاثاء ؛ فلما كان يوم الأحد لعشر بَقِين من شهر ربيع الأول ، حمل رجّالته [2] على البغال ، وصار إلى المدائن، ثم إلى الصيّادة ؛ وابتدأ فى حفر خندق المدائن – وهو خندق كسرى – وكتب يستمدّ ؛ فوجّه إليه خمسمائة رجل من رجالة الجيشيّة ؛ وكان شخوصه فى ثلاثة آلاف فارس وراجل، ثم استمدّه فأمدّه ، فحصل فى عسكره ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل، ثم أُمِدّ بمائتى راجل من الشاكريّة القدماء ،وحُمِلوا فى السفن ، وانحدروا إليه يوم الأحد لأربع خَلَوْن من جمادى الآخرة .

* * *

(١) ا : « أبلح » . (٢) ف : « رجالة » .

ذكر الخبر عن أمر الأنبار وما كان فيها من هذه الفتنة

فممّا كان بها أن محمد بن عبد الله وجّه بحونة[١] بن قيس فى الأعراب إلى الأنبار ، وأمره بالمقام بها والفرض لأعراب الناحية ، ففرَض قومًا منهم ومن المشبّهة بهم نحوًا من ألفى رجل ؛ فأقام بالأنبار وضبطها ؛ فبلغه أن قومًا من الأتراك قد قصدُوه ، فبثَق الماء من الفرات إلى خندق الأنبار ، فامتلأ الخندق لزيادة الماء ، وفاض على ما يليه من الصحارى ؛ فصار الماء إلى السالحين[٢] فصار ما يلى الأنبار بطيحة[٣] واحدةً ، وقطع القناطر التى توصّل إلى الأنبار ؛ وكتب يستمدّ . فندب للخروج إليه رشيد بن كاوس أخو الأفشين ، وضمّ إليه ممن كان معه من رجاله تتمة ألف رجل ؛ خمسمائة فارس وخمسمائة راجل ، فشخص وعسكر فى قصر عبدويه ، وأمدّه ابنُ طاهر بثلثمائة راجل من المَلَطيّين القادمين من الثغور ، وانتخبوا ، ودفع إليهم استحقاقهم ، ونفذوا إليه يوم الثلاثاء . ورحل من قصر عَبْدَوَيْه يوم الاثنين سلْخ ربيع الآخر فى نحو من ألف وخمسمائة رجل ، وأخرج المعتزّ أبا نصر بن بغا من سامُرّا على طريق الإسحاقىّ يوم الثلاثاء ، فسار يومه وليلتَه ، فصبّح الأنبار ساعة نزلها رُشيد بن كاوس .

١٦٠٠/٣

وكان بحونة نازلا فى المدينة ورُشيد خارجها ، فلمّا وافى أبو نصر عاجَل رشيداً وأصحابَه وهم غارُّون على غير تعبية ، فوضع أصحابه فيهم السَّيْف ، ورموْهم بالنشاب فقتلوا عِدّة[٤] ، وثار بعضُ أصحاب رشيد إلى أسلحتهم[٥] ، فقاتلوا الأتراك والمغاربة قتالا شديداً ، وقتلوا منهم جماعة ، ثم انهزم الشاكريّة ورشيد على الطريق الذى جاءوا فيه منصرفين إلى بغداد .

١٦٠١/٣

ولما بلغ بحونة مالقيه[٦] أصحاب رشيد ، وأنّ الأتراك قد مالوا عند انهزام رشيد إلى الأنبار عبَر إلى الجانب الغربىّ ، وقطع جسر الأنبار ، وعبر معه جماعة من أصحابه ، وصار رشيد إلى المُحَوَّل فى ليلته ، وسار بحونة

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « نجوبة » ، وانظر الفهرس (٢) فى بعض النسخ : « السيلحين » .
(٣) البطيحة : المسيل الواسع . (٤) س : « فقتلوهم » .
(٥) ف : « سلاحهم » (٦) س : « مالقى » .

فى الجانب الغربىّ حتى وافى بغداد يوم الخميس بالعشىّ . ثم دخل رشيد فى هذه العشيّة إلى دار ابن طاهر ، فأعلم بحونة محمد بن عبد الله أنه عند مصير الأتراك إلى الأنبار وجّه إلى رشيد يسأله أن يوجّه إليه مائة رجل من الناشبة[1] ليرتبهم قُدّام أصحابه ، فامتنع من ذلك، وسأله أن يضمّ إليه ناشبة من الفرسان والرّجالة ليصير إلى بنى عمه ، وذكر أنهم مقيمون هنالك فى الجانب الغربىّ على الطاعة وانتظار أمير المؤمنين ، وضمن أن يتلافى ما كان منه . فضمّ إليه ثلثمائة رجُل من فرسان الشاكريّة الناشبة ورجّالتهم ،وخلع عليه خَمس خلع ، ومضى إلى قصر ابن هُبيرة يستعدّ هنالك . ١٦٠٢/٣

ثم اختار محمد بن عبد الله الحسينَ بن إسماعيل للأنبار ، ووجّه محمد بن رجاء الحِضارىّ معه وعبد الله بن نصر بن حمزة ورشيد بن كاوس ومحمد بن يحيى وجماعة من الناس ، وأمر بإخراج المال لمن يخرج مع الحسين ومع هؤلاء القوم؛فامتنع مَنْ كان قدم من مَلَطْية من الشاكريّة وهم عُظْم الناس من قبْض رزق أربعة أشهر ؛ لأنّ أكثرهم كان بغير دوابّ ، وقالوا : نحتاج إلى أن نقوى فى أنفسنا ، ونشترىَ الدوابّ . وكان الذى أطلِق لهم أربعة آلاف دينار ، ثم رضُوا بقبض أربعة أشهر ؛ فجلس الحسين فى مجلسٍ على باب محمد بن عبد الله ، وتقدّم فى تَصحيح الجرائد، ليكون عَرضُه الناسَ وأصحابه فى مدينة أبى جعفر ، فأعطى فى ذلك اليوم جماعة من خاصّته. ثم صار الحسين وأصحابُ الدّواوين بعد ذلك إلى مدينة أبى جعفر ، ووضع العطاء لمَنْ يخرج معه من الجُنْد فى ثلاثة مجالس ؛ واستمّ إعطاؤهم يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى .

فلمّا كان يوم الاثنين أحضِر الحسين بن إسماعيل الدّار ومعه القواد الخارجون معه : رشيد بن كاوس ، ومحمد بن رجاء ، وعبد الله بن نصر بن حمزة ، وأرمش الفرغانىّ ، ومحمد بن يعقوب أخو حزام ، ويوسف بن منصور بن يوسف البرْم ، والحسين بن علىّ بن يحيى الأرمنىّ ، والفضل بن محمد بن الفضل ، ومحمد بن هَرْثمة بن النصر ، ؛ وخلع على الحسين ؛ وقُدّمت مرتبتهُ ١٦٠٣/٣

---

(١) ف : « النشابة » .

إلى الفَوْج الثانى — وكان فى الفوج الرابع — وخلع على هؤلاء القوّاد ، وصُيِّر رُشيد بن كاوس على المقدمة، ومحمد بن رجاء على الساقة ، ومضى الحسين ومَنْ ضُمّ إليه من عشيرته وقوّاده إلى معسكرهم ، وأمر وصيف وبغا أن يسبقا[1] الحسين إلى معسكره ، وشيّعه عبيدُ الله بن عبدالله وجميع قوّاد ابن طاهر وكتّابه وبنوهاشم والوجوه إلى الياسريّة ، وأخرج لأهل العسكر من المال ستة وثلاثون ألف دينار ، وحمل إلى معسكر الياسرية بعدُ لإعطاء مَنْ بقى ألف وثمانمائة دينار ، تمامَ استحقاقهم .

فلمّا كان يوم الخميس سارت مقدّمة الحسين والمقلّد لها عبد الله بن نصر ومحمد بن يعقوب فى ألف فارس وراجل ، فنزلوا البَشْق المعروف بالقاطوفة[2] ؛ وكان الأتراك قد وجّهوا إلى المنصوريّة على خمسة فراسخ من بغداد جماعةً ٣/١٦٠٤ منهم ومن المغاربة والغوغاء زُهاء مائة إنسان ، فظُفر بسبعة من المغاربة ، فوُجّه بهم إلى الحسين ، فأنفذهم إلى الباب ، وسار الحسين يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الأولى . وقد كان أهل الأنبار حين تنحّى بحونة[3] ورشيد ، وصار الأتراك والمغاربة إلى الأنبار ونادوا الأمان ؛ فأعطوه ، وأمِروا بفتح حوانيتهم والتسوّق فيها والانتشار فى أمورهم ، واطمأنّوا إلى ذلك منهم وسكنوا ، وطمعوا فيهم أن يفوا لهم ؛ فأقاموا بذلك يومهم وليلتهم حتى أصبحوا ، وكان فى وقت غلبتهم عليها وافتتهم سفن من الرَّقّة فيها دقيق وأطواف[4] فيها زيت وغير ذلك ؛ فأخذوه وجمعوا ما وجدوا فيها من إبل ودوابّ وبغال وحمير ، ووجّهوا بذلك مع مَنْ يؤديه إلى منازلهم بسامُرّا ، وانتهبوا ما وجدوا ، ووجّهوا برءوس مَنْ قُتل من أصحاب رشيد وبحونة وأهل بغداد وبمن أسروا وكانوا مائة وعشرين رجلا ، والرءوس سبعون رأسًا ، وجعلوا الأسرى فى الجُوالقات ، قد أخرجوا منها رءوسهم ٣/١٦٠٥ حتى صاروا إلى سامُرّا ، وصار الأتراك إلى فم الأستانة ، وحاولوا سدّها ليقطعوا ماء الفرات عن بغداد ؛ فوجّهوا رجلا ، ودفعوا إليه مالاً لآلة السَّكْر[5] وسدّه مع القَلُوس[6] والصوارى ، ففُطِن به وهو يبتاع ذلك ، فحُمِل إلى دار

---

(١) ا : « يشيما » . (٢) ا : « العاطوفة » . (٣) ط : « نجوبة » .

(٤) فى القاموس : « الطوف : قرب ينفخ فيها ويشد بعضها إلى بعض كهيئة السطح يركب عليها فى الماء ويحمل عليها » . (٥) السكر : سد ماء النهر.

(٦) القلس : حبل ضخم من ليف أو خوص أو غيرهما من قلوس سفن البحر.

ابن طاهر بعد أن نالتْه العامّة بالضرب والشتم ؛ حتى أشفى على الموت ، فسئل عن أمره فصدَق ، فوُجّه به إلى الحبس .

وكان ابن طاهر قد وجّه الحارث خليفة أبي الساج ؛ فكان على طريق مكة إلى قصر ابن هبيرة ، وضمّ إليه خمسمائة رجل من فرسان الشاكريّة القادمين معه ؛ فنفذ ومَنْ معه لسبع خلون من جمادى الأولى ، ووجّه ابن أبي دلف هشام[1] ابن القاسم في مائتي راجل وفارس إلى السِّيبَيْن ، ليقيم هناك ؛ فلما توجّه الحسين إلى الأنبار كُتب إليه باللحاق بعسكر الحسين ليصير معه إلى الأنبار ، ونُودِيَ ببغداد في أصحاب الحسين ومزاحم بن خاقان أن يلحقوا بقوّادهم . فسار الحسين ، وتقدّم خالد بن عمران حتى نزل[2] دِمِمّا ؛ فأراد أن يعقد على نهر أنق جسراً ليعبُر عليه أصحابه ، فمانعه الأتراك ، فعبَر إليهم جماعة من الرَّجّالة فكشفوهم ، وعقد خالد الجسر ، فعبر هو وأصحابه ، وصار الحسين إلى دِمِمّا ، فعسكر خارجها ، وأقام في معسكره يوماً ، ووافتْه طلائع الأتراك ممّا يلي نهر أنق ونهر رُفَيْل فوق قرية دِمِمّا ، فصفّ الحسين أصحابه من جانب النهر والأتراك من الجانب الآخر ، وهم زُهاء ألف رجل ، وتراشقوا بالسهام ، فجُرح بينهم عداد ، وانصرف الأتراك إلى الأنبار .

٣/١٦٠٦

وكان بحونة مقيماً بقصر ابن هبيرة ، فانضمّ إلى الحسين في جميع من كان معه من الأعراب وغيرهم ، وكتب بحونه يسأل مالاً لإعطاء أصحابه ؛ فأمر أن يحمل إلى معسكر الحُسين لإعطاء أصحاب بحونة ثلاثة آلاف دينار ، وحمِل إلى الحسين مال وأطواق وأسورة وجوائز لمن أبلى في الحرب ، وكان الحسين وُعد أنْ يُمَدّ بالرجال حتى يكمل عسكره عشرة آلاف رجل ، فكتب يتنجز ذلك ؛ فأمر بتوجيه أبي السنا محمد بن عبدوس الغنويّ والجحاف بن سواد في ألف فارس وراجل من الملطَيّين وجند انتخبوا من قيادات شتى ، فقبضوا أنزالهم[3] لليلتين بقيتا من جمادى . وساروا مع أبي السناء والجحاف على نهر كَرْخايا إلى المحوّل ، ثم إلى دِمِمّا ، ونزل الحسين بعسكره في موضع يعرف

٣/١٦٠٧

(١) ط : « هاشم » ، وانظر الفهرس
(٢) س : « دخل » .
(٣) ف : « أموالهم » .

بالقُطيعة واسع يحتمل العسكر ، فأقام فيه يومَه ، ثم عزم على الرّحلة منه إلى قرب الأنبار ، فأشار عليه رُشيد والقوّاد أن يُنزل عسكره بهذا الموضع لسَعته وحَصانته ، ويسير هو وقوّاده فى خيلٍ جريدةً ، فإن كان الأمر له كان قادراً أن ينقل عسكره ؛ وإن كان عليه انحاز إلى عسكره وراجع عدُوّه ؛ فلم يقبل الرأى ، وحملهم على المسير [(١)]من موضعهم[(١)] ، فساروا وبين الموضعين فرسخان أو نحوهما . فلما بلغوا الموضع الذى أراد الحسين النزول فيه ، أمر الناس بالنزول ؛ وكان جواسيس الأتراك فى عسكر الحُسين ، فساروا إليهم ، وأعلموهم رحلة الحسين ، وضيق العسكر بالموضع الذى نزل فيه ، فوافوْهم والناس يحطّون أثقالهم ، فسار أهل العسكر ، ونادوْا السلاح ، فصافّوهم ؛ فكانت بينهم قتلَى من الفريقين ، وحمل أصحاب الحسين عليهم فكشفوهم كشفاً قبيحاً ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وغرق منهم خلق كثير فى الفُرات . وكان الأتراك قد كمنوا قوماً ، فخرج الكمين عند ذلك على بقيّة العسكر ؛ فلم يكن لهم ملجأ إلاّ الفرات . وغرق من أصحاب الحسين خلق كثير ، وقُتِل جماعة وأسرَ من الرجّالة[(٢)] جماعة ؛ وأما الفرسان فضربوا دوابّهم هُرّاباً لا يلوون على شىء ، والقوّاد ينادونهم يسألونهم الرَّجْعة ، فلم يرجع منهم أحد ، وأبلى محمد بن رجاء ورُشيد يومئذ بلاء حسناً ، ولم يكن لمن انهزم معقل دون الياسريّة على باب بغداد ، فلم يملك القوّاد أمور أصحابهم ، فأشفقوا حينئذ على أنفسهم ، فانثنوْا راجعين وراءهم ، يحمونهم من أدبارهم أن يُتبعوا ، وحوَى الأتراك جميع عسكر الحسين بما فيه من المضارب وأثاث الجند وتجارات أهل السوق ؛ وكان معه فى السفن سلاح سلِم ؛ لأن الملاّحين حَرَزُوا سفنهم ، فسلِم ما كان معهم من السلاح ومن تجارات التجّار .

١٦٠٨/٣

وذكر عن ابن زنبور[(٣)] كاتب الحسين أنه أخذ للحسين اثنا عشر صندوقاً فيها كسوة ومال من مال السلطان مبلغه ثمانية آلاف دينار ، ونحو من أربعة آلاف دينار لنفسه ، ونحو من مائة بغل ؛ وانتهب فروضُ الحسين مضارب الحسين وأصحابه ، وطاروا مع مَنْ طار ، فوافوا الياسريّة ؛ وكان أكثر

(١ – ١) س : « من معه » .
(٢) س : « الرجال » .
(٣) ا : « ابن زيتون » .

النهب مع أصحاب أبي السنا .

ووافى الحسين والفلّ الياسرية يوم الثلاثاء لستٍّ خلوْن من جمادى الآخرة . ولقى الحسينَ رجل من التجار فى جماعة ممن ذهبت[1] أموالهم فى عسكره ، فقال : الحمد لله الذى بيّض وجهك ! أصعدتَ فى اثنى عشر يومًا ، وانصرفت فى يوم واحد ! فتغافل عنه . ٣/١٦٠٩

قال أبو جعفر : وممّا انتهى إلينا من خبر الحسين بن إسماعيل ومَنْ كان معه من القُوّاد والجند الذين كان محمد بن عبد الله بن طاهر استنهضَهم من بغداد فى هذه السَّنة لحرب مَنْ كان قصد الأنبار وما اتّصل بها من البلاد من الأتراك والمغاربة ، أنه لما صار إلى الياسرية منصَرفه مهزومًا من دِمِمًّا ، أقام بها فى بستان ابن الحَرورىّ ، وأقام مَنْ وافى الياسرية من المنهزمة فى الجانب الغربىّ من الياسريّة ، ومُنِعوا من العبور ، ونُودى ببغداد فيمن دخلها من الجند الذين فى عسكر الحسين أن يلحقوا بالحسين فى معسكره ، وأجِّلُوا ثلاثة أيام ؛ فمن وجد منهم ببغداد بعد ثلاثة ضُرب ثلثمائة سوط ، ومُحى اسمه من الديوان. فخرج الناس ، وأمر خالد بن عمران فى الليلة التى قدم فيها الحسين أن يعسكر فى أصحابه بالمحوَّل ، وأعطى أصحابه أرزاقهم فى تلك الليلة فى الشَّرْج ، ونودى فى أصحابه بالمحوَّل باللحاق به .

ونودى فى الفَرَض القُدماء الذين كانوا فرضوا بسبب أبى الحسين يحيى بن عمر بالكوفة وهم خمسمائة رجل ، وأصحاب خالد وهم نحو من ألف رجل ، فعسكروا بالمحوّل يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة وأمر ابن طاهر الشاهَ بن ميكال فى صَبيحة الليلة التى وافى فيها الحسين أن يتلقاه ويمنعه من دخول بغداد . فلقيه فى الطريق ، فردّه إلى بستان ابن الحَرورىّ ، وأقاموا يومهم ؛ فلما كان الليل صاروا إلى دار ابن طاهر ، فوبّخه ابن طاهر وأمره بالرُّجوع إلى الياسريّة لينفذ إلى الأنبار مع مَنْ ينفذ إليها من الجند ؛ فصار من ليلته إلى الياسريّة . ثم أمر بإخراج مال لإعطاء شهر واحد لآل هذا العسكر ٣/١٦١٠

(١) ف : « نهبت » .

فحمل تسعة آلاف دينار ، وصار كتّاب ديوان العطاء وديوان العَرْض إلى الياسريّة لعرض الجند وإعطائهم .

فلما كان يوم الجمعة لسبع خلوْن من جمادى الآخرة توجّه خالد بن عمران مُصعِداً إلى قنطرة بهلايا — وهى موضع السِّكْر — وخرجت معه نحو من عشرين سفينة ، وركب عبيد الله بن عبد الله وأحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد إلى عسكر الحسين بن إسماعيل بالياسريّة ، فقرءوا على الحسين والقوّاد كتاباً كُتِب به عن المستعين ، يخبرهم فيه بسوء طاعتهم وما ركبوا من العصيان والتخاذل ؛ فقرئ عليهم والعسكر مقيم ، والعُرّاض يعرضونهم ليتعرّفوا مَنْ قُتِل ومَنْ غرق من كلّ قيادة ، ونودى باللّحاق بعسكرهم ؛ فخرجوا . وأتاهم كتاب بعض عيونهم بالأنبار يخبر أنّ القتلى كانت من الأتراك أكثر من مائتين ، والجرحى نحواً من أربعمائة ؛ وأن جميع مَنْ أسره الأتراك من أهل بغداد الجيشية والفروض من الرّجّالة مائتان وعشرون إنساناً ، وأنه عدّ رءوس مَنْ قتِل فوجدها سبعين رأساً ؛ وكانوا أخذوا جماعة من أهل الأسواق ، فصاحوا لأبى نصر : نحن أهل السوق ، فقال : ما بالكم معهم ! فقالوا : أكرِهنا فخرجنا ، شئنا[1] [أو أبينا][2] فأطلق من كان منهم يشبه السوقة . وأمر بحبس الأسرى فى القَطِيعة .

وذُكر عن صاحب بغال السلطان : أن جميع ما ذهب من بغال السلطان مائة وعشرون بغلا .

ورحل الحسين يوم الاثنين لاثنتى عشرة بقيت من جمادى الآخرة ، وكتب إلى خالد بن عمران وهو مقيم على السِّكْر ، أن يرحل متقدّماً أمامه ، فامتنع خالد من ذلك ؛ وذكر أنه لا يبرح من موضعه إلا أن يأتيَه قائد فى جُند كثيف فيقيم مكانه ، لأنه يتخوّف أن يأتيَه الأتراك من خلْفه من عسكرهم بناحية قُطْربُّل . وأمر ابن طاهر بمال ، فحمل إلى[3] الحسين بن إسماعيل لإعطاء جميع من فى عسكره رزق شهر واحد؛ ليُفرّق فيهم بدَّ ممّا ، وأمر أن يخرج معه الكتاب والعُرّاض لأصحابه هنالك ، وقلّد أمر نفقات

٣/١٦١١ — ٣/١٦١٢

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « تسببا » . (٢) تكملة من ا ، وموضعها بياض فى ط .
(٣) س : « مع » .

عسكره وإعطاء الجند من قبَل ديوان الخراج الفضلَ بن مظفَّر السبعى[١]، وحمَل المال مع السَّبْعىّ إلى معسكر الحسين ، لينفذ معه إذا نفذ .

وقد قيل : إنّ الحسين ارتحل إلى الأنبار فى النصف من ليلة الأربعاء لعشر بقين من جمادى الآخرة ، فسارَ وتبعه من فى عسكره يوم الأربعاء ، ونودى فى أصحابه باللحاق به ، فسار حتى نزل دِممَّا ، وأراد أن يعقد على نهر أنق جسراً ليعبُر عليه ، فمانعه الأتراك[٢] ، فعبر إليهم جماعة من أصحابه من الرجَّالة ، فحاربوهم حتى كشفوهم . وعقد خالد الجسر ، فعبر أصحابه ووجّه محمد بن عبد الله بكاتبه محمد بن عيسى بشىء شافهه[٣] به ، فيقال : إنه حمل معه أطْوَاقاً وأسورة ، وانصرف إلى منزله ، وصار إلى الحسين يوم السبت لثمان خلَوْن من رجب رجل ، فأخبره أن الأتراك قد دُلُّوا على عدّة مواضع فى الفُرات ، تُخاض إلى عسكره ، فأمر بضرب الرجل مائتى سوط ، [٤]ووكل بالمخاوض رجلا[٤] من قُوّاده ، يقال له الحسين بن علىّ بن يحيى الأرمنىّ فى مائة راجل ومائة فارس ؛ فطلع أوَّل القوم ، فخرج عليهم وقد أتاه منهم أربعة عشر علماً ، فقاتل أصحابه ساعةً ، ووكل بالقنطرة أبا السَّنا ، وأمره أن يمنع مَن انهزم من العُبور ؛ فأتى الأتراك المخاضَة ، فرأوا الموكَّل بها ، فتركوه واقفاً ، وصاروا إلى مخاضة أخرى خلْف الموكّل فقاتلوهم ، فصبر الحسيَن بن علىّ وقاتل ، فقيل للحسين بن إسماعيل ، فقصد نحوَه ، ولم يصل إليه حتى انهزم ، وانهزم خالد بن عمران معه ومَنْ معه ، ومنعهم أبو السنا من العُبور على القنطرة ، فرجع الرجَّالة والخراسانية فرَموْا بأنفسهم فى الفُرات ، فغرق من لم يُحسن السباحة ، وعبَر مَنْ كان يحسن السباحة ، فنجا عُرياناً ، وخرج إلى جزيرة لا يصل منها إلى الشطّ ، لِمَا على الشطّ من الأتراك ، فذكر عن بعض جند الحسين ، أنه قال : بعث الحسين بن علىّ الأرمنى إلى الحسين بن إسماعيل أنّ الأتراك قد وافوا المخاضَة ، فأتاه الرسول ، فقيل : الأمير نائم ، فرجع الرسول فأعلمه ، فردّ آخر ، فقال له الحاجب : الأمير فى المخرَج ، فرجع فأخبره ، فردّ

١٦١٣/٣

---

(١) س : « الشيعى ».
(٢) بعد فى ف : « ومن معهم » .
(٣) ف : « يشافهه » .
(٤—٤) ف : « ووجه لموضع المخاوض » .

رسولا ثالثًا ، فقال : قد خرج من المخرَج ونام ؛ فعلت الصيحة فعَبر الأتراك ، فقعد الحسين فى زورق أو شبّارة ، وانحدر. واستأثر قوم من الخُراسانية ، ورمَوْا ثيابهم وسلاحهم ، وقعدوا على الشطّ عُراةً ، وشدّ أصحاب أعلام الأتراك حتى ضربوا أعلامهم على مضرب الحسين بن إسماعيل ، واقتطعوا السوق ، وانحدرت عامة السفن ، فسلمت إلاّ ما كان موكّلاً به منها ، ولحق الأتراك أصحاب الحسين ، فوضعوا فيهم السيف ؛ فقتلوا وأسروا نحوًا من مائتين ، وغرق خَلْقٌ كثير ؛ ووافى الحسين والمنهزمة بغدادَ نصف الليل . ووافى فلّهم وبقيّتهم فى النهار ؛ وفيهم جرحى كثيرة ؛ فلم يزالوا إلى نصف النهار يتتابعون عُراة مجرَّحين ، وفُقِد من قواد الحسين بن يُوسف البَرْم وغيره . ثم جاء كتابه أنه أسير فى أيدى الأتراك عند مُفْلح ؛ وأنّ عدّة الأسرى من وقعة الحسين الثانية مائة ونيّف وسبعون إنسانًا ، والقتلى مائة ، والدوابّ نحو من ألفى دابة ومائتى بغل وأكثر ، وقيمة السلاح والثياب وغير ذلك أكثر من مائة ألف دينار ؛ فقال الهندوانىّ فى الحسين بن إسماعيل :

٣/١٦١٤

يا أَحْزَمَ الناسِ رأياً فى تخلُّفهِ عن القتالِ خَلطْتَ الصفْوَ بالكدَرِ

لمَّا رأيتَ سُيُوفَ الترك مُصلَتَةً علِمْتَ ما فى سيوفِ الترْك من قَدَرِ

فَصِرْتَ منحجزًا ذُلاًّ ومَنقَصَةً والنُّجْحُ يذهبُ بينَ العجْزِ والضَّجَرِ

ولحق بالمعتزّ فى جمادى الآخرة منها من بغداد جماعة من الكتاب وبنى هاشم ، ومن القوّاد مُزاحم بن خاقان أرطوج ، ومن الكتّاب عيسى بن إبراهيم ابن نوح ويعقوب بن إسحاق ونمارى ويعقوب بن صالح بن مرشد ومقلة وابنٌ لأبى[1] مزاحم بن يحيى بن خاقان ومن بنى هاشم علىّ ومحمد ابنا الواثق ، ومحمد ابن هارون بن عيسى بن جعفر ، ومحمد بن سليمان من ولد عبد الصمد بن علىّ .

٣/١٦١٥

* * *

وفيها كانت وقعة بين محمد بن خالد بن يزيد وأحمد المولد وأيوب بن أحمد

(١) ف : « وابن أبى مزاحم »

بالسُّكَيْر من أرض بنى تغلب ، قتل بين الفريقين جماعة كثيرة ، وانهزم محمد ابن خالد ، وانتهب الآخرون متاعه ، وهدم أيوب دور آل هارون بن معمر ، وقتل من ظفر به من رجالهم .

* * *

وفيها كانت لبلكاجور غزوة فتح — فيما ذكر — فيها مطمورة أصاب[1] فيها غنيمة كثيرة ، وأسر جماعة من الأعلاج ، وورد بذلك على المستعين كتاب تاريخه يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين ومائتين .

* * *

وفى يوم السبت لثمان بقين من رجب من هذه السنة كانت وقعة بين محمد ابن رجاء وإسماعيل بن فراشة وبين جُعلان التركىّ بناحية بادَرَايا و باكُسايا ، فهزم ابن رجاء وابن فراشة جُعلانَ ، وقتلا من أصحابه جماعة وأسرا جماعة .

* * *

٣/١٦١٦ وفى رجب منها كان — فيما ذكر — وقعة بين ديوداد أبى الساج وبين بايكباك بناحية جَرْجَرايا ، قتل[2] فيها أبو الساج بايكباكَ ، وقتل من رجاله جماعة ، وأسر منهم جماعة ، وغرق منهم فى النهروان جماعة .

وفى النصف من رجب منها اجتمع مَنْ كان ببغداد من بنى هاشم من العباسيين ، فصاروا إلى الجزيرة التى بإزاء دار محمد بن عبدالله ، فصاحوا بالمستعين وتناولوا محمد بن عبد الله بالشتم القبيح ، وقالوا : قد مُنعنا أرزاقنا ، وتُدفع الأموال إلى غيرنا ممن لا يستحقها ، ونحن نموت هزلا وجوعًا ! فإن دفعتَ إلينا أرزاقنا وإلاّ قصدنا إلى الأبواب ففتحناها ، وأدخلنا الأتراك ؛ فليس يخالفنا أحد من أهل بغداد . فعبر إليهم الشاه بن ميكال ، فكلّمهم ورفق بهم ، وسألهم أن يعبر معه منهم ثلاثة أنفس ليدخلهم على ابن طاهر ؛ فامتنعوا من ذلك ، وأبوا إلا الصّياح وشتْم محمد بن عبد الله ؛ فانصرف عنهم الشاه ؛ فلم يزالوا على حالهم إلى قُرْب الليل ، ثم انصرفوا واجتمعوا من غد ذلك اليوم ، فوجّه إليهم محمد بن عبد الله ، فأمرهم بحضور الدّار يوم الاثنين ليأمر من يناظرهم ،

(١) ا : « غنم » . (٢) ا : « فل » .

فصاروا إلى الدّار ، فأمر[1] محمد بن داود الطوسى[2] بمناظرتهم ؛ وبذل لهم رزق شهر واحد؛ وأمرهم[3] أن يقبضوا ذلك ، ولا يكلّفوا الخليفة أكثر من هذا ؛ فأبوْا أن يقبضوا رزْق شهر ، وانصرفوا .

* * *

[خروج الحسين بن محمد الطالبىّ وما آل إليه أمره]

وفيها خرج بالكوفة رجلٌ من الطالبيّين يقال له الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب ، فاستخلف بها رجلا منهم يقال له محمد بن جعفر بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن حسن ، ويكنى أبا أحمد ، فوجّه إليه المستعين مزاحم بن خاقان أرطُوج ؛ وكان العلوىّ بسوَاد الكوفة فى ثلثمائة رجل من بنى أسد وثلثمائة رجل من الجارودية والزيديّة وعامتهم صوّافيّة[4] ؛ وكان العامل يومئذ بالكوفة أحمد ابن نصر بن مالك الخُزاعىّ، فقتل العلوىّ من أصحاب ابن نصر أحدَ عشر رجلا ، منهم من جند الكوفة أربعة ، وهرب أحمد بن نصر إلى قَصْر ابن هبيرة ؛ فاجتمع هو وهشام بن أبى دلف ؛ وكان يلى بعضَ سواد الكوفة — فلما صار مزاحم إلى قرية شاهى كتب إليه فى المقام حتّى يوجّه إلى العلوى مَنْ يردّه إلى الفيْئة والرجوع . فوجّه إليه داود بن القاسم الجعفرىّ ، وأمر له بمال ، فتوجّه إليه وأبطأ داود وخبرُه على مزاحم ، فزحف مزاحم إلى الكوفة من قرية شاهى ، فدخلها وقصد العلوىّ فهرب ، فوجّه فى طلبه قائداً ، وكتب بفتحه الكوفة فى خريطة مُرَيّشة .

وقد ذكر أن أهل الكوفة عند ورود مزاحم حملوا العلوىّ على قتاله ، ووعدوه النّصر ، فخرج فى غربىّ الفُرات ؛ فوجّه مزاحم قائداً من قُوّاده فى الشرقىّ من الفرات ، وأمره أن يمضىَ حتى يعبر قنطرة الكوفة ثم يرجع ، فمضى القائد لذلك ، وأمر مزاحم بعض أصحابه الذين بقوا معه أن يعبروا مخاضة الفرات فى

(١) س : « وأمر » .
(٢) ا ، ف : « الطالبى » .
(٣) ف : « وسألهم » .
(٤) ا ، ف : « صوفية » .

قرية شاهى ، وأن يتقدّموا حتى يحاربوا أهل الكوفة ويصافّوهم من أمامهم فساروا ومعهم مزاحم ، وعَبَر الفرات ، وخلّفَ أثقالَه ومَنْ بقىَ معه من أصحابه ؛ فلما رآهم أهل الكوفة ناوشوهم الحرب ، ووافاهم قائد مزاحم ، فقاتلهم من ورائهم ومُزاحم من أمامهم ؛ فأطبقوا عليهم جميعًا فلم يفلت منهم أحد .

وذكر عن ابن الكرديّة أنّ مزاحمًا قتل من أصحابه قبل دخوله الكوفة ثلاثة عشر رجلا ، وقتل من الزيدية أصحاب الصّوف سبعة عشر رجلا ، ومن الأعراب ثلثمائة رجل ؛ وأنه لما دخل الكوفة رُمِىَ بالحجارة فضرب ناحيتى الكوفة بالنار ، وأحرق سبعة أسواق ؛ حتى خرجت النار إلى السَّبيع ، وهجم على الدار التى فيها العلوىّ فهرب ؛ ثم أتِىَ به وقُتِل فى المعركة من العلويّة رجل[1] وذكر أنه حبس جميع من بالكوفة من العَلويّة ، وحبس أبناء هاشم ، وكان العلوّى فيهم . ١٦١٩/٣

وذكر عن أبى إسماعيل العلوّى أن مُزاحمًا أحرق بالكوفة ألف دار ، وأنه أخذ ابنة الرجل منهم فعنّفها .

وذكر أنه أخِذ للعلوىّ جوارٍ ، فيهم امرأة حُرّة مضمومة ، فأقامها على باب المسجد ونادى عليها .

* * *

وفى النصف من رجب من هذه السنة ، ورد على مزاحم كتاب من المعتزّ يأمره بالمصير إليه ، ويعده وأصحابه ما يحبّ ويحبّون . فقرأ الكتاب مزاحم على أصحابه ؛ فأجابه الأتراك والفراغنة والمغاربة ، وأبى الشاكرية ذلك ، فمضى فيمن أطاعه منهم وهم زُهاء أربعمائة إنسان . وقد كان أبو نوح تقدّمه إلى سامُرّا ، فأشار بالكتاب إليه ، وكان مزاحم ينتظر أمر الحسين بن إسماعيل ؛ فلما انهزم الحسين مضى إلى سامُرّا ؛ وقد كان المستعين وجّه إلى مزاحم عند فتح الكوفة عشرة آلاف دينار وخمس خلَع وسيفاً ، ونفذ الرسول إليه ، وألفى الجند الذين كانوا معه فى الطريق ؛ فردّوا جميع ذلك معهم ، وصاروا إلى باب محمد بن عبد الله ، وأعلموه ما فعل مزاحم . وكان فى الجند والشاكريّة خليفة

---

(١) ف : « رجلان » .

الحسين بن يزيد الحرانيّ وهشام بن أبي دلف والحارث خليفة أبي الساج ، فأمر ابن طاهر أن يخلع على كلّ واحد منهم ثلاث خلَع .

١٦٢٠/٣ وذكر أنّ هذا العلويّ كان قد ظهر بنينَوَى في آخر جمادى الآخرة من هذه السنة ؛ فاجتمع إليه جماعة من الأعراب ، وفيهم قومٌ ممن كان خرج مع يحيى بن عمر في سنة خمسين ومائتين ، وقد كان قدم إلى تلك الناحية هشام ابن أبي دلف ، فواقعهم العلويّ في جماعة نحو من خمسين رجلا ، فهزمه وقتل عِدّة من أصحابه ، وأسر عشرين رجلا وغلاماً ، وهرب العلَويّ إلى الكوفة ؛ فاختفى بها ، ثم ظهر بعد ذلك . وحمِل الأسرى والرءوس إلى بغداد ، فعرف خمسة نفر ممن كان مع أصحاب أبي الحسين يحيى بن عمر ؛ فأطلقوا . وأمر محمد بن عبد الله أن يضرب كلّ واحد ممن أطلق وعاد خمسمائة سوط ، فضربوا في آخر يوم من جمادى الآخرة .

وذُكر أن كتب أبي الساج لمّا وردت بما كان من إيقاعه ببايكباك ؛ وذلك لاثنتي عشرة بقيَتْ من رجب من هذه السنة ، وجّه إليه بعشرة آلاف دينار معونة له ، وبخلعة فيها خمسة أثواب وسيف .

* * *

وفيها كانت وقعة — فيما ذكر — بين منكجور بن خيدر(١) وبين جماعة(٢) من الأتراك بباب المدائن هزمهم فيها مَنْكَجور ، وقتل منهم جماعة .

* * *

١٦٢١/٣ وفيها كانت لبلكاجور صائفة ، فتح فيها فتوحاً فيما ذكر .

* * *

وفيها كانت وقعة بين يحيى بن هرثمة وأبي الحسين بن قريش ، قُتِل من الفريقين جماعة ، ثم انهزم أبو الحسين بن قريش .

وفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلتْ من شعبان كانت بباب بغواريا وقعة بين الأتراك وأصحاب ابن طاهر ؛ وكان السبب في ذلك أن الموكّل كان بباب بغواريا إبراهيم بن محمد بن حاتم والقائد المعروف بالنّساويّ في نحو من

(١) كذا في ا ، وفي ط « حيدروس » من غير نقط .
(٢) كذا في ا ، وفي ط : « بجماعة » .

ثلثمائة فارس وراجل ، فجاءت الأتراك والمغاربة فى جَمْع كثير ، فنقبوا السور فى موضعين ، فدخلوا منهما ، فقاتلهم النساوىّ فهزموه ، ووافوْا باب الأنبار ، وعليه إبراهيم بن مصعب وابن أبى خالد وابن أسد بن داود سياه ، وهم لا يعلمون بدخولهم باب بغواريا ، فقاتلهم قتالا شديداً ، فقتل من الفريقين جماعة . ثم إنّ مَنْ كان على باب الأنبار من أهل بغداد انهزموا لا يلوون على شىء ، فضرب الأتراك والمغاربة باب الأنبار بالنار فاحترق ، وأحرقوا ما كان على باب الأنبار من المجانيق والعرّادات ، ودخلوا بغداد حتى صاروا إلى باب الحديد ومقابر الرّهينة ومن ناحية الشارع إلى موضع أصحاب الدواليب ، فأحرقوا ماهنالك وأحرقوا كلّ ما قرب من ذلك من أمامهم ووورائهم ، ونصبوا أعلامهم على الحوانيت التى تقرب من ذلك الموضع ، وانهزم الناس ؛ حتى لم يقف بين أيديهم أحد ؛ وكان ذلك مع صلاة الغَداة ، فوجّه ابن طاهر إلى القوّاد ، ثم ركب فى السلاح فوقف على باب درب صالح المسكين ، ووافاه القوّاد ، فوجّههم إلى باب الأنبار وباب بغواريا وجميع الأبواب التى فى الجانب الغربىّ ، وشحنها بالرجال ، وركب بُغا ووصيف ، فتوجّه بُغا فى أصحابه وولده إلى باب بغواريا ، وصار الشاه بن ميكال والعباس بن قارن والحسين بن إسماعيل إلى باب الأنبار والغوغاء ، فالتقوا والأتراك فى داخل الباب ، فبادرهم العباس بن قارن[1] ، فقتِل — فيما ذكر — فى مقام واحد جماعة من الأتراك ، ووجّه برءوسهم إلى باب ابن طاهر ، وكاثرهم الناس على هذه الأبواب ، فدفعوهم حتى أخرجوهم بعد أن قُتِل منهم جماعة ؛ وكان بُغا الشرابىّ خرج إلى باب بغواريا فى جمع كثير ، فوافاهم وهم غارُّون ، فقتل منهم جماعة كثيرة ، وهرب الباقون ، فخرجوا من الباب ؛ فلم يزل بُغا يحاربهم إلى العصر ؛ ثم انهزموا وانصرفوا ، ووكّل بالباب مَنْ يحفظه ، وانصرف إلى باب الأنبار ، ووجّه فى حمل الجصّ والآجرّ ، وأمر بسدّه . ٣/١٦٢٢

وفى هذا اليوم أيضًا كانت حرب شديدة بباب الشّماسية ، قُتِل من الفريقين — فيما ذكر — جماعة كثيرة ، وجُرِح آخرون ؛ وكان الذى قاتل الأتراك فى هذا اليوم — فيما ذكر — يوسف بن يعقوب قوصرّة . ٣/١٦٢٣

(١) ط : « خازن » صوابه من ا ، وانظر الفهرس .

وفيها أمر محمد بن عبد الله المظفّر بن سيسل أن يعسكر بالياسرية ، ففعل ذلك ، ثم انتقل إلى الكُناسة إلى أن وافاه بالفَردل بن إيزنكجيك[1] الأشروسنى ؛ فأمر له بفرض ، وضمّ إليه رجالا من الشاكرية وغيرهم ، وأمر أن يضامّ المظفر ويعسكر بالكُناسة ، ويكون أمرهما واحداً ، ويضبط تلك الناحية ؛ فأقاما هنالك حيناً ، ثم أمر بالفردل المظفَّرَ بالمضىّ ، ليعرف خبر الأتراك ليدبّر فى أمرهم بما يراه ؛ فامتنع من ذلك المظفّر ، وزعم أنّ الأمير لم يأمره بشىء مما سأله ، وكتب كلُّ واحد منهما يشكو صاحبَه ، وكتب المظفر يستعفى من المقام بالكُناسة ، ويزعم أنه ليس بصاحب حرب ، فأعفِىَ، وأمر بالانصراف ولزوم البيت ؛ وقلد أمر ذلك العسكر ومَن فيه من الجند النائبة والأثبات بالفردل ، وضمّ إليه أثبات المظفّر وأفْرِد بالناحية .

* * *

وفى شهر رمضان من هذه السنة التقى هشام بن أبى دلف والعلوىّ الخارج بنِينَوى ، ومعه رجل من بنى أسد، فاقتتلوا فقتِل من أصحاب العلوىّ — فيما ذكر — نحو من أربعين رجلا ، ثم افترقا ، فدخل العلوىّ الكوفة فبايع أهلها المعتزّ ، ودخل هشام بن أبى دُلف بغداد . ٣/١٦٢٤

وفى شهر رمضان من هذه السنة كانت بين أبى الساج والأتراك وقعة بناحية جَرْجَرَايا ، هزمهم فيها أبو الساج ، وقتَل منهم جماعة كثيرة ، وأسر منهم جماعة أخَر .

* * *

[ذكر خبر قتل بالفردل]

ولليلة بقيَتْ من شهر رمضان منها قُتِل بالفردل ؛ وكان سبب قتله أن أبا نصر بن بغا لما غلب على الأنبار وما قرب منها ، وهزم جيوش ابن طاهر من تلك الناحية وأجلاهم عنها ، بثّ خيله ورجالَه فى أطراف بغداد من الجانب الغربىّ ، وصار إلى قصر ابن هبيرة ، وبها بحونة بن قيس من قِبَل ابن طاهر ، فهرب منه من غير قتال[2] جرى بينه وبينه ، ثم صار أبو نصر إلى نهر صَرْصَر،

(١) كذا فى ا ، وفى ط : اذ ابن مكحو نعل .

(٢) س : « عن غير قتال » .

واتصل بابن طاهر خبرُه وخبر الوقْعة التى كانت بين أبى الساج والأتراك بجرجَرايا وخذلان مَنْ معه من الفروض إياه عند احمرار البأس. فندبَ بالفردلَ إلى اللحاق بأبى الساج والمسير بمَنْ معه إليه ، فسار بالفردل فيمَن معه غداةَ يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان ، فسار يومَه وصبّح المدائن ، فوافاها مع موافاة الأتراك ومَنْ هو مضموم إليهم من غيرهم ، وبالمدائن[1] رجال ابن طاهر وقوّاده[1] ، فقاتلهم الأتراك ، فانهزموا . ولحق مَنْ فيها من القواد بأبى الساج ، وقاتل بالفردل قتالا شديداً ؛ ولما رأى انهزام مَنْ هنالك من أصحاب ابن طاهر مضى متوجِّهًا نحو أبى الساج بمن معه فأدرِك فقتل . ١٦٢٥/٣

وذكر عن ابن القواريرىّ — وكان أحد القوّاد — قال : كنتُ وأبو الحسين ابن هشام موكّلين بباب بغداد ومنكجور منفرد بباب ساباط ،وكان بقرب بابه ثُلْمة فى سور[2] المدائن ، فسألت منكجور أن يسدّها فأبى ، فدخل الأتراك منها ، وتفرّق أصحابه . قال : وبقيت فى نحو من عشرة أنفس ، ووافى بالفردل هو وأصحابه ، فقال : أنا الأمير ، أنا فارس ومعى فرسان، نمضى على الشطّ ، وتكون الرجّالة على السفن ، فدافع ساعة ثم مضى لوجهه وعسكرُه فى السفن على حالهم يريد أبا الساج ، أو تلك الناحية ، وأقمتُ بعده ساعة تامة ، وتحتى أشقر عليه حلية ، فصرت إلى نهر فعثَر بى ، فسقطت عنه ؛ وقصدونى يقولون : صاحب الأشقر ! فخرجت من النهر راجلا قد طرحت عنى السلاح ، فنجوت .

وغضب ابن طاهر على ابن القواريرىّ وأصحابه ، وأمرهم بلزوم منازلهم ، وغرق بالفردل .

* * *

ولأربع خلون من شوّال من هذه السنة ، جمع — فيما ذكر — محمد بن عبد الله بن طاهر جميعَ قوّاده الموكلين بأبواب بغداد وغيرهم ؛ فشاورهم جميعًا فى الأمور ، وأعلمهم ما ورد عليهم من الهزائم ؛ فكلٌّ أجاب بما أحبّ من بذل النفس والدم والأموال ، فجزاهم خيراً وأدخلهم إلى المستعين ، وأعلمه ما ناظرهم ١٦٢٦/٣

(١–١) ف : « من قواد ابن طاهر وأصحابه جماعة » .

(٢) س : « من سور » .

فيه وما ردّوا عليه من الجواب ، فقال لهم المستعين : والله يا معشر القوّاد ، لئن قاتلت عن نفسى وسلطانى ما أقاتل إلاّ عن دولتكم وعامتكم ، وأن يردّ الله إليكم[1] أموركم قبل مجىء الأتراك وأشباههم ؛ فقد يجب عليكم المناصحة والجهد فى قتال هؤلاء الفسقة ؛ فردّوا أحسن مردّ ، وجزاهم الخير ، وأمرهم بالانصراف إلى مراكزهم فانصرفوا .

* * *

[ذكر خبر هزيمة الأتراك ببغداد]

وفى يوم الاثنين لأيام خلَتْ من ذى القعدة من هذه السنة كانت وقعة عظيمة لأهل بغداد ، هزموا فيها الأتراك ، وانتهبوا عسكرهم ؛ وكان سبب ذلك أن الأبوابَ كلَّها من الجانبين فُتِحت ونُصبت المجانيق والعرّادات فى الأبواب كلها والشّبارات فى دِجْلة ، وخرج منها الجند كلّهم ، وخرج ابن طاهر وبُغا ووصيف حين تزاحف الفريقان ، واشتدّت الحرب إلى باب القطيعة ، ثم عبروا إلى باب الشمّاسية ، وقعد ابن طاهر فى قُبّة ضربت له ، وأقبلت الرُّماة من بغداد بالناوكيّة فى الزواريق ؛ ربما انتظم السهم الواحد عدّة منهم فقتلهم ، فهزِمت الأتراك ، وتبعهم أهل بغداد حتى صاروا إلى عسكرهم ، وانتهبوا سوقهم[2] هنالك ، وضربوا زورقًا لهم كان يقال له الحديدىّ ، كان آفةً على أهل بغداد بالنار ، وغرق من فيه ، وأخذوا لهم شبّارتين ؛ وهرب الأتراك على وجوههم لا يلوون على شىء ، وجعل وصيف وبغا يقولان كلما جىءَ برأس : ذهب والله الموالى . واتّبعهم أهلُ بغداد إلى الرُّوذَبار ، ووقف أبو أحمد بن المتوكل يردّ الموالى ، ويخبرهم أنهم إن لم يكرّوا لم يبق لهم بقيّة ؛ وأن القوم يتبعونهم إلى سامُرّا . فتراجعوا ، وثاب بعضهم ، وأقبلت العامة تحزّ رءوس مَنْ قتل ؛ وجعل محمد بن عبد الله يطوّق كلّ مَنْ جاء برأس ويصله ، حتى كثر ذلك ، وبدت الكراهة فى وجوه من مع بُغا ووصيف من الأتراك والموالى ؛ ثم ارتفعت غبَرة من ريح جنوب ، وارتفع الدخان مما احترق ،

١٦٢٧/٣

(١) ف : « عليكم » .
(٢) س : « سيوفهم » .

وأقبلت أعلام الحسن بن الأفشين مع أعلام الأتراك يقدُمها علمٌ أحمر، قد استلبه غلام لشاهك، فنسي أن ينكسه؛ فلما رأى الناسُ العلَمَ الأحمر ومَنْ خلفه، توهموا أن الأتراك قد رجعوا عليهم وانهزموا؛ وأراد بعضُ مَنْ وقف أن يقتل غلام شاهك، ففهمه، فنكس العلم، والناس قد ازدحموا منهزمين؛ وتراجع الأتراك إلى معسكرهم ولم يعلموا بهزيمة أهل بغداد، فتحمَّلوا عليهم؛ فانصرف الفريقان بعضهم عن بعض.

* * *

[خبر وقعة أبي السلاسل مع المغاربة]

وفيها كانت وقعة لأبي السلاسل وكيل وصيف بناحية الجبل مع المغاربة، وكان سبب ذلك — فيما ذكر — أنّ رجلاً من المغاربة يقال له نصر سَلهب ١٦٢٨/٣ صار بجماعة من المغاربة إلى عمل بعض ما إلى أبي الساج من الأرض، وانتهب هو وأصحابه ما هنالك من القُرَى؛ فكتب أبو السلاسل إلى أبي الساج يعلمه ذلك، فوجّه أبو الساج إليه — فيما ذكر — بنحو من مائة نفس بين فارس وراجل؛ فلمّا صاروا إليه كبس أولئك المغاربة، فقتل منهم تسعة، وأسر عشرين، وأفلت نصر سهلب سارياً.

* * *

[ذكر خبر وقوع الصلح بين الموالي وابن طاهر]

ووضعت الحربُ أوزارها بعد هذه الوقعة بين الموالي وابن طاهر؛ فلم يعودوا لها، وكان السبب في ذلك — فيما ذكر — أنّ ابن الطاهر قد كان كاتب المعتزّ قبل ذلك في الصلح؛ فلما كانت هذه الوقعة أنكِرَتْ عليه؛ فكتب إليه؛ فذكر أنه لا يعود بعدها لشيء يكرهه؛ ثم أغلقت بعد ذلك على أهل بغداد أبوابها؛ فاشتدّ عليهم الحصار، فصاحوا في أوّل ذي القعدة من هذه السنة في يوم الجمعة: الجوعَ! ومضوْا إلى الجزيرة التي هي تلقاء دار ابن طاهر؛ فأرسل إليهم ابن طاهر: وجّهوا إليّ منكم خمسة مشايخ، فوجّهوا بهم، فأدخلوا عليه؛ فقال لهم: إنّ من الأمور أموراً لا يعلم بها العامّة؛ وأنا عليل، ولعلي

أعطى[1] الجند أرزاقهم ثم أخرج بهم إلى عدوّكم . فطابت أنفسُهم ، وخرجوا عن غير شيء ، وعادت العامة والتّجار بعدُ إلى الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر ؛ فصاحوا وشكوْا ما هم فيه من غلاء السعر[2] ، فبعث إليهم فسكّنهم ؛ ووعدهم ومنّاهم . وأرسل ابن طاهر الى المعتزّ فى الصلح. واضطرب أمرُ أهل بغداد ، فوافَى بغداد للنصف من ذى القعدة من هذه السنة حماد بن إسحاق ابن حماد بن زيد ، ووُجِّه مكانه أبو سعيد الأنصاريّ إلى عسكر أبى أحمد رهينة ، فلقى حماد بن إسحاق ابنَ طاهر ، فخلا به فلم يُذكَر ما جرى بينهما. ثم انصرف حماد إلى عسكر أبى أحمد ، ورجع أبو سعيد الأنصاريّ ، ثم رجع حماد إلى ابن طاهر ، فجرت بين ابن طاهر وبين أبى أحمد رسائل مع حَمّاد. ٣/١٦٢٩

ولتسع بقِين من ذى القعدة خرج أحمد بن إسرائيل إلى عَسْكر أبى أحمد مع حماد وأحمد بن إسحاق وكيل عبيد الله بن يحيى بإذن ابن طاهر لمناظرة أبى أحمد فى الصلح .

ولسبعٍ بقين من ذى القعدة أمر ابنُ طاهر بإطلاق جميع مَنْ فى الحبوس ممن كان حُبِس بسبب ما كان بينه وبين أبى أحمد من الحروب ومعاونته إياه عليه فأطلقه . ومن غد هذا اليوم اجتمع قوم من رجّالة الجند وكثيرٌ من العامة، فطلب الجند أرزاقَهم ، وشكت العامة سوءَ الحال التى هم بها من الضيق وغلاء السعر وشدّة الحصار ، وقالوا : إمّا خرجتَ فقاتلتَ ؛ وإما تركتَنا ؛ فوعدهم أيضاً الخروج أو فتح الباب للصلح ، ومنّاهم . فانصرفوا .

فلما كان بعد ذلك ، وذلك لخمس بقين من ذى القعدة شَحَن السجون والجسر وباب داره والجزيرة بالجند والرجال ، فحضر الجزيرة بَشَرٌ كثير ، فطردوا مَنْ كان ابن طاهر صيّرهم فيها ، ثم صاروا إلى الجسر من الجانب الشرقيّ ، ففتحوا سجن النساء ، وأخرجوا مَنْ فيه ، ومنعهم علىّ بن جهشيار ومَنْ معه[3] من الطبريّة من سجن الرجال ، ومانعهم أبو مالك الموكل بالجسر[4] الشرقيّ ، فشجّوه وجرحوا[5] دابتين لأصحابه ؛ فدخل داره وخلّاهم ، فانتهبوا ما فى ٣/١٦٣٠

---

(١) س: « ولعل أن أعطى » . (٢) ف: « الأسعار » . (٣) ف: « معهم » .
(٤) ف : « بالحبس » . (٥) س ، ف : « وأخرجوا » .

مجلسه ، وشدّ عليهم الطبريّة فنحّوْهم حتى أخرجوهم من الأبواب ، وأغلقوها دونهم ، وخرج منهم جماعة ، ثم عبر إليهم محمد بن أبى عون ، فضمِن للجند رزق أربعة أشهر ؛ فانصرفوا على ذلك ، وأمر ابن طاهر بإعطاء أصحاب ابن جهشيار أرزاقَهم لشهرين من يومهم فأعْطُوا .

* * *

[ذكر بدء عزم ابن طاهر على خلع المستعين والبيعة للمعتزّ]

ووجّه أبو أحمد خمس سفائن من دقيق وحنطة وشعير وقَتّ وتبن إلى ابن طاهر فى هذه الأيام ، فوصلت إليه . ولما كان يوم الخميس لأربع خلوْن من ذى الحجّة علم الناس ما عليه ابن طاهر من خَلْعه المستعين وبيعته للمعتزّ ، ووجّه ابن طاهر قُوّاده إلى أبى أحمد حتى بايعوه للمعتزّ ، فخلع على كل واحد منهم أربع خلع ، وظنت العامة أن الصلح جرى بإذن الخليفة المستعين ، وأن المعتزّ ولىّ عهده .

* * *

[خروج العامة ونصرة المستعين على ابن طاهر]

ولما كان يوم الأربعاء خرج رشيد بن كاوُسَ — وكان موكّلا بباب السلامة — مع قائد يقال له نهشل بن صخر بن خزيمة بن خازم وعبد الله بن محمود ، ووجّه إلى الأتراك بأنه على المصير إليهم ليكون معهم ، فوافاه من الأتراك زُهاء ألف فارس ؛ فخرج إليهم على سبيل التسليم عليهم ؛ على أنّ الصلح قد وقع ، فسلم عليهم ، وعانق مَنْ عرف منهم ، وأخذوا بلجام دابّته ، ومضوْا به وبابنه فى أثره ؛ فلما كان يوم الاثنين صار رُشيد إلى باب الشمّاسيّة فكلّم الناس ، وقال : إنّ أمير المؤمنين وأبا جعفر يقرئان عليكم السلام ، ويقولان لكم : مَنْ دخلَ فى طاعتنا قرّبناه ووصلناه ، ومن آثر غير ذلك فهو أعلم ؛ فشتمه العامة . ثم طاف على جميع أبواب الشرقية بمثل ذلك ، وهو يُشْتَم فى كل باب ، ويشتَم المعتزّ . فلما فعل رشيد ذلك علمت العامة ما عليه ابن طاهر ، فمضت إلى الجزيرة التى بحذاء دار ابن طاهر ؛ فصاحوا به وشتَموه أقبح شتم ؛ ثم صاروا إلى بابه ، ففعلوا مثل ذلك ؛ فخرج إليهم راغب الخادم ، فحضّهم على ما فعلوا ، وسألهم الزيادة فيما هم فيه من نصرة المستعين ، ثم مضى إلى الحظيرة

٣/١٦٣١

التى فيها الجيش ، فمَضى بهم وجماعة أخَر غيرهم وهم زُهاء ثلثمائة فى السلاح، فصاروا إلى باب ابن طاهر ، فكشفوا من عليه وردُّوهم ، فلم يبرحوا يقاتلونهم ؛ حتى صاروا إلى دهليز الدّار ، وأرادوا إحراق الباب الداخل فلم يجدوا ناراً ، وقد كانوا باتوا بالجزيرة الليل كله يشتمونه ويتناولونه بالقبيح .

١٦٣٢/٣ وذكر عن ابن شجاع البلخىّ أنه قال : كنتُ عند الأمير وهو يحدّثنى ويسمع ما يُقذف به من كلّ إنسان ؛ حتى ذكروا اسم أمّه ، فضحك وقال : يا أبا عبد الله ، ما أدرى [1] كيف عرفوا اسم أمى ! ولقد كان كثير من جوارى أبى العباس عبد الله بن طاهر لا يعرفون اسمَها ، فقلت له : أيها الأمير ، ما رأيت أوسعَ من حلمك ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، ما رأيتُ أوفَق من الصبر عليهم ؛ ولا بدّ من ذلك . فلما أصبحوا وافوا الباب ، فصاحوا؛ فصار ابن طاهر إلى المستعين يسأله أن يطلع إليهم ويسكّنهم ويعلمهم ما هو عليه لهم ؛ فأشرف عليهم من أعلى الباب وعليه البُرْدة والطَّويلة ، وابن طاهر إلى جانبه ؛ فحلف لهم بالله ما أتّهمه ؛ وإنى لفى عافية ما علىّ منه بأس ؛ وإنه لم يخلع ، ووعدهم أنه يخرج فى غد يوم الجمعة ليصلّىَ بهم ، ويظهر لهم . فانصرف عامّتهم بعد قتلى وقعت .

ولما كان يوم الجمعة بكّر الناس بالصياح يطلبون المستعين ،وانتهبُوادوابّ علىّ بن جهشيار — وكانت فى الخراب ، على باب الجسر الشرقىّ — وانتهب جميع ما كان فى منزله وهرب ؛ وما زال الناس وقوفًا على ما هم عليه إلى ارتفاع النهار ، فوافى وصيف وبُغا وأولادهما ومواليهما وقوّادهما وأخوال المستعين ؛ فصار الناس جميعًا إلى الباب ، فدخل وصيف وبُغا فى خاصّتهما ، ودخل أخوال المستعين معهم إلى الدهليز ، ووقفوا على دوابّهم ، وأعلم [2] ابن طاهر بمكان الأخوال ؛ ١٦٣٣/٣ فأذِن لهم بالنزول فأبوْا ، وقالوا : ليس هذا يوم نزولنا عن ظهور دوابنا حتى نعلم [3] نحن والعامة ما نحن عليه ؛ ولم تزل الرّسل تختلف إليهم ، وهم يأبوْن ،

---

(١) ف : « ما أعرف » .

(٢) ف : « وعلم » .

(٣) ف : « إلا بعد أن نعرف » .

فخرج إليهم محمد بن عبد الله نفسه ، فسألهم النزول والدخول إلى المستعين ، فأعلموه أنّ العامة قد ضجّت مما بلغها وصحّ عندها ما أنت عليه من خلْع المستعين والبَيْعة للمعتزّ ، وتوجيهك القوّاد بعد القواد للبيعة للمعتزّ ، وإرادتك التهويل ليصيرَ الأمر إليه و إدخاله الأتراك والمغاربة بغداد ، فيحكموا فيهم بحكمهم فيمن ظهروا عليه من أهل المدائن والقُرى ، واسترابَ بك أهل بغداد ، واتّهمُوك على خليفتهم وأموالهم وأولادهم وأنفسهم ؛ وسألوا إخراج الخليفة إليهم ليروْه ويكذّبوا ما بلغهم عنه . فلما تبين محمد بن عبدالله صحّةَ قولهم ، ونظر إلى كثرة اجتماع الناس وضجيجهم سأل المستعين الخروج إليهم ؛ فخرج إلى دار العامة التى كان يدخلها جميعُ الناس ، فنُصب له فيها كرسيٌّ ، وأدخل إليه جماعة من الناس فنظرُوا إليه ، ثم خرجوا إلى من وراءهم ؛ فأعلموهم صحّةَ أمره . فلم يقنعوا بذلك ؛ فلما تبيّن له أنهم لا يسكنون دون أن يخرج إليهم — وقد كان عرف كثرة الناس — آمرَ بإغلاق الباب الحديد الخارج فأغلِق ، وصار المستعين وأخواله ومحمد بن موسى المنجّم ومحمد بن عبد الله إلى الدرجة التى تُفضى إلى سطوح دار العامة وخزائن السلاح ، ثم نصب لهم سلاليم على سطح[1] المجلس الذى يجلس فيه محمد بن عبد الله والفتح بن سهل ، فأشرف المستعين على الناس وعليه سَواد ، وفوق السواد بُرْدة النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعه القضيب ؛ فكلّم الناس وناشدَهم ، وسألهم بحقّ صاحب البردة إلاّ انصرفوا ؛ فإنه فى أمْن وسلامة ، وإنه لا بأس عليه من محمد بن عبد الله . فسألوه الرُّكوب معهم والخروج من دار محمد بن عبد الله لأنهم لا يأمنونه عليه ؛ فأعلمهم أنه على النقلة منها إلى دار عمته أمّ حبيب ابنة الرشيد ؛ بعد أن يصلح له ما ينبغى أن يسكن فيه ، وبعد أن يحوّل أمواله وخزائنه وسلاحه وفرشه وجميع ما له فى دار محمد بن عبد الله ؛ فانصرف أكثرُ الناس[2] ، وسكن أهل بغداد .

٣/١٦٣٤

ولما فعل أهل بغداد ما فعلوا من اجتماعهم على ابن طاهر مرّة بعد مرّة وإسماعهم إياه المكروه ، تقدّم إلى أصحاب المعاون ببغداد بتسخير ما قدَرُوا

---

(١) س : « سطوح ».
(٢) بعدها فى ف : « عند ذلك » .

عليه من الإبل والبغال والحمير[1] لينتقل عنها .

وذكروا أنه أراد أن يقصد المدائن ، واجتمع على بابه جماعة من مشايخ الحربية والأرباض جميعًا ؛ يعتذرون إليه ، ويسألونه الصَّفْح عمّا كان منهم ، ويذكرون أنّ الذى فعل ذلك الغوغاء والسُّفهاء لسوء الحال التى كانوا بها والفاقة التى نالتْهم ، فردّ عليهم — فيما ذكر — مردًّا جميلا ، وقال لهم قولا حسنًا ، وأثنى عليهم ،وصفح عمّا كان منهم ،وتقدّم إليهم بالتقدّم إلى شبابهم وسفهائهم فى الأخْذ على أيديهم ،وأجابهم إلى ترك النقْلة ،وكتب إلى أصحاب المعاون بترك السخْرة[2] .

٣/١٦٣٥

* * *

[ذكر خبر انتقال المستعين إلى دار رزق الخادم بالرصافة]

ولأيام خَلَوْن من ذى الحجة انتقل المستعين من دار محمد بن عبد الله ، وركب منها ، فصار إلى دار رزق الخادم فى الرُّصافة ، ومرّ بدار علىّ بن المعتصم ، فخرج إليه علىّ ، فسأله النزولَ عنده ؛ فأمره بالرّكوب ، فلما صار إلى دار رزق الخادم نزلها ، فوصل إليها — فيما ذكر — مساء ، فأمر للفرسان من الجند حين صار إليها بعشرة دنانير لكلّ فارس[3] منهم ، وبخمسة دنانير لكلّ راجل . وركب بركوب المستعين ابن طاهر ، وبيده الحربة يسير بها بين يديه ، والقوّاد خلفه ، وأقام — فيما ذكر — مع المستعين ليلة انتقل إلى دار رزق محمد بن عبد الله إلى ثلث الليل ؛ ثم انصرف ، وبات عنده وصيف وبُغا حتى السَّحَر ، ثم انصرفا إلى منازلهما .

ولمّا كان صبيحةُ الليلة التى انتقل المستعين فيها من دار ابن طاهر اجتمع الناس فى الرُّصافة ، وأمير القوّاد وبنُو هاشم بالمصير إلى ابن طاهر والسلام[4] عليه ، وأن يسيرُوا معه إذا ركب إلى الرّصافة . فصاروا إليه ؛ فلما كان الضحى الأكبر من ذلك اليوم ، ركب ابن طاهر وجميع قوّاده فى تعبئة

٣/١٦٣٦

(١) ف : « الحمر » .
(٢) س ، : « السخر » .
(٣) ا : « رجل » .
(٤) ا ، ف : « التسليم » .

وحوله ناشبة رجّالة ؛ فلما خرج من داره وقف للناس ، فعاتبهم وحلف أنه ما أضمر لأمير المؤمنين – أعزّه الله – ولا لولىّ له ولا لأحد من الناس سوءاً ، وأنه ما يريد إلا إصلاح أحوالهم ، وما تدوم به النعمة عليهم ، وأنهم قد توهّموا عليه ما لا يعرفه ، حتى أبكى الناس . فدعا له مَنْ حضر ، وعبر الجسر ، وصار إلى المستعين ، وبعث فأحضر جيرانه ووجوه أهل الأرباض من الجانب الغربىّ ، فخاطبهم بكلام عاتبهم فيه ، واعتذر إليهم مما بلغهم ، ووجّه وصيف وبُغا مَنْ طاف على أبواب بغداد ، ووكّلا صالح بن وصيف بباب الشمّاسية.

وذُكِر أنّ المستعين كان كارهاً لنقله عن دار محمد ؛ ولكنه انتقل عنها من أجل أنّ الناس ركبوا الزواريق بالنّفاطين ليضربوا روشن ابن طاهر بالنار لمّا صعب عليهم فتحُ بابه يوم الجمعة .

وذكر أنّ قوماً منهم كنجور ، وقفوا بباب الشمّاسيّة من قِبَل أبى أحمد ، فطلبوا ابنَ طاهر ليكلموه ، فكتب إلى وصيف يعلمه خبر القوم ، ويسأله أن يعلم المستعين ذلك ليأمر فيه بما يرى ؛ فردّ المستعين الأمر فى ذلك إليه ؛ وأنّ التدبير فى جميع ذلك مردود إليه ، فيتقدّم فى ذلك بما رأى . ١٦٣٧/٣

وذُكِر أنّ علىّ بن يحيى بن أبى منصور المنجم كلّم محمد بن عبد الله فى ذلك بكلام غليظ ، فوثب عليه محمد بن أبى عون فأسمعه وتناوله .

وذُكِر عن سعيد بن حُميد أنّ أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وعبيد الله بن يحيى خَلَوْا بابن طاهر ؛ فما زالوا يفتلونه فى الذّرْوة والغارب ، ويشيرون عليه بالصلح[1] ، وأنه ربما كان عنده قوم فأجْرَوا الكلام فى خلاف الصُّلْح ، فيكشر[2] فى وجوههم ، ويعرض عنهم ؛ فإذا حضر هؤلاء الثلاثة أقبَل عليهم وحادثهم وشاورهم .

وذكر عن بعضهم أنه قال : قلت لسعيد بن حميد يوماً : ما ينبغى إلاّ أن يكون قد كان انطوى على المداهنة فى أوّل أمره ؛ قال : وددت أنه كان كذلك ؛ لا والله ما هو إلاّ أن هُزِم أصحابه من المدائن والأنبار حتى

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « فى الصّلح » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط « فنكس » .

كاتب القوم ، وأجابهم بعد أن كان قد جادّهم .

وحدّثنى أحمد بن يحيى النحوىّ — وكان يؤدّب ولد ابن طاهر — أنّ محمد بن عبد الله لم يزل جادًّا فى نُصْرة المستعين حتى أحفظه عبيد الله بن يحيى ابن خاقان ، فقال له : أطال الله بقاءك ! إنّ هذا الذى تنصره وتجدّ فى أمره من أشدّ الناس نفاقًا ، وأخبثهم دينا ؛ والله لقد أمر وصيفا وبغا بقتلك ، فاستعظما ذلك ولم يفعلاه ، وإن كنت شاكًّا فيما وصفت من أمره ، فسلْ تُخبَرْه ؛ وإن مِنْ ظاهر نفاقه أنه كان وهو بسامُرّا لا يجهر فى صلاته ببسم الله الرحمن الرحيم ؛ فلما صار إلى ما قبلك ، جهر بها مراءاةً لك ؛ وترك نصرة وليك[1] وصهرك وتربيتك ؛ ونحو ذلك من كلام كلّمه به ؛ فقال محمد بن عبد الله : أخزى الله هذا ، لا يصلح لدين ولا دنيا ، قال : وكان أوّل مَنْ تقدّم على صرف محمد بن عبد الله عن الجِدّ فى أمر المستعين عبيد الله بن يحيى فى هذا المجلس ، ثم ظاهر عبيد الله بن يحيى على ذلك أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد ؛ فلم يزالوا به حتى صرفوه عمّا كان عليه من الرّأى فى نصرة المستعين .

٣/١٦٣٨

* * *

وفى يوم الأضحى من هذه السنة صلّى بالناس المستعين صلاة الأضحى فى الجزيرة التى بحذاء دار ابن طاهر ، وركب وبين يديه عبيد الله بن عبد الله ، معه الحربة التى لسليمان ، وبيد الحسين بن إسماعيل حربة السلطان ، وبُغا ووصيف يكتُفانه ؛ ولم يركب محمد بن عبد الله بن طاهر ، وصلى عبد الله ابن إسحاق فى الرُّصافة .

٣/١٦٣٩

* * *

[ذكر بدء المفاوضة فى أمر خلع المستعين]

وفى يوم الخميس ركب محمد بن عبد الله إلى المستعين ، وحضره عدّة من الفقهاء والقضاة ، فذُكِر أنه قال للمستعين : قد كنتَ فارقتَنى على أن

---

(١) س : « لوليك » .

تنفّذ فى كل ما أعزم عليه؛ ولك عندى بخطّك رقعة بذلك؛ فقال المستعين: أحضرِ الرُّقعة. فأحضرها؛ فإذا فيها ذكر الصلح؛ وليس فيها ذكر الخلْع، فقال: نعم، أنفذ الصلح، فقام الخلنجىّ فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنه يسألك أن تخلع قميصًا قمّصك به الله. وتكلّم علىّ بن يحيى المنجّم فأغلظ لمحمد ابن عبد الله.

ثم ركب بعد ذلك محمد بن عبد الله — وذلك للنصف من ذى الحجة — إلى المستعين بالرّصافة، ثم انصرف ومعه وصيف وبُغا، فمضوْا جميعًا حتى صاروا إلى باب الشماسيّة، فوقف محمد بن عبدالله على دابّته، ومضى وصيف وبُغا إلى دار الحسن بن الأفشين، وانحدرت المبيّضة والغوغاء من السور، ولم يطلق لأحد فتح الأبواب[1]، وقد كان خرج قبل ذلك جماعةٌ كثيرة إلى عسكر أبى أحمد، فاشتروا ما أرادوا؛ فلمّا خرج مَنْ ذكرنا إلى باب الشّماسية نودى فى أصحاب أبى أحمد ألاّ يباع من أحد من أهل بغداد شىء؛ فمُنعوا من الشراء، وكان قد ضرب لمحمد بن عبد الله بباب الشّماسيّة مضرب كبير أحمر؛ وكان مع ابن طاهر بندار الطبرىّ وأبو السنا ونحو من مائتى فارس ومائتى راجل، وجاء أبو أحمد فى زلاّل حتى قرب من المضرب، ثم خرج ودخل المضرَب مع محمد بن عبد الله، ووقف الذين مع كلّ واحد منهما من الجُنْد ناحية، فتناظر ابن طاهر وأبو أحمد طويلا، ثم خرجا مْن المضرَب، وانصرف ابنُ طاهر من مضرَبه إلى داره فى زلاّل؛ فلما صار إليها خرج من الزلاّل، فركب ومضى إلى المستعين ليخبرَه بما دار بينه وبين أبى أحمد، وأقام عنده إلى العَصْر، ثم انصرف؛ فذُكر أنه فارقه على أن يعطَى خمسين ألف دينار، ويُقطَع غلّة ثلاثين ألف دينار فى السنة؛ وأن يكون مقامه بغداد حتى يجتمع لهم مال يُعطون الجند؛ وعلى أن يولّى بُغا مكة والمدينة والحجاز، ووصيف الجبل وما والاه، ويكون ثلث ما يجىء من المال لمحمد بن عبد الله، وجُنْد بغداد والثلثان للموالى والأتراك.

---

(١) ا، س: «الباب».

وذُكر أنّ أحمد بن إسرائيل لما صار إلى المعتزّ ولاّه ديوانَ البريد، وفارقه على أن يكون هو الوزير وعيسى بن فرّخانشاه على ديوان الخراج وأبو نوح على الخاتم والتوقيع؛ فاقتسموا الأعمال، فوردت خريطة الموسم إلى بغداد بالسلامة، فبعث بها إلى أبي أحمد[1]، ثم ركب ابن طاهر — فيما قيل — لأربع عشرة بقيت من ذى الحجة من هذه السنة إلى المستعين، لمناظرته فى الخلْع، فناظره فامتنع عليه المستعين، وظنّ المستعين أن بُغا ووصيفاً معه، فكاشفاه، فقال المستعين: هذا عُنقى والسيف والنِّطع؛ فلما رأى امتناعه انصرف عنه، فبعث المستعين إلى ابن طاهر بعلىّ بن يحيى المنجم وقوم من ثقاته، وقال: قولوا له: اتق الله، فإنما جئتك لتدفع عنى؛ فإن لم تدفع عنى فكُفَّ عنى. فردّ عليه: أمّا أنا فأقعد فى بيتى؛ ولكن لا بدّ لك من خلعها طائعًا أو مكرهاً.

١٦٤١/٣

وذكر عن علىّ بن يحيى أنه قال له: قل له: إن خلعتَها فلا بأس؛ فوالله لقد تمزّقت تمزقًا لا يُرقع؛ وما تركتَ فيها فضلا. فلما رأى المستعين ضعفَ أمره وخذلانَ ناصريه أجاب إلى الخلْع؛ فلما كان يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيَتْ من ذى الحجة، وجَّه ابنُ طاهر ابنَ الكرديّة وهو محمد بن إبراهيم بن جعفر الأصغر بن المنصور والخلنجىّ وموسى بن صالح بن شيخ وأباسعيد الأنصارىّ وأحمد بن إسرائيل ومحمد بن موسى المنجم إلى عسكر أبى[2] أحمد ليوصلوا كتابَ محمد إليه بأشياء سألها المستعين من حين نُدِب إلى أن يخلع نفسه. فأوصلوا الكتاب، فأجاب إلى ما سأل، وكتب الجواب بأن يُقطع وينزل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن يكون مضطرَبُه من مكة إلى المدينة، ومن المدينة إلى مكة. فأجابه إلى ذلك؛ فلم يقنع المستعين إلا بخروج ابن الكرديّة بما سأل إلى المعتزّ، حتى يكتب بإجابته بذلك بخطه بعد مشافهة ابن الكرديّة المعتزّ بذلك. فتوجَّه ابن الكردية بها.

١٦٤٢/٣

وكان سبب إجابة المستعين إلى الخَلْع — فيما ذكر — أن وصيفًا وبُغا وابن طاهر ناظروه فى ذلك وأشاروا عليه؛ فأغلظ لهم[3]، فقال له وصيف:

(١) إلى هنا تنتهى نسخة أحمد الثالث. (٢) ط: «ابن»، وانظر الفهرس.
(٣) ف: «عليهم».

أنت أمرتنا بقتل باغر ؛ فصيّرتنا إلى ما نحن فيه ؛ وأنت عرّضتنا لقتل أوتامش ، وقلت : إنّ محمداً ليس بناصح ؛ وما زالوا يفزّعونه ويحتالون له ، فقال محمد ابن عبد الله : وقد قلت لى إنّ أمرنا لا يصطلح إلا باستراحتنا من هذين ؛ فلمّا اجتمعت كلمتهم أذعن لهم بالخلع ، وكتب بما اشترط لنفسه عليهم ؛ وذلك لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة .

ولمّا كان يومُ السَّبْت لعشر بقين من ذى الحجّة ، ركب محمد بن عبد الله إلى الرُّصافة وجميع القضاة والفقهاء ، وأدخلهم على المستعين فوجًا فوجًا ، وأشهدهم عليه أنه قد صيّر أمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ؛ ثم أدخل عليه البوّابين والخدَم ، وأخذ منه جوهر الخلافة ، وأقام عنده حتى مضى هُوِىّ من الليل ، وأصبح الناس يرجُفون بألوان الأراجيف ، وبعث ابن طاهر إلى قوّاده فى موافاته ؛ مع كلّ قائد منهم عشرة نفر من وجوه أصحابه ، فوافوْه ، فأدخلهم[1] ومنّاهم ، وقال لهم : إنما أردت بما فعلت صلاحكم وسلامتكم وحقْنَ الدماء . وأعدّ للخروج إلى المعتزّ فى الشروط التى اشترطها للمستعين ولنفسه ولقوّاده قومًا ليوقّع المعتزّ فى ذلك بخطه . ثم أخرجهم إلى المعتزّ ، ٣/١٦٤٣ فمضوا إليه حتى وقّع فى ذلك بخطه إمضاءً[2] كل ما سأل المستعينُ وابن طاهر لأنفسهما من الشروط ، وشهدوا عليه بإقراره بذلك كله ، وخلَع المعتزّ على الرّسل ، وقلّدهم سيوفًا ، وانصرفوا بغير جائزة ولا نظر فى حاجة لهم ، ووجّه معهم لأخذ البيعة له على المستعين جماعة من عنده ؛ ولم يأمر للجند بشىء . وحُمل إلى المستعين أمه وابنته وعياله بعد ما فتّش عياله ، وأخذ منهم بعض ما كان معهم مع سعيد بن صالح ؛ فكان دخول الرسل[3] بغداد منصرَفهم من عند المعتزّ يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين .

وذكر أن رسل المعتزّ لما صاروا بالشماسيّة ، قال ابن سجّادة : أنا أخاف من أهل بغداد ؛ فإمّا أن يحمل المستعين إلى الشماسيّة أو إلى دار محمد بن عبدالله ليبايع المعتزّ ، ويخلَع نفسه ويُؤخذ منه القضيب والبُرْدة .

---

(١) بعدها فى ف : « عليه » . (٢) ف : « بامضاء » .
(٣) ف : « الجند » .

وفى شهر ربيع الأول من هذه السنة كان ظهورُ المعروف بالكوكبي بقزوين وزَنجان وغلبتُه عليها وطرده عنها آل طاهر ؛ واسم الكوكبيّ الحسين بن أحمد ابن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن علىّ بن الحسين بن علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه .

* * *

٣/١٦٤٤ وفيها قطعت بنو عُقيل طريق جُدّة ، فحاربهم جعفر بشاشات ، فقُتِل من أهل مكة نحوٌ من ثلثمائة رجل ، وبعض بنى عقيل القائل :

عليك ثوبانِ وأُمّى عاريَهْ فألقِ لى ثوبَك يا بنَ الزانيهْ

فلما فعل بنو عُقَيْل ما فعلوا غلتْ بمكة الأسعار ، وأغارت الأعراب على القرى .

* * *

[ذكر خبر خروج إسماعيل بن يوسف بمكّة]

وفيها ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علىّ بن أبى طالب بمكة ، فهرب جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى العامل على مكة ، فانتهب إسماعيل بن يوسف منزلَ جعفر ومنزلَ أصحاب السلطان ، وقتل الجند وجماعة من أهل مكة ، وأخذ ما كان حمل لإصلاح العيْن من المال وما كان فى الكعبة من الذّهب ، وما فى خزائنها من الذّهَب والفضّة والطّيب وكُسوة الكعبة ، وأخذ من الناس نحواً من مائتى ألف دينار ، وأنهب مكة ، وأحرق بعضها فى شهر ربيع الأول منها . ثم خرج منها بعد خمسين يوماً ، ثم صار إلى المدينة ، فتوارَى علىّ بن الحسين بن إسماعيل العامل عليها ، ثم رجع إسماعيل إلى مكة فى رجَب ، فحصرهم حتى تماوَت أهلُها جوعًا وعطشاً ؛ وبلغ الخبز ثلاث أواق بدرهم ، واللحم رطل بأربعة دراهم ، وشربة ماء ثلاثة دراهم ؛ ولقِىَ أهلُ مكة منه كلّ بلاء . ثم رحل بعد مقام

٣/١٦٤٥ سبعةٍ وخمسين يومًا إلى جُدّة ، فحبس عن الناس الطعام ، وأخذ أموال التجار

وأصحاب المراكب ، فحمل إلى مكة الحنطة والذّرة من اليمن ، ثم وافت[١] المراكب من القُلْزُم ،

ثم وافى إسماعيل بن يوسف الموقف ؛ وذلك يوم عرفة ، وبه محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور الملقب كعب البقر ، وعيسى بن محمد المخزوميّ صاحب جيش مكة — وكان المعتزّ وجّههما إليها — فقاتلهم ، فقتل نحو من ألف ومائة من الحاجّ[٢] ، وسلب الناس ، وهربوا إلى مكة ، ولم يقفوا بعرَفة ليلا ولا نهاراً ، ووقف إسماعيل وأصحابه ، ثم رجع إلى جُدّة فأفنى أموالها .

(١) ف : « ووافت » .

(٢) س : « الناس » .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خلع المستعين وبيعة المعتزّ]

فمن ذلك ما كان من خلع المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم نفسَه من الخلافة ، وبيعته للمعتزّ محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم ، والدّعاء للمعتزّ على منبرَىْ بغداد ومسجدىْ جانبيها الشرقىّ منها والغربىّ ، يوم الجمعة لأربع خلوْن من المحرّم من هذه السنة ، وأخذ البيعة له بها على مَنْ كان يومئذ بها من الجُنْد .

وذكر أن ابن طاهر دخل على المستعين ومعه سعيد بن حميد حين كتب له بشروط الأمان ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ؛ قد كتب سعيد كتب الشروط وأكّد غاية التأكيد، فنقرؤه عليك فتسمعه[1] ؟ فقال له المستعين : لا عليك[2] ! ألا تركتها يا أبا العباس ، فما القوم بأعلم بالله منك ؛ قد أكدتَ على نفسك قبلهم فكان ما قد علمت ؛ فما ردّ عليه محمد شيئًا . ٣/١٦٤٦

ولما بايع المستعين المعتزّ، وأخذ عليه البيعة ببغداد، وأشهد عليه[3] الشهود من بنى هاشم والقضاة والفقهاء والقوّاد نقل من الموضع الذى كان به[4] من الرُّصافة إلى قصر الحسن بن سهل بالمخرِّم هو وعياله وولده وجواريه ، فأنزلوهم فيه جميعًا ، ووكّل بهم سعيد بن رجاء الحِضَارىّ فى أصحابه، وأخذ المستعين البُرْدة والقضيب والخاتم ، ووجّه مع عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وكتب معــه :

أما بعد ؛ فالحمد لله متمّم النعم برحمته ، والهادى إلى شكره بفضله، وصلّى

---

(١) ابن الأثير : « لتسمعه » .
(٢) ابن الأثير : « لا حاجة إلى توكيدها » .
(٣) بعدها فى ف : « بذلك » .
(٤) ف : « فيه » .

الله على محمد عبده ورسوله؛ الذى جمع له ما فرّق من الفضل فى الرّسل قبلَه، وجعل تراثه راجعًا إلى مَنْ خَصّه بخلافته، وسلّم تسليماً. كتابى إلى أمير المؤمنين وقد تمّم الله له أمرَه، وتسلّمت تُراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان عنده، وأنفذتُه إلى أمير المؤمنين مع عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين وعبده.

ومنع المستعين الخروج إلى مكة، واختار أن ينزل البصرة. فذكر عن سعيد ابن حميد أن محمد بن موسى بن شاكر قال: البصرة وبيّة، فكيف اخترت أن تنزلها! فقال المستعين: هى أوْبى، أو ترك الخلافة! ١٦٤٧/٣

وذكر أنّ قُرْب جارية قبيحة جاءت برسالة إلى المستعين من المعتزّ، يسأله أن ينزل عن ثلاث جوارٍ كان المستعين تزوجهنّ من جوارى المتوكل، فنزل عنهنّ، وجعل أمرهنّ إليهنّ؛ وكان احتبس عنده من الجوهر خاتمين يقال لأحدهما البُرْج وللآخر الجبَل، فوجّه إليه محمد بن عبد الله بقُرْبَ خاصيّة المعتزّ وجماعة، فدفعهما إليهم، وانصرفوا بذلك إلى محمد بن عبد الله، فوجّه به إلى المعتزّ.

ولست خلون من المحرَّم دخل — فيما قيل— بغداد أكثر من مائتى سفينة، فيها من صنوف التجارات وغنم كثير، وأشخِص المستعين مع محمد بن مظفّر ابن سَيسَل وابن أبى حفصة إلى واسط فى نحو من أربعمائة فرسان ورجّالة. وقدم بعد ذلك علىّ ابن طاهر عيسى بن فرّخانشاه وقُرْب، فأخبراه أن ياقوتة من جوهر الخلافة قد حبَسها أحمد بن محمّد عنده؛ فوجّه ابنُ طاهر الحسين ابن إسماعيل فأخرجها، فإذا ياقوتة بهيّة، أربع أصابع طولا فى عرض مثل ذلك، وإذا هو قد كتب عليها اسمه، فدفعت إلى قُرْب، فبعثتْ بها إلى المعتزّ.

واستوزر المعتزّ أحمد بن إسرائيل، وخلع عليه، ووضع تاجًا على رأسه، وشخص أبو أحمد إلى سامُرّا يوم السبت لاثنتى عشرة خلت من المحرّم منها، وشيّعه محمد بن عبد الله والحسن بن مخلد، فخلع على محمد بن عبد الله خمس خلع وسيفاً، ورجع من الرّوذباز. ١٦٤٨/٣

وقال بعض الشعراء فى خلع المستعين :

خُلِعَ الخلافةَ أحمدُ بنُ محمدٍ وسيُقتَلُ التالى له أو يُخلَعُ
ويزولُ مُلكُ بنى أبيه ولا يُرى أحدٌ تَملّكَ منهمُ يَستَمتِعُ
إيهاً بنى العباسِ إنَّ سبيلكمْ فى قتلِ أَعبُدكُمْ طريقٌ مَهْيَعُ
رَقَّعتمُ دُنياكمُ فتمزَّقَتْ بكُمِ الحياةُ تمزُّقاً لا يُرقَعُ

وقال بعض البغداديين :

إنّى أَراكَ من الفِراقِ جَزوعَا أَضحى الإمامُ مُسَيَّرًا مخلوعا
كانت به الآفاقُ تَضحَكُ بهجَةً وَهو الربيعُ لمن أَراد ربيعَا
لا تُنكِرى حَدَثَ الزمانِ وريْبَه إنّ الزمانَ يُفَرِّقُ المجمُوعا
١٦٤٩/٣ لَبِسَ الخلافةَ واستجدَّ محبّةً يقضى أُمورَ المسلمينَ جميعا
فجنَتْ عليه يدُ الزمانِ بَصرفِه حَرْباً وكَانَ عن الحُروب شَسُوعا
وتجانفَ الأَتراك عنه تمرُّدًا أَضْحَى ، وكان ولا يُرَاعُ مروعا
فنَزا بهم ، فنَزَوْا به وتَعَاورتْ أَيدِى الكماةِ من الرءوس نجيعا
فأَزَاله المقدارُ عن رُتَبِ العلا فثَوَى بِواسطَ لا يُحِسّ رُجوعا
غَدَرُوا به ، مكروا به ، خانوا به لزِمَ الفراشَ، وحالَفَ التَّضجيعا
وتكنَّفُوا بغدادَ من أَقطارِها قد ذَلَّلوا ما كان قبلُ مَنِيعا
ولو أنه سعَرَ الحروبَ بنفسِه متلبِّبًا للقائهنَّ دُروعَا
١٦٥٠/٣ حتى يُصادِمَ بالكماة كماتَهُ فيكون من قَصدَ الحروبَ صَريعا
لَغَدَا على رَيْبِ الزمانِ مُحرَّماً ولَكَانَ إذ غَدَرَ اللئامُ مَنِيعا
لكنْ عصَى رأىَ الشفيقِ وعذْلَهُ وغَدا لأَمر الناكثينَ مُطِيعَا

والمُلكُ ليس بمالكٍ سلطانَه ... مَنْ كان للرأيِ السَّديد مضيعا
ما زالَ يَخْدَعُ نفسَه عن نفسِه ... حتى غَدا عن ملكه مخدُوعا
باع ابنُ طاهر دينَه عن بيعةٍ ... أَمسى بها مُلكُ الإمام مَنيعا
خلعَ الخلافة والرعيّةَ فاغتدى ... من دينِ ربٍّ محمدٍ مخلوعا
فليَجْرَعَنَّ بذاك كأساً مُرَّةً ... وليُلفيَنَّ لتابعيه تبيعا

وقال محمد بن مروان بن أبي الجَنوب بن مروان حين خلع المستعين ، وصار إلى واسط : ٣/١٦٥١

إنَّ الأُمورَ إلى المعتزّ قد رَجَعَتْ ... والمُستعان إلى حالاتِهِ رَجَعَا
وكانَ يَعلمُ أنَّ المُلكَ ليس له ... وأنَّه لَكَ لكنْ نفسَه خدعَا
ومالكُ المُلكِ مؤتيهِ ونازعُه ... آتاك مُلْكاً ومنه الملك قدنَزَعا
إنَّ الخِلافةَ كانت لا تُلَائِمُهُ ... كانت كَذَاتِ حليل زُوِّجَتْ مُتَعَا
ما كانَ أَقبحَ عند الناسِ بَيعتَه ... وكان أَحسَنَ قَوْلَ الناسِ قدخلِعا
ليتَ السَّفِينَ إلى قافٍ دَفَعْنَ به ... نفسى الفِداءُ لملَّاحٍ به دَفَعا
كم ساسَ قبلكَ أمرَ الناسِ من ملك ... لو كان حُمّلَ ما حُمّلتَه ظَلَعا
أمْسَى بكَ الناسُ بعدالضِّيقِ في سَعَةٍ ... واللهُ يَجعلُ بعد الضِّيق مُتَّسَعَا ٣/١٦٥٢
واللهُ يدفعُ عنكَ السّوءَ من مَلِكٍ ... فإنه بكَ عنَّا السوءَ قد دَفَعَا
ماضاع مدحى ولاضاع اصطناعُكَ لى ... وقد وَجَدْتُ بحمد الله مُصْطَنعا
فارْدُدْ علىَّ بنجدٍ ضَيْعة قبِضَتْ ... فإنَّ مِثلكَ مثلى يُقطِعُ الضيَعا
فإنْ رَدَدْتَ إمام العَدْلِ غَلَّتَها ... فاللهُ آنفَ حُسَّادى بِه جَدَعَا

وقال يمدح المعتزّ بعد خلع المستعين :

قد عادَتِ الدنيا إلى حَالِهَا ... وَسَرَّنا اللهُ بإقبالِها
دنيا بكَ اللهُ كفى أَهلها ... ما كان من شِدَّة أَهوالِها

وكانَ قَدْ ملكَها جاهِلٌ لا تَصلُحُ الدُّنيا لجُهَّالِهَا
قد كانتِ الدنيا به قُفِّلَتْ فكنتَ مِفتاحاً لأَقفالِهَا
إنَّ التى فُزتَ بها دُونَهُ عادَتْ إلى أَحسَنِ أَحوالِهَا
١٦٥٣/٣ خلافةٌ كنتَ حقيقاً بها فضَّلكَ اللهُ بِسِرْبالها
فردَّه اللهُ إلى حالِهِ وردَّها اللهُ إلى حالِهَا
ولم تكن أَوَّلَ عاريَّةٍ رُدَّتْ على رغمٍ إلى آلها
واللهِ لو كان على قريةٍ ما كان يُجزِى بعضَ أَعمالها
أُدخلَ فى الملكِ يدًا رِعدَةً أَخرجَها من بعدِ إدخالها
بَدَّلَنا اللهُ به سَيِّدًا أَسكَنَ دُنيا بعد زلزالها
بُدِّلَتِ الأُمَّةُ هذا بذَا كأَنَّها فى وقتِ دَجَّالِها
وقامَ بالمُلكِ وأَثقالِه وقام بالحربِ وأَثقالها
أَبْطلَ ما كان العِدَا أَمَّلوا رَمْيُكَ بالخيلِ وأَبطالِهَا
تُعمِلُ خَيْلا طالَمَا نجحَتْ ما عَمِلَتْ خيلٌ كأَعمالها

وقال الوليد بن عبيد البحترىّ فى خلع المستعين ومدح المعتز[1] :

أَلَا هل أَتاها أَنَّ مُظْلِمَةَ الدُّجى تَجلَّتْ وأَنَّ العيشَ سُهِّلَ جانبُهْ
١٦٥٤/٣ وأَنَّا رددْنا المُستَعارَ مُذَمَّماً على أَهلِه واستأْنَفَ الحقَّ صاحبُهْ
عجبتُ لهذا الدَّهرِ أَعيَتْ صُرُوفُه وما الدَّهرُ إلا صرفُه وعجائبُهُ
متى أَمَّلَ الدَّيَّاك[2] أَن يُصطفى لَهُ عُرَى التَّاجِ أَو يُثْنى عليه عصائِبُهْ
وكيف ادَّعى حقَّ الخلافةِ غاصبٌ حَوَى دونه إرثَ النبيِّ أَقاربُه
بكى المِنبرُ الشرقىُّ إذْ خارَ فوقَه على النَّاسِ ثور قد تَدَلَّت غَبَاغبُهْ
ثَقيل على جنبِ الثَّريد مُراقِبٌ لشخصِ الخوانِ يَبتَدِى فيُواثِبُهْ

---

(١) ديوانه ٢١٤ (المعارف).

(٢) فى الأصول : « الذيال » ، وما أثبته من الديوان ، والدياك : صاحب الديك .

إذا ما احتشى من حاضر الزّادِ لم يُبَلْ ... أضاءَ شِهَابُ المُلكِ أم كلٌّ ثاقِبُه ٣/١٦٥٥
إذا بَكَّرَ الفرَّاشُ ينثو حديثَه ... تضاءَل مُطْرِيهِ وأَطنَب عائبُهْ
تَخَطَّى إلى الأَمْرِ الَّذى ليس أَهلَهُ ... فَطوْرًا يُناغيه وطورًا يُشاغِبُهْ
فكيف رأيتَ الحقَّ قَرَّ قرارُه ... وكَيْفَ رأيتَ الظُّلمَ زالتْ عواقبُهْ
ولم يكنِ المُغترُّ باللهِ إذ سَرَى ... لِيُعجِزَ والمعتزُّ باللهِ طالِبُهْ
رَمَى بالقضِيبِ عَنوةً وهْو صاغرٌ ... وعُرِّىَ من بُرْدِ النَّبِىِّ مناكِبُهْ
وقد سرَّنى أَنْ قيل وُجِّه مسرعاً ... إلى الشَّرْقِ تُحْدَى سُفنُه وركائبُه
إلى كَسْكَرٍ خَلْفَ الدَّجاج ولم يكن ... لِتُنْشَبَ إلا فى الدجاج مخالبُه
وما لِحيَةُ القصَّارِ حيثُ تَنَفَّشَتْ ... بجالبةٍ خيرًا على من يناسِبُهْ ٣/١٦٥٦
يحوز ابن خَلاَّدٍ على الشّعْرِ عنْدَه ... ويُضحى شُجاعٌ وهْو للجهل كاتِبُهْ
فأقسمتُ بالْوادِى الحَرامِ وماحَوَتْ ... أباطحُه من مَحْرَمٍ وأخاشبُهْ
لقد حملَ المعتزُّ أُمةَ أحمدٍ ... على سَنَنٍ يَسرِى إلى الحقِّ لاَحِبُهْ
تَدارَكَ دينَ اللهِ من بعدِ ماعَفَتْ ... معالِمُه فينَا وغارَت كواكبُهْ
وضَمَّ شعاعَ المُلكِ حتى تَجمَّعتْ ... مشارِقُهُ موفورةً ومغارِبُهْ

* * *

وانصرف أبو الساج ديوداد بن ديودست إلى بغداد لسبع بقين من المحرّم من هذه السنة ، فقلّده محمد بن عبد الله معاون ما سقَى الفرات من السّواد ، ٣/١٦٥٧ فوجّه أبو الساج خليفةً له يقال له كربه إلى الأنبار ، ووجّه قومًا من أصحابه إلى قصر ابن هبيرة مع خليفة له ، ووجّه الحارث بن أسد فى خمسمائة فارس وراجل ، يستقرئ أعماله ، ويطرد الأتراك والمغاربة عنها ، وقد كانوا عاثوا فى النواحى وتلصّصوا . ثم شخص أبو الساج من بغداد لثلاث خلوْن من ربيع الأول ، ففرّق أصحابه فى طساسيج الفرات ، ونزل قصر ابن هبيرة ؛ ثم صار إلى الكوفة ، ووافى أبو أحمد سامرّا منصرفًا من معسكره[1] إليها لإحدى

(١) س : « عسكره » .

عشرة بقيتْ من المحرّم ، فخلع المعتزّ عليه ستة أثواب وسيفاً ، وتُوِّج تاج ذهب بقلنسوة مجوهرة ، ووُشِّح وشاحىْ ذهب بجوهر ، وقُلِّد سيفاً آخر مرصّعاً بالجوهر ، وأجلِس على كرسىّ ، وخلع على الوجوه من القوّاد .

* * *

[ذكر خبر قتل شريح الحبشىّ]

وفيها قتل شريح الحبشىّ ، وكان سبب ذلك أنه حين وقع الصّلْح ، هرب فى عِدّة من الحبَشة ، فقطع الطريق فيما بين واسط وناحية الجبل والأهواز ، ونزل قريةً من قُرى أمّ المتوكّل يقال لها ديرى ، فنزل فى خانها فى خمسة عشر رجلا ، فشربوا وسكروا ، فوثب عليهم أهلُ القرية فكتّفوهم ، وحملوهم إلى واسط ، إلى منصور بن نصر ، فحملهم منصور إلى بغداد ، فأنفذهم محمد ابن عبد الله إلى العسكر ، فلمّا وصلوا قام بايكباك إلى شُريح . فوسّطه بالسيف وصُلِب على خشبة بابك ، وضرب أصحابه بالسياط ما بين الخمسمائة إلى الألف .

٣/١٦٥٨

* * *

وفى شهر ربيع الآخر منها توفِّىَ عبيد الله بن يحيى بن خاقان فى مدينة أبى جعفر .

* * *

[ذكر حال بُغا ووصيف]

وفيها كتب المعتز إلى محمد بن عبد الله فى إسقاط اسم بغا ووصيف ومن كان فى رسمهما[1] من الدواوين .

وذكر أن محمد بن أبى عون أحد قوّاد محمد بن عبد الله ناظره لمّا صار أبو أحمد إلى سامرّا فى قتل بُغا ووَصيف ، فوعَده أن يقتلهما ؛ فبعث المعتزّ إلى محمد ابن عبد الله بلواء ، وعقد لمحمد بن أبى عون لواء على البصرة واليمامة والبحرين ،

---

(١) س : « رسومهما » .

فكتب قومٌ من أصحاب بُغا ووصيف إليهما بذلك ، وحذّرُوهما محمدَ بن عبد الله ؛ فركب وصيف وبُغا إليه يوم الثلاثاء لخمس بقين من ربيع الأول ، فقال له بغا : بلَغنا أيها الأمير ما ضمنه ابن أبي عون من قتلنا ؛ والقوم قد غدروا وخالفوا ما فارقونا عليه ؛ والله لو أرادوا أن يقتلونا ما قدروا عليه . فحلَف لهما أنه ما علم بشيء من ذلك ؛ وتكلّم بُغا بكلام شديد، ووصيف يكفّه ، وقال وصيف : أيّها الأمير ، قد غدر القوم ونحن نُمسك ونقعد فى منازلنا حتى يجيء مَنْ يقتلنا ! وكانا دخلا مع جماعة ، ثم رجعا إلى منازلهما ، فجمعا جندهما ومواليَهما ، وأخذا فى الاستعداد وشِرَى السّلاح وتفريق الأموال فى جيرانهما إلى سلْخ ربيع . وكان وصيف وبُغا عند قدوم قُرْب ، وجّه إليهما محمد ابن عبد الله كاتبَه محمد بن عيسى ، فأقبلا معه حتى صارا عند دار محمد بن عبد الله بقرْب[1] الجسر ، فلقيهما جعفر الكرديّ وابن خالد البرمكيّ ؛ فتعلّق كلّ واحد منهما بلجام واحد منهما ، وقال لهما : إنما دُعيتما لتحملا إلى العسكر ؛ وقد أعدّ لكما لذلك قومٌ أو لتقتلا ، فرجعا وجمعا جمعًا ، وأجريا على كلّ رجل كلّ يوم درهمين ؛ فأقاما فى منازلهما . ٣/١٦٥٩

وكان وصيف وجّه أختَه سعاد إلى المؤيد ، وكان المؤيّد فى حِجْرها ، فأخرجت من قصر وصيف ألف ألف دينار كانت مدفونة فيه ؛ فدفعتها إلى المؤيّد ؛ فكلّم المؤيد المعتزّ فى الرضا عن وصيف ؛ فكتب إليه بالرضا عنه ؛ فضرب مضاربه بباب الشمّاسيّة على أن يخرج ، وتكلّم أبو أحمد ابن المتوكل فى الرضا عن بغا ، فكتب إليه بالرّضا . واضطرب أمرهما وهما مقيمان ببغداد .

ثم اجتمع على المعتز الأتراك فسألوه الأمْرَ بإحضارهما ، وقالوا : هما كبيرانا ورئيسانا ؛ فكتب إليهما بذلك ، فجاء بالكتاب بايكباك فى نحو من ثلثمائة رجل ؛ فأقام بالبرَدان ، ووجّه إليهما الكتاب لسبع بقين من شهر رمضان من هذه السنة ؛ فكتب إلى محمد بن عبد الله بمنعهما ؛ فوجّها بكاتبيهما أحمد

---

(١) ف : « عند » .

ابن صالح ودُلَيل بن يعقوب إلى محمد بن عبد الله ليستأذناه ؛ فأتاهما جيش من الأتراك ، فنزلوا بالمصلّى ، وخرج وصيف وبُغا وأولادهما وفرسانهما فى نحو من أربعمائة إنسان ، وخلفا فى دورهما الثّقَل والعيال ، ودعا أهل بغداد لهما ودعوْا لهم .

٣/١٦٦٠

وقد كان ابن طاهر وجّه محمد بن يحيى الواثقىّ وبندار الطبرىّ إلى باب الشماسيّة وباب البردان ليمنعوهما ، ومضيا من باب خراسان ، ونفذا ولم يعلم كاتباهما حتّى قال محمد بن عبد الله لأحمد ودُليل : ما صنع صاحباكما ؟ فقال أحمد ابن صالح : خلّفتُ وصيفاً فى منزله . قال : فإنه قد شخص الساعة ، قال : ما علمتُ ؛ فلمّا صار إلى سامُرّا بكّر أحمد بن إسرائيل يوم الأحد لتسع بقين من شوّال من هذه السنة فى السَّحَر إلى وصيف ، وأقام عنده مليّاً ، ثم انصرف إلى بُغا ، فأقام عنده مليّاً ، ثم صار[1] إلى الدّار ، فاجتمع الموالى وسألوا ردّهما إلى مراتبهما ، فأجيبوا إلى ذلك ، وبعث إليهما ، فحضرا ورتّبا فى مرتبتهما التى كانت قبل مصيرهما إلى بغداد ، وأمر بردّ ضياعهما ، وخلع عليهما خلع المرتبة . ثم ركب المعتزّ إلى دار العامة ، وعقد لبُغا ووصيف على أعمالهما وردّ ديوان البريد كما كان قبل إلى موسى بن بغا الكبير ، فقبل موسى ذلك .

* * *

[ذكر الفتنة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر]

وفى شهر رمضان من هذه السنة كانت وقعة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر ، ورئيس الجند يومئذ ابن الخليل . وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر — أن المعتزّ كتب إلى محمد بن عبد الله فى بيع غلّة طساسيج ضياع بادرويا وقُطْرُبُّل ومَسْكِن وغيرها ، كلّ كُرّين[2] بالمعدّل بخمسة وثلاثين ديناراً من غلّة سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، وكان المعتزّ ولّى بريد بغداد رجلا يقال له صالح بن الهيثم ، وكان أخوه منقطعاً إلى أتامش أيام

٣/١٦٦١

(١) ف : « انصرف » . (٢) الكر : مكيال عند أهل العراق ، ستون قفيزاً .

المتوكل ، فارتفع أمرُ صالح هذا أيام المستعين ؛ وكان ممن أقام بسامرّا ؛ وهو من أهل المخرِّم ، وكان أبوه حائكاً ثم صار يبيع الغزْل ؛ ثم انتقل أخوه إليه لمّا ارتفع . فلما أقام ببغداد كَتَبَ إليه يؤمر أن يقرأ الكتاب على قوّاد أهل بغداد كعتّاب بن عتاب ومحمد بن يحيى الواثقيّ ومحمد بن هرثمة ومحمد بن رجاء وشعيب ابن عجيف ونظرائهم ، فقرأه عليهم ، فصاروا إلى محمد بن عبد الله ، فأخبروه ؛ فأمر محمد بن عبد الله فأحضر صالح بن الهيثم ، وقال : ما حملك على هذا بغير علمي ! وتهدّده وأسمعه. وقال للقوّاد : انتظروا حتى أرى رأيي ، وآمركم بما أعزم عليه ، فانصرفوا من عنده على ذلك ، وشخص بعد ذلك ، واجتمع الفروض والشاكريّة والنائبة إلى باب محمد بن عبد الله يطلبون أرزاقهم لعشر خَلَوْن من شهر رمضان ؛ فأخبرهم أنّ كتاب الخليفة ورد عليه ، جوابَ كتاب له كان كتب بمسألة أرزاق جند بغداد ، إن كنتَ فرضت الفروض[1] لنفسك ، فأعطِهم أرزاقهم ؛ وإن كنت فرضتَ لنا فلا حاجة لنا فيهم . فلما ورد الكتاب عليه أخرج لهم بعد شغَبهم بيوم ألفي دينار ، فوُضعت لهم ثم سكنوا .

١٦٦٢/٣

ثم اجتمعوا لإحدى عشرة خلت من شهر رمضان ؛ ومعهم الأعلام والطبول ، وضربوا المضارب والخيم على باب حرْب وباب الشمّاسية وغيرهما ، وبنوا بيوتاً من بواريَ وقصب ، وباتوا ليلتهم . فلما أصبحوا كثُر جمعهم ، وبيَّت ابنُ طاهر قوماً من خاصّته في داره ، وأعطاهم درهماً درهماً ؛ فلما أصبحوا مضوا من داره إلى المشغّبة ؛ فصاروا معهم . فجمع ابن طاهر جنده القادمين معه من خُراسان ، وأعطاهم لشهرين ، وأعطى جند بغداد القدماء ؛ الفارسَ دينارين والراجلَ ديناراً ، وشَحَنَ داره بالرجال ؛ فلما كان يوم الجمعة اجتمع من المشغّبة خلق كثير بباب حرب بالسلاح والأعلام والطبول ، ورئيسهم رجل يقال له عبدان بن الموفّق ، ويكنى أبا القاسم ؛ وكان من أثبات عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وكان ديوان عبدان في ديوان وصيف ، فقدم بغداد ، فباع داراً له بمائة ألف دينار ، فشخص إلى سامُرّا ؛ فلما وثبت الشاكريّة بباب العامة كان معهم ، فضربه سعيد الحاجب خمسمائة سوط ، وحبسه حبساً طويلا ،

(١) ف : « الفرض » .

ثم أطلق . فلما كان فتنة المستعين صار إلى بغداد ، وانضمّ إليه هؤلاء المشغّبة ، فحضّهم على الطلب بأرزاقهم[١] وفائتهم ، وضمن لهم أن يكون لهم رأساً يدبّر أمرهم[٢] . فأجابوه إلى ذلك ؛ فأنفق عليهم يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم ٣/١٦٦٣ الجمعة نحواً من ثلاثين ديناراً فيما أقام لهم من الطعام ، ومَنْ كانت لهم كفاية لم يحتج إلى نفقته ؛ فكان ينصرف إلى منزله ، فلمّا كان يوم الجمعة اجتمعتْ منهم جماعة كثيرة ، وعزموا على المصير إلى المدينة ليمضوا إلى الإمام فيمنعوه من الصّلاة والدعاء للمعتزّ ، فساروا على تعبية فى شارع باب حَرْب ؛ حتى انتهوْا إلى باب المدينة فى شارع باب الشأم ، وجعل أبو القاسم هذا على كلّ درب يمرّ به قوماً من المشغّبة، من بين رامح وصاحب سيف ليحفظوا الدروب ؛ كيلا يخرج منها أحد لقتالهم .

ولمّا انتهى إلى باب المدينة دخل معهم المدينة جماعة كثيرة، فصاروا بين البابين وبين الطاقات ، فأقاموا هناك ساعة ، ثم وجّهوا جماعة منهم يكونون نحواً من ثلثمائة رجل بالسلاح إلى رُحْبة الجامع بالمدينة ؛ ودخل معهم من العامة خلْق كثير ، فأقاموا فى الرُّحبة ، وصاروا إلى جعفر بن العباس الإمام ، فأعلموه أنهم لا يمنعونه من الصّلاة، وأنهم يمنعونه من الدعاء للمعتزّ. فأعلمهم جعفر أنه مريض لا يقدر على الخروج إلى الصلاة ، فانصرفوا عنه ، وصاروا إلى درب أسد بن مرزبان ، فشحنوا الشارع النافذ إلى درب الرقيق ، ووكّلوا بباب درب سليمان بن أبي جعفر جماعة ، ثم مضوْا يريدون الجسر فى شارع الحدّادين ، فوجّه إليهم ابن طاهر عِدّة من قوّاده فيهم[٣] الحسين بن إسماعيل والعباس ابن قارن وعلىّ بن جهشيار وعبد الله بن الأنشين فى جماعة من الفرسان ، ٣/١٦٦٤ فناظروهم ودفعوهم دفعاً رفيقاً ، وحمل عليهم الجند والشاكريّة حملة جرحوا فيها جماعة من قوّاد ابن طاهر ، وأخذوا دابة ابن قارن وابن جهشيار ورجلٍ من فرض عبيد الله بن يحيى من الشأميين يقال له سعد الضبابىّ، وجرحوا المعروف بأبي السنا ، ودفعوهم عن الجسر حتى صيّروهم[٤] إلى باب عمرو بن مسعدة .

---

(١) ف : « طلب الأرزاق » .
(٢) ف : « أمورهم » .
(٣) ف : « منهم » .
(٤) ف : « صار » .

فلما رأى الذين بالجانب الشرقىّ منهم أنّ أصحابهم قد أزالوا أصحابَ ابن طاهر عن الجِسْر كبّروا ، وحملُوا يريدون العبور إلى أصحابهم ؛ وكان ابن طاهر قد أعدّ سفينة فيها شوك وقصب ليُضرِم فيها النار ، ويرسلها على الجسر الأعلى ؛ ففعل ذلك ، فأحرقت عامة سفنه وقطعته ؛ وصارت إلى الآخر ، فأدركها أهلُ الجانب الغربىّ ، ففرّقوها وأطفئوا النار التى تعلّقت بسفن الجسر. وعبر من الجانب الشرقىّ إلى الجانب الغربىّ خلْق كثير ، ودفعوا أصحاب ابن طاهر عن ساباط عمرو بن مسعدة ، وصاروا إلى باب ابن طاهر ، وصار الشاكرّية والجند إلى ساباط عمرو بن مسعدة ، وقُتِل من الفريقين إلى الظهر نحو من عشرة نفر ، وصار جماعة من الغوغاء والعامة إلى المجلس الذى يعرَف بمجلس الشرْطة فى الجسر[1] من الجانب الغربىّ إلى بيت يقال له بيت الرفوع ، فكسروا الباب ، وانتهبوا ما فيه ؛ وكان فيه أصناف من المتاع ، فاقتتلوا عليه فلم يتركوا فيه شيئاً[2] ، وكان كثيراً جليلا . وأحرق ابنُ طاهر الجسرين لمّا رأى الجند قد ظهروا على أصحابه ، وأمر بالحوانيت التى على باب الجسر التى تتصل بدرب سليمان أن تحرّق يمنة ويسرة ، ففعل فاحترق فيها للتجار متاع كثير ، وتهدّم حيطان مجلس صاحب الشرطة ؛ فلمّا ضُربت الحوانيت بالنار حالت النار بين الفريقين ، وكبّرت الجند عند ذلك تكبيرة شديدة ؛ ثم انصرفوا إلى معسكرهم بباب حرب ، وصار الحسين بن إسماعيل مع جماعة من القوّاد والشاكرية إلى باب الشأم ، فوقَف على التّجار والعامة فوبّخهم على معونتهم الجندَ ، وقال : هؤلاء قاتلوا على خبزهم وهم معذُورون ؛ وأنتم جيران الأمير ومَنْ يجب عليه نُصرته ، فلِمَ فعلتم ما فعلتم ، وأعنتم الشاكريّة عليه ورميتم بالحجارة ، والأمير متحوّل عنكم ! ثم صار محمد بن أبى عون إليهم ، فقال لهم مثل ذلك ؛ وانصرف إلى ابن طاهر ؛ فمكث الجُند المشتَغبون فى مواضِعهم ومعسكرهم ، وانضمّ إلى ابن طاهر جماعة من الأثبات وجَمَع جميع أصحابه ، فجعل بعضهم فى داره ، وبعضهم فى الشارع النافذ من الجسر إلى داره ، قد عبّأهم تعبية الحرب ، حذاراً من كَرّة الجند عليه أيامًا ؛ فلم يكن لهم عودة ؛ فصار فى بعض الأيام

٣/١٦٦٥

(١) س : « الحبس » .
(٢) بعدها فى ف : « إلا انتهب » .

٣/١٦٦٦ التى كان من عودتهم ابنُ طاهر على وَجَلٍ [١] — فيما ذكر — رجلان من المشغّبة استأمنا إليه ، فأخبراه [٢] بعورة أصحابهما ، فأمر لهما بمائتى دينار ، ثم أمر الشاه بن ميكال والحسين بن إسماعيل بعد العشاء الآخرة بالمصير فى جماعة من أصحابهما إلى باب حَرْب ، فتلطّفا لأبى القاسم رئيس القوم وابن الخليل — وكان من أصحاب محمد بن أبى عون — فصاروا إلى ما هناك ؛ وكان أبو القاسم وابن الخليل قد صار كلٌّ واحد منهما عند مفارقة الرّجُلين اللذيْن صارا إلى ابن طاهر ورجل آخر يقال له القُمّىّ ؛ وتفرّق الشاكريّة عنهما إلى ناحية خوفًا على أنفسهم ، فمضى الشاه والحسين فى طلبهما حتّى خرجا من باب الأنبار ، وتوجّها نحو جسر بَطَاطِيا ، فذُكر أنّ ابن الخليل استقبلهما قبل أن يصيرا إلى جسر بطاطيا ، فصاح بهما ابن الخليل وبمَنْ معهما من هؤلاء ، وصاحوا به ؛ فلمّا عرفهم حمل عليهم ، فجرح منهم عدّة ، فأحدقوا به ، وصار فى وسط القوم ، فطعنه رجل من أصحاب الشاه ، فرمى به إلى الأرض ، فبَعَجه علىّ بن جهشيار بالسّيْف وهو فى الأرض ، ثم حُمل على بغل وبه رَمَق ، فلم يصلوا به إلى ابن طاهر حتّى قَضَى . وأمر الشاه بطرحه فى كَنِيف فى دهليز الدّار إلى أن حُمل إلى الجانب الشرقىّ ؛ وأما عبدان بن الموفّق فإنه

٣/١٦٦٧ كان قد صار إلى منزله وإلى موضع اختفى فيه ، فدُلّ عليه ، وأخِذ وحُمل إلى ابن طاهر ، وتفرّق الشاكريّة الذين كانوا بباب حرب ، وصاروا إلى منازلهم ، وقُيّد عبدان بن الموفق بقيدين فيهما ثلاثون رطلا . ثم صار الحسين بن إسماعيل إلى الحبس الذى هو فيه فى دار العامة ، وقعد على كرسىّ ، ودعا به ؛ فسأله : هل هو دسيس لأحد ، أو فعل ما فعل من قِبَل نفسه ؟ فأخبره أنه لم يدسّه أحد ؛ وإنما هو رجل [٣] من الشاكريّة طلب بخبزه . فرجع الحسين إلى ابن طاهر فأعلمه ذلك ، فخرج طاهر بن محمد وأخوه إلى دار العامة الداخلة ، فقعدا وأحضرا مَنْ بات فى الدار من القواد والحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال ، وأحضرا عبدانَ ، فحمله رجلان ؛ فكان المخاطب له الحسين ، فقال : أنت رئيس القوم ؟ فقال : لا ؛ إنما أنا رجل منهم ؛ طلبت ما طلبُوا ، فشتمه

---

(١) س . ف : « رجل » . (٢) ف : « فأعلماه » .
(٣) ف : « وأخبر أنما هو » .

الحسين ، وقال حرب بن محمد بن عبد الله بن حرب : كذبت ؛ بل أنت رئيس القوم ؛ وقد رأيناك تعبِّيهم بباب حرب وفى المدينة وباب الشأم ، فقال : ما كنت لهم برأس ؛ وإنما أنا رجل منهم ؛ طلبت ما طلبوا ، فأعاد عليه الحسين الشّتم ، وأمر بصفعه فصُفِع ، وأمر بسحبه فسُحب بقيوده إلى أن أخرِج من الدار ، وشتمه كلُّ مَنْ لحقه ، ودخل طاهر بن محمد إلى أبيه فأخبره خبَره ، وحمل عبدان على بغل ؛ ومُضِي به إلى الحبس[1] ، وحمل ابن الخليل فى زورق عُبِرَ به إلى الجانب الشرقىّ ، وصلب ؛ وأمر بعبدان فجرِّد وضرب مائة سوط بثمارها . وأراد الحسين قتله ، فقال لمحمد بن نصر : ما ترى فى ضربه خمسين سوطًا على خاصرته ؟ فقال له محمد : هذا شهر عظيم ؛ ولا يحلّ لك أن تصنع به هذا ؛ فأمر به فصُلِب حيًّا ، وحُمِل على سلّم حتى صليب على الجسر ، وربِط بالحبال ، فاستسقى بعد ما صُلِب ، فمنعه الحسين فقيل له : إن شرب الماء مات ، قال : فاسقوه إذاً ؛ فسقوْه ، فترُك مصلوبًا إلى وقت العصر ، ثم حُبِس ؛ فلم يزل فى الحبس يومين ثم مات اليوم الثالث مع الظهر ؛ وأمر بصلبه على الخشبة التى كان صُلِب عليها ابن الخليل ، ودُفع ابن الخليل إلى أوليائه فدُفن . ١٦٦٨/٣

* * *

[ذكر الخبر عن خلع المؤيد ثم موته]

وفى رجب من هذه السنة خلَع المعتزّ المؤيدَ أخاه من ولاية العهد بعده .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه :

كان السبب فى ذلك — فيما بلغنا — أنّ العلاء بن أحمد عامل إرمينيَة بعث إلى إبراهيم المؤيد بخمسة آلاف دينار ليصلح بها أمره ، فبعث ابن فرّخانشاه إليه ، فأخذها ، فأغرى المؤيد الأتراك بعيسى بن فرّخانشاه ، وخالفهم المغاربة ، فبعث المعتزّ إلى أخويه : المؤيد وأبى أحمد ؛ فحبسهما فى الجوْسق ، وقيّد المؤيد وصيّره فى حجرة ضيّقة ، وأدرّ العطاء للأتراك والمغاربة ، وحبس كنجور حاجب المؤيد ، وضربه خمسين مقرعة ، وضرب خليفته أبا الهول خمسمائة

---

(١) س : « الجسر » .

٣/١٦٦٩ سَوْط وطُوِّف به على جمل ، ثم رضىَ عنه وعن كَنجور ، فصُرِف إلى منزله .

وقد ذكر أنه ضرب أخاه المؤيد أربعين مقرعة ، ثم خُلع[1] بسامرّا يوم الجمعة لسبع خلوْن من رجب ، وخُلع ببغداد يوم الأحد لإحدى عشرة خلتْ من رجب ، وأخِذت رقعة بخطه بخلْع نفسه .

ولست بقين من رجب من هذه السنة — وقيل لثمان بقين منه — كانت وفاة إبراهيم بن جعفر المعروف بالمؤيد .

* ذكر الخبر عن سبب وفاته :

ذكر أنّ امرأة من نساء الأتراك جاءت محمد بن راشد المغربىّ ، فأخبرته أن الأتراك يريدون إخراج إبراهيم المؤيد من الحبْس ؛ وركب محمد بن راشد إلى المعتزّ ، فأعلمه ذلك ، فدعا بموسى بن بُغا ، فسأله فأنكر ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنما أرادوا أن يخرجوا أبا أحمد بن المتوكّل لأنسهم به كان فى الحرب التى كانت ، وأما المؤيّد فلا . فلما كان يوم الخميس لثمان بَقين من رجب دعا بالقضاة والفقهاء والشهود والوجوه ، فأخرج إليهم إبراهيم المؤيد ميّتاً لا أثر به[2] ولا جرح ؛ وحمِل إلى أمه إسحاق — وهى أمّ أبى أحمد — على حمار ، وحُمِل معه كفن وحنوط وأمر بدفنه ، وحوّل أبو أحمد إلى الحجرة التى كان فيها المؤيد .

وذكر أنّ المؤيد أدرِج فى لحاف سمّور ، ثم أمسِك طرفاه حتى مات .

وقيل : إنه أقْعِدَ فى حَجَرٍ من ثلج ، ونضِّدت عليه حجارة الثلج فمات برداً .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل المستعين]

٣/١٦٧٠ وفى شوال منها قتِل أحمد بن محمد المستعين .

* ذكر الخبر عن قتله :

ذُكر أن المعتزّ لما همّ بقتل المستعين ، ورد كتابه على محمد بن عبد الله

---

(١) ف : « خلعه » . (٢) ف : « فيه » .

ابن طاهر بنكبته ، وأمره بتوجيه أصحاب معاونه فى الطساسيج ، ثم ورد عليه منه بعد ذلك كتاب مع خادم يدعى سيما ، يُؤمَر فيه بالكتاب إلى منصور ابن نصر بن حمزة — وهو على واسط — بتسليم المستعين إليه ؛ وكان المستعين بها مقيماً ، وكان الموكَّل به ابن أبى خميصة وابن المظفَّر بن سيسل ومنصور ابن نصر بن حمزة وصاحب البريد ؛ فكتب محمد فى تسليم المستعين إليه ، ثم وجّه — فيما قيل — أحمد بن طولون التركىّ فى جيش ، فأخرج المستعين لستّ بقين من شهر رمضان ، فوافى به القاطول لثلاث خلوْن من شوال .
وقيل إن أحمد بن طولون كان موكَّلا بالمستعين ، فوجّه سعيد بن صالح إلى المستعين فى حَمْلِه ، فصار إليه سعيد فحمله .

وقيل إن سعيداً إنما تسلّم المستعين من ابن طولون فى القاطول بعد ما صار به ابن طولون إليها ، ثم اختُلف فى أمرهما ، فقال بعضهم : قتله سعيد بالقاطول ؛ فلمّا كان غد اليوم الذى قتله فيه أحضر جواريَه وقال : انظرنَ إلى مولاكنّ قد مات ، وقد قال بعضهم : بل أدخله سعيد وابن طولون سامرّا ، ثم صار به سعيد إلى منزل له فعذّبه حتّى مات .

وقيل : بل ركب معه فى زورق ومعه عدّة حتّى حاذى به فم دُجيل ، وشدّ فى رجله حجراً ، وألقاه فى الماء . ١٦٧١/٣

وذُكر عن متطبّب كان مع المستعين نصرانىّ يقال له فضلان ، أنه قال : كنتُ معه حين حمل ، وأنه أخذ به على طريق سامُرّا ، فلما انتهى إلى نهر نظر إلى موكب[1] وأعلام وجماعة ، فقال لفضلان : تقدم فانظر مَنْ هذا ؛ فإن كان سعيداً فقد ذهبتْ نفسى ؛ قال فضلان . فتقدّمت إلى أوّل الجيش ، فسألتهم فقالوا : سعيد الحاجب ، فرجعت إليه فأعلمته — وكان فى قبّة تعادله امرأة — فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ذهبت نفسى والله ! وتأخرت عنه قليلا .

---

(١) س : « مركب » .

قال : فلقيه أول الجيش ، فأقاموا عليه وأنزلوه ودابته[١] ، فضربوه ضربةً بالسيف ، فصاح وصاحت دابته ، ثم قُتِل ؛ فلما قُتِل انصرف الجيش .

قال : فصرت[٢] إلى الموضع ؛ فإذا هو مقتول فى سراويل بلا رأس ؛ وإذا المرأة مقتولة ، وبها عدّة ضربات ، فطرحنا عليهما[٣] نحن تراب النّهر[٣] حتى واريناهما ، ثم انصرفنا .

قال : وأتِىَ المعتزّ برأسه وهو يلعب بالشطرنج ؛ فقيل: هذا رأس المخلوع فقال: ضعوه هنالك ، ثم فرغ من لعبه ، ودعا به فنظر إليه ، ثم أمر بدفنه ، وأمر لسعيد بخمسين[٤] ألف درهم ووُلِّىَ معونة البصرة .

وذكر عن بعض غلمان المستعين أنّ سعيدًا لما استقبله أنزله ، ووكّل به رجلا من الأتراك يقتله ، فسأله ، أن يمهله حتى يُصَلِّىَ[٥] ركعتين ؛ وكانت عليه جبة ، فسأل سعيد التركىّ الموكل بقتله أن يطلبها منه قبل قتله ، ففعل ذلك ، فلما سجد فى الركعة الثانية قتله واحتزّ رأسه ، وأمر بدفنه ، وخَفِىَ مكانه . ٣/١٦٧٢

وقال محمد بن مروان بن أبى الجَنُوب بن مروان بن أبى حفصة فى أمرِ المؤيّد ، ويمدح المعتزّ :

أنتَ الذى يُمسكُ الدُّنيا إذا اضطرَبتْ	يامُمْسكَ الدّينِ والدّنيا إذا اضْطَرَبا
إنَّ الرّعيّة ـ أبْقَاكَ الإله لَهَا ـ	ترْجُو بِعَدْلك أن تبقى لها حِقَبا
لَقَدْ عُنِيتَ بحربٍ غيرِ هَيّنَةٍ	وكان عُودُك نَبْعاً لم يكن غرَبا
ما كنتَ أولَ رأسٍ خانهُ ذنَبٌ	والرأسَ كنتَ وكان النّاكثُ الذَّنَبا
لَوْ كانَ تمَّ له ما كان دَبَّرَهُ	لأَصبحَ المُلكُ والإسلامُ قد ذَهَبا
أراد يُهلكُ دُنيانا ويُعْطِبُها[٦]	وقَدْ أرادَ هَلاَكَ الدِّين والعَطَبا

(١) س : « عن دابته » .
(٢) ف : « فنظرت » .
(٣ ـ ٣) ف : « التراب » .
(٤) س : « بخمسة آلاف » .
(٥) س : « أن يصلى » .
(٦) س : « ويهلكها » .

لَمّا أَراد وثُوباً من سَفاهتهِ ... أَمسَى عليه إمامُ الْعَدْلِ قدوثَبَا[1] ١٦٧٣/٣

لَقَدْ رَمَاكَ بسهْمٍ لم يُصِبْكَ به ... ومنْ رَمَاك عليه سهمهُ انقلبا

لَقَدْ رَعَيْتَ له ما كان من سببٍ ... فَمَا رَعى لكَ إحساناً ولاسَبَبا[2]

كحُسْنِ فعلِك لم يفعلْ أَخٌ بأَخٍ ... كُنَّا لِذَاك شهودًا لم نكن غَيبَا

قَدْ كُنتَ مشتغلاً بالحربِ ذاتَعبٍ ... وكَانَ يَلْعبُ ما كلَّفتهُ تَعبا

قَدْ كَانَ ياذَا النَّدَى يُعطَى بلا طلبٍ ... وكنتَ ياذَا الندَى تعطيهِ ماطلبا

وكنتَ أَكثرَ بِرًّا من أَبيه به ... ولم تكن بأَخٍ فى البِرّ ،كنتَ أَبا ١٦٧٤/٣

وكان قرْبَ سَريرِ الملكِ مَجلِسُهُ ... فَقَدْ تباعدَ منه بعدَ ما اقتربا

وكان فى نِعَمٍ زالت وكان له ... بابٌ يُزارُ فأَمسى اليومَ مُحْتَجَبَا

أَمسَى وحيدًا وقد كانتْ مواكبُهُ[3] ... عشرينَ أَلفاً تراهمْ خلفَهُ عُصَبا

أَين الصُّفوفُ الَّتى كانت تقومُ له ... كما يقومُ إذا ما جاءَ أَو ذهبا

وذلٌّ بعدَ تَمادِيهِ ونَخْوَتهِ ... كالحوتِ أَصبح عنه الماءُ قد نَضَبَا

وقد فسَخْتَ عن الأَعناقِ بَيعَتَهُ ... فلا خطيبَ له يدعو إذا اختطبا

لَقَّبتَهُ نَقباً من بعدِ إِمْرَتِهِ ... واللهُ بدَّلَهُ بالإِمْرَةِ اللَّقبَا

كَسَوْتَهُ ثوبَ عزٍّ فاستهانَ بِهِ ... ولم يَصُنهُ فأَمْسَى عنه مُغتَصَبا

كم نعمةٍ لَكَ فيها كنتَ تشركه[4] ... واللهُ أَخرجهُ منها بما اكتسبا

شبَّهتَهُ بِسراجٍ كَانَ ذا لَهَبٍ ... فما تركتَ له نورًا ولا لهبا

أَمسَتْ قطيعةُ إبراهيمَ قد قَطَعتْ ... حبلَ الصَّفاء وحبل الوُدِّ فانقَضبا ١٦٧٥/٣

وما تؤاخِذُ ياحِلفَ النَّدَى أَحدًا ... حَتَّى تُبيِّنَ فيه النَّكْثَ والرِّيَبَا

إِنى بمدْحِ بنى العباسِ ذُوحسبٍ ... وكان مدْحُ بنى العباسِ لى حَسبا

---

(١) ف : « الناس » .

(٢) ف : « ولا نسبا » .

(٣) س : « مراكبه » .

(٤) س : « فيما كنت تشركه » .

إنَّ التُّقَى يا بنِى العبَّاسِ أدَّبكمْ حتى استفادتْ قريشٌ منكُمُ الأَدبا
مَنْ كان مُقتَضباً فى حوْلِ مدحكمُ فلستُ فيه بحمْدِ اللهِ مُقتضَبَا

* * *

[أمر المعتز مع أهل بغداد]

ذُكر عن أبى عبد الرحمن الفانىّ أنّ فتًى من أهل سامُرّا أملى عليه مما عمله بعض أهلها عن ألسن الأتراك أن المعتزّ لمّا أفضت إليه الخلافة، وقلده الله القيام بأمر عباده فى المشارق والمغارب، والبرّ والبحر، والبدو والحضر، والسهل والجبل؛ تأثّم بسوء اختيار أهل بغداد وفتنتهم؛ فأمر المعتزّ بالله بإحضار جماعة ممّن صفَتْ أذهانهم، ورقّتْ طباتعهم[1]، ولطُف ظنّهم، وصحّتْ نحائزهم، وجادت غرائزهم، وكملت عقولهم بالمشورة، فقال أمير المؤمنين : أما تنظرون إلى هذه العصابة التى ذاع نفاقهم، وغار شأوُهم؛ الهمَج الطغام، والأوغاد الذين لا مُسْكَة بهم، ولا اختيارَ لهم، ولا تمييز معهم؛ قد زيّن لهم تقحّمُ الخطأ سوءَ أعمالهم، فهم الأقلّون وإن كثروا. والمذمومون إن ذُكروا؛ وقد علمت أنه لا يصلح لقود الجيوش وسدّ الثغور وإبرام الأمور وتدبير الأقاليم إلاّ رجل قد تكاملَتْ فيه خلالٌ أربع: حزْمٌ يُقَيِّف به عند موارد الأمور حقائق مصادرها، وعلم يحجزه عن التهوّر والتغرير فى الأشياء إلا مع إمكان فرصتها، وشجاعة لا ينقصها الملمّات مع تواتر حوائجها، وجُودٌ يَهون به تبذير جلائل الأموال عند سؤالها. وأما الثلاث : فسرعة مكافأةُ الإحسان إلى صالح الأعوان، وثقل الوطأة على أهل الزّيغ والعدوان، والاستعداد للحوادث؛ إذ لا تؤمن من نوائب الزمان. وأما الاثنتان؛ فإسقاط الحاجب عن الرّعيّة، والحكم بين القوىّ والضعيف بالسويّة. وأما الواحدة فالتيقظ فى الأمور مع عدم تأخير عمل اليوم لغد؛ فما ترون؛ وقد اخترت رجالا[2] لهم من موالىّ، أحدهم شديد الشكيمة، ماضى العزيمة؛ لا تبطره السرّاء، ولا تدهشه الضرّاء، لا يهاب ما وراءه، ولا يهوله ما تلقاءه، وهو كالحريش فى أصل السِّلام[3]؛ إن

(١) ف : «طباعهم». (٢) ف : «لهم رجلا».
(٣) الحريش : نوع من الحيات أرقم، والسلام : الحجارة الصلبة.

حُرِّك حمل، وإن نهش قتل ؛ عُدّته عتيدة ، ونقمته شديدة ، يلقى الجيش في النفر القليل العدد بقلب أشدّ من الحديد. طالبٌ للثأر ، لا يفلّه العساكر ، باسلُ البأس ، مقتضب الأنفاس لا يعوزه[1] ما طلَب ، ولا يفوته من هرب ؛ وارِى الزناد ، مُطّلع العِماد ، لا تُشْرهه الرّغائب ، ولا تُعجزه النوائب ؛ إن ولىَ كفى ، وإن وعد وَفى ، وإن نازل فبطل ، وإن قال فعل ، ظِلّه لوليه ظليل ، وبأسه فى الهياج عليه دليل ؛ يفوق مَنْ ساماه ، ويُعجز مَنْ ناواه ، ويُتعب مَنْ جاراه ، وينعش مَنْ والاه .

فقام إليه رجل من القوم ، فقال : قد جمع الله لك يا أمير المؤمنين فضائل الأدب ، وخصّك بإرث النبوّة ، وألقى إليك أزمّة الحكمة ، ووفّر نصيبك من حِباء الكرامة ؛ وفسّح لك فى الفَهْم، ونوّر قلبك بأنفس العلوم وصفاء الذهن؛ فأفصح عن القلب البيانُ ، وأدرك فهمك يا أمير المؤمنين ما والله خبئ على من لم يُحبَ بما حُبيتَ من المنن العظام ، والأيادى الجسام ، والفضائل المحمودة ، وشرف الطباع . فنطقت الحكمة على لسانك ، فما ظننته فهو صواب ، وما فهمته فهو الحقّ الذى لا يعاب ، وأنت والله يا أمير المؤمنين نسيجُ وحدِه ، وقَريع دهرِه ، لا يبلغ كليّة فضله الوصفُ ، ولا يحصر أجزاء شرف فضله النعت .

١٦٧٨/٣

ثم أمر أمير المؤمنين بالعقد لأنصاره على النواحى ، وأطلقهم فى أشعار أعدائهم وأبشارهم ودمائهم . فلما بلغ محمد بن عبد الله ما أمر به فى النواحى أنشأ كتاباً نسخته :

أما بعد فإنّ زيْغ الهوى صَدَفَ بكم عن حزْم الرّأى ، فأقحمكم حبائل الخطأ ، ولو ملّكتم الحقّ عليكم ، وحكمتم به فيكم لأوردكم البصيرةَ ، ونفى عنكم غيابة[2] الحيْرة . والآن فإن تجنحوا للسّلم تحقنوا دماءكم ، وترغدوا عيشكم ، ويصفح أمير المؤمنين عن جريرة جارمكم ؛ وأخلَى لكم ذرْوة سُبوغ النعمة عليكم ، وإن مضيتم على غُلَوائكم ، وسوّل لكم الأمل أسوأ أعمالكم ، فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، بعد نبْذ المعذرة إليكم ، وإقامة الحجة عليكم ،

---

(١) ط : « يعوذه » تحريف الإنسان .
(٢) ط : « عيابة » ، تحريف ، والغيابة : كل شيء أظل الإنسان .

١٦٧٩/٣ ولئن شُنّت الغارات ، وشبّ ضُرام الحرب ، ودارت رحاها على قطبها ، وحسمت الصوارم أوصال حُماتها[1] ، واستجرّت العوالى مَن نهمها ، ودُعيت نزالِ ، والتحم الأبطال ، وكلحت الحرب عن أنيابها أشداقَها ، وألقت للتجرّد عنها قِناعها ، واختلفت أعناق الخيل ، وزحف أهل النجدة إلى أهل البغى ، لتعلمنّ أىّ الفريقين أسمح بالموت نفساً ، وأشدّ عند اللقاء بطشاً ، ولات حين معذرة ، ولا قبول فدية ! وقد أعذر مَن أنذر ؛ وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلَب ينقلبون !

فبلغ كتاب محمد بن عبد الله الأتراكَ ، فكتبوا جواب كتابه :

إن شخص الباطل تصوّر لك فى صورة الحقّ ، فتخيّل لك الغىّ رشداً كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ولو راجعتَ عُزوب[2] عقلك أنار لك برهان البصيرة ، وحسم عنكَ موادّ الشبهة ؛ لكن حِصْتَ عن سنّة الحقيقة ، ونكصت على عقبيك لِمَا ملك طباعك مِن دَواعى الحيرة ؛ فكنت فى الإصغاء لهتافه والتجرّد إلى وروده كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران. ولعمرك يا محمد ؛ لقد ورَدَ وعدُك لنا ووعيدُك إيانا ، فلم

١٦٨٠/٣ يُلذنِنا منك ، ولم يَثْنِنا عنك ، إذ كان فحصُ اليقين قد كشف عن مكنون ضميرك ، وألفاك كالمكتفِى بالبرق نَهْجاً ؛ إذا أضاء له مَشى فيه ، وإذا أظلم عليه قام. ولعمرُك لئن اشتدّ فى البغى شأوُكَ ، ومتعت بصُبابة[3] من الأمل ليكوننّ أمرك عليك غمة ؛ ولَنأتينّك بجنود لا قِبل لك بها ، ولنُخرجنّك منها ذليلا ، وأنت من الصاغرين . ولولا انتظارنا كتابَ أمير المؤمنين بإعلامنا ما نعمل فى شاكلته ، بلغْنا بالسِّيَاط النياط ، وغمدْنا السيوف وهى كالّة ، وجعلنا عاليها سافلها ، وجعلناها مأوى الظّلمان والحيات والبوم ؛ وقد ناديناك من كَثَب ، وأسمعناك إن كنت حيّاً ، فإن تجب تُفلح ، وإن تأب إلا غيّاً نخزك به ، وعمّا قليل لتصبحُنّ نادمين .

* * *

(١) ف : « أوصال حياتها » .

(٢) ط : « غروب » ، تحريف .

(٣) ط : « بضبابة » ، تحريف .

[وقوع الفتنة بين الأتراك والمغاربة]

وفى أوّل يَوْم من رجب من هذه السنة كانت بين المغاربة والأتراك ملحَمة ؛ وذلك أنّ المغارِبة اجتمعت فيه مع محمد بن راشد ونصر بن سعيد ؛ فغلبوا الأتراك على الجوْسَق ، وأخرجوهم منه ، وقالوا لهم : فى كلّ يوم تقتلون خليفة ، وتخلعون آخر ، وتقتلون وزيراً ! وكانوا قد وثبوا على عيسى بن فرّخانشاه ؛ فتناولوه بالضَّرْب ، وأخذوا دوابّه . ولما أخرجت المغاربة الأتراكَ من الجوْسق ، وغلبوهم على بيت المال ، أخذوا خمسين دابة مما كان الأتراك يركبونها ؛ فاجتمع الأتراك ، وأرسلوا إلى مَنْ بالكرخ والدّور منهم ، فتلاقوا هم والمغاربة ، فقتِل من المغاربة رجلٌ ، فأخذت المغاربة قاتله ، وأعانت المغاربة الغوْغاء والشاكريّة ، فضعف الأتراك ، وانقادوا للمغاربة . فأصلح جعفر بن عبد الواحد بين الفريقين ، فاصطلحوا على ألاّ يُحْدِثوا شيئاً ، ويكون فى كلّ موضع يكون فيه رجل من قِبَل أحد الفريقين يكون فيه آخر من الفريق الآخر ؛ فمكثوا على ذلك مُدَيدة . ٣/١٦٨١

وبلغ الأتراكَ اجتماعُ المغاربة إلى محمد بن راشد ونصر بن سعيد ، واجتمع الأتراك إلى بايكباك ، فقالوا : نطلب هذين الرأسين ؛ فإن ظفرنا بهما فلا أحدَ ينطق ؛ وكان محمد بن راشد ونصر بن سعيد قد اجتمعا فى صدر اليوم الذى عَزَم الأتراك فيه على الوثوب بهما ، ثم انصرفا إلى منازلهما ، فبلغهما أن بايكباك قد صار إلى منزل ابن راشد ، فعدل محمد بن راشد ونصر بن سعيد إلى منزل محمد بن عزّون ليكونا عنده حتى يسكن الأتراك ، ثم يرجعا إلى جمعهما ، فغمز إلى بايكباك رجلٌ ، ودله عليهما . وقيل إن ابن عزّون هو الذى دسّ من دلّ بايكباك والأتراك عليهما ؛ فأخذهما الأتراك فقتلوهما ؛ فبلغ ذلك المعتزّ ، فأراد قتل ابن عزّون ، فكلّم فيه فنفاه إلى بغداد . ٣/١٦٨٢

* * *

[ذكر خبر حمل الطالبيّين من بغداد إلى سامرّا]

وفيها حُمل محمد بن علىّ بن خلف العطار وجماعة من الطالبيين من بغداد إلى سامُرّا ، فيهم أبو أحمد محمد بن جعفر بن حسن بن جعفر بن حسن بن

حسن بن علىّ بن أبى طالب، وحمل معهم أبوهاشم داود بن القاسم الجعفرىّ وذلك لثمانٍ خلون من شعبان منها .

* ذكر السبب فى حملهم :

وكان السبب – فيما ذكر – أنّ رجلا من الطالبيين شخص من بغداد فى جماعة من الجيشية والشاكريّة إلى ناحية الكوفة، وكانت الكوفة وسوادها من عمل أبى الساج فى تلك الأيام ؛ وكان مقيماً ببغداد لمناظرة ابن طاهر إياه فى الخروج إلى الرىّ ، فلما بلغ ابنَ طاهر خبرُ الطالبىّ الشاخص من بغداد إلى ناحية الكوفة ، أمر أبا الساج بالشخوص إلى عمله بالكوفة ، فقدّم أبو الساج خليفته عبد الرحمن إلى الكوفة ، فلقىَ أبا الساج أبو هاشم الجعفرىّ مع جماعة معه من الطالبيين ببغداد ، فكلموه فى أمر الطالبىّ الشاخص إلى الكوفة ، فقال لهم أبو الساج : قولوا له يتنحَّى عنّى ، ولا أراه. فلمّا صار عبد الرحمن خليفة أبى الساج إلى الكوفة ودخلها رُمِىَ[1] بالحجارة حتّى صار إلى المسجد ، فظنّوا أنه جاء لحرب العلوىّ ، فقال لهم : إنى لست بعامل ؛ إنما أنا رجل وجّهتُ لحرب الأعراب ، فكفّوا عنه ؛ وأقام بالكوفة. وكان أبو أحمد محمد بن جعفر الطالبىّ الذى ذكرت أنه حمل من الطالبيين إلى سامُرّا كان المعتزّ ولاّه الكوفة بعد ما هزم مزاحمُ بن خاقان العلوىّ الذى كان وُجّه لقتاله بها الذى قد مضى ذكره قبل فى موضعه ،فعاث – فيما ذكر – أبو أحمد هذا فى نواحى الكوفة وآذى الناس، وأخذ أموالهم وضياعهم . فلمّا أقام خليفة أبى الساج بالكوفة لطف لأبى أحمد العلوىّ هذا وآنسه حتّى خالطه فى المؤاكلة والمشاربة ، وداخلَهُ[2]. ثم خرج متنزّهاً معه إلى بستان من بساتين الكوفة ، فأمسى وقد عبّى له عبد الرحمن أصحابه ، فقيّده وحمله مقيّداً بالليل على بغال الدخول ؛ حتّى ورد به بغداد فى أول شهر ربيع الآخر ، فلما أتى به محمد بن عبد الله حبسه عنده ، ثم أخذ منه كفيلا وأطلقه ، ووجِدت مع ابن أخ لمحمد بن علىّ بن خلف العطار كُتبٌ من الحسن بن زيد ؛ فكتب بخبره إلى المعتزّ ، فورد الكتاب بحمله مع عتّاب بن عتّاب ، وحمل هؤلاء الطالبيين، فحملوا جميعاً

١٦٨٣/٣

---

(١) ف : « فدخلها ورمى » .

(٢) داخله : راوغه وخادعه .

مع خمسين فارساً ، وحمل أبو أحمد هذا وأبو هاشم الجعفرىّ وعلىّ بن عبيد الله ابن عبد الله بن حسن بن جعفر بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب . ٣/١٦٨٤

وتحدّث الناس فى علىّ بن عبيد الله أنه إنما استأذن فى المصير إلى منزله بسامُرّا ، فأذن له ووصّله — فيما قيل — محمد بن عبد الله بألف درهم ؛ لأنه شكا إليه ضيقه ، وودّع أبو هاشم أهله .

وقيل إن سبب حمل أبى هاشم ، إنما كان ابن الكردية وعبد الله بن داود بن عيسى بن موسى قالا للمعتزّ : إنك إن كتبتَ إلى محمد بن عبد الله فى حَمْل داود بن القاسم لم يحمله ، فاكتب إليه ، وأعلمه أنك تريد توجيهه إلى طبرستان لإصلاح أمرها[1] ، فإذا صار إليك رأيت فيه رأيك ؛ فحُمل على هذا السبيل ولم يُعرض له بمكروه .

* * *

وفيها ولّى الحسن بن أبى الشوارب قضاء القضاة ؛ وكان محمد بن عمران الضبى مؤدّب المعتزّ قد سمى رجالا للمعتزّ للقضاء نحو ثمانية رجال ؛ فيهم الخلنجىّ والخصّاف ، وكتب كتبَهم ، فوقّع فيه شفيع الخادم ومحمد بن إبراهيم بن الكردية وعبد السميع بن هارون بن سليمان بن أبى جعفر ، وقالوا : إنهم من أصحاب ابن أبى دواد ، وهم رافضة[٢ وقدَرية وزيديّة وجهميّة٢] . فأمر المعتزّ بطردهم[3] وإخراجهم إلى بغداد ، ووثب العامة بالخصاف ، وخرج الآخرون إلى بغداد ، وعزِل الضبىّ إلا عن المظالم .

وذكر أن أرزاق الأتراك والمغاربة والشاكريّة قُدّرت فى هذه السنة ، فكان مبلغ ما يحتاجون إليه فى السنة ماتَى ألف ألف دينار ، وذلك[4] خراج المملكة كلها لسنتين . ٣/١٦٨٥

* * *

وفيها توجّه أبو الساج إلى طريق مكة ، وكان سبب ذلك — فيما ذكر — أن وَصيفاً لمّا صلَح أمره ، ودفع المعتزُّ إليه خاتمه كتب إلى أبى الساج يأمره

---

(١) ف : « أهلها » . (٢ — ٢) ف : « قدرية جهمية » .
(٣) بعدها فى ف : « من العسكر » . (٤) س : « وكذلك » .

بالخروج إلى طريق مكة ليصلحه، ووجّه إليه من المال ما يحتاج إليه؛ فأخذ فى الجهاز ؛ فكتب محمد بن عبد الله يسأل أن يصير طريق مكة إليه ؛ فأجيب إلى ذلك ، فوجّه أبا الساج مِنْ قِبَله .

وفى أوّل ذى الحجة عقد لعيسى بن الشيخ بن السليل على الرَّمْلة ، فأنفذ خليفته أبا المغراء إليها ، فقيل : إنه أعطى بُغا أربعين ألف دينار على ذلك ، أو ضمِنها إليه .

وفيها كتب وصيفٌ إلى عبد العزيز بن أبى دُلَف بتوليته الجَبل ، وبعث إليه بخِلَع ، فتولّى ذلك من قِبَله .

وفيها قتِل محمد بن عمرو الشارى بديار ربيعة ؛ قتله خليفة لأيوب بن أحمد فى ذى القعدة .

وفيها سخط على كنجور، وأمر بحبسه فى الجوْسق ، ثم حُمِل إلى بغداد مقيَّداً ، ثم وجّه به إلى اليمامة فحبس هنالك .

٣/١٦٨٦ وفيها أغار ابن جُسْتان صاحب الدَّيْلم مع أحمد بن عيسى العلوىّ والحسين[1] ابن أحمد الكوكبىّ على الرّىّ فقتلوا وسبوا ، وكان ما بها حين قصدوها عبد الله ابن عزيز ، فهرب منها ؛ فصالحهم أهل الرّىّ على ألفى درهم ، فأدَّوْها ، وارتحل عنها ابن جُسْتان ، وعاد إليها ابنُ عزيز، فأسر أحمد بن عيسى وبعث به إلى نيسابور .

وفيها مات إسماعيل بن يوسف الطالبىّ الذى كان فعل بمكة ما فعل .

وحجّ فيها بالناس محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور من قبل المعتزّ .

---

(١) ط : «الحسن» ؛ وهو الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الكوكبى .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من عَقد المعتزّ فى اليوم الرابع من رجب لموسى بن بُغا الكبير على الجبل ، ومعه من الجيش يومئذ من الأتراك ومَنْ يجرى مجراهم ألفان وأربعمائة وثلاثة وأربعون رجلا ، منهم مع مُفلح ألف ومائة وثلاثون رجلا .

* * *

[ذكر خبر أخذ الكرج من ابن أبى دلف]

وفيها أوقع مُفْلح وهو على مقدّمة موسى بن بُغا بعبد العزيز بن أبى دُلف لثمان ليال بَقِين من رجب من هذه السنة وعبد العزيز فى زُهاء عشرين ألفا من الصعاليك وغيرهم ؛ وكانت الوقعة بينهما — فيما قيل — خارج هَمَذان على نحو من ميل ، فهزمه مُفْلح ثلاثة فراسخ يقتلون ويأسِرون، ثم رجع مفلح ومَنْ معه سالمين ؛ وكتب بالفتح فى ذلك اليوم . فلما كان فى شهر رمضان عبأ مفْلح خيلَه نحو الكَرَج ، وجعل لهم كَمِينين ، ووجّه عبد العزيز عسكراً فيه أربعة آلاف فقاتلهم مفلح ، وخرج كمين مفلح على أصحاب عبد العزيز فانهزموا ، ووضع أصحاب مُفْلح فيهم السَّيف ، فقتلوا وأسروا ، وأقبل عبد العزيز معيناً لأصحابه ؛ فانهزم بانهزام أصحابه ، وترك الكرَج ، ومضى إلى قَلْعة له فى الكَرَج يقال له زز ، متحصناً بها ، ودخل مفلح الكرَج ، فأخذ جماعة من آل أبى دُلَف أسراً ، وأخذ نساءً من نسائهم ؛ يقال إنه كان فيهم أمّ عبد العزيز ؛ فأوثقهم .

٣/١٦٨٧

* * *

وذكر أنه وجّه سبعين حملا من الرءوس إلى سامرّا وأعلاماً كثيرة .

وشخص فيها موسى بن بُغا من سامرّا إلى همَذان فنزلها .

وفيها خلَع المعتزّ على بُغا الشرابىّ فى شهر رمضان، وألبسه التاج والوشاحين، فخرج فيهما إلى منزله .

[ذكر الخبر عن قتل وصيف]

وفيها قُتل وصيف التركىّ ؛ وذلك لثلاث بَقِين من شوّال منها ؛ وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر — أنّ الأتراك والفراغنة والأشر وسنيّة شغّبوا وطلبوا أرزاقهم لأربعة أشهر ؛ فخرج إليهم بُغا ووصيف وسيما الشرابىّ فى نحو من مائة إنسان من أصحابهم ؛ فكلّمهم وصيف ، وقال : ما تريدون ؟ قالوا : أرزاقنا ، فقال : خذوا تراباً ؛ وهل عندنا مال ! وقال بغا : نعم ، نسأل أميرَ المؤمنين فى ذلك؛ ونتناظر فى دار أشناس، وينصرف عنكم مَن ليس منكم ، فدخلوا دار أشناس ، ومضى سيما الشرابىّ منصرفًا إلى سامُرّا ، ثم تبِعه بُغا لاستئمار الخليفة فى إعطائهم ؛ وكان وصيف فى أيديهم ؛ فوثب عليه بعضُهم ، فضربه بالسيف ضربتين ، ووجأه آخر بسكين، فاحتمله نُوشِرى بن طاجبك — وهو أحد قوّاده — إلى منزله؛ فلما أبطأ عليهم بُغا ظنوا أنهم فى التعبية عليهم ؛ فاستخرجوه من منزل(١) نوشرى ؛ فضربوه بالطبرزينات حتى كسروا عُضَديه ، ثم ضربوا عنقَه ، ونصبوا رأسه على محراك تَنّور ، وقصدت العامة بسامرّا الانتهاب لمنازل وصيف وولده ، فرجع بنو وَصيف، فمنعوا منازلهم ، ثم جعل المعتزّ ما كان إلى وصيف من الأمور إلى بُغا الشرابىّ .

٣/١٦٨٨

* * *

[ذكر الخبر عن قتل بندار الطبرىّ]

وفى يوم الفِطْر(٢) من هذه السنة قُتل بندار الطبرىّ .

* ذكر سبب قتله :

٣/١٦٨٩

فكان سبب ذلك أنه حكّم بالبوازيج محكّم يدعى مُساور بن عبد الحميد، فى رجب من هذه السنة ، فوجّه المعتزّ إليه فى شهر رمضان ساتكين ، فمال إلى ناحية طريق خراسان ، فوجّه محمد بن عبد الله إليه؛ وذلك أنّ طريق خراسان كان إليه بندار ومظفر بن سيسل مَسْلَحة،فلما صارا بدسْكرة الملك أقاما ؛ فذُكِر أنّ بندار خرج فى آخر يوم من شهر رمضان متصيّداً ، فبَعُد فى

(١) س : « منازل » .

(٢) ف : « العيد » .

طلب الصَّيْد حتى جاوز دُور الدَّسْكرة بنحو[1] فرسخ ؛ فبينا هو كذلك ؛ إذنظر إلى عَلَمين مقبلين معهما جماعة مُقْبلة نحو الدَّسْكرة، فوجَّه بعض أصحابه لينظر ما الأعلام ؛ فأخبره صاحب الجماعة أنه عامل كَرْخ جُدَّان ، وأنه انتهى إليه أنّ رجلا يقال له مساور بن عبد الحميد من الدَّهاقين من أهل البوازيج شَرَى[2] ، وأنه بلغه أنه يصير إلى كَرْخ جُدَّان ؛ فلما بلغه ذلك خرج هارباً إلى الدَّسْكرة ليأنس بقرب بندار ومظفر ؛ فانصرف بُنْدار من ساعته إلى المظفّر فقال له : إن الشارى يقصد كَرْخ جُدَّان ، ويريدنا ؛ فامض بنا نتلقّاه ، فقال له المظفّر : قد أمسينا ونريد أن نصلّيَ الجمعة ، وغداً العيد ؛فإذا انقضى العيد قصدناه . فأبى بُنْدار ، ومضى من ساعته طمعاً بالمظفر الشاري وحدَه دون مظفّر ؛فأقام مظفّر ولم يبرح من الدَّسكرة — وبين الدسكرة وتَلّ عُكْبَراء ثمانية فراسخ ، وبين تل عُكْبَراء وموضع الوقعة أربعة فراسخ — فصار بُنْدار إلى تلّ عُكبراء ، فوافاها عند العتمة ليلة الفطر[3]. فعلف دوابه شيئاً ، ثم ركب ، فسار حتى أشرف على عسكر الشارى ليلاً وهم يصلّون ويقرءون القرآن ؛ فأشار عليه بعضُ أصحابه وخاصّته أن يبيّتهم وهم غارُّون ، فأبى وقال : لا ؛ حتى أنظر إليهم وينظروا إليّ. فوجّه فارسيْن أو ثلاثة ليأتوه بخبرهم ؛ فلمّا قَرُبوا من عسكرهم نَذِروا بهم ، فصاحوا : السلاح ! وركبوا فتواقَفُوا إلى أن أصبحوا ، ثم اقتتلوا ، فلم يمكن أصحابَ بندار أن يرموا بسَهْم واحد ، وكانوا زهاء ثلثمائة فارس وراجل فعبّاهُم ميمنة وميسرة وساقة ، وأقام هو في القلب ، فحمل عليهم مساور وأصحابُه ، فثبت لهم بُنْدار وأصحابه؛ ثم انحدر لهم الشُّرَاة عن موضع عسكرهم ومبيتهم ؛ ليطمع بندار وأصحابه في النَّهْب ، فلم يعرض بُنْدار وأصحابه لعسكرهم . ثم كرّ الشُّرَاة عليهم بالسيوف والرماح ، وهم زهاء سبعمائة ؛ فصبر الفريقان ، فصار الشراة إلى السيوف دون الرماح ، فقتل من الشُّراة نحو من خمسين رجلا ، ومن أصحاب بندار مثلهم ، ثم حمل الشراة حملةً ، فاقتطعوا من أصحاب بُندار نحواً من

٣/١٦٩٠

(١) ف : « بنحو من فرسخ » .
(٢) شرى ، أى رأى الخوارج .
(٣) ف : « ليلة العيد » .

مائة رجل، فصبر لهم المائة ساعة ، ثم قُتِلوا جميعاً ، وانهزم بُندار وأصحابه ، فجعلوا يقتطعونهم قطعة بعد قطعة فيقتلونهم . وأمعن بُندار فى الهَرب ، فطلبوه فلحقوه بقرب تلّ عُكْبَراء على قَدْر أربعة فراسخ من موضع الوقعة ؛ فقتلوه ونصبوا رأسَه ، ونجا مِنْ أصحاب بُندار نحو من خمسين رجلا — وقيل مائة رجل — انحازوا عن[1] الوقْعَة عند اشتغال الخوارج بمَنْ كانوا يقتطعون[2] منهم ، وانتهى خبرُه إلى مظفَّر وهو مقيم بالدَّسْكرة ، فتنحَّى من الدَّسكرة إلى ما قَرُب من بغداد ، ووصل خبرُ مقتله إلى محمد بن عبد الله بعد[3] الفِطْر ، فذُكِر أنه لم يشرب ولم يَلْهُ كما كان يفعل ؛ غمًّا بما ورد عليه من مقتله . ثم مضى مُساور من فوره إلى حُلوان ؛ فخرج إليه أهلها فقاتلوه ، فقتل منهم أربعمائة إنسان ، وقتلوا جماعة من أصحاب الشارِى ، وقُتِل عدّةٌ من حجّاج خراسان كانو بحُلوَان ، فأعانوا أهلَ حُلْوان ، ثم انصرفوا عنهم .

١٦٩١/٣

* * *

[ذكر خبر موت محمد بن عبد الله بن طاهر]

وليلة أربع عشرة من ذى القعدة منها ، انخسف[4] القمر ؛ فغرِق[5] كله أو غاب أكثره ؛ ومات محمد بن عبد الله بن طاهر مع انتهاء خسوفه[6] — فيما ذكر — وكانت علّته التى مات فيها قروحاً أصابته فى حَلْقِه ورأسه فذبحته . وذكر أن القروح التى كانت فى حَلْقه ورأسه كانت تدخل فيها الفتائل ؛ فلما مات تنازع الصلاةَ عليه أخوه عُبيد الله وابنه طاهر ؛ فصلّى عليه ابنُه . وكان أوصى بذلك — فيما قيل .

ثم وقع بين عبيد الله بن عبد الله أخى محمد بن عبد الله وبين حشم محمد بن عبد الله تنازعٌ حتى سلوا السيوف عليه ، ورُمى بالحجارة ، ومالت الغوغاء والعامة وموالى إسحاق بن إبراهيم مع طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر ، ثم صاحوا : طاهر يا منصور ؛ فعبَر عبيدُ الله إلى ناحية الشرقية إلى داره ،

١٦٩٢/٣

(١) ف : « من الوقعة » .
(٢) س : « يقطعون » .
(٣) ف : « بعد الفطر » .
(٤) ف : « انكسف » .
(٥) س : « فعرف » .
(٦) ف : «كسوفه » .

ومال معه القوّاد لاستخلاف محمد بن عبد الله كان إياه على أعماله ووصيّته بذلك، وكتابه بذلك إلى عمّاله، ثم وجّه المعتزّ الخلع وولاية بغداد إلى عبيدالله ، وأمر عبيد الله للذى أتاه بالخلع من قِبَل المعتزّ فيما قيل بخمسين ألف درهم .

* * *

نسخة الكتاب الذى كتبه محمد بن عبد الله إلى عمّاله باستخلافه أخاه عبيد الله بعده :

أما بعد فإنّ الله عزّ وجل جعل الموت حَتْماً مقضيًّا جارياً على الباقِين من خلقه ، حسبما جرى على الماضين ؛ وحقيق على من أعْطِيَ حظًّا من توفيق الله ، أن يكون على استعداد لحلول ما لابدّ منه ولا محيص عنه فى كلّ الأحوال . وكتابى هذا وأنا فى علّة قد اشتدّ الإشفاق منها ، وكاد الإياس يغلب على الرّجاء فيها ؛ فإن يَبْلُ الله ويدفعُ فبقدرته وكريم عادته ؛ وإن يَحْدُث بى الحدثُ الذى هو سبيل الأولين والآخرين ؛ فقد استخلفتُ عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين أخى الموثوق باقتفائه أثرى، وأخذه بسدّ ما أنا بسبيله من سلطان أمير المؤمنين إلى أن يأتيَه من أمره ما يعمل بحسبه ؛ فاعلمْ ذلك وائتمر فيما تتولاّه بما يرِد به كتب عبيد الله وأمره إن شاء الله .

وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

* * *

وفيها نفى المعتزُّ أبا أحمد بن المتوكل إلى واسط ، ثم إلى البصرة ، ثم رُدّ إلى بغداد ، وأنزل إلى الجانب الشرقىّ فى قصر دينار بن عبد الله . ٣/١٦٩٢

وفيها نفى أيضاً علىّ بن المعتصم إلى واسط ثم رُدّ إلى بغداد فيها .

وفيها مات مزاحم بن خاقان بمصر فى ذى الحجة .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبى .

وفيها غزا محمد بن معاذ بالمسلمين فى ذى القعدة من ناحية ملَطْية ، فهزِموا وأسر محمد بن معاذ .

وفيها التقى موسى بن بُغا والكوكبيّ الطالبيّ على فرسخ من قَزْوين يوم الاثنين سَلْخ ذى القعدة منها ، فهزم موسى الكوكبيّ ، فلحق بالدّيْلم ، ودخل موسى بن بُغا قَزْوين .

وذكر لى بعض مَنْ شهد الوقعة ، أنّ أصحاب الكوكبيّ من الدّيلم لما التقوْا بموسى وأصحابه صفّوا صفوفاً ، وأقاموا تِرَستهم فى وجوههم يتّقون بذلك سهام أصحاب موسى ؛ فلما رأى موسى أنّ سهام أصحابه لا تصل إليهم مع ما قد فعلوا ، أمر بما معه من النِّفط أن يُصَبّ فى الأرض التى التقى هو وهم فيها ؛ ثم أمر أصحابه بالاستطرادِ لهم ، وإظهار هزيمة منهم ؛ ففعل ذلك أصحابه ؛ فلمّا فعلوا ذلك ظنّ الكوكبيّ وأصحابه أنهم انهزموا[1] ؛ فتبعوهم . فلما علم موسى أن أصحاب الكوكبيّ قد توسطوا النّفْط أمر بالنار فأشعلتْ فيه ، فأخذتْ فيه النّار ، وخرجت من تحت أصحاب الكوكبيّ ، فجعلت تحرقهم ؛ وهرب الآخرون . وكان هزيمة القوم عند ذلك ودخول موسى قَزْوين . ١٦٩٤/٣

وفيها لقى خطارمش مساور الشارى بناحية جَلولاء فى ذى الحجة ، فهزمه مساور .

(١) ف : « قد هزموا » .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من مقتل بغا الشرابىّ .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

* * *

[ذكر خبر مقتل بغا الشرابىّ]

ذُكِر أنّ السبب فى ذلك كان أنه كان يحضّ المعتزّ على المصير إلى بغداد ، والمعتزّ يأبى ذلك عليه . ثم إن بُغا اشتغل مع صالح بن وصيف فى خاصته بعُرس جمعة بنت بُغا ؛ كان صالح بن وصيف تزوّجها للنصف من ذى القعدة ؛ فركب المعتزّ ليلاً ، ومعه أحمد بن إسرائيل إلى كرْخ سامرّا يريد بايكباك ومَنْ كان معه على مثل ما هو عليه من انحرافه عن بُغا . وكان سببُ انحرافه عنه — فيما ذكر — أنهما كانا فى شراب لهما يشربانه ، فعربد أحدُهما على صاحبه ؛ فتهاجرا لذلك ؛ وكان بايكباك بسبب ذلك هارباً من بُغا مستخفياً منه ؛ فلما وافَى المعتزّ بمَنْ معه الكرْخ اجتمع مع بايكباك أهلُ الكَرْخ وأهل الدُّور ، ثم أقبلوا مع المعتزّ إلى الجوسق بسامُرّا ؛ وبلغ ذلك بُغا ، فخرج فى غلمانه وهم زُهاء خمسمائة ومثلهم من ولده وأصحابه وقوّاده ، وصار إلى نهر نَيـْزك ، ثم انتقل إلى مواضع ، ثم صار إلى السنّ ، ومعه من العين تسع عشرة بَدْرة دنانير ومائة بَدْرة دراهم ؛ أخذها من بيت ماله وبيوت أموال السلطان ؛ فأنفق منها شيئاً يسيراً حتى قُتِل[1] . ٣/١٦٩٥

وذكر أنه لما بلغه أن المعتزّ قد صار إلى موضع الكرْخ مع أحمد بن إسرائيل خرج فى خاصّة قوّاده حتى صار إلى تَلّ عُكْبَرَاء ، ثم مضى فصار إلى السنّ ؛ فشكا أصحابُه بعضُهم إلى بعض ما هم فيه من العسف[2] ، وأنهم

(١) ف : « إلى أن قتل » .

(٢) ف : « القشف » .

لم يخرجوا معهم بمضارب ، ولا ما يتدفّئون به من البرد ، وأنهم فى شتاء . وكان بُغا فى مضرب له صغير على دِجْلة ،كان يكون فيه ، فأتاه[1] ساتكين ، فقال : أصلح الله الأمير ! قد تكلّم أهل العسكر ، وخاضوا فى كذا وأنا رسولهم إليك ، فقال: كلّهم يقول مثل قولك[2]؟ قال : نعم؛ وإن شئت فابعثْ إليهم حتى يقولوا مثل قولى ،قال : دعْنى الليلة حتى أنظر،ويخرج إليكم أمرى بالغَداة، فلما جنّ عليه الليل دعا بزَوْرق ، فركبه مع خادمين معه ، وحمل معه شيئاً من المال ، ولم يحمل معه سلاحًا ولاسِكّينًا ولا عَموداً ، ولا يعلم أهل عسكره بذلك من أمره ، والمعتزّ فى غَيْبة بُغا لا ينام إلاّ فى ثيابه، وعليه السلاح ، ولا يشرب نبيذًا ، وجميع جواريه على رجل . فصار بُغا إلى الجسر فى الثلث الأوّل من الليل؛ فلما قارب الزّورق الجسر بعث الموكّلون به مَن فى الزَّوْرق ، فصاح بالغلام ، فرجع إليهم . وخرج بُغا فى البستان الخاقانىّ ، فلحقه عدّة منهم ؛ فوقف لهم وقال : أنا بُغا . ولحقه[3] وليد المغربىّ ، فقال له : ما لك جعلت فداك ! فقال : إما أن تذهب[4] بى إلى منزل صالح بن وصيف ، وإما أن تصيروا معى إلى منزلى ؛حتى أحسن إليكم. فوكّل[5] به وليد المغربىّ ، ومرّ يركض[6] إلى الجوْسق ، فاستأذن على المعتزّ،فأذن له ، فقال : ياسيدى هذا بُغا قد أخذته ووكّلت به ، قال : ويلك ! جئنى برأسه ؛ فرجع وليد ، فقال للموكلين به : تنحَّوْا عنه حتى أبلغه الرّسالة ، فتنحَّوْا عنه ، فضربه ضربة على جبهته ورأسه ؛ ثم تناهى على يديْه فقطعهما ، ثم ضربه حتى صرعه وذبحه ، وحمل رأسه فى بِرْكة قبائه ، وأتى به المعتزّ ؛ فوهب له عشرة آلاف دينار ، وخلع عليه خِلعة ، ونصب رأسَه بسامرّا ؛ ثم ببغداد ، ووثبت المغاربة على جُثّته ، فأحرقوه بالنار ؛ وبعث المعتزّ من ساعته إلى أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخْلد وأبى نوح ، فأحضرهم وأخبرهم، وتتبّع عبيد الله بن طاهر بنيه ببغداد ؛ وكانوا صاروا إليها هُرّابًا مع قوم يثقون بهم؛ فاستتروا عندهم

٣/١٦٩٦

---

(١) س : « وأتاه » .
(٢) س : «ذلك » .
(٣) س : « ولقيه » .
(٤) س : « إنما أريد » .
(٥) ف : « فوجه » .
(٦) ف : « ثم فر يركض » .

فذكر أنه حُبِس فى قصر الذّهب من ولده وأصحابه[١] ، خمسة عشر إنسانًا ، وفى المطْبق عشرة . ٣/١٦٩٧

وقيل : إنّ بُغا لمّا[٢] انحدر إلى سامرّا ليلةَ أخِذ شاور أصحابه فى الانحدار إليها مكتتماً ، فيصير إلى منزل صالح بن وصيف ، وإذا قرب العيد دخل أهل العسكر ، وخرج هو وصالح بن وصيف وأصحابُه ، فوثبوا بالمغاربة ، فوثبوا بالمعتزّ .

* * *

وفيها عقد صالح بن وصيف لديوداد على ديار مُضَر وقِنّسْرين والعواصم فوثبوا بالمعتزّ فى ربيع الأوّل منها .

وفيها عقد بايكباك لأحمد بن طولون على مصر .

وفيها أوقع مفلح وباجور بأهل قمّ ، فقتلا منهم مقتلة عظيمة ؛ وذلك فى شهر ربيع الأوّل منها .

وفيها مات على بن محمد بن على بن موسى الرضا يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة ، وصلّى عليه أبو أحمد بن المتوكل فى الشارع المنسوب إلى أبى أحمد ، ودفن فى داره .

وفيها فى جمادى الآخرة وافى الأهواز دُلف بن عبد العزيز بن أبى دُلف بتوجيه والده عبد العزيز إيّاه إليها وجُنْدَىْ سابور وتُسْتَر ، فجباها مائتى ألف دينار ثمّ انصرف .

وفى شهر رمضان منها شخص نوشرى إلى مُساور الشارى فلقيَه وهزمه ، وقتل من أصحابه جماعة كثيرة .

وحجّ بالناس فى هذه السنة علىّ بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد . ٣/١٦٩٨

(١) س : « وصحابته » .

(٢) س : « إنما » .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من دخول مُفْلِح طَبَرستان ووقْعة كانت بينه وبين الحسن بن زيد الطالبيّ، هزم فيها مُفْلح الحسنَ بن زيد، فلحق(١) بالدّيلم، ثم دخل مفلح آمُل، وأحرق منازل الحسن بن زيد، ثم توجّه نحو الديلم فى طلب الحسن بن زيد.

* * *

[ذكر خبر استيلاء يعقوب بن الليث على كرمان]

وفيها كانت وقعة بين يعقوب بن الليث وطوق بن المغلِّس خارج كِرْمان أسر فيها يعقوب طوقًا؛ وكان السبب فى ذلك – فيما ذكر – أنّ علىّ بن الحسين بن قُرَيش بن شِبْل كتب إلى السلطان يخطُب كِرْمان – وكان قَبْلُ من عمّال آل طاهر – وكتب يذكر ضعف آل طاهر وقلة ضبطهم، بما إليهم من البلاد، وأنّ يعقوب بن الليث قد غَلَبهم على سجستان، وتباطأ على السلْطان بتوجيه خراج فارس؛ فكتب السلطان إليه بولاية كِرْمان، وكتب إلى يعقوب بولايتها يلتمس بذلك إغراءَ كلّ واحد منهما بصاحبه ليسقط مؤنة الهالك منهما عنه ويتفرّد بمُؤْنة الآخر؛ إذ كان كلّ واحد منهما عنده حربًا له وفى غير طاعته؛ فلما فعل ذلك بهما زحف يعقوب بن الليث من سِجِسْتان يريد كِرْمان، ووجّه علىّ بن الحسين طوق بن المغلّس وقد بلغه خبر يعقوب وقصده كِرْمان فى جيش عظيم من فارس، فصار طوق بكِرْمان، وسبق يعقوب إليها فدخلها، وأقبل يعقوب من سِجِسْتان، فصار من كِرْمان على مرحلة.

٣/١٦٩٩

فحدثنى مَنْ ذكر أنه كان شاهداً أمرهما، أن يعقوب بقىَ مقيماً فى

---

(١) س: «فألحق».

الموضع الذى أقام به من كِرْمان على مرحلة لا يرتحل عنه شهراً أو شهرين ، يتجسّس[1] أخبار طَوْق ؛ ويسأل عن أمره كلّ من مَرّ به خارجًا من كِرْمان إلى ناحيته ، ولا يَدَع أحداً يجوز عسكره من ناحيته إلى كِرْمان ، ولا يزحف طَوْق إليه ولاهو إلى طَوْق. فلما طال ذلك من أمرهما كذلك أظهر يعقوب الارتحال عن معسكره[2] إلى ناحية سِجِسْتان، فارتحل عنه مرحلة. وبلغ طوْقًا ارتحالُه ، فظنّ أنه قد بدا له فى حربه[3] ، وترك عليه كِرْمان وعلىّ بن الحسين ؛ فوضع آلة الحرْب ، وقعد للشرب ، ودعا بالملاهى ، ويعقوب فى كلّ ذلك لا يغفل عن البحث عن أخباره . فاتصل به وضع طوْق آلة الحرب وإقباله على الشراب واللهو بارتحاله[4] ؛ فكرّ راجعاً، فطوى المرحلتيْن إليه فى يوم واحد ، فلم يشعر طوْق وهو فى لهوه وشربه[5] فى آخر نهاره إلا بغَبَرة قد ارتفعت من خارج المدينة التى هو فيها من كِرْمان ، فقال لأهل القرية : ما هذه الغَبرة ؟ فقيل له : غَبَرة مواشى أهل القرية منصرفة إلى أهلها ، ثم لم يكن إلا كلا ولا[6] ؛ حتى وفاه يعقوب فى أصحابه، فأحاط به وبأصحابه ؛ فذهب أصحاب طوق لمّا أحيط بهم يريدون المدافعة عن أنفسهم ، فقال يعقوب لأصحابه : أفرِجوا للقوم، فأفرَجوا لهم ، فمرُّوا هاربين على وجوههم ، وخلَّوْا كلّ شىء[7] لهم مما كان معهم فى معسكرهم ، وأسر يعقوب طَوْقًا .

١٧٠٠/٣

فحدثنى ابنُ حماد البربرىّ أن علىّ بن الحسين لمّا وَجّه طوقًا حمّله صناديق فى بعضها أطواقه وأسورة ليطوّق ويسوّر من أبلى معه من أصحابه ، وفى بعضها أموال ليجيز من استحقّ الجائزة منهم، وفى بعضها قيود وأغلال ليقيّد بها مَنْ أخذ من أصحاب يعقوب ؛ فلما أسَر يعقوب طَوقًا ورؤساء الجيش الذين كانوا معه أمر بحيازة كلّ ما كان مع طَوْق وأصحابه من المال والأثاث والكُراع والسلاح، فحيزَ ذلك كله ،وجُمع إليه ؛ فلما أُتِىَ بالصناديق أُتِىَ بها مقفلَة،

١٧٠١/٣

(١) ب « يتحسس ».
(٢) ب : « من معسكره » .
(٣) ب : « حده » .
(٤) س : « وارتحاله » .
(٥) ف : « ولعبه » .
(٦) س : « مديدة » .
(٧) ب . « عن كل شىء » .

فأمر ببعضها أن يُفتح ، ففتح فإذا فيه القيود والأغلال ، فقال لطَوْق : يا طوْق ؛ ما هذه القيود والأغلال ؟ قال : حمّلنيها علىّ بن الحسين لأقيّد بها الأسرى وأغلّهم بها ، فقال : يا فلان ، انظر أكبرها وأثقلها فاجعله فى رجلْى طَوْق وغُلّه بغُلّ . ثم جعل يفعل مثل ذلك بمن أسر من أصحاب طوق . قال : ثمّ أمر بصناديق أخَر ففتحت ؛ فإذا فيها أطوقة وأسورة ، فقال : يا طوْق . ما هذه ؟ قال : حمّلنيها علىّ لأطوّق بها وأسوّر أهل البلاء من أصحابى ، قال : يا فلان ؛ خذ من ذلك طَوْق كذا وسوار كذا ، فطوّق فلاناً وسوّره ، ١٧٠٢/٣ ثم جعل يفعل ذلك بأصحاب نفسه حتى طوّقهم وسوّرهم ، ثم جعل يفعل كذلك بالصناديق . قال : ولما أمر يعقوب بمدّ يد طوق ليضعها [1] فى الغلّ ، إذا على ذراعه عصابة ، فقال له : ما هذا يا طوق ؟ قال : أصلح الله الأمير ! إنى [2] وجدت حرارة ففصدتها ، فدعا بعض من معه فأمر بمدّ خفه من رجله ففعل ذلك ، فلما نزعه من رجله تناثر من خُفّه كسر خبز يابسة . فقال : يا طوْق هذا خفّى لم أنزعه من رجلى منذ شهرين ، وخبزى فى خفّى منه آكل لا أطأ فراشاً ، وأنت جالس فى الشرب [3] والملاهى ! بهذا التدبير أردت حربى وقتالى !

فلمّا فرغ يعقوب بن الليث من أمر طَوْق دخل كِرْمان وحازها وصارت مع سِجِسْتان من عمَله .

* * *

[ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث فارس]

وفيها دخل يعقوب بن الليث فارس وأسر علىّ بن الحسين بن قريش .

• ذكر الخبر عن سبب أسره إياه وكيف وصل إليه :

حدّثنى ابن حمّاد البربرىّ ، قال : كنتُ يومئذ بفارس عند علىّ بن الحسين بن قريش ، فورد عليه خبر وقْعة يعقوب بن الليث بصاحبه طَوْق ابن المغلّس ودخول يعقوب كِرْمان واستيلائه عليها ، ورجع إليه الفَلّ ، فأيقن ١٧٠٣/٣ بإقبال يعقوب إلى فارس ؛ وعلىّ يومئذ بشِيراز من أرض فارس ، فضمّ إليه

(١) ف : « ليجعلها » . (٢) ب ، ف : « كنت » .
(٣) ب : « الشراب » .

جيشه ورجّالة الفلّ من عند طَوْق وغيرهم ، وأعطاهم السلاح ، ثم برز من شيراز ، فصار إلى كُرّ خارج شيراز بين آخر طرفه عرضًا ممّا يلى أرض شيراز، وبين عَرْض جبل بها من الفضاء قدرُ ممرّ رجل أو دابة ، لا يمكن من ضيقه أن يمرّ فيه أكثر من رجل واحد . فأقام فى ذلك الموضع ، وضرب عسكره على شطّ ذلك الكُرّ مما يلى شيراز، وأخرج معه المتسوّقة[1] والتجار من مدينة شيراز إلى مُعسكره ، وقال : إن جاء يعقوب لم يجد موضعًا يجوز الفلاة إلينا ؛ لأنه لا طريق له إلا الفضاء الذى بين الجبل والكرّ ؛ وإنما هو قدر ممرّ رجل ؛ إذا أقام عليه رجل واحد منع من يريد أن يجوزه ، وإن لم يقدر أن يجوز إلينا بقى فى البرّ بحيث لا طعام له ولا لأصحابه ولا علَف لدوابهم .

قال ابن حماد : فأقبل يعقوب حتى قَرُب من الكُرّ ، فأمر أصحابه بالنزول أوّل يوم على نحو من ميل من الكُرّ مما يلى كِرْمان ، ثم أقبل هو وحده وبيده رمح عُشارِىّ ؛ يقول ابن حماد : كأنى أنظر إليه حين أقبل وحدَه على دابته ، ما معه إلا رجل واحد ، فنظر إلى الكُرّ والجبل والطريق ، وقرب من الكرّ ، وتأمل عسكر[2] علىّ بن الحسين ، فجعل أصحاب على يشتمونه[3] ، ويقولون : لنردنّك إلى شَعْب المراجل والقماقم ، يا صفّار — وهو ساكت لا يردّ عليهم شيئًا — قال : فلمّا تأمل ما أراد من ذلك ورآه ، انصرف راجعًا إلى أصحابه . قال : فلمّا كان من الغد عند الظهر أقبل بأصحابه ورجاله حتى صار على شطّ كُرّ مما يلى برّ كِرمان ، فأمر أصحابه فنزلوا عن دوابهم ، وحطّوا أثقالهم . قال : ثم فتح صندوقًا كان معه . ٣/١٧٠٤

قال ابن حماد : كأنى أنظُر إليهم وقد أخرجوا كلبًا ذئبيًّا ، ثم ركبوا دوابّهم أعراء ، وأخذوا رماحهم بأيديهم . قال : وقبل ذلك كان قد عبّأ علىّ ابن الحسين أصحابَه ، فأقامهم صفوفًا على الممرّ الذى بين الجبل والكُرّ ؛ وهم يرون أنه لا سبيل ليعقوب ، ولا طريق له يمكنه أن يجوزه غيره . قال : ثم

---

(١) ب « السوقة » .
(٢) س : « وقام من معسكر » .
(٣) س : « يسبونه » .

جاءوا بالكلب ، فرموا به فى الكُرّ ، ونحن وأصحاب علىّ ينظرون إليهم يضحكون منهم ومنه . قال: فلما رموا بالكلب فيه ، جعل الكلب يسبَح فى الماء إلى جانب عسكر علىّ بن الحسين ، وأقحم أصحاب يعقوب دوابّهم خلْف الكلب ، و بأيديهم رماحُهم، يسيرون فى أثر الكلب . فلما رأى علىّ ابن الحسين أن يعقوب قد قطع عامّة الكُرّ إليه وإلى أصحابه، انتقض عليه تدبيرُه، وتحيّر فى أمره ؛ ولم يلبث أصحاب يعقوب إلا أيسر ذلك حتى خرجوا من الكُرّ من وراء أصحاب علىّ بن الحسين ؛ فلم يكن بأسرَع من أن خرج أوائلهم منه حتى هرب أصحاب علىّ يطلبون مدينة[1] شيراز ، لأنهم كانوا يصيرون إذا خرج أصحاب يعقوب من الكرّ بين جيش يعقوب وبين الكُرّ ، ولا يجدون ملجأ إن هُزموا . وانهزم علىّ بن الحسين بانهزام أصحابه ؛ وقد خرج أصحاب يعقوب من الكُرّ ، فكبتْ به دابته ، فسقط إلى الأرض ولحقه بعض السِّجْزيّة فهمّ عليه بسيفه ليضربَه ؛ فبلغ إليه خادم له ، فقال : الأمير . فنزل إليه السجزىّ ، فوضع فى عنقه عمامته ، ثم جرّه إلى يعقوب ، فلما أتى به أمر بتقييده ، وأمر بما كان فى عسكره من آلة الحرب من السلاح والكُراع وغير ذلك، فجُمع إليه، ثم أقام بموضعه حتى أمسى ، وهجم عليه اللّيل ، ثم رحل من موضعه. ودخل مدينة شِيراز ليلا وأصحابه يضربون بالطّبول ، فلم يتحرّك فى المدينة أحد، فلمّا أصبح أنهب[2] أصحابه دار علىّ بن الحسين ودور أصحابه ؛ ثم نظر إلى ما اجتمع فى بيت المال من مال الخرَاج والضِّياع ، فاحتمله ووضع الخراج ، فجباه ، ثم شخص منها متوجِّهًا إلى سِجِستان ، وحمل معه ابن قريش ومَنْ أسِرَ معه .

* * *

وفيها وجّه يعقوب بن الليث إلى المعتزّ بدوابّ و بُزاة ومِسْك هديّةً .

وفيها ولِىَ سليمان بن عبد الله بن طاهر شرطة بغداد والسواد، وذلك لستّ خلون من شهر ربيع الآخر ، وكانت موافاته سامُرّا من خُراسان — فيما ذكر —

(١) ب : « الهرب إلى مدينة شيراز » . (٢) ف : « انتهب » .

يوم الخميس لثمان خلَوْن من شهر ربيع الأوّل، وصار إلى الإيتاخية، ثم دخل على المعتزّ يوم السبت، فخلع عليه وانصرف .

وفيها كانت وقعة بين مساور الشارى ويارجوخ، فهزمه الشارى وانصرف إلى سامُرّا مفلولا .

ومات المعلّى بن أيوب فى شهر ربيع الآخر منها .

* * *

[ذكر فعل صالح بن وصيف مع أحمد بن إسرائيل ورفيقيه]

وفيها أخذ صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخْلد وأبا نوح عيسى بن إبراهيم فقيَّدهم، وطالبهم بأموال؛ وكان سبب ذلك — فيما ذكر — أنّ هؤلاء الكتّاب الذين ذكرتُ كانوا اجتمعوا يوم الأربعاء لليلتين خلَتا من جمادى الآخرة من هذه السّنة على شراب لهم يشربونه، فلمّا كان يوم الخميس غد ذلك اليوم، ركب ابن إسرائيل فى جَمْع عظيم إلى دار السلطان التى يَقْعُد فيها، وركب ابن مخْلد إلى دار قَبيحة أمّ المعتز — وهو كاتبها — وحضر أبو نوح الدّار، والمعتز نائم؛ فانتبه قريباً من انتصاف النهار، فأذن لهم، فحمل صالح بن وصيف على أحمد بن إسرائيل، وقال للمعتزّ: يا أميرَ المؤمنين؛ ليس للأتراك عطاء ولا فى بيت المال مالٌ؛ وقد ذهب ابن إسرائيل وأصحابُه بأموال الدنيا، فقال له أحمد: يا عاصى يا بن العاصى! ثم لم يزالا يتراجعان الكلام حتى سقط صالح مغشيًّا عليه، فرُشّ على وجهه الماء. وبلغ ذلك أصحابه وهم على الباب، فصاحوا صيحةً واحدة، واخترطُوا سيوفَهم، ودخلوا على المعتزّ مُصْلِتين؛ فلما رأى ذلك المعتزّ دخل وتركهم، وأخذ صالح بن وصيف ابنَ إسرائيل وابنَ مخلد وعيسى بن إبراهيم فقيّدهم، وأثقلهم بالحديد، وحملهم إلى داره، فقال المعتزّ لصالح قبل أن يحملهم: هَبْ لى أحمد؛ فإنه كاتبى؛ وقد ربّانى؛ فلم يفعل ذلك صالح، ثم ضرب ابن إسرائيل؛ حتى كسرت أسنانُه، وبطح ابن مخْلد فضُرِب مائة سوط؛ وكان عيسى بن إبراهيم محتجِماً فلم يزل يُصفع حتى جَرت الدماء من محاجمه؛ ثم لم يُتركوا حتى أخِذت رقاعهم بمالٍ جليل قُسّط عليهم .

١٧٠٧/٣

وتوجّه قوم من الأتراك الى إسكاف ليأتوا بجعفر بن محمود ، فقال المعتزّ : أمّا جعفر فلا أرَبَ لى فيه ولا يعمل لى . فمضوا ، فبعث المعتزّ إلى أبى صالح عبد الله بن محمد بن يزداد المروزىّ، فحمِل ليصيّره وزيراً ، وبعث إلى إسحاق ابن منصور ، فأشخص. وبعثت قبيحة إلى صالح بن وصيف فى ابن إسرائيل: إمّا حملتَه إلى المعتزّ وإما ركبتُ إليك فيه .

٣/١٧٠٨

وقد ذُكر أنّ السبب فى ذلك كان أنّ الأتراك طلبوا أرزاقَهم ، وأنهم جعلوا ذلك سبباً لما كان من أمرهم ، وأنّ الرسلَ لم تزل تختلف بينهم وبين هؤلاء الكتّاب ؛ إلى أن قال أبو نوح لصالح بن وصيف : هذا تدبيرك على الخليفة ، فغُشِيَ على صالح حينئذ مما داخله من الحرَد والغَيْظ حتى رشّوا على وجهه الماء ، فلمّا أفاق جرى بين يدى المعتزّ كلام كثير ، ثم خرجوا إلى الصلاة ، وخلا صالح بالمعتزّ ، ثم دُعِيَ بالقوم فلم يلبثوا إلا قليلا ، حتى أخرِجوا إلى قُبّة فى الصحن ؛ ثم دُعِي بأبى نوح وابن مخلد فأخذت سيوفُهما وقلانسهما ومُزِّقت ثيابهما ، ولحقهما ابن إسرائيل فألقى نفسه عليهما ؛ فثُلِّث به ؛ ثم أخرجوا إلى الدهليز وحُمِلوا على الدواب والبغال ، وارتدف خلف كلّ واحد منهم تركىّ ، وبعث بهم إلى دار صالح على طريق الحيْر ، وانصرف صالح بعد ساعة ، وتفرّق الأتراك ، فانصرفوا . فلما كان بعد ذلك بأيام جُعل فى رجْل كلّ[1] واحد منهم ثلاثون رطلا ، وفى عنق كل واحد منهم عشرون رطلا من حديد ، وطولبوا بالأموال ، فلم يُجب واحد منهم إلى شىء ؛ ولم ينقطع أمرُهم إلى أن دخل رجب ؛ فوُجّهوا فى قبض ضياعهم ودورهم وضياع أسبابهم وأموالهم ، وسُمّوا الكتّاب الخونة ، فقدم جعفر بن محمود يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة فولِيَ الأمر والنهى .

٣/١٧٠٩

* * *

ولليلتين خلَتَا من رجب ظهر بالكوفة عيسى بن جعفر وعلىّ بن زيد الحسنيّان ، فقتلا بها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى .

* * *

(١) ف : « فى كعب كل رجل » .

[ذكر الخبر عن خلع المعتزّ ثم موته]

ولثلاث بقين من رجب منها خُلع المعتزّ . ولليلتين خلتا من شعبان أظهر موته ؛ وكان سبب خلعه — فيما ذكر — أن الكتّاب الذى ذكرنا أمرهم ، لمّا فعل بهم الأتراك ما فعلوا ، ولم يُقرّوا لهم بشىء ، صاروا الى المعتزّ يطلبون أرزاقهم ، وقالوا له : أعطِنا أرزاقنا حتى نقتُل لك صالح بن وصيف ، فأرسل المعتزّ إلى أمه يسألها أن تعطيَه مالا ليعطيَهم ، فأرسلت إليه : ما عندى شىء ، فلما رأى الأتراك ومَنْ بسامُرّا من الجند أن قد امتنع الكُتّاب من أن يُعطوهم شيئًا ، ولم يجدوا فى بيت المال شيئًا ، والمعتزّ وأمه قد امتنعا من أن يَسْمَحا لهم بشىء ؛ صارت كلمة الأتراك والفراغنة والمغاربة واحدةً ، فاجتمعوا على خَلْع المعتزّ ، فصاروا إليه لثلاث بَقِين من رجب؛ فذكر بعض أسباب السلطان أنه كان فى اليوم الذى صاروا إليه عند نحرير الخادم فى دار المعتز ، فلم يَرُعْه إلا صياح القوم من أهل الكَرْخ والدُّور ، وإذا صالح بن وصيف وبايكباك ومحمد بن بُغا المعروف بأبى نصر ، قد دخلوا[1] فى السلاح ، فجلسوا على باب المنزل الذى ينزله المعتزّ ، ثم بعثوا إليه: اخرُج إلينا ، فبعث إليهم : إنى أخذت الدّواء أمس ، وقد أجفلنى اثنتى عشرة مرّة ؛ ولا أقدر على الكلام من الضعف ؛ فإن كان أمراً لا بدّ منه، فليدخل إلىّ بعضُكم فَلْيُعْلِمْنى[2] . وهو يرى أن أمره واقف على حاله . فدخل إليه جماعة من أهل الكَرْخ والدّور من خلفاء القُوّاد ، فجرّوا برجْلِه إلى باب الُحجْرة ؛ قال : وأحسبهم كانوا قد تناولوه بالضَّرْب بالدبابيس ، فخرج وقميصه مخرّق فى مواضع ، وآثار الدم على منكبِه ، فأقاموه فى الشمس فى الدار فى وقت شديد الحرّ . قال : فجعلتُ أنظر إليه يرفعُ قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذى قد أقيم فيه . قال : فرأيتُ بعضَهم يلطمه وهو يتّقى بيده، وجعلوا يقولون : اخلعْها ، فأدخلوه حجرَة على باب حجرة المعتزّ كان موسى بن بُغا يسكنها حين[3] كان حاضرًا ، ثم بعثوا

٣/١٧١٠

(١) س : « فدخلوا » . (٢) بعدها فى ب « ماهو » .
(٣) ف : « لما » .

إلى ابن أبى الشوارب ، فأحضروه مع جماعة من أصحابه ؛ فقال له صالح وأصحابه : اكتبْ عليه كتاب خلْع ، فقال : لا أحسنه ؛ وكان معه رجل أصبهانىّ ، فقال : أنا أكتب ، فكتب وشهدوا عليه وخرجوا . وقال ابن أبى الشوارب لصالح : قد شهدوا أنّ له ولأخته[١] وابنه وأمه الأمان، فقال صالح بكفّه : أى نعم ؛ ووكلوا بذلك المجلس وبأمّه نساء يحفظنها .

٣/١٧١١

فذكر أن قبيحة كانت اتّخذت فى الدار التى كانت فيها سَرَبًا[٢] ، وأنها احتالت هى وقُرْب وأخت المعتزّ ، فخرجوا من السَّرَب ، وكانوا أخذوا عليها الطرُق، ومنعوا الناس أن يجوزوا من يوم فعلوا بالمعتزّ ما فعلوا؛ وذلك يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب .

فذُكر[٣] أنه لما خُلع دفع إلى من يعذّبه ومُنِع الطعام والشراب ثلاثة أيام ، فطلَب حَسْوةً من ماء البئر ، فمنعوه. ثم جصّصوا سردابًا بالجِص الثخين ، ثم أدخلوه فيه ، وأطبقوا عليه بابَه ، فأصبح ميّتًا .

وكانت وفاته لليلتين خلَتا من شعبان من هذه السنة . فلمّا مات أشهد على موته بنو هاشم والقواد ؛ وأنه صحيح لا أثر فيه ، فدُفِن مع المنتصر فى ناحية قصرالصّوامع ؛ فكانت خلافته من يوم بويع له بسامُرّا إلى أن خُلع أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يومًا . وكان عمره كلّه أربعاً وعشرين سنة.

وكان أبيض أسود الشعر كثيفَه ، حسن العينين والوجه ، ضيّق الجبين ، أحمر الوجنتين[٤] ، حسن الجسم[٥] ، طويلاً .

٣/١٧١٢

وكان مولده بسامُرّا .

---

(١) ف : « ولأخيه » .
(٢) السرب ، بالفتح : الحفير تحت الأرض .
(٣) ف : « فذكروا » .
(٤) ب : « اللون » .
(٥) ب : « الوجه » .

خلافة ابن الواثق المهتدى بالله

وفى يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب من هذه السنة، بويع محمد بن الواثق ؛ فسُمِّى بالمهتدى بالله ؛ وكان يكنى أبا عبد الله ؛ وأمه رومية ؛ وكانت تسمى قُرْب .

وذكر عن بعض من كان شاهداً أمرهم ، أنّ محمد بن الواثق لم يقْبَل بيعةَ أحد ؛ حتى أُتِىَ بالمعتز فخلع نفسه ؛ وأخبر عن عجزه عن القيام بما أُسْنِد إليه ، ورغبته فى تسليمها إلى محمد بن الواثق ؛ وأن المعتزّ مدّ يده فبايع الواثق ؛ فسمَّوْه بالمهتدى ، ثم تنحّى وبايع خاصّة الموالى .

وكانت نسخة الرقعة بخلع المعتزّ نفسه :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أشهد عليه الشهود المسمَّوْن فى هذا الكتاب ؛ شهدوا أنّ أبا عبد الله بن أمير المؤمنين المتوكل على الله أقرّ عندهم ، وأشهدهم على نفسه فى صحّةٍ من عقله ، وجوازٍ من أمره ؛ طائعاً غير مكره ، أنه نظر فيما كان تقلّده من أمر الخلافة والقيام بأمور المسلمين ؛ فرأى أنه لا يصلحُ لذلك ، ولا يكمُل له ؛ وأنه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها[1] ، ضعيف عن ذلك ؛ فأخرج نفسَه ، وتبرّأ منها ، وخلعها من رقَبته ، وخلع نفسه منها ، وبَرأ كلّ من كانت له فى عنقه بَيْعة من جميع أوليائه وسائر الناس مما كان له فى رقابهم من البيْعة والعهود [2] والمواثيق والأيمان بالطّلاق والعتاق والصّدَقة والحجّ وسائر الأيمان، وحلّلهم من جميع ذلك[3] وجعلهم فى سَعَة منه فى الدنيا والآخرة، بعد أن تبين له أنّ الصلاح له وللمسلمين فى خروجه عن الخلافة والتبرؤ منها ، وأشهد على نفسه بجميع ما سمى، ووصف فى هذا الكتاب جميعَ الشهود المسمَّيْن فيه ، وجميع مَنْ حضر ؛ بعد أن قرئ عليه حرفاً حرفاً ، فأقرّ بفهمه ومعرفته جميع ما فيه طائعاً غير مكره ؛ وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة

٣/١٧١٣

(١) ب ، ف : « فيها » . (٢) س ، ف : « والعقود » .
(٣) بعدها فى ف : « كله » .

خمس وخمسين ومائتين .

فوقّع المعتز فى ذلك : « أقرّ أبو عبد الله بجميع[١] ما فى هذا الكتاب ، وكتب بخطه » .

وكتب الشهود شهاداتهم : شهد الحسن بن محمد ومحمد بن يحيى وأحمد ابن جناب ويحيى بن زكرياء بن أبى يعقوب الأصبهانىّ وعبد الله بن محمد العامرىّ وأحمد بن الفضل بن يحيى وحماد بن إسحاق وعبد الله بن محمد وإبراهيم ابن محمد ؛ وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين . ٣/١٧١٤

* * *

[قيام الشغب ببغداد ووثوب العامة بسليمان بن عبد الله]

وفى سلْخ[٢] رَجَب من هذه السنة[٣] ، كان ببغداد شَغَب ووُثوب العامة بسليمان بن عبد الله بن طاهر .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وإلى ما آل الأمر إليه :

وكان السببُ فى ذلك ، أنّ الكتاب من محمد بن الواثق ورَد يوم الخميس سلْخ رجب على سليمان ببغداد ببيعة الناس له ، وبها أبو أحمد بن المتوكل ؛ وكان أخوه المعتزّ سيّره إلى البصرة حين سخط على أخيه من أمه المؤيد ؛ فلما وقعت العصبية بالبصرة نقله إلى بغداد ؛ فكان مقيمًا بها ، فبعث سليمان بن عبد الله بن طاهر وإليه الشرطة يومئذ ببغداد ، فأحضره دارَه ، وسمع مَنْ ببغداد من الجند والغَوْغاء بأمر المعتزّ وابن الواثق ، فاجتمعوا الى باب سليمان ، وضجّوا هنالك ، ثم انصرفوا على أنه قيل لهم : لم يَرِدْ علينا من الخبر ما نعلم به ما عمل به القوم ، فغَدَوْا يوم الجمعة على ذلك من الصياح والقَوْل الذى كان قيل لهم يوم الخميس ، وصلى الناس فى المسجديْن[٤] ، ودُعِيَ فيهما للمعتزّ ، فلما كان يوم السبت غدا القوم ، فهجموا على دار سليمان ، وهتفوا باسم أبى أحمد ، ودَعَوْا إلى بيعته ، وخلصوا إلى سليمان فى داره ، وسألوه أن يريَهم أبا أحمد ٣/١٧١٥

(١) ف : « جميع » .
(٢) س : « شهر » .
(٣) س : « منها » .
(٤) ب : « المسجد » .

ابن المتوكل ، فأظهره لهم ، ووعدهم المصير الى محبّتهم إن تأخر عنهم ما يحبّون ، فانصرفوا عنه بعد أن أكّدوا عليه فى حفظه .

وقدم يارجوخ فنزل البَرَدان ومعه ثلاثون ألف دينار لإعطاء الجند ممّن بمدينة السلام ، ثم صار الى الشّماسيّة ، ثم غدا ليدخل بغداد ؛ فبلغ الناسَ الخبرُ ، فضجّوا وتبادروا بالخروج إليه ، وبلغ يارجوخ الخبرُ ، فرجع إلى البَرَدان ، فأقام بها ، وكتب إلى السلطان، واختلفت الكتب حتى وجّه إلى أهل بغداد بمال [1] رضُوا به ، ووقعت بيعة[2] الخاصّة ببغداد للمهتدى يوم الخميس لسبع ليالٍ خلَوْن[3] من شعبان ، ودعى له يوم الجمعة لثمانٍ خلوْن من شعبان[4] بعد أن كانت ببغداد فِتْنة ، قتل فيها وغرق فى دِجْلة قومٌ ، وجرِح آخرون لأن سليمان كان يحفظ داره قوم من الطَّبَرِية بالسلاح ، فحاربهم أهلُ بغداد فى شارع دِجْلة وعلى الجسر ؛ ثم استقام الأمر بعد ذلك وسكنوا[5] .

* * *

[ذكر خبر ظهور قبيحة أم المعتزّ]

وفى شهر رمضان من هذه السنة ظهرت قَبيحة للأتراك ، ودلّتْهم على الأموال التى عندها والذخائر والجوهر ؛ وذلك أنها — فيما ذُكر — قد قدّرَت الفتك بصالح ، وواطأت على ذلك النّفر من الكتّاب الذين أوقع بهم صالح ؛ فلما أوقع بهم صالح ، وعلمت أنهم لم يطووا عن صالح شيئًا من الخبر بسبب ما نالهم من العذاب ؛ أيقنت بالهلاك ؛ فعملت فى التخلّص ، فأخرجت مافى الخزائن داخل الجوْسق[6] من الأموال والجواهر[7] وفاخرِ المتاع ، فأودعت ذلك كله مع ما كانت أودعت قبل ذلك مما هو فى هذا المعنى ، ثم لم تأمن المعاجلة إلى ما نزَل بها وبابنها ، فاحتالت للهرب وجهاً ، فحفرت سَرَبًا من داخل القصر من حجرة لها خاصّة ينفذ إلى موضع يفوت التفتيش ، فلمّا علمت

٣/١٧١٦

(١) ب : « بما رضوا به » .
(٢) ب : « معه » .
(٣) س : « لسبع بقين » .
(٤) ف : « منه » .
(٥) س : « وسكن » .
(٦) ف : « فى الجوسق » .
(٧) ب : « والجوهر » .

بالحادثة بادرت من غير تلبّث ولا تلوّم ؛ حتّى صارت فى ذلك السَّرَب ، ثم خرجت من القَصْر ؛ فلما فرغ الذين شغبوا فى أمر ابنها مما أرادوا إحكامَه ؛ فصاروا الى طلبها غير شاكّين فى القدرة عليها ، وجدوا القصر منها خاليًا ، وأمْرَها عنهم مستتراً ؛ لا يقفون منه على شىء ؛ ولا ما يؤديهم إلى معرفته ؛ حتّى وقفوا على السَّرَب ، فعلموا حينئذ أنهم منه أوتوا فسلكوه ؛ وانتهوا الى موضع لا يُوقف منه على خبر ولا أثر ، فأيقنوا بالفَوْت ، ثم رجعوا الظَنُون ؛ فلم يجدوا لها معقلاً أعزّ ولا أمنع إن هى لجأت إليه من حبيبَ حرّة موسى بن بغا التى تزوّجها من جوارى المتوكل ، فأحالوا على تلك الناحية ،وكرهوا التعرّض لشىء من أسبابها ، ووضعوا العيون والأرصاد عليها ، وأظهروا التوعّد لمن وقفوا على معرفته بأمرها ؛ ثم لم يُظهرْهم عليها ؛ فلم يزل الأمر منطويًا عنهم ؛ حتّى ظهرت فى شهر رمضان ؛ وصارت إلى صالح بن وصِيف ، ووسَّطت بينها وبين صالح العطَّارة ؛ وكانت تثِق بها ؛ وكانت لها أموال ببغداد ، فكتبت فى حَمْلِها ؛ فاستخرج وحُمِل منها إلى سامُرّا .

١٧١٧/٣

فذُكِر أنه وافَى سامُرّا يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلَتْ من شهر رمضان من هذه السَّنَة قدر خمسمائة ألف دينار ، ووقَعُوا لها على خزائن ببغداد . فوجّه فى حملها ، فاستخرج وحمل منها ، فحمل إلى السلطان من ذلك متاعٌ كثير ، وأحيل من ببغداد من الجند والشاكرية المرتزقة بمال عظيم عليه ولم تزل تُباع تلك الخزائن متّصلا ببغداد وسامُرّا عدّة شهور ؛ حتّى نفدت .

ولم تزل قبيحة مقيمة إلىأن شخص الناس إلى مكة فىهذه السنة ،فسُيّرت إليها مع رجاء الربابىّ وحَشَش مولى المهتدى ؛ فذُكِر عمّن سمعها فى طريقها وهى تدعو الله على صالح بن وصيف بصوت عالٍ وتقول : اللهم أخز صالح ابن وصيف ؛ كما هتك سترى ، وقتل ولدى ، وبدّد شملى ، وأخذ مالى ، وغرّبنى عن بلدى ، وركب الفاحشة منى ! فانصرف الناس عن الموسم[1] واحتبست بمكة .

١٧١٨/٣

وذكر أنّ الأتراك لما تحركوا ، وثاروا بالمعتزّ أرسلوا إليه يطلبون منه خمسين

(١) ب : « من الموسم» .

ألف دينار ؛ على أن يقتلوا صالحًا ؛ ويستوى لهم الأمر . فأرسل إلى أمه يعلمها اضطرابهم عليه ، وأنه خائف على نفسه منهم ، فقالت : ما عندى مال ، وقد وردت لنا سفاتج ؛ فلينتظروا حتى نقبض ونعطيَهم ؛ فلما قُتل المعتزّ ، أرسل صالح إلى رجل جوهرىّ. قال الرجل : فدخلت إليه وعنده أحمد ابن خاقان ؛ فقال : ويحك ! هوذا ترى ما أنا فيه ! وكان صالح قد أخافوه وطالبوه بالمال ؛ ولم يكن عنده شىء ، فقال لى : قد بلغنى أنّ لقبيحة خزانةً فى موضع يرشدك إليه هذا الرجل — واذا رجلٌ بين يديه — فامض ومعك أحمد ابن خاقان ؛ فإن أصبتم شيئًا فأثبته عندك ، وسلّمه إلى أحمد بن خاقان ، وصِرْ إلىّ معه . قال : فمضيت[1] إلى الصُّفوف[2] بحضرة المسجد الجامع ؛ فجاء بنا ذلك الرَّجُل الى دار صغيرة معمورة نظيفة ؛ فدخلنا ففتشنا كلّ موضع فيها فلم نجد شيئًا ، وجعل ذلك يغلُظ على أحمد بن خاقان ، وهو يتهدّد الرجل ويتوعده ، ويُغلظ له ، وأخذ الرجل فأسًا ينقر به الحيطان يطلب موضعًا قد سُتر فيه المال ؛ فلم يزل كذلك حتى وقع الفأس على مكان فى الحائط استدلّ بصوته على أن فيه شيئًا ، فهدمه وإذا من ورائه باب ، ففتحناه ودخلنا إليه ؛ فأدّانا إلى سرَب ، وصرنا إلى دار تحت الدار التى دخلناها على بنائها وقسمتها ، فوجدنا من المال على رُفوف فى أسفاط زهاء ألف ألف دينار ، فأخذ أحمد منها ومَن كان معه قدر ثلثمائة ألف دينار ، ووجدنا ثلاثة أسفاط : سَفَطًا فيه مقدار مكّوك زمرّد إلا أنه من الزّمرد الذى لم أر للمتوكل مثله ولا لغيره ، وسفَطًا دونه فيه نصف مكّوك حبّ كبار، لم أر والله للمتوكل ولا لغيره مثله ،وسفَطاً دونه فيه مقدار كيلجة ياقوت أحمر لم أر مثله ، ولا ظننت أن مثله يكون فى الدنيا ؛ فقوّمت الجميع على البيع ؛ فكانت قيمته ألفى ألف دينار ، فحملناه كله إلى صالح ؛ فلما رآه جعل لا يصدق ولا يوقنُ حتى أحضر[3] بحضرته ووقف عليه ، فقال عند ذلك : فعل الله بها وفعل ؛ عرّضت ابنها للقتل فى مقدار خمسين ألف دينار ، وعندها مثل هذا فى خزانة واحدة من خزائنها !

٣/١٧١٩

٣/١٧٢٠

(١) ب ، ف : « فضينا » . (٢) س : « إلى القصر » .
(٣) ف : « حتى أحضره » .

وكانت أم محمدبن الواثق توفِّيت قبل أن يبايعَ؛ وكانت تحت المستعين؛ فلما قُتِل المستعين صيـرها المعتزّ فى قصر الرُّصافة الذى فيه الحرم، فلما ولى الخلافة المهتدى قال يومًا لجماعة من الموالى: أمّا أنا فليس لى أمّ أحتاج لها إلى غلّة عشرة آلاف ألف [1] فى كل سنة لجواريها وخدمها والمتصلين بها؛ وما أريد لنفسى وولدى إلا القوت، وما أريد فضلا إلاّ لإخوتى فإن الضّيقة قد مسّتهم.

* * *

[ذكر الخبر عن قتل أحمد بن إسرائيل وأبى نوح]

ولثلاث بقين من رمضان [2] من هذه السنة قتِل أحمد بن إسرائيل وأبو نوح.

* ذكر الخبر عن صفة القِتْلة التى قتلا بها :

فأما السبب الذى أدّاهما إلى القتل؛ فقد ذكرناه قبلُ، وأما القِتْلة التى قُتِلا بها، فإنه ذكر أن صالح بن وصيف لما استصفَى أموالهما ومال الحسن ابن مخْلَد، وعذّبهم بالضرب والقَيْد وقرّب كوانين الفحم [3] فى شدّة الحرّ منهم، ومنعهم كلّ راحة، وهم فى يده على حالهم، ونسبهم الى أمور عظام من الخيانة والقصد لذلّ السلطان والحِرْص على دوام الفتن والسعى فى شقّ عصا المسلمين، فلم يعارضْه المهتدى فى شىء من أمورهم [4]، ولم يوافقه على شىء أنكره من فعله بهم. ثمّ وجّه إليهم الحسن بن سليمان الدوشابىّ فى شهر رمضان، ليتولّى استخراجَ شىء إن كان زُوِىَ عنه من أموالهم.

٣/١٧٢١

قال: فأخرِج إلىّ أحمد بن إسرائيل، فقلت له: يا فاجر، تظنّ أنّ الله يُمهلك، وأنّ أمير المؤمنين لا يستحِل قتلك؛ وأنت السببُ فى الفتن، والشريك فى الدماء، مع عظيم الخيانة وفساد النية والطويّة! إنّ فى أقلّ من هذا ما تستوجب به المُثْلة كما استوجب مَن كان قبلك، والقتل فى العاجلة والعذاب

---

(١) بعدها فى ف: «دينار».
(٢) ب: «من شهر رمضان».
(٣) ف: «النار».
(٤) س: «أمرهم».

والخزى فى الآجلة ، إن لم تسعد من الله بعفو وإمهال ، ومن إمامك بصفح واحتمال ؛ فاستر نفسك من نزول ما تستحق بالصدق عما عندك من المال ؛ فإنك إن تفعل ويوقف على صدقك تسلم بنفسك . قال : فذكر أنه لا شىء عنده ، ولا تُرِك له إلى هذا الوقت مال ولا عُقْدة . قال : فدعوتُ بالمقارع وأمرت أن يقامَ فى الشمس ، وأرعدتُ وأبرقتُ ، وإن كان ليفوتنى الظفر منه بشىء من صَرامة ورُجْلة[1] حتى أومَى إلى قدر تسعة عشر ألف دينار ؛ فأخذت رقعته بها . ١٧٢٢/٣

قال : ثم أحضرت أبا نوح عيسى بن إبراهيم فقلت له مثل الذى قلت لأحمد أو نحوه ، وزدت فى ذلك بأن قلت : وأنت مع هذا[2] مقيم على دينك النصرانية ، مرتكب فروج المسلمات تشفّياً من الإسلام وأهله ! ولا دلالة أدلّ على ذلك ممن لم يزل فى منزلك على حالِ النصرانية من أهلٍ وولدٍ ، ومَن كان ذا عَقْدُه فقد أباح الله دمه .

قال : فلم يُجب إلى شىء ، وأظهر ضعفاً وفقراً .

قال : وأما الحسن بن مَخْلد فأخرجته ؛ فلما خاطبته خاطبت رجلاً موضَّعاً[3] رخواً ، قال : فبكّتُّه بما ظهر منه ، وقلت : مَنْ كان له الراضة بين يديه إذا سار على الشهارىّ[4] وقدّر ما قدّرت ، وأراد ما أردت ، لم يكن موضَّعاً رطباً ولا مخنَّثاً رخواً . قال : ولم أزل به حتى كتب رقعة بجوهر قيمته نَيّف وثلاثون ألف دينار ؛ قال : وردّوا جميعاً إلى موضعهم[5] ؛ وانصرفت. فكانت مناظرة الحسن بن سليمان الدوشابىّ لهم آخر مناظرة كانت معهم ؛ ولم يناظروا أيام المهتدى فيما بلغنى[6] مناظرة غيرها .

فلما كان يوم الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان أخرِج أحمد بن إسرائيل وأبو نوح عيسى بن إبراهيم إلى باب العامة ، فقعد صالح بن وصيف ١٧٢٣/٣

(١) الرجلة : مثل الرجولية .
(٢) ف : « ذلك » .
(٣) الموضع : المطرح ، غير مستحكم الخلق .
(٤) الشهارى : نوع من البراذين ، مفرده شهرية .
(٥) ف : « مواضعهم » .
(٦) ب ، ف : « نعلمه » .

فى الدار ، ووكّل بضربهما حمّاد بن محمد بن حماد بن دَنْقَش ، فأقام أحمد بن إسرائيل وابن دَنْقَش يقول : أوجع ، وكان كلّ جلاّد يضربه سوطين ، ويتنحّى حتى وفّوْه خمسمائة سوط . ثم أقاموا أبا نوح أيضاً فضُرب خمسمائة سوط ضربَ التّلف ، ثم حُمِلا على بغلين من بغال السّقائين على بطونهما ، منكّسةً رءوسهما ، ظاهرة ظهورهما للناس . فأما أحمد فحين بلغ خشبةَ بابك مات ، وحين وصلوا بأبى نوح مات ؛ فدفن أحمد بين الحائطين . ويقال إن أبا نوح مات من يومه فى حبس السرخسىّ خليفة طلمجور على شُرَط الخاصّة ، وبقىَ الحسن بن مَخْلَد فى الحبس .

وذُكِر عن بعض من حضر أنه قال : لقد رأيت حمّاد بن محمد بن حماد بن دَنقش وهو يقول للجلادين : أنفسَكم يا بنى الفاعلة — لا يكنى — ويقول : أوجعوا وغيّروا السياط ، وبدّلوا الرّجال ، وأحمد بن إسرائيل وعيسى يستغيثان ؛ فذكِر أن المهتدى لمّا بلغه ذلك قال : أمَا عقوبة إلا السوط أو القتل ! أمَا يقوم مقام هذا شىء ! أما يكفى ! إنا لله وإنا إليه راجعون ، يقول ذلك ويسترجع مراراً .

١٧٢٤/٣ وذكر عن الحسن بن مَخْلَد أنه قال : لم يكن الأمر فينا عند صالح إذا لم يحضره عبد الله بن محمد بن يَزْدَاد على ما كان يكون عليه من الغلظة إذا حضر . قال : وكان يقول لصالح : اضرب وعذّب فإنّ الأصلح من وراء ذلك القتل ؛ فإنهم إن أفلتوا لم تؤمَن بوائقهم فى الأعقاب ؛ فضلا عن الواترين ؛ ويذكره قبيحَ ما بلغه عنهم . وكان يسرّ بذلك .

قال : وكان داود بن [أبى] (١) العباس الطوسىّ يحضرنا عند صالح فيقول : وما هؤلاء أعزّك الله ، فبلغ منك الغضب بسببهم هذا المبلغ ! فظنه يرقّقه علينا حتى يقول : على إنى والله أعلم أنهم إن تخلصوا انتشر (٢) منهم شرّ كبير وفساد فى الإسلام عظيم ؛ فينصرف وقد أفتاه بقتلنا ، وأشار عليه بإهلاكنا ؛

---

(١) زيادة لازمة ؛ وهو داود بن محمد أبى العباس . وانظر الفهرس .

(٢) كذا فى ب وهو الوجه ، وفى ط : «تخلص».

فيزداد برأيه وما قال له علينا غيظاً ، وإلى الإساءة بنا أنسًا ، فسُئل بعض من كان يخبر أمرهم : كيف نجا الحسن بن مَخْلَد مما صَلِيَ به صاحباه ؟ فقال : بخصلتين ؛ إحداهما أنه صدّقه عن الخبر فى أوّل وهلة وأوجد الدّلائل على ما قاله له إنه حقّ ؛ وقد كان وعَده العفو إن صدّقه ، وحلف له على ذلك ، والأخرى أنّ أمير المؤمنين كلمه فيه وأعلمه حرمة أهله به ، وأومأ إلى محبته لإصلاح شأنه ، فردّه عن عظيم المكروه فيه ؛ وقد كنت أرى أنه لو طالت لصالح مدّة وهو فى يده ، أطلقه واصطنعه ، ولم يكن صالح بن وصيف اقتصر فى أمر الكتاب على أخذ أموالهم وأموال أولادهم ؛ حتى أخاف[1] أسبابهم وقراباتهم بأخذ أموالهم ، وتخطّى إلى المتصلين بهم . ١٧٢٥/٣

* * *

[شغب الجند والعامة ببغداد وولاية سليمان بن عبد الله بن طاهر عليها]

ولثلاث عشرة خلت من شهر رمضان منها فتح السجن ببغداد ، ووثبت الشاكرية والنائبة ببغداد من جندها بمحمد بن أوس البلخىّ :

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما آل الأمر إليه فيه :

ذُكر أنّ السبب فى ذلك كان أنّ محمد بن أوس ، قدِم بغداد مع سليمان ابن عبدالله بن طاهر وهو على الجيش القادمين من خُراسان مع سليمان والصعاليك الذين تألّفهم سليمان بالرّىّ ، ولم تكن أسماؤهم فى ديوان السلطان بالعراق ، ولا أمرِ سُليمان فيهم بشىء ؛ وكانت السنّة فيهم أن يقام لمن قدم معه من خراسان بالعراق حسب ما يُقام بخُراسان لنظرائهم من مال ضياع وَرَثة ذى اليمينين[2] ، ويكتب بذلك إلى خُراسان ليُعارض الوَرَثة هناك من مال العامة ، بدل ما كان دُفع من مالهم بالعراق . فلما قدم سُليمان بن عبد الله العراق ، وجد بيت مال الوَرَثة فارغاً وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر قد تقدّم عند ما صحّ عنده من الخبر[3] بتصيير الأمر فيما كان يتولّاه إلى أخيه سليمان بن عبد الله ، ١٧٢٦/٣

(١) س : « خاف » .
(٢) فى ابن الأثير : « ورثة طاهر بن الحسين » .
(٣) ب : « الأمر» .

فأخذ ما كان حاصلاً لورثة أبيه وجدّه فى بيت مالهم ، واستسلف على ما لم يرتفع ، وتعجّل من المتقبّلين أموال نجوم لم تحلّ حتى استنظفت ذلك أجمع ، وشخص[١] . فأقام بالحُوَيْث فى شرقىّ دِجْلة ، ثم عَبَر حتى صار فى غربيّها ، فضاقت بسليمان الدّنيا ، وتحرّك الشاكرية والجُند فى طلب الأرزاق ، وكتب سليمان إلى أبى عبد الله المعتزّ بذلك وقدّر أموالهم ، وأدخل فى المال تقدير القادمين معه ؛ ووجّه محمد بن عيسى بن عبد الرحمن الكاتب الخراسانىّ كاتبَه فى ذلك . فأجيب بعد مناظرات إلى أن سُبِّبَ له على عمال السَّواد مالٌ صودر عليه لطمع مَنْ بمدينة السلام وشِحَنِ السواد لا يقوم بما يجب للنائبة فضلا عن القادمين مع النائبة ؛ فلم يتهيأ لسُليمان الوصولُ إلى شىء من المال ، وقدم ابنُ أوس والصعاليك وأصحابه ، فقصّر المال عنه وعمن كان يقدّر وصوله إليه من النائبة[٢] ، فوقفوا على ذلك وعلى السبب المضرّبهم فيه . وكان القادمون مع سليمان من الصَّعاليك وغيرهم لما قدِموا بغداد أساءوا المجاورة لأهلها ، وجاهروا بالفاحشة ، وتعرّضوا للحُرَم والعبيد والغِلْمان ، وعادوْهم لمكانهم من السلطان ؛ حتّى امتلئوا عليهم غيظاً وحَنَقاً . وقد كان سليمان بن عبد الله وحَرَ[٣] على الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب بن رزيق ؛ لمكانه كان من عُبيد الله بن عبد الله [بن طاهر][٤] ونصرته له وكفايته ، وانصرافه عن سليمان وأسبابه[٥] . فلما انصرف الحسين ابن إسماعيل إلى بغداد بعقب ما كان يتولاّه لعبيد الله من أمر الجند والشاكرية ، فحبس كاتبه فى المطبَق وحاجبه فى سجن باب الشأم ، ووكّل بباب الحسين ابن إسماعيل جنداً من قِبَل إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ؛ لأنّ سليمان ولّى إبراهيم ما كان الحسين بن إسماعيل يتولاّه لعبيد الله من أمر جسرَىْ بغداد وطساسيج قطربُلّ ومسكن والأنبار ؛ فلما حدث ما حدث من بيعة المهتدى وشَغَب الجند والشاكرية بمدينة السلام ، ووقعت الحرب فى تلك الأيام ، شدّ محمد ابن أوس على رجل من المراوزة ، كان من الشيعة ، فضربه فى دار سليمان ثلثمائة

٣/١٧٢٢

(١) س : « وأشخص » .
(٢) س ، ف : « من مال النائبة » .
(٣) الوحر : الحقد .
(٤) من ب ، ف .
(٥) ب ، ف : « وأشباهه » .

سوط ضرباً مبرِّحاً ، وحبسه بباب الشأم ؛ وكان هذا الرّجُل من خاصّة ٣/١٧٢٨
الحسين بن إسماعيل ؛ فلمّا حدث هذا الحادث احتيج إلى الحُسين بن إسماعيل ،
لفضل جلده وإقدامه فنُحِّيَ (١) مَنْ كان ببابه موكَّلاً فظهر ، فتراجع
أصحابُه من غير أمر ؛ وقد كانوا فُرِّقوا على القوّاد ، وضُمّ منهم جمع كبير
إلى محمد بن أبى عون القائد ؛ فذُكِر أن المضمومين (٢) إلى ابن أبى عون
لما صاروا إلى بابه (٣) ، فرّق فيهم من ماله ؛ للرّاجل عشرة دراهم ، وللفارس ديناراً ؛
فلما رجعوا إلى الحسين رفع ابن أبى عون بذكر ذلك ؛ فلم يخرج فى ذلك تعيين
ولا أمر ؛ فلم يزل الحال على هذا والجند والشاكريّة يَصيحون فى طلب مال
البيعة وما بقِىَ لهم من مال الطمع المتقدّم ؛ وقد ردّ أمرهم فى تَقسيط مالهم ،
وقبضهم إلى الحسين على ما كان الأمر عليه أيام عبيد الله بن عبد الله بن
طاهر . وكان الحسين لا يزال يلقى إليهم ما عليه محمد بن أوس ومَنْ قدم مع
سليمان من القَصْد لأخذ أموالهم والفوز بها دونهم ؛ حتى امتلأت قلوبهم .
فلمّا كان يومُ الجمعة لثلاث عشرة خلتْ من شهر رمضان ، اجتمع جماعة
من الجند والشاكريّة ، ومعهم جماعة من العامة حتى صاروا إلى سجن باب
الشأم ليلاً ، فكسروا بابه ، وأطلقوا فى تلك الليلة أكثرَ مَنْ كان فيه ، ولم ٣/١٧٢٩
يبقَ فيه من أصحاب الجرائم أحدٌ الا الضعيف والمريض والمثقَل ؛ فكان ممن
خرج فى تلك الليلة نفرٌ من أهل بيت مساور بن عبد الحميد الشارى ، وخرج
معهم المروزىّ مضروب محمد بن أوس وجماعة ممن قد لزم السلطانَ إلى أن
صاروا إلى قبْضته زُهاء خمسين ألفــاً ، وأصبح الناس فى يوم الجمعة
وباب الحبس (٤) مفتوح ؛ فمَنْ قدر أن يمشىَ مشى ، ومَن لم يقدر اكترى
له ما يركبه ؛ وما يمنع من ذلك مانع ، ولا يدفع دافع ؛ فكان ذلك من أقوى
الأمور التى بعثت الخاصّة والعامة على دفع الهيْبة بينهم وبين سليمان بن عبد الله
وسُدّ باب السجن بباب الشأم بآجرٍّ وطين ؛ ولم يعلم أنه كان لإبراهيم ابن
إسحاق فى هذه الليلة ولا لأحد من أصحابه حركة أصلا ؛ فتحدّث الناس
أن الذى جُنِىَ على سجن باب الشأم بمكان المروزىّ الذى ضربه ابن أوس فيه

(١) ف : « فتنحى » .
(٢) س : « القادمين » .
(٣) ب : « بباب ابن أبى عون » .
(٤) ب ، ف : « السجن » .

حتى يخلص[1] . ثم لم يمض بعد ذلك خمسة أيام ، حتى نافر ابن أوس الحسينَ ابن إسماعيل فى أمر مال النائبة أراده محمد بن أوس لأصحابه ومنعه الحسين ، وتجاريا فى ذلك كلاماً غلظ بينهما ، فخرج محمد متنكراً ؛ فلما كان الغد من ذلك اليوم غدا محمد بن أوس إلى دار سليمان ، وغدا الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال مولى طاهر ، وحضر الناس باب سليمان ؛ وكان[2] بين مَنْ حضر من أصحاب ابن أوس وبين النائبة محادثة ، علت فيها الأصوات ؛ فتبادر أصحابُ ابن أوس والقادمون إلى الجزيرة ،وعبر إليهم ابن أوس وولده ؛ وتصايح الناس بالسلاح ، وخرج الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال والمظفر ابن سيسل فى أصحابهم ، وصاح الناس بالعامة : مَنْ أراد النَّهب فليلحق بنا ؛ فقيل : إنه عبر الجسرين من العامة فى ذلك الوقت مائة ألف إنسان فى الزَّواريق ، وتوافَى الجند والشاكرية بالسلاح ؛ فوافى أوائل الناس الجزيرة ؛ فلم يكن إلاّ قدر اللحظة حتى حمل رجل من أهل سَرَخس على الكبير من ولد محمد بن أوس، وطعنه ، فأرْداه عن شهريّ كان تحته ؛ ثم أخذته السيوف فانهزم عنه أصحابه ، فلم يعمل أحد منهم شيئاً ، وسُلب الجريح وحمل فى زورق ، حتى عُبِر به إلى دار سليمان بن عبد الله بن طاهر ، فألقى هناك .

٣/١٧٣٠

فذكر بعضُ مَنْ حضر سليمانَ ، أنه لما رآه اغرورقت عيناه من الدمع ، ومهّد له ، وأحضِر له الأطباء، ومضى ابن أوس من وجهه[3] إلى منزله ؛ وكان ينزل فى دار لآل أحمد بن صالح بن شيرزاد بالدّور ، مما يلى قصر جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك . وجدّ أهلُ بغداد فى آثارهم والقوّاد معهم حتى تلقوْهم[4] ،فكانت بينهم وقعة بالدور ؛ أولها فى آخر الساعة الثانية وآخرها فى أوّل الساعة السابعة ؛ فلم يزالوا يتراشقُون بالنّشاب ، ويتطاعنون بالرِّماح ، ويتخابطون بالسيوف . وأعان ابنَ أوس جيرانه من أهل سويقة قُطوطا وأصحاب الزَّواريق من ملاّحى الدور. واشتدّت الحرب ،ووجّه أهلُ بغداد يطلبون نفّاطين

٣/١٧٣١

---

(١) ف : « تخلص » .
(٢) ب ،ف : « فكانت » .
(٣) ف : « فوره » .
(٤) ب : « حتى يلقوهم » .

من دار سليمان[١] . فذكروا أنّ حاجبه دخل ، فأعلمه ذلك ؛ فأمر بمنعهم منه ؛ وقاتل ابنُ أوس قتالا شديدًا ، فناله جِراحٌ من سهام وطعن ، فانهزم وأصحابه ؛ وقد كان أخرج حرمه من داره ؛ فلم يزل أهلُ بغداد يتبعونهم حتى أخرجوهم من باب الشمّاسية ، ووصل الناس إلى منزل ابن أوس ؛ فانتهبوا جميعَ ما كان فيه ؛ فذُكِر أنه انتهب له بقيمة ألفى ألف درهم ؛ والمقلِّل يقول : ألف ألف وخمسين ألفًا ؛ وأنه انتهب له زُهاء مائة سراويل مبطّن بسمّور ؛ سوى ما كان مبطّنًا بغيره من الوبَر مما يشاكل ذلك ؛ وانتهب له من الفرش الطبرىّ الخام والمقصور والمدرج والمقطوع ما يكون قيمته ألف ألف درهم ؛ وانصرف الناس ، فجعل الجند يدخلون دار سليمان ، وهم يكثرون[٢] ، ومعهم النهب وهم يصيحون ، وما لهم مانع ولا زاجر . وأقام ابنُ أوس ليلتَه تلك بالشمّاسيّة مع من لحق به من أصحابه . وقد كان أهل بغداد وثبوا بمنازل الصّعاليك التى كانوا فيها سكّانًا ، فنهبوها ، وتعرّضوا لمن كان تخلّف منهم ، فتلاحق القومُ هُرّابًا ، ولم يبق منهم فى اليوم الثانى ببغداد أحد ظاهراً .

١٧٣٢/٣

فذُكر أنّ سليمان وجّه تلك الليلة الى ابن أوْس ثيابًا وفرشًا وطعامًا ؛ فيقال : إنّ محمداً قبِله ، وقيل : إنه ردّه . وأصبح الناس فى اليوم الثانى وغدا الُحسين بن إسماعيل والمظفر بن سيسل إلى دار الشاه بن ميكال ، ولحِق به وجوهُ الشاكرية والنائبة وغيرهم ؛ فأقاموا هناك مُراغمين سليمان بن عبد الله بن طاهر . وخلت دار سليمان فلم يحضرها الا جُميّعة . فبعث إليهم سليمان مع محمّد بن نصر بن حمزة بن مالك الخُزاعىّ ، وهو لا يعلم ما عليه عقد القوم ، يُعلمهم قبح[٣] ما ركبوا من محمد بن أوس ، وما يجب لمحمد بحُرمته وقديمه ، وأنّهم لو أنهوْا إليه ما أنكروا منه لتقدّم فى ذلك بما يكفيهم معه الحال التى ركِبوها ، فضجّ الشاكريّة الذين حضروا دار الشاه جميعًا وقالوا : لا نرضى بمجاورة ابن أوس ولا بمجاورة أحدٍ من أصحابه ولا من الصعاليك المنضمين إليه ؛ وإنهم إن

١٧٣٣/٣

(١) ف : « نفاطين من أهل بغداد من عند دار سليمان » .

(٢) ف : « يكبرون » .

(٣) س ، ف : « قبيح » .

أكرِهوا على ذلك تعاقدوا مباينته، وخلع مَن يسومهم إياه ، وأحال الشاه بن ميكال والحسين بن إسماعيل والمظفر بن سيسل على كراهة القوم ، فرجع الرسول بذلك إلى سليمان ، فردّه إليهم بكلام دون ذلك ، ووعدهم وقال : أنا أثِق بقولكم وضمانكم[1] دون أيمانكم وعهودِكم . ثمّ استوى جالسًا .

وذكر أنه لم يزل مستثقلا[2] محمد بن أوس ومَن لحق به من الصعاليك وغيرهم ، عارفًا بسوء رغبتهم ورداءة مذاهبهم ، وبسوْم محمد بن أوس فى نفسه خاصّة ومحبّته وشروعه فى كلّ ما دعا إلى خلاف وفرقة ، وأسبغ هذا المعنى ، وكثّر فيه حتى خرج به إلى الإغراق فيه ؛ إلى أن قال : لقد كنت أدخِلُ فى قُنوتى فى الصلاة طلب الراحة من ابن أوس . ثم التفت إلى محمد بن علىّ بن طاهر ، فأمره بالمصير إلى ابن أوس ، والتقدّم إليه فى العزم على الانصراف إلى خُراسان ، وأن يعلمه أنه لا سبيل له إلى الرجوع[3] إلى مدينة السلام ؛ ولا إلى تولّى شىء من الأمور التى يتولاّها لسليمان .

٣/١٧٣٤

فلمّا تناهى الخبرُ إلى ابن أوْس رحل من الشمّاسيّة، فصار فى رَقّة البرَدان على دجلة ، فأقام بها أيامًا حتى اجتمع إليه مَن تفرّق من أصحابه ، ثم رحل فنزل النّهروان ؛ فلم يزل بها مقيمًا . وقد كان كتب إلى بايكباك وصالح ابن وصيف يعرِض عليهما نفسه ، ويشكو إليهما ما نزل به ؛ فلم يجد عنده شيئًا مما قصد ؛ وقد كان محمد بن عيسى بن عبد الرحمن مقيمًا بسامرّا لينظر أمورَ سليمان ، وكان كارهًا لابن أوْس ، منحرفًا عنه . وكان ابن أوْس مضطرب الأمر لسوء مَحْضر محمد بن عيسى الكاتب ؛ فلما انقطعت عن ابن أوس وأصحابه المادّة، تعبّثوا بأهل القُرى والسابلة، وأكثروا الغارات والنهب، ورحل حتى نزل النّهروان .

فذُكِر عن بعض مَن قصدوه لينتهبوه ، فذكّرهم المعاد ، وخوّفهم الله أنهم ردّوا عليه أن قالوا له : إن كان النهب والقتل جائزًا فى مدينة السلام ؛ وهى قبّة الإسلام ، ودار عز السلطان ، فما استنكارُ ذلك فى الصحارى والبرارى !

---

(١) ف : « وكلامكم » .
(٢) س ، ف : « مستقبلا » .
(٣) س : « رجوعه » .

ثم رحل ابنُ أوس عن النَّهروان بعد أن أثّر فى تلك الناحية آثاراً قبيحة، وأخذ أهلَ البلاد بأداء الأموال ، وحمل منها الطعام[1] فى السفن فى بطن النّهروان إلى إسكاف بنى جنيد لبيعه هناك . ٣/١٧٣٥

وكان محمد بن المظفّر بن سيسل بالمدائن، فلمّا بلغه مصيرُ ابنِ أوس إلى النَّهروان صيّر إقامته بالنّعمانية من عمل الزوابى خوفًا على نفسه منه لحضور أبيه كان فى يوم الوقعة .

فذُكِر عن محمد بن نصر بن منصور بن بسام — وعبرتا ضيعتُه — أنّ وكيله انصرف عنها هاربًا بعد أن أدّى إلى ابن أوس تحت العذاب وخوف الموت قريبًا من ألف وخمسمائة دينار؛ ولم يزل ابن أوس مقيماً هناك، يقرّب ويباعد ، ويقبض ويبسط ، ويشتدّ ويلين ، ويرهب ؛ حتى أتاه كتاب بايكباك بولاية طريق خراسان من قِبَله ، فكان من وقت خروجه من مدينة السلام إلى وقت ورود الكتاب عليه بالولاية شهران وخمسة عشر يوماً .

وذُكر عن بعض ولد عاصم بن يونس العِجلىّ أن أباه كان يتولّى ضياعاً للنوشرىّ بناحية طريق خُراسان ، وأنه كتب الى النوشرىّ يذكر ما عاين من قُوّة عسكر ابن أوس وظاهر عدتهم ، ويشير بأن يذكر ذلك لبايكباك ، ويصف خلاء طريق خُراسان من سلطان يتولاّه ويحوط أهلَه[2] ، وأنّ هذا عسكر مشْحَنٌ بالرّجال والعُدّة والعتاد ، مقيم فى العمل ، وأن النوشرى ذكر ذلك لبايكباك ، وأشار عليه بتوليته طريق خراسان ، وتخفيف المؤنة عن السلطان[3] ، فقبِل ما أشار به عليه ، وأمر بكتُبه فكتبت، وولّى طريق خراسان فى ذى القعدة من هذه السنة — وهى سنة خمس وخمسين ومائتين — وكان موسى خليفة مساور ابن عبد الحميد الشارى مقيماً بالدّسكَرة ونواحيها فى زهاء ثلثمائة رجل ، قد ولاّه مُساور ما بين حُلوان إلى السوس على طريق خُراسان وبطن جُوخى وما قرب ذلك من طساسيج السواد . ٣/١٧٣٦

* * *

(١) بعدها فى ف : « جملة » . (٢) ف : « ويحيط أمره »
(٣) ف : « على السلطان » .

وفيها أمر المهتدى بإخراج القيان والمغنين والمغنيات من سامُرّا ونفيهم منها إلى بغداد ؛ بعد أمرٍ كان قد تقدّم من قبيحة فى ذلك قبل أن ينزل بابنها ما نزل ، وأمر بقتل السباع التى كانت فى دار السلطان وطَرْد الكلاب وإبطال الملاهى وردّ المظالم ، وجلس لذلك للعامة ، وكانت ولايته والدّنيا كلها من أرض الإسلام مفتونة .

* * *

[ذكر خبر استيلاء مفلح على طبرستان ثمّ انصرافه عنها]

وفيها شخص موسى بن بغا ومَنْ معه من الموالى وجند السلطان من الرّىّ وانصرف مُفلح عن طبرستان بعد أن دخلها ، وهزم الحسن بن زيد ، وأخرجه عنها إلى أرض الديلم .

* ذكر الخبر عن شخوصه عنها :

١٧٣٧/٣ ذُكِر أنّ السبب فى ذلك أنّ قبيحة أمّ المعتزّ ، لمّا رأت من الأتراك اضطراباً ، وأنكرت أمرَهم ، كتبت إلى موسى بن بغا تسأله القدومَ إلى ما قِبَلها ، وأمّلت وروده[1] عليها قبل حدوث ما حدث عليها وعلى ابنها المعتزّ ، فعزم موسى على الانصراف إليها ، وكان ورودُ كتابِها عليه ومُفلح بطبرستان . فكتب[2] موسى إلى مفلح يأمره بالانصراف إليها وهو بالرّىّ ، فحدّثنى بعض أصحابنا[3] من أهل طَبَرستان ، أنّ كتاب موسى ورد على مُفلح بذلك ، وقد توجّه نحو أرض الدّيْلم فى طلب الحسن بن زيد الطالبىّ . فلما ورد عليه الكتابُ انصرف راجعًا إلى حيث توجه منه ، فعظم ذلك على قوم كانوا معه من رؤساء أهل طَبَرِستان ممن كان هاربًا قبل مقدم مُفلح عليهم من الحسن ابن زيد ، لِمَا كانوا قد رجوْا من مقدمه عليهم وكفايتهم أمرَ الحسن بن زيد والرجوع إلى منازلهم وأوطانهم ؛ وذلك أنّ مفلحًا كان يعدُهم اتّباع الحسن ابن زيد حيث توجّه حتى يظفر به أو يُختَرَم دونه ، ويقول لهم — فيما ذكر لى —

(١) ف : « قدومه » .
(٢) كذا فى ب ، وفى ط : « وكتب » .
(٣) ف : « أصحابه » .

لو رميتُ قلنسوتى فى أرض الدّيلم ما اجترأ أحد منهم أن يدنُوَ منها . فلما رأى القوم انصرافَه عن الوجه الذى توجّه له من غير عسكر للحسن بن زيد، ولا أحد من الديلم صدّه ، سألوه — فيما ذكر لى — عن السبب الذى صرَفه عما كان يعدُهم به من اتّباع ابن زيد ، وجعلوا يكلمونه — فيما أخبرت — وهو كالمسبوت[1] لا يجيبهم بشىء ؛ فلما أكثروا عليه قال لهم : ورد علىّ كتاب الأمير موسى بعزمة منه ألاّ أضع كتابه من يدى بعد ما يصل إلىّ حتى أقبِلَ إليه . وأنا مغموم بأمركم ؛ ولكن لا سبيل إلى مخالفة الأمير . فلم يتهيأ لموسى الشخوص من الرّىّ إلى سامرّا حتى وافاه الكتاب بهلاك المعتزّ وقيام المهتدى بعده بالأمر ، ففثأه[2] ذلك عمّا كان عزم عليه من الشخوص ، لفوته ما قدّر إدراكه من أمر المعتزّ . ٣/١٧٣٨

ولمّا وردتْ عليه بيعة المهتدى ، امتنع أصحابه عليه من بيعته ، ثم بايعوا . فورد خبر بيعتهم سامُرّا لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان من هذه السنة .

ثم إنّ الموالىَ الذين فى عسكر موسى بلغهم ما استخرج صالح بن وصيف من أموال الكتّاب وأسباب المعتزّ والمتوكل ، فشحُّوا بذلك على المقيمين بسامُرّا ؛ فدعوا موسى إلى الانصراف بهم إلى سامُرّا .

وقدم مفلح على موسى بالرّىّ تاركًا طبرستان على الحسن بن زيد ، فذكر عن القاشانىّ أنه قال : كتب إلىّ ابن أخى من الرّىّ يذكر أنه لقى مفلحاً بالرّىّ ، فسأله عن سبب انصرافه فذكر أن الموالى قد أبوا أن يقيموا ، وأنهم إذا انصرفوا لم يُغنِ مقامه شيئًا .

ثم إن موسى افتتح خراج سنة ست وخمسين ومائتين يوم الأحد مستهلّ شهر رمضان سنة ستٍّ وخمسين ومائتين ، فاجتنى — فيما ذكر — فى يوم الأحد قدر خمسمائة ألف درهم ، فاجتمع أهل الرىّ ، فقالوا ، أعزّ الله الأمير! إنك تزعم أنّ الموالى يرجعون إلى سامُرّا لما يقدّرونه من كثرة العطاء هناك ، وأنت وأصحابُك فى أكثر وأوسع مما القوم هناك فيه ؛ فإن رأيتَ أن تسدّ هذا الثغر ، وتحتسب فى أهله[3] الأجر والثواب[3] ، وتلزمنا من خراجنا فى خاصّ أموالنا لمن معك ما ترى أن[4] نحتمله فعلت . فلم يُجبهم إلى ما سألوا ، فقالوا : ٣/١٧٣٩

---

(١) المسبوت : الميت .

(٢) فثأه : كفه .

(٣-٣) ف : « الثواب » .

(٤) ف : « أننا » .

أصلح الله الأمير ! فإذا كان الأمير عزم على تركنا ، والانصراف عنا ، فما معنى أخذنا بالخراج لسنة لم نبتدئ بعمارتها ؛ وأكثر غلة سنة خمس وخمسين ومائتين ، التى قد أخذ الأمير خراجها فى الصحارى لا يمكننا الوصول إليها إن رحل الأمير عنا ! فلم يلتفت إلى شىء مما وصفوه له ، وسألوه إياه .

واتصل خبرُ انصرافه بالمهتدى ، فكتب إليه فى ذلك كتباً كثيرة ، لم تؤثر أثراً . فلما انتهى إليه قفول موسى من الرّىّ ، ولم تغن الكتب شيئًا وجّه رجلين من بنى هاشم ، يقال لأحدهما عبد الصمد بن موسى ، ويعرف الآخر بأبى عيسى يحيى بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن علىّ بن عبدالله بن عباس ، وحمّلا[١] رسالة إلى موسى وإلى من ضمّ عسكره من الموالى، يصدقهم فيها عن الحال بالحضْرة وضيق الأموال بها ، وما يُحاذر من ذهاب ما يخلفونه وراء ظهورهم ، وغلبة الطالبيين عليه واتساع آثارهم إلى ناحية الجبل . فشخص بذلك الهاشميان فى جماعة من الموالى [وأتباعهم من الديلم][٢] ، وأقبل موسى ومن معه وصالح بن وصيف فى ذلك يعظم على المهتدى انصرافه ، وينسبه إلى المعصية والخلاف ، ويبتهل عليه فى أكثر ذلك ، ويبرأ إلى الله من فعله . ٣/١٧٤٠

فذكر أن كتاب صاحب البريد بهمذان لمّا ورد على المهتدى بفصُول موسى عنها ، رفع المهتدى يديه إلى السماء ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : اللهمّ إنى أبرأ إليك من فعل موسى بن بُغا وإخلاله بالثّغر وإباحته العدوّ؛ فإنى قد أعذرت إليه فيما بينى وبينه . اللهم تولّ كيد مَنْ كايد المسلمين ، اللهم انصر جيوش المسلمين حيث كانوا ، اللهم إنى شاخص بنيّتى واختيارى إلى حيث نكب المسلمون فيه، ناصراً لهم ودافعًا عنهم . اللهمّ فآجرْنى بنيّتى إذ عدمتُ صالحَ الأعوان ! ثم انحدرتْ دموعه يبكى .

وذكر عن بعض من حضر المهتدى فى بعض مجالسه التى يقول فيها هذا القول ، وحضره سليمان بن وهب ، فقال : أيأمرنى أميرُ المؤمنين أن أكتب إلى موسى بما أسمع منه ؟ فقال له : نعم ، اكتب بما تسمعُ منى ؛ وإن أمكنك أن تنقشه فى الصخر[٣] فافعل. فلقيه[٤] الهاشميان فى الطريق ولم يُغنيا شيئًا ، ٣/١٧٤١

(١) ب « وحملهما » . (٢) من ا .
(٣) ف : « على الصخر » . (٤) ط : « فلقياه » .

وضجّ الموالى ، وكادوا يثبون بالرّسل ، ورد موسى فى جواب الرّسالة يعتذر بتخلّف من معه عن الرجوع إلى قوله دون ورود باب أمير المؤمنين ، وأنه إن رام التخلف عنهم لم يأمنهم على نفسه ، ويحتجّ بما عاين الرّسل الموجهون إليه . فورد الرسل بذلك ، وأوفد مع الرسل موسى وفداً من عسكره ، فوافوا سامرّا لأربع خلوْن من المحرّم سنة ست وخمسين ومائتين .

* * *

[ذكر الخبر عن مفارقة كنجور علىّ بن الحسين بن قريش]

وفى هذه السنة فارق كنجور علىّ بن الحسين بن قريش ، وكان قد نُفِىَ أيام المعتزل إلى فارس ، فوكل به علىّ بن الحسين ، وحبسه ؛ فلما أراد علىّ ابن الحسين محاربة يعقوب بن الليث أخرجه من الحبس ، وضمّ إليه خيلا ورجالا ، فلما انهزم الناس عن علىّ بن الحسين لحق كنجور بناحية الأهواز ، فأثّر فى ناحية رامهرمز أثراً[1] ، ثم لحق بابن أبى دُلف ، فوافاه بهمذان ، وأساء السيرة فى أسباب[2] وصيف وضياعه ووكلائه فى تلك الناحية ، ثم لحق بعد ذلك بعسكر موسى . فلما أقبل موسى فيمن ضمه العسكر ، بلغ ذلك صالحًا ، فكتب عن المهتدى فى حمل كنجور إلى الباب مقيّداً ، فأبى ذلك الموالى ، ثم لم تزل الكتب تختلف فيه إلى أن نزل العسكر القاطول . ثم ظهر أن صالحًا قعد لمراغمته ، وأنّ موسى ترحّل إلى سامرّا على المباينة لصالح ومن مال إليه ، ولحق بايكباك بعسكر موسى ، وأقام موسى هناك يومين . ووجّه المهتدى إليه أخاه إبراهيم لأمه فى أمر كنجور يعلِمه أنّ الموالى بسامرا قد أبوْا أن يقارّوا على دخول كنجور ، ويأمره بتقييده وحمله إلى مدينة السلام ؛ فلم يتهيأ فى ذلك ما قدّره[3] صالح ، وكان جوابهم أن قالوا : إذا دخلنا سامرّا امتثلنا ما أمر به أمير المؤمنين فى كنجور وغيره .

٣/١٧٤٢

* * *

---

(١) ا : « آثاراً قبيحة » . (٢) س : « أصحاب » . (٣) س : « ما قدر » .

خروج أول علوىّ بالبصرة

وللنصف من شوّال من هذه السنة ، ظهر فى فُرات البصرة رجل زعم أنه علىّ بن محمد بن أحمد بن علىّ بن عيسى بن زيد بن علىّ بن الحسين ابن علىّ بن أبى طالب ، وجمع إليه الزّنج الذين كانوا يكسحون السِّباخَ ، ثم عبر دِجلة ، فنزل الدّيناريّ .

• ذكر الخبر عن أمره والسبب الذى بعثه على الخروج هنالك :

وكان اسمه ونسبه — فيما ذُكر — علىّ بن محمد بن عبد الرحيم ، ونسبُه فى عبد القَيْس ، وأمه قرّة ابنة علىّ بن رحيب بن محمد بن حكيم ، من بنى أسد ابن خزيمة ، من ساكنى قرية من قرى الرّى ، يقال لها وَرْزَنين ، بها مولده ومنشؤه ؛ فذُكر عنه أنه كان يقول : جدّى محمد بن حكيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن علىّ بن الحسين . فلما قُتل زيد هرب فلحق بالرّىّ ، فلجأ الى وَرْزَنين ، فأقام بها . وإن أبا أبيه عبد الرحيم رجلٌ من عبد القيس ، كان مولده بالطالقان ، وأنه قدم العراق فأقام بها ، واشترى جارية سندّية ، فأولدها محمداً أباه ؛ فهو علىّ بن محمد هذا ، وأنه كان متصلا قبل بجماعة من آل المنتصر ؛ منهم غانم الشطرنجىّ وسعيد الصغير ويسُر الخادم ؛ وكان منهم معاشه ومن قوم من أصحاب السلطان وكتّابه يمدحهم ويستميحهم بشعره . ١٧٤٣/٣

ثم إنه شخص — فيما ذُكر — من سامرّا سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين ، فادّعى بها أنه علىّ بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن علىّ بن أبى طالب ، ودعا الناس بهجر إلى طاعته ، واتّبعه جماعة كثيرة من أهلها ، وأبته جماعة أخَر ؛ فكانت بسببه بين الذين اتبعوه والذين أَبَوْهُ عصبية قُتِلت بينهم جماعة ، فانتقل عنهم لما حدث ذلك إلى الأحساء ، وضوى إلى حىّ من بنى تميم ثم من بنى سعد ، يقال لهم بنو الشمّاس ؛ فكان بينهم مقامه. وقد كان أهل البحرين أحلّوه من أنفسهم محلّ النبىّ — فيما ذكر — حتى جُبىَ له الخراج هنالك ونفذ حكمه بينهم ، وقاتلوا أسباب السلطان بسببه ووتَر منهم جماعة كثيرة ، فتنكّروا له ، فتحوّل عنهم إلى البادية . ١٧٤٤/٣

ولما انتقل إلى البادية صحبه جماعة من أهل البحرين ، منهم رجل كيّال من أهل الأحْسَاء، يقال له يحيى بن محمد الأزرق المعروف بالبَحْرانيّ ، مولى لبني دارم ويحيى بن أبي ثعلب ، وكان تاجراً من أهل هَجَر ، وبعضُ موالى بني حنظلة أسود يقال له سليمان بن جامع ؛ وهو قائد جيشه ، ثم كان ينتقل فى البادية من حىّ إلى حىّ .

فذكر عنه أنه كان يقول : أوتيت فى تلك الأيام آيات من آيات إمامتى ظاهرة للناس؛ منها – فيما ذكر عنه – أنه قال : إنى لُقِّيتُ سُوَرًا من القرآن لا أحفظها ، فجرى بها لسانى فى ساعة واحدة ، منها سبحان والكهف وص . قال : ومن ذلك أنى لقيت نفسى على فراشى ، فجعلت أفكر فى الموضع الذى أقصد له ، وأجعل مقامى به ؛ إذ نَبَتْ بى البادية ، وضقت بسوء طاعة أهلها ، فأظلتْنى سحابة ، فبرقت ورعدت ، واتّصل صوت الرّعد منها بسمعى ، فخُوطبتُ فيه ، فقيل : اقصد البصرة ، فقلت لأصحابى وهم يكنُفوننى[١] : إنى أُمرت بصوت هذا الرّعد بالمصير إلى البصرة . ١٧٤٥/٣

وذكر أنه عند مصيره إلى البادية أوْهم أهلها أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة ، فاختدع بذلك قومًا منهم ؛ حتى اجتمع بها منهم جماعة كثيرة ، فزحف بهم إلى موضع بالبحرين يقال له الرّدْم ، فكانت بينهم وقعة عظيمة ، كانت الدائرة فيها عليه وعلى أصحابه ، قُتلوا[٢] فيها قتلا ذريعًا ، فنفرت عنه العرب وكرهتْه ، وتجنّبت صحبته . فلما تفرّقت عنه العرب ، ونبت به البادية ، شخص عنها إلى البصرة ، فنزل بها فى بنى ضُبيعة ، فاتّبعه بها جماعة ؛ منهم علىّ بن أبان المعروف بالمهلبىّ وأخواه محمد والخليل وغيرهم . وكان قدومه البصرة فى سنة أربع وخمسين ومائتين ، ومحمد بن رجاء الحضارىّ عامل السلطان بها ، ووافق ذلك فتنةُ أهل البصرة بالبلالية والسعدية ، فطمع فى أحد الفريقين أن يميل إليه ، فأمر أربعة نفر من أصحابه ، فخرجوا بمسجد عبّاد ، أحدهم يسمى محمد بن سلْم القصاب الهجرىّ ، والآخر بُرَيْش القُرَيعىّ ، والثالث علىّ الضرّاب ، والرابع الحسين الصيدنانىّ ؛ وهم الذين كانوا صحبوه

(١) ا : « مطيفون بى » . (٢) و : « فقتلوا » .

٣/١٧٤٦ بالبحرين ، فدعوْا إليه[١] ، فلم يجبه من أهل البلد أحد، وثاب إليهم الجند، فتفرّقوا ولم يظفر بأحد منهم . فخرج من البصرة هاربًا ، فطلبه ابن رجاء فلم يقدِرْ عليه ، وأُخْبِر[٢] ابن رجاء بميل جماعة من أهل البصرة إليه ، فأخذهم فحبسهم ؛ فكان فيمن حبس يحيى بن أبى ثعلب ومحمد بن الحسن الأيادىّ وابن صاحب الزّنْج علىّ بن محمد الأكبر وزوجتُه أمّ ابنه ومعها ابنة له وجارية حامل ، فحبسهم ومضى هو لوجهه يريد بغداد، ومعه من أصحابه محمد بن سلْم ويحيى بن محمد وسليمان بن جامع وبُريش القريعىّ. فلما صاروا بالبَطيحة نذِر بهم بعض موالى الباهليّين ، كان يلى أمر البَطيحة، يقال له عُمَير بن عمار، فأخذهم وحَملهم إلى محمد بن أبى عَوْن ، وهو عامل السلطان بواسط ، فاحتال لابن أبى عَوْن حتى تخلّص هو وأصحابه من يده، ثم صار إلى مدينة السلام، فأقام بها حَوْلاً ، وانتسب فيها إلى أحمد بن عيسى بن زيد ؛ وكان يزعم أنه ظهر له أيام مقامه بها آيات ، وعرف ما فى ضمائر أصحابه ، وما يفعله كلّ واحد منهم ؛ وأنه سأل ربّه بها آيةً أن يعلم حقيقة أمره ، فرأى كتابًا يُكتب له ، وهو ينظر إليه على حائط ، ولا يرى شخص كاتبه .

وذكر عن بعض تُبّاعه أنه بمقامه بمدينة السلام استمال جماعةً ، منهم جعفر بن محمد الصُّوحانىّ — كان ينتسب إلى زيد بن صُوحان — ومحمد بن القاسم وغلاما يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان : مشرق ورفيق ؛ فسمّى مشرقًا حمزة وكنّاه أبا أحمد ، وسمّى رفيقاً جعفراً وكناه أبا الفضل. ثم لم[٣] يزل عامه ذلك ٣/١٧٤٧ بمدينة السلام[٤] حتى عُزِل محمد بن رجاء عن البصرة ، فخرج عنها ، فوثب رؤساء الفتنة من البلاليّة والسعدية ، ففتحوا المحابس، وأطلقوا مَنْ كان فيها ؛ فتخلّصوا فيمن تخلّص. فلما بلغه خلاصُ أهله ، شخص إلى البصرة ، فكان رجوعه إليها فى شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ، ومعه علىّ بن أبان — وقد كان[٥] لحق به وهو بمدينة السلام — ويحيى بن محمد ، ومحمد بن سلم ، وسليمان بن جامع ، وغلاما يحيى بن عبد الرحمن: مشرق ورفيق ؛ وكان يحضر

---

(١) س : « فذهبوا » . (٢) س : « فأخبر » .
(٣) ف : « ولم » . (٤) ف : « فى مدينة » . (٥) س : «وكان» .

هؤلاء الستة رجلٌ من الجند يكنى أبا يعقوب ، ولقّب نفسه بعد ذلك بجُرْبان ، فساروا جميعًا حتى وافوْا برنخل ، فنزلوا قصراً هنالك يعرف بقصر القرشيّ ، على نهر يعرف بعمود ابن المنجم ؛ كان بنو موسى بن المنجم احتفروه ؛ وأظهر أنه وكيل لولد الواثق فى بيع السباخ ، وأمر أصحابه أن يَنْتحلوه ذلك ، فأقام هنالك .

فذُكر عن ريحان بن صالح أحد غلمان الشُّورَجيّين — وهو أوّل من صحبه منهم — أنه قال : كنت موكلا بغلمان مولاى ، أنقل الدقيق إليهم من البصرة ، وأفرّقه فيهم ، فحملت ذلك إليهم كما كنت أفعل ، فمررت به وهو مقيم ببرنخل فى قصر القرشيّ ، فأخذنى أصحابُه ، فصاروا بى إليه ، وأمرونى بالتسليم عليه بالإمْرة ، ففعلت ذلك ، فسألنى عن الموضع الذى جئتُ منه ، فأخبرته أنى أقبلت من البصرة ، فقال : هل سمعتَ لنا بالبصرة خبراً ؟ قلت : لا ، قال : فما خبر الزينبيّ ؟ قلت : لا علم لى به ، قال : فخبر البلاليّة والسعديّة ؟ قلت : ولا أعرف أخبارهم أيضاً ، فسألنى عن أخبار غلمان الشُّورجيّين وما يجرى لكلّ غلام منهم من الدقيق والسويق والتمر وعمّن يعمل فى الشورج من الأحرار والعبيد ، فأعلمته ذلك ، فدعانى إلى ما هو عليه ، فأجبته ، فقال لى : احتَلْ فيمن قدرت عليه من الغلمان ، فأقبلْ بهم إلىّ . ووعدنى أن يقوّدنى على من آتيه به منهم ، وأن يحسن إلىّ ؛ واستحلفنى ألاّ أعلِم أحداً بموضعه ، وأن أرجع إليه . فخلّى سبيلى ، فأتيت بالدقيق الذى معى الموضع الذى كنت قصدته به ، وأقمت عنده يومى ، ثم رجعت إليه من غد ، فوافيته وقد قدم عليه رفيق غلام يحيى بن عبد الرحمن ، وكان وُجّه إلى البصرة فى حوائج من حوائجه ، ووافاه بشبل بن سالم — وكان من غلمان الدّباسين — وبحريرة كان أمره بابتياعها ليتخذها لواء ؛ فكتب فيها بحمرة وخضرة : ﴿ إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمنينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالهُمْ بِأَنَّ لهمُ الجنة يُقَاتِلُونَ فى سَبِيلِ اللهِ ﴾[1] ، إلى آخر الآية ، وكتب اسمه واسم أبيه ، وعلّقها فى رأس مُرْدىّ[2] ، وخرج فى السحر من ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان .

3/1748 3/1749

(١) سورة التوبة ١١١ . (٢) المردى : خشبة يدفع بها الملاح السفينة .

فلما صار إلى مؤخَّر القصر الذى كان فيه ، لقيه غلمان رجل من الشورجيين يعرف بالعطار ، متوجّهين إلى أعمالهم[١] ، فأمر بأخذهم فأخذوا ، وكُتِف وكيلهم ، وأُخِذ معهم ، وكانوا خمسين غلاماً ، ثم صار إلى الموضع الذى يعمل فيه السَّنائىّ ، فأخذ منه خمسمائة غلام ، فيهم المعروف بأبى حُدَيد ، وأمر بوكيلهم فأُخذ معهم مكتوفاً ، وكانوا فى نهر يعرف بنهر المكاثر ، ثم مضى إلى موضع السيرافىّ ، فأخذ منه خمسين ومائة غلام ، فيهم زُرَيق وأبو الخنجر. ثم صار إلى موضع ابن عطاء ، فأخذ طريقًا وصبيحاً الأعسر وراشداً المغربىّ وراشداً القرماطىّ ، وأخذ معهم ثمانين غلاماً . ثم أتى موضع إسماعيل المعروف بغلام سَهْل الطحان ، ثم لم يزل يفعل ذلك كذلك فى يومه ، حتى اجتمع إليه بشر كثير من غلمان الشورجيّين ، ثم جمعهم وقام فيهم خطيبًا ، فمنّاهم ووعدَهم أن يقودهم ويرأسهم ، ويملّكهم الأموال ، وحلف لهم الأيمان الغِلاظ ألاّ يغدر بهم ، ولا يخذُلهم ، ولا يدع[٢] شيئًا من الإحسان إلاّ أتى إليهم . ثم دعا مواليَهم ، فقال : قد أردت ضرب أعناقكم لِمَا كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهرتموهم ، وفعلتم بهم ما حرّم الله عليكم أن تفعلوه بهم ، وجعلتم عليهم ما لا يُطيقون ، فكلمنى أصحابى فيكم ، فرأيت إطلاقكم ، فقالوا : إنّ هؤلاء الغلمان أُبّاق ، وهم يهرُبون منك فلا يُبقون عليك ولا علينا ، فخذ منا مالاً وأطلقهم لنا . فأمر غلمانهم فأحضَروا شَطْبًا[٣] ثم بَطَح كلَّ قوم مولاهم ووكيلهم ، فضرب كلّ رجل منهم خمسمائة شَطْبة ، وأحلفهم بطلاق نسائهم ألاّ يُعلموا أحداً بموضعه ، ولا بعدد أصحابه ، وأطلقهم . فمضوْا نحو البصرة .

١٧٥٠/٣

ومضى رجل منهم يقال له عبد الله ، ويعرف بكَرِيخَا ، حتى عَبَر دُجَيْلاً ، فأنذر الشورجيّين ليحرِزوا غلمانهم ، وكان هناك خمسة عشر ألف غلام .

ثم سار بعد ما صلّى العصر حتى وافى دُجَيلا ، فوجد سفن سَمَاد تدخل فى المدّ ، فقدّمها ، فركب فيها ، وركب أصحابُه حتى عبروا دُجَيلا ،

(١) ب : « عمالهم » . (٢) ف : « لا يدع لهم شيئا » .
(٣) الشطب : السعف الأخضر الرطب من جريد النخل ، واحده شطبة .

وصاروا إلى نهر ميمون ، فنزل المسجد الذى فى وسط السوق الشارع على نهر ميمون ، وأقام هناك . ولم يزل ذلك دأبه ، يجتمع إليه السودان إلى يوم الفِطْر . فلما أصبح نادى فى أصحابه بالاجتماع لصلاة الفطر فاجتمعوا ، وركز المردىّ الذى عليه لواؤه ، وصلّى بهم وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال ، وأن الله قد استنقذهم به من ذلك ، وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ، ويملّكهم العبيد والأموال والمنازل ، ويبلغ بهم أعلَى الأمور ، ثم حلف لهم على ذلك . فلما فرغ من صلاته وخطبته ، أمر الذين فهموا عنه قولَه أن يُفهِموه من لا فهم له من عجمهم ، لتطيب بذلك أنفسُهم. ففعلوا ذلك ، ودخل القصر . فلمّا كان بعد يوم قصد نهر بور ، فوافى جماعة من أصحابه هناك الحميرىّ فى جماعة ، فدفعوهم حتى أخرجوهم إلى الصحراء ، فلحقهم صاحب الزّنج فيمن معه ، فأوقع بالحميرىّ وأصحابه ، فانهزموا حتى صاروا إلى بطن دِجلة . واستأمن إليه رجل من رؤساء الزّنْج يكنى بأبى صالح ، يعرَف بالقصير ، فى ثلثمائة من الزَّنج ، فمنّاهم ووعدهم . ١٧٥١/٣

فلما كثر مَن اجتمع إليه من الزَّنج قوّد قواده ، وقال لهم : كلّ مَنْ أتى منكم برجل فهو مضموم إليه . وقيل إنه لم يقوّد قوّادَه إلاّ بعد مواقعه الحَوَل ببيَان ومصيره إلى سَبَخة القَنْدَل .

وكان ابنُ أبى عَون[1] نقِل عن ولاية واسط إلى ولاية الأبُلّة وكُور دِجلة ، فذُكِر أنه انتهى إليه فى اليوم الذى قوّد فيه قوّاده أن الحميرىّ وعَقيلا مع خليفة ابن أبى عون المقيم كان بالأبُلّة ، قد أقبلوا نحوه ، ونزلوا نهر طين ، فأمر أصحابه بالمصير إلى الرزيقية وهى فى مؤخّر الباذَاوَرْد ، فصار إليها فى وقت صلاة الظهر ، فصلوا بها ، واستعدُّوا للقتال ، وليس فى عسكره يومئذ إلا ثلاثة أسياف : سيفُه ، وسيف علىّ بن أبان ، وسيف محمد بن سلم . ونهض بأصحابه فيما بين الظهر والعصر راجعًا نحو المحمديّة ، وجعل علىّ بن أبان فى آخر أصحابه ، وأمره أن يعرف[2] خبر مَنْ يأتيه من ورائه ، وتقدّم فى أوائل الناس حتى وافى المحمدّية ، فقعد على النهر ، وأمر الناس فشربوا منه ، وتوافَى إليه أصحابُه ، فقال له علىّ بن أبان : قد كنا نرى من ورائنا بارقةً ونسمع ١٧٥٢/٣

(١) هو محمد بن أبى عون .
(٢) ف « يتعرف » .

حسّ قوم يتبعوننا ، فلسنا ندرى : أرجعوا عنا أم هم قاصدون إلينا ؟ فلم يستتمّ كلامه حتى لحق القوم ، وتنادى[1] الزنج السلاح ، فبدر مفرّج النوبىّ المكنى بأبى صالح ، وريحان ابن صالح ، وفتح الحجام — وكان فتْح يأكل — فلما نهض تناول طبقاً كان بين يديه ، وتقدّم أصحابه ، فلقيه رجل من الشورجيّين ، يقال له بلبل ، فلما رآه فتْح حمل عليه وحذَفه بالطبق الذى كان فى يده ، فرمى بلبل بسلاحِه ، وولّى هاربًا ، وانهزم أصحابه ، وكانوا أربعة آلاف رجل ، فذهبوا على وجوههم ، وقُتِل مَنْ قُتِل منهم ، ومات بعضهم عطشًا ، وأُسِرَ منهم قوم ، فأُتِىَ بهم صاحب الزّنج ، فأمر بضرب أعناقهم فضربت ، وحملت[2] الرءوس على بغال كان أخذَها من الشورجيّين ، كانت تنقل الشورج ؛ ومضى حتى وافى القادسيّة ؛ وذلك وقت[3] المغرب ، فخرج من القرية رجل من موالى بعض الهاشميين على أصحابه ، فقتل رجلاً من السودان ، فأتاه الخبر ، فقال له أصحابه : ائذن لنا فى انتهاب القرية وطلب قاتل صاحبنا ، فقال : لا سبيلَ إلى ذلك دون أن نعرف ما عند القوم ، وهل فعل القاتل ما فعل عن رأيهم ، ونسألهم أن يدفعوه إلينا ؛ فإن فعلوا وإلاّ ساغ لنا قتالُهم .

١٧٥٣/٣

وأعجلهم المسير ، فصاروا إلى نهر ميمون راجعين ، فأقام فى المسجد الذى كان أقام فيه فى بدأته وأمر بالرءوس المحمولة معه فنُصبت ، وأمر بالأذان أبا صالح النوبىّ فأذّن ، وسلم عليه بالإمْرَة ، فقام فصلى بأصحابه العشاء الآخرة ، وبات ليلته بها ، ثم مضى من الغد حتى مرّ بالكرخ فطواها ، وأتى قرية تعرف بجُبُّى فى وقت صلاة الظهر ، فعبر دُجَيلا من مخاضَة دلّ عليها ، ولم يدخل القرية ، وأقام خارجاً منها ، وأرسل إلى مَنْ فيها ، فأتاه كبراؤهم وكبراء أهل الكَرْخ ، فأمرهم بإقامة الأنزال[4] له ولأصحابه[4] فأقيم له ما أراد ، وبات عندهم ليلتَه تلك ، فلما أصبح أهدى له رجل من أهل جُبَّى فرساً كُميتًا ، فلم يجد سَرْجًا

---

(١) س : « ونادى » . (٢) س : « وجعلت » .

(٣) س : « فى وقت المغرب » .

(٤ — ٤) س : « لأصحابه » .

ولا لجاماً ، فركبه بحبل وسَنَفه [١] بليف ، وسار حتى انتهى إلى المعروف بالعباسيّ العتيق ، فأخذ منه دليلا إلى السَّيب ، وهو نهر القرية المعروفة بالجعفريّة ، ونذِر به أهل القرية ، فهربوا عنها ، ودخلها فنزل دار جعفر بن سليمان وهى ٣/١٧٥٤ فى السوق ، وتفرّق أصحابُه فى القرية ، فأتوْه برجل وجدُوه ، فسأله عن وكلاء الهاشميّين ، فأخبره أنهم فى الأجمة ، فوجّه الملقب بجُرْبان ، فأتاه برئيسهم وهو يحيى بن يحيى المعروف بالزبيريّ أحد موالى الزياديّين ، فسأله عن المال ، فقال : لا مال عندى ، فأمر بضرب عنقه ، فلما خاف القتل أقرّ بشىء قد كان أخفاه ، فوجّه معه ، فأتاه بمائتى دينار وخمسين ديناراً وألف درهم ؛ فكان هذا أول ما صار إليه ، ثم سأله عن دوابّ وُكلاء الهاشميّين فدله على ثلاثة براذين : كُميت ، وأشقر ، وأشهب ؛ فدفع أحدها إلى ابن سلْم ، والآخر إلى يحيى ابن محمد ، وأعطى مُشرقاً غلام يحيى بن عبد الرحمن الثالث .

وكان رفيق يركب بغلاً كان يحمل عليه الثَّقَل ، ووجد بعض السودان داراً لبعض بنى هاشم فيها سلاح ، فانتهبوه ، فجاء النوبىّ الصغير بسيف ، فأخذه صاحب الزَّنج ، فدفعه إلى يحيى بن محمد ، فصار فى أيدى الزَّنج سيوفٌ وبالات وزقايات وتِراس ، وبات ليلته تلك بالسَّيب ؛ فلما أصبح أتاه الخبر أن رُميساً والحميريّ وعَقيلا الأبُليّ قد وافوا السَّيب ، فوجّه يحيى ابن محمد فى خمسمائة رجل ، فيهم سليمان وريحان بن صالح وأبو صالح [٢] النوبيّ الصغير ، فلقوا القوم فهزموهم ، وأخذوا سُميريّة [٣] وسلاحاً ، وهرب ٣/١٧٥٥ مَنْ كان هنالك ، ورجع يحيى بن محمد فأخبره الخبر ، فأقام يومه ، وسار من غد يريد المذار ، بعد أن اتّخذ على أهل الجعفرية ألاّ يقاتلوه ، ولا يعينوا عليه أحداً ، ولا يستُروا عنه . فلما عبر السَّيب صار إلى قرية تعرف بقرية اليهود شارعة على دِجْلة ، فوافق هنالك رُمَيْساً فى جَمْع ، فلم يزل يقاتلهم

(١) سنفه : شده بالسناف ، والسناف : حبل يشد من التصدير إلى خلف الكركرة ؛ حتى يثبت التصدير .

(٢) هو أبو صالح القصير ، واسمه مفرج ، وانظر ص ٤١٥ .

(٣) السميرية : نوع من السفن النهرية .

يومه ذلك ، وأسرَ من أصحابه عِدّة ، وعقر منهم جماعة بالنُّشاب . وقتِل غلام لمحمد بن أبي عون كان مع رُمَيْس ، وغرقت سميريّة كان فيها ملاّحُها ، فأخِذ وضربت عنقه ، وسار من ذلك الموضع يريد المذّار . فلمّا صار إلى النهر المعروف بباب مداد جاوزه حتى أصحر ، فرأى بُستانًا ، وتلاًّ يعرف بجبل الشياطين ، فقصد للتلّ فقعد عليه ، وأثبت أصحابه في الصحراء ، وجعل لنفسه طليعة .

فذُكر عن شبل أنه قال : أنا كنت طليعته على دِجْلة ، فأرسلت إليه أخبره أن رُميسًا بشاطئ دِجْلة يطلب رجُلاً يؤدّى عنه رسالة، فوجّه إليه علىّ بن أبان ومحمد بن سلم وسليمان بن جامع ، فلما أتوْه قال لهم : اقرءوا على صاحبكم السلام ، وقولوا له : أنت آمن على نفسك حيث سلكت من الأرض ؛ لا يعرض لك أحدٌ ، واردد هؤلاء العبيد على مواليهم ، وآخذ لك عن كلّ رأس خمسة دنانير . فأتوْه فأعلموه ما قال لهم رُميس ، فغضب من ذلك وآلى[1] ليرجعنّ فليبقرنّ بطن امرأة رُميس ، وليحرقنّ داره ، وليخوضنّ الدماء هنالك . فانصرفوا إليه ، فأجابوه بما أمِرُوا به ، فانصرف إلى مقابل الموضع الذى هو به من دِجْلة ، فأقام به ، فوافاه فى ذلك اليوم إبراهيم بن جعفر المعروف بالهمْدانىّ ؛ ولم يكن لحق به إلا فى ذلك الوقت ، ، وأتاه بكتب فقرأها ، فلما صلى العشاء الآخرة ، أتاه إبراهيم ، فقال له : ليس الرّأى لك إتيان المذار ، قال : فما الرأى ؟ قال : ترجع ، فقد بايع لك أهل عبّادان ومَيّان رُوذان وسليمانان ، وخلّفت جمعاً من البلالية بفوّهة القَنْدل وأبرسان ينتظرونك . فلمّا سمع السودان ذلك من قول إبراهيم مع ما كان رُمَيس عرَض عليه فى ذلك اليوم خافوا أن يكونَ احتال عليهم ليردّهم إلى مواليهم ، فهرب بعضُهم ، واضطرب الباقون . فجاءه محمد بن سلْم فأعلمه اضطرابَهم ، وهرَب مَنْ هرب منهم ، فأمر بجمعهم فى ليلته تلك ، ودعا مصلحاً ، وميّز الزّنج من الفراتية . ثم أمر مصلحًا أن يعلمهم أنه لا يردّهم ولا أحداً منهم إلى مواليهم ، وحلف لهم على ذلك بالأيمان الغلاظ ، وقال : ليَحُطْ بى منكم جماعة ، فإن أحسّوا منى غدراً فتكُوا بى . ثم جمع

١٧٥٦/٣

١٧٥٧/٣

(١) ف « وإلا » .

الباقين ؛ وهم الفراتيّة والقرماطيّون والنوبة وغيرهم ممن يفصح بلسان العرب ، فحلف لهم على مثل ذلك ، وضمن ووثّق من نفسه ، وأعلمهم أنه لم يخرج لعَرَض من أعراض الدنيا ، وما خرج إلا غضبًا لله ، ولمَا رأى ما عليه الناس من الفساد فى الدين ، وقال : ها أنا ذا معكم فى كلّ حرب ، أشرككم فيها بيدى ، وأخاطر معكم فيها بنفسى . فرضوا ودعوْا له بخير . فلمّا أسحر أمر غلامًا من الشورجيّين يكنى أبا مَنارة ، فنفخ فى بوق لهم كانوا يجتمعون بصوته ، وسار حتى أتى السَّيب راجعًا ، فألفَى هناك الحميرىّ ورُميْسًا وصاحب ابن أبى عون ، فوجّه إليهم مشرقاً برسالة أخفاها ، فرجع إليه بجوابها ، فصار صاحب الزّنج إلى النهر ، فتقدم صاحب محمد بن أبى عون ، فسلّم عليه ، وقال له : لم يكن جزاء صاحبنا منك أن تفسد عليه عمَله ، وقد كان منه إليك ما قد علمت بواسط ، فقال : لم آت لقتالكم ، فقل لأصحابك يوسّعون[1] لى فى الطريق ، حتى أجاوزكم .

٣/١٧٥٨ فخرج من النَّهر إلى دِجْلة ، ولم يلبَثْ أن جاء الجند ومعهم[2] أهل الجعفريّة فى السلاح الشاك ؛ فتقدّم المكتنى[3] بأبى يعقوب المعروف بجُرْبان ، فقال لهم : يا أهل الجعفريّة ، أما علمتم ما أعطيتمونا من الأيْمان المغلّظة ألاّ تقاتلونا ، ولا تُعينوا علينا أحداً ، وأن تعينونا متى اجتاز بكم أحد منا ! فارتفعت أصواتُهم بالنعير والضّجيج ، ورموْه بالحجارة والنّشاب . وكان هناك موضع فيه زُهاء ثلثمائة زرنوق ، فأمر بأخذها فأخذت ، وقرن بعضها ببعض حتى صارت كالشاشات ، وطرحت إلى الماء ، وركبها المقاتلة فلحقوا القوم ، فقال بعضهم : عبر علىّ بن أبان يومئذ قبل أخذ الزّرَانيق سباحة ، ثم جمعت الزّرَانيق ، وعبر الزنج ، وقد زالوا عن شاطئ النهر فوضعوا فيهم السيف ، فقتل منهم خلق كثير ، وأتى منهم بأسرى ، فوبّخهم وخلّى سبيلهم ، ووجه غلامًا من غلمان الشورجيين يقال له سالم يعرف بالزغاوىّ ، إلى مَنْ كان دخل الجعفرية من أصحابه ، فردّهم ، ونادى : ألا برئت الذّمة ممن انتهب شيئًا

(١) س : « لصاحبك يوسع » . (٢) س : « معهم » .
(٣) س : « المكنى » .

من هذه القرية ، أو سبى منها أحداً ، فمن فعل ذلك فقد حلّت به العقوبة الموجعة .

ثم عبر من غربىّ السَّيب إلى شرقيّه ، واجتمع أصحابه الرؤساء حتى إذا جاوز القرية بمقدار غَلْوة سمع النعير من ورائه فى بطن النهر ، فتراجع الزّنج ، فإذا رُميس والحميرىّ وصاحب ابن أبى عون قد وافوْه لمّا بلغهم حال أهل الجعفرية . فألقى السودان أنفسَهم عليهم ، فأخذوا منهم أربع سُمَيريّات بملاّحيها ومقاتليها ، فأخرجوا السمَيريّات بمن فيها ، ودعا بالمقاتلة فسألهم ، فأخبروه أن رُميساً وصاحب ابن أبى عون لم يَدَعاهم حتى حملاهم على المصير إليه ، وأنّ أهل القرى حرّضوا رُميساً وضمِنوا له ولصاحب ابن أبى عون مالاً جليلا ، وضمن له الشورجيّون على ردّ غلمانهم ؛ لكلّ غلام خمسة دنانير ، فسألهم عن الغلام المعروف بالنميرىّ المأسور والمعروف بالحجّام ، فقالوا : أما النميرىّ فأسير فى أيديهم ، وأما الحجام فإن أهل الناحية ذكروا أنه كان يتلصص فى ناحيتهم ، ويسفك الدماء ، فضُربت عنقه ، وصُلب على نهر أبى الأسد . فلما عرف خبرَهم أمر بضرب أعناقهم ، فضربت إلا رجلاً يقال له محمد بن الحسن البغدادىّ ، فإنه حلف له أنه جاء فى الأمان ، لم يُشْهِر عليه سيفاً ، ولا نصب له حرباً ، فأطلقه . وحمل الرءوس والأعلام على البغال ، وأمر بإحراق سفنهم فأحرِقت .

٣/١٧٥٩

وسار حتى أتى نهر فريد ، فانتهى إلى نهر يعرف بالحسن بن محمد القاضى وعليه مسنّاة تعترض بين الجعفرية ورُستاق القَفْص ، فجاءه قوم من أهل القرية من بنى عجْل ، فعرضوا عليه أنفسَهم ، وبذلوا له ما لديْهم ، فجزاهم خيرا ، وأمر بترك العرض [1] لهم .

وسار حتى أتى نهراً يعرف بباقثا ، فنزل خارجًا من القرية التى على النهر وهى قرية تشرع على دُجيل ، فأتاه أهل الكرخ ، فسلّموا عليه ، ودعَوْا له بخير ، وأمدّوه من الأنزال بما أراد . وجاءه رجل يهودىّ خيبرىّ يقال له ماندويه فقبّل يده ، وسجَد له — زعم — شكراً لرؤيته إيّاه ، ثم سأله عن مسائل كثيرة ، فأجابه عنها ، فزعم أنه يجدُ صفته فى التوراة ، وأنه يرى القتال معه ، وسأله

٣/١٧٦٠

(١) س : « التعرض » .

عن علامات فى بدنه ذكر أنه عرفها فيه ، فأقام معه ليلتَه تلك يحادثه .

وكان إذا نزل اعتزل عسكره بأصحابه الستة ، ولم يكن يومئذ يُنكر النبيذ على أحد من أصحابه ، وكان يتقدّم إلى محمد بن سلْم فى حفظ عسكره ؛ فلما كان فى تلك الليلة أتاه فى آخر الليل رجلٌ من أهل الكَرْخ ، فأعلمه أن رُمَيْسًا وأهل المفتح والقرى التى تتصل بهاوَعقيلا وأهل الأبُلّة قد أتوه ومعهم الدّبيلا بالسلاح الشاك ، وأنّ الحميرىّ فى جمع من أهل الفُرات وقد صاروا فى تلك الليلة إلى قنطرة نهر ميمون ، فقطعوها ليمنعوه العبور . فلمّا أصبح أمر، فصيح بالزّنج ، فعبروا دُجيلا ، وأخذ فى مؤخّر الكرخ حتى وافى نهر ميمون ، فوجد القنطرة مقطوعة ، والناس فى شرقىّ[1] النهر والسُّمَيْريّات فى بطنه ، والدبَيلاَ فى السُّمَيْريّات ، وأهل القرى فى الجريبيّات والجونحات ؛ فأمر أصحابه بالإمساك عنهم ، وأن يرحلوا عن النهر توقّيًا للنُّشاب ، ورجع فقعد على مائة ذراع من القرية ؛ فلمّا لم يروا أحداً يقاتلهم خرج منهم قوم ليعرفوا الخبر ، وقد كان أمر جماعة من أصحابه ، فأتوا القرية ، فكَمَنُوا فيها مخفين لأشخاصهم ؛ فلما أحسوا خروج مَنْ خرج منهم ، شدّوا عليهم ، فأسروا اثنين وعشرين رجلاً ، وسعوا نحو الباقين ، فقتلوا منهم جماعة على شاطئ النهر ، ورجعوا إليه بالرءوس والأسرى ، فأمر بضرب أعناقهم بعد مناظرة جرتْ بينه وبينهم ، وأمر بالاحتفاظ بالرءوس ، وأقام إلى نصف النهار ؛ وهو يسمع أصواتهم ، فأتاه رجل من أهل البادية مستأمنًا ، فسأله عن غَوْر النهر ؛ فأعلمه أنه يعرف موضعًا منه يُخاض ، وأعلمه أن القوم على معاودته بجمْعهم يقاتلونه ؛ فنهض مع الرّجل حتى أتى به موضعًا على مقدار مِيل من المحمّدية ، فخاض النهر بين يديه ، وخاض الناس خلفه ، وحمله ناصح المعروف بالرملىّ ، وعبر بالدوابّ ؛ فلما صار فى شرقىّ النهر كرّ راجعًا نحو نهر ميمون ؛ حتى أتى المسجد فنزل فيه ، وأمر بالرءوس فنُصِبت ، وأقام يومه ، وانحدر جيش رُميس بجمعه فى بطن دُجيل ، فأقاموا بموضع يعرف بأقشَى بإزاء النهر المعروف

٣/١٧٦١

(١) س : « شرقى » .

بِبَرد الخيار ، ووجّه طليعة فرجع إليه ، فأخبره بمقام القوم هناك ، فوجّه من ساعته ألفَ رجل ، فأقاموا بسبَخة هناك على فُوّهة هذا النهر ، وقال لهم : إن أتوْكم إلى المغرب ؛ وإلاّ فأعلمونى . وكتب كتاباً إلى عَقيل ، يذكره فيه[1] أنه قد بايعه فى جماعة من أهل الأبُلّة ، وكتب إلى رُمَيس يذكّره حِلفه له بالسَّيب أنه لا يقاتله ؛ وأنه يُنهِى أخبارَ السلطان إليه ، ووجّه بالكتابين إليهما مع بعض الأكرة بعد أن أحلفه أن يوصلهما .

٣/١٧٦٢

وسار من نهر ميمون يريد السَّبَخَة التى كان هيّأ فيها طليعةً ؛ فلمّا صار إلى القادسية والشيِّفيَا ، سمع هناك نعيراً ، ورأى رمياً ؛ وكان إذا سار يتنكب القرى ؛ فلم يدخلْها ، وأمر محمد بن سَلْم أن يصير إلى الشِّيفيا فى جماعة ؛ فيسأل أهلها أن يُسلموا إليه قاتل الرجل من أصحابه فى ممرّه كان بهم ؛ فرجع إليه ، فأخبره أنهم زعموا أنّه لا طاقة لهم بذلك الرّجل لولائه من الهاشميين[2] ومنعهم له ؛ فصاح بالغلمان ، وأمرهم بانتهاب القريتين ، فانتهب منهما مالاً عظيماً ؛ عيناً ووَرِقا وجوهراً وحُلِيًّا وأوانى ذهب وفضة ، وسبى منهما يومئذ غلماناً ونسوة ؛ وذلك أوّلُ سَبْى سُبِى ، ووقفوا على دار فيها أربعة عشر غلاماً من غلمان الشورج ، قد سُدّ عليهم باب ؛ فأخذهم وأُتِىَ بمولى الهاشميين القاتل صاحبه فأمر محمد بن سلم بضرب عنقه ، ففعل ذلك ، وخرج من القريتين فى وقت العصر ، فنزل السَّبَخة المعروفة ببرَد الخيار .

٣/١٧٦٣

فلما كان فى وقت المغرب أتاه أحد أصحابه الستّة ، فأعلمه أن أصحابه ، قد شغلوا بخمور وأنبذة وجدوها فى القادسيّة ؛ فصار ومعه محمد بن سلم ويحيى ابن محمد إليهم ، فأعلمهم أنّ ذلك مما لا يجوز لهم ، وحرّم النبيذ فى ذلك اليوم عليهم ، وقال لهم : إنكم تلاقون جيوشاً تقاتلونهم[3] ، فدعوا شُرب النبيذ والتشاغل به ، فأجابوه إلى ذلك ؛ فلما أصبح جاءه غلام من السودان ، يقال له قاقويه ، فأخبره أن أصحاب رُميس قد صاروا إلى شرقىّ دُجيل ، وخرجوا إلى الشطّ ، فدعا علىّ بن أبان ، فتقدم إليه أن يمضِىَ بالزّنج ، فيوقع بهم ؛

---

(١) ف : « يذكر له » .
(٢) س : « بالهاشميين لولائه منهم » .
(٣) س : « يقاتلونكم » .

ودعا مشرقًا ، فأخذ منه إصطرلاباً ، فقاس به الشمس ، ونظر فى الوقت ، ثم عبر وعبر الناس خلفه القنطرة التى على النهر المعروف ببرد الخيار ؛ فلما صاروا فى شرقيه ، تلاحق الناس بعلىّ بن أبان ، فوجدوا أصحاب رُميس وأصحاب عَقيل على الشطّ ، والدّيبلا فى السفن يرمون بالنُّشاب ، فحملوا عليهم ؛ فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وهبّتْ ريح من غربىّ دُجيل ، فحملت السفن ، فأدنتها من الشطّ ، فنزل السودان إليها ، فقتلوا مَنْ وجدوا فيها ، وانحاز رُميس ومَنْ كان معه إلى نهر الدير على طريق أقشى ، وترك سفنه لم يحرّكها ليظنّ أنه مقيم ، وخرج عَقيل وصاحب ابن أبى عون إلى دِجْلة مبادريْن ؛ لا يلويان على شىء . ٣/١٧٦٤

وأمر صاحب الزّنج بإخراج ما فى السفن التى فيها الدّيبلا ؛ وكانت مقرونًا بعضها ببعض ، فنزل فيها قاقويه ليفتّشها ، فوجد رجلا من الدّيبلا ، فحاول إخراجَه فامتنع عليه ، وأهوى إليه بسُرتَى كان معه ؛ فضربه ضربة على ساعده ، فقطع بها عِرقًا من عروقه ، وضربه ضربةً على رجله ، فقطعتْ عصبةً من عصبه ، وأهوى له قاقويه ، فضربه ضربةً على هامته فسقط ، فأخذ بشعره ، واحتزّ رأسه ؛ فأتى به صاحب الزّنج ، فأمر له بدينار خفيف ، وأمر يحيى بن محمد أن يقوِّدَه على مائة من السودان . ثم سار صاحب الزّنج إلى قرية تعرف بالمهلبىّ تقابل قيّاران ، ورجع السودان الذين كانوا اتّبعوا[1] عَقيلا وخليفة ابن أبى عون ، وقد أخذ سُميريّة فيها ملاّحان ؛ فسألهم عن الخبر ، فقالوا : اتّبعناهم فطرحوا أنفسهم إلى الشطّ ، وتركوا هذه السميريّة ، فجئنا بها . فسأل الملاّحيْن ، فأخبراه أن عقيلا حملهما على اتباعه قهراً ، وحبس نساءهما حتى اتّبعاه ، وفعل ذلك بجميع مَنْ تبعه[2] من الملاّحين ؛ فسألهما عن سبب مجىء الدّيبلا ، فقالا : إنّ عقيلا وعدهم مالا ؛ فتبعوه ؛ فسألهما عن السفن الواقعة بأقشى ، فقالا : هذه سفن رُميس وقد تركها ، وهرب فى أوّل النهار ، فرجع حتى إذا حاذاها[3] أمر السودان فعبروا ، فأتوه بها ؛ فأنهبهم ما كان فيها ، وأمر بها فأحرِقت ، ثم صار إلى القرية المعروفة بالمهلّبيّة واسمها تنغت ، فنزل ٣/١٧٦٥

(١) س : « تبعوا » . (٢) س : « معه » . (٣) س : « جاوزها » .

قريباً منها ، وأمر بانتهابها وإحراقها ؛ فانتُهبتْ وأحرقت ، وسار على نهر المادیان ، فوجد فيها تموراً ، فأمر بإحراقها .

وكان لصاحب الزّنج بعد ذلك أمور من عيشه هو وأصحابه فى تلك الناحية تركنا ذكرها ، إذ لم تكن عظيمة ؛ وإن كان كلّ أموره كانت عظيمة .

ثمّ كان من عظيم ما كان له من الوقائع مع أصحاب السلطان وقعة كانت مع رجل من الأتراك يكنى أبا هلال فى سوق الرّيان ؛ ذكر عن قائد من قوّاده يقال له ريحان، أن هذا التركىّ وافاهم فى هذا السوق ، ومعه زهاء أربعة آلاف رجل أو يزيدون ؛ وفى مقدّمته قوم عليهم ثياب مُشهرَة وأعلام وطبول ، وأن السودان حملوا عليه حملة صادقة ، وأنّ بعض السودان ألقى صاحب علم القوم فضربه بخشبتين كانتا معه فى يده فصرعه ، وانهزم القوم ، وتلاحق السودان ، فقتلوا ١٧٦٦/٣ من أصحاب أبى هلال زُهاء ألف وخمسمائة . وإن بعضهم اتبع أبا هلال ففاته بنفسه على دابة عُرْى [١] ، وحال بينهم وبين من أفلت ظلمة الليل ؛ وأنه لما أصبحَ أمر بتتبعهم ، ففعلوا ذلك فجاءوا بأسرى ورءوس ، فقتل الأسرى كلهم.

ثُمَّ كانت له وقعة أخرى بعد هذه الوقعة مع أصحاب السلطان ؛ هزمهم [٢] فيها ، وظفر [٣] بهم ، وكان مبتدأ الأمر فى ذلك — فيما ذكر عن قائد لصاحب الزنج من السودان يقال له ريحان — أنه قال : لما كان فى بعض الليل من ليالى هذه السنة التى ذكرنا أنه ظهر فيها ، سمع نباح كلب فى أبواب تعرف بعمرو بن مسعدة ، فأمر بتعرّف الموضع الذى يأتى منه النّباح ، فوجّه لذلك رجلاً من أصحابه ، ثم رجع فأخبره أنه لم ير شيئاً ؛ وعاد النباح . قال ريحان : فدعانى ، فقال لى : صر إلى موضع هذا الكلب النابح ؛ فإنه إنما نَبَح شخصاً يراه ، فصرتُ فإذا أنا بالكلب على المسنّاة ، ولم أر شيئاً ، فأشرفتُ فإذا أنا برجل قاعد فى درجات هنالك ، فكلّمتُه ، فلما سمعنى أفصحُ بالعربيّة كلّمنى ، فقال : أنا سيْران بن عفوالله ، أتيتُ صاحبكم بكتب من شيعته بالبصْرة ، وكان سيْران هذا أحدَ مَنْ صحب صاحب الزّنج أيام مُقامه بالبصرة ، فأخذته فأتيته به ، فقرأ الكتب التى كانت معه ، وسأله عن الزّينبىّ

---

(١) س : « عربية » . (٢) ف : « فهزمهم » . (٣) ب : « فظفر » .

وعن عدّة مَنْ كان معه ، فقال : إن الزّينبيّ قد أعدّ لك الخوَل والمطّوعة ٣/١٧٦٧
والبلالية والسعدية ؛ وهم خلق كثير ، وهو على لقائك بهم ببيَان . فقال
له : اخفِض صوتَك ، لئلا يرتاع الغلمان بخبرك[١] . وسأله عن الذى[٢]
يقود هذا الجيش ، فقال : قد نُدِب لذلك المعروف بأبى منصور ؛ وهو أحد
موالى الهاشميّين : قال له : أفرأيتَ جمعَهم ؟ قال : نعم ؛ وقد أعدُّوا الشُّرُط
لكتف من ظفروا به من السودان ، فأمره بالانصراف إلى الموضع الذى يكون
فيه مُقامه ، فانصرف سيران إلى علىّ بن أبان ومحمد بن سلم ويحيى بن محمد ،
فجعل يحدّثهم إلى أن أسفَر الصبح ، ثم سار صاحب الزّنج إلى أن أشرف
عليهم . فلما انتهى إلى مؤخّر تُرْسَى وبرسونا وسنداذان بيَان ، عرض له قوم
يريدون قتاله ، فأمر علىّ بن أبان فأتاهم فهزمهم ، وكان معهم مائة أسود ،
فظفر بهم . قال ريحان : فسمعته يقول لأصحابه : من أمارات تمام أمركم
ما ترونْ من إتيان هؤلاء القوم بعبيدهم فيسلّمونهم إليكم ؛ فيزيد الله فى عددكم .
ثم سار حتى صار إلى بيَان .

قال ريحان : فوجّهنى وجماعة من أصحابه إلى الحجر لطلب الكاروان
وعسكرهم فى طرف النخل فى الجانب الغربىّ من بيان ، فوجّهنا[٣]
إلى الموضع الذى أمرنا[٤] بالمصير إليه ، فألفينا هناك ألفاً وتسعمائة سفينة ، ٣/١٧٦٨
ومعها قوم من المطّوعة قد احتبسوها ، فلما رأوْنا خلّوْا عن السفن ،
وعبروا سُلبان عَرايا ماضِين نحو جُوبك . وسقْنا السفن حتّى وافيناه
بها ، فلما أتيناه بها أمر فبُسِط له على نشز من الأرض وقعد ، وكان
فى السفن قوم حجّاج أرادوا سلوك طريق البصرة؛ فناظرهم بقيّة يومه إلى وقت
غروب الشمس ، فجعلوا يصدقونه فى جميع قوله ، وقالوا : لو كان معنا فضل
نفقة لأقمنا معك ، فردّهم إلى سفُنهم ؛ فلما أصبحوا أخرجهم ، فأحلفهم
ألاّ يخبروا أحداً بعدّة أصحابه ، وأن يقللوا أمره عند من سألهم عنه . وعرضوا
عليه بساطاً كان معهم ، فأبدله ببساط كان معه ، واستحلفهم أنه لا مال

---

(١) ف : « لخبرك » . (٢) ب : « من الذى » .
(٣) س : « فتوجهنا » . (٤) ب : « أمر » .

للسلطان معهم ولا تجارة ، فقالوا : معنا رجل من أصحاب السلطان ، فأمر بإحضاره ، فأحضر ، فحلف الرَّجل أنه ليس من أصحاب السلطان ، وأنه رجل معه نُقْل أراد به البصرة ، فأحضر صاحب السفينة التى وُجد فيها ، فحلف له أنه إنما اتّجر فيه ، فحمله فخلى سبيله ، وأطاق الحجاج فذهبوا، وشرع أهل سليمانان على بيان بإزائه فى شرقىّ النهر ؛ فكلمهم أصحابُه وكان فيهم حسين الصيدنانىّ الذى كان صحبه بالبصرة ؛ وهو أحد الأربعة الذين ظهروا بمسجد عبّاد ، فلحق به يومئذ ؛ فقال له : لِمَ أبطأتَ عنى إلى هذه الغاية ؟ قال : كنتُ مختفيًا ، فلما خرج هذا الجيش دخلتُ فى سواده . قال : فأخبِرْنى عن هذا الجيش ، ما هم ؟ وما عدّة أصحابه ؟ قال : خرج من الحَوَل بحضرتى ألف ومائتا مقاتل، ومن أصحاب الزينبىّ ألف ، ومن البلاليّة والسعديّة زهاء ألفين ، والفرسان مائتا فارس . ولما صاروا بالأُبُلّة وقع بينهم وبين أهلها اختلاف ؛ حتى تلاعنوا ، وشتم الحَوَلُ محمد بن أبى عون ، وخلفتُهم بشاطئ عثمان وأحسبهم مصبّحيك فى غد . قال : فكيف يريدون أن يفعلوا إذا أتونا ؟ قال : هم على إدخال الخيل من سندادان بيّان ، ويأتيك رجّالتهم من جنبتى النهر . 1769/3

فلما أصبح وجّه طليعةً ليعرف الخبر ، واختاره شيخًا ضعيفًا زمِنًا لئلا يُعرض له ؛ فلم يرجع إليه طليعتُه. فلمّا أبطأ عنه وجّه فتحًا الحجام ومعه ثلثمائة رجل ، ووجّه يحيى بن محمد إلى سندادان ، وأمره أن يخرج فى سوق بيَان ، فجاءه فَتْح فأخبره أن القوم مقبلون إليه فى جمع كثير ، وأنهم قد أخذُوا جنبتى النَّهر ؛ فسأل عن المدّ ، فقيل : لم يأتِ بعدُ ، فقال : لم تدخل خيلُهم بعد ، وأمر محمد بن سَلْم وعلىّ بن أبان أن يقعدا لهم فى النخل ، وقعد هو على جبَل مشرف عليهم ؛ فلم يلبث أن طلعت الأعلام والرّجال حتى صاروا إلى الأرض المعروفة بأبى العلاء البلخىّ ؛ وهى عطفة على دُبَيران ؛ فأمر الزّنج فكبّروا ثم حملوا عليهم فوافوا بهم دبيران ، ثم حمل الحَوَل يقدُمهم أبو العباس بن أيمن المعروف بأبى الكباش وبشير القيسىّ ، فتراجع الزّنج حتى بلغوا الجبل الذى هو عليه ، ثم رجعوا عليهم ؛ فثبتوا لهم ، وحمل أبو الكباش على فَتْح الحجام فقتله ، وأدرك غلاماً يقال له دينار من السودان فضربه 1770/3

ضربات ، ثم حمل السودان عليهم ، فوافوْا بهم شاطئ بيان ، وأخذتهم السيوف .

قال ريحان : فعهدى بمحمد بن سلم وقد ضرب أبا الكباش ، فألقى نفسه فى الطين ، فلحقه بعضُ الزّنج ، فاحتزّ رأسه . وأما علىّ بن أبان ؛ فإنّه كان ينتحل قتل أبى الكباش وبشير القيسىّ ، وكان يتحدّث عن ذلك اليوم فيقول : كان أوّل مَنْ لقينى بشير القيسىّ ، فضربنى وضربتُه ، فوقعتْ ضربته فى تُرسى ، ووقعت ضربتى فى صدره وبطنه ؛ فانتظمتْ جوانح صدره ، وفريتُ بطنَه ، وسقط فأتيته ، فاحتززتُ رأسه . ولقينى أبو الكباش ، فشُغِل بى ، وأتاه بعضُ السودان من ورائه فضربه بعصًا كانت فى يده على ساقيه ؛ فكسرهما فسقط ، فأتيتُه ولا امتناع به ، فقتلته واحتززتُ رأسه ؛ فأتيت بالرأسين صاحب الزّنج .

قال محمد بن الحسن بن سهل : سمعت صاحبَ الزّنج يخبر أن عليًّا أتاه برأس أبى الكباش ورأس بشير القيسىّ — قال : ولا أعرفهما — فقال : كان هذان يقدمان[1] القوم ، فقتلتهما فانهزم أصحابهما لمّا رأوا مصرعهما . ١٧٧١/٣

قال ريحان — فيما ذكر عنه : وانهزم الناس فذهبوا كلّ مذهب ، واتّبعهم السودان إلى نهر بَيَان ، وقد جَزَر[2] النهر ، فلما وافوْه انغمسوا فى الوحْل ، فقتِل أكثرهم . قال : وجعل السودان يمرّون بصاحبِهم دينار الأسود الذى كان أبو الكباش ضربه ، وهو جريح ملقًى ، فيحسبونه من الحوّل فيضربونه بالمناجل حتى أثخنِ ، ومرّ به من عرفه ، فحمل إلى صاحب الزّنج ، فأمر بمداواة كلومِه .

قال ريحان : فلما صار القوم إلى فُوّهة نهر بيان ، وغرق مَنْ غرق ، وأخذت السفن التى كانت فيها الدوابّ ، إذا ملوّح يلوّح من سفينة ، فأتيناه فقال : ادخلوا النهر المعروف بشريكان ، فإنّ لهم كمينًا هناك ، فدخل يحيى ابن محمد وعلىّ بن أبان ، فأخذ يحيى فى غربىّ النهر ، وسلك علىّ بن أبان فى شرقيّة ؛ فإذا كمين فى زهاء ألف من المغاربة ، ومعهم حسين الصَّيْدانىّ

(١) س ، ف : « مقدمان » .

(٢) الجزر : ضد المد .

أسيراً قال: فلمّا رأوْنا شدّوا على الحسين، فقطّعوه قطعاً، ثم أقبلوا إلينا، ومدّوا رماحَهم، فقاتلوا إلى صلاة الظهر، ثم أكبّ السودان عليهم فقتلوهم أجمعين، وحَوَوْا سلاحهم؛ ورجع السودان إلى عسكرهم؛ فوجدوا صاحبهم قاعداً على شاطئ بيان، وقد أُتِىَ بنيّف وثلاثين عَلَماً وزهاء ألف رأس، فيها رءوس أنجاد الحَوَل وأبطالهم؛ ولم يلبث أن أتوْه بزهير يومئذ.

٣/١٧٧٢ قال ريحان: فلم أعرفه، فأُتى يحيى وهو بين يديْه، فعرفه فقال لى: هذا زهير الحَوَل؛ فما استبقاؤك إياه! فأمر به فضُربت عنقه. وأقام صاحب الزنج يومه وليلته. فلما أصبح وجّه طليعة إلى شاطئ دِجْلة، فأتاه طليعته، فأعلمه أن بدجلة شَذاتَين لاصقتين بالجزيرة، والجزيرة يومئذ على فُوّهة القَنْدَل، فردّ الطليعة بعد العصر إلى دِجلة ليعرف الخبر؛ فلمّا كان وقت المغرب أتاه المعروف بأبى العباس خال ابنه الأكبر، ومعه رجل من الجند يقال له عمران، وهو زَوْج أم أبى العباس هذا، فصفّ لهما أصحابه، ودعا بهما؛ فأدّى إليه عمران رسالة ابن أبى عون، وسأله أن يعبر بياناً ليفارق عمله، وأعلمه أنه قد نحّى الشذَا عن طريقه، فأمر بأخذ السفن التى تخترق بَيَانا من جُبّى، فصار أصحابه إلى الحجر، فوجدوا فى سُلبان مائتى سفينة، فيها أعدال دقيق، فأخِذَتْ، ووُجد فيها أكسية وبرّكانات، وفيها عشرة من الزّنْج، وأمر الناس بركوب السفن؛ فلما جاء المدّ[1] — وذلك فى وقت المغرب — عبر وعبر أصحابه حيال فُوّهة القندل، واشتدّت الريح، فانقطع عنه من أصحابه المكنّى بأبى دلف، وكان معه السفن التى فيها الدقيق؛ فلمّا أصبح وافاه أبو دلف فأخبره أن

٣/١٧٧٣ الرّيح حملته إلى حسك عِمْران، وأن أهل القرية همّوا به؛ وبما كان معه فدفعهم عن ذلك. وأتاه من السودان خمسون رجلا، فسار عند موافاة السفن والسودان إياه حتى دخل القَنْدل، فصار إلى قرية للمَعلّى بن أيوب، فنزلها، وانبثّ أصحابه إلى دُبّا، فوجدوا هناك ثلثمائة رجل من الزّنْج، فأتوْه بهم، ووجدوا وكيلاً للمعلّى بن أيوب، فطالبه بمال، فقال: اعبُرْ إلى برسان،

---

(١) س: «حاوزوا».

فآتيكَ بالمال ، فأطلقه ، فذهب ولم يَعُد إليه؛ فلما أبطأ عليه أمر بانتهاب القرية فانتُهبت .

قال ريحان — فيما ذكر عنه : فلقد رأيتُ صاحب الزَّنج يومئذ ينتهب معنا ، ولقد وقعتْ يدى ويده على جبّة صوف مُضرّبة ؛ فصار بعضها فى يده وبعضها فى يدى ، وجعل يجاذبنى عليها حتى تركتُها له . ثم سار حتى صار إلى مسلحة الزينبىّ على شاطىء القَنْدَل فى غربىّ النهر ، فثبت له القوم الذين كانوا فى المسلحة ؛ وهم يرْون أنهم يطيقونه ، فعجزوا عنه ؛ فقتلوا أجمعين ؛ وكانوا زُهاء مائتين ، وبات ليلته فى القَصْر ، ثم غدا فى وقت المدّ قاصداً إلى سبَخة القَنْدل، واكتنف أصحابه حافتى النهر ،حتى وافوا مُنْذُران ، فدخل أصحابُه القرية فانتهبوها، ووجدوا فيها جمعاً من الزَّنج ، فأتوه بهم ، ففرّقهم على قوّاده[1] ، ثم صار إلى مؤخّر القَنْدل ، فأدخل السفن النهر المعروف بالحسَنىّ النافذ إلى النهر المعروف بالصالحىّ ؛ وهو نهر يؤدى إلى دُبّا ، فأقام بسبَخةٍ هناك . ١٧٧٤/٣

فذكر عن بعض أصحابه أنه قال : ها هنا قوّد القوّاد ؛ وأنكر أن يكون قوّد قبل ذلك . وتفرّق أصحابُه فى الأنهار حتى صاروا إلى مربّعةِ دُبّا ، فوجدوا رجلا من التمّارين من أهل كلاّء البصرة ، يقال له محمد بن جعفر المُريدىّ ، فأتوه به، فسلّم عليه وعرفه ، وسأله عن البلاليّة ، فقال: إنما أتيتُك برسالتهم ، فلقينى السودان ، فأتوكْ بى ، وهم يسألونك شروطاً إذا أعطيتَهم إياها سمعوا لك وأطاعوا ، فأعطاه ما سأل لهم ، وضمن القيام له بأمرهم ؛ حتى يصيروا فى حيّزه ، ثم خلّى سبيله، ووجّه معه مَنْ صيّره إلى الفيّاض، ورجع عنه ، فأقام أربعة أيام ينتظره ؛ فلم يأته ، فسار فى اليوم الخامس وقد سرّح السفن التى كانت معه فى النهر ، وأخذ هو على الظهر فيما بين نهر يقال له الدّاوِرْدانىّ والنهر المعروف بالحسَنىّ والنهر المعروف بالصالحى ، فلم يتعدّ حتى رأى خيلا مقبلة من نحو نهر الأمير زهاء ستمائة فارس ، فأسرع أصحابُه

(١) ف : «أصحابه» .

١٧٧٥/٣ إلى النهر الدَّوردانىّ، وكان الخيل فى غربيّه، فكلّموهم طويلاً ، وإذا هم قوم من الأعراب فيهم عنترة بن حجنا وثمال، فوجّه إليهم محمد بن سلم ، فكلّم ثمالا وعنترة ، وسألا عن صاحب الزّنج ، فقال : ها هو ذا ، فقال : نريد كلامَه ، فأتاه فأخبره بقولهما ، وقال له : لوكلّمتَهما ! فزجره، وقال : إنّ هذا مكيدة ، وأمر السودان بقتالهم ، فعَبَرُوا النهر ، فعدلت الخيل عن السودان ، ورفعوا علمًا أسود ، وظهر سليمان أخو الزينبىّ — وكان معهم — ورجع أصحاب صاحب الزّنْج ، وانصرف القوم ، فقال لمحمد بن سلم : ألم أعلمك أنهم إنما أرادوا كيدَنا !

وسار حتى صار إلى دُبّا ، وانبثّ أصحابه فى النخل ، فجاءوا بالغنم والبقر ، فجعلوا يذبحون ويأكلون ، وأقام ليلته هناك ؛ فلمّا أصبح سار حتى دخل الأرخنج المعروف بالمطّهرىّ ، وهو أرخنج ينفذ إلى نهر الأمير المقابل للفيّاض من جانبيه ، فوجدوا هناك شهاب بن العلاء العنبرىّ ، ومعه قوم من الخَوَل ، فأوقعوا به ، وأفلت شهاب فى نُفَير ممن كان معه ، وقُتِل من أصحابه ١٧٧٦/٣ جماعة ، ولحق شهاب بالمنصف من الفيّاض ، ووجد أصحاب صاحب الزّنج ستمائة غلام من غلمان الشورجيّين هناك ، فأخذوهم ، وقتلوا وكلاءهم، وأتوْه بهم ، ومضى حتى انتهى إلى قصر يعرف بالجوهرىّ على السَّبَخة المعروفة بالبرامكة ، فأقام فيه[1] ليلتَه تلك ؛ ثم سار حيث أصبح حتى وافى السَّبَخة التى تُشرَع على النهر المعروف بالدينارىّ ، ومؤخّرها يُفضى إلى النهر المعروف بالمحدث ، فأقام بها ، وجمع أصحابه ، وأمرهم ألاّ يعجّلوا بالذهاب إلى البصرة حتى يأمرهم[2] وتفرّق أصحابُه فى انتهاب كلّ ما وجدوا ، وبات هناك ليلته تلك .

---

(١) ب : « فيهما » .
(٢) ف : « يعلمهم » .

ذكر الخبر عن مسير صاحب الزنج بزنوجه وجيوشه فيها إلى البصرة

ذكر أنه سار من السَّبخَة التى تشرع على النهر المعروف بالدينارىّ ، ومؤخّرها يفضى إلى النهر المعروف بالحدث ، بعد ما جمع بها أصحابه يريد البصرة ؛ حتى إذا قابل النهر المعروف بالرياحىّ أتاه قوم من السودان ، فأعلموه أنهم رأوا فى الرياحىّ بارقةً ، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتى تنادى الزّنج السلاح ، فأمر علىّ بن أبان بالعُبور إليهم ، وكان القوم فى شرقىّ النهر المعروف بالدينارىّ ، فعبَر فى زهاء ثلاثة آلاف ، وحبّس[1] صاحب الزّنج عنده أصحابه ، وقال لعلىّ : إن احتجتَ إلى مزيد فى الرّجال فاستمدّنى . فلما مضى ، صاح الزّنج : السلاح ! لحركة رأوْها من غير الجهة التى صار إليها علىّ ، فسأل عن الخبر ، فأخبِر أنه قد أتاه قوم من ناحية القرية الشارعة على نهر حرْب المعروفة بالجعفرّية ، فوجّه محمد بن سلْم إلى تلك الناحية . ١٧٧٧/٣

فذكر عن صاحبه المعروف بريحان ، أنه قال : كنتُ فيمن[2] توجّه مع محمد ، وذلك فى وقت صلاة الظهر ، فوافينا القومَ بالجعفريّة[3] ، فنَشب القتال بيننا وبينهم إلى آخر وقت العصر ، ثم حمل السودان عليهم حملةً صادقة ، فولّوْا منهزِمين وقُتِل من الجند والأعراب وأهل البصرة البلالية والسعدية خمسمائة رجل ، وكان فتْح المعروف بغلام أبى شيث معهم يومئذ ، فولّى هاربًا ، فاتّبعه فيروز الكبير ؛ فلمّا رآه جادًّا فى طلبه رماه ببيضة كانت على رأسه ؛ فلم يرجع عنه ؛ فرماه بترسه فلم يرجع عنه ، فرماه بتنّور حديد كان عليه فلم يرجع عنه ؛ ووافى به نهر حرْب ، فألقى فتحٌ نفسه فيه ، فأفلت ورجع فيْروز ، ومعه ما كان فتح ألقاه من سلاحه ؛ حتى أتى به صاحب الزّنج .

قال محمد بن الحسن : قال شِبْل : حُكِى لنا أنّ فتحًا طفَر يومئذ نهرَ حرب ، قال : فحدّثت هذا الحديث الفضل بن عدىّ الدارمىّ ،

---

(١) س : « وجلس » . (٢) ب : « من » . (٣) ب : « فى الجعفرية » .

فقال : أنا يومئذ مع السعديّة ، ولم يكن على فتح تنُّور حديد ، وما كان عليه إلا صُدْرة حرير صفراء ، ولقد قاتل يومئذ حتّى لم يبق أحد يقاتل ، وأتى نهر حرب ، فوثبه حتّى صار إلى الجانب الغربىّ منه . ولم يُعرف ما حكى ريحان من خبر فيروز .

٣/١٧٧٨

قال : وقال ريحان : لقيتُ فيروز قبل انتهائه إلى صاحب الزّنج ، فاقتصّ علىّ قصّته وقصّة فَتْح ، وأرانى السلاح . وأقبل الزّنج على أخذ الأسلاب ، وأخذتُ على النهر المعروف بالدّينارىّ ؛ فإذا أنا برجل تحت نخلة عليه قلنسوة خزّ ، وخُفّ أحمر ودرّاعة ، فأخذتُه فأرانى كتبًا معه ، وقال لى : هذه كتبٌ لقوم من أهل البصرة ، وجّهونى بها ، فألقيت فى عنقه عمامة ، وقدته إليه ، وأعلمته خبره ، فسأله عن اسمه فقال : أنا محمد بن عبد الله ، وأكنَى بأبى الليث ، من أهل أصبهان ؛ وإنما أتيتُك راغبًا فى صحبتك ، فقبِله ، ولم يلبث أن سمع تكبيراً ؛ فإذا علىّ بن أبان قد وافاه ومعه رأسُ البلالىّ المعروف بأبى الليث القواريرىّ .

قال : وقال شِبْل : الذى قتل أبا الليث القواريرىّ وصيف المعروف بالزّهرىّ وهو من مذكورى البلاليّة ، ورأس المعروف بعبْدان الكسبىّ ، وكان له فى البلاليّة صوت فى رءوس جماعة منهم ، فسأله عن الخبر فأخبره أنه لم يكن فيمن قاتله أشدّ قتالا من هذين — يعنى أبا الليث وعبدان — وأنه هزمهم حتّى ألقاهم فى نهر نافذ ؛ وكانت معهم شذاة فغرّقها ، ثم جاءه محمد بن سلْم ومعه رجل من البلالية أسيرًا ، أسره شِبْل يقال له محمد الأزرق القواريرىّ ، ومعه رءوس كثيرة ، فدعا الأسير فسأله عن أصحاب هذين الجيشين ، فقال له : أما الذين كانوا فى الرياحىّ فإنّ قائدهم كان أبا منصور الزّينبىّ ، وأما الذين كانوا مما يلِى نهر حرب ، فإن قائدهم كان سليمان أخا الزينبى من ورائهم مُصْحِرًا ، فسأله عن عددهم فقال له : لا أحصيهم ، إلاّ أنى أعلم أنهم كثير عددهم . فأطلق[1] محمد القواريرىّ ، وضمه إلى شِبْل ، وسار حتّى وافى سَبَخة

٣/١٧٧٩

(١) ف : « وأطلق » .

الجعفرية ، فأقام ليلتَه بين القتلى ؛ فلما أصبح جمع أصحابه فحذَّرهم أن يدخل أحد منهم البصرة ، وسار فتسرّع منهم أنكلويه وزُريق وأبو الخَنْجر — ولم يكن قُوِّد يومئذ— وسليم ووصيف الكوفيّ. فوافـَوا النهر المعروف بالشاذانى ، وأتاهم أهل البصرة ، وكثّروا عليهم ؛ وانتهى الخبر إليه ، فوجّه محمد بن سلْم وعليّ بن أبان ومشرقاً غلام يحيي فى خلق كثير ، وجاء هو يسايرهم ؛ ومعه السفن التى فيها الدوابّ المحمولة ونساء الغلمان حتّى أقام بقنطرة نهر كثير .

قال ريحان : فأتيته وقد رُميت بحجر ، فأصاب ساقى ، فسألنى عن الخبر فأخبرته[1] أنّ الحرب قائمة ، فأمرنى بالرّجوع ، وأقبل معى حتّى أشرف على نهر السيابجة . ثم قال لى : امض إلى أصحابنا ، فقل لهم يستأخروا عنهم ، فقلت له : ابعد عن هذا الموضع فإنى لست آمنُ عليك الحَول . فتنحّى ، ومضيت فأخبرت القوّاد[2] بما أمر به ، فتراجعوا ، وأكبّ أهل البصرة عليهم ، وكانت هزيمة وذلك عند العصر ، ووقع الناس فى النهرين : نهر كثير ونهر شَيطان ، فجعل يهتف بهم و يردّهم فلا يرجعون ، وغرق جماعة من أصحابه فى نهر كثير ، وقتِل منهم جماعة على شطّ النهر وفى الشاذانىّ ؛ فكان ممن غرق يومئذ من قوّاده أبو الجون ومبارك البحرانىّ وعطاء البربرىّ وسلام الشأمىّ ، ولحقه غلام أبى شيث وحارث القَيْسىّ وسُحيل ، فعلَـوا القنطرة ، فرجع إليهم وانهزموا عنه حتّى صاروا إلى الأرض ، وهو يومئذ فى دُرّاعة وعمامة ونعل وسيف ، وتُرسه فى يده ؛ ونزل عن القنطرة وصعدها البصريون يطلبونه ، فرجع فقتل منهم بيده رجلا على خمس مراق من القنطرة ، وجعل يهتف بأصحابه ويعرّفهم مكانه ، ولم يكن بقى معه فى ذلك الموضع من أصحابه إلا أبو الشّوْك ومصلح ورفيق غلام يحيي .

١٧٨٠/٣

قال ريحان : فكنت معه فرجع ؛ حتّى صار إلى المعلّى ، فنزل فى غربىّ نهر شيطان .

قال محمد بن الحسن : فسمعتُ صاحب الزّنج يحدّث ، قال : لقد

---

(١) ف : « فأعلمته » . (٢) س : « حتى أخبرت » .

رأيتني فى بعض نهار هذا اليوم ؛ وقد ضللت عن أصحابى ، وضلّوا عنى ، فلم يبق معى إلا مصلح ورفيق، وفى رِجْلى نعل سندىّ ، وعلىّ عمامة قد انحلّ كُور منها فأنا أسحبها من ورائى ، ويعجلنى المشىُ عن رفعها ، ومعى سيفى وتُرسِى . وأسرع[1] مصلح ورفيق فى المشى وقصّرتُ ، فغابا عنى ، ورأيت فى أثرى رجلين من أهل البصرة ؛ فى يد أحدهما سيف ، وفى يد الآخر حجارة ، فلما رأيانى عرَفانى ، فجدّا فى طلبى ، فرجعت إليهما ، فانصرفا عنى ، ومضيتُ حتى خرجت إلى الموضع الذى فيه مجمع أصحابى ؛ وكانوا قد تحيّروا لفقدى ؛ فلما رأوْنى سكنوا إلى رؤيتى . ١٧٨١/٣

قال ريحان : فرجع بأصحابه إلى موضع يعرف بالمعلّى فى غربىّ نهر شيطان ، فنزل به ، وسأل عن الرّجال ؛ فإذا قد هرب كثير منهم ، ونظر فإذا هو من جميع أصحابه فى مقدار خمسمائة رجل ، فأمر بالنفخ فى البوق الذى كانوا يجتمعون لصوته ، فلم يرجع إليه أحد ، وبات ليلته ، فلما كان فى بعض الليل جاء الملقب بجُرْبان ، وقد كان هرب فيمن هرب ، ومعه ثلاثون غلاماً فسأله : أين كانت غيبته ؟ فقال : ذهبت إلى الزّوارقة طليعةً .

قال ريحان : ووجّهنى لأتعرّف له مَنْ فى قنطرة نهر حرْب ، فلم أجد هناك أحداً ، وقد كان أهل البصرة انتهبُوا السفن التى كانت معه ، وأخذوا الدوابّ التى كانت فيها فى هذا اليوم ، وظفروا بمتاع من متاعه ، وكتب من كتبه ، وإصطرلابات كانت معه ؛ فلما أصبح من غد هذا اليوم نظر فى عدة[2] أصحابه ، فإذا هم ألف رجل قد كانوا ثابوا إليه فى ليلتهم تلك . ١٧٨٢/٣

قال ريحان : فكان فيمن هرب شبل ، وكان ناصح الرّملىّ ينكر هرب شبل . قال ريحان : فرجع شبل من غد ، ومعه عشرة غلمان ، فلامه وعنّفه ، وسأل عن غلام كان يقال له نادر يكنى بأبى نعجة ، وعن عنبر البربرىّ ؛ فأخبر أنهما هربا فيمن هرب ، فأقام فى موضعه ، وأمر محمد بن سلم أن يصير إلى قنطرة نهر كثير ، فيعظ الناس ويُعلمهم ما الذى دعاه إلى الخروج ، فصار محمد بن سلم وسليمان بن جامع ويحيى بن محمد ، فوقف سليمان ويحيى ، وعبر

---

(١) ف : « فأسرع » . (٢) س : « عدد » .

محمد بن سلم حتى توسَّط أهل البصرة ، وجعل يكلِّمهم ، ورأوْا منه غِرّة فانطووا عليه ؛ فقتلوه .

قال الفضل بن عدىّ : عَبَر محمد بن سلم إلى أهل البصرة ليعظهم وهم مجتمعون فى أرض تعرف بالفَضْل بن ميمون ؛ فكان أوّل من بدر إليه وضربه بالسيف فَتحٌ غلام أبى شيث ، وأتاه ابن التّومىّ السعدىّ ، فاحتزّ رأسه ، فرجع سليمان ويحيى إليه ، فأخبراه الخبر ، فأمرهما بطىّ ذلك عن الناس حتى يكون هو الذى يقوله لهم ، فلمّا صلى العصر نعى محمد بن سلم لأصحابه ، وعرف خبره من لم يكن عرفه ، فقال لهم : إنكم تقتلون به فى غد عشرة آلاف من أهل البصرة. ووجّه زُريقاً وغلامًا له يقال له سقلبتويا ، وأمرهما بمنع الناس ١٧٨٣/٣ من العبور ؛ وذلك فى يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين .

قال محمد بن الحسن : فحدّثنى محمد بن سمعان الكاتب ، قال : لما كان فى يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة جمع له أهل البصرة ، وحشدوا له لمَا رأوا من ظهورهم عليه فى يوم الأحد ، وانتدب لذلك رجل من أهل البصرة يعرف بحمّاد الساجىّ — وكان من غُزاة البحر — فى الشّذا ، وله علم بركوبها والحرب فيها ، فجمع المطوّعة ورماة الأهداف وأهل المسجد الجامع ومَنْ خفّ معه من حزبى البلالية والسعدية ، ومَنْ أحبّ النظر من غير هذه الأصناف من الهاشميّين والقرشيين وسائر أصناف الناس ، فشحن ثلاثة مراكب من الشّذا من الرماة ، وجعلوا يزدحمون فى الشذا حرصاً على حضور ذلك المشهد ، ومضى جمهور الناس رجّالة ، منهم من معه السلاح ، ومنهم نظّارة لا سلاح معهم ، فدخلت الشّذا والسفن النهرَ المعروف بأم حبيب بعد زوال الشمس من ذلك اليوم فى المدّ . ومرّت الرّجالة والنظارة على شاطئ النهر ، قد سدّوا ما ينفذ فيه البصر تكاثفاً وكثرة ، وكان صاحب الزنج مقيمًا بموضعه من النهر المعروف بشيطان .

قال محمد بن الحسن : فأخبرنا صاحبُ الزّنج أنه لما أحسّ بمصير الجمع إليه ، وأتته طلائعه بذلك وَجّه زُريقاً وأبا الليث الأصبهانىّ فى جماعة

٣/١٧٨٤ معهما فى الجانب الشرقىّ من النهر كمينا وشِبْلاً وحسيناً الحمامىّ فى جماعة من أصحابه فى الجانب الغربىّ بمثل ذلك ، وأمر علىّ بن أبان ومَنْ بقى معه من جمعه بتلقّى القوم ، وأن يجثوا لهم فيمن معه ، ويستتروا بتراسهم فلا يثور إليهم منهم ثائر حتى يوافيَهم القوم ويُوموا إليهم بأسيافهم ؛ فإذا فعلوا ذلك ثاروا إليهم . وتقدّم إلى الكمينين : إذا جاوزهما الجمع وأحسّا بثورة أصحابهم إليهم أن يخرجا من جنبتى النهر ، ويصيحا بالناس . وأمر نساء الزّنج بجمع الآجرّ وإمداد الرجال به .

قال : وكان يقول لأصحابه بعد ذلك : لمّا أقبل إلىّ الجمع يومئذ وعاينته رأيت أمراً هائلاً راعنى ، وملأ صدرى رهبة وجزَعاً ، وفزعت إلى الدعاء ، وليس معى من أصحابى إلاّ نفر يسير ؛ منهم مصلح ؛ وليس منا أحد إلا وقد خُيِّل له مصرعه فى ذلك . فجعل مصلح يعجّبنى من كثرة ذلك الجمع ، وجعلت أومى إليه أن يمسك[1] فلما قرب القوم منى قلت : اللهم إن هذه ساعة العسرة ، فأعنى ، فرأيت طيوراً بيضًا تلقّتْ ذلك الجمع ، فلم أستتمّ كلامى حتى بصرت بُسميريّة قد انقلبتْ بمن فيها ، فغرقوا[2] ثم تلتها الشّذا ، وثار أصحابى ٣/١٧٨٥ إلى القوم الذين قصدوا لهم فصاحوا بهم . وخرج الكمينان عن جنبتى النهر من وراء السفن والرّجّالة ، وخبطوا مَنْ ولّى من الرّجّالة والنظّارة الذين كانوا على شاطئ النهر المعروف ، فغرقت طائفة ، وقتلت طائفة ، وهربت طائفة نحو الشطّ طمعًا فى النجاة ، فأدركها السيف ؛ فمن ثبت قُتِل ، ومن رجع إلى الماء غرق ، ولجأ من كان على شاطئ النهر من الرّجّالة إلى النهر فغرقوا وقتِلوا ، حتى أبير أكثر ذلك الجمع ، ولم ينج منهم إلا الشريد ، وكثر المفقودون بالبصرة ، وعلا العويل من نسائهم . وهذا يوم الشذا الذى ذكره الناس ، وأعظموا ما كان فيه من القتل . وكان فيمن قتل من بنى هاشم جماعة من ولد جعفر ابن سليمان وأربعون رجلا من الرّماة المشهورين ؛ فى خلق كثير لا يحصى عددهم

(١) ب « بالسكر » .
(٢) ب : « فغرقت » .

وانصرف الخبيث وجُمعت له الرءوس، فذهب إليه جماعة من أولياء القتلى، فعرضها عليهم، فأخذوا ما عرفوا منها، وعبّأ ما بقى عنده من الرءوس التى لم يأت لها طالب فى جريبيّة ملأها منها، وأخرجها من النهر المعروف بأم حبيب فى الجزر، وأطلقها. فوافت البصرة، فوقفت فى مشرعة تعرف بمشرعة القيّار، فجعل الناس يأتون تلك الرءوس، فيأخذ رأسَ كل رجل أولياؤه، وقوىَ عدوّ الله بعد هذا اليوم، وتمكن الرّعب فى قلوب أهل البصرة منه، وأمسكوا عن حربه. وكتِب إلى السلطان بخبر ما كان منه، فوجّه جُعْلان التركىّ مدداً لأهل البصرة، وأمر أبا الأحوص الباهلىّ بالمصير إلى الأبُلّة والياً، وأمدّه برجل من الأتراك يقال له جُريح.

فزعم الخبيث أنّ أصحابه قالوا له بعقب هذه الوقعة: إنا قد قتلنا مقاتلة أهل البصرة، ولم يبق فيها إلا ضعفاؤهم ومَن لا حراك به، فأذنْ لنا فى تقحّمها. فزَبرَهم وهجّن آراءهم، وقال لهم: لا بل ابعدوا عنها؛ فقد أرعبناهم وأخفناهم وأمنتم جانبهم؛ فالرأى الآن أن تَدعوا حربَهم حتى يكونوا هم الذين يطلبونكم. ثم انصرف بأصحابه إلى سبَخة بمآخير أنهارهم، إردبّ يقارب النهر المعروف بالحاجر. قال شبل: هى سبَخة أبى قرّة وقعها بين النهرين: نهر أبى قرّة والنهر المعروف بالحاجر.

٣/١٧٨٦

فأقام هناك، وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ، وهذه السبخة متوسطة النخل والقرى والعمارات، وبثّ أصحابه يميناً وشمالاً يغير بهم على القرى، ويقتل بهم الأكرة وينهب أموالهم، ويسوق مواشيَهم.

٣/١٧٨٧

فهذا ما كان من خبره وخبر الناس الذين قربوا من موضع مخرجه فى هذه السنة.

* * *

ولليلتين بقيتا من ذى القعدة منها حُبس الحسن بن محمد بن أبى الشوارب القاضى، ووُلِّىَ عبد الرحمن بن نائل البصرىّ قضاء سامرّا فى ذى الحجة منها.

وحجّ بالناس فيها علىّ بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علىّ.

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

* * *

[ذكر الخبر عن وصول موسى بن بغا إلى سامرّا واختفاء صالح]

فمن ذلك ما كان من موافاة موسى بن بُغا سامُرّا واختفاء صالح بن وصيف لمقدَمه ، وحَمْل من كان مع موسى من قوّاد المهتدى من الجوسق إلى دار ياجور .

ذكر أنّ دخول موسى بن بغا سامرّا بمن معه كان يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلتْ من المحرّم من هذه السنة ؛ فلما دخلها أخذ فى الحَيْر ، وعبّأ أصحابه ميمنة وميسرة وقلباً فى السلاح ،حتى صار إلى باب الحَيْر مما يلى الجوسق ١٧٨٨/٣ والقصر الأحمر ؛ وكان ذلك يوماً جلس فيه المهتدى للناس للمظالم ؛ فكان ممن أحضره فى ذلك اليوم بسبب المظالم أحمد بن المتوكل بن فِتيان ؛ فكان فى الدار إلى أن دخل الموالي ، فحملوا المهتدى إلى دار ياجور ، واتّبعه أحمد بن المتوكّل إلى ما هناك ، فلم يزل موكّلا به فى مضرب مفلح إلى أن انقطع الأمر، ورُدّ المهتدى إلى الجوسق ، ثم أطلق. وكان القيّم بأمر دار الخلافة بايكباك ، فصيّرها إلى ساتكين قبل ذلك بأيام ، فظنّ الناس أنه إنما فعل ذلك لثقته بساتكين ، وأنه على أن يغلب على الدار والخليفة وقت قدوم موسى . فلما كان فى ذلك اليوم لزم منزله ، وترك الدار خالية ، وصار موسى فى جيشه إلى الدار ، والمهتدى جالس للمظالم ؛ فأعلم بمكانه ، فأمسك ساعة عن الإذن ، ثم أذن لهم ، فدخلوا فجرى من الكلام نحوُ ما جرى يوم قَدِم الوفد والرسل ، فلمّا طال الكلام تراطنوا فيما بينهم بالتركيّة ، وأقاموه من مجلسه ، وحملوه على دابة من دواب الشاكريّة ، وانتهبوا ما كان فى الجوْسق من دوابّ الخاصة ، ومضوْا يريدون الكرخ ، فلما صاروا عند باب الحيْر فى القطائع عند دار ياجور أدخلوه دار ياجور . ١٧٨٩/٣

فذُكِر عن بعضِ الموالى ممن حضرهم ذلك اليوم ، أنّ سبب أخذهم المهتدى

ذلك اليوم كان أنّ بعضهم قال لبعض : إنّ هذه المطاولة إنما هى حيلة عليكم حتى يكبسكُمْ صالح بن وصيف بجيشه . فخافوا ذلك ، فحملوه وذهبوا به إلى الموضع الآخر ؛ فذُكِر عمّن سمع المهتدى يقول لموسى : ما تريد ويحك ! اتّق الله وخَفْه ؛ فإنك تركب أمراً عظيماً . قال : فردّ عليه موسى : إنا ما نريد إلا خيراً ، ولا وتربة المتوكل لا نالك منا شرٌّ البتة .

قال الذى ذكر ذلك : فقلت فى نفسى : لو أراد خيراً لحلف بتربة المعتصم أو الواثق .

ولما صاروا به إلى دار ياجور أخذوا عليه العهود والمواثيق ألاّ يمايل صالحاً عليهم ، ولا يضمر[1] لهم إلا مثل ما يظهر ؛ ففعل ذلك ، فجدّدوا له البيعة ليلة الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة خلت من المحرّم ، وأصبحوا يوم الثلاثاء ، فوجّهوا إلى صالح أن يحضرهم للمناظرة ، فوعدهم أن يصير إليهم .

فذكر عن بعض رؤساء الفراغنة ، أنه قيل له : ما الذى تطالبون به صالح ابن وصيف ؟ فقال : دماء الكتّاب وأموالهم ودم المعتزّ وأمواله وأسبابه . ثم أقبل القوم على إبرام الأمور وعسكرهم خارج باب الحيْر عند باب ياجور ؛ فلما كانت ليلة الأربعاء استتر صالح ؛ فذكر عن طلمجُور أنه قال : لما كانت ليلة الأربعاء اجتمعنا عند صالح ، وقد أمر أن يفرّق أرزاق أصحاب[2] النوبة عليهم ، فقال لبعض من حضره : اخرج فأعرض معَنْ حضر من الناس ، فكانوا بالغداة زُهاء خمسة آلاف . قال : فعاد إليه ، وقال : يكونون ثمانمائة رجل ، أكثرهم غلمانك ومواليك. فأطرق مليًّا ، ثم قام وتركنا ، ولم يأمر بشىء وكان آخر العهد .

١٧٩٠/٣

وذكر عمّن سمع بَخْتيشُوع يقول وهو يعرّض بصالح قبل قدوم موسى . حرّكْنَا هذا الجيش الخشن ، وأرغمناه ، حتى إذا أقبل إلينا تشاغلنا بالنرد والشرب ، كأنا بنا وقد اختفينا إذا ورد القاطول ! فكان الأمر كذلك .

وغدا طُغتا إلى باب ياجور سَحَر يوم الأربعاء فلقيه مفلح ، فضربه بطبرزين ، فشجّه فى جانب جبينه الأيمن ، فكان الذين أقاموا مع صالح الليلة

---

(١) كذا فى ب . (٢) ب : « أصحابه » .

التى استتر فيها من القوّاد الكبار طُغْتا بن الصيْغُون وطلمجُور صاحب المؤيد ومحمد بن تركش وخمّوش والنوشرىّ ، ومن الكتّاب الكبار أبو صالح عبد الله ابن محمد بن يزداد وعبد الله بن منصور وأبو الفرج . وأصبح الناس يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من المحرّم وقد استتر صالح ، وغدا أبو صالح إلى دار ياجور ، وجاء عبد الله بن منصور ، فدخل الدار مع سليمان بن وهب ، وتنَصّح إليهم أن عنده سفاتج بخمسة آلاف دينار .

١٧٩١/٣ وذكر أن صالحاً أراده على حملها ، فأبى أن يقرّ الأمر قراره .

وخلع فى هذا اليوم على كنجور ليتولّى أمر دار صالح وتفتيشها ، ومضى ياجور صاحب موسى فأتى بالحسن بن مَخْلَد من الموضع الذى كان فيه محبوساً من دار صالح .

* * *

وفى هذا اليوم من هذا الشهر وُلِّىَ سليمان بن عبد الله بن طاهر مدينة السلام والسواد ، ووجّه إليه بخلَع ، وزيد على ما كان يخلع على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر .

وفيه رُدّ المهتدى إلى الجوسق ، ودفع عبد الله بن محمد بن يزداد إلى الحسن ابن مَخْلَد .

وفيه أظهر النداء على صالح .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل صالح بن وصيف]

ولثمان بقين من صفر من هذه السنة قتِل صالح بن وصيف .

* ذكر الخبر عن سبب قتله وسبب الوصول إليه بعد اختفائه :

ذكر أن سبب ذلك كان أن المهتدى لمّا كان يوم الأربعاء لثلاث بقين من المحرّم سنة ست وخمسين ومائتين أظهر كتاباً ، ذكر أن سيما الشرابىّ زعم أنّ امرأة جاءت به مما يلى القصر الأحمر ، ودفعته إلى كافور الخادم الموكّل

بالحرم ، وقالت له : إن فيه نصيحة ، وإن منزلى فى موضع كذا فإن أردتمونى فاطلبونى هناك ، فأوصل الكتاب إلى المهتدى ، فلما طُلبت فى الموضع الذى وصفت حين احتيج إلى بحثها عن الكتاب لم توجد، ولم يعرف لها خبر .

١٧٩٢/٣

وقد ذُكر أن المهتدى أصاب ذلك الكتاب ، ولم يدر[1] من رمى به ، فذُكر أن المهتدى دعا سليمان بن وهب بحضرة جماعة من الموالى فيهم موسى ابن بغا ومفلِح و بايكباك و ياجور و بكالبا وغيرهم ؛ فدفع[2] الكتاب إلى سليمان، وقال له : تعرف هذا الخطّ ؟ قال : نعم،هذا خطّ صالح بن وصيف ، فأمره أن يقرأه عليهم،فإذا صالح يذكر فيه أنه مستخف بسامرّا،وأنه إنما استتر متخيراً للسلامة و إبقاءً على الموالى، وخوفاً من إيصال الفتن بحرب إن حدثت بينهم ، وقصداً لأن يبيت القوم ، ويكون ما يأتونه بعد بصيرة مما ذكر فى هذا الباب . ثم ذكر ما صار إليه من أموال الكتّاب ، وقال : إنّ عِلْم ذلك عند الحسن ابن مَخْلَد ، وهو أحدهم ، وهو فى أيديكم . ثم ذكر من وصل إليه ذلك المال وتولّى تفريقه ، وذكر ما صار إليه من أمر قبيحة ، وأشار إلى أن علم ذلك عند أبى صالح بن يزداد وصالح العطار ، ثم ذكر أشياء فى هذا المعنى ، بعضها يعتذر به وبعضها يحتجّ به ، ومخرج القول فى ذلك يدلّ على قوّة فى نفسه .

فلما فَرغ سليمان من قراءة الكتاب وصله المهتدى بقول منه يحثُّ على الصلح والهدنة والألفة والاتفاق ،ويكرّه إليهم الفرقة والتفانى والتباغض،فدعا ذلك القوم إلى تُهمته ، وأنه يعلم بمكان صالح ، وأنه يتقدّمهم عنده ، فكان بينهم فى ذلك[3] كلام كثير ومناظرات طويلة ، ثم أصبحوا يوم الخميس لليلتين بقيتا من المحرّم سنة ست وخمسين ومائتين ، فصاروا جميعاً إلى دار موسى بن بغا فى داخل الجوسق يتراطنون ويتكلمون . واتصل الخبر بالمهتدى .

١٧٩٣/٣

فذكر عن أحمد بن خاقان الواثقىّ أنه قال : من ناحيتى انتهى الخبر إلى

---

(١) ب : « ولا يدرى » . (٢) س : « فوقع » .
(٣) س : « هذا » .

المهتدى ؛ وذلك أنى سمعت بعض مَنْ كان حاضر المجلس وهو يقول : أجمع القوم على خلع الرجل .

قال : فصرت إلى أخيه إبراهيم ، فأعلمته بذلك ، فدخل عليه فأعلمه ذلك ، وحكاه عنى ؛ فلم أزل خائفاً أن يعجل أمير المؤمنين فيخبرهم عنى بالخبر ، فرزق الله السلامة .

وذكر أن أخا بايكباك قال لهم فى هذا المجلس لما أطلعوه على ما كانوا عزموا عليه : إنكم قتلتم ابن المتوكل ، وهو حسن الوجه ، سخىّ الكف ، فاضل النفس ، وتريدون أن تقتلوا هذا وهو مسلم يصوم ولا يشرب النبيذ من غير ذنب ! والله لئن قتلتم هذا لألْحقَنّ بحراسان ، ولأشيعنّ أمركم هناك .

فلما اتصل الخبر بالمهتدى خرج إلى مجلسه متقلداً سيفاً ، وقد لبس ثياباً نظافاً ، وتطيّب ، ثم أمر[1] بإدخالهم إليه ، فأبوْا ذلك مليّاً ، ثم دخلوا عليه ، فقال لهم : إنه قد بلغنى ما أنتم عليه من أمرى ؛ ولستُ كمَنْ تقدّمنى مثل أحمد بن محمد المستعين ، ولا مثل ابن قبيحة ؛ والله ما خرجتُ إليكم إلاّ وأنا متحنّط ، وقد أوصيتُ إلى أخى[2] بولدى ، وهذا سيفى ؛ والله لأضربنّ به ما استمسك قائمهُ بيدى ؛ والله لئن سقط من شعرى شعرة ليهلكنّ أو ليذهبنّ بها أكثركم . أمَا دين ! أمَا حياء ! أمَا رِعة ! كم يكون هذا الخلاف على الخلفاء والإقدام والجرأة على الله ! سواء عليكم مَنْ قصد الإبقاء عليكم ومن كان إذا بلغه مثل هذا عنكم دعا بأرطال الشراب فشربها مسروراً بمكروهكم وحبّاً لبواركم! خبّرونى عنكم ؛ هل تعلمون أنه وصل إلىّ من دنياكم هذه شىء ! أما إنك تعلم يا بايكباك أنّ بعض المتصلين بك أيسر من جماعة إخوتى وولدى؛ وإن أحببتَ أن تعرف ذلك فانظر : هل ترى فى منازلهم فرشاً أو وصائف أو خدماً أو جوارىَ ! أو لهم ضياع أو غلات ! سوءة لكم ! ثم تقولون : إنى أعلم علم صالح ، وهل صالحٌ إلاّ رجل من الموالى ، وكواحد منكم ! فكيف الإقامة معه إذا ساء رأيكم فيه ! فإن آثرتم الصلح كان ذلك ما أهوى لجمعكم ،

١٧٩٤/٣

(١) س : « ثم تطيب وأمر » . (٢) ب : « إخوتى » .

وإن أبيتم إلاّ الإقامة على ما أنتم عليه فشأنكم ؛ فاطلبوا صالحاً، ثم ابلغوا شفاء أنفسكم ؛ وأما أنا فما أعلم علمه . قالوا : فاحلف لنا على ذلك . قال : أمّا اليمين فإنى أبذلها لكم ؛ ولكنى أؤخّرها حتى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والمعدّلين وأصحاب المراتب غداً إذا صلّيت الجمعة . فكأنهم لانوا قليلا ، ووجّه فى إحضار الهاشميين فحضروا فى عشيّتهم ، فأذن لهم ، فسلّموا ولم يذكرْ لهم شيئاً ، وأمِروا بالمصير إلى الدار لصلاة الجمعة ، فانصرفوا ، وغدا الناس يوم الجمعة ولم يحدثوا[1] شيئاً ، وصلّى المهتدى ، وسكن الناس وانصرفوا هادنين . ٣/١٧٩٥

وذُكِر عن بعض مَنْ سمع الكلام فى يوم الأربعاء يقول : إن المهتدى لما خوّن صالح قال : إن بايكباك قد كان حاضراً ما عمل به صالح فى أمر الكتّاب ومال ابن قبيحة، فإن كان صالح قد أخذ من ذلك شيئاً فقد أخذ مثل ذلك بايكباك ؛ فكان ذلك الذى أحفظ بايكباك .

وقال آخر : إنه سمع هذا القول ، وإنه ذكر محمد بن بغا ، وقال : قد كان حاضراً وعالمً بما أجرَوْا عليه الأمر ، والشريك فى ذلك أجمع . فأحفظ ذلك أبا نصر .

وقد قيل : إن القوم من لدن قدم موسى كانوا مضمرين هذا المعنى ، منطوين على الغِلّ ؛ وإنما كان يمنعهم منه خوف الاضطراب وقلة الأموال ؛ فلما ورد عليهم مال فارس والأهواز تحرّكوا ، وكان ورود[2] ذلك عليهم يوم الأربعاء لثلاث بقين من المحرّم، ومبلغه سبعة عشر ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم .

[ذكر الخبر عن خروج العامة على المهتدى]

فلما كان يوم السبت انتشر الخبر فى العامة أنّ القوم على أن يخلعوا المهتدى ، ويفتكوا به ، وأنهم أرادوه على ذلك ، وأرهقوه ، وكتبوا الرقاع وألقوْها فى المسجد الجامع والطرقات ؛ فذكر بعض[3] من زعم أنه قرأ رقعة منها فيها :

---

(١) س : « فلم يحدثوا » . (٢) ب : « ورد » . (٣) س : « بعضهم » .

بسم الله الرحمن الرحيم ، يا معشرَ المسلمين ، ادعوا الله لخليفتكم العدْل الرضيّ المضاهى لعمر بن الخطاب أن ينصرَه على عدّوه ، ويكفيه مؤنة ظالمه ، ويتمّ النعمة عليه وعلى هذه الأمة ببقائه ؛ فإن الموالىَ قد أخذوه بأن يخلع نفسه وهو يعذَّب منذ أيام ، والمدبّر لذلك أحمد بن محمد بن ثوابة والحسن بن مَخْلَد ، رحم الله من أخلص النيّة ودعا وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم !

١٧٩٦/٣

فلما كان يوم الأربعاء لأربع خلوْن من صفر من هذه السنة ، تحرّك الموالى بالكرْخ والدّور ، ووجّهوا إلى المهتدى على لسان رجل منهم يقال له عيسى : إنّا نحتاج أن نلقى إلى أمير المؤمنين شيئًا ، وسألوا أن يوجّه أمير المؤمنين إليهم أحد إخوته ، فوجّه إليهم أخاه عبد الله أبا القاسم، وهو أكبر إخوته ، ووجّه معه محمد بن مباشر المعروف بالكرخيّ ، فمضيا إليهم ، فسألاهم عن شأنهم ، فذكروا أنهم سامعون مطيعون لأمير المؤمنين ، وأنه بلغهم أن موسى ابن بغا و بايكباك وجماعة من قوّادهم يريدونه على الخلع ، وأنهم يبذلون دماءهم دون ذلك ، وأنهم قد قرعوا بذلك رقاعًا ألْقِيَتْ فى المسجد والطرقات ، وشكوا مع ذلك سوء حالهم ، وتأخُّر أرزاقهم ، وما صار من الإقطاعات إلى قوّادهم التى قد أجحفت بالضياع والخراج ، وما صار لكبرائهم من المعاون والزّيادات من الرسوم القديمة مع أرزاق النساء والدّخلاء الذين قد استغرقوا أكثر أموال الخراج . وكثر كلامهم فى ذلك ، فقال لهم أبو القاسم عبد الله ابن الواثق : اكتبوا هذا فى كتاب إلى أمير المؤمنين ، أتولَّى إيصاله لكم ؛ فكتبوا ذلك ، وكاتبهم فى الذى يكتبون محمد بن ثقيف الأسود ؛ وكان يكتب لعيسى[1] صاحب الكرخ أحياناً . وانْصرف أبو القاسم ومحمد بن مباشر ، فأوصلا الكتاب إلى المهتدى ، فكتب جوابَه بخطّه ، وختمه بخاتمه ، وغدا أبو القاسم إلى الكَرْخ ، فوافاهم. فصاروا به إلى دار أشناس وقد صيروها مسجداً جامعاً لهم ، فوقف ووقفوا له فى الرَّحَبة ، واجتمع منهم زهاء مائة وخمسين فارسًا ونحو من خمسمائة راجل ، فأقرأهم من المهتدى السلام ، وقال : يقول

١٧٩٧/٣

---

(١) س : « يلقب بعيسى » .

لكم أمير المؤمنين : هذا كتابى إليكم بخطِّى وخاتمى ، فاسمعوه وتدّبروه ، ثم دفع الكتاب إلى كاتبهم فقرأه، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله،وصلى الله على محمد النبىّ وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً ، أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم وليًّا وحافظًا . فهمت كتابكُم ، وسرّنى ما ذكرتم من طاعتكم وما أنتم عليه ؛ فأحسن الله جزاءكم، وتولّى حياطتكم ؛ فأما ما ذكرتم من خَلّتكم وحاجتكم، فعزيز علىّ ذلك فيكم ، ولوددت والله أنّ صلاحكم يهيأ بألا آكل ولا أطعم ولدى وأهلى إلاّ القوت الذى لا شبع دونه ، ولا ألبس أحدًا من ولدى إلا ما ستر العورة ، ولا والله ــ حاطكم الله ــ ما صار إلىّ منذ تقلدت أمركم لنفسى وأهلى وولدى ومتقدمى غلمانىّ وحشمى إلا خمسة عشر ألف دينار ، وأنتم تقفون على ما ورد ويرد ، كلّ ذلك مصروف إليكم ، غير مدّخر عنكم . وأما ما ذكرتم مما بلغكم ، وقرأتم به الرّقاع التى ألقيت فى المساجد والطرق ، وما بذلتم من أنفسكم ؛ فأنتم أهل ذلك . وأين تعتذرون مما ذكرتم ونحن وأنتم نفس واحدة ! فجزاكم الله عن أنفسكم وعهودكم وأمانتكم خيرًا . وليس الأمر كما بلغكم ، فعلى ذلك فليكن عملكم إن شاء الله . وأما ما ذكرتم من الإقطاعات والمعاون وغيرها ، فأنا أنظر فى ذلك وأصير منه إلى محبّتكم إن شاء الله والسلام عليكم . أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم حافظًا ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبى وآله وسلم تسليماً كثيراً .

٣/١٧٩٨

فلما بلغ القارئ من الكتاب إلى الموضع الذى قال : « ولم يصل إلىّ إلا قدر خمسة عشر ألف دينار »، أشار أبو القاسم إلى القارئ ، فسكت ثم قال : وهذا ما قدّر ، هذا قد كان أمير المؤمنين فى أيام إمارته يستحق فى أقلّ من هذه المدة ماهو أكثر منه بأرزاقه وأنزاله ومعونته ، وقد تعلمون ما كان مَنْ تقدّمه يصرفه فى صلات المخنّثين والمغنين وأصحاب الملاهى وبناء القصور وغير ذلك ، فادعوا الله لأمير المؤمنين . ثم قرأ الكتاب حتى أتى على الكتاب .

• • • •

فلما فرغ كثُر الكلام وقالوا قولا ، فقال لهم أبو القاسم : اكتبوا بذلك كتاباً صدّروه على مجارى الكتب إلى الخلفاء ، واكتبوه عن القوّاد وخلفائهم والعُرفاء بالكرخ والدّور وسامرّا. فكتبوا—بعد أن دعوا الله فيه لأمير المؤمنين : إن الذى يسألون ،أن تردّ الأمور إلى أمير المؤمنين فى الخاصّ والعام، ولا يعترض عليه معترض ، وأن تردّ رسومهم إلى ما كانت عليه أيام المستعين بالله ؛ وهو أن يكون على كلّ تسعة منهم عريف ، وعلى كل خمسين خليفة ، وعلى كل مائة قائد ، وأن تسقط النساء والزيادات والمعاون ،ولا يدخل[1] مولًى فى قَبالة ولا غيرها ، وأن يوضع لهم العطاء فى كلّ شهرين على ما لم يزل ، وأن تبطل الإقطاعات ، وأن يكون أمير المؤمنين يزيد مَنْ شاء ويرفع مَنْ شاء . وذكروا أنهم صائرون فى أثر كتابهم إلى باب أمير المؤمنين ، ومقيمون هناك إلى أن تقضَى حوائجُهم . وإنه إن بلغهم أنّ أحداً اعترض أمير المؤمنين فى شىء من الأمور أخذوا رأسه ، وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا به موسى بن بغا وبايكباك ومفلحاً وياجور وبكالبا وغيرهم .

٣/١٧٩٩

ودعوا الله لأمير المؤمنين ودفعوا الكتاب إلى أبى القاسم . فانصرف به حتّى أوصله ، وتحرّك الموالى بسامرّا،واضطرب القوّاد جدّاً ، وقد كان المهتدى قعد للمظالم وأدخل الفقهاء والقضاة ،وأخذوا مجالسهم ، وقام القوّاد فى مراتبهم ، وسبق دخول أبى القاسم دخول المتظلّمين .

فقرأ المهتدى الكتاب قراءة ظاهرة ، وخلا بموسى بن بغا ، ثم أمر سليمان بن وهب أن يوقّع فى رقعتهم بإجابتهم إلى ما سألوا ، فلما فعل ذلك فى فصل من الكتاب أو فصلين، قال أبو القاسم: يا أمير المؤمنين ، لا يقنعهم إلا خطّ أمير المؤمنين وتوقيعه ، فأخذ المهتدى كتابهم فضرب على ما كان سليمان وقع فى ذلك،ووقع فى كل باب بإجابتهم[2] إلى ما سألوا،وبأن يفعل ذلك. ثم كتب كتاباً مفرداً بخطّه وختمه بخاتمه،ودفعه إلى أبى القاسم،فقال أبو القاسم لموسى وبايكباك ومحمد بن بغا: وجّهوا إليهم معى رسلا يعتذرون إليهم مما بلغهم عنكم . فوجّه كل واحد منهم رجلاً، وصار أبو القاسم إليهم وهم فى مواضعهم،

٣ ١٨٠٠

---

(١) س : « وألا » . (٢) س : « إحابتهم » .

وقد صاروا زهاء ألف فارس وثلاثة آلاف راجل ؛ وذلك فى وقت الظهر من يوم الخميس لخمس ليال خلوْن من صفر من هذه السنة ، فأقرأهم من أمير المؤمنين السلام، وقال لهم : إنّ أمير المؤمنين ، قد أجابكم إلى كلّ ما سألتم ، فادعوا الله لأمير المؤمنين . ثم دفع كتابهم إلى كاتبهم ، فقرأه عليهم بما فيه من التوقيعات ؛ ثم قرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ؛ فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد النبى وآله وسلم ؛ أرشدكم الله وحاطكم ، وأمتع بكم ، وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم ؛ وعلى أيديكم . فهمتُ كتابكم ، وقرأته على رؤسائكم ، فذكروا مثل الذى ذكرتم ، وسألوا مثل الذى سألتم ،وقد أجبتكم إلى جميع ما سألتم محبّةً لصلاحكم وألفتكم واجتماع كلمتكم ، وقد أمرت بتقرير أرزاقكم ، وأن تصير دارّة عليكم ، فليست لكم حاجة إلى حركة ، فطيبُوا نفسًا ، والسلام.أرشدكم الله وحاطكم وأمتع بكم ، وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم ، وعلى أيديكم !

فلما فرغ القارئ من الكتاب ، قال لهم أبو القاسم : وهؤلاء رسل رؤسائكم يعتذرون إليكم من شىء إن كان بلغكم عنهم ، وهم يقولون: إنما أنتم إخوة ؛ وأنتم منّا وإلينا .

وتكلم الرسل بمثل ذلك ، فتكلّموا أيضًا كلامًا كثيراً، ثم كتبوا كتاباً يعتذرون فيه بمثل العذر الأوّل إلى أمير المؤمنين ، وذكروا فيه خصالا مما ذكروه فى الكتاب الذى قبله ، ووصفوا أنه لا يقنعهم إلاّ أن ينفذ إليهم خمس توقيعات ، توقيعًا بحط الزيادات ، وتوقيعاً بردّ الإقطاعات ، وتوقيعاً بإخراج الموالى البوابين من الخاصّة إلى عداد البرانيّين ، وتوقيعًا بردّ الرسوم إلى ما كانت عليه أيام المستعين ، وتوقيعاً بردّ التلاجئ حتى يدفعوها إلى رجل يضمّنون إليه خمسين رجلاً من أهل الدور ، وخمسين رجلا من أهل سامرّا ينتجزون من الدواوين ، ثم يصير أمير المؤمنين الجيش إلى أحد إخوته أو غيرهم ممن يرى ليسفر بينه وبينهم بأمورهم ، ولا يكون رجلا من الموالى ، وأن يؤمر صالح بن وصيف فيحاسب هو وموسى بن بغا على ما عندهم من الأموال ، وأنه لا يرضيهم دونَ ما سألوا فى كتبهم كلها مع تعجيل العطاء ، وإدرار أرزاقهم عليهم فى كلّ شهرين ، ١٨٠١/٣

وأنهم قد كتبوا إلى أهل سامُرّا والمغاربة فى موافاتهم ، وأنهم صائرون إلى باب أمير المؤمنين لينجز ذلك لهم ، ودفعوا الكتاب إلى أبى القاسم أخى أمير المؤمنين ، وكتبوا كتاباً آخر إلى موسى بن بغا وبايكباك ومحمد بن بغا ومفلح وياجور وبكالبا وغيرهم من القوّاد الذين ذكروا أنهم كتبوا كتابًا ، ذكروا فيه أنهم قد كتبوا إلى أمير المؤمنين بما كتبوا ، وأن أمير المؤمنين لا يمنعهم ما سألوا[1] إلا أن يعترضوا عليه ، وأنهم إن فعلوا ذلك وخالفوهم لم يوافقوهم على شىء ، وأنّ أمير المؤمنين إن شاكتْه شوكة أو أخذ من رأسه شعرة ، أخذوا رءوسهم جميعًا ، وأنه ليس يقنعهم إلاّ أن يظهر صالح بن وصيف حتى يجمع بينه وبين موسى ابن بُغا ، حتى ينظر أين موضع الأموال ؛ فإن صالحاً قد كان وعدهم قبل استتاره أن يعطيَهم أرزاق ستة أشهر . ١٨٠٢/٣

ثم دفعوا هذا الكتاب إلى رسول موسى ، ووجّهوا مع أبى القاسم عدّة نفر منهم ؛ ليوصلوا إلى أمير المؤمنين كتابهم ، وليستمعوا كلامه .

فلما رجع أبو القاسم وجّه موسى زهاء خمسمائة فارس ، فوقفوا على باب الحيْر بين الجوسق والكَرْخ ، فمال إليهم أبو القاسم ورسل القوم ورسل أنفسهم ، فدفع رسول موسى إلى موسى كتاب القوم إليه وإلى أصحابه — وفى الجماعة سليمان بن وهب وولده وأحمد بن محمد بن ثَوَابة وغيرهم من الكتاب — فلما قرأ الكتاب عليهم أعلمهم أبو القاسم أنّ معه كتاباً من القوم إلى أمير المؤمنين ، ولم يدفعه إليهم . فركبوا[2] جميعًا وانصرفوا إلى المهتدى ، فوجدوه فى الشمس قاعداً على لِبد ، قد صلّى المكتوبة ؛ وكسر جميع ما كان فى القصر من الملاهى وآلاتها وآلات اللعب والهزْل ، فدخلوا فأوصلوا إليه الكتب ، وخلوا مليًّا . ثم أمر المهتدى سليمان بن وهب بإنشاء الكتب على ما سألوا فى خمس رقاع ، فأنفذها المهتدى فى دَرج كتاب منه بخطّه ، ودفعه إلى أخيه ، وكتب القُوّاد إليهم جواب كتابهم ، ودفعوه إلى صاحب موسى ، فصار إليهم أبو القاسم فى وقت المغرب ، فأقرأهم من المهتدى السلام ، وقرأ عليهم كتابه ، فإذا فيه : ١٨٠٣/٣

(١) س : « مما سألوا » .

(١) س : « فرجعوا » .

بسم الله الرحمن الرحيم . وفّقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه . فهمت كتابكم . حاطكم الله ، وقد أنفذت إليكم التوقيعات الخمس على ما سألتم ، فوكّلوا منْ يتنجّزها من الدواوين إن شاء الله . وأما ما سألتم من تصيير أمركم إلى أحد إخوتى ليوصل إلىّ أخباركم ، ويؤدى إلىّ حوائجكم ؛ فوالله إنى لأحبّ أن أتفقّد ذلك بنفسى ، وأن أطّلع على كلّ أمركم وما فيه مصلحتكم ، وأنا مختار لكم الرجل الذى سألتم ، من إخوتى أو غيرهم إن شاء الله ؛ فاكتبوا إلىّ بحوائجكم وما تعلمون أن فيه صلاحكم ؛ فإنى صائر من ذلك إلى ما تحبّون إن شاء الله ، وفّقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه .

وأوصل إليهم رسول موسى كتاب موسى وأصحابه ؛ فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أبقاكم الله وحفظكم ، وأتمّ نعمته عليكم ، فهمنا كتابكم ؛ وإنما أنتم إخواننا وبنو عمنا ، ونحن صائرون إلى ما تحبّون ، وقد أمر أمير المؤمنين أعزه الله فى كل ما سألتم بما تحبون وأنفذ التوقيعات به إليكم . وأما ذكرتم من أمر صالح مولى أمير المؤمنين وتغيّرنا له فهو الأخ وابن العم ، وما أردنا من ذلك ما تكرهون ؛ فإن وعدكم أن يعطيكم أرزاق ستة أشهر فقد رفعنا إلى أمير المؤمنين رقاعاً ، نسأله مثل الذى سألتم . وأما ما قلتم من ترك الاعتراض على أمير المؤمنين وتفويض الأمر إليه ، فنحن سامعون مطيعون لأمير المؤمنون ، والأمور مفوَّضة إلى الله وهو مولانا ونحن عبيده ، وما نعترض[١] عليه فى شىء من الأمور أصلا . وأما ما ذكرتم أنا نريد بأمير المؤمنين سوءاً ، فمَنْ أراد ذلك فجعل الله دائرة السوْء عليه ، وأخزاه فى دنياه وآخرته . أبقاكم الله وحفظكم ، وأتمّ نعمتَه عليكم !

١٨٠٤/٣

فلما قرأ الكتابات[٢] عليهم ، قالوا لأبى القاسم : هذا المساء قد أقبل ، ننظر فى أمرنا الليلة ، ونعود بالغداة لنعرّفك رأينا . فافترقوا ، وانصرف أبو القاسم إلى أمير المؤمنين .

---

(١) س : « ولا نعترض » .
(٢) س : «الكتاب» ، ابن الأثير : « الكتابين » .

ثم أصبح القوم من غداة يوم الجمعة ، فلما كان فى آخر الساعة الأولى ، ركب موسى بن بغا من دار أمير المؤمنين ، وركب الناس معه وهم قدر ألف وخمسمائة رجل ؛ حتى خرج من باب الحيْر الذى يَلِى القطائع من الجوْسق والكَرْخ ، فعسكر هناك ، وخرج أبو القاسم أخو المهتدى ، ومعه الكرخىّ ، حتى صار إلى القوم ، وهم زهاء خمسمائة فارس وثلاثة آلاف راجل ؛ وقد كان أبو القاسم انصرف فى الليل ومعه التوقيعات ؛ فلما صار بينهم أخرج كتابًا من المهتدِى نسخته شبيه بالكتاب الذى فى درجه التوقيعات[1] . فلما قرأ الكتاب ضجّوا، واختلفتْ أقاويلهم، وكَثُر مَنْ يلحقُ بهم من رجّالة الموالى من ناحية سامرّا فى الحيْر[2] ؛ فلم يزل أبو القاسم ينتظر أن ينصرف من عندهم بجواب يحصّله يؤديه إلى أمير المؤمنين ، فلم يتهيأ ذلك إلى الساعة الرابعة ، وانصرفوا، فطائفة يقولون: نريد أن يعزّ الله أمير المؤمنين ، ويوفّر علينا أرزاقنا ؛ فإنا قد هلكنا بتأخيرِها عنا . وطائفة يقولون : لا نرضى حتى يوَلِّىَ علينا أمير المؤمنين إخوتَه ، فيكونَ واحدٌ بالكرْخ ، وآخر بالدّور ، وآخر بسامُرّا ، ولا نريد أحداً من الموالى يكون علينا رأسًا . وطائفة تقول : نريد أن يظهر صالح بن وصيف — وهى الأقل .

فلما طال الكلام بهذا منهم ، انصرف أبو القاسم إلى المهتدِى بجملة من الخبر ، وبدأ بموسى فى الموضع الذى هو معسكر فيه ؛ فانصرف بانصرافه ، فلما صلّى المهتدى الجمعة صيّر الجيش إلى محمد بن بغا ، وأمره بالمصير إلى القوم مع أخيه أبى القاسم ، فركب معه محمد بن بُغا فى زهاء خمسمائة فارس ، ورجع موسى إلى الموضع الذى كان فيه بالغَداة ، ومضى أبو القاسم ومحمد ابن بغا حتى خالطا القوم ، وأحاط الجميع به ، فقال أبو القاسم لهم : إنّ أمير المؤمنين يقول : قد أخرجت التوقيعات لكم بجميع ما سألتم ، ولم يبق لكم مما تحبّون شىء إلاّ وأمير المؤمنين يبلغ فيه الغاية ؛ وهذا أمان لصالح بن وصيف بالظهور . وقرأ عليهم أماناً لصالح ، بأنّ موسى وبايكباك سألا أمير المؤمنين أعزّه الله ذلك ، فأجابهما إليه ، وأكده بغاية التأكيد ، ثم قال : فعلامَ

٣/١٨٠٥ ٣/١٨٠٦

(١) س : « فى درج التوقيعات » . (٢) س : «الحيز» .

اجتماعكم ! فأكثروا الكلام ؛ فكان الذى حصّله عند انصرافه أن قالوا : نريد أن يكون موسى فى مرتبة بُغا الكبير ، وصالح فى مرتبة وصيف أيام بُغا، وبايكباك فى مرتبته الأولى ، ويكون الجيش فى يد مَن هو فى يده ؛ إلى أن يظهر صالح ابن وصيف ، فيوضع[1] لهم العطاء ، وتتنجّز لهم الأرزاق بما فى التوقيعات . فقال : نعم .

فانصرف القوم ، فلما صاروا على قدر خمسمائة ذراع اختلفوا ، فقال قوم : قد رضينا ، وقال قوم : لم نرض ، وانصرف رسل المهتدِى إليه : إنّ القومَ قدتفرّقوا ؛ وهم على أن ينصرفوا ، فانصرف موسى عند ذلك، وتفرّق الناس إلى مواضعهم من الكَرْخ والدّور وسامرّا . فلما كان غداة يوم السبت ، ركب ولد وصيف وجماعة من مواليهم وغلمانهم ، وتنادى الناس : السلاح ! وانتهب دوابّ العامةالرّجالة ؛ رجّالة أصحاب صالح بن وصيف ، ومضوا فعسكروا بسامرّا فى طرف وادى إسحاق بن إبراهيم ، عند مسجد لُجَين أمّ ولد المتوكل. وركب أبو القاسم عند ذلك يريد دار المهتدى ، فمرّ بهم فى طريقه ، فتعلّقوا به وبمن كان معه من حشمه وغلمانه ، فقالوا له : تؤدى إلى أمير المؤمنين عنا رسالة ؟ فقال لهم : قولوا ، فخلطوا ولم يتحصل من قولهم شيئاً إلا : إنا نريد صالحًا ، فمضى حتى أدى إلى أمير المؤمنين ذلك وإلى موسى ، وجماعة القواد حضور .

١٨٠٧/٣ فذُكر عمّن حضر المجلس أنّ موسى بن بغا ، قال : يطلبون صالحًا منى ؛ كأنى أنا أخفيتُه وهو عندى ! فإن كان عندهم[2] فينبغى لهم أن يظهروه . وتأكّد عندهم الخبر باجتماع القوم، وتحلّب الناس إليهم ، وتهايجوا من دار أمير المؤمنين ؛ فركبوا فى السلاح ، وأخذوا فى الحَيْر حتى اجتمعوا ما بين الدكة[3] وظهر المسجد الجامع ؛ فاتّصل الخبر بالأتراك ومَنْ كان ضَوَى إليهم ، فانصرفوا ركضًا وعدْواً لا يلوى فارس على راجل ، ولا كبير على صغير حتى دخلوا الدروب والأزقة ، ولحقوا بمنازلهم ، وزحف موسى وأصحابه جميعًا ، فلم يبق بسامُرّا قائد يركب إلى دار أمير المؤمنين إلاّ ركب معه ، ولزموا الحَيْر

---

(١) س : « فيوقع ».
(٢) س « عندكم » .
(٢) س : « الرحبة ».

حتى خرجوا مما يلى الحائطين . ثم خرجوا ؛ فأما مفلح وواجن ومن انضم إليهما فسلكوا شارع بغداد حتى بلغوا سوق الغنم ، ثم عطفوا إلى شارع أبى أحمد ، حتى لحقوا بجيش موسى . وأما موسى وجماعة القواد الذين كانوا معه مثل ياجور وساتكين ويارْجُوخ وعيسى الكرخىّ ، فإنهم سلكوا على سَمْت شارع أبى أحمد ، حتى صاروا إلى الوادى ، وانصرفوا إلى الجوْسق ؛ فكان تقدير الجيش الذين كانوا مع موسى فى هذا اليوم — وهو يوم السبت — أربعة آلاف فارس فى السلاح والقِسىّ الموتّرة والدّروع والجَواشن[١] والرّماح والطبرزينات[٢] . وكان أكثرُ القوّاد الذين كانوا بالكرْخ يطلبون صالحًا[٣] مع موسى فى هذا الجيش يريدون محاربة مَنْ يطلب صالحاً .

١٨٠٨/٣ وقد ذكر عن بعض من تخيّر أمرهم ؛ أنّ أكثر مَنْ كان راكبًا مع موسى كان هواه مع صالح ، ولم يكن للكرخيين والدّوريِّين فى هذا اليوم حركة ؛ فلمّا وصل القوم إلى الجوسق كان أوّل ما ظهر منهم[٤] النداء بأن مَنْ لم يحضر دار أمير المؤمنين فى غداة يوم الأحد من قُوّاد صالح وأهله وغلمانه وأصحابه أسقِط[٥] اسمه ، وخُرِّب منزله ، وضرب وقُيِّد وحُذّر إلى المطبَق ؛ ومن وُجد بعد ثالثة من هذه الطبقة ظاهراً بعد استتار ، فقد حلّ به مثل ذلك ، ومن أخذ دابّة لعامىّ أو تعرّض له فى طريق ؛ فقد حلّت به العقوبة المُوجعة .

وبات الناس ليلة الأحد لثمانٍ خلون من صَفَر على ذلك ؛ فلما كان غداة يوم الاثنين انتهى إلى المهتدى أنّ مساورا[٦] الشارى صار إلى بَلَد ، فقتل بها وحرّق ، فنادى فى مجلسه بالنفير ، وأمر موسى ومفلحاً وبايكباك بالخروج ، وأخرج موسى[٧] مضاربه ؛ فلمّا كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة مَضت من صَفَر بطل أمر موسى ومحمد بن بغا ومُفْلح فى الخروج ، وقالوا : لا يبرح

---

(١) الجواشن : جمع جوشن ؛ وهو نوع من الدروع .

(٢) فى معرب الجواليقى : « الطبرزين فارسى ، وتفسيره فأس السرج ؛ لأن فرسان العجم تحمله معها يقاتلون به » .

(٣) ب : « صلحا » .

(٤) س : « عنهم » .

(٥) س : « سقط » .

(٦) س : « مشاور » .

(٧) ب : « مفلح » .

أحدٌ منا[1] حتى ينقطع أمرنا وأمر صالح ؛ وهم مجمعون على ذلك ، يخافون من صالح أن يخلفهم بمكروه .

وذكر عن بعض الموالى أنه قال : رأيت بعض بنى وصيف — وهو الذى كان جمع تلك الجموع — يلعب مع موسى وبايكباك بالصوالجة فى ميدان بغا الصغير يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر . ثم جدّ هؤلاء فى طلب صالح بن وصيف ، فهُجم بسببه على جماعة ممن كان متصلا به قبل ذلك . وممّن اتهموه أنه آواه ، منهم إبراهيم بن سعدان النحوىّ وإبراهيم الطالبىّ وهارون بن عبد الرحمن بن الأزهر الشيعىّ وأبو الأحوص بن أحمد بن سعيد ابن سلْم بن قُتيبة وأبو بكر ختَن أبى حَرْملة الحجّام وشارية المغنية والسرخسىّ صاحب شُرطة[2] الخاصة وجماعة غيرهم . ٣/ ١٨٠٩

فذُكر عن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مصعب بن زريق ، قال : حدّثنى صاحب رُبع القبّة — وهو رُبع تلقاء دار صالح بن وصيف — قال : بينا[3] نحن قعود يوم الأحد ، إذا غلام قد خرج من زُقاق ، وأُراه مذعوراً ، فأنكرناه ، فأردنا مسألتَه عن شأنه ؛ ففاتنا ؛ فلم نلبث أن أقبل عيَّار من موالى صالح بن وصيف يعرف بروزبه ، ومعه ثلاثة نفر أو أربعة ، فدخلوا الزّقاق ، فأنكرْناهم ، فلم يلبثوا أن خرجوا ، وأخرجوا صالح بن وصيف ، فسألنا عن الخبر ، فإذا الغلام قد دخل داراً فى الزّقاق يطلب ماءً ليشربه . قال : فسمع قائلا يقول بالفارسية : أيها الأمير تنحّ ، فإن غلاماً قد جاء يطلب ماء ؛ فسمع الغلام ذلك ، وكان بينه وبين هذا العيّار معرفة[4] ، فجاء فأخبره ، فجمع العيّار ثلاثة أناسىّ ، وهجم عليه فأخرجه .

وذكر عن العيّار الذى هجم عليه ، أنه قال : قال لى الغلام ما قال ، فأقبلت ومعى ثلاثة نفر ، فإذا بصالح بن وصيف بيده مرآة ومُشط ، وهو يسرّح لحيته ، فلما رآنى بادر فدخل بيتاً ، فخفت أن يكون قصد لأخذ سيف أو سلاح ، فتلوّمت ثم نظرت إليه ؛ فإذا هو قد لجأ إلى زاوية ، فدخلت ٣/ ١٨١٠

(١) س : « منا أحد » .
(٢) س : « شرط » .
(٣) س : « بينما » .
(٤) س : « مقة » .

إليه فاستخرجتُه فلم يزدنى على التضرّع شيئًا . قال : فلما تضرّع إلىّ قلت : ليس إلى تركك سبيل ؛ ولكنى أمرّ بك على أبواب إخوتك وأصحابك وقوّادك وصنائعك ؛ فإن اعترض لى منهم اثنان أطلقتُك فى أيديهم . قال : فأخرجته فما لقيت إلاّ مَنْ هو عونى على مكروهه .

فذكر أنه لما أخذ مضى به نحو ميلين ، ليس معه إلا أقلّ من خمسة نفر من أصحاب السلطان . وذكر أنه أخذ حين أخذ ، وعليه قميص ومبطّنة ملحم وسراويل ، وليس على رأسه شىء وهو حاف .

وقيل إنه حمل على بِرْذون صِنابىّ[1] والعامة تعدو خلفَه وخمسة من الخاصّة يمنعون منه ؛ حتى انتهوْا به إلى دار موسى بن بُغا ؛ فلما صاروا به إلى دار موسى بن بغا أتاه بايكباك ومُفْلح وياجور وساتكين وغيرهم من القوّاد ، ثمّ أخرجوه من باب الحيْر الذى يلى قِبْلة المسجد الجامع ؛ ليذهبوا به إلى الجوسق ، وهو على بغل بإكاف ، فلمّا صاروا به إلى حدّ المنارة ،ضربه رجل من أصحاب مفلح ضربة من ورائه على عاتقه كاد يقدُّه منها، ثم احتزّوا رأسه وتركوا جيفته هناك ، وصاروا به إلى المهتدى ؛ فوافوْا به قبيل المغرب وهو فى بِرْكة قباء رجل من غلمان مفلح يقطر دماً ، فوصلوا به إليه ،وقد قام لصلاة المغرب ، فلم يره ،فأخرجوه ليُصلَح[2] ، فلما قضى المهتدى صلاته ، وخبّروه أنهم قتلوا صالحاً ، وجاءوا برأسه لم يزدهم على أن قال :وارُوه ؛ وأخذ فى تسبيحه. ووصل الخبر إلى منزله ، فارتفعت الواعية وباتوا ليلتهم .

١٨١١/٣

فلما كان يوم الاثنين لسبع بقين من صفر حُمل رأس صالح بن وصيف على قناة ، وطِيف به ، ونودى عليه : هذا جزاء مَنْ قتَل مولاه ، ونصب بباب العامة ساعة ثم نُحّى ، وفُعِل به ذلك ثلاثة أيام تتابعاً ، وأخرِج رأس بغا الصغير فى وقت صلب رأس صالح يوم الاثنين، فدُفع إلى أهله ليدفنوه .

فذكر عن بعض الموالى أنه قال : رأيت مفلحًا وقد نظر إلى رأس بغا ،

---

(١) برذون صنابى : أشقر أو كميت .
(٢) س : « ليصلى » .

فبكى وقال : قتلنى الله إنْ لم أقتل قاتلكَ ؛ فلمّا كان يوم الخميس لأربع بَقين من صفر ، وجّه موسى بالرأس إلى أمّ الفضل ابنة وَصيف ، وهى امرأة النوشرىّ، وكانت قبله عند سلَمة بن خاقان .

فذُكِر عن بعض بنى هاشم أنه قال : هنّأتُ موسى بن بغا بقتل صالح فقال : كان عدوّ أمير المؤمنين استحقّ القتل . قال : وهنّأتُ بايكباك بذلك؛ فقال : مالى أنا وهذا ! إنما كان صالح أخِى ، فقال السَّلولىّ لموسى إذ قتل صالح بن وصيف :

وَنِلْتَ وِتْرَكَ من فرعون حينَ طَغَى ... وجئتَ إذْ جئتَ يا مُوسى على قَدرِ

ثلاثةٌ كُلُّهُم باغٍ أخو حَسَدٍ ... يَرميكَ بالظّلم والعُدْوانِ عن وَتَرِ ١٨١٢/٣

وصيفٌ بالكرْخِ ممثُولٌ به وبُغا ... بالجسْرِ محتَرِقٌ بالجمر والشَّررِ

وصالحُ بن وصيفٍ بَعدُ مُنعَفِرٌ ... فى الحيْرِ جيفَتُه ، والرُّوحُ فى سَقَرِ

* * *

وفى مستهلّ جُمادى الأولى من هذه السنة رحل(١) موسى بن بغا وبايكباك إلى مساور ، وشيّعهم محمدّ بن الواثق .

وفى جمادى الأولى أيضًا منها التقى مُساور بن عبد الحميد وعُبيدة العَمروسىّ الشارى بالكُحيَل، وكانا مختلفى الآراء ، فظفر مساور بعبيدة فقتله .

وفى هذا الشهر من هذه السنة التقى مساور الشارى ومفلح ، فحُدّثت عن مساور ، أنه انصرف من الكُحيَل بعد قتله العمروسىّ ، وقد كُلِم كثير من أصحابه فلم تندمل كُلُومهم ، ولَغِبوا من الحرب التى كانت جرت بين الفريقين إلى عسكر موسى ومن ضمّه ذلك العسكر وهم حامون ، فأوقع بهم ؛ فلما لم يصل إلى ما أراد منهم من الظفر بهم ، وكان التقاؤهم بجبل زينى تعلق هو وأصحابه بالجبل فصاروا إلى ذِرْوته(٢) ، ثم أوقدوا النيران ، وركزوا رماحهم، ١٨١٣/٣

---

(١) س : « ترحل » .

(٢) س : « فى دروته » .

وعسكر موسى بسفح الجبل ثم هبط مساور وأصحابه من الجبل، من غير الوجه الذى عسكر به موسى، فمضى وموسى وأصحابه يحسبون أنهم فوق الجبل ففاتوهم.

* * *

[ذكر الخبر عن خلع المهتدى ثم موته]

وفى رجب من هذه السنة لأربع عشرة ليلة خلت منه خُلِع المهتدى، وتوفِّىَ يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب.

* ذكر الخبر عن سبب خلعه ووفاته:

ذكر أن ساكنى الكرخ بسامرّا[1] والدور تحرّكوا لليلتين خلتا من رجب من هذه السنة، يطلبون أرزاقهم، فوجّه إليهم المهتدى طبايغو الرئيس عليهم وعبد الله أخا المهتدى، فكلّمهم فلم يقبلوا منهما، وقالوا: نحن نريد أن نكلّم أميرَ المؤمنين مشافهةً. وخرج أبو نصر بن بُغا تحت ليلتِه إلى عسكر أخيه، وهو بالسنّ بالقرب من الشارى، ودخل دار الجوْسق جماعة منهم؛ وذلك يوم الأربعاء، فكلّمهم المهتدى بكلام كثير، وقطع العطاء عن الناس يوم الأربعاء والخميس والناس متوقّفون حتى يعرفوا ما يصنع موسى بن بُغا، وكان موسى وضع العطاء فى عسكره لشهر، وكان على مناجزة الشارى إذ استوى[2] أصحابه، فوقع الاختلاف، ومضى موسى يريد طريق خُراسان.

١٨١٤/٣

واختُلف فى سبب الاختلاف الذى جرى، فصار من أجله موسى إلى طريق خُراسان، والسبب الذى من أجله خرج المهتدى لحرب من حاربه من الأتراك، فقال بعضهم: كان السبب الذى من أجْله تنحّى موسى عن وجه الشارى وترَك حربه وصار إلى طريق خُراسان، أنّ المهتدى استمال بايكباك، وهو مع موسى مقيم فى وجه الشارى مساور، وكتب إليه يأمره أن يضمّ العسكر الذى مع موسى إلى نفسه، وأن يكون هو الأميرَ عليهم، وأن يقتل موسى بن بغا ومُفلحاً، أو يحملَهما إليه مقيَّديْن. فلما وصل الكتاب إلى بايكباك، أخذه ومضى به إلى موسى بن بغا، فقال: إنى لستُ أفرح بهذا؛ وإنما هذا

(١) س: «بسر من رأى».
(٢) س: «إذا استوى».

تدبير علينا جميعًا ، وإذا فُعِل بك اليوم شيء فُعِل بى غداً مثلُه ، فما ترى ؟ قال : أرى أن تصير إلى سامرّا ، فتخبره أنك فى طاعته ، وناصرُه على موسى ومفلح ؛ فإنه يطمئنّ إليك ، ثم ندبّر فى قتله .

فقدم بايكباك فدخل على المهتدى ، وقد مضوْا إلى منازلهم كما قدموا من عند الشارى ؛ فأظهر له المهتدى الغضب ، وقال : تركتَ العسكر ، وقد أمرتُك أن تقتل موسى ومفلحاً ، وداهنتَ فى أمرهما ! قال : يا أمير المؤمنين ، وكيف لى بهما ؟ وكيف يتهيأ لى قتلهما ؟ وهما أعظم جيشًا منى ، وأعزّ منى ! ولقد جرى بينى وبين مفلِح شيء فى بعض الأمر ؛ فما انتصفتُ منه ؛ ولكنى قد قدمتُ بجيشى وأصحابى ومَنْ أطاعنى لأنصرْك عليهما ، وأقوّى أمرك ؛ وقد بقى موسى فى أقلّ العدد . قال : ضعْ سلاحك ، وأمر بإدخاله داراً ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ليس هذا سبيل مثلى إذا قدم من مثل هذا الوجه ؛ حتى أصير إلى منزلى ، وآمر أصحابى وأهلى بأمرى . قال : ليس إلى ذلك[1] سبيل ، أحتاج إلى مناظرتك . فأخذ سلاحَه ، فلما أبطأ خبرُه على أصحابه سعى فيهم أحمد بن خاقان حاجب بايكباك ، فقال : اطلبوا صاحبَكم قبل أن يحدُث به حدث ؛ فجاشت الترك ، وأحاطوا بالجوسق . فلما رأى ذلك المهتدى وعنده صالح بن علىّ بن يعقوب بن أبى جعفر المنصور شاوره ، وقال : ما ترى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه لم يبلغْ أحد من آبائك ما بلغتَه[2] من الشجاعة والإقدام ، وقد كان أبو مسلم أعظمَ شأناً عند أهل خراسان من هذا التركىّ عند أصحابه ؛ فما كان إلاّ أن طرح رأسه إليهم حتى سكنوا[3] ، وقد كان فيهم مَنْ يعبده ويتّخذه ربًّا ، فلو فعلتَ مثل ذلك سكنوا ؛ فأنت أشدّ من المنصور إقدامًا ، وأشجع قلباً . فأمر المهتدى الكرخىّ — واسمه محمد ابن المباشر ، وكان حدّاداً بالكرخ يطرق المسامير ، فانقطع إلى المهدى ببغداد فوثق به ولزمه — فأمره بضرب عنق بايكباك ، فضرب عنقه ، والأتراكُ مصطفون فى الجوسَق فى السلاح ، يطلبون بايكباك ؛ فأمر المهتدى عتّاب بن عتّاب القائد

٣/ ١٨١٥

---

(١) ب : « هذا » .
(٢) ب : « بلغت » .
(٣) ب : « فسكنوا » .

أن يرميَهم برأسه فأخذ عتّاب الرأس ؛ فرمى به إليهم ، فتأخّروا وجاشوا ، ثم شدّ رجل منهم على عتّاب ، فقتله ، فوجّه المهتدى إلى الفراغنة والمغاربة والأوكشيّة والأشروسنيّة والأتراك الذين بايعوه[1] على الدرهمين والسويق ، فجاءوا ، فكانت بينهم قتلَى كثيرة، كثر فيها الناسُ ، فقيل : قُتل من الأتراك الذين ٣/١٨١٦ قاتلوا نحو من أربعة آلاف ، وقيل ألفان وقيل ألف ؛ وذلك يومَ السبت لثلاث عشرة خلتْ من رجب من هذه السنة .

ثمّ تتامّ القوم يوم الأحد ، فاجتمع جميع الأتراك ، فصار أمرهم واحداً ، فجاء منهم زُهاء عشرة آلاف رجل ، وجاء طوغيتا أخو بايكباك وأحمد بن خاقان حاجب بايكباك فى نحو من خمسمائة ؛ مع مَنْ جاء مع طوغيتا من الأتراك والعجم ، وخرج المهتدى ومعه صالح بن علىّ ، والمصحفُ فى عنقه ، يدعو الناس إلى أن ينصروا خليفتَهم . فلما التحم الشرّ مال الأتراك الذين مع المهتدى إلى أصحابهم الذين مع أخى بايكباك ، وبقى المهتدى فى الفراغنة والمغاربة ومَنْ خفّ معه من العامة، فحمل عليهم طوغيتا أخو بايكباك حَمْلَة ثائر حرّان موتور ، فنقض تعبيتَهم ، وهزمهم ، وأكثر فيهم القتلَ وولّوْا منهزمين ، ومضى المهتدى يركضُ منهزمًا ، والسيف فى يده مشهور ، وهو ينادى : يا معشرَ الناس ، انصروا خليفتَكم ؛ حتى صار إلى دار أبى صالح عبدالله بن محمد بن يزداد وهى بعد خشبة بابك؛ وفيها أحمد بن جُمَيل صاحب المعونة ، فدخلها ووضع سلاحه ، ولبس البياض ليعلوَ داراً وينزل أخرى ٣/١٨١٧ ويهرب . فطُلِب فلم يُوجَد ، وجاء أحمد بن خاقان فى ثلاثين فارسًا يسأل عنه حتى وقف على خبره فى دار ابن جميل ، فبادرهم ليصعد ، فرمى بسهم وبُعِج بالسيف، ثم حمله أحمد بن خاقان على دابة أو بغل ، وأردف خلفه سائسًا حتى صار به إلى داره ، فدخلوا عليه ، فجعلوا يصفعونه ويبزُقون فى وجهه ، وسألوه عن ثمن ما باع من المتاع والخُرْثىّ، فأقرّ لهم بستمائة ألف قد أودعها الكرخىّ الناسَ ببغداد ، وأصابوا عنده خسفَ الواضحة مُغنّية، فأخذوا رقعته بستمائة ألف دينار ؛ ودفعوه إلى رجل ، فوطئ على خُصيَيْه حتى قتله .

---

(١) س : « بايعوا » .

وقال بعضهم : كان السببُ وأول الخلاف ، أنّ اللاحِقين من أولاد الأتراك اجتمعوا، وقالوا : لا نرضى أن يكون علينا رئيسٌ غير أمير المؤمنين ، وكتبوا إلى موسى بن بُغا وبايكباك ؛ وهما فى وجه الشارى ، فوافى موسى فى رجاله حتى صار إلى قنطرة فى ناحية الوزيريّة يوم الجمعة ، وعسكر المهتدى فى الحَيْر ، وقرب منهم ، ثم خرج إلى الجوْسق ، وعليه السلاح ؛ فلما كان يوم السبت لثلاث عشرة خلتْ من رجب ، دخل بايكباك طائعًا ، ومضى موسى إلى ناحية طريق خراسان فى نحو من ألفى رجل ، وجاء المهتدِى رجلٌ من الموالى ؛ فقال له : إنّ بايكباك قد وعد موسى أن يفتك بك فى الجوسق ، فأخذ المهتدى بايكباك ، وأمر بنزع سلاحه وحبسه ، فحُبس يوم السبت إلى ٣/١٨١٨ وقت[1] العصر ، ثم خرج أهل الكرخ وأهل الدّور يطلبونه ، وانصرفوا وبكّروا يوم الأحد ، فلم يتخلفْ منهم أحد إلا حضر راكبًا وراجلا فى السلاح ، فلما صاروا إلى الجوْسق ، صلّى المهتدى الظهر ، وخرج إليهم فى الفراغنة والمغاربة، فتطارد لهم الأتراك ، فحملوا عليهم . فلمّا تبِعوهم خرج كمين لهم ، فقتل من الفراغنة والمغاربة جماعةً كبيرة ، وهرب المهتدى ، ومرّ على باب أبى الوزير وغلام له يصيح : يا معشرَ الناس ، هذا خليفتكم ؛ وتراكض الأتراكُ خلْفه، فدخل دار أحمد بن جميل ، وتسلق المهتدى من دار إلى دار ، وأحدق الأتراك بتلك الناحية كلها ، فأخرجوه من دار غلام لعبد الله بن عمر البازيار ، وحملوه وبه طعنةٌ فى خاصرته على برْذون أعجف ، فى قميص وسراويل ، وانتهبوا دار الكرخىّ ودور بنى ثوَابة وجماعة من الناس ؛ فلمّا كان يوم الاثنين حمل أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان إلى دار يارْجوخ ، والأتراك يدورون فى الشوارع ، ويحمَدون العامة إذ لم يتعرّضوا لهم .

وقال آخرون : بل كان السبب فى ذلك ؛ أنّ أهل دور سامرّا والكرخ تحرّكوا فى يوم الاثنين لليلة خلتْ من رجب من هذه السنة ، واجتمعوا بالكرْخ وفوقها ، فوجّه المهتدى إليهم كيغَلَغ وطبايغو بن صول أرتكين وعبد الله أخا ٣/١٨١٩ نفسه ، فلم يزالوا بهم حتى سكنوا ورجعوا إلى الدار ، وبلغ أبا نصر محمد بن

(١) ب : « فى » .

بغا الكبير أنّ المهتدى قد تكلّم فيه وفى أخيه موسى ، وقال للموالى: إنّ الأموال عندهم ، فتخوّفه وإياهم ، فهرب فى ليلة الأربعاء لثلاث خلوْن من رجب ، فكتب إليه المهتدى أربعة كتب يعطيه فيها الأمان على نفسه ومَنْ معه ، ووصل كتابان إليه وهو بالمحمّدية مع أبرتكين بن برنمكاتكين ، ووصل الآخران إليه مع فرج الصغير ، فوثِق بذلك ، فرجع حتى دخل الدار هو وأخوه حَبَشْون وبكالبا ، فحبِسوا وحُبِس معهم كَيَغْلَغ ، فأفرد أبو نصر عنهم ؛ فطلب منه المال ، فقبض من وكيله خمسة عشر ألف دينار ، وقتِل يوم الثلاثاء لثلاث خلوْن من رجب ، ورُمِى به فى بئر من آبار القناة ، وأخرج من البئر يوم الاثنين للنصف من رجب ، ومضى به إلى منزله وقد أراح ، فاشتُرِى له ثلثمائة مثقال مسك وستّمائة مثقال كافور ، وصُيِّر عليه فلم تنقطع الرائحة ، وصلى عليه الحسن بن المأمون ، وكتب المهتدى إلى موسى بن بُغا عند حبسه أبا نصر يأمره بتسليم العسكر إلى بايكباك والإقبال إلى سامرّا فى مواليه ، وكتب إلى بايكباك فى تسلُّم العسكر والقيام بقتال الشارى ، فصار بايكباك بالكتاب إلى موسى فقرأه ، ٣/١٨٢٠ فاجتمعوا على الانصراف إلى سامرّا ، وبلغ المهتدى ذلك ، وأنهم على خلافه ، فجمع الموالى ، فحضّهم على الطاعة ، وأمرهم بلزومه فى الدّار وترك الإخلال به ، وأجرى على كل رجل من الأتراك ومَنْ يجرى مجراهم فى كلّ يوم درهمين ، وعلى كلّ رجل من المغاربة درهمًا . فاجتمع له من الفريقين وأخدانهم زهاء خمسة عشر ألف إنسان ،منهم من الأتراك المعروف بالكاملى فى الجوْسق وغيره من المقاصير . وكان القيّم بأمر الدار بعد حبس كيغَلغ مسرور البلخىّ والرئيس من القوّاد طبايغو ، والقيّم بحبس من حُبس من هؤلاء عبد الله بن تكين . وبلغ موسى ومفلحاً وبايكباك حبسُ أبى نصر وحبشون ومَنْ حُبِس ، فأخذوا حذرَهم .

وجرت الرسل والكتب بينهم وبين المهتدى يوم الخميس ، وخرج المهتدى يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلتْ من رجب بجمعه متوقّعًا ورود القوم عليه ؛ فلم يأت أحد . فلما كان يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من رجب صحّ الخبر بأنّ موسى قد عرّج عن طريق سامرّا إلى ناحية الجبل مع مفلح ،

ودخل يوم السبت بايكباك ويارجوخ وأساتكين وعلىّ بن بارس وسيما الطويل وخطارمش إلى الدار ، فحبس بايكباك وأحمد بن خاقان خليفته ، وصُرف الباقون ، فاجتمع أصحاب بايكباك وغيره من الأتراك، وقالوا: لمَ يُحبَس قائدنا ؟ ولمَ قتِل أبو نصر؟ فخرج إليهم المهتدى يوم السبت – ولم يكن بينهم حرب – فرجع ، وخرج يوم الأحد وقد اجتمعوا له[1] ، وجمع هو المغاربة والأتراك البرّانيين والفراغنة فصير على الميمنة مسرورًا البلخىّ، وعلى الميسرة يارجوخ ، والمهتدى فى القلب مع أساتكين وطبايغوا وغيرهما من القوّاد . ٣/١٨٢١

فلما حميت الشمس ، قرب القوم بعضهم من بعض ، وهاجت الحرب ، وطلبوا بايكباك ، فرمى إليهم المهتدى برأسه – وكان عتّاب بن عتاب أخرجه من بركة قبائه – فلما رأوه شدّ أخوه طغوتيا فى جماعة من خاصّته على جمع المهتدى ، وعطفت الميمنة والميسرة من عسكر المهتدى ، فصاروا معهم ، وانهزم الباقون عن المهتدى ، وقُتل جماعة من الفريقين .

فذُكر عن حبَشْون بن بغا ، أنه قال : قُتِل سبعمائة وثمانون إنسانًا ، وتفرّق الناس ، ودخل المهتدى الدار ، فأغلق الباب الذى دخل منه ، وخرج من باب المصافّ حتى خرج من الباب المعروف بإيتاخ ، ثم إلى سويقة مسرور ، ثم درب الواثق ؛ حتى خرج إلى باب العامة ، وهو ينادى : يا معشرَ الناس ، أنا أمير المؤمنين ؛ قاتلوا عن خليفتكم . فلم تجبه العامة إلى ذلك ، وهو يمرّ فى الشارع وينادى ، فلم يرهم ينصرونه ، فصار إلى باب السجن ، فأطلق مَنْ فيه ، وهو يظنّ أنهم يعينونه ؛ فلم يكن منهم إلا الهرب ، ولم يجبه أحد . فلمّا لم يجيبوه ، صار إلى دار أبى صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وفيها أحمد بن جميل صاحب الشُّرطة[2] نازل، فدخل عليه، فأخرج من ناحية ديوان الضياع ، ثم صيّر به إلى الجوسق، فحبس فيه عند أحمد بن خاقان ، وانتهب دار أحمد ابن جُميل . ٣/١٨٢٢

وكان ممن قتل فى المعركة من قواد المغاربة نصر بن أحمد الزبيرىّ ، ومن

---

(١) س : « إليه » .

(٢) س : « الشرط » .

قوّاد الشاكرية عتّاب بن عتاب حين جاء برأس بايكباك إليهم ، وقَتَل المهتدى – فيما قيل – فى الوقعة عدة كثيرة بيده ، ثم جرى بينهم وبينه بعد أن حُبس كلام شديد ، وأرادوه على الخلع فأبى ، واستسلم للقتل ، فقالوا : إنه كان كتب رُقعة بيده لموسى بن بغا وبايكباك وجماعة من القوّاد ؛ أنه لا يغدر بهم ولا يغتالهم، ولا يفتك بهم ، ولا يهمّ بذلك ، وأنه متى فعل ذلك بهم أو بأحد منهم ووقفوا عليه فهمْ فى حلٍّ من بيعته، والأمر إليهم يُقعدون من شاءوا . فاستحلُّوا بذلك نقضَ أمره .

وقد كان يارجوخ بعد انهزام الناس صار إلى الدار ، فأخرج من ولد المتوكل جماعة ، فصار بهم إلى داره ، فبايعوا أحمد بن المتوكل المعروف بابن فِتْيان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من رجب ، وسُمِّى المعتمد على الله، وأشهِد يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب على وفاة المهتدى محمد بن الواثق ، وأنه سليم ليس به إلاّ الجراحتان اللتان نالتاه يوم الأحد فى الوقعة ؛ إحداهما من سَهْم والأخرى من ضَرْبة ، وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد وعدّة من إخوة أمير المؤمنين ، ودُفِن فى مقبرة المنتصر ، ودخل موسى بن بغا ومفلح سامرّا يوم السبت لعشر بقين من رَجب ، فسلّم على المعتمد فخلَع عليه ، وصار إلى منزله وسكن الناس .

٣/١٨٢٣

وقال بعضهم – وذكر أنه كان شاهداً أمرهم : لمّا كان ليلة الاثنين لليلة خلت من رجب ثار أهل الكرْخ والدّور جميعًا ، فاجتمعوا ، وكان المهتدى يوجّه إليهم إذا تحرّكوا أخاه عبد الله ، فوجّه إليهم فى هذا اليوم عبد الله أخاه كما كان يوجّهه ، فصار إليهم ؛ فوجَدهم قد أقبلوا يريدون الجوْسق ، فكلّمهم ، وضمِن لهم القيام بحوائجهم ، فأبوْا وقالوا : لا نرجع حتى نصيرَ إلى أمير المؤمنين ونشكُو إليه قصتنا . فانصرف منهم عبد الله، وفى الدار فى هذا الوقت أبو نصر محمد بن بغا وحَبَشون وكَيَغْلَغ ومسرور البلخىّ وجماعة ؛ فلما أدّى عبد الله إلى المهتدى ما دار بينه وبينهم ، أمره بالرجوع إليهم ، وأن يأتىَ بجماعة منهم فيوصلَهم إليه ؛ فخرج فتلقاهم قريبًا من الجوْسَق ، فأدارهم على أن يقفوا بموضعهم ، ويوجّهوا معه جماعة منهم فأبوْا . فلمّا تناهَى الخبر

٣/١٨٢٤ إلى أبى نصر ومَنْ كان معه فى الدّار بأنّ جمعهم قد أقبل ، خرجوا جميعًا من الدار مما يلى باب النزالة، فلم يبق فى الدّار إلا مسرور البلخىّ وألطون خليفة كيغلغ ، ومن الكتّاب عيسى بن فرّخانشاه، ودخل الموالى مما يلى باب القصر الأحمر ، فملئوا الدار زُهاء أربعة آلاف ، فصاروا إلى المهتدى ، فشكوْا إليه حالهم .

وكان اعتمادهم فى مسألتهم أن يعزل عنهم أمراءهم ، ويضمّ أمورهم إلى إخوة أمير المؤمنين ، وأن يُؤخذ الأمراء والكتّاب بالخروج مما اختانوه من أموال السلطان ؛ وذكروا أن قدره خمسون ومائة ألف ألف . فوعدهم النظر فى أمرهم وإجابتهم إلى ما سألوا ، فأقاموا يومَهم ذلك فى الدّار ، فوجّه المهتدى محمد ابن مباشر الكرخىّ ، فاشترى لهم الأسوقة ، ومضى أبو نصر بن بغا من فوره ذلك ؛ حتى عسكر فى الحَيْر بالقرب من موضع الحَلْبة، فلحق به زهاء خمسمائة رجل ، ثم تفرّقوا عنه فى ليلتهم ؛ فلم يبقَ إلاّ فى أقلّ من مائة ، ومضى فصار إلى المحمّدية ، وأصبح الموالى فى غداة يوم الأربعاء يطالبون بما كانوا يطالبون به أولا ، فقيل لهم : إنّ هذا الأمر الذى تريدونه أمرٌ صعب، وإخراج الأمر عن أيدى هؤلاء الأمراء ليس بسهل عليكم ؛ فكيف إذا جمع إلى ذلك أخذهم بالأموال ! فانظروا فى أموركم ؛ فإن كنتم تظنون أنكم تصبرون على هذا الأمر

٣/١٨٢٥ حتى يبلغَ منه غايته أجابكم إليه أمير المؤمنين ، وإن تكن الأخرى فإنّ أميرَ المؤمنين يحسن لكم النظر . فأبوْا إلاّ ما سألوه أولا ، فدُعوا إلى أيمان البيعة على أن يقيموا على هذا القول ، ولا يرجعوا عنه ، وأن يقاتلوا مَنْ قاتلهم فيه ، وينصحوا لأمير المؤمنين ويوالُوه . فأجابوه إلى ذلك ، فأخذت عليهم أيمان البيعة ، فبايع فى ذلك اليوم زُهاء ألف رجل وعيسى بن فرّخا نشاه الذى تجرى على يده الأمور ، ومقامه مقام الوزير . ثم كتبوا إلى أبى نصر كتابًا عن أنفسهم ؛ كتبه لهم عيسى بن فرّخانشاه ، يذكرون فيه إنكارهم خروجَه من الدار عن غير سبب ، وأنهم إنما قصدوا أميرَ المؤمنين ليشكوا إليه حاجتَهم ، وأنهم لما وجدوا الدار فارغة أقاموا فيها ، وأنهم إذا عاد ردّوه إلى حاله ، ولم يهيّجوه . وكتب عيسى عن الخليفة بمثل ذلك إليه ، فأقبل من المحمّدية بين العصر والعشاء ، فدخل

الدار ،ومعه أخوه حَبْشون وكيغلغ وبكالبا وجماعة منهم ، فقام الموالى فى وجوههم معهم السلاح ، وقعد المهتدى ، فوصل إليه أبو نصر ومَنْ معه ، فسلّم عليه، ودنا فقبل يد المهتدى ورجلَه والبساط ، وتأخّر فخاطبه المهتدى بأن قال له : يا محمد ، ما عندك فيما يقول الموالى ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يذكرون أنكم احتجنتم الأموال ، واستبددتم بالأعمال ، فما تنظرون فى شىء من أمورهم ، ولا فيما عاد لمصلحتهم[1] . فقال محمد: يا أميرَ المؤمنين ؛ وما أنا والأموال ! ما كنتُ كاتبَ ديوان ، ولا جرتْ على يدى أعمال[2] . فقال له : فأين هى الأموال ؟ وهل هى إلا عندك وعند أخيك ، وكتّابكم وأصحابكم ! ودنا الموالى ، فتقدّم عبد الله بن تكين وجماعة منهم ، فأخذوا بيد أبى نصر وقالوا : هذا عدوّ أمير المؤمنين ، يقوم بين يديه بسيفٍ ، فأخذوا سيفَه ، ودخل غلام لأبى نصر كان حاضراً يقال له ثيتل ، فسلّ سيفه ، وخطا ليمنعهم من أبى نصر ، وكانت خطوته تلِى الخليفة، فسبقه عبد الله بن تكين ، فضرب رأسه بالسيف ، فما بَقِىَ فى الدار أحدٌ إلا سلّ سيفه ، وقام المهتدى ، فدخل بيتًا كان بقربه ، وأخِذ محمد بنُ بغا ، فأدخِل حجرة فى الدار ، وحُبس أصحابه الباقون ، وأراد القوم قتلَ الغلام، فمنعهم المهتدى ، وقال : إنّ لى فى هذا نظرًا . ثم أمر[3] فأعطِىَ قميصًا من الخزانة ، وأمر بغسل رأسه من الدّم ، وحُبِس .

٣/١٨٢٦

فأصبح الناس يوم الأربعاء وقد كثُروا ، والبيعة تؤخذ ، ثمّ أمر عبد الله ابن الواثق بالخروج إلى الرفيف فى ألف رجل من الشاكرية والفراغنة وغيرهم ؛ وكان ممن أمر بالخروج من قوّاد خراسان محمد بن يحيى الواثقىّ وعتاب بن عتاب وهارون بن عبد الرحمن بن الأزهر وإبراهيم أخو أبى عون ويحيى بن محمد بن داود وولد نصر بن شيث وعبد الرحمن بن دينار وأحمد بن فريدون وغيرهم .

ثم إن عبد الله بن الواثق بلغه عن هؤلاء القوّاد أنهم يقولون : إنه ليس بصواب شخوصهم إلى تلك الناحية ، فترك الخروج إليها .

٣/١٨٢٧

(١) س : « إلى مصلحتهم » . (٢) س : « أموال » .
(٣) س : « وأمر » .

ثم إنهم أرادوا أن يكتبوا إلى موسى ومفلح بالانصراف وتسليم العسكر إلى مَنْ فيه من القوّاد ، فأجمعوا[1] على أن يكتبوا إليهما بذلك كتاباً ، وكتبا إلى بعض القوّاد فى تسلّم[2] العسكر منهما ، وكتُبا إلى الصغار بما سأل أصحابهم بسامُرّا ، وما أجيبوا إليه ، وأمر بنسخ الكتب التى كُتبت إلى القوّاد ، وأن ينظروا ؛ فإن سارع موسى ومفلح إلى ما أُمِرا به من الإقبال إلى الباب فى غلمانهم وتسليم العسكر إلى مَن أُمِرا بتسليمه إليه ؛ وإلاّ شدّوهما وثاقاً ، وحملوهما إلى الباب ، ووجّهوا هذه الكتب مع ثلاثين رجلا منهم ، فشخصوا عن سامرّا ليلة الجمعة لخمس خلون من رجب من هذه السنة ، وأجْرِىَ على مَنْ أخِذت عليه البيعة فى الدار على كلّ رجل منهم فى اليوم درهمان ، فكان المتولى لتفرقة ذلك عليهم عبد الله بن تكين ، وهو خال ولد كنجور .

ولما تناهى الخبر إلى موسى وأصحابه اتّهم كنجور ، وأمر بحبسه بعد أن ناله بالضرب ، وموسى حينئذ بالسنّ . ولما انتهى الخبر إلى بايكباك وهو بالحديثة أقبل إلى السنّ ، فاستخرج كنجور من الحبس ، واجتمع العسكر بالسنّ ، ووصل إليهم الرّسل ، وأوصلوا الكتب ، وقرءوا بعضها على أهل العسكر ، وأخذوا عليهم البيعة بالنصرة لهم ، فارتحلوا حتى نزلوا قنطرة الرفيف يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب ؛ وخرج المهتدى فى هذا اليوم إلى الحَيْر ، وعرض الناس ، وسار قليلاً ، ثم عاد وأمر أن تخرج الخيام والمضارب فتضرب فى الحَيْر ، وأصبح الناس يوم الجمعة ، وقد انصرف مِن عسكر موسى زُهاء ألف رجل ؛ منهم كوتكين وحشنَج . ١٨٢٨/٣

ثم خرج المهتدى إلى الحَيْر ، ثم صيّر ميمنته عليها كوتكين ، وميسرته عليها حشنَج ، وصار هو فى القلب ، ثم رجع الرسل تختلف بين العسكرين . والذى يريد موسى بن بغا أن يُولَّى ناحية ينصرف إليها ، والذى يريد القوم من موسى أن يُقبل فى غلمانه ليناظرهم ؛ فلم يتهيّأ بينهم فى ذلك اليوم شىء . فلما كان ليلة السبت ، انصرف مَنْ أراد الانصراف عن موسى ، ورجع موسى ومفلح يريدان طريق خُراسان فى زهاء ألف رجل ، ومضى بايكباك

---

(١) س : « فاجتمعوا » .
(٢) س : « تسليم » .

وجماعة من قوّاده فى ليلتهم مع عيسى الكرخىّ ، فباتوا معه ، ثم أصبحوا يوم السبت ، وأقبل بايكباك ومَنْ معه حتى دخلوا الدار ، فأخذت سيوفهم بايكباك ويارجوخ وأساتكين وأحمد بن خاقان وخطارمش وغيرهم . فوصلوا جميعًا إلى المهتدِى ، فسلّموا ، فأُمِروا بالانصراف إلاّ بايكباك ؛ فإنّ المهتدى أمر أن يوقَف بين يديه، ثم أقبل يعدّد عليه ذنوبه، وما ركِب من أمر المسلمين والإسلام.

ثم إنّ الموالى اعترضوه ، فأدخلوه حجرة فى الدار ، وأغلقوا عليه الباب ، ثم لم يلبث إلا قدر خمس ساعات حتى قُتِل يوم السبت من الزّوال . واستوى الأمر ، فلم تكن حركة، ولا تكلّم أحد إلاّ نَفر يسير أنكروا أمر بايكباك ، ولم يُظهروا كلّ الجزع . فلما كان يوم الأحد ، أنكر الأتراك مساواة الفراغنة لهم فى الدار ودخولهم معهم ، ووضَح عندهم أنّ التدبير إنما جرى فى قتل رؤسائهم حتى يقدم عليهم الفراغنة والمغاربة ، فخرجوا من الدّار بأجمعهم ، وبقيت الدّار على الفراغنة والمغاربة ، وأنكر الأتراك بناحية الكَرْخ ذلك ، وأضافوا إليه طلب بايكباك لاجتماع أصحاب بايكباك معهم ، فأدخل المهتدى إليه جماعة من الفراغنة، وأخبرهم بما أنكره الأتراك، وقال لهم : إنْ كنتم تعلمون أنكم تقومون بهم ؛ فما يكره أمير المؤمنين قربكم ؛ وإن كنتم بأنفسكم تظنّون عجزًا عنهم أرضيناهم بالمصير إلى محبتهم من قَبْل تفاقم الأمر . فذكر الفراغنة أنهم يقومون بهم ويقهرونهم ، إذا اجتمعت كلمتهم وكلمة المغاربة ، وعدّدوا أشياء كثيرة من تقديمهم عليهم . وأرادوا المهتدى على الخروج إليهم ؛ فلم يزل كذلك إلى الظهر ، ثم ركب وأكثر الفرسان الفراغنة وأكثر الرجّالة المغاربة، ووجّه إليهم وهُم بين الكرخ والقطائع والأتراك زُهاء عشرة آلاف، وهم فى ستة آلاف لم يكن معهم من الأتراك إلاّ أقل من ألف ، وهم أصحاب صالح ابن وصيف وجماعة مع يارجوخ . فلما التقى الزّحفان ، انحاز يارجوخ بمَن معه من الأتراك ، وانهزم أصحاب صالح بن وصيف ، فرجعوا إلى منازلهم وخرج طاشتُمُر من خلف الدكّة، وكانوا جعلوا كمينًا ، وتصادم القوم ، فكانت الحرب بينهم ساعة من النهار ، ضربًا وطعنًا ورميًا .

ثم وقعت الهزيمة على أصحاب المهتدى ، فثبت وأقبل يدعوهم إلى نفسه ،

٣/١٨٢٩

٣/١٨٣٠

ويقاتل حتى يئس من رجوعهم ؛ ثم انهزم وبيده سيف مشطّب ، وعليه دِرْع وقَباء ؛ ظاهَرَ به حرير أبيض معيّن ، فمضى حتى صار إلى موضع خشبة بابك ، وهو يحثّ الناس على مجاهدة القوم ونُصرته ؛ فلم يتبعه أحد إلا جماعة من العيّارين ؛ فلما صاروا إلى باب السجن تعلقوا بلجامه ، وسألوه إطلاق مَن في السجن ، فانصرف بوجهه عنهم ، فلم يتركوه حتى أمر بإطلاقهم ، فانصرفوا عنه ، واشتغلوا بباب السجن ، وبقيَ وحده ، فمرّ حتى صار إلى موضع دار أبي صالح بن يَزْداد، وفيها أحمد بن جُمَيل، فدخل الدار وأغلِقت الأبواب ، فنزع ثيابه وسلاحه ؛ وكانت به طعنة في وركه ، فطلب قميصاً وسراويل ، فأعطاه أحمد بن جُمَيل، وغسل الدّم عن نفسه ، وشرب ماء وصلّى ، فأقبل جماعة من الأتراك مع يارْجوخ نحو من ثلاثين رجلا ؛ حتى صاروا إلى دار أبي صالح، فضربوا الباب حتى دخلوها ؛ فلما أحسّ بهم أخذ السيف وسعى ، فصعِد على درجة في الدار ، ودخل القوم ؛ وقد علا السطح ، فأراد بعضُهم الصعود لأخذه ، فضربه بالسيف فأخطأه ، وسقط الرجل عن الدّرجة[1] ، فرمَوْه بالنشاب ، فوقعت نُشّابة في صدره ، فجرحته جراحة خفيفة ، وعلم[2] أنه الموت ؛ فأعطى بيده ، ونزل فرمى بسيفه فأخذوه ، فجعلوه على دابة بين يدي أحدهم ، وسلكوا الطريق الذي جاء منه ، حتى صيّروه إلى دار يارْجوخ في القطائع ، وأنهبوا الجوسق ؛ فلم يبق فيه شيء ، وأخرجوا أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان — وكان محبوساً في الجوْسق — وكتبوا إلى موسى بن بغا وسألوه الانصراف إليهم ، فأقام المهتدي عندهم لم يُحدثوا في أمره شيئاً ؛ فلما كان يوم الثلاثاء بايعوا أحمد بن المتوكل في القَطائع ، وصاروا به يوم الأربعاء إلى الجوْسق فبايعه الهاشميون والخاصّة ، وأرادوا المهتدي على الخلْع في هذه الأيام ، فأبى ولم يجبهم ، ومات يوم الأربعاء ، وأظهروه يوم الخميس لجماعة الهاشميّين والخاصّة ، فكشفوا عن وجهه وغسلوه ، وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين .

٣/١٨٣١

وقدم موسى بن بغا يوم السبت لعشر بقين من رجب وركب أحمد بن

---

(١) س : « على الدرجة » . (٢) س : « فعلم » .

فتيان إلى دار العامة يوم الاثنين لثمان بقين من رجب ، فبايعوه بيعة العامة .

فذكر عن محمد بن عيسى القرشيّ أنه قال : لما صار المهتدى فى أيديهم أبى أن يخلع نفسَه ، فخلعوا أصابع يديْه ورجليْه من كفيه وقدميه ، حتى ورمت كفاه وقدماه ، وفعلوا به غير شىء حتى مات .

٣/١٨٣٢

وقد ذكر فى[1] سبب قتل أبى نصر محمد بن بغا أنه كان خرج من سامرّا يريد أخاه موسى ، فوجّه إليه المهتدى أخاه عبد الله فى جماعة من المغاربة والفراغنة ، فلحقوه بالرّفيف ، فجىء به فحبِس ، وكان قد دخل على المهتدى مسلّمًا قبل خلافهم ، فقال له : يا محمد ؛ إنما قدم أخوك موسى فى جيشه وعبيده حتى يُقتل[2] صالح بن وصيف وينصرف ، قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أعيذك بالله! موسى عبدُك وفى طاعتك ؛ وهو مع هذا فى وجه عدوّ كَلِب ، قال : قد كان صالحٌ أنفعَ لنا منه ، وأحسنَ سياسة للملك ، وهذا العَلَوىّ قد رجع[3] إلى الرّىّ ، قال : وما حيلته يا أمير المؤمنين ؟ قد هزمه وقتل أصحابه وشرّد به كلّ مشرّد ، فلما انصرف عاد ، وهذا فعله أبدًا ؛ اللهمّ إلاّ أن تأمره بالمقام بالرّىّ دهرَه . قال : دع هذا عنك ، فإنّ أخاك ما صنع شيئًا أكثر من أخذ الأموال واحتجانها لنفسه . فأغلظ له أبو نصر ، وقال : يُنظر فيما صار إليه وإلى أهل بيته منذ وليتَ الخلافة فيردّ ، ويُنْظَر ما صار إليك وإلى إخوتك فيردّ . فأمر به فأخِذ وضُرِب وحُبِس ، وانتُهِبت داره ودار ابن ثوابة ، ثم أباح دم الحسن بن مَخْلَد وابن ثوابة وسليمان بن وهب القطان كاتب مُفلِح ، فهربوا فانتهِبت[4] دورهم . ثم جاء المهتدى بالفراغنة والأشروسنية والطبرية والديالمة والإشتاخنيّة ومَنْ بقى من أتراك الكرخ وولد وصيف ، فسألهم النصرة على موسى ومفلح ، وضرب بينهم ، وقال : قد أخذوا الأموال واستأثروا بالفىء ، وأنا أخاف أن يقتلونى ، وإن نصرتمونى أعطيتكُم جميعَ ما فاتكم ، وزدتكم فى أرزاقكم . فأجابوه إلى نصره والخلاف على موسى وأصحابه ، ولزموا

٣/١٨٣٣

(١) س : « عن سبب » .
(٢) س : « ليقتل » .
(٣) س : « قد خرج » .
(٤) س : « فنهبت » .

الجَوْسق ، وبايعوه[1] بيعة جديدة وأمر بالسويق والسكر فاشتُرِى لهم ، وأجرَى على كلّ رجل منهم فى كلّ يوم درهمين ، وأطعِموا فى بعض أيامهم الخبز واللحم. وتولى أمرَ جيشه أحمد بن وصيف وعبد الله بن بُغا الشرابىّ والتفتّ، معهم بنو هاشم ، وجعل يركب فى بنى هاشم ، ويدور فى الأسواق ، ويسأل الناس النصرة ، ويقول : هؤلاء الفساق يقتلون الخلفاء ، ويثبون على مواليهم ، وقد استأثروا بالفىء، فأعينوا أمير المؤمنين وانصروه. وتكلّم صالح بن يعقوب ابن المنصور وغيره من بنى هاشم ، ثم كتب بعدُ إلى بايكباك يأمره أن يضمّ الجيش كله إليه ، وأنه الأمير على الجيش أجمع ، ويأمره بأخذ موسى ومفلح .

ولما هلك المهتدى طلبوا أبا نصر بن بغا ، وهم يظنّون أنه حىّ ، فدُلوا على موضعه ، فنُبِش فوجدوه مذبوحًا ، فحمِل إلى أهله ، وحُمِلت جثّة بايكباك فدُفنت. وكسرت الأتراك على قبر محمد بن بغا ألف سيف ، وكذلك يفعلون بالسيد منهم إذا مات . وقيل إنّ المهتدى لما أبى أن يخلعها ، أمروا مَنْ عَصَرَ خصيته حتى مات ؛ وقيل : إنّ المهتدى لما احتُضِر قال :

أَهُمّ بِأَمْرِ الحزْمِ لو أَسْتطيعُهُ وقدْ حيلَ بينَ العيرِ والنّزوانِ

وقيل إنّ محمد بن بغا لم يحدثوا فى أمره يوم حُبِس شيئًا ، وطالبوه بالأموال ، فدفع إليهم نيفًا وعشرين ألف دينار ، ثم قتلوه بعد ؛ بعجوا بطنَه ، وعصروا حلْقه ، وألْقِىَ فى بئر من القناة، فلم يزل هنالك حتى أخرجه الموالى بعد أسرهم المهتدى بيوم ، فدفن . ١٨٣٤/٣

وكانت خلافة المهتدى كلها إلى أن انقضى أمره أحدَ عشر شهراً وخمسة وعشرين يوماً ، وعمره كله ثمان وثلاثون سنة . وكان رحْبَ الجبهة ، أجْلَح ، جهم الوجه ، أشْهَلَ ، عظيم البطن ، عريض المنكبين، قصيراً، طويل اللحية . وكان ولِد بالقاطول .

---

(١) س : « وبايعوا » .

[ذكر أخبار صاحب الزنج مع جُعلان]

وفى هذه السنة وافَى جعلان البصرة لحرب صاحب الزنج .

* ذكر الخبر عما كان من أمرهما هنالك :

ذكر أن جُعلان لما صار إلى البصرة زحف بعسكره منها ، حتّى صار بينه وبين عسكر صاحب الزّنْج فرسخ ، فخندق على نفسه ومَنْ معه ، فأقام ستة أشهر فى خندقه ، فوجّه الزينبيُّ وبُنَريه وبنو هاشم ومَنْ خفّ لحرب الخبيث من أهل البصرة فى اليوم الذى تواعدهم جعلان للقائه ، فلما التقوْا لم يكن بينهم إلاّ الرمىُ بالحجارة والنشاب ،ولم يجد جعلان إلى لقائه سبيلا لضيق الموضع بما فيه من النخل والدّغل عن مجال الخيل ، وأصحابه أكثرهم فرسان.

٣/١٨٣٥ فذكر عن محمد بن الحسن أنّ صاحب الزنج قال: لمّا طال مقام جُعلان فى خندقه، رأيتُ أن أخفِيَ له من أصحابى جماعة يأخذون عليه مسالك الخندق، ويبيّتونه فيه، ففعل ذلك ، وبيته فى خندقه ، فقُتِل جماعة من رجاله ، ورِيع الباقون رَوْعًا شديداً . فترك جعلان عسكره ذلك،وانصرف إلى البصرة ؛ وقد كان الزينبيّ قبل بيات الخبيث جعلان جمع مقاتلة البلالية والسعدية ، ثم وجّه لهم من ناحية نهر نافذ وناحية هزَارْدر ، فواقعوه[1] من وجهين ، ولقيهم الزّنْج ، فلم يثبتوا لهم ، وقهرهم[2] الزّنج ، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وانصرفوا مفلولين ، وانحاز جعلان إلى البصرة ، فأقام بها وظهر عجزه للسلطان .

* * *

وفيها صرف جُعلان عن حرب الخبيث ، وأمر سعيد الحاجب بالشخوص إليها لحربه .

وفيها تحوّل صاحب الزّنْج من السَّبَخة التى كان ينزلها إلى الجانب الغربىّ

(١) س : « فوافقوه » .

(٢) س : « فهزمهم » .

من النهر المعروف بأبي الخصيب .

وفيها أخذ صاحب الزّنج –فيما ذكر– أربعة وعشرين مركبًا من مراكب البحر ، كانت اجتمعت تريد البصرة ، فلمّا انتهى إلى أصحابها خبره وخبر مَن معه من الزّنج وقطعهم السبيل، اجتمعت آراؤهم على أن يشدّوا مراكبهم بعضها إلى بعض ؛ حتّى تصير كالجزيرة ، يتصل أولها بآخرها ، ثم يسيروا بها فى دِجْلة . فاتّصل به خبرها ، فندب إليها أصحابه ، وحرّضهم عليها ، وقال لهم : هذه الغنيمة الباردة .

قال أبو الحسن : فسمعت صاحب الزّنْج يقول : لمّا بلغني قربُ المراكب منى[1] نهضت للصلاة ، وأخذت فى الدعاء والتضرّع ، فخوطبتُ بأن قيل لى : قد أظلّك فتح عظيم ، والتفتُّ فلم ألبث أن طلعت المراكب ، فنهض أصحابى إليها فى الجريبيّات ؛ فلم يلبثوا أن حَوَوْها وقتلوا مقاتلتها ، وسبَوْا ما فيها من الرّقيق ، وغنموا منها أموالاً عظامًا لا تُحصَى ولا يعرف قدرها ، فأنهب ذلك أصحابه ثلاثة أيام ، ثم أمر بما بقى فحِيزَ له . ٣/١٨٣٦

* * *

[ذكر الخبر عن دخول الزنج الأبلّة]

ولخمس بَقِين من رجب من هذه السنة ، دخل الزّنج الأبلّة ، فقتلوا بها خلقاً كثيراً وأحرقوها .

* ذكر الخبر عنها وعن سبب الوصول إليها :

ذكر أن صاحب الزّنج لما تنحّى جعلان عن خندقه بشاطئ عثمان الذى كان فيه ، وانحاز إلى البصرة ألحّ بالسرايا على أهل الأبُلّة ، فجعل يحاربهم من ناحية شاطئ عثمان بالرجالة ، وبما خفّ له من السفن من ناحية دِجْلة ، وجعلت سراياه تضرب إلى ناحية نهر مَعْقِل .

فذكر عن صاحب الزّنج ، أنه قال : ميّلت[2] بين عبّادان والأبُلّة ، فلتُ

---

(١) س : « منهم » . (٢) ميلت ، أى أخذت أرجح وأوازن .

إلى التوجّه إلى عَبّادان ، ندبتُ الرّجالة لذلك ، فقيل لى : إن أقرب العدو داراً، وأولاه بألاّ تتشاغل بغيره عنه أهلُ الأبُلة ، فرددت الجيش الذى كنت سيّرتُ نحو عبّادان إلى الأبُلّة. فلم يزالوا يحاربون أهل الأبُلّة إلى ليلة الأربعاء لخمس بقين من رجب سنة ست وخمسين ومائتين. فلما كان فى هذه الليلة اقتحموا الزنج مما يلى دِجْلة ونهر الأبُلّة ، فقتل بها أبو الأحوص وابنه ، وأضرمت ناراً ، وكانت مبنية بالساج محفوفة بناء متكاثفًا . فأسرعت فيها النار ، ونشأت ريحٌ عاصف ، فأطارت شرر ذلك الحريق حتى وصلت بشاطئ عثمان ، فاحترقَ . وقُتِل بالأبُلّة خلقٌ كثير ، وغرق خلق كثير ، وحُويت الأسلاب ، فكان ما احترق من الأمتعة أكثر مما انتُهب .

١٨٣٧/٣

وقتِل فى هذه الليلة عبدُ الله بن حميد الطوسىّ وابنٌ له ؛ كانا فى شَذاة بنهر مَعْقِل مع نُصير المعروف بأبى حمزة .

* * *

[ذكر خبر استيلاء صاحب الزنج على عبّادان]

وفيها استسلم أهل عَبّادان لصاحب الزّنج فسلّموا إليه حصنهم .

* ذكر الخبر عن السبب الذى دعاهم إلى ذلك :

ذُكر أنّ السبب فى ذلك أنّ الخبيث لما فعل أصحابُه من الزّنج بأهل الأبُلّة ما فعلوا ، ضعفت قلوبهم، وخافوهم على أنفسهم وحُرمهم ، فأعطوا بأيديهم ، وسلموا إليه بلدهم ، فدخلها أصحابه، فأخذوا مَنْ كان فيها من العبيد[1] ، وحملوا ما كان فيها من السلاح إليه ، ففرّقه عليهم .

* * *

[ذكر خبر دخول أصحاب صاحب الزنج الأهواز]

وفيها دخل أصحابه الأهواز وأسروا إبراهيم بن المدبر .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان الخبيث لما أوقع أصحابه بالأبُلّة، وفعلوا بها ما فعلوا ، واستسلم له

(١) ب : « العسكر » .

أهلُ عَبَّادان ، فأخذ مماليكهم ، فضمّهم إلى أصحابه من الزَّنْج ، وفرّق بينهم[1] ما أخذ من السلاح الذى كان بها ، طمع فى الأهواز ، فاستنهض أصحابه نحو جُبّى ، فلم يثبتْ لهم أهلها ، وهربوا منهم ، فدخلوا فقتلوا وأحرقوا ، ونهبوا وأخربوا ما وراءها ؛ حتى وافوا الأهواز ، وبها يومئذ سعيد بن يكسين والٍ وإليه حربُها ، وإبراهيم بن محمد بن المدبّر وإليه الخراج والضّياع ؛ فهرب الناس منهم أيضًا فلم يقاتلهم كثير أحد ، وانحاز سعيد ابن تكسين فيمن كان معه من الجُند ، وثبت إبراهيم بن المدبّر فيمن كان معه من غلمانه وخدَمه ، فدخلوا المدينة ، فاحتوَوْها ، وأسروا إبراهيم بن محمد بعد أن ضُرب ضربةً على وجهه ، وحوَوْا كلّ ما كان يملك من مال وأثاث ورقيق ؛ وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومائتين . ٣/١٨٣٨

ولما كان من أمره ما كان بالأهواز بعد الذى كان منه بالأُبُلّة ، رعب أهل البصرة رعبًا شديداً ، فانتقل كثير من أهلها عنها ، وتفرّقوا فى بلدان شتَّى ، وكثرت الأراجيف من عوامّها .

* * *

وفى ذى الحجة من هذه السنة وجّه صاحب الزَّنْج إلى شاهين بن بسْطام جيشًا عليهم يحيى بن محمد البحرانىّ لحربه ؛ فلم يَنَلْ يحيى من شاهين ما أمّل وانصرف عنه .

وفى رجب من هذه السنة وافى البصرة سعيد بن صالح المعروف بالحاجب من قِبَل السلطان لحرب صاحب الزَّنْج .

٣/١٨٣٩ وفيها كانت بين موسى بن بُغا الذين كان توجّهوا معه إلى ناحية الجبل مخالفينْ لمحمد بن الواثق وبين مساور بن عبد الحميد الشارى وقعة بناحية خانقين ومُساور فى جمع كثير وموسى وأصحابه فى مائتين ، فهزموا مساوراً وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة .

---

(١) س : « عليهم » .

خلافة المعتمد على الله

وفيها بويع أحمد بن أبي جعفر المعروف بابن فِتْيان، وسُمِّيَ المعتمد على الله ، وذلك يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقيت من رجب.

* * *

وفيها بعث إلى موسى بن بغا وهو بخانِقين بموت محمد بن الواثق وبيعة المعتمد ، فوافى سامُرّا لعشر بقين من رجب .

ولليلتين خَلَتا من شعبان ، ولِيَ الوزارة عبيد الله بن يحيى بن خاقان .

وفيها ظهر بالكوفة عليّ بن زيد الطالبيّ ، فوجّه إليه الشاه بن ميكال فى عسكر كثيف ، فلقيَه عليّ بن زيد فى أصحابه ، فهزمه وقتل جماعة كثيرة من أصحابه ، ونجا الشاه .

وفيها وثب محمد بن واصل بن إبراهيم التميميّ ؛ وهو من أهلِ فارس ، ورجلٌ من أكرادها يقال له أحمد بن الليث بالحارث بن سيما الشرابيّ عامل فارس، فحارباه ، فقتِل الحارث ، وغلب محمد بن واصل على فارس .

٣/١٨٤٠ وفيها وجّه مفلح لحرب مساور الشارى وكنجور لحرب عليّ بن زيد الطالبيّ بالكوفة .

وفيها غَلَب جيش الحسن بن زيد الطالبيّ على الريّ، فى شهر رمضان منهـا .

وفيها شخص موسى بن بغا – لإحدى عشرة ليلةً خلت من شوّال منها – من سامرّا إلى الريّ ، وشيّعه المعتمد .

وفيها كانت بين أماجور وابن لعيسى بن الشيخ على باب دِمشق وقعة ، فسمعتُ مَنْ ذكر أنه حضر أماجور ، وقد خرج فى اليوم الذى كانت فيه هذه الوقْعة من مدينة دمشق مرتاداً لنفسه عسكراً وابنُ عيسى بن الشيخ وقائد لعيسى يقال له أبو الصهباء فى عسكر لهما بالقرب من مدينة دمشق ، فاتصل

بهما خبرُ خروج أماجور ، وأنه خرج فى نفر من أصحابه يسير ، فطمعا فيه ، فزحفا بمَنْ معهما إليه ، ولا يعلم أماجور بزحُوفهما إليه حتى لقياه ، والتحمت الحرب بين الفريقين ، فقتِل أبو الصهباء ، وهُزِم الجمع الذى كان معه ومع ابن عيسى ؛ ولقد سمعتُ مَنْ يذكر أنّ عيسى وأبا الصهباء كانا يومئذ فى زُهاء عشرين ألفًا من رجالهما ، وأن أماجور فى مقدار مائتين إلى أربعمائة .

وفى يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة منها قدم أبو أحمد ابن المتوكل من مكة إلى سامرا .

٣/١٨٤١ وفيها وجّه إلى عيسى بن الشيخ إسماعيل بن عبد الله المروزىّ المعروف بأبى النصر ومحمد بن عبيدالله الكريزىّ القاضى والحسين الخادم المعروف بعرق الموت ، بولاية أرمينيَة ، على أن ينصرف عن الشأم آمناً ؛ فقبل ذلك وشخص عن الشأم إليها .

وحج بالناس فى هذه السنة محمد بن أحمد بن عيسى بن أبى جعفر المنصور .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

* * *

[ذكر خبر مسير يعقوب بن الليث إلى فارس وانصرافه عنها]

فمن ذلك ما كان من مصير يعقوب بن الليث إلى فارس ، وبعثة المعتمد إليه طُغتا[1] وإسماعيل بن إسحاق وأبا سعيد الأنصاريّ فى شعبان منها ، وكتاب أبى أحمد بن المتوكل إليه بولاية بَلْخ وطَخارستان إلى ما يلى ذلك من كَرْمان وسجستان والسِّند وغيرها ، وما جعل له من المال فى كلّ سنة ، وقبوله ذلك وانصرافه .

وفى ربيع الآخر منها قدم رسول يعقوب بن الليث بأصنام ذكر أنه أخذها من كابُل .

ولاثنتى عشرة خلتْ من صفر عقد المعتمد لأخيه أبى أحمد على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن، ثم عقد له أيضًا بعد ذلك لسبع خَلَوْن من شهر رمضان على بغداد والسواد وواسط وكُور دِجلة والبصرة والأهواز وفارس ، وأمر أن يُوَلّى صاحب بغداد أعماله، وأن يُعقَد ليارْجوخ على البصرة وكُور دجْلة واليمامة والبحرين مكان سعيد بن صالح ، فولّى يارجوخ منصور بن جعفر بن دينار البصرة وكُور دجلة إلى ما يلى الأهواز . ٣/١٨٤٢

* * *

[ذكر خبر انهزام الزنج أمام سعيد بن الحاجب]

وفيها أمِر بُغراج باستحثاث سعيد الحاجب فى المصير إلى دِجْلة والإناخة بإزاء عسكر صاحب الزّنج ، ففعل ذلك بُغراج – فيما قيل – ومضى سعيد الحاجب لما أُمِر به من ذلك فى رجب من هذه السنة .

---

(١) م : « طغبا » .

فذُكر أن سعيدا لمّا صار إلى نهر مَعْقِل وجد هنالك جيشاً لصاحب الزّنج بالنهر المعروف بالمُرْغاب – وهو أحَدالأنهار المعترضة فى نهر معقِل – فأوقع بهم فهزمهم، واستنقذ ما فى أيديهم من النِّساء والنهب، وأصابت سعيدًا فى تلك الوقعة جراحات، منها جراحة فى فيه. ثم سار سعيد حتّى صار إلى الموضع المعروف بعسكر أبى جعفر المنصور، فأقام به ليلة، ثم سار حتّى أناخ بموضع يقال له هـَطمـَة من أرض الفرات، فأقام هنالك أيامًا يعبِّى أصحابه، ويستعدّ للقاء صاحب الزّنْج. وبلغه فى أيام مقامه هنالك، أن جيشاً لصاحب الزّنْج بالفُرات، فقصد لهم بجماعة من أصحابه، فهزمهم، وكان فيهم عمران زَوْج جدّة ابن صاحب الزّنج المعروف بأنكلاى، فاستأمن عمران هذا إلى بُغراج، وتفرّق ذلك الجمع. قال محمد بن الحسن: فلقد رأيتُ المرأة من سكان الفرات تجد الزنجىّ مستتراً بتلك الأدغال، فتقبض عليه حتى تأتى به عسكر سعيد ما به منها امتناع. ثم قصد سعيد حرب الخبيث فعبر إلى غربىّ دجلة، فأوقع به وقعات فى أيام متوالية، ثم انصرف سعيد إلى معسكره بهـَطمـَة، فأقام به يحارب باقى رجب وعامّة شعبان.

٣/١٨٤٣

* * *

[خلاص ابن المدبّر من صاحب الزنج]

وفيها تخلص إبراهيم بن محمد بن المدبر من حبس الخبيث، وكان سبب تخلصِه منه – فيما ذكر – أنه كان محبوسًا فى غرفة فى منزل يحيى بن محمد البحرانىّ، فضاق مكانه على البَحْرانىّ، فأنزله إلى بيت من أبيات داره، فحبسه فيه، وكان موكّلا به رجلان، ملاصقٌ مسكنهما المنزل الذى فيه إبراهيم، فبذل لهما، ورغّبهما، فسرَبَا له سرَباً إلى الموضع الذى فيه إبراهيم من ناحيتهما، فخرج هو وابن أخ له يعرف بأبى غالب ورجل من بنى هاشم كان محبوساً معهما.

[ذكر خبر إيقاع صاحب الزنج بسعيد وأصحابه]

وفيها أوقع أصحاب الخبيث بسعيد وأصحابه فقتلوه ومَنْ معه.

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

ذُكر أن الخبيث وجّه إلى يحيى بن محمد البحرانيّ وهو مقيم بنهر مَعْقِل في جيش كثيف يأمره بالتوجّه بألف رجل من أصحابه ، يرئّس عليهم سليمان ابن جامع وأبا الليث ، ويأمرهما بالقَصْد لعسكر سعيد ليلا حتى يوقعا به في وقت طلوع الفجر . ففعل ذلك ، فصارا إلى عسكر سعيد ، فصادفا منهم غِرّةً وغفلة ، فأوقعا بهم وقْعَةً ، فقتلا منهم مقتلة عظيمة ، وأحرَق الزّنج يومئذ عسكر سعيد ، فضعف سعيد ومَنْ معه ، ودخل أمرَهم خللٌ للبيات الذى تهيّأ عليهم ، ولاحتباس الأرزاق عنهم، وكانت سبّبت لهم من مال الأهواز ؛ فأبطأ بها عليهم منصور بن جعفر الخياط ، وكان إليه يومئذ حرب الأهواز ، وله من ذلك يدٌ في الخراج. ٣/١٨٤٤

ولما كان من أمر سعيدبن صالح ما كان، أُمِر بالانصراف إلى باب السلطان وتسليم الجيش الذى معه وما إليه من العمل هنالك إلى منصور بن جعفر ؛ وذلك أنّ سعيداً ترك(١) بعد ما كان من بيات الزّنج أصحابه وإحراقهم عسكره؛ فلم يكن له حركة إلى أن صُرِف عمّا كان إليه من العمل هنالك .

* * *

[خبر الوقعة بين منصور بن جعفر وصاحب الزنج]

وفيها كانت وقعة بين منصور بن جعفر الخياط وبين صاحب الزّنج ، قُتل فيها من أصحاب منصور جماعة كثيرة .

* ذكر الخبر عن صفة هذه الوقعة :

ذُكر أن سعيداً الحاجب لمّا صُرف عن البصرة، أقام بُغْراج بها يحمِى أهلها ،وجعل منصور يَجمع السفن التى تأتى بالميرة ، ثم يُبذْرِقها فى الشّذَا إلى البصرة ، فضاق بالزنج الميرة . ثم عبّأ منصور أصحابه ، وجمع إلى الشذا

(١) ط : « نزل » .

التى كانت معه الشَّذَا الجنابيات والسفن ، وقصد صاحبَ الزّنج فى عسكره ، فصعد قصراً على دجلة ، فأحرقه وما حوله ، ودخل عسكر الخبيث من ذلك الوجه، ووافاه الزّنج ، وكمَنوا له كميناً ، فقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة ، وألجئ الباقون الى الماء ، فغرق منهم خلق كثير ،وحمِل من الرءوس يومئذ – فيما ذكر – زهاء خمسمائة رأس إلى عسكر يحيى بن محمد البحرانىّ بنهر معقِل ، وأمر بنصبها هنالك . ٣/١٨٤٥

وفيها ظَهر من بغداد بموضع يقال له برْكةُ زلزل ،على خنّاق، وقد قتل خلقاً كثيراً من النساء ودفنهنّ فى دار كان فيها ساكناً، فحمِل إلى المعتمد ؛ فبلغنى أنه أمَر بضربه ، فضُرب ألفى سوط وأربعمائة أرزن فلم يمت حتى ضرب الجلاّدون أنثييْه بخشب العقابيْن ،فمات ،فرُدّ إلى بغداد فصُلب بها ثم أحرِقت جثته .

* * *

[خبر مقتل شاهين بن بسطام وهزيمة إبراهيم بن سيما]

وفيها قتِل شاهين بن بسطام وهزِم إبراهيم بن سيما .

* ذكر الخبر عن سبب مقتل شاهين وانهزام إبراهيم :

ذُكر أن البحرانىّ كان كتب إلى الخبيث يُشير عليه بتوجيه جيش إلى الأهواز للمقام بها ، ويرغّبه فى ذلك ، وأن يبدأ بقطع قنطرة أربُك ؛ لئلا يصلَ الخيل إلى الجيش . وإن الخبيث وجّه علىّ بن أبان لقطع القنطرة ، فلقيَه إبراهيم ابن سيما منصرفاً من فارس؛ وكان بها مع الحارث بن سيما فى الصَّحْراء المعروفة بدَسْت أربُك،وهى صحراء بين الأهواز والقنطرة . فلما انتهى علىّ بن أبان إلى القنطرة ، أقام مُختفِياً نفسه ومَنْ معه، فلمّا أصحرت الخيل ، خرجت عليه من جهات، فَقَتَلَتْ من الزّنْج خلْقاً كثيراً ، وانهزم علىّ ، وتبعته الخيل إلى الفَنْدم،وأصابته طعنة فى أخمَصِه، فأمسك عن التوجّه إلى الأهواز ، وانصرف على وجهه إلى جُبَّى، وصُرف سعيد بن يكسين وولّىَ إبراهيم بن ٣/١٨٤٦

سيما ، وكاتبه شاهين ، فأقبلا جميعاً ، إبراهيم بن سيما على طريق الفرات قاصداً لذُنَابة نهر جُبِّيّ ، وعليّ بن أبان بالخيزرانيّة ؛ فأقبل شاهين بن بِسْطام على طريق نهر موسى ، يقدّر لقاء إبراهيم فى الموضع الذى قصد إليه ، وقد اتّعدا لمواقعة عليّ بن أبان ، فسبق شاهين . وأتى عليّ بن أبان رجلٌ من نهر موسى فأخبره بإقبال شاهين إليه ؛ فوجّه عليّ نحوه ، فالتقيا فى وقت العصر على نهر يعرف بأبى العباس — وهو نهر بين نهر موسى ونهر جُبّى — ونشبت الحرب بينهما ، وثبت أصحاب شاهين ، وقاتلوا قتالا شديداً ، ثم صدمهم الزّنج صدمة صادقة ، فولّوْا منهزمين ؛ فكان أوّل مَنْ قتِل يومئذ شاهين وابن عمّ له يقال له حيّان ، وذلك أنه كان فى مقدّمة القوم ، وقُتِل معه من أصحابه بشر كثير . وأتى عليّ بن أبان مخبر فأخبره بورود إبراهيم بن سيما ؛ وذلك بعد فراغه من أمر شاهين ، فسار من فورِه إلى نهر جُبّى ، وإبراهيم بن سيما معسكر هنالك لا يعلم خبر شاهين ، فوافاه عليّ فى وقت العشاء الآخرة ، فأوقع بهم وقعة غليظة قتل فيها جمعاً كثيراً ؛ وكان قتلُ شاهين والإيقاع بإبراهيم فيما بين العصر والعشاء والآخرة .

٣/١٨٤٧ قال محمد بن الحسن : فسمعت عليّ بن أبان يحدّث عن ذلك ، قال : لقد رأيتُنى يومئذ ، وقد ركبنى حُمّى نافض[1] كانت تعتادنى ، وقد كان أصحابى حين نالوا ما نالوا من شاهين تفرّقوا عنى ، فلم يصر إلى عسكر إبراهيم بن سيما معى إلا نحو من خمسين رجلا ، فوصلت إلى العسكر ، فألقيت نفسى قريباً منه ، وجعلت أسمع ضجيج أهلِ العسكر وكلامَهم ؛ فلما سكنتْ حركتهُم ، نهضت فأوقعتُ بهم .

ثم انصرف عليّ بن أبان عن جُبّى لمّا قُتِل شاهين ، وهُزِم إبراهيم بن سيما ، لورود كتاب الخبيث عليه بالمصير إلى البصرة لحرب أهلها .

---

(١) حمّى النافض : حمى الرعدة .

[ذكر خبر دخول الزنج البصرة هذا العام]

وفيها دخل أصحاب الخبيث البصرة .

* ذكر الخبر عن سبب وصولهم إلى ذلك وما عملوا بها حين دخلوها :

ذُكر أنّ سعيد بن صالح لمّا شخَص من البَصْرة ضمّ السلطان عملَه إلى منصور بن جعفر الخياط ؛ وكان من أمرِ منصور وأمرِ أصحاب الخبيث ما قد ذكرناه قبلُ ، وضعف أمر منصور ، ولم يَعُدْ لقتال الخبيث فى عسكره ، واقتصر علَى بذْرقة[1] القَيْروانات ، واتّسع أهلُ البصرة لوصول الميَر إليهم ؛ وكان انقطاع ذلك عنهم قد أضرّ بهم ، وانتهى إلى الخبيث الخبر بذلك ، واتساعُ أهل البصرة ، فعظم ذلك على الخبيث ، فوجّه علىّ بن أبان إلى نواحى جُبَّى ، فعسكر بالخيزُرانيّة ، وشغل منصور بن جعفر عن بَذْرَقة القَيْروانات إلى البصرة ، فعاد حال أهل البصرة إلى ما كانت عليه من الضيق . وألحّ أصحاب الخبيث على أهل البصرة بالحرب صباحاً ومساء . ٣/١٨٤٨

فلما كان فى شوال من هذه السنة أزمع الخبيث على جَمْع أصحابه للهجوم على أهل البصرة ، والجدّ فى خرابها ، وذلك لعلمه بضعف أهلها وتفرّقهم ، وإضرار الحصار بهم ، وخراب ما حولها من القرى ؛ وكان قد نظر فى حساب النجوم ، ووقف على انكساف القمر ليلة الثلاثاء لأربع عشرة ليلة تخلُو من الشهر .

فذكر عن محمد بن الحسن بن سهل أنه قال : سمعتُه يقول : اجتهدتُ فى الدعاء على أهل البصرة ، وابتهلت إلى الله فى تعجيل خرابها ، فخوطبتُ ، فقيل لى : إنما البصرة خُبْزة لك تأكلها من جوانبها ؛ فإذا انكسر نصْفُ الرغيف خربت البصرة ؛ فأوّلْتُ انكسار نصف الرغيف انكساف القمر المتوقّع فى هذه الأيام ، وما أخلق أمر البصرة أن يكون بعده .

قال : فكان يحدّث بهذا حتى أفاض فيه أصحابه ، وكثر تردده فى أسماعهم وإحالته إياه بينهم .

---

(١) البذرقة : الحراسة ، والقيروان : القافلة .

ثم ندب محمد بن يزيد الدارمىّ ؛ وهو أحد مَنْ كان صحبه بالبحرين للخروج إلى الأعراب ،وأنفذه فأتاه منهم خلْق كثير ، فأناخو بالقنْدل ، ووجّه إليهم الخبيث سليمان بن موسى الشعرانىّ ، وأمرهم بتطرّق البصرة ، والإيقاع بها ، وتقدّم إلى سليمان بن موسى فى تمرين الأعراب على ذلك ؛ فلمّا وقع الكسوف أنهض علىّ بن أبان ، وضمّ إليه طائفة من الأعراب ، وأمره بإتيان البصرة مما يلى بنى سعد ، وكتب إلى يحيى بن محمد البحرانىّ —وهو يومئذ محاصر أهل البصرة — فى إتيانها مما يلى نهر عدىّ ، وضمّ سائر الأعراب إليه . قال محمد بن الحسن : قال شبل : فكان أوّل مَنْ واقع أهل البصرة علىّ بن أبان ، وبُغراج يومئذ بالبصرة فى جماعة من الجُند ، فأقام يقاتلهم يومين ، ومال الناس نحوه .

٣/١٨٤٩

وأقبل يحيى بمن معه مما يلى قصر أنس قاصداً نحو الجسر ، فدخل علىّ ابن أبان المهلبىّ وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال ، فأقام يقتل ويحرق يوم الجمعة وليلة السبت ويوم السبت . وغادى يحيى البصرة يوم الأحد،فتلقّاه بُغراج وبُرَيْه فى جَمْع فردّاه،فرجع فأقام يومه ذلك، ثم غاداهم يوم الاثنين ،فدخل وقد تفرّق الجند،وهرب بُريه ، وانحاز بغراج بمَن معه ، فلم يكن فى وجهه أحدٌ يدافعه ، ولقيَه إبراهيم بن يحيى المهلبىّ ، فاستأمنه لأهل البصرة فآمنهم ، ونادى منادى إبراهيم بن يحيى : مَنْ أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم ، فحضر أهل البصرة قاطبةً حتى ملئوا الرّحاب . فلما رأى اجتماعَهم انتهز الفرصة فى ذلك منهم ، فأمر بأخذ السكك والطرق والدّروب لئلا يتفرقوا ، وغَدر بهم ، وأمر أصحابه بقتلهم ، فقتل كلّ مَنْ شهد ذلك المشهد إلا الشاذّ . ثم انصرف يومَه ذلك ، فأقام بقصر عيسى بن جعفر بالخُرَيبة .

٣/١٨٥٠

قال محمد : وحدّثنى الفضل بن عدىّ الدارمىّ ، قال : أنا حين وجّه الخائن لحرب أهل البصرة فى حَيِّز أهل البصرة مُقيمٌ فى بنى سعد . قال : فأتانا آت فى الليل ؛ فذكر أنه رأى خيلاً مجتازة تؤمّ قصر عيسى بالخريبة ،

فقال لى أصحابى : اخرج فتعرّف لنا خَبَر هذه الخيل ، فخرجتُ فإذا جماعة من بنى تميم وبنى أسد ، فسألتُهم عن حالهم ، فزعموا أنهم أصحاب العَلَوِىّ المضمومون إلى علىّ بن أبان، وأنّ عليًّا يوافِى البصرة فى غدِ تلك الليلة، وأنّ قصده لناحية بنى سعد، وأن يحيى بن محمد بجمعه قاصد لناحية آل المهلب. فقالوا : قل لأصحابك من بنى سعد : إن كنتم تريدون تحصينَ حُرَمكم ، فبادروا إخراجهم قبل إحاطة الجيش بكم .

قال الفضل: فرجعتُ إلى أصحابى ، فأعلمتُهم خبرَ الأعراب فاستعدّوا، فوجهوا إلى بُرَيْه يعلِمونه الخبر، فوافاهم فيمن كان بقِىَ من الحَوَل وجماعة من الجند وقت طلوع الفجر ، فساروا حتى انتهوْا إلى خندق يعرف ببنى حِمَّان ، ووافاهم بنو تميم ومقاتلة السعديّة ، فلم يلبثوا أن طلع عليهم علىّ ابن أبان فى جماعة الزَّنْج والأعراب على متُون الخيل ، فذهِل بُريه قبل لقاء القوم ، فرجع إلى منزله ؛ فكانت هزيمةٌ ، وتفرّق مَنْ كان اجتمع من بنى تميم ، ووافى علىّ فلم يدافعه أحدٌ ، ومرّ قاصداً إلى المِرْبَد ، ووجّه بُرَيه إلى بنى تميم يستصرخُهم ؛ فنهض إليه منهم جماعة ، فكان القتال بالمِرْبَد بحضرة دار بُرَيْه، ثم انهزم بُريه عن داره، وتفرّق الناس لانهزامه، فأحرقت الزنج دارَه ، وانتهبوا ما كان فيها ، فأقام الناس يقتلون هنالك ، وقد ضَعُف أهلُ البصرة ، وقَوِى عليهم الزَّنْج ، واتصلت الحرب بينهم إلى آخر ذلك اليوم ، ودخل علىّ المسجد الجامع فأحرقه ، وأدركه فتح غلام أبى شيث فى جماعة من البصريّين ، فانكشف علىّ وأصحابه عنهم ، وقُتِل من الزَّنْج قوم ، ورجع علىّ فعسكر فى الموضع المعروف بمقبرة بنى شيبان ، فطلب الناس سلطاناً يقاتلون معه فلم يجدوه ، وطلبوا بُرَيْهاً ، فوجدوه قد هرب ، وأصبح أهلُ البصرة يوم السبت ، فلم يأتهم علىّ بن أبان، وغاداهم يوم الأحد، فلم يقف له أحد ، وظفر بالبصرة . ٣/١٨٥١

قال محمد بن الحسن : وحدّثنى محمد بن سمعان ، قال : كنت مقيماً بالبصرة فى الوقت الذى دخلها الزَّنْج ، وكنت أحضرُ مجلس إبراهيم بن محمد

ابن إسماعيل المعروف ببُريه ، فحضرته وحضر يوم الجمعة لعشر ليال خلون من شوال سنة سبع وخمسين ومائتين وعنده شهاب بن العلاء العنبرىّ ، فسمعتُ شهاباً يحدّثه أن الخائن قد وجّه بالأموال إلى البادية ليعرّض بها رجال العرب ، وأنه قد جمع جمعاً كثيرًا من الخيل ، وهو يريد تورّد البصرة بهم وبرجّالته من الزنج ، وليس بالبصرة يومئذ من جند السلطان إلا نيّف وخمسون فارساً مع بُغراج ، فقال بُريه لشهاب : إنّ العرب لا تقدم علىّ بمساءة ؛ وكان بُريه مطاعاً فى العرب ، محبّبًا إليهم .

١٨٥٢/٣

قال ابن سمعان : فانصرفت من مجلس بُريه ، فلقيت أحمد بن أيوب الكاتب ، فسمعته يحكى عن هارون بن عبد الرحيم الشيعىّ ؛ وهو يومئذ يلى بَريد البصرة[1] ، أنّه صحّ عنده أنّ الخائن جمّع لثلاث خلَوْن من شوّال فى تسعة أنفس ؛ فكان وجوه أهل البصرة وسلطانها المقيم بها من الغَبَا عن حقيقة خبر الخائن على ما وصفت . وقد كان الحصار عضّ أهل البصرة ، وكثر الوَباء بها ، واستعرت الحرب فيها بين الحزبين المعروفين بالبلالية والسعدية .

فلما كان يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيَتْ من شوّال من هذه السنة ، أغارت خيل الخائن على البَصْرة صبحًا فى هذا اليوم ؛ من ثلاثة أوجه من ناحية بنى سَعْد والمربد والخُرَيبة ؛ فكان يقودُ الجيش الذى سار إلى المِربَد علىّ بن أبان ، وقد جعل أصحابه فرقتين ؛ فرقة ولّى عليها رفيقاً غلام يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان ، وأمرهم بالمصير إلى بنى سعد ، والفرقة الأخرى سار هو فيها إلى المِرْبَد ؛ وكان يقود الخيل التى أتت من ناحية الخُرَيبة يحيى بن محمد الأزرق البحرانىّ ، وقد جمع أصحابه من جهة واحدة ؛ وهو فيهم ؛ فخرج إلى كلّ فرقة من هؤلاء من خفّ من ضعفاء أهل البصرة ، وقد جهَدَهم الجوع والحصار ، وتفرّقت الخيل التى كانت مع بُغراج فرقتين : فرقة صارت إلى ناحية المِرْبَد وفرقة صارت إلى ناحية الخُرَيبة ، وقاتل من ورد ناحية بنى سعد جماعة من مقاتلة السعديّة فتح غلام أبى شيث[2] وصحبه ، فلم يُغْنِ قليلٌ من أهل البصرة إلى جموع الخبيث شيئًا ، وهجم القوم بخيلهم ورجلهم.

١٨٥٣/٣

(١) س : « الموصل » .
(٢) س : « شبيب » .

قال ابن سمعان: فإنّى يومئذ لفِى المسجد الجامع، إذ ارتفعت نيران ثلاث من ثلاثة أوجه: زهران والمِرْبد وبنى حِمَّان فى وقت واحد؛ كأنّ موقِديها كانوا على ميعاد؛ وذلك صدْر يوم الجمعة، وجلّ الخطب، وأيقن أهلُ البصرة بالهلاك، وسَعَى مَنْ كان فى المسجد[1] الجامع إلى منازلهم، ومضيتُ مبادراً إلى منزلى؛ وهو يومئذ فى سكة المِرْبد، فلقينى منهزمو أهل البصرة فى السكة راجعين نحو المسجد الجامع، وفى أخراهم القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمىّ؛ وهو على بغل متقلّد سيفاً يصيح بالناس: ويحكم! أتسلمون بلدكم وحرمكم! هذا عدوّكم قد دخل البلد، فلم يلووا عليه، ولم يسمعوا منه، فمضى وانكشفت سكة المِرْبد؛ فصار بين المنهزمين والزّنج فيها فضاء يسافر فيه البصَر.

قال محمد: فلما رأيتُ ذلك دخلت منزلى، وأغلقت بابى، وأشرفتُ فإذا خيل من الأعراب ورجّالة الزنج، تقدّمهم رجل على حصان كُميت، بيده رمح، عليه عَذَبَة صفراء؛ فسألت بعد أن صِير بى إلى مدينة الخائن عن ذلك الرجل، فادّعى علىّ بن أبان أنه ذلك الرجل، وأنّ الراية الصفراء رايتُه، ودخل القوم، فغابوا فى سكة المِرْبد إلى أن بلغوا باب عثمان؛ وذلك بعد الزوال ثم انصرفوا، فظنّ الناس من رعاع أهل البصرة وجهالهم أنّ القوم قد مضوْا لصلاة الجمعة؛ وكان الذى صرفهم أنهم خشوا أن يخرجَ عليهم جمع السعديّة والبِلالية من المربّعة، وخافوا الكمناء هناك، فانصرفوا وانصرف من كان بناحية زَهْران وبنى حصن؛ وذلك بعد أن أحرقوا وأنهبوا واقتدروا على البلد، وعلموا أنه لا مانع لهم منه، فأغبُّوا السبت والأحد، ثم غادوا البصرة يوم الاثنين، فلم يجدوا عنها مدافعاً، وجُمع الناس إلى باب إبراهيم بن يحيى المهلبىّ وأعطوا الأمان. ٣/١٨٥٤

قال محمد بن سمعان: فحدثنى الحسن بن عثمان المهلبىّ الملقب بمُنْدَلِقة — وكان من أصحاب يحيى بن محمد — قال: أمرنى يحيى فى تلك الغداة بالمصير

(١) ب: «مسجد».

إلى مقبرة بنى يَشْكر ، وحَمَل ما كان هناك من التنانير ، فصرتُ إليها ، فحملتُ نَيِّفًا وعشرين تَنّورًا على رءوس الرجال ، حتى أتيت بها دار إبراهيم ابن يحيى ، والناس يظنّون أنها تعدّ لاتّخاذ طعام لهم ؛ وهم من الجوع وشدة الحصار والجهد على أمر عظيم ، وكثر الجمع بباب إبراهيم بن يحيى ، وجعلوا ينوبون ويزدادون ؛ حتى أصبحوا وارتفعت الشمس .

قال ابن سمعان : وأنا يومئذ قد انتقلت من سكة المربد من منزلى إلى دار جدّ أمى هشام المعروف بالدافّ ، وكانت فى بنى تميم ، وذلك للذى استفاض فى الناس من دخول بنى تميم فى سِلْم الخائن ؛ فإنى لهناك إذ أتى المخبرون بخبر الوَقْعة بحضرة دار إبراهيم بن يحيى ، فذكروا أن يحيى بن محمد البحرانىّ أمر الزّنج ، فأحاطوا بذلك الجمع ، ثم قال : مَنْ كان من آل المهلب فليدخل دار إبراهيم بن يحيى ، فدخلتْ جماعة قليلة ، وأغلقوا الباب دونهم . ثم قيل للزّنج : دونكم الناس فاقتلوهم ، ولا تُبقوا منهم أحداً . فخرج إليهم محمد بن عبد الله المعروف بأبى الليث الأصبهانى ، فقال للزّنج : كيلوا — وهى العلامة التى كانوا يعرفونها فيمن يؤمرون بقتله — فأخذ الناسَ السيف .

٣/١٨٥٥

قال الحسن بن عثمان : فإنى لأسمع تشهّدهم وضجيجهم ، وهم يقتَلون ، ولقد ارتفعت أصواتهم بالتشهّد ؛ حتى لقد سمعت بالطُّفاوة ، وهم على بُعد من الموضع الذى كانوا به . قال : ولما أتَى على الجمع الذى ذكرنا أقبل الزّنج على قتل مَنْ أصابوا ، ودخل علىّ بن أبان يومئذ ، فأحرق المسجد الجامع ، وراح إلى الكَلاَّء ، فأحرقه من الجبل[1] إلى الجسر ، والنار فى كلّ ذلك تأخذ فى كلّ شىء مرّت به من إنسان وبهيمة وأثاث ومتاع ، ثم ألحّوا بالغُدوّ والرّواح على مَنْ وجدوا يسوقونهم إلى يحيى بن محمّد ؛ وهو يومئذ نازلٌ بسَيْحان ؛ فمن كان ذا مال قرّره حتى يستخرج ماله ، ويقتله ، ومن كان مُمْلِقًا قتله .

وذُكِرَ عن شِبْل أنه قال : باكر يحيى البصْرة يوم الثلاثاء بعد قتل مَنْ قتل بباب إبراهيم بن يحيى ، فجعل ينادى بالأمان فى الناس ليظهروا ، فلم يظهر له أحدٌ ، وانتهى الخبر إلى الخبيث ، فصرف علىّ بن أبان عن البصرة ، وأفرد

٣/١٨٥٦

(١) ط : « الحبل » .

يحيي بها لموافقة ما كان أتى يحيي من القتل إياه ووقوعه لمحبّته ، وأنه استقصر ما كان من علىّ بن أبان المهلبىّ من الإمساك عن العيْث بناحية بنى سعد .
وقد كان علىّ بن أبان أوفد إلى الخبيث من بنى سعد وفداً ، فصاروا إليه ، فلم يجدوا عنده خيراً ، فخرجوا إلى عبّادان ، وأقام يحيي بالبصرة ، فكتب إليه الخبيثَ يأمره بإظهار استخلاف شِبْل على البصرة ليسكن الناس ، ويظهر المستخفى ومَنْ قد عُرف بكثرة المال ، فإذا ظهروا أخذوا بالدلالة على مادفنوا وأخفَوْا من أموالهم . ففعل ذلك يحيي ؛ فكان لا يخلو فى يوم من الأيام من جَماعة يُؤتى بهم ، فمَنْ عُرف منهم باليسار استنظف ما عنده وقتله ، ومن ظهرت له خَلّته عاجله بالقتل ؛ حتى لم يدع أحداً ظهر[1] له إلا أتى عليه ، وهرب الناس على وجوههم ، وصرف الخبيث جيشه عن البصرة .

قال محمد بن الحسن : ولما أخرب الخائن البصرة ، وانتهى إليه عظيم ما فعل أصحابه فيها ، سمعته يقول : دعوتُ على أهل البصرة فى غداة اليوم الذى دخلها أصحابى ، واجتهدت فى الدعاء ، وسجدت ، وجعلت أدعو فى سجودى ، فرُفعتْ إلىّ البصرة ، فرأيتها ورأيت أصحابى يقاتلون فيها ، ورأيت بين السماء والأرض رجلاً واقفا فى الهواء فى صورة جَعْفر المعلوف المتَولّى كان للاستخراج فى ديوان الخراج بسامُرّا ، وهو قائم قد خفض يده اليسرى ، ورفع يده اليمنى ، يريد قلب البصرة بأهلها ، فعلمتُ أن الملائكة تولّت إخرابها دون أصحابى ، ولو كان أصحابى تولَّوْا ذلك لما بلغوا هذا الأمر العظيم الذى يحكى عنها . وإن الملائكة لتنصرنى وتؤيدنى فى حربى[2] ، وتثبّت مَن ضعُف قلبه من أصحابى .

١٨٥٧/٣

قال محمد بن الحسن : وانتسب الخبيث إلى يحيي بن زيد بن علىّ بعد إخرابه بالبصرة ، وذلك لمصير جماعة من العلويّة الذين كانوا بالبصرة إليه ، وأنه كان فيمن أتاه منهم علىّ بن أحمد بن عيسى بن زيد ، وعبد الله بن علىّ فى

(١) س : « أظهر » .
(٢) س : « حروبى » .

جماعة من نسائهم وحُرَمهم ، فلمّا جاءوه ترك الانتساب إلى أحمد بن عيسى، وانتسب إلى يحيي بن زيد .

قال محمد بن الحسن : سمعتُ الخبيث وقد حضره جماعة من النوفليّين ، فقال القاسم بن الحسن النوفليّ : إنه قد كان انتهى إلينا أنك من ولد أحمد بن عيسى بن زيد ، فقال : لست من ولد عيسى ، أنا من ولد يحيي بن زيد . وهو فى ذلك كاذب ،لأن الإجماع فى يحيي أنه لم يعقِب إلا بنتًا ماتت وهى ترضع .

* * *

[ذكر الخبر عن الحرب بين محمد المولّد والزنج]

وفيها أشخص السلطان محمداً المولّد إلى البصرة لحرب صاحب الزّنْج ، فشخص من سامُرّا يوم الجمعة لليلة خلت من ذى القعدة .

* ذكر الخبر عما كان من أمر المولّد هناك :

ذكر أن محمداً المعروف بالمولّد لما صار إلى ما هنالك نزل الأبُلّة ، وجاء بُرّيه ،فنزل البصرة، واجتمع إلى بُريه من أهل البصرة خلق كثير ممن كان هرب ، وكان يحيي حين انصرف عن البصرة أقام بالنهر المعروف بالغوثىّ. ١٨٥٨/٣

قال محمد : قال شِبْل : فلما قدم محمد المولد كتب الخبيث إلى يحيي يأمره بالمصير إلى نهر أوّا ،فصار إليه بالجيش، وأقام يحارب المولّد عشرة أيام ، ثم أوطن المولّد المقام ، واستقرّ وفتر عن الحرب ، فكتب الخبيث إلى يحيي يأمره بتبييته، ووجّه إليه الشذامع المعروف بأبى الليث الأصبهانىّ، فبيّته ونهض المولّد بأصحابه ، فقاتلهم بقية ليلته ومن غدٍ إلى العصر ، ثم ولى منصرفًا ، ودخل الزّنج عسكره، فغنموا ما فيه . فكتب يحيي إلى الخبيث بخبره ، فكتب إليه يأمره باتباعه ،فاتبعه إلى الحوانيت ،وانصرف ،فمرّ بالجامدة ،فأوقع بأهلها ، وانتهب كلّ ما كان فى تلك القرى ، وسفك ما قدر على سفكه من الدماء ، ثم عسكر بالجالة ، فأقام هناك مدّة، ثمّ عاد إلى نهر معقل.

وفيها أخذ محمد المولّد سعيد بن أحمد بن سعيد بن سَلْم الباهلىّ ،وكان قد تغلّب على البطائح ، هو وأصحابه من باهلة وأفسدوا الطريق .

وفيها خالف محمد بن واصل السلطان بفارس ، وغلب عليها .

وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس .

٣/١٨٥٩ وفيها وثب بسيل المعروف بالصقلبىّ – وقيل له الصقلبىّ وهو من أهل بيت المملكة،لأن أمه صقلبيّة– على ميخائيل بن توفيل ملك الروم فقتله ، وكان ميخائيل منفرداً بالمملكة أربعًا وعشرين سنة ، وتملّك الصقلبىّ بعده على الروم.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

فمن ذلك ما كان من الموافاة بسعيد بن أحمد بن سعيد بن سلْم الباهلىّ باب السلطان[1] ، وأمر السلطان بضربه بالسياط ، فضرب سبعمائة سوط – فيما قيل – فى شهر ربيع الآخر منها ، فمات فصُلِب .

وفيها ضُرِب عنق قاضٍ لصاحب الزّنج ، كان يقضى له بعبّادان ، وأعناق أربعة عشر رجلا من الزّنْج بباب العامّة بسامُرّا ؛ كانوا أسِرُوا من ناحية البصرة .

وفيها أوقع مُفْلح بأعراب بتكريت ، ذكر أنهم كانوا مايَلوا[2] الشارى مساوراً .

وفيها أوقع مسرور البلخىّ بالأكراد اليعقوبيّة فهزمهم ، وأصاب فيهم .

وفيها دخل محمد بن واصل فى طاعة السلطان ، وسلم الخراج والضياع بفارس إلى محمد بن الحسين بن الفيّاض .

وعقد المعتمد يوم الاثنين لعشر بقين من شهر ربيع الأول لأبى أحمد أخيه على ديار مُضر وقنّسرين والعواصم ، وجلس يوم الخميس[3] مستهلّ شهر ربيع الآخر ، فخلع عليه وعلى مُفلِح ، فشخصا نحو البصرة وركب ركوباً عامًّا ، وشيع أبا أحمد إلى بَرْكُوَار ، وانصرف . ٣/١٨٦٠

---

(١) ب : « الأحداث » .

(٢) ابن الأثير : « أعانوا » .

(٣) س : « الجمعة » .

[ذكر الخبر عن قتل منصور بن جعفر الخياط]

وفيها قُتِل منصور بن جعفر بن دينار الخياط .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف كان أمره :

ذكر أن الخبيث لما فرغ أصحابه من أمر البصرة ، أمر علىّ بن أبان المهلبىّ بالمصير إلى جُبَّى لحرب منصور بن جعفر ، وهو يومئذ بالأهواز ، فخرج إليه ، فأقام بإزائه شهرًا ، وجعل منصور يأتى عسكر علىّ وهو مقيم بالخيزُرانيّة ، ومنصور إذ ذاك فى خفّ من الرجال ، فوجّه الخبيث إلى علىّ ابن أبانٍ باثنتى عشرة شذاة مشحونة بجُلْدِ[1] أصحابه، وولّى أمرها المعروف بأبى الليث الأصبهانىّ ، وأمره بالسمع والطاعة لعلىّ بن أبان ، فصار المعروف بأبى الليث إلى علىّ ، فأقام مخالفًا له ، مستبدًّا بالرأى عليه ، وجاء منصور كما كان يجىء للحرب ، ومعه شذوات ، فبدر إليه أبو الليث عن غير مؤامرة منه لعلىّ بن أبان ، فظفِر منصور بالشَّذَوات التى كانت معه ، وقَتَل فيها من البِيضان والزَّنج خلقًا كثيرًا ، وأفلت أبو الليث ، فانصرف إلى الخبيث ، فانصرف علىّ بن أبان وجميع مَنْ كان معه ، فأقاموا شهرًا ، ثم رجع علىّ لمحاربة منصور فى رجاله ، فلما استقرّ علىّ وجّه طلائع يأتونه بأخبار منصور وعساكره ، وكان لمنصور والٍ مقيم بكَرْنبا ، فبيّت علىّ بن أبان ذلك القائد ، فقتله وقتل عامّة مَنْ كان معه ، وغنم ما كان فى عسكره ، وأصاب أفراسًا ، وأحرق العسكر ، وانصرف من ليلته حتى صار فى ذُنابة نهر جُبَّى . وبلغ الخبر منصورًا ، فسار حتى انتهى إلى الخيزُرانيّة، فخرج إليه علىّ فى نُفَير من أصحابه ، وكانت الحرب بينهما منذ ضحى ذلك اليوم إلى وقت الظهر ، ثم انهزم منصورٌ ، وتفرّق عنه أصحابُه، وانقطع عنهم، وأدركته طائفة من الزَّنج اتبعوا أثره إلى نهر يعرف بعمر بن مهْران ، فلم يزل يكرّ عليهم حتى تقصّفت رماحه ، ونفدت سهامه ، ولم يبق معه سلاح ، ثم حمل نفسه على

١٨٦١/٣

---

(١) س : «بجلة أصحابه» .

النهر ليعبر ، فصاح بحصان كان تحته ، فوثب وقصرت رجلاه ، فانغمس في الماء .

قال شبل : كان سبب تقصير الفرس عن عبور النهر بمنصور ، أنّ رجلا من الزّنج كان ألقى نفسه لمّا رأى منصوراً قاصداً نحو النهر يريد عبورَه فسبقه سباحةً ، فلمّا وثب الفرس تلقاه الأسود ، فنكص به ، فغاضا معاً ، ثم أطلع منصور رأسَه ، فنزل إليه غلام من السودان من عُرفاء مصلِح يقال له أبرون ، فاحتزّ رأسَه ، وأخذ سَلَبه ، وقُتل ممن كان معه جماعة كثيرة ، وقُتل مع منصور أخوه خلَف بن جعفر ، فولّى يارجوخ ما كان إلى منصور من العمل أصغجون .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل مفلح]

١٨٦٢/٣ ولاثنتي عشرة بقيتْ من جُمادى الأولى منها ، قُتِل مُفلِح بسهم أصابه بغير نصل في صُدغه يوم الثلاثاء ، فأصبح ميتاً يوم الأربعاء في غدِ ذلك اليوم ، وحُمِلت جثّته إلى سامُرّا ، فدفن بها .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف كان الوصول إليه :

قد مضى ذكري شخوص أبي أحمد بن المتوكل من سامُرّا إلى البصرة لحرب اللعين لمّا تناهى إليه وإلى المعتمد ما كان من فظيع ما ركب من المسلمين بالبصرة ، وما قرب منها من سائر أرض الإسلام ، فعاينتُ أنا الجيش الذي شخص فيه أبو أحمد ومفلح ببغداد ، وقد اجتازَوا بباب الطاق ، وأنا يومئذ نازلٌ هنالك ، فسمعت جماعةً من مشايخ أهل بغداد يقولون : قد رأينا جيوشًا كثيرة من الخلفاء ، فما رأينا مثلَ هذا الجيش أحسن عُدّة ، وأكمل سلاحًا وعتاداً ، وأكثر عدداً وجمعاً ، وأتبع ذلك الجيش من متسوّقة[1] أهل بغداد خلق كثير .

---

(١) ابن الأثير : « سوقة » .

وذكر عن محمد بن الحسن أن يحيى بن محمد البحرانىّ كان مقيماً بنهر معقِل قبل موافاة أبى أحمد موضعَ الخبيث ، فاستأذنه فى المصير إلى نهر العباس ، فكره ذلك ، وخاف أن يوافيَه جيشُ السلطان ، وأصحابه متفرّقون ، فألحّ عليه يحيى حتى أذن له ، فخرج واتّبعَه أكثر أهل عسكر الخبيث .

وكان علىّ بن أبان مقيماً بجُبّى فى جمع كثير من الزّنج ، والبصرة قد صارت مغنماً لأهل عسكر الخبيث ؛ فهم يغادونها ويراوحونها لنقل ما نالته أيديهم منها ، فليس بعسكر الخبيث يومئذ من أصحابه إلاّ القليل ؛ فهو على ذلك من حاله حتى وافى أبو أحمد فى الجيش الذى كان معه فيه مفلح ، فوافى جيشٌ عظيم هائل لم يرد على الخبيث مثله ؛ فلمّا انتهى إلى نهر معقِل هرب مَنْ كان هناك من جيش الخبيث ، فلحقوا به مرعوبين ، فراع ذلك الخبيث ، فدعا برئيسين من رؤساء جيشه الذى كان هناك ، فسألهما عن السبب الذى له تركا موضعهما ؛ فأخبراه بما عاينا من عظم[1] أمر الجيش الوارد ، وكثرة عدد أهله[2] وإحكام عُدّتهم ؛ وأنّ الذى عاينا من ذلك لم يكن فى قوتهما الوقوف له فى العِدّة التى كانا فيها ، فسألهما : هل علما مَنْ يقود الجيش؟ فقالا : لا قد اجتهدنا فى علم ذلك ، فلم نجد من يصدُقنا عنه . فوجّه الخبيث طلائعَه فى سُميريّات لتعرف الخبر ، فرجعت رسله إليه بتعظيم أمر الجيش وتفخيمه ؛ ولم يقف أحدٌ منهم على مَنْ يقوده ويرأسه ، فزاد ذلك فى جزعه وارتياعه ، فبادر بالإرسال إلى علىّ بن أبان ، يعلمه خبر الجيش الوارد ، ويأمره بالمصير إليه فيمن معه ، ووافى الجيش ، فأناخ بإزائه ؛ فلما كان اليوم الذى كانت فيه الوقعة وهو يوم الأربعاء ، خرج الخبيث ليطوف فى عسكره ماشياً ، ويتأمل الحال فيمن هو مقيم معه من حزبه ومَنْ هو مقيم بإزائه من أهل حربه ، وقد كانت السّماء مطرت فى ذلك اليوم مطراً خفيفاً والأرض ثريّة تزلّ عنها الأقدام ، فطوّف ساعة من أول النهار ، ثم رجع فدعا بدواة وقرطاس لينفذ كتاباً إلى علىّ بن أبان ، يعلمه ما قد أظلّه من الجيش

٣/١٨٦٣ ، ٣/١٨٦٤

---

(١) ب : « وعظم » ، س : « من عظيم » . (٢) س : « عدة أهله » .

ويأمره بتقديم مَنْ قدر على تقديمه من الرّجال ، فإنه لفي ذلك إذ أتاه المكتنى أبا دُلف – وهو أحد قوّاد السودان – فقال له : إن القوم قد صعدوا وانهزم عنهم الزّنج ، وليس فى وجوههم مَنْ يردّهم[1] حتى انتهوْا إلى الحبل الرابع . فصاح به وانتهره ، وقال : اغرُب عنى فإنك كاذب فيما حكيتَ ؛ وإنما ذلك جزع دخلك لكثرة ما رأيتَ من الجمع ، فانخلع قلبُك ، ولست تدرى ماتقول . فخرج أبو دلف من بين يديه ، وأقبل على كاتبه ، وقد كان أمر جعفر بن إبراهيم السجّان بالنداء فى الزّنج وتحريكهم للخروج إلى موضع الحرب ؛ فأتاه السجّان ، فأخبره أنه قد ندب الزّنج ، فخرجوا . وإنّ أصحابه قد ظفروا بسُمَيريّتين ، فأمره بالرجوع لتحريك الرّجّالة ، فرجع ولم يلبث بعد ذلك إلاّ يسيراً ، حتى أصيب مفلح بسهم غَرَبٍ لا يُعرف الرامى به ، ووقعت الهزيمة ، وقَوِىَ الزنج على أهل حربهم ، فنالوهم بما نالوهم به من القتل. ووافى الخبيث زنجه بالرءوس قابضين عليها بأسنانهم حتى ألقوْها بين يديه ، فكثرت الرءوس يومئذ حتى ملأت كلّ شىء ، وجعل الزّنج يقتسمون لحوم القتلى ويتهادوْنها بينهم .

وأُتِىَ الخائن بأسير من أبناء الفراغنة ، فسأله عن رأس الجيش ، فأعلمه بمكان أبى أحمد ومفلِح ، فارتاع لذكر أبى أحمد – وكان إذا راعه أمر كذّب به – فقال : ليس فى الجيش غير مفلِح! لأنى لست أسمع الذكر إلا له ؛ ولو كان فى الجيش مَنْ ذكر هذا الأسير لكان صوتُه أبعد ، ولمّا كان مفلح إلاّ تابعاً له ، ومضافاً إلى صحبته . ١٨٦٥/٣

وقد كان أهلُ عسكر الخبيث لمّا خرج عليهم أصحاب أبى أحمد ، جزعوا جزعًا شديداً ، وهربوا من منازلهم ، ولجئوا إلى النهر المعروف بنهر أبى الخصيب ولاجسر يومئذ عليه ، فغرق فيه يومئذ خلق كثير من النساء والصبيان ، ولم يلبث الخبيث بعد الوقعة إلا يسيراً ، حتى وافاه علىّ بن أبان فى جمع من أصحابه ، فوافاه وقد استغنى عنه ، ولم يلبث مُفلحٌ أن مات ، وتحيّز أبو أحمد

(١) س : « يرادهم » .

إلى الأبُلّة، ليجمع ما فرّقت الهزيمة منه، ويجدّد الاستعداد، ثم صار إلى نهر أبى الأسد فأقام به.

قال محمد بن الحسن: فكان الخبيث لا يدرى كيف قُتل مُفْلِح، فلما بلغه أنه أصيب بسهم، ولم ير أحداً ينتحل رميَه ادّعى أنه كان الرامىَ له.

قال: فسمعته يقول: سقط بين يدىّ سهم، فأتانى به واح[1] خادمى، فدفعه إلىّ، فرميت به فأصبت مفلحًا.

قال محمد: وكذَب فى ذلك، لأنى كنت حاضرًا ذلك المشهد، وما زال عن فرسه حتى أتاه المخبر بخبر الهزيمة، وأُتِىَ بالرءوس وانقضت الحرب.

* * *

وفى هذه السنة وقع الوباء فى الناس فى كور دِجْلة، فهلك فيها خَلْق كثير فى مدينة السلام وسامُرّا وواسط وغيرها.

وفيها قُتل خرسخارس ببلاد الروم فى جماعة من أصحابه.

* * *

[ذكر خبر أسر يحيى بن محمد البحرانىّ ثم قتله]

وفيها أسِر يحيى بن محمد البحرانىّ صاحب قائد الزّنج، وفيها قُتِل. ١٨٦٦/٣

* ذكر الخبر عن أسره وقتله وكيف كان ذلك:

ذُكِر عن محمد بن سمعان الكاتب أنه قال: لمّا وافَى يحيى بن محمد نهر العباس، لقيه بفُوّهة النهر ثلثمائة وسبعون فارسًا من أصحاب أصغجون العامل — كان عامل الأهواز[2] فى ذلك الوقت، كانوا مرتّبين فى تلك الناحية — فلما بصر بهم يحيى استقلّهم، ورأى كثرة مَن معه من الجمع [3]مما لا خوف عليه معهم، فلقيتهم[3] أصحابه غير مستجنّين بشىء يردّ عنهم عاديتَهم، ورشقتهم أصحابُ أصغجون بالسهام، فأكثروا الجراح فيهم. فلمّا رأى ذلك

---

(١) م: «راح».
(٢) س: «على كور الأهواز».
(٣ – ٣) س: «من لا خوف عليه منهم فلقيه».

يحيى عبّر إليهم عشرين ومائة فارس كانت معه ، وضمّ إليهم من الرّجال جمعًا كثيراً ، وانحاز أصحاب أصغجون عنهم ، وولج البحرانىّ ومَن معه نهر العباس ؛ وذلك وقت قلّة الماء فى النهر ، وسفنُ القَيْروانات جانحة على الطين . فلما أبصر أصحابُ تلك السفن بالزّنْج تركوا سفنَهم ، وحازها الزّنج ، وغنموا ما كان فيها غنائم عظيمة جليلة ، ومضْوا بها متوجّهين نحو البطيحة المعروفة ببطيحة الصحناة ، وتركوا الطريق النّهج ، وذلك للتحاسد الذى كان بين البحرانىّ وعلىّ بن أبان المهلبىّ . وإن أصحاب يحيى أشاروا عليه ألاّ يسلك الطريق الذى يمرّ فيها بعسكر علىّ ، فأصغى إلى مشورتهم ، فشرعوا[1] له الطريق المؤدى إلى البطيحة التى ذكرنا ، فسلكها حتى ولج البطيحة ، وسرّح الخيل التى كانت معه ، وجعل معها أبا الليث الأصبهانىّ ، وأمره بالمصير بها إلى عسكر قائد الزّنج . وكان الخبيث وجّه إلى يحيى البحرانىّ يعلمه ورودَ الجيش الذى ورد عليه ، ويأمره بالتحرّز فى منصرفه من أن يلقاه أحدٌ منهم ، فوجّه البحرانىّ الطلائع إلى دِجْلة ، فانصرفت[2] طلائعه وجيش أبى أحمد منصرف من الأبُلّة إلى نهر أبى الأسد ، وكان السبب فى رجوع الجيش إلى نهر أبى الأسد ، أنّ رافع بن بِسطام وغيره من مجاورى نهر العباس وبطيحة الصّحْناة كتبوا إلى أبى أحمد يعرّفونه خبر البحرانىّ وكثرة جمعه ، وأنه يقدّر أن يخرج من نهر العباس إلى دِجْلة ، فيسبق إلى نهر أبى الأسد ويعسكر به ، ويمنعه المِيرة ، ويحولُ بينه وبين من يأتيه أو يصدر عنه ؛ فرجعت إليه طلائعهُ بخبره ، وعظم أمر الجيش عنده ، وهيبته منه ؛ فرجع فى الطريق الذى كان سلكه بمشقة شديدة نالتْه ونالت أصحابه ، وأصابهم وباء من تردّدهم فى تلك البطيحة ، فكثُر المرض فيهم . فلما قربوا من نهر العباس جعل يحيى بن محمد سليمان بن جامع على مقدّمته ، فمضى يقود أوائل الزّنْج ، وهم يجرّون سفنَهم ، يريدون الخروج من نهر العباس ، وفى النهر للسلطان شذوات وسميريات تحمى فوّهته من قبل أصغجون ، ومعها جَمْعٌ من الفُرْسان والرّجالة ، فراعه وأصحابه ذلك ،

٣/١٨٦٧

(١) ب : « وشرعوا » .

(٢) كذا فى س ، وفى ط : « فانصرف » .

فخلَّوْا سفنهم ، وألقَوْا أنفسَهم فى غربىّ نهر العباس ، وأخذوا على طريق ٣/١٨٦٨
الزّيدان ماضين نحو عسكر الخبيث ، ويحيى غارّ بما أصابهم ، لم يأتِه علم
شىء[1] من خبرِهم ، وهو متوسِّط عسكره، قد وقف على قنطرة قُورَج العباس
فى موضع ضيّق تَشتدّ فيه جرية الماء ، فهو مشرف على أصحابه الزَّنْج ، وهم
فى جرّ تلك السفن التى كانت معهم ، فمنها ما يغرق ، ومنها ما يسلم .

قال محمد بن سمعان : وأنا فى تلك الحال معه واقف ، فأقبل علىّ متعجّبًا
من شدّة جرية الماء وشدّة ما يلقى أصحابه من تلقّيه بالسفن ، فقال لى :
أرأيتَ لو هجم علينا عدوّنا فى هذه الحال ، مَنْ كان أسوأ حالا منا! فما انقضى
كلامُه حتى وافاه طاشتمر التركىّ فى الجيش الذى أنفذه إليهم أبو أحمد عند
رجوعه من الأبُلّة إلى نهر أبى الأسد ، ووقعت الضّجّة فى عسكره .

قال محمد : فنهضت مُتشوفًا للنظر ؛ فإذا الأعلام الحمر قد أقبلتْ فى
الجانب الغربىّ من نهر العباس ويحيى به ؛ فلما رآها الزَّنْج ألقَوْا أنفسهم فى
الماء جملة، فعبروا إلى الجانب الشرقىّ، وعرِىَ الموضع الذى كان فيه يحيى ، فلم
يبق معه[2] إلا بضعة عشر رجلا ، فنهض يحيى عند ذلك ، فأخذ درقتَه وسيفه ،
واحتزم بمنديل ، وتلقّى القوم الذين أتوْه فى النفر الذين معه ، فرشقهم[3]
أصحاب طاشتمر بالسهام ، وأسرع فيهم الجراح ، وجرح البحرانىّ بأسهم ثلاثة
فى عَضُدْيه وساقه اليسرى . فلما رآه أصحابه جريحًا تفرّقوا عنه ، فلم يعرَف
فيقصد له . فرجع حتى دخل بعض تلك السفن ، وعَبَر به إلى الجانب الشرقىّ ٣/١٨٦٩
من النهر ؛ وذلك وقت الضحى من ذلك اليوم ، وأثقلَت يحيى الجراحات التى
أصابتْه. فلما رأى الزّنج ما نزل به اشتدّ جزعهم ، وضعفت قلوبهم ، فتركوا
القتال . وكانت همّتهم النجاة بأنفسهم ، وحاز أصحاب السلطان الغنائم التى
كانت فى السفن بالجانب الغربىّ من النهر ؛ فلما حوَوْها أقعدوا فى بعض تلك
السفن النّفاطين ، وعبّروهم[4] إلى شرقىّ النهر ، فأحرقوا ما كان هناك من السفن

---

(١) س : « بشىء » . (٢) ب : « فيه » .
(٣) ب : « معهم فرشقوهم » . (٤) س : «وغيرهم» .

التى كانت فى أيدى الزّنج ، وانفضّ الزّنج عن يحيى ، فجعلوا يتسللون بقية نهارهم بعد قتل فيهم ذريع ، وأسر كثير ؛ فلمّا أمسوا وأسدف الليل طارُوا على وجوههم ، فلما رأى يحيى تفرّق أصحابه ، ركب سُمَيرِيّة كانت لرجل من المقاتلة البِيضان ، وأقعَد معه فيها متطبّبًا يقال له عبّاد يعرف بأبى جيش ؛ وذلك لِمَا كان به من الجراح ، وطمِع فى التخلّص إلى عسكر الخبيث ، فسار حتى قرب من فُوَّهة النهر ، فبصُر ملاحو السميريّة بالشذا والسميريّات واعتراضها فى النهر ، فجزعوا من المرور بهم ، وأيقنوا أنهم مدركون ، فعبروا إلى الجانب الغربىّ ، فألقَوْه ومَنْ معه على الأرض فى زرع كان هناك ، فخرج يمشى وهو مثقَل ؛ حتى ألقى نفسه ؛ فأقام بموضعه ليلتَه تلك ، فلما أصبح بموضعه ذلك نهض عبّاد المتطبّب الذى كان معه ، فجعل يمشى متشوقًا لأن يرى إنسانًا ، فرأى بعض أصحاب السلطان ، فأشار إليهم فأخبرهم بمكان يحيى ، وأتاه بهم حتى سلّمه إليهم . ١٨٧٠/٣

وقد زعم قوم أنّ قومًا مرُّوا به ، فرأوه فدلّوا عليه ، فأخِذ . فانتهى خبره إلى الخبيث صاحب الزَّنْج ، فاشتدّ لذلك جزعه ، وعظم عليه توجّعه .

ثم حمِل يحيى بن محمد الأزرق البحرانىّ إلى أبى أحمد ، فحمله أبو أحمد إلى المعتمد بسامُرّا ، فأمر ببناء دكة بالحَيْر ، بحضرة مجرى الحلبة فبُنيت ، ثم رفع للناس حتى أبصروه ، فضرب بالسياط .

وذُكر أنه دخل سامرّا يوم الأربعاء لتسع خلوْن من رجب على جمل ، وجلس المعتمد من غدِ ذلك اليوم — وذلك يوم الخميس — فضُرب بين يديه مائتى سوط بثمارها ، ثم قُطعت يداه ورجلاه من خلاف ، ثم خُبط بالسيوف ثم ذُبح ثم أحرق .

قال محمد بن الحسن : لمّا قُتِل يحيى البحرانىّ وانتهى خبره إلى صاحب الزّنج ، قال : عَظُم علىّ قتله ، واشتدّ اهتمامى به ، فخوطبتُ فقيل لى : قتلُه خير لك ، إنه كان شرهًا . ثم أقبل على جماعة كنت أنا فيهم ، قال : ومنْ شرهه أنا غنمنا غنيمة من بعض ما كنّا نصيبه ؛ فكان فيه عقدان ، فوقعا فى

يد يحيى ، فأخفى عنى أعظمهما خطرًا ، وعرض علىّ أخسهما ، واستوهبنيه فوهبته له ، فرُفع[1] لى العقد الذى أخفاه ، فدعوته فقلت : أحضرْنى العقد الذى أخفيتَه ، فأتانى بالعقد الذى وهبتُه له ، وجحد أن يكون أخذه غيره ، فرُفِع لى العقد ، فجعلت أصفه وأنا أراه ، فبُهت ، وذهب فأتانى به ، واستوهبنيه فوهبتُه له ، وأمرته بالاستغفار .

٣/١٨٧١

وذكر عن محمد بن الحسن أن محمد بن سمعان حدّثه أنّ قائد الزنج قال لى فى بعض أيامه : لقد عُرِضَتْ علىّ النبوّة فأبيتُها ، فقلتُ : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأنّ لها أعباء خِفت ألاّ أطيق حملها !

* * *

[ذكر خبر انحياز أبى أحمد بن المتوكل إلى واسط]

وفى هذه السنة انحاز أبو أحمد بن المتوكل من الموضع الذى كان به من قرب موضع قائد الزّنج إلى واسط .

* ذكر الخبر عن سبب انحيازه ذلك إليها :

ذُكر أنّ السبب فى ذلك كان أنّ أبا أحمد لمّا صار إلى نهر أبى الأسد ، فأقام به ، كثر العلل فيمن معه من جنده وغيرهم ، وفشا فيهم الموت ؛ فلم يزل مقيماً هنالك حتى أبلّ مَنْ نجا منهم من الموت من عِلّته ، ثم انصرف راجعاً إلى باذاوَرْد ، فعسكر به ، وأمر بتجديد الآلات وإعطاء مَنْ معه من الجند أرزاقَهم وإصلاح الشذوات والسميريات والمعابر ، وشحنها بالقوّاد مِنْ مواليه وغلمانه ، ونهض نحو عسكر الخبيث ، وأمر جماعة من قُوّاده بقصد مواضع سمّاها لهم من نهر أبى الخصيب وغيره ، وأمر جماعة منهم بلزومه والمحاربة معه فى الموضع الذى يكون فيه ، فمال أكثر القوم حين وقعت الحرب ، والتقى الفريقان إلى نهر أبى الخصيب ، وبقى أبو أحمد فى قلّة من أصحابه ، فلم يَزُلْ عن موضعه إشفاقًا من أن يطمع فيه الزَّنْج ، وفيمن بإزائهم من أصحابه وهم بسبخة

(١) س : « فوقع » .

٣/١٨٧٢ نهر منكى ، وتأمل الزّنج تفرّق أصحاب أبى أحمد عنه ، وعرفوا موضعه ، فكثروا[١] عليه ، واستعرَت الحرب ، وكثر القتل والجراح بين الفريقين ، وأحرق أصحاب أبى أحمد قصورًا ومنازل من منازل الزّنْج ، واستنقذوا من النساء جمعًا كثيراً ، وصرف الزّنج جمعهم[٢] إلى الموضع الذى كان به[٣] أبو أحمد فظهر الموفّق على الشَّذَا ، وتوسَّط الحرب محرّضاً أصحابه حتى أتاه مِنْ جمع الزّنْج ما علِمَ أنه لا يقاوَم بمثل العدّة اليسيرة التى كان فيها ، فرأى أنّ الحزم فى محاجزتهم ، فأمر أصحابه عند ذلك بالرجوع إلى سفنهم على تُؤدَة ومَهَل ، فصار أبو أحمد إلى الشّذا التى كان فيها بعد أن استقرّ أكثرُ الناس فى سفنهم ، وبقيت طائفة من الناس ، ولجئوا إلى تلك الأدغال والمضايق ، فانقطعوا عن أصحابهم ، فخرج عليهم كُمناء الزّنج ، فاقتطعوهم ووقعوا بهم ، فحاموْا عن أنفسهم ، وقاتلوا قتالا شديداً ، وقتلوا عدداً كثيراً من الزّنْج ، وأدركتهم المنايا فقتِلوا ، وحَمَلوا إلى قائد الزنج مائة رأس وعشرة أرؤس ، فزاد ذلك فى عُتوّه . ثم انصرف أبو أحمد إلى الباذاوَرْد فى الجيش ، وأقام يعبى أصحابه للرجوع إلى الزّنج ، فوقعت نار فى طرف من أطراف عسكره ؛ وذلك فى أيام عصوف الريح ، فاحترق العسكر ، ورحل أبو أحمد منصرفًا ، وذلك فى شعبان من هذه السنة إلى واسط ، فلمّا صار إلى واسط تفرّق عنه عامة من كان معه من أصحابه .

* * *

٣/١٨٧٣ ولعشر خلون من شعبان كانت هدّة صعبة هائلة بالصَّيْمَرَة . ثم سُمع من غد ذلك اليوم وذلك يوم الأحد ، هدّة هى أعظم من التى كانت فى اليوم الأول ، فتهدّم من ذلك أكثر المدينة ، وتساقطت الحيطان وهلك من أهلها — فيما قيل — زهاء عشرين ألفًا .

وضرب بباب العامة بسامرّا رجل يعرف بأبى فَقْعَس ، قامت عليه البيّنة — فيما قيل — بشتم السلف ألف سوط وعشرين سوطا ، فمات وذلك يوم الخميس

(١) م : « فأكبوا » . (٢) ب : « أجمعهم » . (٣) ب : « فيه » .

لسبع خلوْن من شهر رمضان .

ومات يارْجُوخ يوم الجمعة لثمان خلون من شهر رمضان ، فصلى عليه أبو عيسى بن المتوكل، وحضر جعفر بن المعتمد .

وفيها كانت وقْعَة بين موسى بن بُغا وأصحاب الحسن بن زيد ، فهزم موسى أصحابَ الحسن .

وفيها انصرف مسرور البلخىّ عن مساور الشارى إلى سامُرّا ، ومعه أسراء من الشُراة، واستخلف على عسكره بالحَديثة جعلانَ. ثم شخص أيضاً مسرور البلخىّ إلى ناحية البوازيج ، فلقىَ مساوراً بها ، فكانت بينهما وقعة بها أسر مسرور من أصحابه جماعة ، ثم انصرف لليال بقيت من ذى الحجة .

وفى هذه السنة حدث فى الناس ببغداد داء كان أهلها يسمّونه القُفّاع .

وفيها رجع أكثر الحاجّ من القَرْعاءِ خوفَ العطش ، وسلم مَنْ سار منهم إلى مكة .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن .

١٨٧٤/٣

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك منصرف أبي أحمد بن المتوكل من واسط ، وقدومه سامُرّا يوم الجمعة لأربع بقين من شهر ربيع الأول ، واستخلافه على واسط وحرب الخبيث بتلك[1] الناحية محمداً المولَّد[2] .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل كنجور]

ومن ذلك مقتل كَنَنْجور .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

وكان سبب ذلك أنه كان واليَ الكوفة ، فانصرف عنها يريد سامُرّا بغير إذن ، فأُمِر بالرجوع فأبى ، فحُمِل إليه — فيما ذكر — مالٌ ليفرّق في أصحابه أرزاقهم منه ، فلم يقنع بذلك ، ومضى حتى ورد عُكْبَرَاء في ربيع الأول ، فتوجّه إليه من سامُرّا عدّة من القواد ، فيهم : ساتكين وتكين وعبد الرحمن ابن مفلح وموسى بن أتامش وغيرهم ؛ فذبحوه ذبحًا ، وحُمِل رأسه إلى سامُرّا ، لليلة بقيت من شهر ربيع الأول ، وأصيب معه نيّف وأربعون ألف دينار ، وأُلزِم كاتب له نصرانيّ مالا ، ثم ضُرِب هذا الكاتب في شهر ربيع الآخر بباب العامة ألف سوط ، فمات .

* * *

١٨٧٥/٣

وفيها غلب شركب الجمّال على مرْو وناحيتها وأنهبها .

وفيها انصرف يعقوب بن الليث عن بلخ ، فأقام بقُهِستان ، وولّى عماله هَرَاة وبُوشَنج وباذَغيس ، وانصرف إلى سِجستان .

---

(١) س : « في تلك » . (٢) م : « أحمد المولّد » .

وفيها فارق عبد الله السِّجزىّ يعقوب بن الليث مخالفًا له ، وحاصر نيسابور ، فوجّه محمد بن طاهر إليه الرّسل والفقهاء ، فاختلفوا بينهما ، ثمّ ولاه الطَّبَسَين وقُهستان .

* * *

[ذكر خبر دخول المهلبىّ ويحيى بن خلف سوق الأهواز]

ولست خلوْن من رجب منها ، دخل المهلبىّ ويحيى بن خلف النّهرْبَطىّ سوق الأهواز ، فقتلوا بها خلْقاً كثيراً ، وقتلوا صاحب المعونة بها .

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وكيف كان هلاك صاحب الحرب من قبل السلطان فيها :

ذُكر أنّ قائد الزنج خفِىَ عليه أمرُ الحريق الذى كان فى عسكر أبى أحمد بالباذ آوَرْد ، فلم يَعلم[1] خبرَه إلاّ بعد ثلاثة أيام ، ورد به عليه رجلان من أهل عبّادان فأخبراه ، فعاد للعيْث ، وانقطعت عنه المِيرة ، فأنهض علىّ ابن أبان المهلبىّ ، وضمّ إليه أكثر الجيْش ، وسار معه سُليمان بن جامع ، وقد ضمّ إليه الجيش الذى كان مع يحيى بن محمد البحرانىّ وسليمان بن موسى الشعرانىّ ، وقد ضُمّت إليه الخيل وسائر الناس مع علىّ بن أبان المهلبىّ والمتولى للأهواز يومئذ رجلٌ يقال له أصغجون ، ومعه نيزَك فى جماعة من القوّاد ، فسار ١٨٧٦/٣ إليهم علىّ بن أبان فى جمعه من الزنج ، ونذِر به أصغجون ، فنهض نحوه فى أصحابه ، فالتقى العسكران بصحراء تُعرف بدَسْتَماران ، فكانت الدّبرة يومئذ على أصغجون ، فقُتِل نيَزْك فى جمع كثير من أصحابه ، وغرق أصغجون ، وأسِر الحسن بن هرثمة المعروف بالشار يومئذ ، والحسن بن جعفر المعروف براوشار[2] .

قال محمّد بن الحسن : فحدّثنى الحسن بن الشار ، قال : خرجنا يومئذ مع أصغجون للقاء الزّنج ، فلم يثبت أصحابنا ، وانهزموا ، وقُتِل نيزك ، وفقد أصغجون ، فلمّا رأيت ذلك نزلت عن فرس محذوف[3] كان تحتى ، وقدّرتُ

---

(١) ب : « يعرف » .
(٢) ط : « بزادشار » ، وانظر تصويبات ط .
(٣) المحذوف : المقطوع الذنب .

أن أتناول بذنَب جَنيبة كانت معى ، وأقحمها النهر ، فأنجو بها . فسبقنى إلى ذلك غلامى ، فنجا وتركنى ، فأتيت موسى بن جعفر لأتخلّص معه ، فركب سفينة ، ومضى فيها ، ولم يُقِمْ علىّ ، وبصرت بزورق فأتيته فركبته ، فكثر الناس علىّ وجعلوا يطلبون الركوب معى فيتعلّقون بالزّورق حتى غرقوه ، فانقلب ، وعلوتُ ظهره ، وذهب الناس عنى ، وأدركنى الزّنج ، فجعلوا يرموننى بالنُّشاب ، فلما خفت التّلف قلت : أمسكوا عن رميى ، وألقوا إلىّ شيئًا أتعلّق به ، وأصير إليكم ، فمدّوا إلىّ رمحاً ، فتناولتُه بيدىّ وصرت إليهم .

وأما الحسن بن جعفر ، فإن أخاه حمله على فرس ، وأعدّه ليسفر[١] بينه بين أمير الجيش ، فلما وقعت الهزيمة بادر فى طلب النجاة[٢] ، فعثر به فرسُه فأخِذ .

١٨٧٧/٣

فكتب علىّ بن أبان إلى الخبيث بأمر الوقعة ، وحمل إليه رءوساً وأعلاماً كثيرة ، ووجّه الحسن بن الشار والحسن بن جعفر وأحمد بن روح ، فأمر بالأسرى إلى السجن ، ودخل علىّ بن أبان الأهواز ، فأقام يعيث بها إلى أن ندب السلطان موسى بن بُغا لحرب الخبيث .

* * *

[شخوص موسى بن بغا لحرب صاحب الزنج]

وفيها شخص موسى بن بُغا عن سامرّا لحربه ، وذلك لثلاث عشر بقيت من ذى القعدة ، وشيّعه المعتمد إلى خلف الحائطيْن ، وخلع عليه هناك .

• وفيها وافى عبد الرحمن بن مفلح الأهواز وإسحاق بن كُنْداَج البصرة وإبراهيم بن سيما باذاورد لحرب قائد الزنج من قبل موسى بن بغا .

* ذكر الخبر عما كان من أمر هؤلاء فى النواحى التى ضمت إليهم مع أصحاب قائد الزّنج فى هذه السنة :

ذكر أن ابن مُفلِح لما وافى الأهواز ، أقام بقنطرة أربُك عشرة أيام ، ثم

---

(١) ب : « يسفر » .   (٢) س : « طلباً للنجاة » .

مضى إلى المهلبىّ ، فواقعه ، فهزمه المهلبىّ وانصرف ، واستعدّ ثم عاد لمحاربته، فأوقع به وقعة غليظة ، وقتل من الزّنْج قتلا ذريعًا ، وأسر أسرى كثيرة ، وانهزم علىّ بن أبان ، وأفلت ومن معه من الزّنج ، حتى وافوا بَيانا ، فأراد الخبيث ردّهم ، فلم يرجعوا للذّعر الذى خالط قلوبَهم . فلمّا رأى ذلك أذِن لهم فى دخول عسكره ، فدخلوا جميعًا ، فأقاموا بمدينته . ووافى عبد الرحمن حصن المهدىّ ليعسكر به ، فوجّه إليه الخبيث علىّ بن أبان ، فواقعه فلم يقدر[1] عليه ، ومضى علىّ يريد الموضع المعروف بالدّكر ، وإبراهيم بن سيما يومئذ بالباذاوَرْد ، فواقعه إبراهيم ، فهُزم علىّ بن أبان، وعاوده فهزمه أيضاً إبراهيم ، فمضى فى الليل ، وأخذ معه أدلاّء ؛ فسلكوا به الآجام والأدغال ؛ حتى وافى نهر يحيى ، وانتهى خبره إلى عبد الرحمن ، فوجّه إليه طاشتِمُر فى جمع من الموالى ، فلم يصل إلى علىّ ومَن معه لوعورة الموضع الذى كانوا فيه ، وامتناعه بالقصب والحلافى ، فأضرمه عليهم ناراً ، فخرجوا منه هاربين ، فأسر منهم أسرى ، وانصرف إلى عبد الرحمن بن مفلح بالأسرى والظَّفَر ، ومضى علىّ ابن أبان حتى وافى نسوخا ، فأقام هناك فيمن معه من أصحابه ، وانتهى الخبر بذلك إلى عبد الرحمن بن مفلح ، فصرف وجهه نحو العمود ، فوافاه وأقام به.

٣/١٨٧٨

وصار علىّ بن أبان إلى نهر السِّدرة ، وكتب إلى الخبيث يستمدّه ويسأله التوجيه إليه بالشذاءات ، فوجّه إليه ثلاث عشرة شَذاة ، فيها جمع كثير من أصحابه فسار علىّ ومعه الشَّذَا حتى وافى عبد الرحمن ، وخرج إليه عبد الرحمن بمن معه ، فلم يكن بينهما قتال ، وتواقف الجيشان يومَهما ذلك ؛ فلما كان الليل ، انتخب علىّ بنْ أبان من أصحابه جماعةً يثق بجَلَدهم وصبرهم ، ومضى فيهم ومعه سليمان بن موسى المعروف بالشعرانىّ ، وترك سائر عسكره[2] مكانَه[3] ليخفى أمرُه ، فصار من وراء عبد الرحمن ، ثم بيّته فى عسكره ، فنال منه ومن أصحابه نيلاً ، وانحاز عبد الرحمن عنه ، وخلى عن أربع شذوات من شَذَواته،

٣/١٨٧٩

---

(١) س : « يعد إليه » .
(٢) س : « عسكره » .
(٣) س : « بمكانه » .

فأخذها علىّ وانصرف ، ومضى عبد الرحمن لوجهه حتى وافى الدولاب فأقام به ، وأعدّ رجالا من رجاله ، وولّى عليهم طاشتمر ، وأنفذهم إلى علىّ ابن أبان . فوافوه بنواحى بيان آزر ، فأوقعوا به وقعة ، انهزم منها إلى نهر السِّدرة ، وكتب طاشتمر إلى عبد الرحمن بانهزام علىّ عنه ، فأقبل عبد الرحمن بجيشه حتى وافى العمود ، فأقام به ، واستعدّ أصحابه للحرب ، وهيّأ شذواته ، وولّى عليها طاشتمر ، فسار إلى فُوّهة نهر السدرة ، فواقع علىّ بن أبان وقعةً عظيمة ، انهزم منها علىّ ، وأخذ منه عشر شذوات ، ورجع علىّ إلى الخبيث مفلولاً مهزوماً ، وسار عبد الرحمن من فورِه ، فعسكر ببَيان ، فكان عبدالرحمن ابن مفلح وإبراهيم بن سيما يتناوبان المصير إلى عسكر الخبيث ، فيوقعان به ، ويُخيفان مَنْ فيه ، وإسحاق بن كُنْداج[1] يومئذ مقيم بالبصرة ، قد قطع المِيرة عن عسكر الخبيث ؛ فكان الخبيث يجمع أصحابه فى اليوم الذى يخاف فيه موافاة عبد الرحمن بن مفلح وإبراهيم بن سيما حتى ينقضىَ الحرب ، ثم يصرف فريقاً منهم إلى ناحية البصرة ، فيواقع بهم إسحاق بن كُنْداج ، فأقاموا فى ذلك بضعة عشر شهراً إلى أن صُرِف موسى بن بغا عن حرب الخبيث ، ووُلِّيَها مسرور البلخىّ ، وانتهى الخبر بذلك إلى الخبيث . ٣/١٨٨٠

* * *

وفيها غاب الحسن بن زيد على قومِس ، ودخلها أصحابه .

وفيها كانت وقعة بين محمد بن الفضل بن سنان القزوينى ووهسُوذان بن جُستَان الديلمىّ ، فهُزِم محمد بن الفضل وهسوذان .

وفيها ولّى موسى بن بغا الصَّلابىَّ الرّىّ حين وثب كَيْغَلَغ على تكين ، فقتله فسار إليها .

وفيها غلب صاحب الروم على سُمَيساط ، ثم نزل على مَلَطْية ، وحاصر أهلها ، فحاربه أهل مَلَطْية فهزموه ، وقتل أحمدُ بن محمد القابوس نصراً الإقريطشىّ بطريق البطارقة .

وفيها وُجِّه من الأهواز جماعة من الزّنْج أسروا إلى سامُرّا ، فوثبت العامة بهم بسامُرّا ، فقتلوا أكثرهم وسلبوهم .

(١) م : « كنداجين » .

[ذكر الخبر عن دخول يعقوب بن الليث نيسابور]

وفيها دخل يعقوب بن الليث نيسابور .

* ذكر الخبر عن الكائن الذى كان منه هناك : ٣ / ١٨٨١

ذكر أن يعقوب بن الليث صار إلى هـَراة ، ثم قصد نيسابور ، فلمّا قرب منها وأراد دخولـَها ، وجـّه محمد بن طاهر يستأذنه فى تلقـّيه ، فلم يأذن له ، فبعث بعمومته وأهل بيته ، فتلقـَّوْه ، ثم دخل نيسابور لأربع خـَلـَوْن من شوال بالعشىّ ، فنزل طرفاً من أطرافها يعرف بداوداباذ ، فركب إليه محمد بن طاهر ، فدخل عليه فى مضربه ، فساءله ، ثم أقبل على تأنيبه وتوبيخه على تفريطه فى عمله ، ثم انصرف وأمر عـُزَير بن السرىّ بالتوكيل به ، وصرف محمد بن طاهر وولـّى عزيراً نيسابور ، ثم حبس محمد بن طاهر وأهل بيته . وورد الخبر بذلك على السلطان ، فوجـّه إليه حاتم بن زيرك بن سلام ، ووردت كتب يعقوب على السلطان لعشر بقين من ذى القعدة ، فقعد — فيما ذكر — جعفر ابن المعتمد وأبو أحمد بن المتوكل فى إيوان الجوسق ، وحضر القوّاد ، وأذِن لرسل يعقوب . فذكر رسلـُه ما تناهـَى إلى يعقوب من حال أهل خراسان ، وأنّ الشراة والمخالفين قد غلبوا عليها ، وضعف محمد بن طاهر ، وذكروا مكاتبة أهل خراسان يعقوب ومسألتهم إياه قدومـَه عليهم واستعانتهم ، وأنه صار إليها ، فلمـّا كان على عشرة فراسخ من نيسابور ، سار إليه أهلـُها ، فدفعوها إليه فدَخلها . فتكلـّم أبو أحمد وعبيد الله بن يحيى ، وقالا للرسل : إنّ أمير المؤمنين ٣/١٨٨٢ لا يقارّ يعقوب على ما فعل ، وأنه يأمره بالانصراف إلى العمل الذى ولاه إياه ، وأنه لم يكن له أن يفعل ذلك بغير أمره فليرجع ، فإنه إن فعل كان من الأولياء ، وإلا لم يكن له إلا ما للمخالفين . وصرف إليه رسله بذلك ووصلوا ، وخلـَع على كلّ واحد منهم خلعة فيها ثلاثة أثواب ؛ وكانوا أحضروا رأساً على قناة فيه رقعة فيها : هذا رأس عدوّ الله عبد الرحمن الخارجىّ بهـَراة ، ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة ، قتله يعقوب بن الليث .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علىّ بن عبد الله بن عباس المعروف ببـُرَيه .

ثم دخلت سنة ستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك قتلُ رجل من أكراد مساور الشارى محمد بن هارون بن المعمَّر ، وجده فى زورق يريد سامرَّا ، فقتله وحمل رأسه إلى مساور ، فطلبت ربيعة بدمه فى جمادى الآخرة ، فندب مسرور البلخىّ وجماعة من القوّاد إلى أخذ الطريق على مساور.

١٨٨٣/٣ وفيها قُتِل قائد الزّنج علىّ بن زيد العلوىّ صاحب الكوفة .

* * *

[خبر الوقعة بين يعقوب بن الليث والحسن بن زيد الطائىّ]

وفيها واقع يعقوب بن الليث الحسنَ بن زيد الطالبيّ ، فهزمه ودخل طبرستان.

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وعن سبب مصير يعقوب إلى طبرستان :

أخبرنى جماعة من أهل الخِبرة بيعقوب أنّ عبد الله السجزىّ كان ينافس الرياسة بسجستان ، فقهره يعقوب ، فتخلّص منه عبد الله ، فلحق بمحمد بن طاهر بنيسابور ، فلمّا صار يعقوب إلى نيسابور وهرب عبد الله ، فلحق بالحسن بن زيد ، فشخص يعقوب فى أثره بعد ما كان من أمره وأمر محمد بن طاهر ما قد ذكرت قبلُ ، فمرّ فى طريقه إلى طبرستان بأسفرائيم ونواحيها ، وبها رجل كنت أعرفه يطلب الحديث ، يقال له بديل الكشّىّ ، يظهر التطوّع والأمر بالمعروف ، وقد استجاب له عامة أهل تلك الناحية ، فلما نزلها يعقوب راسلَه ، وأخبره أنه مثله فى التطوّع وأنه معه ، فلم يزل يرفق به حتى صار إليه بديل ، فلمّا تمكن منه قيّده ، ومضى به معه إلى طَبَرِستان ، فلما صار إلى قرب سارِيَة لقيه الحسن بن زيد .

فقيل لى : إنّ يعقوب بعث إلى الحسن بن زيد يسأله أن يبعث إليه بعبد الله

السجزىّ حتى ينصرف عنه ؛ فإنه إنما قصد طَبَرِستان من أجلِه لا لحربه ، فأبى الحسن بن زيد تسليمَه إليه ، فآذنه يعقوب بالحرب ، فالتقى عسكراهما[1]، ٣/١٨٨٤ فلم تكن إلا كَلاَ ولا ، حتى هزِم الحسن بن زيد ، ومضى نحو الشِّرز وأرض الديلم ، ودخل يعقوب سارية ، ثم تقدّم منها إلى آمُل ، فجبى أهلَها خراج سنة ، ثم شخص من آمُل نحو الشِّرز فى طلب الحسن بن زيد حتى صار إلى بعض جبال طَبَرِستان ، فأدركتْه فيه الأمطار ، وتتابعت عليه — فيما ذكر لى — نحواً من أربعين يوماً ، فلم يتخلّص من موضعه ذلك إلاّ بمشقة شديدة. وكان — فيما قيل لى — قد صعد جبلا ، لمّا رام النزول عنه لم يمكنه ذلك إلاّ محمولا على ظهور الرجال ، وهلك عامّة ما كان معه من الظهر .

ثم رام الدخول خلْف الحسن بن زيد إلى الشِّرز ؛ فحدثنى بعض أهل تلك الناحية أنه انتهى إلى الطريق الذى أراد سلوكَه إليه ، فوقف عليه ، وأمر أصحابه بالوقوف ، ثم تقدّم أمامهم يتأمّل الطريق ، ثم رجع إلى أصحابه ، فأمرهم بالانصراف ، وقال لهم: إن لم يكن إليه طريق غير هذا فلا طريق إليه.

فأخبرنى الذى ذكر لى ذلك، أن نساء أهل تلك الناحية قلن لرجالهنّ: دعُوه يدخل هذا الطريق ؛ فإنه إنْ دخل كفيناكم أمرَه ، وعلينا أخذُه وأسره لكم . فلما انصرف راجعًا ، وشخص عن حدود طَبَرِستان ، عرض رجّالَه ، ففقد منهم — فيما قيل لى — أربعين ألفًا ، وانصرف عنها ، وقد ذهب عظم ما كان معه من الخيل والإبل والأثقال .

وذُكر أنه كتب إلى السلطان كتاباً يذكر فيه مسيرَه إلى الحسن بن زيد ، وأنه سار من جُرجان إلى طَمِيس. فافتتحها . ثم سار إلى سارية ، وقد أخرب ٣/١٨٨٥ الحسن بن زيد القناطر ، ورفع المعابر ، وعوّر الطريق ، وعسكر الحسن بن زيد على باب سارية متحصِّنًا بأودية عظام ، وقد مالأه خُرْشاد بن جيلاو، صاحب الدَّيْلم ، فزحف باقتدار فيمن جمع إليه من الطبرية والديالمة والخراسانية والقُمّيّة والجبلية والشأمية والجزَريّة ، فهزمتُه وقتلتُ عدّة لم يبلغها بعهدى عدّة ،

---

(١) ب : «عسكرها» .

وأسرتُ سبعين من الطالبيّين ؛ وذلك فى رجب ، وسار الحسن بن زيد إلى الشّرّز ومعه الديلم .

* * *

وفى هذه السنة اشتدّ الغلاء فى عامّة بلاد الإسلام ، فانجلى — فيما ذكر — عن مكة من شدة الغلاء مَنْ كان بها مجاوراً إلى المدينة وغيرها من البلدان ، ورحل عنها العامل الذى كان بها مقيماً وهو بُرَيه ، وارتفع السعر ببغداد ، فبلغ الكُرّ[1] الشعير عشرين ومائة دينار ، والحنطة خمسين ومائة ، ودام ذلك شهوراً .

وفيها قتلت الأعراب منجور والى حمص ، فاستعمِل عليها بُكْتمر .

وفيها صار يعقوب بن الليث حين انصرف عن طَبرستان إلى ناحية الرىّ ، وكان السبب فى مصيره إليها — فيما ذكر لى — مصير عبد الله السجزىّ إلى الصّلابىّ مستجيراً به من يعقوب ، لمّا هزم يعقوب الحسن بن زيد ، فلما صار يعقوب إلى خوار[2] الرىّ كتب إلى الصّلابىّ يخيّره بين تسليم عبد الله السجْزىّ إليه حتى ينصرف عنه ، ويرتحل عن عمله ، وبين أن يأذن بحربه . فاختار الصّلابىّ — فيما قيل لى — تسليم عبد الله ، فسلّمه إليه ، فقتله يعقوب ، وانصرف عن عمل الصلابىّ .

١٨٨٦/٣

* * *

[ذكر خبر مقتل العلاء بن أحمد الأزدىّ]

وفيها قتِل العلاء بن أحمد الأزدىّ .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

ذُكر أن العلاء بن أحمد فُلِج وتعطّل ، فكتب السلطان إلى أبى الرُّدَيْنىّ عمر بن علىّ بن مُرّ بولاية أذْرَبيجان ، وكانت قبلُ إلى العلاء ، فصار أبو الردينىّ إليها ليتسلّمها من العلاء ، فخرج العلاء فى قُبّة فى شهر رمضان

---

(١) فى القاموس : « الكر : مكيال للعراق وستة أوقار حمار ، أو هو ستون قفيزاً ، أو أربعون إردباً » .

(٢) ط : « جدار » تحريف .

لحرب أبى الردينىّ ، ومع أبى الردينىّ جماعة من الشُّراة [١] وغيرهم ، فقتِل العلاء .

فذكر أنه وجّه عدّة من الرجال فى حمل ما خلّف العلاء ، فحُمل من قلعته ما بلغت قيمته ألفى وسبعمائة ألف درهم .

* * *

وفيها أخذت الروم لؤلؤة من المسلمين .

وحّج بالناس فيها إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن على المعروف ببُرَيْه .

(١) س : « الشراد » ، ابن الأثير : « الخوارج » .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من انصراف الحسن بن زيد من أرض الدّيلم إلى طَبرستان وإحراقه شالوس لمَا كان من ممالأتهم يعقوب وإقطاعه ضياعهم الدّيالمة .

٣/١٨٨٧

ومن ذلك ما كان من أمر السلطان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بجمع مَنْ كان[1] ببغداد من حاجّ خراسان والريّ وطبرستان وجرجان ، فجمعهم فى صفر منها ، ثم قرئ عليهم كتاب يُعلَمون[2] فيه أنّ السلطان لم يولّ يعقوب بن الليث خُراسان ، و يأمرهم بالبراءة منه لإنكاره دخولَه خُراسان وأسره محمد بن طاهر .

* * *

وفى هذه السنة تُوفّىَ عبد الله بن الواثق فى عسكر الصفار يعقوب .

وفيها قَتَلَ مساور الشارى يحيى بن حفص الذى كان يلِى خراسان بكَرْخ جُدّان فى جمادى الآخرة ، فشخص مسرور البلخىّ فى طلبه ، ثم تبعه أبو أحمد ابن المتوكل ، وتنحّى مساور فلم يلحق .

وفى جمادى الأولى منها هلك أبو هاشم داود بن القاسم[3] الجعفرىّ .

* * *

[ذكر خبر وقعة كانت برامَهُرْمز فى هذا العام]

وفيها كانت بين محمد بن واصل وعبد الله بن مُفَلِح وطاشتمر وقعة برامَهُرْمُز ، فقتَل ابنُ واصل طاشتمر ، وأسِر ابن مُفلح .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة والسبب فيها :

كان السبب فى ذلك — فيما ذكر لى — أنّ ابن واصل قتل الحارث بن سيما وهو عامل السلطان بفارس وتغلّب عليها ، فضُمّت إلى موسى بن بُغا فارس

(١) ب : « فجمع ما كان » . (٢) س : « يعلمهم » .
(٣) ط : « سليمان » ، وانظر الفهرس .

والأهواز والبَصْرة والبحرين واليمامة ؛ مع ما كان إليه من عمل المشرق ؛ فوجّه ٣/١٨٨٨ موسى بن بغا عبدَ الرحمن بن مفلِح إلى الاهواز ، وولّاه إياها وفارس ، وضمّ إليه طاشتمر ، فاتّصل بابن واصل ذلك من فعل موسى ، وأنّ ابن مفلح قد توجّه إلى فارس يريده ، وكان قبلُ مقيمًا بالأهواز على حرب الخارجيّ بناحية البصرة . فزحف إليه ابنُ واصل، فالتقيا برامَهُرْمز ، وانضمّ أبو داود الصّعلوك إلى ابن واصل معينًا له على ابن مُفْلِح ، فظفر ابن واصل بابن مُفْلِح ، فأسره وقتل طاشتمر ، واصطلم عسكرَ ابن مفلح ، ثمّ لم يزل ابن مُفلح فى يده حتّى قتله ، وقد كان السلطان وجّه إسماعيل بن إسحاق إلى ابن واصل فى إطلاق ابن مُفلح ، فلم يجبه إلى ذلك ابنُ واصل . ولما فرغ ابنُ واصل من ابن مُفلح أقبل مظهرًا أنه يريد واسطاً لحرب موسى بن بغا حتّى انتهى إلى الأهواز ، و بها إبراهيم بن سيما فى جمع كثير . فلما رأى موسى بن بغا شدّة الأمر وكثرة المتغلّبين على نواحى المشرق، وأنه لا قِوام له بهم ، سأل أن يُعفَى من أعمال المشرق، فأعفِىَ منها ، وضُمّ ذلك إلى أبى أحمد ، ووُلّيه أبو أحمد بن المتوكل ، فانصرف موسى بن بغا من واسط إلى باب السلطان مع عُمّاله عن أعمال المشرق .

* * *

وفيها ولّىَ أبو الساج الأهواز وحرب قائد الزّنج ، فصار إليها أبو الساج بعد شخوص عبد الرحمن بن مفلح إلى ناحية فارس .

وفيها كانت بين عبد الرحمن صهر أبى الساج وعلىّ بن أبان المهلبىّ وقعة ٣/١٨٨٩ بناحية[1] الدولاب ، قُتِل فيها عبدُ الرحمن ، وانحاز أبو الساج إلى عسكر مكرَم ، ودخل الزّنج الأهواز ، فقتلوا أهلَها ، وسبَوْا وانتهبوا ، وأحرقوا دورَها . ثمّ صُرِف أبو الساج عمّا كان إليه من عمل الأهواز وحرب الزّنج ، ووُلّىَ ذلك إبراهيم بن سيما ، فلم يزل مقيماً فى عمله ذلك حتى انصرف عنه بانصراف موسى ابن بغا ، عمّا كان إليه من عمل المشرق .

---

(١) ب : « بموضع يقال له » .

وفيها وُلّىَ محمد بن أوس البلخىّ طريقَ خراسان .

ولما ضُمّ عمل المشرق إلى أبى أحمد ولّى مسروراً البلخىّ الأهواز والبصرة وكُور دِجْلة واليمامة والبحرين فى شعبان من هذه السنة ، وحرب قائد الزنج .

وفيها وُلّىَ نصر بن أحمد بن أسد السامانىّ ما وراءَ نهر بلخ ، وذلك فى شهر رمضان منها ، وكتب إليه بولايته ذلك .

وفى شوّال منها زحف يعقوب بن الليث إلى فارس ، وابنُ واصل مقيم بالأهواز ، فانصرف منها إلى فارس ، فالتقى هو ويعقوب بن الليث فى ذى القعدة ، فهزمه يعقوب وفلّ عسكره ، وبعث إلى خُرَّمة إلى قلعة ابن واصل ، فأخذ ما كان فيها ، فذُكر أنه بلغت قيمة ما أخذ يعقوب منها أربعين ألف ألف درهم ، وأسر مرداساً خال ابن واصل .

* * *

٣/١٨٩٠

وفيها أوْقع أصحابُ يعقوب بن الليث بأهل زَمّ موسى بن مِهْران الكردىّ ، لما كان من ممالأتهم محمد بن واصل ، فقتلوهم ، وانهزم موسى بن مِهْران .

وفيها لاثنتى عشرة مضت من شوّال منها ، جلس المعتمد فى دار العامّة ، فولّى ابنه جعفراً العهد ، وسماه المفوّض إلى الله ، وولاّه المغرب ، وضمّ إليه موسى بن بغا ، وولاّه إفريقية ومصر والشأم والجزيرة والموصل وإرمينيَة وطريق خراسان ومِهْرَجا نقَذَق وحُلوان ، وولّى أخاه أبا أحمد العهد بعد جعفر ، وولاّه المشرق ، وضمّ إليه مسروراً البلخىّ ، وولاّه بغداد والسواد والكوفة وطريق مكة والمدينة واليمن وكَسْكر وكُور دِجلة والأهواز وفارس وأصبهان وقمّ والكَرَج والدينَوَر والرّىّ وزِنجان وقزوين وخراسان وطَبَرِستان وجُرجان وكَرْمان وسِجِستان والسند ، وعقد لكلّ واحد منهما لواءين : أسود وأبيض ، وشرط إن حدث به حدث الموت وجعفر لم يكمل للأمر ، أن يكون الأمر لأبى أحمد ثم لجعفر . وأخذت البيعة على الناس بذلك ، وفرّقت نسخ الكتاب ، وبُعث بنسخة مع الحسن بن محمد بن أبى الشوارب ليعلّقها فى الكعبة ، فعقد جعفر المفوّض[1] لموسى بن بغا على المغرب فى شوال وبعث إليه بالعقد مع محمد المولّد.

---

(١) ب ، س : « الأمر » .

٣/١٨٩١ وفيها فارق محمد بن زَيْدَوَيه يعقوبَ بن الليث، فاعتزل عسكره فى آلاف من أصحابه ، فصار إلى أبى الساج فقبِله ، وأقام معه بالأهواز ، وبعث إليه من سامُرّا بخلعة ، ثم سأل ابن زيدويه السلطان توجيه الحسين بن طاهر بن عبد الله معه إلى خراسان .

وسار مسرور البلخىّ مقدّمة لأبى أحمد من سامُرّا ، لسبع خلَوْن من ذى الحجة ، وخلع عليه وعلى أربعة وثلاثين من قوّاده — فيما ذكر — وشيّعه ولِيًّا العهد ، واتبعه الموفّق شاخصًا من سامُرّا لتسع بقين من ذى الحجة .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس .

ومات الحسن بن محمد بن أبى الشوارب فيها بمكّة بعد ما حجّ .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث رامهرمز]

فمما كان فيها من ذلك موافاة يعقوب بن الليث رامَهُرْمُز فى المحرّم وتوجيه السلطان إليه إسماعيل بن إسحاق وبُغراج، وإخراج السلطان مَن كان محبوسًا من أسباب يعقوب بن الليث من السجْن ؛ لأنه لما كان من أمره ما كان فى أمر محمد بن طاهر ، حبَس السلطانُ غلامَه وصيفًا ومَن كان قِبَلَه من أسبابه، فأطلق عنهم بعد ما وافى يعقوب رامهرمز ؛ وذلك لخمس خلَوْن من شهر ربيع الأول . ثم قدم إسماعيل بن إسحاق من عند يعقوب ، وخرج إلى سامُرّا برسالة من عنده ، فجلس أبو أحمد ببغداد ، ودعا بجماعة من التجار ، وأعلمهم أنّ أمير المؤمنين أمر بتولية يعقوب بن الليث خُراسان وطَبَرِستان وجُرجان والرّىّ وفارس والشُّرطة بمدينة السلام ؛ وذلك بمحضر من درْهم بن نصر صاحب يعقوب . ١٨٩٢/٣ وكان المعتمد قد صرف درهمًا هذا من سامُرّا إلى يعقوب بجواب ما كان يعقوب أرسله، يسأله لنفسه ، فأرسل معه إليه عمر بن سيما ومحمد بن تركشه، ووافى فيها رسل ابن زيدويه بغداد فى شهر ربيع الأول منها برسالة من عنده ، فخلع عليه أبو أحمد، ثمّ انصرف فى هذه السنة الذين توجّهوا[1] إلى يعقوب بن الليث إلى السلطان ، فأعلموه أنه يقول : إنه لا يرضيه ما كتب إليه دون أن يصير إلى باب السلطان ، وارتحل يعقوب من عسكر مكْرَم ، فصار أبو الساج إليه ، فقبله وأكرمه ووصله .

ولما رجعت الرسل بما كان من جواب يعقوب عسكر المعتمد يوم السبت لثلاث خلوْن من جمادى الآخرة بالقائم بسامُرّا ، واستخلَف على سامُرّا ابنه جعفراً ، وضمّ إليه محمداً المولّد ، ثم سار منها يوم الثلاثاء لستٍّ خلون من جمادى

---

(١) م : « وجهوا » .

الآخرة ، ووافى[1] بغداد يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ، فاشتقّها حتّى جازها ، وصار إلى الزعفرانيّة فنزلها[2] ، وقدّم أخاه ٣ /١٨٩٣ أبا أحمد من الزعفرانيّة . فسار يعقوب بجيشه من عسكر مكرَم ؛ حتى صار من واسط على فرسخ[3] ، فصادف هنالك بَشْقًا قد بثقة مسرور البلخىّ من دِجلة لئلا يقدر على جوازه ، فأقام عليه حتى سدّه وعبره ؛ وذلك لست بقين من جمادى الآخرة ، وصار إلى باذبين ، ثم وافَى محمد بن كثير من قِبَل يعقوب عسكرَ مسرور البلخىّ ، فصار بإزائه ، فصار مسرور بعسكره إلى النعمانيّة ، ووافى يعقوب واسطًا ، فدخلها لستّ بقين من جمادى الآخرة .

وارتحل المعتمد من الزعفرانيّة يوم الخميس لليلة بقيت من جمادى الآخرة ؛ حتى صار إلى سِيب بنى كُوما ، فوافاه هنالك مسرور البلخىّ ؛ وكان مسيرُ مسرور البلخىّ إليه فى الجانب الغربىّ من دِجْلة ، فعبرَ إلى الجانب الذى فيه العسكر ، فأقام المعتمد بسِيب بنى كوما أيامًا ، حتى اجتمعت إليه عساكره ، وزحف يعقوب من واسط إلى دير العاقول ، ثم زحف من دير العاقول نحو عسكر السلطان ، فأقام المعتمد بالسِّيب ، ومعه عبيد الله بن يحيى ، وأنهض أخاه أبا أحمد لحرب يعقوب ، فجعل أبو أحمد موسى بن بغا على ميمنتِه ، ومسروراً البلخىّ على ميسرته ،وصار هو فى خاصته ، ونخبة رجاله فى القلب . والتقى العسكران يوم الأحد لليال خَلَوْن من رجب بموضع يقال له اصطربد بين سِيب بنى كوما ودير العاقول . فشدّت ميسرة يعقوب على ميمنة أبى أحمد ١٨٩٤/٣ فهزمتها ، وقتلت منها جماعة كثيرة منهم من قوّادهم إبراهيم بن سيما التركىّ وطباغوا التركىّ ومحمد طُغتَا التركىّ والمعرف بالمبرقع المغربىّ وغيرهم . ثم ثاب المنهزمون وسائر عسكر أبى أحمد ثابت ، فحمَلوا على يعقوب وأصحابه ، فثبتوا وحاربوا حربًا شديداً ، وقتِل من أصحاب يعقوب جماعة من أهل البأس ؛ منهم الحسن الدرهمىّ ومحمد بن كثير . وكان على مقدمة يعقوب — والمعروف بلبادة — فأصابت يعقوب ثلاثة أسهم فى حَلْقِه ويديه ، ولم تزل الحرب بين الفريقين — فيما قيل — إلى آخر وقت صلاة العصر .

---

(١) ب : « ووافوا » . (٢) ب : « فنزلوها » . (٣) ب : « فراسخ » .

ثمّ وافى أبا أحمد الدّيرانىّ ومحمد بن أوس، واجتمع جميعُ من فى عسكر أبى أحمد، وقد ظهر من كثير ممن مع يعقوب كراهة القتال معه إذ رأوا السلطان قد حضر لقتاله، فحملوا على يعقوب ومَنْ قد ثبت معه للقتال، فانهزم أصحابُ يعقوب، وثبت يعقوب فى خاصّة أصحابه[1]؛ حتّى مضوا وفارقوا موضع الحرب.

فذُكر أنه أخذ من عسكره من الدّوابّ والبغال أكثر من عشرة آلاف رأس، ومن الدنانير والدّراهم ما يكلّ عن حمله، ومن جرب المسك أمر عظيم، وتخلّص محمد بن طاهر بن عبد الله، وكان مثقلاً بالحديد؛ خلّصه الذى كان موكّلا به.

ثم أحضر محمد بن طاهر، فخُلع عليه على مرتبته، وقرئ على الناس كتابٌ فيه: ١٨٩٥/٣

ولم يزل الملعون المارق المسمّى يعقوب بن الليث الصفار ينتحل الطاعة، حتّى أحدث الأحداث المنكرة؛ من مصيره إلى صاحب خراسان، وغلبته إياه عليها، وتقلّده الصلاة والإحداث بها، ومصيره إلى فارس مرّة بعد مرة، واستيلائه على أموالها، وإقباله إلى باب أمير المؤمنين مُظهِراً[2] المسألة فى أمور أجابه أمير المؤمنين منها ما لم يكن يستحقه، استصلاحًا[3] له، ودفعًا بالتى هى أحسن؛ فولاّه خُراسان والرّىّ وفارس وقزوين وزِنجان والشرطة بمدينة السلام، وأمر بتكنيته فى كُتبه، وأقطعه الضياع النفيسة؛ فما زاده ذلك إلاّ طغياناً وبغيًا، فأمره بالرجوع فأبى، فنهض أمير المؤمنين لدفع الملعون حين توسّط الطريق بين مدينة السلام وواسط، وأظهر يعقوب أعلامًا على بعضها الصّلبان، فقدّم أمير المؤمنين أخاه أبا أحمد الموفق بالله ولىّ عهد المسلمين فى القلب، ومعه أبو عمران موسى بن بغا فى الميمنة وفى جناح الميمنة إبراهيم ابن سيما، وفى الميسرة أبو هاشم مسرور البلخىّ، وفى جناح الميسرة الديرانىّ، فتسرّع وأشياعه[4] فى المحاربة، فحاربه حتّى أثخِن بالجراح، وحتّى انتزع

(١) م «فى حامية من أصحابه».
(٢) س: «يظهر».
(٣) ب: «واستصلاحاً».
(٤) س: «وأصحابه».

أبو عبد الله محمد بن طاهر سالماً من أيديهم ، وولوْا منهزمين مجروحين مسلوبين ، وسلّم الملعون كلّ ما حواه ملكه » .

كتاباً مؤرخاً بيوم الثلاثاء لإحدى عشرة خلت من رجب .

١٨٩٦/٣ ثم رجع المعتمد إلى معسكره وكتب إلى ابن واصل بتولية فارس ، وقد كان صار إليها وجمع جماعة .

ثم رجع المعتمد إلى المدائن ، ومضى أبو أحمد ومعه مسرور وساتكين وجماعة من القوّاد ، وقبض على ما لأبى الساج[1] من الضّياع والمنازل ، وأقطعها مسروراً البلخىّ . وقدم محمد بن طاهر بن عبد الله بغداد يوم الاثنين لأربع عشرة بقيت من رجب ، وقد رُدّ إليه العمل ، فخُلع عليه فى الرُّصافة ، فنزل دار عبد الله بن طاهر ، فلم يعزل أحداً ، ولم يولّ وأمر له بخمسمائة ألف درهم.

وكانت الوقعة التى كانت بين السلطان والصفّار يوم الشعانين[2] .

وقال محمد بن علىّ بن فَيْد الطائىّ يمدح أبا أحمد ويذكر أمر الصفّار :

نَعَبَ الغرابُ عَدِمتُه من ناعِبِ — وَصَبا فؤادى لادِّكارِ حَبائبى
نادى ببَينهمُ فجادَتْ مُقْلَتى — لِزِيالِ أرحُلهم بدَمْعٍ ساكب
بانوا بأَتراب أَوانِسَ كالدُّمَى — مثلِ المَهَا قُبِّ البُطونِ كواعبِ
فأُولئكنَّ غَرائِرٌ تَيَّمْنَنِى — بِسَوالفٍ وقَوَائمٍ وحَوَاجِبِ
١٨٩٧/٣ لولىِّ عهدِ المسلمينَ مَنَاسِبٌ — شَرُفَتْ وأَشرَقَ نورُها بمناصِبِ
ومراتبٌ فى ذِرْوَةٍ لا تُرْتَقَى — أَكرِمْ بها من ذِرْوَةٍ ومراتبِ
ولقد أَتى الصَّفارُ فى عُددٍ لها — حُسْنٌ فَوَافتْهُنَّ نكبةُ ناكب
جَلَبَ القضاءُ إليه حَتْفاً عاجلا — سَقياً ورَعْياً للقضاءِ الجالِبِ
أَغواه إبليسُ اللعينُ بكَيْدِه — واغترّه منه بوعدٍ كاذبِ

---

(١) ط : « مالا لأبى الساج » ، وصوابه فى ما أثبته من م

(٢) يوم الشعانين : عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع ، يخرجون فيه بصلبانهم .

حتى إذا اختلفوا وظنَّ بأنه ... قد عزَّ بين عساكرٍ وكتائبِ
دَلَفَتْ إليه عساكرٌ مَيْمونةٌ ... يَلقَوْنَ زَحفاً باللواءِ الغالب
فى جَحفلٍ لجِبٍ تُرى أبطالُه ... من دارعٍ أو رامحٍ أو ناشب
وبدا الإمامُ بِرايةٍ منصُورةٍ ... لمحمّدٍ سَيفِ الإله القاضبِ
وولىُّ عهدِ المسلمينَ موفقٌ ... باللهِ أمضى من شِهَابٍ ثاقبِ
وكأنه فى الناسِ بَدْرٌ طالع ... متهلِّلٌ بالنورِ بين كواكب
لمَّا التَقَوْا بالمشرَفيّةِ والقنا ... ضرباً وَطعْنَ محاربٍ لمحاربِ
ثارَ العجاجُ وفوقَ ذاك غمامةٌ ... غَرَّاءُ تَسكُبُ وَبْلَ صَوْبٍ صائبِ
فَلَّ الجُموعَ بحَزمٍ رأيٍ ثاقب ... منه وأفرَدَ صاحباً عن صاحبِ
للهِ دَرُّ مُوفَّق ذى بهجةٍ ... ثَبْتِ المقامِ لدَى الهياج مواثِب
يا فارسَ العربِ الذى ما مثله ... فى الناس يُعرفُ آخَرٌ لنَوائب
من فادح الزَّمَنِ العضوضِ ومن لُقَا ... جيشٍ لِذِى غَدر خَئُونٍ غاصب

* * *

[ذكر خبر توجه رجال الزنج إلى البطيحة ودست ميسان]

وفيها وجه قائد الزنج جيوشه إلى ناحية البطيحة ودَست مَيسَان.

* ذكر الخبر عن سبب توجيهه إياهم إليها :

ذُكر أنّ سبب ذلك كان أنّ المعتمد لمّا صرف موسى بن بغا عن أعمال المشرق وما كان متّصلا بها، وضمّها إلى أخيه أبى أحمد ، وضمّ أبو أحمد عمل كُور دِجلة إلى مسرور البلخىّ ، وأقبل يعقوب بن الليث مريداً أبا أحمد، وصار إلى واسط ، خلَت كُور دجْلة من أسباب السلطان، خلا المدائن وما فوق ذلك . وكان مسرور قد وجّه قبل ذلك إلى الباذاوَرْد مكان موسى بن أتامش جُعلان التركىّ ، وكان بإزاء موسى بن أتامش ، من قِبَل قائد الزّنْج سليمان ابن جامع ، وقد كان سليمان قبل أن يصرف ابنُ أتامش عن الباذاوَرْد، قد نال

(١) ط : « حرون » ، والوجه ما أثبته من م .

من عسكره ؛ فلمّا صُرف ابن أتامش وجُعل موضعه جعلان، وجّه سليمان من قِبَله رجلا من البحرانيّين يقال له ثعلب بن حفص ، فأوقع به ، وأخذ منه خيلاً ورجلا ، ووجّه قائد الزنج من قِبَله رجلاً من أهل جُبَّى يقال له أحمد ابن مهديّ فى سُميريّات ، فيها رماة من أصحابه ، فأنفذه إلى نهر المرأة ، فجعل الجبائىّ يوقع بالقُرى الّتى بنواحى المذار – فيما ذكر – فيعيث فيها ، ويعود إلى نهر المرأة فيقيم به .

فكتب هذا الجبائىّ إلى قائد الزّنج يخبر بأن[1] البطيحة خالية من رجال السلطان، لانصراف مسرور وعساكره عند ورود يعقوب بن الليث واسطًا . فأمر قائد الزّنْج سليمان بن جامع وجماعة من قُوّاده بالمصير إلى الحوانيت ، وأمر رجلا من الباهليّين يقال له عُمَيْر بن عمار ، كان عالمًا بطرق البَطيحة ومسالكها ، أن يسير مع الجبائىّ حتى يستقرّ بالحوانيت .

٣/١٩٠٠ فذكر محمد بن الحسن أن محمد بن عثمان العبّادانىّ قال : لمّا عزم صاحب الزّنْج على توجيه الجيوش إلى ناحية البطيحة ودَسْتُميسان أمر سليمان بن جامع أن يعسكر بالمُطوّعة وسليمان بن موسى أن يعسكر على فُوّهة النهر المعروف باليهوديّ ، ففعلا ذلك ، وأقاما إلى أن أتاهما إذنه ، فنهضا ، فكان مسير سليمان بن موسى إلى القَرْية المعروفة بالقادسيّة ، ومسير سليمان بن جامع إلى الحوانيت والجُبّائىّ فى السميريّات أمام جيش سليمان بن جامع ، ووافى أبَّا التركىّ دجْلة فى ثلاثين شَذاة ، فانحدر يريد عسكر قائد الزّنج ، فمرّ بالقرية التى كانت داخلة فى سلْم الخبيث فنال منها ، وأحرق ؛ فكتب الخبيث إلى سليمان بن موسى فى منعه الرجوع ، وأخذ عليه سليمان الطريق ، فأقام شهراً يقاتل حتى تخلّص فصار إلى البطيحة .

وذكر محمد بن عثمان أن جَبَّاشًا الخادم زعم أنّ أبَّا التركىّ لم يكن صار إلى دجلة فى هذا الوقت ، وأنّ المقيم كان هناك نُصير المعروف بأبى حمزة .

وذكر أن سليمان بن جامع لمّا فصل متوجّهاً إلى الحوانيت، انتهى إلى موضع

---

(١) س : « يخبره أن » .

يعرف بنهر العتيق . وقد كان الجبائىّ سار فى طريق الماديان(١)، فتلقّاه رميس ، فواقعه الجبائىّ، فهزمه، وأخذمنه أربعاًوعشرين سُميريّة ونيِّفاً وثلاثين صلغة(٢)، ١٩٠١/٣ وأفلت رميس، فاعتصم بأجَمة لجأ إليها ، فأتاه قوم من الجوخانيّين ، فأخرجوه منها فنجا . ووافق المنهزمين من أصحاب رميس خروج سليمان من النهر العتيق ، فتلقاهم فأوقع بهم ، ونال منهم نيلا ، ومضى رميس حتى لحق بالموضع المعروف ببرّمساور(٣)، وانحاز إلى سليمان جماعة من مذكورى البلاليّين وأنجادهم فى خمسين ومائة سُميريّة ، فاستخبرهم عما أمامه ، فقالوا : ليس بينك وبين واسط أحدٌ من عمّال السلطان وولاته . فاغترّ سليمان بذلك ، وركن إليه ، فسار حتّى انتهى إلى الموضع الذى يعرف بالجازرة ، فتلقّاه رجل يقال له أبو معاذ القرشىّ ، فواقعه ، فانهزم سليمان عنه ، وقتل أبو معاذ جماعة من أصحابه ، وأسر قائداً من قواد الزّنْج ، يقال له رياح القندلىّ. فانصرف سليمان إلى الموضع الذى كان معسكراً به ، فأتاه رجلان من البلاليّة ، فقالا له : ليس بواسط أحد يدفع عنها غير أبى معاذ فى الشّذَوات الخمس التى لقيك بها . فاستعدّ سليمان وجمع أصحابه وكتب إلى الخبيث كتاباً مع البلاليّة الذين كانوا استأمنوا إليه وأنفذهم إلا جُميِّعة يسيرة فى عشر سُميريّات ، انتخبهم للمقام معه ، واحتبس الاثنين معه اللذين أخبراه عن واسط بما أخبراه به ، وصار قاصداً لنهر أبان ، فاعترض له أبو معاذ فى طريقه ، وشبّت الحرب بينهما، وعصفت الريح ، فاضطربت شذا أبى معاذ، وقوىَ عليه سليمان وأصحابه، فأدبر عنهم معرّداً، ومضى ١٩٠٢/٣ سليمان حتّى انتهى إلى نهر أبان ، فاقتحمه ، وأحرق وأنهب ، وسبى النساء والصبيان، فانتهى الخبر بذلك إلى وُكلاء كانوا لأبى أحمد فى ضياع من ضِياعه مُقيمين بنهر سِنداد ، فساروا إلى سليمان فى جماعة ، فأوقعوا به وقعةً ، قتلوا فيها جمعاً كثيراً من الزّنْج ، وانهزم سليمان وأحمد بن مهدىّ ومن معهما إلى معسكرهما

قال محمد بن الحسن : قال محمد بن عثمان : لما استقرّ سليمان بن جامع بالحوانيت ، ونزل بنهر يعرف بيعقوب بن النضر ، وجّه رجلا ليعرف خبر واسط

---

(١) م : « الماذيان » . (٢) فى القاموس : « الصلغة : السفينة الكبيرة » .
(٣) م : « بئر مساور » .

ومَن فيها من أصحاب السلطان ؛ وذلك بعد خروج مسرور البلخىّ وأصحابه عنها ، لورود يعقوب إياها . فرجع إليه ، فأخبره بمسير يعقوب نحو السلطان، وقد كان مسرور قبل شخوصه عن واسط إلى السِّيب وجّه إلى سليمان رجلا يقال له وصيف الرّحال فى شَذَوات ؛ فواقعه سليمان فقتله ، وأخذ منه سبع شَذَوات ، وقتل مَن ظفر به ، وألقى القتلى بالحوانيت ليُدخل الرّهبة فى قلوب المجتازين بهم من أصحاب السلطان .

فلمّا ورد على سليمان خبرُ مسير مسرور عن واسط ، دعا سليمان عُمير ابن عمار خليفته ورجلا من رؤساء الباهليّين يقال له أحمد بن شريك ، فشاورهما فى التنحّى عن الموضع الذى تصل إليه الخيل والشَّذَوات ، وأن يلتمس موضعًا يتصل بطريق متى أراد الهرب منه إلى عسكر الخبيث سلكه ، فأشارا عليه بالمصير إلى عقر ماور ، والتحصّن بطهيثا والأدغال التى فيها . وكره الباهليون خروجَ سليمان بن جامع من بين أظهرهم لغمسهم أيديهم معه ، وما خافوا من تعقب السلطان إياهم ، فحمل سليمان بأصحابه ماضيًا فى نهر البرور إلى طَهيثا ، وأنفذ الجُبّائىّ إلى النهر المعروف بالعتيق فى السُّمَيريّات ، وأمره بالبدار إليه بما يعرف من خبر الشذا ، ومن يأتى فيها ومن أصحاب السلطان، وخلّف جماعة من السودان لإشخاص مَن تخلّف من أصحابه ، وسار حتى وافى عقر ماور ، فنزل القرية المعروفة بقرية مروان بالجانب الشرقىّ من نهر طهيثا فى جزيرة هناك . ١٩٠٣/٣

وجمع إليه رؤساء الباهليّين وأهل الطفوف ، وكتب إلى الخبيث يعلمه ما صنع ، فكتب إليه يصوّب رأيه ، ويأمره بإنفاذ ما قبله من مِيرَة ونَعَم وغنم ، فأنفذ ذلك إليه ، وسار مسرور إلى موضع معسكر سليمان الأول ، فلم يجد هناك كثير شىء ، ووجد القوم قد سبقوه إلى نقل ما كان فى معسكرهم ، وانحدر أبَا التركىّ إلى البطائح فى طلب سليمان ؛ وهو يظنّ أنه قد ترك الناحية ، وتوجّه نحو مدينة الخبيث فمضى . فلم يقف لسليمان على أثر ، وكرّ راجعاً ، فوجد سليمان قد أنفذ جيشاً إلى الحوانيت ليطرُق من شذّ من عسكر مسرور ، فخالف الطريق الذى خاف أن يؤدّيَهُ إليهم ، ومضى فى طريق آخر ؛ حتى ١٩٠٤/٣

انتهى إلى مسرور ، فأخبره أنه لم يعرف لسليمان خبراً .

وانصرف جيش سليمان إليه بما امتاروا ، وأقام سليمان ، فوجّه الجُبائىّ فى الشُّميريّات للوقوف على مواضع الطعام والمِيَر[1] والاحتيال فى حَمْلها . فكان الجبائىّ لا ينتهى إلى ناحية فيجد فيها شيئاً من المِيرة إلاّ أحرقه ، فساء ذلك سليمان ، فنهاه عنه فلم يَنْتَهِ ، وكان يقول : إن هذه المِيرة مادّة لعدوّنا ، فليس الرأى ترك شىء منها .

فكتب سليمان إلى الخبيث يشكو ما كان من الجُبّائىّ فى ذلك ، فورد كتاب الخبيث على الجُبّائىّ يأمره بالسمع والطاعة لسليمان ، والائتمار له فيما يأمره به[2] .

وورد على سليمان أن أغَرْتمش وخُشيشا قد أقبلا قاصدَيْن إليه فى الخيل والرِّجال والشَّذا والسُّميريّات ، يريدان مواقعته . فجزع جزعاً شديداً ، وأنفذ الجبائىّ ليعرف أخبارهما ، وأخذ فى الاستعداد للقائهما ، فلم يلبث أن عاد إليه الجُبائىّ مهزوماً ، فأخبره أنهما قد وافيا باب طنج ؛ وذلك على نصف فرسخ من عسكر سليمان حينئذ ، فأمره بالرّجوع والوقوف فى وجه الجيش ، وشغله عن المصير إلى العسكر إلى أنْ يلحق به ؛ فلما أنفذ الجبائىّ لِمَا وُجّه له صعد سليمان سطحاً ، فأشرف منه ، فرأى الجيش مقبلاً ، فنزل مسرعاً ، فعبَر نهر طهيثا ، ومضى راجلا ، وتبعه جَمْعٌ من قوّاد السودان حتى وافوْا باب طنج ، فاستدبر أغرتمش، وتركهم حتى جدُّوا فى المسير إلى عسكره . وقد كان أمر الذى استخلفه على جيشه ألاّ يدع أحدًا من السودان يظهر لأحد من أهل جيش أغرتمش ، وأن يخفوا أشخاصهم ما قدرُوا ، ويَدَعُوا القوم حتى يتوغّلوا النهر إلى أن يسمعوا أصوات طبوله ؛ فإذا سمعوها خرجوا عليهم ، وقصدوا أغرتمش . ٣/١٩٠٥

فجاء أغرتمش بجيشه حتى لم يكن بينه وبين العسكر إلاّ نهر يأخذ من طهيثا يقال له جارورة بنى مَرْوان . فانهزم الجُبائىّ فى السُّميريّات حتى وافى

---

(١) ب : « من المير » . (٢) ب : « فى أمره » .

طهيثا ، فخلف سُميرِيّاته بها ، وعاد راجلا إلى جيش سليمان ، واشتدّ جزع أهل عسكر سليمان منه، فتفرّقوا أيادى سبا ، ونهضت منهم شِرذمة فيها قائد من قوّاد السودان يقال له أبو النداء ، فتلقّوْهم فواقعوهم ، وشغلوهم عن دخول العسكر ، وشدّ سليمان من وراء القوم ، وضرب الزّنج بطبولهم ، وألقوْا أنفسهم فى الماء للعبور إليهم ؛ فانهزم أصحابُ أغرتمش وشدّ عليهم مَنْ كان بطهيثا من السودان ، ووضعوا السيوف فيهم ،وأقبل خُشيش على أشهب كان تحته يريد الرجوع إلى عسكره ، فتلقّاه السودان ، فصرعوه وأخذتْه سيوفهم ، فقتِل وحُمِل رأسه إلى سليمان ، وقد كان خُشيش حين[1] انتزعوا إليه ، قال لهم : أنا خُشيش ؛ فلا تقتلونى ، وامضوا بى إلى صاحبكم . فلم يسمعوا لقوله وانهزم أغرتمش ، وكان فى آخر أصحابه ، ومضى حتّى ألقى نفسه إلى الأرض ، فركب دابّة ومضى ، وتبعهم[2] الزّنج حتّى وصلوا إلى عسكرهم ؛ فنالوا حاجتَهم منه ، وظفروا بشذوات كانت مع خُشيش ، وظفر الذين اتبعوا الجيش المولى بشذَوات كانت مع أغرتمش فيها مال . فلما انتهى الخبر إلى أغرتمش ، كرّ راجعًا حتّى انتزعها من أيديهم ، ورجع سليمان إلى عسكره ، وقد ظفر بأسلاب ودوابّ ، وكتب بخبر الوقعة إلى قائد الزّنْج ؛ وما كان منه فيها . وحمل إليه رأس خشيش وخاتمه ، وأقرّ الشذَوات التى أخذها فى عسكره . فلما وافى كتابُ سليمان ورأس خُشيش ، أمر فطيف به فى عسكره ، ونصب يومًا ؛ ثم حمله إلى علىّ بن أبان ، وهو يومئذ مقيم بنواحى الأهواز ، وأمر بنصبه هناك ؛ وخرج سليمان والجُبائىّ معه وجماعة من قُوّاد السودان إلى ناحية الحوانيت متطرّفين ، فتوافقوا هناك ثلاث عشرة شذَاة مع المعروف بأبى تميم أخى المعروف بأبى عَوْن صاحب وصيف التركىّ ، فأوقعوا به ، فقتل وغرق ، وظفروا من شذَواته بإحدى عشرة شذاة .

١٩٠٦/٣

قال محمد بن الحسن : هذا خبر محمد بن عثمان العبّادانىّ ؛ فأما جبّاش ؛ فزعم أن الشذا التى كانت مع أبى تميم كانت ثمانية ، فأفلت منها شذاتان كانتا

---

(١) ب : « ـيث » . (٢) ابن الأثير : « وتبعه » .

٣/١٩٠٧ متأخّرتين ، فمضتا بمَنْ فيهما وأصاب سلاحاً ونهبًا ، وأتى على أكثر مَنْ كان فى تلك الشذَوات من الجيش ، ورجع سليمان إلى عسكره ، وكتب إلى الخبيث بما كان منه[1] مِنْ قتل المعروف بأبى تميم ؛ ومن كان معه. واحتبس الشذَوات فى عسكره .

* * *

وفيها كبس ابن زيدويه الطّيبَ ، فأنهبها .

وفيها وُلّىَ القضاء علىّ بن محمد بن أبى الشوارب.

وفيها خرج الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر من بغداد لليال بقين منه ، فصار إلى الجبل .

وفيها مات الصّلابىّ ، ووُلّىَ الرىّ كيغلغ .

ومات صالح بن علىّ بن يعقوب بن المنصور فى ربيع الآخر منها . ووُلّىَ إسماعيل بن إسحاق قضاء الجانب الشرقىّ من بغداد ، فجمع له قضاء الجانبين .

وفيها قتِل محمد بن عتّاب بن عتّاب ، وكان وُلّىَ السّيبيْن فصار إليها ، فقتلتْه الأعراب .

وللنصف من شهر رمضان صار موسى بن بغا إلى الأنبار متوجّهاً إلى الرّقة.

وفيها قتِل أيضاً القطان صاحب مفلِح، وكان عاملا بالموصل على الخراج ، فانصرف منها ، فقتِل فى الطريق .

٣/١٩٠٨ وعقد فيها لكفتمر علىّ بن الحسين بن داود كاتب أحمد بن سهل اللطفىّ على طريق مكة فى شهر رمضان .

وفيها وقع بين الحنّاطين والجزّارين بمكة قتال قبل يوم التّروية بيوم ، حتى خاف الناس أن يبطل الحج ، ثم تحاجزوا إلى أن يحجّ الناس ، وقد قتل

---

(١) س : « منه » .

منهم سبعة عشر رجلا .

وفيها غلب يعقوب بن الليث على فارس وهرب ابن واصل

* * *

[ذكر خبر الوقعة بين الزنج وأحمد بن ليثويه]

وفيها كانت وقعة بين الزّنج وأحمد بن لَيْثَوَيْه ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر أبا داود الصعلوك وقد كان صار معهم[1] .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وسبب أسر الصعلوك :

ذكر أن مسروراً البلخيّ وجه أحمد بن ليثويه إلى ناحية كور الأهواز ، فلما وصل إليها نزل السوس ، وكان الصّفار قد قلّد محمد بن عبيدالله بن أزاذَ مَرْد[2] الكردىّ كُور الأهواز ، فكتب محمد بن عبيد الله إلى قائد الزّنج يطمعه فى الميل إليه ، وقد كانت العادة جرت بمكاتبة محمد إياه من أوّل مخرجه ، وأوهمه أنه يتولّى له كور الأهواز ويدارى الصّفار حتى يستوىَ له الأمر فيها ، فأجابه الخبيث[3] إلى ذلك على أن يكون علىّ بن أبان المتولى لها ، ويكون محمد بن عبيد الله يخلفُه عليها ، فقبل محمّد بن عبيد الله ذلك ، فوجّه علىّ بن أبان أخاه الخليل بن أبان ، فى جمع كثير من السودان وغيرهم ، وأيّدهم محمد بن عبيد الله بأبى داود الصُّعلوك ، فمضوْا نحو السوس ؛ فلم يصلوا إليها ، ودفعهم ابن ليثويه ومن كان معه من أصحاب السلطان عنها ، فانصرفوا مفلولين ، وقد قتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر منهم جماعة ، وسار أحمد بن ليثويه حتى نزل جنديْ سابور . ١٩٠٩/٣

وسار علىّ بن أبان من الأهواز منجِداً محمد بن عبيد الله على أحمد بن لَيثوَيْه ، فتلقاه محمد بن عبيد الله فى جَمْع من الأكراد والصعاليك ؛ فلما قرب منه محمد بن عبيد الله سارا جميعاً ، وجعلا بينهما المسرُقان ؛ فكانا يسيران

(١) س : « منهم » .
(٢) س : « أزامرد » ، ابن الأثير : « هزارمرد » .
(٣) ب : « الصفار » .

عن جانبيه ، ووجّه محمد بن عبيد الله رجلا من أصحابه فى ثلثمائة فارس ، فانضمّ إلى علىّ بن أبان ،فسار علىّ بن أبان ومحمد بن عبيد الله إلى أن وافيَا عسكر مُكْرَم ، فصار محمد بن عبيد الله إلى علىّ بن أبان وحده ، فالتقيا وتحادثا ، وانصرف محمد إلى عسكره ، ووجّه إلى علىّ بن أبان القاسم بن علىّ ورجلاً من رؤساء الأكراد ، يقال له حازم ، وشيخاً من أصحاب الصفار يعرف بالطّالقانىّ ، وأتوْا عليًّا ،فسلّموا عليه، ولم يزل محمد وعلىّ على ألفة ، إلى أن وافى علىٌّ قنطرة فارس ، ودخل محمد بن عبيد الله تُسْتَر ، وانتهى إلى أحمد بن ليثَوَيْه تضافُرعلىّ بن أبان ومحمد بن عبيد الله على قتالِه ، فخرج عن جندىْ سابور ، وصار إلى السوس . وكانت موافاة علىّ قنطرة فارس فى يوم الجُمعة ، وقد وعده محمد بن عبيد الله أن يخطُب الخاطب يومئذ ، فيدعو لقائد الزّنج ، وله على منبر تُسْتَر ، فأقام علىّ منتظراً ذلك ، ووجّه بهبوذ بن عبد الوهاب لحضور الجمعة وإتيانه بالخبر ؛ فلما حضرت الصلاة قام الخطيب ، فدعا للمعتمد والصّفار ومحمد بن عبيد الله ، فرجع بهبوذ إلى علىّ بالخبر ،فنهض علىّ من ساعته ، فركب دوابّه ، وأمر أصحابه بالانصراف إلى الأهواز ، وقدّمهم أمامه ،وقدّم معهم ابن أخيه محمد بن صالح ومحمد بن يحيى الكرمانىّ خليفته، وكاتبه وأقام حتى إذا جاوزوا كسر قنطرة كانت هناك لئلا يتبعه الخيل . ٣/١٩١٠

قال محمد بن الحسن: وكنت فيمن انصرف مع المتقدّمين من أصحاب علىّ ، ومرّ الجيش فى ليلتهم تلك مسرِعين ، فانتهوْا إلى عسكر مكرَم فى وقت طلوع الفجر ؛ وكانت داخلة فى سلْم الخبيث ، فنكث أصحابه ، وأوقعوا بعسكر مكْرَم ، ونالوا نهبًا . ووافى علىّ بن أبان فى أثر أصحابه ، فوقف على ما أحدثوا فلم يقدِر على تغييره ، فمضى حتّى صار إلى الأهواز ولما انتهى إلى أحمد بن ليثويْه انصرافُ علىّ ، كرّ راجعًا حتى وافى تُسْتَر ، فأوقع بمحمد بن عبيد الله ومَنْ معه ، فأفلت محمد ، ووقع فى يده المعروف بأبى داود الصعلوك ، فحمله إلى باب السلطان المعتمد ، وأقام أحمد بن ليثويْه بتُسْتَر .

قال محمد بن الحسن : فحدّثنى الفضل بن عدىّ الدارمىّ — وهو أحد مَن كان من أصحاب قائد الزّنج انضمّ إلى محمد بن أبان أخى علىّ بن أبان قال : لمّا استقرّ أحمد بن ليثويْه بتُستَر ، خرج إليه علىّ بن أبان بجيشه ، فنزل قرية يقال لها برنجان ، ووجّه طلائع يأتونه بأخباره ، فرجعوا إليه ، فأخبروه أنّ ابن ليثويْه قد أقبل نحوه ، وأنّ أوائل خيله قد وافت قرية تعرف بالباهليّين ، فزحف علىّ بن أبان إليه ، وهو يبشّر أصحابَه ، ويعِدُهم الظفر ، ويحكى لهم ذلك عن الخبيث . فلمّا وافى الباهليين تلقاه ابن ليثويه فى خيله ، وهى زهاء أربعمائة فارس ؛ فلم يلبثوا أن أتاهم مدد خيل ، فكثرت خيلُ أصحاب السلطان واستأمن جماعة من الأعراب الذين كانوا مع علىّ بن أبان إلى ابن ليثويْه ، وانهزم باقى خيل علىّ بن أبان ، وثبت جُميْعة من الرّجّالة ، وتفرّق عنه أكثرهم ، واشتدّ القتال بين الفريقين ، وترجّل علىّ بن أبان ، وباشر القتال بنفسه راجلاً ، وبين يديه غلام من أصحابه يقال له فتْح ، يعرف بغلام أبى الحديد ، فجعل يقاتل معه . وبصر بعلىّ أبو نصر سلْهب وبدر الرومىّ المعروف بالشعرانىّ فعرفاه ، فأنذر الناس به ، فانصرف هارباً حتى لجأ إلى المسرُقان ، فألقى بنفسه فيه ، وتلاه فتْح ، فألقى نفسه معه ، فغرق فتح ، ولحق علىّ بن أبان نصر المعروف بالرومىّ ، فتخلّصه من الماء ، فألقاه فى سُمَيريّة ورُمىَ علىّ بسهم ، وأصيب به فى ساقه ، وانصرف مفلولا ، وقتل من أنجاد السودان وأبطالهم جماعة كثيرة .

٣/١٩١١

* * *

وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن العباس بن محمد .

٣/١٩١٢

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ظفر عُزَيز بن السرىّ صاحب يعقوب بن الليث بمحمد ابن واصل وأخذه أسيراً .

وفيها كانت بين موسى دالجويه والأعراب بناحية الأنبار وقعة ، فهزموه وفلّوه ، فوجّه أبو أحمد ابنه أحمد فى جماعة من قوّاده فى طلب الأعراب الذين فلّوا موسى دالجويه

وفيها وثب الدّيرانىّ بابن أوس فبيّته ليلا ، وفرّق جمعه ، ونهب عسكره ، وأفلت ابن أوس ، ومضى نحو واسط .

وفيها خرج فى طريق الموصل رجلٌ من الفراغنة ، فقطع[1] الطريق ، فظُفِر به فقتِل .

* * *

[ذكر الوقعة بين ابن ليثوْيه مع أخى علىّ بن أبان]

وفيها أقبل يعقوب بن الليث من فارس ، فلمّا صار إلى النُّوبنْدَجان انصرف أحمد بن ليثوْيه عن تُستَر ، وصار فيها يعقوب إلى الأهواز ، وقد كان لابن ليثويه قبل ارتحاله عن تُستَر وقعة مع أخى علىّ بن أبان ، ظفر فيها بجماعة كثيرة من زنوجه .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

١٩١٣/١٠

ذكر عن علىّ بن أبان ، أن ابن ليثويْه لما هزمه فى الوقْعة التى كانت بينهما فى الباهليّين ، فأصابه ما أصابه فيها ، ووافى الأهواز ، لم يقمْ بها ، ومضى

---

(١) ب : « يقطع » .

إلى عسكر صاحبه قائد الزّنج، فعالج ما قد أصابه من الجِراح حتى برأ، ثم كرّ راجعًا إلى الأهواز، ووجّه أخاه الخليل بن أبان وابن أخيه محمد بن صالح المعروف بأبي سهل، فى جيش كثيف إلى ابن لَيثوْيه؛ وهو يومئذ مقيم بعسكر مكرَم، فسارا فيمن معهما، فلقيهما ابنُ ليثوْيه على فرسخ من عسكر مكرَم، قاصداً إليهما، فالتقى الجمعان، وقد كمَن ابن ليثوْيه كمينًا. فلما استحرّ[1] القتال تطارد ابن ليثوْيه، فطمع الزّنج فيه، فتبِعوه حتى جاوزوا الكمين، فخرج من ورائهم؛ فانهزموا وتفرّقوا، وكرّ عليهم ابن ليثوْيه، فنال حاجته منهم، ورجعوا مفلولين. فانصرف ابن ليثويه بما أصاب من الرءوس إلى تُسْتَر، ووجّه علىّ بن أبان انكلويه مسلحةً إلى المسرُقان إلى أحمد بن لَيثَوَيْه، فوجّه إليه ثلاثين فارسًا من جُلْد أصحابه، وانتهى إلى الخليل بن أبان مسيرُ أصحاب ابن ليثويه إلى المسلّحة، فكمن لهم فيمن معه، فلما وافوْه خرج إليهم، فلم يفلِتْ منهم أحد، وقُتلوا عن آخرهم، وحُمِلت رءوسهم إلى علىّ بن أبان، وهو بالأهواز، فوجّهها إلى الخبيث، وحينئذ أتى الصفّار الأهواز، وهرب عنها ابن ليثويه.

٣/١٩١٤ * ذكر الخبر عما كان من أمر الصفّار هنالك فى هذه السنة:

ذُكر أنّ يعقوب بن الليث لما صار إلى جنديْ سابور، نزلها وارتحل عن تلك الناحية كلّ مَنْ كان بها من قبَل السلطان، ووجّه إلى الأهواز رجلاً من قبَله يقال له الحصن بن العنبر، فلمّا قاربها خرج عنها علىّ بن أبان صاحب قائد الزّنج، فنزل نهر السدرة، ودخل حصن الأهواز، فأقام بها، وجعل أصحابه وأصحاب علىّ ابن أبان يُغير بعضهم على بعض، فيصيب كلّ فريق منهم مِن صاحبه، إلى أن استعدّ علىّ بن أبان، وسار إلى الأهواز، فأوقع بالحصن ومَنْ معه وقعةً غليظة، قتل فيها من أصحاب يعقوب خلقًا كثيراً، وأصاب خيلا، وغنم غنائم كثيرة، وهرب الحصن ومَنْ معه إلى عسكر مكرَم، وأقام علىّ بالأهواز حتى استباح ما كان فيها، ثم رجع[2] عنها إلى

---

(١) س: «اشتجر» (٢) س: «خرج».

نهر السدرة، وكتب إلى بَهْبُوذ يأمره بالإيقاع برجل من الأكراد من أصحاب الصفّار كان مقيماً بدَوْرَق ، فأوقع به بهبوذ، فقتل رجاله وأسره ، فمنّ عليه وأطلقه؛ فكان علىّ بعدذلك يتوقّع مسير يعقوب إليه فلم يَسِرْ ، وأمدّ الحصن ابن العنبر بأخيه الفضل بن العنبر ، وأمرهما بالكفّ عن قتال أصحاب الخبيث ، والاقتصار على المقام[1] بالأهواز . وكتب إلى علىّ بن أبان يسأله المهادنة ، وأن يقرّ أصحابه بالأهواز ، فأبى ذلك علىّ دون نقل طعام كان هناك[2] ، فتجافَى له الصفّار عن نقل ذلك الطعام ، وتجافى علىّ للصفار عن علَف كان بالأهواز ، فنقل علىّ الطعام ، وترك العلَف ، وتكافّ الفريقان ، أصحاب علىّ وأصحاب الصفار .

٣/١٩١٥

* * *

وفيها توفّىَ مَساور بن عبد الحميد الشارى .

وفيها مات عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، سقط عن دابته فى الميدان مِنْ صدمة خادم له ، يقال له رشيق ، يوم الجمعة لعشر خَلَوْن من ذى القعدة ، فسال من منخره وأذنه دمٌ ، فمات بعد أن سقط بثلاث ساعات ، وصلى عليه أبو أحمد بن المتوكل ، ومشى فى جنازته ، واستوزر من الغد الحسن بن مخلد . ثم قدم موسى بن بغا سامرّا لثلاث بقين من ذى القعدة ، فهرب الحسن بن مخلد إلى بغداد ، واستوزر مكانه سليمان بن وهب ، لستّ ليال خلَوْن من ذى الحجة ، ثم ولى عبيد الله بن سليمان كتبة المفوّض والموفق إلى ما كان يلى من كتبة موسى بن بغا ، ودفعت دار عبيد الله بن يحيى إلى كيغَلَغ .

وفيها أخرج أخو شركب الحسينَ بن طاهر عن نيسابور ، وغلب عليها ، وأخذ أهلها بإعطائه ثلث أموالهم، وصار الحسين إلى مَرْو، و بها أخو خوارزم شاه يدعو لمحمد بن طاهر .

وفى هذه السنة سلّمت الصقالبة لؤلؤة إلى الطاغية .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل .

---

(١) ب : « بالمقام » .
(٢) س : « دون نقل الطعام » .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين

٣/١٩١٦

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك توجيهُ يعقوب الصفّار جيشًا إلى الصَّيْمَرَة، فتقدّمه إليها، وأخذوا صَيغُون ومُضِيَ به إليه أسيراً، فمات عنده.

ولإحدى عشرة خلت من المحرّم، عسكر أبو أحمد ومعه موسى بن بغا بالقائم، وشيّعهما المعتمد، ثم شخصا من سامرّا لليلتين خلتا من صفر، فلمّا صارا ببغداد، مات بها موسى بن بغا، وحُمِل إلى سامرّا، فدفن بها.

وفيها في شهر ربيع الأول ماتت قَبيحة أمّ المعتزّ.

وفيها صار ابن الدّيرانىّ إلى الدينَور، وتعاون ابن عياض ودُلَف بن عبد العزيز بن أبى دلَف عليه، فهزماه وأخذا أمواله وضياعه، ورجع إلى حُلوان مفلولاً.

* * *

[خبر أسر الروم لعبد الله بن رشيد]

وفيها أسرت الروم عبد الله بن رشيد بن كاوس.

* ذكر الخبر عن سبب أسرهم إياه:

ذُكِر أنّ سبب ذلك كان، أنه دخل أرض الروم فى أربعة آلاف من أهل الثغور الشأمية، فصار إلى حصنَيْن والمسكنين، فغنم المسلمون، وقفل، فلمّا رحل عن البَدَنْدون، خرج عليه بطريق سلوقيَة وبطريق قَذَيْذيَة وبطريق قُرّة وكوكب وخَرْشنة، فأحدقوا بهم، فنزل المسلمون فعرقبوا[1] دوابهم، وقاتلوا، فقُتلوا، إلا خمسمائة أو ستمائة، وضعوا السياط فى خواصر دوابّهم، وخرجوا،

٣/١٩١٧

(١) ب: «فعرضوا».

فقتل الرّوم مَنْ قتلوا ، وأسر عبد الله بن رشيد بعد ضربات أصابته ، وحُمِل إلى لؤلؤة ، ثم حمِل إلى الطاغية على البريد .

* * *

[ذكر خبر الوقعة بين محمد المولّد وقائد الزنج]

وفيها وُلّيَ محمد المولّد واسطًا ، فحاربه سليمان بن جامع ، وهو عامل على ما يلى تلك الناحية من قِبَل قائد الزّنج ، فهزمه وأخرجه عن واسط فدخلها .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وسببها :

ذُكر أنّ السبب فى ذلك كان أنّ سليمان بن جامع الموجّه كان من قبل قائد الزّنج إلى ناحية الحوانيت والبطائح ، لمّا هزم جُعلان التركىّ عامل السلطان ، وأوقع بأغَرْتمِش ، ففلّ عسكره ، وقتل خُشَيْشًا ، ونهب ما كان معهم ، كتب إلى صاحبه قائد الزّنج يستأذنه فى المصير إليه ، ليحدث به عهداً ، ويصلح أموراً من أمور منزله ؛ فلمّا أنفذ الكتاب بذلك ، أشار عليه أحمد بن مهدىّ الجبائىّ بتطرّق[1] عسكر البخارىّ ، وهو يومئذ مقيم بِبَرْدُودا ، فقبل ذلك ، وسار إلى بَرْدوذا ، فوافى موضعًا يقال له أكرمهر ؛ وذلك على خمسة فراسخ من عسكر تكين . فلما وافى ذلك الموضع ، قال الجبائىّ لسليمان : إن الرأى أن تقيم أنت ها هنا ، وأمضى أنا فى السُّميريّات ، فأجرّ[2] القوم إليك ، وأتعبهم فيأتوك وقد لغِبوا ، فتنال حاجتَك منهم . ففعل سليمان ذلك ، فعبّى خيله ورجّالته فى موضعه ذلك ، ومضى أحمد بن مهدىّ فى السُّميريات مُسحراً ، فوافى عسكر تكين ، فقاتله ساعة ، وأعدّ تكين خيلَه ورجاله ، وتطارد الجُبائىّ له ، وأنفذ غلاماً إلى سليمان يعلمه أنّ أصحاب تكين واردون عليه بخيلهم . فلقى الرسول سليمان ، وقد أقبل يقفو أثر الجُبّائىّ لمّا أبطأ عليه خبره . فردّه إلى معسكره ، ووافى رسول آخر للجبائىّ بمثل الخبر الأوّل ، فلما رجع سليمان إلى عسكره ، أنفذ ثعلب بن حفص البحرانىّ وقائداً من قواد الزّنج ، يقال

٣/١٩١٨

---

(١) م : « بتطرف » .

(٢) م : « فأجتر » .

له منينا فى جماعة من الزَّنْج ، فجعلهما كميناً فى الصحراء ممّا يلى ميسرة خيل تكين ، وأمرهما إذا جاوزهم خيل تَكين أن يخرجوا من ورائهم . فلما علم الجبائىّ أن سليمان قد أحكم لهم خيلَه وأمر الكمين ، رفع صوته ليسمع أصحاب تكين ؛ يقول لأصحابه : غررتمونى وأهلكتمونى ، وقد كنت أمرتكم ألاّ تدخلوا هذا المدخل ، فأبيتم إلاّ إلقائى وأنفسكم هذا الملْقَى الذى لا أرانا ننجو منه . فطمع أصحاب تَكين لمّا سمعوا قوله ، وجدُّوا فى طلبه ، وجعلوا ينادون : بلبل فى قفص. ١٩١٩/٣ وسار الجبائىُّ سيراً حثيثاً ، وأتبعوه يرشقونه بالسهام ، حتى جاوزوا موضع الكمين ، وقاربوا عسكر سليمان[1] ، وهو كامن من وراء الجدُر فى خيله وأصحابه ، فزحف سليمان ، فتلقّى الجيش ، وخرج الكمين من وراء الخيل ، وثنى الجبائىّ صدور سُميريّاته إلى مَنْ فى النهر ، فاستحكمت الهزيمة عليهم من الوجوه كلها ، وركبهم الزّنج يقتلونهم ويسلبونهم ؛ حتى قطعوا نحوًا من ثلاثة فراسخ.

ثم وقف سليمان وقال للجبائىّ : نرجع فقد غنمنا وسلمنا ، والسلامة أفضل من كل شىء . فقال الجبائىُّ : كلا ؛ قد نَخبنا قلوبَهم ، ونفذتْ حيلتنا فيهم ، والرأى أن نكبسهم فى ليلتنا هذه ، فلعلّنا أن نزيلهم عن عسكرهم ، ونفضّ جمعهم . فأتبع سليمان رأى الجبائىّ ، وصار إلى عسكر تكين ، فوافاه فى وقت المغرب ، فأوقع به ، ونهض تكين فيمن معه ، فقاتل قتالا شديداً ، فانكشف عنه سليمان وأصحابه . ثم وقف سليمان وعبأ أصحابه ، فوجّه شبلا فى خيل من خيله ، وضمّ إليه جمعاً من الرّجّالة إلى الصحراء ، وأمر الجبائىّ ، فسار فى السُّمَيريّات فى بطن النهر ، وسار هو فيمن معه من أصحابه الخيّالة والرجّالة ، فتقدّم أصحابه حتى وافى تكين ، فلم يقف له أحد ، وانكشفوا جميعًا وتركوا عسكرهم ، فغنم ما وجد فيه ، وأحرق العسكر ، وانصرف إلى معسكره بما أصاب من الغنيمة[2] . ووافى عسكره ، فألفى كتاب الخبيث قد ورد بالإذن له فى المصير إلى منزله ، فاستخلف الجُبائىّ ، وحمل الأعلام التى أصابها من ١٩٢٠/٣ عسكر تكين والشّذوات التى أخذها من المعروف بأبى تميم ومن خُشيش ومن

(١) س : « موضع سليمان ومعسكره » . (٢) س : « القسمة » .

تكين ، وأقبل حتى ورد عسكر الخبيث ؛ وذلك فى جمادى الأولى من سنة أربع وستين ومائتين .

* * *

* ذكر الخبر عن السبب الذى من أجله تهيأ للزنج دخول واسط ،وذكر الخبر عن الأحداث الجليلة فى سنة أربع وستين ومائتين :

ذكر أن الجُبّائىّ يحيى بن خلف لمّا شخص سليمان بن جامع من معسكره بعد الوقعة التى أوقعها بتكين إلى صاحب الزَّنْج ،خرج فى السُّمَيْريّات بالعسكر الذى خلّفه سليمان معه إلى مازروان لطلب المِيرة، ومعه جماعة من السودان ، فاعترضه أصحاب جُعْلان ، فأخذوا سفنًا كانتْ معه،وهزموه ، فرجع مفلولاً حتى وافَى طهيثا ، ووافتْه كتب أهل القرية ، يخبرونه أنّ منجور مولى أميرالمؤمنين ومحمد بن علىّ بن حبيب اليشكرىّ لما اتّصل بهما خبر غيبة سليمان بن جامع عن طَهيثا ، اجتمعا وجمعا أصحابهما ، وقصدا القرية ، فقتلا فيها وأحرقا وانصرفا ، وجلا من أفلت ممن كان فيها ، فصاروا إلى القرية المعروفة بالحجّاجية ،فأقاموا بها[1] . فكتب الجُبّائىّ إلى سليمان بخبر ما وردت به كُتب أهل القرية ، مع ما ناله من أصحاب جُعْلان ، فأنهض قائد الزّنج سليمان إلى طهيثا معجّلا ، فوافاها ،فأظهر أنه يقصد لقتال جُعْلان ، وعبّأ جيشه ، وقدّم الجبائىّ أمامه فى السميريّات ، وجعل معه خيلاً ورجلا ، وأمره بموافاة مازروان والوقوف بإزاء عسكر جُعْلان ، وأنْ يظهر الخيل ويرعاها بحيث يراها أصحاب جُعْلان ، ولا يُوقع بهم ، وركب هو فى جيشه أجمع إلاّ نفراً يسيراً خلّفهم فى عسكره ، ومضى فى الأهواز حتى خرج على الهورَيْن المعروفين بالربّة والعمرقة . ثم مضى نحو محمد بن علىّ بن حبيب ، وهو يومئذ بموضع يقال له تلّفخّار ، فوافاه فأوقع به وقعةً غليظة ، قتل فيها قتلى كثيرة ،وأخذ خيلا كثيرة وحاز غنائم جزيلة ، وقتل أخا لمحمد بن علىّ ، وأفلت محمد ، ورجع سليمان ،

٣/١٩٢١

(١) ب : « فيها » .

فلما صار فى صحراء بين البزّاق والقرية وافته خيل لبنى شيبان ، وقد كان فيمن أصاب سليمان بتلّفخّار سيد من سادات بنى شيبان، فقتله وأسر ابنًا له صغيراً، وأخذ حِجْراً[1] كانت تحته، فانتهى خبره إلى عشيرته ، فعارضوا سليمان بهذه الصحراء فى أربعمائة فارس . وقد كان سليمان وجّه إلى عُمير بن عمار خليفته بالطفّ حين توجّه إلى ابن حبيب ، فصار إليه ، فجعله دليلا لعلمه بتلك الطريق ، فلمّا رأى سليمان خيل بنى شيبان قدّم أصحابه أجمعين إلاّ عمير بن عمار فإنه انفرد ، فظفرت به بنو شيبان فقتلوه ، وحملوا رأسه ، وانصرفوا . ١٩٢٢/٣

وانتهى الخبر إلى الخبيث، فعظُم عليه قتل عُمير ، وحمل سليمان إلى الخبيث ما كان أصاب من بلد محمد بن علىّ بن حبيب ؛ وذلك فى آخر رجب من هذه السنة . فلما كان فى شعبان نهض سليمان فى جَمْع من أصحابه ؛ حتى وافى قرية حسان ، وبها يومئذ قائد من قوّاد السلطان يقال له جيْش ابن حمرتكين ، فأوقع به ، فأجفل عنه ، وظفر بالقرية فانتهبها ، وأحرق فيها وأخذ خيلا ، وعاد إلى عسكره . ثم خرج لعشر خلوْن من شعبان إلى الحوانيت ،وأصعد الجبائىّ فى السميريّات إلى برمساور ، فوجد هنالك صلاغاً فيها خيل من خيل جعُلان، كان أراد أن يوافى بها نهر أبان . وقد كان خرج إلى ما هناك متصيّداً ، فأوقع الجبائىّ بتلك الصلاغ ، فقتل مَنْ فيها ، وأخذ الخيل — وكانت اثنى عشر فرساً — وعاد إلى طهيثا . ثم نهض سليمان إلى تلّ رمانا ، لثلاث بقين من شعبان فأوقع بها ، وجلا عنها أهلها ، وحاز ما كان فيها. ثم رجع إلى عسكره ، ونهض لعشر ليال خلَوْن من شهر رمضان إلى الموضع المعروف بالجازرة ، وأبّا يومئذ هناك ، وجُعْلان بمازروان .

وقد كان سليمان كتب إلى الخبيث فى التوجيه إليه بالشّذا ، فوجّه إليه عشر شذوات ، مع رجل من أهل عبّادان يقال له الصقر بن الحسين ، فلمّا وافى سليمان الصّقر بالشّذا أظهر أنه يريد جعُلان، وبادرت[2] الأخبار إلى جعُلان ١٩٢٣/٣

---

(١) الحجر : الأنثى من الخيل ، وفى ب : « فرس » . (٢) ابن الأثير : « فبلغت » .

بأن سليمان يريد موافاته ؛ فكانت همّته ضبط عسكره . فلما قَرُب سليمان من موضع أبّا مال إليه ، فأوقع به، وألفاه غارًّا بمجيئه ، فنال حاجته ، وأصاب ستّ شذَوات .

قال محمد بن الحسن : قال جبّاش : كانت الشّذَوات ثمانية ، وجدها فى عسكره ، وأحرق شذاتين كانتا على الشطّ، وأصاب خيلاً وسلاحًا وأسلاباً، وانصرف إلى عسكره ، ثم أظهر أنه يريد قصد تكين البخارىّ، وأعدّ مع الجبائىّ وجعفر بن أحمد خال ابن الخبيث الملعون المعروف بأنكلاى سفنا . فلما وافت السفن عسكر جُعْلان ، نهض إليها ، فأوقع بها، وحازها وأوقع سليمان من جهة البرّ، فهزمه إلى الرُّصافة ، واسترجع سفنه، وحاز سبعة وعشرين فرسًا ومهرين من خيل جُعْلان وثلاثة أبغل ، وأصاب نهبًا كثيراً وسلاحًا، ورجع إلى طَهيثا .

قال محمد : أنكر جبّاش أن يكون لتكين فى هذا الموضع ذكر ، ولم يعرف خبر العبادانىّ فى تكين[1] ، وزعم أنّ القصد لم يكن إلاّ إلى جُعْلان ، وقد كان خبره خفىَ على أهل عسكره حتى أرجفوا بأنه قد قُتِل وقتل الجبّائىّ معه ، فجزعوا أشدّ الجزع ، ثم ظهر خبره وما كان منه من الإيقاع بجعلان ، فسكنوا وقرّوا إلى أن وافى[2] سليمان ، وكتب بما كان منه إلى الخبيث ، وحمل أعلامًا وسلاحًا ، ثم صار سليمان إلى الرُّصافة فى ذى القعدة ، فأوقع بمطر بن جامع ، وهو يومئذ مقيم بها ، فغنم غنائم كثيرة ، وأحرق الرّصافة ، واستباحها ، وحمل أعلاماً إلى الخبيث، وانحدر لخمس ليالٍ خلون من ذى الحجة سنة أربع وستين ومائتين إلى مدينة الخبيث ، فأقام ليعيّد هناك ويقيم فى منزله ، ووافى مطر بن جامع القرية المعروفة بالحجّاجية ، فأوقع بها ، وأسر جماعةً من أهلها . وكان القاضى بها من قبَل سليمان رجلاً من أهلها يقال له سعيد بن السيد العدوىّ، فأسِر وحُمِل إلى واسط هو وثعلب بن حفص وأربعة قوّاد كانوا معه ، فصاروا إلى الحرجليّة على فرسخيْن ونصف من طهيثا ، ومضى الجبائىّ فى الخيل والرجُل

١٩٢٤/٣

(١) ب : « وتكين » .
(٢) ب : « فوافيا » .

لمعارضة مطر ، فوافى الناحية وقد نال مطر ما نال منها ، فانصرف عنها ، وكتب إلى سليمان بالخبر ، فوافى سليمان يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من ذى الحجة من هذه السنة ، ثم صرف جُعْلان، ووافى أحمد بن ليثوْيه ، فأقام بالشديديّة ، ومضى سليمان إلى موضع يقال له نهر أبان ، فوجد هناك قائداً من قوّاد ابن ليثوْيه يقال له طُرُنْاج ، فأوقع به وقتله .

قال محمد : قال جبّاش : المقتول بهذا الموضع بينَك ، فأما طُرُنْاج فإنه قتِل بمازروان . ثم وافى الرّصافة ، وبها يومئذ عسكر مطر بن جامع ، فأوقع به ، فاستباح عسكره ، وأخذ منه سبع شَذَوات ، وأحرق شَذَاتين ، وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين . ١٩٢٥/٣

قال محمد : قال جبّاش : كانت هذه الوقعة بالشديديّة ، والذى أخذ يومئذ ستّ شذوات ، ثم مضى سليمان فى خمس شَذَوات ، ورتّب فيها صناديد قوّاده وأصحابه ، فواقعه تكين البخاريّ بالشديديّة ، وقد كان ابن ليثْويه حينئذ صار إلى ناحية الكوفة وجُنبُلاء، فظهر تكين على سليمان ، وأخذ منه الشذّوات التى كانت معه بآلتها وسلاحها ومقاتلتها ، وقتِل فى هذه الوقعة جِلّة قوّاد سليمان .

ثم زحف ابن ليثوْيه إلى الشديديّة ، وضبط تلك النواحى إلى أن ولّى أبو أحمد محمّداً المولَّد واسطًا .

قال محمد : قال جبّاش : لمّا وافَى ابن ليثويه الشديديّة سار إليه سليمان ، فأقام يومين يقاتله ، ثم تطارد له سليمان فى اليوم الثالث ، وتبعه ابن ليثويه فيمن تسرّع معه ، فرجع إليه سليمان ، فألقاه فى فوّهة بردودا ، فتخلص بعد أن أشفى على الغرق . وأصاب سليمان سبع عشرة دابة من دوابّ ابن ليثويه .

قال : وكتب سليمان إلى الخبيث يستمدّه ، فوجّه إليه الخليل بن أبان فى زُهاء ألف وخمسمائة فارس ، ومعه المذوّب ، فقصد عند موافاة هذا المدد إياه لمحاربة محمد المولّد ، فأوقع به فهرب المولّد، ودخل الزّنج واسطًا ، فقتِل بها

خلْق كثير ، وانتهبت وأحرقت ، وكان بها إذ ذاك كنجور البخاريّ ، فحامى يومه ذلك إلى وقت العصر ، ثم قتِل. وكان الذى يقود الخيل يومئذ فى عسكر سليمان بن جامع الخليل بن أبان وعبد الله المعروف بالمذوّب .وكان الجُبّائىّ فى السميريّات ،وكان الزنجيّ بن مهربان فى الشّذَوات ، وكان سليمان بن جامع فى قوّاده من السودان ورجّالته منهم ، وكان سليمان بن موسى الشعرانىّ وأخواه فى خيله ورجْله مع سليمان بن جامع ؛ فكان القوم جميعًا يدًا واحدة . ثم انصرف سليمان بن جامع عن واسط ، ومضى بجميع الجيش إلى جُنْبُلاء ليعيث ويخرب ، ووقع بينه وبين الخليل بن أبان اختلافٌ ، فكتب الخليل بذلك إلى أخيه علىّ بن أبان، فاستعفى له قائد الزنج من المُقام مع سليمان ، وأذن للخليل بالرجوع إلى مدينة الخبيث مع أصحاب علىّ بن أبان وغلمانه ، وتخلّف المذوّب فى الأعراب مع سليمان، وأقام بمعسكره أيامًا ، ثم مضى إلى نهر الأمير ، فعسكر به ،ووجّه الجبائىّ والمذوّب إلى جُنْبُلاء ، فأقاما هنالك تسعين ليلة ، وسليمان معسكر بنهر الأمير .

قال محمد : قال جبّاش: كان سليمان معسكرا بالشديديّة .

* * *

[ذكر خبر خروج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرّا]

وفى هذه السنة خرج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامُرّا، ومعه الحسن ابن وهب ،وشيّعه أحمد بن الموفّق ومسرور البلخىّ وعامة القواد ؛ فلما صار بسامُرّا غضب عليه المعتمد وحبسه وقيّده، وانتهب داره وداري ابنيْه وهب وإبراهيم ، واستوزر الحسن بن مخلّد لثلاث بقين من ذى القعدة ، فشخص الموفّق من بغداد ومعه عبيد الله بن سليمان ، فلما قرب أبو أحمد من سامُرّا تحوّل المعتمد إلى الجانب الغربىّ ، فعسكر به ، ونزل أبو أحمد ومَنْ معه جزيرة المؤيد ، واختلفت الرسل بينهما . فلمّا كان بعد أيام خلَوْن من ذى الحجة ، صار المعتمد إلى حرّاقة فى دِجْلة ، وصار إليه أخوه أبو أحمد فى زلّالٍ ؛ فخلع على أبى أحمد وعلى مسرور البلخىّ وكيغلغ وأحمد بن موسى

ابن بغا . فلما كان يوم الثلاثاء لثمان خلَوْن من ذى الحجة يوم التَّروية عَبَّر أهلُ عسكر أبى أحمد إلى عسكر المعتمد ، وأطلق سليمان بن وهب ، ورجع المعتمد إلى الجوْسق ، وهرب الحسن بن مخلّد وأحمَد بن صالح بن شير زاد ، وكتب فى قبض أموالهما وأموال أسبابهما ، وحبس أحمد بن أبى الأصبغ ، وهرب القوّاد المقيمون كانوا بسامرّا إلى تَكْريت ، وتغيّب أبو موسى بن المتوكل ، ثم ظهر . ثم شخص القوّاد الذين كانوا صاروا إلى تَكْرِيت إلى الموْصل ، ووضعوا أيديهم فى الجباية .

• • •

وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمىّ الكوفىّ .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الوقعة بين أحمد بن ليثويه وسليمان قائد الزنج]

فن ذلك ما كان من وقعة كانت بين أحمد بن لَيْثُوْيه وسليمان بن جامع قائد صاحب الزّنج بناحية جُنْبُلاء .

١٩٢٨/٣ • ذكر الخبر عن هذه الوقعة وسببها :

ذُكر أن سليمان بن جامع كتب إلى صاحب الزّنج ، يخبره بحال نهر يعرف بالزهيريّ ، ويسأله الإذن له في النفقة على إنفاذ كَرْيِه إلى سَوَاد الكوفة والبرار، ويُعلِمه أنّ المسافة في ذلك قريبة، وأنه متى أنفذه تهيّأ له بذلك حَمْل كلّ ما بنواحي جُنْبُلاء وسواد الكوفة من المِيرة [1] . فوجّه الخبيث بذلك رجلاً يقال له محمد بن يزيد البصريّ ،وكتب إلى سليمان بإزاحة عِلّته في المال والإقامة معه في جيشه إلى وقت فراغه ، مما وُجّه له، فمضى سليمان بجميع جيشه حتى أقام بالشريطيّة نحواً من شهر ، وألقى الفعَلَة في النهر ؛ وخلال ذلك ما كان سليمان يتطرّق ما حوله من أهل خُسْرُ سابور ؛ وكانت المِيرة تتّصل به من ناحية الصين وما والاها إلى أن واقعه ابن لَيْثُوْيه عامل أبي أحمد على جُنْبُلاء، فقتل له أربعة عشر قائداً .

قال محمد بن الحسن : قتل سبعة وأربعين قائداً وخَلْقًا من الخلق لا يحصى كثرة، واستبيح عسكره ، وأحرِقت سفنه ، وكانت مقيمةً في هذا النهر الذى كان مقيمًا على إنفاذه ، فمضى مفلولا حتى وافى طَهيثا ، فأقام بها ، ووافى الجُبّائيّ في عقب ذلك ، ثم أصعد فأقام بالموضع المعروف ببرّتمرتا، واستخلف

---

(١) ب : « الرحلة » .

على الشَّذَوات الاشتيام الذى يقال له الزنجىّ بن مهربان ، وقد كان السلطان وجّه نُصيراً لتقييد شامرْج ، وحمْله إلى الباب ، وتقلّد ما كان يتقلّده ، فوافى نصير الزّنجىّ بن مهربان بعد حمله شامرج مقيّداً بنهر برّتمرتا ، وأخذ منه تسع شَذَوات ، واستردّ الزنجىّ منها ستًّا . ٣/١٩٢٩

قال محمد بن الحسن : أنكر جبّاش أن يكون الزّنجىّ بن مهربان استردّ من الشَّذَوات شيئًا ، وزعم أنّ نصيراً ذهب بالشَّذَوات أجمع ، وانصرف إلى طَهيثا ، وبادر بالكتاب إلى سليمان ، ووافاه . فأقام سليمان بطهيثا إلى أن اتّصل به خبر إقبال الموفّق .

* * *

وفيها أوقع أحمد بن طولون بسيما الطويل بأنطاكية ، فحصره بها ، وذلك فى المحرّم منها ، فلم يزل ابن طولون مقيمًا عليها حتّى افتتحها ، وقتل سيما .

وفيها وثب القاسم بن مماه بدُلَف بن عبد العزيز بن أبى دُلف بأصبهان ، فقتله . ثم وثب جماعة من أصحاب دُلف على القاسم ، فقتلوه ورأسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز .

وفيها لحق محمد المولَّد بيعقوب بن الليث ، فصار إليه ، وذلك فى المحرّم منها ، فأمر السلطان بقبض أمواله وعقاراته .

وفيها قتلت الأعراب جُعلان المعروف بالعيّار بِدِممًّا ، وكان خرج لَبذْرقة قافلة ، فقتلوه ؛ وذلك فى جمادى الأولى ؛ فوجّه السلطان فى طلب الذين قتلوه جماعةً من الموالى ، فهرب الأعراب ، وبلغ الذين شخصوا فى طلبهم عين التّمر ، ثم رجعوا إلى بغداد ، وقد مات منهم من البرد جماعة ؛ وذلك أنّ البرد اشتدّ فى تلك الأيام ودام أياماً ، وسقط الثلج ببغداد . ٣/١٩٣٠

وفيها أمر أبو أحمد بحبس سليمان بن وهب وابنه عُبيد الله ، فحبِسا وعدة من أسبابهم فى دار أبى أحمد ، وانتهبت دور عِدّة من أسبابه ، ووكل بحفظ دارى سليمان وابنه عبيد الله ، وأمر بقبض ضياعهما وأموالهما وأموال

(١) ب : « شاموح » .

أسبابهما وضياعهم خلا أحمد بن سليمان . ثم صولح سليمان وابنه عبيد الله على تسعمائة ألف دينار ، وصيرا فى موضع يصل إليهما من أحبّا .

وفيها عسكر موسى بن أتامش وإسحاق بن كُنْداجيق و بنغجور بن أرخُوز والفضل بن موسى بن بغا بباب الشماسيّة ، ثم عبروا جسر بغداد ، فصاروا إلى السفينتين ، وتبعهم أحمد بن الموفّق ، فلم يرجعوا ، ونزلوا صَرْصَر .

وفيها استكتب أبو أحمد صاعد بن مخلَد ؛ وذلك لاثنتى عشرة بقيت من جمادى الآخرة ، وخلع عليه ، فمضى صاعد إلى القوّاد بصرصَر ، ثم بعث أبو أحمد ابنه أحمد إليهم ، فناظرهم فانصرفوا معه فخلع عليهم .

وفيها خرج — فيما ذكر — خمسة من بطارقة الرّوم فى ثلاثينَ ألفاً من الروم إلى أذَنة ، فصاروا إلى المصلى [1] .

٣/١٩٣١ وأسروا أرخوز — وكان والى الثغور — ثم عُزِل ، فرابط هناك فأسِر ، وأسِر معه نحوٌ من أربعمائة رجل ، وقَتلوا ممّن نفر إليهم نحواً من ألف وأربعمائة رجل ، وانصرفوا اليوم الرابع ، وذلك فى جُمادى الأولى منها .

وفى رجب منها عسكر موسى بن أتامش وإسحاق بن كُنْدَاجيق و بنغجور ابن أرخوز بنهر دَيَالى .

وفيها غلب أحمد بن عبد الله الخُجُستانىّ على نيسابور ، وصار الحسين ابن طاهر عامل محمد بن طاهر إلى مَرْو ، فأقام بها وأخو شركب الجمّال بين الحسين والخُجستانىّ أحمد بن عبد الله .

وفيها أخربت طوس .

وفيها استوزر إسماعيل بن بلبُل .

وفيها مات يعقوب بن الليث بالأهواز وخلفه أخوه عمرو بن الليث ؛ وكتب عمرو إلى السلطان بأنه سامع له ومطيع ؛ فوجّه إليه أحمد بن أبى الأصبغ فى ذى القعدة منها .

---

(١) ب : «الموصل» .

وفيها قتلت جماعة من أعراب بنى أسد علىّ بن مسرور البلخىّ بطريق مكة قبل مصيره إلى المُغيثة ، وكان أبو أحمد ولى محمد بن مسرور البلخىّ طريق مكة ، فولاّه أخاه علىّ بن مسرور .

وفيها بعث ملك الروم بعبد الله بن رشيد بن كاوس الذى كان عامل الثغور فأسيرًا إلى أحمد بن طولون مع عِدّة من أسراء المسلمين وعِدّة مصاحف هدية منه له .

وفيها صارت جماعة من الزّنج فى ثلاثين سُمَيريّة إلى جَبُّل ، فأخذوا أربع سفن فيها طعام ، ثم انصرفوا .

وفيها لحق العباس بن أحمد بن طولون مع مَنْ تبعه ببرْقة ، مخالفًا لأبيه أحمد ، وكان أبوه أحمد استخلفه – فيما ذكر – على عمله بمصر لمّا توجّه إلى الشأم ؛ فلما انصرف أحمد عن الشأم راجعًا إلى مصر حمل العباس ما فى بيت مال مصر من الأموال ، وما كان لأبيه هناك من الأثاث وغير ذلك . ثم مضى إلى بَرْقة ، فوجّه إليه أحمد جيشًا ، فظفروا به وردّوه إلى أبيه أحمد ، فحبسه عنده ، وقُتِل لسبب ما كان منه جماعةٌ كانوا شايعوا ابنَه على ذلك . ١٩٣٢/٣

وفيها دخل الزّنج النّعمانيّة ، فأحرقوا سوقَها ، وأكثر منازل أهلها ، وسَبَوا ، وصاروا إلى جَرْجَرَايا ، ودخل أهلُ السواد بغداد .

وفيها ولّى أبو أحمد عمرَو بن الليث خُراسان وفارس وأصبهان وسِجِسْتان وكَرْمان والسند ، وأشهد له بذلك ، ووجّه بكتابه إليه بتوليته ذلك مع أحمد ابن أبى الأصبغ ، ووجّه إليه مع ذلك العهد والعقد والخلع .

وفى ذى الحجة منها صار مسرور البلخىّ إلى النيل ، فتنحّى عنها عبد الله ابن ليثْوَيه فى أصحاب أخيه ، وقد أظهر الخلاف على السلطان ، فصار ومَنْ معه إلى أحمد أباذ ، فتبعهم مسرور البلخىّ يريد محاربتهم ؛ فبدر[1] عبدالله ابن ليثويْه ومَنْ كان معه ، فترجّلوا لمسرور ، وانقادوا له بالسمع والطاعة ، ١٩٣٣/٣

---

(١) س : « فندر » .

وعبد الله بن ليثويه نزع سيفه ومنطقته فعلقهما فى عُنُقه ، يعتذر إليه ، ويحلف أنه حمل على ما فعل ، فقبل منه ، وأمر فخلع عليه وعلى عدّة من القوّاد معــه .

[ذكر خبر شخوص تكين البخاريّ إلى الأهواز]

وفيها شخص تكين البخاريّ إلى الأهواز مقدّمة لمسرور البلخىّ .

• ذكر الخبر عمّا كان من أمر تكين بالأهواز حين صار إليها :

ذكر محمد بن الحسن أنّ تكين البخاريّ ولاّه مسرور البلخىّ كور الأهواز حين ولاّه أبو أحمد عليها ، فتوجّه تكين إليها ، فوافاها ، وقد صار إليها علىّ بن أبان المهلبىّ ، فقصد تُستَرَ [١] ، فأحاط بها فى جَمْع كثير من أصحابه الزّنج وغيرِهم ؛ فراع ذلك أهلَها ، وكادوا أن يُسلموها ، فوافاها تكين فى تلك الحال ، فلم يضع عنه ثياب السَّفَر ؛ حتى واقع علىّ بن أبان وأصحابه ؛ فكانت الدَّبرَة على الزّنج ، فقتِلوا وهزِموا وتفرّقوا ، وانصرف علىّ فيمن بقى معه مفلولاً مدحوراً ، وهذه وقعة باب كُودَك المشهورة .

ورجع تكين البخاريّ ، فنزل تُستَر ، وانضمّ إليه جمعٌ كثير من الصعاليك وغيرهم ، ورحل إليه علىّ بن أبان فى جمع كثير من أصحابه ، فنزل شرقىّ المسرُقان ، وجعل أخاه فى الجانب الغربىّ فى جماعة من الخيل ، وجعل رجّالة الزّنج معه ، وقدم جماعة من قوّاد الزّنج ؛ منهم أنكلويه وحسين المعروف بالحمامىّ وجماعة غيرهما [٢] ، فأمرهم بالمقام بقنطرة فارس . ١٩٣٤/٣

وانتهى الخبر بما دبّره علىّ بن أبان إلى تكين ، وكان الذى نقل إليه الخبر غلاماً يقال له وصيف الرومىّ ، وهرب إليه من عسكر علىّ بن أبان ، فأخبره بمقام هؤلاء القوم بقنطرة فارس ، وأعلمه تشاغُلَهم بشرب النبيذ وتفرّق أصحابهم [٣] فى جمع الطعام ، فسار إليهم تكين فى الليل فى جمع من أصحابه ، فأوقع بهم ؛ فقتل من قوّاد الزّنج أنكلويه والحسين المعروف بالحمّامىّ ومفرّج

---

(١) س : « لتستر » . (٢) س : « غيرهم » . (٣) ب : « أصحابه » .

المكنى أبا صالح وأندرون ، وانهزم الباقون ، فلحقوا بالخليل بن أبان، فأعلموه ما نزل بهم ؛ وسار تكين على شرقىّ المسرُقان حتى لقىَ علىّ بن أبان فى جمعه، فلم يقف له علىّ وانهزم عنه، وأسِر غلام لعلىّ من الخيالة يعرف بجَعْفَرَوَيْه ، ورجع علىّ والخليل فى جمعهما إلى الأهواز، ورجع تكين إلى تُسْتَر ، وكتب علىٌّ بن أبان إلى تكين يسأله الكفَّ عن قتل جعفرويه . فحبسه ، وجرت بين تكين وعلىّ بن أبان مراسلات وملاطفات ، وانتهى الخبر بها إلى مسرور ، فأنكرها. وانتهى إلى مسرور أنّ تكين قد ساءت طاعته ، وركن إلى علىّ بن أبان ومايله .

قال محمد بن الحسن : فحدّثنى محمد بن دينار ، قال : حدّثنى محمد ابن عبد الله بن الحسن بن علىّ المأمونىّ الباذغيسىّ – وكان من أصحاب تكين البخارىّ – قال : لمّا انتهى إلى مسرور الخبر بالتياث تكين عليه توقّف[1] حتى عرف صحة أمره ، ثم سار يريد كُور الأهواز وهو مظهرٌ الرضا عن تكين والإحماد لأمره، فجعل طريقه على شابَرْزان، ثم سار منها حتى وافَى السوس، وتكين قد عرف ما انتهى إلى مسرور من خبرِه ، فهو مستوحش من ذلك ومن جماعة كانت تبعته عند مسرور من قوّاده ، فجرت بين مسرور وتكين رسائل حتى أمنَ تكين ، فصار مسرور إلى وادى تُسْتَر ، وبعث إلى تكين ، فعبَر إليه مسلِّما ، فأمر به فأخِذ سيفه ، ووُكِّلَ به؛ فلما رأى ذلك جيش تكين انفضُّوا من ساعتهم ، ففرقة منهم صارت إلى ناحية صاحب الزّنج ، وفرقة صارت إلى محمد بن عبيد الله الكردىّ. وانتهى الخبر إلى مسرور ، فبسط الأمان لمن بقى من جيش تكين ، فلحقوا به .

١٩٣٥/٣

قال محمد بن عبد الله بن الحسن المأمونىّ : فكنت أحد الصائرين إلى عسكر مسرور ، ودفع مسرور تكين إلى إبراهيم بن جُعْلان ، فأقام فى يده محبوساً ، حتى وافاه أجلُه فتوفِّىَ .

وكان بعض أمر مسرور وتكين الذى ذكرناه فى سنة خمس وستين ، وبعضه فى سنة ست وستين .

---

(١) ب : « فوقف » .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون بن محمد بن إسحق بن موسى بن عيسى الهاشمىّ .

٣/١٩٣٦ وفيها كانت موافاة المعروف بأبى المغيرة بن عيسى بن محمد المخزومى متغلّباً بزنج معه على مكة .

ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تولية عمرو بن الليث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر خلافتَه على الشرْطة ببغداد وسامُرّا فى صفر ، وخلع أبى أحمد عليه ، ثم مصير عبيد الله بن عبد الله إلى منزِله ، فخلع عليه فيه خلعة عمرو بن الليث ، وبعث إليه عمرو بعمود من ذهب .

وفى صفر منها غلب أساتكين على الرّىّ ، وأخرج عنها طَلَمَجُور العامل كان عليها ، ثم مضى هو وابنه أذكوتكين إلى قَزْوين ، وعليها أبرون أخو كيغَلغ ، فصالحاه ودخلا قَزْوين ، وأخذا محمد بن الفضل بن سنان العجلىّ ، فأخذا أمواله وضياعه ، وقتله أساتكين . ثم رجع إلى الرّىّ ، فقاتله أهلها فغلبهم ودخلها .

وفيها وردت سريّة من سرايا الرّوم تلَّ بَسْمَى من ديار ربيعة ، فقتلَتْ من المسلمين ، وأسرَتْ نحواً من مائتين وخمسين إنسانًا ، فنفر أهلُ نَصيبين وأهل الموصِل ، فرجعت الروم . ١٩٣٧/٣

وفيها مات أبو الساج بجندْيسابور فى شهر ربيع الآخر ، منصرفًا عن عسكر عمرو بن الليث إلى بَغداد ، ومات قبله فى المحرّم منها سليمان بن عبد الله ابن طاهر .

وولّى عمرو بن الليث فيها أحمد بن عبد العزيز بن أبى دُلف أصبهان .

وولّى فيها محمد بن أبى الساج الحَرَميْن وطريق مكة .

وفيها ولّىَ أغرتمش ما كان تكين البخارىّ يليه من عمال الأهواز ، فسار أغرتمش إليها ، ودخلها فى شهر رمضان ، فذكر محمد بن الحسن أن مسروراً وجّه أغرتمش وأبّا ومَطَر بن جامع لقتال علىّ بن أبان ، فساروا حتى انتهوْا إلى تُسْتَر ، فأقاموا بها ، واستخرجوا مَن كان فى حبس تكين ، وكان فيه جعفرويه فى جماعة من أصحاب قائد الزّنج ، فقتِلوا جميعًا. وكان مطر بن

جامع المتولّى قتلهم ، ثم ساروا حتى وافَوْا عسكر مكرَم ، ورحل إليهم علىّ ابن أبان ، وقدّم أمامه إليهم الخليل أخاه ، فصار إليهم الخليل ، فواقفهم وتلاه علىّ ، فلما كثر عليهم جمعْ الزّنج ، قطعوا الجسر وتحاجزوا ، وجنّهم الليل، فانصرف علىّ بن أبان فى جميع أصحابه ، فصار إلى الأهواز ، وأقام الخليل فيمن معه بالمسرُقان، وأتاه الخبر بأن أغرتمش وأبَا ومَطَر بن جامع قد أقبلوا نحوه، ونزلوا الجانب الشرقىّ من قنطرة أربُك ليعبروا إليه ،فكتب الخليل بذلك إلى أخيه علىّ بن أبان ، فرحل علىّ إليهم[1] حتى وافاهم بالقنطرة ، ووجّه إلى الخليل يأمره بالمصير إليه ، فوافاه وارتاع مَنْ كان بالأهواز من أصحاب علىّ ، فقلعوا عسكره ، ومضوْا إلى نهر السِّدرة ، ونشبت الحرب بين علىّ بن أبان وقوّاد السلطان هناك؛ وكان ذلك يومهم ، ثم تحاجزوا . وانصرف علىّ بن أبان إلى الأهواز ، فلم يجد بها أحداً ، ووجد أصحابه أجمعين قد لحقوا بنهر السِّدرة ، فوجّه إليهم مَنْ يردّهم ، فعسر ذلك عليه فتبعهم ، فأقام بنهر السِّدرة،ورجع قوّاد السلطان حتى نزلوا عسكر مكرم ؛ وأخذ علىّ ابن أبان فى الاستعداد لقتالهم.وأرسل إلى بهبوذ بن عبد الوهاب ، فأتاه فيمن معه من أصحابه ، وبلغ أغرتمش وأصحابه ما أجمع عليه من المسير إليهم علىّ ، فساروا نحوه ، وقد جعل علىّ بن أبان أخاه على مقدّمته ، وضمّ إليه بَهْبُوذ وأحمد بن الزَّرَنجىّ،فالتقى الفريقان بالدُّولاب . فأمر علىّ الخليلَ بن أبان أن يجعَل بَهْبُوذ كميناً،فجعله .وسار الخليل حتى لقىَ القوم ، ونشب القتال بينهم ، فكان أوّل نهار ذلك اليوم لأصحاب السلطان ، ثم جالوا جَوْلة وخرج عليهم الكمين ، وأكبّ الزّنج إكبابةً،فهزموهم،وأسِر مطر بن جامع ، صُرِعَ عن فرس كان تحته،فأخذه بهبوذ،فأتى به عليًّا ، وقتل سيما المعروف بصغراج فى جماعة من القوّاد .

ولمّا وافى بهبوذ عليًّا بمطر،سأله مطر استبقاءَه،فأبى ذلك علىّ، وقال: لو كنت أبقيت على جعفرويْه لأبقينا عليك . وأمر به فأدْنِيَ إليه ، فضرب عنقَه بيده .

٣/١٩٣٨ — ٣/١٩٣٩

---

(١) س : «عن المهر» .

ودخل علىّ بن أبان الأهواز ، وانصرف أغرتمش وأبّا فيمن أفلت معهما ، حتى وافيا تُستَر ، ووجّه علىّ بن أبان بالرءوس إلى الخبيث ، فأمر بنصبها على سُور مدينته .

قال : وكان علىّ بن أبان بعد ذلك يأتى أغرتمش وأصحابه ، فتكون الحرب بينهم سِجالاً عليه وله ، وصرف الخبيث أكثر جنوده إلى ناحية علىّ بن أبان ، فكثروا على أغرتمش ، فركن إلى الموادعة ، وأحبّ علىّ بن أبان مثل ذلك ، فتهادنا . وجعل علىّ بن أبان يُغير على النواحى ، فمن غاراته مصيره إلى القرية المعروفة ببيرُوذ ، فظهر عليها ، ونال منها غنائم كثيرة ، فكتب بما كان منه من ذلك إلى الخبيث ، ووجّه بالغنائم التى أصابها وأقام .

* * *

وفيها فارق إسحاق بن كُنْدَاجيق عسكر أحمد بن موسى بن بُغا ؛ وذلك أن أحمد بن موسى بن بغا لمّا شخص إلى الجزيرة ولّى موسى بن أتامش ديار ربيعة ، فأنكر ذلك إسحاق ، وفارق عسكره لسبب ذلك ، وصار إلى بَلَد ، فأوقع بالأكراد اليعقوبية فهزمهم ، وأخذ أموالهم فقوىَ بذلك ، ثم لقى ابن مساور الشارى فقتله .

وفى شوّال منها قَتَل أهلُ حِمْص عاملَهم عيسى الكرخىّ .

وفيها أسر لؤلؤ غلام أحمد بن طولون موسى بن أتامش ؛ وذلك أنّ لؤلؤًا كان مقيماً برابية بنى تميم ، وكان موسى بن أتامش مقيماً برأس العين ، فخرج ليلاً سكران ليكبِسهم ، فكمنوا له[1] ، فأخذوه أسيراً ، وبعثوا به إلى الرّقة. ٣/١٩٤٠ ثم لقى لؤلؤ أحمدَ بن موسى وقوّاده ومَنْ معهم من الأعراب فى شوّال ، فهزم لؤلؤ ، وقُتل من أصحابه جماعة كثيرة ، ورجع ابن صفوان العُقَيلىّ والأعراب إلى ثقل عسكر أحمد بن موسى لينتهبوه ، وأكبّ عليهم أصحاب لؤلؤ ، فبلغت هزيمة المنفلت منهم قَرقيسيا ، ثم صاروا إلى بغداد وسامرّا ، فوافوْها فى ذى القعدة ، وهرب ابنُ صفوان إلى البادية .

---

(١) ب : عليهم .

وفيها كانت بين أحمد بن عبد العزيز بن أبى دُلف وبكتمر وَقْعة ؛ وذلك فى شوّال منها ، فهزم أحمد بن عبد العزيز بكتمر فصار إلى بغداد .

وفيها أوْقَع الخُجُستانىّ بالحسن بن زيد بجُرجان على غِرّة من الحسن ، فهرب منه الحسن ، فلحق بآمُل ، وغلب الخُجُسْتانىّ على جُرجان وبعض أطراف طَبَرِستان ؛ وذلك فى جُمادى الآخرة منها ورجب .

وفيها دعا الحسن بن محمد بن جَعفر بن عبد الله بن حسن الأصغر العقيقىّ أهل طبرسْتان إلى البَيْعة له ؛ وذلك أنّ الحسن بن زيد عند شخوصه إلى جُرجان كان استخلفهَ بسارية ، فلمّا كان من أمر الخُجُستانىّ وأمر الحسن ما كان بجُرجان ، وهرب الحسن منها ، أظهر العقيقىّ بسارية أنّ الحسن قد أُسِرَ ؛ ودعا من قبَله إلى بيعته ، فبايعه قومٌ ، ووافاه الحسن بن زيد فحاربه ، ثم احتال له الحسن حتى ظفر به فقتله .

١٩٤١/٣ وفيها نهب الخُجستانىّ أموالَ تجّار أهل جُرجان ؛ وأضرم النار فى البلد.

وفيها كانت وقعة بين الخُجُسْتانىّ وعمرو بن الليث ، علا فيها الخجستانىّ على عمرو وهزمه ، ودخل نيسابور ، فأخرج عامل عمرو بها عنها ، وقتل جماعة مما كان يميل إلى عمرو بها .

* * *

[ذكر الخبر عن الفتنة بين الجعفرية والعلوية]

وفيها كانت فتنة بالمدينة ونواحيها بين الجعفريّة والعَلويّة .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان سببُ ذلك — فيما ذُكر — أنّ القيِّمَ بأمر المدينة ووادى القرى ونواحيها كان فى هذه السنة إسحاق بن محمد بن يوسف الجعفرىّ ، فولّى وادى القرى عاملاً من قبَله ، فوثَب أهلُ وادى القُرى على عامل إسحاق بن محمد ، فقتلوه ، وقتلوا أخوين لإسحاق ، فخرج إسحاق إلى وادى القُرى ، فمرض به ومات . فقام بأمر المدينة أخوه موسى بن محمد ، فخرج عليه الحسن بن موسى بن

جعفر ، فأرضاه بثمانمائة دينار . ثم خرج عليه أبو القاسم أحمد بن إسماعيل ابن الحسن بن زيد ، ابن عمّ الحسن بن زيد صاحب طَبَرستان ؛ فقتل موسى ، وغلب على المدينة . وقدمها أحمد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد ، فضبط المدينة ؛ وقد كان غلا بها السعر ، فوجّه إلى الجار ، وضمن للتجار أموالهم ، ورفع الجباية ؛ فرخُص السعر ، وسكنت المدينة ، فولّى السلطان الحسنيّ المدينة إلى أن قدمها ابنُ أبى الساج .

* * *

وفيها وثبت الأعراب على كُسوة الكعبة ، فانتهبوها ، وصار بعضُها إلى صاحب الزّنج ، وأصاب الحاجّ فيها شدّة شديدة .

وفيها خرجت الرّوم إلى ديار ربيعة ، فاستنفر الناس ، فنفروا فى برد ووقت لا يمكنُ الناس فيه دخول الدّرب . ١٩٤٢/٣

وفيها غزا سيما خليفة أحمد بن طولون على الثغور الشامية فى ثلثمائة رجل من أهل طَرَسُوس ، فخرج عليهم العدوّ فى بلاد هَرَقلة ، وهم نحو من أربعة آلاف ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل المسلمون من العدوّ خَلْقاً كثيراً ، وأصيب من المسلمين جماعة كثيرة .

وفيها كانت بين إسحاق بن كُنْدَاجيق وإسحاق بن أيوب وقْعة ، هزم فيها ابن كنداجيق إسحاق بن أيوب ، فألحقه بنصيبين ، وأخذ ما فى عسكره ، وقتل من أصحابه جماعة كثيرة ، وتبعه ابن كُنْدَاجيق ، وصار إلى نَصيبين ، فدخلها ، وهرب إسحاق بن أيوب منه ، واستنجد عليه عيسى ابن الشيخ وهو بآمِد وأبا المَغراء بن موسى بن زرارة ؛ وهو بأرْزَن ، فتظاهروا على ابن كُنْدَاجيق ، وبعث السلطان إلى ابن كُنْدَاجيق بخلع ولواء على الموصل وديار ربيعة وأرمينيَة مع يوسف بن يعقوب ، فخلع عليه ، فبعثوا يطلبون الصّلح ، ويبذلون له مالاً على أن يُقِرّهم على أعمالهم مائتى ألف دينار .

وفيها وافى محمد بن أبى الساج مكة ، فحاربه ابن المخزومىّ ، فهزمه ابن

أبى الساج ، واستباح ماله ؛ وذلك يوم التّروية من هذه السنة .

وفيها شخص كيغَلَغ إلى الجبل،ورجع بكتمر إلى الدِّينور .

* * *

[ذكر خبر دخول أصحاب قائد الزنج رامهرمز]

وفيها دخل أصحاب قائد الزنج رَامَهُرْمُز .

* ذكر الخبر عن سبب مصيرهم إليها : ٣/١٩٤٣

قد ذكرنا قبلُ ما كان من أمر محمد بن عبيد الله الكردىّ وعلىّ بن أبان صاحب الخبيث ، حين تلاقَيا على صلْح منهما ، فذُكِر أنّ عليًّا كان قد احتجن على محمد ضِغْنًا فى نفسه ، لما كان فى سفره ذلك؛ وكان يرصده بشرّ، وقد عرف ذلك منه محمد بن عبيد الله ،وكان يروم النّجاة منه ؛ فكاتبَ ابنَ الخبيث المعروف بأنكلاى ، وسأله مسألة الخبيث ضمّ ناحيته إليه لتزول يد علىّ منه ، وهاداه ، فزاد ذلك علىّ بن أبان عليه غيظًا وحَنَقًا ؛ فكتب إلى الخبيث يعرّفه به ، ويصحّح عنده أنه مصرّ على غدرِه ، ويستأذنه فى الإيقاع به ، وأن يجعل الذّريعة إلى ذلك مسألته حمَل خراج ناحيته إليه ، فأذن له الخبيث فى ذلك ، فكتب علىّ إلى محمد بن عبيد الله فى حَمْل المال ، فلواه به ، ودافعه عنه ، فاستعدّ له علىّ ، وسار إليه ، فأوقع برامهرمُز ، ومحمدُ بن عبيد الله يومئذ مقيمٌ بها ، فلم يكن لمحمد منه امتناع ، فهرب ودخل علىّ رامهرمُز ، فاستباحها، ولحق محمد بن عبيد الله بأقصى معاقله من أرْبَقَ والبيلم ، وانصرف علىّ غانمًا ، وراع ما كان من ذلك من علىٍّ محمداً ، فكتب يطلب المسألة ، فأنهى ذلك علىّ إلى الخبيث ،فكتب إليه يأمره بقبول ذلك ، وإرهاق محمد بحمْل المال ، فحمل محمد بن عبيد الله مائتى ألف درهم ، فأنفذها علىّ إلى الخبيث ، وأمسك عن محمد بن عبيد الله وعن أعماله . ٣/١٩٤٤

* * *

[ذكر الخبر عن وقعة أكراد داربان مع صاحب الزنج]

وفيها كانت وقعةٌ لأكراد الداربان مع زَنْج الخبيث ، هُزِموا فيها وفُلُّوا .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذُكر عن محمد بن عبيد الله بن أزارْمَرْد أنه كتب إلى علىّ بن أبان بعد حمله إليه المالَ الذى ذكرنا مبلغه قبلُ ، وكفّ علىّ عنه وعن أعماله ، يسأله المعونة على جماعة من الأكراد كانوا بموضع يقال له الداربان ، على أن يجعل له ولأصحابه غنائمهم . فكتب علىّ إلى الخبيث يسأله الإذن له فى النهوض لذلك ، فكتب إليه أن وجّه الخليل بن أبان وبهبوذ بن عبد الوهاب ، وأقِمْ أنت ، ولا تنفُذ جيشك حتى تتوثّق من محمد بن عبيد الله برهائن تكون فى يدك منه ، تأمن بها من غدره فقد وترتَه ، وهو غير مأمون على الطلب بثأره . فكاتب علىٌّ محمّدَ بن عبيدالله بما أمره به الخبيث ، وسأله الرهائن ، فأعطاه محمد ابن عبد الله الأيمان والعهود ، ودافعه على الرهائن . فدعا عليًّا الحِرْصُ على الغنائم التى أطمعه فيها محمد بن عبيد الله إلى أن أنفذ الجيش ، فساروا ومعهم رجال محمد بن عبيد الله ؛ حتى وافوا الموضع الذى قصدوا له ، فخرج إليهم أهله ، ونشبت الحرب ، فظهر الزّنج فى ابتداء الأمر على الأكراد ، ثم صدّقهم الأكراد ، وخذلهم أصحاب محمد بن عبيد الله ، فتصدّعوا وانهزموا مفلولين مقهورين ؛ وقد كان محمد بن عبيد الله أعدّ لهم قومًا أمرهم بمعارضتهم إذا انهزموا ، فعارضوهم وأوقعوا بهم ، ونالوا منهم أسلابًا ، وأرجلوا[1] طائفة منهم عن دوابّهم فأخذوها ، فرجعوا بأسوإ حال ، فكتب المهلبىّ إلى الخبيث بما نال أصحابه . فكتب إليه يعنّفه ، ويقول : قد كنتُ تقدّمت إليك ألاّ تركن إلى محمد ابن عبيد الله ، وأن تجعل الوثيقة بينك وبينه الرّهائن ، فتركتَ أمرى ، واتبعتَ هواك ، فذاك الذى أردَاك وأردى جيشك .

٣/١٩٤٥

وكتب الخبيث إلى محمد بن عبيد الله ، أنه لم يخف علىّ تدبيرُك على جيش علىّ بن أبان ، ولن تعدم الجزاء على ما كان منك .

فارتاع محمد بن عبيد الله مما ورد به عليه كتاب الخبيث ، وكتب إليه بالتضرّع والخضوع ، ووجّه بما كان أصحابه أصابوا من خيل أصحاب علىّ

(١) س : « أرحلوا » .

حيث عورضوا وهم منهزمون ، فقال : إنى صرتُ بجميع مَنْ معى إلى هؤلاء القوم الذين أوقعوا بالخليل وبَهْبُوذ ، فتوعّدتهم وأخفتهم ، حتى ارتجعت هذه الخيل منهم ، ووجّهت بها . فأظهر الخبيث غضبًا ، وكتب إليه يتهدده بجيش كثيف يرميه به ، فأعاد محمد الكتاب بالتضرّع والاستكانة ، فأرسل إلى بَهْبُوذ ، فضمن له مالاً ، وضمن لمحمد بن يحيى الكرمانىّ مثل ذلك ، ومحمد بن يحيى يومئذ الغالب على علىّ بن أبان ، والمصرّف له برأيه ، فصار بَهْبُوذ إلى علىّ بن أبان ، وظاهره محمد بن يحيى الكرْمانىّ على أمره حتى أصلحا رأى علىّ فى محمد بن عبيد الله وسلاّما فى قلبه من الغَيْظ والحَنَق عليه ، ثم مضيا إلى الخبيث . ووافق ذلك ورودُ كتاب محمد بن عبيد الله عليه ، فصوّبا وصعّدا حتى أظهر لهما الخبيث قبولَ قولهما ، والرجوعَ لمحمد بن عبيد الله إلى ما أحبّ ، وقال : لست قابلاً منه بعد هذا إلا أن يَخطب لى على منابر أعماله.

١٩٤٦/٣

فانصرف بَهْبُوذ والكرمانىّ بمافارقهما عليه الخبيث ، وكتبا به إلى محمد ابن عبيد الله ، فأصدر جوابه إلى كلّ ما أراده الخبيث ، وجعل يُراوغ عن الدّعاء له على المنابر . وأقام علىّ بعد هذا مدّة ، ثم استعدّ لمَتّوث ، وسار إليها ؛ فرامها فلم يطقها لحصانتها وكثرة مَنْ يدافع عنها من أهلها ، فرجع خائبًا ، فاتّخذ سلاليم وآلات ليرقى بها السور ، وجمع أصحابه واستعدّ . وقد كان مسرور البلخىّ عرف قصدَ علىٍّ مَتُّوث ، وهو يومئذ مقيمٌ بكُور الأهواز . فلما عاود المسيرَ إليها ، سار إليه مسرور ، فوافاه قبيل غروب الشمس ، وهو مقيم عليها ؛ فلما عاين أصحاب علىّ أوائل خيل مسرور ، انهزموا أقبحَ هزيمة ، وتركوا جميع آلاتهم التى كانوا حملوها ، وقتِل منهم جمع كثير ، وانصرف علىّ بن أبان مدحوراً ، ولم يلبث بعد ذلك إلاّ يسيرا حتى تتابعت الأخبار بإقبال أبى أحمد ، ثم لم يكن لعلىّ بعد رجوعه من متُّوث وقعة حتى فتحت سوق الخميس وطهيثا على أبى أحمد ، فانصرف بكتاب ورد عليه من الخبيث يحفِزه فيه حفزًا شديداً بالمصير إلى عسكره .

١٩٤٧/٣

* * *

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمى الكوفىّ .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك حبس السلطان محمد بن طاهر بن عبد الله وعدّة من أهل بيته بعقب هزيمة أحمد بن عبد الله الخُجُستانىّ عمرو بن الليث وتهمة عمرو بن الليث محمد بن طاهر بمكاتبة الخُجُسْتانىّ والحسين بن طاهر، ودعا الحسين والخجستانىّ لمحمد بن طاهر على منابر خراسان .

* * *

[ذكر خبر غلبة أبى العباس بن الموفق على سليمان بن جامع]

وفيها غلب أبو العباس بن الموفّق على عامة ما كان سليمان بن جامع صاحب قائد الزنج غلب عليه من قرى كور دجلة كَعَبْدَسِى ونحوها .

* ذكر الخبر عن سبب غلبة أبى العباس على ذلك، وما كان من أمره وأمر الزّنج فى تلك الناحية :

ذكر محمد بن الحسن أنّ محمد بن حماد حدّثه أن الزّنج لمّا دخلوا واسطاً وكان منهم بها ما قد ذكرناه قبلُ، واتّصل الخبر بذلك إلى أبى أحمد بن المتوكل ندب ابنَه أبا العباس للشخوص إلى ناحية واسط لحرب الزّنج ، فخفّ لذلك أبو العباس . فلما حضر خروج أبى العباس ركب أبو أحمد إلى بستان موسى الهادى فى شهر ربيع الآخر سنة ست وستين ومائتين ، فعرض أصحاب أبى العباس ، ووقف على عدّتهم ؛ فكان جميع الفرسان والرّجّالة عشرة آلاف رجل فى أحسن زِىّ وأجمل هيئة وأكمل عِدّة، ومعهم الشّذا والسُّمَيريّات والمعابر للرجّالة ؛ كل ذلك قد أحكمت صنعته . فنهض أبو العباس من بستان الهادى ، وركب أبو أحمد مشيّعًا له حتى نزل الفِرْك ، ثم انصرف . وأقام أبو العباس بالفِرْك أيامًا ، حتى تكاملت عُدده ، وتلاحق أصحابه ، ١٩٤٨/٣

ثم رحل إلى المدائن ، وأقام بها أيضًا ، ثم رحل إلى دير العاقُول .

قال محمد بن حمّاد : فحدّثني أخي إسحاق بن حماد وإبراهيم بن محمد ابن إسماعيل الهاشميّ المعروف ببُرَيه ، ومحمد بن شعيب الاشتيام ، في جماعة كثيرة ممن صحب أبا العباس في سفره — دخل حديث بعضهم في حديث بعض — قالوا : لمّا نزل أبو العباس دير العاقول ، ورد عليه كتاب نُصير المعروف بأبي حمزة صاحب الشذّا والسمَيريّات ، وقد كان أمضاه على مقدّمته ، يعلمه فيه أن سليمان بن جامع قد وافَى في خيل ورجّالة وشذوات وسميريّات ، والجبائيّ يقدمه ، حتّى نزل الجزيرة التي بحضرة بردودا ، وأن سليمان بن موسى الشعرانيّ قد وافى نهر أبان برجّالة وفرسان وسُميريّات ، فرحل أبو العباس حتى وافى جَرْجَرَايا ، ثم فم الصِّلْح ، ثم ركب الظهر ، فسار حتّى وافى الصِّلح ، ووجّه[1] طلائعه ليعرف الخبر ، فأتاه منهم مَنْ أخبره بموافاة القوم وجمعهم وجيشهم ، وأن أولهم بالصِّلح وآخرهم ببستان موسى بن بغا ، أسفلَ واسط . فلما عرف ذلك عدل عن سُنَن الطريق ، واعترض في مسيره ، ولقِيَ أصحابه أوائل القوم ؛ فتطاردوا لهم حتّى طمعوا واغترّوا ، فأمعنوا في إتباعهم ، وجعلوا يقولون لهم : اطلبوا أميرًا للحرب ؛ فإنّ أميركم قد شغَل نفسَه بالصيد . فلمّا قَرُبوا من أبي العباس بالصِّلْح ، خرج عليهم فيمن معه من الخيل والرَّجْل ، وأمر فصيح بنُصير : إلى أين تتأخر عن هؤلاء الأكلب ! ارجع إليهم ؛ فرجع نُصير إليهم .

٣/١٩٤٩

وركب أبو العباس سُميريّة ، ومعه محمد بن شعيب الاشتيام ، وحفّ بهم أصحابه من جميع جهاتهم ، فانهزموا ، ومنح الله أبا العباس وأصحابَه أكتافهم ؛ يقتلونهم ويطردونهم ؛ حتى وافَوْا قرية عبد الله ؛ وهي على ستة فراسخ من الموضع الذي لقوهم فيه ، وأخذوا منهم خمس شَذَوات وعدّة سُميريّات ، واستأمن منهم قوم ، وأسِر منهم أسرى ، وغرق ما أدرك من سفنهم ؛ فكان ذلك أوّلَ الفتح على العباس بن أبي أحمد .

---

(١) س : « ثم وجه » .

ولما انقضت[١] الحربُ فى هذا اليوم ، أشار على أبى العباس قوّاده وأولياؤه ، أن يجعل معسكَرَهُ بالموضع الذى كان انتهى إليه من الصِّلح ؛ إشفاقًا عليه من مقاربة القوم ، فأبى إلاّ نُزول واسط .

ولما انهزم سليمان بن جامع ومَنْ معه ، وضرب اللهُ وجوهَهم ، انهزم سليمان بن موسى الشعرانىّ عن نهر أبان ؛ حتّى وافى سوق الخميس ، ولحق سليمان بن جامع بنهر الأمير ؛ وقد كان القوم حين لقوا أبا العباس أجالُوا الرّأى بينهم ، فقالوا : هذا فتًى حَدَثٌ ؛ لم تطل ممارسته الحروب[٢] وتدرّبه بها ، فالرّأى لنا أن نرميَه بحدّنا كلّه ، ونجتهد فى أوّل لقية نلقاه فى إزالته ؛ فلعلّ ذلك أن يروعه ، فيكون سبباً لانصرافه عنا . ففعلوا ذلك ، وحشدوا واجتهدوا ، فأوقع الله بهم بأسَه ونقمته . وركب أبو العباس من غدِ يوم الوقعة ، حتّى دخل واسطاً فى أحسن زىّ ، وكان يوم جُمعة ، فأقام حتّى صلى بها صلاة الجمعة ، واستأمن إليه خلق كثير ، ثم انحدر إلى العُمْر — وهو على فرسخ من واسط — فقدّم فيه عسكره ، وقال : أجعل معسكرى أسفلَ واسط ، ليأمن مَنْ فوقه الزّنج . وقد كان نُصير المعروف بأبى حمزة والشاه بن ميكال أشارا عليه أن يجعل مُقامه فوق واسط . فامتنع من ذلك ، وقال لهما : لست نازلاً إلا العُمْر ؛ فانزلا أنتما فى فُوّهة بردودا . وأعرض أبو العباس عن مشاورة أصحابه واستماع شىء من آرائهم ؛ فنزل العُمر ، وأخذ فى بناء الشَّذَوات ، وجعل يراوح القوم القتال ويغاديهم ؛ وقد رتّب خاصّة غلمانه فى سُميريّات فجعل فى كلّ سميريّة اثنين منهم . ثم إن سليمان استعدّ وحشد وجمع وفرّق أصحابه فجعلهم فى ثلاثة أوجه : فرقة أتت من نهر أبان ، وفرقة من برتمرتا ، وفرقة من بردودا ، فلقيَهم أبو العباس ؛ فلم يلبثوا أن انهزموا ، فخلفت طائفة منهم بسوق الخميس وطائفة بمازروان ، وأخذ قوم منهم فى برتّمرتا وآخرون أخذوا الماديان ، وقوم منهم اعتصموا للقوم الذين سلكوا الماديان ؛ فلم يرجع عنهم حتّى وافى نهر بَرْمساور ، ثم انصرف ، فجعل يقف على القُرى والمسالك ، ومعه الأدلاّء ؛ حتّى وافَى عسكره ، فأقام به مريحاً نفسه وأصحابه . ثم أتاه مخبرٌ فأخبره أنّ

٣/١٩٥٠ ، ٣/١٩٥١

---

(١) ب : « انفضت » . (٢) س : « الحرب » .

الزّنج قد جمعوا واستعدّوا لكبس عسكره ، وأنهم على إتيان عسكره من ثلاثة أوجه ، وأنهم قالوا : إنه حدَثٌ غِرٌ يغرّ بنفسه ، وأجمع رأيهم على تكمين الكُمناء والمصير إليه من الجهات الثلاث التى ذكرنا ، فحذر لذلك ، واستعدّ له ، وأقبلوا إليه وقد كمنوا زُهاء عشرة آلاف فى برتـمرتا ونحوًا من هذه العدّة فى قُس ّهثا . وقدّموا عشرين سُميريّة إلى العسكر ليغترّ بها أهلُه ، ويجيزوا المواضع التى فيها كمناؤهم ؛ فمنع أبو العباس الناس من اتباعهم ؛ فلما علموا أن كيدهم لم ينفذ ، خرج الجُبّائىّ وسليمان فى الشّذَوات والسميريّات ، وقد كان أبو العباس أحسن تعبئة أصحابه ، فأمر نصيرًا المعروف بأبى حمزة أن يبرز للقوم فى شذواته ، ونزل أبو العباس عن فرس كان ركبه ، ودعا بشذاة من شذَوَاته قد كان سماها الغزال ، وأمر اشتيامه محمد بن شعيب باختيار الجذّافين لهذه الشذاة ، وركبها ، واختار من خاصّة أصحابه وغلمانه جماعة دفع إليهم الرّماح ، وأمر أصحاب الخيل بالمسير بإزائه على شاطئ النهر ، وقال لهم : لا تدعوا المسير ما أمكنكم إلى أن تقطعكم الأنهار ، وأمر بتعبير بعض الدوابّ التى كانت ببردودا ، ونشبت الحرب بين الفريقين ؛ فكانت معركة القتال من حدّ قرية الرمل إلى الرّصافة ؛ فكانت الهزيمة على الزّنج ، وحاز أصحاب أبى العباس أربع عشرة شذَاة ، وأفلتَ سليمان والجبّائى فى ذلك اليوم بعد أن أشفيا على الهلاك راجِلين ، وأخذت دوابّهما بحلاها وآلتها ، ومضى الجيش أجمع لا ينثنى أحد منهم حتى وافوا طهيثا ، وأسلموا ما كان معهم من أثاث وآلة ، ورجع أبو العباس ، وأقام بمعسكره فى العمر ، وأمر بإصلاح ما أخذ منهم من الشّذا والسميريّات وترتيب الرجال فيها ، وأقام الزّنج بعد ذلك عشرين يومًا ؛ لا يظهر منهم أحد . وكان الجبائىّ يجىء فى الطلائع فى كلّ ثلاثة أيام وينصرف ، وحفر آباراً فوق نهر سِنْداد ، وصيّر فيها سفافيد حديد، وغشّاها بالبوارىّ، وأخفى مواضعها، وجعلها على سَنَن مسير الخيل ليتهوّر فيها المجتازون بها؛ وكان يوافى طرف العسكر متعرّضاً لأهله، فتخرج الخيل طالبةً له ، فجاء فى بعض أيامه ، وطلبته الخيل كما كانت تطلبه ، فقطر فرس رجل من قوّاد الفراغنة فى بعض تلك الآبار ، فوقف أصحاب أبى العباس بما ناله من

٣/١٩٥٢

ذلك على ما دبّر الجُبّائىّ ، فحذروا ذلك ، وتنكّبوا سلوك ذلك الطريق ، وألحّ الزّنج فى مغاداة العسكر فى كلّ يوم للحرب ، وعسكروا بنهر الأمير فى جمع كثير ؛ فلمّا لم يجد ذلك عليهم أمسكوا عن الحرب قَدْر شهر. ١٩٥٣/٣

وكتب سليمان إلى صاحب الزّنج يسأله إمداده بسُميريّات ؛ لكلّ واحدة منهنّ أربعون مجدافًا ، فوافاه من ذلك فى مقدار عشرين يوماً أربعون سُميريّة ، فى كل سُميريّة مقاتلان ، ومع ملاحيها السيوف والرماح والتّراس ، وجعل الجُبّائىّ موقفه حيال عسكر أبى العباس ، وعاودُوا التعرّض للحرب فى كلّ يوم ؛ فإذا خرج إليهم أصحاب أبى العباس انهزموا عنهم ، ولم يثبتوا لهم ؛ وخلال ذلك ما تأتى طلائعهم ، فتقطع القناطر ، وترمى ما ظهر لها من الخيل بالنّشاب ، وتضرِم ما وجدت فى النوبة من المراكب التى مع نصير بالنار ؛ فكانوا كذلك قدر شهرين .

ثم رأى أبو العباس أن يكمّن لهم كمينًا فى قرية الرمل ، ففعل ذلك ، وقدّم لهم سُميريّات أمام الجيش ليطمعوا فيها ، وأمر أبو العباس فأعِدّت له سُميريّة ولزيرك سميريّة وحمل جماعة من غلمانه الذين اختارهم ، وعرفهم بالنجدة فى السميريّات ، فحمل بدراً ومؤنساً فى سُميريّة ورشيقاً الحجّاجىّ ويُمْناً فى سميريّة وخَفيفاً ويُسراً فى سميريّة ، ونذيراً ووصيفاً فى سُميريّة ؛ وأعدّ خمس عشرة سُميريّة ، وجعل فى كلّ سميريّة مقاتلين ، وجعلها أمام الجيش .

* * *

قال محمد بن شعيب الاشتيام : وكنتُ فيمن تقدّم يومئذ ، فأخذ الزّنج من السميريّات المتقدّمة عدّة ، وأسروا أسرى ، فانطلقتُ مسرعًا ، فناديتُ بصوت عال : قد أخذ القوم سُميريّاتنا . فسمع أبو العباس صوتى وهو يتغدّى ، فنهض إلى سُميريّته التى كانت أعدّت له ؛ وتقدّم العسكر ، ولم ينتظر لحاق أصحابه ، فتبعه منهم من خفّ لذلك . ١٩٥٤/٣

قال : فأدركنا الزّنج ، فلمّا رأونا قذف الله الرّعب فى قلوبهم ، فألقوا

أنفسهم فى الماء ، وانهزموا فتخلّصنا[١] أصحابنا ، وحوينا يومئذ إحدى وثلاثين سُميريّة من سُمَيْريّات الزنج ، وأفلت الجبائىّ فى ثلاث سُميريّات ، ورمى أبو العباس يومئذ عن قوس كانت فى يده حتى دميت إبهامه ؛ فانصرف ؛ ولو أنا جددنا فى طلب الجبائىّ فى ذلك اليوم ظننتُ أنا أدركناه ، فمنعَنا من ذلك شدّة اللغوب . ورجع أبو العباس وأكثر أصحابه بمواضعهم من فُوّهة بردودا لم يُرْمَ أحد منهم ؛ فلمّا وافَى عسكره أمر لمن كان صحبه بالأطواق والخِلَع والأسورة ، وأمر بإصلاح السميريّات المأخوذة من الزّنج ، وأمر أبا حمزة أن يجعل مقامه بما معه من الشّذا فى دِجْلة بحذاء خُسْرُسابور .

ثم إنّ أبا العباس رأى أن يتوغّل فى مازروان حتى يصير إلى القرية المعروفة بالحجّاجيّة ، وينتهى إلى نهر الأمير ، ويقف على تلك المواضع ، ويتعرّف الطرق التى تجتاز فيها سُميريّات الزّنج ، وأمر نصيراً فقدّمه بما معه من الشّذا والسميريّات ، فسار نصير لذلك ؛ فترك طريق مازروان ، وقصد ناحية نهر الأمير ، فدعا أبو العباس سُميريّته ، فركبها ومعه محمد بن شعيب ، ودخل مازروان وهو يرى أن نصيراً أمامه ، وقال لمحمد: قدّمنى فى النهر لأعرف خبر نُصير . وأمر الشذا والسميريّات بالمصير خلفه .

١٩٥٥/٣

قال محمد بن شعيب : فضينا حتى قاربنا الحجّاجية ، فعرضت لنا فى النهر صلْغة[٢] فيها عشرة زنوج ؛ فأسرعنا إليها ، فألقى الزُّنوج أنفسهم فى الماء ، وصارت الصلغة فى أيدينا ، فإذا هى مملوءة شعيراً ، وأدركنا فيها زنجيًّا فأخذناه ، فسألناه عن خبر نصير وشذواته فقال : ما دخَل هذا النهر شىء من الشّذَا والسُّميريّات . فأصابتنا حيرة ، وذهب الزنج الذين أفلتوا من أيدينا فأعلموا أصحابهم بمكاننا ، وعرض للملاحين الذين كانوا معنا غنمٌ فخرجوا لانتهابها .

قال محمد بن شعيب : وبقيتُ مع أبى العباس وحدى ، فلم نلبث أن وافانا قائد من قوّاد الزنج ، يقال له مُنتاب ، فى جماعة من الزّنج من أحد جانبى

---

(١) يقال : خلصته من كذا ، أى نجيته ، مثل تخلصته .
(٢) الصلغة : السفينة الكبيرة .

النهر ، ووافانا من الجانب الآخر عشرة من الزّنج ، فلمّا رأينا ذلك خرج أبو العباس ، ومعه قوسه وأسهمه ، وخرجتُ برمح كان فى يدى ، وجعلتُ أحميه بالرّمح وهو يرمى الزّنج ، فجرح منهم زنجيّين ، وجعلوا يثوبون ويكثرون ، وأدركنا زيرك فى الشّذا ومعه الغلمان ؛ وقد كان أحاط بنا زُهاء ألفى زنجىّ من جانبى مازروان ، وكفى الله أمرهم ، وردّهم بذلّة وصَغار ، ورجع أبو العباس إلى عسكره ، وقد غنم أصحابه من الغنم والبقر والجواميس شيئاً كثيراً ، وأمر أبو العباس بثلاثة من الملاّحين الذين كانوا معه ، فتركوه[1] لانتهاب الغنم ، فضربت أعناقهم ، وأمر لمن بقى بالأرزاق لشهر ، وأمر بالنداء فى الملاّحين ألا يبرح أحدٌ من السميريّات فى وقت الحرب ؛ فمن فعل ذلك فقد حلّ دمه. ٣/١٩٥٦

وانهزم الزّنج أجمعون حتى لحقوا بطَهيثا ، وأقام أبو العباس بمعسكره فى العُمر ، وقد بثّ طلائعه فى جميع النواحى . فمكث بذلك حيناً ، وجمع سليمان بن جامع عسكره وأصحابه ، وتحصّن بطهيثا ، وفعل الشعرانىّ مثل ذلك بسوق الخميس ؛ وكان بالصِّينيّة لهم جيش كثيف أيضاً ، يقود أهله رجل منهم يقال له نصر السِّندىّ ، وجعلوا يُخربون كلّ ما وجدوا إلى إخرابه سبيلا ، ويحملون ما قدروا على حمله من الغلاّت ، ويعمرون مواضعهم التى هم مقيمون بها . فوجّه أبو العباس جماعة من قوّاده ، منهم الشاه وكُمُشْجُور والفضل بن موسى بن بغا ، وأخوه محمد على الخيل إلى ناحية الصّينيّة ، وركب أبو العباس ومعه نصير وزيرك فى الشّذا والسميريّات ، وأمر بخيل فعبرَ بها من بَرْمساور إلى طريق الظهر .

وسار الجيش حتى صار إلى الهُرْث ، فأمر أبو العباس بتعبير الدوابّ إلى الهُرْث ، فعبرت ، فصارتْ إلى الجانب الغربىّ من دِجْلة ، وأمَر بأن يُسلك بها طريق دير العمال . فلما أبصر الزّنج الخيل دخلتهم منها رهبة شديدة ، فلجئوا إلى الماء والسفن ، ولم يلبثوا أن وافتهم الشّذا والسميريّات ، فلم يجدوا ملجأ واستسلموا ، فقتِل منهم فريق ، وأسِر فريق ، وألقى بعضهم نفسه فى الماء . فأخذ أصحاب أبى العباس سفنهم ؛ وهى مملوءة أرزًّا ، فصارت فى ٣/١٩٥٧

(١) س : « تركوه وخرجوا » .

أيديهم ، وأخذوا سُميريّة رئيسهم المعروف بنصر السندىّ ، وانهزم الباقون ، فصارت طائفة منهم إلى طَهيثا وطائفة إلى سوق الخميس ، ورجع أبو العباس غانمًا إلى عسكره ، وقد فتح الصينيّة وأجلى الزّنج عنها .

قال محمد بن شعيب : وبينا نحن فى حرب الزّنج بالصينيّة إذ عرض لأبى العباس كُرْكىّ طائر ، فرماه بسهم ، فشكّه فسقط بين أيدى الزّنج ، فأخذوه ، فلما رأوا موضع السهم منه ، وعلموا أنه سهم أبى العباس زاد ذلك فى رعبهم ؛ فكان سببًا لانهزامهم يومئذ .

وقد ذُكر عمن لا يُتّهم أن خبر السهم الذى رمى به أبو العباس الكُرْكىّ فى غير هذا اليوم ، وانتهى إلى أبى العباس أنّ بعَبْدَسِى جيشًا عظيمًا يرأسهم ثابت بن أبى دلف ولؤلؤ الزنجيّان، فصار أبو العباس إلى عَبْدَسى قاصدًا للإيقاع بهما ومَنْ معهما فى خيل جريدة ، قد انتخبت من جُلد غلمانه وحماة أصحابه ، فوافى الموضع الذى فيه جمعهم فى السَّحَر ، فأوقع بهم وقعَة غليظة، قُتِل فيها من أبطالهم، وجُلدمن رجالهم خلق كثير ، وانهزموا . وظفر أبو العباس برئيسهم ثابت بن أبى دلف ، فمنّ عليه واستبقاه، وضمّه إلى بعض قوّاده ، وأصاب لؤلؤاً سهم فهلك منه ، واستنقذ يومئذ من النساء اللواتى كنّ فى أيدى الزّنج خلق كثير ، فأمر أبو العباس بإطلاقهنّ وردّهن إلى أهلهنّ ، وأخذ كلّ ما كان الزنج جمعوه . ١٩٥٨/٣

ثم رجع أبو العباس إلى معسكره، فأمر أصحابه أن يُريحوا أنفسَهم ليسير بهم إلى سوق الخميس، ودعا نصيرًا فأمره بتعبئة أصحابه للمسير إليها ، فقال له نصير : إنّ نهر سوق الخميس ضيّق ، فأقم أنت وائذن لى فى المسير (١) إليه حتى أعايِنَه، فأبى أن يدَعه حتى يعاينه ، ويقف على علم مايحتاج إليه منه قبل موافاة أبيه أبى أحمد ؛ وذلك عند ورود كتاب أبى أحمد عليه بعزمه على الانحدار.

* * *

(١) س : « لنا فى المصير » .

قال محمد بن شعيب : فدعانى أبو العباس ، فقال لى : إنه لا بدّ لى من دخول سوق الخميس ، فقلت : إن كنتَ لا بدّ فاعلا ما تذكر فلا تكثر عدد مَنْ تحمل معك فى الشَّذَا ، ولا تزد على ثلاثة عشر غلاماً عشرة رماة وثلاثة فى أيديهم الرماح ؛ فإنى أكره الكثرة فى الشَّذَا مع ضيق النهر ، فاستعدّ أبو العباس لذلك، وسار إليه ونُصير بين يديه حتى وافى فم بَرْمساور ، فقال له نُصير : قدّمنى أمامك، ففعل ذلك ، فدخل نُصير فى خمس عشرة شَذَاة. واستأذنه رجل من قوّاد الموالى يقال له موسى دالجويه فى التقدّم بين يديه ، فأذن له ، فسار وسار أبو العباس حتى انتهى به مسيره إلى بَسامِى ، ثم إلى فوّهة براطق ونهر الرّق والنهر الذى ينفذ إلى رواطا وعَبْدَسِى ؛ وهذه الأنهار الثلاثة تؤدّى إلى ثلاث طرق مفترقة ، فأخذ نصير فى طريق نهر براطق وهو النهر المؤدى إلى مدينة سليمان بن موسى الشعرانىّ التى سمّاها المنيعة بسوق الخميس. وأقام أبو العباس على فُوّهة هذا النهر ، وغاب عنه نُصَير حتى خفىَ عنه خبره. وخرج علينا فى ذلك الموضع من الزّنج خلق كثير ، فمنعونا من دخول النهر ، وحالوا بيننا و بين الانتهاء إلى السور — و بين هذا الموضع الذى انتهينا إليه والسور المحيط بمدينة الشعرانىّ مقدار فرسخين — فأقاموا هناك يحاربوننا ، واشتدّت الحرب بيننا وبينهم وهم على الأرض ؛ ونحن فى السفن من أوّل النهار إلى وقت الظهر ، وخفىَ علينا خبرُ نُصَير ، وجعل الزّنج يهتفون بنا : قد أخذنا نُصيراً فماذا تصنعون ؟ ونحن تابعوكم حيثما ذهبتم . فاغتمّ أبو العباس لما سمع منهم هذا القول ، فأستأذنه محمد بن شعيب فى المسير ليتعرّف خبر نصير ، فأذن له، فمضى فى سُميريّة بعشرين جذّافاً حتى وافى نصيراً أبا حمزة ، وقد قرب من سَكْر كان الفسقة سكروه ، ووجده قد أضرم النار فيه وفى مدينتهم ، وحارب حرباً شديداً ورزق الظفر بهم، وكان الزّنج ظفروا ببعض شذوات أبى حمزة ، فقاتل حتى انتزع ما كانوا أخذوا من أيديهم ، فرجع محمد بن شعيب إلى أبى العباس ، فبشره بسلامة نصير ومَنْ معه، وأخبره خبره . فسرّ بذلك وأسَرَ نصير يومئذ من الزنج جماعة كثيرة ، ورجع حتى وافى أبا العباس بالموضع الذى كان واقفاً به. فلمّا رجع نصير قال أبو العباس: لستُ زائلا عن موضعى

هذا حتى أراوحهم القتال فى عشىّ هذا اليوم ؛ ففعل ذلك ، وأمر بإظهار شَذَاة واحدة من الشّذوات التى كانت معه لهم ، وأخفى باقيها عنهم ، فطمعوا فى الشَّذَاة التى رأوها ، فتبعوها ، وجعل مَنْ كان فيها يسيرون سيراً ضعيفاً حتى أدركوها ، فعلقوا بسكانها ، وجعل الملاحون يسيرون حتى وافوا المكان الذى كانت فيه الشَّذَوات المكمَّنة .

وقد كان أبو العباس ركب سُميريّة ، وجعل الشذا خلْفه ، فسار نحو الشذاة التى علق بها الزّنج لما أبصرها ، فأدركها ، والزّنج ممسكون بسُكانها يحيطون بها من جوانبها ، يرمون بالنُّشاب والآجرّ ، وعلى أبى العباس كيز تحته درع .

قال محمد : فنزعنا يومئذ من كيز أبى العباس خمساً وعشرين نُشابة ، ونزعتُ من لُبّادَةٍ كانت علىّ أربعين نشابة ، ومن لبابيد سائر الملاحين الخمس والعشرين والثلاثين . وأظفر الله أبا العباس بستّ سُميريّات من سُميريّات الزّنج ، وتخلص الشذا من أيديهم ، وانهزموا ، ومال أبو العباس وأصحابه نحو الشّط ، وخرج من الزّنج المقاتلة بالسيوف والتّراس ، فانهزموا لا يلوون على شىء للرهبة التى وصلت إلى قلوبهم ، ورجع أبو العباس سالماً غانماً ، فخلع على الملاّحين ووصلهم ، ثم صار إلى معسكره بالعُمر ، فأقام به إلى أن وافى الموفّق .

* * *

١٩٦١/٣ ولإحدى عشرة ليلةً خلت من صفر منها ، عسكر أبو أحمد بن المتوكل بالفِرْك ، وخرج من مدينة السلام يريد الشخوص إلى صاحب الزَّنْج لحربه ؛ وذلك أنه — فيما ذكر — كان اتّصل به أنّ صاحب الزنج كتب إلى صاحبه علىّ ابن أبان المهلبىّ يأمره بالمصير بجميع من معه إلى ناحية سليمان بن جامع ، ليجتمعا على حرب أبى العباس بن أبى أحمد ، وأقام أبو أحمد بالفِرْك أياماً ؛ حتى تلاحق به أصحابه ومَنْ أراد النهوض به إليه ، وقد أعدّ قبل ذلك الشذا والسُّميريّات والمعابر والسفن ، ثم رحَل من الفِرْك — فيما ذكر — يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول فى مواليه وغلمانه وفرسانه ورجّالته فصار إلى رومية المدائن ، ثم صار منها ، فنزل السِّيب ثم دَيْر العاقول ثم جَرْجَرَايا ، ثم قُنّى ، ثم نزل جَبُّل ، ثم نزل الصِّلح ، ثم نزل على فرسخ من واسط ، فأقام

هنالك يومه وليلته، فتلقّاه ابنه أبو العبّاس به فى جريدة خيل فيها وجوه قوّاده وجنده ، فسأله أبو أحمد عن خبر أصحابه ، فوصف له بلاءهم ونصحهم ، فأمر أبو أحمد له ولهم بِخِلَع فخُلِعت عليهم ، وانصرف أبو العباس إلى معسكره بالعُمْر، فأقام يومه . فلمّا كانت صبيحة الغد رحل أبو أحمد منحدراً فى الماء، وتلقّاه ابنه أبو العباس بجميع مَنْ معه من الجند فى هيئة الحرب والزّىّ الذى كانوا يلقوْن به أصحاب الخائن ، فجعل يسير أمامه حتى وافى عسكره بالنهر المعروف بشيرزاد ؛ فنزل به أبو أحمد ، ثم رحل منه يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول ؛ فنزل على النهر المعروف بِسِنْداد بإزاء القرية المعروفة بعبد الله ، وأمر ابنه أبا العباس ، فنزل شرقىّ دِجْلة بإزاء فُوّهة بردودا ، وولاّه مقدّمته ، ووضع العطاء فأعطى الجيش ، ثم أمر ابنه بالمسير أمامه بما معه من آلة الحرب إلى فُوّهة بَرْمساور . فرحل أبو العباس فى المختارين من قواده ورجاله ، منهم زِيرَك التركىّ صاحب مقدّمته ، ونُصَير المعروف بأبى حمزة صاحب الشّذا والسُّميريّات . ١٩٦٢/٣

ورحل أبو أحمد بعد ذلك فى الفرسان والرجّالة المنتخبين ، وخلّف سواد عسكره وكثيراً من الفرسان والرّجالة بمعسكره ؛ فتلقّاه ابنه أبو العباس بأسرى ورءوس وقتلى قتلهم من أصحاب الشعرانىّ ؛ وذلك أنه وافى عسكره الشعرانىّ فى ذلك اليوم قبل مجىء أبيه أبى أحمد ؛ فأوقع به وأصحابه ؛ فقتل منهم مقتلةً عظيمة ، وأسر منهم جماعة ؛ فأمر أبو أحمد بضرب أعناق الأسرى فضُربت ، ونزل أبو أحمد فوّهة بَرْمساور ، وأقام به يومين ، ثم رحل يريد المدينة التى سمّاها صاحب الزّنج المنيعةَ من سوق الخميس فى يوم الثلاثاء لثمانى ليال خلوْن من شهر ربيع الآخر من هذه السنة بمن معه من الجيش وما معه من آلة الحرب ، وسلك فى السفن فى برمساور ، وجعلت الخيل تسير بإزائه شرقىّ برمساور ، حتى حاذى النهر [١] المعروف ببراطق الذى يوصل إلى مدينة الشعرانىّ .

١٩٦٣/٣

وإنما بدأ أبو أحمد بحرب سليمان بن موسى الشعرانىّ قبل حرب سليمان بن جامع من أجل أن الشعرانىّ كان وراءه ، فخاف إن بدأ بابن جامع أن يأتيه

(١) ابن الأثير : «جاوزوا» .

الشعرانىُّ من ورائه ، ويشغله عمّن هو أمامه ؛ فقصده من أجل ذلك ؛ وأمر بتعبير الخيل وتصييرها على جانبى النهر المعروف ببراطق ، وأمر ابنه أبا العباس بالتقدّم فى الشذَا والسُّميريّات ، وأتبعه أبو أحمد فى الشذَا بعامّة الجيش .
فلمّا بصر سليمان ومَنْ معه من الزّنج وغيرهم بقصد الخيل والرجّالة سائرين على جنبتى النهر ومسير الشذا والسميريّات فى النهر ، وقد لقيهم أبو العباس قبل ذلك ، فحاربوه حربًا ضعيفة ، انهزموا وتفرّقوا .

وعلا أصحاب أبى العباس السور ، ووضعوا السيوف فيمن لقيهم وتفرّق الزّنج وأتباعهم ، ودخل أصحاب أبى العباس المدينة، فقتلوا فيها خلقًا كثيراً ، وأسروا بشراً كثيراً ، وحوَوْا ما كان فى المدينة ، وهرب الشعرانىّ ومَنْ أفات منهم معه.، وأتبعهم أصحاب أبى أحمد حتى وافَوْا بهم البطائح ، فغرق منهم خلق كثير ، ونجا الباقون إلى الآجام ، وأمر أبو أحمد أصحابَه بالرجوع إلى معسكرهم قبل غروب الشمس من يوم الثلاثاء ، وانصرف وقد استنقذ من المسلمات زُهاء خمسة آلاف امرأة؛ سوى مَنْ ظَفر به من الزنجيات اللواتى كنّ فى سوق الخميس . فأمر أبو أحمد بحياطة النساء جميعًا ، وحملهنّ إلى واسط ليُدفعن إلى أوليائهنّ . وبات أبو أحمد بحيال النهر المعروف ببراطق ، ثم باكر المدينة من غد ، فأذن للناس[1] فى حياطة ما فيها من أمتعة الزّنج ، وأخذ ما كان فيها أجمع ، وأمر بهدم سورها وطمّ خندقها وإحراق ما كان بقىَ فيها من السفن ، ورحل إلى معسكره ببرمساور بالظفر بما بالرساتيق والقرى التى كانت فى يد الشعرانىّ وأصحابه من غلاّت الحِنْطة والشعير والأرزّ ، فأمر ببيع ذلك ، وصرف ثمنه فى أعطيات مواليه وغلمانه وجنده وأهل عسكره . وانهزم سليمان الشعرانىّ وأخواه ومَنْ أفات ، وسُلب الشعْرانىّ ولده وما كان بيده من مال ، ولحق بالمذار ، فكتب إلى الخائن بخبره وما نزل به واعتصامه بالمــذار .

٣/١٩٦٤

فذكر محمد بن الحسن ، أن محمد بن هشام المعروف بأبى واثلة الكرمانىّ

(١) ابن الأثير : « وأمر الناس » .

قال : كنتُ بين يدى الخائن وهو يتحدّث ، إذ ورد عليه كتاب سليمان الشعرانىّ بخبر الوقعة وما نزل به ، وانهزامه إلى المذار ، فما كان إلاّ أن فضّ الكتاب ، فوقعت عينُه على موضع الهزيمة حتى انحلّ وكاءُ بطنه ، ثم نهض لحاجته ، ثم عاد . فلمّا استوى به مجلسه أخذ الكتاب وعاد يقرؤه ، فلما انتهى إلى الموضع الذى أنهضه ، نهض حتى فعل ذلك مراراً . قال : فلم أشكّ فى عظم المصيبة ، وكرهتُ أن أسأله ، فلمّا طال الأمر تجاسرتُ ، فقلت : أليس هذا كتاب سليمان بن موسى ؟ قال : نعم ، ورد بقاصمة الظّهْر ، أنّ الذين أناخوا عليه أوقعوا به وقعة لم تبق منه ولم تَذَرْ ؛ فكتب كتابه هذا وهو بالمَذار ، ولم يسلم بشىء غير نفسه . قال : فأكبرتُ ذلك ، واللهُ يعلم مكروه ما أخفى من السرور الذى وصل إلى قلبى ، وأمسكُ مُبشراً بدنوّ الفرج . وصبرَ الخائنُ على ما وصل إليه ، وجعل يظهر الجلَد ، وكتب إلى سليمان بن جامع يحذّره مثل الذى نزل بالشعرانىّ ، ويأمره بالتيقّظ فى أمره وحفظ ما قبَله . ٣/١٩٦٥

وذكر محمد بن الحسن أن محمد بن حماد قال : أقام الموفّق بعسكره ببر مساور يومين ، لتعرّف أخبار الشعرانىّ وسليمان بن جامع والوقوف على مستقرّه ، فأتاه بعضُ مَنْ كان وجّهه لذلك ، فأخبره أنه معسكر بالقرية المعروفة بالحوانيت . فأمر عند ذلك بتعبير الخيل إلى أرض كَسْكَر فى غربىّ دِجْلة ، وسار على الظهر ، وأمر بالشّذا وسفن الرجّالة فحُدّرت إلى الكثيثة ، وخلّف سواد عسكره وجمعاً كثيراً من الرجال والكُراع بفوّهة برمساور ، وأمر بُغْراج بالمقام هناك ؛ فوافى أبو أحمد الصينيّة ، وأمر أبا العباس بالمصير فى الشذا والسميريّات إلى الحوانيت مخِفّاً لتعرّف حقيقة خبر سليمان بن جامع فى مقامه بها ، وإن وجد منه غِرّة أوقع به . فسار أبو العباس فى عشىّ ذلك اليوم إلى الحوانيت ، فلم يلفِ سليمانَ هنالك ، وألفى من قوّاد السودان المشهورين بالبأس والنجدة شبْلاً وأبا النداء وهما من قدماء أصحاب الفاسق الذين كان استتبعهم فى بدء مخرجه . ٣/١٩٦٦ وكان سليمان بن جامع خلّف هذين القائدين فى موضعهما لحفظ غلات كثيرة كانت هناك ، فحاربهما أبو العباس ، وأدخل الشّذا موضعاً ضيقاً من النهر ، فقتل مِنْ رجالهما ، وجرح بالسهام خلْقاً كثيراً — وكانوا أجلد رجال سليمان بن

جامع ونخبتهم الذين يعتمد عليهم — ودامت الحرب بينهم إلى أن حجز الليل بين الفريقين .

قال : وقال محمد بن حماد : فى هذا اليوم كان من أمرِ أبى العباس فى الكركىّ الذى ذكره محمد بن شعيب فى يوم الصِّينيّة ، وقد مرّ به سانحاً ، قال : واستأمن فى هذا اليوم رجلٌ إلى أبى العباس ، فسأله عن الموضع الذى فيه سليمان بن جامع ، فأخبره أنه مقيم بطَهِيثا ، فانصرف أبو العباس حينئذ إلى أبيه بحقيقة مقام سليمان بمدينته التى سماها المنصورة ، وهى فى الموضع الذى يعرف بطَهَيثا ، وأن معه هنالك جميع أصحابه غير شبل وأبى النداء ؛ فإنهما بموضعهما من الحوانيت لما أُمِروا بحفظه . فلما عرف ذلك أبو أحمد ، أمر بالرّحيل إلى بردودا ؛ إذ كان المسلك إلى طهِيثا منه ؛ وتقدّم أبو العباس فى الشَّذَا والسمَيريّات ، وأمر من خلّفه ببرمساور أن يصيروا جميعًا إلى بردودا . ورحل أبو أحمد فى غد ذلك اليوم الذى أمر أبا العباس فيه بما أمره به إلى بردودا ، وسار إليها يومين ؛ فوافاها يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائتين ، فأقام بها يصلح ما يحتاج إلى إصلاحه[1] من أمر عسكره ، وأمر بوضع العطاء وإصلاح سفن الجسور[2] ليحدرها معه ، واستكثر من العمال والآلات التى تُسَدّ بها الأنهار ، وتُصلح بها الطرق للخيل، وخلّف ببردودا بُغْرَاج التركىّ ، وقد كان لمّا عزم على الرجوع إلى بردودا أرسل إلى غلام له يقال له جعلان وكان مخلّفًا مع بغراج فى عسكره ، فأمر بقلع المضارب وتقديمها مع الدوابّ المخلّفة قِبَله والسلاح إلى بردودا ، فأظهر جعلان ما أمر به فى وقت العشاء الآخرة ، ونادى فى العسكر والناس غارّون ، فألقِىَ فى قلوبهم أنّ ذلك لهزيمة كانت . فخرجوا على وجوههم ، وترك الناس أسواقَهم وأمتعتَهم ، ظنًّا منهم أن العدوّ قد أظلّهم ، ولم يلوِ منهم أحد على أحد ، وقصدوا قصد الرجوع إلى عسكرهم ببردودا ، وساروا فى سواد ليلتهم تلك ، ثم ظهر لهم بعد ذلك حقيقة الخبر ، فسكنوا واطمأنّوا .

١٩٦٧/٣

---

(١) ب : « صلاحه » .

(٢) س : « السفن للجسور » .

وفى صفر من هذه السنة كان بين أصحاب كَيْغَلَغ التركىّ وأصحاب أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف وقْعة بناحية قَرْماسين ، فهزمهم كَيْغَلَغ ، وصار إلى َهمَذان ، فوافاه أحمد بن عبد العزيز فيمن قد اجتمع من أصحابه فى صفر ، فحاربه فانهزم كيغلَغ ، وانحاز إلى الصَّيْمَرَة .

* * *

وفى هذه السنة لثلاث بَقين من شهر ربيع الآخر دخل أبو أحمد وأصحابه طَهيثا ، وأخرجوا منها سليمان بن جامع ، وقُتِل بها أحمد بن مهدىّ الجبّائىّ .

ذكر الخبر عن سبب دخول أبى أحمد وأصحابه طَهيثا ومقتل الجبائىّ

١٩٦٨/٣

ذكر محمد بن الحسن أن محمّد بن حماد حدّثه أن أبا أحمد لما أعطى أصحابه ببردودا ، فأصلح ما أراد إصلاحه من عُدّة حرب مَنْ قصد لحربه فى مخرجه ، سار متوجّها إلى طهيثا ؛ وذلك يوم الأحد لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائتين ، وكان مسيره على الظهر فى خَيْله . وحُدِّرت السفن بما فيها من الرّجّالة والسلاح والآلات ، وحُدّرت المعابر والشَّذوات والسُّميريّات ، إلى أن وافى بها النهر المعروف بمَهْرُوذ بحضرة القرية المعروفة بقرية الجوزيّة ، فنزل أبو أحمد هناك ، وأمر بعقد الجسر على النهر المعروف بمَهْروذ ، وأقام يومه وليلته . ثم غدا فعبّر الفرسان والأثقال بين يديه على الجسر ، ثم عبر بعد ذلك ، وأمر القوّاد والناس بالمسير إلى طَهيثا ، فصاروا إلى الموضع الذى ارتضاه أبو أحمد لنفسه منزلاً على ميلين من مدينة سليمان بن جامع ، فأقام هنالك بإزاء أصحاب الخائن يوم الاثنين والثلاثاء لثمان بقين من شهر ربيع الآخر ، ومطر السماء مَطَراً جَوْدا ، واشتدّ البرد أيامَ مقامه هنالك ، فشغِل بالمطر والبرد عن الحرب ، فلم يحارب هذه الأيام وبقية الجمعة . فلما كان عشية يوم الجمعة ركب أبو أحمد فى نفر من قوّاده ومواليه لارتياد موضع لمجال الخيل ، فانتهى إلى قريب من سور

٣/١٩٦٩ سليمان بن جامع ، فتلقّاه منهم جمع كثير . وخرج عليه كُمناء من مواضع شتّى ، ونشبت الحرب واشتدّت ؛ فترجّل جماعة من الفرسان ، ودافعوا حتّى خرجوا عن المضايق الّتى كانوا وغاوها ، وأسِر من غلمان أبى أحمد وقوّاده غلام يقال له وصيف عَلَمْدار وعدّة من قوّاد زِيرَك ، ورمى أبو العباس أحمدَ بن مهدىّ الجبائىّ بسهم فى إحدى منخريه، فخرق كلّ شىء وصل إليه حتّى خالط دماغه ، فخرّ صريعًا ، وحُمِل إلى عسكر الخائن وهو لمآبه ، فعظُمت المصيبة به عليه؛ إذ كان أعظمَ أصحابه غِنًى عنه ، وأشدّهم بصيرةً فى طاعته، فمكث الجبائىّ يعالَج أيامًا ، ثم هلك ، فاشتدّ جزع الخائن عليه، فصار إليه، فولِىَ غسله وتكفينه والصلاة عليه والوقوف على قبره إلى أن دفن ، ثم أقبل على أصحابه فوعظَهم ، وذكر موت الجبائىّ . وكانت وفاته فى ليلة ذات رعود وبروق . وقال فيما ذكر : علمتُ وقت قَبْض روحه قبل وصول الخبر إليه بما سمع من زَجَل الملائكة بالدّعاء له والترحُّم عليه .

قال محمد بن الحسن : فانصرف إلىّ أبو واثِلة — وكان فيمن شهده — فجعل يُعجّبنى مما سمع ، وجاءنى محمد بن سمعان فأخبرنى بمثل خبر محمد ابن هشام ، وانصرف الخائن من دفن الجبائىّ منكسراً عليه الكآبة .

٣/١٩٧٠ قال محمد بن الحسن : وحدثنى محمد بن حماد أنّ أبا أحمد انصرف من الوقعة التى كانت عشيّة يوم الجمعة لأربع ليال بقين من شهر ربيع الآخر ، وكان خبره قد انتهى إلى عسكره ، فنهض إليه عامة الجيش ، فتلقوْه منصرفًا ، فردّهم إلى عسكره ؛ وذلك فى وقت المغرب ؛ فلمّا اجتمع أهلُ العسكر أمِروا بالتحارس ليلتَهم والتأهّب للحرب ، فأصبحوا يوم السبت لثلاث بقِين من شهر ربيع الآخر ؛ فعبّأ أبو أحمد أصحابه ، وجعلهم كتائب يتلُو بعضُها بعضًا؛ فرسانًا ورجّالة ، وأمر بالشّذَا والسميريّات أن يُسار بها معه فى النهر الذى يشقّ مدينة طَهيثا المعروف بنهر المُنذر، وسار نحو الزّنْج حتى انتهى إلى سور المدينة ، فرتّب قُوّاد غلمانه فى المواضع التى يخاف خروج الزّنج عليه منها ، وقدّم الرجّالة أمام الفرسان ، ووكّل بالمواضع التى يخاف خروج الكُمناء منها ، ونزل فصلى أربع ركعات ، وابتهل إلى الله عزّ وجلّ فى النصر

له وللمسلمين . ثم دعا بسلاحه فلبسه ، وأمر ابنه أبا العباس بالتقدّم إلى السور وتحضيض الغلمان على الحرب ، ففعل ذلك ؛ وقد كان سليمان بن جامع أعدّ أمام سور مدينته التى سمّاها المنصورة خندقًا ، فلمّا انتهى إليه الغلمان تهيبوا عبورَه، وأحجموا عنه، فحرّضهم قوّادُهم وترجّلوا معهم، فاقتحموه متجاسرين عليه ، فعبروه ، وانتهوا إلى الزّنْج وهم مشرفون من سور مدينتهم ، فوضعوا السلاح فيهم ، وعبرت شِرْذمة من الفرسان الخندق خوضًا .

١٩٧١/٣

فلمّا رأى الزّنج خبر هؤلاء القوم الذين لقوهم وكرّهم[1] عليهم ولّوْا منهزمين ، وأتبعهم أصحاب أبى أحمد ، ودخلوا المدينة من جوانبها . وكان الزّنج قد حصنوها بخمسة خنادق ، وجعلوا أمام كلّ خندق منها سورًا يمتنعون به ، فجعلوا يقفون عند كلّ سور وخندق إذا انتهوا إليه ، وجعل أصحاب أبى أحمد يكشفونهم فى كلّ موقف وقفوه ، ودخلت الشّذا والسميريّات مدينتهم من النهر المشقق لها بعد انهزامهم ، فجعلت تغرق كلّ ما مرّت لهم به من شَذاة وسُميريّة ، وأتبعوا مَنْ بحافتى النهر ، يقتلون ويؤسرون ، حتى أجلَوا عن المدينة وعمّا اتصل بها ، وكان زهاءُ ذلك فرسخًا ، فحوى أبو أحمد ذلك كله ، وأفلت سليمان بن جامع فى نفر من أصحابه ، فاستحرّ القتل فيهم والأسر ، واستنقذ أبو أحمد من نساء أهل واسط وصبيانهم ومما اتصل بذلك من القرى ونواحى الكوفة زُهاء عشرة آلاف . فأمر أبو أحمد بحياطتهم والإنفاق عليهم ، وحُملوا إلى واسط ، ودُفعوا إلى أهليهم . واحتوى أبو أحمد وأصحابه على كلّ ما كان فى تلك المدينة من الذخائر والأموال والأطعمة والمواشى ، وكان ذلك شيئًا جليل القدر ، فأمر أبو أحمد ببيع ما أصاب من الغلاّت وغير ذلك ، وحمله إلى بيت ماله ، وصرفه فى أعطيات من فى عسكره من مواليه وجنوده ، فحملوا من ذلك ما تهيّأ لهم حمله ، وأسر من نساء سليمان وأولاده عدّة ، واستُنقذ يومئذ وصيف علمْدار ومَنْ كان أسر معه عشيّة يوم الجمعة ، فأخرجوا من الحبس ، وكان الأمر أعجل الزّنج عن قتلهم ، ولجأ

١٩٧٢/٣

(١) س : « وجرأتهم » .

جمع كثير ممن أفلت إلى الآجام المحيطة بالمدينة . فأمر أبو أحمد فعُقد جِسرٌ على هذا النهر المعروف بالمنذر ، فعبر الناس إلى غربيّه ، وأقام أبو أحمد بطهيثا سبعة عشر يوماً ، وأمر بهدم سور المدينة وطمّ خنادقها ، ففعل ذلك ، وأمر بتتبع مَنْ لجأ إلى الآجام ، وجعل لكل مَنْ أتاه برجل منهم جُعْلاً ، فتسارع الناس إلى طلبهم ؛ فكان إذا أُتِيَ بالواحد منهم عفا عنه ، وخلع عليه وضمّه إلى قوّاد غلمانه لما دبّر من استمالتهم وصرفهم عن طاعة صاحبهم ، وندب أبو أحمد نُصيراً فى الشّذا والسميريّات لطلب سليمان بن جامع والهرب معه من الزنج وغيرهم ، وأمره بالجِدّ فى اتباعهم حتى يجاوز البطائح ، وحتى يلج دِجْلة المعروفة بالعوراء ، وتقدّم فى فتح الكُور التى كان الفاسق أحدثها ، ليقطع بها الشذا عن دِجلة فيما بينه وبين النهر المعروف بأبى الخصيب ، وتقدّم إلى زيرك فى المقام بطَهيثا ليتراجع إليها الذين كان الفاسق أجلاهم عنها من أهلها ، وأمره بتتبع مَنْ بَقِيَ فى الآجام من الزّنج حتى يظفر بهم .

* * *

وفى شهر ربيع الآخر منها ماتت أم حبيب بنت الرّشيد . ورحل أبو أحمد بعد إحكامه ما أراد إحكامه إلى معسكره[1] ببَرْدُودا، مزمعاً علَى التوجّه[2] نحو الأهواز ليصلحها ؛ وقد كان اضطرب أمرُ المهلبيّ وإيقاعه بمن أوقع عليه من الجيوش التى كانت بها وغلبته على أكثر كُورها ، وقد كان أبو العباس تقدّمه فى مسيره ذلك . فلما وافَى بردودا أقام أياماً ، وأمر بإعداد ما يحتاج إليه للمسير على الظهر إلى كُور الأهواز ، وقدِمَ مَنْ يصلح الطريق[3] والمنازل، ويعدّ فيها المِيرَ للجيوش التى معه ، ووافاه قبل أن ترحّل عن واسط زيرك منصرفاً عن طهيثا ؛ بعد أن تراجع إلى النواحى التى كان بها الزّنج أهلُها ، وخلّفهم آمنين . فأمره أبو أحمد بالاستعداد والانحدار فى الشّذَا والسُّميريّات فى نخبة أصحابه وأنجادهم ، ليصير بهم إلى دِجْلة العوراء ، فتجتمع يدُه

١٩٧٣/٣

(١) س : « عسكره »
(٢) س : « التوجيه » .
(٣) س : « الطرق » .

ويد أبى حمزة على نفض دِجْلة واتباع المنهزمين من الزّنْج والإيقاع بكلّ مَن لقوا من أصحاب الفاسق ، إلى أن ينتهىَ بهم السير إلى مدينته بنهر أبى الخصيب ، وإن رأوا موضع حرب حاربوه فى مدينته ، وكتبوا بما كان منهم إلى أبى أحمد ليردّ عليهم من أمره ما يعملون بحسبه. واستخلف أبو أحمد على من خلّف فى عسكره بواسط ابنه هارون ، وأزمع على الشخوص فيمن خفّ من رجاله وأصحابه ، ففعل ذلك بعد أن تقدّم إلى ابنه هارون فى أن يحدّر الجيش الذى خلّفه معه فى السفن إلى مستقرّه بدِجْلة إذا وافى كتابه بذلك

* * *

١٩٧٤/٣ وفى يوم الجمعة لليلة خلت من جمادى الآخرة من هذه السنة — وهى سنة سبع وستين ومائتين . ارتحل أبو أحمد من واسط شاخصاً إلى الأهواز وكورها ، فنزل باذِبين ثم جوخَىَ ثم الطِّيب ثم قُرقوب ثم درستان ثم على وادى السوس ، وقد كان عُقد له عليه جسر ، فأقام به من أول النهار إلى آخر وقت الظهر ، حتى عبّر أهلَ عسكره أجمع ، ثم سار حتى وافى السوس ، فنزلها — وقد كان أمر مسرورًا — وهو عامله على الأهواز — بالقدوم عليه ، فوافاه فى جيشه وقوّاده من غد اليوم الذى نزل فيه السوس ، فخلع عليه وعليهم ، وأقام السوس ثلاثاً .

وكان ممن أسِرَ بطَهِيثا من أصحاب الفاسق أحمد بن موسى بن سعيد البصرىّ المعروف بالقَلُوص ، وكان أحد عُدَده وقدماء أصحابه ، أسِر بعد أن أثخِن جراحًا كانت منها منيّته ؛ فلمّا هلك أمر أبو أحمد باحتزاز رأسه ونصبه على جسر واسط .

وكان ممّن أسِر يومئذ عبد الله بن محمد بن هشام الكَرْمانىّ ؛ وكان الخبيث اغتصبه أباه ، فوجّهه إلى طهيثا ، وولاّه القضاء والصّلاة بها. وأسِر من السودان جماعةٌ كان يعتمد عليهم ، أهل نجدة وبأس وجَلَد ؛ فلمّا اتصل به الخبر بما نال هؤلاء انتقض عليه تدبيرُه ، وضلّت حِيَله ، فحمله فَرْط الهَلَع على أن كتب إلى المهلبىّ وهو يومئذ مقيم بالأهواز فى زهاء ثلاثين ألفًا مع رجل كان صحِبه ، يأمره بترك كلّ ما قِبَله من المِيَر والأثاث ، والإقبال إليه ؛ فوصل

٣/١٩٧٥ الكتاب إلى المهلبىّ وقد أتاه الخبر بإقبال أبى أحمد إلى الأهواز وكُوَرِها ، فهو لذلك طائر العقل ، فترك جميع ما كان قِبَلَه ، واستخلف عليه محمد بن يحيى ابن سعيد الكَرْنبائىّ ، فدَخِل قلبُ[1] الكرنبائىّ من الوَجل ، فأخلى ما استُخلِف عليه ، وتبع المهلّبىّ ؛ وبجُبِّى الأهواز ونواحيها يومئذ من أصناف الحبوب والتمر والمواشى شىء عظيم ، فخرجوا عن ذلك كله .

وكتب أيضًا الفاسق إلى بَهْبوذ بن عبد الوهاب . وإليه يومئذ عمل الفَنْدم والباسيان وما اتّصل بهما من القُرى التى بين الأهواز وفارس ، وهو مقيم بالفَنْدم ، يأمره بالقدوم عليه ، فترك بَهْبوذ ما كان قِبَله من الطعام والتمر — وكان ذلك شيئًا عظيمًا — فحوى جميع ذلك أبو أحمد ، فكان ذلك قوةً له على الفاسق ، وضعفًا للفاسق .

ولمّا فصل المهلبىّ عن الأهواز تفرّق أصحابُه فى القرى التى بينها وبين عسكر الخبيث فانتهبوها ، وأجلَوْا عنها أهلَها ، وكانوا فى سلْمِهم ، وتخلّف خلْق كثير ممّن كان مع المهلبىّ من الفرسان والرجّالة عن اللحاق به ، فأقاموا بنواحى الأهواز . وكتبوا يسألون أبا أحمد الأمان لما انتهى إليهم من عفوه عمّن ظفر به من أصحاب الخبيث بطهيثا ، ولحق المهلبىّ ومَنْ اتّبعه من أصحابه بنهر أبى الخصيب .

وكان الذى دعا الفاسق إلى أمر المهلبىّ وبهبوذ بسرعة المصير إليه خوفُه موافاة أبى أحمد وأصحابه إياه على الحال التى كانوا عليها من الوَجَل وشدّة ٣/١٩٧٦ الرّعب مع انقطاع المهلبىّ وبهبوذ فيمن كان معهما عنه ، ولم يكن الأمر كما قدّر .

وأقام أبو أحمد حتى أحرز ما كان المهلبىّ وبهبوذ خلّفاه ، وفُتِحت السكور التى كان الخبيث أحدثها فى دِجْلة ، وأصلِحت له طرقه ومسالكه ورحل أبو أحمد عن السوس إلى جند يسابور ، فأقام بها ثلاثًا ؛ وقد كانت الأعلاف ضاقت على أهل العسكر ، فوجّه فى طلبها ، وحملها ورحل عن

---

(١) دخل قلبه ، أى دخله الاضطراب .

جند يسابور إلى تُسْتَر ، وأمر بجباية الأموال من كُور الأهواز ، وأنفذ إلى كلّ كورة قائداً ليرُوج بذلك حمل الأموال . ووجّه أحمد بن أبي الأصبغ إلى محمد ابن عبيد الله الكرديّ ، وقد كان خائفًا أن يأتيه صاحب الفاسق قبل موافاة أبي أحمد كور الأهواز ، وأمره بإيناسه وإعلامه ما عليه رأيه من العفو عنه ، والتغمّد لزلته ، وأن يتقدّم إليه في تعجيل حمل الأموال والمسير إلى سوق الأهواز ، وأمر مسروراً البلخيّ عامله بالأهواز بإحضار مَنْ معه من الموالي والغلمان والجند ليعرضهم ، ويأمرَ بإعطائهم الأرزاق ، وينهضهم [1] معه لحرب الخبيث . فأحضرهم ، وعُرِضوا رجلا رجلا ، وأعطُوا . ثم رحل إلى عسكر مُكْرَم ، فجعله منزلا اجتازه [2] . ورحل منه فوافى الأهواز ، وهو يرى أنه قد تقدّمه إليها من الميرة ما يحمل عساكره . فغلُظ الأمر في ذلك اليوم ، واضطرب له الناس اضطرابًا شديداً ، وأقام ثلاثة أيام ينتظر ورود الميَر ؛ فلم تَرِد ، فساءت أحوال الناس ، وكاد ذلك يفرّق جماعتهم ، فبحث أبو أحمد عن السبب المؤخّر ورودها ، فوجد الجند قد كانوا قطعوا قنطرة قديمة أعجمية كانت بين سوق الأهواز ورامَ هرمز يقال لها قنطرة أربُك ، فامتنع التجار ومن يحمل الميرة من تطرّقه لقطع تلك القنطرة . فركب أبو أحمد إليها وهي على فرسخين من سُوق الأهواز ، فجمع مَنْ كان بقيَ في العسكر من السودان ، وأمرهم بنقل الحجارة والصّخْر لإصلاح هذه القنطرة وبَذَل لهم الأموال الرغيبة ، فلم يرِمْ حتى أصلحت في يومه ذلك ، ورُدّت إلى ما كانت عليه . فسلكها الناس ، ووافت القوافل بالميَر ، فحيِيَ أهل العسكر ، وحسنت أحوالهم .

١٩٧٧/٣

وأمر أبو أحمد بجمع السفن لعقد الجسر على دُجيل ، فجمعت من كُور الأهواز وأخذ في عقد الجسر ، وأقام بالأهواز أيامًا حتى أصلح أصحابُه أمورهم ، وما احتاجوا من آلاتهم ، وحسُنت أحوال دوابّهم ، وذهب عنها ما كان نالها من الضرّ بتخلف الأعلاف ، ووافت كتب القوم الذين كانوا تخلّفوا عن المهلبيّ ، وأقاموا بسوق الأهواز يسألونه الأمان ؛ فآمنهم ، فأتاه نحو

---

(١) س : « وينهض » .

(٢) س : « اختاره » .

من ألف رجل ، فأحسن إليهم ، وضمهم إلى قُوّاد غلمانه ، وأجرى لهم الأرزاق ، وعقد الجسر على دُجَيل ، فرحل بعد أن قدّم جيوشه ، فعبر الجسر ، وعسكر بالجانب الغربيّ من دُجيل فى الموضع المعروف بقصر المأمون ، فأقام هنالك ثلاثاً ؛ وأصابت[1] الناس فى هذا الموضع من الليل زازلة هائلة ، وقَى الله شرّها ، وصرف مكروهها .

وقد كان أبو أحمد قبل عبور الجسر المعقود على دُجَيل قدّم أبا العباس ابنه إلى الموضع الذى كان عزم على نزوله من دِجْلة العوراء ، وهو الموضع المعروف بنهر المبارك من فُرات البصرة ، وكتب إلى ابنه هارون بالانحدار فى جميع الجيش المتخلف معه إلى نهر المبارك أيضًا لتجتمع العساكر هناك ، فرحل أبو أحمد عن قصر المأمون ، فنزل بقُورَج العباس ، ووافاه أحمد بن أبى الأصبغ هنالك بما صالح عليه محمد بن عبيد الله وبهدايا أهداها إليه من دوابّ وضوارٍ وغير ذلك . ثم رحل عن القورَج ، فنزل بالجعفرية ، ولم يكن بهذه القرية ماء إلا من آبار كان أبو أحمد تقدّم بحفرها فى عسكره ، وأنفذ لذلك سعداً الأسود مولى عبيد الله بن محمد بن عمار من قورَج العباس ، فحُفرت ، فأقام بهذا الموضع يومًا وليلة ، وألفَى هناك ميرًا مجموعة ، واتّسع الناس بها ، وتزوّدوا منها . ٣/١٩٧٨

ثم رحل إلى الموضع المعروف بالبشير ، وألفى فيه غديراً من المطر ، فأقام به يومًا وليلة ، ورحل فى آخر الليل يريد نهر المبارك ، فوافاه بعد صلاة الظهر ، وكان منزلا بعيد المسافة ؛ وتلقّاه ابناه أبو العباس وهارون فى طريقه ، فسلّما عليه ، وسارا بسيره حتى ورد نهر المبارك ، وذلك يوم السبت للنصف من رجب سنة سبع وستين ومائتين .

وكان لِزيرك ونصير فى الذى كان أبو أحمد وجّه فيه زيرك من تتبُّع فلّ الخبيث من طَهيثا أثرٌ فيما بين فصول أبى أحمد من واسط إلى حال مصيره إلى نهر المبارك ؛ وذلك ما ذكره محمد بن الحسن عن محمد بن حماد ، قال :

---

(١) س : « وأصاب » .

لمّا اجتمع زِيرك ونصير بدِجْلة العوراء انحدرا حتى وافيا الأبُلّة ، فاستأمن ٣/١٩٧٩
إليهما رجل من أصحاب الخبيث ، فأعلمهما أن الخبيث[١] قد أنفذ عدداً كثيراً من السُّميريّات والزّواريق والصلاغ مشحونة بالزّنج، يرأسهم رجل من أصحابه ، يقال له محمد بن إبراهيم، يكنى أبا عيسى ، ومحمد بن إبراهيم هذا رجل من أهل البصرة ، كان جاء به رجل من الزّنج عند خراب البصرة يقال له يَسار ، كان على شُرْطة الفاسق ، فكان يكتب ليسار على ما كان يلي حتى مات ، وارتفعت حال أحمد بن مهدى الجبائيّ عند الخبيث ، فولاّه أكثر أعماله ، وضمّ محمد بن إبراهيم هذا إليه ، فكان كاتبه إلى أن هلك الجبائيّ — فطمِع محمد بن إبراهيم هذا فى مرتبته ، وأن يحلّه الخبيث محلّ الجبائيّ ، فنبذ الدواة والقلم ، ولبس آلة الحرب ، وتجرّد للقتال ، فأنهضه الخبيث فى هذا الجيش ، وأمره بالاعتراض فى دجْلة لمدافعة مَنْ يردُها من الجيوش ، فكان فى دجْلة أحيانًا ، وأحيانًا يأتى بالجمع الذى معه إلى النهر المعروف بنهر يزيد ، ومعه فى ذلك الجيش شِبْل بن سالم وعمرو المعروف بغلام بوذى وأجلاد من السودان وغيرهم ، فاستأمن رجل كان فى ذلك الجيش إلى زيرك ونُصير ، وأخبرهما خبره ، وأعلمهما أن محمد بن إبراهيم على القصد لسواد عسكر نُصَير ، ونصير يومئذ معسكر بنهر المرأة ، وأنهم على أن يسلكوا الأنهار المعترضة على نهر معقِل ٣/١٩٨٠
وبِشْق شيرين ، حتى يوافوا الموضع المعروف بالشرطة ، ليخرجوا من وراء العسكر فيكبُّوا على طرفيْه ؛ فرجع نصير عند وصول هذا الخبر إليه من الأبُلّة مبادرًا إلى معسكره ، وسار زيرك قاصداً لبِشْق شيرين ؛ حتى صار من مؤخّرة فى موضع يعرف بالميشان ؛ وذلك أنه قدّر أن محمد بن إبراهيم ومن معه يأتون عسكر نُصير من ذلك الطريق ؛ فكان ذلك كما ظنّ ، ولقيهم فى طريقهم فوهب الله له العلوّ عليهم بعد صبر منهم له ومجاهدة شديدة ؛ فانهزموا ولجئوا إلى النهر الذى كانوا وضعوا الكمين فيه ، وهو نهر يزيد ، فدُلّ زيرك عليهم ، فتوغّلت عليهم سُميريّاته وشذواته ، فقتِل منهم طائفة ، وأسِر طائفة ؛ وكان ممن ظفِر به منهم محمد بن إبراهيم المكنى أبا عيسى وعمرو المعروف بغلام بوذى ، وأخِذ

(١) س : أن أصحاب الخبيث .

ما كان معهم من السُّميريّات ، وذلك نحو من ثلاثين سُميريّة ، وأفلت شبل في الذين نجوْا ، فلحق بعسكر الخبيث ، وخرج زيرك من بثْق شيرين ظافراً ومعه الأسارى ورءوس مَنْ قتل مع ما حوى من السميريّات والزّواريق وسائر السفن ، فانصرف زيرك من دِجْلة العَوْراء إلى واسط ؛ وكتب إلى أبي أحمد بما كان من حربه والنصر والفتح .

وكان فيما كان من زيرك في ذلك وصول الجزَع إلى كلّ مَنْ كان بدِجْلة وكُورها من أتباع الفاسق ، فاستأمن إلى أبي حمزة وهو مقيم بنهر المرأة منهم زهاء ألفي رجل – فيما قيل – فكتب بخبرهم إلى أبي أحمد ، فأمره بقبولهم وإقرارهم على الأمان وإجراء الأرزاق عليهم ، وخلطهم بأصحابه ومناهضته العدوّ بهم .

١٩٨١/٣

وكان زيرك مقيماً بواسط إلى حين ورود كتاب أبي أحمد على ابنه هارون بالمصير بالجيش المتخلّف معه إلى نهر المبارك ، فانحدر زيرك مع هارون ، وكتب أبو أحمد إلى نصير وهو بنهر المرأة يأمره بالإقبال إليه إلى نهر المبارك ، فوافاه هنالك ؛ وكان أبو العباس عند مصيره[1] إلى نهر المبارك انحدر إلى عسكر الفاسق في الشَّذا والسُّميريّات ، فأوقع به في مدينته بنهر أبي الخصيب .

وكانت الحرب بينه وبينهم من أوّل النهار إلى آخر وقت الظهر ، واستأمن إليه قائد من قوّاد الخبيث المضمومين كانوا إلى سليمان بن جامع ، يقال له منتاب ، ومعه جماعة من أصحابه ؛ فكان ذلك مما كسر الخبيث وأصحابه ، وانصرف أبو العباس بالظّفَر ، وخلع على منتاب ووصله وحمله ، ولمّا لقيَ أبو العباس أباه أعلمه خبر منتاب ، وذكر له خروجه إليه بالأمان ، فأمر أبو أحمد لمنتاب بخِلْعة وصِلة وحُملان ، وكان منتاب أوّل مَنْ استأمن من قوّاد الزّنج .

ولما نزل أبو أحمد نهر المبارك يوم السبت للنصف من رجب سنة سبع وستين ومائتين ، كان أول ما عمل به في أمر[2] الخبيث – فيما ذكر محمد بن الحسن بن سهل ، عن محمد بن حمّاد بن إسحاق بن حمّاد بن زيد – أن

---

(١) س : « مصيرهم » . (٢) س : « أمور » .

كتب إليه كتابًا يدعوه فيه إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى مما ركب من سفك الدماء وانتهاك المحارم وإخراب البلدان والأمصار ، واستحلال الفروج والأموال ، ١٩٨٢/٣
وانتحال ما لم يجعله الله له أهلا من النبوّة والرسالة ، ويعلمه أن التوبة له[١] مبسوطة ، والأمان له موجود ؛ فإن هو نزع عما هو عليه من الأمور التي يسخَطها الله ، ودخل في جماعة المسلمين ، محا ذلك ما سلف من عظيم جرائمه ؛ وكان له به الحظّ الجزيل في دنياه . وأنفذ ذلك مع رسوله إلى الخبيث ، والتمس الرّسول إيصالَه ، فامتنع أصحاب الخبيث من إيصال الكتاب ، فألقاه الرسول إليهم ، فأخذوه وأتوا به إلى الخبيث ، فقرأه فلم يزدْه ما كان فيه من الوعظ إلا نفوراً وإصراراً ، ولم يجب عن الكتاب بشيء ، وأقام على اغتراره ، ورجع الرسول إلى أبي أحمد فأخبَره بما فعل ، وترك الخبيث الإجابة عن الكتاب . وأقام أبو أحمد يوم السبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء متشاغلاً بعرض الشّذَا والسُّميريّات وترتيب قوّاده ومواليه وغلمانه فيها ، وتخيّر الرماة وترتيبهم في الشّذَا والسُّميريّات ، فلما كان يوم الخميس سار أبو أحمد في أصحابه ، ومعه ابنه أبو العباس الى مدينة الخبيث التي سمّاها المختارة من نهر أبي الخصيب ، فأشرف عليها وتأمّلها ، فرأى من مَنعتها وحصانتها بالسُّور والخنادق المحيطة بها وما عوّر من الطرق المؤدية إليها وأعِدّ من المجانيق والعرّادات والقسيّ الناوكيّة وسائر الآلات على سورها ما لم ير مثله ممن تقدّم من منازعي السلطان ، ورأى من كثرة عدد مقاتلتهم واجتماعهم ما استغلظ أمره . فلمّا عاين أصحابه أبا أحمد ، ١٩٨٣/٣
ارتفعت أصواتُهم بما ارتجّت له الأرض ، فأمر أبو أحمد عند ذلك ابنه أبا العباس بالتقدّم إلى سُور المدينة وَرشْق مَنْ عليه بالسهام ، ففعل ذلك ودنا حتّى ألصق شذواته بمسنّاة قصر الخائن ، وانحازت الفسقة إلى الموضع الذي دنت منه الشّذَا ، وتحاشدوا ، وتتابعت سهامهم وحجارة مجانيقهم وعرّاداتهم ومقاليعهم ، ورمى عوامُّهم بالحجارة عن أيديهم ، حتى ما يقع طرف ناظر من الشذا على موضع إلاّ رأى فيه سهمًا أو حجراً ، وثبت أبو العباس ، فرأى الخائن وأشياعه من جدّهم واجتهادهم وصبْرهم ما لا عهد لهم بمثله من أحد حاربهم .

---

(١) س : « إليه » .

فأمر أبو أحمد أبا العباس ومن معه بالرجوع إلى مواقفهم ليروّحوا عن أنفسهم ويداووا جراحهم ، ففعلوا ذلك .

واستأمن إلى أبى أحمد فى تلك الحال مقاتلان من مقاتلة السُّميريّات ، فأتوه بسُمَيريتهما وما فيها من الآلات والملاّحين ، فأمر للمقاتلين بخلَع ديباج ومناطق محلاّة ، ووصلهما ، وأمر للملاحين بخلَع من خلع الحرير الأحمر والثياب البيض بما حسن موقعه منهم وعمّهم جميعاً بصلاته ، وأمر بإدنائهم من الموضع الذى يراهم فيه نظراؤهم ؛ فكان ذلك من أنجع المكايد التى كيد بها الفاسق . فلما رأى الباقون ما صار إليه أصحابهم من العفو عنهم والإحسان إليهم ، رغبوا فى الأمان وتنافسوا فيه ، فابتدروه مسرعين نحوه ، راغبين فيما شرع لهم منه. فصار إلى أبى أحمد فى ذلك اليوم عدد من أصحاب السميريّات ، فأمر فيهم بمثل ما أمر به فى أصحابهم . فلما رأى الخبيثُ ركونَ أصحاب السميريّات إلى الأمان واغتنامهم له أمر بردّ مَنْ كان منهم فى دِجْلة إلى نهر أبى الخصيب ، ووكل بفوّهة النهر مَنْ يمنعهم من الخروج ، وأمر بإظهار شذواته ، وندب لهم بَهْبوذ بن عبد الوهاب وهو من أشدّ حماته بأساً ، وأكثرهم عدداً وعِدّة ، فانتدب بهبوذ لذلك فى أصحابه ، وكان ذلك فى وقت إقبال المدّ وقوّته ، وقد تفرّقت شَذَوات أبى أحمد ، ولحق أبو حمزة فيما معه منها بشرقىّ دِجْلة ، فأقام هنالك وهو يرى أنّ الحرب قد انقضت ، واستُغنى عنه .

١٩٨٤/٣

فلما ظهر بَهبوذ فيما معه من الشَّذَوات أمر أبو أحمد بتقديم شَذَواته ، وأمر أبا العباس بالحمل على بهبوذ بما معه من الشَّذا ، وتقدّم إلى قُوّاده وغلمانه بالحمل معه ؛ وكان الذى صَلِىَ بالحرب من الشَّذوات التى مع أبى العباس وزيرك من الشَّذَوات التى رتب فيها قوّاد الغلمان اثنتى عشرة شذاة . فنشبت الحرب ، وطمع أصحاب الفاسق فى أبى العباس وأصحابه لقلة عدد شذواتهم . فلما صُدِموا انهزموا. ووجّه أبو العباس ومَنْ معه فى طلب بهبوذ ، فألجئوه إلى فناء قصر الخبيث ، وأصابتْه طعنتان ، وجُرِح بالسهام جراحات ، وأوهِنت

(١) س : « أعضاده » .

أعضاؤه[١] بالحجارة، وخلّى ما كان عليه مع أصحابه، فأولجوه نهر أبى الخصيب وقد أشفى على الموت، وقتل يومئذ ممن كان مع بهبوذ قائد من قوّاده ذو بأس ونجدة وتقدّم فى الحرب، يقول له عميرة[١]، وظفر أصحاب أبى العباس بشذاة من شَذَوات بهبوذ، فقتل أهلها، وغرقوا، وأخذت الشذاة، وصار أبو العباس ومَنْ معه بشذواتهم بعد أن أتاهم أمر أبى أحمد بذلك، وبإلحاق الشّذا بشرقىّ دِجلة وصرف الجيش. فلمّا رأى الفاسق جيش أبى أحمد منصرفًا أمر مَنْ كان انهزم فى شَذَواتِه إلى نهر أبى الخصيب بالظهور ليسكّن بذلك روعةَ أصحابه، وليكون صرفه إياهم إذا صرفهم عن غير هزيمة. فأمر أبو أحمد جماعة من غلمانه بأن يثبّتوا صدور شذواتهم إليهم؛ ويقصدوهم. فلما رأوا ذلك ولّوْا منهزمين مذعورين، وتأخرت عنهم شذاة من شذواتهم، فاستأمن أهلُها إلى أبى أحمد، ونكسوا علماً أبيض كان معهم، فصاروا إليه فى شذاتهم، فأومنوا وحُبوا ووُصِلوا وكُسوا. فأمر الفاسق عند ذلك بردّ شذواتهم إلى النهر ومنعها من الخروج، وكان ذلك فى آخر النهار، وأمر أبو أحمد أصحابه بالرجوع إلى معسكرهم بنهر المبارك. ٣/١٩٨٥

واستأمن إلى أبى أحمد فى هذا اليوم عند منصرَفه خَلْق كثير من الزَّنْج وغيرهم، فقبلهم، وحملهم فى الشّذا[٢] والسميريّات، وأمر أن يخلع عليهم ويوصلوا ويُحبَوْا، وتُكتب أسماؤهم فى المضمومين إلى أبى العباس.

وسار أبو أحمد، فوافى عسكره بعد العشاء الأخيرة[٣]، فأقام به يوم الجمعة والسبت والأحد، ثم عزم على نقل عسكره إلى حيث يقرب منه عليه القَصْد لحرب الخبيث، فركب الشّذا فى يوم الاثنين لستّ ليال بقين من رجب سنة سبع وستين ومائتين، ومعه أبو العباس والقوّاد من مواليه وغلمانه، فيهم زيرك ونصير حتى وافى النهر المعروف بنهر جَطّى فى شرقىّ دِجْلة، وهو حيال النهر المعروف باليهودىّ، فوقف عليه، وقدّر فيه ما أراد وانصرف، وخلّف به أبا العباس وزيرك ونُصيراً، وعاد إلى معسكره. فأمر فنودى فى الناس ٣/١٩٨٦

(١) ب: «عنترة».
(٢) س: «الشذوات».
(٣) ب: «وقت العشاء».

بالرحيل إلى الموضع الذى اختار من نهر جَطّى ، وتقدّم فى قوْد الدوابّ بعد أن أصلحت لها الطرق ، وعقدت القناطر على الأنهار ، وغدا فى يوم الثلاثاء لخمس بقين من رجب فى جميع عساكره حتى نزل نهر جَطّى ، فأقام به إلى يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة سبع وستين ومائتين ، ولم يحارب فى شىء من هذه الأيام ، وركب فى هذا اليوم فى الخيل والرجّالة ، ومعه جميع الفرسان ، وجعل الرجالة والمطوّعة فى السفن والسميريّات ، على كل رجل منهم لأمَتُه وزِيّه ، وسار حتى وافى الفرات ، ووازى عسكر الفاسق وأبو أحمد من أصحابه وأتباعه فى زُهاء خمسين ألف رجل أو يزيدون ، والفاسق يومئذ فى زهاء ثلثمائة ألف إنسان ، كلهم يقاتل أو يدافع ؛ فمن ضاربٍ بسيف[1] ، وطاعن برمح ، ورامٍ بقوس ، وقاذف بمقلاع ، ورامٍ بعرّادة أو منجنيق ؛ وأضعفهم أمرُ الرماة بالحجارة عن أيديهم وهم النظارة المكثّرون[2] السواد ، والمعتَنون بالنعير والصّياح ، والنساء يشركنهم فى ذلك . ١٩٨٧/٣

فأقام أبو أحمد فى هذا اليوم بإزاء عسكر الفاسق إلى أن أضحى ، وأمر فنودى أنّ الأمان مبسوط للناس ؛ أسودِهم وأحمرِهم إلاّ الخبيث ، وأمر بسهام فعُلّقت فيها رقاع مكتوب فيها من الأمان مثل الذى نودى به ، ووعد الناس فيها الإحسان ، ورمى بها إلى عسكر الخبيث ، فمالت إليه قلوب أصحاب المارق بالرّهبة والطمع فيما وعدهم من إحسانه وعفوه ؛ فأتاه فى ذلك اليوم جمع كثير يحملهم الشّذا إليه ، فوصلهم وحباهم . ثم انصرف إلى معسكره بنهر جطّى ، ولم يكن فى هذا اليوم حرب .

وقدم عليه قائدان من مواليه ؛ أحدهما بكتمر والآخر جعفر بن بغلاغز ، فى جمع من أصحابهما فكان ورودهما زائداً فى قوّة مَنْ مع أبى أحمد .

ورحل أبو أحمد عن نهر جَطّى إلى معسكر قد كان تقدم فى إصلاحه ، وعقد القناطر على أنهاره ، وقطع النهر ليوسعه بفرات البصرة بإزاء مدينة الفاسق ؛ فكان نزوله هذا المعسكر فى يوم الأحد للنصف من شعبان سنة سبع وستين

(١) س : « بالسيف » . (٢) س : « والمكثرون » .

ومائتين ، وأوطن هذا المعسكر ، وأقام به ، ورتب قوّاده ورؤساء أصحابه مراتبهم فيه ، فَجعل نُصيراً صاحب الشَّذا والسميريات فى جيشه فى أوّل العسكر وآخره بالموضع الموازى النهر المعروف بجُوى كور ، وجعل زيرك التركىّ صاحب مقدّمة أبى العباس فى أصحابه موازيًا ما بين نهر أبى الخصيب وهو النهر الموسوم بنهر الأتراك والنهر المعروف بالمغيرة ، ثم تلاه علىّ بن جهشيار حاجبه فى جَيْشه .

٣/١٩٨٨

وكانت مضاربُ أبى أحمد وابنيه حيالَ الموضع المعروف بديْر جابيل ، وأنزل راشداً مولاه فى مواليه وغلمانه الأتراك والخزر والرّوم والديالمة والطبرية والمغاربة والزّنج على النهر المعروف بهَطْمة ، وجعل صاعد بن مَخْلَد وزيره فى جيشه من الموالى والغلمان فُويق عسكر راشد ، وأنزل مسروراً البلخىّ فى جيشه على النهر المعروف بسِنْداد ان ، وأنزل الفضل ومحمداً ، ابنى موسى ابن بُغا فى جيشهما على النهر المعروف بهالة ، وتلاهما موسى دالجويه فى جيشه وأصحابه ، وجعل بُغْراج التركىّ على ساقته نازلا على نهر جَطّى ، وأوطنوه ، وأقاموا به . ورأى أبو أحمد من حال الخبيث وحصانة موضعه وكثرة جمعه ما علم أنه لا بدّ له من الصبر عليه ومحاصرته وتفريق أصحابه عنه ؛ ببذل الأمان لهم ، والإحسان إلى مَنْ أناب منهم ، والغلظة على مَنْ أقام على غيّه منهم ، واحتاج إلى الاستكثار من الشّذا وما يحارب به فى الماء .

فأمر بإنفاذ الرّسل فى حمل[1] المِيَر فى البرّ والبحر وإدرارها إلى معسكره بالمدينة التى سماها الموفّقيّة ، وكتب إلى عماله فى النواحى فى حمل الأموال إلى بيت ماله فى هذه المدينة. وأنفذ رسولا إلى سيراف وجنّابا فى بناء الشذا والاستكثار منها لما احتاج إليه من ترتيبها فى المواضع التى يقطع بها المِيَر عن الخائن وأشياعه . وأمر بالكتاب إلى عمّاله فى النواحى بإنفاذ كل مَنْ يصلح للإثبات فى الديوان ، ويرغب فى ذلك ، وأقام ينتظر شهراً أو نحوه ؛ فوردت المِيَر متتابعةً يتلو بعضها بعضًا ، وجهّز التجار صنوف التجارات والأمتعة وحملوها إلى المدينة الموفقيّة ، واتخذت بها الأسواق ، وكثر بها التجار والمتجهزون من كلّ بلد، ووردتها

٣/١٩٨٩

(١) ط : « حمد » ، تصحيف .

مراكب البحر ؛ وقد كانت انقطعت لقطع الفاسق وأصحابه سبلها قبل ذلك بأكثر من عشر سنين ، وبنى أبو أحمد مسجد الجامع ، وأمر الناس بالصّلاة فيه ، واتّخذ دُورَ الضَّرْب ، فضرب فيها الدنانير والدراهم ، فجمعت مدينة أبى أحمد جميع المرافق ، وسيق إليها صنوف المنافع حتى كان ساكنوها لايفقدون بها شيئًا مما يوجد فى الأمصار العظيمة القديمة، وحملت الأموال ، وأدرّ للناس العطاء فى أوقاته ، فاتّسعوا وحسنت أحوالهم ، ورغب الناس جميعًا فى المصير إلى المدينة الموفقيّة والمقام فيها .

٣/١٩٩٠ وكان الخبيث بعد ليلتين من نزول أبى أحمد مدينته الموفقيّة أمر بهبوذ بن عبد الوهاب ، فعبَر والناس غارُّون فى سُميريّات إلى طرف عسكر أبى حمزة، فأوقع به ، وقتل جماعة من أصحابه ، وأسر جماعة ، وأحرق كرخات كانت لهم قبل أن يبنى الناس هنالك . فأمر أبو أحمد نُصيراً عند ذلك بجمع أصحابه، وألاّ يطلق لأحد مفارقة عسكره، وأن يحرس أقطار عسكره بالشّذا والسميريّات والزّواريق فيها الرجّالة إلى آخر ميّان رُوذان والقَنْدل وأبرسان ، للإيقاع بمن هنالك من أصحاب الفاسق .

وكان بميان روذان من قوّاده أيضًا إبراهيم بن جعفر الهمدانىّ فى أربعة آلاف من الزّنج ، ومحمد بن أبان المعروف بأبى الحسن أخو علىّ بن أبان بالقَنْدل فى ثلاثة آلاف ، والمعروف بالدّور فى أبرسان فى ألف وخمسمائة من الزّنج والجبائيّين ، فبدأ أبو العباس بالهمدانىّ فأوقع به، وجرت بينهما حروب ، قُتِل فيها خلق كثير من أصحاب الهمدانىّ ، وأسر منهم جماعة ، وأفلت الهمدانىّ فى سُميريّة قد كان أعدّها لنفسه ، فلحق فيها بأخى المهلبىّ المكنى بأبى الحسن ، واحتوى أصحاب أبى العباس علىّ ما كان فى أيدى الزّنج وحملوه إلى عسكرهم .

وقد كان أبو أحمد تقدم إلى ابنه أبى العباس فى بذل الأمان لمن رغب فيه ، وأن يضمن لمن صار إليه الإحسان، فصار إليه طائفة منهم فى الأمان فآمنهم، فصار بهم إلى أبيه ، فأمر لكل واحد منهم من الخِلَع والصلات على أقدارهم

٣/١٩٩١ فى أنفسهم، وأن يوقفوا بإزاء نهر أبى الخصيب ليعاينهم أصحابهم . . وأقام

أبو أحمد يكايد الخائن ببذل الأمان لمن صار إليه من الزّنج وغيرهم ، ومحاصرة الباقين والتضييق عليهم ، وقطع المِيَر والمنافع عنهم ؛ وكانت ميرة الأهواز وما يرد من صنوف التجارات منها ومن كورها ونواحي أعمالها يسلك به النهر المعروف ببيان ، فسرى بهبوذ في جُلد رجاله ليلة من الليالي ، وقد نمِي إليه خبر قيروان[1] ورد بصنوف من التجارات والمِير وكمَن في النخل ؛ فلما ورد القَيْروان خرج إلى أهله، وهم غارّون ، فقتَل منهم وأسَر ، وأخذ ما أحبّ أن يأخذ من الأموال .

وقد كان أبو أحمد أنفذ لبَذرقة[2] ذلك القَيْروان رجلاً من أصحابه في جمع ، فلم يكن للموجّه لذلك ببهبوذ طاقة ، لكثرة عدد مَنْ معه وضيق الموقع على الفرسان ، وأنه لم يكن بهم فيه غناء . فلما انتهى ذلك إلى أبي أحمد ، غلظ عليه ما نال الناس في أموالهم وأنفسهم وتجارتهم ، وأمر بتعويضهم ، وأخلف عليهم مثلَ الذي ذهب لهم ، ورتّب الشذا على فوّهة بيان وغيره من الأنهار التي لا يتهيّأ للفرسان سلوكُها في بنائها والإقبال بها إليه ، فورد عليه منها عددٌ صالح ، فرتّب فيها الرجال ، وقلّد أمرها أبا العباس ابنه ، وأمره أن يوكل بكل موضع يرد إلى الفَسقة منه ميرة ، فانحدر أبو العباس لذلك إلى فُوّهة البحر في الشذوات ، ورتب في جميع تلك المسالك القوّاد ، وأحكم الأمر فيه غاية الإحكام .

* * *

٣/١٩٩٢ وفي شهر رمضان منها كانت وقعة بين إسحق بن كُنْداج وإسحاق بن أيوب وعيسى بن الشيخ وأبي المغراء وحمدان الشاري ومن تأشّب[3] إليهم من قبائل ربيعة وتَغْلِب وبكْر واليمن، فهزمهم ابن كُنْداج إلى نَصيبين ، وتَبِعهم إلى قريب من آمِد ، واحتوى على أموالهم ، ونزلوا آمِد ، فكانت بينه وبينهم وقعات .

* * *

(١) القيروان : القافلة . (٢) البذرقة : الخفارة .

(٣) ابن الأثير : « اجتمع » .

[ذكر خبر مقتل صندل الزنجىّ]

وفى شهر رمضان منها قُتل صندل الزنجىّ، وكان سبب قتله أن أصحاب الخبيث عَبَرُوا لليلتين خلتا من شهر رمضان من هذه السنة فيما ذكر – أعنى سنة سبع وستين ومائتين – يريدون الإيقاع بعسكر نصير وعسكر زيرك ، فنذِر بهم الناس ، فخرجوا إليهم، فردّوهم خائبين ، وظفروا بصندل هذا . وكان – فيما ذكروا – يكشف وجوه الحرائر المسلمات ورءوسهنّ ويقلّبهنّ تقليب الإماء، فإن امتنعت منهنّ امرأة ضرب وجهها ودفعها إلى بعض علوج الزّنج يبيعها بأوكس الثمن. فلما أتِىَ به أبو أحمد، أمر به فشُدّ بين يديه ، ثم رُمِىَ بالسهام ، ثم أمر به فقتل .

* * *

[ذكر خبر استئمان الزنج إلى أبى أحمد]

وفى شهر رمضان من هذه السنة استأمن إلى أبى أحمد خلْق كثير من عند الزنج[1] .

• ذكر سبب ذلك :

وكان السبب فى ذلك أنه كان – فيما ذكر – استأمن إلى أبى أحمد رجلٌ من مذكورى أصحاب الخبيث ورؤسائهم وشجعانهم ، يقال له مهذّب ، فحمِل فى الشذا إلى أبى أحمد ، فأتِىَ به فى وقت إفطاره ، فأعلمه أنه جاء متنصّحًا راغبًا فى الأمان ، وأن الزّنج على العبور فى ساعتهم تلك إلى عسكره للبيات ، وأنّ الذين ندب الفاسق لذلك أنجادهم وأبطالهم ؛ فأمر أبو أحمد بتوجيه مَنْ يحاربهم إليهم ومن يمنعهم من العبور وأن يعارضوا بالشّذا . فلما علم الزّنج أن قد نذِر[2] بهم انصرفوا منهزمين ، فكثر المستأمنة من الزّنج وغيرهم وتتابعوا ؛ فبلغ عدد مَنْ وافى عسكر أبى أحمد منهم إلى آخر شهر رمضان سنة سبع وستين ومائتين خمسة آلاف رجل من بين أبيض وأسود .

٣/١٩٩٣

---

(١) س : « عدد » .

(٢) س : « شعر » .

وفى شوال من هذه السنة ورد الخبر بدخول الحجُستانىّ نيسابور وانهزام عمرو بن الليث وأصحابه ، فأساء السيرة فى أهلها ، وهدم دور آل مُعاذ بن مسلم ، وضرب من قدر عليه منهم واقتطع ضياعهم ، وترك ذكر محمد بن طاهر ، ودعا له على منابر ما غلب عليه من مدن خراسان وللمعتمد ، وترك الدعاء لغيرهما .

* * *

[ذكر خبر الإيقاع بالزنج فى هذا العام]

وفى شوال من هذه السنة كانت لأبى العباس وقعة بالزّنج ، قُتِل فيها منهم جمع كثير .

* ذكر سبب ذلك :

وكان السبب فى ذلك — فيما بلغنى — أنّ الفاسق انتخب من كلّ قيادة من أصحابه أهل الجلَد والبأس منهم ، وأمر المهلبىّ بالعبور بهم ليبيّت عسكر أبى أحمد ، ففعل ذلك ، وكانت عِدّة مَنْ عَبَر من الزّنج وغيرهم زهاء خمسة آلاف رجل أكثرهم من الزنج ، وفيهم[1] نحو من مائتى قائد ، فعَبرُوا إلى شرقىّ دجْلة ، وعزموا على أن يصير[2] القوّاد منهم إلى آخر النخل مما يلى السَّبَخة ؛ فيكونوا فى ظهر عسكر أبى أحمد ، ويعبر جماعة كثيرة منهم فى الشَّذا والسُّميريّات والمعابر قبالة عسكر أبى أحمد ، فإذا نشبت الحرب بينهم انكبّ مَنْ كان عبر من قوّاد الخبيث ، فصار إلى السَّبَخة على عسكر أبى أحمد الموفق ، وهم غارّون مشاغيل بحرب مَنْ بإزائهم ، وقدّر أن يتهيأ له فى ذلك ما أحبه . فأقام الجيش فى الفُرات ليلتهم ، ليغادوا الإيقاع بالعسكر . فاستأمن إلى أبى أحمد غلام كان معهم من الملاّحين ، فأنهى إليه خبرَهم وما اجتمعت عليه آراؤهم ، فأمر أبو أحمد أبا العباس والقُوّاد والغلمان بالنهوض إليهم ؛ وقصد الناحية التى فيها أصحاب الخبيث ، وأنفذ جماعة من قُوّاد غلمانه فى الخيل إلى السَّبَخة التى فى مؤخّر النخل بالفرات ، لتقطعهم عن ٣/١٩٩٤

(١) س : « ومعهم » .
(٢) س : « يصيروا » .

الخروج إليها ، وأمر أصحاب الشَّذَا والسميريّات ، فاعترضوا فى دجْلة ، وأمر الرّجالة بالزّحْف إليهم من النخل . فلما رأى الفجّار[١] ما أتاهم من التدبير الذى لم يحتسبوه كرّوا راجعين فى الطريق الذى أقبلوا منه طالبين التخلص، فكان قصدهم لجويْث بارَوَيْه ، وانتهى خبر رجوعهم إلى الموفّق، فأمر أبا العباس وزيرك بالانحدار فى الشّذَوات يسبقونهم إلى النهر؛ ليمنعوهم من عبوره . وأمر غلاماً من غلمانه ، يقال له ثابت، له قيادة على جَمْع كثير من غلمانه السودان أن يحمل أصحابه فى المعابر والزّواريق وينحدر معهم إلى الموضع الذى فيه أعداء الله للإيقاع بهم حيث كانوا ، فأدركهم ثابت فى أصحابه بجويْث بارويه، فخرج إليهم فحاربهم محاربة طويلة ، وثبتوا له،واستقبلوا جمعه وهو من أصحابه فى زُهاء خمسمائة رجل ، لأنهم لم يكونوا تكاملوا وطمعوا فيه ، ثم صدقهم وأكبّ عليهم ، فمنحه الله أكتافَهم ؛ فمِنْ مقتول وأسير وغريق وملجّج فى الماء بقدر اقتداره على السباحة التقطته الشذا والسميريّات فى دِجْلة والنهر ، فلم يفلت من ذلك الجيش إلا أقله . وانصرف أبو العباس بالفَتْح ، ومعه ثابت وقد عُلِّقت الرءوس فى الشّذَوات وصُلب الأسارى فيها ، فاعترضوا بهم مدينتَهم ليرهبوا بهم أشياعهم؛ فلما رأوْهم أبْلسوا وأيقنوا بالبَوار، وأدخل الأسارى والرءوس إلى الموفقيّة ، وانتهى إلى أبى أحمد أن صاحب الزّنج موّه على أصحابه ، وأوهمهم أن الرءوس المرفوعة مُثُلٌ مثّلت لهم ليراعُوا[٢] ، وأن الأسارى من المستأمنة . فأمر الموفق عند ذلك أبا العباس بجمع الرءوس والمسير ٣/١٩٩٥ بها إلى إزاء قصر الفاسق والقذف بها فى منجنيق منصوب فى سفينة إلى عسكره ، ففعل أبو العباس ذلك، فلما سقطت الرءوس فى مدينتهم، عرف أولياء القتلى رءوس أصحابهم ، فظهر بكاؤهم ، وتبين[٣] لهم كذب الفاجر وتمويهه . ٣/١٩٩٦

* * *

وفى شوال من هذه السنة كانت لأصحاب ابن أبى الساج وقعة بالهيصم العجلىّ ، قتلوا فيها مقدّمته ، وغلبوا على عسكره فاحتووه .

---

(١) ب : « الفاجر » . (٢) س : « لكم لتراعوا » .
(٣) س : « وظهر» .

[ذكر خبر الوقعة مع الزنج بنهر ابن عمر]

وفى ذى القعدة منها كانت لزِيرك وقعة مع جيش لصاحب الزنج بنهر ابن عمر ، قتل زيرك منهم فيها خلقاً كثيراً .

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة :

ذكر أن صاحب الزّنج كان أمر باتّخاذ شَذَوات ، فعُمِلت له، فضمها إلى ما كان يحارب به، وقسّم شذواته ثلاثة أقسام بين بَهْبوذ ونصر الرومىّ وأحمد ابن الزرنجىّ ، وألزم كلّ واحد منهم غرْمَ ما يصنع على يديه منها ، وكانت زهاء خمسين شَذاة ، ورتّب فيها الرّماة وأصحاب الرماح ، واجتهدوا فى إكمال عُدّتهم وسلاحهم ، وأمرهم بالمسير فى دِجْلة والعبور إلى الجانب الشرقىّ والتعرّض لحرب أصحاب الموفق، وعدّة شذوات الموفّق يومئذ قايلة ، لأنه لم يكن وافاه كلّ ما كان أمر باتّخاذه ، وما كان عنده منها فمتفرّق فى فُوّهة الأنهار التى يأتى الزّنج منها المِيَر. فغلظ أمر أعوان الفاجر ، وتهيّأ له أخذ شذاة بعد شذاة من شذا الموفّق، وأحجم نصير المعروف بأبى حمزة عن قتالهم والإقدام عليهم ، كما كان يفعل لقلة ما معه من الشّذا ، وأكثر شذوات الموفق يومئذ مع نصير ، وهو المتولّى لأمرها . فارتاع لذلك أهلُ عسكر الموفق ، وخافوا أن يقدم على عسكرهم الزّنج بما معهم من فضل الشّذَا ، فورد عليهم فى هذه الحال شَذوات كان الموفّق تقدّم فى بنائها بجنّابَا ، فأمر أبا العباس بتلقّيها فيما معه من الشّذَا حتى يوردها العسكر ، إشفاقًا من اعتراض الزّنْج عليها فى دِجْلة، فسلمت، وأتى بها حتى إذا وافت عسكر نُصير، فبصر بها الزنج طمعوا فيها ، فأمر الخبيث بإخراج شَذواته ، وأمر أصحابه بمعارضتها والاجتهاد فى اقتطاعها ، فنهضوا[1] لذلك . فتسرّع غلام من غلمان أبى العباس شجاع يقال له وصيف يعرف بالحِجْراى ، فى شذوات كُنّ معه ، فشدّ على الزنج فانكشفوا ، وتبعهم حتى وافى بهم نهر أبى الخصيب ، وانقطع عن أصحابه ، فكرّوا عليه شذواتِهم ، وانتهى إلى مضيق ، فعلقت مجاديف بعض شذواته

٣/١٩٩٧

(١) س : « فنهض » .

بمجاديف بعض شذواتهم ، فجنحت وتقصّفت بالشطّ ، وأحاط به الآخرون واكتنفوه من جوانبه ، وانحدر عليه الزّنْج من السور ، فحاربهم بمَنْ كان معه حرباً شديداً حتّى قتلوا .

وأخذ الزّنج شذواتِهم ، فأدخلوها نهر أبى الخصيب . ووافى أبو العباس بالشذوات الجنّابية سالمة بما فيها من السلاح والرجال ، فأمر أبو أحمد أبا العباس بتقلّد أمر الشّذَوات كلها والمحاربة بها، وقطع مواد المِير عنهم من كلّ جهة . ٣/١٩٩٨ ففعل ذلك ، فأصلِحت[1] الشذوات ، ورتّب فيها المختارون من الناشبة والرّامحة ؛ حتى إذا أحكم أمرها أجمع ، ورتّبها فى المواضع التى كانت تقصد إليها شذوات الخبيث ، وتعيث فيها ، أقبلت شذواته على عادتها التى كانت قد جرت عليها . فخرج إليهم أبو العباس فى شَذَواته ، وأمر سائر أصحاب الشّذا أن يحملوا بحملته ، ففعلوا ذلك وخالطوهم ، وطفِقوا يرشُقونهم بالسهام ، ويطعنونهم بالرماح ، ويقذفونهم بالحجارة ؛ وضرب الله وجوهَهم ، فولوْا منهزمين ، وتبعهم أبو العباس وأصحابه حتّى أولجوهم نهر أبى الخصيب ، وغرق لهم ثلاث شَذَوَات ، وظفر بشذاتَين من شَذَواتهم بما فيها من المقاتلة والملاّحين . فأمر أبو العباس بضرب أعناق مَنْ ظفِر به منهم .

فلما رأى الخبيث ما نزل بأصحابه ، امتنع من إخراج الشّذا عن فناء قصره ، ومنع أصحابه أن يجاوزوا بها الشطّ إلا فى الأوقات التى يخلو دِجْلة فيها من شَذَوات الموفّق .

فلمّا أوقع بهم أبو العباس هذه الوقعة اشتدّ جزعُهم ، وطلب وجوه أصحاب الخبيث الأمانَ فأومِنوا ، فكان ممن استأمَن من وجوههم — فيما ذكر — محمد بن الحارث العمىّ ، وكان إليه حفظ عسكر مَنكى والسور الذى يلى عسكر الموفّق ، وكان خروجُه ليلاً مع عدّة من أصحابه ، فوصله الموفّق بصلات كثيرة ، وخلع عليه ، وحمله على عدّة دوابّ بحليتها وآلتها ، وأسنى له الرّزق ، ٣/١٩٩٩ وكان محمد بن الحارث حاول إخراج زَوْجته معه ، وهى إحدى بنات عمه ،

---

(١) ب : « فأصبحت » .

فعجزت المرأة عن اللحاق به، فأخذها الزنج فردّوها إلى الخبيث ، فحبسها مدّة، ثم أمر بإخراجها والنداء عليها فى السوق، فبيعت ؛ ومنهم أحمد المعروف بالبَرذعىّ. وكان — فيما قيل — من أشجع رجال الخبيث الذين كانوا فى حيِّز المهلبىّ ومن قوّاده الزنج مدبد وابن أنكلويه ومنينة ، فخلع عليهم جميعًا ، ووُصلوا بصلات كثيرة ، وحُمِلوا على الخيل ، وأحسن إلى جميع من جاءوا به معهم من أصحابهم ، وانقطعت عن الخبيث موادّ الميرة ، وسُدّت عليه وعلى من أقام معه المذاهب. وأمر شبلا وأبا النداء — وهما من رؤساء قوّاده وقدماء أصحابه الذين كان يعتمد عليهم ويثق بمناصحتهم — بالخروج فى عشرة آلاف من الزّنج وغيرهم ، والقصد لنهر الدير ونهر المرأة ونهر أبى الأسد، والخروج من هذه الأنهار إلى البَطيحة للغارة على المسلمين ، وأخذ ما وجدا من طعام وميرة ليُقطع عن عسكر الموفق ما يرده من الميرة وغيرها من مدينة السلام وواسط ونواحيها . فندب الموفّق لقصدهم حين انتهى إليه خبر مسيرهم مولاه زيرك صاحب مقدمة أبى العباس ، وأمره بالنهوض فى أصحابه إليهم ، وضمّ إليه من اختار من الرجال ، فمضى فى الشَّذَوات والسُّميريّات ، وحمل الرجّالة فى الزواريق والسفن الخِفاف حثيثًا ، حتّى صار إلى نهر الدير ، فلم يعرِف لهم هنالك خبراً ، فصار منه إلى بشْق شيرين . ثم سلك فى نهر عدىّ حتّى خرج إلى نهر ابن عمر ، فالتقى به[1] جيش الزّنج فى جمع راعتْه كثرته ، فاستخار الله فى مجاهدتهم[2] ، وحمل عليهم فى ذوى البصائر والثبات من أصحابه ، فقذف الله الرعب فى قلوبهم ، فانفضّوا ، ووضع فيهم السلاح ، فقتَل منهم مقتلةً عظيمة ، وغرِق منهم مثل ذلك ، وأسَر خلقًا كثيراً ، وأخذ مِن سفنهم ما أمكنه أخذه ، وغرق منها ما أمكن تغريقه ؛ فكان ما أخذ من سفنهم نحواً من أربعمائة سفينة ، وأقبل بمن معه من الأسارى وبالرءوس إلى عسكر الموفق . ٣/٢٠٠٠

(١) س : « فيه » .
(٢) ب : « محاربتهم » .

[خبر عبور الموفق إلى مدينة صاحب الزنج لحربه]

وفى ذى الحجة لست بقين منه عبر الموفق بنفسه إلى مدينة الفاسق وجيشه لحربه .

* ذكر السبب الذى من أجله كان عبورُه إليها :

وكان السبب فى ذلك – فيما ذكر – أنّ الرؤساء من أصحاب الفاسق ، لمّا رأوْا ما قد حلّ بهم من البلاء مِنْ قتل مَنْ يظهر منهم وشدّة الحصار على مَنْ لزم المدينة ؛ فلم يظهر منهم أحد ، وحالَ مَنْ خرج منهم بالأمان من الإحسان إليه ، والصفح عن جُرْمه ، مالوا إلى الأمان ، وجعلوا يهربون فى كلّ وجه ، ويخرجون إلى أبى أحمد فى الأمان كلّما وجدوا إليه السبيل . فلِىءَ الخبيث من ذلك رُعْبًا ، وأيقن الهلاك ، فوكّل بكلّ ناحية كان يرى أنّ فيها طريقًا للهرب من عسكره أحراسًا وحَفَظة[1] ، وأمرهم بضبط تلك النواحى ، ووكّل بفُوّهة الأنهار مَنْ يمنع السفن من الخروج منها ، واجتهد فى سدّ كلّ مسلك وطريق وثلمة ؛ لئلا يطمع فى الخروج عن مدينته .

٣/٢٠٠١

وأرسل جماعة من قوّاد الفاجر صاحب الزنج إلى الموفق يسألونه الأمان ، وأن يوجه لمحاربة الخبيث جيشًا ليجدوا إلى المصير إليه سبيلاً ، فأمر الموفق أبا العباس بالمصيرِ فى جماعة من أصحابه إلى الموضع المعروف بنهر الغربىّ ، وعلىّ بن أبان حينئذ يحوط ذلك النهر ؛ فنهض أبو العباس فى المختارين من أصحابه ، ومعه الشذا والسُّميريّات والمعابِر ، فقصد النهر الغربىّ ، وانتدب المهلبىّ وأصحابه لحربه ، فاستعرت الحرب بين الفريقين ، وعلا أصحاب أبى العباس ، وقهر الزّنْج ، وأمدّ الفاسق المهلبىَّ بسليمان بن جامع فى جَمْع من الزّنْج كثير ، واتصلت الحرب يومئذ من أوّل النهار إلى وقت العصر ؛ وكان الظفر فى ذلك اليوم لأبى العباس وأصحابه ، وصار إليه القوم الذين كانوا طلبوا الأمان من قُوّاد الخبيث ، ومعهم جمع كثير من الفرسان وغيرهم من الزّنْج ، فأمر أبو العباس عند ذلك أصحابه بالرجوع إلى الشذا والسفن ،

(١) س : « وحفظا » .

وانصرف فاجتاز فى منصرفه بمدينة الخبيث ، حتى انتهى إلى الموضع المعروف بنهر الأتراك ، فرأى أصحابه من قلة عدد الزَّنْج فى هذا الموضع من النهر ما طمعوا له فيمن كان هناك ، فقصدوا نحوهم ، وقد انصرف أكثر أصحابهم إلى المدينة الموفّقية ، فقربوا إلى الأرض ، وصعِدوا وأمعنوا فى دخول تلك المسالك، وعلَتْ جماعةٌ منهم السور ، وعليه فريق من الزّنج وأشياعهم ، فقتلوا مَنْ أصابوا منهم هنالك ، ونذِر الفاسق بهم ، فاجتمعوا لحربهم ، وأنجد بعضهم بعضًا .

٣/٢٠٠٢

فلمّا رأى أبو العباس اجتماعَ الخبثاء وتحاشدَهم وكثرة مَن ثاب إلى ذلك الموضع منهم ، مع قلة عدد مَنْ هنالك[1] من أصحابه ، كرّ راجعًا إليهم فيمن كان معه فى الشّذَا ، وأرسل إلى الموفّق يستمدّه ، فوافاه لمعونته مَنْ خفّ لذلك من الغلمان فى الشّذَا والسُّميريّات ، فظهروا على الزّنْج وهزموهم؛ وقد كان سليمان بن جامع لما رأى ظهور أصحاب أبى العباس على الزّنْج ، وغَل فى النهر مصاعداً فى جمع كثير ؛ فانتهى إلى النّهر المعروف بعبد الله ، واستدبر أصحاب أبى العباس وهم فى حربِهم، مقبلين علَى مَنْ بإزائهم ممّن يحاربهم ، فيمعنون فى طلب مَن انهزم عنهم من الزّنْج . فخرج عليهم من ورائهم ، وخفقت طبوله ، فانكشف أصحاب أبى العباس ، ورجع عليهم مَنْ كان انهزم عنهم من الزّنْج ، فأصِيبت جماعة من غلمان الموفّق وغيرهم من جُنده ، وصار فى أيدى الزّنْج عدّة أعلام ومطارد ، وحامى أبو العباس عن الباقين من أصحابه ، فسلِم أكثرُهم ، فانصرف بهم ؛ فأطمعت هذه الوقعة الزّنْج وتبّاعهم[2] ، وشدّت قلوبهم ، فأجمع الموفّق على العبور بجيشه أجمع لمحاربة الخبيث ، وأمر أبا العباس وسائر القوّاد والغلمان بالتأهّب للعبور ، وأمر بجمع السفن والمعابر وتفريقها عليهم ، ووقف على يوم بعينه أراد العبور فيه ، فعصفت رياحٌ منعت من ذلك ، واتصل عصوفها أيامًا كثيرة ؛ فأمهل الموفّق حتى انقضى هبوب تلك الرياح ، ثم أخذ فى الاستعداد للعبور ومناجزة الفاجر .

٣/٢٠٠٣

(١) س : « هناك ». (٢) س : « وأتباعهم » .

فلما تهيأ له ما أراد من ذلك عبر يوم الأربعاء لست ليال بقين من ذى الحجة من سنة سبع وستين ومائتين فى أكثف جَمْع وأكمل عدّة ، وأمر بحمل خيل كثيرة فى السفن ، وتقدّم إلى أبى العباس فى المسير فى الخيل ومعه جميع قوّاده الفرسان ورجّالتهم ، ليأتىَ الفجرة مِن ورائهم من مؤخّر النهر المعروف بمنكى ، وأمر مسروراً البلخىّ مولاه بالقصد إلى نهر الغربىّ ليضطر الخبيث بذلك إلى تفريق أصحابه ، وتقدّم إلى نصير المعروف بأبى حمزة ورشيق غلام أبى العباس وهو من أصحابه — وشذواتُه فى مثل العدّة التى فيها نصير — بالقصد لفوّهة نهر أبى الخصيب والمحاربة لما يظهر من شَذَوات الخبيث ، وقد كان استكثر منها ، وأعدّ فيها المقاتلة وانتخبهم . وقصد أبو أحمد بجميع مَنْ معه لركن من أركان مدينة الخبيث قد كان حصّنه بابنه المعروف بأنكلاى ، وكنفه بعلىّ بن أبان وسليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمدانىّ وحفّه بالمجانيق والعرّادات والقسىّ الناكيّة ، وأعدّ فيه الناشبة وجمع فيه أكثر جيشه .

فلما التقى الجمعان أمر الموفّق غلمانه : الناشبة والرامحة والسودان ، بالدنوّ من الركن الذى فيه جمع الفسقة ، وبينه وبينهم النهر المعروف بنهر الأتراك ؛ وهو نهر عريض غزير الماء . فلما انتهوْا إليه أحجموا عنه ، فصيح بهم ، وحُرّضوا على العبور فعبروا سباحة ، والفسقة يرمونهم بالمجانيق والعرّادات والمقاليع والحجارة عن الأيدى ، وبالسهام عن القسىّ الناوكية ، وقسىّ الرِّجْل وصنوف الآلات التى يرمَى عنها ؛ فصبروا على جميع ذلك حتى جاوزوا النهر ، وانتهوْا إلى السور ، ولم يكن لحِقهم من الفعَلة مَن كان أعِدّ لهدمه . فتولّى الغلمان تشعيث السور بما كان معهم من سلاحهم ويسّر الله ذلك ، وسهّلوا لأنفسهم السبيل إلى عُلوّه ، وحضرهم بعض السلاليم التى كانت أعِدّت لذلك ، فعلَوا الركن ، ونصبوا هنالك علماً من أعلام الموفق ، وأسلم الفسقة سورهم ، وخلوْا عنه بعد أن حوربوا عليه أشدّ حرب ، وقتِل من الفريقين خلقٌ كثير ، وأصيب غلامٌ من غلمان الموفّق يقال له ثابت بسهم فى بطنه فمات ، وكان من قوّاد الغلمان وجِلّتهم .

٣/٢٠٠٤

ولما تمكن أصحاب الموفّق من سُور الفسقة ، أحرقوا ما كان عليه من مِنجنيق

وعرّادة وقوس ناوكيّة ، وخلّوْا عن تلك الناحية وأساموها . وقد كان أبو العباس قصد بأصحابه فى الخيل النهر المعروف بمنكى ، فمضى علىّ بن أبان المهلبىّ فى أصحابه ، قاصداً لمعارضته ودفعه عمّا صمد له ، والتقيا ، فظهر أبو العباس عليه وهزمه ، وقتل جمعًا كثيراً من أصحابه ، وأفلت المهلبىّ راجعًا ، وانتهى أبو العباس إلى الموضع الذى قدّر أن يصل منه إلى مدينة الفاسق من مؤخر نهر منكى ، وهو يرى أنّ المدخل من ذلك الموضع سهلٌ ، فدخل إلى الخندق فوجده عريضًا ممتنعًا ، فحمل أصحابه على أن يعبروه بخيولهم ؛ وعبَره الرّجّالة سباحةً حتى وافوا السور ، فثلموا فيه ثلماً اتّسع لهم منه الدخول فدخلوا ، فلقى أوائلَهم سليمان بن جامع ، وقد أقبل للمدافعة عن تلك الناحية لمّا انتهى إليه انهزام المهلبىّ عنها ، فحاربوه ، وكان إمام القوم عشرة من غِلمان الموفق ، فدافعوا سليمان وأصحابَه ؛ وهم خلق كثير ، وكشفوهم مراراً كثيرة ، وحاموا عن سائر أصحابهم حتى رجعوا إلى مواضعهم(١) . ٣/٢٠٠٥

وقال محمد بن حمّاد : لما غلب أصحاب الموفّق على الموضع الذى كان الفاسق حرسه بابنه والمذكورين من أصحابه وقوّاده ، وشعّثوا من السور الذى أفضوْا إليه ما أمكنهم تشعيثُه ، وافاهم الذين كانوا أعِدّوا للهدم بمعاولهم وآلاتهم ، فثلموا فى السور عدّة ثلم ، وقد كان الموفّق أعدّ لخندق الفسقة جسرًا يُمَدّ عليه ، فمُدّ عليه ، وعبر جمهور الناس . فلما عاين الخبَثة ذلك ، ارتاعوا فانهزموا عن سور لهم ثان قد كانوا اعتصموا به ، ودخل أصحابُ الموفق مدينة الخائن ، فولّى الفاجرُ وأشياعُه منهزمين ، وأصحابُ الموفق يتبعونهم ويقتلون مَن انتهوا إليه منهم ؛ حتى انتهوا إلى النهر المعروف بابن سِمعان ، وصارت دار ابن سِمعان فى أيدى أصحاب الموفق ، وأحرقوا ما كان فيها وهدموها ، ووقف الفجرة على نهر ابن سِمعان وقوفاً طويلا ، ودافعوا مدافعة شديدة ، وشدّ بعض غلمان الموفق على علىّ بن أبان المهلبى ، فأدبر عنه هارباً ، فقبض على مئزره ، فخلّى عن المئزر ، ونبذه إلى الغلام ، ونجا بعد أن أشفَى على الهَلكة ، وحمل أصحاب الموفق على الزّنج حملةً صادقة ، فكشفوهم عن النهر المعروف بابن سمعان ، ٣/٢٠٠٦

---

(١) س : « موضعهم » .

حتى وافَوْا بهم طرف ميدان الفاسق ، وانتهى إليه خبرُ هزيمة أصحابه ودخول أصحاب الموفّق مدينته من أقطارها ، فركب فى جمع من أصحابه ، فتلقّاه أصحاب الموفق ، وهم يعرفونه فى طرف ميدانه ، فحملوا عليه ، فتفرّق عنه أصحابُه ومَن كان معه وأفردوه ، وقَرُب منه بعض الرجّالة حتى ضرب وجه فرسه بتُرسه؛ وكان ذلك مع مغيب الشمس، فأمر الموفّق أصحابه بالرجوع إلى سفنهم ، فرجعوا سالمين ، قد حملوا من رءوس الخبثاء شيئاً كثيراً ، ونالوا كلّ الذى أحبُّوا منهم من قتل وجراح وتحريق منازل وأسواق، وقد كان استأمن إلى أبى العباس فى أول النهار عدد من قوّاد الفاجر وفرسانه، فاحتاج إلى التوقف على حملهم فى السفن ، وأظلم الليل ، وهبّت ريح شمال عاصف ، وقوِىَ الجزر ، فلصِق أكثر السفن بالطين .

وحرّض الخبيث أشياعَه واستنجدهم ، فبانت منهم جماعة ، وشدّوا على السفن المتخلّفة ، فنالوا منها نَيْلاً ، وقتلوا فيها نفراً ؛ وقد كان بهبوذ بإزاء مسرور البلخىّ وأصحابه فى هذا اليوم فى نهر الغربىّ ، فأوقع بهم ، وقتل جماعة منهم ، وأسر أسارى ، وصارت فى يده دوابّ من دوابهم ، فكسر ذلك نشاط أصحاب الموفّق . وقد كان الخبيثُ أخرجَ فى هذا اليوم [١] جميع شَذَواته إلى دجْلة محاربين فيها رشيقاً ، وضرب منها رشيق على عدّة شَذَوات ، وغرّق منها وحرّق ، وانهزم الباقون إلى نهر أبى الخصيب .

٣/٢٠٠٧

وذُكر أنه نزل فى هذا اليوم بالفاسق وأصحابه مادعاهم إلى التفرّق والهرب على وجوههم نحو نهر الأمير والقَنْدل وإبرسان وعبّادان وسائر القرى ، وهرب يومئذ أخوا سليمان بن موسى الشعرانىّ : محمد وعيسى ، فمضيا يؤمّان البادية ، حتى انتهى إليهما رجوع أصحاب الموفق ، فرجعا ، وهرب جماعة من العرب الذين كانوا فى عسكر الفاسق ، وصاروا إلى البصرة ، وبعثوا يطلبون الأمان من أبى أحمد ، فآمنهم ، ووجّه إليهم السفن ، فحملهم إلى الموفقيّة ، وأمر أن يخلَع عليهم، ويوصلوا، ويجرَى عليهم الأرزاق والأنزال ، ففعل ذلك بهم .

---

(١) س : « الموضع » .

وكان فيمن رغب فى الأمان من جلّة قوّاد الفاجر ريحان بن صالح المغربىّ، وكانت له رياسة وقيادة ، وكان يتولّى حجبة ابن الخبيث المعروف بأنكلاى ، فكتب ريحان يطلب الأمان لنفسه ولجماعة من أصحابه ، فأجيب إلى ذلك ، وأنفذ إليه عدد كثير من الشذا والسميريّات والمعابر مع زيرك القائد صاحب مقدّمة أبى العباس ، فسلك النهر المعروف باليهودىّ ؛ حتى وافى الموضع المعروف بالمطّوعة ، فألفى به ريحان ومن معه من أصحابه ، وقد كان الموعد تقدم فى موافاة ذلك الموضع زيرك ريحان ومن معه ، فوافى بهم دار الموفق ، فأمر لريحان بخلع ، وحمل على عدّة من أفراس بآلتها ، وأجيز بجائزة سنية ، وخلع على أصحابه ، وأجيزوا على أقدارهم ، وضُمّ إلى أبى العباس ، وأمر بحمله وحمل أصحابه والمصير بهم إلى إزاء دار الخبيث ، فوقفوا هنالك فى الشّذا ، فعرفوا خروج ريحان وأصحابه فى الأمان ، وما صاروا إليه من الإحسان ، فاستأمن فى ساعتهم تلك من أصحاب ريحان الذين كانوا تخلّفوا وغيرهم جماعة ، فألحقوا فى البرّ والإحسان بأصحابهم ؛ وكان خروج ريحان بعد الوقعة التى كانت يوم الأربعاء فى يوم الأحد لليلة بقيت من ذى الحجة سنة سبع وستين ومائتين . ٣/٢٠٠٨

* * *

وفى هذه السنة أقبل أحمد بن عبد الله الخُجُستانىّ يريد العراق بزعمه؛ حتى صار إلى سِمْنان، وتحصّن منه أهل الرّىّ وحصّنوا مدينتهم؛ ثم انصرف من سِمْنان راجعًا إلى خُراسان .

وفيها انصرف خلقٌ كثير من طريق مكة فى البدأة لشدّة الحرّ ، ومضى خلق كثير ، فمات ممن مضى خَلْقٌ كثير من شدّة الحرّ ، وكثير منهم من العطش ، وذلك كله فى البدأة ، وأوقعت فزارةُ فيها بالتجار ، فأخذوا — فيما ذكر — منهم سبعمائة حمل بزّ .

وفيها اجتمع بالموسم عامل لأحمد بن طولون فى خيله وعامل لعمرو بن الليث فى خيله ، فنازع كلّ واحد منهما صاحبَه فى ركز علمه على يمين المنبر فى مسجد إبراهيم خليل الرحمن ، وادّعى كلٌّ واحد منهما أنّ الولاية

لصاحبه ، وسلاّ السيوف ، فخرج معظم الناس من المسجد ، وأعان موالى هارون ابن محمد من الزَّنْج صاحبَ عمرو بن الليث ، فوقف حيث أراد ، وقصر هارون — وكان عامل مكة — الخطبةَ وسلم الناس ، وكان المعروف بأبى المغيرة المخزومىّ حينئذ يحرس فى جميّعة . ٢٠٠٩/٣

وفيها نُفِىَ الطباع عن سامُرّا .

وفيها ضرب الخُجُستانىّ لنفسه دنانير ودراهم ووزن الدينار[1] منها عشرة دوانيق ، ووزن الدرهم ثمانية دوانيق ، عليه : «المُلْك والقدرة لله ، والحوْل والقوّة بالله ؛ لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، وعلى جانب منه : «المعتمد على الله باليمن والسعادة » ، وعلى الجانب الآخر : « الوافى أحمد بن عبد الله » .

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمىّ .

---

(١) ب : « الدراهم » .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر استئمان جعفر بن إبراهيم إلى أبي أحمد الموفق]

فمن ذلك ما كان من استئمان جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجّان إلى أبي أحمد الموفّق في يوم الثلاثاء في غرّة المحرم منها. وذكر أن السبب كان في ذلك الوقعة التي كانت لأبي أحمد في آخر ذي الحجة من سنة سبع وستين ومائتين التي ذكرناها قبلُ، وهرب ريحان بن صالح المغربيّ من عسكر الفاجر وأصحابه ولحاقه بأبي أحمد، فنخب قلب الخبيث لذلك؛ وذلك أنّ السجّان كان - فيما قيل - أحد ثقاته، فأمر أبو أحمد للسجان هذا بخِلَع وجوائز وصِلات وحُملان وأرزاق، وأقيمت له أنزال، وضُمّ إلى أبي العبّاس، وأمره بحمله في الشّذاة إلى إزاء قصر الفاسق؛ حتى رآه وأصحابه، وكلّمهم السّجّان، وأخبرهم أنهم في غرور من الخبيث، وأعلمهم ما قد وقف عليه من كذبه وفجورِه؛ فاستأمن في هذا اليوم الذي حُمل فيه السجان من عسكر الخبيث خلقٌ كثير من قُوّاده الزّنج وغيرهم، وأحسِن إليهم، وتتابع الناس في طلب الأمان والخروج من عند الخبيث، ثم أقام أبو أحمد بعد الوقعة التي ذكرتُ أنها كانت لليلة بقيت من ذي الحجة من سنة سبع وستين ومائتين، لا يعبر إلى الخبيث لحرب، يُجِمّ بذلك أصحابه إلى شهر ربيع الآخر.

٣/٢٠١٠

* * *

وفي هذه السنة صار عمرو بن الليث إلى فارس لحرب عامله محمد بن الليث عليها، فهزمه عمرو، واستباح عسكره، وأفلت محمد بن الليث في نفر، ودخل عمرو إصطَخر، فانتهبها أصحابه، ووجّه عمرو في طلب محمد بن الليث فظفِر به، وأتِي به أسيرًا، ثم صار عمرو إلى شيراز فأقام بها.

٣/٢٠١١ وفى شهر ربيع الأول منها زُلزلت بغداد لثمانٍ خلوْن منه ، وكان بعد ذلك ثلاثة أيام مطر شديد ، ووقعت بها أربع صواعق .

وفيها زحف العباس بن أحمد بن طولون لحرب أبيه ، فخرج إليه أبوه أحمد إلى الإسكندرية ، فظفِرَ به وردّه إلى مصر فرجع معه إليها .

* * *

[ذكر خبر عبور الموفّق إلى مدينة الزنج]

ولأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر منها عبر أبو أحمد الموفق إلى مدينة الفاجر ، بعد أن أوْهَى قوّته فى مُقامه بمدينة الموفّقية ، بالتضييق عليه والحصار ، ومنعه وصول المِيَرِ إليه ؛ حتى استأمن إليه خلق كثير من أصحابه ؛ فلما أراد العبور إليها أمر — فيما ذكر — ابنه أبا العباس بالقَصْد للموضع الذى كان قصده من ركن مدينة الخبيث الذى يحوطه بابنه وجِلّة أصحابه وقوّاده ، وقصد أبو أحمد موضعًا من السور فيما بين النهر المعروف بمنكى والنهر المعروف بابن سِمْعان ، وأمر صاعداً وزيرَه بالقصد لفوّهة النهر المعروف بجرى كور ، وتقدّم إلى زِيرك فى مكانفته ، وأمر مسروراً البلخىّ بالقَصْد لنهر الغربىّ ، وضمّ إلى كلّ واحد منهم من الفَعَلَة جماعة لهدم ما يليهم من السُّور ، وتقدّم إلى جميعهم ألاّ يزيدوا على هدم السور ، وألا يدخلوا مدينة الخبيث . ووكّل بكلّ ناحية من النواحى التى وجه إليها القوّاد شَذَوات فيها الرُّماة ، وأمرهم أن يحموا بالسهام مَنْ يهدم السور من الفَعَلة والرجّالة الذين يخرجون للمدافعة عنهم ، فثُلم فى السور ثلم كثيرة ، ودخل أصحابُ أبى أحمد مدينة

٣/٢٠١٢ الفاجر من جميع تلك الثُّلَم ، وجاء أصحاب الخبيث يحاربونهم ، فهزمهم أصحابُ أبى أحمد ، وأتبعوهم حتى وغلوا فى طلبهم ، واختلفت بهم طرق المدينة ، وفرّقت بينهم السكك والفِجاج ، فانتهوْا إلى أبعد من الموضع الذى كانوا وصلوا إليه فى المرّة التى قبلها ، وحرّقوا وقتّلوا .

ثم تراجع أصحاب الخبيث ، فشدّوا على أصحاب أبى أحمد ، وخرج كمناؤهم من نواحٍ يهتدون لها ولا يعرفها الآخرون ، فتحيّر مَنْ كان داخل

المدينة من أصحاب أبى أحمد ، ودافعوا عن أنفسهم ، وتراجعوا نحو دِجْلة حتى وافاها أكثرُهم ؛ فمنهم مَنْ دخل السفينة ، ومنهم مَنْ قذف نفسه فى الماء ، فأخذه أصحاب الشَّذَا ، ومنهم مَنْ قتِل . وأصاب أصحاب الخبيث أسلحةً وأسلاباً ، وثبت جماعة من غلمان أبى أحمد بحضرة دار ابن سمعان ، ومعهم راشد وموسى بن أخت مفلِح ، فى جماعة من قُوّاد الغلمان كانوا آخر مَنْ ثبت من الناس ، ثم أحاط بهم الزَّنج وكثَرُوهم ، وحالوا بينهم وبين الشَّذَا ، فدافعوا عن أنفسهم وأصحابهم ، حتى وصلوا إلى الشَّذَا فركبوها . وأقام نحو من ثلاثين غلاماً من الديالمة فى وجوه الزَّنج وغيرهم ، يحمون الناس ، ويدفعون عنهم حتى سلِموا ، وقتِل الثلاثون من الدّيالمة عن آخرهم ، بعد ما نالوا من الفجّار ما أحبوا ، وعظم على الناس ما نالهم فى هذه الوَقْعة ، وانصرف أبو أحمد بمَنْ معه إلى مدينته الموفقيّة ، وأمر بجمعهم وعَذْلِهم[1] على ما كان منهم من مخالفة أمره ، والافتيات عليه فى رأيه وتدبيره ، وتوعدهم بأغلظ العقوبة إن عادوا لخلاف أمره بعد ذلك ، وأمر بإحصاء[2] المفقودين من أصحابه فأحصَوا له ، فأتِيَ بأسمائهم ، وأقرَّ ما كان جارياً لهم على أولادهم وأهاليهم ، فحسُن موقع ذلك منهم ، وزاد فى صحة نياتهم لِمَا رأوْا من حياطته خلْف مَنْ أصيب فى طاعته . ٣/٢٠١٣

* * *

[ذكْر وقعة أبى العباس بمن كان يمدّ الزنج من الأعراب]

وفيها كانت لأبى العباس وقعةٌ بقوم من الأعراب الذين كانوا يميرون الفاسق اجتاحهم فيها .

* ذكر الخبر عن السبب الذى كانت من أجله هذه الوقعة :

ذُكر أنّ الفاسق لما خرّب البصرة ولاَّها رجلاً من قدماء أصحابه يقال له أحمد بن موسى بن سعيد المعروف بالقَلَوص ؛ فكان يتولّى أمرها ، وصارت

---

(١) س : « وعدلهم » . (٢) س : « بإحضار » .

فرصة للفاسق يَرِدها الأعراب والتّجار ، ويأتونها بالمِيَر وأنواع التجارات ، ويُحمل ما يردها إلى عسكر الخبيث ، حتى فتح أبو أحمد طهيثا ، وأسر القَلوص . فولّى الخبيثُ ابنَ أخت القَلوص — يقال له مالك بن بِشْران — البَصْرة وما يليها . فلمّا نزل أبو أحمد فرات البَصْرة خاف الفاجر إيقاع أبى أحمد بمالك هذا ، وهو يومئذ نازل بسَيْحان على نهر يعرف بنهر ابن عتبة . فكتب إلى مالك يأمره بنقل عسكره إلى النهر المعروف بالدينارىّ ، وأن ينفذ جماعة ممّن معه لصيد السمك وإدرار حمله إلى عسكره ، وأن يوجّه قومًا إلى الطريق التى يأتى منها الأعراب من البادية ، ليعرف ورود مَن يرد منهم بالمِيَر ، ٣/٢٠١٤ فإذا وردت رُفقة من الأعراب خرج إليها بأصحابه ، حتى يحمل ما تأتى به إلى الخبيث ؛ ففعل ذلك مالك ابن أخت القَلوص ، ووجّه إلى البَطيحة رجلين من أهل قرية بسمى ، يعرف أحدهما بالرّيان والآخر الخليل ، كانا مقيمين بعسكر الخبيث ، فنهض الخليل والرّيان وجمعا جماعةً من أهل الطّفّ ، وأتيا قرية بسمى ، فأقاما بها يحملان السمك من البَطيحة أوّلًا أوّلًا إلى عسكر الخبيث فى الزواريق الصغار التى تسلك بها الأنهار الضّيقة والأرخنجان التى لا تسلكها الشّذا والسُّميريّات ؛ فكانت موادّ سمك البَطيحة متّصلة إلى عسكر الخبيث بمقام هذين الرجلين بحيث ذكرنا ، واتّصلت أيضا مِيَر الأعراب وما كانوا يأتون به من البادية . فاتّسع أهلُ عسكره ، ودام ذلك إلى أن استأمن إلى الموفّق رجلٌ من أصحاب الفاجر الذين كانوا مضمومين إلى القَلوص ، يقال له علىّ بن عمر ، ويعرف بالنقّاب ، فأخبر بخبر مالك بن بِشْران ومقامه بالنهر المعروف بالدينارىّ ، وما يصل إلى عسكر الخبيث بمقامه هناك من سَمك البطيحة وجلْب الأعراب . فوجّه الموفق زِيرك مولاه فى الشّذا والسُّميريّات إلى الموضع الذى به ابن أخت القَلوص ، فأوقع به وبأهل عسكره ، فقتل منهم فريقًا وأسر فريقًا ، وتفرّق أهلُ ذلك العسكر ، وانصرف مالك إلى الخبيث مفلولا ، فردّه الخبيث ٣/٢٠١٥ فى جمع إلى مؤخّر النهر المعروف باليهودىّ ؛ فعسكر هنالك بموضع قريب من النهر[1] المعروف بالفيّاض ، فكانت المِيَر تتّصِل بعسكر الخبيث مما يَلِى سَبخة

---

(١) س : « إلى النهر » .

الفيّاض . فانتهى خبر مالك ومقامه بمؤخّر نهر اليهودى ووقْعُ المِيَر من تلك الناحية إلى عسكر الفاجر إلى الموفّق ، فأمر ابنه أبا العباس بالمصير إلى نهر الأمير ، والنهر المعروف بالفيّاض لتعرّف حقيقة ما انتهى إليه من ذلك ؛ فنفذ الجيش ، فوافق جماعةً من الأعراب يرأسهم رجلٌ قد أورد من البادية إبلاً وغنماً وطعاماً ، فأوقع بهم أبو العباس ، فقتل منهم جماعةً وأسر الباقين ، ولم يُفلت من القوم إلا رئيسهم ؛ فإنه سبق على حِجْر[1] كانت تحته ، فأمعن هرباً ، وأخذ كلّ ما كان أولئك الأعراب أتوْا به من الإبل والغنم والطعام ، وقطع أبو العباس يدَ أحد الأسرى وأطلقه ، فصار إلى معسكر الخبيث ، فأخبرهم بما نزل به ، فريعَ مالك ابن أخت القَلوص بما كان من إيقاع أبى العباس بهؤلاء الأعراب . فاستأمن إلى أبى أحمد ، فأومن وحُبِىَ وكُسِىَ وضُمّ إلى أبى العباس وأجريت له الأرزاق ، وأقيمت له الأنزال . وأقام الخبيث مقام مالك رجلاً كان من أصحاب القَلوص ، ويقال له أحمد بن الجنيد ، وأمره أن يعسكر بالموضع المعروف بالدهرشير ومؤخّر نهر أبى الخصيب ، وأن يصير فى أصحابه إلى ما يقبل من سمك البَطِيحة ، فيحمله إلى عسكر الخبيث ، وتأدّى إلى أبى أحمد خبر أحمد بن الجنيد ، فوجّه قائداً من قوّاد الموالى يقال له الترمدان فى جيش ، فعسكر بالجزيرة المعروفة بالرّوحية ، فانقطع ما كان يأتى إلى عسكر الخبيث من سمك البَطِيحة ، ووجّه الموفق شهاب بن العلاء ومحمد بن الحسن العنبريّيْن فى خيل لمنع الأعراب من حمل المِير إلى عسكر الخبيث ، وأمر بإطلاق السوق لهم بالبصرة ، وحمل ما يريدون امتيارَه من التمر ؛ إذ كان ذلك سبب مصيرهم إلى عسكر الخبيث ، فتقدّم شهاب ومحمد لما أمرا به ، فأقاما بالموضع المعروف بقصر عيسى ؛ فكان الأعراب يوردون إليهما ما يجلبونَه من البادية ، ويمتارون التمر ممّا قِبَلهما .

٢٠١٦/٣

ثم صرف أبو أحمد الترمدان عن البصرة ، ووجّه مكانه قائداً من قُوّاد الفراغنة ، يقال له قيصر بن أرْخُوز إخشاذ فَرْغانة ، ووجّه نصيراً المعروف بأبى حمزة فى الشَّذا والسُّميريات ، وأمره بالمقام بفيض البصرة ونهر دُبَيْس

(١) الحجر : الأنثى من الخيل .

وأن يخترق نهر الأبُلّة ونهر معقل ونهر غربىّ ، ففعل ذلك .

قال محمد بن الحسن : وحدّثنى محمد بن حماد ، قال : لما انقطعت الميرة عن الخبيث وأشياعه بمقام نصير وقيصر بالبصرة ، ومنعهم المِيرة من البَطيحة والبحر بالشَّذا ، صرفوا الحيلة إلى سلوك نهر الأمير إلى القَنْدل ، ثم سلوك المسيحىّ إلى الطرق المؤدية إلى البرّ والبحر ؛ فكانت مِيَرهُم من البرّ والبحر ، وامتيارهم سمك البحر من هذه الجهة ، فانتهى ذلك إلى الموفّق ، فأمر رشيقًا غلام أبى العباس باتّخاذ عسكر بجَوَيْث بارويه فى الجانب الشرقى من دِجْلة بإزاء نهر الأمير ، وأن يحفر له خندقًا حصينًا ، وأمَرَ أبا العباس أن يضمّ إلى رشيق من خيار أصحابه خمسة آلاف رجل وثلاثين شَذاة ، وتقدّم إلى رشيق فى ترتيب هذه الشّذَا على فُوّهة نهر الأمير ، وأن يجعل على كلّ خمس عشرة شَذَاة منها نوبة يلِج فيها نهرَ الأمير ، حتى ينتهىَ إلى المعترض الذى كان الزّنج يسلكونه إلى دُبًّا والقَنْدل والنهر المعروف بالمسيحىّ ؛ فيكون هناك ؛ فإن طلع عليهم من الخُبثَاء طالع أوقعوا به ؛ فإذا انقضت نَوْبتهم انصرفوا وعاقبهم أصحابهم المقيمون على فُوّهة النهر ففعلوا مثل هذا الفعل . فعسكر رشيق فى الموضع الذى أمِر بترتيبه به ، فانقطعت طرق الفَجَرة التى كانوا يسلكونها إلى دُبًّا والقَنْدل والمسيحىّ ؛ فلم يكن لهم سبيل إلى برّ ولا بحر ، فضاقت عليهم المذاهب ، واشتدّ عليهم الحصار . ٣/٢٠١٧

* * *

وفيها أوقع أخو شركب بالخُجُستانىّ وأخذ أمّه .

وفيها وثب ابن شبَث بن الحسن ، فأخذ عمر بن سيما والى حلوان .

وفيها انصرف أحمد بن أبى الأصبغ من عند عمرو بن الليث ، وكان عمرو قد وجّهه إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف ، فقدم معه بمال ، فوجّه عمرو مما صودر عليه ثلثمائة ألف دينار ونيّفاً وهدية فيها خمسون منًّا مسكًا وخمسون منًّا عنبراً ، ومائتا منٍّ عوداً ، وثلثمائة ثوب وشى وغيره ، وآنية ذهب وفضة ودواب وغلمان بقيمة مائتى ألف دينار ؛ فكان ما حمل وأهدى بقيمة خمسمائة ألف دينار . ٣/٢٠١٨

وفيها ولّى كَيَغْلَغ الخليل بن ريمال حُلوان ، فنالهم بالمكاره بسبب عمر ابن سيما وأخذهم بجريرة ابن شبَث ، فضمِنوا له خلاصَ ابن سيما وإصلاح أمر ابن شبَث .

* * *

[ذكر خبر إيقاع رشيق بمن أعان الزنج من تميم]

وفيها أوقع رشيق غلام أبي العباس بن الموفّق بقوم من بنى تميم ، كانوا أعانوا الزّنج على دخول البصرة وإحراقها ، وكان السبب فى ذلك أنه كان انتهى إليه أنّ قومًا من هؤلاء الأعراب قد جلبوا ميرةً من البرّ إلى مدينة الخبيث ؛ طعاماً وإبلا وغنماً ، وأنهم فى مؤخّر نهر الأمير ينتظرون سفنًا تأتيهم من مؤخّر عسكر الفاجر تحملهم وما معهم . فسرَى إليهم رشيق فى الشّذا ، فوافى الموضع الذى كانوا حلّوا به ، وهو النهرُ المعروف بالإسحاقىّ ، فأوقع بهم وهم غارّون ، فقُتِل أكثرُهم وأسِر جماعة منهم[1] وهم تجار كانوا خرجوا[2] من عسكر الخبيث لجلْب الميرة ، وحوى ما كان معهم من أصناف المِير والشاء والإبل والحمير التى كانوا حملوا عليها[3] الميرة . فحمل الأسرى والرءوس فى الشّذا وفى سفن كانت معه إلى الموفقيّة ، فأمر الموفق فعلّقت الرءوس فى الشّذا ، وصُلِب الأسارى[4] هنالك ؛ وأظهر ما صار إلى رشيق وأصحابه ، وطِيف بذلك فى أقطار العسْكر ، ثم أمر بالرءوس والأسارى ، فاجتيز بهم على عسكر الخبيث حتى عرفوا ما كان من رشيق من الإيقاع بجالبى المِيَر إليهم ، ففعل ذلك . وكان فيمن ظفِر به رشيق رجل من الأعراب ، كان يُسفِر بين صاحب الزّنْج والأعراب فى جلب المِيرة ، فأمر به الموفّق فقُطعت يدُه ورجله ، وألقى فى عسكر الخبيث . ثم أمر بضرب أعناق الأسارى فضرِبت ، وسوّغ أصحاب رشيق ما أصابوا من أموالهم ، وأمر لرشيق بخلع وصِلة ، وردّه إلى عسكره ، فكثر المستأمنون إلى رشيق . فأمر أبو أحمد بضمّ مَنْ خرج منهم إلى رشيق إليه ، فكثُروا حتى كان كأكثر العساكر جمعًا ، وانقطعت عن

٢٠١٩/٣

(١) س : « وأسر أكثر من بقى » .
(٢) ب : « أخرجوا » .
(٣) س : « المير عليها » .
(٤) ب : « الأسرى » .

الخبيث وأصحابه المِيَرَ من الوجوه كلّها ، وانسدّ عليهم كلُّ مسلك كان لهم ، فأضرّ بهم الحِصار ، وأضعف أبدانهم ؛ فكان الأسير منهم يُؤسر ؛ والمستأمِن يُستأمَن ، فيسألُ عن عهده بالخبز ، فيعجب من ذلك ؛ ويذكر أنّ عهده بالخبز مذ سنة وسنتين . فلما صار أصحاب الخائن إلى هذه الحال ، رأى الموفّق أن يتابع الإيقاع بهم ، ليزيدهم بذلك ضُرًّا وجهداً ، فخرج إلى أبى أحمد فى هذا الوقت فى الأمان خلْق كثير ، واحتاج مَنْ كان مقيمًا فى حيِّز الفاسق إلى الحيلة لقوّته ، فتفرّقوا فى القُرى والأنهار النائية عن معسكرهم فى طلب القوت ، فتأدّى الخبر بذلك إلى أبى أحمد ، فأمر جماعةً من قوّاد غلمانه السودان وعُرفائهم بأن يقصدوا المواضع التى يعتادها الزَّنْج ، وأن يستميلوهم ويستدعوا طاعتَهم ؛ فمَنْ أبَى الدّخولَ منهم فى ذلك قتلوه وحملوا رأسه ، وجعل لهم[1] جُعْلا ؛ فحرصوا وواظبوا على الغدوّ والرواح ؛ فكانوا لا يخلون فى يوم من الأيام من جماعة يجلبونهم ، ورءوس يأتون بها ، وأسارى يأسرونهم . ٢٠٢٠/٣

قال محمد بن الحسن : قال محمد بن حمّاد : ولمّا كثر أسارى الزَّنج عند الموفّق ، أمر باعتراضهم ؛ فمَنْ كان منهم ذا قوّة وجَلَد ونهوض بالسلاح منّ عليه ، وأحسن إليه ، وخلطه بغلمانه السودان ، وعرّفهم ما لهم عنده من البرّ والإحسان ، ومَن كان منهم ضعيفًا لا حَراك به ، أو شيخًا فانيًا لا يُطيق حمل السلاح ، أو مجروحًا جراحة قد أزمَنَتْه ، أمر بأن يُكْسَى ثوبين ، ويوصَل بدراهم ، ويزوّد ويحمل إلى عسكر الخبيث ؛ فيلقى هناك بعد ما يؤمر بوصف ما عاين من إحسان الموفّق إلى كلّ مَنْ يصير إليه ، وأنّ ذلك رأيه فى جميع مَنْ يأتيه مستأمِنًا ويأسره منهم ؛ فتهيّأ له من ذلك ما أراد من استمالة أصحاب صاحب الزَّنْج ؛ حتى استشعروا الميل إلى ناحيته[2] والدخول فى سِلْمه[3] وطاعته ؛ وجعل الموفّق وابنه أبو العباس يغاديان حرب الخبيث ومَنْ معه ، ويراوحانها بأنفسهما ومَنْ معهما ، فيقتلان ويأسران ويجرحان ، وأصاب أبا العباس فى بعض تلك الوقعات سهم جرحه فبرأ منه . ٢٠٢١/٣

* * *

(١) ب : « وجعلوا له » .
(٢) س : « طاعته » .
(٣) س : « إلى سلمه » .

[ذكر الخبر عن قتل بهبوذ بن عبد الوهاب]

وفى رجب من هذه السنة قتِل بهبوذ صاحب الخبيث.

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

ذُكر أن أكثر أصحاب الفاسق غارات، وأرشدهم[1] تعرّضًا لقطع السبيل وأخذ الأموال، كان بهبوذ بن عبد الوهاب، وكان قد جمع من ذلك مالاً جليلا، وكان كثير الخروج فى السميريّات الخِفاف، فيخترق الأنهار المؤدّية إلى دِجْلة، فإذا صادف سفينةً لأصحاب الموفّق أخذها فأدخلها النهر الذى خرج منه، فإن تبعه تابع حتّى توغّل فى طلبه خرج عليه من النّهر قوم من أصحابه قد أعدّهم لذلك، فاقتطعوه وأوقعوا به؛ فلما كثر ذلك وتُحُرِّزَ منه ركب شذاةً، وشبّهها بشذوات الموفّق، ونصب عليها مثل أعلامه، وسار بها فى دِجْلة، فإذا ظفر بغِرّة من أهل العسكر أوْقع بهم؛ فقتل وأسر، ويتجاوز إلى نهر الأبُلّة ونهر مَعْقِل و بَثْق شيرين ونهر الدير فيقطع السبل، ويعبث فى أموال السابلة ودمائهم؛ فرأى الموفّق عند ما انتهى[2] إليه من أفعال[3] بَهْبوذ أن يَسكر جميع الأنهار التى يخفّ سَكْرُها، ويرتّبَ الشذاة على فُوّهة الأنهار العظام؛ ليأمن عبث بهبوذ وأشياعه، ويأمن سُبُل الناس ومسالكهم. فلمّا حُرِست هذه المسالك، وسُكِر ما أمكن سكرُه من الأنهار، وحِيل بين بهبوذ و بين ما كان يفعل؛ أقام منتهزًا فرْصة فى غفلة أصحاب الشّذا الموكلين بفوّهة نهر الأبُلّة؛ حتّى إذا وجد ذلك اجتاز من مؤخر نهر أبى الخصيب فى شَذوات مثل أصحاب الموفق وسُميريّاتهم، ونصب عليها مثل أعلامهم، وشحنها بجُلد أصحابه وأنجادهم وشجعانهم، واعترض بها فى معترَض يؤدّى إلى النهر المعروف باليهوديّ، ثم سلك نهر نافذ حتّى خرج منه إلى نهر الأبُلّة، وانتهى إلى الشَّذَوات والسميريّات المرتبة لحفظ النهر، وأهلها غارّون غافلون، فأوقع بهم، وقتل جَمْعًا، وأسر أسرى، وأخذ ستّ شَذَوات، وكرّ راجعًا فى نهر الأبُلّة، وانتهى الخبر بما كان من بَهبوذ

(١) س : « أرشدهم » .
(٢) س : « فعال » .
(٣) س : « أنهى » .

إلى الموفق ، فأمر أبا العباس بمعارضته فى الشَّذَا من النَّهر المعروف باليهوديّ ، ورجا أن يسبقه إلى المعترَض فيقطعه عن الطريق المؤدّى إلى مأمنه .

فوافى أبو العباس الموضع [١] المعروف بالمطوّعة ، وقد سبق بهبوذ ، فوَلَج النهر المعروف بالسعيديّ ؛ وهو نهر يؤديّ إلى نهر أبى الخصيب . وبصر أبو العباس بشَذَوات بهبوذ ، وطمِع فى إدراكها ، فجدّ فى طلبها ، فأدركها ونشبت الحرب ، فقتل أبو العباس من أصحاب بَهْبوذ جَمْعًا ، وأسر جمعًا ، واستأمن إليه فريق منهم ، وتلقى بهبوذَ من أشياعه خلق [٢] كثير ، فعاونوه ودافعوا عنه دفعًا شديداً ، وقد كان الماء جزَر ، فجرتْ شذواتُه فى الطين فى المواضع التى [٣] نَضَبَ الماء عنها من تلك الأنهار والمعترضات ، فأفلت بهبوذ والباقون من أصحابه بجُرَيعة الذَّقَن . ٣/٢٠٢٣

وأقام الموفق على حصار الخبيث ومَنْ معه ، وسدّ المسالك التى كانت المِيَر تأتيهم منها ، وكثر المستأمنون منهم ، فأمر الموفق لهم بالخِلَع والجوائز ، وحملوا على الخيل الجياد بسروجها وبلجمها وآلتها ، وأجرِيت لهم الأرزاق ، وانتهى الخبر إلى الموفق بعد ذلك أن الضرّ والبؤس قد أحوج جماعةً من أصحاب الخبيث إلى التفرّق فى القرى لطلب القوت من السمك والتمر ، فأمر ابنَه أبا العباس بالمصير إلى تلك القرى والنواحى والإسراع إليها فى الشذا والسميريّات ، وما خفّ من الزواريق وأن يستصحب جُلْد أصحابه [٤] وشجعانهم وأبطالهم ليحول بين هؤلاء الرّجال والرجوع إلى مدينة صاحب الزّنج ؛ فتوجّه أبو العباس لذلك ، وعلم الخبيث بمسير أبى العباس له ، فأمر بهبوذ أن يسير فى أصحابه فى المعترَضات والأنهار الغامضة ليخفى خبره ، إلى أن يوافى القَنْدل وأبراسان ونواحيها ، فنهض بهبوذ لما أمره [٥] به الخبيث من ذلك فاعترضت له فى طريقه سُميرية من سُميريات أبى العباس ، فيها غلمان من غلمانه [٦] الناشبة فى جماعة الزّنج ، فقصد بهبوذ لهذه السميريّة طامعًا فيها ، فحاربه أهلُها ، ٣/٢٠٢٤

(١) ب : « بالموضع » .
(٢) ب : « جمع » .
(٣) ب : « فى الموضع الذى » .
(٤) ب : « جلة أصحابه » .
(٥) س : « أمر » .
(٦) ب ، س : « غلام من غلمانه » .

فأصابته طعنة فى بطنه من يد غلام من مقاتلة السميرّية أسود، فهوى إلى الماء، فابتدره أصحابُه ، فحملوه ، وولـّوْا منهزمين إلى عسكر الخبيث ، فلم يصلوا به إليه ؛ حتى أراح الله منه ؛ فعظُمت الفجيعة به على الفاسق وأوليائـه ، واشتدّ عليه جزعُهم ، وكان قتلُه الخبيثَ من أعظم الفتوح ، وخفىَ هلاكُه على أبى أحمد؛ حتى استأمن رجلٌ من الملاحين ،فأنهى إليه الخبَر ،فسُرّ بذلك، وأمر بإحضار الغلام الذى وَلِىَ قَتْلَه ، فأحضر، فوصله وكساه وطوّقه ، وزاد فى أرزاقه ، وأمر لجميع مَنْ كان فى تلك السميريّة بجوائز وخلع وصلات .

* * *

وفى هذه السنة كان أول شهر رمضان منها يوم الأحد،وكان الأحد الثانى من السّعانين[١] وفى الأحد الثالث الفِصْح ، وفى الأحد الرابع النيروز[٢] ، وفى الأحد الخامس انسلاخ الشهر .

وفيها ظفر أبو أحمد بالذوائبىّ ، وكان ممايلاً لصاحب الزّنج .

وفيها كانت وقعة بين يدكوتكين بن إساتكين وأحمد بن عبد العزيز ، فهزمه يدكوتكين وغلبه على قُمّ .

وفيها وجـّه عمرو بن الليث قائداً بأمر أبى أحمد إلى محمد بن عبيد الله بن أزار مرد الكردىّ ، فأسره القائد وحـَمله إليه .

وفى ذى القعدة منها خرج رجل من ولد عبد الملك بن صالح الهاشمىّ بالشام يقال له بَكـّار بين سَلَمْيَة وحلب وحِمْص ؛ فدعا لأبى أحمد، فحاربه ابنُ عباس الكلابىّ ، فانهزم الكلابىّ، ووجّه إليه لؤلؤ صاحب ابن طولون قائداً يقال له بودن فى عسكر وجيش كثيف ، فرجع وليس معه كثير أحد .

وفيها أظهر لؤلؤ الخلاف على ابن طولون .

وفيها قتَل صاحب الزنج ابنَ ملك الزّنج ، وكان بلغه أنه يريد اللحاق بأبى أحمد .

(١) السعانين : عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع ، يخرجون فيه بصلبانهم .
(٢) النيروز : أول يوم من السنة ، معرب : « نوروزا » .

وفيها قتِل أحمد بن عبد الله الخُجُسْتانيّ، قتله غلام له في ذي الحجة؛

وفيها قتَل أصحاب ابن أبي الساج محمدَ بن عليّ بن حبيب اليشكريّ بالقرية ناحيةَ واسط، ونُصِب رأسُه ببغداد.

وفيها حارب محمد بن كُمُشْجور عليّ بن الحسين كفتْمر، فأسر ابنُ كُمُشْجُور كفتمر ثم أطلقه، وذلك في ذي الحجة.

وفيها أسِر العلَويّ الذي يعرف بالحرُون، وذلك أنه اعترض الخريطة التي يوجَّه بها بخبر الموسم فأخذها، فوجَّه خليفة ابن أبي الساج على طريق مكة مَنْ أخذ الحرُون، ووجَّهَهُ إلى الموفّق. ٢٠٢٦/٣

وفيها كان مصير أبي المغيرة المخزوميّ إلى مكة، وعاملها هارون بن محمد بن إسحاق الهاشميّ، فجمع هارون جمعاً[١] نحواً من ألفين، فامتنع بهم منه[٢] فصار المخزوميّ إلى عين مُشَاش فعوّرها، وإلى جُدَّة، فنهب الطعام، وحرّق بيوت أهلها، فصار الخبز بمكة أوقيّتان[٣] بدرهم.

وفيها خرج ابن الصّقْلبيّة طاغية الرّوم، فأناخ على مَلَطْيَة، وأعانهم أهل مَرْعش والحدَث، فانهزم الطاغية، وتبعوه إلى السريع.

وغزا الصائفة من ناحية الثغور الشأمية خلف الفرغانيّ عامل ابن طولون، فقتل من الرّوم بضعة عشر ألفاً، وغنم الناس. فبلغ السهم أربعين ديناراً.

* * *

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق الهاشميّ، وابن أبي الساج على الأحداث والطريق.

(١) س: «جماعة».
(٢) ب: «منهم».
(٣) ط: «أوقيتين».

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من إدخال العَلَوىّ المعروف با لحرُون عسكر أبى أحمد فى المحرّم على جمل، وعليه قبَاء ديباج وقلنسوة طويلة، ثم حُمل فى شذاة، ومُضِىَ به حتى وُقِف به حيث يراه صاحب الزنج، ويسمع كلام الرسل.

وفى المحرّم منها قطع الأعراب على قافلة من الحاجّ بين تُوز وسَمِيراء، فسلبوهم واستاقوا نحوًا من خمسة آلاف بعير بأحْمالها وأناساً كثيرين. ٢٠٢٧/٣

وفى المحرّم منها فى ليلة أربع عشرة انخسف القمر وغاب منخسفًا، وانكسفت الشمس يوم الجمعة لليلتين بقيتا من المحرّم وقت المغيب، وغابت منكسفة، فاجتمع فى المحرّم كسوف الشمس والقمر.

وفى صفر منها كان ببغداد وثوب العامّة بإبراهيم الخليجىّ، فانتهبوا دارَه؛ وكان السبب فى ذلك أنّ غلامًا له رمى امرأة بسهم فقتلها، فاستعدَى السلطان عليه؛ فبعث إليه فى إخراج الغلام، فامتنع و رمى غلمانه الناس، فقتلوا جماعة وجرحوا جماعة؛ فمنعهم من أعوان السلطان رجلان، فهرب وأخِذ غلمانه، ونُهِب منزلُه ودوابّه، فجمع محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر — وكان على الجسر من قبَل أبيه — دوابَّ إبراهيم، وما قدر عليه مما نُهب له، وأمر عبيدُ الله بتسليم ذلك إليه، وأشهد عليه بردّه عليه.

وفيها وجه ابن أبى الساج بعد ما صار إلى الطائف منصرفًا من مكة إلى جُدّة جيشًا، فأخذوا للمخزومىّ مركبين فيهما [1] مالٌ وسلاح.

وفيها أخذ رومىّ بن حَسنج [2] ثلاثة نفر من قوّاد الفراغنة، يقال لأحدهم صديق، والآخر طخشى، وللثالث طُغَان، فقيّدهم، وجرح صديق جراحات وأفلت.

وفيها كان وثوب خلَف صاحب أحمد بن طولون فى شهر ربيع الأول

---

(١) س: «فيها».

(٢) ط: «خشنج»، وانظر الفهرس.

منها بالثغور الشامية ؛ وهو عامله عليها، بيازمان الخادم مولى الفتح[١] بن خاقان فحبسه ، فوثبت جماعة من أهل الثَّغر بخلَف ، وتخلّصوا يازمان ، وهرب خلف ، وتركوا الدّعاء لابن طولون ، ولعنوه على المنابر ؛ فبلغ ذلك ابنَ طولون ، فخرج من مصر ، حتّى صار إلى دمشق ، ثم صار إلى الثغور الشاميّة ، فنزل أذَنة ، وسدّ يازمان وأهلُ طَرَسُوس أبوابَها ، خلا بابَ الجهاد وباب البحر ، وبَثَقُوا الماء ، فجرى إلى قرب أذَنة وما حولها ، فتحصّنوا بها ، فأقام ابن طولون بأذَنة ، ثم انصرف فرجع إلى أنطاكيَة ، ثم مضى إلى حِمْص ، ثم إلى دمشق فأقام بها .

وفيها خالفَ لؤلؤ غلام ابن طولون مولاه ؛ وفى يده حين خالفه حِمْص وحلب وقِنَّسرين وديار مُضَر ، وسار لؤلؤ إلى بالس فنهبها ، وأسر سعيداً وأخاه ابنى العباس الكلابىّ . ثم كاتب لؤلؤ أبا أحمد فى المصير إليه ومفارقة ابن طولون ، ويشترط لنفسه شروطًا ، فأجابه أبو أحمد إلى ما سأله ؛ وكان مقيماً بالرَّقّة ، فشخص عنها ، وحمل جماعة من أهل الرّافقة[٢] وغيرهم معه ، وصار إلى قرقيسيا ، وبها ابن صفوان العُقَيلىّ ، فحاربه فأخذ لؤلؤ قرْقِيسيا ، وسلّمها إلى أحمد بن مالك بن طوْق ، وهرب ابن صفوان ، وأقبل لؤلؤ يريد بغداد . ٣/٢٠٢٩

* * *

[ذكر خبر إصابة الموفّق]

وفيها رُمِىَ أبو أحمد الموفّق بسهم — رماه غلام رومىّ ، يقال له قرطاس — للخبيث بعد ما دخل أبو أحمد مدينتَه التى كان بناها لهدم سورها ، وكان السبب فى ذلك — فيما ذُكر — أنّ الخبيث بهبوذ لمّا هلك ، طمع الزّنْج فيما كان بهبوذ قد جمع من الكنوز والأموال ، وكان قد صحّ عنده أن ملكه قد حوى مائتى ألف دينار وجوهراً وذهبًا وفضّة لها قدر ، فطلب ذلك بكلّ حيلة ، وحَرَص عليه ،

---

(١) س : « فتح » ، ابن الأثير : « مفلح » .
(٢) س : « الرقة » .

وحبس أولياءه وقرابته وأصحابه ، وضربهم بالسِّياط ، وأثار دوراً من دُوره ، وهدم أبنيةً من أبنيته ؛ طمعًا فى أن يجد فى شىء(١) منها دفيناً ، فلم يجد من ذلك شيئًا ؛ وكان فعله الذى فعله بأولياء بهبوذ فى طلب المال أحد ما أفسد قلوب أصحابه ، ودعاهم إلى الهرَب(٢) منه والزّهد فى صحبته ، فأمر الموَفق بالنداء فى أصحاب بهبوذ بالأمان ، فنُودى بذلك ، فسارعوا إليه راغبين فيه ، فألحِقوا فى الصِّلات والجوائز والخلَع والأرزاق بنظرائهم . ورأى أبو أحمد لما كان يتعذّر عليه من العُبور إلى عسكر الفاجر فى الأوقات التى تهبّ فيها الرياح وتحرّك فيها الأمواج فى دِجْلة أن يوسع لنفسه وأصحابه موضعًا فى الجانب الغربىّ من دِجْلة ليعسكر به فيما بين ديْر جابيل ونهر المغيرة ، وأمر بقطع النخل وإصلاح موضع الخندق ، وأن يُحفّ بالخنادق ، ويحصّن بالسور ليأمن بيات الفجّار واغتيالهم إياه ، وجعل على قوّاده نوائب ؛ فكان لكلّ واحد منهم نوْبة يغدو إليها برجاله ، ومعه العمال فى كلّ يوم لإحكام أمر العسكر الذى عزم على اتّخاذه هنالك ، فقابَل الفاسق ذلك بأن جعل علىّ علىّ بن أبان المهلّبىّ وسليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمْدانىّ نُوبًا ، فكان لكلّ واحد منهم يوم ينوب فيه . ٣/٢٠٣٠

وكان ابنُ الخبيث المعروف بأنكلاى يحضرُ فى كلّ يوم نوبة سليمان ، وربما حضر فى نوبة إبراهيم . ثم أقامه الخبيث مقام إبراهيم بن جعفر ، وكان سليمان بن جامع يحضُر معه فى نوبته ، وضمّ إليه الخبيث سليمان بن موسى الشعرانىّ وأخويه ، وكانوا يحضُرون بحضوره ، ويغيبون بغيبته . وعلم الخبيثُ أن الموفّق إذا جاوره فى محاربته ، وقرب على مَن يريد اللحاق به المسافةُ فيما يحاول من الهرب إليه ، مع ما يدخل قلوبَ أصحابه من الرهبة بتقارب العسكرين أنّ فى ذلك انتقاضَ تدبيره ، وفسادَ جميع أموره ؛ فأمر أصحابَه بمحاربة من يعبر من القوّاد فى كلّ يوم ، ومنعهم من إصلاح ما يحاولون إصلاحَه من أمر عسكرهم الذى يريدون الانتقال إليه ، وعصفت الرياح فى بعض تلك ٣/٢٠٣١

---

(١) س : « يجد فيها » . (٢) كذا فى ابن الأثير وفى ط : « الحرب » .

الأيام وبعض قوّاد الموفّق فى الجانب الغربىّ لِمَا كان يعبر له . فانتهز الفاسق الفرصةَ فى انفراد هذا القائد وانقطاعه عن أصحابه ، وامتناع دِجْلة بعصوف الريح من أن يرام عبُورها ، فرمى القائد المقيم فى غربى دِجْلة بجميع جيشه ، وكاثره برجاله[١] ، ولم تجد الشّذَوات التى كانت تكون مع القائد الموجّه سبيلا إلى الوقوف بحيث كانت تقف لحمل الرياح إياها على الحجارة ، وما خاف أصحابها عليها من التكسّر ، فقوىَ الزّنْج على ذلك القائد وأصحابه ، فأزالوهم من موضعهم ، وأدركوا طائفةً منهم ، فثبتوا فقُتِلوا عن آخرهم ؛ ولجأت طائفةٌ إلى الماء ، فتبعهم الزّنْج ، فأسروا منهم أسارى ، وقتلوا منهم نفراً ، وأفلت أكثرُهم ، وأدركوا سفنَهم ، فألقوا أنفسهم فيها ، وعَبَروا إلى المدينة الموفقيّة ، فاشتدّ جزع الناس لما تهيّأ للفسقة ، وعَظُم بذلك اهتمامُهم . وتأمّل أبو أحمد فيما كان دبّر من النزول فى الجانب الغربىّ من دِجْلة أنه أكدى ، وما لا يؤمن من حيلة الفاسق وأصحابه فى انتهاز فرصة ، فيوقع[٢] بالعسكر بياتًا ، أو يجد مساغًا إلى شىء مما يكون له فيه متنفَّس ؛ لكثرة الأدغال فى ذلك الموضع وصعوبة المسالك ، وأنّ الزنج على التوغّل إلى المواضع الوحشة أقدرُ ، وهو عليهم[٣] أسهل من أصحابه .

٣/٢٠٣٢

فانصرف عن رأيه فى نزول غربىّ دِجْلة ، وجعل قصده لهدم سور الفاسق وتوسّعه الطرق والمسالك منها[٤] لأصحابه ، فأمر عند ذلك أن يبدأ بهدْم السور مما يلِى النهر المعروف بمنكى ؛ فكان تدبير الخبيث فى ذلك توجيه ابنه المعروف بأنكلاى وعلىّ بن أبان وسليمان بن جامع للمنع من ذلك ؛ كلّ واحد منهم فى نَوْبته فى ذلك اليوم ، فإذا كثر عليهم أصحابُ الموفق اجتمعوا جميعًا لمدافعة مَنْ يأتيهم .

فلمّا رأى الموفّق تحاشُدَ الخبثاء وتعاونَهم على المنع من الهدم للسور ، أزْمَع على مباشرة ذلك وحضوره ليستدعىَ به جِدّ أصحابه واجتهادهم ،

---

(١) س : « برجالته » .
(٢) س : « فنوقع » .
(٣) ب : « وهم عليه » .
(٤) س : « فيها » .

ويزيدَ فى عنايتهم ومجاهدتهم ؛ ففعل ذلك ، واتّصلت الحرب ، وغَلُظت على الفريقين ؛ وكثر القتلى والجراح فى الحزبَيْن كليهما ، فأقام الموفّق أياماً يغادِى الفسقة ويراوحهم ؛ فكانوا لا يفتَرُون من الحرب فى يوم من الأيام ، وكان أصحاب أبى أحمد لا يستطيعون الوُلوج على الخبَثة لقنطرتين كانتا على نهر منكى كان الزّنج يسلكونهما فى وقت استعار الحرب ، فينتهون منهما إلى طريق يخرجهم فى ظهور أصحاب أبى أحمد ، فينالون منهم ، ويحجزونهم عن استتمام ما يحاولون من هدم السور ، فرأى الموفّق إعمال الحيلة فى هدم هاتيْن القنطرتين ليمنع الفسقة عن الطّريق الذى كانوا يصيرون[1] منه إلى استدبار أصحابه فى وقت احتدام الحرب ؛ فأمر قوّاداً من قوّاد غلمانه بقصد هاتين القنطرتين ، وأن يختلوا الزنج ، وينتهزوا الفرصة فى غفلتهم عن حراستهما ؛ وتقدّم إليهم فى أن يُعِدُّوا لهما من الفؤوس والمنَاشير والآلات التى يحتاج إليها لقطعهما ما يكون عوناً لهم على الإسراع فيما يقصدون له من ذلك .

٣/٢٠٢٣

فانتهى الغلمان إلى ما أمِروا به ، وصاروا إلى نهر منكى وقت نصف النهار ، فبرزلهم الزّنْج ، فبادروا وتسرّعوا ، فكان ممّن تسرع إليهم أبو النداء فى جماعة من أصحابه يزيدون على الخمسمائة ، ونشبت الحرب بين أصحاب الموفق والزّنج ، فاقتتلوا صدرَ النهار ، ثم ظهر غلمان أبى أحمد على الفسقة فكشفوهم عن القنطرتين ، فأصاب المعروفَ بأبى النداء سهمٌ فى صدره وصل إلى قلبه فصرعه ، وحامى أصحابه على جِيفته فاحتملوها ، وولّوْا منهزمين ، وتمكن قوّاد غلمان الموفّق من قطع القنطرتين ، فقطعوهما وأخرجوهما إلى دِجْلة ، وحملوا خشبهما إلى أبى أحمد ، وانصرفوا على حال سلامة ، وأخبروا الموفّق بقتل أبى النداء وقَطْع القنطرتين ، فعظم سروره وسرورُ أهل العسكر بذلك ، وأمر لرامى أبى النداء بصِلة وافرة .

وألحّ أبو أحمد على الخبيث وأشياعه بالحرب ، وهدم من السور ما أمكنهم به الولوج عليهم ، فشغلوهم بالحرب فى مدينتهم عن المدافعة عن سورهم ، فأسرع

٣/٢٠٢٤

---

(١) س : « يصلون » .

الهدْم فيه ، وانتهى منه إلى دارَى ابن سمعان وسليمان بن جامع ، فصار ذلك أجمع فى أيدى[1] أصحاب الموفّق ، لا يستطيع الفسقة دفعَهم عنه ولا منعَهم من الوصول إليه ، وهُدِمت هاتان الداران ، وانتُهِب ما فيهما ، وانتهى أصحاب الموفّق إلى سوق لصاحب الزّنج كان اتخذها مظلة على دِجْلة ، سماها الميمونة ، فأمر الموفّق زيرك صاحب مقدّمة أبى العباس بالقصْد لهذه السوق ، فقصد بأصحابه لذلك ، وأكبَّ عليها ، فهدمت تلك السوق وأخرِبَتْ ، فقصد الموفّق الدار التى كان صاحب الزنج اتّخذها للجُبّائى فهدمها ، وانتهب ما كان فيها وفى خزائن الفاسق كانت متّصلة بها .

وأمر أصحابه بالقصْد إلى الموضع الذى كان الخبيث اتخذ فيه بناء سماه مسجد الجامع ، فاشتدّت محاماة الفسقة عن ذلك والذبّ عنه ؛ بما كان الخبيث يحضُّهم عليه ، ويُوهمهم أنه يجب عليهم من نُصرة المسجد وتعظيمه ؛ فيصدّقُون قولَه فى ذلك ، ويتبعون فيه رأيه . وصعُب على أصحاب الموفّق ما كانوا يرومون من ذلك ؛ وتطاولت الأيام بالحرب على ذلك الموضع . والذى حصل مع الفاسق يومئذ نخبة أصحابه وأبطالُهم والموَطّنون أنفسهم على الصبر معه ، فحاموْا جهدَهم ؛ حتى لقد كانوا يقفون الموقف فيصيب أحدَهم السهمُ أو الطعنة أو الضربة فيسقط ، فيجذبه الذى إلى جنبه ويقف موقفه[2] إشفاقًا من أن يخْلُوَ موقف رجل منهم ؛ فيدخل الخلل على سائر أصحابه .

٣/٢٠٣٥

فلمّا رأى أبو أحمد صبر هذه العصابة ومحاماتها ، وتطاول الأيام بمدافعتها[3] ، أمر أبا العباس بالقصد لركن البناء الذى سماها الخبيث مسجداً ، وأن يندب لذلك أنجادَ أصحابِه وغلمانه ، وأضاف إليهم الفَعَلة الذين كانوا أعِدّوا للهدم ، فإذا تهيّأ لهم هدمُ شىء أسرعوا فيه ، وأمر بوضع السلاليم على السور فوضعوها ، وصعِد الرماة فجعلوا يرشقون بالسهام من وراء السور من الفَسَقة ، ونظم الرجال من حدّ الدار المعرُوفة بالجُبّائىّ إلى الموضع الذى رتّب فيه أبا العباس ، وبذل الموفق الأموال والأطوقة والأسورة لمن سارع إلى هدم سور الفاسق وأسواقه

(١) س : « فى يدى » .
(٢) س : « فى موضعه » .
(٣) س : « وبمدافعتها » .

ودور أصحابه ، فتسهّل ما كان يصعُب بعد محاربة طويلة وشدّة ، فهدم البناء الذى كان الخبيث سماه مسجداً ، ووُصل إلى مِنْبره فاحتُمِل ، فأتِىَ به الموفّق ، وانصرف به إلى مدينته الموفقيّة جذِلاً مسروراً . ثم عاد الموفّق لهدم السور فهدّمه من حدّ الدار المعروفة بأنكلاى إلى الدار المعروفة بالجُبّائىّ . وأفضى أصحاب الموفّق إلى دواوين من دواوين الخبيث وخزائن من خزائنه ؛ فانتُهبت وأحرقت ؛ وكان ذلك فى يوم ذى ضباب شديد ، قد ستَر بعضَ الناس عن بعض ؛ فما يكاد الرجل يبصره صاحبُه . فظهر فى هذا اليوم للموفّق تباشير الفتح ، فإنهم لعلى ذلك ؛ حتى وصل سهمٌ من سهام الفسقة إلى الموفّق ، رماه به غلام رومىّ كان مع الفاسق يقال له قرطاس ، فأصابه فى صدره ، وذلك فى يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الأولى سنة تسع وستين ومائتين ، فستر الموفّق ما ناله من ذلك السهم ، وانصرف إلى المدينة مع الموفقية ، فعُولج فى ليلته تلك من جراحته[1] ، وبات ثم عاد إلى الحرب على ما به من ألم الجراح[2] ، يشدّ[3] بذلك قلوبَ أوليائه من أن يدخلها وَهْن أو ضعف ، فزاد ما حَمَّل نفسَه عليه من الحركة فى قوة عِلّته ، فغلُظت وعظم أمرُها حتى خيف عليه ، واحتاج إلى علاجه بأعظم ما يعالَج به الجراح ؛ واضطرب لذلك العسكر والجند والرعية ، وخافوا قوّة الفاسق عليهم ؛ حتى خرج عن مدينته جماعةٌ ممن كان مقيماً بها ، لما وصل إلى قلوبهم من الرّهبة ، وحدَثت فى حال صعوبة العلّة عليه حادثة فى سلطانه ، فأشار عليه مشيرون من أصحابه وثقاته بالرحلة عن معسكره إلى مدينة السلام ، ويخلّف مَنْ يقوم مقامه ؛ فأبى ذلك ، وخاف أن يكون فيه ائتلاف ما قد تفرّق من شمل الخبيث . فأقام على صعوبة علّته عليه ، وغلظ الأمر الحادث فى سلطانه ؛ فمنّ الله بعافيته ، وظهر لقوّاده وخاصته ؛ وقد كان أطال الاحتجاب عنهم ، فقويَتْ بذلك مُنّتُهم ، وأقام متماثلاً مودّعًا نفسه إلى شعبان من هذه السنة ، فلمّا أبلّ وقوىَ على النهوض لحرب الفاسق ، تيقظ لذلك ، وعاود ما كان مواظبًا عليه من الحرب ، وجعل الخبيث لمّا صحّ عنده

٣/٢٠٣٦ ٣/٢٠٣٧

---

(١) س : « جراحه » . (٢) س : « الجرح » .
(٣) ابن الأثير : « ليشتد » .

الخبر عما أصاب أبا أحمد يعِدُ أصحابَه العِدات ، ويمنّيهم الأمانىّ الكاذبة ، وجعل يحلف على منبره – بعد ما اتّصل به الخبر بظهور أبى أحمد وركوبه الشّذا – أن ذلك باطلٌ لا أصل له ، وأن الذى رأوه فى الشذا مثال مُوَّه لهم وشبِّه لهم .

* * *

[ذكر عزم المعتمد على اللحاق بمصر]

وفيها فى يوم السبت للنصف من جمادى الأولى ، شخص المعتمد يريد اللّحاق بمصر ، وأقام يتصيّد بالكُحَيْل ، وقدم صاعد بن مخلَد من عند أبى أحمد ؛ ثم شخص إلى سامُرّا فى جماعة من القوّاد فى جمادى الآخرة ، وقدم قائدان لابن طولون – يقال لأحدهما أحمد بن جبغَوَيْه وللآخر محمد بن عباس الكلابىّ – الرّقة ، فلما صار المعتمد إلى عمل إسحاق بن كنداج – وكان العاملَ على الموصل وعامّة الجزيرة – وثب ابن كنداج بمَنْ شخص مع المعتمد مِنْ سامُرّا يريد مصر ، وهم تينك وأحمد بن خاقان وخطارمِش ، فقيّدهم وأخذ أموالهم ودوابّهم ورقيقهم . وكان قد كتب إليه بالقبض عليهم وعلى المعتمد ، وأقطع إسحاق بن كنداج ضياعهم وضياع فارس بن بغا .

وكان سبب وصوله إلى القبض على مَن ذكرتُ ، أنّ ابن كنداج لما صار إلى عمله ، وقد نفذت إليه الكتب من قِبَل صاعد بالقبض عليهم ، أظهر أنه معهم ، وعلى مثل رأيهم فى طاعة المعتمد ؛ إذ كان الخليفة ، وأنه غير جائز له الخلاف عليه . وقد كان مَنْ مع المعتمد من القوّاد حذّروا المعتمد المرورَ به ، وخوّفوه وثوبه بهم ؛ فأبى إلاّ المرورَ به – فيما ذكر[1] – وقال لهم : إنما هو مولاى وغلامى ، وأريد أن أتصيّد ؛ فإنّ فى الطريق إليه صيداً كثيراً . فلما صاروا فى عمله ، لقيَهم وسار معهم كى يرِدَ المعتمِد – فيما ذكر – منزلاً قبل وصوله إلى عمل ابن طولون ، فلمّا أصبح ارتحل التبّاع والغلمان الذين كانوا مع المعتمِد ومن شخص معه من سامُرّا ، وخلا ابن كنداج بالقُوّاد الذين مع المعتمد ، فقال لهم : إنكم قد قربتم من عمل ابن طولون والمقيم بالرّقة من قوّاده ؛ وأنتم

٢٠٣٨/٣

(١) س : « فيما ذكروا » .

إذا صرتم إلى ابن طولون ؛ فالأمر أمرُه ، وأنتم من تحت يده ومن جنده ؛ أفترضونَ بذلك؛وقد علمتم أنه إنما هو كواحد منكم ! وجرت بينه وبينهم فى ذلك مناظرة حتى تعالَى النهار ، ولم يرتحل المعتمد بعدُ لاشتغال القوّاد بالمناظرة بينهم بين يديه ، ولم يجتمع رأيهم بعدُ على شىء . فقال لهم ابن كنداج : قوموا بنا حتى نتناظر فى هذا فى غير هذا الموضع ، وأكرِموا مجلس أمير المؤمنين عن ارتفاع الصوت فيه . فأخذ بأيديهم ، وأخرجهم من مضرب المعتمِد فأدخلهم مضرب نفسه ؛ لأنه لم يكن بقىَ مضرب إلاّ قد مضِى به غير مضربه ؛ لما كان من تقدّمه إلى فرّاشيه وغلمانه وحاشيته وأصحابه فى ذلك اليوم ألاّ تبرحوا إلاّ ببراحه . فلما صاروا إلى مضربه دخل عليه وعلى مَنْ معه[1] من القواد جِلّةُ غلمانه وأصحابه ، وأحضرت القيود ، وشدّ غلمانه على كلّ مَنْ كان شخص مع المعتمد من سامُرّا من القوّاد ، فقيّدوهم ؛ فلما قيّدوا وفرغ من أمرهم مضى إلى المعتمِد ، فعذلَه فى شخوصه عن دار ملكه وملك آبائه وفراقه أخاه على الحال التى هو بها من حرب مَنْ يحاول قتلَه وقتل أهل بيته وزوال ملكهم ، ثم حمله والذين كانوا معه فى قيودهم حتى وافى بهم سامرّا . ٣/٢٠٣٩

* * *

وفيها قام رافع بن هرثمة بما كان الخُجُسْتانىّ غاب عليه من كُور خراسان وقراها ؛ وكان رافع بن هرْثمة قد اجتبَى عِدّةً من كور خراسان خراجها سلفًا لبضع عشرة سنة ، فأفقر أهلها وخرّبها .

وفيها كانت وقعة بين الحُسَيْنيّين والحسَنيّين والجعفريّين ، فقتِل من الجعفريّين ثمانية نفر ، وعلا الجعفريون فتخلّصُوا الفضلَ بن العباس العباسىّ العامل على المدينة .

وفى جمادى الآخرة عقد هارون بن الموفّق لابن أبى الساج على الأنبار وطريق الفرات ورحبةَ طوْق ، وولّى أحمد بن محمد الطائىّ الكوفة وسوادها المعاون والخراج ، فصيّر المعاون باسم علىّ بن الحسين المعروف بكفتمر ، فلقى ٣/٢٠٤٠

---

(١) ب : « وعلى كل من معه » .

أحمد بن محمد الهيصم العجلىّ فيها ، فانهزم الهيصم واستباح الطائىّ أمواله وضياعه .

ولأربع خلَوْن من شعبان منها ردّ إسحاق بن كنداج المعتمد إلى سامُرّا فنزل الجوسق المطلّ على الحيْر .

ولثمان خلَوْن من شعبان خلع على ابن كنداج ، وقلّد سيفين بحمائل : أحدهما عن يمينه ، والآخر عن يساره ، وسُمّىَ ذا السيفين ، وخُلع عليه بعد ذلك بيومين قَباء ديباج وشاحان ، وتوّج بتاج ، وقلّد سيفاً كلّ ذلك مفصص بالجوهر ، وشيّعه إلى منزله هارون بن الموفق وصاعد بن مخلد والقوّاد ، وتغدّوا عنده .

* * *

[ذكر الخبر عن إحراق قصر صاحب الزنج]

وفى شعبان من هذه السنة أحرق أصحاب أبى أحمد قصر الفاسق ، وانتهبوا ما فيه .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وسبب وصولهم إليه :

ذكر محمد بن الحسن ، أن أبا أحمد لما برأ الجرح الذى كان أصابه ، عاد للذى كان عليه من مغاداة الفاسق الحرب ومراوحتِه ؛ وكان الخبيث قد أعاد بناء بعض الثُّلَم التى ثُلِمَت فى السور ، فأمر الموفّق بهدم ذلك ، وهدم مايتّصل به ، وركب فى عشيّة من العشايا فى أوّل وقت العصر ؛ وقد كانت الحرب متّصلة فى ذلك اليوم مما يلى نهر منْكى ، والفسقة مجتمعون فى تلك الناحية قد شغَلوا أنفسهم بها ، وظنّوا أنهم لا يحارَبون إلاّ فيها ، فوافى الموفق وقد أعدّ الفعلة ، وقرب على نهر مَنكى وناوش الفسقة فيه ؛ حتى إذا استعرت[1] الحرب أمر الجذّافين والاشتيامين أن يحثّوا السير حتى ينتهوا إلى النّهر المعروف بجُوى كور ، وهو نهر يأخذ من دِجْلة أسفل من النهر المعروف بنهر أبى الخصيب ؛ ففعلوا ذلك ؛ فوافَى جوى كور ، وقد خلا من المقاتلة والرّجال ، فقرب وأخرج الفعلة ، ٣/٢٠٤١

(١) ابن الأثير : « اشتدت » .

فهدموا من السور ما كان يلى ذلك النهر ، وصعد المقاتلة وولجوا النهر ؛ فقتلوا فيه مقتلةً عظيمة ، وانتهوْا إلى قصور من قصور الفَسَقة ، فانتهبوا ما كان فيها وأحرقوها ، واستنقذوا عدداً من النساء اللواتى كنّ فيها ، وأخذوا خيلا من خيل الفجرة ، فحملوها إلى غربىّ دِجْلة ، فانصرف الموفّق فى وقت غروب الشمس بالظفر والسلامة ، وغاداهم الحرب والقصد لهدم السور ، فأسرع فيه حتى اتّصل بدار المعروف بأنكلاى ؛ وكانت متصلة بدار الخبيث ؛ فلما أعيت الحيلُ الخبيث فى المنْع من هدم السور ، ودفع أصحاب الموفّق عن ولوج مدينته ، أسقِط فى يديه ؛ ولم يدر كيف يحتال لحسْم ذلك ، فأشار عليه علىّ بن أبان المهلبىّ بإجراء الماء على السباخ التى يسلكها أصحاب الموفق لئلا يجدوا إلى سالكها سبيلا ، وأن يحفر خنادق فى مواضع عدّة يعوقهم بها عن دخول المدينة ، فإن حملوا أنفسهم[1] على اقتحامها فوقعت عليهم هزيمة ، لم[2] يسهل عليهم الرجوع إلى سفنهم ؛ ففعلوا ذلك فى عِدّة مواضع من مدينتهم ، وفى الميدان الذى كان الخبيث جعله طريقاً حتى انتهت تلك الخنادق إلى قريب من داره . فرأى الموفّق بعد ما هيّأ الله له من هدم سور مدينة الفاسق ما هيّأ أن جعل قصده لطمّ الخنادق والأنهار والمواضع المعوَّرة[3] كى تصلح فيها مسالك الخيل والرّجالة . فرام ذلك ، فحامى عنه الفسقة . ودامت الحرب وطالت ووصل إلى الفريقين من القتل والجراح أمرٌ عظيم[4] ؛ حتى لقد عُدّ الجرحى فى بعض تلك الأيام زُهاء ألفىْ جَريح ؛ وذلك لتقارُب الفريقين فى وقت القتال ، ومنع الخنادق كلّ فريق منهم عن إزالة مَنْ بإزائه عن موضعهم. فلما رأى ذلك الموفّق قصد لإحراق دار الخبيث والهجوم عليها من دِجْلة ، وكان يعوّق عن ذلك كثرةُ ما أعدّ الخبيث من المقاتلة والحماة عن داره ؛ فكانت الشذا إذا قربت من قَصْره رموا من سُوره ومن أعلى القصر بالحجارة والنشّاب والمقاليع والمجانيق والعرّادات ، وأذيب الرصاص ، وأفرغ عليهم ؛ فكان إحراق داره يتعذّر عليهم لما وصفنا ؛ فأمر الموفّق بإعداد ظلال من خشب

٣/٢٠٤٢

---

(١) ب : « نفسهم » . (٢) س : « ولم » .
(٣) ابن الأثير : « المغوّرة » . (٤) س : « غليظ » .

للشذا وإلباسها جلود الجواميس ، وتغطية ذلك بالخيش المطلىّ بصنوف العقاقير والأدوية التى تمنع النار من الإحراق ، فعمل ذلك ، وطُليت به عدّة شذوات ورتّب فيها جميعاً شجعاء غلمانه : الرامحة والناشبة ، وجمعاً من حُذّاق النفّاطين وأعدّهم لإحراق دار الفاسق صاحب الزّنج .

فاستأمن إلى الموفّق محمد بن سمعان كاتب الخبيث ووزيره فى يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة تسع وستين ومائتين ، وكان سبب استئمانه — فيما ذكر محمد بن الحسن — أنه كان ممّن امتحن بصحبته ، وهو لها كارهٌ على علم منه بضلالته . قال : وكنتُ له على ذلك مواصلاً ، وكنّا جميعًا ندبّر الحيلة فى التخلّص ، فيتعذّر علينا ، فلما نزل بالخبيث من الحصار ما نزل ، وتفرّق عنه أصحابه ، وضَعُف أمره ؛ شمّر فى الحيلة للخلاص ، وأطلعنى على ذلك ، وقال : قد طبتُ نفسا بألاّ أستصحب ولداً ولا أهلا ، وأن أنجوَ وحيداً ؛ فهل لك فى مثل ما عزمت عليه ؟ فقلت له : الرأى لك ما رأيت ؛ إذ كنتَ إنما تخلّف ولداً صغيراً لا سبيل للخائن عليه إلى أن يصول به ، أو أن يحدث عليك فيه حدثًا يلزمك عاره ؛ فأمّا أنا فإنّ معى نساء يلزمنى عارهنّ ، ولا يسعنى تعريضهنّ لسطوة الفاجر ؛ فامضِ لشأنك ؛ فأخبِرْ عنى بما علمت من نيّتى فى مخالفة الفاجر وكراهة صحبته ؛ وإن هيّأ الله لى الخلاص بولدى ، فأنا سريع اللحاق بك ، وإن جرت المقادير فينا بشىء كنا معًا وصبرنا .

٣/٢٠٤٤

فوجّه محمد بن سمعان وكيلاً له يعرف بالعراقىّ ، فأتى عسكر الموفّق ، فأخذ له ما أراد من الأمان ، وأعدّ له الشذا ، فوافتْه فى السَّبَخة فى اليوم الذى ذكرنا ، فصار إلى عسكر الموفق . وأعاد الموفّق محاربة الخبيث والقصد للإحراق من غد اليوم الذى استأمن فيه محمد بن سمعان ؛ وهو يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة تسع وستين ومائتين ، فى أحسن زىّ ، وأكمل عدّة ، ومعه الشّذَوات المطليّة بما وصفنا ، وسائر شذَواته وسُميريّاته فيها مواليه وغلمانه والمعابر التى فيها الرّجالة . فأمر الموفّق ابنه أبا العباس بالقصد إلى دار محمد ابن يحيى المعروف بالكرَنْبائىّ ، وهى بإزاء دار الخائن فى شرقىّ النهر المعروف بأبى الخصيب ، يشرع على النهر وعلى دجْلة ، وتقدّم إليها فى إحراقها وما يليها

من منازل قوّاد الخائن ، وشغلهم بذلك عن إنجاده ومعاونته ، وأمر المرتبين فى الشّذا المظلّلة بالقصد ؛ لما كان مطلاً على دِجْلة من رواشين الخبيث وأبنيته ، ففعلوا ذلك، وألصقوا شذَواتِهم بسور القصر ، وحاربوا الفجَرة أشدّ حرب ، ونضحوهم بالنيران ، وصبر الفسَقة وقاتلوا ، فرزق الله النصر عليهم ، فتزحزحوا عن تلك الرواشين والأبنية التى كانوا يحامون عليها ، وأحرقها غلمان الموفق ، وسلِم مَنْ كان فى الشّذَا مما كان الخبثاء يكيدونهم به من النشاب والحجارة وصبّ الرصاص المذاب وغير ذلك بالظلال التى كان اتّخذها على الشّذا ، فكان ذلك سبباً لتمكنها من دار الخبيث . ٣/٢٠٤٥

وأمر الموفّق مَنْ كان فى الشّذا بالرجوع فرجعوا ، فأخرج مَنْ كان فيها من الغلمان ، ورتّب فيها آخرين ، وانتظر إقبال المدّ وعلوّه ؛ فلما تهيّأ ذلك عادت الشّذَوات المظللة إلى قصر الخبيث ، فأمر الموفّق مَنْ كان فيها بإحراق بيوت كانت تشرَع على دِجْلة من قصر الفاسق ؛ ففعلوا ذلك ، فاضطرمت النار فى هذه البيوت ، واتّصلت بما يليها من الستارات التى كان الخبيث ظلّل بها دارَه، وستور كانت على أبوابه ، فقويت النار عند ذلك على الإحراق ، وأعجلت الخبيث ومَنْ كان معه عن التوقّف على شىء مما كان فى منزله من أمواله وذخائره وأثاثه وسائر أمتعته ، فخرج هارباً ، وترك ذلك كله . وعلا غلمان الموفّق قصر الخبيث مع أصحابهم ؛ فانتهبوا ما لم تأت النار عليه من الأمتعة الفاخرة والذهب والفضة والجوهر والحلْى وغير ذلك ؛ واستنقذوا جماعة من النساء اللواتِى كان الخبيث استرقّهنّ ، ودخل غلمان الموفّق سائرَ دور الخبيث ودور ابنه أنكلاى ، فأضرموها ناراً ، وعظم سرور الناس بما هيأ الله لهم فى هذا اليوم . فأقام جماعة يحاربون الفسَقة فى مدينتهم وعلى باب قصر الخبيث، مما يلِى الميدان ، فأثخنوا فيهم القتل والجراح والأسْر ، وفعل أبو العباس فى دار المعروف بالكرنبائىّ وما يتّصل بها من الإحراق والهدم والنهب مثل ذلك. ٣/٢٠٤٦ وقطع أبو العباس يومئذ سلسلة حديد عظيمة وثيقة كان الخبيث قطع بها نهر أبى الخصيب ليمنع[1] الشّذَا من دخوله، وحازها ، فحُملت فى بعض شَذَواتِه

---

(١) ب : « ليمتنع » .

وانصرف الموفّق بالناس صلاة المغرب بأجمل ظفر ، وقد نال الفاسقَ فى ذلك اليوم فى نفسه وماله وولده وما كان غلب عليه من نساء المسلمين مثل الذى أصاب المسلمين منه من الذّعر والجلاء وتشتيت الشمل والمصيبة فى الأهل والولد ، وجُرح ابنه المعروف بأنكلاى فى هذا اليوم جراحة شديدة فى بطنه أشفى منها على التلف [١] .

* * *

[ذكر الخبر عن غرق نصير المعروف بأبى حمزة]

وفى غد هذا اليوم وهو يوم الأحد لعشر بقين من شعبان من هذه السنة غرق نصير .

* ذكر سبب غرقه :

ذَكر محمد بن الحسن أنه لما كان غد هذا اليوم [٢] ، باكر الموفّق محاربة الخبيث ، وأمر نصيراً المعروف بأبى حمزة بالقَصْد لقنطرة كان الخائن عملها بالسياج على النهر المعروف بأبى الخصيب، دون الجسريْن اللذيْن اتخذهما عليه، وأمر زِيرَك بإخراج أصحابه مما يلى دار الجُبّائىّ لمحاربة مَنْ هناك من الفَجَرَة ،وأخرج [٣] جمعًا من قوّادها مما يلى دار أنكلاى لمحاربتهم أيضًا ، فتسرّع نُصير ، فدخل نهر أبى الخَصيب فى أوّل المدّ فى عدّة من شَذَوَاته ، فحملها المدّ فألصقها بالقنطرة ، ودخلت عِدّة من شَذَوات موالى الموفّق وغلمانه ممن لم يكن أُمِر بالدخول ، فحملهم المدّ فألقاهم على شَذَوات نصير ، فصكّت الشّذوات بعضها بعضًا ؛ حتى لم يكن للاشتيامين والجذّافين فيها حيلة ولا عمل . ورأى الزّنج ذلك ، فاجتمعوا على الشّذوات ، وأحاطوا بها من جانبى نهر أبى الخصيب ، فألقى الجذّافون أنفسهم فى الماء ذعراً ووجلاً ، ٣/٢٠٤٧

(١) ب : « الموت » ، ابن الأثير : « الهلاك » .
(٢) بعدها فى س : « وهو يوم الأحد » .
(٣) ط : « وإخراجا » ، وما أثبته من س .

ودخل الزّنج الشّذَوات ، فقتلوا بعض المقاتلة ، وغرق أكثرُهم ، وحاربهم نصير فى شذَواته حتى خاف الأسر ، فقذف نفسه فى الماء فغرق ، وأقام الموفّق فى يومه يحارب الفسَقة ، وينهب ويحرق منازلَهم ، ولم يزَلْ باقى يومه مستعلياً عليهم ؛ وكان ممّن حامى على قصر الخائن يومئذ وثبت فى أصحابه سليمان بن جامع ، فلم تزل الحرب بين أصحاب الموفّق وبينه ، وهو مقيم بموضعه لم يزُل عنه إلى أن خرج فى ظهره كمين من غلمانِ الموفّق السودان ، فانهزم لذلك ، واتّبعه الغلمان يقتلون أصحابه ، ويأسرون منهم ، وأصابت سليمان فى هذا الوقت جراحة فى ساقه ، فهوى لفيه فى موضع ؛ قد كان الحريق ناله ببعض جمْر فيه ، فاحترق بعض جسَده ، وحامى عليه جماعة من أصحابه ، فنجا بعد أن كاد الأسر يحيط به ، وانصرف الموفّق ظافراً سالماً ، وضعفت الفسقة ، واشتدّ خوفُهم لمّا رأوا من إدبار أمرهم ، وعرضت لأبى أحمد عِلّة من وجع المفاصل ؛ فأقام فيها بقية شعبان وشهر رمضان وأياماً من شوال ممسكاً عن حرب الفاسق . فلما استبلّ من عِلّته وتماثل، أمر بإعداد ما يحتاج إليه للقاء الفسَقة ، فتأهّب لذلك جميع أصحابه . ٣/٢٠٤٨

* * *

وفى هذه السنة كانت وفاة عيسى بن الشيخ بن السليل .

وفيها لعن ابن طولون المعتمد فى دار العامّة ، وأمر بلعنه على المنابر ، وصار جعفر المفوّض إلى مسجد الجامع يوم الجمعة ، ولعن ابن طولون وعقد لإسحاق ابن كنداج على أعمال ابن طولون، ووِلىَ من باب الشماسية إلى إفريقية ووَلِىَ شُرْطة الخاصة .

وفى شهر رمضان منها كتب أحمد بن طولون إلى أهل الشأم يدعوهم إلى نصر الخليفة ، ووُجد فَيْجٌ يريد ابنَ طولون معه كتُب من خليفته ، جوّاب بأخبار ، فأخِذ جوّاب فحبس وأخِذ له مال ورقيق ودوابّ .

وفى شوال منها كانت وقعة بين أبى السّاج والأعراب ، فهزموه فيها ، ثم بيّتهم فقتل منهم وأسر ، ووجّه بالرءوس والأسارى إلى بغداد ، فوصلت فى شوال منها .

ولإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال منها عقد جعفر المفوّض لصاعد بن مخلد على شهرزور وداباذ والصامغان وحلوان وماسبذان ومهرجانقذف وأعمال الفرات ، وضمّ إليه قوّاد موسى بن بغا خلا أحمد بن موسى وكيغلغ وإسحاق ابن كنداجيق[1] وأساتكين ، فعقد صاعد للؤلؤ على ما عهد له عليه من ذلك المفوّض يوم السبت لثمان بقين من شوال ، وبعث إلى ابن أبى الساج بعقد من قبله على العمل الذى كان يتولاّه ، وكان يتولى الأنبار وطريق الفرات ورحبة طوق بن مالك من قبل هارون بن الموفّق ، وكان شخص إليها فى شهر رمضان، فلمّا ضُمّ ذلك إلى صاعد أقرّه صاعد على ما كان إليه من ذلك .

٣/٢٠٤٩

وفى آخر شوّال منها دخل ابن أبى الساج رحبة طوق بن مالك بعد أن حاربه أهلُها ، فغلبهم وهرب أحمد بن مالك بن طوق إلى الشأم. ثم صار ابن أبى الساج إلى قرقيسياء ؛ فدخلها وتنحّى عنها ابن صفوان العقيلىّ .

* * *

[ذكر الخبر عن الوقعة التى كانت بين الموفّق وبين الزنج]

وفى يوم الثلاثاء لعشر خلوْن من شوال من هذه السنة ، كانت بين أبى أحمد وبين الزّنْج وقعة فى مدينة الفاسق أثّر فيها آثاراً، وصل بها إلى مراده منها.

* ذكر السبب فى هذه الوقعة وما كان منها :

ذكر محمد بن الحسن أنّ الخبيث عدوّ الله كان فى مدّة اشتغال الموفق بعلّته أعاد القنطرة التى كانت شذوات نصير لججت[2] فيها ، وزاد فيها ما ظنّ أنه قد أحكمها ، ونصب دونها أدقال ساج وصل بعضها ببعض ، وألبسها الحديد ، وسكّر أمام ذلك سكْراً بالحجارة ليضيق المدخل على الشذا ، وتحتدّ جرية الماء فى النهر المعروف بأبى الخصيب ، فيهاب الناس دخولَه ، فندب الموفّق قائدين من قوّاد غلمانه فى أربعة آلاف من الغلمان، وأمرهما أن يأتيا نهر أبى الخصيب ؛ فيكون أحدهما فى شرقيه والآخر[3] فى

٣/٢٠٥٠

(١) س : « كنداج » .
(٢) ط : «لحجت» وما أثبته من ن .
(٣) س : « وأحدهما » .

غربيه ؛ حتى يوافيا القنطرة التى أصلحها الفاجر وما عمل فى وجهها[١] من السِّكْر[٢] فيحاربا أصحاب الخبيث حتى يجلياهم عن القنطرة ، وأعدّ معهما النجارين والفَعَلة لقطع القنطرة والبدود التى كانت جعلت أمامها ، وأمر بإعداد سفن محشوّة بالقصب المصبوب عليه النّفط ، لتدخل ذلك النهر المعروف بأبى الخصيب ، وتضرم ناراً لتحترق بها القنطرة فى وقت المدّ . فركب الموفّق فى هذا اليوم فى الجيش حتى وافى فوّهة نهر أبى الخصيب ، وأمر بإخراج المقاتلة فى عدّة مواضع من أعلى عسكر الخبيث وأسفله ، ليشغلهم بذلك عن التعاون على المنع عن القنطرة ، وتقدّم القائدان فى أصحابهما ، وتلقاهما أصحاب الخائن من الزَّنْج وغيرهم ، يقودهم ابنه أنكلاى وعلىّ بن أبان المهلبىّ وسليمان بن جامع ، فاشتبكت الحرب بين الفريقيْن ، ودامت ، وقاتل الفسقة أشدّ قتال ، محاماةً عن القنطرة ، وعلموا ما عليهم فى قطعها من الضّرر ، وأنّ الوصول[٣] إلى ما بعدها من الجسرين العظيمين اللّذيْن كان الخبيث اتخذهما على نهر أبى الخصيب سهْل مرامه ، فكثر القتل والجراح بين الفريقيْن ، واتّصلت الحرب إلى وقت صلاة العصر . ثم إنّ غلمان الموفّق أزالوا الفَسَقة عن القنطرة وجاوزوها ، فقطعها النّجارون والفَعَلة ، ونقضوها وما كان اتخذ من البدود التى ذكرناها . ٣/٢٠٥١

وكان الفاسق أحكم أمر هذه القنطرة والبدود إحكامًا تعذّر على الفَعَلة والنّجارين الإسراع فى قطعها ، فأمر الموفّق عند ذلك بإدخال السفن التى فيها القصب والنّفط ، وضربها بالنار وإرسالِها مع الماء ؛ ففعل ذلك ، فوافت السفن القنطرة فأحرقتها ، ووصل النّجارون إلى ما أرادوا من قطع البدود فقطعوها ، وأمكن أصحاب الشّذا دخول النهر فدخلوه ، وقوِىَ نشاطُ الغلمان بدخول الشّذا ؛ فكشفوا أصحاب الفاجر عن مواقِفهم حتى بلغوا بهم الجسر الأوّل الذى يتلُو هذه القنطرة ، وقُتِل من الفجَرة خلق كثير ، واستأمن فريق منهم ؛ فأمر الموفّق أن يخلع عليهم فى ساعتهم تلك ، وأن يوقفوا بحيث يراهم أصحابُهم ، ليرغبوا فى مثل ما صاروا إليه ؛ وانتهى الغلمان إلى الجسر الأوّل ، وكان ذلك

(١) ب : « بوجوهها » .
(٢) السكر : سد فم النهر.
(٣) س : « والوصول » .

قبيل المغرب، فكر الموفّق أن يُظلم الليلَ، والجيش موغل فى نهر أبى الخصيب، فيتهيّأ للفجرة بذلك انتهازُ فرصة ، فأمر الناسَ بالانصراف ، فانصرفوا سالمين إلى المدينة الموفقيّة ، وأمر الموفق بالكتاب إلى النواحى بما هيأ الله له من الفتح والظّفر ؛ ليقرأ بذلك على المنابر ، وأمر بإثابة المحسنين من غلمانه على قدر غَنائهم وبلائهم وحسن طاعتهم ؛ ليزدادوا بذلك جدًّا واجتهاداً فى حرب عدوّهم .

٢٠٥٢/٣

ففعل ذلك، وعَبر الموفّق فى نفر من مواليه وغلمانه فى الشَّذَوات والسميريّات وما خفّ من الزّواريق إلى فُوّهة نهر أبى الخصيب ؛ وقد كان الخبيث ضيّقها ببرجين عملهما بالحجارة ليضيّق المدخل وتحتدّ الجرية ، فإذا دخلت الشَّذَا النهر لحَجتْ فيه ، ولم يسهل السبيل إلى إخراجها منه ؛ فأمر الموفّق بقطع ذينك البُرْجين ، فعمل فيهما نهار ذلك اليوم ؛ ثم انصرف العمال وعادوا من غد لاستتمام قلع ما بقى من ذلك ؛ فوجدوا الفَجَرة قد أعادوا ما قاع منهما فى ليلتهم تلك ؛ فأمر بنصب عرّادتين قد كانتا أعدّتا فى سفينتين ، نُصبتا حيال نهر أبى الخصيب ، وطرحت لهما الأناجر حتى استقرّتا ؛ ووكّل بهما من أصحاب الشَّذَا ، وأمر بقطع هذين البُرْجَيْن ، وتقدّم إلى أصحاب العرّادتين فى رَمْى كلّ من دنا من أصحاب الفاسق ؛ لإعادة شىء من ذلك فى ليل أو نهار ؛ فتحامى الفجرة الدنوّ من الموضع ، وأحجموا عنه ، وألحّ الموكّلون بقاع هذه الحجارة بعد ذلك، حتى استتمّوا ما أرادوا، واتّسع المسْلك للشذا فى دخول النهر والخروج منه .

* * *

[خبر انتقال صاحب الزنج إلى شرقىّ نهر أبى الخصيب]

وفى هذه السنة تحوّل الفاسق من غربىّ نهر أبى الخصيب إلى شرقيّه وانقطعت عنه الميرة من كلّ وجهة .

ذكر الخبر عن حاله وحال أصحابه وما آل إليه أمرهم عند انتقاله من الجانب الغربىّ

٣/٢٠٥٣

ذُكر أن الموفّق لما أخرب منازل صاحب[1] الزّنج وحرّقها ، لجأ إلى التحصّن فى المنازل الواغلة فى نهر أبى الخصيب ، فنزل منزلاً كان لأحمد بن موسى المعروف بالقَلُوص ، وجمع عيالَه وولده حوله هناك ، ونقل أسواقه إلى السوق القريبة من الموضع الذى اعتصم به ؛ وهى سوق كانت تعرف بسوق الحسين ، وضعُف أمره ضعفاً شديداً ، وتبين للناس[2] زوالُ أمره ، فتهيّبوا جلْب المِيرة إليه ، فانقطعت عنه كلّ مادّة ، فبلغ عنده الرّطل من خبز البرّ عشرة دراهم ؛ فأكلوا الشعير ، ثم أكلوا أصناف الحبوب ، ثم لم يزل الأمر بهم إلى أن كانوا يتبعون الناس ؛ فإذا خلا أحدُهم[3] بامرأة أو صبىّ أو رجل ذبحه وأكله ، ثم صار قوىّ الزّنْج يَعْدو على ضعيفهم ؛ فكان إذا خلا به ذبَحه وأكل لحمه ؛ ثم أكلوا لحوم أولادهم ، ثم كانوا ينبشون الموتى ، فيبيعون أكفانهم ويأكلون لحومهم ، وكان لا يعاقب الخبيثُ أحداً ممن فعل شيئاً من ذلك إلاّ بالحبس ، فإذا تطاول حبسُه أطلقه .

وذكر أن الفاسق لما هُدِمت داره وأحرِقت ، وانتُهب ما فيها ، وأخرِج طريداً سليباً من غربىّ نهر أبى الخصيب ، تحوّل إلى شرقيّه ، فرأى أبو أحمد أن يخرب عليه الجانب الشرقىّ لتصير حال الخبيث فيه كحاله فى الغربىّ فى الجلاء عنه ، فأمر ابنه أبا العباس بالوقوف فى جمع من أصحابه فى الشّذَا فى نهر أبى الخصيب ، وأن يختار من أصحابه وغلمانه جمعاً يخرجهم فى الموضع الذى كانت فيه دار الكرنبائىّ من شرقىّ نهر أبى الخصيب ، ويخرج معهم الفَعَلة لهدم كلّ ما يلقاهم من دور أصحاب الفاجر ومنازلهم ، ووقف الموفّق على قصر المعروف بالهمدانىّ — وكان الهمدانىّ يتولى حياطة هذا الموضع ، وهو أحد قادة جيوش الخبيث وقدماء أصحابه — وأمر الموفّق جماعة من قوّاده ومواليه فقصدوا

٣/٢٠٥٤

(١) ب : « أصحاب ».
(٢) س : « الناس ».
(٣) س : « أحدهم ».

لدار الهَمْدانىّ ، ومعهم الفَعَلة ؛ وقد كان هذا الموضع محصّنًا بجمع كثير من أصحاب الخبيث من الزَّنْج وغيرهم ، وعليه عرّادات ومجانيق منصوبة وقسىّ ناوكية ، فاشتبكت الحرب وكثُر القتلى والجراح إلى أن كشف أصحاب الموفق الخبثاءَ ، ووضعوا فيهم السلاح ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وفعل أصحاب أبى العباس مثل ذلك بمن مرّ بهم من الفَسَقة .

والتقى أصحابُ الموفّق وأصحاب أبى العباس ؛ فكانوا يدًا واحدة على الخبثاء ، فولّوْا منهزمين ، وانتهوْا إلى دار الهمدانىّ ، وقد حصّنها ونصب عليها العرّادات ، وحفّها بأعلام بيض من أعلام الفاجر ، مكتوب عليها اسمه ، فتعذّر على أصحاب الموفق تسوّر هذه الدار لعلوّ سورها وحصانتها ، فوضعوا عليها السلاليم الطوال ، فلم تبلغ آخره ، فرمى بعضُ غلمان الموفّق بكلاليب كانوا أعدّوها ، وجعلوا فيها الحبال لمثل هذا الموضع ، فأثبتوها فى أعلام الفاسق[1] وجذبوها ، فانقلبت الأعلام منكوسة من أعلى السور ؛ حتى صارت فى أيدى أصحاب الموفّق ، فلم يشكّ المحامون عن هذه الدار أنّ أصحاب أبى أحمد قد علوْها ، فوجَلوا فانهزموا ، وأسلموها وما حوْلها ، وصعِد النّفّاطون فأحرقوا ما كان عليها من المجانيق والعرّادات ، وما كان فيها للهمدانىّ من متاع وأثاث ، وأحرقوا ما كان حولها من دور الفجرة ، واستنقذوا فى هذا اليوم من نساء المسلمين المأسورات عددًا كثيراً ، فأمر الموفّق بحملهنّ فى الشّذَا والسميريّات والمعابر إلى الموفقية والإحسان إليهنّ .

٣/٢٠٥٥

ولم تزل الحرب فى هذا اليوم قائمةً من أوّل النهار إلى بعد صلاة العصر ، واستأمن يومئذ جماعةٌ من أصحاب الفاسق وجماعة من خاصّة غلمانه الذين كانوا فى داره يلون خدمَته والوقوف على رأسه ؛ فآمنهم الموفّق وأمر بالإحسان إليهم ، وأن يُخلَع عليهم ، ويوصلوا وتُجرى لهم الأرزاق ، وانصرف الموفق ، وأمرأن تنكَس أعلام الفاسق فى صدور الشّذَوات ليراها أصحابه ، ودلّت جماعة من المستأمنة الموفّق على سوق عظيمة كانت للخبيث فى ظهر دار

(١) س : « الفاجر» .

الهمدانىّ متصلةً بالجسر الأوّل المعقود على نهر أبى الخصيب ، كان الخبيثُ سمّاها المباركة ، وأعلموه أنه إن تهيأ له إحراقها لم يبق لهم سوق ، وخرج عنهم تجّارهم الذين بهم قوامهم؛ واستوحشوا لذلك. واضطروا إلى الخروج فى الأمان. فعزم الموفّق عند ذلك على قصد هذه السوق وما يليها بالجيوش من ثلاثة أوجه؛ فأمر أبا العباس بقصدجانب[1] من هذه السوق مما يلى الجسر الأول ؛ وأمر راشداً مولاه بقصْدها مما يلِى دار الهمْدانىّ، وأمر قوّاداً من قواد غلمانه السودان بالقصد لها من نهر أبى شاكر ، ففعل كلٌّ فريق ما أمِر به ، ونذِر الزّنج بمسير الجيوش إليهم ، فنهضوا فى وجوههم ، واستعرت الحرب وغلظتْ ، فأمدّ الفاجر أصحابه . وكان المهلبىّ وأنكلاى وسليمان بن جامع فى جميع أصحابهم بعد أن تكاملوا ووافتْهم أمداد الخبيث بهذه السوق يحامون عنها، ويحاربون فيها أشدّ حرب .

٢٠٥٦/٣

وقد كان أصحاب الموفّق فى أول خروجهم إلى هذا الموضع وصلُوا إلى طرف من أطراف هذه السوق ، فأضرموه ناراً فاحترق ، فاتّصلت النار بأكثر السوق ، فكان الفريقان يتحاربون والنار محيطة بهم ؛ ولقد كان ما علا من ظلال يحترق فيقع على رءوس المقاتلة ؛ فربما أحرق بعضَهم، وكانت هذه حالهم إلى مغيب الشمس وإقبال الليل . ثم تحاجزوا، وانصرف الموفّق وأصحابه إلى سفنهم ، ورجع الفسَقة إلى طاغيتهم بعد أن احترق السوق ، وجلا عنها أهلُها ومَن كان فيها من تجار عسكر الخائن وسُوقتهم ، فصاروا فى أعلى مدينته بما تخلّصوا به من أموالهم وأمتعتهم . وقد كانوا تقدّموا فى نقل جلّ تجارتهم وبضائعهم من هذه السوق خوفًا من مثل الذى نالهم فى اليوم الذى أظفر الله فيه الموفّق بدار الهَمْدانىّ وهيّأ له إحراق ما أحرق حولها .

٢٠٥٧/٣

ثم إن الخبيث فعل فى الجانب الشرقىّ من حفر الخنادق وتعوير الطرق ما كان فعل فى الجانب الغربىّ بعد هذه الوقعة ، واحتفر خندقًا عريضًا من حدّ جوى كور إلى نهر الغربىّ ، وكان أكثر عنايته بتحصين ما بين دار

(١) س : « بالقصد لجانب ».

الكرْنبائىّ إلى النهر المعروف بجُوى كور ؛ لأنه كان فى هذا الموضع جُلّ منازل أصحابه ومساكنهم ، وكان من حدّ جوى كور إلى نهر الغربىّ بساتين ومواضع قد أخلَوْها ، والسُّور والخندق محيطان بها ، وكانت الحرب إذا وقعت فى هذا الموضع قصدوا من موضعهم إليه للمحاماة عنه والمنع منه ؛ فرأى الموفّق عند ذلك أن يخرِب باقى السور إلى نهر الغربىّ ، ففعل ذلك بعد حرب طويلة فى مدة بعيدة .

وكان الفاسق فى الجانب الشرقىّ من نهر الغربىّ فى عسكر فيه جمع من الزَّنْج وغيرهم متحصّنين بسور منيع وخنادق ، وهم أجلد أصحاب الخبيث وشجعانهم ، فكانوا يحامون عما قَرُب من سور نهر الغربىّ ، وكانوا يخرجون فى ظهور أصحاب الموفّق فى وقت الحرب على جوى كور وما يليه ، فأمر الموفّق بقصد هذا الموضع ومحاربة مَنْ فيه وهدم سُوره وإزالة المتحصّنين به ، فتقدّم عند ذلك إلى أبى العباس وعِدّة من قوّاد غلمانه ومواليه فى التأهّب لذلك ، ففعلوا ما أُمِرُوا به ، وصار الموفق بمَنْ أعدّه إلى نهر الغربىّ ، وأمر بالشَّذَا فنُظمت من حدّ النهر المعروف بجوى كور إلى الموضع المعروف بالدبّاسين ، ٣/٢٠٥٨ وخرج المقاتلة على جنبتى نهر الغربىّ ، ووُضعِت السلاليم على السور .

وقد كانت لهم عليه عدّة عرّادات ، ونشَبت الحرب ، ودامت مذ أول النهار إلى بعد الظهر ، وهُدم من السور مواضع ، وأحرِق ما كان عليه من العرّادات ، وتحاجز الفريقان ، وليس لأحدهما فضل على صاحبه إلاّ ما وَصل إليه أصحاب الموفّق من هذه المواضع التى هدموها وإحراق العرّادات ، ونال الفريقين من ألم الجراح أمرٌ غليظ موجع .

فانصرف الموفّق وجميعُ أصحابه إلى الموفقيّة ، فأمر بمداواة الجرحى ، ووصلَ كلّ امرئ على قدر الجراح التى أصابته ؛ وعلى ذلك كان أجرى التدبير فى جميع وقائعه منذ أول محاربته الفاسق إلى أن قتله الله .

وأقام الموفّق بعد هذه الوقعة مدّة ، ثم رأى معاودة هذا الموضع والتشاغل به دون المواضع ، لما رأى من حصانته وشجاعة مَنْ فيه وصبرهم ، وأنه لا يتهيأ

ما يقدر فيما بين نهر الغربىّ وجوى كور إلا بعد إزالة هؤلاء ، فأعدّ ما يحتاج إليه من آلات الهدم ، واستكثر من الفعلة ، وانتخب المقاتلة الناشبة والرّامحة والسودان أصحاب السيوف ، وقصد هذا الموضع على مثل قصده له المرّة الأولى ، فأخرج الرجّالة فى المواضع التى رأى إخراجَهم فيها ، وأدخل عدداً من الشّذَا النهر ، ونشبت الحرب ودامت ، وصَبَر الفسَقة أشدّ صبر ، وصبر لهم أصحاب الموفق .

٢٠٥٩/٣ واستمدّ الفسقة طاغيتَهم ؛ فوافاهم المهلبىّ وسليمان بن جامع فى جيشهما[1] ، فقويت قلوبُهم عند ذلك ، وحملوا على أصحاب الموفق ، وخرج سليمان كميناً مما يلى جوى كور ، فأزالوا[2] أصحاب الموفّق حتى انتهوْا إلى سفنهم ، وقتلوا منهم جماعة وانصرف الموفق ولم يبلغ كلّ الذى أراد ، وتبيّن أنه قد كان يجب أن يحارب الفسقة من عدّة مواضع ، ليفرّق جمعَهم ، فيخفّ وطؤهم على مَنْ يقصد لهذا الموضع الصعب ، وينال منه ما يحبّ ، فعزم على معاودتهم ، وتقدّم إلى أبى العباس وغيره من قوّاده فى العبور واختيار أنجاد رجالهم ، ووكّل مسروراً مولاه بالنهر المعروف بمنكى ، وأمره أن يخرج رجاله فى ذلك الموضع وما يتصل به من الجبال والنخل ، لتشتغل[3] قلوب الفَجَرة ، وليروْا أنّ عليهم تدبيراً من تلك الجهة . وأمر أبا العباس بإخراج أصحابه على جوى كور ، ونظم الشذا على هذه المواضع حتى انتهى إلى الموضع المعروف بالدّباسين ؛ وهو أسفل نهر الغربىّ ، وصار الموفّق إلى نهر الغربىّ ، وأمر قوّاده وغلمانه أن يخرجوا فى أصحابهم فيحاربوا الفَسَقة فى حصنهم ومعقلهم ، وألا ينصرفوا عنهم حتى يفتح الله لهم ، أو يبلغ إرادته منهم . ووكل بالسور مَنْ يهدمه ، وتسرّع الفَسَقة كعادتهم ، وأطمعهم ما تقدّم من الوقعتين اللتيْن ذكرناهما ، فثبت لهم غلمان الموفق ، وصدقوهم اللقاء ؛ فأنزل الله عليهم نصره ، فأزالوا الفَسَقة عن مواقفهم ، وقوِىَ أصحابُ الموفق ، فحملوا عليهم حملةً كشفوهم بها ، فانهزموا وخلَّوْا عن حصنهم ، وصار فى أيدى غلمان الموفق فهدموه ، وأحرقوا

(١) س : « جيوشهما » . (٢) س : « فأزال » .
(٣) س : « لتشغل » .

٣/٢٠٦٠ منازلهم ، وغَنموا ما كان فيها ، واتّبعوا المنهزمين منهم ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا ، واستنقذوا من هذا الحصن من النساء المأسورات خَلْقاً كثيراً ، فأمر الموفّق بحملهنّ والإحسان إليهنّ ، وأمر أصحابه بالرجوع إلى سفنهم ففعلوا ، وانصرف إلى عسكره بالموفقيّة ، وقد بلغ ما حاول من هذا الموضع .

* * *

[ذكر خبر دخول الموفق مدينة صاحب الزنج]

وفيها دخل الموفق مدينة الفاسق ، وأحرق منازله من الجانب الشرقيّ من نهر أبى الخصيب .

* ذكر الخبر عن سبب وصوله إلى ذلك :

ذُكر أنّ أبا أحمد لما أراد ذلك بعد هدمه سورَ داره ذلك ، أقام يصلح المسالك فى جنبتى نهر أبى الخصيب وفى قصر الفاسق ، ليتسع على المقاتلة الطريق فى الدخول والخروج للحرب ، وأمر بقلع باب قصر الخبيث الذى كان انتزعه من حصن أرْوَخ بالبصرة ، فقُلع وحُمل إلى مدينة السلام . ثم رأى القصد لقطع الجسر الأوّل الذى كان على نهر أبى الخصيب ، لما فى ذلك من منع معاونة بعضهم بعضًا عند وقوع الحرب فى نواحى عسكرهم ، فأمر بإعداد سفينة كبيرة تُملأ قصبًا قد سُقِىَ النّفْط ، وأن يُنْصَب فى وسط السفينة دَقَلٌ طويل يمنعها من مجاوزة الجسر إذا لصقت به ، وانتهز الفرصة فى غفلة الفسقة وتفرّقهم .

٣/٢٠٦١ فلما وجد ذلك فى آخر النهار قُدِّمت السفينة ، فجرّها الشذا حتى وردت النهر ، وأشعِل فيها النيران ، وأرسِلت وقد قوى المدّ ، فوافت القنطرة ، ونَذِر الزّنج بها ، وتجمعوا وكثروا حتى ستروا الجسر وما يليه ، وجعلوا يقذفون السفينة بالحجارة والآجرّ ، ويهيلون عليها التراب ، ويصبّون الماء ، وغاص بعضهم فنقبها ؛ وقد كانت أحرقت من الجسر شيئًا يسيراً ، فأطفأه الفسقة ، وغرّقوا السفينة وحازوها ؛ فصارت فى أيديهم .

فلما رأى أبو أحمد فعلَهم ذلك ، عزم على مجاهدتهم على هذا الجسر

حتى يقطعه ، فسمّى لذلك قائدين من قوّاد غلمانه ، وأمرهما بالعبور فى جميع أصحابهما فى السلاح الشاك واللّأمة الحصينة والآلات المحكمة ، وإعداد النفاطين والآلات التى تُقْطع بها الجسور ، فأمر أحد القائدين أن يقصد غربىّ النهر ، وجعل الآخر فى شرقيّه ، وركب الموفّق فى مواليه وخدّامه وغلمانه الشّذَوات والسُّميريّات ، وقصد فُوّهَة نهر أبى الخصيب ؛ وذلك فى غداة يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شوّال سنة تسع وستين ومائتين ، فسبق إلى الجسر القائد الذى كان أمِر بالقصد له من غربىّ نهر أبى الخصيب ، فأوقع بمَن كان موكّلا به من أصحاب الفاسق ، وقُتلت منهم جماعة ، وضُرب الجسر بالنار ، وطرح عليه القصب وما كان أعِدّ له من الأشياء المحرِقة ، فانكشف مَن كان هناك من أعوان الخبيث ، ووافى بعد ذلك مَنْ كان[1] أمر بالقصد للجسر من الجانب الشرقىّ ، ففعلوا ما أمِروا به من إحراقه . ٣/٢٠٦٢

وقد كان الخبيث أمر ابنه أنكلاى وسليمان بن جامع بالمقام فى جيشهما للمحاماة عن الجسر ، والمنع من قطعه ؛ ففعلا ذلك ، فقصد إليهما[2] مَنْ كان بإزائهما ، وحاربوهم حربًا غليظًا حتى انكشفا ، وتمكنوا من إحراق الجسر فأحرقوه ، وتجاوزوه إلى الحظيرة التى كان يعمل فيها شذَوات الفاسق وسُميريّاته وجميع الآلات التى كان يحارب بها ، فأحرِق ذلك عن آخره إلا شيئًا يسيراً من الشّذوات والسميريّات كان فى النهر ، وانهزم أنكلاى وسليمان بن جامع ، وانتهى غلمان الموفق إلى سجْن كان للخبيث فى غربىّ نهر أبى الخصيب ، فحامى عنه[3] الزّنج ساعة من النهار حتى أخرجوا منه جماعة ، وغلبهم عليه غلمان الموفّق ، فتخلّصوا مَنْ كان فيه من الرجال والنساء ، وتجاوز من كان فى الجانب الشرقىّ من غلمان الموفق ، بعد أن أحرقوا ما وُلّوا من الجسر إلى الموضع المعروف بدار مصلح ؛ وهو من قدماء قوّاد الفاسق ، فدخلوا داره وأنهبوها ، وسَبَوْا ولده ونساءه ، وأحرقوا ما تهيأ لهم إحراقه فى طريقهم[4] ، وبقيت من الجسر فى وسط منه أدقال قد كان الخبيث أحكَمها ، فأمر

---

(١) ب : « الذين كانوا » .
(٢) س : « لهما » .
(٣) س : « عليه » .
(٤) ب : « طريقه » .

الموفق أبا العباس بتقديم عدّة من الشّذَا إلى ذلك الموضع ، ففعل ذلك ؛ فكان فيمن تقدّم زيرك[1] فى عدد من أصحابه ، فوافَى هذه الأدقال ، وأخرجوا إليها قوماً قد كانوا أعدّوهم لها معهم الفئوس والمناشير ، فقطعوها ، وجُذبت وأخرِجتْ عن النهر ، وسقط ما بقى من القنطرة ، ودخلت شذوات الموفّق النهر ، وسار القائدان فى جميع أصحابهما على حافّتيه[2] فهُزم أصحاب الفاجرِ فى الجانبين ، وانصرف الموفّق وجميع أصحابه سالمين ، واستُنقذ خلق كثير . وأُتِىَ الموفق بعدد كثير من رءوس الفسقة ، فأثاب مَنْ أتاه بها ، وأحسن إليه ووصله .

٢٠٦٣/٣

وكان انصرافه فى هذا اليوم على ثلاث ساعات من النهار ، بعد أن انحاز الفاسِق وجميع أصحابه من الزّنْج وغيرهم إلى الجانب الشرقىّ من نهر أبى الخصيب ، وأخلوْا غربيّه ، واحتوى عليه أصحاب الموفّق ، فهدموا ما كان يعوق عن محاربة الفَجَرَة من قصور الفاسق وقصور أصحابه ، ووسّعوا مخترقات ضيّقة كانت على نهر أبى الخصيب ، فكان ذلك مما زاد فى رعب أصحاب الخائن . ومال جمعٌ كثير من قوّاده وأصحابه الذين كان لا يرى أنهم يفارقونه إلى طلب الأمان ، فبُذل ذلك لهم ، فخرجوا أرسالا ، فقبِلوا ، وأحسِن إليهم وألحقوا بنظرائهم فى الأرزاق والصِّلات والخلع .

ثم إن الموفق واظب على إدخال الشذا النهر ، وتقحّمه فى غلمانه . وأمر بإحراق ما على حافتيه من منازل الفجرة ومافى بطنه من السفن ، وأحبّ تمرين أصحابه على دخول النهر وتسهيل سلوكه لهم لِمَا كان يقدّر من إحراق الجسر الثانى ، والتوصّل[3] إلى أقصى مواضع الفجرة .

٢٠٦٤/٣

فبينا الموفق فى بعض أيامه — التى ألحّ فيها على حرب الخبيث وولوج نهر أبى الخصيب — واقف فى موضع من النهر ؛ وذلك فى يوم جمعة ، إذ استأمن إليه رجل من أصحاب الفاجر ، وأتاه بمنبر كان للخبيث فى الجانب الغربىّ ، فأمره بنقله إليه ، ومعه قاض كان للخبيث فى مدينته ؛ فكان ذلك مما فتّ فى أعضادهم ؛ وكان الخبيث جمع ما كان بقىَ له من السفن البحرية وغيرها ،

---

(١) س : « وذنل » .
(٢) س : « على حافتى النهر » .
(٣) س : « التوغل » .

فجعلها عند الجسر الثانى ، وجمع قوّاده وأصحابه وأنجاد رجاله هنالك ؛ فأمر الموفّق بعض غلمانه بالدنوّ من الجسر وإحراق ما تهيأ إحراقُه من المراكب البحرية التى تليه ، وأخذ ما أمكن أخذُه منها . ففعل ذلك المأمورون به من الغلمان ، فزاد فعلهم فى تحرّز الفاجر ومحاماته عن الجسر الثانى ، فألزم نفسه وجميع أصحابه حفظه وحراسته خوفًا من أن تتهيّأ حيلة ، فيخرج الجانب الغربىّ عن يده ، ويُوطئه أصحاب الموفّق ؛ فيكون ذلك سببًا لاستئصاله ، فأقام الموفّق بعد إحراق الجسر الأول أيامًا يعبرُ بجمع بعد جمع من غلمانه إلى الجانب الغربىّ من نهر أبى الخصيب ، فيحرقون ما بقى من منازل الفجرة ، ويقرُبون من الجسر الثانى فيحاربهم عليه الزنج .

وقد كان تخلّف[1] منهم جمعٌ فى منازلهم فى الجانب الغربىّ المقاربة للجسر الثانى ، وكان غلمان الموفق يأتون هذا الموضع ويقفون على الطرق والمسالك التى كانت تخفى عليهم من عسكر الخبيث ؛ فلما وقف الموفّق على معرفة غلمانه وأصحابه بهذه الطريق واهتدائهم لسلوكها ، عزم على القصد لإحراق الجسر الثانى ليحوز الجانب الغربىّ من عسكر الخبيث ، وليتهيأ لأصحابه مساواتُهم على أرض واحدة ، لا يكون بينهما[2] فيها حائل غير نهر أبى الخصيب ؛ فأمر الموفّق عند ذلك أبا العباس بقصد الجانب الغربىّ فى أصحابه وغلمانه ، وذلك فى يوم السبت لثمان بقين من شوال سنة تسع وستين ومائتين ، وتقدّم إليه أن يجعل خروجه بأصحابه فى موضع البناء الذى كان الفاجر سمّاه[3] مسجد الجامع ، وأن يأخذ[4] الشارع المؤدى إلى الموضع الذى كان الخبيث اتخذه مصلًّى يحضره فى أعياده ؛ فإذا انتهى إلى موضع المصلى عطف منه إلى الجبل المعروف بجبل المكتنى بأبى عمرو أخى المهلبىّ ، وضمّ إليه من قُوّاد غلمانه الفرسان والرّجالة زُهاء عشرة آلاف ، وأمره أن يرتّب زِيرَك صاحب مقدّمته فى أصحابه فى صحراء المصلى ، ليأمن خروج كمين إن كان للفسقة[5] من ذلك الموضع ، وأمر

٢٠٦٥/٣

---

(١) س : « يختلف » .
(٢) س : « بينهم » .
(٣) س : « سماه الفاجر » .
(٤) ب ، س : «يجعل» .
(٥) ب ، س : « الفسقه » .

جماعة من قوّاد الغلمان أن يتفرقوا فى الجبال التى فيها بين الجبل المعروف بالمكتنى بأبى عمرو وبين الجبل المعروف بالمكتنى أبا مقاتل الزنجىّ ، حتى توافَوْا جميعًا من هذه الجبال موضع الجسر الثانى فى نهر أبى الخصيب ، وتقدّم إلى جماعة من قوّاد الغلمان المضمومين إلى أبى العباس أن يخرجوا فى أصحابهم بين دار الفاسق ودار ابنه أنكلاى ، فيكون مسيرهم على شاطئ نهر أبى الخصيب وما قاربه ؛ ليتصلوا بأوائل الغلمان الذين يأتون على الجبال ، ويكون قصدُ ٣/٢٠٦٦ الجميع إلى الجسر . وأمرهم بحمل الآلات من المعاول والفؤوس والمناشير مع جمع[١] من النّفاطين لقطع ما يتهيّأ قطعُه ، وإحراق ما يتهيأ إحراقه ، وأمر راشداً مولاه بقصد الجانب الشرقىّ من نهر أبى الخصيب فى مثل العِدّة التى كانت مع أبى العباس وقصد الجسر ومحاربة مَنْ يدافع عنه ، ودخل أبو أحمد نهر أبى الخصيب فى الشّذَا ، وقد أعدّ منها شَذَوات رتّب فيها من أنجاد غلمانه الناشبة والرّامحة مَن ارتضاه ، وأعدّ معهم من الآلات التى يقطع بها الجسر ما يحتاج إليه لذلك ؛ وقدّمهم أمامه فى نهر أبى الخصيب ، واشتبكت الحرب فى الجانبين جميعًا بين الفريقين ، واشتدّ القتال .

وكان فى الجانب الغربىّ بإزاء أبى العباس ومَنْ معه أنكلاى ابن الفاسق فى جيشه ، وسليمان بن جامع فى جيشه ، وفى الجانب الشرقىّ بإزاء راشد ومَن معه الفاجر صاحب الزّنْج والمهلّبىّ فى باقى جيشهم ، فكانت الحرب فى ذلك اليوم إلى مقدار ثلاث ساعات من النهار . ثم انهزمت الفسقة لا يلوُون على شىء ، وأخذت السيوفُ منهم مأخذها ، وأخذ من رءوس الفسقة ما لم يقع عليه إحصاء لكثرته ؛ فكان الموفّق إذا أُتِى برأس من الرءوس[٢] أمر بإلقائه فى نهر أبى الخصيب ، ليدع المقاتلة الشغل بالرءوس ، ويجدّوا فى اتباع عدوّهم ، وأمر ٣/٢٠٦٧ أصحاب الشذا الذين رتبهم فى نهر أبى الخصيب بالدنوّ من الجسر وإحراقه ، ودفع مَنْ تحامى عنه من الزّنْج بالسهام ؛ ففعلوا ذلك وأضرموا الجسر ناراً ، ووافى أنكلاى وسليمان فى ذلك الوقت جريحَيْن مهزومَيْن[٣] ، يريدان العبور إلى

---

(١) ب : « جميع » .
(٢) س : « من الرءوس بشىء » .
(٣) س : « منهزمين » .

شرقيّ نهر أبي الخصيب ، فحالت النار بينهما وبين الجسر ، فألقوْا أنفسهما ومن كان معهما من حُماتهم في نهر أبي الخصيب ، فغرق منهم خلق كثير ، وأفلت أنكلاي وسليمان بعد أن أشفيا على الهلاك ، واجتمع على الجسر من الجانبين خلق كثير ، فقطع بعد أن ألقيت عليه سفينة مملوءة قصباً مضروماً بالنار ، فأعانت على قطعه وإحراقه ، وتفرّق الجيش في نواحي مدينة الخبيث من الجانبين جميعاً ، فأحرقوا من دورهم وقصورهم وأسواقهم شيئاً كثيراً ، واستنقذوا من النساء المأسورات والأطفال ما لا يُحصى عدده ، وأمرَ الموفّق المقاتلة بحملهم في سفنهم والعبور بهم إلى الموفقيّة .

وقد كان الفاجر سكن بعد إحراق قصره ومنازله الدّار المعروفة بأحمد بن موسى القَلوص والدّار المعروفة بمحمد بن إبراهيم أبي عيسى ، وأسكن ابنه أنكلاي الدار المعروفة بمالك ابن أخت القَلُوص ؛ فقصد جماعة من غلمان الموفق المواضع التي كان الخبيث يسكنها فدخلوها[1] ، وأحرقوا منها مواضع ، وانتهبوا منها ما كان سلِم للفاسق من الحريق الأول ، وهرب الخبيث ولم يوقَف[2] في ذلك اليوم على مواضع[3] أمواله. واستنقذ في هذا اليوم نسوة علَويّات كنّ محتبسات في موضع قريب من داره التي كان يسكنها ، فأمر الموفق بحملهنّ إلى عسكره[4] ، وأحسن إليهنّ ، ووصلهنّ ، وقصد جماعة من غلمان الموفق من المستأمنة المضمومين إلى أبي العباس سجناً كان الفاسق اتّخذه في الجانب الشرقيّ من نهر أبي الخصيب ، ففتحوه وأخرجوا منه خلقاً كثيراً ممّن كان أُسِر من العساكر التي كانت تحارب الفاسق وأصحابه ، ومن سائر الناس غيرهم . فأخرج جميعهم في قيودهم وأغلالهم حتى أُتِيَ بهم الموفّق ، فأمر بفكّ الحديد عنهم وحملهم إلى الموفقيّة ، وأخرج في ذلك اليوم كل ما كان بقي في نهر أبي الخصيب من شذاً ومراكب بحرية وسفن صغار وكبار وحرّاقات وزلاّلات وغير ذلك من أصناف السفن من النهر إلى دِجْلة ، وأباحها الموفق أصحابه وغلمانه مع ما فيها من السلب والنهب الذى حازوا في ذلك اليوم من

٢٠٦٨/٣

(١) س : « ودخلوها » .
(٢) ب : « فلم يوقف » .
(٣) ب : « موضع » .
(٤) ب : « معسكره » .

عسكر الخبيث ، وكان ذلك قدر جليل وخطر عظيم .

* * *

وفيها كان إحدار المعتمد إلى واسط ، فسار إليها فى ذى القعدة وأنزل دار زِيرك .

وفيها سأل أنكلاى ابن الفاسق أبا أحمد الموفّق الأمان ، وأرسل إليه فى ذلك رسولا ، وسأل أشياء فأجابه الموفق إلى كلّ ما سأله ، وردّ إليه رسوله ، وعرض للموفّق بعقب ذلك ما شغله عن الحرب . وعلم الفاسق أبو أنكلاى بما كان من ابنه فعذ ّله – فيما ذكر – على ذلك ، حتّى ثناه [1] عن رأيه فى طاب الأمان ، فعاد للجِدّ فى قتال أصحاب الموفق ، ومباشرة الحرب بنفسه . ٣/٢٠٦٩

* * *

[ذكر طلب رؤساء صاحب الزنج الأمان]

وفيها وجه أيضًا سليمان بن موسى الشعرانىّ – وهو أحد رؤساء أصحاب الفاسق – من يطلب الأمان له من أبى أحمد ، فمنعه أبو أحمد ذلك ، لِمَا كان سلف منه من العبث وسفك الدماء ، ثم اتصل به أنّ جماعةً من أصحاب الخبيث [2] قد استوحشوا لمنعة ذلك الشعرانىّ ، فأجابه أبو أحمد إلى إعطائه الأمان ؛ استصلاحًا بذلك غيرَه من أصحاب الفاسق [3] ، وأمر بتوجيه الشّذَا إلى الموضع الذى واعدهم الشعرانىّ ، ففعل ذلك ، فخرج الشعرانىّ وأخوه وجماعة من قوّاده ، فحملهم فى الشّذا ، وقد كان الخبيث حرسَ به مؤخّر نهر أبى الخصيب ، فحمله أبو العباس إلى الموفق ، فمنّ عليه ، ووفّى له بأمانه ، وأمر به فوُصِل ووُصِل أصحابه ، وخلع عليهم ، وحمل على عدّة أفراس بسروجها وآلتها ، ونزّله وأصحابه أنزالا سنية ، وضمه وإياهم إلى أبى العباس ، وجعله فى جملة أصحابه ، وأمره [4] بإظهاره فى الشّذَا لأصحاب الخائن ليزدادوا ثقةً بأمانه ؛ فلم يبرح الشّذا من موضعها من نهر أبى الخصيب ، حتّى استأمن جمع كثير من قوّاد الزّنج وغيرهم ، فحملوا إلى أبى أحمد ، فوصلهم

---

(١) س : « وثناه » .
(٢) س : « الفاسق » .
(٣) س : « الخبيث » .
(٤) س : « وأمر » .

٣/٢٠٧٠

وألحقهم فى الخلع والجوائز بمن تقدّمهم .

ولما استأمن الشعرانىّ اختلّ ما كان الخبيث يضبط به من مؤخر عسكره ، ووَهى أمرُه وضعف ؛ فقلّد[١] الخبيث ما كان إلى الشعرانىّ من حفظ ذلك شِبل بن سالم ، وأنزله مؤخّر نهر أبى الخصيب ، فلم يُمسِ الموفّق من اليوم الذى أظهر فيه الشعرانىّ لأصحاب الخبيث حتى وافاه رسولُ شبْل بن سالم يطلب الأمان ، ويسأل أن يوقف شَذَوات عند دار ابن سمعان ؛ ليكون قصدُه فيمن يصحبه من قوّاده ورجاله فى الليل إليها .

فأعطِىَ الأمانَ ، ورُدّ إليه رسوله ، ووُقِفَت[٢] له الشّذا فى الموضع الذى سأل أن توقَف له ؛ فوافاها فى آخر الليل ومعه عياله وولده وجماعة من قوّاده ورجاله ، وشهَر أصحابه سلاحَهم ؛ وتلقّاهم قوم من الزّنج قد كان الخبيث وجّههم لمنعه من المصير إلى الشّذا . وقد كان خبره انتهى إليه ، فحاربهم شبل وأصحابُه ، وقتلوا منهم نفراً ؛ فصاروا إلى الشّذا سالمين ، فصِير بهم إلى قصر الموفق بالموفقية ، فوافاه وقد ابتلج الصبح ؛ فأمر الموفق أن يوصَل شبل بصلة جزيلة ، وخلع عليه خلعًا كثيرة ، وحمله على عدّة أفراس بسروجها ولجُمها .

وكان شبل هذا من عُدد الخبيث وقدماء أصحابه وذوى الغَناء والبلاء فى نُصرته ، ووصل أصحاب شبل ، وخلع عليهم ، وأسنِيت له ولهم الأرزاق والأنزال ، وضُموا جميعًا إلى قائد من قوّاد غلمان الموفق ، ووُجّه به وبأصحابه[٣] فى الشّذا ، فوقفوا بحيث يراهم الخبيث وأشياعه . فعظم ذلك على الفاسق وأوليائه ، لمـّا رأوْا من رغبة رؤسائهم فى اغتنام الأمان ، وتبين الموفّق من مناصحة شبل

٣/٢٠٧١

وجودة فهمه ما دعاه إلى أن يستكفيَه بعض الأمور التى يكيد بها الخبيث ؛ فأمره[٤] بتبييت عسكر الخبيث فى جمع أمر بضمّهم إليه من أبطال الزّنْج المستأمنة ، وأفرده وإيّاهم بما أمرهم به من البيات ؛ لعلمهم بالمسالك فى عسكر الخبيث . فنفذ شبل لمـّا أمِر به ، فقصد موضعًا كان عرفه ، فكبسه فى السَّحَر ،

---

(١) ب : « وقلد » .
(٢) ب : « ووقف » .
(٣) ب : « وأصحابه » .
(٤) س : « وأمر » .

فوافَى به جمعًا كثيفًا من الزَّنْج فى عدّة [١] من قُوّادهم وحماتهم ، قد كان الخبيث رتَّبهم فى الدفع عن الدار المعروفة بأبى عيسى ، وهى منزل الخبيث حينئذ ، فأوقع بهم وهم غارّون ، فقَتل منهم مقتلةً عظيمة ، وأسر جمعًا من قوّاد الزَّنج ، وأخذ لهم سلاحًا كثيراً ، وانصرف ومَنْ كان معه سالمين ، فأتى بهم الموفَّق ، فأحسن جائزتهم [٢] ، وخلع عليهم ، وسوَّر جماعة منهم .

ولما أوقع أصحاب شبل بأصحاب الخائن هذه الوقعة ذعرهم ذلك ذُعْراً شديداً ، وأخافهم ومنعهم النوم ؛ فكانوا يتحارسون فى كلّ ليلة ، ولا تزال النَّفْرة تقع فى عسكرهم لـمَا استشعروا من الخوف ، ووصل إلى قلوبهم من الوَحشة ؛ حتى لقد كان ضجيجهم وتحارسهم يُسمَع بالموفقيّة .

ثم أقام الموفق بعد ذلك ينفذ السرايا إلى الخبثة ليلا ونهاراً من جانبى نهر أبى الخصيب ، ويكدّهم بالحرب ، ويُسْهِر ليلهم ، ويحول بينهم وبين طلب أقواتهم ، وأصحابه فى ذلك يتعرّفون [٣] المسالك ، ويتدرَّبون بالوغول فى مدينة الخبيث وتقحـّمها ، ويصرُّون من ذلك على ما كانت الهيبة تحولُ بينهم وبينه ؛ حتى إذا ظنّ الموفق أن قد بلغ أصحابه ما كانوا يحتاجون إليه ، صحّ عزمه على العبور إلى محاربة الفاسق فى الجانب الشرقىّ من نهر أبى الخصيب ، فجلس مجلسًا عامًّا ، وأمر بإحضار قوّاد المستأمنة ووجوه فرسانهم ورجّالتهم من الزنَّج والبيضان ، فأدخِلُوا إليه ، ووقفوا بحيث يسمعون كلامه . ثم خاطبهم فعرّفهم ما كانوا عليه من الضلالة والجهل وانتهاك المحارم ، وما كان الفاسق ديَّن لهم من معاصى الله ؛ وأن ذلك قد كان أباح له دماءهم ، وأنه قد غفر الزَّلّة ، وعفا عن الهفوة ، وبذل الأمان ، وعاد على مَنْ لجأ إليه بفضله ، فأجزل الصّلات ، وأسنى الأرزاق ، وألحقهم بالأولياء وأهل الطاعة ؛ وأن ما كان منه من ذلك يُوجب عليهم حقه وطاعته ؛ وأنهم لن يأتوا شيئاً يتعرّضون به لطاعة ربهم والاستدعاء لرضا سلطانهم ؛ أوْلى بهم من الجدّ والاجتهاد فى مجاهدة عدوّ الله الخائن وأصحابه ، وأنهم من الخبرة بمسالك

٢٠٧٢/٣

---

(١) س : « عدد » .
(٢) بعدها فى س : « وأحسن إليهم » .
(٣) ب : « يعرفون » .

عسكر الخبيث ومضايق طرق مدينته والمعاقل[١] التى أعدّها للهرب إليها على ماليس عليه غيرهم ؛ فهم أحرياء أن يُمْحِضُوه[٢] نصيحتهم ، ويجتهدوا فى الوُلوج على ٢٠٧٣/٣ الخبيث ، والتوغّل إليه فى حصونه ، حتى يمكنهم الله منه ومن أشياعه ، فإذا فعلوا ذلك فلهم الإحسان والمزيد . وإن مَنْ قصّر منهم استدعى من سلطانه إسقاطَ حاله وتصغير منزلته ، ووضع مرتبته . فارتفعت أصواتُهم جميعاً بالدّعاء للموفق والإقرار بإحسانه ، وبما هم عليه من صحة الضمائر فى السمع والطاعة والجدّ فى مجاهدة عدوّه ، وبذل دمائهم ومُهجهم[٣] فى كلّ ما يقرّبهم منه ، وأن ما دعاهم إليه قد قوّى نيّتَهم ، ودلّهم على ثقته بهم وإحلاله إياهم محلّ أوليائه ، وسألوه أن يُفردهم بناحية يحاربون فيها ، فيظهر من حسن نيّاتهم ونكايتهم فى العدوّ ما يعرف به إخلاصَهم وتورّعهم عما كانوا عليه من جهلهم فأجابهم الموفق إلى ما سألوا ، وعرّفهم حُسن موقع ما ظهر له من طاعتهم ، وخرجوا من عنده مبتهجين بما أجيبوا به من حسن القول وجميل الوعد .

* * *

[خبر دخول الموفق مدينة صاحب الزنج وتخريب داره]

وفى ذى القعدة من هذه السنة دخل الموفق مدينة الفاسق بالجانب الشرقىّ من نهر أبى الخصيب ، فخرّب داره ، وانتهب[٤] ما كان فيها .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

ذكر أن أبا أحمد لما عزم على الهجوم على الفاسق فى مدينته بالجانب ٢٠٧٤/٣ الشرقىّ من نهر أبى الخصيب ، أمر بجمع السفن والمعابر من دِجْلة والبَطيحة ونواحيها ليضيفها إلى ما فى عسكره ؛ إذ كان ما فى عسكره مقصّراً عن الجيش لكثرته ، وأحصى ما فى الشّذا والسُّميريات والرّقيّات التى كانت تعبر فيها الخيل ، فكانوا زهاء عشرة آلاف ملاّح ، ممن يجرى عليه الرزق من بيت المال مشاهرة ، سوى سفن أهل العسكر التى يحمل فيها المِيرة ، ويركبها الناس فى حوائجهم ، وسوى ما كان لكلّ قائد ومن يحضر من أصحابه من

---

(١) س : « والمضايق » .
(٢) س : « فهو أحق بأن يمحضوه » .
(٣) س « وهجم » .
(٤) س : « وأنهب » .

السميريات والجريبيات والزواريق التى فيها الملاحون الراتبة . فلمّا تكاملت له السفن والمعابر ، ورضى عددَها ، تقدّم إلى أبى العباس وإلى قوّاد مواليه وغلمانه فى التأهب والاستعداد للقاء عدوّهم ، وأمر بتفرقة السفن والمعابر إلى حمل الخيل والرّجالة ، وتقدّم إلى أبى العباس فى أن يكون خروجه فى جيشه فى الجانب الغربىّ من نهر أبى الخصيب ، وضمّ إليه قوّاداً من قُوّاد غلمانه فى زُهاء ثمانية آلاف من أصحابهم ، وأمره أن يعمد مؤخّر عسكر الفاسق حتى يتجاوز دار المعروف بالمهلبىّ ، وقد كان الخبيث حصّنها وأسكن بقربها خلْقاً كثيراً من أصحابه ؛ ليأمن على مؤخّر عسكره ، وليصعب على من يقصده المسلك إلى هذا الموضع .

٣/٢٠٧٥ فأمر أبو أحمد أبا العباس بالعبور بأصحابه إلى الجانب الغربىّ من نهر أبى الخصيب ، وأن يأتىَ هذه الناحية من ورائها ، وأمر راشداً مولاه بالخروج فى الجانب الشرقىّ من نهر أبى الخصيب فى عدد كثير من الفرسان والرّجّالة زُهاء عشرين ألفاً ، وأمر بعضَهم بالخروج فى ركن دار المعروف بالكرنبائىّ كاتب المهلبىّ . وهى على قرنة نهر أبى الخصيب فى الجانب الشرقىّ منه ، وأمرهم أن يجعلوا مسيرهم على شاطئ النهر حتى يوافُوا الدار التى نزلها الخبيث ؛ وهى الدار المعروفة بأبى عيسى . وأمر فريقاً من غلمانه بالخروج على فُوّهة النهر المعروف بأبى شاكر ، وهو أسفل من نهر أبى الخصيب ، وأمر آخرين منهم بالخروج فى أصحابهم على فُوّهة النهر المعروف بجوى كور ، وأوعز إلى الجميع فى تقديم الرّجّالة أمام الفرسان ، وأن يزحفوا[1] بجميعهم نحو دار الخائن ؛ فإن أظفرهم الله به وبمَنْ فيها من أهله وولده وإلاّ قصدوا دار المهلبىّ ليلقاهم هناك من أمر بالعبور مع أبى العباس ؛ فتكون أيديهم يداً واحدة على الفسقة .

فعمل أبو العباس وراشد وسائر قوّاد الموالى والغلمان بما أمِرُوا به ، فظهروا جميعاً ، وأبرزوا سفنهم فى عشيّة يوم الاثنين لسبع ليال خلوْن من ذى القعدة سنة تسع وستين ومائتين ، وسار الفرسان يتلُو بعضهم بعضاً ، ومشت الرّجالة

---

(١) ب ، س : « يرجعوا » .

وسارت السفن فى دجلة منذ صلاة الظهر من يوم الاثنين إلى آخر وقت عشاء الآخرة من ليلة الثلاثاء ، فانتهوْا إلى موضع من أسفل[١] العسكر ؛ وكان[٢] الموفق أمر بإصلاحه وتنظيفه وتنقية ما فيه من خراب ودَغل ، وطمّ[٣] سواقيه وأنهاره حتى استوى واتّسع ، وبعدت أقطارُه . واتخذ فيه قصراً وميداناً لعرض الرجال والخيل بإزاء قصر الفاسق ؛ وكان غرضه فى ذلك إبطال ما كان الخبيث يَعِد به أصحابه من سرعة انتقاله عن موضعه ؛ فأراد أن يُعلم الفريقين أنه غير راحل حتى يَحكم الله بينه وبين عدُوّه ؛ فبات الجيش ليلة الثلاثاء فى هذا الموضع بإزاء عسكر الفاسق ؛ وكان الجميع[٤] زُهاء خمسين ألف رجل من الفرسان والرّجالة فى أحسن زِىٍّ وأكمل هيئة ، وجعلوا يكبّرون ويهللون ، ويقرءون القرآن ، ويصلّون ، ويوقدون النار . ٢٠٧٦/٣

فرأى الخبيث من كثرة الجمع والعُدّة والعدد ما بهر عقله وعقول أصحابه ؛ وركب الموفق فى عشية يوم الاثنين الشّذَا ؛ وهى يومئذ مائة وخمسون شَذَاة قد شحنها بأنجاد غلمانه[٥] ومواليه الناشبة والرّامحة ، ونظمها من أوّل عسكر الخائن إلى آخره ؛ لتكون حصناً للجيش من ورائه ، وطُرِحت أناجرها بحيث تقرب من الشطّ ، وأفرِد منها شذوات اختارها لنفسه ، ورتّب فيها من خاصّة قوّاد غلمانه ليكونوا معه عند تقحّمه نهر أبى الخصيب ؛ وانتخب من الفرسان والرّجّالة عشرة آلاف ، وأمرهم أن يسيروا على جانبى نهر أبى الخصيب بمسيره ، ويقفوا بوقوفه ، ويتصرّفوا فيما رأى أن يصرّفهم فيه فى وقت[٦] الحرب .

٢٠٧٧/٣ وغدا الموفق يوم الثلاثاء لقتال الفاسق صاحب الزّنْج ، وتوجّه كلّ رئيس من رؤساء قوّاده نحو الموضع الذى أمِر بقصده ، وزحف الجيش نحو الفاسق وأصحابه ، فتلقّاهم الخبيث فى جيشه ، واشتبكت الحرب ، وكثر القتل والجراح بين الفريقين ، وحامى الفسقة عما كانوا اقتصروا عليه من مدينتهم أشدّ محاماة ، واستماتوا[٧] ، وصبر أصحاب الموفق ، وصدقوا القتال ؛ فمنّ الله عليهم بالنصر ،

---

(١) س : « أهل » .
(٢) س : « وقد كان » .
(٣) طم سواقيه : ردمها .
(٤) ب : « الجمع » .
(٥) ب : « غلمان قواده » .
(٦) س : « عند الحرب » .
(٧) س : « واستمات » .

وهزم المسقة ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وأسروا من مقاتلتهم وأنجادهم جمعًا كثيرًا .

وأتِيَ الموفق بالأسارى ، فأمر بهم فضرِبت أعناقهم فى المعركة ، وقصد بجمعه لدار الفاجر فوافاها ، وقد لجأ الخبيث إليها ، وجمع أنجاد أصحابه للمدافعة عنها ؛ فلمّا لم يغنُوا عنها شيئًا أسلمها ، وتفرّق أصحابه عنها ، ودخلها غلمان الموفّق ، وفيها بقايا ما كان سلم للخبيث من ماله وأثاثه ؛ فانتهبوا ذلك كلّه ، وأخذوا حرمه وولده الذكور والإناث ؛ وكانوا أكثر من مائة بين امرأة وصبىّ ، وتخلّص الفاسق ومضى هاربًا نحو دار المهلبِىّ ، لا يلوى على أهل ولا مال ، وأحرقت داره وما بقِى فيها من متاع وأثاث ، وأتِىَ الموفّق بنساء الخبيث وأولاده ، فأمر بحملهم إلى الموفقية والتوكيل[1] بهم ، والإحسان إليهم .

وكان جماعة من قواد أبى العباس عبروا نهر أبى الخصيب ،وقصدوا الموضع الذى أمِرُوا بقصْده من دار المهلبىّ ، ولم ينتظروا إلحاق أصحابهم بهم ، فوافوْا دار المهلبىّ ، وقد لجأ إليها[2] أكثرُ الزّنج بعد انكشافهم عن دار الخبيث ؛ فدخل أصحاب أبى العباس الدّار ، وتشاغلوا بالنهب وأخذِ ما كان غلب عليه المهلبىّ من حرم المسلمين وأولاده[3] منهنّ ، وجعل كلّ مَنْ ظفر[4] بشىء انصرف به إلى سفينته فى نهر أبى الخصيب .

وتبين الزّنج قلة مَنْ بَقِىَ منهم وتشاغلهم بالنهب ، فخرجوا عليهم من عدّة مواضع قد كانوا كمنوا فيها ، فأزالوهم عن مواضعهم ؛ فانكشفوا، وأتبعهم الزّنْج حتى وافوْا نهر أبى الخصيب وقتلوا مِنْ فرسانهم ورجّالتهم جماعةً يسيرة ، وارتجعوا بعض ما كانوا أخذوا من النساء والمتاع .

وكان فريق من غلمان الموفق وأصحابه الذين قصدوا دار الخبيث فى شرقىّ نهر أبى الخصيب تشاغلوا بالنّهب وحمْل الغنائم إلى سفنهم ؛ فأطمع ذلك الزّنج فيهم ، فأكبُّوا عليهم ، فكشفوهم واتّبعوا آثارهم إلى الموضع المعروف بسوق الغنم من عسكر الزّنْج ، فثبتت جماعة من قُوّاد الغلمان فى أنجاد

---

(١) س : « والتوكل بهم » .
(٢) س : « ولقد لجأ إليه » .
(٣) س : « وأولادهم » .
(٤) س : « أخذ وظفر » .

أصحابهم وشجعانهم ، فردّوا وجوه الزّنج حتى ثاب الناس ، وتراجعوا إلى مواقفهم ، ودامت الحرب بينهم إلى وقت صلاة العصر فأمر أبو أحمد عند ذلك غلماته أن يحملوا على الفسقة بأجمعهم حملةً صادقة ، ففعلوا ذلك ، فانهزم الزّنْج وأخذتهم السيوف حتى انتهوْا إلى دار الخبيث ؛ فرأى الموفّق عند ذلك أن يصرف غلمانه وأصحابه على إحسانهم ، فأمرهم بالرجوع ؛ فانصرفوا على هدوّ وسكون ؛ فأقام الموفق فى النهر ومَنْ معه فى الشّذا يحميهم؛ ٢٠٧٩/٣ حتى دخلوا سفنهم ، وأدخلوها خيلهم ، وأحجم الزّنْج عن اتّباعهم لما نالهم فى آخر الوقعة .

وانصرف الموفّق ومعه أبو العباس وسائر قوّاده وجميع جيشه قد غنموا أموال الفاسق ، واستنقذوا جمعاً من النساء اللّواتى كان غلب عليهنّ من حرم المسلمين كثيراً ، جعلن يخرجن فى ذلك اليوم أرسالا إلى فوّهة[1] نهر أبى الخصيب ، فيحمَلن فى السفن إلى الموفقيّة إلى انقضاء الحرب .

وكان[2] الموفق تقدّم إلى أبى العباس فى هذا اليوم أن ينفذ قائداً من قوّاده فى خمس شذَوات إلى مؤخر عسكر الخبيث بنهر أبى الخصيب ، لإحراق[3] بيادرَ تمّ جليلٍ قدرها ، كان الخبيث يقوت أصحابه منها من الزّنْج وغيرهم ، ففعل ذلك وأحرق أكثرَه . وكان إحراق ذلك من أقوى الأشياء على إدخال الضعف على الفاسق وأصحابه ، إذ لم يكن لهم معوّل فى قوتهم غيره ؛ فأمر أبو أحمد بالكتاب بما تهيأ له على الخبيث وأصحابه فى هذا اليوم إلى الآفاق ليُقرأ على الناس ، ففعل ذلك .

وفى يوم الأربعاء لليلتين خلَتا من ذى الحجة من هذه السنة وافى عسكر أبى أحمد صاعد بن مخلد كاتبه منصرفاً إليه من سامرّا ، ووافى معه بجيش كثيف قيل إنّ عدد الفرسان والرّجّالة الذين قدموا كان زُهاء عشرة آلاف ، فأمر الموفّق بإراحة أصحابه وتجديد أسلحتهم وإصلاح أمورهم ؛ وأمرَهم بالتأهب[4] لمحاربة الخبيث . فأقام أياماً بعد قدومه لما أمِر به . ٢٠٨٠/٣

(١) ب : « فى فوهة النهر » .
(٢) س : « وقد كان » .
(٣) س : « بإحراق بيادر » .
(٤) س : « والتأهب » .

فهم فى ذلك من أمرهم ؛ إذْ ورد كتاب لؤلؤ صاحب ابن طولون مع بعض قوّاده، يسأله فيه الإذن له فى القُدوم عليه؛ ليشهد عليه حرب الفاسق . فأجابه إلى ذلك ، فأذن له فى القدوم عليه ، وأخّر ما كان عزم عليه من مناجزة الفاجر انتظاراً منه قدوم لؤلؤ ؛ وكان لؤلؤ مقيماً بالرَّقة فى جيش عظيم من الفراغنة والأتراك والرّوم والبربر والسودان وغيرهم، من نخبة أصحاب ابن طولون ؛ فلما ورد على لؤلؤ كتاب أبى أحمد بالإذن له فى القدوم[1] عليه ، شخص من ديار مضر حتى ورد مدينة السلام فى جميع أصحابه ، وأقام بها مدّة ، ثم شخص إلى أبى أحمد فوافاه بعسكره يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم سنة سبعين ومائتين ، فجلس له أبو أحمد ، وحضر ابنه أبو العباس وصاعد والقوّاد على مراتبهم ؛ فأدخل عليه لؤلؤ فى زىّ حسن ، فأمر أبو العباس أن ينزل معسكراً كان أعدّ له بإزاء نهر أبى الخصيب ، فنزله فى أصحابه ، وتقدّم إليه فى مباكرة المصير إلى دار الموفّق ، ومعه قوّاده وأصحابه للسلام عليه. فغدا لؤلؤ يوم الجمعة لثلاث خلوْن من المحرّم ، وأصحابُه معه فى السواد ، فوصل إلى الموفق وسلّم عليه فقرّبه[2] وأدناه ، ووعده وأصحابه خيراً ، وأمر أن يخلع عليه وعلى خمسين ومائة قائد من قُوّاده ، وحمله على خيل كثيرة بالسُّروج واللجُم المحلاّة بالذهب والفضّة ، وحمل بين يديه من أصناف الكسى والأموال فى البدُور ما يحمله مائة غلام ؛ وأمر لقوّاده من الصلات والحُملان والكُسى على قدر محل[3] كلّ إنسان منهم عنده ، وأقطعه ضياعاً جليلة القدر ، وصرفه إلى عسكره بإزاء نهر أبى الخصيب بأجمل حال ، وأعِدّت له ولأصحابه الأنزال والعلُوفات ، وأمره برفع جرائد لأصحابه بمبلغ أرزاقهم على مراتبهم ؛ فرفع ذلك ؛ فأمر لكلّ إنسان منهم بالضِّعف مما كان يجرى له وأمر لهم بالعطاء عند رفع الجرائد، ووفَّوْا ما رسم لهم . ٢٠٨١/٣

ثم تقدّم إلى لؤلؤ فى التأهب والاستعداد للعبور إلى غربىّ دِجْلة لمحاربة الفاسق وأصحابه ؛ وكان الخبيث لما غلب على نهر أبى الخصيب ، وقُطعت

---

(١) س : « بالقدوم ».
(٢) : « فتعرفه » .
(٣) س : « محمل » .

القناطر والجسور التى كانت عليه أحدث سكراً فى النهر من جانبيه ، وجعل فى وسط السكْر باباً ضيقاً ليحتدّ فيه جرية الماء ، فيمتنع الشذا من دخوله فى الجزْر ، ويتعذّر خروجها منه فى المدّ ، فرأى أبو أحمد أنّ حربه لا تتهيأ له إلا بقلع هذا السكْر ، فحاول ذلك ، فاشتدّت محاماة الفسقة عنه ، وجعلوا يزيدون فيه فى كلّ يوم وليلة ، وهو متوسط دورهم ، والمؤونة لذلك تسهل عليهم وتغلظ على مَنْ حاول قلعه .

فرأى أبو أحمد أن يحارب بفريق بعد فريق من أصحاب لؤلؤ ، ليَضْرَوا[1] لمحاربة الزّنْج ، ويقفوا على المسالك والطرق فى مدينتهم ، فأمر لؤلؤاً أن يحضر فى جماعة من أصحابه للحرب على هذا السكْر ، وأمر بإحضار الفَعَلة لقلعه ، ففعل . فرأى الموفق[2] من نجدة لؤلؤ وإقدامه وشجاعة أصحابه وصبرهم على ألم الجراح وثبات العدّة اليسيرة منهم ، فى وجوه الجمع الكثير من الزّنْج ماسرّه . فأمر لؤلؤاً بصرْف[3] أصحابه إشفاقاً عليهم ، وضنّاً بهم ، فوصلهم الموفق ، وأحسن إليهم ، وردّهم إلى معسكرهم ، وألحّ الموفّق على هذا السكْر ؛ فكان يحارب المحامين عنه من أصحاب الخبيث بأصحاب لؤلؤ وغيرهم ، والفَعَلة يعملون فى قَلْعه ، ويحارب الفاجر وأشياعه من عدّة وجوه ، فيحرق مساكنهم ، ويقتل مقاتلَتَهم ، ويستأمن إليه الجماعة من رؤسائهم . ٣/٢٠٨٢

وكانت قد بقيَتْ للخبيث وأصحابه أرَضُون من ناحية نهر الغربىّ ، كان لهم فيها مزارع وخُضَر وقنطرتان على نهر الغربىّ ، يعبرون عليها إلى هذه الأرَضين ، فوقف أبو العباس على ذلك فقصد لتلك الناحية ، واستأذن الموفق فى ذلك ، فأذن له ، وأمره باختيار[4] الرّجال ، وأن يجعلهم شجعاء أصحابه وغلمانه ؛ ففعل أبو العباس ذلك ، وتوجه نحو نهر الغربىّ ، وجعل زِيرك كميناً فى جمع من أصحابه فى غربىّ النهر ، وأمر رشيقاً غلامه أن يقصدَ فى جمع كثير من أنجاد رجاله ومختاريهم للنهر المعروف بنهر العمَيْسيين ؛ ليخرج فى ظهور الزّنْج وهم غارّون ، فيوقع بهم فى هذه الأرضين . وأمر زِيرك أن يخرج فى

(١) ابن الأثير : « ليتمرنوا على قتالهم » .
(٢) س : « أبو أحمد » .
(٣) س : « فصرف » .
(٤) س : « بإحضار » .

٣/٢٠٨٣ وجوههم إذا أحسّ بانهزامهم من رشيق .

وأقام أبو العباس فى عدة شذوات قد انتخب مقاتلتها واختارهم فى فوّهة نهر الغربىّ ، ومعه من غلمانه البيضان والسودان عدد قد رضيه ؛ فلما ظهر رشيق للفجرة فى شرقىّ نهر الغربىّ ، راعهم فأقبلوا يريدون العبور إلى غربيه ليهربوا إلى عسكرهم ؛ فلما عاينهم أبو العباس اقتحم النّهر بالشّذَوات ، وبث الرّجّالة على حافتيْه ، فأدركوهم ووضعوا السيف[1] فيهم ، فقتل منهم فى النهر وعلى ضفّتيه خلْق كثير ، وأسر منهم أسرى ، وأفلت آخرون ، فتلقاهم زيرك فى أصحابه فقتلوهم ، ولم يفلت منهم إلاّ الشريد ، وأخذ أصحاب أبى العباس من أسلحتهم ما ثقل عليهم حمله ؛ حتى ألقوا أكثره . وقطع أبو العباس القنطرتيْن ، وأمر بإخراج ما كان فيهما من البُدود والخشب إلى دِجْلة وانصرف إلى الموفق بالأسارى والرءوس ، فطيف بها فى العسكر ، وانقطع عن الفسقة ما كانوا يرتفقون به من المزارع التى كانت بنهر الغربىّ .

* * *

وفى ذى الحجة من هذه السنة . أعنى سنة تسع وستين ومائتين — أدخل عيال صاحب الزّنج وولده بغداد .

وفيها سُمّىَ صاعد ذا الوزارتين .

* * *

وفى ذى الحجة منها كانت وقعة بين قائدين وجيش معهما لابن طولون كان أحدهما يسمّى محمد بن السراج والآخر منهما يعرف بالغنَوىّ ، كان ابن طولون وجّههما ، فوافيا مكة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى القعدة فى ٣/٢٠٨٤ أربعمائة وسبعين فارسًا وألفىْ راجل[2] ؛ فأعطوا الجزّارين والحنّاطين[3] دينارين دينارين ، والرؤساء سبعة سبعة ، وهارون بن محمد عامل مكة إذْ ذاك ببستان ابن عامر ، فوافى مكة جعفر بن الباغمردىّ لثلاث خلَوْن من ذى الحجة فى نحو من مائتى فارس ، وتلقّاه هارون فى مائة وعشرين فارساً ومائتى

---

(١) س : « السلاح » . (٢) ب : « رجل » .
(٣) س : « والخياطين » .

أسود وثلاثين فارسًا من أصحاب عمرو بن الليث ومائتى راجل ممّن قدم من العراق ، فقوىَ بهم جعفر ، فالتقوْا هم وأصحاب ابن طولون . وأعان جعفرًا حاجُّ أهل خراسان ، فقتِل من أصحاب ابن طولون ببطن مكة نحو من مائتى رجل ، وانهزم الباقون فى الجبال . وسلِبوا دوابّهم وأموالهم ، ورفع جعفر السيف . وحوى جعفر مضرب الغنَـوِىّ . وقيل : إنه كان فيه مائتا ألف دينار . وآمن المصريّين والحنّاطين والجزارين ، وقُرئ كتاب فى المسجد الحرام[1] بلعْن ابن طولون ، وسلِم الناس وأموال التجار .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمىّ . ولم يبرح إسحاق بن كنداج — وقد وُلِّىَ المغرب كله فى هذه السنة — سامرّا حتى انقضت السنة .

(١) ب : « الجامع » .

ثم دخلت سنة سبعين ومائتين

٢٠٨٥/٣

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

فى المحرّم منها كانت وقعة بين أبى أحمد وصاحب الزّنج أضعفت[١] أركان صاحب الزنج .

[ذكر الخبر عن قتل صاحب الزنج وأسْر من معه]

وفى صفر منها قتل الفاجر،وأسر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمدانىّ واستريح من أسباب الفاسق .

* ذكر الخبر عن هاتين الوقعتين :

قد ذكرنا قبل أمر السّكْر الذى كان الخبيث أحدثه ، وما كان من أمر أبى أحمد وأصحابه فى ذلك . ذكر أن أبا أحمد لم يزل ملحًّا على الحرب على ذلك السّكْر حتى تهيّأ له فيه ما أحبّ ، وسهل المدخل للشّذا فى نهر أبى الخصيب فى المدّ والجزر ، وسهل لأبى أحمد فى موضعه الذى كان مقيماً فيه كل ما أراده من رُخص الأسعار وتتابع الميَر وحَمْل الأموال إليه من البلدان ورغبة الناس فى جهاد الخبيث ومَنْ معه من أشياعه ؛ فكان ممّن صار إليه من المطوّعة أحمد بن دينار عامل إيذَج ونواحيها من كُور الأهواز فى جمع كثير من الفرسان والرّجّالة ؛ فكان يباشر الحرب بنفسه وأصحابه إلى أن قُتل الخبيث . ثم قدم بعده من أهل البحرين — فيما ذكر — خلق كثير ، زُهاء ألفى رجل ، يقودهم رجل من عبد القيس ، فجلس لهم أبو أحمد،ودخل إليه رئيسهم ووجوههم ؛ فأمر أن يُخلع عليهم ؛ واعترض رجالهم أجمعين . وأمر[٢] بإقامة الأنزال لهم،وورد بعدهم زهاء ألف رجل من كُور فارس ، يرأسهم شيخ من المطوّعة يكنى أبا سلمة ، فجلس لهم الموفّق، فوصل إليه هذا الشيْخ ووجوه

٢٠٨٦/٣

---

(١) ب : « أضعف » . (٢) س : « لهم » .

أصحابه ، فأمر لهم بالخِلع ، وأقرّ[١] لهم الأنزال ، ثم تتابعت المطوّعة من البلدان ؛ فلما تيسر له ما أراد من السّكْر الذى ذكرنا ، عزم على لقاء الخبيث ، فأمر بإعداد السفن والمعابر وإصلاح آلة الحرب فى الماء وعلى الظّهْر ، واختار مَنْ يثِق ببأسه ونجدته فى الحرب فارساً وراجلاً ؛ لضيق المواضع التى كان يحارب فيها وصعوبتها وكثرة الخنادق والأنهار بها ؛ فكانت عِدّة مَنْ تخيّر من الفرسان زُهاء ألفى فارس ، ومن الرّجالة خمسين ألفاً أو يزيدون ، سوى مَنْ عبر من المطوّعة وأهل العسكر ، ممّن لا ديوان له ، وخلّف بالموفقيّة من لم يتسع السفن بحمله جمّاً كثيراً أكثرهم من الفرسان .

وتقدّم الموفّق إلى أبى العباس فى القصد للموضع الذى كان صار إليه فى يوم الثلاثاء لعشر خلوْن من ذى القعدة سنة تسع وستين ومائتين من الجانب الشرقىّ بإزاء دار المهلبىّ فى أصحابه وغلمانه ومَنْ ضمّهم إليه من الخيل والرجّالة[٢] والشّذا . وأمر صاعد بن مخلّد بالخروج على النهر المعروف بأبى شاكر فى الجانب الشرقىّ أيضاً ، ونظم القوّاد من مواليه وغلمانه من فُوّهة نهر أبى الخصيب إلى نهر الغربىّ . وكان فيمن خرج من حدّ دار الكرنبائىّ إلى نهر أبى شاكر راشد ولؤلؤ، مولياً الموفق ، فى جمع من الفرسان والرّجالة زُهاء عشرين ألفاً ، يتلو بعضُهم بعضاً ، ومن نهر أبى شاكر إلى النهر المعروف بجوى كور جماعة من قوّاد الموالى والغلمان ، ثم من نهر جوى كور إلى نهر الغربىّ مثل ذلك . وأمر شبلا أن يقصد فى أصحابه ومَن ضُمّ إليه إلى نهر الغربىّ ، فيأتى منه مؤازياً لظهر دار المهلبىّ ، فيخرج من ورائها عند اشتباك الحرب ، وأمر الناس أن يزحفوا[٣] بجميعهم إلى الفاسق ؛ لا يتقدّم بعضهم بعضاً ؛ وجعل لهم أمارة الزّحْف ؛ تحريك علم أسود أمر بنصبه على دار الكرنبائى بفُوّهة نهر أبى الخصيب فى موضع منها مشيد عالٍ ، وأن ينفخ لهم ببوق بعيد الصوت ، وكان عبوره يوم الاثنين لثلاث ليال بقين من المحرّم سنة سبعين ومائتين ، فجعل بعض مَن كان على النهر المعروف بجوى كور يزْحف قبل ظهور العلامة ؛ حتى قرب ٢٠٨٧/٣

(١) س : « وأقيمت » .
(٢) ب : « الرجل » .
(٣) ب : « يرجعوا » .

من دار المهلبيّ ، فلقيه وأصحابه الزّنْج فردّوهم إلى مواضعهم ، وقَتَلُوا منهم جمعًا ،ولم يشعر سائر الناس بما حدَث على هؤلاء المتسرّعين للقتال لكثرتهم وبعد المسافة فيما بين بعضهم وبعض .

فلمّا خرج القوّاد ورجالهم من المواضع التى أمِرُوا بالخروج منها ، واستوى الفرسان والرجّالة فى أماكنهم ، أمر الموفّق بتحريك العلَم والنفخ فى البوق ، ودخل النهر فى الشّذَا ، وزحف الناس يتلو بعضهم بعضًا ، فلقيَهم الزّنج قد حشدوا وجمّوا واجترءوا بما تهيأ لهم على من كان تسرّع إليهم ، فلقيهم الجيش بنيّات صادقة وبصائر نافذة ، فأزالوهم عن مواضعهم بعد كرّات كانت بين الفريقين ، صُرِع فيها منهم جمع كثير . وصبر أصحاب أبى أحمد ، فمنّ الله عليهم بالنّصر [1] ، ومنحهم أكتاف الفسقة ، فولّوْا منهزمين ، وأتبعهم [2] أصحاب الموفق ، يقتلون ويأسرون . وأحاط أصحاب أبى أحمد بالفجرة من كلّ موضع ، فقتل الله منهم فى ذلك اليوم ما لا يحيط به الإحصاء ، وغرق منهم فى النهر المعروف بجوى كور مثل ذلك ، وحوى أصحاب الموفّق مدينةَ الفاسق بأسرها ، واستنقذوا مَنْ كان فيها من الأسرى [3] من الرجال والنساء والصبيان ، وظفروا بجميع عيال علىّ بن أبان المهلبىّ وأخويه الخليل ومحمد ابنى أبان وسليمان بن جامع وأولادهم ، وعبر بهم إلى المدينة الموفقيّة . ومضى الفاسق فى أصحابه ومعه المهلبىّ وابنه أنكلاى وسليمان بن جامع وقوّاد من الزّنج وغيرهم هُرّابًا ، عامدين لموضع قد كان الخبيث رآه لنفسه ومَنْ معه ملجأ إذا غُلبوا على مدينته ؛ وذلك على النهر المعروف بالسفيانىّ .

٢٠٨٨/٣

وكان أصحاب أبى أحمد حين انهزم الخبيث ، وظفروا بما ظفروا به ، أقاموا عند دار المهلبىّ الواغلة فى نهر أبى الخصيب ، وتشاغلوا بانتهاب ما كان فى الدار وإحراقها وما يليها ، وتفرّقوا فى طلب النهب ؛ وكُلّ مَا بقى للفاسق وأصحابه مجموعاً فى تلك الدار .

وتقدم أبو أحمد فى الشّذا قاصداً للنهر المعروف بالسفيانىّ ، ومعه لؤلؤ فى

---

(١) س : « بالظفر » .
(٢) ب : « وأتبع » .
(٣) س : « الأسارى » .

أصحابه الفرسان والرجالة ، فانقطع عن باقى الجيش ، فظنُّوا أنه قد انصرف ، فانصرفوا إلى سفنهم بما حوَوْا ، وانتهى الموفّق فيمن معه إلى معسكر الفاسق وأصحابه وهم منهزمون ؛ فأتبعهم لؤلؤ وأصحابُه حتى عبروا النهر المعروف بالسفيانىّ ، فاقتحم لؤلؤ النهر بفرسه ، وعَبَر أصحابه خَلْفه ، ومضى الفاسق حتى انتهى إلى النهر المعروف بالقريرىّ ، فوصل إليه لؤلؤ وأصحابُه ، فأوقعوا به وبمَنْ معه ، فكشفوهم ، فولَّوْا هاربين وهم يتبعونهم ، حتى عَبَرُوا النهر المعروف بالقريرىّ ، وعبر لؤلؤ وأصحابه خلفهم وألجئوهم إلى النهر المعروف بالمساوان ، فعبروه واعتصموا بجبل وراءه . ٢٠٨٩/٣

وكان لؤلؤ وأصحابه الذين انفردوا بهذا الفعل دون سائر الجيش ، فانتهى بهم الجدّ فى طلب الفاسق وأشياعه إلى هذا الموضع الذى وصفنا فى آخر النهار ، فأمره الموفّق بالانصراف محمود الفعل ، فحمله الموفّق معه فى الشَّذا ، وجدّد له من البرّ والكرامة ورفع المرتبة ، لما كان منه فى أمر الفسقة حسب ما كان مستحقًّا . ورجَع الموفق فى الشَّذَا فى نهر أبى الخصيب وأصحاب لؤلؤ يسايرونه . فلما حاذى دار المهلبىّ ، لم ير بها أحدًا من أصحابه ، فعلم أنهم قد انصرفوا ، فاشتدّ غيظه عليهم ، وسار قاصدًا لقصره ، وأمر لؤلؤ بالمضىّ بأصحابه إلى عسكره[1] ، وأيقن بالفتح لما رأى من أمارته ، واستبشر الناس جميعًا بما هيأ الله من هزيمة الفاسق وأصحابه وإخراجهم عن مدينتهم ، واستباحة كلّ ما كان لهم من مال وذخيرة وسلاح ، واستنقاذ جميع من كان[2] فى أيديهم من الأسرى . وكان فى نفس أبى أحمد على أصحابه من الغيظ لمخالفتهم أمره ، وتركهم الوقوف حيث وقفهم ، فأمر بجمع قوّاد مواليه وغلمانه ووجوههم[3] ؛ فجُمعوا له ، فوبّخهم على ما كان منهم وعَجّزهم ، وأغلظ لهم ، فاعتذروا بما توهّموا من انصرافه ، وأنهم لم يعلموا بمسيره إلى الفاسق وانتهائه إلى حيث انتهى من عسكره ؛ وأنهم لو علموا ذلك لأسرعوا نحوه ، ولم يبرحوا موضعهم[4] حتى تحالفوا وتعاقدوا على ألاّ ينصرف منهم أحد إذا توجهوا نحو ٢٠٩٠/٣

(١) س : « معسكره » . (٢) س : « ما كان » .
(٣) س : « ووجوه أصحابه » . (٤) س : « مواضعهم » .

الخبيث حتى يظفرهم الله به ؛ فإن أعياهم ذلك أقاموا بمواضعهم حتى يحكم الله بينهم وبينه . وسألوا الموفق أن يأمر بردّ السفن التى يعبرون فيها إلى الموفقيّة عند خروجهم منها للحرب ، لتنقطع أطماع الذين يريدون الرجوع عن حرب الفاسق من ذلك ، فجزاهم أبو أحمد الخير على تنصّلهم من خطئهم ، ووعدهم الإحسان، وأمرهم بالتأهّب للعبور ، وأن يعطوا أصحابهم بمثل الذى وُعِظوا به . وأقام الموفق بعد ذلك يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة لإصلاح ما يحتاج إليه ؛ فلما كَمَل ذلك تقدّم إلى من يثِق إليه من خاصّته وقُوّاد غلمانه ومواليه، بما يكون عليه عملُهم فى وقت عبورهم .

وفى عشىّ يوم الجمعة ، تقدّم إلى أبى العباس وقوّاد غلمانه[1] ومواليه بالنهوض إلى مواضع سمّاها لهم ؛ فأمر أبا العباس بالقصد فى أصحابه إلى الموضع المعروف بعسكر ريحان ، وهو بين النهر المعروف بالسفيانىّ والموضع الذى لجأ إليه ، وأن يكون سلوكه بجيشه فى النهر المعروف بنهر المغيرة ؛ حتى يخرج بهم فى معترَض نهر أبى الخصيب ، فيوافِى بهم عسكرَ ريحان من ذلك الوجه ، وأنفذ قائداً من قوّاد غلمانه السودان ، وأمره أن يصير إلى نهر الأمير فيعترض فى المَنصف[2] منه ، وأمر سائر قواده وغلمانه بالمبيت فى الجانب الشرقىّ من دِجْلة بإزاء عسكر الفاسق متأهبين للغدوّ على محاربته . وجعل الموفق يطوف فى الشَّذَا على القُوّاد ورجالهم فى عشىّ يوم الجمعة وليلة السبت ، ويفرّقهم فى مراكزهم والمواضع التى رتّبهم فيها من عسكر الفاسق، ليباكروا المصير إليها على ما رسم لهم .

٣/٢٠٩١

وغدا الموفّق يوم السبت لليلتين خلَتا من صفر سنة سبعين ومائتين ، فوافى نهر أبى الخصيب فى الشذا ، فأقام بها حتى تكامل عبورُ الناس وخروجهم عن سفنهم ، وأخذ الفرسان والرجّالة مراكزَهم ، وأمر بالسفن والمعابر فُردّت إلى الجانب الشرقىّ ، وأذن للناس فى الزّحف إلى الفاسق ، وسار يقدمهم حتى وافى الموضع الذى قدّر أن يثبُت الفسقة فيه لمدافعة الجيش عنهم .

وقد كان الخائن وأصحابه لخبثهم رجعوا إلى المدينة يوم الاثنين بعد انصراف

---

(١) ب : « وقواده » . (٢) س : « النصف » .

الجيش عنها ، وأقاموا بها ، وأملوا أن تتطاول بهم الأيام ، وتندفع[1] عنهم المناجزة ، فوجد الموفق المتسرعين من فرسان[2] غلمانه ورجالتهم قد سبقوا أعظم الجيش ، فأوقعوا بالفاجر وأصحابه وقعةً أزالوهم بها عن مواقفهم ؛ فانهزموا وتفرّقوا لا يلوى بعضهم على بعض ، وأتبعهم الجيش يقتلون ويأسرون مَنْ لحقوا منهم ، وانقطع الفاسق فى جماعة من حُماته من قُوّاد الجيش ورجالهم ، وفيهم المهلبىّ .

٢٠٩٢/٣

وفارقه ابنه أنكلاى وسليمان بن جامع ، فقصد لكل فريق ممّن[3] سمّينا جمع كثيف من موالى الموفق وغلمانه الفرسان والرّجّالة ، ولَقِىَ مَنْ كان رتبه الموفق من أصحاب أبى العباس فى الموضع المعروف بعسكر ريحان المنهزمين من أصحاب الفاجر ، فوضعوا فيهم السلاح . ووافى القائد المرتب فى نهر الأمير ، فاعترض الفجرة ، فأوقع بهم . وصادف سليمان بن جامع فحاربه ، فقتل جماعة من حُماته ، فظفر بسليمان فأسره ، فأتى به الموفق بغير عهد ولا عقد ، فاستبشر الناس بأسر سليمان ، وكَثُر التكبير والضجيج ، وأيقنوا بالفتح إذ كان أكثر أصحابه غَنَاء عنه . وأسر بعده إبراهيم بن جعفر الهمدانى – وكان أحد أمراء جيوشه – وأسِر نادر الأسود المعروف بالحفار ، وهو أحد قدماء أصحاب الفاجر – فأمر الموفّق بالاستيثاق منهم وتصييرهم فى شذاة لأبى العباس. ففُعل ذلك .

ثم إن الزّنْج الذين انفردوا مع الفاسق عطفوا على الناس عطفة أزالوهم بها عن مواقفهم ، ففتروا لذلك ، وأحسّ الموفّق بفتورهم ، فجدّ فى طلب الخبيث ، وأمعن فى نهر أبى الخصيب ، فشدّ ذلك من قلوب مواليه وغلمانه ، وجدّوا فى الطلب معه .

٢٠٩٣/٣

وانتهى الموفّق إلى نهر أبى الخصيب ، فوافاه البشير بقتل الفاجر ؛ ولم يلبث أن وافاه بشير آخر ومعه كفّ زعم أنها كفه ، فقوىَ الخبر عنده بعض القُوّة . ثم أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركُض على فرس ، ومعه رأس الخبيث،

---

(١) س : « تتدافع » . (٢) س : « قواد » .
(٣) س : « فريق منهم » .

فأدناه منه ، فعرضه على جماعة ممن كان بحضرته من قوّاد المستأمنة ، فعرّفوه . فخرّ لله ساجداً على ما أولاه وأبلاه ، وسجد أبو العباس وقُوّاد موالى الموفق وغلمانه شكراً لله ، وأكثروا حمد الله والثناء عليه ، وأمر الموفّق برفع رأس الفاجر على قناة ونصبه بين يديه ، فتأمّله الناس وعرفوا صحة الخبر بقتله ، فارتفعت أصواتهم [1] بالحمد لله .

وذكر أن أصحاب الموفق لما أحاطوا بالخبيث ، ولم يبقَ معه من رؤساء أصحابه إلا المهلبيّ، ولّى عنه هارباً وأسلمه . وقصد النهر المعروف بنهر الأمير ، فقذف نفسه فيه يريد النجاة ، وقبل ذلك ما كان ابن الخبيث[2] أنكلاى فارق أباه ، ومضى يوْمَ النهر المعروف بالديناريّ ، فأقام فيه متحصّناً بالأدغال والآجام ، وانصرف الموفق ورأس الخبيث منصوب[3] بين يديه على قناة فى شَذاة ، يخترق بها نهر أبى الخصيب ، والناس فى جنبتى النهر ينظرون إليه حتى وافى دِجْلة ، فخرج إليها[4] فأمر بردّ السفن التى كان عبر بها فى أول النهار إلى الجانب الشرقى من دِجْلة ، فرُدّت ليعبر الناس فيها . ٣/٢٠٩٤

ثم سار ورأسُ الخبيث بين يديه على القناة ، وسليمان بن جامع والهمدانىّ مصلوبان فى الشّذا ، حتى وافى قصرَه بالموفقيّة . وأمَر أبا العباس بركوب الشذا وإقرار الرأس وسليمان والهمدانىّ على حالهم والسير بهم إلى نهر جَطّى ، وهو أوّل عسكر الموفق ، ليقع عليهم عيون الناس جميعاً فى العسكر ، ففعل ذلك وانصرف إلى أبيه أبى أحمد . فأمر بحبس سليمان والهمدانىّ وإصلاح الرأس وتنقيته .

وذكر أنه تتابع مجىء الزّنج الذين كانوا أقاموا مع الخبيث وآثروا صحبته ، فوافى ذلك اليوم زُهاء ألف منهم ، ورأى الموفق بذل الأمان ، لما رأى من كثرتهم وشجاعتهم ، لئلا تبقى منهم بقية تُخاف معرّتها على الإسلام وأهله ، فكان من وافى من قُوّاد الزّنج ورجالهم فى بقية يوم السبت وفى يوم الأحد

---

(١) س : « الأصوات » .
(٢) س : « من ابن الخبيث » .
(٣) س : « منصوبا » .
(٤) ب : « إليه » .

والاثنين زُهاء خمسة آلاف زنجيّ ، وكان قد قُتِل فى الوقعة وغرق وأسِر منهم خَلْقٌ كثير لا يوقَف على عددهم ، وانقطعت منهم قطعة زهاء ألف زِنجىّ مالوا نحو البرّ ، فمات أكثرهم عطشاً ، فظفر الأعراب بمَن سلم منهم واسترقّوهم.

وانتهى إلى الموفَّق خبر المهلبىّ وأنكلاى ومقامهما بحيث أقاما مع مَنْ تبعهما من جِلّة قُوّاد الزَّنْج ورجالهم ، فبث أنجاد غلمانه فى طلبهم ، وأمرهم بالتضييق عليهم ؛ فلما أيقنوا بأن لا ملجأ لهم أعْطَوْا بأيديهم ، فظفر بهم الموفَّق وبمَنْ معهم ، حتى لم يشذّ أحد . وقد كانوا على نحو العِدّة التى خرجت إلى الموفق بعد قتل الفاجر فى الأمان، فأمر الموفق بالاستيثاق من المهلبىّ وأنكلاى وحبسهما ، ففعل . ٣/٢٠٩٥

* * *

وكان فيمن هرب من عسكر الخبيث يوم السبت ولم يركن إلى الأمان قرطاس الذى كان رمى الموفق بالسهم ، فانتهى به الهرب إلى رامَهُرْمز ، فعرفه رجل قد كان رآه فى عسكر الخبيث فدلّ عليه عامل البلد ، فأخذه وحمله فى وَثاق ، فسأل أبو العباس أباه أن يوليه قتلَه فدفعه إليه فقتله .

* * *

[ذكر خبر استئمان درمويه الزنجىّ إلى أبى أحمد]

وفيها استأمن درمويه الزنجىّ إلى أبى أحمد ، وكان درمويه هذا — فيما ذكر — من أنجاد الزَّنْج وأبطالهم ، وكان الفاجر وجّهه قبل هلاكه بمدة طويلة إلى أواخر نهر الفَهْرَج ، وهى من البصرة فى غربىّ دجلة ، فأقام هنالك[1] بموضع وَعْر كثير النخل والدَّغل والآجام[2] متصل بالبَطِيحة ، وكان درمويه ومَن معه هنالك يقطعون على السابلة فى زواريق خِفاف وسُميريّات اتّخذوها لأنفسهم ، فإذا طلبهم أصحاب الشّذا ولجوا الأنهار الضيّقة ، واعتصموا بمواضع الأدغال منها ، وإذا تعذّر عليهم مسلك نَهر منها لضيقها خرجوا من سفنهم وحملوها على ظهورهم ، ولجئوا إلى هذه المواضع الممتنعة . وفى خلال ذلك يُغيرون على قرى البَطِيحة ومَا يليها ، فيقتلون ويسلبون

(١) ب : « هناك » . (٢) ب : « والآكام » .

مَنْ ظفروا به ؛ فمكث درمويه ومَنْ معه يفعلون هذه الأفعال إلى أن قتل الفاجر وهم بموضعهم الذى وصفنا أمره ، لا يعلمون بشىء مما حدث على صاحبهم . فلما فُتح بقتل الخبيث موضعه ، وأمن الناس[1] وانتشروا فى طلب المكاسب وحمل التجارات ، وسلكت السابلة دِجْلة ،أوقع درمويه بهم ، فقتل وسلب ، فأوحش الناس ذلك ، واشرأبّ لمثل ما فيه درمويه جماعة من شرار الناس وفُسّاقهم ، وحدّثوا أنفسهم بالمصير إليه وبالمقام[2] معه على مثل ما هو عليه ، فعزم الموفق على تسريح جيش من غلمانه السودان ومَنْ جرى مجراهم من أهل البَصَر بالحرب فى الأدغال ومضايق الأنهار ، وأعدّ لذلك صغار السفن وصنوف السلاح ؛ فبينا هو فى ذلك وافى رسول لدرمويه يسأل الأمان له على نفسه وأصحابه ، فرأى الموفق أن يؤمّنه ليقطع مادّة الشرّ الذى كان فيه الناس من الفاجر وأشياعه . ٢٠٩٦/٣

وذُكر أن سبب طلب درمويه الأمان كان أنه كان فيمن أوْقع به قومٌ ممن خرج من عسكر الموفق للقصد إلى منازلهم بمدينة السلام ، فيهم نسوة ، فقتلهم وسلبهم ، وغلب على النسوة اللاتى كنّ معهم ؛ فلما صِرْنَ فى يده بحثهنّ عن الخبر ، فأخبرنه بقتل الفاسق والظفر بالمهلبىّ وأنكلاى وسليمان بن جامع وغيرهم من رؤساء أصحاب الفاسق وقوّاده ومصير أكثرهم إلى الموفق فى الأمان وقبوله إياهم وإحسانه إليهم ؛ فأسقط فى يده ، ولم ير لنفسه ملجأ إلاّ التعوّذ بالأمان ومسألة الموفق الصفح عن جُرْمه ، فوجّه فى ذلك ، فأجيب إليه . فلما ورد عليه الأمان خرج وجميع من معه حتّى وافى عسكر الموفق ، فوافت منهم قطعة حسنة كثيرة العدد لم يصبها بؤس الحصار وضرّه مثل ما أصاب سائر أصحاب الخبيث ، لما كان يصل إليهم من أموال الناس وميرهم . ٢٠٩٧/٣

فذكر أن درمويه لما أومن[3] وأحسن إليه وإلى أصحابه ، أظهر كلّ ما كان فى يده وأيديهم من أموال الناس وأمتعتهم ، وردّ كلّ شىء منه إلى أهله ردّاً ظاهراً مكشوفاً ، فوفِق بذلك على إنابته ، فخلع عليه وعلى وجوه

(١) س : « وعلم موضعه الناس» . (٢) س : « والمقام » .
(٣) ب : « قد كان أومن » .

أصحابه وقُوّاده ، ووصلوا . فضمهم الموفق إلى قائد من قُوّاد غلمانه ، وأمر الموفّق أن يكتب إلى أمصار الإسلام بالنداء فى أهل البصرة والأبُلّة وكُور دِجْلة وأهل الأهواز وكورَها وأهل واسط وما حولها مما دخله الزّنج بقتل الفاسق ، وأن يُؤمَروا بالرجوع إلى أوطانهم . ففُعل ذلك ، فسارع الناس إلى ما أمِرُوا به ، وقدموا المدينة الموفقيّة من جميع النواحى .

وأقام الموفّق بعد ذلك بالموفقيّة ليزداد الناس بمقامه أمناً وإيناسًا ، وولّى البصرة والأبُلّة وكُور دِجْلة رجلاً من قُوّاد مواليه قد كان حمِد مذهبه ، ووقف على حسن سيرته ، يقال له العباس بن تركس ؛ فأمره بالانتقال إلى البصرة والمقام بها .

وولّى قضاء البصرة والأبُلّة وكُور دِجْلة وواسط محمد بن حماد .

وقدّم ابنه أبا العباس إلى مدينة السلام ، ومعه رأس الخبيث صاحب الزّنْج ليراه الناس ، فاستبشروا ، فنفذ أبو العباس فى جيشه حتى وافى مدينة السلام يوم السبت لاثنتى عشرة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ، فدخلها فى أحسن زىّ ، وأمر برأس الخبيث فسِير به بين يديه على قناة ، واجتمع الناس لذلك .

٣/٢٠٩٨

وكان خروج صاحب الزنج فى يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقتِل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين ، فكانت أيّامه من لدن خرج إلى اليوم الذى قتل فيه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام ، وكان دخوله الأهواز لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان دخوله البصرة وقتله أهلها وإحراقه لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال سنة سبع وخمسين ومائتين ، فقال — فيما كان من أمر الموفق ، وأمْر المخذول — الشعراء أشعارًا كثيرة ، فمما قيل فى ذلك قول يحيى بن محمد الأسلمىّ :

أَقولُ وقد جاءَ البشيرُ بوقعةٍ ... أَعَزَّتْ من الإسلامِ ما كان واهِيا

جزَى اللهُ خيرَ النَّاسِ للناسِ بعْدَما ... أُبِيح حِمَاهمْ خيرَ ما كان جازيا

تَفَرَّد إذ لم ينصر اللهَ ناصرٌ بتجديدِ دينٍ كان أصبح بالِيا
وتشديدِ ملك قد وَهَى بعد عزِّه وإدراكِ ثَاراتٍ تبير الأَعادِيا
٢٠٩٩/٣ وردِّ عِمارات أُزيلتْ وأُخربتْ ليرجع فَىْء قد تخُرِّم وافِيا
ويرجعَ أمْصارٌ أُبيحتْ وأُحْرِقَتْ مِرارًا فقد أمست قِوَاءً عوافيا
ويُشفَى صدور المومنينَ بوقعةٍ يقرُّ بها منا العيونَ البواكيا
ويُتلى كتاب اللهِ فى كل مسجدٍ ويُلقى دعاءُ الطالبيّين خاسِيًا
فأَعرَض عن أَحبابهِ ونعيمِهِ وعن لذةِ الدنيا وأَقبلَ غازِيا

فى قصيدة طويلة . ومن ذلك أَيضاً قوله :

أَينَ نجومُ الكاذِب المارِق ما كان بالطِّبِّ ولا الحاذقِ
صبَّحَهُ بالنحْسِ سعدٌ بدَا لسيِّدٍ فى قولهِ صادقِ
فخرّ فى مأْزِقِه مسلَما إلى أُسُودِ الغابِ فى المازِقِ
وذاق من كأْسِ الردَى شرْبة كريهةَ الطعْم على الذائِق

وقال فيه يحيى بن خالد :

٢١٠٠/٣ يابنَ الخلائفِ من أَرومَةِ هاشمٍ والغامرينَ الناسَ بالإِفضال
والذائدينَ عن الحريمِ عدوّهم والمعلِمين لكل يومِ نِزالِ
ملِكٌ أَعادَ الدينَ بعدَ دروسهِ واستنقذ الأَسْرَى من الأَغلالِ
أَنت المُجيرُ من الزمانِ إذا سَطَا وإليك يَقصِدُ راغبٌ بسؤالِ
أَطفأْتَ نِيرانَ النفاقِ وقدعلَتْ يا واهِبَ الآمال والآجالِ
للهِ درُّكَ من سَليلِ خلائفٍ ماضِى العزيمةِ طاهرِ السِّرْبالِ
أَفنيتَ جمعَ المارقينَ فأَصبحوا متلَدِّدِينَ قد ايقنوا بزوالِ
أَمْطرْتهم عزمات رأْيٍ حازمٍ ملأَتْ قلوبَهُمُ مِنَ الأَهْوالِ
لمّا طَغى الرجسُ اللعينُ قصدته بالمَشرَفِيِّ وبالقَنَا الجوَّالِ

وتركتَهُ والطيرُ يحْجُلُ حولهُ ... مُتقطِّعَ الأَوداجِ والأَوصال
يَهوِى إلى حَرّ الجحيمِ وقعرِها ... بسلاسل قد أوهنَته ثِقالِ ٢١٠١/٣
هذا بما كسبتْ يداهُ وما جَنى ... وبما أَتى من سيئ الأَعمالِ
أَقرَرْتَ عينَ الدينِ ممّن قادَهُ ... وأَدَلْتَهُ من قاتل الأَطفالِ
صال الموفَّقُ بالعراقِ فأَفزعتْ ... مَنْ بالمغاربِ صولةُ الأَبطالِ

وفيه يقول أيضاً يحيى بنُ خالد بن مروان :

أَبِنْ لى جواباً أَيُّها المَنزلُ القفرُ ... فلا زال مُنهلاً بساحاتِكَ القطرُ
أَبِنْ لى عن الجيرانِ أَين تحمَّلوا ... وهل عادَتِ الدنيا ، وهل رجعَ السَّفرُ!
وكيف تجيبُ الدارُ بعد دروسها ... ولم يبقَ من أَعلامِ ساكنِها سَطْرُ
منازلُ أَبكانى مَغَانِيٌّ أَهلهَا ... وضاقت بىَ الدنيا وأَسلَمَنى الصبْرُ
كأَنَّهُمُ قومٌ رغا البكرُ فيهمُ ... وكان على الأَيامِ فى هُلكِهم نُذرُ
وعاثَتْ صُرُوفُ الدهرفيهم فأَسرعت ... وشرُّ ذوى الأَصعادِ ما فعل الدهرُ ٢١٠٢/٣
فقد طابت الدنيا وأَينعَ نَبتُها ... بيُمْنِ ولىِّ العهدِ وانقلب الأَمر
وعاد إلى الأَوطانِ مَنْ كان هارباً ... ولم يبق للملعون فى موضعٍ إِثْرُ
بسيف ولىِّ العَهْد طالت يدُ الهدى ... وأَشْرَق وجْهُ الدين واصطُلم الكُفْر
وجاهَدَهم فى اللهِ حقَّ جِهادِهِ ... بنفسٍ لها طولُ السلامة والنصرُ

وهى طويلة . وقال يحيى بن محمد :

عنّى اشتغالَك إنى عنكِ فى شَغَلِ ... لا تعذُلى مَنْ به وقْرٌ عن العذَلِ
لا تعذُلى فى ارتحالى إننى رجلٌ ... وقفٌ على الشَّدِّ والأَسفارِ والرِّحَلِ
فيمَ المُقامُ إذا ما ضاقَ بى بلدٌ ... كأَننى لحجالِ العينِ والكِلَل
ما استيقظتْ همّةٌ لم تلفِ صاحبها ... يَقظان قَدْ جانبَتْهُ لذةُ المُقَلِ
ولم يبتْ آمِناً من لم يبتْ وجِلاً ... مِنْ أَن يَبيتَ له جار على وَجَلِ ٢١٠٣/٣

وهى أيضًا طويلة .

وفى هذه السنة فى شهر ربيع الأول منها ، ورد مدينةَ السلام الخبرُ أن الرّوم نزلت بناحية باب قلَمْيَة على ستة أميال من طَرَسُوس ؛ وهم زهاء مائة ألف ، يرأسهم بِطْريق البطارقة أندرياس ، ومعه أربعة أخَرُ من البطارقة ، فخرج إليهم يازمان الخادم ليلاً ، فبيّتهم ، فقُتِل بِطريق البطارقة وبِطريق القبَاذيق وبطريق الناطُلق ، وأفلت بِطريق قرّة وبه جراحات ، وأخِذ لهم سبعة صلبان من ذهب وفضة ، فيها صليبهم الأعظم من ذهب مكلّل بالجوهر ، وأخِذ خمسة عشر ألف دابة وبغل ، ومن السروج نحو من ذلك ، وسيوف محلاّة بذهب وفضة وآنية كثيرة ، ونحو من عشرة آلاف علم ديباج ، وديباج كثير وبِزْيون ولُحُف سَمُور ، وكان النفير إلى أندرياس يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول ، فكبِس ليلا وقتل من الروم خلق كثير ، فزعم بعضهم أنه قتل منهم سبعون ألفًا .

٣/٢١٨٤ وفيها تُوفِّىَ هارون بن أبى أحمد الموفق بمدينة السلام يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الأولى .

ولستٍّ خلون من شعبان منها ، ورد الخبرُ بموت أحمد بن طولون مدينةَ السلام — فيما ذكر . وقال بعضهم : كانت وفاته يوم الاثنين لثمان عشرة مضت من ذى القعدة منهـــا .

وفيها مات الحسن بن يزيد العَلوِىّ بطبرستان ، إما فى رجب ، وإما فى شعبان .

وللنصف من شعبان دخل المعتمد بغداد ، وخرج من المدينة حتى نزل بحذاء قُطرُبلّ فى تعبية ، ومحمد بن طاهر يسير بين يديه بالحربة ، ثم مضى إلى سامُرّا .

وفيها كان فداء أهل ساتِيدَمّا على يدى يازمان فى سَلْخ رجب منها .

وفى يوم الأحد لِتسْع بقِين من شعبان من هذه السنة شغَب أصحابُ

أبى العباس بن الموفق ببغداد على صاعد بن مخلد وهو وزير الموفق ، فطلبوا الأرزاق، فخرج إليهم أصحاب صاعد ليدفعوهم ، فصارت رجّالة أبى العباس إلى رحْبة الجسر ، وأصحاب صاعد داخل الأبواب بسوق يحيى ، واقتتلوا، فقتِل بينهم قتلى ، وجُرحت جماعة ، ثم حجَز بينهم الليل ، وبكَروا من الغد ، فوضِع لهم العطاء واصطلحوا .

وفى شوال منها كانت وقعة بين إسحاق بن كُنْداج وابن دعباش ، وكان ابن دعباش على الرَّقة وأعمالها ، وعلَى الثغور والعواصم من قِبَل ابن طولون ، وابن كُنْداج على المَوْصِل من قِبَل السلطان .

وفيها انبثق ببغداد فى الجانب الغربىّ منها من نهر عيسى من الياسرية بَثْقٌ ، فغرّق الدباغين وأصحاب الساج بالكرخ ، ذكر أنه دقّ سبعة آلاف دار ونحوها .

وقتِل فى هذه السنة ملك الروم المعروف بابن الصقلبىّ .

وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمىّ بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس

تمّ الجزء التاسع من تاريخ الطبرى

ويليه الجزء العاشر ، وأوّله :

ذكر الأحداث الكائنة فى سنة إحدى وسبعين ومائتين

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائتين

وأولها يوم الاثنين للتاسع والعشرين من حَزيران ، ولخمس وتسعين ومائة وألف من عهد ذى القرنين .

* ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة :

فمن ذلك ما كان فيها من ورود الخبر فى غُرّة صفر بدخول محمد وعلىّ ابنى الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن حسين المدينة وقتلهما جماعة من أهلها ومطالبتهما أهلها بمال ، وأخذهما من قوم منهم مالاً . وأنّ أهل المدينة لم يصلّوا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جمَع ؛ لا جمعة ولا جماعة ، فقال أبو العباس بن الفضل العلَوىّ :

٢١٠٦/٣

أُخْرِبَتْ دارُ هجرةِ المصطفى البـ ـرِّ فأَبكى إخرابُها المسلمينَا

عينُ فابكى مقام جبريلَ والقبـ ـرَ فبكّى والمِنبرَ المَيْمُونا

وعلى المسجد الذى أُسِّسه التّقـ ـوى خَلاءً أَضحَى من العابدينا

وعلى طَيْبَةَ التى بارك اللـ ـهُ عليها بخاتَم المرسَلِينا

قبَح اللهُ معشرًا أَخربُوها وأَطـاعوا متبَّرًا ملعونا

وفيها أدخِل على المعتمد مَنْ كان حضر ببغداد من حاجّ خراسان ، فأعلمهم أنه قد عزل عمرو بن الليث عما كان قلّده ، ولعنه بحضرتهم ، وأخبرهم أنه قد قلّد خراسانَ محمد بن طاهر ؛ وكان ذلك لأربع بقِين من شوّال . وأمر أيضًا بلعن عمرو بن الليث على المنابر ، فلُعن .

ولثمان بقين من شعبان من هذه السنة شخص صاعد بن مخلَد من معسكر أبى أحمد بواسط إلى فارس لحرب عمرو بن الليث .

ولعشر خلوْن من شهر رمضان منها عُقِد لأحمد بن محمد الطائىّ على المدينة وطريق مكة .

وفيها كانت بين أبى العباس بن الموفَّق وبين خمارويه بن أحمد بن طولون وقعة بالطَّواحين ، فهزَم أبو العباس خمارويه، فركب خمارويه حماراً هاربا منه إلى مصر ، ووقع أصحاب أبى العباس فى النهب . ونزل أبو العباس مضرب خمارَوَيْه، ولا يرى أنه بقى له طالب ، فخرج عليه كمين لخمارويه كان كمَّنه لهم خمارويه، وفيهم سعد الأعسر وجماعة من قُوّاده وأصحابه ،وأصحابُ أبى العباس قد وضعوا السلاح ونزلوا . فشدّ كمين خمارويه عليهم فانهزموا ، وتفرّق القوم ، ومضى أبو العباس إلى طَرَسوس فى نفر من أصحابه قليل ، وذهب كلّ ما كان فى العسكرين ؛ عسكر أبى العباس وعسكر خمارويْه من السلاح والكُراع والأثاث والأموال ، وانتُهب ذلك كله ؛ وكانت هذه الوقعة يوم السادس عشر من شوّال من هذه السنه — فيما قيل . ٢١٠٧/٣

وفيها وثب يوسف بن أبى الساج — وكان والى مكة — على غلام للطائىّ يقال له بدر ، وخرج واليًا على الحاجّ فقيّده ، فحارب ابن أبى الساج جماعةٌ من الجند ، وأغاثهم الحاجُّ ، حتى استنقذوا غلام الطائىّ، وأسروا ابن أبى الساج ، فقُيّد وحُمل إلى مدينة السلام ، وكانت الحرب بينهم على أبواب المسجد الحرام .

وفيها خرّبت العامة الدَّيْر العتيق الذى وراء نهر عيسى ، وانتهبوا كلّ ما كان فيه من متاع ، وقلعوا الأبواب والخشب وغير ذلك ، وهدموا بعض حيطانه وسقوفه؛ فصار إليهم الحسين بن إسماعيل صاحب شُرْطة بغداد من قِبَل محمد بن طاهر ، فمنعهم من هَدْم ما بقىَ منه؛ وكان يتردّد إليه أياما هو والعامة ؛ حتى يكاد يكون بين أصحاب السلطان وبينهم قتال ، ثم بنى ما كانت العامة هدمتْه بعد أيام ، وكانت إعادة بنائه — فيما ذكر — بقوّة عبدُون بن مَخْلَد[1] ؛ أخى صاعد بن مَخْلَد . ٢١٠٨/٣

وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى العباسىّ .

---

(١) س : « محمد » .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائتين

أولها يوم الجمعة للثامن عشر من حَزِيران، سنة ست وتسعين ومائة وألف لذى القرنين .

* ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث :

فمما كان فيها من ذلك إخراجُ أهل طَرَسوس أبا العباس بن الموفّق من طَرَسوس؛ لخلاف كان وقع بينه وبين يازَمان ؛ فخرج عنها يريد بغداد للنصف من المحرَّم من هذه السنة .

وفيها تُوُفِّيَ سليمان بن وهب فى حبس الموفّق يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة بقيت من صفر .

وفيها تجمّعت العامة، فهدموا ما كان بُنِيَ من البيعة يوم الخميس لثمان خَلَوْن من شهر ربيع الآخر .

وفيها حكَّم شارٍ فى طريق خُراسان، وصار إلى دَسْكَرة المَلك ، فقتل وانتهب .

وفيها ورد الخبر مدينة السلام بدخول حَمْدان بن حمدون وهارون الشارى مدينةَ الموصِل ، وصلّى الشارى بهم فى مسجد الجامع . ٢١٠٩/٣

وفيها قدم أبو العباس بن الموفّق بغداد منصرفا من وقعته مع ابن طولون بالطواحين لتسع بقين من جمادى الآخرة .

وفيها نُقِبَ المطبَق من داخله ، وأخرج الذوائبيّ العلوىّ ونفسان معه ، وكانوا قد أعدّت لهم دوابّ توقف فى كل ليلة ليخرجوا فيركبوها هاربين . فنُذِر بهم ، وغُلِّقت أبواب مدينة أبى جعفر المنصور ، فأخذ الذوائبيُّ ومَنْ خَرَج معه ، وركب محمد بن طاهر ، وكتب بالخبر إلى الموفَّق وهو مقيم بواسط ، فأمر أن تُقْطع يد الذوائبيّ ورجله من خلاف ، فقُطع فى مجلس الجَسْر بالجانب الغربىّ ، ومحمد بن طاهر واقف على دابّته ، وكُوِى يوم الاثنين لثلاث

خَلَوْن من جمادى الآخرة .

وفيها قدم صاعد بن مَخْلَد من فارس ، ودخل واسط فى رجب ، فأمر الموفّق جميع القواد أن يستقبلوه ، فاستقبلوه ، وترجّلوا له ، وقبّلوا كَفّه[١] .

وفيها قبض الموفّق على صاعد بن مَخْلَد بواسط وعلى أسبابه ، وانتهب منازلهم يوم الاثنين لتسع خلوْن من رجب ، وقبض على ابنيه أبى عيسى وأبى صالح ببغداد ، وعلى أخيه عبدون وأسبابه بسامُرّا ، وذلك كله فى يوم واحد ، وهو اليوم الذى قبض فيه على صاعد ، واستكتب الموفّق إسماعيل بن بلبُل ، واقتصر به على الكتابة دون غيرها . ٣/٢١١٠

ووردت الأخبار فيها أن مصر زُلزلت فى جمادى الآخرة زلازل أخربت الدّور والمسجد الجامع ، وأنه أحصِىَ فى يوم واحد بها ألف جنازة .

وفيها غلا السعر ببغداد ؛ وذلك أنّ أهل سامُرّا منعوا — فيما ذُكر — سفن الدقيق من الانحدار إليها ، ومنع الطائىّ أربابَ الضِّياع من دياس الطعام وقسمه ، يتربّص بذلك غلاء الأسعار[٢] ، فمنع أهل بغداد الزيت والصابون والتمر وغير ذلك من حَمْله إلى سامُرّا ، وذلك فى النصف من شهر رمضان .

وفيها ضجّت العامة بسبب غلاء السعر ، واجتمعت للوثوب بالطائىّ ، فانصرفوا من مسجد الجامع للنصف من شوال إلى داره بين باب البصرة وباب الكوفة ، وجاءوه من ناحية الكَرْخ ، فأصعد الطائىّ أصحابَه على السطوح ، فرَموْهم بالنُّشاب ، وأقام رجاله على بابه وفى فناء داره بالسيوف والرّماح ، فقتِل بعضُ العامة ، وجُرحت منهم جماعة ، ولم يزالوا يقاتلونهم إلى الليل ، فلما كان الليل انصرفوا ، وباكروه من غد ، فركب محمد بن طاهر ، فسكن الناس وصرفهم عنه .

وفيها تُوفِّىَ إسماعيل بن بُريه الهاشمىّ ، يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال منها .

ولثمان بقين منها توفِّىَ عبيد الله بن عبد الله الهاشمىّ .

---

(١) ب : « كمه » . (٢) س : « السّعر » .

وفيها كانت للزَّنْج بواسط حركة ، فصاحوا : أنكلاى ، يا منصور ! ٢١١١/٣
وكان أنكلاى والمهلبىّ وسليمان بن جامع والشعرانىّ والهمدانىّ وآخر معهم[(١)] من قُوّاد الزنج محتَبسين[(٢)] فى دار محمد بن عبد الله بن طاهر بمدينة السلام فى دار البِطّيخ ، فى يد غلام من غلمان الموفّق ، يقال له : فتح السعيدىّ ، فكتب الموفّق إلى فَتْح أن يوجّه برءوس هؤلاء الستة ، فدخل إليهم ، فجعل يخرج الأول فالأول منهم ، فذبحهم غلام له ، وقلع رأس بالوعة فى الدار ، وطرحت أجسادهم فيها ، وسدّ رأسَها ، ووجّه رءوسهم إلى الموفق .

وفيها ورد كتاب الموفّق على محمد بن طاهر فى جثث هؤلاء الستة المقتولين ، فأمره بصلْبها بحضرة الجسر ، فأخرجوا من البالوعة ، وقد انتفخوا ، وتغيّرت روائحهم ، وتقشّر بعض جلودهم ، فحُملوا فى المحامل : المحمل بين رجلين ؛ وصُلِب ثلاثة منهم فى الجانب الشرقىّ ، وثلاثة فى الجانب الغربىّ ، وذلك لسبع بَقِين من شوال من هذه السنة ، وركب محمد بن طاهر حتى صُلبوا بحضرته.

وفيها صلَح أمر مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعَمِرت ، وتراجع الناس إليها .

وفيها غزا الصائفة يا زَمان .

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بين عيسى بن موسى الهاشمىّ .

---

(١) س : « وأخرجهم » . (٢) ب : « فحبسوا » .

٢١١٢/٣

ثم دخلتِ سنة ثلاث وسبعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت وقعة بين أحمد بن عبد العزيز بن أبى دُلف وعمرو بن الليث الصفّار يوم السادس عشر من شهر ربيع الأول .

وفيها كانت أيضًا وقعة بين إسحاق بن كُنداج ومحمد بن أبى الساج بالرّقة ، فانهزم إسحاق ؛ وكان ذلك يوم الثلاثاء لتسع خلوْن من جمادى الأولى .

وفيها قدمت رسل يازَمان من طَرَسُوس ، فذكروا أنّ ثلاثة بنين لطاغية الروم وثبوا عليه ، فقتلوه وملّكوا أحدهم عليهم .

وفيها قيّد أبو أحمد لؤلؤًا القادم عليه بالأمان من عند ابن طولون ، واستصفى ماله ، لثمان بقين من ذى القعدة من هذه السنة . وذُكر أنّ الذى أخذ من ماله كان أربعمائة ألف دينار .

وذكروا عن لؤلؤ أنه قال : ما عرفتُ لنفسى ذنبًا استوجبت به ما فُعِل بى إلاّ كثرة مالى .

وفيها كانت بين محمّد بن أبى الساج وإسحاق بن كُنْداج وقعة أخرى لأربع عشرة ليلة خلتْ من ذى الحجة ؛ وكانت الدّبَرة فيها على ابن كُنْداج .

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى بن علىّ بن عبد الله بن عباس .

ثم دخلتِ سنة أربع وسبعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك شخوص أبى أحمد إلى كَرْمان لحرب عمرو بن الليث لاثنتى عشرة بقيَت من شهر ربيع الأول .

وفيها غزا يازَمان ، فبلغ المسكنين ، فأسر وغنم ، وسلم والمسلمون ، وذلك فى شهر رمضان منها .

وفيها دخل صِدِّيق الفرغانىّ دور سامرّا ، فأغار على أموال التجار ، وأكثر العيْث فى الناس ، وكان صِدِّيق هذا يخفر أوّلا الطريق ، ثم تحوّل لصا خاربا[1] يقطع الطريق .

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد الهاشمىّ .

---

(١) كذا فى س ، وفى ط : « حاربا » ، وفى اللسان : « الخارب : سارق الإبل خاصة ، ثم نقل إلى غيرها اتساعاً » .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من توجيه الطائىّ جيشًا إلى سامُرّا بسبب ما أحدث صِدّيق بها وإطلاقه أخاه من السجن ؛ وكان أسيراً عنده ، وذلك فى المحرّم من هذه السنة. ثم خرج الطائىّ إلى سامرّا ، وأرسل صِدّيقًا ووعده ومنّاه وأمّنه ، فعزم على الدخول إليه فى الأمان ، فحذّره ذلك غلامٌ له يقال له هاشم ، وكان — فيما ذكر — شجاعًا ، فلم يقبل منه ، ودخل سامرّا مع أصحابه ، وصار إلى الطائىّ ، فأخذه الطائىّ ، ومَنْ دخل معه منهم ، فقطع يد صدّيق ورجله ويد هاشم ورجله وأيدى جماعة من أصحابه وأرجلهم وحبسهم[1] ، ثم حملهم فى محامل إلى مدينة السّلام ، وقد أبرزَتْ أيديهم وأرجلهم المقطّعة ليراها[2] الناس ، ثم حُبِسوا . ٣/٢١١٤

وفيها غزا يازمان فى البحر ، فأخذ للروم أربعة مراكب .

وفيها تَصَعْلك فارس العبدىّ ، فعاث بناحية سامُرّا ، وصار إلى كوخها ، فانتهب دور آل حَسَنَج ، فشخص الطائىّ إليه ، فلحقه بالحديثة ، فاقتتلا ، فهزمه الطائىّ وأخذ سواده ، وصار الطائىّ إلى دِجْلة ، فدخل طيّارة ليعبرها ، فأدركه أصحاب العبدىّ فتعلقوا بكوثل الطيّار[3] ، فرمى الطائىّ بنفسه فى دِجْلة ، فعبرها سباحة ، فلما خرج منها نفض لحيته من الماء ، وقال : أيشٍ ظنُّ العبدىّ ؟ أليس أنا أسبح من سمكة ! ثم نزل الطائىّ الجانب الشرقىّ والعبدىّ بإزائه فى الجانب الغربىّ . وفى انصراف الطائىّ قال علىّ بن محمد بن منصور بن نصر بن بَسّام :

قد أَقبلَ الطائىّ ، لا أَقبلا ... قَبَّحَ فى الأَفعال ما أَجمَلا
كأَنَّه من لِينِ أَلفاظِه ... صبيّةٌ تَمْضَغُ جَهْدَ البَلا

(١) س : « ثم حبسهم » . (٢) س : « ليراهم » .

(٣) فى اللسان : «الكوثل : مؤخر السفينة ، وفى الكوثل يكون الملاحون ومتاعهم» . والطيارة أو الطيار : نوع من السفن ، وانظر الوزراء للصابى ٤٦ ، ١٩٧ .

وفيها أمر أبو أحمد بتقييد الطائيّ وحبسه، ففـُعل ذلك لأربعَ عشرةَ خلت من شهر رمضان، وختم على كلّ شيء له، وكان يلى الكوفة وسوادَها وطريق خُراسان وسامُرّا والشرطة ببغداد، وخراج بادوريَا وقطْرُبُّل ومسكِن وشيئًا من ضياع الخاصّة. ٣/٢١١٥

وفيها حبس أبو أحمد ابنه أبا العباس، فشغب أصحابُه، وحملوا السلاح، وركب غلمانه، واضطربت بغداد لذلك، فركب أبو أحمد لذلك حتى بلغ باب الرُّصافة، وقال لأصحاب أبى العباس وغلمانه فيما ذكر: ما شأنكم؟ أتَرَوْنكم أشفقَ على ابنى منى! هو ولدى، واحتجت إلى تقويمه. فانصرف الناس، ووضعوا السلاح، وذلك يوم الثلاثاء لست خلوْن من شوال من هذه السنة.

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد الهاشميّ.

ثم دخلت سنة ستٍ وسبعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ضمّ الشرطة بمدينة السلام إلى عمرو بن الليث ، وكُتب فيها على الأعلام والمطارد والترِّسة– التى تكون فى مجلس الجسر– اسمه ، وذلك فى المحرّم .

ولأربع عشرة خلتْ من شهر ربيع الأول من هذه السنة شخص أبو أحمد من مدينة السلام إلى الجبل ، وكان سبب شخوصه إليها – فيما ذكر – أنّ الماذَرائىّ كاتب اذكوتكين ، أخبره أنّ له هنالك مالاً عظيماً ، وأنه إن شخص صار ذلك إليه ، فشخص إليه فلم يجد من المال الذى أخبره به شيئًا ، فلما لم يجد ذلك شخص إلى الكرَج ، ثم إلى أصبهان يريد أحمد بن عبد العزيز بن أبى دُلف ، فتنحىّ له أحمد بن عبد العزيز عن البلد بجيشه وعياله ، وترك داره بفرشها لينزلها أبو أحمد إذا قدم . ٢١١٦/٣

وقدم محمد بن أبى الساج على أبى أحمد قبل شخوصه من مضربه بباب خُراسان هاربًا من ابن طولون ، بعد وقعات كانت بينهما ، ضعف فى آخر ذلك ابن أبى الساج عن مقاومته ، لقلة من معه وكثرة من مع ابن طولون من الرّجال ، فلحق بأبى أحمد ، فانضمّ إليه ، فخلع أبو أحمد عليه ، وأخرجه معه إلى الجبل .

وفيها وَلِىَ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر شرطة بغداد ، من قِبَل عمرو بن الليث فى شهر ربيع الآخر .

وفيها ورد الخبر بانفراج تلّ بنهر الصِّلة – ويعرف بتلّ بنى شَقيق – عن سبعة أقبر فيها سبعة أبدان صحيحة ، عليها أكفان جدُد لينة ، لها أهداب ، تفوح منها رائحة المسك ، أحدهم شابّ له جُمّة ، وجبهتُه وأذناه وخدّاه وأنفه وشفتاه وذقنه وأشفار عينيه صحيحة ، وعلى شفتيه بلل ، كأنه قد شرب ماء ؛ وكأنه قد كُحِل ، وبه ضربة فى خاصرته ، فرُدّت عليه أكفانه .

وحدثنى بعض أصحابنا أنه جذب من شعر بعضهم ، فوجده قوىّ الأصل نحو قوة شعر الحىّ ، وذكر أن التلّ انفرج عن هذه القُبور عن شبه الحوْض ٣/٢١١٧ من حجر فى لون المسنّ ، عليه كتاب لا يدرَى ما هو !

وفيها أمِر بطرح المطارد والأعلام والترسة التى كانت فى مجالس الشرطة التى عليها اسم عمرو بن الليث ، وإسقاط ذكره ، وذلك لإحدى عشرة خلت من شوال .

وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمىّ ، وكان والياً على مكة والمدينة والطائف .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائتين

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك دعاء يازَمان بطرسوس لخمارويْه بن أحمد بن طولون؛ وكان سبب ذلك — فيما ذكر — أن خمارويه وجّه إليه بثلاثين ألف دينار وخمسمائة ثوب وخمسين ومائة دابة وخمسين ومائة مِمْطر وسلاح، فلما وصل ذلك إليه دعا له، ثم وجّه إليه بخمسين ألف دينار.

وفى أول شهر ربيع الآخر كان بين وصيف خادم ابن أبى الساج والبرابرة أصحاب أبى الصقْر شرّ؛ فاقتتلوا، فقتِل من غلمان الخادم أربعة غلمان ومن البرابرة سبعة؛ فكانت الحرب بينهم بباب الشأم إلى شارع باب الكوفة، فركب إليهم أبو الصقر، فكلمهم فتفرّقوا [١]، ثم عادوا للشرّ بعد يومين، فركب إليهم أبو الصقر فسكّنهم.

٣/٢١١٨

وفيها ولِىَ يوسف بن يعقوب المظالم، فأمر أن ينادَى: مَنْ كانت له مظلمة قِبَل الأمير الناصر لدين الله [٢] أو أحد من الناس فليحضر. وتقدم إلى صاحب الشُّرطة ألاّ يطلق أحدًا من المحبّسين إلاّ مَنْ رأى إطلاقَه يوسف، بعد أن يعرض عليه قصصُهم.

وفى أول يوم من شعبان قدِم قائد من قوّاد ابن طولون فى جيش عظيم من الفرسان والرجّاله بغداد.

وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون بن محمد الهاشمىّ.

---

(١) س: «فكفهم وتفرقوا».

(٢) بعدها فى ابن الأثير: «الموفق».

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك الحرب التى كانت بين أصحاب وصيف الخادم والبربر وأصحاب موسى ، ابن أخت مُفْلِح أربعة أيام تباعًا ، ثم اصطلحوا ؛ وقد قُتل بينهم بضعة عشر رجلا ، وذلك فى أوّل المحرّم ، ثم وقع فى الجانب الشرقىّ حربٌ بين النصريّين وأصحاب يونس ، قُتل فيها رجل ، ثم افترقوا .

وفيها انحدر وصيفٌ خادم ابن أبى الساج إلى واسط بأمر أبى الصقر لتكون عدّة له — فيما ذكر — وذلك أنه اصطنعه وأصحابه ، وأجازه بجوائز كبيرة ، وأدرَّ على أصحابه أرزاقهم ، وكان قد بلغه قدوم أبى أحمد ، فخافه على ٢١١٩/٣ نفسه لما كان من إتلافه[1] ما كان فى بيوت أموال أبى أحمد ؛ حتى لم يبقَ فيها شىء بالهبة التى كان يهب ؛ والجوائز التى كان يُجيز ، والخِلَع التى كان يخلع على القوّاد ، وإنفاقه على القوّاد ، فلما نَفِد ما فى بيت المال ، طالب[2] أرباب الضياع بخراج سنة مُبْهَمة عن أرضيهم[3] ، وحبس منهم بذلك جماعة ؛ وكان الذى يتولّى له القيام بذلك الزّغَل ، فعسف على الناس فى ذلك . وقدم أبو أحمد قبل أن يستوظف[4] أداء ذلك منهم ، فشُغِل عن مطالبة الناس بما كان يطالبهم به[5] . وكان انحدار وصيف فى يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من المحرم .

ولليلتين بقيتا من المحرّم منها ، طلع كوكب ذو جُمّة ، ثم صارت الجمّة ذُؤابة .

* * *

(١) س : « فى إتلافه » .
(٢) س : « طلب » .
(٣) س : « أرضهم » .
(٤) س : « يستنظف » .
(٥) ب : « فيه » .

[ذكر الخبر عن مرض أبى أحمد الموفق ثم موته]

وفيها انصرف أبو أحمد من الجبل إلى العراق ، وقد اشتدّ به وجع النّقْرِس حتى لم يقدر على الركوب ، فاتُّخذ له سرير عليه قبّة ، فكان يقعد عليه ، ومعه خادم يبرّد رجله[1] بالأشياء الباردة ، حتى بلغ من أمره أنه كان يضع عليها الثلج ، ثم صارت علّة رجله داءَ الفيل[2] ، وكان يحمل سريره أربعون حمّالا يتناوب عليه عشرون عشرون ، وربما اشتدّ به أحيانًا ، فيأمرهم أن يضعوه. فذُكر أنه قال يومًا للذين يحملونه : قد ضجرتمْ بحملى ، بودّى أنى أكون كواحد منكم أحملُ على رأسى وآكلُ[3] وأنّى فى عافية . وأنه قال فى مرضه هذا : أطبق دفترى على مائة ألف مرتزِق ، ما أصبح فيهم[4] أسوأ حالاً منى . ٣/٢١٢٠

وفى يوم الاثنين لثلاث بقين من المحرّم منها وافى أبو أحمد النّهروان ، فتلقّاه أكثر الناس ، فركب الماء ، فسار فى النهروان ، ثم فى نهر دَيَالَى ، ثم فى دِجْلة إلى الزعفرانيّة ، وصار ليلة الجمعة إلى الفِرْك ، ودخل داره يوم الجمعة لليلتين خلتا من صفر .

ولما كان فى يوم الخميس لثمان خلون من صَفَر ، شاع موتُه بعد انصراف أبى الصقر من داره ، وقد كان تقدّم فى حفظ أبى العباس ، فغلِّقت عليه أبواب دون أبواب ، وأخذ أبو الصقر ابنَ الفيّاض معه إلى داره ، وكان يبقى بناحيته . وأقام أبو الصقر فى داره يومه ذلك ، وازداد الإرجاف بموت أبى أحمد ، وكانت اعترتْه غَشْية ، فوجّه أبو الصقر يوم الجمعة إلى المدائن ، فحمل منها المعتمد وولده ، فجىء بهم إلى داره ، وأقام أبو الصقر فى داره ولم يَصِرْ إلى دار أبى أحمد ؛ فلما رأى غلمان أبى أحمد المائلون إلى أبى العباس والرؤساء من غلمان أبى العباس الذين كانوا حضوراً ما قد نزل بأبى أحمد ، كسروا أقفال الأبواب المغلّقة على أبى العباس .

فذُكر عن الغلام الذى كان مع أبى العباس فى الحُجْرة أنه قال لما سمع

(١) س : « رجليه » .
(٢) بعدها فى ابن الأثير : « وهو ورم عظيم يكون فى الساق يسيل منه ماء » .
(٣) ابن الأثير : « وآكل » . (٤) ب : « منهم » .

أبو العباس صوت الأقفال تكسَّر قال : ليس يريد هؤلاء إلاّ نفسى .
وأخذ سيفًا كان عنده ، فاستلّه ، وقعد مستوفزاً والسيف فى حجره ، وقال ٢١٢١/٣
لى : تنحَّ أنت ، والله لا وصلوا إلىّ وفىَّ شىء من الروح . قال : فلما فُتِح
الباب كان أوّل من دخل عليه وصيف مُوشْكير — وهو غلام أبى العباس —
فلما رآه رمى السيف[1] من يده ، وعلم أنهم لم يقصدوا إلا الخير ، فأخرجوه
حتى أقعدوه عند أبيه ، وهو بعقب غشيته . فلما فتح أبو أحمد عينيه ، وأفاق
رآه ، فأدناه وقرّبه . ووافى المعتمد — ذلك اليوم الذى وجّه إليه فى حمله ، وهو
يوم الجمعة نصفَ النهار قبل صلاة الجمعة — مدينة السلام ، لتسع خَلَوْن من
صفر ، ومعه ابنه جعفر المفوّض إلى الله ولىُّ العهد وعبد العزيز ومحمد
وإسحاق بنوه ، فنزل علىَ أبى الصقر . ثم بلغ أبا الصقر أنّ أبا أحمد لم يمت ،
فوجّه إسماعيل بن إسحاق يتعرّف له الخبر ؛ وذلك يوم السبت .

وجمع أبو الصقر القوّاد والجند ، وشحن داره وما حولها بالرّجال والسلاح ،
ومِن داره إلى الجسر كذلك ، وقطع الجسرين ، ووقف قومٌ على الجسر فى
الجانب الشرقىّ يحاربون أصحاب أبى الصقر ، فقتِل بينهم قتلى ، وكانت
بينهم جراحات .

وكان أبو طلحة أخو شَرْكَب مع أصحابه مقيمين بباب البستان ، فرجع
إسماعيل ، فأعلم أبا الصقر أن أبا أحمد حىّ ، فكان أوّل مَنْ مضى إليه من
القوّاد محمد بن أبى الساج ، عبر من نهر عيسى ، ثم جعل[2] الناس يتسلّلون ؛
منهم مَن يعبر إلى باب أبى أحمد ، ومنهم مَنْ يرجع إلى منزله ، ومنهم من
يخرج من بغداد ؛ فلما رأى أبو الصقر ذلك ، وصحّت عنده حياة أبى أحمد ، ٢١٢٢/٣
انحدر هو وابناه إلى دار أبى أحمد ؛ فما ذاكره أبو أحمد شيئًا مما جرَى ،
ولا ساء له[3] عنه . وأقام فى دار أبى أحمد .

فلما رأى المعتمد أنه قد بقىَ فى الدار وحدَه ، نزل هو وبنوه وبكتمر ،
فركبوا زورقًا ، ثم لقيهم طيّار أبى ليلى ابن عبد العزيز بن أبى دُلف ،
فحملهم فى طيّاره ، ومضى بهم إلى داره ، وهى دار علىّ بن جهشيار برأس

---

(١) س : « بالسيف » . (٢) س : « وجعل » .
(٣) س : « سأله» .

الجسر ، فقال له المعتمد : أريد أن أمضىَ إلى أخى فأحدِره ومَن معه من بيته إلى دار أبى أحمد . وانتُهِبَتْ دار أبى الصقر وكلّ ما حوته حتى خرج حُرَمُه حفاةً بغير إزار ، وانتُهبت دار محمد بن سليمان كاتبه ، ودار ابن الواثقىّ انتُهبت وأحرقت ، وانتُهِبت دور أسبابه ، وكسِرت أبواب السجون ، ونُقِبت الحيطان ، وخرج كلّ من كان فيها ، وخرج كلّ من كان فى المطبَق ، وانتُهب مجلسا الجسر ، وأخِذ كلّ ما كان فيهما ، وانتُهبت المنازل التى تقرب من دار أبى الصقر . وخلع أبو أحمد على ابنه أبى العباس وعلى أبى الصقر ، فركبا جميعًا ، والخلع عليهما من سوق الثلاثاء إلى باب الطّاق ، ومضى أبو الصقر مع أبى العباس إلى داره ؛ دار صاعد . ثم انحدر أبو الصقر فى الماء إلى منزله وهو منتَهب ، فأتوه من دار الشاه بحصير فقعد عليه ، فولّى أبو العباس غلامَه بدار الشرطة ، واستخلف محمد بن غانم بن الشاه على الجانب الشرقىّ ، وعيسى النوشرىّ على الجانب الغربىّ ؛ وذلك لأربع عشرة خلت من صفر منها . ٣/٢١٢٣

وفيها فى يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من صفر ، كانت وفاة أبى أحمد الموفق ودفن ليلة الخميس فى الرُّصافة عند قبر والدته ، وجلس أبو العباس يوم الخميس للناس للتعزية .

* * *

[ذكر خبر البيعة للمعتضد بولاية العهد]

وفيها بايع القوّاد والغلمان لأبى العباس بولاية العهد بعد المفوّض ، ولقّب بالمعتضد بالله ، فى يوم الخميس ، وأخرج للجند العطاء ، وخُطِب يوم الجمعة للمعتمد ، ثم للمفوّض ، ثم لأبى العباس المعتضد ؛ وذلك لسبع ليال بقين من صفر .

* * *

وفيها فى يوم الاثنين لأربع بقين من صفر قُبض على أبى الصقر وأسبابه وانتهبت منازلهم ، وطُلِب بنو الفرات — وكان إليهم ديوان السواد — فاختفوْا ، وخلِع على عبيد الله بن سليمان بن وهب يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر منها ، ووُلِّىَ الوزارة .

وفيها بعث محمد [1] بن أبى الساج إلى واسط ليردّ غلامه وصيفاً إلى مدينة

---

(١) ب : « بمحمد » .

السلام ، فمضى وصيفٌ إلى الأهواز ، وأبى الانصرافَ إلى بغداد ، وأنهب الطّيب ، وعاث بالسوس .

وفيها ظُفر بأبى أحمد بن محمد بن الفرات ؛ فحُبس وطولب بأموال ، وظُفر معه بالزّغل ، فحبِس ، وظُفر معه بمال .

وفيها ورَدت الأخبار بقتل علىّ بن الليث، أخى الصفار ، قتله رافع بن هرثمة ،كان لحق به ، وترك أخاه .

ووردت الأخبار فيها عن مصر أن النيل غار ماؤه وغلت الأسعار عندهم. ٢١٢٤/٣

* * *

ذكر ابتداء أمر القرامطة

وفيها وردت الأخبار بحركة قوم يُعرفون بالقَرامطة بسواد الكُوفة ؛ فكان ابتداء أمرهم قدومُ رجل من ناحية خُوزِستان إلى سَوَاد الكوفة ومُقامه بموضع منه يقال له النهرين، يُظهِر الزّهد والتقشف ، ويَسُفُّ الخُوص[1] ، ويأكل من كسبه ، ويُكثر الصلاة ، فأقام على ذلك مدّة ، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمرَ الدين ، وزهّده فى الدنيا ، وأعلمه أنّ الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة فى كلّ يوم وليلة ؛ حتى فشا ذلك عنه بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول ، فلم يزل على ذلك يقعُد إليه الجماعة فيخبرهم من ذلك بماتعلّق قلوبهم ، وكان يقعد إلى بقّال فى القرية ؛ وكان بالقرب من البقّال نخلٌ اشتراه قوم من التجار ، واتخذوا حظيرةً جمعوا فيها ما صرَمُوا[2] من حمل النخل، وجاءوا إلى البقال فسألوه أن يطلب لهم رجلاً يحفظ عليهم ما صرموا من النخل ، فأومى لهم إلى هذا الرجل ، وقال : إن أجابكم إلى حفظ ثمرتكم ، فإنه بحيث تحبّون ، فناظروه على ذلك ، فأجابهم إلى حفظه بدراهم معلومة؛ فكان يحفظ لهم، ويصلّى أكثر نَهاره ويصوم ، ويأخذ عند إفطارِه من البقال رطل تمر ، فيُفطر عليه ، ويجمع نوى ذلك التمر . ٢١٢٥/٣

فلما حمل التجار ما لهم من التمر ، صاروا إلى البقّال ، فحاسبوا أجيرهم هذا على أجرته ، فدفعوها إليه ، فحاسب الأجير البقال على ما أخذ منه من التمر ، وحطّ من ذلك ثمن النوى الذى كان دفعه إلى البقّال ؛ فسمع التجار

(١) سف الخوص : نسجه . (٢) صرام النخلة : قطع ثمرتها .

ما جرى بينه وبين البقال فى حقّ النوى ، فوثبوا عليه فضربوه ، وقالوا : ألم ترضَ أن أكلت تمرَنا حتى بعت النوى ! فقال لهم البقال : لا تفعلوا ، فإنه لم يمسّ تمركم ؛ وقصّ عليهم قصته ، فندموا على ضربهم إياه ، وسألوه أن يجعلَهم فى حلّ ، ففعل . وازداد بذلك نُبْلاً عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زُهده .

ثم مرض ، فمكث مطروحًا على الطريق ، وكان فى القرية رجلٌ يُحمل على أثوار له ، أحمر العينين شديدة حمرتهما ، وكان أهل القرية يسمّونه كرميته لحمرة عينيه ، وهو بالنَّبطية أحمر العينين ، فكلّم البقال كرميته هذا ، فى أن يحمل هذا العليل إلى منزله ، ويُوصى أهلَه بالإشراف عليه والعناية به ؛ ففعل وأقام عنده حتى برأ ، ثم كان يأوى إلى منزله ، ودعا أهلَ القرية إلى أمره ، ووصف ٣/٢١٢٦ لهم مذهبَه ، فأجابه أهلُ تلك الناحية ، وكان يأخذ من الرّجل إذا دخلَ فى دينه دينارا ؛ ويزعم أنه يأخذ ذلك للإمام ؛ فمكث بذلك يدعُو أهلَ تلك القرى فيجيبونه . واتّخذ منهم اثنى عشر نقيبًا ، أمرهم أن يدعو الناس إلى دينهم ، وقال لهم : أنتم كحواريّى عيسى بن مريم ؛ فاشتغل أكَرة تلك الناحية عن أعمالهم بما رَسم لهم من الخمسين الصلاة التى ذكر أنها مفترضَة عليهم .

وكان للهَيْصَم فى تلك الناحية ضياع ، فوقف على تقصير أكَرته فى العمارة ، فسأل عن ذلك ، فأخبر أن إنسانًا طرأ عليهم ، فأظهر لهم مذهباً من الدين ، وأعلمهم أنّ الذى افترضه الله عليهم خمسون صلاة فى اليوم والليلة ، فقد شغلوا بها عن أعمالهم ، فوجّه فى طلبه ، فأخذ وجىء به إليه ، فسأله عن أمره ، فأخبره بقصّته ، فحلف أنه يقتله .

فأمر به فحبس فى بيت ، وأقفل عليه الباب ، ووُضع المفتاح تحت وسادته ، وتشاغل بالشرب ، وسمع بعض مَنْ فى داره من الجوارى بقصّته ، فرقّت له . فلما نام الهيصم أخذت المفتاح من تحت وسادته ، وفتحت الباب وأخرجته ، وأقفلت ٣/٢١٢٧ الباب ، وردّت المفتاح إلى موضعه . فلمّا أصبح الهيصم دعا بالمفتاح ففتح الباب فلم يجده ، وشاع بذلك الخبر ، ففُتن به أهل تلك الناحية ، وقالوا : رُفع ثم ظهر فى موضع آخر . ولقى جماعة من أصحابه وغيرهم فسألوه عن قصّته ، فقال : ليس يمكن أحدًا أن يبدأنى بسوء ، ولا يقدر على ذلك منى ،

فعظم فى أعينهم ، ثم خاف على نفسه ، فخرج إلى ناحية الشأم ، فلم يُعرَف له خبر ، وسمِّىَ باسم الرّجل الذى كان فى منزله صاحب الأثوار كرميته ، ثم خُفِّف فقالوا : قرمط .

ذكر هذه القصة بعض أصحابنا عمّن حدثه، أنه حضر محمد بن داود بن الجرّاح ، وقد دعا بقوم من القرامطة من الحبس، فسألهم عن زكرويه ، وذلك بعد ما قتله ، وعن قرمط وقصّته ، وأنهم أوموا له إلى شيخ منهم ، وقالوا له : هذا سلف زكرويه ، وهو أخبر الناس بقصّته ، فَسَلْه عما تريد ، فسأله فأخبره بهذه القصة .

وذكر عن محمد بن داود أنه قال : قرمط رجل من سواد الكوفة ، كان يحمل غلاّت السواد على أثوار له، يسمَّى حمدان ويلقب بقرمط . ثم فشا أمرُ القرامطة ومذهبهم ، وكثروا بسواد الكوفة ، ووقف الطائىّ أحمد بن محمد على أمرهم ، فوظّف على كلّ رجل منهم فى كلّ سنة ديناراً ، وكان يجبى من ذلك مالاً جليلا ، فقدم قوم من الكوفة فرفعوا إلى السلطان أمرَ القرامطة ، وأنهم قد أحدثوا ديناً غير الإسلام، وأنهم يرْون السيف على أمّة محمد إلا مَنْ بايعهم على دينهم ، وأن الطائىّ يخفى أمرهم على السلطان . فلم يلتفت إليهم ، ولم يسمع منهم ، فانصرفوا، وأقام رجل منهم مدة طويلة بمدينة السلام ، يرفع ويزعم أنه لا يمكنه الرجوع إلى بلده [1] خوفاً من الطائىّ . وكان فيما حكوا عن هؤلاء القرامطة من مذهبهم أن جاءوا بكتاب فيه : ٢١٢٨/٣

بسم الله الرحمن الرحيم . يقول الفرج بن عثمان ؛ وهو من قرية يقال لها نَصْرانة ، داعية إلى المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدىّ ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفيّة ، وهو جبريل .وذكر أنّ المسيح تصوّر له فى جسم إنسان، وقال له : إنك الدّاعية ، وإنك الحجة ، وإنك الناقة ، وإنك الدّابة، وإنك روح القدس، وإنك يحيى بن زكرياء. وعرّفه أن الصلاة أربع ركعات :

---

(١) س : « ناحية بلده » .

ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ؛ وأنّ الأذان فى كلّ صلاة أن يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ؛ مرتين أشهد أنّ آدم رسول الله ، أشهد أنّ نوحًا رسول الله ، أشهد أنّ إبراهيم رسول الله ، أشهد أنّ موسى رسول الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله ، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفيّة رسول الله ؛ وأن يقرأ فى كلّ ركعة الاستفتاح ؛ وهى من المنزّل على أحمد بن محمد بن الحنفية . والقبلة إلى بيت المقدس ، والحجّ إلى بيت المقدس ، ويوم الجمعة يوم[1] الاثنين لا يُعمل فيه شىء ، والسورة الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المتّخذ لأوليائه بأوليائه . قل إن الأهلة مواقيت للناس ؛ ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنُها أوليائى الذين عرّفوا عبادى سبيلى . اتقونِ يا أولى الألباب ؛ وأنا الذى لا أسأل عمّا أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذى أبلُوا عبادى ، وامتحن خلقى ؛ فمن صبر على بلائى ومحنتى واختبارى[2] ألقيتُه فى جنتى ، وأخلدته فى نعمتى ، ومَنْ زال عن أمرى ، وكذّب رسلى ، أخلدته مهانا فى عذابى ، وأتممتُ أجلى ، وأظهرتُ أمرى ؛ على ألسنة رُسُلِى ؛ وأنا الذى لم يعلُ علىّ جبار إلا وضعتُه ، ولا عزيزٌ إلا أذللتُه ؛ وليس الذى أصرّ على أمره ودوام على جهالته ، وقالوا : لن نبرح عليه عاكفين ، وبه مؤمنين ؛ أولئك هم الكافرون .

٣/٢١٢٩

ثم يركع ويقول فى ركوعه : سبحان ربى ربّ العزة وتعالى عما يصف الظالمون ! يقولها مرتين ، فإذا سجد قال : الله أعلَى ، الله أعلى ، الله أعظم ، الله أعظم .

ومن شرائعه أنّ الصوم يومان فى السنة ، وهما المِهرجان والنوْروز ؛ وأن النّبيذ حرام والخمر حلال ؛ ولا غُسْلَ من جنابة[3] إلا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأنّ مَنْ حاربه[4] وجب قتلُه ، ومن لم يحاربه ممن خالفه أخِذَت منه الجزية ولا يؤكل كلّ ذى ناب ، ولا كلّ ذى مِخْلب .

* * *

(١) س : « ويوم الاثنين » .
(٢) ابن الأثير : « واختيارى » .
(٣) ب : « الجنابة » .
(٤) س : « كل من حاربه » .

وكان مصير قَرْمط إلى سَواد الكوفة قبل قتل صاحب الزَّنْج ؛ وذلك ٣/٢١٣٠ أن بعض أصحابنا ذكر عن سلف زكرويه أنه قال : قال لى قَرْمط : صرتُ إلى صاحب الزَّنْج ، ووصلت إليه ، وقلت له : إنى على مذهب ، وورائى مائة ألف سيف ؛ فناظرْنى ، فإن اتفقنا على المذهب ملتُ بمَنْ معى إليك ، وإن تكن الأخرى انصرفتُ عنك . وقلت له : تعطينى الأمان ؟ ففعل.

قال : فناظرته إلى الظهر ، فتبيّن لى فى آخر مناظرتى إياه أنه على خلاف أمرى ، وقام إلى الصلاة ، فانسللت ، فمضيتُ خارجا من مدينته ، وصرت إلى سواد الكوفة .

* * *

[ذكر خبر غزو الروم ووفاة ازمان فى هذه الغزوة]

ولخمس بقين من جُمادى الآخرة من هذه السنة ، دخل أحمد العُجيفىّ مدينة طَرَسُوس ، وغَزا مع يازمان غَزاة الصّائفة ، فبلغ سَلَنْدو .

وفى هذه الغزاة مات يازمان ، وكان سببُ موته أن شظيّةً من حجر مِنْجنيق أصاب أضلاعه وهو مقيم على حصن سَلَنْدُو ؛ فارتحل العسكر ؛ وقد كانوا أشرفوا على فتحه ، فتُوفِّىَ فى الطريق من غدِه يوم الجمعة ، لأربع عشرة ليلة خلتْ من رجب ، وحُمِل إلى طَرَسُوس على أكتاف الرجال فدُفن هناك[1] .

وحجّ بالناس فى هذه السنة[2] هارون بن محمد الهاشمىّ .

---

(١) س : « بها » . (٢) ب : « فيها » .

٢١٣١/٣

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من أمر السلطان بالنداء بمدينة السلام؛ ألا يَقعُد على الطريق ولا في مسجد[1] الجامع قاص[2] ولا صاحب نجوم ولا زاجر؛ وحُلِّف[3] الورّاقون ألا يبيعوا كتبَ الكلام والجدَل والفلسفة.

وفيها خُلع جعفر المفوّض من العهد لثمان بقين من المحرّم.

وفي ذلك اليوم بويع للمعتضد[4] بأنه وليّ العهد من بعد المعتمد، وأنشِئت الكتب بخلع جعفر وتولية المعتضِد، ونفِّذتْ إلى البلدان، وخُطب يوم الجمعة للمعتضد بولاية العهد، وأنشئت عن المعتضد كتب إلى العمال والولاة؛ بأنّ أمير المؤمنين قد ولاّه العهد، وجعل إليه ما كان الموفّق يليه من الأمر والنهي والولاية والعزل.

وفيها قُبِض على جرادة، كاتب أبي الصَّقْر لخمس خلوْن من شهر ربيع الأول، وكان الموفّق وجّهه إلى رافع بن هرثمة، فقدِم مدينة السلام قبل أن يُقبَض عليه بأيام.

وفيها انصرف أبو طلحة منصور بن مسلم من شهرزور لست بقين من جُمادى الأولى – وكانت ضُمّت إليه – فقُبِض عليه وعلى كاتبه عقَامة، وأودِعَا السجْن؛ وذلك لأربع بقين من جمادى الأولى.

* * *

[ذكر خبر الفتنة بطرسوس]

٢١٣٢/٣

وفيها كانت الملحمة بطرَسُوس بين محمد بن موسى ومكنون غلام راغب مولى الموفّق؛ في يوم السبت لتسع بقِينَ من جُمادى الأولى؛ وكان سبب ذلك – فيما ذكر – أن طُغْج بن جُفّ، لقِيَ راغبًا بحلب، فأعلمه أنّ

(١) س: «بمسجد».   (٢) ب، س: «قاض».
(٣) ابن الأثير: «وحلف».   (٤) ب: «المعتضد».

خمارويه بن أحمد يحبّ لقاءه ، ووعده عنه بما يحبّ ؛ فخرج راغب من حلَب ماضياً إلى مصر فى خمسة غلمان له ، وأنفذ خادمَه مكنوناً مع الجيش الذى كان معه وأمواله وسلاحه إلى طَرَسوس . فكتب طُغْج إلى محمد بن موسى الأعرج يُعلمه أنه قد أنفذ راغباً ، وأن[1] كلّ ما معه من مال وسلاح وغلمان مع غلامه مكنون ، وقد صار إلى طَرَسُوس ، وأنه ينبغى له أن يقبض عليه ساعةَ يدخل وعلى ما معه . فلما دخل مكنون طَرَسُوس وثب به[2] الأعرج ،فقبض عليه ووكّل بما معه ، فوثب أهل طرسوس على الأعرج ، فحالوا بينه وبين مكنون ، وقبضوا على الأعرج فحبسوه فى يد مكنون ، وعلموا أنّ الحيلة قد وقعت براغب ؛ فكتبوا إلى خمارويه بن أحمد يعلمونه بما فعل الأعرج ،وأنهم قد وكّلوا به، وقالوا: أطلق راغبا لينفذ إلينا حتى نطلق الأعرج، فأطلق خمارويه راغباً ، وأنفذه إلى طَرَسُوس، وأنفذ معه أحمد بن طُغان والياً على الثغور ، وعزل عنهم الأعرج ، فلمّا وصل راغب إلى طَرَسوس أطلق محمد بن موسى الأعرج ، ودخل طَرَسوس أحمد بن طُغان والياً عليها وعلى الثغور ومعه راغب ، يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من شعبان .

* * *

[خبر وفاة المعتمد]

٢١٢٣/٣ وفيها توفّيَ المعتمد ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ، وكان شرب على الشطّ فى الحَسَنىّ يوم الأحد شرابا كثيراً ، وتعشّى فأكثر ، فمات ليلا ، فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وستة[3] أيام — فيما ذُكر .

---

(١) ط : « وأنه » .

(٢) ب : « عليه » .

(٣) فى ابن الأثير : « وستة أشهر » .

خلافة المعتضد

وفى صبيحة هذه الليلة بُويع لأبى العباس المعتضد بالله بالخلافة ، فولّى غلامه بدرًا الشرطة وعبيد الله بن سليمان بن وهب الوزارة ومحمد بن الشاه بن ميكال[1] الحرس، وحجبة الخاصة والعامة صالحًا المعروف بالأمين، فاستخلف صالح خفيفا السمرقندىّ .

ولليلتين خلتا من شعبان فيها قدم على المعتضد رسولُ عمرو بن الليث الصفّار بهدايا ، وسأل ولاية خُراسان، فوجّه المعتضد عيسى النُّوشرىّ مع الرسول، ومعه خلع ولواء عقده له على خراسان ، فوصلوا إليه فى شهر رمضان من هذه السنة ، وخُلع عليه ، ونُصب اللواء فى صحن داره ثلاثة أيام .

* * *

وفيها ورد الخبر بموت نصر بن أحمد ، وقام بما كان إليه من العمل وراء نهر بلْخ أخوه إسماعيل بن أحمد .

وفيها قدم الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصّاص من مصر رسولا لخمارويه بن أحمد بن طولون، ومعه هدايا من العين؛ عشرون حملاً على بغال وعشرة من الخدم وصندوقان فيهما طراز وعشرون رجلا على عشرين نجيبا ، ٢١٣٤/٣ بسروج محلاّة بحلية فضّة كثيرة ، ومعهم حراب فضّة ، وعليهم أقبيةُ الدّيباج والمناطق المحلاّة وسبع عشرة دابة[2] ، بسروج ولجم، منها خمسة بذهب والباقى بفضة، وسبع وثلاثون دابّة بجلال مشهّرة ، وخمسة أبغل بسروج ولجم وزرّافة ، يومَ الاثنين لثلاث خلوْن من شوّال ، فوصل إلى المعتضد ، فخلع عليه وعلى سبعة نفر معه . وسفَر ابن الجصاص فى تزويج ابنة خمارويه من علىّ بن المعتضد ، فقال المعتضد: أنا أتزوّجها[3] ، فتزوّجها .

(١) ابن الأثير : « مالك » .

(٢) ب ، س : « وسبعة عشر دابة » ، والدابة تذكر وتؤنث .

(٣) ب : « وأنا أتزوجها » .

وفيها ورد الخبر بأخذ أحمد بن عيسى بن الشيخ قَلْعة ماردين من محمد بن إسحاق بن كُنْداج .

وفيها مات إبراهيم بن محمد بن المدبّر ، وكان يلِي ديوان الضياع ، فَوُلِّيَ مكانه محمد بن عبد الحميد ، وكان موته يوم الأربعاء لثلاث أو أربع عشرة بقيت من شوال .

وفيها عُقِد لراشد مولى الموفّق على الدينور ، وخُلع عليه يوم السبت لسبع بَقِين من شوّال ، ثم خرج راشد إلى عمله يوم الخميس لعشر خلوْن من ذى القعدة .

وفى يوم النحر منها ركب المعتضِد إلى المصلّى الذى اتخذه بالقرب من الحَسَنِىّ ، وركب معه القوّاد والجيش[1] ، فصلّى بالناس ، فذُكر عنه أنه كبّر فى الركعة الأولى ستّ تكبيرات ، وفى الركعة الثانية تكبيرة واحدة ، ثم صعِد المنبر ، فلم تُسمَعْ خطبته ، وعُطِّل المصلى العتيق فلم يصلّ فيه . ٣/٢١٣٥

وفيها كُتِب إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دُلف بمحاربة رافع بن هرثمة ورافع بالرّىّ ، فزحف إليه أحمد ، فالتقوْا يوم الخميس لسبع بقين من ذى القعدة ؛ فانهزم رافع بن هرثمة ، وخرج عن الرّىّ ، ودخلها ابن عبد العزيز .

وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون بن محمد الهاشمىّ ؛ وهى آخر حجة حجّها ، وحجّ بالناس ست عشرة سنة ، من سنة أربع وستين إلى هذه السنة .

---

(١) ب : « والناس » .

ثم دخلتِ سنة ثمانين ومائتين

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك ما كان من أخذ المعتضد عبدَ الله[1] بن المهتدى ومحمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيْلَمة – وكان شَيْلمة هذا مع صاحب الزَّنْج إلى آخر أيامه ، ثم لحق بالموفّق فى الأمان فآمنه – وكان سبب أخذه إياهما أنّ بعض المستأمِنة سعى به إلى المعتضد، وأعلمه أنه يدعو إلى رجل لم يوَقف على اسمه ، وأنه قد استفسد جماعةً من الجند وغيرهم ، وأخِذ معه رجل صيدنانىّ وابن أخ له من المدينة ، فقرّره المعتضد فلم يقرّ بشىء ، وسأله عن[2] الرجل الذى يدعُو إليه، فلم يقرّ بشىء ، وقال : لو كان تحت قدمى مارفعتهما عنه ، ولو عملتنى كرْدَناك لما أخبرتك به ؛ فأمر بنار فأوقِدَتْ ، ثم شُدّ على خشبة من خشب الخيم ، وأدِير على النار حتى تقطّع جلده ، ثم ضُربت عنقه ، وصُلب عند الجسر الأسفل فى الجانب الغربىّ .

٣/٢١٣٦

وحُبِس ابن المهتدى إلى أن وقِف على براءته ، فأطلق ، وكان صَلْبه لسبع خلوْن من المحرّم .

فذُكر أن المعتضد قال لشيْلمة : قد بلغنى أنك تدعو إلى ابن المهتدى ، فقال : المأثور عنى غير هذا ، وأنى أتولّى آل ابن أبى طالب – وقد كان قرّر ابنَ أخيه فأقرّ – فقال له: قد أقرّ ابنُ أخيك ، فقال له : هذا غلام حَدث تكلم بهذا خوفاً من القتل ، ولا يُقبل قوله . ثم أطلق ابن أخيه والصّيدنانىّ بعد مدة طويلة .

* * *

[ذكر خبر قصد المعتضد بنى شيبان وصلحه معهم]

ولليلة خلتْ من صفر يوم الأحد شخص المعتضد من بغداد يريد بنى شيبان، فنزل بستان بشر بن هارون ، ثم سار[3] يوم الأربعاء منه ، واستخلف على داره

(١) ب : «عبيد الله» . (٢) س : «من الرجل» . (٣) ب : «صار».

وبغداد صالحًا الأمين حاجبه ، فقصد الموضع الذى كانت شيبان تتخذه معقلاً من أرض الجزيرة؛ فلما بلغهم قصدُه إياهم؛ ضمُّوا إليهم أموالهم وعيالاتهم . ثم ورد[1] كتاب المعتضد أنه أسرَى إلى الأعراب من السنّ ، فأوقع بهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وغرق منهم خلق كثير فى الزابَيْن ، وأخذ النساء والذرارىّ ، ٣/٢١٣٧ وغنم أهل العسكر من أموالهم ما أعجزهم حمله ، وأخذ من غنمهم وإبلهم ما كثر فى أيدى الناس حتى بيعت الشاة بدرهم والجمل بخمسة دراهم ، وأمر بالنساء والذرارىّ أن يُحفَظوا حتى يُحدَرُوا إلى بغداد . ثم مضى المعتضد إلى الموصِل ، ثم إلى بلَد ، ثم رجع إلى بغداد ، فلقيه بنو شيبان يسألونه الصفح عنهم ، وبذلوا له الرهائن ، فأخذ منهم خمسمائة رجل — فيما قيل . ورجع المعتضد يريد مدينة السلام ، فوافاه أحمد بن أبى الأصبغ بما فارق عليه أحمد ابن عيسى بن الشيخ من المال الذى أخذه من مال إسحاق بن كُنْداج ، وبهدايا ودوابّ وبغال فى يوم الأربعاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول .

* * *

وفى شهر ربيع الأول ورد الخبر بأن محمد بن أبى الساج افتتح المرَاغة بعد حصار شديد وحرب غليظة كانت بينهم ، وأنه أخذ عبد الله بن الحسين بعد أن آمنه وأصحابه ، فقيّده وحبسه، وقرّره[2] بجميع أمواله ، ثم قتله بعدُ[3] .

وفى شهر ربيع الآخر ورد الخبرُ بوفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبى دُلف ، وكانت وفاته فى آخر شهر ربيع الأول ، فطلب الجند أرزاقَهم ، وانتهبوا منزل إسماعيل بن محمد المنشئ ، وتنازع الرئاسة عمر وبكر ابنا عبد العزيز ، ثم قام بالأمر عمر ، ولم يكتب إليه المعتضد بالولاية .

وفيها افتتح محمد بن ثوْر عُمان ، وبعث برءوس جماعة من أهلها . ٣/٢١٣٨

وذكر أنّ جعفر بن المعتمد توُفّىَ فى يوم الأحد لاثنتى عشرة خلتْ من شهر ربيع الآخر منها ؛ وأنه كان مُقامه فى دار المعتضد لا يخرج ولا يظهر ، وقد كان المعتضد نادمه مراراً .

---

(١) س : « وورد الخبر » .
(٢) س : « وقرر » .
(٣) س : « بعده ».

وفيها انصرف المعتضد إلى بغداد من خرجته إلى الأعراب .

وفيها، فى[1] جمادى الآخرة ورد الخبر بدخول عمرو بن الليث نَيْسابور فى جمادى الأولى منها .

وفيها وجّه يوسف بن أبى الساج اثنين وثلاثين نفسا من الخوارج ، من طريق الموصل، فضُربت أعناق خمسة وعشرين رجلا منهم، وصُلِبوا، وحبِس سبعة منهم فى الحبس الجديد .

وفيها دخل أحمد بن أبَّا طَرَسُوس لغزاة الصائفة، لخمس خلَوْن من رجب من قِبَل خمارويه، ودخل بعده بدر الحمّامىُّ ، فغَزَوا جميعًا مع العُجَيْفىّ أمير طَرَسُوس حتى بلغوا البلقسور .

وفيها ورد الخبر بغزو إسماعيل بن أحمد بلاد الترك وافتتاحه — فيما ذكر — مدينة ملكهم ، وأسره إياه وامرأته خاتون ونحوًا من عشرة آلاف ، وقتل منهم خلقا كثيراً ، وغنم من الدوابّ دوابّ كثيرة لا يوقف على عددها ، وأنه أصاب الفارس من المسلمين من الغنيمة فى المقسم ألف درهم .

٣/٢١٣٩ ولليلتين بقيتا من شهر رمضان منها، تُوُفِّىَ راشد مولى الموفّق بالدينور، وحُمِل فى تابوت إلى بغداد .

ولثلاث عشرة خلت من شوال منها مات مسرور البلخىّ .

وفيها — فيما ذكر — فى ذى الحجة ورد كتاب من دُبيل بانكساف القمر فى شوال لأربع عشرة خلت منها ، ثم تجلّى فى آخر الليل ، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة والدنيا مظلِمة ، ودامت الظلمة عليهم ؛ فلما كان عند العصر هبّت ريح سوداء شديدة، فدامت إلى ثلث الليل ؛ فلما كان ثلث الليل زُلزلوا ، فأصبحوا وقد ذهبت المدينة فلم ينج من منازلها إلا اليسير ، قدر مائة دار ، وأنهم دفنوا إلى حين كُتب الكتاب ثلاثين ألف نفس يخرجون من تحت الهدم ،

---

(١) س : « وفى » .

ويدفنون ، وأنهم زُلزلوا بعد الهدم خمس مرات .

وذكر عن بعضهم أن جملة من أخرِج من تحت الهدم خمسون ومائة ألف ميّت .

وحجّ بالناس فى هذه السنة أبو بكر محمد بن هارون المعروف بابن ترنجة[1].

(١) س : « ترحة » .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من موافاة تُرْك بن العباس عامل السلطان على ديار مُضَر مدينةَ السلام لتسع خلَوْن من المحرّم بنيّف وأربعين نفسا من أصحاب أبى الأغرّ[١] صاحب سُمَيْسَاط ، على جمال ، عليهم برانس ودراريع حرير . فمضى بهم إلى دار المعتضد ، ثم رُدّوا إلى الحبس الجديد فحبسوا به ، وخُلع على تُرْك ، وانصرف إلى منزله .

٣/٢١٤٠

وفيها ورد الخبر بوقعة كانت لوصيف خادم ابن أبى الساج بعمر بن عبد العزيز بن أبى دُلف وهزيمته[٢] إياه ، ثم صار وَصيف إلى مولاه محمد ابن أبى الساج ، فى شهر ربيع الآخر منها .

وفيها دخل طُغْج بن جُفّ طرَسوس لغزاة الصائفة من قِبَل خمارويه يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة — فيما قيل — وغزا ، فبلغ طرايون ، وفتح ملُورِيَة .

ولخمس ليال بقين من جمادى [الآخرة] مات أحمد بن محمد الطائىّ بالكوفة ، ودفن بها فى موضع يقال له مسجد السهلة .

وفيها غارت المياه بالرّىّ وَطبرِستان .

ولليلتين خلتا من رجب منها شخص المعتضد إلى الجبل ، فقصد ناحية الدينور ، وقلّد أبا محمد علىّ بن المعتضد الرّىّ وقزوين وزَنْجان وأبْهر وقُمّ وهمَذان والدينور ، وقلّد كتبته أحمد بن أبى الأصبغ ، ونفقات عسكره والضّياع بالرّىّ الحسين بن عمرو النصرانىّ ، وقلّد عمر بن عبد العزيز بن أبى دُلف أصبهان ونَهاوَند والكرَج ، وتعجّل للانصراف[٣] من أجل غلاء السعر

٣/٢١٤١

(١) ابن الأثير : « ابن الأغر » .
(٢) ابن الأثير : « فهزمه » .
(٣) س : « الانصراف » .

وقلة الميرة ، فوافَى بغداد يوم الأربعاء لثلاث خلوْن من شهر رمضان .

وفيها استأمن الحسن بن علىّ كوره عامل رافع على الرىّ إلى علىّ بن المعتضد فى زُهاء ألف رجل ، فوجّهه إلى أبيه المعتضد .

وفيها دخل الأعراب سامرّا فأسَرُوا ابن سيما[1] أنف فى ذى القعدة منها وانتهبوا .

* * *

[ذكر خبر الوقعة بين الأكراد والأعراب]

ولست ليال بقين من ذى القعدة خرج المعتضد الخرجة الثانية إلى الموْصِل عامداً لحمدان بن حمدون ؛ وذلك أنه بلغه أنه مايَل هارون الشارى الوازقىّ ، ودعا له . فورد كتاب المعتضد من كَرْخَ جُدّان على نِجاح الحُرَمىّ الخادم بالوقْعة بينه وبين الأعراب والأكراد ؛ وكانت يوم الجمعة سَلْخ ذى القعدة :

بسم الله الرحمن الرحيم . كتابى هذا وقت العتَمة ليلة الجمعة ، وقد نصر الله — وله الحمد — على الأكراد والأعراب ، وأظفرَنا بعالم منهم وبعيالاتهم ؛ ولقد رأيتنا ونحن نسوق البقر والغنم كما كنا نسوقها عاماً أولا ، ولم تزل الأسنّة والسيوف تأخذهم ، وحال بيننا وبينهم الليل ، وأوقِدت النيران على رءوس الجبال ، ومن غدٍ يومنا ، فيقع الاستقصاء ، وعسكرى يتبعنى إلى الكَرْخ . وكان وقاعُنا بهم وقتلُنا إياهم خمسين ميلا ، فلم يبق منهم مخبر والحمد لله كثيراً ، فقد وجب الشكر لله علينا والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم كثيراً . ٣/٢١٤٢

وكانت الأعراب[2] والأكراد لمّا بلغهم خروجُ المعتضد ، تحالفوا أنهم يُقْتَلون على دم واحد ، واجتمعوا ، وعبّوْا عسكرهم ثلاثة كراديس[3] ؛ كردوساً دون كردوس ، وجعلوا عيالاتهم وأولادهم فى آخر كُردوس ، وتقدّم المعتضد عسكره فى خيل جريدة ، فأوقع بهم ، وقتل منهم ، وغرق فى الزّاب منهم

(١) ابن الأثير : « فقتلوا ابن سيما » .

(٢) س : « وكان من الأعراب » .

(٣) س : « له كراديس » .

خلق كثير ، ثم خرج إلى الموْصِل عامداً لقلعة مارِدين ، وكانت فى يد حمدان ابن حمدون ، فلمّا بلغه مجىء المعتضد هرب وخلّف ابنه بها ، فنزل عسكر المعتضِد على القَلْعة ، فحاربهم مَنْ كان فيها يومَهم ذلك ؛ فلمّا كان من الغد ركب المعتضد ، فصعد القلعة حتى وصل إلى الباب ، ثم صاح : يابن حمدون ، فأجابه : لبيك ! فقال له : افتح الباب ، ويلك ! ففتحه ، فقعد المعتضد فى الباب ، وأمر مَنْ دخل فنقل مافى القلعة من المال والأثاث ، ثم أمر بهدمها فهُدِمَتْ ، ثم وجّه خلْف حمدان بن حمدون ، فطُلب أشدّ الطلب ، وأخِذَت أموالٌ كانت له مودعة ، وجىء بالمال إلى المعتضد ، ثم ظُفر به . ثم مضى المعتضد إلى مدينة يقال لها الحسنيّة ، وفيها رجل يقال له شدّاد ، فى جيش كثيف ، ذكر أنهم عشرة آلاف رجل ، وكان له قلعة فى المدينة فظفِر به المعتضد ، فأخذه فهدم[1] قلعته . ٢١٤٣/٣

وفيها ورد الخبر من طريق مكة أنه أصاب الناس فى المصعد برد شديد ومطر جَوْد وبرد أصيب فيه أكثر من خمسمائة إنسان .

* * *

وفى شوال منها غزا المسلمون الرّوم ، فكانت بينهم الحرب اثنى عشر يومًا، فظفِر المسلمون وغنموا غنيمة كثيرة وانصرفوا .

---

(١) س : « ثم هدم » .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائتين

ذكر الأحداث التى كانت فيها

* * *

[ذكر أمر النيروز المعتضدىّ]

فمن ذلك ما كان من أمر المعتضد فى المحرّم منها بإنشاء الكتب إلى جميع العمال فى النواحى والأمصار بترك افتتاح الخراج فى النيْروز الذى هو نيروز العجم ، وتأخير ذلك إلى اليوم الحادى عشر من حزيران، وسمى ذلك النَّيروز المعتضدىّ ، فأنشئت الكتب بذلك من الموْصِل والمعتضد بها ، وورد كتابه بذلك على يوسف بن يعقوب يعلمه أنه أراد بذلك الترفيهَ على الناس ، والرفْق بهم ، وأمر أن يُقْرَأ كتابه على الناس ، ففعل .

* * *

وفيها قدم ابن الجصاص من مصر بابنة أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون التى تزوّجها المعتضد، ومعها أحد عمومتها ، فكان دخولُهم بغداد يوم الأحد لليلتين خَلَتَا من المحرّم ، وأدخِلت للحرم ليلة الأحد ، ونزلت فى دار صاعد ابن مخلَد ، وكان المعتضد غائبًا بالموصل . ٣/٢١٤٤

وفيها مُنِع الناس من عمل ما كانوا يعملون فى نَيْروز العجم من صبّ الماء ورفع النيران وغير ذلك .

* * *

[ذكر أمر المعتضد مع حمدان بن حمدون]

وفيها كتب المعتضد من الموْصِل إلى إسحاق بن أيوب وحمدان بن حمدون بالمصير إليه ؛ فأما إسحاق بن أيوب فسارعَ إلى ذلك ، وأما حمدان بن حمدون فتحصّن فى قلاعه، وغيّب أمواله وحُرَمه . فوجّه إليه المعتضد الجيوش مع وصيف مُوشْكير ونصر القُشورِىّ وغيرهما ؛ فصادفوا الحسن بن علىّ كوره وأصحابه مُنيخين على قَلْعة لحمدان ، بموضع يعرف بدير الزعفران من أرض الموصِل ، وفيها الحسين بن حمدان ، فلما رأى الحسين أوائل العسكر مقبلين طلب الأمان فأومن . وصار الحسين إلى المعتضِد ، وسلّم القلعة ، فأمر بهدمها ،

وأغذّ وصيف موشْكير السَّيْر فى طلب حمدان ؛ وكان قد صار بموضع يعرف بباسُورين بين دجلة ونهر عظيم ، وكان الماء زائداً ، فعبَر أصحاب وصيف إليه ونذِر بهم، فركب وأصحابه ودافعوا عن أنفسهم ، حتى قتِل أكثرهم ، فألقَى حمدان نفسه فى زَوْرق كان معدّاً له فى دجلة، ومعه كاتب له نصرانىّ ٣/٢١٤٥ يسمى زكرياء بن يحيى ، وحمل معه مالاً ،وعبر إلى الجانب الغربىّ من دِجْلة من أرض ديار ربيعة ، وقدّر اللحاق بالأعراب لمّا حِيلَ بينه وبين أكراده الذين فى الجانب الشرقىّ،وعبر فى أثره نفرٌ يسير من الجند فاقتصّوا أثره ، حتى أشرفوا على دير كان قد نزله ؛ فلما بَصُر بهم خرج من الدَّيْر هارباً ومعه كاتبه، فألقيا أنفسهما فى زَوْرق، وخلّفا المال فى الدَّيْر ، فحُمل إلى المعتضد، وانحدر أصحاب السلطان فى طلبه على الظهر وفى الماء ، فلحقوه ، فخرج عن الزَّوْرق خاسراً إلى ضيعة له بشرقىّ دجلة، فركب دابة لوكيله ، وسار ليله أجمع إلى أن وافَى مضرب إسحاق بن أيوب فى عسكر المعتضِد ، مستجيراً به ، فأحضره إسحاق مضرب المعتضد ، وأمر بالاحتفاظ به، وبثّ الخيل فى طلب أسبابه، فظفِر بكاتبه وعدّة من قَراباته وغلمانه، وتتابع رؤساء الأكراد وغيرهم فى الدّخول فى الأمان ؛ وذلك فى آخر المحرّم من هذه السنة .

* * *

وفى شهر ربيع الأول منها قُبِض على بكتمر بن طاشتمر ، وقُيِّد وحُبس، وقبِض ماله وضِياعه ودوره .

وفيها نُقلت ابنة خمارويه بن أحمد إلى المعتضد لأربع خلَوْن من شهر ربيع الآخر ، ونُودى فى جانبى بغداد ألاّ يعبر أحد فى دِجْلة يوم الأحد ، وغُلِّقت أبواب الدُّروب التى تلى الشطّ ، ومُدّ على الشوارع النافذة إلى دِجْلة شراع ، ووُكِّل بحافّتى دجْلة مَنْ يمنع أن يظهروا فى دورهم على الشطّ . ٣/٢١٤٦ فلما صلِّيت العتمة وافت الشَّذا من دار المعتضد، وفيها خدم معهم الشمع ، فوقفوا بإزاء دار صاعد ، وكانت أعِدّت أربع حرّاقات شُدّت مع دار صاعد، فلما جاءت الشذا أحْدِرت الحَرّاقات ، وصارت الشّذا بين أيديهم ؛ وأقامت الُحرّة يوم الاثنين فى دار المعتضد ، وجُليَتْ عليه يوم الثلاثاء لخمس خلون

من شهر ربيع الأول .

وفيها شخص المعتضد إلى الجبل، فبلغ الكرَج ، وأخذ أموالا لابن أبى دُلف وكتب إلى عمر بن عبد العزيز بن أبى دُلف يطلب منه جوهراً كان عنده ، فوجّه به إليه ، وتنحّى من بين يديه .

وفيها أطلِق لؤلؤ غلام ابن طولون بعد خروج المعتضد ، وحُمِل على دوابّ وبغال .

وفيها وجّهَ يوسف بن أبى الساج إلى الصَّيْمرة مدداً لفتح القلانسىّ ، فهرب يوسف بن أبى الساج بمَنْ أطاعه إلى أخيه محمد بالمراغة ، ولقِى مالاً للسلطان فى طريقه فأخذه، فقال فى ذلك عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

إمامَ الهدى أنصارُكم آلُ طاهرٍ ... بلا سبب يُجفَوْنَ والدهْرُ يَذهبُ
وقد خَلطوا صَبرًا بشُكر ورابطوا ... وغيرُهُمُ يُعطَى ويُحبَى ويَهرُبُ

وفيها وُجِّه المعتضد الوزير عبيدالله بن سليمان إلى الرىّ إلى أبى محمد ابنه. ٣/٢١٤٧

* * *

وفيها وجّه محمد بن زيدالعَلَوىّ من طَبَرِستان إلى محمد بن ورد العطار باثنين وثلاثين ألف دينار ، ليفرّقها على أهله ببغداد والكوفة ؛ ومكة والمدينة ، فسُعِى بِه ، فأحضر دار بدر، وسُئل عن ذلك، فذكر أن يوجّه إليه فى كلّ سنة بمثل هذا المال ، فيفرّقه على مَنْ يأمره بالتّفرقة عليه من أهله . فأعلم بدر المعتضد ذلك ، وأعلمه أن الرجل فى يديه والمال ، واستطلع رأيه وما يأمر به .

فذكر عن أبى عبد الله الحسنىّ أنّ المعتضد قال لبدر : يا بدر ، أما تذكر الرؤيا التى خبرّتك بها ؟ فقال : لا يا أمير المؤمنين ، فقال : ألا تذكر أنّى حدّثتك أنّ الناصر دعانى ، فقال لى : اعلم أنّ هذا الأمر سيصير إليك ، فانظر كيف تكون مع آل علىّ بن أبى طالب ! ثم قال : رأيتُ فى النوم كأنى خارج من بغداد أريد ناحية النهروان فى جيشى ، وقد تشوّف الناس إلىّ ، إذ مررتُ برجل واقف على تلّ يصلى ، لا يلتفت إلىّ ، فعجبت منه ومن قلة اكتراثه بعسكرى ، مع تشوّف الناس إلى العسكر ، فأقبلتُ إليه حتى

وقفت بين يديه ، فلما فرغ من صَلاته قال لى : أقبل، فأقبلتُ إليه ، فقال : أتعرفنى ؟ قلت : لا ، قال : أنا علىّ بن أبى طالب ؛ خذ هذه المِسْحاة ، فاضرب بها الأرض– لمِسحاة بين يديه – فأخذتها فضربت بها ضربات ، فقال لى : إنه سيلى من ولدك هذا الأمر بقدر ما ضربت بها ، فأوصِهم بولدى خيراً . قال بدر : فقلت : بلَى يا أمير المؤمنين ؛ قد ذكرت . قال : فأطلِق المال ، وأطلق الرجل وتقدّم[1] إليه أن يكتب إلى صاحبه بطَبَرِستان أن يوجه ما يوجه به إليه ظاهراً ، وأن يفرّق محمد بن ورد ما يفرّقه ظاهراً ، وتقدّم بمعونة محمد على ما يريد من ذلك . ٣/٢١٤٨

وفى شعبان لإحدى عشرة بقيتْ منها ، تُوُفِّىَ أبو طلحة منصور بن مسلم فى حبس المعتضد .

وفيها لثمانٍ خلوْن من شهر رمضان منها ، وافَى عبيد الله بن سليمان الوزير بغداد قادماً من الرّىّ ، فخلع عليه المعتضد .

ولثمان بقين من شهر رمضان منها ، ولدت ناعم جارية أم القاسم بنت محمد ابن عبد الله للمعتضد ابنا سماه جعفراً ، فسمّىَ المعتضد هذه الجارية شغب .

وفيها قدم إبراهيم ابن أحمد الماذَرائىّ لاثنتى عشرة بقيت من ذى الحجة من دمشق على طريق البرّ، فوافَى بغداد فى أحد عشر يوماً، فأخبر المعتضد أن خمارويه بن أحمد ذِبح على فراشه، ذبحه بعض خدمه من الخاصّة ، وقيل : إن قتله كان لثلاث خلون من ذى الحجة . وقيل إن إبراهيم وافى بغداد من دمشق فى سبعة أيام ، وقُتِل من خدمه الذّين اتّهموا بقتله نيِّفٌ وعشرون خادماً .

وكان المعتضد بعث مع ابن الجصّاص إلى خمارويه بهدايا، وأودعه إليه رسالة، فشخص ابن الجصاص لِما وجِّه له، فلما بلغ سامرّا بلغ المعتضد مهلِك خمارويه، فكتب إليه يأمره بالرجوع إليه فرجع ، ودخل بغداد لسبع بقين من ذى الحجة . ٣/٢١٤٩

---

(١) س : « واكتب » .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر هارون الشاري والظفر به]

فمن ذلك ما كان من شخوص المعتضد لثلاثَ عشرة بقيتْ من المحرّم منها — بسبب الشاري هارون — إلى ناحية الموصِل، فظفر به؛ ووَرَد كتابُ المعتضد بظفرِه به إلى مدينة السلام يوم الثلاثاء لتسع خلَوْن من شهر ربيع الأول . وكان سبب ظفره به أنه وجّه الحسين بن حمدان بن حمدون فى جماعة من الفُرسان والرّجّالة من أهل بيته وغيرهم من أصحابه إليه؛ وذُكر أن الحسين بن حمدان قال للمعتضد : إن أنا جئت به إلى أمير المؤمنين فلى ثلاث حوائج إلى أمير المؤمنين ، فقال : اذكرها ، قال : أولها إطلاق أبِى ، وحاجتان أسأله إياهما بعد مجيئ به إليه . فقال له المعتضد: لك ذلك فامض، فقال الحسين :أحتاج إلى ثلاثمائة فارس أنتخبُهم ، فوجّه المعتضد معه ثلاثمائة فارس مع موشْكير ، فقال : أريد أن يأمره أمير المؤمنين ألاّ يخالفنى فيما آمره به ، فأمر المعتضد موشْكير بذلك .

فمضى الحسين حتى انتهى إلى مخاضة دجْلة ، فتقدّم إلى وصيف ومَنْ معه بالوقوف على المخاضة ، وقال له : ليس لهارون طريق إن هرب غيرُ هذا ، فلا تبرحنّ من هذا الموضع حتى يمرّ بك هارون ؛ فتمنعه العبور ، وأجيئك أنا ، أو يبلغك أنى قد قُتِلت . ومضى حسين فى طلب هارون فلقيَه وواقعه ، وكانت بينهما قتلى ، وانهزم الشارى هارون ، وأقام وصيفٌ على المخاضة ثلاثة أيام ، فقال له أصحابه : قد طال مقامُنا بهذا المكان القفْر ، وقد أضرّ ذلك بنا ، ولسنا نأمن أن يأخذ حسين الشاريَ فيكونَ الفتح له دوننا ؛ والصواب أن نمضيَ فى آثارهم . فأطاعهم ومضى . وجاء هارون الشارى منهزما إلى موضع المخاضة، فعبَر ،وجاء حسين فى أثره، فلم يرَ وصيفاً وأصحابه بالموضع الذى تركهم فيه ، ولا عرف لهارون خبراً ، ولا رأى له أثراً ، وجعل يسأل عن

٣/٢٢٥٠

خبر هارون حتى وقف على عبوره ، فعبَر فى أثره ، وجاء إلى حىٍّ من أحياء العرب ، فسألهم عنه فكتموه أمرَه ، فأراد أن يُوقع بهم ، وأعلمهم أنّ المعتضد فى أثره ؛ فأعلموه أنه اجتاز بهم ، فأخذ بعض دوابهم ، وترك دوابه عندهم — وكانت قد كلَّت وأعيت — واتّبع أثره ، فلحقه بعد أيام والشارى فى نحو من مائة ، فناشده الشارى ، وتوعّده ، فأبى إلاّ محاربته ، فحاربه ؛ فذُكر أن حسين ابن حمدان رمى بنفسه عليه ، فابتدره أصحاب حسين فأخذوه ، وجاء به إلى المعتضد سلماً بغير عَقْد ولا عهْد ، فأمر المعتضد بحلّ قيود حمدان بن حمدون ، والتوسعة عليه والإحسان إليه أن يقدم فيطلقه ويخلع عليه ؛ فلما أسر الشارى ، وصار فى يد المعتضد ، انصرف راجعاً إلى مدينة السلام ، فوافاها لثمان بقين من شهر ربيع الأول ، فنزل باب الشماسيّة ، وعبّأ الجيش هنالك ، وخلع المعتضد على الحسين بن حمدان ، وطوّقه بطَوْق من ذهب ، وخلع على جماعة من رؤساء أهله ، وزُيِّن الفيل بثياب الدِّيباج ، واتُّخذ للشارىّ على الفيل كالمحفّة ، وأقعِد فيها ، وألبِس درّاعة ديباج ، وجَعل على رأسه برنس حرير طويل .

٣/٢١٥١

* * *

ولعشر بقين من جمادى الأولى منها ، أمر المعتضد بالكتاب إلى جميع النواحى بردّ الفاضل من سهام المواريث على ذوى الأرحام ، وإبطال ديوان المواريث ، وصرف عمّالها ؛ فنفذت الكتب بذلك ، وقرئت على المنابر .

وفيها خرج عمرو بن الليث الصفار من نيسابور ، فخالفه رافع بن هرثمة إليها ، فدخلها وخطب بها لمحمد بن زيد الطالبىّ وأبيه ، فقال : اللهمّ أصلح الداعى إلى الحق ؛ فرجع عمرو إلى نيسابور ، فعسكر خارج المدينة ، وخندق على عسكره لعشر خلوْن من شهر ربيع الآخر ، فأقام محاصراً أهل نيسابور .

وفى يوم الاثنين لأربع خلَوْن من جُمادى الآخرة منها ، وافى بغداد محمد ابن إسحاق بن كنداجيق وخاقان المفلحىّ ومحمد بن كُمُشْجُور المعزوف ببُندقة وبدر بن جُفّ أخو طغج وابن حَسَنج فى جماعة من القواد من مصر فى الأمان .

٣/٢١٥٢

وذكر أن سبب مجيئهم إلى المعتضد فى الأمان كان أنهم أرادوا أن يفتكوا

بجيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون ، فَسُعِىَ بهم إليه ، وكان راكباً ، وكانوا فى موكبه ، وعلموا أنه قد وقف على أمرهم ، فخرجوا من يومهم وسلكوا البريّة ، وتركوا أموالَهم وأهاليهم ، فتاهوا أياماً ، ومات منهم جماعة من العطش ، وخرجوا على طريق مكة فوق الكوفة بمرحلتين أو ثلاثة . ووجّه السلطان محمد بن سليمان صاحب الجيش إلى الكُوفة حتى كتب أسماءهم ، وأقيمت لهم الوظائف من الكوفة ، فلما قربوا من بغداد، خرجت إليهم الوظائف والخيم والطعام ، ووصلوا إلى المعتضِد يوم دخلوا ، فخُلع عليهم ، وحُمل كلّ قائد منهم على دابّة بسرجه ولجامه ، وخُلع على الباقين ، وكان عددهم ستين رجلا .

وفى يوم السبت لأربع عشرة بقيت منها شخص الوزير عبيد الله بن سليمان إلى الجَبَل لحرب ابن أبى دُلف بأصبهان .

* * *

[خبر حصر الصقالبة القسطنطينية]

وفيها — فيما ذكر — ورد كتابٌ من طَرَسُوس أن الصّقالبة غزت الروم فى خلق كثير ، فقتلوا منهم وخرّبوا لهم قرًى كثيرة حتى وصلوا إلى قسطنطينية وألجئوا الرّوم إليها ، وأغلقت أبواب مدينتهم ، ثم وجّه طاغية الروم إلى ملك الصّقالبة أن ديننا ودينكم واحد ؛ فعلام نقتل الرجال بيننا ! فأجابه ملك الصقالبة أن هذا ملك آبائى ، ولست منصرفاً عنك إلاّ بغلبة أحدنا صاحبه ؛ فلما لمْ يجد ملك الرّوم خلاصاً من صاحب الصّقالبة ، جَمَع مَنْ عنده من المسلمين ، فأعطاهم السلاح ، وسألهم معونتَه على الصّقالبة ، ففعلوا ، وكشفوا الصقالبة ، فلما رأى ذلك ملك الروم خافَهم على نفسه ، فبعث إليهم فردّهم ، وأخذ منهم السلاح ، وفرّقهم فى البلدان ، حذراً من أن يجنوا عليه .

٣/٢١٥٣

* * *

[خلاف جند جيْش بن خمارويه عليه]

وللنصف من رجب من هذه السنة ورد الخبر من مصر أن الجند من المغاربة والبربر وثبوا على جيش بن خمارويه ، وقالوا : لانرضى بك أميراً علينا فتنحّ عنا حتى نولّىَ عمّك ، فكلمهم كاتبه علىّ بن أحمد الماذَرائىّ ، وسألهم أن ينصرفوا عنه يومهم ذلك ، فانصرفوا وعادوا من غد ، فعدا جيش على عمه الذى ذكروا أنهم يؤمّرونه ، فضرب عنقه وعنق عمٍّ له آخر ، ورمى بأرؤسهما

إليهم ، فهجم الجند على جيش بن خمارويه ، فقتلوه وقتلوا أمّه وانتهبوا دارَه ، وانتهبوا مصر وأحرقوها ، وأقعدوا هارون بن خمارويه مكان أخيه .

وفى رجب منها أمر المعتضد بكَرْى دُجَيل والاستقصاء عليه ، وقلع صخر فى فُوّهته كان يمنع الماء، فجُبِىَ لذلك من أرباب الضّياع والإقطاعات أربعة آلاف دينار ، وكسرٌ — فيما ذكر — وأنفِق عليه ، ووَلِىَ ذلك كاتب زيرك وخادم من خدم المعتضد .

* * *

[ذكر الفداء بين المسلمين والروم]

وفى شعبان منها ، كان الفداء بين المسلمين والرّوم على يدى أحمد بن طُغان ، وذُكر أن الكتاب الوارد بذلك من طَرَسوس كان فيه : ٢١٥٤/٣

بسم الله الرحمن الرحيم :

أعلمك أن أحمد بن طغان نادى فى الناس يحضرون الفداء يوم الخميس لأربع خلون من شعبان سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وأنه قد خرج إلى لامس — وهو معسكر المسلمين — يوم الجمعة لخمس خلوْن من شعبان ، وأمر الناس بالخروج معه فى هذا اليوم ، فصلّى الجمعة ، وركب من مسجد الجامع ومعه راغب ومواليه ، وخرج معه وجوهُ البلد والموالى والقُوّاد والمطوّعة بأحسن زىّ ، فلم يزل الناس خارجين إلى لامس إلى يوم الاثنين لثمان خلَوْن من شعبان ، فجرى الفداء بين الفريقين اثنى عشر يومًا ؛ وكانت جملة من فُودِىَ به من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان ألفين وخمسمائة وأربعة أنفس ، وأطلق المسلمون يوم الثلاثاء لسبع بقين من شعبان سميون رسول ملك الروم ، وأطلق الرّوم فيه يحيى بن عبد الباقى رسول المسلمين المتوجّه فى الفداء ، وانصرف الأمير ومَنْ معه .

وخرج — فيما ذكر — أحمد بن طُغان بعد انصرافه من هذا الفداء فى هذا الشهر فى البحر ، وخلّف دميانة على عمله على طَرَسوس، ثم وجّه بعده يوسف ابن الباغمردىّ على طَرَسُوس ولم يرجع هو إليها .

* * *

[ذكر أمر المعتضد مع عمر بن عبد العزيز بن أبى دلف وأخيه بكر]

وفى يوم الجمعة لعشر خلَوْن من شهر رمضان من هذه السنة قُرِئ كتاب

على المنبر بمدينة السلام فى مسجد جامعها ؛ بأن عمر بن عبد العزيز بن أبى دُلف صار إلى بدر[1] وعبيد الله بن سليمان[2] فى الأمان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان سامعاً مطيعاً منقاداً لأمير المؤمنين ، مذعناً بالطاعة والمصير معهما إلى بابه ، وأنّ عبيد الله بن سليمان خرج إليه فتلقاه ، وصار به إلى مضرب بدر ، فأخذ عليه وعلى أهل بيته وأصحابه البَيْعة لأمير المؤمنين ، وخلع عليه بدر وعلى الرؤساء من أهل بيته ، وانصرفوا إلى مضربٍ قد أُعِدّ لهم ، وكان قبل ذلك قد دخل بكر بن عبد العزيز فى الأمان على بدْر وعبيد الله بن سليمان ، فولَّياه عمل أخيه عمر ، على أن يخرج إليه ويحاربه ، فلما دخل عمر فى الأمان قالا لبكر : إنّ أخاك قد دخل فى طاعة السلطان ؛ وإنما كنا ولَّيناك عمله على أنه عاصٍ ، والآن فأمير المؤمنين أعلَى عَيْناً فيما يرى من أمركما ، فامضيا إلى بابه .

٢١٥٥/٣

وولِّىَ عيسى النُّوشرىّ أصبهان ، وأظهر أنه من قِبَل عمر بن عبد العزيز ، فهرب بكر بن عبد العزيز فى أصحابه ، فكُتب بذلك إلى المعتضد ، فكتب إلى بدْر يأمره بالمقام بموضعه إلى أن يعرف خبر بكر وما إليه يصير أمره ؛ فأقام وخرج الوزير عبيد الله بن سليمان إلى أبى محمد علىّ بن المعتضد بالرّىّ ، ولحق بكر بن عبد العزيز بن أبى دُلف بالأهواز ، فوجّه المعتضد فى طلبه وصيفاً موشكير ، فخرج من بغداد فى طلبه حتى بلغ حدود فارس ، وقد كان لحقه — فيما ذكر — ولم يواقعه ، وباتا ؛ كلّ واحد منهما قريب من صاحبه، فارتحل بكر بالليل[3] فلم يتبعه وصيف ، ومضى بكْر إلى أصبهان ، ورجع وصيف إلى بغداد ، فكتب المعتضد إلى بدر يأمره بطلب بكْر وحربِه ، فتقدّم بدر إلى عيسى النُّوشرىّ بذلك ، فقال بكر بن عبد العزيز :

٢١٥٦/٣

عنّى مَلامَكَ ليس حين مَلامِ ... هيهاتَ أُحْدِثُ زائداً لِلُوّامِ[4]

طارَتْ غَيَاياتُ[5] الصِّبا عن مَفْرِقِى ... ومضى أَوانُ شَراسَتِى وعُرَامِى

---

(١) بدر غلام المعتضد

(٢) عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد

(٣) س : « من الميل »

(٤) ابن الأثير : « أجدب رائد الأيام » .

(٥) ط : « عنايات » .

أَلقَى الأَحِبَّةُ بالعراقِ عِصِيَّهُمْ ... وبَقِيتُ نَصْب حوادثِ الأَيَّامِ
وتَقَاذَفتْ بأَخي النوى ورَمَتْ به ... مَرْمَى البعيدِ قطيعةُ الأَرحام
وتَشَعَّبَ العربُ الذين تصدَّعوا ... فذَبَبْتُ عن أحسابِهِمْ بحُسامي
فيه تَماسُك ما وَهَى من أَمرِهِمْ ... والسُّمْر عند تصادُمِ الأَقوامِ
فلأَقرَعَنَّ صفاةَ دهرٍ نابهُمْ ... قرْعاً يَهُدّ رواسِيَ الأَعلامِ
ولأَضربنَّ الهامَ دونَ حريمِهِمْ ... ضَرْبَ القُدَارِ نَقيعةَ القدّام
٣/٢١٥٧ ولأَتركَنَّ الواردينَ حياضَهمْ ... بقَرارةٍ لمواطِئِ الأَقدامِ(١)
يا بدرُ إنَّكَ لو شهِدتَ مواقفِي ... والمَوتُ يَلحظ والصِّفاحُ دوامي
لَذَمَمْتَ رأيكَ في إضاعةِ حُرمَتي ... ولضاقَ ذرْعُك في اطِّراحِ ذمامي
حرَّكتني بعدَ السكونِ وإنما ... حرّكتَ مِنْ حِصْنِي جبالَ تِهَامِ
وعَجَمْتَني فعَجمْتَ مني مِرجَماً ... خَشِنَ المناكب كلَّ يوم زحامِ
قلْ لِلأَميرِ أَبي محمدٍ الذي ... يَجْلو بِغُرَّتِهِ دُجى الإظلامِ
أَسكنتني ظِلَّ العلَا فسكَنتُهُ ... في عِيشةٍ رَغدٍ وعِزٍّ نامي
حتى إذا خُلِّئت عنه نابَني ... ما نابني وتنكَّرَتْ أَيامي
فلأَشكرنَّ جَميلَ ما أَوليتَني ... ما غَرَّدَتْ في الأَيكِ وُرْقُ حمامِ
٣/٢١٥٨ هذا أَبو حفصٍ يَدِي وذَخِيرتي ... للنائباتِ وعُدَّتي ومَنامي
نادَيتُــهُ فأَجابني ، وهَزَزْتهُ ... فهززتُ حَدَّ الصارمِ الصَّمصَامِ(٢)
من رامَ أَن يُغضِي الجفونَ على القَذى ... أَو يَستكِينَ يَرُومُ غير مرام
ويَخِيمُ حين يَرَى الأَسِنَّة شرَّعاً ... والبِيضَ مُصْلَتَةً لضرْبِ الهام

وقال بكر بن عبد العزيز يذكر هرب النّوشريّ من بين يديه ويعيّر وصيفا

(١) ب : « لمواطن الأقدام » .
(٢) س : « الضارب الصمصام » .

بالإحجام عنه ويتهدّد بَدْرًا :

قالَتِ البِيض قد تغيّرَ بكرُ ... وبَدَا بعد وصلِه منه هَجْرُ
ليس كالسيفِ مونِسٌ حين يَعْرو ... حادثٌ مُعضِلٌ ويَفدَحُ أمرُ
أَوقَدوا الحربَ بيننا فاصْطلَوْها ... ثم حاصُوا ، فأَينَ منها المفَرُّ!(١)
وبَغَوْا شَرّنا فهذا أوانٌ ... قد بدا شَرُّهُ ويتلوه شَرُّ
قد رأى النُّوشَرىُّ لمّا التقَينا(٢) ... مَن إذَا أُشْرِعَ الرِّماحُ يفِرُّ
جاءَ فى قَسطَلٍ لُهَامٍ فصُلْنا ... صَولةً دُونها الكمُاة تَهِرُّ
ولواءُ المُوْشجِير أفضَى إلينا ... رُوِّيتْ عند ذاك بِيض وسُمْر
غَرَّ بدْرًا حِلمِى وفضلُ أَناتِى ... واحتمالى ، وذاك مما يَغُرُّ ٣/٢١٥٩
سوفَ يأتينَهْ شواذِبُ قُبٌّ ... لاحقات البطون جُونٌ وشقرُ
يتبارَين كالسَّعَالِى عليها ... من بنى وائلٍ أُسودٌ تَكُرّ
لست بكرًا إنْ لم أَدعْهُمْ حديثاً ... ما سرَى كوكب وما كرَّ دَهرُ

وفى يوم الجمعة لسبع خلَوْن من شوّال من هذه السنة مات علىّ بن محمد ابن أبى الشوارب ، فحُمل إلى سامُرّا من يومه فى تابوت ، وكانت ولايتُه للقضاء على مدينة أبى جعفر ستة أشهر .

وفى يوم الاثنين لأربع بقين من شوّال منها دخل بغداد عمر بن عبد العزيز بن أبى دُلف قادمًا من أصبهان ، فأمر المعتضد — فيما ذكر — القوّاد باستقباله ، فاستقبله القاسم بن عبيد الله والقوّاد ، وقعد له المعتضد ، فوصل إليه ، وخلع عليه ، وحمله على دابّة بسرْج ولجام محلًّى بذهب ، وخلع معه على ابنين له وعلى ابن أخيه أحمد بن عبد العزيز وعلى نفسين من قوّاده ، وأنزل فى الدار التى كانتْ لعبيد الله بن عبد الله عند رأس الجسر ؛ وكانت قد فُرشت له .

وفى هذه السنة قرئ على القوّاد فى دار المعتضد كتابٌ ورد من عمرو بن

(١) س : « ثم حاموا » . (٢) ابن الأثير : « حين التقينا » .

الليث الصفار؛ بأنه واقَعَ رافع بن هرثمة وهزَمه، وأنه مرّ هاربًا، وأنه على أن يتبعه .

وكانت الوقعة لخمس بقِين من شهر رمضان، وقرىء الكتاب يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة خلَت من ذى القعدة . ٣/٢١٦٠

وفى يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من ذى القعدة ، وردت خريطة – فيما ذكر – من عمرو بن الليث على المعتضد ، وهو فى الحلبة ، فانصرف إلى دار العامة ، وقرئ الكتاب على القوّاد من عمرو بن الليث يُخبر فيه أنه وجّه فى أثر رافع بعد الهزيمة محمد بن عمرو البلخىّ مع قائد آخر من قوّاده، وقد كان رافع صار إلى طوس فواقعوه ، فانهزم واتبعوا أثرَه ، فلحق بخُوارزم ، فقتِل بخُوارزم، فأرسل بخاتمه مع الكتاب ، وذكر أنه قد حمّل الرسول فى أمر الرأس ما يُخبر به السلطان .

وفى يوم الجمعة لثمان بقين من ذى القعدة منها قُرئت الكتب على المنابر بقتل رافع بن هرثمة.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما كان من قدوم رسول عمرو بن الليث الصفار برأس رافع بن هرثمة فى يوم الخميس لأربع خلوْن من المحرّم على المعتضد ، فأمر بنصبه فى المجلس بالجانب الشرقىّ إلى الظهر ، ثم تحويله إلى الجانب الغربىّ ، ونصبه هنالك إلى الليل ، ثم ردّه إلى دار السلطان . وخُلع على الرسول وقت وصوله إلى المعتضد بالرأس .

وفى يوم الخميس لسبع خلون من صفر كانت ملحمة بين راغب ودميانة بطرَسوس ، وكان سبب ذلك — فيما ذكر — أن راغبًا مولى الموفّق ترك الدعاء لخمارويه بن أحمد ، ودعا لبدر مولى المعتضد ، فوقع بينه وبين أحمد بن طُغان الخلاف ؛ فلما انصرف ابن طغان من الفداء[1] الذى كان فى سنة ثلاث ٢١٦١/٣ وثمانين ومائتين ركب البحر ولم يدخل طَرَسوس ، ومضى وخلّف دميانة للقيام بأمر طَرَسوس ؛ فلما كان فى صفر من هذه السنة ، وجّه يوسف بن الباغمردىّ ليخلفه على طَرَسوس ؛ فلما دخلها وقوِىَ به دميانة ، كرهوا ما يفعله راغب من الدعاء لبدر ، فوقعت بينهم الفتنة ، وظفر بهم راغب ، فحمل دميانة وابن الباغمردىّ وابن اليتيم مقيّدين إلى المعتضد .

ولعشر بقين من صفر فى يوم الاثنين من هذه السنة وردت خريطة من الجبل ؛ بأن عيسى النُّوشرىّ أوقع ببكر بن عبد العزيز بن أبى دُلف فى حدود أصبهان ، فقتل رجاله ، واستباح عسكره ، وأفلت فى نفر يسير .

وفى يوم الخميس لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الأول منها ، خُلع على أبى عمر يوسف بن يعقوب ، وقُلِّد قضاءَ مدينة أبى جعفر المنصور مكان علىّ ابن محمد بن أبى الشوارب ، وقضاء قطر بُّل ومَسْكِنْ وبزُرْجَسَابور

---

(١) ب : « من الغد » .

والرذانيـْن . وقعد للخصوم فى هذا اليوم فى المسجد الجامع ، ومكثت مدينة أبى جعفر من لدن مات ابن أبى الشوارب إلى أن وليـَها أبو عمر بغير قاض ، وذلك خمسة أشهر وأربعة أيام .

٣/٢١٦٢ وفى يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلتْ منه فى هذه السنة ، أخِذ خادم نصرانىّ لغالب النصرانىّ متطبّب السلطان يقال له وَصيف ، فرُفع[١] إلى الحبس ، وشُهِد عليه أنه شتم النبىّ صلّى الله عليه وسلم فحبِس ، ثم اجتمع من غد[٢] هذا اليوم ناس من العامّة بسبب هذا الخادم ، فصاحوا بالقاسم بن عبيد الله ، وطالبوه بإقامة الحدّ عليه . بسبب[٣] ما شُهِد عليه ؛ فلما كان يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت منه اجتمع أهلُ باب الطاق إلى قنطرة البـَرَدان وما يليها من الأسواق ، وتداعـَوْا ، ومضوا إلى باب السلطان ، فلقـِيـَهم أبو الحسين ابن الوزير ، فصاحوا به ، فأعلمهم أنه قد أنهى خبره إلى المعتضد ، فكذّبوه وأسمعوه ما كره ، ووثبوا بأعوانه ورجاله حتى هربوا منهم ، ومضوْا إلى دار المعتضد بالثريّا ، فدخلوا من الباب الأول والثانى فمُنِعوا من الدخول ، فوثبوا على مَنْ منعـَهم ، فخرج إليهم من سألهم عن خبرهم ، فأخبروه . فكتب به إلى المعتضد ، فأدخِل إليه منهم جماعة ، وسألهم عن الخبر فذكروه له ، فأرسل معهم خفيفاً السمرقندىّ إلى يوسف القاضى ، وتقدم إلى خفيف أن يأمر يوسف بالنّظر فى أمر الخادم ، وأن يُنهِىَ إليه ما يقف عليه من أمره ، فمضى معهم خفيف إلى يوسف ، فكادوا يقتلونه ويقتلون يوسف لمـّا دخلوا عليه[٤] ممـّا ازدحموا ، حتى أفلت يوسف منهم ، ودخل باباً وأغلقه دونهم ، ولم يكن بعد ذلك للخادم ذِكْر ، ولا كان للعامّة فى أمره اجتماع

٣/٢١٦٣ وفى هذا الشهر من هذه السنة قدم — فيما ذكر — قوم من أهل طـَرَسوس على السلطان يسألونه أن يولـّى عليهم والٍ ، ويذكرون أن بلدهم بغير والٍ ؛ وكانت طرسوس قبل فى يدى ابن طولون ، فأساء إليهم ، فأخرجوا عامله[٥] عن البلد ، وراسلهم فى ذلك ، ووعدهم الإحسان ، فأبوا أن يتركوا له

(١) س : « ورفع » . (٢) ب : « فى غد » .
(٣) س : « بما » . (٤) ب : « إليه » .
(٥) س : « عاملهم » .

غلاماً يدخل بلدهم ، وقالوا : مَنْ جاءنا من قبلك حاربناه ، فكف عنهم .

وفى يوم الخميس لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر من هذه السنة — فيما ذكر — ظهرت ظلمة بمصر ، وحُمرة فى السماء شديدة ؛ حتى كان الرجل ينظر إلى وجه الآخر ، فيراه أحمر ، وكذلك الحيطان وغير ذلك ، ومكثوا كذلك من العصر إلى العشاء الآخرة ، وخرج الناس من منازلهم يدعون الله ويتضرعون إليه .

وفى يوم الأربعاء لثلاث خلوْن من جمادى الأولى ، ولإحدى عشرة ليلة خلت من حَزِيران ، نُودى فى الأرباع والأسواق ببغداد بالنَّهى عن وقود النيران ليلة النيروز ، وعن صبّ الماء فى يومه ، ونُودى بمثل ذلك فى يوم الخميس ، فلمّا كان عشيّة يوم الجمعة نودى على باب سعيد بن يكسين صاحب الشرطة بالجانب الشرقىّ من مدينة السلام ، بأنّ أمير المؤمنين قد أطلق للناس فى وقود النيران وصبّ الماء ، ففعلت العامة من ذلك ما جاوز الحدّ ، حتى صبّوا الماء على أصحاب الشرطة فى مجالس الجسر — فيما ذكر .

٢١٦٤/٣ وفيها أغريَت [١] العامة بالصّياح بمن رأوْا من الخدم السود [٢] : يا عقيق ، فكانوا يغضبون من ذلك ، فوجّه المعتضد خادماً أسود عشيّة الجمعة برقعة إلى ابن حمدون النديم ؛ فلما بلغ الخادم رأس الجسر من الجانب الشرقىّ صاح به صائح من العامة : يا عقيق ! فشتم الخادم الصائح ، وقنّعه ، فاجتمعت جماعة من العامة على الخادم فنكسوه وضربوه ، وضاعت الرقعة التى كانت معه . فرجع إلى السلطان فأخبره بما صنِع به ، فأمر المعتضد طريفاً المخلدىّ الخادم بالركوب والقبض على كلّ مَنْ تولّع بالخدم وضربه بالسياط . فركب طريف يوم السبت لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى فى جماعة من الفرسان والرجّالة ، وقدّم بين يديه خادماً أسود ؛ فصار إلى باب الطاق لِمَا أمِر به من القبض على من صاح بالخادم : يا عقيق ، فقبض فيما ذكر بباب الطابق على سبعة أنفس ؛ ذكِر أن بعضهم كان بزِيّاً ؛ فضُرِبوا بالسياط فى مجلس الشرطة

(١) ب ، س : « أعربت ». (٢) س : « السودان » .

بالجانب الشرقىّ . وعبّر طريف فمضى إلى الكرْخ ، ففعل مثل ذلك ، وأخذ خمسة أنفس فضربهم فى مجلس الشرطة بالشرقيّة ، وحُمِل الجميع على جمال ، ونودى عليهم : هذا جزاء مَن أولِع بخدم السلطان ، وصاح بهم : ياعقيق ، وحبسوا يومهم ، وأطلِقوا بالليل .

وفى هذه السنة عزَم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبى سفيان على المنابر ، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يُقرَأ على الناس ، فخوّفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطراب العامة ، وأنه لا يأمن أن تكون فتنة ، فلم يلتفت إلى ذلك من قوله .

٣/٢١٦٥ وذُكر أن أول شىء بدأ به المعتضد حين أراد ذلك الأمر بالتقدّم إلى العامة بلزوم أعمالهم ، وترك الاجتماع والقضية والشهادات عند السلطان ، إلا أن يُسألوا عن شهادة إن كانت عندهم ، وبمنع القُصّاص من القعود على الطرقات ، وعمِلت بذلك نسخ قرئت بالجانبين بمدينة السلام فى الأرباع والمحالّ والأسواق ، فقرِئت يوم الأربعاء لستّ بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ، ثم مُنِع يوم الجمعة لأربع بقين منها القصّاص من القعود فى الجامعيْن ، ومُنع أهل الحلق فى الفتيا أو غيرهم من القعود فى المسجدين ، ومُنِع الباعة من القعود فى رحابهما .

وفى جمادى الآخرة نودى فى المسجد الجامع بنهى الناس عن الاجتماع على قاصّ أو غيره ، ومنِع القصاص وأهل الحلَق من القعود .

وفى يوم الحادى عشر — وذلك يوم الجمعة — نُودى فى الجامعيْن بأنّ الذمة بريّة ممّن اجتمع من الناس على مناظرة أو جدل ، وأن من فعل ذلك أحلّ بنفسه الضرب ، وتقدم إلى الشرّاب والذين يسقون الماء فى الجامعين ألا يترحّموا على معاوية ، ولا يذكروه بخير .

* * *

[ذكر كتاب المعتضد فى شأن بنى أمية]

وتحدّث الناس أن الكتاب الذى أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر ، فلما صلى الناس الجمعة بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يُقرأ .

فذُكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذى كان المأمون أمر بإنْشائه بلعن

معاوية ، فأخرج له من الدّيوان، فأخذ من جوامعه نسخة هذا الكتاب ، ٣/٢١٦٦
وذكر أنها نسخة الكتاب الذى أنشئ للمعتضد بالله :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله العلىّ العظيم ، الحليم الحكيم ، العزيز الرحيم ، المنفرد بالوحدانية ، الباهر بقدرته ، الخالق بمشيئته وحكمته ؛ الذى يعلمَ سوابقَ[1] الصدور ، وضمائر القلوب ، لا يخفى عليه خافيةٌ ، ولا يعْزُبُ عنه مثقال ذرّة فى السموات العُلا ، ولا فى الأرضين السفلى ؛ قد أحاط بكل شىء علماً ، وأحصى كلّ شىء عدداً ، وضرب[2] لكل شىء أمداً ، وهو العليم الخبير . والحمد لله الذى برأ خلقه لعبادته ، وخلق عباده لمعرفته ، على سابق علمه فى طاعة مطيعهم ، وماضى أمره فى عصيان عاصيهم ؛ فبيّن لهم ما يأتون وما يتّقون ، ونهج لهم سبل النجاة ، وحذّرهم مسالك الهلَكة ، وظاهَر عليهم الحجّة ، وقدّم إليهم المعذرة ، واختار لهم دينه الذى ارتضى لهم ، وأكرمهم به ، وجعل المعتصمين بحبله والمتمسكين بعُروته أولياءَه وأهلَ طاعته ، والعاندين عنه والمخالفين له أعداءَه وأهلَ معصيته ؛ ليهلك مَنْ هلَكَ عن بينة ، ويحيَا مَن حىّ عن بيّنة ، وإن الله لسميع عليم . والحمد لله الذى اصطفى محمداً رسوله من جميع بريّته ، واختاره لرسالته ، وابتعثه بالهدى والدّين المرتضى إلى عباده أجمعين ، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين ، وتأذّن له ٣/٢١٦٧ بالنصر[3] والتمكين ، وأيده بالعزّ والبرهان المتين ، فاهتدى به مَن اهتدى ، واستنقذ به مَن استجاب له من العمى ، وأضلّ من أدبر وتولّى ، حتى أظهر الله أمرَه ، وأعزّ نصرَه ، وقهر مَنْ خالفه ، وأنجز له وعده ، وختَم به رسله[4] ، وقبضه مؤدّياً لأمره ، مبلِغاً لرسالته ، ناصحاً لأمته ، مرضيّاً مهتدياً إلى أكرم مآب المنقلبين ، وأعلى منازل أنبيائه المرسلين ، وعباده الفائزين ؛ فصلى الله عليه أفضلَ صلاة وأتمّها ، وأجلّها وأعظمَها ، وأزكاها وأطهرها ؛ وعلى آله الطيبين .

والحمدُ لله الذى جعل أمير المؤمنين وسلفه الرّاشدين المهتدين ورثةَ

---

(١) س : « أسرار » . (٢) س : « وجعل » .
(٣) س : « النصرة » . (٤) س : « رسالته » .

خاتم النبيين وسيّد المرسلين والقائمين بالدّين ، والمقوّمين لعباده المؤمنين ، والمستحفَظين ودائع الحكمة ، ومواريث النبوة ، والمستخلَفين فى الأمة ، والمنصورين بالعزّ والمنعة ، والتأييد والغلبة ؛ حتى يظهر الله دينَه على الدّين كله ولو كره المشركون .

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعةٌ من العامة من شُبْهة قد دخلتهم فى أديانهم ، وفساد قد لحِقهم فى معتَقدهم ، وعصبية قد غلبت عليها أهواؤهم ، ونطقت بها ألسنتُهم ، على غير معرفة ولا رويّة ، وقلدوا فيها قادة الضلالة بلا بَيِّنَة ولا بصيرة ، وخالفوا السنن المتبعة ، إلى الأهواء المبتدعة ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أضَلّ مِمّنِ اتّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إنّ اللهَ لاَ يَهْدِى القَوْمَ الظالِمِين ﴾[1] ، خروجاً عن الجماعة ، ومسارعة إلى الفتنة وإيثاراً للفرقة ، وتشتيتاً للكلمة وإظهاراً لموالاة[2] مَنْ قطع الله عنه الموالاة ، وبَتَرَ منه العصمة ، وأخرجه من الملة ، وأوجب عليه اللعنة ، وتعظيماً لمن صغّر الله حقه ، وأوهن أمره ، وأضعف ركنه ، من بنى أمية الشجرة الملعونة ، ومخالفةً لمن استنقذهم الله به من الهلَكة ، وأسبغ عليهم به النّعمة ؛ من أهل بيت البركة والرحمة ، قال الله عزوجل : ﴿ يَخْتَصّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ ﴾[3] . فأعظم أميرُ المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك ، ورأى فى ترك إنكاره حرَجاً عليه فى الدين ، وفساداً لمن قلّده الله أمره من المسلمين ، وإهمالاً لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين وتبصير الجاهلين ، وإقامة الحجة على الشاكّين ، وبسْط اليد على العاندين .

٢١٦٨/٣

وأمير المؤمنين يرجع إليكم معشر الناس بأنّ الله عز وجل لمّا ابتعث محمداً بدينه ، وأمره أن يصدَع بأمره ، بدأ بأهله وعشيرته ، فدعاهم إلى ربه ، وأنذرهم وبشّرهم ، ونصحَ لهم وأرشدهم ، فكان مَن استجاب له وصدّق قولَه واتّبع أمره نفرٌ يسير من بنى أبيه ، من بين مؤمن بما أتى به من ربّه ، وبين ناصر له وإن لم يتّبع دينَه ؛ إعزازاً له ، وإشفاقاً عليه ، لماضى علم الله

(١) سورة القصص ٥٠ . (٢) ب : « لموالاة » .
(٣) سورة آل عمران ٧٤ .

فيمن اختار منهم ، ونفذت مشيئتُه فيما يستودعه إياه من خلافته وإرْث نبيّه ؛ فمؤمنهم مجاهد بنُصرته وحميّته ، يدفعون مَن نابذَه ، وينهرون مَنْ عارّه ٣/٢١٦٩ وعانده[١] ، ويتوثّقون له ممن كانفه وعاضده ، ويبايعون له مَنْ سمح بنصرته ، ويتجسّسون له أخبار أعدائه ، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأى العين ؛ حتى بلغ المدَى ، وحان[٢] وقت الاهتداء ، فدخلوا فى دين الله وطاعته وتصديق رسوله ، والإيمان به ، بأثبت بصيرة ، وأحسن هدى ورغبة ، فجعلهم الله أهل بيتِ الرّحمة ، وأهل بيت الدين[٣] — أذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً — ومعدن الحكمة ، وورثة النبوّة وموضع الخلافة ، وأوجب لهم الفضيلة ، وألزم العباد لهم الطاعة .

وكان ممن عانده ونابذه ، وكذّبه وحاربه من عشيرته ، العددُ[٤] الأكثر ، والسواد الأعظمُ ؛ يتلقّوْنَه بالتكذيب والتثريب ، ويقصدونه بالأذيّة والتخويف[٥] ، ويبادونه بالعداوة ، وينصبون له المحاربة ، ويصدّون عنه مَنْ قصده ، وينالون بالتعذيب مَن اتّبعه . وأشدُّهم فى ذلك عداوةً وأعظمهم له مخالفة ، وأوّلهم فى كلِّ حرب ومناصَبَة ، لا يُرفع على الإسلام رايةٌ إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها ، فى كلّ مواطن الحرب[٦] ، من بدر وأحُد والخندق والفتح ... أبوسفيان بن حرْب وأشياعه من بنى أمية ، الملعونين فى كتاب الله ، ثم الملعونين على لسان رسول الله فى عدّة مواطن ، وعدّة مواضع ، لماضى علم الله فيهم وفى أمرهم ، ونفاقهم وكفر أحلامِهم ؛ فحارب مجاهداً ، ودافع مكابداً ، وأقام منابذاً حتى قهره السيف ، وعلا أمر الله وهم كارهون ؛ فتقوّل بالإسلام ٣/٢١٧٠ غير منطوٍ عليه ، وأسرّ الكفر[٧] غير مقلع عنه ، فعرفه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وميّز له المؤلفة قلوبُهم ، فقبله وولده على علم منه ؛ فمما لعنهم الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأنزل به كتاباً قوله :

---

(١) ب ، س : « ويقهرون » ، وعارّه : قاتله . (٢) س : « وحاز » .
(٣) س : « البيت الذين » . (٤) ب : « العدو » .
(٥) ب : « بالتخويف » . (٦) ب : « مواطن الحروب » .
(٧) س : « بالكفر » .

﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيراً ﴾[1] . ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بنى أمية .

ومنه قول الرسول عليه السلام وقد رآه مقبلا على حمارٍ ومعاوية يقوُد به ويزيد ابنه يسوق به : « لعن الله القائد والرّاكب والسائق » . ومنه ما يرويه الرّواة من قوله : يا بنى عبد مناف تلقّفوها تلقّف الكرة ، فما هناك جنة ولا نار . وهذا كفر صُراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت ﴿ الذين كفروا من بنى إسرائيل عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسى ابن مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانوا يَعْتَدُون ﴾[2] . ومنه ما يروون من وقوفه على ثنيّة أحُد بعد ذهاب بصره ، وقوله لقائده : ها هنا ذببْنا محمداً وأصحابه . ومنه الرؤيا التى رآها النبى صلى الله عليه وسلم فوجَم لها ، فما رُئى ضاحكًا بعدها ، فأنزل الله : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريْناك إلا فتنة للناس ﴾[1] ؛ فذكروا أنه رأى نفراً من بنى أمية ينزون على منبره . ومنه طرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن أبى العاص لحكايته إياه ، وألحقه الله بدعوة رسوله آيةً باقية حين رآه يتخلّج ، فقال له : « كن كما أنت » ، فبقىَ على ذلك سائر عمره ، إلى ما كان من مروان فى افتتاحه أوّل فتنة كانت فى الإسلام ، واحتقابه لكلّ دم حرام سُفِك فيها أو أريق بعدها .

٣/٢١٧١

ومنه ما أنزل الله على نبيه فى سورة القدر : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[3] ، من مُلْك بنى أمية . ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه ، فدافع بأمره ، واعتلّ بطعامه ، فقال النبىّ : « لا أشبع الله بطنه » ، فبقى لا يشبع ، ويقول : والله ما أترك[4] الطعام شبعًا ؛ ولكن إعياء[5] . ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يطلع من هذا الفجّ رجلٌ من أمتى يُحشر على غير ملّتى » ، فطلع معاوية . ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه » . ومنه الحديث المرفوع المشهور أنه قال : « إن معاوية فى تابوت من نار فى أسفل

(١ و١) سورة الإسراء ٦٠ . (٢) سورة المائدة ٧٨ . (٣) سورة القدر ٣ .

(٤) فى ط : « أنزل » تحريف . (٥) فى ط : « أعيا » ، تحريف .

دَرْك منها ينادِى : يا حنّان يا منّان ، الآن وقد عصيتُ قبلُ وكنتُ من المفسدين .

ومنه انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين فى الإسلام مكانًا ، وأقدمهم إليه سبقا ، وأحسنهم فيه أثراً وذكراً ، علىّ بن أبى طالب ، ينازعه حقه بباطله ، ويجاهد أنصاره بضُلاّله وغُواته ، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه ، من إطفاء نور الله وجحود دينه ، ويأبى الله إلا أن يُتِمّ نوره ولو كره المشركون . يستهوى أهلَ الغباوة [(١)] ، ويموّه على أهل الجهالة بمكرِه وبغيه ، الذين قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر عنهُما ، فقال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار » ، مؤثراً للعاجلة [(٢)] ، كافراً بالآجلة ، خارجًا من رِبْقة الإسلام ، مستحلاًّ للدّم الحرام ، حتى سفك فى فتنته ، وعلى سبيل ضلالته ما لا يحصى عددُه من خيار المسلمين الذابّين عن دين الله والناصرين لحقه ، مجاهداً لله ، مجتهداً فى أن يُعصى الله فلا يُطاع ، وتُبطَل أحكامه فلا تُقام ، ويُخالَف دينه فلا يُدان . وأن تعلوَ كلمة الضلالة ، وترتفع دعوة الباطل ؛ وكلمة الله هى العليا ، ودينه المنصور ، وحكمه المتّبع النافذ ، وأمره الغالب ، وكيد من حادّه المغلوب الدّاحض ؛ حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما اتّبعها ، وتطوّق تلك الدماء وما سُفك بعدها ، وسنّ سنن الفساد التى عليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأباح المحارم لمن ارتكبها ، ومنع الحقوق أهلَها ؛ واغترّه الإملاء ، واستدرجه الإمهال ، والله له بالمرصاد .

ثم مما أوجب الله له به اللعنة ، قتلُه مَنْ قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة ؛ مثل عمرو بن الحَمِق وحُجْر بن عدىّ فيمن قتل [من] أمثالهم ، فى أن تكون له العزّة والملك والغلبة ، ولله العزة والملك والقدرة ، والله عز وجل يقول : ﴿وَمَنْ يقتلْ مؤمنا مُتَعَمِّدًا فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيها وغَضِبَ الله عَلَيهِ ولَعَنهُ وأَعدّ لَهُ عَذاباً عَظيماً﴾ [(٣)] .

ومما استحقّ به اللعنة من الله ورسوله ادّعاؤه زيادَ بن سُميّة ، جرأةً على الله ؛ والله يقول : ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَاللهِ﴾ [(٤)] ورسول الله صلى الله

(١) س : « الغباء » . (٢) س : « العاجلة » .

(٣) سورة : النساء ٩٣ . (٤) سورة الأحزاب ٥ .

٣/٢١٧٢
٣/٢١٧٣

عليه وسلم ، يقول : «ملعون مَن ادّعى إلى غير أبيه، أوانتمى إلى غير مواليه» ، ويقول : «الولد للفِراش وللعاهر الحجَر » ، فخالف حكم الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم جهاراً ، وجعل الولد لغير الفراش ، والعاهر لا يضرّه عهرُه ، فأدخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله فى أمّ حبيبة زوجة النبىّ صلى الله عليه وسلم وفى غيرها من سُفور وجوهٍ ما قد حرّمه الله، وأثبت بها قربى قد باعدها الله، وأباح بها ما قد حظره الله، ممـا لم يدخل على الإسلام خلل مثله ، ولم ينل الدين تبديل شبهـُه .

ومنه إيثاره بدين الله، ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبّر الخمّير ، صاحب الدّيوك والفهود والقُرود ، وأخذُه البيعة له على خيار المسلمين بالقَهْر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدّد والرهبة ، وهو يعلم سفـَهه ويطّلع على خبثه ورَهقه ، ويعاين سكـَرانه[1] وفجورَه وكفره . فلمـا تمكن منه ما مكّنه منه، ووطّأه له ، وعصى الله ورسوله فيه، طلَبَ بثأرات المشركين وطوائلهم عند المسلمين ، فأوقع بأهل الحـرّة الوقيعة التى لم يكن فى الإسلام أشنعُ منها ولاأفحش ؛ ممـّا ارتكب من الصالحين فيها، وشفى بذلك عَبَدَ[2] نفسه وغليله، ٢١٧٤/٣ وظن أن قد انتقم من أولياء الله، وبلّغ النّوى[3] لأعداء الله، فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه :

ليتَ أشياخى ببدرٍ شهدوا ... جزَعَ الخزْرَجِ من وقع الأَسلْ
قد قتلنا القَوْم من ساداتكمْ ... وعدَلنا ميْلَ بدر فاعتدَلْ
فأَهَلّوا واستهلّوا فـرحاً ... ثم قالوا : يا يزيد لا تُسَلْ
لسْتُ من خندِفَ إن لم أنتقم ... من بنى أحمدَ ما كان فعلْ
وَلِعَبَتْ هاشِمُ بالمُلكِ فلا[4] ... خبرٌ جاءَ ، ولا وحىٌ نزَلْ

هذا هو المروقُ من الدين ، وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله ، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله .

ثم مِنْ أغلظ ما انتهك ، وأعظم ما اخترم سفكُه دم الحسين بن علىّ

(١) السكران : السكر . (٢) العبد ، بالفتح : الغضب .
(٣) النوى هنا : الحاجة والوجه الذى تنويه . (٤) من أبيات فى ابن هشام ٣ : ٩٦ ، ٩٧

وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع موقعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل ، وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣/٢١٧٥ له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة ، اجتراءً على الله ، وكفراً بدينه ، وعداوةً لرسوله ، ومجاهدةً لِعترته[١] ، واستهانةً بحرمته ، فكأنما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كُفَّار أهل الترك والدَّيلم ، لا يخاف من الله نقمةً ، ولا يرقب منه سطوة ، فبتر الله عمرَه ، واجتثّ أصله وفرعه ، وسلبه ما تحت يده ، وأعدّ له من عذابه وعقوبته ما استحقّه من الله بمعصيته .

هذا إلى ما كان من بنى مَرْوان من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكامه ، واتّخاذ مال الله دُولاً بينهم ، وهَدْم بيته ، واستحلال حرامه ، ونصبهم المجانيقَ عليه ، ورميهم إياه بالنيران ، لا يألون له إحراقاً وإخراباً ، ولما حرّم الله منه استباحة وانتهاكاً ، ولمن لجأ إليه قتلا وتنكيلا ، ولمن أمّنهُ الله به إخافة وتشريداً ؛ حتى إذا حُقّت عليهم كلمة العذاب ، واستحقّوا من الله الانتقام ، وملئوا الأرض بالجوْر والعُدْوان ، وعمّوا عباد الله بالظلم والاقتسار ، وحلّت عليهم السخطة ، ونزلت بهم من الله السَّطْوة ، أتاح الله لهم من عِتْرة نبيّه ، وأهل وراثته مَن استخلصهم منهم بخلافته ؛ مثل ما أتاح الله من أسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لأوائلهم الكافرين ، فسفك الله بهم دماءَهم مرتدّين ، كما سفك بآبائهم دماء آباء الكفرة المشركين ؛ وقطع الله دابر القوم الظالمين ، والحمد لله رب العالمين . ومكن الله المستضعفين ، وردّ الله الحق إلى أهله المستحقين ، كما ٣/٢١٧٦ قال جل شأنه : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئمةً وَنَجْعلهم الْوارِثِين ﴾[٢] .

واعلموا أيها الناس ، أنّ الله عز وجل إنما أمر ليُطاع ، ومثّل ليتمثّل ، وحكم ليُقبَل ، وألزم الأخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ليُتّبع ؛ وإن كثيراً ممّن ضلّ فالتوى ، وانتقل من أهل الجهالة والسَّفاه ممّن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ؛ وقد قال الله عز وجل : ﴿ فَقَاتِلُوا أئمة الكفر ﴾[٣] .

---

(١) ب : « لحرمته » . (٢) سورة القصص ٥ .
(٣) سورة التوبة ١٢ .

فانتهوا معاشر الناس عمّا يُسخط الله عليكم ، وراجعوا ما يرضيه عنكم ، وارضوْا من الله بما اختار لكم ، والزموا ما أمركم به ، وجانبوا ما نهاكم عنه ، واتّبعوا الصراط المستقيم ، والحجة البيّنة ، والسبل الواضحة ، وأهل بيت الرحمة ؛ الذين هداكم الله بهم بديئًا ، واستنقذكم بهم من الجوْر والعدْوان أخيراً ، وأصاركم إلى الخفض والأمن والعزّ بدولتهم ، وشملكم الصلاح فى أديانكم ومعايشكم فى أيامهم ، والعنوا مَنْ لعنه الله ورسوله ، وفارِقوا مَنْ لا تنالون القربة من الله إلا بمفارقته .

٢١٧٧/٣ اللهم العن أبا سفيان بن حرب ، ومعاوية ابنه ، ويزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم وولده ؛ اللهم العن أئمة الكفر ، وقادة الضلالة ، وأعداء الدين ، ومجاهدِى الرسول ، ومغيِّرى الأحكام ، ومبدّلِى الكتاب ، وسفّاكِى الدّم الحرام .

اللهم إنا نتبرّأ (١) إليك من موالاة أعدائك ، ومن الإغماض لأهل معصيتك ، كما قلتَ : ﴿ لاَ تجدُ قوماً يُؤْمِنُون باللهِ واليومِ الآخرِ يُوادّون مَنْ حادّ الله ورسوله ﴾(٢) .

يأيّها الناس ، اعرفوا الحقّ تعرفوا أهله ، وتأمّلوا سبل الضلالة تعرفوا سابلَها ، فإنه إنما يبيّن عن الناس أعمالُهم ، ويلحقهم بالضلال والصلاح آباؤهم ؛ فلا يأخذكم فى الله لومة لائم ، ولا يميلنّ بكم عن دين الله استهواء مَنْ يستهويكم وكيدُ مَنْ يكيدكم ، وطاعة من تُخرجكم طاعته إلى معصية ربّكم .

أيها الناس ، بنا هداكم الله ، ونحن المستحفَظون فيكم ، أمر الله ونحن ورثة رسول الله والقائمون بدين الله ، فقفوا عند ما نقفكم عليه ، وانفذوا لما نأمركم به ؛ فإنكم ما أطعتم خلفاءَ الله وأئمة الهدى على سبيل الإيمان والتقوى ، وأمير المؤمنين يستعصم الله لكم ، ويسأله توفيقكم ، ويرغب إلى الله فى هدايتكم لرشدكم ، وفى حفظ دينه عليكم ؛ حتى تلقوه به مستحقين طاعته ، مستحقبين(٣) لرحمته ، والله حسْب أمير المؤمنين فيكم ، وعليه توكله ، وبالله على ما قلّده من أموركم استعانتُه ، ولا حول لأمير المؤمنين ولا قوة إلا بالله والسلام عليكم .

وكتب أبو القاسم عبيد الله بن سلمان فى سنة أربع وثمانين ومائتين .

---

(١) ب ، س : «نبرأ» . (٢) المجادلة ٢٢ . (٣) مستحقبين : حاملين .

وذكر أن عبيد الله بن سليمان أحضر يوسف بن يعقوب القاضى ، وأمره أن يُعمل الحيلة فى إبطال ما عزم عليه المعتضد ؛ فمضى يوسف بن يعقوب ، فكلّم المعتضد فى ذلك ، وقال له : يا أمير المؤمنين ؛ إنى أخاف أن تضطرب ٢١٧٨/٣ العامة، ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركة . فقال : إن تحركت العامة أو نطقت وضعتُ سيفى فيها ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، فما تصنع بالطالبيّين الّذين هم فى كل ناحية يخرجون ، ويميلُ إليهم[1] كثير من الناس لقرابتهم من الرسول ومآثرهم ؛ وفى هذا الكتاب إطراؤهم ، أو كما قال ، وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميَل، وكانوا هم أبسط ألسنة،وأثبت حجة منهم اليوم . فأمسك المعتضد فلم يردّ عليه جوابًا ، ولم يأمر فى الكتاب بعده بشىء .

* * *

وفى يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من رجب منها شخص جعفر بن بَغلاغز إلى عمرو بن الليث الصفار وهو بنيسابور بخِلَع ولواء لولايته على الرىّ وهدايا من قبَل المعتضد .

وفى هذه السنة لحق بكر بن عبد العزيز بن أبى دُلف بمحمد بن زيد العَلَوِىّ بطبرستان ، فأقام بدر وعبيد الله بن سليمان ينتظران أمرَ بكر إلامَ يؤول وعلى إصلاح الجبل[2] .

وفيها — فيما ذكر — فُتِحت من بلاد الروم قرّة، على يد راغب مولى الموفق وابن كلوب ، وذلك فى يوم الجمعة من رجب .

وفى ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة خلت من شعبان — أو ليلة الخميس فيما ذكر — ظهر شخص إنسان فى يده سيف فى دار المعتضد بالثريّا ، فمضى إليه بعض الخدم لينظر ما هو ، فضربه الشخص بالسّيف ضربة قطع بها منطقته ، ٢١٧٩/٣ ووصل السيف إلى بدن الخادم ، ورجع الخادم منصرفًا عنه هاربًا ، ودخل الشخص فى زرع فى البستان ، فتوارى فيه ، فطُلب باقى ليلته ومن غد ، فلم يوقف له على أثر ، فاستوحش المعتضد لذلك ، وكثّر الناس فى أمره رجمًا

---

(١) س : « إليه » . (٢) كذا فى ط ، وفى العبارة غموض .

بالظنون ، حتى قالوا : إنه من الجنّ ، ثم عاد هذا الشخص للظهور بعد ذلك مراراً كثيرة ، حتى وكّل المعتضد بسور داره ، وأحكم السور ورأسه ، وجعل عليه كالبرابخ ؛ لئلا يقع عليه الكُلاّب إن رُمِىَ به ، وجىء باللصوص من الحبس ونوظروا فى ذلك ، وهل يمكن أحد الدخول إليه بنقب أو تسلّق .

وفى يوم السبت لثمان بقين من شعبان من هذه السنة ، وجّه كرامة بن مُرّ من الكوفة بقوم مقيّدين ، ذكر أنهم من القرامطة ، فأقرّوا على أبى هاشم بن صدقة الكاتب أنه كان يكاتبهم ، وأنه أحد رؤسائهم ، فقبض على أبى هاشم ، وقيّد وحبس فى المطامير .

وفى يوم السبت لسبع خلون من شهر رمضان من هذه السنة جُمع المجانين والمعزّمون ، ومُضِىَ بهم إلى دار المعتضد فى الثريّا بسبب الشّخص الذى كان يظهر له ، فأدخِلوا الدار ، وصعِد المعتضد عِلِيّةً له ، فأشرف عليهم ؛ فلما رآهم صرِعت امرأة كانت معهم من المجانين واضطربت ، وتكشفّت ، فضجر وانصرف عنهم ، ووهب لكلّ واحد منهم خمسةَ دراهم - فيما ذكر - وصُرفوا . وقد كان وجّه إلى المعزّمين قبل أن يشرف عليهم مَن يسألهم عن خبر الشخص الذى ظهر له : هل يمكنهم أن يعلموا علمه ؟ فذكر قومٌ منهم أنهم يعزّمون على بعض المجانين ، فإذا سقط سأل الجنّىّ عن خبر ذلك الشخص وما هو ، فلما رأى المرأة التى صُرعت أمر بصرفهم . ٢١٨٠/٣

وفى ذى القعدة منها ورد الخبر من أصبهان ، بوثوب الحارث بن عبد العزيز ابن أبى دُلف المعروف بأبى ليلى بشفيع الخادم الموكّل كان به فقتله ، وكان أخوه عمر بن عبد العزيز بن أبى دلف أخذه فقيّده ، وحمله إلى قلعة لآل أبى دلف بالزّزّ [١] ، فحبسه فيها ، وكان كلّ ما لآل أبى دُلف من مال ومتاع نفيس وجوهر فى القَلْعة ، وشفيع مولاهم موكّل بحفظ ذلك وحفظ القلعة ، ومعه جماعة من غلمان عمر وخاصّته ، فلما استأمن عمر إلى السلطان ، وهرب بكر عاصياً للسلطان بقيت القلعة بما فيها فى يد شفيع ، فكلّمه أبو ليلى فى إطلاقه فأبى ، وقال : لا أفعل فيك وفيما فى يدى إلا بما يأمرنى به عمر .

فذكر عن جارية لأبى ليلى أنها قالت : كان مع أبى ليلى فى الحبس غلامٌ

(١) ط : « بالدزّ » ، وأثبت ما فى التصويبات .

صغير يخدُمه ، وآخر يخرج ويدخل فى حوائجه ولا يبيت عنده ، ويبيت عنده الغلام الصغير ، فقال أبو ليلى لغلامه الذى يخرج فى حوائجه: احتلْ لى فى مِبْرد تدخله إلىّ ، ففعل وأدخله فى شىء من طعامه . وكان شفيع الخادم يجىء فى كل ليلة إذا أراد أن ينام إلى البيت الذى فيه أبو ليلى حتى يراه ، ثم يقفل عليه باب ٢١٨١/٣ البيت هو بيده(١) ويمضى فينام ، وتحت فراشه سيف مسلول . وكان أبو ليلى قد سأل أن تُدخَل إليه جارية ، فأدخلت إليه جارية حدَثة السنّ ، فذكر عن ذلفاء جارية أبى ليلى عن هذه الجارية أنها قالت : بَرَدَ أبو ليلى المسمار الذى فى القيد ، حتى كان يخرجه من رجله إذا شاء . قالت : وجاء شفيع الخادم عشيّةً من العشايا إلى أبى ليلى ، فقعد معه يحدّثه ، فسأله أبو ليلى أن يشرب معه أقداحًا ، ففعل ، ثم قام الخادم لحاجته . قالت : فأمرنى أبو ليلى ، ففرشتُ فراشه ، فجعل عليه ثيابا فى موضع الإنسان من الفراش ، وغطّى على الثياب باللّحاف ، وأمرنى أن أقعد عند رِجْل الفراش ، وقال لى : إذا جاء شفيع لينظر إلىّ ويقفل الباب ، فسألك عنّى فقولى : هو نائم . وخرج أبو ليلى من البيت ، فاختفى فى جوف فرش ومتاع فى صُفَّة فيها باب هذا البيت ، وجاء شفيع فنظر إلى الفراش ، وسأل الجارية فأخبرْته أنه قد نام ، فأقفل الباب ؛ فلمّا نام الخادم ومَنْ معه فى الدار التى فى القلعة خرج أبو ليلى ، فأخذ السيف من تحت فراش شفيع ، وشدّ عليه فقتله ، فوثب الغلمان الذين كانوا ينامون حوله فزعين ، فاعتزلهم أبو ليلى والسيف فى يده ، وقال لهم : أنا أبو ليلى قد قتلتُ شفيعًا ، ولئن تقدم إلىّ منكم أحد لأقتلنّه وأنتم آمنون ؛ فاخرجوا من الدار حتى أكلّمكم بما أريد ، ففتحوا باب القلعة(٢) ، وخرجوا ، وجاء حتى قعد على باب القلعة ، واجتمع الناس ممّن ٢١٨٢/٣ كان فى القلعة(٣) ، فكلّمهم ووعدهم الإحسان ، وأخذ عليهم الأيْمان . فلمّا أصبح نزل من القَلْعة ، ووجّه إلى الأكراد وأهل الزّموم ، فجمعهم وأعطاهم ، وخرج مخالفًا على السلطان . وقيل إن قتله الخادم كان فى ليلة السبت لاثنتى عشرة بقيت من ذى القعدة من هذه السنة ، وقيل : إنه ذبح الخادم ذبحًا

(١) ب : « بنفسه » . (٢) س : « الباب » .

(٣) س : « بالقلعة » .

بسِكين كان أدخلها إليه غلامه ، ثم أخذ السيف من تحت فراش الخادم وقام به إلى الغلمان .

وفى هذه السنة — وهى سنة أربع وثمانين ومائتين — كان المنجّمون يوعدون الناس بغرق أكثر الأقاليم، وأنّ إقليم بابل لا يسلم منه إلا اليسير ،وأنّ ذلك يكون بكثرة الأمطار وزيادة المياه فى الأنهار والعيون والآبار ، فقحط الناس فيها فلم يروْا فيها من المطر[1] إلا اليسير ، وغارت المياه فى الأنهار ، والعيون والآبار ، حتى احتاج الناس إلى الاستسقاء فاستسقوا ببغداد مرات .

ولليلة بقيت من ذى الحجة من هذه السنة كانت — فيما ذكر — وقعة بين عيسى النُّوشرىّ وبين أبى ليلى بن عبد العزيز بن أبى دلف، وذلك يوم الخميس دون أصبهان بفرسخين ، فأصاب أبا ليلى سهم فى حلقه — فيما ذكر — فنحره ، فسقط عن دابّته ، وانهزم أصحابه ، وأخِذ رأسه فحُمِل إلى أصبهان .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود الهاشمىّ المعروف بأترجّة .

(١) س : « شيئاً من المطر » .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائتين

٢١٨٣/٣

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من قطع صالح بن مُدرك الطائىّ فى جماعة من طيّئ على الحاجّ بالأجفُر يوم الأربعاء لاثنتى عشرة بقَيْت من المحرم ، فحاربه الجنّىّ الكبير ، وهو أمير القافلة ، فظفِر الأعراب بالقافلة ؛ فأخذوا ما كان فيها من الأموال والتّجارات ، وأخذوا جماعة من النّساء الحرائر والممالك . وقيل إنّ الذى أخذوا من الناس بقيمة ألفى ألف دينار .

ولسبع بقين من المحرم منها قُرئ على جماعة من حاجّ خُراسان فى دار المعتضد بتولية عمرو بن الليث الصّفّار ما وراء نهر بلخ ، وعزل إسماعيل بن أحمد عنه .

ولخمس خلون من صفر منها ورد مدينة السلام وصيف كامه مع جماعة من القوّاد من قِبَل بدر مولى المعتضد وعبيد الله بن سليمان من الجبل ، معهم رأس الحارث بن عبد العزيز بن أبى دُلف المعروف بأبى ليلى ، فمضوا به إلى دار المعتضد بالثريّا ، فاستوهبه أخوه فوهبه ، واستأذنه فى دفنه فأذن له ، وخلع على عمر بن عبد العزيز فى هذا اليوم وعلى جماعة من القواد القادمين [1] .

٢١٨٤/٣

وفيها — فيما ذكر — كتب صاحب البريد من الكُوفة ، يذكر أن ريحًا صفراء ارتفعت بنواحى الكوفة فى ليلة الأحد لعشر بقين من شهر ربيع الأول ، فلم تزل إلى وقت صلاة المغرب ، ثم استحالت سوداء ، فلم يزل الناس فى تضرّع إلى الله . وإنّ السماء مطرت بعقب ذلك مطراً شديداً برعود هائلة وبروق متّصلة ، ثم سقط بعد ساعة بقرية تعرف بأحمدأباذ ونواحيها حجارة بيض وسود مختلفة الألوان ، فى أوساطها ضَغْطة شبه أفهار العطارين ، فأنفذ منها حَجَراً ، فأخرِج إلى الدواوين والناس حتى رأوه .

---

(١) ب : « والقادمين » .

ولتسع بقين منه شخص ابن الإخشاد أميراً على طرسوس من بغداد مع النفر الذين كانوا قدموا منها يسألون أن يولّى عليهم وال .

وخرج أيضًا فى هذا اليوم من بغداد فاتك مولى المعتضد للنظر فى أمور العمّال بالموصل وديار ربيعة وديار مضر والثغور الشأمية والجزرية وإصلاح الأمور بها إلى ما كان يتقلده من أعمال البريد بهذه النواحى .

وفى هذه السنة ورد الخبر – فيما ذُكر – من البصرة أن ريحًا ارتفعت بها بعد صلاة الجمعة لخمس بقين من شهر ربيع الأول صفراء ، ثم استحالت خضراء ثم سوداء ، ثم تتابعت الأمطار بما لم يرْوا مثلها ، ثم وقع بردٌ كبار كان وزن البردَة الواحدة مائة وخمسين درهمًا – فيما قيل – وأن الريح أقلعت من نهر الحسين خمسمائة نخلة وأكثر ، ومن نهر معقل مائة نخلة عدداً .

٣/٢١٨٥ وفيها كانت وفاة الخليل بن ريمال [١] بحُلوان .

ولخمس خلوْن من جُمادى الآخرة ورد الخبر على السلطان أن بكر بن عبد العزيز بن أبى دُلف تُوُفّىَ بطبَرِستان من علّة أصابته ، ودفن هنالك . فأعطى الذى جاء بالخبر – فيما ذكر – ألف دينار .

وفيها ولّى المعتضد محمد بن أبى الساج أعمال أَذْرَبيجان وأرمينية ، وكان قد تغلّب عليها وخالف ، وبعث إليه بخِلع وحُملان .

وفيها ورد الخبر لثلاث خلوْن من شعبان أنّ راغبًا الخادم مولى الموفّق غزا فى البحر ، فأظفره الله بمراكب كثيرة ، وبجميع مَنْ فيها من الرُّوم ، فضرب أعناق ثلاثة آلاف من الرّوم الذين كانوا فى المراكب ، وأحرق المراكب ، وفتح حصونًا كثيرة من حصون الروم ، وانصرفوا سالمين .

وفى ذى الحجّة منها ورد الخبر بوفاة أحمد بن عيسى بن شيْخ وقيام ابنه محمد بن أحمد بن عيسى بما كان فى يد أبيه بآمِد ، وما يليها على سبيل التغلب .

ولإحدى عشرة بقيت من ذى الحجة منها خرج المعتضد من بغداد قاصداً إلى آمِد ، وخرج معه ابنه أبو محمد والقوّاد والغلمان ، واستخلف ببغداد صالحًا

---

(١) ابن الأثير : « رمال » .

الأمين الحاجب ، وقلّده النّظر فى المظالم وأمر الجسرين وغير ذلك .

وفيها وجّه هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ومَنْ معه من قوّاد المصريين إلى المعتضد وصيفَ قاطرميز ، يسألونه مقاطعتَهم[1] عمّا فى أيديهم من مصر والشأم ، وأجرى هارون على ما كان يجرى عليه أبوه ، فقدم وصيف بغداد ، فردّه المعتضد ، ووجّه معه عبد الله بن الفتح ليشافههم برسائل ، ويشترط ٢١٨٦/٣ عليهم شروطًا ، فخرجا لذلك فى آخر هذه السنة .

وفيها غزا ابن الأخشاد بأهل طَرَسُوس وغيرهم فى ذى الحجة ، وبلغ سَلَنْدُو ، وفتِح عليه ، وكان انصرافه إلى طرسوس فى سنة ست وثمانين ومائتين .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود الهاشمىّ .

---

(١) ب : « معاطفتهم » .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما كان من توجيه محمد بن أبي الساج ابنه المعروف بأبي المسافر إلى بغداد رهينةً بما ضمن للسلطان من الطاعة والمناصحة، فقدم — فيما ذكر — يوم الثلاثاء، لسبع خلوْن من المحرّم منها، معه هدايا من الدوابّ والمتاع وغير ذلك، والمعتضد يومئذ غائب عن بغداد.

وفي شهر ربيع الآخر منها ورد الخبر أنّ المعتضد بالله وصل إلى آمِد، فأناخ بجنده عليها، وأغلق محمد بن أحمد بن عيسى بن شيخ عليه أبواب مدينة آمِد، وعلى من فيها من أشياعه. ففرّق المعتضد جيوشه حولها وحاصرهم، وذلك لأيام بقيَتْ من شهر ربيع الأول، ثم جرت بينهم حروب، ونَصِب عليهم المجانيق، ونَصب أهل آمِد على سورهم المجانيق، وتراموْا بها.

وفي يوم السبت لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى وجّه محمد بن أحمد ابن عيسى[1] إلى المعتضد يطلب لنفسه ولأهله ولأهل آمِد الأمان، فأجابه إلى ذلك، فخرج محمد بن أحمد بن عيسى في هذا اليوم ومَنْ معه من أصحابه وأوليائه فوصلوا إلى المعتضد، فخلع عليه[2] وعلى رؤساء أصحابه، وانصرفوا إلى مضرب قد أُعِدّ لهم، وتحوّل المعتضد من عسكره إلى منازل ابن عيسى ابن شيخ ودوره؛ وكتب بذلك كتابًا إلى مدينة السّلام مؤرَّخًا بيوم الأحد لعشر بقين من جمادى الأولى. ولخمس بقين من جمادى الأولى منها ورد الكتاب من المعتضد بفتحه آمِد إلى مدينة السلام، وقرئ على المنبر بالجامع. ٣/٢١٨٧

وفيها انصرف عبد الله بن الفتح إلى المعتضد وهو مقيم بآمِد من مصر بأجوبة كتُبه إلى هارون بن خمارويه، وأعلمه أنّ هارون قد بذل أن يسلّم أعمال قِنَّسرين والعواصم، ويحمل إلى بيت المال ببغداد في كلّ سنة أربعمائة ألف

---

(١) ب: «ابن الشيخ». (٢) ب: «عليهم».

وخمسين ألف دينار ، وأنه يسأل أن يجدّد له ولاية على مصر والشأم ، وأن يوجّه المعتضد بخادم من خدمه إليه بذلك ؛ فأجابه إلى ما سأل ، وأنفذ إليه بدراً القدامىّ وعبد الله بن الفتح بالولاية والخلع ، فخرجا من آمِد إلى مصر بذلك، وتسلم عمّال المعتضد أعمال قِنَّسرين والعواصم من أصحاب هارون فى جُمادى الأولى ، وأقام المعتضد بآمِد بقيّة جُمادى الأولى وثلاثة وعشرين يوماً من جُمادى الآخرة . ثم ارتحل منها يومَ السَّبت لسبع بَقين منها نحو الرَّقة ، وخلَّف ابنه عليّاً بآمِد مع جيوش ضمَّهم إليه لضبط الناحية وأعمال قِنَّسرين والعواصم وديار ربيعة وديار مُضر[١] . وكان كاتب علىّ بن المعتضد يومئذ الحسين بن عمرو النّصرانىّ ، وقلد الحسين بن عمرو النظر فى أمور هذه النواحى ومكاتبة العمّال بها ، وأمر المعتضد بهدم سور آمِد فهُدم . ٣/٢١٨٨

وفيها وافتْ هديّة عمرو بن الليث الصفّار من نيسابور إلى بغداد ، فكان مبلغ المال الذى وجّهه أربعة آلاف ألف درهم ، وعشرين من الدوابّ بسروج ولُجم محلاّة مغرّقة ومائة وخمسين دابة بجلال مشهّرة وكسوة وطيب وبُزاة ، وذلك فى يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة .

وفى هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبى سعيد الجنّابىّ بالبحرين ، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة ؛ وكان خروجه — فيما ذُكر — فى أول هذه السنة ، وكثر أصحابه فى جمادى الآخرة ، وقوىَ أمرُه ، فقتل من حوله من أهل القرى ، ثم صار إلى موضع يقال له القَطيف ، بينه وبين البصرة مراحل ، فقَتل مَنْ بها . وذكر أنه يريد البصرة ، فكتب أحمد بن محمد بن يحيى الواثقىّ — وكان يتقلّد معاون البصرة وكور دجلة فى ذلك الوقت — إلى السلطان بما اتّصل به من عزْم هؤلاء القرامطة ؛ فكتب إليه وإلى محمد بن هشام المتولّى أعمالَ الصّدقات والخراج والضّياع بها ، فى عمل سور على البصرة ، فقُدّرت[٢] النفقة على ذلك أربعة عشر ألف دينار ، فأمر بالإنفاق عليه فبُنى .

وفى رجب من هذه السّنة صار إلى الأنبار جماعة من أعراب بنى شَيْبان، ٣/٢١٨٩

---

(١) ب : « ومضر » . (٢) س : « فقدر » .

فأغاروا على القرى ، وقتلوا من لحقوا من الناس ، واستاقوا المواشىَ . فخرج إليهم أحمد بن محمد بن كُمُشْجور المتولّى المعاون بها ، فلم يُطقهم . فكتب إلى السلطان يخبره بأمورهم . فوجّه من مدينة السلام نفيساً المولدىّ وأحمد بن محمد الزَّرَنْجِىّ والمظفّر بن حاجّ مدداً له فى زُهاء ألف رجل؛ فصاروا إلى موضع الأعراب ، فواقعوهم بموضع يعرف بالمنقبة من الأنبار ، فهزمهم الأعراب ، وقتلوا أصحابَهم وغَرِق أكثرهم فى الفرات ، وتفرّقوا . فورد كتاب ابن حاجّ يوم الاثنين لستّ بقين من رجب بخبر هذه الوقعة وهزيمة الأعراب إياهم ، فأقام الأعراب يعيثُون فى الناحية ، ويتخفّرون القرى ، فكُتب إلى المعتضد بخبرهم ، فوجّه إليهم لقتالهم من الرّقة العباس بن عمرو الغَنَوىّ وخفيفاً الأذكوتكينىّ وجماعة من القوّاد . فصار هؤلاء القوّاد إلى هيت فى آخر شعبان من هذه السنة . وبلغ الأعرابَ خبرُهم ، فارتحلوا عن موضعهم من سواد الأنبار ، وتوجّهوا نحو عين التّمر ، فنزلوها[1] ودخل القواد الأنبار ، فأقاموا بها ، وعاث الأعراب بعين التّمر ونواحى الكوفة ؛ مثل عيثهم بنواحى الأنبار ، وذلك بقية شعبان وشهر رمضان .

٣/٢١٩٠ وفيها وجّه المعتضد إلى راغب مولى أبى أحمد وهو بطَرَسُوس ، يأمره بالمصير إليه بالرّقة[2] ، فصار إليه وهو بها ، فلمّا وصل إليه تركه فى عسكره يوماً ثم أخذه من الغد فحبسه ؛ وأخذ جميع ما كان معه[3] ؛ وورد الخبر بذلك مدينة السلام يوم الاثنين لتسع خلوْن من شعبان ، ثم مات راغب بعد أيام ، وقُبض على مكنون غلام راغب وعلى أصحابه ، وأخذ ماله بطَرَسُوس يوم الثلاثاء لستّ بقين من رجب ، وكان المتولّى أخذهم ابن الإخشاد .

ولعشر بقين من شهر رمضان منها وجّه المعتضد مؤنساً الخازن إلى الأعراب بنواحى الكوفة وعين التّمر ، وضمّ إليه العباس بن عمرو وخفيفاً الأذكوتكينىّ وغيرهما من القوّاد ، فسار مؤنس ومَنْ معه حتى بلغ الموضع المعروف بنِينوَى ، فوجد الأعراب قد ارتحلوا عن موضعهم ، ودخل بعضهم إلى بريّة طريق مكة

(١) ب : « فنزلوه » . (٢) ب : « إلى الرقة » .
(٣) ابن الأثير : « له » .

وبعضهم إلى بريّة الشأم ، فأقام بموضعه أيامًا ، ثم شخص إلى مدينة السلام .

وفى شوال منها قلّد المعتضد وعبيد الله بن سليمان ديوان المشرق محمدَ بن داود ابن الجراح ، وعُزل عنه أحمد بن محمد بن الفرات ، وقُلّد ديوان المغرب عليّ بن عيسى بن داود بن الجراح ، وعُزِل عنه ابن الفرات .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

٣/٢١٩١ فمن ذلك ما كان من قبض المعتضد على محمد بن أحمد بن عيسى بن شيخ وعلى جماعة من أهله وتقييده إياهم ، وحبسه لهم فى دار ابن طاهر ؛ وذلك أنه صار بعض أقربائه – فيما ذُكر – إلى عبيد الله بن سليمان، فأعلمه أنّ محمداً على الهرب فى جماعة من أصحابه وأهلِه ، فكتب بذلك عُبيد الله إلى المعتضد ، فكتب إليه المعتضد يأمره بالقبض عليه ، ففعل ذلك يوم الأربعاء لأربع خلوْن من المحرم منها .

وفى هذا الشهر من هذه السنة ورد كتاب أبى الأغرّ على السلطان أنّ طيّئاً تجمّعت له ، وحشدوا[1] واستعانوا بمَنْ قدروا عليه من الأعراب ، واعترضوا قافلة الحاجّ ، فواقعوهم لمّا جاوزوا المعدن منصرفين إلى مدينة السلام من مكة ببضعة عشر ميلا ، وأقبل إليهم فرسان الأعراب ورجّالتهم ومعهم بيوتهم وحرمهم وإبلهم ؛ وكانت رَجّالتهم أكثرَ من ثلاثة آلاف ، فالتحمت الحرب بينهم ، ولم تزل الحرب بينهم يومهم أجمع ، وهو يوم الخميس لثلاث بقين من ذى الحجّة ، فلما جنّهم الليل باينوهم ؛ فلمّا أصبحوا غادوْهم الحرب غداةَ يوم الجمعة إلى حين انتصاف النهار . ثم أنزل الله النصر على أوليائه وولّى الأعراب منهزمين، فما اجتمعوا بعد تفرّقهم[2] ، وأنه سار هو وجميع الحاجّ سالمين ، وأنفذ كتابه مع سعيد بن الأصفر بن عبد الأعلى ، وهو أحد وجوه بنى عمه والمتولىّ كان للقبض على صالح بن مدرك .

٣/٢١٩٢ وفى يوم السبت لثلاث بقين من المحرّم وافى أبو الأغرّ مدينة السلام ، وبين يديه رأس صالح بن مدرك ، ورأس جحْنَش ، ورأس غلام لصالح أسود ، وأربعة أسارى من بنى عمّ صالح ، فمضى إلى دار المعتضدِ ، فخلع

---

(١) س : « وحشدت » . (٢) ب : « تفريقهم » .

عليه » وطُوّق بطوْق من ذهب ، ونُصِبت الرءوس على رأس الجسر الأعلى بالجانب الشرقىّ ، وأدخِل الأسرى المطامير .

ولأربع ليال بقين من صفر منها ، دخل المعتضد من متنزّهِه ببرَازِ الرّوز إلى بغداد ، وأمر ببناء قصر فى موضع اختاره من براز الرّوز ، فحمل إليه الآلات ، وابتدأ فى عمله.

وفى شهر ربيع الأول منها غَلُظ أمر القرامطة بالبحرين ، فأغاروا على نواحى هَجَر ، وقرب بعضهم من نواحى البصرة ، فكتب أحمد بن محمد بن يحيى الواثقىّ يسأل المددَ ، فوجّه إليه فى آخر هذا الشهر بثمانى شَذَوات ، فيها ثلثمائة رجل ، وأمر المعتضد باختيار جيش لينفذه إلى البصرة .

وفى يوم الأحد لعشرٍ خلوْن من شهر ربيع الآخر ، قعد بدر مولى المعتضد فى داره ، ونظر فى أمور الخاصّة والعامة من الناس والخراج والضياع والمعاون .

وفى يوم الاثنين لإحدى عشرة خلتْ من شهر ربيع الآخر ، مات محمد بن عبد الحميد الكاتب المتولى ديوانَ زمام المشرق والمغرب .

وفى يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت منه ولّى جعفر بن محمد بن حفص هذا الديوان ، فصار من يومه إلى الديوان وقعد فيه .

٣/٢١٩٣ وفى شهر ربيع الآخر منها ولّى المعتضدُ عبّاسَ بن عمرو الغَنَوىّ اليمامة والبحرين ومحاربة أبى سعيد الجنّابىّ ومَنْ معه من القرامطةَ ، وضمّ[1] إليه زُهاء ألفىْ رجل ، فعسكر العبّاس بالفِرْكِ أيامًا حتى اجتمع إليه أصحابُه ، ثم مضى إلى البصرة ، ثم شخص منها إلى البحرين واليمامة .

وفيها — فيما ذكر — وافى العدوّ باب قلمية من طَرَسُوس ، فنفر أبو ثابت وهو أمير طَرَسُوس بعد موت[2] ابن الإخشاد — وكان استخلفه على البلد حين غزا — فمات وهو على ذلك ؛ فبلغ فى نفيره إلى نهر الرّيحان فى طلب العدوّ ، فأسِرَ أبو ثابت وأصيب الناس ؛ فكان ابن كلوب غازيًا فى درب السلامة ؛ فلمّا

---

(١) ب : « فضم » . (٢) س : « موافاة » .

قفل من غَزاتِه جَمع المشايخ من أهل الثغر ليتراضوا بأمير يلى أمورَهم، فاتّفق رأيُهم على علىّ بن الأعرابىّ ، فولّوه أمرهم بعد اختلاف من ابن أبى ثابت .

وذكر أن أباه استخلفه، وجمع جمعًا لمحاربة أهل البلد حتى توسّط الأمرَ ابن كلوب ، فرضِىَ ابنُ ثابت ؛ وذلك فى شهر ربيع الآخر ، وكان النُّغيْل حينئذ غازيًا ببلاد الروم ، فانصرف إلى طَرَسُوس ، وجاء الخبر أن أبا ثابت حُمِل إلى القسطنطينية من حصن قُونِيَة ، ومعه جماعة من المسلمين .

٣/٢١٩٤ وفى شهر ربيع الآخر مات إسحاق بن أيوب الذى كان إليه المعاون بديار ربيعة ، فقلّد ما كان إليه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتمر[1] .

وفى يوم الأربعاء لخمس بقين من جُمادى الأولى ، ورد كتاب — فيما ذكر — على السلطان بأنّ إسماعيل بن أحمد أسرَ عمراً الصفار ، واستباح عسكره ؛ وكان من خبر عمرو وإسماعيل ، أن عمراً سأل السلطانَ أن يولّيَه ما وراء النهر ، فولاّه ذلك ، ووجّه إليه وهو مقيم بنيسابور بالخلع ، واللواء على ما وراء النهر ، فخرج لمحاربة إسماعيل بن أحمد ، فكتب إليه إسماعيل بن أحمد : إنك قد وليت دنيا عريضة ، وإنما فى يدى ما وراء النهر ، وأنا فى ثغر ؛ فاقنع بما فى يدك ، واتركنى مقيمًا بهذا الثغر . فأبَى إجابتَه إلى ذلك ؛ فذُكر له أمر نهر بلخ وشدة عبوره ، فقال: لو أشاء أن أسكره ببِدَر الأموال وأعبره لفعلتُ ؛ فلما أيس إسماعيل من انصرافه عنه جمع مَنْ معه والتّنّاء[2] والدّهاقين ، وعَبر النهر إلى الجانب الغربىّ ؛ وجاء عمرو فنزلَ بَلْخ ، وأخذ إسماعيل عليه النواحى ، فصار كالمحاصَر ، وندم على ما فعل ، وطلب المحاجزة — فيما ذكر — فأبى إسماعيل عليه ذلك ، فلم يكن بينهما كثير قتال حتى هُزم عمرو فولّى هاربًا ، ومرّ بأجمة فى طريقه، قيل له إنها أقرب ، فقال لعامّة مَنْ معه : امضُوا فى الطريق الواضح . ومضى فى نفر يسير ، فدخل الأجَمَة، فوحِلت دابّتُه؛ فوقعت ،ولم يكن له فى نفسه حيلة، ومضى مَن معه، ولم يلوُوا عليه ، وجاء أصحاب إسماعيل ، فأخذوه أسيراً . ولما وصل الخبرُ إلى ٣/٢١٩٥

(١) ب : « المعمر » . (٢) التناء : المقيمون فى البلاد لايبرحونها .

المعتضد بما كان من أمر عمرو وإسماعيل ، مدح إسماعيل — فيما ذُكر — وذمّ عمراً .

وللبلة بقيتْ من جُمادى الأولى من هذه السنة ، ورد الخبر على السلطان أن وصيفًا خادم ابن أبى الساج ، هرب من بَرْذَعة ، ومضى إلى مَلَطْيَة مراغمًا لمحمد بن أبى الساج فى أصحابه[1] ،وكتب إلى المعتضد يسأله أن يولّيَه الثغور ، ليقوم بها ، فكتب إليه المعتضد يأمره بالمصير إليه ، ووجّه إليه رشيقًا الحرمىّ .

ولسبع خلوْنَ من رَجب من هذه السنة تُوفّيَتْ ابنة خَمارويه بن أحمد بن طولون ، زوجة المعتضد، ودفِنت داخل قصر الرصافة .

ولعشر خلون من رجب وفد على السلطان ثلاثة أنفس وجّههم وصيف خادم ابن أبى الساج إلى المعتضد، يسأله أن يولّيَه الثغور ، ويوجّه إليه الخلع ، فذكر أنّ المعتضد أمر بتقرير الرُّسل بالسبب الذى من أجله فارق وصيف صاحبَه ابن أبى الساج ، وقصد الثغور ، فقُرِّروا بالضرب ، فذكروا أنه فارقه على مواطأة بينه وبين صاحبه، على أنه متى صار إلى الموضع الذى هو به متى لحق به صاحبه، فصارا جميعًا إلى مُضَر وتغلّبا عليها ، وشاع ذلك فى الناس وتحدّثوا به .

ولإحدى عشرة خلتْ من رَجب من هذه السنة وُلِّيَ حامد بن العباس الخراج والضّياع بفارس ؛ وكانت فى يد عمرو بن الليْث الصفار ، ودُفعت كتبه بالولاية إلى أخيه أحمد بن العباس ، وكان حامد مقيمًا بواسط ، لأنه كان يليها وكور دجلة ، وكتب إلى عيسى النُّوشرىّ وهو بإصبهان بالمصير إلى فارس واليًا على معونتها . ٣/٢١٩٦

* * *

[خروج العباس بن عمرو الغنوىّ من البصرة]

وفى هذه السنة كان خروج العباس بن عمرو الغَنَوىّ — فيما ذكر — من البصرة بمن ضُمّ إليه من الجند ، مع من خَفّ معه من مطوِّعة البصرة نحو أبى سعيد الجنّابىّ ومَن انضوى إليه من القَرامطة ، فلقيَهم[2] طلائع لأبى سعيد ، فخلّف العباس سوادَه ، وسار نحوهم ، فلقىَ أباسعيد ومَنْ

(١) ب : «وأصحابه» . (٢) س : «فلقتهم» .

معه مساء ، فتناوشوا القتال ، ثمّ حجز بينهم الليل ، فانصرف كلّ فريق منهما إلى موضعهم . فلمّا كان الليل انصرف مَن كان مع العباس من أعراب بنى ضَبّة — وكانوا زهاء ثلثمائة — إلى البصرة ، ثم تبعهم مطوّعة البصرة ؛ فلما أصبح العباس غادى القرامطةَ الحرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . ثمّ إنّ صاحب ميسرة العباس — وهو نجاح غلام أحمد بن عيسى بن شيخ — حمل فى جماعة من أصحابه زُهاء مائة رجل على ميمنة أبى سعيد ؛ فوغَلُوا فيهم ، فقتِل وجميعُ من معه، وحَمَل الجنّابىّ وأصحابه على أصحاب العباس ، فانهزموا ، فاستأسر العباس ، وأسِر من أصحابه زُهاء سبعمائة رجل ، واحتوى الجنّابىّ على ما كان فى عسكر العباس ؛ فلما كان من غد يوم الوقعة أحضر الجنابىّ منْ كان أسر من أصحاب العباس ، فقتلهم جميعًا ، ثم أمر بحطب فطرِح عليهم ، وأحرقهم .

وكانت هذه الوقعة —فيما ذكر— فى آخر رجب ،وورد خبرها بغداد لأربع خلون من شعبان .

* * *

٣/٢١٩٧ وفيها — فيما ذكر — صار الجنّابىّ إلى هَجَر ، فدخلها وآمن أهلها ؛ وذلك بعد منصرفه من وقعة العباس ، وانصرفَ فَلّ أصحاب العباس بن عمرو يريدون البصرة ، ولم يكن أفلت منهم إلاّ القليل بغير أزواد ولا كسًا ، فخرج إليهم من البصرة جماعة بنحو من أربعمائة راحلة ، عليها الأطعمة والكسا والماء ، فخرج عليهم — فيما ذكر — بنو أسد ، فأخذوا تلك الرواحل بما عليها ، وقتلوا جماعة ممن كان مع تلك الرواحل ومن أفلت من أصحاب العبّاس ؛ وذلك فى شهر رمضان ؛ فاضطربت البصرة لذلك اضطرابًا شديداً وهمّوا بالانتقال عنها ، فمنعهم أحمد بن محمد الواثقىّ المتولّى لمعاونها من ذلك ، وتخوّفوا هجومَ القرامطة عليهم .

ولثمان خلَوْن من شهر رمضان منها — فيما ذكر — وردت خريطة على السلطان من الأبُلّة بموافاة العباس بن عمرو فى مركب من مراكب البحر ، وأن أبا سعيد الجنّابىّ أطلقه وخادمًا له .

ولإحدى عشرة خلتْ من شهر رمضان ، وافىَ العباس بن عمرو مدينة

السلام ، وصار إلى دار المعتضد بالثّريا ، فذُكر أنه بقى عند الجنّابىّ أياماً بعد الوقعة ، ثم دعا به ، فقال له : أتحبّ أن أطلقك؟ ، قال : نعم ، قال : امض وعرِّف الذى وجّه بك إلىّ ما رأيت . وحمله على رواحل ، وضمّ إليه رجالا من أصحابه ، وحمّلهم ما يحتاجون إليه من الزاد والماء ، وأمر الرجال الذين وجّهم معه أن يؤدّوه إلى مأمنه ، فساروا به حتى وصل إلى بعض السواحل ، فصادف به مركباً ، فحمله ، فصار إلى الأبلّة ، فخلع عليه المعتضد وصرفه إلى منزله .

٢١٩٨/٣ وفى يوم الخميس لإحدى عشرة خلتْ من شوّال ارتحل المعتضِد من مَضْرَبه بباب الشمـَاسية فى طلب وصيف خادم ابن أبى الساج ، وكتم ذلك ، وأظهر أنه يريد ناحية ديار مُضَر .

وفى يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلتْ منه ، ورد الخبر — فيما ذُكر — على السلطان أن القرامطة بالسواد من أهل جُنُبلاء وثبوا بواليهم بدر غلام الطائىّ ، فقتلوا من المسلمين جمعاً فيهم النساء والصبيان ، وأحرقوا المنازل .

ولأربع عشرة خلت من ذى القعدة نزل المعتضد كنيسة السوداء فى طلب وصيف الخادم ، فأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، حتى تلاحق به الناس ، وأراد الرحيل فى طريق المصِّيصة ، فأتته العيون أنّ الخادم يريد عين زربة ، فأحضر الركّاضة الثغريّين وأهل الخبرة ، فسألهم عن أقصد الطريق إلى عين زربة ، فقطعوا به جيحان غداة الخميس لسبع عشرة خلت من ذى القعدة ، فقدّم ابنه عليّاً ومعه الحسن بن علىّ كوره ، وأتبعه بجعفر بن سِعْر ، ثم أتبع جعفراً محمد بن كُمُشْجور ، ثم أتبعه خاقان المفلحىّ ، ثم مؤنس الخادم ، ثم مؤنس الخازن ، ثم مضى فى آثارهم مع غلمان الحجر ، ومربّعين زَرْبَة ، وضرِب له بها مضرب ، وخلّف بها خفيفاً السَّمَرقندىّ مع سواده ، وسار هو قاصداً للخادم فى أثر القوّاد ، فلما كان بعد صلاة العصر جاءته البشارات بأخذ الخادم ، ووافَوا به المعتضد ، فسلمه إلى مؤنس الخادم[1] ٢١٩٩/٣

---

(١) س : « الخازن » .

وهو يومئذ صاحب شرطة العسكر ، وأمر ببذل الأمان لأصحاب الخادم والنّداء فى العسكر ببراءة الذمّة ممن وُجد فى رحله شىء من نهب عسكر الخادم ، ولم يردّه على أصحابه ؛ فردّ الناس على كثير منهم ما انتهبوا من عسكرهم . وكانت الوقعة وأسرُ وصيف الخادم – فيما قيل – يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من ذى القعدة ، وكان من اليوم الذى ارتحل المعتضد فيه من مضربه بباب الشماسيّة إلى أن قبض على الخادم ستة وثلاثون يومًا .

ولما قبض المعتضد على الخادم انصرف – فيما ذكر – إلى عين زربة ، فأقام بها يومين ، فلمّا كان فى صبيحة الثالث ؛ اجتمع إليه أهل عين زربة ، وسألوه أن يرحل عنهم لضيق المِيرة ببلدهم ، فرحل عنها فى اليوم الثالث ، فنزل المصّيصة بجميع عساكره إلاّ أبا الأغرّ خليفة بن المبارك ؛ فإنه كان وجّهه ليأخذ على الخادم الطريق لئلاّ يصير إلى مرعَش وناحية مَلَطْيَة ، وكان الخادم قد أنفذ عياله وعيال أصحابه إلى مَرْعش ، وبلغ أصحاب الخادم الذين كانوا قد هربوا ما بذَل لهم المعتضد من الأمان ، وما أمر بردّه عليهم من أمتعتهم ، فلحقوا بعسكر المعتضد داخلين فى أمانه . وكان نزول المعتضد بالمصّيصة – فيما قيل – يوم الأحد لعشر بقين من ذى القعدة ، فأقام بها إلى الأحد الآخر ، وكتب إلى وجوه أهل طَرَسُوس فى المصير إليه ، فأقبلوا إليهم منهم النُّغيل – وكان من رؤساء الثغر – وابن له ، ورجل يقال له ابن المهندس ، وجماعة معهم ، فحبس هؤلاء مع آخرين ، وأطلق أكثرهم . فحمل الذين حبسهم معه إلى بغداد ، وكان قد وجَد عليهم لأنهم – فيما ذكر – كانوا كاتبوا وصيفًا الخادم ، وأمر المعتضد بإحراق جميع المراكب البحرية التى كان المسلمون يغزون فيها وجميع آلاتها . ٣/٢٢٠٠

وذكر أن دميانة غلام يازمان هو الذى أشار عليه لشىء كان فى نفسه على أهل طرسوس ، فأحرق ذلك كله ، وكان فى المراكب نحو من خمسين مركبًا قديمًا قد أنفِق عليها أموالٌ جليلة لا يُعمل مثلها فى هذا الوقت فأحرقت ، فأضرّ ذلك بالمسلمين ، وكسر ذلك فى أعضادهم ، وقوِىَ به الروم ، وأمِنوا أن يُغْزوا فى البحر . وقلّد المعتضد الحسنَ بن علىّ كورة الثغور الشأمية بمسألة

من أهل الثغور واجتماع كلمتهم عليه، ورحل المعتضد – فيما قيل – من المصِّيصة فنزل فُندُق الحسين، ثم الإسكندرية، ثم بَغْراس ثم أنطاكية، لليلتين خلتا من ذى الحجة. فأقام بها إلى أن نحـَر، وبكّر فى ثانى النحر بالرحيل، فنزل أرتاحَ ثم الأثارب ثم حلب، فأقام بها يومين، ثم رحل إلى الناعورة، ثم إلى خُساف وصفِّين هناك فى الجانب الجَزَرِى، وبيت مال أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى الجانب الآخر، ثم إلى بالس، ثم إلى دَوْسر، ثم إلى بطن دامان، ثم إلى الرّقة، فدخلها لثمان بقين من ذى الحجة، فأقام بها إلى أن بقىَ ليلتان منه.

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل محمد بن زيد العلوىّ]

ولخمس بقِين من شوّال ورد الخبر على السلطان بأن محمد بن زيد العلوىّ قتِل.

* ذكر الخبر عن سبب مقتله : ٢٢٠١/٣

ذُكر أن محمد بن زيد خرج لمّا اتصل به الخبر عن أسر إسماعيل بن أحمد عمرَو بن الليث فى جيش كثيف نحو خراسان، طامعاً فيها، ظنا منه أنّ إسماعيل بن أحمد لا يتجاوز عمله الذى كان يتولاّه أيام ولاية عمرو بن الليث الصفّار خراسان، وأنه لا دافع له عن خراسان، إذ كان عمرو قد أسِر، ولا عامل للسلطان به؛ فلما صار إلى جُرجان واستقرّ به، كتب إليه يسأله الرجوع إلى طَبرستان، وترك جرجان له، فأبى ذلك عليه ابنُ زيد، فندب إسماعيل – فيما ذكر لى – خليفةً كان لرافع بن هرثمة أيام ولاية رافع خراسان يُدعى محمد بن هارون، لحرب محمد بن زيد، فانتدب له، فضمّ إليه جمعاً كثيراً من رجاله وجنده، ووجّهه إلى ابن زيد لحربه، فشخص محمد بن هارون نحو ابن زيد، فالتقيا على باب جُرجان، فاقتتلوا قتالا شديداً، فانهزم عسكر محمد بن هارون.

ثم إن محمد بن هارون رجع، وقد انتقضت صفوف العَلَوِىّ، فانهزم عسكر محمد بن زيد، وولّوْا هاربين، وقُتِل منهم – فيما ذكر – بشر كثير،

وأصابت ابن زيد ضربات، وأسِر ابنه زيد، وحوى محمد بن هارون عسكره وما كان فيه. ثم مات محمد بن زيد بعد هذه الوقعة بأيام من الضَّربات التى كانت فيه، فدُفن على باب جرجان، وحُمل ابنه زيد إلى إسماعيل بن أحمد، وشخص محمد بن هارون إلى طبرستان.

٣/٢٢٠٢ وفى يوم السبت لاثنتى عشرة خلتْ من ذى القعدة أوقع بدر غلام الطائىّ بالقرامطة على غِرّة منهم بنواحى روذميستان[1] وغيرها، فقتَل منهم — فيما ذكر — مقتلة عظيمة، ثم تركهم خوفًا على السّواد أن يخرب؛ إذ كانوا فلاّحيه وعماله، وطلب رؤساءهم فى أماكنهم، فقتل مَنْ ظفر به منهم؛ وكان السلطان قد قوّى بدراً بجماعة من جنده وغلمانه بسببهم للحدث الذى كان منهم.

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود.

(١) ط: «رود ميسان»، وأثبت ما فى التصويبات.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ورود الخبر على السلطان — فيما ذكر — بوقوع الوباء بأذْرَبيجان ، فمات منه خلْق كثير إلى أن فقد الناس ما يكفّنون به الموتى ، فكفّنوا فى الأكسية واللبود ، ثم صاروا إلى أن لم يجدوا مَن يدفن الموتى ، فكانوا يتركونهم مطروحين(١) فى الطرق .

وفيها دخل أصحاب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث فارس ، وأخرجوا منها عمّال السلطان ، وذلك لاثنتى عشرة بقيت من صفر منها .

٢٢٠٣/٣ وفيها تُوفِّىَ محمد بن أبى الساج الملقب بأفشين بأذْرَبيجان ، فاجتمع غلمانه وجماعة من أصحابه ، فأمّروا عليهم ديوداد بن محمد ، واعتزلهم يوسف بن أبى الساج على الخلاف لهم .

ولليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر ورد كتاب صاحب البريد بالأهواز ، يذكر فيه أن أصحاب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث صاروا إلى سَنبيل يريدون الأهواز .

وفى أول جمادى الأولى أدخل عمرَو بن الليث عبدُ الله بن الفتح — الموجّه كان إلى إسماعيل بن أحمد — بغداد وأشناس غلام إسماعيل بن أحمد . وذُكر لى أنّ إسماعيل بن أحمد خيّره بين المقام عنده أسيراً وبين توجيهه إلى باب أمير المؤمنين ، فاختار توجيهه فوجّهه .

ولليلتين خلَتا من جمادى الآخرة ، ورد — فيما ذُكر — كتاب صاحب بريد الأهواز منها ، يذكر أن كتاب إسماعيل بن أحمد ورد على طاهر بن محمد بن عمرو يعلمه أن السلطان ولاّه سجستان ، وأمره بالخروج إليها ، وأنه خارج إليه إلى فارس ليوقِع به ، ثم ينصرف إلى سجستان ، وأنّ طاهراً خرج لذلك ،

---

(١) س : « مطرحين » .

وكتب إلى ابن عمّه وكان مقيمًا بأرّجان في عسكره يأمره بالانصراف إليه إلى فارس بمن معه .

وفيها ولّى المعتضد مولاه بدراً فارس ، وأمره بالشخوص إليها لمّا بلغه من ٣/٢٢٠٤ تغلّب طاهر بن محمد عليها ، وخلع عليه لتسع خلوْن من جمادى الآخرة ، وضمّ إليه جماعةً من القوّاد ، فشخص في جيش عظيم من الجند والغلمان .

ولعشر خلوْن من جمادى الآخرة منها خرج عبد الله بن الفتح وأشناس غلام إسماعيل إلى إسماعيل بن أحمد بن سامان بخِلَع من المعتضد حمَلها إليه وببدَنة وتاج وسيف من ذهب، مركّب على جميع ذلك جوهر وبهدايا وثلاثة آلاف ألف درهم، يفرّقها في جيش من جيوش خُراسان، يوجّه إلى سِجِسْتان لحرب مَنْ بها من أصحاب طاهر بن محمد بن عمرو .

وقد قيل: إن المال الذى وجّهه إليه المعتضد كان عشرة آلاف ألف درهم، وجّه ببعض ذلك من بغداد ، وكتب بباقيه على عمّال الجبل ، وأمِرُوا أن يدفعوه إلى الرُّسل .

وفي رجب منها وصل بدر مولى المعتضد إلى ما قرب من أرض فارس ، فتنحّى عنها مَنْ كان بها من أسباب طاهر بن محمد بن عمرو ، فدخلها أصحاب بدر ، وجبى عمّالُه الخراج بها .

ولليلتين خلَتا من شهر رمضان منها ، ذكر أنّ كتاب عجّ بن حاجّ عامل مكة ورد يذكر فيه أن بني يَعفر أوقعوا برجل كان تغلّب على صنعاء ، وذكر أنه علَويّ وأنهم هزموه ، فلجأ إلى مدينة تحصّن بها ، فصاروا إليه فأوقعوا به ، فهزموه أيضًا ، وأسروا ابنًا له ، وأفلت هو في نحو من خمسين نفسًا ، ودخل بنو يعفر صنعاء وخطبوا بها للمعتضد .

٣/٢٢٠٥ وفيها أوقع يوسف بن أبي الساج وهو في نفر يسير بابن أخيه ديوداد بن محمد ، ومعه جيش أبيه محمد بن أبي الساج ، فهرب عسكره، فبقي ديوداد في جماعة قليلة ، فعرض عليه يوسف المقام معه ، فأبى وأخذ طريق الموصل فوافى

بغداد يوم الخميس لسبع بَقِين من شهر رمضان من هذه السنة ، فكانت الوقعة بينهما بناحية أذْرَبيجان .

وفيها غزا نزار بن محمد عامل الحسن بن علىّ كورة الصائفة ، ففتح حصونًا كثيرة للرّوم ، وأدخل طَرَسُوس مائة عِلْج ونَيّفًا وستين عِلْجًا من القوامسة والشمامسة وصلبانًا كثيراً وأعلامًا لهم ، فوجّهها كوره إلى بغداد .

ولاثنتى عشرة خلتْ من ذى الحجّة وردت كتب التجار من الرَّقة أن الرُّوم وافتْ فى مراكب كثيرة ، وجاء قومٌ منهم على الظهر إلى ناحية كيْسُون ، فاستاقوا من المسلمين أكثر من خمسة عشر ألف إنسان؛ ما بين رجل وامرأة وصبىّ ، فمضوا بهم ، وأخذوا فيهم قومًا من أهل الذمة .

وفيها قرب أصحاب أبى سعيد الجنابىّ من البصرة ، واشتدّ جَزَع أهل البصرة منهم حتى همّوا بالهرب منها والنقلة عنها ، فمنعهم من ذلك واليهم .

وفى آخر ذى الحِجّة منها قُتِل وصيف خادم ابن أبى الساج ، فحملت جثته فصلبت بالجانب الشرقىّ . وقيل إنه مات ولم يقتَل ، فلما مات احتُزّ رأسه .

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد المكنى أبا بكر .

٣/٢٢٠٦

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين

ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأمور

فمن ذلك ما كان من انتشار القرامطة بسَواد الكوفة ، فوُجّه إليهم شبل غلام أحمد بن محمد الطائىّ، وتُقدِّم إليه فى طلبهم، وأخذِ مَن ظفر به منهم وحملِهم إلى باب السلطان . وظَفِر برئيس لهم يُعرف بابن أبى فوارس ، فوجّه به معهم ، فدعا به المعتضد لثمان بقين من المحرّم ، فساءله، ثم أمر به فقلِعتْ أضراسه ، ثم خُلِع بمدّ إحدى يديه — فيما ذكر — ببكْرة ، وعُلّق فى الأخرى صخرة ، وتُرِك على حاله تلك من نصف النهار إلى المغرب ، ثم قُطِعت يداه ورجلاه من غدِ ذلك اليوم ، وضُرِبتْ عنقه ، وصلِب بالجانب الشرقىّ، ثم حمِلت جثته بعد أيام إلى الياسرية، فصُلب مع من صُلب هنالك من القرامطة .

ولليلتين خلَتا من شهر ربيع الأول ، أخرِج مَنْ كانت له دار وحانوت بباب الشماسيّة عن داره وحانوته ،وقيل لهم : خذوا أقفاصكم واخرجوا ؛ وذلك أنّ المعتضد كان قد قدّر أن يبنىَ لنفسه داراً يسكنها، فخطّ موضع السور، وحفر بعضه ،وابتدأ فى بناء دِكّة على دِجْلة، كان المعتضد أمر ببنائها لينتقل فيقيم فيها إلى أن يفرُغ من بناء الدار والقصر .

٣/٢٢٠٧

وفى ربيع الآخر منها فى ليلة الأمير تُوفِّىَ المعتضد ، فلما كان فى صبيحتها أحضِر دار السلطان يوسف بن يعقوب وأبوخازم عبد الحميد بن عبد العزيز وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ، وحضر الصلاة عليه الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان ، وأبو خازم وأبو عمرَ والحرَم والخاصّة ، وكان أوصى أن يُدفن فى دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، فحفِر له فيها ، فحمِل من قصره المعروف بالحسنىّ ليلا ، فدفن فى قبره هناك .

ولسبع بقين من شهر ربيع الآخر من هذه السنة — وهى سنة تسع وثمانين ومائتين — جلس القاسم بن عبيد الله بن سليمان فى دار السلطان فى الحسنىّ ، وأذن للناس ، فعزَّوْه بالمعتضد، وهنئوه بما جدّد له من أمر المكتفى ، وتقدّم إلى الكتاب والقوّاد فى تجديد البيعة للمكتفى بالله، فقبلوا .

خلافة المكتفى بالله

ولما تُوفِّيَ المعتضد كتب القاسم بن عبيدالله بالخبر إلى المكتفى كتبًا، وأنفذها من ساعته؛ وكان المكتفى مقيمًا بالرّقة، فلمّا وصل الخبر إليه أمر الحسين بن عمرو النصرانىّ كاتبه يومئذ بأخذ البيعة على من فى عسكره، ووضع العطاء لهم، ففعل ذلك الحسين، ثم خرج شاخصًا من الرّقة إلى بغداد، ووجّه إلى النواحى بديار ربيعة وديار مضر ونواحى المغرب من يضبطها.

٢٢٠٨/٣ وفى يوم الثلاثاء لثمان خلَوْن من جمادى الأولى دخل المكتفى إلى داره بالحسنىّ؛ فلما صار إلى منزله، أمر بهدم المطامير التى كان أبوه اتّخذها لأهل الجرائم.

وفى هذا اليوم كنّى المكتفى بلسانه القاسم بن عبيد الله وخلع عليه.

وفى هذا اليوم مات عمرو بن الليث الصفار، ودُفن فى غد هذا اليوم بالقرب من القصر الحسنىّ، وقد كان المعتضد — فيما ذكر — عند موته بعد ما امتنع من الكلام أمر صافيا الحُرَمىّ بقتل عمرو بالإيماء والإشارة، ووضع يده على رقبته وعلى عينه، أراد ذبح الأعور فلم يفعل ذلك صافى لعلمه بحال المعتضد وقرْب وفاته، وكره قتل عمرو، فلما دخل المكتفى بغداد سأل — فيما قيل — القاسم بن عبيد الله عن عمرو: أحىّ هو؟ قال: نعم، فسرّ بحياته. وذُكر أنه يريد أنّ يحسن إليه، وكان عمرو يهدى إلى المكتفى ويبرّه برًّا كثيرًا أيام مقامه بالرّىّ فأراد مكافأته، فذكروا أن القاسم بن عبيد الله كره ذلك، ودسّ إلى عمرو مَنْ قتله.

وفى رجب منها ورد الخبر لأربع بقين منه أنّ جماعة من أهل الرّىّ كاتبوا محمد بن هارون الذى كان إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان استعمله على طَبَرستان بعد قتله محمد بن زيد العَلَوِىّ، فخلع محمد بن هارون وبيّض، فسألوه المصير إلى الرّىّ ليدخلوه إليها؛ وذلك أن أوكرتُمُش التركىّ المولّى

عليهم كان — فيما ذكر — قد أساء السيرة فيهم، فحاربه، فهزمه محمد بن هارون وقتله، وقتل ابنين له وقائداً من قوّاد السلطان يقال له أبرون أخو كَيَغْلغ، ودخل ٣/٢٢٠٩ محمد بن هارون الرّيّ واستولى عليها.

وفى رجب من هذه السنة زلزلت بغداد، ودامت الزلزلة فيها أيامًا وليالى كثيرة.

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل بدر غلام المعتضد]

وفى هذه السنة كان مقتل بدر غلام المعتضد.

* ذكر سبب قتله:

ذُكر أنّ سبب ذلك كان أنّ القاسم بن عبيد الله كان هَمّ بتصيير الخلافة من بعد المعتضد فى غير ولد المعتضد، وأنه كان ناظَر بدراً فى ذلك، فامتنع بدر عليه وقال: ما كنتُ لأصرفَها[١] عن ولد مولاى الذى هو وَلىُّ نعمتى. فلما رأى القاسم ذلك وعلم أنه لا سبيل إلى مخالفة بدر؛ إذ كان بدْرٌ صاحب جيش المعتضد، والمستولِى على أمره، والمطاعَ فى خدمه وغلمانه، اضطغنها على بدر. وحدث بالمعتضد حدثُ الموت وبدر بفارس، فعقد القاسم للمكتفى عَقْد الخلافة، وبايع له وهو بالرّقة، لِمَا كان بين المكتفى وبين بدر من التباعد فى حياة والده. وكتب القاسم إلى المكتفى لمّا بايع غلمان أبيه له بالخلافة، وأخذ عليهم البَيْعة بما فعل من ذلك، فقدم بغداد المكتفى وبدْر بعد بفارس، فلمَّا قدمها عمِل القاسم فى هلاك بدر؛ حذراً على نفسه — فيما ذكر[٢] — من بدر أن يقدَم على المكتفى، فيطلعَه على ما كان القاسم همّ به، وعزم عليه فى حياة المعتضد من صرف الخلافة عن ولد المعتضد إذا مات. فوجّه ٣/٢٢١٠ المكتفى — فيما ذكر — محمد بن كُمُشْجور وجماعة من القوّاد برسائل، وكتب إلى القوّاد الذين مع بدر يأمرهم بالمصير إلى ما قبَله ومفارقة بدر وتركه، فأوصلت الكتب إلى القوّاد فى سرّ، ووجّه إليه يانس خادم الموفّق، ومعه عشرة آلاف

---

(١) ب: «لأصرفه»، س: «بالذى أصرفها».

(٢) س: «مما ذكر».

ألف درهم ليصرفها[١] فى عطاء أصحابه لبيعة المكتفى ، فخرج بها يانس ؛

فذُكر أنه لما صار بالأهواز ، وجّه إليه بدر مَنْ قَبَض المال منه ، فرجع يانس إلى مدينة السلام ؛ فلمّا وصلت كتب المكتفى إلى القوّاد المضمومين إلى بدر ، فارق بدراً جماعة منهم ، وانصرفوا عنه إلى مدينة السلام ؛ منهم العباس بن عمرو الغَنَوِىّ وخاقان المفلحىّ ومحمد بن إسحاق بن كُنْداج وخفيف الأذكوتكينىّ وجماعة غيرهم. فلما صاروا إلى مدينة السلام دخلوا على المكتفى ، فخلع — فيما ذكر — على نيّف وثلاثين رجلاً منهم ، وأجاز جماعةً من رؤسائهم ؛ كلّ رجل منهم بمائة ألف درهم ، وأجاز آخرين بدون ذلك ، وخلَع على بعضهم ، ولم يجزه بشىء . وانصرف بدر فى رجب ؛ عامداً المصيرَ إلى واسط . واتّصل بالمكتفى إقبالُ بدر إلى واسط ، فوكّل بدار بدر ، وقبض على جماعة من غلمانه وقوّاده ؛ فحُبِسُوا ، منهم نحرير الكبير ، وعَريب الجبلىّ ، ومنصور ، ابن أخت عيسى النُّوشرىّ . وأدخل المكتفى على نفسه القوّاد ، وقال لهم : لست أؤمِّر عليكم أحداً ، ومَنْ كانت له منكم حاجة فليلْق الوزير ، فقد تقدّمتُ إليه بقضاء حوائجكم . وأمر بمحو اسم بدر من التراس ٣/٢٢١١ والأعلام ، وكان عليها أبو النجم مولى المعتضد بالله ، وكتب بدرٌ إلى المكتفى كتاباً دفعه إلى زيدان السعيدىّ ، وحمله على الجمّازات . فلما وصل الكتاب إلى المكتفى أخذه ، ووكّل بزيدان هذا ، وأشخص الحسن بن علىّ كوره فى جيش إلى ناحية واسط . وذُكر أنه قدّمه المكتفى على مقدمته .

ثم أحدر محمد بن يوسف مع المغرب لليلة بَقِيت من شعبان من هذه السنة برسالة إلى بدر ، وكان المكتفى أرسل إلى بدر حين فَصَل من عمل فارس يعرض عليه ولاية أىّ النواحى شاء؛ إن شاء أصبهان وإن شاء الرىّ ، وإن شاء الجبال ، ويأمره بالمصير إلى حيث أحبّ من هذه النواحى مع مَنْ أحبّ من الفرسان والرّجالة ، يقيم بها معهم والياً عليها. فأبى ذلك بدر ، وقال : لا بدّ لى من المصير إلى باب مولاى.

---

(١) س : « ليفرقها » .

فوجد القاسم بن عبيد الله مساغاً للقول فيه، وقال للمكتفى: يا أميرَ المؤمنين، قد عرضنا عليه أن نقلّده أىَّ النّواحى شاء أن يمضىَ إليها، فأبى إلاّ المجىء إلى بابك، وخوّفه غائلتَه، وحرّض المكتفى على لقائه ومحاربته، واتصل الخبر ببدر أنه قد وُكّل بداره، وحبس غلمانه وأسبابه، فأيقن بالشرّ، ووجّه[1] مَنْ يحتال فى تخليص ابنه هلال وإحداره إليه، فوقف القاسم بن عبيد الله على ذلك، فأمر بالحفظ[2] به، ودعا أبا خازم القاضى على الشرقية وأمره بالمضىّ إلى بدر ولقائه وتطييب نفسه وإعطائه الأمان من أمير المؤمنين، على نفسه وماله وولده، فذُكر أن أبا خازم قال له: أحتاج إلى سماع ذلك من أمير المؤمنين حتى أؤدّيه إليه عنه، فقال له: انصرفْ حتى أستأذنَ لك فى ذلك أميرَ المؤمنين. ٢٢١٢/٣

ثمّ دعا بأبى عمر محمد بن يوسف، فأمره بمثل الذى أمر به أبا خازم، فسارع إلى إجابته إلى ما أمره به، ودفع القاسم بن عبيد الله إلى أبى عمر كتاب أمان عن المكتفى، فمضى به نحو بدر، فلمّا فصل بدر عن واسط ارفضّ عنه أصحابه وأكثر غلمانه؛ مثل عيسى النُّوشرىّ وختَنه يانس المستأمن وأحمد بن سمعان ونحرير الصغير، وصاروا إلى مضرب المكتفى فى الأمان. فلما كان بعد مضىّ ليلتين من شهر رمضان من هذه السنة، خرج المكتفى من بغداد إلى مضربه بنهر دِيَالَى، وخرج معه جميع جيشه، فعسكر هنالك، وخلع على مَنْ صار إلى مضربه من الجماعة الذين سمّيتُ، وعلى جماعة من القوّاد والجند. ووكّلَ بجماعة منهم، ثم قيّد تسعة منهم، وأمر بحملهم مقيّدين إلى السجن الجديد؛ ولقى –فيما ذكر– أبو عمر محمد بن يوسف بدراً بالقرب من واسط، ودفع إليه الأمان وخبّره عن المكتفى بما قال له القاسم بن عبيد الله، فصاعد معه فى حرّاقة بدر، وكان قد سيّره فى الجانب[3] الشرقىّ وغلمانه الذين بقُوا معه فى جماعة من الجند وخلق كثير من الأكراد وأهل الجبل يسيرون معه بمسيره على شطّ دِجْلة، فاستقرّ الأمر بين بدر وأبى عمر على أن يدخل بدر بغداد سامعاً مطيعاً، ٢٢١٣/٣

(١) ب: «وأمر»، ابن الأثير: «وأرسل». (٢) س: «التحفظ».
(٣) ب: «بالجانب».

وعَبر بدر دِجْلة، فصار إلى النعمانيّة، وأمر غلمانه وأصحابه الذين بقُوا معه أن ينزعوا سلاحهم، وألاّ يحاربوا[1] أحداً، وأعلمهم ما ورد به عليه أبو عمر من الأمان؛ فبينا هو يسير إذ وافاه محمد بن إسحاق بن كنْداج فى شَذا، ومعه جماعة من الغلمان، فتحوّل إلى الحرّاقة، وسأله بدر عن الخبر، فطيّب نفسه، وقال له قولاً جميلا، وهم فى كلّ ذلك يؤمّرونه؛ وكان القاسم بن عبيد الله وجّهه، وقال له: إذا اجتمعتَ مع بدر، وصرتَ معه فى موضع واحد؛ فأعلِمْنى. فوجّه إلى القاسم، وأعلمه؛ فدعا القاسم بن عبيد الله لؤلؤاً أحد غلمان السلطان، فقال له: قد ندبتُك لأمر، فقال: سمعًا وطاعة؛ فقال له: امض وتسلّمْ بدراً من ابن كنداجيق، وجئنى برأسه. فمضى فى طيّار حتى استقبل بدراً ومَنْ معه بين سيب بنى كوما وبين اضطربد، فتحوّل من الطيار إلى الحرّاقة، وقال لبدر: قم، فقال: وما الخبر؟ قال: لابأس عليك، فحوّله إلى طيّاره، ومضى به حتى صار به إلى جزيرة بالصافية، فأخرجه إلى الجزيرة، وخرج معه، ودعا بسيف كان معه فاستلّه، فلمّا أيقن بدر بالقتل سأله أن يُمهله حتى يُصلّىَ ركعتين، فأمهله، فصلاّهما، ثم قدّمه فضرب عنُقَه، وذلك فى يوم الجمعة[2] قبل الزّوال لستّ خلوْن من شهر رمضان، ثم أخذ رأسه ورجع إلى طيّاره؛ وأقبل راجعاً إلى معسكر المكتفى بنهر دَيالَى ورأس بدر معه، وتُركت جثّته مكانها، فبقيت هنالك. ثم وجّه عياله من أخذ جثّته سرًّا، فجعلها فى تابوت، وأخفوْها عندهم، فلما كان أيام الموسم حملوها إلى مكة، فدفنوها بها — فيما قيل — وكان أوصى بذلك، وأعتق قبل أن يقتَل مماليكه كلّهم، وتسلّم السلطان ضياع بدر ومستغلاته ودوره وجميعَ ماله بعد قتله. وورد الخبر على المكتفى بما كان من قَتْل بدر، لسبع خلوْن من شهر رمضان من هذه السنة، فرحل منصرفًا إلى مدينة السلام، ورحل معه مَنْ كان معه من الجند، وجىء برأس بدْر إليه، فوصل إليه قبل ارتحاله من موضع معسكره، فأمر به فنظّف، ورُفع فى الخزانة، ورجع أبو عمر القاضى

٢٢١٤/٣

---

(١) س: «ولا يحاربوا».

(٢) ب: «جمعة».

إلى داره يوم الاثنين كئيبًا حزينًا ، لِمَا كان منه فى ذلك ، وتكلّم الناس فيه ، وقالوا : هو كان السبب فى قتل بدر ، وقالوا فيه أشعاراً ، فمما قيل فيه منها :

قلْ لقاضِى مَدينةِ الْمنصُورِ ... بِمَ أَحللتَ أَخذَ رأس الأَمير !
بعدَ إعطائهِ المواثيقَ والعهـ ... ـدَ وعقدِ الأَيْمانِ فى مَنشورِ
أَينَ أَيْمانُكَ التى شهِدَ اللـ ... ـهُ على أَنها يمينُ فَجُورِ
أَنَّ كفيّك لا تفارقُ كَفَّيـ ... ـهِ إلى أَن ترَى مَلِيكَ السَّرِيرِ
ياقليلَ الحياءِ يا أَكذَبَ الأُ ... مّةِ يا شاهِدًا شهادةَ زورِ ٣/٢٢١٥
ليسَ هذا فِعلَ القضاةِ ولايُحـ ... ـسِنُ أَمثالَهُ وُلاةُ الجُسُورِ
أَىَّ أَمرٍ رَكِبْتَ فى الجُمْعةِ الزهـ ... ـراءِ من شهرٍ خيرِ خيرِ الشُّهورِ
قد مضى من قتلتَ فى رمضانٍ ... صائماً بعد سجدةِ التعْفِيرِ
يابنى يوسفَ بن يعقوبَ أَضْحَى ... أَهلُ بغدادَ منكمُ فى غرورِ
بَدّدَ اللهُ شملكمْ وأَرانى ... ذُلَّكم فى حياةِ هذا الوزيرِ
فأَعِدّ الجوابَ للحَكَمِ العا ... دِلِ من بعدِ منكَرٍ ونكيرِ
أَنتمُ كلّكمْ فِدًا لأَبى خا ... زِمٍ المستقيمِ كلَّ الأُمورِ

ولسبع خلوْن من شهر رمضان ، حمل زيدان السعيدىّ الذى كان قُدّم رسولا من قِبَل بدر إلى المكتفى مع التسعة الأنفس الذين قُيّدوا من قوّاد بدر ، وسبعة أنفس أخَر من أصحاب بَدْر قُبض عليهم بعدهم فى سفينة مطبقةٍ عليهم ، وأحْدروا مقيّدين إلى البصرة ، فحبِسوا فى سجنها .

وذكر أنّ لؤلؤاً الذى ولِىَ قتل بدر كان غلامًا من غلمان محمد بن هارون الذى قتل محمد بن زيد بطبَرِسْتان وأكرتمُش بالرّىّ ، قدم مع جماعة من غلمان محمد بن هارون على السلطان فى الأمان .

وفى ليلة الاثنين لأربع عشرة بقيتْ من شهر رمضان منها قتِل عبد الواحد بن أبى أحمد الموفق — فيما ذكر — وكانت والدته — فيما قيل — ٣/٢٢١٦ وجّهت معه إلى دار مؤنس لما قُبض عليه دايةً له ، ففُرِق بينه وبين الداية

فمكثت يومين أو ثلاثة ، ثم صُرفت[١] إلى منزل مولاتِها ، فكانت والدة عبد الواحد إذا سألت عن خبره قيل لها : إنه فى دار المكتفى ؛ وهو فى عافية . وكانت طامعة فى حياته ، فلما مات المكتفى أيستْ منه وأقامت عليه مأتمًا .

* * *

ذكر باقى الكائن من الأمور الجليلة فى سنة تسع وثمانين ومائتين

فمما كان من ذلك فيها لتسع بقين من شعبان منها ، ورد كتاب من إسماعيل بن أحمد صاحب خُراسان على السلطان بخبر وقعة كانت بين أصحابه وبين ابن جُسْتان الديلمىّ بطبرستان ، وأن أصحابه هزموه ، وقرئ بذلك كتابه بمسجدىِ الجامع ببغداد .

وفيها لحق رجل يقال له إسحاق الفرغانىّ من أصحاب بَدْر لمّا قُتِل بدر إلى ناحية البادية فى جماعة من أصحابه على الخلاف على السلطان ؛ فكانت بينه هنالك وبين أبى الأغرّ وقعة ، هُزِم فيها أبو الأغرّ ، وقتِل من أصحابه ومن قوّاده عدّة ، ثم أشخِص مؤنس الخازن فى جمع كثيف إلى الكوفة لحرب إسحاق الفَرْغانىّ .

٣/٢٢١٧ ولسلخ ذى القعدة خُلِع على خاقان المفلحىّ ، ووُلِّىَ معونة الرىّ ، وضمّ إليه خمسة آلاف رجل .

وفيها ظهر بالشام رجل جمع جموعًا كثيرة من الأعراب وغيرهم ، فأتى بهم دمشق ، وبها طُغْج بن جُفّ من قِبَل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون على المعونة ، وذلك فى آخر هذه السنة ، فكانت بين طُغْج ، وبينه وقعات كثيرة قُتل فيها — فيما ذكر — خلق كثير .

* * *

ذكر خبر هذا الرجل

الذى ظهر بالشام وما كان من سبب ظهوره بها

ذكر أن زكرويَه بن مهرويه الذى ذكرنا أنه كان داعية قرمط لمّا تتابع[٢] من المعتضد توجيه الجيوش إلى من بسواد الكوفة من القرامطة ، وألحّ فى طلبهم ، وأثخن فيهم القتلى ، ورأى أنه لا مدفع عن أنفسهم عند أهل السواد

(١) س : « انصرفت » . (٢) ب : « تتابعت » .

ولا غَنَاء، سعى فى استغواء من قَرُب من الكوفة من أعراب أسد وطيّئ وتميم وغيرهم من قبائل الأعراب ، ودعاهم إلى رأيه ؛ وزعم لهم أنّ مَنْ بالسواد من القرامطة يطابقونهم على أمره إن استجابوا له . فلم يستجيبوا له ، وكانت جماعة من كلْب تخفُر الطريق على البرّ بالسماوة فيما بين الكوفة ودمشق على طريق تَدْمُر وغيرها ، وتحمل الرُّسل وأمتعة التجار على إبلها ، فأرسل زكرويه أولاده إليهم ، فبايعوهم وخالطوهم ، وانتموْا إلى علىّ بن أبى طالب وإلى ٣/٢٢١٨ محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وذكروا أنهم خائفون من السلطان ، وأنهم ملجَئون إليهم ، فقبلوهم على ذلك ، ثم دبّوا فيهم بالدعاء إلى رأى القرمطة ؛ فلم يقبل ذلك أحد منهم — أعنى من الكلبيّين — إلا الفخِذ المعروفة ببنى العُلَيص ابن ضمضم بن عدىّ بن جناب ومواليهم خاصة ، فبايعوا فى آخر سنة تسع وثمانين ومائتين بناحية السماوة ابنَ زكرويه المسمى بيحيى والمكنى أبا القاسم ، ولقّبوه الشيخ ، على أمر احتال فيهم ، ولقب به نفسه ، وزعم لهم أنه أبو عبد الله ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد .

وقد قيل : إنه زعم أنه محمد بن عبد الله بن يحيى . وقيل إنه زعم أنه محمد ابن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين بن علىّ ابن أبى طالب . وقيل إنه لم يكن لمحمّد بن إسماعيل ابنٌ يسمى عبد الله ، وزعم لهم أن أباه المعروف بأبى محمود داعيةٌ له ، وأنّ له بالسَّواد والمشرق والمغرب مائة ألف تابع ، وأن ناقته التى يركبها مأمورة ، وأنهم إذا اتبعوها فى مسيرها ظفِروا . وتكهّن لهم ، وأظهر عضداً له ناقصة ، وذكر أنها آية ، وانحازت ٣/٢٢١٩ إليه جماعة من بنى الأصبَغ ، وأخلصوا له وتسمَّوْا بالفاطميّين ، ودانوا بدينه ، فقصدهم سبُك الديلمىّ مولى المعتضد بالله بناحية الرُّصافة فى غربىّ الفرات من ديار مُضَر ، فاغترُّوه وقتلوه ، وحرقوا مسجد الرُّصافة ، واعترضوا كلّ قرية اجتازوا بها حتى أصعدوا إلى أعمال الشأم التى كان هارون بن خمارويه قوطع عليها ، وأسند أمرها هارون إلى طُغْج بن جُفّ ، فأناخ عليها ، وهزم كلّ عسكر لقيه لطغْج حتى حصره فى مدينة دمشق ، فأنفذ المصريون إليه بدراً الكبير غلام ابن طولون ، فاجتمع مع طُغْج على محاربته ، فواقعهم قريباً من دمشق ، فقتل الله عدوَّ الله يحيى بن زكرويه .

وكان سبب قتله – فيما ذُكر – أن بعض البرابرة زرقه بمزراق[1] واتبعه نفّاط، فزرقه بالنار فأحرقه؛ وذلك فى كبد الحرب وشدّتها، ثم دارت على المصريّين الحرب، فانحازوا، فاجتمعت موالى بنى العُليص إلى بنى العليص ومَنْ معهم من الأصبغيّين وغيرهم على نصب الحسين بن زكرويه أخى الملقب بالشيخ فنصبوا أخاه، وزعم لهم أنه أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد، وهو ابن نيّف وعشرين سنة، وقد كان الملقّب بالشيخ حمل موالى بنى العليص على صريحهم، فقتلوا جماعةً منهم، واستذلّوهم، فبايعوا الحسين ٣/٢٢٢٠ ابن زكرويه المسمّى بأحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بعد أخيه، فأظهر شامة فى وجهه ذكر أنها آيته، وطرأ إليه ابن عمّه عيسى بن مهرويه المسمى عبد الله، وزعم أنه عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد، فلقّبه المدثّر، وعهد إليه؛ وذكر أنه المعنىّ فى السورة التى يذكر فيها المدّثر، ولقّب غلامًا من أهله المطوّق، وقلّده قتل أسرى المسلمين، وظهر على المصريّين، وعلى جند حمص وغيرها من أهل الشأم، وتسمّى بإمرة المؤمنين على منابرها، وكان ذلك كله فى سنة تسع وثمانين، وفى سنة تسعين.

* * *

وفى اليوم التاسع من ذى الحجّة من هذه السنة صلّى الناس العصر فى قُمُص الصيف ببغداد، فهبّت ريح الشمال عند العصر، فبرد الهواء حتّى احتاج الناس بها من شدّة البرد إلى الوقود والاصطلاء بالنّار، ولبس المحشوّ والجباب، وجعل البرد يزداد حتّى جمد الماء.

وفيها كانت وقعة بين إسماعيل بن أحمد بالرىّ ومحمد بن هارون وابن هارون – فيما قيل – حينئذ فى نحو من ثمانية آلاف، فانهزم محمد بن هارون وتقدم . . .[2] أصحابَه، وتبعه من أصحابه نحو من ألف، ومضوْا نحو الديلم، ٣/٢٢٢١ فدخلها مستجيراً بها، ودخل إسماعيل بن أحمد الرّىّ، وصار زهاء ألف رجل – فيما ذكر – ممّن انهزم من أصحابه إلى باب السلطان.

وفى جمادى الآخرة منها لأربع خلوْن منها ولِىَ القاسم بن سيما غزو الصائفة بالثغور الجزَرية، وأطلِق له من المال اثنا وثلاثون ألف دينار.

وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ.

---

(١) زرقه بالمزراق، طعنه أو رماه به. والمزراق: رمح قصير. (٢) بياض فى أصل ط.

ثم دخلت سنة تسعين ومائتين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فممّا كان فيها من ذلك توجيه المكتفى رسولاً إلى إسماعيل بن أحمد لليلتين خلتا من المحرّم منها بخلع، وعقد ولاية له على الرّىّ، وبهدايا مع عبد الله ابن الفتح.

ولخمس بقين من المحرّم منها ورد — فيما ذكر — كتاب علىّ بن عيسى من الرّقة، يذكر فيه أن القرمطىّ بن زكرويه المعروف بالشيخ، وافَى الرَّقة فى جَمْع كثير، فخرج إليه جماعة من أصحاب السلطان ورئيسهم سُبُكْ غلام المكتفى، فواقعوه، فقتِل سُبُكْ، وانهزم أصحاب السلطان.

ولستّ خلوْن من شهر ربيع الآخر ورد الخبر بأن طغج بن جفّ أخرج ٣/٢٢٢٢ من دمشق جيشاً إلى القرمطىّ، عليهم غلام له يقال له بَشِير، فواقعهم القرمطىّ، فهزم الجيش وقتل بشيراً.

ولثلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خُلع على أبى الأغرّ ووُجّه به لحرب القرمطىّ بناحية الشأم، فمضى إلى حلَب فى عشرة آلاف رجل.

ولإحدى عشرة بقيت من شهر ربيع لآخر خُلع على أبى العشائر أحمد بن نصر ووِلّىَ طَرسوس، وعزِل عنها مظفَّر بن حاجّ لشكاية أهل الثغور إياه.

وللنصف من جمادى الأولى من هذه السنة، وردت كتب التجار إلى بغداد من دمشق مؤرّخة لسبع بقين من ربيع الآخر يخبرون فيها أن القرّمطىّ الملقب بالشيخ قد هزم طغج غير مرة، وقتل أصحابه إلا القليل، وأنه قد بقى فى قلة، وامتنع من الخروج، وإنما تجتمع العامة، ثم تخرج للقتال، وأنهم قد

أشرفوا على الهلكة ، فاجتمعت جماعة من تجار بغداد فى هذا اليوم ، فمضوْا إلى يوسف بن يعقوب ، فأقرءوه كتبهم ، وسألوه المضىّ إلى الوزير ليخبره خبر أهل دمشق ، فوعدهم ذلك .

ولسبع بقين من جمادى الأولى أحضِر دار السلطان أبو خازم ويوسف وابنه محمد ، وأحضِر صاحب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ، فقوطع على مال فارس ، ثم عقد المكتفى لطاهر على أعمال فارس ، وخلع على صاحبه ، وحُمِلت إليه خلع مع العقد . ٣/٢٢٢٣

وفى جُمادى الأولى هرب من مدينة السلام القائد المستأمِن المعروف بأبى سعيد الخُوارزمىّ ، وأخذ نحو طريق الموصِل ، فكتِب إلى عبد الله المعروف بغلام نون ، وكان يتقلّد المعاون بتكريت والأعمال المتّصلة بها إلى حدّ سامرّا وإلى الموصِل[١] فى معارضته وأخذه ، فزعموا أن عبد الله عارضه ، فاختدعه أبو سعيد حتى اجتمعا جميعًا على غير حرب ، ففتك به أبو سعيد فقتله ، ومضى أبو سعيد نحو شهرزور ، فاجتمع هو وابن أبى الربيع الكُردىّ ، وصاهره ، واجتمعا على عصيان السلطان . ثم إنّ أبا سعيد قُتِل بعد ذلك ، وتفرّق مَنْ كان اجتمع إليه .

ولعشر خلوْن من جُمادى الآخرة ، شخص أبو العشائر إلى عمله بطَرَسوس ، وخرج معه جماعة من المطّوّعة للغزو ، ومعه هدايا من المكتفى إلى ملك الروم .

ولعشر بقين من جمادى الآخرة خرج المكتفى بعد العصر عامداً سامُرّا ، مريداً البناء بها للانتقال إليها ، فدخلها يوم الخميس لخمس بقَين من جمادى الآخرة ، ثم انصرف إلى مضارب قد ضُربت له بالجوسق ، فدعا القاسم بن عبيد الله والقوّام بالبناء ، فقدّروا له البناء وما يحتاج إليه من المال للنفَقَة[٢] عليه ، فكثّروا عليه فى ذلك ، وطوّلوا مدّة الفراغ[٣] مما أراد بناءه ، وجعل القاسم يصرفه عن رأيه فى ذلك ، ويعظّم أمر النفقة فى ذلك وقدر مبلغ المال ،

---

(١) س : « والموصل » . (٢) ب : « والنفقه » .
(٣) س : « المدة لفراغه » .

فثناه عن عزمه ، ودعا بالغَداء ، فتغدّى ثم نام ، فلما هبّ من نومه ركب ٣/٢٢٢٤
إلى الشطّ ، وقعد فى الطيّار ، وأمر القاسم بن عبيد الله بالانحدار .
ورجع أكثر الناس من الطريق قبل أن يصلوا إلى سامُرّا حين تلقّاهم
الناس راجعين .

ولسبع خلوْن من رجب خُلع على ابنى القاسم بن عبيد الله، فوُلِّىَ الأكبر منهما ضياع الولد والحرم والنفقات ، والأصغر منهما كتبة أبى أحمد بن المكتفى ؛ وكانت هذه الأعمال إلى الحسين بن عمرو النصرانىّ ، فعُزل بهما ، وكان القاسم بن عبيد الله اتّهم الحسين بن عمرو أنه قد سعى به إلى المكتفى .

ثم إن الحسين بن عمرو كاشفَ القاسم بن عبيد الله بحضرة المكتفى ، فلم يزل القاسم يدبّر عليه، ويغلظ قلب المكتفى عليه، حتى وصل إلى ما أراد من أمره .

وفى يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شعبان قرئْ كتابان فى الجامعين بمدينة السلام بقتل يحيى بن زكرويه الملقّب بالشيخ، قتله المصريون على باب دمشق ؛ وقد كانت الحرب اتّصلت بينه وبين مَنْ حاربه من أهل دمشق وجندها ومددهم من أهل مصر ، وكسر لهم جيوشًا ، وقتل منهم خلْقًا كثيراً ، وكان يحيى بن زكرويه هذا يركب جملا برحاله ، ويلبس ثيابًا واسعة ويعتمّ عمة ٣/٢٢٢٥
أعرابيـة ، ويتلثّم ، ولم يركب دابّةً من لدن ظهر إلى أن قُتِل ، وأمر أصحابه ألا يحاربوا أحداً ؛ وإن أتى عليهم حتى يبتعث الجمل من قبَل نفسه ؛ وقال لهم : إذا فعلتم ذلك لم تهزموا .

وذُكر أنه كان إذا أشار بيده إلى ناحية من النّواحى التى فيها محاربوه ، انهزم أهل تلك الناحية ، فاستغوى بذلك الأعراب . ولمّا كان فى اليوم الذى قُتِل فيه يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ ، وانحازوا إلى أخيه الحسين بن زكرويه ، فطلب أخاه الشيخ فى القتلى ، فوجده ، فواراه وعقد الحسين بن زكرويه لنفسه ، وتَسمّى بأحمد بن عبد الله ، وتكنّى بأبى العباس .

وعلم أصحابُ بدر بعد ذلك بقتل الشيخ ، فطلبوه فى القتلى فلم يجدوه ، ودعا الحسين بن زكرويه إلى مثل ما دعا إليه أخوه، فأجابه أكثر أهل البوادى وغيرهم من سائر الناس ، واشتدّت شوكته وظهر . وصار إلى دمشق ، فذُكر أن أهلها صالحوه على خراج دفعوه إليه ، ثم انصرف عنهم ، ثم سار إلى أطراف حِمْص ، فتغلّب ، عليها، وخُطب له على منابرها ، وتسمّى بالمهدىّ ، ثم سار إلى مدينة حِمْص ، فأطاعه أهلها ، وفتحوا له بابها خوفاً منه على أنفسهم فدخلها ، ثم سار منها إلى حَماة ومعرّة النعمان وغيرهما ، فقتل أهلها ، وقتل النساء والأطفال ثم سار إلى بعلبك فقتل عامة أهلها حتى لم يبق منهم — فيما قيل — إلا اليسير ، ثم سار إلى سَلَمْيَة فحاربه أهلها ومنعوه الدخول، ثم وادعهم وأعطاهم الأمان ، ففتحوا له بابها ، فدخلها ، فبدأ بمَن فيها من بنى هاشم، وكان بها منهم جماعة فقتلهم، ثم ثنى بأهل سَلَمْيَة فقتلهم أجمعين. ثم قتل البهائم ، ثم قتل صبيان الكتاتيب[١] ، ثم خرج منها ؛ وليس بها عين تطرف — فيما قيل — وسار فيما حوالىْ ذلك من القرى يقتل ويَسْبِى ويحرِق ويُخيف السبيل . ٢٢٢٦/٣

فذكر عن متطبّب بباب المحوّل يُدعى أبا الحسن أنه قال : جاءتْنِى امرأة بعد ما أدخل القرمطىّ صاحب الشامة وأصحابه بغداد ، فقالت لى : إنى أريد أن تعالج شيئاً فى كتفى ، قلتُ : وما هو ؟ قالت : جرح ، قلت : أنا كحّال؛وها هنا امرأة تعالج النساء ، وتعالج الجراحات، فانتظرى مجيئها . فقعدت ، ورأيْتها مكروبة كئيبة باكية ، فسألتُها عن حالها ، وقلت : ما سبب جراحتك ؟ فقالت : قصّتى تطول ، فقلت : حدّثينى بها وصادقينى ، وقد خلا مَنْ كان عندى ، فقالت : كان لى ابن غاب عنّى ، وطالت غيبته ، وخلّف علىّ أخوات له ، فضقتُ واحتجت . واشتقتُ إليه ، وكان شخص إلى ناحية الرّقة، فخرجتُ إلى الموصِل وإلى بَلَد وإلى الرّقة ؛ كلّ ذلك أطلبه ، وأسأل عنه ؛ فلم أدَلّ عليه، فخرجتُ عن الرّقة فى طلبه ، فوقعت فى عسكر القرمطىّ ، فجعلت أطوف وأطلبه ؛ فبينا أنا كذلك إذْ رأيتُه فتعلقت به ، فقلت : ابنى ! فقال : أمى ! فقلت : نعم ، قال :

(١) س : « الكتاب » .

ما فعل أخواتى ؟ قلت : بخير ، وشكوت ما نالنا بعده من الضّيق ، فمضى بى ٣/٢٢٢٧
إلى منزله ، وجلس بين يدىّ ، وجعل يسائلنى عن أخبارنا ، فخبّرته ، ثم قال :
دَعينى من هذا وأخبرينى [١] ما دينك ؟ فقلت : يا بنىّ أما تعرفُنى ! فقال :
وكيف لا أعرفك ! فقلت : ولمَ تسألنى من دينى وأنت تعرفنى وتعرف
دينى ! فقال : كلّ ما كنّا فيه باطل ، والدّين ما نحن فيه الآن. فأعظمتُ
ذلك وعجبت منه ، فلما رآنى كذلك خرج وتركنى . ثم وجّه إلىّ بخبز ولحم
وما يصلحنى ، وقال : اطبخيه ، فتركتُه ولم أمسّه ، ثم عاد فطبخه ، وأصلح أمر
منزله ، فدقّ الباب داقٌّ ؛ فخرج إليه فإذا رجل يسأله ، ويقول له :
هذه القادمة عليك تُحسن أن تصلح من أمر النساء شيئًا ؟ فسألنى فقلت :
نعم ، فقال : امضى معى ، فمضيت فأدخلنى داراً ، وإذا امرأة تطلق ، فقعدت بين
يديها ، وجعلت أكلّمها ، فلا تكلّمنى ، فقال لى الرجل الذى جاء بى إليها :
ما عليك من كلامها ، أصلحى أمر هذه ، ودَعِى كلامها ، فأقمتُ حتى
ولدت غلامًا ، وأصلحتُ من شأنه ، وجعلت أكلّمها وأتلطف بها
وأقول لها : يا هذه ، لا تحتشمينى ؛ فقد وجب حقّى عليك ، أخبرينى خبرك
وقصّتك ومَن والد هذا الصبىّ [٢] ، فقالت : تسألينى عن أبيه لتطالبيه بشىء
يهبه لك ! فقلت : لا ، ولكن أحبّ أن أعلم خبرك ، فقالت لى : إنى امرأة
هاشميّة — ورفعَتْ رأسها ؛ فرأيت أحسَن الناس وجهاً — وإن [٣] هؤلاء ٣/٢٢٢٨
القوم أتَوْنا ، فذبحوا أبى وأمىّ وإخوتى وأهلى جميعًا ، ثم أخذنى رئيسهم ،
فأقمتُ عنده خمسة أيام ، ثم أخرجنى ، فدفعنى إلى أصحابه ، فقال : طهّروها
فأرادوا قتلى ، فبكيتُ. وكان بين يديه رجل من قوّاده ، فقال : هبها لى ، فقال :
خذها ، فأخذنى ، وكان بحضرته ثلاثة أنفس قيام من أصحابه ، فسلّوا سيوفهم ،
وقالوا : لا نسلّمها إليك ؛ إمّا أن تدفعَها إلينا ، وإلاّ قتلناها . وأرادوا قتلى ،
وضجّوا ، فدعاهم رئيسهم القرمطىّ ، وسألهم عن خبرهم فخبّروه ،
فقال : تكون لكم أربعتكم ، فأخذونى ، فأنا مقيمة معهم أربعتهم ، والله ما
أدرى ممّن هو هذا الولد منهم !

---

(١) ب : « حدثينى » . (٢) ب : « هذا الفتى » .
(٣) س : « وقالت إن » .

قالت : فجاء بعد المساء رجل فقالت لى : هنّيه فهنأته بالمولود ، فأعطانى سبيكة فضة ، وجاء آخر وآخر ، أهنّئ كلّ واحد منهم ، فيعطينى سبيكة فضة ؛ فلما كان فى السحر جاء جماعة مع رجل وبين يديه شمع ، وعليه ثياب خزّ تفوح منه رائحة المسك ، فقالت لى : هنّيه ، فقمت إليه ، فقلت : بيّض الله وجهك ، والحمد لله الذى رزقك هذا الابن ، ودعوت له ، فأعطانى سبيكة فيها ألف درهم ، وبات الرجل فى بيت ، وبتّ مع المرأة فى بيت ، فلما أصبحت قلت للمرأة : يا هذه ، قد وجب عليك حقّى ، فالله الله فىّ ، خلصينى ! قالت : ممّ[1] أخلصك ؟ فخبّرتُها خبر ابنى ، وقلت لها : إنى جئتُ راغبة إليه ، وإنه قال لى كيت وكيت ، وليس فى يدى منه شىء ، ولى بنات ضِعاف[2] خلفتهنّ بأسوأ حال ، فخلّصينى من هاهنا لأصلَ إلى بناتى ، فقالت : عليك بالرّجل الذى جاء آخر القوم ، فسليه ذلك ، فإنه يخلصك . فأقمتُ يومى إلى أن أمسيتُ ؛ فلما جاء تقدّمت إليه ، وقبّلتُ يده ورجله ، وقلت : يا سيّدى قد وجب حقّى عليك ، وقد أغنانى الله على يديك بما أعطيتنى ، ولى بنات ضِعاف فقراء ، فإن أذنت لى أن أمضىَ فأجيئك ببناتى حتى يخدمنك ويكنّ بين يديك ! فقال : وتفعلين ؟ قلت : نعم ، فدعا قومًا من غلمانه ، فقال : امضوا معها حتى تبلغوا بها موضع كذا وكذا ، ثم اتركوها وارجعوا . فحملونى على دابّة ، ومضوا بى . قالت : فبينما نحن نسير ، وإذا أنا بابنى يركُض ، وقد كنا سِرْنا عشرة فراسخ — فيما خبّرنى به القوم الذين معى — فلحقنى وقال : يا فاعلة ، زعمتِ أنك تمضين وتجيئين ببناتك ! وسلّ سيفه ليضربنى ؛ فمنعه القوم ، فلحقنى طرف السيف ، فوقع فى كتفى ، وسلّ القوم سيوفَهم ، فأرادوه ، فتنحّى عنى . وساروا بى حتى بلغوا بى الموضع الذى سمّاه لهم صاحبهم ، فتركونى ومضوا ، فتقدّمت إلى ها هنا وقد طفتُ لعلاج جرحى ، فوُصف لى هذا الموضع ، فجئت إلى ها هنا . قالت : ولما قدم أمير المؤمنين بالقرمطىّ وبالأسارى من أصحابه خرجتُ لأنظر[3] إليهم ؛ فرأيت ابنى فيهم على جمل ؛

٣/٢٢٢٩ ٣/٢٢٣٠

(١) س : « بمن » . (٢) س : « ضعفاء » .
(٣) س : « انظر » .

عليه برنس وهو يبكي وهو فتًى شابٌّ ، فقلت له : لا خفّف الله عنك ولا خلّصك ! قال المتطبّب : فقمت معها إلى المتطبّبة لما جاءت ، وأوصيتُها بها ، فعالجت جرحَها وأعطَتْها مَرهمًا ، فسألت المتطبّبة عنها بعد منصرفها ، فقالت : قد وضعت يدى على الجرح ، وقلت : انفحى ، فنفحت فخرجتُ الريح من الجرح من تحت يدى ، وما أراها تبرأ منه ، ومضت فلم تعد إلينا .

ولإحدى عشرة بقيتْ من شوّال من هذه السنة ، قبض القاسم بن عبيد الله على الحسين بن عمرو النصرانىّ ، وحبسه ، وذلك أنه لم يزل يسعى فى أمره إلى المكتفى ، ويقدح فيه عنده ؛ حتى أمره بالقبض عليه ، وهرب كاتب الحسين ابن عمرو حين قبض على الحسين المعروف بالشيرازىّ ، فطُلب وكُبِست منازل جيرانه ، ونُودى : مَنْ وجده فله كذا وكذا ، فلم يوجد .

ولسبع بقين منه صُرف الحسين بن عمرو إلى منزله ، على أن يخرج من بغداد . وفى الجمعة التى بعدها خرج الحسين بن عمرو وحُدِر إلى ناحية واسط على وجه النفى ، ووُجد الشيرازىُّ كاتبه لثلاث خلون من ذى القعدة .

ولليلتين خلتا من شهر رمضان من هذه السنة أمر المكتفى بإعطاء الجند أرزاقَهم والتأهّب للشخوص لحرب[1] القرمطىّ بناحية الشأم ، فأطلق للجند فى دفعة واحدة مائة ألف دينار ؛ وذلك أنّ أهل مصر كتبوا إلى المكتفى يشكُون ما لقُوا من ابن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ، وأنه قد أخرب البلاد ، وقتل الناس ، وما لَقُوا من أخيه قبله وقتلهما رجالهم ، وأنه لم يبق منهم إلا العدد اليسير . ٣/٢٢٣١

ولخمس خلوْن من شهر رمضان أخرِجت مضارب المكتفى ، فضُربت بباب الشماسيّة .

ولسبع خلوْن منه خرج المكتفى فى السّحَر إلى مضربه بباب الشّماسية ، ومعه قواده وغلمانه وجيوشه .

ولاثنتى عشرة ليلة من شهر رمضان ، رحل المكتفى من مضربه بباب الشماسيّة فى السَّحَر ، وسلك طريق الموصِل .

---

(١) س : « إلى حرب » .

وللنصف من شهر رمضان منها مضى أبو الأغرّ إلى حلب ، فنزل وادى بُطْنَان قريبًا من حلَب ، ونزل معه جميع أصحابه ، فنزع — فيما ذُكر — جماعة من أصحابه ثيابهم ، ودخلوا الوادى يتبرّدون بمائه ؛ وكان يومًا شديدالحرّ ؛ فبيناهم كذلك إذ وافَى جيش القرمطىّ المعروف بصاحب الشامة ، وقد بدرهم المعروف بالمطوَّق ، فكبَسهم على تلك الحال ، فقتل منهم خلقًا كثيراً وانتهب العسكر ، وأفلت أبو الأغرّ فى جماعة من أصحابه ، فدخل حلَب ، وأفلت معه مقدار ألف رجل ، وكان فى عشرة آلاف بين فارس وراجل ، وكان قد ضُمّ إليه جماعة ممّن كان على باب السلطان من قوّاد الفراغنة ورجالهم ، فلم يفلِتْ منهم إلا اليسير . ثم صار أصحاب القرمطىّ إلى باب حلَب ، فحاربهم أبو الأغرّ ومَن بقِىَ معه من أصحابه وأهل البلد ، فانصرفوا عنه بما أخذُوا من عسكره من الكُراع والسلاح والأموال والأمتعة بعد حرب كانت بينهم ، ومضى المكتفى بمَنْ معه من الجيش حتى انتهى إلى الرّقة ، فنزلها ، وسرّح الجيوش إلى القرمطىّ جيشًا بعد جيش . ٣/٢٢٣٢

ولليلتين خلتا من شوّال ورد مدينة السلام كتابٌ من القاسم بن عبيد الله ، يخبر فيه أن كتابًا ورد عليه من دمشق من بدر الحمامىّ صاحب ابن طولون ، يخبر فيه أنه واقع القرمطىّ صاحب الشامة ، فهزمه ووضع فى أصحابه السيف ، ومضى مَنْ أفلت منهم نحو البادية ، وأنّ أمير المؤمنين وجّه فى أثره الحسين بن حمدان بن حمدون(١) وغيره من القوّاد .

وورد أيضًا فى هذه الأيام — فيما ذكر — كتاب من البحرين من أميرها ابن بانوا ، يذكر فيه أنه كبس حصنا للقرامطة ، فظَفر بمن فيه .

ولثلاث عشرة خلت من ذى القعدة منها — فيما ذكر — ورد كتاب آخر من ابن بانوا من البحرين ، يذكر فيه أنه واقع قرابة لأبى سعيد الجنابىّ ، ولىّ عهده من بعده على أهل طاعته ، فهزمه . وكان مقام هذا المهزوم بالقطيف فوُجد بعدما انهزم أصحابه قتيلا بين القتلى ، فاحتزّ رأسه ، وأنه دخل القطيف فافتتحها .

---

(١) ب : « أحمد » .

ومن كتب صاحب الشامة إلى بعض عماله :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أحمد بن عبد الله المهدىّ المنصور بالله الناصر لدين الله القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله ، الداعى إلى كتاب الله ، الذابّ عن حرم الله ، المختار من ولد رسول الله أمير المؤمنين ٢٢٢٣/٣ وإمام المسلمين ، ومذلّ المنافقين خليفة الله على العالمين ، وحاصد الظالمين ، وقاصم المعتدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسراج المبصرين ، وضياء المستضيئين ، ومشتّت المخالفين ، والقيّم بسنة سيد المرسلين ، وولد خير الوصيّين ، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيّبين ، وسلم كثيراً ، إلى جعفر بن حميد الكردىّ :

سلام عليك ؛ فإنىّ أحمَدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلّىَ على جَدّى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما بعد ؛ فقد أُنهِىَ إلينا ماحدث قبَلك من أخبار أعداء الله الكفَرة ، وما فعلوه بناحيتك ، وأظهروه من الظلم والعَيْث والفساد فى الأرض ، فأعظمنا ذلك ، ورأينا أن ننفذ إلى ما هناك من جيوشنا مَنْ ينقم الله به من أعدائه الظالمين ، الذين يسعوْن فى الأرض فساداً ، وأنفذنا عُطيراً داعيتَنا وجماعة من المؤمنين إلى مدينة حمص ، وأمددناهم بالعساكر ، ونحن فى أثرهم ، وقد أوعزنا إليهم فى المصير إلى ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا ، ونحن نرجو أن يُجريَنا الله فيهم على أحسن عوائده عندنا فى أمثالهم ؛ فينبغى أن تشدّ قلبك وقلوب مَنْ معك من أوليائنا ، وتثق بالله وبنصره الذى لم يزل يعوّدناه فى كل من مرق عن الطاعة وانحرف ٢٢٢٤/٣ عن الإيمان ، وتبادر إلينا بأخبار الناحية ، وما يتجدّد فيها ، ولا تُخْفِ عنى شيئاً من أمرها إن شاء الله .

سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على جدّى محمد رسول الله ، وعلى أهل بيته وسلم كثيراً .

* * *

نسخة كتاب عامل له إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله أحمد الإمام المهدىّ المنصور بالله ، ثم الصدر كلّه على مثال نسخة صدر كتابه إلى عامله الذى حكينا فى الكتاب الذى قبل هذا

الكتاب، إلى ولد خير الوصيّين صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين وسلم كثيراً .

ثم بعد ذلك من عامر بن عيسى العنقانىّ .

سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ؛ أما بعد أطال الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام الله عزّه وتأييده، ونصره وسلامته ، وكرامته ونعمته وسعادته، وأسبغ نعمه عليه ، وزاد فى إحسانه إليه ، وفضْله لديه . فقد كان وصل كتاب سيّدى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، يُعلِمه فيه ما كان من نفوذ بعض الجيوش المنصورة مع قائد من قوّاده إلى ناحيتنا لمجاهدة أعداء الله بنى الفصيص والخائن ابن دُحيم ، وطلبهم حيث كانوا ، والإيقاع بهم وبأسبابهم وضياعهم ، ويأمرنى ٣/٢٢٣٥ أدام الله عزّه عند نظرى فى كتابه بالنهوض فى كلّ من قدرتُ عليه من أصحابى وعشائرى للقائهم ومكانفة الجيش ومعاضدتهم والمسير بسيرهم، والعمد كلّ ما يُومون إليه ويأمرون به ، وفهمتُه ، ولم يصل إلىّ هذا الكتاب أعز الله أمير المؤمنين حتى وافت الجيوش المنصورة؛ فنالت طرفًا من ناحية ابن دُحيم، وانصرفوا بالكتاب الوارد عليهم من مسرور بن أحمد الدّاعية ليلقوْه بمدينة أفاميَة . ثم ورد علىّ كتاب مسرور بن أحمد فى درجة الكتاب الذى اقتصصتُ ما فيه فى صدر كتابى هذا، يأمرنى فيه بجمع من تهيأ مَنْ أصحابى وعشيرتى والنهوض إلى ما قِبَله، ويحذّرنى التخلّف عنه . وكان ورود كتابه علىّ وقتَ صحّ عندنا نزول المارق سُبُك عبد مفلح مدينة عَرْقة فى زهاء ألف رجل، ما بين فارس وراجل . وقد شارف بلدنا ، وأطلّ على ناحيتنا، وقد وجّه أحمد بن الوليد عبد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه إلى جميع أصحابه ، ووجّهت إلى جميع أصحابى ، فجمعناهم إلينا ، ووجّهنا العيون إلى ناحية عَرْقة لنعرف أخبار هذا الخائن، وأين يريد، فيكون قصدنا ذلك الوجه ، ونرجو أن يُظفر الله به، ويمكّن منه بمنه وقدرته .

ولولا هذا الحادث، ونزول هذا المارق فى هذه الناحية ، وإشرافه على بلدنا لما تأخرّت فى جماعة أصحابى عن النهوض إلى مدينة أفاميَة، لتكون يدى مع أيدى ٣/٢٢٣٦ القوّاد المقيمين بها لمجاهدة[1] مَن بتلك الناحية حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . وأعلمت سيدى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه السبب فى تخلّفى عن

---

(١) ب . س : « المجاهدة » .

مسرور بن أحمد، ليكونَ على علم منه . ثم إن أمرنى أدام الله عزه بالنفوذ إلى أفامية كان نفوذى برأيه ، وامتثلتُ ما يأمرنى به إن شاء الله . أتمّ الله على أمير المؤمنين نعمه وأدام عزّه وسلامته ، وهنّأه كرامته، وألبسه عفوه وعافيته.

والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته؛ والحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على محمد النبى وعلى أهل بيته الطاهرين الأختيار .

وفيها وجّه القاسم بن عبيد الله الجيوشَ إلى صاحب الشامة ، وولّى حربه محمد بن سليمان الكاتب الذى كان إليه ديوان الجيش ، وضمّ جميع القواد إليه ، وأمرهم بالسمع له والطاعة ، فنفذ من الرّقة فى جيش كثيف ، وكتب إلى مَن تقدمه من القوّاد بالسمع له والطاعة .

* * *

وفيها ورد رسولا صاحب الروم ؛ أحدهما خادم، والآخر فحل ، يسأله الفِداء بمن فى يده من المسلمين أسير ، ومعهما هدايا من صاحب الروم وأسارى من المسلمين بعث بهم إليه ، فأجبنا إلى ما سألا ، وخلع عليهما .

وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس ابن محمد .

٣/٢٢٣٧

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور[١] الجليلة

* * *

[ذكر خبر الوقعة بين أصحاب السلطان وصاحب الشامة]

فمن ذلك ما كان من أمر الوقعة بين أصحاب السلطان وصاحب الشامة .

ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

قال أبو جعفر : قد مضى ذكرى شخوصَ المكتفى من مدينة السلام نحو صاحب الشامة لحربه ومصيره إلى الرّقة ، وبثه جيوشَه فيما بين حلب وحِمْص ، وتولِيته حرب صاحب الشامة محمد بن سليمان الكاتب وتصييره أمْرَ جيشه وقوّاده إليه ؛ فلما دخلت هذه السنة كتب وزيره القاسم بن عبيد الله إلى محمد ابن سليمان وقوّاد السلطان يأمره وإيّاهم بمناهضة ذى الشامة وأصحابه ، فساروا إليه حتى صاروا[٢] إلى موضع بينهم وبين حَماة — فيما قيل — اثنا عشر ميلا ، فلقُوا به أصحابَ القرمطىّ فى يوم الثلاثاء لست خلَوْن من المحرّم ، وكان القرمطىّ قدّم أصحابه وتخلّف هو فى جماعة من أصحابه ، ومعه مالٌ قد كان جمعه ، وجعل السَّواد وراءه ، فالتحمت الحرب بين أصحاب السلطان وأصحاب القرمطىّ ، واشتدّت ، فهُزم أصحاب القرمطىّ، وقتِلوا، وأسِرَ من رجالهم بشرٌ كثير ، وتفرّق الباقون فى البوادِى ، وتَبِعهم أصحابُ السلطان ليلة الأربعاء لسبع خلوْن من المحرّم . فلمّا رأى القرمطىّ ما نزل بأصحابه من الفُلول والهزيمة حمّل — فيما قيل — أخًا له يكنى أبا الفضل مالا ، وتقدّم إليه أن يلحق بالبوادى إلى أن يظهر فى موضع ، فيصير إليه ،وركب هو وابن عمّه المسمّى المدثّر والمطوّق صاحبه وغلام له رومىّ.وأخذ دليلا ، وسار يريد الكوفة عرَضًا فى البريّة، حتى انتهى إلىموضع يعرف بالدّاليّةمن أعمال طريق الفُرات،

٣/٢٢٣٨

---

(١) س : « الأحداث » . (٢) س : « إلى أن صاروا » .

فنفد ما كان معهم من الزّاد والعلف ، فوجّه بعض مَن كان معه ليأخذ له ما يحتاجون إليه ، فدخل الدالية المعروفة بدالية ابن طَوْق لشراء حاجته ، فأنكروا زيّه ، وسُئِل عن أمره فجمجم (١) ، فأعلِم المتولى مسلحة هذه الناحية بخبره ، وهو رجل يعرف بأبى خُبْزَة خليفة أحمد بن محمد بن كُشْمَرْد عامل أمير المؤمنين المكتفى على المعاون بالرّحبة وطريق الفرات . فركب فى جماعة ، وسأل هذا الرجل عن خبره ، فأخبره أن الشامة خلف رابية هنالك فى ثلاثة نفر .

فمضى إليهم ، فأخذهم وصار بهم إلى صاحبه ، فتوجّه بهم ابن كُشْمَرْد وأبو خبزة إلى المكتفى بالرّقة ، ورجعت الجيوش من الطلب بعد أن قتلوا وأسروا جميعَ مَنْ قدروا عليه من أولياء القرمطىّ وأشياعه ، وكتب محمد بن سليمان إلى الوزير بالفتح :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد تقدّمت كتبى إلى الوزير أعزه الله فى خبر القرمطىّ اللعين وأشياعه ؛ بما أرجو أن يكون قد وصل إن شاء الله . ولمّا كان فى ٢٢٣٩/٣ يوم الثلاثاء لست ليال خلون من المحرّم رحلتُ من الموضع المعروف بالقروانة ، نحو موضع يعرف بالعليانة ، فى جميع العسكر من الأولياء ، وزحفْنا بهم على مراتبهم فى القلب والميمنة والميسرة وغير ذلك ؛ فلم أبعد أن وافانى الخبر بأن الكافر القرمطىّ أنفذ النعمان ابن أخى إسماعيل بن النعمان أحد دعاته فى ثلاثة آلاف فارس ، وخلْق من الرّجّالة ، وإنه نزل بموضع يعرف بتمنع ، بينه وبين حماة اثنا عشر ميلاً ، فاجتمع إليه جميع مَنْ كان بمعرّة النعمان وبناحية الفصيصىّ وسائر النواحى من الفرسان والرّجّالة ، فأسررت ذلك عن القوّاد والناس جميعًا ولم أظهره ، وسألتُ الدّليلَ الذى كان معى عن هذا الموضع ، وكم بيننا وبينه ، فذكر أنه ستة أميال ، فتوكلّت على الله عزّ وجلّ ، وتقدّمت إليه فى المسير نحوه ، فمال بالناس جميعًا ، وسرنا حتى وافيتُ الكفرة ، فوجدتهم على تعبئة ، ورأينا طلائعهم . فلمّا نظروا إلينا مقبلين زحفوا نحونا ، وسرنا إليهم ، فافترقوا ستّة كراديس ، وجعلوا على ميسرتهم — على ما أخبرنى من ظفرتُ به من رؤسائهم — مسروراً العُليصىّ وأبا الحمل وغلام هارون العُليصىّ ، وأبا

(١) قال فى اللسان : « مجمج بى يمجمج ؛ إذا ذهب بك فى الكلام مذهباً غير الاستقامة وردك من حال إلى حال » .

العذاب ورجاء وصافى وأبا يعلى العلوىّ ، فى ألف وخمسمائة فارس ، وكمنوا كميناً فى أربعمائة فارس خلْف ميسرتهم بإزاء ميمنتنا ، وجعلوا فى القلب النعمان العُليصىّ والمعروف بأبى الحَطّى ، والحمارىّ وجماعة من بطلانهم فى ألف ٣/٢٢٤٠ وأربعمائة فارس وثلاثة آلاف راجل ، وفى ميمنتهم كليبًا العليصىّ والمعروف بالسديد العليصىّ والحسين بن العليصى وأبا الجراح العليصى وحميد العليصىّ ، وجماعة من نظرائهم فى ألف وأربعمائة فارس ، وكمنوا مائتى فارس ؛ فلم يزالوا زِفًّا إلينا ونحن نسير نحوهم غير متفرّقين ، متوكلّين على الله عزّ وجل . وقد استحثثتُ الأولياء والغلمان وسائر الناس غيرهم ، ووعدتهم . فلما رأى بعضُنا بعضًا حمل الكردوس الذى كان فى ميسرتهم ضربًا بالسياط ، فقصد الحسين بن حمدان ، وهو فى جناح الميمنة ، فاستقبلهم الحسين — بارك الله عليه وأحسن جزاءه — بوجهه وبموضعه من سائر أصحابه برماحهم ، فكسروها فى صدورهم ، فانفلّوا عنهم ، وعاود القرامطة الحمل عليهم ، فأخذوا السيوف ، واعترضوا ضربًا للوجوه ، فصُرِع من الكفار الفجرة ستمائة فرس (١) فى أوّل وقعة ، وأخذ أصحاب الحسين خمسمائة فرس وأربعمائة طوْق فضة ، وولّوْا مدبرين مفلولين ، واتّبعهم الحسين ، فرجعوا عليه ، فلم يزالوا حملة وحملة ، وفى خلال ذلك يصرع منهم الجماعة بعد الجماعة ؛ حتى أفناهم الله عزّ وجلّ ، فلم يفلت منهم إلاّ أقل من مائتى رجل .

وحمل الكردوس الذى كان فى ميمنتهم على القاسم بن سيما ويُمْن الخادم ومَنْ كان معهما من بنى شيبان وبنى تميم ، فاستقبلوهم بالرّماح حتى كسرُوها(٢) ٣/٢٢٤١ فيهم ؛ واعتنق بعضُهم بعضاً ، فقتِل من الفجرة جماعةٌ كثيرة . وحمل عليهم فى وقت حملتهم خليفة بن المبارك ولؤلؤ ، وكنت قد جعلته جناحًا لخليفة فى ثلثمائة فارس ، وجميع أصحاب خليفة ؛ وهم يعاركون بنى شيبان وتميم ، فقتِل من الكفرة مقتلة عظيمة ، واتّبعوهم ، فأخذ بنو شيبان منهم ثلثمائة فرس ومائة طوْق ، وأخذ أصحاب خليفة مثلَ ذلك ؛ وزحف النعمان ومَنْ معه فى القلْب إلينا ، فحملتُ ومَنْ معى ، وكنت بين القلب والميمنة ، وحمل خاقان

---

(١) س : « فارس » . (٢) ب : « وكسروها » .

ونصر القشورىّ ومحمد بن كُمُشْجُور ومَنْ كان معهم فى الميمنة ، ووصيف مُوشكير ومحمد بن إسحاق بن كُنْداجيق وابنا كَيْغلَغ والمبارك القمّى وربيعة بن محمد ومهاجر بن طليق والمظفّر بن حاج وعبد الله بن حمدان وحىّ الكبير ووصيف البكتمرىّ وبشر البكتمرىّ ومحمد بن قَراطُغان .

وكان فى جناح الميمنة جميعُ من حمل على مَنْ فى القلب ومَن انقطع ممّن كان حمل على الحسين بن حمدان ، فلم يزالوا يقتلون الكفار فرسانهم ورجّالتهم حتى قُتلوا أكثر من خمسة أميال . ولما أن تجاوزتُ المصافّ بنصف ميل خفتُ أن يكون من الكفار مكيدة فى الاحتيال على الرّجالة والسواد ، فوقفتُ إلى أن لحقونى. وجمعتهم وجمعت الناس، إلىّ وبين يدى المطرد المبارك ، مطرد أمير المؤمنين ،وقد حملت فى الوقت الأول ، وحمل الناس. ولم يزل عيسى النوشرى ضابطًا للسواد من مصافّ[1] خلفهم مع فرسانه ورجّالته على ما رسمتُه له ، لم يـَزُل من موضعه إلى أن رجع الناس جميعًا إلىّ من كلّ موضع ، وضربت مضربى فى الموضع الذى وقفت فيه ؛ حتى نزل الناس جميعًا ، ولم أزل واقفاً إلى أن صلّيتُ المغربَ ، حتى استقرّ العسكر بأهلِه ، ووجّهت فى الطلائع ثم نزلت ؛ وأكثرت حمد الله على ما هنّأنا به من النصر ، ولم يـُبق أحد من قوّاد أمير المؤمنين وغلمانه ولا العجم وغيرهم غاية فى نصر هذه الدولة المباركة فى المناصحة لها إلاّ بلغوها ؛ بارك الله عليهم جميعًا !

٢٢٤٢/٣

ولمّا استراح الناس خرجت والقوّاد جميعًا لنقيم خارج العسكر إلى أن يصبح الناس خوفًا من حيلة تقع ،وأسأل الله تمام النعمة وإيزاع الشكر ؛ وأنا — أعزّ الله سيدنا الوزير — راحل إلى حَماة ،ثم أشخص إلى سلمية بمنّ الله تعالى وعونه ، فمن بـَقِىَ من هؤلاء الكفار مع الكافر فهم بسلمية ؛ فإنه قد صار إليها منذ ثلاثة أيام ،وأحتاج إلى أن يتقدم الوزير بالكتاب إلى جميع القوّاد وسائر بطون العرب من بنى شَيْبان وتغلب وبنى تميم، يجزيهم جميعًا الخير على ما كان فى هذه الوقعة ؛ فما بقّىَ أحد منهم — صغير ولا كبير —غاية، والحمد لله على ما تفضّل به ، وإياه أسأل تمامَ النعمة .

(١) س : « فى مضاف » .

ولما تقدّمت فى جمع الرءوس، وُجِد رأس أبى الحمل ورأس أبى العذاب
٣/٢٢٤٣ وأبى البغل. وقيل إن النعمان قد قُتِل؛ وقد تقدّمت فى طلبه، وأخذ رأسه
وحمله[1] مع الرءوس إلى حضرة أمير المؤمنين إن شاء الله.

وفى يوم لاثنين الأربع بقين من المحرّم، أدخِل صاحب الشامة إلى الرّقة ظاهراً للناس على فالج، عليه برنس حرير ودرّاعة ديباج، وبين يديه المدّثر والمطوّق على جملين.

ثم إن المكتفى خلّف عساكره مع محمد بن سليمان، وشخص فى خاصّته وغلمانه وخدمه، وشخص معه القاسم بن عبيد الله من الرّقة إلى بغداد، وحمل معه القرمطىّ والمدثّر والمطوّق وجماعة من أسارى[2] الوقعة، وذلك فى أول صفر من هذه السنة.

فلما صار إلى بغداد عزم — فيما ذكر — على أن يدخل القرمطىّ مدينة السلام مصلوبًا على دَقَل، والدّقل على ظهر فيل؛ فأمر بهدم طاقات الأبواب التى يجتاز بها الفيل، إن كانت أقصر من الدّقل؛ وذلك مثل باب الطاق وباب الرّصافة وغيرهما.

ثم استسمج المكتفى — فيما ذكر — فعل ما كان عزم عليه من ذاك، فعمل له دميانة — غلام يا زَمان — كرسيًّا، وركّب الكرسىّ على ظهر الفيل، وكان ارتفاعه عن ظهر الفيل ذراعيْن ونصف ذراع — فيما قيل — ودخل المكتفى مدينة السلام بغداد صبيحة يوم الاثنين لليلتين خلَتا من شهر ربيع الأول، وقُدّم الأسرى بين يديه على جمال مقيّدين، عليهم دراريع حرير وبرانس حرير، والمطوّق فى وسطهم، غلام ما خرجتْ لحيته، قد جُعل فى فيه خشبة مخروطة، وشُدّت
٣/٢٢٤٤ إلى قفاه كهيئة اللجام، وذلك أنه لما أدخِل الرّقة كان يشتم الناس إذا دعوا عليه، ويبزق عليهم، ففُعِل ذلك به لئلا يشتم إنسانًا.

ثم أمر المكتفى ببناء دكّة فى المصلّى العتيق من الجانب الشرقىّ، تكسيرها عشرون ذراعًا فى عشرين ذراعًا، وارتفاعها نحو من عشرة أذرُع، وبنِىَ

---

(١) ب: «ويحمله». (٢) س: «أسرى».

لها درج يصعد منها إليها . وكان المكتفى خلّف مع محمد بن سليمان عساكره بالرّقة عند منصرَفه إلى مدينة السلام، فتلقّط محمد بن سليمان مَنْ كان فى تلك الناحية من قُوّاد القرمطىّ وقضاته وأصحاب شُرَطه، فأخذهم وقيّدهم، وانحدر والقوّاد الذين تخلّفوا معه إلى مدينة السلام على طريق الفرات، فوافى باب الأنبار ليلة الخميس لاثنتى عشرة خلت من شهر ربيع الأول، ومعه جماعة من القوّاد، منهم خاقان المفلحىّ ومحمد بن إسحاق بن كنداجيق وغيرهما : فأمِر القوّاد الذين ببغداد بتلقّى محمد بن سليمان والدخول معه ، فدخل بغداد وبين يديه نيّف وسبعون أسيراً، حتى صار إلى الثريّا ، فخُلع عليه، وطُوّق بطوق من ذهب وسُوّر بسوارين من ذهب ، وخُلِع على جميع القوّاد القادمين معه ، وطُوّقوا وسُوّروا وصُرفوا إلى منازلهم ، وأمِر بالأسرى إلى السجن .

وذكر عن صاحب الشامة أنه أخذَ وهو فى حبس المكتفى سكرّجة من المائدة الّتى تدخل إليه فكسرها ، وأخذ شظيّة منها فقطع بها بعض عروق نفسه ، فخرج منه دم كثير ، ثم شدّ يده . فلما وقف المولّى خدمته على ذلك سأله : لمَ فعل ذلك ؟ فقال : هاج بى[1] الدم فأخرجته . فترِك حتى صلح ، ورجعت إليه قوّته .

٣/٢٢٤٥

ولما كان يوم الاثنين لسبع بقين من شهر ربيع الأوّل أمر المكتفى القوّاد والغلمان بحضور الدّكة التى أمر ببنائها ، وخرج من الناس خلقٌ كثير لحضورها ، فحضروها ، وحضر أحمد بن محمد الواثقىّ وهو يومئذ يلى الشرطة بمدينة السلام ومحمد بن سليمان كاتب الجيش الدّكة ، فقعدا عليها، وحمِل الأسرى[2] الذين جاء بهم المكتفى معه من الرّقة والذين جاء بهم محمد بن سليمان ومَنْ كان فى السجن من القرامطة الذين جُمعوا من الكوفة ، وقومٌ من أهل بغداد كانوا على رأى القرامطة، وقومٌ من الرّفوغ من سائر البلدان من غير القرامطة — وكانوا قليلا — فجىء بهم على جمال، وأحضِروا الدّكة ، ووقفوا على جمالهم، ووكّل بكلّ رجل منهم عونان ، فقيل : إنهم كانوا ثلثمائة ونيّفاً وعشرين ، وقيل ثلثمائة وستين ، وجىء بالقرمطىّ الحسين بن زكرويه المعروف

---

(١) س : « فى الدم » . (٢) س : « الأسرى » .

بصاحب الشامة ؛ ومعه ابن عمه المعروف بالمدّثر على بغل فى عمارية ، وقد أسبِل عليهما الغشاء ، ومعهما جماعة من الفرسان والرّجّالة ، فصعِد بهما إلى الدكة وأقعِدا ، وقدّم أربعة وثلاثون إنسانا من هؤلاء الأسارى ، فقُطعت أيديهم وأرجلهم ، وضُربت أعناقهم واحداً بعد واحد ، كان يؤخذ الرجل فيبطح على وجهه فيقطع يمنى يديه ، ويحلّق بها إلى أسفل ليراها الناس ، ثم تُقطع رجله اليسرى ، ثم يسرى يديه ، ثم يمنى رجليه ، ويُرمى بما قطِع منه إلى أسفل ، ثم يقعَد فيمدّ رأسه ، فيضرَب عنقه ، ويرمَى برأسه وجثته إلى أسفل . وكانت جماعة من هؤلاء الأسرى قليلة يضجّون ويستغيثون ، ويحلفون أنهم ليسوا من القرامطة .

٢٢٤٦/٣

فلما فُرِغ من قتل هؤلاء الأربعة والثلاثين النفس — وكانوا من وجوه أصحاب القرمطىّ — فيما ذكر — وكبرائهم قُدّم المدّثر ، فقطِعت يداه ورجلاه وضربت عنقه ، ثم قدّم القرمطىّ فضُرِب مائتى سوط ، ثم قطِعت يداه ورجلاه ، وكوِىَ فغُشِىَ عليه ، ثم أخِذ خشب فأضرمت فيه النار ، ووُضع فى خواصره وبطنه ، فجعل يفتح عينيه ثم يغمضهما ؛ فلما خافوا أن يموت ضُربت عنقه ، ورُفع رأسه على خشبة ، وكبّر مَن على الدكة وكبّر سائر الناس . فلما قُتِل انصرف القوّاد ومَنْ كان حضر ذلك الموضع للنظر إلى ما يُفعل بالقرمطىّ . وأقام الواثقىّ فى جماعة من أصحابه فى ذلك الموضع إلى وقت العشاء الآخرة ، حتى ضُرب أعناق باقى الأسرى الذين أحضروا الدّكة ؛ ثم انصرف .

فلما كان من غد هذا اليوم حُملت رءوس القتلى من المصلّى إلى الجسر ، وصُلِب بدَن القرمطىّ فى طرف الجسر الأعلى ببغداد ، وحفِرت لأجساد القتلى فى يوم الأربعاء آبار إلى جانب الدّكة ، وطُرحت فيها وطُمّت ، ثم أمِر بعد أيام بهدم الدكة ففُعل .

٢٢٤٧/٣

ولأربع عشرة خلتْ من شهر ربيع الآخر وافى بغداد القاسم بن سيما[١] منصرفًا عن عمله بطريق الفرات ، ومعه رجلٌ من بنى العُلَيص من أصحاب القرمطىّ صاحب الشامة ؛ دخل[٢] إليه بأمان ، وكان أحد دعاة القرمطىّ ،

---

(١) س : « عبيد الله » . (٢) س : « ودخل » .

يكنى أبا محمد . وكان سبب دخوله فى الأمان أنّ السلطان راسلَه ، ووعده الإحسان إن هو دخل فى الأمان ؛ وذلك أنه لم يكن بقى من رءوساء القرامطة بنواحى الشأم غيره ، وكان من موالى بنى العليص ، فرّ وقتَ الوقعة إلى بعض النواحى الغامضة ، فأفلت . ثم رغب فى الدّخول فى الأمان والطاعة خوفاً على نفسه ، فوافَى هو ومَنْ معه مدينة السلام ، وهم نَيّفٌ وستون رجلا ، فأومنوا وأحسِن إليهم ، ووُصِلوا بمال حمِل إليهم ، وأخرِج هو ومَنْ معه إلى رَحبة مالك بن طَوْق مع القاسم بن سيما ، وأجرِيت لهم الأرزاق ، فلما وصل القاسم بن سيما إلى عمله وهم معه ، أقاموا معه مدّة ، ثم أجمعوا على الغدر بالقاسم بن سيما ، وائتمروا به ، ووقف على ذلك من عزمهم ، فبادرهم ووضع السيف فيهم فأبارهم ، وأسِر جماعة منهم ، فارتدع مَنْ بقى من بنى العليص ومواليهم ، وذلّوا ، ولزموا أرض السّماوة وناحيتها مدة حتى راسلهم الخبيث زكرويه ، وأعلمهم أنّ مما أوحى إليه ، أن المعروف بالشيخ وأخاه يُقتلان ، وأن إمامَه الذى يوحَى إليه يظهر بعدهما ويظفر .

* * *

وفى يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الأولى زوّج المكتفى ابنه محمّداً ويكنى أبا أحمد بابنة أبى الحسين القاسم بن عبيد الله على صداقِ مائة ألف دينار . ٣/٢٢٤٨

وفى آخر جمادى الأولى من هذه السنة ورَد — فيما ذكر — كتاب من ناحية جُبّى ، يذكر فيه أن جُبّى وما يليها جاءها سيل فى وادٍ من الجبل ، فغرّق نحواً من ثلاثين فرسخًا ، غرق فى ذلك خلقٌ كثير ، وغرقت المواشى والغَلاّت ، وخرجت المنازل والقُرى ، وأخرِج من الغرقى ألف ومائتا نفس ، سوى من لم يلحق منهم .

وفى يوم الأحد غرّة رجب خلَع المكتفى على محمد بن سليمان كاتب الجيش وعلى جماعة من وجوه القوّاد ، منهم محمد بن إسحاق بن كُنداجيق ، وخليفة بن المبارك المعروف بأبى الأغرّ وابنا كيغَلغ ، وبندقة بن كُمُشجور وغيرهم من القوّاد ، وأمرهم بالسمع والطاعة لمحمد بن سليمان ، وخرج محمد بن

سليمان والخِلَع عليه حتّى نزل مضربه بباب الشماسيّة، وعسكر هنالك ، وعسكر معه جماعة القوّاد الذين أخرجوا وبرزوا ، وكان خروجهم ذلك قاصدين لدمشق[1] ومصر لقبض الأعمال من هارون بن خمارويه ؛ لِما تبيّن للسلطان من ضعفه وضعف مَنْ معه وذهاب رجاله بقتل مَنْ قتل منهم القرمطيّ .

٣/٢٢٤٩ ثم رحل لستّ خلون من رجب محمد بن سليمان من باب الشماسيّة ومن ضمّ إليه من الرجال ، وهم زهاء عشرة آلاف رجل، وأمر بالجدّ فى المسير .

ولثلاث بقين من رجب قرئ فى الجامعين بمدينة السلام كتابٌ ورد من إسماعيل بن أحمد من خراسان ، يذكر فيه أنّ الترك قصدوا المسلمين فى جيش عظيم وخلق كثير ، وأنه كان فى عسكرهم سبعمائة قبّة تركيّة ، ولا يكون ذلك إلاّ للرؤساء منهم ، فوُجّه إليه برجل من قُوّاده فى جيش ضمّه إليه ، ونودى فى الناس بالنّفير ، فخرج من المطّوّعة ناس كثير ، ومضى صاحب العسكر نحو الترك بمَنْ معه، فوافاهم المسلمون وهم غارُّون ، فكبسوهم مع الصّبح ، فقُتِل منهم خلق كثير ، وانهزم الباقون ، واستُبِيح عسكرهم ، وانصرف المسلمون إلى موضعهم سالمين غانمين .

وفى شعبان منها ورد الخبر أنّ صاحب الروم وجّه عشرة صلبان معها مائة ألف رجل إلى الثّغور ، وأن جماعة منهم قصدت نحو الحدث ، فأغاروا وسَبَوْا مَنْ قدروا عليه من المسلمين ، وأحرقوا .

وفى شهر رمضان منها ورد كتاب من القاسم بن سيما من الرّحبة على السلطان . يذكر فيه أن الأعراب الذين استأمنوا إلى السلطان وإليه من بنى العُليص ومواليهم ممن كان مع القرمطىّ نكثوا وغدروا، وأنهم عزموا على أن يكبسوا الرّحبة فى يوم الفطر ، عند اشتغال الناس بصلاة العيد ، فيقتلوا مَنْ يلحقون ، وأن يحرقوا

٣/٢٢٥٠ وينهبوا ، وإنى أوقعت عليهم الحيلة حتى قتلت منهم وأسرت خمسين ومائة نفس، سوى من غَرِق منهم فى الفرات، وإنى قادم بالأسرى وفيهم جماعة من رؤسائهم وبرءوس مَنْ قتِل منهم .

وفى آخر شهر رمضان من هذه السنة ورد كتاب من أبى معدان من الرّقة — فيما

---

(١) س : « إلى دمشق » .

قيل — باتصال الأخبار به من طَرَسوس أنّ الله أظهر المعروف بغلام زرافة في غزاة غزاها الرّوم في هذا الوقت بمدينة تدعى أنطالية ، وزعموا أنها تعادل قسطنطينيّة ، وهذه المدينة على ساحل البحر ، وأن غلام زرافة فتَحها بالسيف عنوة ، وقتل — فيما قيل — خمسة آلاف رجل ، وأسر شبيهًا بعدّتهم ، واستنقذ من الأسارى أربعة آلاف إنسان . وأنه أخذ للروم ستين مركبًا ، فحمّلها ما غنم من الفضة والذهب والمتاع والرقيق ، وأنه قدّر نصيب كلّ رجل حضر هذه الغزاة ، فكان ألف دينار . فاستبشر المسلمون بذلك . وبادرتُ بكتابي هذا ليقف الوزير على ذلك .

وكتب يوم الخميس لعشر خلون من شهر رمضان .

* * *

وأقام الحجّ للناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس ابن محمد .

٢٢٥١/٣

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائتين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما كان من توجيه نزار بن محمد من البصرة إلى السلطان ببغداد رجلاً ذكر أنه أراد الخروج على السلطان، وصار إلى واسط، وأن نزاراً وجّه فى طلبه مَنْ قبض عليه بواسط، وأحدره إلى البصرة، وأنه أخذ بالبصرة قومًا، ذكر أنهم بايعوه. فوجّه نزار جميعهم فى سفينة إلى بغداد، فوقفوا فى فُرْضة البصريّين، ووجّه جماعة من القواد إلى فرضةالبصريين، فحمل هذا الرجل على الفالج، وبين يديه ابن له صبىّ على جمل، ومعه تسعة وثلاثون إنسانًا على جمال، وعلى جماعتهم برانس الحرير ودراريع الحرير، وأكثرهم يستغيث ويبكى، ويحلف أنه برىء، وأنه لا يعرف مما ادّعى عليه شيئًا، وجازوا بهم فى التّمارين وباب الكرخ والخلد حتى وصلوا إلى دارالمكتفى، فأمر بردّهم، وحبسهم فى السجن المعروف بالجديد.

وفى المحرّم منها أغار أنْدرُونقس الرومىّ على مَرْعَش ونواحيها، فنفر أهل المصّيصة وأهل طَرَسوس، فأصيب أبو الرّجال بن أبى بكار فى جماعة من المسلمين.

وفى المحرّم منها صار محمد بن سليمان إلى حدود مصر لحرب هارون بن خمارويه، ووجّه المكتفى دميانة غلام يا زمان من بغداد، وأمره بركوب البحر والمضىّ إلى مصر ودخول النيل، وقطع الموادّ عمّن بمصر[1] من الجند، فمضى ودخل النيل حتّى وصل إلى الجسر، فأقام به، وضيّق عليهم. وزحف إليهم محمد بن سليمان فى الجيوش على الظهر حتّى دنا من الفسطاط، وكاتب القوّاد الذين بها، فكان أوّل مَنْ خرج إليه بدر الحمامىّ. — وكان رئيس القوم — فكسرهم ذلك، ثم تتابع مَنْ يستأمن إليه من قوّاد المصريّين وغيرهم؛ فلما رأى ذلك هارون وبقية مَنْ معه، زحفوا إلى محمد بن سليمان، فكانت بينهم

٢٢٥٢/٣

---

(١) س: «عن مصر».

وَقعات – فيما ذكر – ثم وَقع بين أصحاب هارون فى بعض الأيام عصبيّة فاقتتلوا، فخرج هارون ليُسكتَهم، فرماه بعض المغاربة بزانة فقتله .

وبلغ محمد بن سليمان الخبرُ ، فدخل هو ومَنْ معه الفسطاط ، واحتوى على دور آل طولون وأسبابهم ، وأخذهم جميعًا وهم بضعة عشر رجلا ، فقيّدهم وحبسهم ، واستصفَى أموالهم ، وكتب بالفتح ، وكانت الوقعة فى صفر من هذه السنة .

وكتِب إلى محمد بن سليمان فى إشخاص جميع آل طولون وأسبابهم من القوّاد ، وألا يترك أحداً منهم بمصر ولا بالشأم[1] ، وأن يبعث بهم إلى بغداد. ففعل ذلك .

ولثلاث خلوْن من شهر ربيع الأول منها سقط الحائط الذى على رأس الجسر الأول من الجانب الشرقىّ من الدار التى كانت لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر على الحسين بن زكرويه القرمطىّ ، وهو مصلوب بقرب ذلك الحائط ، فطحنه، فلم يُوجد بعد منه شىء[2] .

٢٢٥٣/٣

وفى شهر رمضان منها ورد الخبر على السلطان بأنّ قائداً من قوّاد المصريّين يُعرف بالخليجىّ ، يسمى إبراهيم، تخلّف عن محمد بن سليمان فى آخر حُدود مصر مع جماعة استمالهم من الجند وغيرهم ، ومضى إلى مصر مخالفًا للسلطان ، وصار معه فى طريقه جماعة تحبّ الفتنة ، حتى كثُر جمعه . فلما صار إلى مصر أراد عيسى النُّوشرىّ محاربته ، وكان عيسى النُّوشرىّ العامل على المعونة بها يومئذ ، فعجز عن ذلك لكثرة من مع الخليجىّ ، فانحاز عنه إلى الإسكندرية وأخلَى مصر فدخلها الخليجىّ .

وفيها ندب السلطان لمحاربة الخليجىّ وإصلاح أمر المغرب فاتكاً مولى المعتضد، وضمّ إليه بدراً الحمامىّ، وجعله مشيراً عليه فيما يعمل به، وضمّ إليه جماعة من القوّاد وجنداً كثيراً .

ولسبع خلون من شوال منها خلِع على فاتك وبدر الحمامىّ لِمَا ندبا إليه من

(١) س : « ولا السام » .   (٢) س : « منه بعد ذلك » .

٣/٢٢٥٤ الخروج إلى مصر ، وأمرا بسرعة الخروج . ثم شخص فاتك وبدر الحمامىّ لاثنتى عشرة خلت من شوال .

وللنصف من شوّال منها دخل مدينة طَرَسُوس رستم بن بردوا واليًا عليها وعلى الثغور الشأمية .

وفيها كان الفداء بين المسلمين والرّوم ، وأوّل يوم من ذلك كان لستّ بقين من ذى القعدة منها ، فكان جملة مَنْ فُودى به من المسلمين — فيما قيل — ألفًا ونحواً من مائتى نفس . ثم غدر الرُّوم ، فانصرفوا، ورجع المسلمون بمن بقى معهم من أسارى الروم، فكان عهد الفداء والهدنة من أبى العشائر والقاضى ابن مكرم؛ فلما كان من أمر أنْدُرُونقس ما كان من غارته على أهل مَرْعش وقتله أبا الرّجال وغيره، عزل أبو العشائر وولِّىَ رستم ، فكان الفداء على يديه ، وكان المتولِّى أمرَ الفداء من قِبَل الروم رجلٌ يدعَى أسطانه .

وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس ابن محمد .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ورود الخبر لخمس بقين من صفر ؛ بأن الخليجيّ المتغلّب على مصر، واقع أحمد بن كَيَغْلَغ وجماعةً من القوّاد بالقرب من العريش، فهزمهم أقبح هزيمة ، فنُدب للخروج إليه جماعة من القوّاد المقيمين بمدينة[1] السلام ، فيهم إبراهيم بن كَيَغْلَغ ، فخرجوا . ٣/٢٢٥٥

ولسبعٍ خلوْنَ[2] من شهر ربيع الأول منها، وافى مدينةَ السلام قائد من قوّاد طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار مستأمنًا ، يعرف بأبي قابوس، مفارقًا عسكر السِّجْزيّة ، وذلك أن طاهر بن محمد — فيما ذكر — تشاغل باللهو والصيد ، ومضى إلى سِجِسْتان للصّيد والنزهة ، فغلب على الأمر بفارس الليث ابن عليّ بن الليث وسبكرى مولى عمرو بن الليث ، ودبّر الأمر في عمل طاهر والاسم له ، فوقع بينهم وبين أبي قابوس تباعُد ، ففارقهم وصار إلى باب السلطان، فقبله السلطان ، وخلع عليه وعلى جماعة معه وحَباه وأكرمه ، فكتب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث إلى السلطان، يسأله ردّ أبي قابوس إليه ، ويذكر أنه استكفاه بعضَ أعمال فارس ، وأنه جَبَى المال ، وخرج به معه ، ويسأل إن لم يردّ إليه أن يحسب له ما ذهب به من مالِ فارس ممّا صُودر عليه ؛ فلم يجبه السلطان إلى شيء من ذلك .

* * *

[ذكر الخبر عن ظهور أخي الحسين بن زكرويه]

وفي هذا الشهر من هذه السنة ورد الخبر أن أخاً للحسين[3] بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ظهر بالدّالية من طريق الفرات في نفر ، وأنه اجتمع إليه نفر من الأعراب والمتلصّصة، فسار بهم نحو دمشق على طريق البرّ، وعاث بتلك الناحية ، وحارب أهلها ، فنُدب للخروج إليه الحسين بن حمدان بن ٣/٢٢٥٦

---

(١) س : « بالمدينة » . (٢) س : « بقين » . (٣) ب : « الحسين » .

حمدون ، فخرج فى جماعة كثيرة من الجند، وكان مصير هذا القرمطىّ إلى دمشق فى جمادى الأولى من هذه السنة . ثم ورد الخبر أنّ هذا القرمطىّ صار إلى طَبَرِيّة فامتنعوا من إدخاله ، فحاربهم حتى دخلها ، فقتَل عامة مَنْ بها من الرّجال والنساء ، ونهبها ، وانصرف إلى ناحية البادية .

وفى شهر ربيع الآخر ورد الخبر بأنّ الداعية الذى بنواحى اليمن صار إلى مدينة صنعاء ، فحاربه أهلُها ، فظفر بهم ، فقتَل أهلها ، فلم ينفلت منهم إلا القليل ، وتغلّب على سائر مدن اليمن .

* * *

عاد الخبر إلى ما كان من أمر أخى ابن زكرَوْيه

فذكر عن محمد بن داود بن الجراح أنه قال : أنفذ زكرويه بن مهرويه بعد ما قتِل ابنه صاحبُ الشامة رجلاً كان يعلّم الصبيان بقرية تدعى الزّابوقة من عمل الفلُّوجة ، يسمّى عبد الله بن سعيد ، ويكنى أبا غانم ، فتسمّى نصراً ليعمى أمره ، فدار على أحياء كَلْب يدعوهم إلى رأيه ، فلم يقبله منهم أحد سوى رجل من بنى زياد ، يسمّى مقدام بن الكيّال ، فإنه استغوى له طوائفَ من الأصبغيّين المنتمين إلى الفواطم وسواقط من العُليصيّين وصعاليك من سائر بطون كلب ، وقصد ناحية الشأم ، وعاملُ السلطان على دمشق والأردنّ أحمد بن كَيْغَلَغ ، وهو مقيم بمصر على حرب ابن خلَيج ، الذى كان خالف محمد بن سليمان ، ورجع إلى مصر ، فغلب عليها ، فاغتنم ذلك عبدالله بن سعيد هذا ، وسار إلى مدينتىْ بُصرى وأذرِعات من كُورتىْ حُوران والبثنيّة ، فحارب أهلها ثم آمنهم. فلما استسلموا قتَل مقاتلتَهم ، وسبى ذراريّهم ، واستصفى أموالَهم ، ثم سار يؤمّ دمشق ، فخرج إليه جماعة ممن كان مرسوماً بتشحينها من المصريّين كان خلّفهم أحمد بن كيغلغ مع صالح بن الفضل ، فظهروا عليهم ، وأثخنوا فيهم . ثم اغترّوهم ببذل الأمان لهم ، فقتلوا صالحًا ، وفضُّوا عسكره ، ولم يطمعوا فى مدينة دمشق ، وكانوا قد صاروا إليها ، فدافعهم أهلُها عنها ، فقصدوا نحو طبريّة مدينة جند الأردنّ ، ولحق[1] بهم جماعة افتتنت من

٢٢٥٧/٣

---

(١) س : « ولحقهم » .

الجند بدمشق، فواقعهم يوسف بن إبراهيم بن بغامردى عامل أحمد بن كَيْغَلَغ على الأردنّ، فكسروه وبذلوا الأمان له، ثم غدروا به، فقتلوه ونهبوا مدينة الأردنّ، وسبوا النساء، وقتلوا طائفةً من أهلها، فأنفذ السلطان الحسين بن حمدان لطلبهم ووجوهًا من القوّاد، فورد دمشق وقد دخل[1] أعداء الله طبريّة، فلما اتّصل خبره بهم عطفوا نحو السماوة، وتبعهم الحسين يطلبهم فى بريّة السّماوة، وهم ينتقلون من ماء إلى ماء، ويعوّرونه حتى لجئوا إلى الماءين المعروفين بالدّمْعَانة[2] والحالة، وانقطع الحسين من اتباعهم لعدمه الماء، فعاد إلى الرّحبه. وأسرى القرامطةُ مع غاويهم المسمّى نصراً إلى قرية هِيت، فصبّحوها وأهلُها غارّون لتسع بقين من شعبان مع طلوع الشمس، فنهب رَبَضُها، وقتل مَنْ قدر عليه من أهلها، وأحرق المنازل، وانتهب السفن التى فى الفرات فى غرضتها، وقتل من أهل البلد — فيما قيل — زهاء مائتى نفس ما بين رجل وامرأة وصبىّ، وأخذ ما قدر عليه من الأموال والمتاع، وأوقر — فيما قيل — ثلاثة آلاف راحلة، كانت معه زهاءَ مائتى كرّ حنطة بالمعدّل ومن البُرّ والعطر والسقط جميع ما احتاج إليه، وأقام بها بقية اليوم الذى دخلها والذى بعده، ثم رحل عنها بعد المغرب إلى البريّة. وإنما أصاب ذلك مِنْ رَبَضِها، وتحصّن منه أهلُ المدينة بسورها، فشخص محمد بن إسحاق بن كُنْداجيق إلى هِيت فى جماعة من القوّاد فى جيش كثيف بسبب هذا القرمطىّ، ثم تبعه بعد أيام مؤنس الخازن.

٣/٢٢٥٨

وذكر عن محمد بن داود، أنه قال: إنّ القرامطة صبّحوا هِيت وأهلُها غارّون، فحماهم الله منه بسورها، ثم عجّل السلطان محمد بن إسحاق بن كُنْدَاجيق نحوهم، فلم يقيموا بها إلا ثلاثًا، حتى قرب محمد بن إسحاق منهم، فهربوا منه نحو الماءين، فنهض محمد نحوهم، فوجدهم قد عوّروا المياه بينه وبينهم، فأنفِذت[3] إليه من الحضرة الإبل والروايا والزّاد. وكُتب إلى الحسين ابن حمدان بالنفوذ من جهة الرّحبة إليهم ليجتمع هو ومحمد بن إسحاق على الإيقاع بهم، فلما أحسّ الكلبيّون بإشراف الجند عليهم، ائتمروا بعدوّ الله

٣/٢٢٥٩

---

(١) س: «ورد». (٢) س: «بالدمغانة».
(٣) س: «وأنفذت إليهم».

المسمّى نصراً ، فوثبوا عليه ، وفتكوا به ، وتفرّد بقتله رجلٌ منهم يقال له الذئب ابن القائم ، وشخص إلى الباب متقرّباً بما كان منه ، ومستأمِناً لبقيتهم ، فأسنِيت له الجائزة ، وعُرِف له ما أتاه ، وكُفّ عن طلب قومِه ، فمكث أياماً ثم هرب ، وظفرت بطلائع محمد بن إسحاق برأس المسمّى بنصر ، فاحتزّوه وأدخلوه مدينة السلام ، واقتتلت القرامطة بعده ، حتى وقعت بينهما الدماء ، فصار مقدام بن الكيّال إلى ناحية طيّئ مفلتاً بما احتوى عليه من الحُطام ، وصارت فرقة منهم كرهت أمورَهم إلى بنى أسد المقيمين بنواحى عين التمر ، فجاوروهم وأرسلوا إلى السلطان وفداً يعتذرون مما كان منهم ، ويسألون إقرارهم فى جوار بنى أسد ، فأجيبوا إلى ذلك ، وحصلت على الماءين بقية الفسَقة المستبصرة فى دين القرامطة. ٢٢٦٠/٣

وكتب السلطان إلى حسين[1] بن حمدان فى معاودتهم باجتثاث أصولهم ، فأنفذ زكرويه إليهم داعيةً له من أكَرة أهل السواد يسمّى القاسم بن أحمد بن علىّ ، ويعرف بأبى محمّد ، من رستاق نهر تلحانا ، فأعلمهم أنّ فعل الذئب بن القائم قد أنفره عنهم ، وثقّل قلبه عليهم ؛ وأنهم قد ارتدّوا عن الدين ، وأن وقت ظهورهم قد حضر . وقد بايع له بالكُوفة أربعون ألف رجل ، وفى سوادها أربعمائة ألف رجل ، وأن يوم موعدهم الذى ذكره الله فى كتابه فى شأن موسى كليمه صلى الله عليه وسلم ، وعدوه فرعون إذ يقول : ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[2] . وأن زكرويه يأمرهم أن يخفوا أمرهم ، ويظهروا الانقلاع نحو الشأم ، ويسيروا نحو الكوفة حتى يصبّحوها فى غداة يوم النحر ، وهو يوم الخميس لعشر تخلو من ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، فإنهم لا يُمنعون منها ، وأنه يظهر لهم ، وينجز لهم وعده الذى كانت رسله تأتيهم به ، وأن يحملوا القاسم بن أحمد معهم . فامتثلوا أمره ، ووافوْا باب الكوفة ، وقد انصرف الناس عن مصلاّهم مع إسحاق بن عمران عامل السلطان بها ، وكان الذين وافوا باب الكوفة فى هذا اليوم — فيما ذكر — ثمانمائة فارس أو نحوها ، رأسهم الذبلانىّ ابن مهرويه من أهل الصوعر . وقيل إنه من أهل جُنْبُلاء ، عليهم الدّروع والجواشن والآلة الحسنة ، ومعهم جماعة من الرّجالة على الرّواحل ، فأوقعوا ٢٢٦١/٣

---

(١) س : « الحسين » . (٢) سورة طه ٥٩

بمَنْ لحقوه من العوامّ ، وسلبوا جماعةً ، وقتلوا نحواً من عشرين نفساً . وبادر الناس إلى الكوفة فدخلوها ، وتنادَوْا السلاح . فنهض إسحاق بن عمران في أصحابه ، ودخل مدينةَ الكوفة من القَرامطة زهاء مائة فارس من الباب المعروف بباب كندة ، فاجتمعت العوامّ وجماعة من أصحاب السلطان ، فرموْهم بالحجارة وحاربوهم ، وألقوا عليهم السُّتُر ، فقتِل منهم زهاء عشرين نفساً ، وأخرجوهم من المدينة ، وخرج إسحاق بن عمران ومَن معه من الجند ، فصافُّوا القرامطة الحرب . وأمر إسحاق بن عمران أهل الكوفة بالتحارس لئلاّ يجد القرامطة غِرّة منهم ، فيدخلوا المدينة ، فلم يزل الحرب بينهم إلى وقت العصر يوم النّحر ، ثم انهزمت القرامطة نحو القادسيّة ، وأصلح أهل الكوفة سورَهم وخندقهم ، وقاموا مع أصحاب السلطان يحرُسون مدينتَهم ليلاً ونهاراً .

وكتب إسحاق بن عمران إلى السلطان يستمدّه(١) ، فندب للخروج إليه جماعة من قوّاده ، منهم طاهر بن علىّ بن وزير ووصيف بن صوار تكين التركيّ والفضل بن موسى بن بغا ، وبشر الخادم الأفشينيّ وجنى الصّفوانيّ ورائق الخزريّ . وضمّ إليه جماعةً من غلمان الحُجَر وغيرهم . فشخص أولهم يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة ، ولم يرأس واحد منهم ؛ كلٌّ واحد منهم رئيس على أصحابه . وأمر القاسم بن سيما وغيره من رؤساء الأعراب بجمع الأعراب من البوادى بديار مُضَر وطريق الفرات ودَقُوقاء وخانيجار وغيرها من النواحى ، لينهضوا إلى هؤلاء القرامِطة إذْ كان أصحاب السلطان متفرّقين فى نواحى الشأم ومصر ، فمضت الرسائل بذلك إليهم ، فحضروا . ثم ورد الخبر فيها بأنّ الذين شخصوا مدداً لإسحاق بن عمران خرجوا إلى زكرويه فى رجالهم ، وخلّفوا إسحاق بن عمران بالكوفة مع مَنْ معه من رجاله ليضبطها ، وصاروا إلى موضع بينه وبين القادسيّة أربعة أميال ، يعرف بالصوءر وهى فى البرّية فى العرض ، فلقيهم زكرويه هنالك فصافّوه يوم الاثنين لتسع بقين من ذى الحجة .

٢٢٦٢/٣

وقد قيل كانت الوقعة يوم الأحد لعشر بَقين منه ، وجعل أصحاب السلطان بينهم وبين سوادهم نحواً من ميل ، ولم يخلّفوا أحداً من المقاتلة عنده ، واشتدّت

(١) ب : « يستمد » .

٢٢٦٣/٣ الحرب بينهم . وكانت الدَّبْرة أوّل هذا اليوم على القرمطىّ وأصحابه حتى كادوا أن يظفروا بهم ، وكان زكرويه قد كَمَّن عليهم كمينًا من خلفهم ، ولم يشعروا به . فلما انتصف النهار خرج الكمين على السواد فانتهبه ، ورأى أصحاب السلطان السيف من ورائهم ، فانهزموا أقبحَ هزيمة ، ووضع القرمطىّ وأصحابه السيفَ فى أصحاب السلطان ، فقتلوهم كيف شاءوا ، وصبر جماعة من غلمان الحجَر من الخزر وغيرهم ، وهم زهاء مائة غلام ، وقاتلوا حتى قُتِلوا جميعًا بعد نكاية شديدة نَكَوْها فى القرامطة ، واحتوت القرامطة على سواد أصحاب السلطان فحازوه ، ولم يُفلِت من أصحاب السلطان إلاّ مَنْ كان فى دابته فَضْل فنجا به ، أو من أثخِن بالجراح ، فطرح نفسَه فى القتلى، فتحامل بعد انقضاء الوقعة حتى دخل الكوفة . وأخِذ للسلطان فى هذا السَّواد، مما كان وجّه به مع رجاله من الجمّازات ، عليها السلاح والآلة زهاء ثلثمائة جمّازة ، ومن البِغال خمسمائة بغل .

وذكر أن مبلغ مَنْ قتِل من أصحاب السلطان فى هذه الوقعة سوى غلمانهم والحمّالين ومَنْ كان فى السواد ألف وخمسمائة رجل ، فقوىَ القرمطىّ وأصحابه بما أخذوا فى هذه الوقعة ، وتطرّف ببيادرَ كانت إلى جانبه ، فأخذ منها طعامًا وشعيراً ، وحمله على بغال السلطان إلى عسكره ، وارتحل من موضع الوقعة نحواً من خمسة أميال فى العرض إلى موضع يقرب من الموضع المعروف بنهر المثنيّة ، وذلك أن روائح القتلى آذتهم .

٢٢٦٤/٣ وذكر عن محمد بن داود بن الجراح أنه قال : وافى بابَ الكوفة الأعرابُ الذين كان زكرويه راسلهم ، وقد انصرف المسلمون عن مصلاّهم مع إسحاق بن عمران، فتفرّقوا من جهتين ، ودخلوا أبيات الكوفة ، وقد ضربوا على القاسم بن أحمد داعية زكرويه قُبّة ، وقالوا : هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعَوْا : يال ثارات الحسين ! يعنون الحسين بن زكرويه المصلوب بباب جسر مدينة السلام ، وشعارهم : يا أحمد يا محمد ـ يعنون ابنَىْ زكرويه المقتولين . وأظهروا الأعلام البيض ، وقدّرُوا أن يستغووا رعاع الكوفيّين بذلك القول، فأسرع إسحاق بن عمران ومَنْ معه المبادرة نحوهم ، ودفعهم وقتل مَنْ ثبت له منهم ،

وحضر جماعةٌ من آل أبي طالب ، فحاربوا مع إسحاق بن عمران ، وحضر جماعة من العامّة ؛ فحاربوا . فانصرف القرامطة خاسئين ، وصاروا إلى قرية تدعى العَشيرة، من آخر عمل طَسُّوج السالحين ونهر يوسف مما يلى البرّ من يومهم ، وأنفذوا إلى عدوّ الله زكرويه بن مهرويه مَن استخرجه من نقير فى الأرض ، كان متطمّرًا فيه سنين كثيرة بقرية الدرية وأهل قرية الصّوعر يتلفونَه على أيديهم ، ويسمّونه ولىّ الله . فسجدوا له لمّا رأوْه ، وحضر معه جماعة من دعاته وخاصّته ، وأعلمهم أنّ القاسم بن أحمد أعظم الناس عليهم مِنّةً ، وأنه ردّهم إلى الدّين بعد خروجهم منه ، وأنهم إذا امتثلوا أمرَه أنجز مواعيدَهم ، وبلّغهم آمالَهم . ورمز لهم رموزاً ؛ وذكر فيها آيات من القرآن ، نقلها عن الوجه الذى أنزلت فيه ، واعترف لزكرويه جميع مَنْ رسخ حبُّ الكفر فى قلبه ؛ من عربىّ ومولىً ونبَطىّ وغيرهم أنه رئيسهم المقدّم ، وكهفهم وملاذُهم ، وأيقنوا بالنصر وبلوغ الأمل ، وسار بهم وهو محجوب عنهم يدعونه السيّد ، ولا يبرزونه لمن فى عسكرهم ، والقاسم يتولّى الأمور دونه ، ويُمضيها على رأيه إلى مؤاخر سقْى الفرات من عمل الكوفة ، وأعلمهم أنّ أهل السواد قاطبة خارجون إليه ، فأقام هنالكَ نَيّفًا وعشرين يومًا ؛ يبثّ رسلَه فى السواديّين مستلحقين ، فلم يلحق بهم من السواديين إلا من لحقته الشقوة ، وهم زهاء خمسمائة رجل بنسائهم وأولادهم ، وسرّب إليه السلطان الجنود ، وكتب إلى كلّ مَنْ كان نفذ نحو الأنبار وهِيت لضبطها[1] خوفًا من معاودة المقيمين ، كانوا بالماءين إليها بالانصراف نحو الكوفة ، فعجّل إليهم جماعة من القوّاد منهم ، بشر الأفشينىّ وجنى الصفوانىّ ونحرير العمرىّ ، ورائق فتى أمير المؤمنين والغلمان الصّغار المعروفين بالحُجَريّة ، فأوقعوا بأعداء الله بقرب قرية الصوعر ، فقتلوا رجّالتهم وجماعة من فرسانهم ، وأسلموا بيوتَهم فى أيديهم ، فدخلوها ، وتشاغلوا بها ، فعطفت القرامطة عليهم فهزموهم .

٢٢٦٥/٣

٢٢٦٦/٣

وذُكر عن بعض مَنْ ذُكر أنه حضر مجلس محمد بن داود بن الجراح ، وقد أدخِل إليه قوم من القرامطة ، منهم سِلْفُ زكرويه ، فكان مما حدّثه أن قال : كان زكرويه مختفيًا فى منزلى فى سرداب فى دارى عليه باب حديد ،

(١) س : « وضبطها » .

وكان لنا تنُّور ننقله ، فإذا جاءنا الطلب وضعنا التنُّور على باب السرداب ، وقامت امرأة تسجُره ؛ فمكث كذلك أربع سنين ، وذلك فى أيام المعتضد . وكان يقول : لا أخرج والمعتضد فى الأحياء . ثم انتقل من منزلى إلى دار قد جُعل فيها بيت وراء باب الدار، إذا فُتح باب الدار انطبق على باب البيت ، فيدخل الداخل فلا يرى بابَ البيت الذى هو فيه ، فلم يزل هذه حاله حتى مات المعتضد، فحينئذ أنفذ الدّعاة ، وعمل فى الخروج .

ولما ورد خبر الوقعة التى كانت بين القرمطىّ وأصحاب السلطان بالصوءر على السلطان والناس، أعظموه، ونُدب للخروج إلى الكوفة مَنْ ذكرتُ من القواد ، وجُعِلت الرئاسة لمحمد بن إسحاق بن كُنْداج ، وضمّ إليه جماعة من أعراب بنى شيبان والنّمِر زهاء ألفىْ رجل ، وأعطُوا الأرزاق .

* * *

٢٢٦٧/٣ ولاثنتى عشرة بقيت من جمادى الأولى قدم بغداد من مكة جماعة نحو العشرة ، فصاروا إلى باب السلطان، وسألوه توجيه جيش إلى بلدهم، لأنهم على خوف من الخارج بناحية اليَمَن أن يطأ بلدهم ، إذ كان قد قرب منها بزعمهم .

وفى يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلتْ من رجب، قرئ على المنبر ببغداد كتابٌ ورد على السلطان، أنّ أهل صنعاء وغيرهم من مُدن اليمن اجتمعوا على الخارجىّ الذى كان تغلّب[١] عليها ، فحاربوه وهزموه ، وفلُّوا جُموعه ، فانحاز إلى موضع من نواحى اليمن ، ثم خلع السلطان لثلاث خلوْن من شوال على مظفّر ابن حاجّ، وعقد له على اليمن، فخرج ابن حاجّ لخمس خلون من ذى القعدة، ومضى إلى عمله باليمن، فأقام بها حتى مات .

ولسبع بقين من رجب من هذه السنة، أخرج مضرب المكتفى، فضرب بباب الشماسيَّة على أن يخرج إلى الشأم بسبب ابن الخليج ، فوردت خريطة لستّ بقين منه من مصر من قبَل فاتك، يذكر أنه والقوّاد زحفوا إلى الخليجىّ، وكانت بينهم حروب كثيرة، وأن آخر حرب جرت بينهم وبينه قتِل فيها أكثر أصحابه ،

(١) ب : « يتغلب » .

ثم انهزم الباقون، فظفروا بهم، واحتَوْوا على معسكرهم ، فهرب الخليجيّ حتى دخل الفسطاط ، فاستتر بها عند رجل من أهل البلد ، ودخل الأولياءُ الفسطاط. فلما استقرّوا بها دُلّ على الخليجي ، وعلى مَنْ كان استتر معه ممن شايعه ، فقبض عليهم وحبسهم قبَله، فكتب إلى فاتك فى حمل الخليجي ومَنْ أخذ معه إلى مدينة السلام، فرُدّت مضارب المكتفى التى أخرِجت إلى باب الشماسة، ووجّه فى ردّ خزائنه . فردّت . وقد كانت جاوزت تكريت . ٢٢٦٨/٣

ثم وجّه فاتك بالخليجى من مِصْر وجماعة ممّن أسِر معه مع بِشْر مولى محمد بن أبي الساج إلى مدينة السلام .

فلمّا كان فى يوم الخميس للنصف من شهر رمضان من هذه السنة أدخِل مدينة السلام من باب الشماسية ، وقُدّم بين يديه إحدى وعشرون رجلاً على جمال ، وعليهم برانس ودراريع حرير ، منهم ابنا بينَك — فيما قيل — وابن أشكال الذى كان صار إلى السلطان من عسكر عمرو الصفار فى الأمان، وصندل المزاحِميّ الخادم الأسود .

فلما وصل الخليجيّ إلى المكتفى ، فنظر إليه أمر بحبسه فى الدار ، وأمر بحبس الآخرين فى الحديد ، فوجّه بهم إلى ابن عمرويه ، وكانت إليه الشرطة ببغداد ، ثم خلع المكتفى على وزيره العباس بن الحسن خلَعًا ، لحسن تدبيره فى هذا الفتح ، وخلع على بشر الأفشينيّ .

ولخمس خلوْن من شوال أدخل بغداد رأس القرمطيّ المسمى نصراً الذى كان انتهب هِيت منصوبًا على قناة .

ولسبع خلون من شوّال ورد الخبر مدينة السلام أنّ الرّوم أغاروا على قُورس ، فقاتلهم أهلُها ، فهزموهم ، وقتلوا أكثرَهم ، وقتلوا رؤساء بنى تميم ، ودخلوا المدينة ، وأحرقوا مسجدَها ، واستاقوا مَنْ بَقِى من أهلها .

وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشميّ . ٢٢٦٩/٣

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها[1] من الأحداث الجليلة

فمما كان فيها من ذلك دخول ابن كيغلغ طرسوس غازيًا في أول المحرّم، وخرج معه رُستم، وهي غزاة رستم الثانية، فبلغوا سلندوا، ففتح الله عليهم، وصاروا إلى آلِس، فحصل في أيديهم نحو من خمسة آلاف رأس، وقتلوا من الروم مقتلةً عظيمة، وانصرفوا سالمين.

[خبر زكرويه بن مهرويه القرمطيّ]

ولاثنتي عشرة خلتْ من المحرّم ورد الخبر مدينة السلام أن زكرويه بن مهرويه القرمطيّ ارتحل من الموضع المعروف بنهر المثنية، يريد الحاجّ، وأنه وافى موضعًا بينه وبين واقصة أربعة أميال.

وذكر عن محمد بن داود أنهم مضَوْا في البرّ من جهة المشرق، حتى صاروا بالماء المسمّى سلْمان، وصار ما بينهم وبين السواد مفازة، فأقام بموضعه يريد الحاجّ ينتظر القافلة الأولى، ووافت القافلة واقصة لستٍّ - أو سبعٍ - خلوْن من المحرّم، فأنذرهم أهلُ المنزل، وأخبروهم أنّ بينهم وبينهم أربعة أميال. فارتحلوا ولم يقيموا، فنجَوْا. وكان في هذه القافلة الحسن بن موسى الرَّبَعيّ وسيما الإبراهيميّ، فلما أمعنت القافلة في السَّيْر صار القرمطيّ إلى واقصة، فسألهم عن القافلة فأخبروه أنها لم تُقم بواقصة، فاتّهمهم بإنذارهم إياهم، فقتل من العلافين بها جماعة، وأحرق العلف، وتحصّن أهلها في حصنهم[2]، فأقام بها ٢٢٧٠/٣ أيامًا، ثم ارتحل عنها نحو زبالة.

وذكر عن محمد بن داود أنه قال: إن العساكر سارت في طلب زكرويه نحو عيون الطفّ، ثم انصرفت عنه لمّا علمت بمكانه بسلْمان، ونفذ علاّن بن كُشمَرْد مع قطعة من فرسان الجيش متجرّدة على طريق جادّة مكة نحو زكرويه، حتى نزلوا السبال، فمضى نحو واقصة حتى نزلها بعد أن جازت القافلة

(١) س: «ما كان».
(٢) س: «بالحصن».

الأولى ، ومرّ زكرويه فى طريقه بطوائف من بنى أسد ، فأخذها من بيوتها معه ، وقصد الحاجّ المنصرفين عن مكة ، وقصد الجادّة نحوهم .

ووافَى خبرُ الطير من الحوفة لأربع عشر بقيتْ من المحرّم من هذه السنة بأن زكرويه اعترض قافلة الخُراسانيّة يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من المحرّم بالعقبة من طريق مكة ، فحاربوه حرباً شديداً ، فساءلهم : وقال : أفيكم السلطان ؟ قالوا: ليس معنا سلطان ، ونحن الحاجّ ، فقال لهم : فامضوا فلستُ أريدكم . فلماسارت القافلة تَبِعها فأوقع بها ، وجعل أصحابه ينخسون الجمال بالرّماح ، ويبعجونها بالسيوف ، فنفرت ، واختلطت القافلة ، وأكبّ أصحاب الخبيث على الحاجّ يقتلونهم كيف شاءوا ، فقتلوا الرّجال والنساء ، وسَبَوْا من النساء من أرادوا ، واحتووا على ما كان فى القافلة ، وقد كان لقِىَ بعض مَنْ أفلت من هذه القافلة عـلاّن بن كشمرد ، فسأله عن الخبر ، فأعلمه ما نزل بالقافلة الخراسانية ، وقال له : ما بينك وبين القوم إلاّ قليل ، والليلةَ أو فى غد توافى القافلة الثانية ، فإن رأوا علما للسلطان قويتْ أنفسهم . واللهَ اللهَ فيهم ! فرجع عـلاّن من ساعته ، وأمر مَنْ معه بالرجوع ، وقال : لا أعرّض أصحاب السلطان للقتل ، ثم أصعد زكرويه ، ووافته القافلة الثانية . ٣/٢٢٧١

وقد كان السلطان كتب إلى رؤساء القافلتين الثانية والثالثة ومن كان فيهما من القوّاد والكُتّاب مع جماعة من الرّسل الذين تنكّبوا طريق الجادّة بخبر الفاسق وفعله بالحاجّ ، ويأمرهم بالتحرّز منه ، والعدول عن الجادّة نحو واسط والبصرة ، أو الرجوع إلى فَيْد أو إلى المدينة ، إلى أن يلحق بهم الجيوش . ووصلت الكتب إليهم فلم يسمعوا ولم يقيموا ، ولم يلبثوا. وتقدّم أهل القافلة الثانية وفيها المبارك القُمّىّ وأحمد بن نصر العُقيلىّ وأحمد بن علىّ بن الحسين الهمذانىّ ، فوافوا الفجرة ، وقد رحلوا عن واقصة ، وعوّروا مياهها ، وملئوا بركها وبئارها بجيف الإبل والدوابّ التى كانت معهم ، مشقّقة بطونها ، ووردُوا منزل العقبة فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة خلتْ من المحرّم ، فحاربهم أصحاب القافلة الثانية . وكان أبو العشائر مع أصحابه فى أوّل القافلة ومبارك القمّىّ فيمن معه فى ساقتها ، فجرت بينهم حربٌ شديدة حتى كشفوهم ، وأشرفوا على الظفر بهم ، فوجد الفجرة من ساقتِهم غِرّة ، فركبوهم من جهتها ، ووضعوا رماحهم فى جنوب إبلهم ٣/٢٢٧٢

وبطونها ، فطحنتهم الإبل وتمكنوا منهم ، فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم ، إلا مَن استعبدوه . ثم أنفذوا إلى ما دون العقبة بأميال فوارس لحقوا المُفلتة من السيف ، فأعطوْهم الأمان ، فرجعوا فقتلوهم أجمعين ، وسَبَوْا من النساء ما أحبُّوا ، واكتسحوا الأموال والأمتعة . وقُتل المبارك القميّ والمظفر ابنه ، وأسِر أبو العشائر ، وجُمع القتلى ، فوُضع بعضهم على بعض ، حتى صاروا كالتل العظيم . ثم قطِعت يدا أبي العشائر ورجلاه ، وضُربت عنقه ، وأطلِق من النساء مَنْ لم يرغبوا فيه ، وأفات من الجرحى قومٌ وقعوا بين القتلى ، فتحاملوا في الليل ومضوا ؛ فمنهم من مات ، ومنهم مَنْ نجا وهم قليل . وكان نساءُ القرامطة يَطُفْنَ مع صبيانهم في القتلى يعرضون عليهم الماء ، فمَن كلّمهم أجازوا عليه .

وقيل إنه كان في القافلة من الحاجّ زهاء عشرين ألف رجل ، قُتل جميعهم غير نفر يسير ممّن قويَ على العدوّ ، فنجا بغير زاد ومَن وقع في القتل وهو مجروح ، وأفلت بعدُ ، أو مَن استعبدوه لخدمتهم .

وذكر أن الذى أخذوا من المال والأمتعة الفاخرة في هذه القافلة قيمةُ ألفي ألف دينار .

وذكر عن بعض الضرّابين أنه قال : وردت علينا كتب الضرّابين بمصر أنكم في هذه السنة تستغنون ، قد وجّه آل ابن طولون والقوّاد المصريون الذين أشخِصوا إلى مدينة السلام ، ومَنْ كان في مثل حالهم في حمل ما لهم بمصر إلى مدينة السلام ، وقد سبكوا آنية الذهب والفضة والحلى نِقَاراً ، وحُمل إلى مكة ليوافوا به مدينة السلام مع الحاجّ ، فحُمِل في القوافل الشاخصة إلى مدينة السلام ، فذهب ذلك كله . ٣/٢٢٧٣

وذكر أن القرامطة بينا هم يقتلون وينهبون هذه القافلة يوم الاثنين ، إذ أقبلت قافلة الخُراسانية ، فخرج إليهم جماعةٌ من القرامطة ، فواقعوهم ، فكان سبيلُهم سَبيلَ هذه . فلما فرغ زكرويه من أهل القافلة الثانية من الحاجّ ، وأخذ أموالهم ، واستباح حريمَهم ، رحل مِنْ وقته من العقبة بعد أن ملأ البرك والآبار بها بالجِيَف من الناس والدواب . وكان ورد خبر قطعه على القافلة

الثانية من قوافل السلطان مدينة السلام فى عشيّة يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من المحرّم ، فعظم ذلك على الناس جميعاً وعلى السلطان ، وندبُ الوزيرُ العباس بن الحسن بن أيوب محمدَ بن داود بن الجرّاح الكاتب المتولّى دواوين الخراج والضياع بالمشرق وديوان الجيش للخروج إلى الكوفة ، والمقام بها لإنفاذ الجيوش إلى القرمطىّ . فخرج من بغداد لإحدى عشرة بقيتْ من المحرّم ، وحمل معه أموالا كثيرة لإعطاء الجند .

ثم سار زكرويه إلى زُبالة فنزلها ، وبثّ الطلائع أمامه ووراءه خوفاً من أصحاب السلطان المقيمين بالقادسيّة أن يلحقوه ، ومتوقّعاً ورود القافلة الثالثة التى فيها الأموال والتجار . ثم سار إلى الثعلبيّة ، ثم إلى الشقوق ، وأقام بها بين الشقوق والبِطان فى طرف الرّمل فى موضع يعرف بالطليح ، ينتظر القافلة الثالثة ، وفيها من القوّاد نفيس المولدىُّ وصالح الأسود ، ومعه الشّمْسَة والخزانة . وكانت الشمسة جعل فيها المعتضد جوهراً نفيساً . ٣/٢٢٧٤

وفى هذه القافلة ، كان إبراهيم ابن أبى الأشعث — وإليه كان قضاء مكة والمدينة وأمر طريق مكة والنفقة فيه لمصالحه — وميمون بن إبراهيم الكاتب — وكان إليه أمر ديوان زمام الخراج والضياع — وأحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن الهزلّج ، والفرات بن أحمد بن محمد بن الفرات ، والحسن بن إسماعيل قرابة العباس بن الحسن — وكان يتولى بريد الحرمين — وعلىُّ بن العباس النّهيكىّ . فلما صار أهل هذه القافلة إلى فيْد بلغهم خبرُ الخبيث زكرويه وأصحابه ، وأقاموا بِفَيْد أياماً ينتظرون تقويةً لهم من قِبَل السلطان .

وقد كان ابن كشمرد رجع من الطريق إلى القادسية فى الجيوش التى أنفذها السلطان معه وقبله وبعد .

ثم سار زكرويه إلى فَيْد ، وبها عامل السلطان ، يقال له حامد بن فيروز ، فالتجأ منه حامد إلى أحد حصنيها فى نحو من مائة رجل كانوا معه فى المسجد ، وشحّن الحصن الآخر بالرّجال ، فجعل زكرويه يراسل أهل فَيْد ، ويسألهم أن يُسلموا إليه عاملهم ومَنْ فيها من الجند ، وأنهم إن فعلوا ذلك آمنهم . فلم [٣/٢٢٧٥

يجيبوه إلى ما سأل . ولمّا لم يجيبوه حاربهم ، فلم يظفر منهم بشئ .
قال : فلما رأى أنه لا طاقة له بأهلها ، تنحّى فصار إلى النِّباج ، ثم إلى حُفَير أبى موسى الأشعرىّ .

وفى أول شهر ربيع الأول أنهض المكتفى وصيف بن صوارتكين — ومعه من القوّاد جماعة — فنفذوا من القادسية على طريق خَفَّان، فلقيه وصيف يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الأول ، فاقتتلوا يومَهم ، ثم حجز بينهم الليل ، فباتوا يتحارسون ، ثم عاودهم الحرب ، فقتَل جيش السلطان منهم مقتلة عظيمة ، وخلصوا إلى عدوّ الله زكرويه ، فضربه بعض الجند بالسيف على قفاه وهو مولٍّ ضربةً اتصلت بدماغه . فأخِذ أسيراً وخليفته وجماعة من خاصّته وأقربائه ، فيهم ابنه وكاتبه وزوجته ، واحتوى الجند على ما فى عسكره . وعاش زكرويه خمسة أيام ثم مات ، فشُقّ بطنه ، ثم حُمِل بهيئته ، وانصرف بمن كان بقِى حيًّا فى يديه من أسرى الحاج .

* * *

وفيها غزا ابن كَيْغَلغ من طَرَسوس ، فأصاب من العدّو أربعة آلاف رأس سبْى ودوابّ ومواشى كثيرة ومتاعًا . ودخل بِطْريق من البطارقة إليه فى الأمان ، وأسلم . وكان شخوصه من طَرَسوس لهذه الغزاة فى أول المحرم من هذه السنة .

٣/٢٢٧٦

وفيها كاتب أندرونقس البطريق السلطانَ يطلب الأمان ، وكان على حرب أهل الثغورِ من قِبَل صاحب الروم ، فأعطِىَ ذلك ، فخرج ، وأخرج نحواً من مائتى نفس من المسلمين كانوا أسرى فى حِصْنه ، وكان صاحب الرّوم قد وجّه إليه مَنْ يقبض عليه ، فأعطى المسلمين الذين كانوا فى حصنه أسرى السلاح ، وأخرج معهم بعض بنيه ، فكبسوا البِطْريق الموّجه إليه للقبض عليه ليلا ؛ فقتلوا ممّن معه خَلْقًا كثيراً ، وغنموا ما فى عسكره . وكان رستم قد خرج فى أهل الثغور فى جمادى الأولى قاصداً أندرونقس ليتخلّصه ، فوافَى رستم قونية بعقب الوقْعة . وعلم البطارقة بمسير المسلمين إليهم فانصرفوا ، ووجّه أندرونقس ابنه إلى رستم ، ووجّه رستم كاتبه وجماعة من البحريين ،

فباتوا فى الحصن ، فلما أصبحوا خرج أندرونقس وجميعُ مَنْ معه من أسارى المسلمين ، ومَنْ صار إليهم منهم ، ومَنْ وافقه على رأيه من النصارى ، وأخرج ماله ومتاعه إلى معسكر المسلمين ، وخرّب المسلمون قونية ، ثم قفلوا إلى طَرَسُوس وأندرونقس وأسارى المسلمين ومَنْ كان مع أندرونقس من النصارى .

وفى جمادى الآخرة منها كانت بين أصحاب حسين بن حمدان بن حمدون وجماعة من أصحاب زكرويه كانوا هربوا من الوقعة التى أصابه فيها ما أصابه ، وأخذوا طريق الفرات[1] يريدون الشأم ، فأوقع بهم وقعة ، فقتل جماعة منهم ، وأسرَ جماعة من نسائهم وصبيانهم . ٣/٢٢٧٧

وفيها وافَى رسل ملك الروم أحدهم خال ولده اليون وبسيل الخادم ، ومعهم جماعة باب الشماسيّة بكتاب منه إلى المكتفى يسأله الفداء بمَنْ فى بلاده من المسلمين ، مَنْ فى بلاد الإسلام من الرّوم ، وأن يوجّه المكتفى رسولاً إلى بلاد الروم ليجمع الأسرى من المسلمين الذين فى بلاده ، وليجتمع هو معه على أمر يتّفقان عليه ، ويتخلّف بسيل الخادم بطرسوس ليجتمع إليه الأسرى من الروم فى الثغور ليصيّرهم مع صاحب السلطان إلى موضع الفداء . فأقاموا بباب الشماسيّة أيامًا ، ثم أدخِلوا بغداد ومعهم هدية من صاحب الروم عشرة من أسارى المسلمين ، فقبلت منهم . وأجيب صاحب الروم إلى ما سأل .

وفيها أخِذ رجل بالشأم — زعم أنه السفيانىّ — فحمِل هو وجماعة معه من الشأم إلى باب السلطان ، فقيل إنه موسوس .

* * *

وفيها أخذ الأعراب بطريق مكة رجليْن يعرف أحدهما بالحداد والآخر بالمنتقم ، وذُكر أن المعروف بالمنتقم منهما أخو امرأة زكرويه ، فدفعوهما إلى نزار بالكوفة ، فوجّهما نزار إلى السلطان ، فذُكر عن الأعراب أنهما كانا صارا إليهما يدعوانهم إلى الخروج على السلطان . ٣/٢٢٧٨

وفيها وجّه الحسين بن حمدان من طريق الشأم رجلا يعرف بالكيال مع

---

(١) ت : « العراق » .

ستين رجلا من أصحابه إلى السلطان كانوا استأمنوا إليه من أصحاب زكرويه .

وفيها وصل إلى بغداد أندرونقس البطريق .

وفيها كانت وقعة بين الحسين بن حمدان وأعراب كليب والنَّمر وأسد وغيرهم ، اجتمعوا عليه فى شهر رمضان منها ، فهزموه حتّى بلغوا به باب حلب .

وفيهاحاصر أعراب طيّئ وصيف بن صوارتكين بفَيْد، وكان وُجِّه أميراً على الموسم، فحوصر ثلاثة أيام ، ثم خرج إليهم، فواقعهم فقتل منهم قتلى، ثم انهزمت الأعراب ورحل وصيف من فيْد بمن معه من الحاجّ .

وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خروج عبد الله بن إبراهيم المِسمعيّ عن مدينة أصبهان إلى قرية من قراها على فراسخ منها وانضمام نحو من عشرة آلاف من الأكراد وغيرهم — فيما ذكر — إليه مظهراً الخلاف على السلطان. فأمر بدر الحماميّ بالشخوص إليه، وضُمّ إليه جماعة من القوّاد ونحو من خمسة آلاف من الجند.

٢٢٧٩/٣

وفيها كانت وقعة للحسين بن موسى على أعراب طيّئ الذين كانوا حاربوا وصيف بن صوارتكين على غرّة منهم، فقتَل من رجالهم — فيما قيل — سبعين، وأسرَ من فرسانهم جماعة.

وفيها تُوُفّيَ أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد عامل خراسان وما وراء النهر في صفر منها، لأربع عشرة خلت منه، وقام ابنه أحمد بن إسماعيل بن أحمد في عمل أبيه مقامه، ووليَ أعمال أبيه. وذكر أن المكتفي لأربع ليال خلوْن من شهر ربيع الآخر قعَد، فعقد بيده لواء ودفعه إلى طاهر بن عليّ بن وزير، وخلع عليه وأمره بالخروج باللواء إلى أحمد بن إسماعيل.

وفيها وُجّه منصور بن عبد الله بن منصور الكاتب إلى عبد الله بن إبراهيم المسمعيّ، وكتب إليه يخوّفه عاقبة الخلاف إليه، فتوجّه إليه، فلما صار إليه ناظره، فرجع إلى طاعة السلطان، وشخص في نفر من غلمانه، واستخلف على عمله بأصبهان خليفة، ومعه منصور بن عبد الله، حتى صار إلى باب السلطان، فرضيَ عنه المكتفي، ووصله وخلع عليه وعلى ابنه.

وفيها أوقع الحسين بن موسى بالكرديّ المتغلّب كان على نواحي الموصل، فظفر بأصحابه، واستباح عسكره وأمواله، وأفلت الكرديّ فتعلق بالجبال فلم يدرَك.

٢٢٨٠/٣ وفيها فتح المظفر بن حاج بعض ما كان غلب عليه بعض الخوارج باليمن ، وأخذ رئيساً من رؤسائهم يعرف بالحكيميّ .

وفيها لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة أمر خاقان المفلحيّ بالشخوص إلى أذْرَبيجان لحرب يوسف بن أبى الساج ، وضمّ إليه نحو أربعة آلاف رجل من الجند .

ولثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان دخل بغداد رسول أبى مُضَر زيادة الله بن الأغلف ، ومعه فتح الأعجميّ ، ومعه هدايا وجّه بها إلى المكتفى .

وفيها تمّ الفداء بين المسلمين والروم فى ذى القعدة ؛ وكانت عدّة من فُودِىَ به من الرجال والنساء ثلاثمائة آلاف نفس .

وفى ذى القعدة لاثنتى عشرة ليلة خلت منها تُوفِّىَ المكتفى بالله ، وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً ، وكان يوم تُوُفِّىَ ابنَ اثنتين وثلاثين سنة يومئذ ، وكان وُلد سنة أربع وستين ومائتين ، ويكنى أبا محمد ، وأمه أم ولد تركية تسمى جِيجك . وكان رَبعةً جميلا ، رقيق اللون ، حسن الشعر ، وافر الُحمّة ، وافر اللحية .

---

(١) س : « ما قد كان » .

خلافة المقتدر بالله

ثم بويع جعفر بن المعتضد بالله؛ ولما بويع جعفر بن المعتضد لقّب المقتدر بالله وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وأحد وعشرين يومًا. وكان مولده ليلة الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان من سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وكنيته أبو الفضل، وأمه أمّ ولد يقال لها شغب، فذُكر كان فى بيت المال يوم بويع خمسة عشر ألف ألف دينار. ولما بويع المقتدر غسّل المكتفى وصلّى عليه، ودُفن فى موضع من دار محمد بن عبد الله بن طاهر.

٢٢٨١/٣

* * *

وفيها كانت بين عجّ بن حاج والجند وقعة فى اليوم الثانى من أيام منى، قتِل فيها جماعة، وجرح منهم، بسبب طلبهم جائزة بيعة المقتدر، وهرب الناس الذين كانوا بمنى إلى بستان ابن عامر، وانتهب الجند مضرب أبى عدنان ربيعة بن محمد بمنى. وكان أحد أمراء القوافل، وأصاب المنصرفين من مكة فى منصرفهم فى الطريق من القطع والعطش أمر غليظ، مات من العطش – فيما قيل – منهم جماعة. وسمعت بعض من يحكى أن الرجل كان يبول فى كفّه، ثم يشربه.

وحجّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ.

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من اجتماع جماعة من القوّاد والكتاب والقضاة على خلع المقتدر ، وتناظرهم فيمن يُجعل فى موضعه ، فاجتمع رأيهم على عبد الله بن المعتزّ وناظروه فى ذلك ، فأجابهم إلى ذلك على ألاّ يكون فى سفك ذلك دم ولا حرب ، ٢٢٨٢/٣ فأخبروه أنّ الأمر يسلَّم إليه عفواً ، وأن جميع مَن ورآءهم من الجند والقواد والكتاب قد رضُوا به . فبايعهم على ذلك ، وكان الرأس فى ذلك محمد بن داود ابن الجراح وأبو المثنّى أحمد بن يعقوب القاضى ، وواطأ محمد بن داود بن الجراح جماعةً من القوّاد على الفتْك بالمقتدر والبيعة لعبد الله بن المعتزّ ، وكان العباس بن الحسن على مثل رأيهم . فلما رأى العباس أمره مستوثقًا له مع المقتدر ، بدا له فيما كان عزم عليه من ذلك ، فحينئذ وثب به الآخرون فقتلوه ، وكان الذى تولَّى قتلَه بدرٌ الأعجمى والحسين بن حمدان ووصيف بن صوارتكين ، وذلك يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول .

ولما كان من غدِ هذا اليوم – وذلك يوم الأحد – خلع المقتدر القوّاد والكتاب وقضاة بغداد ، وبايعوا عبد الله بن المعتزّ ، ولقبوه الراضى بالله . وكان الذى أخذ له البيعة على القوّاد وتولّى استحلافهم والدعاء بأسمائهم محمد بن سعيد الأزرق كاتب الجيش .

وفى هذا اليوم كانت بين الحسين بن حمدان وبين غلمان الدار حرب شديدة من غدوه إلى انتصاف النهار .

وفيه[1] انفضّت الجموع التى كان محمد بن داود جمعها لبيعة ابن المعتزّ عنه ؛ وذلك أن الخادم الذى يدعى مؤنسًا حمل غلمانًا من غلمان الدار فى شذَوات ،

---

(١) ب : « وفيها » .

٢٢٨٣/٣ فصاعد بها وهم فيها فى دجْلة ، فلما حاذوا(١) الدار التى فيها ابن المعتزّ ومحمد بن داود صاحوا بهم ، ورشقوهم بالنّشاب ، فتفرّقوا ، وهربَ مَنْ فى الدار من الجند والقوّاد والكتاب ، وهرب ابن المعتزّ ، ولحق بعض الذين بايعوا ابن المعتزّ بالمقتدر ، فاعتذروا بأنه منِع من المصير إليه ، واختفى بعضهم فأخِذوا وقتِلوا وانتهب العامة دور ابن داود والعباس بن الحسن ؛ وأخِذ ابن المعتزّ فيمن أخِذ .

وفى يوم السبت لأربع بقين من شهر ربيع الأول منها سقط الثلج ببغداد من غدوة إلى قدر صلاة العصر ، حتى صار فى الدور والسطوح منه نحو من أربعة أصابع ، وذكر أنه لم ير ببغداد مثل ذلك قطّ .

وفى يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول منها ، سُلِّم محمد بن يوسف القاضى ومحمد بن عمرويه وأبو المثنّى وابن الجصاص والأزرق كاتب الجيش فى جماعة غيرهم إلى مؤنس الخازن ، فترك أبا المثنى فى دار السلطان ، ونقل الآخرين إلى منزله ، فافتدى بعضهم نفسه ، وقتل بعضهم ، وشُفع فى بعض فأطلِق .

وفيها كانت وقعة بين طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث وسُبْكَرِى غلام عمرو بن الليث ، فأسر سبكرى طاهراً ، ووجّهه مع أخيه يعقوب بن محمد إلى السلطان .

٢٢٨٤/٣ وفيها وجّه القاسم بن سيامع جماعة من القوّاد والجند فى طلب حسين بن حمدان بن حمدون ، فشخص لذلك حتى صار إلى قرقيسيا والرّحبة والدّالية ، وكتب إلى أخى الحسين عبد الله بن حمدان بن حمدون بطلب أخيه ، فالتقى هو وأخوه بموضع يعرف بالأعمى بين تَكريت والسُّودقانية بالجانب الغربى من دِجْلة ، فانهزم عبد الله ، وبعث الحسين يطلب الأمان ، فأعطِى ذلك .

ولسبع بقين من جمادى الآخرة منها وافَى الحسين بن حمدان بغداد ، فنزل باب حرب ، ثم صار إلى دار السلطان من غد ذلك اليوم ، فخلع عليه وعقد له على قُمّ وقاشان .

ولستٍّ بقين من جمادى الآخرة ، خُلع على ابن دُليل النصرانى كاتب يوسف

(١) ب : « جاوزوا » .

ابن أبي الساج ورسوله ، وعقد ليوسف بن أبي الساج على المراغة و أذْرَبيجان ، وحمُـلت إليه الخلع ، وأمر بالشخوص إلى عمله .

وللنصف من شعبان منها خلـع على مؤنس الخادم ، وأمـر بالشخوص إلى طـَرَسُوس لغزو الصائفة ، فنفذ لذلك وخرج فى عسكر كثيف وجماعة من القوّاد وغلمان الحجر .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزو مؤنس الخادم الصائفة بلاد الروم من ثغر مَلَطْيَة ٣/٢٢٨٥ فى جيش كثيف ، ومعه أبو الأغرّ السُّلمىّ وظفر بالرُّوم ، وأسر أعلاجاً فى آخر سنة ست وتسعين ومائتين ، وورد الخبر بذلك على السلطان لست خلون من المحرّم .

وفيها صار الليث بن علىّ بن الليث الصفار إلى فارس فى جيش ، فتغلّب عليها ، وطرد عنها سُبْكَرِى ، وذلك بعد ماولّى السلطان سُبْكَرِى بعد مابعث سبكرى طاهر بن محمد إلى السلطان أسيراً ، فأمر المقتدر مؤنساً الخادم بالشخوص إلى فارس لحرب الليث بن علىّ ، فشخص إليها فى شهر رمضان منها .

وفيها وجّه أيضاً المقتدر القاسم بن سيما لغزوة الصائفة ببلاد الروم فى جمع كثير من الجند فى شوال منها .

وفيها كانت بين مؤنس الخادم والليث بن علىّ بن الليث وقعة هزم فيها الليث ، ثم أسِر وقتل من أصحابه جماعة كثيرة ، واستأمن منهم إلى مؤنس جماعة كثيرة ، ودخل أصحاب السلطان النوبندجان ، وكان الليث قد تغلّب عليها .

وأقام الحجّ فيها للناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله ابن العباس بن محمد .

---

(١) س : « جماعة منهم » .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان فيها من غزو القاسم بن سيما أرض[1] الروم الصائفة .

وفيها وجّه المقتدر وصيف كامه الديلميّ فى جيش وجماعة من القوّاد لحرب سُبْكَرِى غلام عمرو بن الليث .

وفيها كانت بين سُبْكَرِى ووصيف كامه وقعة هزمه فيها وصيف ، وأخرجه من عمل فارس ، ودخل وصيف كامه ومن معه فارس ، واستأمن إليه من أصحاب سَبْكَرِى جماعة كثيرة ، فأسر رئيس عسكره المعروف بالقتال ، ومضى سَبْكَرِى هاربًا إلى أحمد بن إسماعيل بن أحمد بما معه من الأموال والذخائر فأخذ ما معه إسماعيل بن أحمد ، وقبض عليه فحبسه .

وفيها كانت بين أحمد بن إسماعيل بن أحمد ومحمد بن علىّ بن الليث وقعة بناحية بُسْت والرُّخّج ، أسره فيها أحمد بن إسماعيل .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك .

---

(١) س : « أيضا » .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزو رستم بن بردوا الصائفة من ناحية طَرَسوس ، وهو والى الثغور من قبَل بنى نَفيس ، ومعه دميانة ، فحاصر حصن مَليح الأرمنىّ ، ثم رحَل عنه ، وأحرق أرباض ذى الكلاع . ٢٢٨٧/٣

وفيها ورد رسول أحمد بن إسماعيل بن أحمد بكتاب منه إلى السلطان يخبر فيه أنه فتح سِجِسْتان ، وأنّ أصحابه دخلوها ، وأخرجوا مَن كان بها من أصحاب الصّفار ، وأن المعدّل بن علىّ بن الليث صار إليه بمن معه من أصحابه فى الأمان ، وكان المعدّل يومئذ مقيمًا بزرنج ، فصار إلى أحمد بن إسماعيل وهو مقيم ببُسْت والرّخّج ، فوجَّه به ابن اسماعيل و بعياله ومن معه إلى هراة ، وبين سجستان وبُست الرخج ستون فرسخًا ، فوردت الخريطة بذلك على السلطان يوم الاثنين لعشر خلوْن من صفر .

وفيها وافى بغداد العطير صاحب زكرويه ومعه الأغرّ — وهو أيضًا أحد قوّاد زكرويه — مستأمنًا .

وفى ذى الحجة منها غضب على علىّ بن محمد بن الفُرات لأربع خلوْن منه ، وحبس ووُكلّ بدوره ودور أهله وأخِذ كلّ ما وُجد له ولهم ، وانتهت دوره ودور بنى إخوته وأهلهم ، واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان .

وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك .

ثم دخلت سنة ثلثمائة

٢٢٨٨/٣

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ورود بغداد رسول من العامل على بَرْقة ، وهى من عمل مصر ، إلى ما خلفها بأربع فراسخ ، ثم ما بعد ذلك من عمل المغرب بخبر خارجىّ خرج عليه ، وأنه ظفر بعسكره، وقتل خلقًا من أصحابه ، ومعه آذان وأنوف مَنْ قتله فى خيوط وأعلام من أعلام الخارجىّ .

وفى هذه السنة كَثُرت الأمراض والعِلل ببغداد فى الناس ، وذُكر أنّ الكلاب والذئاب كلبت فيها بالبادية ، فكانت تطلب الناس والدوابّ والبهائم ، فإذا عضّت إنسانًا أهلكته .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ .

ثم دخلت سنة إحدى وثلثمائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك عزل المقتدر محمد بن عبيد الله عن الوزارة وحبسه إياه مع ابنيه عبيد الله وعبد الواحد وتصييره عليّ بن عيسى بن داود بن الجراح له وزيراً .

وفيها كثر أيضاً الوباء ببغداد ، فكان بها منه نوع سمّوه حَنَيناً ، ومنه نوع سمّوه الماسرا ؛ فأما الحَنين فكانت سليمة ، وأما الماسرا فكانت طاعوناً قتالة . ٣/٢٢٨٩

وفيها أحضِر دار الوزير عليّ بن عيسى رجل — ذكر أنه يعرف بالحلاج ويكنى أبا محمد — مُشعْوذ ، ومعه صاحب له ، سمعتُ جماعة من الناس يزعمون أنه يدَّعي الربوبية فصُلبَ هو وصاحبه ثلاثة أيام ، كلّ يوم من ذلك من أوله إلى انتصافه ، ثم ينزل بهما ، فيؤمر بهما إلى الحبس ، فحُبِس مدة طويلة ، فافتتن به جماعة منهم نصر القشوريّ وغيره ، إلى أن ضجّ الناس ، ودَعَوْا على من يَعيبه ، وفحش أمره ، وأخرِج من الحبس ، فقُطعت يداه ورجلاه ، ثم ضرِبت عنقه ، ثم أحرِق بالنار .

وفيها غزا الصائفة الحسين بن حمدان بن حمدون ، فورد كتاب من طرسوس يذكر فيه أنه فتح حصوناً كثيرة ، وقتل من الروم خلقاً كثيراً .

وفيها قُتِل أحمد بن إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر ؛ قتله غلام له تركيّ — أخصّ غلمانه به — ذبحاً ، هو وغلامان معه ، دخلوا عليه في قبّته ، ثم هربوا فلم يدركوا .

وفيها وقع الاختلاف بين نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد وعمّ أبيه إسحاق بن أحمد ، فكان مع نصر بن أحمد غلمان أبيه وكتابه وجماعة من قُوّاده والأموال والكُراع والسلاح ، وانحاز بعد قتل[1] أبيه إلى بخارى وإسحاق بن أحمد بسَمَرْقَنْد وهو عليل من نِقْرِس به ، فدعا الناس ٣/٢٢٩٠

(١) س : « مقتل » .

بِسَمَرْقَنْد إلى مبايعته على الرئاسة عليهم ، وبعث كلّ واحد منهما إلى السلطان كتبه خاطباً على نفسه ، عمل إسماعيل بن أحمد ، وأنفذ إسحاق كتبه – فيما ذكر – إلى عمران المرزبانيّ لإيصالها إلى السلطان ، ففعل ذلك ، وأنفذ نصر بن أحمد ابن إسماعيل كتبه إلى حماد ابن أحمد ؛ ليتولّى إيصالَها إلى السلطان ، ففعل .

وفيها كانت وقعة بين نصر بن أحمد بن إسماعيل وأصحابه من أهل بُخارى وإسحاق بن أحمد عمّ أبيه وأصحابه من أهل سَمَرْقند ، لأربع عشرة بقيت من شعبان منها ، هَزَم فيها نصر وأصحابه إسحاقَ وأهل سمرقند ومَنْ كان قد انضمّ إليه من أهل تلك النواحى ، وتفرّقوا عنه هاربين ، وكانت هذه الوقعة بينهم على باب بخارى .

وفيها زحف أهل بخارى إلى أهل سَمَرْقند بعدما هزموا إسحاق بن أحمد ومَنْ معه ، فكانت بينهم وقعة أخرى ظفِر فيها أيضًا أهلُ بخارى بأهل سَمَرْقند ، فهزموهم ، وقتلوا منهم مقتلَة عظيمة ، ودخلوا سَمَرْقند قَسْراً ، وأخذوا إسحاق بن أحمد أسيراً ، ووَلَّوْا ما كان إليه من عمل ابناً لعمرو بن نصر بن أحمد .

٣/٢٢٩١ وفيها دخل أصحاب ابن البصريّ من أهل المغرب برقة ، وطرد عنها عامل السلطان .

وولى أبو بكر محمد بن علىّ بن أحمد بن أبى زنبور الماذَرَائىّ أعمال مصر وخراجها .

وفيها قُتِل أبو سعيد الجنّابىّ الخارج كان بناحية ابحرين وهجر ، قتله – فيما قيل – خادم له .

وفيها كثرت الأمراض والعلل ببغداد ، وفشا الموت فى أهلها ، وكان أكثر ذلك – فيما قيل – فى الحربية وأهل الأرباض .

وفيها وافَى قائد من قواد ابن البصريّ فى البرابرة والمغاربة الإسكندرية .

وفيها ورد كتاب تَكِين عامل السلطان من مصر يسأله المدد .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلثمائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من إشخاص الوزير علىّ بن عيسى ... [١] بن عبد الباقى فى ألفى فارس فيها لغزو الصائفة، معونة لبشر خادم ابن أبى الساج وهو والى طَرَسُوس من قبَل السلطان إلى طَرَسُوس ، فلم يتيسَّر لهم غزو الصائفة ، فغزوها شاتية فى برد شديد وثلج .

٣/٢٢٩٢ وفيها تنحّى الحسن بن علىّ العلَوِىّ الأطْروش بعد غلبته على طبرستان عن آمُل ، وصار إلى سالوس[٢] فأقام بها . ووجّه صعلوك صاحب الرّى إليه جيشًا ، فلم يكن بجيشه بها ثبات ، وعاد الحسن بن علىّ إليها، ولم ير الناس مثل عدل الأطروش وحسن سيرته وإقامته الحق .

وفيها دخل حبَاسة صاحب ابن البصرىّ الإسكندرية ، وغلَب عليها ، وذُكر أنه ورَدها فى مائتى مركب فى البحر .

وفيها وافى حبَاسة صاحب ابن البصرىّ موضعًا من فسطاط مصر على مرحلة ، يقال لها سَفَط ، ثم رجع منه إلى وراء ذلك ، فنزل منزلاً بين الفُسْطاط والإسكندرية .

وفيها شخص مؤنس الخادم إلى مصر لحرب حباسة ، وقوِىَ بالرجال والسلاح والمال .

وفيها لسبع بقين من جمادى الأولى قُبِض على الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصّاص وعلى ابنيه ، واستُصْفِىَ كلّ شىء له ، ثم حُبِس وقُيِّد .

وفيها كانت وقعة بمصر بين أصحاب السلطان وحبَاسة وأصحابه لستّ بقين من جمادى الأولى منها ، فقُتل من الفريقين جماعة ، وجُرحت منهم

---

(١) بياض فى أصل ط .

(٢) س : « شالوس » .

جماعة ، ثم أخرى بعد ذلك بيوم نحو التى كانت فى هذه ، ثم ثالثة بعد ذلك فى جمادى الآخرة منها .

ولأربع عشرة بقيت من جمادى الآخرة منها ، ورد كتاب بوقعة [1] كانت بينهم، هُزم أصحاب السلطان فيها المغاربة . ٢٢٩٣/٣

وفيها ورد كتاب من بشر عامل السلطان على طَرَسُوس على السلطان، يذكر فيه غزوه أرض الروم ، وما فتح فيها من الحصون ، وما غَنِم وسَبَى ، وأنه أسر من البطارقة مائة وخمسين ، وأنّ مبلغ السَّبْى نحو من ألفى رأس .

ولإحدى عشرة بقيَت من رجب ورد الخبر من مصر أنّ أصحاب السلطان لقوا حَباسة وأهل المغرب يقاتلونهم، فكانت الهزيمة على المغاربة ، فقتلوا منهم وأسَرُوا سبعة آلاف رجل ، وهرب الباقون مفلولين ، وكانت الوقعة يوم الخميس بسلخ جمادى الآخرة .

وفيها انصرف حباسة ومَنْ معه من المغاربة عن الإسكندرية راجعين إلى المغرب بعد ما ناظَر — فيما ذكر — حباسة عامل السلطان بمصر على الدّخول إليه بالأمان ، وجرت بينهما فى ذلك كتب . وكان انصرافه — فيما ذكر — لاختلاف حدث بين أصحابه فى الموضع الذى شخص منه .

وفيها أوقع يانسُ الخادم بناحية وادى الذئاب ، وما قرب من ذلك الموضع بمن هنالك من الأعراب ، فقتَل منهم مقتلة عظيمةً ، ذكر أنه قتل منهم سبعة آلاف رجل ، ونهب بيوتَهم ، وأصاب فى بيوتهم من أموال التجار وأمتعتهم التى كانوا أخذوها بقطع الطريق عليهم ما لا يحصى كثرته .

ولست خلوْن من ذى الحجة هلكت بدعة مولاة المأمون .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك . ٢٢٩٤/٣

* * *

وفى اليوم الثانى والعشرين من ذى الحجة منها خرج أعراب من الحاجر على ثلاثة فراسخ مما يلى البر على المنصرفين من مكة ، فقطعوا عليهم الطريق ،

---

(١) س : « وقعة » .

وأخذوا . . . [١] مامعهم من العين واستاقوا من جِمالهم ما أرادوا ، وأخذوا – فيما قيل – مائتين وثمانين امرأة حرائر سوى من أخذوا من المماليك والإماء .

تمّ الكتاب ، وهو آخر تاريخ ابن جرير الطبرى رحمه الله ، وقد ضمّنّا هذا الكتاب [٢] أبواباً من أوله إلى آخره ، حيث انتهينا إليه من يومنا هذا ، فما كان متأخّراً ذكرناه برواية سماع إن أخّر الله فى الأجل [٣] .

---

(١) بياض فى ط .

(٢) ط : «ضمنا» ... كتاب» .

(٣) فى آخر ب : «تم كتاب تاريخ الملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، والحمد لله كافى من توكل عليه ، وصلى الله على رسوله محمد النبى الأمى ، وآله وصحبه دائماً أبداً سرمداً ، وغفر للكاتب ووالديه وللمسلمين» .